٦٩

محمود خان

وقف
السلطان الاعظم والخاقان المعظم مالك رقاب الامم خليفة الله في العالم
ناصر الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمتمردين [illegible]
المعتصم بعون الله الملك المعين السلطان ابن السلطان السلطان

خلد الله سبحانه وتعالى دوام الخلافة [illegible]
ملكه وسلطانه

عدد اوراق دقوز يوز اون بش
٩١٧
٩١٥

حرره الفقير محمد بن علي [illegible]

صح حرره الفقير مصطفى بن لطف الله

[illegible] عفي عنه

تتبعت عدد اوراق هذا الكتاب الفاخر
من الاول الى الاخر فوجدته طبق
ما اشير اليه في هذا الورق
[illegible]
وانا الفقير [illegible] محمد
السيد [illegible] زاده
عفي عنه

وقف صحيح

٢٠٥

٨٨٩

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وتسمى سورة النعم بسبب ما عدد الله فيها
من نعمه على عباده وقيل هي مكية غير قوله تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
الآية نزلت بالمدينة في شان التمثيل بحمزة وقتلى احد وغير قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله
وغير قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الآية واما قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله من بعد ما ظلموا
فمكي في شان هجرة الحبشة وقال ابن عباس هي مكية الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة
وهي قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله باحسن ما كانوا يعملون قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه قيل اتى بمعنى يأتي فهو كقولك ان اكرمتني
اكرمتك وقد تقدم ان اخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء لانه آت لا محالة كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار وامر الله عقابه لمن اقام على الشرك وتكذيب رسوله قاله الحسن وابن جريج الضحاك انه ما جاء به
القرآن من فرايضه واحكامه وفيه بعد لانه لم ينقل ان احدا من الصحابة استعجل فرايض الله
من قبل ان تفرض واما انهم كانوا استعجلوا العذاب والعقاب فذلك منقول عن كثير من
الكفار قريش وغيرهم حتى قال النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
الآية فاستعجل العذاب قال الشيخ رحمه الله قد يستدل للضحاك بقول عمر رضي الله عنه وافقت ربي
في ثلاث في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر خرجه مسلم والبخاري وقد تقدم في سورة
البقرة وقال الزجاج هو ما وعدهم به من المجازاة على كفرهم وهو قوله حتى اذا جاء امرنا
وفار التنور وقيل هو يوم القيمة او ما يدل على قربها من اشراطها قال ابن عباس لما نزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا
عن بعض ما كنتم تعملون فامسكوا وانتظروا فلم يروا شيا فقالوا ما نرى شيا
فنزلت اقترب للناس حسابهم الآية فاشفقوا وانتظروا قرب الساعة فامتدت الايام
فقالوا ما نرى شيا فنزلت اتى امر الله فلا تستعجلوه فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم و
المسلمون وخافوا فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة
كهاتين واشار باصبعيه السبابة والتي تليها يقول ان كادت لتسبقني فسبقتها وقال ابن
عباس كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من شرايط الساعة وان جبرئيل عليه الصلوة والسلام

لما مر باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قد قامت الساعة قوله تعالى
سبحانه وتعالى عما يشركون اي تنزيها له عما يصفونه به من انه لا يقدر على قيام الساعة وذلك انهم يقولون
لا يقدر احد على بعث الاموات فوصفوه بالعجز الذي لا يوصف به الا المخلوق وذلك شرك وقيل عما يشركون
اي عن اشراكهم وقيل ما بمعنى الذي اي ارتفع عن الذين اشركوا به قوله تعالى ينزل الملائكة
بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون قرأ المفضل عن عاصم
تنزل الملائكة والاصل تتنزل فالفعل مسند الى الملائكة وقرأ الكسائي عن ابي بكر عن عاصم باختلاف
عنه والاعمش ينزل الملائكة غير مسمى الفاعل وقرأ الجعفي عن ابي بكر عن عاصم ننزل الملائكة بالنون مسمى
الفاعل ينزل بالياء مسمى الفاعل والضمير فيه لاسم الله عز وجل وروي عن قتادة ننزل الملائكة
بالنون والتخفيف وقرأ الاعمش تنزل بفتح التاء وكسر الزاء من النزول الملائكة رفعا مثل تنزل الملائكة
بالروح اي بالوحي وهو النبوة قاله ابن عباس نظيره يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده و
الربيع ابن انس بكلام الله وهو القرآن وقيل هو بيان الحق الذي يجب اتباعه وقيل ارواح الخلق قاله مجاهد
لا ينزل ملك الا ومعه روح وكذا روي عن ابن عباس ان الروح خلق من خلق الله عز وجل كصور ابن آدم لا ينزل من
السماء ملك الا ومعه واحد منهم وقيل بالرحمة قاله الحسن وقتادة وقيل بالهداية لانها يحيى بها القلوب كما يحيى
بالروح الابدان وهو معنى قول الزجاج وقال الزجاج الروح ما كان فيه من امر الله حيوة بالارشاد الى امره وقال
ابو عبيدة الروح هنا جبرئيل والباء في قوله بالروح بمعنى مع كقولك خرج بثيابه اي مع ثيابه من امر الله اي بامره على من يشاء
من عباده اي على الذين اختارهم الله للنبوة وهذا رد لقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي انذروا انه
لا اله الا انا فاتقون تحذير من عبادة الاوثان ولذلك جاء الانذار لان اصله التحذير مما يخاف منه ودل على ذلك قوله فاتقون
وان في موضع نصب بنزع الخافض اي بان انذروا اهل الكفر بانه لا اله الا الله فان في محل النصب بسقوط الخافض اي
بوقوع الانذار عليه قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون بالحق اي للزوال والفناء وقيل بالحق
اي للدلالة على قدرته وان له ان يتعبد العباد بالطاعة وان يحيي الخلق بعد الموت تعالى عما يشركون
اي من هذه الاصنام التي لا تقدر على خلق شيء قوله تعالى خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين
لما ذكر الدليل على توحيده ذكر بعده الانسان ومناكحه وتعدي طوره والانسان اسم للجنس وروي ان المراد
به ان ابن خلف الجمحي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال اترى يحيي الله بعد ما رم وفي
هذا ايضا نزل اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين اي خلق الانسان
من ماء يخرج من بين الصلب والترايب فنقله اطوارا الى ان ولد ونشا بحيث يخاصم في الامور فمعنى
الكلام التعجب من الانسان وضرب لنا مثلا ونسي خلقه وقوله فاذا هو خصيم مبين
اي مخاصم كالنسيب بمعنى المناسب اي يخاصم الله في قدرته ومبين اي ظاهر الخصومة و
ويبين عن نفسه الخصومة بالباطل والمبين هو المفصح عما في ضميره بمنطقه قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها
دفء فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى والانعام خلقها لما ذكر الانسان ذكر ما من به عليه الانعام
الابل والبقر والغنم واكثر ما يقال النعم والانعام للابل ويقال للمجموع ويقال للغنم مفردة
قال الحسان شعر
عفت ذات الاصابع فالجواء

الى عذراته [illegible] خلاء [illegible] دبار من بني الحبحاس [illegible] الرواسم [illegible] وكيف لايذا بالنفس
[illegible] روحها نعم وشاء [illegible] فالنعم هنا الابل خاصة [illegible] الجوهري والنعم واحد الانعام وهي المال الراعي
والكثر ايقع هذا الاسم على الابل [illegible] الفرا هو ذكر لا يؤنث يقولون هذه نعم وارد ويجمع على نعمان مثل [illegible]
[illegible] قال الله تعالى مما في بطونه وفي موضع مما في بطونها [illegible] والانعام [illegible]
او [illegible] وجه [illegible] قوله تعالى دفء الدفء السخانة وهو ما استدفئ به من اصوافها
واوبارها واشعارها [illegible] وروى عن ابن عباس دفء نسلها والله اعلم قال الجوهري في الصحاح الدفء
نتاج الابل والبانها [illegible] لكم فيها دفء [illegible] ليس لنا من دفئهم ما يتلقى الشاة [illegible]
ايضا السخونة [illegible] وكذلك دفي دفاء مثل ظمي ظما والاسم [illegible]
بالكسر وهو الذي يدفيك [illegible] دفء لانه اسم [illegible] ما عليك دفاءة لانه مصدر [illegible]
اقعد في دفء هذا الحائط اي كنه [illegible] اذا لبس ما يدفيه وكذلك رجل دفآن وامراة دفآى
وتدفا وادفاه الثوب [illegible] وتدفا هو بالثوب واستدفا [illegible] وهو افتعل اي لبس ما يدفيه ودفؤت ليلتنا
ويوم دفيء على فعيل وليلة دفيئة وكذلك الثوب [illegible] الكثير لان بعضها يدفي بعضها بانفاسها
وقد يشدد المدفاة الابل الكثيرة الاوبار والشحوم عن الاصمعي [illegible] خ

وكيف يضيع [illegible] مدفات على [illegible] من الصقيع

[illegible] ومنافع للناس ومنها تاكلون قال ابن عباس المنافع نسل كل دابة مجاهد الركوب
والحمل والالبان واللحوم والسمن ومنها تاكلون افرد منفعة الاكل بالذكر لانها معظم المنافع وقيل المعنى
من لحومها تاكلون الذبح [illegible] دلت هذه الاية على لباس الصوف [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
والانبياء قبله كموسى وغيره وفي حديث المغيرة فغسل وجهه وعليه جبة من صوف شامية ضيقة
الكمين الحديث خرجه مسلم وغيره وقال ابن العربي وهو شعار المتقين ولباس الصالحين وشارة الصحابة
والتابعين واختيار الزهاد والعارفين وهو يلبس لينا وخشنا وجيدا [illegible] ومقاربا ورديا واليه نسب
جماعة من الناس الصوفية لانه لباسهم في الغالب والهاء للمبالغة وقد انشد بعض اشياخهم بالبيت المقدس
طهره الله
تشاجر الناس في الصوفي واختلفوا فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفي حتى سمي الصوفي
[illegible] قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الجمال ما يتجمل به ويتزين
والجمال الحسن وقد جمل الرجل بالضم جمالا فهو جميل والمراة جميلة وجملاء ايضا عن الكسائي وانشد

فهي جملاء كبدر طالع بذت الخلق جميعا بالجمال

وقول ابي ذويب
جمالك ايها القلب القريح
يريد الزم تجملك وحياءك ولا تجزع جزعا قبيحا قال علماؤنا
فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة ويكون في الاخلاق الباطنة ويكون في الافعال فاما جمال الخلقة
فهو امر يدركه البصر ويلقيه الى القلب متلائما فيتعلق بها النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لاحد
من البشر واما جمال الاخلاق فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والفقه وكظم الغيظ و
ارادة الخير لكل احد واما جمال الافعال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيه وصرف
الشر عنهم وجمال الانعام والدواب من جمال الخلقة وهو مرئي بالابصار موافق للبصائر ومن جمالها كثرتها

الابل ص

وقول الناس الاذا راحت [illegible] السدق [illegible] عظم شانها و[illegible]
[illegible] اذ ذاك اعظم ما تكون اسنمة وضروعا قاله قتادة ولهذا المعنى قدم الرواح [illegible]
[illegible] [illegible] الذى [illegible] ذاك [illegible] [illegible] مالكها يقول [illegible]
وحين تسرحون وذلك في الوقت حين تروح الى المرعى وتسرح عليهم
والسرح [illegible] بالغداة تقول سرحت الابل سرحا وسروحا اذا غدت [illegible]
والاسم واحد [illegible] وتحمل اثقالكم اي [illegible]
[illegible] فيه ثلاث مسايل [illegible] قوله تعالى [illegible]
[illegible] وغيره وهو ما يثقل الانسان حمله [illegible] المراد ابد[illegible] الارض اثقالها والبلد
[illegible] قول عكرمة وقيل هو مجهول [illegible] شقها وغاية جهدها
وقراءة العامة بكسر الشين قال الجوهري [illegible] لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
وهذا قد يفتح حكاه ابو عبيدة قال [illegible] شق [illegible] وهما بمعنى المشقة وهو من
الشق في العصا ونحوها [illegible] قال الثعلبي وقرا ابو جعفر بشق الانفس
وهما لغتان مثل رق ورق [illegible] ورطل ورطل وينشد [illegible] الشاعر بكسر الشين
وفتحها [illegible] وذي ابل يسعى ويحسبها له [illegible] اخي نصب من شقها ودؤوب [illegible] ويجوز ان يكون
بمعنى المصدر من شققت عليه اشق [illegible] ايضا بالكسر النصف يقال اخذت شق الشاة وشقة
الشاة وقد يكون المراد من الاية هذا [illegible] لم تكونوا بالغيه الا بنقص من القوة وذهاب شق منها اي لم تبلغوه
الا بنصف [illegible] الشق ايضا الناحية من الجبل وفي حديث ام زرع وجدني
في اهل غنيمة بشق وقال ابو عبيدة هو اسم موضع والشق ايضا الشقيق يقال هو اخي وشق نفسي وشق
اسم كاهن [illegible] والشق ايضا الجانب ومنه قول امرئ القيس

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشق وشق عندنا لم يحول

[illegible] من الله سبحانه بالانعام عموما وخص الابل هنا بالذكر في حمل الاثقال
على ساير الانعام فان الغنم للسرح والذبح والبقر للحرث والابل للحمل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت اليه البقرة فقالت اني
لم اخلق لهذا ولكني انما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله تعجبا وفزعا ابقرة تكلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاني اومن به وابو بكر وعمر دل هذا الحديث على ان البقر لا يحمل عليها ولا تركب وانما
هي للحرث وللاكل والنسل والرسل [illegible] في هذه الاية دليل على جواز السفر بالدواب وحمل الا[ثقال]
عليها ولكن على قدر ما تحتمله من غير اسراف في الحمل مع الرفق في السير وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق
بها والاراحة لها ومراعاة التفقد لعلفها وسقيها وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها
رواه مالك في الموطا عن ابي عبيد عن خالد بن معدان قوله وروي عن معاوية بن قرة قال كان لابي الدرداء جمل
يقال له دمون فكان يقول يا دمون لا تخاصمني عند ربي فالدواب عجم لا تقدر ان تحتال لنفسها ما تحتاج

اليه ولا نقدر ان نقطع لحوايجه [illegible] الرفق بما افعل في صيغتها من حوايجه فتستحق الشكر وتعرض للخصومة
بين يدي الله تعالى و[illegible] سليمن بن محمد قال حدثنا ابو داود قال حدثنا ابن خالد قال حدثنا المسيب
ابن آدم [illegible] الخطاب ضرب حمالا وقال تحمل على بعيرك ما لا يطيق [illegible] والخيل و
[illegible] لتركبوها وزينة وفيه ثمان مسايل [illegible] قوله تعالى والخيل الخيل [illegible]
[illegible] وقرا ابن ابي عبلة والخيل والبغال والحمير بالرفع فيها كلها وسميت الخيل خيلا
[illegible] المشية [illegible] الخيل [illegible] واحد منها وقيل واحدها [illegible] هذا [illegible]
[illegible] الحديث [illegible] والحمير لذلك دل على انها لم تدخل تحت لفظ
الانعام وقيل دخلت [illegible] بها من الركوب فانه ذكر في الخيل والبغال والحمير
بالركوب [illegible] قال العلماء ملكنا الله الانعام والدواب [illegible] لنا واباح لنا تسخيرها والانتفاع
بها رحمة منه تعالى لنا وما ملكه الانسان وجاز له تسخيره من الحيوان فكراؤه له جايز باجماع اهل العلم
لا اختلاف بينهم في ذلك وحكم كرا الرواحل [illegible] مذكور في كتب الفقه [illegible] لا خلاف بين العلما
في اكترا الدواب والرواحل للحمل عليها والسفر لقوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد الاية واجازوا ان يكرا
الرجل الدابة او الراحلة الى مدينة بعينها وان لم يسم [illegible] منها وكم من منزل ينزل فيه وكيف صفة
مسيره وكم ينزل في طريقه واجتزوا بالمتعارف بين الناس في ذلك قال علماونا والكرا يجرى مجرى البيوع
فيما يحل منه ويحرم قال ابن القاسم فيمن اكترى دابة الى موضع كذا بثوب مروي ولم يصف رقعته وذرعه
لم يجز لان مالكا لا يجيز هذا في البيع ولا يجيز في ثمن الكرا الا ما يجوز في ثمن المبيع قال المولف رحمه الله
ولا يختلف في هذا ان شاء الله لان ذلك اجارة وقال ابن المنذر واجمع كل من نحفظ عنه من اهل
العلم على ان من اكترى دابة ليحمل عليها عشرة اقفزة فحمل عليها ما اشترط فتلفت ان لا شي عليه وهكذا
ان حمل عليها عشرة اقفزة فحمل عليها [illegible] شعير واختلفوا فيمن اكترى دابة ليحمل عليها عشرة اقفزة
فحمل عليها احد عشر قفيزا فكان الشافعي وابو ثور يقولان هو ضامن لقيمة الدابة وعليه الكرا وقال ابن
ابي ليلى عليه قيمتها ولا اجر عليه وفيه قول ثالث وهو ان عليه الكرا وعليه جزء من احد عشر جزءا من قيمة
الدابة بقدر ما زاد من الحمل هذا قول النعمان ويعقوب ومحمد وقال ابن القاسم صاحب مالك لا ضمان
عليه وفي قول مالك اذا كان القفيز الزايد لا يفدح الدابة ويعلم ان مثله لا يعطب فيه الدابة ولرب الدابة
اجر القفيز الزايد مع الكرا الاول لان عطبها ليس من اجل الزيادة وذلك بخلاف مجاوزة المسافة لان
مجاوزة المسافة تعد كله فيضمن اذا سلكت في قليله وكثيره والزيادة على الحمل المشترط اجتمع فيه اذن
وتعد فاذا كانت الزيادة لا تعطب في مثلها علم ان هلاكها مما اذن له فيه واختلف اهل العلم
في الرجل يكترى الدابة باجر معلوم الى موضع مسمى فيتعدى فيتجاوز ذلك المكان ثم يرجع الى المكان الماذون
له في المصير اليه فقالت طايفة اذا جاز ذلك المكان ضمن وليس عليه في التعدى كرا هكذا قال الثوري
وقال ابو حنيفة الاجر فيما سمى ولا اجر له فيما لم يسم لانه خالف فهو ضامن وبه قال يعقوب وقال الشافعي
عليه الكرا الذي سمى وكرا المثل فيما جاوز ذلك ولو عطبت لزمه قيمتها ونحوه قال الفقها السبعة مشيخة
اهل المدينة قالوا اذا بلغ المسافة ثم زاد فعليه كرا الزيادة ان سلمت وان هلكت ضمن وقال احمد واسحاق

وخلق الخيل صح

بها صح

وابو ثور عليه الكرا والضمان قال ابن المنذر [illegible] نقول [illegible] ابن القاسم اذا بلغ
التي اكترى اليها ثم زاد ميلا ونحوه او اميالا او زيادة كثيرة فعطبت الدابة [illegible]
الخيار في اخذه كرى الزايد بالغا ما بلغ او قيمة الدابة يوم التعدي [illegible]
[illegible] ضامن ولو زاد خطوة قال ابن القاسم عن مالك في زيادة الميل ونحو
في المرحلة فلا يضمن وقال ابن حبيب عن ابن الماجشون واصبغ
الامد الذي تكاراها اليه يسيرا ثم ردها [illegible] الى
الى الموضع الذي تكاراها اليه [illegible]
فيه مقام الايام الكثيرة [illegible] منها
المسافة لانه اذا كانت زيادة يسيرة
الموضع الماذون له فيه لهلاك [illegible]
فتلك الزيادة قد اعانت على
[illegible] قال الله تعالى والخيل
للاكل ونحوه عن اشهب
لما نص على الركوب والزينة

[illegible] وروي
[illegible] القاسم اليه
[illegible] مسيره او جاوز
[illegible] في الطريق
[illegible] ولو زاد كثيرا
[illegible] ة الامد او
[illegible] بعد ردها الى
[illegible] محله وان كانت الزيادة كثيرة
قال ابن القاسم وابن وهب قال
[illegible] وزينة فجعلها للركوب والزينة ولم يجعلها
[illegible] يجوز اكل لحوم [illegible] البغال والحمير لان الله تعالى
[illegible] وقال في الانعام ومنها تاكلون مع ما امتن الله

منها من الدفء والمنافع واباح [illegible] بالذكاة المشروعة فيها وبهذه الاية احتج ابن عباس والحكم
ابن عتيبة قال الحكم لحوم الخيل حرام في كتاب الله وقرا هذه الاية والتي قبلها وقال هذه للاكل و
هذه للركوب وسيل ابن عباس عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الاية فقال هذه للركوب وقرا
الاية التي قبلها والانعام خلقها لكم ثم قال هذه للاكل وبه قال مالك وابو حنيفة واصحابهما
والاوزاعي ومجاهد وابو عبيد وغيرهم واحتجوا بما خرجه ابو داود والنسائي والدارقطني
وغيرهم عن صالح بن يحيى بن المقدام بن معدي كرب عن ابيه عن جده عن خالد بن الوليد ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وكل ذي ناب من السباع
او مخلب من الطير لفظ الدارقطني وعند النسائي ايضا عن خالد بن الوليد انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول لا يحل اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وقال الجمهور من الفقهاء والمحدثين
هي مباحة وروي عن ابي حنيفة وشذت طايفة فقالت بالتحريم منهم الحكم كما ذكرنا وروي عن
ابي حنيفة حكى ثلاث روايات عنه الروياني في بحر المذهب على مذهب الشافعي قال المولف
رحمه الله الصحيح الذي يدل عليه النظر والخبر جواز اكل لحوم الخيل وان الاية والحديث لا حجة
فيهما لازمة اما الاية فلا دليل فيها على تحريم الخيل اذ لو دلت عليه لدلت على تحريم لحوم الحمر والسورة
مكية واي حاجة كانت الى تجديد تحريم لحوم الحمر عام خيبر وقد ثبت في الاخبار تحليل الخيل على
ما ياتي وايضا لما ذكر تعالى الانعام ذكر الاغلب من منافعها واهم ما فيها وهو حمل الاثقال والاكل
ولم يذكر الركوب ولا الحرث بها وغير ذلك مصرحا به وقد تركب ويحرث بها قال الله تعالى الذي
جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون وقال في الخيل لتركبوها وزينة فذكر ايضا اغلب منافعها

... [illegible] عليها [illegible] وقد يحمل عليها وهو شأنه [illegible] ثم ذكر الاكل وتزيينه
والمقصود منها ولم [illegible] الحمل [illegible] الا [illegible] وعلى انها [illegible] من كونها [illegible] للركوب والزينة ان لا تؤكل
ابيته الذى خلق اليه بيانه [illegible] اليه على ما انى [illegible] ان كل شئ [illegible] انما خلقت [illegible]
[illegible] [illegible] الذى [illegible] [illegible]
[illegible] لا انما خلقت للركوب انه لا تؤكل البقرة انما خلقت للحرث وقد اجمع المسلمون
من على [illegible] الخيل [illegible] السنة الثابتة فيما روي مسلم من حديث جابر قال نهى رسول الله
صلى الله [illegible] عن لحوم الحمر الاهلية واذن في لحوم الخيل وقال النسائي عن جابر
[illegible] رسول الله [illegible] لحوم [illegible] الاهلية لحوم الحمر وفي رواية عن جابر قال
كنا ناكل لحوم الخيل [illegible] وسلم [illegible] الرواية عن جابر بانهم اكلوها
في خيبر حكاية حال [illegible] [illegible] دنوا ذبحوا للضرورة ولا يحتج نقضا بالاحوال
[illegible] الرواية عن جابر [illegible] بانهم كانوا ياكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
تزيل ذلك الاحتمال ولئن سلمناه [illegible] [illegible] فرسا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن بالمدينة فاكلناه رواه مسلم [illegible] من غير ترجيح في مقابلة النص فانما هو دعوى
لا يلتفت اليه ولا يعرج عليه وقد روى الدارقطني [illegible] سنة ترفع كل تاويل في حديث اسما قالت
اسما كان لنا فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارادت ان تموت فذبحناها فاكلناها فذكرها
انما كان لخوف الموت عليها لا لغير ذلك من الاحوال [illegible] [illegible] حيوان من ذوات الحافر
فلا يوكل كالحمار [illegible] هذا قياس الشبه وقد اختلف ارباب الاصول في القول به ولئن سلمناه
فهو منتقض بالخنزير فانه ذو ظلف وتدابين ذوات الاظلاف [illegible] ان القياس اذا كان في مقابلة النص
فهو فاسد الوضع لا التفات اليه قال الطبري وفي اجماعهم على جواز ركوب ما ذكر للاكل دليل على جواز
اكل ما ذكر للركوب واما البغال فانها تلحق بالحمير ان قلنا ان الخيل لا يؤكل فانها تكون متولدة
من عينين لا يوكلان وان قلنا ان الخيل توكل فانها متولدة من ماكول وغير ماكول فغلب التحريم على
ما يلزم في الاصول وكذلك ذبح المولود بين كافرين احدهما من اهل الذكوة والاخر ليس من اهلها
لا يكون ذكاة ولا تحل به الذبيحة وقد مضى في الانعام الكلام في تحريم الحمر ولا معنى للاعادة
وقد علل تحريم اكل الحمار بانه ابدى جوهره الخبيث حيث نزا على ذكر وتلوط فسمي رجسا
[illegible] في الاية دليل على ان الخيل لا زكاة فيها لان الله سبحانه من علينا بما اباحنا منها وكرمنا
به من منافعها فغير جائز ان يلزمنا فيها كلفة الا بدليل وقد روى مالك عن عبد الله بن دينار عن
سليمان ابن يسار وعن عراك ابن مالك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة وروى ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ليس في الخيل والرقيق زكاة الا ان زكاة الفطر في الرقيق وبه قال مالك والشافعي
والاوزاعي والليث وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة ان كانت اناثا كلها او ذكورا واناثا ففي كل
فرس دينار اذا كانت سائمة وان شاء قومها فاخرج عن كل مائتي درهم خمسة دراهم واحتج باثر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال في كل الخيل السائمة في كل فرس دينار وبقوله صلى الله عليه وسلم الخيل ... انه

لثلثة الحديث وفيه ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها والجواب عن الاول انه حديث لم يروه
الا عورك السعدي وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر قال الدارقطني تفرد به عورك
عن جعفر وهو ضعيف جدا ومن دونه ضعفاء واما الحديث الثاني فالحق المذكور فيه هو الخروج
عليها اذا وقع النفير وتعين بها لقتال العدو واذا تعين ذلك عليه [illegible] [illegible] عليها
تليها اذا احتاج لذلك وهذا واجب عليه اذا تعين ذلك كما يتعين عليه [illegible] عند الضرورة
فهذه حقوق الله في رقابها [illegible] [illegible] هذا هو الحق الذي [illegible] المعنى [illegible]
[illegible] قد روى لا ينسى حق الله فيها ولا فرق بين قوله حق [illegible] ظهورها فان
رجع الى شئ واحد لان الحق يتعلق بجملتها وقد [illegible] [illegible] حسن ملكها
وتعهد شبعها والاحسان اليها وركوبها غير مشقوق عليها [illegible] لا يتخذوا ظهورها
كراسي وانما خص رقابها بالذكر لان الرقاب [illegible] تستعار كثيرا في مواضع الحقوق اللازمة
والفروض الواجبة ومنه قوله تعالى [illegible] [illegible] وكثر عندهم استعمال ذلك استعارة
حتى جعلوه في الرباع والاموال الا ترى [illegible] كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا علقت لضحكته رقاب المال
وايضا فان الحيوان الذي تجب فيه الزكاة [illegible] من جنسه ولما خرجت الخيل عن ذلك
علمنا سقوط الزكاة فيها وايضا فاوجب الزكاة [illegible] اناثها منفردة دون الذكور تناقض منه وليس
[illegible] الحديث فصل بينهما ونقيس الاناث على الذكور في نفي الصدقة بانه حيوان مقتنى لنسله لا لدره
لا تجب الزكاة في ذكوره فلم تجب في اناثه كالبغال والحمير وقد روي عنه انه لا زكاة في اناثها وان
انفردت كذكورها منفردة وهذا الذي عليه الجمهور قال ابن عبد البر الخبر في صدقة الخيل عن عمر
صحيح من حديث الزهري وغيره وقد روي من حديث مالك رواه عنه جويرية عن الزهري ان
السائب بن يزيد قال لقد رايت ابي يقوم الخيل ثم يدفع صدقتها الى عمر وهذا حجة لابي حنيفة
وشيخه حماد بن ابي سليمان لا اعلم احدا من فقهاء الامصار اوجب الزكوة في الخيل غيرهما تفرد
به جويرية عن مالك وهو ثقة [illegible] قوله تعالى وزينة منصوب باضمار فعل المعنى وجعلها
زينة وقيل هو مفعول من اجله والزينة ما يتزين به وهذا الجمال والتزيين وان كان من متاع
الدنيا فقد اذن الله سبحانه لعباده فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم الابل عز لاهلها والغنم بركة
والخيل في نواصيها الخير خرجه البرقاني وابن ماجة في السنن وقد تقدم في الانعام وانما جمع
النبي صلى الله عليه وسلم العز في الابل لان فيها اللباس والاكل واللبن والحمل والغزو وان
بعضها الكر والغزو وجعل البركة في الغنم لما فيها من اللباس والطعام والشراب وكثرة الاولاد
فانها تلد في العام ثلاث مرات الى ما يتبعها من السكينة وتحمل صاحبها عليه من خفض الجناح ولين
الجانب بخلاف الفدادين اهل الابل وقرن النبي صلى الله عليه وسلم الخير بنواصي الخيل بقية الدهر
لما فيها من الغنيمة المستفادة للكسب والمعاش وما يتوصل اليه من قهر الاعداء وغلب الكفار
واعلاء كلمة الله تعالى [illegible] قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال الجمهور من الخلق وقيل من انواع

الحشرات والهوام في اسافل الارض وفي البر والبحر ما لم يره البشر ولم يسمعوا به وقيل ويخلق ما لا تعلمون
مما اعد الله في الجنة لاهلها وفي النار لاهلها مما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولا خطر على قلب بشر وقال
قتادة والسدي هو خلق السوس في الثياب والدود في الفواكه وقال ابن عباس عين تحت العرش
حكاه الماوردي وقال الثعلبي وقال ابن عباس عن يمين العرش نهر من النور مثل السموات
السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخله جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا
الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخرج الله من كل ريشه سبعين الف قطرة
ويخرج من كل قطرة سبعين الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك الى البيت المعمور وفي
الكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه الى يوم القيمة وقول خامس وهو ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انها ارض بيضا مسيرة الشمس ثلثين يوما مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله تعالى يعصى
في الارض قالوا يا رسول الله من ولد آدم قال لا يعلمون ان الله خلق آدم قالوا يا رسول
الله فاين ابليس منهم قال لا يعلمون ان الله خلق ابليس ثم تلى ويخلق ما لا تعلمون ذكره الماوردي
قال المولف رحمه الله ومن هذا المعنى ما ذكره البيهقي عن الشعبي قال ان لله عبادا
من وراء الاندلس كما بيننا وبين الاندلس ما يرون ان الله تعالى عصاه مخلوق رضراضهم الدر
والياقوت وجبالهم الذهب والفضة لا يحرثون ولا يزرعون ولا يعملون عملا لهم شجر على ابوابهم
لها ثمر هي طعامهم وشجر لها اوراق عراض هي لباسهم ذكره في بدء الخلق من كتاب الاسماء والصفات
وخرج من حديث موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من الملائكة من حملة العرش
ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام قوله تعالى وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا
جَائِرٌ اي على الله بيان قصد السبيل فحذف المضاف وهو البيان والسبيل الاسلام اي على الله
بيانه بالرسل والحجج والبراهين وقصد السبيل استقامة الطريق يقال طريق قاصد اي يودي
الى المطلوب ومنها جائر اي ومن السبيل جائر اي عادل عن الحق فلا يهتدي ومنه قول امرئ القيس
ومن الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو دخل
قال طرفة عدولية او من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا
ويهتدي العدولية سفينة منسوبة الى عدول قرية بالبحرين والعدولي الملاح قاله في الصحاح
وفي التنزيل وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقد تقدم وقيل المعنى ومنهم
جائر عن سبيل الحق اي عادل عنه فلا يهتدي اليه وفيهم قولان احدهما انهم اهل الاهواء المختلفة
قاله ابن عباس الثاني ملل الكفر من اليهودية والمجوسية والنصرانية وفي مصحف عبد الله ومنكم
جائر وكذا قرأ علي رضي الله عنه ومنكم بالكاف قيل المعنى وعنها جائر اي عن السبيل فمن
بمعنى عن وقال ابن عباس اي من اراد ان يهتدي سهل له طريق الايمان ومن اراد ان يضل
ثقل عليه الايمان وفروعه وقيل معنى قصد السبيل مسيركم ورجوعكم والسبيل واحدة بمعنى الجمع
ولذلك انث الكناية فقال ومنها والسبيل مونثة في لغة اهل الحجاز قوله تعالى وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ

بلغت

أَجْمَعِينَ بين ان المشية لله تعالى وهو يصحح ما ذهب اليه ابن عباس في تاويل الاية ويرد على القدرية
ومن وافقها كما تقدم قوله تعالى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ
الشراب ما يشرب والشجر معروف اي ينبت من الامطار اشجار وعروش ونبات وتسيمون ترعون ابلكم
يقال سامت السائمة تسوم سوما اي رعت فهي سائمة والسوم والسيام بمعنى هو المال الراعي وجمع السائمة
والسائمة سوائم واسمتها انا اي اخرجتها الى المرعى فانا مسيم وهي مسامة وسائمة قال
اولى لك ابن مسيمة الاجمال واصل السوم الابعاد في المرعى وقال الزجاج اخذ من السومة وهي
العلامة اي انها تؤثر في الارض علامات برعيها او لانها تعلم للارسال في المرعى قال المولف رحمه الله
والخيل المسومة تكون المرعية وتكون المعلمة وقوله مسومين قال الاخفش تكون معلمين وتكون
مرسلين من قولك سوم فيها الخيل اي ارسلها ومنه السائمة وانما جاء بالياء والنون لان الخيل
سومت وعليها ركبانها قوله تعالى يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ قرأ ابو بكر عن عاصم ننبت بالنون على
التعظيم العامة بالياء على معنى ينبت الله لكم يقال نبتت الارض وانبتت بمعنى ونبت البقل وانبت
بمعنى وانشد الفراء رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا حتى اذا انبت البقل
اي نبت وانبته الله فهو منبوت على غير قياس وانبت الغلام نبتت عانته ونبت الشجر غرسته
يقال نبت اجلك بين عينيك ونبت الصبي تنبيتا ربيته والمنبت موضع النبات يقال ما احسن
نابتة بني فلان اي ما ينبت عليه اموالهم واولادهم ونبتت لهم نابتة اي نشا لهم نشا صغار
وان بني فلان لنابتة شر والنوابت من الاحداث الاغمار والنبيت حي من اليمن والينبوت شجر
كله عن الجوهري والزيتون جمع زيتونة ويقال للشجرة نفسها زيتونة وللثمرة زيتونة وقد مضى في سورة
الانعام حكم زكاة هذه الثمار فلا معنى للاعادة ان في ذلك الانزال والانبات لآية اي دلالة لقوم
يتفكرون قوله تعالى وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وسخر لكم الليل والنهار اي للسكون والاعمال كما قال ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
اي مذللات لمعرفة الاوقات ونضج الثمار والزروع والاهتداء بالنجوم في الظلمات وقرا
ابن عباس وابن عامر واهل الشام والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع على الابتداء والخبر
الباقون بالنصب عطفا على ما قبله وقرا حفص عن عاصم برفع والنجوم مسخرات بامره خاصة نصب
الشمس والقمر عطفا على الليل والنهار ورفع والنجوم على الابتداء مسخرات خبره وقرئ والشمس والقمر
والنجوم بالنصب مسخرات بالرفع وهو خبر ابتداء محذوف اي هي مسخرات وهي في قراءة من نصبها
حال موكدة كقوله وهو الحق مصدقا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون اي عن الله ما نبههم عليه
ووفقهم له قوله تعالى وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وما ذرأ اي وسخر ما ذرأ في الارض لكم ذرأ الله الخلق يذرؤهم
ذرءا خلقهم فهو ذارئ ومنه الذرية وهي نسل الثقلين الا ان العرب تركت همزها والجمع الذراري

مسائل ص

يقال ابى الله ذلك و ذرؤكم اى خلقكم واصل الذرء والذر التفريق عن جمع وفي الحديث ذرء النار اي انهم خلقوا لها [illegible] ما ذرأه الله سبحانه منه مسخر مذلل كالدواب والانعام والاشجار وغيرها ومنه غير ذلك والدليل عليه ما رواه مالك في الموطا عن كعب الاحبار قال لولا كلمات اقولهن لجعلتني يهود حمارا فقيل له وما هن فقال اعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء اعظم منه وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وباسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم اعلم من شر ما خلق وبرأ وذرأ وفيه عن يحيى بن سعيد قال اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار [illegible] وفيه ومن شر ما ذرأ في الارض وقد ذكرناه وما في معناه في غير هذا الموضع [illegible] مختلفا نصب على الحال والوانه هيئاته ومناظره يعني الدواب والشجر وغيرها ان في ذلك اي [illegible] في اختلاف الوانها لاية اي لعبرة لقوم يذكرون اي يتعظون ويعلمون اي في تسخير هذه المكونات لعلامات على وحدانية الله وانه لا يقدر على ذلك احد غيره

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ فيه تسع مسايل الاولى قوله تعالى وهو الذي سخر البحر تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والارفاق وغيره وهذه نعمة من نعم الله علينا فلو شاء سلطه علينا واغرقنا وقد مضى الكلام في البحر وفي صيده وسماه هنا لحما واللحوم عند مالك ثلثة اجناس فلحم ذوات الاربع جنس ولحم ذوات الريش جنس ولحم ذوات الماء جنس فلا يجوز بيع الجنس من جنسه متفاضلا ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك متفاضلا وكذلك لحم الطير بلحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك متفاضلا وقال ابو حنيفة اللحوم كلها اصناف مختلفة كاصولها فلحم البقر صنف ولحم الغنم صنف ولحم الابل صنف وكذلك الوحش مختلف وكذلك الطير وكذلك السمك وهو احد قولي الشافعي والقول الاخر ان الكل من الغنم والصيد والطير والسمك جنس واحد لا يجوز التفاضل فيه والقول الاول هو المشهور من مذهبه عند اصحابه ودليلنا هو ان الله تعالى فرق بين اسماء الانعام في حياتها فقال ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين ثم قال ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين فلما ان انتهى الجميع الى اللحم قال احلت لكم بهيمة الانعام فجمعها بلحم واحد لتقارب منافعها كتقارب لحم الضان والمعز وقال في موضع آخر ولحم طير مما يشتهون وهذا جمع طاير الذي هو الواحد لقوله تعالى ولا طاير يطير بجناحيه فجمع لحم الطير كله باسم واحد وقال هنا لحما طريا فجمع اصناف السمك بذكر لحم واحد فكان صغاره ككباره في الجمع بينهما وقد روي عن ابن عمر انه سيل عن لحم المعز بلحم الكباش اشيء بواحد فقال لا ولا مخالف له فصار كالاجماع والله اعلم ولا حجة للمخالف في نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام الا مثلا بمثل فان الطعام في الاطلاق يتناول الحنطة وغيرها من الماكولات ولا يتناول اللحم الا ترى ان القايل اذا قال اكلت طعاما لم يسبق الفهم منه الى اكل اللحم وايضا فانه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شيتم وهذان جنسان وايضا فقد اتفقنا على جواز اللبن بلحم الطير متفاضلا والعلة فيه انه بيع طعام لا زكاة له بيع لحم ليس فيه الزكاة كذلك بيع السمك بلحم الطير متفاضلا الثانية [illegible] واما الجراد فالمشهور عندنا جواز بيع بعضه ببعض متفاضلا وذكر عن سحنون انه يمنع من ذلك واليه مال بعض المتاخرين ورآه مما يدخر الثالثة اختلف العلماء فيمن حلف ان لا ياكل لحما فقال ابن القاسم يحنث بكل نوع من هذه الانواع الاربعة وقال اشهب في المجموعة لا يحنث الا باكل لحوم الانعام دون الوحش وغيره مراعاة للعرف والعادة وتقديما لها على اطلاق اللفظ اللغوي وهذا حسن [illegible] قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعني به اللؤلؤ والمرجان لقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان واخراج الحلية انما هي فيما عرف من الملح فقط ويقال في الزمرد بحريا وقد خطى الهذلي في قوله في وصف الدرة [illegible]

فجاء بها من درة لطمية
على وجهها ماء الفرات يدوم

فجعلها من الماء الحلو والحلية حق وهي نحلة الله تعالى لآدم وولده خلق آدم وتوج وكلل باكليل الجنة وختم بالخاتم الذي ورثه عنه سليمان بن داود صلوات الله عليهما وكان يقال له خاتم العز فيما روي [illegible] امتن الله سبحانه على الرجال والنساء امتنانا عاما بما يخرج من البحر فلا يحرم عليهم شيء منه وانما حرم الله تعالى على الرجال الذهب والحرير روى في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وسياتي في سورة الحج الكلام فيه ان شاء الله تعالى وروى البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب وجعل فصه مما يلي باطن كفه ونقش فيه محمد رسول الله فاتخذ الناس مثله فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال لا البسه ابدا ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة قال ابن عمر فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بير اريس قال ابو داود لم يختلف الناس على عثمان حتى سقط الخاتم من يده واجمع العلماء على جواز التختم بالورق على الجملة للرجال قال الخطابي وكره للنساء التختم بالفضة لانه من زي الرجال فان لم تجدن ذهبا فليصفرنه بزعفران او شبهه وجمهور العلماء من السلف والخلف على تحريم اتخاذ الرجال خاتم الذهب الا ما روي عن ابي بكر بن عبد الرحمن وخباب وهو خلاف شاذ وكل منهما لم يبلغهما النهي والنسخ والله اعلم واما ما رواه انس بن مالك انه رأى في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم اخرجه الصحيحان واللفظ للبخاري فهو عند العلماء وهم من ابن شهاب لان الذي نبذ رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو خاتم الذهب رواه عبد العزيز بن صهيب وثابت وقتادة عن انس وهو خلاف ما روى ابن شهاب عن انس فوجب القضاء بالجماعة على الواحد اذا خالفها مع ما يشهد للجماعة من حديث ابن عمر رضي الله عنه [illegible] اذا ثبت جواز التختم للرجال بخاتم الفضة والتحلي به فقد كره ابن سيرين وغيره من العلماء نقشه وان يكون فيه ذكر الله واجاز نقشه جماعة من العلماء ثم اذا نقش عليه اسم الله او كلمة حكمة او كلمات من القرآن وجعله في شماله فهل يدخل به الخلاء ويستنجي بشماله خففه سعيد بن المسيب ومالك قيل لمالك ان كان في الخاتم

ذكر الله ويلبسه في الشمال ايستنجي به قال ارجوا ان يكون خفيفا وروي عنه الكراهة وهي الاولى وعلى
المنع من ذلك اكثر اصحابه وقد روي همام عن ابن جريج عن الزهري عن انس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء وضع خاتمه قال ابوداود هذا حديث منكر وانما يعرف عن ابن جريج عن زياد
ابن سعد عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم القاه قال ابوداود
لم يحدث بهذا الا همام روى البخاري عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما
من فضة ونقش فيه محمد رسول الله وقال اني اتخذت خاتما ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد
على نقشه قال علماؤنا وهذا دليل على جواز نقش اسم صاحب الخاتم على خاتمه قال مالك ومن شان الخلفاء و
القضاة نقش اسمائهم في خواتيمهم ونهيه عليه السلام ان لا ينقش احد على نقش خاتمه من اجل ان ذلك اسمه
وصفته برسالة الله الى خلقه وروي اهل الشام انه لا يجوز اتخاذ الخاتم لغير ذي سلطان ورووا في
ذلك حديثا عن ابي ريحانة وهو حديث لا حجة فيه لضعفه وقوله عليه السلام لا ينقش احد على نقشه خاتمه
يرده ويدل على جواز اتخاذ الخاتم لجميع الناس اذا لم ينقش على نقش خاتمه وكان نقش خاتم الزهري
محمد يسال العافية وكان نقش خاتم مالك حسبي الله ونعم الوكيل وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
ان نقش خاتم موسى عليه السلام لكل اجل كتاب وقد مضى في الرعد وبلغ عمر بن عبد العزيز ان ابنه اشترى
خاتما بالف درهم فبعه واطعم منه الف جائع واشتر خاتما من حديد بدرهم واكتب عليه رحم الله
امرءا عرف قدر نفسه الثامنة من حلف ان لا يلبس حليا فلبس لؤلؤا لم يحنث وبه قال ابو حنيفة
قال ابن خويز منداد لان هذا وان كان الاسم اللغوي يتناوله فلم يقصده باليمين والايمان تخص بالعرف
الا ترى انه لو حلف ان لا ينام على فراش فنام على الارض لم يحنث وكذلك لا يستضئ بسراج فجلس
في الشمس لا يحنث وان كان الله تعالى قد سمى الارض فراشا والشمس سراجا وقال الشافعي وابو يوسف
ومحمد من حلف ان لا يلبس حليا فلبس اللؤلؤ انه يحنث لقوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
والذي يخرج منه اللؤلؤ والمرجان التاسعة قوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه قد تقدم ذكر
الفلك وركوب البحر في البقرة وغيرها وقوله مواخر قال ملججة في داخل البحر واصل المخر شق الماء
عن يمين وشمال مخرت السفينة تمخر وتمخر مخرا ومخورا اذا جرت تشق مع صوت ومنه قوله تعالى
وترى الفلك مواخر فيه يعني جواري قال الجوهري ومخر السابح اذا شق الماء بصدره ومخر الارض
شقها للزراعة ومخرها بالماء اذا حبس الماء فيها حتى تصير اريضة اي خليقة بجودة نبات الزرع
وقال الطبري المخر في اللغة صوت هبوب الريح ولم يقيد يكون ذلك في ماء وقال ان من ذلك قول
واصل مولى ابي عيينة اذا اراد احدكم البول فليتمخر الريح اي لينظر في صوتها في الاجسام من اين تهب
فيتجنب استقبالها لئلا ترد عليه بوله ولتبتغوا من فضله اي ولتركبوه للتجارة وطلب الربح ولعلكم
تشكرون تقدم جميع هذا في البقرة قوله تعالى وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَ
وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ والقى في الارض رواسي اي جبالا ثابتة رسا يرسو اذا ثبت واقام قال

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسوا اذا نفس الجبان تطلع

ان تميد بكم اي لئلا تميد عند الكوفيين وكراهية ان تميد على قول البصريين والميد الاضطراب يمينا

وشمالا ماد الشيء يميد ميدا اذا تحرك ومادت الاغصان تمايلت وماد الرجل تبختر قال وهب بن منبه
خلق الله الارض فجعلت تميد وتمور فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحت
وقد ارسيت بالجبال ولم تدر الملائكة مم خلقت الجبال وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما خلق
الله الارض قمصت ومالت وقالت اي رب اتجعل علي من يعمل بالمعاصي والخطايا ويلقي علي الجيف والنتن
فارسى الله تعالى فيها من الجبال ما ترون وما لا ترون وروى الترمذي في آخر كتاب التفسير حدثنا محمد بن
بشار حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن ابي سليمان عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت
فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الجبال قال نعم الحديد قالوا يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الحديد قال نعم النار فقالوا
يا رب هل من خلقك شيء اشد من النار قال نعم الماء قالوا يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الماء قال نعم الريح قالوا يا رب فهل من خلقك شيء اشد من الريح قال
نعم ابن آدم يتصدق بصدقة بيمينه يخفيها من شماله قال ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا
الوجه قال المؤلف رحمه الله وفي هذه الاية ادل دليل على استعمال الاسباب وقد كان قادرا على
سكونها دون الجبال وقد تقدم هذا المعنى وانهارا اي وجعل فيها انهارا او القى فيها انهارا وسبلا اي طرقا
ومسالك لعلكم تهتدون اي الى حيث تقصدون من البلاد فلا تضلون ولا تتحيرون قوله تعالى وَ
عَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وعلامات قال ابن عباس
العلامات معالم الطرق بالنهار اي جعل للطرق علامات يقع الاهتداء بها وبالنجم هم يهتدون
يعني بالليل والنجم يراد به النجوم وقرا ابن وثاب وبالنجم بضم النون والجيم جميعا ومراده النجوم
فقصره كما قال الشاعر ان الفقير بيننا قاض حكم ان يرد الماء اذا غاب النجم
وكذلك القول لمن قرا النجم الا انه اسكن استخفافا ويجوز ان يكون النجم جمع نجم كسقف وسقف واختلف
في النجوم فقال الفراء الجدي والفرقدان وقيل الثريا قال الشاعر

حتى اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود

اي منه ملوي ومنه محصود وذلك عند طلوع الثريا يكون وقال الكلبي العلامات الجبال وقال مجاهد
هي النجوم لان من النجوم ما يهتدى بها ومنها ما يكون علامة لا يهتدى بها وقاله قتادة والنخعي و
قيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا فقال وبالنجم هم يهتدون وعلى الاول اي وجعل لكم
علامات ونجوما تهتدون بها ومن العلامات الرياح يهتدى بها وفي المراد بالاهتداء قولان احدهما
في الاسفار وهذا قول الجمهور الثاني في القبلة وقال ابن عباس سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى وبالنجم هم يهتدون قال هو الجدي يا ابن عباس عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم
ذكره الماوردي الثانية قال ابن العربي اما جميع النجوم فلا يهتدي بها الا العارف بمطالعها و
مغاربها والفرق بين الجنوبي والشمالي منها وذلك قليل في الآخرين واما الثريا فلا يهتدي بها الا
من يهتدي بجميع النجوم وانما الهدي لكل احد بالجدي والفرقدين لانها من النجوم المنحصرة المطالع
الظاهرة السمت الثابتة في المكان لانها تدور على القطب الثابت دورانا محصلا فهي ابدا هدى الخلق
في البر اذا عميت الطرق وفي البحر عند مجرى السفن وفي القبلة اذا جهل السمت وذلك على الجملة بان تجعل

القطب على ظهر منكبك الايمن فاستقبلت فهو سمت الجهة قال المؤلف رحمه الله وسأل ابن عباس رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن النجم فقال الجدي عليه قبلتكم وبه تهتدي في بركم وبحركم وذلك ان آخر
الجدي بنات نعش الصغرى والقطب الذي تستوي عليه القبلة بينهما [illegible] قال علماؤنا وحكم
استقبال القبلة على وجهين احدهما [illegible] معاينتها فان من استقبالها واصابتها وقصد جهتها
بجميع بدنه والآخر ان تكون الكعبة بحيث [illegible] يراها فيلزمه التوجه نحوها وتلقاءها بالدلايل وهي
الشمس والقمر والنجوم والرياح وكل ما يمكن به معرفة جهتها ومن غابت عنه وصلى مجتهدا الى
غير ناحيتها وهو ممن يمكنه الاجتهاد فلا صلاة له فاذا صلى مجتهدا مستدلا ثم انكشف له بعد الفراغ
من صلاته انه صلى الى غير القبلة اعاد ان كان في وقتها وليس ذلك بواجب عليه لانه قد ادى فرضه
على ما امر به وقد [illegible] هذا المعنى في البقرة [illegible] أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (قوله تعالى)
يريد الاصنام افلا تذكرون اخبر عن الاوثان التي لا تخلق ولا تضر ولا تنفع كما اخبر عمن يعقل على
ما تستعمله العرب في ذلك لانهم كانوا يعبدونها فذكرت [فذكرت] بلفظ من يعقل كقوله الهم ارجل
يمشون بها وقيل لاقتران الضمير [illegible] الغرا هو كقول العرب اشتبه على الراكب
جمله فلا ادرى من ذا ومن ذا وان كان [illegible] انسان قال المهدوي ويسال بمن عن الباري
تعالى ولا يسال عنه بما لان ما انما يسال بها عن الاجناس والله تعالى ليس بذي جنس ولذلك اجاب
موسى عليه السلام حين قال له فمن ربكما يا موسى ولم يجب حين قال له وما رب العالمين الا بجواب من
واضرب عن جواب ما حين كان السؤال فاسدا [و]معنى الآية من كان قادرا على خلق الاشياء المتقدم
الذكر كان بالعبادة احق مما هو مخلوق ولا يضر ولا ينفع هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين
من دونه اروني ماذا خلقوا من الارض قوله تعالى وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تقدم في ابرهيم ان الله لغفور رحيم وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ اى ما تبطنونه وما تظهرونه وقد تقدم جميع هذا مستوفى قوله تعالى وَالَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ
قراءة العامة تدعون بالتاء لان ما قبله خطاب وروى ابو بكر عن عاصم وهبيرة عن حفص يدعون
بالياء وهي قراءة يعقوب فاما قوله ما تسرون وما تعلنون فكلهم بالتاء على الخطاب الا ما روى هبيرة
عن حفص عن عاصم انه قرأ بالياء لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون اموات
غير احياء اى هم اموات يعني الاصنام لا ارواح فيها ولا تسمع ولا تبصر اى هي جمادات فكيف تعبدونها
وانتم افضل منها بالحياة وما يشعرون يعني الاصنام ايان يبعثون وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة
وهما لغتان وموضعه نصب بيبعثون وهي في معنى الاستفهام المعنى لا يدرون متى يبعثون وعبر عنها
كما عبر عن الآدميين لانهم زعموا انها تعقل عنهم وتعلم وتشفع لهم عند الله فجرى خطابهم على ذلك
وقد قيل ان الله يبعث الاصنام يوم القيمة ولها ارواح فيتبرؤا من عبادتهم وهي في الدنيا جماد
لا تعلم متى تبعث قال ابن عباس تبعث الاصنام وتركب فيها الروح ومعها شياطينها فيتبرؤون من
عبدتهم ثم يؤمر بالشياطين والمشركين الى النار وقيل ان الاصنام تطرح في النار مع عبدتها يوم

القيامة دليله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل تم الكلام عند قوله لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون ثم ابتدا فوصف المشركين بانهم اموات وهذا الموت موت كفر وما يشعرون
ايان يبعثون اى وما تدرى الكفار متى يبعثون اى وقت البعث لانهم لا يؤمنون بالبعث حتى
يستعدوا للقاء الله وقيل اى وما يدريهم متى الساعة ولعلها تكون قريبا قوله تعالى إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ [illegible] لما بين استحالة
الاشراك بالله تعالى بين ان المعبود واحد لا رب غيره ولا معبود سواه [illegible] لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة اى لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيها الذكر [illegible] في القرآن [و]هم مستكبرون اى
متكبرون متعظمون عن قبول الحق وقد تقدم في البقرة معنى الاستكبار لا جرم ان الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون اي من القول والعمل فيجازيهم قال الخليل لا جرم كلمة تحقيق ولا تكون
الا جوابا يقال فعلوا ذلك فيقال لا جرم سيندمون اي حقا انه لهم النار وقد مضى القول في
هذا في هود مستوفى انه لا يحب المستكبرين [illegible] ولا يثنى عليهم وعن الحسين بن علي
انه مر بمساكين قد قدموا كسرا لهم وهم [illegible] فقالوا الغدا يا ابا عبد الله فنزل وجلس
معهم وقال انه لا يحب المستكبرين ثم اكل فلما فرغوا قال قد اجبتكم فاجيبوني فقاموا معه الى
منزله فاطعمهم وسقاهم واعطاهم وانصرفوا قال العلماء وكل ذنب يمكن التستر به واخفاؤه الا
التكبر فانه فسق يلزمه الاعلان وهو اصل العصيان كله وفي الحديث الصحيح ان المتكبرين يحشرون
امثال الذر يوم القيمة تطؤهم الناس باقدامهم لتكبرهم او كما قال صلى الله عليه وسلم تصغر لهم اجسامهم
في المحشر حتى يضرهم صغرها وتعظم في النار حتى يضرهم عظمها قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ
رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ يعني واذا قيل لمن تقدم ذكره ممن لا يؤمن بالآخرة وقلوبهم منكرة
بالبعث ماذا انزل ربكم قيل القائل النضر بن الحارث وان الآية فيه نزلت وكان خرج الى الحيرة
فاشترى احاديث كليلة ودمنة وكان يقرا على قريش ويقول ما يقرأ محمد على اصحابه الا اساطير
الاولين اى ليس هو من تنزيل ربنا وقيل ان المؤمنين هم القائلون لهم اختبارا فاجابوا بقولهم
اساطير الاولين فاقروا بانزال شيء هو اساطير والاساطير الاباطيل والترهات وقد تقدم في
الانعام والقول في ماذا انزل ربكم كالقول في ماذا ينفقون وقوله اساطير الاولين خبر ابتداء محذوف التقدير
الذي انزل اساطير الاولين قوله تعالى لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ
يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ قيل هي لام كي وهي متعلقة بما قبلها وقيل لام العاقبة كقوله
ليكون لهم عدوا وحزنا اي قولهم في القرآن والنبي اداهم الى ان حملوا اوزارهم اى ذنوبهم كاملة
لم يتركوا منها شيئا لنكبة اصابتهم في الدنيا بكفرهم وقيل هي لام الامر والمعنى التهدد ومن اوزار
الذين يضلونهم بغير علم قال مجاهد يحملون وزر من اضلوه ولا ينقص من اثم المضل شيء وفي الخبر
ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان عليه مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وايما
داع دعا الى هدى فاتبع [فله] مثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيء خرجه مسلم بمعناه ومن

للجنس لا للتبعيض فدعاة الضلالة عليهم مثل أوزار من اتبعهم وقوله بغير علم اي يضلون الخلق جهلا
منهم بما يلزمهم من الآثام اذ لو علموا لما اضلوا ألا ساء ما يزرون اي بئس الوزر الذي يحملونه ونظيره هذه
الآية وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقد تقدم في آخر الانعام بيان قوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون فد مكر الذين من قبلهم اي سبقهم بالكفر
اقوام مع الرسل المتقدمين فكانت العاقبة الجميلة للرسل فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم
السقف من فوقهم قال ابن عباس ووهب وزيد بن اسلم وغيرهم انه النمرود بن كنعان وقومه ارادوا
صعود السماء وقتال اهلها فبنوا الصرح ليصعدوا منه بعد ان صنع بالنسور ما صنع فخر كما تقدم بيانه
في آخر سورة ابرهيم ومعنى فاتى الله بنيانهم اي اتى امره البنيان اما زلزلة او ريح فخربته قال ابن عباس
ووهب كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وعرضه ثلثة آلاف وقال كعب ومقاتل كان طوله
فرسخين فهبت ريح فالقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي ولما سقط الصرح تبلبلت السن الناس
من الفزع يومئذ فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وما كان لسان قبل ذلك الا السريانية
وقد تقدم هذا المعنى في البقرة وقرأ ابن هرمز وابن محيصن السقف بضم السين والقاف جميعا وضم
مجاهد السين واسكن القاف تخفيفا كما تقدم في وبالنجم في الوجهين والاشبه ان يكون جمع سقف و
القواعد اصول البناء واذا اختلت القواعد سقط البناء وقوله من فوقهم قال ابن الاعرابي وكد
ليعلمك انهم كانوا حالين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان
لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الشك الذي في كلام العرب فقال من فوقهم اي وقع
عليهم وكانوا تحته فهلكوا وما افلتوا وقيل ان المراد بالسقف السماء اي ان العذاب اتاهم من السماء التي
هي فوقهم قاله ابن عباس وقيل ان قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد تمثيل والمعنى اهلكهم فكانوا بمنزلة
من سقط عليه بنيانه وقيل المعنى احبط الله اعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه وقيل المعنى ابطل مكرهم
وتدبيرهم فهلكوا كما هلك من نزل عليه السقف من فوقه وعلى هذا اختلف في الذين خر
عليهم السقف فقال ابن عباس وابن زيد ما تقدم وقيل انه بخت نصر واصحابه قال بعض
المفسرين وقيل المراد المقتسمون الذين ذكرهم الله في سورة الحجر قاله الكلبي وعلى هذا التأويل يخرج منه
وجه التمثيل والله اعلم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من حيث ظنوا انهم في امان وقال ابن عباس
يعني البعوضة التي اهلك الله بها نمروذ قوله تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركاي
الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على
الكافرين يخزيهم اي يفضحهم بالعذاب ويذلهم به ويهينهم ويقول اين شركاي اي بزعمكم
وفي دعواكم اي الآلهة التي عبدتم دوني وهو سؤال توبيخ الذين كنتم تشاقون فيهم اي تعادون
انبياي بسببها فليدفعوا عنكم هذا العذاب وقرأ ابن كثير شركاي بياء مفتوحة من غير همز و
الباقون بالهمز نافع تشاقون بكسر النون على الاضافة اي تعادونني فيهم وفتحها الباقون قال الذين
اوتوا العلم قال ابن عباس اي الملائكة وقيل المؤمنون ان الخزي اليوم اي الهوان والذل يوم القيمة

والسوء اي العذاب على الكافرين قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا
السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون هذا من صفة الكافرين و
ظالمي انفسهم نصب على الحال اي وهم ظالمون انفسهم اذ اوردوها موارد الهلاك فالقوا السلم
اي الاستسلام اي اقروا لله بالربوبية وانقادوا عند الموت وقالوا ما كنا نعمل من سوء اي شرك
فقالت لهم الملائكة بلى قد كنتم تعملون الاسواء ان الله عليم بما كنتم تعملون وقال عكرمة نزلت هذه
الآية بالمدينة في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا فاخرجتهم قريش الى بدر كرها فقتلوا بها فقال الذين
تتوفاهم الملائكة بقبض ارواحهم ظالمي انفسهم في مقامهم بمكة وتركهم الهجرة فالقوا السلم يعني في خروجهم
معهم وفيه ثلثة اوجه احدها انه الصلح قاله الاخفش الثاني الاستسلام قاله قطرب الثالث الخضوع
قاله مقاتل ما كنا نعمل من سوء يعني من كفر بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني ان اعمالكم اعمال الكفار
وقيل ان بعض المسلمين لما داواقلة المؤمنين رجعوا الى المشركين فنزلت فيهم وعلى القول الاول
فلا يخرج كافر ولا منافق من الدنيا حتى ينقاد ويستسلم ويخضع ويذل ولا ينفعهم حينئذ توبة و
لا ايمان كما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا وقد تقدم هذا المعنى وتقدم في الانفال ان
الكفار يتوفون بالضرب والهوان وكذلك في الانعام وقد ذكرناه في كتاب التذكرة
قوله تعالى فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
فادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ذلك عند الموت وقيل هو بشارة لهم بعذاب القبر اذ هو باب من
ابواب جهنم للكفار وقيل لا يصل اهل الدركة الثانية اليها مثلا الا بدخول الدركة الاولى ثم الثانية ثم
الثالثة هكذا وقيل لكل دركة باب مفرد فالبعض يدخلون من باب والبعض من باب آخر فالله اعلم
خالدين فيها اي ماكثين فيها فلبئس مثوى المتكبرين اي مقام المتكبرين الذين تكبروا عن الايمان
وعن عبادة الله تعالى وقد بينهم بقوله الحق انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قوله
تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي قالوا انزل خيرا وتم الكلام
وماذا على هذا اسما واحدا وكان يرد الرجل من العرب مكة في ايام الموسم فيسأل المشركين عن
محمد عليه السلام فيقولون ساحر او شاعر او كاهن او مجنون ويسأل المؤمنين فيقولون انزل
الله عليه الخير والهدى والمراد القرآن وقيل ان هذا يقال لاهل الايمان يوم القيمة قال الثعلبي
فان قيل لم ارتفع الجواب في قوله اساطير الاولين وانتصب في قوله خيرا فالجواب ان المشركين لم
يؤمنوا بالتنزيل فكانهم قالوا الذي يقوله محمد هو اساطير الاولين والمؤمنون آمنوا بالنزول فقالوا
انزل خيرا وهذا مفهوم معناه من الاعراب قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى في هذه الدنيا
حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها
الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون
سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة قيل هو من كلام
الله عز وجل وقيل هو من جملة كلام الذين اتقوا والحسنة هنا الجنة اي من اطاع الله فله الجنة غدا
وقيل للذين احسنوا اليوم حسنة في الدنيا من النصر والفتح والغنيمة ولدار الآخرة خير اي ما

ينالون في الاخرة من ثواب الجنة خير واعظم من دار الدنيا لفنائها وبقاء الاخرة ولنعم دار المتقين فيه
وجهان قال الحسن المعنى ولنعم دار المتقين الدنيا لانهم نالوا بالعمل فيها ثواب الاخرة ودخول الجنة
وقيل المعنى ولنعم دار المتقين الاخرة وهذا قول الجمهور وعلى هذا يكون جنات عدن بدلا من الدار
فلذلك ارتفع وقيل ارتفع على تقدير هي جنات فهي مبينة لقوله دار المتقين ويكون مرفوعة بالابتداء
التقدير جنات عدن نعم دار المتقين يدخلونها في موضع الصفة اي مدخولة وقيل جنات رفع بالابتداء
وخبره يدخلونها وعليه يخرج قول الحسن والله اعلم تجرى من تحتها الانهار تقدم معناه في البقرة لهم
فيها ما يشاؤون اي مما تمنوه وارادوه كذلك يجزى الله المتقين اي مثل هذا الجزاء يجزي المتقين الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين قرا الاعمش وحمزة يتوفاهم الملائكة في الموضعين بالياء واختاره ابو عبيد لما روي
عن ابن مسعود انه قال ان قريشا زعموا ان الملائكة اناث فذكروهم انتم والباقون بالتاء لان المراد به الجماعة
من الملائكة وطيبين فيه ستة اقوال الاول طيبين طاهرين من الشرك الثاني صالحين الثالث زاكية افعالهم
واقوالهم الرابع طيبين الانفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى الخامس طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله تعالى
السادس طيبين ان تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا الم بخلاف ما يقبض به روح الكافر والمخلط و
الله اعلم يقولون سلام عليكم يحتمل وجهين احدهما ان تكون السلام انذارا لهم بالوفاة الثاني ان يكون تبشيرا
لهم بالجنة لان السلام امان وذكر ابن المبارك قال اخبرنا حيوة قال اخبرنا ابو صخر عن محمد بن كعب القرظي
قال اذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال السلام عليك ولي الله الله يقرا عليك السلام ثم نزع
بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت
ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقال مجاهد ان المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه
وقد اتينا على هذا في التذكرة وذكرنا هناك الاخبار الواردة في هذا المعنى والحمد لله وقوله ادخلوا الجنة يحتمل وجهين
احدهما ان يكون معناه ابشروا بدخول الجنة الثاني ان يقولوا ذلك لهم في الاخرة بما كنتم تعملون يعني في الدنيا
من الصالحات قوله تعالى هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ هذا راجع الى الكفار اي ما ينتظرون
الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وهم ظالمون لانفسهم وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي
وخلف يأتيهم الملائكة بالياء والباقون بالتاء على ما تقدم او ياتي امر ربك اي بالعذاب من القتل كيوم بدر
او الزلزلة والخسف في الدنيا وقيل المراد يوم القيامة والقوم لم ينتظروا هذه الاشياء لانهم ما آمنوا بها
ولكن امتناعهم عن الايمان اوجب عليهم العذاب فاضيف ذلك اليهم اي عاقبتهم العذاب كذلك فعل الذين
من قبلهم اي اصروا على الكفر فاتاهم امر الله فهلكوا وما ظلمهم الله بتعذيبهم واهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم بالشرك
قوله تعالى فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ قيل فيه تقديم وتاخير التقدير كذلك
فعل الذين من قبلهم فاصابهم عقوبات كفرهم وجزاء الخبيث من اعمالهم وحاق بهم اي احاط بهم ودار
ما كانوا به يستهزئون اي عقاب استهزائهم قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن
دُونِهِ مِن شَيْءٍ اي شيئا ومن صلة قال الزجاج قالوه استهزاء ولو قالوه عن اعتقاد لكانوا مؤمنين و
قد مضى هذا في سورة الانعام مبينا معنى واعرابا فلا معنى للاعادة قوله تعالى كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن

قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ اي مثل هذا التكذيب والاستهزاء فعل من كان قبلهم
بالرسل فاهلكوا فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي ليس عليهم الا التبليغ واما الهداية فهي الى الله تعالى
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى
اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
ان اعبدوا الله اي بان اعبدوا الله ووحدوه واجتنبوا الطاغوت اي اتركوا كل معبود دون
الله كالشيطان والكاهن والصنم وكل من دعا الى الضلال فمنهم من هدى الله اي ارشده ومنهم من
حقت عليه الضلالة اي بالقضاء السابق عليه حتى مات على كفره وهذا يرد على القدرية لانهم زعموا
ان الله هدى الناس كلهم ووفقهم للهدى والله تعالى يقول فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه
الضلالة وقد تقدم هذا في غير موضع فسيروا في الارض اي فسيروا معتبرين في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين اي كيف صار آخر امرهم الى الخراب والعذاب والهلاك قوله تعالى
إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ اي ان تطلب
يا محمد بجهدك هداهم فان الله لا يهدي من يضل اي لا يرشد من اضله اي من سبق له من الله الضلالة
لم يهده وهذه قراءة ابن مسعود واهل الكوفة فيهدي فعل مستقبل وماضيه هدى ومن في
موضع نصب بيهدي ويجوز ان يكون هدى يهدي بمعنى اهتدى يهتدي رواه ابو عبيد عن الفراء
قال كما قرئ امن لا يهدي الا ان يهدى بمعنى يهتدي قال ابو عبيد ولا نعلم احدا روى هذا غير الفراء
وليس بمتهم فيما يحكيه النحاس حكي لي عن محمد بن يزيد كان معنى لا يهدي من يضل من علم ذلك منه وسبق ذلك
له عنده قال ولا يكون يهدي بمعنى يهتدي الا ان يقول يهدي او يهدي وعلى قول الفراء يهدي بمعنى يهتدي
فيكون من في موضع رفع والعائد الى من الهاء المحذوفة من الصلة والعائد الى اسم ان الضمير المستكن
في يضل وقرا الباقون لا يهدى بضم الياء وفتح الدال واختاره ابو عبيد وابو حاتم على معنى من اضله
الله لم يهده هاد دليله قوله من يضلل الله فلا هادي له ومن في موضع رفع على انه اسم ما لم يسم فاعله
وهي بمعنى الذي والعائد عليها من صلتها محذوف والعائد على اسم ان من فان الله الضمير المستكن في يضل
وما لهم من ناصرين تقدم معناه قوله تعالى وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن
يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ واقسموا بالله جهد ايمانهم هذا
تعجيب من صنعهم اذ اقسموا بالله وبالغوا في تغليظ اليمين بان الله لا يبعث من يموت ووجه التعجيب
انهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه عن بعث الاموات وقال ابو العالية كان لرجل من المسلمين
على مشرك دين فتقاضاه وكان في بعض كلامه والذي ارجوه بعد الموت انه لكذا فاقسم المشرك بالله
لا يبعث الله من يموت فنزلت الآية وقال قتادة ذكر لنا ان ابن عباس قال له رجل يا ابن عباس ان ناسا
يزعمون ان عليا مبعوث بعد الموت قبل الساعة ويتاولون هذه الآية فقال ابن عباس كذب اولئك
انما هذه الآية عامة للناس لو كان علي مبعوثا قبل القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه بلى هذا
رد عليهم اي بلى ليبعثنهم وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لان قوله ليبعثنهم يدل على الوعد اي وعد البعث وعدا
حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم مبعوثون وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن
يعيدني كما بدأني واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن
لي كفوا احدا وقد تقدم روايتي قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين ٥ ليبين لهم اى ليظهر لهم الذي يختلفون فيه اى من امر البعث وليعلم الذين
كفروا بالبعث واقسموا عليه انهم كانوا كاذبين وقيل المعنى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ليبين لهم
الذي يختلفون فيه والذي اختلف فيه المشركون والمسلمون امور منها البعث ومنها عبادة الاصنام
ومنها انقياد قوم بان محمدا حق ولكن منعهم من اتباعه التقليد كابي طالب قوله تعالى انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اعلمهم سهولة الخلق عليه اى اذا اردنا ان نبعث من يموت فلا تعب
علينا ولا نصب في احيائهم ولا في غير ذلك مما نحدثه لانا انما نقول له كن فيكون قرأة ابن عامر والكسائي
فيكون نصبا عطفا على ان يقول وقال الزجاج يجوز ان يكون نصبا على جواب كن الباقون بالرفع على معنى
فهو يكون وقد مضى القول فيه في البقرة مستوفى وقال ابن الانباري اوقع لفظ الشيء على المعلوم عند الله
قبل الخلق لانه بمنزلة ما وجد وشوهد وفي الآية دليل على ان القرآن غير مخلوق لانه لو قال كن مخلوقا
لاحتاج الى قول ثان والثاني الى ثالث وتسلسل وكان محالا وفيها دليل على ان الله سبحانه مريد لجميع الحوادث
كلها خيرها وشرها نفعها وضرها والدليل على ذلك ان من يرى في سلطانه ما يكرهه ولا يريده فلاحد شيئين
اما لكونه جاهلا لا يدري واما لكونه مغلوبا لا يطيق ولا يجوز ذلك في وصفه سبحانه وقد قام الدليل على انه
خالق لاكساب العباد ويستحيل ان يكون فاعلا لشيء وهو غير مريد له لان اكثر افعالنا تحصل على خلاف
قصودنا وارادتنا فلو لم يكن الحق سبحانه مريدا لها لكانت تلك الافعال تحصل من غير قصد وهذا قول
الطبايع وقد اجمع الموحدون على خلافه وفساده قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد
ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ٥ والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا قد تقدم في النساء معنى الهجرة وهي ترك الاوطان والاهل والقرابة في الله
او في دين الله وترك السيئات وقيل في بمعنى اللام اي لله من بعد ما ظلموا اى عذبوا في الله نزلت في صهيب
وبلال وخباب وعمار عذبهم اهل مكة حتى قالوا لهم ما ارادوا فلما خلوهم هاجروا الى المدينة قاله
الكلبي وقيل نزلت في ابي جندل ابن سهيل وقال قتادة المراد اصحاب محمد ظلمهم المشركون بمكة واخرجوهم
حتى لحق طايفة منهم بالحبشة ثم بوأهم الله تعالى دار الهجرة وجعل لهم انصارا من المومنين والاية
تعم الجميع لنبوئنهم في الدنيا حسنة في الحسنة ستة اقوال الاول نزول الاية في المدينة قاله
ابن عباس والحسن والشعبي وقتادة الثاني الرزق الحسن قاله مجاهد الثالث النصر على عدوهم
قاله الضحاك الرابع انه لسان صدق حكاه ابن جريج الخامس ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم
فيها من الولايات السادس ما بقي لهم في الدنيا من الثناء وما صار فيها لاولادهم من الشرف وكل ذلك
اجتمع لهم بفضل الله والحمد لله ولاجر الآخرة اكبر اى اكبر من ان يعلمه احد قبل ان يشاهده واذا
رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا لو كانوا يعلمون اى لو كان هولاء الظالمون يعلمون ذلك وقيل هو راجع نعيما
الى المومنين اي لو راوا ثواب الآخرة وعاينوه لعلموا انه اكبر من حسنة الدنيا وروى ان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه كان اذا دفع الى المهاجرين العطا قال هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ادخر لكم في الآخرة
اكبر ثم تلى عليهم هذه الآية قوله تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ٥ قيل الذين بدل من
الذين الاول وقيل من الضمير في لنبوئنهم وقيل هم الذين صبروا على دينهم وعلى ربهم يتوكلون في كل
امورهم وقال بعض اهل التحقيق خيار الخلق من اذا نابه امر صبر واذا عجز عن امر توكل قال الله
تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين
للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ٥ قرأة العامة يوحى بالياء وفتح الحاء وقرأ حفص
عن عاصم نوحي اليهم بنون العظمة وكسر الحاء نزلت في مشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وقالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا فرد الله عليهم بقوله
وما ارسلنا من قبلك الى الامم الماضية يا محمد الا رجالا آدميين فسئلوا اهل الذكر قال سفيان
يعني مؤمني اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون يخبرونكم ان جميع الانبياء كانوا بشرا وقيل المعنى فاسألوا
اهل الكتاب فان لم يؤمنوا فهم معترفون بان الرسل كانوا من البشر روي معناه عن ابن عباس
ومجاهد وقال ابن عباس اهل الذكر اهل القرآن وقيل اهل العلم والمعنى متقاربة بالبينات
والزبر قيل بالبينات متعلق بارسلنا وفي الكلام تقديم وتاخير اى وما ارسلنا من قبلك بالبينات
والزبر الا رجالا اى غير رجال حالا بمعنى غير كقوله الهة الا الله وهذا قول الكلبي نوحي اليهم وقيل
في الكلام حذف دل عليه ارسلنا اى ارسلناهم بالبينات والزبر ولا يتعلق بالبينات بارسلنا الاول
على هذا القول لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها وانما يتعلق بارسلنا المقدر اي ارسلناهم بالبينات
وقيل مفعول بتعلمون والباء زايدة او نصب باضمار اعني كما قال الاعشى ٥
وليس مجيرا ان اتى الحي خائف ٥ ولا قائلا الا هو المتعيبا ٥
اى اعني المتعيب والبينات الحجج والبراهين والزبر الكتب وقد تقدم في آل عمران وانزلنا اليك الذكر
يعني القرآن لتبين للناس ما نزل اليهم في هذا الكتاب من الاحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك
والرسول صلى الله عليه وسلم مبين عن الله عز وجل مراده من ما اجمله في كتابه من احكام الصلاة و
الزكاة وغير ذلك مما لم يفصله وقد تقدم هذا المعنى مستوفى في مقدمة الكتاب والحمد لله ولعلهم
يتفكرون فيتعظون قوله تعالى افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف
فان ربكم لرءوف رحيم ٥ افامن الذين مكروا السيئات اى بالسيئات وهذا وعيد للمشركين الذين
احتالوا في ابطال الاسلام ان يخسف الله بهم الارض قال ابن عباس كما خسف بقارون يقال
خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسف الله به الارض خسوفا اى غاب به فيها ومنه
قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في الارض وخسف به والاستفهام بمعنى الانكار
اى يجب ان لا يامنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم
لوط وغيرهم وقيل يريد يوم بدر فانهم اهلكوا ذلك اليوم ولم يكن شيء منه في حسابهم او ياخذهم في تقلبهم

اي في اسفارهم وتصرفهم قاله قتادة فما هم بمعجزين اي سابقين الله ولا فائتيه وقيل في تقلبهم على فرشهم اين ما كانوا وقال الضحاك بالليل والنهار او يأخذهم على تخوف قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اي على تنقص في اموالهم ومواشيهم وزروعهم وكذا قال ابن الاعرابي اي على تنقص من الاموال والانفس والثمرات حتى اهلكهم كلهم وقال الضحاك هو من الخوف المعنى يأخذ طايفة ويدع طايفة فتخاف الباقية ان ينزل بها ما نزل بصاحبتها وقال الحسن على تخوف ان يأخذ القرية فتخاف القرية الاخرى وهذا هو معنى القول الذي قبله بعينه وهما راجعان الى معنى الاول وان التخوف التنقص تخوّفه الدهر وتخونه بالفاء والنون بمعنى يقال تخونني فلان حقا اذا انتقصك قال ذو الرمة

لا بل هو الشوق من دار تخونها ٭ مرا سحاب ومرا بارح ترب

وقال لبيد تخونها نزولي وارتحالي ٭ اي تنقص لحمها وشحمها وقال الهيثم بن عدي التخوف بالفاء التنقص لغة لازد شنوءة وانشد

تخوف عدوهم مالي واهدى ٭ سلاسل في الحلوق لها صليل ٭

وقال سعيد بن المسيب بينا عمر بن الخطاب على المنبر قال يا ايها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل او يأخذهم على تخوف فسكت الناس فقال شيخ من بني هذيل هي لغتنا يا امير المؤمنين التخوف التنقص فخرج رجل فقال يا فلان ما فعل دينك قال تخوفته اي تنقصته فرجع فاخبر عمر فقال عمر اتعرف العرب ذلك في اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير الهذلي يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا ٭ كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم تمل السنام من تمكل تمكا اي طال وارتفع فهو تامك والسفن والمسفن ما يجرد به الخشب وقال الليث ابن سعد على تخوف على عجل وقيل على تقريع بما قدموه من ذنوبهم وهذا مروي عن ابن عباس ايضا وقال قتادة على تخوف ان يعاقب او يتجاوز فان ربكم لرؤف رحيم اي لا يعاجل بل يمهل قوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون قرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى بن الاعمش تروا بالتاء على ان الخطاب لجميع الناس والباقون بالياء خبرا عن الذين يمكرون السيات وهو الاختيار من شيء يعني من جسم قائم له ظل من شجرة او جبل قاله ابن عباس وان كانت الاشياء كلها سميعة مطيعة لله تعالى يتفيؤ ظلاله قراه ابو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتاء لتانيث الظلال والباقون بالياء واختاره ابو عبيد اي تميل من جانب الى جانب ويكون اول النهار على حال وتتقلص ثم تعود في آخر النهار على حالة اخرى فدورانها وميلانها من موضع الى موضع سجودها ومنه قيل للظل بالعشي فيء لانه فاء من المشرق الى المغرب اي رجع والفيء الرجوع ومنه حتى تفيء الى امر الله روي معنى هذا القول عن الضحاك وقتادة وغيرهما وقد مضى هذا المعنى في سورة الرعد وقال الزجاج يعني سجود الجسم وسجوده انقياده وما ترى فيه من اثر الصنعة وهذا عام في كل جسم ومعنى وهم داخرون اي خاضعون صاغرون والدخور الصغار والذل يقال دخر الرجل بالفتح فهو داخر وادخره الله وقال ذو الرمة

فلم يبق الا داخر في مخيس ٭ ومنجحر في غير ارضك في جحر ٭

بتنقص وكونه

اذا نسبه الماوردي لذي الرمة ونسبه الجوهري للفرزدق وقال المخيس اسم سجن كان بالعراق اي موضع التذلل وقال اما تراني كيسا مكيسا ٭ بنيت بعد نافع مخيسا ٭ ووحد اليمين في قوله عن اليمين وجمع الشمايل لان معنى اليمين وان كان واحدا الجمع ولو قال عن الايمان والشمايل او اليمين والشمايل او اليمين والشمال او الايمان والشمال لجاز لان المعنى للكثرة وايضا فمن شان العرب اذا اجتمعت علامتان في شيء واحد ان تجمع احداهما وتفرد الاخرى كقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ولو قال على اسماعهم الى الانوار لجاز ويجوز ان يكون رد اليمين على لفظ ما والشمائل على معناها ومثل هذا في الكلام كثير قال الشاعر الواردون وتيم في ذرى سبا ٭ قد عض اعناقهم جلد الجواميس ولم يقل جلود وقيل وحد اليمين لان الشمس اذا طلعت وانت متوجه الى القبلة انبسط الظل على اليمين ثم في حال تميل الى جهة الشمال ثم حالات فسماها شمايل قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون من دابة اي من كل ما يدب على الارض والملائكة يعني الملائكة الذين في الارض وانما افردهم بالذكر لاختصاصهم بشرف المنزلة فميزهم من صفة الدبيب بالذكر وان دخلوا فيها كقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل لخروجهم من جملة من يدب لما جعل الله لهم من الاجنحة فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب وما في الارض من دابة ويسجد ملائكة الارض وهم لا يستكبرون عن عبادة ربهم وهذا رد على قريش حيث زعموا ان الملائكة بنات الله ومعنى يخافون ربهم من فوقهم اي عقاب ربهم وعذابه لان العذاب المهلك انما ينزل من السماء وقيل المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي فوق قدرتهم ففي الكلام حذف وقيل معنى يخافون ربهم من فوقهم يعني الملائكة يخافون ربهم وهي من فوق ما في الارض من دابة ومع ذلك يخافون فلان يخاف من دونهم اولى دليل قوله تعالى ويفعلون ما يؤمرون يعني الملائكة قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون قيل المعنى لا تتخذوا اثنين الهين وقيل جاء قوله اثنين توكيدا ولما كان الاله الحق لا يتعدد وان كل من يتعدد فليس باله اقتصر على ذكر الاثنين لانه قصد نفي التعدد انما هو اله واحد يعني ذاته المقدسة وقد قام الدليل العقلي والشرعي على وحدانيته حسب ما تقدم بيانه في البقرة وذكرناه في اسمه الواحد في شرح الاسماء والحمد لله فاياي فارهبون اي خافون وقد تقدم في البقرة قوله تعالى وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا الدين الطاعة والاخلاص وواصبا معناه دائما قاله الفراء وحكاه الجوهري ووصب الشيء يصب وصوبا اي دام ووصب الرجل على الامر اذا واظب عليه والمعنى طاعة الله واجبة ابدا وممن قال واصبا دائما الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك ومنه قوله تعالى ولهم عذاب واصب اي دائم وقال الدؤلي

لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه ٭ بذم يكون الدهر اجمع واصبا ٭

انشده الغزنوي والثعلبي وغيرهما لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه ٭ يوما بذم الدهر اجمع واصبا

وقيل الوصب التعب والاعيا اى تجب طاعة الله وان تعب العبد فيها ومنه قول الشاعر

لا يمسك الساق من اين ولا وصب ۞ ولا يعض على شرسوفه الصفر

وقال ابن عباس واصبًا واجبًا والفراء والكلبي خالصًا قوله تعالى افغير الله تتقون اى لا ينبغي ان تتقوا غير الله فغير نصب بتتقون قوله تعالى وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ وما بكم من نعمة فمن الله قال الفراء ما بمعنى الجزاء والباء في بكم متعلقة بفعل مضمر تقديره وما يكن بكم من نعمة اى صحة جسم فمن الله هي ثم اذا مسكم الضر وسعة رزق وولد فمن الله وقيل المعنى وما بكم من نعمة فمن الله هي ثم اذا مسكم الضر اى السقم والبلاء والقحط فاليه تجأرون اى تضجون بالدعاء يقال جأر يجأر جؤارًا والجؤار مثل الخوار يقال خار الثور يخور اى صاح وقرأ بعضهم عجلا جسدا له جؤار حكاه الاخفش وجأر الرجل الى الله اى تضرع بالدعاء وقال الاعشى يصف بقرة

فطافت ثلاثا بين يوم وليلة ۞ وكان النكير ان تضيف وتجأرا

ثم اذا كشف الضر عنكم اى البلاء والسقم اذا فريق منكم بربهم يشركون بعد ازالة البلاء وبعد الجؤار فمعنى الكلام التعجب من الاشراك بعد النجاة من الهلاك وهذا المعنى مكرر في القرآن وتقدم في الانعام ويونس ويأتي في سبحان وغيرها وقال الزجاج هذا خاص بمن كفر ليكفروا بما آتيناهم اى ليجحدوا نعمة الله التي انعم بها عليهم من كشف الضر والبلاء اى اشركوا ليجحدوا فاللام لام كي وقيل لام العاقبة وقيل ليكفروا بما آتيناهم اى ليجعلوا النعمة سببًا للكفر وكل هذا فعل خبيث كما قال والكفر مخبثة لنفس المنعم فتمتعوا امر تهديد وقرأ عبد الله قل تمتعوا فسوف تعلمون اى عاقبة امركم قوله تعالى وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۞ ذكر نوعا آخر من جهالتهم وانهم يجعلون لما لا يعلمون انه يضر وينفع وهي الاصنام شيئا من اموالهم يتقربون به اليه قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فيعلمون على هذا للمشركين وقيل هو للاوثان وجرى بالواو والنون مجرى من يعقل فهو رد على ما ومفعول يعلم محذوف والتقدير ويجعل هؤلاء الكفار للاصنام التي لا تعلم شيئا نصيبا وقد مضى في الانعام تفسير هذا المعنى في قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع من الخبر الى الخطاب فقال تالله لتسألن وهذا سؤال توبيخ عما كنتم تفترون اى تختلقونه من الكذب على الله انه امركم بهذا قوله تعالى وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۞ نزلت في خزاعة وكنانة فانهم زعموا ان الملائكة بنات الله فكانوا يقولون الحقوا البنات بالبنات سبحانه نزه نفسه وعظمها عما نسبوه اليه من اتخاذ الاولاد ولهم ما يشتهون اى يجعلون لانفسهم البنين ويأنفون من البنات وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لهم وتم الكلام عند قوله سبحانه واجاز الفراء كونها نصبًا على تقدير ويجعلون لهم ما يشتهون وانكره الزجاج وقال العرب يستعمل في مثل هذا ويجعلون لانفسهم قوله تعالى وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ واذا بشر احدهم بالانثى اى اذا اخبر احدهم بولادة بنت ظل وجهه مسودا اى متغيرا وليس يريد السواد الذي هو ضد البياض وانما هو كناية عن غمه بالبنت والعرب تقول لكل من لقي مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا قاله الزجاج وحكى الماوردي ان المراد سواد اللون قال وهو قول الجمهور وهو كظيم اى ممتلئ من الغم وقال ابن عباس حزين وقال الاخفش هو الذي يكظم غيظه فلا يظهره وقيل انه المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم مأخوذ من الكظامة وهو شد فم القربة قاله علي بن عيسى وقد تقدم هذا المعنى في سورة يوسف قوله تعالى يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ اى يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به اى من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنت ايمسكه ذكر الكناية لانه مردود على ما على هون اى هوان وكذا قرأ عيسى الثقفي على هوان والهون الهوان بلغة قريش قاله اليزيدي وحكاه ابو عبيد عن الكسائي وقال الفراء هو القليل بلغة تميم وقال الكسائي هو البلاء والمشقة وقالت الخنساء

تهين النفوس وهون النفوس يوم الكريهة ابقى لها

وقرأ الاعمش ايمسكه على سوء ذكره النحاس قال وقرأ الجحدري ام يدسها في التراب يرده على قوله بالانثى ويلزمه ان يقرأ ايمسكها ثم قيل يرجع الهوان الى البنت اى ايمسكها وهي مهانة عنده وقيل يرجع الى المولود له اى يمسكه على رغم انفه ام يدسه في التراب وهو ما كانوا يفعلونه من دفن البنت حية قاله قتادة كانت مضر وخزاعة يدفنون البنات احياء واشدهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهم وطمع غير الاكفاء فيهن وكان صعصعة بن ناجية عم الفرزدق اذا احس بشيء من ذلك وجه الى والد البنت ابلا يستحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر

وعمي الذي منع الوائدات ۞ فاحيي الوئيد فلم يوأد

وقيل دسها اخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كالمدسوس في التراب لاخفائه عن الابصار وهذا محتمل مسألة ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها فسألتني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فاعطيتها اياها فاخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئا ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلي من البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار ففي هذا الحديث ما يدل على ان البنات بلية ثم اخبر ان في الصبر عليهن والاحسان اليهن ما يقي من النار وعن عائشة انها قالت جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات فاعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت الى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد ان تأكلها فاعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل قد اوجب لها بها الجنة واعتقها بها من النار وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو وضم اصابعه خرجهما مسلم رحمه الله وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له بنت فادبها فاحسن ادبها وعلمها فاحسن تعليمها واسبغ عليها من نعم الله التي اسبغ عليه كانت له سترا وحجابا من النار وخطب الى عقيل بن علقمة ابنته الجرباء فقال اني وان سيق الي المهر الف وعبدان وخود عشر احب اصهاري القبر وقال عبد الله بن طاهر

لكل ابي بنت يراعي شؤونها ۞ ثلاثة اصهار اذا حمد الصهر

فبعل يراعيها وخدر يكنها ۞ وقبر يواريها وخيرهم القبر

الا ساء ما يحكمون اى في اضافة البنات الى خالقهم واضافة البنين اليهم نظيره الكم الذكر وله الانثى

من سوء ص

تلك اذا قسمة ضيزى اى جائرة وسيأتى قوله تعالى لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اى لهولاء الواصفين لله البنات مثل السوء اى صفة السوء من الجهل والكفر
وقيل هو وصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد وقيل اى العذاب والنار ولله المثل الاعلى اى الوصف
الاعلى من الاخلاص والتوحيد قاله قتادة وقيل اى الصفة العليا بانه خالق رازق قادر ومجازي
وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وقيل ليس كمثله شئ وقيل
ولله المثل الاعلى كقوله الله نور السموات والارض مثل نوره فان قيل كيف اضاف المثل هنا
الى نفسه وقد قال فلا تضربوا لله الامثال قيل ان قوله فلا تضربوا لله الامثال اى الامثال التي
توجب الاشباه والنقائص اى لا تضربوا لله مثلا يقتضي نقصا وتشبيها بالخلق والمثل الاعلى وصفه
بما لا شبيه له ولا نظير جل وتعالى عما يقوله الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وهو العزيز الحكيم تقدم معناه
قوله تعالى وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ
أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ولو يواخذ الله الناس بظلمهم اي بكفرهم وافترائهم وعاجلهم
ما ترك عليها اي على الارض فهو كناية عن غير مذكور لكن دل عليه قوله من دابة فان الدابة لا تدب الا على
الارض والمعنى المراد من دابة كافرة فهو خاص وقيل المعنى انه لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء وقيل
المراد بالآية العموم اى لو واخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الارض من دابة من نبي ولا غيره وهذا
قول الحسن وقال ابن مسعود وقرا هذه الآية لو اخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لاصاب العذاب جميع
الخلق حتى الجعلان في جحرها ولامسك الامطار من السماء والنبات من الارض فمات الدواب ولكن
الله ياخذ بالعفو والفضل كما قال ويعفوا عن كثير فاذا جاء اجلهم اى اجل موتهم ومنتهى اعمارهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون وقد تقدم فان قيل فكيف يعم بالهلاك مع ان فيهم مومنا ليس بظالم قيل
تجعل هلاك الظالم انتقاما وجزاء وهلاك المومن معوضا بثواب الاخرة وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اراد الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا
على نياتهم وعن ام سلمة وسئلت عن الجيش الذي يخسف به وكان في ايام ابن الزبير فقالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعوذ بالبيت عائذ فيبعث اليه بعث فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بهم فقلت يا رسول
الله وكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وقد اتينا على هذا المعنى
مجودا في كتاب التذكرة وتقدم في المائدة واخر الانعام ما فيه كفاية والحمد لله وقيل فاذا جاء اجلهم اى
فاذا جاءت القيامة والله اعلم قوله تعالى وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ
الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ويجعلون لله ما يكرهون اي من البنات وتصف السنتهم
اى وتقول السنتهم الكذب ان لهم الحسنى قال مجاهد هو قولهم ان لهم البنين ولله البنات الكذب مفعول
تصف وان في محل نصب بدل من الكذب لانه بيان له وقيل الحسنى الجزاء الحسن قاله الزجاج وقرا ابن
عباس وابو العالية ومجاهد وابن محيصن الكذب برفع الكاف والذال والباء نعتا للالسنة وكذا ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب والكذب جمع كذوب مثل رسول ورسل وصبور وصبر وشكور وشكر لا رد لقولهم
وتم الكلام اى ليس كما يزعمون جرم ان لهم النار اى حقا ان لهم النار وقد تقدم مستوفى وانهم مفرطون

اى متروكون منسيون في النار قاله ابن الاعرابي وابو عبيدة والكسائي والفراء وهو قول سعيد بن جبير
ومجاهد وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ايضا مبعدون وقال قتادة والحسن معجلون الى النار
مقدمون اليها والفارط الذي يتقدم الى الماء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض
اى متقدمكم وقال القطامي فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجل فراط لوراد والفراط المتقدمون
في طلب الماء والوارد المتاخرون وقرا نافع في رواية ورش مفرطون بكسر الراء وتخفيفها وهي قراءة
عبد الله بن مسعود وابن عباس ومعناه مسرفون في الذنوب والمعصية اى افرطوا فيها يقال افرط
فلان على فلان اذا اربى عليه وقال له اكثر مما قال من الشر وقرا ابو جعفر القاري مفرطون بكسر
الراء وتشديدها اى مضيعون امر الله فهو من التفريط في الواجب قوله تعالى تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى
أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اى اعمالهم الخبيثة
وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بان من تقدمه من الانبياء قد كفر بهم قومهم فهو وليهم اليوم
اى ناصرهم في الدنيا على زعمهم ولهم عذاب اليم في الآخرة وقيل فهو وليهم اى قرينهم في النار اليوم يعني
يوم القيمة واطلق عليه اسم اليوم لشهرته وقيل يقال لهم يوم القيامة هذا وليكم فاستنصروا به لينجيكم
من العذاب على جهة التوبيخ لهم قوله تعالى وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ الذكر
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ عليك الكتاب اي القرآن الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من الدين
والاحكام فتقوم الحجة عليهم ببيانك وعطف هدى ورحمة على موضع قوله لتبين لان محله نصب ومجاز الكلام
وما انزلنا عليك الكتاب الا تبيانا للناس وهدى اي رشدا ورحمة للمومنين قوله تعالى وَاللَّهُ أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ انزل من السماء اى
السحاب ماء فاحيى به الارض بعد موتها عاد الكلام الى تعديد النعم وبيان كمال القدرة ان في ذلك لآية
اى دلالة على البعث وعلى وحدانيته اذ علموا ان معبودهم لا يستطيع شيئا فيكون هذه الدلالة لقوم
يسمعون عن الله تعالى بالقلوب لا بالآذان فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
قوله تعالى وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا
سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ فيه عشر مسايل الاولى قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة قد تقدم القول
في الانعام وهي هنا الاصناف الاربعة الابل والبقر والضان والمعز لعبرة اى دلالة على قدرة الله تعالى
ووحدانيته وعظمته والعبرة اصلها تمثيل الشيء بالشيء ليعرف حقيقته من طريق المشاكلة ومنه فاعتبروا
وقال ابو بكر الوراق العبرة في الانعام تسخيرها لاربابها وطاعتها لهم وتمردك على ربك وخلافك له
في كل شيء ومن اعظم العبر بري يحمل مذنبا الثانية قوله تعالى نسقيكم قراءة اهل المدينة وابن عامر
وعاصم في رواية ابي بكر بفتح النون من سقى يسقي وقرا الباقون وحفص عن عاصم بضم النون من اسقى
يسقي وهي قراءة الكوفيين واهل مكة قيل هما لغتان وقال لبيد

سقى قومي بني مجد واسقى نميرا والقبائل من هلال

وقيل يقال لما كان من يدك الى فيه سقيته فاذا جعلت له شربا او عرضته لان يشرب بفيه او يزرعه قلت
اسقيته قاله ابن عزيز وقد تقدم وقرات فرقة تسقيكم بالتاء وهي ضعيفة يعني الانعام وقرئ بالياء

اى يسقيكم الله عز وجل و القراءة القرايين المتقدمين بفتح النون لغة قريش وضمها لغة حمير
قوله تعالى مما في بطونه اختلف الناس في الضمير من قوله في بطونه على ماذا يعود فقيل هو عايد الى ما قبله
و هو جمع المونث قال سيبويه العرب تخبر عن الانعام بخبر الواحد قال ابن العربي وما اراه عول
عليه الا من هذه الاية و هذا لا يشبه منصبه ولا يليق بادراكه وقيل لما كان لفظ الجمع وهو اسم الجنس
يذكر ويونث فيقال هو الانعام وهي الانعام جاز عود الضمير بالتذكير وقاله الزجاج وقال الكسايي
معناه مما في بطون ما ذكرناه فهو عايد على المذكور وقد قال الله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وقال
الشاعر ❊ مثل الفراخ نتفت حواصله ❊ ومثله كثير وقال الكسايي ايضا مما في بطونه اى مما في بطون
بعضه اذ الذكور لا البان لها وهذا الذي عول عليه ابو عبيدة وقال الفراء الانعام والنعم واحد
والنعم يذكر ولهذا يقول العرب هذه نعم وارد فرجع الضمير الى لفظ النعم الذي هو بمعنى الانعام
قال ابن العربي انما يرجع التذكير الى معنى الجمع والتانيث الى معنى الجماعة فذكره هنا باعتبار لفظ الجمع
وانثه في سورة المومنين باعتبار لفظ الجماعة فقال نسقيكم مما في بطونها وبهذا التاويل ينتظم المعنى انتظاما
حسنا والتانيث باعتبار لفظ الجماعة والتذكير باعتبار لفظ الجمع اكثر من رمل يبرين وتيهاء فلسطين
الثالثة استنبط بعض العلما الجلة وهو القاضي اسمعيل من عود هذا الضمير ان لبن الفحل يفيد التحريم
وقال انما جيء به مذكرا لانه راجع الى ذكر النعم لان اللبن للذكر محسوب ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم
بان لبن الفحل يحرم حتى انكرته عايشة في حديث افلح اخي ابي القعيس فللمراة السقي وللرجل اللقاح فجرى
الاشتراك فيه بينهما وقد مضى القول في تحريم لبن الفحل في النساء والحمد لله الرابعة قوله تعالى من بين فرث
ودم لبنا خالصا نبه سبحانه على عظيم قدرته بخروج اللبن خالصا من بين الفرث والدم والفرث الزبل
الذي ينزل الى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا يقال افرثت الكرش اذا اخرجت ما فيها والمعنى ان الطعام
يكون منه ما في الكرش ويكون منه الدم ثم يخلص اللبن من الدم فاعلم الله سبحانه ان هذا اللبن يخرج من بين
ذلك وبين الدم في العروق وقال ابن عباس ان الدابة تاكل العلف فاذا استقر في كرشها طحنته فكان
اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلط على هذه الاصناف فيقسم الدم ويجريه في العروق
ويجري اللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو في الكرش حكمة بالغة فما نفع النذر خالصا يريد من حمرة
الدم وقذارة الفرث وقد جمعهما وعاء واحد وقال ابن بحر خالصا بياضه قال النابغة
خالصة الاردان خضر المناكب ❊ اى بيض الاكمام وهذه قدرة لا تنبغي الا للقايم على كل شي بالمصلحة
السادسة قال النقاش في هذا دليل على ان المني ليس بنجس وقاله ايضا غيره واحتج بان قال
كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم سايغا خالصا كذلك يجوز ان يخرج المني من مخرج البول على مخرج
البول طاهرا قال ابن العربي ان هذا الجهل عظيم واخذ شنيع اللبن جاء الخبر عنه مجيء النعمة والمنة
الصادرة عن القدرة ليكون عبرة فاقتضى ذلك كله وصف الخلوص واللذة وليس المني من هذه الحالة
حتى يكون ملحقا به او مقيسا عليه قال المولف رحمه الله قد يعارض هذا بان يقال واي منة اعظم
وارفع من خروج المني الذي يكون عنه الانسان المكرم وقد قال تعالى يخرج من بين الصلب والترايب
وقال والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة وهذا غاية في الامتنان

قال قيل انه يتنجس بخروجه من مجرى البول قلنا هو ما اردناه فالنجاسة عارضة واصله طاهر
وقد قيل ان مخرجه غير مخرج البول وخاصة المراة فان مدخل الذكر منها ومخرج الولد غير مخرج البول
على ما قاله العلما وقد تقدم في البقرة فان قيل اصله دم فهو نجس قلنا ينتقض بالمسك فان
اصله دم وهو طاهر وممن قال بطهارته الشافعي واحمد واسحاق وابو ثور وغيرهم لحديث عايشة رضي
الله عنها قالت كنت افركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يابسا بظفري قال الشافعي
فان لم يفرك فلا باس به وكان سعيد بن ابي وقاص يفرك المني من ثوبه وقال ابن عباس هو كالنخامة
امطه عنك باذخرة وامسحه بخرقة فان قيل فقد ثبت عن عايشة انها قالت كنت اغسل المني
من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرج الى الصلاة في ذلك الثوب وانا انظر الى اثر الغسل
فيه قلنا يحتمل ان يكون غسلته استقذارا كالاشياء التي تزال من الثوب لا لنجاسة ويكون
هذا جمعا بين الاحاديث وقال مالك واصحابه والاوزاعي هو نجس قال مالك غسل الاحتلام من
الثوب امر واجب مجتمع عليه عندنا وهو قول الكوفيين وروي عن عمر بن الخطاب وابن مسعود
وجابر بن سمرة انهم غسلوه من ثيابهم واختلف فيه عن ابن عمر وعايشة وعلى هذين القولين في
نجاسة المني وطهارته التابعون السابعة في هذه الاية دليل على جواز الانتفاع بالالبان من الشرب
وغيره فاما لبن الميتة فلا يجوز الانتفاع به لانه مايع طاهر حصل في وعاء نجس وذلك ان ضرع
الميتة نجس واللبن طاهر فاذا حلب صار ماخوذا من وعاء نجس فاما لبن المراة الميتة فاختلف اصحابنا
فيه فمن قال ان الانسان طاهر حيا وميتا فهو طاهر ومن قال ينجس بالموت فهو نجس وعلى القولين
جميعا تثبت الحرمة لان الصبي قد يغتذى به كما يغتذى من الحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم ولم يخص وقد مضى في النساء الثامنة قوله تعالى
سايغا للشاربين اى لذيذا هنيا لا يغص به من شربه يقال ساغ الشراب يسوغ سوغا اى سهل مدخله
في الحلق واساغه شاربه وسغته انا اسوغه واسيغه يتعدى ولا يتعدى والاجود اسغته اساغة
يقال اسغ لي غصتي اى امهلني ولا تعجلني وقال تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه والسواغ بكسر السين ما اسغت
به غصتك يقال الماء سواغ الغصص ومنه قول الكميت ❊ فكانت سواغا ان جئزت بغصة ❊ وروي
ان اللبن لم يشرق به احد قط روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم التاسعة في هذه الاية دليل على
استعمال الحلاوة والاطعمة اللذيذة وتناولها ولا يقال ان ذلك يناقض الزهد ويباعده لكن اذا كان
من وجهه ومن غير سرف ولا اكثار وقد تقدم هذا المعنى في المايدة وغيرها وفي الصحيح عن انس قال
لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ واللبن والماء وقد
كره بعض القرا اكل الفالوذج واللين من الطعام واباحه عامة العلما وروي عن الحسن انه كان على مايدة
ومعه مالك بن دينار فاتي بفالوذج فامتنع عن اكله فقال له الحسن كل فان عليك في الماء البارد اكثر من هذا
العاشرة روى ابو داود وغيره عن ابن عباس قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن فشرب وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه واذا سقي لبنا
فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شي يجزي من الطعام والشراب الا اللبن قال علماونا وكيف لا يكون

ذلك وهو اول ما تغتذي به الانسان وتنمي به الجثة والابدان فهو قوت خلي عن المفاسد به قوام الاجسام وقد
جعله الله تعالى علامة لجبريل على هداية هذه الامة التي هي خير الامم امة يقال في الصحيح جاءني جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال لي جبريل اخترت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر غوت امتك جبريل صح
ثم ان في الدعاء بالزيادة منه علامة الخصب وظهور الخيرات وكثرة البركات فهو مبارك كله قوله تعالى
وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب قال الطبري التقدير ومن ثمرات
النخيل والاعناب ما تتخذون فحذف ما ودل على حذفه قوله منه وقيل المحذوف شيء والامر قريب وقيل وتسقيكم صح
معنى منه اي من المذكور فلا يكون في الكلام حذف وهو اولى ويجوز ان يكون قوله ومن ثمرات عطفا
على الانعام اي ولكم من ثمرات النخيل والاعناب عبرة ويجوز ان يكون عطفا على مما اي ونسقيكم ايضا
مشروبات من ثمرات الثانية قوله تعالى سكرا السكر ما يسكر هذا هو المشهور في اللغة قال ابن عباس
نزلت هذه الاية قبل تحريم الخمر واراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يوكل ويشرب حلالا من
هاتين الشجرتين وقال بهذا القول ابن جبير والنخعي والشعبي وابو ثور وقد قيل ان السكر الخل بلغة
الحبشه والرزق الحسن الطعام وقيل السكر العصير الحلو الحلال وسمي سكرا لانه قد يصير مسكرا اذا بقي
فاذا بلغ الاسكار حرم قال ابن العربي اسد هذه الاقوال قول ابن عباس ويخرج ذلك على احد معنيين اما ان
يكون ذلك قبل تحريم الخمر واما ان يكون المعنى انعم الله عليكم بثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه ما حرم
الله عليكم اعتداء منكم وما احل لكم اتفاقا او قصدا الى منفعة انفسكم والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر فيكون منسوخة
فان هذه الاية مكية باتفاق من العلماء وتحريم الخمر مدني قال المولف رحمه الله فعلى ان السكر الخل او العصير
الحلو لا نسخ ويكون الاية محكمة وهو حسن قال ابن عباس الحبشة يسمون الخل السكر الا ان الجمهور على ان
السكر الخمر منهم ابن مسعود وابن عمر وابو رزين والحسن ومجاهد وابن ابي ليلى والكلبي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم
كلهم قالوا السكر ما حرمه الله من ثمرتيهما وكذا قال اهل اللغة السكر اسم للخمر وما يسكر وانشدوا

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم ... اذا جرى فيهم المزاء والسكر

والرزق الحسن ما احله من ثمرتيهما وقيل ان قوله تتخذون منه سكرا خبر معناه الاستفهام بمعنى الانكار
اي اتتخذون منه سكرا وتدعون رزقا حسنا الخل والزبيب والتمر كقوله فهم الخالدون اي افهم الخالدون
والله اعلم وقال ابو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم وانشد

جعلت عيب الاكرمين سكرا ... اي جعلت ذمهم طعما وهذا اختيار الطبري
ان السكر ما يطعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والاعناب وهو الرزق الحسن واللفظ مختلف
والمعنى واحد مثل انما اشكوا بثي وحزني الى الله وهذا حسن ولا نسخ الا ان الزجاج قال قول ابي عبيدة التمام
هذا لا يعرف واهل التفسير على خلافه ولا حجة له في البيت الذي انشده لان معناه عند غيره انه
يصف انها تتخمر بعيوب الناس وقال الحنفيون المراد بقوله سكرا ما لا يسكر من الانبذة والدليل عليه
ان الله سبحانه امتن على عباده بما خلق لهم من ذلك ولا يقع الامتنان الا بمحلل لا بمحرم فيكون ذلك دليلا
على جواز شرب ما دون السكر من النبيذ فاذا انتهى الى السكر لم يجز وعضدوا هذا من السنة بما روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله الخمر بعينها والسكر من غيرها وبما رواه عبد الملك بن نافع عن ابن عمر
قال رايت رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند الركن ودفع اليه القدح فرفعه الى فيه
فوجده شديدا فرده على صاحبه فقال له رجل من القوم يا رسول الله احرام هو فقال علي بالرجل فاتي
به فاخذ منه القدح ثم دعا بماء فصبه فيه ثم رفعه الى فيه فقطب ثم دعا بماء ايضا فصبه فيه ثم قال اذا
اغتلمت عليكم هذه الاوعية فاكسروا متونها بالماء وروي انه عليه السلام كان ينبذ له فيشربه ذلك اليوم فاذا
كان من اليوم الثاني او الثالث سقاه الخادم اذا تغير ولو كان حراما ما سقاه اياه قال الطحاوي
وروى ابو عون الثقفي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها القليل منها و
الكثير والسكر من كل شراب خرجه الدارقطني ايضا ففي هذا الحديث وما كان مثله ان غير الخمر
لم يحرم عينه كما حرمت الخمر بعينها قالوا والخمر شراب العنب لا خلاف فيها ومن حجتهم ايضا ما رواه شريك
ابن عبد الله حدثنا ابو اسحاق الهمداني عن عمرو بن ميمون قال قال عمر بن الخطاب انا نأكل لحوم هذه الابل
وليس يقطعه في بطوننا الا النبيذ قال شريك ورايت الثوري يشرب النبيذ في بيت حبر اهل زمانه
مالك بن مغول والجواب اما قولهم ان الله سبحانه امتن على عباده ولا يكون امتنانه الا بما حل فصحيح
بيد انه يحتمل ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر كما بيناه فيكون منسوخا كما قدمناه قال ابن العربي ان قيل كيف
ينسخ هذا وهو خبر والخبر لا يدخله النسخ قلنا هذا كلام من لم يتحقق الشريعة وقد بينا ان الخبر اذا
كان عن الوجود الحقيقي او عن اعطاء ثواب فضلا من الله فهو الذي لا يدخله النسخ فاما اذا تضمن الخبر
حكما شرعيا فالاحكام تتبدل وتنسخ جاءت بخبر او امر ولا يرجع النسخ الى نفس اللفظ وانما يرجع الى ما تضمنه
فاذا فهمتم هذا خرجتم عن الصنف الغبي الذي اخبر الله عن الكفار فيه بقوله واذا بدلنا اية مكان اية
والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون المعنى انهم جهلوا ان الرب يامر بما يشاء ويكلف
ما يشاء ويرفع من ذلك بعد ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده ام الكتاب قال الشيخ المولف رحمه الله هذا
تشنيع شنيع حتى يلحق فيه العلماء الاخيار في قصور الفهم بالكفار والمسئلة اصولية وهي ان الاخبار عن
الاحكام الشرعية هل يجوز نسخها ام لا اختلف في ذلك والصحيح جوازه لهذه الاية وما كان مثلها ولان الخبر
عن مشروعية حكم ما يتضمن طلب ذلك المشروع وذلك الطلب هو الحكم الشرعي الذي يستدل على نسخه والله
اعلم واما ما ذكروا من الاحاديث فالاول والثاني ضعيفان لانه عليه السلام قد روي عنه بالنقل الثابت انه
قال كل شراب اسكر فهو حرام وقال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وقال ما اسكر كثيره فقليله حرام قال
النسائي قال وهولاء اهل الثبت والعدالة مشهورون بصحة النقل وعبد الملك لا يقوم مقام واحد منهم
ولو عاضده من اشكاله جماعة وبالله التوفيق واما الثالث فان كان صحيحا فانه ما كان يسقيه للخادم على
انه مسكر وانما كان يسقيه لانه متغير الرائحة وكان صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه الرائحة فلذلك
لم يشربه ولذلك تحيل عليه ازواجه في عسل زينب بان قيل له انا نجد منك ريح مغافير يعني ريحا منكرة
فلم يشربه بعد وسياتي في التحريم واما حديث ابن عباس فقد روي عنه خلاف ذلك من رواية عطاء وطاوس
ومجاهد انه قال ما اسكر كثيره فقليله حرام وروي عنه قيس ابن دينار وكذلك فتياه في المسكر قاله الدارقطني
والحديث الاول رواه عنه عبد الله بن شداد وقد خالفه الجماعة فسقط القول به مع ما ثبت عن النبي صلى الله

عليه وسلم واما ماروى عن عمر من قوله ليس يقطعه فى بطوننا الا النبيذ فانه يريد غير المسكر بدليل ما ذكرنا وقد روى
النساى عن عتبة بن فرقد قال كان النبيذ الذى شربه عمر بن الخطاب قد خلل قال النساى ومما يدل على صحة
هذا حديث السايب قال الحارث بن مسكين قراءة عليه وانا اسمع عن ابن القاسم حدثنى مالك عن ابن شهاب
عن السايب بن يزيد انه اخبره ان عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال انى وجدت من فلان ريح شراب فزعم انه شرب
الطلا وانا سايل عما شرب فان كان مسكرا جلدته فجلده عمر رضى الله عنه الحد تاما وقد قال فى خطبته على
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس فانه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة من العنب والعسل
والتمر والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وقد تقدم فى المايدة فان قيل فقد احل شربه ابرهيم النخعى وابو جعفر
الطحاوى وكان امام اهل زمانه وكان سفيان الثورى يشربه قلنا ذكر النساى فى كتابه ان اول من احل المسكر
من الانبذة ابرهيم النخعى وهذه زلة من عالم وقد حذرنا من زلة العالم ولا حجة فى قول احد مع السنة وذكر النساى
ايضا عن ابن المبارك قال ما وجدت الرخصة فى المسكر عن احد صحيحا الا عن ابرهيم قال ابو اسامة ما رايت
رجلا اطلب للعلم من عبد الله بن المبارك الشامات ومصر واليمن والحجاز واما الطحاوى وسفيان لو صح ذلك
عنهما لم يحتج بهما على من خالفهم من الايمة فى تحريم المسكر مع ما ثبت من السنة على ان الطحاوى قد ذكر فى كتابه الكبير فى
الاختلاف خلاف ذلك قال ابو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد له قال ابو جعفر الطحاوى اتفقت الامة على
ان عصير العنب اذا اشتد وغلا وقذف بالزبد فهو خمر ومستحلها كافر واختلفوا فى نقيع التمر اذا غلى واسكر
قال فهذا يدلك على ان حديث يحيى بن كثير عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين
النخلة والعنبة غير معمول به عندهم لانهم لو قبلوا الحديث لكفروا مستحل نقيع التمر فثبت انه لم يدخل فى
الخمر المحرمة غير عصير العنب الذى قد اشتد وبلغ ان يسكر قال ثم لا يخلوا من ان يكون التحريم معلقا بها
فقط غير مقيس عليها غيرها او وجب القياس عليها فوجدناهم جميعا قد قاسوا عليها نقيع التمر اذا غلا
واسكر كثيره وكذلك نقيع الزبيب قال فوجب قياسا على ذلك ان يحرم كل ما اسكر من الاشربة قال وقد
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كل مسكر حرام واستغنى عن سنده لقبول الجميع له وانما الخلاف
بينهم فى تاويله فقال بعضهم اراد به جنس ما يسكر وقال بعضهم اراد به ما يقع السكر عنده كما لا يسمى قاتلا الا
مع وجود القتل قال الشيخ رحمه الله فهذا يدل على انه محرم عند الطحاوى لقوله فوجب قياسا على ذلك ان
يحرم كل ما اسكر من الاشربة وقد روى الدارقطنى فى سننه عن عايشة رضى الله عنها قالت ان الله لم يحرم
الخمر لاسمها وانما حرمها لعاقبتها فكل شراب يكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كتحريم الخمر قال ابن المنذر
وجاء اهل الكوفة باخبار معلولة واذا اختلف الناس فى الشئ وجب رد ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله وما
روى عن بعض التابعين انه شرب الشراب الذى يسكر كثيره فللقوم ذنوب يستغفرون الله منها وليس يخلو ذلك
من احد معنيين اما مخطئ اخطا فى التاويل على حديث سمعه او رجل اتى ذنبا لعله ان يكثر الاستغفار لله
والنبى صلى الله عليه وسلم حجة الله على الاولين والاخرين من هذه الامة وقد قيل فى تاويل هذه الاية
انها انما ذكرت للاعتبار اى من قدر على خلق هذه الاشياء قادر على البعث وهذه الاعتبار لا يختلف بان
كانت الخمر حراما او حلالا فاتخاذ السكر لا يدل على التحريم وهو كما قال تعالى قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس
والله اعلم قوله تعالى وَاَوْحَى رَبُّكَ اِلَي النَّحْلِ اَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ فيه

فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واوحى ربك قد مضى القول فى الوحى وانه قد يكون بمعنى الالهام وهو ما يخلقه
الله تعالى فى القلب ابتداء من غير سبب ظاهر وهو من قوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
ومن ذلك البهايم وما يخلق الله سبحانه فيها من درك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها وقد اخبر عز وجل
بذلك عن الموات فقال تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها قال ابرهيم الحربى لله عز وجل فى الموات قدرة
لم يدر ما هى لم ياتها رسول من عند الله ولكن الله تبارك وتعالى عرفها ذلك اى الهمها ولا خلاف بين المتاولين
ان الوحى هنا بمعنى الالهام وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتح الحاء وسمى نحلا لان الله عز وجل نحله العسل
الذى يخرج منه قاله الزجاج والجوهرى النحل والنحلة الدبر يقع على الذكر والانثى حتى يقال يعسوب والنحل
يونث فى لغة الحجاز وكل جمع ليس بينه وبين واحده الا الها وروى من حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال الذبان كلها فى النار يجعلها عذابا لاهل النار الا النحل ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول
وروى ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد خرجه
ابو داود ايضا وسياتى فى النمل ان شا الله تعالى الثانية قوله تعالى ان اتخذى من الجبال بيوتا
ومن الشجر هذا اذا لم يكن لها مالك ومما يعرشون جعل الله تعالى بيوت النحل فى هذه الثلاثة الانواع
اما فى الجبال وكواها واما فى متجوف الاشجار واما فيما يعرش ابن آدم من الاجباح والخلايا والحيطان
وغيرها وعرش معناه هيا واكثر ما يستعمل فيما يكون من اتقان الاغصان والخشب وترتيب ظلالها ومنه
العريش الذى صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومن هذا هى لفظة العرش يقال عرش يعرش
ويعرش بكسر الراء وضمها وقرئ بهما قرا ابن عامر بالضم وسايرهم بالكسر واختلف فى ذلك عن عاصم الثالثة
قال ابن العربى ومن عجيب ما خلق الله فى النحل ان الهمها لاتخاذ بيوتها مسدسة فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة
الواحدة وذلك ان الاشكال من الثلاث الى العشر اذا جمع كل واحد منها الى امثاله لم يتصل وجاءت بينها فروج
الا الشكل المسدس فانه اذا جمع الى امثاله اتصل كانه كالقطعة الواحدة قوله تعالى ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا وذلك انها انما تاكل النوار من الاشجار فاسلكى
سبل ربك ذللا اى طرق ربك والسبل الطرق واضافها اليه لانه خالقها اى ادخلى طرق ربك لطلب
الرزق فى الجبال وخلال الشجر ذللا جمع ذلول وهو المنقاد اى مطيعة مسخرة فذللا حال من النحل
اى تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها لانها تتبع اصحابها حيث ذهبوا قاله ابن زيد وقيل المراد بقوله
ذللا السبل يقول مذللا طرقها سهلة للسلوك عليها واختاره الطبرى وذللا حال من السبل و
اليعسوب سيد النحل اذا وقف وقفت واذا سار سارت قوله تعالى يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ
اَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ اِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فيه تسع مسايل الاولى قوله تعالى يخرج من بطونها شراب
رجع الخطاب الى الخبر على جهة تعديد النعمة والتنبيه على العبرة فقال يخرج من بطونها شراب يعنى العسل
وجمهور الناس على ان العسل يخرج من افواه النحل وورد عن على ابن ابى طالب انه قال فى تحقيره للدنيا
اشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة واشرف شرابه رجيع نحلة فظاهر هذا انه من غير الفم وبالجملة فانه يخرج
ولا يدرى من فمها او اسفلها ولكن لا يتم صلاحه الا بحمى انفاسها وقد صنع ارسطاطاليس بيتا من زجاج لينظر
الى كيفية ما تصنع فابت ان تعمل حتى لطخت باطن الزجاج بالطين ذكره الغزنوى وقال من بطونها لان استحالة

الاطعمة لايكون الا في البطن الخامسة قوله تعالى مختلف الوانه يريد انواعه من الاحمر والابيض والاصفر
والجامد والسايل والام واحدة والاولاد مختلفون دليل على ان القدرة نوعته بحسب تنويع الغذا كما يختلف
طعمه بحسب اختلاف المراعي ومن هذا المعنى زينب للنبي صلى الله عليه وسلم جرست نحله العرفط
حين شبهت رائحته برائحة المغافير الثالثة قوله تعالى فيه شفاء للناس الضمير للعسل قاله
الجمهور اى في العسل شفاء للناس وروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك والفرا و
ابن كيسان الضمير للقرآن اى في القرآن شفاء قال النحاس وهذا قول حسن اى فيما قصصنا عليكم
من الايات والبراهين شفاء للناس وقيل العسل فيه شفاء وهذا القول بين ايضا لان اكثر الاشربة
والمعجونات التي يتعالج بها اصلها من العسل قال القاضي ابوبكر بن العربي من قال انه القرآن بعيد
ما اراه يصح عنهم ولو صح نقلا لم يصح عقلا فان مساق الكلام كله للعسل ليس للقرآن فيه ذكر قال
ابن عطية وذهب قوم من اهل الجهالة الى ان هذه الاية يراد بها اهل البيت وبنو هاشم وانهم النحل
والشراب القرآن والحكمة وقد ذكر هذا بعضهم في مجلس المنصور ابي جعفر العباسي فقال له رجل ممن
حضر جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فاضحك الحاضرين وبهت الاخر وظهرت سخافة
قوله الرابعة اختلف العلما في قوله تعالى فيه شفاء للناس هل هو على عمومه ام لا فقالت طايفة هو
على العموم في كل حال ولكل احد فروي عن ابن عمر انه كان لا يشكوا قرحه ولا شيا الا جعل عليه عسلا
حتى الدمل اذا خرج عليه طلى عليه عسلا وحكى النقاش عن ابي وجرة انه كان يكتحل بالعسل ويستمشي
بالعسل ويتداوى بالعسل وروي ان عوف بن مالك الاشجعي مرض فقيل له الا نعالجك فقال ايتوني بماء
فان الله تعالى يقول وانزلنا من السماء ماء مباركا ثم قال ايتوني بعسل فان الله تعالى يقول فيه
شفاء للناس وايتوني بزيت فان الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاؤه بذلك كله فخلطه جميعا ثم شربه
فبرا ومنهم من قال يقول انه على العموم اذا خلط بالخل ويطبخ فياتي شرابا ينتفع به في كل حالة من كل داء
وقالت طايفة ان ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل انسان بل انه خبر عن انه يشفي كما
غيره من الادوية في بعض وعلى حال دون حال ففايدة الاية اخبار منه في انه دواء لما كثر الشفا به وصار
خليطا ومعينا للادوية في الاشربة والمعاجين وليس هذا باول لفظ خصص فالقران مملو منه ولغة العرب
ياتي فيها العام كثيرا بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام ومما يدل على انه ليس على العموم ان شفاء نكرة في سياق الاثبات
ولا عموم فيها باتفاق اهل اللسان ومحققي اهل الاصول لكن قد حملته طايفة من اهل الصدق والعزم على
العموم فكانوا يستشفون بالعسل من كل الاوجاع والامراض وكانوا يشفون من عللهم ببركة القرآن وبصحة
التصديق والايقان قال ابن العربي ومن ضعفت نيته وغلبته على الدين عادته اخذه مفهوما على قول
الاطبا والكل من حكم الفعال لما يشاء الخامسة ان قال قايل قد راينا من ينفعه العسل ومن يضره فكيف
يكون شفاء للناس قيل له الماء حياة كل شي وقد راينا من يقتله الماء اذا اخذه على ما يضاده من علة
في البدن وقد راينا شفاء العسل في اكثر هذه الاشربة قال معناه الزجاج وقد اتفقت الاطبا عن بكرة ابيهم
على مدح عموم منفعة السكنجبين في كل مرض واصله العسل وكذلك ساير المعجونات على ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد حسم داء الاشكال وازاح وجه الاحتمال حين امر الذي يشتكي بطنه بشرب العسل فلما اخبره اخوه

بانه لم يزده الا استطلاقا امره بعود الشراب له فبرا وقال صدق الله وكذب بطن اخيك السادسة اعترض
بعض زنادقة الاطبا على هذا الحديث فقال قد اجمعت الاطباء على ان العسل يسهل فكيف يوصف
لمن به الاسهال فالجواب ان ذلك القول حق في نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه فيستعمله على الوجه الذي
عينه وفي المحل الذي امره بعقد نيه وحسن طويه فانه يرى منفعته ويدرك بركته كما قد اتفق لصاحب
هذا العسل وغيره كما تقدم واما ما حكي من الاجماع فدليل على جهله بالنقل حيث لم يقيد واطلق قال
الامام ابو عبدالله المازري ينبغي ان يعلم ان الاسهال يعرض من ضروب كثيرة منها الاسهال الحادث عن
التخم والهيضات والاطبا مجمعون في مثل هذا على ان علاجه بان يترك الطبيعة وفعلها وان احتاجت الى
معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر فاذا وضح هذا قلنا فيمكن ان يكون ذلك
الرجل اصابه الاسهال عن امتلاء وهيضة فامره النبي صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده فزاده
الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال فوافقه شرب العسل فاذا خرج هذا على صناعة الطب اذن ذلك
بجهل المعترض بتلك الصناعة قال ولسنا نستظهر على قول نبينا بان يصدقه الاطبا لو كذبوه لكذبناهم
وكفرناهم وصدقناه صلى الله عليه وسلم فان اوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه فنفتقر حينئذ الى تاويل
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخريجه على ما يصح اذ قامت الدلالة على انه لا يكذب السابعة في قوله تعالى
فيه شفاء للناس دليل على جواز التعالج بشرب الدوا وغير ذلك خلافا لمن كره ذلك من جلة العلما وهو يرد
على الصوفية الذين يزعمون ان الولاية لا تتم الا اذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء ولا يجوز له مداواة ولا معنى لمن
ذلك روى الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء
برى باذن الله وروى ابو داود والترمذي عن اسامة بن شريك قال قالت الاعراب يا رسول الله الا
نتداوى قال نعم يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يا
رسول الله وما هو قال الهرم لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وروي عن ابي خزامة عن
ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقيها ودواء نتداوى
به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيا قال هي من قدر الله قال حديث حسن ولا نعرف لابي خزامة
غير هذا الحديث وقال صلى الله عليه وسلم ان كان في شي من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة من عسل
او لذعة بنار وما احب ان اكتوي خرجه الصحيح والاحاديث في هذا الباب اكثر من ان تحصى وعلى اباحة
التداوي والاسترقا جمهور العلماء روي ان ابن عمر اكتوى من اللقوة ورقي من العقرب وعن ابن سيرين
ان ابن عمر كان يسقي ولده الترياق وقال مالك لا باس بذلك وقد احتج من كره ذلك بما رواه ابو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت امة بقضها وقضيضها الجنة كانوا لا يسترقون ولا
يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون قالوا فالواجب على المؤمن ان يترك ذلك اعتصاما بالله و
توكلا عليه وثقة به وانقطاعا اليه فان الله تعالى قد علم ايام المرض وايام الصحة فلو حرص الخلق على
تقليل ذلك او زيادته ما قدروا قال الله سبحانه وتعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبرأها وممن ذهب الى هذا جماعة من اهل الفضل والاثر وهو قول ابن مسعود
وابي الدردا رضوان الله عليهما دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه على ابن مسعود في مرضه الذي قبض

فيه فقال له عثمان ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال الا ادعوا لك طبيبًا قال
الطبيب امرضني وذكر الحديث وسياتي بكماله في فضل الواقعة ان شاء الله تعالى وذكر وكيع قال
حدثنا ابو هلال عن معاوية بن قرة قال مرض ابو الدرداء فعادوه وقالوا الا ندعو لك طبيبًا قال
الطبيب اضجعني والى هذا ذهب الربيع بن خثيم وكره سعيد ابن جبير الرقا وكان الحسن يكره
شرب الادوية كلها الا اللبن والعسل واجاب الاولون عن الحديث بانه لا حجة فيه لانه يحتمل
ان يكون قصد الى نوع من الكي مكروه بدليل كي النبي صلى الله عليه وسلم ابيًا يوم الاحزاب على اكحله
لما رمي وقال الشفاء في ثلاثة كما تقدم ويحتمل ان يكون قصدًا الى الرقا بما ليس في كتاب الله وقد
قال سبحانه وننزل من القرآن ما هو شفاء على ما ياتي بيانه ورقي اصحابه وامرهم بالرقية على ما ياتي
الثامنة ذهب مالك وجماعة اصحابه الى ان لا زكاة في العسل وان كان مطعومًا مقتاتًا واختلف فيه
قول الشافعي والذي قطع به في قوله الجديد انه لا زكاة فيه وقال ابو حنيفة بوجوب زكاة العسل
في قليله وكثيره لان النصاب عنده فيه ليس بشرط وقال محمد بن الحسن لا شيء فيه حتى تبلغ خمسة
افراق والفرق ستة وثلثون رطلا من ارطال العراق وقال ابو يوسف في كل عشرة ازقاق زق متمسكا
بما رواه الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في العسل في كل عشرة ازق
زق قال ابو عيسى في اسناده مقال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا كبير شيء والعمل على هذا
عند اكثر اهل العلم وبه يقول احمد واسحق وقال بعض اهل العلم ليس في العسل شيء التاسعة قوله تعالى
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي يعتبرون ومن العبرة في النحل بانصاف النظر والطاف الفكر في
عجيب امرها فيشهد اليقين بان ملهمها الصنعة اللطيفة مع البنية الضعيفة وحذقها باحتيالها في
مقوات احوالها هو الله سبحانه كما قال واوحى ربك الى النحل الاية ثم انها تاكل الحامض والمر والمالح والحشائش
الضارة فيجعلها تعالى عسلا حلوا وشفاء وفي هذا دليل على قدرة الله تعالى قوله تعالى وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ
ثُمَّ يَتَوَفّٰىكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلٰى اَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ قَدِيْرٌ ٥ والله خلقكم
ثم يتوفاكم بين معناه ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني اردأه واوضعه وقيل الذي ينقص قوته وعقله
ويصيره الى الخرف ونحوه وقال ابن عباس يعني الى اسفل العمر يصير كالصبي الذي لا عقل له والمعنى متقارب
وفي صحيح البخاري عن انس ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ فيقول اللهم اني اعوذ
بك من الكسل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من الهرم واعوذ بك من البخل وفي حديث سعد بن ابي
وقاص واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر الحديث خرجه البخاري لكي لا يعلم بعد علم شيئا اي يرجع الى حالة
الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبل من الامور لفرط الكبر وقد قيل ان هذا لا يكون للمؤمن لان المؤمن لا ينزع
عنه علمه وقيل المعنى لكي لا يعلم بعد علم شيئا فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره اليه لان تاثير الكبر في عمله ابلغ
من تاثيره في علمه والمعنى المقصود الاحتجاج على منكري البعث اي الذي رده الى هذه الحال قادر على ان
يميته ثم يحييه قوله تعالى وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِيْنَ فُضِّلُوْا بِرَآدِّيْ رِزْقِهِمْ
عَلٰى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيْهِ سَوَآءٌ اَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُوْنَ ٥ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعل
منكم غنيا وفقيرا وحرا وعبدا فما الذين فضلوا اي في الرزق برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي لا يرد المولى

على ما ملكت يمينه مما رزق شيئا حتى يستوي المملوك والمالك في المال وهذا مثل ضربه الله لعبدة الاصنام
اي اذا لم تكن عبيدكم معكم سواء فكيف تجعلون عبيدي معي سواء فلما لم يشركم عبيدهم في اموالهم
لم يجز لهم ان يشاركوا الله تعالى في عبادة غيره من الاوثان والانصاب وغيرهما مما عبد كالملائكة
والانبياء وهم عبيده وخلقه حكى معناه الطبري وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم وعن
ابن عباس ايضا انها نزلت في نصارى نجران حين قالوا عيسى ابن الله فقال الله لهم فما الذين فضلوا
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق حتى يكون المولى والعبد
في المال شرعا سواء فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم فتجعلون لي ولدا من عبادي ونظيره ضرب
لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم على ما ياتي ودل هذا على ان العبد
لا يملك على ما ياتي انفا قوله تعالى وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا ٥ جعل بمعنى خلق وقد تقدم من
انفسكم ازواجا يعني آدم خلق منه حوا وقيل المعنى جعل من انفسكم اي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم
كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من الآدميين وفي هذا رد على العرب التي كانت تعتقد انها
كانت تزوج الجن وتباضعها حتى روي ان عمرو بن هند تزوج منهم غولا وكان يخبوها عن البرق لئلا تراه
فتنفر فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعاينته السعلاة فقالت عمرو ونفرت فلم يرها ابدا و
هذا من اكاذيبها وان كان جائزا في حكم الله وحكمته فهو رد على الفلاسفة الذين ينكرون وجود الجن و
يحيلون طعامهم ازواجا زوج الرجل هي ثانيه فانه فرد فاذا انضافت اليه كانا زوجين وانما جعلت الاضافة
اليه دونها لانه اصلها في الوجود كما تقدم قوله تعالى وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ بَنِيْنَ وَحَفَدَةً فيه
خمس مسايل الاولى قوله تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين ان هذه الاية ظاهرة في تعديد النعمة في
الابناء ووجود الابناء يكون منهما معا ولكنه لما كان خلق المولود فيها وانفصاله عنها اضيف اليها ولذلك
تبعها في الرق والحرية وصار مثلها في المالية قال ابن العربي سمعت امام الحنابلة بمدينة السلام ابا الوفا
علي بن عقيل يقول انما تبع الولد الام في المالية وصار بحكمها في الرق والحرية لانه انفصل عن الاب نطفة
لا قيمة له ولا مالية فيه ولا منفعة وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلاجل ذلك تبعها كما لو اكل رجل تمرا
في ارض رجل وسقطت منه نواة في الارض من يد الآكل فصارت نخلة فانها ملك صاحب الارض دون
الآكل باجماع الامة لانها انفصلت عن الآكل ولا قيمة لها الثانية قوله تعالى وحفدة روى ابن القاسم
عن مالك قال وسألته عن قوله تعالى بنين وحفدة فقال الحفدة الخدم والاعوان في رأيي وروي عن
ابن عباس في قوله تعالى وحفدة قال هم الاعوان من اعانك فقد حفدك قيل له فهل تعرف العرب
ذلك قال نعم وتقوله اوما سمعت قول الشاعر حفد الولائد حولهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال
اي اسرعن الخدمة والولائد الخدم الواحدة وليدة قال الاعشى

كلفت مجهولها نوقا يمانية ٥ اذا الحداة على اكسائها حفدوا ٥

اي اسرعوا وقال ابن عرفة الحفدة عند العرب الاعوان فكل من عمل عملا اطاع فيه وسارع فهو حافد
قال ومنه قولهم اليك نسعى ونحفد والحفدان السرعة قال ابو عبيدة الحفد العمل والخدمة وقال
الخليل بن احمد الحفدة عند العرب الخدم وقاله مجاهد وقال الازهري قيل الحفدة اولاد الاولاد

وروي عن ابن عباس وقيل الاختان قاله ابن مسعود وعلقمة وابو الضحى وسعيد بن جبير وابرهيم ومنه قول الشاعر

فلو ان نفسي طاوعتني لاصبحت لها حفد مما يعد كثير
ولكنها نفس علي ابية عيوف لاصهار اللئام تذور

وروي زر عن عبد الله قال الحفدة الاصهار وقاله ابرهيم والمعنى متقارب قال الاصمعي الختن من كان من قبل المراة مثل ابيها واخيها وما اشبههما والاصهار منهما جميعا يقال اصهر فلان الى بني فلان وصاهر وقول عبد الله هم الاختان يحتمل المعنيين جميعا يجوز ان يكون اراد ابا المراة وما اشبهه من اقربايها ويجوز ان يكون اراد وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيكون لكم بسببهن اختان وقال عكرمة الحفدة من نفع الرجل من ولده واصله من حفد يحفد بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل اذا اسرع في سيره كما قال كثير حفد الولايد بينهن وبيال حفدت واحفدت لغتان اذا خدمت ويقال حافد وحفد مثل خادم وخدم وحافد وحفدة مثل كافر وكفرة قال المهدوي ومن جعل الحفدة الخدم جعله منقطعا مما قبله ينوي به التقديم كانه قال جعل لكم حفدة وجعل لكم من ازواجكم بنين قال المولف رحمه الله ما قاله الازهري ان الحفدة اولاد الاولاد هو ظاهر القرآن بل نصه الا ترى انه قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فجعل الحفدة والبنين منهن وقال ابن العربي الاظهر عندي في قوله بنين وحفدة ان البنين اولاد الرجل لصلبه والحفدة اولاد ولده وليس في قوة اللفظ اكثر من هذا ويكون تقدير الاية على هذا وجعل لكم من ازواجكم بنين ومن البنين حفدة وقال معناه الحسن [الثالثة] اذا فرعنا على قول ابن عباس ومجاهد ومالك وعلما اللغة في قولهم ان الحفدة الخدم والاعوان فقد خرجت خدمة الولد والزوجة من القرآن بابدع بيان قاله ابن العربي روى البخاري وغيره عن سهل ابن سعد ان ابا اسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعرسه وكانت امراته خادمهم الحديث وقد تقدم في سورة هود وفي الصحيح عن عايشة قالت انا فتلت قلايد بدن النبي صلى الله عليه وسلم بيدي الحديث ولهذا قال علماونا عليها ان تفرش الفراش وتطبخ القدر وتقم الدار بحسب حالها وعادة مثلها قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها فكانه جمع لنا فيها السكن والاستمتاع وضربا من الخدمة بحسب جري العادة [الرابعة] ويخدم الرجل امراته فيما خف من الخدمة ويعينها لما روته عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون في مهنة اهله فاذا سمع الاذان خرج وهذا قول مالك ويعينها وفي اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخصف النعل ويقم البيت ويخيط الثوب وقالت عايشة وقد قيل لها ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته قالت كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه [الخامسة] وينفق على خادم واحد وقيل على اكثر على قدر الثروة والمنزلة وهذا امر داير على العرف الذي هو اصل من اصول الشريعة فان نساء الاعراب وسكان البوادي يخدمن ازواجهن في استعذاب الماء وسياسة الدواب ونساء الحواضر يخدم المقل منهم زوجته فيما خف ويعينها واما اهل الثروة فيخدمن ازواجهن ويترفهن معهم اذا كان لهم منصب ذلك فان كان امرا مشكلا شرطت عليه الزوجة ذلك فيشهد انه قد عرف انها ممن لا يخدم نفسها فالتزم اخدامها فينفذ ذلك وينقطع الدعوى فيه [قوله تعالى] وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ورزقكم من الطيبات اي من الثمار والحبوب والحيوان افبالباطل يعني الاصنام قاله ابن عباس يومنون قراة الجمهور بالياء وقرا عبد الرحمن بالتاء وبنعمة الله اي بالاسلام هم يكفرون

[قوله تعالى] وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ رزقا من السموات يعني المطر والارض يعني النبات شيا قال الاخفش هو بدل من الرزق وقال الفرا هو منصوب بايقاع الرزق عليه اي يعبدون ما لا يملك ان يرزقهم شيا ولا يستطيعون اي لا يقدرون على شيء يعني الاصنام فلا تضربوا لله الامثال اي لا تشبهوا به هذه الجمادات لانه واحد قادر لا مثل له وقد تقدم [قوله تعالى] ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فيه خمس مسايل [الاولى] قوله تعالى ضرب الله مثلا نبه تعالى على ضلالة المشركين وهو منتظم بما قبله من ذكر نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك من الهتهم ضرب الله مثلا اي بين شبها ثم ذكر ذلك فقال عبدا مملوكا اي كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من امره على شيء ورجل حر قد رزق رزقا حسنا فكذلك انا وهذه الاصنام فالذي هو مثال في هذه الاية فهو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا من امر نفسه وانما هو مسخر بارادة سيده ولا يلزم من الاية ان العبيد كلهم بهذه الصفة فان النكرة في الاثبات لا يقتضي الشمول عند اهل اللسان كما تقدم وانما يفيد واحدا فاذا كانت بعد امر او نهي او مضافة الى مصدر كانت للعموم الشيوعي كقوله اعتق رجلا ولا تهن رجلا والمصدر كاعتاق رقبة فاي رجل اعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب ويصح منه الاستثنا وقال قتادة هذا المثل للمومن والكافر يذهب قتادة الى ان العبد المملوك هو الكافر لانه لا ينتفع في الاخرة بشيء من عبادته والى ان معنى ومن رزقناه منا رزقا حسنا المومن والاول عليه الجمهور من اهل التاويل قال الاصم المراد بالعبد المملوك الذي ربما يكون اشد من مولاه اسرا وانظر وجها وهو لسيده ذليل لا يقدر الا على ما اذن له فيه فقال الله تعالى ضربا للمثال اي فاذا كان هذا شانكم وشان عبيدكم فكيف جعلتم احجارا مواتا شركا لله تعالى في خلقه وعبادته وهي لا تعقل ولا تسمع [الثانية] فهم المسلمون من هذه الاية وما قبلها نقصان رتبة العبد عن الحر في الملك وانه لا يملك شيا وان ملك كذلك قال اهل العراق الرق ينافي الملك فلا يملك شيا البتة بحال وهو قول الشافعي في الجديد وبه قال الحسن وابن سيرين ومنهم من قال يملك الا انه ناقص الملك لان لسيده ان ينتزعه منه اي وقت شاء وهو قول مالك ومن اتبعه وبه قال الشافعي في القديم وهو قول اهل الظاهر ولهذا قال اصحابنا لا يجب عليه عبادة الاموال من زكاة وكفارات ولا من عبادات الابدان ما يقطعه عن خدمة سيده كالحج والجهاد وغير ذلك وفايدة هذه المسلة ان سيده لو ملكه جارية جاز له ان يطاها بملك اليمين ولو ملكه اربعين من الغنم فحال عليها الحول لم يجب على السيد زكاتها لانها ملك غيره ولا على العبد لان ملكه غير مستقر والعراقي لا يجوز له ان يطا الجارية والزكاة في النصاب واجبة على السيد كما كانت ودلايل هذه المسلة للفريقين في كتب الخلاف وادل دليل لنا قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم فسوى بين الحر والعبد في الرزق والخلق وقال عليه السلام من اعتق عبدا وله مال فاضاف المال اليه وكان ابن عمر يرى عبده يتسرى في ماله فلا يعيب ذلك عليه وروي عن

١

ابن عباس ان عبدًا له طلق امرأته طلقتين فامره ان يرجعها بملك اليمين فهذا دليل على انه يملك ما بيده و
يفعل فيه ما يفعل المالك في ملكه ما لم ينزعه سيده والله اعلم [faded rubric] وقد استدل بعض العلماء بهذه
الاية على ان طلاق العبد بيد سيده وعلى ان بيع الامة طلاقها معولا على قوله تعالى لا يقدر على شيء قال
نظا هره يفيد انه لا يقدر على شيء اصلا لا على الملك ولا على غيره فهو على عمومه الا ان يدل دليل على خلافه
وفيما ذكرناه عن ابن عمر وابن عباس ما يدل على التخصيص والله اعلم [faded rubric] قال ابو منصور في
عقيدة الرزق ما وقع الاغتذاء به وهذه الاية ترد هذا التخصيص ولذلك قوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون وانفقوا مما رزقناكم وغير ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي و
قوله ارزاق امتي في سنابك خيلها واسنة رماحها في الغنيمة كلها رزق وكل ما صح به الانتفاع فهو رزق وهو
مراتب اعلاها ما يغذي وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه الانتفاع في قوله يقول ابن آدم
مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وفي معنى اللباس
يدخل الركوب وغير ذلك وفي لسنة المحدثين السماع رزق يعنون سماع الحديث وهو صحيح [faded rubric] قوله
تعالى ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو المؤمن يطيع الله في نفسه وماله والكافر لما لم ينفق في الطاعة
صار كالعبد الذي لا يملك شيئا هل يستوون اي لا يستوون ولم يقل يستويان لمكان من لانه اسم مبهم يصلح
للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقيل ان عبدا مملوكا ومن رزقناه اريد بهما الشيوع في الجنس
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اي هو المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه اذ لا نعمة للاصنام عليهم من يد
ولا معروف فيحمد عليه انما الحمد الكامل لله لانه المنعم الخالق بل اكثرهم اي اكثر المشركين لا يعلمون ان الحمد
لي وجميع النعمة مني وذكر الاكثر وهو يريد الجمع فهو خاص اريد به التعميم وقيل بل اكثر الخلق لا يعلمون و
ذلك ان اكثرهم المشركون [faded rubric] وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ
كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن فالابكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن والذي يامر
بالعدل هو الله تعالى قاله قتادة وغيره وقال ابن عباس الابكم كان عبدا لعثمان رضي الله عنه وكان يعرض
عليه الاسلام فيابى ويأمر بالعدل عثمان وعنه ايضا انه مثل لابي بكر الصديق ومولى له كافر وقيل الابكم ابو
جهل والذي يامر بالعدل عمار بن ياسر العنسي وعنس بالنون حي من مذحج وكان حليفا لبني مخزوم رهط
ابي جهل وكان ابو جهل يعذبه على الاسلام ويعذب امه سمية وكانت مولاة لابي جهل وقال لها ذات يوم
انما امنت بمحمد لانك تحبينه لجماله ثم طعنها بالرمح في قبلها فماتت فهي اول شهيد ماتت في الاسلام من كتاب
النقاش وغيره وسيأتي هذا في اية الاكراه مبينا ان شاء الله وقال عطا الابكم ابي بن خلف كان لا ينطق
بخير وهو كل على مولاه اي قومه لانه كان يؤذيهم ويؤذي عثمان بن مظعون وقال مقاتل نزلت في هاشم
ابن عمرو بن الحارث كان كافرا قليل الخير يعادي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان الابكم الكافر والذي يامر
بالعدل المؤمن جملة بجملة روي عن ابن عباس وهو حسن لانه يعم والابكم الذي لا نطق له وقيل الذي لا يعقل
وقيل الذي لا يسمع ولا يبصر وفي التفسير ان الابكم ههنا الوثن بين انه لا قدرة له ولا امر وان غيره ينقله
وينحته فهو كل عليه والله الآمر بالعدل الغالب على كل شيء وقيل معنى وهو كل على مولاه اي ثقل على وليه

٢

قرابته ووبال على صاحبه وابن عمه وقد يسمى اليتيم كلا لثقله على من يكفله ومنه قول الشاعر
اكول لمال الكل قبل شبابه ○ اذا كان عظم الكل غير شديد ○
والكل الذي لا ولد له ولا والد والكل العيال والجمع الكلول يقال منه كل السكين يكل كلا
اي غلظت شفرته فلم تقطع اينما يوجهه لا يات بخير قرا الجمهور يوجهه وهي خط المصحف اي اينما
يرسله صاحبه لا يات بخير لانه لا يعرف ولا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه وقرا يحيى بن وثاب
اينما يوجه على الفعل المجهول وكذا روي عن ابن مسعود وعن ابن مسعود ايضا توجه على الخطاب
هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على الصراط المستقيم [faded rubric] وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ولله غيب
السموات والارض تقدم معناه وهذا متصل بقوله ان الله يعلم وانتم لا تعلمون اي شرع التحليل والتحريم
انما يحسن ممن يحيط بالعواقب والمصالح وانتم ايها المشركون لا تحيطون بها فلم تتحكمون وما امر الساعة الا كلمح
البصر وتجازون فيها باعمالكم والساعة هي الوقت التي تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تفجأ
الناس في ساعة فيموت الخلق بصيحة واللمح النظر بسرعة يقال لمحه لمحا ولمحانا ووجه التاويل ان
الساعة لما كانت آتية ولا بد جعلت من القرب كلمح البصر وقال الزجاج لم يرد ان الساعة تاتي
في لمح البصر وانما وصف سرعة القدرة على الاتيان بها اي يقول للشيء كن فيكون وقيل انما مثل بلمح البصر
لانه يلمح السماء مع ما هي عليه من البعد من الارض وقيل هو تمثيل للقرب كما يقول القائل ما السنة الا
لحظة وشبهه وقيل المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين دليله قوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا
او هو اقرب ليس او للشك بل للتمثيل بايهما اراد الممثل وقيل دخلت لشك المخاطب وقيل او بمنزلة بل
ان الله على كل شيء قدير تقدم [faded rubric] وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ○ ذكر ان من نعمه ان اخرجكم من بطون امهاتكم
اطفالا لا علم لكم بشيء وفيه ثلاثة اقاويل احدها لا تعلمون شيئا مما اخذ عليكم من الميثاق في اصلاب ابائكم الثاني
لا تعلمون شيئا مما قضى عليكم من السعادة والشقاء الثالث لا تعلمون شيئا من منافعكم وتم الكلام ثم ابتدأ فقال
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي التي تعلمون بها وتدركون لان الله جعل ذلك لعباده قبل اخراجهم من البطون
وانما اعطاهم ذلك بعد ما اخرجهم اي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الامر والنهي والابصار لتبصروا بها اثار صنعه و
الافئدة لتصلوا بها الى معرفته والافئدة جمع الفؤاد مثل غراب واغربة وقد قيل في ضمن قوله وجعل لكم السمع اثبات
النطق لان من لم يسمع لم يتكلم واذا وجدت حاسة السمع وجد النطق وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة امهاتكم هنا وفي
النور والزمر والنجم بكسر الهمزة والميم واما الكسائي فكسر الهمزة وفتح الميم وانما كان هذا للاتباع الباقون
بضم الهمزة وفتح الميم على الاصل واصل الامهات امات فزيدت الهاء تاكيدا كما زادوها في اهرقت واصله ارقت
وقد تقدم هذا المعنى في الفاتحة لعلكم تشكرون فيه تاويلان احدهما تشكرون نعمه الثاني يعني تبصرون
ايات صنعته لان ابصارها يؤدي الى الشكر [faded rubric] أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ○ قرا يحيى بن وثاب والاعمش وابن عامر وحمزة ويعقوب
تروا بالتاء على الخطاب واختاره ابو عبيد الباقون بالياء على الخبر مسخرات مذللات لامر الله تعالى قاله

النطق

الكلبي وقيل مسخرات مذللات لمنافعكم في جو السماء الجو ما بين السماء والارض واضاف الجو الى السماء لارتفاعه
عن الارض وفي قوله مسخرات دليل على مسخر سخرها ومدبر مكنها من التصرف ما يمسكهن الا الله في حال القبض والبسط
والاصطفاف بين لهم كيف يعتبرون بها على وحدانيته ان في ذلك لايات اي علامات وعبر ودلالات لقوم
يومنون بالله وبما جاءت به رسله قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين فيه
عشر مسايل الاولى قوله تعالى جعل معناه صير وكل ما علاك فاظلك فهو سقف وسماء وكل ما اقلك فهو ارض
وكل ما سترك من جهاتك الاربع فهو جدار فانتظمت واتصلت فهو بيت وهذه الاية فيها تعديد نعم الله تعالى
على الناس في البيوت فذكر اولا بيوت المدن وهي التي للاقامة الطويلة وقوله سكنا اي تسكنون فيها وتهدا جوارحكم
من الحركة وقد يتحرك فيه وتسكن في غيره الا ان القول خرج على الغالب وعد هذا في جملة النعم فانه لو شاء خلق
العبد مضطربا ابدا كالافلاك لكان ذلك كما خلق واراد ولو خلقه ساكنا كالارض لكان كما خلق واراد ولكنه
اوجده خلقا يتصرف للوجهين ويختلف حاله بين الحالتين ورددة كيف واين والسكن مصدر يوصف به الواحد
والجمع ثم ذكر تعالى بيوت النقلة والرحلة وهي الثانية فقال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها
اي من الانطاع والادم بيوتا يعني الخيام والقباب يخف عليكم حملها في الاسفار يوم ظعنكم الظعن سير البادية
في الانتجاع والتحول من موضع الى موضع ومنه قول عنترة

ظعن الذين فراقهم اتوقع ... وجرى ببينهم الغراب الابقع

الظعن الهودج ايضا قال الا هل هاجك الاظعان اذ بانوا ... واذ جادت بوشك البين غربان

وقرى باسكان العين وفتحها كالشعر والشعر وقيل يحتمل ان يعم بيوت الادم وبيوت الشعر وبيوت
الصوف لان هذه من الجلود لكونها ثابتة فيها نحى الى ذلك ابن سلام وهو احتمال حسن ويكون قوله ومن
اصوافها ابتداء كلام كانه قال جعل اثاثا يريد الملابس والوطا وغير ذلك قال الشاعر

اهاجتك الظعاين يوم بانوا ... بذي الزي الجميل من الاثاث

ويحتمل ان يريد بقوله من جلود الانعام بيوت الادم فقط كما قدمناه اولا ويكون قوله من اصوافها عطفا على
قوله من جلود الانعام اي جعل بيوتا ايضا قال ابن العربي وهذا امر انتشر في تلك الديار وعزبت عنه بلادنا فلا
تضرب الاخبية عندنا الا من الكتان والصوف وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم قبة من ادم وناهيك من ادم الطائف
غلاء واعتلاء في الصفة وحسنا في البشرة ولم يعد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ترفا ولا راه سرفا لانه مما امتن
الله سبحانه به من نعمته واذن فيه من متاعه وظهرت وجوه منفعته في الاكتساب والاستظلال الذي لا يقدر
على الخروج عنه جنس الانسان ومن غريب ما جرى اني زرت بعض المتزهدين من الغافلين مع بعض المحدثين
فدخلنا عليه في خباء كتان فعرض عليه صاحبي المحدث انه يحمله الى منزله ضيفا وقال ان هذا موضع يكثر فيه
الحر والبيت ارفق بك واطيب لنفسي فيك فقال هذا الخباء لنا كثير وكان في صنعنا من الحقير فقلت ليس كما
زعمت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رئيس الزهاد قبة من ادم طايفي يسافر معها ويستظل بها
فبهت ورايته على منزلة من الغي فتركته مع صاحبي وخرجت عنه الثالثة قوله تعالى ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اذن الله سبحانه بالانتفاع بصوف الغنم ووبر الابل وشعر المعز كما اذن في الاعظم ولحومها

واكل لحومها ولم يذكر القطن والكتان لانه لم يكن في بلاد العرب المخاطبين به وانما عدد عليهم ما انعم به عليهم وخوطبوا
فيما عرفوا بما فهموا وما قام مقام هذه وناب منابها فيدخل في الاستعمال والنعمة مدخلها وهذا كقوله تعالى وينزل
من السماء من جبال فيها من برد فخاطبهم بالبرد لانهم كانوا يعرفون نزوله كثيرا عندهم وسكت عن ذكر
الثلج لانه لم يكن في بلادهم وهو مثله في الصفة والمنفعة وقد ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم معا في التطهير
فقال اللهم اغسلني بماء وثلج وبرد قال ابن عباس الثلج شيء ابيض ينزل من السماء وما رايته قط وقيل ان
ترك ذكر القطن والكتان انما كان اعراضا عن السرف اذ ملبس عباد الله الصالحين انما هو الصوف وهذا
فيه نظر فانه سبحانه يقول يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم حسب ما تقدم بيانه في الاعراف
وقال هنا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر فاشار الى القطن والكتان في لفظ السرابيل والله اعلم واثاثا قال
الخليل متاعا منضما بعضه الى بعض من اث اذا كثر قال

وفرع يزين المتن اسود فاحم ... اثيث كقنو النخلة المتعثكل

ابن عباس اثاثا ثيابا وقد تقدم وتضمنت هذه الاية جواز الانتفاع بالاصواف والاشعار على كل حال ولذلك
قال اصحابنا صوف الميتة وشعرها طاهر يجوز الانتفاع به على كل حال ويغسل مخافة ان يكون علق به وسخ وكذلك
روت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بمسك الميتة اذا دبغ وبشعرها وصوفها اذا
غسل ولانه مما لا يحله الموت وسواء كان شعر ما يوكل لحمه او لا كشعر ابن ادم والخنزير فانه طاهر كله وبه
قال ابو حنيفة ولكنه زاد علينا فقال القرن والسن والعظم مثل الشعر قال لان هذه الاشياء كلها لا روح
فيها فلا تنجس بموت الحيوان وقال الحسن البصري والليث بن سعد والاوزاعي ان الشعور كلها نجسة ولكنها
تطهر بالغسل وعن الشافعي ثلاث روايات الاولى طاهرة لا تنجس بالموت الثانية تنجس الثالثة الفرق بين
شعر ابن ادم وغيره فشعر ابن ادم طاهر وما عداه نجس ودليلنا عموم قوله تعالى ومن اصوافها الاية فمن
علينا بان جعل لنا الانتفاع بها ولم يخص شعر الميتة من المذكاة فهو عموم الا ان يمنع منه دليل وايضا فان
الاصل كونها طاهرة قبل الموت باجماع فمن زعم انه انتقل الى نجاسة فعليه الدليل فان قيل حرمت عليكم
الميتة وذلك عبارة عن الجملة قلنا نخصه بما ذكرنا فانه منصوص عليه في ذكر الصوف وليس في ايتكم ذكره
صريحا فكان دليلنا اولى والله اعلم وقد عول الشيخ الامام ابو اسحق امام الشافعية ببغداد على ان الشعر
جزء متصل بالحيوان خلقة فهو ينمي بنمائه ويتنجس بموته كساير الاجزاء واجيب بان النماء ليس بدليل
على الحيوة لان النبات نامي وليس بحي واذا عولوا على النماء المتصل لما على الحيوان عولنا نحن على الابانة
التي تدل على عدم الاحساس الذي يدل على عدم الحياة واما ما ذكره الحنفيون في العظم والسن والقرن
انه مثل الشعر فالمشهور عندنا ان ذلك نجس كاللحم وقال ابن وهب مثل قول ابي حنيفة ولنا قول ثالث هل
يلحق اطراف القرون والاظلاف باصولها او بالشعر قولان وكذلك الشعري من الريش حكمه حكم الشعر
والعظمي منه حكمه حكمه ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم لا تنتفعوا من الميتة بشيء وهذا عام فيها وفي كل جزء
منها الا ما قام دليله ومن الدليل القاطع على ذلك قوله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم وقال وانظر
الى العظام كيف ننشزها وقال فكسونا العظام لحما قال ايذا كنا عظاما نخرة فالاصل هي العظام والروح
والحياة فيها كما في اللحم والجلد وفي حديث عبد الله بن حكيم لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب فان قيل

قد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في شاة ميمونة الا انتفعتم بجلدها فقالوا يا رسول
الله انها ميتة فقال انما حرم اكلها والعظم لا يوكل قلنا العظم يوكل وخاصة عظم الجمل الرضيع والجدي
والطير وعظم الكبير يشوى ويوكل وما ذكرناه قبل يدل على وجود الحياة فيه وما كان طاهرا بالحياة و
يستباح بالذكاة ينجس بالموت والله اعلم الرابعة قوله تعالى من جلود الانعام عام في جلد الحي والميت
فيجوز الانتفاع بجلود الميتة وان لم يدبغ وبه قال ابن شهاب الزهري والليث بن سعد قال الطحاوي
لم نجد عن واحد من الفقهاء جواز بيع جلد الميتة قبل الدباغ الا عن الليث قال ابو عمر يعني من الفقهاء ائمة
الفتوى بالامصار بعد التابعين واما ابن شهاب فذلك عنه صحيح وهو قول ابى جمهور اهل العلم وقد روي
عنهما خلاف هذا القول والاول اشهر الخامسة اختلف العلماء في جلد الميتة اذا دبغ هل يطهر ام لا
فذكر ابن عبد الحكم عن مالك ما يشبه مذهب ابن شهاب في ذلك وذكر ابن خويز منداد في كتابه عن ابن
عبد الحكم ايضا قال ابن خويز منداد وهو قول الزهري والليث قال والظاهر من مذهب مالك
ما ذكره ابن عبد الحكم وهو ان الدباغ لا يطهر جلد الميتة ولكن يبيح الانتفاع به في الاشياء اليابسة ولا يصلى
عليه ولا يوكل فيه وفي المدونة لابن القاسم من اغتصب جلد ميتة غير مدبوغ فاتلفه كان عليه قيمته
وحكى ان ذلك قول مالك وذكر ابو الفرج ان مالكا قال من اغتصب لرجل جلد ميتة غير مدبوغ فلا شيء
عليه قال اسماعيل الا ان يكون لمجوسي وروى ابن وهب وابن عبد الحكم عن مالك جواز بيعه وهذا
في جلد كل ميتة الا الخنزير وحده لان الذكاة لا تعمل فيه فالدباغ اولى قال ابو عمر وكل جلد ذكي فجائز
استعماله للوضوء وغيره وكان مالك يكره الوضوء في اناء جلد الميتة بعد الدباغ على اختلاف من
قوله ومرة قال انه لم يكرهه الا في خاصة نفسه وتكره الصلاة عليه وبيعه وتابعه على ذلك جماعة
من اصحابه واما اكثر المدنيين فعلى اباحة ذلك واجازته لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب
دبغ فقد طهر وعلى هذا اكثر اهل الحجاز والعراق من اهل الفقه والحديث وهو اختيار ابن وهب
السادسة ذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه الى انه لا يجوز الانتفاع بجلود الميتة في شيء وان
دبغت لانها كلحم الميتة والاخبار بالانتفاع بعد الدباغ ترد قوله واحتج بحديث عبد الله بن عكيم رواه
ابو داود قال قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بارض جهينة وانا غلام شاب الا
تستمتعوا من الميتة باهاب ولا عصب وفي رواية قبل موته بشهر رواه القاسم بن مخيمرة عن عبد الله
ابن عكيم قال حدثنا مشيخة لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليهم قال داود بن علي سالت يحيى
ابن معين عن هذا الحديث فضعفه وقال ليس بشيء انما يقول حدثني الاشياخ قال ابو عمر ولو كان ثابتا
لاحتمل ان لا يكون مخالفا للاحاديث المروية عن ابن عباس وعايشة وسلمة بن المحبق وغيرهم لانه جائز
ان يكون معنى حديث ابن عكيم الا تنتفعوا من الميتة باهاب قبل الدباغ واذا احتمل ان لا يكون مخالفا
فليس لنا ان نجعله مخالفا وعلينا ان نستعمل الخبرين ما امكن وحديث عبد الله ابن عكيم وان كان قبل
موت النبي صلى الله عليه وسلم بشهر كما جاء في الخبر فيمكن ان يكون قصة ميمونة وسماع ابن عباس منه
ايما اهاب دبغ فقد طهر قبل موته بجمعة او دون جمعة والله اعلم السابعة المشهور عندنا ان جلد الخنزير
لا يدخل في الحديث ولا يتناوله العموم وكذلك الكلب عند الشافعي وعند الاوزاعي وابي ثور لا يطهر

بالدباغ الا جلد ما يوكل لحمه وروى معن بن عيسى عن مالك انه سئل عن جلد الخنزير اذا دبغ فكرهه قال ابن
وضاح وسمعت سحنونا يقول لا باس به وكذلك قال محمد بن عبد الحكم وداود بن علي واصحابه لقوله عليه السلام
ايما مسك دبغ فقد طهر قال ابو عمر يحتمل ان يكون اراد بهذا القول عموم الجلود المعهودة الانتفاع بها واما
الخنزير فلم يدخل في المعنى لانه غير معهود الانتفاع بجلده اذ لا يعمل فيه الذكاة ودليل آخر وهو ما قاله
النضر بن شميل ان الاهاب جلد البقر والغنم والابل وما عداه فانما يقال له جلد لا اهاب قال الشيخ المؤلف
رحمه الله وجلد الكلب وما لا يوكل لحمه ايضا غير معهود الانتفاع به فلا يطهر وقد قال صلى الله عليه وسلم
اكل كل ذي ناب من السباع حرام فليست الذكاة فيها ذكاة كما انها ليست في الخنزير ذكاة وروى النسائي
عن المقدام بن معدي كرب قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرير والذهب ومياثر النمور
الثامنة اختلف الفقهاء في الدباغ الذي يطهر به جلود الميتة ما هو فقال اصحاب مالك وهو
المشهور من مذهبه كل شيء دبغ الجلد من ملح او قرظ او شب او غير ذلك فقد جاز الانتفاع به وبه قال
ابو حنيفة واصحابه وهو قول داود وللشافعي في هذه المسألة قولان احدهما هذا والآخر انه لا يطهر
الا الشب والقرظ لانه الدباغ المعهود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خرج الخطاب والله اعلم
روى النسائي عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم رجال من قريش
يجرون شاة لهم مثل الحصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخذتم اهابها قالوا انها
ميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطهرها الماء والقرظ التاسعة قوله تعالى اثاثا الاثاث
متاع البيت واحدها اثاثة هذا قول ابي زيد الانصاري وقال الاموي الاثاث متاع البيت وجمعه
آنثة واثث وقال غيرهما الاثاث جمع انواع المال ولا واحد له من لفظه وقال الخليل اصله من الكثرة واجتماع
بعض المتاع الى بعض حتى يكثر ومنه شعر اثيث اي كثير واث شعر فلان ياث اثا اذا كثر والتف
قال امرؤ القيس وفرع يغشي المتن اسود فاحم . اثيث كقنو النخلة المتعثكل
وقيل الاثاث ما يلبس ويفترش وقد تاثثت اذا اتخذت اثاثا وعن ابن عباس رضي الله عنه اثاثا مالا
العاشرة قوله ومتاعا الى حين قد تقدم القول في الحين وهو هنا وقت غير معين بحسب كل انسان
اما بموته واما بفقده لتلك الاشياء هي له اثاث ومن هذه اللفظة قول الشاعر
اهاجتك الظعاين يوم بانوا . بذي الزي الجميل من الاثاث
قوله تعالى وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ
الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فيه ست مسايل
الاولى قوله تعالى ظلالا الظلال كل ما يستظل به من البيوت والشجر وقوله مما خلق يعم جميع الاشخاص المظلة
الثانية قوله تعالى اكنانا الاكنان جمع كن وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك وهي هنا الغيران
في الجبال جعلها الله عدة للخلق ياوون اليها ويتحصنون بها ويعتزلون عن الخلق فيها وفي الصحيح انه
عليه السلام كان في اول امره يتعبد بغار حراء ويمكث فيه الليالي الحديث وفي صحيح البخاري قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا هاربا من قومه فارا بدينه مع صاحبه ابي بكر حتى لحقا بغار في جبل
ثور فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما فيه عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما

بسحر فيصبح مع قريش كبايت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ثم
ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشا فيبيتان
في رسل وهو لبن منحتهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث
وذكر الحديث انفرد باخراجه البخاري قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعني القمص واحدها
سربال وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع التي يتقى الباس في الحرب ومنه قول كعب بن زهير

شم العرانين ابطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل

الرابعة ان قال قائل كيف قال جعل لكم من الجبال اكنانا ولم يذكر السهل وقال تقيكم الحر ولم يذكر
البرد فالجواب ان القوم كانوا اصحاب جبال ولم يكونوا اصحاب سهل وكانوا اهل حر ولم يكونوا اهل برد
فذكر لهم النعمة التي تختص بهم كما خصهم بذكر الصوف وغيره ولم يذكر القطن والكتان ولا الثلج كما تقدم فانه
لم يكن ببلادهم قال معناه عطاء الخراساني وغيره وايضا فذكر احدهما يدل على الاخر ومنه قول الشاعر

وما ادري اذا يممت ارضا ... اريد الخير ايهما يليني
أالخير الذي انا ابتغيه ... ام الشر الذي هو يبتغيني

الخامسة قال العلماء في قوله تعالى وسرابيل تقيكم باسكم دليل على اتخاذ العباد عدة الجهاد ليستعينوا بها
على قتال الاعداء وقد لبسها النبي صلى الله عليه وسلم المصطفى تقاه الجراحة وان كان يطلب الشهادة وليس
على العبد ان يطلبها بان يستسلم للحتوف وللطعن بالسنان والضرب بالسيوف ولكنه يلبس لامة حربه ليكون له
قوة على قتال عدوه ويقاتل ليكون كلمة الله هي العليا ويفعل الله بعد ما يشاء قوله تعالى كذلك يتم نعمته
عليكم لعلكم تسلمون قرا ابن محيصن وحميد تتم بتائين نعمته رفعا على انها الفاعل الباقون يتم بضم الياء
على ان الله هو يتمها وتسلمون قراءة ابن عباس وعكرمة تسلمون بفتح التاء واللام اى تسلمون من الجراح واسناده
ضعيف رواه عباد بن العوام عن حنظلة عن شهر عن ابن عباس الباقون بضم التاء ومعناه تستسلمون
وتنقادون الى معرفة الله وطاعته شكرا على نعمه قال ابو عبيد والاختيار قراءة العامة لان ما انعم الله به علينا
من الاسلام افضل مما انعم به من السلامة من الجراح قوله تعالى فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين
فان تولوا اى اعرضوا عن النظر والاستدلال والايمان فانما عليك البلاغ المبين اى ليس عليك الا التبليغ
واما الهداية فالينا قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون قال السدي يعني
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اى يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبونه وقال مجاهد يريد ما عدد الله
عليهم في هذه السورة من النعم اى يعرفون انها من عند الله وينكرونها بقولهم انهم ورثوا ذلك عن ابائهم
وبمثله قال قتادة وقال عون بن عبد الله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان ما اصبت كذا
وهو يعرف ان النفع والضر من عند الله وقال الكلبي هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرفهم
بهذه النعم كلها عرفوها وقالوا نعم هي كلها نعم من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل يعرفون نعمة الله بتقلبهم
فيها وينكرونها بترك الشكر عليها ويحتمل سادسا يعرفونها في الشدة وينكرونها في الرخاء ويحتمل سابعا يعرفونها
باقوالهم وينكرونها بافعالهم ويحتمل ثامنا اى يعرفونها بقلوبهم ويجحدونها بالسنتهم نظيره وجحدوا بها و
استيقنتها انفسهم واكثرهم الكافرون يعني جميعهم حسب ما تقدم قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة

ذكر ص

شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون نظيره فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقد
تقدم ثم لا يؤذن للذين كفروا اى في الاعتذار والكلام كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وذلك
حين تطبق عليهم جهنم كما تقدم في اول الحجر ويأتي ولا هم يستعتبون يعني يسترضون اى لا يكلفون
ان يرضوا ربهم لان الاخرة ليست بدار تكليف ولا يتركون الى رجوع الدنيا فيتوبون واصل الكلمة
من العتب وهي الموجدة يقال عتب عليه يعتب اذا وجد عليه فاذا فاوضه ما عتب عليه فيه
قيل عاتبه فاذا رجع الى مسرتك فقد اعتب والاسم العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضي
العاتب قاله الهروي وقال النابغة فان كنت مظلوما فعبدا ظلمته وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب
قوله تعالى واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا راى الذين
ظلموا اى اشركوا العذاب اى عذاب جهنم بالدخول فيها فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون اى لا
يمهلون اذ لا توبة ثم قوله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم
وضل عنهم ما كانوا يفترون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اى اصنامهم واوثانهم التي
عبدوها وذلك ان الله يبعث معبوديهم فيتبعونهم حتى يردوهم النار وفي صحيح مسلم من كان
يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان
يعبد الطواغيت الطواغيت الحديث خرجه من حديث انس والترمذي من حديث ابي هريرة وفيه
فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون
ما كانوا يعبدون وذكر الحديث قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اى الذين
جعلناهم لك شركاء فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى القت اليهم الالهة التي القول اى نطقت
بتكذيب من عبدها بانها لم تكن الهة ولا امرتهم بعبادتها فينطق الله الاصنام حتى يظهر عند ذلك فضيحة
الكفار وقيل المراد بذلك الملائكة الذين عبدوهم والقوا الى الله يومئذ السلم يعني المشركين اى
استسلموا لعذابه وخضعوا لعزه وقيل استسلم العابد والمعبود وانقادوا لحكمه فيهم وضل
عنهم ما كانوا يفترون اى زال عنهم ما زين لهم الشيطان وما كانوا يؤملون من شفاعة آلهتهم
قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
قال ابن مسعود عقارب انيابها كالنخل الطوال وحيات مثل اعناق الابل وافاعي كانها البخاتي
تضربهم فتلك الزيادة وقيل المعنى يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى
النار وقيل المعنى زدنا القادة عذابا فوق السفلة فاحد العذابين على كفرهم والعذاب الاخر على
صدهم بما كانوا يفسدون في الدنيا من الكفر والمعصية قوله تعالى ويوم نبعث في كل امة
شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى
ورحمة وبشرى للمسلمين ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وهم الانبياء شهداء على
اممهم يوم القيمة بانهم قد بلغوهم الرسالة ودعوهم الى الايمان وفي كل زمان شهيد وان لم يكن نبيا
وفيهم قولان احدهما انهم ايمة الهدى الذين هم خلفاء الانبياء الثاني انهم العلماء الذين حفظ الله بهم

شهيدا

شرايع انبيايه قال الشيخ رحمه الله فعلى هذا لم تكن فترة الا وفيها من يوحد الله كقس بن ساعدة وزيد بن
عمرو بن نفيل الذي الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم يبعث امة واحدة وسطيح وورقة بن نوفل
الذي قال فيه عليه السلام رايته يتغمس في انهار الجنة فهؤلاء ومن كان مثلهم حجة على اهل زمانهم وشهيد
عليهم والله اعلم وقوله وجئنا بك شهيدا تقدم في البقرة والنساء قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء نظيره ما فرطنا في الكتاب من شيء وقد تقدم فلينظر هناك وقال مجاهد تبيانا للحلال والحرام
قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فيه ست مسايل الاولى روي عن عثمان بن مظعون انه
قال لما نزلت هذه الاية قراتها على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فعجب فقال يا آل غالب اتبعوه
تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليامركم بمكارم الاخلاق وفي حديث ان ابا طالب لما قيل له ان ابن اخيك زعم
ان الله انزل عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال اتبعوا ابن اخي فوالله لا يامر الا بمحاسن الاخلاق
وقال عكرمة قرا النبي صلى الله عليه وسلم على الوليد بن المغيرة إن الله يامر بالعدل والاحسان
الاية الى اخرها فقال يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله
لمورق واعلاه لمثمر وما هو بقول بشر وذكر الغزنوي ان عثمان بن مظعون هو القارئ قال عثمان
ما اسلمت ابتداء الا حيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان
في قلبي فقراتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد فاعدت فقال والله ان له لحلاوة وذكر
تمام الخبر وقال ابن مسعود هذه اجمع آية في القران لخير يمتثل وشر يجتنب وذكر النقاش قال يقال
زكاة العدل الاحسان وزكاة القدرة العفو وزكاة الغنى المعروف وزكاة الجاه كتب الرجل الى
اخوانه الثانية اختلف العلماء في تاويل العدل والاحسان فقال ابن عباس العدل لا اله الا الله
والاحسان اداء الفرايض وقيل العدل الفرض والاحسان النافلة وقال سفيان بن عيينة العدل
ههنا استواء السريرة والاحسان ان يكون السريرة افضل من العلانية وقال علي بن ابي طالب
العدل الانصاف والاحسان التفضل وقال ابن عطية العدل هو كل مفروض من عقايد وشرايع
في اداء الامانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق والاحسان هو فعل كل مندوب اليه فمن
الاشياء ما هو كله مندوب اليه ومنها ما هو فرض الا ان حد الاجزاء منه داخل في العدل والتكميل
الزايد على الاجزاء داخل في الاحسان واما قول ابن عباس ففيه نظر لان اداء الفرايض هي الاسلام
حسب ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكميلات والمندوب اليه حسب ما يقتضيه
تفسير النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سؤال جبريل بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك فان صح هذا عن ابن عباس فانما اراد الفرايض مكملة وقال ابن العربي العدل بين العبد
وبين ربه ايثار حقه تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه على هواه والاجتناب للزواجر والامتثال
للاوامر واما العدل بينه وبين ~~خلق فبذل النصيحة~~ نفسه فمنعها مما فيه هلاكها قال الله تعالى
ونهى النفس عن الهوى وعزوف الاطماع عن الاتباع ولزوم القناعة في كل حال ومعنى واما العدل
بينه وبين الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر والانصاف من نفسك لهم بكل وجه

ولا يكن منك اساءة الى احد بقول ولا فعل لا في سر ولا علن والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى
واقل ذلك الانصاف وترك الاذى قال المؤلف رحمه الله هذا التفصيل في العدل حسن وعدل
واما الاحسان فقد قال علماؤنا الاحسان مصدر احسن يحسن احسانا ويقال على معنيين احدهما متعد
بنفسه كقوله احسنت كذا اي حسنته وكملته وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء وثانيهما متعد بحرف
جر كقوله احسنت الى فلان اي اوصلت اليه ما ينتفع به قال المؤلف رحمه الله وهو في هذه
الاية مراد بالمعنيين معا فانه تعالى يحب من خلقه احسان بعضهم الى بعض حتى ان الطاير في سجنك
والسنور في دارك لا ينبغي ان تقصر تعهده باحسانك وهو تعالى غني عن احسانهم ومنه الاحسان
والنعم والفضل والمنن وهو في حديث جبريل بالمعنى الاول لا بالثاني فان المعنى الاول راجع
الى اتقان العبادة ومراعاتها باداتها المصححة والمكملة ومراقبة الحق فيها واستحضار عظمته
وجلالته حالة الشروع وحالة الاستمرار وهو المراد بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وارباب القلوب في هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكانه
يراه ولعل النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى هذه الحالة بقوله وجعلت قرة عيني في الصلاة وثانيهما
لا ينتهي الى هذا لكن يغلب عليه ان الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له واليه الاشارة بقوله
تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وقوله الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه
الثالثة قوله تعالى وايتاء ذي القربى اي القرابة يقول يعطيهم المال كما قال وآت ذا القربى
حقه يعني صلته وهذا من باب عطف المندوب على الواجب وبه استدل الشافعي في ايجاب
ايتاء المكاتب على ما ياتي بيانه وانما خص ذا القربى لان حقوقهم اوكد وصلتهم اوجب لتاكيد
حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه وجعل صلتها من صلته فقال في الصحيح اما ترضين
ان اصل من وصلك واقطع من قطعك ولا سيما اذا كانوا فقراء الرابعة قوله تعالى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغي الفحشاء الفحش وهو كل قبيح من قول او فعل وقال ابن عباس هو الزنا
والمنكر ما انكره الشرع بالنهي عنه وهو يعم جميع المعاصي والرذايل والدناآت على اختلاف انواعها
وقيل هو الشرك والبغي هو الكبر والظلم والحقد والتعدي وحقيقته تجاوز الحد وهو داخل
تحت المنكر لكنه تعالى خصه بالذكر اهتماما به لشدة ضرره وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا ذنب اسرع عقوبة من بغي وقال عليه السلام الباغي مصروع وقد وعد الله من بغي عليه
بالنصر وفي بعض الكتب المنزلة لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا الخامسة ترجم الامام
ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري في صحيحه فقال باب قوله تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقوله
انما بغيكم على انفسكم ومن بغي عليه لينصرنه الله وترك اثارة الشر على مسلم او كافر ثم ذكر حديث
عايشة في سحر لبيد بن الاعصم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن بطال فتاول رضي الله عنه
من هذه الايات ترك اثارة الشر على مسلم او كافر كما دل عليه حديث عايشة حيث قال اما والله
فقد شفاني واما انا فاكره ان اثير على الناس شرا ووجه ذلك والله اعلم انه تاول في قوله تعالى

ان الله يامر بالعدل والاحسان المذنب بالاحسان الى المسيئ وترك معاقبته على اسائته فان قيل كيف
يصح هذا التاويل في آيات البغي قيل وجه ذلك والله اعلم انه لما اعلم الله عباده بان ضرر البغي ينصرف
على الباغي بقوله انما بغيكم على انفسكم وضمن تعالى نصرة من بغي عليه كان الاولى بمن بغي عليه شكرا لله
تعالى على ما ضمن من نصره ومقابلة ذلك بالعفو عن بغي عليه وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم
باليهودي الذي سحره وقد كان له الانتقام منه بقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولكن اثر
الصفح اخذا بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فائدة تضمنت هذه الاية الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تقدم القول فيهما روي ان جماعة رفعت عاملها الى ابي جعفر
المنصور العباسي فحاجها العامل وغلبها بانهم لم يثبتوا عليه كبير ظلم ولا جورة في شئ فقام فتى
من القوم فقال يا امير المؤمنين ان الله امر بالعدل والاحسان وانه عدل ولم يحسن فقال فعجب
ابو جعفر من اصابته وعزل العامل وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ فيه ثلاث
قوله تعالى واوفوا بعهد الله لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الانسان من بيع او صلة او موالاة
في امر موافق للديانة وهذه الاية مضمن قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان لان المعنى فيها افعلوا كذا وانتهوا
عن كذا فعطف على ذلك التقدير وقد قيل انها نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقيل نزلت
في التزام الحلف الذي كان في الجاهلية وجاء الاسلام بالوفاء به قال قتادة ومجاهد وابن زيد والعموم
يتناول كل ذلك كما بيناه روى الصحيح عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف
في الاسلام وانما كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة يعني في نصرة الحق والقيام به والمواساة
وهذا كنحو حلف الفضول الذي ذكره ابن اسحق قال اجتمعت قبايل من قريش في دار عبد الله ابن
جدعان لشرفه ونسبه فتعاقدوا وتعاهدوا على ان لا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها او غيرهم الا قاموا
معه حتى يرد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول اي حلف الفضايل والفضول هنا
جمع فضل للكثرة كفلس وفلوس روي ابن اسحاق عن ابن شهاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت
وقال ابن اسحق تحامل الوليد بن عتبة على حسين بن علي في مال له لسلطان الوليد فانه كان اميرا
على المدينة فقال له الحسين احلف بالله لتنصفني من حقي او لآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول قال عبد الله ابن الزبير وانا احلف بالله لئن دعا به
لآخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينتصف من حقه او نموت جميعا وبلغت المسور بن مخرمة فقال
مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد انصفه
قال العلما فهذا الحلف الذي كان في الجاهلية هو الذي شدة الاسلام وخصه النبي صلى الله عليه وسلم
من عموم قوله لا حلف في الاسلام والحكمة في ذلك ان الشرع جاء بالانتصار من الظالم واخذ الحق منه
وايصاله الى المظلوم واوجب ذلك باصل الشريعة ايجابا عاما على من قدر من المكلفين وجعل لهم السبيل
على الظالمين فقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك

لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر وفي الصحيح انصر اخاك ظالما او مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره
مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تاخذ على يديه وفي رواية تمنعه من الظلم فان ذلك نصره وقد تقدم
قوله عليه السلام ان الناس اذا راوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده
الثانية قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها تقول بعد تشديدها وتغليظها يقال توكيد
وتاكيد ووكد واكد وهما لغتان وقد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني شهيدا او يقال حافظا ويقال ضامنا
وانما قال بعد توكيدها فرقا بين اليمين المؤكدة بالعزم وبين لغو اليمين وقال ابن وهب وابن
القاسم عن مالك التوكيد هو حلف الانسان في الشئ الواحد مرارا يردد فيه الايمان ثلاثا او اكثر
من ذلك كقوله والله لا انقصه من كذا والله لا انقصه من كذا والله لا انقصه من كذا قال فكفارة
ذلك واحدة مثل كفارة اليمين وقال يحيى بن سعيد هي العهود والعهد يمين ولكن الفرق بينهما ان
العهد لا يكفر قال النبي صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء يوم القيمة عند استه بقدر غدرته
يقال هذه غدرة فلان واما اليمين بالله فقد شرع الله سبحانه فيها الكفارة بخصلة واحدة وحل
ما انعقدت عليه اليمين وقال ابن عمر التوكيد هو ان يحلف مرتين فان حلف واحدة فلا كفارة وقد تقدم
في المايدة الثالثة قوله تعالى وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي كفيلا بالوفا والواو واو الحال قيل
نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم الله بالوفا بالبيعة ولا تنقضوها اذا
راوا قلة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكثرة المشركين ان الله عليم بما تصنعون تهديدا لهم اي
يعلم ما صنعتم بالوفا والنقض قوله تعالى وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَ
لَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ النقض والنكث واحد والاسم النكث والنقض
والجمع الانكاث فشبهت هذه الاية الذي يحلف ويعاهد ويبرم عقده ثم ينقضه بالمراة تغزل
غزلها وتفتله محكما ثم تحله ويروى ان امراة حمقاء كانت تفعل ذلك فيها وقع التشبيه قاله الفرا
وحكاه عبد الله بن كثير والسدي ولم يسميا المراة والسهيلي والنحاس نسباها الى جدها فقالا هي
ريطة بنت سعد بن زيد مناة بن تيم والله اعلم وقال مجاهد وقتادة ذلك ضرب مثلا لا على امراة
معينة وانكاثا نصب على الحال والدخل الدغل والخديعة والغش قال ابو عبيدة كل امر لم
يكن صحيحا فهو دخل ان تكون امة هي اربى من امة قال المفسرون نزلت هذه الاية في العرب
الذين كانت القبيلة منهم اذا حالفت اخرى ثم جاءت احداهما قبيلة كبيرة قوية فداخلتها غدرت
الاولى ونقضت عهدها ورجعت الى هذه الكبرى قاله مجاهد فقال الله تعالى لا تنقضوا العهود
من اجل ان طايفة اكثر من طايفة اخرى او اكثر اموالا فينقضون ايمانكم اذا رايتم الكثرة والسعة
في الدنيا لاعدايكم المشركين والمقصود النهي عن العود الى الكفر بسبب كثرة الكفار وكثرة اموالهم
وقال الفراء المعنى لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم او لكثرتهم وقلتكم وقد غررتموهم بالايمان اربى
اي اكثر من ربي الشئ يربو اذا كثر والضمير في به يحتمل ان يعود على الوفا الذي امر الله به ويحتمل
ان يعود على الربا اي ان الله تعالى ابتلى عباده بالتحاسد وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم

بمكة تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن
مرة كانت حم

بذلك ليرى من يجاهد نفسه فيخالفها ممن يتبعها ويعمل بمقتضى هواها وهو معنى قوله انما يبلوكم الله
به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون من البعث وغيره قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون امة واحدة
اى على ملة واحدة ولكن يضل من يشاء بخذلانه اياهم عدلا منه فيهم ويهدي من يشاء بتوفيقه اياهم
فضلا منه عليهم ولا يسأل عما يفعلون بل تسألون انتم والاية ترد على اهل القدر كما تقدم واللام
فى وليبينن لكم ولتسألن مع النون المشددة يدلان على قسم مضمر اى والله ليبينن لكم ولتسألن قوله تعالى
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله
ولكم عذاب عظيم كرر ذلك تاكيدا فتزل قدم بعد ثبوتها مبالغة فى النهى عنه لعظم موقعه
فى الدين وتردده فى معاشرات الناس اى لا تعقدوا الايمان بالانطواء على الخديعة والفساد فتزل
قدم بعد ثبوتها اى عن الايمان بعد المعرفة بالله وهذه استعارة للمستقيم الحال يقع فى شر عظيم ويسقط
فيه لان القدم اذا زلت تقلب الانسان من حال خير الى حال شر ومن هذا المعنى قول كثير
فلما توافينا ثبت وزلت • والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية او ساقط فى ورطة زلت قدمه كقول
الشاعر سيمنع منك السبق ان كنت سابقا • وتعتل ان زلت بك القدمان
ويقال لمن اخطأ فى شىء زل فيه ثم توعد تعالى بعد بعذاب فى الدنيا وعذاب عظيم فى الاخرة وهذا
الوعيد انما هو فيمن نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من عاهده ثم نقض عهده خرج عن
الايمان ولهذا قال وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله اى بصدكم وذوق السوء فى الدنيا هو
ما يحل بهم من المكروه قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم
تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق • ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا نهى عن الرشا واخذ الاموال
على نقض العهد اى لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا وانما كان قليلا وان كثر لانه مما يزول فهو
على التحقيق قليل وهو المراد بقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق فبين الفرق بين حال الدنيا وحال
الاخرى بان هذه تنفد وتحول وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفى بالعهد
وثبت على العقد ولقد احسن من قال شعر

المال ينفد حله وحرامه • يوما ويبقى فى غد آثامه
ليس التقى بمتق لالهه • حتى تطيب شرابه وطعامه

آخر

هب الدنيا تساق اليك عفوا • اليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك الا مثل فىء • اظلك ثم آذن بالزوال

قوله تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • ولنجزين الذين صبروا اى
على الاسلام والطاعات وعن المعاصى اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اى من الطاعات وجعلها احسن
لان ما عداها من الحسن مباح والجزاء انما يكون على الطاعة من حيث الوعد من الله وقرا عاصم وابن كثير و
لنجزين بالنون على التعظيم الباقون بالياء وقيل ان هذه الاية ولا تشتروا الى هنا نزلت فى امرئ القيس
ابن عابس الكندى وخصمه ابن اشوع اختصما فى ارض فاراد امرؤ القيس ان يحلف فلما سمع هذه الاية نكل

واقرأه

واقرله بحقه فالله اعلم قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حياة طيبة شرط وجوابه وفى الحيوة الطيبة وفيه خمسة اقوال الاول انه الرزق الحلال قاله ابن
عباس وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك الثانى القناعة قاله الحسن البصرى وزيد بن وهب ووهب
ابن منبه ورواه الحكم عن عكرمة عن ابن عباس وهو قول على بن ابى طالب رضى الله عنهم الثالث توفيقه
الى الطاعات فانها تؤديه الى رضوان الله قال معناه الضحاك وقال ايضا من عمل صالحا وهو مؤمن
فى فاقة وميسرة فحياته طيبة ومن اعرض عن ذكر الله ولم يؤمن بربه ولا عمل صالحا فمعيشته
ضنك لا خير فيها وقال مجاهد وقتادة وابن زيد هى الجنة وقاله الحسن وقال لا تطيب الحياة لاحد
الا فى الجنة وقيل هى السعادة روى عن ابن عباس ايضا وقال ابو بكر الوراق هى حلاوة الطاعة
وقال سهل بن عبد الله التسترى هى ان ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره الى الحق وقال جعفر
الصادق هى المعرفة بالله وصدق المقام بين يدى الله وقيل الاستغناء عن الخلق والافتقار
الى الحق وقيل الرضا بالقضاء ولنجزينهم اجرهم اى فى الاخرة باحسن ما كانوا يعملون وقال فلنحيينه ثم قال
ولنجزينهم لان من يصلح للواحد والجمع فاعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى وقد تقدم وقال ابو صالح
جلس ناس من اهل التوراة وناس من اهل الانجيل وناس من اهل الاوثان فقال هؤلاء افضل وقال
هؤلاء نحن افضل فنزلت قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فيه مسئلة واحدة وهى ان هذه الاية متصلة بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء فاذا اخذت فى
قراءته فاستعذ بالله من ان يعترض لك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل بما فيه وليس يريد استعذ
بعد القراءة بل هو كقولك اذا اكلت فقل بسم الله اى اذا اردت ان تاكل وقد روى جبير بن مطعم عن ابيه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلوة قال اللهم انى اعوذ بك من الشيطان من همزه
ونفخه ونفثه وروى ابو سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ فى صلاته قبل القراءة
قال الكيا الطبرى ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقا احتجاجا بقوله تعالى فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولا شك ان ظاهر ذلك يقتضى ان تكون الاستعاذة بعد القراءة
كقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا الا ان غيره محتمل مثل قوله تعالى و
اذا قلتم فاعدلوا واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وليس المراد به ان يسألها
من وراء حجاب بعد سؤال متقدم ومثله قول القائل اذا قلت فاصدق واذا احرمت فاغتسل يعنى
قبل الاحرام والمعنى فى جميع ذلك اذا اردت ذلك فكذلك الاستعاذة وقد تقدم هذا المعنى وتقدم
القول فى الاستعاذة مستوفى قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون انه ليس له سلطان على الذين آمنوا
اى بالاغواء والكفر اى ليس له قدرة على ان يحملهم على ذنب لا يغفر قاله سفيان وقال مجاهد لا حجة
له فيما يدعوهم اليه من المعاصى وقيل انه ليس له عليهم سلطان بحال لان الله تعالى صرف سلطانه عليهم
حين قال عدو الله ابليس لعنه الله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله تعالى ان عبادى

نحن ص

ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قال المؤلف رحمه الله قديما ان هذا عام يدخله التخصيص
وقد اغوا آدم وحوا عليهما السلام بسلطانه وقد شوش على الفضلاء اوقاتهم بقوله من خلق ربك حسب
ما تقدم في آخر الاعراف بيانه انما سلطانه على الذين يتولونه اي يطيعونه يقال توليته اي اطعته وتوليته
عنه اعرضت عنه والذين هم به مشركون اي بالله قاله مجاهد والضحاك وقيل يرجع به الى الشيطان
قاله الربيع بن انس والقتبي والمعنى والذين هم من اجله مشركون يقال كفرت بهذه الكلمة اى من اجلها
وصار فلان بك عالما اى من اجلك اى والذى تولى الشيطان مشركون بالله قوله تعالى واذا بدلنا آية
مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس
بالحق من ربك ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين قيل المعنى بدلنا شريعة متقدمة بشريعة
مستانفة قاله ابن بحر وقال مجاهد اي رفعنا آية وجعلنا موضعها غيرها وقال الجمهور نسخنا آية بآية اشد
منها عليهم والنسخ والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه وقد تقدم الكلام في النسخ في البقرة مستوفى
قالوا يريد كفار قريش انما انت مفتر اى كاذب مختلق وذلك لما راوا من تبديل الحكم فقال الله بل اكثرهم لا
يعلمون ان الله شرع الاحكام وتبديل البعض بالبعض قوله قل نزله روح القدس يعني جبريل نزل بالقرآن
كله ناسخه ومنسوخه وروي باسناد صحيح عن عامر الشعبي قال وكل اسرافيل بمحمد عليه السلام ثلاث سنين
فكان ياتيه بالكلمة والكلمة ثم نزل عليه جبريل بالقرآن وفي صحيح مسلم ايضا انه نزل عليه بسورة الحمد ملك
لم ينزل الى الارض قط كما تقدم في الفاتحة بيانه من ربك اي من كلام ربك ليثبت الذين آمنوا اى بما فيه من
الحجج والآيات وهدى اي وهو هدى وبشرى للمسلمين قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اختلف في اسم هذا الذى قالوا انه يعلمه
فقيل هو غلام الفاكه بن المغيرة واسمه جبر كان نصرانيا فاسلم وكانوا اذا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم
ما مضى وما هو آت مع انه امي لم يقرا قالوا انما يعلمه جبر وهو اعجمي ~~هذا الكلام الذى~~ فقال الله تعالى
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اى كيف يعلمه جبر وهو اعجمي هذا الكلام
الذي لا يستطيع الانس والجن ان يعارضوا منه سورة واحدة فما فوقها وذكر النقاش ان مولى جبر
كان يضربه ويقول انت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني وقال ابن اسحاق كان النبي صلى
الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام نصراني يقال له جبر عبد بني الحضرمي وكان
يقرا الكتب فقال المشركون والله ما يعلم محمدا ما ياتي به الا جبر النصراني وقال عكرمة اسمه يعيش عبدا
لبني الحضرمي كان النبي صلى الله عليه وسلم يلقنه القرآن ذكره الماوردي وذكر الثعلبي عن عكرمة وقتادة
انه غلام لبني المغيرة اسمه يعيش وكان يقرا الكتب الاعجمية فقالت قريش انما يعلمه بشر فنزلت وروى
المهدوي عن عكرمة هو غلام لبني عامر بن لوى واسمه يعيش وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا غلامان
نصرانيان من اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الآخر جبر كذا ذكر الماوردي والقشيري والثعلبي
الا ان الثعلبي قال يقال لاحدهما نبت ويكنى ابا فكيهة والآخر جبر وكانا صيقلين يعملان السيوف و
كانا يقرآن كتابا لهم قال الثعلبي يقرآن التورية والانجيل وقال الماوردي والمهدوي التوراة فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما ويسمع قراءتهما وكان المشركون يقولون يتعلم منهما فانزل الله هذه

الاية واكذبهم وقيل عنوا سلمان الفارسي رضي الله عنه قاله الضحاك وقيل نصرانيا بمكة اسمه بلعام وكان غلاما يقرأ
التوراة قاله ابن عباس وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه ويخرج من عنده
فقالوا انما يعلمه بلعام وقال القتبي كان بمكة رجل نصراني يقال له ابو ميسره يتكلم بالرومية فربما قعد اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكفار انما يتعلم محمد منه فنزلت وفي رواية انه عداس غلام عتبة
ابن ربيعة وقيل عابس غلام حويطب بن عبد العزى ويسار بن فكيهة مولى ابن الحضرمي وكانا قد اسلما
والله اعلم قال المؤلف رحمه الله والكل محتمل فان النبي صلى الله عليه وسلم ربما جلس اليهم في اوقات
مختلفة ليعلمهم مما علمه الله وكان ذلك بمكة وقال النحاس هذه الاقوال ليست بمتناقضة لانه يجوز ان
يكونوا اومئوا الى هولاء جميعا وزعموا انهم يعلمونه قال المؤلف واما ما ذكره الضحاك انه سلمان ففيه بعد
لان سلمان انما اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهذه الآية مكية لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
الالحاد الميل يقال لحد والحد اى مال عن القصد وقد تقدم في الاعراف وقرا حمزة يلحدون بفتح الياء
والحاء اي لسان الذي يميلون اليه ويشيرون اعجمي والعجمة الاخفاء وضد البيان ورجل اعجم وامراة
عجماء اى لا يفصح ومنه عجم الذنب لاستتاره والعجماء البهيمة لانها لا توضح عن نفسها واعجمت الكتاب
اى ازلت عجمته والعرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بكلامهم اعجميا وقال الفراء الاعجم الذي
في لسانه عجمة وان كان من العرب والاعجمي هو العجمي الذى اصله من العجم وقال ابو علي الاعجمي الذي
لا يفصح سواء كان من العرب او من العجم وكذلك الاعجم والاعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحا واراد
باللسان القرآن لان العرب تقول للقصيدة والبيت لسان قال الشاعر

لسان السوء تهديها الينا ۝ وخنت وما حسبتك ان تخونا

يعني باللسان القصيدة وهذا لسان عربي مبين اي افصح ما يكون من العربية قوله تعالى ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم اي هولاء المشركون الذين لا يؤمنون بالقرآن
لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم واولئك هم الكاذبون قوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله واولئك هم الكاذبون هذا جواب وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالافتراء واولئك
هم الكاذبون هذا مبالغة في وصفهم بالكذب اى كل كذب قليل بالنسبة الى كذبهم ويقال كذب
فلان ولا يقال انه كاذب لان الفعل قد يكون لازما وقد لا يكون لازما واما النعت فلا يكون الا لازما ولهذا
يقال عصى آدم ربه فغوى ولا يقال انه عاص غاو فاذا قيل كذب فلان فهو كاذب كان مبالغة في
الوصف بالكذب قاله القشيري قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم
ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم
الخاسرون فيه احدى وعشرون مسئلة الاولى قوله تعالى من كفر بالله هذا متصل بقوله تعالى
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فكان مبالغة في الوصف للكذب لان معناه لا ترتدوا عن بيعة الرسول
صلى الله عليه وسلم اى من كفر من بعد ايمانه وارتد فعليه غضب الله قال الطبرى نزلت في عبد الله

ابن ابي سرح و مقيس بن صبابة وعبدالله ابن انس بن خطل وقيس بن الوليد بن المغيرة كفروا بعد ايمانهم
ثم قال الا من اكره وقال الزجاج من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من يفتري الكذب اي انما يفتري الكذب
من كفر بالله من بعد ايمانه لانه راي الكلام الى اخر الاستثناء غير تام فعلقه بما قبله وقال الاخفش
من ابتداء وخبره محذوف اكتفى منه بخبر من الثانية كقولك من ياتنا من حسن نكرمه قوله تعالى
الا من اكره هذه الاية نزلت في عمار بن ياسر في قول اهل التفسير لانه قارب بعض ما ندبوه اليه قال
ابن عباس اخذه المشركون واخذوا اباه وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم وربطت
سمية بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل زوجها
ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فشكى ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام كيف تجد قلبك قال مطمئن بالايمان فقال صلى الله
عليه وسلم فان عادوا فعد وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد قال اول شهيدة في الاسلام ام عمار
قتلها ابو جهل واول شهيد من الرجال مهجع مولى عمر وروى منصور ايضا عن مجاهد قال اول من اظهر
الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وامه سمية
فاما رسول الله فمنعه ابو طالب واما ابو بكر فمنعه قومه واخذ الآخرين فالبسوهم ادراع الحديد
ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ منهم الجهد كل مبلغ من حر الحديد والشمس فلما كان من العشي اتاهم ابو جهل
ومعه حربة فجعل يشتمهم ويوبخهم واتى سمية فجعل يشتمها ويرفث ثم طعن فرجها حتى خرجت الحربة
من فمها فقتلها قال وقال الاخرون ما سالوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله فجعلوا يعذبونه ويقولون
له ارجع عن دينك وهو يقول احد احد حتى ملوه ثم كتفوه وجعلوا عنقه في حلقه حبلا من ليف ودفعوه
الى صبيانهم يلعبون به بين اخشبي مكة حتى ملوه وتركوه قال فقال عمار كلنا تكلم بالذي قالوا ولولا ان
الله تداركنا غير بلال فانه هانت عليه نفسه في الله فهان على قومه حتى ملوه وتركوه والصحيح ان
ابا بكر اشترى بلالا واعتقه وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد ان ناسا من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة ان هاجروا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون
المدينة حتى ادركتهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا مكرهين ففيهم نزلت الاية ذكر الروايتين عن
مجاهد اسمعيل بن اسحاق وروى الترمذي عن عايشه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
خير عمار بين امرين الا اختار ارشدهما هذا حديث حسن غريب وروي عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنه لتشتاق الى ثلثة علي وعمار وسلمان قال الترمذي هذا حديث
حسن غريب لا يعرفه من حديث الحسن بن صالح لما سمح الله سبحانه بالكفر به وهو اصل الشريعه
عند الاكراه ولم يواخذ به حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها فاذا وقع الاكراه عليها لم يواخذ به
ولم يترتب عليه حكم وبه جاء الاثر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان
وما استكرهوا عليه والخبر وان لم يصح سنده فان معناه صحيح باتفاق من العلماء قاله القاضي ابو بكر
ابن العربي وذكر ابو محمد عبد الحق ان اسناده صحيح قال وقد ذكره ابو بكر الاصيلي في الفوايد و
ابن المنذر في كتاب الاقناع اجمع اهل العلم على ان من اكره على الكفر حتى خشي على نفسه

القتل انه لا اثم عليه ان كفر وقلبه مطمئن بالايمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر هذا قول
مالك والكوفيين والشافعي غير محمد بن الحسن فانه قال اذا اظهر الشرك كان مرتدا في الظاهر
وفيما بينه وبين الله على الاسلام وتبين منه امراته ولا يصلى عليه ان مات ولا يرث اباه ان مات
مسلما وهذا قول يرده الكتاب والسنة قال الله تعالى الا من اكره الاية وقال الا ان تتقوا منهم
تقاه وقال الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض
الاية وقال الا المستضعفين من الرجال والنساء الآية فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون
من ترك ما امر الله به والمكره لا يكون الا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما امر الله به قاله البخاري
ذهبت طايفة من العلماء الى ان الرخصة انما جاءت في القول واما في الفعل فلا رخصة
فيه مثل ان يكرهوه على السجود لغير الله او الصلاة لغير القبلة او قتل مسلم او ضربه او اكل ماله
او الزنا او شرب الخمر او اكل الربا يروى هذا عن الحسن البصري وهو قول الاوزاعي والشافعي و
سحنون من علماينا وقال محمد بن الحسن اذا قيل للاسير اسجد لهذا الصنم والا قتلناك فقال ان
كان الصنم مقابل القبلة فليسجد ويكون نيته لله تعالى وان كان لغير القبلة فلا يسجد وان قتلوه
والصحيح عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة على
راحلته حيث كان وجهه قال وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية ويوتر عليها غير انه
لا يصلي عليها المكتوبة فاذا كان هذا مباحا في السفر في حالة الامن لتعب النزول عن الدابة
للتنفل فكيف بهذا واحتج من قصر الرخصة على القول بقول ابن مسعود ما من كلام يدرا عني
سوطين من ذي سلطان الا كنت متكلما به فقصر الرخصة على القول ولم يذكر الفعل وهذا لا حجة
لانه يحتمل ان جعل الكلام مثالا وهو يريد ان الفعل في حكمه وقالت طايفة الاكراه في الفعل و
القول سواء اذا استتر الايمان روي ذلك عن عمر بن الخطاب ومكحول وهو قول مالك وطايفة من اهل
العراق روى ابن القاسم عن مالك ان من اكره على شرب الخمر وترك الصلاة او الافطار في رمضان ان
الاثم عنه مرفوع اجمع العلماء على ان من اكره على قتل غيره انه لا يجوز له الاقدام على قتله
ولا انتهاك حرمته بجلد او غيره ويصبر على البلا الذي نزل به ولا يحل له ان يفدي نفسه بغيره ويسال
الله العافية في الدنيا والاخرة واختلف في الزنا فقال مطرف واصبغ وابن عبد الحكم وابن الماجشون
لا يفعل احد ذلك وان قتل لم يفعله فان فعله فهو اثم ويلزمه الحد وبه قال ابو ثور والحسن قال
ابن العربي الصحيح انه يجوز الاقدام على الزنا ولا حد عليه خلافا لمن الزمه ذلك لانه راى انها شهوة خلقية
لا يتصور الاكراه عليها وغفل عن السبب في باعث الشهوة وهو الالجاء الى ذلك وهو الذي اسقط حكمه
وانما يجب الحد على شهوة بعث عليها سبب اختياري فقاس الشيء على ضده فلم يحل بصواب من عنده و
قال ابن خويز منداذ في احكامه اختلف اصحابنا متى اكره الرجل على الزنا فقال بعضهم عليه الحد
لانه انما يفعل ذلك باختياره وقال بعضهم لا حد عليه قال ابن خويز منداذ وهو الصحيح وقال ابو حنيفة
ان اكرهه غير السلطان حد وان اكرهه السلطان فالقياس ان يحد ولكن استحسن ان لا يحد وخالفه
صاحباه فقالا لا حد عليه في الوجهين ولم يراعوا الانتشار وقالوا متى علم انه يتخلص من القتل بفعل الزنا

انه يسجد وان كان لغير القبلة وما احراه بالسجود حينئذ في الصحيح نخ صح

القتل

جاز ان تنتشر قال ابن المنذر لا حدّ عليه فلا فرق بين السلطان في ذلك وغيره اختلف العلما
في طلاق المكره وعتاقه فقال الشافعي واصحابه لا يلزمه شي وذكر ابن وهب عن عمر وعلي وابن عباس
انهم كانوا لا يرون طلاقه شيا وذكره ابن المنذر عن ابن الزبير وابن عمر وابن عباس وعطا وطاوس
والحسن وشريح والقاسم وسالم ومالك والاوزاعي واحمد واسحاق وابي ثور واجازت طايفة طلاقه
روي ذلك عن الشعبي والنخعي وابي قلابة والزهري وقتادة وهو قول الكوفيين قال ابو حنيفة
طلاق المكره يلزم لانه لم يعدم فيه اكثر من الرضى وليس وجوده بشرط في الطلاق كالهازل وهذا
هذا قياس باطل فان الهازل قاصد الى ايقاع الطلاق راض به والمكره غير راض ولا نية له في الطلاق
وقد قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات وفي البخاري وقال ابن عباس فيمن يكرهه اللصوص فيطلق
ليس بشي وبه قال ابن عمر وابن الزبير والشعبي والحسن قال الشعبي ان اكرهه اللصوص فليس
بطلاق وان اكرهه السلطان فهو طلاق وفسره ابن عيينة فقال ان اللص يقدم على قتله والسلطان
لا يقتله وامّا بيع المكره والمضغوط فله حالتان الاولى انه يبيع ماله في حق وجب عليه فذلك ماض
سايغ لا رجوع فيه عند الفقهاء لانه يلزمه اداء الحق الى ربه من غير المبيع فلما لم يفعل ذلك كان بيعه
اختيارا منه فيلزمه وامّا بيع المكره ظلما او قهرا فذلك بيع لا يجوز عليه وهو اولى بمتاعه باخذه بلا ثمن
ويتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم فان فات المتاع رجع بثمنه او قيمته بالاكثر من ذلك على الظالم اذا كان
المشتري غير عالم بظلمه قال مطرف ومن كان من المشترين يعلم حال المكره فانه ضامن لما ابتاع من رقيقه
وعروضه كالغاصب وكلما احدث المبتاع في ذلك من عتق او تدبير او تحبيس فلا يلزم المكره وله اخذ متاعه قال
سحنون اجمع اصحابنا واهل العراق على ان بيع المكره على الظلم والجور لا يجوز وقال الابهري انه اجماع
وامّا نكاح المكره فقال سحنون اجمع اصحابنا على ابطال نكاح المكره والمكرهة وقالوا لا يجوز المقام عليه لانه لم ينعقد
قال محمد بن سحنون قال اهل العراق نكاح المكره وقالوا لو اكره على ان ينكح امراة بعشرة الاف درهم وصداق
مثلها الف درهم ان النكاح جايز وتلزمه الالف ويبطل الفضل قال محمد فكما ابطلوا الزايد على الالف فكذلك
يلزمهم ابطال النكاح بالاكراه وقولهم خلاف السنة الثابتة في حديث خنساء بنت خذام الانصارية ولامره صلى
الله عليه وسلم بالاستيمار في ابضاعهن وقد تقدم فلا معنى لقولهم فان وطي المكره على النكاح غير مكره
على الوطي والرضا بالنكاح لزمه النكاح عندنا على المسمى من الصداق ودرى عنه الحد وان قال وطيتها على غير رضى
مني بالنكاح فعليه الحد والصداق المسمى لانه مدع لابطال الصداق المسمى وتحد المراة ان تقدمت وهي عالمة انه مكره
على النكاح وامّا المكرهة على النكاح وعلى الوطي فلا حد عليها ولها الصداق ويحد الواطي فاعلمه قال سحنون
اذا استكرهت المراة على الزنا فلا حد عليها لقوله الا من اكره وقوله عليه السلام ان الله
تجاوز عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ولقول الله تعالى فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
يريد الفتيات وبهذا المعنى حكم عمر رضي الله عنه في الوليدة التي استكرهها العبد فلم يحدها والعلما متفقون
على انه لا حد على امراة مستكرهة وقال مالك اذا وجدت المراة حاملا وليس لها زوج فقالت استكرهت
فلا يقبل ذلك منها وعليها الحد الا ان يكون لها بينة او جاءت تدمى على انها اوتيت او ما اشبه ذلك واحتج
بحديث عمر بن الخطاب انه قال الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا

قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول واختلفوا في وجوب
الصداق للمستكرهة فقال عطا والزهري لها صداق مثلها وهو قول مالك والشافعي واحمد واسحق
وابي ثور وقال الثوري اذا اقيم الحد على الذي زنا بها بطل الصداق وروي ذلك عن الشعبي وبه
قال اصحاب الراي قال ابن المنذر القول الاول صحيح اذا اكره الانسان على اسلام
اهله لما لا يحل اسلمها ولم يقتل دونها ولا احتمل اذية في تخليصها والاصل في ذلك ما خرجه البخاري
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ابرهيم عليه السلام بسارة ودخل
بها قرية فيها ملك من الملوك او جبار من الجبابرة فارسل اليه ان ارسل بها الي فارسل بها فقام اليها
فقامت تتوضا وتصلي وقالت اللهم ان كنت امنت بك وبرسولك فلا تسلط علي الكافر فغط حتى
ركض برجله ودل هذا الحديث ايضا على ان سارة لما لم يكن عليها ملامة فلذلك لا يكون على المستكرهة
ملامة ولا حد فيما هو اكبر من الخلوة والله اعلم واما يمين المكره فغير لازمة عند مالك
والشافعي وابي ثور واكثر العلماء قال ابن الماجشون وسواء احلفه فيما هو طاعة لله او فيما هو معصية
اذا اكره على اليمين قاله اصبغ وقال مطرف ان اكره على اليمين فيما هو لله معصية او ليس في فعله طاعة
ولا معصية فاليمين فيه ساقطة وان اكره على اليمين فيما هو طاعة مثل ان ياخذ الوالي رجلا فاسقا
فيكرهه ان يحلف بالطلاق لا يشرب خمرا او لا يفسق او لا يغش في عمله او الوالد يحلف ولده تاديبا له فان
اليمين تلزم وان كان المكره قد اخطا فيما يكلف من ذلك وقال به ابن حبيب وقال ابو حنيفة ومن
اتبعه من الكوفيين انه ان حلف ان لا يفعل ففعل حنث قالوا لان المكره له ان يوري في يمينه فلما لم يور
ولا ذهبت نيته الى خلاف ما اكره عليه فقد قصد الى اليمين احتج الاولون بان قالوا اذا اكره عليها
فنيته مخالفة لقوله لانه كاره لما حلف عليه قال ابن العربي ومن غريب الامر ان علماءنا
اختلفوا في الاكراه على الحنث هل يقع به ام لا وهذه مسلة عراقية سرت لنا منهم لا كانت هذه المسلة
ولا كانوا واي فرق يا معشر اصحابنا بين الاكراه على اليمين في انها لا تلزم وبين الحنث في انه لا يقع فاتقوا
الله وراجعوا بصايركم ولا يغتروا بهذه الرواية فانها وصمة في الدراية اذا اكره الرجل
على ان يحلف والا اخذ له مال كاصحاب المكس وظلمة السعاة واهل الاعتداء فقال مالك لا تقية في ذلك
وانما يدرا المرء بيمينه عن بدنه لا ماله وقال ابن الماجشون لا يحنث وان درا عن ماله ولم يخف على بدنه وقال ابن
القاسم بقول مطرف ورواه عن مالك وقاله ابن عبد الحكم واصبغ قال المولف رحمه الله قول ابن الماجشون
صحيح لان المدافعة عن المال كالمدافعة عن النفس وهو قول الحسن وقتادة وسياتي وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام وقال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله
وعرضه وروي ابو هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت
ان جاء رجل يريد اخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال ارايت ان قاتلني قال قاتله قال ارايت ان قتلني
قال فانت شهيد قال ارايت ان قتلته قال هو في النار خرجه مسلم وقد مضى الكلام فيه وقال مطرف
وابن الماجشون وان بدر الحالف بيمينه للوالي الظالم قبل ان يسلها ليدب بها عن ما خاف عليه من ماله
وبدنه فحلف له فانها تلزمه وقاله ابن عبد الحكم واصبغ وقال ايضا ابن الماجشون فيمن اخذه ظالم فحلف له

بالطلاق البتة من غير ان يحلفه وتركه وهو كاذب وانما حلف خوفا من ضربه وقتله واخذ ماله فانه كان انما
تبرع باليمين خوف ورجاء النجاة من ظلمه فقد دخل في الاكراه ولا شيء عليه وان لم يحلف على رجاء النجاة
من ظلمه فقد دخل في الاكراه ولا شيء عليه وان لم يحلف على رجاء النجاة فهو حانث السابعة عشر قال
المحققون من العلماء اذا تلفظ المكره بالكفر فلا يجوز له ان يجريه على لسانه الا مجرى المعاريض فان المعاريض
مندوحة عن الكذب ومتى لم يكن كذلك كان كافرا لان المعاريض لا سلطان للاكراه عليها مثاله ان يقال
له اكفر بالله فيقول باللاهي فيزيد الياء وكذلك اذا قيل له اكفر بالنبي فيقول هو كافر بالنبي مشددا
وهو المكان المرتفع من الارض ويطلق على ما يعمل من الخواص شبه المائدة فيقصد احدهما بقلبه و
يبرأ من الكفر وامنه فان قيل له اكفر بالنبي مهموزا فيقول هو كافر بالنبي يريد بالمخبر اي مخبر كان
كطليحة ومسيلمة الكذاب او يريد به النبي الذي قال فيه الشاعر نعم

فاصبح رتما دقاق الحصى مكان النبي من الكاثب

الثامنة عشر اجمع العلماء على ان من اكره على الكفر فاختار القتل انه اعظم اجرا عند الله ممن اختار الرخصة
واختلفوا فيمن اكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له فقال اصحاب مالك الاخذ بالشدة في ذلك واختيار
القتل والضرب افضل عند الله من الاخذ بالرخصة ذكره ابن حبيب وسحنون وذكر ابن سحنون
عن اهل العراق انه اذا تهدد بقتل او قطع او ضرب يخاف منه التلف فله ان يفعل ما اكره عليه من شرب
خمر او اكل خنزير فان لم يفعل حتى قتل خفنا ان يكون اثما لانه كالمضطر وروى خباب بن الارت شكونا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا
تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ويجاء بالمنشار فيوضع على
راسه فيجعل نصفين ويمشط في امشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن
هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون
فوصفه عليه السلام هذا عن الامم السالفة على جهة المدح لهم والصبر على المكروه في ذات الله وانهم لم
يكفروا في الظاهر ويبطنوا الايمان ليدفعوا العذاب عن انفسهم وهذه حجة من اثر القتل والضرب
والهوان على الرخصة والمقام بدار الجنان وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة الاخدود ان شاء الله
تعالى وذكر ابو بكر محمد بن عبد الله بن الفرج البغدادي قال حدثنا شريح ابن يونس عن اسمعيل بن ابرهيم عن يونس
ابن عبد الحميد عن الحسن ان عيونا لمسيلمة اخذوا رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فذهبوا بهما
الى مسيلمة فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم فخلى
سبيله وقال للاخر اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال وتشهد اني رسول الله قال انا اصم لا اسمع
قال تشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال وتشهد اني رسول الله قال انا اصم لا اسمع فقدمه وضرب
عنقه فجاء هذا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت قال وما اهلكك فذكر الحديث قال اما صاحبك
فاخذ بالثقة واما انت فاخذت بالرخصة انت على ما انت عليه الساعة قال اشهد انك رسول الله قال
انت على ما انت عليه الرخصة فيمن حلفه سلطان ظالم على نفسه او على ان يدله على رجل او مال رجل
فقال الحسن اذا خاف عليه وعلى ماله فليحلف ولا يكفر يمينه وهو قول قتادة اذا حلف على نفسه او مال

نفسه وقد تقدم ما للعلماء في هذا وذكر موسى بن معاوية ان ابا سعيد بن اشرس صاحب مالك استحلفه
السلطان بتونس على رجل اراد السلطان قتله انه ما اواه ولا يعلم له موضعا قال فحلف له ابن اشرس وهو
يومئذ قد علم موضعه واواه فحلفه بالطلاق ثلاثا فحلف له ابن اشرس ثم قال لامراته اعتزلي فاعتزلته
ثم ركب ابن اشرس حتى قدم على البهلول بن راشد القيرواني فاخبره بالخبر فقال له البهلول قال مالك
انك حانث فقال ابن اشرس وانا سمعت مالكا يقول ذلك وانما اردت الرخصة او كلام هذا معناه فقال له
البهلول بن راشد قال الحسن البصري انه لا حنث عليك قال فرجع ابن اشرس الى زوجته واخذ بقول
الحسن وذكر عبد الملك بن حبيب قال حدثني معبد عن المسيب بن شريك عن ابي شيبة قال سالت انس بن مالك
عن الرجل يوخذ بالرجل هل ترى ان يحلف ليقيه بيمينه فقال نعم ولان احلف سبعين يمينا واحنث
احب الي ان ادل على مسلم وقال ادريس بن يحيى كان الوليد بن عبد الملك يامر جواسيس يتجسسون الخلق
ياتونه بالاخبار قال فجلس رجل منهم في حلقة رجا بن حيوة فسمع بعضهم يقع في الوليد فرفع ذلك اليه فقال
يا رجا اذكر بالسوء في مجلسك ولم تغير فقال ما كان ذلك يا امير المومنين فقال له الوليد قل الله الذي
لا اله الا هو فقال الله الذي لا اله الا هو فامر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطا في ظهره فيقول رجا
سبعون سوطا في ظهرك خير لك من ان يقتل رجل مسلم التاسعة عشر واختلف العلماء في حد الاكراه فروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ليس الرجل آمن على نفسه اذا اخفته او اوثقته او ضربته وقال
ابن مسعود ما كلام يدرا عني سوطين الا كنت متكلما به وقال الحسن التقية جائزة للمومن الى يوم القيمة
الا ان الله تبارك وتعالى ليس يجعل في القتل تقية وقال النخعي القيد اكراه والسجن اكراه والوعيد اكراه
وهذا قول مالك الا انه قال والوعيد المخوف اكراه وان لم يقع اذا تحقق ظلم ذلك المتعدي وانفاذه لما
يتوعد به وليس عند مالك واصحابه في الضرب والسجن توقيت انما هو ما كان يولم من الضرب وما كان
من سجن يدخل منه الضيق على المكره واكراه السلطان وغيره عند مالك اكراه وتناقض الكوفيون
فلم يجعلوا السجن والقيد اكراها على شرب الخمر واكل الميتة لانه لا يخاف منهما التلف وجعلوهما اكراها
في اقراره لفلان عندي الف درهم قال ابن سحنون وفي اجماعهم على ان الالم والوجع الشديد اكراه ما يدل
على ان الاكراه يكون من غير تلف نفس وذهب مالك الى ان من اكره على يمين بوعيد او سجن او ضرب انه يحلف
ولا يحنث وهو قول الشافعي وابي ثور واكثر العلماء والله اعلم الموفية عشرين ومن هذا الباب
ما ثبت ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وروى الاعمش عن ابرهيم النخعي انه قال لا باس اذا بلغ الرجل
عنك شيء ان يقول والله ان الله يعلم ما قلت فيك من ذلك من شيء قال عبد الملك بن حبيب معناه ان
الله يعلم ان الذي قلت وهو في ظاهره انتفى من القول ولا حنث على من قال ذلك في يمينه ولا كذب عليه في
كلامه وقال النخعي كان لهم كلام من الغاز الايمان يدرؤن به عن انفسهم لا يرون ذلك من الكذب ولا
يخشون فيه الحنث قال عبد الملك وكانوا يسمون ذلك المعاريض من الكلام اذا كان ذلك في غير مكر ولا خديعة
في حق وقال الاعمش كان ابرهيم النخعي اذا اتاه احد يكره الخروج اليه جلس في مسجد بيته وقال لجاريته قولي
له هو والله في المسجد وروى مغيرة عن ابرهيم انه كان يجيز للرجل من البعث اذا عرضوا على اميرهم ان يقول
والله ما اهتدي الا ما يسدد لي غيري ولا اركب الا ما حملني غيري هذا ونحو هذا من الكلام قال عبد الملك

كان لنفي رحا فقعر سالما
الى تسعى الطلح سعوا

يعني بقوله غير الله تعالى هو سدده وهو يجيله فلم يكونوا يرون على الرجل في هذا حنثا في يمينه ولا كذبا
في كلامه وكانوا يكرهون ان يقال هذا في خديعه وظلم وجدانه حق فمن اخبرا وفعل اثم في خديعته ولم
يجب عليه كفارة في يمينه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا اى وسعة لقبول الكفر
ولا يقدر غضب احد على ذلك الا الله فهو يرد على القدرية وصدرا نصب على المفعول فعليهم غضب من الله ولهم
عذاب عظيم يعني جهنم ذلك اى ذلك الغضب بانهم استحبوا الحيوة الدنيا اى اختاروها على الاخرة وان الله
ان في موضع خفض عطفا على بانهم لا يهدي القوم الكافرين ثم وصفهم فقال اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
اى عن فهم المواعظ وسمعهم عن كلام الله وابصارهم عن النظر في الايات واولئك هم الغافلون
عن ما يراد بهم لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون تقدم قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا
من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم هذا كله في عمار والمعنى و
صبروا على الجهاد ذكره النحاس وقال قتادة نزلت في قوم خرجوا مهاجرين الى المدينة بعد ان فتنهم المشركون
وعذبوهم وقد تقدم ذكرهم في هذه السورة وقيل نزلت في ابن ابي سرح وكان قد ارتد ولحق بالمشركين
فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة فاستجار بعثمان فاجاره النبي صلى الله عليه وسلم ذكره
النسائي عن عكرمة عن ابن عباس قال في سورة النحل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان الى قوله لهم عذاب عظيم فنسخ واستثنى من ذلك فقال ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما
فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح الذي
كان على مصر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فازله الشيطان فلحق بالكفار فامر به ان يقتل
يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يوم تاتي
كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
اى ان الله غفور رحيم في ذلك او ذكرهم يوم تاتي كل نفس تجادل اى تخاصم وتحاج عن نفسها جاء في الخبر ان كل احد
يقول يوم القيمة نفسي نفسي من شدة هول يوم القيمة سوى محمد عليه السلام فانه يسأل في امته وفي حديث عمر انه
قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا هيجنا حدثنا نبهنا فقال كعب يا امير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت
يوم القيمة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات ولا يهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب
ولا نبي منتخب الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ان ابرهيم الخليل ليدلي له بالخلة فيقول رب انا خليلك ابرهيم
لا اسالك اليوم الا نفسي قال يا كعب اين تجد ذلك في كتاب الله قال قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال ابن عباس في هذه الاية ما تزال الخصومة بالناس يوم القيمة
حتى تخاصم الروح الجسد فيقول رب الروح منك انت خلقته لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي الروح
بها ولا عين ابصر بها ولا اذن اسمع بها ولا عقل اعقل به حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فضعف
عليه انواع العذاب ونجني فيقول الجسد رب انت خلقتني بيدك فكنت كالخشبة ليس لي يد ابطش بها ولا
قدم اسعى بها ولا بصر ابصر به ولا سمع اسمع به فجاء هذا كشعاع النور فيه نطق لساني وبه ابصرت عيني
وبه مشت رجلي وبه سمعت اذني فضعف عليه انواع العذاب ونجني منه قال فيضرب الله لهما مثلا اعمى
ومقعدا دخلا بستانا فيه ثمار والاعمى لا يبصر الثمرة والمقعد لا ينالها فنادى المقعد الاعمى ائتني فاحملني

اكل واطعمك فدنا منه فحمله فاصابوا من الثمرة فعلى من يكون العذاب قالا عليهما قال عليكما جميعا العذاب ذكره
الثعلبي قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون هذا متصل بذكر المشركين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى على مشركي قريش وقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فابتلوا بالقحط حتى اكلوا العظام ووجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
طعاما ففرق فيهم كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها من كل مكان من البر والبحر نظيره يجبى اليه ثمرات
كل شيء الآية فكفرت بانعم الله الانعم جمع النعمة كالاشد جمع الشدة وقيل جمع نعمى مثل بؤسى وابؤس
وهذا الكفران تكذيب محمد عليه السلام فاذاقها الله اى اذاق اهلها لباس الجوع والخوف سماه لباسا
لانه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس بما كانوا يصنعون اى من الكفر و
المعاصي وقراء حفص بن غياث ونصر بن عاصم وابن ابي اسحاق والحسن وابو عمرو فيما روى عنه عبد
الوارث وعبيد وعباس والخوف نصبا بايقاع اذاقها عليه عطفا على لباس اى اذاقها الله لباس الجوع
واذاقها الله الخوف وهو بعث النبي صلى الله عليه وسلم سراياه التي كانت تطيف بهم واصل الذوق بالفم
ثم تستعار فيوضع موضع الابتلاء وضرب مكة مثلا لغيرها من البلاد اي انها مع جوار بيت الله وعمارة
مسجده لما كفر اهلها اصابهم القحط فكيف بغيرها من القرى وقد قيل انها المدينة امنت برسول الله ثم
كفرت بانعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتن وهذا
قول عايشة وحفصة رضي الله عنهما زوجي النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه مثل مضروب باي قرية كانت
على هذه الصفة من ساير القرى قوله تعالى ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب
وهم ظالمون هذا يدل على انها مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة فاخذهم العذاب وهو الجوع
الذي وقع بمكة وقيل الشدايد والجوع منها قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا
نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون اى كلوا يا معشر المسلمين من الغنايم وقيل الخطاب للمشركين لان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بطعام رقة عليهم وذلك انهم لما ابتلوا بالجوع سبع سنين وقطع العرب عنهم
الميرة بامر النبي صلى الله عليه وسلم اكلوا الطعام المحرقة والجيفة والكلاب الميتة والجلود والعلهز
وهو الوبر يعالج بالدم ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا هذا عذاب
الرجال فما بال الصبيان والنساء وقال له ابو سفيان يا محمد انك جئت تامر بصلة الرحم والعفو وان قومك
قد هلكوا فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد
مشركون قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فان الله غفور رحيم تقدم في البقرة القول فيها مستوفى قوله تعالى ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا
يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى لما تصف ما هنا مصدرية اي
لوصف وقيل اللام لام سبب واجل اى لا تقولوا لاجل وصفكم الكذب بنزع الخافض اي لما تصف السنتكم من
الكذب وقرئ الكذب بضم الكاف والذال والباء نعتا للالسنة وقد تقدم وقراء الحسن هنا خاصة الكذب

بفتح الكاف وخفض الدال والباء نعتا لما والتقدير ولا تقولوا لوصف السنتكم الكذب وقيل على البدل من ما اى و
لا تقولوا للكذب الذى تصف السنتكم هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب الاية خطاب للكفار الذين
حرموا البحاير والسوايب فاحلوا ما في بطون الانعام وان كان ميتة فقوله هذا حلال اشارة الى ميتة بطون
الانعام وكل ما احلوه وقوله هذا حرام اشارة الى البحاير والسوايب وكل ما حرموه ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل اى ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عن قريب وقال الزجاج اى متاعهم
متاع قليل وقيل لهم متاع قليل ثم يردون الى عذاب اليم المسالة الثانية اسند الدارمي ابو محمد في مسنده
اخبرنا هرون عن حفص عن الاعمش قال ما سمعت ابرهيم قط يقول حلال ولا حرام ولكن كان يقول كانوا
يكرهون وكانوا يستحبون وقال ابن وهب قال مالك لم يكن من فتيا الناس ان يقولوا هذا حلال وهذا
حرام ولكن يقولوا اياكم كذا وكذا ولم اكن لاصنع هذا ومعنى هذا ان التحليل والتحريم انما هو لله تعالى عز وجل
وليس لاحد ان يقول او يصرح بهذا في عين من الاعيان الا ان يكون البارى يخبر بذلك وما يؤدى اليه الاجتهاد
في انه حرام يقول اني اكره وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من اهل الفتوى فان قيل فقد قال
فيمن قال لزوجته انت علي حرام انها حرام ويكون ثلاثا فالجواب ان مالكا لما سمع علي بن ابي طالب يقول انها حرام
اقتدى به وقد يقوى الدليل على التحريم عند المجتهد فلا باس عند ذلك ان يقول ذلك كما يقول ان الربا حرام
لا يصلح في الاموال الربوية وفيما خالف المصالح وخرج عن طريق المقاصد لقوة الادلة في ذلك قوله تعالى
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
بين ان الانعام والحرث حلال لهذه الامة فاما اليهود فحرمت عليهم منها اشياء حرمنا ما قصصنا عليك
من قبل اى في سورة الانعام وما ظلمناهم اى بتحريم ما حرمنا عليهم ولكن ظلموا انفسهم فحرمنا عليهم تلك الاشياء
عقوبة لهم كما تقدم في النساء قوله تعالى ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ثم ان ربك للذين عملوا السوء اى الشرك قاله ابن عباس وقد تقدم
في النساء قوله تعالى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ
اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ دعى
عليه السلام مشركي العرب الى ملة ابرهيم اذ كان اباهم وباني البيت الذى به عزهم والامة الرجل
الجامع للخير وقد تقدم محامله وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال بلغني ان عبد الله بن مسعود
قال يرحم الله معاذا كان امة قانتا فقيل له يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله عز وجل بهذا ابرهيم فقال ابن
مسعود ان الامة الذى يعلم الناس الخير وان القانت هو المطيع وقد تقدم القنوت في البقرة وحنيفا
في الانعام وقوله شاكرا لانعمه الانعم جمع نعمة وقد تقدم اجتباه اى اختاره وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه
في الدنيا حسنة قيل الولد الطيب وقيل الثناء الحسن وقيل النبوة وقيل الصلاة مقرونة بالصلاة على
محمد في التشهد وقيل انه ليس اهل دين الا وهم يتولونه وقيل بقاء ضيافته وزيارة قبره وكل ذلك
اعطاه الله وزاده صلى الله عليه وسلم وانه في الآخرة لمن الصالحين من بمعنى مع اى مع الصالحين لانه
كان في الدنيا ايضا مع الصالحين وقد تقدم هذا في البقرة قوله تعالى ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قال ابن عمر امر باتباعه في مناسك الحج كما علم ابرهيم جبرئيل

وفي غير الا عا زنا السنة وكلي بالطلاق بالزوج الثلاث ح م

عليه السلام وقال الطبري امر باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بالاسلام وقيل امر باتباعه
في جميع ملته الا ما امر بتركه قال بعض اصحاب الشافعي على ما حكاه الماوردي والصحيح الاتباع في عقايد
الشرع دون الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا مسالة في هذه الاية دليل على جواز اتباع
الافضل للمفضول لما تقدم الى الصواب والعمل به ولا درك على الفاضل في ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم
افضل الانبياء عليهم السلام وقد امر بالاقتداء بهم فقال فبهداهم اقتده وقال هنا ثم اوحينا اليك ان
اتبع ملة ابرهيم حنيفا قوله تعالى إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اي لم يكن في شرع ابرهيم ولا من دينه بل كان
سمحا لا تغليظ فيه وكان السبت تغليظا على اليهود في رفض الاعمال وترك التبسط في المعاش بسبب
اختلافهم فيه ثم جاء عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقال تفرغوا للعبادة في كل سبعة ايام يوما واحدا
فقالوا لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاختاروا الاحد وقد اختلف العلماء في كيفية ما وقع لهم من
الاختلاف فقالت طايفة ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة وعينه لهم واخبرهم بفضيلته
على غيره فناظروه ان السبت افضل فقال الله له دعهم وما اختاروا لانفسهم وقيل ان الله تعالى
لم يعينه لهم وانما امرهم بتعظيم يوم في الجمعة فاختلف اجتهادهم في تعيينه فعينت اليهود السبت
لان الله تعالى فرغ فيه من الخلق وعينت النصارى الاحد لان الله تعالى بدا فيه الخلق فالزمهم
كل منهم ما اداه اليه اجتهاده وعين الله لهذه الامة يوم الجمعة من غير ان يكلهم الى اجتهادهم فضلا منه
ونعمة فكانت خير الامم امة روى الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون
الاولون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه هدانا الله قال يوم
الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى فقوله فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه تقوى قول من
قال انه لم يعين لهم فانه لو عين لهم وعاندوا لما قيل اختلفوا وانما كان يقال فخالفوا فيه وعاندوا ومما يقويه ايضا قوله عليه السلام اضل الله عن الجمعة من كان
قبلنا وهذا نص في المعنى وقد جاء في بعض طرقه فهذا يومهم الذى فرض الله عليهم اختلفوا فيه وهو حجة
للقول الاول وقد روي ان الله كتب الجمعة على من قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع
قوله على الذين اختلفوا فيه يريد في يوم الجمعة كما بيناه اختلفوا على نبيهم موسى وعيسى ووجه الاتصال
بما قبله ان النبي صلى الله عليه وسلم امر باتباع الحق وحذر الله الامة من الاختلاف عليه فيشدد عليهم
كما شدد على اليهود قوله تعالى ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فيه مسالة واحدة هذه الاية
نزلت بمكة في وقت الامر بمهادنة قريش وامره ان يدعوا الى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون
مخاشنة وتعنيف وهكذا ينبغي ان يوعظ المسلمون الى يوم القيامة فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين
ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين وقد قيل ان من امكنت معه هذه الاحوال من الكفار ورجي ايمانه
بها دون قتال فهي فيه محكمة والله اعلم قوله تعالى وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ فيه اربع مسايل الاولى اطبق جمهور اهل التفسير ان هذه الاية

في صح

صح
صح

مدنية نزلت في شان التمثيل بحمزة يوم احد ووقع ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير وذهب النحاس
الي انها مكية والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالا حسنا لانها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ
الى الذي يجادل الى الذي يجازى على فعله ولكن ماروي الجمهور اثبت روى الدارقطني عن ابن عباس
قال لما انصرف المشركون عن قتلى احد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى منظرا ساءه
راى حمزة قد شق بطنه واصطلم انفه وجدعت اذناه فقال لولا ان يحزن النسا او يكون سنة بعدي
لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير لامثلن مكانه بسبعين رجلا ثم دعا ببردة وغطى
بها وجهه فخرجت رجلاه فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وجعل على رجليه شيا من الاذخر
ثم قدمه فكبر عليه عشرا ثم جعل يجأ بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة وكان
القتلى سبعين فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
الى قوله واصبروا ما صبرك الا بالله فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمثل باحد خرجه اسمعيل بن
اسحاق من حديث ابي هريرة وحديث ابن عباس اكمل وحكى الطبري عن فرقة انها قالت انما نزلت
هذه الآية فيمن اصيب بظلامة ان لاينال من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلامته لايتعداه الى غيره وحكاه
الماوردي عن ابن سيرين ومجاهد الثانية واختلف اهل العلم فيمن ظلمه رجل في اخذ مال ثم ايتمن الظالم
المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه فقالت فرقة يجوز ذلك منهم ابن سيرين وابرهيم
النخعي وسفيان ومجاهد واحتجت بهذه الآية وعموم لفظها وقال مالك وفرقة معه لايجوز ذلك واحتجوا
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّ الامانة الى من ايتمنك ولاتخن من خانك رواه الدارقطني وقد
تقدم هذا في البقرة مستوفى ووقع في مسند ابن اسحق ان هذا الحديث انما ورد في رجل زنا بامرأة آخر
ثم تمكن الآخر من زوجة الثاني بان تركها عنده وسافر فاستشار ذلك الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الامر فقال له ادّ الامانة الى من ايتمنك ولاتخن من خانك وعلى هذا يتقوى قول مالك في امر المال لان
الخيانة لاحقة في ذلك وهي رذيلة لا انفكاك عنها فينبغي ان يتجنبها لنفسه فان تمكن من الانتصاف من
مال لم يأتمنه عليه فيشبه ان ذلك جايز وكان الله حكم له كما لو تمكن الاخذ بالحكم من الحاكم وقد قيل ان هذه
الآية منسوخة نسختها واصبر وما صبرك الا بالله الثالثة في هذه الآية دليل على جواز التماثل
في القصاص فمن قتل بحديدة قتل بها ومن قتل بحجر قتل به ولايتعدى قدر الواجب وقد تقدم هذا المعنى
في البقرة مستوفى والحمد لله الرابعة سمى الله تعالى الادايات في هذه الآية عقوبة والعقوبة حقيقته
انما هي الثانية وانما فعل ذلك ليستوي اللفظان ويتناسب دباجة القول وهذا بعكس قوله ومكروا
ومكر الله وقوله الله يستهزئ بهم فان الثاني هنا هو المجاز والاول هو الحقيقة قاله ابن عطية قوله تعالى
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فيه مسئلة واحدة قال ابن زيد هي منسوخة بالقتال وجمهور الناس على انها
محكمة اي اصبر بالعفو عن المعاقبة بمثل ماعاقبوا من المثلة ولاتحزن عليهم اي على قتلى احد فانهم صاروا
الى رحمة الله ولاتك في ضيق صيق جمع ضيقة قال الشاعر كشف الضيقة عنا وفسح وقراءة
الجمهور بفتح الضاد وقرأ ابن كثير بكسرها وروية عن نافع وهو غلط ممن رواه قال بعض اللغويين الكسر

والفتح في الضاد لغتان في المصدر قال الاخفش الضَيق والضِيق مصدر ضاق يضيق والمعنى لايضيق
صدرك من كفرهم وقال الفراء الضَيق ماضاق عنه صدرك والضيق مايكون في الذي يتسع ويضيق
مثل الدار والثوب وقال ابن السكيت هما سواء يقال في صدره ضِيق وضَيق قال القتبي ضيق
مخفف ضيّق اي لاتكن في امر ضيق فخفف مثل هيّن وهين وقال ابن عرفة يقال ضاق الرجل اذا
بخل واضاق اذا افتقر وقوله مع الذين اتقوا اي الفواحش والكباير بالنصر والمعونة والفضل
والبر والتأييد وتقدم معنى الاحسان وقيل لهرم بن حيان عند موته اوصنا قال
اوصيكم بآيات الله وآخر سورة النحل ادع الى سبيل ربك بالحكمة الى آخرها

تفسير سورة الاسرا

وهي مكية الا ثلاث ايات منها قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك نزلت حين جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف وحين قالت اليهود ليست هذه بارض الانبياء وقوله عز وجل وقل
رب ادخلني مدخل صدق وقوله عز وجل ان ربك احاط بالناس الآية وقال مقاتل وقوله
عز وجل ان الذين اوتوا العلم من قبله الآية وقال ابن مسعود في بني اسرائيل والكهف انهن من العتاق
الاول وهن من تلادي يريد من قديم كسبه بسم الله الرحمن الرحيم
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ
لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فيه ثمان مسايل الاولى قوله سبحان سبحان اسم
موضوع موضع المصدر وهو غير متمكن لانه لايجرى بوجوه الاعراب ولاتدخل عليه الالف واللام ولم يجر منه
فعل ولم ينصرف لان في آخره زايدتين تقول سبحت تسبيحا وسبحانا مثل كفرت اليمين كفيرا وكفرانا و
معناه التنزيه والبراءة لله من كل نقص فهو ذكر عظيم لله تعالى لايصلح لغيره فاما قول الشاعر
اقول لما جاءني فخره ◦ سبحان من علقمة الفاخر
فانما ذكره على طريق النادر وقد روى طلحة بن عبيد الله الفياض احد العشرة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ما معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه لا
من لفظه اذ لم يجر من لفظه فعل وذلك مثل قعد القرفصا واشتمل الصما فالتقدير عنده انزه الله تنزيها
فوقع سبحان الله موقع قولك تنزيها الثانية قوله تعالى اسرى اسرى فيه لغتان سرى واسرى كسقى واسقى
كما تقدم قال اسرت عليه من الجوزا سارية ◦ تزجي الشمال عليه جامد البرد
وقال آخر حي النضير وربة الخدر ◦ اسرت الي ولم تكن تسري
فجمع بين اللغتين في البيتين والاسرا سير الليل يقال سريت مسرى وسرى واسريت اسرا قال الشاعر
وليلة ذات ندى سريت ◦ ولم يلتني من سراها ليت
وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من آخره والاول اعرف الثالثة قوله تعالى بعبده قال
قال العلماء لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية وفي معناه انشدوا
ياقوم قلبي عند زهراء يعرفه السامع والرائي ◦ لاتدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي ◦ وقد

قلع صه

اول صه

بلغ

تقدم قال القشيري لما رفعه الله الى حضرته السنية وارقاه فوق الكواكب العلوية الزمه اسم العبودية
تواضعًا للامة ... ثبت الاسرا في جميع مصنفات الحديث وروي عن الصحابة في كل اقطار الاسلام
فهو من المتواتر بهذا الوجه وذكر النقاش ممن رواه عشرين صاحبا روى الصحيح عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره
عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء قال
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت
اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السماء وذكر الحديث ومما ليس في الصحيحين ما خرجه
الاجري والسمرقندي قال الاجري عن ابي سعيد الخدري في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قال ابو سعيد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ليلة اسرى به قال النبي صلى الله عليه وسلم اتيت بدابة هي اشبه الدواب بالبغل له
اذنان تخطرفان وهو البراق الذي كان الانبياء يركبه قبل فركبته فانطلق يقع يداه عند منتهى
بصره فسمعت نداء عن يميني يا محمد على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج عليه ثم سمعت نداء عن يساري
يا محمد على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج عليه ثم استقبلتني امراة عليها من كل زينة الدنيا رافعة
يديها تقول على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج ثم اتيت بيت المقدس الاقصى فنزلت عن الدابة
فاوثقته في الحلقة التي كانت الانبياء توثق بها ثم دخلت المسجد فصليت فيه فقال لي جبريل عليه السلام
ما سمعت يا محمد فقلت سمعت نداء عن يميني يا محمد على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم اعرج فقال ذلك
داعي اليهود لو وقفت لتهودت امتك قال ثم سمعت نداء عن يساري على رسلك حتى اسالك فمضيت ولم
اعرج عليه فقال ذلك داعي النصارى اما انك لو وقفت لتنصرت امتك قلت ثم استقبلتني امراة عليها
من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول على رسلك فمضيت ولم اعرج عليها فقال تلك الدنيا لو وقفت لاخترت
الدنيا على الاخرة قال ثم اتيت باناءين احدهما فيه لبن والاخر فيه خمر فقيل لي خذ فاشرب ايهما شئت
فاخذت اللبن فشربته فقال لي جبريل اصبت الفطرة ولو انك اخذت الخمر غوت امتك ثم جاءه
بالمعراج الذي يعرج فيه ارواح بني آدم فاذا احسن ما رايت الم تروا الى الميت كيف يحد بصره اليه
فعرج بنا حتى انتهينا باب السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك
قال محمد قال وقد ارسل اليه قال نعم ففتحوا لي وسلموا علي واذا ملك يحرس السماء يقال له اسمعيل معه
سبعون الف ملك مع كل ملك مائة الف قال وما يعلم جنود ربك الا هو وذكر الحديث الى ان قال
ثم مضينا الى السماء الخامسة فاذا انا بهرون بن عمران المحب في قومه وحوله تبع كثير من قومه فوصفه
النبي صلى الله عليه وسلم وقال طويل اللحية تكاد لحيته تضرب في سرته ثم مضيت الى السماء السادسة
فاذا انا بموسى فسلم علي ورحب بي فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل كثير الشعر لو كان
عليه قميصان خرج شعره منهما الحديث وروي البزار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بفرس
فحمل عليه كل خطوة منه اقصى بصره وذكر الحديث وقد جاء في صفة البراق من حديث ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحجر اذ اتاني آت فحركني برجله فاتبعت الشخص

فاذا هو جبريل عليه السلام قائم على باب المسجد معه دابة دون البغل وفوق الحمار وجهها وجه انسان
وخفها خف حافر وذنبها ذنب ثور وعرفها عرف الفرس فلما ادناها مني جبريل عليه السلام نفرت
ونفشت عرفها فمسحها جبريل عليه السلام وقال يا برقة لا تنفري من محمد فوالله ما ركبك
ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولا اكرم على الله منه قالت قد علمت انه
كذلك وانه صاحب الشفاعة واني احب ان اكون في شفاعته فقلت انت في شفاعتي ان شاء الله الحديث
وذكر ابو سعيد عبد الملك بن محمد ~~فقلت انت في شفاعتي~~ النيسابوري عن ابي سعيد الخدري قال
لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بادريس في السماء الرابعة قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
الذي وعدنا ان نراه فلم نره الا الليلة قال فاذا فيها مريم بنت عمران لها سبعون قصرا من لؤلؤ
ولام موسى بن عمران سبعون قصرا من مرجانة حمراء مكللة باللؤلؤ ابوابها واسرتها من عرق واحد
فلما عرج المعراج الى السماء الخامسة وتسبيح اهلها سبحان من جمع بين الثلج والنار من قالها مرة
واحدة كان له مثل ثوابهم فاستفتح الباب جبريل ففتح له فاذا هو بكهل لم ير كهل قط اجمل منه عظيم
العينين يضرب لحيته قريبا من سرته قد كاد ان يكون شمطه واذا حوله قوم جلوس يقص عليهم فقلت
يا جبريل من هذا قال هرون المحبب في قومه وذكر الحديث فهذه نبذة مختصرة من احاديث الاسرا
خارجة عن الصحيحين ذكرها ابو الربيع سليمان ابن سبع بكمالها في كتاب شفاء الصدور وله ولا خلاف
بين اهل العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة انما فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في حين
الاسرا حين عرج به الى السماء واختلفوا في تاريخ الاسرا وهيئة الصلاة وهل كان الاسرا بروحه
او جسده فهذه ثلاث مسايل يتعلق بالاية وهي مما ينبغي الوقوف عليها والبحث عنها وانا اذكر ما وقف
عليه فيه من اقاويل العلما واختلاف الفقهاء بعون الله ... وهو هل كان الاسرا
بروحه او بجسده اختلف في ذلك السلف والخلف فذهبت طايفة الى انه اسرا بالروح ولم يفارق
شخصه مضجعه وانها كانت رويا راي فيها الحقايق ورويا الانبيا حق وذهب الى هذا معاوية وعايشة
وحكي عن الحسن وابن اسحق وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح
واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى
غاية الاسرا قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فانه كان يكون ابلغ في المدح
وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه كان اسرا بالجسد وفي اليقظة وانه ركب البراق بمكة ووصل
الى بيت المقدس وصلى فيه ثم اسري بجسده وعلى هذا تدل الاخبار التي اشرنا اليها والاية وليس في
الاسرا بجسده وحال يقظته استحالة فلا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة و
لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى يدل على ذلك ولو كان مناما
لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما قالت له ام هانئ لا تحدث الناس فيكذبونك ولا فضل ابو بكر بالتصديق
ولا امكن قريش التشنيع والتكذيب وقد كذبه قريش فيما اخبر به حتى ارتد اقوام كانوا آمنوا فلو كان
بالرويا لم يستنكر وقد قال له المشركون ان كنت صادقا فخبرنا عن عيرنا اين لقيتها قال بمكان كذا وكذا
مررت عليها ففزع فلان فقيل له ما رايت يا فلان قال ما رايت شيئا غير ان الابل قد نفرت قالوا

فاذا

فاخبرنا متى تاتينا العير قال تاتيكم يوم كذا قال اية ساعة قال ما ادري طلوع الشمس من ههنا اسرع ام طلوع العير
من ههنا فقال رجل ذلك اليوم هذه الشمس قد طلعت وقال رجل هذه عيركم قد طلعت واستخبروا النبي
صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس فوصف لهم ولم يكن رآه قبل ذلك وروي ذلك في الصحيح عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسالتني
عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما سالوني
عن شيء الا انباتهم به الحديث وقد اعترض قول عايشة ومعاوية انما اسري بنفس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بانها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم واما معاوية فكان كافرا في ذلك
الوقت غير مشاهد للحال ولم يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن اراد الزيادة على ما ذكرنا فليقف
على كتاب الشفا للقاضي عياض يجد من ذلك الشفا وقد احتج لقول عايشة بقوله تعالى وما جعلنا الرويا
التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رويا وهذا يرده قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده لانه لا يقال
في النوم اسرى وايضا فقد يقال لرويه العين رويا على ما ياتي بيانه في هذه السورة وفي نصوص الاخبار
الثابتة دلالة واضحة على ان الاسرا كان بالبدن واذا ورد الخبر بشيء هو مجوز في العقل في قدرة الله تعالى
فلا طريق الى الانكار لا سيما في زمن خرق العوايد وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم معارج فلا يبعد
ان يكون البعض بالرويا وعليه يحمل قوله عليه السلام في الصحيح بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان
الحديث ويحتمل ان يرد من الاسرا الى نوم والله اعلم   في تاريخ الاسرا وقد اختلف
العلما في ذلك ايضا واختلف في ذلك على ابن شهاب فروى عنه موسى بن عقبة انه اسري به الى بيت المقدس
قبل خروجه الى المدينة بسنة وروي عنه يونس عن عروة عن عايشة قال توفيت خديجة قبل ان
تفرض الصلاة قال ابن شهاب وذلك بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة اعوام وروي عنه
الوقاصي قال اسري به بعد مبعثه بخمس سنين قال ابن شهاب وفرض الصيام بالمدينة قبل بدر وفرضت
الزكوة والحج بالمدينة وحرمت الخمر بعد احد وقال ابن اسحاق اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
وهو بيت المقدس وقد فشى الاسلام بمكة وفي القبايل وروي عنه يونس بن بكير قال صلت خديجة
مع النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي قال ابو عمر هذا يدلك على ان الاسرا كان قبل الهجرة باعوام
لان خديجة توفيت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بثلاث وقيل باربع وقول ابن اسحق مخالف لقول ابن
شهاب على ان ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدم وقال الحربي اسري به ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر
قبل الهجرة بسنة وقال ابو بكر محمد بن علي بن القاسم الذهبي في تاريخه اسري به من مكة الى بيت المقدس
وعرج به الى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا قال ابو عمر لا اعلم احدا من اهل السير قال ما حكاه الذهبي
ولم يسند قوله الى احد ممن يضاف اليه هذا العلم منهم ولا رفعه الى من يحتج به عليهم
واما فرض الصلاة وهيئتها حين فرضت فلا خلاف بين اهل العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة انما
فرضت بمكة ليلة الاسرا حين عرج به الى السماء وذلك منصوص في الصحيح وغيره وانما اختلفوا في هيئتها
حين فرضت فروي عن عايشة انها فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر فاكملت اربعا واقرت
صلاة السفر على ركعتين وبذلك قال الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن اسحاق قال الشعبي الا المغرب قال

يونس بن بكير وقال ابن اسحق ثم ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم حين فرضت عليه الصلاة يعني
في الاسرا فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء مزن فتوضا جبريل ومحمد ينظر فوضا
وجهه واستنشق ومضمض ومسح براسه واذنيه ورجليه الى الكعبين ونضح فرجه ثم قام يصلي ركعتين
باربع سجدات فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اقر الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحب
من امر الله تعالى فاخذ بيد خديجة ثم اتى بها العين فتوضا كما توضا جبريل ثم ركع ركعتين
واربع سجدات هو وخديجة ثم كان هو وخديجة يصليان سواء وروي عن ابن عباس انها
فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وكذلك قال نافع بن جبير والحسن بن ابي الحسن البصري
وهو قول ابن جريج وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ذلك ولم يختلفوا في ان جبريل
عليه السلام هبط صبيحة ليلة الاسرا عند الزوال فعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها
وروي سالم بن بكير عن سالم مولى ابي المهاجر قال سمعت ميمون بن مهران يقول كان اول الصلاة
مثنى ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعا فصارت سنة واقرت الصلاة للمسافر وهي تمام
قال ابو عمر وهذا اسناد لا يحتج بمثله وقوله فصارت سنة قول منكر وكذلك استثنى الشعبي المغرب
وحدها ولم يذكر الصبح قول لا معنى له وقد اجمع المسلمون ان فرض الصلاة في الحضر اربع الا
المغرب والصبح ولا يعرفون غير ذلك عملا ونقلا مستفيضا ولا يضرهم الاختلاف فيما كان
اصل فرضها   قد مضى الكلام في الاذان في المايدة والحمد لله ومضى في ال عمران ان اول
مسجد وضع في الارض المسجد الحرام ثم المسجد الاقصى وان بينهما اربعون عاما من حديث ابي ذر
وبنا سليمان عليه السلام المسجد الاقصى ودعاوه له من حديث عبد الله بن عمرو ووجه الجمع
في ذلك فتامله هناك فلا معنى للاعادة ونذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا
الى ثلثة مساجد الى المسجد الحرام والى مسجدي هذا والى مسجد ايليا او بيت المقدس خرجه مالك
من حديث ابي هريرة وفيه ما يدل على فضل هذه المساجد الثلثة على ساير المساجد ولهذا قال العلما
من نذر صلاة في مسجد لا يصل اليه الا برحلة وراحلة فلا يفعل ويصلي في مسجده الا في الثلثة المساجد
المذكورة فانه من نذر صلاة فيها خرج اليها وقد قال مالك وجماعة من اهل العلم فيمن نذر رباطا
في ثغر يسده فانه يلزمه الوفا حيث كان الرباط لانه طاعة لله عز وجل وقد زاد ابو البختري في هذا
الحديث مسجد الجند ولا يصح وهو موضوع وقد تقدم في مقدمة الكتاب   قوله تعالى الى
المسجد الاقصى سمي الاقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان ابعد مسجد عن اهل مكة في الارض
يعظم بالزيارة ثم قال الذي باركنا حوله قيل بالثمار وبمجاري الانهار وقيل بمن دفن حوله من الانبياء
والصالحين وبهذا جعله مقدسا وروي معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول
الله تعالى يا شام انت صفوتي من بلادي وانا سايق اليك صفوتي من عبادي لنريه من اياتنا
هذا من باب تلوين الخطاب والايات التي اراه الله من العجايب التي اخبر بها الناس واسراوه من
مكة الى المسجد الاقصى في ليلة وهو مسيرة شهر وعروجه الى السماء ووصفه الانبياء واحدا واحدا
حسب ما ثبت في صحيح مسلم وغيره انه هو السميع البصير تقدم   قوله تعالى   واتينا موسى الكتاب

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا اى كرمنا محمدا صلى الله عليه وسلم
بالمعراج واكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراة وجعلناه اى ذلك الكتاب وقيل موسى وقيل معنى الكلام
سبحان الذي اسرا بعبده ليلا وآتى موسى الكتاب فخرج من الغيبة الى الاخبار عن نفسه جل وعز
وقيل ان معنى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا معناه اسرينا يدل عليه مابعده لنريه من اياتنا فحمل
واتينا موسى الكتاب على المعنى الا تتخذوا قرا ابو عمرو يتخذوا بالياء والباقون بالتاء فيكون من باب
تلوين الخطاب وكيلا اى شريكا عن مجاهد وقيل كفيلا بامورهم حكاه الفرا وقيل ربا يتوكلون عليه
في امورهم قاله الكلبي وقال الفرا كافيا والتقدير عهدنا اليه في الكتاب ان لا تتخذوا من دوني وكيلا وقيل
التقدير لئلا تتخذوا والوكيل من يوكل اليه الامر ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا اى يا ذرية من حملنا على النداء قاله مجاهد رواه عنه ابن ابي نجيح والمراد بالذرية كل من احتج
عليه بالقرآن وهم جميع من على الارض ذكره المهدوي وقال الماوردي يعني موسى وقومه من بني
اسرائيل والمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح لا تشركوا وذكر نوحا ليذكرهم نعمة الانجا من الغرق على
ابائهم وروى سفيان عن حميد عن مجاهد انه قرا ذَرية بفتح الدال وتشديد الراء والياء وذكر هذه
القراة عامر بن عبد الواحد عن زيد بن ثابت وروي عن زيد بن ثابت ذِرية بكسر الدال وتشديد الرا
والياء ثم بين ان نوحا كان عبدا شكورا يشكر الله على نعمه ولا يرى الخير الا من عنده قال قتادة كان
اذا لبس ثوبا قال بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله كذا روى عنه معمر عن منصور عن ابرهيم قال شكره
اذا اكل قال بسم الله فاذا فرغ من الاكل قال الحمد لله وقال سلمان الفارسي لانه كان يحمد الله على طعامه
وقال عمران ابن سليم انما سمي نوحا عبدا شكورا لانه كان اذا اكل قال الحمد لله الذى اطعمني ولو شاء لاجاعني
واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لاظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء
لاعراني واذا احتذى قال الحمد لله حذاني ولو شاء لاحفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج
عني الاذى ولو شاء لحبسه في ومقصود الآية انكم من ذرية نوح وقد كان عبدا شكورا فانتم احق بالاقتداء
به دون اباكم الجهال وقيل المعنى ان موسى كان عبدا شكورا اذ جعله الله تعالى من ذرية نوح وقيل
يجوز ان يكون ذرية مفعولا ثانيا لتتخذوا ويكون قوله وكيلا يراد به الجمع فيسوغ ذلك في القراءتين
جميعا اعني الياء والتاء في تتخذوا ويجوز ايضا في القراءتين جميعا ان يكون ذرية بدلا من قوله وكيلا لانه بمعنى
الجمع فكانه قال لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح ويجوز نصبها باضمار اعني وامدح والعرب قد تنصب
على المدح والذم ويجوز رفعها على البدل من المضمر في تتخذوا في قراة من قرا بالياء ولا يحسن ذلك لمن
قرا بالتاء لان المخاطب لا يبدل منه الغايب ويجوز جرها على البدل من بني اسرائيل في الوجهين واما
ان من قوله ان لا تتخذوا فهي على قراة من قرا بالياء في موضع نصب بحذف الجار التقدير هدينا هم
لئلا يتخذوا ويصلح على قراة التاء ان تكون زايدة والقول مضمر كما تقدم ويجوز ان تكون مفسرة بمعنى
اى لا موضع لها من الاعراب ويكون لا للنهي فيكون خروجا من الخبر الى النهي قوله تعالى وَقَضَيْنَا
إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا وقرا سعيد بن
جبير وابو العالية في الكتب على لفظ الجمع وقد يرد لفظ الواحد ويكون معناه الجمع فيكون القراءتان

بمعنى واحد ومعنا قضينا اعلمنا واخبرنا قاله ابن عباس وقال قتادة واصل القضا الاحكام للشيء و
الفراغ منه وقيل قضينا اوحينا ولذلك قال الى بني اسرائيل وعلى قول قتادة تكون الى بمعنى على اى قضينا عليهم وحكمنا قاله
ابن عباس ايضا والمعنى بالكتاب اللوح المحفوظ لتفسدن في الارض وقرا ابن عباس لتُفسَدُنّ وعيسى الثقفي
لتفسُدُنّ والمعنى في القراءتين قريب لانهم اذا افسدوا فسدوا والمراد بالفساد مخالفة احكام التوراة في
الارض يريد ارض الشام وبيت المقدس وما والاها مرتين ولتعلن اللام في لتفسدن ولتعلن لام قسم
مضمر كما تقدم علوا كبيرا اراد التكبر والبغي والطغيان والاستطالة والغلبة والعدوان قوله تعالى
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا
مَفْعُولًا فاذا جاء وعد اولاهما اى اولى المرتين من فسادهم بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد هم اهل بابل وكان عليهم
بخت نصر في المرة الاولى حين كذبوا ارميا وجرحوه وحبسوه قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ارسل عليهم
جالوت فقتلهم فهو وقومه اولوا باس شديد وقال مجاهد جاهم جند من فارس يتجسسون اخبارهم ومعهم بخت نصر
فوعى حديثهم من بين اصحابه ثم رجعوا الى فارس ولم يكن بينهم قتال وهذا في المرة الاولى فكان منهم جوس خلال
الديار لا قتل ذكره القشيري ابو نصر وذكر المهدوي عن مجاهد انه جاءهم بخت نصر فهزمه بنو اسرائيل ثم جاءهم
ثانيه فقتلهم ودمرهم تدميرا رواه ابن ابي نجيح عن مجاهد ذكره النحاس وقال محمد بن اسحاق في خبر فيه طول
ان المهزوم سنحاريب ملك بابل جاء ومعه ستمائة الف راية تحت كل راية مائة الف فارس فنزل حول بيت المقدس
فهزمه الله تعالى واماتت جميعهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه وبعث ملك بني اسرائيل واسمه صديقة في
طلب سنحاريب فاخذ مع الخمسة احدهم بخت نصر فطرح في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس
وايليا ويرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ثم اطلقهم فرجعوا الى بابل ثم سنحاريب بعد سبع سنين و استخلف صح
استخلف بخت نصر وعظمت الاحداث في بني اسرائيل واستحلوا المحارم وقتلوا نبيهم شعيا فجاءهم بخت نصر ودخل
هو وجنوده بيت المقدس وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وقال ابن عباس وابن مسعود اول الفساد قتل زكريا
وقال ابن اسحاق فسادهم في المرة الاولى قتل شعيا نبي الله في الشجرة وذلك انه لما مات صديقة ملكهم مرج امرهم
وتنافسوا على الملك وقتل بعضهم بعضا وهم لا يسمعون من نبيهم فقال الله تعالى له قم في قومك اوح على لسانك
فلما فرغ مما اوحى الله اليه عدوا اليه ليقتلوه فهرب وانفلقت له شجرة فدخل فيها وادركه الشيطان فاخذ هدبة
من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها وذكر ابن اسحاق
ان بعض العلما اخبره ان زكريا مات موتا ولم يقتل وانما المقتول شعيا وقال سعيد بن جبير في قوله بعثنا
عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار هو سنحاريب من اهل نينوى بالموصل ملك بابل وهذا
خلاف ما قال ابن اسحاق فالله اعلم وقيل انهم العمالقة وكانوا كفارا قاله الحسن ومعنى جاسوا عاثوا وقتلوا
وكذلك جاسوا وحاسوا وداسوا قاله ابن عزيز وهو قول القتبي وقرا ابن عباس حاسوا بالحاء المهملة قال ابو زيد
الجوس والحوس والعوس والهوس الطوف بالليل وقال الجوهري الجوس مصدر قولك جاسوا خلال الديار
اى تخللوها فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الاخبار اى يطلبها وكذلك الاجتياس والجوسان بالتحريك الطوفان
بالليل وهو قول ابي عبيدة وقال الطبري طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين فجمع بين قولي
اهل اللغة قال ابن عباس مشوا وترددوا بين الدور والمساكن وقال الفرا قتلوكم بين بيوتكم وانشد لحسان

ومنا الذي لاقى بسيف محمد فجاس به الاعدا عرض العساكر
وقال قطرب نزلوا قال فجسنا ديارهم عنوة واُبنا بسادا تهم موثقينا
وكان وعدا مفعولا اى قضاء كائنا لا خلف فيه قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ثم رددنا لكم الكرة عليهم اى الدولة والرجعة وذلك لما
تبتم واطعتم وقيل ذلك بقتل داود جالوت او بقتل غيره على الخلاف فيمن قتلهم وامددناكم باموال و
بنين حتى عاد امركم كما كان وجعلناكم اكثر نفيرا اى اكثر عددا ورجالا من عدوكم والنفير من ينفر مع
الرجل من عشيرته يقال نفير ونافر مثل قدير وقادر ويجوز ان يكون النفير جمعا جمع نفر كالكليب والمعيز
والعبيد قال الشاعر فاكرم بقحطان من آلد وحمير اكرم بقوم نفيرا والمعنى انهم صاروا
بعد هذه الوقعة الاولى اكثر انضماما واصلح احوالا من الله تعالى لهم على عودهم الى الطاعة
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ان احسنتم احسنتم لانفسكم اى نفع احسانكم عائد
اليكم وان اساتم فلها اى فعليها على نحو سلام لك اي سلام عليك قال الشاعر
فخر صريعا لليدين وللفم اى على اليدين وعلى الفم وقال الطبري اللام بمعنى الى
يعنى وان اساتم فاليها اى فاليها ترجع الاساءة كقوله بان ربك اوحى لها اى اليها وقيل فلها الجزا والعقاب
وقال الحسين بن الفضل فلها رب يغفر الاساءة ثم يحتمل ان يكونه هذا خطابا لبنى اسرائيل فى اول الامر اي
اساتم فحل بكم القتل والسبى والتخريب ثم احسنتم فعاد اليكم الملك والعلو وانتظام الحال ويحتمل انه
خوطب بهذا بنوا سرائيل فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم اى عرفتم استحقاق اسلافكم العقوبة على العصيان
فارتقبوا مثله او تلو يكون خطابا لمشركى قريش على هذا الوجه فاذا جاء وعد الآخرة من افسادكم وذلك
انهم قتلوا فى المرة الثانية يحيى بن زكريا عليه السلام قتله ملك من بنى اسرائيل يقال له لاخت قاله
القتبى وقال الطبرى اسمه هيردوس ذكره فى التاريخ حمله على قتله امرأة اسمها ازبيل وقال السدي
كان ملك بنى اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويستشيره فى الامور فاستشاره الملك ان يتزوج بنت امراة
له فنهاه عنها وقال انها لا تحل لك فحقدت امها على يحيى ثم البست ابنتها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وارسلتها
الى الملك وهو على شرابه وامرتها ان تتعرض له واذا ارادها ابت حتى يعطيها ما تسأله فاذا اجاب
سالته ان يؤتى براس يحيى بن زكريا فى طست من ذهب ففعلت ذلك حتى اتى براس يحيى بن زكريا والراس
تتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما اصبح اذا دمه يغلى فالقى عليه التراب فغلى فوقه فلم يزل لا يحل لك
يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو فى ذلك يغلى ذكره الثعلبى وغيره وذكر ابن عساكر الحافظ فى
تاريخه عن الحسين بن على قال كان ملك من هذه الملوك مات وترك امرأته وابنته فورث ملكه اخوه فاراد
ان يتزوج امرأة اخيه فاستشار يحيى بن زكريا فى ذلك وكانت الملوك فى ذلك الزمان يعملون براي
الانبياء فقال له لا تتزوجها فانها بغي فعرفت المرأة انه قد ذكرها وصرفه عنها فقالت من اين هذا
حتى بلغها انه من قبل يحيى فقالت ليقتلن يحيى او ليخرجن من ملكه فعمدت الى ابنتها وضيعتها ثم قالت
اذهبى الى عمك عند الملاء فانه اذا راك سيدعوك ويجلسك فى حجره ويقول سليني ما شئت فانك لن
تسأليني شيئا الا اعطيتك فاذا قال لك ذلك فقولى لا اسال الا راس يحيى قال وكانت الملوك اذا تكلم

ص ٧
احدهم بشيء على رؤس الملا ثم لم يمض له نزع من ملكه ففعلت ذلك قال فجعل ياتيه الموت من قتله يحيى وجعل
ياتيه الموت من خروجه من ملكه فاختار ملكه فقتله قال فساخت بامها الارض قال ابن جدعان فحدثت
بهذا الحديث ابن المسيب فقال افما اخبرك كيف كان قتل زكريا قلت لا قال ان زكريا حيث قتل ابنه انطلق
هاربا منهم واتبعوه حتى اتى على شجرة ذات ساق فدعته اليها فانطوت عليه وبقيت من ثوبه هدبة تكفتها
الرياح فانطلقوا الى الشجرة فلم يجدوا اثره بعدها ونظروا تلك الهدبة فدعوا بالمنشار فقطعوا الشجرة
فقطعوه معها قال المولف رحمه الله وقع فى التاريخ الكبير للطبرى فحدثني ابو السائب قال حدثنا ابو
معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا
فى اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس فقال كان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الاخ قال وكان لملكهم
ابنة اخ تعجبه وذكر الخبر بمعناه وعن ابن عباس قال بعث يحيى بن زكريا فى اثنى عشر من الحواريين
يعلمون الناس فكان فيما يعلمونهم ينهونهم عن نكاح بنت الاخت ~~قالت لها اذا دخلت~~ وكان لملكهم
بنت اخت تعجبه وكان يريد ان يتزوجها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك امها انهم نهوا
عن نكاح بنت الاخت قالت لها اذا دخلت على الملك فقال الك حاجة فقولى لى حاجتى ان يذبح يحيى بن
زكريا فقال سليني سوى هذا قالت ما اسالك الا هذا فلما ابت عليه دعى بطشت ودعى به فذبحه
فندرت قطرة من دمه على وجه الارض فلم يزل يغلى حتى بعث الله عليهم بخت نصر فالقى فى نفسه ان يقتل
على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل عليهم منهم سبعين الفا وفى رواية خمسة وسبعين الفا قال سعيد بن
المسيب هى دية كل نبى وعن ابن عباس قال اوحى الله تعالى الى محمد صلى الله وسلم انى قتلت بيحيى بن
زكريا سبعين الفا وانى قاتل بابن ابنتك سبعين الفا وسبعين الفا وعن سمير بن عطية قال قتل على
الصخرة التى فى بيت المقدس سبعين نبيا منهم يحيى بن زكريا وعن زيد بن واقد قال رايت راس يحيى بن
زكريا عليهما السلام حيث ارادوا بناء مسجد دمشق اخرج من تحت ركن من اركان القبة التى تلى المحراب مما
يلى الشرق فكانت البشرة والشعر على حاله لم تتغير وعن قرة بن خالد قال ما بكت السماء على احد
الا على يحيى بن زكريا والحسين بن على وحمرتها بكاؤها وعن سفيان بن عيينة قال اوحش ما يكون
ابن ادم فى ثلاث مواطن يوم ولد فيخرج الى دار همّ وليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانا لم ير مثلهم
ويوم يبعث فيشهد مشهدا لم ير مثله قال الله تعالى ليحيى فى هذه الثلاث مواطن وسلام عليه
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا كله فى التاريخ المذكور واختلف فيمن كان المبعوث عليهم فى
المرة الاخيرة فقيل بخت نصر وقاله القشيرى ابو نصر لم يذكر غيره قال السهيلى وهذا لا يصح لان
قتل يحيى كان بعد رفع عيسى عليه السلم وبخت نصر كان قبل عيسى بن مريم عليهما السلم بزمان طويل وقبل الا
الاسكندر وبين الاسكندر وعيسى نحو من ثلاث مائة سنة ولكنه ان اريد بالمرة الاخرى حين قتلوا
شعيا فقد كان بخت نصر اذ ذاك حيا فهو الذى قتلهم وخرب بيت المقدس واتبعهم الى مصر واخرجهم
منها وقال الثعلبى ومن روي ان بخت نصر هو الذى غزا بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا فغلط
عند اهل السير والاخبار لانهم مجمعون ان بخت نصر انما غزا بنى اسرائيل عند قتلهم شعيا وفى عهد
ارميا قالوا ومن عهد ارميا وتخريب بخت نصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام اربعمائة

سنة واحدى وستون سنة وذلك انهم يعدون من عهد تخريب بخت نصر بيت المقدس الى عمرانه في عهد كوشك
سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة ثم من بعد
مملكة الاسكندر الى مولد يحيى ثلاث مائة سنة وثلاث وستين سنة قلت المصنف رحمه الله ذكر
جميعه الطبري في التاريخ رحمه الله قال الثعلبي وانما الصحيح من ذلك ما ذكره محمد بن اسحاق قال لما
رفع الله عيسى من بين اظهرهم وقتلوا يحيى وبعض الناس يقول لما قتلوا زكريا بعث الله اليهم ملكا من
ملوك بابل يقال له جردوس فسار اليهم باهل بابل فظهر عليهم بالشام ثم قال لرئيس جنوده كنت
حلفت بالهي لئن اظهرني الله على بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دما وسط عسكري وامره ان يقتلهم
حتى يبلغ ذلك منهم فدخل الرئيس بيت المقدس فوجدوا فيها دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان قربناه فلم يتقبل
منا منذ ثمانين سنة قال ما صدقتموني فذبح على ذلك الدم سبع مائة وسبعين رجلا من رؤسائهم فلم يهدأ
فامر بسبعة الاف من سبيهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد فقال يا بني اسرائيل اصدقوني من قبل
ان لا اترك منكم نافخ نار من انثى ولا ذكر الا قتلته فلما راوا الجهد قالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا
عن امور كثيرة من سخط الله فقتلناه فهذا دمه كان اسمه يحيى بن زكريا ما عصى الله قط طرفة عين ولا هم
بمعصية فقال الان صدقتموني وخر ساجدا ثم قال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة وامر بغلق الابواب وقال
اخرجوا من كان هنا من جيش خردوس وخلا في بني اسرائيل وقال يا نبي الله يا يحيى بن زكريا قد علم ربي
وربك ما قد اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن
الله ورفع عنهم القتل وقال رب اني امنت بما امن به بنو اسرائيل وصدقت به فاوحى الله الى رأس
من رؤساء الانبياء ان هذا الرئيس مؤمن صدوق ثم قال ان عدو الله خردوس امرني ان اقتل منكم
حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لا اعصيه فامرهم فحفروا خندقا وامر باموالهم من الابل والخيل
والبغال والحمير والبقر والغنم فذبحوها حتى سال دمها الى العسكر وامر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل
ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ثم انصرف عنهم الى بابل وقد كاد ان يفني بني اسرائيل قال المولف رحمه الله
وقد ورد في هذا الباب حديث مرفوع فيه طول من حديث حذيفة وقد كتبناه في كتاب التذكرة مقطعا
في ابواب من اخبار المهدي نذكر منه هنا ما يبين معنى الاية وتفسيرها حتى لا يحتاج معه الى بيان قال حذيفة
قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو من اجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر
وياقوت وزمرد وذلك ان سليمان بن داود لما بناه سخر له الجن فاتوه بالذهب والفضة من المعادن
واتوه بالجوهر والياقوت والزمرد وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الاصناف قال حذيفة
فقلت يا رسول الله وكيف اخذت هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان بني اسرائيل لما عصوا وقتلوا الانبياء سلط الله عليهم بخت نصر وهو من المجوس وكان ملكه سبع مائة
سنة وهو قوله فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان
وعدا مفعولا فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال واخذوا الاموال وجميع
ما كان في البيت المقدس من هذه الاصناف فاحتملوها على سبعين الفا ومائة الف عجلة حتى اودعوها

المقدس
المقدس

ارض بابل فاقاموا يستخدمون بني اسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام ثم ان الله عز وجل
رحمهم فاوحى الى ملك من ملوك فارس ان يسير الى المجوس في ارض بابل وان يستنقذ من في ايديهم من بني
اسرائيل فسار ذلك الملك اليهم حتى دخل ارض بابل فاستنقذ من بقي من بني اسرائيل من ايدي المجوس
واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في البيت المقدس ورده الله اليه كما كان اول مرة وقال لهم يا بني
اسرائيل ان عدتم الى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل وهو قوله عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم
عدنا فلما رجعت بنو اسرائيل الى البيت المقدس عادوا الى المعاصي فسلط عليهم ملك الروم قيصر
وهو قوله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا
ما علوا تتبيرا فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم واخذ اموالهم ونساءهم واخذ حلي
جميع بيت المقدس واحتمله على سبعين الفا ومائة الف عجلة حتى اودعه في كنيسة الذهب فهو
فيها الان حتى ياخذه المهدي ويرده الى بيت المقدس وهو الف سفينة وسبع مائة سفينة يرمى بها
على يافا حتى ينقل الى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والاخرين وذكر الحديث قوله تعالى فاذا
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا
مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا فاذا جاء وعد الآخرة اي من المرتين وجواب اذا محذوف تقديره بعثناهم دل عليه
بعثنا الاول ليسوءوا وجوهكم اي بالسبي والقتل فيظهر اثر الحزن في وجوهكم فليسوءوا متعلق بمحذوف
اي بعثنا عبادا ليفعلوا بكم ما يسوء وجوهكم وقيل المراد بالوجوه السادة اي ليذلوهم وقرا الكسائي
لنسوء بنون وفتح الهمزة فعل مخبر عن نفسه معظم اعتبارا بقوله وقضينا وبعثنا ورددنا ونحوه عن
علي وتصديقها قراءة ابي لنسوءن بالنون وحرف التاكيد وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب وحمزة وابن
عامر ليسوء بالياء على التوحيد وفتح الهمزة ولها وجهان احدهما ليسوء الله وجوهكم والثاني ليسوء الوعد
وجوهكم وقرا الباقون ليسوءوا بالياء وضم الهمزة على الجمع اي ليسوء العباد الذين هم اولو باس شديد
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا اي يدمروا ويهلكوا وقال قطرب يهدموا قال
الشاعر فما الناس الا عاملان فعامل يتبر ما يبني واخر رافع ما علوا عليه
اي غلبوا عليه من بلادكم تتبيرا قوله تعالى عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا
جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا وهذا مما اخبروا به في كتابهم وعسى وعد من الله ان يكشف عنهم وعسى
من الله واجبة ان يرحمكم بعد انتقامه منكم وكذلك كان فكثر عددهم وجعل منهم الملوك وان عدتم عدنا
قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية بالصغار وروي عن
ابن عباس وهذا خلاف ما تقدم في الحديث وغيره قال القشيري وقد حل العقاب ببني اسرائيل
مرتين على ايدي الكفار ومرة على ايدي المسلمين وهذا حين عادوا فعاد الله عليهم وعلى هذا يصح قول
قتادة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا وسجنا من الحصر وهو الحبس قال الجوهري يقال حصره
يحصره حصرا اي ضيق عليه واحاط به والحصر الضيق البخيل والحصير البارية والحصير الجنب قال
الاصمعي وهو ما بين العرق الذي يظهر في جنب البعير والفرس معترضا فما فوقه الى منقطع الجنب
والحصير الملك لانه محجوب قال لبيد وقماقم غلب الرقاب كانهم جن لدى باب الحصير قيام

وعدّ

ويروى ومقامة قال المولف ويروى وعصابة غلب الرقاب على ان يكون غلب بدلاً من مقامة كأنه قال
ورب غلب الرقاب وروى غير ابى عبيدة لدى طرق الحصير قياما اى عند طرق البساط للنعمان بن المنذر
والحصير المحبس قال الله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً قال القشيرى ويقال للذى يفرش
حصير لحصر بعضه على بعض بالنسج وقال الحسن اى فراشا ومهاداً ذهب الى الحصير التى يفرش لان العرب
تسمى البساط الصغير حصيراً قال الثعلبى وهو وجه حسن قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى
للتى هى اقوم لما ذكر المعراج ذكر ما قضى الى بنى اسرائيل وكان ذلك دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم ثم بين ان الكتاب الذى انزله الله عليه سبب اهتدا ومعنى للتى هى اقوم اى للطريقة التى هى
اقوم وقال الزجاج للحال التى هى اقوم الحالات وهى توحيد الله تعالى والايمان برسله وقاله الكلبى والفرا
قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات تقدم ان لهم اى بان لهم اجرا
كبيرا اى الجنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اى ويبشرهم بان لاعدائهم العقاب والقرآن معظمه وعد
ووعيد وقرا حمزة والكسائى ويبشر مخففا بفتح الياء وضم الشين وقد ذكر قوله تعالى ويدع الانسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولاً قال ابن عباس وغيره هو دعاء الرجل على نفسه وولده
عند الضجر بما لا يحب ان يستجاب له اللهم اهلكه ونحوه دعاءه بالخير اى كدعائه ربه ان يهب له العافية فلو استجاب
الله دعاءه على نفسه بالشر هلك لكن بفضله لا يستجيب له فى ذلك نظيره ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير وقد تقدم وقيل نزلت فى النضر بن الحارث كان يدعو ويقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل هو ان يدعو فى طلب المحظور كدعائه فى طلب المباح

قال الشاعر وهو ابن جامع اطوف بالبيت فيمن يطوف ... وارفع من مئزرى المسبل
واسجد بالليل حتى الصباح ... واتلو من المحكم المنزل
عسى فارج الهم عن يوسف ... يسخر لى ربة المحمل

قال الجوهرى يقال ما على فلان محمل مثال مجلس اى معتمد والمحمل ايضا واحد محامل الحجاج والمحمل مثال المرجل
علاقة السيف وحذفت الواو من ويدع الانسان بالشر فى اللفظ والخط ولم تحذف فى المعنى لان موضعها
رفع فحذفت لاستقبالها اللام الساكنة كقوله سندع الزبانية ويمح الله الباطل وسوف يؤت الله المؤمنين
وينادى المناد فما تغن النذر وكان الانسان عجولاً اى طبعه العجلة فيعجل بسؤال الشر كما يعجل بسؤال
الخير وقيل اشار به الى آدم حين نهض قبل ان يتركب فيه الروح على الكمال قال سلمان اول ما خلق الله
من آدم رأسه فجعل ينظر وهو يخلق جسده فلما كان عند العصر بقيت رجلاه لم ينفخ فيهما الروح
فقال يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله وكان الانسان عجولاً وقال ابن عباس لما انتهت النفخة الى
سرته نظر الى جسده فذهب لينهض فلم يقدر فذاك قوله وكان الانسان عجولاً وقال ابن مسعود لما دخل
الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه
عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين تقول خلق الانسان من عجل ذكره البيهقى وفى صحيح مسلم عن انس بن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله تعالى آدم فى الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل

ابليس تطيف به فينظر ما هو فلما راه اجوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك وقد تقدم وقيل سلم عليه السلام
اسيرا الى سودة فبات يان فشاء لنه فقال ابنى لشدة القد والاسر فارخت من كتافه فلما نامت هرب
فاخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال قطع الله يديك فلما اصبحت كانت تتوقع الآفة فقال عليه السلام
انى سالت ان يجعل دعاى على من لا يستحق من اهلى رحمة لانى بشر اغضب كما يغضب البشر ونزلت
الآية ذكره ابو نصر القشيرى رحمه الله وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك
عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم
القيامة وفى الباب عن عايشة وجابر وقيل معنى وكان الانسان عجولاً اى يؤثر العاجل وان قل
على الآجل وان جل قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا
آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء
فصلناه تفصيلا وجعلنا الليل والنهار آيتين اى علامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال
علمنا وقدرتنا والآية فيهما اقبال كل واحد منهما من حيث لا يعلم وادباره الى حيث لا يعلم ونقصان
احدهما بزيادة الآخر وبالعكس آية ايضا وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل وقد مضى هذا فمحونا آية
الليل ولم يقل فمحونا الليل فلما اضاف الآية الى الليل والنهار دل على ان الآيتين المذكورتين لهما
لا هما ومحونا معناه طمسنا وفى الخبر ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء وكان كالشمس
فى النور والسواد الذى يرى فى القمر اثار المحو قال ابن عباس جعل الله الشمس سبعين جزءا والقمر سبعين جزءا
فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعله فى نور الشمس فالشمس على مائة وتسعة وثلاثين جزءا والقمر على جزء واحد
وعنه ايضا خلق الله شمسين من نور عرشه فجعل ما سبق فى علمه ان يكون شمسا مثل الدنيا على قدرها
ما بين مشارقها الى مغاربها وجعل القمر دون الشمس فارسل جبريل فامر جناحه على وجهه ثلاث
مرات وهو يومئذ شمس فطمس ضوءه وبقى نوره فالسواد الذى ترونه فى القمر اثر المحو ولو تركه شمسا لم يعرف
الليل من النهار ذكر عنه الاول الثعلبى والثانى المهدوى وسياتى مرفوعا وقال على رضى الله عنه وقتادة
يريد بالمحو اللطخة السوداء التى فى القمر ليكون ضوء القمر اقل من ضوء الشمس فيتميز به الليل من النهار
وجعلنا آية النهار مبصرة اى جعلنا شمسه مضيئة للابصار قال ابو عمرو بن العلا اى يبصر بها
وقال الكسائى وهو من قول العرب ابصر النهار اذا اضاء وصار بحالة يبصر بها وقيل هو كقولهم
خبيث مخبث اذا كان اصحابه خبثاء ورجل مضعف اذا كانت دوابه ضعافا وكذلك النهار
مبصرا اذا كان اهله بصراء لتبتغوا فضلا من ربكم يريد التصرف فى المعاش ولم يذكر السكون
فى الليل اكتفاء بما ذكر فى النهار وقد قال فى موضع آخر وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا ولتعلموا عدد السنين والحساب اى لو لم يفعل ذلك لما عرف الليل من النهار
ولا كان يعرف الحساب والعدد وكل شىء فصلناه تفصيلا اى من احكام التكليف وهو كقوله
تبيانا لكل شىء ما فرطنا فى الكتاب من شىء وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما
ابرم الله خلقه فلم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسا من نور عرشه وقمرا فكانا جميعا شمسين

فاما ما كان في سابق علم الله ان يخلقها قمرا فخلقها دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السماء و بعدها من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولا كان ~~كان الحليم~~ الاجير يدري الى متى يعمل ولا الصايم الى متى يصوم ولا المراة كيف تعتد ولا يدري اوقات الصلوات ولا الحج ولا محل الديون ولا حين يبذرون و يزرعون ولا متى يسكنون للراحة لابدانهم فكان الله نظر لعباده وهو ارحم بهم من انفسهم فارسل جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات وهو يوميذ شمس فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله وجعلنا الليل والنهار ايتين الاية قوله تعالى وَكُلَّ اِنْسَانٍ اَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَيهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق وقال ابن عباس طايره عمله وما قدر عليه من خير وشر وهو ملازمه اين ما كان وقال مقاتل والكلبي خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقال مجاهد عمله و رزقه وعنه ما من مولود الا وفي عنقه ورقة فيها مكتوب شقي او سعيد وقال الحسن الزمناه طايره اي سعادته وشقاوته وما كتب له من خير وشر وما طار له من التقدير اي صار له عند القسمة في الازل وقيل اراد به التكليف اي قلدناه التزام الشرع وهو بحيث لو اراد ان يفعل ما امر به وينزجر عما زجر به امكنه ذلك ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقيه منشورا يعني كتاب طايره الذي في عنقه وقرا الحسن وابو رجا ومجاهد طيره بغير الف ومنه ما روي في الخبر اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا رب غيرك وقرا ابن عباس والحسن ومجاهد وابن محيصن وابو جعفر ويعقوب ويخرج بفتح الياء وضم الراء على معنى ويخرج له الطاير كتابا فكتابا منصوب على الحال ويحتمل ان يكون المعنى ويخرج الطاير فيصير كتابا وقرا يحيى بن وثاب ويخرج بضم الياء وكسر الراء وروي عن مجاهد اي يخرج الله وقرا شيبة ومحمد بن السميفع وروي ايضا عن ابي جعفر ويخرج بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول ومعناه ويخرج له الطاير كتابا والباقون ونخرج بنون مضمومة وكسر الراء اي ونحن نخرج واحتج ابو عمرو في هذه القراة بقوله الزمناه وقرا ابو جعفر والحسن وابن عامر يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف بمعنى يوتاه الباقون بفتح الياء خفيفة اي يراه منشورا وقال منشورا تعجيلا للبشرى بالحسنة والتوبيخ بالسيئة وقال ابو السوار العدوي وقرا هذه الاية وكل انسان الزمناه طايره في عنقه قال هما نشرتان وطية اما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فامل فيها ما شئت فاذا مت طويت حتى اذا بعثت نشرت اقرا كتابك قال الحسن يقرا الانسان كتابه اميا كان او غير امي كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا وقال بعض الصلحا هذا كتاب لسانك قلمه وريقك مداده واعضاؤك قرطاسه انت كنت المملي على حفظتك ما زيد فيه ولا نقص منه ومتى انكرت منه شيا يكون فيه الشاهد منك عليك قوله تعالى مَنِ اهْتَدَى فَاِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرَى اي انما كل احد يحاسب عن نفسه لا عن غيره فمن اهتدى فثواب اهتدايه له ومن ضل فعقاب كفره عليه ولا تزر وازرة

وزر

وزر اخرى تقدم في الانعام وقال ابن عباس نزلت في الوليد بن المغيرة قال لاهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعلي اوزاركم فنزلت هذه الاية اي ان الوليد لا يحمل اثامكم وانما اثم كل واحد عليه يقال وزر يزر وزرا ووزرة اي اثم والوزر الثقل المثقل والجمع اوزار ومنه يحملون اوزارهم على ظهورهم اي اثقال ذنوبهم وقد وزر اذا حمل فهو وازر ومنه وزير السلطان الذي يحمل ثقل دولته والهاء في قوله كناية عن النفس اي لا تؤخذ نفس اثمة باثم اخرى حتى ان الوالدة تلقى ولدها يوم القيامة فيقول يا بني الم يكن حجري لك وطاء الم يكن ثديي لك سقا الم يكن بطني لك وعا فيقول بلى يا امه فيقول يا بني فان ذنوبي اثقلتني فاحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول اليك عني يا امه فاني بذنبي عنك اليوم مشغول

مسلة نزعت عايشة رضي الله عنها بهذه الاية في الرد على ابن عمر حيث قال ان الميت ليعذب ببكا اهله قال علماؤنا وانما حملها على ذلك انه لم تسمعه وانه معارض للاية ولا وجه لانكارها فان الرواة لهذا المعنى كثير كعمر وابنه والمغيرة بن شعبة وقيلة بنت مخرمة وهم جازمون بالرواية فلا وجه لتخطيتهم ولا معارضة بين الاية والحديث فان الحديث نحمله على ما اذا كان النوح من وصية الميت وسنته كما كانت الجاهلية تفعله حتى قال طرفة

اذا مت فانعيني بما انا اهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

وقال

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

والى هذا نحى البخاري وقد ذهب جماعة من اهل العلم منهم داود الى اعتقاد ظاهر الحديث وانه انما يعذب بنوحهم لانه اهمل نهيهم عنه قبل موته وتاديبهم بذلك فيعذب بتفريطه في ذلك وبترك ما امره الله به من قوله قوا انفسكم واهليكم نارا لا بذنب غيره والله اعلم قوله تعالى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا اي لم نترك الخلق سدى بل ارسلنا الرسل وفي هذا دليل على ان الاحكام لا تثبت الا بالشرع خلافا للمعتزلة القايلين بان العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر وقد تقدم في البقرة القول فيه والجمهور على ان هذا في حكم الدنيا اي ان الله لا يهلك امة بعذاب الا بعد الرسالة اليهم والانذار وقالت فرقة هذا عام في الدنيا والاخرة لقوله تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا قال ابن عطية والذي يعطيه النظر ان بعثه آدم عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الادلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر توجب على كل احد من العالم الايمان واتباع شريعة الله ثم تجدد ذلك في زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار وهذه الاية ايضا تعطي احتمال الفاظها نحو هذا في الذين لم تصلهم رسالة وهم اهل الفترات الذين قد قدر وجودهم بعض اهل العلم واما ما روي من ان الله تعالى يبعث اليهم يوم القيامة والى المجانين والاطفال فحديث لم يصح ولا يقتضي ما تعطيه الشريعة من ان الاخرة ليست دار تكليف قال المهدوي وروي عن ابي هريرة ان الله عز وجل يبعث يوم القيامة رسولا الى اهل الفترة والابكم والاخرس والاصم فيطيعه منهم من كان يريد ان يطيعه في الدنيا وتلى هذه الاية رواه معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة ذكره النحاس قال المولف رحمه الله هذا موقوف وسياتي مرفوعا في آخر سورة طه ولا يصح وقد استدل قوم في ان اهل الجزاير اذا سمعوا بالاسلام و آمنوا فلا تكليف عليهم فيما مضى وهذا صحيح ومن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل

والله اعلم قوله تعالى وَاِذَا اَرَدْنَا اَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا فيه ثلاث مسايل الاولى اخبر تعالى في الاية التي قبل انه لم يهلك القرى قبل ابتعاث الرسل لا لانه يقبح منه ذلك ان فعل ولكنه وعد منه ولا خلف في وعده فاذا اراد هلاك قرية مع تحقيق وعده كما قاله تعالى امرنا مترفيها بالفسق والظلم فيها فحق عليها القول بالتدمير يعلمك ان من هلك فانما هلك بارادته فهو الذي يسبب الاسباب ويسوقها الى غاياتها ليحق القول السابق من الله تعالى الثانية قوله تعالى امرنا قراء ابو عثمان النهدي وابو رجا وابو العالية والربيع ومجاهد والحسن امّرنا بالتشديد فهي قراءة علي رضي الله عنه اى سلطنا شرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك اهلكناهم وقال ابو عثمان النهدي امّرنا بتشديد الميم جعلنا امراء مسلطين وقاله ابن عزيز وتامّر عليهم تسلط وقراء الحسن ايضا وقتادة وابو حيوة الشامي ويعقوب وخارجة عن نافع وحماد بن سلمة عن ابن كثير وعلي وابن عباس باختلاف عنه آمرنا بالمد والتخفيف اى اكثرنا جبابرتها وامراءها قاله الكسائي وقال ابو عبيدة آمرته بالمد وامرته لغتان بمعنى كثّرته ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة او سكة مابورة اى كثيرة النتاج والنسل ولذا قال ابن عزيز آمرنا وامرنا بمعنى واحد اى اكثرنا وعن الحسن ايضا ويحيى بن يعمر امِرنا بالقصر وكسر الميم على فعلنا ورويت عن ابن عباس قال قتادة والحسن المعنى اكثرنا وحكى نحوه ابو زيد وابو عبيد وانكره الكسائي وقال لا يقال من الكثرة الا آمرنا بالمد قال واصلها ءأمرنا فخفف حكاه المهدوي وفي الصحاح وقال ابو الحسن امرنا له بالكسر اى كثر وامر القوم اى كثروا قال الشاعر

امرون لا يرثون سهم القعدد

وآمر الله ماله بالمد قال الثعلبي ويقال للشيء الكثير امِرٌ والفعل منه امِر القوم يأمرون امرا اذا كثروا وقال ابن مسعود كنا نقول في الجاهلية للحي اذا كثروا أمِر أمْرُ بني فلان قال لبيد

كل بني حرة مصيرهم قل وان اكثرت من العدد

ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما يصيروا للهلاك والفند

قال المولف رحمه الله وفي حديث هرقل الحديث الصحيح لقد أمِر أمْرُ ابن ابي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر اى كثر وكله غير متعد ولذلك انكره الكسائي والله اعلم قال المهدوي ومن قراء امِر فهي لغة ووجه تعديته امر انه شبهه بعمر من حيث كانت الكثرة اقرب شيء الى العمارة فعدي كما عدي عمر الباقون امرنا من الامر اى امرناهم بالطاعة اعذارا وانذارا وتخويفا ووعيدا ففسقوا اى خرجوا عن الطاعة عاصين لنا فحق عليها القول فوجب عليها الوعيد عن ابن عباس وقيل امرنا جعلناهم امراء لان العرب تقول امير غير مامور اى غير مومر وقيل معناه بعثنا مستكبريها قال هرون وهي في قراءة ابي بعثنا اكابر مجرميها ففسقوا ذكره الماوردي وحكى النحاس وقال هرون في قراءة ابي واذا اردنا ان نهلك قرية بعثنا فيها اكابر مجرميها فمكروا فيها فحق عليها القول ويجوز ان يكون امرنا بمعنى اكثرنا ومنه خير المال مهرة مامورة على ما تقدم وقال قوم مامورة اتباع لمابورة كالغدايا والعشايا وكقوله ارجعن مازورات لا ماجورات وعلى هذا لا يقال امرهم الله بمعنى كثرهم بل يقال آمره وامّره واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة العامة قال ابو عبيد وانما

اخترنا امرنا لان المعاني الثلاثة تجتمع فيها من الامر والامارة والكثرة والمترف المنعم وخصوا بالامر لان غيرهم تبع لهم قوله فدمرناها اى استاصلناها بالهلاك تدميرا ذكر المصدر للمبالغة في العذاب الواقع بهم وفي الصحيحين من حديث زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وقد تقدم الكلام في هذا الباب وان المعاصي اذا ظهرت ولم تغير كانت سببا لهلاك الجميع قوله تعالى وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا اى كم من قوم كفروا حل بهم البوار يخوف كفار مكة وقد تقدم القول في القرن في اول سورة الانعام والحمد لله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا خبيرا عليما بهم بصيرا يبصر اعمالهم وقد تقدم قوله تعالى مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ اَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا من كان يريد العاجلة يعني الدنيا والمراد الدار العاجلة فعبر عن النعت بالمنعوت عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اى لم نعطه منها الا ما نشاء ثم نواخذه بعمله وعاقبته دخول النار مذموما مدحورا اى مطرودا مبعدا من رحمة الله وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين المداجين يلبسون الاسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنايم وغيرها فلا يقبل ذلك العمل منهم في الاخرة ولا يعطون في الدنيا الا ما قسم لهم وقد تقدم في هود ان هذه الاية تقيد تلك الاية المطلقة فتاملها ومن اراد الاخرة اى الدار الاخرة وسعى لها سعيها اى عمل لها عملها من الطاعات وهو مومن لان الطاعات لا تقبل الا من مومن فاوليك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا غير مردود وقيل مضاعفا اى يضاعف لهم الحسنات الى عشر والى سبعين والى سبع مائة ضعف والى اضعاف كثيرة كما روي عن ابي هريرة وقد قيل له اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الفي الف حسنة قوله تعالى كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ اَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَاَكْبَرُ تَفْضِيلًا لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ اِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا اعلم الله انه يرزق المومنين والكفار وما كان عطاء ربك محظورا اى محبوسا ممنوعا من حظر يحظر حظرا وحظارا ثم قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والعمل فمن مقل ومكثر وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اى للمومنين فالكافر وان وسع عليه في الدنيا مرة وقتر على المومن مرة فالاخرة لا يقسم الا مرة واحدة باعمالهم فمن فاته شيء منها لم يستدركه فيها وقوله لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وقيل الخطاب للانسان فتقعد اى تبقى مذموما مخذولا لا ناصر لك ولا وليا قوله تعالى وَقَضَى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوا اِلَّا اِيَّاهُ وَ

بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما
وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيرا فيه ست عشرة مسئلة الاولى قضى اي امر والزم واوجب قاله ابن عباس
والحسن وقتادة وليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء امر وفي مصحف ابن مسعود ووصى وهي قراءة اصحاب
وقراءة ابن عباس ايضا وعلي وغيرهما وكذلك عند ابي بن كعب قال ابن عباس انما هو ووصى ربك فالتصقت
احدى الواوين فقريت وقضى ربك اي لو كان على القضاء ما عصى الله احد وقال الضحاك تصحف على قوم
وصى بقضى حين اختلطت الواو بالصاد وقت كتب المصحف وذكر ابو حاتم عن ابن عباس مثل قول
الضحاك وقال عن ميمون بن مهران انه قال ان على قول ابن عباس لنورا قال الله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم ابى ابو حاتم ان يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن
الزنادقة في مصحفنا وقال علماؤنا المتكلمون وغيرهم القضاء تستعمل في اللغة على وجوه فالقضاء بمعنى الامر
كقوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه معناه امر والقضاء بمعنى الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات
بمعنى خلقهن والقضاء بمعنى الحكم كقوله تعالى فاقض ما انت قاض يعني احكم ما انت تحكم والقضاء بمعنى
الفراغ كقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ منه ومنه قوله فاذا قضيتم مناسككم
فاذا قضيت الصلاة والقضاء بمعنى الارادة كقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون والقضاء بمعنى
العهد كقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين فاذا كان القضاء
يحتوي هذه المعاني فلا يجوز اطلاق القول بان المعاصي بقضاء الله لانه ان اريد به الامر فلا خلاف انه
لا يجوز ذلك لان الله سبحانه لم يامر بها فانه لا يامر بالفحشاء وقال زكريا ابن سلام جاء رجل الى الحسن فقال
انه طلق امراته ثلاثا فقال انك قد عصيت ربك وبانت منك فقال الرجل قضى الله ذلك علي فقال الحسن
وكان فصيحا ما قضى الله ذلك اي ما امر به وقرا هذه الاية وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الثانية
امر الله سبحانه بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك كما قرن شكرهما بشكره فقال
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وفي صحيح البخاري
عن عبد الله قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها
قال ثم اي قال بر الوالدين قال ثم اي قال الجهاد في سبيل الله فاخبر صلى الله عليه وسلم ان بر الوالدين
افضل الاعمال بعد الصلاة التي هي اعظم دعائم الاسلام ورتب ذلك بثم التي تعطي الترتيب والمهلة
الثالثة من البر بهما والاحسان اليهما ان لا يتعرض لسبهما ولا يعقهما فان ذلك من الكبائر بلا خلاف
وبذلك وردت السنة الثابتة ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه الرابعة عقوق
الوالدين مخالفتهما في اغراضهما الجائزة لهما كما ان برهما موافقتهما على اغراضهما وعلى هذا اذا امرا
او احدهما ولدهما بامر وجبت طاعتهما فيه اذا لم يكن ذلك الامر معصية وان كان ذلك المامور به من قبيل
المباح في اصله وكذلك اذا كان من قبيل المندوب وقد ذهبت طائفة الى ان امرهما بالمباح يصيره في
حق الولد مندوبا اليه وامرهما بالمندوب يزيده تاكيدا في ندبيته الخامسة روى الترمذي عن ابن عمر
قال كانت تحتي امراة احبها وكان ابي يكرهها فامرني ان اطلقها فابيت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا عبد الله بن عمر طلق امراتك قال هذا حديث حسن صحيح السادسة روي في الصحيح عن ابي
هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من احق الناس بحسن صحابتي قال
امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك فهذا الحديث يدل على ان محبة الام
والشفقة عليها ينبغي ان يكون ثلاثة امثال محبة الاب لذكر النبي صلى الله عليه وسلم الام ثلاث مرات
وذكر الاب في الرابعة فقط واذا تومل هذا المعنى شهد له العيان وذلك ان صعوبة الحمل وصعوبة
الوضع وصعوبة الرضاع والتربية ينفرد بها الام دون الاب فهذه ثلاث منازل يخلو منها الاب
وروي عن مالك ان رجلا قال له ان ابي في بلد السودان وقد كتب الي ان اقدم عليه وامي تمنعني
من ذلك فقال له اطع اباك ولا تعص امك فدل قول مالك هذا على ان برهما عنده متساو وقد سئل
الليث عن هذه المسئلة فامره بطاعة الام وزعم ان لها ثلثي البر وحديث ابي هريرة يدل على
ان لها ثلثة ارباع البر وهو الحجة على من خالف وقد زعم المحاسبي في كتاب الرعاية له انه لا خلاف
بين العلماء ان للام ثلثة ارباع البر وللاب الربع على مقتضى حديث ابي هريرة والله اعلم السابعة
لا يختص بر الوالدين بان يكونا مسلمين بل ان كانا كافرين يبرهما ويحسن اليهما اذا كان لهما عهد قال الله
تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وفي صحيح البخاري
عن اسماء قالت قدمت امي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم
مع ابيها فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي قدمت وهي راغبة افاصلها قال نعم صلي
امك وروي ايضا عن اسماء قالت اتتني امي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسالت النبي صلى الله
عليه وسلم أأصلها قال نعم قال ابن عيينة فانزل الله عز وجل لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
الاول معلق والثاني مسند الثامنة من الاحسان اليهما والبر بهما اذا لم يتعين الجهاد ان لا يجاهد
الا باذنهما روى الصحيحان عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه
في الجهاد فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد لفظ مسلم وفي غير الصحيح قال نعم وتركتهما يبكيان
قال اذهب فاضحكهما كما ابكيتهما وفي خبر آخر انه قال نومك مع ابويك على فراشهما يضاحعانك ويلاعبانك
افضل لك من الجهاد معي ذكره ابن خويز منداد ولفظ البخاري في كتاب بر الوالدين حدثنا ابو نعيم
حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
يبايعه على الهجرة وترك ابويه يبكيان قال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما قال ابن المنذر في هذا
الحديث النهي عن الخروج بغير اذن الابوين ما لم يقع النفير فاذا وقع وجب الخروج على الجميع وذلك
بين في حديث ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيش الامراء فذكر قصة زيد بن حارثة
وجعفر بن ابي طالب وابن رواحة وان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى بعد ذلك ان الصلاة
جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اخرجوا فامدوا اخوانكم ولا يتخلفن احد فخرج
الناس مشاة وركبانا في حر شديد فدل قوله اخرجوا فامدوا اخوانكم ان العذر في التخلف عن الجهاد انما هو
ما لم يقع النفير مع قوله عليه السلام واذا استنفرتم فانفروا قال المؤلف رحمه الله وفي هذه الاحاديث

قال

دليل على ان الفروض او المندوبات متى اجتمعت قدم الاهم منها وقد استوفى هذا المعنى المحاسبي في
كتاب الرعاية التاسعة واختلفوا في الوالدين المشركين هل يخرج باذنهما اذا كان الجهاد من فروض
الكفاية فكان الثوري يقول لا يغزوا الا باذنهما وقال الشافعي له ان يغزو بغير اذنهما قال ابن المنذر و
الاجداد اباء والجدات امهات فلا يغزو المرء الا باذنهم ولا اعلم دلالة توجب ذلك لغيرهم من الاخوة
وساير القرابات وكان طاوس يرى السعي على الاخوات افضل من الجهاد في سبيل الله العاشرة
من تمام برهما صلة اهل ودهما ففي الصحيح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان من ابر البر صلة الرجل اهل ود ابيه بعد ان يولي وروى ابو اسيد وكان بدريا قال كنت عند النبي
صلى الله عليه وسلم جالسا فجاءه رجل من الانصار فقال يا رسول الله هل بقي من بر والدي
من بعد موتهما شيء ابرهما به قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما بعدهما واكرام
صديقهما وصلة الرحم التي لا رحم لك الا من قبلهما فهذا الذي بقي عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يهدي لصدايق خديجة برا بها ووفاء لها وهي زوجة فما ظنك بالوالدين الحادية عشرة قوله تعالى اما
يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما خص حالة الكبر لانها الحالة التي يحتاجان فيها الى بره لتغير الحال
عليهما بالضعف والكبر فالزم في هذه الحالة من مراعات احوالهما اكثر مما الزمه من قبل لانهما في هذه
الحالة قد صارا كلا عليه فيحتاجان ان يليهما منهما ما كان يحتاج في صغره ان يليا منه فلذلك خص هذه الحالة
بالذكر وايضا فبطول المكث للمرء توجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه
على ابويه وينفتح لهما اوداجه ويستطيل عليهما بدالة البنوة وقلة الديانة واقل المكروه ما يظهره بتنفسه
المتردد من الضجر وقد امر ان يعاملهما بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم عن كل عيب فقال ولا تقل
لهما اف ولا تنهرهما وقل قولا كريما روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كلاهما
ثم لم يدخل الجنة وقال البخاري في كتاب بر الوالدين حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا
عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي رغم انف رجل ادرك ابويه عند الكبر او احدهما فلم يدخلاه الجنة ورغم انف
رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له حدثنا ابن ابي اويس حدثني اخي عن سليمان بن
بلال عن محمد بن هلال عن سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة السالمي عن ابيه قال ان كعب بن عجرة
رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم احضروا المنبر فلما خرج رقي المنبر فرقي اول درجة منه
قال آمين ثم رقي الثانية فقال آمين ثم رقي الثالثة قال آمين فلما فرغ ونزل عن المنبر قلنا يا رسول
الله لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه منك قال وسمعتموه قلنا نعم قال ان جبريل عليه السلام
اعترض قال بعد من ادرك رمضان فلم يغفر له فقلت آمين فلما رقيت الثانية قال بعد من ذكرت
عنده فلم يصل عليك فقلت آمين فلما رقيت الثالثة قال بعد من ادرك عنده ابواه الكبر او احدهما
فلم يدخلاه الجنة قلت آمين حدثنا ابو نعيم حدثنا سلمة بن وردان سمعت انسا رضي الله عنه يقول ارتقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فرقي درجة فقال آمين ثم ارتقى درجة فقال امين ثم ارتقى

تقابلها

الدرجة الثالثة فقال آمين ثم استوى فجلس فقال اصحابه يا رسول الله على ما امنت فقال اتاني جبريل
عليه السلام فقال رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت امين ورغم انف من ادرك
ابواه او احدهما ولم يدخل الجنة فقلت امين فالسعيد الذي يبادر اغتنام فرصة برهما لئلا يفوته
بموتهما فيندم على ذلك والشقي من عقهما لا سيما من بلغه الامر ببرهما الثانية عشرة قوله تعالى فلا
تقل لهما اف اي لا تقل لهما ما يكون فيه ادنى تبرم وعن ابي رجا العطاردي قال الاف الكلام القذع
الرديء الخفي وقال مجاهد معناه اذا رايت منهما في حال الشيخ الغايط والبول الذي رايا منك
في الصغر فلا تقذرهما وتقول اف والاية اعم من هذا والاف والتف وسخ الاظفار ويقال لكل ما يضجر
ويستثقل اف له قال الازهري والتف ايضا الشيء الحقير وقرئ اف منون مخفوض كما تخفض الاصوات
وتنون تقول صه وصه وفيه عشرة لغات اف واف واف وافا واف واف وافة واف لك بكسر
الهمزة واف بضم الهمزة وتسكين الفاء وافا بخفة الفاء وفي الحديث والقى طرف ثوبه على انفه ثم قال
اف اف قال ابو بكر معناه الاستقذار لما شم والاستثقال الاف وهو القليل وقال بعضهم معنى اف
الاحتقار وقال القتبي اصله نفخك الشيء يسقط عليك من رماد او تراب وغير ذلك وللمكان تريد اماطة
شيء لتقعد فيه فقيل هذه الكلمة لكل مستثقل وقال ابو عمرو بن العلا الاف وسخ بين الاظفار والتف
قلامتها وقال الزجاج معنى اف النتن وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار وكثر
استعماله حتى ذكر في كل ما يتاذى به وروي من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو علم الله من العقوق شيئا اردى من اف لذكره فليعمل البار ما شاء ان يعمل
فلن يدخل النار وليعمل العاق ما شاء ان يعمل فلن يدخل الجنة قال علماؤنا وانما صارت قولة اف
للابوين اردى شيء لانه رفضهما رفض كفر النعمة وجحد التربية ورد الوصية التي اوصاه في التنزيل فاف
كلمة مقولة لكل شيء مرفوض ولذلك قال ابرهيم لقومه اف لكم ولما تعبدون من دون الله اي رفض لكم ولهذه
الاصنام معكم الثالثة عشرة قوله تعالى ولا تنهرهما النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما اي لطيفا
لينا مثل يا ابتاه ويا اماه من غير ان تسميهما او تكنيهما قاله عطا وقال ابو البداح التجيبي قلت لسعيد بن
المسيب كل ما في القرآن من بر الوالدين قد عرفته الا قوله وقل لهما قولا كريما ما هذا القول الكريم قال
ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابعة عشرة قوله تعالى واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل بهما تذلل الرعية للامير والعبيد
للسادة كما اشار اليه سعيد بن المسيب وضرب خفض الجناح ونصبه مثلا بجناح الطاير حين تنتصب
بجناحه لولده والذل هو اللين وقراءة الجمهور بضم الذال من ذل يذل ذلا وذلة ومذلة فهو ذال و
ذليل وقرا سعيد بن جبير وابن عباس وعروة بن الزبير الذل بكسر الدال وروي عن عاصم
من قولهم دابة ذلول بينة الذل والذل في الدواب المنقاد السهل دون الصعب وينبغي بحكم هذه
الاية ان يجعل الانسان نفسه مع ابويه في خير ذلة في اقواله وسكناته ونظره ولا يحد اليهما بصره فان
تلك هي نظرة الغاضب الخامسة عشرة الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به امته اذ لم يكن له عليه السلام في ذلك الوقت ابوان ولم يذكر الذل في قوله تعالى واخفض لهما جناح

الدرجة

جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وذكره هنا يعظم الحق وتاكيده ومن في قوله من الرحمة لبيان الجنس اى
ان هذا الخفض يكون من الرحمة المستكنة في النفس لا بان يكون ذلك استعمالا ويصح ان يكون لابتداء الغاية
ثم امر تعالى عباده بالترحم على ابائهم والدعاء لهم وان ترحمهما كما رحماك وترفق بهما كما رفقا بك اذ وليا ك
صغيرا جاهلا محتاجا فاثراك على انفسهما واسهرا ليلهما واشبعاك وتعريا وكسياك فلا تجزيهما الا ان
يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر فتلي منهما ما وليا منك ويكون لهما حينئذ فضل التقدم قال
صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وسيأتي في سورة مريم الكلام
على هذا الحديث قوله تعالى كما ربياني صغيرا خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة
الابوين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك اشفاقا لهما وحنانا عليهما وكل هذا في الابوين المؤمنين فقد
نهى القران عن الاستغفار للمشركين الاموات ولو كانوا اولي قربى كما تقدم وذكر عن ابن عباس وقتادة
ان هذا كله منسوخ نسخ بقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الى قوله اصحاب الجحيم
فاذا كان والدا المسلم ذميين استعمل معهما ما امره الله به هنا الا الترحم لهما بعد موتهما على الكفر
لان هذا وحده نسخ بالاية المذكورة وقيل ليس هذا موضع نسخ فهو دعا بالرحمة الدنيوية للابوين المشركين
ما داما حيين كما تقدم او يكون عموم هذه الآية خص بتلك لا رحمة الاخرة لاسيما وقد قيل ان قوله
وقل رب ارحمهما نزلت في سعد بن ابي وقاص فانه اسلم فالقت امه نفسها في الرمضاء متجردة فذكرت
ذلك لسعد فقال لتمت فنزلت الاية وقيل الآية خاصة في الدعا للابوين المسلمين والصواب ان
ذلك عموم كما ذكرنا وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من امسى مرضيا لوالديه واصبح امسى
واصبح وله بابان مفتوحان من الجنة وان واحدا فواحدا ومن امسى واصبح مسخطا لوالديه امسى واصبح
وله بابان مفتوحان الى النار وان واحدا فواحدا فقال رجل يا رسول الله وان ظلماه قال وان ظلماه
وان ظلماه وقد روينا بالاسناد المتصل عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ان ابي اخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل فاتني بابيك فنزل
جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى يقريك السلام ويقول لك اذا جاك
الشيخ فاساله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال
ابنك يشكوك اتريد ان تاخذ ماله فقال سله يا رسول الله هل انفقه الا على احدى عماته وخالاته وعلى
نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه دعنا من هذا اخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته
اذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيا ما سمعته
اذناي قال قل وانا اسمع قال قلت

غذوتك مولودا وصنتك يافعا ... تعل بما اجني عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت ... الا لسقمك الا ساهرا اتململ
كاني انا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني فعيني تهمل
حياتك لي هم وموتك موجع ... وخيرك مصروف وشرك مقبل
تخاف الردى نفسي عليك وانها ... لتعلم ان الموت وقت مؤجل

هذا ... (هامش)
وان ظلماه صح (هامش)

فلما بلغت السن والغاية التي ... اليها مدى ما كنت فيك اومل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ... كانك انت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ... فعلت كما الجار المصاقب يفعل
فاوليتني حق الجوار ولم تكن ... علي بمال دون مالك تبخل

قال فحينئذ اخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال انت ومالك لابيك قال الطبراني
اللخمي لا يروى يعني هذا الحديث عن ابن المنكدر بهذا التمام والشعر الا بهذا الاسناد تفرد به عبد
الله بن خلصة والله اعلم قوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان
للاوابين غفورا ربكم بما في نفوسكم اى من اعتقاد الرحمة بهما والحنو عليهما او من غيره لكل من العقوق او
من جعل ظاهر بره بهما رياء وقال ابن جبير يريد البادرة التي تبدر كالفلتة والزلة التي تكون من الرجل الى ابويه
او احدهما لا يريد بذلك باسا قال الله تعالى ان تكونوا صالحين اى صادقين في نية البر بالوالدين فان الله يغفر
البادرة وقوله فانه كان للاوابين غفورا وعد بالغفران مع شرط الصلاح والاوبة بعد الاوبة الى طاعة الله
تعالى قال سعيد بن المسيب هو العبد يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب وقال ابن عباس الاواب الحفيظ الذي
اذا ذكر خطاياه استغفر منها وقال عبيد بن عمير هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون الله وهذه
الاقوال متقاربة وقال عون العقيلي الاوابون هم الذين يصلون صلاة الضحى وفي الصحيح صلاة الاوابين
اذا رمضت الفصال وحقيقة اللفظة انها من آب يؤوب اذا رجع قوله تعالى وآت ذا القربى حقه و
المسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان
لربه كفورا فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وآت ذا القربى حقه اى كما راعيت حق الوالدين
فصل الرحم ثم تصدق على المسكين وابن السبيل وقال علي بن الحسين في قوله تعالى وآت ذا القربى
حقه هم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم امر صلى الله عليه وسلم باعطائهم حقوقهم من بيت المال اي
من سهم ذوي القربى من الغزو والغنيمة ويكون خطابا للولاة او من قام مقامهم والحق في هذه الاية
ما يتعين من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه الثانية
قوله تعالى ولا تبذر اى لا تسرف في الانفاق في غير حق قال الشافعي التبذير انفاق المال في غير حقه ولا تبذير
في عمل الخير وهذا قول الجمهور قال اشهب عن مالك التبذير هو اخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه وهو
الاسراف وهو حرام لقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين فقوله اخوان يعني انهم في حكمهم
اذ المبذر ساع في فساد كالشياطين او انهم يفعلون ما تسول لهم او انهم يقرنون عذابهم في النار
ثلثها قوال والاخوان هنا جمع اخ من غير النسب ومنه قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وقوله وكان الشيطان
لربه كفورا اى احذروا متابعته والتشبه به في الفساد والشياطين اسم جنس وقرا الضحاك اخوان الشيطان
على الانفراد وكذلك ثبت في مصحف انس بن مالك الثالثة من انفق ماله زائدا على قدر الحاجات وعرضه
بذلك النفاد فهو مبذر ومن انفق درهما في حرام فهو مبذر ويحجر عليه في نفقته درهم في الحرام ولا يحجر عليه ان
بذله في الشهوات الا اذا خيف عليه النفاد قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فيه ثلث مسائل الاولى وهو انه سبحانه خص نبيه بقوله واما تعرضن

اعلم صح (هامش)

عنهم ابتغاء رحمة من ربك وهو تأدب عجيب وقول لطيف بديع اى لا تعرض عنهم اعراض مستكبر عن ظهر الغنى
والقدرة فتحرمهم وانما يجوز ان تعرض عنهم عند عجز يعرض وعائق يعوق وانت عند ذلك ترجوا من
من الله فتح باب الخير لتتوصل به الى مواساة السائل فان قعد بك الحال فقل لهم قولا ميسورا الثانية
في سبب نزولها قال ابن زيد نزلت الاية في قوم كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأبى
ان يعطيهم لانه كان يعلم منهم نفقة المال في فساد فكان يعرض عنهم رغبة في الاجر في منعهم لئلا يعينهم
على فسادهم قال عطاء الخراساني في قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
قال ليس هنا في ذكر الوالدين جاء ناس من مزينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال
ما اجد ما احملكم ولا عندى ما احملكم فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا فانزل واما تعرضن عنهم ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها الرحمة الفيء الثالثة قوله تعالى فقل لهم قولا ميسورا امره بالدعاء
لهم اى يسّر فقرهم عليهم بدعائك لهم وقيل ادع لهم دعاء يتضمن الفتح لهم والاصلاح وقيل المعنى واما
تعرضن عنهم اى ان اعرضت يا محمد عن اعطائهم لضيق يد فقل لهم قولا ميسورا اى احسن القول وابسط
العذر وادع لهم بسعة الرزق وقل اذا وجدت فعلت واكرمت فان ذلك يعمل في مسرة نفسه عمل المواساة
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي سكت انتظارا للرزق يأتي من الله كراهة
الرد فنزلت هذه الاية فكان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم من فضله فالرحمة على
هذا التأويل الرزق المنتظر وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضمير في عنهم عائد على من تقدم
ذكره من الاباء والقرابة والمساكين وابناء السبيل وقولا ميسورا اى لينا طيبا مفعول بمعنى الفاعل من
لفظ اليسر كالميمون او وعدا جميلا على ما بيناه ولقد احسن من قال

ان لم يكن ورق يوما اجود بها ... للسائلين فاني لين العود
لا يعدم السائلون الخير من خلقي ... اما نوالي واما حسن مردود

يقول يسرت لك كذا اذا اعددته قوله تعالى وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
هذا مجاز عبر به عن البخيل الذي لا يقدر من قلبه على اخراج شيء من ماله فضرب له مثل الغل الذي
يمنع من التصرف باليد وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت ايديهما الى ثديهما وتراقيهما
فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى انامله وتعفو اثره وجعل البخيل كلما هم
بصدقة قلصت واخذت كل حلقة مكانها قال ابو هريرة فانا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
باصبعيه هكذا في جيبه فلو رأيته يوسعها ولا يتوسع الثانية قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط
ضرب بسط اليد مثلا لذهاب المال فان قبض الكف يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها وهذا كله
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وكثيرا ما جاء به القرآن فان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كان سيدهم وواسطتهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب في ذلك وايضا فانه عليه السلام لم يكن
يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع وكان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون في

سبيل الله جميع اموالهم فلم يعنفهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم لصحة يقينهم وشدة بصائرهم
وانما نهى الله تعالى عن الافراط في الانفاق واخراج ما حوته يده من المال من خيف عليه الحسرة على ما خرج من يده
فاما من وثق بموعود الله وجزيل ثوابه فيما انفقه فغير مراد بالاية والله اعلم وقيل ان هذا الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه علمه فيه كيفية الانفاق وامره بالاقتصاد قال جابر وابن مسعود جاء
غلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امي تسألك كذا وكذا فقال ما عندنا اليوم شيء قال فتقول لك
اكسني قميصك فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت عريانا وفي رواية جابر فاذن بلال للصلاة وانتظروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج واشتغلت القلوب فدخل بعضهم فاذا هو عار فنزلت هذه
الاية وكل هذا في انفاق الخير واما انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام كما تقدم الثالثة نهت
هذه الاية عن استفراغ الوجد فيما يطرأ اولا من سؤال المؤمنين لئلا يبقى من يأتي بعد ذلك لا شيء له
او لئلا يضيع المنفق عياله ونحوه من كلام الحكمة ما رأيت قط سرفا الا ومعه حق مضيع وهذه من
ايات فقه الحال ولا يبين حكمها الا باعتبار شخص شخص من الناس الرابعة قوله تعالى فتقعد ملوما
محسورا قال ابن عرفة يقول لا تسرف ولا تتلف مالك فتبقى محسورا منقطعا عن النفقة والتصرف كما يكون
البعير الحسير وهو الذي ذهبت قوته فلا انبعاث به ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير
اى كليل منقطع وقال قتادة اى نادما على ما سلف منك فجعله من الحسرة وفيه بعد لان الفاعل من الحسرة
حسر وحسران ولا يقال محسور والملوم الذي يلام على اتلاف ماله او يلومه من لا يعطيه قوله تعالى وَلَا
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا
فيه مسألتان الاولى قد مضى الكلام في هذه الاية في الانعام والحمد لله والاملاق الفقر وعدم الملك
املق الرجل لم يبق له الا الملقات وهي الحجارة العظام الملس قال الهذلي يصف صائدا

اتيح لها اقيدر ذو حشيف ... اذا سامت على الملقات ساما

الواحدة ملقة والاقيدر تصغير الاقدر وهو الرجل القصير والحشيف من الثياب الخلق وسامت مرت وقال
قال شمر املق لازم ومتعد املق اذا افتقر واملق الدهر ما بيده قال اوس

واملق ما عندي خطوب تنبل

الثانية قوله تعالى خطأ قراءة الجمهور بكسر الخاء وسكون الطاء
وبالهمزة والقصر وقرأ ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء والهمزة مقصورة وهي قراءة ابي جعفر يزيد
وهاتان القراءتان ماخوذتان من خطئ اذا اتى الذنب على عمد قال ابن عرفة يقال خطئ في ذنبه خطأ اذا
اثم فيه واخطأ اذا سلك سبيل خطأ عامدا او غير عامد قال ويقال خطئ في معنى اخطأ وقال الازهري
يقال خطئ يخطأ خطأ اذا تعمد الخطأ مثل اثم يأثم اثما واخطأ اذا لم يتعمد اخطاء وخطأ قال الشاعر

دعيني انما خطئي وصوبي ... علي وانما اهلكت مالي

والخطاء الاسم يقوم مقام الاخطاء وهو ضد الصواب وفيه لغتان القصر وهو الجيد والمد وهو قليل
وروي عن ابن عباس خطأ بفتح الخاء وسكون الطاء وهمزة وقرأ ابن كثير بكسر الخاء وفتح الطاء
ومد الهمزة قال النحاس ولا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم غلطا قال ابو علي هي مصدر
من خاطأ يخاطئ وان كنا لم نجد خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه ومنه قول الشاعر

تخاطات النبل احشاءه ٭ وجر يومى فلم اعجل

وقول الآخر في وصف مهاه ٭ تخاطاه القناص حتى وجدته ٭ وخرطومه في منقع الماء راسب

الجوهري تخاطاه اى اخطاه وقال اوفى بن مطر المازني

الا ابلغا خلتي جابرا بان خليلك لم يقتل

تخطات النبل احشاه البيت وقرا الحسن خطا بفتح الخا والطاء والمد في الهمزة قال ابو حاتم لا يعرف هذا في اللغة وهى غلط غير جايز وقال ابو الفتح الخطا من اخطات بمنزلة العطا من اعطيت هو اسم بمعنى المصدر وعن الحسن ايضا خطا بفتح الخا والطاء منونة من غير همز قوله تعالى وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا فيه مسلة واحدة قال العلما قوله تعالى ولا تقربوا ابلغ من ان يقول لا تزنوا فان معناه لا تدنوا من الزنا والزنا يمد ويقصر لغتان قال الشاعر

كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم

وسبيلا نصب على التمييز التقدير وساء سبيله سبيلا اى لانه يودي الى النار والزنا من الكباير ولا خلاف فيه وفي قبحه لا سيما بحليلة الجار وينشا عنه استخدام ولد الغير واتخاده ابنا وغير ذلك من الميراث وفساد الانساب باختلاط المياه وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بامراة مجح على باب فسطاط فقال لعله يريد ان يلم بها فقالوا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان العنه لعنا يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستخدمه وهو لا يحل له قوله تعالى وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ الآية قد مضى الكلام فيه في الانعام قوله تعالى وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ومن قتل مظلوما اى بغير سبب يوجب القتل فقد جعلنا لوليه اى لمستحق دمه قال ابن خويز منداد الولي يجب ان يكون ذكرا لانه افرده بالولاية بلفظ التذكير سلطانا اى ان شاء قتل وان شاء عفى وان شاء اخذ الدية قاله ابن عباس والضحاك واشهب والشافعي وقال ابن وهب قال مالك السلطان امر الله وقال ابن عباس السلطان الحجة وقيل السلطان طلبه حتى يدفع اليه قال ابن العربي هذه الاقوال متقاربة واوضحها قول مالك انه امر الله ثم ان امر الله لم يقع نصا فاختلف العلما فيه فقال ابن القاسم عن مالك وابو حنيفة القتل خاصة وقال اشهب الخيرة كما ذكرنا انفا وبه قال الشافعي وقد مضى في سورة البقرة هذا المعنى الثانية قوله تعالى فلا يسرف في القتل فيه ثلاثة اقوال لا يقتل غير قاتله قاله الحسن والضحاك ومجاهد وسعيد بن جبير الثاني لا يقتل بدل وليه اثنين كما كانت العرب تفعله الثالث لا يمثل بالقاتل قاله طلق بن حبيب وكله مراد لانه اسراف منهي عنه وقد مضى في البقرة القول في هذا مستوفى وقرا الجمهور يسرف باليا يريد الولي وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي تسرف بالتاء المثناة من فوق وهى قراءة حذيفة وروي العلا بن عبد الكريم عن مجاهد قال هو للقاتل الاول والمعنى عنده فلا تسرف ايها القاتل وقال الطبري هو على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والايمة من بعده اى لا تقتلوا غير القاتل وفي حرف ابي ولا تسرفوا في القتل الثالثة قوله تعالى انه كان منصورا اى معانا يعني الولي فان قيل وكم من ولي مخذول لا يصل الى حقه قلنا المعونة تكون بظهور الحجة تارة وباستيفايها اخرى وبمجموعها تارة

فايها كان فهو نصر من الله سبحانه وروي ابن كثير عن مجاهد قال ان المقتول كان منصورا قال النحاس ومعنى قوله انه ان الله نصره بوليه وروي انه في قراءة ابي ولا تسرفوا في القتل ان ولي المقتول كان منصورا قال النحاس الاحسن باليا ويكون للولي لانه انما يقال لا تسرف لمن كان له ان يقتل فهذا الولي وقد يجوز بالتاء ويكون للولي ايضا الا انه يحتاج فيه الى تحويل المخاطبة قال الضحاك هذا اول ما نزل من القران في شان القتل وهى مكية قوله تعالى وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ فيه مسلتان الاولى قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده قد مضى الكلام فيه في الانعام الثانية قوله تعالى وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ قد مضى الكلام فيه في غير موضع قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا اى مسئولا عنه فحذف كقوله ويفعلون ما يومرون اى ما يومرون به وقيل ان العهد يسال تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت كما تسال الموودة تبكيتا لوايدها قوله تعالى وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا فيه ايضا مسلتان الاولى قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم تقدم الكلام فيه في الانعام ايضا ويقتضي هذه الاية ان الكيل على البايع وقد مضى في سورة يوسف فلا معنى للاعادة والقسطاس بضم القاف وكسرها الميزان بلغة الروم قاله ابن عزيز وقال الزجاج القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقال مجاهد القسطاس العدل وكان يقول هى لغة رومية فكان الناس قيل لهم زنوا بمعدلة في وزنكم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية ابى بكر القسطاس بضم القاف وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم القسطاس بكسر القاف وهما لغتان الثانية قوله تعالى ذلك خير واحسن تاويلا اى وفاء الكيل واقامة الوزن خير عند الله وابرك واحسن تاويلا اي عاقبة قال الحسن ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به الا مخافة الله تعالى الا ابدله في عاجل الدنيا قبل الاخرة ما هو خير له من ذلك قوله تعالى وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى ولا تقف اى تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك قال قتادة لا تقل رايت وانت لم تر وسمعت وانت لم تسمع وعلمت وانت لم تعلم وقاله ابن عباس ايضا وقال مجاهد لا تذم احدا بما ليس لك به علم وقاله ابن عباس ايضا وقال محمد بن الحنفية هى شهادة الزور وقال القتبي المعنى لا تتبع الحدس والظنون وكلها متقاربة واصل القفو البهت والقذف بالباطل ومنه قوله عليه السلام نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا اي لا نسب امنا وقال الكميت فلا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا يقال قفوته اقفوه وقفته اقوفه وقفيته اذا اتبعت اثره ومنه القافة لتتبعهم الاثار وقافية كل شي اخره ومنه قافية الشعر لانها تقفو البيت ومنه اسم النبي صلى الله عليه وسلم المقفى لانه جاء اخر الانبيا ومنه القايف وهو الذي يتبع اثر الشبه يقال قاف القايف يقوف اذا فعل ذلك ويقول قفوت الاثر بتقديم الفاء على القاف قال ابن عطية ويشبه ان يكون هذا من تلعب العرب في بعض الالفاظ كما قالوا رعملي في لعمري وحكى الطبري عن فرقة انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث وذهب منذر بن سعيد الى ان قفا وقاف مثل جبذ وجذب وبالجملة فهذه الاية تنهى عن القذف وقول الزور وما اشبه ذلك من الاقوال الكاذبة والردية وقرا بعض الناس فيما حكى الكسائي يقف بضم القاف وسكون الفاء وقرا الجراح والفواد بفتح الفاء و

فايها

لغة لبعض الناس وانكرها ابو حاتم وغيره الثانية قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الآية الحكم بالقافة لانه
لما قال ولا تقف ما ليس لك به علم دل على جواز ما لنا به علم وكل ما علمه الانسان او غلب على ظنه جاز ان يحكم به
وبهذا احتججنا على اثبات القرعة والخرص لانه ضرب من غلبة الظن وقد يسمى علما اتساعا فالقايف يلحق
الولد بابيه من طريق الشبه بينهما كما يلحق الفقيه الفرع بالاصل من طريق الشبه وفي الصحيح عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل علي مسرورا تبرق اسارير وجهه فقال الم تري ان مجززا نظر الى زيد بن حارثة
واسامة بن زيد وفي رواية عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت اقدامهما فقال ان بعض هذه الاقدام لمن بعض وفي
حديث يونس بن يزيد وكان مجزز قايفا الثالثة قال الامام ابو عبد الله المازري كانت الجاهلية تقدح في
نسب اسامة لكونه اسود شديد السواد وكان زيد ابوه ابيض من القطن هكذا ذكره ابو داود عن احمد بن
صالح قال القاضي عياض وقال غير احمد كان زيد ازهر اللون وكان اسامة شديد الادمة وزيد بن حارثة عربي
صريح من كلب اصابه سباء حسب ما ياتي بيانه في سورة الاحزاب ان شاء الله تعالى الرابعة استدل جمهور
العلماء على الرجوع الى القافة عند التنازع في الولد بسرور النبي صلى الله عليه وسلم بقول هذا القايف
وما كان عليه السلام بالذي يسر بالباطل ولا يعجبه ولم ياخذ بذلك ابو حنيفة واسحق والثوري واصحابهم
متمسكين بالغاء النبي صلى الله عليه وسلم الشبه في حديث اللعان على ما ياتي في سورة النور ان شاء الله
الخامسة واختلف الآخذون باقوال القافة هل يوخذ بذلك في اولاد الحراير والاماء او يختص باولاد الاماء
على قولين فالاول قول الشافعي ومالك في رواية ابن وهب عنه ومشهور مذهبه قصره على ولد الامة والصحيح
ما رواه ابن وهب عنه وقاله الشافعي لان الحديث الذي هو اصل في الباب انما وقع في الحراير فان اسامة
واباه حران فكيف يلغى السبب الذي خرج عليه دليل الحكم وهو الباعث عليه هذا ما لا يجوز عند الاصوليين
وكذلك اختلف هولاء هل يكتفى بقول واحد من القافة او لا بد من قول اثنين لانها شهادة وبالاول قال
ابن القاسم وهو ظاهر الخبر بل نصه وبالثاني قال مالك والشافعي السادسة قوله تعالى ان السمع و
البصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا اي يسال كل واحد منهم عن ما اكتسب فالفواد يسال عما افتكر
فيه واعتقده والسمع والبصر عما راى من ذلك او سمع وقيل المعنى ان الله تعالى يسال الانسان عما حواه
بسمعه وبصره وفواده ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسوول عن رعيته
فالانسان راع على جوارحه فكانه قال كل هذه كان الانسان عنه مسولا فهو على حذف مضاف والمعنى
الاول ابلغ في الحجة فانه يقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي كما قال اليوم نختم على افواههم وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
وعبر عن السمع والبصر والفواد باولئك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الاية مسولة فهي حالة
من يعقل فلذلك عبر عنها باولئك وقال سيبويه في قوله تعالى رايتهم لي ساجدين انما قال رايتهم في نجوم
لانها لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل وقد تقدم وحكى الزجاج ان العرب
تعبر عما يعقل وعما لا يعقل باولئك وانشد هو والطبري

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ○ والعيش بعد اولئك الايام

وهذا امر يوقف عنده واما البيت فالرواية فيه الاقوام والله اعلم قوله تعالى ولا تمش في

الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه مكروها
فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا هذا نهي عن الخيلاء وامر بالتواضع والمرح شدة
الفرح وقيل التكبر في المشي وقيل تجاوز الانسان قدره وقال قتادة هو الخيلاء في المشي وقيل هو
البطر والاشر وقيل هو النشاط وهذه الاقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين احدهما مذموم والآخر
محمود فالبطر والتكبر والخيلاء وتجاوز الانسان قدره مذموم والفرح والنشاط محمود وقد وصف الله
تعالى نفسه باحدهما ففي الحديث الصحيح لله افرح بتوبة العبد من رجل الحديث والكسل مذموم شرعا والنشاط
ضده وقد يكون التكبر وما في معناه محمودا وذلك على اعداء الله والظلمة اسند ابو حاتم محمد بن حبان عن ابن جابر بن
عتيك عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من الغيرة ما يبغض الله ومنها ما يحب الله ومن الخيلاء
ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فاما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الدين والغيرة التي يبغض الله الغيرة التي
في غير دينه والخيلاء التي يحب الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال التي يبغض
الله الاختيال في الباطل واخرجه ابو داود في سننه وغيره وانشدوا

ولا تمش فوق الارض الا تواضعا ○ فكم تحتها قوم هم منك ارفع
وان كنت في عز وحرز ومنعة ○ فكم مات من قوم هم منك امنع

الثانية اقبال الانسان على الصيد ونحوه ترفها دون حاجة الى ذلك داخل في هذه الاية وفيه تعذيب
الحيوان واجراؤه لغير معنى واما الرجل يستريح في اليوم النادر والساعة من يومه يجم فيها نفسه في التفرج
والراحة ليستعين بذلك على شغل من البر كقراءة علم او صلاة فليس بداخل في هذه الاية وقوله تعالى مرحا
قراءة الجمهور بفتح الراء وقرات فرقة فيما حكى يعقوب بكسر الراء على بناء اسم الفاعل والاول ابلغ فان قولك
جاء زيد ركضا ابلغ من قولك جاء زيد راكضا فكذلك قولك مرحا والمرح المصدر ابلغ من ان يقال مرحا الثالثة
قوله تعالى انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال يعني لن تتولج باطنها فتعلم ما فيها ولن تبلغ الجبال طولا اي
لن تساوي الجبال بطولك ولا تطاولك ويقال خرق الثوب اي شقه وخرق الارض قطعها والخرق الواسع
من الارض اي لن تخرق الارض بكبرك ومشيك عليها ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك اي بقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ
بل انت عبد ذليل محاط بك من فوقك ومن تحتك والمحاط محصور ضعيف فلا يليق بك التكبر والمراد بخرق الارض
هنا نقبها لا قطعها بالمسافة والله اعلم وقال الازهري معناه لن تقطعها قال النحاس وهذا ابين كانه ماخوذ من الخرق
وهو الصحراء الواسعة ويقال فلان اخرق من فلان اي اكثر سفرا وغزوا منه يروى ان سبا دوخ الارض
باجناده شرقا وغربا وسهلا وجبلا وقتل سادة وسبا ومنه سمي سبا ودان له الخلق فلما راى ذلك انفرد
عن اصحابه ثلثة ايام ثم خرج اليهم فقال اني لما نلت ما لم ينل احد رايت الابتداء بشكر هذه النعم فلم ار اوقع
في ذلك من السجود للشمس اذا اشرقت فسجدوا لها وكان ذلك اول عبادة الشمس فهذه عاقبة الخيلاء والتكبر
والمرح الرابعة قوله تعالى كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك اشارة الى جملة ما تقدم ذكره
مما امر به ونهى عنه وذلك يصلح للواحد والجمع والمونث والمذكر وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي
ومسروق سيئه على اضافة سيء الى الضمير ولذلك قال مكروها نصب على خبر كان والسيء هو المكروه وهو
الذي لا يرضاه الله ولا يامر به وقد ضمن الله سبحانه في هذه الآي من قوله وقضى ربك الى قوله كان سيئه

مأمورات بها ومنهيا عنها فلا يخبر عن الجميع بانه سيئه فيدخل المأمور به في المنهي عنه واختار هذه القراءة ابو عبيد ولان في قراءة ابي كل ذلك كان سياته فهذه لا يكون الا للاضافه وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو سيئة بالتنوين اى كل ما نهى الله عنه سيئة وعلى هذا انقطع الكلام عند قوله واحسن تاويلا ثم قال ولا تقف ولا تمش ثم قال كل ذلك كان سيئة بالتنوين وقيل ان من قوله ولا تقتلوا اولادكم الى هذه الاية كان سيئة لا حسنة فيه فجعلوا كلا محيطا بالنهي عنه دون غيره وقوله مكروها ليس نعتا لسيئة بل هو بدل منه والتقدير كان سيئة وكان مكروها وقد قيل ان مكروها خبر ثان لكان حمل على لفظة كل وسيئة محمول على المعنى في جميع هذه الاشياء المذكورة قبل وقال بعضهم هو نعت لسيئة لانه لما كان تانيثها غير حقيقي جاز ان يوصف بمذكر وضعف ابو علي الفارسي هذا وقال ان المؤنث اذا ذكر فانما ينبغي ان يكون ما بعده مذكرا وانما التساهل ان يتقدم الفعل المسند الى المؤنث وهو في صيغة ما يسند الى المذكر الا ترى قول الشاعر ٭ فلا مزنت ودقت ودقها ٭ ولا ارض ابقل ابقالها ٭ مستقبح عندهم ولو قال قايل ابقل ارضا لم يكن قبيحا قال ابو علي ولكن يجوز في قوله مكروها ان يكون بدلا من سيئة ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذي في عند ربك في موضع الصفة لسيئة فصل استدل العلماء بهذه الاية على ذم الرقص وتعاطيه قال الامام ابو الوفا ابن عقيل قد نص القران على النهي عن الرقص فقال ولا تمش في الارض مرحا وذم المختال والرقص اشد المرح والبطر اولسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الاطراب والسكر فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فما اقبح من ذي لحية فكيف اذا كانت شيبة يرقص ويصفق على وقاع الالحان والقضبان وخصوصا ان كانت اصوات نسوان ومردان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى احدى الدارين يشمس بالرقص شمس البهايم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رايت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن ضحك مع ادمان مخالطتي لهم وقال ابو الفرج الجوزي ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي انه قال الرقص حماقة بين الكتفين لا يزول الا باللعب وسياتي لهذا الباب مزيد بيان في الكهف وغيرها ان شاء الله تعالى قوله تعالى ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا الاشارة بذلك الى هذه الاداب والقصص والاحكام التي تضمنتها هذه الايات المتقدمة التي نزل بها جبريل اي هذه من الافعال المحكمة التي يقتضيها حكمة الله في عباده وخلقها لهم من محاسن الاخلاق والحكمة وقوانين المعاني المحكمة والافعال الفاضلة ثم عطف قوله ولا تجعل على ما تقدم من النواهي والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل من سمع الاية من البشر والمدحور المهان المبعد المقصي وقد تقدم يقال في الدعا اللهم ادحر عنا الشيطان اى ابعده قوله تعالى أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا هذا رد على من قال من العرب الملايكة بنات الله وكانت لهم بنات ايضا مع البنين ونعم ولكنه اراد افاخلص لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه انكم لتقولون قولا عظيما اى في الاثم عند الله قوله تعالى وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ولقد صرفنا اى بينا وقيل كررنا في هذا القران وقيل في زايدة والتقدير ولقد صرفنا هذا القران مثل واصلحنا لى في ذريتى

مطلب ذم الرقص وتعاطيه

اي اصلح لي ذريتي والتصريف صرف الشيء من جهة الى جهة والمراد بهذا التصريف البيان والتكرير وقيل المغايرة اي غايرنا بين المواعظ ليذكروا ويعتبروا ويتعظوا وقراءة العامة صرفنا بالتشديد على التكثير حيث وقع وقرا الحسن بالتخفيف وقوله في هذا القران يعني الامثال والعبر والحكم والمواعظ والاحكام والاعلام قال الثعلبي سمعت ابا القاسم الحبيبي يقول بحضرة الشيخ الامام ابي الطيب لقوله تعالى صرفنا معنيان احدهما لم يجعله نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها وامرا ونهيا وناسخا ومنسوخا واخبارا وامثالا مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال وتصريف الافعال من الماضي والمستقبل والامر والنهي والفعل والفاعل والمفعول ونحوها والثاني انه لم ينزله مرة واحدة بل نجوما نحو قوله وقرانا فرقناه ومعناه اكثرنا صرف جبريل اليك ليذكروا قرأ يحيى والاعمش وحمزة والكسائي ليذكروا مخففا وكذلك في الفرقان ولقد صرفناه بينهم ليذكروا وليتعظوا قال المهدوي من شدد ليذكروا اراد التدبر وكذلك من قرأ ليذكروا ونظير الاول ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون والثاني واذكروا ما فيه وما يزيدهم اى التذكير والتصريف الا نفورا اى تباعدا عن الحق وغفلة عن النظر والاعتبار وذلك لانهم اعتقدوا في القران انه حيلة وسحر وكهانة وشعر قوله تعالى قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا هذا متصل بقوله ولا تجعل مع الله الها آخر وهو رد على عبدة الاصنام كما يقولون قرأ حفص وابن كثير يقولون بالياء والباقون بالتاء على الخطاب اذا لابتغوا يعني الالهة الى ذي العرش سبيلا قال ابن عباس لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقال سعيد بن جبير المعنى اذا لطلبوا طريقا للوصول اليه ليزيلوا ملكه لانهم شركاؤه وقال قتادة المعنى اذا لابتغت الالهة القربة الى ذي العرش سبيلا والتمست الزلفة عنده لانهم دونه والقوم اعتقدوا ان الاصنام تقربهم الى الله زلفى فاذا اعتقدوا في الاصنام انها محتاجة الى الله فقد بطل انها الهة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا نزه سبحانه نفسه وقدسه ومجده عما لا يليق به والتسبيح التنزيه وقد تقدم قوله تعالى يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا اعاد على السموات والارض ضمير من يعقل لما اسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح وقوله ومن فيهن يريد الملايكة والانس والجن ثم عم بعد ذلك الاشيا كلها في قوله وان من شيء الا يسبح بحمده واختلف في هذا العموم هل هو مخصص ام لا فقالت فرقة ليس مخصوصا والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بان الله خالق قادر وقالت طايفة هذا التسبيح حقيقة وكل شيء على العموم يسبح تسبيحا لا تسمعه البشر ولا يفقهه ولو كان ما قاله الاولون من انه اثر الصنعة والدلالة لكان امرا مفهوما والاية تنطق بان هذا التسبيح لا يفقه واجيبوا بان المراد بقوله لا يفقهون الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله تعالى في الاشياء وقالت فرقة قوله من شيء عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام وليس ذلك في الجمادات ومن هذا قول عكرمة الشجرة تسبح والاسطوان لا تسبح وقال يزيد الرقاشي للحسن وهما في طعام وقد قدم الخوان ايسبح هذا الخوان يا ابا سعيد فقال قد كان يسبح مرة

الباقون بالتشديد واختار ابو عبيد التخفيف لان معناه ليتذكروا صح

قال

يريد بان الشجرة في زمن اغتدابها ونموها كانت تسبح واما الان فقد صار حوانا مدهونا قال المولف رحمه الله
ويستدل لهذا القول من السنة بما ثبت عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال انهما
ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستنزه من بوله ثم دعى بعسيب
رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فقوله
عليه السلام ما لم ييبسا اشارة الى انهما ما داما رطبين يسبحان واذا يبسا صارا جمادا والله اعلم وفي
مسند ابي داود الطيالسي فوضع على احدهما نصفا وعلى الاخر نصفا وقال انه يهون عليهما ما دام فيهما من
بلولتهما شيء قال علماونا ويستفاد من هذا غرس الاشجار وقراءة القران على القبور واذا خفف عنهم
بالاشجار فكيف بقراءة القران وقد بيناه هذا المعنى في كتاب التذكرة بيانا شافيا وانه يصل الى الميت
ثواب ما يقراء ويهدي والحمد لله على ذلك وعلى التاويل الثاني لا يحتاج الى ذلك فان كل شيء من الجماد وغيره
يسبح قال الشيخ المولف وقد يستدل لهذا التاويل وهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقوله وان منها لما يهبط من خشية
الله على قول مجاهد وقوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وذكر ابن المبارك في روايته اخبرنا
مسعر عن عبد الله بن واصل عن عون بن عبد الله بن مسعود ان الجبل ليقول للجبل يا فلان هل مر بك اليوم
ذاكر لله فان قال نعم سر به ثم قراء عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية قال افترى هن يسمعن الزور
ولا يسمعن الخير وفيه عن انس بن مالك قال ما من صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الارض بعضها بعضا يا جاره
هل مر بك اليوم عبد فصلى لله او ذكر الله عليك فمن قايلة لا ومن قايلة نعم فاذا قالت نعم رات لها بذلك عليها
فضلا وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت الموذن جن ولا انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء الا شهد
له يوم القيمة رواه ابن ماجة في سننه ومالك في موطاه من حديث ابي سعيد الخدري وخرج البخاري عن
عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل في غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قيل انه الحجر الاسود
والله اعلم والاخبار في هذا المعنى كثيرة قد اتينا على جملة منها في اللمع اللولوية في شرح العشرينيات
النبوية الفازازي رحمه الله وخبر الجذع ايضا في هذا الباب مشهور خرجه البخاري في مواضع من كتابه واذا
ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات ولا استحالة في شيء من ذلك فكل شيء يسبح للعموم وكذا قال
النخعي وغيره هو عام فيما فيه روح وفيما لا روح فيه حتى صرير الباب واحتجوا بالاخبار التي ذكرنا
وقيل تسبيح الجمادات انها تدعو الناظر اليها الى ان يقول سبحان الله لعدم الادراك منها وقال الشاعر

تلقى بتسبيحه من حيث انصرفت ° وتستقر حشا الرائي بترعاد

اي يقول من راها سبحان خالقها والصحيح ان الكل يسبح للاخبار الدالة على ذلك ولو كان هذا التسبيح
تسبيح دلالة فاي تخصيص لداود وانما ذلك تخصيص المقال لخلق الحيوة والانطاق بالتسبيح كما ذكرنا
وقد نصت السنة على ما دل عليه ظاهر القران من تسبيح كل شيء فالقول به اولى والله اعلم وقرا الحسن
وابو عمرو ويعقوب وحفص وحمزة والكسائي وخلف تفقهون بالتاء لتانيث الفاعل الباقون

بالياء

قال

بالياء واختاره ابو عبيد قال للحايل بين الفعل والتانيث انه كان حليما عن ذنوب عباده في الدنيا غفورا
للمومنين في الاخرة قوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة
حجابا مستورا عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل
بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وفي يد ما فهر والنبي
صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر فلما راها ابو بكر قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اقبلت وانا اخاف ان تراك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقراء قرانا فاعتصم به
كما قال وقراء واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا فوقفت
على ابي بكر ولم ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني فقال
لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فولت وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها وقال سعيد
بن جبير لما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب جاءت امراة ابي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر
فقال ابو بكر لو تنحيت لئلا تسمعك ما يوذيك فانها امراة بذية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سيحال
بيني وبينها فلم تره فقالت لابي بكر يا ابا بكر هجانا صاحبك فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فقالت
وانك لمصدق واندفعت راجعة فقال ابو بكر يا رسول الله اما راتك قال لا ما زال ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت
وقال كعب في هذه الاية كان النبي صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين بثلاث ايات الاية الاولى التي في
الكهف انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وقراء الاية والتي في النحل اولئك الذين طبع
الله على قلوبهم الاية والاية التي في الشريعة افرايت من اتخذ الهه هويه الاية فكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قراهن تستتر من المشركين قال كعب فحدثت بهن رجلا من اهل الشام فاتى ارض الروم فاقام
بها زمانا ثم خرج هاربا فخرجوا في طلبه فقرا بهن فصاروا يكونون معه على طريقه ولا يبصرونه قال الكلبي
وهذا الذي يروونه عن كعب فحدثت بهن رجلا من اهل الري فاسر بالديلم فمكث فيهم زمانا ثم خرج
هاربا فخرجوا في طلبه فقراء بهن حتى جعلت ثيابهم لتمس ثيابه فما يبصرونه قال المولف رحمه الله ويزاد
الى هذه الاي اول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون فان في السيرة في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
ومقام علي رضي الله عنه في فراشه قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب
في يده واخذ الله على ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على روسهم وهو يتلو هذه الايات
من يس والقران الحكيم الى قوله فهم لا يبصرون حتى فرغ من هولاء الايات ولم يبق منهم رجل حتى وضع
على راسه ترابا ثم انصرف الى حيث اراد ان يذهب قال المولف رحمه الله ولقد اتفق لي ببلادنا بالاندلس
بحصن منثور من اعمال قرطبة مثل هذا وذلك اني هربت امام العدو وانحزت الى ناحية عنهم فلم البث
ان خرج في طلبي فارسان وانا في فضاء من الارض قاعد ليس يسترني عنهما شيء وانا اقراء باول سورة
يس وغير ذلك من القران فعبرا على ثم رجعا من حيث جاء واحدهما يقول للاخر هذا ديبلة يعنون
شيطانا وعمى الله ابصارهما فلم يرياني والحمد لله كثيرا على ذلك وقيل الحجاب المستور طبع الله على قلوبهم حتى
لا يفقهوه ولا يدركوا ما فيه من الحكمة قاله قتادة وقال الحسن اي انهم لاعراضهم عن قراءتك وتغافلهم
عنك كمن بينك وبينه حجاب في عدم رويتك حتى كان على قلوبهم اغطية وقيل نزلت في قوم كانوا يوذون

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن وهم ابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث وام
جميل امرأة ابي لهب وحويطب فحجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابصارهم عند قراءة القرآن
وكانوا يمرون به ولا يرونه قاله الزجاج وغيره وهو معنى القول الاول بعينه وهو الاظهر في الآية
والله اعلم وقوله مستورا فيه قولان احدهما ان الحجاب مستور عنكم لا ترونه الثاني ان الحجاب ساتر
عنكم ما وراءه ويكون مستورا بمعنى ساتر قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا وجعلنا
على قلوبهم اكنة هو جمع كنان وهو ما ستر الشيء وقد تقدم في الانعام ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه او كراهية
ان يفقهوه اي ان يفهموا ما فيه من الاوامر والنواهي والحكم والمعاني وهذا رد على القدرية وفي آذانهم
وقرا اي صمما وثقلا وفي الكلام اضمار اي ان يسمعوه واذا ذكرت ربك في القرآن وحده اي قلت لا اله
الا الله وانت تتلو القرآن وقال ابو الجوزاء اوس بن عبد الله ليس شيء اطرد للشيطان من القلب من قول
لا اله الا الله ثم تلا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا وقال علي بن الحسين
هو قوله بسم الله الرحمن الرحيم وقد تقدم هذا في البسملة ولوا على ادبارهم نفورا قيل يعني بذلك المشركين
وقيل الشياطين ونفورا جمع نافر مثل شهود جمع شاهد وقعود جمع قاعد فهو منصوب على الحال ويجوز ان يكون
مصدرا على غير المصدر اذ كان قوله ولوا بمعنى نفروا فيكون معناه نفروا نفورا قوله تعالى نحن
اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا
رجلا مسحورا نحن اعلم بما يستمعون به قيل الباء زائدة في قوله به اي يستمعونه وكانوا يستمعون
من النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ثم ينفرون فيقولون هو ساحر ومسحور كما اخبر الله تعالى به عنهم
قاله قتادة وغيره واذ هم نجوى اي متناجون في امرك قال قتادة وكانت نجواهم قولهم انه مجنون وانه
ساحر وانه يأتي باساطير الاولين وغير ذلك وقيل نزلت حين دعا عتبة اشراف قريش الى طعام
صنعه لهم فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله فتناجوا
يقولون ساحر ومجنون وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان يتخذ طعاما ويدعو اليه اشراف
قريش من المشركين ففعل ذلك علي ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن
ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم فابوا وكانوا
يستمعون من النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون بينهم متناجين هو ساحر وهو مسحور فنزلت الآية
وقال الزجاج النجوى اسم للمصدر اي واذ هم ذو نجوى اي سرار اذ يقول الظالمون ابو جهل والوليد
ابن المغيرة وامثالهما ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مطبوبا قد خبله السحر فاختلط عليه امره يقولون
ذلك لينفروا عنه الناس وقال مجاهد مسحورا اي مخدوعا مثل قوله فانى تسحرون اي من اين تخدعون
وقال ابو عبيدة معنى مسحورا ان له سحرا اي رئة فهو لا يستغني عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس بملك
ويقول العرب للجبان قد انتفخ سحره ولكل من اكل من آدمي وغيره او شرب مسحور ومسحر قال لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا ۝ عصافير من هذا الانام المسحر

وقال امرؤ القيس

ارانا موضعين لامر غيب ۝ ونسحر بالطعام وبالشراب

اي نغذى

ولعله في الحديث عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من هذه التي تساميني من ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم وقد توفي صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك
الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا عجبه من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة
مجنون وتارة شاعر فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اي حيلة في صد الناس عنك وقيل ضلوا عن
الحق فلا يجدون سبيلا اي الى الهدى وقيل مخرجا لتناقض كلامهم في قولهم مجنون ساحر شاعر
قوله تعالى وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا اي قالوا وهم
يتناجون لما سمعوا القرآن وسمعوا امر البعث لو لم يكن مسحورا مخدوعا لما قال هذا قال ابن عباس
الرفات الغبار وقال مجاهد التراب والرفات ما تكسر وبلي من كل شيء كالفتات والحطام والرضاض
عن ابي عبيدة والكسائي والفراء والاخفش تقول منه رفت الشيء رفتا اي حطم فهو مرفوت ءانا لمبعوثون
خلقا جديدا ءانا استفهام والمراد به الجحد والانكار وخلقا نصب لانه مصدر اي بعثا جديدا وكان هذا
غاية الانكار منهم قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
اي قل لهم يا محمد كونوا على جهة التعجيز حجارة او حديدا في الشدة والقوة قال الطبري اي ان عجبتم
من انشاء الله لكم عظاما ولحما فكونوا انتم حجارة او حديدا ان قدرتم وقال علي بن عيسى معناه انكم لو كنتم
حجارة او حديدا لم تفوتوا الله عز وجل اذا ارادكم الا انه خرج مخرج الامر لانه ابلغ في الالزام وقيل
معناه لو كنتم حجارة او حديدا لاعادكم كما بدأكم ولاماتكم ثم احياكم وقال مجاهد المعنى كونوا ما شئتم
فستعادون قال النحاس وهذا قول حسن لانهم لا يستطيعون ان يكونوا حجارة وانما المعنى انهم قد اقروا
بخالقهم وانكروا البعث فقيل لهم استشعروا ان تكونوا ما شئتم فلو كنتم حجارة او حديدا لبعثتم كما خلقتم
اول مرة او خلقا مما يكبر في صدوركم قال مجاهد يعني السموات والارض والجبال لعظمها في النفوس وهو
معنى قول قتادة يقول كونوا ما شئتم فان الله يميتكم ثم يبعثكم وقال ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن
العاصي وابن جبير ومجاهد ايضا وعكرمة وابو صالح والضحاك يعني الموت لانه ليس شيء اكبر في نفس
ابن آدم منه قال امية بن ابي الصلت والموت خلق في النفوس فظيع يقول انكم لو خلقتم من حجارة او
حديد او كنتم الموت لاميتنكم ولابعثنكم لان القدرة التي بها انشأتكم بها نعيدكم وهو معنى قوله فسيقولون
من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وفي الحديث انه يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح
بين الجنة والنار وقيل اراد به البعث لانه كان اكبر في صدورهم قاله الكلبي فطركم خلقكم وانشأكم
فسينغضون اليك رءوسهم اي يحركون رءوسهم استهزاء يقال نغض رأسه ينغض وينغض نغضا ونغوضا
اي تحرك وانغض رأسه اي حركه كالمتعجب من الشيء ومنه قوله تعالى فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون
قال الراجز انغض نحوي رأسه واقنعا ويقال ايضا نغض فلان رأسه اي حركه يتعدى ولا يتعدى
حكاه الاخفش ويقال نغضت سنه اي تحركت وانقلعت قال الراجز

ونغضت من هرم اسنانها ۝ وقال آخر لما رأتني انغضت لي الراسا ۝ وقال آخر

لا ماء في المقراة ان لم تنهض ۝ بمسد فوق المحال النغض

ولحما ٥

ولعله

المجال والحالة البكرة العظيمة التى يستقيم بها الابك ويقولون متى هواي البعث والاعادة وهذا
الوعد قل عسى ان يكون قريبًا اى هو قريب لان عسى واجب نطيه وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
ولعل الساعة قريب وكل ما هو آت فقريب قوله تعالى يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ
وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا الدعاء النداء الى المحشر بكلام سمعه اهل الخلايق يدعوهم الله
تعالى فيه بالخروج وقيل بالصيحة التى يسمعونها فيكون داعية لهم الى الاجتماع فى ارض القيامة قال
صلى الله عليه وسلم انكم يدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء ابائكم فحسنوا اسماءكم فيستجيبون
بحمده اى باستحقاقه الحمد على الاحيا وقال ابو سهل اي والحمد لله كما قال الشاعر
واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من عذره اتقنع
وقيل حامدين لله تعالى بالسنتكم قال سعيد بن جبير يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون سبحانك
وبحمدك ولكن لا ينفعهم اعتراف ذلك اليوم وقال ابن عباس وسفيان بحمده بامره اى تقرون بانه خالقكم
وقال قتادة بمعرفته وطاعته وقيل المعنى بقدرته وقيل بدعايه اياكم قال علماونا وهو الصحيح فان
النفخ فى الصور انما هو سبب لخروج اهل القبور وبالحقيقة انما خروج الخلق بدعوة الحق قال الله تعالى
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فيقومون يقولون سبحانك اللهم وبحمدك قالوا فيوم القيمة يوم يبدا
بالحمد ويختم به قال الله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وقال فى اخره وقضى بينهم بالحق وقيل
الحمد لله رب العالمين وتظنون ان لبثتم الا قليلا يعنى بين النفختين وذلك ان العذاب يكف عن المعذبين
بين النفختين وذلك اربعون عاما فينامون فذلك قوله من بعثنا من مرقدنا فيكون خاصا للكفار وقال
مجاهد للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قاموا مذعورين
وقال قتادة المعنى ان الدنيا تحاقرت فى اعينهم وقلت حين راء ويوم القيمة الحسن وتظنون ان لبثتم
الا قليلا فى الدنيا لطول مكثكم فى الآخرة قوله تعالى وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
تقدم اعرابه والآية نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك ان رجلا من العرب شتمه فسبه
عمر وهم بقتله فكادت تثير فتنة فانزل الله تعالى فيه وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ذكره الثعلبي
والماوردي وابن عطية والواحدي وقيل نزلت لما قال المسلمون ايذن لنا يا رسول الله فى قتالهم
فقد طال ايذاهم ايانا فقال لم اومر بعد بالقتال فانزل الله تعالى وقل لعبادي الذين اعترفوا
بانى خالقهم وهم يعبدون الاصنام يقولوا التى هى احسن كلمة التوحيد والاقرار بالنبوة وقيل
المعنى وقل لعبادي المؤمنين اذا جادلوا الكفار فى التوحيد ان يقولوا الكلمة التى هى احسن كما قال
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال الحسن هو ان يقول للكافر
اذا تشطط هداك الله يرحمك الله وهذا قبل ان يؤمروا بالجهاد وقيل المعنى قل لهم يامروا بما امر الله
به وينهوا عما نهى عنه وعلى هذا تكون الاية عامة فى المؤمن والكافر اى قل للجميع والله اعلم وقالت
طايفة امر الله تعالى فى هذه الاية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الادب والانة القول وخفض
الجناح واطراح نزغات الشيطان وقد قال صلى الله عليه وسلم وكونوا عباد الله اخوانا وهذا حسن
وتكون الاية محكمة قوله تعالى إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا

مُبِينًا ان الشيطان ينزغ بينهم اى بالفساد والقاء العداوة والاغواء وقد تقدم فى آخر الاعراف
ويوسف يقال نزغ بيننا اى افسد قاله اليزيدي وقال غيره النزغ الاغواء ان الشيطان كان
للانسان عدوا مبينا اى شديد العداوة وقد تقدم فى البقرة وفى الخبر ان قوما جلسوا يذكرون
الله فجاء الشيطان ليقطع مجلسهم فمنعته الملايكة فجاء الى قوم جلوس قريبا منهم لا يذكرون الله فحرش
بينهم فتخاصموا او تواثبوا فقال هولاء الذاكرون قوموا بنا نصلح بين اخواننا فقاموا وقطعوا مجلسهم
وفرح بذلك الشيطان فهذا من بعض عداوته قوله تعالى رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ
أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا هذا خطاب للمشركين والمعنى ان
يشاء يوفقكم للاسلام فيرحمكم او يميتكم على الشرك فيعذبكم قاله ابن جريج واعلم بمعنى عليم نحو قولهم
الله اكبر بمعنى كبير وقيل الخطاب للمؤمنين اى ان يشاء يرحمكم بان يحفظكم من كفار مكة او ان يشاء
يعذبكم بتسليطهم عليكم قاله الكلبي وما ارسلناك عليهم وكيلا اى ما وكلناك فى منعهم من الكفر ولا جعلنا
اليك ايمانهم وقيل ما جعلناك كفيلا لهم تواخذ بهم قاله الكلبي وقال الشاعر
ذكرت ابا اروى فبت كانني برد الامور الماضيات وكيل
اى كفيل قوله تعالى وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى
بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا اعاد بعد ان قال ربكم اعلم ليبين انه خالقهم وانه جعلهم مختلفين فى
اخلاقهم وصورهم واحوالهم ومالهم الا بعلم من خلق وكذا النبيين فضل بعضهم على بعض
عن علم منه بحالهم وقد مضى القول فى هذا فى البقرة واتينا داود زبورا الزبور كتاب ليس فيه حلال
ولا حرام ولا فرايض ولا حدود وانما هو دعاء وتحميد اى كما آتينا داود الزبور فلا تنكروا ان يوتى محمد
القرآن وهو فى محاجة اليهود قوله تعالى قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ
الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا لما ابتليت قريش بالقحط وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله
هذه الاية اى ادعوا الذين تعبدون من دونه وزعمتم انها آلهة وقال الحسن يعنى الملايكة وعيسى وعزيرا وقال
ابن مسعود يعنى الجن فلا يملكون كشف الضر اى القحط سبع سنين كما قال مقاتل ولا تحويلا من الفقر
الى الغنى ومن السقم الى الصحة قوله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا اولئك مبتدا الذين صفة اولئك
وضمير الصفة محذوف اى يدعونهم يعنى اولئك المدعون يبتغون خبرا او يكون حالا والذين يدعون خبرا اي
يدعون اليه عبادة او عبادة الى عبادته وقرا ابن مسعود تدعون بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر
ولا خلاف فى يبتغون انه بالياء وفى صحيح مسلم من كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود فى قوله عز وجل اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة قال نفر من الجن اسلموا وكانوا يعبدون فبقى الذين كانوا يعبدون
على عبادتهم وقد اسلم النفر من الجن وفى رواية قال نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم
الجنيون والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وعنه ايضا
انهم الملايكة كانت تعبدهم قبايل من العرب ذكره الماوردي وقال ابن عباس ومجاهد هم عزير وعيسى و
يبتغون يطلبون من الله الزلفة والقربة ويتضرعون الى الله فى طلب الجنة وهى الوسيلة اعلمهم الله تعالى ان

بعض صح

اقرب صح

المعبودين يبتغون القربة الى ربهم والهاء والميم فى ربهم تعود على العابدين ويبتغون على المعبودين ايهم اقرب
ابتداء وخبر ويجوز ان يكون ايهم اقرب بدلا من الضمير فى يبتغون والمعنى يبتغي ايهم اقرب الوسيلة الى الله ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا اى مخوفا لا امان لاحد منهم فينبغي ان يحذر منه ويخاف
قال سهل بن عبد الله الرجاء والخوف زمانان على الانسان فاذا استويا استقامت احواله وان رجح احدهما
بطل الآخر قوله تعالى وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ
فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا وان من قرية الا نحن مهلكوها اى مخربوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا
شديدا قال مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وقال ابن مسعود اذا ظهر الزنا والربا
فى قرية اذن الله فى هلاكهم وقيل المعنى وان من قرية ظالمة يقوى ذلك قوله وما كنا مهلكي القرى
الا واهلها ظالمون اى فليتق المشركون فانه ما من قرية كافرة الا سيحل بها العذاب كان ذلك فى الكتاب اى
فى اللوح مسطورا اى مكتوبا والسطر الخط والكتابة وهو فى الاصل مصدر والسطر بالتحريك مثله قال
جرير ° من شاء بايعته مالى وخلعته ° ما تكمل التيم فى ديوانهم سطرا °
الخلعة بضم الخاء خيار المال والسطر جمع اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير وجمع السطر اسطر
وسطور مثل فلس وفلوس والكتاب هنا يراد به اللوح المحفوظ قوله تعالى وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ
بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا فى الكلام حذف والتقدير وما منعنا ان نرسل بالايات التى اقترحوها الا ان يكذبوا بها
فيهلكوا كما فعل بمن كان قبلهم قال معناه قتادة وابن جريج وغيرهما فاخر الله العذاب عن كفار قريش لعلمه
ان فيهم من يؤمن وفيهم من يلد مؤمنا وقد تقدم فى الانعام وغيرها انهم طلبوا ان يحول الله لهم الصفا ذهبا
وتتنحى الجبال عنهم فنزل جبرئيل وقال ان شئت كان ما سأل قومك ولكنهم ان لم يؤمنوا لم يمهلوا وان شئت
استانيت بهم فقال لا بل استان بهم وان الاولى فى محل نصب بوقوع المنع عليه وان الثانية فى محل رفع و
الباء فى بالايات زائدة ومجاز الكلام وما منعنا ارسال الايات الا تكذيب الاولين والله تعالى لا يكون ممنوعا
عن شيء فالمعنى المبالغة فى انه لا يفعل فكانه قد منع عنه ثم بين ما فعل بمن سال الايات فلم يؤمن بها
فقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة اى آية دالة مضيئة بينة على صدق صالح وعلى قدرة الله تعالى
وقد تقدم ذلك فظلموا بها اى ظلموا بتكذيبها وقيل جحدوا بها وكفروا انها من عند الله فاستاصلهم الله بالعذاب
وما نرسل بالايات الا تخويفا فيه خمسة اوجه الاول العبر والمعجزات التى جعلها الله على ايدى الرسل
من دلايل الانذار تخويفا للمكذبين الثانى انها آيات الانتقام تخويفا من المعاصي الثالث انها تقلب
الاحوال من صغر الى شباب ثم الى تكهل ثم الى مشيب لتعتبر بتقلب احوالك فتخاف عاقبة امرك وهذا قول
احمد بن حنبل رضى الله عنه الرابع القرآن الخامس الموت الذريع قاله الحسن قوله تعالى وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ
رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ قال ابن عباس الناس هنا اهل مكة واحاطته بهم اهلاكه اياهم اى ان الله سيهلكهم
وذكره بلفظ الماضى لتحقق كونه وعنى بهذا الاهلاك الموعود ما جرى يوم بدر ويوم الفتح وقيل معنى احاط
بالناس اى احاطت قدرته بهم فهم فى قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيته قاله مجاهد وابن ابى نجيح وقال الكلبى
المعنى احاط علمه بالناس وقيل المراد عصمته من الناس ان يقتلوه حتى يبلغ رسالة ربه اى وما ارسلناك

قبل يوم القيمه صح

عليهم

عليهم حفيظا بل عليك التبليغ فبلغ بجدك فانا نعصمك منهم ونحفظك فلا تهبهم وامض لما امرك به من تبليغ
الرسالة فقدرتنا محيطة بالكل قال معناه الحسن وعروة وقتادة وغيرهم قوله تعالى وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا
الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ لما بين ان انزال آيات القرآن يتضمن التخويف ضم اليه ذكر آية الاسراء
وهى المذكورة فى صدر السورة وفى البخارى والترمذى عن ابن عباس فى قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التى اريناك الا فتنة للناس قال هى رؤيا عين اريها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به الى بيت
المقدس قال والشجرة الملعونة فى القرآن هى شجرة الزقوم قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وبقول
ابن عباس قالت عائشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن ابى نجيح
وابن زيد وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا اسلموا حين اخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم انه اسرى به
وقيل كانت رؤيا نوم وهذه الآية تقضى بفساده وذلك ان رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد لينكرها
وعن ابن عباس قال الرؤيا التى فى هذه الاية هى رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة فى سنة
الحديبية فرد فافتتن المسلمون لذلك فنزلت الآية فلما كان العام المقبل دخلها فانزل الله تعالى لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق وفى هذا التاويل ضعف لان السورة مكية وتلك الرؤيا كانت بالمدينة وقال فى رواية
ثالثة انه عليه السلام راى فى المنام بنى مروان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فقيل انما هى الدنيا
اعطوها فسرى عنه وما كان له بمكة منبر ولكنه يجوز ان يرى بمكة رؤيا المنبر بالمدينة وهذا الثالث قاله
ايضا سهل بن سعد رضى الله عنه قال سهل انما هى الرؤيا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بنى امية
ينزون على منبره نزو القردة فاغتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات فنزلت الاية مخبرة ان ذلك
من ملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا وقرأ الحسن بن على فى خطبته فى شان بيعته لمعاوية
وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال ابن عطية وفى هذا التاويل نظر ولا يدخل فى هذه الرؤيا
عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية قوله تعالى وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا
يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا فيه تقديم وتاخير اى ما جعلنا الرؤيا التى اريناك والشجرة الملعونة فى القرآن
الا فتنة للناس وفتنتها انهم لما خوفوا بها قال ابو جهل استهزاء هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم
انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر والزبد ثم امر ابو جهل جارية فاحضرت
تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا وقيل ان القائل ما نعلم الزقوم الا الزبد والتمر ابن الزبعرى حيث قال
كثر الله من الزقوم فى داركم فانه التمر بالزبد بلغة اليمن وجائز ان يقول كلاهما ذلك فافتتن ايضا لهذه
المقالة بعض الضعفاء فاخبر الله تعالى نبيه انه انما جعل الاسراء وذكر شجرة الزقوم فتنة واختبارا
ليكفر من سبق عليه الكفر ويصدق من سبق له الايمان كما روى ان ابا بكر الصديق قيل له صبيحة الاسراء
ان صاحبك يزعم انه جاء البارحة من بيت المقدس فقال ان قال ذلك فلقد صدق فقيل له اتصدقه
قبل ان تسمع منه فقال اين عقولكم انا اصدقه بخبر السماء فكيف لا اصدقه بخبر بيت المقدس والسماء
ابعد منها بكثير قال المؤلف رحمه الله ذكر هذا الخبر ابن اسحاق ونصه قال كان من الحديث فيما بلغني عن
مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وابي سعيد الخدري وعايشة ومعاوية ابن
ابى سفيان والحسن ابن ابي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من اهل العلم وام هانى

الملعونه صح

بنت ابي طالب ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من امره حين اسري به صلى الله عليه وسلم
وكان في مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وامر من امر الله تعالى عز وجل في قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولي
الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من امر الله عز وجل على يقين فاسري به صلى الله عليه وسلم
كيف شا وكما شاء ليريه من اياته ما اراد حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع
بها ما يريد وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني عنه يقول اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق
وهو الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يري
الايات فيما بين السماء والارض حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام في
نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم اتي بثلاثة آنية اناء فيه لبن واناء فيه خمر واناء فيه
ماء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قايلا يقول حين عرضت علي ان اخذ الماء غرق
وغرقت امته وان اخذ الخمر غوي وغويت امته وان اخذ اللبن هدي وهديت امته قال فاخذت
اناء اللبن فشربت فقال لي جبرئيل هديت وهديت امتك يا محمد قال ابن اسحاق وحدثت عن الحسن انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحجر اذ جاءني جبرئيل عليه السلام فهمزني بقدمه فجلست فلم
ار شيا ثم عدت لمضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي فجاءني الثالثة فهمزني
بقدمه فجلست فاخذ بعضدي فقمت معه فخرج الى باب المسجد واذا دابة ابيض بين البغل والحمار في فخذيه
جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا افوته قال ابن
اسحاق وحدثت عن قتادة انه قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لاركبه
شمس فوضع جبرئيل يده على معرفته وقال الا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل
محمد اكرم عليه منه قال فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومضى معه جبرئيل حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابرهيم وموسى وعيسى في
نفر من الانبياء عليهم السلام فامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم اتي باناءين في احدهما
خمر وفي الآخر لبن قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اناء اللبن فشرب منه وترك اناء الخمر
قال فقال له جبرئيل هديت الفطرة وهديت امتك وحرمت عليكم الخمر ثم انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى مكة فلما اصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال اكثر الناس هذا والله الامر البين
والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة شهرا ومقبلة شهرا فيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة
ويرجع الى مكة قال فارتد كثير ممن كان اسلم وذهب الناس الى ابي بكر فقالوا هل لك يا ابا بكر في صاحبك
يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال فقال ابو بكر الصديق انكم تكذبون
عليه فقالوا بلى ها هو ذا في المسجد يحدث به الناس فقال ابو بكر والله ان كان قاله لقد صدق فما
يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرني بان الخبر ياتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل او نهار
فاصدقه فهذا ابعد مما تعجبون منه ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه فقال يا نبي الله احدثت
هولاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله فصفه لي فاني قد جئته فقال الحسن
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع لي حتى نظرت اليه فجعل رسول الله يصفه لابي بكر ويقول

ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيا قال صدقت اشهد انك رسول الله قال حتى اذا
انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وانت يا ابا بكر الصديق فيومئذ سماه
الصديق قال الحسن وانزل الله تعالى فيمن ارتد عن الاسلام لذلك وما جعلنا الرويا التي اريناك
الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا فهذا حديث الحسن
عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل فيه من حديث قتادة وذكرنا في الاسرا عن
من تقدم في السيرة وقال ابن عباس هذه الشجرة بنو امية وان النبي صلى الله عليه وسلم نفى الحكم
وهذا قول ضعيف محدث والسورة مكية فيبعد هذا التاويل الا ان يكون هذه الاية مدنية ولم
يثبت ذلك وقد قالت عايشة لمروان لعن الله اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله ثم قال
والشجرة الملعونة في القرآن ولم يجر في القرآن لعن هذه الشجرة ولكن الله لعن الكفار وهم
اكلوها فالمعنى والشجرة الملعونة في القرآن اكلها ويمكن ان يجري هذا على قول العرب لكل طعام مكروه
ضار ملعون وقال ابن عباس الشجرة الملعونة هي هذه الشجرة التي تلتوي على الشجر فتقتلها يعني
الكشوث ونخوفهم بالزقوم فما يزيدهم التخويف الا الكفر قوله تعالى وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا
لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْٓا اِلَّآ اِبْلِيْسَ قَالَ ءَاَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيْنًا قَالَ اَرَءَيْتَكَ هٰذَا الَّذِيْ كَرَّمْتَ
عَلَيَّ لَئِنْ اَخَّرْتَنِ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهٗٓ اِلَّا قَلِيْلًا ○ واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم تقدم ذكر كون الشيطان عدوا للانسان فانجر الكلام الى ذكر آدم والمعنى اذكر تمادي
هولاء المشركين وعتوهم على ربهم قصة ابليس حين عصى ربه وابى السجود وقال ما قال وهو ما
اخبر الله تعالى في قوله تعالى فسجدوا الا ابليس قال أاسجد لمن خلقت طينا اي من طين وهذا استفهام
انكار وقد تقدم القول فيه في خلق آدم في البقرة والانعام مستوفى قال ارايتك اي قال ابليس والكاف توكيد
للمخاطبة هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي ورأى جوهر النار خيرا من جوهر الطين ولم يعرف ان الجواهر
متماثلة وقد تقدم هذا في الاعراف وهذا نصب برايت الذي نعته والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد وفي
الكلام حذف تقديره اخبرني عن هذا الذي فضلته علي لم فضلته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين
فحذف لعلم السامع وقيل لا حاجة الى تقدير الحذف اي اترى هذا الذي كرمته لافعلن به كذا وكذا و
معنى لاحتنكن في قول ابن عباس لاستولين عليهم وقاله الفراء ومجاهد لاحتوينهم ابن زيد لاضلنهم
والمعنى متقارب اي لاستاصلن ذريته بالاغواء والاضلال ولاجتاحنهم وروي عن العرب احتنك الجراد
الزرع اذا ذهب به كله وقيل المعنى لاسوقنهم حيث شئت واقودنهم حيث اردت من قولهم حنكت
الفرس احنكه واحنكه حنكا اذا جعلت في فيه الرسن وكذلك احتنكته والقول الاول قريب من هذا
لانه انما ياتي على الزرع بالحنك وقال الشاعر ○ اشكو اليك سنة قد اجحفت جهدا الى جهد بنا و
واحتنكت اموالنا واجتلفت ○ الا قليلا يعني المعصومين وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان وانما قال ذلك ابليس ظنا كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او علم
من طبع البشر تركب الشهوة فيهم او بنى على قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقال الحسن ظن ذلك لانه
وسوس الى آدم فلم يجد له عزما قوله تعالى قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً

موفورًا هذا امر اهانة اى اجهد جهدك فقد انظرناك فمن تبعك اي اطاعك من ذرية آدم فان جهنم جزاؤكم
جزاء موفورًا اي وافرا عن مجاهد وغيره وهو نصب على المصدر يقال وفرته أفره وفرًا ووفر المال بنفسه
يفر وفورًا فهو وافر وهو لازم ومتعد قوله تعالى وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ
عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى واستفزز اى استزل واستخف واصله القطع ومنه
تفزز الثوب اذا انقطع والمعنى استزله بقطعك اياه عن الحق واستفزه الخوف اى استخفه وقعد
مستوفزا اى غير مطمئن واستفزز امر تعجيز اى انت لا تقدر على اضلال احد ليس لك على احد سلطان فافعل
ما شئت الثانية قوله تعالى بصوتك صوته كل داع يدعوا الى معصية الله عن ابن عباس مجاهد
الغنا والمزامير واللهو والضحاك صوت المزمار وكان آدم عليه السلام اسكن اولاد هابيل على الجبل
وولد قابيل اسفله وفيهم بنات حسان فزمر اللعين فلم يتمالكوا ان جدروا فزنوا ذكره الغزنوي وقيل
بصوتك بوسوستك الثالثة قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك اصل الاجلاب السوق
بجلبة من السايق يقال اجلبه اجلابا والجلب والجلبة الاصوات تقول منه جلبوا بالتشديد وجلب الشيء
يجلبه ويجلبه جلبًا وجلبًا وجلبت الشيء الى نفسه واجتلبته بمعنى واجلب على العدو اجلابا اي جمع
عليهم والمعنى اجمع عليهم كلما تقدر عليه من مكايدك وقال اكثر المفسرين يريد كل راكب وماش في
معصية الله وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب
او ماش يقاتل في معصية الله فهو من خيل ابليس ورجالته وروى سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن
عباس قال كل خيل سارت في معصية الله وكل رجل مشت في معصية الله وكل مال اصيب من حرام
وكل ولد غية فهو للشيطان والرجل جمع راجل مثل صحب وصاحب وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما
لغتان يقال رجل ورجل بمعنى راجل وقرأ عكرمة وقتادة ورجالك على الجمع الرابعة قوله تعالى
شاركهم في الاموال والاولاد اى اجعل لنفسك شركة في ذلك فشركته في الاموال انفاقها في معصية الله
قاله الحسن وقيل هي التي اصابوها من غير حلها قاله مجاهد وقال ابن عباس ما كانوا يحرمونه من البحيرة
والسايبة والوصيلة والحام وقاله قتادة والضحاك ما كانوا يذبحونه لآلهتهم والاولاد قيل هم اولاد
الزنا قاله مجاهد والضحاك وعبد الله بن عباس وعنه ايضا هو ما قتلوا من اولادهم واتوا فيهم من الجرايم
وعنه ايضا هو تسميتهم عبد الحارث وعبد العزى وعبد اللات وعبد شمس ونحوه وقيل انه صبغهم اولادهم
في الكفر حتى هودوهم ونصروهم كصبغ النصارى باولادهم بالغمس في الماء الذي لهم قاله قتادة
وقول خامس روي عن مجاهد قال اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله
تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وسياتي وروي من حديث عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فيكم مغربين قلت يا رسول الله وما المغربين قال الذي يشرك فيهم الجن رواه الترمذي الحكيم
في نوادر الاصول قال الهروي سموا مغربين لانه دخل فيهم عرق غريب قال الترمذي الحكيم فللجن مساماة
بابن آدم في الامور والاختلاط فمنهم من يتزوج فيهم وكانت بلقيس ملكة سبا احد ابويها من الجن وسياتي
بيانه ان شا الله تعالى الخامسة قوله تعالى وعدهم اى منهم الاماني الكاذبة وانه لا قيامة ولا حساب وانه

ان كان حساب وجنة ونار فانتم اولى بالجنة من غيركم تقوية قوله يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
اى باطلا وقيل وعدهم اى عدهم النصرة على من ارادهم بسوء وهذا الامر للشيطان تهدد ووعيد وقيل
استخفاف به وبمن اتبعه السادسة في الاية ما يدل على تحريم المزامير والغنا واللهو لقوله واستفزز من
استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان او فعله وما
يستحسنه فواجب التنزه عنه وروى نافع عن ابن عمر انه سمع صوت زمارة فوضع اصبعيه في اذنيه وعدل راحلته
عن الطريق وهو يقول يا نافع اتسمع فاقول نعم فمضى حتى قلت لا فوضع يديه واعاد راحلته الى الطريق وقال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا قال علماؤنا اذا كان هذا فعلهم في حق
صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغنا اهل هذا الزمان وزمورهم وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة لقمان
ان شا الله تعالى قوله تعالى إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا
قال ابن عباس هم المومنون وقد تقدم الكلام فيه وكفى بربك وكيلا اى عاصما من القبول من ابليس وحافظا
من كيده وسوء مكره قوله تعالى رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا الازجا السوق ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا وقال الشاعر

يا ايها الراكب المزجي مطيته سايل بني اسد ما هذه الصوت

وازجا الفلك سوقه بالريح اللينة والفلك هنا جمع وقد تقدم والبحر الماء الكثير عذبا كان او ملحا وقد غلب هذا الاسم
على المشهور وهذه الاية توقيف على آلاء الله وفضله عند عباده اي ربكم الذي انعم عليكم بكذا وكذا فلا تشركوا
به شيا لتبتغوا من فضله اى في التجارات وقد تقدم انه كان بكم رحيما قوله تعالى وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ
ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا الضر لفظ يعم خوف
الغرق والامساك عن الجري واهوال حالات اضطرابه وتموجه ضل معناه تلف وفقد وهي عبارة تحقير
لمن يدعي الها من دون الله والمعنى في هذه الاية ان الكفار انما يعتقدون في اصنامهم انها شافعة وان لها
فضلا وكل واحد منهم بالفطرة يعلم علما لا يقدر على مدافعته ان الاصنام لا فعل لها في الشدايد العظام فوقفهم
الله من ذلك على حالة البحر حيث ينقطع الحيل فلما نجاكم الى البر اعرضتم اي عن الاخلاص وكان الانسان كفورا
الانسان هنا الكافر وقيل وطبع الانسان كفورا للنعم الا من عصمه الله فالانسان لفظ الجنس قوله تعالى
أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا بين انه قادر
على هلاكهم في البر وان سلموا في البحر والخسف ان تنهار الارض بالشيء يقال بير خسيف اذا انهدم اصلها
وخاسف اذا غارت حدقتها في الراس وعين من الماء خاسفة اى غار ماوها وخسفت الشمس اى غابت
عن الارض وقال ابو عمرو والخسيف البير التي تحفر في حجارة فلا ينقطع ماوها كثرة والجمع خسف وجانب
البر ناحية الارض وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا وايضا فان البحر جانب والبر جانب وقيل انهم كانوا
على ساحل البحر وساحله جانب البر فكانوا فيه آمنين من اهوال البحر فحذرهم ما آمنوه من البر كما حذرهم
ما خافوه من البحر او يرسل عليكم حاصبا يعني ريحا شديدة وهي التي ترمي بالحصبا وهي الحصا الصغار قاله
ابو عبيدة والقتبي وقال قتادة يعني حجارة من السماء تحصبهم كما فعل بقوم لوط ويقال للسحابة التي ترمي
بالبرد حاصب وللريح التي تحمل التراب والحصبا حاصب وحصبة قال لبيد

جرت عليها ان خوف من اهلها اذ بالها كل عصوف حصبه

وقال الفرزدق مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

ثم لا تجدوا لكم وكيلا اى حافظا ونصيرا يمنعكم من باس الله ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح تارة اخرى يعني في البحر فيرسل عليكم قاصفا من الريح القاصف الريح الشديدة التي تكسر بشدة من قصف الشيء يقصفه اى كسره بشده والقصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف شديدة ورعد قاصف شديد الصوت يقال قصف الرعد وغيره قصيفا والقصيف هشيم الشجر والتقصف التكسر والقصف ايضا اللهو واللعب يقال انها مولدة فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا وقرا ابن كثير وابو عمرو نخسف بكم او نرسل عليكم ان نعيدكم فنرسل عليكم ان نعيدكم فنغرقكم بالنون في الخمسة على التعظيم ولقوله علينا الباقون بالياء لقوله في الاية قبل اياه وقرا ابو جعفر وشيبه ورويس ومجاهد فتغرقكم بالتاء نعتا للريح وعن الحسن وقتادة فيغرقكم بيا مع التشديد في الراء وقرا ابو جعفر الرياح هنا وفي كل القرآن وقيل ان العاصف المهلكة في البر والعاصف المغرقة في البحر حكاه الماوردي وقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال مجاهد ثايرا قال النحاس وهو من الثار وكذلك يقال لكل من طلب ثار وغيره تبيع وتابع ومنه قوله فاتباع بالمعروف اى مطالبة ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فيه اربع مسائل

الاولى قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الاية لما ذكر من الترهيب ما ذكر بين النعمة عليهم ايضا وكرمنا تضعيف كرم اى جعلنا لهم كرما اى شرفا وفضلا وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم ان يكون يتحمل بارادته وقصده وتدبيره وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم لانهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان ويلبسون الثياب وياكلون المركبات من الاطعمة وغاية كل حيوان ياكل لحما نيا او طعاما غير مركب وحكى الطبري عن جماعة ان التفضيل هو ان ياكل بيده وساير الحيوان بالفم وروي عن ابن عباس ذكره المهدوي والنحاس وهو قول الكلبي ومقاتل ذكره الماوردي وقال الضحاك كرمهم بالنطق والتمييز وقال عطا كرمهم بتعديل القامة وامتدادها وقال يمان بحسن الصورة وقال محمد بن كعب بان جعل محمدا منهم وقيل اكرم الرجال باللحى والنسا بالذوائب وقال محمد بن جرير الطبري بتسليطهم على سائر الخلق وتسخير سائر الخلق لهم وقيل بالكلام والخط وقيل بالفهم والتمييز والصحيح الذي يعول عليه ان التفضيل انما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه وتصديق رسله الا انه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وانزلت الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين فاذا فتحت وكانت سليمة رات الشمس وادركت تفاصيل الاشياء وما تقدم من الاقوال بعضه اقوى من بعض وقد جعل الله في بعض الحيوان خصالا لا يفضل بها ابن آدم ايضا وذلك كجري الفرس وسمعه وابصاره وقوة الفيل وشجاعة الاسد وكرم الديك وانما التكريم والتفضيل بالعقل كما بيناه والله اعلم

الثانية قالت فرقة هذه الاية تقضي بتفضيل الملايكة على الانس من حيث انهم المستثنون في قوله تعالى ولا الملايكة المقربون وهذا غير لازم من الاية بل التفضيل فيها بين الانس والجن فان هذه الاية انما عدد الله فيها على بني آدم ما خصهم به من ساير الحيوان والجن هو الكثير المفضول والملايكة هم الخارجون عن الكثير المفضول ولم يتعرض الاية لذكرهم بل يحتمل ان الملايكة افضل ويحتمل العكس ويحتمل التساوي وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه المسالة الى القطع وقد تحاشى قوم من الكلام في هذا كما تحاشوا من الكلام في تفضيل بعض الانبياء على بعض اذ في الخبر لا تخايروا بين الانبياء ولا تفضلوني على يونس بن متى وهذا ليس بشيء لوجود النص في القرآن في التفضيل بين الانبياء وبيناه في البقرة ومضى فيها الكلام في تفضيل الملايكة والمومن

الثالثة قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب قال مقاتل السمن والعسل والزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم من التبن والعظام وغيرها وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اى على البهائم والدواب والوحش والطير بالغلبة والاستيلا والثواب والجزا والحفظ والتمييز واصابة الفراسة

الرابعة هذه الاية ترد ما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيعوا انفسكم طيب الطعام فانما قوي الشيطان انه يجري في العروق منها وبه يستدل كثير من الصوفية في ترك اكل الطيبات ولا اصل له لان القرآن يرده والسنة الثابتة بخلافه على ما تقرر في غير موضع وقد حكى ابو حامد الطوسي قال كان سهل يقتات ورق النبق مدة واكل دقاق ورق التين ثلاث سنين وذكر ابرهيم بن البنا قال صحبت ذا النون من اخميم الى الاسكندرية فلما كان وقت افطاره اخرجت قرصا وملحا كان معي وقلت هلم فقال لي ملحك مدقوق قلت نعم قال لست تفلح فنظرت الى مزودته واذا فيه قليل سويق شعير يستف منه وقال ابو يزيد ما اكلت شيا مما ياكله بنو آدم اربعين سنة قال علماونا وهذا مما لا يجوز حمل النفس عليه لان الله تعالى اكرم الآدمي بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا يصح مزاحمة الدواب في اكل التبن واما سويق الشعير فانه يورث القولنج واذا اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه ينحرف مزاجه فان خبز الشعير بارد مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر واذا مالت النفس الى ما يصلحها فمنعت فقد قووم حكمة الباري سبحانه بردها ثم يوثر ذلك في البدن فكان هذا الفعل مخالفا للشرع والعقل ومعلوم ان البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ وروي عن ابرهيم بن ادهم انه اشترى زبدا وعسلا وخبز حوارى فقيل له هذا كله فقال اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وكان الثوري ياكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم الى الصلاة ومثل هذا عن السلف كثير وقد تقدم منه ما يكفي في المايدة والاعراف وغيرهما والاول غلو في الدين ان صح عنهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم

قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم روى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال يدعى احدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على راسه تاج من لولو يتلالا فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ايتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى ياتيهم ويقول ابشروا لكل منكم مثل هذا قال واما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه اصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تاتنا بهذا قال فياتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول ابعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب ونظير هذا

قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون والكتاب اما لانه يرجع اليه في تعرف
اعمالهم وقال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك بامامهم اى بكتابهم اى بكتاب كل انسان منهم الذي
فيه عمله دليله فمن اوتي كتابه وقال ابن زيد بالكتاب المنزل عليهم اى يدعى كل انسان بكتابه الذي كان
يتلوه فيدعى اهل التوراة بالتوراة واهل القرآن بالقرآن فيقال يا اهل القرآن ما ذا عملتم هل امتثلتم
اوامره هل اجتنبتم نواهيه وهكذا وقال مجاهد بامامهم بنبيهم والامام من يؤتم به فيقال هاتوا
متبعي ابرهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي الشيطان هاتوا متبعي الاصنام فيقوم اهل الحق فياخذون
كتابهم بايمانهم ويقوم اهل الباطل فياخذون كتابهم بشمالهم وقال قتادة وقال على رضي الله عنه بامام
عصرهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم فقال كل يدعى بامام
زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم فيقول هاتوا متبعي ابرهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى
هاتوا متبعي محمد فيقوم اهل الحق فياخذون كتابهم بايمانهم ويقول هاتوا متبعي الشيطان هاتوا
متبعي رؤساء الضلالة امام هدى وامام ضلالة وقال الحسن وابو العالية بامامهم اى باعمالهم وقاله
ابن عباس فيقال اين الراضون بالمقدور بالقدر اين الصابرون على المحذور وقيل بمذاهبهم فيدعون
بمن كانوا ياتمون به في الدنيا يا حنفي يا شافعي يا معتزلي يا قدري ونحوه فيتبعونه في خير او شر او على
حق او باطل وهذا معنى قول ابي عبيدة وقد تقدم وقال ابو هريرة يدعى اهل الصدقة من باب الصدقة
واهل الجهاد من باب الجهاد الحديث بطوله قال ابو سهل يقال اين فلان المصلي والصوام وعكسه الزفاف
والنمام وقال محمد بن كعب بامامهم بامهاتهم وامام جمع ام قالت الحكماء وفي ذلك ثلاثة اوجه احدها
لاجل عيسى عليه السلام والثاني اظهارا لشرف الحسن والحسين والثالث لئلا يفتضح عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم القيمة
فيقال هذه غدرة فلان بن فلان خرجه مسلم والبخاري فقوله هذه غدرة فلان بن فلان دليل على
ان الناس يدعون باسماء آبائهم لان في ذلك سترا على آبائهم والله اعلم قوله تعالى فمن اوتي كتابه بيمينه
فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا هذا يقوى قول من قال بامامهم بكتابهم ويقويه ايضا
قوله تعالى وكل شئ احصيناه في امام مبين فاولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا الفتيلة التي
في شق النواة وقد مضى في النساء قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى
واضل سبيلا ومن كان في هذه اعمى اى في الدنيا عن الاعتبار وابصار الحق فهو في الآخرة اى
في امر الآخرة اعمى وقال عكرمة جاء نفر من اهل اليمن الى ابن عباس فسالوه عن هذه الآية فقال
اقرءوا ما قبلها ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر الى تفضيلا قال ابن عباس من كان في هذه النعم والآيات
التي راى اعمى فهو عن الآخرة التي لم تعاين اعمى واضل سبيلا وقيل المعنى من عمي عن النعم التي انعم الله بها
عليه في الدنيا فهو عن نعم الآخرة اعمى وقيل المعنى من كان في الدنيا التي امهل فيها وفسح له ووعد بقبول
التوبة اعمى فهو في الآخرة التي لا توبة فيها اعمى وقال الحسن من كان في هذه الدنيا كافرا ضالا فهو في الآخرة
اعمى واضل سبيلا وقيل من كان في الدنيا اعمى عن حجج الله بعثه الله يوم القيامة اعمى كما قال ونحشره
يوم القيامة اعمى الآيات وقال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم وقيل

المعنى في قوله فهو في الآخرة اعمى في جميع الاقوال اشد عمى لانه من عمى القلب ولا يقال مثله في عمى العين قال
الخليل وسيبويه لانه خلقة بمنزلة اليد والرجل فلم يقل ما اعماه كما لا يقال ما ايداه قال الاخفش لم
يقل فيه ذلك لانه على اكثر من ثلثة احرف واصله اعمى وقد اجاز بعض النحويين ما اعماه وما اعشاه
لان فعله عمي وعشي وقال الفراء حدثني بشار شيخ بصري انه سمع العرب يقول ما اسود شعره قال
الشاعر

ما في المعالي لكم ظل ولا ثمر ... وفي المخازي لكم اشباخ اشياخ
اما الملوك فانت اليوم الامهم ... لؤما وابيضهم سربال طباخ

وامال ابو بكر وحمزة والكسائي وخلف الحرفين اعمى واعمى وفتح الباقون وامال ابو عمرو الاول وفتح
الثاني واضل سبيلا يعني انه لا يجد طريقا الى الهداية قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا
اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا قال سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم
يستلم الحجر الاسود في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه وقال ما علي
ان المّ بها بعد ان يدعوني استلم الحجر والله يعلم اني لها كاره فابى الله تعالى ذلك وانزل هذه الآية قاله
مجاهد وقتادة وقال ابن عباس في رواية عطاء نزلت في وفد ثقيف اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه
شططا وقالوا متعنا بالهتنا سنة حتى ناخذ ما يهدى لها فاذا اخذناه كسرناها واسلمنا وحرم
وادينا كما حرمت مكة حتى تعرف العرب فضلنا عليهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم
ذلك فنزلت هذه الآية وقيل هو قول اكابر قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد عنا هؤلاء السقاط
والموالي حتى نجلس معك ونسمع منك فهم بذلك حتى نهي عنه وقال قتادة ذكر لنا ان قريشا خلوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه فقالوا انك تاتي بشئ
لا ياتي به احد من الناس وانت سيدنا يا سيدنا وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون ثم
عصمه الله تعالى من ذلك وانزل الله تعالى هذه الآية ومعنى ليفتنونك اى يزيلونك يقال فتنت الرجل
عن رايه اذا ازلته عما كان عليه قاله الهروي وقيل يصرفونك والمعنى واحد عن الذي اوحينا اليك
اى عن حكم القرآن لان في اعطائهم ما سالوه مخالفة لحكم القرآن لتفتري علينا غيره لتختلق علينا غير
ما اوحينا اليك وهو قول ثقيف وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فان سالتك
العرب لم خصصتهم فقل الله امرني بذلك حتى يكون عذرا لك واذا لاتخذوك خليلا اى لو فعلت
ما ارادوا لاتخذوك خليلا اى والوك وصافوك من الخلة بالضم وهي الصداقة لممايلته لهم وقيل لاتخذوك ماخوذ
خليلا اى فقيرا ماخوذا من الخلة بالفتح وهي الفقر لحاجته اليهم قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا
ولولا ان ثبتناك اى على الحق وعصمناك عن موافقتهم لقد كدت تركن اليهم اى تميل شيئا قليلا اى ركونا
قليلا قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وقيل ظاهر الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وباطنه اخبار عن ثقيف والمعنى وان كادوا ليركنونك اى كادوا يخبرونك
عنك بانك ملت الى قولهم فنسب فعلهم اليه مجازا واتساعا كما يقول للرجل كدت تقتل نفسك اى كاد الناس
يقتلونك بسبب ما فعلت ذكره المهدوي وقيل ما كان منه هم بالركون اليهم بل المعنى ولولا فضل الله

عليك لكان منك ميل الى موافقتهم ولكن تم فضل الله عليك ولم يفعل ذكره القشيري وقال ابن عباس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم معصومًا ولكن هذا تعريف للامة لئلا يركن احد منهم الى المشركين في شيء من احكام
الله تعالى وشرايعه وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى لو ركنت لاذقناك مثلي عذاب
الحيوة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الآخرة قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما وهذا غاية الوعيد وكلما
كانت الدرجة اعلا كان العذاب عند المخالفة اعظم قال الله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وضعف الشيء مثله مرتين وقد يكون الضعف النصيب كقوله
عز وجل لكل ضعف اى نصيب وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ
الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا هذه الاية قيل انها مدنية حسب ما تقدم
في اول السورة قال ابن عباس حسدت اليهود مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا ان الانبيا انما
بعثوا بالشام فان كنت نبيا فالحق بها فانك ان خرجت اليها صدقناك وامنا بك فوقع ذلك في قلبه لما
يحب من اسلامهم فرحل من المدينة على مرحلة فانزل الله هذه الاية وقال عبد الرحمن بن غنم غزا رسول
الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك لا يريد الا الشام فلما نزل تبوك نزل وان كادوا ليستفزونك
من بعد ما ختمت السورة فامر بالرجوع وقيل انها مكية قال مجاهد وقتادة نزلت في همّ اهل مكة باخراجه
ولو اخرجوه لما امهلوا ولكن الله امره بالهجرة فخرج وهذا اصح لان السورة مكية ولان ما قبلها خبر عن
اهل مكة ولم يجر لليهود ذكر وقوله من الارض يريد ارض مكة كقوله فلن ابرح الارض اى ارض مصر
دليله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك يعني مكة معناه هم اهلها باخراجه
فلهذا اضاف اليهم وقال اخرجتك وقيل همّ الكفار كلهم ان يستخفوه من ارض العرب بتظاهرهم عليه فمنعه الله
ولو اخرجوه من ارض العرب لم يمهلوا وهو معنى قوله واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرا
عطاء بن ابي رباح لا يلبثون الباء مشددة خلفك نافع وابو بكر وابن كثير وابو عمرو وخلفك معناه بعدك
وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي خلافك واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله ومعناه ايضا بعدك قال الشاعر

عفت الديار خلافها فكانما ۞ بسط الشواطب بينهن حصيرا

يقال شطبت المرأة الجريد شطبا اذا شققته ليعمل منه الحصر قال ابو عبيد ثم تلقيه الشاطبة الى
المنقية وقيل خلفك بمعنى بعدك وخلافك بمعنى مخالفتك ذكره ابن الانباري الا قليلا فيه وجهان احدهما
ان المدة التي لبثوها بعده ما بين اخراجهم له الى قتلهم يوم بدر وهذا قول من ذكر انهم قريش الثاني ما بين ذلك وهلاك اليهود
سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا اى يعذبون كسنة من قد ارسلنا فهو نصب باضمار يعذبون فلما سقط الخافض عمل الفعل
قاله الفرا وقيل انتصب على معنى سنّنا سنة من قد ارسلنا وقيل هو منصوب على تقدير حذف الكاف
التقدير لا يلبثون خلفك الا قليلا كسنة من قد ارسلنا فلا يوقف على هذا التقدير على قوله الا قليلا و
يوقف على الاول والثاني قبلك من رسلنا وقف حسن ولا تجد لسنتنا تحويلا اى لا خلف في وعدها
قوله تعالى أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ

إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا فيه سبع مسايل الاولى لما ذكر مكايد المشركين امر نبيه عليه
السلام بالصبر والمحافظة على الصلاة وفيها طلب النصر على الاعداء ومثله ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين وتقدم القول في معنى اقامة الصلاة في اول
البقرة وهذه الاية باجماع من المفسرين اشارة الى الصلوات المفروضة واختلف العلماء في الدلوك
على وجهين احدهما انه زوال الشمس عن كبد السماء قاله عمر وابنه وابو هريرة وابن عباس وطايفة سواهم
من علماء التابعين وغيرهم الثاني ان الدلوك هو الغروب قاله علي وابن مسعود وابي بن كعب وروي
عن ابن عباس قال الماوردي من جعل الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك عينيه براحته
لتبينها حالة المغيب ومن جعله اسما لزوالها فلانه يدلك عينيه لشدة شعاعها وقال ابو عبيد دلوكها
غروبها ودلكت براح يعني الشمس اى غابت وانشد قطرب

هذا مقام قدمي رباح ۞ ذبب حتى دلكت براح

براح بفتح الباء على وزن حذام وقطام ورقاش اسم من اسماء الشمس ورواه الفرا بكسر الباء وهو
جمع راحة يعني الكف اى غابت وهو ينظر اليها وقد جعل كفه على حاجبه ومنه قول العجاج

والشمس قد كادت تكون دنفا ۞ ادفعها بالراح كي تزحلفا

قال ابن الاعرابي الزحلوقة مكان منحدر املس لانهم يتزحلفون فيه وقال والزحلفة كالدحرجة والدفع
يقال زحلفته فتزحلف ويقال دلكت الشمس اذا غابت قال ذو الرمة

مصابيح ليست باللواتي تقودها ۞ نجوم ولا بالافلات الدوالك

قال ابن عطية الدلوك هو الميل في اللغة فاول الدلوك هو الزوال وآخره هو الغروب ومن وقت الزوال
الى الغروب يسمى دلوكا لانها في حالة ميل فذكر الله تعالى الصلوات التي تكون في حالة الدلوك وعنده فيدخل
في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح ان يكون المغرب داخلة في غسق الليل وقد ذهب قوم الى ان صلاة
الظهر يتمادى وقتها من الزوال الى الغروب لان الله سبحانه علق وجوبها على الدلوك وهذا دلوك كله قاله الاوزاعي
وابو حنيفة في تفصيل واشار اليه مالك والشافعي في حالة الضرورة الثانية قوله تعالى الى غسق الليل روى
مالك والشافعي عن ابن عباس قال دلوك الشمس ميلها وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته وقال ابو عبيدة الغسق
سواد الليل قال قيس بن الرقيات

ان هذا الليل قد غسقا ۞ واشتكيت الهم والارقا

وقد قيل غسق الليل مغيب الشفق وقيل اقبال ظلمته قال الشاعر زهير

ظلت تجود يداها وهي لاهية ۞ حتى اذا جنح الاظلام والغسق

يقال غسق الليل غسوقا والغسق اسم بفتح السين واصل الكلمة من السيلان يقال غسقت العين اذا
سالت بغسق وغسق الجرح غسقانا اى سال منه ما اصفر واغسق المؤذن اي اخر المغرب الى غسق الليل
وحكى الفرا غسق الليل واغسق وظلم واظلم ودجى وادجى وغبش واغبش وكان الربيع بن خثيم يقول لمؤذنه
في يوم غيم اغسق اغسق يقول آخر المغرب حتى يغسق الليل وهو اظلامه الثالثة اختلف العلما في آخر
وقت المغرب فقيل وقتها وقت واحد لا وقت لها الا حين تجب الشمس وذلك بيّن في امامة جبريل فانه صلاها في

وقت واحد

اليومين لوقت واحد وذلك غروب الشمس وهو الظاهر من مذهب مالك عند اصحابه وهو احد قولي الشافعي
في المشهور عنه ايضا وبه قال الثوري وقال مالك في الموطا فاذا غاب الشفق فقد خرجت من وقت المغرب
ودخل وقت العشا وبهذا قال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن حي واحمد واسحاق وابو ثور وداود
لان وقت الغروب الى الشفق غسق كله ولحديث ابي موسى وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالسائل
المغرب في اليوم الثاني فاخرحتى كان عند سقوط الشفق خرجه مسلم وقالوا وهذا اولى من اخبار امامة جبريل
لانه متاخر بالمدينة وامامة جبريل بمكة والمتاخر اولى من فعله وامره لانه ناسخ لما قبله وزعم ابن العربي
ان هذا القول هو المشهور من مذهب مالك وقوله في موطاه الذي اقراه طول عمره واملاه في حياته
والنكتة في هذا ان الاحكام المتعلقة بالاسماء هل تتعلق باوايلها او باخرها او يرتبط الحكم بجميعها والاقوى
في النظر ان يرتبط الحكم باوايلها ليلا يكون ذكرها لغوًا فاذا ارتبط باوايلها جرى بعد ذلك النظر في تعلقه
بالكل الى الاخر قال المولف رحمه الله القول بالتوسعة ارجح وقد خرج الامام الحافظ ابو محمد عبد الغني
ابن سعيد من حديث الاجلح بن عبد الله الكندي عن ابي الزبير عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة قريبا من غروب الشمس فلم يصل المغرب حتى اتى سرف وذلك تسعة اميال واما القول بالنسخ فليس بالبين
وان كان التاريخ معلومًا فان الجمع ممكن قال علماونا تحمل احاديث جبريل على الافضلية في وقت المغرب
ولذلك اتفقت الامة فيها على تعجيلها والمبادرة اليها في حين غروب الشمس قال ابن خويز منداد ولا
نعلم احدًا من المسلمين تاخر باقامة المغرب في مسجد جماعة عن وقت غروب الشمس واحاديث التوسعة
تبين وقت الجواز فيرتفع التعارض ويصح الجمع وهو اولى من الترجيح باتفاق الاصوليين لان فيها
اعمال كل واحد من الدليلين والقول بالنسخ او الترجيح فيه اسقاط احدهما والله اعلم الرابعة قوله
تعالى وقران الفجر انتصب قران من وجهين احدهما ان يكون معطوفا على الصلاة في المعنى واقم قران الفجر
اي صلاة الصبح قاله الفرا وقال اهل البصرة انتصب على الاغرا اي فعليك بقران الفجر قاله الزجاج
وعبر عنها بالقراة خاصة دون غيرها من الصلاة لان القران هو عظمها اذ قراتها طويلة مجهور بها حسب
ما هو مشهور مسطور عن الزجاج ايضا قال المولف رحمه الله وقد استقر عمل المدينة على استحباب اطالة
القراة في الصبح قدرًا لا يضر بمن خلفه يقرا فيها بطوال المفصل ويليها في ذلك الظهر والجمعة وتخفيف
القراة في المغرب وتوسطها في العصر والعشا وقد قيل في العصر انها تخفف كالمغرب واما ما ورد في
صحيح مسلم وغيره من الاطالة فيما استقر فيه التقصير او من التقصير فيما استقرت فيه الاطالة كقراته
في الفجر بالمعوذتين كما رواه النسائي وكقراة الاعراف والمرسلات والطور في المغرب فمتروك بالعمل
والانكار على معاذ التطويل حين ام قومه في العشا فافتتح سورة البقرة خرجه الصحيح وبامره الايمة
بالتخفيف فقال ايها الناس ان منكم منفرين فايكم ام الناس فليخفف فان فيهم الصغير والكبير والمريض
والسقيم والضعيف وذا الحاجة وقال فاذا صلى وحده فليطول ما شا كله مسطور في الصحيح الحديث
الخامسة قوله تعالى وقران الفجر دليل على انه لا صلاة الا بقراة لانه سمى الصلاة قرانا وقد اختلف
العلماء في القراة في الصلاة فذهب جمهورهم الى وجوب قراة ام القران للامام والفذ في كل ركعة
وهو مشهور قول مالك وعنه ايضا انها واجبة في جل الصلاة وهو قول اسحاق وعنه انها تجب في ركعة

واحدة قاله المغيرة وسحنون وعنه ان القراة لا تجب في شيء من الصلاة وهو اشذ الروايات عنه وحكي
عن مالك ايضا انها تجب في نصف الصلاة واليه ذهب الاوزاعي وعن الاوزاعي ايضا وايوب انها تجب
على الامام والفذ والماموم على كل حال وهو احد قولي الشافعي وقد مضى في الفاتحة مستوفى السادسة
قوله تعالى كان مشهودًا روى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وقران
الفجر ان قران الفجر كان مشهودًا قال تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار هذا حديث حسن صحيح ورواه
علي بن مسهر عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى
البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فضل صلاة الجماعة على صلاة الواحد خمس وعشرون
درجة وتجتمع ملايكة الليل وملايكة النهار في صلاة الصبح يقول ابو هريرة اقرءوا ان شيتم وقران
الفجر ان قران الفجر كان مشهودًا ولهذا المعنى تبكر بهذه الصلاة فمن لم يبكر لم يشهد صلاة الا احد
الفيتين من الملايكة ولهذا المعنى ايضا قال مالك والشافعي التغليس بالصبح افضل وقال ابو حنيفة
الافضل الجمع بين التغليس والاسفار فان فاته ذلك فالاسفار اولى من التغليس وهذا مخالف
لما كان عليه السلام يفعله من المداومة على التغليس وايضا فان فيه تفويت شهود ملايكة الليل والله اعلم
السابعة استدل بعض العلماء بقوله صلى الله عليه وسلم تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار
على ان صلاة الصبح ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار قال المولف رحمه الله وعلى هذا
فلا تكون صلاة العصر ايضا لا من صلاة الليل ولا من صلاة النهار فان في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رواه ابو هريرة يتعاقبون فيكم ملايكة بالليل وملايكة بالنهار فيجتمعون في صلاة العصر وصلاة
الصبح الحديث ومعلوم ان صلاة العصر من النهار كالعصر بدليل الصيام والايمان وهذا واضح قوله تعالى
وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا فيه ست مسايل
الاولى قوله تعالى ومن الليل من للتبعيض والفاء في فتهجد ناسقة على مضمر اي قم فتهجد به اي بالقران
والتهجد من الهجود وهو من الاضداد يقال هجد نام وهجد سهر على الضد قال الشاعر

الا زارت واهل منى هجود ... وليت خيالها بمنى يعود

يعني منتبهين وقال اخر

الا طرقتنا والرفاق هجود ... فباتت بعلات النوال تجود

يعني نياما وهجد وتهجد بمعنى وهجدته اي نومته وهجدته اي ايقظته والتهجد التيقظ بعد رقدة فصار
اسما للصلاة لانه ينتبه لها فالتهجد القيام الى الصلاة من النوم قال معناه الاسود وعلقمة وعبد
الرحمن بن الاسود وغيرهم وروى اسماعيل بن اسحاق القاضي من حديث الحجاج بن عمر صاحب النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ايحسب احدكم اذا قام من الليل كله انه قد تهجد انما التهجد الصلاة بعد
رقدة ثم الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة كذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل الهجود النوم يقال تهجد الرجل اذا سهر والقى الهجود وهو النوم ويسمى من قام الى الصلاة
متهجدا لان المتهجد هو الذي يلقي الهجود الذي هو النوم عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتحرج
وتاثم وتحنث وتقذر وتنجس اذا القى ذلك عن نفسه ومثله قوله تعالى فظلتم تفكهون معناه تندمون
اي تطرحون الفاكهة عن انفسكم وهي انبساط النفوس وسرورها يقال رجل فكه اذا كان كثير

السرور والضحك والمعنى فى الاية ووقتا من الليل فتهجد به فى صلاة وقراءة الثانية قوله تعالى نافلة
لك اى كرامة لك قال مقاتل واختلف العلماء فى تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر دون امته
فقيل كانت صلاة الليل فريضة عليه فقوله نافلة لك اى فريضة زايدة على الفريضة الموظفة على الامة
قال المولف وفى هذا التاويل بعد لوجهين احدهما تسمية الفرض بالنفل وذلك مجاز لا حقيقة الثانى
قوله عليه السلام خمس صلوات فرضهن الله تعالى على العباد وقوله تعالى هن خمس وهى خمسون لا يبدل
القول لدى وهذا نص فكيف يقال افترض عليه صلاة زايدة على الخمس وهذا ما لا يصح وان كان قد
روى عنه عليه السلام ثلاث على فريضة ولامتى تطوع قيام الليل والوتر والسواك وقيل كانت
صلاة الليل تطوعا منه وكانت فى الابتداء واجبة على الكل ثم نسخ الوجوب فصار قيام الليل تطوعا
بعد فريضة كما قالت عايشة على ما ياتى مبينا فى سورة المزمل ان شاء الله وعلى هذا يكون الامر بالتنفل
على وجه الندب ويكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم لانه مغفور له فهو اذا تطوع بما ليس بواجب
عليه وكان ذلك زيادة فى الدرجات وغيره من الامة تطوعهم كفارات وتدارك لخلل يقع فى الفرض
قال معناه مجاهد وغيره وقيل عطية لان العبد لا ينال من السعادة عطاء افضل من التوفيق فى العبادة
الثالثة قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اختلف فى المقام المحمود على اربعة اقوال الاول
وهو اصحها الشفاعة للناس يوم القيمة قاله حذيفة بن اليمان وفى صحيح البخارى عن ابن عمر قال ان الناس
يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقول يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة
الى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه المقام المحمود وفى صحيح مسلم عن انس قال حدثنا محمد
صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم الى بعض فياتون آدم فيقولون
اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقول لست لها ولكن
عليكم بموسى فانه كليم الله فيوتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله فيوتى عيسى فيقول
لست لها ولكن عليكم بمحمد فاوتى فاقول انا لها وذكر الحديث وروى الترمذى عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا سيل عنها قال هى الشفاعة
قال هذا حديث حسن صحيح الرابعة اذا ثبت ان المقام المحمود هو امر الشفاعة الذى يتدافعه
الانبياء عليهم السلام حتى ينتهى الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع هذه الشفاعة لاهل
الموقف ليعجل حسابهم ويراحوا من هول موقفهم وهى الخاصة به صلى الله عليه وسلم ولاجل ذلك
قال انا سيد ولد آدم ولا فخر قال النقاش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات العامة
وشفاعة فى السبق الى الجنة وشفاعة فى اهل الكباير وقال ابن عطية المشهور انهما شفاعتان فقط
العامة وشفاعة فى اخراج المذنبين من النار وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الانبياء بل يشفعون
ويشفع العلماء وقال القاضى عياض شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس الشفاعة العامة
والثانية فى ادخال قوم الجنة دون حساب الثالثة فى قوم من موحدى امته استوجبوا النار بذنوبهم
فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله ان يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هى التى انكرتها المبتدعة
والخوارج والمعتزلة فمنعتها على اصولهم الفاسدة وهى الاستحقاق العقلى المبنى على التحسين

والتقبيح الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجون بشفاعة نبينا وغيره من الانبياء والملايكة
واخوانهم المومنين الخامسة فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها وترفيعها وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا تنكر
شفاعة الحشر الاول الخامسة قال عياض وعرف بالنقل المستفيض سوال السلف الصالح لشفاعة
النبى صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها وعلى هذا لا يلتفت لقول من قال انه يكره ان تسال الله ان
يرزقك شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لانها لا تكون الا للمذنبين لانها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب
وزيادة الدرجات ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج الى العفو غير معتد بعمله مشفق ان يكون من الهالكين
ويلزم هذا القايل ان لا يدعوا بالمغفرة والرحمة لانها لاصحاب الذنوب ايضا وهذا كله خلاف ما عرف
من دعاء السلف والخلف روى البخارى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة آت محمدا الوسيلة و
الفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وارزقنا شفاعته حلت له شفاعتى يوم
القيامة القول الثانى ان المقام المحمود اعطاوه لواء الحمد يوم القيامة قال المولف رحمه الله
وهذا القول لا تنافر بينه وبين القول الاول فانه يكون بيده لواء الحمد ويشفع روى الترمذى عن ابى سعيد
الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء
الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى الحديث القول الثالث ما حكاه
الطبرى عن فرقة منها مجاهد انها قالت المقام المحمود هو ان يجلس الله محمدا معه على كرسيه وروت
فى ذلك حديثا وعضد الطبرى جواز ذلك بشطط من القول وهو لا يخرج الا على تلطف فى المعنى وفيه
بعد ولا ينكر مع ذلك ان يروى والعلم يتاوله وذكر النقاش عن ابى داود السجستانى انه قال من انكر
هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال اهل العلم يتحدثون بهذا من انكر جوازه على تاويله قال ابو عمر ومجاهد
وان كان احد الايمة بتاويل القرآن فان له قولين مهجورين عند اهل العلم احدهما هذا والثانى
فى تاويل قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال ينتظر الثواب ليس من النظر قال المولف
رحمه الله ذكر هذا ابن شهاب فى باب حديث التنزيل وروى عن مجاهد ايضا فى هذه الآية قال يجلسه
على العرش وهذا تاويل غير مستحيل لان الله تعالى كان قبل خلقه الاشياء كلها والعرش قايما بذاته
ثم خلق الاشياء من غير حاجة اليها بل اظهارا لقدرته وحكمته وليعرف وجوده وتوحيده وكمال
قدرته وعلمه بكل افعاله المحكمة وخلق لنفسه عرشا استوى عليه كما شاء من غير ان صار له مماسا
او كان العرش له مكانا بل هو الآن على الصفة التى كان عليها من قبل ان يخلق المكان والزمان فعلى
هذا القول سواء فى الجواز اقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش او على الارض لان استواء الله تعالى
على العرش ليس بمعنى الانتقال والزوال وتحويل الاحوال من القيام والقعود والحال التى تشغل
العرش بل هو مستو على عرشه كما اخبر عن نفسه بلا كيف وليس اقعاده محمدا على العرش موجبا له صفة
الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريف له على خلقه واما قوله فى الاخبار معه
فهو بمنزلة قوله ان الذين عند ربك ورب ابن لى عندك بيتا فى الجنة وان الله لمع المحسنين ونحو ذلك كل
ذلك عايد الى الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان الرابع اخراجه من النار بشفاعته

من خرج قاله جابر بن عبد الله ذكره مسلم وقد ذكرناه في كتاب التذكرة الخامسة اختلف العلماء في
كون القيام بالليل سببا للمقام المحمود على قولين احدهما ان البارى تعالى يجعل ما يشاء من فضله سببا
لفضله من غير معرفة بوجه الحكمة فيه او بمعرفة وجه الحكمة الثاني ان قيام الليل فيه الخلوة مع البارى
والمناجاة دون الناس فاعطي الخلوة به ومناجاته في القيامة وهو المقام المحمود ويتفاضل فيه الخلق
بحسب درجاتهم فاجلّهم فيه درجة محمد صلى الله عليه وسلم فانه يعطى ما لا يعطى احد ويشفع ما لا
يشفع احد وعسى من الله واجبة ومقاما نصب على الظرف اى في مقام او الى مقام وذكر الطبري عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي
فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الانسان للامور الجليلة كالمقامات بين يدي الملوك قوله تعالى وقل
رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا
قيل المعنى امتني اماتة صدق وابعثني يوم القيامة مبعث صدق ليتصل بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا كانه لما وعد ذلك امره ان يدعو لينجز له الوعد وقيل ادخلني في المامور واخرجني من المنهي وقيل
علمه ما يدعو به في صلاته وغيرها من اخراجه من بين المشركين وادخاله موضع الامن فاخرجه من مكة
وصيره الى المدينة وهذا المعنى رواه الترمذي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم
امر بالهجرة فنزلت وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا قال هذا حديث حسن صحيح وقال الضحاك هو خروجه من مكة ودخوله مكة يوم الفتح امنا وقال
ابو سهل حين رجع من تبوك وقد قال المنافقون ليخرجن الاعز منها الاذل يعني ادخال عز واخراج نصر
الى مكة وقيل المعنى ادخلني في الامر الذي اكرمتني به من النبوة مدخل صدق واخرجني منه مخرج صدق اذا
امتني قال معناه مجاهد والمخرج والمدخل بضم الميم بمعنى الادخال والاخراج كقوله انزلني منزلا مباركا
اى انزالا لا ارى فيه ما اكره وهي قراءة العامة وقرا الحسن وابو العالية ونصر بن عاصم مدخل ومخرج
بفتح الميمين بمعنى الدخول والخروج فالاول رباعي وهذا ثلاثي وقال ابن عباس ادخلني القبر مدخل صدق و عند الموت صح
اخرجني مخرج صدق عند البعث وقيل ادخلني حيث ما ادخلتني بالصدق واخرجني بالصدق اى لا تجعلني
ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون وجيها عندك وقيل الاية عامة في كل ما يتناول
من الامور ويحاول من الاسفار والاعمال وينتظر من تصرف المقادير في الموت والحيوة وهي جامعة ومعناه
رب اصلح لي ذريتي في كل الامور وصدري وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الشعبي وعكرمة
اى حجة ثابتة وذهب الحسن الى انه العز والنصر واظهار دينه على الدين كله قال فوعده الله لينزعن
عن ملك فارس والروم وغيرهما فيحفظه له قوله تعالى وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ
كَانَ زَهُوقًا فيه ثلاث مسائل الاولى روى البخاري والترمذي عن ابن مسعود
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلثمائة وستون نصبا فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يطعنها بمخصرة في يده وربما قال بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وكذا في صحيح مسلم نصبا
وفي رواية صنما قال علماؤنا انما كانت بهذا العدد لانهم كانوا يعظمون في كل يوم صنما ويخصون اعظمها بيومين

٦٧

بيومين وقوله فجعل يطعنها بعود في يده يقال انها كانت مثبتة بالرصاص مشددة وانه كلما طعن منها صنما
في وجهه خر لقفاه او في قفاه خر لوجهه وكان يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
حكاه ابو عمر والقاضي عياض وقال القشيري فما بقي منها صنم الا خر لوجهه ثم امر بها فكسرت
الثانية في هذه الاية دليل على كسر نصب المشركين وجميع الاوثان اذا غلب عليهم ويدخل بالمعنى
كسر آلة الباطل كله وما لا يصلح الا لمعصية الله كالطنابير والعيدان والمزامير التي لا معنى لها الا
اللهو بها عن ذكر الله قال ابن المنذر وفي معنى الاصنام الصور المتخذة من المدر والخشب وشبهها
كل ما يتخذه الناس مما لا منفعة فيه الا اللهو المنهي عنه ولا يجوز بيع شيء منه الا الاصنام التي تكون
من الذهب والفضة والحديد والرصاص اذا غيرت عما هي عليه وصارت نقرا او قطعا فيجوز بيعها
والشراء بها قال المهلب وما كسر من آلات الباطل وكان في حبسها بعد كسرها منفعة فصاحبها
اولى بها مكسورة الا ان يرى الامام حرقها بالنار على معنى التشديد والعقوبة في المال وقد تقدم حرق
ابن عمر وقد هم النبي صلى الله عليه وسلم بتحريق دور من تخلف عن صلاة الجماعة وهذا اصل
في العقوبة في المال مع قوله عليه السلام في الناقة التي لعنتها صاحبتها دعوها فانها ملعونة فازال ملكها
عنها تاديبا لصاحبتها وعقوبة لها فيما دعت عليها بما دعت به وقد اراق عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لبنا شيب بماء على صاحبه الثالثة ما ذكرناه من تفسير الاية ينظر الى قوله صلى الله عليه وسلم
والله لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن
القلاص فلا يسعى عليها الحديث خرجه الصحيحان ومن هذا الباب هتك النبي صلى الله عليه وسلم
الستر الذي فيه الصور وذلك ايضا دليل على افساد الصور والات الملاهي كما ذكرنا وهذا كله يحظر
المنع من اتخاذها ويوجب التغيير على صاحبها ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم
احيوا ما خلقتم وحسبك وسياتي هذا المعنى في النمل ان شاء الله قوله تعالى وقل جاء الحق اى الاسلام
وقيل القران قاله مجاهد وقيل الجهاد وزهق الباطل قيل الشرك وقيل الشيطان قاله مجاهد والصواب
تعميم اللفظ بالغاية الممكنة فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الباطل بجميع ما انطوى
فيه زهق الباطل بطل الباطل ومن هذا زهوق النفس وهو بطلانها يقال زهقت نفسه تزهق
زهوقا وازهقتها ان الباطل كان زهوقا اى لا بقاء له والحق الذي يثبت قوله تعالى وَنُنَزِّلُ مِنَ
الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا فيه سبع مسائل
الاولى قوله تعالى وننزل قراءة الجمهور بالنون وقرا مجاهد وينزل بالياء خفيفة ورواها المروزي
عن حفص ومن لابتداء الغاية ويصح ان يكون لبيان الجنس كانه قال وننزل ما فيه شفاء من القرآن وفي
الخبر من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وانكر بعض المتاولين ان يكون من للتبعيض لانه يحفظ
من ان يلزمه ان بعضه لا شفاء فيه قال ابن عطية وليس يلزمه هذا بل يصح ان يكون للتبعيض
بحسب ان انزاله انما هو مبعض فكانه قال وننزل من القرآن شيئا شفاء ما فيه كله شفاء الثانية اختلف
العلماء في كونه شفاء على قولين احدهما انه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وازالة الريب وكشف غطاء القلب
من مرض الجهل لفهم المعجزات والامور الدالة على الله تعالى الثاني شفاء من الامراض الظاهرة بالرقا

والتعوذ ونحوه وقد روى الايمة واللفظ للدارقطني عن ابي سعيد الخدري قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سرية ثلثين راكبا قال فنزلنا على قوم من العرب فسالناهم ان يضيفونا فابوا قال فلدغ سيد الحي فاتونا
فقالوا افيكم احد يرقي من العقرب في رواية ابن قتيبة فان الملك يموت قال قلت نعم انا ولكن لا افعل حتى تعطونا
قالوا فانا نعطيكم ثلثين شاة قال فقرات عليه الحمد لله رب العالمين سبع مرات فبرا وفي رواية سليمان
ابن قتيبة عن ابي سعيد فافاق وبرا فبعث الينا بالنزل وبعث الينا بالشاء فاكلنا الطعام انا واصحابي وابوا
ان ياكلوا من الغنم حتى اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته الخبر فقال وما يدريك انها رقية فقلت يا رسول
الله شي القي في روعي قال كلوا واطعمونا من الغنم خرجه في كتاب السنن وخرج في كتاب المدبج من حديث السري بن
يحيى قال حدثني المعتمر بن سليمان عن ليث بن ابي سليم عن الحسن عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ينفع باذن الله تعالى من البرص والجنون والجذام والبطن والسل والحمى والنفس ان يكتب بزعفران
او بمشق يعني المغرة اعوذ بكلمات الله التامة واسمايه كلها عامة من شر السامة والعامة ومن شر العين اللامة
ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر ابي فروة وما ولد كذا قال ولم يقل من شر ابي قترة وقال الله ثلاثون
من الملايكة اتوا ربهم عز وجل فقالوا وصب بارضنا فقال خذوا من تربة من ارضكم فامسحوا نواصيكم او قال نوصيكم
رقية محمد صلى الله عليه وسلم لا افلح من كتمها ابدا او اخذ عليها صفدا ثم يكتب فاتحة الكتاب واربع ايات من
اول البقرة والاية التي فيها تصريف الرياح واية الكرسي والايتين التي من بعدها وخواتيم سورة البقرة من موضع
لله ما في السموات وما في الارض الى اخرها وعشرا من اول ال عمران وعشرا من اخرها واول اية من النساء واول
اية من المايدة واول اية من الانعام واول اية من الاعراف والاية التي في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض حتى يختم الاية والاية التي في يونس من موضع قال موسى ما جيتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا
يصلح عمل المفسدين والاية التي في طه والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر
حيث اتى وعشرا من اول الصافات وقل هو الله احد والمعوذتين يكتب في اناء نظيف ثم يغسل ثلاث
مرات بماء نظيف ثم يحسوا منه الوجع ثلاث حسوات ثم يتوضا منه كوضوئه للصلاة ويتوضا قبل وضوءه
للصلاة حتى يكون على طهر قبل ان يتوضا منه ثم يصب على راسه وصدره وظهره ولا يستنجي به ثم يصلي
ركعتين ثم يستشفي الله تعالى يفعل ذلك ثلاثة ايام قدر ما يكتب في كل يوم كتابا وفي رواية ومن شر ابي قترة
وما ولد وقال فامسحوا بوصبكم ولم يشك وروى البخاري عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت انفث عنه بهن وامسح بيد نفسه لبركتها
فسالت الزهري كيف ينفث قال كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه وروى مالك عن ابن شهاب عن
عروة عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى قرا على نفسه المعوذتين وتفل
او نفث قال ابو بكر الانباري قال اللغويون تفسير نفث نفخ نفخا ليس معه ريق ومعنى تفل نفخ نفخا معه ريق

قال الشاعر ٥ فان يبرا فلم انفث عليه ٥ وان يفقد فحق له الفقود ٥

وقال ذو الرمة ٥ ومن جوف ماء عرمض الحول فوقه ٥ متى يحس منه مايح القوم يتفل ٥

اراد ينفخ بريق وسياتي ما للعلماء في النفث في سورة الفلق ان شاء الله تعالى الثالثة روى ابن
مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الرقى الا بالمعوذات قال الطبري وهذا حديث

لا يجوز الاحتجاج بمثله في الدين اذ في نقلته من لا يعرف ولو كان صحيحا لكان اما غلطا واما منسوخا لقوله عليه السلام
في الفاتحة ما ادراك انها رقية واذا جاز الرقى بالمعوذتين وهما سورتان من القرآن كانت الرقية بساير
القرآن مثلهما في الجواز اذ كله قرآن وروي عنه عليه السلام انه قال شفاء امتي في ثلاث اية من كتاب
الله او لعقة من عسل او شرطة محجم وقال رجاء الغنوي من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله الرابعة
واختلف العلماء في النشرة وهي ان يكتب شيا من اسماء الله او من القرآن ثم يغسله بالماء ثم يمسح
به المريض او يسقيه فاجازها سعيد بن المسيب قيل له الرجل يوخذ عن امراته ايحل عنه وينشر
قال لا باس به وما ينفع لم ينه عنه ولم ير مجاهد ان يكتب ايات من القرآن ثم يغسله ثم يسقاه صاحب
الفزع وكانت عايشة تقرا بالمعوذتين في اناء ثم تامر ان يصب على المريض وقال المازري ابو عبد
الله النشرة امر معروف عند اهل التعزيم وسميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اي تحل ومنعها
الحسن وابراهيم النخعي قال النخعي اخاف ان يصيبه بلا وكانه ذهب الى انه ما يجي به القرآن
فهو الى ان يعقب بلا اقرب منه الى ان يفيد شفا وقال الحسن سالت انسا فقال ذكروا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انها من الشيطان وقد روى ابو داود من حديث جابر بن عبد الله
قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان قال ابن عبد البر وهذه
اثار لينة ولها وجوه محتملة وقد قيل ان هذا محمول على ما اذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله
وعن المداواة المعروفة والنشرة من جنس الطب فهي غسالة شي له فضل فهو كوضوء رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ومن استطاع منكم ان
ينفع اخاه فليفعل قال المولف رحمه الله قد ذكرنا النص في النشرة مرفوعا وان ذلك لا يكون
الا من كتاب الله فليعتمد عليه الخامسة قال مالك لا باس بتعليق الكتب التي فيها اسماء الله تعالى على
اعناق المرضى على وجه التبرك بها اذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين وهذا معناه قبل ان ينزل
به شي من العين وعلى هذا القول جماعة اهل العلم لا يجوز عندهم ان يعلق على الصحيح من بني ادم او البهايم
شي من العلايق خوف نزول العين وكل ما تعلق بعد نزول البلاء من اسماء الله عز وجل وكتابه
رجاء الفرج والبرء من الله عز وجل فهو كالرقى المباح الذي وردت به السنة باباحته من العين
وغيرها وقد روى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فزع احدكم في نومه
فليقل اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وسوء عقابه ومن شر الشياطين وان يحضرون وكان عبد الله
يعلمها ولده من ادرك منهم ومن لم يدرك منهم كتبها وعلقها عليه فان قيل فقد روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من علق شيا وكل اليه وراى ابن مسعود على ام ولده تميمة مربوطة بعضدها
جبذا شديدا فقطعها وقال ان ال ابن مسعود لاغنياء عن الشرك ثم قال ان التمايم والرقى والتولة من الشرك
قيل ما التولة قال ما تحببت به لزوجها وروي عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من علق تميمة فلا اتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له قلبا قال الخليل بن احمد
التميمة قلادة فيها عوذ والودعة خرزة وقال ابو عمر التميمة في كلام العرب القلادة ومعناه
عند اهل العلم ما علق في الاعناق من القلايد خشية العين وغيرها من انواع البلا وكان المعنى

في الحديث ان من تعلق تميمة ما عسى ان ينزل او لا ينزل قبل ان ينزل فلا اتم الله عليه صحته وعافيته ومن
تعلق ودعة ومن مثلها في المعنى فلا ودع الله له اي فلا بارك الله له ما هو فيه من العافية والله اعلم وهذا
كله تحذير مما كان اهل الجاهلية يصنعونه من تعليق التمائم والقلائد ويظنون انها تقيهم وتصرف عنهم
البلاء وذلك لا يصرفه الا الله عز وجل وهو المعافي والمبتلي لا شريك له فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم وعن عائشة قالت ما يعلق بعد نزول البلاء فليس من التمائم
وقد كره بعض اهل العلم تعليق التمائم على كل حال قبل نزول البلاء وبعده والقول
الاول اصح في الاثر والنظر ان شاء الله وما روي عن ابن مسعود يجوز ان يكون ما كره تعليقه غير القرآن
اشياء مأخوذة عن العرافين والكهان اذ الاستشفاء بالقرآن معلقا وغير معلق لا يكون شركا
وقوله عليه السلام من علق شيئا وكل اليه فمن علق القرآن ينبغي ان يتولاه الله ولا يكله الى غيره لانه تعالى
هو المرغوب اليه والمتوكل عليه في الاستشفاء بالقرآن وسئل ابن المسيب عن التعويذ ايعلق قال اذا
كان في قصبة او رقعة يحرز فلا بأس به وهذا على ان المكتوب قرآن وعن الضحاك انه لم يكن يرى باسا
ان يعلق الرجل الشيء من كتاب الله اذا وضعه عند الجماع وعند الغائط ورخص ابو جعفر محمد بن علي في
التعويذ يعلق على الصبيان وكان ابن سيرين لا يرى باسا بالشيء من القرآن يعلقه الانسان
السادسة قوله تعالى ورحمة للمؤمنين تفريج الكروب وتطهير العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل
به تعالى من الثواب في تلاوته كما روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف قال هذا حديث حسن صحيح غريب وقد تقدم ولا يزيد الظالمين الا خسارا
لتكذيبهم به قال قتادة ما جالس احد القرآن الا قام عنه بزيادة او نقصان ثم قرأ وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ونظير هذه الآية قوله قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى وقيل شفاء في الفرائض والاحكام لما فيه
من البيان قوله تعالى وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
اي هؤلاء الذين يزيدهم القرآن خسارا صفتهم الاعراض عن تدبر آيات الله والكفران لنعمه وقيل نزلت
في الوليد بن المغيرة ومعنى نأى بجانبه اي تكبر وتباعد وناء مقلوب منه والمعنى بعد عن القيام بحقوق
الله تعالى يقال نأى الشيء اي بعد ونأيته ونأيت عنه بمعنى اي بعدت وانأيته فانتأى اي ابعدته فبعد
وتناءوا اي تباعدوا والمنتأى الموضع البعيد قال النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وقرأ ابن عامر في رواية ذكوان ناء مثل باع الهمزة مؤخرة وهو على طريقة القلب من نأى كما يقال
راء وراى وقيل هو من النوء وهو النهوض والقيام وقد يقال ايضا للوقوع والجلوس نوء وهو من الاضداد
وقرئ ونئي بفتح النون وكسر الهمزة والعامة نأى في وزن راى واذا مسه الشر كان يؤوسا اي
اذا ناله شدة من فقر او سقم او بؤس يئس وقنط لانه لا يثق بفضل الله قوله تعالى قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ
عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا قال ابن عباس ناحيته وقال الضحاك

مجاهد طبيعته وعنه حدته ابن زيد على دينه الحسن وقتادة نيته مقاتل جبلته الفراء على طريقته ومذهبه
الذي جبل عليه وقيل قل كل يعمل على ما هو اشكل عنده واولى بالصواب في اعتقاده وقيل هو مأخوذ
من الشكل يقال لست على شكلي ولا شاكلتي قال الشاعر رحمه الله

كل امرئ يشبهه فعله ... ما يفعل المرء فهو يفعله

فالشكل هو المثل والنظير والضرب كقوله وآخر من شكله ازواج والشكل بكسر الشين الهيئة يقال
جارية حسنة الشكل وهذه الاقوال كلها متقاربة والمعنى ان كل احد يعمل على ما يشاكل اصله واخلاقه
التي الفها وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن والآية والتي قبلها نزلتا في الوليد بن المغيرة ذكره المهدوي
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي بالمؤمن والكافر وما سيحصل منهم كل واحد منهم وقيل اهدى
سبيلا اي اسرع قبولا وقيل احسن دينا وحكي ان الصحابة رضوان الله عليهم تذاكروا القرآن فقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه قرأت القرآن من اوله الى آخره فلم ار فيه آية ارجى واحسن من قوله
تبارك وتعالى قل كل يعمل على شاكلته فانه لا يشاكل بالعبد الا العصيان ولا يشاكل بالرب الا الغفران
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأت القرآن من اوله الى آخره فلم ار آية ارجى احسن من قوله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب قدم غفران الذنوب على قبول التوبة وفي هذا اشارة للمؤمنين وقال عثمان بن عفان رضي الله
عنه قرأت القرآن من اوله الى آخره فلم ار آية احسن وارجى من قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قرأت القرآن من اوله الى آخره فلم ار آية احسن وارجى
من قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم قال المؤلف رحمه الله وقرأت القرآن من اوله الى آخره فلم ار
آية احسن وارجى من قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
قوله تعالى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي روى البخاري ومسلم والترمذي
عن عبد الله قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متوكئ على عسيب اذ مر اليهود
فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال ما رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا
سلوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي
فلما نزل الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا لفظ البخاري
وفي مسلم فاسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وما اوتوا وقد اختلف الناس في الروح المسئول عنه
اي روح هو فقيل هو جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس يكتمه وقيل هو عيسى وقيل القرآن على ما
يأتي بيانه في آخر الشورى وقال علي بن ابي طالب هو ملك من الملائكة له سبعون الف وجه في كل وجه
سبعون الف لسان في كل لسان سبعون الف لغة يسبح الله بكل تلك اللغات يخلق الله من كل تسبيحة
ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة ذكره الطبري قال ابن عطية وما اظن القول يصح عن علي رضي الله
عنه قال المؤلف رحمه الله اسند البيهقي اخبرنا ابو زكريا بن ابي اسحاق اخبرنا ابو الحسن الطرائفي
حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس

في قوله ويسئلونك عن الروح يقول الروح ملك وباسناده عن معاوية بن صالح حدثني ابو هزان يزيد بن
سمرة عن من حدثه عن علي بن ابي طالب انه قال في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قال هو ملك من الملائكة
له سبعون الف وجه الحديث بلفظه ومعناه وروى عطاء عن ابن عباس قال الروح ملك له احد عشر
الف جناح والف وجه يسبح الله الى يوم القيامة ذكره النحاس وعنه جند من جنود الله لهم ايد وارجل
ياكلون الطعام ذكره الغزنوي وقال الخطابي قال بعضهم هو ملك من الملائكة بصفة وصفوها من عظم
الخلقة وذهب اكثر اهل التاويل الى انهم سالوه عن الروح الذي يكون به حياة الجسد وقال اهل
النظر منهم انما سالوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الانسان وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحيوة
به وهذا شيء لا يعلمه الا الله عز وجل وقال ابو صالح الروح خلق كخلق بني آدم وليسوا بني ادم لهم
ايدي وارجل والصحيح الابهام لقوله قل الروح من امر ربي دليل على خلق الروح اي هو امر عظيم وشان
كبير من امر الله تعالى مبهما له وتاركا تفصيله وحكمة ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له
دلالة على انه عن ادراك حقيقة الحق اولى قوله تعالى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا اختلف فيمن
خوطب بذلك فقالت فرقة السائلون فقط وقال قوم المراد اليهود بجملتهم وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود
وما اوتوا ورواها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة المراد العالم كله وهو الصحيح وعليه
قراءة الجمهور وما اوتيتم وقد قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لم نوت من العلم الا قليلا
وقد اوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فعارضهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعلم الله فغلبوا وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في بعض الاحاديث كلا
يعني ان المراد بما اوتيتم جميع العالم وذلك ان يهود قالت له نحن عنيت ام قومك فقال كلا وفي هذا
المعنى نزلت ولو انه ما في الارض من شجرة اقلام حكى ذلك الطبري رحمه الله وقد قيل ان السائلين
عن الروح هم قريش قالت لهم اليهود سألوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان
اخبركم عن اثنين وامسك عن واحدة فهو نبي فاخبرهم بخبر اصحاب الكهف وبخبر ذي القرنين على ما يأتي
وقال في الروح من امر ربي اي من الامر الذي لا يعلمه الا الله ذكره المهدوي وغيره من المفسرين عن ابن
عباس قوله تعالى وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا
إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا بالذي اوحينا اليك يعني القرآن اي كما قدرنا
على انزاله نقدر على اذهابه حتى ينساه الخلق ويتصل هذا بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي ولو شئت
ان اذهب بذلك القليل لقدرت عليه ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي ناصرا يرده عليك الا رحمة من ربك
يعني لا نشاء ذلك رحمة من ربك فهو استثناء ليس من الاول وقيل الا ان يرحمك ربك فلا نذهب به ان
فضله كان عليك كبيرا اذ جعلك سيد ولد آدم واعطاك المقام المحمود وهذا الكتاب العزيز وقال
عبد الله بن مسعود اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وان هذا القرآن كانه قد
نزع منكم يصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف يكون ذلك يا ابا عبد الرحمن وقد اثبتناه في قلوبنا
واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم الى يوم القيامة قال يسرى به في ليلة فيذهب
بما في المصاحف وما في القلوب فيصبح الناس كالبهائم ثم قرا عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا

فالقطع يعرف الانسان على القطع بعجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها واذا كان الانسان في معرفة نفسه هكذا كان عجزه عن ادراك

لكن

اليك الاية خرجه ابو بكر بن ابي شيبة بمعناه قال حدثنا ابو الاحوص عن عبد العزيز بن رفيع عن
شداد بن معقل قال قال عبد الله يعني ابن مسعود ان هذا القرآن الذي بين اظهركم يوشك ان
ينزع منكم قال قلت كيف ينزع منا وقد اثبته الله في قلوبنا وثبتناه في مصاحفنا قال يسرى عليه
في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء ثم يقرا
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الاية وهذا اسناد صحيح وعن ابن عمر لا تقوم الساعة
حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي كدوي النحل فيقول الله ما بالك يا رب خرجت واليك
اعود اتلى فلا يعمل بي واتلى فلا يعمل بي قال المؤلف رحمه الله قد جاء معنى هذا مرفوعا من حديث
عبد الله بن عمرو بن العاصي وحذيفة قال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس
الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى
على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز
يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صلاة ولا
نسك ولا صدقة قال له صلة ما تغني عنهم لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك
ولا صدقة فاعرض عنه حذيفة ثم رددها ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم اقبل عليه حذيفة
فقال يا صلة تنجيهم من النار ثلاثا خرجه ابن ماجة في السنن وقال عبد الله بن عمرو خرج النبي
صلى الله عليه وسلم وهو معصوب الراس من وجع فضحك فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ايها الناس ما هذه الكتب التي تكتبون اكتاب غير كتاب الله يوشك ان يغضب الله لكتابه فلا يدع
ورقا ولا قلبا الا اخذ منه قالوا يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمومنات يومئذ قال من اراد الله
به خيرا ابقى في قلبه لا اله الا الله ذكره الثعلبي والغزنوي وغيرهما في التفسير قوله تعالى قُل
لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا اي عونا ونصيرا مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه نزلت
حين قال الكفار لو شئنا لقلنا مثل هذا فاكذبهم الله تعالى وقد مضى القول في اعجاز القرآن في اول
الكتاب والحمد لله ولا يأتون جواب القسم في لئن وقد يجزم على ارادة الشرط قال الشاعر

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا اقم في نهار القيظ للشمس باديا

قوله تعالى وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا
اي وجهنا القول فيه بكل مثل يجب به الاعتبار من الآيات والعبر والترغيب والترهيب والاوامر
والنواهي واقاصيص الاولين والجنة والنار والقيامة فابى اكثر الناس الا كفورا يريد اهل مكة بين
لهم الحق وفسح لهم وامهلهم حتى تبين لهم فابوا الا الكفر وقت تبين الحق قال المهدوي ولا حجة
للقدري في قولهم لا يقال ابى الا لمن ابى فعل ما هو قادر عليه لان الكافر وان كان غير قادر على الايمان
بحكم الله عليه بالاعراض عنه وطبعه على قلبه فقد كان قادرا وقت الفسحة والمهلة على طلب الحق
وتمييزه من الباطل قوله تعالى وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ
لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا

فيقول

منكم صح

كِسَفًا اَوْ تَاْتِيَ بِاللّٰهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ قَبِيْلًا اَوْ يَكُوْنَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ اَوْ تَرْقٰى فِي السَّمَآءِ
وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتٰبًا نَّقْرَؤُهٗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ اِلَّا
بَشَرًا رَّسُوْلًا ۝ وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية نزلت فى رؤساء قريش مثل
عتبه وشيبه ابنا ربيعه وابى سفيان والنضر بن الحارث وابى جهل وعبد الله بن ابى امية وامية بن
خلف وابى البختري والوليد بن المغيرة وغيرهم وذلك انهم لما عجزوا عن معارضة القرآن ولم ترضوا
به معجزة اجتمعوا فيما ذكر ابن اسحاق وغيره بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض
ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا اليك
ليكلموك فاتهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدء وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد
انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد
شتمت الاباء وعبت الدين وشتمت الالهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي امر قبيح
الا قد جئته فيما بيننا وبينك او كما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك
من اموالنا حتى يكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت
تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى ياتيك رئيا تراه قد غلب عليك وقد كانوا يسمون التابع
من الجن رئيا فربما كان ذلك بذلنا اموالنا فى طلب الطب لك حتى نبريك منه او نعذر فيك قال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بى ما تقولون ما جئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم
ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وامرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات
ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والاخرة وان تردوه على اصبر لامر الله
حتى يحكم الله بينى وبينكم او كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيئا
عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس احد اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فسل
لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر
لنا فيها انهارا كانهار الشام وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب
فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك وصنعت ما سالناك صدقناك
وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله عليه وسلامه ما بهذا بعثت
اليكم انما جئتكم من الله تعالى بما بعثنى به وقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا
والاخرة وان تردوه على اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك
سل ربك ان يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك واساله فليجعل لنا جنانا وقصورا
وكنوزا من ذهب وفضة تغنيك به عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه
حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما انا بفاعل وما انا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت بهذا اليكم ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا او كما
قال فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والاخرة وان تردوه على اصبر لامر الله حتى يحكم

الله بينى وبينكم قالوا فاسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فانا لن نومن لك الا ان
تفعل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله عز وجل ان شاء ان يفعله بكم فعل قالوا يا
محمد اما علم ربك انا سنجلس معك ونسالك عما سالناك عنه ونطلب منك ما نطلبه فيتقدم اليك ويعلمك
ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا اذا لم يقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك
هذا رجل من اليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نومن بالرحمن ابدا فقد اعذرنا اليك يا محمد وانا والله
لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله وقال
قائلهم لن نؤمن لك حتى تاتى بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام
عنهم وقام معه عبد الله بن ابى امية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته هو لعاتكه
بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم امورا
ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تعجل لهم بعض
ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل او كما قال له فوالله لا او من بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى
فيه وانا انظر حتى ياتيها ثم تاتى بصك معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله لو
فعلت ذلك ما ظننت انى اصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما راى من مباعدتهم
اياه كلم لفظ ابن اسحاق وذكر الواحدى عن عكرمة عن ابن عباس فانزل الله تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر
لنا من الارض ينبوعا الايات ينبوعا يعنى العيون عن مجاهد وهى يفعول من نبع ينبع وقراء حمزة وعاصم والكسائى
تفجر لنا مخففه واختاره ابو حاتم لان الينبوع واحد ولم يختلفوا فى تفجر الانهار انه مشدد قال ابو عبيد
والاولى مثلها قال ابو حاتم ليست مثلها لان الاولى بعدها ينبوع وهو واحد والثانية بعدها الانهار
وهى جمع والتشديد يدل على التكثير قال مجاهد الينبوع عين الماء والجمع الينابيع وقراء قتادة او تكون
لك جنة خلالها اى وسطها او تسقط السماء قراة العامة وقراء مجاهد او تسقط السماء على اسناد الفعل
الى السماء كسفا اى قطعا عن ابن عباس وغيره والكسف بفتح السين جمع كسفه وهى قراة نافع وابن
عامر وعاصم الباقون كسفا باسكان السين قال الاخفش من قراء كسفا من السماء جعله واحدا ومن
قراء كسفا جعله جمعا قال المهدوى ومن اسكن السين جاز ان يكون جمع كسفه وجاز ان يكون مصدرا
من كسفت الشيء اذا اعطيته فكانهم قالوا اسقطها طبقا علينا وقال الجوهرى الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطنى
كسفه من ثوبك والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد او تاتى بالله والملائكة قبيلا اى
معاينة عن قتادة وابن جريج وقال الضحاك وابن عباس كفيلا وقال مقاتل شهيدا وقال مجاهد جمع القبيلة
اى باصناف الملائكة قبيلة قبيلة وقيل ضمنا يضمنون لنا اتيانك به او يكون لك بيت من زخرف اى من
ذهب عن ابن عباس وغيره واصله الزينة والمزخرف المزين وزخارف الماء طرائقه وقال مجاهد
كنت لا ادري ما الزخرف حتى رايته فى قراة ابن مسعود بيت من ذهب اى نحن لا نسافلك مع هذا
الفقر الذي نرى او ترقى فى السماء اى تصعد يقال رقيت فى السلم ارقى رقيا ورقيا اذا صعدت وارتقيت
مثله ولن نؤمن لرقيك اى من اجل رقيك وهو مصدر نحو مضى يمضى مضيا وهوى يهوى هويا كذلك

ان تأخذ لنفسك ما تعرفون به
فضلك عليهم ومنزلتك من الله
فلم تفعل ثم سالوك صح صح

رقا برقي رقيا حتى تنزل علينا كتابا نقرأه اى كتابا من الله الى كل رجل منا كما قال بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة قل سبحان ربي هل كنت وقراء اهل مكة والشام قال سبحان ربي يعني النبي صلى
الله عليه وسلم اى قال ذلك تنزيها لله عن ان يعجز عن شىء وعن ان يعترض عليه فى فعل وقيل هذا
كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم الهما قوين قل على الامر اى قل لهم يا محمد هل كنت اى ما انا الا بشرا
رسولا اتبع ما يوحى الى من ربي ويفعل الله ما يشاء من هذه الاشياء التى ليست فى قدرة البشر فهل
سمعتم احدا من البشر اتى بهذه الايات وقال بعض الملحدين ليس هذا جواب مقنع وغلطوا لانه اجابهم
فقال انما انا بشر لا اقدر على شىء مما سألتموني وليس لى ان اتخير على ربي ولم تكن الرسل قبلي يأتون
اممهم بكل ما يريدونه ويبغونه وسبيلي سبيلهم وكانوا يقتصرون على ما اتاهم الله من اياته الدالة على
صحة نبوتهم فاذا اقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم ان يقترحوا غيرها ولو وجب على الله ان يأتيهم بما
يختارونه من الرسل ولو وجب لكل انسان ان يقول لا اومن حتى تأتي باية خلاف ما طلب غيري وهذا
يؤدى الى ان يكون التدبير الى الناس وانما التدبير الى الله تعالى قوله تعالى وَمَا مَنَعَ النَّاسَ اَنْ يُؤْمِنُوا
اِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى اِلَّا اَنْ قَالُوا اَبَعَثَ اللّٰهُ بَشَرًا رَسُولًا اذ جاءهم الهدى يعني الرسل والكتب
من عند الله بالدعاء اليه الا ان قالوا جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا اى الله اجل من ان يكون رسوله
من البشر بين الله فرط عنادهم لانهم قالوا انت مثلنا فلا يلزمنا الانقياد وغفلوا عن المعجزة وان
الاولى فى محل نصب باسقاط الخافض وان الثانية فى محل رفع بمنع اى وما منع الناس من ان يؤمنوا اذ
جاءهم الهدى الا قولهم ابعث الله قوله تعالى قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْاَرْضِ مَلٰئِكَةٌ يَمْشُوْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُوْلًا اعلم الله تعالى ان الملك انما يرسل الى الملائكة لانه لو ارسل
ملك الى الادميين لم يقدروا ان يروه على الهيئة التى خلقوا عليها وانما اقدر الانبياء على ذلك
وخلق فيهم ما يقدرون به ليكون ذلك اية لهم ومعجزة وقد تقدم فى الانعام نظير هذه الاية وهو قوله
وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر الاية وقد تقدم الكلام فيه قوله تعالى قُلْ كَفٰى
بِاللّٰهِ شَهِيْدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ اِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيْرًا بَصِيْرًا يروى ان كفار قريش قالوا حين سمعوا
قوله هل كنت الا بشرا رسولا فمن يشهد لك انك رسوله فنزل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم الاية
قوله تعالى مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِهِ وَنَحْشُرُهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلٰى وُجُوْهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَاْوٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنٰهُمْ سَعِيْرًا من
يهد الله فهو المهتدى اى لو هداهم الله لاهتدوا ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اى لا يهديهم
احد ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم فيه وجهان احدهما ان ذلك عبارة عن الاسراع بهم الى جهنم
من قول العرب قدم القوم على وجوههم اذا اسرعوا الثانى يسحبون يوم القيامة على وجوههم الى
جهنم كما يفعل فى الدنيا بمن يبالغ فى هوانه وتعذيبه وهذا هو الصحيح لحديث انس ان رجلا قال يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذين يحشرون على وجوههم ايحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليس الذى امشاه على الرجلين قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه
بلى وعزة ربنا اخرجه البخارى ومسلم وحسبك عميا وبكما وصما قال ابن عباس والحسن اى عميا عما يسرهم

بكما عن التكلم بحجة صما عما ينفعهم وعلى هذا القول حواسهم باقية على ما كانت عليه وقيل انهم يحشرون على الصفة
التى وصفهم الله بها ليكون ذلك زيادة فى عذابهم ثم يخلق لهم ذلك فى النار فابصروا لقوله تعالى وراى
المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وتكلموا لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله تعالى سمعوا
لها تغيظا وزفيرا وقال مقاتل بن سليمان اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون صاروا عميا لا يبصرون
صما لا يسمعون بكما لا يفقهون وقيل عموا حين دخلوا النار لشدة سوادها وانقطع كلامهم حين قيل لهم
اخسئوا فيها ولا تكلمون وذهب الزفير والشهيق بسمعهم فلم يسمعوا معه شيئا ماواهم جهنم اى مستقرهم
ومقامهم كلما خبت اى سكنت عن الضحاك وغيره وقال مجاهد طفئت يقال خبت النار تخبو خبوا اى
طفئت واخبيتها انا زدناهم سعيرا اى نارا تلتهب وسكون التهابها من غير نقصان فى الامهم ولا تخفيف
عنهم من عذابهم وقيل اذا ارادت ان تخبو كقوله واذا قرات القرآن قوله تعالى ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِاَنَّهُمْ
كَفَرُوْا بِاٰيٰتِنَا وَقَالُوْا ءَاِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ خَلْقًا جَدِيْدًا اَوَلَمْ يَرَوْا
اَنَّ اللّٰهَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ قَادِرٌ عَلٰى اَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ اَجَلًا
لَا رَيْبَ فِيْهِ فَاَبَى الظّٰلِمُوْنَ اِلَّا كُفُوْرًا اى ذلك العذاب جزاء كفرهم وقالوا ائذا كنا عظاما
ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فانكروا البعث فاجابهم الله تعالى فقال اولم يروا ان الله
الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه قيل فى الكلام
تقديم وتاخير اى اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض وجعل لهم اجلا لا ريب فيه قادر
على ان يخلق مثلهم والاجل مدة بقائهم فى الدنيا ثم موتهم وذلك ما لا يشكون فيه اذ هو مشاهد وقيل
هذا جواب قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا وقيل هو يوم القيامة فابى الظالمون الا كفورا
اى المشركون الا جحودا بذلك الاجل وبايات الله وقيل ذلك الاجل هو وقت البعث ولا ينبغي ان يشك فيه
قوله تعالى قُلْ لَوْ اَنْتُمْ تَمْلِكُوْنَ خَزَاۤئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيْ اِذًا لَّاَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْاِنْفَاقِ وَكَانَ
الْاِنْسَانُ قَتُوْرًا اى خزائن الارزاق وقيل خزائن النعم وهذا اعم اذا لامسكتم خشية الانفاق من البخل
وهو جواب قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا حتى نتوسع فى المعيشة اى لو توسعتم لبخلتم ايضا
وقيل المعنى لو ملك احد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها كجود الله تعالى لامرين احدهما انه لا بد ان يمسك
منها لنفقته وما يعود بمنفعته الثانى انه يخاف الفقر ويخشى العدم والله تعالى يتعالى فى وجوده عن هاتين
الحالتين والانفاق فى هذه الاية بمعنى الفقر قاله ابن عباس وقتادة وحكى اهل اللغة انفق وصرم
واعدم واقتر اذا قل ماله وكان الانسان قتورا اى بخيلا مضيقا يقال قتر على عياله يقتر ويقتر قترا
وقتورا اى ضيق عليهم فى النفقة وكذلك التقتير والاقتار ثلاث لغات واختلف فى هذه الاية على
قولين احدهما انها نزلت فى المشركين خاصة قاله الحسن الثانى انها عامة ذكره الماوردى قوله تعالى
وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسٰى تِسْعَ اٰيٰتٍ بَيِّنٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِيْۤ اِسْرَاۤءِيْلَ اِذْ جَاۤءَهُمْ فَقَالَ لَهٗ فِرْعَوْنُ اِنِّيْ لَاَظُنُّكَ
يٰمُوْسٰى مَسْحُوْرًا اختلف فى هذه الايات فقيل هى بمعنى ايات الكتاب كما روى الترمذى والنسائى
عن صفوان المرادى ان يهوديين قال احدهما لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبى نسأله فقال لا تقل له
نبى فانه ان سمعنا كان له اربعة اعين فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى ولقد

اتينا موسى تسع آيات بينات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء الى سلطان فيقتله ولا تأكلوا الربا
ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف شك شعبة وعليكم اليهود خاصة ان لا تعتدوا في السبت
فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكما ان تسلما قالا ان داود دعا الله ان لا يزال
في ذريته نبي وانا نخاف ان اسلمنا ان يقتلنا اليهود قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وتقدم في
البقرة وقيل الآيات بمعنى المعجزات والدلالات قال ابن عباس والضحاك الآيات التسع العصا
واليد واللسان والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات وقال الحسن
والشعبي الخمس المذكورة في الاعراف يعنيان الطوفان وما عطف عليه واليد والعصا والسنين والنقص
من الثمرات واحدة وجعل التاسعة تلقف العصا ما يأفكون وعن مالك كذلك الا انه جعل مكان السنين
والنقص من الثمرات البحر والجبل وقال محمد بن كعب هي الخمس التي في الاعراف والبحر والعصا والحجر
والطمس على اموالهم وقد تقدم بيان هذه الآيات مستوفى والحمد لله فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم
اي سلهم يا محمد اذ جاءهم موسى بهذه الآيات حسب ما تقدم بيانه في يونس وهذا سؤال استفهام
ليعرف اليهود صحة ما يقول محمد فقال له فرعون اني لأظنك يا موسى مسحورا اي ساحرا لغرائب افعالك
قاله الفراء وابو عبيدة فوضع المفعول موضع الفاعل كما تقول هذا ميمون ومشؤوم اي شائم وبائن
وقيل مخدوعا وقيل مغلوبا قاله مقاتل وقيل غير هذا وقد تقدم وعن ابن عباس وابي نهيك انهما
قرآ فسأل بني اسرائيل ويطلق سبيلهم ويرسلهم معه قوله تعالى قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الآيات
التسع وانزل بمعنى اوجد الا رب السموات والارض بصائر اي دلالات تستدل بها على قدرته ووحدانيته
وقراءة العامة علمت بفتح التاء خطابا لفرعون وقرأ الكسائي بضم التاء وهي قراءة علي رضي الله عنه
وقال والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغ ابن عباس فقال انها لقد علمت واحتج بقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما ونسب فرعون الى العناد وقال ابو عبيد والمأخوذ به عندنا
فتح التاء وهو الاصح للمعنى الذي احتج به ابن عباس ولان موسى لا يحتج بقوله علمت انا وهو الرسول الداعي
ولو كان مع هذا كله تصح به القراءة عن علي لكان حجة ولكن لا تثبت عنه انما هي عن كلثوم المرادي وهو
مجهول لا يعرف ولا نعلم احدا قرأ بها غير الكسائي وقيل انما اضاف موسى الى فرعون العلم بهذه المعجزات
لان فرعون قد علم مقدار ما يتهيأ للسحرة فعله وان مثل ما فعل موسى لا يتهيأ للساحر وانه لا يقدر على
ما فعله الا من يفعل الاجسام ويملك السموات والارض وقال مجاهد دخل موسى على فرعون في يوم شات
وعليه قطيفة له فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان فرأى فرعون جانبي البيت بين فقميها ففزع واحدث
في قطيفته الفقم بالضم اللحي وفي الحديث من حفظ ما بين فقميه اي ما بين لحييه واني لأظنك يا فرعون
مثبورا الظن هنا بمعنى التحقيق والثبور الهلاك والخسران ايضا قال الكميت

ورأت قضاعة في الايا من رأي مثبور وثابر

اي مخسور وخاسر يعني في انتسابها الى اليمن وقيل ملعونا رواه المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

وقال ابان بن تغلب وانشد يا قومنا لا تروموا حربنا سفها ان السفاه وان البغي مثبور
اي ملعون وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس مثبور ناقص العقل ونظر المأمون رجلا فقال
يا له مثبور فسئل عنه فقال قال الرشيد قال المنصور لرجل مثبور فسألته فقال حدثني ميمون
ميمون بن مهران فذكره وقال قتادة هالكا وعنه ايضا والحسن ومجاهد مهلكا والثبور الهلاك
يقال ثبر الله العدو ثبورا اهلكه وقيل ممنوعا من الخير حكى اهل اللغة ما ثبرك عن كذا اي ما منعك
منه وثبره الله يثبره ويثبره لغتان قال ابن الزبعرى

اذ اجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

قال الضحاك مثبورا مسحورا رد عليه مثل ما قال له باختلاف اللفظ وقال ابن زيد مثبورا مخبولا
لا عقل لك قوله تعالى فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا
مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا فاراد ان يستفزهم
من الارض اي اراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرائيل من ارض مصر اما بالقتل واما بالابعاد فاهلكه
الله وقلنا من بعده اي من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض اي ارض الشام ومصر فاذا جاء وعد
الآخرة اي القيامة جئنا بكم لفيفا اي من قبوركم مختلطين من كل موضع قد اختلط المؤمن بالكافر لا يتعارفون
ولا ينحاز احد منكم الى قبيلته وحيه وقال ابن عباس وقتادة جئنا بكم لفيفا جميعا من جهات شتى والمعنى
واحد قال الجوهري واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى يقال جاء القوم بلفهم ولفيفهم اي باخلاطهم
وقوله تعالى جئنا بكم لفيفا اي مجتمعين مختلطين وطعام لفيف اذا كان مخلوطا من جنسين فصاعدا وفلان
لفيف فلان اي صديقه قال الاصمعي اللفيف جمع وليس له واحد وهو مثل الجميع والمعنى انهم يخرجون وقت
الحشر من القبور كالجراد المنتشر مختلطين لا يتعارفون وقال الكلبي فاذا جاء وعد الآخرة يعني مجيء
عيسى من السماء قوله تعالى وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا هذا متصل
بما سبق من ذكر المعجزات والقرآن والكناية ترجع الى القرآن ووجه التكرير في قوله وبالحق نزل يجوز ان
يكون معنى الاول اوجبنا انزاله بالحق ومعنى الثاني ونزل وفيه الحق كقوله خرج بثيابه اي خرج وعليه
ثيابه وقيل الباء في وبالحق الاول بمعنى مع اي مع الحق كقولك ركب الامير بسيفه اي مع سيفه وبالحق نزل
اي بمحمد اي نزل عليه كما تقول نزلت بزيد وقيل يجوز ان يكون المعنى وبالحق قدرنا ان ينزل وكذلك نزل
قوله تعالى وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا مذهب سيبويه ان قرآنا
منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرأ جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه بيناه
واوضحناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل قاله الحسن وقال ابن عباس فصلناه وقرأ ابن عباس
وعلي وابن مسعود وابي بن كعب وقتادة وابو رجاء والشعبي فرقناه بالتشديد اي انزلناه شيئا
بعد شيء لا جملة واحدة الا ان في قراءة ابن مسعود وابي فرقناه عليك واختلف في كم نزل القرآن
من المدة فقيل في خمس وعشرين سنة ابن عباس في ثلاث وعشرين انس في عشرين وهذا بحسب الخلاف
في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلاف انه نزل الى السماء الدنيا جملة واحدة وقد مضى
هذا في البقرة على مكث اي تطاول في المدة شيئا بعد شيء ويتناسق هذا القول على قراءة ابن مسعود اي

وروى عكرمة عن الحسن الا انه جعل السنين والنقص [illegible]

انزلناه آية آية وسورة سورة وماعلى القول الاول فيكون على مكث اي على ترسل في التلاوة وترتيل
قاله مجاهد وابن عباس وابن جريج فيعطى القاري للقرآءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطيبها بالصوت
الحسن ما امكن من غير تلحين ولا تطريب المودي الى تغيير لفظ القرانه بزيادة اونقصان فان ذلك
حرام على ما تقدم اول الكتاب واجمع القرآء على ضم الميم من مكث الا ابن محيصن فانه قرا مكث بفتح الميم
ويقال مكث ومكث ومكث ثلاث لغات قال مالك على مكث على تثبت وترسل قوله تعالى ونزلناه تنزيلا
مبالغة وتاكيد بالمصدر للمعنى المتقدم اى انزلناه نجما بعد نجم ولو اخذوا بجميع الفرايض في وقت واحد لنفروا
قوله تعالى قل آمنوا به اولا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا ويقولون قل آمنوا به اولا تومنوا يعني القران وهذا من الله عز وجل على وجه التبكيت
لهم والتهديد لا على وجه التخيير ان الذين اوتوا العلم من قبله اى من قبل نزول القرآن وخروج النبي
صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنوا اهل الكتاب في قول ابن جريج وغيره قال ابن جريج يعني اذا يتلى عليهم كتابهم
وقيل القرآن يخرون للاذقان سجدا وقيل هم قوم من ولد اسمعيل تمسكوا بدينهم الى ان بعث الله النبي
صلى الله عليه وسلم منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعلى هذا ليس يريد اوتوا الكتاب بل يريد
اوتوا علم وقال الحسن الذين اوتوا العلم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد انهم ناس من اليهود وهو
اظهر لقوله من قبله اذا يتلى عليهم يعني القرآن في قول مجاهد كانوا اذا سمعوا ما انزل الله تعالى من القرآن
سجدوا وقالوا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا وقيل كانوا اذا تلوا كتابهم وما انزل عليهم من القران خشعوا
وسجدوا وسبحوا وقالوا هذا هو المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجنحوا الى الاسلام
فنزلت الآية فيهم وقالت فرقة المراد بالذين اوتوا العلم من قبله محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في قبله
عايد على القرآن حسب الضمير في به في قوله قل آمنوا به وقيل الضميران لمحمد صلى الله عليه وسلم واستانف
ذكر القرآن في قوله اذا يتلى عليهم قوله تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا
دليل على جواز التسبيح في السجود وفي صحيح مسلم وغيره عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي قوله تعالى ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا فيه اربع مسايل الاولى قوله ويخرون للاذقان يبكون هذه مبالغة في
صفتهم ومدح لهم وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئا ان يجري الى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن
ويتواضع ويذل وفي مسند الدارقطني عن ابي محمد عن التيمي قال من اوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ان لا يكون اوتي علما
لان الله تعالى نعت العلما ثم تلى هذه الاية ذكره الطبري ايضا والاذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين
وقال الحسن الاذقان عبارة عن اللحى اى يضعونها على الارض في حال السجود وهو غاية التواضع واللام بمعنى
على تقول سقط لفيه اى على فيه وقال ابن عباس ويخرون للاذقان سجدا اى للوجوه وانما خص الاذقان
بالذكر لان الذقن اقرب شيء من وجه الانسان قال ابن خويز منداد ولا يجوز السجود على الذقن لان الذقن
ههنا عبارة عن الوجه وقد يعبر بالشيء عما جاوره وببعضه عن جميعه فيقال خر لوجهه ساجدا وان
كان لم يسجد على خده ولا على عينيه الا ترى الى قوله فخر صريعا لليدين وللفم فانما اراد خر صريعا على
وجهه ويديه الثانية قوله تعالى يبكون دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى او على

او على مصيبته في دين الله وان ذلك لا يقطعها ولا يضرها ذكر ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت
البناني عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل من البكا وفي كتاب ابي داود وفي صدره ازيز كازيز الرحا من البكا الثالثة و
اختلف الفقهاء في الانين فقال مالك الانين لا يقطع الصلاة للمريض واكرهه للصحيح وبه قال الثوري
وروى ابن عبد الحكم عن مالك التنحنح والانين والنفخ لا يقطع الصلاة وقال ابن القاسم يقطع وقال
الشافعي ان كان له حروف يسمع ويفهم يقطع الصلاة وقال ابو حنيفة ان كان من خوف الله لم يقطع و
ان كان من وجع قطع وروي عن ابي يوسف ان صلاته في ذلك كله تامة لانه لا يخلو مريض ولا ضعيف
من انين الرابعة قوله تعالى ويزيدهم خشوعا تقدم القول في الخشوع في البقرة وياتي ان شاء الله تعالى
قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
سبب نزول هذه الاية ان المشركين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن
فقالوا كان محمد يامرنا بدعاء اله واحد وهو يدعو الهين قاله ابن عباس وقال مكحول تهجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال في دعائه يا رحمن يا رحيم فسمعه رجل من المشركين وكان
باليمامة رجل يسمى الرحمن فقال ذلك السامع ما بال محمد يدعو رحمان اليمامة فنزلت الآية مبينة
انهما اسمان لمسمى واحد فان دعوتموه بالله فهو ذلك وان دعوتموه بالرحمن فهو ذلك وقيل كانوا يكتبون
في صدر الكتب باسمك اللهم فنزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقال المشركون هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن
فنزلت الاية وقيل ان اليهود قالت ما لنا لا نسمع في القران اسما هو في التوراة كثير يعنون الرحمن
فنزلت الاية وقرا طلحة بن مصرف ايا من تدعوا فله الاسماء الحسنى اى التي تقتضي افضل الاوصاف
واشرف المعاني وحسن الاسماء انما يتوجه بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها وانضاف
الى ذلك انها تقتضي معاني حسانا شريفة وهي بتوقيف فلا يصح وضع اسم لله بنظر الا بتوقيف من
القران او الحديث او الاجماع حسب ما بيناه في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى قوله تعالى
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فيه مسئلتان الاولى
اختلف في سبب نزولها على خمسة اقوال الاول ما روى ابن عباس في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع
صوته بالقران فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها عن اصحابك اسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر وابتغ بين ذلك سبيلا قال يقول بين الجهر
والمخافتة خرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم واللفظ لمسلم والمخافتة خفض الصوت والسكون
يقال للميت اذا برد خفت قال الشاعر لم يبق الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت
الثاني ما رواه مسلم ايضا عن عايشة في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل هذا
في الدعاء الثالث قال ابن سيرين كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الاية في ذلك قال المؤلف
وعلى هذا فيكون الاية متضمنة لاخفاء التشهد وقال ابن مسعود من السنة ان يخفى التشهد ذكره ابن

ابن المنذر السابع ما روى عن ابن سيرين ايضا ان ابا بكر رضي الله عنه كان يسر قراءته وكان عمر يجهر
بها فقيل لهما في ذلك فقال ابو بكر انما اناجي ربي وهو يعلم حاجتي اليه وقال عمر انا اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت هذه الاية قيل لابي بكر ارفع قليلا وقيل لعمر اخفض انت قليلا ذكره
الطبري وغيره الخامس ما روي عن ابن عباس ايضا ان معناها ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت
بصلاة الليل ذكره يحيى بن سلام والزهراوي فتضمنت احكام الجهر والاسرار بالقراءة في النوافل
والفرايض فاما النوافل فالمصلي مخير في الجهر والسر في الليل والنهار وكذلك روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يفعل الامرين جميعا واما الفرايض فحكمها في القراءة معلوم ليلا ونهارا وقول
سادس قال الحسن يقول الله لا تراءي بصلاتك في العلانية ولا تسيئها في السر وقال ابن عباس لا تصلي
مرائيا للناس ولا تدعها مخافة الناس عبر تعالى بالصلاة هنا عن القراءة كما عبر بالقراءة عن
الصلاة في قوله وقرآن الفجر لان كل واحد منهما مرتبط بالاخر لان الصلاة تشتمل على قراءة وركوع و
سجود فهي من جملة اجزايها فعبر بالجزء عن الجملة وعبر بالجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز
وهو كثير ومنه الحديث الصحيح قسمت الصلاة بيني وبين عبدي اي قراءة الفاتحة على ما تقدم
قوله تعالى وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ
مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝ هذه الاية راده على اليهود والنصارى والعرب في قولهم ~~ولم يكن~~
~~له شريك في الملك~~ افراد اعزير والمسيح والملايكة ذرية الله سبحانه وتعالى عن اقوالهم ولم يكن له شريك
في الملك لانه واحد لا شريك له في ملكه ولا في عبادته ولم يكن له ولي من الذل قال مجاهد المعنى لم يحالف
احدا ولا يبتغي نصر احد اي لم يكن له ناصر يجيره من الذل فيكون مدافعا وقال الكلبي لم يكن له ولي
من اليهود والنصارى لانهم اذل الناس ردا لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال الحسين بن الفضل
ولم يكن له ولي من الذل يعني لم يذل فيحتاج الى ولي ولا ناصر لعزته وكبريايه وكبره تكبيرا اي عظمه عظمة
تامة ويقال ابلغ لفظه للعرب في معنى التعظيم والاجلال الله اكبر اي صفه بانه اكبر من كل شي قال الشاعر

رايت الله اكبر كل شي ۝ محاولة واكثرهم جنودا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل في الصلاة قال الله اكبر وقد تقدم في اول الكتاب وقال
عمر بن الخطاب قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها وهذه الاية هي خاتمة التوراة روي مطرف
عن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بخاتمة هذه السورة وفي الخبر
انها آية العز رواه معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الاية وقال
عبد الحميد بن واصل سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا وقل الحمد لله الاية كتب الله
له من الاجر مثل الارض والجبال لان الله تعالى يقول فيمن زعم ان له ولدا تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وجاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر رجلا شكى اليه
الدين بان يقرا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخر السورة ثم يقول توكلت
على الحي الذي لا يموت ثلاث مرات

تفسير سورة الكهف

وهي مكية في قول جميع المفسرين وروى عن فرقة ان اول السورة نزل بالمدينة الى قوله جرزا والاول
اصح وروى في فضلها من حديث انس انه من قراها اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة القبر وقال
اسحاق بن عبد الله بن ابي فروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة شيعها سبعون
الف ملك ملا عظمها ما بين السماء والارض لتاليها مثل ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال سورة اصحاب الكهف
من قراها يوم الجمعة غفر الله له الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام واعطي نورا يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال
ذكره الثعلبي والمهدوي ايضا بمعناه وفي مسند الدارمي عن ابي سعيد الخدري قال من قرا سورة الكهف
ليلة الجمعة اضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق وفي صحيح مسلم عن ابي الدرداء ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية من آخر الكهف
وفي مسلم ايضا من حديث النواس بن سمعان فمن ادركه يعني الدجال فليقرا عليه فواتح سورة الكهف
وذكر الثعلبي قال سمرة بن جندب قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا عشر آيات من سورة الكهف
حفظا لم يضره فتنة الدجال ومن قرا السورة كلها دخل الجنة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ
الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ۝ ذكر ابن اسحاق ان قريشا
بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا
لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا
حتى قدما المدينة فسالا احبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم امره واخبراهم ببعض قوله
وقالا لهم انكم اهل التوراة وقد جيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما احبار يهود سلوه عن ثلاث
نامركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم سلوه عن فتية
ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق
الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي وان لم يفعل
فانه رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم فاقبل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط حتى قدما مكة على
قريش فقالا يا معشر قريش قد جيناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا احبار يهود ان نساله عن اشيا
امرونا بها فان اخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فهو متقول فروا فيه رايكم فجاوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد اخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ
مشارق الارض ومغاربها واخبرنا عن الروح ما هي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم
عنه ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمس عشرة ليلة لا يحدث
الله في ذلك اليه وحيا ولا ياتيه جبريل حتى ارجف اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة
قد اصبحنا منها لا يخبرنا بشي مما سالناه عنه وحتى احزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق
عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف فيها معاتبته اياه

على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف والروح قال ابن اسحاق فذكر لي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا فقال له جبريل وما نتنزل الا
بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده
وذكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انك رسول مني اى تحقيق لما سالوا عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا قيما
اى معتدلا لا اختلاف فيه لينذر باسا شديدا من لدنه عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا اليما في الاخرة اى
اى من عند ربك الذي بعثك رسولا ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين
فيه ابدا اى دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم وعملوا بما امرتهم به من
الاعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في قولهم انا نعبد الملائكة وهي بنات الله ما لهم
به من علم ولا لابائهم الذين اعظموا فراقهم وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من افواههم اى بقولهم ان الملائكة
بنات الله ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا لحزنه عليهم حين
فاته ما كان يرجوا منهم اى لا تفعل قال ابن هشام باخع نفسك اى مهلك نفسك فيما حدثني ابو عبيدة قال
ذو الرمة
ألا ايها الباخع الوجد نفسه ۰ لشيء نحته عن يديه المقادر
وجمعه باخعون وبخعه وهذا البيت في قصيدة له ويقول العرب قد بخعت له نفسي ونصحي اى جهدت
له انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قال ابن اسحاق اى ايهم اتبع لامري واعمل
بطاعتي وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اى الارض وان ما عليها لفان وزايل وان المرجع الى فاجزي
كلا بعمله فلا تاس ولا يحزنك ما ترى وتسمع فيها قال ابن هشام الصعيد وجه الارض وجمعه صعد قال
ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا وهذا البيت في قصيدة له
كأنه بالضحى ترمي الصعيد به ۰ دبابة في عظام الراس خرطوم
والصعيد ايضا الطريق وقد جاء في الحديث اياكم والقعود على الصعدات يعني الطرق والجرز
الارض التي لا تنبت شيئا وجمعها اجراز ويقال سنة جرز وسنون اجراز وهي التي لا يكون مطر
ويكون فيها جدوبة ويبس وشدة قال ذو الرمة يصف ابلا
طوى النحز والاجراز ما في بطونها ۰ فما بقيت الا الضلوع الجراشع
قال ابن اسحاق ثم استقبل قصة الخبر فيما سالوه عنه من شان الفتية فقال ام حسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اى قد كان من اياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو اعجب من ذلك
قال ابن هشام والرقيم الكتاب الذي رقم بخبرهم وجمعه رقم قال العجاج ومستقر المصحف المرقم
وهذا البيت في ارجوزة له قال ابن اسحاق ثم قال تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا
من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم
اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نباهم بالحق اى بصدق الخبر انهم فتية امنوا بربهم
وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها
لقد قلنا اذا شططا اي لم يشركوا بي كما اشركتم بي ما ليس لكم به علم قال ابن هشام والشطط الغلو و

ومجاوزة الحق قال اعشى بن قيس بن ثعلبة ۰ لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط ۰ كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل
وهذا البيت في قصيدة له قال ابن اسحاق هولاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان
بين قال ابن اسحاق اى بحجة بالغة فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا
الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور
عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه قال ابن هشام
تزاور تميل وهو من الزور وقال ابو الزحف الكليبي يصف بلدا
جاب المندى عن هوانا ازور ۰ ينضي المطايا خمسه العشنزر
وهذان البيتان في ارجوزة له وتقرضهم ذات اليمين وذات الشمال تجاوزهم وتتركهم عن شمالها
قال ذو الرمة ۰ الى ظعن يقرضن اقواز مشرف ۰ شمالا وعن ايمانهن الفوارس
القوز بالفتح الكثيب الصغير والجمع اقواز وفيه ان قاله الجوهري وهذا البيت في قصيدة له
والفجوة السعة وجمعها الفجا قال الشاعر البست قومك مخزاة ومنقصة ۰ حتى ابيحوا وخلوا فجوة الدار
ذلك من ايات الله اى في الحجة على من عرف ذلك من امورهم من اهل الكتاب ممن امر هولاء بمسئلتك عنهم في
صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن هشام
الوصيد الباب قال العبسي واسمه عبيد بن وهب ۰ وهذا البيت في ابيات له
بارض فلاة لا يسد وصيدها ۰ علي ومعروفي بها غير منكر
والوصيد ايضا الفنا وجمعه وصايد ووصد ووصدان لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا الى قوله
قال الذين غلبوا على امرهم اهل السلطان والملك منهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون يعني احبار اليهود
الذين امروهم بالمسئلة عنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم
منهم احدا فانهم لا علم لهم بهم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت
وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اى لا تقولن لشيء سالوك عنه كما قلت في هذا اني مخبركم
غدا واستثن مشية الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لخير مما سالتموني عنه رشدا
فانك لا تدري ما انا صانع في ذلك ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا اى سيقولون ذلك
قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك
في حكمه احدا اى لم يخف عليه شيء مما سالوك عنه قال المولف رحمه الله هذا ما وقع في السيرة من
خبر اصحاب الكهف ذكرناه على نسقه ويأتي خبر ذي القرنين ثم نعود الى اول السورة فنقول وقد تقدم معنى
الحمد لله وزعم الاخفش والكسائي والفرا وابو عبيد وجمهور المتاولين ان في اول هذه السورة تقديما وتاخيرا
وان المعنى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وقيما نصب على الحال وقال قتادة الكلام
على سياقه من غير تقديم ولا تاخير ومعناه ولم يجعل له عوجا ولكن جعلناه قيما وقول الضحاك فيه حسن وان
المعنى مستقيم اى مستقيم الحكمة لا خطاء فيه ولا فساد ولا تناقض وقيل قيما على الكتب السابقة بصدقها

لس ص

وقيل قيمًا بالحج ابدًا عوجًا مفعول به والعوج بكسر العين في الدين والراي والامر والطريق وبفتحها في الاجسام كالخشب والجدار وقد تقدم وليس في القرآن عوج اي عيب اي متناقضا مختلفا كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل اي لم يجعله مخلوقا كما روى عن ابن عباس في قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق وقال مقاتل عوجا اختلافا قال الشاعر

ادوم بودي للصديق تكرما ٭ ولا خير فيمن كان في الود اعوجا

لينذر باسا شديدا اي لينذر محمدا والقرآن وفيه اضمار اي لينذر الكافرين عقاب الله وهذا العذاب الشديد قد يكون في الدنيا وقد يكون في الاخرة من لدنه اي من عنده وقراء ابو بكر عن عاصم من لدنه باسكان الدال واشمامها الضم وكسر النون والهاء موصولة بيا والباقون لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء قال الجوهري وفي لدن ثلاث لغات لدن ولدي ولد وقال من لدحيه الى منحوره المنحور لغة في المنحر قوله تعالى وَيُبَشِّرَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ٭ ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا وهي الجنة ماكثين فيها ابدا الى غاية دائمين وان جعلت التبشير على البيان لم يحتج الى البا في بان والاجر الحسن الثواب العظيم الذي يودي الى الجنة قوله تعالى وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ٭ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود قالوا عزير بن الله والنصارى قالوا المسيح بن الله وقريش قالت الملايكة بنات الله فالانذار في اول السورة عام وهذا خاص فيمن قال لله ولد ما لهم به من علم من صلة اي ما لهم بذلك القول علم لانهم مقلدة قالوه بغير دليل ولا لابايهم اي اسلافهم كبرت كلمة كلمة نصب على البيان اي كبرت تلك الكلمة كلمة وقراء الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن ابي اسحاق كلمة بالرفع اي عظمت كلمة يعني قولهم اتخذ الله ولدا وعلى هذه القراة فلا حاجة الى اضمار يقال كبر الشيء اذا عظم وكبر الرجل اذا اسن تخرج من افواههم في موضع الصفة ان يقولون الا كذبا اي ما يقولون الا كذبا قوله تعالى فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ٭ باخع اي مهلك وقاتل وقد تقدم اثارهم جمع اثر ويقال اثر الشيء والمعنى على اثر توليهم واعراضهم عنك ان لم يومنوا بهذا الحديث اي القرآن اسفا اي حزنا وغضبا على كفرهم وانتصب على التفسير قوله تعالى إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٭ فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها ما وزينة مفعولان والزينة كل ما على وجه الارض فهو عموم لانه دال على باريه وقال ابن جبير عن ابن عباس اراد بالزينة الرجال وقاله مجاهد وروي عكرمة عن ابن عباس ان الزينة الخلفا والامرا وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال العلماء زينة الارض وقالت فرقة اراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ولم يدخل فيه الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب والقول بالعموم اولي وان كل ما على الارض فيه زينة من جهة خلقه وصنعه واحكامه والاية بسط في التسلية اي لا يهتم يا محمد للدنيا واهلها فانا انما جعلنا ذلك امتحانا واختبارا لاهلها فمنهم من يتدبر ويومن ومنهم من يكفر ثم يوم القيمة بين ايديهم فلا يعظمن عليك كفرهم فانا نجازيهم

تول

الثانية معنى الاية ينظر الي النبي صلى الله عليه وسلم ان الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون وقوله عليه السلام ان اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قال وما زهرة الدنيا قال بركات الارض خرجهما مسلم وغيره من حديث ابي سعيد الخدري والمعنى ان الدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها كالثمر المستحلى المعجب المراى فابتلى الله بها عباده لينظر ايهم احسن عملا اي من ازهد فيها واترك لها ولا سبيل للعباد الى بغضه ما زينه الله الا بعونه على ذلك ولهذا كان عمر يقول فيما ذكر البخاري اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم اني اسالك ان انفقه في حقه فدعا الله ان يعينه على انفاقه في حقه وهذا معنى قوله عليه السلام فمن اخذه بطيب نفسه بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس كان كالذي ياكل ولا يشبع وهكذا هو المكثر من الدنيا لا يقنع بما يحصل له منه بل همته جمعها وذلك لعدم الفهم عن الله ورسوله فان الفتنة معها حاصلة وعدم السلامة غالبة وقد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه قال ابن عطية كان ابي رضي الله عنه يقول في قوله احسن عملا احسن العمل اخذ بحق وانفاق في حق مع الايمان واداء الفرايض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه قال المولف رحمه الله هذا قول حسن وجيز في الفاظه بليغ في معناه وقد جمعه النبي صلى الله عليه وسلم في لفظ واحد وهو قوله لسفيان بن عبد الله الثقفي لما قال يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك وفي رواية غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم خرجه مسلم وقال سفيان الثوري احسن عملا ازهدهم فيها وكذلك قال ابو عصام العسقلاني احسن عملا اترك لها وقد اختلفت عبارات العلماء في الزهد فقال قوم قصر الامل وليس باكل الخشن ولبس العبا قاله سفيان الثوري قال علماونا وصدق رضي الله عنه فان من قصر امله لم يتانق في المطعومات ولا تفنن في الملبوسات واخذ من الدنيا ما تيسر واجتزا منها بما بلغ وقال قوم بغض المحمدة وحب الثنا وهو قول الاوزاعي ومن ذهب اليه وقال قوم ترك الدنيا كلها هو الزهد احب تركها ام كره وهو قول فضيل وعن بشر بن الحارث قال حب الدنيا حب لقاء الناس والزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس وعن الفضيل ايضا علامة الزهد في الدنيا الزهد في الناس وقال قوم لا يكون زاهدا حتى يكون ترك الدنيا احب اليه من اخذها قاله ابرهيم بن ادهم وقال قوم الزهد ان تزهد في الدنيا بقلبك قاله ابن المبارك وقالت فرقة الزهد حب الموت والقول الاول يعم هذه الاقوال بالمعنى فهو اولي قوله تعالى وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا تقدم بيانه وقال ابو سهل ترابا لا نبات له كانه قطع نباته والجرز القطع ومنه سيف جراز قال الراجز

قد جرفتهن السنون الاجراز ٭

والارض الجرز التي لا نبات فيها ولا شيء من عمارة وغيرها كانه قطع وازيل يعني يوم القيمة فان الارض تكون مستوية لا مستتر فيها قال النحاس والجرز في اللغة الارض التي لا نبات بها قال الكسائي جرزت الارض تجرز وجرزها القوم يجرزونها اذا اكلوا كل ما فيها من النبات والزرع فهي مجروزة وجرز قوله تعالى أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ٭ مذهب سيبويه ان ام اذا جاءت دون ان يتقدمها الف استفهام انها بمعنى بل والف الاستفهام وهي المنقطعة وقيل ام عطف على معنى الاستفهام في لعلك او بمعنى الف الاستفهام على الانكار قال الطبري هو تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم على حسابه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى انكار ذلك عليه

اي لا تعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة فان ساير ايات الله اعظم من قصتهم واشنع
هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن اسحاق والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين
سالوه عن فتية فقدوا وعن ذي القرنين وعن الروح وابطأ الوحي على ما تقدم فلما نزل قال الله لنبيه
احسبت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي ليسوا بعجب من اياتنا بل في اياتنا ما
هو اعجب من خبرهم قال الكلبي خلق السموات والارض اعجب من خبرهم قال الضحاك ما اطلعتك
عليه من الغيب اعجب وقال الجنيد شانك في الاسرا اعجب وقال الماوردي معنى الكلام النفي اي ما
حسبت لولا اخبارنا وقال ابو سهل استفهام تقرير اي احسبت ذلك فانهم عجب والكهف النقب
المتسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار وحكى النقاش عن انس بن مالك انه قال الكهف الجبل
وهذا غير شهير في اللغة واختلف الناس في الرقيم فقال ابن عباس كل شيء في القران اعلمه الا اربعة
غسلين وحنان والاواه والرقيم وسيل مرة عن الرقيم فقال زعم كعب انها قرية خرجوا منها
وقال مجاهد الرقيم واد وقال السدي الرقيم الصخرة التي كانت على الكهف وقال ابن زيد الرقيم كتاب
عمى الله علينا امره ولم يشرح لنا قصته وقالت فرقة الرقيم كتاب في لوح من نحاس وقال ابن عباس
في لوح رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخا لهم ذكروا وقت
فقدهم وكم كانوا وبني من كانوا وكذا قال الفرا قال الرقيم لوح من رصاص كتب فيه اسماوهم
وانسابهم ودينهم ومم هربوا قال ابن عطية ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوما مورخين للحوادث
وذلك من نبل المملكة وهو امر مفيد وهذه الاقوال ماخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم ومنه الارقم
لتخطيطه ومنه رقمة الوادي اي مكان جري الماء وانعطافه وما روي عن ابن عباس ليس بمتناقض لان
القول الاول انما سمعه من كعب والقول الثاني يجوز ان يكون عرف الرقيم بعده وروي عنه سعيد بن
جبير قال ذكر ابن عباس اصحاب الكهف فقال ان الفتية فقدوا فطلبهم اهلوهم فلم يجدوهم فرفع
ذلك الى الملك فقال ليكونن لهم نبا واحضر لوحا من رصاص فكتب فيه اسماوهم وجعله في خزانته
فذلك اللوح هو الرقيم وقيل ان مومنين كانا في بيت الملك فكتبا شان الفتية واسماوهم وانسابهم في لوح
من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان فالله اعلم وعن ابن عباس ايضا الرقيم
كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى وقال النقاش عن قتادة الرقيم
دراهمهم وقال انس بن مالك والشعبي الرقيم كلبهم وقال عكرمة الرقيم الدواة وقيل الرقيم اللوح من الذهب
تحت الجدار الذي اقامه الخضر وقيل الرقيم اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح
عمله قال المولف رحمه الله وفي هذا خبر معروف اخرجه الصحيحان والمرتجا البخاري وقال قوم
اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشيء وقال الضحاك الرقيم بلدة بالروم فيه
غار فيه احد وعشرون نفسا كانهم نيام على هيئة اصحاب الكهف فعلى هذا هم فتية اخرون جرى لهم
ما جرى لاصحاب الكهف والله اعلم وقيل الرقيم واد دون فلسطين فيه الكهف ماخوذ من رقمة الوادي
وهو موضع الماء يقال عليك بالرقمة ودع الضفة ذكره الغزنوي قال ابن عطية وبالشام على ما سمعت
من ناس كثير فيه موتى يزعم مجاوروه انهم اصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة

وبالاندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة واكثرهم قد تجرد لحمه
وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم يجد من علم شانهم اثارة ويزعم ناس انهم اصحاب
الكهف دخلت اليهم ورايتهم سنة اربع وخمسماية وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بناء
رومي يسمى الرقيم كانه قصر مخلق قد بقي بعض جدرانه وهو في فلاة من الارض خربة وباعلى غرناطة
مما يلي القبلة اثار مدينة قديمة رومية يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في اثارها غرائب في قبور ونحوها
قال المولف رحمه الله ما ذكر من رويته لهم بالاندلس فانهم غيرهم لان الله تعالى يقول في حق اصحاب
الكهف لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقد قال ابن عباس لمعاوية لما اراد رويتهم
قد منع الله من هو خير منك عن ذلك وسياتي في اخر القصة وقال مجاهد في قوله كانوا من اياتنا عجبا
قال هم عجب كذا روى ابن جريج عنه يذهب الى انه ليس بانكار على النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون
عنده انهم عجب وروى ابن ابي نجيح عنه قال يقول ليس هم باعجب اياتنا قوله تعالى اذ اوى الفتية
الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف روي انهم قوم من ابناء اشراف مدينة دقيوس
الملك الكافر ويقال فيه دقلنوس ويقال فيه دقينوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين بالذهب
ذوي ذوائب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى فالله اعلم وقال ابن عباس
ان ملكا من الملوك يقال له دقيانوس ظهر على مدينة من مدائن الروم يقال لها افسوس وقيل هي طرسوس
وكان بعد زمن عيسى عليه السلم يامر بعبادة الاصنام فدعا اهلها الى عبادة الاصنام وكان بها سبعة
احداث يعبدون الله سرا فرفع خبرهم الى الملك فخافوه وهربوا ليلا ومروا براع معه كلب فتبعهم
فاووا الى الكهف فتبعهم الملك الى فم الغار فوجد اثر دخولهم ولم يجد اثر خروجهم فدخلوا فاعمى الله
ابصارهم فلم يروا شيا فقال الملك سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا وروى مجاهد
عن ابن عباس ايضا ان هولاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الاصنام ويذبح لها ويكفر بالله وقد تابعه
على ذلك اهل المدينة فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش او من مومني الامم
قبلهم فامنوا بالله وراوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فاخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله
فرفع امرهم الى الملك وقيل له انهم قد فارقوا دينك واستخفوا الهتك وكفروا بها فاستحضرهم الملك الى مجلسه
وامرهم باتباع دينه والذبح لالهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الى قوله واذ اعتزلتموهم وروي انهم قالوا نحو هذا الكلام وليس به فقال لهم
الملك انكم اغمار شبان لا عقول لكم وانا لا اعجل بكم بل استاني فاذهبوا الى منازلكم ودبروا رايكم و
ارجعوا الى امري وضرب لهم في ذلك اجلا ثم انه سافر خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب
باديانهم فقال لهم احدهم اني اعرف كهفا في جبل كذا كان ابي يدخل غنمه فيه فلنذهب فلنختف فيه حتى
يفتح الله لنا فخرجوا فيما روي يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو طريقهم لئلا يشعر
الناس بهم وروي انهم كانوا متفقهين فحضر عيد خرجوا اليه فركبوا في جملة الناس ثم اخذوا باللعب
بالصولجان حتى خلصوا بذلك وروى وهب بن منبه ان اول امرهم انما كان حواريا لعيسى بن مريم جاء

الى مدينة اصحاب الكهف يريد دخولها فآجر نفسه من صاحب الحمام فكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في اعماله
بركة عظيمة فالقى اليه بكل امره فتعرف ذلك الرجل فتيان من اهل المدينة فعرفهم الله تعالى فآمنوا به واتبعوه
على دينه واشتهرت خلطتهم به فاتى يومًا الى ذلك الحمام ولد الملك بامرأة اراد الخلوة بها فنهاه عن ذلك
الحواري فانتهى ثم جاء مرة اخرى فنهاه فشتمه وامضى عزمه في دخول الحمام مع البغي فدخل فماتا
فيه جميعًا فاتهم ذلك الحواري واصحابه بقتلهما ففروا جميعًا حتى دخلوا الكهف وقيل في خروجهم غير هذا
واما الكلب فروى انه كان كلب صيد لهم وروى انهم وجدوا في طريقهم راعيًا له كلب واتبعهم الراعي على رايهم
وذهب الكلب معهم قال ابن عباس واسم الكلب حمران وقيل قطمير واما اسماء اهل الكهف فاعجمية و
السند في معرفتها واهٍ والذي ذكر الطبري هي هذه مكسلمينا وهو اكبرهم والمتكلم عنهم ومحسيلمينا
وتمليخا وهو الذي مضى بالورق الى المدينة عند بعثهم من رقدتهم ومرطوس وكشوطونس وبيرونس ودينموس
وبطونس قال مقاتل وكان الكلب لمكسلمينا وكان اسنهم وكان صاحب غنم الثانية هذه الآية صريحة
في الفرار بالدين وهجرة الاهل والبنين والقرابات والاصدقاء والاوطان والاموال خوف الفتنة وما
يلقاه الانسان من المحنة وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فارًا بدينه وكذلك اصحابه وجلس في الغار
حسب ما قدمناه في سورة النحل وقد نص الله على ذلك في براءة وقد تقدم هجروا اوطانهم وتركوا ارضهم
وديارهم واهاليهم وقراباتهم واخوانهم رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين فسكنى الجبال ودخول
الغيران والفرار عن الخلق والانفراد بالخالق وجواز الفرار من الظالم هي سنة الانبياء صلوات الله عليهم
والاولياء وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العزلة وفضلها جماعة من العلماء لاسيما عند ظهور الفتن
وفساد الناس وقد نص الله عليها في كتابه فقال فأووا الى الكهف قال العلماء الاعتزال عن الناس يكون مرة
في الجبال والشعاب ومرة في السواحل والرباط ومرة في البيوت وقد جاء في الخبر اذا كانت الفتنة فاخف
مكانك وكف لسانك ولم يخص موضعًا من موضع وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر واهله
بقلبك وعملك وان كنت بين اظهرهم وقال ابن المبارك في تفسير العزلة ان يكون مع القوم فاذا خاضوا في ذكر
الله فخض معهم وان خاضوا في غير ذلك فاسكت وروى البغوي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم صوامع المؤمنين بيوتهم من مراسيل الحسن وغيره وقال عقبة
ابن عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما النجاة يا رسول فقال يا عقبة امسك عليك لسانك وليسعك بيتك
وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف
الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن خرجه وذكر علي بن معبد عن الحسين بن واقد قال قال رسول البخاري ع
الله صلى الله عليه وسلم اذا كان سنة ثمانين ومائة فقد حلت لامتي العزلة والعزبة والترهب في رؤس
الجبال وذكر ايضًا علي ابن معبد عن عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن يرفعه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق وحجر
الى حجر فاذا كان ذلك لم تنل المعيشة الا بمعصية الله فاذا كان ذلك حلت العزبة قالوا يا رسول الله كيف تحل
العزبة وانت تأمر بالتزوج قال اذا كان ذلك كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان كان هلاكه

على يدي زوجته فان لم يكن له زوجة كان هلاكه على يدي ولده فان لم يكن له ولد كان هلاكه على يدي القرابات
والجيران قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فعند ذلك يورد
نفسه الموارد التي يهلك فيها قال المؤلف رحمه الله احوال الناس في هذا الباب تختلف فرب رجل يكون
له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال وهي ارفع الاحوال لانها الحالة التي اختارها الله لنبيه في بداية امره
ونص عليها في كتابه مخبرًا عن الفتية فقال واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف و
رب رجل يكون العزلة له في بيته اخف عليه واسهل وقد اعتزل رجال من اهل بدر فلزموا بيوتهم
بعد قتل عثمان فلم يخرجوا الا الى قبورهم ورب رجل متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر بها على
مخالطة الناس واذاهم فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن وذكر ابن المبارك حدثنا وهيب بن الورد
قال جاء رجل الى وهب بن منبه فقال ان الناس وقعوا فيما فيه وقعوا وقد حدثت نفسي ان لا اخالطهم فقال
لا تفعل انه لا بد لك من الناس ولا بد لهم منك ولك اليهم حوائج ولهم اليك حوائج ولكن كن فيهم اصم سميعًا اعمى
بصيرًا سكوتًا نطوقًا وقد قيل ان كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال والشعاب مثل
الاعتكاف في المساجد ولزوم السواحل للرباط والذكر ولزوم البيوت فرارا عن شرور الناس وانما جاءت
الاحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم والله اعلم لان ذلك هو الاغلب في المواضع التي يعتزل فيها
فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرنا والله الموفق وبه العصمة وروى عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية الجبل يؤذن بالصلاة
ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا الى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي
وادخلته الجنة خرجه النسائي وغيره الثالثة قوله تعالى وهيئ لنا من امرنا رشدًا لما فروا ممن
يطلبهم اشتغلوا بالدعاء ولجأوا الى الله فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اي مغفرة ورزقًا وهيئ لنا اي
يسر لنا من امرنا رشدًا توفيقًا للرشاد وقال ابن عباس مخرجًا من الغار في سلامة وقيل صوابًا ومن
هذا المعنى انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة قوله تعالى وَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ
آية ع فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ عبارة عن القاء الله تعالى النوم عليهم وهذه من فصيحات
القرآن التي اقرت العرب بالقصور عن الاتيان بمثله قال الزجاج اي منعناهم ان يسمعوا لان النائم اذا
سمع انتبه وقال ابن عباس ضربنا على آذانهم بالنوم اي سددنا آذانهم عن نفوذ الاصوات اليها وقيل المعنى
فضربنا على آذانهم اي فاستجبنا دعاءهم وصرفنا عنهم شر قومهم وانمناهم والمعنى كله متقارب وقال
قطرب هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اذا منعهم الفساد وضرب السيد على يد عبده المأذون
له في التجارة اذا منعه من التصرف قال الاسود بن يعفر وكان ضريرًا

ومن الحوادث لا ابا لك انني ضربت على الارض بالاسداد

واما تخصيص الآذان بالذكر فلانها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقيل ما ينقطع نوم نائم الا من جهة
اذنه ولا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع ومن ذكر الاذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذاك رجل بال الشيطان
في اذنه خرجه الصحيح اشار عليه السلام الى رجل طويل النوم لا يقوم الليل وعددًا نعت للسنين اي
معدودة والقصد به العبارة عن التكثير لان القليل لا يحتاج الى عدد لانه قد عرف والعد المصدر و

والعدد اسم المعدود كالنقض والخبط وقال ابو عبيدة عددًا نصبٌ على المصدر ثم قال قوم من اتى الله عدد
تلك السنين من بعد فقال ولبثوا فى كهفهم ثلثماية سنين وازدادوا تسعًا قوله تعالى ثم بعثناهم اى من
نومهم ويقال لمن احيى او ايتم من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف قوله تعالى
لِنَعْلَمَ اَيُّ الْحِزْبَيْنِ اَحْصَى لِمَا لَبِثُوا اَمَدًا لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشىء الى الوجود ومشاهدته
وهذا على نحو كلام العرب اى لنعلم ذلك موجودًا والا فقد كان الله تعالى علم اى الحزبين احصى الامد
وقرأ الزهرى ليعلم بالياء والحزبان الفريقان والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية
اذ ظنوا لبثهم قليلًا والحزب الثانى اهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ
بامر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وقالت فرقة هما حزبان من الكافرين اختلفا فى مدة اصحاب
الكهف وقيل هما حزبان من المؤمنين وقيل غير ذلك مما لا يرتبط بالفاظ الاية واحصى فعل ماض وامدًا
نصبٌ على المفعول به قاله ابو علي وقال الفرا نصبٌ على التمييز وقال الزجاج نصبٌ على الظرف اى اى
الحزبين احصى للبثهم فى الامد والامد الغاية وقال مجاهد امدًا معناه عددًا وهذا تفسير بالمعنى على
جهة التقريب وقال الطبرى امدًا منصوب بلبثوا قال ابن عطية وهذا غير متجه واما من قال انه نصبٌ
على التفسير فيلحقه من الاختلال ان افعل لا يكون من فعل رباعى الا فى الشاذ واحصى فعل رباعى وقد يحتج
له بان يقال ان افعل فى الرباعى قد كثر كقولك ما اعطاه للمال واتاه للخير وقال فى صفة حوضه عليه السلم ماؤه
ابيض من اللبن وقال عمر بن الخطاب فهو لما سواها اضيع قوله تعالى نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَاَهُمْ
بِالْحَقِّ اِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ لما اقتضى قوله تعالى لنعلم اى الحزبين احصى اختلافًا وقع فى الفتية اخذ
عقب بالخبر عن انه عز وجل يعلم من امرهم بالحق الذى وقع وقوله عز وجل انهم فتية اى شباب واحداث
حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة كذلك قال اهل اللسان راس الفتوة الايمان وقال الجنيد
الفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى وقيل الفتوة اجتناب المحارم واستعمال المكارم
وقيل غير هذا وهذا القول حسن جدا لانه يعم بالمعنى جميع ما قيل فى الفتوة قوله تعالى وَزِدْنَاهُمْ هُدًى
وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وزدناهم هدى اى يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع الى الله عز وجل
ومباعدة الناس والزهد فى الدنيا وهذه زيادات على الايمان وقال السدى زادهم هدى بكلب
الراعى حين طردوه وزجروه مخافة انه ينبح عليهم وينبه عليهم فرفع الكلب يديه كالداعى فانطقه الله تعالى
فقال يا قوم لم تطردونى لم ترجمونى لم تضربونى فوالله لقد عرفت الله قبل ان تعرفوه باربعين سنة
فزادهم الله بذلك هدى قوله تعالى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ عبارة عن شدة عزم وقوة صبر اعطاها
الله لهم حتى قالوا بين يدى الكفار ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا
شططًا ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن فى قوة النفس وشدة التصميم
ان يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجاش اذا كان لا يفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرهما ومنه الربط
على قلب ام موسى وقوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام وقد تقدم قوله تعالى اِذْ قَامُوا فَقَالُوا
رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ اِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا اِذًا شَطَطًا فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى اذ قاموا فقالوا يحتمل ثلاث معان احدها ان يكون هذا وصف مقامهم بين يدي

الملك الكافر كما تقدم وهو مقام يحتاج الى الربط على القلب حيث خالفوا دينه ورفضوا فى ذات الله هيبته
والمعنى الثانى فيما قيل انهم كانوا اولاد عظماء تلك المدينة فخرجوا واجتمعوا وراء تلك المدينة من غير ميعاد
فقال اسنهم انى اجد فى نفسى ان ربى رب السموات والارض فقالوا ونحن كذلك نجد فى انفسنا فقاموا
جميعًا وقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اى لئن دعونا
الها غيره فقد قلنا اذا جورا ومحالا والمعنى الثالث انه يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب
الى الله ومنابذة الناس كما تقول قام فلان الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد الثانية قال ابن
عطية تعلقت الصوفية فى القيام والقول بقوله تعالى اذ قاموا فقالوا قال المؤلف رحمه الله وهذا تعلق
غير صحيح هولاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكرًا لما اولاهم من نعمته ونعمه ثم هاموا على وجوههم
منقطعين الى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والانبياء والفضلاء والاولياء اين هذا
من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام وخاصة فى هذه الازمان عند سماع الاصوات الحسان من
المرد والنسوان هيهات بينهما والله ما بين الارض والسماء ثم هذا حرام عند جماعة العلماء على ما ياتى بيانه
فى سورة لقمان ان شاء الله تعالى وقد تقدم فى سبحان عند قوله ولا تمش فى الارض مرحا ما فيه كفاية
وقد قال الامام ابو بكر الطرطوسى وسئل عن مذهب الصوفية فقال اما الرقص والتواجد فاول من احدثه
اصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدًا له خوار وقاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار
وعبادة العجل على ما ياتى قوله تعالى هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَاْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ
بَيِّنٍ اى قال بعضهم لبعض هولاء قومنا اتخذوا اهل عصرنا وبلدنا عبدوا الاصنام تقليدًا من غير حجة
لولا اى هلا ياتون عليهم بسلطان بين اى بحجة على عبادتهم الصنم وقيل عليهم راجع الى الالهة اى هلا
اقاموا بينة على الاصنام فى كونها الهة فقولهم لولا تحضيض بمعنى التعجيز واذا لم يمكنهم ذلك لم يجب ان يلتفت
الى دعواهم قوله تعالى وَاِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ اِلَّا اللّٰهَ فَاْوُوا اِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ
رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ اَمْرِكُمْ مِرْفَقًا واذ اعتزلتموهم قيل هو من قول الله
لهم اى واذ اعتزلتموهم فاووا الى الكهف وقيل هو من قول رئيسهم تمليخا فيما ذكر ابن عطية وقال الغزنوى
رئيسهم مكسلمينا قال لهم ذلك اى اذا اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون ثم استثنى وقال الا الله اى انكم
لم تتركوا عبادته فهو استثناء منقطع قال ابن عطية وهذا على تقدير ان الذين فر اهل الكهف منهم لا يعرفون
الله ولا علم لهم به وانما يعتقدون الاصنام فى الوهيتهم فقط وان فرضنا انهم يعرفون الله كما كانت العرب
يفعل لكنهم يشركون اصنامهم معه فى العبادة فالاستثناء متصل لان الاعتزال وقع فى كل ما يعبد الكفار
الا فى جهة الله وفى مصحف عبد الله بن مسعود وما يعبدون من دون الله قال قتادة هذا تفسير ما قال
المؤلف رحمه الله ويدل على هذا ما ذكره ابو نعيم الحافظ عن عطاء الخراسانى فى قوله تعالى واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله قال كان فتية ممن يعبدون الله ويعبدون معه آلهة فاعتزلت تلك الفتية عبادة
تلك الالهة ولم يعتزل عبادة الله قال ابن عطية فعلى ما قال قتادة يكون الا بمنزلة غير وما من قوله وما
يعبدون الا الله فى موضع نصب عطفا على الضمير فى قوله اعتزلتموهم ومضمن هذه الاية ان بعضهم قال
لبعض اذا فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف ماوى ونتكل على الله فانه سيبسط لنا رحمته

مطلب حرمة الرقص

ويبشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا مرفقا وهذا كله دعاء بحسب الدنيا وعلى ثقة كانوا من الله في امر آخرتهم و
قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم كان اصحاب الكهف صياقلة واسم الكهف جيثوم
ومرفقا قرئ بكسر الميم وفتحها وهو ما يرتفق به وكذلك مرفق الانسان ومرفقه ومنهم من يجعل المرفق
بفتح الميم وكسر الفاء من الامر والمرفق من الانسان وقيل المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد ومما بعد لغتان

قوله تعالى وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم باسط ذراعيه بالوصيد ه اي ترى ايها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم والمعنى انك
لو رايتهم لرايتهم كذا لا ان المخاطب راى هم على التحقيق وتزاور تتنحى وتميل من الازورار والزور الميل
والازور في العين المائل النظر الى ناحية ويستعمل في غير العين كما قال ابن ابي ربيعة وجنبي خيفة القوم ازور
ومن اللفظ في قول عنترة ه فازور من وقع القنا بلبانه ه وفي حديث غزوة مؤتة رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سرير جعفر وزيد بن حارثة وقراء اهل الحرمين وابو عمرو
تزاور بادغام التاء في الزاء والاصل تتزاور وقرا عاصم وحمزة والكسائي تزاور مخففة الزاء وقرا
ابن عامر تزور مثل تحمر وحكى الفرا تزوار مثل تحمار وكلها بمعنى واحد واذا غربت تقرضهم قرا
الجمهور بالتاء على معنى تتركهم قاله مجاهد وقال قتادة تدعهم قال النحاس وهذا معروف في اللغة حكى
البصريون انه يقال قرضه يقرضه اذا تركه والمعنى انهم كانوا لا يصيبهم شمس البتة كرامة لهم وهو
قول ابن عباس يعني ان الشمس اذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين اي يمين الكهف واذا غربت
تمر بهم ذات الشمال اي شمال الكهف فلا يصيبهم لا في ابتداء النهار ولا في آخر النهار وكان كهفهم
مستقبل بنات نعش في ارض الروم فكانت الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية لا يبلغهم فتؤذيهم
بحرها وتغير الوانها وتبلي ثيابهم وقد قيل انه كان لكهفهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب
من جهة الدبور وهم في زاوية وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان آية من آيات الله دون ان يكون باب الكهف
الى جهة توجب ذلك وقرات فرقة يقرضهم بالياء من القرض وهو القطع اي يقتطعهم الكهف بظلة
من ضوء الشمس وقد قيل واذا غربت تقرضهم اي يصيبهم يسير منها ماخوذا من قراضة الذهب والفضة
اي تعطيهم الشمس اليسير من شعاعها وقالوا كان في مسها لهم بالعشي اصلاح لاجسامهم وعلى الجملة فالاية
في ذلك ان الله تعالى اواهم الى كهف هذه صفته لا الى كهف آخر يتاذون فيه بانبساط الشمس عليهم في
معظم النهار وعلى هذا فيمكن ان يكون صرف الشمس عنهم باظلال غمام او سبب آخر والمقصود بيان حفظهم
عن تطرق البلاء وتغير الابدان والالوان والتاذي بحر او برد وهم في فجوة منه اي من الكهف
والفجوة المتسع وجمعها فجوات وفجاء مثل ركوة وركاء وركوات قال الشاعر

ونحن ملأنا كل واد وفجوة ه رجالا وخيلا غير ميل ولا عزل ه

اي كانوا حيث يصيبهم نسيم الهوا ذلك من آيات الله اي ذلك الميل من الشمس عنهم ووصول الهوا اليهم
من آيات الله لطفه بهم وهذا يقوي قول الزجاج وقال اهل التفسير كانت اعينهم مفتوحة وهم نائمون
فلذلك كان الراي يحسبهم ايقاظا لكثرة تقلبهم كالمستيقظ في مضجعه وايقاظا جمع يقظ ويقظان وهو
المنتبه وهم رقود كقولك هم قوم ركوع وسجود وقعود فوصف الجمع بالمصدر ونقلبهم ذات اليمين

وذات الشمال قال ابن عباس لئلا تاكل الارض لحومهم قال ابو هريرة كان لهم في كل عام تقلبتان وقيل
في كل سنة مرة وقال مجاهد في كل سبع سنين مرة وقالت فرقة انما قلبوا في التسع الاواخر واما في
الثلثماية فلا وظاهر كلام المفسرين ان التقليب كان من فعل الله ويجوز ان يكون من ملك بامر الله
فيضاف الى الله وقوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال عمرو بن دينار ان مما اخذ على العقرب ان
لا تضرب احدا في ليله ولا في نهاره قال صلى الله على نوح وان مما اخذ على الكلب انه لا يضر من حمل عليه
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد واكثر المفسرين على انه كلب حقيقة وكان لصيد احدهم او لزرعه
او غنمه على ما قال مقاتل واختلف في لونه اختلافا كثيرا ذكره الثعلبي تحصيله اي لون ذكرت
اصبت حتى قيل لون الحجر وقيل لون السماء واختلف ايضا في اسمه فعن علي رباب ابن عباس قطمير
الاوزاعي نبر عبد الله بن سلام بسيط كعب صهيا وهب نقتى وقيل قطميفين ذكره الثعلبي وكان
اقتناء الكلب جائزا في وقتهم كما هو عندنا اليوم جائز في شرعنا وقال ابن عباس هربوا ليلا وكانوا
سبعة فمروا براع معه كلب فاتبعهم على دينهم وقال كعب مروا بكلب فنبح لهم فطردوه فعاد فطردوه
مرارا فقام الكلب على رجليه ورفع يديه الى السماء كهيئة الداعي فنطق فقال لا تخافوا مني انا احب
احباء الله فناموا حتى احرسكم الثانية روى الصحيح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
اقتنى كلبا الا كلب صيد او ماشية نقص من اجره كل يوم قيراطان وروى الصحيح ايضا عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيد او زرع انتقص من اجره كل يوم
قيراط قال الزهري وذكر لابن عمر قول ابي هريرة فقال يرحم الله ابا هريرة كان صاحب زرع فقد
دلت السنة الثابتة على اقتناء الكلب للصيد والزرع والماشية وجعل النقص في آخر من اقتناها
على غير ذلك من المنفعة اما لترويع الكلب المسلمين وتشويشه عليهم بنباحه او لمنع دخول الملائكة
البيت او لنجاسته على ما يراه الشافعي او لاقتحام النهي عن اتخاذ ما لا منفعة فيه والله اعلم وقال
في احدى الروايتين قيراطان وفي الاخرى قيراط وذلك يحتمل ان يكون في نوعين من الكلاب احدهما
اشد اذى من الآخر كالاسود الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ولم يدخله في الاستثناء
حين نهى عن قتلها كما هو منصوص في حديث جابر اخرجه الصحيح وقال عليكم بالاسود البهيم ذي
النقطتين فانه شيطان ويحتمل ان يكون ذلك لاختلاف المواضع فيكون ممسكه بالمدينة مثلا او بمكة
ينقص قيراطان ولغيرهما قيراط والله اعلم واما المباح اتخاذه فلا ينقص كالفرس والهر والله اعلم
الثالثة وكلب الماشية الذي يباح اتخاذه عند مالك هو الذي يسرح معها لا الذي يحفظها
في الدار من السراق وكلب الزرع هو الذي يحفظه من الوحوش بالليل وبالنهار لا من السراق وقد
اجاز غير مالك اتخاذها لسراق الماشية والزرع وقد تقدم في المائدة من احكام الكلاب ما فيه كفاية
والحمد لله الرابعة قال ابن عطية وحدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت ابا الفضل الجوهري في
جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعماية ان من احب اهل الخير نال من بركتهم
كلب احب اهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله قال المولف رحمه الله اذا كان بعض
الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والاولياء حتى اخبر الله تعالى بذلك في

ونقلبهم

كنا به جل وتعالى فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للاولياء والصالحين بل في هذا تسلية
وانس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي صلى الله عليه وسلم وآله خير آل روى الصحيح
عن انس بن مالك قال بينا انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدة
المسجد فقال يا رسول الله متى الساعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها قال فكان
الرجل استكان ثم قال يا رسول الله ما اعددت لها كثير عمل صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله
ورسوله فقال فانت مع من احببت وفي رواية قال انس فما فرحنا بعد الاسلام فرحا اشد من قول النبي
صلى الله عليه وسلم فانك مع من احببت قال انس فانا احب الله ورسوله وابا بكر وعمر فارجوا ان اكون
معهم وان لم اعمل باعمالهم قال المؤلف رحمه الله وهذا الذي تمسك به انس يشمل من المسلمين كل ذي
نفس فلذلك تعلقت اطماعنا بذلك وان كنا مقصرين ورجونا رحمة الرحمن وان كنا غير مستاهلين
كلب احب قوما فذكره الله معهم فكيف بنا وعندنا عقد الايمان وكلمة الاسلام وحب النبي صلى الله عليه
وسلم ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة وانما كان احدهم وكان قد قعد عند باب الغار
طليعة لهم قال ابن عطية فسمي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع كما سمي النجم التابع للجوزاء كلبا لانه منها
كالكلب من الانسان ويقال له كلب الجبار اما ان هذا القول يضعفه ذكر بسط الذراعين فانها في
العرف من صفة الكلب حقيقة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبسط احدكم ذراعيه انبساط
الكلب وقد حكى ابو عمر والمطرز في كتابه اليواقيت انه قرئ وكالئهم باسط ذراعيه فيحتمل ان يريد
بالكالي هذا الرجل على ما روي اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هيئة
الربيئة المستخفي بنفسه ويحتمل ان يريد بالكالي الكلب وقرأ جعفر بن محمد الصادق وكالبهم يعني صاحب
الكلب قوله تعالى وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي
لانها حكاية حال ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى
ثم قيل بسط ذراعيه لطول المدة وقيل نام الكلب وكان ذلك من الآيات وقيل نام مفتوح العين
والوصيد الفنا قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير اي فناء الكهف والجمع وصائد ووصد وقيل الباب
وقاله ابن عباس ايضا وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها ° علي ومعروفي بها غير منكر °
وقد تقدم وقال عطاء عتبة الباب والباب الموصد هو المغلق وقد اوصدت الباب وآصدته اي
اغلقته والوصيد النبات المتقارب الاصول فهو مشترك قوله تعالى لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ
مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ° قرأ الجمهور بكسر الواو والاعمش ويحيى بن وثاب بضمها لوليت
منهم فرارا اي لو اشرفت عليهم لهربت منهم ولملئت منهم رعبا اي لما حفهم الله تعالى به من الرعب و
اكتنفهم من الهيبة وقيل لوحشة مكانهم فكانهم اواهم الله الى هذا المكان الموحش في الظاهر
لينفر الناس عنهم وقيل كان الناس محجوبين عنهم بالرعب لا يجسر احد منهم على الدنو اليهم وقيل
الفرار منهم لطول شعورهم واظفارهم ذكره المهدوي والنحاس والزجاج والقشيري قال
القشيري وهذا بعيد لانهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض لبثنا يوما او بعض يوم ودل هذا على ان

هو ربك الغفور ذو الرحمة للذنوب وهذا تختص به اهل الايمان دون الكفر بدليل قوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ذو الرحمة فيه اربع تاويلات احدها ذو العفو والثاني ذو الثواب وعلى هذين
الوجهين يعم اهل الايمان والكفر لانه ينعم في الدنيا على الكافر كانعامه على المؤمن وقد اوضح
هداه للكافر كما اوضحه للمؤمن وان اهتدى به دون الكافر ومعنى قوله بما كسبوا اي من الكفر و
المعاصي لعجل لهم العذاب ولكنه يمهل بل لهم موعد اي اجل مقدر يؤخرون اليه نظيره لكل نبإ
مستقر وسوف تعلمون لكل اجل كتاب اي اذا جل الذي اخرهم اما في الدنيا واما في الآخرة لن
يجدوا من دونه موئلا اي ملجأ قاله ابن عباس وابن زيد وحكاه الجوهري في الصحاح وقد وال يئل
والا ووؤولا على فعول اي لجأ وواءل منه على فاعل اي طلب النجاة وقال مجاهد محرزا قال قتادة
واما ابو عبيدة منجا وقيل محيصا والمعنى واحد والعرب تقول لا وألت نفسه اي لا نجت ومنه
قول الشاعر لا والت نفسك خليتها للعامريين ولم تكلم وقال الاعشى
وقد اخالس رب البيت غفلته ° وقد يحاذر مني ثم ما يئل °
اي ما ينجو قوله تعالى وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا تلك في موضع
رفع بالابتداء القرى نعت او بدل واهلكناهم في موضع الخبر محمول على المعنى لان المعنى اهل القرى ويجوز
ان يكون تلك في موضع نصب على من قال زيدا ضربته اي تلك القرى التي قصصنا عليك نبأهم نحو قرى عاد
وثمود ومدين وقوم لوط اهلكناهم لما ظلموا وكفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي وقتا معلوما لم تعده
ومهلك من اهلكوا وقرأ عاصم مهلكا بفتح الميم واللام وهو مصدر هلك واجاز الكسائي والفراء لمهلكهم
بكسر اللام وفتح الميم قال النحاس وهو احب الي لانه من هلك وقال الزجاج مهلك اسم للزمان والتقدير لوقت
مهلكهم كما يقال اتت الناقة على مضربها قوله تعالى وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ
أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح الجمهور من العلماء و
اهل التاريخ انه موسى بن عمران المذكور في القرآن ليس فيه موسى غيره وقالت فرقة منها نوف البكالي انه ليس
ابن عمران وانما هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران وقد رد
هذا القول ابن عباس في صحيح البخاري وغيره وفتاه هو يوشع بن نون وقد مضى ذكره في المائدة واخر
يوسف ومن قال هو ابن منشا فليس الفتى يوشع بن نون لا ابرح اي لا ازال اسير قال الشاعر
وابرح ما ادام الله قومي ° بحمد الله منتطقا مجيدا °
وقيل لا ابرح لا افارقك حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقاهما قال قتادة هو بحر فارس والروم وقاله مجاهد
قال ابن عطية وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب في ارض فارس من وراء اذربيجان فالركن
الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين على هذا القول وقيل هما بحر الاردن وبحر القلزم و
قيل مجمع البحرين عند طنجة قاله محمد بن كعب وروي عن ابي بن كعب انه بافريقية وقال السدي هو الكر و
الرس بارمينية وقال بعض اهل العلم هو بحر الاندلس من البحر المحيط حكاه النقاش وهذا مما يذكر كثيرا
وقالت فرقة انهما موسى والخضر وهذا قول ضعيف وحكي عن ابن عباس ولا يصح فان الامر بين من الاحاديث
انه انما وسم له بحر ماء وسبب هذه القصة ما خرجه الصحيحان عن ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعلى هذين الوجهين تختص باهل
الايمان دون الكفر الثالث
ذو النعمة الرابع ذو الهدى صح

يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه
فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا
تجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم وذكر الحديث واللفظ للبخاري وقال ابن عباس لما ظهر موسى
وقومه على ارض مصر انزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار امره الله ان ذكرهم بايام الله فخطب
قومه فذكرهم ما اتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم في
الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه والقى عليه محبة منه واتاكم من كل ما سالتموه فجعلكم
افضل اهل الارض ورزقكم العز بعد الذل والغنى بعد الفقر والتوراة بعد ان كنتم جهالا فقال
له رجل من بني اسرائيل عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض احد اعلم منك يا نبي الله قال لا فعتب
الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث الله اليه جبريل ان يا موسى وما يدريك اين علمي بلى ان لي عبدا بمجمع البحرين
اعلم منك اي باحكام وقائع مفصلة وحكم نوازل معينة لا مطلقا بدليل قول الخضر لموسى انك على علم علمكه الله
لا اعلمه انا وانا على علم علمنيه لا تعلمه انت وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما ~~ولا يعلمه~~ الآخر بالنسبة الى
ما يعلمه كل واحد منهما ولا يعلمه الآخر فلما سمع موسى هذا تشوفت نفسه الفاضلة وهمته العالية لتحصيل
علم ما لم يعلم وللقاء من قيل فيه انه اعلم فعزم فسال سؤال الذليل فكيف السبيل فامر بالارتحال على كل
حال وقيل له احمل معك حوتا مالحا في مكتل وهو الزنبيل فحيث يحيى وتفقده فثم السبيل فانطلق مع
فتاه لما واتاه مجتهدا طالبا قائلا لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا بضم الحاء والقاف وهو الدهر
والجمع احقاب وتدسكن قافه فيقال حقب وهو ثمانون سنة ويقال اكثر من ذلك والجمع حقاب وقد
الحقبة بكسر الحاء واحد الحقب وهي السنون الثانية في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد
من العلم والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وان بعدت اقطارهم
وذلك كان داب السلف الصالح وبسبب ذلك وصل المرتحلون الى الحظ الراجح وحصلوا على السعي الناجح
فرسخت لهم في العلوم اقدام وصح لهم من الذكر والاجر افضل الاقسام قال البخاري ورحل جابر بن عبد الله
مسيرة شهر الى عبد الله بن انيس في حديث واحد الثالثة قوله تعالى واذ قال موسى لفتيه للعلماء فيه
ثلثة اقوال احدها انه كان معه يخدمه والفتى في كلام العرب الشاب ولما كان الخدمة اكثر ما يكونون فتيانا
قيل للخادم فتى على جهة حسن الادب وندبت الشريعة الى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم
عبدي ولا امتي وليقل فتاي فهذا ندب الى التواضع وقد تقدم هذا في يوسف والفتى في الآية هو الخادم
وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام يقال هو ابن اخت موسى عليه السلام وقيل انما سمي فتى لانه لزمه
ليتعلم منه وان كان حرا وهذا معنى الاول وقيل انما سماه فتى لانه قام مقام الفتى وهو العبد قال الله تعالى
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وقال ترا ود فتاها عن نفسه قال ابن العربي وظاهر القرآن
يقتضي انه عبد عبد وفي الحديث انه كان يوشع بن نون وفي التفسير انه كان ابن اخته وهذا كله ما لا يقطع به
فالتوقف فيه اسلم الرابعة قوله تعالى او امضي حقبا قال عبد الله بن عمر الحقب ثمانون سنة مجاهد سبعون
خريفا قتادة زمان النحاس الذي يعرفه اهل اللغة ان الحقب والحقبة زمان من الدهر مبهم غير محدود كما
ان رهطا وقوما مبهم غير محدود وجمعه احقاب قوله تعالى فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ

وذكر الحديث قال علما نا
قوله في الحديث هو اعلم
منك صح

انه اعلم منه

سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا الضمير في قوله بينهما للبحرين قاله مجاهد والسرب المسلك قاله مجاهد وقال قتادة
جمد الماء فصار كالسرب وجمهور المفسرين ان الحوت بقي موضع سلوكه فارغا وان موسى مشى عليه متبعا
للحوت حتى افضى به الطريق الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر وظاهر الروايات والكتاب انه انما وجد
الخضر في صفة البحر وقوله نسيا حوتهما وانما كان النسيان من الفتى وحده فقيل المعنى نسي ان يعلم
موسى بما راى من حاله فنسب النسيان اليهما للصحبة كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج
من الملح وقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس لا من الجن وفي البخاري
فقال لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كثيرا فذلك قوله عز وجل
واذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون ليست عن سعيد قال فبينما هو في ظل صخرة في مكان ثريان
اذ تضرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره وتضرب الحوت
حتى دخل البحر فامسك الله عنه جرية البحر حتى كان اثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان اثره في حجر
وحلق بين ابهاميه واللتين يليانهما وفي رواية وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل
الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من
الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز
المكان الذي امره الله به فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره وقيل ان النسيان كان منهما لقوله تعالى نسيا فنسب النسيان اليهما وذلك
ان بدو حمل الحوت كان من موسى لانه الذي امر به فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له حتى اووا الى الصخرة نزلا
فلما جاوزا بقي الحوت هناك منسيا اي متروكا فلما سال موسى الغداء نسب الفتى النسيان الى نفسه عند
المخاطبة وانما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين وهو الصخرة فكان موسى شريكا في النسيان لان النسيان
التاخير من ذلك قولهم في الدعاء انسا الله في اجلك فلما مضيا من الصخرة اخرا حوتهما عن حمله فلم يحمل واحد
منهما فجاز ان ينسب اليهما لانهما مضيا وتركا الحوت قوله تعالى فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ
لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا
الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ فيه مسئلة واحدة وهو اتخاذ الزاد في الاسفار وهو رد على الصوفية الجهلة الاغمار
الذين يقتحمون المهامه والقفار زعما منهم ان ذلك هو التوكل على الواحد القهار هذا موسى نبي الله
وكليمه من اهل الارض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد وفي صحيح البخاري ان ناسا
من اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا سالوا الناس فانزل الله تعالى
وتزودوا وقد مضى هذا في البقرة واختلف في زاد موسى ما كان فقال ابن عباس كان حوتا مملوحا في زنبيل
وكانا يصيبان منه غدا وعشيا فلما انتهيا الى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل وانسرب في البحر
~~ونسي الفتى تحرك الحوت في المكتل فقلب المكتل وانسرب في البحر~~ ونسي الفتى ان يذكر قصة الحوت لموسى
وقيل انما كان الحوت دليلا على موضع الخضر لقوله في الحديث احمل معك حوتا في مكتل فحيث تفقد الحوت
فهو ثم وعلى هذا فيكون تزودا شيئا آخر غير الحوت وهذا ذكره شيخنا الامام ابو العباس واختاره
قال ابن عطية قال ابي رضي الله عنه سمعت ابا الفضل الجوهري يقول في وعظه مشى موسى الى المناجاة

مطلب
ذم المتصوفة

فانساب الحوت جرى البحر
تحرك الحوت في المكتل فقلب
المكتل صح

نبقى اربعين يوما لم يحتج الى طعام ولما مشى الى بشر لحقه الجوع فى بعض يوم وقوله نصبا اى تعبا والنصب التعب والمشقة وقيل عنى به هنا الجوع وفى هذا دليل على جواز الاخبار بما يجده الانسان من الالم والامراض وان ذلك لا يقدح فى الرضا ولا فى التسليم للقضا لكن اذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا تسخط وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ان مع الفعل بتاويل المصدر وهو منصوب بدل اشتمال من الضمير فى انسانيه وهو بدل الظاهر من المضمر اى وما انسانى ذكره الا الشيطان وفى مصحف عبد الله وما انسانيه ان اذكره الا الشيطان وهذا انما ذكره يوشع فى معرض الاعتذار لقول موسى لا اكلفك الا ان تخبرنى بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا فاعتذر بذلك القول قوله تعالى وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا يحتمل ان يكون من قول يوشع لموسى اى اتخذ الحوت سبيله عجبا للناس ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله فى البحر تمام الخبر ثم استانف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الامر وموضع العجب ان يكون حوت قد مات فاكل شقه الايسر ثم حيى بعد ذلك قال ابو شجاع فى كتاب الطبرى رايته اتيت به فاذا هو شقه حوت وعين واحده وشق اخر ليس فيه شئ قال ابن عطية وانا رايته والشق الذى ليس فيه شئ عليه قشرة رقيقة ليس تحته شوكة ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين اما ان يخبر عن موسى انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا اى يتعجب منه واما ان يخبر عن الحوت انه اتخذ سبيله عجبا للناس ومن غريب ما روى فى البخارى عن ابن عباس من قصص هذه الاية ان الحوت انما حيى لانه مسه ماء عين هناك تدعى عين الحياة ما مست قط شيا الا حيى وفى التفسير ان العلامة كانت ان يحيى الحوت فقيل لما نزل موسى بعدما اجهده السفر على صخرة الى جنبها ماء الحياة اصاب الحوت شيا من ذلك الماء فحيى قال الترمذى فى حديثه قال سفيان يزعم ناس ان تلك الصخرة عندها عين الحيوة ولا تصيب ماؤها ميتا الا عاش قال وكان الحوت قد اكل منه فلما قطر عليه الماء عاش وذكر صاحب كتاب العروس ان موسى عليه السلام توضا من عين الحياة فقطر من لحيته على الحوت قطرة فحيى والله اعلم قوله تعالى قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا اى قال موسى لفتاه امر الحوت وفقده هو الذى كنا نطلب فان الرجل الذى جئنا له ثم فرجعا يقصان اثرهما لئلا يخطيا طريقهما فى البحار فوجدا خضرا على طنفسة خضرا على كبد البحر مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت راسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بارضى من سلام من انت قال موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم قال فما شانك قال جئت لتعلمنى مما علمت رشدا الحديث وقال الثعلبى فى كتاب العرائس ان موسى وفتاه وجدا الخضر وهو نايم على طنفسة خضرا على وجه الماء وهو متشح بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال انى بارضنا السلام ثم رفع راسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل فقال له موسى وما ادراك ومن اخبرك انى نبى بنى اسرائيل قال الذى ادراك بى ودلك على ثم قال يا موسى لقد كان لك فى بنى اسرائيل شغل قال موسى ان ربى ارسلنى اليك لاتبعك واعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء وذكر الحديث على ما يأتى قوله تعالى فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا العبد هو الخضر عليه السلام فى قول الجمهور وبمقتضى الاحاديث الثابتة وخالف من لا يعتد بقوله فقال ليس صاحب موسى بالخضر بل هو عالم آخر وحكى ايضا هذا القول القشيرى وقال قوم هو عبد صالح والصحيح انه كان الخضر بذلك ورد الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد

سمى الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروى الترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضرا هذا حديث صحيح غريب الفروة هنا وجه الارض قاله الخطابى وغيره والخضر نبى عند الجمهور وقيل هو عبد صالح غير نبى والاية تشهد بنبوته لان بواطن افعاله هل كانت الا بوحى وايضا فان الانسان لا يتعلم ولا يتبع الا من فوقه وليس يجوز ان يكون فوق النبى من ليس بنبى وقيل كان ملكا امر الله تعالى موسى ان ياخذ عنه مما حمله من علم الباطن والاول الصحيح والله اعلم قوله تعالى آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا الرحمة فى هذه الاية النبوة وقيل النعمة وعلمناه من لدنا علما اى علم الغيب قال ابن عطية كان علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت اليه لا تعطى ظواهر الاحكام افعاله بحسبها وكان علم موسى علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال الناس وافعالهم قوله تعالى قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمنى هذا سؤال الملاطف المخاطب المستنزل المبالغ فى حسن الادب المعنى هل يتفق لك ويخف عليك وهذا كما فى الحديث هل تستطيع ان ترينى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا وعلى بعض التاويلات يجئ كذلك قوله تعالى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء حسب ما تقدم بيانه فى المائدة الثانية فى هذه الاية دليل على ان المتعلم تبع للعالم وان تفاوتت المراتب ولا يظن ان فى تعلم موسى من الخضر ما يدل على ان الخضر كان افضل منه فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول والفضل لمن فضله الله فالخضر ان كان وليا فموسى افضل منه لانه نبى والنبى افضل من الولى وان كان نبيا فموسى فضله بالرسالة والله اعلم ورشدا مفعول ثان بتعلمنى قال له الخضر انك لن تستطيع معى صبرا اى انك يا موسى لا تطيق ان تصبر على ما ترى من علمى لان الظواهر التى هى علمك لا تعطيه وكيف تصبر على ما تراه خطا ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب وهو معنى قوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا والانبياء لا يقرون على منكر ولا يجوز لهم التقرير اى لا يسعك السكوت جريا على عادتك وحكمك وانتصب خبرا على التمييز المنقول عن الفاعل وقيل على المصدر الملاقى فى المعنى لان قوله لم تحط معناه لم تخبره فكانه قال لم تخبره خبرا واليه اشار مجاهد والخبير بالامور هو العالم بخفاياها وبما يختبر منها قوله تعالى سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا اى ساصبر بمشيئة الله ولا اعصى لك امرا اى قد الزمت نفسى طاعتك واختلف فى الاستثناء هل يشمل قوله ولا اعصى لك امرا ام لا فقيل يشمله كقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل استثنى فى الصبر فقصر وما استثنى فى قوله ولا اعصى فاعترض وسأل قال علماؤنا انما كان ذلك منه لان الصبر امر مستقبل ولا يدرى كيف يكون حاله فيه ونفى المعصية معزوم عليه حاصل فى الحال فالاستثناء فيه ينافى العزم عليه ويمكن ان يفرق بينهما بان الصبر ليس مكتسبا لنا بخلاف فعل المعصية وتركها فان ذلك كله مكتسب لنا والله اعلم قوله تعالى قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا اى حتى اكون انا الذى افسره لك وهذا من الخضر تاديب وارشاد لما يقتضى دوام الصحبة فلو صبر ودأب لراى العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتعين الفراق والاعراض قوله تعالى فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا

قَالَ اَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ اَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا اِمْرًا قَالَ اَلَمْ اَقُلْ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا فيه مسئلتان
في صحيح البخاري ومسلم فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا
الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحًا من الواح السفينة بالقدوم فقال
له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن
تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر
في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر قال
علماؤنا حرف السفينة طرفها وحرف كل شيء طرفه ومنه حرف الجبل وهو اعلاه المحدد والعلم هنا بمعنى المعلوم كما قال
ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته وهذا من الخضر تمثيل اي معلوماتي ومعلوماتك في علم
الله لا اثر لها كما ان ما اخذ هذا العصفور من هذا البحر لا اثر له بالنسبة الى ماء البحر وانما مثله ذلك
بالبحر لانه اكثر ما نشاهده مما بين ايدينا واطلاق لفظ النقص هنا تجوز قصد التمثيل والتفهيم اذ
لا نقص في علم الله ولا نهاية لمعلوماته وقد اوضح هذا المعنى البخاري فقال والله ما علمي وما علمك في
جنب علم الله الا كما اخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر وفي التفسير عن ابي العالية لم ير الخضر حين
خرق السفينة غير موسى وكان عبدا لا تراه الا عين من اراد الله ان يريه ولو رآه القوم لمنعوه من
خرق السفينة وقيل خرج اهل السفينة الى جزيرة وتخلف الخضر فخرق السفينة وقال ابن عباس
لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت اصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني
اسرائيل اتلو كتاب الله عليهم غدوة وعشية فيطيعونني قال له الخضر يا موسى اتريد ان اخبرك بما حدثت به
نفسك قال نعم قال كذا وكذا قال صدقت ذكره الثعلبي في كتاب العرائس الثانية وخرق السفينة دليل
على ان للولي ان ينقص مال اليتيم اذا رآه صلاحا مثل ان يخاف على ريعه ظالما فيخرب بعضه وقال ابو يوسف
يجوز للولي ان يصانع السلطان ببعض مال اليتيم عن البعض وقرأ حمزة والكسائي ليغرق بالياء اهلها
بالرفع فاعل يغرق فاللام على قراءة الجماعة في لتغرق لام المآل مثل ليكون لهم عدوا وحزنا وعلى قراءة حمزة
لام كي ولم يقل لتغرقني لان الذي غلب عليه في الحال فرط الشفقة عليهم ومراعاة حقهم وامرا معناه عجبا
قاله القتبي وقيل منكرا قاله مجاهد وقال ابو عبيدة الامر الداهية العظيمة وانشد

قد لقي الاقران مني نكرا ۝ داهية دهياء ادا امرا

وقال الاخفش يقال امر امره يأمر اذا اشتد والاسم الامر قوله تعالى قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ
وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ اَمْرِي عُسْرًا فيه معناه قولان احدهما يروى عن ابن عباس قال هذا من معاريض الكلام
والآخر انه نسي فاعتذر ففيه ما يدل على ان النسيان لا يقتضي المؤاخذة وانه لا يدخل تحت التكليف ولا
يتعلق به حكم طلاق ولا غيره وقد تقدم ولو نسي في الثانية لاعتذر قوله تعالى فَانْطَلَقَا حَتَّى اِذَا لَقِيَا
غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ اَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا في البخاري قال يعلى
قال سعيد وجد غلمانا يلعبون فاخذ غلاما كافرا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس
لم يعمل بالحنث وفي الصحيحين وفي الصحيح الترمذي ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل

لقد ص

اذا ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت
نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد
من الاولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا لفظ البخاري وفي التفسير
ان الخضر مر بغلمان يلعبون فاخذ بيد غلام ليس فيهم اضوأ منه واخذ حجرا فضرب به راسه حتى دمغه
فقتله قال ابو العالية لم يره الا موسى ولو رأوه لحالوا بينه وبين الغلام قال المؤلف رحمه الله ولا
اختلاف بين هذه الاحوال الثلاث فانه يحتمل ان يكون دمغه اولا بالحجر ثم اضجعه فذبحه ثم اقتلع راسه
والله اعلم بما كان من ذلك وحسبك بما في الصحيح وقرأ الجمهور زاكية بالالف وقرأ الكوفيون وابن عامر
زكية بغير الف وتشديد الياء قيل المعنى واحد قاله الكسائي وقال ثعلب الزكية ابلغ وقال ابو عمرو
الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت قوله تعالى غلاما اختلف العلماء في الغلام
هل كان بالغا ام لا فقال الكلبي كان بالغا يقطع الطريق بين قريتين وابوه من عظماء احدى القريتين
وامه من عظماء القرية الاخرى فاخذه الخضر فصرعه ونزع راسه من جسده قال الكلبي واسم الغلام
شمعون وقال الضحاك حيسون وقال وهب اسم ابيه سلاس واسم امه رحمى وحكى السهيلي ان اسم ابيه
كازيري واسم امه سهوى وقال الجمهور لم يكن بالغا ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب وهو الذي يقتضيه
لفظ الغلام فان الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ ويقابله الجارية في النساء وكان للخضر قتله
لما علم من سره وانه طبع كافرا كما في صحيح الحديث وانه لو ادرك ابويه لارهقهما كفرا وقتل الصغير غير مستحيل
اذا اذن الله في ذلك لان الله تعالى الفعال لما يريد القادر على ما يشاء وفي كتاب العرائس ان موسى لما قال
للخضر اقتلت نفسا زاكية الاية غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه
مكتوب كافر لا يؤمن بالله ابدا وقد احتج اهل القول الاول بان العرب تبقي على الشاب اسم الغلام ومنه
قول ليلى الاخيلية شفاها من الداء العضال الذي بها غلام اذا هز القناة شفاها وقال صفوان
لحسان ۝ تلق ذباب السيف عني فانني ۝ غلام اذا هوجيت لست بشاعر

وفي الخبر ان هذا الغلام كان يفسد في الارض ويقسم لابويه انه ما فعل فيقسمان ويحميانه ممن يطلبه قالوا
وقوله بغير نفس يقتضي انه لو كان عن قتل نفس لم يكن به باس وهذا يدل على كبر الغلام والا فلو كان
لم يحتلم لم يجب قتله بنفس وانما جاز قتله لانه كان بالغا عاصيا قال ابن عباس كان شابا يقطع الطريق
وذهب ابن جبير الى انه بلغ سن التكليف لقراءة ابي وابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان
ابواه مؤمنين والكفر والايمان من صفات المكلفين ولا يطلق على غيره مكلف الا بحكم التبعية لابويه
وابوا الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر الا بالبلوغ فتعين ان يصار اليه والغلام
من الاغتلام وهو شدة الشبق قوله تعالى نكرا اختلف الناس ايهما ابلغ امرا او قوله نكرا
فقالت فرقة هذا قتل بين وهذا كله مترتب فنكرا ابلغ وقالت فرقة هذا قتل واحد وذلك قتل جماعة
فامرا ابلغ قال ابن عطية وعندي انهما لمعنيين وقوله امرا افظع واهول من حيث هو متوقع عظيم
ونكرا في الفساد لانه مكروه قد وقع وهذا بين قوله ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني شرط وهو لازم
للمسلمين عند شروطهم واحق الشروط بالوفاء ما التزمه الانبياء والتزم للانبياء وقوله قد بلغت من لدني

لعنا ن ص
س ن م

عذرًا يدل على قيام الاعذار بالمرة الواحدة مطلقا وقيام الحجة من المرة الثانية بالقطع قال ابن العربي
قال ابن عطية ويشبه ان يكون هذه القضية ايضا اصلا للآجال في الاحكام التي هي ثلاثة وايام التلوم
ثلاثة فتامله قوله تعالى قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
كذا قراءة الجمهور اى تتابعني وقراء الاعرج تصحبني بفتح التاء والباء وتشديد النون وقراء يصحبني اى تتبعني
وقراء يعقوب يصحبني بضم التاء وكسر الحاء ورواها سهل عن ابي عمرو قال الكسائي ومعناه فلا تتركني اصحبك وقد
بلغت من لدني عذرًا اى بلغت مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وقراء الجمهور من لدني عذرا بضم الدال الا
ان نافعا وعاصما خففا النون فهي لدن اتصلت بها نون المتكلم التي في غلامي وفرسي وكسر ما قبل الياء كما كسر
في هذه وقراء ابو بكر عن عاصم لدني بفتح اللام وسكون الدال وتخفيف النون وروي عن عاصم لدني بضم اللام و
سكون الدال قال ابن مجاهد وهي غلط قال ابو علي هذا التغليط يشبه ان يكون من جهة الرواية فاما على
قياس العربية فهي صحيحة وقراء الجمهور عذرًا وقراء عيسى عذرًا بضم الذال وحكى الداني ان ابيا روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم عذري بكسر الراء وياء بعدها مسألة اسند الطبري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعى لاحد بدا بنفسه فقال يومًا رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لراى العجب ولكنه قال فلا
تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا والذي في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى
موسى لولا انه عجل لراي العجب ولكنه اخذته دمامة من صاحبه فلو صبر لراى العجب قال وكان اذا ذكر احدًا
من الانبياء بدا بنفسه رحمة الله علينا وعلى اخي كذا وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم
الله موسى لوددنا انه صبر حتى نقص علينا من امرهما الذمامة بالذال المعجمة المفتوحة وهو بمعنى المذمة
بفتح الدال وكسرها وهي الرقة والعار من ترك الحرمة يقال اخذتني منه مذمة ومذمة ودمامة بمعناه
وكانه استحى من تكرار مخالفته ومما صدر عنه من تغليظ الانكار قوله تعالى فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا
أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ
لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ
صَبْرًا فيه ثلاث عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى حتى اذا اتيا اهل قرية في صحيح مسلم عن ابي بن
كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم لياما قطافا في المجالس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا
فيها جدارًا يريد ان ينقض يقول مايل قال الخضر بيده فاقامه قال له موسى قوم اتيناهم فلم يضيفونا
ولم يطعمونا لو شئت لتخذت عليه اجرًا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرًا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددت انه كان صبر حتى نقص علينا من اخبارهما
الثانية واختلف العلماء في القرية فقيل هي ابلة قاله قتادة وقال محمد بن سيرين هي الابلة وهي اتحل قرية
وابعدها من السماء وقيل انطاكية وقيل بجزيرة الاندلس روي ذلك عن ابي هريرة وغيره ويذكر انها
الجزيرة الخضرى وقالت فرقة هي ابو جوران وهي بناحية اذربيجان وحكى السهيلي قالوا فيها انها برقة
وقال الثعلبي هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصارى وهذا كله بحسب الخلاف
في اي ناحية من الارض كانت قصة موسى والله اعلم بحقيقة ذلك الثالثة كان موسى عليه السلام حين
سقى لبنت شعيب احوج منه الى حين اتى القرية مع الخضر ولم يسئل قوتا بل سقى ابتداء وفي القرية سالا

القوت وفي ذلك للعلماء انفصالات كثيرة منها ان موسى كان في حديث مدين منفردا وفي قصة
الخضر متبعا لغيره قال المولف رحمه الله وعلى هذا المعنى يتمشى قوله في اول الاية لفتاه آتنا غداءنا لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبًا فاصابه الجوع مراعاة لصاحبه يوشع والله اعلم وقيل لما كان هذا سفر
ادب وكل الى تكلف المشقة وكان ذلك سفر هجرة فوكل الى العون والنصرة والقوة الرابعة
في هذه الاية دليل على سوال القوت وان من جاع وجب عليه ان يطلب ما يرد جوعه خلافا لجهال
المتصوفة والاستطعام سوال الطعام والمراد هنا سوال الضيافة بدليل قوله فابوا ان يضيفوهما
فاستحق اهل القرية لذلك ان يذموا وينسبوا الى اللوم والبخل كما وصفهم بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم
قال قتادة في هذه الاية شر القرى التي لا يضيف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه
ويظهر من ذلك ان الضيافة كانت عليهم واجبة وان الخضر وموسى انما سالا ما وجب لهما من الضيافة
وهذا هو الاليق بحال الانبياء ومنصب الاولياء والفضلاء وقد تقدم القول في الضيافة في هود والحمد لله
ويعفو الله عن الجبيري حيث يستخف في هذه الاية ويجن واتى بخطل من القول وزل فاستدل بها على
الكذية والالحاح فيها وان ذلك ليس بمعيب على فاعله ولا منقصة عليه فقال فان رددت فما في الرد
منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر وهذا لعب بالدين واشلال عن احترام النبيين وهي
شنشنة ادبية وهفوة سخافية ويرحم الله السلف الصالح فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح
فقالوا مهما كنت لاعبا بشيء فاياك ان تلعب بدينك الخامسة قوله تعالى جدارًا الجدار والجدر بمعنى وفي
الخبر حتى تبلغ الماء الجدر ومكان جدير اى بني حواليه جدار واصله الرفع واجدرت الشجرة طلعت ومنه
الجدري السادسة قوله تعالى يريد ان ينقض اى قرب ان يسقط وهذا مجاز وتوسع وقد فسره في الحديث
بقوله مايل فكان فيه دليل على وجود المجاز في القرآن وهو مذهب الجمهور وجميع الافعال التي حقها ان تكون
للحي الناطق متى اسندت الى جماد او بهيمة فانما هي استعارة اى لو كان مكانهما انسانا لكان ممتثلا لذلك
الفعل وهذا في كلام العرب واشعارها كثير فمن ذلك قول الاعشى

اتنتهون ولا ينهى ذوي شطط ۝ كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

فاضاف النهي الى الطعن ومن ذلك قول الآخر

يريد الرمح صدر ابي براء ۝ ويرغب عن دماء بني عقيل

وقال آخر ۝ ان دهرًا يلف شملي بسلمى ۝ لزمان يهم بالاحسان

وقال آخر ۝ في مهمه فلقت به هاماتنا ۝ فلق الفووس اذا اردن نصولا

اى ثبوتا في الارض من قولهم نصل السيف اذا ثبت في الرمية فشبه وقع السيوف على رووسهم بوقع الفووس
في الارض فان الفاس يقع فيها ويثبت لا يكاد يخرج وقال حسان بن ثابت

لو ان اللوم ينسب كان عبدًا ۝ قبيح الوجه اعور من ثقيف

وقال عنترة ۝ فازور من وقع القنا بلبانه ۝ وشكى الي بعبرة وتحمحم

وقد فسر هذا المعنى بقوله لو كان يدري ما المحاورة اشتكى وهذا في هذا المعنى كثير جدا ومنه قول الناس
داري تنظر الى دار فلان وفي الحديث اشتكت النار الى ربها وذهب قوم الى منع المجاز في القرآن منهم

ابو اسحق الاسفراينى وابو بكر داود الاصبهانى وغيرهما وان كلام الله جل وعز وكلام رسوله حمله
على الحقيقة اولى بذى الدين والفضل لانه نقص الحق كما اخبر فى كتابه ومما احتجوا به انه قالوا لو خاطبنا
الله بالمجاز لزم وصفه بانه متجوز ايضا فان العدول عن الحقيقة الى المجاز يقتضى العجز عن الحقيقة وهو على الله تعالى
محال قال الله تعالى اليوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقال ويقول هل من مزيد وقال واذا راتهم من
مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال تدعوا من ادبر وتولى واشتكت النار الى ربها واحتجت النار
والجنة وما كان مثله حقيقة وان خالقها انطقها الذى انطق كل شىء وفى صحيح مسلم من حديث انس عن النبى
صلى الله عليه وسلم وفيه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه
وذلك المنافق وذلك الذى سخط الله عليه هذا فى الآخرة واما فى الدنيا ففى الترمذى عن ابى سعيد
الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس
وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما احدث اهله من بعده وفى الباب عن ابى هريرة
وهذا حديث حسن صحيح غريب الثامنة قوله تعالى فاقامه قيل هدمه ثم قعد يبنيه فقال موسى للخضر لو
شئت لتخذت عليه اجرا لانه فعل يستحق اجرا وذكر ابو بكر الانبارى عن ابن عباس عن ابى بن كعب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قرا فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه قال ابو بكر وهذا الحديث
ان صح سنده فهو جار من الرسول عليه السلام مجرى التفسير للقرآن وان بعض الناقلين ادخل قراءة فى موضع
تفسير لان ذلك قرآن نقص من مصحف عثمان على ما قاله بعض الطاعنين وقال سعيد بن جبير مسحه بيده
واقامه فقام وهذا القول هو الصحيح وهو الاشبه بافعال الانبياء عليهم السلام بل الاولياء وفى بعض الاخبار
ان سمك ذلك الحائط كان ثلثين ذراعا بذراع ذلك القرن وطوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون
ذراعا فاقامه الخضر اى سواه بيده فاستقام قال الثعلبى فى كتاب العرائس فقال للخضر لو شئت لتخذت عليه اجرا
اى طعاما ناكله ففى هذا دليل على كرامات الاولياء وكذلك ما وصف من احوال الخضر فى هذا الباب كلها امور خارقة
للعادة هذا اذا تنزلنا على انه ولى لا نبى وقوله وما فعلته عن امرى يدل على نبوته وانه يوحى اليه بالتكاليف و
الاحكام كما اوحى الى الانبياء عليهم السلام غير انه ليس برسول والله اعلم العاشرة واجب على الانسان ان
لا يتعرض للجلوس تحت جدار مائل يخاف سقوطه بل يسرع فى المشى اذا كان مارا عليه لان فى حديث النبى صلى الله
عليه وسلم اذا مر احدكم بطربال مائل فليسرع المشى قال ابو عبيد القاسم ابن سلام كان ابو عبيدة يقول الطربال
شبيه بالمنظر من مناظر العجم كهيئة الصومعة والبناء المرتفع قال جرير

الوى بها شذب العروق مشذب فكانما وكنت على طربال

يقال منه وكن يكن اذا جلس وفى الصحاح الطربال القطعة العالية من الجدار والصخرة العظيمة المشرفة
من الجبل وطرابيل الشام صوامعها ويقال طربل بوله اذا مده الى فوق الحادية عشرة كرامات الاولياء ثابتة
على ما دلت عليه الاخبار الثابتة والآيات المتواترة ولا ينكرها الا مبتدع جاحد او فاسق حائد فالآيات ما
اخبر الله تعالى عز وجل فى حق مريم من ظهور الفواكه الشتوية فى الصيف والصيفية فى الشتاء على ما تقدم
وما ظهر على يدها حيث امرت النخلة وكانت يابسة فاثمرت وهى ليست بنبية على الخلاف ويدل عليها ما ظهر
على يد الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار قال بعض العلماء ولا يجوز ان يقال كان نبيا

لان اثبات النبوة لا يجوز باخبار الآحاد لا سيما وقد روى من طريق التواتر من غير ان يحتمل تاويلا باجماع
قوله عليه السلام لا نبى بعدى وقال تعالى وخاتم النبيين والخضر والياس جميعا باقيان مع هذه الكرامة
فوجب ان يكونا غير نبيين لانهما لو كانا نبيين لوجب ان يكون بعد نبينا عليه الصلاة والسلام نبيا الا ما
قامت الدلالة فى حديث عيسى انه ينزل بعده قال المؤلف رحمه الله الجمهور انه الخضر كان نبيا على ما تقدم وليس
بعد نبينا نبى اى يدعى النبوة بعده ابتداء والله اعلم واختلف الناس هل يجوز ان يعلم الولى
انه ولى ام لا على قولين احدهما انه لا يجوز وان ما يظهر على يديه يجب ان يلاحظه بعين خوف المكر لانه
لا يامن ان يكون مكرا واستدراجا له وقد حكى عن السرى انه كان يقول لو ان رجلا دخل بستانا فكلمه
من راس كل شجرة طير بلسان فصيح السلام عليك يا ولى الله فلو لم يخف ان يكون ذلك مكرا لكان ممكورا
به ولانه لو علم انه ولى لزال عنه الخوف وحصل له الامن ومن شرط الولى ان يستديم الخوف الى ان تتنزل
عليهم الملائكة كما قال جل وعز تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا ولان الولى من كان مختوما
له بالسعادة والعواقب مستورة ولا يدرى احد ماذا يختم له به ولهذا قال عليه السلام انما الاعمال
بالخواتيم القول الثانى انه يجوز للولى ان يعلم انه ولى الا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم يجوز ان يعلم
انه ولى ولا خلاف انه يجوز لغيره ان يعرف انه ولى الله فجاز له ان يعلم ذلك وقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم
من حال العشرة من اصحابه انهم من اهل الجنة ثم لم يكن فى ذلك زوال خوفهم بل كانوا اكثر تعظيما لله سبحانه
واشد خوفا وهيبة واذا جاز للعشرة ذلك ولم يخرجهم عن الخوف فكذلك غيرهم وكان الشبلى يقول انا
امان هذا الجانب فلما مات ودفن عبر الديلم دجلة ذلك اليوم واستولوا على بغداد ويقول الناس مصيبتان
موت الشبلى وعبور الديلم ولا يقال انه يحتمل ان يكون ذلك استدراجا لانه لو جاز ذلك لجاز ان لا يعرف
النبى انه نبى وولى الله لجواز ان يكون ذلك استدراجا فلما لم يجز ذلك لان فيه ابطال المعجزات لم يجز هذا
لان فيه ابطال الكرامات وما روى من ظهور الكرامات على يدى بلعام وانسلاخه عن الدين بعدها بقوله
فانسلخ منها فليس فى الآية انه كان وليا ثم انسلخت عنه الولاية وما نقل انه ظهر على يده ما يجرى مجرى الكرامات
هو اخبار آحاد لا توجب العلم والله اعلم والفرق بين المعجزة والكرامة ان الكرامة من شرطها الاستتار
والمعجزة من شرطها الاظهار وقيل الكرامة ما يظهر من غير دعوى والمعجزة ما تظهر عند دعوى الانبياء
فيطالبون بالبرهان فيظهر اثر ذلك وقد تقدم فى مقدمة الكتاب شرائط المعجزة والحمد لله وحده لا شريك له
واما الاحاديث الواردة فى الدلالة على ثبوت الكرامة فمن ذلك ما خرجه البخارى من حديث ابى هريرة
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى جد
عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فانطلقوا حتى اذا كانوا بالهداة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحى
من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا اليهم قريبا من مائتى رجل كلهم رام فاقتصوا آثارهم فلما رآهم عاصم واصحابه
لجاوا الى فدفد واحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا فاعطوا بايديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم احدا فقال
عاصم بن ثابت امير السرية اما انا فوالله لا انزل اليوم فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا
عاصما فى سبعة فنزل اليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم ~~اطلقوا اوتار قسيهم~~ خبيب الانصارى وابن
دثنة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فاوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا اول الغدر

حتى وجدوا ماكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا آثارهم

الله لا اصحبكم ان لي بهولاء لاسوة يريد القتلى وجرروه وعالجوه على ان يصحبهم فقتلوه فانطلقوا بخبيب
وابن دثنه حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان
خبيب هو قاتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا فاخبرني عبيد الله بن عياض ان بنت الحارث
اخبرته انهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فاعارته فاخذ ابنا لي وانا غافلة حتى اتاه قالت فوجدته
مجلسه على فخذه والموسى بيده قالت ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال اتخشين ان اقتله ما كنت
لافعل ذلك قالت والله ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكل من قطف عنب
في يده وانه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول انه لرزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم
ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب ذروني اركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال لولا ان تظنوا ان ما بي
جزع اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا وقال ما ابالي حين اقتل مسلما على اي شق كان
لله مصرعي ۝ وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على اوصال شلو ممزع ۝ فقتله بنو الحارث فكان
خبيب هو اول من سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا فاستجاب الله لعاصم يوم اصيب فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه خبرهم وما اصيبوا وبعث ناس من كفار قريش الى عاصم حين حدثوا انه قتل ليؤتوا
بشيء منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم
فلم يقدروا على ان يقطعوا من لحمه شيئا وقال ابن اسحاق في هذه القصة وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت
ارادوا راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعيد بن الشهيد وقد كانت نذرت حين اصيب ابناها باحد لئن
قدرت على راسه لتشربن في قحفه الخمر فمنعهم الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فتذهب
عنه فناخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب وقد كان عاصم اعطى الله عهدا ان لا يمس مشركا ولا
يمسه مشرك ابدا في حياته فمنعه الله بعد وفاته مما امتنع منه في حياته وعن عمرو بن امية الضمري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عينا وحده فقال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها وانا اتخوف
العيون فاطلقته فوقع بالارض ثم اقتحمته فانتبذت قليلا ثم التفت فكانما ابتلعته الارض وفي رواية
اخرى زيادة فلم يذكر لخبيب رمة حتى الساعة ذكره البيهقي رحمه الله المادة عشرة ولا ينكر ان
يكون للولي مال وضيعة يصون بها وجهه وعياله وحسبك بالصحابة واموالهم مع ولايتهم وفضلهم
وهم الحجة على غيرهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل بفلاة
من الارض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه في حرة فاذا شرجة من تلك
الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال يا عبد الله
ما اسمك فقال فلان الاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم سالتني عن اسمي قال اني سمعت
صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال اما اذ قلت هذا
فاني انظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه واكل انا وعيالي ثلثا وارد فيها ثلثه وفي رواية واجعل ثلثه
في المساكين والسائلين وابن السبيل قال المؤلف رحمه الله وهذا الحديث لا يناقضه قوله عليه
السلام لا تتخذوا الضيعة فتركنوا الى الدنيا خرجه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال فيه حديث
حسن فانه محمول على من اتخذها مستكثرا او متنعما او متمتعا بزهرة الدنيا واما من اتخذها معاشا يصون

بها نفسه وعياله فاتخاذها بهذه النية من افضل الاعمال وهي من افضل الاموال قال صلى الله عليه وسلم
نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد اكثر الناس في كرامات الاولياء وما ذكرنا فيه كفاية والله الموفق للهداية
قوله تعالى لتخذت عليه اجرا دليل على صحة جواز الاجارة وهي سنة الانبياء والاولياء
على ما ياتي بيانها في سورة القصص ان شاء الله وقراء الجمهور لاتخذت وابو عمرو لتخذت وهي قراءة ابن
مسعود والحسن وقتادة وهما لغتان بمعنى واحد على الاخذ مثل قولك تبع واتبع وتقي واتقى وادغم
بعض القراء الذال في التاء ولم يدغمها بعضهم وفي حديث ابي بن كعب لو شئت لاوتيت اجرا وهذه صدرت
من موسى سؤالا على جهة العرض لا الاعتراض فعند ذلك قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك بحكم ما شرطت
على نفسك وتكريره بيني وبينك وعدوله عن بيننا لمعنى التاكيد قال سيبويه كما يقال اخزى الله الكاذب مني
ومنك اي منا وقال ابن عباس كان قول موسى في السفينة والغلام لله وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء
من الدنيا فكان سبب الفراق وقال وهب بن منبه كان ذلك الجدار جدارا طوله في السماء مائة ذراع التاسعة
قوله تعالى سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تاويل الشيء ماله اي اخبرك لم فعلت ما فعلت وقيل في
هذه الاية التي وقعت لموسى مع الخضر انها حجة على موسى وعتاب له وذلك انه لما انكر خرق السفينة نودي
يا موسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا في اليم فلما انكر امر الغلام قيل له اين انكارك هذا
من وكزك للقبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة الجدار نودي اين هذا من رفعك حجر البئر لبنات شعيب
دون اجر قوله تعالى أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فاستدل بها من قال ان المسكين
احسن حالا من الفقير وقد مضى هذا المعنى مستوفى في براءة وقد قيل انهم كانوا تجارا ولكن من حيث
هم مسافرون على قلة في لجة بحر وبحال صعب عن مدافعة خطب عبر عنهم بمساكين اذ هم في حالة
تشفق عليهم بسببها وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة او خطب مسكين وقال كعب وغيره
كانت لعشرة اخوة من المساكين ورثوها عن ابيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر وقيل كانوا
سبعة بكل واحد منهم زمانة ليست بالاخر وقد ذكر النقاش اسماءهم فاما العمال منهم فاحدهم كان مجذوما
والثاني اعور والثالث اعرج والرابع آدر والخامس محموما لا ينقطع عنه الحمى الدهر كله وهو اصغرهم
والخمسة الذين لا يطيقون العمل اعمى واصم واخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه
ما بين فارس الى الروم ذكره الثعلبي وقرات فرقة لمساكين بتشديد واختلف في ذلك فقيل
هم ملاحوا السفينة وذلك ان المساك هو الذي يمسك رجل السفينة وكل الخدمة يصلح لامساكه
فسمي الجميع مساكين وقالت فرقة اراد بالمساكين دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك
والاظهر قراءة مساكين بالتخفيف جمع مسكين وان معناها ان السفينة لقوم ضعفاء ينبغي ان
يشفق عليهم قوله تعالى فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا
اي اجعلها ذات عيب يقال عبت الشيء فعاب اذا صار ذا عيب فهو معيب وعائب وقوله وكان وراءهم
ملك ياخذ كل سفينة غصبا قرا ابن عباس وابن جبير صحيحة وقرا ايضا ابن عباس وعثمان بن عفان
صالحة ووراء اصلها بمعنى الخلف فقال بعض المفسرين انه كان خلفهم وكان رجوعهم عليه والاكثر على ان
معنى وراء هنا امام يعضده قراءة ابن عباس وابن جبير وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صحيحة غصبا

قال ابن عطية وراءهم هو عندي على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجي مراعًا بها الزمان وذلك ان الحدث المقدم الموجود هو الامام والذي يأتي بعد هو الوراء وهو ما خلف وذلك خلاف ما يظهر ببادي الرأي وتامل هذه الالفاظ في مواضعها حيث وردت تجدها تطرد فهذه الآية معناها ان هولاء وعلمهم وسعيهم يأتي بعده في الزمان غصب هذا الملك ومن قرأ امامهم اراد في المكان اي كانهم يسيرون الى بلده وقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة امامك يريد في المكان والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة في الزمان وتامل هذه المقالة فانها مريحة من شغب هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتاب الطبري وكان وراءهم ملك قال قتادة امامهم الا تراه تقول من وراءهم جهنم وهي بين ايديهم وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن ابي الحسن يضج منها قاله الزجاج قال المولف رحمه الله وما اختاره هذا الامام قد سبقه اليه في ذلك ابن عرفة قال الهروي قال ابن عرفة يقول القايل كيف قال ومن وراءهم وهي امامه فزعم ابو عبيد وابو علي قطرب انه هذا من الاضداد وان وراء في معنى قدام وهذا غير محصل لانه امام ضد وراء وانما يصلح هذا في الاماكن والاوقات كقول الرجل اذا وعد وعدا في رجب لرمضان ثم قال ومن ورايك شعبان لجاز وان كان امامه لانه يخلفه الى وقت وعده واشار الى هذا القول ايضا القشيري وقال انما يقال هذا في الاوقات ولا يقال للرجل امامك انه وراك قال الفرا وجوزه غيره والقوم ما كانوا عالمين بخبر الملك فاخبر الله الخضر حتى عيب السفينة ذكره الزجاج وقال الماوردي اختلف اهل العربية في استعمال وراء موضع امام على ثلثة اقاويل احدها يجوز استعمالها بكل حال وفي كل مكان وهو من الاضداد قال الله تعالى ومن وراءهم جهنم اي من امامهم وقدامهم قال الشاعر

اترجوا بنو مروان سمعي وطاعتي ° وقومي تميم والفلاة ورائيا

يعني امامي والثاني ان وراء يستعمل في موضع امام في المواقيت والازمان لان الانسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيره والثالث انه يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد وراء الآخر ولا يجوز في غيرهما وهذا قول علي بن عيسى واختلف في اسم هذا الملك فقيل هدد بن بدد وقيل الجلندي وقال السهيلي وذكر البخاري اسم الملك الاخذ لكل سفينة غصبًا والغلام الذي قتله الخضر فقال ابو جيسور هكذا قيدناه في الجامع من رواية ابي زيد المروزي وفي غير هذه الرواية حيسور وعندي في حاشية الكتاب رواية ثالثة وهي حسنون وكان ياخذ كل سفينة جيدة غصبًا فلذلك عابها الخضر وخرقها ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح اذا تحقق وجهها وجواز اصلاح كل المال بفساد بعضه وقد تقدم وفي صحيح مسلم وجه الحكمة لخرق السفينة وذلك قوله فاذا الذي جاء يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها فاصلحوها بخشبة الحديث ويحصل من هذا الحض على الصبر على الشدايد فكم في ضمن ذلك المكروه من الفوايد وهذا معنى قوله وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم قوله تعالى وَاَمَّا الغُلاَمُ فَكَانَ اَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ جاء في صحيح الحديث انه طبع يوم طبع كافرا وهذا يويد ظاهره انه غير بالغ ويحتمل ان يكون خبرا عنه مع كونه بالغا وقد تقدم هذا المعنى قوله تعالى فَخَشِينَا اَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ° فخشينا قيل هو من كلام الخضر وهو الذي يشهد له سياق الكلام وهو قول كثير من المفسرين اي خفنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فكان الله قد اباح له الاجتهاد في قتل النفوس على هذه الجهة وقيل هو من كلام الله تعالى وعنه

بالحاكم

عبّر الخضر قال الطبري معناه فعلناه وكذا قال ابن عباس اي فعلنا وهذا كما كني عن العلم بالخوف في قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله وحكي ان ابيا قراء فعلم ربك وقيل الخشية بمعنى الكراهة يقال فرقت بينهما خشية ان يقتتلا اي كراهة ذلك قال ابن عطية والاظهر عندي في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة اي على ظن المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت بينهم خشية الرهق للابوين وقراء ابن مسعود فخاف ربك وهذا بين في الاستعارة وهذا نظير ما يقع في القران في جهة الله تعالى من لعل وعسى وان جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشيه انما هو بحسبكم ايها المخاطبون ويرهقهما يجشمهما ويكلفهما والمعنى ان يلقيهما حبه في اتباعه فيضلا ويتدينا بدينه قوله تعالى فَاَرَدْنَا اَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكٰوةً وَاَقْرَبَ رُحْمًا ° قراء الجمهور بفتح البا وشد الدال وقرا عاصم بسكون البا وتخفيف الدال اي ان يرزقهما الله ولدا خيرا منه زكاة اي دينا وصلاحا يقال بدل وابدل مثل مهل وامهل ونزل وانزل واقرب رحما قراء ابن عباس رحما بضم الراء والحاء قال الشاعر ° وكيف بظلم جارية ومنها اللين والرحم ° الباقون بسكونها ومنه قول روبة ابن العجاج ° يا منزل الرحم على ادريسا ° ومنزل اللعن على ابليسا ° واختلف عن ابي عمرو ورحما معطوف على زكاة اي رحمة يقال رحمة ورحمة ورحمى والفه للتانيث ومذكره رحم وقيل ان الرحم هنا بمعنى الرحم قراها ابن عباس واوصل رحما اي رحما وقراء ايضا ازكى منه وعن ابن جريج انهما بدلا جارية قال الكلبي فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقال قتادة ولدت اثنا عشر نبيا وعن ابن جريج ايضا ان ام الغلام يوم قتل كانت حاملا بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وعن ابن عباس فولدت جارية ولدت نبيا وفي رواية ابدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبيا وقاله جعفر بن محمد عن ابيه قال علماونا وهذا بعيد ولا يعرف كثرة الانبياء الا في بني اسرايل وهذه المراة لم تكن فيهم ويستفاد من هذه الاية تهوين المصايب بفقد الاولاد وان كانوا قطعًا من الاكباد ومن سلم للقضا اسفرت عاقبته عن اليد البيضا قال قتادة لقد فرح به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فالواجب على كل امراة الرضا بقضاء الله فان قضاء الله للمومن فيما يكره خير له من قضايه له فيما يحب قوله تعالى وَاَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ ° هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليتم واسمهما اصرم واصيرم وقد قال عليه السلام لا يتم بعد بلوغ هذا الظاهر ويحتمل ان يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ ان كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما وقد تقدم ان اليتم في الناس من قبل فقد الاب وفي غيرهم من الحيوان من قبل فقد الام ودل قوله في المدينة على ان القرية تسمى مدينة ومنه الحديث امرت بقرية تاكل القرى وفي حديث الهجرة لمن انت فقال لرجل من اهل المدينة يعني مكة واسم هذه المدينة ناصرة قاله قتادة قوله تعالى وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا اختلف الناس في الكنز فقال عكرمة وقتادة كان مالا جسيما وهو الظاهر من اسم الكنز اذ هو في اللغة المال المجموع وقد مضى القول فيه وقال ابن عباس كان علما في صحف مدفونة وعنه ايضا كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن عجبت

لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل عجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروي نحوه عن عكرمة
وعمر مولى غفره ورواه عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ظاهر اللفظ والسابق
منه انه والدهما دنية وقيل هو الاب السابع قاله جعفر بن محمد وقيل العاشر فحفظا فيه وان لم يذكرا
بصلاح وكان يسمى كاشحا قاله مقاتل واسم امهما دنيا ذكره النقاش ففيه ما يدل على ان الله يحفظ الصالح في
سبعة من ذريته وعلى هذا يدل قوله تعالى ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قوله تعالى
وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا يقتضي ان الخضر نبي وقد تقدم
الخلاف في ذلك ذلك تاويل اي تفسير ما لم تستطع عليه صبرا قرات فرقة تستطع وقراء الجمهور تسطع
قال ابو حاتم كذا نقرا كما في خط المصحف وههنا خمس مسايل الاولى ان قال قايل لم يسمع لفتى موسى ذكر في
اول الاية ولا في آخرها قيل له اختلف في ذلك فقال عكرمة لابن عباس لم يسمع لفتى موسى بذكر وقد كان
معه فقال شرب الفتى من الماء فخلد واخذه العالم فطبق عليه سفينة ثم ارسله في البحر وانها لتموج به
فيه الى يوم القيمة وذلك انه لم يكن له ان يشرب منه فشرب منه فقال القشيري وهذا ان ثبت فليس الفتى
يوشع بن نون فان يوشع بن نون قد عمر بعد موسى وكان خليفته والاظهر ان موسى صرف فتاه لما لقي الخضر
وقال شيخنا الامام ابو العباس ويحتمل ان يكون اكتفى بذكر المتبوع عن التابع والله اعلم الثانية ان قال قايل
كيف اضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالى وقال في خرق السفينة فاردت ان اعيبها وكان
وكان وراءهم ملك فاضاف العيب الى نفسه قيل له انما اسند الارادة في الجدار الى الله تعالى لانها في امر مستانف
في الزمن طويل غيب من الغيوب فحسن افراد هذا الموضع بذكر الله تعالى وان كان الخضر قد اراد ذلك الذي
اعلمه الله انه يريده وقيل لما كان ذلك خيرا كله اضافه الى الله تعالى واضاف عيب السفينة الى نفسه رعاية
للادب لانها لفظة عيب فتادب بان لم يسند الارادة فيها الا الى نفسه كما تادب ابرهيم عليه السلام في
قوله واذا مرضت فهو يشفين فاسند الفعل قبل وبعد الى الله تعالى واسند المرض الى نفسه اذ هو معنى
نقص ومصيبة فلا يضاف اليه سبحانه من الالفاظ الا ما يستحسن منها دون ما يستقبح وهذا كما قال
تعالى بيدك الخير واقتصر عليه ولم ينسب الشر اليه وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر اذ هو على
كل شيء قدير وبكل شيء خبير ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل انه يقول يوم القيامة
يا ابن آدم مرضت فلم تعدني واستطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني فان ذلك تنزل في الخطاب
ولطف في العتاب مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال وبمقادير هذه ثواب الاعمال وقد تقدم هذا
المعنى ولله تعالى ان يطلق على نفسه ما شاء ولا نطلق نحن الا ما اذن لنا فيه من الاوصاف الجميلة
والافعال الشريفة جل تعالى عن النقايص والآفات وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال في الغلام فاردنا
كانه اضاف القتل الى نفسه والتبديل الى الله والاشد كمال الخلق والعقل وقد مضى الكلام فيه في الانعام
ولله الحمد الثالثة قال شيخنا الامام ابو العباس ذهب قوم من زنادقة الباطنية الى سلوك طريق
يلزم منه هذا الاحكام الشرعية فقالوا هذه الاحكام الشرعية العامة انما يحكم بها على الاغنياء والعامة

بحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وان بعدوا عنه وقد روي ان الله

صح

شعورهم واظفارهم كانت بحالها الا ان يقال انما قالوا ذلك قبل ان ينظروا الى اظفارهم وشعورهم
قال ابن عطية والصحيح في امرهم ان الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم
فيهم آية فلم يبل لهم ثوب ولم يتغير لهم صفة ولم ينكر الناهض الى المدينة الا معالم الارض
والبناء ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه اهم وقرا نافع وابن كثير وابن عباس واهل
مكة والمدينة لملئت بتشديد اللام على تضعيف المبالغة اي ملئت ثم ملئت وقراء الباقون لملئت
بالتخفيف والتخفيف اشهر في اللغة وقد جاء التثقيل في قول المخبل السعدي
واذ فتك النعمان بالناس محرما فملئ من كعب بن عوف سلاسله
وقراء الجمهور رعبا باسكان العين وقراءها بضمها ابو جعفر قال ابو حاتم هما لغتان وقرا رعبا النصب
على الحال ورعبا مفعول ثان او تمييز قوله تعالى وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ
قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ البعث التحريك عن سكون والمعنى كما ضربنا على اذانهم وزدناهم
هدى وقلبناهم بعثناهم ايضا اي ايقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هياتهم في ثيابهم
واحوالهم قال الشاعر وفتيان صدق قد بعثت بسحرة فقاموا جميعا بين عاث ونشوان
اي ايقظت واللام في قوله ليتساءلوا لام الصيرورة وهي لام العاقبة كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا
فبعثهم لم يكن لاجل تساءلهم قوله تعالى قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ
وذلك انهم دخلوه غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فقال رئيسهم تمليخا او مكسلمينا الله اعلم بالمدة
قوله تعالى فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ
بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ
يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا فيه سبع مسايل الاولى قال ابن عباس
كانت ورقهم كاخفاف الربع ذكره النحاس وقراء ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم
بورقكم بكسر الراء وقراء ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم بورقكم بسكون الراء حذفوا الكسرة لثقلها وهما
لغتان وقراء الزجاج بورقكم بكسر الواو وسكون الراء ويروي انهم انتبهوا جياعا وان المبعوث هو تمليخا
وكان اصغرهم فيما ذكر الغزنوي والمدينة افسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس
فلما جاء الاسلام سموها طرسوس وقال ابن عباس كان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم
الثانية فلينظر ايها ازكى طعاما قال ابن عباس احل ذبيحة لان اهل بلدهم كانوا يذبحون على اسم الصنم
وكان فيهم قوم يخفون ايمانهم وقيل ازكى طعاما اي اكثر بركة قيل انهم امروه ان يشتري ما يظن انه طعام
اثنين او ثلاثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة ولهذا قيل كان ذلك الطعام الارز وقيل كان زبيبا
وقيل تمرا فالله اعلم وقيل ازكى اطيب وقيل ارخص فليأتكم برزق منه اي بقوت وليتلطف في دخول
المدينة وشراء الطعام ولا يشعرن بكم احدا اي لا يخبرن وقيل ان ظهر عليه فلا يوقعن اخوانه فيما وقع
فيه انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم قال الزجاج معناه بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل
وقيل يرموكم بالسب والشتم والاول اصح لانه كان عازما على قتلهم كما تقدم في قصصهم والرجم هي ما سلف
هي كانت على ما ذكر قبله مخالفة دين الناس اذ هي اشنع لحملة اهل ذلك الدين من حيث انهم يشتركون فيها

الثالثة في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة وصحتها وقد وكل علي بن ابي طالب اخاه عقيلا عند عثمان
رضي الله عنهما ولا خلاف فيها في الجملة والوكالة معروفة في الجاهلية والاسلام الا ترى الى عبد الرحمن بن
عوف كيف وكل امية ابن خلف باهله وحاشيته بمكة ان يحفظهم وامية مشرك والتزم عبد الرحمن لامية
من حفظ حاشيته بالمدينة مثل ذلك مجازاة لصنعه روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال كاتبت
امية بن خلف كتابا بان يحفظني في صاغيتي بمكة واحفظه في صاغيته بالمدينة فلما ذكرت الرحمن قال لا اعرف الرحمن
كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو وذكر الحديث قال الاصمعي صاغية الرجل الذين
يميلون اليه وياتونه وهو ماخوذ من صغى يصغو ويصغى اذا مال فكل مائل الى الشيء او معه فقد صغى
اليه واصغى من كتاب الافعال الرابعة الوكالة عقد نيابة اذن الله سبحانه فيه للحاجة اليه وقيام
المصلحة في ذلك اذ ليس كل احد يقدر على تناول اموره الا بمعونة من غيره او يترفه فيستنيب من
يريحه وقد استدل علماؤنا على صحتها بايات من الكتاب منها هذه وقوله تعالى والعاملين عليها وقوله
اذهبوا بقميصي هذا واما من السنة فاحاديث كثيرة منها حديث عروة البارقي وقد تقدم في اخر الانعام
وروى جابر بن عبد الله قال اردت الخروج الى خيبر فقال ائت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقا فان
ابتغى منك اية فضع يدك على ترقوته خرجه ابو داود والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وفي اجماع الامة على
جوازها كفاية الخامسة الوكالة جائزة في كل حق تجوز النيابة فيه فلو وكل الغاصب لم يجز وكان هو
الوكيل لان كل محرم فعله لا تجوز النيابة فيه السادسة في هذه الاية نكتة بديعة وهي ان الوكالة انما
كانت مع التقية خوف ان يشعر بهم احد لما كانوا عليه من الخوف على انفسهم وجواز توكيل ذوي العذر متفق
عليه فاما من لا عذر له فالجمهور على جوازها وقال ابو حنيفة وسحنون لا تجوز قال ابن العربي وكان سحنون
تلقفه من اسد بن الفرات فحكم به ايام قضائه ولعله كان يفعل ذلك باهل الظلم والجبروت انصافا منهم
واذلالا لهم وهو الحق فان الوكالة معونة فلا تكون لاهل الباطل قال المؤلف رحمه الله هذا حسن فاما
اهل الدين والفضل فلهم ان يوكلوا وان كانوا حاضرين اصحاء والدليل على جواز صحة الوكالة الشاهد الصحيح
ما خرجه الصحيحان وغيرهما عن ابي هريرة قال كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاء يتقاضاه
فقال اعطوه فطلبوا له سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني اوفى الله لك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان خياركم احسنكم قضاء لفظ البخاري فدل هذا الحديث مع صحته على جواز توكيل الحاضر الصحيح
البدن فان النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان يعطوا عنه السن التي كانت عليه وذلك توكيل منه
لهم على ذلك ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مريضا ولا مسافرا وهذا يرد قول ابي حنيفة وسحنون
في قولهما انه لا يجوز توكيل الحاضر الصحيح البدن الا برضا خصمه وهذا الحديث خلاف قولهما السابعة قال ابن
خويز منداذ تضمنت هذه الاية جواز الشركة لان الورق كان لجميعهم وتضمنت جواز الوكالة لانهم بعثوا
من وكلوه بالشراء وتضمنت جواز اكل الرفقاء وخلطهم طعامهم معا وان كان بعضهم اكثر اكلا من الاخر
ومثله قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حسب ما تقدم بيانه في البقرة ولهذا قال اصحابنا في المسكين
يتصدق عليه فيخلطه بطعام لغني ثم ياكل معه ان ذلك جائز وقالوا في المضارب يخلط طعامه بطعام غيره
ثم ياكل معه ان ذلك جائز وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من اشترى له اضحية قال ابن العربي

ليس في الاية دليل على جواز ذلك لانه يحتمل ان يكون كل واحد منهم قد اعطاه ورقه منفردا فلا يكون فيه اشتراك
ولا معول في هذه المسألة الا على حديثين احدهما ان ابن عمر مر بقوم ياكلون تمرا فقال نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن الاقران الا ان يستاذن الرجل اخاه الثاني حديث ابي عبيدة في جيش الخبط وهذا دون
الاول في الظهور لانه يحتمل ان يكون ابو عبيدة يعطيهم كفافا من ذلك القوت ولا يجمعهم عليه قال المؤلف
رحمه الله ومما يدل على خلاف هذا من الكتاب قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقوله ليس عليكم جناح
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا على ما ياتي ان شاء الله قوله تعالى وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا
عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا وكذلك
اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم واظهرناهم واعثر تعدية عثر بالهمزة واصل العثار في القدم ليعلموا ان
وعد الله حق يعني الامة المسلمة الذين بعث اهل الكهف على عهدهم وذلك ان دقيانوس مات ومضت قرون
وملك اهل تلك الديار رجل صالح فاختلف اهل بلده في الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض
الناس واستبعدوه وقالوا انما تحشر الارواح والاجساد تاكلها الارض وقال بعضهم يبعث الروح والجسد
جميعا فكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يتبين امره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد
وتضرع الى الله تعالى في حجة وبيان فاعثر الله على اهل الكهف فيقال انهم لما بعثوا احدهم بورقهم
الى المدينة لياتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكرت ورقه لبعد العهد فحمل الى الملك وكان صالحا
قد آمن وآمن من معه فلما نظر اليه قال لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على عهد دقيانوس الملك فقد
كنت ادعو الله ان يرينيهم وسأل الفتى فاخبره فسر الملك بذلك وقال لعل الله قد بعث لكم اية فلنسر
الى الكهف معه فركب مع اهل المدينة اليهم فلما دنوا الى الكهف قال تمليخا انا ادخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل
عليهم واعلمهم بالامر وان الامة امة اسلام فروي انهم سروا بذلك وخرجوا الى الملك وعظموه وعظمهم ثم رجعوا
الى كهفهم واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم تمليخا ميتة الحق على ما ياتي ورجع من كان شك
في بعث الاجساد الى اليقين فهذا معنى اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق اي ليعلم الملك ورعيته
ان القيامة حق والبعث حق اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا وانما استدلوا بذلك الواحد على خبرهم
وهابوا الدخول عليهم فقال الملك ابنوا عليهم بنيانا فقال الذين هم على دين الفتية اتخذوا عليهم مسجدا
وروي ان طائفة كافرة قالت نبني بيعة او مضيفا فمانعهم المسلمون وقالوا لنتخذن عليهم مسجدا وروي
ان بعض القوم ذهب الى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين وروي عن عبيد بن عمير ان الله عمى على الناس
حينئذ اثرهم وحجبهم عنهم فذلك دعا الى بناء البنيان ليكون معلما لهم وقيل ان الملك اراد ان يدفنهم
في صندوق من ذهب فاتاه ات منهم في المنام فقال اردت ان تجعلنا في صندوق من ذهب فلا تفعل
فانا من التراب خلقنا واليه نعود فدعنا وتنشأ هنا مسائل ممنوعة وجائزة فاتخاذ المساجد
على القبور والصلاة فيها والبناء عليها الى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز لما
روى ابو داود والترمذي عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور والمتخذين
عليها المساجد والسرج قال الترمذي وفي الباب عن ابي هريرة وعائشة حديث ابن عباس حديث حسن

الخبط

وروى الصحيحان عن عايشة وام حبيبة وام سلمة ذكرنا كنيسة راينا بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اوليك شرار الخلق عند الله يوم القيمة لفظ مسلم قال علماونا وهذا يحرم على المسلمين ان تتخذ قبور الانبيا والعلما مساجد وروى الايمة عن مرثد الغنوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها لفظ مسلم اى لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها او اليها كما فعل اليهود والنصارى فيودى الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الاصنام فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وسد الذرايع المودية الى ذلك فقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم وصالحيهم مساجد وروى الصحيحان عن عايشة وعبد الله ابن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه وقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم مساجد يحذر مما صنعوا وروى مسلم عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه وخرجه ابو داود والترمذى ايضا عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان توطا قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وروى الصحيح عن ابي الهياج الاسدي قال قال لي علي بن ابي طالب الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا ادع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته وفي رواية ولا صورة الا طمستها واخرجه ابو داود والترمذى قال علماونا ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها وان يكون لاطيه وقد قال به بعض اهل العلم وذهب الجمهور الى ان هذا الارتفاع المامور بازالته هو ما زاد على التسنيم وبقي للقبر ما يعرف به ويحترم وذلك صفة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما على ما ذكر مالك في الموطا وقبر ابينا آدم صلى الله عليه وسلم على ما رواه الدارقطني من حديث ابن عباس واما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيما وتعظيما فذلك يهدم ويزال فان فيه استعمال زينة الدنيا في اول منازل الاخرة وتشبيها بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار هذا المعنى فظاهر النهي ينبغي ان يقال هو حرام والتسنيم في القبر ارتفاعه قدر شبر ماخوذ من سنام البعير ويرش عليه بالماء لئلا ينتشر بالريح وقال الشافعي لا باس ان يطين القبر وقال ابو حنيفة لا يجصص القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بناء وسقط ولا باس بوضع الاحجار لتكون علامة لما رواه ابو بكر الاثرم حدثنا مسدد حدثنا نوح بن دراج عن ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزور قبر حمزة ابن عبد المطلب كل جمعة وعلمته بصخرة ذكره ابو عمر ◦ **وَاَمَّا الجَايِزَة** فالدفن في التابوت وهو جايز لا سيما في الارض الرخوة وروى ان دانيال صلوات الله عليه كان في تابوت من حجر وان يوسف صلوات الله عليه اوصى بان يتخذ له تابوت من زجاج ويلقى في ركية مخافة ان يعبد وبقي كذلك الى زمن موسى صلى الله عليه وسلم فدلته عجوز فرفعه ووضعه في حظيرة اسحق عليه السلام وفي الصحيح عن سعد بن ابى وقاص انه قال في مرضه الذي هلك فيه الحدوا لي لحدا وانصبوا على اللبن نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد هو ان يشق في الارض

ثم يحفر قبر آخر في جانب الشق من جانب القبلة ان كانت الارض صلبة يدخل فيه الميت ويسد عليه باللبن وهو افضل عندنا من الشق لانه الذى اختاره الله لرسوله وبه قال ابو حنيفة قال السنة اللحد وقال الشافعي الشق ويكره الاجر في اللحد وقال الشافعي لا باس به لانه نوع من الحجر وكرهه ابو حنيفة واصحابه لان الاجر لاحكام البناء والقبر وما فيه للبلاء فلا يليق به الاحكام وعلى هذا يسوى بين الحجر والاجر وقيل انه بالاجر اثر النار فيكره تفاولا فعلى هذا تفرق بين الحجر والاجر قالوا ويستحب اللبن والقصب لما روى انه وضع على قبر النبي صلى الله عليه وسلم طن حزمة من قصب وحكى عن الشيخ ابي بكر محمد بن الفضل الحنفي انه جوز اتخاذ التابوت في بلادهم لرخاوة الارض وقال لو اتخذ تابوت من حديد لا باس به لكن ينبغي ان يفرش فيه التراب وتطين طبقة العليا مما يلي الميت ويجعل اللبن الخفيف على يمين الميت ويساره ليصير بمنزلة اللحد قال المولف رحمه الله ومن هذا المعنى جعل القطيفة في قبر النبي فان المدينة سبخة قال شقران انا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر قال ابو عيسى الترمذى حديث شقران حديث حسن صحيح غريب قوله تعالى سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ◦ الضمير في سيقولون يراد به اهل التوراة ومعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص وقيل المراد به النصارى فان قوما منهم حضروا النبي صلى الله عليه وسلم من نجران فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون سبعة ثامنهم كلبهم وقيل هو اخبار عن اليهود الذين امروا المشركين بمسلة النبي صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الكهف والواو في قوله وثامنهم طريق النحويين انها واو عطف دخلت في آخر اخبار عن عددهم ليفصل امرهم ويدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام وقالت فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وحكى الثعلبي عن ابي بكر بن عياش ان قريشا كانت يقول في عددها ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو في الثمانية وحكى نحوه القفال فقال ان قوما قالوا العدد ينتهي عند العرب الى سبعة فاذا احتيج الى الزيادة عليها استونف خبر آخر بادخال الواو كقوله التايبون العابدون ثم قال والناهون عن المنكر والحافظون يدل عليه انه لما ذكر ابواب جهنم قال حتى اذا جاوها فتحت ابوابها بلا واو ولما ذكر الجنة قال وفتحت بالواو وقال خيرا منكن مسلمات ثم قال وابكارا فالسبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة الآن عندنا قال القشيري ابو نصر ومثل هذا الكلام تحكم ومن اين السبعة نهاية عندهم ثم هو منقوض بقوله تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الاسم الثامن بالواو وقال قوم ممن صار الى ان عددهم سبعة انما ذكر الواو في قوله سبعة وثامنهم لينبه على ان هذا العدد هو الحق وانه مباين للاعداد الاخر التى قال فيها اصل الكتاب ولهذا قال تعالى في الجملتين المتقدمتين رجما بالغيب ولم يذكره في الجملة الثالثة ولم يقدح فيها بشيء وكانه تعالى قال لنبيه هم سبعة وثامنهم كلبهم والرجم القول بالظن يقال لكل ما يخرص رجم به ومرجوم ومرجم كما قال

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ◦ وما هو عنها بالحديث المرجم ◦

قال المولف رحمه الله قد ذكر الماوردي والغزنوي وقال ابن جريج ومحمد بن اسحاق كانوا ثمانية وجعلا قوله
تعالى وثامنهم كلبهم اي صاحب كلبهم وهذا مما يقوى طريقة النحويين في الواو وانها كما قالوا قوله تعالى قل
رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ امر الله تعالى نبيه في هذه الآية ان يرد علم عدتهم اليه عز وجل
ثم اخبر ان عالم ذلك من البشر قليل والمراد به قوم من اهل الكتاب في قول عطا وكان ابن عباس
يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ثم ذكر السبعة باسمائهم والكلب اسمه قطمير
كلب انمر فوق القلطي ودون الكردي وقال محمد بن سعيد بن المسيب هو كلب صيني والصحيح
انه زبيري وقال ما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث الا من لم يقدر له قال وكتبه ابو عمرو
الحيري عني وقال القشيري لم يذكر الواو في قوله رابعهم سادسهم ولو كان بالعكس لكان جائزا فطلب
الحكمة والعلة في مثل هذه الواو تكلف بعيد وهو كقوله في موضع آخر وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم وفي موضع آخر الا لها منذرون قوله تعالى فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ
فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا اي لا تجادل في اصحاب الكهف الا بما اوحيناه اليك وهو رد علم عدتهم الى الله تعالى وقيل
معنى المرا الظاهر ان تقول ليس كما تقولون ونحو هذا ولا تحتج على امر مقدر في ذلك وفي هذا دليل
على ان الله لم يبين لاحد عددهم فلهذا قال الا مراء ظاهرا اي ذاهبا كما قال
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ولم يبح له في هذه الآية ان يماري ولكن قوله الا مراء استعارة من
حيث يماريه اهل الكتاب سميت مراجعته لهم مراء ثم قيد بانه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم
والضمير في قوله فيهم عايد على اهل الكهف وفي قوله منهم عايد على اهل الكتاب المعارضين وقوله فلا
تمار فيهم يعني في عدتهم وحذفت العدة لدلالة ظاهر القول عليها ولا تستفت فيهم منهم احدا روي انه
عليه السلام سال نصارى نجران عنهم فنهي عن السوال وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة اهل
الكتاب في شيء من العلم قوله تعالى وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فيه
مسلتان الاولى قال العلما عاتب الله نبيه عليه السلام على قوله للكفار حين سالوه عن الروح
والفتية وذي القرنين غدا اخبركم بجواب اسولتكم ولم يستثن في ذلك فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما
حتى شق ذلك عليه وارجف الكفار به فنزلت عليه هذه السورة مفرجة وامر في هذه الآية الا يقول
في امر من الامور اني افعل غدا كذا وكذا الا وان تعلق ذلك بمشية الله تعالى حتى لا يكون محققا لحكم الخبر
فانه اذا قال لافعلن ذلك ولم يفعل كان كاذبا واذا قال لافعلن ذلك ان شاء الله خرج ان يكون محققا
للمخبر عنه واللام في قوله لشيء بمنزلة في او كانه قال لاجل شيء الثانية قال ابن عطية وتكلم الناس في هذه
الآية في الاستثناء في اليمين والآية ليست في الايمان وانما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين وقوله الا
ان يشاء الله في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز تقديره الا ان يقول الا ان يشاء الله او
الا ان يقول ان يشاء الله فالمعنى الا ان يذكر مشية الله فليس الا ان يشاء الله من القول الذي نهي عنه
قال المولف رحمه الله ما اختاره ابن عطية وارتضاه هو قول الكسائي والفراء والاخفش وقال البصريون
المعنى الا بمشية الله فاذا قال الانسان انا افعل هذا ان شاء الله فمعناه بمشية الله قال ابن عطية وقالت
فرقة الا ان يشاء الله استثناء من قوله ولا تقولن قال وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه وهو من الفساد

بحيث كان الواجب ان لا يحكى وقد تقدم القول في الاستثناء في اليمين وحكمه في المائدة قوله تعالى وَاذْكُرْ
رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا فيه مسلة واحدة وهو
الامر بالذكر بعد النسيان واختلف في الذكر المامور به فقيل هو قوله وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا
رشدا قال محمد الكوفي المفسر انها بالفاظها مما امران يقولها كل من لم يستثن وانها كفارة لنسيان الاستثناء
وقال الجمهور هو دعاء مامور به دون هذا التخصيص وقيل هو قوله ان شاء الله الذي كان نسيه عند يمينه
حكي عن ابن عباس انه ان نسي الاستثناء ثم ذكر ولو بعد سنة لم يحنث ان كان حالفا وهو قول مجاهد وحكى
اسمعيل بن اسحق ذلك عن ابي العالية في قوله واذكر ربك اذا نسيت قال يستثني اذا ذكر قال الحسن ما دام
في مجلس الذكر وقال ابن عباس يستثني ذكره الغزنوي قال فيحمل على تدارك التبرك بالاستثناء للتخلص
عن الاثم فاما الاستثناء المعتبر حكما فلا يصح الا متصلا وقال السدي اي صل صلاة نسيتها اذا ذكرتها
بها وقيل استثن باسمه لئلا تنسى وقيل اذكره متى تنسيته وقيل اذا نسيت شيئا فاذكره يذكرك
وقيل اذكره اذا نسيت غيره او نسيت نفسك فذلك حقيقة الذكر وهذه الآية مخاطبة للنبي صلى الله
عليه وسلم وهي استفتاح كلام على الاصح وليست من الاستثناء في اليمين بشيء وهي بعد تعم جميع امته
لانه حكم يتردد في الناس بكثرة وقوعه والله الموفق قوله تعالى وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ
وَازْدَادُوا تِسْعًا هذا خبر من الله عن مدة لبثهم وفي قراة ابن مسعود وقالوا لبثوا قال الطبري
ان بني اسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الاعثار عليهم الى مدة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
بعضهم انهم لبثوا ثلثماية سنة وتسع سنين فاخبر الله تعالى نبيه ان هذه المدة في كونهم نياما وان ما بعد ذلك
مجهول للبشر فامر الله ان يرد علم ذلك اليه قال ابن عطية فقوله على هذا لبثوا الاول يريد في نوم الكهف
ولبثوا الثاني يريد بعد الاعثار الى مدة محمد صلى الله عليه وسلم او الى وقت عدمهم بالبلا قال مجاهد الى
وقت نزول القرآن الضحاك الى ان ماتوا وقال بعضهم انه لما قال وازدادوا تسعا لم يدر الناس اهي
ساعات او ايام ام جمع ام شهور ام اعوام واختلف بنو اسرائيل بحسب ذلك فامر الله برد العلم اليه في
التسع فهي على هذا مبهمة وظاهر كلام العرب المفهوم منه انها اعوام والظاهر من امرهم انهم قاموا ودخلوا
الكهف بعد عيسى بيسير وقد بقيت من الحواريين بقية وقيل غير هذا على ما ياتي قال القشيري لا يفهم من
التسع تسع ليال وتسع ساعات لسبق ذكر السنين كما تقول عندي مائة درهم وخمسة والمفهوم منه خمسة
دراهم وقال ابو علي وازدادوا تسعا اي ازدادوا لبث تسع فحذف وقال الضحاك لما نزلت ولبثوا
في كهفهم ثلثماية سنة شمسية بحساب الام فلما كان الاخبار هنا للنبي العربي ذكرت التسع اذ المفهوم
عنده من السنين القمرية فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين ونحوه ذكره الغزنوي اي باختلاف سني
الشمس والقمر لانه يتفاوت في كل ثلاث وثلثين وثلث سنة سنة فيكون في ثلثماية تسع سنين وقرا الجمهور
ثلثماية سنين بتنوين مائة ونصب سنين على التقديم والتاخير اي سنين ثلثماية فقدم الصفة على الموصوف
فتكون سنين على هذا بدلا او عطف بيان وقيل على التفسير والتمييز وسنين في موضع سنة وقرا حمزة و
الكسائي باضافة مائة الى سنين وترك التنوين كانهم جعلوا السنين بمنزلة سنة اذ المعنى بهما واحد قال
ابو علي هذه الاعداد التي تضاف في المشهور الى الاحاد كثلثماية رجل وثوب قد تضاف الى الجموع وفي مصحف

عبد الله ثلثماية سنة وقراء الضحاك ثلثماية سنون بالواو وقراء ابو عمرو وغيره لانه تسعًا بفتح التاء وقراء
الجمهور بكسرها وقال الفرا والكسائي وابو عبيدة التقدير ولبثوا في كهفهم سنين ثلثماية قوله تعالى
قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ قيل بعد موتهم الى نزول القران فيهم على
قول مجاهد او الى ان ماتوا على قول الضحاك او الى وقت تغيرهم بالبلا على ما تقدم وقيل بما لبثوا في الكهف
وهي المدة التي ذكرها الله تعالى عن اليهود انه ذكروا زيادة ونقصانا اي لا يعلم علم ذلك الا الله او من
علمه ذلك له غيب السموات والارض قوله تعالى أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ اي ما
ابصره واسمعه قال قتادة لا احد ابصر من الله ولا اسمع وهذه عبارات عن الادراك ويحتمل ان يكون
المعنى ابصر به اي بوحيه وارشاده هداك وحججك والحق من الامور واسمع به العالم فيكون امرين
لا على وجه التعجب وقيل المعنى ابصرهم واسمعهم ما قال الله فيهم ما لهم من دونه من ولي اي لم يكن
لاصحاب الكهف ولي يتولى حفظهم دون الله ويحتمل ان يعود الضمير في لهم على معاصري محمد صلى الله
عليه وسلم من الكفار والمعنى ما لهؤلاء المختلفين في مدة لبثهم ولي دون الله يتولى تدبير امرهم فكيف
يكونون اعلم منه او كيف يتعلمون من غير اعلامه اياهم قوله تعالى وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ
أَحَدًا ۝ قرئ بالياء ورفع الكاف على معنى الخبر عن الله تعالى وقراء ابن عامر والحسن وابو رجاء وقتادة و
الجحدري ولا تشرك بالتاء من فوق واسكان الكاف على جهة النبي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله
ولا يشرك عطفا على قوله ابصر به واسمع وقرا مجاهد يشرك بالياء من تحت والجزم قال يعقوب
لا اعرف وجهه مسئلة اختلف في اصحاب الكهف هل ماتوا وفنوا او هم نيام واجسادهم
محفوظة فروى عن ابن عباس انه مر بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس
معه اليه فوجدوا عظاما فقالوا هذه عظام اصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس اولئك قوم فنوا وعدموا
منذ مدة طويلة فسمعه راهب فقال ما كنت احسب ان احدًا من العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن
عم نبينا وروت فرقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى بن مريم ومعه اصحاب الكهف فانهم
لم يحجوا بعد ذكره ابن عطية قال المؤلف رحمه الله ومكتوب في التورية والانجيل ان عيسى ابن مريم
عبد الله ورسوله وانه يمر بالروحا حاجًا او معتمرا ويجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه اصحاب الكهف والرقيم
فيمرون حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا وقد ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب التذكرة فعلى هذا هم نيام
لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة بل يموتون قبيل الساعة قوله تعالى وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ
مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ قيل هو من تمام قصة اصحاب الكهف
اي اتبع القرآن فلا مبدل لكلمات الله ولا خلف فيما اخبر به من قصة اصحاب الكهف وقال الطبري
لا مغير لما اوعد بكلماته اهل معاصيه والمخالفين لكتابه ولن تجد انت من دونه ان لم تتبع القران و
خالفته ملتحدا اي ملجا ومثلا موئلا واصله الميل ومن لجات اليه فقد ملت اليه قال القشيري ابو
نصر عبد الرحيم وهذا آخر قصة اصحاب الكهف ولما غزا معاوية غزوة المضيق نحو الروم كان معه
ابن عباس فانتهى الى الكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال
ابن عباس قد منع الله من هو خير منك عن ذلك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال لا انتهي

حتى اعلم علمهم وبعث قوما لذلك فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم ذكره الثعلبي ايضا
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سال الله ان يريه اياهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا
ولكن ابعث اليهم اربعة من خيار اصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف ابعثهم فقال ابسط كساك واجلس على طرف من اطرافه ابا بكر وعلى
الطرف الآخر عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي بن ابي طالب ثم ادع الريح الرخا المسخرة لسليمان
فان الله تعالى يامرها ان تطيعك ففعل فحملتهم الريح الى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل الكلب
عليهم فلما راهم حرك راسه وبصبص بذنبه واومى اليهم براسه ان ادخلوا فدخلوا الكهف فقالوا
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله على الفتية ارواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته فقالوا لهم معشر الفتية ان النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرا
عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما ابلغتم وقبلوا
دينه واسلموا ثم قالوا اقروا محمدا رسول الله منا السلام واخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم
الى آخر الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون الى رقدتهم
فلا يقومون حتى تقوم الساعة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهم ثم ردتهم الريح
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف وجدتموهم فاخبروه الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تفرق بيني وبين اصحابي واصهاري واغفر لمن احبني واحب اهل بيتي وخاصتي واصحابي و
قيل اصحاب الكهف دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر الله المسيح بخبرهم ثم بعثوا في الفترة بين عيسى ومحمد
صلى الله عليهما وقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم في التوراة ولهذا سالت اليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل دخلوا الكهف بعد المسيح والله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ
عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۝ هذا مثل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم في سورة الانعام
وقد مضى الكلام فيه وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس فقالوا يا رسول الله انك لو جلست في صدر المجلس ونحيت
عنا هؤلاء وارواح جبابهم يعنون سلمان وابا ذر وفقراء المسلمين وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن
عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك واخذنا عنك فانزل الله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك
حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم يتهددهم بالنار فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم
حتى اذا اصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع
رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات يريدون وجهه اي طاعته وقرا نصر بن عاصم ومالك بن دينار
وابو عبد الرحمن ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي وحجتهم انها في السواد بالواو وقال
ابو جعفر النحاس هذا لا يلزم لكتبهم الحياة والصلاة بالواو ولا تكاد العرب تقول الغدوة لانها
معرفة وروي عن الحسن ولا تعد عينك عنهم اي لا تتجاوز عيناك الى غيرهم من ابناء الدنيا طلبا للزينة
حكاه اليزيدي وقيل لا تحتقرهم عيناك كما يقال فلان تنبو عنه العين اي مستحقرا تريد زينة الحيوة

واتبع هواه ص

الدنيا اى تزين بمجالسة هولاء الروساء الذين اقترحوا ابعاد الفقراء من مجلسك ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك ولكن الله نهاه ان يفعله وليس هذا باكبر من قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وان كان الله اعاذه من الشرك وتريد فعل مضارع في موضع الحال اى لا تعد عيناك مريدا كقول امرء القيس

فقلت له لا تبك عينك انما ... نحاول ملكا او نموت فنعذرا

وزعم بعضهم ان حق الكلام لا تعد عينك عنهم لان تعدوا متعد بنفسه قيل له والذى وردت به التلاوة من رفع العينين يؤول الى معنى النصب فيها اذ كان لا تعد عيناك عنهم بمنزلة لا تنصرف عيناك عنهم ومعنى لا تنصرف عيناك عنهم لا تصرف عينيك عنهم فالفعل مسند الى العينين وهو في الحقيقة موجه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم فاسند الاعجاب الى الاموال والمعنى لا تعجبك يا محمد اموالهم ويزيدك وضوحا قول الزجاج ان المعنى لا تصرف بصرك عنهم الى غيرهم من ذوي الهيات والزينة قوله تعالى وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا قال نزلت في امية بن خلف الجمحي وذلك انه دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى امر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد اهل مكة فانزل الله تعالى ولا تطع من اغفلنا عن ذكرنا يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد واتبع هواه يعني الشرك وكان امره فرطا قيل هو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الايمان وقيل من الافراط ومجاوزة الحد وكان القوم قالوا نحن اشراف مضر ان اسلمنا اسلم الناس فكان هذا من التكبر والافراط في القول وقيل فرطا اى قدما في الشر من قولهم فرط منه امر اى سبق وقيل معنى اغفلنا قلبه وجدناه غافلا كما تقول لقيت فلانا فاحمدته اى وجدته محمودا وقال عمرو بن معدى كرب لبني الحارث بن كعب والله لقد سالناكم فما ابخلناكم وقاتلناكم فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم اى ما وجدناكم بخلا ولا جبنا ولا مفحمين وقيل نزلت ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا في عيينة بن حصن الفزاري ذكره عبد الرزاق وحكاه النحاس عن سفيان الثوري والله اعلم قوله تعالى وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا الحق رفع على خبر ابتداء مضمر اى قل هو الحق وقيل هو رفع على الابتداء وخبره في قوله من ربكم ومعنى الآية قل يا محمد لهولاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء فيؤمن ويضل من يشاء فيكفر ليس الي من ذلك شيء فالله يوتي الحق من يشاء وان كان ضعيفا ويحرمه من يشاء وان كان قويا غنيا ولست بطارد المومنين لهواكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا وليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد اى ان كفرتم فقد اعد لكم النار وان امنتم فلكم الجنة قوله تعالى انا اعتدنا اي اعددنا للظالمين اى الكافرين الجاحدين نارا احاط بهم سرادقها قال الجوهري السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو سرادق قال روبة

يا حكم بن المنذر بن الجارود ... سرادق المجد عليك ممدود

يقال بيت مسردق وقال سلامة بن جندل يذكر ابرويز وقتله النعمان بن المنذر تحت ارجل الفيلة

هو المدخل النعمان بيتا سماوه ... صدور الفيول

بعد بيت مسردق وقال ابن الاعرابي سرادقها سورها وعن ابن عباس حايط من نار وقال الكلبي عنق يخرج من النار

فيحيط

فيحيط بالكفار كالحظيرة وقال القتبي السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقاله ابن عزيز وقيل هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الذى ذكره الله في سورة والمرسلات حيث يقول انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب وقوله وظل من يحموم قاله قتادة وقيل انه البحر المحيط بالدنيا وروى يعلى بن امية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر هو جهنم ثم تلا نارا احاط بهم سرادقها ثم قال والله لا ادخلها ابدا ما دمت حيا ولا يصيبني منها قطرة ذكره الماوردي وخرج ابن المبارك من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسرادق النار اربع جدر كثف كل جدار مسيرة اربعين سنة وخرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح غريب قال المولف رحمه الله وهذا يدل على ان السرادق ما يعلو الكفار من دخان او نار وجدره ما وصف قوله تعالى وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا قال ابن عباس المهل ما غليظ مثل دردي الزيت وقال مجاهد القيح والدم وقال الضحاك ماء اسود وان جهنم لسوداء وماؤها اسود وشجرها اسود واهلها سود وقال ابو عبيدة هو كل ما اذيب من جواهر الارض من حديد ورصاص ونحاس وقز دبر فتموج بالغليان فذلك المهل ونحوه عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير هو الذى قد انتهى حره وقال المهل ضرب من القطران يقال مهلت البعير فهو ممهول وقيل هو السم والمعنى في هذه الاقوال متقاربة وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قربه الى وجهه سقطت فروة وجهه قال ابو عيسى هذا حديث انما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ورشدين قد تكلم فيه من قبل حفظه وخرج عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا قال حديث غريب قال المولف رحمه الله وهذا يدل على صحة تلك الاقوال وانها مراده والله اعلم وكذلك نص عليها اهل اللغة في الصحاح المهل النحاس المذاب وقال ابن الاعرابي المهل المذاب من الرصاص وقال ابو عمرو المهل دردي الزيت والمهل ايضا القيح والصديد وفي حديث ابي بكر ادفنوني في ثوبي هذين فانهما للمهل والتراب ومرتفقا قال مجاهد معناه مجتمعا كانه ذهب الى معنى المرافقة وقال ابن عباس منزلا عطا مقرا وقيل مهادا وقال القتبي مجلسا والمعنى متقاربة واصله من المتكا يقال منه ارتفقت اى اتكات على المرفق قال الشاعر

قالت له وارتفقت الا فتى ... يسوق بالقوم غزالات الضحى

ويقال ارتفق الرجل اذا نام على مرفقه لا ياتيه نوم قال ابو ذويب الهذلي

نام الخلي وبت الليل مرتفقا ... كان عيني فيها الصاب مذبوح

الصاب عصارة شجر مر قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ لما ذكر ما اعد للكافرين من الهوان ذكر ايضا ما للمومنين من الثواب وفي الكلام اضمار اى لا نضيع اجر من احسن منهم عملا فاما من احسن عملا من غير المومنين فعمله محبط وعملا نصب على التمييز وان شئت بايقاع

فنحيط

اجمن عليه وقيل انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض والخبر قوله اولئك لهم جنات عدن وجنات
عدن سُرّة الجنة اى وسطها وساير الجنات محدقة بها وذكرت بلفظ الجمع لسعتها لان كل بقعة منها يصلح ان تكون
جنة وقيل العدن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الابل بمكان
كذا وكذا لزمته فلم تبرح منه جنات عدن اى جنات اقامة ومنه سمي المعدن بكسر الدال لان الناس
يقيمون فيه الصيف والشتاء ومركز كل شىء معدنه والمعادن الناقة المقيمة فى المرعى وعدن بلد
قاله الجوهرى تجرى من تحتهم الانهار تقدم في غير موضع يحلون فيها من اساور من ذهب وهو جمع
سوار وقال سعيد بن جبير على كل احد منهم ثلثة اسورة واحدة من ذهب وواحدة من ورق وواحدة
من لولو قال المؤلف رحمه الله هذا منصوص في القرآن قال هنا من ذهب وقال في الحج وفاطر
من ذهب ولولو وفى الانسان من فضة وقال ابو هريرة سمعت خليلى صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ
الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء خرجه مسلم وحكى الفرا يحلون بفتح اليا وسكون الحاء وفتح
اللام خفيفة يقال حليت المرأة تحلى فهى حالية اذا لبست الحلى وحلى الشى بعينى يحلى ذكره النحاس
والسوار سوار المرأة والجمع اسورة وجمع الجمع اساور وقال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب
قاله الجوهرى وقال ابن عزيز اساور جمع اسورة واسورة جمع سوار وسوار وهو الذى يلبس
فى الذراع من ذهب فان كان من فضة فهو قلب وجمعه قلبة فان كان من قرن او عاج فهو مسكة
وجمعه مسك قال النحاس وحكى قطرب فى واحد الاساورة اسوار وقطرب صاحب شذوذ قد تركه
يعقوب وغيره فلم يذكره قال المؤلف رحمه الله قد جاء فى الصحاح وقال ابو عمرو بن العلا واحدها
اسوار وقال المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة
قوله تعالى وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ السندس الرقيق النحيف واحده
سندسة قاله الكسائى والاستبرق ما ثخن منه عن عكرمة او هو الحرير قال الشاعر

تراهن يلبسن المشاعر مرة ... واستبرق الديباج طورا لباسها

فالاستبرق الديباج وقال ابن بحر المنسوج بالذهب وقال القتبى فارسى معرب قال الجوهرى
وتصغيره ابيرق وقيل هو استفعل من البريق والصحيح انه وفاق بين اللغتين اذ ليس فى القرآن
ما ليس من لغة العرب على ما تقدم والله اعلم وخص الاخضر لانه الموافق للبصر لان البياض يبدد النظر
ويولم والسواد يورم والخضرة بين السواد والبياض وذلك يجمع الشعاع والله اعلم روى النسائي عن
عبد الله بن عمرو بن العاصى قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال
يا رسول الله اخبرنا عن ثياب الجنة اخلق تخلق او نسج تنسج فضحك بعض القوم فقال لهم مم تضحكون
ان جاهلا يسأل عالما فجلس يسيرا او قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين السايل عن ثياب الجنة
فقال ها هو ذا يا رسول الله قال لا بل تشقق عنها ثمر الجنة قالها ثلثا وقال ابو هريرة دار المؤمن
درة مجوفة فى وسطها شجرة تنبت الحلل وتاخذ باصبعه او قال باصبعيه سبعين حلة منظمة
بالدر والمرجان ذكره يحيى بن سلام فى تفسيره وابن المبارك فى رقايقه وقد ذكرنا اسناده فى كتاب
التذكرة وذكر فى الحديث انه يكون على كل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل وجه لون يتكلمان بصوت

وجنات عدن

ومنه صح

بشحشة سامعه يقول احد الوجهين للآخر انا اكرم على ولى الله منك انا الى وجهه وانت لا تبصر
قوله تعالى مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا الارايك جمع اريكة وهى السرر
فى الحجال وقيل الفرش فى الحجال قاله الزجاج وقال ابن عباس هى الاسرة من ذهب هى مكللة بالدر والياقوت
عليها الحجال الاريكة ما بين صنعا الى ايلة وما بين عدن الى الجابية واصل متكئين موتكئين وكذلك اتكا
اصله اوتكا واصل التكاة وكاة ومنه التوكا للتحامل على الشى فقلبت الواو تاء وادغمت ورجل تكاة
كثير الاتكا نعم الثواب وحسنت مرتفقا يعنى الجنات عكس وساءت مرتفقا وقد تقدم ولو كانت نعمت
لجاز لانه اسم للجنة وعلى هذا وحسنت مرتفقا وروى البرا بن عازب ان اعرابيا قام الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء
فقال انى رجل متعلم فاخبرنى عن هذه الآية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما انت منهم ببعيد ولا هم ببعيد منك هم هولاء الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان
وعلى فاعلم قومك ان هذه الآية نزلت فيهم ذكره الماوردى واسنده النحاس فى كتاب معانى القرآن
فقال حدثنا ابو عبد الله احمد بن على بن سهل قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا يحيى بن الضريس عن
زهير بن معاوية عن ابى اسحاق عن برا بن عازب قال قام اعرابى فذكره واسنده السهيلى فى كتاب
الاعلام وقد روينا جميع ذلك بالاجازة والحمد لله قوله تعالى وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا
لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ هذا مثل لمن يغتر بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين وهو متصل
بقوله واصبر نفسك واختلف فى اسم هذين الرجلين وتعيينهما فقال الكلبى نزلت فى اخوين من اهل
مكة مخزوميين احدهما مومن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد ابن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم
زوج ام سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم والآخر كافر وهو الاسد بن عبد الاسد وهما الاخوان
المذكوران فى سورة والصافات فى قوله قال قايل منهم انى كان لى قرين ورث كل واحد منهم اربعة
الاف دينار فانفق احدهما ماله فى سبيل الله وطلب من اخيه شيا فقال ما قال ذكره الثعلبى والقشيرى
وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم واهل مكة وقيل هو مثل لجميع من آمن بالله وجميع من كفر وقيل
هو مثل لعيينة بن حصن واصحابه مع سلمان وصهيب واصحابه شبههم الله برجلين من بنى اسرائيل
اخوين احدهما مومن واسمه يهودا فى قول ابن عباس وقال مقاتل اسمه تمليخا والاخر كافر واسمه
قرطوس وقال الغزنوى قطرس وهما اللذان وصفهما الله فى سورة والصافات وكذا ذكر محمد بن الحسن
المقرى قال اسم الخير منهما تمليخا والاخر قرطوس وانهما كانا شريكين ثم اقتسما المال فصار لكل واحد
منهما ثلثة الاف دينار فاشترى المومن عبيدا بالف واعتقهم وبالالف الثانية ثيابا وكسا العراة وبالالف
الثالثة طعاما فاطعم الجوع وبنى ايضا مساجد وفعل خيرا واما الاخر فنكح بماله نسا ذوات يسار واشترى
دواب وبقرا فاستنتجها فنمت له نماء مفرطا وتجر بباقيها فربح حتى فاق اهل زمانه غنى وادركت الاول
الحاجة فاراد ان يستاجر نفسه فى جنة يخدمها فقال لو ذهبت لشريكى وصاحبى فسالته ان يستخدمنى
فى بعض جناته رجوت ان يكون ذلك اصلح بى فجاءه فلم يكد يصل اليه من غلظ الحجاب فلما دخل عليه وعرفه
وساله حاجته فقال له الم اكن قاسمتك المال شطرين فما صنعت بمالك قال اشتريت به من الله تعالى

ما هو خير منه وابقى فقال انك لمن المصدقين ما اظن الساعة قائمة وما اراك الا سفيها وما جزاؤك
على سفاهتك الا الحرمان او ما ترى ما صنعت انا بمالي حتى آل الى ما تراه من الثروة وحسن الحال وذلك
اني كسبت وسفهت انت اخرج عن ثم كان من قصة هذا الغني ما ذكره الله في القرآن من الاحاطة
بثمره وذهابها اصلا بما ارسل عليها من السماء من الحسبان وقد ذكر الثعلبي هذه القصة بلفظ آخر
والمعنى متقارب قال عطا كانا شريكين لهما ثمانية الاف دينار وقيل ورثاه من ابيهما وكانا اخوين
فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار
فاني اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنا دارا بالف دينار فقال اللهم
ان هذا فلانا قد بنا دارا بالف دينار ثم تزوج امرأة بالف دينار فقال اللهم ان فلانا تزوج امراة
بالف دينار واني اخطب اليك من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اشترى خدما
ومتاعا بالف دينار فقال الآخر اللهم ان فلانا اشترى خدما ومتاعا بالف دينار واني اشترى
منك خدما ومتاعا من الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اصابته حاجة شديدة فقال لعل صاحبي
ينالني معروفه فاتاه فقال ما فعل مالك فاخبره قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا الحديث والله
لا اعطيتك شيا ثم قال له انت تعبد اله السماء وانا لا اعبد الا صنما فقال صاحبه والله لاعطينه فوعظه
وذكره وخوفه فقال سر بنا نصطاد السمك فمن صاد اكثر فهو على حق فقال له يا اخي ان الدنيا احقر عند الله
من ان يجعلها ثوابا لمحسن او عقابا لكافر قال فاكرههم على الخروج معه فابتلاهما الله فجعل الكافر يرمي بشبكته ويسمي
باسم الهه فيطلع متدفقة وجعل المؤمن يرمي بشبكته ويسمي باسم الله فلا يطلع له فيها شي فقال له كيف ترى انا صنمه
اكثر منك في الدنيا نصيبا ومنزلة ونفرا كذلك اكون افضل منك في الآخرة ان كان ما تقول بزعمك حقا قال
فضج الملك الموكل بهما فامر الله تعالى جبريل ان ياخذه فيذهب به الى الجنان فيريه منازل المؤمن فيها فلما
راى ما اعد الله له قال وعزتك لا يضره ما ناله من الدنيا بعد ما يكون مصيره الى هذا واراه منازل
الكافر في جهنم فقال وعزتك لا ينفعه ما اصابه من الدنيا بعد ان يكون مصيره الى هذا ثم ان الله تعالى
توفى المؤمن واهلك الكافر بعذاب من عنده فلما استقر المؤمن في الجنة وراى ما اعد الله له اقبل هو
واصحابه يتساءلون فقال اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين الاية فنادى مناد يا اهل الجنة هل
انتم مطلعون فاطلع الى جهنم فرآه في سواء الجحيم فنزلت واضرب لهم مثلا بين الله حال الاخوين في الدنيا
في هذه السورة وبين حالهما في الآخرة في سورة والصافات في قوله اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين
الى قوله لمثل هذا فليعمل العاملون قال ابن عطية وذكر ابرهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجايب البلاد
ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين وكانتا لاخوين فباع احدهما نصيبه من الآخر وانفق في طاعة
الله حتى عيره الآخر وجرت بينهما المحاورة فغرقها الله في ليلة واياها عني بهذه الاية وقد قيل
ان هذا مثل ضربه الله لهذه الاية وليس بخبر عن حال متقدمة ليزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة وجعله
زجرا وانذارا ذكره الماوردي وسياق الاية يدل على خلاف هذا والله اعلم قوله تعالى وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وحففناهما
بنخل اى اطفناهما من جوانبهما بنخل والحفاف الجانب وجمعه احفة ويقال حف القوم بفلان يحفون

حفا اي طافوا به ومنه حافين من حول العرش وجعلنا بينهما زرعا اى جعلنا حول الاعناب
النخل ووسط الاعناب الزرع كلتا الجنتين آتت اكلها تاما ولذلك لم يقل اتيا واختلف في لفظ
كلتا وكلا هل هو مفرد او مثنى فقال اهل البصرة هو مفرد لان كلا وكلتا في توحيد الاثنين
نظير كل في الجموع وهو اسم مفرد غير مثنى فاذا ولي اسما ظاهرا كان في الرفع والنصب والخفض
على حالة واحدة تقول رايت كلا الرجلين وجاني كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين فاذا اتصل
بمضمر قلبت الالف ياء في موضع الجر والنصب تقول رايت كليهما ومررت بكليهما كما تقول عليهما وقال الفرا
هو مثنى وهو ماخوذ من كل فخففت اللام وزيدت الالف للتثنية وكذلك كلتا للمونث ولا تكونان
الا مضافين ولا يتكلم بواحد ولو تكلم به لقيل كل وكلت وكلان وكلتان واحتج بقول الشاعر

في كلت رجليها سلامى واحده ○ كلتاهما مقرونة بزايده

اراد في احدى رجليها فافرد وهذا القول ضعيف عند اهل البصرة لانه لو كان مثنى لوجب ان تكون
الفه في النصب والجر ياء مع الاسم الظاهر ولان معنى كلا مخالف لمعنى كل لان كلا للاحاطة وكلا يدل
على شي مخصوص واما هذا الشاعر فانما حذف الالف للضرورة وقدر انها زايدة وما تكون ضرورة
لا يجوز ان يكون حجة فثبت انه اسم مفرد كمعا الا انه وضع ليدل على التثنية كما ان قولهم نحن اسم مفرد
يدل على الاثنين فما فوقهما يدل على ذلك قول جرير كلا يومي امامة يوم صدق وان لم ياتها الا لماما
فاخبر عن كلا بيوم مفرد كما افرد الخبر بقوله اتت ولو كان مثنى لقال اتتا ويوما واختلف ايضا
في الف كلتا فقال سيبويه الف كلتا للتانيث والتاء بدل من لام الفعل وهي واو والاصل كلوا
وانما ابدلت تاء لان في التاء علم التانيث والالف في كلتا قد تصير ياء مع المضمر فتخرج عن علم التانيث
فصار في ابدال الواو تاء تاكيدا للتانيث وقال ابو عمر الجرمي التاء ملحقة والالف لام الفعل وتقديرها
عنده فعتل ولو كان الامر على ما زعم لقالوا في النسبة اليها كلتوى فلما قالوا كلوى واسقطوا التاء
دل انهم اجروها مجرى التاء التي في اخت اذا نسبت اليها قلت اخوى ذكره الجوهري قال ابو جعفر
النحاس واجاز النحويون في غير القرآن الحمل على المعنى وان يقول كلتا الجنتين اتتا اكلهما لان المعنى
الجنتان كلتاهما اتتا واجاز الفرا كلتي الجنتين آتى اكله قال لان المعنى كل الجنتين قال وفي قراءة
عبد الله كل الجنتين آتى والمعنى على هذا عند الفرا كل شي من الجنتين آتى اكله والاكل بضم الهمزة ثمر
النخل والشجر وكل ما يوكل فهو اكل ومنه قوله تعالى اكلها دايم وقد تقدم ولم تظلم منه شيئا اى لم تنقص
قوله تعالى وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ اى اجرينا وشققنا وسط الجنتين بنهر
وكان له ثمر قراء ابو جعفر وشيبه وعاصم ويعقوب وابن ابي اسحاق ثمر بفتح الثاء والميم وكذلك
قوله واحيط بثمره جمع ثمرة قال الجوهري الثمرة واحدة الثمر والثمرات وجمع الثمر ثمار مثل جبل وجبال
قال الفرا وجمع الثمار ثمر مثل كتاب وكتب وجمع الثمر اثمار مثل اعناق وعنق والثمر ايضا المال
المثمر يخفف ويثقل وقراء ابو عمرو وكان له ثمر بضم الثاء واسكان الميم وفسره انواع المال الباقون
بفتحها جميعا في الحرفين قال ابن عباس ذهب وفضة واموال وقد مضى في الانعام نحو هذا مبينا وذكر
النحاس حدثنا احمد بن شعيب قال اخبرني عمران بن بكار قال حدثنا ابرهيم ابن العلا الزبيدي قال حدثنا

هرون قال حدثني ابان بن تغلب عن الاعمش ان الحجاج قال لو سمعت احدًا يقراء وكان لم ثمر لقطعت لسانه
نقلت للاعمش أتاخذ بذلك قال لا ولا نعمة عين وكان يقراء ثمر وياخذه من جمع الثمر قال النحاس فالتقدير
على هذا القول انه جمع ثمرة على ثمار ثم جمع ثمارا على ثمر وهو حسن في العربية الا ان القول الاول اشبه
والله اعلم لان قوله كلتا الجنتين آتت اكلها يدل على ان له ثمرا قوله تعالى قَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا يحاوره اى يراجعه في الكلام ويجاوبه والمحاورة المجاوبة و
التحاور التجاوب ويقال كلمته فما احار الي جوابا انا اكثر منك مالا واعز نفرا النفر الرهط ما دون
عشرة واراد ههنا الاتباع والخدم والولد حسبما تقدم بيانه قوله تعالى وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ
ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ
إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قيل اخذ بيد اخيه المؤمن يطيف به فيها ويريه اياها وهو
ظالم لنفسه اى بكفره وهو جملة في موضع الحال ومن ادخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه قال
ما اظن ان تبيد هذه ابدا انكر فناء الدنيا وما اظن الساعة قائمة اى لا احسب البعث كائنا ولئن
رددت الى ربي اى وان كان بعث فكما اعطاني هذه النعم في الدنيا فسيعطيني افضل منه لكرامتي
عليه وهو معنى قوله لاجدن خيرا منها منقلبا وانما قال ذلك لما دعاه اخوه الى الايمان بالحشر والنشر
وفي مصاحف مكة والمدينة والشام منهما وفي مصاحف اهل البصرة والكوفة منها على التوحيد والتثنية
اولى لان الضمير اقرب الى الجنتين قوله تعالى قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا يعني يهوذا
او تمليخا على الخلاف في اسمه اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وعظه وبين له ان ما
اعترف به من هذه الاشياء التي لا ينكرها احد ابدع من الاعادة وسواك اى جعلك معتدل الخلق والقامة
صحيح الاعضاء ذكرا لكن هو الله ربي كذا قراه ابو عبد الرحمن السلمي وابو العالية وروى عن الكسائي
لكن هو الله ربي بمعنى لكن الامر هو الله ربي فاضمر اسمها فيها وقراء الباقون لكنا باثبات الالف قال
الكسائي فيه تقديم وتاخير تقديره لكن الله هو ربي انا فحذفت الهمزة من انا طلبا للخفة لكثرة استعمالها
وادغمت احدى النونين في الاخرى وحذفت الف انا في الوصل واثبتت في الوقف وقال النحاس مذهب
الكسائي والفراء والمازني ان الاصل لكن انا فالقيت حركة الهمزة على نون لكن وحذفت الهمزة و
ادغمت النون في النون فالوقف عليها لكنا وهي الف انا لبيان الحركة وقال ابو عبيد الاصل لكن انا فحذفت
الالف والتقت نونان فجاء بالتشديد لذلك وانشد في الكسائي

لهنك من عبسية لوسيمة ... على هنوات كاذب من يقولها

اراد لله انك لوسيمة فاسقط احدى اللامين من لله وحذفت الالف من انك وقال آخر
فترميني بالطرف اى انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اى لكن انا
فحذفت الهمزة على الاصل ويرميني بالطرف اى انت مذنب وتقليني لكن اياه لا اقلي اى لكن انا قال ابو حاتم
ورووا عن عاصم لكنا هو الله ربي وزعم ان هذا لحن يعني اثبات الالف في الادراج قال الزجاج اثبات
الالف في لكنا هو الله ربي في الادراج جيد لانه قد حذفت الالف من انا فجاؤا بها عوضا قال وفي قراءة
ابي لكن انا هو الله ربي وقراء ابن عامر والمسيبي عن نافع ورويس عن يعقوب لكنا في حال الوصل

والوقف معا باثبات الالف قال الشاعر

انا سيف العشيرة فاعرفوني ... حميدا قد تذريت السناما

قال الاعشى

فكيف انا وانتحالي القوافي ... بعد المشيب كفى ذاك عارا

ولا خلاف في اثباتها في الوقف هو الله ربي هو ضمير القصة والشان والامر كقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
وقوله قل هو الله احد ولا اشرك بربي احدا دل مفهومه على ان الاخ الاخر كان مشركا بالله يعبد غيره
ويحتمل انه اراد لا ارى الغنى والفقر الا منه واعلم انه لو اراد ان يسلب صاحب الدنيا دنياه قدر عليه
وهو الذي اتاني الفقر ويحتمل انه اراد جحودك البعث مصيرك الى ان الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه
وهو تعجيز الرب سبحانه وتعالى ومن عجزه سبحانه شبهه بخلقه فهو اشراك قوله تعالى وَلَوْلَا إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فيه مسئلتان الاولى قوله
ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله اى بالقلب وهو توبيخ ووصية من المؤمن
للكافر ورد عليه اذ قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما في موضع رفع تقديره هذه الجنة هي ما شاء الله
وقال الزجاج والفراء الامر ما شاء الله او هو ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون لا قوة الا بالله اى ما اجتمع
لك من المال فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك ولو شاء لنزع البركة عنه فلم يجتمع الثانية
قال اشهب قال مالك ينبغي لكل من دخل منزله ان يقول هذا وقال ابن وهب قال لي حفص بن ميسرة
رايت على باب وهب بن منبه مكتوبا ما شاء الله لا قوة الا بالله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لابي هريرة الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله اذا قالها
العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم اخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي موسى وفيه
فقال يا ابا موسى او يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة وفي رواية على كلمة من كنز الجنة فقلت
ما هي يا رسول الله فقال لا حول ولا قوة الا بالله وعنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ادلك على كلمة من كنوز الجنة او قال كنز من كنوز الجنة قلت بلى فقال لا حول ولا قوة الا بالله وروي
اذا دخل منزله او خرج منه فقال بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله تنافرت عنه الشياطين من
بين يديه وانزل الله عليه البركات وقالت عايشة اذا خرج الرجل من منزله فقال بسم الله قال
الملك هديت واذا قال ما شاء الله قال الملك كفيت واذا قال لا قوة الا بالله قال الملك وقيت خرجه
الترمذي من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعني اذا خرج
من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله يقال له كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان
هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه الا من هذا الوجه خرجه ابو داود ايضا وزاد يقال له هديت
وكفيت ووقيت واخرجه ابن ماجة من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
خرج الرجل من باب بيته او باب داره كان معه ملكان موكلان به فاذا قال بسم الله قالا
هديت فاذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قالا وقيت فاذا قال توكلت على الله قالا كفيت قال فيلقاه
قريناه فيقولان ماذا تريدان من رجل قد هدي ووقي وكفي وقال الحاكم ابو عبد الله في علوم الحديث
سئل محمد بن اسحاق بن خزيمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت هذه
يعني الجنة يدخلني الضعفاء فقيل من الضعيف قال الذي يبرئ نفسه من الحول والقوة يعني

بعد الساطر واقع
في نسخة الاصل

في اليوم عشرين مرة او خمسين مرة وقال انس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئاً
فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره عين وقد قال قوم ما من احد قال ما شاء الله
كان فاصابه شيء الا رضي به وروي انه من قال اربعا أمن من اربع من قال اهده أمن من
ومن قال حسبنا الله ونعم الوكيل أمن من كيد الناس ومن قال وافوض امري الى الله أمن من
مكر الناس ومن قال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين أمن من الغم قوله تعالى إن ترنِ
أنا أقلَّ منكَ مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتينِ خيراً من جنتكَ ويرسلَ عليها حسباناً
من السماءِ فتصبحَ صعيداً زلقاً أو يصبحَ ماؤها غوراً فلن تستطيعَ له طلباً ان شرط ترن
مجزوم به والجواب فعسى ربي وانا فاصلة لها لا موضع لها من الاعراب ويجوز ان يكون في موضع نصب
توكيداً للنون والياء وقرأ عيسى بن عمران ترن انا اقل منك بالرفع جعل انا مبتداء واقل خبره
والجملة في موضع المفعول الثاني والمفعول الاول النون والياء الا ان الياء حذفت لان الكسرة تدل
عليها واثباتها جيد بالغ وهو الاصل لانها الاسم على الحقيقة وفعسى بمعنى لعل اى فلعل ربي ان يؤتين
خيراً من جنتك اي في الآخرة وقيل في الدنيا ويرسل عليها اى على جنتك حسباناً من السماء واحدها
حسبانة قاله الاخفش والقتبي وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي والحسبانة السحابة والحسبانة البردة
والحسبانة الصاعقة وقال الجوهري الحسبان بالضم العذاب وقال ابو زياد الكلابي اصاب الارض
حسبان اى جراد والحسبان ايضا الحساب قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقد فسر الحسبان
هنا بهذا قال الزجاج الحسبان من الحساب اى يرسل عليها عذاب الحساب وهو حساب ما كسبت
يداك فهو من باب حذف المضاف والحسبان ايضا سهام قصار نرمى بها في طلق واحد وكان من رمى
الاكاسرة والمرامي من السماء عذاب فتصبح صعيداً زلقاً او يصبح ماؤها غوراً فلن اي ارضا بيضا لا
ينبت فيها انبات ولا يثبت عليها قدم وهي ارض بعد ان كانت جنة انفع ارض فزلقا تاكيد لوصف
الصعيد اى تزل عنها الاقدام لملاستها يقال مكان زلق بالتحريك اى دحض وهو في الاصل مصدر قولك
زلقت رجله تزلق زلقا وازلقها غيره والزلق ايضا عجز الدابة قال رؤبة
كانها حقبا بلقاء الزلق والمزلقة والمزلقة الموضع الذى لا يثبت عليه قدم وكذلك الزلاقة والزلق
ايضا الحلق زلق راسه يزلقه زلقا حلقه قاله الجوهري والزلق المحلوق كالنقص والنقص وليس المراد
انها تصير مزلقة بل المراد به انه لا يبقى فيها نبات كالراس اذا حلق لا يبقى عليه شعر قاله القشيري او تصبح ماؤها
غوراً اي غائراً ذاهبا فيكون اعدم ارض للماء بعد ان كان اوجد ارض للماء والغور مصدر وضع موضع
الاسم كما يقال رجل صوم وفطر وعدل ورضى وفضل وزور ونساء نوح ويستوى فيه المذكر والمؤنث
والتثنية والجمع قال عمرو بن كلثوم تظل جياده نوحا عليه مقلده اعنتها صفونا وقال آخر
هريقي من دموعهما سجاما ضباع وجاوبي نوحا قياما اي نائحات وقيل
اى يصبح ماؤها ذا غور فحذف المضاف مثل واسئل القرية ذكره النحاس وقال الكسائي مياه غور
وقد غار الماء يغور غوراً وغؤوراً دخلت في الرأس اي سفلت في الارض ويجوز الهمزة لانضمام
الواو وغارت عينه تغور غوراً وغؤوراً وغارت تغار لغة فيه وقال

اغارت عينه ام لم تغارا وغارت الشمس تغور غياراً
اى غربت وقال ابو ذويب هل الدهر الا ليلة ونهارها والا طلوع الشمس ثم غيارها
فلن تستطيع له طلبا اى لن تستطيع رد الماء الغائر ولا يقدر عليه بحيلة وقيل فلن تستطيع طلب
غيره بدلا منه والى هذا الحد انتهت مناظرة اخيه وانذاره قوله تعالى وأحيطَ بثمرهِ فأصبحَ يقلّبُ
كفيهِ على ما أنفقَ فيها وهي خاويةٌ على عروشها ويقولُ يا ليتني لم أشركْ بربي أحداً واحيط
اسم ما لم يسم فاعله مضمر وهو المصدر ويجوز ان يكون المخفوض في موضع رفع ومعنى احيط بثمره
اى اهلك ماله كله وهذا اول ما حقق الله تعالى به انذار اخيه فاصبح يقلب كفيه اى فاصبح الكافر يضرب
احدى يديه على الاخرى ندما لان هذا يصدر من النادم وقيل يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما
انفق وهذا لان الملك قد يعبر عنه باليد من قولهم في يده مال اى في ملكه مال ودل قوله فاصبح على ان
هذا الاهلاك جرى بالليل كقوله فطاف عليها طايف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم ويقال
انفقت في هذه الدار كذا وانفقت عليها وهي خاوية على عروشها اى خالية قد سقط بعضها على
بعض ماخوذ من خوت النجوم تخوي خيا امحلت وذلك اذا سقطت ولم يمطر في نوءها واخوت مثله
وخوت الدار خواء ممدود اقوت وكذلك اذا سقطت ومنه قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا
ويقال ساقطة كما يقال فهي خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها فجمع عليه بين هلاك الثمر
والاصل وهذا من اعظم الجوائح مقابلة على بغيه ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا اى يا ليتني عرفت
نعم الله علي وعرفت انها كانت بقدرة الله ولم اكفر به وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم قوله تعالى
ولم تكن له فئةٌ ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً فئة اسم تكن وله الخبر
ينصرونه في موضع الصفة اى فئة ناصرة ويجوز ان يكون ينصرونه الخبر والوجه الاول عند سيبويه
اولى لانه قد تقدم له وابو العباس يخالفه ويحتج بقول الله عز وجل ولم يكن له كفواً احد وقد اجاز
سيبويه الاخر وينصرونه على معنى فئة لان معناها اقوام ولو كان على اللفظ لقال ولم تكن له فئة
تنصره اى فرقة وجماعة تلتجي اليهم وما كان منتصراً اى ممتنعا قاله قتادة وقيل مستردا بدل ما
ذهب منه وقد تقدم اشتقاق الفئة في آل عمران والهاء عوض من الياء التى نقصت من وسطه
اصله فيئ مثال فيع لانه من فاء ويجمع على فئون وفئات مثل شيات ولدات وهبات اى لم تكن
له عشيرة يمنعونه من عذاب الله وضل عنه من افتخر بهم من الخدم والولد قوله تعالى هنالك الولايةُ
للهِ الحقِّ هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقباً واضربْ لهم مثلَ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماءِ
فاختلطَ بهِ نباتُ الأرضِ فأصبحَ هشيماً تذروهُ الرياحُ وكانَ اللهُ على كلِّ شيءٍ مقتدراً
اختلف في العامل في قوله هنالك وهو ظرف فقيل العامل فيه ولم تكن له فئة ولا كان هنالك
اي ما نصر ولا انتصر هنالك اى لما اصابه من العذاب وقيل تم الكلام عند قوله منتصرا والعامل في
قوله هنالك الولاية وتقديره على التقديم والتاخير الولاية لله الحق هنالك اي في القيامة وقرأ
ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع نعتا للولاية وقرأ اهل المدينة وحمزة الحق بالخفض نعتا لله عز وجل
والتقدير لله ذى الحق قال الزجاج ويجوز الحق بالنصب على المصدر والتوكيد كما تقول هذا لك حقا

وقراء الاعمش وحمزة والكسائي الولاية بكسر الواو والباقون بفتحها وهما بمعنى واحد كالرضاعة والرضاعة
وقيل الولاية بالفتح من الموالاة كقوله الله ولي الذين آمنوا ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وبالكسر
يعني السلطان والقدرة والامارة كقوله والامر يومئذ لله اي له الملك والحكم يومئذ اي لا يرد حكمه
الى احد والملك في كل وقت لله ولكن يزول الدعاوي والتوهمات يوم القيامة وقال ابو عبيدة انها
بفتح الواو للخالق وبكسرها للمخلوق وهو خير ثوابا اي الله خير ثوابا في الدنيا والاخرة لمن آمن به وليس
ثم غير يرجا منه ولكنه اراد في ظن الجهال اي هو خير من يرجا وخير عقبا قراء عاصم والاعمش وحمزة
ويحيى عقبا ساكنة القاف الباقون بضمها وهما بمعنى واحد اي هو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به يقال
هذا عاقبة امر فلان وعقباه وعقبه وعقبه اي آخره قوله تعالى واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا
اي صف لهولاء المتكبرين الذين سالوك طرد فقراء المومنين مثل الحياة الدنيا اي شبهها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض حتى استوى وقيل المعنى ان النبات اختلط بعضه ببعض حتى نزل
عليه الماء لان النبات انما يختلط ويكثر بالمطر وقد تقدم هذا المعنى في يونس مبينا وقالت الحكماء
انما شبه الله الدنيا بالماء لان الماء لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على واحد ولان الماء لا يستقيم
على حالة واحدة كذلك الدنيا ولان الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى ولان الماء لا يقدر احد ان يدخله
ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم احد دخلها من فتنتها وآفتها ولان الماء اذا كان بقدر كان نافعا منبتا واذا
جاوز المقدار كان ضارا مهلكا وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها تضر وفي حديث النبي صلى الله
عليه وسلم قال له رجل يا رسول الله اني اريد ان اكون من الفائزين قال ذر الدنيا وخذ منها كالماء الراكد
قال القليل منها يكفي والكثير منها يطغي وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من اسلم ورزق
كفافا وقنعه الله بما اتاه فاصبح اي النبات هشيما اي متكسرا من اليبس متفتتا يعني بانقطاع الماء عنه
فحذف ذلك ايجازا لدلالة الكلام عليه والهشم كسر الشيء اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر
والشجرة البالية ياخذها الحاطب كيف يشاء ومنه قولهم ما فلان الا هشيمة كرم اذا كان سمحا ورجل
هشيم ضعيف البدن ويهشم عليه فلان اذا تعطف واهتشم ما في ضرع الناقة اذا احتلبه ويقال هشم
الثريد ومنه سمي هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو وفيه يقول عبد الله بن الزبعرى

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ۝ ورجال مكة مسنتون عجاف

وكان سبب ذلك ان قريشا اصابتهم سنوات ذهبن بالاموال فخرج هاشم الى الشام فامر بخبز كثير
فخبز له فحمله في الغرائر على الابل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده ونحر تلك الابل ثم
امر الطهاة فطبخوا ثم كفاه القدور على الجفان فاشبع اهل مكة فكان ذلك اول الحيا بعد السنة التي اصابتهم
فسمي بذلك هاشما تذروه الرياح اي تفرقه قاله ابو عبيدة وقال ابن قتيبة تنسفه ابن كيسان
تذهب به وتجيء ابن عباس تديره والمعنى متقارب وقراء طلحة ابن مصرف تذريه الرياح قال
الكسائي وفي قراءة عبد الله تذريه يقال ذرته الريح تذروه وتذريه ذروا وذريا واذرته تذريه اذراء
اذا طارت به وحكى الفراء اذريت الرجل عن فرسه اي قلبته وانشد سيبويه والفراء

فقلت له صوب ولا تجهدنه ۝ فيذرك من اخرى القطاة فتزلق

قوله تعالى وكان الله على كل شيء مقتدرا من الانشاء والافناء سبحانه قوله تعالى المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا ويجوز زينتا وهو خبر الابتداء في التثنية والافراد وانما كان المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعا فصارا زينة الحيوة الدنيا لكن
معه قرينة الصفة للمال والبنين لان المعنى المال والبنون زينة هذه الحيوة المحقرة فلا تتبعوها
نفوسكم وهو رد على عيينة بن حصن واشباهه لما افتخروا بالغنى والشرف فاخبر تعالى ان ما كان من
زينة الحيوة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى كالهشيم حين ذرته الريح وانما يبقى ما كان من زاد القبر وعدد
الاخرة وكان يقال لا تعقد قلبك مع المال لانه فيء ذاهب ولا مع النساء لانها اليوم معك وغدا مع
غيرك ولا مع السلطان لانه اليوم لك وغدا لغيرك ويكفي هذا قول الله تعالى انما اموالكم واولادكم
فتنة وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قوله تعالى والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا اي ما ياتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الطاعات
خير عند ربك ثوابا اي افضل وخير املا اي افضل املا من ذي المال والبنين دون عمل صالح
وليس في زينة الدنيا خير ولكنه خرج مخرج قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل خير في التحقيق
مما يظنه الجهال انه خير في ظنهم واختلف العلماء في الباقيات الصالحات فقال ابن عباس وابن جبير
وابو ميسرة عمرو بن شرحبيل هي الصلوات الخمس وعن ابن عباس ايضا انها كل عمل صالح من قول
او فعل يبقى للاخرة وقاله ابن زيد ورجحه الطبري وهو الصحيح ان شاء الله لان كل ما يبقى ثوابه جاز ان
يقال له هذا وقال علي رضي الله عنه الحرث حرثان فحرث الدنيا المال والبنون وحرث الاخرة الباقيات
الصالحات وقد يجمعهن الله لاقوام وقال الجمهور هي الكلمات المأثور فضلها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله خرجه مالك في موطاه عن عمارة بن صياد عن سعيد بن المسيب
انه سمعه يقول في الباقيات الصالحات انها قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله و
لا حول ولا قوة الا بالله اسنده النسائي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال الملة قيل يا رسول الله
وما هي قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله صححه ابو محمد عبد الحق رحمه
الله وروى قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ غصنا فخرطه حتى سقط ورقه وقال ان المسلم
اذا قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر تحاتت خطاياه كما تحات هذا خذهن اليك ابا
الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن فانهن من كنوز الجنة وصفايا الكلام وهن الباقيات الصالحات
ذكره الثعلبي وخرجه ابن ماجة بمعناه من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فانهن يعني يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها
واخرجه الترمذي من حديث الاعمش عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشجرة يابسة
الورق فضربها بعصاه فتناثر الورق فقال ان الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ليساقط
من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة فقال هذا حديث غريب ولا نعرف للاعمش سماعا
من انس الا انه قد راه ونظر اليه وخرج الترمذي ايضا عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لقيت ابرهيم عليه السلام ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرا امتك مني السلام واخبرهم
ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانه قيعان وان غرسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر قال حديث حسن غريب خرجه الماوردي بمعناه وفيه فقلت وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة
الا بالله وخرج ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال
يا ابا هريرة ما الذي تغرس قال غراسا قال الا ادلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة وقد قيل ان الباقيات الصالحات هي النيات
والهمات لان بها تقبل الاعمال وترفع قال الحسن وقال عبيد بن عمير هن البنات يدل عليه اوايل
الاية المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ثم قال والباقيات الصالحات يعني البنات الصالحات هن
عند الله لاباءهن خير ثوابا وخير املا في الاخرة لمن احسن اليهن يدل عليه ما روته عايشة قالت
دخلت على امراة مسكينة الحديث وقد ذكرناه في سورة النحل في قوله يتوارى من القوم من سوء ما بشر به
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد رايت رجلا من امتي امر به الى النار فتعلق به بناته
وجعلن يصرخن ويقلن رب انه كان يحسن الينا في الدنيا فرحمه الله بهن وقال قتادة في قوله دعاه
تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما قال ابدلهما منه ابنة فتزوجها نبي فولدت
له اثنا عشر غلاما كلهم انبياء قوله تعالى وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ
فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا قال بعض النحويين التقدير والباقيات الصالحات خير عند ربك
يوم نسير الجبال قال النحاس وهذا غلط من اجل الواو وقيل المعنى واذكر يوم نسير الجبال اي نزيلها من اماكنها
من على وجه الارض ونسيرها كما نسير السحاب كما قال في اية اخرى وهي تمر مر السحاب ثم تكسر فتعود
الى الارض كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وقرا ابن كثير والحسن وابو عمرو وابن
عامر ويوم تسير بتاء مضمومة وفتح الياء والجبال رفعا على الفعل المجهول وقرا ابن محيصن ومجاهد ويوم
تسير بفتح التاء مخففا من سار الجبال رفعا دليل قراءة ابي عمرو واذا الجبال سيرت ودليل قراءة ابن محيصن
وتسير الجبال سيرا واختار ابو عبيد القراءة الاولى نسير بالنون لقوله وحشرناهم ومعنى بارزة
ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان اي قد اجتثت ثمارها وقلعت جبالها وهدم
بنيانها فهي بارزة ظاهرة وقيل على هذا القول اهل التفسير وقيل وترى الارض بارزة اي برز ما فيها
من الكنوز والاموات كما قال والقت ما فيها وتخلت وقال واخرجت الارض اثقالها وهذا قول
عطاء وحشرناهم اي الى الموقف فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك يقال غادرت كذا اي تركته قال عنترة

غادرته متعفرا اوصاله ° والقوم بين مجرح ومجدل °

اي تركته والمغادرة الترك ومنه الغدر لانه ترك الوفاء قالوا وانما سمي الغدير من الماء غديرا لان الماء
ذهب وتركه ومنه غدائر المراة لانها تجعلها خلفها يقول حشرناهم برهم وفاجرهم جنهم وانسهم قوله تعالى
وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ
مَوْعِدًا ° صفا نصب على الحال قال مقاتل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف في الصلاة كل امة
وزمرة صفا لا انهم صف واحد وقيل جميعا كقوله ثم ائتوا صفا اي جميعا وقيل قياما وخرج الحافظ

ابو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع يا عبادي انا الله لا اله الا انا
ارحم الراحمين واحكم الحاكمين واسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
احضروا حجتكم ويسروا جوابا فانكم مسئولون محاسبون يا ملايكتي اقيموا عبادي صفوفا على اطراف
انامل اقدامهم للحساب قال المولف رحمه الله هذا الحديث غاية في البيان في تفسير الاية ولم يذكره
كثير من المفسرين وقد كتبناه في كتاب التذكرة ومنه نقلناه والحمد لله لقد جئتمونا كما خلقناكم
اول مرة اي يقال لهم لقد جئتمونا حفاة عراة لا مال معكم ولا ولدا وقيل فرادى دليله قوله ولقد
جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقد تقدم وقال الزجاج اي بعثناكم كما خلقناكم بل زعمتم هذا
خطاب لمنكري البعث اي زعمتم في الدنيا ان لن تبعثوا وان لن نجعل لكم موعدا للبعث وفي صحيح
مسلم عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة
عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال يا عايشة الامر اشد من ان
ينظر بعضهم الى بعض غرلا اي غير مختونين وقد تقدم في الانعام بيانه قوله تعالى وَوُضِعَ الْكِتَابُ
فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ° الكتاب
اسم جنس وفيه وجهان احدهما انها كتب الاعمال في ايدي العباد قاله مقاتل الثاني انه وضع الحساب
قاله الكلبي فعبر عن الحساب بالكتاب لانهم يحاسبون على اعمالهم المكتوبة والقول الاول اظهر ذكر ابن المبارك
قال اخبرنا الحكم او ابو الحكم شك نعيم عن اسماعيل بن عبد الرحمن عن رجل من بني اسد قال قال عمر لكعب
ويحك يا كعب حدثنا من حديث الاخرة قال نعم يا امير المؤمنين اذا كان يوم القيمة رفع اللوح المحفوظ
فلم يبق احد من الخلايق الا وهو ينظر الى عمله قال ثم يؤتى بالصحف التي فيها اعمال العباد فتنثر حول
العرش فذلك قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الاسدي الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك
الا احصاها قال كعب ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه فاذا حسناته بارزات للناس وهو
يقرا سيئاته لكيلا يقول كانت لي حسنات فلم تذكر فاحب الله ان يريه عمله كله حتى اذا استنقص ما في
الكتاب وجد في اخر ذلك كله انه مغفور وانك من اهل الجنة فعند ذلك يقبل الى اصحابه ثم يقول هاؤم
اقرءوا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه ثم يدعى الكافر فيعطى كتابه بشماله ثم يلف فيجعل من وراء
ظهره ويلوى عنقه فلذلك قوله واما من اوتي كتابه وراء ظهره فينظر في كتابه فسيئاته بارزات للناس وينظر
في حسناته لئلا يقول افاثاب على السيات وكان الفضيل بن عياض اذا قرا هذه الاية يقول يا ويلتاه
ضجوا الى الله من الصغاير قبل الكباير قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك يعني ما كان من
ذلك في معصية الله ذكره الثعلبي وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الصغيرة الضحك قال المولف رحمه الله
فيحتمل ان يكون صغيرة اذا لم يكن في معصية فان الضحك من المعصية رضى بها والرضى بالمعصية معصية
وعلى هذا يكون كبيرة فيكون وجه الجمع هذا والله اعلم او يحمل الضحك فيما ذكر الماوردي على التبسم وقد

قال تعالى فتبسم ضاحكا من قولها وقال سعيد بن جبير ان الصغاير اللمم كالمس والقبلة والكبيرة المواقعة والزنا
وقد مضى في النساء بيان هذا قال قتادة اشتكى القوم الاحصا وما اشتكى احد ظلما فاياكم ومحقرات الذنوب
فانها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه وقد مضى ومعنى احصاها عدها واحاط بها واضيف الاحصا الى
الكتاب توسعا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا اي لا ياخذ احدا بجرم احد ولا ياخذه بما لم
يعمله قاله الضحاك وقيل لا ينقص طايعا من ثوابه ولا يزيد عاصيا في عقابه قوله تعالى وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ اوليآء ص
دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ه تقدم في البقرة هذا مستوفى قال ابو جعفر النحاس
وفي هذه الآية سوال يقال ما معنى ففسق عن امر ربه ففي هذا قولان احدهما وهو مذهب الخليل وسيبويه
ان المعنى اتاه الفسق لما امر فعصى فكان سبب الفسق امر ربه كما تقول اطعمته عن جوع والقول الاخر وهو
مذهب محمد بن قطرب ان معنى ففسق عن رد امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقف عز وجل
الكفرة على جهة التوبيخ بقوله افتتخذونه يا بني آدم وذريته اولياء وهم لكم عدو اي اعداء فهو اسم جنس بئس
للظالمين بدلا اي بئس عبادة الشيطان بدلا عن عبادة الله او بئس ابليس بدلا عن الله واختلف هل لابليس
ذرية من صلبه فقال الشعبي سالني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت
قوله افتتخذونه وذريته فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس ادخل فرجه
في فرج نفسه فباض خمس بيضات فهذا اصل ذريته وقيل ان الله خلق له في فخذه اليمنى ذكرا وفي اليسرى
فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعين شيطانا وشيطانة فهو
يخرج وهو يطير واعظمهم عند ابيهم منزلة اعظمهم في بني آدم فتنة وقال قوم ليس له اولاد ولا ذرية وذريته
اعوانه من الشياطين قال القشيري ابو نصر والجملة ان الله تعالى اخبر ان لابليس اتباعا وذرية وانهم يوسوسون
الى بني آدم وهم اعداوهم ولا يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية عن ابليس فيتوقف الامر
فيه على نقل صحيح قال المولف رحمه الله الذي يثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي في
الجمع بين الصحيحين عن الامام ابي بكر البرقاني انه خرج في كتابه مسندا عن ابي محمد عبد الغني بن سعيد
الحافظ من رواية عاصم عن ابي عثمان عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن اول من يدخل
السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ وهذا يدل على ان للشيطان ذرية من صلبه والله
اعلم قال ابن عطية وقوله وذريته ظاهر اللفظ يقتضي الموسوسين من الشيطان الذين ياتون بالمنكر و
يحملون على الباطل وذكر الطبري وغيره ان مجاهدا قال ذرية ابليس الشيطان وكان يعدهم زلنبور صاحب
الاسواق يضع رايته في كل سوق بين السماء والارض يجعل تلك الراية على حانوت اول من يفتح وآخر من
يغلق وثبر صاحب المصايب يامر بضرب الوجوه وشق الجيوب والدعا بالويل والحرب والاعور
صاحب ابواب الزنا ومسوط صاحب الاخبار ياتي بها فيلقيها في افواه الناس ولا يجدون لها اصلا وداسم
الذي اذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع وما لا يحسن موضعه واذا اكل
ولم يذكر اسم الله اكل معه قال الاعمش اني ربما دخلت البيت فلم اذكر الله ولم اسلم فرايت مطهرة فقلت
ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم اذكر فاقول داسم داسم اعوذ بالله منه زاد الثعلبي وغيره عن مجاهد والابيض

او هو الذي يوسوس للانبياء وصخر وهو الذي اختلس خاتم سليمان عليه السلام والولهان وهو صاحب
الطهارة والاقيس وهو صاحب الصلاة ~~والاقيس وهو صاحب الصلاة~~ يوسوس فيها ومرة صاحب
المزامير وبه يكنى والهفاف يكون بالصحاري يضل الناس ويتيههم ومنهم الغيلان وحكى ابو مطيع
مكحول بن الفضل النسفي في كتاب اللولويات عن مجاهد ان الهفاف هو صاحب الشراب ولقوس صاحب
التحريش والاعور صاحب ابواب السلطان قال وقال الداراني ان لابليس شيطانا يقال له
المتقاضي يتقاضى ابن آدم فيخبر بعمل كان عمله في السر منذ عشرين سنة فيحدث به في العلانية قال ابن عطية
وهذا وما جانسه مما لم يات به سند صحيح وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد
عن الصحة ولم يمر بي في هذا صحيح الا ما في كتاب مسلم من ان للصلاة شيطانا يسمى خنزب وذكر
الترمذي ان للوضوء شيطانا يسمى الولهان قال المولف اما ما ذكر من التعيين في الاسم فصحيح واما ان
له اتباعا واعوانا وجنودا فمقطوع به وقد ذكرنا الحديث الصحيح في ان له اولادا من صلبه كما قال مجاهد
وغيره وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال ان الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فياتي القوم
فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا اعرف وجهه ولا ادري ما اسمه
يحدث وفي مسند البزار عن سلمان الفارسي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونن ان استطعت
اول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فانها معركة الشيطان وبها ينصب رايته وفي مسند احمد بن
حنبل قال اخبرنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السايب عن ابي عبد الرحمن السلمي
عن ابي موسى الاشعري قال اذا اصبح ابليس بث جنوده فيقول من اضل مسلما البسته التاج قال
قال فيقول له القايل لم ازل بفلان حتى طلق امراته قال يوشك ان يتزوج ويقول آخر لم ازل
بفلان حتى عق قال يوشك ان يبر قال ويقول القايل لم ازل بفلان حتى شرب الخمر قال انت قال
ويقول لم ازل بفلان حتى زنا قال انت قال ويقول لم ازل بفلان حتى قتل فيقول انت انت وفي صحيح
مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم
منه منزلة اعظمهم فتنة يجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيا قال ويجي احدهم فيقول
ما تركته حتى فرقت بينه وبين اهله قال فيدنيه او قال فيلتزمه ويقول نعم انت وقد تقدم وسمعت
شيخنا الامام ابا محمد عبد المعطي بثغر الاسكندرية يقول ان شيطانا يقال له البيضاوي يتمثل للفقرا
المتواصلين بالصيام فاذا استحكم منهم الجوع واضر بادمغتهم يكشف لهم عن ضيا ونور حتى يملا عليهم
البيوت فيظنون انهم قد وصلوا وان ذلك من الله وليس كما ظنوا قوله تعالى مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ه ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم قيل الضمير عايد على ابليس وذريته اي لم اشاورهم في خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم بل خلقتهم على ما اردت وقيل ما اشهدت ابليس وذريته خلق السموات و
الارض ولا خلق انفسهم اي انفس المشركين فكيف اتخذتموهم اولياء من دوني وقيل الكناية في قوله
ما اشهدتهم ترجع الى المشركين والى الناس بالجملة فتتضمن الآية الرد على طوايف من المنجمين واهل الطبايع
والمتحكمين من الاطبا وسواهم وكل من يتخرص في هذه الاشيا قال ابن عطية وسمعت ابي رضي الله عنه

يقول قال سمعت الفقيه اباعبدالله محمدبن معاذ المهدوي بالمهدية يقول سمعت عبدالحق الصقلي يقول
هذا القول ويتاول هذا التاويل في هذه الاية وانها زادة على هذه الطوايف وذكر هذا بعض الاصوليين
قال ابن عطية ويقول ان الغرض المقصود اولا بالاية هم ابليس وذريته وبهذا الوجه يتجه الرد على
الطوايف المذكورة وعلى الكهان والعرب المعظمين للجن حتى يقولون اعوذ بعزيز هذا الوادي اذ الجميع
من هذه الفرق متعلقون بابليس وذريته وهم اصل الجميع فهم المراد الاول بالمضلين ويندرج هذه
الطوايف في معناهم قال الثعلبي وقال بعض اهل العلم ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
رد على المنجمين ان قالوا الافلاك تحدث في الارض وفي بعضها في بعض وقوله والارض رد على اصحاب
الهندسة حيث قالوا ان الارض كرية والافلاك تجري تحتها والناس ملصقون عليها وتحتها وقوله ولا خلق
انفسهم رد على الطبايعين حيث زعموا ان الطبايع هي الفاعلة في النفوس وقرا ابوجعفر ما اشهدناهم
بالنون والالف على التعظيم الباقون بالتاء بدليل قوله وماكنت متخذ المضلين يعني ما استعنت على
خلق السموات والارض ولا شاورتهم وماكنت متخذ المضلين يعني الشياطين وقيل الكفار عضدا اى
اعوانا يقال اعتضدت بفلان اذا استعنت به وتقويت والاصل فيه عضد اليد ثم يوضع موضع العون
لان اليد قوامها العضد يقال عضده وعاضده على كذا اذا اعانه واعزه ومنه قوله تعالى سنشد عضدك
باخيك اى سنعينك باخيك ولفظ العضد على جهة المثل الله سبحانه لا يحتاج الى عون احد وخص
المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ وقرا ابوجعفر الجحدري وماكنت بفتح التاء اى وماكنت يا محمد
متخذ المضلين عضدا وفي عضد ثمانية اوجه عضدا بفتح العين وضم الضاد وهي قراة الجمهور
وهي افصحها وعضد بفتح العين واسكان الضاد وهي لغة بني تميم وعضد بضم الضاد والعين وهي قراة
ابي عمرو والحسن وعضد بضم العين واسكان الضاد وهي قراة عكرمة وعضدا بكسر العين وفتح الضاد
وهي قراة الضحاك وعضدا بفتح العين والضاد وهي قراة عيسى بن عمرو وحكى هرون القارى عضدا
واللغة الثامنة عضد على لغة من قال كتف وفخذ قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركاي الذين
زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا اى اذكروا يوم يقول الله نادوا شركاي
اي ادعوا الذين اشركتموهم فليمنعوكم من عذابي وانما يقول ذلك لعبدة الاوثان وقرا حمزه ويحيى
وعيسى بن عمر نقول بنون الباقون بالياء كقوله شركاي ولم يقل شركاينا فدعوهم اى فعلوا ذلك فلم يستجيبوا
لهم اى لم يجيبوهم الى نصرهم ولم يكفوا عنهم شيا وجعلنا بينهم موبقا قال انس بن مالك هو واد في جهنم
من قيح ودم قال ابن عباس اى جعلنا بين المومنين والكفار حاجزا وقيل بين الاوثان وعبدتها نحو
قوله فزيلنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شيء حاجز بين شيين فهو موبق وذكر ابن وهب عن مجاهد في قوله
موبقا قال واد في جهنم يقال له موبق وكذلك قال نوف البكالي الا انه قال يحجز بينهم وبين المومنين وقال
عكرمة هو نهر في جهنم يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فاذا ثارت اليهم لتاخذهم استغاثوا
منها بالاقتحام في النار وروى يزيد بن درهم عن انس بن مالك قال موبقا واد من قيح ودم في جهنم وقال
عطا والضحاك مهلكا في جهنم ومنه يقال اوبقته ذنوبه ايباقا وقال ابوعبيدة موعدا للهلاك وقال
الجوهري وبق يبق وبوقا هلك والموبق مثل الموعد مفعل من وعد يعد ومنه قوله تعالى وجعلنا

متعلقون صح

عليها صح

لهم صح

بينهم

بينهم موبقا وفيه لغة اخرى وبق يوبق وبقا وفيه لغة ثالثة وبق يبق بالكسر فيهما واوبقه اهلكه وقال
زهير ومن يشتري حسن الثنا بماله يصن عرضه عن كل شنعا موبق قال الفرا جعل
تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الاخرة قوله تعالى وراي المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها
ولم يجدوا عنها مصرفا راي اصله راي قلبت الياء الفا لانفتاحها وانفتاح ماقبلها ولهذا
زعم الكوفيون ان راى يكتب بالياء وتابعهم على هذا القول بعض البصريين فاما الحذاق من البصريين
منهم محمد بن يزيد فانهم يكتبونه بالالف قال النحاس سمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول
لايجوز ان يكتب مضى ورمى وكلما كان من ذوات الياء الا بالالف ولا فرق بين ذوات الياء وبين
ذوات الواو في الخط كما انه لا فرق بينهما في اللفظ ولو وجب ان يكتب ذوات الياء بالياء لوجب ان
يكتب ذوات الواو بالواو وهم مع هذا ينا قضون فيكتبون رمى بالياء ورماه بالالف وان كانت العلة
انه من ذوات الياء وجب ان يكتبوا رماه بالياء ثم يكتبون ضحى جمع ضحوة وكسى جمع كسوة وكسوة
وهما من ذوات الواو والياء وهذا ما لا يحصل ولا يثبت على اصل فظنوا انهم مواقعوها وقيل راوها
من مكان بعيد فتوهموا انهم مواقعوها وظنوا انهم ياخذهم في الحال وفي الخبر ان الكافر ليرى جهنم
ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملامسة الشيء بشدة وظنوا انهم ملاقوها
اى مجتمعون فيها واللفو الجمع ولم يجدوا عنها مصرفا اى مهربا لاحاطتها بهم من كل جانب وقال القتبي
معدلا ينصرفون اليه وقيل ملجا ملجون اليه والمعنى واحد وقيل ولم يجدوا الاصنام مصرفا للنار
عن المشركين قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان
اكثر شيء جدلا من كل مثل يحتمل وجهين احدهما ما ذكره لهم من العبر والقرون الخالية
الثاني ما اوضحه لهم من دلايل الربوبية وقد تقدم في سبحان فهو على الوجه الاول زجر وعلى
الثاني بيان وكان الانسان اكثر شيء جدلا اى جدالا ومجادله والمراد به النضر بن الحارث
وجداله في القرآن وقيل الاية في ابي بن خلف وقال الزجاج اى الكافر اكثر شيء جدلا والدليل
على انه اراد الكافر قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوتى بالرجل يوم القيامة من الكفار فيقول الله له يوم القيامة ماذا صنعت فيما ارسلت
اليك فيقول رب امنت بك وصدقت برسلك وعملت بكتابك فيقول الله له هذه صحيفتك ليس فيها شيء من ذلك
فيقول يارب اني لا اقبل ما في هذه الصحيفة فيقال له هذه الملايكة الحفظة يشهدون عليك فيقول
ولا اقبلهم يارب وكيف اقبلهم ولاهم من عندي ولا من جهتي فيقول الله تعالى هذا اللوح المحفوظ ام
الكتاب قد شهد بذلك فيقول يارب الم تجرني من الظلم قال بلى فيقال يارب لا اقبل الا شاهدا علي
من نفسي فيقول له الله تعالى الان نبعث عليك شاهدا من نفسك فيتفكر من ذا الذي يشهد فيختم على فيه
ثم تنطق جوارحه بالشرك ثم يخلى بينه وبين الكلام فيدخل النار وان بعضه ليلعن بعضا يقول
لاعضايه لعنكن الله فعنكن كنت اناضل فيقول اعضاوه لعنك الله افتعلم ان الله تعالى يكتم حديثا
فذلك قول الله تعالى وكان الانسان اكثر شيء جدلا اخرجه مسلم بمعناه من حديث انس ايضا وفي صحيح
مسلم عن علي قوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى الا ان تاتيهم سنة الاولين

والسعو وارتهم

أو يأتيهم العذاب قبلا اي من ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى القرآن والاسلام ومحمد عليه السلام
الا ان يأتيهم سنة الاولين او سنتنا في اهلاكهم اي ما منعهم عن الايمان الا حكمي عليهم بذلك
ولو حكمت عليهم بالايمان امنوا وسنة الاولين عادة الاولين في عذاب الاستيصال وقيل المعنى
وما منع الناس ان يؤمنوا الا طلب ان يأتيهم سنة الاولين معاينة العذاب فطلب المشركون
ذلك وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الاية او يأتيهم العذاب قبلا نصب على الحال ومعناه عيانا
قاله ابن عباس وقال الكلبي هو السيف يوم بدر وقال مقاتل فجاءة وقرا ابو جعفر وعاصم
والاعمش وحمزة ويحيى والكسائي قبلا بضمتين اراد به اصناف العذاب كانه جمع قبيل كسبيل
وسبل قال النحاس ومذهب الفرا ان قبلا جمع قبيل اى متفرقا يتلو بعضه بعضا ويجوز عنده
ان يكون المعنى عيانا وقال الاعرج وكانت قراءته قبلا معناه جميعا وقال ابو عمرو وكانت قراءته
قبلا ومعناه عيانا قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين
كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا مبشرين بالجنة لمن امن
ومنذرين اى مخوفين بالعذاب من كفر وقد تقدم ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق
قيل نزلت في المقتسمين كانوا يجادلون في الرسول فيقولون ساحر ومجنون وشاعر وكاهن كما تقدم
ومعنى يدحضوا يزيلوا ويبطلوا واصل الدحض الزلق يقال دحضت رجله اى زلقت يدحض
دحضا ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت ودحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله والادحاض
الازلاق وفي وصف الصراط ويضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول
الله وما الجسر قال دحض مزلة اى تزلق فيه القدم قال طرفة

ابا منذر رمت الوفا فهبته ○ وحدت كما حاد البعير عن الدحض

واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا من الوعيد هزوا وما بمعنى المصدر اى والانذار وقيل بمعنى
الذى اى اتخذوا القرآن والذي انذروا به من الوعيد هزوا اي لعبا وباطلا وقد تقدم في البقرة
بيانه وقيل هو قول ابي جهل في الزبد والتمر هذا هو الزقوم وقيل هو قولهم في القرآن انه سحر واضغاث
احلام واساطير الاولين وقالوا للرسول هل هذا الا بشر مثلكم ولولا انزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم وماذا اراد الله بهذا مثلا قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اى لا احد اظلم لنفسه ممن وعظ بايات
ربه فتهاون بها واعرض عن قبولها ونسي ما قدمت يداه اي ترك كفره ومعاصيه فلم يتب منها
فالنسيان هنا بمعنى الترك وقيل المعنى نسي ما قدم لنفسه وحصل من العذاب والمعنى متقارب
على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا بسبب كفرهم اى نحن منعنا الايمان من ان يدخل
قلوبهم واسماعهم وان تدعهم الى الهدى الى الايمان فلن يهتدوا اذا ابدا نزل في قوم معينين
وهو يرد على القدرية قولهم وقد تقدم معنى هذه الاية في سبحان وغيرها قوله تعالى وربك الغفور
ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه

انا م

وهما الاولياء واهل الخصوص فلا يحتاجون الى تلك النصوص بل يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم
بما يغلب عليهم من خواطرهم قالوا وذلك لصفاء قلوبهم عن الاكدار وخلوها عن الاغيار فيتجلى لهم
العلوم الالهية والحقايق الربانية فيقفون على اسرار الكاينات ويعلمون احكام الجزئيات فيستغنون
بها عن احكام الشرائع الكليات كما اتفق للخضر فانه استغنى بما تجلى له من العلوم عن ما كان عند
موسى من تلك الفهوم وقد جاء فيما ينقلونه استفت قلبك وان افتاك المفتون قال شيخنا رحمه الله
وهذا القول زندقة وكفر يقتل قايله ولا يستتاب لانه انكار ما علم من الشرايع فان الله قد اجرى
سنته وانفذ حكمته بان احكامه لا تعلم الا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه وهم المبلغون
عنه رسالاته وكلامه المبينون شرايعه واحكامه اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك كما قال
تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقال الله
تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية الى غير ذلك من الاي وعلى الجملة فقد حصل العلم
القطعي واليقين الضروري واجماع السلف والخلف على ان لا طريق لمعرفة احكام الله التي هي راجعة
الى امره ونهيه ولا يعرف شيء منها الا من جهة الرسل فمن قال ان ثم طريقا اخرى يعرف بها امره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا
يستتاب ولا يحتاج معه الى سؤال ولا جواب ثم هو قول باثبات انبيا بعد نبينا عليه الصلاة والسلام
الذى قد جعله الله خاتم انبيائه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول وبيان ذلك ان من قال ياخذ
عن قلبه وان ما وقع فيه هو حكم الله وانه يعمل بمقتضاه وانه لا يحتاج مع ذلك الى كتاب ولا سنة
فقد اثبت لنفسه خاصة النبوة فان هذا نحو ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي
الحديث الرابعة ذهب جمهور الناس الى ان الخضر مات صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة انه حي لانه
شرب من عين الحياة وانه باق في الارض وانه يحج البيت كل عام قال ابن عطية وقد اطنب النقاش
في هذا المعنى وذكر في كتابه اشياء كثيرة عن علي ابن ابي طالب رضى الله عنه وغيره وكل هذا
لا يقوم على ساق ولو كان الخضر عليه السلام حيا يحج لكان له في ملة الاسلام ظهور والله اعلم بتفاصيل
الاشياء لا رب غيره ومما يقضي بموت الخضر الان قوله عليه السلام ارايتكم ليلتكم هذه فان على
راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد قال الشيخ المولف رحمه الله الى هذا ذهب
البخاري واختاره القاضي ابو بكر بن العربي والصحيح القول الثاني فانه حي على ما نذكره وهذا
الحديث خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة صلاة العشاء في اخر حياته فلما سلم قام فقال ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة منها
لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد قال ابن عمر فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه فيما
وسلم لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد يريد بذلك ان ينخرم ذلك القرن ورواه ايضا من حديث
جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت بشهر تسألوني عن
الساعة وانما علمها عند الله واقسم بالله ما على الارض نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة وفي اخرى
قال سالم تذاكرنا انما هي مخلوقة يومئذ وفي اخرى ما من نفس منفوسة اليوم ياتي عليها مائة سنة
وهي حية يومئذ وفسرها عبد الرحمن صاحب السقاية قال نقص العمر وعن ابي سعيد الخدري

يتحدثون من هذه الاحاديث عن مائة سنة وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

نحو هذا الحديث قال علماؤنا وحاصل ما تضمنه هذا الحديث انه عليه السلام اخبر قبل موته بشهر ان
كل من كان من بني آدم موجودًا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة لقوله ما من نفس منفوسة وهذا
اللفظ لا يتناول الملائكة ولا الجن اذ لم يصح عنهم انهم كذلك ولا الحيوان غير العاقل لقوله ممن هو على
ظهر الارض احد وهذا انما يقال باصل وضعه على من يعقل فتعين ان المراد بنو آدم وقد بين ابن
عمر هذا المعنى فقال يريد بذلك ان ينخرم ذلك القرن ولا حجة لمن استدل به على بطلان قول من
ان الخضر حي لعموم قوله ما من نفس منفوسة لان العموم وان كان مؤكدًا الاستغراق فليس نصًا فيه بل
هو قابل للتخصيص فكما لم يتناول عيسى عليه السلام فانه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن و
ولا يتناول الدجال مع انه حي بدليل حديث الجساسة فلذلك لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهدًا ومعناه
للناس ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضًا فمثل هذا العموم لا يتناوله وقد قيل
ان اصحاب الكهف احياء ويحجون مع عيسى عليه السلام كما تقدم وكذلك فتى موسى في قول ابن عباس كما ذكر
وقد ذكر ابو اسحاق الثعلبي في كتاب العرائس له والخضر على جميع الاقوال نبي معمر محجوب عن الابصار
وروى محمد بن المتوكل عن ضمرة عن عبد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل
يلتقيان كل عام في الموسم وعن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض ما دام
القرآن في الارض فاذا رفع ماتا وقد ذكر شيخنا الامام ابو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي
في شرح الرسالة للقشيري حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات بانهم رأوا الخضر ولقوه
يفيد مجموعها غلبة الظن بحياته مع ما ذكره النقاش والثعلبي وغيرهما وقد جاء في صحيح مسلم ان الدجال
ينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او من خير الناس الحديث
وفي آخره قال ابو اسحاق يقال ان هذا الرجل هو الخضر وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الهواتف بسند يرفعه
الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لقي الخضر وعلمه هذا الدعاء وذكر فيه ثوابًا عظيمًا ومغفرة ورحمة
لمن قاله في اثر كل صلاة وهو يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم من
الحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك وذكر ايضًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا
الدعاء بعينه نحوًا مما ذكر عن علي بن ابي طالب في سماعه من الخضر وذكر ايضًا اجتماع الناس مع النبي صلى الله الياس الى عهد النبي حاضرًا ثم
عليه وسلم واذا جاز بقاء الخضر وقد ذكر انهما يجتمعان عند البيت في كل حول وانهما يقولان عند
افتراقهما ما شاء الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما شاء الله ما يكون من نعمة
فمن الله ما شاء الله ما شاء الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل واما خبر الياس فيأتي في والصافات
ان شاء الله وذكر ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد عن علي رحمه الله قال لما توفي النبي صلى الله
عليه وسلم وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته السلام عليكم اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية ان في الله خلفًا من كل
هالك وعوضًا من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب
فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والالف واللام في قوله على الارض
للعهد لا للجنس وهي ارض العرب بدليل تصرفهم فيها واليها غالبًا دون ارض ياجوج وماجوج واقاصي

جزائر الهند والسند مما لا يقرع السمع اسمه ولا يعلم علمه ولا جواب عن الدجال قال السهيلي واختلف في اسم
الخضر اختلافًا متباينًا فعن ابن منبه انه قال ايليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن ارفخشذ بن سام
ابن نوح وقيل هو ابن عاميل بن سماحين بن اريا بن علقما بن عيصو بن اسحاق وان اباه كان ملكًا
وان امه كانت بنت فارس واسمها الها وانها ولدته في مغارة وانه وجد هنالك شاة ترضعه في
كل يوم من غنم رجل من القرية فاخذه الرجل فرباه فلما شب وطلب الملك ابوه كاتبًا وجمع اهل
المعرفة والنبل ليكتب الصحف التي انزلت على ابراهيم وشيث كان فيمن اقدم عليه من الكتاب ابنه
الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته وبحث عن جلية امره عرف انه ابنه فضمه الى نفسه وولاه
امر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها الى ان وجد عين الحياة فشرب منه
فهو حي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعالى وقيل
لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح وقال البخاري وطائفة من اهل الحديث
منهم شيخنا ابو بكر بن العربي رحمه الله انه مات قبل انقضاء المائة من قوله عليه السلام الى رأس
مائة عام لا يبقى على هذه الارض ممن هو عليها يعني من كان حيًا حين قال هذه المقالة قال المؤلف رحمه الله
قد ذكرنا هذا الحديث والكلام عليه وبينا حياة الخضر الى الآن والله اعلم الخامسة قيل ان الخضر
لما ذهب يفارق موسى قال له موسى اوصني قال كن بسامًا ولا تكن ضحاكًا ودع اللجاجة ولا تمش
في غير حاجة ولا تعب على الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران قوله تعالى ويسألونك
عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرًا قال ابن اسحاق وكان من خبر ذي القرنين
انه اوتي ما لم يؤت غيره فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض ومغاربها
لا يطأ ارضًا الا سلط على اهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شيء من الخلق قال
ابن اسحاق وحدثني من يسوق الاحاديث عن الاعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلًا
من اهل مصر اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح قال ابن هشام واسمه
الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية فنسبت اليه قال ابن اسحق وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن
معدان الكلاعي وكان رجلًا قد ادرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال
ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب وقال خالد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلًا يقول يا ذا القرنين
فقال عمر اللهم غفرًا اما رضيتم ان تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة قال ابن اسحق فالله اعلم اي ذلك كان
اقال النبي صلى الله عليه وسلم ام لا الحق ما قال قال المؤلف رحمه الله وقد روي عن علي بن ابي
طالب مثل قول عمر سمع رجلًا يدعو يا ذا القرنين فقال علي اما كفاكم ان تسميتم باسماء الانبياء
حتى تسميتم باسماء الملائكة وعنه انه عبد ملك بكسر اللام صالح نصح الله فايده وقيل هو نبي مبعوث فتح الله
على يديه الارض وذكر الدارقطني في كتاب الاخبار ان ملكًا يقال له زيافيل كان ينزل على ذي القرنين وذلك
الملك هو الذي يطوي الارض يوم القيامة وينقصها فتقع اقدام الخلائق كلهم بالساهرة قال السهيلي و
هذا مشاكلة بتوكيله بذي القرنين الذي قطع الارض مشارقها ومغاربها كما ان قصة خالد بن سنان في
تسخير النار له مشاكلة لحال الملك الموكل الذي هو مالك صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الملائكة اجمعين

وذكر ابن ابي خيثمه فى كتاب البدء له خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته وذكر انه وكل به من الملايكة
مالك خازن النار وكان من اعلام نبوته ان نارا يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مغاره فتاكل
الناس فلا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد واختلف في اسم ذى القرنين وفي السبب الذى
سمي به بذلك اختلافا كثيرا فاما اسمه فقيل هو الاسكندر الملك اليوناني المقدوني وقد تشدد قافه فيقال المقدوني
وقيل اسمه هرمس ويقال هرديس وقال ابن هشام هو الصعب بن ذى يزن الحميري من ولد وايل بن
حمير وقد تقدم قول ابن اسحق وقال وهب ابن منبه هو رومي وذكر الطبري حديثا عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث واه السند قاله ابن عطية قال السهيلي والظاهر من علم
الاخبار انهما اثنان احدهما كان على عهد ابرهيم عليه السلام ويقال انه الذى قضى لابرهيم عليه السلام حين
تحاكموا اليه فى بير السبع بالشام والآخر انه كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام وقد قيل انه افريدون الذى
قتل بنوارا سف بن اندرا سب الملك الطاغي على عهد ابرهيم او قبله بزمان واما الاختلاف بالسبب الذى
سمي به فقيل انه كان ذا ظفيرتين من شعر فسمي بهما ذكره المهدوي وغيره والظفاير قرون الراس ومنه
قول الشاعر فلثمت فاها اخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج وقيل انه رأى في اول ملكه كانه قابضا
على قرني الشمس فقص ذلك ففسر انه سيغلب على ما دارت عليه الشمس فسمي بذلك ذا القرنين وقيل انما سمي
بذلك لانه بلغ المشرق والمغرب فكانه حاز قرني الدنيا وقالت طايفة انه لما بلغ مطلع الشمس كشف بالروية
قرونها فسمي بذلك اذ ترى الشيطان بها وقال وهب بن منبه كان له قرنان تحت عمامته وسال ابن الكوا عليا
رضى الله عنه عن ذي القرنين انبيا كان ام ملكا فقال لا ذا ولا ذا كان عبدا صالحا دعا قومه الى الله فشجوه
على قرنه ثم دعاهم فشجوه على قرنه الاخر فسمي ذا القرنين واختلفوا ايضا في وقت زمانه فقال قوم كان بعد
موسى وقال قوم كان فى الفترة بعد عيسى وقيل كان في وقت ابراهيم واسماعيل وكان الخضر صاحب لوايه الاعظم
وقد ذكرناه في البقرة وبالجملة فان الله تعالى مكنه وملكه ودانت له الملوك فروى ان جميع ملوك الدنيا كلها
اربعة مومنان وكافران فالمومنان سليمان بن داود والاسكندر والكافران نمرود وبخت نصر وسيملكها
من هذه الامة خامس لقوله تعالى ليظهره على الدين كله وهو المهدي وقيل انما سمي ذا القرنين لانه كان
كريم الطرفين من اهل بيت شريف من قبل ابيه وامه وقيل لانه انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حي
وقيل لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعا وقيل لانه اعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل
الظلمة والنور وقيل لانه ملك فارس والروم قوله تعالى إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فاتبع سببا صح
حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قال علي رضي الله
عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له في النور وكان الليل والنهار عليه سواء وفي حديث
عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجال من اهل الكتاب سالوه عن ذى القرنين فقال
ان اول امره انه كان غلاما من الروم فاعطي ملكا فسار حتى اتى ارض مصر فابتنى بها مدينة يقال لها
الاسكندرية فلما فرغ اتاه ملك فعرج به فقال انظر ما تحتك قال ارى مدينتي وحدها لا ارى غيرها فقال
له الملك تلك الارض كلها وهذا السواد الذي تري يحيط بها هو البحر وانما اراد الله ان يريك الارض وقد جعل
لك سلطانا فيها فسر في الارض فعلم الجاهل وثبت العالم الحديث قوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا قال ابن
عباس من كل شيء علما يتسبب به الى ما يريد وقال الحسن بلاغا الى حيث اراد وقيل من كل شيء يحتاج
اليه الخلق وقيل من كل شيء يستعين به الملوك من فتح المداين وقهر الاعداء واصل السبب الحبل فا
ستعير لكل ما يتوصل به الى شيء فاتبع سببا قراء ابن عامر وعاصم وحمزة والكساي فاتبع سببا
مقطوعة الالف وقراء اهل المدينة وابو عمرو فاتبع بوصلها اى اتبع سببا من الاسباب التى اوتيها
قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته واردفته ومنه قوله تعالى الا من خطف الخطفة
فاتبعه شهاب ثاقب ومنه الاتباع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح قال النحاس واختار قراءة
اهل الكوفة قال لانها من السير وحكى هو والاصمعي انه يقال تبعته واتبعته اذا سار ولم يلحقه واتبعه
اذا لحقه قال ابو عبيد ومثله فاتبعوهم مشرقين قال النحاس وهذا من التفريق وان كان الاصمعي
قد حكاه لا يقبل الا بعلة او دليل وقوله جل وعز فاتبعوهم ليس في الحديث انهم لحقوهم وانما الحديث
لما خرج موسى صلى الله عليه وسلم واصحابه من البحر وحصل فرعون واصحابه انطبق عليهم البحر والحق في
هذا ان تبع واتبع واتبع لغات بمعنى واحد وهي بمعنى السير وقد يجوز ان يكون معه لحاق وان لا
يكون حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة قراء ابن عامر وعاصم وحمزة والكساي
حامية اي حارة الباقون حمئة اي كثيرة الحماة وهي الطينة السودا تقول حمأت البير حمأ بالتسكين اذا
نزعت حماتها وحمئت البير حمأ بالتحريك كثرت حماتها ويجوز ان يكون حامية من الحماة فخففت الهمزة
وقلبت ياء وقد يجمع بين القراتين فيقال كانت حارة وذات حماة وقال عبد الله بن عمر نظر النبي صلى الله
عليه وسلم الى الشمس حين غربت فقال نار الله الحامية في نار الله الحامية لولا ما يزعها من امر الله
لاحرقت ما على الارض وقال ابن عباس اقرانيها ابي كما اقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين
حمئة وقال معاوية هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص وانا مع امير المومنين فجعلوا كعبا بينهم
حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في التوراة فقال اجدها تغرب في عين سوداء فوافق ابن عباس
وقال الشاعر ° قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ° ملكا تدين له الملوك وتسجد
وهو تبع اليماني
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ° اسباب امر من حكيم مرشد
فراى مغار الشمس عند غروبها ° في عين ذي خلب وثاط حرمد
الخلب الطين والثاط الحما والحرمد الاسود وقال القفال قال بعض العلما ليس المراد انه انتهى الى
الشمس غربا وشرقا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق
بالارض وهي اعظم من ان تدخل في عين من عيون الارض بل هي اكبر من الارض اضعافا مضاعفة
بل المراد انه انتهى الى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها في راي العين تغرب
في عين حمئة كما انا نشاهدها في الارض الملسا كانها تدخل في الارض ولهذا قال وجدها تطلع على
قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ولم يرد انها تطلع عليهم بان تماسهم وتلاصقهم بل اراد انهم اول من
تطلع عليهم وقال القتبي ويجوز ان يكون هذه العين من البحر ويجوز ان يكون الشمس تغيب وراها
او معها او عندها فيقام حرف الصفة مقام صاحبه والله اعلم ووجد عندها قوما اي عند العين
او عند نهاية العين وهم اهل جابرس ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل

ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح ذكره السهيلي وقال وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجايزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى يا ذا القرنين اني باعثك الى امم الارض وهم امم مختلفة السنتهم وهم امم جميع الارض وهم اصناف امتان بينهما طول الارض كله وامتان بينهما عرض الارض كله وامم في وسط الارض منهم الجن والانس وياجوج وماجوج فاما اللتان بينهما عرض الارض فامة في قطر الارض الايمن تحت مهب الجنوب يقال لها هاويل وامة في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل واما اللتان بينهما طول الارض فامة عند مطلع الشمس يقال لها منسك وامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك فقال ذو القرنين الهي لقد ندبتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا انت فاخبرني عن هذه الامم باي قوة اكاثرهم وباي صبر اقاسيهم وباي لسان اناطقهم وكيف لي بان افقه لغتهم وليس عندي قوة فقال الله تعالى ساطوقك بما حملتك اشرح لك صدرك فتسمع كل شيء واثبت لك فهمك فتفقه كل شيء والبسك الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من امامك وتحفظك الظلمة من ورايك فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق الى الامة التي عند مغرب الشمس لانها كانت اقرب الامم منه وهي ناسك فوجد جموعا لا يحصيها الا الله تعالى وقوة وباسا لا يطيقه الا الله والسنة مختلفة واهوا متشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من جند الظلمة ودخل عليهم بالنور فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فادخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فدخلت في افواههم وانوفهم واعينهم وبيوتهم فتحيروا وماجوا واشفقوا ان يهلكوا فعجوا الى الله بصوت واحد انا آمنا فكشفها عنهم واخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب امما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة يسوقهم وتحرسه من خلفه والنور امامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الارض اليمنى يريد الامة التي في قطر الارض الايمن وهي هاويل وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطي اذا عمل عملا فاذا اتوا مخاضة او بحرا بنى سفنا من الواح صغار امثال النعال فنظمها في ساعة واحدة ثم حمل فيها جميع من معه من تلك الامم فاذا قطع الانهار والبحار فتقها ودفع الى كل رجل لوحا فلا يكترث لحمله فانتهى الى هاويل وفعل بهم كفعله بناسك فامنوا ففرغ منهم واخذ جيوشهم وانطلق في ناحية الارض الاخرى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله في الاولى ثم كر مقبلا حتى اخذ ناحية الارض اليسرى يريد تاويل وهي الامة التي تقابل هاويل بينهما عرض الارض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عطف الى الامم التي في وسط الارض من الجن والانس وياجوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله كثيرا ليس فيهم مشابهة الى الانس وهم اشباه البهايم ياكلون العشب ويفترسون الدواب والوحش كما يفترسها السباع وياكلون دواب الارض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمي نماهم في العام الواحد فان طالت المدة يسلون الارض ويحلون اهلها منها فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وذكر الحديث وسياتي من صفة ياجوج وماجوج والترك

مكانه كل حتى قدرها احاطهم فن جمعهم في مكان واحد ثم صح

لديهم نوع منهم ما فيه كفاية ۝ قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا ۝ قال القشيري ابو نصر ان كان نبيا فهو وحي وان لم يكن نبيا فهو الهام اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال ابرهيم ابن السري خيره بين هذين كما خير محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم ونحوه وقال ابو اسحاق الزجاج المعنى ان الله تعالى خيره بين هذين الحكمين قال النحاس ورد علي بن سليمان عليه قوله لانه لم يصح ان ذا القرنين نبي فيخاطب بهذا فكيف يقول لربه جل وعز ثم يرد الى ربه فيعذبه وكيف تقول فسوف يعذبه فيخاطب بالنون قال والتقدير قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين قال ابو جعفر النحاس هذا الذي قال ابو الحسن لا يلزم منه شيء اما قوله قلنا يا ذا القرنين فيجوز ان يكون الله عز وجل خاطبه على لسان نبي في وقته ويجوز ان يكون قال له هذا كما قال لنبيه اما منا بعد واما فداء واما اشكال فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فان تقديره ان الله عز وجل لما خيره بين القتل في قوله اما ان تعذب واما الاستبقا في قوله واما ان تتخذ فيهم حسنا قال لاولئك القوم اما من ظلم اي اقام على الكفر منكم فسوف نعذبه اي بالقتل ثم يرد الى ربه اي يوم القيمة فيعذبه عذابا نكرا اي شديدا في جهنم واما من آمن اي تاب من الكفر وعمل صالحا قال احمد بن يحيى ان في موضع نصب في اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال ولو رفعت كان صوابا بمعنى فاما هو كما قال ۝ فسيروا فاما حاجة تقضيانها ۝ واما مقيل صالح وصديق ۝ فله جزاء الحسنى قراءة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم فله جزاء بالرفع على الابتداء او بالاستقرار والحسنى في موضع خفض بالاضافة ويحذف التنوين للاضافة اي له جزاء الحسنى عند الله في الاخرة وهي الجنة فاضاف الجزاء الى الجنة كقوله حق اليقين ولدار الاخرة قاله الفرا ويحتمل ان يريد بالحسنى الاعمال الاعمال الصالحة ويمكن ان يكون هذا الجزاء من ذي القرنين اي اعطيه والتفضل عليه ويجوز ان يحذف التنوين لالتقاء الساكنين ويجوز الحسنى في موضع رفع على البدل عند البصريين وعلى الترجمة عند الكوفيين وعلى هذا قراءة ابن ابي اسحاق فله جزاء الحسنى الا انك لم تحذف التنوين وهو اجود وقرا سائر الكوفيين فله جزاء الحسنى منصوبا منونا اي فله الحسنى جزاء قال الفرا جزاء منصوبا على التمييز وقيل على المصدر وقال الزجاج هو مصدر في موضع الحال اي مجزيا بها جزاء وقرا ابن عباس ومسروق فله جزاء الحسنى منصوبا غير منون وهي عند ابي حاتم على حذف التنوين لالتقاء الساكنين مثل فله جزاء الحسنى في احد الوجهين في الرفع قال النحاس وهذا عند غيره خطاء لانه ليس موضع حذف تنوين لالتقا الساكنين ويكون تقديره فله الثواب جزاء الحسنى قوله تعالى ثم اتبع سببا تقدم ان اتبع واتبع بمعنى اي سلك طريقا ومنازل قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم قراء مجاهد وابن محيصن مطلع بفتح اللام يقال طلعت الشمس والكوكب طلوعا ومطلعا والمطلع والمطلع ايضا موضع طلوعها قاله الجوهري المعنى انتهى الى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس احد من الناس والشمس تطلع وراء ذلك بمسافة بعيدة فهذا معنى قوله تعالى وجدها تطلع على قوم وقد اختلف فيهم فعن وهب

ما تقدم وانهم امة يقال لها منسك ومن مقابلهم ناسك وقال مقاتل وقتادة يقال انهم الزنج وقال الكلبي
هم تارس وهاويل ومنسك عراة حفاة عماه عن الحق يتسافدون مثل الكلاب ويتهارجون تهارج
الحمر وقيل هم اهل جابلق وهم من نسل مومني عاد الذين آمنوا بهود ويقال لهم بالسريانية
مرقيسيا والذين عند مغرب الشمس اهل جابرس ولكل واحدة من المدينتين عشرة الاف
باب بين كل بابين فرسخ ووراء جابلق امم وهم منسك وتافيل وتارس وهم مجاورون ياجوج
وماجوج واهل جابرس وجابلق امنوا بالنبي عليه السلام مر بهم ليلة الاسرى فدعاهم فاجابوه
ودعا الامم الاخرين فلم يجيبوه ذكره السهيلي وقال اختصرت هذا كله من حديث طويل رواه مقاتل بن
حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الطبري مسندا الى مقاتل يرفعه
والله اعلم قوله تعالى لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا
لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا يستترون منها عند طلوعها قال قتادة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر
كانوا في مكان لا يستقر عليهم بناء وهم يكونون في اسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم رجعوا الى
معايشهم وحروثهم يعني لا يستترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها وقال امية وجدت رجالا
بسمرقند يحدثون الناس فقال بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فقيل لي ان بينك وبينهم مسيرة
يوم وليلة فاستاجرت رجلا يريهم حتى صبحتهم فوجدت احدهم يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى و
كان صاحبي يحسن كلامهم فبتنا بهم فقالوا فيم جيتم قلنا جينا ننظر كيف يطلع الشمس فبينا نحن كذلك
اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي
على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار وزالت
الشمس عن رؤسهم خرجوا يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج وقال ابن جريج جاءهم جيش مرة
فقال لهم اهلها لا تطلع الشمس وانتم بها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس ثم قالوا ما هذه العظام فقالوا و
الله هذه العظام عظام جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا قالوا فولوا هاربين في الارض وقال الحسن
كانت ارضهم لا جبل فيها ولا شجر وكانت لا تحمل البناء فاذا طلعت عليهم الشمس نهروا في الماء فاذا ارتفعت
عنهم خرجوا فيتراعون كما يتراعى البهايم قال الشيخ المولف رحمه الله وهذه الاقوال تدل على
ان لا مدينة هناك والله اعلم وربما يكون منهم من يدخل في النهر ومنهم من يدخل في السرب فلا تناقض
بين قول الحسن وقتادة قوله تعالى ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا
قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ○ حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان من قبل ارمينية واذربيجان
روى عطاء الخراساني عن ابن عباس بين السدين الجبلين ارمينية واذربيجان وجد من دونهما اي من
ورائهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وقرا حمزة والكسائي يُفقهون بضم الياء وكسر القاف من افقه
اذا ابان اي لا يفقهون غيرهم كلاما الباقون بفتح الياء والقاف اي يعلمون والقراءتان صحيحتان
فلا هم يفقهون من غيرهم ولا يفقهون غيرهم قوله تعالى قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ○ اي قالت له امة
من الانس صالحة ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض قال الاخفش من همز ياجوج يجعل الالف

من الاصل يقول ياجوج يفعول وماجوج مفعول كانه من اجيج النار قال ومن لا يهمز ويجعل الالفين زايدتين
يقول ياجوج من يجت وماجوج من مجت وعاد عادٌ واستجاشوا تبعا ذكره الجوهري وقيل انما لم ينصرفا لانهما
اسمان اعجميان مثل طالوت وجالوت غير مشتقين علتاه في منع الصرف العجمة والتعريف والتانيث
وقالت فرقة هو معرب من اج واجج علتاه في منع الصرف التعريف والتانيث وقال ابو علي يجوز
ان يكونا عربيين فمن همز ياجوج فهو على وزن مفعول مثل يربوع من قولك اجت النار اي صوتت
ومنه الاجيج ومنه ملح اجاج ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفا مثل راس واما
ماجوج فهو مفعول من اج والكلمتان من اصل واحد في الاشتقاق ومن لم يهمز فيجوز ان يكون خفف
الهمزة ويجوز ان يكون فاعولا من مج وترك الصرف فيهما للتانيث والتعريف كانه اسم للقبيلة واختلف
في افسادهم فقال سعيد بن عبد العزيز افسادهم اكل بني آدم وقالت فرقة افسادهم انما كان متوقعا
اي سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة افسادهم هو الظلم والغشم والقتل وساير
وجوه الافساد المعلوم من البشر والله اعلم وقد وردت اخبار بصفتهم وخروجهم وانهم من ولد يافث روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد لنوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس
والروم والخير فيهم وولد يافث ياجوج وماجوج والترك والسقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط
والبربر والسودان قال كعب الاحبار احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فاسف فخلقوا
من ذلك الماء فهم متصلون بنا من جهة الاب لا من جهة الام وهذا فيه نظر لان الانبياء صلوات الله عليهم لا يحتلمون
وانما هم من ولد يافث كذلك قال مقاتل وغيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه الف رجل يعني ياجوج وماجوج وقال ابو سعيد هم خمس وعشرون
قبيلة من وراء ياجوج وماجوج لا يموت الرجل من هولاء ومن ياجوج وماجوج حتى يخرج من صلبه الف
رجل ذكره القشيري وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ياجوج
وماجوج فقال ياجوج امتان كل امة اربع ماية الف كل امة لا يعلم عددها الا الله لا يموت الرجل منهم
حتى يولد له الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح قيل يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف
منهم امثال الارز شجر بالشام طول الشجرة عشرون وماية ذراع وصنف عرضه وطوله سواء نحو من الذراع
وصنف يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه وياكلون من مات
منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة
وبيت المقدس وقال علي رضي الله عنه وصنف منهم في طول شبر لهم مخاليب وانياب السباع وتداعي الحمام وتسافد
البهايم وعواء الذيب وشعور تقيهم الحر والبرد واذان عظام احداها وبره يشتون فيها والاخرى
جلده يصيفون فيها يحفرون السد حتى كادوا ينقبون فيعيده الله كما كان حتى يقولوا ننقبه غدا ان
شاء الله فينقبونه ويخرجون ويتحصن الناس بالحصون فيرمون الى السماء فيرد السهم ملطخا بالدم ثم يهلكهم
الله بالنغف في رقابهم ذكره الغزنوي وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم ياجوج امة لها اربع مائة امير
وكذا ماجوج لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف فارس من ولده قال الشيخ المولف رحمه الله وقد جاء
مرفوعا من حديث ابي هريرة خرجه ابن ماجة في السنن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياجوج

ان يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
غدا فيعيده الله اشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا
يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه ان شاء الله تعالى فاستثنوا فيعودون اليه وهو كهيئته
حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون المياه ويتحصن منهم في حصونهم فيرمون سهامهم
الى السماء فترجع عليها الدم الذي احفظ فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله
نغفا في اقفائهم فيقتلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن
وتشكر شكرا من لحومهم قال الجوهري شكرت الناقة تشكر شكرا فهي شكرة واشتكر الضرع امتلا لبنا
وقال وهب بن منبه رآهم ذو القرنين وطول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب
في مواضع الاظفار واضراس وانياب كالسباع واحناك كاحناك الابل وهم هلب عليهم من الشعر
ما يواريهم ولكل واحد اذنان عظيمتان يلتحف باحداهما ويفترش الاخرى وكل واحد منهم قد عرف اجله
لا يموت حتى يخرج من صلبه الف رجل ومن رحمها الف انثى ان كانت انثى وقال السدي والضحاك
الترك شرذمة من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذا الجانب
قال السدي بنى السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك
وقاله قتادة قال الشيخ المؤلف رحمه الله واذا كان هذا فقد نعت النبي صلى الله عليه وسلم الترك
كما نعت يأجوج ومأجوج فقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتل المسلمون الترك قوما
وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون في الشعر رواية وينتعلون الشعر خرجه مسلم
وابو داود وغيرهما ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم عددهم وكثرتهم وحدة شوكتهم قال صلى الله عليه
وسلم اتركوا الترك ما تركوكم وقد خرج منهم في هذا الوقت امم لا يحصيهم الا الله ولا يردهم عن المسلمين
الا الله حتى كانهم يأجوج ومأجوج او مقدمتهم وروى ابو داود عن ابي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ينزل ناس من امتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر اهلها ويكون من امصار
المهاجرين قال ابن يحيى قال ابو معمر ويكون من امصار المسلمين فاذا كان من اخر الزمان جاء بنو قنطورا
عراض الوجوه صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق اهلها ثلاث فرق فرقة ياخذون اذناب
البقر والبرية وهلكوا وفرقة ياخذون لانفسهم وكفروا وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم
وهم الشهداء الغائط المطمئن من الارض والبصرة الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة وبنو قنطورا
هم الترك يقال ان قنطورا اسم جارية كانت لابراهيم صلوات الله عليه ولدت له اولادا جاء من نسلهم
الترك قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
فهل نجعل لك خرجا استفهام على جهة حسن الادب خرجا اي جعلا وقرئ خراجا والخرج اخص من الخراج
يقال ادّ خرج راسك وخراج مدينتك وقال الازهري الخراج يقع على الضريبة ويقع على مال الفيء ويقع
على الجزية وعلى الغلة والخراج اسم لما يخرج من الفرائض في الاموال والخرج المصدر وقوله تعالى على ان
تجعل بيننا وبينهم سدا اي ردما والردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل وثوب مردم اي مرقع قاله
الهروي يقال ردمت الثلمة اردمها بالكسر ردما اي سددتها والردم ايضا الاسم وهو السد وقيل الردم

ابلغ من السد اذ السد كل ما يسد به والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة او تراب ونحوه حتى
يقوم من ذلك حجاب منيع ومنه ردم ثوبه اذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق
بعض ومنه قول عنترة هل غادر الشعراء من متردم اي قول يركب بعضه على بعض
وقرئ سدا بفتح السين فقال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح هو المصدر وقال ابن
الكسائي الفتح والضم لغتان بمعنى واحد وقال عكرمة وابو عمرو بن العلاء وابو عبيدة ما كان
من خلقه الله لم يشارك فيه احد بعمل وهو بالضم وما كان صح
من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقرؤوا سدا بالفتح وقبل بين السدين بالضم
وهي قراءة حمزة والكسائي وقال ابو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال ابو عبيدة و
قال ابن ابي اسحاق ما رأته عيناك فهو سُدّ بالضم وما لا يرى فهو سَدّ بالفتح الثانية وهذه الاية
دليل على اتخاذ السجون وحبس اهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركوا وما هم
عليه بل يوجعون ضربا ويحبسون او يكفلون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه قوله تعالى
قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى قال ما مكني المعنى قال لهم ذو القرنين ما بسطه الله لي من القدرة والملك
خير من خرجكم واموالكم ولكن اعينوني بقوة اي بقوة الابدان اي برجال وعمل
منكم بالابدان والالة التي ابني بها الردم وهو السد وهذا من تاييد الله تعالى لذي القرنين
في هذه المحاورة فان القوم لو جمعوا له خراجا لم يعنه احد ولو كلوه الى البنيان ومعونته
بانفسهم اجمل به واسرع في انقضاء مدة العمل وربما اربى ما ذكروه له على الخرج وقرأ ابن كثير
وحده ما مكنني بنونين وقرأ الباقون ما مكني الثانية في هذه الاية دليل على ان الملك
فرض عليه ان يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم وسد فرجتهم واصلاح ثغورهم من
اموالهم التي تفيء عليهم وحقوقهم التي يجمعها خزانتهم تحت يده ونظره حتى لو اكلتها
الحقوق وانفدتها المؤن لكان عليهم جبر ذلك من اموالهم وعليه حسن النظر لهم وذلك
ثلاث شروط الاول ان لا يستاثر بشيء عليهم الثاني ان يبدأ باهل الحاجة فيعينهم
الثالث ان يسوي في العطاء بينهم على قدر منازلهم فاذا فنيت بعد هذا وبقيت صفرا فاطلعت
الحوادث امرا بذلوا انفسهم قبل اموالهم فان لم يغن ذلك فاموالهم تؤخذ منهم
على تقدير وتصرف تدبير فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال في ان يكف عنهم ما يحذرونه
من عادية يأجوج ومأجوج قال لست احتاج اليه وانما احتاج اليكم فاعينوني بقوة اي اخدموا
بانفسكم معي فان الاموال عندي والرجال عندكم ورأى ان الاموال لا تغني دونهم وانهم ان
اخذوها اجرة نقص ذلك مما يحتاج اليه فيعود بالاجر عليهم فكان التطوع بخدمة الابدان
اولى وضبط الامر انه لا يحل مال احد الا لضرورة تعرض فيؤخذ ذلك المال جهرا لا سرا وينفق
بالعدل لا بالاستيثار وبرأي الجماعة لا بالاستبداد بالامر والله تعالى الموفق للصواب
قوله تعالى آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ اي اعطوني زبر الحديد وناولونيها امرهم بنقل الالة وهذا
كله انما هو استدعاء العطية التي بغير معنى الهبة وانما هو استدعاء المناولة لانه قد ارتبط من

قوله انه لا يأخذنهم الحرج فلم يبق الا استدعاء المناولة واعمال الابدان وزبر الحديد قطع الحديد واصل الكلمة الاجتماع ومنه زبرة الاسد لما اجتمع من الشعر على كاهله وزبرت الكتاب اى كتبته وجمعت حروفه وقرأ ابو بكر والمفضل ردما آتوني زبر الحديد من الاتيان الذي هو المجئ اى جيئوني بزبر الحديد فلما سقط الخافض انتصب الفعل عليه نحو قول الشاعر امرتك الخير حذف الباء فنصب الفعل وقرأ الجمهور زبر بفتح الباء وقرأ الحسن بضمها وكل ذلك جمع زبرة وهى القطعة العظيمة منه قوله تعالى حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ اذا ساوى يعني البناء فحذف لقوة الكلام عليه بين الصدفين قال ابو عبيدة هما جانبا الجبل وسميا بذلك لتصادفهما اى لتلاقيهما وقاله الزهري قال ابن عباس وكانه يعرض عن الاخر من الصدوف قال الشاعر

كلا الصدفين ينفذه سناها ۞ توقد مثل مصباح الظلام

ويقال للبناء المرتفع صدف تشبيها بجانب الجبل وفى الحديث كان اذا مر بصدف مائل اسرع المشى قال ابو عبيد الصدف والهدف كل بناء عظيم مرتفع وقال ابن عطية الصدفان الجبلان المتناوحان ولا يقال للواحد صدف وانما يقال صدفان لاثنين لان احدهما يصادف الاخر وقرأ نافع وحمزة والكسائى الصدفين بفتح الصاد وشدها وفتح الدال وهى قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقراءة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهى اختيار ابى عبيد لانها اشهر اللغات وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الصدفين بضم الصاد والدال وقرأ عاصم فى رواية ابى بكر الصدفين بضم الصاد وسكون الدال نحو الحرق والحرق فهو وقرأ ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال وقرأ قتادة بين الصدفين بفتح الصاد وسكون الدال وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتناوحان قوله تعالى قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا اى على زبر الحديد بالاكيار وذلك انه كان يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم توقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى يحمى والحديد اذا اوقد عليه صار كالنار فذلك قوله حتى اذا جعله نارا ثم يؤتى بالنحاس المذاب او بالرصاص او الحديد بحسب الخلاف فى القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة فاذا التام واشتد ولصق البعض بالبعض استانف رصف طاقة اخرى الى ان استوى العمل فصار جبلا صلدا قال قتادة هو كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله انى رايت سد ياجوج وماجوج قال كيف رايته قال رايته كالبرد المحبر طريقة صفراء وطريقة حمراء وطريقة سوداء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رايته ومعنى حتى اذا جعله نارا اى كالنار ومعنى آتونى افرغ عليه قطرا اى اعطونى قطرا افرغ عليه على التقديم والتاخير ومن قرأ ايتونى فالمعنى عنده تعالى افرغ عليه قطرا والقطر عند اكثر المفسرين النحاس المذاب واصله من القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الماء وقالت فرقة القطر الحديد المذاب وقالت فرقة منهم ابن الانبارى الرصاص المذاب وهو مشتق من قطر

يقطر ومنه واسلنا له عين القطر قوله تعالى فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا اى ما استطاع ياجوج وماجوج ان يعلوه ويصعدوا فيه لانه املس مستو مع الجبل والجبل عال لا يرام وارتفاع السد مائتا ذراع وخمسون ذراعا وروى فى طوله ما بين طرفى الجبلين مائة فرسخ وفى عرضه خمسون فرسخا قاله وهب بن منبه وما استطاعوا له نقبا لبعد عرضه وقوته وروى فى الصحيح عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد وهيب بيده تسعين وفى رواية وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها وذكر يحيى بن سلام عن سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن ابى رافع عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله فيعودون وهو كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس الحديث وقد تقدم قوله تعالى فما اسطاعوا بتخفيف الطاء على قراءة الجمهور وقيل هى لغة بمعنى استطاعوا وقيل بل استطاعوا بعينه كثر فى كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التاء فقالوا اسطاعوا وحذف بعضهم منه الطاء فقال استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهى لغة مشهورة وقرأ حمزة وحده فما اسطاعوا بتشديد الطاء كانه اراد استطاعوا ثم ادغم التاء فى الطاء فشددها وهى قراءة ضعيفة الوجه قال ابو على هى غير جائزة وقرأ الاعمش فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا بالتاء فى الموضعين قوله تعالى قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا القائل ذو القرنين واشار بهذا الى الردم والقوة عليه والانتفاع به فى دفع ضرر ياجوج وماجوج وقرأ ابن ابى عبلة هذه رحمة قوله تعالى فاذا جاء وعد ربى اى يوم القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اى مستويا بالارض ومنه قوله تعالى اذا دكت الارض دكا قال ابن عرفة اى جعلت مستوية لا اكمة فيها ومنه قوله تعالى جعله دكا قال اليزيدى اى مستويا يقال ناقة دكا اذا ذهب سنامها وقال القتبى اى جعله مدكوكا ملصوقا بالارض وقال الكلبى قطعا متكسرا قال هل غير غاد دك غارا فانهدم وقال الازهرى يقال دككته اى دققته ومن قرأ دكاء اراد جعل الجبل ارضا دكاء وهى الرابية التى لا تبلغ ان تكون جبلا وجمعها دكاوات قرأ عاصم وحمزة والكسائى دكاء بالمد على التشبيه بالناقة الدكاء التى لا سنام لها وفى الكلام حذف تقديره جعله مثل دكاء ومن قرأ دكا فهو مصدر دك يدك اذا هدم ورض ويحتمل ان يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال وكذلك النصب ايضا فى قراءة من مد يحتمل الوجهين قوله تعالى وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا الضمير فى تركنا لله تعالى اى تركنا

والارض نقدر نقضه الحرفي لان السد مذكور فلا يوصف بدكاء م

الجن والانس يوم القيمة يموج بعضهم في بعض واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالمولهين من همّ وخوف ... بموج البحر الذى يضطرب بعضه في بعض وقيل تركنا ياجوج وماجوج يوم انفتاح السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم قال المولف رحمه الله فهذه ثلثة اقوال اظهرها اوسطها وابعدها اخرها وحسن الاول لانه تقدم ذكر القيامة في تأويل ... له فاذا جاء ... والله اعلم قوله تعالى ونفخ في الصور تقدم في الانعام فجمعناهم جمعا يعني الانسان والجن في عرصات القيامة وعرضنا جهنم اى ابرزنا ها لهم يومئذ عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري موضع خفض نعته للكافرين في غطاء عن ذكرى اي هم بمنزلة من عينه مغطاة فلا ينظر الي دلايل الله عز وجل وكانوا لا يستطيعون سمعا اى لا يطيقون ان يسمعوا كتاب الله فهو بمنزلة من صمّ قوله تعالى أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا اى ظن وقراء علي وعكرمة ومجاهد وابن محيصن افحسب باسكان السين وضم الباء اى كفاهم ان يتخذوا عبادي يعني عيسى والملايكة وعزيرا من دوني اولياء ولا اعاقبهم ففي الكلام حذف وقال الزجاج المعنى افحسبوا ان ينفعهم ذلك انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قوله تعالى قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا فيه دلالة على ان من الناس من يعمل العمل وهو يظن انه محسن وقد حبط سعيه والذى يوجب احباط السعي اما فساد الاعتقاد او المراياة والمراد هنا الكفر روى البخاري عن مصعب قال سالت ابي عن قوله قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا هم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى اما اليهود فكذبوا محمدا واما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعيد يسميهم الفاسقين والاية معناها التوبيخ اى قل لهم لهولاء الكفرة الذين عبدوا غيرى يخيب سعيهم واما لهم غدا فهم الاخسرون اعمالا وهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا في عبادة من سواي قال ابن عباس يريد كفار اهل مكة وقال على هم الخوارج اهل حروراء وقال مرة هم الرهبان اصحاب الصوامع وروى ان ابن الكوا ساله عن الاخسرين اعمالا فقال له انت واصحابك قال ابن عطية و يضعف هذا كله قوله تعالى بعد ذلك اوليك الذين كفروا بايات ربهم ولقايه فحبطت وليس من هذه الطوايف من يكفر بلقاء الله والبعث والنشر وانما هذه صفة مشركي عبدة الاوثان و ذكر على و سعد اقواما اخذوا بحظهم من صدر الاية واعمالا نصب على التميز وحبطت قراة الجمهور بكسر الباء وقراء ابن عباس حبطت بفتحها الثانية قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قراة الجمهور نقيم بنون العظمة وقراء مجاهد بياء الغايب

وقيل تركنا ياجوج وماجوج يومئذ اى وقت كمال السد يموج بعضهم في بعض صح

يريد فلا يقيم الله عز وجل وقرا عبيد بن عمير فلا يقوم ويلزمه ان يقراوزن وكذلك قراء مجاهد يقوم لهم يوم القيمة وزن قال عبيد بن عمير يوتى يوم القيامة بالرجل الطويل الاكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة قال المولف رحمه الله هذا لا يقال مثله من جهة الراي وقد ثبت معناه مرفوعا وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرؤا ان شيتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا والمعنى انه لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة بالعذاب ولا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار وقال ابو سعيد الخدري يوتى باعمال كجبال تهامة فلا تزن شيا وقيل يحتمل ان يريد المجاز والاستعارة كانه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله اعلم وفي هذا الحديث من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم بل يدل على كثرة الاكل الزايد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والتسمن وقد قال صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الحبر السمين ومن حديث عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم قرني ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادرى اذكر بعد قرنه مرتين او ثلثا ثم ان من بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن وهذا ذم وسبب ذلك ان السمن المكتسب انما هو من كثرة الاكل والشره والدعة والراحة والامن والاسترسال مع النفس على شهواتها فهو عبد نفسه لا عبد ربه ومن كان هذا حاله وقع لا محالة في الحرام وكل لحم تولد عن سحت فالنار اولى به وقد ذم الله تبارك وتعالى الكفار بكثرة الاكل فقال والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم فاذا كان المؤمن يتشبه بهم ويتنعم بتنعمهم في كل احواله وازمانه فاين حقيقة الايمان والقيام بوظايف الاسلام ومن كثر اكله وشربه كثر نهمه وحرصه وزاد بالليل كسله ونومه فكان نهاره هايما وليله نايما وقد مضى في الاعراف هذا المعنى وتقدم فيها ذكر الميزان وان له كفتان يوزن فيهما صحايف الاعمال فلا معنى للاعادة وقال صلى الله عليه وسلم حين ضحكوا من حمش ساق ابن مسعود وهو يصعد النخلة اتضحكون من ساق يزن بعدل اهل الارض فدل هذا على ان الاشخاص توزن ذكره الغزنوي قوله تعالى ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ذلك اشارة الى ترك الوزن وهو في موضع رفع بالابتداء جزاؤهم خبره وجهنم بدل من المبتدا الذى هو ذلك وما في قوله بما كفروا مصدرية والهزء الاستخفاف والسخرية وقد تقدم قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا قال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها واعلاها وافضلها وارفعها وقال ابو امامة الباهلى الفردوس سرة الجنة وقال كعب ليس في الجنان جنة اعلى من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله

الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا نبشر
الناس قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين
كما بين السماء والارض فاذا سالتم الله فاسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى
الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة وقال مجاهد الفردوس البستان
بالرومية وقال الفرا هو عربي والفردوس حديقة في الجنة وفردوس اسم روضة
دون اليمامة والجمع فراديس قال امية بن ابي الصلت الثقفي كانت منازلهم اذ ذاك
ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل والفراديس موضع بالشام وكرم مفردس
اى معرش خالدين فيها اى دائمين لا يبغون عنها حولا اي لا يطلبون تحويلا عنها الى غيرها
والحول بمعنى التحويل قاله ابو علي وقال الزجاج حال من مكانه حولا كما يقال عظم عظما قال ويجوز
ان يكون من الحيلة اى لا يحتالون منزلا غيرها وقال الجوهري والتحول التنقل من موضع الى
موضع والاسم الحول ومنه قوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قوله تعالى قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
نفد الشئ اذا فرغ وتم وقد تقدم ولو جئنا بمثله مددا اى زيادة على البحر عددا
ووزنا وفي مصحف ابي مدادا وكذلك قراها مجاهد وابن محيصن وحميد وانتصب مددا
على التمييز او الحال وقال ابن عباس قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم وما اوتيتم
من العلم الا قليلا قالوا وكيف وقد اوتينا التورية ومن اوتي التورية فقد اوتي خيرا كثيرا
فنزلت قل لو كان البحر مدادا الاية وقيل قالت اليهود انك اوتيت الحكمة ومن اوتي الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا ثم زعمت انك لا علم لك بالروح فقال الله تعالى قل وان اوتيت القرآن و
اوتيتم التوراة فهي بالنسبة الى كلمات الله قليلة قال ابن عباس كلمات ربي اى مواعظ ربي
وقيل عني بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهى وهو وان كان واحدا فيجوز
ان يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فوايد الكلمات ولانه ينوب منابها فجازت العبارة عنها
بصيغة الجمع تفخيما وقال الاعشى ووجه نقي اللون صاف يزينه مع الجيد لبات لها ومعاصم
فعبر باللبات عن اللبة وفي التنزيل نحن اولياكم وانا نحن نزلنا الذكر وانا لنحن
نحيي ونميت وكذلك ان ابرهيم كان امة قانتا لانه ناب مناب امة وقيل اي ما نفدت
العبارات والدلالات التي تدل على مفهومات معاني كلامه سبحانه وقال السدي اي ان
كان البحر مدادا لنفد قبل ان تنفد صفات الجنة التي هي دار الثواب وقال عكرمة
لنفد البحر قبل ان تنفد ثواب من قال لا اله الا الله ونظير هذه الاية ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان
الله عزيز حكيم وقرا حمزة والكسائي من قبل ان ينفد بالياء لتقدم الفعل قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قل انما انا بشر مثلكم يوحى

الي اي لا اعلم الا ما يعلمني الله وعلم الله لا يحصى وانما امرت ان ابلغكم بانه لا اله الا الله فمن كان
يرجوا لقاء ربه اى يرجوا رويته وثوابه ويخشى عقابه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا قال ابن عباس نزلت في جندب ابن زهير العامري قال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني اعمل العمل لله واريد به وجه الله الا انه اذا اطلع عليه سرني فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه فنزلت وقال
طاوس قال رجل يا رسول الله اني احب الجهاد في سبيل الله واحب ان يرى مكاني فنزلت و
قال مجاهد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع
ذلك الا لله فيذكر ذلك مني واحمد عليه ويسرني ذلك واعجب به فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يقل شيا فانزل الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا
يشرك بعبادة ربه احدا قال المولف رحمه الله والكل مراد والاية تعم ذلك وغيره من الاعمال
وقد تقدم في هود حديث ابي هريرة الصحيح في الثلثة الذين يقضى عليهم اول الناس وتقدم في
سورة النساء الكلام على الريا وذكرنا من الاخبار هناك ما فيه كفاية وقال الماوردي وقال
جميع اهل التاويل معنى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا انه لا يرائي بعمله احدا وروى الترمذي
الحكيم رحمه الله في نوادر الاصول قال حدثنا ابي رحمه الله قال حدثنا مكي بن ابرهيم قال حدثنا عبد
الواحد بن يزيد عن عبادة بن نسي قال اتيت شداد بن اوس في مصلاه وهو يبكي فقلت ما الذي
ابكاك يا ابا عبد الرحمن قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ رايت بوجهه امرا ساءني فقلت بابي وامي يا رسول الله ما الذي ارى
بوجهك قال امرا اتخوفه على امتي من بعدي قلت وما هو قال الشرك والشهوة الخفية قلت
يا رسول الله وتشرك امتك من بعدك قال يا شداد اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا
ولا حجرا ولا وثنا ولكنهم يراون باعمالهم قلت يا رسول الله والريا شرك هو قال نعم قلت
فما الشهوة الخفية قال يصبح احدهم صائما فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر قال عبد الواحد
فلقيت الحسن فقلت يا ابا سعيد اخبرني عن الريا اشرك هو قال نعم اما تقرا فمن كان يرجوا
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وروى اسمعيل بن اسحاق قال حدثنا
محمد بن ابي بكر قال حدثنا المعتمر بن سليمان عن ليث بن شهر بن حوشب قال كان عبادة ابن
الصامت وشداد بن اوس جالسين فقالا انا نتخوف على هذه الامة من الشرك والشهوة
الخفية من قبل النسا وقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى صلاة
يرائي بها فقد اشرك ومن صام صياما يرائي به فقد اشرك ثم تلى فمن كان يرجوا لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المولف رحمه الله وقد
جاء تفسير الشهوة الخفية بخلاف هذا وقد ذكرناه في النساء وقال
سهل بن عبد الله وسيل الحسن عن الاخلاص والريا فقال من الاخلاص ان تحب ان
تكتم حسناتك ولا تحب ان تكتم سياتك فان اظهر الله عليك حسناتك
تقول هذا من فضلك واحسانك ليس هو من فضلي ولا من صنعتي وتذكر
قوله تعالى والذين يوتون ما اتوا الاية يوتون الاخلاص وهم يخافون ان لا

يقبل منهم واما الريا فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا قيل له كيف يكون قال من
طلب بعمل بينه وبين الله سوى وجه الله والدار الآخرة فهو ريا وقال علماء
وقد يفضي الريا بصاحبه الى استهزاء الناس كما حكي ان طاهر بن الحسين قال
لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق يا ابا عبد الله فقال دخلت
العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صايم فقال يا ابا عبد الله سألنا
عن مسئلة فاجبتنا عن مسئلتين وحكى الاصمعي ان اعرابيا صلى فاطال والى
جانبه قوم فقالوا ما احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك صايم اين هذا من
قول الاشعث بن قيس وقد صلى فخفف فقيل له انك خففت فقال انه لم
تخالطها ريا فخلص من تنقصهم بنفي الريا عن نفسه والتصنع من صلاته وقد تقدم
في النساء ذم الريا من قول لقمان واية كتمان العمل وروى الترمذي
الحكيم حدثنا ابي رحمه الله قال انبانا الحماني قال انبانا الجرير عن ليث عن
شيخ عن معقل بن يسار قال قال ابو بكر وشهد به على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو
بينكم اخفى من دبيب النمل وسادلك على شيء اذا فعلته اذهب عنك
صغار الشرك وكباره يقول اللهم اني اعوذ بك ان اشرك شيا وانا اعلم
واستغفرك لما لا اعلم يقولها ثلاثا وقال عمر بن قيس الكندي سمعت معاوية
تلى هذه الاية على المنبر فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فقال
انها لاخر اية نزلت من السماء وقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم اوحي
الى انه من قراء فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا رفع له نور ما بين
عدن ابين الى مكة حشوه الملائكة يصلون عليه ويستغفرون له وقال
معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من قراء اول سورة الكهف وآخرها
كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من
الارض الى السماء وعن ابن عباس انه قال له رجل اني اضمر ان اقوم
ساعة من الليل فيغلبني النوم فقال اذا اردت ان تقوم اية ساعة شئت
من الليل فاقرأ اذا اخذت مضجعك قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر الى آخرها فان الله يوقظك متى شئت من الليل
ذكر هذه الفضايل الثعلبي رحمه الله وفي مسند الدارمي ابي محمد
اخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن عبدة عن زر بن حبيش قال
من قرا آخر سورة الكهف لساعة يريد يقوم من الليل قامها قال
عبدة فجربناه فوجدناه كذلك قال ابن العربي كان شيخنا الطرطوسي
الاكبر يقول لا تذهب بكم الازمان في مصاولة الاقران ومواصلة

الاخوان وقد ختم سبحانه البيان بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا

صح
صح

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سورة مريم [illegible] آيات [illegible]

ولما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش ان ثأركم بارض الحبشة فاهدوا
للنجاشي وابعثوا اليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده من قريش فتقتلوهم بمن قتل
منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة وسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببعثهما فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري وكتب معه الى النجاشي فقدم
على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين وارسل
الى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم امر جعفرا يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم كهيعص وقاموا
تفيض اعينهم من الدمع فهم الذين انزل الله فيهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا
نصارى الى الشاهدين ذكره ابو داود وفي السيرة فقال النجاشي هل معك مما جاء به من الله شيء قال له
جعفر نعم فقال له النجاشي فاقرأه علي فقرأ كهيعص قال فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت
اساقفتهم حتى اخضلوا لحاهم حين سمعوا ما يتلى عليهم فقال النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من
مشكاة واحدة فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا وذكر تمام الخبر قوله تعالى كهيعص تقدم الكلام في اوائل
السور وقال ابن عباس في كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم
والصاد من صادق ذكره ابن عزيز القشيري عن ابن عباس معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم
عالم بهم صادق في وعده ذكره الثعلبي عن الكلبي والسدي ومجاهد والضحاك وقال الكلبي ايضا الكاف من كريم
وكبير وكاف والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق والمعنى واحد وعن ابن
عباس ايضا هو اسم من اسماء الله تعالى وعن علي رضي الله عنه هو اسم الله عز وجل وكان يقول يا كهيعص اغفر لي ذكره
الغزنوي وقال السدي هو اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وقال قتادة هو اسم من اسماء
القرآن ذكره عبد الرزاق عنه وقيل هو اسم للسورة وهو اختيار القشيري في اوائل الحروف وعلى هذا قيل تمام الكلام
عند قوله كهيعص فانه اعلام باسم السورة كما تقول كتاب كذا او باب كذا ثم تشرع في المقصود وقرأ ابو جعفر هذه
الحروف متقطعة ووصلها الباقون وامال ابو عمرو الهاء وفتح الياء وابن عامر وحمزة على العكس واما لهما جميعا الكسائي
وابو بكر وخلف وقرأهما بين اللفظين اهل المدينة نافع وغيره وفتحهما الباقون وعن خارجة ان الحسن كان يضم كاف
وحكى عن عنبه انه كان يضمها وحكى اسمعيل بن اسحق ان الحسن كان يضم يا قال ابو حاتم لا يجوز ضم الكاف ولا الهاء
ولا الياء قال النحاس قراءة اهل المدينة من احسن ما في هذا والامالة جائزة في ها وفي يا واما قراءة الحسن فقد اشكلت
على جماعة منهم ابو حاتم والقول فيها ما بينه هارون القارئ قال كان الحسن يشم الرفع فمعنى هذا انه يومي كما حكى سيبويه ان من العرب من يقول الصلوة والزكوة يومي الى الواو ولهذا كتبنا في المصحف بالواو واظهر الدال نافع و
ابن كثير وعاصم ويعقوب وهو اختيار ابي عبيد وادغمها الباقون قوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده
زكريا فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ذكر رحمة ربك في موضع ذكر بلا به اقوال قال الفراء هو مرفوع

حتى قالوا الاعجوبة

اذ نادى ربه نداء خفيا

بكهيعص قال الزجاج هذا محال لان كهيعص ليس هو مما انبأنا الله به عن زكريا وقد خبر الله تعالى عنه
وعن ما بشر به وليس كهيعص [illegible] قصته وقال الاخفش التقدير فيما يقص عليكم ذكر رحمة ربك والقول
الثالث ان المعنى هذا الذي [illegible] ذكر رحمة ربك وقيل ذكر رحمة ربك رفع باضمار وقراء الحسن ذكر
رحمة ربك اي هذا الذي المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقراء ذكره على الامر ورحمة بالهاء يكتب و
يوقف عليها وكذلك كل ما كان مثلها لا اختلاف فيها بين النحويين واعتلوا في ذلك ان هذه الهاء لتانيث
الاسماء فرقا بينها وبين الافعال قوله تعالى عبده قال الاخفش هو منصوب برحمة زكريا
بدل منه كما تقول هذا ذكر ضرب زيد عمرا فعمرا منصوب بالضرب كما ان عبده منصوب بالرحمة وقيل هو
على التقديم والتأخير معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته فعبده منصوب بالذكر قاله الزجاج والفراء وقرأ
بعضهم عبده زكريا بالرفع وهي قراءة ابي العالية وقرأ يحيى بن يعمر ذكر بالنصب على معنى هذا القرآن ذكر
رحمة ربك عبده زكريا وقد تقدمت اللغات والقراءة في زكريا في آل عمران قوله تعالى
اذ نادى ربه نداء خفيا مثل قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد تقدم والنداء الدعاء والرغبة اي ناجى
ربه بذلك في محرابه دليله قوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب بين انه استجاب له في صلوته
كما نادى في الصلوة واختلف في اخفائه هذا النداء فقيل اخفاه من قومه لئلا يلام على مسئلة الولد عند كبر
السن ولانه امر دنيوي فان اجيب فيه نال بغيته وان لم يجب لم يعرف احد بذلك وقيل مخلصا فيه لم يطلع عليه
الا الله وقيل لما كانت الاعمال الخفية افضل وابعد من الريا اخفاه وقيل خفيا سرا من قومه في جوف
الليل والكل محتمل والاول اظهر والله اعلم وقد تقدم ان المستحب من الدعاء الاخفاء في سورة الاعراف وهذه
الآية نص في ذلك لانه سبحانه اثنى بذلك على زكريا وروى اسمعيل قال اخبرنا مسدد قال حدثنا يحيى بن سعيد
عن اسامة بن زيد عن محمد بن عبد الرحمن وهو ابن ابي كبشة عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وهذا عام وقال يونس بن عبيد وكان الحسن يرى ان
يدعو الامام في القنوت ويؤمن من خلفه من غير رفع صوت وتلى يونس اذ نادى ربه نداء خفيا قال ابن العربي
وقد اسر مالك القنوت وجهر به الشافعي والجهر به افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو به جهرا
قوله تعالى قال رب اني وهن العظم مني فيه مسئلتان الاولى قرئ وهن بالحركات الثلاث
اي ضعف يقال وهن يهن وهنا اي ضعف فهو واهن وقال ابن زيد يقال وهن يهن ووهن يوهن و
انما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه
واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصد الى ان هذا الجنس
الذي هو العظم دون القوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى آخر وهو
انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ادغم السين في الشين
ابو عمرو وهذا من احسن الاستعارة في كلام العرب والاشتعال انتشار شعاع النار شبه به انتشار الشيب
في الرأس يقول شخت وضعفت واضاف الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس ولم يضف الرأس اكتفاء
بعلم المخاطب انه رأس زكريا عليه السلام وشيبا في نصبه وجهان احدهما انه مصدر لان معنى اشتعل شاب وهذا
قول الاخفش وقال الزجاج هو منصوب على التمييز وقال النحاس قول الاخفش اولى لانه مشتق من فعل فالمصدر اولى

اى هذا ذكر رحمة ربك

والشيب فخالطه الشعر الابيض الاسود الثالثه قال العلماء يستحب للمرء ان يذكر نعم الله تعالى عليه وما يليق بالخضوع
لان قوله وهن العظم مني اظهار للخضوع وقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا اظهار لعادات تفضله في
اجابته ادعيته اي لم اكن بدعائي اياك شقيا اي لم يكن تخيب دعائي اذ دعوتك اي انك عودتني الاجابة
فيما مضى يقال شقي بكذا اي تعب فيه ولم يحصل مقصوده وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت الي
وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا وقضى حاجته
وانى خفت الموالي من ورائي الى قوله وليا
فيه سبع مسائل
قوله وانى خفت قراء عثمان بن عفان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين ويحيى بن يعمر
رضي الله عنهم خفّت وتشديد الفاء وكسر التاء وسكون الياء من الموالي لانه في موضع رفع بخفّت ومعناه انقطعت اي
بالموت وقرأ الباقون خفت بكسر الخاء وسكون الفاء وضم التاء ونصب الياء من الموالي لانه في موضع نصب بخفت
والموالي هنا الاقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب والعرب تسمي بني العم الموالي قال الشاعر مهلا
بني عمنا مهلا موالينا لا تنشروا بيننا ما كان مدفونا قال ابن عباس ومجاهد وقتاده خاف ان يرثوا ماله
وان ترثه الكلالة فاشفق ان يرثه غير الولد وقالت طائفة انما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان
يضيع الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده حكى هذا القول الزجاج وعليه فلم يسأل من يرث ماله اذ الانبياء
لا تورث وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآيه والله اعلم وانه عليه السلام اراد وراثه العلم والنبوه لا وراثه المال
لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وفي كتاب ابي داود
وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم وسيأتي لهذا مزيد بيان
عند قوله يرثني الثانية هذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى وورث سليمان داود وعباره
عن قول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وتخصيص للعموم في ذلك فان سليمان لم يرث
من داود مالا خلفه بعده وانما ورث منه الحكمه والعلم وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب هكذا قال اهل
العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض الا ما روي عن الحسن انه قال يرثني مالا ويرث من آل يعقوب النبوه والحكمه
وكل قول يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مدفوع مهجور قاله ابو عمر وقال ابن عطيه والاكثر من المفسرين
على ان زكريا انما اراد وراثه المال ويحتمل قول النبي عليه السلام انا معشر الانبياء لا نورث ان لا يريد به العموم بل على انه
غالب امرهم فتأمله والاظهر الاليق بزكريا عليه السلام ان يريد وراثه العلم والدين فتكون الوراثه مستعاره
الا ترى انه لما طلب وليا ولم يخصص ولدا بلّغه الله امله على اكمل الوجوه وقال ابو صالح وغيره وقوله من آل
يعقوب يريد العلم والنبوه الثالثه قوله تعالى من ورائي قراء ابن كثير بالمد والهمز وفتح الياء وعنه انه قراء
ايضا مقصورا مفتوح الياء مثل عصاي الباقون بالهمز والمد وسكون الياء والقراءه على قراءه خفت مثل يمت
الا ما ذكرنا عن عثمان وهي قراءة شاذة بعيده جدا حتى زعم بعض العلماء انها لا تجوز قال كيف يقول خفت الموالي
من بعدي اي من بعد موتي وهو حي قال النحاس والتأويل لها ان لا يعني بقوله من ورائي من بعد موتي
ولكن من ورائي في ذلك الوقت وهذا ايضا بعيد محتاج الى دليل انهم خفّوا في ذلك الوقت وقلّوا وقد اخبر الله
تعالى بما يدل على الكثرة حين قالوا ايهم يكفل مريم وقال ابن عطيه من ورائي من بعدي في الزمن فهو
الورا على ما تقدم في الكهف الرابعه قوله تعالى وكانت امرأتي عاقرا امرأته هي اشياع بنت فاقود بن قبيل
وهي اخت حنة بنت فاقود قاله الطبري وحنة هي ام مريم حسب ما تقدم في آل عمران بيانه وقال القتبي

في دعائه صح

بنا صح

بفتح الخاء صح

امرأة زكريا هي اشياع بنت عمران فعلى هذا القول لا يكون يحيى ابن خاله عيسى على الحقيقة و
على القول الآخر يكون ابن خالته وفي حديث الاسراء قال عليه السلام فلقيت ابني الخالة يحيى وعيسى
شاهد للقول الاول والله اعلم والعاقر التي لا تلد لكبر سنها وقد مضى في آل عمران بيانه والعاقر من
النساء ايضا التي لا تلد من غير كبر ومنه قوله تعالى ويجعل من يشاء عقيما وكذلك العاقر من الرجال
ومنه قول عامر بن الطفيل لبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا جبانا فما عذري لدى كل محضر
قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا سؤال ودعاء ولم يصرح بولد لما علم من حاله وبعده عنه بسبب المرأة
قال قتادة جرى له هذا الامر وهو ابن بضع وتسعين سنة وقال مقاتل خمس وتسعون سنة وهو اشبه
فقد كان غلب على ظنه انه كان لا يولد له لكبره ولذلك قال وقد بلغت من الكبر عتيا وقالت طائفة
بل طلب الولد ثم طلب ان تكون الاجابة في ان يعيش حتى يرثه تحفظا من ان تقع الاجابة في الولد لكن
يخترم ولا تتحصل منه الغرض الخامسه قال العلماء دعا زكريا عليه السلام في الولد انما كان
لاظهار دينه واحياء نبوته ومضاعفة لاجره لا للدنيا وكان ربه قد عوده الاستجابه ولذلك قال و
لم اكن بدعائك رب شقيا اي بدعائي اياك وهذه وسيلة حسنه ان يتشفع اليه بنعمه
ويستدر فضله بفضله يروى ان حاتم الجود لقيه رجل فسأله فقال له حاتم من انت فقال انا الذي
احسنت اليه عام اول فقال مرحبا بمن تشفع الينا بنا فان قيل كيف اقدم زكريا على مسألة ما يخرق العادة
دون اذن فالجواب ان ذلك جائز في زمان الانبياء وفي القرآن ما يكشف عن هذا المعنى فانه تعالى قال
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله فلما
رأى خارق العادة استحكم طمعه من اجابة دعوته فقال تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآيه السادسه
ان قال قائل هذه الآيه تدل على جواز الدعاء بالولد والله تعالى قد حذرنا من آفات
الاموال والاولاد ونبه على المفاسد الناشيه من ذلك فقال انما اموالكم واولادكم فتنه وقال ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فالجواب ان الدعاء بالولد معلوم من الكتاب والسنة
حسب ما تقدم في آل عمران بيانه ثم ان زكريا عليه السلام تحرز فقال ذرية طيبة وقال واجعله رب
رضيا والولد اذا كان بهذه الصفة نفع ابويه في الدنيا والآخرة وخرج من حد العداوة والفتنة الى حد
المسرة والنعمة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لانس خادمه فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه
فدعا له بالبركة تحرزا مما يؤدي اليه الاكثار من الهلكة وهكذا فليتضرع العبد الى مولاه في هداية ولده
ونجاته في اولاه واخراه اقتداء بالانبياء والفضلاء الاولياء وقد تقدم في آل عمران والحمد لله قوله تعالى يرثني
ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا فيه اربع مسائل الاولى قوله يرثني قراء اهل الحرمين والحسن
وعاصم وحمزة يرثني ويرث بالرفع فيهما وقراء يحيى بن يعمر وابو عمرو ويحيى بن وثاب والاعمش
والكسائي بالجزم فيهما وليس هما جواب هب على مذهب سيبويه انما تقديره ان تهب يرثني ويرث والاول اصوب
في المعنى لانه طلب وارثا موصوفا اي هب لي من لدنك الولي الذي هذه حاله وصفته لان الاولياء منهم من لا يرث
فقال هب لي الذي يكون وارثي قاله ابو عبيد ورد قراءة الجزم قال لان معناه ان وهبت ورث وكيف
يخبر الله عز وجل بهذا وهو اعلم به قال النحاس وهذه حجة متقصيه لان جواب الامر عند النحويين فيه معنى

معنى الشرط والمجازاة تقول أطع الله يدخلك الجنه اي ان تطعه يدخلك الجنه قال ابن عباس
واما معنى يرثني ويرث من آل يعقوب فللعلماء فيه ثلثه اجوبة قيل هي وراثه نبوة وقيل هي
وراثه حكمة وقيل هي وراثه مال فاما قولهم وراثه نبوه فمحال لان النبوة لا تورث ولو كانت
تورث لقال قائل الناس ينتسبون الى نوح صلى الله عليه وسلم وهو نبي مرسل ووراثه العلم والحكمة
مذهب حسن وفي الحديث العلماء ورثه الانبياء واما وراثه المال فلا يمتنع وان كان قوم قد انكروه لقول
النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقه وهذا لا حجه فيه لان الواحد يخبر عن نفسه باخبار الجمع
وقد تأول هذا بمعنى لا نورث الذي تركنا صدقه لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخلف شيئا فيورث عنه
وانما كان الذي اباحه الله عز وجل في حياته بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
وللرسول لان معنى لله لسبيل الله ومن سبيل الله ما يكون في مصلحة الرسول صلى الله عليه وسلم ما دام حيا فان
قيل ففي بعض الروايات انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقه ففيه التاويلان جميعا ان يكون ما
بمعنى الذي والآخر لا نورث من كانت هذه حاله وقال ابو عمر اختلف العلماء في تاويل قوله عليه السلام
لا نورث ما تركنا صدقه على قولين احدهما وهو الاكثر وعليه الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث
وما ترك صدقه والآخر ان نبينا عليه السلام لم يورث لان الله تعالى خصه بان جعل ماله كله صدقه زيادة
في فضيلته كما خص في النكاح باشياء اباحها له وحرمها على غيره وهذا القول قاله بعض اهل البصرة
منهم ابن علية وسائر علماء المسلمين على القول الاول قوله تعالى من آل يعقوب قيل هو
يعقوب اسرائيل الله وكان زكريا متزوجا باخت مريم بنت عمران ويرجع نسبها الى يعقوب لانها من ولد
سليمان بن داود عليهما السلام من ولد يهودا بن يعقوب وزكريا من ولد هرون اخي موسى وهرون
وموسى من ولد لاوي بن يعقوب وكانت النبوة في سبط يعقوب بن اسحاق وقيل المعني بيعقوب ههنا
يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان ابي مريم اخوان من نسل سليمان بن داود لان يعقوب وعمران
ابنا ماثان وبنو ماثان رؤساء بني اسرائيل قاله مقاتل وغيره وقال الكلبي وكان آل يعقوب اخواله وهو
يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك وكان زكريا من ولد هرون بن عمران اخي موسى وروى قتادة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته ولم ينصرف يعقوب لانه اعجمي واجعله رب
رضيا اي مرضيا في اقواله وافعاله واخلاقه وقيل راضيا بقضائك وقدرك وقيل رجلا صالحا ترضى عنه وقال
ابو صالح نبيا كما جعلت اباه نبيا قوله تعالى يا زكريا في الكلام حذف اي فاستجاب الله دعاءه فقال يا زكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى فتضمنت هذه البشرى ثلثة اشياء احدها اجابة دعاءه وهو كرامة
الثاني اعطاؤه وهو قوة الثالث ان تفرد بتسميته وقد تقدم معنى تسميته بيحيى في آل عمران وقال
مقاتل سماه يحيى لانه حيي بين اب شيخ وام عجوز وهذا فيه نظر لما تقدم من ان امرأته كانت عقيما
لا تلد والله اعلم قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي لم نسم احدا قبل يحيى بهذا الاسم قاله ابن عباس و
قتاده وابن اسلم والسدي ومن علیه تعالى بان لم يكل تسميته الى الابوين وقال مجاهد وغيره سميا
معناه مثلا ونظيرا وهو مثل قوله تعالى هل تعلم له سميا وهذا كانه من المساماة والسمو وهذا فيه بعد لانه
لا يفضل على ابرهيم وموسى اللهم الا ان يفضل في خاص كالسودد والحصر على ما تقدم بيانه في آل عمران

وقال ابن عباس معناه لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل ان الله اشترط القبل لانه اراد ان يخلق بعده افضل
منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل وشاهد على ان الاسامي الشنعة جائزة بالاثرة واياها كانت
العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانزه عن النبز حتى قال القائل شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس
الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت
قال رب انى يكون لي غلام ليس على معنى الانكار لما اخبر الله به على سبيل التعجب من قدرة الله ان يخرج ولدا
من امرأة عاقر وشيخ كبير وقيل غير هذا مما تقدم في آل عمران بيانه وقد بلغت من الكبر عتيا يعني النهاية في
الكبر واليبس والجفاف ومثله العسي قال الاصمعي عسى الشيء يعسو عسوا وعساء ممدود اي يبس وصلب
وعسا الشيخ يعسو عسيا ولى وكبر مثل عتا يقال عتا الشيخ يعتو عتيا كبر وولى وعتوت يا فلان تعتو عتوا
وعتيا وعتيا والاصل عتو لانه من ذوات الواو فابدلوا من الواو ياء لانها اختها وهي اخف منها والآيات على
الياآت ومن قال عتيا كره الضمة مع الكسرة والياء وقال الشاعر انما يعذر الوليد ولا يعذر من كان في الزمان
عتيا وقرأ ابن عباس عسيا وهي كذلك في مصحف ابي وقرأ يحيى بن وثاب وحمزة والكسائي وحفص عتيا
بكسر العين وكذلك جثيا وصليا حيث كن وضم حفص بكيا خاصة وكذلك الباقون في الجميع وهما لغتان و
قيل عتيا قسيا يقال ملك عاتي اذا كان قاسي القلب قال كذلك قال ربك هو علي هين اي قال
له الملك كذلك قال ربك والكاف في موضع رفع اي الامر كذلك اي كما قيل لك هو علي هين قال الفراء اي خلقه علي
هين وقد خلقتك من قبل يحيى وهذه قراءة اهل المدينه والبصره وعاصم وقرأ سائر الكوفيين وقد خلقناك
بالنون والالف بالجمع على التعظيم والقراءة الاولى اشبه بالسواد ولم تك شيئا اي كما خلقك الله بعد العدم
ولم تك شيئا موجودا فهو القادر على خلق يحيى وايجاده قال رب اجعل لي آية طلب آية على حملها
بعد بشارة الملائكه اياه وبعد قوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا زيادة طمأنينة اي تمم النعمة
بان تجعل لي آية وتكون تلك الآية زيادة نعمة وكرامه وقيل طلب آية تدله على البشارة منه بيحيى لا من الشيطان
لان ابليس اوهمه ذلك قاله الضحاك وهو معنى قول السدي وهذا فيه نظر لاخبار الله تعالى بان الملئكة
نادته حسب ما تقدم في آل عمران قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا تقدم في آل عمران بيانه
فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فيه خمس مسائل
الاولى قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب اي اشرف عليهم من المصلى والمحراب ارفع المواضع واشرف المجالس
وكانوا يتخذون المحاريب فيما ارتفع من الارض دليله محراب داود على ما ياتي واختلف الناس في اشتقاقه
فقالت فرقه هو مأخوذ من الحرب بفتح الراء كان ملازمه يحارب الشيطان والشهوات وقالت فرقه هو مأخوذ من
الحرب بفتح الراء كان ملازمه يلقى منه حربا وتعبا ونصبا الثانيه هذه الآيه تدل على ان ارتفاع امامهم على
المأمومين كان مشروعا عندهم في صلاتهم وقد اختلف في هذه المسئله فقهاء الامصار فاجاز ذلك الامام احمد بن
حنبل وغيره متمسكا بقصة المنبر ومنع مالك ذلك في الارتفاع الكبير دون اليسير وعلل اصحابه المنع بخوف الكبر
على الامام قال المؤلف رحمه الله وهذا فيه نظر واحسن منه ما رواه ابو داود ان همام بن حذيفة ام الناس بالمدائن
على دكان فاخذ ابو مسعود بقميصه فجبذه فلما فرغ من صلاته قال الم تعلم انهم كانوا ينهون عن هذا قال بلى
قد ذكرت حين مددتني وروى ايضا عن عدي بن ثابت الانصاري قال حدثني رجل انه كان مع عمار بن

ياسر بالبان فاقيمت الصلاة فتقدم عمار بن ياسر فقام على دكان يصلي والناس اسفل منه فتقدم حذيفة فاخذ على يديه
فاتبعه عمار حتى انزله حذيفة فلما فرغ عمار من صلاته قال له حذيفة الم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا ام الرجل القوم فلا يقم في مكان ارفع من مقامهم او نحو ذلك فقال له عمار لذلك اتبعتك حين اخذت على
يدي قال المؤلف رحمه الله فهذا ثلثة من الصحابة قد اخبروا بالنهي عن ذلك ولم يحتج احد منهم على صاحبه بحديث
المنبر فدل على انه منسوخ ومما يدل على نسخه ان فيه عملا زائدا في الصلوة وهو النزول والصعود فنسخ كما نسخ
الكلام والسلام وهذا اولى مما اعتذر به اصحابنا من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من الكبر
لان كثيرا من الائمة يوجد لا كبر عندهم ومنهم من علله بان ارتفاع المنبر كان يسيرا والله اعلم
قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا قال الكلبي والقرظي وقتادة وابن منبه اوحى اليهم اشار وقال العتبي
اوصى وقال مجاهد كتب على الارض وقال عكرمة في كتاب والوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول ذي الرمة
سوى الاربع الدهم اللواتي كانها بقية وحي في بطون الصحائف وقال عنترة كوحي صحائف من عهد
كسرى فاهداها لاعجم طمطمي وبكرة وعشيا ظرفان وزعم الفراء ان العشي يؤنث ويجوز
تذكيره اذا ابهمت قال وقد يكون العشي جمع عشية تقدم الكلم في الاستانة في آل عمران
واختلف علماؤنا فيمن حلف ان لا يكلم انسانا فكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا فقال مالك انه يحنث
الا ان ينوي مشافهته ثم رجع فقال لا ينوي في الكتاب ويحنث الا ان يرتجع الكتاب قبل وصوله قال ابن القاسم
اذا قراء كتابه حنث وكذلك لو قراء الحالف كتاب المحلوف عليه وقال اشهب لا يحنث اذا قراءه الحالف وهذا بين
لانه لم يكلمه ولا ابتداه بكلام الا ان يريد ان لا يعلم معنى كلامه فانه يحنث وعليه يخرج قول ابن القاسم
فان حلف ليكلمنه لم يبر الا بمشافهته قال ابن الماجشون وان حلف لئن علم كذا ليعلمنه او ليخبرنه
فكتب اليه او ارسل اليه رسولا بر ولو علماه جميعا لم يبر حتى يعلمه لان علمهما مختلف اتفق مالك
والشافعي والكوفيون ان الاخرس اذا كتب الطلاق بيده لزمه قال الكوفيون الا ان يكون رجلا صمت اياما
فكتب لم يلزمه من ذلك شيء قال الطحاوي الاخرس مخالف للصمت العارض كما ان العجز عن الجماع لعارض كالمرض ونحوه
يوما ونحوه مخالف للعجز المأيوس منه الجماع نحو الجنون في باب خيار المرأة في الفرقة يا يحيى خذ
الكتاب بقوة في الكلام حذف المعنى فولد له وقال الله تعالى للمولود يا يحيى وهذا اختصار ما يدل الكلام عليه
والكتاب التوراة بلا خلاف بقوة اي بجد واجتهاد قاله مجاهد وقيل العلم به والحفظ له والعمل به وهو
الالتزام لاوامره والكف عن نواهيه قاله زيد بن اسلم وقد تقدم في البقرة وآتيناه الحكم قيل
الاحكام والمعرفة بها روى معمر ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقت فانزل الله تعالى
وآتيناه الحكم صبيا قال قتادة ابن سنتين او ثلث وقال مقاتل كان ابن ثلاث سنين وصبيا نصب على الحال
وقال ابن عباس من قراء القرآن قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكم صبيا وروي في تفسير هذه الآية من
طريق عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان
من يحيى بن زكريا وقال قتادة ان يحيى عليه السلام لم يعص الله قط بصغيرة ولا كبيرة ولا هم بامراة
وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان للدمع في خديه مجاري ثابتة وقد مضى الكلام في معنى قوله وسيدا وحصورا
في آل عمران قوله تعالى وحنانا من لدنا حنانا عطف على الحكم روي عن ابن عباس انه قال والله ما ادري ما

الحنان وقال جمهور المفسرين الحنان الرحمة والشفقة والمحبة وهو فعل من افعال النفس قال النحاس وفي
الحنان عن ابن عباس قولان احدهما قال تعطف الله عز وجل عليه بالرحمة والقول الآخر ما اعطيه من رحمة الناس
حتى يخلصهم من الكفر والشرك واصله من حنين الناقة على ولدها ويقال حنانك وحنانيك قيل هما لغتان بمعنى واحد
وقيل حنانيك تثنية الحنان قال ابو عبيد والعرب تقول حنانك يا رب وحنانيك يا رب بمعنى واحد تريد رحمتك
قال امرؤ القيس ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان وقال طرفة ابا منذر افنيت فاستبق
بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض قال الزمخشري حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد
سيبويه فقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف قال ابن الاعرابي الحنان من صفة الله
عز وجل مشددا الرحيم والحنان الرزق والبركة قال ابن عطية والحنان في كلام العرب ايضا ما عظم من الامور
في ذات الله ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل في حديث بلال والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا
وذكر هذا الخبر الهروي فقال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اي لاتمسحن به وقال الازهري معناه لا
لاتعطفن عليه ولاترحمن عليه لانه من اهل الجنة قال المؤلف رحمه الله فالحنان العطف ولذا قال مجاهد
وحنانا اي تعطفا منا عليه او منه على الخلق قال الحطيئة تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا
وقال عكرمة محبة وحنة الرجل امرأته لتوادهما قال الشاعر فقالت حناني ما اتى بك ههنا قوله تعالى
وزكاة الزكاة التطهير والبركة والتنمية في وجوه الخير والبر اي جعلناه مباركا للناس يهديهم
وقيل المعنى زكيناه بحسن الثناء عليه كما تزكي الشهود انسانا وقيل زكاة صدقة به على ابويه قاله
ابن قتيبة وكان تقيا اي مطيعا لله ولهذا لم يعمل خطيئة ولم يلم بها وبرا بوالديه البر
بمعنى البار وهو كثير البر والجبار المتكبر فوصف يحيى عليه السلام بلين الجانب وخفض الجناح
وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه امان قال ابن عطية والاظهر عندي انها التحية المتعارفة
فهي اشرف وانبه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان عنه وهي اقل درجاته وانما الشرف في
ان الله سلم عليه وحياه في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى
الله وعظيم الهول قال المؤلف رحمه الله هذا قول حسن وقد ذكرنا معناه عن سفيان بن عيينة في سورة
سبحان عند قتل يحيى وذكر الطبري عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا وهما ابنا الخالة فقال يحيى لعيسى
ادع الله لي فانت خير مني فقال له عيسى بل انت ادع الله لي فانت خير مني سلم الله عليك وانا سلمت على
نفسي فانتزع بعض العلماء من هذه الآية في التسليم فضل عيسى بان قال ادلاله في التسليم على نفسه ومكانته
من الله التي اقتضت ذلك حين قرر وحكى في محكم التنزيل اعظم في المنزلة من ان يسلم عليه قال ابن عطية ولكل
وجه قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم القصة الى آخرها هذه ابتداء قصة ليست من الاولى والخطاب لمحمد
صلى الله عليه وسلم اي عرفهم قصتها ليعرفوا كمال قدرتنا اذ انتبذت اي تنحت وتباعدت والنبذ الطرح
والرمي قال الله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم ومن اهلها اي ممن كان معها واذ بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها والانتباذ الاعتزال والانفراد واختلف الناس لم انتبذت فقال السدي انتبذت
لتطهر من حيض وقال غيره لتعبد الله وهذا احسن وذلك ان مريم عليها السلام كانت وقفا على سدانة المتعبد
وخدمته والعبادة فيه فتنحت من الناس لذلك ودخلت في المسجد الى جانب المحراب في شرقيه لتخلو للعبادة فدخل

وفي حديث بلال وهو يعذب
ورقة بن نوفل وهو يعذب
فقال م

السدي
م

عمار
م

عليها جبرئيل عليه السلام فقوله تعالى مكانا شرقيا اى مكانا من جانب الشرق والشرق بسكون الراء المكان الذى
تشرق فيه الشمس والشرق بفتح الراء الشمس وانما خص المكان بالشرق لانهم كانوا يعظمون جهة المشرق ومن حيث تطلع
الانوار وكانت الجهات الشرقية من كل شئ افضل من سواها حكاه الطبرى وحكى عن ابن عباس انه قال انى لاعلم
الناس لم اتخذ النصارى المشرق قبلة لقول الله عز وجل اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد
عيسى قبلة وقالوا لو كان شئ من الارض خيرا من الشرق لوضعت مريم عيسى اليه واختلف الناس فى نبوة مريم عليه السلام
فقيل كانت نبية بهذا الارسال والمحاورة للملك وقيل لم تكن نبية وانما كلمها مثال بشر ورؤيتها للملك كما روى
جبرئيل عليه السلام فى صفة دحية حين سؤاله عن الايمان والاسلام والاول اظهر وقد مضى الكلام فى هذا
المعنى موعبا فى آل عمران فارسلنا اليها روحنا قيل هو روح عيسى لان الله تعالى خلق الارواح
قبل الاجساد فركب الروح فى جسد عيسى الذى خلقه فى بطنها وقيل هو جبرئيل واضيف الروح الى الله تخصيصا
وكرامة والظاهر انه جبرئيل لقوله فتمثل لها اى تمثل الملك لها بشرا تفسير او حال سويا اى مستوى الخلقة
لانها لم تكن لتطيق ان تنظر الى جبرئيل فى صورته ولما رأت رجلا حسن الصورة فى صورة البشر قد خرق عليها
الحجاب ظنت انه يريدها بسوء قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اى ان كنت ممن يتقى الله
قال البكالى فنكص جبرئيل فزعا من ذكر الرحمن تبارك وتعالى قال الثعلبى كان صالحا فتعوذت منه
تعجبا وقيل تقى فعيل بمعنى مفعول اى ان كنت ممن يتقى منه وفى البخارى قال ابو وائل علمت مريم ان
التقى ذو نهية حين قالت ان كنت تقيا وقيل تقى اسم فاجر معروف فى ذلك الوقت قاله وهب بن منبه
حكاه مكى وغيره قال ابن عطية وهو ضعيف ذاهب مع التحرص فقال لها جبرئيل عليه السلام انما انا رسول
ربك لاهب لك جعل الهبة من قبله لما كان الاعلام بها من قبله وقرأ ورش عن نافع ليهب على معنى
ارسلنى الله ليهب لك وقيل معنى لاهب بالهمز محمول على المعنى اى قال ارسلته لاهب لك ويحتمل ليهب بلا
همز ان يكون بمعنى المهموز ثم خففت الهمزة فلما سمعت مريم ذلك من قوله استفهمت عن طريقه فقالت انى
يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر يشمل الحلال والحرام وقيل ما استبعدت من قدرة الله تعالى شيئا ولكن
ارادت كيف يكون هذا الولد من قبل زوج فى المستقبل ام يخلقه الله ابتداء روى ان جبرئيل عليه السلام حين
قاولها هذه المقاولة نفخ فى جيب درعها وكمها قاله ابن جريج وقال ابن عباس اخذ جبرئيل ردن قميصها
باصبعه فنفخت فيه فحملت من ساعتها بعيسى قال الطبرى وزعمت النصارى ان مريم حملت بعيسى ولها ثلاث
عشرة سنة وان عيسى عاش الى ان رفع اثنين وثلثين سنة واياما وان مريم بقيت بعده ست سنين فكان
جميع عمرها نيفا وخمسين سنة وقوله ولنجعله متعلق بمحذوف اى نخلقه لنجعله آية دالة على قدرتنا عجيبة
ورحمة لمن آمن به وكان امرا مقضيا مقدورا فى اللوح مسطورا فانتبذت به مكانا قصيا
اى تنحت بالحمل الى مكان بعيد قال ابن عباس الى اقصى الوادى وهو وادى بيت لحم بينه وبين ايلة اربعة
اميال وانما بعدت فرارا من تعيير قومها اياها بالولادة من غير زوج قال ابن عباس ما هو الا ان حملت
فوضعت فى الحال وهذا هو الظاهر لان الله تعالى ذكر الانتباذ عقب الحمل وقيل غير هذا على ما يأتى
فاجاءها المخاض الى جذع النخلة اجاءها بمعنى اضطرها وهو تعدية جاء بالهمز يقال جاءه واجاءه الى موضع
الى موضع كذا كما يقال ذهب به واذهبه وقرأ شبل وروت عن عاصم فاجاءها من المفاجأة وفى مصحف ابى

انطاءها المخاض قال زهير وجار سار معتمدا اليكم اجاءته المخافة والرجاء وقرأ الجمهور المخاض بفتح الميم
وابن كثير بكسرها وهو الطلق وشدة الولادة واوجاعها مخضت المرأة تمخض مخاضا ومخاضا وناقة ماخض
اى دنا ولادها الى جذع النخلة كانها طلبت شيئا تستند اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق
والجذع ساق النخلة اليابسة فى الصحراء الذى لا سعف عليه ولا غصن ولهذا لم يقل الى النخلة قالت يا ليتنى
مت قبل هذا تمنت مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين احدهما انها خافت ان يظن بها الشر فى
الدين وتعير فيفتنها ذلك الثانى لئلا يقع قوم بسببها فى البهتان والنسبة الى الزنا وذلك مهلك فعلى هذا الحد
يكون تمنى الموت جائزا وقد مضى هذا المعنى مبينا فى سورة يوسف عليه السلام قال المؤلف رحمه الله وقد سمعت
ان مريم عليها السلام سمعت نداء من يقول اخرج يا من يعبد من دون الله فحزنت لذلك وقالت يا ليتنى مت
قبل هذا وكنت نسيا منسيا النسى فى كلام العرب الشئ الحقير الذى شانه ان ينسى ولا يتألم لفقده كالوتد
والحبل للمسافر ونحوه وحكى عن العرب انهم اذا ارادوا الرحيل عن المنزل قالوا احفظوا انساءكم الانساء
جمع نسى وهو الشئ الحقير يغفل وينسى ومنه قول الكميت اتجعلنا جسر الكلب قضاعة ولست بنسى فى معد
ولا دخل وقال الفراء النسى ما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها فقول مريم نسيا منسيا اى حيضة ملقاة و
قرئ نسيا بفتح النون وقرأ البكالى نسئا بفتح النون من نسأ الله فى اجله وحكاها ابو الفتح والدانى عن محمد بن كعب و
هما لغتان مثل الجس والجس والوتر والوتر وقرأ محمد بن كعب القرظى بالهمز نسئا بكسر النون وقرأ بكر بن حبيب
نسا بشد السين وفتح النون دون همز وقد حكى الطبرى فى قصصها انها لما حملت بعيسى حملت اختها ايضا
بيحيى فجاءتها اختها زائرة فقالت يا مريم اشعرت انى حملت فقالت لها مريم اشعرت انت انى حملت فقالت
لها وانى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وذلك انه روى انها احست جنينها يخر برأسه الى ناحية بطن مريم
قال السدى فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وذكر ايضا من قصصها انها خرجت فارة مع رجل من بنى
اسرائيل يقال له يوسف النجار كان يخدم معها المسجد وطول فى ذلك قال الكلبى قيل ليوسف وكانت سميت له
انها حملت من الزنا فالآن يقتلها الملك فهرب بها فهم فى الطريق بقتلها فاتاه جبرئيل وقال انه من روح القدس
قال ابن عطية وهذا كله ضعيف وهذه القصة تقتضى انها حملت واستمرت حاملا على عادة البشر وتظاهرت
الروايات بانها ولدته لثمانية اشهر قاله عكرمة ولذلك قيل لا يعيش ابن ثمانية اشهر حفظا لخاصة عيسى
وقيل ولدته لسبعة وقيل لستة وما ذكرناه عن ابن عباس اصح واظهر والله اعلم فناداها من تحتها
قرئ بفتح الميم وكسرها قال ابن عباس المراد بمن جبرئيل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها وقاله علقمة
والضحاك وقتادة ففى هذا آية لها وامارة ان هذا من الامور الخارقة للعادة التى فيها لله مراد عظيم وقوله
ان لا تحزنى تفسير النداء وان مفسرة بمعنى اى المعنى فلا تحزنى بولادتك قد جعل ربك تحتك سريا
يعنى عيسى والسرى من الرجال العظيم الخصال السيد قال الحسن كان والله سريا من الرجال ويقال سرى
فلان على فلان اى تكرم وفلان سرى من قوم سراة وقال الجمهور اشار لها الى الجدول الذى كان قرب جذع
النخلة قال ابن عباس كان ذلك نهرا قد انقطع ماؤه فاجراه الله لمريم والنهر يسمى سريا لان الماء يسرى فيه قال
الشاعر سلم ترى الدالى منه ازورا اذا يعج فى السرى هرهرا وقال لبيد فتوسطا عرض السرى فصدعا
مسجورة متجاورا اقلامها وقيل ناداها عيسى وكان ذلك معجزة وآية وتسكينا لقلبها والاول اظهر وقرأ ابن عباس

فناداها ملك من تحتها قالوا وكان جبرئيل في بقعة من الارض اخفض من البقعة التي كانت هي عليها

وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ فيه اربع مسائل قوله وهزي امرها بهز الجذع اليابس لتري آية اخرى

في احياء موات الجذع والباء في قوله بجذع النخلة زائدة مؤكدة كما يقال خذ بالزمام واعط بيدك وقال الله تعالى

فليمدد بسبب الى السماء اي فليمدد سببا وهل المعنى وهزي اليك رطبا على جذع النخلة وتساقط اي تتساقط

فادغم التاء في السين وقرا حمزة تساقط مخففا فحذف التي ادغمها غيره وقرا عاصم في رواية حفص تساقط بضم

التاء مخففا وكسر القاف وقرئ تتساقط باظهار التائين وتساقط بادغام الياء وتسقط وتسقط ويسقط التاء للنخلة

والياء للجذع فهذه تسع قراءات ذكرها الزمخشري رطبا نصب بالهز اي اذا هززت الجذع هززت بهزه رطبا

جنيا وعلى الجملة فرطبا تختلف نصبه بحسب معاني القراءات فمرة يسند الفعل الى الجذع ومرة الى الهز ومرة

النخلة وجنيا معناه قد طاب وصلحت للاجتناء وهي من جنيت الثمرة ويروى عن ابن مسعود ولا يصح انه قرا تساقط

عليك رطبا جنيا برنيا وقال مجاهد كانت عجوة وقال عباس بن الفضل سالت ابا عمرو بن العلاء عن قوله رطبا جنيا

فقال لم يذو قال وتفسيره لم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدي مجتنيه وهذا هو الصحيح وقال الفراء الجني و

المجني واحد يذهب الى انهما بمنزلة القتيل والمقتول والجريح والمجروح وقال الفراء الجني المقطوع من نخله

والماخوذ من مكان نشاه وانشدوا وطيب ثمار في رياض اريضة واغصان اشجار جناها على قرب يريد

بالجني ما يجنى منها اي يقطع ويوخذ قال ابن عباس كان جذعا نخرا فلما هزت نظرت الى اعلا الجذع فاذا السعف

قد طلع ثم نظرت الى الطلع قد خرج من بين السعف ثم اخضر فصار بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك

في طرفة عين فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشدخ منه شيء استدل بعض الناس بهذه الآية على

ان الرزق وان كان محتوما فان الله قد وكل ابن ادم الى سعي ما فيه لانه امر مريم بهز الجذع لترى آية وكانت

الآية تكون بان لا تهز الامر بتكليف الكسب في الرزق سنة الله في عباده وان ذلك لا يقدح في التوكل

خلافا لما تقوله جهال المتزهدة وقد تقدم هذا المعنى والخلاف فيه وقد كانت قبل ذلك ياتيها رزقها من غير تكسب

كما قال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما ولدت امرت قال علماؤنا لما كانت قلبها فارغا فرغ الله

جارحتها عن النصب فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه واشتغل سرها بحديثه وامره وكلها الى كسبها ورد الى العادة

بالتعلق بالاسباب في عباده حكى الطبري عن ابن زيد ان عيسى قال لها لا تحزني فقالت وكيف لا احزن وانت

معي لا ذات زوج ولا مملوكة اي شيء عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى انا

اكفيك الكلام الرابعة قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية ولو علم الله شيئا

افضل من الرطب للنفساء لاطعمه مريم ولذلك قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقيل

اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ذكره الزمخشري وقال ابن وهب قال مالك

قال الله تعالى رطبا جنيا الجني من التمر ما طاب من غير نقش ولا افساد والنقش ان ينقش في اسفل البسرة حتى

ترطب فهذا مكروه يعني مالك ان هذا تعجيل الشيء قبل وقته فلا ينبغي لاحد ان يفعله وان فعله فاعل ما كان ذلك

مجوزا لبيعه ولا حكما بطيبه وقد مضى هذا في الانعام والحمد لله وعن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع وان

جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احدهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو قوله تعالى

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فكلي من الجني واشربي من السري وقري عينا برؤية الولد النبي وقرئ بفتح القاف قراءة الجمهور

وحكى الطبري قراءة وقري بكسر القاف وهي لغة نجد يقال قر عينا يقر ويقر بضم القاف وكسرها واقر الله

عينه فقرت وهو ماخوذ من القر والقرة وهما البرد ودمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وضعفت فرقة

هذا وقالت الدمع كله حار فمعنى اقر الله عينه اي سكن الله عينه بالنظر الى من يحبه حتى تقر وتسكن و

فلان قرة عيني اي نفسي تسكن بقربه وقال الشيباني وقري عينا معناه نامي حضها على الاكل والشرب والنوم

قال ابو عمرو اقر الله عينه اي انام عينه واذهب سهره وعينا نصب على التمييز كقوله طب نفسا والفعل في الحقيقة

انما هو للعين فنقل ذلك الى ذي العين وينصب الذي كان فاعلا في الحقيقة على التمييز ومثله طبت نفسا وتفقأت

شحما وتصببت عرقا ومثله كثير فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فيه ثلاث مسائل قوله

فاما ترين الاصل في ترين ترايين فحذفت الهمزة كما حذفت من ترى ونقلت فتحتها الى الراء فصار ترين ثم قلبت

الياء الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان الالف المنقلبة عن الياء وياء التانيث فحذفت الالف لالتقاء

الساكنين فصار ترين ثم حذفت النون علامة للجزم لان ان حرف شرط وما صلة فبقي تري ثم دخله نون التوكيد

وهي مثقلة فكسر ياء التانيث لالتقاء الساكنين لان النون المثقلة بمنزلة نونين الاولى ساكنة فصار ترين وهذا

على هذا النحو قول ابن دريد اما ترى راسي حاكى لونه وقول الافوه اما ترى راسي ازرى به الشيب وانما دخلت

النون هنا بتوطئة ما كما يوطئ لدخولها ايضا لام القسم وقرا طلحة وابو جعفر وشيبة ترين بسكون الياء وفتح النون

خفيفة قال ابو الفتح وهي شاذة قوله تعالى فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا اي صمتا قاله ابن عباس وانس

بن مالك وفي قراءة ابي بن كعب اني نذرت للرحمن صوما صمتا وروي عن انس عنه ايضا وصمتا بواو واختلاف اللفظين

يدل على ان الحرف ذكر تفسيرا لا قرآنا فاذا اتت معه واو فممكن ان يكون غير الصوم والذي تتابعت به الاخبار عن

اهل الحديث ورواة اللغة ان الصوم هو الصمت لان الصوم امساك والصمت امساك عن الكلام وقيل هو الصوم المعروف

وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم الا بالاشارة وعلى هذا تخرج قراءة انس وصمتا بواو وان الصمت كان عندهم في الصوم

ملتزما كما لو نذر كان من نذر مثلا المشي الى البيت اقتضى ذلك الاحرام بالحج او العمرة ومعنى هذه الآية ان الله تعالى

امرها على لسان جبرئيل وابنها على الخلاف المتقدم بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها

وتتبين الآية فيقوم عذرها وظاهر الآية انها ابيح لها ان تقول هذه الالفاظ التي في الآية وهو قول الجمهور وقالت

فرقة معناه قولي بالاشارة لا بالكلام قال الزمخشري وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد

مسافها من التنعم بالنذر ان لا يكلم احدا من الآدميين فيحتمل ان يقال انه قربة فيلزم بالنذر ويحتمل ان

يقال لا يجوز ذلك في شرعنا لما فيه من التضييق وتعذيب النفس كنذر القيام في الشمس ونحوه وعلى هذا كان نذر الصمت

في تلك الشريعة لا في شريعتنا وقد امر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق بالكلام وهذا هو الصحيح لحديث ابي اسرائيل

خرجه البخاري عن ابن عباس وقال ابن زيد والسدي كانت سنة الصيام عندهم الامساك عن الاكل والكلام

قال المؤلف رحمه الله ومن سنتنا نحن في الصيام الامساك عن الكلام القبيح قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان

احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم وقال عليه السلام من لم يدع قول الزور

والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه قوله تعالى فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ روي ان مريم لما

اطمانت بما رات من الآيات وعلمت ان الله سيبين عذرها اتت به تحمله من المكان القصي الذي كانت انتبذت

فيه قال ابن عباس خرجت من عندهم حين اشرقت الشمس وجاءتهم عند الظهر ومعها صبي تحمله فكان الحمل والولادة في

ساعات من النهار وقال الكلبي ولدت حيث لم يشعر بها قومها ومكثت اربعين يوما للنفاس ثم اتت قومها فلما اتوها
مع الصبي حزنوا وكانوا اهل بيت صالحين فقالوا منكرين لقد جئت شيئا فريا اي جئت بامر عظيم كالآتي بالشيء
يفتريه قال مجاهد فريا عظيما وقال سعيد بن مسعدة اي مختلقا مفتعلا يقال فريت وافريت بمعنى واحد والولد
من الزنا كالشيء المفترى قال الله تعالى ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن اي بولد بقصد
الحاقه بالزوج وليس منه يقال فلان يفري الفري اي يعمل العمل البالغ وقال ابو عبيدة الفري العجيب النادر وقال
الاخفش فريا عجيبا والفري القطع كانه مما يخرق العادة او يقطع القول بكونه عجيبا نادرا وقال قطرب الفري الجديد
من الاسقية اي جئت بامر جديد بديع لم تسبقي اليه وقرأ ابو حيوة شيئا فريا بسكون الراء وقال السدي ووهب لما
اتت به قومها تحمله تسامع بذلك بنو اسرائيل فاجتمع رجالهم ونساؤهم فمدت امرأة يدها اليها لتضربها فاجف
الله شطرها فحملت كذلك وقال آخر ما اراها الا زنت فاخرسه الله فتحاماها الناس من ان يضربوها او يقولوا
لها كلمة تؤذيها وجعلوا يخفضون لها القول ويلينون فقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا اي عظيما قال الراجز
قد اطعمتني دقلا حوليا مسوسا مدودا حجريا قد كنت تفرين به الفريا اي تعظمينه
يا اخت هارون اختلف الناس في معنى هذه الاخوة ومن هارون فقيل هو هارون اخو موسى والمراد من كنا نظنها
مثل هارون في العبادة تأتي بمثل هذا وقيل على هذا كانت مريم من ولد هارون اخي موسى فنسبت اليه بالاخوة
لانها من ولده كما يقال للتميمي يا اخا تميم وللعربي يا اخا العرب وقيل كان لها اخ من ابيها اسمه هارون لان هذا الاسم
كان كثيرا في بني اسرائيل تبركا باسم هارون اخي موسى وكان امثل رجل في بني اسرائيل قاله الكلبي وقيل هارون
هذا رجل صالح في ذلك الزمان تبع جنازته يوم مات اربعون الفا كلهم اسمه هارون وقال قتادة كان في ذلك الزمان
في بني اسرائيل عابد منقطع الى الله عز وجل يسمى هارون فنسبوها الى اخوته من حيث كانت على طريقته قبل اذ كانت
موقوفة على خدمة البيع اي يا هذه المرأة الصالحة ما كنت اهلا لذلك وقال كعب الاحبار بحضرة عائشة ام المؤمنين
ان مريم ليست باخت هارون اخي موسى فقالت له عائشة كذبت فقال لها يا ام المؤمنين ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاله فهو اصدق وخير والا فاني اجد بينهما من المدة ستمائة سنة قال فسكتت وفي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة قال
لما قدمت نجران سألوني فقالوا انكم تقرؤون يا اخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بانبيائهم والصالحين قبلهم وقد جاء في بعض طرقه من غير الصحيح
ان النصارى قالوا له ان صاحبك يزعم ان مريم هي اخت هارون وبينهما من المدة ستمائة سنة قال المغيرة فلم ادر
ما اقول وذكر الحديث والمعنى انه اسم وافق اسما ويستفاد من هذا جواز التسمية باسماء الانبياء قال المؤلف رحمه الله
فقد دل الحديث الصحيح انه كان بين موسى وهارون زمان مديد قال الزمخشري كان بينهما وبينه الف سنة او اكثر
فلا تخيل ان مريم كانت اخت موسى وهارون وان صح كما قال السدي لانها كانت من نسله وهذا كما تقول للرجل من قبيلة
يا اخا فلان ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اخا صداء اذن ومن اذن فهو يقيم وهذا هو القول الاول قال
ابن عطية وقالت فرقة بل كان في ذلك الزمان رجل فاجر اسمه هارون فنسبوها اليه على جهة التعيير والتوبيخ ذكره
الطبري ولم يسم قائله قال المؤلف رحمه الله ذكره الغزنوي عن سعيد بن جبير انه كان فاسقا مثلا في الفجور فنسبت
اليه والمعنى ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة فكيف جئت انت بها وهذا من التعريض الذي يقوم مقام التصريح
وذلك يوجب عندنا الحد وسيأتي في سورة النور القول فيه ان شاء الله وهذا القول الاخير يرده الحديث الصحيح

عيسى و ه

وليس لمن ضج فلا كلام لاحد بعده ولا غبار عليه وقرأ عمر بن لجاء التيمي ما كان اباك امرأ سوء فاشارت
اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله فيه خمس مسائل قوله تعالى فاشارت
اليه التزمت مريم ما امرت به من ترك الكلام ولم يرد في هذه الآية انها نطقت باني نذرت للرحمن صوما وانما ورد بانها اشارت
فيقوى بهذا قول من قال ان امرها بقولي انما اراد به الاشارة ويروى انهم لما اشارت الى الطفل قالوا استخفافها بنا اشد
علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة التقرير كيف نكلم من كان في المهد صبيا وانما هي في معنى هو وقال ابو عبيدة كان
هنا لغو كما قال وجيران لنا كانوا كرام وقيل هي بمعنى الوجود والحدوث كقوله وان كان ذو عسرة وقد تقدم وقال
ابن الانباري لا يجوز ان يقال زائدة وقد نصبت صبيا ولا ان يقال كان بمعنى حدث لانه لو كان بمعنى الحدوث والوقوع
لاستغنى فيه عن الخبر تقول كان الحر وتكتفي به والصحيح ان من في معنى الجزاء وكان بمعنى يكون والتقدير من
يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه كما تقول كيف اعطي من كان لا يقبل عطية اي من يكن لا يقبل والماضي قد يذكر بمعنى
المستقبل في الجزاء كقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات اي ان يشأ يجعل وتقول من كان الي
منه احسان كان مني اليه مثله اي من يكن منه الي احسان يكن مني اليه مثله والمهد قيل كان سريرا كالمهد وقيل
المهد ههنا حجر الام وقيل المعنى كيف نكلم من سبيله ان ينوم في المهد لصغره فلما سمع عيسى كلامهم قال لهم من مرقده
اني عبد الله فقيل كان عيسى يرضع فلما سمع كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكى على يساره واشار
اليهم بسبابته اليمنى وقال اني عبد الله فكان اول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وربوبيته ردا على من غلا من
بعده في شانه والكتاب الانجيل قيل آتاه في تلك الحالة الكتاب وفهمه وعلمه وآتاه النبوة كما علم آدم الاسماء وكان
يصوم ويصلي وهذا في غاية الضعف على ما نبينه في المسئلة بعدها وقيل اي حكم لي بايتاء الكتاب والنبوة في الازل و
ان لم يكن الكتاب منزلا في الحال وهذا اصح وجعلني مباركا اي ذا بركات ومنافع في الدين والدعاء اليه ومعلما له قال
التستري وجعلني آمر بالمعروف وانهى عن المنكر وارشد الضال وانصر المظلوم واغيث الملهوف واوصاني
بالصلوة والزكوة اي لاؤديهما اذا ادركني التكليف وامكنني اداؤهما على القول الاخير الصحيح ما دمت حيا ما في موضع
نصب على الظرف اي دوام حياتي وقوله تعالى وبرا بوالدتي ولم يقل بوالدي علم انه من جهة الله تعالى ولم يجعلني
جبارا اي متعظما متكبرا يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد عليه حقا شقيا اي خائبا من الخير
وقال ابن عباس عاقا وقيل عاصيا لربه وقيل لم يجعلني تاركا لامره فاشقى كما شقي ابليس لما ترك امره
قال مالك بن انس في هذه الآية ما اشدها على اهل القدر اخبر عيسى عليه السلام بما قضي من امره وبما هو كائن الى
ان يموت وقد روي في قصص هذه الآية عن ابن زيد وغيره انهم لما سمعوا كلام عيسى اذعنوا وقالوا ان هذا الامر
عظيم وروي ان عيسى عليه السلام انما تكلم في طفوليته بهذه الآية ثم عاد الى حالة الاطفال حتى مشى على حالة البشر
الى ان بلغ مبلغ الصبيان فكان نطقه اظهار براءة امه لا انه كان ممن يعقل في تلك الحالة وهو كما ينطق الله الجوارح
يوم القيامة ولم ينقل انه دام نطقه ولا انه كان يصلي وهو ابن يوم او شهر ولو كان يدوم نطقه وتسبيحه ووعظه
وصلاته في صغره من وقت الولادة لكان مثله مما لا ينكتم وهذا كله مما يدل على فساد القول ويصرح بجهالة قائله ويدل
ايضا على انه تكلم في المهد خلافا لليهود والنصارى والدليل على ذلك اجماع الفرق على انها لم تحد واما صح براءتها من الزنا
بكلامه في المهد ودلت هذه الآية ان الصلاة والزكوة وبر الوالدين كان واجبا على الامم السالفة والقرون الماضية
فهو مما ثبت حكمه ولم ينسخ في شريعة امة وكان عيسى عليه السلام في غاية التواضع ياكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب

وكان سنابن مواد بها المعنى لان
تكل احد قد كان في المهد صبيا

قال ابن عباس برا بوالدتي
وبرا بوالدتي

ويأوي حيث جنّه الليل لا مسكن له صلى الله عليه وسلم الاشارة بمنزلة الكلام وتفهم ما تفهم القول
وكيف لا وقد اخبر تعالى عن مريم فقال فاشارت اليه وفهم منها القصد ... وغرضها فقالوا كيف
نكلم وقد مضى هذا في آل عمران ... قال الكوفيون لا يصح قذف الاخرس ولا لعانه وروي مثله
عن الشعبي وبه قال الاوزاعي واحمد واسحاق وانما يصح القذف عندهم بصريح الزنا دون معناه وهذا لا يصح
من الاخرس ضرورة فلم يكن قاذفا ولا يتميز بالاشارة الزنا من الوطي الحلال والشبهة قالوا واللعان عندنا
شهادات وشهادة الاخرس لا تقبل بالاجماع قال ابن القصار قولهم ان القذف لا يصح الا بالتصريح فهو باطل
بسائر الالسنة ما عدا العربية فكذلك اشارة الاخرس وما ذكروه من شهادة الاخرس فغلط وقد نص مالك على
ان شهادته مقبولة اذا فهمت اشارته وانها تقوم مقام اللفظ بالشهادة واما مع القدرة فلا تقع منه الا باللفظ
قال ابن المنذر والمخالفون يلزمون الاخرس الطلاق والبيوع وسائر الاحكام فينبغي ان يكون القذف مثل ذلك
قال المهلب وقد تكون الاشارة في كثير من ابواب الفقه اقوى من الكلام مثل قوله عليه السلام بعثت انا والساعة
كهاتين فعرف قرب ما بينهما بمقدار زيادة الوسطى على السبابة وفي اجماع العقول على ان العيان اقوى من الخبر
دليل على ان الاشارة قد تكون في بعض المواضع اقوى من الكلام والسلام عليّ اي السلامة علي
من الله قال الزجاج ذكر السلام قبل هذا بغير الف ولام يحيى في قوله ثم ذكر الالف واللام وقوله يوم ولدت
يعني في الدنيا وقيل من همز الشيطان كما تقدم في آل عمران ويوم اموت يعني في القبر ويوم ابعث حيا في
الآخرة لان له احوالا ثلثا في الدنيا حيا وفي القبر ميتا وفي الآخرة مبعوثا فسلم في احواله كلها وهو معنى قول الكلبي
ثم انقطع كلامه في المهد حتى بلغ مبلغ الغلمان وقال قتادة ذكر لنا ان عيسى عليه السلام رأته امرأة يحيي الموتى
ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي ارضعت به فقال لها عيسى
طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه وعمل به ذلك عيسى بن مريم اي ذلك الذي ذكرناه عيسى بن
مريم فكذلك اعتقدوه لا كما تقول اليهود انه لغير رشدة وانه ابن يوسف النجار ولا كما قالت النصارى انه الاله او ابن الاله
قول الحق قال الكسائي قول الحق نعت لعيسى اي ذلك عيسى بن مريم قول الحق وسمي قول الله كما سمي كلمة الله والحق هو الله
عز وجل وقال ابو حاتم المعنى هو قول الحق وقيل التقدير هذا الكلام قول الحق قال ابن عباس يريد هذا كلام
عيسى بن مريم عليه السلام قول الحق ليس بباطل واضيف القول الى الحق كما قال وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
اي الوعد الصدق وقال ولدار الآخرة وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق بالنصب على الحال اي اقول قولا
حقا والعامل معنى الاشارة في ذلك الزجاج هو مصدر اي اقول قول الحق لان ما قبله يدل عليه وقيل مدح وقيل اغراء
وقرأ عبد الله قال الحق وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول
بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب الذي فيه يمترون اي يشكون اي ذلك عيسى بن مريم
الذي فيه يمترون القول الحق وقيل يمترون يختلفون ذكر عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالى
ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر اخرج كل قوم
عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال قوم هو الله هبط الى الارض فاحيى من احيى وامات من امات ثم صعد الى
السماء وهم اليعقوبية فقال له الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال
له الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين للآخر قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله اله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية

وكان النصارى قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم اتباع على
ما قال فاقتتلوا فظهر على المسلمين فذلك قول الله عز وجل ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال قتادة وهم الذين
قال الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم اختلفوا فيه فصاروا احزابا فهذا معنى قوله الذي فيه يمترون بالياء معجمة
من فوق وهي قراءة ابي عبد الرحمن السلمي وغيره قال ابن عباس فمر بمريم ابن عمها ومعها ابنها الى مصر فكانوا فيها
اثنتي عشرة سنة حتى مات الملك الذي كانوا يخافونه ذكره الماوردي قال المؤلف رحمه الله ووقع في تاريخ مصر فيما رأيت
وجاء في الانجيل الظاهر ان السيد المسيح لما ولد في بيت لحم كان هيرودس في ذلك الوقت ملكا وان الله اوحى الى يوسف
في الحلم وقال له قم خذ الصبي وامه واذهب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك فان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي
ليهلكه فقام من نومه وامتثل امر ربه واخذ السيد المسيح ومريم امه وجاء الى مصر وفي حال مجيئه الى مصر نزل ببئر البلسان
التي بظاهر القاهرة وغسلت ثيابه على ذلك البئر فالبلسان لا يطلع ولا ينبت الا في تلك الارض ومنه يخرج الدهن الذي يخالط
الزيت الذي تعمد به النصارى ولذلك كانت قارورة واحدة في ايام المصريين لها مقدار عظيم وتقع في نفوس
النصارى مثل ملك القسطنطينية وملك صقلية وملك الحبشة وملك النوبة وملك الافرنجية وغيرهم من الملوك عندما
تهاديهم به ملوك مصر موقعا جليلا جدا وتكون احب اليهم من كل هدية لها قدر وفي تلك السفرة وصل السيد المسيح الى
مدينة الاشمونين وقسقام المعروفة الآن بالمحرّقة ولذلك يعظمها النصارى الى الآن ويحضرون اليها في عيد الفصح من
كل مكان لانها نهاية ما وصل اليها من ارض مصر ومنها عاد الى الشام والله اعلم ما كان لله اي ما ينبغي له ولا
يجوز ان يتخذ من ولد من صلة للكلام اي ان يتخذ ولدا وان في موضع رفع اسم كان اي ما كان من صفته اتخاذ الولدان
ثم نزه نفسه تعالى عن مقالتهم فقال سبحانه ان يكون له ولد اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تقدم في البقرة
مستوفى وان الله ربي وربكم قرأ اهل المدينة وابن كثير وابو عمرو بفتح ان واهل الكوفة ان بكسر الهمزة
على انه مستأنف يدل عليه قراءة ابي كعب ان الله بغير واو او على العطف على قال اني عبد الله وفي الفتح اقوال فمذهب
الخليل وسيبويه ان المعنى ولان الله ربي وربكم وكذا وان المساجد لله فان في موضع نصب عندهما واجاز الفراء ان يكون
في موضع خفض على حذف اللام واجاز ان يكون في موضع خفض بمعنى واوصاني بالصلوة والزكوة وبان الله ربي وربكم واجاز
الكسائي ان يكون في موضع رفع بمعنى والامر ان الله ربي وربكم وفيها قول خامس حكى ابو عبيد ان ابا عمرو بن العلاء قاله
وهو ان يكون المعنى وقضى ان الله ربي وربكم فهي معطوفة على قوله امرا من قوله تعالى اذا قضى امرا والمعنى اذا قضى امرا وقضى
ان الله ولا يبتدأ بان على هذا التقدير ولا على التقدير الثالث ويجوز الابتداء بها على الاوجه الباقية فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اي دين قويم لا اعوجاج فيه فاختلف الاحزاب من بينهم من زائدة اي اختلف الاحزاب بينهم وقال قتادة
اي فيما بينهم فاختلف الفرق من اهل الكتاب في امر عيسى فاليهود بالقدح والسحر والنصارى قالت النسطورية منهم هو ابن الله
والملكية ثالث ثلاثة واليعقوبية قالت هو الله فافرطت النصارى وغلت وفرطت اليهود وقصرت وقد تقدم هذا في
النساء وقال ابن عباس المراد بالاحزاب الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين فويل للذين كفروا
من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم القيمة والمشهد بمعنى المصدر والشهود الحضور ويجوز ان يكون الحضور لهم ويضاف
الى الظرف لوقوعه فيه كما تقول ويل لفلان من قتال يوم كذا اي من حضوره ذلك اليوم وقيل المشهد بمعنى الموضع الذي يشهده
الخلائق كالمحشر للموضع الذي يحشر اليه الخلق وقيل فويل للذين كفروا من حضورهم المشهد العظيم الذي اجتمعوا فيه للتشاور
فاجتمعوا على الكفر بالله وقولهم ان الله ثالث ثلاثة اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا قال ابو العباس العرب تقول

هنا في موضع التعجب فيقول اسمع بزيد وابصر بزيد ما اسمعه وابصره قال فمعناه انه عجب نبيه منهم قال الكلبي لا احد اسمع
منهم يوم القيامه ولا ابصر حين يقول الله لعيسى ا انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين معنى الطاعه اي ما اطوعهم لله ذلك
اليوم لكن الظالمون اليوم يعني في الدنيا في ضلال مبين واي ضلال ابين من ان يعتقد المرء في شخص مثله حملته الارحام
واكل وشرب واحدث واحتاج انه اله ومن هذا وصفه فهو اصم اعمى ولكنه سيبصر ويسمع في الآخرة اذا راى ولكن
لا ينفعه ذلك قال معناه قتاده وغيره وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر روي عن عبد الله بن مسعود
انه قال ما من احد يدخل النار الا وله بيت في الجنه فيتحسر عليه وقيل تقع الحسرة اذا اعطي كتابه بشماله اذ قضي الامر اي فرغ
من الحساب وادخل اهل الجنه الجنه واهل النار النار وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنه الجنه واهل النار النار يجاء بالموت يوم القيامه كانه كبش املح فيوقف بين الجنه والنار
فيقال يا اهل الجنه هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت قال ثم يقال يا اهل النار هل تعرفون هذا
فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا اهل الجنه خلود فلا موت فيها ويا اهل النار خلود
فلا موت فيها ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون خرجه البخاري
عن ابن عمر وابن ماجة من حديث ابي هريرة والترمذي عن ابي سعيد يرفعه وقال فيه حديث حسن صحيح وقد ذكرنا ذلك في التذكرة
وبينا هناك ان الكفار مخلدون بهذا الحديث والآي ردا على من قال ان صفة الغضب تنقطع وان ابليس ومن اتبعه من الكفرة
كفرعون وهامان واشباههما يدخلون الجنه انا نحن نرث الارض اي نميت سكانها فنرثها والينا يرجعون
يوم القيمه فنجازي كلا بعمله وقد تقدم هذا في الحجر وغيره واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا
المعنى واذكر في الكتاب الذي انزل اليك وهو القرآن قصة ابراهيم وخبره وقد تقدم معنى الصديق في النساء واشتقاق الصدق
في البقرة فلا معنى للاعادة ومعنى الآية اقرا عليهم يا محمد في القرآن امر ابراهيم فقد عرفوا انهم من ولده فانه كان حنيفا مسلما وما كان
يتخذ الانداد فهؤلاء لم يتخذون الانداد وهو كما قال ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه اذ قال لابيه
وهو آزر وقد تقدم يا ابت تقدم القول فيه في يوسف لم تعبد اي لاي شي تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يريد
الاصنام يا ابت اني قد جاءني من العلم اي من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت وان من عبد غير الله عذب فاتبعني الى
ما ادعوك اليه اهدك صراطا سويا اي ارشدك الى دين مستقيم فيه النجاة يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يامرك من الكفر
ومن اطاع شيئا في معصية فقد عبده ان الشيطان كان للرحمن عصيا كان صلة زائدة وقيل بمعنى صار وقيل بمعنى الحال اي هو
للرحمن وعصيا وعاص بمعنى واحد قاله الكسائي يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن اي ان مت على ما انت عليه ويكون
اخاف بمعنى اعلم ويجوز ان تكون اخاف على بابها ويكون المعنى اني اخاف ان تموت على كفرك فيمسك العذاب فتكون للشيطان وليا
اي قرينا في النار قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اي اترغب عنها الى غيرها لئن لم تنته لارجمنك قال الحسن يعني بالحجارة
الضحاك بالقول اي لاشتمنك وقال ابن عباس لاضربنك وقيل لاظهرن امرك واهجرني مليا قال ابن عباس اي اعتزلني وقال سالم
العرض لا تصيبك مني معرة واختاره الطبري فقوله مليا على هذا حال من ابراهيم وقال الحسن ومجاهد مليا دهرا طويلا ومنه
قول مهلهل فتصدعت صم الجبال لموته وبكت عليه المرملات مليا قال الكسائي يقال هجرته مليا وملوة وملوة وملاوة وملاوة
فهو على هذا القول ظرف وهو بمعنى الملاوة من الزمان وهو الطويل منه قال سلام عليك لم يعارضه ابراهيم عليه السلام
بسوء الرد لانه لم يؤمر بقتاله على كفره والجمهور على ان المراد بسلامه المسالمة التي هي المتاركة لا التحية قال الطبري معناه امنة مني
لك وعلى هذا لا يبدا الكافر بالسلام وقال النقاش حليم خاطب سفيها كما قال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال بعضهم في معنى

اتحية هو تحية مفارق وجوز تحية الكافر وان يبدا بها قيل لابن عيينة هل يجوز السلام على الكافر فقال نعم
قال الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وقال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وقال
ابراهيم لابيه سلام عليك قال المؤلف رحمه الله الاظهر من الآية ما قاله سفيان بن عيينة وفي الباب حديثان صحيحان
روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروه
الى اضيقه خرجه مسلم وفي الصحيحين عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عليه اكاف تحته قطيفة
فركبه واردف وراءه اسامة بن زيد وهو يعود سعد بن معاذ في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتى مر في
مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفيهم عبد الله بن ابي بن سلول وفي المجلس عبد الله بن
رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
الحديث فالاول يفيد ترك السلام عليهم ابتداء لان ذلك اكرام والكافر ليس اهله والحديث الثاني يجوز ذلك قال الطبري ولا تعارض
بين ما رواه اسامة بحديث ابي هريرة فانه ليس في احدهما خلاف للاخر وذلك ان حديث ابي هريرة مخرجه العموم وخبر اسامة يبين ان
معناه الخصوص وقال النخعي اذا كانت لك حاجة الى يهودي او نصراني فابداه بالسلام فبان بهذا ان حديث ابي هريرة لا تبدؤوهم
بالسلام اذا كان لغير سبب يدعوكم الى ان تبدؤوهم من قضاء ذمام او حاجة تعرض لكم قبلهم او حق صحبة او جوار او سفر قال
الطبري وقد روي عن السلف انهم كانوا يسلمون على اهل الكتاب وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في طريقه قال علقمة فقلت له
يا ابا عبد الرحمن اليس يكره ان يبدؤوا بالسلام قال نعم ولكن حق الصحبة وكان ابو امامة اذا انصرف الى بيته لا يمر بمسلم
ولا نصراني ولا صغير ولا كبير الا سلم عليه فقيل له في ذلك فقال امرنا ان نفشي السلام وسئل الاوزاعي عن مسلم مر بكافر
فسلم عليه فقال ان سلمت فقد سلم الصالحون قبلك وان تركت فقد ترك الصالحون قبلك وروي عن الحسن البصري انه قال
اذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم قال المؤلف رحمه الله وقد يحتج اهل المقالة الاولى بان السلام الذي معناه التحية
انما خص بهذه الامة لحديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى امتي ثلاثا لم يعط احدا قبلهم السلام
وهي تحية اهل الجنة ذكره الترمذي الحكيم وقد مضى في الفاتحة بسنده ومضى الكلام في معنى قوله ساستغفر لك ربي والحمد لله
السلام بالابتداء وجاز ذلك مع بكره لانه يكون محضه فتزيينا لمعرضه انه كان بي حفيا الحفي المبالغ في البر والالطاف
يقال حفي به وتحفى اذا بره وقال الكسائي يقال حفي به حفاوة وحفوة وقال الفراء انه كان بي حفيا اي عالما لطيفا يجيبني
اذا دعوته واعتزلكم العزلة المفارقة وقد تقدم في الكهف بيانها وقوله تعالى عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا قيل
اراد بهذا الدعاء ان يهب الله له اهلا وولدا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه ولهذا قال فلما اعتزلهم وما
يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب اي آنسنا وحشته بولد عن ابن عباس وغيره وقيل عسى يدل على ان العبد
لا يقطع بانه يبقى على المعرفه ام لا في المستقبل وقيل دعا لابيه بالهداية فعسى شك لانه كان لا يدري هل يستجاب له فيه ام لا والاول
اظهر وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي اثنينا عليهم ثناء حسنا لان جميع الملل تحسن الثناء عليهم واللسان يذكر ويؤنث
وقد تقدم واذكر في الكتاب موسى اي واقرا عليهم من القرآن قصة موسى انه كان مخلصا اي في عبادته عن مراءي
وقرا اهل الكوفة بفتح اللام اي اخلصناه فجعلناه مختارا وناديناه اي كلمناه ليلة الجمعة من جانب الطور الايمن اي يمين
موسى وكانت الشجرة في جانب الجبل عن يمين موسى حين اقبل من مدين الى مصر قاله الطبري وغيره فان الجبال لا يمين له
ولا شمال وقربناه نجيا نصب على الحال اي كلمناه من غير وحي وقيل ادنيناه لتقريب المنزلة حتى كلمناه وذكر وكيع وقبيصة عن
سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل وقربناه نجيا قال ادني حتى سمع صريف القلم

ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وذلك حين سأل فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي
واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد فيه ست مسائل الاولى اسمعيل اختلف فيه فقيل هو
اسمعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة رأسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه
وفوض امرهم اليه في عفوه وعقوبته والجمهور انه اسمعيل الذبيح ابو العرب بن ابرهيم وقد قيل ان الذبيح اسحق والاول
اظهر على ما تقدم ويأتي في الصافات ان شاء الله وخصه الله تعالى بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء
تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور الموصوف من خصاله صدق الوعد
محمود وهو من خلق النبيين والمرسلين وضده وهو الخلف مذموم وذلك من اخلاق الفاسقين والمنافقين على ما تقدم بيانه
في براءة وقد اثنى الله على نبيه اسمعيل فوصفه بصدق الوعد واختلف في ذلك فقيل انه وعد من نفسه بالصبر على الذبح
فصبر حتى فدي هذا في قول من يرى انه الذبيح وقيل وعد رجلا ان يلقاه في موضع فجاء اسمعيل وانتظر الرجل يومه و
ليلته فلما كان في الآخر جاء فقال له ما زلت هاهنا في انتظارك منذ امس وقيل انتظره ثلثة ايام وقد فعل مثله نبينا صلى الله
عليه وسلم قبل بعثه ذكره النحاس وخرجه الترمذي وغيره عن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال
يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا انتظرك منذ ثلاث لفظ ابي داود وقال يزيد الرقاشي انتظره اسمعيل اثنين وعشرين يوما
ذكره الماوردي وفي كتاب ابن سلام انه انتظره سنة وذكره الزمخشري عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره
في مكان فانتظره سنة وذكر القشيري قال فلم يبرح من مكانه سنة حتى اتاه جبريل فقال ان التاجر الذي سألك ان تقعد
له حتى يعود هو ابليس فلا تقعد ولا كرامة له فهو بعيد لا يصح وقد قيل ان اسمعيل لم يعد شيئا الا وفى به وهذا صحيح وهو الذي
يقتضيه ظاهر الآية والله اعلم الثانية من هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم العدة دين وفي الاثر واي المؤمن واجب
اي في اخلاق المؤمنين وانما قلنا ان ذلك ليس بواجب فرضا لاجماع العلماء على ما حكاه ابو عمر ان من وعد بمال ما كان ليضرب به
مع الغرماء فلذلك قلنا ايجاب الوفاء به حسن مع المروءة ولا يقضى به والعرب تمتدح بالوفاء وتذم بالخلف والغدر وكذلك
سائر الامم ولقد احسن القائل متى ما تقل حر لطالب حاجة نعم يقضها والحر للوأي ضامن ولا خلاف ان المخلف الوفا
يستحق به صاحبه الحمد والشكر وعلى الخلف الذم وقد اثنى الله على من صدق وعده ووفى بنذره وكفى بهذا مدحا وثناء و
بما خالفه ذما الرابعة قال مالك اذا سأل الرجل ان يهب له الهبة فيقول له نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فما ارى يلزمه
قال مالك ولو كان ذلك في قضاء دين فساله ان يقضيه عنه فقال نعم وثم رجال يشهدون عليه فما احراه ان يلزمه اذا شهد
عليه اثنان وقال ابو حنيفة والاوزاعي والشافعي وسائر الفقهاء ان العدة لا يلزم منها شي لانها منافع لم يقبضها في العارية
لانها طارية وفي غير العارية هي اشخاص واعيان موهوبة لم تقبض فلصاحبها الرجوع فيها وفي البخاري واذكر في الكتاب اسمعيل
انه كان صادق الوعد وقضى ابن اشوع بالوعد وذكر ذلك عن سمرة بن جندب قال البخاري ورأيت اسحق بن ابرهيم
يحتج بحديث ابن اشوع الخامسة قوله وكان رسولا نبيا قيل ارسل اسمعيل الى جرهم وكل الانبياء كانوا اذا وعدوا صدقوا
وخص اسمعيل بالذكر تشريفا والله اعلم السادسة وكان يأمر اهله قال الحسن يعني امته وفي حرف ابن مسعود وكان يأمر
اهله جرهم وولده بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا اي رضيا زكيا صالحا قال الكسائي والفراء قال مرضي بناه على
رضيت قالا واهل الحجاز يقولون مرضو وقال الكسائي والفراء من العرب من يقول رضوان ورضيان فرضوان على مرضو ورضيان
على مرضي ولا يجيز البصريون الا رضوان وربوان قال النحاس سمعت الزجاج يقول يخطون في الخط فيكتبون ربا بالياء ثم يخطون فيما هو

فيما هو اشد من هذا فيقولون ربوان ورضوان قال الله تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس
واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ادريس عليه السلام اول من خط بالقلم واول من خاط
الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها وسمي ادريس لكثرة درسه كتاب الله وانزل عليه ثلثين
صحيفة كما في حديث ابي ذر قال الزمخشري قيل سمي ادريس لكثرة درسه كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح
لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل على
العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت
ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة
قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس قال الثعلبي والغزنوي وغيرهما هو جد نوح وهو خطاء وقد
تقدم في الاعراف بيانه وكذا وقع في السيرة ان نوحا عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس النبي
فيما يزعمون وكان اول بني ادم اعطي النبوة وخط بالقلم ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن
آدم صلى الله عليه وسلم ورفعناه مكانا عليا قال انس بن مالك وابو سعيد الخدري وغيرهما
يعني السماء الرابعة وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله كعب الاحبار وقال ابن عباس والضحاك
يعني السماء السادسة ذكره المهدوي قال المولف رحمه الله ووقع في البخاري من حديث شريك بن عبد الله
قال سمعت انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله من مسجد الكعبة الحديث وفيه كل سماء فيها انبياء
قد سماهم منهم ادريس في الثانية وهو وهم والصحيح انه في السماء الرابعة كذلك رواه ثابت البناني عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكره مسلم في الصحيح وروى مالك بن صعصعة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج
بي الى السماء اتيت على ادريس في السماء الرابعة خرجه مسلم ايضا وكان سبب رفعه على ما قال ابن عباس وكعب
وغيرهما انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب انا مشيت يوما فكيف بمن يحملها خمسمائة عام
في يوم واحد اللهم خفف عنه يعني الملك الموكل بفلك الشمس يقول ادريس اللهم خفف عنه من ثقلها و
احمل عنه من حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس والظل ما لا يعرف فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس
فما الذي قضيت فيه فقال الله تعالى اما ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته فقال يا رب
اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن الله له حتى اتى ادريس وكان ادريس يسأله فقال اخبرت انك
اكرم الملئكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله
نفسا اذا جاء اجلها فقال للملك قد علمت ذلك ولكنه اطيب لنفسي قال نعم ثم حمله ملك الشمس على جناحه فرفعه
الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم قال لملك الموت لي صديق من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر اجله قال
ليس ذلك الي ولكن ان احببت علمه اعلمته متى يموت قال نعم ثم نظر في ديوانه فقال انك تسألني عن انسان ما اراه
يموت ابدا قال وكيف قال لا اجده يموت الا عند مطلع الشمس قال فاني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فما اراك
تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من اجل ادريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا وقال السدي انه نام ذات يوم واشتد
عليه حر الشمس فقام وهو منها في كرب فقال اللهم خفف عن ملك الشمس واعنه فانه يمارس نارا حامية فاصبح
ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور وعنده سبعون الف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون
عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس من اين لي هذا قال دعا لك رجل من بني آدم يقال له ادريس ثم ذكر نحو حديث كعب

قال فقال له ملك الشمس اتريد حاجة قال نعم وددت انى لو رايت الجنة قال فرفعه على جناحه ثم طار به فبينما
هو فى السماء الرابعة التقى بملك الموت ينظر فى السماء عينا وشمالا فسلم عليه ملك الشمس وقال يا ادريس هذا
ملك الموت فسلم عليه فقال ملك الموت سبحان الله ولاى معنى رفعته هنا قال رفعته لاريه الجنة قال فان الله
امرنى ان اقبض روح ادريس فى السماء الرابعة قلت يا رب واين ادريس من السماء الرابعة ثم نزلت فاذا هو معك
فقبض روحه ورفعها الى الجنة ودفنت الملائكة جثته فى السماء الرابعة فذلك قوله ورفعناه مكانا عليا وقال
وهب بن منبه كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض فى زمانه فعجب منه الملائكة
واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه فى زيارته فاذن له فاتاه فى صورة آدمى وكان ادريس يصوم النهار
فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فابى ان ياكل ففعل به ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له من
انت قال انا ملك الموت استاذنت ربى ان اصحبك فاذن لى فقال ان لى اليك حاجة قال وما هى قال ان تقبض روحى
فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبضه ورده الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى قبض روحك
قال لاذوق كرب الموت فاكون له اشد استعدادا ثم قال له ادريس بعد حين ان لى اليك حاجة اخرى قال وما
هى قال ان ترفعنى الى السماء فانظر الى الجنة والنار فاذن له فى رفعه الى السماوات فصعق فلما افاق قال ارنى
الجنة فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت فاخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا اخرج منها فبعث الله ملكا
حكما بينهما فقال الملك لم لا تخرج فقال لان الله قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها
وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست اخرج فقال الله تعالى لملك الموت باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج فهو
حى هنالك فذلك قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا قال النحاس قول ادريس وما هم منها بمخرجين يجوز ان يكون الله اعلم
هذا ادريس ثم نزل القرآن به قال وهب بن منبه فادريس تارة يرتع فى الجنة وتارة يعبد الله فى السماء مع الملائكة
قوله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين فيه اربع مسائل
قوله اولئك الذين انعم الله عليهم
من النبيين من ذرية آدم يريد ادريس وحده وممن حملنا مع نوح يريد ابرهيم وحده ومن ذرية ابرهيم يريد اسمعيل
واسحق ويعقوب ومن ذرية اسرائيل يريد موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى فكان لادريس ونوح شرف القرب
من آدم ولابرهيم شرف القرب من نوح ولاسمعيل واسحق ويعقوب شرف القرب من ابرهيم وممن هدينا الى الاسلام
واجتبينا بالايمان اذا تتلى عليهم آيات الرحمن وقرا شبل بن عباد المكى يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقى
مع وجود الفاصل خروا سجدا وبكيا وصفهم بالخشوع لله والبكاء وقد مضى فى سبحان يقال بكى يبكى بكا وبكى وبكا
الا ان الخليل قال اذا قصرت البكا فهو مثل الحزن ليس معه صوت كما قال الشاعر بكت عينى وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل وسجدا نصب على الحال وبكيا عطف عليه
فى هذه الآية دلالة على ان لآيات
الرحمن تاثيرا فى القلوب قال الحسن اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فى الصلوة وقال الاصم المراد بآيات
الرحمن كتبه المتضمنة لتوحيده وحججه وانهم كانوا يسجدون عند تلاوتها ويبكون عند ذكرها والمروى عن ابن عباس
ان المراد به القرآن خاصة وانهم كانوا يسجدون ويبكون عند تلاوته قال الكيا وفى هذا دلالة من قوله على ان القرآن
هو الذى كان يتلى على جميع الانبياء ولو كان كذلك لما كان الرسول عليه السلام مختصا بانزاله عليه
احتج ابو بكر
الرازى بهذه الآية على وجوب سجود القرآن على المستمع والقارى قال الكيا وهذا بعيد فان هذا الوصف شامل لكل آيات الله
تعالى وضم الى السجود البكاء وابان به عن طريقة الانبياء عليهم السلام فى تعظيمهم الله وآياته وليس فيه دلالة على وجوب ذلك

عند الله مخصوصة
قال العلماء ينبغى لمن قرا سجدة ان يدعو فيها بما يليق بآياتها فان قرا سورة السجدة
الم تنزيل قال اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين
عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلنى من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك
الباكين عند تلاوة آياتك
قوله فخلف من بعدهم خلف فيه اربع مسائل
من بعدهم خلف اى اولاد سوء قال ابو عبيد حدثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ذلك عند قيام الساعة
وذهاب صالحى هذه الامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض فى الازقة زنا وقد تقدم القول فى
خلف فى الاعراف
قوله تعالى اضاعوا الصلوة وقرا عبد الله والحسن الصلوات على الجمع وهو
ذم ونص فى ان اضاعة الصلاة من الكبائر التى يوبق صاحبها ولا خلاف فى ذلك وقد قال عمر ومن ضيعها
فهو لما سواها اضيع واختلفوا فيمن المراد بهذه الآية فقال مجاهد النصارى خلفوا بعد اليهود وقال محمد بن كعب القرظى
ومجاهد ايضا وعطاء هم قوم من امة محمد صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان اى يكون فى هذه الامة من هذه صفته
لا انهم المراد بهذه الآية واختلفوا ايضا فى معنى اضاعتها فقال القرظى هى اضاعة كفر وجحد بها وقال القاسم بن مخيمرة
وعبد الله بن مسعود هى اضاعة اوقاتها وعدم القيام بحقوقها وهو الصحيح وانها اذا صليت مخلا بها لا تصح ولا تجزى
لقوله عليه السلام للرجل الذى صلى وجاء فسلم عليه ارجع فصل فانك لم تصل ثلاث مرات خرجه مسلم وقال حذيفة
لرجل رآه يصلى فطفف منذ كم تصلى هذه الصلاة قال منذ اربعين عاما قال ما صليت ولو مت وانت تصلى هذه الصلاة
لمت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الرجل ليخفف الصلوة ويتم ويحسن خرجه البخارى واللفظ للنسائى
وفى الترمذى عن ابى مسعود الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلوة لا يقيم الرجل فيها يعنى صلبه
فى الركوع والسجود قال حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحابه صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون ان
يقيم الرجل صلبه فى الركوع والسجود وقال الشافعى واحمد واسحاق من لم يقم صلبه فى الركوع والسجود فصلوته فاسدة
وقال صلى الله عليه وسلم تلك صلوة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقرها اربعا لا يذكر
الله فيها الا قليلا وهذا ذم لمن يفعل ذلك قال فروة بن خالد بن سنان استبطا اصحاب الضحاك مرة اميرا فى صلوة
العصر حتى كادت الشمس تغرب فقرا الضحاك هذه الآية ثم قال والله لان ادعها احب الى من ان اضيعها وجملة
القول فى هذا الباب ان من لم يحافظ على اوقات الصلوات لم يحافظ على الصلوات كما ان من لم يحافظ على كمال وضوئها و
ركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع كما ان من حافظ عليها
حفظ الله دينه ولا دين لمن لا صلاة له وقال الحسن عطلوا المساجد واشتغلوا بالصنائع والاسباب واتبعوا الشهوات اى اللذات
والمعاصى
روى الترمذى وابو داود عن انس بن حكيم الضبى انه اتى المدينة فلقى ابا هريرة فقال له
يا فتى الا احدثك حديثا لعل الله ان ينفعك به قلت بلى قال ان اول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من اعمالهم
الصلوة فيقول ربنا تبارك وتعالى للملائكة وهو اعلم انظروا فى صلاة عبدى اتمها ام نقصها فان كانت تامة
كتبت له تامة وان كان انتقص منها شئ قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع قال اكملوا لعبدى فريضته
من تطوعه ثم يؤخذ الاعمال على ذلكم قال يونس فاحسبه عن النبى صلى الله عليه وسلم لفظ ابى داود وقال حدثنا موسى بن اسمعيل
حدثنا حماد عن داود بن ابى هند عن زرارة بن اوفى عن تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال ثم الزكوة
مثل ذلك ثم يؤخذ الاعمال على حسب ذلك واخرجه النسائى عن همام عن الحسن عن حريث بن قبيصة عن ابى هريرة قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما يحاسب به العبد بصلاته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب
وخسر قال همام لا ادري هذا من كلام قتادة او من الرواية فان انتقص من فريضته شيء قال انظروا هل لعبدي من تطوع
فيكمل به ما نقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله نحو ذلك خالفه ابو العوام فرواه عن قتادة عن الحسن عن ابي رافع عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلوته فان وجدت تامة كتبت تامة
وان كان انتقص منها شيء قال انظروا هل تجدون له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه ثم سائر الاعمال تجري
على حسب ذلك قال النسائي اخبرنا اسحاق بن ابرهيم اخبرنا النضر بن شميل اخبرنا حماد بن سلمة عن الازرق
بن قيس عن يحيى بن يعمر عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب به العبد صلوته
فان كان اكملها والا قال الله عز وجل انظروا لعبدي من تطوع فان وجد له تطوع قال اكملوا به الفريضة قال
ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد اما اكمال الفريضة من التطوع فانما يكون فيمن سهى عن فريضة فلم يأت بها او لم يحسن
ركوعها ولم يدر قدر ذلك واما من تركها او نسي ثم ذكرها فلم يأت بها عامدا واشتغل بالتطوع عن اداء فرضه وهو ذاكر
له فلا تكمل له فريضته من تطوعه والله اعلم وقد روي عن حديث الشاميين في هذا الباب حديث منكر يرويه محمد بن حمير عن
عن عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلوة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده زيد
من تسبيحاته حتى تتم قال ابو عمر وهذا لا يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه وليس بالقوي فان كان صح كان
معناه انه خرج من صلوة كان قد اتمها عند نفسه وليست في الحكم بتامة والله اعلم قال المؤلف رحمه الله فينبغي للانسان ان
يحسن فرضه ونفله حتى يكون له نفل يجده زائدا على فرضه يقربه من ربه كما قال سبحانه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه الحديث فاما اذا كان نفل يكمل به الفرض فحكمه في المعنى حكم الفرض ومن لا يحسن ان يصلي الفرض فاولى واحرى ان
لا يحسن النفل لا جرم تنفل الناس في اشد ما يكون من النقصان والخلل لخفته عندهم وتهاونهم به حتى كانه غير معتد به و
لعمر الله لقد نشاهد في الوجود من يشار اليه ويظن به العلم تنفله كذلك بل فرضه اذ ينقره نقر الديك لعدم معرفته
بالحديث فكيف بالجهال الذين لا يعلمون وقد قال العلماء ولا يجزئ ركوع ولا سجود ولا وقوف بعد الركوع ولا جلوس بين السجدتين
حتى يعتدل راكعا وواقفا وساجدا وجالسا وهذا هو الصحيح في الاثر وعليه جمهور العلماء واهل النظر وهذه رواية ابن وهب و
ابي مصعب عن مالك وقد مضى هذا في البقرة واذا كان هذا فكيف يكمل بذلك التطوع ما نقص من هذا الفرض على سبيل السهو او
الجهل بل كان ذلك غير صحيح ولا مقبول لانه وقع على غير المطلوب قوله تعالى واتبعوا الشهوات وعن علي رضي الله عنه
في قوله واتبعوا الشهوات هو من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور قال المؤلف رحمه الله الشهوات عبارة عما يوافق
الانسان ويشتهيه ويلائمه ولا يتقيه وفي الصحيح حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وما ذكر عن علي رضي الله عنه
جزء من هذا قوله تعالى فسوف يلقون غيا قال ابن زيد شرا او ضلالا او خيبة قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وقال عبد الله بن مسعود هو واد في جهنم والتقدير عند اهل اللغة فسوف يلقون
جزاء الغي كما قال جل ذكره ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاظهر ان الغي اسم للوادي سمي به لان الغاوين يصيرون اليه و
قال كعب يظهر في آخر الزمان قوم بايديهم سياط كاذناب البقر ثم قرا الآية فسوف يلقون غيا اي هلاكا وضلالا في جهنم
وعنه غي واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بئر يسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتسعر منها جهنم وقال ابن
عباس غي واد في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد ذلك الوادي للزاني المصر على الزنا ولشارب الخمر المدمن
عليه ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور ولامراة ادخلت على زوجها ولدا ليس منه

الا من تاب وآمن اي من تضييع الصلاة واتباع الشهوات فرجع الى طاعة ربه وآمن به وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة قرا ابو جعفر وشيبة وابن كثير وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب وابو بكر يُدخلون وفتح الياء
الباقون ولا يظلمون شيئا اي لا ينقص من اعمالهم الصالحة شيئا الا انهم يكتب لهم بكل حسنة عشر الى سبعمائة
جنات عدن بدلا من الجنة فانتصب قال ابو اسحق الزجاج ويجوز جنات عدن على الابتداء قال ابو حاتم ولولا الخط
لكان جنة عدن لان قبله يدخلون الجنة التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي من عبده وحفظ عهده بالغيب وقيل
آمنوا بالجنة ولم يروها انه كان وعده مأتيا مأتيا مفعول من الاتيان فكل ما وصل اليك فقد وصلت اليه تقول اتت
علي ستون سنة واتيت على ستين سنة ووصل الي من فلان خير ووصلت منه الى خير وقال القتيبي مأتيا بمعنى آت
فهو مفعول بمعنى فاعل ومأتيا مهموز لانه من اتى يأتي ومن خفف الهمزة جعلها الفا وقال الطبري الوعد ههنا الموعود
وهو الجنة اي يأتيها اولياؤه لا يسمعون فيها لغوا اي في الجنة واللغو معناه الباطل من الكلام و
الفحش منه والفضول وما لا ينتفع به ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت ويروى
لغيت وهي لغة ابي هريرة وقال الشاعر ورب اسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم قال ابن عباس اللغو
كلما لم يكن فيه ذكر الله تعالى اي كلامهم في الجنة حمد الله وتسبيحه الا سلاما اي لكن يسمعون سلاما فهو من الاستثناء
المنقطع يعني سلام بعضهم على بعض والسلام اسم جامع للخير والمعنى انهم لا يسمعون فيها الا ما يحبون قوله تعالى
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي لهم ما يشتهون من المطاعم والمشارب بكرة وعشيا اي في قدر هذين الوقتين
اذ لا بكرة ثم ولا عشيا كقوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر اي قدر شهر قال معناه ابن عباس وابن جريج وغيرهما وقيل
عرفهم اعتدال احوال اهل الجنة وكان اهنا النعمة عند العرب التمكن من المطعم والمشرب بكرة وعشيا قال يحيى بن
ابي كثير وقتادة كانت العرب في زمانها من وجد غداء وعشاء معا فذلك هو الناعم فنزلت وقيل اي رزقهم فيها غير منقطع
كما قال لا مقطوعة ولا ممنوعة وهو كما تقول انا اصبح وامسي في ذكرك اي ذكري لك دائم ويحتمل ان يكون البكرة قبل
تشاغلهم بلذاتهم والعشي بعد فراغهم من لذاتهم لانه يتخللها فترات انتقال من حال الى حال وهذا يرجع الى القول الاول
وروى الزبير بن بكار عن اسمعيل بن ابي اويس قال قال مالك بن انس طعام المؤمنين في اليوم مرتين وتلا قول الله
تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ثم قال وعوض الله المؤمنين في الصيام السحور بدلا من الغداء ليقووا به على
عبادة ربهم وقيل انما ذكر ذلك لان صفة الغداء وهيئته غير صفة العشاء وهيئته وهذا لا يعرفه الا الملوك وكذلك
يكون في الجنة رزق الغداء غير رزق العشاء تتلون عليهم النعم ليزدادوا تنعما وغبطة وخرج الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول من حديث ابان عن الحسن وابي قلابة قالا قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل قال وما هيجك على هذا
قال سمعت الله يذكر في الكتاب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فقلت الليل بين البكرة والعشي فقال صلى الله عليه وسلم
ليس هناك ليل انما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو وتأتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلوة
التي كانوا يصلون فيها في الدنيا ويسلم عليهم الملائكة وهذا في غاية البيان لمعنى الآية وقد ذكرناه في كتاب التذكرة
وقال العلماء ليس في الجنة ليل ولا نهار وانما هم في نور ابدا وانما يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب
ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب ذكره ابو الفرج الجوزي والمهدوي وغيرهما قوله تعالى تلك الجنة
اي هذه الجنة التي وصفنا احوال اهلها نورث بالتخفيف وقرا يعقوب نورّث بفتح الواو وتشديد الراء والاختيار التخفيف
لقوله ثم اورثنا الكتاب من عبادنا من كان تقيا قال ابن عباس اي من اتقاني وعمل بطاعتي وقيل هو على التقديم و

وسلام الملائكة عليهم قاله مقاتل وغيره

المتأخر بتقدمه نورث من كان تقيا من عبادنا وما نتنزل إلا بأمر ربك روى الترمذي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وما نتنزل إلا بأمر ربك
إلى آخر الآية قال هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه البخاري حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عمر بن ذر سمعت أبي يحدث عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل إلا بأمر ربك
الآية قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد أبطأ الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه
فقال ما الذي أبطأك قال كيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون
رواجبكم ولا تستاكون قال مجاهد فنزلت الآية في هذا وقال مجاهد أيضا وقتادة وعكرمة والضحاك ومقاتل والكلبي
احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما
يجيبهم ورجا أن يأتيه جبريل بجواب ما سألوه قال عكرمة فأبطأ عليه أربعين يوما وقال مجاهد اثنتي عشرة ليلة
وقيل خمس عشرة وقيل ثلاثة أيام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك فقال جبريل
إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فنزلت وما نتنزل الآية وأنزل والضحى والليل
إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ذكره الثعلبي والواحدي والقشيري وغيرهم وقيل هو إخبار عن أهل الجنة أنهم يقولون
عند دخولها وما نتنزل هذه الجنان إلا بأمر ربك وعلى هذا تكون الآية متصلة بما قبل وعلى ما ذكرناه من الأقوال تكون
غير متصلة بما قبلها والقرآن سور ثم السور تشتمل على جمل وقد تنفصل جملة عن جملة وما نتنزل أي قال الله قل يا جبريل
وما نتنزل إلا بأمر ربك وهذا يحتمل وجهين أحدهما إنا إذا أمرنا نزلنا عليك الثاني إذا أمرك ربك نزلنا عليك فيكون الأمر
على الوجه الأول متوجها إلى النزول وعلى الثاني متوجها إلى التنزيل له ما بين أيدينا أي علم ما بين أيدينا
وما خلفنا وما بين ذلك قال ابن عباس وابن جريج ما مضى أمامنا من أمر الدنيا وما يكون بعدنا من أمر الدنيا وأمر الآخرة
وما بين ذلك البرزخ وقال قتادة ومقاتل له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك ما بين
النفختين وبينهما أربعون سنة وقال الأخفش ما بين أيدينا ما كان قبل أن نخلق وما خلفنا ما يكون بعد أن نموت
وما بين ذلك ما يكون منذ خلقنا إلى أن نموت وقيل ما بين أيدينا من الثواب والعقاب وأمور الآخرة وما خلفنا ما مضى
من أعمالنا في الدنيا وما بين ذلك أي ما يكون من هذا الوقت إلى يوم القيامة ويحتمل خامسا ما بين أيدينا السماء وما خلفنا
الأرض وما بين ذلك ما بين السماء والأرض وقال ابن عباس في رواية له ما بين أيدينا يريد الدنيا إلى الأرض وما خلفنا
يريد السموات وهذا على عكس ما قبله وما بين ذلك يريد الهواء قاله القشيري وذكر الأول الماوردي وقيل ما مضى
من أعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها ولم يقل ما بين ذينك لأن المراد ما بين ما ذكرنا كما قال لا فارض ولا بكر
عوان بين ذلك أي بين ما ذكرنا وما كان ربك نسيا أي ناسيا إذا شاء أن يرسل إليك أرسل وقيل المعنى لم ينسك
وإن تأخر عنك الوحي وقيل المعنى أنه عالم بجميع الأشياء متقدمها ومتأخرها ولا ينسى شيئا منها
رب السموات والأرض أي ربهما وخالقهما وخالق ما بينهما ومالكهما ومالك ما بينهما فكما إليه تدبير الأزمان كذلك إليه تدبير
الأعيان فاعبده أي وحده لذلك وفي هذا دلالة على أن اكتساب الخلق مفعول لله تعالى كما يقوله أهل الحق وهو القول الحق
لأن الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معنى من معانيه إلا على المالك وإذا ثبت أنه مالك ما بين السموات والأرض دخل
في ذلك اكتساب الخلق ووجب عبادته لما ثبت أنه المالك على الإطلاق وحقيقة العبادة الطاعة بغاية الخضوع ولا يستحقها
أحد سوى المالك المعبود واصطبر لعبادته أي لطاعته ولا تحزن لتأخر الوحي عنك بل اشتغل بما أمرت به وأصل اصطبر

الوجه صح

اصتبر فثقل الجمع بين التاء والصاد لاختلافهما فأبدل من التاء طاء كما تقول من الصوم اصطام هل تعلم له سميا قال ابن عباس
يريد هل تعلم له ولدا أو نظيرا أو مثلا أو شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن وقاله مجاهد مأخوذ من المساماة
وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس هل تعلم له أحدا سمي الرحمن قال النحاس وهذا أجل إسناد علمته
روي في هذا الحرف وهو قول صحيح لا يقال الرحمن إلا لله قال المؤلف رحمه الله وقد مضى هذا مبينا في البسملة وروى
ابن أبي نجيح عن مجاهد هل تعلم له سميا قال مثلا وقال ابن المسيب عدلا قتادة والكلبي هل تعلم أحدا يسمى الله
غير الله أو يقال له الله إلا هو وهل بمعنى لا أي لا تعلم ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا الإنسان
هنا أبي بن خلف وجد عظاما بالية ففتتها بيده وقال زعم محمد أنا نبعث بعد الموت قاله الكلبي وقال المهدوي نزلت
في الوليد بن المغيرة وأصحابه وهو قول ابن عباس واللام في لسوف أخرج حيا للتأكيد كأنه قيل له إذا ما مت لسوف تبعث حيا
فقال أئذا ما مت لسوف أخرج حيا قال ذلك منكرا فجاءت اللام في الجواب كما كانت في القول الأول ولو كان مبتدئا لم تدخل
اللام لأنها للتأكيد والإيجاب وهو منكر للبعث وقرأ ابن ذكوان إذا ما مت على الخبر والباقون بالاستفهام على أصولهم
في الهمز وقرأ ابن ذكوان إذا ما مت على الخبر والباقون بالاستفهام على أصولهم في الهمز وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج حيا
قاله استهزاء لأنهم لا يصدقون بالبعث والإنسان هنا الكافر أولا يذكر الإنسان أي أولا يذكر هذا القائل
أنا خلقناه من قبل أي من قبل سؤاله وقوله هذا القول ولم يك شيئا فالإعادة مثل الابتداء فلم يناقض وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما وأهل
مكة وأبو عمرو وأبو جعفر أولا يذكر وقرأ شيبة ونافع وعاصم أولا يذكر بالتخفيف والاختيار التشديد و
أصله يتذكر لقوله إنما يتذكر أولو الألباب وأخواتها وفي حرف أبي أولا يتذكر وهذه القراءة على
التفسير لأنها مخالفة لخط المصحف ومعنى يتذكر يتفكر ومعنى يذكر يتنبه ويعلم قاله النحاس
فوربك لنحشرنهم أقسم بنفسه بعد إقامة الحجة بأنه يحشرهم من قبورهم إلى المعاد كما يحشر المؤمنين والشياطين
أي ولنحشرن الشياطين قرناء لهم قيل يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة كما قال احشروا الذين ظلموا و
أزواجهم قال الزمخشري والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فإن قلت هذا إذا أريد بالإنسان الكفرة
خاصة فإن أريد الإنسان على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت إذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم
الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة فإن قلت هلا عزل السعداء عن الأشقياء
في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت لم يفرق بينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأوردوا معهم النار ليشاهد
السعداء الأحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة إلى غبطة وسرورا إلى سرور ويشمتوا بأعداء الله
وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم فإن قلت ما معنى إحضارهم جثيا
قلت أما إذا فسر الإنسان بالخصوص فالمعنى أنهم يعتلون من المحشر إلى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في
الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل
أمة جاثية على الحالة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من
الاستيفاز والقلق وإطلاق الحبا خلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على
أرجلهم فيحبون على ركبهم جثوا وإن فسر بالعموم فالمعنى أنهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة
كما كانوا في الموقف متجاثين لأنه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل إلى الثواب والعقاب ويقال إن معنى

ذكره الواحدي والثعلبي صح

لنحضرنهم حول جهنم جثيا اى جثيا على ركبهم عن مجاهد وقتادة اى انهم لشدة ما هم فيه لا يقدرون على القيام وحول جهنم يجوز ان يكون داخلها كما تقول جلس القوم حول البيت اى داخله مطيفين به فقوله حول جهنم على هذا يجوز ان يكون بعد الدخول ويجوز ان يكون قبله وجثيا جمع جاث يقال جثا على ركبته يجثو ويجثى جثوا وجثيا على فعول فيهما واجثاه غيره وقوم جثى ايضا مثل جلس جلوسا وقوم جلوس وجثى ايضا بكسر الجيم لما بعدها من الكسر وقال ابن عباس جثيا جماعات وقال مقاتل جميعا جمعا وهو على التأويل جمع جثوة وجثوة وجثوة ثلاث لغات وهى الحجارة المجموعة والتراب المجموع فاهل الخمر على حدة واهل الزنا على حدة وهكذا قال طرفة ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد وقال الحسن والضحاك جاثية على الركب وهو على هذا التأويل جمع جاث على ما تقدم وذلك لضيق المكان اى لا يمكنهم ان يجلسوا جلوسا تاما وقيل جثيا على ركبهم للتخاصم كقوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وقال الكميت هم تركوا سراتهم جثيا وهم دون السراة مقرنينا

ثم لننزعن من كل شيعة اى لنستخرجن من كل امة واهل دين ايهم اشد على الرحمن عتيا قال النحاس وهذه آية مشكلة فى الاعراب لان القراء كلهم يقرؤن ايهم بالرفع الا هارون القارى الاعور فان سيبويه حكى عنه ثم لننزعن من كل شيعة ايهم بالنصب اوقع على ايهم لننزعن قال ابو اسحاق فى رفع ايهم ثلاثة اقوال قال الخليل بن احمد حكاه عنه سيبويه انه مرفوع على الحكاية والمعنى ثم لننزعن من كل شيعة الذى يقال من اجل عتوه اى هم اشد على الرحمن عتيا حكاه الخليل ولقد ابيت من الفتاة بمنزل فابيت لا حرج ولا محروم اى فابيت بمنزلة الذى يقال له هو لا حرج ولا محروم قال النحاس ولقد رايت ابا اسحق يختار هذا القول ويستحسنه قال لانه معنى قول اهل التفسير وزعم ان معنى ثم لننزعن من كل شيعة ثم لننزعن العاتى فالعاتى كانه يبتدا بالتعذيب باشد هم عتيا ثم الذى يليه وهذا نص كلام ابى اسحق فى معنى الآية وقال يونس لننزعن بمنزلة الافعال التى تلغى ورفع ايهم على الابتداء قال المهدوى والفعل الذى هو لننزعن عند يونس معلق قال ابو على معنى ذلك انه يعمل فى موضع ايهم اشد لا انه ملغى ولا يعلق عند الخليل وسيبويه مثل لننزعن انما يعلق بافعال الشك وشبهها ما لم يتحقق وقوعه وقال سيبويه ايهم مبنى على الضم لانها خالفت اخواتها فى الحذف لانك لو قلت رايت الذى افضل ومن افضل كان قبيحا حتى تقول من هو افضل والحذف فى ايهم جائز قال ابو جعفر وما علمت احدا من النحويين الا وقد خطا سيبويه فى هذا وسمعت ابا اسحاق يقول ما تبين لى ان سيبويه غلط فى كتابه الا فى موضعين احدهما هذا قال وقد علمنا ان سيبويه انه اعرب ايا وهى مفردة لانها تضاف فكيف نبنيها وهى مضافة ولم يذكر ابو اسحاق فيما علمت الا هذه الثلاثة الاقوال قال ابو على انما وجب البناء على مذهب سيبويه لانه حذف منه ما يتعرف به وهو الضمير مع افتقار اليه كما حذف فى من قبل ومن بعد ما يتعرفان به مع افتقار المضاف الى المضاف اليه لان الصلة تبين الموصول وتوضحه كما ان المضاف يبين المضاف اليه ويخصصه قال ابو جعفر وفيه اربعة اقوال سوى هذه الثلاثة التى ذكرها ابو اسحق قال الكسائى لننزعن واقع على المعنى كما تقول لبست من الثياب واكلت من الطعام ولم يقع لننزعن على ايهم فينصبها زاد المهدوى وانما الفعل عنده واقع على موضع من كل شيعة وقوله ايهم اشد جملة مستانفة مرفوعة بالابتداء ولا يرى سيبويه زيادة من فى الواجب وقال الفراء المعنى ثم لننزعن بالنداء ومعنى لننزعن لننادين قال المهدوى ونادى فعل يعلق اذا كان بعده جملة كظننت فتعمل فى المعنى ولا تعمل فى اللفظ قال ابو جعفر وحكى ابو بكر بن

ايهم

واشد ص

ثم لننزعن

شقير ان بعض الكوفيين يقول فى ايهم معنى الشرط والمجازاة ولذلك لم يعمل فيها ما قبلها والمعنى ثم لننزعن من كل فرقة ان تشايعوا او لم تشايعوا كما تقول ضربت القوم ايهم غضب والمعنى ان غضبوا او لم يغضبوا قال ابو جعفر فهذه ستة اقوال وسمعت على بن سليمان يحكى عن محمد بن يزيد قال ايهم متعلق بشيعة فهو مرفوع بالابتداء والمعنى ثم لننزعن من الذين تشايعوا ايهم اى من الذين تعاونوا فنظروا ايهم اشد على الرحمن عتيا وهذا قول حسن وقد حكى الكسائى ان التشايع التعاون وعتيا نصب على البيان

ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا

اى احق بدخول النار يقال صلى يصلى صليا مثل مضى الشئ يمضى مضيا اذا ذهب قال الجوهرى ويقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كانك تريد الاحراق قلت اصليته بالالف وصليته تصلية وقرى ويصلى سعيرا ومن خفف فهو من قولهم صلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق قال الله تعالى هم اولى بها صليا وقال العجاج والله لولا النار ان تصلاها ويقال ايضا صلى بالامر اذا قاسى حره وشدته قال الطهوى

ولا تبلى بسالتهم وان هم صلوا بالحرب حينا بعد حين

واصطليت بالنار وتصليت بها قال ابو زيد وقد تصليت حر حربهم كما تصلى المقرور من قرس وفلان لا يصطلى بناره اذا كان شجاعا لا يطاق

وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فيه خمس مسائل

قوله تعالى وان منكم هذا قسم والواو يتضمنه ويفسره حديث النبى صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قال الزهرى كانه يريد هذه الآية وان منكم الا واردها ذكره ابو داود الطيالسى فقوله الا تحلة القسم يخرج فى التفسير المسند لان القسم المذكور فى هذا الحديث معناه عند اهل العلم قوله تعالى وان منكم الا واردها وقد قيل ان المراد بالقسم قوله تعالى والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والاول اشهر والمعنى متقارب

اختلف الناس فى الورود فقيل الورود الدخول روى جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اسنده ابو عمر فى كتاب التمهيد وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وروى يونس عن الحسن انه كان يقرا وان منكم الا واردها الورود الدخول على التفسير للورود فغلط فيه بعض الرواة فالحقه بالقرآن وفى مسند الدارمى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون منها باعمالهم فاولهم كلمح البصر ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب فى رحله ثم كشد الرجل فى مشيته وروى عن ابن عباس انه قال فى هذه المسئلة لنافع بن الازرق الخارجى اما انا وانت فلا بد ان نردها فاما انا فينجينى الله منها واما انت فما اظنه ينجيك لتكذيبك وقد اشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر وقد بيناه فى التذكرة وقالت فرقة الورود الممر على الصراط روى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار والسدى ورواه السدى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم وقاله الحسن ايضا قال ليس الورود الدخول انما هو كما تقول وردت البصرة ولم ادخلها قال فالورود ان تمروا على الصراط قال ابو بكر الانبارى وقد بنى على قول الحسن قوم من اهل اللغة واحتجوا بقول الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله ان يبعده منها وكان هؤلاء يقرؤن ثم ننجى بفتح الثاء ثم ننجى الذين واحتج عليهم الآخرون اهل المقالة الاولى بان معنى قوله اولئك عنها مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها قالوا فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا ولا الما فهو مبعد منها فى الحقيقة ويستدلوا بقوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا بضم الثاء فثم يدل على نجاء بعد الدخول قال المؤلف رحمه الله وفى

الطيالسى

صحيح مسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلّم سلّم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة
فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق
كالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم الحديث وبه احتج من
قال ان الجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الآية لا الدخول فيها وقالت فرقة بل هو ورود اشراف واطلاع و
قرب وذلك انهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون اليها في حالة الحساب ثم ينجي الذين اتقوا
مما نظروا اليه ويصار بهم الى الجنة ونذر الظالمين اي يؤمر بهم الى النار قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين اي اشرف
عليه لا انه دخله وقال زهير فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم وروت حفصة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد من اهل بدر والحديبية قالت فقلت يا رسول الله واين قول الله وان منكم
الا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا وخرجه مسلم من حديث ام مبشر قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة الحديث ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى اولئك عنها مبعدون وقال مجاهد ورود المؤمنين هو الحمى التي تصيب المؤمن في دار الدنيا وهي حظ المؤمن
من النار فلا يردها روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا من وعك به فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ابشر فان الله تعالى يقول هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار اسنده ابو عمر قال حدثنا
محمد بن اسمعيل الصايغ قال حدثنا ابو اسامة قال حدثنا ابو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن اسمعيل بن عبيد الله الاشعري
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم عاد مريضا فذكره وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار وقالت فرقة
الورود النظر اليها في القبر فينجى منها الفائز ويصلاها من قدر عليه دخولها ثم يخرج منها بالشفاعة او بغيرها من رحمة
الله واحتجوا بحديث ابن عمر اذا مات احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي الحديث وروى وكيع عن شعبة عن عبد
عبد الله بن السايب عن رجل عن ابن عباس انه قال في قول الله تعالى وان منكم قال هذا خطاب للكفار وروى عنه
انه قال في قول الله تعالى كان يقرأ وان منهم ردا على الآيات التي قبلها في الكفار قوله تعالى فوربك لنحشرنهم ثم لنحضرنهم
وانهم اشد ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وان منهم وكذلك قراءة عكرمة وجماعة وعليها فلا شغب في هذه
القراءة وقالت فرقة المراد بمنكم الكفرة والمعنى قل لهم يا محمد وهذا التأويل ايضا سهل التناول والكاف في منكم
راجعة الى الهاء في لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم فلا ينكر رجوع الكاف الى الهاء فقد عرف ذلك في قول الله عز وجل
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء معناه كان لهم فرجعت الكاف الى الهاء وقال الاكثر المخاطب
العالم كله فلا بد من ورود الجميع وعليه نشأ الخلاف في الورود وقد بينا اقوال العلماء فيه وظاهر الورود الدخول لقوله
عليه السلام فتمسه النار لان المسيس حقيقته في اللغة المماسة الا انها تكون بردا وسلاما على المؤمنين وينجون منها سالمين
قال خالد بن معدان اذا دخل اهل الجنة الجنة قالوا الم يقل ربنا انا نرد النار فيقال قد وردتموها فالفيتموها
رمادا قال المؤلف رحمه الله وهذا القول يجمع شتات الاقوال فان من وردها ولم يؤذه لهبها وحرها فقد ابعد عنها ونجا
منها نجانا الله منها بفضله وكرمه وجعلنا ممن وردها فدخلها سالما وخرج منها غانما فان قيل هل يدخل الانبياء النار
قلنا لا نطلق هذا ولكن نقول ان الخلق جميعا يردونها كما دل عليه حديث جابر اول الباب فالعصاة يدخلونها بجرائمهم
والاولياء والسعداء لشفاعتهم فبين الدخولين بون وقال ابن الانباري محتجا لمصحف عثمان وقراءة العامة جائز في
اللغة ان يرجع من مخاطبة الغائب الى لفظ المواجهة بالخطاب كما قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء

عبد الواحد قال سفيان قال ح

قاسم بن اصبغ قال حدثنا

بدل الكاف من الهاء وقد تقدم هذا المعنى في يونس   الاستثناء في قوله عليه السلام الا تحلة القسم يحتمل ان يكون
استثناء منقطعا لكن تحلة القسم وهذا معروف في كلام العرب والمعنى اي لا تمسه النار اصلا وتم الكلام هنا ثم ابتدأ الا تحلة
القسم اي لكن تحلة القسم لا بد منها في قوله تعالى وان منكم الا واردها وهو الجواز على الصراط او الرؤية او الدخول دخول سلامة
فلا يكون في ذلك شيء من مسيس لقوله عليه السلام لا يموت لاحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار والجنة
الوقاية والستر ومن وقي النار وستر عنها فلن تمسه اصلا ولو مسته لما كان موقى   هذا الحديث يفسر
الاول لان فيه ذكر الحسبة ولذلك جعله مالك باثره مفسرا له ويقيد هذا الحديث الثاني ايضا ما رواه البخاري عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجابا من النار او دخل الجنة فقوله عليه
السلام لم يبلغوا الحنث معناه عند اهل العلم لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا ان يلزمهم حنث دليل على ان اطفال المسلمين
في الجنة والله اعلم لان الرحمة اذا نزلت بآبائهم استحال ان يرحموا من اجل من ليس بمرحوم وهذا اجماع من العلماء في ان
اطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في ذلك الا فرقة شذت من الجبرية فجعلتهم في المشيئة وهو قول مهجور مردود باجماع الامة
وهم الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الشقي من شقي في بطن امه
وان الملك ينزل فيكتب اجله ورزقه الحديث مخصوص وان من مات من اطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممن سعد في
بطن امه ولم يشق بدليل الاحاديث والاجماع وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها
اهلا وهم في اصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها اهلا وهم في اصلاب آبائهم ساقط ضعيف مردود بالاجماع والآثار وطلحة
ابن يحيى الذي يرويه ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه وقد روى شعبة عن معاوية بن قرة
بن اياس المزني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا من الانصار مات له ابن صغير فوجد عليه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما يسرك الا تاتي بابا من ابواب الجنة الا وجدته يستفتح لك فقالوا يا رسول الله اله خاصة ام للمسلمين
عامة قال بل للمسلمين عامة قال ابو عمر هذا صحيح ثابت بمعنى ما ذكرناه من اجماع الجمهور وهو يعارض حديث يحيى ويدفعه
قال ابو عمر والوجه عندي في هذا الحديث وما اشبهه من الآثار انها لمن حافظ على اداء فرائضه واجتنب الكبائر وصبر
واحتسب في مصيبته فان الخطاب لم يتوجه في ذلك العصر الا الى قوم الاغلب من امرهم ما وصفنا وهم الصحابة رضي الله عنهم وذكر
النحاس عن بعضهم انه قال نسخ قوله وان منكم الا واردها قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهذا ضعيف وهذا ليس
موضع نسخ وقد بينا انه اذا لم تمسه فقد ابعد عنها وفي الخبر تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك
لهبي   قوله تعالى كان على ربك حتما مقضيا الحتم ايجاب القضاء اي كان ذلك حتما مقضيا اي قضاه
الله عليكم وقال ابن مسعود اي قسما واجبا   قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي نخلصهم ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا مما
يدل على ان الورود الدخول لانه لم يقل وندخل الظالمين وقد مضى هذا مستوفى والمذهب ان صاحب الكبيرة وان دخلها
فانه يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو وقالت المرجئة لا يدخل وقالت الوعيدية يخلد وقد مضى بيان هذا في غير موضع وقرأ عاصم
الجحدري ومعاوية بن قرة ثم ننجي مخففة من انجى وهي قراءة حميد ويعقوب والكسائي وثقل الباقون وقرأ ابن ابي ليلى
ثمه بفتح الثاء اي هناك وثم ظرف الا انه مبني لانه غير محصل فبني كما بني ذا والهاء يجوز ان تكون لبيان الحركة فتحذف في الوصل
ويجوز ان تكون لتانيث البقعة فتثبت في الوصل تاء   قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اي على الكفار الذين سبق ذكرهم
في قوله ائذا ما مت لسوف اخرج حيا وقال فيهم ونذر الظالمين فيها جثيا اي هؤلاء اذا قرئ عليهم القرآن تعززوا بالدنيا
وقالوا فما بالنا ان كنا على باطل اكثر اموالا واعز نفرا وغرضهم ادخال الشبهة على المستضعفين وايهامهم ان من كثر ماله

حديث

دل ذلك على انه المحق في دينه فكانهم لم يروا في الكفار فقيرا ولا في المسلمين غنيا ولم يعلموا ان الله نحى اولياءه عن الاغترار
بالدنيا وفرط الميل اليها وبينات معناه مرتلات الالفاظ ملخصة المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات
قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها
او حججا وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لان آيات الله تعالى لا تكون الا واضحة وحججا
قال الذين كفروا يريد مشركي قريش النضر بن الحارث واصحابه للذين آمنوا يعني فقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت
فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون خير ثيابهم
فقالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما قرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد مقاما بضم الميم وهو موضع الاقامة
ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقامة الباقون مقاما بالفتح اي منزلا ومسكنا وقيل المقام الموضع الذي تقام فيه بالامور الجليلة
اي اي الفريقين اكثر جاها وانصارا واحسن نديا اي مجلسا عن ابن عباس وعنه ايضا المنظر وهو المجلس في اللغة وهو
النادي ومنه دار الندوة لان المشركين كانوا يتشاورون فيها في امورهم وناداه جالسه في النادي قال الشاعر
أنادي به آل الوليد وجعفرا والندي على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك الندوة والنادي والمنتدى فان تفرق القوم
فليس بندي قاله الجوهري وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة وجماعة هم احسن اثاثا اي متاعا كثيرا
قال الشاعر وفرع يزين المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل والاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من
الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
وقال ابن عباس هيئة مقاتل ثيابا ورئيا اي منظرا حسنا وفيه خمس قراءات قرأ اهل المدينة وريا بغير همز وقرأ
اهل الكوفة ورئيا بالهمز وحكى يعقوب ان طلحة قرأ وريا بياء واحدة مخففة وروى سفيان عن الاعمش عن ابي ظبيان
عن ابن عباس هم احسن اثاثا وزيا بالزاي فهذه اربع قراءات قال ابو اسحاق ويجوز هم احسن اثاثا وريئا بياء بعد همزة
قال النحاس وقراءة اهل المدينة في هذا حسنة وفيها تقديران احدهما ان يكون من رأيت ثم خففت الهمزة فابدل منها ياء و
ادغمت الياء في الياء وكان هذا حسنا لتوافق رؤس الآيات لانها غير مهموزات وعلى هذا قال ابن عباس الرئي المنظر لتتفق
فالمعنى هم احسن اثاثا ولباسا والوجه الثاني ان جلودهم مرتوية من النعمة فلا يجوز الهمز على هذا وفي رواية ورش عن
نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وريا بالهمز يكون على الوجه الاول وهي قراءة اهل الكوفة وابي عمرو من رأيت على الاصل وقراءة
طلحة بن مصرف وريا بياء واحدة مخففة احسبها غلطا وقد زعم بعض النحويين انه كان اصلها الهمز فقلبت الهمزة ياء ثم
حذفت احدى اليائين قال المهدوي ويجوز ان تكون رئيا فقلبت فصارت رئيا ثم نقلت حركة الهمزة على الياء وقد حذفت
وقد قرأ بعضهم وريا على القلب وهي القراءة الخامسة وحكى سيبويه راء بمعنى رأى قال الجوهري من همز جعله من المنظر
من رأيت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة وانشد ابو عبيدة لمحمد بن نمير الثقفي اشاقتك الظعاين يوم
بانوا بذي الرئي الجميل من الاثاث ومن لم يهمز اما ان يكون على تخفيف الهمزة او يكون من رويت الوانهم وجلودهم ريا اي امتلأت ومن لم يهمز صح
وحسنت واما قراءة ابن عباس وابي بن كعب وسعيد بن جبير والاعصم المكي ويزيد البربري وزيا بالزاي فهو الهيئة
والحسن ويجوز ان يكون من زويت اي جمعت فيكون اصلها زويا فقلبت الواو ياء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وعنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض اي جمعت اي فلم يكن يغني عنهم ذلك شيئا من عذاب الله فليعش هؤلاء ما شاؤا
فمصيرهم الى الموت والعذاب وان عمروا او العذاب العاجل يأخذهم الله به قوله تعالى قل من كان في الضلالة اي في الكفر
فليمدد له الرحمن مدا اي فليدعه في طغيان جهله وكفره فلفظه لفظ الامر ومعناه الخبر اي من كان في الضلالة مده الرحمن

مدا حتى يطول اغتراره فيكون ذلك اشد لعقابه نظيره انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله ونذرهم في
طغيانهم يعمهون ومثله كثير اي فليعش ما شاء وليوسع لنفسه في العمر فمصيره الى الموت والعذاب و
هذا غاية في التهديد والوعيد وقيل هذا دعاء امر به النبي صلى الله عليه وسلم تقول من سرق مالي فليقطع الله
يده فهو دعاء على السارق وهو جواب الشرط وعلى هذا فليس قوله فليمدد خبرا حتى اذا رأوا ما يوعدون
قال رأوا لان لفظ من يصلح للواحد والجمع واذا مع الماضي بمعنى المستقبل اي حتى يروا ما يوعدون والعذاب هنا
يكون اما نصر المؤمنين عليهم فيعذبونهم بالسيف والاسر واما ان تقوم الساعة فيصيرون الى النار فسيعلمون
من هو شر مكانا واضعف جندا اي تنكشف حينئذ الحقائق وهذا رد لقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي ويثبت الله المؤمنين على الهدى ويزيدهم في النصرة وينزل
من الآيات ما يكون سبب زيادة اليقين مجازاة لهم وقيل يزيدهم هدى بتصديقهم بالناسخ والمنسوخ الذي
كفر به غيرهم قال معناه الكلبي ومقاتل ويحتمل ثالثا اي ويزيد الله الذين اهتدوا الى الطاعة هدى الى الجنة
والمعنى متقارب وقد تقدم القول في معنى زيادة الايمان والهدى في آل عمران وغيرها والباقيات الصالحات
تقدم القول فيها في الكهف خير عند ربك ثوابا اي جزاء وخير مردا اي في الآخرة مما افتخر به الكفار في الدنيا و
المرد مصدر كالرد اي وخير ردا على عاملها بالثواب يقال هذا ارد عليك اي انفع لك وقيل خير مردا اي مرجعا
فكل احد يرد الى عمله الذي عمله افرأيت الذي كفر بآياتنا روى الائمة واللفظ لمسلم عن خباب
قال كان لي على العاص بن وائل دين فأتيته اتقاضاه فقال لي لن اقضيك حتى تكفر بمحمد قال فقلت لن اكفر
حتى تموت ثم تبعث قال واني لمبعوث من بعد الموت فسوف اقضيك اذا رجعت الى مال وولد قال وكيع كذا قال الاعمش
فنزلت هذه الآية افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله ويأتينا فردا وفي رواية قال كنت
قينا في الجاهلية فعملت للعاص بن وائل عملا فأتيته اتقاضاه خرجه البخاري ايضا وقال الكلبي ومقاتل كان
خباب قينا فصاغ للعاص حليا ثم تقاضاه اجرته فقال العاص ما عندي اليوم ما اقضيك قال خباب لست
بمفارقك حتى تقضيني فقال العاص يا خباب ما لك ما كنت هكذا وان كنت لحسن الطلب فقال خباب ذلك اني كنت
على دينك فاما اليوم فانا على دين الاسلام مفارق لدينك قال اولستم تزعمون ان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا
قال خباب بلى قال فاخرني حتى اقضيك في الجنة استهزاء فوالله ان كان ما تقول حقا اني لاقضينك فيها فوالله لا تكون
انت يا خباب واصحابك اولى بها مني فانزل الله تعالى افرأيت الذي كفر بآياتنا يعني العاص الآيات اطلع الغيب
قال ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وقال مجاهد اعلم الغيب حتى يعلم افي الجنة هو ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا
قال قتادة والثوري اي عملا صالحا وقيل هو التوحيد وقيل هو من الوعد وقال الكلبي عاهد الله انه يدخله الجنة
كلا رد عليه اي لم يكن ذلك لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا وتم الكلام عند قوله كلا وقال الحسن ان الآيات
نزلت في الوليد بن المغيرة والاول اصح لانه مدون في الصحاح وقرأ حمزة والكسائي وولدا بضم الواو والباقون بفتحها
واختلف في الضم والفتح على وجهين احدهما انهما لغتان معناهما واحد يقال ولد وولد كما يقال عدم وعدم وقال الحارث بن احدهما صح
حلزة ولقد رأيت معاشرا قد ثمروا مالا وولدا وقال آخر فليت فلانا كان في بطن امه وليت فلانا كان ولد حمار
الثاني ان قيسا تجعل الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا قال الماوردي وفي قوله تعالى لاوتين مالا وولدا وجهان
احدهما انه اراد في الجنة استهزاء بما وعد الله تعالى على طاعته وعبادته قاله الكلبي الثاني انه اراد في الدنيا وهو قول

الجحود وفيه وجهان محتملان احدهما ان اقمت على دين آبائي وعبادة آلهتي لاوتين مالا وولدا الثاني ولو كنت على
باطل لما اوتيت مالا وولدا قال المولف رحمه الله قول الكلبي اشبه بظاهر الاحاديث بل نصها يدل على ذلك قال مسروق
سمعت خباب بن الارت يقول جئت العاص بن وائل السهمي اتقاضاه حقا لي عنده فقال لا اعطيك حتى تكفر
بمحمد فقلت لا حتى تموت ثم تبعث قال واني لمبعوث فقلت نعم فقال ان لي هنالك مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت
الذي كفر باياتنا الايه قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح اطلع الغيب الفه الف استفهام لمجيء ام
بعدها ومعناه التوبيخ واصله ااطلع فحذفت الالف الثانية لانها الف وصل فان قيل فهلا اتوا بمدة بعد الالف فقالوا
آطلع كما قالوا آلله خير آلذكرين حتى يحمل له ان الاصل في هذا أ الله أ الذكرين فابدلوا من الالف الثانية
مدة ليفرقوا بين الاستفهام والخبر وذلك انهم لو قالوا الله خير بلا مد لالتبس الاستفهام بالخبر ولم يحتاجوا الى هذه المدة
في قوله اطلع لان الف الاستفهام مفتوحة والف الخبر مكسورة وذلك انك تقول في الاستفهام اطلع افترى اصطفى استغفرت
بفتح الالف وتقول في الخبر اطلع افترى اصطفى استغفرت لهم بالكسر فجعلوا الفرق بالفتح والكسر ولم يحتاجوا الى فرق
آخر كلا ليس في النصف الاول ذكر كلا وانما جاء ذكره في النصف الثاني وهو يكون بمعنيين احدهما
بمعنى حقا والثاني بمعنى لا فاذا كانت بمعنى حقا جاز الوقف على ما قبله ثم يبتدي كلا اي حقا وان كانت بمعنى لا كان الوقف
على كلا جائزا كما في هذه الايه لان المعنى لا ليس الامر كذلك ويجوز ان تقف على قوله عهدا وتبتدي كلا اي حقا سنكتب ما يقول
وكذلك قوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا يجوز الوقف على كلا وعلى تركت وقوله ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون
قال كلا الوقف على كلا لان المعنى لا ليس الامر كما ظنوا فاذهبا وليس للحجة في هذا موضع وقال الفراء كلا بمنزلة سوف لانها صلة
وهي حرف رد فكانها نعم ولا في الاكتفاء قال وان جعلتها صلة لما بعدها لم تقف عليها كقولك كلا ورب الكعبة لا تقف على كلا
لانها بمنزلة اي ورب الكعبة قال الله تعالى كلا والقمر فالوقف على كلا قبيح لانها صلة لليمين وكان ابو جعفر محمد بن سعدان
يقول في كلا مثل قول الفراء وقال الاخفش معنى كلا الردع والزجر وقال ابو بكر بن الانباري وسمعت ابا العباس يقول
لا يوقف على كلا في جميع القرآن لانها جواب والفائدة تقع فيما بعدها والقول الاول هو قول اهل التفسير
سنكتب ما يقول اي سنحفظ عليه قوله فنجازيه به في الآخرة ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق عذاب ونرثه
ما يقول اي نسلبه ما اعطيناه في الدنيا من مال وولد وقال ابن عباس وغيره اي نرثه المال والولد بعد اهلاكنا اياه و
قيل نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد ونجعله لغيره من المسلمين ويأتينا فردا اي منفردا لا مال له ولا ولد ولا عشيرة
تنصره قوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا يعني مشركي قريش وعزا معناه اعوانا ومنعة يعني
اولادا والعز المطر الجود ايضا قاله الهروي وظاهر الكلام ان عزا راجع الى الآلهة التي عبدوها من دون الله ووحد لانه بمعنى
المصدر اي لينالوا بها العز ويمتنعون بها من عذاب الله فقال الله تعالى كلا اي ليس الامر كما ظنوا وتوهموا بل يكفرون
بعبادتهم اي ينكرون انهم عبدوا الاصنام او يجحدوا الآلهة عبادة المشركين لها كما قال تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وذلك ان الاصنام جمادات لا تعلم العبادة ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا في خصومتهم وتكذيبهم عن مجاهد وقال الضحاك
يكونون لهم اعداء وقال ابن زيد يكونون عليهم بلاء فتحشر آلهتهم وتركب لهم عقول فتنطق وتقول يا رب عذب هولاء الذين
عبدونا من دونك وكلا هنا يحتمل ان يكون بمعنى لا ويحتمل ان يكون بمعنى حقا اي حقا سيكفرون بعبادتهم وقرا ابو نهيك
كلا سيكفرون بالتنوين وروي عنه مع ذلك ضم الكاف وفتحها قال المهدوي كلا ردع وزجر وتنبيه ورد لكلام متقدم وقد
تقع لتحقيق ما بعدها والتنبيه عليه كقوله كلا ان الانسان ليطغى فلا يوقف عليها على هذا ويوقف عليها في المعنى الاول فان

فان صلح فيها المعنيان جميعا جاز الوقف عليها والابتداء بها فمن نون كلا من قوله سيكفرون بعبادتهم مع فتح الكاف
فهو مصدر كل ونصبه بفعل مضمر والمعنى كل هذا الراي والاعتقاد كلا يعني اتخاذهم الآلهة ليكونوا لهم عزا فيوقف
على هذا على عزا وعلى كلا وكذلك في قراءة الجماعة لانها تصلح للرد لما قبلها والتحقيق لما بعدها ومن روى ضم الكاف مع
التنوين فهو منصوب ايضا بفعل مضمر كانه قال سيكفرون كلا سيكفرون بعبادتهم يعني الآلهة قال المولف رحمه الله
فتحصل كلا اربعة معان التحقيق وهو ان تكون بمعنى حقا والنفي والتنبيه وصلة للقسم ولا يوقف منها الا على الاول وقال
الكسائي لا تنفي فحسب وكلا تنفي شيئا وتثبت شيئا فاذا قيل اكلت تمرا قلت كلا اي اكلت عسلا لا تمرا ففي هذه الكلمة نفي
ما قبلها وتحقيق ما بعدها والضد يكون واحدا ويكون جمعا كالعدو والرسول وقيل وقع الضد موقع المصدر اي ويكونون
عليهم عونا فلهذا لم يجمع وهذا في مقابلة قوله ليكونوا لهم عزا والعز مصدر فكذلك ما وقع في مقابلته ثم قيل الآية في عبدة
الاصنام واجرى الاصنام مجرى من يعقل جريا على توهم الكفرة وقيل فيمن عبد المسيح او الملائكة او الجن او
الشياطين والله اعلم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم بالاغواء وذلك
حين قال لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك وقيل ارسلنا اي خلينا يقال ارسلت البعير اي خليته اي
خلينا الشياطين واياهم ولم نعصمهم من القبول منهم وقال الزجاج قيضنا تؤزهم ازا قال ابن عباس تزعجهم ازعاجا
من الطاعة الى المعصية وعنه تغريهم اغراء بالشر امض امض في هذا الامر حتى توقعهم في النار حكى الاول الثعلبي
والثاني الماوردي والمعنى واحد الضحاك تغويهم اغواء مجاهد تشليهم اشلاء واصله الحركة والغليان ومنه الخبر المروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قام الى الصلاة ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء وائتززت القدر ائتزازا اشتد غليانها
والازّ التهييج والاغراء قال الله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اي تغريهم على المعاصي والازّ
الاختلاط وقد ازرت الشيء ازا اذا ضممت بعضه الى بعض قاله الجوهري فلا تعجل عليهم اي بطلب العذاب
لهم انما نعد لهم عدا قال الكلبي آجالهم يعني الايام والليالي والشهور والسنين الى انتهاء اجل العذاب وقال الضحاك
الانفاس وقال ابن عباس نعد انفاسهم في الدنيا كما نعد سنيهم وقيل الخطوات وقيل اللحظات وقيل الساعات
وقال قطرب نعد اعمالهم عدا وقيل لا تعجل عليهم فانما نؤخرهم ليزدادوا اثما وروي ان المامون قرا هذه السورة فمر
بهذه الآية وعنده جماعة من الفقهاء فاشار براسه الى ابن السماك فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد
فما اسرع ما تنفد وقيل في هذا المعنى حياتك انفاس تعد فكلما مضى نفس منها انتقصت به جزءا يميتك ما
يحييك في كل ليلة ويحدوك حاد ما يريد به الهزء ويقال ان انفاس ابن آدم ما بين اليوم والليلة اربعة وعشرون
الف نفس اثنا عشر الفا في اليوم واثنا عشر الفا في الليل والله اعلم فهي تعد وتحصى احصاء ولها عدد معلوم وليس
لها مدد فما اسرع ما تنفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا في الكلام حذف اي الى جنة الرحمن و
دار كرامته كقوله اني ذاهب الى ربي وكما في الخبر من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والوفد
اسم للوافدين كما يقال صوم وفطر وزور فهو جمع الوافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وهو من وفد يفد وفدا
ووفودا ووفادة اذا خرج الى ملك في فتح او امر خطير قال الجوهري يقال وفد على الامير اي ورد رسولا فهو وافد والجمع
وفد مثل صاحب وصحب وجمع الوفد اوفاد ووفود والاسم الوفادة واوفدته انا الى الامير اي ارسلته وفي التفسير
وفدا اي ركبانا على نجائب طاعاتهم وهذا لان الوافد في الغالب يكون راكبا والوفد الركبان ووحد لانه مصدر قال
ابن جريج وفدا على النجائب وقال عمرو بن قيس الملائي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله عمله احسن صورة و

واطيب ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت في الدنيا انا
عملك الصالح طال ما ركبتك فاركبني وتلى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وان الكافر يستقبله اقبح شي صورة و
انتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد قبح صورتك ونتن ريحك فيقول كذلك كنت في الدنيا انا عملك السيء طالما
ركبتني في الدنيا وانا اليوم اركبك وتلى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون قال ابن العربي في سراج المريدين
والصحيح قبل اسناده وكذلك هذا الخبر في تفسير ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري عن ابن عباس بلفظه ومعناه
وقال ايضا عن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد الى الله على خيل لا تبول ولا تروث لجمها من الياقوت الاحمر ومن
الزبرجد الاخضر ومن الدر الابيض وسروجها السندس والاستبرق ومن كان يحب ركوب الابل فعلى نجائب لا تبعر ولا تبول
ازمتها من الياقوت والزبرجد ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد امنوا الغرق وامنوا
الاهوال وقال ايضا عن علي ولما نزلت الآية قال علي رضي الله عنه يا رسول الله اني قد رايت الملوك ووفودهم فلم ار وفدا الا
ركبانا فما وفد الله فقال عليه السلام اما انهم لا يحشرون على اقدامهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة
لم تنظر الخلائق الى مثلها رحالها الذهب وزمامها الزبرجد فيركبونها حتى يقرعوا باب الجنة ولفظ الثعلبي في هذا الخبر عن
علي ابين وقال علي لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله اني رايت الملوك ووفودهم فلم ار وفدا الا ركبانا فما وفد الله قال
يا علي اذا كان المنصرف من بين يدي الله تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض رحالها وازمتها الذهب على كل مركب حلة
لا تساويها الدنيا فيلبس كل مؤمن حلة ثم تسير بهم مراكبهم فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم الى الجنة فتتلقاهم الملائكة سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال المؤلف رحمه الله وهذا الخبر ينص على انهم لا يركبون ولا يلبسون الا من الموقف واما
اذا خرجوا من القبور فمشاة حفاة عراة غرلا الى الموقف بدليل حديث ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسياتي بكماله في سورة المؤمنين ان شاء الله وتقدم في آل عمران من حديث عبد الله بن انيس بمعناه والله اعلم ولا يبعد ان يحصل
الحالتان للسعداء فيكون حديث ابن عباس مخصوصا والله اعلم وقال ابو هريرة وفدا على الابل ابن عباس ركبانا يؤتون
بنوق من الجنة عليها رحائل من الذهب وسروجها وازمتها من الزبرجد فيحشرون عليها وقال علي ما يحشرون والله على
ارجلهم ولكن على نوق رحالها من ذهب ونجب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان حركوها طارت وقيل يفدون
على ما يحبون من ابل وخيل وسفن على ما تقدم عن ابن عباس والله اعلم وقيل انما قال وفدا لان من شان الوفود عند
العرب ان يقدموا بالبشارات وينتظرون الجوائز فالمتقون ينتظرون الثواب والعطاء ونسوق المجرمين
الى جهنم وردا السوق الحث على السير وردا عطاشا قاله ابن عباس وابو هريرة والحسن والاخفش وقال الفراء
مشاة وقيل افرادا وقال الازهري اي مشاة عطاشا كالابل ترد الماء فيقال جاء ورد بني فلان قال القشيري وقوله
وردا يدل على العطش لان الماء يورد في الغالب للعطش وفي التفسير مشاة عطاشا تتقطع اعناقهم من العطش واذا كان
سوق المجرمين الى النار وحشر المتقين الى الجنة وقيل وردا اي للورد كقولك جئتك اكراما لك اي لاكرامك اي نسوقهم
لورود النار قال المؤلف رحمه الله ولا تناقض بين هذه الاقوال فيساقون عطاشا حفاة مشاة افرادا قال ابن
عرفة الورد القوم يردون الماء فسمي العطاش وردا لطلبهم ورود الماء كما تقول قوم صوم اي صيام وقوم زور اي زوار
فهو اسم على لفظ المصدر واحدهم وارد والورد ايضا الجماعة التي ترد الماء من طير وابل والورد الماء الذي يورد وهذا من
باب الايماء بالشيء الى الشيء والورد الجزء يقال قرات وردي والورد يوم الحمى اذا اخذت صاحبها لوقت فهو لفظ مشترك
وقال الشاعر يصف قليبا يطمو اذا الورد عليه التكا اي الوراد الذي يردون الماء قوله تعالى لا يملكون الشفاعة اي

بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا الحديث خرجه البخاري ومسلم صح

والحمد لله صح

١٧

اي هؤلاء الكفار لا يملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وهم المسلمون فهم الذين يملكون
الشفاعة فهو استثناء الشيء من غير جنسه اي لكن من اتخذ عهدا يشفع فمن في موضع نصب على هذا وقيل هو في
موضع رفع على البدل من الواو في يملكون اي لا يملك احد عند الله الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فانه يملك
وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا والمجرمين في قوله ونسوق المجرمين يعم الكفرة والعصاة ثم اخبر انهم لا يملكون
الشفاعة الا العصاة المؤمنون فانهم يملكونها بان يشفع فيهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ازال
اشفع حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول يا محمد انها ليست لك ولكنها لي خرجه مسلم بمعناه
وقد تقدم وتظاهرت الاخبار بان اهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون فيشفعون وعلى القول الاول يكون
الكلام متصلا بقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا فلا تقبل غدا شفاعة عبدة الاصنام لاحد
ولا شفاعة الاصنام لاحد ولا يملكون شفاعة الاصنام احد لهم اي لا تنفعهم شفاعة كما قال فما تنفعهم شفاعة
الشافعين وقيل اي نحشر المتقين والمجرمين ولا يملك احد شفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي اذا اذن
له الرب في الشفاعة كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وهذا العهد هو الذي قال ام اتخذ عند الرحمن عهدا
وهو لفظ جامع للايمان وجميع الاعمال الصالحة التي يصل بها صاحبها الى حيز من يشفع وقال ابن عباس العهد لا اله
الا الله وقال مقاتل وابن عباس ايضا لا يشفع الا من شهد ان لا اله الا الله وتبرا من الحول والقوة لله ولا
يرجو الا الله وقال ابن مسعود سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء
عند الله عهدا قيل يا رسول الله وما ذاك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة الدنيا باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا
عبدك ورسولك فانك ان تكلني الى نفسي تباعدني من الخير وتقربني من الشر واني لا اثق الا برحمتك فاجعل
لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليها طابعا ووضعها تحت العرش
فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيقوم فيدخل الجنة وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله وقرا يحيى والاعمش وحمزة والكسائي
وخلف ولدا بضم الواو واسكان اللام في اربعة مواضع من هذه السورة قوله لاوتين مالا وولدا وقد تقدم
وقوله ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وفي سورة نوح ماله وولده ووافقهم في نوح خاصة
ابن كثير ومجاهد وحميد وابو عمرو ويعقوب الباقون في الكل بالفتح في الواو واللام وهما لغتان مثل العرب
والعرب والعجم والعجم قال ولقد رايت معاشرا قد ثمروا مالا وولدا آخر فليت فلانا كان في بطن امه و
ليت فلانا كان ولد حمار وقال النابغة مهلا فداء لك الاقوام كلهم وما اثمر من مال ومن ولد ففتح وقيس
يجعلون الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا قال الجوهري الولد قد يكون واحدا وجمعا وكذلك الولد بالضم ومن
امثال بني اسد ولدك من دمى عقبيك وقد يكون الولد جمع ولد مثل اسد واسد والولد بالكسر لغة في الولد
قال النحاس وفرق ابو عبيدة بينهما فزعم ان الولد يكون الاهل والولد جميعا قال ابو جعفر وهذا قول مردود لا يعرفه
احد من اهل اللغة ولا يكون الولد والولد الا الولد ووالد وولد الا ان ولدا اكثر في كلام العرب كما قال
مهلا فداء لك الاقوام كلهم وما اثمر من مال ومن ولد قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول يجوز ان يكون
ولد جمع ولد كما يقال وثن ووثن واسد واسد ويجوز ان يكون ولد وولد بمعنى واحد كما يقال عجم وعجم وعرب وعرب

عهدا م

كما تقدم   لقد جئتم شيئا ادًّا اى منكرا عظيما عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما قال الجوهري الادّ والادّة الداهية
والامر الفظيع ومنه قوله تعالى لقد جئتم شيئا ادّا وكذلك الآدّ مثال فاعل وجمع الادّة اِدَد وادّت فلانا داهية تؤدّه
ادًّا بالفتح والادّ ايضا القوة قال الراجز نضون عنى شرة وادّا من بعد ما كنت صملا جلدا انتهى كلامه وقال ابو عبد
الرحمن السلمي ادًّا بفتح الهمزة قال النحاس يقال ادّ يؤدّ ادًّا فهو آدّ والاسم الادّ اذا جاء بشئ عظيم منكر وقال الراجز
لقد لقى الاقران منى نكرا داهية دهياء ادًّا ادًّا عن غير النحاس قال الثعلبي وفيه ثلاث لغات ادّ بالكسر
وهي قراءة العامة وادّ بالفتح وهي قراءة السلمي وآدّ مثل مادّ وهي لغة لبعض العرب رويت عن ابن عباس وابى العالية
وكانها ماخوذة من الثقل آده الحمل يؤوده أودا وادّا اثقله   تكاد السموات قراءة العامة منا وفي
الشوذي بالتاء وقراءة نافع ويحيى والكسائي تكاد بالياء لتقدم الفعل يتفطرن اى يتشققن وقراءة نافع وابن كثير
وحفص وغيرهم بتاء بعد الياء وشد الطاء من التفطر هنا وفي الشورى وقراءة حمزة وابن عامر في الشورى وقرأ
هنا ينفطرن من الانفطار وكذلك قراها ابو عمرو وابو بكر والمفضل في الشورى وهي اختيار ابى عبيد لقوله تعالى
اذا السماء انفطرت وقوله السماء منفطر به وقوله وتنشق الارض اى تتصدع وتخر الجبال هدا قال ابن عباس
هدًّا اى تسقط بصوت شديد وفي الحديث اللهم انى اعوذ بك من الهدّ والهدّة قال شمر قال احمد بن غياث
المروزي الهدّ الخسوف والهدّة الهدم وقال الليث هو الهدم الشديد كحائط يهدّ بمرة يقال هدّنى الامر وهدّ ركنى
اى كسرنى وبلغ منى قاله الهروي وقال الجوهري هدّ البناء يهدّه هدًّا كسره وضعضعه وهدّته المصيبة اى اوهنت ركنه
وانهدّ الجبل انكسر قال الاصمعي والهدّ الرجل الضعيف تقول للرجل اذا اوعدته انى لغير هدّ اى لغير ضعيف و
قال ابن الاعرابي الهدّ من الرجال الجواد الكريم واما الجبان الضعيف فهو الهِدّ بالكسر وانشد ليسوا بهدّين في الحروب
اذا تعقد فوق الحراقف النطق والهدّة صوت وقع الحائط ونحوه تقول منه هدّ يهدّ بالكسر هديدا والهادّ صوت يسمعه
اهل الساحل ياتيهم من قبل البحر له دوى في الارض وربما كانت منه الزلزلة ودويه هديده قال النحاس هدًّا مصدر لان
معنى تخرّ تهدّ وقال غيره حال اى مهدودة أن دعوا للرحمن ولدا أن في موضع نصب عند الفراء بمعنى لان دعوا ومن
ان دعوا فموضع ان نصب بسقوط الخافض وزعم الفراء ان الكسائي قال هي في موضع خفض بتقدير الخافض ذكر ابن المبارك
اخبرنا مسعر عن عبد الله بن عاصم عن عون بن عبد الله قال قال ابن مسعود ان الجبل ليقول للجبل يا فلان هل
مرّ بك اليوم ذاكر لله فان قال نعم سُرّ به ثم قرأ عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الآية قال افتراهن يسمعن الزور
ولا يسمعن الخير قال وحدثنى عوف عن غالب بن عجرد قال حدثنى رجل من اهل الشام في مسجد منى قال ان الله لما خلق
الارض وخلق ما فيها من الشجر لم تك في الارض شجرة ياتيها بنو آدم الا اصابوا منها منفعة او كان لهم فيها منفعة
فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة بنى آدم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولدا فلما قالوها اقشعرت الارض
وشاك الشجر وقال ابن عباس اقشعرت الجبال وما فيها من الاشجار والبحار وما فيها من الحيتان فصار من ذلك الشوك في
الحيتان وفي الاشجار وقال ابن عباس ايضا وكعب فزعت السموات والارض وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان
تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم وشاك الشجر واكفهرت الارض وجدبت حين قالوا اتخذ الله ولدا وقال محمد بن كعب
لقد كاد اعداء الله ان يقيموا علينا الساعة لقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا
للرحمن ولدا وقال ابن العربى وصدق فانه قول عظيم سبق به القضاء والقدر ولولا ان البارى تبارك وتعالى لا يضعه
كفر الكافر ولا يرفعه ايمان المؤمن ولا يزيد هذا في ملكه كما لا ينقص ذلك من ملكه لما جرى شئ من هذا على الالسنة ولكنه

وأهل

القدوس الحكيم العليم فلم يبال بعد ذلك بما يقوله المبطلون   وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا فيه اربع
مسائل   قوله وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا نفى عن نفسه سبحانه الولد لان الولد يقتضى الجنسية و
الحدوث على ما بيناه في البقرة اى لا يليق به ذلك ولا يوصف به ولا يجوز في حقه لانه لا يكون ولد الا من والد
يكون له والد واصل والله سبحانه يتعالى عن ذلك ويتقدس قال   في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة
ما ينبغى دونها سهل ولا جبل   قوله تعالى ان كل من في السموات والارض ان نافية بمعنى
ما اى ما كل من في السموات والارض الا وهو ياتى الله يوم القيامة مقرا له بالعبودية خاضعا ذليلا كما قال وكل
أتوه داخرين اى صاغرين اذلاء اى الخلق كلهم عبيده فكيف يكون واحد منهم ولدا له عز وجل وتعالى عما يقول له
الظالمون والجاحدون علوا كبيرا واتى بالياء في الخط والاصل التنوين فحذف استخفافا واضيف وفي هذه الآية
دليل على انه لا يجوز ان يكون الولد مملوكا للوالد خلافا لمن قال انه يشتريه فيملكه ولا يعتق عليه الا اذا اعتقه وقد ابان الله
تعالى المنافاة بين الاولاد وبين الملك فاذا ملك الوالد ولده بنوع من التصرفات عتق عليه ووجه الدليل عليه من هذه
الآية ان الله تعالى جعل الولدية والعبودية في طرفين تقابل فنفى احدهما واثبت الآخر ولو اجتمعا لما كان لهذا القول فائدة
يقع الاحتجاج بها وفي الحديث الصحيح لا يجزى ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه خرجه مسلم فاذا لم يملك
الاب ابنه مع مرتبته عليه فالابن بعدم ملك الاب اولى لقصوره عنه   ذهب اسحق بن راهويه في تاويل
قوله صلى الله عليه وسلم من اعتق شركا له في عبد ان المراد به ذكور العبيد دون اناثهم فلا يكمل على من اعتق شركا في انثى وهو
خلاف ما ذهب اليه الجمهور من السلف ومن بعدهم فانهم لم يفرقوا بين الذكور والاناث فان لفظ العبد يراد به الجنس كما
قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا فانه قد يتناول الذكر والانثى من العبيد قطعا وتمسك اسحق
بانه قد حكى عبدة في المؤنث   روى البخاري عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس
اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن
لى كفوا احد وقد تقدم في البقرة وغيرها واعاده في مثل هذا الموضع حسن جدا   لقد احصاهم اى علم عددهم
وعدهم عدا تاكيد اى فلا يخفى عليه احد منهم قال المؤلف رحمه الله ووقع لنا في اسمائه سبحانه المحصى عنى في السنة من حديث
ابى هريرة خرجه الترمذي واشتقاق هذا الفعل يدل عليه وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ومنها المحصى ويختص بانه
لا تشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اجزاء الحركات في كل ورقة وكيف
لا يعلم وهو الذي خلق وقد قال الا يعلم من خلق ووقع في تفسير ابن عباس ان معنى لقد احصاهم وعدهم عدا يريد اقروا له بالعبودية
وشهدوا له بالوحدانية والربوبية   وكلهم آتيه يوم القيامة فردا اى واحدا لا ناصر له ولا مال معه ينفعه كما قال
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فلا ينفعه الا ما قدم من عمل وقال وكلهم آتيه على لفظ كل وعلى المعنى
آتوه قال القشيري وفيه اشارة الى انكم لا ترضون باستعباد اولادكم والكل عبيده فكيف رضيتم له ما لا ترضون لانفسكم
وقد رد عليهم بمثل هذا في انهم لا يرضون لانفسهم بالبنات ويقولون الملائكة بنات الله والاصنام بنات الله وقال فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم   قوله تعالى ان الذين آمنوا اى صدقوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا اى حبا في قلوب عباده كما رواه الترمذي من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل انى قد احببت فلانا فاحبه قال فينادى في السماء ثم تنزل له المحبة في الارض

الذكور والاناث

فذلك قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واذا ابغض الله عبدا نادى
جبريل اني قد ابغضت فلانا فينادي في السماء ثم ينزل له البغضاء في الارض قال هذا حديث صحيح خرجه البخاري ومسلم
بمعناه ومالك في الموطا وفي نوادر الاصول وحدثنا ابو بكر بن سابق الاموي قال حدثنا ابو مالك الجنبي عن جويبر
عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اعطى المؤمن الثقة والملاحة والمحبة
في صدور الصالحين والملئكة المقربين ثم تلا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واختلف
فيمن نزلت فقيل في علي رضي الله عنه روى البراء بن عازب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب يا علي
قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين مودة فنزلت ذكره الثعلبي وقال ابن عباس
نزلت في عبد الرحمن بن عوف جعل الله في قلوب العباد المودة لا يلقاه مؤمن الا وقره ولا مشرك ولا منافق الا عظمه
وكان هرم بن حيان يقول ما اقبل احد بقلبه على الله الا اقبل الله بقلوب اهل الايمان اليه حتى يرزقهم مودتهم
ورحمتهم وقيل يجعل لهم مودة في قلوب المؤمنين والملئكة يوم القيمة قال الشيخ رحمه الله اذا كان محبوبا في الدنيا
فهو كذلك في الآخرة فان الله تعالى لا يحب الا مؤمنا تقيا ولا يرضى الا خالصا نقيا جعلنا الله منهم بمنه روى مسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا دعى جبريل عليه السلام فقال اني احب فلانا
فاحببه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء قال ثم يوضع له القبول في
الارض واذا ابغض الله عبدا دعى جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السماء
ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الارض فانما يسرناه بلسانك يعني
القرآن اي بيناه بلسانك العربي وجعلناه سهلا على من تدبره وتامله وقيل انزلناه عليك بلسان العرب ليسهل
عليهم فهمه لتبشر به المتقين اي المؤمنين وتنذر به قوما لدا اللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة ومنه قوله تعالى الد
الخصام وقال الشاعر ابيت نجيا للهموم كانني اخاصم اقواما ذوي جدل لدا وقال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل
الحق ويدعي الباطل وقال الحسن اللد الصم وقال الربيع صم آذان القلوب وقال مجاهد فجارا وقال الضحاك مجادلين
في الباطل وقال ابن عباس شدادا في الخصومة وقيل الظالم الذي لا يستقيم والمعنى واحد وخصوا بالانذار لان الذي لا
عناد عنده يسهل انقياده قوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة وجماعة من الناس يخوف اهل مكة
هل تحس منهم من احد في موضع نصب اي هل ترى منهم احدا او تجد او تسمع لهم ركزا اي صوتا عن ابن عباس وغيره اي
قد ماتوا وحصلوا على اعمالهم وقيل حسا قاله ابن زيد وقيل الركز ما لا يفهم من صوت او حركة قاله اليزيدي وابو عبيدة كركز
الكتيبة وانشد ابو عبيدة بيت لبيد وتوجست ركز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها وقيل الصوت
الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض قال طرفة وصادقتا سمع التوجس للسرى لركز خفي او لصوت مندد
وقال ذو الرمة يصف ثورا تسمع الى صوت صائد وكلاب اذا توجس ركزا مقفر ندس بنباة الصوت ما في
سمعه كذب اي ما في استماعه كذب اي هو صادق الاستماع والندس الحاذق يقال ندس وندس كما يقال حذر وحذر
ويقظ ويقظ والنباة الصوت الخفي وكذلك الركز والركاز المال المدفون

سورة طه مكية في قول الجميع

نزلت قبل اسلام عمر رضي الله عنه روى الدارقطني في سننه عن انس بن مالك قال خرج عمر متقلدا السيف فقيل له ان
ختنك واختك قد صبوا فاتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين وكانوا يقرؤن طه فقال اعطوني الكتاب الذي عندكم يقال له خباب صح

فاقراه وكان عمر يقرا الكتب فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم واغتسل او توضا فقام عمر
فتوضا ثم اخذ الكتاب فقرا طه وذكره ابن اسحق مطولا وان عمر خرج متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد قتلهم فلقيه نعيم بن عبد الله فقال اين تريد يا عمر فقال اريد محمدا هذا الصابي الذي فرق امر قريش وسفه احلامها
وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله صح فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على
الارض وقد قتلت محمدا افلا ترجع الى اهلك فتقيم امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك
فاطمة بنت الخطاب فقد والله اسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى اخته وختنه وعندهما خباب
بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئهما اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم او في بعض البيت واخذت
فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما
هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه
سعيد بن زيد فقامت اليه اخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قال له اخته وختنه نعم قد اسلمنا
وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ولما راى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لاخته اعطيني
هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن آنفا انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له اخته انا
نخشاك عليها قال لها لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قراها فلما قال ذلك طمعت في اسلامه فقالت له يا اخي
انك نجس على شركك لا يمسه الا المطهرون فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فلما قرا منها صدرا قال ما احسن نقرا بها
هذا الكلام واكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له يا عمر والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني
سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك
فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم وذكر الحديث اسند الدارمي ابو محمد في مسنده عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى قرا طه ويس قبل ان يخلق السموات والارض بالف عام فلما سمعت
الملئكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا قال ابن فورك معنى
قوله ان الله تعالى قرا طه ويس اي اظهره واسمعه وافهم كلامه من اراد من خلقه من الملئكة في ذلك الوقت والعرب تقول
قرات الشي اذا تتبعته وتقول ما قرات هذه الناقة في رحمها سلا قط اي ما ظهر فيها ولد فعلى هذا يكون الكلام سابقا
وقراءته اسماعه وافهامه بعبارات يخلقها وكتابة يحدثها وهو معنى قولنا قرانا كلام الله ومعنى قوله فاقرؤا ما تيسر منه
ومن اصحابنا من قال معنى قوله قرا اي تكلم به وذلك مجاز كقولهم ذقت هذا الامر ذواقا بمعنى اختبرته ومنه قوله فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف اي ابلاهم الله به فسمى ذلك ذوقا والخوف لا يذاق على الحقيقة لان الذوق في الحقيقة بالفم دون
غيره من الجوارح قال ابن فورك وما قلناه اولا اصح في تاويل هذا الخبر لان كلام الله تعالى ازلي قديم سابق لجملة الحوادث
وانما اسمع وافهم من اراد من خلقه على ما اراد في الاوقات والازمنة لا ان عين كلامه يتعلق وجوده بمدة وزمان قوله تعالى طه
اختلف العلماء في معناه فقال الصديق رضي الله عنه هو من الاسرار ذكره الغزنوي وقال ابن عباس معناه يا رجل ذكره
البيهقي وقيل انها لغة معروفة في عكل وقيل في عك لرجل يا رجل لم يجب حتى يقول طه وانشد الطبري في ذلك قال الكلبي لو قلت في عك صح
دعوت بطه في القتال فلم يجب فخفت عليه ان يكون موائلا ويروى مزايلا وقال عبد الله بن عمرو يا حبيبي بلغة عك ذكره الغزنوي
وقال قطرب هو بلغة طي وانشد ليزيد بن المهلهل وفي رواية
ان السفاهة طه من شمائلكم لا بارك الله في القوم الملاعين ولذلك قال ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله ارواح الملاعين صح
الحسن معنى طه يا رجل وقاله عكرمة وقال هو بالسريانية كذلك ذكره المهدوي وحكاه الماوردي عن ابن عباس ايضا

ومجاهد وحكى الطبري انها بالنبطية يا رجل ومنه قول السدي وسعيد بن جبير وابن عباس ايضا وقال عكرمة هو أيضا
كقولك يا رجل بلسان الحبشة ذكره الثعلبي والصحيح انها وان وجدت في لغة اخرى كما ذكرنا فانها لغة يمنية في عك وطي وقيل فإنها من لغة العرب
هو اسم من اسماء الله تعالى وقسم اقسم به وهذا ايضا مروي عن ابن عباس وقيل هو اسم للنبي صلى الله عليه وسلم سماه الله به كما سماه
محمدا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء فذكر ان فيها طه ويس وقيل هو اسم للسورة ومفتاح لها وقيل
هو اختصار من كلام خص الله رسوله بعلمه وقيل انها حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى واختلف في ذلك فقيل الطاء
شجرة طوبى والهاء النار الهاوية والعرب تعبر عن الشيء كله ببعضه كانه اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن جبير الطاء افتتاح
اسمه طاهر وطيب والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل طا يا طامع الشفاعة للامة ها يا هادي الخلق الى الملة وقيل الطاء من
الطهارة والهاء من الهداية كانه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم يا طاهرا من الذنوب يا هادي الخلق الى علام الغيوب وقيل الطاء
طبول الغزاة والهاء هيبتهم في قلوب الكافرين بيانه قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله وقذف في قلوبهم
الرعب وقيل الطاء طرب اهل الجنة والهاء هوان اهل النار في النار وقول سادس ان معنى طه طوبى لمن اهتدى قاله محمد بن
علي بن الحنفية وقول سابع ان معنى طه طأ الارض وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت
قدماه تتورم ويحتاج الى الترويح بين قدميه فقيل له طأ الارض اي لا تتعب حتى تحتاج الى الترويح حكاه ابن الانباري و
ذكر القاضي عياض في الشفا عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى
طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قال الزمخشري وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء وقلبت
في يطأ فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت وقال مجاهد كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يربطون
الحبال في صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام ثم نسخ ذلك بالفرض ونزلت هذه الآية وقال الكلبي لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم
الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلي الليل كله زمانا حتى نزلت هذه الآية فامره الله ان يخفف عن نفسه
فيصلي وينام فنسخت هذه الآية قيام الليل فكان بعد هذه الآية يصلي وينام وقال مقاتل والضحاك لما نزل القرآن على النبي صلى الله
عليه وسلم قام هو واصحابه فصلوا فقال كفار قريش ما انزل الله هذا القرآن على محمد الا ليشقى فانزل الله تعالى طه يقول يا رجل
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اي لتتعب على ما يأتي وعلى هذا القول ان طه طأ الارض فالهاء والالف ضمير الارض اي طأ
الارض برجليك في صلاتك وخففت الهمزة فصارت الفا ساكنة وقرأت طائفة طه واصله طأ بمعنى طأ الارض فحذفت
الهمزة وادخلت هاء السكت وقال زر بن حبيش قرأ رجل على عبد الله بن مسعود طه فقال له عبد الله طه فقال يا ابا
عبد الرحمن أليس قد امر ان يطأ الارض برجله او بقدميه فقال طه كذلك اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ابو عمرو
وابن ابي اسحق الهاء وفتح الطاء واما لهما جميعا ابو بكر وحمزة والكسائي والاعمش وقرأهما ابو جعفر وشيبة ونافع بين
اللفظين واختاره ابو عبيد الباقون بالتفخيم قال الثعلبي وهي كلها لغات صحيحة فصيحة قال النحاس لا وجه للامالة عند
اكثر اهل العربية لعلتين احديهما انه ليس ههنا ياء ولا كسرة فتكون الامالة والعلة الاخرى ان الطاء من الحروف الموانع للامالة
فهاتان علتان بينتان قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى قال النحاس بعض النحويين يقول
هذه لام النفي وبعضهم يقول لام الجحود قال ابو جعفر وسمعت ابن كيسان يقول انها لام الخفض والمعنى ما انزلنا عليك القرآن
للشقاء والشقاء يمد ويقصر وهو من ذوات الواو واصل الشقاء في اللغة العناء والتعب اي ما انزلناه عليك لتتعب قال
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم فمعنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك

على أن يؤمنوا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان
لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل بن هشام والنضر بن الحارث قالا للنبي صلى الله عليه وسلم
انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في
درك كل سعادة وما فيه الكفرة فهو الشقاوة بعينها وعلى الاقوال المتقدمة انه عليه السلام صلى بالليل حتى اشعوشت قدماه
فقال له جبرائيل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما
بعثت الا بالحنيفية السمحة الا تذكرة لمن يخشى قال الزجاج هو بدل من تشقى اي ما انزلناه الا تذكرة قال
النحاس وهذا وجه بعيد وانكره ابو علي من اجل ان التذكرة ليست بشقاء وانما هو منصوب على المصدر اي انزلناه لتذكر به تذكرة
او على المفعول من اجله اي ما انزلنا عليك القرآن لتشقى به ما انزلناه الا للتذكرة وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجازه
ما انزلنا عليك القرآن الا تذكرة لمن يخشى ولئلا تشقى تنزيلا مصدر اي نزلناه تنزيلا وقيل بدل من قوله تذكرة وقرأ
ابو حيوة الشامي تنزيل بالرفع على معنى هذا تنزيل ممن خلق الارض والسموات العلى اي العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقوله
كبرى وصغرى وكبر وصغر اخبر عن عظمته وجبروته وجلاله ثم قال الرحمن على العرش استوى ويجوز النصب على المدح قال
ابو اسحق ويجوز الخفض على البدل ممن وقال سعيد بن مسعدة الرفع بمعنى هو الرحمن وقال النحاس يجوز الرفع بالابتداء والخبر له ما في
السموات فلا يوقف على استوى وعلى البدل من المضمر في خلق فيجوز الوقف على استوى وكذا اذا كان خبر ابتداء محذوف و
لا يوقف على العلى وقد تقدم القول في معنى الاستواء في الاعراف والذي ذهب اليه الشيخ وغيره انه مستو على عرشه بغير
حد ولا تكييف كما يكون استواء المخلوقين وقال ابن عباس يريد خلق ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة وبعد القيمة له ما
في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى يريد ما تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها الا الله وقال محمد بن كعب يعني الارض السابعة
وقال ابن عباس الارض على نون والنون على البحر وان طرفي النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء
خضرة السموات منها قال الله تعالى فتكن في صخرة او في السموات او في الارض والصخرة على قرن ثور والثور على
الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله عز وجل وقال وهب بن منبه على وجه الارض سبعة ابحر والارضون سبع بين كل
ارضين بحر فالبحر الاسفل مطبق على شفير جهنم ولولا عظمه وكثرة مائه وبرده لاحرقت جهنم كل من عليها قال وجهنم على
متن الريح ومتن الريح على حجاب من الظلمة لا يعلم عظمه الا الله عز وجل وذلك الحجاب على الثرى والى الثرى انتهى علم
الخلائق وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر ما حدث به الانسان غيره في خفاء واخفى
منه ما اضمر في نفسه مما لم يحدث به غيره وعنه ايضا السر حديث نفسك واخفى من السر ما ستحدث به غيرك مما لم يكن وهو
كائن انت تعلم ما تسر به نفسك اليوم ولا تعلم ما تسر به غدا والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر غدا والمعنى الله يعلم السر واخفى
من السر وقال ابن عباس ايضا السر ما اسر ابن آدم في نفسه واخفى ما خفي على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله يعلم ذلك كله
وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلائق في علمه كنفس واحدة وقال قتادة وغيره السر ما اضمره الانسان في نفسه
واخفى منه ما لم يكن ولا اضمره احد وقال ابن زيد السر سر الخلائق واخفى منه سره عز وجل وانكر ذلك الطبري وقال ان الذي
هو اخفى ما ليس في سر الانسان وسيكون في نفسه كما قال ابن عباس الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى الله رفع بالابتداء او
على اضمار مبتدأ او على البدل من الضمير في يعلم وحد نفسه سبحانه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا المشركين الى عبادة
الله وحده لا شريك له فكبر ذلك عليهم فلما سمعه ابو جهل يذكر الرحمن قال للوليد بن المغيرة محمد ينهانا ان ندعو مع الله تعالى
الها آخر وهو يدعو الرحمن فانزل الله تعالى الرحمن على العرش استوى وانزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعو

قوله الاسماء الحسنى وهو واحد واسماء كثيرة ثم قال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وقد تقدم التنبيه عليها في
سورة الاعراف وهل اتيك حديث موسى قال اهل المعاني هو استفهام اثبات وايجاب معناه
اليس قد اتاك وقيل معناه وقد اتاك قاله ابن عباس وقال الكلبي لم يكن اتاه حديثه بعد ثم اخبره اذ راى نارا فقال
لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى قال ابن عباس وغيره هذا حين قضى الاجل
وسار باهله وهو مقبل من مدين يريد مصر وكان قد اخطا الطريق وكان موسى رجلا غيورا يصحب الناس بالليل
ويفارقهم بالنهار غيرة منه لئلا يروا امراته فاخطا الرفقة لما سبق في علم الله وكانت ليلة مظلمة وقال مقاتل و
ليلة الجمعة في الشتاء وقال وهب بن منبه استاذن موسى شعيبا في الرجوع الى والدته فاذن له فخرج باهله وغنمه
فولد له في الطريق غلام في ليلة شاتية باردة مثلجة وقد حاد عن الطريق وتفرقت ماشيته فقدح موسى النار
فلم تور المقدحة شيئا اذ بصر بنار من بعيد على يسار الطريق فقال لاهله امكثوا اي اقيموا بمكانكم اني آنست نارا اي
ابصرت قال ابن عباس فلما توجه نحو النار فاذا النار في شجرة عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء ذلك النار وشدة
خضرة تلك الشجرة فلا شدة حر النار تغير حسن خضرة الشجرة ولا كثرة ماء الشجرة ولا نعمة الخضرة تغير حسن ضوء النار
وذكر المهدوي فراى النار فيما روي وهي في شجرة من العليق فقصدها فتاخرت عنه فرجع واوجس في نفسه خيفة
ثم دنت منه وكلمه الله عز وجل من الشجرة قال الماوردي كانت عند موسى نارا وكانت عند الله نورا وقرا حمزة
لاهله امكثوا بضم الهاء وكذا في القصص قال النحاس وهذا على لغة من قال مررت بهو يا رجل فجاء به على الاصل
وهو جائز الا ان حمزة خالف اصله في هذين الموضعين خاصة وقال امكثوا ولم يقل اقيموا لان الاقامة تقتضي الدوام
والمكث ليس كذلك وآنست ابصرت قاله ابن الاعرابي ومنه قوله فان آنستم منهم رشدا اي علمتم وآنست الصوت
سمعته والقبس شعلة من نار وكذا المقباس يقال قبست منه نارا اقبس قبسا واقبسني اي اعطاني منه قبسا وكذلك
اقتبست منه نارا واقتبست منه علما ايضا اي استفدته قال اليزيدي اقبست الرجل علما وقبسته نارا فان كنت
طلبتها له قلت اقبسته وقال الكسائي اقبسته نارا وعلما سواء قال وقبسته ايضا فيهما هدى اي هاديا
فلما اتيها يعني النار نودي اي من الشجرة كما في سورة القصص اي من جهتها وناحيتها على ما ياتي يا موسى اني انا
ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى فيه خمس مسائل قوله تعالى فاخلع نعليك روى الترمذي
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمة صوف
وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حميد الاعرج وحميد هو ابن علي الكوفي منكر
الحديث وحميد بن قيس المكي صاحب مجاهد ثقة والكمة القلنسوة الصغيرة وقرا العامة اني بالكسر اي نودي
فقيل له يا موسى اني واختاره ابو عبيد وقرا ابو عمرو وابن كثير وابن محيصن وحميد اني بفتح الالف باعمال النداء
واختلف العلماء في السبب الذي من اجله امر بخلع النعلين والخلع النزع والنعل ما جعلته وقاية لقدميك من الارض
فقيل امر بطرح النعلين لانها نجسة اذ هي من جلد غير مذكى قاله كعب وعكرمة وقتادة وقيل امر بذلك لينال بركة
الوادي المقدس وتمس قدماه تربة الوادي قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن وابن جريج وقيل امر بخلع النعلين
للخشوع والتواضع عند مناجاة الله تعالى وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت وقيل اعظاما لذلك الموضع كما ان الحرم
لا يدخل بنعلين اعظاما له قال سعيد بن جبير قيل له طا الارض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا والعرف عند الملوك ان
تخلع النعال ويبلغ الانسان الى غاية التواضع فكان موسى امر بذلك على هذا الوجه ولا يبالي كانت نعلاه من ميتة او غير ما وقد

كان مالك لا يرى لنفسه ركوب دابة بالمدينة برا بتربتها المحتوية على الاعظم الشريفة والجثة الكريمة ومن هذا المعنى
قوله صلى الله عليه وسلم لبشير بن الخصاصية وهو يمشي بين القبور بنعليه اذا كنت في مثل هذا المكان فاخلع
نعليك قال فخلعتهما وقول خامس ان ذلك عبارة عن تفريغ قلبه من امر الاهل والولد وقد يعبر عن الاهل بالنعل
وكذلك هو في التعبير من راى انه لابس نعلين فانه يتزوج وقيل لان الله بسط له بساط النور والهدى ولا ينبغي
ان يطا على بساط رب العالمين بنعليه وقد يحتمل ان يكون موسى امر بخلع نعليه وكان ذلك اول فرض عليه كما
كان اول ما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر والله اعلم بالمراد
من ذلك في الخبر ان موسى عليه السلام خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي وقال ابو الاحوص
زار عبد الله ابو موسى في داره فاقيمت الصلاة فقال ابو موسى لعبد الله تقدم فقال له عبد الله تقدم انت في
دارك فتقدم ونزع نعليه فقال عبد الله ابالوادي المقدس انت وفي صحيح مسلم عن سعيد بن يزيد قال قلت لانس
اكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين قال نعم ورواه النسائي عن عبد الله بن السائب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلى يوم الفتح فوضع نعليه عن يساره وروى ابو داود من حديث ابي سعيد الخدري قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما راى ذلك القوم خلعوا نعالهم
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا يا رسول الله رايناك القيت
نعليك فالقينا نعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان فيهما قذرا وقال اذا
جاء احدكم المسجد فلينظر فان راى في نعليه اذى او قذرا فليمسحه وليصل فيهما صححه ابو محمد عبد الحق وهو يجمع بين
الحديثين قبله ويرفع بينهما التعارض ولم يختلف العلماء في جواز الصلاة في النعل اذا كانت طاهرة من ذكي حتى
لقد قال بعض العلماء ان الصلاة فيهما افضل وهو معنى قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد على ما تقدم وقال ابن
النخعي في الذين يخلعون نعالهم لوددت ان محتاجا جاء فاخذها الثالثة فان خلعهما فليخلعهما بين رجليه فان ابا هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة للمقبري اخلعهما بين رجليك
ولا تؤذ بهما مسلما وما رواه عبد الله بن السائب انه عليه السلام خلعهما عن يساره فانه كان اماما فان كنت اماما او وحدك
فافعل ذلك ان احببت وان كنت ماموما في الصف فلا تؤذ بهما من على يسارك ولا تضعهما بين قدميك فتشغلاك
ولكن قدام قدميك وروي عن جبير بن مطعم انه قال وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة الرابعة فان تحقق فيهما نجاسة
مجمع على تنجيسها كالدم والعذرة من بول بني آدم لم يطهرها الا الغسل بالماء عند مالك والشافعي واكثر العلماء وان كان
النجاسة مختلفا فيها كبول الدواب واروائها الرطبة فهل يطهرها المسح بالتراب من النعل والخف او لا قولان عندنا
واطلق الاجزاء بمسح ذلك بالتراب من غير تفصيل الاوزاعي وابو ثور وقال ابو حنيفة يزيله اذا يبس الحك والفرك ولا يزيل
رطبه الا الغسل ما عدا البول فلا يجزئ عنده فيه الا الغسل وقال الشافعي لا يطهر شيئا من ذلك كله الا الماء والصحيح
قول من قال ان المسح يطهره من الخف والنعل لحديث ابي سعيد فاما لو كانت النعل والخف من جلد ميتة فان كان
غير مدبوغ فهو نجس باتفاق ما عدا ما ذهب اليه الزهري والليث على ما تقدم بيانه في سورة النحل ومضى في سورة براءة القول
في ازالة النجاسة الخامسة قوله تعالى انك بالواد المقدس طوى المقدس المطهر والقدس الطهارة والارض المقدسة
اي المطهرة سميت بذلك لان الله اخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين وقد جعل الله لبعض الاماكن زيادة فضل على
بعض كما قد جعل لبعض الازمان زيادة فضل على بعض ولبعض الحيوان كذلك ولله ان يفضل ما شاء وعلى هذا فلا اعتبار بكونه

يكونه مقدسا باخراج المشركين واسكان المومنين فقد شاركه في ذلك غيره وطوى اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد
وغيرهما وقال الضحاك هو واد عميق مستدير مثل الطوى وقرا عكرمه طوى الباقون طوى قال الجوهري وطوى اسم
موضع بالشام بكسر طاؤه وتضم يصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكره ومن لم يصرفه جعله بلده
وبقعه وجعله معرفه وقال بعضهم طوى مثل طوى وهو الشي المثنى وقالوا في قوله المقدس طوى طوى مرتين اي قدس
قال الحسن ثنيت فيه البركه والتقديس مرتين وذكر المهدوي عن ابن عباس انه قيل له طوى لان موسى طواه بالليل اذ مر
به فارتفع الى اعلى الوادي فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه فكانه قال انك بالواد المقدس الذي طويته طوى اي تجاوزته
فطويته بسيرك قال الحسن معناه انه قدس مرتين فهو مصدر من طويته طوى ايضا وانا اخترتك
اي اصطفيتك للرساله وقرا اهل المدينه وابو عمرو وعاصم والكسائي وانا اخترتك وقرا حمزه وانا اخترناك والمعنى
واحد الا ان وانا اخترتك هنا اولى من وجهين احدهما انه اشبه بالخط والثاني انه اولى بنسق الكلام لقوله جل وعز
يا موسى اني انا ربك وعلى هذا النسق جرت المخاطبه قاله النحاس فاستمع لما يوحى فيه مسله واحده
قال ابن عطيه حدثني ابي رحمه الله قال سمعت ابا الفضل الجوهري يقول لما قيل لموسى صلوات الله عليه استمع لما يوحى
وقف على حجر ووضع يمينه على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا قال المولف رحمه الله
حسن الاستماع كما يجب قد مدح الله عليه فقال الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
وذم على خلاف هذا الوصف فقال نحن اعلم بما يستمعون به الايه فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور العقل وامر
عباده بذلك ادبا لهم فقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وقال هنا فاستمع لما يوحى لان بذلك ينال الفهم
عن الله تعالى روي عن وهب بن منبه انه قال من ادب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغاء بالسمع وحضور
العقل والعزم على العمل وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى وهو ان يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما
يسمع ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشي سوى ما يستمع اليه ويعزم على ان يفهم فيعمل بما
يفهم وقال سفيان بن عيينه اول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر فاذا استمع العبد الى كتاب الله تعالى
وسنه نبيه عليه السلام بنيه صادقه على ما يحب الله افهمه كما يحب وجعل له في قلبه نورا انني انا الله لا
اله الا انا فاعبدني واقم الصلاه لذكري فيه سبع مسايل الاولى قوله لذكري قيل يحتمل ان يريد
لتذكرني فيها او يريد لاذكرك بالمدح في عليين بها فالمصدر على هذا يحتمل الاضافه الى الفاعل والى المفعول وقيل المعنى
اي حافظ بعد التوحيد على الصلوه وهذا تنبيه على عظم قدر الصلاه اذ هي تضرع الى الله وقيام بين يديه وعلى هذا فالصلاه
هي الذكر وقد سمى الله الصلوه ذكرا في قوله فاسعوا الى ذكر الله وقيل المراد اذا نسيت فتذكرت فصل كما في الخبر فليصلها
اذا ذكرها اي لا تسقط الصلوه بالنسيان الثانيه روى مالك وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نام
عن صلوه او نسيها فليصلها اذا ذكرها قال الله عز وجل يقول اقم الصلاه لذكري وروى ابو محمد عبد الغني بن
سعيد من حديث حجاج بن ابي الحجاج وهو حجاج الاول الذي روى عنه يزيد بن زريع قال حدثنا قتاده عن انس بن
مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يرقد عن الصلوه ويغفل عنها قال كفارتها ان يصليها اذا ذكرها
تابعه ابرهيم بن طهمان عن حجاج وكذا رواه همام بن يحيى عن قتاده وروى الدارقطني عن ابي هريره عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من نسي صلوه فوقتها اذا ذكرها فقوله فليصلها اذا ذكرها دليل على وجوب القضا على النايم والغافل كثرت
الصلوه او قلت وهو مذهب عامه العلماء وقد حكي خلاف شاذ لا يعتد به لانه مخالف لنص الحديث عن بعض الناس فيما زاد

واسند الى حجر

على خمس صلوات انه لا يلزمه قضاها قال المولف رحمه الله امر تعالى باقامه الصلوات ونص على اوقاتها فقال اقم الصلوه
لدلوك الشمس الايه وغيرها من الاي ومن اقام بالليل ما امر الله باقامته بالنهار او بالعكس لم يكن فعله مطابقا لما امر به ولا ثواب
له على فعله وهو عاص وعلى هذا الحد كان لا يجب عليه قضا ما فات وقته ولولا قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاه او نسيها
فليصلها اذا ذكرها لم ينتفع احد بصلاه وقعت في غير وقتها وبهذا الاعتبار كانت قضا لا ادا لان القضا بامر متجدد وليس
بالامر الاول الثالثه فاما من ترك الصلوه متعمدا فالجمهور ايضا على وجوب القضا عليه وان كان عاصيا الا داود
ووافقه ابو عبد الرحمن الاشعري الشافعي حكاه عنه ابن القصار والفرق بين المتعمد والناسي والنايم حط الماثم فالمتعمد
ماثوم وجميعهم قاضون والحجه للجمهور قوله تعالى اقيموا الصلوه ولم يفرق بين ان يكون في وقتها او بعده وهو امر يقتضي
الوجوب وايضا فقد ثبت الامر بقضاء الناسي والنايم مع انهما غير ماثومين فالعامد اولى وايضا قوله من نام عن صلوه
او نسيها والنسيان الترك قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم ونسوا الله فانساهم انفسهم سواء كان مع ذهول او لم يكن
لان الله تعالى لا ينسى وانما معناه تركهم وقال ما ننسخ من ايه او ننسها اي نتركها وكذلك الذكر يكون بعد نسيان
وبعد غيره قال الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وهو تعالى لا ينسى فيكون ذكره بعد نسيان وانما معناه
علمت وكذلك يكون معنى قوله اذا ذكرها اي علمها وايضا فان الديون التي للادميين اذا كانت متعلقه بوقت ثم جاء
الوقت لم يسقط قضاوها بعد وجوبها وهي مما يسقطها الابراء كان في دين الله ان لا يصح فيها الابراء اولى ان لا يسقط
قضاوها الا باذن منه وايضا فقد اتفقنا انه لو ترك يوما من رمضان متعمدا بغير عذر لوجب قضاوه فكذلك الصلوه فان
قيل فقد روي عن مالك من ترك الصلاه متعمدا لا يقضي ابدا فالاشاره الى ان ما مضى لا يعود او يكون كلاما خرج على
التغليظ كما روي عن ابن مسعود وعلي ان من افطر في رمضان عامدا لم يكفره صيام الدهر وان صامه ومع هذا فلا بد
من توفيه التكليف حقه باقامه القضا مقام الادا واتباعه بالتوبه ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء وقد روى ابو المطوس
عن ابيه عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من افطر يوما من رمضان متعمدا لم يجزه صيام الدهر وان
صامه وهذا يحتمل ان لو صح كان معناه التغليظ وهو حديث ضعيف خرجه ابو داود وقد جاءت الكفاره باسانيد صحاح
وفي بعضها قضاء اليوم والحمد لله الرابعه قوله عليه السلام من نام عن صلوه او نسيها الحديث يخص عموم قوله عليه السلام
رفع القلم عن ثلاث عن النايم حتى يستيقظ والمراد بالرفع هنا رفع الماثم لا رفع الفرض عنه وليس هذا من باب قوله وعن
الصبي حتى يحتلم وان كان ذلك جا في اثر واحد فقف على هذا الاصل الخامسه اختلف العلماء من هذا المعنى
فيمن ذكر صلاه فايته وهو في اخر وقت صلوه او ذكر صلوه وهو في صلوه فجمله مذهب مالك ان من ذكر صلاه وقد حضر
وقت صلوه اخرى بدا بالتي نسي اذا كان خمس صلوات فادنى وان فات وقت هذه وان كان اكثر من ذلك بدا
بالتي حضر وقتها وعلى نحو هذا مذهب ابي حنيفه والثوري والليث الا ان ابا حنيفه واصحابه قالوا الترتيب عندنا واجب
في اليوم والليله اذا كان في الوقت سعه للفايته ولصلوه الوقت فان خشي فوات الوقت بدا بها فان زاد على صلوه
يوم وليله لم يجب الترتيب عندهم وقد روي عن الثوري وجوب الترتيب ولم يفرق بين القليل والكثير وهو تحصيل
مذهب الشافعي قال الشافعي الاختيار ان يبدا بالفايته ما لم يخف فوات هذه فان لم يفعل وبدا بصلوه الوقت
اجزاه وذكر الاثرم ان الترتيب عند احمد واجب في صلوه ستين سنه واكثر وقال لا ينبغي لاحد ان يصلي صلوه و
هو ذاكر لما قبلها لانها تفسد عليها وروى الدارقطني عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
نسي احدكم صلوه وهو في صلوه مكتوبه فليبدا بالتي هو فيها فاذا فرغ منها صلى التي نسي عمر بن عمر مجهول قال المولف

يسقط

وهذا الوضح كان حجة للشافعي في البداية بصلاة الوقت واما الصحيح ما رواه الصحيح عن جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب
يوم الخندق جعل يسب كفار قريش وقال يا رسول الله والله ما كدت ان اصلي العصر حتى كادت ان تغرب الشمس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ان صليتها فنزلنا الى بطحان فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأنا وصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذا نص في البداية بالفائتة قبل وقت
الحاضرة لا سيما والمغرب وقتها واحد مضيق غير ممتد في المشهور عندنا وعند الشافعي كما تقدم وقد روى الترمذي عن ابي
عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق
حتى ذهب من الليل ما شاء الله فامر بلالا فاذن ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ثم اقام فصلى المغرب ثم اقام فصلى
العشاء وبهذا استدل العلماء على ان من فاتته صلوات قضاها مرتبة كما فاتته اذا ذكرها في وقت واحد واختلفوا اذا ذكر
فائتة في ضيق وقت حاضرة على ثلاثة اقوال يبدأ بالفائتة وان خرج وقت الحاضرة وبه قال مالك والليث والزهري
وغيرهم كما قدمناه الثاني يبدأ بالحاضرة وبه قال الحسن والشافعي وفقهاء اصحاب الحديث والمحاسبي وابن وهب من
اصحابنا الثالث يتخير فيقدم ايتهما شاء وبه قال اشهب وجه الاول كثرة الصلوات والخلاف انه يبدأ بالحاضرة مع الكثرة
قال القاضي عياض واختلفوا في مقدار اليسير فعن مالك الخمس فدون وقيل الاربع فدون لحديث جابر ولم يختلف المذهب
ان الست كثير واما من ذكر صلاة وهو في صلاة فان كان وراء الامام فكل من قال بوجوب الترتيب
ومن لم يقل به يقول يتمادى مع الامام حتى يكمل صلاته والاصل في هذا ما رواه مالك والدارقطني عن ابن عمر قال
اذا نسي احدكم صلاة فلم يذكرها الا وهو مع الامام فاذا فرغ من صلاته فليصل التي نسي ثم ليعد صلاته التي
صلى مع الامام لفظ الدارقطني وقال قال موسى بن هارون وحدثناه ابو ابراهيم الترجماني قال حدثنا سعيد ورفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم ووهم في رفعه فان كان قد رجع عن رفعه فقد وفق للصواب ثم اختلفوا فقال ابو حنيفة و
احمد بن حنبل يصلي التي ذكر ثم يصلي التي صلى مع الامام الا ان يكون منها اكثر من صلوات على ما قدمنا وذكر عن الكوفيين
وهو مذهب جماعة من اصحاب مالك المدنيين وذكر الخرقي عن احمد بن حنبل انه قال من ذكر صلاة وهو في اخرى انه
يتمها ويقضي المذكورة واعاد التي كان فيها اذا كان الوقت متسعا فان خشي خروج الوقت وهو فيها اعتقد ان لا يعيدها وقد
اجزأته ويقضي التي عليه وقال مالك من ذكر صلاة وهو في صلاة قد صلى منها ركعتين سلم من ركعتين فان كان اماما انهدمت عليه
وعلى من خلفه وبطلت هذا الظاهر من مذهب مالك وليس عند اهل النظر من اصحابه كذلك لان قوله فيمن ذكر صلاة في صلاة
قد صلى منها ركعة انه يضيف اليها اخرى ويسلم ولو ذكرها في صلاة قد صلى منها ثلاث ركعات اضاف اليها رابعة وسلم وصارت
نافلة غير فاسدة ولو انهدمت عليه كما ذكر وبطلت لم يؤمر ان يضيف اليها اخرى كما لو احدث بعد ركعة لم يضف اليها اخرى
السابعة روى مسلم عن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديث الميضاة بطوله وقال
فيه ثم قال اما لكم في اسوة حسنة ثم قال اما انه ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت
الصلاة الاخرى فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها فاذا كان الغد فليصلها عند وقتها واخرجه الدارقطني هكذا
بلفظ مسلم سواء فظاهره يقتضي اعادة المقضية مرتين عند ذكرها وحضور مثلها من الوقت الآتي ويعضد هذا الظاهر
ما خرجه ابو داود من حديث عمران بن الحصين وذكر القصة وقال في آخرها فمن ادرك منكم الصلاة من غد صالحا فليقض
معها مثلها قال المؤلف رحمه الله وهذا ليس على ظاهره ولا تعاد غير مرة واحدة لما رواه الدارقطني عن عمران بن حصين
قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة او قال في سرية فلما كان السحر عرسنا فما استيقظنا حتى ايقظنا حر

الشمس فجعل الرجل منا يثب فزعا دهشا فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا فارتحلنا ثم
سرنا حتى ارتفعت الشمس فقضى القوم حوائجهم ثم امر بلالا فاذن فصلينا ركعتين ثم امره فاقام فصلينا
الغداة فقلنا يا نبي الله الا نقضيها لوقتها من الغد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اينهاكم الله عن الربا
ويقبله منكم وقال الخطابي لا اعلم احدا قال بهذا وجوبا ويشبه ان يكون الامر به استحبابا ليحرز فضيلة الوقت
في القضاء والصحيح ترك العمل لقوله اينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم ولان طرق الصحاح من حديث عمران بن
حصين ليس فيها من تلك الزيادة شيء الا ما ذكر في حديث ابي قتادة وهو محتمل كما بيناه قال المؤلف رحمه
الله ذكر الكيا الطبري في احكام القرآن له ان من السلف من خالف قوله عليه السلام من نسي صلاة فليصلها
اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك فقال يصبر الى مثل وقته فيصلي فاذا فات الصبح يصلي من الغد وهذا قول
بعيد شاذ

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى

آية مشكلة فروي عن سعيد بن جبير انه قرأ أكاد أَخفيها بفتح الهمزة قال ومعناه أظهرها لتجزى اي
الاظهار للجزاء رواه ابو عبيد عن الكسائي عن محمد بن سهل عن وقاء بن اياس عن سعيد بن جبير قال
النحاس وليس لهذه الرواية طريق غير هذا قال المؤلف رحمه الله وكذا رواه ابو بكر الانباري في كتاب
الرد حدثني ابي حدثنا محمد بن الجهم حدثنا الفراء حدثنا الكسائي ح وحدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يوسف
حدثنا يحيى الحماني حدثنا محمد بن سهل قال النحاس واجود من هذا الاسناد ما رواه يحيى القطان عن
الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انه قرأ أُخفيها بضم الهمزة قال المؤلف رحمه الله فاما قراءة
ابن جبير أَخفيها بفتح الالف بالاسناد المذكور فقال ابو بكر الانباري قال الفراء معناه اظهرها من خفيت
الشيء اذا اظهرته اخفيه وانشد الفراء لامرئ القيس
فان تدفنوا الداء لا نخفه ... وان تبعثوا
الحرب لا نقعد
اراد لا نظهره وقد قال بعض اللغويين يجوز ان يكون اخفيها بضم الهمزة معناه أظهرها لانه
يقال خفيت الشيء واخفيته اذا اظهرته فاخفيته من حروف الاضداد يقع على الستر والاظهار قال ابو عبيدة
خفيت واخفيت بمعنى واحد قال النحاس وهذا حسن وقد حكاه عن ابي الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة
لا يشك في صدقه وقد روى عنه سيبويه وانشد وان تكتموا الداء لا نخفه البيت كذا رواه ابو عبيدة عن ابي
الخطاب بضم النون وقال امرؤ القيس ايضا
خفاهن من انفاقهن كانما ... خفاهن ودق من عشي
مجلب
قال ابو بكر الانباري وتفسير الآية أُخبر ان الساعة آتية اكاد انقطع الكلام على اكاد وبعده
مضمر اكاد آتي بها والابتداء اخفيها لتجزى كل نفس قال ضابئ البرجمي
هممت ولم افعل وكدت ... وليتني
تركت على عثمان تبكي حلائله
اراد وكدت افعل فاضمر مع كدت فعلا كالفعل المضمر معه في القرآن قال
المؤلف رحمه الله هذا الذي اختاره النحاس وزيف القول الذي قبله فقال يقال خفي الشيء يخفيه اذا اظهره
وقد حكي انه يقال اخفاه ايضا اذا اظهره وليس بالمعروف قال وقد رأيت علي بن سليمان لما اشكل عليه معنى اخفيها
عدل الى هذا القول وقال معناه كمعنى أَخفيها قال النحاس ليس المعنى على اظهرها ولا سيما واخفيها قراءة شاذة
فكيف ترد القراءة الصحيحة الشائعة الى الشاذة ومعنى المضمر اولى ويكون التقدير ان الساعة آتية اكاد آتي بها ودل آتية
على آتي بها ثم قال أُخفيها على الابتداء وهذا معنى صحيح لان الله عز وجل قد اخفى الساعة التي هي القيامة والساعة
التي يموت فيها الانسان ليكون الانسان يعمل والامر عنده مبهم ولا يؤخر التوبة قال المؤلف رحمه الله وعلى هذا القول

يكون اللام في لتجزى متعلقة باخفيها وقال ابوعلي هذا من باب السلب وليس من الاضداد ومعنى اخفيها ازيل عنها
خفاءها وهو سترها لخفاء القربة واذا زال عنها سترها ظهرت الاخفية الاكسية والواحد خفاء بكسر الخاء ومن
هذا قولهم اشكيته اي ازلت شكواه واعتبته اي قبلت استعتابه ولم احوجه الى اعادته وحكى ابوحاتم عن الاخفش
ان كاد زايدة مؤكدة قال ومثله اذا اخرج يده لم يكد يراها لان الظلمات التي ذكرها الله تعالى بعضها يحول بين الناظر
والمنظور اليه وروى معناه عن ابن جبير والتقدير ان الساعة آتية اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال الشاعر
سريع الى الهيجاء شاك سلاحه فما ان يكاد قرنه يتنفس اراد فما يتنفس وقال آخر وان لا الوم
النفس فيما اصابني وان لا اكاد بالذي نلت انجح معناه وان لا انجح بالذي نلت فاكاد توكيد للكلام وقيل معنى
اكاد اخفيها اي اقارب ذلك لانك اذا قلت كاد زيد يقوم جاز ان يكون قام وان يكون لم يقم ودل على انه قد اخفاها
بدلالة غير هذه على هذا الجواب قال اللغويون كدت افعل معناه عند العرب قاربت الفعل ولم افعل وما كدت افعل
معناه فعلت بعد ابطاء وشاهدها قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون معناه وفعلوا بعد ابطاء لتعذر وجدان
البقرة عليهم وقد يكون ما كدت افعل بمعنى ما فعلت ولا قاربت اذا اكد الكلام باكاد وقيل معنى اكاد اخفيها اريد اخفيها
قال الانباري وشاهد هذا قول الفصيح من الشعر كادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى
معناه ارادت واردت وقال ابن عباس واكثر المفسرين كما قال الثعلبي ان المعنى اكاد اخفيها من نفسي و
كذلك هو في مصحف ابي وفي مصحف ابن مسعود اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءات فكيف اظهرها
لكم وهذا محمول على انه جاء على ما جرت به عادة العرب في كلامها من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشيء قال كدت اخفيه من
نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شيء قال معناه قطرب وغيره وقال الشاعر ايام تصحبني هند واخبرها ما كتم
النفس من حاجي واسراري فكيف يخبرها بما يكتم نفسه ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم ورجل تصدق
بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما ينفق يمينه قال الزمخشري وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في
الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي
وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها قال المولف رحمه الله وقد قيل معنى قول من قال
اكاد اخفيها من نفسي اي ان اخفاها كان من قبلي ومن عندي لا من عند غيري وروى عن ابن عباس ايضا اكاد
اخفيها في نفسي رواه طلحة بن عمرو عن عطاء وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال لا اظهر عليها احدا وروى عن
سعيد بن جبير قال قد اخفاها وهذا على ان كاد زايدة اي ان الساعة آتية اخفيها والفايدة في اخفائها التخويف
والتهويل وقيل تعلق لتجزى بقوله تعالى واقم الصلوة فيكون في الكلام تقديم وتاخير اي اقم الصلوة لذكري لتجزى
كل نفس بما تسعى تسعيها ان الساعة آتية لتجزى فلا يصدنك عنها اي لا يصرفنك عن الايمان بها والتصديق بها من
لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى اي تهلك وهو في موضع النصب لجواب النهي وما تلك بيمينك
يا موسى قال هي عصاي فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى وما تلك بيمينك قيل كان هذا خطاب من الله
تعالى لموسى وحيا لانه قال فاستمع لما يوحى ولابد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه فاراه في العصا
وفي نفسه ما اراه لذلك ويجوز ان يكون ما اراه في الشجرة آية كافية له في نفسه ثم يكون اليد والعصا زيادة تاكيد
برهانا يلقى بها قومه واختلف في ما في قوله وما تلك فقال الزجاج والفراء هي اسم ناقص وصلت بيمينك اي ما التي
بيمينك وقال الفراء ايضا تلك بمعنى هذه ولو قال ما ذلك لجاز اي ما ذلك الشيء ومقصود السوال تقرير الامر حتى يقول

اكاد اخفيها والله اعلم وقيل من مغلقة
بآتية اي ان الساعة آتية م

موسى هي عصاي لتثبت الحجة عليه بعد ما اعترف والا فقد علم الله ما هي في الازل قال ابن الجوهري وفي بعض
الآثار ان الله تعالى عتب على موسى اضافة العصا الى نفسه في ذلك الموطن فقيل له القها لترى منها العجب فتعلم
انه لا ملك لك عليها ولا تضاف اليك وقرا ابن ابي اسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشري ومحيي وقد تقدم
وقرا الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين ومثله قراءة حمزة وما انتم بمصرخي وعن ابن ابي اسحاق
سكون الياء في هذه الآية دليل على جواب المسول باكثر مما سئل لانه لما قال وما تلك بيمينك
يا موسى ذكر معاني اربعة وهي اضافة العصا اليه وكان حقه ان يقول عصى والتوكؤ والهش والمآرب المطلقة
فذكر موسى من منافع عصاه عظمها وجمهورها واجمل سائر ذلك في الحديث سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر
فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وسالته امراة عن الصغير حين رفعته اليه وقالت الهذا حج قال نعم ولك اجر وفي
الحديث مثله كثير قوله تعالى اتوكا عليها اي اتحامل عليها في المشي والوقوف ومنه الاتكاء واهش
بها واهش ايضا ذكره النحاس وهي قراءة النخعي اي اخبط بها الورق اي اضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها فيسهل
على غنمي تناوله فتاكله قال الراجز اهش بالعصا على اغنامي من ناعم الاراك والبشام يقال هش على غنمه
يهش بضم الهاء في المستقبل وهششت الى الرجل يهش بالفتح وكذلك هش للمعروف يهش وهششت انا وفي حديث
عمر هششت يوما فقبلت وانا صايم قال شمر اي فرحت واشتهيت قال ويجوز هاش بمعنى هش قال الراعي
فكبر للرؤيا وهاش فواده وبشر نفسا كان قبل يلومها اي طرب والاصل في الكلمة الرخاوة يقال رجل هش
وزوج هش وقرا عكرمة واهس بالسين غير معجمة قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل معناهما مختلف فالهش
بالاعجام خبط الشجر والهس بغير اعجام زجر الغنم ذكره الماوردي وكذلك ذكر الزمخشري واهس بالسين اي انحى عليها
زاجرا لها والهس زجر الغنم قوله تعالى ولي فيها مآرب اخرى اي حوايج واحدها
مأربة ومأربة ومأربة وقال اخرى على صيغة الواحد لان مآرب في معنى جماعة لكن المهيع في توابع جمع ما لا يعقل
الافراد والكناية عنه بذلك فان ذلك يجري مجرى الواحدة المونثة كقوله ولله الاسماء الحسنى وكقوله يا جبال اوبي معه
وقد تقدم هذا في الاعراف تعرض قوم لتعديد منافع العصا منهم ابن عباس قال اذا انتهيت الى
راس بير فقصر الرشا وصلته بالعصا واذا اصابني حر الشمس غرزتها في الارض والقيت عليها ما يظلني واذا خفت شيا
من هوام الارض قتلته بها واذا مشيت القيتها على عاتقي وعلقت عليها القوس والكنانة والمخلاة واقاتل بها السباع عن
الغنم وروى عنه ميمون بن مهران قال امساك العصا سنة للانبياء وعلامة للمومن وقال الحسن البصري فيها ست خصال
سنة للانبياء وزينة الصلحاء وسلاح على الاعداء وعون للضعفاء وغم المنافقين وزيادة في الطاعات ويقال اذا كان
مع المومن العصا يهرب منه الشيطان ويخشع منه المنافق والفاجر وتكون قبلته اذا صلى وقوة اذا اعيى ولقي الحجاج
اعرابيا فقال من اين اقبلت يا اعرابي قال من البادية قال وما في يدك قال عصاي اركزها لصلاتي واعدها لعداتي
واسوق بها دابتي واقوى بها على سفري واعتمد بها في مشيتي لتتسع خطوتي واثب بها النهر وتؤمنني العثر والقي عليها
كسائي فتقيني الحر وتدفيني من القر وتدني الي ما بعد مني وهي محمل سفرتي وعلاقة اداوتي اعصي بها عند الضراب
واقرع بها الابواب واتقي بها عقور الكلاب وتنوب عن الرمح في الطعان وعن السيف عند منازلة الاقران ورثتها عن
ابي واورثها بعدي ابني وبها اهش على غنمي ولي فيها مآرب اخرى كثيرة لا تحصى قال المولف رحمه الله منافع العصا
كثيرة ولها مدخل في مواضع من الشريعة منها انها تتخذ قبلة في الصحراء وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنزة تركز له فيصلي

وعن عكرمة
م

بها وكان اذا خرج يوم العيد امر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي اليها وذلك ثابت في الصحيح والحربة والعنزة والنيزك والآلة اسماء لمسمى واحد وكان له محجن وهو عصا معوجة الطرف يشير به الى الحجر اذا لم يستطع ان يقبله ثابت في الصحيح ايضا وفي الموطأ عن السايب بن يزيد انه قال امر عمر بن الخطاب ابي بن كعب وتميما الداري ان يقوما للناس باحدى عشرة ركعة وكان القاري يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصا من طول القيام وما كنا ننصرف الا في فروع الفجر وفي الصحيحين انه عليه السلام كان له مخصرة والاجماع منعقد على ان الخطيب يخطب متوكئا على سيف او عصى فالعصا مأخوذة من اصل كريم ومعدن شريف ولا ينكرها الا جاهل وقد جمع الله لموسى عليه السلام في عصاه من البراهين العظام والآيات الجسام ما آمن به السحرة المعاندون واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته و كان ابن مسعود صاحب عصا النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته وكان يخطب بالقضيب وكفى بذلك فضلا على شرف حال العصا وعلى ذلك الخلفاء وكبراء الخطباء وعادة العرب العرباء الفصحاء اللسن البلغاء اخذ المخصرة والعصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب وانكر الشعوبية على خطباء العرب اخذ المخصرة والاشارة بها الى المعاني والشعوبية تبغض العرب وتفضل العجم قال مالك كان عطاء بن السايب يمسك المخصرة يستعين بها قال مالك والرجل اذا كبر لم يكن مثل الشاب يتقوى بها عند قيامه قال المولف رحمه الله وفي مشيه كما قال بعضهم قد كنت امشي على رجلين معتمدا فصرت امشي على اخرى من الخشب قال مالك رحمه الله وقد كان الناس اذا جاءهم المطر خرجوا بالعصا يتوكؤن عليها حتى لقد كان الشباب يحبسون عصيهم وربما اخذ ربيعة العصا من بعض من يجلس اليه حتى يقوم ومن منافع العصا ضرب الرجل نساءه بها فيما يصلحهم ويصلح به حاله معهم ومنه قوله عليه السلام واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه في احد التأويلات وقد روي عنه عليه السلام انه قال لرجل اوصاه لا ترفع عصاك عنهم في الله رواه عبادة بن الصامت خرجه النسائي ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وقد تقدم هذا في النساء ومن فوايدها التنبيه على الانتقال من هذه الدار كما قيل لبعض الزهاد ما لك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض قال اني اعلم اني مسافر وانها دار قلعة وان العصا من آلة السفر واخذه بعض الشعراء فقال حملت العصا لا الضعف اوجب حملها علي ولا اني تحنيت من كبر ولكنني الزمت نفسي حملها لاعلمها ان المقيم على سفر قال الفقهاء يا موسى الآية لما اراد الله تعالى ان يدربه في تلقي النبوة وتكاليفها امره بالقاء العصا فالقاها موسى فقلب الله اوصافها واعراضها وكانت عصا ذات شعبتين فصار الشعبتان لها فما وصارت حية تسعى اي تنتقل وتمشي وتلتقم الحجارة فلما رآها موسى عليه السلام رأى عبرة فولى مدبرا ولم يعقب فقال الله له خذها ولا تخف وذلك انه اوجس في نفسه خيفة اي لحقه ما يلحق البشر وروي ان موسى تناولها بكمي جبته فنهي عن ذلك فاخذها بيده فصارت عصا كما كانت اول مرة وهي سيرتها الاولى وانما اظهر له هذه الآية لئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون ويقال ان العصا بعد ذلك كانت تماشيه وتحادثه ويعلق عليها احماله وتضيء له الشعبتان بالليل كالشمع واذا اراد الاستقاء انقلبت الشعبتان كالدلو واذا اشتهى ثمرة ركزها في الارض فاثمرت تلك الثمرة وقيل انها كانت من آس الجنة وقيل اتاه جبريل بها وقيل ملك وقيل قال له شعيب خذ عصا من ذلك البيت فوقعت بيده تلك العصا وكانت عصا آدم هبط بها من الجنة والله اعلم قوله تعالى فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قال النحاس ويجوز حية يقال خرجت فاذا زيد جالس و جالسا والوقف حيه بالهاء والسعي المشي بسرعة وخفة وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر منه وعن بعضهم انما خاف منه لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب

عن اهلك

خوفه وطمأنينته ان ادخل يده في فمها واخذ بلحيتها سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى سمعت علي بن سليمان يقول التقدير الى سيرتها مثل واختار موسى قومه قال ويجوز ان يكون مصدرا لان معنى سنعيدها سنسيرها وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ يجوز في غير القرآن ضم بفتح الميم وكسرها لالتقاء الساكنين والفتح اجود لخفته والكسر على الاصل ويجوز الضم على الاتباع ويد اصلها فعل يدي يدل على ذلك ايد وتصغيرها يدية والجناح العضد قاله مجاهد وقال الى بمعنى تحت قال قطرب الى جناحك الى جيبك ومنه قول الراجز اضمه للصدر والجناح وقيل الى جيبك فعبر عن الجيب بالجناح لانه مايل في محل الجناح وقيل الى عندك وقال مقاتل الى بمعنى مع اي مع جناحك تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ من غير برص نورا ساطعا يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوءا عن ابن عباس وغيره فخرجت نورا مخالفة للونه وبيضاء نصب على الحال ولا تنصرف لان فيها الفي التأنيث لا يزايلانها فكان لزومهما علة ثانية فلم تنصرف في النكرة وخالفتا الهاء لان الهاء تفارق الاسم ومن صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء آيَةً أُخْرَى سوى العصا فاخرج يده من مدرعة له مصرية لها شعاع مثل شعاع الشمس يغشي البصر وآية منصوبة على البدل من بيضاء قاله الاخفش قال النحاس وهو قول حسن وقال الزجاج المعنى آتيناك آية اخرى او نؤتيك لانه لما قال تخرج بيضاء من غير سوء دل على انه قد آتاه آية اخرى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى يريد العظمى وكان حقه ان يقول الكبيرة وانما قال الكبرى لوفاق رؤس الآي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى دليله قول ابن عباس يد موسى اكبر آياته قوله تعالى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى لما آنسه بالعصا واليد واراه ما يدل على انه رسول امره بالذهاب الى فرعون وان يدعوه وطغى معناه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي طلب الاعانة لتبليغ الرسالة ويقال ان الله اعلمه بانه ربط على قلب فرعون وانه لا يؤمن فقال موسى يا رب فكيف تامرني ان آتيه وقد ربطت على قلبه فاتاه ملك من خزان الريح فقال يا موسى انطلق لما امرك الله فقال موسى عند ذلك رب اشرح لي صدري اي وسعه ونوره بالايمان والنبوة ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واحلل عقدة من لساني يعني العجمة التي كانت فيه من جمرة النار التي القاها في فيه وهو طفل فلطمه لطمة واخذ بلحيته فنتفها فقال فرعون لآسية هذا عدوي فهات الذباحين فقالت آسية على رسلك فانه صبي لا يفرق بين الاشياء ثم اتت بطستين فجعلت في احدهما جمرا وفي الآخر جوهرا فاخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه فكانت تلك اللثغة وروي ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة ثم اختلف هل زالت تلك الرتة فقيل زالت بدليل قوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وقيل لم تزل كلها بدليل قوله حكاية عن فرعون ولا يكاد يبين ولانه لم يقل احلل كل لساني فدل على انه بقي في لسانه شيء من الاستمساك وقيل زالت بالكلية بدليل قوله أوتيت سؤلك وانما قال فرعون ولا يكاد يبين لانه عرف منه تلك العقدة في التربية وما ثبت عنده ان الآفة زالت قال المولف رحمه الله وهذا فيه نظر لانه لو كان ذلك لما قال فرعون ولا يكاد يبين حين كلمه موسى بلسان ذلق فصيح والله اعلم وقيل ان تلك العقدة حدثت بلسانه عند

قال ابن عباس كانت في لسانه رتة وذلك انه كان في حجر فرعون ذات يوم وهو طفل م

مناجاة ربه حتى لا كلم غيره الا باذنه يفقهوا قولي اي يعلموا ما اقوله لهم ويفهموه والفقه في كلام
العرب الفهم قال اعرابي لعيسى بن عمر شهدت عليك بالفقه تقول منه فقه الرجل بالكسر وفلان لا يفقه
ولا ينقه وافقهتك الشي ثم خص به علم الشريعة والعالم به فقيه وقد فقه بالضم فقاهة وفقهه الله وتفقه
اذا تعاطى ذلك وفاقهته اذا باحثته في العلم قاله الجوهري والوزير الموازر كالاكيل المواكل لانه يحمل
عن السلطان وزره اي ثقله وفي كتاب النسائي عن قاسم بن محمد سمعت عمتي تقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ولي منكم عملا فاراد الله به خيرا جعل الله له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ومن
هذا المعنى قوله عليه السلام ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف
وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه رواه البخاري فسال موسى الله تعالى
ان يجعل له وزيرا الا انه لم يرد ان يكون مقصورا على الوزارة حتى لا يكون له شريك في النبوة ولولا ذلك لجاز
ان يستوزره من غير مسئلة وعين فقال هرون وانتصب على البدل من قوله وزيرا او يكون منصوبا باجعل
على التقديم والتاخير والتقدير واجعل لي هرون اخي وزيرا فكان هرون اكبر من موسى بسنة وقيل بثلث
اشدد به ازري اي ظهري والازر الظهر من موضع الحقوين ومعناه تقوى به نفسي والازر القوة وآزره
قواه ومنه قوله فآزره فاستغلظ وقال ابو طالب اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان
وبالضرب وقيل الازر العون اي يكون عونا يستقيم به امري قال الشاعر شددت به ازري وايقنت انه
اخو الفقر من ضاقت عليه مذاهبه وكان هرون اكثر لحما من موسى واتم طولا وابيض جسما وافصح لسانا ومات
قبل موسى بثلاث سنين وكان في جبهة هرون شامة وعلى ارنبة انف موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم تكن
على احد قبله ولا تكون على احد بعده وقيل انها سبب العقلة في لسانه والله اعلم واشركه في امري اي في النبوة
وتبليغ الرسالة قال المفسرون فكان هرون يومئذ بمصر فامر الله موسى ان ياتي هو وهرون واوحى الى
هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه بمرحلة واخبره بما اوحى اليه فقال له موسى ان الله امرني ان
آتي فرعون فسالت ربي يجعلك معي رسولا وقراءة العامة اخي اشدد بوصل الالف واشركه بفتح الهمزة على
الدعاء اي اشدد يا رب ازري واشركه معي في امري وقرا ابن عامر ويحيى بن الحارث وابو حيوة والحسن وعبد
الله بن ابي اسحاق اشدد بقطع الالف واشركه بضم الالف اي انا افعل ذلك اشدد انا به ازري واشركه انا يا
رب في امري قال النحاس جعلوا الفعلين في موضع جزم جوابا لقوله اجعل لي وزيرا وهذه القراءة شاذة بعيدة
لان جواب مثل هذا انما يتخرج بمعنى الشرط والمجازات فيكون المعنى ان تجعل لي وزيرا من اهلي اشدد به ازري و
اشركه في امري وامره النبوة والرسالة وليس هذا اليه صلى الله عليه وسلم فيخبر به انما يسال الله عز وجل ان يشركه
معه في النبوة وفتح الياء من اخي ابن كثير وابو عمرو كي نسبحك كثيرا قيل معنى نسبحك نصلي لك ويحتمل
ان يكون التسبيح باللسان اي ننزهك عما لا يليق بجلالك وكثيرا نعت لمصدر محذوف ويجوز ان يكون نعتا
لوقت والادغام حسن وكذا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال الخطابي البصير المبصر والبصير
العالم بخفيات الامور فالمعنى اي عالما بنا ومدركا لنا في صغرنا فاحسنت الينا فاحسن الينا ايضا كذلك يا رب
قوله تعالى قال قد اوتيت سؤلك يا موسى لما ساله شرح الصدر وتيسير الامر الى ما ذكر اجاب
سوله واتاه طلبته ورغبته والسول الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول وقوله تعالى

ولقد مننا عليك مرة اخرى اي قبل هذه وهي حفظه سبحانه له من شر الاعداء في الابتداء وذلك
حين الذبح والله اعلم والمن الاحسان والافضال وقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى قيل اوحينا
الهمنا وقيل اوحي اليها في النوم وقال ابن عباس اوحي اليها كما اوحي الى النبيين ان اقذفيه في
التابوت قال مقاتل مؤمن آل فرعون هو الذي صنع التابوت ونجره وكان اسمه حزقيل و
كان التابوت من جميز فاقذفيه في اليم اي اطرحيه في البحر نهر النيل فليلقه اليم قال الفراء
فاقذفيه في اليم امر وفيه معنى المجازاة اي اقذفيه يلقه اليم وكذا قوله واتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه نطعا
ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وخصاصه يعني شقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر
كبير في دار فرعون فساقه الله في ذلك النهر الى دار فرعون وروي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا
فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو
جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس فاحبه عدو الله
حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر القرآن يدل على ان البحر القاه بساحله وهو شاطيه فراى فرعون
التابوت بالساحل فامر باخذه ويحتمل ان يكون القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه
النهر الى حيث البركة والله اعلم وقيل وجدته ابنة فرعون وكان بها برص فلما فتحت التابوت شفيت
وروي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرات
في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا صبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاخذوه وكان
لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرا الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت
البرصاء برصها بريقه فبرات فلما نظر اليه فرعون راى صبيا من اصبح الناس وجها فاحبه فرعون فذلك قوله
تعالى والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه الله وحببه الى خلقه وقال عطية
جعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من رآه وقال قتادة كانت في عيني موسى ملاحة ما رآه احد
الا احبه وعشقه وقال عكرمة المعنى جعلت فيك حسنا وملاحة فلا يراك احد الا احبك وقال الطبري
المعنى والقيت عليك رحمتي وقال ابن زيد جعلت من رآك احبك حتى احبك فرعون فسلمت من شره
واحبتك آسية بنت مزاحم فتبنتك ولتصنع على عيني قال ابن عباس يريد ان ذلك بعيني حين
جعلت في التابوت وحين القي التابوت في البحر وحيث التقطتك جواري امراة فرعون فارادوا ان يفتحوا
الباب لينظرن ما فيه فقالت منهن واحدة لا تفتحنه حتى تاتين به سيدتكم فهو احظى لكم عندها واجدر بان
لا تتهمكن بانكن وجدتن فيه شيئا واخذتموه لانفسكن وكانت امراة فرعون لا تشرب من الماء الا ما استقينه
اولئك الجواري فذهبوا بالتابوت اليها مغلقا فلما فتحته رات صبيا لم ير مثله قط والقي عليها محبته فاخذته
فدخلت به على فرعون وقالت قرة عين لي ولك قال لها فرعون اما لك فنعم واما لي فلا فبلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان فرعون قال نعم هو قرة عين لي ولك لآمن وصدق فقالت هبه لي
لا تقتله فوهبه لها وقيل ولتصنع على عيني اي تربى وتغذى على مراى مني قاله قتادة قال النحاس وذلك
معروف في اللغة يقال صنعت الفرس وصنعته اذا احسنت القيام عليه والمعنى ولتصنع على عيني فعلت

وقيل لما نظرت الى وجهه برات والله اعلم وقيل
وجدته جوار لامراة فرعون صح

ذلك وقيل اللام متعلقة بما بعدها من قولك اذ تمشي اختك على التقديم والتأخير فاذ ظرف لتصنع وقيل الواو في ولتصنع
زائدة وقرأ ابن القعقاع ولتصنع باسكان اللام على الامر وظاهره للمخاطب والمأمور غايب وقرأ ابو نهيك و
لتصنع بفتح التاء والمعنى ولتكون حركتك وتصرفك بمشيئتي وعلى عين مني ذكره المهدوي ‌ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان تكون بدلا من اذ اوحينا واخته اسمها مريم فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ وذلك انها خرجت متعرفة خبره وكان موسى لما وهبه فرعون لامرأته طلبت له المراضع فكان
لا ياخذ ثدي احد حتى اقبلت اخته فاخذته ووضعته في حجرها وناولته ثديها فمصه وفرح به فقالوا لها تقيمين
عندنا فقالت انه لا لبن لي ولكن ادلكم على من يكفله وهم له ناصحون قالت ومن هي قالت امي قالوا لها لبن
قالت لبن اخي هارون وكان اكبر من موسى بسنة وقيل بثلاث وقيل باربع وذلك ان فرعون رحم بني اسرائيل
ورفع عنهم القتل اربع سنين فولدها هرون فيها قاله ابن عباس فجاءت الام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى
فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وفي مصحف ابي نردناك الى امك كي تقر عينها وَلَا تَحْزَنَ و
روى عبد الحميد عن ابن عامر كي تقر عينها بكسر القاف قال الجوهري وقررت به عينا وقررت قرة وقرورا فيهما و
رجل قرير العين وقد قررت عينه تقر وتقر نقيض سخنت واقر الله عينه اي اعطاه حتى تقر فلا يطمح الى من هو فوقه
ويقال حتى تبرد ولا تسخن وللسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة وقد تقدم في مريم وَلَا تَحْزَنَ اي على
فقدك وَقَتَلْتَ نَفْسًا قال ابن عباس قتل قبطيا كافرا قال كعب وكان اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة
في صحيح مسلم وكان قتله خطأ على ما ياتي فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ اي آمناك من الخوف والقتل والحبس وَفَتَنَّاكَ
فُتُونًا اي اختبرناك اختبارا حتى صلحت للرسالة وقال قتادة بلوناك بلاء مجاهد اخلصناك اخلاصا وقال ابن
عباس اختبرناك باشياء قبل الرسالة اولها حملته امه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاه في
اليم ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه ثم جره بلحية فرعون ثم تناوله الجمرة بدل الدرة فدرا ذلك عنه قتل فرعون
ثم قتله القبطي وخروجه خايفا يترقب ثم رعايته الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق ويقال انه ند من الغنم
جدي فاتبعه اكثر النهار واتعبه ثم اخذه فقبله وضمه الى صدره وقال له اتعبتني واتعبت نفسك ولم يغضب
عليه قال وهب بن منبه ولهذا اتخذه الله كليما وقد مضى هذا في النساء ‌ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي
أَهْلِ مَدْيَنَ يريد عشر سنين اتم الاجلين وقال وهب لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها عشر
مهر امرأته صفورا بنت شعيب وثمانية عشر اقام عنده حتى ولد له عنده وقوله ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ
قال ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن كيسان يريد موافقا للنبوة والرسالة لان الانبياء لا يبعثون الا ابناء
اربعين سنة وقال مجاهد ومقاتل على قدر على وعد وقال محمد بن كعب ثم جئت على القدر الذي قدرت لك
انك تجيء فيه والمعنى واحد اي جئت في الوقت الذي اردنا ارسالك فيه قال الشاعر ‌ نال الخلافة او كانت
له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر ‌ قوله تعالى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي قال ابن عباس اي اصطفيتك
لوحيي ورسالتي وقيل اصطنعتك خلقتك ماخوذ من الصنعة وقيل قويتك وعلمتك لتبليغ عبادي امري ونهيي
اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي قال ابن عباس يريد التسع آيات التي انزلت عليه وَلَا تَنِيَا قال ابن عباس
تضعفا في امر الرسالة وقاله قتادة وقيل تفترا قال الشاعر ‌ فما ونى محمد مذ ان غفر ‌ له الاله ما مضى و
ما غبر ‌ والونى الضعف والفتور والكلال والاعياء وكله مراد في الآية وقال امرء القيس ‌ مسح اذا ما السابحات

على الونى ‌ اثرن غبارا بالكديد المركل ‌ يقال ونيت في الامر اني ونى وونيا اي ضعفت فانا وان وناقة وانية
واونيتها اي اضعفتها واتعبتها وفلان لا يني كذا اي لا يزال وبه فسر ابان معنى الآية واستشهد بقول طرفة
كان القدور الراسيات امامهم ‌ قباب بنوها لا تني ابدا تغلي ‌ وعن ابن عباس ايضا لا تبطيا وفي قراءة ابن مسعود
ولا تهنا في ذكري وتحميدي وتمجيدي وتبليغ رسالتي ‌ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا فيه اربع مسائل ‌ قوله تعالى اذهبا قال في اول الآية اذهب انت واخوك بآياتي
وقال هنا اذهبا فقيل امر الله موسى وهرون في هذه الآية بالنفوذ الى دعوة فرعون وخاطب موسى اولا وحده
تشريفا له ثم كرر للتاكيد وقيل بين بهذا انه لا يكفي ذهاب احدهما وقيل الاول امر بالذهاب الى كل الناس
والثاني بالذهاب الى فرعون ‌ في قوله تعالى فقولا له قولا لينا دليل على جواز الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وان ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة وضمنت له العصمة الا تراه قال فقولا له قولا لينا وقال
لا تخافا انني معكما اسمع وارى فكيف بنا فنحن اولى بذلك وحينئذ يحصل الآمر او الناهي على مرغوبه ويظفر بمطلوبه
وهذا واضح ‌ اختلف الناس في معنى قوله لينا فقالت فرقة منهم الكلبي وعكرمة معناه كنياه وقاله ابن
عباس ومجاهد والسدي ثم قيل كنيته ابو العباس وقيل ابو الوليد وقيل ابو مرة فعلى هذا القول تكنية الكافر جائزة
اذا كان وجيها ذا شرف وطمع باسلامه وقد يجوز ذلك وان لم يطمع باسلامه لان الطمع ليس بحقيقة توجب عملا وقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ولم يقل وان طمعتم باسلامه ومن الاكرام دعاؤه بالكنية وقد قال صلى
الله عليه وسلم لصفوان بن امية انزل ابا وهب فكناه وقال لسعد الم تسمع ما قال ابو حباب يعني عبد الله بن ابي
وروي في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام قام على باب فرعون سنة لا يجد رسولا يبلغ كلاما حتى خرج فجرى
له ما قص الله علينا من ذلك فكان ذلك تسلية لمن جاء بعده من المؤمنين في سيرتهم مع الظالمين وربك اعلم بالمهتدين
وقيل قال له موسى تؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين على ان لك شبابا لا تهرم الى الموت وملكا لا ينزع منك
الى الموت وينسأ في اجلك اربعمائة سنة فاذا مت دخلت الجنة فهذا القول اللين وقال ابن مسعود القول اللين
قوله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقد قيل ان القول اللين قول موسى يا فرعون
انا رسول رب العالمين فسماه بهذا الاسم لانه كان احب اليه مما قيل له كما يسمى عندنا الملك ونحوه قال المؤلف رحمه
الله القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه يقال لان الشيء يلين لينا وشيء لين ولين مخفف والجمع الينا
فاذا كان موسى امر بان يقول لفرعون قولا لينا فمن دونه احرى ان يقتدى بذلك في خطابه وامره بالمعروف في كلامه
وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا على ما تقدم في البقرة بيانه ‌ قوله تعالى لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَىٰ معناه على رجائكما وطمعكما فالتوقع فيها انما هو راجع الى جهة البشر قاله كبراء النحويين سيبويه وغيره و
قد تقدم في اول البقرة قال الزجاج لعل لفظة طمع وترج فخاطبهم بما يعقلون وقيل لعل ههنا بمعنى الاستفهام
والمعنى فانظر هل يتذكر وقيل هي بمعنى كي وقيل هو اخبار من الله تعالى عن قول هرون لموسى لعله يتذكر
او يخشى قاله الحسن وقيل ان لعل وعسى في جميع القرآن لما قد وقع وقد تذكر فرعون حين ادركه الغرق وخشي
فقال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ولكن لم ينفعه ذلك قاله ابو بكر الوراق
وغيره وقال يحيى بن معاذ في هذه الآية هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله وقد قيل
ان فرعون ركن الى قول موسى لما دعاه وشاور امرأته فآمنت واشارت عليه بالايمان فشاور هامان فقال

لا تنفعل بعد ان كنت مالكا تصير مملوكا وبعد ان كنت ربا تصير مربوبا وقال له انا اردك شابا فخضب لحيته
بالسواد وسواد لمن خضب صح ﴿قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى﴾ قال الضحاك يفرط
يعجل قال ويطغى يعتدى وقال النحاس التقدير نخاف ان يفرط علينا منه امر اى يبدر قال الفراء فرط منه امر
قال وافرط اسرف قال وفرط ترك وقراءة الجمهور يفرط بفتح الياء وضم الراء ومعناه يعجل ويبادر بعقوبتنا
يقال فرط منه امر اى بدر ومنه الفارط في الماء الذي يتقدم القوم الى الماء اى يعذبنا عذاب الفارط في
الذنب وهو المتقدم فيه قاله المبرد وقرات جماعة منهم ابن محيصن يفرط بفتح الياء والراء قال المهدوى و
لعلها لغة وعنه ايضا بضم الياء وفتح الراء ومعناها ان يحمله حامل على التسرع الينا وقرات طائفة يفرط
بضم الياء وكسر الراء وبها قرا ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن محيصن ايضا ومعناها يشتط في اذيتنا
قال الراجز قد افرط العلج علينا وعجل ﴿قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى﴾
فيه مسئلتان قال العلماء لما لحقهما ما يلحق البشر من الخوف على انفسهما عرفهما سبحانه ان
فرعون لا يصل اليهما ولا قومه وهذه الآية ترد على من قال انه لا يخاف والخوف من الاعداء سنة الله في انبيائه
واوليائه مع معرفتهم به وثقتهم ولقد احسن البصري حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله انه نزل مع اصحابه في طريق
الشام على ماء فحال الاسد بينهم وبين الماء فجاء عامر الى الماء فاخذ منه حاجته فقيل له خاطرت بنفسك فقال لئن
تختلف الاسنة في جوفي احب الي من ان يعلم الله اني اخاف شيئا سواه قد خاف من كان خيرا من عامر موسى
صلى الله عليه وسلم حين قال له ﴿ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا
يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ وقال ﴿فاصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ وقال حين القى السحرة
﴿حبالهم وعصيهم فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى﴾ قال المؤلف رحمه الله
ومنه حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول المدينة تحصينا للمسلمين واموالهم مع كونه من التوكل والثقة
بربه بمحل لم يبلغه احد ثم كان من اصحابه ما لا يجهله احد من تحولهم عن منازلهم مرة الى الحبشة ومرة الى المدينة
تخوفا على انفسهم من مشركي مكة وهربا بدينهم ان يفتنوهم عنه بتعذيبهم وقد قالت اسماء بنت عميس لعمر لما قال سبقناكم
للهجرة نحن احق برسول الله منكم كذبت يا عمر والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم
وكنا في دار او ارض البعداء البغضاء في الحبشة وذلك في الله وفي رسول الله وايم الله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا
حتى اذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن كنا نؤذى ونخاف الحديث بطوله خرجه مسلم قال العلماء والمخبر عن
نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني آدم كاذب وقد طبعهم على الهرب مما يضرها ويؤلمها او يتلفها قالوا ولا ضار اضر
من سبع عادي في فلاة من الارض على من لا آلة معها يدفع بها عن نفسه من سيف او رمح او نبل او قوس وما اشبه ذلك
قوله تعالى ﴿انني معكما﴾ يريد بالنصر والمعونة والقدرة على فرعون وهذا كما تقول الامير مع فلان اذا اردت انه يحميه
وقوله ﴿اسمع وارى﴾ عبارة عن الادراك الذي لا تخفى معه خافية تبارك الله رب العالمين ﴿فاتياه فقولا
انا رسولا ربك﴾ في الكلام حذف والمعنى فاتياه فقالا له ذلك ﴿فارسل معنا بني اسرائيل﴾ اى خل عنهم ﴿ولا تعذبهم﴾
اى بالسخرة والتعب في العمل وكانت بنو اسرائيل عند فرعون في عذاب شديد يذبح ابناءهم ويستخدم نساءهم و
يكلفهم من العمل في اللبن والطين وبناء المدائن ما لا يطيقونه ﴿قد جئناك باية من ربك﴾ قال ابن عباس
يريد العصا واليد وقيل ان فرعون قال له وما هي فادخل يده في جيب قميصه ثم اخرجها بيضاء لها شعاع مثل

شعاع الشمس غلب نورها على نور الشمس فعجب منها ولم يره العصا الى يوم الزينة ﴿والسلام على من
اتبع الهدى﴾ قال الزجاج اى من اتبع الهدى امن من سخط الله تعالى وعذابه قال وليس بتحية قال والدليل
على ذلك انه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب وقال الفراء السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سواء ﴿انا قد
اوحي الينا ان العذاب﴾ يعني الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة ﴿على من كذب﴾ انبياء الله
﴿وتولى﴾ اعرض عن الايمان وقال ابن عباس هذه ارجى آية للموحدين لانهم لم يكذبوا ولم يتولوا ﴿قال
فمن ربكما يا موسى﴾ ذكر فرعون موسى دون هارون لرؤوس الآي وقيل خصه بالذكر لانه صاحب الرسالة
والكلام وقيل انهما جميعا بلغا الرسالة وان كان ساكتا لانه في وقت الكلام انما يتكلم واحد فاذا انقطع وازره الآخر
وايده فصار لنا في هذا البناء فائدة علم ان الاثنين اذا قلدا امرا فقام به احدهما والآخر شخصه هناك موجود مستغنى
عنه في وقت دون وقت انهما اديا الامر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب لان الله تعالى قال اذهبا الى فرعون
وقال اذهب انت واخوك باياتي وقال فقولا له فامرهما جميعا بالذهاب والقول ثم اعلمنا في وقت الخطاب بقوله
فمن ربكما انه كان حاضرا مع موسى ﴿قال﴾ موسى ﴿ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه﴾ انه يعرف بصفاته وليس له اسم علم حتى
يقال فلان بل هو خالق العالم وهو الذي خص كل مخلوق بهيئة وصورة ولو كان الخطاب معهما لقالا فقالا ربنا وخلقه
اول مفعولي اعطى اى اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اى اعطى كل شيء صورته وشكله الذي
يطابق المنفعة المنوطة به على قول الضحاك على ما ياتي ﴿ثم هدى﴾ قال سعيد بن جبير وابن عباس والسدي اعطى كل شيء
زوجه من جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وعن ابن عباس ثم هداه الى الالفة والاجتماع والمناكحة
وقال الحسن وقتادة اعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه وقال مجاهد اعطى كل شيء صورة لم يجعل خلق الانسان في
خلق البهائم ولا خلق البهائم في خلق الانسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا وقال الشاعر وله في كل شيء
خلقة وكذلك الله ما شاء فعل يعني بالخلقة الصورة وهو قول عطية ومقاتل وقال الضحاك اعطى كل شيء خلقه
من المنفعة المنوطة به المطابقة له يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع
وقيل اعطى كل شيء ما الهمه من علم او صناعة وقال الفراء خلق الرجل للمراة ولكل ذكر ما يوافقه من الاناث ثم
هدى الذكر للانثى فالتقدير على هذا اعطى كل شيء مثل خلقه قال المؤلف رحمه الله وهذا معنى قول ابن عباس والآية
بعمومها تتناول جميع الاقوال وروى زائدة عن الاعمش انه قرا الذي اعطى كل شيء خلقه بفتح اللام وهي قراءة ابن
ابي اسحاق ورواها نصير عن الكسائي وغيره اى اعطى بني ادم كل شيء خلقه مما يحتاجون اليه فالقراءتان
متفقتان في المعنى ﴿قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب﴾
فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى قال فما بال البال الحال اى ما حالها وما شانها فاعلمه ان علمها عند
الله تعالى اى ان هذا من علم الغيب الذي سالت عنه وهو مما استاثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك
لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وقيل المعنى فما بال
القرون الاولى لم يقروا بذلك اى فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك وقيل انما ساله عن اعمال القرون الاولى
فاعلمه انها محصاة عند الله عز وجل ومحفوظة عنده في كتاب اى هي مكتوبة فسيجازيهم غدا بها وعليها وعني بالكتاب
اللوح المحفوظ وقيل هو كتاب مع بعض الملائكة الثانية هذه الآية ونظائرها مما تقدم وياتي تدل على تدوين العلوم
وكتبها لئلا تنسى وان الحفظ قد تعتريه الآفات من الغلط والنسيان وقد لا يحفظ الانسان ما يسمع فيقيده لئلا يذهب

عنه وروينا بالاسناد المتصل عن قتادة انه قيل له اكتب ما تسمع منك قال وما يمنعك ان تكتب وقد اخبرك
اللطيف الخبير انه يكتب فقال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي
تغلب غضبي واسند الخطيب ابو بكر عن ابي هريرة قال كان رجل من الانصار يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم
يستمع منه الحديث ويعجبه ولا يحفظه فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
اسمع منك الحديث يعجبني ولا احفظه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك واومى الى الخط
وهذا نص على جواز كتب العلم وتدوينه جمهور الصحابة والتابعين وقد امر صلى الله عليه وسلم بكتب الخطبة التي خطب بها
في الحج لابي شاه رجل من اليمن لما سأله كتبها اخرجه مسلم وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتاب وقال معاوية بن قرة من لم يكتب العلم لم يعد علمه علما وقد ذهب قوم
الى المنع من الكتب فروى ابو نضرة قال قيل لابي سعيد انكتب حديثكم هذا قال لم تجعلونه قرآنا ولكن احفظوا
كما حفظنا وممن كان لا يكتب الشعبي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء قال خالد ما كتبت شيئا قط الا حديثا واحدا
فلما حفظته محوته وابن عون والزهري وقد كان بعضهم يكتب فاذا حفظ محاه منهم محمد بن سيرين وعاصم بن ضمرة
وقال هشام بن حسان ما كتبت حديثا قط الا حديث الاعماق فلما حفظته محوته قلت وقد ذكرنا عن خالد الحذاء
مثل هذا وحديث الاعماق خرجه مسلم في آخر الكتاب لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالاعماق او بدابق الحديث
ذكره في كتاب الفتن وكان بعضهم يحفظ ثم يكتب ما يحفظ منهم الاعمش وعبد الله بن ادريس وهشيم وغيرهم وهذا
احتياط على الحفظ والكتب اولى على الجملة وبه وردت الآي والاحاديث وهو مروي عن علي وجابر وانس ومن
يليهم من كبار التابعين كالحسن وعطاء وطاووس وعروة بن الزبير ومن بعدهم من اهل العلم قال الله تعالى
وكتبنا له في الالواح من كل شيء وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وقال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الآية وقال وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر و
قال علمها عند ربي في كتاب الى غير هذا من الآي وايضا فان العلم لا يضبط الا بالكتاب ثم بالمقابلة و
المدارسة والتعهد والتحفظ والمذاكرة والسؤال والفحص عن الناقلين والثقة بما نقلوا وانما كره الكتاب
من كره من الصدر الاول لقرب العهد وتقارب الاسناد ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله او يرغب عن حفظه
والعمل به فاما والوقت متباعد والاسناد غير متقارب والطرق مختلفة والنقلة متشابهون وآفة النسيان
معترضة والوهم غير مأمون فان تقييد العلم بالكتاب اشفى واولى والدليل على وجوبه اقوى فان احتج
محتج بحديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن
فليمحه خرجه مسلم فالجواب ان ذلك كان متقدما فهو منسوخ بامره بالكتاب واباحتها لابي شاه
وغيره وايضا كان ذلك لئلا يخلط بالقرآن ما ليس منه وكذا ما روي عن ابي سعيد ايضا حرصنا ان يأذن
لنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فابى ان كان محفوظا فهو قبل الهجرة وحين كان الاشتغال به عن
القرآن الثالثة قال ابو بكر الخطيب ينبغي ان يكتب الحديث بالسواد ثم بالحبر خاصة دون المداد
لان السواد اصبغ الالوان والحبر ابقاها على مر الدهور وهو آلة ذوي العلم وعدة اهل المعرفة ذكر عبد الله
بن احمد بن حنبل حدثني ابي قال رآني الشافعي وانا في مجلسه وعلى قميصي حبر وانا اخفيه فقال لم تخفيه

وتستره ان الحبر على الثوب من المروءة لان صورته في الابصار سواد وفي البصائر بياض وقال خالد بن يزيد
الحبر في ثوب صاحب الحديث مثل الخلوق في ثوب العروس واخذ هذا المعنى ابو عبد الله البلوي فقال
مداد المحابر طيب الرجال وطيب النساء من الزعفران فهذا يليق باثواب ذا وهذا يليق بثوب الحصان
وذكر الماوردي ان عبيد الله بن سليمان فيما حكي رأى على ثوبه اثر صفرة فاخذ من مداد الدواة فطلاه به ثم
قال المداد بنا احسن من الزعفران وانشد انما الزعفران عطر العذارى ومداد الدوى عطر الرجال
قوله تعالى لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى اختلف في معناه على اقوال خمسة الاول انه ابتداء كلام تنزيه
لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد كان الكلام تم في قوله في كتاب وكذا قال الزجاج وان معنى لا يضل لا يهلك
من قوله ائذا ضللنا في الارض ولا ينسى شيئا نزهه عن الهلاك والنسيان القول الثاني لا يضل لا يخطئ
قاله ابن عباس اي لا يخطئ في التدبير فمن انظره فلحكمة انظره ومن عاجله فلحكمة عاجله القول الثالث
لا يضل لا يغيب قال ابن الاعرابي اصل الضلال الغيبوبة يقال ضل الناسي اذا غاب عنه حفظ الشيء قال
ومعنى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء القول الرابع قاله الزجاج ايضا وقال
النحاس وهو اشبهها بالمعنى اخبر الله عز وجل انه لا يحتاج الى كتاب والمعنى لا يضل عنه علم شيء من الاشياء
ولا معرفتها ولا ينسى ما علمه منها قلت المؤلف رحمه الله وهذا القول راجع الى قول ابن الاعرابي والقول الخامس
انه لا يضل ربي ولا ينسى في موضع الصفة لكتاب اي الكتاب غير ضال عن الله تعالى اي غير ذاهب عنه ولا ينسى
اي غير ناس له فهما نعتان لكتاب وعلى هذا يكون الكلام متصلا ولا يوقف على كتاب تقول العرب ضلني الشيء
اذا لم اجده واضللته انا اذا تركته في موضع فلم تجده فيه وقال الحسن وقتادة وعيسى بن عمر وابن محيصن و
عاصم الجحدري وابن كثير فيما روى شبل عنه لا يُضل بضم الياء على معنى لا يضيعه ربي ولا ينساه قال ابن
عرفة الضلالة عند العرب سلوك سبيل غير القصد يقال ضل عن الطريق واضل الشيء اذا اضاعه ومنه
قرأ من قرأ لا يضل ربي اي لا يضيع هذا مذهب العرب قوله تعالى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مِهَادًا الذي في موضع رفع نعت لربي اي لا يضل ربي الذي جعل ويجوز ان يكون خبر ابتداء مضمر اي
هو الذي ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني وقرأ الكوفيون مهدا هنا وفي الزخرف بفتح الميم واسكان الهاء
الباقون مهادا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لاتفاقهم على قراءة الم نجعل الارض مهادا قال النحاس والجمع
اولى لان مهدا مصدر وليس هذا موضع مصدر الا على حذف اي ذات مهد قال المهدوي ومن قرأ مهدا
جاز ان يكون مصدرا كالفرش اي مهد لكم الارض مهدا وجاز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ذات مهد
ومن قرأ مهادا جاز ان يكون مفردا كالفراش وجاز ان يكون جمع مهد استعمل استعمال الاسماء فكسر ومعنى
مهادا اي فراشا وقرارا تستقرون عليها وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا اي طرقا نظيره والله جعل لكم
الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا
لعلكم تهتدون وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً تقدم معناه وهذا آخر كلام موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا
وقيل كله من كلام موسى والمعنى فاخرجنا به اي بالحرث والمعالجة لان الماء المنزل سبب خروج النبات
ومعنى ازواجا ضروبا واشباها اي اصنافا من النبات المختلفة الازواج والالوان وقال الاخفش التقدير
ازواجا شتى من نبات قال وقد يكون النبات شتى فشتى يجوز ان يكون نعتا لازواج ويجوز ان يكون نعتا

شتات وشتى مأخوذ من شتّ الشيء اى تفرّق يقال امر شتّ اى متفرق وشتّ الامر شتّا وشتاتا اى تفرّق
واشتتّ مثله وكذلك التشتّت وشتّته تشتيتا فرّقه واشتّ بى قومى اى فرّقوا امرى والشتيت المتفرّق قال
رؤبة يصف ابلا جاءت معًا واطرقت شتيتا وهى تثير الساطع السختيتا وتفرّشت اى تفلج وقوم شتى
واشياء شتى وتقول جاؤا اشتاتا اى متفرقين واحدهم شتّ قاله الجوهرى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ
امر اباحة وارعوا من رعت الماشية الكلاء ورعاها صاحبها رعاية اى اسامها وسرحها لازم ومتعدى إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ اى العقول الواحد نهية قال لهم ذلك لانهم الذى ينتهى الى رأيهم وقيل لانهم
ينهون النفس عن القبائح وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون فى اثبات الصانع جوابا لقوله فمن ربكما
يا موسى وبيّن انه انما يستدل على الصانع اليوم بافعاله مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ يعنى آدم عليه السلام
لانه خلق من الارض قاله الزجاج وغيره وقيل كل نطفة مخلوقة من التراب يدل على هذا ظاهر القرآن وروى
ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وقد ذرّ عليه من تراب حفرته اخرجه
ابو نعيم الحافظ فى باب ابن سيرين وقال هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه الا من حديث ابى عاصم
النبيل وهو احد الثقات الاعلام من اهل البصرة وقد مضى هذا المعنى فى سورة الانعام عن ابن مسعود وقال
عطاء الخراسانى اذا وقعت النطفة فى الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فاخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه
فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة ومن التراب فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم
وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ وفى حديث البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد المؤمن اذا اخرج
روحه صعدت به الملائكة فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون
فلان بن فلان باحسن اسمائه الذى كانوا يسمونه بها فى الدنيا فيستفتحون لها فيفتح فيشيّعه من كل سماء
مقرّبوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة فيقول الله تعالى اكتبوا لعبدى كتابا فى عليين
واعيدوه الى الارض فانى منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فتعاد روحه فى جسده
وذكر الحديث وقد ذكرناه بكماله فى كتاب التذكرة وروى من حديث على رضى الله عنه ذكره الثعلبى ومعنى وفيها
نعيدكم اى بعد الموت وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ اى للبعث والحساب تَارَةً أُخْرَىٰ يرجع هذا الى قوله منها
خلقناكم لا الى نعيدكم وهو كقولك اشتريت ناقة ودارا وناقة اخرى فالمعنى من الارض اخرجناكم و
نخرجكم بعد الموت من الارض تارة اخرى قوله تعالى وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا اى المعجزات
الدالة على نبوة موسى وقيل حجج الله الدالة على توحيده فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ اى لم يؤمن وهذا يدل على انه
كفر عنادا لانه رأى الآيات عيانا لا خبرا نظيره وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
قوله تعالى قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ لما رأى الآيات التى اتى
بها موسى قال انها سحر والمعنى جئت لتوهم الناس انك جئت باية توجب اتباعك والايمان بك حتى
تغلب علينا وعلى ارضنا فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ اى فلنعارضنك بمثل ما جئت به ليتبين للناس ان ما اتيت
به ليس من عند الله فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا هو مصدر اى وعدا وقيل الموعد اسم لمكان الوعد كما
قال وان جهنم لموعدهم اجمعين فالموعد ههنا مكان وقيل الموعد اسم لزمان الوعد كقوله إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ
فالمعنى اجعل لنا يوما معلوما او مكانا معروفا قال القشيرى والاظهر انه مصدر ولهذا قال لَّا نُخْلِفُهُ اى لا نخلف

ذلك الوعد والاخلاف ان يعد شيئا ولا ينجزه قال الجوهرى والميعاد المواعدة والوقت والموضع وكذلك
الموعد وقرأ ابن القعقاع وشيبة والاعرج لا نخلفه بالجزم جوابا لقوله اجعل ومن رفع فهو نعت
لموعد والتقدير موعدا غير مخلف مَكَانًا سُوًى قرأ ابن عامر وحمزة وعاصم سوى بضم السين الباقون
بكسرها وهما لغتان مثل عدا وعدا وطوى وطوى واختار ابو عبيد وابو حاتم كسر السين لانها اللغة
العالية الفصيحة وقال النحاس والكسر اعرف واشهر وكلهم نوّن الواو وقد روى عن الحسن واختلف عنه
ضم السين بغير تنوين واختلف فى معناه فقيل سوى هذا المكان قاله الكلبى وقيل مكانا مستويا يتبين للناس
ما بيننا فيه قاله ابن زيد وقال ابن عباس نصفا مجاهد منصفا وعنه ايضا وقتادة عدلا بيننا وبينك وقال
النحاس واهل التفسير على ان معنى سوى نصف وعدل وهو قول حسن قال سيبويه يقال سوى وسوى
اى عدل يعنى عدلا بين المكانين فيه النصفة واصله من قولك جلس فى سواء الدار بالمد اى فى وسطها ووسط كل شىء
اعدله وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا اى عدلا وقال زهير
أرونا خطة لا ضيم فيها يسوّى بيننا فيها السواء وقال ابو عبيدة والقتبى وسطا بين الفريقين
وانشد ابو عبيدة لموسى بن جابر الحنفى وان اباناكان حلّ ببلدة سوى بين قيس قيس عيلان
والفزر والفزر سعد بن زيد بن مناة بن تميم وقال الاخفش سوى اذا كان بمعنى غير او بمعنى العدل
يكون فيه ثلاث لغات ان ضممت السين او كسرت قصرت فيهما جميعا وان فتحت مددت تقول مكان سوى و
سوى وسواء اى عدل ووسط فيما بين الفريقين وقيل مكانا سوى اى قصدا وانشد صاحب هذا القول
لو تمنت حبيبتى ما عدتنى او تمنيت ما عدوت سواها ويقول مررت برجل
سواك وسواك وسواك اى غيرك وهما فى هذا الامر سواء وان شئت سواء ان وهم سواء للجمع وهم اسواء
وهم سواسية مثل ثمانية على غير قياس وانتصب مكانا على المفعول الثانى لجعل ولا يحسن انتصابه بالموعد على انه
مفعول او ظرف له لان الموعد قد وصف والاسماء التى تعمل عمل الافعال اذا وصفت او صغرت لم ينبغ ان تعمل
لخروجها عن شبه الفعل ولم يحسن حمله على انه ظرف وقع موقع المفعول الثانى لان الموعد اذا وقع بعده ظرف لم
تجره العرب مجرى المصادر مع الظروف لكنهم يتسعون فيه كقوله تعالى إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ومَوْعِدُكُم
يَوْمُ الزِّينَةِ واختلف فى يوم الزينة فقيل هو يوم عيد كانوا يتزيّنون فيه ويجتمعون قاله قتادة والسدى
وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان يوم عاشوراء وقال سعيد بن المسيب يوم سوق كان لهم
يتزيّنون فيها وقال الضحاك يوم السبت وقيل يوم النيروز ذكره الثعلبى وقيل يوم يكسر فيه الخليج وذلك
انهم يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون وعند ذلك يأمن الديار المصرية من قبل النيل وقرأ الحسن والاعمش و
عيسى الثقفى والسلمى وهبيرة عن حفص يوم الزينة بالنصب ورويت عن ابى عمرو اى فى يوم الزينة انجاز موعدنا
الباقون بالرفع على انه خبر الابتداء وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى اى وجمع الناس وان فى موضع رفع على قراءة
من قرأ يوم بالرفع وعطف وان يحشر يقوى قراءة الرفع لان ان لا يكون ظرفا وان كان المصدر الصريح يكون
ظرفا كمقدم الحاج لان من قال آتيك مقدم الحاج لم يقل آتيك ان يقدم الحاج قال النحاس واولى من هذا
ان يكون فى موضع خفض عطفا على الزينة والضحى مؤنثة تصغرها العرب بغير هاء لئلا يشبه تصغيرها تصغير ضحوة
قاله النحاس وقال الجوهرى ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة

يذكر ويونث فمن انث ذهب الى الجماعة وهي الضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل مثل صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن
مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى اذا اردت به ضحى يومك لم تنونه ثم بعده الضحى ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار
الاعلى وخص الضحى لانه اول النهار فلو امتد الامر فيما بينهم كان في النهار متسع وروي عن ابن مسعود والجحدري
غيرهما وان يحشر الناس ضحى على معنى وان يحشر الله الناس ونحوه وعن بعض القراء وان تحشر الناس والمعنى وان
تحشر انت يا فرعون الناس وعن الجحدري ايضا وان نحشر بالنون وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور
دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في الحق ويكل حد المبطلين
واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر فتولى
فرعون فجمع كيده اي حيله وسحره والمراد جمع السحرة قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم
حبال وعصي وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثني عشر الفا وقيل اربعة عشر الفا وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين
الفا وقيل كانوا مجتمعين على رئيس لهم يقال له شمعون وقيل كان اسمه يوحنا معه اثنا عشر نقيبا مع كل
نقيب عشرون عريفا مع كل عريف الف ساحر وقيل كانوا ثلثمائة الف ساحر من الفيوم وثلثمائة الف ساحر
من الصعيد وثلثمائة الف ساحر من الريف فصاروا تسعمائة الف وكان رئيسهم اعمى ثم اتى اي اتى الميعاد
قال لهم موسى اي قال لفرعون والسحرة ويلكم دعاء عليهم بالويل وهو بمعنى المصدر وقال
ابو اسحق الزجاج هو منصوب بمعنى الزمهم الله ويلا قال ويجوز ان يكون نداء كقوله يا ويلنا من بعثنا
لا تفتروا على الله كذبا اي لا تختلقوا عليه الكذب ولا تشركوا به ولا تقولوا للمعجزات انها سحر
فيسحتكم بعذاب من عنده اي يستأصلكم بالاهلاك يقال فيه سحت واسحت بمعنى واصله من — الباقون فيسحتكم من سحت صح
استقصاء الشعر وقرأ الكوفيون فيسحتكم من اسحت وهذه لغة اهل نجد وبني تميم والنصب على جواب النهي
وقال الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف قال الزمخشري
وهذا بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه وقد خاب من افترى اي خسر وهلك وخاب من
الرحمة والثواب من ادعى على الله ما لم يأذن فيه فتنازعوا امرهم بينهم
اي تشاوروا يريد السحرة واسروا النجوى قال قتادة قالوا ان كان ما جاء به سحرا فسنغلبه
وان كان من عند الله فسيكون له امر فهذا الذي اسروه وقيل الذي اسروا قولهم ان غلبنا اتبعناه — ان هذان لساحران الآيات قاله السدي ومقاتل وقيل الذي اسروا قولهم صح
قاله الكلبي دليله ما ظهر من عاقبة امرهم وقيل كان سرهم ان قالوا حين قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا ما هذا بقول ساحر والنجوى المناجاة تكون اسما ومصدرا وقد تقدم في النساء بيانه قوله تعالى
ان هذان لساحران قرأ ابو عمرو ان هذين لساحران ورويت عن عثمان وعائشة وغيرهما
من الصحابة وكذلك قرأ الحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي وغيرهما من التابعين ومن القراء
عيسى بن عمر والجحدري فيما ذكر النحاس وهذه القراءة موافقة للاعراب مخالفة للمصحف وقرأ الزهري
والخليل بن احمد والمفضل وابان وابن محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه ان هذان
بتخفيف ان لساحران وابن كثير يشدد نون هذان وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن
فساد الاعراب ويكون معناها ما هذان الا ساحران وقرأ المدنيون والكوفيون ان هذان بتشديد ان لساحران
فوافقوا المصحف وخالفوا الاعراب قال النحاس فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة عن الائمة وروي

عن عبد الله بن مسعود انه قرأ ان هذان الا ساحران بغير اللام وقال الكسائي في قراءة عبد الله ان
هذان ساحران بغير لام وقال الفراء في حرف ابي ان ذان الا ساحران فهذه ثلاث قراءات اخرى تحمل
على التفسير لا انها جائز ان يقرأ بها لمخالفتها المصحف قال المؤلف رحمه الله وللعلماء في قراءة اهل المدينة والكوفة
ستة اقوال ذكرها ابن الانباري في آخر كتاب الرد له والنحاس في اعرابه والمهدوي في تفسيره وغيرهم دخل كلام
بعضهم في بعض وقد خطأها قوم حتى قال ابو عمرو اني لاستحيي من الله ان اقرأ ان هذان وروى عروة عن
عائشة انها سئلت عن قوله تعالى لكن الراسخون في العلم ثم قال والمقيمين وفي المائدة ان الذين آمنوا والذين
هادوا والصابئون وان هذان لساحران فقالت يا ابن اختي هذا خطأ من الكاتب وقال عثمان بن عفان
رضي الله عنه في المصحف لحن وستقيمه العرب بالسنتهم وقال ابان بن عثمان قرأت هذه الآية عند ابي
عثمان بن عفان فقال لحن وخطأ فقال له قائل الا تغيروه فقال دعوه فانه لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما القول
الاول من الستة انها لغة بني الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة بن زيد يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه
بالالف يقولون جاء الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان ومنه قوله تعالى ولا ادراكم به على ما تقدم وانشد
الفراء لرجل من بني اسد قال وما رأيت افصح منه فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما
ويقولون كسرت يداه وركبت علاه بمعنى يديه وعليه قال شاعرهم تزود منا بين اذناه ضربة دعته الى
هابي التراب عقيم وقال آخر اي قلوص راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها اي عليهن وعليها
وقال آخر ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها اي ان اباها وغايتيها قال النحاس وهذا
القول من احسن ما حملت عليه هذه الآية اذ كانت هذه اللغة معروفة وقد حكاها من يرتضى علمه وامانته منهم
ابو زيد الانصاري وهو الذي يقول اذا قال سيبويه حدثني من اثق به فانما يعنيني وابو الخطاب الاخفش وهو
رئيس من رؤساء اللغة والكسائي والفراء كلهم قالوا هذا على لغة بني الحارث بن كعب وحكى ابو عبيدة عن ابي الخطاب
ان هذه لغة بني كنانة قال المهدوي وحكى غيره انها لغة لخثعم قال النحاس ومن ابين ما في هذا قول سيبويه
واعلم انك اذا ثنيت الواحد زدت عليه زائدتين الاولى منهما حرف مد ولين وهو حرف الاعراب قال ابو جعفر
فقول سيبويه وهو حرف الاعراب يوجب ان الاصل الا يتغير فيكون ان هذان جاء على اصله ليعلم ذلك وقد قال تعالى
استحوذ عليهم الشيطان ولم يقل استحاذ فجاء هذا ليدل على الاصل وكذلك ان هذان ولا يفكر في انكار من انكر
هذه اللغة اذ كان الائمة قد رووها القول الثاني ان يكون ان بمعنى نعم كما حكى الكسائي عن عاصم قال العرب تأتي بان
بمعنى نعم وحكى سيبويه ان ان تأتي بمعنى اجل والى هذا القول كان محمد بن يزيد واسمعيل بن اسحاق القاضي يذهبان
قال النحاس ورأيت ابا اسحاق الزجاج وعلي بن سليمان يذهبان اليه قال الزمخشري وقد اعجب به ابو اسحق
النحاس وحدثنا علي بن سليمان قال حدثنا عبد الله بن احمد بن عبد السلام النيسابوري ثم لقيت عبد الله بن احمد
فحدثني قال حدثني عمير بن المتوكل قال حدثنا محمد بن موسى النوفلي من ولد حارث بن عبد المطلب قال حدثنا عمر بن
جميع الكوفي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي وهو ابن الحسين عن ابيه عن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين
قال لا احصي كم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره ان الحمد لله نحمده ونستعينه ثم يقول انا افصح قريش
كلها وافصحها بعدي ابان بن سعيد بن العاص قال ابو محمد الخفاف قال عمير اعرابه عند اهل العربية والنحو ان الحمد لله
بالنصب الا ان العرب تجعل ان في معنى نعم كأنه اراد نعم الحمد لله وذلك ان خطباء الجاهلية كانت تفتتح في خطبها بنعم

وقال الشاعر في معنى نعم — قالوا غدرت فقلت إنّ وربّما — نال العلى وشفى الغليل الغادر — وقال
عبيد الله بن قيس الرقيات — بكر العواذل في الصباح يلمنني وألومهنّه — ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت
فقلت إنّه — فعلى هذا جائز أن يكون قول الله عز وجل إنّ هذان لساحران بمعنى نعم ولا تنصب قال النحاس
أنشدني داود بن الهيثم قال أنشدني ثعلب — ليت شعري هل للمحب شفاء — من جوى حبهن إنّ اللقاء — قال
النحاس وهذا قول حسن إلا أن فيه شيئًا لأنه إنما يقال نعم زيد خارج ولا تكاد تقع اللام ههنا وإن كان النحويين
قد تكلموا في ذلك فقالوا اللام ينوى بها التقديم كما قال — خالي لأنت ومن جرير خاله — ينل العلاء ويكرم الأخوالا
آخر — أم الحليس لعجوز شهربه — ترضى من الشاة بعظم الرقبه — أي لخالي ولأم الحليس قال الزجاج
المعنى في الآية إن هذان لهما ساحران ثم حذف المبتدأ قال المهدوي وأنكره أبو علي وأبو الفتح بن جني قال
أبو الفتح هما المحذوف لم يحذف إلا بعد أن عرف وإذا كان معروفًا فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام ويقبح أن تحذف
المؤكد ويترك المؤكد القول الثالث قاله الفراء أيضًا قال وجدت الألف دعامة ليست بلام الفعل فزدت عليها نونًا
ولم أغيرها كما قلت الذي ثم زدت عليه نونًا فقلت جاءني الذين عندك ورأيت الذين عندك ومررت بالذين عندك
القول الرابع قاله بعض الكوفيين قال الألف في هذا مشبهة بالألف في يفعلان فلم تغير القول الخامس قال أبو إسحاق
النحويون القدماء يقولون الهاء ههنا مضمرة والمعنى إنه هذان لساحران قال ابن الأنباري فأضمرت الهاء التي هي
منصوب إنّ وهذان خبران وساحران يرفعهما هما المضمر إنه هذان لهما ساحران والأشبه عند أصحاب هذا الجواب
أن الهاء اسم إنّ وهذان رفع بالابتداء وما بعده خبر الابتداء القول السادس قال أبو جعفر النحاس وسألت أبا الحسن
بن كيسان عن هذه الآية فقال إن شئت أجبتك بجواب النحويين وإن شئت أجبتك بقولي فقلت بقولك فقال
سألني إسماعيل بن إسحاق عنها فقلت القول عندي أنه لما كان يقال هذا في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة
وكانت التثنية يجب أن لا يغير لها الواحد أجريت التثنية مجرى الواحد فقال ما أحسن هذا لو تقدمك أحد بالقول به قال ابن
كيسان فقلت له فيقول القاضي به حتى يؤنس به فتبسم — يريدان أن يخرجاكم من أرضكم
بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى — هذا من قول فرعون للسحرة أي غرضهما إفساد دينكم الذي أنتم
عليه كما قال فرعون إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ويقال فلان حسن الطريقة أي حسن
المذهب وقيل طريقة القوم أفضل القوم وهو الذي ينبغي أن يسلكوا طريقته ويقتدوا به فالمعنى فيذهبا بسادتكم ورؤسائكم
استمالة لهم أو يذهبا ببني إسرائيل وهم الأماثل وإن كانوا خولا لكم لما يرجعون إليه من الانتساب إلى الأنبياء أو يذهبا
بأهل طريقتكم فحذف المضاف والمثلى تأنيث الأمثل كما يقال الأفضل والفضلى وأنث الطريقة على اللفظ وإن كان يراد بها
الرجال ويجوز أن يكون التأنيث على الجماعة قال الكسائي بطريقتكم المثلى بسنتكم وسمتكم والمثلى نعت كقولك امرأة كبرى
تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم — قوله تعالى — فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا
الإجماع الإحكام والعزم على الشيء تقول أجمعت الخروج وعلى الخروج أي عزمت وقراءة كل الأمصار فأجمعوا إلا أبا عمرو فإنه
قرأ فاجمعوا بالوصل وفتح الميم واحتج بقوله تعالى فجمع كيده ثم أتى قال النحاس وفيما حكى لي عن محمد بن يزيد أنه قال يجب على
أبي عمرو أن يقرأ بخلاف هذه وهي القراءة التي عليها أكثر الناس قال لأنه احتج بجمع وقوله جل وعز فجمع كيده قد ثبت
فيبعد أن يكون بعده فاجمعوا ويقرب أن يكون بعده فأجمعوا أي اعزموا وجدوا ولما تقدم ذلك وجب أن يكون بخلاف معناه
يقال أمر مجمع ومجمع عليه قال النحاس ويصح قراءة أبي عمرو فاجمعوا أي اجمعوا كل كيدكم وكل حيلة فضموه مع أخيه وقال

أبو إسحاق الثعلبي والقراءة بقطع الألف وكسر الميم لها وجهان أحدهما بمعنى الجمع تقول أجمعت الشيء وجمعته
بمعنى واحد وفي الصحاح وأجمعت الشيء جعلته جميعًا قال أبو ذؤيب يصف حمرا — فكأنها بالجزع بين نبايع
وأولات ذي العرجاء نهب مجمع — أي مجموع وأولات ذي العرجاء موضع نسبها إلى مكان فيه أكمة عرجاء فشبه الحمر
بإبل انتهبت والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا قاله الجوهري والثاني أنه بمعنى العزم والإحكام قال الشاعر
ليت شعري والمنى لا تنفع — هل أغدون يومًا وأمري مجمع — أي محكم — ثم ائتوا صفا — قال مقاتل والكلبي
جميعًا وقيل صفوفًا ليكون أشد لهيبتكم وهو منصوب بوقوع الفعل عليه على قول أبي عبيدة قال يقال أتيت
الصف يعني المصلى فالمعنى عنده ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه يوم العيد وحكي عن بعض فصحاء العرب ما قدرت
أن آتي الصف أي المصلى وقال الزجاج يجوز أن يكون المعنى ثم ائتوا والناس مصطفون فيكون على هذا مصدرًا
في موضع الحال ولذلك لم يجمع وقرئ ثم ايتوا بكسر الميم وياء ومن ترك الهمزة أبدل من الهمزة ألفا — وقد أفلح اليوم
من استعلى — أي من غلب وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض وقيل من قول فرعون لهم — قوله تعالى —
قالوا يا موسى — يريد السحرة — إما أن تلقي — عصاك من يدك — وإما أن نكون أول من ألقى — تأدبوا
مع موسى فكان ذلك سبب إيمانهم — قال بل ألقوا فإذا حبالهم — في الكلام حذف أي فألقوا دل عليه
المعنى وقرأ الحسن وعصيهم بضم العين قال هارون القاري لغة بني تميم وعصيهم وبها أخذ الحسن
الباقون بالكسر اتباعًا لكسرة الصاد ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي — يخيل إليه من سحرهم أنها
تسعى — وقرأ ابن عباس وأبو حيوة وابن ذكوان وروح عن يعقوب تخيل بالتاء ردوه إلى العصي والحبال
إذ هي مؤنثة وذلك أنهم لطخوا العصا بالزئبق فلما أصابها حر الشمس ارتهشت واهتزت قال الكسائي خيل إلى
موسى أن الأرض حيات وأنها تسعى على بطنها وقرئ تخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ومن قرأ يخيل
بالياء رده إلى الكيد وقرئ نخيل بالنون على أن الله هو المخيل للمحنة والابتلاء وقيل الفاعل أنها تسعى فأن
في موضع رفع أي يخيل إليه سعيها قاله الزجاج وزعم الفراء أن موضعها موضع نصب أي بأنها ثم حذف الباء
والمعنى في الوجه الأول تشبه إليه من سحرهم وكيدهم حتى ظن أنها تسعى قال الزجاج ومن قرأ بالتاء جعل
أن في موضع نصب أي تخيل إليه ذات سعي قال ويجوز أن تكون في موضع رفع بدلا من الضمير في تخيل وهو عائد على
الحبال والعصي والبدل فيه بدل اشتمال وتسعى معناه تمشي — قوله تعالى — فأوجس في نفسه خيفة
موسى — أي أضمر وقيل وجد وقيل أحس أي من الحيات وذلك على ما يعرض من طباع البشر على ما تقدم وقيل خاف
أن يفتتن الناس قبل أن يلقي عصاه وقيل خاف حين أبطأ عليه الوحي بإلقاء العصا أن يفترق الناس قبل ذلك
فيفتتنوا وقال بعض أهل الحقائق إنما كان السبب أن موسى عليه السلام لما التقى بالسحرة وقال لهم ويلكم لا تفتروا
على الله كذبا فيسحتكم بعذاب التفت فإذا جبريل عن يمينه فقال له يا موسى ترفق بأولياء الله فقال موسى يا جبريل
هؤلاء سحرة جاؤوا بسحر عظيم ليبطلوا المعجزة وينصروا دين فرعون ويردوا دين الله تقول ترفق بأولياء الله فقال
جبريل هم من الساعة إلى صلاة العصر عندك وبعد صلاة العصر في الجنة فلما قال له ذلك أوجس في نفس موسى و
خطر أن ما يدريني ما علم الله في فلعلي أكون الآن في حالة وعلم الله في على خلافها كما كان هؤلاء فلما علم الله ما في قلبه
أوحى إليه لا تخف إنك أنت الأعلى أي الغالب لهم في الدنيا وفي الدرجات العلى في الجنة بالنبوة والاصطفاء
الذي آتاك الله به وأصل خيفة خوفة فانقلبت الواو ياء لانكسار الخاء — قوله تعالى — وألق ما في يمينك

تلقف ما صنعوا ولم يقل والق عصاك فجائز ان يكون تصغيرا لها اى لا تبال بكثرة حبالهم
وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله تتلقفها على وحدته
وكثرتها وصغره وعظمها وجائز ان يكون تعظيما لها اى لا تحتفل بهذه الاجرام الكثيرة الكبيرة فان في
يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عندها فالقه تتلقفها باذن الله وتمحقها
وتلقف بالجزم جواب الامر كانه قال ان تلقه تتلقف اى تاخذ وتبلع وقرا السلمي وحفص تلقف
ساكنة اللام من لقف يلقف لقفا وقرا ابن ذكوان وابو حيوة الشامي ويحيى بن الحارث تلقف بحذف التاء
ورفع الفاء على معنى فانها تتلقف والخطاب لموسى وقيل للعصا واللقف الاخذ بسرعة يقال لقفت الشيء بالكسر
القفه لقفا وتلقفته ايضا اى تناولته بسرعة عن يعقوب يقال رجل لقف ثقف اى خفيف حاذق و
اللقف بالتحريك سقوط الحائط وقد لقف الحوض لقفا اى تهور من اسفله واتسع ويلقف ويلقم ويلهم
بمعنى وقد مضى في الاعراف لقمت اللقمة بالكسر لقما وتلقمتها اذا ابتلعتها في مهل وكذلك لهمته بالكسر
اذا ابتلعته ما صنعوا اى الذي صنعوه وكذا انما صنعوا اى ان الذي صنعوه كيد بالرفع سحر بكسر
السين واسكان الحاء وهي قراءة الكوفيين الا عاصما وفيه وجهان ان يكون الكيد مضافا الى السحر على الاتساع
من غير تقدير حذف والثاني ان يكون في الكلام حذف اى كيد ذي سحر وقرا الباقون كيد بالنصب لوقوع الصنع
عليه وما كافة ولا تضمر ها ساحر بالاضافة والكيد في الحقيقة على هذه القراءة مضاف للساحر لا للسحر ويجوز فتح
ان على معنى لان ما صنعوه كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اى لا يفوز ولا ينجو حيث اتى من الارض وقيل حيث
احتال وقد مضى في البقرة حكم الساحر ومعنى السحر فتامله هناك فالقي السحرة سجدا
لما راوا من عظيم الامر وخرق العادة في العصا فانها ابتلعت جميع ما احتالوا به من الحبال والعصي وكانت حمل
ثلثمائة بعير ثم عادت عصا لا يعلم احد اين ذهبت الحبال والعصي الا الله عز وجل وقد مضى في الاعراف هذا
المعنى وامر العصي مستوفى قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له اى به يقال آمن له وآمن به
ومنه فآمن له لوط وفي الاعراف آمنتم به قبل ان آذن لكم انكار منه عليهم اى تعديتم وفعلتم ما لم آمركم به انه
لكبيركم الذي علمكم السحر اى رئيسكم في التعليم وانما غلبكم لانه احذق به منكم وانما اراد فرعون بقوله هذا ليشبه
على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كايمانهم والا فقد علم فرعون انهم لم يتعلموا من موسى بل قد علموا السحر قبل قدوم
موسى وولادته فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل
اى على جذوع النخل قال سويد بن ابي كاهل هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان الا باجدعا
فقطع وصلب حتى مات رحمهم الله وقرا ابن محيصن هنا وفي الاعراف فلاقطعن ولاصلبنكم بفتح الالف
والتخفيف من قطع وصلب ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انا ام رب موسى قالوا
اى السحرة لن نؤثرك اى لن نختارك على ما جاءنا من البينات قال ابن عباس يريد من اليقين
والعلم وقال عكرمة وغيره لما سجدوا اراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنة فلهذا قالوا لن نؤثرك
وكانت امراة فرعون تسال من غلب فقيل لها غلب موسى وهرون فقالت آمنت برب موسى وهرون
فارسل اليها فرعون فقال انظروا اعظم صخرة فان مضت على قولها فالقوها عليها فلما اتوها رفعت بصرها
الى السماء فابصرت منزلها في الجنة فمضت على قولها فانتزعت روحها والقيت الصخرة على جسدها وليس فيها

روح وقيل قال مقدم السحرة لمن يثق به لما راى من عصا موسى ما راى انظر الى هذه الحية هل تخوفت
فتكون جنيا او لم تتخوف فهي من صنعة الصانع الذي لا يعزب عليه مصنوع فقال ما تخوفت فقال آمنت برب
هرون وموسى والذي فطرنا قيل هو معطوف على ما جاءنا من البينات اى لن نؤثرك على ما جاءنا من
البينات ولا على الذي فطرنا اى خلقنا وقيل هو قسم اى والله لن نؤثرك فاقض ما انت قاض
التقدير ما انت قاضيه وليست ما هنا التي تكون مع الفعل بمنزلة المصدر لان تلك توصل بالافعال وهذه
موصولة بابتداء وخبر قال ابن عباس فاصنع ما انت صانع وقيل فاحكم ما انت حاكم اى من القطع والصلب و
حذفت الياء من قاض في الوصل لسكونها وسكون التنوين واختار سيبويه اثباتها في الوقف لانه قد زال علة
التقاء الساكنين انما تقضي هذه الحيوة الدنيا اى انما ينفذ امرك فيها وهي منصوبة على
الظرف والمعنى انما تقضي في متاع هذه الحياة الدنيا او وقت هذه الحياة الدنيا فتقدر حذف المفعول و
يجوز ان يكون التقدير انما تقضي امور هذه الحيوة الدنيا فتنتصب انتصاب المفعول وما كافة لان واجاز الفراء
الرفع على ان تجعل ما بمعنى الذي وتحذف الهاء من تقضي ورفعت هذه الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا اى صدقنا بالله
وحده لا شريك له وما جاءنا به موسى ليغفر لنا خطايانا يريد الشرك الذي كانوا عليه وما اكرهتنا
عليه من السحر ما في موضع نصب معطوفة على الخطايا وقيل لا موضع لها وهي نافية اى ليغفر لنا خطايانا
من السحر وما اكرهتنا عليه قال النحاس والاول اولى وقال المهدوي وفيه بعد لقولهم ائن لنا لاجرا ان
كنا نحن الغالبين وليس هذا بقول مكرهين ولان الاكراه ليس بذنب وان كان يجوز ان يكونوا اكرهوا على
تعلمه صغارا قال الحسن كانوا يعلمون السحر اطفالا ثم عملوه مختارين بعد ويجوز ان تكون ما في موضع رفع بالابتداء
ويضمر الخبر والتقدير وما اكرهتنا عليه من السحر موضوع عنا ومن السحر على هذا القول وعلى القول الاول تتعلق
باكرهتنا وعلى ان ما نافية تتعلق بخطايانا والله خير وابقى اى ثوابه خير وابقى فحذف المضاف قاله ابن
عباس وقيل الله خير لنا منك وابقى عذابا لنا من عذابك لنا وهو جواب قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا و
ابقى وقيل الله خير لنا ان اطعناه وابقى عذابا منك ان عصيناه قوله تعالى انه من يات ربه
مجرما قيل هو من قول السحرة لما آمنوا وقيل ابتداء كلام من الله عز وجل والكناية في انه ترجع الى الامر والشان
ويجوز ان من يات ومنه قول الشاعر ان من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جاذرا وظباء اراد انه
من يدخل اى ان الامر هذا وهو ان المجرم يدخل النار والمؤمن يدخل الجنة والمجرم الكافر وقيل الذي
يقترف المعاصي ويكتسبها والاول اشبه لقوله فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وهذه صفة الكافر المكذب
الجاحد على ما تقدم بيانه في سورة النساء وغيرها فلا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته قال الشاعر الا من لنفس
لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لها طعم وقيل نفس الكافر معلقة في حنجرته كما اخبر الله تعالى عنه
فلا يموت بفراقها ولا يحيى باستقرارها ومعنى من يات ربه مجرما من يات موعد ربه ومعنى من ياته مؤمنا
اى يمت عليه ويوافه مصدقا قد عمل اى وقد عمل الصالحات اى الطاعات وما امر به ونهى عنه فاولئك لهم
الدرجات العلى اى الرفيعة التي قصرت دونها الصفات ودل قوله مؤمنا على ان المراد بالمجرم المشرك
قوله تعالى جنات عدن بيان للدرجات وبدل منها والعدن الاقامة وقد تقدم بيانه تجري من
تحتها اى من تحت غرفها وسررها الانهار من الخمر والعسل واللبن والماء وقد تقدم خالدين فيها اى ماكثين

دا يبس وذلك جزاء من تزكى اى من تطهر من الكفر والمعاصي ومن قال هذا من قول السحرة قال لعل السحرة
سمعوه من موسى او بني اسرائيل اى كان فيهم بمصر اقوام وكان فيهم ايضا المؤمن من آل فرعون قال المؤلف رحمه
الله ويحتمل ان يكون ذلك الهاما من الله لهم انطقهم بذلك لما آمنوا والله اعلم ولقد اوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي تقدم الكلام في هذا مستوفى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اى يابسا
لا طين فيه ولا ماء وقد مضى في البقرة ضرب موسى البحر وكنيته اياه واغراق فرعون فلا معنى للاعادة
لا تخاف دركا اى لحاقا من فرعون وجنوده ولا تخشى قال ابن جريج قال اصحاب موسى له هذا فرعون قد ادركنا
وهذا البحر قد غشينا فانزل الله تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى اى لا تخاف دركا من فرعون ولا تخشى غرقا من البحر
ان غشيك وقرا حمزة لا تخف على انه جواب الامر التقدير ان تضرب لهم طريقا في البحر لا تخف ولا تخشى مستانف
على تقدير ولا انت تخشى او يكون مجزوما والالف مشبعة من فتحة كقوله فاضلونا السبيلا او يكون على حد قول الشاعر
كأن لم ترى قبلي اسيرا يمانيا على تقدير حذف الحركة كما تحذف حركة الصحيح وهذا مذهب الفراء وقال آخر
هجوت زبان ثم جئت معتذرا من هجو زبان لم تهجو ولم تدع وقال آخر الم ياتيك والانباء تنمي بما لاقت
لبون بني زياد قال النحاس وهذا من اقبح الغلط ان يحمل كتاب الله تعالى على الشذوذ من الشعر وايضا فان
الذي جاء به من الشعر لا يشبه من الآية شيئا لان الياء والواو مخالفتان للالف لانهما يتحركان والالف لا تتحرك
وللشاعر اذا اضطر ان يقدرهما متحركتين ثم تحذف الحركة للجزم وهذا محال في الالف والقراءة الاولى ابين لان
بعده ولا تخشى مجمع عليه بلا جزم وفيها ثلاث تقديرات الاول ان يكون لا تخاف في موضع الحال من المخاطب التقدير
فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا غير خائف ولا خاش الثاني ان يكون في موضع النعت للطريق لانه معطوف على يبس
الذي هو صفة ويكون التقدير لا تخاف فيه فحذف الراجع من الصفة والثالث ان يكون منقطعا خبر ابتداء
محذوف تقديره وانت لا تخاف قوله تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده اى اتبعه ومعه جنوده
وقرئ فاتّبعهم بالتشديد فتكون الباء في بجنوده عدّت الفعل الى المفعول الثاني لان اتبع يتعدى الى مفعول
واحد اى تبعهم ليلحقهم بجنوده اى مع جنوده كما يقال ركب الامير بسيفه اى مع سيفه ومن قطع فاتبع يتعدى الى مفعولين
فيجوز ان تكون الباء زائدة ويجوز ان يكون اقتصر على مفعول واحد يقال تبعه واتبعه ولحقه والحقه بمعنى واحد وقوله
بجنوده في موضع الحال كانه قال فاتبعهم سائقا جنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اى اصابهم من البحر ما غرقهم
وكرر على معنى التعظيم والمعرفة بالامر وأضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم عن الرشد وما هداهم الى
خير ولا نجاة لانه قدر ان موسى عليه السلام ومن معه لا يفوتونه لان بين ايديهم البحر فلما ضرب موسى البحر بعصاه انفلق
منه اثنا عشر طريقا وبين الطرق الماء قائما كالجبال وفي سورة الشعراء فكان كل فرق كالطود العظيم اى الجبل الكبير فاخذ
كل سبط طريقا واوحى الله الى اطواد الماء ان تشبكي فصارت شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض وكان
هذا من اعظم المعجزات واكبر الآيات فلما اقبل فرعون وراى الطرق في البحر والماء قائما اوهمهم ان البحر فعل هذا لهيبته
فدخل هو واصحابه فانطبق البحر عليهم وقيل ان قوله وما هدى تاكيد لاضلاله اياهم وقيل هو جواب قول فرعون ما
اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فكذبه الله تعالى وقال ابن عباس وما هدى اى ما هدى نفسه بل اهلك
نفسه وقومه قوله تعالى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم لما انجاهم من فرعون قال
لهم هذا ليشكروا وواعدناكم جانب الطور الايمن جانب نصب على المفعول الثاني لواعدنا ولا يحسن

ان ينتصب على الظرف لانه ظرف مكان محض غير مبهم وانما تتعدى الافعال والمصادر الى ظروف المكان بغير حرف جر اذا
كانت مبهمة قال مكي هذا اصل لا خلاف فيه وتقدير الاية وواعدناكم اتيان جانب الطور ثم حذف المضاف قال
النحاس اى امرنا موسى ان يامركم بالخروج معه ليكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام وقيل وعد موسى بعد اغراق فرعون
ان ياتي جانب الطور الايمن فيؤتيه التوراة فالوعد كان لموسى ولكن خوطبوا به لان الوعد كان لاجلهم وقرا ابو عمرو
ووعدناكم بغير الف واختاره ابو عبيد لان الوعد انما هو من الله تعالى لموسى خاصة والمواعدة لا تكون الا من اثنين
وقد مضى في البقرة هذا المعنى والايمن نصب لانه نعت للجانب وليس للجبل يمين ولا شمال فاذا قيل خذ عن يمين الجبل
فمعناه خذ على يمينك من الجبل وكان الجبل على يمين موسى اذ اتاه ونزلنا عليكم المن والسلوى اى
في التيه وقد تقدم القول فيه كلوا من طيبات ما رزقناكم اى من لذيذ الرزق وقيل من حلاله اذ لا صنع
فيه لآدمي فتدخله شبهة ولا تطغوا فيه اى لا تحملكم السعة والعافية ان تعصوا لان الطغيان التجاوز الى ما
لا يجوز وقيل المعنى اى لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر النعم ولا شكر المنعم بها عليكم وقيل اى ولا تستبدلوا بها شيئا
آخر كما قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقيل لا تدخروا منه لاكثر من يوم وليلة قال ابن عباس
فيتدود عليهم ما ادخروه ولولا ذلك ما تدود طعام ابدا فيحل عليكم غضبي اى يجب وينزل وهو منصوب
بالفاء في جواب النهي من قوله ولا تطغوا ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى قرا الاعمش ويحيى بن وثاب و
الكسائي فيحل بضم الحاء ومن يحلل بضم اللام الاولى الباقون بالكسر وهما لغتان وحكى ابو عبيدة وغيره
انه يقال حلّ يحِلّ اذا وجب وحلّ يحُلّ اذا نزل وكذا قال الفراء الضم من الحلول بمعنى الوقوع والكسر من الوجوب و
المعنيان متقاربان الا ان الكسر اولى لانهم قد اجمعوا على قوله ويحل عليه عذاب مقيم وغضب الله عقابه ونقمته وعذابه
فقد هوى قال الزجاج فقد هلك اى صار الى الهاوية وهي قعر النار من هوى يهوي هويا اى سقط من علو الى سفل
وهوى فلان اى مات وذكر ابن المبارك اخبرنا اسمعيل بن عياش قال حدثنا ثعلبة بن مسلم عن ايوب بن بشير
عن شفي الاصبحي قال ان في جهنم جبلا يدعى صعودا يطلع الكافر فيه اربعين خريفا قبل ان يرقاه قال الله
تعالى سارهقه صعودا وان في جهنم قصرا يقال له هواء يرمى الكافر من اعلاه فيهوي اربعين خريفا قبل ان يبلغ
اصله قال الله تعالى ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وذكر الحديث وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى
واني لغفار لمن تاب اى من الشرك وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اى اقام على ايمانه حتى مات عليه
قاله سفيان الثوري وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس اى لم يشك في ايمانه ذكره الماوردي والمهدوي وقال ابن عباس
ايضا وسهل بن عبد الله التستري اقام على السنة والجماعة ذكره الثعلبي وقال انس اخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم
ذكره المهدوي وحكاه الماوردي عن الربيع بن انس وقول خامس اصاب العمل قاله ابن زيد وعنه ايضا تعلم العلم ليهتدي
كيف يفعل ذكر الاول المهدوي والثاني الثعلبي وقال الشعبي ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا وعليه عقابا وقاله
الفراء وقول ثامن ثم اهتدى في ولاية اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قاله ثابت البناني والقول الاول احسن هذه
الاقوال والله يرجح سائرها قال وكيع عن سفيان كنا نسمع في قوله عز وجل واني لغفار لمن تاب اى من الشرك وآمن اى
بعد الشرك وعمل صالحا صلى وصام ثم اهتدى اى مات على ذلك قوله تعالى وما اعجلك عن
قومك يا موسى اى ما حملك على ان تسبقهم قيل عنى بالقوم جميع بني اسرائيل فعلى هذا قيل استخلف هرون
على بني اسرائيل وخرج معه سبعين رجلا للميقات فقوله هم اولاء على اثري ليس يريد انهم يسيرون خلفه

يتوجهون اليه بل اراد انهم بالقرب ينتظرون عودي اليهم وقيل لا بل كان امرها بان تتبع في بني اسرائيل اثري ويلحقوا به وقال قوم اراد بالقوم السبعين الذين اختارهم وكان موسى لما قرب من الطور سبقهم شوقا الى كلام الله وقيل لما وفد الى طور سينا بالوفد اشتاق الى ربه وطالت عليه المسافة من شدة الشوق الى الله تعالى فضاق به الامر حتى شق قميصه ثم لم يصبر حتى خلفهم ومضى وحده فلما وقف في مقامه قال الله تبارك وتعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى فبقي صلى الله عليه وسلم متحيرا عن الجواب لهذه الكلمة لما استقبله من صدق الشوق فاعرض عن الجواب وكنى عنه بقوله هم اولاء على اثري وانما سأله عن السبب الذي اعجله بقوله ما فاخبر عن مجيئهم بالاثر ثم قال وعجلت اليك رب لترضى فكنى عن ذكر الشوق وصرفه الى ابتغاء الرضا ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا وكانت عائشة اذا اوت على فراشها قالت هاتوا المجيد فتوتى بالمصحف فتاخذه في صدرها وتنام معه تتسلى بذلك رواه سفيان عن مسعر عن عائشة وكان عليه السلام اذا امطرت السماء خلع ثيابه وتجرد حتى يصيبه المطر ويقول انه حديث عهد بربي فهذا من الرسول صلى الله عليه وسلم وممن بعده من قبيل الشوق ولذلك قال تعالى فيما يروى عنه طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم اشوق وقال ابن عباس كان الله عالما ولكن قال وما اعجلك عن قومك رحمة لموسى واكراما له بهذا القول وتسكينا لعجلته ورقة عليه فقال مجيبا لربه هم اولاء على اثري قال ابو حاتم قال عيسى بنو تميم يقولون هم اولا مقصورة مرسلة واهل الحجاز يقولون اولاء ممدودة وحكى الفراء هم اولاي على اثري وزعم ابو اسحاق الزجاج ان هذا لا وجه له قال النحاس وهو كما قال لان هذا ليس مما يضاف فيكون مثل هداي ولا يخلو من احدى جهتين اما ان يكون اسما مبهما فاضافته محال واما ان يكون بمعنى الذين فلا يضاف ايضا لان ما بعده من تمامه وهو معرفة وقرا ابن ابي اسحق ونصر ورويس عن يعقوب على إثري بكسر الهمزة واسكان الياء وهو بمعنى اثر لغتان وعجلت اليك رب لترضى اي عجلت الى الموضع الذي امرتني بالمصير اليه لترضى عني يقال رجل عجل وعجل وعجول وعجلان بين العجلة والعجلة خلاف البطوء

قوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي اختبرناهم وامتحناهم بان يستدلوا على الله عز وجل واضلهم السامري اي دعاهم الى الضلالة اذ هو سببها وقيل فتناهم القيناهم في الفتنة اي زينا لهم عبادة العجل ولهذا قال موسى ان هي الا فتنتك قال ابن عباس كان السامري من قوم يعبدون البقر فوقع بارض مصر فدخل في دين بني اسرائيل بظاهره وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر وقيل كان رجلا من القبط وكان جارا لموسى آمن به وخرج معه وقيل كان عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة وهم معروفون بالشام قال سعيد بن جبير كان من اهل كرمان فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا حال وقد مضى بيانه في الاعراف مستوفى قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم جل وعز الجنة اذا اقاموا على طاعته ووعدهم انه يسمعهم كلامه في التورية على لسان موسى ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم وقيل وعدهم النصر والظفر وقيل وعده قوله واني لغفار لمن تاب وآمن الآية افطال عليكم العهد اي افنسيتم كما قيل والشيء قد ينسى لطول العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم يحل اي يجب وينزل والغضب العقوبة والنقمة والمعنى ام اردتم ان تفعلوا فعلا يكون سبب حلول غضب الله بكم لان احدا لا يطلب غضب الرب بل يرتكب ما يكون سببا للغضب فاخلفتم موعدي لانهم

وعدوه ان يقيموا على طاعة الله الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدهم على اثره للميقات فتوقفوا قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم وهي قراءة نافع وعاصم قال مجاهد والسدي ومعناه بطاقتنا وقال ابن زيد لم نملك انفسنا اي كنا مضطرين وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بملكنا بكسر الميم واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها اللغة العالية وهو مصدر ملكت الشيء املكه ملكا والمصدر مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف كانه قال بملكنا الصواب بل اخطانا فهو اعتراف منهم بالخطاء وقرا حمزة والكسائي بملكنا بضم الميم والمعنى بسلطاننا اي لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك ثم قيل قوله قالوا عام يراد به الخاص اي قال الذين ثبتوا على طاعة الله الى ان يرجع اليهم من الطور ما اخلفنا موعدك بملكنا وكانوا اثني عشر الفا وكان جميع بني اسرائيل ستمائة الف ولكنا حملنا بضم الحاء وتشديد الميم مكسورة قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحفص ورويس الباقون بفتح الحاء مخففة واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانهم حملوا حلي القوم معهم وما حملوه كرها اوزارا اثقالا من زينة القوم اي من حليهم وكانوا استعاروه حين ارادوا الخروج مع موسى عليه السلام واوهموهم انهم يجتمعون في عيد لهم او وليمة وقيل هو ما اخذوه من آل فرعون لما قذفهم البحر الى الساحل وسميت اوزارا بسبب انها كانت آثاما اي لم يحل لهم اخذها ولم تحل لهم الغنائم وايضا فالاوزار هي الاثقال في اللغة فقذفناها اي ثقل علينا حمل ما كان معنا من الحلي فقذفناه في النار ليذوب اي طرحناه فيها وقيل طرحناه الى السامري ليرجع فترى فيها رايك قال قتادة ان السامري قال لهم حين استبطاء القوم موسى انما احتبس عليكم من اجل ما معكم من الحلي فجمعوه ودفعوه الى السامري فرمى به في النار وصاغ لهم منه عجلا ثم القى عليه قبضة من اثر فرس الرسول وهو جبريل عليه السلام وقال معمر الفرس الذي كان عليه جبريل عليه السلام هو الحياة فلما القى القبضة عليه صار عجلا جسدا له خوار والخوار صوت البقر وقال ابن عباس لما انسبكت الحلي في النار جاء السامري وقال لهرون يا نبي الله القي ما في يدي وهو يظن انه كبعض ما جاء به غيره من الحلي فقذف التراب فيه وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان كما قال للبلاء والفتنة فخار خورة واحدة لم يتبعها مثلها وقيل خواره وصوته كان بالريح لانه كان عمل فيه خروقا فاذا دخلت الريح في جوفه خار ولم يكن فيه حياة وهذا قول مجاهد وعلى القول الاول كان عجلا من لحم ودم وهو قول الحسن وقتادة والسدي وروى حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مر هرون بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما هذا قال ينفع ولا يضر فقال اللهم اعطه ما سالك على ما في نفسه فقال اللهم اني اسالك ان يخور فكان اذا خار سجدوا وكان الخوار من اجل دعوة هرون قال ابن عباس خار كما يخور الحي من العجول وروي ان موسى قال يا رب هذا السامري اخرج لهم عجلا جسدا له خوار من حليهم فمن جعل الجسد والخوار قال الله تعالى انا قال موسى عليه السلام وعزتك وجلالك وارتفاعك وعلوك وسلطانك ما اضلهم غيرك قال صدقت يا حكيم الحكماء وقد تقدم هذا كله في سورة الاعراف فقالوا هذا الهكم واله موسى اي قال السامري ومن تابعه وكانوا ميالين الى التشبيه اذ قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة هذا الهكم واله موسى فنسي اي فضل موسى يطلب فلم يعلم مكانه واخطاء الطريق الى ربه وقيل معناه فتركه موسى هنا وخرج يطلبه اي ترك موسى الهه هنا وروى اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال اي فنسي موسى ان يذكر لكم انه الهه وقيل الخطاب خبر عن السامري اي ترك السامري ما امره به موسى من الايمان وضل قاله ابن الاعرابي فقال الله تعالى محتجا عليهم افلا يرون اي يعتبرون ويتفكرون في انه لا يرجع اليهم قولا اي لا يكلمهم وقيل لا يعود الى

الخوار والصوت قد لا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكيف يكون الها والذي يعبده موسى عليه السلام يضر وينفع
ويثيب ويعطي ويمنع وان لا يرجع تقديره انه لا يرجع فلذلك ارتفع الفعل فخففت ان وحذف الضمير واكثر ما جاء
في الرؤيه والعلم والظن قال الشاعر في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل وقد يحذف
مع التشديد قال فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجيا عظيم المشافر اي ولكنك ولقد قال
لهم هارون من قبل اي من قبل ان يأتي موسى ويرجع اليهم يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم
واضللتم به اي بالعجل وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني في عبادته واطيعوا امري
لا امر السامري او فاتبعوني في مسيري الى موسى ودعوا العجل فعصوه وقالوا لن نبرح عليه عاكفين اي
لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى فننظر هل يعبده كما عبدناه فتوهموا ان موسى
يعبد العجل فاعتزلهم هارون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة
وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته
بشماله غضبا وقال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن اي اخطأوا الطريق وكفروا
ان لا تتبعن لا زائده اي ان تتبع امري ووصيتي وقيل ما منعك من اتباعي في الانكار عليهم وقيل معناه هل
لا قاتلتهم اذ قد علمت اني لو كنت بينهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل ما منعك في اللحوق بي لما فتنوا افعصيت امري
يريد ان مقامك بينهم وقد عبدوا غير الله تعالى عصيان منك لي قاله ابن عباس وقيل معناه هلا فارقتهم
فيكون مفارقتك اياهم تقريعا لهم وزجرا ومعنى افعصيت امري قيل ان امره ما حكاه الله تعالى عنه وقال
موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما اقام معهم ولم يبالغ في الانكار
ومنعهم نسبه الى عصيانه ومخالفة امره مسئله وهذا كله اصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره
ومفارقة اهله وان المقيم منهم لا سيما اذا كان راضيا حكمه كحكمهم وقد مضى هذا المعنى في ال عمران وغيرها
وسئل الامام ابو بكر الطرطوشي ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية واعلم حرس الله مدته انه اجتمع
جماعه من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب على
شيء من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه هل الحضور معهم
جائز ام لا افتونا يرحمكم الله والقول الذي يذكرونه يا شيخ كف عن الذنوب قبل التفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا ما دام ينفعك العمل اما الشباب فقد مضى ومشيب راسك قد نزل وفي مثل هذا
الجواب مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله واما الرقص
والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه و
يتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل واما القضيب فاول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين
عن كتاب الله تعالى وانما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كانما على رؤسهم الطير من الوقار
فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الاخر
ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وابي حنيفه والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من
ائمة المسلمين وبالله التوفيق قوله تعالى قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا براسي قال
ابن عباس اخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره لان الغيرة في الله ملكته اي لا تفعل هذا فيتوهموا منك

استخفافا وعقوبة وقد قيل ان موسى عليه السلام انما فعل هذا على غير استخفاف ولا عقوبة كما يأخذ الانسان
بلحية نفسه وقد مضى هذا المعنى في الاعراف مستوفى والله اعلم بما اراد نبيه عليه السلام اني خشيت
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل اي خشيت ان اخرج واتركهم وقد امرتني ان اخرج معهم فلو خرجت
لاتبعني قوم ويتخلف مع العجل قوم وربما ادى الامر الى سفك الدماء وخشيت ان زجرتهم ان يقع قتال
فتلومني على ذلك وهذا جواب هرون لموسى عن قوله افعصيت امري وفي الاعراف ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني وقد تقدم ولم ترقب قولي لم تعمل بوصيتي في حفظهم لانك امرتني ان اكون معهم قاله
مقاتل وقال ابو عبيده لم تنتظر عهدي وقدومي فتركه موسى ثم اقبل على السامري فقال ما خطبك اي امرك
وشانك ما الذي حملك على ما صنعت قال قتادة كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة
ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى فلما مرت بنو اسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم
قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة فاغتنمها السامري وعلم انهم يميلون الى عبادة العجل فاتخذ العجل
فقال السامري مجيبا لموسى بصرت بما لم يبصروا به يعني رأيت ما لم يروا رأيت جبريل على فرس الحياة
فالقي في نفسي ان اقبض من اثره قبضة فما القيته على شيء الا صار له روح ولحم ودم فلما سألوك ان يجعل لهم
الها زينت لي نفسي ذلك وقال علي رضي الله عنه لما نزل جبريل ليصعد بموسى الى السماء ابصره السامري من بين الناس
فقبض قبضة من اثر الفرس وقيل قال السامري رأيت جبريل على الفرس وهي تلقي خطوها مد البصر فالقي في نفسي
ان اقبض من اثرها فما القيته على شيء الا صار له روح ودم وقيل رأى جبريل يوم نزل على رمكة وديق يتقدم خيل
فرعون في ورود البحر ويقال ان ام السامري جعلته حين وضعته في غار خوفا من ان يقتله فرعون فجعل
كف السامري في فم السامري فرضع العسل واللبن واختلف اليه فعرفه من حينئذ وقد تقدم هذا المعنى في
سورة الاعراف ويقال ان السامري سمع كلام موسى صلى الله عليه وسلم حيث عمل تمثالين من شمع احدهما ثور و
الآخر فرس فالقاهما في النيل طلب قبر يوسف وكان في تابوت من حجر في النيل فاتى به الثور على قرنه فتكلم
السامري بذلك الكلام الذي سمع من موسى والقى القبضة في جوف العجل فخار وقرأ حمزة والكسائي والاعمش وخلف
بما لم تبصروا بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر وقرأ ابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة فقبصت
قبصة بصاد غير معجمة وروي عن الحسن ضم القاف من قبصة والصاد غير معجمة الباقون قبضت قبضة بالضاد معجمة
والفرق بينهما ان القبض بجميع الكف والقبص باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والقبصة بضم القاف القدر
المقبوض ذكره المهدوي ولم يذكر الجوهري قبصة بضم القاف والصاد غير معجمة وانما ذكر القبضة بضم القاف والضاد
المعجمة وهو ما قبضت عليه من شيء يقال اعطاه قبضة من سويق او تمر اي كفا منه وربما جاء بالفتح قال والقبص
بكسر القاف والصاد غير المعجمة العدد الكثير من الناس قال الكميت لكم مسجدا الله المزوران والحصى لكم قبصه من بين
اثرى واقترى فنبذتها اي طرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي اي زينته قاله الاخفش وقال ابن زيد
حدثتني نفسي والمعنى متقارب قوله تعالى قال فاذهب اي قال له موسى فاذهب اي من بيننا فان لك في
الحيوة ان تقول لا مساس اي لا امس ولا امس طول الحياة فنفاه موسى عن قومه وامر بني اسرائيل ان لا يخالطوه
ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له قال الشاعر تميم كرهط السامري وقوله الا لا يريد مساسا قال الحسن جعل الله عقوبة
السامري ان لا يماس ولا يمس عقوبة له ولمن كان منه الى يوم القيامة وكان الله شدد عليه المحنة بان جعله

لا يماس احدا ولا يمكن من ان يمسه احد وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا ويقال ابتلى بالوسواس واصل الوسواس
من ذلك الوقت وقال قتادة بقايا هم الى اليوم يقولون ذلك لا مساس وان مس واحد من غيرهم احدا منهم حم
كلاهما في ذلك الوقت ويقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى له لا تقتله فانه سخي ويقال ان السامري
لما قال له موسى فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحش
لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار كالقائل لا مساس لبعده عن الناس وبعد الناس عنه كما قال الشاعر حمال
رايات بها قناعيسا حتى يقول الاسد لا مساسا هذه الآية اصل في نفي اهل البدع والمعاصي وهجرانهم
وان لا يخالطوا وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم بكعب بن مالك ذلك والثلاثة الذين خلفوا ومن التجأ الى الحرم
وعليه قتل لا يقتل عند بعض الفقهاء ولكن لا يعامل ولا يبايع ولا يشارى وهو ارهاق الى الخروج ومن هذا القبيل
التغريب في حد الزنا وقد تقدم جميع هذا كل في موضعه فلا معنى لاعادته وقال هرون القاري ولغة العرب
لا مساس بكسر السين وفتح الميم وقد تكلم النحويون فيه فقال سيبويه هو مبني على الكسر كما يقال اضرب الرجل وقال ابو
اسحق لا مساس نفي وكسرت السين لان الكسرة من علامة التانيث تقول فعلت يا امراة قال النحاس وسمعت علي بن سليمان
يقول سمعت محمد بن زيد يقول اذا اعتل الشيء من ثلاث جهات وجب ان يبنى فاذا اعتل من جهتين وجب ان
لا ينصرف لانه ليس بعد الصرف الا البناء فمساس ودراك اعتل من ثلاث جهات منها انه معدول ومنها انه
مؤنث وانه معرفة فلما وجب البناء فيه وكانت الالف قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الساكنين
كما تقول اضرب الرجل ورايت ابا اسحق يذهب الى ان هذا القول خطا والزم ابا العباس اذا سمى امراة بفرعون
ان يبنيه وهذا لا يقوله احد وقال الجوهري في الصحاح واما قول العرب لا مساس مثال قطام فانما بني على
الكسر لانه معدول عن المصدر وهو المس وقرا ابو حيوة لا مساس **وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ** يعني يوم
القيمة والموعد مصدر يعني ان لك وعدا لعذابك وقرا ابن كثير تخلفه بكسر اللام وله معنيان احدهما
ستاتيه ولن تجده مخلفا كما تقول احمدته وجدته محمودا والثاني على التهديد اي لا بد لك من ان تصير اليه
الباقون بفتح اللام بمعنى ان الله لن يخلفك اياه **وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي**
ظَلْتَ عَلَيْهِ اي دمت واقمت عليه **عَاكِفًا** اي ملازما واصله ظللت قال خلي ان العتاق من المطايا
احسن به فهن اليه شوس اي احسسن وكذلك قرا الاعمش بلامين على الاصل وفي قراءة ابن
مسعود ظلت بكسر الظاء تقال ظللت افعل كذا اذا فعلته نهارا وظلت وظلت فمن قال ظلت حذف اللام
الاولى تخفيفا ومن قال ظلت حرك اللام على الظاء وقوله **لَنُحَرِّقَنَّهُ** قراءة العامة بضم النون وشد الراء
من حرق يحرق وقرا الحسن وغيره بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء من احرقه يحرقه وقرا علي و
ابن عباس وابو جعفر وابن محيصن والعقيلي لنحرقنه بفتح النون وضم الراء خفيفة من حرقت الشيء
احرقه حرقا بردته وحككت بعضه ببعض ومنه قولهم حرق نابه يحرقه ويحرقه اي سحقه حتى سمع
له صريف فمعنى هذه القراءة لنبردنه بالمبارد ويقال للمبرد المحرق والقراءتان الاوليان معناهما الحرق
بالنار وقد يمكن جمع ذلك فيه قال السدي ذبح العجل فسال منه كما يسيل من العجل اذا ذبح ثم برد عظامه
بالمبرد وحرقه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه واللحم والدم اذا حرقا صارا رمادا فيمكن تذريته
في اليم فاما الذهب فلا يصير رمادا وقيل عرف موسى ما صير به الذهب رمادا فكان ذلك من آياته ومعنى

لَنَنْسِفَنَّهُ لنطيرنه وقرا ابو رجاء لننسفنه بضم السين لغتان والنسف نفض الشيء ليذهب
به الريح وهو التذرية والمنسف ما ينسف به الطعام وهو شيء منصوب الصدر اعلاه مرتفع والنسافة
ما يسقط منه يقال اعزل النسافة وكل الخالص يقال اتانا فلان كان لحيته منسف حكاه ابو نصر احمد بن
حاتم والمنسفة آلة تقلع بها البناء ونسفت البناء نسفا قلعته ونسف البعير الكلا ينسفه بالكسر اذا اقتلعه
باصله وانتسفت الشيء اقتلعته عن ابي زيد **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** لا العجل
وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا اي وسع علمه كل شيء فنقل الفعل على العلم ونصب على التفسير وقرا مجاهد وقتادة
وسّع كل شيء علما **كَذَلِكَ** الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي كما قصصنا عليك
خبر موسى كذلك نقص عليك قصصا كذلك من اخبار ما قد سبق ليكون تسلية لك وليدل على صدقك **وَقَدْ**
آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا يعني القرآن وسمي القرآن ذكرا لما فيه من الذكر كما سمي الرسول ذكرا لان الذكر
كان ينزل عليه وقيل آتيناك من لدنا ذكرا اي شرفا كما قال وانه لذكر لك ولقومك اي شرف وتنويه باسمك
مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ يعني عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه **فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ**
الْقِيَامَةِ وِزْرًا اي اثما عظيما وحملا ثقيلا **خَالِدِينَ فِيهِ** يريد مقيمين فيه اي في جزائه وجزاؤه
جهنم **وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا** يريد بئس الحمل حملوه يوم القيمة وقرا داود بن رفيع فانه يحمل
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قراءة العامة ينفخ بضم الياء على الفعل المجهول وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحق
ننفخ بنون مسمى الفاعل واستدل ابو عمرو بقوله ونحشر بنون وعن ابن هرمز ينفخ بفتح الياء اي اسرافيل ابو عياض
في الصور الباقون في الصور وقد تقدم هذا في الانعام مستوفى وقرا طلحة بن مصرف ويحشر بضم الياء المجرمون
رفعا بخلاف المصحف والباقون ونحشر المجرمين اي المشركين **زُرْقًا** حال من المجرمين والزرق خلاف الكحل والعرب
تتشاءم بزرق العيون وتذمه اي تشوه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم وقال الكلبي والفراء زرقا
اي عميا وقال الازهري عطاشا قد ازرقت اعينهم من شدة العطش وقاله الزجاج قال لان سواد العين
يتغير ويزرق من العطش وقيل انه الطمع الكاذب اذا تعقبته الخيبة يقال ابيضت عيني لطول انتظاري
لكذا وقول خامس ان المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف قال الشاعر لقد زرقت عيناك
يا ابن مكعبر كما كل ضبي من اللؤم ازرق يقال رجل ازرق العين وامراة زرقاء بينة الزرق و
الاسم الزرقة وقد زرقت عينه بالكسر وازرقت عينه ازرقاقا وازراقت عينه ازريقاقا وقال
سعيد بن جبير قيل لابن عباس في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال في موضع اخر ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما فقال ان ليوم القيامة حالات فحالة يكونون فيه زرقا وحالة عميا **يَتَخَافَتُونَ**
بَيْنَهُمْ اصل الخفت السكون ثم قيل لمن خفض صوته خفته والمعنى يتساررون قاله مجاهد اي يقول بعضهم
لبعض في الموقف سرا **إِنْ لَبِثْتُمْ** اي ما لبثتم يعني في الدنيا وقيل في القبور **إِلَّا عَشْرًا** يريد عشر ليال وقيل
اراد ما بين النفختين وهو اربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار في قول ابن عباس فيستقصرون
تلك المدة او مدة مقامهم في الدنيا لشدة ما يرون من اهوال القيامة ويخيل الى امثلهم اي اعدلهم قولا واعلمهم
واعقلهم عند نفسه انهم ما لبثوا الا يوما واحدا يعني لبثهم في الدنيا عن قتادة فالتقدير الا مثل يوم وقيل انهم
من شدة المطلع نسوا ما كانوا فيه من نعيم الدنيا حتى راوه كيوم وقيل اراد بيوم لبثهم ما بين النفختين ولبثهم

في القبور على ما تقدم وعشرا ويوما منصوب بلبثتم ۞ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ اي عن
حال الجبال يوم القيامة فَقُلْ جاء هذا بفاء وكل سؤال في القرآن قل بغير فاء الا هذا لان المعنى
ان سألوك عن الجبال فقل فتضمن الكلام معنى الشرط وقد علم الله انهم يسألونه عنه فاجاب قبل السؤال
وتلك سوله تقدمت سألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فجاء الجواب عقيب السؤال فلذلك كان بغير فاء
وهذا سؤال لم يسألوه عنه بعد فتفهمه يَنْسِفُهَا يطيرها نسفا قال ابن الاعرابي وغيره تقلعها قلعا
من اصولها ثم يصيرها رملا تسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الرياح هكذا وهكذا
قال ولا يكون العهن من الصوف الا المصبوغ ثم كالهباء المنثور فَيَذَرُهَا اي يذر مواضعها قَاعًا
صَفْصَفًا القاع الارض الملساء بلا نبات ولا بناء قاله ابن الاعرابي وقال الجوهري والقاع المستوي
من الارض والجمع اقوع واقواع وقيعان صارت الواو ياء لكسر ما قبلها وقال الفراء القاع مستنقع الماء
والصفصف القرعاء وقال الكلبي هو الذي لا نبات فيه وقيل المستوي من الارض كانه على صف واحد
في استوائه قاله مجاهد والمعنى واحد في القاع والصفصف فالقاع الموضع المنكشف والصفصف المستوي
الاملس وانشد سيبويه ۞ وكم دون بيتك من صفصف ۞ ودكداك رمل واعقادها ۞ وقاعا نصب على الحال
والصفصف لَا تَرَى في موضع الصفة فِيهَا عِوَجًا قال ابن الاعرابي العوج التعوج في الفجاج والامت
النبك وقال ابو عمرو الامت النباك وهي التلال الصغار واحدها نبك اي هي ارض مستوية لا انخفاض
فيها ولا ارتفاع تقول امتلاء فما به امت وملأت القربة ملاء لا امت فيه اي لا استرخاء والامت
في اللغة المكان المرتفع وقال ابن عباس عوجا ميلا قال والامت الاثر مثل الشراك وعنه ايضا عوجا
واديا ولا امتا رابية وعنه ايضا العوج والامت الارتفاع وقال قتادة عوجا صدعا ولا امتا اي اكمة
وقال يمان الامت الشقوق في الارض وقيل الامت ان يغلظ مكان في الفضاء او في الجبل ويدق في
مكان حكاه الصولي قال المولف رحمه الله وهذه الآية تدخل في باب الرقى يرقى بها الثآليل وهي التي
تسمى عندنا بالبراديق واحدها بردوقة تطلع في الجسد وخاصة في اليد تاخذ ثلاثة اعواد من تبن الشعير
يكون في طرف كل عود عقدة تمر كل عقدة على الثآليل وتقرأ الآية مرة ثم تدفن الاعواد في مكان ندي تعفن
وتعفن الثآليل فلا يبقى لها اثر جربت ذلك في نفسي وفي غيري فوجدته نافعا باذن الله والحمد لله ۞
قوله تعالى يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ يعني اسرافيل عليه السلام اذا نفخ في الصور لَا عِوَجَ
لَهُ اي لا معدل لهم عنه اي عن دعائه لا يزيغون ولا ينحرفون بل يسرعون اليه ولا يحيدون عنه وعلى هذا اكثر
العلماء وقيل لا عوج له اي لدعائه وقيل يتبعون الداعي اتباعا لا عوج له فالمصدر مضمر والمعنى يتبعون صوت
الداعي للمحشر نظيره وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ الآية وسيأتي وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَٰنِ اي ذلت وسكنت عن ابن عباس قال لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع
فكل لسان ساكت هناك للهيبة للرحمن اي من اجله فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا الهمس الصوت الخفي
قاله مجاهد وقال ابن عباس الحس الخفي قال الحسن وابن جريج هو صوت وقع الاقدام بعضها على بعض الى
المحشر ومنه قول الراجز ۞ وهن يمشين بنا هميسا ۞ يعني صوت اخفاف الابل في سيرها ويقال للاسد
الهموس لانه يهمس في الظلمة اي يطأ وطأ خفيفا قال رؤبة يصف نفسه بالشدة ۞ ليث يدق الاسد

الهموسا ۞ والاقهبين الفيل والجاموسا ۞ وهمس الطعام اي مضغه وفوه منضم قال الراجز ۞ لقد رايت عجبا
مذ امسا ۞ عجائزا مثل السعالي خمسا ۞ ياكلن ما اصنع همسا همسا ۞ وقيل الهمس تحريك الشفة واللسان وقرا
ابي بن كعب فلا ينطقون الا همسا والمعنى متقارب اي لا يسمع لهم نطق ولا كلام ولا صوت اقدام وبناء
همس اصله الخفاء كيف ما تصرف ومنه الحروف المهموسة وهي عشرة يجمعها قولك حثه شخص فسكت وانما سمي
الحرف مهموسا لانه اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ من في موضع نصب على الاستثناء الخارج من الاول اي لا تنفع الشفاعة احدا
الا شفاعة من اذن له الرحمن وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا اي رضي قوله في الشفاعة وقيل المعنى اي انما تنفع الشفاعة
لمن اذن له الرحمن في ان يشفع وكان له قول يرضى قال ابن عباس هو قول لا اله الا الله قوله تعالى يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ اي من امر الساعة وَمَا خَلْفَهُمْ من امر الدنيا قاله قتادة وقيل يعلم ما يصيرون اليه من
الثواب والعقاب وما خلفهم ما خلفوه وراءهم في الدنيا ثم قيل الآية عامة في جميع الخلق وقيل المراد الذين
يتبعون الداعي وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا الهاء في به لله تعالى اي احد لا يحيط به علما اذ الاحاطة
مشعرة بالحد ويتعالى الرب عن التحديد وقيل تعود على العلم اي احد لا يحيط علما بما يعلمه الله تعالى وقال
الطبري الضمير في ايديهم وخلفهم ويحيطون يعود على الملائكة اعلم الله من يعبدها انها لا تعلم ما بين ايديها وما
خلفها وَعَنَتِ الْوُجُوهُ اي ذلت وخضعت قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه قيل للاسير عان
قال امية بن ابي الصلت ۞ مليك على عرش السماء مهيمن ۞ لعزته يعنو الوجوه ويسجد ۞ وقال ايضا
۞ وعنى له وجهي وخلقي كله ۞ في الساجدين لوجهه مشكورا ۞ قال الجوهري عنا يعنو خضع وذل واعناه غيره
ومنه قوله تعالى وعنت الوجوه ويقال ايضا عنا فيهم فلان اسيرا اي اقام فيهم على اساره واحتبس وعناه غيره تعنية
حبسه والعاني الاسير وقوم عناة ونسوة عوان وعنت به امور نزلت وقال ابن عباس عنت ذلت وقال
مجاهد خشعت وقال الماوردي والفرق بين الذل والخشوع وان تقارب معناهما هو ان الذل ان يكون ذليل
النفس والخشوع ان يتذلل لذي طاعة وقال الكلبي عنت اي عملت وقال عطية العوفي استسلمت وقال طلق
بن حبيب انه وضع الجبهة والانف على الارض في السجود قال النحاس وعنت الوجوه في معناه قولان احدهما
ان هذا في الآخرة وروى عكرمة عن ابن عباس وعنت الوجوه للحي القيوم قال الركوع والسجود ومعنى عنت
في اللغة القهر والغلبة ومنه فتحت البلاد عنوة اي غلبة قال الشاعر ۞ فما اخذوها عنوة عن مودة ۞ ولكن
بضرب المشرفي استقالها ۞ وقيل هو من العناء بمعنى التعب وكنى عن الناس بالوجوه لان آثار الذل انما تتبين في الوجه
وفي الحي القيوم ثلاث تاويلات احدها انه القائم بتدبير الخلق الثاني انه القائم على كل نفس بما كسبت الثالث
انه الدائم الذي لا يزول ولا يبيد وقد مضى في البقرة هذا وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا اي خسر من حمل شركا
قوله تعالى وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ لان العمل لا يقبل من غير ايمان
ومن في قوله من الصالحات للتبعيض اي شيئا من الصالحات وقيل للجنس فَلَا يَخَافُ قراء ابن كثير ومجاهد
وابن محيصن لا يخف بالجزم جوابا لقوله ومن يعمل الباقون يخاف رفعا على الخبر اي فهو لا يخاف او فانه لا يخاف ظلما
اي نقصا لثواب طاعته ولا زيادة عليه في سيئاته وَلَا هَضْمًا بالانتقاص من حقه والهضم النقص والكسر يقال
هضمت ذلك من حقي اي حططته وتركته وهذا يهضم الطعام اي ينقص ثقله وامراة هضيم الكشح اي ضامرة البطن

قال الماوردي والفرق بين الظلم والهضم ان الظلم المنع من الحق كله والهضم المنع من بعضه والهضم ظلم وان افترقا معنى
وجد قال المتوكل الليثي ان الاذلة واللئام لمعشر مولاهم المتهضم المظلوم قال الجوهري ورجل هضيم
ومهتضم اى مظلوم وتهضمه اى ظلمه واهتضمه اذا ظلمه وكسر عليه حقه وكذلك اى
كما بينا لك في هذه السورة من البيان وكذلك جعلناه قرآنا عربيا اى بلغة العرب وصرفنا فيه من الوعيد
اى بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب لعلهم يتقون اى يخافون الله فيجتنبون معاصيه
ويحذرون عقابه او يحدث لهم ذكرا اى موعظة وقال قتادة حذرا وورعا وقيل شرفا فالذكر ههنا
بمعنى الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك وقيل اى ليتذكروا العذاب الذى توعدوا به وقرأ الحسن او نحدث بالنون
وروى عنه رفع الثاء وجزمها فتعالى الله الملك الحق لما عرف العباد عظيم نعمه وانزال
القرآن نزه نفسه عن الانداد والاولاد فقال فتعالى الله اى جل الله الملك الحق اى ذو الحق ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه علم نبيه كيف يتلقى القرآن قال ابن عباس كان عليه السلام يبادر جبريل
فيقرأ قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك
وانزل ولا تعجل وهو كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به على ما ياتي وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا تتلوه
على احد حتى نبينه وقيل ولا تعجل اى لا تسأل انزاله قبل ان يقضى اى ياتيك وحيه وقيل المعنى لا تلقه الى الناس قبل ان
ياتيك بيان تأويله وقال الحسن نزلت في رجل لطم وجه امرأته فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب القصاص
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم لها القصاص فنزل الرجال قوامون على النساء ولهذا قال وقل رب زدني علما
اى فهما لانه حكم بالقصاص وابى الله ذلك وقرأ ابن مسعود وغيره من قبل ان نقضي بالنون وكسر الضاد
ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي قرأ الاعمش باختلاف عنه فنسي باسكان الياء وله معنيان
احدهما ترك اى ترك الامر والعهد وهذا قول مجاهد واكثر المفسرين ومنه نسوا الله فنسيهم وقال ابن عباس
نسي هنا من النسيان والسهو وانما اخذ الانسان من انه عهد اليه فنسي قال ابن زيد نسي ما عهد الله اليه في ذلك
ولو كان له عزم ما اطاع عدوه ابليس وعلى هذا القول يحتمل ان يكون آدم عليه السلام في ذلك الوقت ماخوذا بالنسيان
وان كان النسيان عنا اليوم مرفوعا ومعنى من قبل اى من قبل ان ياكل الشجرة لانه نهى عنها والمراد تسلية النبي صلى
الله عليه وسلم ان طاعة بنى آدم للشيطان امر قديم اى ان نقض هؤلاء العهد فان آدم ايضا عهدنا اليه فنسي
حكاه القشيري وكذلك الطبري اى وان يعرض يا محمد هؤلاء الكفرة عن آياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا ابليس فقدما
فعل ذلك ابوهم آدم قال ابن عطية وهذا التأويل ضعيف وذلك كون آدم مثالا للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء
وآدم انما عصى بتأويل ففي هذا غضاضة عليه صلى الله عليه وسلم وانما الظاهر في الآية اما ان يكون ابتداء قصص لا
تعلق له بما قبله واما ان يجعل تعلقه انه لما عهد الى محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يعجل بالقرآن مثل له بنبي قبله عهد
اليه فنسي فعوقب ليكون اشد في التحذير وابلغ في العهد الى محمد صلى الله عليه وسلم والعهد هنا في معنى الوصية ونسي
معناه ترك ونسيان الذهول لا يمكن هنا لانه لا يتعلق بالناسي عقاب والعزم المضي على المعتقد في اى شيء كان
وآدم عليه السلام قد كان يعتقد ان لا يأكل من الشجرة واعلم مع ذلك ان ابليس عدو له واختلف في معنى قوله ولم نجد
له عزما فقال ابن عباس وقتادة لم نجد له صبرا عن اكل الشجرة ومواظبة على التزام الامر قال النحاس وكذلك هو
في اللغة يقال لفلان عزم اى صبر وثبات على التحفظ من المعاصي حتى يسلم منها ومنه فاصبر كما صبر اولوا العزم

بالقرآن هو

عليه السلام م

وحيه بالنصب م

لكن لما وسوس اليه ابليس لم يعزم على معتقد والشيء الذي عهد الى آدم ان لا ياكل من الشجرة م

من الرسل وعن ابن عباس ايضا وعطية العوفي حفظا لما امر به اى لم يتحفظ مما نهيته حتى نسي وذهب عن
علم ذلك بترك الاستدلال وذلك ان ابليس قال له ان اكلتها خلدت في الجنة يعني عين تلك الشجرة فلم
يطعه فدعاه الى نظير تلك الشجرة مما دخل في عموم النهي وكان يجب ان يستدل عليه فلم يفعل وظن انها لم تدخل
في النهي فاكلها تأويلا ولا يكون ناسيا للشيء من يعلم انه معصية وقال ابن زيد عزما محافظة على امر الله وقال
الضحاك عزيمة ابن كيسان اصرارا ولا اضمارا للعود الى الذنب قال قوم آدم لم يكن من اولي العزم من الرسل
لان الله قال ولم نجد له عزما وقال المعظم كل الرسل اولوا العزم وفي الخبر ما من نبي الا وقد اخطأ او هم بخطيئة
ما خلا يحيى بن زكريا فلو خرج آدم بسبب خطيئته من جملة اولي العزم لخرج جميع الانبياء سوى يحيى وقد قال
ابو امامة لو ان احلام بني آدم جمعت منذ خلق الله الخلق الى يوم القيامة ووضعت في كفة ميزان ووضع
حلم آدم في كفة اخرى لرجحهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس ابى تقدم في البقرة مستوفى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك و
لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة نهى ومجازه لا تقبلا منه فيكون ذلك سببا لخروجكما من الجنة فتشقى يعني
انت وزوجك لانهما في استواء العلة واحد ولم يقل فتشقيا لان المعنى معروف وآدم عليه السلام هو
المخاطب وهو المقصود وايضا لما كان الكاد عليهما والكاسب لهما كان بالشقاء اخص وقيل الاخراج واقع عليهما
والشقاوة على آدم وحده وهو شقاوة البدن الا ترى انه عقبه بقوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى اى
في الجنة وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فاعلمه ان له في الجنة هذا كله الكسوة والطعام والشراب والمسكن
وانك ان ضيعت الوصية واطعت العدو اخرجكما من الجنة فشقيت تعبا ونصبا اى جعت وعريت وظمئت و
اصابتك الشمس لانك ترد الى الارض اذا اخرجت من الجنة فانما خصه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقيان يعلمنا ان
نفقة المرأة على الزوج فمن يومئذ جرت نفقة النساء على الازواج فلما كانت نفقة حواء على آدم كذلك نفقة
بناتها على بني آدم بحق الزوجية واعلمنا في هذه الآية ان النفقة التي تجب للمرأة على زوجها هذه الاربعة الطعام
والشراب والكسوة والمسكن فاذا اعطاها هذه الاربعة فقد خرج اليها من نفقتها فان تفضل بعد ذلك فهو مأجور
فاما هذه الاربعة فلا بد لها منها لان بها اقامة المهجة قال الحسن المراد بقوله فتشقى شقاء الدنيا لا ترى ابن آدم
الا ناصبا وقال الفراء هو ان ياكل من كد يديه وقال سعيد بن جبير اهبط الى آدم ثور احمر فكان يحرث عليه
ويمسح العرق عن جبينه فهو شقاؤه الذي قال الله تعالى وقيل لما اهبط من الجنة كان من اول شقائه ان جبريل انزل
عليه حبات من الجنة فقال يا آدم ازرع هذا فحرث وزرع ثم حصد ثم درس ثم نقى ثم طحن ثم عجن ثم خبز ثم جلس
ليأكل بعد التعب فتدحرج رغيفه من يده حتى صار اسفل الجبل وجرى وراءه آدم حتى تعب وعرق جبينه قال يا آدم
فكذلك رزقك بالتعب والشقاء ورزق ولدك من بعدك ما كنت في الدنيا ان لك ان لا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فيه مسئلتان الاولى قوله ان لك ان لا تجوع فيها اى في الجنة
ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها اى لا تعطش والظمأ العطش ولا تضحى اى تبرز للشمس فتجد حرها اذ ليس في الجنة
شمس انما هو ظل ممدود كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس قال ابو العالية نهار الجنة هكذا واشار الى ساعة المصلين
صلاة الفجر قال ابو زيد ضحا الطريق يضحو ضحوا اذا بدا لك وظهر وضحيت الضحى مثله والمستقبل اضحى في اللغتين جميعا
قال عمر بن ابي ربيعة رأت رجلا ايما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخصر وفي الحديث ان ابن

احسن هو

عن رأى رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن احرمت له هكذا رواه المحدثون بفتح الالف وكسر الحاء من اضحيت
وقال الاصمعي اضح لمن احرمت له بكسر الالف وفتح الحاء من ضحيت اضحى لانه انما امره بالبروز للشمس ومنه قوله تعالى (انما هو)
وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وانشد ضحيت له كي استظل بظله اذا الظل اضحى في القيامة قالصا وقرأ ابو عمرو
والكوفيون الا عاصما في رواية ابي بكر عنه وانك بفتح الهمزة عطفا على ان لا تجوع ويجوز ان تكون في موضع رفع عطفا
على الموضع والمعنى ولك انك لا تظمأ فيها الباقون بالكسر على الاستئناف وعلى العطف على ان لك
فوسوس اليه الشيطان تقدم في الاعراف قال يعني الشيطان يا آدم هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى وهذا يدل على المشافهة وانه دخل الجنة في جوف الحية وقد تقدم في
البقرة بيانه وتقدم هناك تعيين الشجرة وما للعلماء فيها فلا معنى لاعادتها فاكلا منها فبدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تقدم في الاعراف مستوفى وقال الفراء
وطفقا في العربية اقبلا قال وقيل جعلا يلصقان عليهما ورق التين
وعصى آدم ربه فغوى
فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى فعصى تقدم في البقرة القول في ذنوب الانبياء وقال بعض المتأخرين
من علمائنا والذي ينبغي ان يقال ان الله تعالى قد اخبر بذنوب من بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا (بوقوع)
بذلك عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا تقبل التأويل جملتها وان
قبل ذلك آحادها وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ (ان)
والنسيان او تأويل دعا الى ذلك فهي الى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات بالنسبة الى مناصبهم وعلو
اقدارهم اذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس فاشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالامن و
الامان والسلامة قال وهذا هو الحق ولقد احسن الجنيد حيث قال حسنات الابرار سيئات المقربين فهم
صلوات الله وسلامه عليهم وان كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح
في رتبهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه
الثانية قال ابو بكر بن العربي لا يجوز لاحد منا اليوم ان يخبر بذلك عن آدم الا اذا ذكرناه في اثناء قوله تعالى
عنه او قول نبيه فاما ان نبتدئ ذلك من قبل نفسه فليس بجائز لنا في آبائنا الادنين الينا المماثلين لنا فكيف في
ابينا الاقدم الاعظم الاكرم النبي المقدم الذي عذره الله سبحانه وتاب عليه وغفر له قال المؤلف رحمه الله و
اذا كان هذا في المخلوق لا يجوز فالاخبار عن صفات الله تعالى كاليد والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير ذلك
اولى بالمنع وانه لا يجوز الابتداء بشيء من ذلك الا في اثناء قراءة كتابه او سنة رسوله ولهذا قال مالك بن انس من وصف
شيئا من ذات الله تعالى مثل قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة فاشار بيده الى عنقه قطعت يده وكذلك في السمع و
البصر يقطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه الثالثة روى الائمة واللفظ للبخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له
آدم يا موسى اصطفاك الله عز وجل بكلامه وخط لك بيده تلومني على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين
سنة فحج آدم موسى ثلاثا قال المهلب قوله فحج آدم موسى اي غلبه بالحجة قال الليث بن سعد وانما صحت الحجة في هذه
القصة لآدم على موسى عليهما السلام من اجل ان الله قد غفر لآدم خطيئته وتاب عليه فلم يكن لموسى ان يعيره بخطيئة
قد غفرها الله له ولذلك قال آدم انت موسى الذي آتاك الله التوراة وفيها علم كل شيء فوجدت فيها ان الله قد قدر

علي المعصية وقدر علي التوبة منها واسقط بذلك اللوم عني افتلومني انت والله لا يلومني وبمثل هذا احتج
ابن عمر على الذي قال له ان عثمان فر يوم احد فقال ابن عمر ما على عثمان ذنب لان الله تعالى قد عفا
عنه بقوله ولقد عفا الله عنهم وقد قيل ان آدم عليه السلام اب وليس تعييره من بره ان لو كان مما يعير
به غيره فان الله تعالى يقول في الابوين الكافرين وصاحبهما في الدنيا معروفا ولهذا ان ابراهيم عليه السلام
لما قال له ابوه وهو كافر لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك فكيف باب هو نبي قد اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى
الرابعة واما من عمل الخطايا ولم تأته المغفرة فان العلماء مجمعون على انه
لا يجوز له ان يحتج بمثل حجة آدم فيقول تلومني على ان قتلت او زنيت او سرقت وقد قدر الله علي ذلك و (قوله تعالى)
الامة مجمعة على جواز حمد المحسن على احسانه ولوم المسيء على اساءته وتعديد ذنوبه عليه
الخامسة فغوى اي ففسد عليه عيشه حكاه النقاش واختاره القشيري وسمعت شيخنا الاستاذ المقرئ ابا جعفر
القرطبي يقول فغوى ففسد عيشه بنزوله الى الدنيا والغي الفساد وهو تأويل حسن وهو اولى من تأويل
من يقول ان فغوى معناه ضل من الغي الذي هو ضد الرشد وقيل معناه جهل موضع رشده اي جهل ان
تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل قال الزمخشري وهذا وان صح
على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنى وبقى وهم بنو طيء تفسير خبيث
السادسة قال القشيري ابو نصر قال قوم يقال عصى آدم وغوى ولا يقال له عاص ولا غاو كما ان من خاط مرة يقال
له خاط ولا يقال له خياط ما لم تتكرر منه الخياطة وقيل يجوز للسيد ان يطلق في عبده عند معصيته ما لا يجوز
لغيره ان يطلقه وهذا تكلف وما اضيف من هذا الى الانبياء فاما ان تكون صغائر او ترك الاولى او قبل
النبوة قال المؤلف رحمه الله هذا حسن قال الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله كان هذا من آدم قبل النبوة
ودليل ذلك قوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان واذا كان
هذا قبل النبوة فجائز عليهم الذنوب وجها واحدا لان قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم فاذا بعثهم الله تعالى
الى خلقه وكانوا امونين في الاداء معصومين لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب وهذا نفيس والله اعلم
قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا خاطب آدم وابليس منها اي من الجنة وقد قال لابليس اخرج منها
مذؤوما مدحورا فلعله اخرج من الجنة الى موضع من السماء ثم اهبط الى الارض بعضكم لبعض عدو تقدم
في البقرة اي انت عدو للحية ولابليس وهما عدوان لك وهذا يدل على ان قوله اهبطا ليس خطابا لآدم وحواء
لانهما ما كانا متعاديين وتضمن هبوط آدم هبوط حواء فاما يأتينكم مني هدى اي رشدا وقولا حقا و
قد تقدم في البقرة فمن اتبع هداي يعني الرسل والكتب فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس ضمن الله
تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى وتلا الآية وعنه من قرأ القرآن واتبع (في الآخرة)
ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ثم تلا الآية ومن اعرض عن ذكري اي ديني و
تلاوة كتابي والعمل بما فيه وقيل عما انزلت من الدلائل ويحتمل ان يحمل الذكر على الرسول لانه كان منه الذكر
فان له معيشة ضنكا اي عيشا ضيقا يقال منزل ضنك وعيش ضنك يستوي فيه الواحد والاثنان و
المذكر والمؤنث والجمع قال عنترة ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا اشدد وان يلفوا بضنك انزل وقال
ايضا ان المنية لو تمثل مثلت مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان الله عز

وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة والتوكل عليه وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافعا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعضهم لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وكان في عيشه في ضنك وقال عكرمة ضنكا كسبا حراما وقال الحسن طعام الضريع والزقوم فقول رابع وهو الصحيح انه عذاب القبر قاله ابو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه اضلاعه وهو المعيشة الضنك ونحشره يوم القيمة اعمى قيل اعمى في حال وبصيرا في حال وقد تقدم في آخر سبحان وقيل اعمى عن الحجة قاله مجاهد وقيل اعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها وقيل عن الحيلة في دفع العذاب عن نفسه فالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه قال رب لم حشرتني اعمى اي باي ذنب عاقبتني بالعمى وقد كنت بصيرا اي عالما بحجتي قال القشيري وهو بعيد اذ ما كان للكافر حجة في الدنيا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها اي قال الله له كذلك اتتك آياتنا اي دلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا فنسيتها اي تركتها ولم تنظر فيها واعرضت عنها وكذلك اليوم تنسى اي تترك في العذاب يريد جهنم وكذلك نجزي من اسرف اي وكما جزينا من اعرض عن القرآن وعن النظر في المصنوعات والتفكر فيها وجاوز الحد في المعصية ولم يؤمن بآيات ربه اي لم يصدق بها ولعذاب الآخرة اشد اي افظع من المعيشة الضنك وعذاب القبر وابقى اي ادوم واثبت لانه لا ينقطع ولا ينقضي قوله تعالى افلم يهد لهم يريد اهل مكة اي افلم يتبين لهم خبر من اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم اذا سافروا وخرجوا في التجارة وطلب المعيشة فيرون بلاد الامم الماضية والقرون الخالية خاوية اي افلا يخافون ان يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم وقرأ ابن عباس والسلمي وغيرهما نهد لهم بالنون وهي بين ويهدي بالياء مشكل لاجل الفاعل فقال الكوفيون كم الفاعل وقال النحاس وهذا خطأ لان كم استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها وقال الزجاج المعنى اولم يهد لهم الامر باهلاكنا من اهلكنا وحقيقته يهدي يدل على الهدى والفاعل هو الهدى تقديره افلم يهد الهدى لهم قال الزجاج كم في موضع نصب باهلكنا ولولا كلمة سبقت من ربك فيه تقديم وتأخير اي ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما قاله قتادة واللزام الملازمة اي لكان العذاب لهم واضمر اسم كان واجل مسمى عطف على كلمة والمراد القيمة وقاله القتيبي وقيل يأخرهم الى يوم بدر قوله تعالى فاصبر على ما يقولون امره تعالى بالصبر على اقوالهم انه ساحر انه كاهن انه كذاب الى غير ذلك والمعنى لا تحفل بهم فان لعذابهم وقتا مضروبا لا يتقدم ولا يتأخر وقيل هذا منسوخ باية القتال وقيل ليس منسوخا اذ لم يستأصل الكفار بعد آية القتال بل بقي المعظم منهم وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس قال اكثر المتأولين هذه اشارة الى الصلوات الخمس قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آناء الليل العتمة واطراف النهار المغرب والظهر لان الظهر في آخر طرف النهار الاول واول طرف النهار الآخر فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب وقيل النهار ينقسم قسمين فصلهما الزوال ولكل قسم طرفان فعند الزوال طرفان الآخر من القسم الاول والاول من القسم الآخر فقال عن الطرفين اطرافا على نحو فقد صغت قلوبكما واشار الى هذا النظر ابن فورك في المشكل وقيل النهار للجنس فلكل يوم طرف وهي الى جمع لانه يعود في كل نهار وآناء الليل ساعاته وواحد الآناء انا وانا وإني وقالت فرقة المراد بالآية صلاة التطوع

اي في الدنيا كانه يظن ان لا ذنب له
وقال ابن عباس ومجاهد اي لم حشرتني
اعمى عن حجتي وقد كنت بصيرا بها

من القرون

قتادة ح

قال الزجاج

قال الحسن لعلك ترضى بفتح التاء اي لعلك تثاب على هذه الاعمال بما ترضى به وقرأ الكسائي وابو بكر وعاصم ترضى بضم التاء اي لعلك تعطى ما يرضيك ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به قد تقدم معناه في الحجر وازواجا مفعول ثان لمتعنا وزهرة نصب على الحال وقال الزجاج زهرة منصوبة بمعنى متعنا لان معناه جعلنا لهم الحيوة الدنيا زهرة او بفعل مضمر وهو جعلنا اي جعلنا لهم زهرة الحيوة الدنيا عن الزجاج ايضا وقيل هي بدل من الهاء في به على الموضع كما تقول مررت به اخاك واشار الفراء الى نصبه على الحال والعامل فيه متعنا قال كما تقول مررت به المسكين وقدره متعناهم به زهرة في الحياة الدنيا وزينة فيها ويجوز ان ينتصب على المصدر مثل صنع الله ووعد الله وفيه نظر والاحسن ان ينتصب على الحال ويحذف التنوين لسكونه وسكون اللام من الحيوة كما قرئ ولا الليل سابق النهار بنصب النهار وسابق على تقدير حذف التنوين لسكونه وسكون اللام ويكون الحياة مخفوضة على البدل من ما في قوله الى ما متعنا به فيكون التقدير ولا تمدن عينيك الى الحياة الدنيا زهرة اي في حال زهرتها والحسن ان يكون زهرة بدلا من ما على الموضع في قوله الى ما متعنا لان لنفتنهم متعلق بمتعنا وزهرة الحياة الدنيا يعني زينتها بالنبات والزهرة بالفتح في الزاء والهاء نور النبات والزهرة بضم الزاء وفتح الهاء النجم وبنو زهرة بسكون الهاء قاله ابن عزيز وقرأ عيسى بن عمر زهرة بفتح الهاء مثل نهر ونهر ويقال سراج زاهر اي له بريق وزهر الاشجار ما يروق من الوانها وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي نير اللون يقال لكل شيء مستنير زاهر وهو احسن الالوان لنفتنهم فيه اي لنبتليهم وقيل لنجعل ذلك فتنة لهم وضلالا ومعنى الآية لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا وزنا فانه لا بقاء لها ولا تمدن ابلغ من لا تنظرن لان الذي يمد بصره انما يحمله على ذلك حرص مقترن والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه قال بعض الناس سبب هذه الآية ما رواه ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلني عليه السلام الى رجل من اليهود وقال قل له يقول لك محمد نزل بنا ضيف ولم يلف عندنا بعض الذي يصلحه فبعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فقال لا الا برهن قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو باعني او اسلفني لأديت اليه اذهب بدرعي اليه ونزلت الآية تعزية له عن الدنيا قال ابن عطية وهذا معترض ان تكون سببا لان السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمره صلى الله عليه وسلم لانه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصة المذكورة وانما الظاهر ان الآية متناسقة مع ما قبلها وذلك ان الله وبخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ثم امر نبيه بالاحتقار بشانهم والصبر على اقوالهم والاعراض عن اموالهم وما في ايديهم من الدنيا اذ ذلك منصرم عنهم صائر الى خزي قال المؤلف رحمه الله وكذلك ما روي عنه عليه السلام انه مر بابل بني المصطلق وقد عبست بابوالها من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى لقوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية ثم سلاه فقال ورزق ربك خير وابقى اي ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا اولى لانه يبقى والدنيا تفنى وقيل يعني بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد والغنائم قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة امره تعالى بان يأمر اهله بالصلوة ويمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع امته واهل بيته على التخصيص وكان عليه السلام بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلي رضي الله عنهما فيقول الصلوة ويروى ان عروة بن الزبير كان اذا رأى شيئا من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله فدخله

معترض ان تكون
سببا ح

مكية م

بالوانها

وهو يقرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي بالصلاة الصلاة يرحمكم الله ويصلي وكان عمر بن الخطاب
يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بالآية لا نسألك رزقا اى لا نسألك
أن ترزق نفسك وإياهم وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق بل نحن نتكفل برزقك وإياهم فكان عليه السلام
إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة وقد قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من
رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق والعاقبة للتقوى اى الجنة لأهل التقوى
يعني العاقبة المحمودة وقد يكون لغير التقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهي كالمعدومة وقالوا لو
لا يأتينا بآية من ربه يريد كفار مكة اى لولا يأتينا محمد بآية توجب العلم الضروري أو بآية ظاهرة
كالناقة والعصى أو هلا يأتينا بالآيات التي نقترحها نحن كما أتى الأنبياء من قبله قال الله تعالى أولم
تأتهم بينة ما في الصحف الأولى يريد التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة وذلك أعظم آية إذ أخبر
بما فيها وقرئ الصحف بالتخفيف وقيل أولم تأتهم الآية الدالة على نبوته بما وجدوه في الكتب المتقدمة
من البشارة وقيل أولم يأتهم إهلاكنا الأمم الذين كفروا واقترحوا الآيات فما يؤمنهم إن أتتهم الآيات أن
يكون حالهم حال أولئك وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو ويعقوب وابن أبي إسحاق وحفص أولم
تأتهم بالتاء لتأنيث البينة الباقون بالياء لتقدم الفعل ولأن البينة هي البيان والبرهان فردوه إلى المعنى
واختاره أبو عبيد وأبو حاتم وحكى الكسائي أولم يأتهم بينة ما في الصحف الأولى قال ويجوز على هذا بينةُ ما في
الصحف الأولى قال النحاس إذا نونت بينة ورفعت جعلت ما بدلا منها وإذا نصبتها فعلى الحال والمعنى
أولم يأتهم ما في الصحف الأولى مبينا ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله اى من
قبل بعثة محمد ونزول القرآن لقالوا اى يوم القيامة لولا أرسلت اى هلا أرسلت إلينا رسولا
فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى على ما لم يسم فاعله روى أبو سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب
ولا رسول ثم تلى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا لولا أرسلت إلينا رسولا الآية ويقول
المعتوه رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود رب لم أدرك العمل فترفع لهم نار فيقال
لهم ردوها أو ادخلوها قال فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان في
علم الله شقيا لو أدرك العمل قال فيقول الله تعالى إياي عصيتم فكيف رسلي لو أتتكم ويروى موقوفا إلى أبي سعيد
وفيه نظر وقد بيناه في كتاب التذكرة وبه احتج من قال إن الأطفال وغيرهم يمتحنون في الآخرة فنتبع نصب
بجواب التحضيض آياتك يريد ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن نذل في العذاب ونخزى
في جهنم قاله ابن عباس وقيل أن نذل في الدنيا بالعذاب ونخزى في الآخرة بعذابها قل كل متربص
اى قل لهم يا محمد كل متربص اى كل المؤمنين والكافرين منتظر دوائر الزمان ولمن يكون النصر فتربصوا
فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى يريد الدين المستقيم والهدى والمعنى فستعلمون
بالنصر من اهتدى إلى دين الحق وقيل فستعلمون يوم القيامة من اهتدى إلى طريق الجنة وفي هذا ضرب من
الوعيد والتخويف والتهديد ختم به السورة وقرئ فسوف تعلمون قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكره الزمخشري ومن في موضع رفع عند الزجاج وقال الفراء يجوز أن يكون في موضع نصب مثل والله يعلم

رفع المفسد من المصلح قال أبو إسحاق هذا خطأ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ومن ههنا استفهام في موضع
بالابتداء والمعنى فستعلمون أصحاب الصراط السوي نحن أم أنتم قال النحاس والفراء يذهب إلى أن معنى
من أصحاب الصراط السوي من لم يضل وإلى أن معنى ومن اهتدى من ضل ثم اهتدى وقرأ يحيى بن يعمر و
عاصم الجحدري فستعلمون من أصحاب الصراط السوأى تأنيث السوء وبعدها ألف التأنيث على فعلى بغير همز وتأنيث
الصراط شاذ قليل قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فجاء مذكرا في هذا وفي غيره وقد رد هذا أبو حاتم قال
إن كان من السوء وجب أن يقال السوأى وإن كان من السواء وجب أن يقال السيا بكسر السين والأصل
السويا قال الزمخشري وقرئ السواء بمعنى الوسط والعدل أو المستوي قال النحاس وجواز قراءة يحيى بن يعمر و
الجحدري أن يكون الأصل السوءى والساكن ليس بحاجز حصين فكأنه قلب الهمزة ضمة فأبدل منها واوا كما يبدل منها ألفا
إذا انفتح ما قبلها

سورة الأنبياء [illegible] مائة واثنتا عشرة آية

قوله تعالى اقترب للناس حسابهم قال عبد الله بن مسعود الكهف ومريم وطه والأنبياء من العتاق الأول
وهن من تلادي يريد من قديم ما كسب وحفظ من القرآن كالمال التلاد وروي أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كان يبني جدارا فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة فقال الذي يبني الجدار ماذا نزل اليوم من القرآن فقال
الآخر نزل اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فنفض يده من البنيان وقال والله لا بنيت أبدا وقد اقترب
الحساب اقترب اى قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على أعمالهم قال ابن عباس المراد بالناس هنا المشركون بدليل
قوله إلا استمعوه وهم يلعبون إلى قوله أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقيل الناس عموم وإن كان المشار إليه في ذلك
الوقت كفار قريش يدل على ذلك ما بعده من الآيات ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله وطابت نفسه بالتوبة ولم
يركن إلى الدنيا فكأن ما كان لم يكن إذا ذهب وكل آت قريب والموت لا محالة آت وموت كل إنسان قيام ساعته
والقيامة أيضا قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان فما بقي من الدنيا أقل مما مضى وقال الضحاك معنى اقترب للناس
حسابهم اى عذابهم يعني أهل مكة لأنهم استبطؤوا ما وعدوا به من العذاب تكذيبا وكان قتلهم يوم بدر قال النحاس
ولا يجوز في الكلام اقترب حسابهم للناس لئلا يتقدم مضمر على مظهر لا يجوز أن ينوى به التأخير وهم في غفلة
معرضون يعني بالدنيا عن الآخرة ابتداء وخبر ويجوز النصب في غير القرآن على الحال وفيه وجهان أحدهما
وهم في غفلة معرضون يعني بالدنيا عن الآخرة الثاني عن التأهب للحساب وعما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وهذه الواو عند سيبويه بمعنى إذ وهي التي يسميها النحويون واو الحال كما قال تعالى يغشى طائفة منكم وطائفة
قد أهمتهم أنفسهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث نعت لذكر وأجاز الكسائي
والفراء محدثا بمعنى ما يأتيهم محدثا نصب على الحال وأجاز الفراء أيضا رفع محدث على النعت من ذكر لأنك
لو حذفت من رفعت ذكرا اى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث يريد في النزول وتلاوة جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم فإنه كان ينزل سورة بعد سورة وآية بعد آية كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت بعد وقت لا أن القرآن
مخلوق وقيل الذكر ما يذكرهم به النبي صلى الله عليه وسلم ويعظهم به وقال من ربهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق
إلا بالوحي فوعظ النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيره ذكر وهو محدث قال الله تعالى فذكر إنما أنت مذكر
ويقال فلان في مجلس الذكر وقيل الذكر الرسول نفسه قاله الحسين بن الفضل بدليل ما في سياق الآية
هل هذا إلا بشر مثلكم ولو أراد بالذكر القرآن لقال هل هذا إلا أساطير الأولين ودليل هذا التأويل قوله

تعالى ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قد انزل اليكم ذكرا رسولا
الا استمعوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم او القرآن منه او من امته وهم يلعبون والواو للحال يدل عليه
لاهية قلوبهم ومعنى يلعبون اي يلهون وقيل يستهزءون فان حمل على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين احدهما
بلذاتهم والثاني بسماع ما يتلى عليهم وان حمل على الشغل احتمل ما يتشاغلون به وجهين احدهما بالدنيا لانها لعب
كما قال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو والثاني يتشاغلون بالقدح فيه والاعراض عنه قال الحسن كلما جدد
لهم الذكر استمروا على الجهل وقيل يستمعون القرآن مستهزئين لاهية قلوبهم اي
ساهية قلوبهم معرضة عن ذكر الله متشاغلة عن التامل والتفهم من قول العرب لهيت عن ذكر الشيء اذا تركته
وسلوت عنه الهى لهيا ولهيانا ولاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت ان يتبع المنعوت في جميع الاعراب
فاذا تقدم النعت الاسم انتصب كقوله خاشعة ابصارهم ودانية عليهم ظلالها ولاهية قلوبهم قال الشاعر
لعزة موحشا طلل يلوح كانه خلل اراد طلل موحش واجاز الكسائي والفراء لاهية قلوبهم بالرفع بمعنى قلوبهم
لاهية واجاز غيرهما الرفع على ان يكون خبرا بعد خبر وعلى اضمار مبتدا قال الكسائي ويجوز ان يكون المعنى الا
استمعوه لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا اي تناجوا فيما بينهم بالتكذيب ثم بين من هم فقال الذين ظلموا
اي الذين اشركوا فالذين ظلموا بدل من الواو في اسروا وهو عائد على الناس المتقدم ذكرهم ولا يوقف على هذا القول
على النجوى قال المبرد هو كقولك ان الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله فبنو بدل من الواو في انطلقوا وقيل
هو رفع على الذم اي هم الذين ظلموا وحذف القول مثل والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم واختار وقيل على حذف القول التقدير يقول الذين ظلموا
هذا القول النحاس قال والدليل على صحة هذا الجواب ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم وقول رابع يكون منصوبا
بمعنى اعني الذين ظلموا واجاز الفراء ان يكون خفضا بمعنى اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم ولا يوقف على هذا
الوجه على النجوى ويوقف على الوجوه المتقدمة الثلثة قبله فهذه خمسة اقوال واجاز الاخفش الرفع على لغة من قال
اكلوني البراغيث وهو حسن قال الله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر بك نال النضال دون المساعي
فاهتدين النبال للاغراض وقال اخر ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه وقال
الكسائي فيه تقديم وتاخير مجازه والذين ظلموا اسروا النجوى وقال ابو عبيدة اسروا هنا من الاضداد فيحتمل ان
يكونوا اخفوا كلامهم ويحتمل ان يكونوا اظهروه واعلنوه هل هذا الا بشر مثلكم اي تناجوا
بينهم وقالوا هل هذا الذكر الذي هو الرسول او هل هذا الذي يدعوكم الا بشر مثلكم لا يتميز عنكم بشيء يأكل
الطعام ويمشي في الاسواق كما تفعلون وما علموا ان الله عز وجل بين انه لا يجوز ان يرسل اليهم الا بشرا ليتفهموا
ويعلمهم افتأتون السحر اي ان الذي جاء به محمد سحر فكيف تتبعونه فاطلع الله عليهم نبيه على ما تناجوا به والسحر
انه م في اللغة كل مموه لا حقيقة له ولا صحة وانتم تبصرون قيل معناه وانتم تبصرون انه انسان مثلكم مثل و
انتم تعقلون لان العقل البصر بالاشياء وقيل المعنى افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر وقيل المعنى افتعدلون
الى الباطل وانتم تعرفون الحق ومعنى الكلام التوبيخ قال ربي يعلم القول في السماء والارض
اي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والارض وفي مصاحف اهل الكوفة قال ربي اي قال محمد ربي يعلم القول اي هو
عليه م عالم بما تناجيتم به وقيل ان القراءة الاولى اولى لانهم اسروا هذا القول فاطلع الله عز وجل نبيه وامره ان يقول لهم
هذا قال النحاس والقراءتان صحيحتان وهما بمنزلة آيتين وفيهما من الفائدة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر وانه قال كما امر

بل قالوا اضغاث احلام قال الزجاج اي قالوا الذي يأتي به اضغاث احلام وقال غيره
اي قالوا هو اخلاط كالاحلام المختلطة اي اهاويل رآها في المنام قال معناه مجاهد وقتادة ومنه قول الشاعر
كضغث حلم غر منه حالمه وقال القتيبي انها الرؤيا الكاذبة ومنه قول الشاعر احاديث طسم او سراب بفدفد
ترقرق للساري واضغاث حالم وقال اليزيدي الاضغاث ما لم يكن له تاويل وقد مضى هذا في يوسف فلما راوا ان
الامر ليس كما قالوا انتقلوا عن ذلك فقالوا بل افتراه ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا بل هو شاعر اي هم متحيرون لا يستقرون
على شيء قالوا مرة سحر ومرة اضغاث احلام ومرة افتراه ومرة شاعر وقيل اي قال فريق انه ساحر وفريق انه اضغاث
احلام وفريق انه افتراه وفريق انه شاعر والافتراء الاختلاق وقد تقدم فليأتنا باية كما ارسل الاولون
اي كما ارسل موسى بالعصا وغيرها من الايات ومثل ناقة صالح وكانوا عالمين بان القرآن ليس بسحر ولا رؤيا ولكن
قالوا ينبغي ان يأتي باية نقترحها ولم يكن لهم الاقتراح بعد ما راوا آية واحدة وايضا اذ لم يؤمنوا باية هي من جنس ما هم
اعلم الناس به ولا مجال للشبهة فيها فكيف يؤمنون باية غيرها ولو ابرأ الاكمه والابرص لقالوا هذا من باب الطب
وليس ذلك من صناعتنا وانما كان سؤالهم تعنتا اذ كان الله اعطاهم من الايات ما فيه كفاية وبين الله جل وعز
انهم لو كانوا يؤمنون لاعطاهم ما سألوه لقوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
قوله تعالى ما آمنت قبلهم من قرية قال ابن عباس يريد قوم صالح وقوم فرعون اهلكناها
يريد كان في علمنا هلاكها افهم يؤمنون يريد يصدقون اي فما آمنوا بالايات فاستؤصلوا فلو رأى هؤلاء
ما اقترحوا لما آمنوا لما سبق من القضاء بانهم لا يؤمنون ايضا وانما تأخر عقابهم لعلمنا بان في اصلابهم من يؤمن ومن زائدة
في قوله من قرية كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم
هذا رد عليهم في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وتأنيس لنبيه اي لم نرسل قبلك الا رجالا فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون يريد اهل التوراة والانجيل الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قاله سفيان وسماهم اهل الذكر
لانهم كانوا يذكرون خبر الانبياء مما لم تعرفه العرب وكانت كفار قريش يراجعون اهل الكتاب في امر محمد عليه السلام
وقال ابن زيد اراد بالذكر القرآن اي فاسألوا المؤمنين العالمين من اهل القرآن قال جابر الجعفي لما نزلت هذه
الاية قال علي رضي الله عنه نحن اهل الذكر وقد ثبت بالتواتر ان الرسل كانوا من البشر والمعنى لا تبتدؤا بالانكار و
بقولكم ينبغي ان يكون الرسول من الملئكة بل ناظروا المؤمنين ليبينوا لكم جواز ان يكون الرسول من البشر والملك
لا يسمى رجلا لان الرجل يقع على ما له ضد من لفظه تقول رجل وامراة ورجل وصبي فقوله الا رجالا اي من بني آدم وقرأ
حفص وحمزة والكسائي نوحي اليهم مسئلة لم يختلف العلماء ان العامة عليها تقليد علمائها وانهم المراد بقوله تعالى
فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واجمعوا على ان الاعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة
اذا اشكلت عليه فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه وكذلك لم يختلف العلماء ان العامة
لا يجوز لها الفتيا لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم قوله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام الضمير في جعلناهم للانبياء اي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون الى طعام و
شراب وما كانوا خالدين يريد لا يموتون وهذا جواب لقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وقولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام وجسدا اسم جنس ولهذا لم يقل اجسادا وقيل لم يقل اجسادا لانه اراد وما جعلنا كل واحد منهم جسدا
والجسد ايضا الزعفران او نحوه من الصبغ وهو الدم ايضا قال النابغة وما اريق على الانصاب من جسد وقال الكلبي والجسد

هو الجسد الذي فيه الروح يأكل ويشرب فعلى هذا مقتضى هذا القول يكون ما لا يأكل ولا يشرب جسدا وقال مجاهد الجسد
ما لا يأكل ولا يشرب فعلى مقتضى هذا القول يكون ما يأكل ويشرب نفسا ذكره الماوردي ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ يعني الانبياء اى بانجائهم ونصرهم واهلاك مكذبيهم وَمَنْ نَشَاءُ اى الذين صدقوا الانبياء وَأَهْلَكْنَا
الْمُسْرِفِينَ اى المشركين لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا يعني القرآن فِيهِ ذِكْرُكُمْ رفع بالابتداء
والجملة في موضع نصب لانها نعت لكتاب والمراد بالذكر هنا الشرف اى فيه شرفكم مثل وانه لذكر لك ولقومك
ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال جل وعز أَفَلَا تَعْقِلُونَ وقيل فيه ذكركم اى ذكر امر دينكم
واحكام شرعكم وما تصيرون اليه من ثواب وعقاب افلا تعقلون هذه الاشياء التي ذكرناها وقال مجاهد
فيه ذكركم اى حديثكم وقيل مكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقال سهل بن عبد الله العمل بما فيه حياتكم قال
المؤلف رحمه الله وهذه الاقوال بمعنى والاول يعمها اذ هي شرف كلها والكتاب شرف لنبينا عليه السلام لانه معجزته
وهو شرف لنا ان عملنا بما فيه دليله قوله عليه السلام القرآن حجة لك او عليك وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ
قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً يريد مداين كانت باليمن وقال اهل التفسير والاخبار انه اراد اهل حضور وكان
بعث اليهم نبي اسمه شعيب بن ذي مهرم وقبر شعيب هذا باليمن بجبل يقال له ضنن كثير الثلج وليس بشعيب
صاحب مدين لان قصة حضور قبل مدة عيسى عليه السلام وبعد مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام
وانهم قتلوا نبيهم وقتل اصحاب الرس في ذلك التاريخ نبيا لهم اسمه حنظلة بن صفوان وكانت حضور بارض الحجاز
من ناحية الشام فاوحى الله الى ارميا ان ائت بخت نصر فاعلمه اني قد سلطته على ارض العرب واني منتقم
بك منهم واوحى الله الى ارميا ان احمل معد بن عدنان على البراق الى ارض العراق لئلا تصيبه النقمة والبلاء معهم
فاني مستخرج من صلبه نبيا في آخر الزمان اسمه محمد فحمل معدا وهو ابن اثنتي عشرة سنة وكان مع بني اسرائيل
الى ان كبر وتزوج امرأة اسمها معانة ثم ان بخت نصر نهض بالجيوش وكمن للعرب في مكان وهو اول من اتخذ
المكامن فيما ذكروا ثم شن الغارات على حضور فقتل وسبى وخرب العامر ولم يترك بحضور اثرا ثم انصرف راجعا
الى السواد وكم في موضع نصب بقصمنا والقصم الكسر يقال قصمت ظهر فلان وانقصمت سنه اذا انكسرت والمعنى
به ههنا الاهلاك واما الفصم بالفاء فهو الصدع في الشيء من غير بينونة قال الشاعر كانه دملج من فضة نبه في
ملعب من عذارى الحي مفصوم ومنه الحديث فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقوله كانت ظالمة اى
كافرة يعني اهلها والظلم وضع الشيء في غير موضعه وهم وضعوا الكفر موضع الايمان وَأَنْشَأْنَا اى اوجدنا و
احدثنا بعد اهلاكهم قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا اى رأوا عذابنا يقال احسست منه ضعفا وقال الاخفش
احسوا خافوا وتوقعوا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ اى يهربون ويفرون والركض العدو بشدة الوطء والركض
تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض
الفرس اذا عدا وليس بالاصل والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض لَا تَرْكُضُوا اى لا تفروا وقيل
ان الملائكة نادتهم لما انهزموا استهزاء بهم وقالت لا تركضوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ اى الى نعمكم التي كانت سبب
بطركم والمترف المنعم يقال اترف على فلان اى وسع عليه في معاشه وانما اترفهم الله عز وجل كما قال وأترفناهم
في الحياة الدنيا لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ اى لعلكم تسألون شيئا من دنياكم استهزاء بهم قاله قتادة وقيل المعنى لعلكم
تسألون عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به وقيل المعنى لعلكم تسألون ان تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول

البأس بكم قيل لهم ذلك استهزاء وتقريعا وتوبيخا قَالُوا يَا وَيْلَنَا لما قالت لهم الملائكة لا تركضوا ونادت
بالثارات للانبياء ولم يروا شخصا يكلمهم عرفوا ان الله هو الذي سلط عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث
فيهم فعند ذلك قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فاعترفوا بانهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
دَعْوَاهُمْ اى لم يزالوا يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا اى بالسيوف كما
يحصد الزرع بالمنجل قاله مجاهد وقال الحسن اى بالعذاب خَامِدِينَ اى ميتين والخمود الهمود كخمود
النار اذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفئ تشبيها بانطفاء النار قوله تعالى
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ اى عبثا وباطلا بل للتنبيه على ان لها خالقا
قادرا يجب امتثال امره وان الله يجازي المسيء والمحسن اى ما خلقنا السموات والارض ليظلم بعض الناس بعضا
ويكفر بعضهم ويخالف بعضهم ما امر به ثم يموتوا ولا يجازوا ولا يؤمروا في الدنيا بحسن ولا ينهوا عن قبيح وهذا
اللعب المنفي عن الحكيم ضد الحكمة لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لما اعتقد قوم ان له ولدا
قال لو اردنا ان نتخذ لهوا واللهو المرأة بلغة اهل اليمن قاله قتادة وقال عقبة بن ابي جسرة وجاء طاوس
وعطاء ومجاهد يسألونه عن قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا فقال اللهو الزوجة وقاله الحسن وقال ابن عباس
اللهو الولد وقاله الحسن ايضا قال الجوهري وقد يكنى باللهو عن الجماع قال المؤلف رحمه الله ومنه قول امرئ القيس
الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يحسن اللهو امثالي وانما سمي الجماع لهوا لانه ملهى للقلب كما قال
وفيهن ملهى للصديق ومنظر الجوهري قوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا قالوا امرأة ويقال ولدا
لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا اى من عندنا لا من عندكم قال ابن جريج من اهل السماء لا من اهل الارض قيل اراد الرد
على من قال الاصنام بنات الله اى كيف يكون منحوتكم ولدا لنا وقال ابن قتيبة الآية رد على النصارى ومقاتل
وابن جريج والحسن المعنى ما كنا فاعلين مثل ان انت الا نذير اى ما انت الا نذير وان بمعنى الجحد وتم الكلام عند قوله
لاتخذناه من لدنا وقيل انه على معنى الشرط اى ان كنا فاعلين ذلك ولكن لسنا بفاعلين ذلك لاستحالة ان يكون لنا ولد
اذ لو كان ذلك لم يخلق جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا وقيل لو اردنا ان نتخذ ولدا على طريق التبني لاتخذناه
من عندنا من الملائكة ومال الى هذا قوم لان الارادة قد تتعلق بالتبني فاما اتخاذ الولد فهو محال والارادة لا تتعلق
بالمستحيل ذكره القشيري بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ القذف الرمي اى نرمي بالحق على
الباطل فَيَدْمَغُهُ اى يقهره ويهلكه واصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ ومنه الدامغة والحق هو القرآن
والباطل الشيطان في قول مجاهد قال وكل ما في القرآن من ذكر الباطل فهو الشيطان وقيل الباطل كذبهم
ووصفهم الله تعالى بغير صفاته من الولد وغيره وقيل اراد بالحق الحجة وبالباطل شبههم وقيل الحق المواعظ والباطل المعاصي
والمعنى متقارب والقرآن يتضمن الموعظة والحجة فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ اى هالك قاله قتادة تالف وَلَكُمُ الْوَيْلُ
اى العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الرب بما لا يجوز وصفه وقال ابن عباس الويل واد في جهنم وقد تقدم
مِمَّا تَصِفُونَ اى مما تكذبون نظيره سيجزيهم وصفهم اى بكذبهم وقيل وصفهم الله بالمحال وهو اتخاذ الولد
قوله تعالى وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اى ملكا وخلقا فكيف يجوز ان يشرك به ما هو عبده
وخلقه وَمَنْ عِنْدَهُ يعني الملائكة الذين ذكرتم انهم بنات الله لَا يَسْتَكْبِرُونَ اى لا يأنفون عن عبادته
والتذلل له وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ اى يعيون قاله قتادة مأخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالاعياء والتعب

ان كنا فاعلين قال قتادة صح

المواعظ و م

بحسر بعير حسير حسورا اعيا وكل واستحسر مثله وحسرته انا حسرا يتعدى ولا يتعدى واحسرته ايضا فهو حسير
قال ابن زيد لا يملون ابن عباس لا يستنكفون وقال ابو زيد لا يكلون وقيل لا يفشلون ذكره ابن الاعرابي
والمعنى واحد يسبحون الليل والنهار اي يصلون ويذكرون الله وينزهونه دائما لا يفترون اي
لا يضعفون ولا يسأمون يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس قال عبد الله بن الحارث سألت كعبا
فقلت اما لهم شغل عن التسبيح اما يشغلهم عنه شيء فقال من هذا فقلت من بني عبد المطلب فضمني اليه وقال
يا ابن اخي هل يشغلك عن النفس شيء ان التسبيح لهم بمنزلة النفس وقد استدل بهذه الآية من قال ان الملئكة
افضل من البشر وقد تقدم قوله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون قال المفضل مقصود
هذه الاستفهام الجحد اي لم يتخذوا آلهة تقدر على الاحياء وقيل ام بمعنى هل اي هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من
الارض يحيون الموتى ولا تكون ام هنا بمعنى بل لان ذلك يوجب لهم انشار الموتى الا ان تقدر ام مع الاستفهام فتكون ام
المنقطعة فيصح المعنى قاله المبرد وقيل ام عطف على المعنى اي افخلقنا السماء والارض لعبا ام هذا الذي اضافوه الينا من
عندنا فيكون لهم موضع شبهة او هل ما اتخذوه من الآلهة في الارض يحيي الموتى فيكون موضع شبهة او هل ما اتخذوه وقيل
لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ثم عطف عليه بالمعاتبة وعلى هذين التأويلين تكون ام متصلة وقراءة الجمهور
ينشرون بضم الياء وكسر الشين من انشر الله الميت فنشر اي احياه فحيي وقراءة الحسن بفتح الياء اي يحيون ولا يموتون
قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اي لو كان في السموات والارضين آلهة غير الله معبودون
لفسدتا قال الكسائي وسيبويه الا بمعنى غير فلما جعلت الا بمعنى غير اعرب الاسم الذي بعدها باعراب غير كما قال
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان وحكى سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لهلكنا وقال الفراء
الا هنا في موضع سوى والمعنى لو كان فيهما آلهة سوى الله لفسد اهلها وقال غيره لو كان فيهما الهان لفسد التدبير
لان احدهما ان اراد شيئا واراد الآخر ضده كان احدهما عاجزا وقيل معنى لفسدتا اي خربتا وهلك من فيهما بسبب
التنازع والاختلاف الواقع بين الشركاء سبحان الله عما يصفون نزه نفسه وامر العباد ان ينزهوه عن ان
يكون له شريك او ولد قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قاصمة القدرية وغيرهم المعنى
لا يسأله الخلق عن قضائه في خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم لانهم عبيد بين بهذا ان من يسأل غدا عن اعماله
كالمسيح والملئكة لا يصلح للالهية وقيل لا يؤاخذ على افعاله وهم يؤاخذون وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قال
له يا امير المؤمنين ايحب ربنا ان يعصى قال افيعصى ربنا قهرا قال ارايت ان منعني الهدى ومنحني الردى احسن
الي ام اساء قال ان منعك حقك فقد اساء وان منعك فضله فهو فضله يؤتيه من يشاء ثم تلا لا يسأل عما يفعل و
هم يسألون وعن ابن عباس قال لما بعث الله موسى عليه السلام وكلمه وانزل عليه التوراة قال اللهم انك رب
عظيم لو شئت ان تطاع لاطعت ولو شئت ان لا تعصى ما عصيت وانت تحب ان تطاع وانت في ذلك تعصى فكيف
هذا يا رب فاوحى الله اليه اني لا اسأل عما افعل وهم يسألون قوله تعالى ام اتخذوا من دونه آلهة
اعاد التعجب في اتخاذ الآلهة من دون الله مبالغة في التوبيخ اي صفتهم كما تقدم في الانشار والاحياء فتكون ام بمعنى
هل فليأتوا بالبرهان على ذلك وقيل الاول احتجاج من حيث المعقول لانه قال هم ينشرون ويحيون الموتى
هيهات والثاني احتجاج بالمنقول اي هاتوا برهانكم من هذه الجهة ففي اي كتاب نزل هذا في القرآن ام في الكتب المنزلة
على سائر الانبياء هذا ذكر من معي باخلاص التوحيد في القرآن وذكر من قبلي في التوراة والانجيل وما انزل

الله من الكتب فانظروا هل في كتاب من هذه الكتب ان الله امر باتخاذ الهة سواه فالشرائع لم تختلف
فيما يتعلق بالتوحيد وانما اختلفت في الاوامر والنواهي وقال قتادة الاشارة الى القرآن المعنى هذا ذكر من معي
بما يلزمهم من الحلال والحرام وذكر من قبلي من الامم ممن نجا بالايمان وهلك بالشرك وقيل ذكر من معي
بما لهم من الثواب على الايمان والعقاب على الكفر وذكر من قبلي من الامم السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا
وما يفعل بهم في الآخرة وقيل معنى الكلام الوعيد والتهديد اي افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء
وحكى ابو حاتم ان يحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف قرآ هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين وكسر
الميم وزعم انه لا وجه لهذا وقال ابو اسحق الزجاج في هذه القراءة المعنى هذا ذكر مما انزل الي ومما هو
معي وذكر من قبلي وقيل ذكر كائن من قبلي اي جئت بما جاءت به الانبياء من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون
الحق وقرأ ابن محيصن والحسن الحق بالرفع بمعنى هو الحق او هذا الحق وعلى هذا يوقف على لا يعلمون ولا يوقف
عليه على قراءة النصب فهم معرضون اي عن الحق وهو القرآن فلا يتأملون حجة التوحيد قوله تعالى وما
ارسلنا قبلك من رسول الا يوحى اليه وقرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون لقوله
ارسلنا انه لا اله الا انا فاعبدون اي قلنا للجميع لا اله الا الله فادلة العقل شاهدة انه
لا شريك له والنقل عن جميع الانبياء موجود والدليل اما معقول واما منقول وقال قتادة لم يرسل نبي
الا بالتوحيد والشرائع مختلفة في التوراة والانجيل والقرآن كل ذلك على الاخلاص والتوحيد قوله تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت في خزاعة حيث قالوا الملئكة بنات الله وكانوا يعبدونهم طمعا
في شفاعتهم لهم وروى معمر عن قتادة قال قالت اليهود قال معمر في روايته او طوائف من الناس خاتن الى
الجن والملئكة من الجن فقال الله سبحانه بل عباد اي بل هم عباد مكرمون اي ليس كما زعم هؤلاء
الكفار ويجوز النصب عند الزجاج على معنى بل اتخذ عبادا مكرمين واجاز الفراء على ان يرده على ولد اي بل لم
نتخذهم ولدا بل اتخذناهم عبادا مكرمين والولد هاهنا للجمع وقد يكون الواحد والجمع اولادا ويجوز ان يكون لفظ الولد
للجنس كما يقال لفلان مال لا يسبقونه بالقول اي لا يقولون حتى يقول ولا يتكلمون الا بما يامرهم وهم
بامره يعملون اي بطاعته واوامره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما عملوا وما هم عاملون قاله
ابن عباس وعنه ايضا ما بين ايديهم الآخرة وما خلفهم الدنيا ذكر الاول الثعلبي والثاني القشيري ولا يشفعون
الا لمن ارتضى قال ابن عباس هم اهل شهادة ان لا اله الا الله وقال مجاهد هم كل من رضي الله عنه و
الملئكة يشفعون غدا في الآخرة كما في صحيح مسلم وغيره وفي الدنيا ايضا فانهم يستغفرون للمؤمنين ولمن في
الارض كما نص الله في التنزيل على ما ياتي وهم يعني الملئكة من خشيته من خوفه مشفقون اي خائفون لا يامنون
مكره قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه قال قتادة والضحاك وغيرهما عني بهذه الآية ابليس
حيث ادعى الشركة ودعا الى عبادة نفسه وكان من الملئكة ولم يقل احد من الملئكة اني اله غيره وقيل الاشارة
الى جميع الملئكة اي فذلك القائل نجزيه جهنم وهذا دليل على انهم وان اكرموا بالعصمة فهم متعبدون وليسوا
بمضطرين الى العبادة كما ظنه بعض الجهال وقد استدل ابن عباس بهذه الآية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم
افضل اهل السماء وقد تقدم في البقرة كذلك نجزي الظالمين اي كما جزينا هذا بالنار فكذلك نجزي الظالمين
الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها قوله تعالى اولم ير الذين كفروا قراءة العامة اولم يروا بالواو

وقراء ابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد الم يرو بغير واو وكذلك هو في مصحف الم ويرى
يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال الاخفش قال كانتا لانهما صنفان كما
تقول العرب هما لقاحان اسودان وكما قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا قال
ابو اسحق كانتا لانه يعبر عن السموات بلفظ الواحد سيما لان السموات كانت سماء واحدا وكذلك الارض
وقال رتقا ولم يقل رتقين لانه مصدر والمعنى كانتا ذواتي رتق وقراء الحسن رتقا بفتح التاء قال عيسى بن
عمر هو صواب وهي لغة والرتق السد ضد الفتق وقد رتقت الفتق فارتتق اي التام ومنه الرتقاء المنضمة
الفرج قال ابن عباس والحسن والضحاك وقتادة انها كانت شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء و
لذلك قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعا
والارضين سبعا وقول ثاني قاله مجاهد والسدي وابو صالح كانت السموات مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها وجعلها
سبعا وكذلك الارضين كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبعا وحكى القتبي في عيون الاخبار عن
اسمعيل بن ابي خالد قال كانت السماء مخلوقة وحدها ففتق من هذه سبع سموات ومن هذه سبع ارضين
خلق الارض العليا وجعل سكانها الجن والانس وشق فيها الانهار وانبت الثمار وجعل فيها البحار وسماها
رعا عرضها مسيرة خمسمائة عام ثم خلق الثانية مثلها في العرض والغلظ وجعل فيها اقواما افواههم كافواه الكلاب
وايديهم ايدي الناس وآذانهم آذان البقر وشعورهم شعور الغنم فاذا كان عند اقتراب الساعة القتهم
الارض الى ياجوج وماجوج واسم تلك الارض الدكماء ثم خلق الارض الثالثة غلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها
هواء الى الارض الرابعة خلق فيها ظلمة وعقارب لاهل النار مثل البغال السود ولها اذناب مثل اذناب
الخيل الطوال ياكل بعضها بعضا فتسلط على بني آدم ثم خلق الله الخامسة في الغلظ والطول والعرض فيها سلاسل
واغلال وقيود لاهل النار ثم خلق الله الارض السادسة واسمها ماد فيها حجارة سود بهم ومنها خلقت تربة
آدم عليه السلام تبعث تلك الحجارة يوم القيمة وكل حجر كالطود العظيم وهي من كبريت تعلق في اعناق الكفار فتشتعل
حتى تحرق وجوههم وايديهم فذلك قوله تعالى وقودها الناس والحجارة ثم خلق السابعة واسمها عربية وفيها
جهنم فيها بابان اسم الواحد سجين والاخر الفلق فاما سجين فمفتوح واليه ينتهي كتاب الكفار وعليه يعرض
اصحاب المائدة وقوم فرعون واما الفلق فهو مغلق لا يفتح الى يوم القيامة وقد مضى في البقرة انها سبع وبين
بين كل ارض مسيرة خمسمائة عام وسياتي له في آخر الطلاق زيادة بيان وقول ثالث ان السموات كانتا رتقا
لا تمطر والارض كانت رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات نظيره قوله تعالى والسماء ذات
الرجع والارض ذات الصدع واختار هذا القول الطبري لان بعده وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون
قال المصنف وبه يقع الاعتبار مشاهدة ومعاينة ولذلك اخبر بذلك في غير ما آية ليدل على كمال قدرته وعلى البعث
والجزاء وقيل يهون عليهم اذا يغضبون سخط العداة وارغامها ورتق الفتوق وفتق الرتوق ونقض الامور
وابرامها وفي قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي ثلاث تاويلات احدها انه خلق كل شيء من الماء قاله قتادة الثاني
حفظ حياة كل شيء بالماء الثالث وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي قاله قطرب وجعلنا بمعنى خلقنا روى ابو حاتم
البستي في المسند الصحيح له من حديث ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني
انبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء الحديث قال ابو حاتم قول ابي هريرة انبئني عن كل شيء اراد به عن كل شيء

قال في قوله الله عز وجل اولم ير الذين كفروا ان السموات و الارض كانتا رتقا ففتقناهما ص

ونحو ص

خلق من الماء والدليل على صحة هذا جواب المصطفى اياه حيث قال كل شيء خلق من الماء وان لم يكن مخلوقا وهذا احتجاج آخر
سوى ما تقدم من كون السموات والارض رتقا وقيل الكل قد يذكر بمعنى البعض كقوله واوتيت من كل شيء وقوله تدمر كل
شيء والصحيح العموم لقوله عليه السلام كل شيء خلق من الماء والله اعلم افلا يؤمنون اي افلا يصدقون بما يشاهدون
وان ذلك لم يكن بنفسه بل لمكون كونه ومدبر اوجده ولا يجوز ان يكون ذلك المكون محدثا
وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار
عليها قاله الكوفيون وقال البصريون المعنى كراهية ان تميد والميد التحرك والدوران يقال ماد راسه اي دار و
قد مضى في النحل مستوفى وجعلنا فيها فجاجا يعني في الرواسي عن ابن عباس والفجاج المسالك والفج الطريق
الواسع بين الجبلين وقيل وجعلنا في الارض فجاجا اي مسالك وهو اختيار الطبري لقوله لعلهم يهتدون اي
يهتدون الى السير في الارض سبلا تفسير الفجاج لان الفج قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقيل ليهتدوا بها بالاعتبار
الى دينهم قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا اي محفوظا من ان تقع وتسقط على الارض دليله
قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقيل محفوظا بالنجوم من الشياطين قاله الفراء دليله قوله وحفظناها
من كل شيطان رجيم وقيل محفوظا من الهدم والنقض وعن ان يبلغه احد بحيلة وقيل محفوظا فلا يحتاج الى عماد
وقال مجاهد مرفوعا وقيل محفوظا من الشرك والمعاصي وهم يعني الكفار عن آياتها معرضون قال مجاهد
يعني الشمس والقمر واضاف الآيات الى السماء لانها مجعولة فيها وقد اضاف الآيات الى نفسه في مواضع لانه الفاعل
لها بين ان المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها من ليلها ونهارها وشمسها وقمرها وافلاكها ورياحها
وسحابها وما فيها من قدرة الله تعالى اذ لو نظروا واعتبروا لعلموا ان لها صانعا قادرا واحدا يستحيل ان يكون له شريك
قوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار ذكرهم نعمة اخرى جعل لهم الليل ليسكنوا فيه و
النهار ليتصرفوا فيه لمعايشهم والشمس والقمر اي وجعل الشمس آية النهار والقمر آية الليل لتعلم الشهور و
السنون والحساب كما تقدم في سبحان بيانه كل يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار في فلك
يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء قال الله تعالى والسابحات سبحا ويقال للفرس الذي
يمد يده في الجري سابح وفيه من النحو انه لم يقل يسبحن ولا تسبح قال سيبويه لما اخبر عنهن بفعل من يعقل وجعلهن
في الطاعة بمنزلة من يعقل خبر عنهن بالواو والنون ونحوه قال الفراء وقد تقدم هذا المعنى في يوسف وقال الكسائي
انما قال يسبحون لانه راس آية كما قال نحن جميع منتصر ولم يقل منتصرون وقيل الجري للفلك فنسب اليها والاصح
ان السيارة تجري في الفلك وهي سبعة افلاك دون السموات المطبقة التي هي محال الملائكة واسباب الملكوت فالقمر في
الفلك الادنى ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج والتاسع الفلك الاعظم
والفلك واحد افلاك النجوم قال ابو عمرو ويجوز ان يجمع على فعل مثل اسد واسد وخشب وخشب واصل الكلمة من
الدوران ومنه فلكة المغزل لاستدارتها ومنه قيل فلك ثدي المراة تفليكا وتفلك استدار وفي حديث ابن مسعود
تركت فرسي كانه يدور في فلك كانه لدورانه شبهه بفلك السماء الذي تدور عليه النجوم قال ابن زيد الافلاك مجاري
النجوم والشمس والقمر وهي بين السماء والارض وقال قتادة الفلك استدارة في السماء تدور بالنجوم مع ثبوت السماء وقال
مجاهد الفلك كهيئة حديدة الرحا وهي قطبها وقال الضحاك فلكها مجراها وسرعة مسيرها وقيل الفلك موج مكفوف و
مجرى الشمس والقمر فيه والله اعلم قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي دوام البقاء في

الدنيا نزلت حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وذلك ان المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون شاعر
نتربص به ريب المنون ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان فقال الله قد مات الانبياء من قبلك وتولى
دينه بالنصر والحياطة فهكذا نحفظ دينك وشرعك افان مت فهم الخالدون اى افهم مثل قول الشاعر رفوني
وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم اى اهم فهو استفهام انكار وقال الفراء جاء بالفاء
ليدل على الشرط لانه جواب قولهم سيموت ويجوز ان يكون جئ بها لان التقدير فيها افهم الخالدون ان مت قال
الفراء ويجوز حذف الفاء واضمارها لان هم لا يتبين فيها الاعراب اى ان مت فهم يموتون ايضا فلا شماتة في الاماتة
وقرئ مت ومت بكسر الميم وضمها لغتان كل نفس ذائقة الموت تقدم في آل عمران
ونبلوكم بالشر والخير فتنة فتنة مصدر على غير اللفظ اى نختبركم بالشدة والرخاء والحرام والحلال
لننظر كيف شكركم وصبركم والينا ترجعون اى للجزاء بالاعمال واذا رآك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اى ما يتخذونك الا هزوا السخرية وقد تقدم وهم المستهزؤن المتقدم الذكر في آخر سورة
الحجر في قوله انا كفيناك المستهزئين كانوا يعيبون من جحد الهية اصنامهم وهم يجحدون الاهية الرحمن
وهذا غاية الجهل اهذا الذي يقولون اهذا الذي فاضمر القول وهو جواب اذا وقوله ان يتخذونك الا
هزوا كلام معترض بين اذا وجوابه يذكر آلهتكم اى بالسوء والعيب ومنه قول عنترة لا تذكري
مهري وما اطعمته فيكون جلدك مثل جلد الاجرب اى لا تعيبي مهري وهم بذكر الرحمن اى القرآن
هم كافرون هم الثانية توكيد لكفرهم اى هم الكافرون مبالغة في وصفهم بالكفر خلق الانسان
من عجل اى ركب على العجلة فخلق عجولا كما قال الله الذي خلقكم من ضعف اى خلق الانسان ضعيفا
ويقال خلق الانسان من الشر اى شريرا اذا بالغت في وصفه به ويقال انما انت ذهاب ومجئ اى ذاهب جاء
اى طبع الانسان العجلة فيستعجل كثيرا من الاشياء وان كانت تضره ثم قيل المراد بالانسان آدم قال سعيد
بن جبير والسدي لما دخلت الروح في عيني آدم نظر في ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب من قبل ان
تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك قوله خلق الانسان من عجل وقيل خلق يوم الجمعة في آخر النهار
فلما احيى الله رأسه استعجل وطلب تتميم نفخ الروح فيه قبل غروب الشمس قاله الكلبي ومجاهد وغيرهما وقال ابو عبيدة
وكثير من اهل المعاني العجل الطين بلغة حمير وانشدوا والنخل تنبت بين الماء والعجل وقيل المراد
بالانسان الناس كلهم وقيل المراد النضر بن الحارث بن علقمة اى لا ينبغي لمن خلق من الطين الحقير ان يستهزئ بآيات
الله ورسله وقيل انه من المقلوب اى خلق العجل من الانسان وهو مذهب ابي عبيدة قال النحاس وهذا القول
لا ينبغي ان يجاب به في كتاب الله لان القلب انما يقع في الشعر اضطرارا كما قال كما كان الزناء فريضة الرجم ونظيره هذه الآية
وكان الانسان عجولا وقد مضى في سبحان ساريكم آياتي فلا تستعجلون هذا يقوي القول الاول
ان طبع الانسان العجلة وانه خلق خلقا لا يتمالك كما قاله عليه السلام حسب ما تقدم في سبحان والمراد بالآيات
ما دل على صدق محمد من المعجزات وما جعله له من العاقبة المحمودة وقيل ما طلبوه من العذاب فارادوا الاستعجال وقالوا
متى هذا الوعد وما علموا ان لكل شئ اجلا مضروبا نزلت في النضر بن الحارث وقوله ان كان هذا هو الحق وقال الاخفش
سعيد معنى خلق الانسان من عجل اى قيل له كن فكان فمعنى فلا تستعجلون على هذا القول انه من يقول للشئ كن
فيكون لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات ويقولون متى هذا الوعد اى الموعود كما يقال الله رجاؤنا اى مرجونا

[margin: من كنانة بن عبد الدار في تفسير ابن عباس]

وقيل معنى الوعد هنا الوعيد اى الذي يعدنا من العذاب وقيل القيمة ان كنتم صادقين يا
معشر المؤمنين لو يعلم الذين كفروا العلم هنا بمعنى المعرفة فلا يقتضي مفعولا ثانيا مثل
لا تعلمونهم الله يعلمهم وجواب لو محذوف اى لو علموا الوقت الذي لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون وعرفوه لما استعجلوا الوعيد وقال الزجاج اى لو علموا صدق الوعد وقيل
المعنى لو علموه لما اقاموا على الكفر ولآمنوا وقال الكسائي اى لو علموه علم اليقين لعلموا ان الساعة آتية

[margin: هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة]

ودل عليه بل تأتيهم بغتة اى فجاءة يعني القيمة وقيل العقوبة وقيل النار فلا يتمكنون من حيلة
فتبهتهم قال الجوهري بهته بهتا اخذه بغتة قال الله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم وقال الفراء
فتبهتهم اى تحيرهم يقال بهته يبهته اذا واجهه بشئ يحيره وقيل فتفجأهم فلا يستطيعون ردها
اى صرفها عن ظهورهم ولا هم ينظرون اى يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار ولقد استهزئ
برسل من قبلك هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية له يقول ان استهزاء بك هؤلاء فقد استهزئ
بمن قبلك من الرسل فاصبر كما صبروا ثم وعده النصر فقال فحاق بالذين سخروا اى احاط ودار بالذين
كفروا وسخروا منهم وهزؤا بهم ما كانوا به يستهزؤن اى جزاء استهزائهم قل من يكلؤكم
اى يحرسكم ويحفظكم والكلاءة الحراسة والحفظ كلاءه الله كلاءة بالكسر اى حفظه وحرسه يقال اذهب في كلاءة
الله واكتلأت منهم احترست قال الشاعر ان سليمى والله يكلؤها ضنت بشئ ما كان يرزؤها
وقال آخر انخت بعيري واكتلأت بعينه وحكى الكسائي والفراء قل من يكلوكم بفتح اللام واسكان الواو

[margin: الواو]

وحكيا من يكلاكم على تخفيف الهمزة في الوجهين والمعروف تحقيق الهمزة وهي قراءة العامة فاما يكلوكم فخطأ من وجهين
احدهما ان بدل الهمزة انما يكون في الشعر والثاني انهما يقولان في الماضي كليته ومن قال لرجل كلاك الله فقد دعا
عليه بان يصيبه الله بالوجع في كليته فينقلب المعنى لان كليته اوجعت كليته ثم قيل مخرج اللفظ مخرج الاستفهام
والمراد به النفي وتقديره قل لا حافظ لكم بالليل اذا نمتم وبالنهار اذا قمتم وتصرفتم في اموركم من الرحمن اى من
عذاب الرحمن وبأسه كقوله فمن ينصرني من الله اى من عذاب الله والخطاب لمن اعترف منهم بالصانع اى اذا
اقررتم بانه الخالق فهو القادر على احلال العذاب الذي تستعجلونه بل هم عن ذكر ربهم اى عن القرآن وقيل عن
مواعظ ربهم وعن معرفته معرضون لاهون غافلون ام لهم آلهة المعنى الهم والميم صلة
تمنعهم من دوننا اى من عذابنا لا يستطيعون يعني الذين زعم هؤلاء الكفار انهم ينصرونهم لا يستطيعون
نصر انفسهم فكيف ينصرون عابديهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وعنه يجارون وهو
اختيار الطبري تقول العرب انا لك جار وصاحب من فلان اى مجير منه قال الشاعر ينادي باعلى صوته متعوذا
ليصحب منها والرماح دواني وروى معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال ينصرون اى يحفظون قتادة اى لا يصحبهم الله
بخير ولا يجعل رحمته صاحبا لهم بل متعنا هؤلاء وآباءهم قال ابن عباس يريد اهل
مكة اى بسطنا لهم ولآبائهم في نعيمها فطال عليهم العمر في النعمة فظنوا انها لا تزول عنهم فاغتروا واعرضوا عن
تدبر حجج الله افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها اى بالظهور عليها لك يا محمد ارضا بعد ارض
وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة قال معناه الحسن وقيل بالقتل والسبي حكاه الكلبي والمعنى واحد وقد مضى في الرعد
الكلام في هذا مستوفى افهم الغالبون يعني كفار مكة بعد ان نقصنا من اطرافهم بل انت الغالب

قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ اى اخوفكم واحذركم بالقرآن وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ
الدُّعَاءَ اى من اصم الله قلبه وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة عن فهم الآيات وسماع الحق
وقراء ابو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن السميقع ولا يُسمع بياء مضمومة وفتح الميم على ما لم يسم فاعله
الصم بالرفع اى ان الله لا يسمعهم وقراء ابن عامر والسلمي ايضا وابو حيوة ويحيى بن الحارث ولا تُسمع بتاء
مضمومة وكسر الميم الصمَّ بالنصب اى انك يا محمد لا تسمع الصم الدعاء فالخطاب للنبي عليه السلام ورد هذه
القراءة بعض اهل اللغة وقال كان يجب ان تقول اذا ما تنذرهم قال النحاس وذلك جائز لانه قد عرف المعنى
قوله تعالى وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ قال ابن عباس طرف قتادة عقوبة
ابن كيسان قليل وادنى شيء ماخوذ من نفحه المسك قال وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك اردانها
وقال ابن جريج نصيب كما يقال نفح فلان لفلان من عطائه اذا اعطاه نصيبا من المال قال الشاعر
لما اتيتكم ارجو فضل نائلكم نفحتني نفحة طابت لها العرب اى طابت لها النفس والنفحة في اللغة
الدفعة اليسيرة والمعنى ولئن مسهم اقل شيء من العذاب لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ اى متعدين
فيعترفون حين لا ينفعهم الاعتراف قوله تعالى وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا الموازين جمع ميزان فقيل انه يدل بظاهره على ان لكل مكلف ميزانا يوزن به اعماله فتوضع الحسنات
في كفه والسيآت في كفه وقيل يجوز ان يكون موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله كما قال هناک م
ملك تقوم الحادثات لامره فلكل حادثة لها ميزان ويمكن ان يكون ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع روى
اللالكائي الحافظ ابو القسم في سننه عن انس رفعه ان ملكا موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي
الميزان فان رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف نادى الملك
شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وخرج عن حذيفة قال صاحب الميزان يوم القيمة جبرئيل وقيل
للميزان كفتان وخيوط ولسان والشاهين فالجمع يرجع اليها وقال مجاهد وقتادة والضحاك ذكر الميزان مثل
وليس ثمه ميزان وانما هو العدل والذي وردت به الاخبار وعليه السواد الاعظم القول الاول وقد مضى في الاعراف
بيان هذا وفي الكهف ايضا وذكرنا في كتاب التذكرة مستوفى والحمد لله والقسط العدل اى ليس فيها بخس ولا ظلم
كما يكون في وزن الدنيا والقسط صفة الموازين ووحد لانه مصدر يقال ميزان قسط وميزانان قسط وموازين
قسط مثل رجال عدل ورضى وقراءت فرقة القصط بالصاد لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ اى لاهل يوم القيامة وقيل
المعنى في يوم القيامة فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا اى لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة مسيء وَإِنْ
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا قراء نافع وشيبة وابو جعفر مثقالُ بالرفع هنا وفي لقمان
على معنى ان وقع او حضر فيكون كان تامة ولا يحتاج الى خبر الباقون مثقالَ بالنصب على معنى وان كان العمل
او ذلك الشيء مثقال ومثقال الشيء ميزانه من مثله اتينا بها مقصورة الالف قراءة الجمهور اى احضرناها وجئنا بها
للمجازاة عليها وبها اى بالحبة ولو قال به اى بالمثقال لجاز وقيل مثقال الحبة ليس شيئا غير الحبة ولهذا قال اتينا بها
وقراء مجاهد وعكرمة آتينا بها بالمد على معنى جازينا بها يقال آتى يؤاتي مؤاتاة وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ اى
مقام مجازين على ما قدموه من خير وشر وقيل حاسبين اى لا احد اسرع حسابا منا والحساب العد روى الترمذي عن
عائشة ان رجلا قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني

واشتمهم واضربهم فكيف انا منهم قال يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم
بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك
اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل قال فتنحى الرجل وجعل يبكي ويهتف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما تقرأ كتاب الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الاية فقال الرجل والله يا رسول الله ما اجد لي
ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم اشهدك انهم احرار كلهم قال حديث غريب قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَ
هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وحكي عن ابن عباس وعكرمة الفرقان ضياء بغير واو على الحال وزعم الفراء ان
حذف الواو والمجيء بها واحد كما قال عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا اى حفظا ورد
عليه هذا القول الزجاج قال لان الواو تجيء لمعنى فلا تزاد قال وتفسير الفرقان التوراة لان فيها الفرق بين الحلال و
الحرام قال وضياء مثل فيه هدى ونور وقال ابن زيد الفرقان هنا هو النصر على الاعداء دليله قوله وما انزلنا على
عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر قال الثعلبي وهذا القول اشبه بظاهر الاية لدخول الواو في الضياء فيكون معنى
الاية ولقد آتينا موسى وهرون النصر والتوراة التي هي الضياء والذكر لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ اى
غائبين لانهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال ان لهم ربا قادرا يجازي على الاعمال فهم يخشونه في
سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ اى من قيامها قبل التوبة مُشْفِقُونَ اى خائفون
وجلون وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ يعني القرآن افانتم يا معشر العرب له منكرون وهو معجز لا تقدرون
على الاتيان بمثله واجاز الفراء وهذا ذكر مباركا انزلناه بمعنى انزلناه مباركا قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ
رُشْدَهُ قال الفراء اعطيناه هداه من قبل اى من قبل النبوة اى وفقناه للنظر والاستدلال لما جن عليه الليل
فراى النجم والشمس والقمر وقيل من قبل اى من قبل موسى وهرون والرشد على هذا النبوة وعلى الاول اكثر المفسرين كما
قال ليحيى وآتيناه الحكم صبيا وقال القرظي رشده صلاحه وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ اى انه اهل لايتاء الرشد وصالح
للنبوة قوله تعالى إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ قيل المعنى اى اذكر حين قال فيكون الكلام قد تم عند قوله وكنا به عالمين
وقيل المعنى وكنا به عالمين اذ قال فيكون الكلام متصلا ولا يوقف على قوله عالمين لابيه وهو آزر وقومه نمرود
ومن اتبعه مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ اى الاصنام والتمثال اسم موضوع للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى
يقال مثلت الشيء بالشيء اى شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ اى مقيمون على عبادتها
قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ اى نعبدها تقليدا لاسلافنا قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اى في خسران بعبادتها اذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ اى
اجاد انت محق فيما تقول أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ اى لاعب مازح قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ
وابدعهن م الْأَرْضِ اى ليس بلاعب بل ربكم والقائم بتدبيركم خالق السموات والارض الَّذِي فَطَرَهُنَّ اى خلقهن
وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ اى على انه رب السموات والارض والشاهد يبين الحكم ومنه شهد الله بين الله
فالمعنى وانا ابين بالدليل ما اقوله قوله تعالى وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ اخبر انه لم يكتف
بالمحاجة باللسان بل كسر اصنامهم فعل واثق بالله موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين والتاء في
تالله تختص في القسم باسم الله وحده والواو تختص بكل مظهر والباء بكل مضمر ومظهر قال الشاعر تالله يبقى على الايام
ذو حيد بمشمخر به الظيان والآس كاده يكيده كيدا ومكيدة وقال ابن عباس اى وحرمة الله لاكيدن اصنامكم

اى لامكرن بها والكيد المكر وكذلك المكايد وربما سمى الحرب كيدا يقال غزا فلان فلم يلق كيدا وكل شئ تعالجه فانت
تكيده بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ اى منطلقين ذاهبين وكان لهم فى كل سنه عيد يجتمعون فيه فقالوا لابرهيم
لو خرجت معنا عيدنا لاعجبك ديننا مجاهد وقتاده انما قال ذلك فى سر من قومه ولم يسمعه الا رجل واحد وهو الذى
افشاه عليه والواحد يخبر عنه بخبر الجمع اذا كان ما اخبر به عنه مما يرضى به غيره ومثله يقولون لئن رجعنا الى المدينه
ليخرجن الاعز منها الاذل وقيل انما قاله بعد خروج القوم ولم يبق الا الضعفاء فهم الذين سمعوه وكان ابرهيم
احتال فى التخلف عنهم بقوله انى سقيم اى ضعيف عن الحركه فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا اى فتاتا والجذ الكسر
والقطع جذذت الشئ قطعته وكسرته والجذاذ والجُذاذ ما كسر منه والضم افصح من كسره قاله الجوهرى قال الكسائى
ويقال لحجارة الذهب جذاذ لانها تكسر وقرا الكسائى والاعمش وابن محيصن جِذاذا بكسر الجيم اى كسرا وقطعا جمع
جذيذ وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وظريف وظراف وقال الشاعر جُذَذَ الاصنام فى محرابها ذاك فى الله
العلى المقتدر الباقون بالضم واختاره ابو عبيد وابو حاتم اى الحطام والرقاق الواحد جذاذه وهذا هو الكيد الذى
اقسم به لنفعلنه بها وقال فجعلهم جذاذا لان القوم اعتقدوا فى اصنامهم الالهيه وقرا ابن عباس وابو نهيك وابو
السمال جَذاذا بفتح الجيم والفتح والكسر لغتان كالحَصاد والحِصاد قال ابو حاتم الفتح والضم والكسر بمعنى حكاه قطرب
إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ اى عظيم الالهه فى الخلق فانه لم يكسره قال السدى ومجاهد ترك الصنم الاكبر وعلق الفاس الذى
كسر الاصنام به فى عنقه ليحتج به عليهم لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ اى الى ابرهيم ودينه يَرْجِعُونَ اذا قامت الحجه عليهم
وقيل لعلهم اليه اى الى الصنم الاكبر يرجعون فى تكسيرها قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ
الظَّالِمِينَ المعنى لما رجعوا من عيدهم وراوا ما احدث بآلهتهم قالوا على جهة البحث والانكار من فعل هذا بالهتنا وقيل
انه لمن الظالمين من ليس استفهاما بل هو ابتداء وخبره لمن الظالمين اى فاعل هذا ظالم والاول اصح لقوله سمعنا فتى
يذكرهم وهذا هو جواب من فعل هذا والضمير فى قالوا للقوم الضعفاء الذى سمعوا ابرهيم او الواحد على ما تقدم ومعنى
يذكرهم يعيبهم ويسبهم فلعله الذى فعل هذا واختلف الناس فى وجه رفع ابرهيم قال الزجاج يرتفع على معنى يقال له
هو ابرهيم فيكون مبتداء وخبره محذوف والجمله محكيه قال ويجوز ان يكون رفعا على النداء وضمه بناء وقام له مقام ما لم يسم فاعله
وقيل رفعه على انه مفعول لم يسم فاعله م
على ان يجعل ابرهيم غير دال على الشخص بل يجعل النطق به دالا على بناء هذه اللفظه اى يقال له هذا القول وهذا اللفظ
وهذا كما تقول زيد وزن فعل او زيد ثلثه احرف فلم يدل بوجه على الشخص بل دللت بنطقك على نفس اللفظ وعلى هذه
الطريقه تقول قلت ابرهيم ويكون مفعولا صحيحا انزلته منزله قول وكلام فلا يتعذر بعد ذلك ان يبنى الفعل فيه للمفعول
هذا اختيار ابن عطيه فى رفعه وقال الاستاذ ابو الحجاج الاشبيلى الاعلم هو رفع على الاهمال قال ابن عطيه لما راى وجوه
الرفع كانها لا توضح المعنى الذى قصدوه ذهب الى رفعه بغير شئ كما قد يرفع المجرد والعرو عن العوامل الابتداء والفتى الشاب
والفتاه الشابه وقال ابن عباس ما ارسل الله نبيا الا شابا ثم قرا سمعنا فتى يذكرهم قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ فيه
مسئله واحده وهى انه لما بلغ الخبر نمرود واشراف قومه كرهوا ان ياخذوه بغير بينه فقالوا ايتوا به ظاهرا بمراى من
الناس حتى يروه لعلهم يشهدون عليه بما قال ليكون ذلك حجه عليه وقيل لعلهم يشهدون عقابه فلا يقدم احد على مثل ما اقدم
عليه ولعل قوما يشهدون بانهم راوه يكسر الاصنام او لعلهم يشهدون طعنه على الهتهم ليعلموا انه يستحق العقاب قال المولف رحمه الله
وفى هذا دليل على انه كان لا يواخذ احد بدعوى احد فيما تقدم لقوله فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون وهكذا الامر
فى شرعنا ولا خلاف فيه قوله تعالى قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ فيه اربع مسايل الاولى لما لم يكن السماع

روى ذلك عن ابن مسعود على ما يأتى بيانه فى والصافات وقال ابرهيم فى نفسه تالله لاكيدن اصنامكم ماتت ص

ما ولا يثبت الشهادة استفهموه هل فعل ام لا وفى الكلام فجاء ابرهيم حتى اتى به فقالوا أانت فعلت هذا
بالالهه فقال لهم ابرهيم على جهة الاحتجاج عليهم بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا اى انه غار وغضب من ان يعبد هو
ويعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَاسْأَلُوهُمْ فعلق فعل الكبير بنطق الاخرين تنبيها
لهم على فساد اعتقادهم كانه قال بل هو الفاعل ان نطق هولاء وفى الكلام تقديم على هذا التاويل فى قوله فسئلوهم
وقيل اراد بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون بين ان من لا يتكلم ولا يعلم لا يستحق ان يعبد وكان قوله
من المعاريض وفى المعاريض مندوحه عن الكذب اى سالوهم ان نطقوا فانهم يصدقون وان لم يكونوا ينطقون
فليس هو الفاعل وفى ضمن هذا الكلام اعتراف بانه الفاعل وهذا هو الصحيح لانه عدده على نفسه فدل انه خرج
مخرج التعريض وذلك انهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم آلهة من دون الله كما قال ابرهيم لابيه يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر الآيه فقال ابرهيم بل فعله كبيرهم هذا ليقولوا انهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون فيقول
لهم فلم تعبدونهم فتقوم عليهم الحجه منهم ولهذا يجوز عند الامه فرض الباطل مع الخصوم حتى يرجع الى الحق
من ذات نفسه فانه اقرب الى الحجه واقطع للشبهه كما قال لقومه هذا ربى وهذه اختى وانى سقيم وبل
فعله كبيرهم هذا وقرا ابن السميقع بل فعلّه بتشديد اللام بمعنى فلعل الفاعل كبيرهم وقال الكسائى
الوقف عند قوله بل فعله اى فعله من فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا اى لم يكون ان يكون فعله كبيرهم
فهذا الزام بلفظ الخبر اى من اعتقد عبادتها يلزمه ان يثبت لها فعلا والمعنى بل فعله كبيرهم فيما يلزمكم
الثانيه روى البخارى ومسلم والترمذى عن ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب
ابرهيم النبى فى شئ قط الا فى ثلاث قوله انى سقيم وقوله لساره اختى وقوله بل فعله كبيرهم لفظ الترمذى وقال
هذا حديث حسن صحيح ووقع فى الاسراء فى صحيح مسلم من حديث ابى هريره فى قصه ابرهيم قال وذكر قوله فى الكوكب
هذا ربى فعلى هذا تكون الكذبات اربعا الا ان الرسول عليه السلم قد نفى تلك بقوله لم يكذب ابرهيم النبى قط الا
ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وواحده فى شان ساره الحديث لفظ مسلم
وانما لم يعد عليه قوله فى الكوكب هذا ربى كذبه وهى داخله فى الكذب لانه والله اعلم كان حين قال ذلك فى حال
الطفوليه وليست حال تكليف او قاله لقومه مستفهما لهم على جهه التوبيخ والانكار وحذفت همزه الاستفهام او على طريق
الاحتجاج على قومه تنبيها على ان ما يتغير لا يصلح للربوبيه وقد تقدمت هذه الوجوه كلها فى الانعام مبينه والحمد لله
الثالثه قال ابن العربى فى هذا الحديث نكته عظمى تقصم الظهر وهى انه عليه السلام قال لم يكذب ابرهيم
الا ثلاث كذبات ثنتين ماحل بها عن دين الله ولم يعد هذه اختى فى ذات الله تعالى وان كان دافع بها مكروها
ولكن لما كان لابرهيم عليه السلم فيها حظ من صيانه فراشه وحمايه اهله لم يجعلها فى ذات الله وذلك لانه لا يجعل
فى جنب الله وذاته الا العمل الخالص من شوايب الدنيا والمعاريض التى ترجع الى النفس اذا خلصت للدين كانت
لله سبحانه وتعالى كما قال الا لله الدين الخالص وهذا لو صدر منا لكان لله ولكن منزله ابرهيم اقتضت هذا الرابعه
قال علماؤنا الكذب هو الاخبار عن الشئ بخلاف ما هو عليه والاظهر ان قول ابرهيم فيما اخبر عنه عليه السلم كان من
المعاريض وان كانت معاريض وحسنات وحججا فى الخلق ودلالات لكنها اثرت فى الرتبه وخفضت عن محمد المنزله
واستحيى منها قايلها على ما ورد من حديث الشفاعه فان الانبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم اجلالا لله فان
الذى كان يليق بمرتبته فى النبوه والخله ان يصدع بالحق ويصرح بالامر كيف ما كان ولكنه رخص له فقبل الرخصه

بجيد

فكان ما كان من العصمة ولهذا جاء في حديث الشفاعة انما اتخذت خليلا من وراء وراء نصب وراء
فيهما على البناء كخمسة عشر وكما قالوا جاري بيت بيت ووقع في بعض نسخ مسلم من وراء من وراء باعادة من وحينئذ
لا يجوز البناء على الفتح وانما بني كل واحد منهما على الضم لانه قطع عن الاضافة ونوى المضاف كقبل وبعد وان
لم ينو المضاف اعرب ونون غيران وراء لا ينصرف لان الف للتانيث لانهم قالوا في تصغيرها وريئة قال
الجوهري وهي شاذة فعلى هذا يصح الفتح فيهما مع وجود من فيهما والمعنى اي كنت خليلا متاخرا عن غيري ويستفاد
من هذا ان الخلة لم تصح بكمالها الا لمن صح له في ذلك اليوم المقام المحمود كما تقدم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فرجعوا الى انفسهم اي رجع بعضهم الى بعض رجوع المنقطع عن حجته المتفطن بصحة حجة
خصمه **فقالوا انكم انتم الظالمون** اي بعبادة من لا ينطق بلفظة ولا يملك لنفسه لحظة وكيف ينفع
عابديه ويدفع عنهم الباس من لا يرد عن راسه الفاس **ثم نكسوا على رؤسهم** اي
عادوا الى جهلهم وعنادهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فقال قاطعا لما به يهذون ومحجا لهم فيما
تتناولون **افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم** اي النتن لكم **ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون** وقيل **ثم نكسوا على رؤسهم** اي طاطاوا رؤسهم خجلة من ابرهيم و
فيه نظر لانه لم يقل نكسوا رؤسهم بل قال نكسوا على رؤسهم اي ردوا على ما كانوا عليه في اول الامر
ولذا قال ابن عباس قال ادركتهم الشقاوة فعادوا الى كفرهم **قالوا حرقوه** لما انقطعوا
بالحجة اخذتهم عزة بالاثم وانصرفوا الى طريق الغشم والغلبة وقالوا حرقوه روي ان قائل هذه المقالة
هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها قاله ابن عمر ومجاهد وابن جريج ويقال اسمه هيزن
فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل بل قاله ملكهم نمرود **وانصروا آلهتكم**
بتحريق ابرهيم لانه يسبها ويعيبها وجاء في الخبر ان نمرود بنى صرحا طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون
ذراعا قال ابن اسحاق وجمعوا الحطب شهرا ثم اوقدوها واشتعلت واشتدت حتى ان كان الطائر ليمر
بجنباتها فيحترق من شدة وهجها ثم قيدوا ابرهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولا ويقال ان ابليس صنع لهم المنجنيق
يومئذ فضجت السموات والارض ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة ربنا ابرهيم
ليس في الارض احد يعبدك غيره يحرق فيك فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى ان استغاث بشيء منكم او دعاه
فلينصره فقد اذنت له في ذلك فانا اعلم به وانا وليه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الماء وهو في الهواء
فقال يا ابرهيم ان اردت اخمدنا النار بالماء فقال لا حاجة لي اليكم فاتاه ملك الريح فقال لو شئت طيرت النار
فقال لا ثم رفع راسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد في الارض ليس احد يعبدك غيري
حسبي الله ونعم الوكيل وروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال
لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال ثم رموا به في المنجنيق من مضرب
شاسع فاستقبله جبرئيل فقال يا ابرهيم الك حاجة فقال اما اليك فلا فقال جبرئيل فاسال ربك فقال
حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى **يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم** قال بعض العلماء جعل
الله فيها بردا يدفع حرها وحرا يدفع بردها فصارت سلاما عليه قال ابو العالية ولو لم يقل بردا وسلاما
لكان بردها اشد عليه من حرها ولو لم يقل على ابرهيم لكان بردها باقيا على الابد وذكر بعض العلماء ان الله

بفتح الكاف

وان لم يدع غيري

انزل زربية من الجنة فبسطها في الجحيم وانزل الله جبرئيل وميكائيل وملك البرد وملك السلامة وقال علي
وابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابرهيم من بردها ولم يبق يومئذ نار الا طفئت ظنت انها تعنى قال
السدي وامر الله كل عود من شجرة ان يرجع شجرة ويطرح ثمرة قال كعب وقتادة ولم يحرق النار من ابرهيم الا
وثاقه فاقام في النار سبعة ايام لم يقدر احد ان يقرب من النار ثم جاؤا فاذا هو قائم يصلي قال المنهال بن
عمرو قال ابرهيم ما كنت اياما قط انعم مني في الايام التي كنت فيها في النار وقال كعب وقتادة والزهري ولم يبق
يومئذ دابة الا اطفات عنه النار الا الوزغ فانها كانت تنفخ عليه فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها
وسماها فويسقة وقال شعيب الجبائي القي ابرهيم في النار وهو ابن ست وعشرين سنة والله اعلم وقال الكلبي
بردت نيران الارض جميعا فما انضجت كراعا فراه نمرود من الصرح وهو جالس على السرير يؤنسه ملك الظل
فقال نعم الرب ربك لاقربن له اربعة الاف بقرة وكف عنه **وارادوا به كيدا** اي اراد نمرود
واصحابه ان يمكروا به **فجعلناهم الاخسرين** اي في اعمالهم ورددنا مكرهم عليه بتسليط اضعف خلقنا
قال ابن عباس سلط الله عليهم اضعف خلقه البعوض فما برح نمرود حتى راى عظام اصحابه وخيله تلوح
اكلت لحومهم وشربت دماؤهم ووقعت واحدة في منخره فلم تزل تاكل الى ان وصلت دماغه وكان اكرم الناس
عليه الذي يضرب راسه بمرزبة من حديد فاقام بهذا نحوا من اربع مائة سنة **ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين** يريد نجينا ابرهيم ولوطا الى ارض الشام وكانا بالعراق وكان
لوط عليه السلام عمه قاله ابن عباس وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وانهارها ولانها معادن الانبياء
والبركة ثبوت الخير ومنه برك البعير اذا لزم مكانه فلم يبرح وقال ابن عباس الارض المباركة مكة وقيل بيت المقدس
لان منها بعث الله الانبياء وهي ايضا كثيرة الخصب والنمو عذبة الماء ومنها يتفرق الى الارض قال ابو العالية
ليس ماء عذب الا يهبط من السماء الى الصخرة التي ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض ونحوه عن كعب الاحبار
وقيل الارض المباركة مصر **ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة** اي زيادة لانه دعا
في اسحاق وزيد يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة اي زيادة على ما سال ويقال لولد الولد نافلة لانه
زيادة على الولد **وكلا جعلنا صالحين** اي وكلا من ابرهيم واسحاق ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة
الله وجعلهم صالحين انما يتحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم وبخلق القدرة على الطاعة ثم ما يكتسبه العبد فهو مخلوق
لله تعالى **وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا** اي رؤساء يقتدى بهم في الخيرات
واعمال الطاعات ومعنى بامرنا اي بما انزلنا عليهم من الوحي والامر والنهي فكانه قال يهدون بكتابنا وقيل المعنى
يهدون الناس الى ديننا بامرنا اياهم بارشاد الخلق ودعائهم الى التوحيد **واوحينا اليهم فعل الخيرات**
اي ان يفعلوا الطاعات **واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين** اي مطيعين
ولوطا آتيناه حكما وعلما لوطا منصوب بفعل مضمر دل عليه الثاني اي وآتينا لوطا آتيناه وقيل اي
واذكر لوطا والحكم النبوة والعلم المعرفة بامر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم وقيل علما فهما والمعنى واحد **ونجيناه
من القرية التي كانت تعمل الخبائث** يريد سدوم قال ابن عباس وكانت سبع قرى قلب جبرئيل
عليه السلام ستة وابقى واحدة للوط وعياله وهي زغر التي فيها الثمر من كورة فلسطين الى حد السراة ولها قرى
كثيرة الى حد نجد بالحجاز وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان احدهما اللواط على ما تقدم والثاني الضراط اي

الكثرة

قوله تعالى

كانوا يتضارطون في ناديهم ومجالسهم وقيل الضراط وحذف الحصى وسيأتي ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾
اي خارجين عن طاعة الله والفسوق الخروج وقد تقدم ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ اي في النبوة وقيل في
الاسلام وقيل الجنة وقيل عني بالرحمة انجاؤه من قومه ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ
مِن قَبْلُ﴾ اي واذكر نوحا اذ نادى اي دعا من قبل اي من قبل ابرهيم ولوط على قومه وهو ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى
الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ وقال لما كذبوه ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ﴾ اي من الغرق والكرب الغم الشديد ﴿وَأَهْلَهُ﴾ اي المؤمنين منهم ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا﴾ قال ابو عبيدة من بمعنى على وقيل المعنى فانتقمنا له من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
اي الصغير منهم والكبير ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ الى قوله ﴿وَعِلْمًا﴾
فيه ست وعشرون مسئلة **الاولى** قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان اي واذكرهما اذ يحكمان ولم يرد بقوله
اذ يحكمان الاجتماع في الحكم وان جمعهما في القول فان حكمين على حكم واحد لا يجوز وانما حكم كل واحد منهما على انفراده وكان
سليمن الفاهم لها بتفهيم الله تعالى اياه ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ اختلف فيه على قولين فقيل كان زرعا قاله قتادة وقيل كرما
نبتت عناقيده قاله ابن مسعود وشريح والحرث يقال فيهما وهو في الزرع ابعد من الاستعارة **الثانية** قوله تعالى
﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ اي رعت فيه ليلا والنفش الرعي بالليل يقال نفشت بالليل وهملت بالنهار اذا
رعت بلا راع وانفشها صاحبها وابل نفاش وفي حديث عبد الله بن عمرو الحبة في الجنة مثل كرش البعير يبيت نافشا
اي راعيا حكاه الهروي وقال ابن سيده لا يقال الهمل في الغنم انما يقال في الابل **الثالثة** قوله تعالى ﴿وَكُنَّا
لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ دليل على ان اقل الجمع اثنان وقيل المراد الحاكمان والمحكوم عليه فلذلك قال لحكمهم **الرابعة** قوله تعالى
﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ اي فهمناه القضية والحكومة فكنى عنها اذ سبق ما يدل عليها وفضل حكم سليمان حكم
ابيه في انه احرز ان يبقى ملك كل واحد منهما على متاعه وتبقى نفسه طيبة بذلك وذلك ان داود عليه السلام رأى
ان يدفع الغنم الى صاحب الحرث وقالت فرقة بل دفع الغنم الى صاحب الحرث والحرث الى صاحب الغنم قال ابن عطية فيشبه
على القول الواحد انه رأى الغنم تقاوم الغلة التي افسدت وعلى القول الثاني رآها تقاوم الحرث والغلة فلما خرج
الخصمان على سليمان وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون على داود على باب آخر فقال بم قضى
بينكما نبي الله داود فقالا قضى بالغنم لصاحب الحرث فقال لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فأتى اباه فقال
يا نبي الله انك حكمت بكذا وكذا واني رأيت ما هو ارفق بالجميع قال وما هو قال ينبغي ان تدفع الغنم الى صاحب الزرع
فينتفع بالبانها وسمونها واصوافها وتدفع الحرث الى صاحب الغنم ليقوم عليه فاذا عاد الزرع الى حاله التي اصابته الغنم عليه
في السنة المقبلة رد كل واحد منهما ماله الى صاحبه فقال داود وفقت يا بني لا يقطع الله فهمك وقضى بما قضى به سليمان
قال معناه ابن مسعود ومجاهد وغيرهما قال الكلبي قوم داود الغنم والكرم الذي افسدته الغنم فكانت القيمتان سواء فدفع
الغنم الى صاحب الكرم وهكذا قال النحاس قال انما قضى بالغنم لصاحب الحرث لان ثمنها كان قريبا منه واما في حكم سليمان
فقد قيل كانت قيمة ما نال من الغنم وقيمة ما افسدت الغنم سواء ايضا **الخامسة** قوله تعالى ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا
وَعِلْمًا﴾ تأول قوم ان داود لم يخطئ في هذه النازلة بل فيها اوتي الحكم والعلم وحملوا قوله ففهمناها سليمان على انه
فضيلة له على داود وفضيلته راجعة الى داود والوالد تسره زيادة ولده عليه وقالت فرقة بل لانه لم يصب
العين المطلوبة في هذه النازلة وانما مدحه الله تعالى بان له حكما وعلما يرجع اليه في غير هذه النازلة واما في هذه

النازلة فاصاب سليمان واخطأ داود ولا يمتنع وجود الغلط والخطأ من الانبياء كوجوده من غيرهم لكن لا يقرون عليه
وان اقر عليه غيرهم ولما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التي رأى ابوك تركها
فان كنت مصيبا فقد اخطأ ابوك وان كان ابوك مصيبا فقد اخطأت انت فاجابه الوليد وداود وسليمان اذ يحكمان
في الحرث الى قوله حكما وعلما وقال قوم كان داود وسليمان عليهما السلام نبيين يقضيان بما يوحى اليهما فحكم داود بوحي و
حكم سليمان بوحي نسخ الله به حكم داود وعلى هذا ففهمناها سليمان اي بطريق الوحي الناسخ لما اوحي الى داود ولهذا قال
وكلا آتينا حكما وعلما هذا قول جماعة من العلماء ومنهم ابن فورك وقال الجمهور ان حكمهما كان باجتهاد وهي **السادسة**
واختلف العلماء في جواز الاجتهاد على الانبياء فمنعه قوم وجوزه المحققون لانه ليس فيه استحالة عقلية لانه دليل
شرعي فلا احالة ان يستدل به الانبياء كما لو قال له الرب سبحانه اذا غلب على ظنك كذا فاقطع بان ما غلب على ظنك
فهو حكمي فبلغه الامة فهذا غير مستحيل في العقل فان قيل انما يكون دليلا اذا عدم النص وهم لا يعدمونه قلنا
اذا لم ينزل الملك فقد عدم النص عندهم وصاروا في البحث كغيرهم من المجتهدين عن معاني النصوص التي عندهم والفرق بينهم
وبين غيرهم من المجتهدين انهم معصومون عن الخطأ والغلط وعن التقصير في اجتهادهم وغيرهم ليس كذلك هذا مذهب
الجمهور في ان جميع الانبياء معصومون عن الخطأ والغلط في اجتهادهم وذهب ابو علي بن ابي هريرة من اصحاب الشافعي
الى ان نبينا صلى الله عليه وسلم مخصوص منهم في جواز الخطأ عليهم وفرق بينه وبين غيره من الانبياء انه لم يكن بعده من
يستدرك غلطه ولذلك عصمه الله منه وقد بعث بعد غيره من الانبياء من يستدرك غلطه وقد قيل انه على العموم في جميع
الانبياء وان نبينا وغيره من الانبياء في تجويز الخطأ على سواء الا انهم لا يقرون على امضائه فلم يعتبر فيه استدراك من
بعدهم من الانبياء هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سألته امرأة عن العدة فقال لها اعتدي حيث شئت ثم قال
امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله وقال له رجل أرأيت ان قتلت صابرا محتسبا ايحجزني عن الجنة شيء فقال لا ثم
دعاه فقال الا الدين كذا اخبرني جبريل قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت القضاة هلكوا ولكنه
تعالى اثنى على سليمان بصوابه وعذر داود باجتهاده وقد اختلف الناس في المجتهدين في الفروع اذا اختلفوا
فقالت فرقة الحق في طرف واحد عند الله وقد نصب على كل دليله وحمل المجتهدين على البحث عنها والنظر فيها فمن صادف
العين المطلوبة في المسئلة فهو المصيب على الاطلاق وله اجران اجر في الاجتهاد واجر في الاصابة ومن لم يصادفها فهو
مصيب في اجتهاده مخطئ في انه لم يصب العين فله اجر وهو غير معذور وهذا سليمان قد صادف العين المطلوبة وهي
التي فهم وقالت فرقة ان العالم المخطئ لا اثم عليه في خطائه وان كان غير معذور وقالت فرقة الحق في طرف واحد
ولم ينصب الله عليه دليلا بل وكل الامر الى نظر المجتهدين فمن اصابه اصاب ومن اخطأه فهو معذور مأجور ولم نتعبد
باصابة العين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط وقال جمهور اهل السنة وهو المحفوظ عن مالك واصحابه ان الحق في مسائل
الفروع في الطرفين وكل مجتهد مصيب والمطلوب انما هو الافضل في ظنه وكل مجتهد قد اداه نظره الى الافضل في ظنه
والدليل على هذه المقالة ان الصحابة فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض ولم ير احد منهم ان يقع الانحمال على قوله دون
قول مخالفه ومنه رد مالك رحمه الله للمنصور ابي جعفر عن حمل الناس على الموطأ فاذا قال عالم في امر حلال فذلك
هو الحق فيما يختص بذلك العالم عند الله وبكل من اخذ بقوله وكذا في العكس قالوا وان كان سليمان عليه السلم فهم القضية
المثلى والتي هي ارجح فالاولى ليست بخطأ وعلى هذا يحملون قوله عليه السلم اذا اجتهد العالم فاخطأ اي فاخطأ الافضل
الثامنة روى مسلم وغيره عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا حكم الحاكم فاجتهد

وأما سليمان ان يبلغ ذلك داوود

فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد ثم اخطاء فله اجر هكذا لفظ الحديث في كتاب مسلم اذا حكم فاجتهد فبدء بالحكم قبل الاجتهاد
والامر بالعكس فان الاجتهاد متقدم على الحكم فلا يجوز الحكم قبل الاجتهاد بالاجماع وانما معنى هذا الحديث اذا اراد ان يحكم كما قال
اذا قرات القرآن فاستعذ فعند ذلك يجتهد في النازلة ويفيد هذا صحة ما قاله الاصوليون ان المجتهد يجب عليه ان يجدد نظرا
عند وقوع النازلة ولا يعتمد على اجتهاده المتقدم لامكان ان يظهر له ثانيا خلاف ما ظهر له اولا اللهم الا ان يكون ذاكرا لاركان
اجتهاده مائلا اليه فلا يحتاج الى استيناف نظر في امارة اخرى انما يكون الاجر للحاكم المخطي اذا كان عالما بالاجتهاد
والسنن والقياس وقضاء من مضى لان اجتهاده عبادة ولا يوجر على الخطاء بل يوضع عنه الاثم فقط فاما من لم يكن محلا للاجتهاد
فهو متكلف لا يعذر بالخطاء في الحكم بل يخاف عليه اعظم الوزر ويدل على ذلك حديثه الاخر رواه ابو داود القضاة ثلثة الحديث قال
ابن المنذر انما يوجر على اجتهاده في طلب الصواب لا على الخطاء ومما يويد هذا قوله تعالى ففهمناها سليمان الآية قال الحسن
اثنى على سليمان ولم يذم داود ذكر ابو التمام المالكي ان مذهب مالك ان الحق في واحد من اقاويل المجتهدين
وليس ذلك في اقاويل المختلفين وبه قال اكثر الفقهاء قال وحكى ابن القسم انه سال مالكا عن اختلاف الصحابة فقال
مخطي ومصيب وليس الحق في جميع اقاويلهم وهذا القول قيل هو المشهور عن مالك واليه ذهب محمد بن الحسن واحتج من قال
هذا الحديث عبد الله بن عمرو قالوا وهذا نص على ان في المجتهدين وفي الحاكمين مخطيا ومصيبا قالوا والقول بان كل مجتهد
مصيب يودي الى كون الشي حلالا حراما وواجبا ندبا واحتج اهل المقالة الاولى بحديث ابن عمر قال نادى فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم انصرف من الاحزاب الا لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون
بني قريظة وقال الاخرون لا نصلي الا حيث امرنا رسول الله وان فاتنا الوقت قال فما عنف واحدا من الفريقين
قالوا فلو كان احد الفريقين مخطيا لعينه النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يقال لعله انما سكت عن تعنيف المخطيين
لانه غير آثم بل ماجور فاستغنى عن تعنيفه ومسئلة الاجتهاد طويلة متشعبة وهذه النبذة التي ذكرناها كافية في معنى الآية
والله اعلم الحادية عشرة تتعلق بالآية فصل آخر وهو رجوع الحاكم بعد قضائه من اجتهاده الى اجتهاد اخر ارجح من
الاول فان داود عليه السلام فعل ذلك وقد اختلف في ذلك علماؤنا فقال عبد الملك ومطرف في الواضحة ذلك له ما
دام في ولايته فاما ان كانت ولاية اخرى فليس له ذلك وهو بمنزلة غيره من القضاة وهذا هو ظاهر قول مالك في المدونة
وقال سحنون في رجوعه من اجتهاد فيه قول الى غيره مما رآه اصوب ليس له ذلك وقاله ابن عبد الحكم قال واستانف الحكم
بما قوي عنده قال سحنون الا ان يكون نسي الاقوى عنده او وهم فحكم بغيره فله نقضه واما ان يكون حكم بحكم هو الاقوى عنده في
ذلك الوقت ثم قوي عنده غيره بعد ذلك فلا سبيل الى نقض الاول وقال اشهب في كتاب ابن المواز ان كان رجوعه
الى الاصوب في مال فله نقض الاول وان كان في طلاق او نكاح او عتق فليس له نقضه قال المولف رحمه الله رجوع القاضي
عما حكم به اذا تبين له ان الحق في غيره ما دام في ولايته اولى وهكذا في رسالة عمر الى ابي موسى رواها الدارقطني وقد
ذكرناها في الاعراف ولم يفصل وهي الحجة لظاهر قول مالك ولم يختلف العلماء ان القاضي اذا قضى جورا وبخلاف اهل
العلم فهو مردود وان كان على وجه الاجتهاد فاما ان يتعقب قاض حكم قاض آخر فلا يجوز ذلك له لان فيه مضرة عظمى من
جهة نقض الاحكام وتبديل الحلال والحرام وعدم ضبط قوانين الاسلام ولم يتعرض احد من الخلفاء لنقض ما رآه الاخر وانما
كان يحكم بما ظهر له الثانية عشرة قال بعض الناس ان داود لم يكن انفذ الحكم وظهر له ما قال غيره وقال اخرون
لم يكن حكما وانما كان فتيا قال المولف رحمه الله وهكذا تاول فيما رواه ابو هريرة عنه عليه السلام انه قال بينما امراتان معهما
ابناهما جاء الذيب فذهب بابن احديهما فقالت هذه لصاحبتها انما ذهب بابنك انت وقالت الاخرى انما ذهب بابنك

فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على ابنه سليمن فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين اشقه بينكما
فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال ابو هريرة ان سمعت بالسكين قط الا يومئذ ما كنا نقول
الا المدية اخرجه مسلم فاما القول بان ذلك من داود فتيا فهو ضعيف لانه كان النبي وفتياه حكم واما القول
الاخر فبعيد لانه تعالى قال اذ يحكمان في الحرث فبين ان كل واحد منهما كان قد حكم وكذا قوله في الحديث فقضى به للكبرى
يدل على انفاذ القضاء وانجازه ولقد ابعد من قال انه كان من شرع داود ان يحكم به للكبرى من حيث هي كبرى لان الكبر
والصغر طرد محض عند الدعاوي كالطول والقصر والسواد والبياض وذلك لا يوجب ترجيح احد المتداعيين حتى يحكم له
او عليه لاجل ذلك وهذا يقطع به من فهم ما جاءت به الشرائع والذي ينبغي ان يقال ان داود عليه السلام انما قضى به
للكبرى لسبب اقتضى عنده ترجيح قولها ولم يذكر في الحديث تعيينه اذ لم تدع حاجة اليه فيمكن ان الولد كان بيدها وعلم
عجز الاخرى عن اقامة البينة فقضى به لها ابقاء لما كان على ما كان وهذا التاويل احسن ما قيل في هذا الحديث
وهو الذي تشهد له قاعدة الدعاوي الشرعية التي تبعد اختلاف الشرائع فيها لا يقال فان كان داود قضى بسبب
شرعي فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه فالجواب ان سليمان لم يتعرض لحكم ابيه بالنقض وانما احتال حيلة لطيفة
ظهر له بسببها صدق الصغرى وهي انه قال هات السكين اشقه بينكما قالت الصغرى لا فظهر له من قرينة الشفقة
في الصغرى وعدم ذلك في الكبرى مع ما عساه انضاف الى ذلك من القرائن ما حصل له العلم بصدقها فحكم لها ولعله
كان ممن سوغ له ان يحكم بعلمه وقد ترجم النسائي على هذا الحديث حكم الحاكم بعلمه وترجم له ايضا نقض الحاكم ما يحكم به غيره
ممن هو مثله او اجل منه ولعل الكبرى اعترفت بان الولد للصغرى عند ما رات من سليمان الحزم والجد في ذلك فقضى بالولد
للصغرى ويكون هذا كما اذا حكم الحاكم باليمين فلما مضى ليحلف حضر من استخرج من المنكر ما اوجب اقراره فانه يحكم عليه
بذلك الاقرار قبل اليمين وبعدها ولا يكون ذلك من باب نقض الحكم الاول لكن من باب تبدل الاحكام بحسب تبدل
الاسباب والله اعلم وفي هذا الحديث من الفقه ان الانبياء سوغ لهم الحكم بالاجتهاد وفيه من الفقه استعمال
الحكام الحيل التي بها تستخرج الحقوق وذلك يكون عن قوة الذكاء والفطنة وممارسة احوال الخلق وقد يكون في
اهل التقوى فراسة دينية وتوسمات نورية وذلك فضل الله يوتيه من يشاء وفيه حجة لمن يقول ان الام تستلحق وهو
ليس مشهور مذهب مالك وليس هذا موضع ذكره وعلى الجملة فقضاء سليمان في هذه القضية تضمنها مدحه تعالى له
بقوله ففهمناها سليمان الثالثة عشرة قد تقدم القول في الحرث والحكم في هذه الواقعة في شرعنا ان على
اصحاب الماشية حفظها بالليل وعلى اصحاب الحوايط حفظ حيطانهم وزروعهم بالنهار ثم الضمان في المثل بالمثليات
وبالقيمة في ذوات القيم والاصل في هذه المسئلة في شرعنا ما حكم به محمد نبينا صلى الله عليه وسلم في ناقة البراء بن
عازب رواه مالك عن ابن شهاب عن حرام بن سعد بن محيصة ان ناقة للبراء دخلت حائط رجل فافسدت
فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الحوايط حفظها بالنهار وان ما افسدت المواشي بالليل ضامن
على اهلها هكذا رواه جميع الرواة مرسلا وكذلك رواه اصحاب ابن شهاب عن ابن شهاب الا ابن عيينة فانه رواه
عن الزهري عن سعيد وحرام بن سعد بن محيصة ان ناقة وذكر ضاربة بمعناه ورواه ابن ابي ذيب عن ابن
شهاب انه بلغه ان ناقة للبراء دخلت حائط قوم مثل حديث مالك سواء الا انه لم يذكر حرام بن سعد بن محيصة
ولا غيره قال ابو عمر ولم يصنع ابن ابي ذيب شيا الا انه افسد اسناده ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري
عن حرام بن محيصة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتابع عبد الرزاق على ذلك وانكروا عليه قوله عن ابيه

ورواه ابن جريج عن ابن شهاب قال حدثني ابو امامة بن سهل بن حنيف ان ناقة دخلت في حايط قوم فافسدت
فجعل الحديث لابن شهاب عن ابي امامة ولم يذكر ان الناقة كانت للبراء وجايز ان يكون الحديث عند ابن شهاب عن ابن
محيصة وعن سعيد بن المسيب وعن ابي امامة فحدث به عمن شاء منهم على ما حضره وكلهم ثقات قال ابو عمر وهذا الحديث وان
كان مرسلا فهو مشهور ارسله الائمة وحدث به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول وجرى في المدينة به العمل
وحسبك باستعمال اهل المدينة وساير اهل الحجاز لهذا الحديث
ذهب مالك وجمهور الامة
الى القول بحديث البراء وذهب ابو حنيفة واصحابه وجماعة من الكوفيين الى ان هذا الحكم منسوخ وان البهايم اذا افسدت
زرعا في ليل او نهار انه لا يلزم صاحبها شيء وادخل فسادها في عموم قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فقاس
جميع افعالها على جرحها ويقال انه ما تقدم ابا حنيفة احد بهذا القول ولا حجة له ولا لمن اتبعه في حديث العجماء وكونه
ناسخا لحديث البراء ومعارضا له فان النسخ شروطه معدومة والتعارض انما يصح اذا لم يمكن استعمال احدهما الا بنفي
الآخر وحديث العجماء جرحها جبار حديث متفق عليه ثم خص منه الزرع والحوايط بحديث البراء لان النبي صلى الله عليه
وسلم لو جاء عنه في حديث واحد العجماء جرحها جبار نهارا لا ليلا وفي الزرع والحوايط والحرث لم يكن هذا مستحيلا من
القول فكيف يجوز ان يقال في هذا متعارض وانما هذا من باب العموم والخصوص على ما هو مذكور في الاصول

الخامسة عشرة ان قيل ما الحكمة في تفريق الشارع بين الليل والنهار وقد قال الليث بن سعد يضمن ارباب
المواشي بالليل والنهار كلما افسدت ولا يضمن اكثر من قيمة الماشية قلنا الفرق بينهما واضح وذلك ان اهل المواشي
بهم ضرورة الى ارسال مواشيهم لترعى بالنهار والاغلب عندهم ان من له زرع يتعاهده بالنهار ويحفظه عمن اراده فجعل
حفظ ذلك بالنهار على اهل الزروع لانه وقت التصرف في المعاش كما قال سبحانه وجعلنا النهار معاشا فاذا جاء الليل
فقد جاء الوقت الذي يرجع كل شيء الى موضعه وسكنه كما قال تعالى فالق الاصباح وجعل الليل سكنا ويردّ اهل
المواشي مواشيهم الى مواضعهم ليحفظوها فاذا فرط صاحب الماشية في ردها الى منزله او فرط في ضبطها وحبسها عن
الانتشار بالليل حتى اتلفت شيئا فعليه ضمان ذلك فجرى الحكم على الاوفق الاسمح وكان ذلك رفقا بالفريقين واسهل
على الطايفتين واحفظ للمالين وقد وضح الصبح لذي عينين ولكن لتسليم الحاسدين واما قول الليث لا يضمن اكثر من
قيمة الماشية فقد قال ابو عمر لا اعلم من اين قال هذا الليث بن سعد الا ان يجعله قياسا على العبد الجاني لا يفتك باكثر
من قيمته ولا يلزم سيده في جنايته اكثر من قيمته وهذا ضعيف الوجه كذا قال في التمهيد وقال في الاستذكار قد خالف الحديث
في العجماء جرحها جبار وخالف ناقة البراء وقد تقدمه الى ذلك طايفة من العلماء منهم عطاء قال ابن جريج قلت لعطاء الحرث
تصيبه الماشية ليلا او نهارا قال يضمن صاحبها ويغرم قلت كان عليه حظر او لم يكن قال نعم يغرم قلت ما يغرم قال قيمة
ما اكل حماره ودابته وماشيته وقال معمر عن ابن شبرمة يقوم الزرع على حاله التي اصيب عليها دراهم وروي عن عمر بن الخطاب
وعمر بن عبد العزيز يضمن رب الماشية ليلا او نهارا من طرق لا تصح السادسة عشرة قال مالك ويقوم الزرع التي
افسدت المواشي بالليل على الرجاء والخوف قال والحوايط التي تحرس والتي لا تحرس والمحظر عليها وغير المحظر سواء
يغرم اهلها ما اصابت بالليل بالغا ما بلغ وان كان اكثر من قيمتها قال واذا انفلتت دابة بالليل فوطئت على رجل نايم
لم يغرم صاحبها شيئا وانما هذا في الحايط والزرع والحرث ذكره عنه ابن عبد الحكم وقال ابن القاسم ما افسدت الماشية
بالليل فهو في مال ربها وان كان اضعاف ثمنها لان الجناية من قبله اذا لم يربطها وليست الماشية كالعبيد حكاه سحنون
واصبغ وابو زيد عن ابن القاسم السابعة عشرة ولا يستأنى بالزرع ان ينبت او لا ينبت كما يفعل في سن الصغير
ان الزم

قال عيسى عن ابن القسم قيمته لو حل بيعه وقال اشهب وابن نافع في المجموعة عنه وان لم يبد صلاحه قال ابن العربي
والاول اقوى لانها صفة فتقوم كما تقوم كل متلف على صفته لو لم يفسد لم تنقص القيمة لشيء حتى يثبت
والجبر فان كان فيه قبل ذلك منفعة رعي او شيء ضمن تلك المنفعة وان لم يكن فيه منفعة فلا ضمان وقال اصبغ يضمن
لان التلف قد تحقق والجبر ليس من جهته فلا يعتد له به الثامنة عشرة وقع في كتاب ابن سحنون ان الحديث
انما جاء في امثال المدينة التي هي حيطان محدقة واما البلاد التي هي زروع متصلة غير محظرة وبساتين كذلك فيضمن
ارباب النعم ما افسدت من ليل ونهار كانه ذهب الى ان ترك تثقيف الحيوان في هذه البلاد تعدٍّ لانها ولا بد
تفسد وهذا جنوح الى قول الليث قال اصبغ في المدنية ليس لاهل المواشي ان يخرجوا
مواشيهم الى قرى الزرع بغير ذواد وركب العلماء على هذا ان البقعة لا تخلو ان تكون بقعة زرع او بقعة سرح
فان كانت بقعة زرع فلا تدخلها ماشية الا ماشية تحتاج وعلى اربابها حفظها وما افسدت فصاحبها ضامن ليلا
او نهارا وان كانت بقعة سرح فعلى صاحب الذي حرثه فيها حفظه ولا شيء على ارباب المواشي الحادية والعشرين
المواشي على قسمين ضواري وحريسة وعليها قسمها مالك فالضواري هي المعتادة للزرع والثمار فقال مالك تغرّب و
تباع في بلد لا زرع فيه رواه ابن القسم وغيره قال ابن حبيب وان كره ذلك ربها وكذلك قال مالك في الدابة التي
ضريت افساد الزرع تغرب وتباع واما ما يستطاع الاحتراس منه فلا يؤمر صاحبه باخراجه الثانية والعشرون
قال اصبغ النحل والحمام والاوز والدجاج كالماشية لا يمنع صاحبها من اتخاذها وان اضرت وعلى اهل القرية حفظ
زرعهم قال ابن العربي وهذه رواية ضعيفة لا يلتفت اليها من اراد ان يتخذ ما ينتفع به مما لا يضر بغيره مكن منه
واما انتفاعه بما يتخذه باضرار باحد فلا سبيل اليه قال عليه السلام لا ضرر ولا ضرار وهذه الضواري عن ابن القاسم
في المدنية لا ضمان على اربابها الا بعد التقدم قال ابن العربي وارى الضمان عليهم قبل التقدم اذا كانت ضواري
الثالثة والعشرون ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الشعبي ان شاة وقعت في غزل حايك
فاختصموا الى شريح فقال الشعبي انظروه فانه سيسألهم اليلا وقعت فيه او نهارا ففعل ثم قال ان كان بالليل ضمن
وان كان بالنهار لم يضمن ثم قرأ شريح اذ نفشت فيه غنم القوم قال والنفش بالليل والهمل بالنهار قال
المؤلف رحمه الله ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم العجماء جرحها جبار الحديث وقال ابن شهاب والجبار
الهدر والعجماء البهيمة قال علماؤنا ظاهر قوله العجماء جرحها جبار انها اذا انفردت البهيمة بالاتلاف لم يكن فيه شيء وهذا
مجمع عليه فلو كان معها قايد او سايق او راكب فحملها احدهم على شيء فاتلفته لزمه حكم المتلف فان كانت جناية مضمونة
بالقصاص وكان الحمل عمدا كان فيه القصاص ولا يختلف فيه لان الدابة كالآلة وان كان من غير قصد كانت فيه الدية
على العاقلة وفي الاموال الغرامة في مال الجاني الرابعة والعشرون واختلفوا فيما اصابت برجلها او بذنبها
فلم يضمن مالك والليث والاوزاعي صاحبها وضمنه الشافعي وابن ابي ليلى وابن شبرمة واختلفوا في الضاربة فجمهورهم
انها كغيرها ومالك وبعض اصحابه يضمنونه الخامسة والعشرون روى سفيان عن حسين عن الزهري عن سعيد بن
المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل جبار قال الدارقطني لم يروه غير سفيان بن
حسين ولم يتابع عليه وخالفه الحفاظ عن الزهري منهم مالك وابن عيينة ويونس ومعمر وابن جريج والزبيدي وعقيل و
ليث بن سعد وغيرهم كلهم رووه عن الزهري فقالوا العجماء جبار والبئر جبار والمعدن جبار ولم يذكروا الرجل وهو الصواب
وكذلك رواه ابو صالح السمان وعبد الرحمن الاعرج ومحمد بن سيرين ومحمد بن زياد وغيرهم عن ابي هريرة لم يذكروا فيه

والرجل جبار وهو المحفوظ عن ابي هريرة قوله والبير جبار قد روي موضعه
والنار جبار قال الدارقطني حدثنا حمزة بن القاسم الهاشمي حدثنا حنبل بن اسحاق قال سمعت ابا عبد الله
احمد بن حنبل يقول في حديث عبد الرزاق حديث ابي هريرة والنار جبار ليس بشيء لم يكن في الكتاب باطل ليس هو
بصحيح حدثنا محمد بن مخلد حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن هاني قال سمعت احمد بن حنبل يقول اهل اليمن يكتبون
النار النير ويكتبون البير مثل ذلك وانما لقن عبد الرزاق النار جبار وقال الرمادي قال عبد الرزاق قال معمر
لا اراه الا وهما قال ابو عمر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم النار جبار وقال يحيى بن معين اصله البير ولكن معمرا صحفه قال ابو عمر لم يات ابن معين على قوله
هذا بدليل وليس هكذا ترد احاديث الثقات ذكر وكيع عن عبد العزيز بن حصين عن يحيى بن يحيى الغساني قال احرق
رجل تبنا في قراح له فخرجت شررة من نار حتى احرقت شيئا لجاره قال فكتب فيه الى عمر بن عبد العزيز فكتب الى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العجماء جبار وقد روي والسائمة جبار بدل العجماء فهذا ما ورد في الفاظ هذا الحديث
ولكل معنى لفظ صحيح مذكور في شرح الحديث وكتب الفقه وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن قال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا والجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل كان
داود اذا وجد فترة امر الجبال فسبحت حتى يشتاق ولهذا قال وسخرنا اي جعلناها بحيث تطيعه اذا امرها
بالتسبيح وقيل ان سيرها معه تسبيحها والتسبيح ماخوذ من السباحة دليله قوله يا جبال اوبي معه وقال
قتادة يسبحن يصلين معه اذا صلى والتسبيح الصلوة وكل محتمل وذلك فعل الله تعالى بها ذلك لان الجبال لا تعقل
فتسبيحها دلالة على تنزيه الله تعالى عن صفات العاجزين والمحدثين وعلمناه صنعة
لبوس لكم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم يعني اتخاذ الدروع بالانة
الحديد له واللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان او جوشنا او سيفا او رمحا قال الهذلي يصف رمحا
ومعي لبوس للبئيس كانه روق بجبهة ذي نعاج مجفل واللبوس كل ما يلبس وانشد ابن السكيت
البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها واراد الله تعالى هنا الدرع وهو بمعنى الملبوس نحو الركوب
والحلوب قال قتادة اول من صنع الدروع داود وانما كانت صفائح فهو اول من سردها وحلقها الثانية
قوله تعالى لتحصنكم ليحرزكم من باسكم اي من حربكم وقيل من السيف والسهم والرمح اي من آلة
باسكم فحذف المضاف قال ابن عباس من سلاحكم وقال الضحاك من حرب اعدائكم والمعنى واحد وقرا الحسن وابو
جعفر وابن عامر وحفص وروح لتحصنكم بالتاء ردا على الصنعة وقيل على اللبوس والمنعة التي هي الدروع وقرا
الباقون بالياء جعلوا الفعل للبوس او يكون المعنى ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي على تيسير نعمة الدروع لكم
وقيل هل انتم شاكرون بان تطيعوا رسولي الثالثة هذه الآية اصل في اتخاذ الصنائع والاسباب
وهو قول اهل العقول والالباب لا قول الجهلة الاغبياء القائلين بان ذلك انما شرع للضعفاء فالسبب سنة الله
في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة ونسب من ذكرنا الى الضعف وعدم المنة وقد اخبر الله عن
نبيه داود انه كان يصنع الدروع وكان ايضا يصنع الخوص وكان ياكل من عمل يده وكان آدم حراثا ونوح
نجارا ولقمان خياطا وطالوت دباغا وقيل سقاء فالصنعة يكف بها الانسان نفسه عن الناس ويدفع بها
عن نفسه الضرر والباس وفي الحديث ان الله يحب المومن المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السائل الملحف

نه قال معمر

واري ان النار جبار

شيبة وابو بكر والمفضل وروح
وابن ابي اسحق لنحصنكم بالنون لقوله
وعلمناه وقراءة

وسياتي لهذا مزيد في سورة الفرقان ولسليمان الريح عاصفة اي وسخرنا لسليمان
الريح عاصفة اي شديدة الهبوب يقال عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف وفي لغة بني
اسد اعصفت الريح فهي معصف ومعصفة والعصف التبن فسمي به شدة الريح لانها تعصفه بشدة تطييرها
وقرا عبد الرحمن الاعرج والسلمي وابو بكر ولسليمان الريح برفع الحاء على القطع مما قبله والمعنى ولسليمان
تسخير الريح ابتداء وخبر تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها يعني الشام يروى
انها كانت تجري به وباصحابه الى حيث اراد ثم ترده الى الشام وقال وهب كان سليمان اذا خرج الى
مجلسه عكفت عليه الطير وقامت له الانس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرا غزاء لا يقعد عن الغزو
فاذا اراد ان يغزو امر بخشب فمدت ورفع عليها الناس والدواب وآلة الحرب ثم امر العاصف فاقلت ذلك
ثم امر الرخاء فمرت به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه وهو معنى قوله تجري بامره رخاء حيث اصاب والرخاء
اللينة وكنا بكل شيء عالمين اي بكل شيء علمنا عالمين بتدبيره ومن الشياطين
من يغوصون له اي وسخرنا له من يغوصون يريد تحت الماء اي يستخرجون له الجواهر من البحر والغوص
النزول تحت الماء وقد غاص في الماء والهاجم على الشيء غائص والغواص الذي يغوص في البحر على اللولو وفعله
الغياصة ويعملون عملا دون ذلك اي سوى ذلك من الغوص قاله الفراء وقيل يراد بذلك المحاريب
والتماثيل وغير ذلك مما يسخرهم فيه وكنا لهم حافظين اي لاعمالهم وقال الفراء حافظين لهم
من ان يفسدوا اعمالهم او يهيجوا احدا من بني آدم في زمان سليمان وقيل حافظين من ان يهربوا او يمتنعوا
وحفظناهم من ان يخرجوا عن امره وقد قيل ان الحمام والنورة والطواحين والقوارير والصابون من
استخراج الشياطين وايوب اذ نادى ربه اي واذكر ايوب اذ نادى ربه اني
مسني الضر اي نالني في بدني ضر وفي مالي واهلي قال ابن عباس سمي ايوب لانه آب الى الله في كل
حال روي ان ايوب عليه السلام كان رجلا من الروم ذا مال عظيم وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل
والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل شاكرا لانعم الله وانه دخل مع قومه على جبار عظيم فخاطبوه
في امر فجعل ايوب يلين له من اجل زرع كان له فامتحنه الله بذهاب ماله واهله وبالضر في جسمه
حتى تناثر لحمه وتدود جسمه حتى اخرجه اهل قريته الى خارج القرية وكانت امراته تخدمه قال الحسن
مكث بذلك تسع سنين وستة اشهر فلما اراد الله ان يفرج عنه قال الله تعالى اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فيه شفاؤك وقد وهبت لك اهلك وولدك ومثلهم معهم وسياتي في ص ما للمفسرين في قصة
ايوب من تسليط الشيطان عليه والرد عليهم ان شاء الله واختلف في قول ايوب مسني الضر على خمسة عشر
قولا الاول انه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال مسني الضر اخبارا عن حاله لا شكوى لبلائه رواه
انس مرفوعا الثاني انه اقرار بالعجز فلم يكن منافيا للصبر الثالث انه سبحانه اجراه على لسانه ليكون
حجة لاهل البلاء بعده في الافصاح بما ينزل بهم الرابع انه اجراه على لسانه الزاما له في صفة الآدمي في الضعف
عن تحمل البلاء الخامس انه انقطع عنه الوحي اربعين يوما فخاف هجران ربه فقال مسني الضر وهذا قول
جعفر بن محمد السادس ان تلامذته الذين كانوا يكتبون عنه لما افضت حاله الى ما انتهت اليه محوا
ما كتبوا عنه وقالوا ما لهذا عند الله قدر فاشتكى الضر في ذهاب الوحي والدين من ايدي الناس وهذا مما

ملعت

قوله

لم يصح سنده والله اعلم قاله ابن العربي السابع ان دودة سقطت من جسمه فاخذها وردها في موضعها فعقرته
فصاح مسني الضر فقيل اعلينا تتصبر قال ابن العربي وهذا بعيد جدا مع انه يفتقر الى نقل صحيح ولا سبيل
الى وجوده الثامن ان الدود كان تناول بدنه فصبر حتى تناولت دودة قلبه واخرى لسانه فقال مسني
الضر لاشتغاله عن ذكر الله قال ابن العربي وما احسن هذا لو كان له سند ولم يكن دعوى عريضة التاسع
انه ابهم عليه جهة اخذ البلاء له هل هو تاديب او تعذيب او تخصيص او تمحيص او ذخر او طهر فقال مسني الضر
اي ضر الاشكال في جهة اخذ البلاء قال ابن العربي وهذا غلو لا يحتاج اليه العاشر انه قيل له سل الله العافية
فقال اقمت في النعم سبعين سنة فاقيم في البلاء سبعين سنة فحينئذ اساله فقال مسني الضر قال ابن العربي
وهذا ممكن ولكنه لم يصح في اقامته مدة ولا في هذه القصة الحادي عشر ان ضره قول ابليس لزوجته اسجدي
لي فخاف ذهاب الايمان عنها فتهلك ويبقى بغير كافل الثاني عشر لما ظهر به البلاء قال قومه قد اضر بنا كونه معنا
وقذره فليخرج عنا فاخرجته امراته الى ظاهر البلد فكانوا اذا خرجوا راوه وتطيروا به وتشاءموا برؤيته فقالوا
ليبعد بحيث لا نراه فخرج الى بعد من القرية فكانت امراته تقوم عليه وتحمل قوته اليه فقالوا انها تتناوله وتخالطنا
فتعود بسببه ضره الينا فارادوا قطعها عنه فقال مسني الضر الثالث عشر قال عبد الله بن عبيد بن عمير كان
لايوب اخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران ان يدنوا منه من نتن ريحه فقال احدهما للاخر لو علم الله
ايوب خيرا ما ابتلاه بهذا البلاء فلم يسمع شيئا اشد عليه من هذه الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال
اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان قط وانا اعلم مكان جائع فصدقني فنادى مناد من السماء ان صدق عبدي
وهما يسمعان فخرا ساجدين الرابع عشر ان معنى مسني الضر من شماتة الاعداء ولهذا قيل له ما كان اشد
عليك في بلائك قال شماتة الاعداء قال ابن العربي وهذا ممكن فان الكليم قد سال اخاه العافية من ذلك فقال ان
القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء الخامس عشر ان امراته كانت ذات ذوائب فعرضت
حتى منعت ان تتصرف لاحد بسببه ما تعود عليه فقطعت ذوائبها واشترت بها ممن يصلها قوتا وجاءت به اليه و
كان يستعين بذوائبها في تصرفه وتنقله فلما عدمها واراد الحركة في تنقله لم يقدر قال مسني الضر وقيل انها لما
اشترت القوت بذوائبها جاءه الشيطان في صفة رجل وقال ان اهلك بغت فاخذت وحلق شعرها فحلف
ايوب ان يجلدها فكانت المحنة على قلب المراة اشد من المحنة على قلب ايوب وقول سادس عشر حكاه ابن المبارك
اخبرنا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب النبي وما
اصابه من البلاء الحديث وفيه ان بعض اخوانه ممن صابره ولازمه قال يا نبي الله لقد اعجبني امرك وذكرته الى
اخيك وصاحبك انه قد ابتلاك بذهاب الاهل والمال وفي جسدك منذ ثمانية عشرة سنة حتى بلغت ما ترى الا يرحمك
فيكشف عنك لقد اذنبت ذنبا ما اظن احدا بلغه فقال ايوب عليه السلام ما ادري ما تقولان غير ان ربي عز وجل
يعلم اني كنت امر على الرجلين يتزاعمان وكل يحلف بالله او على النفر يتزاعمون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم
ارادة ان لا ياثم احد منهم ذكره ولا يذكره احد الا بحق فنادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وانما كان
دعاؤه عرضا عرضه على الله تعالى يخبر بالذي بلغه صابرا لما يكون من الله تعالى فيه وذكر الحديث وقول سابع سمعته
ولم اقف عليه ان دودة سقطت من جسده فطلبها ليردها الى موضعها فلم يجدها فقال مسني الضر لما فقده من اجر الم
تلك الدودة وكان اراد ان يبقى له الاجر موفرا الى وقت العافية وهذا احسن الا انه يحتاج الى سند قال

ذكره

العلماء ولم يكن قوله مسني الضر جزعا لان الله تعالى قال انا وجدناه صابرا بل كان ذلك دعاء والجزع
في الشكوى الى الخلق لا الى الله تعالى والدعاء لا ينافي الرضا قال الثعلبي وسمعت استاذنا ابا القاسم بن حبيب
يقول حضرت مجلسا غاصا بالفقهاء والادباء في دار السلطان فسئلت عن هذه الاية بعد اجماعهم على ان قول
ايوب كان شكاية وقد قال تعالى انا وجدناه صابرا فقلت ليس هذا شكاية وانما كان دعاء بيانه فاستجبنا
له والاجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء فاستحسنوه وارتضوه وسئل الجنيد عن هذه الاية فقال عرفه
فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم
معهم قال مجاهد وعكرمة قيل لايوب عليه السلام قد آتيناك اهلك في الجنة فان شئت تركناهم لك في
الاخرة وان شئت آتيناكهم في الدنيا قال مجاهد فتركهم الله عز وجل في الجنة واعطاه مثلهم في الدنيا قال
النحاس والاسناد عنهما بذلك صحيح قال المصنف رحمه الله حكاه المهدوي عن ابن عباس وقال الضحاك قال عبد
الله بن مسعود كان اهل ايوب قد ماتوا الا امراته فاحياهم الله تعالى في اقل من طرف البصر وآتاه مثلهم معهم
وعن ابن عباس ايضا كان بنوه قد ماتوا فاحيوا وولد له مثلهم معهم وقاله قتادة وكعب الاحبار والكلبي وغيرهم
قال ابن مسعود مات اولاده وهم سبعة من الذكور وسبعة من الاناث فلما عوفي نشر له وولدت له امراته
سبعة بنين وسبع بنات قال الثعلبي وهذا القول اشبه بظاهر الاية قال المولف رحمه الله لانهم ماتوا ابتلاء
قبل آجالهم حسب ما تقدم في سورة البقرة في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت وفي قصة السبعين
الذين اخذتهم الصاعقة فماتوا ثم احيوا وذلك انهم ماتوا قبل آجالهم وكذلك هنا والله اعلم وعلى قول مجاهد و
عكرمة يكون المعنى وآتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا وفي الخبر ان الله بعث اليه جبريل عليه السلام
حتى ركض برجله على الارض ركضة فظهرت عين ماء حار واخذ بيده ونفضه نفضة فتناثرت عنه الديدان و
غاص في الماء غوصة فنبت لحمه وعاد الى منزله ورد الله عليه اهله ومثلهم معهم ونشات سحابة على قدر قواعد داره
فمطرت ثلاثة ايام بلياليها جرادا من ذهب فقال له جبريل اشبعت فقال ومن يشبع من فضل الله فاوحى الله اليه
قد اثنيت عليك بالصبر قبل وقوعك في البلاء وبعده ولولا اني وضعت تحت كل شعرة منك صبرا ما صبرت رحمة
من عندنا اي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا وقيل ابتليناه لنعظم ثوابه وذكرى للعابدين اي وتذكيرا
للعباد لانهم اذا ذكروا بلاء ايوب وصبره عليه ومحنته له وهو افضل زمانه وطنوا انفسهم على الصبر
على شدائد الدنيا نحو ما فعل ايوب فيكون هذا تنبيها لهم على ادامة العبادة واحتمال الضرر واختلف في مدة
اقامته في البلاء فقال ابن عباس كانت مدة البلاء سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ليال وقال
وهب ثلاث سنين وقال الحسن تسع سنين وستة اشهر قال المولف واصح من هذا والله اعلم ثمان عشرة سنة
رواه ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن المبارك وقد تقدم قوله تعالى واسمعيل
وادريس وهو خنوخ وقد تقدم وذا الكفل اي واذكرهم خرج الترمذي في نوادر الاصول وغيره
من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب
عمله فاتبع امراة فاعطاها ستين دينارا فلما قعد منها مقعد الرجل من امراته ارتعدت وبكت فقال ما
يبكيك قالت من هذا العمل والله ما عملته قط قال اكرهتك قالت لا ولكن حملني عليه الحاجة قال اذهبي فهو لك
والله لا عصيت الله ابدا ثم مات من ليلته فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله قد غفر لذي الكفل وخرجه

اهله

الترمذي ايضا ولفظه عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم اسمعه الا مرة او مرتين حتى
عد سبع مرات ولكنه سمعته اكثر من ذلك وذكر الحديث وفيه ثم مات من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه ان الله
قد غفر لذي الكفل قال فيه حديث حسن وقيل ان اليسع لما كبر قال لو استخلفت رجلا على الناس حتى انظر كيف يعمل
بثلاث بصيام النهار وقيام الليل وان لا يغضب ويقضي فقال رجل من ذرية العيص انا فرده ثم قال مثلها من الغد فقال
الرجل انا فاستخلفه فوفى فاثنى الله عليه فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر قاله ابو موسى ومجاهد وقتادة وقال عمرو بن
عبد الله بن الحارث وقال ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا فتكفل بعمل
رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة فاحسن الله الثناء عليه وقال كعب كان في بني اسرائيل
ملك كافر فمر ببلاده رجل صالح فقال والله ان خرجت من هذه البلاد حتى اعرض على هذا الملك الاسلام
فعرض عليه فقال ما جزائي قال الجنة ووصفها له قال من يتكفل لي بذلك قال انا فاسلم الملك وتخلى عن المملكة و
اقبل على طاعة ربه حتى مات فدفن فاصبحوا فوجدوا يده خارجة من القبر وفيها رقعة خضراء مكتوب فيها بنور ابيض
ان الله قد غفر لي وادخلني الجنة ووفى عني كفالة فلان فاسرع الناس الى ذلك الرجل بان ياخذ عليهم الايمان ويتكفل
لهم بما تكفل للملك ففعل ذلك وآمنوا كلهم فسمي ذا الكفل وقيل كان رجلا عفيفا يتكفل بشان كل انسان وقع في بلاء
او تهمة او مطالبة فينجيه الله على يديه وقيل سمي ذا الكفل لان الله تعالى تكفل له في سعيه وعمله بضعف عمل غيره
من الانبياء الذين كانوا في زمانه والجمهور على انه ليس بنبي وقال الحسن هو نبي قبل الياس وقيل هو زكريا بكفالة مريم
كل من الصابرين اي على امر الله والقيام بطاعته واجتناب معاصيه وادخلناهم في رحمتنا اي الجنة
انهم من الصالحين قوله تعالى وذا النون اي واذكر ذا النون وهو لقب ليونس بن متى لابتلاع
النون اياه والنون الحوت وفي حديث عثمان رضي الله عنه انه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته كيلا تصيبه
العين روى ثعلب عن ابن الاعرابي النونة الثقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ومعنى دسموا سودوا
اذ ذهب مغاضبا قال الحسن والشعبي وسعيد بن جبير مغاضبا لربه جل وعز واختاره الطبري والقتبي
واستحسنه المهدوي وروي عن ابن مسعود وقال النحاس وربما انكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا
من اجل ربه كما تقول غضبت لك اي من اجلك والمؤمن يغضب لله جل وعز اذا عصي واكثر اهل اللغة يذهب الى
ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اشترطي لهم الولاء من هذا وبالغ القتبي في نصرة هذا القول وفي الخبر في
وصف يونس انه كان ضيق الصدر فلما حمل اعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فمضى على وجهه مضي
الآبق الناد فهذه المغاضبة كانت صغيرة ولم يغضب على الله ولكن غضب لله اذ رفع العذاب عنهم وقال ابن مسعود
ابق من ربه اي من امر ربه حين امره بالعود اليهم بعد رفع العذاب عنهم فانه كان يتوعد قومه بنزول العذاب في
وقت معلوم وخرج من عندهم في ذلك الوقت فاظلهم العذاب فتضرعوا فرفع عنهم ولم يعلم يونس بتوبتهم فلذلك
ذهب مغاضبا وكان من حقه ان لا يذهب الا باذن محدد وقال الحسن امره الله تعالى بالمسير الى قومه فسأل
ان ينظر ليتأهب فاعجله الله تعالى حتى سأل ان يأخذ نعلا يلبسها فلم ينظر وقيل له الامر اعجل من ذلك وكان في
خلقه ضيق فخرج مغاضبا لربه فهذا قول وقول النحاس احسن ما قيل في تاويله اي خرج مغاضبا من اجل ربه اي غضب
على قومه من اجل كفرهم بربه وقيل انه غاضب قومه حين طال عليه امرهم وتعنتهم فذهب فارا بنفسه ولم يصبر على
اذاهم وقد كان الله امره بملازمتهم والدعاء فكان ذنبه خروجه من بينهم من غير اذن من الله روي معناه عن ابن

عباس والضحاك وان يونس كان شابا ولم يحمل اثقال النبوة ولهذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
ولا تكن كصاحب الحوت وعن الضحاك ايضا خرج مغاضبا لقومه لان قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول من الله
عز وجل كفروا بهذا فوجب ان يغاضبهم وعلى كل احد ان يغاضب من عصى الله جل وعز وقالت فرقة منهم
الاخفش انما خرج مغاضبا للملك الذي كان على قومه قال ابن عباس اراد شعيا النبي والملك الذي
كان في وقته اسمه حزقيل ان يبعثوا يونس الى ملك نينوى وكان غزا بني اسرائيل وسبى الكثير منهم
ليكلمه حتى يرسل معه بني اسرائيل وكان الانبياء في ذلك الزمان يوحى اليهم والامر والسياسة الى ملك
قد اختاروه فيعمل على وحي ذلك النبي وكان اوحى الله الى شعيا ان قل لحزقيل الملك ان يختار نبيا قويا
امينا من بني اسرائيل فيبعثه الى اهل نينوى فيأمرهم بالتخلية عن بني اسرائيل فاني ملق في قلوب ملوكهم وجبابرتهم
التخلية عنهم فقال يونس لشعيا هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا انبياء اقوياء
امناء فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك وقومه فاتى بحر الروم فكان من قصته ما كان فابتلي ببطن الحوت لتركه امر
شعيا ولهذا قال تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم من فعل ما يلام عليه وكان ما فعله اما صغيرة او ترك الاولى
وقيل خرج ولم يكن نبيا في ذلك الوقت ولكن امره ملك من ملوك بني اسرائيل ان ياتي نينوى ليدعوا اهلها بامر
شعيا فانف ان يكون ذهابه اليهم بامر احد غير الله فخرج مغاضبا للملك فلما نجا من بطن الحوت بعثه الله الى قومه
فدعاهم وآمنوا به قال القشيري والاظهر ان هذه المغاضبة كانت بعد ارسال الله تعالى اياه وبعد رفع العذاب
عن القوم بعد ما اظلهم فانه كره رفع العذاب عنهم قال المؤلف رحمه الله هذا احسن ما قيل فيه على ما ياتي بيانه في
والصافات وقيل انه كان من اخلاق قومه قتل من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتل فغضب وخرج فارا على وجهه
حتى ركب في سفينة فسكنت ولم تجر فقال اهلها افيكم آبق فقال انا هو وكان من قصته ما كان وابتلي ببطن الحوت
تمحيصا من الصغيرة كما قال في اهل احد حتى اذا فشلتم الى قوله وليمحص الله الذين آمنوا فمعاصي الانبياء مغفورة
ولكن قد يجري تمحيص ويتضمن ذلك زجرا عن المعاودة وقول رابع انه لم يغاضب ربه ولا قومه ولا الملك وانه من قولهم
غضب اذا انف وفاعل قد يكون من واحد فالمعنى انه لما وعد قومه بالعذاب وخرج عنهم تابوا وكشف عنهم العذاب
فلما رجع وعلم انهم لم يهلكوا انف من ذلك فخرج آبقا وينشد هذا البيت وأغضب ان تهجى تميم بدارم اي آنف وهذا
فيه نظر فانه يقال لصاحب هذا القول ان تلك المغاضبة وان كانت من الانفة فالانفة لا بد ان يخالطها الغضب وذلك
الغضب وان دق على من كان وانت تقول لم يغضب على ربه ولا على قومه فذلك الغضب الذي يخالط الانفة على من كان
قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه قيل معناه استزله ابليس ووقع في ظنه امكان ان لا يقدر
الله عليه بمعاقبته وهذا قول مردود مرغوب عنه لانه كفر روي عن سعيد بن جبير حكاه عنه المهدوي والثعلبي
عن الحسن وذكره الثعلبي وقال عطاء وسعيد بن جبير وكثير من العلماء معناه فظن ان لن نضيق عليه قال الحسن هو من قوله
تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يضيق وقوله ومن قدر عليه رزقه قال المؤلف رحمه الله وهذا الاشبه بقول
سعيد والحسن وقدر وقدر وقتر وقتر بمعنى اي ضيق وهو قول ابن عباس فيما ذكره الماوردي والمهدوي وقيل هو
من القدر الذي هو القضاء والحكم اي فظن ان لن نقضي عليه العقوبة قاله قتادة ومجاهد والفراء ماخوذ من القدر
وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة وروي عن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب انه قال في قول الله تعالى فظن ان لن
نقدر عليه قال هو من التقدير ليس من القدرة يقال منه قدر الله لك الخير يقدره قدرا بمعنى قدر الله لك الخير

او زرق السلم النصر

وانشد ثعلب فليست عشيات اللوا برواجع لنا ابدا ما ابرم السلم النضر ولا عايدا ذاك الزمان الذي مضى تبارکت ما تقدر يقع ولک الشکر يعني ما تقدره وتقضي به يقع وعلی هذين التاويلين العلماء وقرا عمر بن عبد العزيز والزهري فظن ان لن نقدر بضم النون وتشديد الدال من التقدير وحكی هذه القراءة الماوردي عن ابن عباس وقرا عبيد بن عمير وقتاده والاعرج ان لن يقدر بضم اليا مشددا علی الفعل المجهول وقرا يعقوب و عبد الله بن ابي اسحق والحسن وابن عباس ايضا يقدر عليه بيا مضمومه وفتح الدال مخففا علی الفعل المجهول وعن الحسن ايضا فظن ان لن نقدر عليه الباقون نقدر بفتح النون وكسر الدال وكله بمعنی التقدير قال المولف رحمه الله و هذان التاويلان تاولهما العلماء في قول الرجل الذي لم يعمل خيرا قط لاهله اذا مات فحرقوه فوالله لئن قدر الله عليه الحديث فعلی التاويل الاول يكون تقديره والله لئن ضيق الله علي وبالغ في محاسبتي وجزائي علی ذنوبي ليكونن ذلک ثم امر ان يحرق لافراط خوفه وعلی التاويل الثاني اي لئن كان سبق في قدر الله وقضايه ان يعذب كل ذي جرم علی جرمه ليعذبني الله علی اجرامي وذنوبي عذابا لا يعذبه احدا من العالمين غيري وحديثه خرجه الايمه الموطا وغيره والرجل كان مومنا موحدا وقد جا في بعض طرقه لم يعمل خيرا قط الا التوحيد وقد قال حين قال الله له لم فعلت هذا قال من خشيتک يا رب والخشيه لا تكون الا لمومن مصدق قال الله تعالی انما يخشی الله من عباده العلما وقد قيل ان معنی فظن ان لن نقدر عليه الاستفهام وتقديره افظن فحذف الف الاستفهام ايجازا وهو قول سليمان بن المعتمر وحكی القاضي المنذر بن سعيد ان بعضهم قرا افظن بالالف قوله تعالی فنادی في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانک اني كنت من الظالمين فيه مسئلتان الاولی

قوله تعالی فنادی في الظلمات اختلف الناس في جمع الظلمات ما المراد به فقالت فرقة منهم ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال ابن ابي الدنيا حدثنا يوسف بن موسی حدثنا عبيد الله بن موسی عن اسرائيل عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون قال حدثنا عبد الله بن مسعود في بيت المال قال حدثنا لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام واهوی به الی قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصا فنادی في الظلمات ظلمات ثلاث بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر ان لا اله الا انت سبحانک اني كنت من الظالمين فنبذناه بالعراء وهو سقيم كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش وقالت فرقة منهم سالم بن ابي الجعد ظلمة البحر وظلمة حوت التقم الحوت الاول ويصح ان يعبر بالظلمات عن جوف الحوت الاول فقط كما قال في غيابات الجب وفي كل جهاته ظلمة فجمعها سايغ وذكر الماوردي انه يحتمل ان يعبر بالظلمات عن ظلمة الخطيئة وظلمة الشدة وظلمة الوحدة وروی ان الله تعالی اوحی الی الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنک سجنه ولم اجعله طعامک وروی ان يونس عليه السلم سجد في بطن الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر وذكر ابن ابي الدنيا حدثنا العباس بن يزيد العبدي حدثنا اسحق بن ادريس حدثنا جعفر بن سليمان عن عوف عن سعيد بن ابي الحسن قال لما التقم الحوت يونس ظن انه قد مات فطول رجليه فاذا هو لم يمت فقام الی عادته يصلي فقال في دعائه واتخذت لک مسجدا حيث لم يتخذه احد وقال ابو المعالي قوله صلی الله عليه وسلم لا تفضلوني علی يونس بن متی المعنی فاني لم اكن وانا في سدرة المنتهی باقرب الی الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت وهذا يدل علی ان الباري سبحانه ليس في جهة وقد تقدم هذا المعنی في البقرة والاعراف ان لا اله الا انت سبحانک اني كنت من الظالمين يريد فيما خالف فيه من ترک مداومة قومه و الصبر عليهم وقيل في الخروج من غير ان يؤذن له ولم يكن ذلک من الله عقوبة لان الانبيا لا يجوز ان يعاقبوا وانما

كان ذلک تمحيصا وقد يؤدب من لا يستحق العقاب كالصبيان ذكره الماوردي وقيل من الظالمين في دعائي علی قومي بالعذاب وقد دعا نوح علی قومه فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الی نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل قول آدم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما انفسهما في غير الموضع الذي انزلا فيه روی ابو داود عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلی الله عليه وسلم قال دعا ذو النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانک اني كنت من الظالمين لم يدع به رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وقد قيل انه اسم الله الاعظم ورواه سعد عن النبي صلی الله عليه وسلم وفي الخبر في هذه الآية شرط الله لمن دعاه ان يجيبه كما اجابه وينجيه كما انجاه وهو قوله وكذلک ننجي المومنين وليس ههنا صريح دعاء وانما مضمونه قوله اني كنت من الظالمين فاعترف بالظلم فكان تلويحا وكذلک ننجي المؤمنين اي نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم وذلک قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الی يوم يبعثون وهذا حفظ من الله لعبده يونس رعاه له حق تعبده وحفظ ذمام ما سلف له من طاعته وقال الاستاذ ابو اسحق صحب ذو النون الحوت اياما قلايل فالی يوم القيمه يقال له ذو النون فما ظنک بعبد عبده سبعين سنة يبطل هذا عنده لا يظن به ذلک من الغم اي من بطن الحوت قوله تعالی ننجي قراءة العامة بنونين من انجی ينجي وقرا ابن عامر نجي بنون واحدة وجيم مشددة وتسكين اليا علی الفعل الماضي واضمار المصدر اي وكذلک نجي النجاء المومنين كما تقول ضرب زيدا بمعنی ضرب الضرب زيدا وانشد ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلک الجرو الكلابا اراد لسب السب بذلک الجرو وسكنت ياؤه علی لغة من يقول بقي ورضي فلا يحرک اليا وقرا الحسن وذروا ما بقي من الربا استثقالا للتحريک ما قبلها وانشد خمر الشيب لمتي تخميرا وحدی بي الی القبور البعيرا ليت شعري اذا القيامة قامت ودعي بالحساب اين المصيرا سكن اليا في دعي استثقالا لتحريكها وقبلها كسرة وفاعل حدی المشيب اي وحدی المشيب البعير ليت شعري المصير اين هو هذا تاويل الفراء وابي عبيد وثعلب في تصويب هذه القراءة و خطاها ابو حاتم والزجاج وقالوا هو لحن لانه نصب اسم ما لم يسم فاعله وانما يقال نجي المومنون كما يقال كرم الصالحون ولا يجوز ضرب زيدا بمعنی ضرب الضرب زيدا لانه لا فايدة فيه اذ كان ضرب يدل علی الضرب ولا يجوز ان يحتج بمثل ذلک البيت علی كتاب الله تعالی ولابي عبيد قول آخر وقاله القتبي وهو انه ادغم النون في الجيم قال النحاس وهذا القول لا يجوز عند احد من النحويين لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا تدغم فيها ولا يجوز فمن جاء بالحسنة مجاء بالحسنة قال النحاس ولم اسمع في هذا من شي سمعته من علي بن سليمان قال الاصل ننجي فحذف احدی النونين لاجتماعهما كما تحذف احدی التائين من علي بن سليمان لاجتماعهما نحو قوله تعالی ولا تفرقوا والاصل تتفرقوا وقرا ابن السميقع وابو العاليه وكذلک نجا المومنين اي نجا الله المومنين وهي حسنة قوله تعالی وزكريا اذ نادی ربه اي واذكر زكريا وقد تقدم في آل عمران ذكره رب لا تذرني فردا اي منفردا لا ولد لي وقد تقدم وانت خير الوارثين اي خير من يبقی بعد من يموت وانما قال خير الوارثين لما تقدم من قوله يرثني اي اعلم انک لا تضيع دينک ولكن لا تقطع هذه الفضيلة التي هي القيام بامر الدين عن عقبي كما تقدم في مريم بيانه فاستجبنا له اي اجبنا دعاءه ووهبنا له يحيی تقدم ذكره واصلحنا له زوجه قال قتاده واكثر المفسرين انها كانت عاقرا فجعلت ولودا وقال ابن عباس وعطا كانت سيئة الخلق طويلة اللسان فاصلحها الله فجعلها حسنة الخلق قال المولف رحمه الله ويحتمل ان يكون جمعت المعنيين فجعلت حسنة الخلق ولودا انهم يعني الانبيا المسمين في هذه السورة كانوا يسارعون في الخيرات وقيل الكناية

النحاس ص

راجعه الى زكريا وامرأته ويحيى وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا فيه مسئلتان
قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اى يفزعون الينا ويدعوننا فى حال الرخا وحال الشدة وقيل المعنى يدعون وقت
تعبدهم وهم بحال رغبة ورجا ورهبة وخوف لان الرغبة والرهبة متلازمان وقيل الرغب رفع بطون الاكف الى السماء
والرهب رفع ظهورها قاله خصيف قال ابن عطية وتلخيص هذا ان عادة كل داع من البشر ان يستعين بيديه فالرغب
من حيث هو طلب يحسن منه ان يوجه باطن الراح نحو المطلوب منه اذ هى موضع اعطاء او بها يتملك والرهب من حيث
هو دفع مضرة يحسن معه طرح ذلك والاشارة الى ذهابه وتوقيه بنفض اليد ونحوه روى الترمذى عن
عمر بن الخطاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه وقد مضى فى
الاعراف الاختلاف فى رفع الايدى وذكرنا هذا الحديث وغيره هناك وعلى القول بالرفع فقد اختلف الناس فى صفته
والى اين فكان بعضهم يختار ان يبسط كفيه رافعهما حذو صدره وبطونهما الى وجهه روى عن ابن عمر وابن عباس وكان
على يدعو بباطن كفيه وعن انس مثله وهو ظاهر حديث الترمذى وقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله فاسألوه
ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم وروى عن ابن عمر وابن الزبير يرفعهما الى وجهه واحتجوا بحديث
ابى سعيد الخدرى قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فجعل يدعو وجعل ظهر كفيه مما يلى وجهه ورفعهما
فوق ثدييه واسفل من منكبيه وقيل حتى يحاذى بهما وجهه وظهورهما مما يلى وجهه قال الطبرى والصواب ان يقال ان
كل هذه الآثار المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم متفقة غير مختلفة المعانى وجائز ان يكون ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم
لاختلاف احوال الدعاء كما قال ابن عباس اذا اشار احدكم باصبع واحدة فهو الاخلاص واذا رفع يديه حذو صدره فهو الدعاء
واذا رفعهما حتى يجاوز بهما راسه وظاهرهما مما يلى وجهه فهو الابتهال قال الطبرى وقد روى قتادة عن انس قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بظهر كفيه وباطنهما ورغبا ورهبا منصوبان على المصدر اى يرغبون رغبا ويرهبون
رهبا او على المفعول من اجله اى للرغب والرهب او على الحال وقرأ طلحة بن مصرف ويدعونا بنون واحدة وقرأ
الاعمش بضم الراء واسكان الغين والهاء مثل السقم والبخل والعدم والضر لغتان وابن وثاب والاعمش ايضا
رغبا ورهبا بالفتح فى الراء والتخفيف فى الغين والهاء وهما لغتان مثل نهر ونهر وصخر وصخر ورويت هذه القراءة
عن ابى عمرو وكانوا لنا خاشعين اى متواضعين خاضعين وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
اى واذكر مريم التى احصنت فرجها وانما ذكرها وليست من الانبياء لتتميم ذكر عيسى ولهذا قال وجعلناها وابنها آية
للعالمين لان معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما وقصتهما آية للعالمين وقال الزجاج ان الآية فيهما واحدة لانها ولدته
من غير فحل وعلى مذهب سيبويه التقدير وجعلناها آية للعالمين وجعلنا ابنها آية للعالمين ثم حذف وعلى مذهب
الفراء وجعلناها آية للعالمين وابنها مثل قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل ان من آياتها انها اول
امرأة قبلت فى النذر فى المتعبد ومنها ان الله غذاها برزق من عنده لم يجر على يد عبد من عبيده وقيل انها لم تلقم
ثديا قط واحصنت معناه عفت وامتنعت من الفاحشة وقيل ان المراد بالفرج فرج القميص اى لم يعلق بثوبها
ريبة اى انها طاهرة الاثواب وفروج القميص اربعة الكمان والاعلى والاسفل قال السهيلى فلا يذهبن وهمك الى
غير هذا فانه من لطيف الكناية لان القرآن انزه معنى واوزن لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من ان يريد ما
يذهب اليه وهم الجاهل لاسيما والنفخ من روح القدس بامر القدوس فاضيف القدس الى القدوس ونزهت المطهرة المقدسة
عن الظن الكاذب والحدس فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا يعنى امرنا جبريل حتى نفخ فى درعها فاحدثنا بذلك النفخ

المسيح فى بطنها وقد مضى هذا فى النساء ومريم آية اى علامة واعجوبة للخلق وعلما لنبوة عيسى ودالة على نفوذ
قدرتنا فيما نشاء إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً لما ذكر الانبياء قال هؤلاء كلهم
مجتمعون على التوحيد والامة هنا بمعنى الدين الذى هو الاسلام قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما فاما المشركون
فقد خالفوا الكل وَأَنَا رَبُّكُمْ اى الهكم وحدى فَاعْبُدُونِ اى افردونى بالعبادة وقرأ عيسى بن عمر وابن
ابى اسحق ان هذه امتكم امة واحدة ورواها حسين عن ابى عمرو الباقون امة واحدة بالنصب على القطع
لمجئ النكرة بعد تمام الكلام وقال الزجاج انتصب امة على الحال اى فى حال اجتماعها على الحق اى هذه امتكم ما دامت
امة واحدة واجتمعتم على التوحيد فاذا تفرقتم وخالفتم فليس من خالف الحق من جملة اهل الدين الحق وهو كما
تقول فلان صديقى عفيفا اى ما دام عفيفا فاذا خالف العفة لم يكن صديقى واما الرفع فيجوز ان يكون على البدل من
امتكم او على اضمار مبتداء اى ان هذه امتكم هذه امة واحدة او يكون خبرا بعد خبر ولو نصبت امتكم على البدل من هذه
لجاز ويكون امة واحدة خبر ان وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ اى تفرقوا فى الدين قاله
الكلبى وقال الاخفش اختلفوا فيه والمراد المشركون ذمهم لمخالفة الحق واتخاذهم آلهة من دون الله قال الازهرى
تفرقوا فى امرهم فنصب امرهم بحذف فى فالمتقطع على هذا لازم وعلى الاول متعدى والمراد جميع الخلق اى جعلوا
امرهم فى اديانهم قطعا وتقسموه بينهم فمن موحد ومن يهودى ونصرانى ومن عابد ملك او صنم قوله تعالى كُلٌّ
إِلَيْنَا رَاجِعُونَ اى الى حكمنا فنجازيهم فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ من
للتبعيض لا للجنس اذ لا قدرة للمكلف ان ياتى بجميع الطاعات كلها فرضها ونفلها فالمعنى من يعمل شيئا من الطاعات فرضا
او نفلا وهو موحد مسلم وقال ابن عباس مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا كفران لسعيه اى لا جحود لعمله اى لا نضيع جزاءه
ولا نغطى والكفر ضد الايمان والكفر ايضا جحود النعمة وهو ضد الشكر وقد كفره كفورا وكفرانا وفى حرف ابن مسعود فلا كفر
لسعيه وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ لعمله حافظون نظيره انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى اى كل ذلك محفوظ
ليجازى به وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ قراءة اهل المدينة
وزيد بن ثابت وحرام وهى اختيار ابى عبيد وابى حاتم واهل الكوفة وحرم ورويت عن على وابن مسعود وابن عباس
وهما لغتان مثل حل وحلال وقد روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وحرم بفتح الحاء والميم وكسر الراء وعن ابن عباس
ايضا وعكرمة وابى العالية وحرم بضم الراء وفتح الحاء والميم وعن ابن عباس وحرم وعنه ايضا وحرم وحرم وعن
عكرمة وحرم وعن قتادة ومطر الوراق وحرم تسع قراءات وقرأ السلمى على قرية اهلكتها واختلف فى لا فى قوله
لا يرجعون فقيل هى صلة روى ذلك عن ابن عباس واختاره ابو عبيد اى وحرام على قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد
الهلاك وقيل ليست بصلة وانما هى ثابتة ويكون الحرام بمعنى الواجب اى وجب على قرية كما قالت الخنساء وان حراما لا
ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر تريد اخاها فلا ثابتة على هذا القول وقال النحاس الآية مشكلة ومن احسن ما
قيل فيها واجله ما رواه ابن عيينة وابن علية وهشيم وابن ادريس ومحمد بن فضيل وسليمان بن حيان ومعلى عن داود
بن ابى هند عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها قال وجب انهم لا يرجعون قال لا يتوبون
قال ابو جعفر واشتقاق هذا من اللغة وشرحه ان معنى حرم الشئ حظر ومنع منه كما ان معنى احل ابيح ولم يمنع منه فاذا كان
حرام وحرم بمعنى واجب فمعناه انه قد ضيق الخروج منه ومنع فقد دخل فى باب المحظور بهذا فاما قول ابى عبيد ان لا زائدة
فقد رد عليه جماعة لانها لا تزاد فى مثل هذا الموضع ولا فيما يقع فيه اشكال ولو كانت زائدة لكان التأويل بعيدا ايضا لانه ان

ان اراد وحرام على قرية اهلكناها ان يرجعوا الى الدنيا فهذا ما لا فائدة فيه وان اراد التوبة فالتوبة لا تحرم وقيل في الكلام اضمار اي وحرام على قرية حكمنا باستئصالها او بالختم على قلوبها ان يتقبل منهم عمل لانهم لا يرجعون اي لا يتوبون قاله الزجاج وابو علي ولا غير زائدة وهذا هو معنى قول ابن عباس حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ تقدم الكلام فيهم وفيه حذف اي حتى اذا فتح سد ياجوج وماجوج مثل وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ وَهُمْ مِنْ
كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قال ابن عباس من كل شرف يقبلون اي لكثرتهم ينسلون من كل ناحية والحدب ما ارتفع من
الارض والجمع الحداب ماخوذ من حدبة الظهر قال عنترة فما رعشت يداي ولا ازدهاني تواترهم الي من الحداب
وقيل ينسلون يخرجون ومنه قول امرئ القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي وقيل يسرعون ومنه قول النابغة
عسلان الذئب امسى قاربا برد الليل عليه فنسل يقال عسل الذئب يعسل عسلا وعسلانا اذا اعنق واسرع
وفي الحديث كذب عليك العسل اي عليك بسرعة المشي قال الزجاج والنسلان مشية الذئب اذا اسرع يقال
نسل فلان في العدو ينسل وينسل بالكسر والضم نسلا ونسولا ونسلانا اي اسرع ثم قيل في الذين ينسلون من
كل حدب انهم ياجوج وماجوج وهو الاظهر وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل جميع الخلق وانهم يحشرون الى ارض
الموقف وهم يسرعون من كل صوب وقرئ في الشواذ وهم من كل جدث ينسلون اخذا من قوله فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون وحكى هذه القراءة المهدوي عن ابن مسعود والثعلبي عن مجاهد وابي الصهبا قوله تعالى
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ يعني القيامة وقال الفراء والكسائي وغيرهما الواو زائدة مقحمة والمعنى حتى
اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق فاقترب جواب اذا وانشد الفراء فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي
انتحى والواو زائدة ومنه قوله تعالى وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ اي للجبين ناديناه واجاز الكسائي ان يكون جواب اذا
فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ويكون قوله واقترب الوعد الحق معطوفا على الفعل الذي هو شرط وقال البصريون
الجواب محذوف والتقدير قالوا يا ويلنا وهو قول الزجاج وهو قول حسن قال الله تعالى والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى المعنى قالوا ما نعبدهم وحذف القول كثير فَإِذَا هِيَ
شَاخِصَةٌ هي ضمير الابصار والابصار المذكورة بعدها تفسير لها كانه قال فاذا ابصار الذين كفروا شخصت عند
مجيء الوعد قال الشاعر لعمر ابيها لا تقول ظعينتي الا فر عنها مالك بن ابي كعب فكنى عن الظعينة
في ابيها ثم اظهرها وقال الفراء هي عماد مثل فانها لا تعمى الابصار وقيل ان الكلام تم عند قوله هي التقدير
فاذا هي يعني يوم القيامة بارزة واقعة اي من قربها كانها آتية حاضرة ثم ابتدأ فقال شاخصة ابصار الذين كفروا
على تقديم الخبر على الابتداء اي ابصار الذين كفروا شاخصة من هذا اليوم اي من هوله لا تكاد تطرف يقولون
يا ويلنا انا كنا ظالمين بمعصيتنا او وضعنا العبادة في غير موضعها قوله تعالى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى انكم وما تعبدون قال ابن عباس انه لا يسالني
الناس عنها لا ادري اعرفوها فلم يسالوا عنها او جهلوا فلا يسالون عنها فقيل وما هي قال انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم انتم لها واردون لما انزلت شق على كفار قريش وقالوا شتم آلهتنا واتوا ابن الزبعرى و
اخبروه فقال لو حضرته لرددت عليه قالوا وما كنت تقول له قال كنت اقول له هذا المسيح يعبده النصارى واليهود
تعبد عزيرا افهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته ورأوا ان محمدا قد خصم فانزل الله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ
لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ وفيه نزل ولما ضرب ابن مريم مثلا يعني ابن الزبعرى إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ

بكسر الصاد يضجون وسياتي هذه الآية اصل في القول بالعموم وان له صيغا مخصوصة خلافا
لمن قال ليست له صيغة موضوعة للدلالة عليه وهو باطل بما دلت عليه هذه الآية وغيرها فهذا عبد الله بن الزبعرى
قد فهم من ما في جاهليته جميع من عبد ووافقه على ذلك قريش وهم العرب الفصحاء واللسن البلغاء ولو لم تكن
للعموم لما صح ان يستثنى منها وقد وجد ذلك فهي للعموم وهذا واضح الثالثة قراءة العامة بالصاد
المهملة اي انكم يا معشر الكفار والاوثان التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم قاله ابن عباس وقال مجاهد و
عكرمة وقتادة حطبها وقرأ علي بن ابي طالب وعائشة رضي الله عنهما حطب جهنم بالطاء وقرأ ابن عباس حضب بالضاد
المعجمة قال الفراء يريد الحصب قال وذكر لنا ان الحضب في لغة اهل اليمن الحطب وكل ما هيجت به النار واوقدتها
به فهو حضب ذكره الجوهري والموقد محضب وقال ابو عبيدة في قوله حصب جهنم كل ما القيته في النار فقد حصبتها
به ويظهر من هذه الآية ان الناس من الكفار وما يعبدون من الاصنام حطب لجهنم ونظيره قوله فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة وقيل ان المراد بالحجارة حجارة الكبريت على ما تقدم في البقرة وان النار لا تكون
على الاصنام عذابا ولا عقوبة لانها لم تذنب ولكن يكون عذابا على من عبدها اول شيء بالحسرة ثم تجمع على النار
فتكون نارها اشد من كل نار ثم يعذبون بها وقيل تحمى فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم وقيل انما جعلت في النار
تبكيتا لعابديهم قوله تعالى أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ اي فيها داخلون والخطاب
للمشركين عبدة الاصنام اي انتم واردوها مع الاصنام ويجوز ان يقال الخطاب للاصنام وعبدتها لان الاصنام
وان كانت جمادات فقد يخبر عنها بكنايات الآدميين وقال العلماء ولا يدخل في هذا عيسى ولا عزير ولا الملائكة
صلوات الله عليهم لان ما لغير الآدميين فلو اراد ذلك لقال ومن وقال الزجاج ولان المخاطبين بهذه الآية مشركوا
مكة دون غيرهم قوله تعالى لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا اي لو كانت الاصنام آلهة
لما وردها عابدوها النار وقيل ما وردها العابدون والمعبودون ولهذا قال وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ قوله تعالى
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ اي لهؤلاء الذين وردوا النار من الكفار والشياطين فاما الاصنام فعلى الخلاف فيها هل
يحييها الله ويعذبها حتى يكون لهم زفير او لا قولان والزفير صوت نفس المغموم يخرج من القلب وقد تقدم في
هود وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ قيل في الكلام حذف والمعنى وهم فيها لا يسمعون شيئا لانهم يحشرون صما كما قال الله
عز وجل وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا وفي سماع الاشياء روح وانس
فمنع الله الكفار ذلك في النار وقيل لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية وقيل
اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون يصيرون حينئذ صما وبكما قال ابن مسعود اذا بقي من يخلد في النار في جهنم
جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت التوابيت في توابيت اخرى فيها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد
منهم ان في النار من يعذب غيره قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ اي الجنة
أُولَٰئِكَ عَنْهَا اي عن النار مُبْعَدُونَ فمعنى الكلام الاستثناء ولهذا قال بعض اهل العلم ان ههنا بمعنى
الا وليس في القرآن غيره وقال محمد بن حاطب سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقرأ هذه الآية على المنبر ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان عثمان منهم قوله تعالى لَا يَسْمَعُونَ
حَسِيسَهَا اي حس النار وحركة لهبها والحسيس والحس الحركة وروى ابن جريج عن عطاء قال قال ابو راشد
الحروري لابن عباس لا يسمعون حسيسها فقال ابن عباس امجنون انت فاين قوله تعالى وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا

وقوله فاوردهم النار وقوله تعالى الى جهنم وردا ولقد كان من دعاء بعض السلف اللهم اخرجني من النار
سالما وادخلني الجنة فائزا وقال ابو عثمان النهدي على الصراط حيات تلسع اهل النار فيقولون حس حس
وقيل اذا دخل اهل الجنة الجنة لم يسمعوا حس النار وقبل ذلك يسمعون والله اعلم وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ
أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ اى دائمون وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقال ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم ولكم فيها ما تدعون لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وقرأ ابو جعفر وابن
محيصن لا يحزنهم بضم الياء وكسر الزاء الباقون بفتح الياء وضم الزاء وقال اليزيدي حزنه لغة قريش
واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما والفزع الاكبر اهوال يوم القيامة والبعث عن ابن عباس وقال الحسن هو
وقت يؤمر بالعباد الى النار وقال ابن جريج وسعيد بن جبير والضحاك هو اذا اطبقت النار على اهلها
وذبح الموت بين الجنة والنار وقال ذو النون المصري هو القطيعة والفراق وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ثلثة يوم القيامة في كثيب المسك الاذفر لا يحزنهم الفزع الاكبر رجل ام قوما محتسبا وهم له راضون
ورجل اذن لقوم محتسبا ورجل ابتلي برق في الدنيا فلم يشغله عن طاعة ربه وقال ابو سلمة بن عبد
الرحمن مررت برجل يضرب غلاما له فاشار الي الغلام فكلمت مولاه حتى عفا عنه فلقيت ابا سعيد الخدري
فاخبرته فقال يا ابن اخي من اغاث مكروبا اعتقه الله من النار يوم الفزع الاكبر سمعت ذلك من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ اى تستقبلهم الملئكة على ابواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم
هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ وقيل تستقبلهم ملئكة الرحمة عند خروجهم من القبور عن ابن عباس
هذا يومكم اى ويقولون لهم فحذف الذى كنتم توعدون فيه الكرامة يَوْمَ نَطْوِي
السَّمَاءَ قرأ ابو جعفر بن القعقاع وشيبة وابن وضاح والاعرج والزهري تطوى بتاء مضمومة السماء
رفعا على ما لم يسم فاعله مجاهد يطوى على معنى يطوى الله السماء الباقون نطوى بنون العظمة وانتصاب يوم الصدم
على البدل من الهاء المحذوفة في التقدير الذى كنتم توعدونه يوم نطوى السماء او يكون منصوبا بنعيد من قوله كما
بدأنا اول خلق نعيده او بقوله لا يحزنهم اى لا يحزنهم الفزع الاكبر في اليوم الذى نطوى فيه السماء او على اضمار
واذكر واراد بالسماء الجنس دليله والسموات مطويات بيمينه كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ قال ابن عباس
ومجاهد اى كطى الصحيفة على ما فيها فاللام بمعنى على وعن ابن عباس ايضا وابن عمر والسدي اسم كاتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس بالقوى لان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفون ليس هذا منهم ولا في اصحابه
من اسمه السجل وقال ابن عباس ايضا وابن عمر والسدي السجل ملك وهو الذى يطوى كتب بني آدم اذا رفعت
اليه ويقال انه في السماء الثالثة ترفع اليه اعمال العباد يرفعها اليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين
وكان من اعوانه فيما ذكروا هاروت وماروت والسجل الصك وهو اسم مشتق من السجالة وهي الكتابة واصلها
من السجل وهو الدلو تقول ساجلت الرجل اذا نزعت دلوا ونزع دلوا ثم استعيرت فسميت المكاتبة والمراجعة
مساجلة وقد سجل الحاكم تسجيلا وقال الفضل بن العباس بن عتبة ابن ابي لهب من يساجلني يساجل ماجدا الوكب
يملأ الدلو الى عقد الكرب ثم بني هذا الاسم على فعل مثل حمر وطمر وبلم وقرأ ابو زرعة بن عمرو بن
جرير كطى السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقرأ الاعمش وطلحة كطى السجل بفتح السين واسكان
الجيم وتخفيف اللام قال النحاس والمعنى واحد والتمام عند قوله للكتب والطى في هذه الآية يحتمل معنيين

احدهما الذبح الذى هو ضد النشر قال الله تعالى والسموات مطويات بيمينه والثاني الاخفاء والتعمية والمحو
لان الله يمحو ويطمس رسومها ويكدر نجومها قال الله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا السماء
كشطت للكتاب وتم الكلام وقرأ الاعمش وحمزة وحفص والكسائي ويحيى وخلف للكتب جمعا ثم استانف
الكلام فقال كما بدأنا اول خلق نعيده اى نحشرهم حفاة عراة غرلا كما بدأوا في البطون وروى النسائي عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلا اول الخلق يكسى يوم القيامة
ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم قرأ اول خلق نعيده خرجه مسلم القاضي عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده
وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ الا وان اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابرهيم عليه السلام وذكر الحديث
وقد ذكرنا هذا الباب في كتاب التذكرة مستوفى وذكر سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن ابي الزعراء عن عبد
الله بن مسعود قال يرسل الله عز وجل ماء من تحت العرش كمني الرجال فتنبت منه لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الارض
بالثرى وقرأ كما بدأنا اول خلق نعيده وقال ابن عباس المعنى نهلك كل شيء ونفنيه كما كان اول مرة وعلى هذا
فالكلام متصل بقوله يوم نطوى السماء اى نطويها فنعيدها الى الهلاك والفناء فلا تكون شيئا وقيل نفنى السماء
ثم نعيدها مرة اخرى بعد طيها وزوالها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات والقول الاول اصح وهو نظير
قوله وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وقوله وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة وعدا
علينا نصب على المصدر اى وعدنا وعدا علينا انجازه والوفاء به اى من البعث والاعادة ففي الكلام حذف ثم اكد
ذلك بقوله جل ثناؤه انا كنا فاعلين قال الزجاج معنى انا كنا فاعلين انا كنا قادرين على ما نشاء وقيل انا
انا كنا فاعلين اى ما وعدناكم وهو كما قال وكان وعده مفعولا وقيل كان للاخبار بما سبق من قضائه وقيل
صلة وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ الزبور والكتاب واحد ولذلك جاز
ان يقال للتوراة والانجيل زبور زبرت اى كتبت وجمعه زبر وقال سعيد بن جبير الزبور التوراة والانجيل
والقرآن مِن بَعْدِ الذِّكْرِ الذى في السماء أَنَّ الْأَرْضَ ارض الجنة يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ
رواه سفيان عن الاعمش عن سعيد بن جبير وقال الشعبي الزبور زبور داود والذكر توراة موسى عليه السلام
وقال مجاهد وابن زيد الزبور كتب الانبياء عليهم السلام والذكر ام الكتاب الذى عند الله في السماء
وقال ابن عباس الزبور الكتب التي انزلها الله تعالى من بعد موسى على انبيائه والذكر التوراة المنزلة على موسى
وقرأ حمزة في الزبور بضم الزاء جمع زبر أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ احسن ما قيل
فيه انه يراد بها ارض الجنة كما قال سعيد بن جبير لان الارض في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم وهو قول
ابن عباس ومجاهد وغيرهما قال مجاهد وابو العالية ودليل هذا التأويل قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا
وعده واورثنا الارض وعن ابن عباس انها الارض المقدسة وعنه ايضا انها ارض الامم الكافرة يرثها امة
محمد صلى الله عليه وسلم بالفتوح وقيل ان المراد بذلك بنو اسرائيل بدليل قوله وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ
كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا واكثر المفسرين على ان المراد
بالصالحين امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة عبادي بتسكين الياء إِنَّ فِي هَٰذَا اى فيما جرى ذكره في
هذه السورة من الوعد والتنبيه وقيل اى في القرآن لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ قال ابو هريرة وسفيان

الثوري هم اهل الصلوات الخمس وقال ابن عباس عابدين مطيعين والعابد المتذلل الخاضع قال القشيري ولا يبعد ان يدخل فيه كل عاقل لانه من حيث الفطرة متذلل للخالق وهو بحيث لو تامل القرآن واستعمله لاوصله ذلك الى الجنة وقال ابن عباس ايضا هم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان وهذا هو القول الاول بعينه **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن آمن به وصدق به سعد ومن لم يؤمن به سلم مما لحق الامم من الخسف والغرق وقال ابن زيد اراد بالعالمين المؤمنين خاصة **قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** فلا يجوز الاشراك به **فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** اى منقادون لتوحيد الله اى فاسلموا كقوله تعالى فهل انتم منتهون اى انتهوا **فَإِنْ تَوَلَّوْا** اى اعرضوا عن الاسلام **فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ** اى اعلمتكم على بيان انا واياكم حرب لا صلح بيننا كقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء اى اعلمهم انك نقضت العهد نقضا استويت انت وهم فليس لفريق عهد ملتزم في حق الفريق الآخر وقال الزجاج المعنى اعلمتكم بما يوحى الي على استواء في العلم به ولم اظهر لاحد شيئا كتمته عن غيره **وَإِنْ أَدْرِي** ان نافية بمعنى ما اى وما ادري **أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ** يعني اجل القيامة لا يدريه احد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب قاله ابن عباس وقيل اى آذنتكم بالحرب ولكني لا ادري متى يؤذن لي في محاربتكم **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ** اى من الشرك وهو المجازي عليه **وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ** اى لعل الامهال **فِتْنَةٌ لَكُمْ** اى اختبار ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم **وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** قيل الى انقضاء المدة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى بني امية في منامه يلون الناس فخرج الحكم من عنده فاخبر بني امية بذلك فقالوا له ارجع فسله متى يكون ذلك فانزل الله تعالى وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين يقول لنبيه عليه السلام قل لهم ذلك قوله تعالى **قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ** ختم السورة بان امر النبي عليه السلام بتفويض الامر اليه وتوقع الفرج من عنده اى احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين وانصرني عليهم روى سعيد عن قتادة قال كانت الانبياء تقول ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رب احكم بالحق فكان اذا لقي العدو يقول وهو يعلم انه على الحق وعدوه على الباطل رب احكم بالحق اى اقض به وقال ابو عبيدة الصفة ههنا اقيمت مقام الموصوف والتقدير رب احكم بحكمك الحق ورب في موضع نصب لانه نداء مضاف وقرا ابو جعفر وابن القعقاع وابن محيصن قل رب احكم بالحق بضم الباء قال النحاس وهذا لحن عند النحويين لا يجوز عندهم رجل اقبل حتى تقول يا رجل وما اشبهه وقرا الضحاك وطلحة ويعقوب ربي أحكم بقطع الالف مفتوحة الكاف والميم مضمومة اى قال محمد رب احكم بالحق من كل حاكم وقرا الجحدري قل ربي احكم على معنى احكم الامور بالحق **وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** اى تصفونه من الكفر والتكذيب وقرا المفضل والسلمي على ما يصفون بالياء على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب

تفسير سورة الحج وهي مكية سوى ثلاث آيات

قوله تعالى هذان خصمان الى تمام ثلاث آيات قاله ابن عباس ومجاهد وعن ابن عباس ايضا انهن اربع آيات الى قوله عذاب الحريق وقال الضحاك وابن عباس ايضا هي مدنية وقاله قتادة الا اربع آيات وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى عذاب عقيم فهن مكيات وعد النقاش ما نزل بالمدينة عشر آيات وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني وهذا هو الاصح لان الآيات تقتضي ذلك لان يا ايها الناس مكي ويا ايها الذين آمنوا مدني قال الغزنوي وهي

من اعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها مختلف العدد قال المؤلف رحمه الله وجاء في فضلها ما رواه الترمذي وابو داود والدارقطني عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما لفظ الترمذي وقال حديث حسن ليس اسناده بالقوي واختلف اهل العلم في هذا فروي عن عمر بن الخطاب وابن عمر انهما قالا فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين وبه يقول ابن المبارك والشافعي واحمد واسحق وراى بعضهم ان فيها سجدة واحدة وهو قول سفيان الثوري وروى الدارقطني عن عبد الله بن ثعلبة قال رايت عمر بن الخطاب سجد في الحج سجدتين قلت في الصبح قال في الصبح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ روى الترمذي عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله ولكن عذاب الله شديد قال انزلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال اتدرون اي يوم ذلك فقالوا الله ورسوله اعلم قال ذاك يوم يقول الله لآدم ابعث بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فانشا المسلمون يبكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية فان تمت والا كملت من المنافقين وما مثلكم والامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة او كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا ولا ادري اقال الثلثين ام لا قال حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن الحسن عن عمران بن حصين وفيه فيئس القوم حتى ما ابدوا بضاحكة فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعملوا وابشروا فوالذي نفسي بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن مات من بني آدم وبني ابليس قال فسري عن القوم بعض الذي يجدون فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة قال هذا حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال يقول اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فاشتد ذلك عليهم قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال ابشروا فان من ياجوج وماجوج الفا ومنكم رجل وذكر الحديث بنحو ما تقدم في حديث عمران بن حصين وذكر ابو جعفر النحاس قال حدثنا الحسن بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة عن انس بن مالك قال يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى ولكن عذاب الله شديد قال نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب اليه اصحابه فقال اتدرون اي يوم هذا هذا يوم يقول الله تعالى لآدم صلى الله عليه وسلم يا آدم قم فابعث بعث اهل النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الحمار وان معكم لخليقتين ما كانتا مع شيء الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس قوله تعالى **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ** المراد بهذا النداء المكلفون اي اخشوه في اوامره ان تتركوها ونواهيه ان تقدموا عليها والاتقاء الاحتراس من المكروه وقد تقدم القول في اول البقرة فيه مستوفى فلا معنى لاعادته والمعنى احترسوا بطاعته عن عقوبته قوله تعالى **إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** الزلزلة شدة الحركة ومنه وزلزلوا حتى يقول الرسول

وتسعه صح

وقال ابشروا به

واصل الكلمة من زل عن الموضع اى زال عنه وتحرك وزلزل الله قدمه اى حركها وهذه اللفظة تستعمل في تهويل
الشئ وقيل هي الزلزلة المعروفة التي هي احدى شرائط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيامة هذا قول الجمهور
وقد قيل ان هذه الزلزلة تكون في النصف من شهر رمضان ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها
يَوْمَ تَرَوْنَهَا الهاء في ترونها عائدة عند الجمهور على الزلزلة ويقوى هذا قوله تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا والرضاع والحمل انما هو في الدنيا وقالت فرقة الزلزلة في يوم
القيامة واحتجوا بحديث عمران بن حصين الذي ذكرناه وفيه اتدرون اى يوم ذاك الحديث وهو الذي
يقتضيه مساق مسلم في حديث ابي سعيد قوله تذهل اى تشتغل قاله قطرب وانشد ضَرْبٌ يُزِيلُ
الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ وقيل تنسى وقيل تلهو وقيل تسلو والمعنى متقارب عَمَّا
أَرْضَعَتْ قال المبرد ما بمعنى المصدر اى تذهل عن الارضاع قال وهذا يدل على ان هذه الزلزلة في الدنيا اذ ليس بعد البعث
حمل وارضاع الا ان يقال من ماتت حاملا تبعث حاملا فتضع حملها للهول ومن ماتت مرضعة تبعث كذلك ويقال هذا
مثل كما يقال يوم يجعل الولدان شيبا وقيل يكون مع النفخة الاولى وقيل يكون مع قيام الساعة حتى يتحرك الناس من
قبورهم في النفخة الثانية ويحتمل ان تكون الزلزلة في الآية عبارة عن اهوال يوم القيامة كما قال مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ
وَزُلْزِلُوا وكما قال عليه السلام اللهم اهزمهم وزلزلهم وفائدة ذكر هول ذلك اليوم التحريض على التأهب له والاستعداد
بالعمل الصالح وتسمية الزلزلة بشئ اما لانها حاصلة متيقن وقوعها فيسهل لذلك ان يسمى شيئا وهي معدومة اذ اليقين يشبه
الموجودات واما على المآل اى هي اذا وقعت شئ عظيم ولذلك تذهل المراضع وتسكر الناس كما قال وَتَرَى النَّاسَ
سُكَارَى اى من هولها ومما يدركهم من الخوف والفزع وَمَا هُمْ بِسُكَارَى من الخمر وقال اهل المعاني وترى
الناس كانهم سكارى يدل عليه قراءة ابي زرعة هرم بن عمرو بن جرير بن عبد الله وتُرى الناس بضم التاء اى تظن و
تخيل اليك وقرا حمزة والكسائي سكرى بغير الف الباقون سكارى وهما لغتان لجمع سكران مثل كسلان وكسالى
والزلزلة التحريك العنيف والذهول الغفلة عن الشئ بطريان ما يشغل عنه من هم او وجع او غيره قال ابن زيد والمعنى
تترك ولدها للكرب الذي نزل بها قوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ قيل
المراد النضر بن الحارث قال ان الله عز وجل غير قادر على احياء من قد بلي وعاد ترابا وَيَتَّبِعُ اى في قوله ذلك
كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ مُتَمَرِّدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ قال قتادة ومجاهد اى من تولى الشيطان فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ
وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ
الى قوله مسمى فيه اثنتا عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى ان كنتم في ريب من البعث هذا احتجاج على العالم
بالبداءة الاولى وقوله ان كنتم في ريب متضمنة التوقيف وقرا الحسن بن ابي الحسن البعث بفتح العين وهي لغة في البعث
عند البصريين وهي عند الكوفيين تخفيف بعث والمعنى يا ايها الناس ان كنتم في شك من الاعادة فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ اى
خلقنا اباكم الذي هو اصل البشر يعني آدم عليه السلام مِنْ تُرَابٍ ثم خلقنا ذريته مِنْ نُطْفَةٍ وهو المني سمي نطفة
لقلته وهو القليل من الماء وقد يقع على الكثير منه ومنه الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا اراد بحر المشرق
وبحر المغرب والنطف القطر نطف ينطِف وينطُف وليلة نطوفة دائمة القطر ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ وهو الدم الجامد و
العلق الدم العبيط اى الطري وقيل الشديد الحمرة ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ومنه الحديث الا
وان في الجسد مضغة وهي لحمة قليلة وهذه الاطوار اربعة اشهر قال ابن عباس وفي العشر بعد الاشهر الاربعة ينفخ فيه الروح

فلذلك عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا روى يحيى بن زكريا عن ابي زائدة حدثنا
داود عن عامر عن علقمة عن ابن مسعود وعن ابن عمر ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها ملك بكفه قال
يا رب ذكر ام انثى شقي ام سعيد ما الاجل والاثر باى ارض تموت فيقال له انطلق الى ام الكتاب فانك تجد فيها
قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في ام الكتاب فتخلق فتاكل رزقها وتطأ اثرها فاذا جاء اجلها قبضت فدفنت
في المكان الذي قدر لها ثم قرا عامر يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث وفي الصحيح عن انس بن مالك ورفع الحديث
قال ان الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي
خلقا قال قال الملك اى رب ذكر او انثى شقي او سعيد فما الاجل فيكتب كذلك في بطن امه وفي الصحيح ايضا
عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون
ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول اى رب اذكر ام انثى وذكر
الحديث وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق
ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل
الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فهذا الحديث مفسر للاحاديث
الاول فان فيه يجمع احدكم خلقه في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة ثم يبعث الملك
فينفخ فيه الروح فهذه اربعة اشهر وفي العشر ينفخ الملك الروح وهذه عدة المتوفى كما قال ابن عباس وقوله ان احدكم
يجمع خلقه في بطن امه قد فسره ابن مسعود سئل الاعمش ما يجمع في بطن امه فقال حدثنا خيثمة قال قال عبد الله اذا وقعت
النطفة في الرحم فاراد الله ان يخلق منها بشرا طارت في بشر المراة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين يوما ثم تصير
دما في الرحم فذلك جمعها وهذا وقت كونها علقة نسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لا حقيقية
وانما صدر عنه فعل ما في المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدرة الله وخلقه واختراعه الا تراه سبحانه قد اضاف
اليه الخلقة الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة فقال وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ وقال وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ وقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ وقال هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ثم قال وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وقال لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ الى غير ذلك من الآيات مع ما دلت عليه قاطعات البراهين ان لا خالق لشئ من المخلوقات
الا رب العالمين وهكذا القول في قوله ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح اى ان النفخ سبب لخلق الله فيها الروح والحياة و
كذلك القول في سائر الاسباب المعتادة فانه باحداث الله لا بغيره فتامل هذا الاصل وتمسك به ففيه النجاة من
مذاهب اهل الضلال الطبائع وغيرهم الثانية لم يختلف العلماء ان نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما
وذلك تمام اربعة اشهر ودخوله في الخامس كما بيناه في الاحاديث وعليه يعول فيما يحتاج اليه من الاحكام في الاستلحاق
عند التنازع وفي وجوب النفقات وذلك لتيقنه بحركة الجنين في الجوف وقد قيل انه الحكمة في عدة المراة من الوفاة باربعة
اشهر وعشر وهذا الدخول في الخامس يحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة اذا لم يظهر حمل الثالثة النطفة ليست
بشئ يقينا ولا يتعلق بها حكم اذا القتها المراة اذا لم يجتمع في الرحم كما لو كانت في صلب الرجل فاذا طرحته علقة فقد تحققنا
ان النطفة قد استقرت واجتمعت واستحالت الى اول احوال ما يتحقق به انه ولد وعلى هذا فيكون وضع العلقة فما فوقها
من المضغة وضع حمل تبرأ به الرحم وتنقضي به العدة ويثبت به لها حكم ام الولد وهذا مذهب مالك واصحابه وقال

فالرزق ه

وقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم صح

الشافعي واصحابه لا اعتبار باسقاط العلقة وانما الاعتبار بظهور الصورة والتخطيط فان خفي التخطيط وكان لحما فقولان بالنقل والتخريج والمنصوص انه تنقضي به العدة ولا يكون ام ولد قالوا لان العدة تنقضي بالدم الجاري فبغيره اولى

السادسة قوله تعالى مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ قال الفراء مخلقة تام الخلق وغير مخلقة السقط وقال ابن الاعرابي مخلقة قد بدا خلقه وغير مخلقة لم تصور بعد وقال ابن زيد المخلقة التي خلق الله فيها الراس واليدين والرجلين وغير مخلقة التي لم يخلق فيها شيء قال ابن العربي اذا رجعنا الى اصل الاشتقاق فان النطفة مخلقة والعلقة والمضغة لان الكل خلق الله تعالى وان رجعنا الى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال الله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر فذلك ما قال ابن زيد قال المؤلف رحمه الله التخليق من الخلق وفيه معنى الكثرة فما تتابع عليه الاطوار فقد خلق خلقا بعد خلق واذا كان نطفة فهو مخلوق ولهذا قال تعالى ثم انشاناه خلقا آخر والله اعلم وقد قيل ان قوله مخلقة وغير مخلقة يرجع الى الولد نفسه والى السقط اى منهم من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الاعضاء اجمع ومنه من يكون خديجا ناقصا غير تام وقيل المخلقة ان تلد المراة لتمام الوقت وقال ابن عباس المخلقة ما كان حيا وغير المخلقة السقط قال

افي غير المخلقة البكاء فاين الحزم ويحك والحياء

السابعة اجمع العلماء على ان الامة تكون ام ولد بما تسقط من ولد تام الخلق وعند مالك والاوزاعي وغيرهما بالمضغة كانت مخلقة او غير مخلقة قال مالك اذا علم انها مضغة وقال الشافعي وابو حنيفة ان كان قد تبين له شيء من خلق بني آدم اصبع او عين او غير ذلك فهي به له ام ولد واجمعوا على ان المولود اذا استهل صارخا يصلى عليه وان لم يستهل صارخا لم يصل عليه عند مالك وابي حنيفة والشافعي وغيرهم وروي عن ابن عمر يصلى عليه وقاله ابن المسيب وابن سيرين وغيرهما وروي عن المغيرة بن شعبة انه كان يامر بالصلاة على السقط ويقول سموهم واغسلوهم وكفنوهم وحنطوهم فان الله اكرم بالاسلام كبيركم وصغيركم ويتلو هذه الآية انا خلقناكم من تراب الى وغير مخلقة قال ابن العربي لعل المغيرة اراد بالسقط ما تبين خلقه فهو الذي يسمى وما لم يتبين خلقه فلا وجود له وقال بعض السلف يصلى عليه متى نفخ فيه الروح وتمت له اربعة اشهر روى ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استهل المولود ورث الاستهلال رفع الصوت فكل مولود كان ذلك منه او حركة او عطاس او تنفس فانه يورث لوجود ما فيه من دلالة الحياة والى هذا ذهب سفيان الثوري والاوزاعي والشافعي قال الخطابي واحسبه قول اصحاب الراي وقال مالك لا ميراث له وان تحرك او عطس ما لم يستهل وروي عن محمد بن سيرين والشعبي والزهري وقتادة

الثامنة قال مالك ما طرحته المراة من مضغة او علقة او ما يعلم انه ولد اذا ضرب بطنها ففيه الغرة وقال الشافعي لا شيء فيه حتى يتبين من خلقه شيء قال مالك اذا سقط الجنين فلم يستهل صارخا ففيه الغرة وسواء تحرك او عطس ففيه الغرة ابدا حتى يستهل صارخا ففيه الدية كاملة وقال الشافعي وسائر فقهاء الامصار اذا علمت حياته بحركة او عطاس او باستهلال او بغير ذلك مما تستيقن به حياته ففيه الدية

التاسعة ذكر القاضي اسمعيل ان عدة المراة تنقضي بالسقط الموضوع واحتج عليه بانه حمل وقال قال الله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن قال القاضي اسمعيل والدليل على ذلك انه يرث اباه فدل على وجوده خلقا وكونه ولدا وحملا وقال ابن العربي ولا يرتبط به شيء من هذه الاحكام الا ان يكون مخلقا قال المؤلف رحمه الله ما ذكرناه من الاشتقاق وقوله عليه السلام ان احدكم يجمع في بطن امه يدل على صحة

ما قلناه وبان مسقطة العلقة والمضغة يصدق على المراة اذا القته انها كانت حاملا وضعت ما استقر في رحمها فيشملها قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولانها وضعت مبدا الولد عن نطفة متجسد كالمخطط وهذا بين روى ابن ماجه حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسقط اقدمه بين يدي احب الي من فارس اخلفه واخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث له عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة فقال لحب الي من الف فارس اخلفه ورائي

العاشرة قوله تعالى لِنُبَيِّنَ لَكُمْ يريد كمال قدرتنا بتصريفنا اطوار خلقكم وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ قرئ بنصب نقر ونخرج رواه ابو حاتم عن ابي زيد عن المفضل عن عاصم قال ابو حاتم النصب على العطف وقال الزجاج نقر بالرفع لا غير لانه ليس المعنى فعلنا ذلك لنقر في الارحام ما نشاء وانما خلقهم عز وجل ليدلهم على الرشد والصلاح وقيل المعنى لنبين امر البعث فهو اعتراض بين الكلامين وقرات هذه الفرقة بالرفع ونقر اي ونحن نقر وهي قراءة الجمهور وقرئ ويقر ويخرجكم بالياء والرفع على سائغ وقرا ابن وثاب ما نشاء بكسر النون والاجل المسمى يختلف بحسب جنين جنين فثم من يسقط وثم من يكمل امره ويخرج حيا وقال ما نشاء ولم يقل من نشاء لانه يرجع الى الحمل اي نقر في الارحام ما نشاء من الحمل ومن المضغة وهي جماد فكنى عنها بلفظ ما

الحادية عشرة قوله تعالى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا اي اطفالا لانه اسم جنس وايضا فان العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد قال الشاعر

يلحينني في حبها ويلمنني ان العواذل ليس لي بامير

ولم يقل امراء وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل فيقع على الواحد والجمع قال الله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وقال الطبري هو نصب على التمييز كقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وقيل المعنى ثم نخرج كل واحد منكم طفلا والطفل يطلق من وقت انفصال الولد الى البلوغ وولد كل وحشية ايضا طفل ويقال جارية طفل وجاريتان طفل وجواري طفل وغلام طفل وغلمان طفل ويقال ايضا طفل وطفلة وطفلان واطفال ولا يقال طفلات واطفلت المراة صارت ذات طفل والمطفل الظبية معها طفلها وهي قريبة عهد بالنتاج وكذلك الناقة والجمع مطافل ومطافيل والطفل بفتح الطاء الناعم يقال جارية طفلة اي ناعمة وبنان طفل وقد طفل الليل اذا اقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب والطفل ايضا مطر قال

لوهد جاده طفل الثريا

قيل ان ثم زائدة كالواو في قوله حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها لان ثم من حروف النسق كالواو اشدكم كمال عقولكم ونهاية قواكم وقد مضى في الانعام بيانه وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ اي اخسه وادونه وهو الخرف والهرم حتى لا يعقل ولهذا قال لكيلا يعلم من بعد علم شيئا كما قال في سورة يس ومن نعمره ننكسه في الخلق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا ومن عذاب القبر اخرجه النسائي عن سعد وقال كان يعلمهن بنيه كما يعلم المكتب الغلمان وقد مضى هذا في النحل

قوله تعالى وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ذكر دلالة اخرى على البعث فقال في الاول انا خلقناكم من تراب فخاطب جمعا وقال في الثاني وترى الارض فخاطب واحدا فانفصل اللفظ عن اللفظ ولكن المعنى متصل من حيث الاحتجاج على منكري البعث هامدة يابسة لا تنبت شيئا وقيل دارسة والهمود الدروس قال الاعشى

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا وارى ثيابك بالبلى اهمادا و

قوله تعالى

وطفلتان

ثم لتبلغوا اشدكم

قال الهروي هامدة اى جافة ذات تراب قال شمر يقال همدت الارض اذا بلى وذهب وهمدت اصواتهم اذا سكنت وهمود الارض ان لا يكون فيها حياة ولا نبت ولا عود ولا يصيبها مطر وفي الحديث حتى كاد يهمد من الجوع اى يهلك يقال همد الثوب يهمد اذا بلى وهمدت النار تهمد **فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**
اى تحركت والاهتزاز شدة الحركة يقال هززت الشئ فاهتز اى حركته فتحرك وهز الحادي الابل هزيزا فاهتزت هي اذا تحركت في سيرها بحدائه واهتز الكوكب في انقضاضه وكوكب هاز والارض تهتز بالنبات لان النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض ازالة خفية فسماه اهتزازا مجازا وقيل اهتز نباتها فحذف المضاف قاله المبرد واهتزازه شدة حركته كما قال الشاعر تثنى اذا قامت وتهتز ان مشت كما اهتز غصن البان في ورق خضر والاهتزاز في النبات اظهر منه في الارض وربت اى ارتفعت وزادت وقيل انتفخت والمعنى واحد واصله الزيادة ربا الشئ يربو ربوا اى زاد ومنه الربا والربوة وقرأ يزيد بن القعقاع وخالد بن الياس وربأت اى ارتفعت حتى صارت مثل الربيئة وهو الذي يحفظ القوم على شئ مشرف فهو رابئ وربيئة على المبالغة قال امرؤ القيس بعثنا ربيئا قبل ذلك مخمصا كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي **وَأَنْبَتَتْ** اى اخرجت **مِنْ كُلِّ زَوْجٍ** اى لون **بَهِيجٍ** اى حسن عن قتادة اى يبهج من يراه والبهجة الحسن يقال رجل ذو بهجة وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة فهو بهيج وابهجني اعجبني بحسنه ولما وصف الارض بالانبات دل على ان قوله اهتزت وربت يرجع الى الارض لا الى النبات والله اعلم **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**
لما ذكر افتقار الموجودات اليه وتسخيرها على وفق اقتداره واختياره في قوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الى قوله بهيج قال بعد ذلك ان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شئ قدير وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فنبه سبحانه وتعالى بهذا على ان كل ما سواه وان كان موجودا حقا فانه لا حقيقة له من نفسه لانه مسخر مصرف والحق الحقيقي هو الموجود المطلق بالغني المطلق وان وجود كل ذي وجود عن وجوب وجوده ولهذا قال في آخر السورة وان ما يدعون من دونه الباطل والحق الموجود الثابت الذي لا يتغير ولا يزول وهو الله تعالى وقيل ذو الحق على عباده وقيل الحق بمعنى في افعاله وقال الزجاج ذلك في موضع رفع اى الامر ما وصف لكم وبين بان الله هو الحق اى لان الله هو الحق وانه يحيي الموتى اى بانه وانه على كل شئ قدير اى وبانه قادر على ما اراد وان الساعة آتية عطف على قوله ذلك بان الله هو الحق من حيث اللفظ وليس عطفا في المعنى اذ لا يقال فعل الله ما ذكر بان الساعة آتية بل لا بد من اضمار فعل يتضمنه اى وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها اى لا شك وان الله يبعث من في القبور يريد للثواب والعقاب قوله تعالى **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ** اى نير بين الحجة نزلت في النضر بن الحارث وقيل في ابي جهل بن هشام قاله ابن عباس والمعظم على انها نزلت في النضر بن الحارث كالآية الاولى فهما في فريق واحد والتكرير للمبالغة في الذم كما يقول للرجل تذمه وتوبخه انت فعلت هذا انت فعلت هذا ويجوز ان يكون التكرير لان وصفه في كل آية بزيادة فكانه قال ان النضر بن الحارث يجادل في الله ويتبع كل شيطان مريد والنضر بن الحارث يجادل في الله من غير علم ومن غير هدى وكتاب منير ليضل عن سبيل وهو كقولك زيد يشتمني وزيد يضربني وهو تكرير مفيد قاله القشيري وقد قيل نزلت فيه بضع عشرة آية والمراد بالآية الاولى وبالثانية انكاره البنوة وان القرآن منزل من جهة الله وقد قيل كان من قول النضر بن الحارث ان الملئكة بنات الله وهو جدال في الله تعالى من في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله ومن الناس **ثَانِيَ عِطْفِهِ** نصب على الحال ويتأول على معنيين احدهما روي عن ابن عباس انه قال هو النضر بن الحارث لوى عنقه مرحا وتعظما والمعنى الآخر

قال ويجوز ان يكون ذلك نصبا اى فعل الله ذلك بانه هو الحق

الله انكار البعث

وهو قول الفراء ان التقدير ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه اى معرضا عن الذكر ذكره النحاس وقال مجاهد وقتادة لاويا عنقه كفرا وقال ابن عباس معرضا عما يدعى اليه كفرا والمعنى واحد وروى الاوزاعي عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن ابن عباس في قوله عز وجل ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله قال هو صاحب البدعة وقال المبرد العطف ما انثنى من العنق وقال المفضل والعطف الجانب ومنه قولهم فلان ينظر في اعطافه اى في جوانبه وعطفا الرجل من لدن رأسه الى وركيه وكذلك عطفا كل شئ جانباه ويقال ثنى فلان عني عطفه اذا اعرض عنه فالمعنى اى هو معرض عن الحق في جداله ومول عن النظر في كلامه وهو كقوله تعالى ولى مستكبرا كأن لم يسمعها وقوله لووا رؤوسهم وقوله اعرض ونأى بجانبه وقوله ذهب الى اهله يتمطى **لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** اى عن طاعة الله وقرئ ليضل بفتح الياء واللام لام العاقبة اى يجادل فيضل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا اى فكان لهم كذلك ونظيره اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا **لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ** اى هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على السنة المؤمنين الى يوم القيامة كما قال ولا تطع كل حلاف مهين الآية وقوله تبت يدا ابي لهب وتب وقيل الخزي ههنا القتل فان النبي صلى الله عليه وسلم قتل النضر بن الحارث يوم بدر صبرا كما تقدم في الانفال **وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ** اى نار جهنم **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ** اى يقال له في الآخرة اذا دخل النار ذلك العذاب بما قدمت يداك من المعاصي والكفر وعبر باليد عن الجملة لان اليد التي تفعل وتبطش للجملة وذلك بمعنى هذا كما تقدم في اول البقرة **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ** من في موضع رفع بالابتداء والتمام انقلب على وجهه على قراءة الجمهور خسر وهذه الآية خبر عن المنافقين قال ابن عباس يريد شيبة بن ربيعة كان قد اسلم قبل ان ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اوحي اليه ارتد شيبة بن ربيعة وقال ابو سعيد الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فقال اني لم اصب في ديني هذا خيرا ذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي ان الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف وروى اسرائيل عن ابي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ومن الناس من يعبد الله على حرف قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح فان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء وقال المفسرون نزلت في اعراب كانوا يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون فان نالوا رخاء اقاموا وان نالتهم شدة ارتدوا وقيل نزلت في النضر بن الحارث وقال ابن زيد وغيره نزلت في المنافقين ومعنى على حرف على شك قاله مجاهد وغيره وحقيقته انه على ضعف في عبادته كضعف القائم على حرف مضطرب فيه وحرف كل شئ طرفه وشفيره وحده ومنه حرف الجبل وهو اعلاه المحدد وقيل على حرف اى على وجه واحد وهو ان يعبده على السراء دون الضراء ولو عبدوا الله على الشكر في السراء والصبر على الضراء لما عبدوا الله على حرف وقيل على حرف على شرط وذلك ان شيبة بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يظهر امره ادع لي ربك ان يرزقني مالا وابلا وخيلا وولدا حتى اومن بك واعدل الى دينك فدعا له فرزقه الله عز وجل ما تمنى ثم اراد الله تعالى فتنته واختباره وهو اعلم به فاخذ منه ما كان رزقه بعد ان اسلم فارتد عن الاسلام فانزل الله تعالى فيه ومن الناس من يعبد الله على حرف يريد شرط وقال الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه وبالجملة فهذا الذي يعبد الله على حرف ليس داخلا بكليته وبين هذا بقوله فان اصابه خير اى صحة جسم ورخاء معيشة رضي واقام على دينه وان اصابته فتنة اى خلاف ذلك مما يختبر به انقلب على وجهه اى ارتد فرجع الى وجهه الذي

كان عليه من الكفر خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ قرأ مجاهد وحميد والاعرج والزهري وابن
ابي اسحاق وروى عن يعقوب خاسر الدنيا بالالف نصبا على الحال وعكسه فلا يوقف على وجهه وخسرانه الدنيا بان لاحظ له في
غنيمة ولا ثناء والآخرة بان لا ثواب له فيها يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ اي هذا الذي يرجع الى الكفر يعبد
الصنم الذي لا ينفع ولا يضر ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ قال الفراء الطويل يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ مِنْ
نَفْعِهِ اي هذا الذي انقلب على وجهه يعبد من ضره ادنى من نفعه اي في الآخرة لانه بعبادته دخل النار ولم ير منه
نفعا اصلا ولكنه قال ضره اقرب من نفعه ترفيعا للكلام كقوله وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وقيل يعبدونه
توهما انهم يشفعون لهم غدا كما قال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وقال ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال الفراء والكسائي والزجاج معنى الكلام القسم والتاخير
اي يدعو والله من ضره اقرب من نفعه فاللام مقدمة في غير موضعها ومن في موضع نصب بيدعو واللام جواب القسم وضره مبتداء
واقرب خبره وضعف النحاس تاخير اللام وقال وليس للام من التصرف ما يوجب ان يكون فيها تقديم ولا تاخير قال المؤلف
حق اللام التقديم وقد يوخر قال الشاعر خالي لانت ومن جرير خاله ينل العلاء ويكرم الاخوالا اي لخالي انت
وقد تقدم قال النحاس وحكى لنا علي بن سليمان عن محمد بن يزيد قال في الكلام حذف والمعنى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه
الها قال النحاس واحسب هذا القول غلطا على محمد بن يزيد لانه لا معنى له لان ما بعد اللام مبتداء فلا يجوز نصب اله وما احسب
مذهب محمد بن يزيد الا قول الاخفش وهو احسن ما قيل في الآية عندي والله اعلم قال يدعو بمعنى يقول ومن مبتداء وخبره محذوف
والمعنى يقول لمن ضره اقرب من نفعه الهه قلت وذكر هذا القول القشيري عن الزجاج والمهدوي عن الاخفش وكمل اعرابه فقال
يدعو بمعنى يقول ومن مبتداء وضره مبتداء ثان واقرب خبره والجملة صلة من وخبر من محذوف والتقدير يقول يدعو لمن ضره
اقرب من نفعه الهه ومثله قول عنترة يدعون عنتر والرماح كانها اشطان بير في لبان الادهم قال القشيري و
الكافر الذي يقول الصنم معبودي لا يقول ضره اقرب من نفعه ولكن المعنى يقول الكافر لمن ضره اقرب من نفعه في قول
المسلمين معبودي والهي وهو كقوله يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ اي يا ايها الساحر عند اولئك الذين يدعونك ساحرا
وقال الزجاج يجوز ان يكون يدعو في موضع الحال وفيه هاء محذوفة اي ذلك هو الضلال البعيد يدعوه اي في حال دعائه اياه
ففي يدعوها مضمرة ويوقف على هذا على يدعو وقوله من ضره اقرب من نفعه كلام مستانف مرفوع بالابتداء وخبره لبئس
المولى وهذا لان اللام للتمييز والتوكيد فجعلها اول الكلام قال الزجاج ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ويكون في محل النصب
بوقوع يدعو عليه اي الذي هو الضلال البعيد يدعو كما قال وما تلك بيمينك يا موسى اي ما الذي فقوله لمن ضره كلام مبتداء
ولبئس المولى خبر المبتداء وتقدير الآية على هذا يدعو الذي هو الضلال البعيد قدم المفعول وهو الذي كما تقول زيدا تضرب
واستحسنه ابو علي وزعم الزجاج ان النحويين اغفلوا هذا القول وانشد عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا
تحملين طليق اي والذي وقال الزجاج ايضا والفراء يجوز ان يكون يدعو مكررة على ما قبلها على جهة تكثير هذا الفعل الذي
هو الدعاء ولا تعديه اذ قد عديته اولا اي يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره يدعو مثل ضربت زيدا ضربت
ثم حذف يدعو الآخرة اكتفاء بالاولى قال الفراء ويجوز لمن ضره بكسر اللام اي يدعو الى من ضره اقرب من نفعه قال
الله عز وجل بان ربك اوحى لها اي اليها وقال الفراء ايضا والقفال اللام صلة اي يدعو من ضره اقرب من نفعه اي يعبده
وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود لبئس المولى اي في الناصر ولبئس العشير اي المعاشر والصاحب والخليل يعني الوثن
قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لما

ذكر حال المشركين وحال المنافقين والشياطين ذكر حال المؤمنين في الآخرة ايضا إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
اي يثيب من يشاء ويعذب من يشاء فللمؤمنين الجنة بحكم وعده الصدق وتفضله وللكافرين النار بما سبق
من عدله لا ان فعل الرب معلل بفعل العبيد مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ قال النحاس من احسن ما قيل فيها ان المعنى من
كان يظن ان لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانه يتهيا له ان يقطع النصر الذي اوتيه فليمدد بسبب
الى السماء اي فليطلب حيلة يصل بها الى السماء ثُمَّ لْيَقْطَعْ اي ليقطع النصر ان تهيا له فَلْيَنْظُرْ هَلْ
يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ وحيلته ما يغيظ من نصر النبي صلى الله عليه وسلم والفائدة في الكلام انه اذا لم تتهيا له
الكيد والحيلة بان يفعل مثل هذا لم يصل الى قطع النصر وكذا قال ابن عباس ان الكناية في ينصره الله ترجع
الى محمد صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يجر ذكره فجميع الكلام دال عليه لان الايمان هو الايمان بالله وبمحمد و
الانقلاب عن الدين انقلاب عن الدين الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم اي من كان يظن ممن يعادي محمدا
ومن يعبد الله على حرف انا لا ننصر محمدا فليفعل كذا وكذا وعن ابن عباس ايضا ان الهاء تعود على من والمعنى
من كان يظن ان الله لا يرزقه فليختنق فليقتل نفسه اذ لا خير في حياة تخلو من عون الله والنصر على هذا القول
الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من اعطاني اعطاه الله ومن ذلك قول العرب ارض منصورة
اي ممطورة قال الفقعسي وانك لا تعطي امرءا فوق حقه ولا تملك الشيء الذي انت ناصره وكذا روى ابن
ابي نجيح عن مجاهد قال من كان يظن ان لن ينصره الله اي لن يرزقه وهو قول ابي عبيدة وقيل ان الهاء
تعود على الدين والمعنى من كان يظن ان لن ينصر الله دينه فليمدد بسبب اي بحبل والسبب ما يتوصل به الى الشيء
الى السماء الى سقف البيت وقال ابن زيد هي السماء المعروفة وقرا الكوفيون ثم ليقطع باسكان اللام قال
النحاس وهذا بعيد في العربية لان ثم ليست مثل الواو والفاء لانها يوقف عليها وتنفرد وفي قراءة عبد الله فليقطعه
ثم لينظر هل يذهب كيده ما يغيظ قيل ما بمعنى الذي اي هل يذهبن كيده الذي يغيظه فحذف الهاء ليكون اخف وقيل
بمعنى المصدر اي هل يذهبن غيظه كيده قوله تعالى وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ يعني القرآن
وَأَنَّ اللَّهَ اي وكذلك ان الله يهدي من يريد علق وجود الهداية بارادته فهو الهادي لا هادي سواه قوله
تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اي بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وَالَّذِينَ هَادُوا يعني اليهود وهم المنتسبون
الى ملة موسى صلى الله عليه وسلم وَالصَّابِئِينَ هم قوم يعبدون النجوم والنصارى هم المنتسبون الى ملة عيسى
صلى الله عليه وسلم والمجوس هم عبدة النيران القائلين ان للعالم اصلين نور وظلمة قال قتادة الاديان خمسة
اربعة للشيطان وواحد للرحمن وقيل المجوس في الاصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات والميم والنون يتعاقبان
كالغيم والغين والايم والاين وقد مضى في البقرة هذا كله مستوفى وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا هم العرب عبدة الاوثان إِنَّ
اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اي يقضي ويحكم فللكافرين النار وللمؤمنين الجنة وقيل هذا الفصل بان يعرفهم
المحق من المبطل بمعرفة ضرورية واليوم يتميز المحق من المبطل بمعرفة ضرورية بالنظر والاستدلال إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ اي من اعمال خلقه وحركاتهم واقوالهم ولا يعزب عنه شيء منها سبحانه وقوله إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
خبر ان في قوله ان الذين آمنوا كما تقول ان زيدا ان الخير عنده وقال الفراء ولا يجوز في الكلام ان زيدا ان اخاه
منطلق وزعم انه انما جاز في الآية لان في الكلام معنى المجازاة اي من آمن او تهود او تنصر او صبا يفصل بينهم

وحسابهم على الله تعالى ورد ابو اسحاق على الفرآء هذا القول واستقبح قوله لا اجوز ان زيدا ان اخاه منطلق
قال لانه لا فرق بين زيد وبين الذين وان تدخل على كل مبتدأ فتقول ان زيدا هو منطلق ثم تأتى بان فتقول
ان زيدا انه منطلق قال الشاعر ان الخليفة ان الله سربله سربال عز به ترجى الخواتيم
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ هذه رؤية القلب الم تر تعليمك وعلمك
وتقدم معنى السجود فى البقرة وسجود الجماد فى النحل والشمس معطوفة على من وكذا والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب وكثير من الناس ثم قال وكثير حق عليه العذاب وهذا يشكل من الاعراب كيف لم ينصب ليعطف ما
عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل مثل والظالمين اعد لهم عذابا اليما فزعم الكسائى والفرآء انه لو نصب لكان
حسنا ولكن اختير الرفع لان المعنى وكثير ابى السجود فيكون ابتداء وخبرا وتم الكلام عند قوله وكثير من الناس ويجوز
ان يكون معطوفا على ان يكون السجود التذلل والانقياد لتدبير الله عز وجل من ضعف وقوة وصحة وسقم وحسن
وقبح وهذا يدخل فيه كل شئ ويجوز ان ينتصب على تقدير واهان كثيرا حق عليه العذاب ونحوه وقيل تم الكلام عند قوله
والدواب ثم ابتدأ فقال وكثير من الناس فى الجنة وكثير حق عليه العذاب ذكره ابن الانبارى وقال ابو العالية
ما فى السمآء نجم ولا قمر ولا شمس الا يقع ساجدا لله حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيرجع من مطلعه قال القشيرى
وورد هذا فى خبر مسند فى حق الشمس فهذا سجود حقيقى ومن ضرورته تركيب الحياة والعقل فى هذا الساجد قال المؤلف
هذا الحديث المسند الذى اشار اليه خرجه مسلم وسيأتى فى سورة يس عند قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها
وقد تقدم فى البقرة معنى السجود لغة ومعنى وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ اى من اهانه
بالشقاء والكفر لا يقدر احد على دفع الهوان عنه وقال ابن عباس ان من تهاون بعبادة الله صار الى النار
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ يريد ان مصيرهم الى النار ولا اعتراض لاحد عليه وحكى الاخفش والكسائى والفرآء
ومن يهن الله فما له من مكرم اى اكرام هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ
خرج مسلم عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذان خصمان اختصموا فى ربهم انها نزلت فى
الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهم وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن
عتبة وبهذا الحديث ختم مسلم كتابه وقال ابن عباس نزلت هذه الآيات على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فى ثلاثة نفر من المؤمنين وثلاثة نفر من الكافرين وسماهم كما ذكر ابو ذر وقال على بن ابى طالب انى لاول من يجثو
للخصومة بين يدى الله عز وجل يوم القيامة يريد قصته فى مبارزته هو وصاحباه ذكره البخارى والى هذا القول
ذهب هلال بن يساف وعطاء بن يسار وغيرهما وقال عكرمة المراد بالخصمين الجنة والنار اختصمتا فقالت النار
خلقنى لعقوبته وقالت الجنة خلقنى لرحمته قال المؤلف رحمه الله وقد ورد تخاصم الجنة والنار فى حديث عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون والمتكبرون وقالت هذه
يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه انت عذابى اعذب بك من اشاء وقال لهذه انت رحمتى ارحم بك من
اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها خرجه البخارى ومسلم والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس ايضا هم اهل
الكتاب قالوا للمؤمنين نحن اولى بالله منكم واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وتركتموه وكفرتم به حسدا فهذه كانت
خصومتهم وانزلت فيهم هذه الآية والقول الاول اصح رواه البخارى عن حجاج بن منهال عن هشيم عن ابى هاشم عن

وكذا روى عن ابن عباس انه قال المعنى وكثير من الناس فى الجنة وكثير حق عليه العذاب صح

بعون الله

عن ابن مجلز عن قيس بن عباد عن ابى ذر وحسبك عن عمرو بن زرارة عن هشيم ورواه سليمان التيمى
عن ابن مجلز عن قيس بن عباد عن على قال فينا نزلت هذه الآية وفى مبارزتنا يوم بدر هذان خصمان اختصموا
فى ربهم الى قوله الحريق وقرأ ابن كثير هذانّ خصمان بتشديد النون من هذانّ وتأول الفرآء الخصمين على انهما
فريقان اهل دينين وزعم ان الخصم الواحد المسلمون والاخر اليهود والنصارى اختصموا فى دين ربهم قال تعالى
اختصموا لانهم جمع قال ولو قال اختصما لجاز قال النحاس وهذا تأويل من لا دراية له بالحديث ولا بكتب اهل
التفسير لان الحديث فى هذه الآية مشهور رواه سفيان الثورى وغيره عن ابى هاشم عن ابن مجلز عن قيس بن
عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الآية نزلت فى حمزة وعلى بن الحارث بن عبد المطلب رضى الله عنهم
وعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وهكذا روى ابو عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس
وفيه قول رابع انهم المؤمنون كلهم والكافرون كلهم من اى ملة كانوا قاله مجاهد والحسن وعطاء بن ابى
رباح وعاصم بن ابى النجود والكلبى وهذا القول بالعموم يجمع المنزل فيهم وغيرهم وقيل نزلت فى الخصومة
فى البعث والجزاء اذ قال به قوم وانكره قوم فَالَّذِينَ كَفَرُوا يعنى من الفرق الذين تقدم ذكرهم
قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ اى خيطت وسويت وشبهت النار بالثياب لانها لباس لهم كالثياب
وقوله قطعت اى تقطع لهم فى الآخرة ثياب من نار وذكر بلفظ الماضى لان ما كان من اخبار الآخرة فالموعود
منه كالواقع المحقق قال الله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اى يقول الله تعالى
ويحتمل ان يقال قد اعدت الآن تلك الثياب لهم ليلبسوها اذا صاروا الى النار وقال سعيد بن جبير من
نار من نحاس فتلك الثياب من نحاس قد اذيبت وهى السرابيل المذكورة من قطران وليس فى الآنية
شئ اذا حمى يكون اشد حرا منه وقيل المعنى ان النار قد احاطت بهم كاحاطة الثياب المقطوعة اذا لبسوها عليهم
فصارت من هذا الوجه ثيابا لانها بالاحاطة كالثياب مثل وجعلنا الليل لباسا مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
الْحَمِيمُ اى الماء الحار المغلى بنار جهنم وروى الترمذى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو
الصهر ثم يعاد كما كان قال حديث حسن صحيح غريب يُصْهَرُ يذاب به مَا فِي بُطُونِهِمْ والصهر
اذابة الشحم والصهارة ما ذاب منه يقال صهرت الشئ فانصهر اى اذبته فذاب فهو صهير قال ابن احمر يصف
فرخ قطاة تروى لقى القى فى صفصف تصهره الشمس فما ينصهر اى تذيبه الشمس فيصبر على ذلك
وَالْجُلُودُ اى ويحرق الجلود اى يشوى الجلود فان الجلود لا تذاب ولكن يضم فى كل شئ ما يليق به فهو كما تقول
اتيته فاطعمنى ثريدا اى والله ولبنا قارصا اى وسقانى لبنا وقال الشاعر علفتها تبنا وماء باردا وَلَهُمْ
مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ اى يضربون بها ويدفعون الواحدة مقمعة ومقمع كالمحجن يضرب به على رأس الفيل
وقد قمعته اذا ضربته بها وقمعته واقمعته بمعنى اى قهرته واذللته فانقمع قال ابن السكيت اقمعت الرجل
عنى اقماعا اذا اطلع عليك فرددته عنك وقال المقامع المطارق وهى المرازب ايضا وفى الحديث بيد كل ملك
من خزنة جهنم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوى بها سبعين الفا وقيل المقامع سياط من نار و
سميت بذلك لانها تقمع المضروب اى تذلله قوله تعالى كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا اى
من النار أُعِيدُوا فِيهَا بالضرب بالمقامع وقال ابو ظبيان ذكر لنا انهم يحاولون الخروج من النار حين

وعبيدة صح

تجيش بهم وتغور فتلقي من فيها الى اعلا ابوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان اليها بالمقامع وقيل اذا
اشتد غمهم فيها فروا فمن خلص منهم الى شفيرها اعادتهم الملئكة فيها بالمقامع ويقولون لهم **ذُوقُوا عَذَابَ**
الْحَرِيقِ اى المحرق مثل الاليم والوجيع وقيل الحريق الاسم من الاحتراق وتحرق الشئ بالنار واحترق والاسم
الحرقة والحريق والذوق مما تحصل معها ادراك الطعم وهو هنا توسع والمراد به ادراكهم الالم
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
لما ذكر حكم احد الخصمين وهو الكافر ذكر حال الخصم الآخر وهو المؤمن **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**
من صلة والاساور جمع اسورة واسورة واحدها سوار وفيه ثلاث لغات ضم السين وكسرها واسوار قال
المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة وليس احد من اهل
الجنة الا وفي يده ثلاث اسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لولو قال هنا وفي فاطر من
اساور من ذهب ولولو وقال في سورة الانسان وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وفي صحيح مسلم من حديث ابي
هريرة سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وقيل تحلى النساء
بالذهب والرجال بالفضة وفيه نظر والقرآن يرده وقرأ نافع وابن القعقاع وشيبة وعاصم هنا وفي سورة
الملئكة لولوا بالنصب على معنى ويحلون لولوا واستدلوا بانها مكتوبة في جميع المصاحف هنا بالف وكذلك قرأ
يعقوب والجحدري وعيسى بن عمر بالنصب هنا والخفض في فاطر اتباعا للمصحف ولانها كتبت هنا بالف و
هناك بغير الف الباقون بالخفض في الموضعين وكان ابو بكر لا يهمز اللولو في القرآن وهو ما يستخرج من البحر كل صح
من جوف الصدف قال القشيري والمراد ترصيع السوار باللولو ولا يبعد ان يكون في الجنة سوار من لولو مصمت قال
المؤلف رحمه الله وهو ظاهر القرآن بل نصه وقال ابن الانباري من قرأ ولولو بالخفض وقف عليه ولم يقف على
الذهب وقال السجستاني من نصب اللولو فالوقف الكافي من ذهب لان المعنى ويحلون لولوا قال ابن الانباري
وليس كما قال لانا اذا خفضنا اللولو نسقناه على لفظ الاساور واذا نصبناه نسقناه على تاويل الاساور وكانا
قلنا يحلون فيها اساور ولولوا فهو في النصب بمنزلته في الخفض فلا معنى لقطعه من الاول **وَلِبَاسُهُمْ**
فِيهَا حَرِيرٌ اى جميع ما يلبسونه من فرشهم ولباسهم وستورهم حرير وهو اعلى مما في الدنيا بكثير وروى النسائي
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في
الدنيا لم يشربه في الآخرة ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لباس اهل الجنة وشراب اهل الجنة وآنية اهل الجنة فان قيل قد سوى النبي صلى الله عليه وسلم بين
هذه الاشياء الثلثة وانه يحرمها في الآخرة فهل يحرمها اذا دخل الجنة قلنا نعم اذا لم يتب منها حرمها في الآخرة
وان دخل الجنة لا يستحلها ما حرم الله عليه في الدنيا لا يقال انما يحرم ذلك في الوقت الذي يعذب في النار او بطول
مقامه في الموقف فاما اذا دخل الجنة فلا لان حرمان شئ من لذات الجنة لمن كان في الجنة نوع عقوبة ومواخذة و
الجنة ليست بدار عقوبة ولا مواخذة فيها بوجه فانا نقول ما ذكرتموه محتمل لولا ما جاء ما يدفع هذا الاحتمال ويرده
من ظاهر الحديث الذي ذكرناه وما رواه الائمة من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا ثم
لم يتب منها حرمها في الآخرة والاصل التمسك بالظاهر حتى يرد نص يدفعه بل قد ورد نص على صحة ما ذكرناه وهو ما
رواه ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا هشام عن قتادة عن داود السراج عن ابي سعيد الخدري قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه
وهذا نص صريح واسناد صحيح فان كان وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم
فهو الغاية في البيان وان كان من كلام الراوي على ما ذكره فهو اعلم بالمقال واقعد بالحال ومثله لا يقال بالراي والله اعلم
وكذلك من شرب الخمر ولم يتب ومن استعمل آنية الذهب والفضة وكما لا يشتهي منزلة من هو ارفع منه وليس ذلك
بعقوبة كذلك لا يشتهي خمر الجنة ولا حريرها ولا يكون ذلك عقوبة وقد ذكرنا هذا كله في كتاب التذكرة مستوفى وذكرنا
فيها ان شجر الجنة وثمارها تتفتق عن ثياب الجنة وقد ذكرناه في سورة الكهف **وَهُدُوا**
إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ اى ارشدوا الى ذلك قال ابن عباس يريد لا اله الا الله والحمد لله وقيل القرآن
ثم قيل هذا في الدنيا هدوا الى الشهادة وقراءة القرآن وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ اى الى صراط الله وصراط الله
دينه وهو الاسلام وقيل هدوا في الآخرة الى الطيب من القول وهو الحمد لله لانهم يقولون غدا الحمد لله الذي هدانا
لهذا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فليس في الجنة لغو ولا كذب فما يقولونه فهو طيب القول وقد هدوا في الجنة
الى صراط الله اذ ليس في الجنة شئ من مخالفة امر الله وقيل الطيب من القول ما ياتيهم من الله من البشارات الحسنة
وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ اى الى طريق الجنة **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ**
اللَّهِ الى قوله اليم فيه سبع مسائل **الاولى** قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله اعاد الكلام الى مشركي
العرب حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام عام الحديبية وذلك انه لم يعلم لهم صد قبل ذلك
الجمع الا ان يريد صدهم لافراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث والصد المنع اى وهم يصدون وبهذا حسن
عطف المستقبل على الماضي وقيل الواو زائدة ويصدون خبر ان وهذا مفسد للمعنى المقصود وانما الخبر محذوف مقدر
عند قوله وَالْبَادِي تقديره خسروا اذ هلكوا وجاء ويصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه كما جاء قوله الذين آمنوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ فكانه قال ان الذين كفروا من شانهم الصد ولو قال ان الذين كفروا وصدوا لجاز قال
النحاس وفي كتابي عن ابي اسحق قال وجائز ان يكون وهو الوجه الخبر نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ قال ابو جعفر
وهذا غلط لست اعرف ما الوجه لانه جاء بخبر ان جزما وايضا فانه جواب الشرط ولو كان خبر ان لبقي الشرط
بلا جواب ولا سيما والفعل الذي في الشرط مستقبل فلا بد له من جواب **الثانية** قوله تعالى **وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**
قيل انه المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن لانه لم يذكر غيره وقيل الحرم كله لان المشركين صدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه عنه عام الحديبية فنزل خارجا عنه قال الله تعالى وصدوكم عن المسجد الحرام وقال سبحان
الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وهذا صحيح لكنه قصد بالذكر هنا المهم المقصود من ذلك **الثالثة**
قوله تعالى **جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ** اى للصلاة والطواف والعبادة وهو كقوله إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ
سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ العاكف المقيم والملازم والبادي اهل البادية ومن يقدم عليهم يقول
سواء في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه الحاضر والذي ياتي من البلاد فليس اهل مكة احق من النازع اليه وقيل
ان المساواة انما هي في دوره ومنازله ليس المقيم فيها اولى من الطارئ عليها وهذا على ان المسجد الحرام الحرم كله و
هذا قول مجاهد ومالك رواه عنه ابن القاسم وروى عن عمر وابن عباس وجماعة الى ان القادم له النزول حيث
وجد وعلى رب المنزل ان يؤويه شاء او ابى وقال ذلك سفيان الثوري وغيره ولذلك كان الامر في الصدر الاول
كانت دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة واتخذ رجل بابا فانكر عليه عمر وقال اتغلق بابا في وجه حاج بيت الله

فقال انما اردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب وروى ايضا عن عمر انه كان يأمر
في الموسم بقلع ابواب دور مكة حتى يدخلها الذي يقدم فينزل حيث شاء وكانت الفساطيط تضرب في الدور
وروى عن مالك ان الدور ليست كالمسجد ولاهلها الامتناع فيها والاستبداد وهذا هو العمل اليوم وقال بهذا
جمهور من الامة وهذا الخلاف ينبني على اصلين احدهما ان دور مكة هل هي ملك لاربابها ام للناس وللخلاف
سببان احدهما هل فتح مكة كان عنوة فتكون مغنومة لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقسمها واقرها لاهلها ولمن
جاء بعدهم كما فعل عمر رضي الله عنه بارض السواد وعفا لهم عن الخراج كما عفا عن سبيهم واسترقاقهم احسانا اليهم
دون سائر الكفار فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق الى موضع كان اولى به وبهذا قال مالك وابو حنيفة
والاوزاعي او كان فتحها صلحا وبه قال الشافعي فتبقى ديارهم في ايديهم وفي املاكهم يتصرفون كيف شاؤا وروى
عن عمر انه اشترى دار صفوان بن امية باربعة الاف وجعلها سجنا وهو اول من حبس في السجن في الاسلام على ما تقدم
بيانه في آية المحاربين في المائدة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة وكان طاوس يكره السجن
بمكة ويقول لا ينبغي لبيت عذاب ان يكون في بيت رحمة قال المؤلف رحمه الله الصحيح ما قاله مالك وعليه
تدل ظواهر الاخبار الثابتة بانها فتحت عنوة قال ابو عبيد ولا نعلم مكة يشبهها شيء من البلاد وروى الدارقطني
عن علقمة بن نضلة قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما وما تدعى رباع مكة الا السوائب
من احتاج سكن ومن استغنى اسكن وزاد في رواية وعثمان وروى ايضا عن علقمة بن نضلة الكناني قال كانت
تدعى بيوت مكة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر السوائب لا تباع من احتاج سكن ومن استغنى
اسكن وروى ايضا عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حرم مكة فحرام بيع رباعها واكل
ثمنها وقال من اكل من اجر بيوت مكة شيئا فانما ياكل نارا قال الدارقطني كذا رواه ابو حنيفة مرفوعا ووهم
فيه ووهم ايضا في قوله عبيد الله بن يزيد وانما هو ابن ابي زياد القداح والصحيح انه موقوف واسند الدارقطني
ايضا عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مناخ لا تباع رباعها ولا تؤجر بيوتها وروى
ابو داود عن عائشة قالت قلت يا رسول الله الا نبني لك بمنى بيتا او بناء يظلك من الشمس فقال لا انما هو مناخ من
سبق اليه وتمسك الشافعي رضي الله عنه بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فاضافها اليهم وقال عليه السلام من يوم الفتح م
اغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن الرابعة قرا جمهور الناس سواء بالرفع وهو على
الابتداء والعاكف خبره وقيل الخبر سواء وهو مقدم اي العاكف فيه والبادي سواء وهو قول ابي علي والمعنى الذي
جعلناه للناس قبلة او متعبدا العاكف فيه والبادي سواء وقرا حفص عن عاصم سواء بالنصب وهي قراءة الاعمش و
ذلك يحتمل ايضا وجهين احدهما ان يكون مفعولا ثانيا لجعل ويرتفع العاكف به لانه مصدر فاعمل عمل اسم الفاعل لانه في
معنى مستو والوجه الثاني ان يكون حالا من الضمير في جعلناه وقرأت فرقة سواء بالنصب العاكف بالخفض والبادي
عطفا على الناس التقدير الذي جعلناه للناس العاكف والبادي وقراءة ابن كثير في الوصل والوقف بالياء
ووقف ابو عمرو بغير ياء ووصل بالياء وقرا نافع بغير ياء في الوصل والوقف واجمع الناس على الاستواء في نفس
المسجد الحرام واختلفوا في مكة وقد ذكرنا الخامسة **وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ** شرط وجوابه نذقه
من عذاب اليم والالحاد في اللغة الميل الا ان الله تعالى بين ان الميل بالظلم هو المراد واختلفوا في الظلم فروى
عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال الشرك وقال عطاء الشرك والقتل وقيل معناه

صيد حمامه وقطع شجره ودخوله غير محرم وقال ابن عمر كنا نتحدث ان الالحاد فيه ان يقول الانسان لا والله
وبلى والله وكلا والله وكذلك كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم فكان اذا اراد الصلوة
دخل فسطاط الحرم واذا اراد بعض شانه دخل فسطاط الحل صيانة للحرم عن قولهم كلا والله وبلى والله
حين عظم الله الذنب فيه وكذلك كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم
فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل واذا اراد ان يصلي صلى في الحرم فقيل له في ذلك فقال ان كنا
لنتحدث ان من الالحاد في الحرم ان نقول كلا والله وبلى والله والمعاصي تضاعف في الحرم كما تضاعف عليه م
الحسنات فتكون المعصية معصيتين احدهما بنفس المخالفة والثانية باسقاط حرمة البلد الحرام وهكذا
الاشهر الحرم سواء وقد تقدم وروى ابو داود عن يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكار
الطعام في الحرم الحاد فيه وهو قول عمر بن الخطاب والعموم يأتي على هذا كله السادسة ذهب قوم من
اهل التأويل منهم الضحاك وابن زيد الى ان هذه الآية تدل على ان الانسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي
بمكة وان لم يعمله وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر قالوا لو هم رجل بقتل رجل بهذا البيت وهو بعدن
لعذبه الله قال المؤلف رحمه الله هذا صحيح وقد جاء هذا المعنى في سورة ن والقلم مبينا على ما يأتي بيانه هناك السابعة
الباء في بالحاد زائدة كزيادتها في قوله تنبت بالدهن وعليه حملوا قول الشاعر نحن بنو جعدة
اصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج اراد نرجو الفرج وقال الاعشى ضمنت برزق عيالنا
ارماحنا اي رزق وقال آخر الم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد اي ما لاقت فالباء زائدة
وهو كثير وقال الفراء سمعت اعرابيا وسألته عن شيء فقال ارجو بذاك اي ارجو ذاك وقال الشاعر بواد يمان
ينبت الشث صدره واسفله بالمرخ والشبهان اي المرخ وهو قول الاخفش والمعنى عنده ومن يرد فيه
الحادا بظلم وقال الكوفيون دخلت الباء لان المعنى بان يلحد والباء مع ان تدخل وتحذف ويجوز ان يكون
التقدير ومن يرد الناس فيه بالحاد وهذا الالحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر الى الصغائر فلعظم حرمة المكان
توعد الله تعالى على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها الا في مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة
من الصحابة وغيرهم وقد ذكرناه آنفا قوله تعالى **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ** الى
قوله والسجود فيه مسئلتان **الاولى** قوله تعالى واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت اي واذكر اذ بوأنا لابرهيم يقال
بوأته منزلا وبوأت له كما تقول مكنتك ومكنت لك فاللام في قوله لابرهيم صلة للتاكيد كقوله ردف لكم وهذا
قول الفراء وقيل بوأنا لابرهيم مكان البيت اي اريناه اصله ليبنيه وكان قد درس بالطوفان وغيره
فلما جاءت مدة ابرهيم عليه السلام امره الله ببنيانه فجاء الى موضعه وجعل يطلب اثرا فبعث الله ريحا
فكشف عن اساس آدم فرتب قواعده عليه حسب ما تقدم بيانه في البقرة وقيل بوأنا نازله منزله فعل
تعدى باللام كنحو جعلناه اي جعلنا لابرهيم مكان البيت مبوأ وقال الشاعر كم من اخ لي ماجد بوأته
بيدي لحدا الثانية ان لا تشرك هي مخاطبة لابرهيم عليه السلام في قول الجمهور وقرا عكرمة ان لا يشرك
بالياء على نقل معنى القول الذي قيل له قال ابو حاتم ولا بد من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى لان
لا يشرك وقيل بان ان مخففة من الثقيلة وقيل مفسرة وقيل زائدة مثل فلما ان جاء البشير وفي الآية طعن على
من اشرك من قطان البيت اي هذا كان الشرط على ابيكم فمن بعده وانتم فلم تفوا بل اشركتم وقالت فرقة الخطاب

في قوله أن لا تشرك بي محمد صلى الله عليه وسلم وامر بتطهير البيت والأذان بالحج والجمهور على ان ذلك لابرهيم وهو الاصح وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الانجاس والدماء وقيل عني به التطهير عن الاوثان كما قال فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وذلك ان جرهما والعمالقة كانت لهم اصنام في محل البيت وحوله قبل ان يبنيه ابرهيم وقيل المعنى نزه بيتي عن ان يعبد فيه صنم وهذا امر باظهار التوحيد فيه وقد مضى للعلماء في تنزيه المسجد الحرام وغيره من المساجد ما فيه كفاية في براءة والقائمون هم المصلون وذكر تعالى من اركان الصلوة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ الى قوله عميق فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى واذن في الناس بالحج قراءة جمهور الناس واذن بشد الذال وقراء الحسن بن ابي الحسن وابن محيصن وآذن بتخفيف الذال ومد الالف قال ابن عطيه وتصحف هذا على ابن جني فانه حكى عنهما وأذن على انه فعل ماض فاعرب عن ذلك بان جعله عطفا على بوأنا والأذان الاعلام وقد تقدم في براءة الثانية لما فرغ ابرهيم عليه السلام من بناء البيت وقيل له اذن في الناس بالحج قال يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي الابلاغ فصعد ابرهيم خليل الله جبل ابي قبيس وصاح يا ايها الناس ان الله قد امركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك فمن اجاب يومئذ حج على قدر الاجابة ان اجاب مرة فمرة وان اجاب مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك قاله ابن عباس وابن جبير وروى عن ابي الطفيل قال قال لي ابن عباس اتدري ما كان اصل التلبية قلت لا قال لما امر ابرهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج خفضت الجبال رؤسها ورفعت له القرى فنادى في الناس بالحج فاجابه كل شيء لبيك اللهم لبيك وقيل ان الخطاب لابرهيم تم عند قوله والسجود ثم خاطب الله جل وعز محمدا عليه السلام فقال واذن في الناس بالحج اي اعلمهم ان عليهم الحج وقول ثالث ان الخطاب من قوله ان لا تشرك مخاطبة للنبي عليه السلام وهذا قول اهل النظر لان القرآن انزل على النبي صلى الله عليه وسلم فكل ما فيه من المخاطبة فهي له الا ان يدل دليل قاطع على غير ذلك وههنا دليل آخر يدل على ان المخاطبة للنبي عليه السلام وهو ان لا تشرك بي بالتاء وهذا مخاطبة لمشاهد وابرهيم عليه السلام غائب فالمعنى على هذا واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت فجعلنا لك الدلائل على توحيد الله تعالى وعلى ان ابرهيم كان يعبد الله وحده وقراء جمهور الناس بالحج بفتح الحاء وقراء ابن ابي اسحق في كل القرآن بكسرها وقيل ان نداء ابرهيم من جملة ما امر به من شرائع الدين والله اعلم الثالثة قوله تعالى يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ وعد اجابة الناس الى حج البيت ما بين راجل وراكب وانما قال يأتوك وان كانوا يأتون الكعبة لان المنادي ابرهيم فمن اتى الكعبة حاجا فكانه اتى ابرهيم لانه اجاب نداءه وفيه تشريف ابرهيم قال ابن عطيه رجالا جمع راجل مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب وقيل الرجال جمع رجل والرجل جمع راجل مثل تجار وتجر وتاجر وصحاب وصحب وصاحب وقد يقال في الجمع رُجّال بالتشديد مثل كافر وكفار وقراء ابن ابي اسحق وعكرمة رُجالا بضم الراء وتخفيف الجيم وهو قليل في ابنية الجمع ورويت عن مجاهد وقراء مجاهد رُجالى على وزن فعالى فهو مثل كسالى قال النحاس في جمع رجل خمسة اوجه رُجّال مثل ركاب وهذا الذي روى عن عكرمة ورجال مثل قيام ورَجْل ورَجلة ورجالة والذي روى عن مجاهد رُجالى غير معروف والاشبه به ان يكون غير منون مثل سكارى وكسالى ولو نون لكان على فعال وفعال في الجمع قليل وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبهم في المشي وعلى

وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لان معنى ضامر معنى ضوامر قال الفراء ويجوز يأتي على اللفظ والضامر البعير المهزول الذي اتعبه السفر يقال ضمر يضمر ضمورا فوصفها الله تعالى بالمآل الذي انتهت عليه الى مكة وذكر سبب الضمور فقال يأتين من كل فج عميق اي اثر فيها طول السفر ورد الضمير الى الابل تكرمة لها لقصدها الحج مع اربابها كما قال والعاديات ضبحا في خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت في سبيل الله الرابعة قال بعضهم انما قال رجالا لان الغالب خروج الرجال الى الحج دون الاناث فقوله رجالا من قولك هذا رجل وهذا فيه بعد لقوله وعلى كل ضامر يعني الركبان فدخل فيه الرجال والنساء ولما قال تعالى رجالا وبدأ بهم دل ذلك على ان حج الراجل افضل من حج الراكب قال ابن عباس ما آسى على شيء فاتني الا ان اكون حججت ماشيا فاني سمعت الله يقول يأتوك رجالا وقال ابن ابي نجيح حج ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ماشيين وقرأ اصحاب ابن مسعود يأتون وهي قراءة ابن ابي عبلة والضحاك والضمير للناس الخامسة لا خلاف في جواز الركوب والمشي واختلفوا في الافضل منهما فذهب مالك والشافعي في آخرين الى ان الركوب افضل اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكثرة النفقة ولتعظيم شعائر الحج باهبة الركوب وذهب غيرهم الى ان المشي افضل لما فيه من المشقة على النفس ولحديث ابي سعيد قال حج النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة الى مكة وقال اربطوا اوساطكم بازركم ومشى خلط الهرولة خرجه ابن ماجه في سننه ولا خلاف في ان الركوب في الوقوف بعرفة افضل واختلفوا في الطواف والسعي فالركوب عند مالك في المناسك كلها افضل للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم السادسة استدل بعض العلماء بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على ان فرض الحج بالبحر ساقط قال مالك في الموازية لا اسمع للبحر ذكرا وهذا تأنيس لا انه يلزم من سقوط ذكره سقوط الفرض فيه وذلك ان مكة ليست في ضفة بحر فيأتيها الناس في السفن ولا بد لمن ركب البحر ان يصير في اتيان مكة اما راجلا واما على ضامر فانما ذكرت حالتا الوصول واسقاط فرض الحج بمجرد البحر ليس بالكثير ولا بالقوي فاما اذا اقترن به عدو وخوف او هول شديد او مرض يلحق شخصا فمالك والشافعي وجمهور الناس على سقوط الوجوب بهذه الاعذار وانه ليس بسبيل يستطاع قال ابن عطيه وذكر صاحب الاستظهار في هذا المعنى كلاما ظاهره ان الوجوب لا يسقط بشيء من هذه الاعذار وهذا ضعيف قال المؤلف رحمه الله واضعف من ضعيف وقد مضى في البقرة بيانه والفج الطريق الواسعة والجمع فجاج وقد مضى في الانبياء والعميق معناه البعيد وقراء الجماعة يأتين وقراء اصحاب عبد الله يأتون وهذا للركبان ويأتين للجمال كانه قال وعلى ابل ضامرة يأتين من كل فج عميق اي بعيد ومنه بئر عميقة اي بعيدة القعر ومنه وقاتم الاعماق خاوي المخترق السابعة واختلفوا في الواصل الى البيت هل يرفع يديه عند رؤيته ام لا فروى ابو داود قال سئل جابر بن عبد الله عن الرجل يرى البيت ويرفع يديه فقال ما كنت ارى ان احدا يفعل هذا الا اليهود وقد حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يفعله وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع الايدي في سبع مواطن افتتاح الصلوة واستقبال البيت والصفا والمروة والموقفين والجمرتين والى هذا ذهب الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وضعفوا حديث جابر لان مهاجرا المكي راويه مجهول وكان ابن عمر يرفع يديه عند رؤية البيت وعن ابن عباس مثله قوله تعالى لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ الى قوله بالبيت العتيق فيه ثلث وعشرون مسئلة الاولى قوله ليشهدوا اي ليحضروا اذن بالحج يأتوك رجالا وركبانا ليشهدوا اي ليحضروا والشهود الحضور منافع لهم اي المناسك

ابی ح

١٧٥

لعرفات والمشعر الحرام وقيل المغفرة وقيل التجارة وقيل هو عموم اى ليحضروا منافع لهم اى ما يرضى الله تعالى
من امر الدنيا والآخرة قاله مجاهد وعطاء واختاره ابن العربي فانه يجمع ذلك كله من نسك وتجارة ومغفرة و
منفعة دنيا واخرى ولا خلاف في ان المراد بقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم التجارة
ويذكروا اسم الله في ايام معلومات قد مضى في البقرة الكلام في الايام المعلومات والمعدودات
والمراد بذكر اسم الله ذكر التسمية عند الذبح والنحر مثل قولك بسم الله والله اكبر اللهم منك ولك ومثل قولك
عند الذبح ان صلاتي ونسكي ومحياي الآية وكان الكفار يذبحون على اسماء اصنامهم فبين الرب ان الواجب
الذبح على اسم الله وقد مضى في الانعام اختلف العلماء في وقت الذبح يوم النحر فقال مالك
بعد صلاة الامام وذبحه الا ان يؤخر تاخيرا يتعدى فيه فيسقط الاقتداء به وراعى ابو حنيفة الفراغ من الصلاة
دون ذبح الامام والشافعي دخول وقت الصلاة ومقدار ما توقع فيه مع الخطبتين فاعتبر الوقت دون الصلاة
هذه رواية المزني عنه وهو قول الطبري وذكر الربيع في البويطي قال الشافعي ولا يذبح احد حتى يذبح الامام
الا ان يكون ممن لا يذبح فاذا صلى وفرغ من الخطبة حل الذبح وهذا كقول مالك وقال احمد اذا انصرف الامام
فاذبح وهو قول ابرهيم واصح هذه الاقوال قول مالك لحديث جابر بن عبد الله قال صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم
يوم النحر بالمدينة فتقدم رجال فنحروا وظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نحر فامر النبي صلى الله عليه وسلم من
كان نحر ان يعيد بنحر آخر ولا ينحروا حتى ينحر النبي صلى الله عليه وسلم خرجه مسلم والترمذي وقال وفي الباب عن
جابر وجندب وانس وعويمر بن اشقر وابن عمر وابي زيد الانصاري وهذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا
عند اهل العلم ان لا يضحى بالمصر حتى يصلي الامام وقد احتج ابو حنيفة بحديث البراء وفيه ومن ذبح بعد الصلاة
فقد تم نسكه واصاب سنة المسلمين خرجه مسلم ايضا فعلق الذبح على الصلاة ولم يذكر الذبح وحديث جابر
تبينه وكذلك حديث البراء ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما نبدأ به في يومنا هذا ان
نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا الحديث وقال ابو عمر بن عبد البر لا اعلم خلافا بين العلماء
ان من ذبح قبل الصلاة وكان من اهل المصر انه غير مضح لقوله عليه السلام من ذبح قبل الصلاة فتلك شاة لحم
الرابعة واما اهل البوادي ومن لا امام له فمشهور مذهب مالك يتحرى وقت ذبح الامام او اقرب
الائمة اليه وقال ربيعة وعطاء فيمن لا امام له ان ذبح قبل طلوع الشمس لم يجزه ويجزيه ان ذبح بعده وقال
اهل الراي يجزيهم من بعد الفجر وهو قول ابن المبارك ذكره عنه الترمذي وتمسكوا بقوله تعالى ليذكروا اسم الله
في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فاضاف النحر الى اليوم وهل اليوم من طلوع الفجر او من طلوع
الشمس قولان ولا خلاف انه لا يجزئ ذبح الاضحية قبل طلوع الفجر من يوم النحر الخامسة واختلفوا كم ايام
النحر فقال مالك ثلاثة يوم النحر ويومان بعده وبه قال ابو حنيفة والثوري واحمد بن حنبل وروي ذلك عن
ابي هريرة وانس بن مالك من غير اختلاف عنهما وقال الشافعي اربعة يوم النحر وثلاثة بعده وبه قال الاوزاعي وروي
ذلك عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر وروي عنهم ايضا مثل قول مالك واحمد وقيل هو يوم النحر خاصة
وهو العاشر من ذي الحجة وروي عن ابن سيرين وعن سعيد بن جبير وجابر بن زيد انهما قالا النحر في الامصار
يوم واحد وفي منى ثلاثة ايام وعن الحسن البصري في ذلك ثلاث روايات احداها كما قال مالك والثاني كما قال
الشافعي والثالثة الى آخر يوم من ذي الحجة فاذا اهل هلال المحرم فلا اضحى قال المؤلف رحمه الله وهو قول

سليمان بن يسار وابي سلمة بن عبد الرحمن ورويا حديثا مرسلا مرفوعا خرجه الدارقطني الضحايا الى
هلال ذي الحجة ولم يصح ودليلنا قوله تعالى في ايام معلومات الآية وهذا جمع قلة لكن المتيقن منه الثلاثة وما بعد الثلاثة
غير متيقن فلا يعمل به قال ابو عمر اجمع العلماء على ان يوم النحر يوم اضحى واجمعوا على ان لا اضحى بعد انسلاخ ذي الحجة
ولا يصح عندي في هذه الا قولان احدهما قول مالك والكوفيين والآخر قول الشافعي والشاميين وهذان القولان
مرويان عن الصحابة فلا معنى للاشتغال بما خالفهما لان ما خالفهما لا اصل له في السنة ولا في قول الصحابة وما خرج
عن هذين فمتروك لهما وقد روي عن قتادة قول سادس وهو ان الاضحى يوم النحر وستة ايام بعده وهذا ايضا خارج
عن قول الصحابة فلا معنى له اختلفوا في ليالي النحر هل تدخل مع الايام فيجوز فيها الذبح او لا فروي
عن مالك في المشهور انها لا تدخل فلا يجوز الذبح بالليل وعليه جمهور اصحابه واصحاب الراي لقوله تعالى ويذكروا اسم
الله في ايام فذكر الايام وهو دليل على ان الذبح في الليل لا يجوز وقال ابو حنيفة والشافعي واحمد واسحاق و
ابو ثور الليالي داخلة في الايام ويجزي الذبح فيها وروي عن مالك واشهب نحوه ولاشهب تفريق بين الهدي والضحية
فاجاز الهدي ليلا ولم يجز الضحية ليلا قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة
الانعام وهي هنا الابل والبقر والغنم وبهيمة الانعام هي الانعام فهي كقولك صلاة الاولى ومسجد الجامع
الثامنة فكلوا منها امر معناه الندب عند الجمهور ويستحب للرجل ان ياكل من هديه واضحيته
وان يتصدق بالاكثر مع تجويزهم الصدقة بالكل واكل الكل وشذت طائفة فاوجبت الاكل والاطعام بظاهر
الامر ولقوله عليه السلام فكلوا وادخروا وتصدقوا قال الكيا قوله تعالى فكلوا منها واطعموا يدل على انه لا يجوز
بيع جميعه والتصدق بجميعه دماء الكفارات لا ياكل منها اصحابها ومشهور مذهب مالك
انه لا ياكل من ثلاث جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الاذى وياكل مما سوى ذلك اذا بلغ محله واجبا كان
او تطوعا ووافقه على ذلك جماعة من السلف وفقهاء الامصار العاشرة فان اكل مما منع منه فهل يغرم
قدر ما اكل او يغرم هديا كاملا قولان في مذهبنا وبالاول قال ابن الماجشون قال ابن العربي وهو الحق لا شيء
عليه غيره وكذلك لو نذر هديا للمساكين فياكل منه بعد ان بلغ محله لا يغرم الا ما اكل خلافا للمدونة لان النحر قد وقع
والتعدي انما هو على اللحم فيغرم قدر ما تعدى فيه قوله تعالى وليوفوا نذورهم فانه يدل على وجوب
اخراج النذر وان كان دما او هديا او غيره ويدل ذلك على ان النذر لا يجوز ان ياكل منه وفاء بالنذر وكذلك
جزاء الصيد وفدية الاذى لان المطلوب ان ياتي به كاملا من غير نقص لحم ولا غيره فان اكل من ذلك كان
عليه هدي كامل والله اعلم الحادية عشرة هل يغرم قيمة اللحم او يغرم طعاما ففي كتاب محمد عن عبد
الملك انه يغرم طعاما والاول اصح لان الطعام انما هو في مقابلة الهدي كله عند تعذره عبادة وليس حكم التعدي
حكم العبادة الثانية عشرة فان عطب من هذا الهدي المضمون الذي هو جزاء الصيد وفدية الاذى
ونذر المساكين شيء قبل محله اكل منه صاحبه واطعم منه الاغنياء والفقراء ومن احب ولا يبيع من لحمه ولا
جلده ولا من قلائده شيئا قال اسمعيل بن اسحق لان الهدي المضمون اذا عطب قبل ان يبلغ الهدي محله كان عليه
بدله ولذلك جاز له ان ياكل منه صاحبه ويطعم واذا عطب الهدي التطوع قبل ان يبلغ محله لم يجز ان ياكل منه
ولا يطعم لانه لما لم يكن عليه بدله خيف ان يفعل ذلك بالهدي وينحر من غير ان يعطب فاحتيط على الناس وبذلك
مضى العمل وروى ابو داود عن ناجية الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معه هدي وقال ان عطب منها شيء

اى على ذبح ما رزقهم

فانحر ثم اصبغ نعله في دمه ثم خل بينه وبين الناس وبهذا الحديث قال مالك والشافعي في احد
قوليه واحمد واسحق واصحاب الرأي ومن ابتهم في الهدي التطوع لا يأكل منها سايقها شيئا ويخلي بينها
وبين الناس يأكلونها وفي صحيح مسلم ولا تأكل منها انت ولا احد من اهل رفقتك وبظاهر هذا النهي
قال ابن عباس والشافعي في قوله الاخير واختاره ابن المنذر فقال لا يأكل منها سايقها ولا احد من اهل رفقته
قال ابو عمر قوله عليه السلام ولا تأكل منها ولا احد من اهل رفقتك لا يوجد الا في حديث ابن عباس وليس ذلك
في حديث هشام بن عروة عن ابيه عن ناجية وهو عندنا اصح من حديث ابن عباس وعليه العمل عند
الفقهاء ويدخل فيه قوله عليه السلام خل بينها وبين الناس اهل رفقته وغيرهم وقال الشافعي وابو ثور
ما كان من الهدي اصله واجبا فلا يأكل منه وما كان تطوعا ونسكا اكل منه واهدى وادخر وتصدق والمتعه
والقران عنده نسك ونحوه مذهب الاوزاعي وقال ابو حنيفة واصحابه يأكل من هدي المتعه والتطوع ولا يأكل
مما سوى ذلك مما وجب بحكم الاحرام وحكي عن مالك لا يأكل من دم الفساد وعلى قياس هذا لا يأكل من دم
الجبر كقول الشافعي والاوزاعي تمسك مالك بان جزاء الصيد جعله الله للمساكين بقوله او كفارة طعام
مساكين وقال في فدية الاذى ففدية من صيام او صدقة او نسك وقال صلى الله عليه وسلم لكعب بن
عجرة اطعم ستة مساكين مدين لكل مسكين او صم ثلاثة ايام او انسك شاة ونذر المساكين مصرح به
واما غير ذلك من الهدايا فهو باق على اصل قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله الى قوله فكلوا منها
وقد اكل النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه من الهدي الذي جاء به وشربا من مرقه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قارنا في اصح الاقوال والروايات فكان هديه على هذا واجبا فما تعلق به ابو حنيفة
غير صحيح وانما اذن الله سبحانه في الاكل من الهدايا لاجل ان العرب كانت لا ترى ان تأكل من نسكها فامر
الله سبحانه نبيه عليه السلام بمخالفتهم فلا جرم كذلك شرع وبلغ وكذلك فعل حين اهدى واحرم صلى الله عليه
وسلم الثالثة عشرة قوله تعالى فكلوا منها قال بعض العلماء هو ناسخ لفعلهم لانهم كانوا يحرمون
لحوم الضحايا على انفسهم ولا يأكلون منها كما قلناه في الهدايا فنسخ الله ذلك بقوله فكلوا منها وبقول النبي
صلى الله عليه وسلم من ضحى فليأكل من اضحيته ولانه عليه السلام اكل من هديه ومن ضحيته وقال الزهري
من السنة اولا من الكبد الرابعة عشرة ذهب اكثر العلماء الى انه يستحب ان يتصدق بالثلث ويطعم
الثلث ويأكل هو واهله الثلث وقال ابن القاسم عن مالك ليس عندنا في الضحايا قسم معلوم موصوف
قال مالك في حديثه وبلغني عن ابن مسعود وليس عليه العمل روى الصحيح وابو داود قال ضحى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشاة ثم قال يا ثوبان اصلح لحم هذه الشاة قال فما زلت اطعمه منه حتى قدم المدينة وهذا
نص في الغرض واختلف قول الشافعي فمرة قال يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله تعالى فكلوا منها
واطعموا البائس الفقير فذكر شخصين وقال مرة يأكل ثلثا ويهدي ثلثا ويطعم ثلثا لقوله تعالى فكلوا منها
واطعموا القانع والمعتر فذكر ثلاثة الخامسة عشرة المسافر مخاطب بالاضحية كما يخاطب بها الحاضر
اذ الاصل عموم الخطاب بها وهو قول كافة العلماء وخالف في ذلك ابو حنيفة والنخعي وروي عن علي والحديث
حجة عليهم واستثنى مالك من المسافرين الحاج بمنى ولم ير عليه اضحية وبه قال النخعي وروي ذلك عن ابي
بكر وعمر وجماعة من السلف لان الحاج انما هو مخاطب في الاصل بالهدي فاذا اراد ان يضحي جعله هديا و

أن يأكل م ... ى

في الناس من غير الحاج انما امروا بالاضحية ليتشبهوا باهل منى ليحصل لهم حظ من اجرهم
اختلف العلماء في الادخار على اربعة اقوال روي عن علي وابن عمر رضي الله عنهما من وجه صحيح انه لا يدخر من الضحايا بعد
ثلاث وروياه عن النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي وقالت جماعة ما روي من النهي عن الادخار منسوخ فيدخر الى اي وقت
احب وقال ابو سعيد الخدري وبريدة الاسلمي وقالت فرقة يجوز الاكل منها مطلقا وقالت طائفة ان كانت بالناس حاجة
اليها فلا يدخر لان النهي انما كان لعلة وهي قوله عليه السلام انما نهيتكم من اجل الدافة التي دفت ولما ارتفعت ارتفع
النهي المتقدم لارتفاع موجبه لا لانه منسوخ وتنشأ هنا مسألة اصولية وهي وهي الفرق بين رفع
الحكم بالنسخ ورفعه لارتفاع علته اعلم ان المرفوع بالنسخ لا يحكم به ابدا والمرفوع لارتفاع علته يعود الحكم لعود العلة فلو قدم على
اهل بلد ناس محتاجون في زمان الاضحى ولم يكن عند اهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم الا الضحايا لتعين
عليهم ان لا يدخروها فوق ثلاث كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث الواردة في هذا الباب
بالمنع والاباحة صحاح ثابتة وقد جاء المنع والاباحة معا كما هو منصوص في حديث عائشة وسلمة بن الاكوع وابي سعيد
الخدري رواها الصحيح وروى الصحيح عن ابي عبيد مولى ابن ازهر انه شهد العيد مع عمر بن الخطاب قال ثم صليت العيد
مع علي بن ابي طالب قال فصلى لنا قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاكم ان تأكلوا
لحوم نسككم فوق ثلاث ليال فلا تأكلوها وروى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يؤكل لحوم الاضاحي بعد
ثلاث قال سالم فكان ابن عمر لا يأكل لحوم الاضاحي فوق ثلاث وروى ابو داود عن نبيشة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا كنا نهيناكم عن لحومها فوق ثلاث لكي تسعكم جاء الله بالسعة فكلوا وادخروا واتجروا الا ان هذه
الايام ايام اكل وشرب وذكر لله عز وجل قال النحاس وهذا القول احسن ما قيل في هذا حتى تتفق الاحاديث ولا
تتضاد ويكون قول علي بن ابي طالب وعثمان رضي الله عنهما محصورا لان الناس كانوا في شدة محتاجين ففعل كما فعل النبي صلى
الله عليه وسلم حين قدمت الدافة والدليل على هذا ما حدثنا ابرهيم بن سهيل قال حدثنا احمد قال حدثنا ليث قال حدثني
الحارث بن يعقوب عن يزيد بن ابي يزيد عن امرأته انها سألت عائشة عن لحوم الاضاحي فقالت قدم علينا علي بن ابي
طالب من سفر فقدمنا اليه منه فابى ان يأكل حتى يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله قال كل من ذي الحجة الى ذي
الحجة وقال الشافعي من قال بالنهي عن الادخار بعد ثلاث لم يسمع الرخصة ومن قال بالرخصة سمعهما جميعا فعمل بمقتضاهما
والله اعلم وسيأتي في سورة الكوثر الاختلاف في وجوب الاضحية ونديبتها وانها ناسخة لكل ذبح تقدم التاسعة عشرة
واطعموا البائس الفقير الفقير من صفة البائس وهو الذي ناله البؤس وشدة الفقر يقال بئس يبأس
بأسا اذا افتقر فهو بائس وقد يستعمل فيمن نزلت به نازلة دهر وان لم يكن فقيرا ومنه قوله عليه السلام لكن البائس
سعد بن خولة ويقال رجل بئيس اي شديد وقد بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد ومنه قوله تعالى واخذنا الذين
ظلموا بعذاب بئيس اي شديد وكلما كان التصدق بلحم الاضحية اكثر كان الاجر اوفر وفي القدر الذي يجوز اكله خلاف قد
ذكرناه فقيل النصف لقوله كلوا واطعموا وقيل الثلث لقوله الا فكلوا وادخروا واتجروا اي اطلبوا الاجر بالاطعام واختلف
في الاكل والاطعام فقيل واجبان وقيل مستحبان وقيل بالفرق بين الاكل والاطعام فالاكل مستحب والاطعام واجب
وهو قول الشافعي العشرون قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم اي ثم ليقضوا بعد نحر الضحايا و
الهدايا ما بقي عليهم من امر الحج كالحلق ورمي الجمار وازالة شعث ونحوه قال ابن عرفة اي ليزيلوا عنهم ادرانهم
وقال الازهري التفث الاخذ من الشارب وقص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة وهذا عند الخروج من الاحرام

مطلقا لم يسمع النهي عن الادخار ومن قال النهي والرخصة

وقال النضر بن شميل التفث في كلام العرب اذهاب الشعث والازهري يقول التفث في كلام العرب لا يعرف الا من
قول ابن عباس واهل التفسير قال الحسن هو ازالة قشف الاحرام وقيل التفث عمل الحج كله رواه ابن عمر وابن عباس
قال ابن العربي لو صح عنهما لكان حجة لشرف الصحبة والاحاطة باللغة قال وهذه اللفظة عربية لم يجد اهل العربية فيها شعرا
ولا احاطوا بها خبرا لكني تتبعت التفث لغة فرايت ابا عبيدة معمر بن المثنى قال انه قص الاظفار واخذ الشارب
وكل ما يحرم على المحرم الا النكاح قال ولم يجئ فيه شعر يحتج به وقال صاحب العين التفث هو الرمي والحلق والتقصير
والذبح وقص الاظفار والشارب والابط وذكر الزجاج والفراء نحو ولا اراه اخذوه الا من قول العلماء وقال قطرب تفث
الرجل اذا كثر وسخه قال امية بن ابي الصلت حفوا رؤسهم لم يحلقوا تفثا ويسلوا لهم قملا وصيبانا وما
اشار اليه قطرب هو الذي قاله ابن وهب عن مالك وهو الصحيح في التفث وهذه صورة القاء التفث لغة واما
حقيقته الشرعية فاذا نحر الحاج او المعتمر هديه وحلق راسه وازال وسخه وتطهر وتنقى ولبس فقد ازال تفثه
ووفى نذره والنذر ما لزم الانسان والتزمه قال المؤلف رحمه الله ما حكاه عن قطرب وذكر من الشعر قد ذكره
في تفسيره الماوردي وذكر شيئا آخر فقال قضوا تفثا ونحبا ثم ساروا الى نجد وما انتظروا عليا وقال الثعلبي
واصل التفث في اللغة الوسخ تقول العرب للرجل تستقذره ما انفثك اي ما اوسخك واقذرك وقال الماوردي قيل
لبعض الصلحاء ما المعنى في شعث المحرم قال ليشهد الله تعالى منك الاعراض عن العناية بنفسك فيعلم صدقك في بذلها
لطاعته الحادية والعشرون قوله تعالى وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ امر بوفاء النذر مطلقا الا ما كان معصية لقوله عليه السلام
لا وفاء لنذر في معصية الله وقوله من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ
الطواف المذكور في هذه الآية هو طواف الافاضة الذي هو من واجبات الحج قال الطبري لا خلاف بين المتاولين في
ذلك الثانية والعشرون للحج ثلاثة اطواف طواف القدوم وطواف الافاضة وطواف الوداع قال اسمعيل بن اسحق
طواف القادم سنة وهو ساقط عن المراهق وعن المكي وعن كل من يحرم بالحج من مكة قال والطواف الواجب الذي لا يسقط
بوجه من الوجوه هو طواف الافاضة الذي يكون بعد عرفة قال الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت
العتيق قال فهذا هو الطواف المفترض في كتاب الله تعالى وهو الذي يحل به الحاج من احرامه كله قال الحافظ ابو عمر ما ذكره
اسمعيل في طواف الافاضة هو قول مالك عند اهل المدينة وهي رواية ابن وهب وابن نافع واشهب عنه وقد روى ابن القاسم
وابن عبد الحكم عن مالك ان طواف القدوم واجب وقال ابن القاسم في غير موضع من المدونة ورواه ايضا عن مالك الطواف
الواجب طواف القادم مكة وهو قول جمهور وقال من نسي الطواف في حين دخوله مكة او نسي شوطا منه او نسي السعي او شوطا
منه حتى رجع الى بلده ثم ذكره فان لم يكن اصاب النساء رجع الى مكة حتى يطوف بالبيت ويركع ويسعى بين الصفا والمروة ثم
يهدي وان اصاب النساء رجع وطاف وسعى ثم اعتمر واهدى وهذا كقوله فيمن نسي طواف الافاضة سواء فعلى هذه الرواية
الطوافان جميعا واجبان والسعي ايضا واما طواف الصدر وهو المسمى بطواف الوداع فروى ابن القاسم وغيره عن مالك
فيمن طاف طواف الافاضة على غير وضوء انه يرجع من بلده فيفيض الا ان يكون تطوع بعده بذلك وهذا مما اجمع عليه مالك واصحابه
وانه يجزيه تطوعه عن الواجب المفترض عليه من طوافه وكذلك اجمعوا ان من فعل في حجته شيئا تطوع به من عمل الحج وذلك الشيء
واجب في الحج فقد جاز وقد قام تطوعه ذلك بصير للواجب لا للتطوع بخلاف الصلاة فاذا كان التطوع ينوب عن الفرض في
الحج كان الطواف لدخول مكة احرى ان ينوب عن طواف الافاضة الا ان اسمعيل وغيره وهو مذهب ابن القاسم لا ينوب
عندهم عن طواف الافاضة الا ما كان من الطواف بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر او بعده للوداع ورواه ابن عبد الحكم عن مالك

بخلاف ذلك لان فيها ان طواف الدخول مع السعي ينوب عن طواف الافاضة لمن رجع الى بلده مع
الهدي كما ينوب طواف الافاضة مع السعي لمن لم يطف ولم يسع حين دخوله مكة مع الهدي ايضا عن طواف
القدوم ومن قال هذا قال انما قيل طواف القدوم واجب ولطواف الافاضة واجب لان بعضهما ينوب
عن بعض ولانه قد روي عن مالك انه يرجع من نسي احدهما من بلده على ما ذكرنا ولان الله عز وجل لم يفترض على
الحاج الا طوافا واحدا بقوله واذن في الناس بالحج وقال وليطوفوا بالبيت العتيق والواو عندهم في هذه
الآية لا توجب رتبة الا بتوقيف واسند الطبري عن عمرو بن سلمة قال سالت زهيرا عن قوله تعالى وليطوفوا
بالبيت العتيق فقال هو طواف الوداع وهذا يدل على انه واجب وهو احد قولي الشافعي لانه عليه السلام
رخص للحائض ان تنفر دون ان تطوفه ولا يرخص الا في الواجب الثالثة والعشرون اختلف المتاولون
في وجه صفته بالبيت العتيق فقال مجاهد والحسن العتيق القديم يقال سيف عتيق وقد عتق اذا قدم
وهذا قول يعضده النظر وفي الصحيح انه اول مسجد وضع في الارض وقيل عتيقا لان الله اعتقه من ان تتسلط
عليه جبابرة بالهوان الى انقضاء الزمان قاله ابن الزبير ومجاهد وفي الترمذي عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار قال هذا حديث حسن غريب وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا فان ذكر ذاكر الحجاج بن يوسف ونصبه المنجنيق على الكعبة حتى كسرها قيل
له انما اعتقها عن كفار الجبابرة لانهم اذا اتوا بانفسهم متمردين لحرمة البيت العتيق عن معتقدين وقاصدين
الكعبة بالسوء فعصمت منهم ولم تنلها ايديهم كان ذلك دلالة على ان الله عز وجل صرفهم عنها قسرا فاما المسلمون
الذين اعتقدوا حرمتها فانهم ان كفوا عنها لم يكن في ذلك من الدلالة على منزلتها عند الله مثل ما يكون منها في كف
الاعداء فقصر الله تعالى هذه الطائفة على الكف بالنهي والوعيد ولم يتجاوزه الى الصرف بالالجاء والاضطرار
وجعل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وقالت طائفة سمي عتيقا لانه لم يملك موضعه قط وقالت فرقة
سمي عتيقا لان الله تعالى يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب وقيل سمي عتيقا لانه اعتق من غرق الطوفان
قاله ابن جبير وقيل العتيق الكريم والعتق الكرم قال طرفة يصف اذن فرس وسولدها نعرف العتق فيهما
كسامعتي مذعورة وسط ربرب وعتق الرقيق الخروج من الرق الى كرم الحرية ويحتمل ان يكون العتيق
صفة مدح تقتضي جودة الشيء كما قال عمر حملت على فرس عتيق الحديث والقول الاول اصح للنظر والحديث الصحيح
قال مجاهد خلق الله البيت قبل الارض بالفي عام وسمي عتيقا لهذا والله اعلم قوله تعالى ذَلِكَ وَمَنْ
يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ الى قوله سحيق فيه ثمان مسائل الاولى قوله تعالى ذلك
يحتمل ان يكون في موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك او الواجب ذلك ويحتمل ان يكون في موضع نصب بتقدير امتثلوا
ذلك ونحو هذه الاشارة البليغة قول زهير هذا وليس كمن يعيى بخطبته وسط الندي اذا ما قائل نطقا
والحرمات المقصودة هنا هي افعال الحج المشار اليها في قوله ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ويدخل في ذلك
تعظيم المواضع قاله ابن زيد وغيره ويجمع ذلك ان تقول الحرمات امتثال الامر من فرائضه وسننه وقوله
فهو خير له عند ربه اي التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشيء منها وقيل ذلك التعظيم خير من خير ابتغيه
به وليست للتفضيل وانما هي عدة بخير الثانية قوله تعالى وَأُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ اي ان تاكلوها
وهي الابل والبقر والغنم إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ اي في الكتاب من المحرمات وهي الميتة والموقوذة واخواتها

ولهذا اتصال بامر الحج فان فى الحج الذبح فبيّن ما يحلّ ذبحه واكل لحمه وقيل الا ما يتلى عليكم غير محلّى
الصيد وانتم حرم الثالثة قوله تعالى فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ الرجس الشئ القذر
والوثن التمثال من خشب او حديد او ذهب او فضة ونحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها والنصارى
تنصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو كالتمثال ايضا وقال عدى بن حاتم اتيت النبى صلى الله عليه وسلم
وفى عنقى صليب من ذهب فقال الق هذا الوثن عنك اى الصليب واصله من وثن الشئ اذا اقام فى مقامه
وسمى الصنم وثنا لانه ينصب ويركز فى مكان فلا يبرح عنه يريد اجتنبوا عبادة الاوثان روى عن ابن عباس
وابن جريج وسماها رجسا لانها سبب الرجز وهو العذاب وقيل وصفها بالرجس والرجس النجس فهى نجسة
حكما وليست النجاسة وصفا ذاتيا للاعيان وانما هو وصف شرعى من احكام الايمان فلا تزال الا بالايمان كما لا تجوز
الطهارة الا بالماء الرابعة من فى قوله من الاوثان قيل انها لبيان الجنس فيقع نهيه عن رجس الاوثان
فقط ويبقى سائر الارجاس نهيها فى غير هذا الموضع ويحتمل ان يكون لابتداء الغاية فكانه نهاهم عن الرجس
عاما ثم عيّن لهم مبداءه الذى منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس ومن قال للتبعيض قلب معنى
الآية وافسده الخامسة قوله تعالى وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ الزور الباطل والكذب وسمّى
زورا لانه اميل عن الحق ومنه تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ومدينة زوراء اى مائلة وكل ما عدا الحق فهو زور وفى
الخبر انه عليه السلام قام خطيبا فقال عُدلت شهادة الزور بالشرك بالله قالها مرتين او ثلاثا يعنى انها
قد جمعت مع عبادة الوثن فى النهى عنها السادسة هذه الآية تضمنت الوعيد على الشهادة بالزور و
ينبغى للحاكم اذا عثر على الشاهد بالزور ان يعزّره وينادى عليه ليعرف لئلا يغتر بشهادته احد ويختلف
الحكم فى شهادته اذا تاب فان كان من اهل العدالة المشهور بها المبرّز فيها لم يقبل لانه لا سبيل الى علم حاله فى
التوبة اذ لا يستطيع ان يفعل من القربات اكثر مما هو عليه وان كان دون ذلك فشمّر فى العبادة وزادت حاله
فى التقى قبلت شهادته وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وشهادة الزور وقول الزور وكان النبى صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فما زال يقولها حتى قلنا ليته
سكت السابعة حُنَفَاءَ لِلَّهِ معناه مستقيمين او مسلمين مائلين الى الحق ولفظة حنفاء من الاضداد
يقع على الاستقامة ويقع على الميل وحنفاء نصب على الحال وقيل حنفاء حجاجا وهذا تخصيص لا حجة معه
الثامنة قوله تعالى وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ اى هو يوم القيمة
بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه عذابا فهو بمنزلة من خرّ من السماء فهو لا يقدر ان يدفع عن
نفسه ومعنى فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ اى تقطعه بمخاليبها وقيل هذا عند خروج روحه وصعود الملئكة بها الى سماء
الدنيا فلا تفتح لها فيرمى بها الى الارض كما فى حديث البراء وقد ذكرناه فى كتاب التذكرة والسحيق البعيد ومنه
قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير وقوله عليه السلام فسحقا فسحقا قوله تعالى ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ
شعائر الله فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى ذلك فيه ثلاثة اوجه قيل يكون فى موضع رفع بالابتداء
اى ذلك امر الله ويجوز ان يكون فى موضع رفع على خبر ابتداء محذوف ويجوز ان يكون فى موضع نصب اى اتبعوا ذلك
الثانية قوله تعالى ومن يعظم شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهو كل شئ لله تعالى فيه امر اشعر به
واعلم ومنه شعار القوم فى الحرب اى علامتهم التى يتعارفون بها ومنه اشعار البدنة وهو الطعن فى جانبها الايمن

كذب باطل

يكررها

حتى يسيل الدم فيكون علامة فهى تسمى شعيرة بمعنى المشعورة فشعائر الله اعلام دينه لا سيما ما يتعلق بالمناسك
وقال قوم المراد هنا تسمين البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه فلا يبعد والاهتمام بامرها والمغالاة بها قاله ابن عباس
ومجاهد وجماعة وفيه اشارة لطيفة وذلك ان اصل شراء البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه فلا يدل على الاخلاص
فاذا عظمها مع حصول الاجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل الا تعظيم الشرع وهو من تقوى القلوب والله اعلم الثالثة
الضمير فى انها عائد على الفعلة التى يتضمنها الكلام ولو قال فانه لجاز وقيل انها راجعة الى الشعائر اى فان تعظيم
الشعائر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه فرجعت الكناية الى الشعائر الرابعة قوله تعالى فَإِنَّهَا مِنْ
تَقْوَى الْقُلُوبِ قرئ القلوب بالرفع على انها فاعلة بالمصدر الذى هو تقوى فاضاف الى القلب لان حقيقة
التقوى القلب ولهذا قال عليه السلام فى صحيح الحديث التقوى ههنا واشار الى صدره الخامسة قوله تعالى
لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ يعنى البدن من الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك اذا لم يبعثها ربها هديا
فاذا بعثها فهو الاجل المسمى قاله ابن عباس فاذا صارت بدنا هديا فالمنافع فيها ايضا ركوبها عند الحاجة وشرب
لبنها بعد رى فصيلها وفى الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال
اركبها فقال انها بدنة فقال اركبها قال انها بدنة قال اركبها ويلك فى الثانية او الثالثة وروى عن جابر بن
عبد الله وسئل عن ركوب الهدى فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول اركبها بالمعروف اذا الجئت اليها حتى
تجد ظهرا والاجل المسمى على هذا القول نحرها قاله عطاء بن ابى رباح السادسة ذهب بعض العلماء الى وجوب
ركوب البدنة لقوله عليه السلام اركبها وممن اخذ بظاهره احمد واسحق واهل الظاهر وروى ابن نافع عن مالك لا
بأس بركوب البدنة ركوبا غير فادح والمشهور انه لا يركبها الا اذا اضطر اليها لحديث جابر فانه مقيد والمقيد يقضى
على المطلق وبنحو ذلك قال الشافعى وابو حنيفة ثم اذا ركبها عند الحاجة نزل قاله اسمعيل القاضى وهذا الذى يدل على
مذهب مالك وهو خلاف ما ذكره ابن القاسم انه لا يلزمه النزول وحجته اباحة النبى صلى الله عليه وسلم له الركوب
فجاز له استصحابه وقوله اذا الجئت اليها حتى تجد ظهرا يدل على صحة ما قاله الشافعى وابو حنيفة وما حكاه اسمعيل عن
مذهب مالك وقد جاء صريحا ان النبى صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة وقد جهد فقال اركبها وقال ابو حنيفة
والشافعى ان نقصها الركوب المباح فعليه قيمة ذلك ويتصدق به السابعة قوله تعالى ثُمَّ مَحِلُّهَا
إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ يريد انها تنتهى الى البيت وهو الطواف فقوله محلها مأخوذ من احلال المحرم والمعنى ان شعائر
الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمى الجمار والسعى تنتهى الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التأويل مراد
بنفسه قاله مالك فى الموطأ وقال عطاء تنتهى الى مكة وقال الشافعى الى الحرم وهذا بناء على ان الشعائر هى البدن ولا وجه
لتخصيص الشعائر مع عمومها والغاء خصوصية ذكر البيت والله اعلم قوله تعالى وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا
للآية لما ذكر تعالى الذبائح بين انه لم يخل منها امة والامة القوم المجتمعون على مذهب واحد اى ولكل جماعة مؤمنة
جعلنا منسكا والمنسك الذبح واراقة الدم قاله مجاهد يقال نسك اذا ذبح ينسك نسكا والذبيحة النسيكة وجمعها
نُسُك ومنه قوله تعالى او صدقة او نسك والنسك ايضا الطاعة وقال الازهرى فى قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا
انه يدل على موضع النحر فى هذا الموضع اراد مكان نسك ويقال منسك ومنسك لغتان وقرئ بهما قرأ الكوفيون الا عاصما
بكسر السين الباقون بفتحها وقال الفراء المنسك فى كلام العرب الموضع المعتاد فى خير او شر وقيل مناسك الحج لتردد
الناس اليها وقال ابن عرفة فى قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا اى مذهبا من طاعة الله تعالى نسك نسك قومه

والاعتقال باموها والمغالاة

اذا سلک مذهبهم وقیل منسکا عیدا قاله الفراء وقیل حجا قاله قتاده والقول الاول اظهر لقوله تعالی لیذکروا
اسم الله علی ما رزقهم من بهیمة الانعام ای علی ذبح ما رزقهم فامر تعالی عند الذبح بذکره وان یکون الذبح له لانه رازق
ذلک ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم الی اخبار الحاضرین بما معناه فالاله واحد لجمیعکم فکذلک الامر فی الذبیحة انما ینبغی
ان تخلص له قوله تعالی فله اسلموا معناه لحقه ولوجهه ولانعامه آمنوا واسلموا ویحتمل ان یرید الاستسلام
ای له اطیعوا وانقادوا وبشر المخبتین المخبت المتواضع الخاشع من المؤمنین والخبت ما انخفض من الارض ای
بشرهم بالثواب الجزیل قال عمرو بن اوس المخبتون الذین لا یظلمون واذا ظلموا لم ینتصروا وقال مجاهد فیما
روی عنه سفیان عن ابن ابی نجیح المخبتون المطمئنون بامر الله عز وجل الذین اذا ذکر
الله وجلت قلوبهم فیه مسئلتان قوله وجلت ای خافت وحذرت مخالفته فوصفهم بالخوف
والوجل عند ذکره وذلک لقوة یقینهم ومراعاتهم لربهم وکانهم بین یدیه ووصفهم بالصبر واقامة الصلاة وادامتها
وروی ان هذه الآیة قوله وبشر المخبتین نزلت فی ابی بکر وعمر وعلی رضوان الله علیهم وقراء الجمهور الصلاة بالخفض
علی الاضافة وقرا ابو عمرو الصلاة بالنصب علی توهم النون وان حذفها للتخفیف لطول الاسم وانشد سیبویه الحافظوا
عورة العشیرة بالنصب الثانیة هذه الآیة نظیر قوله تعالی انما المؤمنون الذین اذا ذکر الله وجلت
قلوبهم التی فی الانفال وقوله الله نزل احسن الحدیث کتابا متشابها الآیة هذه حالة العارفین بالله الخائفین من
سطوته وعقوبته لا کما یفعله جهال العوام والمبتدعة من الزعیق والزئیر ومن النهاق الذی یشبه نهاق الحمیر
فیقال لمن تعاطی ذلک وزعم انه وجد وخشوع انک لم تبلغ ان تساوی حال رسول الله صلی الله علیه وسلم ولا حال
اصحابه فی المعرفة بالله تعالی والخوف منه والتعظیم لجلاله ومع ذلک فکانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبکاء خوفا
من الله ولذلک وصف الله تعالی احوال اهل المعرفة عند سماع ذکره وتلاوة کتابه ومن لم یکن کذلک فلیس علی هدیهم ولا
علی طریقتهم قال الله تعالی واذا سمعوا ما انزل الی الرسول تری اعینهم تفیض من الدمع مما عرفوا من الحق یقولون
ربنا آمنا فاکتبنا مع الشاهدین فهذا وصف حالهم وحکایة مقالهم فمن کان مستنا فلیستن ومن تعاطی
احوال المجانین والجنون فهو من اخسهم حالا والجنون فنون روی الصحیح عن انس بن مالک ان الناس سالوا النبی
صلی الله علیه وسلم حتی احفوه فی المسألة فخرج ذات یوم فصعد المنبر فقال سلونی لا تسالونی عن شیء الا بینته لکم
ما دمت فی مقامی هذا فلما سمع ذلک القوم ارموا ورهبوا ان یکون بین امر قد حضر قال انس فجعلت التفت یمینا
وشمالا فاذا کل انسان لاف راسه فی ثوبه یبکی وذکر الحدیث وقد مضی القول فی هذه المسئلة مشبعا من هذا فی
الانعام والحمد لله قوله تعالی والبدن جعلناها لکم من شعائر الله فیها عشر مسائل الاولی
قوله تعالی والبدن وقراء ابن ابی اسحق والبدن لغتان واحدتها بدنة کما یقال ثمرة وثمر وخشبة وخشب وفی
التنزیل وکان له ثمر وقری وثمر لغتان وسمیت بدنة لانها تبدن والبدانة السمن وقیل ان هذا الاسم خاص بالابل
وقیل البدن جمع بدن بفتح الباء والدال ویقال بدن الرجل بضم الدال اذا سمن وبدن بتشدیدها اذا کبر واسن
وفی الحدیث انی قد بدنت واسننت وروی بدنت ولیس له معنی لانه خلاف صفته صلی الله علیه وسلم ومعناه
کثرة اللحم یقال بدن الرجل یبدن بدنا وبدانة فهو بادن ای ضخم الثانیة اختلف العلماء فی البدن هل تطلق
علی غیر الابل من البقر ام لا فقال ابن مسعود وعطاء والشافعی لا وقال مالک وابو حنیفة نعم وفائدة الخلاف فیمن نذر بدنة
ولم یجد البدنة اولم یقدر علیها وقدر علی البقرة فهل تجزیه ام لا فعلی مذهب الشافعی وعطاء لا تجزیه وعلی مذهب مالک تجزیه

الکبرت صح

والصحیح ما ذهب الیه الشافعی وعطاء لقوله علیه السلام فی الحدیث الصحیح فی یوم الجمعة من راح فی الساعة
الاولی فکانما قرب بدنة ومن راح فی الساعة الثانیة فکانما قرب بقرة الحدیث فتفریقه صلی الله علیه وسلم
بین البدنة والبقرة یدل علی ان البقرة لا یقال علیها بدنة والله اعلم وایضا قوله تعالی فاذا وجبت جنوبها
یدل علی ذلک وان هذا الوصف خاص بالابل والبقر تضجع وتذبح کالغنم علی ما یاتی ودلیلنا ان البدنة ماخوذة
من البدانة وهو الضخامة والضخامة توجد فیهما جمیعا والله اعلم وایضا فان البقرة فی التقرب الی الله تعالی باراقة
الدم بمنزلة الابل حتی تجزی البقرة فی الضحایا عن سبعة کالابل وهذا حجة لابی حنیفة حیث وافقه الشافعی
علی ذلک ولیس ذلک فی مذهبنا وحکی ابن شجرة ان فی الغنم بدنة وهو قول شاذ والبدن هی الابل التی تهدی
الی الکعبة والهدی عام فی الابل والبقر والغنم الثالثة قوله تعالی من شعائر الله نص فی انها بعض
الشعائر وقوله لکم فیها خیر یرید به المنافع التی تقدم ذکرها والصواب عمومه فی الدنیا والآخرة الرابعة قوله
تعالی فاذکروا اسم الله علیها صواف ای انحروها علی اسم الله وصواف ای قد صفت قوائمها والابل تنحر قیاما
معقولة واصل هذا الوصف فی الخیل یقال صفن الفرس فهو صافن ای قام علی ثلاث قوائم وثنی سنبک
الرابعة والسنبک طرف الحافر والبعیر اذا ارادوا نحره یعقل احدی یدیه فیقوم علی ثلاث قوائم وقراء الحسن
والاعرج ومجاهد وزید بن اسلم وابو موسی الاشعری صوافی ای خوالص لله عز وجل لا یشرکون به فی التسمیة
علی نحرها احدا وعن الحسن ایضا صواف بکسر الفاء وتنوینها مخففة وهی بمعنی التی قبلها لکن حذفت الیاء تخفیفا
علی غیر قیاس وصواف قراءة الجمهور بفتح الفاء وشدها من صف یصف وواحد صواف صافة وواحد صوافی
صافیة وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابو جعفر محمد بن علی صوافن بالنون جمع صافنة ولا یکون واحدها
صافنا لان فاعلا لا یجمع علی فواعل الا فی حروف مختصة لا یقاس علیها وهی فارس وفوارس وهالک وهوالک
وخالف وخوالف والصافنة هی التی قد رفعت احدی یدیها بالعقل لئلا تضطرب ومنه قوله تعالی الصافنات الجیاد
وقال عمرو بن کلثوم ترکنا الخیل عاکفة علیه مقلدة اعنتها صفونا ویروی تظل جیاده نوحا علیه مقلدة
البیت وقال آخر الف الصفون فما یزال کانه مما یقوم علی الثلاث کسیرا وقال ابو عمرو الجرمی الصافن عرق
فی مقدم الرجل فاذا ضرب علی الفرس رفع رجله وقال الاعشی وکل کمیت کجذع السحوق یرنو القناء اذا ما صفن
الخامسة قال ابن وهب اخبرنی ابن ابی ذئب انه سال ابن شهاب عن الصواف فقال تقیدها
ثم تصفها وقال لی مالک بن انس مثله وکافة العلماء علی استحباب ذلک الا ابا حنیفة والثوری فانهما اجازا
ان تنحر بارکة وقیاما وشذ عطاء فخالف واستحب نحرها بارکة والصحیح ما علیه الجمهور لقوله تعالی فاذا وجبت
جنوبها معناه سقطت بعد نحرها ومنه وجبت الشمس وفی صحیح مسلم عن زیاد بن جبیر ان ابن عمر اتی علی رجل
وهو ینحر بدنته بارکة فقال ابعثها قائمة مقیدة سنة نبیکم صلی الله علیه وسلم وروی ابو داود عن ابی الزبیر عن
جابر واخبرنی عبد الرحمن بن سابط ان النبی صلی الله علیه وسلم واصحابه کانوا ینحرون البدنة معقولة الیسری
قائمة علی ما بقی من قوائمها السادسة قال مالک فان ضعف انسان او تخوف ان تنفلت بدنته فلا اری
باسا ان ینحرها معقولة والاختیار ان تنحر الابل قائمة غیر معقولة الا ان یتعذر ذلک فیعقل ولا تعرقب
الا ان یخاف ان یضعف عنها ولا یقوی علیها ونحرها بارکة افضل من ان تعرقب وکان ابن عمر یاخذ الحربة
بیده فی عنفوان ایده فینحرها فی صدرها ویخرجها علی سنامها فلما اسن کان ینحرها بارکة لضعفه ویمسک معه

الجزية رجل آخر واخر نخطاها وتضحى البقر والغنم ولا يجوز النحر قبل النحر من يوم النحر
باجماع وكذلك الاضحية لا تجوز قبل الفجر فاذا طلع الفجر حل النحر بمنى وليس عليهم انتظار نحر امامهم بخلاف الاضحية
في سائر البلاد والنحر بمنى لكل حاج ومكة لكل معتمر ولو نحر الحاج بمكة والمعتمر بمنى لم يحرج واحد منهما
الخامسة قوله تعالى فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا يقال وجبت الشمس اذا سقطت ووجب الحائط
اذا سقط قال قيس بن الخطيم اَطَاعَتْ بنو عوف اميرا نهاهم عن السلم حتى كان اول واجب وقال
اوس بن حجر الم تكسف الشمس ضوء النهار والكوكب للجبل الواجب فقوله تعالى فاذا وجبت يريد فاذا
سقطت على جنوبها ميتة كنى عن الموت بالسقوط عن الجنب كما كنى عن النحر والذبح بقوله تعالى فاذكروا اسم
الله عليها صواف والكنايات في بعض المواضع ابلغ من التصريح قال الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه
ما بين قلة رأسه والمعصم وقال عنترة وضربت قرني كبشها فتجدلا اى سقط مقتولا الى الجدالة وهي
الارض ومثله كثير والوجوب للجنب بعد النحر علامة نزف الدم وخروج الروح منها وهو وقت الاكل اى وقت
قرب الاكل لانه انما يبتدا بالسلخ وقطع شيء من الذبيحة ثم يطبخ ولا تسلخ حتى تبرد لان ذلك من باب التعذيب
قال عمر رضي الله عنه لا تعجلوا الانفس ان تزهق فكلوا منها امر معناه الندب وكل
العلماء يستحب ان يأكل الانسان من هديه وفيه اجر وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لا يأكلون من هديهم
كما تقدم وقال ابن سريج الاكل والاطعام مستحبان وله الاقتصار على ايهما شاء وقال الشافعي الاكل مستحب
والاطعام واجب فان اطعم جميعها اجزاه وان اكل جميعها لم يجزه وهذا فيما كان تطوعا فاما واجبات الدماء فلا يجوز
ان يأكل منها شيئا حسب ما تقدم بيانه السادسة قوله تعالى وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ
قال مجاهد وابراهيم والطبري قوله واطعموا امر اباحة والقانع السائل يقال قنع الرجل يقنع قنوعا اذا سال
بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف واستغنى ببلغته ولم يسال مثل حمد يحمد
قناعة وقنعا وقنعانا قاله الخليل ومن الاول قول الشماخ لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع
وقال ابن السكيت من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة وهي الرضا والتعفف وترك المسالة وروى عن ابي رجاء
انه قرأ واطعموا القنع ومعنى هذا مخالف للاول يقال قنع الرجل فهو قنع اذا رضي واما المعتر فهو الذي
يطيف بك يطلب ما عندك سائلا كان او ساكتا وقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد وابراهيم والكلبي والحسن بن
ابي الحسن المعترض من غير سؤال قال زهير على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل المعتر ه
وقال مالك احسن ما سمعت ان القانع الفقير والمعتر الزائر وروى عن الحسن انه قرأ والمعتري ومعناه كمعنى
المعتر يقال اعتره واعتراه وعره وعراه اذا تعرض لما عنده او طلبه ذكره النحاس قوله تعالى لَنْ يَنَالَ
اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا فيه خمس مسائل الاولى كان اهل الجاهلية يضرجون البيت بدماء البدن
فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فنزلت الآية قاله ابن عباس والنيل لا يتعلق بالباري تعالى ولكنه عبر عنه تعبيرا
مجازيا عن القبول المعنى لن يصل اليه وقال ابن عباس لن يصعد اليه وقال ابن عيسى لن يقبل لحومها ولا دماؤها ولكن
يصل اليه التقوى منكم اى ما اريد به وجهه فذلك الذي يقبله ويرفع اليه ويسمعه ويثيب عليه ومنه الحديث انما الاعمال
بالنيات والقراءة لن ينال الله وناله بالياء فيهما وعن يعقوب بالتاء فيهما نظرا الى اللحوم الثانية قوله تعالى
كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ منّ سبحانه علينا بتذليلها وتمكيننا من تصريفها وهي اعظم منا ابدانا واقوى منا اعضاء ذلك ليعلم

العبد ان الامور ليست على ما تظهر الى العبد من التدبير وانما هي بحسب ما يبرمها العزيز القدير فيغلب الصغير
الكبير ليعلم الخلق ان الغالب هو الله الواحد القهار فوق عباده الثالثة قوله تعالى لِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ذكر سبحانه ذكر اسمه عليها في الآية قبلها فقال واذكروا اسم الله عليها صواف و
ذكر هنا التكبير وكان ابن عمر يجمع بينهما اذا نحر هديه فيقول بسم الله والله اكبر وفي الصحيح عن انس قال
ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين قال ورايته يذبحهما بيده ورايته واضعا قدمه
على صفاحهما وسمى وكبر وقد اختلف العلماء في هذا فقال ابو ثور التسمية متعينة كالتكبير في الصلاة وكافة
العلماء على استحباب ذلك فلو قال ذكرا آخر فيه اسم من اسماء الله تعالى واراد به التسمية جاز وكذلك لو قال
الله اكبر فقط او لا اله الا الله قاله ابن حبيب فلو لم يرد التسمية لم يجز عن التسمية ولا تؤكل قاله الشافعي ومحمد بن
الحسن وكره كافة العلماء وغيرهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند التسمية في الذبح او ذكره وقالوا لا يذكر
هنا الا الله وحده واجاز الشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح الرابعة ذهب
الجمهور الى ان قول المضحي اللهم تقبل مني جائز وكره ذلك ابو حنيفة والحجة عليه ما رواه الصحيح عن عائشة وفيه
ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد ومن آل محمد ومن امة محمد ثم ضحى به واستحب بعضهم ان يقول ذلك بنص الآية
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وكره مالك قولهم اللهم منك واليك وقال هذه بدعة واجاز ذلك ابن
حبيب من اصحابنا والحسن والحجة لهما ما رواه ابو داود عن جابر بن عبد الله قال ذبح النبي صلى الله عليه وسلم
يوم النحر كبشين املحين اقرنين موجوئين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
وقرا الى قوله وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح فلعل مالكا لم يبلغه
هذا الخبر او لم يصح عنده او راى العمل يخالفه وعلى هذا يدل قوله انه بدعة والله اعلم الخامسة قوله تعالى وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ روي انها نزلت في الخلفاء الاربعة وظاهر اللفظ يقتضي العموم في كل محسن قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ
يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا روي انها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر
الى ارض الحبشة اراد بعض مؤمني مكة ان يقتل من امكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال فنزلت هذه الآية
فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ونهى افصح نهي عن الخيانة والغدر وقد مضى في الانفال التشديد في الغدر وانه
ينصب للغادر لواء عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان وقيل المعنى يدفع عن المؤمنين بان يديم
توفيقهم حتى يتمكن الايمان من قلوبهم فلا تقدر الكفار على امالتهم عن دينهم وان جرى اكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا
بقلوبهم وقيل يدفع عن المؤمنين باعلائهم بالحجة ثم قتل كافر مؤمنا نادر وان كان فيدفع الله عن ذلك المؤمن
بان قبضه الى رحمته وقرا نافع يدافع ولولا دفاع وقرا ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع وقرا عاصم وحمزة
والكسائي يدافع ولولا دفع ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت اللص وعافاه الله والمصدر دفعا وحكى الزهراوي ان
دفاعا مصدر دفع كحسبت حسابا قوله تعالى أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ قيل هذا بيان قوله ان
الله يدفع عن الذين آمنوا اى يدفع عنهم غوائل الكفار بان يبيح لهم القتال وينصرهم وفيه اضمار اى اذن للذين
يصلحون للقتال في القتال فحذف لدلالة الكلام على المحذوف وقال الضحاك استاذن اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قتال الكفار اذ اذوهم بمكة فانزل الله ان الله لا يحب كل خوان كفور فلما هاجر نزل اذن للذين ان صر
يقاتلون بانهم ظلموا وهذا ناسخ لكل ما في القران من اعراض وترك صفح وهي اول آية نزلت في القتال قال

ابن عباس وابن جبير نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى النسائي والترمذي
عن ابن عباس قال لما اخرج النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر اخرجوا نبيهم ليهلكن فانزل الله أُذِنَ
لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ فقال ابو بكر لقد علمت انه سيكون قال هذا حديث
حسن وقد روى غير واحد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير مرسل وليس فيه عن ابن
عباس وفي هذه الآية دليل على ان الاباحة من الشرع خلافا للمعتزلة لان قوله اذن معناه ابيح وهو لفظ موضوع في
اللغة للاباحة لكل ممنوع وقد تقدم هذا المعنى في البقرة وغير موضع وقرئ أَذِنَ بفتح الهمزة اي اذن الله يقاتلون
بكسر التاء اي يقاتلون عدوهم وقرئ يقاتلون بفتح التاء اي يقاتلهم المشركون وهم المؤمنون ولهذا قال بانهم ظلموا
اي اخرجوا من ديارهم الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ فيه سبع مسايل
قوله الذين اخرجوا هذا احد ما ظلموا به وانما اخرجوا لقولهم ربنا الله وحده فقوله الا ان يقولوا ربنا الله استثناء
منقطع اي لكن لقولهم ربنا الله قاله سيبويه وقال الفراء يجوز ان يكون في موضع خفض يقدرها مردوده على الباء
وهو قول الزجاج والمعنى عنده الذين اخرجوا من ديارهم بلا حق الا بان يقولوا ربنا الله اي اخرجوا بتوحيدهم
اخرجهم اهل الاوثان والذين اخرجوا في موضع خفض بدلا من قوله الذين يقاتلون الثانية قال ابن العربي
قال علماؤنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحل له الدماء انما يؤمر
بالدعاء الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل مدة من عشرة اعوام لاقامة الله حجة الله تعالى عليهم ووفاء
بوعده الذي امتن به بفضله في قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاستمر الناس في الطغيان وما استدلوا
بواضح البرهان وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم
عن بلادهم فمنهم من فر الى ارض الحبشة ومنهم من صبر على الاذى ومنهم من خرج الى المدينة فلما عتت قريش
على الله تعالى وردوا امره وكذبوا نبيه وعذبوا من آمن به وعبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه اذن
الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وانزل أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا الى قوله الامور
في هذه الآية دليل على ان نسبة الفعل الموجود من الملجأ المكره منسوب الى الذي الجاه واكرهه لان الله تعالى
نسب الاخراج الى الكفار لان الكلام في معنى تقرير الذنب والزامه وهذه الآية مثل قوله تعالى اذ اخرجه الذين
كفروا والكلام فيهما واحد وقد تقدم في براءة الرابعة قوله تعالى وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
اي لولا ما شرعه الله للانبياء والمؤمنين من قتال الاعداء لاستولى اهل الشرك وعطلوا ما بينته ارباب
الديانات من مواضع العبادات ولكنه دفع بان اوجب القتال ليتفرغ اهل الدين للعبادة فالجهاد امر متقدم
في الامم وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات فكانه قال اذن في القتال فليقاتل المؤمنون ثم قوى هذا الامر
في القتال بقوله ولولا دفع الله الناس الآية اي لولا الجهاد والقتال لتغلب على الحق في كل امة فمن استبشع من الصابئين
والنصارى الجهاد فهو مناقض لمذهبه اذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه وايضا هذه المواضع التي
اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالاسلام انما ذكرت لهذا المعنى اي لولا هذا الدفع لهدم في زمن
موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد المساجد لهدمت من هدمت البناء اي نقضته فانهدم
قال ابن عطية هذا اصوب ما قيل في تاويل هذه الآية وروي عن علي رضي الله عنه انه قال ولولا دفع الله باصحاب
محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم وهذا وان كان دفع قوم بقوم الا ان معنى القتال اليق كما تقدم قال مجاهد

لولا دفع الله ظلم قوم بشهادة العدول وقالت فرقة ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة وقال ابو الدرداء
لولا ان الله عز وجل يدفع بمن في المساجد عمن ليس في المساجد وبمن يغزو عمن لا يغزو لاتاهم العذاب وقالت
فرقة ولولا دفع الله العذاب بدعاء الفضلاء والاخيار الى غير ذلك من التفصيل المفسد لمعنى الآية وذلك ان الآية ولا بد
تقتضي مدفوعا من الناس ومدفوعا عنه فتامله الخامسة قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الآية المنع
من هدم كنايس اهل الذمة وبيعهم وبيوت نيرانهم ولا يتركون ان يحدثوا ما لم يكن ولا يزيدون في البنيان لا سعة
ولا ارتفاعا ولا ينبغي للمسلمين ان يدخلوها ولا يصلوا فيها ومتى احدثوا زيادة وجب نقضها وينقض ما وجد في
بلاد الحرب من البيع والكنايس وانما لم ينقض ما في بلاد الاسلام لاهل الذمة لانها جرت مجرى بيوتهم واموالهم
التي عاهدوا عليها في الصيانة ولا يجوز ان يمكنوا من الزيادة لان في ذلك اظهار اسباب الكفر وجائز ان ينقض المسجد ليعاد
بنيانه وقد فعل ذلك عثمان بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم السادسة قرئ لهدمت بتخفيف الدال وتشديدها
صوامع جمع صومعة وزنها فوعلة وهي بناء مرتفع حديد الاعلى يقال صمع الثريدة اي رفع راسها وحدد ورجل
اصمع القلب اي حاد الفطنة والاصمع من الرجال الحديد القول وقيل هو الصغير الاذن من الناس وغيرهم وكانت
قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى وبعباد الصابئين قاله قتادة ثم استعمل في مئذنة المسلمين والبيع جمع
بيعة وهي كنيسة النصارى قال الطبري وقيل هي كنايس اليهود ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك وصلوات
قال الزجاج والحسن هي كنايس اليهود وهي بالعبرانية صلوتا وقال ابو عبيدة الصلوات بيوت تبنى للنصارى في
البراري يصلون فيها في اسفارهم تسمى صلوتا فعربت فقيل صلوات وفي صلوات تسع قراءات ذكرها ابن عطية
صلوات صُلُوات صُلُوت على وزن فعول صلوب بالباء بواحدة جمع صليب صلوث بالثاء المثلثة
على وزن فعول صُلُوات بضم الصاد واللام والالف بعد الواو وصُلُوثا بضم الصاد واللام وقصر الالف بعد الثاء
المثلثة صِلْوِيثا بكسر الصاد والثاء المثلثة وذكر النحاس وروى عن عاصم الجحدري انه قرا وصلوث وروي عنه
انه قرا وصلوت وروي عن الضحاك انه قرا وصلوث بالثاء معجمة بثلاث ولا ادري افتح الصاد ام ضمها قال المؤلف
رحمه الله فعلى هذا تجيء اثنا عشرة قراءة وقال ابن عباس الصلوات الكنايس ابو العالية الصلوات مساجد الصابئين
ابن زيد هي صلوات المسلمين تنقطع اذا دخل عليهم العدو وتهدم المساجد فعلى هذا استعير الهدم للصلوات من حيث
تعطل او اراد موضع صلوات فحذف المضاف وعلى قول ابن عباس والزجاج وغيرهم يكون الهدم حقيقة وقال
الحسن هدم الصلوات تركها قال قطرب هي الصوامع الصغار ولم يسمع لها واحد وذهب خصيف الى ان القصد
بهذه الاسماء تقسيم متعبدات الامم فالصوامع للرهبان والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين
قال ابن عطية والاظهر انها قصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات وهذه الاسماء تشترك الامم في مسمياتها الا البيعة فانها
مختصة بالنصارى في لغة العرب ومعاني هذه الاسماء هي في الامم الذي لهم كتاب على قديم الدهر ولم يذكر في هذه
الآية المجوس ولا اهل الاشراك لان هؤلاء ليس لهم ما يجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل الشرائع وقال النحاس
يذكر فيها اسم الله الذي يجب في كلام العرب على حقيقة النظر ان يكون يذكر فيها اسم الله عائدا على المساجد لا على غيرها
لان الضمير يليها ويجوز ان يعود على الصوامع وما بعدها ويكون المعنى وقت شرائعهم واقامتهم الحق السابعة فان
قيل لم قدم مساجد اهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين قيل لانها اقدم بناء وقيل لقربها من الهدم وقرب
المساجد من الذكر كما اخر السابق في قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قوله تعالى

فيه مسـ

الثامنة مـ

وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ اى من ينصر دينه ونبيه إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ اى قادر قال الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شيء فقد قدر عليه عزيز اى جليل شريف قاله الزجاج وقيل الممتنع الذي لا يرام وقد بيّناهما في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ قال الزجاج الذين في موضع نصب ردًّا على من يعني في قوله وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وقال غيره الذين في موضع خفض ردًّا على قوله أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ويكون الذين إن مكناهم في الارض اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكّن في الارض غيرهم وقال ابن عباس المراد المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وقال قتادة هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة هم اهل الصلوات الخمس وقال الحسن وابو العالية هم هذه الامة اذا فتح الله عليهم اقاموا الصلاة وقال ابن ابي نجيح يعني الولاة وقال الضحاك هو شرط شرطه الله جل وعز على من آتاه الله الملك وهذا حسن وقال سهل بن عبد الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على السلطان وعلى العلماء الذين يأتونه وليس على الناس ان يأمروا السلطان لان ذلك لازم له واجب عليه ولا يأمروا العلماء فان الحجة قد وجبت عليهم وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية اى كان قبلك انبياء كُذِّبوا فصبروا الى ان اهلك الله المكذبين فاقتد بهم واصبر وَكُذِّبَ مُوسَى اى كذبه فرعون وقومه فاما بنو اسرائيل فما كذبوه فلهذا لم يعطفه على ما قبله فيكون وقوم موسى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ اى اخرت عنهم العقوبة ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فعاقبتهم فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ استفهام بمعنى التحضيض اى فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك فكذلك افعل بالمكذبين من قريش قال الجوهري النكير والانكار تغيير المنكر والمنكر واحد المناكير فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا اى اهلكنا اهلها وقد مضى في آل عمران الكلام في كأين وَهِيَ ظَالِمَةٌ اى بالكفر فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا تقدم في الكهف وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال الزجاج وبئر معطلة معطوف على من قرية اى ومن اهل قرية ومن اهل بئر والفراء يذهب الى ان وبئر معطوف على عروشها وقال الاصمعي سألت نافع بن ابي نعيم أيهمز البئر والذئب فقال ان كانت العرب تهمزهما فاهمزهما واكثر الرواة عن نافع بهمزهما الا ورشا فان روايته عنه بغير همز والاصل الهمز فيهما ومعنى معطلة متروكة قاله الضحاك وقيل خالية من اهلها لهلاكهم وقيل غائرة الماء وقيل معطلة من دلائها وارشيتها والمعنى متقارب وَقَصْرٍ مَشِيدٍ قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل قال عدي بن زيد

شاده مرمرًا وجلّله كلسا فللطير في ذراه وكور

اى رفعه وقال سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومجاهد مجصص من الشِّيد وهو الجص قال الراجز

لا تحسبيني وان كنت امرأً غمرًا كحية الماء بين الطين والشِّيد

وقال امرؤ القيس

ولا أُطُمًا الا مشيدًا بجندل

وقال ابن عباس مشيد اى حصين وقاله الكلبي وهو مفعل بمعنى مفعول كمبيع بمعنى مبيوع وقال الجوهري المشيد المعمول بالشيد والشيد بالكسر كل شيء طليت به الحائط من جص او بلاط وبالفتح المصدر تقول شاده يشيده شيدا جصصه والمشيّد بالتشديد المطول وقال الكسائي المشيد للواحد من قوله تعالى وقصر مشيد والمشيّد للجمع من قوله في بروج مشيّدة وفي الكلام مضمر محذوف تقديره وقصر مشيد مثلها معطل ويقال ان هذا البئر والقصر بحضرموت معروفان فالقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى اليه بحال والبئر في سفحه

لا تقر الريح شيئا سقط فيه الا اخرجته واصحاب القصور ملوك الحضر واصحاب الآبار ملوك البدو اى فاهلكنا هؤلاء وهؤلاء وذكر الضحاك وغيره فيما ذكر الثعلبي وابو بكر محمد بن الحسن المقرئ وغيرهما ان البئر الرس وكانت بعدن باليمن بحضرموت في بلد يقال له حضور نزل بها اربعة آلاف ممن آمن بصالح ونجوا من العذاب ومعهم صالح فمات صالح فسمي المكان حضرموت لان صالحا لما حضره مات فبنوا حضورًا وقعدوا على هذه البئر وأمّروا عليهم رجلا يقال له العلس بن جلاس بن سويد فيما ذكر الغزنوي وقال الثعلبي جلهس بن جلاس وكان حسن السيرة فيهم عادلا عليهم وجعلوا وزيره سنجاريب بن سوادة فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وكانت البئر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والبقر والغنم وغيرها لانها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها ورجال كثيرون موكلون عليها وأبازن بالنون من رخام وهي شبه الحياض كثيرة تملأ للناس واخر للدواب واخر للبقر واخر للغنم والقوام يسقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيرها وطال عمر الملك الذي امروه فلما جاءه الموت طلي بدهن لتبقى صورته لا تتغير وكذلك كانوا يفعلون اذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عليهم ورأوا ان امرهم قد فسد وضجوا جميعا بالبكاء واغتنمها الشيطان منهم فدخل في جثته بعد موته بايام كثيرة وقال اني لم امت ولكن تغيبت عنكم حتى ارى صنيعكم ففرحوا اشد الفرح وامر خاصته ان يضربوا له حجابا بينه وبينهم ويكلمهم من ورائه كيلا يعرفوا الموت في وجهه فنصبوا صنما من وراء الحجاب لا يأكل ولا يشرب واخبرهم انه لا يموت ابدا وانه الههم وذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم اقل من المصدق له فكلما تكلم ناصح لهم زجر وقهر فاتفقوا على عبادته فبعث الله اليهم نبيا كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة اسمه حنظلة بن صفوان فاعلمهم ان الصورة صنم لا روح له وان الشيطان قد اضلهم وان الله لا يتمثل بالخلق وان الملك لا يجوز ان يكون شريكا لله ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربه ونقمته فآذوه وعادوه وهو يتعهدهم بالموعظة ولا يغبهم بالنصيحة حتى قتلوه في السوق وطرحوه في بئر فعند ذلك اصابتهم النقمة فباتوا شباعا رواء من الماء فاصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطل رشاؤها فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وضجت البهائم عطشا حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك وخلفهم في ارضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت جناتهم واموالهم بالسدر وشوك العضاه والقتاد فلا يسمع فيها الا عزيف الجن وزئير الاسد نعوذ بالله من سطواته ومن الاصرار على ما يوجب نقماته قال السهيلي واما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد بن ارم لم يبن في الارض مثله وحاله ايضا كحال البئر المذكورة في ايحاشه بعد الانيس واقفاره بعد العمران وان احدا لا يستطيع ان يدنو منه على اميال لما يسمع فيه من عزيف الجن والاصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وبهاء الملك وانتظام الاهل كالسلك فبادوا وما عادوا فذكرهم الله في هذه الآية موعظة وعبرة وتذكرة وتحذيرا من غب المعصية وسوء عاقبة المخالفة نعوذ بالله من ذلك ونستجير به من سوء المآل وقيل ان الذي اهلكهم بخت نصر على ما تقدم في سورة الانبياء في قوله وكم قصمنا من قرية قوله تعالى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ يعني كفار مكة فيشاهدوا هذه القرى فيتعظوا ويحذروا عقاب الله ان ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا اضاف العقل الى القلب لانه محله كما ان السمع محله الاذن وقد قيل ان العقل محله الدماغ وروي عن ابي حنيفة وما اراها عنه صحيحة فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ قال الفراء الهاء عماد ويجوز ان يقال فانه وهي قراءة ابن مسعود والمعنى واحد التذكير على الخبر والتأنيث

الملك صح

هم

والبير لقد صح

هذه صح

على الابصار او العقله اى فان الابصار لا تعمى او فان العقله لا تعمى الابصار اى ابصار العيون ثابته لهم وَلَكِنْ تَعْمَى
الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ اى عن درك الحق والاعتبار وقال مجاهد لكل عين اربع اعين يعنى لكل انسان اربع
اعين عينان فى رأسه لدنياه وعينان لقلبه فى آخرته فان عميت عينا رأسه وابصرت عينا قلبه فلم يضره عماه
شيئا وان ابصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئا وقال قتاده البصر الناظر جعل بلغه ومنفعه
والبصر النافع فى القلب وقال قتاده وابن جبير نزلت هذه الآيه فى ابن ام كلثوم الاعمى قال ابن عباس ومقاتل
لما نزل ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام كلثوم يا رسول الله فانا فى الدنيا اعمى افاكون فى الآخره اعمى فنزلت فانها
لا تعمى الابصار الآيه اى من كان فى هذه اعمى بقلبه عن الاسلام فهو فى الآخره فى النار وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِالْعَذَابِ نزلت فى النضر بن الحارث وهو قوله ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وقيل نزلت فى ابى جهل
بن هشام وهو قوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ اى فى انزال العذاب
قال الزجاج استعجلوا العذاب فاعلمهم الله انه لا يفوته شئ وقد نزل بهم فى الدنيا يوم بدر وَإِنَّ
يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ قال ابن عباس ومجاهد يعنى من الايام التى خلق الله فيها
السموات والارض وقال عكرمة يعنى من ايام الآخره اعلمهم الله اذا استعجلوه بالعذاب فى ايام قصيره انه ياتيهم
به فى ايام طويله قال الفراء هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم فى الآخره اى يوم من ايام عذابهم فى الآخره الف
سنه وقيل المعنى وان يوما فى الخوف والشده فى الآخره كالف سنه من سنى الدنيا فيها خوف وشده وكذلك
يوم النعيم قياسا وقراء ابن كثير وحمزه والكسائى مما يعدون بالياء واختاره ابو عبيد لقوله ويستعجلونك الباقون
بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا اى امهلتها
مع عتوها ثُمَّ أَخَذْتُهَا اى بالعذاب وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ يعنى اهل مكه
إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ اى منذر مخوف وقد تقدم معنى الانذار فى البقره مُبِينٌ اى ابين لكم ما تحتاجون اول ص
اليه من امر دينكم فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يعنى الجنه وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ اى مغالبين مشاقين قاله ابن عباس وقال الفراء معاندين وقال
عبد الله بن الزبير انما هى معجزين مثبطين عن الاسلام وقال الاخفش معاجزين مسابقين وقال الزجاج
اى ظانين انهم يعجزوننا لانهم ظنوا ان لا بعث وظنوا ان الله لا يقدر عليهم وقاله قتاده وكذلك معنى قراءه
ابن كثير وابى عمرو معجزين بلا الف مشددا ويجوز ان يكون معناه انهم يعجزون المؤمنين فى الايمان بالنبى
عليه السلام وبالآيات قاله السدى وقيل اى ينسبون من اتبع محمدا عليه السلام الى العجز كقولهم جهلته و
فسقته أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ
الآيه فيها ثلاث مسائل الاولى قوله تمنى اى قراء وتلى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ اى
قراءته وتلاوته وقد تقدم فى البقره قال ابن عطيه وجاء عن ابن عباس انه كان يقراء وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث ذكره مسلمة بن القاسم بن عبد الله رواه سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن
عباس قال مسلمه فوجدنا المحدثين معتصمين بالنبوه على قراءه ابن عباس لانهم تكلموا بامور عاليه من انباء الغيب
خطرات ونطقوا بالحكمة الباطنه فاصابوا فيما تكلموا وعصموا فيما نطقوا كعمر بن الخطاب فى قصة سارية وما
تكلم به من البراهين العاليه قال المؤلف رحمه الله وقد ذكر هذا الخبر ابو بكر الانبارى فى كتاب الرد له وقد

وقد حدثنى ابى رحمه الله حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه قراء وما ارسلنا قبلك
من رسول ولا نبى ولا محدث قال ابو بكر فهذا حديث لا يؤخذ به على ان ذلك قرآن والمحدث هو الذى يوحى اليه
فى نومه لان رؤيا الانبياء وحى قال العلماء هذه الآيه مشكلة من جهتين احدهما ان قوما يرون
ان الانبياء صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وفيهم غير مرسلين وغيرهم يذهب الى انه لا يجوز ان يقال نبى حتى يكون
مرسلا والدليل على صحة هذا قوله عز وجل وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبى فاوجب للنبى صلى الله عليه وسلم
الرسالة وان معنى نبى انباء عن الله عز وجل ومعنى انباء عن الله الارسال بعينه وقال الفراء الرسول الذى
ارسل الى الخلق بارسال جبريل عليه السلام عيانا والنبى الذى يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبى وليس
كل نبى رسولا قال المهدوى وهذا هو الصحيح ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا وكذا ذكر القاضى عياض فى
كتاب الشفا قال والصحيح والذى عليه الجماء الغفير ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا واحتج بحديث
ابى ذر وان الرسل من الانبياء ثلثمائه وثلثه عشر اولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم والجهة الاخرى التى
فيها الاشكال وهى الثالثه الاحاديث المروية فى نزول هذه الآيه وليس منها شئ يصح وكان مما يموه به الكفار
على عوامهم قولهم حق الانبياء ان لا يعجزوا عن شئ فلم لا ياتينا محمد بالعذاب وقد بالغنا فى عداوته وكانوا يقولون
ايضا ينبغى ان لا يجرى عليهم سهو وغلط فبين الرب سبحانه انهم بشر والآتى بالعذاب هو الله على ما يريد ويجوز على
البشر السهو والنسيان والغلط الى ان يحكم الله آياته وينسخ حيل روى الليث عن يونس عن ابى بكر بن عبد
الرحمن بن الحارث بن هشام قال قراء رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى فلما بلغ افرأيتم اللات
والعزى ومناة الثالثه الاخرى سها فقال شفاعتهن ترتجى فلقيه المشركون والذين فى قلوبهم مرض فسلموا عليه فان ص
وفرحوا فقال ان ذلك من الشيطان فانزل الله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الآيه قال النحاس و
هذا حديث منقطع وفيه هذا الامر العظيم وكذا حديث قتادة وزادوا انهن لهن الغرانيق العلى وافظع
من هذا ما ذكره الواقدى عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله قال فسجد المشركون كلهم الا الوليد بن المغيرة
فانه اخذ ترابا من الارض فرفعه الى جبهته وسجد عليه وكان شيخا كبيرا ويقال انه ابو احيحة سعيد بن
العاص حتى نزل جبريل عليه السلام فقراء عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما جئتك به فانزل الله لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا قال النحاس وهذا حديث منكر منقطع ولا سيما من حديث الواقدى وفى البخارى ان الذى
اخذ قبضة من تراب ورفعها الى جبهته هو امية بن خلف وسياتى تمام كلام النحاس على الحديث ان شاء
الله تعالى آخر الباب قال ابن عطية وهذا الحديث هو الذى فيه هى الغرانيق العلى وقع فى كتب المفسرين ونحوها
ولم يدخله البخارى ولا مسلم ولا ذكره فى علمى مصنف مشهور بل يقتضى مذهب اهل الحديث ان الشيطان القى
ولا يعينون هذا السبب ولا غيره ولا خلاف ان القاء الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة بها وقعت الفتنه ثم اختلف
الناس فى صورة هذا الالقاء فالذى فى التفاسير وهو مشهور القول ان النبى صلى الله عليه وسلم تكلم بتلك الالفاظ على
لسانه وحدثنى ابى رحمه الله انه لقى بالشرق من شيوخ العلماء من قال هذا لا يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم والمكلين ص
وهو المعصوم فى التبليغ وانما الامر ان الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار عند قول النبى صلى الله عليه وسلم افرأيتم
اللات والعزى ومناة الثالثه الاخرى وقرب صوته من صوت النبى عليه السلام حتى التبس الامر على المشركين وقالوا
محمد قراها وقد روى نحو هذا التاويل عن الامام ابى المعالى وقيل الذى القى الشيطان الانس لقوله عز وجل والغوا

وقال قتادة هو ما تلاه ناعسا وقال القاضي عياض في كتاب الشفا بعد ان ذكر الدليل على صدق النبي صلى الله
عليه وسلم وان الامة اجمعت فيما طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا اعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما توهين اصله والثاني
على تسليمه اما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه بسند سليم متصل ثقة
وانما اولع به وبمثله المفسرون المورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم قال ابو بكر البزار
لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا ما رواه شعبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما بذا حديث صح
احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد و
غيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف
من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه الذي ذكرناه لا يوثق به ولا حقيقة
معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي
منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على
ذلك من حال فقد اجاب ائمة المسلمين عنه باجوبة منها الغث والسمين والذي يظهر ويترجح في تأويله على تسليمه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات
عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك
عند المسلمين بحفظ السورة قبل ذلك على ما انزل الله وتحققهم من النبي صلى الله عليه وسلم من ذم الاوثان وعيبها ما عرف
منه فيكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ الآيه قال المؤلف رحمه الله وهذا التأويل احسن ما قيل في هذا
وقد قال سليمان بن حرب ان في بمعنى عند اي القى الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي عليه السلام
كقوله تعالى وَلَبِثْتَ فِينَا اي عندنا وهذا هو معنى ما حكاه ابن عطية عن ابيه عن علماء الشرق واليه اشار القاضي
ابو بكر بن العربي وقال قبله ان هذه الآية نص في غرضنا دليل على صحة مذهبنا اصل في براءة النبي صلى الله عليه وسلم
مما ينسب اليه انه قاله وذلك ان الله تعالى قال وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي
أُمْنِيَّتِهِ اي في تلاوته فاخبر تعالى ان من سنته في رسله وسيرته في انبيائه اذا قالوا عن الله تعالى قولا زاد
الشيطان فيه من قبل نفسه كما يفعل ساير المعاصي تقول القيت في الدار كذا والقيت في الكيس كذا فهذا نص في الشيطان
انه زاد فيما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لا ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم به ثم ذكر معنى كلام القاضي عياض الى ان قال
وما هدي لهذا الا الطبري لجلالة قدره وصفاء فكره وسعة باعه في العلم وشدة ساعده في النظر وكانه اشار الى هذا الغرض
وصوب على هذا المرمى وقرطس بعد ما ذكر في ذلك روايات كثيرة كلها باطل لا اصل لها ولو شاء ربك لما رواها احد
ولا سطرها ولكنه فعال لما يريد واما غيره من التأويلات مما حكاه قوم ان الشيطان ارغمه حتى قال كذا فهو محال اذ ليس
للشيطان قدرة على سلب الانسان الاختيار قال الله تعالى مخبرا عنه وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فلو كان للشيطان هذه القدرة لما بقي لاحد من بني آدم قوة في طاعة ومن توهم ان للشيطان هذه القوة

فهو على قول الثنوية والمجوس في ان الخير من الله والشر من الشيطان ومن قال جرى ذلك على لسانه سهوا
قال لا يبعد انه كان سمع الكلمتين من المشركين وكانتا على حفظه فجرى عند قراءة السورة ما كان في حفظه سهوا
وعلى هذا يجوز السهو عليهم ولا يقرون عليه وانزل الله هذه الآية تمهيدا لعذره وتسلية له لئلا يقال انه رجع
عن بعض قراءته وبين ان هذا جرى على الانبياء سهوا والسهو انما ينتفي عن الله تعالى وقد قال ابن عباس
ان شيطانا يقال له الابيض كان قد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل والقى في قراءة النبي
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وهذا التأويل وان كان اشبه مما قبله فالتأويل الاول عليه
المعول فلا يعدل عنه الى غيره لاختيار العلماء المحققين اياه وضعف الحديث مغن عن كل تأويل ومما يدل ايضا
على ضعفه وتوهينه من الكتاب قوله تعالى وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ الآيتين فانهما تردان الخبر الذي رووه
لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكان تركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه
ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم تركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه
زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية
وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ قال القشيري ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر
بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه بالايمان به ان فعل ذلك فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما
قارب الرسول ولا ركن وقال الزجاج اي كادوا ودخلت الالف واللام للتاكيد وقد قيل ان معنى تمنى حدث
لا تلي وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل الا اذا تمنى قال الا اذا حدث القى الشيطان في امنيته
قال في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان قال فيبطل الله ما يلقي الشيطان قال النحاس وهذا من احسن ما قيل في
في الآية واعلاه واجله احمد بن محمد بن حنبل بمصحفه في التفسير رواه علي بن ابي طلحة لو رحل رجل الى مصر
قاصدا لها كان كثيرا والمعنى عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث نفسه القى الشيطان في حديثه على جهة
الحيلة فيقول لو سالت الله عز وجل ان يغنمك ليتسع المسلمون ويعلم الله عز وجل ان الصلاح في غير ذلك فيبطل ما
يلقي الشيطان كما قال ابن عباس وحكى الكسائي والفراء جميعا تمنى اذا حدث نفسه وهذا هو المعروف في اللغة
وحكيا ايضا تمنى اذا تلى روي عن ابن عباس ايضا وقاله مجاهد والضحاك وغيرهما وقال ابو الحسن بن مهدي
ليس هذا التمني من القرآن والوحي في شئ وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اصفرت يداه من مال ورأى ما باصحابه
من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه ووسوسة الشيطان وذكر المهدوي عن ابن عباس ان المعنى اذا حدث القى
الشيطان في حديثه وهو اختيار الطبري قال المؤلف رحمه الله قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الآية ترد
حديث النفس وقد قال ابن عطيه لا خلاف ان القاء الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة والله اعلم
قال النحاس ولو صح الحديث واتصل اسناده لكان المعنى فيه صحيحا ويكون معنى سها اسقط ويكون تقديره افرأيتم
اللات والعزى وتم الكلام ثم اسقط والغرانيق العلى يعني الملائكة فان شفاعتهم يعود الضمير على الملائكة واما من روى
فانهن الغرانيق العلى ففي روايته اجوبة منها ان يكون القول محذوفا كما تستعمل العرب في اشياء كثيرة ويجوز ان يكون
بغير حذف ويكون توبيخا لان قبله افرأيتم ويكون هذا احتجاجا عليهم فان كان في الصلاة فقد كان الكلام مباحا في الصلاة
وقد روي في هذه القصة انه كان مما يقرأ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والغرانقة العلى وان

شفاعتهم لترتجى روى معناه عن مجاهد وقال مجاهد اراد بالغرانيق العلى الملئكة وبهذا فسر الكلبى الغرانقة انها
الملئكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملئكة بنات الله كما حكى الله عنهم وردّ عليهم فى هذه السورة
بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجا الشفاعة من الملئكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان
المراد بهذا آلهتهم ولبّس الشيطان عليهم بذلك فنسخ الله ما يلقى الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين
وجد الشيطان فيهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثيرا من القرآن ورفعت تلاوته قال القشيرى وهذا غير سديد لقوله
فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يبطله وشفاعة الملئكة غير باطله والله عليم حكيم علم بما اوحى الى نبيه
حكيم فى خلقه قوله تعالى ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة اى ضلاله للذين فى قلوبهم مرض
اى شرك ونفاق والقاسية قلوبهم فلا تلين لامر الله قال الثعلبى وفى الآية دليل على ان الانبياء يجوز عليهم
السهو والنسيان والغلط بوسواس الشيطان او عند شغل القلب حتى يغلط ثم ينتبه فيرجع الى الصحيح وهو معنى
قوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ولكن انما يكون الغلط على حسب ما يغلط احدنا فاما ما يضاف
اليه من قولهم تلك الغرانيق العلى فكذب على النبى صلى الله عليه وسلم لان فيه تعظيم الاصنام ولا يجوز ذلك على الانبياء
كما لا يجوز ان يقراء بعض القرآن ثم ينشد شعرا ويقول غلطت وحسبته قرآنا وان الظالمين لفى شقاق بعيد
اى الكافرين لفى خلاف وعصيان ومشاقه لله ولرسوله قوله تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم
اى من المؤمنين وقيل اهل الكتاب انه اى الذى احكم من الآيات القرآن هو الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم اى تخشع وتسكن وقيل تخلص وان الله لهاد الذين آمنوا قراء ابو حيوة لهادٍ الذين
آمنوا بالتنوين الى صراط مستقيم اى يثبتهم على الهدايه قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا
فى مرية منه يعنى فى شك من القرآن قاله ابن جريج وغيره من الدين وهو الصراط المستقيم وقيل مما القى
الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون ما باله ذكر الاصنام بخير ثم ارتد عنها وقراء السلمى فى مُرية بضم
الميم والكسر اعرف ذكره النحاس حتى تأتيهم الساعة اى القيامه بغتة اى فجاءة او يأتيهم عذاب يوم عقيم
قال الضحاك عذاب يوم لا ليله له وهو يوم القيامه قال النحاس سمى يوم القيامه عقيما لانه ليس يعقب بعده
يوما مثله والعقيم فى اللغه عبارة عمن لا يكون له ولد ولما كان الولد يكون بين الابوين وكانت الايام تتوالى
قبل وبعد جعل الاتباع فيها بالبعديه كهيئة الولاده ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم وقال ابن عباس
ومجاهد وقتادة المراد عذاب يوم بدر ومعنى عقيم لا مثل له فى عظمه لان الملئكة قاتلت فيه وقال ابن جريج لانهم
لم ينظروا فيه الى الليل بل قتلوا قبل المساء فصار يوما لا ليلة له وقيل لانه لم يكن فيه رأفه ولا رحمة فكان عقيما من كل خير
ومنه قوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم اى التى لا خير فيها ولا تأتى بمطر ولا رحمه قوله تعالى الملك
يومئذ لله يحكم بينهم يعنى يوم القيامه هو لله وحده لا منازع له فيه ولا مدفع والملك هو اتساع المقدور
لمن له تدبير الامور ثم بين حكمه فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين قال المؤلف رحمه الله وقد يحتمل ان يكون الاشاره بيومئذ ليوم بدر وقد حكم
فيه باهلاك الكافر وسعاده المؤمن وقد قال عليه السلام لعمر وما يدريك لعل الله اطّلع على اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم قوله تعالى والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الآيه افرد ذكر المهاجرين
الذين ماتوا وقتلوا تفضيلا لهم وتشريفا على سائر الموتى وسبب نزول هذه الآيه انه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون

وهو معنى قول الضحاك صح

وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل فى سبيل الله افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه الآيه مسويه
بينهم وان الله يرزق جميعهم رزقا حسنا وظاهر الشريعه يدل ان المقتول افضل وقد قال بعض اهل العلم ان المقتول
فى سبيل الله والميت فى سبيل الله شهيد ولكن للمقتول مزيه ما اصابه فى ذات الله وقال بعضهم هما سواء واحتج بالآيه
وبقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وبحديث ام حرام
فانها صرعت عن دابتها فماتت ولم تقتل فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم انت من الاولين ويقول النبى صلى الله عليه
وسلم فى حديث عبد الله بن عتيك من خرج من بيته مجاهدا فى سبيل الله فخرّ عن دابته فمات او لدغته حيّة
فمات او مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله ومن مات قعصا فقد استوجب المآب وذكر ابن المبارك عن
فضالة بن عبيد فى حديث ذكر فيه رجلين احدهما اصيب فى غزاة بمنجنيق والآخر مات هناك فجلس فضالة عند الميت
فقيل له تركت الشهيد ولم تجلس عنده فقال ما ابالى من اى حفرتيهما بعثت ثم تلى قوله تعالى والذين هاجروا فى
سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الآيه كلها وقال سليمان بن عامر كان فضالة برودس اميرا على الارباع فخرج بجنازة
رجلين احدهما قتيل والآخر متوفى فراى ميل الناس مع جنازة القتيل الى حفرته فقال اراكم ايها الناس تميلون
مع القتيل فوالذى نفسى بيده ما ابالى من اى حفرتيهما بعثت اقروا قوله تعالى والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا
او ماتوا هكذا ذكره الثعلبى فى تفسيره واحتج من قال ان للمقتول زياده فضل بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل اى الجهاد افضل قال من اهريق دمه وعقر جواده واذا كان من اهريق دمه وعقر جواده افضل الشهداء
علم انه من لم يكن بتلك الصفه مفضول وقراء ابن عامر واهل الشام قتّلوا بالتشديد على التكثير الباقون بالتخفيف
ليدخلنهم مدخلا يرضونه اى الجنان وقراءة اهل المدينه مَدخلا بفتح الميم اى دخولا وضمها الباقون ان
الله لعليم حكيم قال ابن عباس عليم بنياتهم حليم عن عقابهم قوله تعالى ذلك ومن عاقب ذلك فى
موضع رفع اى ذلك الامر الذى قصصنا عليك وقد مضى فى سبحان قال مقاتل نزلت فى قوم من مشركى مكة لقوا قوما
من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم
المسلمون ان لا يقاتلوهم فى الشهر الحرام فابى المشركون الا القتال فحملوا عليهم فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين
وحصل فى نفس المسلمين من القتال فى الشهر الحرام شئ فنزلت هذه وقيل نزلت فى قوم من المشركين مثلوا بقوم من
المسلمين قتلوهم يوم احد فعاقبهم رسول الله عليه السلام بمثله فمعنى من عاقب بمثل ما عوقب به اى من جازى الظالم بمثل
ما عمله فسمى جزاء العقوبه عقوبه لاستواء الفعلين فى الصوره فهو مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثل فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقد تقدم ثم بغى عليه اى بالكلام والازعاج من وطنه وذلك ان المشركين كذبوا
نبيهم وآذوا من آمن به واخرجوهم من مكة وظاهروا على اخراجهم لينصرنه الله اى لينصرن محمدا عليه السلام واصحابه
فان الكفار بغوا عليهم ان الله لعفو غفور اى عفا عن المؤمنين ذنوبهم وقتالهم فى الشهر الحرام وستر قوله تعالى
ذلك بان الله يولج الليل فى النهار اى ذلك الذى قصصت عليك من نصر المظلوم هو بانى انا الذى
اولج الليل فى النهار فلا يقدر احد على ما اقدر عليه اى من قدر على هذا قدر على ان ينصر عبده وقد مضى فى آل عمران
معنى يولج الليل فى النهار وان الله سميع بصير يسمع الاقوال ويبصر الافعال فلا يعزب عنه مثقال ذرة ولا دبيب نملة
الا يعلمها ويسمعها ويبصرها قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اى ذو الحق فدينه الحق وعبادته حق و
المؤمنون يستحقون النصر بحكم وعده الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل اى الاصنام التى لا استحقاق لها فى

منه صح

في العباده وقراء نافع وابن كثير وابن عامر وابي بكر وان ما تدعون بالتاء على الخطاب واختاره ابوحاتم
الباقون بالياء على الخبر هنا وفي لقمان واختاره ابوعبيد وان الله هُوَ الْعَلِيُّ اي العالي على كل شئ بقدرته
والعالي عن الاشباه والانداد المتقدس عما يقول الظالمون من الصفات التي لا تليق بجلاله الْكَبِيرُ
اي الموصوف بالعظمه والجلال وكبر الشان وقيل الكبير ذو الكبرياء والكبرياء عبارة عن كمال الذات
اي له الوجود المطلق ازلا وابدا فهو الاول القديم والآخر الباقي بعد فناء خلقه أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً دليل على كمال قدرته اي من قدر على
هذا قدر على اعادة الحياة بعد الموت كما قال فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومثله كثير فتصبح ليس
بجواب فيكون منصوبا وهو خبر عن الخليل وسيبويه قال الخليل المعنى التنبه انزل الله من السماء ماء فكان
كذا وكذا كما قال الم تسأل الربع القواء فينطق وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق المعنى قد سألته فنطق
وقال الفراء الم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم ان الله جل وعز انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة
اي ذات خضرة كما تقول مبقلة ومسبعة اي ذات بقل وسباع وهو عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء
بالنبات واستمرارها كذلك عادة قال ابن عطيه وروى عن عكرمه انه قال هذا لا يكون الا بمكه وتهامه
ومعنى هذا انه احد قوله فتصبح مقصودا به صباح ليلة المطر وذهب الى ان ذلك الاخضرار يتاخر في سائر البلاد
وقد شاهدت هذا بسوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد قحط فاصبحت تلك الارض الرمله التي تسفيها الرياح
قد اخضرت بنبات ضعيف رقيق إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ قال ابن عباس خبير بما ينطوي عليه العبد من
القنوط عند تاخير المطر لطيف بارزاق عباده وقيل لطيف باستخراج النبات من الارض خبير بحاجتهم
وفاقتهم قوله تعالى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خلقا وملكا وكل محتاج الى تدبيره واتقانه
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ فلا يحتاج الى شئ وهو المحمود في كل حال أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ذكر نعمة اخرى فاخبر انه سخر لعباده ما يحتاجون اليه من الدواب والشجر
والانهار وَالْفُلْكَ اي وسخر لكم الفلك في حال جريها وقراء عبد الرحمن الاعرج والفلك رفعا على الابتداء
وما بعده خبر الباقون بالنصب نسقا على قوله ما في الارض وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ اي كراهية
ان تقع وقال الكوفيون لئلا تقع وامساكها لما خلق السكون فيها حالا بعد حال إِلَّا بِإِذْنِهِ اي الا باذن الله
لها بالوقوع فتقع باذنه اي بارادته وتخليته إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ اي في هذه الاشياء التي سخرها
لهم قوله تعالى وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ اي بعد ان كنتم نطفا ثُمَّ يُمِيتُكُمْ اي عند انقضاء آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
اي للحساب والثواب والعقاب إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ اي لجحود لما ظهر من الآيات الداله على قدرته ووحدانيته
قال ابن عباس يريد الاسود بن عبد الاسد وابا جهل والعاص بن هشام وجماعة من المشركين وقيل انما قال ذلك
لان الغالب على الانسان كفر المنعم كما قال وقليل من عبادي الشكور قوله تعالى لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا اي
شرعا هُمْ نَاسِكُوهُ اي عاملون به فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ اي لا ينازعنك احد منهم فيما يشرع لامتك فقد كانت
الشرائع في كل عصر وروت فرقه ان هذه الآيه نزلت بسبب جدال الكفار في امر الذبائح وقولهم للمومنين تاكلون
ما ذبحتم ولا تاكلون ما ذبح الله من الميته فكان ما قتل الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم بسكاكينكم فنزلت الآيه بسبب
هذه المنازعه وقد مضى هذا في الانعام وتقدم في اول هذه السوره ما للعلماء في قوله تعالى منسكا وقوله هُمْ

انعام

نَاسِكُوهُ يعطي ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه وقال الزجاج فَلَا يُنَازِعُنَّكَ
في الامر اي فلا يجادلنك ودل على هذا وَإِنْ جَادَلُوكَ ويقال قد نازعوه فكيف قال فلا ينازعنك والجواب
ان المعنى فلا تنازعهم انت نزلت الآية قبل الامر بالقتال تقول لا يضاربنك فلان ولا تضاربه انت فيجري هذا
في باب المفاعله ولا يقال لا يضربنك زيد وانت تريد لا تضرب زيدا وقراء ابومجلز فلا ينزعنك في الامر اي
لا يستخفنك ولا يغلبنك عن دينك وقراء الجماعه من المنازعه ولفظ النهي في القراءتين للكفار والمراد النبي
عليه السلام وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ اي الى توحيده ودينه والايمان به إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى اي دين مُسْتَقِيمٍ اي
قويم لا اعوجاج فيه وَإِنْ جَادَلُوكَ اي خاصموك يا محمد يريد مشركي مكه فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا تَعْمَلُونَ يريد من تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وقال مقاتل نزلت هذه الآيه على النبي صلى
الله عليه وسلم ليله الاسراء وهو في السماء السابعه لما راى من آيات ربه الكبرى فاوحى الله اليه وان جادلوك
بالباطل فادفعهم بقولك الله اعلم بما تعملون من الكفر والتكذيب فامره بالاعراض عن مماراتهم صيانة له عن
الاشتغال بتعنتهم ولا جواب لصاحب العناد اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يريد بين النبي وقومه فِيمَا
كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ يريد في خلافكم آياتي فتعرفون حينئذ الحق من الباطل في هذه الآيه ادب
حسن علمه الله عباده في الرد على من جادل تعنتا ومراء ان لا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذي علمه
الله لنبيه وقد قيل ان هذه الآيه منسوخه بالسيف يعني السكوت عن مخالفه والاكتفاء بقوله الله يحكم بينكم
قوله تعالى أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اي واذ قد علمت يا محمد هذا وايقنت
فاعلم انه يعلم ايضا ما انتم مختلفون فيه فهو يحكم بينكم وقد قيل انه استفهام تقرير للغير إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ اي
كل ما يجري في العالم فهو مكتوب عند الله في ام الكتاب إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ اي ان الفصل بين المختلفين على
الله يسير وقيل المعنى ان كتاب القلم الذي امره ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامه على الله يسير قوله تعالى
وَيَعْبُدُونَ يريد كفار قريش مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا اي حجه وبرهانا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ يعني القرآن تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرَ اي الغضب والعبوس يَكَادُونَ يَسْطُونَ اي يبطشون والسطوه شدة البطش يقال سطا به
يسطو اذا بطش به كان ذلك بضرب او بشتم وسطا عليه بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قال ابن عباس
يسطون يبسطون اليهم ايديهم وقال محمد بن كعب اي يقعون بهم وقال الضحاك اي ياخذونهم اخذا باليد والمعنى
واحد واصل السطو القهر والله ذو سطوات اي اخذات شديده قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ اي
اكره من ذلك هذا القرآن الذي يسمعونه هو النار فكانهم قالوا ما الذي هو شر فقيل هو النار وقيل اي هل
انبئكم بشر مما يلحق تالي القرآن منكم هو النار فيكون هذا وعيدا لهم على سطوتهم بالذين يتلون القرآن ويجوز في
النار الرفع والنصب والخفض فالرفع على هو النار او هي النار والنصب بمعنى اعني او على اضمار فعل مثل الثاني او يكون
محمولا على المعنى اي اعرفكم بشر من ذلكم النار والخفض على البدل وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا في القيامه وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ اي الموضع الذي يصيرون اليه وهو النار قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا
لَهُ هذا متصل بقوله وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وانما قال ضرب مثل لان حجج الله تعالى عليهم
بضرب الامثال لهم اقرب الى افهامهم فان قيل فاين المثل المضروب ففيه وجهان الاول قال الاخفش ليس ثم مثل

وانما المعنى ضربوا لي مثلا فاستمعوا قولهم يعني ان الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره فكانه قال جعلوا لله
شبيها في عبادتي فاستمعوا خبر هذا الشبيه الثاني قول العتبي ان المعنى يا ايها الناس مثل من عبد الهة لم
تستطع ان تخلق ذبابا وان سلبها الذباب شيئا لم تستطع ان تستنقذه منه وقال النحاس المعنى ضرب
الله عز وجل ما يعبد من دونه مثلا قال وهذا من احسن ما قيل فيه اي بين الله لكم شبها ولمعبودكم ان الذين
تدعون من دون الله قراءة العامة تدعون بالتاء وقراءة السلمي وابو العالية ويعقوب يدعون بالياء على الخبر
والمراد الاوثان الذين عبدوهم من دون الله وكانت حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما وقيل السادة الذين
صرفوهم عن طاعة الله تعالى وقيل الشياطين الذين حملوهم على معصية الله تعالى والاول اصوب لن يخلقوا
ذبابا الذباب اسم واحد للذكر والانثى والجمع القليل اذبة والكثير ذبان على مثل غراب واغربة وغربان
وسمي به لكثرة حركته قال الجوهري الذباب معروف الواحدة ذبابة ولا تقول ذبانة والمذبة ما يذب به
الذباب وذباب اسنان الابل حدها وذباب السيف طرفه الذي يضرب به وذباب العين انسانها والذبابة البقية
من الدين وذبب النهار اذا لم يبق منه الا بقية والتذبذب التحرك والذبذبة نوس الشيء المعلق في الهواء
والذبذب الذكر لتردده وفي الحديث من وقي شر ذبذبه وهذا مما لم يذكره اعني قوله وفي الحديث وان
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه الاستنقاذ والانقاذ التخليص قال ابن عباس كانوا يطلون
اصنامهم بالزعفران فيجف فيأتي فيختلسه وقال السدي كانوا يجعلون للاصنام طعاما فيقع عليه الذباب فياكل
ضعف الطالب والمطلوب الطالب الالهة والمطلوب الذباب وقيل بالعكس وقيل الطالب عابد الصنم
والمطلوب الصنم فالطالب يطلب الى هذا الصنم بالتقرب اليه والصنم المطلوب اليه وقد قيل لا يسلبهم الذباب شيئا
راجع الى الهه في قرص بدا نهم حتى يسلبهم الصبر لها والوقار معها وخص الذباب لاربعة امور تخصه لمهانته وضعفه
ولا سقذاره وكثرته فاذا كان هو اضعف الحيوان واحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ودفع
اذيته فكيف يجوز ان يكونوا الهة معبودين وارباب مطاعين وهذا من اقوى حجة واوضح برهان قوله تعالى
ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هذه الاصنام شركاء له وقد مضى في الانعام
ان الله لقوي عزيز تقدم قوله تعالى الله يصطفي من الملئكة رسلا ومن الناس ختم
السورة بان الله اصطفى محمدا للتبليغ الرسالة اي ليس بعثه محمدا امرا بدعيا وقيل ان الوليد بن المغيرة قال
أانزل عليه الذكر من بيننا فنزلت الاية واخبر ان الاختيار اليه سبحانه ان الله سميع لاقوال عباده بصير بمن
يختاره من خلقه لرسالته يعلم ما بين ايديهم يريد ما قدموا وما خلفهم يريد ما خلفوا مثل قوله في يس انا نحن
نحيي الموتى ونكتب ما قدموا يريد بين ايديهم واثارهم يريد ما خلفوا والى الله ترجع الامور قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا تقدم في اول السورة انها فضلت بسجدتين وهذه السجدة الثانية لم يرها
مالك وابو حنيفة من العزائم لانه قرن الركوع بالسجود وان المراد بها الصلوة المفروضة وخص الركوع والسجود
تشريفا للصلوة وقد مضى القول في الركوع والسجود مبينا في البقرة قوله تعالى واعبدوا ربكم اي امتثلوا
امره وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع قوله تعالى وجاهدوا
في الله حق جهاده قيل عني به جهاد الكفار وقيل هو اشارة الى امتثال جميع ما امر الله به والانتهاء عن
كل ما نهى عنه اي جاهدوا انفسكم في طاعة الله وردها عن الهوى وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته والظلمة

هذا الذي صح

في رد ظلمهم والكافرين على كفرهم قال ابن عطيه ومقاتل هذه الاية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وكذا
قال هبة الله ان قوله حق جهاده وقوله في الاية الاخرى حق تقاته منسوخ بالتخفيف الى الاستطاعة في هذه الاوامر
ولا حاجة الى تقدير النسخ فان هذا هو المراد من اول الحكم لان حق جهاده ما ارتفع عنه الحرج وقد روى سعيد بن المسيب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم ايسره وقال ابو جعفر النحاس وهذا مما لا يجوز ان يقع فيه نسخ
لانه واجب على الانسان كما روى حيوة بن شريح يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال المجاهد من جاهد نفسه لله
عز وجل وكما روى ابو غالب عن ابي امامة ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم اي الجهاد افضل عند الجمرة الاولى
فلم يجبه ثم سأله عند الجمرة الثانية فلم يجبه ثم سأله عند جمرة العقبة فقال صلى الله عليه وسلم اين السائل فقال انا ذا
فقال عليه السلام كلمة عدل عند سلطان جائر هو اجتبيكم اي اختاركم للذب عن دينه والتزام امره وهذا
تأكيد للامر بالمجاهدة اي وجب عليكم ان تجاهدوا لان الله اختاركم له قوله تعالى وما جعل عليكم
في الدين من حرج فيه ثلاث مسائل الاولى قوله من حرج اي من ضيق وقد تقدم في الانعام
وهذه الاية تدخل في كثير من الاحكام وهي مما خص الله بها هذه الامة روى معمر عن قتادة قال اعطيت هذه الامة
ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي اذهب فلا حرج عليك وقيل لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج
والنبي شهيد على امته وقيل لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس ويقال للنبي سل تعطه وقيل لهذه الامة ادعوني
استجب لكم الثانية اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله فقال عكرمة هو ما احل من النساء مثنى
وثلاث ورباع وما ملكت يمينك وقيل المراد قصر الصلاة والافطار للمسافر وصلاة الايماء لمن لا يقدر على غيره
وحط الجهاد عن الاعمى والاعرج والمريض والعديم الذي لا يجد ما ينفق في غزوه والغريم ومن له والدان وحط الاصر
الذي كان على بني اسرائيل وقد مضى تفسيره في البقرة وروى عن ابن عباس والحسن البصري ان هذا في تقدم
الاهلة وتأخيرها في الفطر والاضحى والصوم فاذا اخطأت الجماعة هلال ذي الحجة فوقفوا قبل عرفة بيوم او وقفوا
يوم النحر اجزاهم على خلاف فيه بيناه في كتاب المقتبس في شرح موطأ مالك بن انس وما ذكرناه هو الصحيح
في الباب وكذلك الفطر والاضحى لما رواه حماد بن زيد عن ايوب عن محمد بن المنكدر عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فطركم يوم تفطرون واضحاكم يوم تضحون خرجه ابو داود والدارقطني ولفظه ما ذكرناه
والمعنى باجتهادكم من غير حرج يلحقكم وقد روى الايمة انه عليه السلام سئل يوم النحر عن اشياء فما سئل عن امر
مما ينسى المرء او يجهل من تقديم الامور بعضها قبل بعض واشباهها الا قال افعل ولا حرج الثالثة قال العلماء
رفع الحرج انما هو لمن استقام على منهاج الشرع واما السلابة والسراق واصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم
جاعلوه على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم حرجا من الزام رجل لاثنين في سبيل الله ومع صحة اليقين
وجودة العزم ليس بحرج قوله تعالى ملة ابيكم قال الزجاج المعنى اتبعوا ملة ابيكم وقال الفراء انتصب
على تقدير حذف الكاف كانه قال كملة وقيل المعنى وافعلوا الخير فعل ابيكم فاقام الفعل مقام الملة وابرهيم هو
ابو العرب قاطبة وقيل الخطاب لجميع المسلمين وان لم يكونوا الكل من ولده لان حرمة ابرهيم على المسلمين
كحرمة الوالد على الولد هو سماكم المسلمين من قبل قال ابن زيد والحسن هو راجع الى ابرهيم والمعنى هو سماكم
المسلمين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا اي في حكمه ان من اتبع محمدا فهو مسلم قال ابن زيد وهو معنى قوله
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك قال النحاس وهذا القول مخالف لقول علماء الامة روى عن

الامة

علي بن ابي طلحه عن ابن عباس قال سماكم الله المسلمين من قبل اي في الكتب المتقدمه وفي هذا القرآن وقال مجاهد وغيره
ليكون الرسول عليكم شهيدا اي بتبليغه اياكم وتكونوا شهدآء على الناس ان رسلهم قد بلغتهم كما تقدم في البقره فاقيموا
الصلاة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير تقدم مستوفى والحمد لله

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون الى قوله خالدون فيه تسع مسائل الاولى قوله تعالى قد افلح المؤمنون روى البيهقي
من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله جنة عدن وغرس اشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت
قد افلح المؤمنون وروى النسائي عن عبد الله بن السائب قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فصلى في
قبل الكعبه فخلع نعليه فوضعهما عن يساره فافتتح سورة المؤمنين فلما جاء ذكر موسى وعيسى عليهما السلام اخذته سعلة
فركع خرجه مسلم بمعناه وفي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي سمع عند وجهه
كدوي النحل وانزل عليه يوما فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبله ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا و
ارضنا وارض عنا ثم قال انزل علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنه ثم قراء قد افلح المؤمنون حتى ختم عشر آيات
صححه ابن العربي وقال النحاس معنى من اقامهن من اقام عليهن ولم يخالف ما فيهن كما تقول فلان يقوم بعمله ثم
نزل بعد هذه الآيات فرض الوضوء والحج فدخل معهن وقراء طلحة بن مصرف قد افلح المؤمنون بضم الالف على الفعل
المجهول اي ابقوا في الثواب الخير وقد مضى في اول البقره معنى الفلاح لغه ومعنى والحمد لله الثانيه قوله تعالى
خاشعون روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى السماء في الصلاة فانزل الله
عز وجل هذه الآيه الذين هم في صلوتهم خاشعون فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر حيث يسجد
وفي روايه هشيم كان المسلمون يلتفتون في الصلاه وينظرون حتى انزل الله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون
فاقبلوا على صلوتهم ونظروا امامهم وقد تقدم ما للعلماء في المصلى الى حيث ينظر في البقره عند قوله تعالى فول وجهك
شطر المسجد الحرام وتقدم ايضا معنى الخشوع لغه ومعنى في البقره عند قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين والخشوع
محله القلب فاذا خشع خشعت الجوارح لخشوعه اذ هو ملكها حسب ما بيناه اول البقره وكان الرجل من العلماء اذا
اقام الصلوه وقام اليها يهاب الرحمن ان يمد بصره الى شيء وان يحدث نفسه بشيء من الدنيا وقال عطاء هو ان
لا تعبث بشيء من جسدك في الصلوه وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاه فقال لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلاه فان الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصا
وقال الشاعر

الا في الصلاة الخير والفضل اجمع ... لان بها الآراب لله تخضع
واول فرض من شريعة ديننا ... وآخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبد باب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلوته ... نجيا فيا طوباه لو كان يخشع

وروى ابو عمران الجوني قال قيل لعايشه ما كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اتقرؤن سورة المؤمنين
قيل نعم قالت اقرؤوا فقرئ عليها قد افلح المؤمنون حتى بلغ حافظون وروى النسائي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم يلحظ في صلاته يمينا وشمالا ولا يلوي عنقه خلف ظهره وقال كعب بن مالك في حديثه الطويل ثم اصلي

حلم صح

رواه الترمذي صح

قريبا منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه اعرض عني
الحديث ولم يأمره باعاده الثالثة اختلف الناس في الخشوع هل هو من فرائض الصلاه او فضايلها
ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب وهو اول علم يرفع من الناس قاله عبادة بن الصامت رواه الترمذي
من حديث جبير بن نفير عن ابي الدرداء وقال هذا حديث غريب حسن وقد صححه النسائي من حديث جبير بن
نفير ايضا عن عوف بن مالك الاشجعي من طريق صحيح قال ابو عيسى ومعاوية بن صالح ثقة عند اهل الحديث ولا نعلم
احدا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان قال المؤلف رحمه الله معاوية بن صالح ابو عمرو ويقال ابو عمرو بن الحضرمي
الحمصي قاضي الاندلس سئل عنه ابو حاتم الرازي فقال صالح الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به واختلف فيه قول يحيى
بن معين ووثقه عبد الرحمن بن مهدي واحمد بن حنبل وابو زرعه الرازي واحتج به مسلم في صحيحه وقد تقدم في البقره
معنى اللغو والزكاه فلا معنى للاعاده وقال الضحاك ان اللغو هنا الشرك وقال الحسن انه المعاصي كلها فهذا قول
جامع يدخل فيه قول من قال هو الشرك وقول من قال هو الغنا كما روى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر على ما ياتي في لقمان
بيانه ومعنى فاعلون مؤدون وهي فصيحه وقد جاءت في كلام العرب قال امية بن ابي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الازمة ... والفاعلون للزكوات

الرابعة قوله تعالى
والذين هم لفروجهم حافظون الآيه قال ابن العربي من غريب القرآن ان هذه العشر آيات عامة في
الرجال والنساء كسائر الفاظ القرآن التي هي محتمله لهم فانها عامه فيهم الا قوله والذين هم لفروجهم حافظون فانما
خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات بدليل قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وانما عرف حفظ المراة
فرجها من ادلة اخر كآيات الاحصان خصوصا وعموما وغير ذلك من الادله قال المؤلف رحمه الله وعلى هذا التاويل
في الآية فلا تحل لامراة ان يطاها من تملكه اجماعا من العلماء لانها غير داخله في الآيه ولكنها لو اعتقته بعد ملكها له جاز
له ان يتزوجها كما يجوز لغيره عند الجمهور وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبه والشعبي والنخعي انها لو اعتقته حين
ملكته كانا على نكاحهما قال ابو عمر ولا يقول هذا احد من فقهاء الامصار لان تملكها عندهم يبطل النكاح بينهما وليس
ذلك بطلاق وانما هو فسخ النكاح وانه لو اعتقته بعد ملكها له لم يراجعها الا بنكاح جديد ولو كانت في عدة منه الخامسة
قال محمد بن عبد الحكم سمعت حرملة بن عبد العزيز قال سألت مالكا عن الرجل يجلد عميرة فتلا هذه الآيه والذين
هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون وهذا لانهم يكنون عن الذكر بعميرة وفيه يقول الشاعر

اذا حللت بواد لا انيس به ... فاجلد عميرة لا داء ولا حرج

وتسميه
اهل العراق الاستمناء وهو استفعال من المني واحمد بن حنبل على ورعه يجوزه ويحتج بانه اخراج فضلة من
البدن فجاز عند الحاجه اصله الفصد والحجامه وعامة العلماء على تحريمه وقال بعض العلماء انه كالفاعل بنفسه
وهي معصيه احدثها الشيطان واجراها بين الناس حتى صارت مسئلة ويا ليتها لم تقل ولو قام الدليل على جوازها لكان
ذو المروة يعرض عنها لدناءتها فان قيل انها خير من نكاح الامة قلنا نكاح الامه ولو كانت كافره على مذهب بعض
العلماء خير من هذا وان كان قد قال به قائل ايضا ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل عار بالرجل الدني فكيف بالرجل
الكبير السادسة قوله تعالى الا على ازواجهم قال الفراء اي من ازواجهم اللاتي احل الله لهم لا يجاوزن
او ما ملكت ايمانهم في موضع خفض معطوفه على ازواجهم وما مصدريه وهذا يقتضي تحريم الزنا وما قلناه من الاستمناء
ونكاح المتعه لان المتمتع بها لا تجري مجرى الزوجات لا ترث ولا تورث ولا يلحق به ولدها ولا يخرج من نكاحها بطلاق

لو قام صح

يستانف لها وانما يخرج بانقضاء المده التى عقدت عليها وصارت كالمستاجره قال ابن العربى ان قلنا ان
نكاح المتعه جائز فهى زوجه الى اجل ينطلق عليها اسم الزوجيه وان قلنا بالحق الذى اجمعت عليه الامه من
تحريم نكاح المتعه لما كانت زوجه فلم تدخل فى الآيه قال المولف رحمه الله وفائده هذا الخلاف هل يجب
الحد ولا يلحق الولد كالزنا الصريح او يدفع الحد للشبهه ويلحق الولد قولان لاصحابنا وقد كانت للمتعه فى التحليل
والتحريم احوال فمن ذلك قوله تعالى انها كانت مباحه ثم حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر ثم
حللها فى غزاة الفتح ثم حرمها بعد قاله ابن خواز منداد من اصحابنا وغيره واليه اشار ابن العربى وقد مضى فى
النساء القول فيه مستوفى قوله تعالى فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ فسمى من نكح ما لا يحل عاديا واوجب عليه الحد لعدوانه واللائط عادٍ قرآنا ولغه بدليل قوله بل
أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ كما تقدم فى الاعراف فوجب ان يقام الحد عليهم وهذا ظاهر لا غبار عليه قال المولف رحمه
الله فيه نظر لم يكن جاهلا او متاولا وان كان الاجماع منعقد على ان قوله تعالى وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ الى إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ خص به الرجال دون النساء فقد روى
معمر عن قتاده قال تسررت امراه غلامها فذكر ذلك لعمر فسالها عن ذلك فقالت كنت اراه يحل لى بملك
يمينى كما يحل للرجل المراه بملك اليمين فاستشار عمر فى رجمها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا تاولت كتاب الله على غير تاويله لا رجم عليها فقال عمر لا جرم والله لا احلك لحر بعده ابدا عاقبها
بذلك ودرا الحد عنها وامر العبد ان لا يقربها وعن ابى بكر بن عبد الله انه سمع اباه يقول انا حضرت عمر
بن عبد العزيز جاءته امراه بغلام لها وضيء فقالت انى استسررته فمنعنى بنو عمى من ذلك وانما انا
بمنزله الرجل يكون له الوليده يطاها فانه بنى عمى فقال عمر اتزوجت قبله قالت نعم قال اما والله لولا منزلتك
من الجهاله لرجمتك بالحجاره ولكن اذهبوا به فبيعوه الى من يخرج به الى غير بلدها ووراء بمعنى سوى و
هو مفعول بابتغى اى من طلب سوى الازواج والولائد المملوكه له قال الزجاج اى فمن ابتغى ما بعد ذلك
فمفعول الابتغاء محذوف ووراء ظرف وذلك يشار به الى كل مذكور كان او مذكرا فاولئك هم العادون اى
المجاوزون الحد من عدا اى جاوز الحد وجاوزه قوله تعالى وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ قرا الجمهور لاماناتهم بالجمع وابن
كثير بالافراد والامانه والعهد تجمع كل ما يحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولا وفعلا وهذا يعم معاشرة
الناس والمواعيد وغير ذلك وغايه ذلك حفظه والقيام به والامانه اعم من العهد وكل عهد فهو امانه فيما
تقدم فيه قول وفعل او معتقد قرا الجمهور صلواتهم وحمزه والكسائى صلاتهم بالافراد و
هذا الافراد اسم جنس فهو فى معنى الجمع والمحافظه على الصلاه اقامتها والمبادره اليها اوائل اوقاتها واتمام
ركوعها وسجودها وقد تقدم فى البقره مستوفى ثم قال اولئك هم الوارثون اى من عمل بما ذكر فى هذه
الآيات فهم الوارثون اى يرثون منازل اهل النار من الجنه وفى الخبر عن ابى هريره عن النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى جعل لكل انسان مسكنا فى الجنه ومسكنا فى النار فاما المومنون فياخذون منازلهم
ويرثون منازل الكفار ويحصل الكفار فى منازلهم فى النار خرجه ابن ماجه بمعناه عن ابى هريره ايضا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل فى الجنه ومنزل فى النار فاذا مات ودخل

مؤنثا ص

النار ورث اهل الجنه منزله فذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون اسناده صحيح ويحتمل ان يسمى الحصول على
الجنه وراثه من حيث حصلوها دون غيرهم فهو اسم مستعار على الوجهين والفردوس ربوة فى الجنه واوسطها و
افضلها خرجه الترمذى من حديث الربيع بنت النضر ام حارثه وقال حديث حسن صحيح وفى صحيح مسلم فاذا سالتم
الله فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنه واعلى الجنه ومنه تفجر انهار الجنه قال ابو حاتم محمد بن حبان قوله
صلى الله عليه وسلم فانه اوسط الجنه يريد ان الفردوس فى وسط الجنان فى العرض وهو اعلى الجنه يريد فى
الارتفاع وهذا كله يصحح قول ابى هريره ان الفردوس جبل الجنه التى تتفجر منه انهار الجنه واللفظه فيما قال مجاهد
رومية عربت وقيل هى فارسيه عربت وقيل حبشيه فان ثبت ذلك فهو وفاق بين اللغات وقال الضحاك
هو عربى وهو تقول للكروم فراديس هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فانث على معنى الجنه الاولى قوله تعالى وَلَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ الى قوله احسن الخالقين فيه خمس مسائل
قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان الانسان هنا آدم عليه السلام قاله قتاده وغيره لانه استل من الطين
ويجى الضمير فى قوله ثم جعلناه عائد على ابن آدم وان كان لم يذكر لشهره الامر فان المعنى لا يصلح الا له نظير
ذلك حتى توارت بالحجاب وقيل المراد بالسلاله ابن آدم قاله ابن عباس وغيره والسلاله على هذا صفوة الماء
يعنى المنى والسلاله فعاله من السل وهو استخراج الشى من الشى يقال سللت الشعر من العجين والسيف من
الغمد فانسل ومنه قوله فسلى ثيابى من ثيابك تنسلى فالنطفه سلاله والولد سليل وسلاله عنى به
الماء يسل من الظهر سلا وانشد فجاءت به عضب الاديم غضنفرا سلالة فرخ كان غير حصين
وقال اخر وهل هند الا مهرة عربيه سليله افراس تجللها بغل وقوله من طين
اى ان الاصل آدم وهو من طين قال المولف رحمه الله اى من طين خالص واما ولده فمن طين ومنى
حسب ما بيناه فى سورة الانعام وقال الكلبى السلاله الطين اذا عصرته انسل من بين اصابعك فالذى يخرج
هو السلاله قوله تعالى مِن نُّطْفَةٍ قد مضى القول فى النطفه والعلقه والمضغه وما فى ذلك من
الاحكام فى اول الحج قوله تعالى ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ اختلف الناس فى الخلق الاخر
فقال ابن عباس وغيره هو نفخ الروح فيه بعد ان كان جمادا وعن ابن عباس خروجه الى الدنيا وقال
قتاده عن فرقه نبات شعره الضحاك خروج الانسان ونبات الشعر مجاهد كمال شبابه وروى عن ابن عمر
والصحيح انه عام فى هذا وفى غيره من النطق والادراك وحسن المحاوله وتحصيل المعقولات الى ان يموت
الرابعه قوله تعالى فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ يروى ان عمر بن الخطاب لما سمع صدر الآيه الى
قوله اخر قال تبارك الله احسن الخالقين يروى ان عمر بن الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت
وفى مسند الطيالسى ونزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الآيه فلما نزلت قلت انا تبارك الله احسن
الخالقين فنزلت تبارك الله احسن الخالقين ويروى ان قائل ذلك معاذ بن جبل ويروى ان قائل ذلك عبد الله
بن ابى سرح وبهذا السبب ارتد وقال اتى بمثل ما اتى به محمد وفيه نزلت ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله على ما تقدم فى الانعام
بيانه وقوله تعالى تبارك تفاعل من البركه احسن الخالقين اتقن الصانعين يقال لمن صنع شيئا خلقه
ومنه قول الشاعر ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى وذهب بعض الناس الى

العرب ص

اول ص

نفي هذه اللفظة عن الناس وانما تضاف الخلق الى الله تعالى وقال ابن جريج انما قال احسن الخالقين لانه تعالى
قد اذن لعيسى عليه السلام ان يخلق واضطرب بعضهم في ذلك ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع وانما هي منفية
بمعنى الاختراع والايجاد عن العدم من هذه الآيه قال ابن عباس لعمر حين سال مشيخة الصحابة
عن ليلة القدر فقالوا الله اعلم فقال عمر ما تقول يا ابن عباس فقال يا امير المومنين ان الله خلق السموات سبعا
والارضين سبعا وخلق ابن آدم من سبع وجعل رزقه في سبع فاراها في ليلة سبع وعشرين فقال عمر اعجزكم
ان تاتوا بمثل ما اتى هذا الغلام الذي لم يجمع شؤون راسه وهذا الحديث بطوله في مسند ابن ابي شيبة فاراد
ابن عباس خلق ابن آدم من سبع بهذه الآيه وبقوله وجعل رزقه في سبع قوله فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ
غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا الايه السبع منها لابن آدم وللاب للانعام والقضب ياكله ابن آدم ويسمن منه النسا هذا قول
وقيل القضب البقول لانها تقضب فهي رزق ابن آدم وقيل القضب والاب للانعام والست الباقية لابن آدم
والسابعة للانعام اذ هي من اعظم رزق ابن آدم قوله تعالى ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ هي ص
اي بعد الخلق والحياة قال النحاس ويقال في هذا المعنى لمايتون ثم اخبر بعد ذلك بالبعث بعد الموت فقال
ثم انكم يوم القيامة تبعثون قوله تعالى وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ قال ابو عبيدة
اي سبع سموات يقال طارقت الشيء اي جعلت بعضه فوق بعض فقيل للسموات طرائق لان بعضها فوق بعض وحكى عنه ص
والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة وقيل لانها طرائق الملائكة وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ قال بعض العلماء
اي عن خلق السماء وقال اكثر المفسرين اي عن الخلق كلهم من ان يسقط عليهم فيهلكهم قال المولف رحمه الله ويحتمل
ان يكون المعنى وما كنا عن الخلق غافلين اي في القيام بمصالحه وحفظه وهو معنى الحي القيوم على ما تقدم قوله تعالى
وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ فيه اربع مسايل هذه الآيه
من نعم الله على خلقه ومما امتن به عليهم ومن اعظم المنن الماء الذي هو حياة الابدان ونماء الحيوان والماء المنزل
من السماء على قسمين هذا الذي ذكر الله سبحانه واخبر عنه بانه استودعه في الارض وجعله فيها مختزنا لسقي
الناس يجدونه عند الحاجة اليه وهو ماء الانهار والعيون وما يستخرج من الآبار وروي عن ابن عباس وغيره
انه انما اراد الانهار الاربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات وقال مجاهد ليس في الارض ماء الا وهو
من السماء وهذا ليس على اطلاقه والا فالاجاج ثابت في الارض فيمكن ان يقيد قوله بالماء العذب ولا محالة ان
الله قد جعل في الارض ماء وانزل من السماء ماء وقد قيل ان قوله وانزلنا من السماء ماء اشارة الى الماء العذب
وان اصله من البحر رفعه تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحار الى السماء حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم انزله
الى الارض لينتفع به ولو كان الامر الى ماء البحار ما انتفع به من ملوحته الثانيه قوله تعالى بقدر اي
على مقدار مصلح لانه لو كثر اهلك ومنه قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم
وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ يعني الماء المختزن وهذا تهديد ووعيد اي في قدرتنا اذهابه وتغويره
ويهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم وهذا كقوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا فمن
ياتيكم بماء معين الثالثه ذكر النحاس قرئ على ابي يعقوب اسحاق بن ابرهيم بن يونس عن جامع بن
سوادة قال حدثنا سعيد بن سابق قال حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله عز وجل من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند

وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من
عيون الجنة في اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل
فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند
خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جل وعز جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرآن والعلم وجميع الانهار الخمسة فيرفع ذلك
الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا
الرابعة كل ما نزل من السماء مختزنا كان او غير مختزن فهو طاهر مطهر يغتسل به ويتوضا على ما ياتي في الفرقان بيانه
قوله تعالى فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ فيه مسئلتان الاولى قوله فانشانا اي جعلنا ذلك
سبب النبات واوجدناه به وخلقناه وذكر الله تعالى النخيل والاعناب لانها ثمر الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما
قاله الطبري ولانها ايضا اشرف الثمار فذكرها تشريفا لها وتنبيها عليها لَّكُمْ فِيهَا اي في الجنات فَوَاكِهُ
من غير الرطب والعنب ويحتمل ان يعود على النخيل والاعناب خاصة اذ فيها مراتب وانواع والاول اعم لسائر الثمرات
الثانية من حلف ان لا ياكل فاكهة ففي الرواية عندنا يحنث بالباقلاء الاخضر وما اشبهها وقال ابو حنيفة
لا يحنث باكل القثاء والخيار والجزر لانها من البقول لا من الفواكه وكذلك الجوز واللوز والفستق لان هذه الاشياء
لا تعد من الفاكهة وان اكل تفاحا او خوخا او مشمشا او تينا او اجاصا يحنث وكذلك البطيخ لان هذه الاشياء توكل
على جهة التفكه قبل الطعام وبعده فكانت فاكهة وكذلك يابس هذه الاشياء الا البطيخ اليابس لان ذلك لا يوكل الا في بعض
البلدان ولا يحنث باكل البطيخ الهندي لانه لا يعد من الفواكه وان اكل عنبا او رمانا او رطبا لا يحنث وخالفه صاحباه
فقالا يحنث لان هذه الاشياء من اعز الفواكه وتوكل على وجه التنعم والافراد لها بالذكر في كتاب الله لكمال معانيها كتخصيص
جبريل وميكائيل بالذكر من الملائكة واحتج ابو حنيفة بان قال عطف هذه الاشياء على الفاكهة مرة فقال فيهما فاكهة
ونخل ورمان ومرة عطف الفاكهة على هذه الاشياء فقال وفاكهة وابا والمعطوف غير المعطوف عليه ولا يليق بالحكمة
ذكر الشيء الواحد بلفظين مختلفين في موضع المنة والعنب والرمان يكتفى بهما في بعض البلدان فلا يكون فاكهة ولان
ما كان فاكهة لا فرق بين رطبه ويابسه ويابس هذه الاشياء لا يعد فاكهة فكذلك رطبها قوله تعالى وَشَجَرَةً
تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى
وشجرة شجرة عطف على جنات واجاز الفراء الرفع لانه لم يظهر الفعل بمعنى وثم شجرة ويريد بها شجرة الزيتون وافردها
بالذكر لعظيم منافعها في ارض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة
في سائر الاشجار وتخرج في موضع الصفة من طور سيناء اي انبتها الله في الاصل من هذا الجبل الذي بارك الله فيه
وطور سيناء من ارض الشام وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام قاله ابن عباس وقد تقدم في البقرة و
الاعراف والطور الجبل في كلام العرب وقيل هو مما عرب من كلام العجم وقال ابن زيد هو جبل بيت المقدس
ممدود من مصر الى ايلة واختلف في سيناء فقال قتادة معناه الحسن ويلزم على هذا التاويل ان ينون الطور على
النعت وقال مجاهد معناه مبارك وقال معمر عن فرقة معناه شجر ويلزمهم ان ينونوا الطور وقال الجمهور هو اسم
الجبل كما تقول جبل احد وعن مجاهد ايضا سيناء حجر بعينه اضيف الجبل اليه لوجوده عنده وقال مقاتل كل
جبل يحمل الثمار فهو سيناء اي حسن وقال الكوفيون بفتح السين على وزن فعلاء وفعلاء في كلام العرب كثير يمنع
من الصرف في المعرفة والنكرة لان في آخرها الف التانيث والف التانيث ملازمة لما هي فيه وليس في الكلام

فعلى ولكن من قراء سينا بكسر السين جعله فعلا لا فالهمزة فيه كهمزة حرباء ولم يصرف في هذه الآيه لانه جعل اسم
بقعه وزعم الاخفش انه اسم اعجمي الثانية قوله تعالى تنبت بالدهن قراء الجمهور تنبت بفتح التاء
وضم الباء والتقدير تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقراء ابن كثير وابو عمرو بضم التاء وكسر
الباء واختلف في التقدير على هذه القراءه فقال ابو علي الفارسي التقدير تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول
محذوف وقيل الباء زائده مثل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه وهذا مذهب ابي عبيده وقال الشاعر نضرب
بالسيف ونرجو بالفرج وقال آخر هن الحرائر لا ربات احمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور ونحو
هذا قاله ابو علي ايضا وقد تقدم وقيل نبت وانبت بمعنى فيكون المعنى كما مضى في قراءه الجمهور وهو مذهب الفراء
ومنه قول زهير حتى اذا انبت البقل والاصمعي ينكر انبت ويتهم قصيده زهير التي فيها رأيت ذوي الحاجات
حول بيوتهم قطينا بها حتى اذا انبت البقل اي نبت وقراء الزهري والحسن والاعرج تنبت بالدهن برفع
الباء ونصب التاء قال ابن جني والزجاج هي باء الحال اي تنبت ومعها دهنها وفي قراءه ابن مسعود تخرج بالدهن
وهي باء الحال وقال ابن درستويه الدهن الماء اللين تنبته من الانبات وقراء زر بن حبيش تنبت بضم التاء
وكسر الباء الدهن بحذف الباء ونصبه وقراء سليمان بن عبد الملك والاشهب بالدهان والمراد من الآيه تعديد
نعمه الزيت على الانسان وهي من اركان النعم التي لا غنا بالصحه عنها ويدخل في معنى الزيتونه شجر الزيت كله على
اختلافه بحسب الاقطار الثالثة قوله تعالى وصبغ للآكلين قراءه الجمهور وصبغ وقرأت فرقه واصباغ
بالجمع وقراء عامر بن عبد قيس وصباغا والمراد بالزيت الذي يصطبغ به الاكل يقال صبغ وصباغ مثل دبغ ودباغ
ولبس ولباس وكل ادام يؤتدم به فهو صبغ حكاه الهروي وغيره واصل الصبغ ما يلون به الثوب وشبه الادام
به لان الخبز يلون بالصبغ اذا غمس فيه وقال مقاتل الادم الزيتون والدهن الزيت وقد جعل الله في هذه الشجره
ادما ودهنا فالصبغ على هذا الزيتون الرابعة لا خلاف ان كل ما يصطبغ فيه من المائعات كالزيت والسمن
والعسل والرب والخل وغير ذلك من الامراق انه ادام وقد نص صلى الله عليه وسلم على الخل فقال نعم الادام
الخل رواه تسعه من الصحابه سبعه رجال وامرأتان وممن رواه في الصحيح جابر وعائشه وخارجه وعمر وابنه
عبد الله وابن عباس وابو هريره وسمره بن جندب وانس وام هانئ الخامسة واختلف فيما كان جامدا
كاللحم والتمر والزيتون وغير ذلك من الجوامد فالجمهور ان ذلك كله ادام فمن حلف ان لا يأكل اداما فأكل لحما او جبنا
حنث وقال ابو حنيفه لا يحنث وخالفه صاحباه وقد روي عن ابي يوسف مثل قول ابي حنيفه والبقل ليس
بادام في قول جميعهم وعن الشافعي في التمر وجهان والمشهور انه ليس بادام قال في التنبيه وقيل يحنث والصحيح ان
هذا كله ادام وقد روى ابو داود عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اخذ كسره من
خبز شعير فوضع عليها تمره وقال هذه ادام هذه وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد ادام الدنيا والآخره اللحم
ذكره ابو عمر وترجم عليه البخاري باب الادام وساق حديث عائشه ولان الادام مأخوذ من المؤادمه وهي الموافقه
وهذه الاشياء توافق الخبز فكان اداما وفي الحديث عنه عليه السلام ائتدموا ولو بالماء ولابي حنيفه ان حقيقه
الادام الموافقه في الاجتماع على وجه لا يقبل الفصل كالخل والزيت ونحوهما واما اللحم والبيض وغيرهما لا يوافق الخبز
بل يجاوره كالبطيخ والتمر والعنب والحاصل ان كل ما يحتاج في الاكل الى موافقه الخبز كان اداما وكل ما لا يحتاج ويؤكل
وحده لم يكن اداما السادسة روى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجره مباركه هذا حديث لا يعرف الا من حديث عبد الرزاق وكان يضطرب فيه
فربما ذكر عن عمر وربما رواه على الشك فقال احسبه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وربما قال عن زيد بن اسلم عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل خص الطور بالزيتون لان اول الزيتون نبت منها وقيل ان الزيتون اول
شجره نبتت في الدنيا بعد الطوفان والله اعلم قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبره
الآيتين الى آخرهما تقدم القول فيهما في النحل وفي هود قصه السفينه ونوح وركوب البحر في غير موضع
وعليها اي وعلى الانعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما الحمل في البر على الابل
فيجوز ان ترجع الكنايه الى بعض الانعام وروي ان رجلا ركب بقره في الزمان الاول فانطقها الله معه فقالت
انا لم نخلق لهذا وانما خلقنا للحرث قوله تعالى ما لكم من اله غيره قرئ بالخفض ردا على
اللفظ وبالرفع ردا على المعنى وقد مضى في الاعراف قوله تعالى ما هذا الا بشر مثلكم
يريد ان يتفضل عليكم اي يسودكم ويشرف عليكم بان يكون متبوعا ونحن له تبع ولو شاء
الله لانزل ملائكه اي لو شاء الله ان لا يعبد شيء سواه لجعل رسوله ملكا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
اي بمثل دعوته وقيل ما سمعنا بمثله بشرا اتى برساله ربه في آبائنا الاولين اي في الامم الماضيه قاله ابن
عباس والباء في بهذا زائده اي ما سمعنا هذا كائنا في آبائنا ثم عطف بعضهم على بعض فقالوا ان هو يعنون
نوحا الا رجل به جنه اي جنون لا يدري ما يقول فتربصوا به حتى حين اي انتظروا موته وقيل
حتى يستبين جنونه وقال الفراء ليس يراد بالحين هاهنا وقت بعينه انما هو كقوله دعه الى يوم ما فقال
حين تمادوا على كفرهم رب انصرني بما كذبون اي انتقم منهم بطعني ولم تسمع رسالتي فاوحينا اليه اي
ارسلنا اليه رسولا من السماء ان اصنع الفلك على ما تقدم بيانه قوله تعالى فاذا استويت اي علوت
انت ومن معك على الفلك راكبين فقل الحمد لله اي احمد الله على تخليصه اياكم من القوم
الظالمين ومن الغرق والحمد لله كلمه كل شاكر لله وقد مضى في الفاتحه بيانه قوله تعالى فاسلك فيها من كل
اي ادخل فيها واجعل فيها يقال سلكته في كذا واسلكته فيه اذا ادخلته قال عبد مناف ابن ربع الهذلي
حتى اذا اسلكوهم في قتائده شلا كما تطرد الجماله الشردا من كل زوجين اثنين
قراء حفص من كل بالتنوين الباقون بالاضافه وقد ذكر وقال الحسن لم يحمل نوح في السفينه الا ما يلد ويبيض
فاما البق والذباب والدود فلم يحمل شيئا منها وانما يخرج من الطين وقد مضى القول في السفينه والكلام فيها مستوفى
قوله تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا قراءه العامه منزلا بضم الميم وفتح الزاي على المصدر
الذي هو الانزال اي انزلني انزالا مباركا وقرأ زر بن حبيش وابو بكر عن عاصم والمفضل منزلا بفتح الميم وكسر الزاي
على الموضع اي انزلني موضعا مباركا قال الجوهري والمنزل بفتح الميم والزاي النزول وهو الحلول تقول نزلت نزولا ومنزلا
وقال أإن ذكرتك الدار منزلها جمل بكيت فدمع العين منحدر سجل نصب المنزل لانه مصدر
وانزله غيره واستنزله بمعنى ونزله تنزيلا والتنزيل ايضا الترتيب قال ابن عباس ومجاهد هذا حين خرج من
السفينه مثل قوله اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وقيل حين دخلها فعلى هذا
يكون قوله مباركا يعني بالسلامه والنجاه قال المؤلف رحمه الله وبالجمله فالآيه تعليم من الله جل وعز لعباده
اذا ركبوا واذا نزلوا ان يقولوا هذا بل واذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا وروي عن علي رضي الله عنه انه كان اذا دخل

المسجد قال اللهم أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ قوله تعالى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ اى فى امر نوح
والسفينة واهلاك الكافرين لآيات اى دلالات على قدرة الله تعالى وانه ينصر اولياءه ويهلك اعداءهم وَإِنْ كُنَّا
لَمُبْتَلِينَ اى ما كنا الا مبتلين الامم قبلكم اى مختبرين لهم بارسال الرسل اليهم ليظهر المطيع والعاصى ليتبين للملئكة حالهم لا ان
نستحدث الرب علما وقيل اى نعاملهم معاملة المختبرين وقد تقدم هذا المعنى فى البقرة وغيرها وقيل وان كنا اى وقد كنا
ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ اى من بعد هلاك قوم نوح قَرْنًا آخَرِينَ قيل هم قوم عاد فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا
مِنْهُمْ يعنى هودا لانه ما كانت امة فى اثر قوم نوح الا عاد وقيل هم قوم ثمود فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا يعنى صالحا
قالوا والدليل عليه قوله تعالى آخر الآية فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ نظيرها وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ قال المؤلف رحمه الله
وممن اخذ بالصيحة ايضا اصحاب مدين قوم شعيب فلا يبعد ان يكونوا هم والله اعلم منهم اى من عشيرتهم يعرفون
مولده ومنشاءه ليكون سكونهم الى قوله اكثر قوله تعالى وَقَالَ الْمَلَأُ اى الاشراف والقادة والرؤساء
مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ يريد بالبعث والحساب وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا اى وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا وصاروا يؤتون بالترفة وهى مثل التحفة مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ
يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ فلا فضل له عليكم لانه محتاج الى الطعام والشراب كانتم
وزعم الفراء ان معنى ويشرب مما تشربون على حذف من اى مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى
حذف الشيء لان ما اذا كان مصدرا لم يحتج الى عائد فان جعلتها بمعنى الذى حذفت المفعول ولم يحتج الى اضمار من
وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ يريد لمغبونون بترككم الهتكم واتباعكم اياه
من غير فضيلة له عليكم أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا مخرجون من قبوركم فان الثانية
فى موضع رفع بفعل مضمر كما تقول اليوم القتال والمعنى اليوم يحدث القتال وقال ابو اسحق ويجوز ايعدكم انكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون لان معنى ايعدكم ايقول لكم قوله تعالى هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ
قال ابن عباس هى كلمة للبعد كانهم قالوا بعيد ما توعدون اى ان هذا لا يكون ما يذكر من البعث وقال ابو على
هو بمنزلة الفعل اى بعد ما توعدون قال ابن الانبارى وفى هيهات عشر لغات هيهات لك بفتح التاء وهى قراءة الجماعة
وهيهات لك بخفض التاء يروى عن ابن القعقاع وهيهاتٍ لك بالخفض والتنوين يروى عن عيسى بن عمر وهيهاتُ لك
برفع التاء الثعلبى وبها قراء نصر بن عاصم وابو العاليه وهيهاتٌ بالرفع والتنوين وبها قراء ابو حيوة ذكره الثعلبى ايضا
الشامى وهيهاتًا لك بالنصب والتنوين قال الاحوص تذكرت اياما مضين من الصبا وهيهات هيهاتا اليك رجوعها
واللغة السابعة أيهات أيهات وانشد الفراء فأيهات أيهات العقيق ومن به وأيهات خلٌّ بالعقيق نواصله
قال المهدوى وقراء عيسى الهمدانى هيهات هيهات بالاسكان قال ابن الانبارى ومن العرب من يقول ايهان
بالنون ومنهم من يقول ايها بلا نون وانشد الفراء ومن دونى الاعيان والقنع كله وكتمان أيها ما أشت وأبعدا
فهذه عشر لغات فمن قال هيهات بفتح التاء جعله مثل اين وكيف وقيل لانهما اداتان مركبتان مثل خمسة عشر وبعلبك
ورام هرمز ويقف على الثانى بالهاء كما يقول خمسة عشره وسبع عشره وقال الفراء نصبها كنصب ثمت وربت
ويجوز ان يكون الفتح اتباعا للالف والفتحة التى قبلها ومن كسره جعله مثل امس وهؤلاء قال وهيهات هيهات
اليك رجوعها قال الكسائى ومن كسر التاء وقف عليها بالهاء فيقول هيهاه ومن نصبها وقف بالتاء وان شاء بالهاء
ومن ضمها فعلى مثل منذ وقط وحيث ومن قراء هيهاتٍ بالتنوين فهو جمع ذهب به الى التنكير كانه قال بعدا بعدا

وقيل خفض ونون تشبيها بالاصوات بقولهم غاق طاق وقال الاخفش يجوز فى هيهات ان تكون جماعة فتكون ن
التاء التى فيها تاء الجمع التى للتانيث ومن قراء هيهات جاز ان يكون اخلصها اسما معربا فيه معنى البعد ولم يجعله
اسما للفعل فيبنيه وقيل شبه التاء بتاء الجمع كقوله فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ قال الفراء وكانى استحب الوقف على التاء
لان من العرب من يخفض التاء على كل حال فكانها مثل عرفات وملكوت وما اشبه ذلك وكان مجاهد وعيسى بن عمر
وابو عمرو بن العلاء والكسائى وابن كثير يقفون عليها هيهاه بالهاء وقد روى عن ابى عمرو ايضا انه كان يقف على هيهات
بالتاء وعليه بقية القراء لانها حرف قال ابن الانبارى من جعلهما حرفا واحدا لا يفرد احدهما من الاخر وقف على الثانى
بالهاء ولم يقف على الاول فيقول هيهات هيهاه كما تقول خمس عشره على ما تقدم ومن نوى افراد احدهما من الاخر
وقف فيهما جميعا بالهاء والتاء لان اصل الهاء تاء قوله تعالى إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا هى كناية
عن الدنيا اى ما الحياة الا ما نحن فيه لا الحياة الآخرة التى تعدنا بعد البعث نَمُوتُ وَنَحْيَا يقال كيف قالوا
نموت ونحيا وهم لا يقرون بالبعث ففى هذا اجوبة منها ان يكون المعنى نكون مواتا اى نطفا ثم نحيا فى الدنيا
وقيل فيه تقديم وتاخير اى ان هى الا حياتنا الدنيا نحيى فيها ونموت كما قال واركعى واسجدى وقيل نموت يعنى الاباء
ونحيى يعنى الاولاد وما نحن بمبعوثين بعد الموت قوله تعالى إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يعنون
الرسول الا رجل افترى اى اختلق عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي
بِمَا كَذَّبُونِ تقدم قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ اى عن قليل وما زائده لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ على كفرهم واللام لام
القسم اى والله ليصبحن فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ صاح بهم جبرئيل عليه السلام صيحة واحدة مع الريح التى اهلكهم الله بها
فماتوا عن آخرهم فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً اى هلكى هامدين كغثاء السيل وهو ما يحمله من بالى الشجر من الحشيش
والقصب مما يبس وتفتت فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ اى هلاكا لهم وقيل بعدا لهم من رحمة الله وهو منصوب
على المصدر مثل سقيا له ورعيا قوله تعالى ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ اى من بعد هلاك هؤلاء
قُرُونًا اى امما آخَرِينَ قال ابن عباس يريد بنى اسرائيل وفى الكلام حذف فكذبوا انبياءهم فاهلكناهم قوله تعالى
مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا من صلة اى ما تسبق امة الوقت الموقت لها ولا تتاخره مثل قوله فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ
لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ومعنى تَتْرَى تتواتر وتتبع بعضهم بعضا ترغيبا وترهيبا قال الاصمعى
واترت كتبى عليه اتبعت بعضها بعضا الا ان بين كل واحد منهما وبين الاخر مهلة وقال غيره المتواترة المتتابع بغير مهلة
وقراء ابن كثير وابو عمرو تَتْرًا بالتنوين على انه مصدر ادخل فيه التنوين على فتح الراء كقولك حمدا وشكرا فالوقف على هذا
على الالف المعوضة من التنوين ويجوز ان يكون ملحقا بجعفر فيكون مثل ارطى وعلقى كما قال يستن فى علقى وفى مكور
فاذا وقف على هذا الوجه جازت الامالة على ان ينوى الوقف على الالف الملحقة وقراء ورش بين اللفظين مثل سكرى
وغضبى وهو اسم جمع مثل شتى واسرى واصله وترا من المواترة والتواتر فقلبت الواو تاء مثل التقوى والتكلان وتجاه
ونحوها وقيل هو من الوتر وهو الفرد فالمعنى ارسلناهم فردا فردا قال النحاس وعلى هذا يجوز تترا بكسر التاء الاولى
وموضعها نصب على المصدر لان معنى ثم ارسلنا واترنا ويجوز ان يكون فى موضع الحال اى متواترين ومعنى فاتبعنا بعضهم
بعضا اى بالهلاك وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ جمع احدوثه وهو ما يتحدث به كاعاجيب جمع اعجوبه وهو ما يتعجب
منه قال الاخفش انما يقال هذا فى الشر جعلناهم احاديث ولا يقال فى الخير كما يقال صار فلان حديثا اى عبرة
ومثلا كما قال فى آية اخرى فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ قال المؤلف رحمه الله وقد يقال

فلان حديث حسن اذا كان مقيدا بذكر ذلك ومنه قول ابن دريد وانما المرء حديث حسن فكن حديثا حسنا لمن وعى

قوله تعالى ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ الآيه تقدم ومعنى عالين متكبرين قاهرين لغيرهم بالظلم كما قال إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا تقدم ايضا ومعنى مِنَ الْمُهْلَكِينَ اى بالغرق في البحر وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ يعني التوراه وخص موسى بالذكر لان التوراه نزلت عليه في الطور وهرون خلفه في قومه ولو قال آتيناهما جاز كما قال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً تقدم في مريم القول فيه وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ الربوه المكان المرتفع وقد تقدم في البقرة والمراد بها هنا في قول ابي هريره فلسطين وعنه ايضا الرمله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس وابن المسيب وابن سلام دمشق وقال كعب وقتاده بيت المقدس قال كعب وهي اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال وكنت هميدا تحت رمسي بربوة تعاودني ريح جنوب وشمال و قال ابن زيد مصر وروى سالم الافطس عن سعيد بن جبير وآويناهما الى ربوة قال النشز من الارض ذات قرار اى مستويه يستقر عليها وقيل ذات ثمار ولاجل الثمار يستقر فيها الساكنون ومعين ماء جار ظاهر للعيون يقال معين ومعن كما يقال رغيف ورغف قاله على بن سليمان وقال الزجاج هو الماء الجاري في العيون فالميم على هذا زائده كزيادتها في مبيع وكذلك الميم زائده في قول من قال انه الماء الذي يرى بالعين وقيل انه فعيل بمعنى مفعول قال على بن سليمان يقال معن الماء اذا جرى فهو معين وممعون قال ابن الاعرابي معن الماء يمعن معونا اذا جرى وسهل وامعن ايضا وامعنته ومياه معنان قوله تعالى يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا فيه ثلاث مسائل الاولى روى الصحيح عن ابي هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك الثانيه قال بعض العلماء الخطاب في هذه الآيه للنبي صلى الله عليه وسلم وانه اقامه مقام الرسل كما قال الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود وقال الزجاج هذه مخاطبه للنبي صلى الله عليه وسلم ودل الجمع على ان الرسل كلهم كذلك امروا اى كلوا من الحلال وقال الطبري الخطاب لعيسى روى انه كان ياكل من غزل امه والمشهور عنه انه كان ياكل من بقل البريه ووجه خطابه لعيسى ما ذكرناه من تقديره لمحمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له وقيل ان هذه المقاله خوطب بها كل نبي لان هذه طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها فيكون المعنى وقلنا يا ايها الرسل كلوا من الطيبات كما تقول لتاجر يا تجار ينبغي ان تجتنبوا الربا فانت تخاطبه بالمعنى وقد اقترن بذلك ان هذه المقاله تصلح لجميع صنفه فلم يخاطبوا قط مجتمعين صلوات الله عليهم اجمعين وانما خوطب كل واحد في عصره قال الفراء هو كما تقول للرجل الواحد كفوا عنا اذاكم الثالثه سوى الله تعالى بين المرسلين والمؤمنين في الخطاب بوجوب اكل الحلال وتجنب الحرام ثم شمل الكل في الوعيد الذي تضمنه قوله تعالى اني بما تعملون عليم واذا كان هذا معهم فما ظن كل الناس بانفسهم وقد مضى القول في الطيبات والرزق في غير موضع والحمد لله وفي قوله عليه السلام يمد يديه دليل على مشروعية مد اليدين عند الدعاء الى السماء وقد مضى القول الخلاف في هذا والكلام فيه وقوله عليه السلام فانى يستجاب لذلك على جهة الاستبعاد اى انه ليس اهلا لاجابة دعائه لكن يجوز ان يستجيب الله له تفضلا ولطفا وكرما قوله تعالى وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وان هذه امتكم

المعنى هذا الذي تقدم ذكره دينكم وملتكم فالزموه والامه هنا الدين وقد تقدم ذكره محامله ومنه قوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة اى على دين وقال النابغه حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو امة وهو طائع قرئ وان هذه بكسر ان على القطع وبفتحها وتشديد النون قال الخليل هي في موضع نصب لما زال الخافض اى انا عالم بان هذا دينكم الذي امرتكم ان تؤمنوا به وقال الفراء ان متعلقه بفعل مضمر وتقديره واعلموا ان هذه امتكم وهي عند سيبويه متعلقه بقوله فاتقون والتقدير فاتقون لان امتكم واحده وهذا كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اى لان المساجد لله فلا تدعوا معه غيره وكقوله لايلاف قريش اى فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش الثانيه هذه الآيه تقوي ان قوله تعالى يا ايها الرسل انما هو مخاطبه لجميعهم وانه بتقدير حضورهم واذا قدرت يا ايها الرسل مخاطبه لمحمد صلى الله عليه وسلم قلق اتصال هذه واتصال قوله فتقطعوا اما ان قوله وانا ربكم فاتقون وان كان قيل للانبياء فامهم داخلون فيه بالمعنى فيحسن بعد ذلك اتصال فتقطعوا اى افترقوا صح

يعني الامم اي جعلوا دينهم اديانا بعد ما امروا بالاجتماع ثم ذكر تعالى ان كلا منهم معجب برأيه وضلالته وهذا غاية الضلال الثالثه هذه الآيه تنظر الى قوله صلى الله عليه وسلم الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين مله وان هذه الامه ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحده في الجنه وهي الجماعه الحديث خرجه ابو داود ورواه الترمذي وزاد قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي خرجه من حديث عبد الله بن عمرو وهذا يبين ان الافتراق المحذر منه في الآيه والحديث انما هو في اصول الدين وقواعده لانه قد اطلق عليها مللا واخبر ان التمسك بشيء من تلك الملل موجب لدخول النار ومثل هذا لا يقال في الفروع فانه لا يوجب تعديد الملل ولا عذاب النار قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قوله تعالى زُبُرًا يعني كتبا وضعوها وضلالات الفوها قاله ابن زيد وقيل انهم فرقوا الكتب فاتبعت فرقة منهم الصحف وفرقه التوراه وفرقه الزبور وفرقه الانجيل ثم حرف الكل وبدل قاله قتاده وقيل اخذ كل فريق منهم كتابا آمن به وكفر بما سواه وزبرا بضم الباء قراءه نافع جمع زبور والاعمش وابو عمرو بخلاف عنه زبرا بفتح الباء اى قطعا كقطع الحديد كقوله تعالى آتوني زبر الحديد كُلُّ حِزْبٍ اى كل فريق ومله بِمَا لَدَيْهِمْ اى عندهم من الدين فَرِحُونَ اى معجبون به وهذه الآيه مثال لقريش خاطب محمدا عليه السلام في شانهم متصلا بقوله فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ اى فذر هؤلاء الذين هم بمنزله من تقدم ولا يضيق صدرك بتاخر العذاب عنهم فلكل شيء وقت والغمره في اللغه ما يغمرك ويعلوك واصله الستر ومنه الغمر الحقد لانه يغطي القلب والغمر الماء الكثير وغمر الرداء الذي يشمل الناس بالعطاء قال الشاعر غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال والمراد هنا الحيره والغفله والضلاله ودخل فلان في غمار الناس اى زحمتهم وقوله حتى حين قال مجاهد حتى الموت فهو تهديد لا توقيت قوله تعالى أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ما بمعنى الذي اى ايحسبون ان الذي نعطيهم في الدنيا من المال والاولاد هو ثواب لهم انما هو استدراج واملاء ليس اسراعا في الخيرات وفي خبر ان ثلاثة اقوال احدها انه محذوف قال الزجاج المعنى نسارع لهم به في الخيرات و حذفت به وقال هشام الضرير قولا دقيقا قال انما هي الخيرات وصار المعنى نسارع لهم فيه ثم اظهر فقال في الخيرات ولا حذف فيه على هذا التقدير ومذهب الكسائي ان انما حرف واحد ولا يحتاج الى تقدير حذف ويجوز الوقف على قوله وبنين ومن قال انما حرفان فلابد من ضمير يرجع من الخبر الى اسم ان ولم يتم الوقف على بنين وقال السجستاني لا يحسن الوقف على وبنين لان يحسبون يحتاج الى مفعولين وتمام المفعولين في الخيرات قال ابن الانباري وهذا خطا لان ان كافيه من اسم ان وخبرها

ولا يجوز ان يوتى بعد ان بمفعول ثان وقراء السلمي وعبد الرحمن بن ابي بكرة يسارع بالياء على ان يكون فاعله الله اذا ثنا
وهذا يجوز على ان يكون على غير حذف اى يسارع لهم الامداد ويجوز ان يكون فيه حذف ويكون المعنى ويسارع الله لهم
وقرى ونسارع لهم في الخيرات وفيه ثلثه اوجه احدها على حذف به ويجوز ان يكون يسارع الامداد ويجوز ان يكون لهم اسم ما لم يسم
فاعله ذكره النحاس قال المهدوي وقراء الحر النحوي نسرع لهم في الخيرات وهو معنى قراءة الجماعة قال الثعلبي والصواب
قراءة العامة كقوله نمدهم بل لا يشعرون ان ذلك فتنة لهم واستدراج إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ
خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ لما فرغ ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين المسارعين في الخيرات
ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم ومشفقون خائفون وجلون مما خوفهم الله تعالى وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ قال الحسن يوتون الاخلاص ويخافون ان لا يقبل
منهم وروى الترمذي عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية والذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة قالت عائشة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون
ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ان لا يقبل منهم أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وقال الحسن لقد ادركت
اقواما كانوا من حسناتهم ان ترد عليهم اشفق منكم على سيئاتكم ان تعذبوا عليها وقرأت عائشة وابن عباس
والنخعي والذين يأتون ما أتوا مقصورا من الاتيان قال الفراء ولو صحت هذه القراءة عن عائشة لم تخالف قراءة
الجماعة لان الهمز من العرب من يلزم فيه الالف في كل الحالات اذا كتب فكتب سئل الرجل بالف بعد السين ويستهزءون
بالف بين الزاء والواو وشئ بالف بعد الياء فغير مستنكر في مذهب هؤلاء ان يكتب يؤتون بالف بعد الياء فيحمل
هذا اللفظ بالبناء على هذا الخط قراءتين يؤتون ما آتوا ويأتون ما اتوا وينفرد ما عليه الجماعة باحتمال تأويلين
احدهما والذين يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقلوبهم خائفة والاخر والذين يؤتون الملئكة الذين يكتبون
اعمال العباد ما آتوا وقلوبهم وجلة فحذف مفعول في هذا الباب لوضوح معناه كما حذف في قوله تعالى فيه يغاث الناس
وفيه يعصرون السمسم والعنب فاختزل المفعول لوضوح تأويله ويجوز يكون الاصل في الحرف على هجائه الموجود في الامام
يأتون بالف مبدلة من الهمز فكتبت الالف واو التواخي حروف المد واللين في الخفاء حكاه ابن الانبارى قال
النحاس المعروف من قراءة ابن عباس والذين يأتون ما اتوا وهي القراءة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة
رضى الله عنها ومعناها يعملون ما عملوا كما روى في الخبر والوجل نحو الاشفاق والخوف فالتقي والتائب خوفه امر
العاقبة وما يطلع عليه بعد الموت وفي قوله انهم الى ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وفي صحيح البخارى وانما الاعمال
بالخواتيم واما المخلط فينبغي له ان يكون تحت خوف من ان ينفذ فيه الوعيد بتخليطه وقال بعض اصحاب الخواطر وجل
العارف من طاعته اكثر وجلا من وجله من مخالفته لان المخالفة يمحوها التوبة والطاعة تطلب بتصحيح الغرض أَنَّهُمْ
اى لانهم اى من اجل انهم الى ربهم راجعون قوله تعالى أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ اى في عمل
الخيرات اى في الطاعات كي ينالوا بذلك اعلى الغرفات والدرجات وقرى يسرعون في الخيرات اى يكونون سراعا اليها
ويسارعون على معنى يسابقون من سابقهم اليها فالمفعول محذوف قال الزجاج يسارعون ابلغ من يسرعون وَهُمْ لَهَا
سَابِقُونَ احسن ما قيل فيه انهم يسبقون الى اوقاتها ودل بهذا ان الصلوة في اول الوقت افضل كما تقدم في البقرة وكل
من تقدم في شئ فقد سبق اليه وكل من تأخر عنه فقد سبق وفاته فاللام في لها على هذا القول بمعنى الى كما قال بان
ربك اوحى لها اى اليها وانشد سيبويه تجانف عن جو اليمامة ناقتي وما قصدت من اهلها لسوائكا وعن ابن عباس

في معنى وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ سبقت لهم من الله السعادة فلذلك سارعوا في الخيرات وقيل المعنى وهم
من اجل الخيرات سابقون وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا مضى في البقرة انه ناسخ لجميع
ما ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصاء
الاعمال الذي ترفعه الملئكة واضافه الى نفسه لان الملئكة كتبته بامره فهو ينطق بالحق وفي هذا تهديد
وتأنيس من الحيف والظلم ولفظ النطق يجوز في الكتاب والمراد ان النبيين تنطق بما فيه والله اعلم
وقيل عنى اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه كل شئ فهم لا يجاوزون ذلك وقيل الاشارة بقوله ولدينا كتاب القرآن
وكل محتمل والاول اظهر بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا قال مجاهد اى في غطاء
وغفلة وعماية من القرآن ويقال غمره الماء اذا غطاه ونهر غمر يغطى من دخله ورجل غمر يغمره آراء الناس
وقيل غمرة لانها تغطى الوجه ومنه دخل في غمار الناس وخمارهم اى فيما يغطيه من الجمع وقيل بل قلوبهم في غمرة
اى في حيرة وعمى اى مما وصف من اعمال البر في الآيات المتقدمة قاله قتادة او من الكتاب الذي ينطق بالحق
وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ قال قتادة ومجاهد اى لهم خطايا لا بد لهم ان
يعملوها من دون الحق وقال الحسن وابن زيد المعنى ولهم اعمال ردية لم يعملوها من دون ما هم عليه لا بد ان
يعملوها دون اعمال المؤمنين فيدخلون بها النار لما سبق لهم من الشقوة ويحتمل ثالثا انه ظلم الخلق مع
الكفر بالخالق ذكره الماوردى والمعنى متقارب حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ يعني بالسيف
يوم بدر قاله ابن عباس وقال الضحاك يعني بالجوع حين قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك
على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط والجوع حتى اكلوا العظام والميتة والكلاب
والجيف وهلك الاموال والاولاد إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ اى يصيحون ويستغيثون واصل الجوار رفع الصوت
بالتضرع كما يفعل الثور قال الاعشى يصف بقرة فطافت ثلاثا بين يوم وليلة وكان النكير ان تضيف وتجأرا
قال الجوهري والجوار مثل الخوار يقال جأر الثور يجأر اذا صاح وقرا بعضهم عجلا جسدا له جوار حكاه الاخفش
وجأر الرجل الى الله تضرع بالدعاء قال قتادة يصرخون بالتوبة فلا يقبل منهم قال يراوح من صلوات المليك
فطورا سجودا وطورا جؤارا وقال ابن جريج حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب هم الذين قتلوا ببدر اذا هم
يجأرون هم الذين بمكة فجمع بين القولين المتقدمين وهو حسن لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا اى من عذابنا لا تنصرون
لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم وقال الحسن لا تنصرون بقبول التوبة وقيل معنى هذا النهي الاخبار اى انكم ان تضرعتم
لم ينفعكم قوله تعالى قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ تتلى تقرأ قال الضحاك قبل ان تعذبوا بالقتل
فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ الايات يريد بها القرآن قال مجاهد تستأخرون واصله ان يرجع القهقرى قال الشاعر
زعموا انهم على سبل الحق وانا نكص على الاعقاب وهو هنا استعارة للاعراض عن الادبار عن الحق وقراء علي بن
ابي طالب على ادباركم بدل على اعقابكم تنكصون بضم الكاف ومستكبرين حال والضمير في به قال الجمهور هو عائد على
الحرم او المسجد او البلد الذي هو مكة وان لم يتقدم له ذكر لشهرته في الامر اى يقولون نحن اهل الحرم فلا نخاف وقيل
المعنى انهم يعتقدون في نفوسهم ان لهم بالمسجد والحرم اعظم الحقوق على الناس والمنازل فيستكبرون لذلك وليس
الاستكبار من الحق وقالت فرقة الضمير عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات والمعنى يحدث لكم سماعه كبرا وطغيانا
فلا تؤمنوا به قال ابن عطيه وهذا قول جيد قال النحاس والقول الاول اولى والمعنى انهم يفخرون بالحرم ويقولون

ربهم يؤمنون والذين
هم بربهم ـ صح

والمعنى يعصرون ـ م

ون

آياتي ـ م

نحن اهل الحرم قوله تعالى سَامِرًا تَهْجُرُونَ فيه اربع مسايل سامرا نصب على الحال والمعنى سمّارا وهي
الجماعة يتحدثون بالليل مأخوذ من السمر وهو ظل القمر ومنه سُمرة اللون وكانوا يتحدثون حول الكعبة في سمر القمر
فسمي التحدث به قال الثوري يقال لظل القمر السمر ومنه السمرة في اللون ويقال له الفخت ومنه قيل فاخته وقرا ابو رجاء
سمارا وهو جمع سامر كما قال الست ترى السمار والناس احوالي وفي حديث قيلة اذا جاء زوجها من السامر يعني من القوم الذين
يسمرون بالليل فهو اسم مفرد بمعنى الجمع كالحاضر وهم القوم النازلون على الماء والباقر جمع البقر والجامل جمع الابل ذكورها
واناثها ومنه قوله ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا يقال قوم سَمْر وسُمَّر وسامر ومعناه سهر الليل مأخوذ من السمر وهو ما يقع على
الاشجار من ضوء القمر قال الجوهري والسامر ايضا السمار وهم القوم الذين يسمرون كما يقال للحاج حجاج وقال الشاعر
وسامر طال فيه اللهو والسمر كانه سمي المكان الذي يجتمع فيه للسمر بذلك وقيل وحّد سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع
الوقت كقول الشاعر من دونهم ان جئتهم سمرا عزف القيان ومجلس غمر وقيل السمر الدهر وابناء الليل والنهار و
لا افعله السمر والقمر اى ما دام الناس يسمرون في ليلة قمرا ولا افعله سمير الليالي قال الشنفرى هنالك لا ارجو حياة
تسرني سمير الليالي مبسلا بالجرائر والسمار بالفتح اللبن الرقيق وكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا اوجب
معرفتها بالنجوم لانها تجلس في الصحراء فترى الطوالع والغوارب وكانت قريش تسمر حول الكعبة مجالس في اباطيلها وكفرها
فعابهم الله بذلك وتهجرون قرئ بضم التاء وكسر الجيم من اهجر اذا نطق بالفحش وبنصب التاء وضم الجيم من هجر المريض اذا هذا
ومعناه يتكلمون بهوس وشيء من القول في النبي عليه السلام وفي القران روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
انما كره السمر حين نزلت هذه الآية مستكبرين به سامرا تهجرون يعني ان الله تعالى ذم اقواما يسمرون في غير طاعة الله
تعالى اما في هذيان واما في اذاية وكان الاعمش يقول اذا رايت الشيخ ولم يكتب الحديث فاصفعه فانه من شيوخ القمر
يعني يجتمعون في ليالي القمر فيتحدثون بايام الخلفاء والامراء ولا يحسن احدهم ان يتوضا للصلوة روى مسلم
عن ابي برزة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخر العشاء الى ثلث الليل ويكره النوم قبلها والحديث بعدها قال
العلماء اما الكراهة للنوم قبلها فلئلا يعرضها عن كل وقتها او افضل وقتها ولهذا قال عمر من نام فلا نامت عينه ثلاثا وممن كره النوم
قبلها عمر وابنه عبد الله وابن عباس وغيرهم مالك ورخص فيه بعضهم منهم علي وابو موسى وغيرهم وهو مذهب الكوفيين
وشرط بعضهم ان يجعل معه من يوقظه للصلاة وروي عن ابن عمر مثله واليه ذهب الطحاوي واما كراهيته
الحديث بعدها فلان الصلاة قد كفرت خطاياه فينام على سلامة وقد ختم الكتاب صحيفته بالعبادة فان هو
سمر وتحدث فيملأها بالهوس ويجعل خاتمتها اللغو والباطل وليس هذا من فعل المؤمنين وايضا فان السمر
في الحديث مظنة غلبة النوم اخر الليل فينام عن قيام اخر الليل وربما ينام
عن صلاة الصبح وقد قيل انما يكره السمر بعدها لما روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم والسمر بعد هدأة الرجل فان احدكم لا يدري ما يبث الله من خلقه اغلقوا الباب واوكوا السقاء و
خمروا الاناء واطفئوا المصابيح وروي عن عمر انه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشاء ويقول
اسمرا اول الليل ونوما آخره اريحوا كتابكم حتى انه روي عن ابن عمر انه قال من قرض بيت شعر بعد العشاء
لم يقبل له صلاة حتى يصبح واسنده شداد بن اوس الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان الحكمة في كراهية الحديث
بعدها انما هو لما ان الله تعالى جعل الليل سكنا اى يسكن فيه فاذا تحدث الانسان فيه فقد جعله كالنهار الذي
منصرف المعاش فكانه قصد الى مخالفة حكمة الله التي اجرى عليه وجوده فقال وهو الذي جعل لكم الليل لباسا

علاولى صح

وقال سمر الان معناه ان جئتهم ليلا وجدتهم وهم يسمرون وابنا سميرا الليل والنهار لانه يسمر فيهما يقال لا افعله ما سمر ابنا سمير ابدا صح

للنوم صح

للغوات صح

والنوم سباتا وجعل النهار نشورا هذه الكراهة انما تختص بما لا يكون من قبيل القرب والاذكار
وتعليم العلم ومسامرة الاهل بالعلم وتعليم المصالح وما شابه ذلك فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف
ما يدل على جواز ذلك بل على ندبيته وقد قال البخاري باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء وذكر ان قرة بن خالد
قال انتظرنا الحسن وراث علينا حتى جاء قريبا من وقت قيامه فجاء فقال دعانا جيراننا هؤلاء ثم قال
انس انتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى كان شطر الليل فجاء فصلى ثم خطبنا فقال ان
الناس قد صلوا وانكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة قال الحسن فان القوم لا يزالون في خير ما انتظروا
الخير قال باب السمر مع الضيف والاهل وذكر حديث ابي بكر بن عبد الرحمن ان اصحاب الصفة كانوا فقراء
الحديث اخرجه مسلم ايضا وقد جاء في حراسة الثغور وحفظ العساكر بالليل من الثواب الجزيل والاجر
العظيم ما هو مشهود في الاخبار وقد مضى من ذلك جملة في آخر آل عمران قوله تعالى أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا
الْقَوْلَ يعني القرآن وهو كقوله افلا يتدبرون القرآن وسمي القرآن قولا لانهم خوطبوا به أَمْ جَاءَهُمْ
مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ فانكروه واعرضوا عنه وقيل ام بمعنى بل اى بل جاءهم ما لا عهد لهم ولا لابائهم به
فلذلك انكروه وتركوا التدبر له قاله ابن عباس وقيل المعنى ام جاءهم امان من العذاب وهو شيء لم يأت
آباءهم الاولين فتركوا قوله تعالى أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ
هذا تستعمله العرب على معنى التوقيف والتقبيح فيقولون الخير احب اليك ام الشر اى قد اخترت الشر
فتجنبه وقد عرفوا رسولهم وانه من اهل الصدق والامانة ففي اتباعه النجاة والخير لولا العنت قال
سفيان بلى قد عرفوه ولكنهم قد حسدوه أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ اى ام يحتجون في ترك
الايمان به بانه مجنون فليس هو هكذا لزوال امارات الجنون عنه بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ يعني القرآن
والتوحيد الحق والدين الحق وأكثرهم اى كلهم للحق كارهون اى حسدا وبغيا وتقليدا قوله تعالى وَلَوِ
اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ الحق هنا الله سبحانه وتعالى قاله الاكثرون منهم مجاهد وابن جريج وابو صالح
وغيرهم وتقديره في العربية ولو اتبع صاحب الحق قاله النحاس وقد قيل هو مجاز اى لو وافق الحق اهواءهم فجعل
موافقته اتباعا مجازا اى لو كانوا يكفرون بالرسل ويعصون الله تعالى ثم لا يعاقبون ولا يجازون على ذلك اما
عجزا واما جهلا لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وقيل المعنى ولو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الهة مع الله
جل وعز لتنافت الالهة واراد بعضهم ما لا يريده بعض فاضطرب التدبير وفسدت السموات والارض واذا
فسدتا فسد من فيهما وقيل لو اتبع الحق اهواءهم اى بما يهواه الناس ويشتهونه لبطل نظام العالم لان شهوات
الناس تختلف وتتضاد وسبيل الحق ان يكون متبوعا وسبيل الناس الانقياد للحق وقيل الحق القرآن اى لو نزل القرآن
بما يحبون لفسدت السموات والارض ومن فيهن اشارة الى من يعقل من ملائكة السموات وانس الارض وجنها الماورد
وقال الكلبي يعني وما بينهما من خلق وهي قراءة ابن مسعود لفسدت السموات والارض وما بينهما فيكون على تأويل الكلبي
وقراءة ابن مسعود محمولا على فساد من يعقل وما لا يعقل من الحيوان لان ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح والفساد فعلى
هذا ما يكون من الفساد يعود على من في السموات من الملائكة بان جعلت اربابا وهي مربوبة وعبدت وهي مستعبدة
وفساد الانس يكون على وجهين احدهما باتباع الهوى وذلك مهلك الثاني بعبادة غير الله وذلك كفر واما فساد ما عدا
ذلك فيكون على وجه التبع لانهم مدبرون بذوي العقول فعاد فساد المدبرين عليهم قوله تعالى بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ

هم

اى بما فيه شرفهم وعزهم قاله السدى وسفيان وقال قتادة اى بما لهم فيه ذكر ثوابهم وعقابهم ابن عباس اى ببيان الحق
وذكر ما لهم به حاجة من امر الدين فهم عن ذكرهم معرضون   أم تسألهم خرجا اى اجرا على ما
جئتهم به قاله الحسن وغيره فخراج ربك خير وقراء حمزة والكسائى والاعمش وابن وثاب خراج بالالف الباقون
بغير الف وكلهم قراء فخراج بالالف الا ابن عامر وابا حيوة فانهما قرآه بغير الف والمعنى ام تسألهم رزقا فرزق ربك
خير وهو خير الرازقين اى ليس يقدر احد ان يرزق مثل رزقه ولا ينعم مثل انعامه وقيل اى ما يؤتيك الله من الاجر
على طاعتك له والدعاء له خير من عرض الدنيا وقد عرضوا عليك اموالهم حتى تكون كاغنى رجل من قريش فلم يجبهم الى ذلك
قال معناه الحسن والخرج والخراج واحد الا ان اختلاف الكلام احسن قاله الاخفش وقال ابو حاتم الخرج الجعل و
الخراج العطاء وقال المبرد الخرج المصدر والخراج الاسم فقال النضر بن شميل سألت ابا عمرو بن العلاء عن الفرق بين
الخرج والخراج فقال الخراج ما لزمك والخرج ما تبرعت وعنه ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض ذكر
الاول الثعلبى والثانى الماوردى قوله تعالى وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم
اى الى دين قويم والصراط فى اللغة الطريق فسمى الدين طريقا لانه يؤدى الى الجنة فهو طريق اليها وإن الذين
لا يؤمنون بالآخرة اى بالبعث عن الصراط لناكبون قيل هو مثل الاول وقيل انهم عن طريق
الجنة لعادلون حتى يصيروا الى النار نكب عن الطريق ينكب نكوبا اذا عدل عنه ومال الى غيره ومنه نكبت الريح اذا لم
تستقم على مجرى وشر الريح النكباء قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
اى لو رددناهم الى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم للجوا فى طغيانهم قال السدى فى معصيتهم يعمهون
قال الاعمش يترددون وقال ابن جريج ولو رحمناهم يعنى فى الدنيا وكشفنا ما بهم من ضر اى من قحط وجوع للجوا اى لتمادوا
فى طغيانهم وضلالتهم وتجاوزهم الحد يعمهون يتذبذبون ويخبطون ولقد أخذناهم بالعذاب قال الضحاك
بالجوع وقيل بالامراض والحاجة والجوع وقيل بالقتل والجوع فما استكانوا لربهم اى ما خضعوا وما يتضرعون
اى ما يخشعون لله جل وعز فى الشدائد تصيبهم قال ابن عباس نزلت فى قصة ثمامة بن اثال لما اسرته السرية و
اسلم وخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله حال بين مكة وبين الميرة وقال والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ الله قريشا بالقحط والجوع حتى اكلوا الميتة والكلاب والعلهز قيل وما العلهز
قال كانوا يأخذون الصوف والوبر فيبلونه بالدم ثم يشوونه ويأكلونه فقال له ابو سفيان انشدك الله والرحم
أليس تزعم ان الله بعثك رحمة للعالمين قال بلى قال فوالله ما اراك الا قتلت الآباء بالسيف وقتلت الابناء بالجوع فنزل
قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر الآية قوله تعالى حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد قال عكرمة هو باب من ابواب جهنم عليه من الخزنة اربع مائة الف سود وجوههم كالحة انيابهم
باذن قد قلعت الرحمة من قلوبهم اذا بلغوه فتحه الله عز وجل عليهم وقال ابن عباس هو قتلهم بالسيف يوم بدر وقيل
هو القحط الذى اصابهم حتى اكلوا العلهز من الجوع على ما تقدم وقيل فتح مكة إذا هم فيه مبلسون اى يائسون
متحيرون لا يدرون ما يصنعون كالآيس من الفرج ومن كل خير وقد تقدم فى الانعام قوله تعالى وهو الذى
أنشأ لكم السمع والأبصار عرفهم كثرة نعمه وكمال قدرته قليلا ما تشكرون اى ما تشكرون
الا شكرا قليلا وقيل اى لا تشكرون البتة قوله تعالى وهو الذى ذرأكم فى الأرض اى نشركم وخلقكم
وطلقكم وإليه تحشرون اى تجمعون للجزاء وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار

اى جعلهما مختلفين كقولك لك الاجر والصلة اى انك تؤجر وتوصل قاله الفراء وقيل اختلافهما نقصان احدهما
وزيادة الآخر وقيل اختلافهما النور والظلمة وقيل تكررهما يوم بعد ليلة وليلة بعد يوم ويحتمل خامسا اختلاف
ما مضى فيهما من سعادة وشقاوة وضلال وهدى أفلا تعقلون كنه قدرته وربوبيته ووحدانيته
وانه لا يجوز ان يكون له شريك من خلقه وانه قادر على البعث ثم عيرهم بقولهم واخبر عنهم انهم قالوا مثل ما قال
الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون هذا لا يكون ولا يتصور لقد وعدنا نحن وآباؤنا
هذا من قبل اى من قبل مجىء محمد صلى الله عليه وسلم فلم نر له حقيقة إن هذا اى ما هذا إلا أساطير الأولين
اى اباطيلهم وترهاتهم وقد تقدم هذا كله قال الله تعالى قل لهم يا محمد جوابا عما قالوه لمن الأرض ومن
فيها يخبر بربوبيته ووحدانيته وملكه الذى لا يزول وقدرته التى لا تحول فسيقولون الله ولا بد لهم من
ذلك قل أفلا تذكرون افلا تتعظون وتعلمون ان من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو على احياء الموتى
بعد موتهم قادر قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل
أفلا تتقون يريد افلا تخافون حيث تجعلون لى ما تكرهون زعمتم ان الملائكة بناتى وكرهتم لانفسكم البنات
قل من بيده ملكوت كل شىء يريد السموات وما فوقها وما بينهن والارضين وما تحتهن وما بينهن
وما لا يعلمه احد الا هو وقال مجاهد ملكوت كل شىء خزائن كل شىء وقال الضحاك ملك كل شىء والملكوت
من صفات المبالغة كالجبروت والرهبوت وقد مضى فى الانعام وهو يجير ولا يجار عليه اى
يمنع ولا يمتنع منه وقيل يجير يؤمن من شاء ولا يجار عليه اى لا يؤمن من اخافه ثم قيل هذا فى الدنيا اى من اراد
الله خوفه واهلاكه لم يمنعه منه مانع ومن اراد نصره وامنه لم يدفعه عن نصره وامنه دافع وقيل هذا فى الآخرة
اى لا يمنعه من مستحق الثواب مانع ولا يدفعه عن مستوجب العذاب دافع فأنى تسحرون اى كيف تخدعون و
تصرفون عن طاعته وتوحيده او كيف يخيل لكم ان تشركوا به ما لا يضر ولا ينفع والسحر هو التخييل وكل هذا احتجاج
على العرب المقرين بالصانع وقراء ابو عمرو سيقولون الله فى الموضعين الاخيرين وهى قراءة اهل العراق الباقون
لله ولا خلاف فى الاول انه لله لانه جواب لقل لمن الأرض ومن فيها فلما تقدمت اللام فى لمن رجعت فى الجواب
ولا خلاف انه مكتوب فى جميع المصاحف بغير الف واما من قراء سيقولون الله فلان السؤال بغير لام فجاء الجواب على
لفظه وجاء فى الاول لله لما كان السؤال باللام واما من قراء لله باللام فى الاخيرين وليس فى السؤال لام فلان المعنى
قل لمن السموات السبع ورب العرش العظيم فكان الجواب لله حين قدرت اللام فى السؤال وعلة الثالثة كعلة
الثانية قال الشاعر اذا قيل من رب المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد اى لمن المزالف و
المزالف البراعيل وهى البلاد التى بين الريف والبر الواحدة مزلفة ودلت هذه الآيات على جدال الكفار
واقامة الحجة عليهم وقد تقدم فى البقرة وتنبهت على ان من اتصف بالخلق والاختراع والايجاد والابداع
هو المستحق للالوهية والعبادة قوله تعالى بل أتيناهم بالحق اى بالقول الصدق لا ما
تقوله الكفار من اثبات الشريك ونفى البعث وإنهم لكاذبون ان الملائكة بنات الله فقال تعالى ما اتخذ
الله من ولد من صلة وما كان معه من إله من زائدة التقدير ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ولا كان معه إله
فيما خلق وفى الكلام حذف والمعنى لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بخلقه ولعلا بعضهم على بعض اى
لغالب ولطلب القوى الضعيف كالعادة بين الملوك وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الالهية وهذا الذ

يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد ايضا لان الولد ينازع الاب في الملك منازعة الشريك سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ تنزيها له عن الولد والشريك عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وقرأ نافع وابو بكر وحمزة والكسائي عالم بالرفع على الاستيناف اي هو عالم الغيب الباقون بالجر على الصفة لله وروى رويس عن يعقوب عالم اذا وصل خفضا وعالم اذا ابتدأ رفعا قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ علمه ما يدعوا به اي قل رب اي يا رب ان اريتني ما يوعدون من العذاب فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ اي في نزول العذاب بهم بل اخرجني منهم وقيل النداء معترض وما في اما زائدة وقيل ان اصل اما ان ما وان شرط وما شرط فجمع بين الشرطين توكيدا والجواب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي اذا اردت بهم عقوبة فاخرجني منهم وكان عليه السلام يعلم ان الله تعالى لا يجعله في القوم الظالمين اذا نزل بهم العذاب ومع هذا امره الرب بهذا الدعاء والسوال ليعظم اجره وليكون في كل الاوقات ذاكرا لربه وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ نبه على ان خلاف المعلوم مقدور وقد اراه الله ذلك فيهم بالجوع والسيف ونجاه الله ومن آمن به من ذلك قوله تعالى ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ امر بالصفح ومكارم الاخلاق فما كان منها لهذه الامة فيما بينهم فهو محكم باق في الامة ابدا وما فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن امورهم فمنسوخ بالقتال نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ اي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي انها اية موادعة والله اعلم قوله تعالى وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ فيه مسئلتان الاولى الهمزات جمع همزة والهمز في اللغة النخس والدفع يقال همزه ولمزه ونخسه دفعه وقال الليث الهمز كلام من وراء القفا واللمز مواجهة والشيطان يوسوس فيهمس في صدر ابن آدم وهو قوله اعوذ بك من همزات الشياطين اي نزغات الشياطين الشاغلة عن ذكر الله وفي الحديث كان يتعوذ من همز الشيطان وهمسه ولمزه قال ابو الهيثم اذا اسر الكلام واخفاه فذلك الهمس من الكلام وسمي الاسد هموسا لانه يمشي بخفة فلا يسمع صوت وطئه وقد تقدم في طه الثانية امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بالتعوذ من الشيطان من همزاته وهي سورة الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه وكانها هي التي كانت تصيب المومنين مع الكفار فتقع المحادة فلذلك اتصلت بهذه الآية فالنزغات وسورات الغضب الوارده من الشيطان هي المتعوذ منها في الآية وقد تقدم في الاعراف بيانه مستوفى وفي اول الكتاب ايضا وروى علي بن حرب الطائي حدثنا سفيان عن ايوب عن محمد بن حبان كان يؤرق من الليل فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يتعوذ بكلمات الله التامة من غضب الله وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون وفي كتاب ابي داود قال عمرو همزه الموتة وقال ابن ماجه الموتة يعني الجنون والتعوذ ايضا من الجنون وكيد وفي قراءة ابي رب عائذا بك من همزات الشياطين وعائذا بك ان يحضرون اي يكونوا معي في اموري فانهم اذا حضروا الانسان كانوا معدين للهمز واذا لم يكن حضور فلا همز وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان يحضر احدكم عند كل شيء من شانه حتى يحضره عند طعامه فاذا سقط من احدكم اللقمة فليمط ما كان بها من اذى ثم لياكلها ولا يدعها للشيطان فاذا فرغ فليلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة قوله تعالى حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ عاد الكلام الى ذكر المشركين اي قالوا ائذا متنا الى قوله ان هذا الا اساطير

الاولين ثم احتج عليهم وذكرهم قدرته على كل شيء ثم قال هم مصرون على ذلك حتى اذا جاء احدهم الموت تيقن ضلالته وعاين الملائكة التي تقبض روحه كما قال ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ تمنى الرجعة كي يعمل صالحا فيما ترك وقد يكون القول في النفس قال الله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله فاما قوله ارجعون وهو يخاطب ربه ولم يقل ارجعني فقيل جاء على تعظيم الذكر للمخاطب وقيل استغاثوا بالله جل وعز اولا فقال قائلهم رب ثم رجع الى مخاطبة الملائكة فقال ارجعون اي ارجعون الى الدنيا قاله ابن جريج وقيل ان معنى ارجعون على جهة التكرير اي ارجعني ارجعني وهكذا قال المازني في قوله القيا في جهنم قال معناه الق الق قال الضحاك المراد به اهل الشرك قال المؤلف رحمه الله ليس سوال الرجعة مختصا بالكافر فقد يسالها المؤمن كما في آخر سورة المنافقين على ما ياتي ودلت الآية على ان احدا لا يموت حتى يعرف اضطرارا اهو من اولياء الله ام من اعداء الله ولولا ذلك لما سال الرجعة فيعلموا ذلك قبل نزول الموت وذواقه لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا قال ابن عباس يريد اشهد ان لا اله الا الله فِيمَا تَرَكْتُ اي فيما ضيعت وتركت العمل به من الطاعات وقيل فيما تركت من مالي فاتصدق ولعل تتضمن ترددا وهذا الذي سال الرجعة قد استيقن العذاب وهو يوطن نفسه على العمل قطعا من غير تردد فالتردد يرجع اما الى رده الى الدنيا واما الى التوفيق اي اعمل صالحا ان وفقتني اذ ليس على قطع من وجود القدرة والتوفيق لو رد الى الدنيا كَلَّا هذه كلمة رد اي ليس الامر على ما يظنه من انه يجاب الى الرجوع الى الدنيا بل هو كلام يطيح في ادراج الريح وقيل لو اجيب الى ما يطلب لما وفى بما يقول كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل كلا انها كلمة هو قائلها يرجع الى الله تعالى اي لا خلف في خبره وقد اخبر انه لا يؤخر نفسا اذا جاء اجلها واخبر بان هذا الكافر لا يؤمن وقيل انها كلمة هو قائلها عند الموت ولكن لا تنفع وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ اي ومن امامهم وبين ايديهم وقيل من خلفهم برزخ اي حاجز بين الموت والبعث قاله الضحاك ومجاهد وابن زيد وعن مجاهد ايضا ان البرزخ هو الحاجز بين الميت والرجوع الى الدنيا وعن الضحاك هو ما بين الدنيا والآخرة وعن ابن عباس حجاب وعن السدي اجل وعن قتادة بقية الدنيا وقيل الامهال الى يوم القيامة حكاه ابن عيسى وقال الكلبي هو الاجل ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة وهذه اقوال متقاربة وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ قال الجوهري البرزخ الحاجز بين الشيئين والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ وقال رجل بحضرة الشعبي فلانا قد صار من اهل الآخرة فقال لم يصر من اهل الآخرة ولكنه صار من اهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الآخرة واضيف يوم الى يبعثون لانه ظرف زمان والمراد بالاضافة المصدر قوله تعالى فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ المراد بهذا النفخ النفخة الثانية فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فيها كما يتساءلون في الدنيا من اي قبيلة انت ولا من اي نسب ولا يتعارفون لهول ما اذهلهم وعن ابن عباس ان ذلك في النفخة الاولى حين يصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وسال رجل ابن عباس عن هذه الآية وعن قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال لا يتساءلون في النفخة الاولى لانه لا يبقى على الارض حي فلا انساب ولا تسأل واما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانهم اذا دخلوا الجنة تساءلوا وقال ابن مسعود اولها زفير واخرها شهيق خرجه الترمذي مرفوعا بمعناه من حديث ابي الدرداء وقال قتادة صوت الكفار في النار كصوت الحمار اوله زفير وآخره شهيق وقال ابن عباس يصير لهم نباح كنباح الكلب وقال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة

ان خالد

الخبر بطوله ذكره ابن المبارك وقد ذكرناه بكماله في التذكرة وفي اخره ثم مكث عنهم ما شآء الله ثم ناداهم أَلَمْ تَكُنْ
آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قال فلما سمعوا صوته قال الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك رَبَّنَا
غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا اى الكتاب الذى كتب علينا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
فَإِنَّا ظَالِمُونَ فقال عند ذلك اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ فانقطع عند ذلك الدعآء والرجاء واقبل بعضهم على
بعض ينبح بعضهم في وجه بعض واطبقت عليهم قوله تعالى إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ
رَبَّنَا آمَنَّا الآية قال مجاهد هم بلال وخبّاب وصهيب وفلان وفلان من ضعفآء المسلمين كان ابو جهل
واصحابه يهزؤن بهم فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا بالضم قراءة نافع وحمزة والكسائى ههنا وفي صاد وكسر الباقون
قال النحاس وفرق ابو عمرو بينهما فجعل المكسورة من جهة التهزؤ والمضمومة من جهة السخرة ولا نعرف هذا التفريق
الخليل ولا سيبويه ولا الكسائى ولا الفراء قال الكسائى هما لغتان بمعنى واحد كما يقال عِصيّ وعُصيّ ولِجيّ ولُجيّ وحكى
الثعلبى عن الكسائى والفراء الفرق الذى ذكره ابو عمرو ان الكسر بمعنى الاستهزآء والسخرية بالقول والضم بمعنى التسخير
والاستعباد بالفعل وقال المبرد انما يوجد التفريق بين المعانى عن العرب واما التاويل فلا يكون والكسر في سخرى
في المعنيين جميعا لان الضمة تستثقل في مثل هذا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي اى حتى اشتغلتم بالاستهزآء بهم
عن ذكرى وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ استهزآء بهم واضاف الانسآء الى المؤمنين لانهم كانوا سببا لاشتغالهم عن ذكره وتعدى
شؤم استهزائهم بالمؤمنين الى استيلاء الكفر على قلوبهم إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا على اذاكم وصبروا
على طاعتى أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ قرأ حمزة والكسائى بكسر الهمزة على ابتداء المدح من الله تعالى لهم وفتح الباقون
اى لانهم هم الفائزون ويجوز نصبه بوقوع الجزاء عليه تقديره انى جزيتهم اليوم الفوز بالجنة قال المؤلف رحمه الله
وينظر الى معنى هذا قوله تعالى في آخر المطففين فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ الى آخر السورة على
ما ياتى بيانه هنالك ويستفاد من هذا التحذير من السخرية والاستهزآء بالضعفآء والمساكين والاحتقار لهم
والازراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعنى وان ذلك مبعد من الله عز وجل قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ
فِي الْأَرْضِ قيل يعنى في القبور وقيل هو سوال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا وهذا السوال للمشركين في عرصات
القيامة او في النار عَدَدَ سِنِينَ بفتح النون على انه جمع مسلّم ومن العرب من يخفضها وينوّنها قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ انساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور وقيل لان العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا
ما كانوا فيه من العذاب في قبورهم قال ابن عباس انساهم الله ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الاولى الى الثانية
وذلك انه ليس من احد قتله نبى او قتل نبيا او مات بحضرة نبى الا عذّب من ساعة يموت الى النفخة الاولى ثم يمسك
عنه العذاب فيكون كالماء حتى ينفخ الثانية وقيل استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور وراوه يسيرا بالنسبة الى
ما هم بصدده فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ اى سل الحساب اى سل الحساب الذين يعرفون ذلك فانا قد نسيناه او سل
الملئكة الذين كانوا معنا في الدنيا الاول قول قتادة والثانى قول مجاهد وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى قل كم لبثتم
في الارض على الامر ويحتمل ثلاث معان احدها قولوا كم لبثتم فاخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمراد الجماعة اذ
كان المعنى مفهوما الثانى ان يكون امرا للملك ليسالهم يوم البعث عن قدر مكثهم في الدنيا او اراد قل ايها الكافر
كم لبثتم وهو الثالث الباقون قال كم على الخبر اى قال الله لهم او قالت الملئكة لهم كم لبثتم وقرأ حمزة والكسائى
ايضا قل ان لبثتم الا قليلا الباقون قال على الخبر على ما ذكر من التاويل في الاول اى ما لبثتم في الارض الا قليلا وذلك

ان مكثهم في القبور وان طال كان متناهيا وقيل هو قليل بالنسبة الى مكثهم في النار لانه لا نهاية له لو انكم كنتم تعلمون
ذلك قوله تعالى أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا اى مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب
لها ولا عقاب عليها مثل قوله أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى يريد كالبهائم مهملا لغير فائدة قال الترمذى
الحكيم ابو عبد الله محمد بن على ان الله تعالى خلق الخلق عبيدا ليعبدوه فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على
تركها فان عبدوه فهم اليوم له عبيد احرار كرام من رق الدنيا ملوك في دار السلام وان رفضوا العبودية فهم
اليوم له عبيد اباق سقاط لئام وغدا اعداء في السجون بين اطباق النيران وَعَبَثًا نصب على الحال عند سيبويه وقطرب
وقال ابو عبيدة هو نصب على المصدر او لانه مفعول له وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فتجازون باعمالكم
وقرأ حمزة والكسائى ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم من الرجوع فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ
الْحَقُّ اى تنزه وتقدس الله الملك الحق عن الاولاد والشركاء والانداد وعن ان يخلق شيئا عبثا او سفها لانه الحكيم
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ليس في القرآن غيرها وقرأ ابن محيصن وروى عن ابن كثير
الكريم بالرفع نعتا لله وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ اى لا حجة
له عليه فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ اى هو يعاقبه ويحاسبه إِنَّهُ الهاء ضمير الامر والشان لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ
وقرأ الحسن وقتادة لا يفلح بالفتح من كذب وجحد ما جئت به وكفر نعمتى ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار
ليقتدى به الامة وقيل امره بالاستغفار لامته واسند الثعلبى من حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن
حنش بن عبد الله الصنعانى عن عبد الله بن مسعود انه مر بمصاب مبتلى فقرأ في اذنه أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ
عَبَثًا حتى ختم السورة فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا قرات في اذنه فاخبره فقال والذى نفسى بيده
لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال والله اعلم بالصواب والله المرجع والمآب

سورة النور مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا الآية مقصود هذه السورة ذكر احكام العفاف والستر وكتب عمر
رضى الله عنه الى الكوفة علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة لا تنزلوا النسآء الغرف ولا تعلموهن الكتابة
وعلموهن سورة النور والمغزل وَفَرَضْنَاهَا قرئ مخففة الراء اى فرضنا عليكم وعلى من بعدكم ما فيها من الاحكام وبالتشديد
اى انزلنا فيها فرائض مختلفة وقال ابو عمرو وفرّضناها بالتشديد اى قطعناها في الانزال نجما نجما والفرض القطع
ومنه فرضة القوس وفرائض الميراث وفرض النفقة وعنه ايضا فرضناها فصلناها وبيناها وقيل هو على التكثير
لكثرة ما فيها من الفرائض والسورة في اللغة اسم للمنزلة الشريفة ولذلك سميت السورة من القرآن سورة قال زهير

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

وقد مضى في مقدمة الكتاب القول فيها وقرئ سورة بالرفع على انها مبتداء وخبرها أَنْزَلْنَاهَا قاله ابو عبيدة
والاخفش وقال الزجاج والفراء والمبرد سورة رفع لانها خبر الابتداء لانها نكرة ولا يبتداء بالنكرة في كل موضع اى هى
سورة ويحتمل ان يكون قوله سورة ابتداء وما بعده صفة لها اخرجتها عن حد النكرة المحضة فحسن الابتداء بذلك و
يكون الخبر في قوله الزانية والزانى وقرئ سورة بالنصب على تقدير انزلنا سورة انزلناها وقال الشاعر

والذئبَ اخشاه ان مررت به وحدى واخشى الرياحَ والمطرا

او يكون منصوبا باضمار فعل اى اتلو

سورة وقال الفراء هي حال من الهاء والالف والحال من المكني يجوز ان تتقدم عليه قوله تعالى **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ** الى قوله المؤمنين فيه احدى وعشرون
مسئله الاولى قوله تعالى الزانيه والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائه جلده كان الزنا في اللغه معروفا
قبل الشرع مثل اسم السرقه والقتل وهو اسم لوطء الرجل امراه في فرجها من غير نكاح ولا شبهه نكاح بطاعتها
وان شئت قلت هو ادخال فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا فاذا كان ذلك وجب الحد وقد مضى الكلام في
حد الزنا وحقيقته وما للعلماء في ذلك وهذه الآيه ناسخه لآيه الحبس وايه الاذى اللتين في سوره النساء باتفاق
الثانيه قوله تعالى مائه جلده هذا حد الزاني الحر البالغ البكر وكذلك الزانيه البكر البالغه الحره وثبت بالسنه
تغريب عام على الخلاف في ذلك واما المملوكان فالواجب خمسون جلده لقوله **فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ**
نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وهذا في الامه ثم العبد في معناها واما المحصن من الاحرار
فعليه الرجم دون الجلد ومن العلماء من يقول يجلد مائه ثم يرجم وقد مضى هذا كله ممهدا في سوره النساء فاغنى
عن اعادته الثالثه قراءه جمهور الناس الزانيه والزاني بالرفع وقراء عيسى بن عمر الثقفي الزانيه بالنصب
وهو اوجه عند سيبويه لانه عنده كقولك زيدا اضرب ووجه الرفع عنده خبر ابتداء تقديره فيما يتلى عليكم الزانيه
والزاني واجمع الناس على الرفع وان كان القياس عند سيبويه النصب واما الفراء والمبرد والزجاج فان الرفع
عندهم هو الاوجه والخبر في قوله فاجلدوا لان المعنى الزانيه والزاني مجلودان بحكم الله وهو قول جيد
وان شئت قدرت الخبر ينبغي ان يجلدا وقراء ابن مسعود والزان بغير ياء الرابعه ذكر الله سبحانه الذكر
والانثى والزاني كان يكفي منهما فقيل ذكرهما للتاكيد كما قال **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا** ويحتمل ان يكون
ذكرهما هنا لئلا يظن ظان ان الرجل لما كان هو الواطئ والمراه محل ليست بواطئه فلا يجب عليها حد فذكرها
رفعا لهذا الاشكال الذي اوقع جماعه من العلماء منهم الشافعي فقالوا لا كفاره على المراه في الوطء في رمضان لانه قال
جامعت اهلي في نهار رمضان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كفر فامره بالكفاره والمراه ليست بمجامعه ولا واطئه
الخامسه قدمت الزانيه في هذه الآيه من حيث انه كان في ذلك الزمان زنا النساء فاش وكان لاماء العرب
وبغايا الوقت رايات وكن مجاهرات بذلك وقيل لان الزنا في النساء اعر وهو لاجل الحبل اضر وقيل لان الشهوه في
المراه اكثر وعليها اغلب فصدرها تغليظا لتردع شهوتها وان كان قد ركب فيها حياء لكنها اذا زنت ذهب الحياء
كله وايضا فان العار بالنساء الحق اذ موضوعهن الحجبه والصيانه فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما السادسه
الالف واللام في الزانيه والزاني للجنس وذلك يعطي انها عامه في جميع الزناه ومن قال بالجلد مع الرجم قال السنه جاءت
بزياده حكم فيقام مع الجلد وهو قول اسحق بن راهويه والحسن بن ابي الحسن وفعله علي بن ابي طالب بشراحه وقد
مضى في النساء بيانه وقال الجمهور هي خاصه في البكرين واستدلوا على انها غير عامه لخروج العبيد والاماء منها السابعه
نص الله سبحانه ما يجب على الزانيين اذا شهد بذلك عليهما على ما ياتي واجمع العلماء على القول به واختلفوا فيما يجب
على الرجل يوجد مع المراه في ثوب فقال اسحق بن راهويه يضرب كل واحد منهما مائه وروى ذلك عن عمر وعلي وليس
يثبت ذلك عنهما وقال عطاء وسفيان الثوري يؤدبان وبه قال مالك واحمد على قدر مذاهبهم في الادب قال ابن
المنذر والاكثر ممن رايناه يرى على من وجد على هذه الحال الادب وقد مضى في هود اختيارنا في هذه المساله
الثامنه قوله تعالى **فَٱجْلِدُوا۟** دخلت الفاء لانه موضع امر والامر مضارع للشرط وقال المبرد فيه معنى الجزاء

اي ان زنا زان فافعلوا به كذا ولهذا دخلت الفاء وهكذا السارق والسارقه فاقطعوا التاسعه لا خلاف ان
المخاطب بهذا الامر الامام ومن ناب منابه وزاد مالك والشافعي السادة في العبيد قال الشافعي في كل جلد وقطع وقال
مالك في الجلد دون القطع وقيل الخطاب للمسلمين لان اقامه مراسم الدين واجبه على المسلمين ثم الامام ينوب عنهم اذ
لا يمكنهم الاجتماع على اقامه الحدود العاشره اجمع العلماء على ان الجلد بالسوط يجب والسوط الذي يجب ان
يجلد به يكون سوطا بين سوطين لا شديدا ولا لينا روى مالك عن زيد بن اسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فاتي بسوط مكسور فقال فوق هذا فاتي بسوط
جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فاتي بسوط قد ركب به ولان فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد قال ابو عمر
هكذا روى هذا الحديث مرسلا جميع رواة الموطا ولا اعلمه يستند هذا اللفظ بوجه من الوجوه وقد روى معمر عن
يحيى بن ابي كثير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء وقد تقدم في المائده ضرب عمر ابا جادود بسوط تام بين وسطين
الحاديه عشره اختلف العلماء في تجريد المجلود في الزنا فقال مالك وابو حنيفه وغيرهما يجرد ويترك على
المراه ما يسترها دون ما يقيها الضرب وقال الاوزاعي الامام مخير ان شاء جرد وان شاء ترك وقال الشعبي والنخعي
لا يجرد ولكن يترك عليه قميص قال ابن مسعود لا يحل في هذه الامه تجريد ولا مد وبه قال الثوري الثانيه عشره
اختلف العلماء في كيفيه ضرب الرجال والنساء فقال مالك الرجل والمراه في الحدود كلها سواء لا يقام واحد منهما
ولا يجزي عنده الا في الظهر واصحاب الراي والشافعي يرون ان يجلد الرجل وهو واقف وهو قول علي بن ابي طالب
وقال الليث بن سعد وابو حنيفه والشافعي الضرب في الحدود كلها وفي التعزير مجردا قائما غير ممدود الا حد
القذف فانه يضرب وعليه ثيابه وحكاه المهدوي في التحصيل عن مالك وينزع عنه الحشو والفرو وقال الشافعي
ان كان مده صلاحا مد الثالثه عشره اختلفوا في المواضع التي تضرب من الانسان في الحدود فقال مالك
الحدود كلها لا تضرب الا في الظهر وكذلك في التعزير وقال الشافعي واصحابه يتقي الوجه والفرج ويضرب ساير
الاعضاء وروى عن علي واشار ابن عمر بالضرب الى رجلي امه جلدها في الزنا قال ابن عطيه والاجماع في تسليم
الوجه والعوره والمقاتل واختلفوا في ضرب الراس فقال الجمهور يتقى الراس وروى عن عمر وابنه فقالا لا يضرب الراس
وضرب عمر صبيغا في راسه وكان تعزيرا لا حدا ومن حجه مالك ما ادرك عليه الناس وقوله عليه السلام البينه
والا حد في ظهرك الرابعه عشره الضرب الذي يجب هو ان يكون مولما لا يجرح ولا يبضع ولا يخرج
الضارب يده من تحت ابطه وبه قال الجمهور وبه قال علي وابن مسعود واتي عمر برجل في حد فاتي بسوط بين
سوطين وقال للضارب اضرب ولا يرى ابطك واعط كل عضو حقه واتي رضي الله عنه بشارب فقال
لابعثنك الى رجل لا تاخذه فيك هوادة فبعثه الى مطيع بن الاسود العدوي فقال اذا اصبحت الغد فاضربه الحد
فجاء عمر وهو يضربه ضربا شديدا فقال قتلت الرجل كم ضربته قال ستين قال اقص عنه بعشرين قال ابو عبيد قوله
اقص عنه بعشرين يقول اجعل شده هذا الضرب الذي ضربته قصاصا بالعشرين التي بقيت ولا تضربه العشرين و
في الحديث من الفقه ان ضرب الشارب ضرب خفيف وقد اختلف العلماء في اشد الحدود ضربا فقال مالك واصحابه
والليث بن سعد الضرب في الحدود كلها سواء ضرب غير مبرح ضرب بين ضربين وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفه واصحابه
التعزير اشد الضرب وضرب الزنا اشد من الضرب في الخمر وضرب الشارب اشد من الضرب في حد القذف وقال الثوري
ضرب الزنا اشد من ضرب القذف وضرب القذف اشد من ضرب الخمر احتج مالك بورود التوقيف على عدد الجلدات

ولم يرد في شيء منها تخفيف ولا تثقيل عن حب التسليم له واحتج ابو حنيفة بفعل عمر فانه ضرب في التعزير ضربا
اشد منه في الزنا واحتج الثوري بان الزنا لما كان اكثر عددا في الجلدات استحال ان يكون القذف ابلغ في
النكاية وكذلك الخمر لانه لم يثبت فيه الحد الا بالاجتهاد وسبيل مسائل الاجتهاد لا يقوى قوة مسائل التوقيف

الخامسة عشرة الحد الذي اوجب الله في الزنا والخمر والقذف وغير ذلك ينبغي ان يقام بين
ايدي الحكام ولا يقيمه الا فضلاء الناس وخيارهم يختارهم الامام لذلك وكذلك كانت الصحابة تفعل كلما وقع
لهم شيء من ذلك وسبب ذلك انه قيام بقاعدة شرعية وقربة تعبدية يجب المحافظة على فعلها وقدرها ومحلها
وحالها بحيث لا يتعدى شيء من شروطها ولا احكامها فان دم المسلم وحرمته عظيمة فيجب مراعاته بكل ما امكن روى
الصحيح عن حصين بن المنذر ابي ساسان قال شهدت عثمان بن عفان اتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال ازيدكم
فشهد عليه رجلان احدهما حمران انه شرب الخمر وشهد آخر انه رآه يتقيأ فقال عثمان انه لم يتقيأ
حتى شربها فقال يا علي قم فاجلده فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فكانه وجد عليه فقال يا عبد الله بن جعفر
قم فاجلده فجلده وعلي يعد الحديث وقد تقدم في المائدة فانظر قول عثمان لعلي قم فاجلده

السادسة عشرة نص الله تعالى في الزنا والقذف وثبت التوقيف في الخمر وقال عكرمة وعطاء لا بد من اثنين وهذا مشهور قول
مالك فراها موضع شهادة وقال الزهري ثلاثة لانه اقل الجمع وقال الحسن واحد فصاعدا وعنه عشرة الربيع ما زاد على
الثلاثة وحجة مجاهد قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وقوله وان طائفتان ونزلت في تقاتل رجلين
فلذلك قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين والواحد يسمى طائفة الى الالف وقاله ابن عباس وابراهيم وامر
ابو برزة الاسلمي بجارية له قد زنت وولدت فالقى عليها ثوبا وامر ابنه ان يضربها خمسين ضربة غير مبرح ولا
خفيف لكن مولم ودعا جماعة ثم تلا وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين

الموفية عشرين اختلف في المراد
بحضور الجماعة هل المقصد بها الاغلاظ على الزناة والتوبيخ بحضرة الناس وان ذلك يردع المحدود ومن شهده وحضره
يتعظ به ويزدجر لاجله ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده او الدعاء لهما بالتوبة والرحمة قولان للعلماء

الحادية والعشرون روى عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان
فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة فاما اللواتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر
واما اللواتي في الآخرة فيوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اعمال امتي تعرض علي في كل جمعة مرتين فاشتد غضب الله على الزنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله على امتي فغفر لكل مؤمن لا يشرك بالله شيئا الا خمسة ساحرا او
كاهنا او عاقا لوالديه او مدمن خمر او مصرا على الزنا

قوله تعالى ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ فيه سبع مسائل

الاولى اختلف العلماء في معنى هذه الآية على ستة اوجه من التأويل
الاول ان يكون مقصد الآية تشنيع الزنا وتبشيع امره وانه محرم على المؤمنين واتصال هذا المعنى بما قبل حسن
بليغ ويريد بقوله لا ينكح اي لا يطأ فيكون النكاح بمعنى الجماع وردد القصة مبالغة واخذا من كلا الطرفين ثم زاد
تقسيم المشركة والمشرك من حيث الشرك اعم في المعاصي من الزنا فالمعنى الزاني لا يطأ في وقت زناه الا زانية من المسلمين
او من هي اخس منها من المشركات وقد روي عن ابن عباس واصحابه ان النكاح في هذه الآية الوطء وانكر ذلك الزجاج
وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج وليس كما قال وفي القرآن ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ وقد بينه النبي
صلى الله عليه وسلم انه بمعنى الوطء وقد تقدم في البقرة وذكر الطبري ما ينحو الى هذا التأويل عن سعيد بن جبير
وابن عباس وعكرمة ولكن غير مخلص ولا مكمل وحكاه الخطابي عن ابن عباس وان معناه الوطء اي لا يكون
زنا الا بزانية ويفيد انه زنا في الجهتين فهذا قول

الثاني ما رواه ابو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان مرثد بن ابي مرثد كان يحمل الاسارى بمكة وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت
صديقته قال فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انكح عناق فسكت عني فنزلت الزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها لفظ ابي داود وحديث الترمذي اكمل قال الخطابي هذا
خاص بهذه المرأة اذ كانت كافرة فاما الزانية المسلمة فان العقد عليها لا يفسخ

الثالث انها مخصوصة في رجل
من المسلمين ايضا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح امرأة يقال لها ام مهزول وكانت من بغايا
الزانيات وشرطت ان تنفق عليه فانزل الله هذه الآية قاله عمرو بن العاص ومجاهد

الرابع انها نزلت في اهل
الصفة وكانوا قوما من المهاجرين ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر فنزلوا صفة المسجد وكانوا اربعمائة
رجل يلتمسون الرزق بالنهار ويأوون الى الصفة بالليل وكان بالمدينة بغايا متعالنات بالفجور مخاصيب بالكسوة
والطعام فهم اهل الصفة ان يتزوجوهن فيأووا الى مساكنهن ويأكلوا من طعامهن وكسوتهن فنزلت
هذه الآية صيانة لهم عن ذلك قاله ابن ابي صالح

الخامس ذكره الزجاج وغيره عن الحسن وذلك انه قال المراد الزاني
المحدود والزانية المحدودة قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود ان يتزوج الا محدودة وقال ابراهيم النخعي
نحوه وفي مصنف ابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكح الزاني المجلود الا مثله
وروي ان محدودا تزوج غير محدودة ففرق علي رضي الله عنه بينهما قال ابن العربي وهذا معنى لا يصح نظرا كما لم يثبت
نقلا وهل يصح ان يوقف نكاح من حد من الرجال على نكاح من حد من النساء فباي اثر يكون ذلك وعلى اي اصل
يقاس من الشريعة قال المؤلف رحمه الله وحكى هذا القول الكيا عن بعض اصحاب الشافعي المتأخرين وان
الزاني اذا تزوج غير زانية فرق بينهما لظاهر الآية قال الكيا وان هو عمل بالظاهر فيلزمه عليه ان يجوز للزاني
التزوج بالمشركة ويجوز للزانية ان تزوج نفسها من مشرك وهذا في غاية البعد وهو خروج عن الاسلام بالكلية
وربما قال هؤلاء ان الآية منسوخة في المشرك خاصة دون الزانية

السادس انها منسوخة روى مالك عن يحيى بن
سعيد عن سعيد بن المسيب قال الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك قال نسخت
هذه الآية التي بعدها ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ وقاله ابن عمر قال دخلت الزانية في ايامى المسلمين قال ابو جعفر
النحاس وهذا القول عليه اكثر العلماء واهل الفتيا يقولون ان من زنى بامرأة فله ان يتزوجها ولغيره ان يتزوجها
وهو قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وعطاء وطاوس ومالك بن انس وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقال الشافعي
القول فيها كما قال سعيد بن المسيب ان شاء الله هي منسوخة قال ابن عطية وذكر الاشراك في الآية يضعف هذه
المناحي قال ابن العربي والذي عندي ان النكاح لا يخلو ان يراد به الوطء كما قال ابن عباس او العقد فان اريد
به الوطء فان معناه لا يكون زنا الا بزانية وذلك عبارة عن ان الوطئين من الرجل والمرأة زنا من الجهتين ويكون
تقدير الآية وطء الزانية لا يقع الا من زان او مشرك وهذا يؤثر عن ابن عباس وهو معنى صحيح فان قيل فاذا
زنى بالغ بصبية او عاقل بمجنونة او مستيقظ بنائمة فان ذلك من جهة الرجل زنا فهذا زان نكح غير زانية
فيخرج المراد عن بابه الذي تقدم قلنا هو زنا من كل جهة الا ان احدهما سقط فيه الحد والآخر ثبت فيه وان

اريد به العقد كان معناه ان تزوج الزانية التي قد زنت ودخل بها ولم يستبرئها يكون بمنزلة الزاني الا انه لا حد
عليه لاختلاف العلماء في ذلك واما اذا عقد عليها ولم يدخل بها حتى يستبرئها فذلك جائز اجماعا وقيل ليس المراد بالآية
ان الزاني لا ينكح قط الا زانية اذ قد يتصور ان يتزوج غير زانية ولكن المعنى ان من تزوج بزانية فهو زان فكانه قال
لا ينكح الزانية الا زان فقلب الكلام وذلك انه لا ينكح زانية الا وهو راض بزناها وانما يرضى بذلك اذا كان هو ايضا يزني
الثانية في هذه الآية دليل على ان التزوج بالزانية صحيح واذا زنت زوجة الرجل لم يفسد النكاح واذا زنى الزوج
لم يفسد نكاحه مع زوجته وهذا على ان الآية منسوخة وقيل الآية محكمة وسيأتي الثالثة روي ان رجلا زنى
بامرأة في زمن ابي بكر رضي الله عنه فجلدهما مائة جلدة ثم زوج احدهما من الآخر مكانه ونفاهما سنة وروي مثل ذلك
عن عمر وابن مسعود وجابر وقال ابن عباس اوله سفاح وآخره نكاح ومثل ذلك مثل رجل سرق من حائط ثمره
ثم اتى صاحب البستان فاشترى منه ثمره فما سرق حرام وما اشترى حلال وبهذا اخذ الشافعي وابو حنيفة ورأوا
ان الماء لا حرمة له وروي عن ابن مسعود انه قال اذا زنى الرجل بالمرأة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان ابدا وبهذا
اخذ مالك فرأى انه لا ينكحها حتى يستبرئها من مائه الفاسد لان النكاح له حرمة ومن حرمته ان لا يصب على
ماء السفاح فيختلط الحرام بالحلال ويمتزج ماء المهانة بماء العزة الرابعة قال ابن خويزمنداد
من كان معروفا بالزنا او بغيره من الفسوق معلنا به فتزوج الى اهل بيت ستر وغرهم من نفسه فلهم الخيار
في البقاء معه او فراقه وذلك كعيب من العيوب واحتج بقوله عليه السلام لا ينكح الزاني المجلود الا مثله قال
وانما ذكر المجلود لاشتهاره بالفسق وهو الذي يجب ان يفرق بينه وبين غيره فاما من لم يشتهر بالفسق فلا
الخامسة قال قوم من المتقدمين الآية محكمة غير منسوخة وعند هؤلاء من زنى فسد النكاح بينه و
بين زوجته واذا زنت الزوجة فسد النكاح بينها وبين زوجها وقال قوم من هؤلاء لا ينفسخ النكاح بذلك
ولكن يؤمر الرجل بطلاقها اذا زنت وان امسكها اثم ولا يجوز التزوج بالزانية ولا من الزاني بل لو ظهرت
التوبة فحينئذ يجوز النكاح السادسة قوله تعالى ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ اي نكاح اولئك البغايا فحرم الله
على امة محمد ومن اشهرهن عناق السابعة حرم الله الزنا في كتابه فحيثما زنى الرجل فعليه الحد وهو
قول مالك والشافعي وابي ثور وقال اصحاب الرأي في الرجل المسلم اذا كان في دار الحرب بامان وزنى هناك
ثم خرج لم يحد قال ابن المنذر دار الحرب ودار الاسلام واحد من زنى فعليه الحد على ظاهر قوله الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الى قوله غفور رحيم
فيه ست وعشرون مسئلة الاولى هذه الآية نزلت في القاذفين قال سعيد بن جبير كان سببها ما قيل
في عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها وقيل بل نزلت بسبب القذفة عاما لا في تلك النازلة وقال ابن المنذر لم نجد
في اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا يدل على تصريح القذف وظاهر كتاب الله مستغنى به دالا على القذف
الذي يوجب الحد واهل العلم على ذلك مجمعون الثانية قوله تعالى والذين يرمون يريد يشتمون واستعير
له اسم الرمي لانه اذاية بالقول كما قال النابغة وجرح اللسان كجرح اليد وقال آخر رماني بامر كنت منه
ووالدي بريئا ومن اجل الطوي رماني ويسمى قذفا ومنه الحديث ان ابن امية قذف امرأته بشريك بن سحماء اي رماها
الثالثة ذكر الله في الآية النساء من حيث هن اهم ورميهن بالفاحشة ابشع وانكى للنفوس وقذف الرجال
داخل في حكم الآية بالمعنى واجماع الامة على ذلك وهذا نحو نصه على الخنزير ودخل شحمه وغضاريفه ونحو ذلك

بالمعنى والاجماع وحكى الزهراوي ان المعنى والانفس المحصنات فهي بلفظها تعم الرجال والنساء ويدل على ذلك قوله
والمحصنات من النساء وقال قوم اراد بالمحصنات الفروج كما قال والتي احصنت فرجها فيدخل فيه فروج الرجال والنساء
وقيل انما ذكر المرأة الاجنبية اذا قذفت ليعطف عليها قذف الرجل زوجته والله اعلم وقرأ الجمهور والمحصنات
بفتح الصاد وكسرها قرأ يحيى بن وثاب المحصنات العفائف في هذا الموضع وقد مضى في النساء ذكر الاحصان
ومراتبه الرابعة للقذف شروط عند العلماء تسعة شرطان في القاذف وهما العقل والبلوغ لانهما
اصلا التكليف اذ التكليف ساقط دونهما وشرطان في الشيء المقذوف به وهو ان يقذف بوطء يلزمه فيه الحد
وهو الزنا او اللواط او بنفيه من ابيه دون سائر المعاصي وخمسة في المقذوف وهي العقل والبلوغ والاسلام
والحرية والعفة عن الفاحشة التي رمي بها كان عفيفا من غيرها ام لا وانما شرطنا في المقذوف العقل والبلوغ كما شرطناهما
في القاذف وان لم يكونا من معاني الاحصان لاجل ان الحد انما وضع للزجر عن الاذاية بالمضرة الداخلة على المقذوف ولا مضرة
على من عدم العقل والبلوغ اذ لا يوصف الوطء فيهما ولا منهما بانه زنا الخامسة اتفق العلماء على انه اذا صرح بالزنا
كان قذفا ورميا موجبا للحد فان عرض ولم يصرح قال مالك هو قذف وقال الشافعي وابو حنيفة لا يكون قذفا حتى
يقول اردت به القذف والدليل لما قاله مالك هو ان موضوع الحد في القذف انما هو لازالة المعرة التي اوقعها القاذف
بالمقذوف فاذا حصلت المعرة بالتعريض وجب ان يكون قذفا كالتصريح والمعول على الفهم وقد قال تعالى مخبرا عن شعيب
انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح في احد التأويلات حسب ما تقدم
في هود وقال تعالى في ابي جهل ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وقال حكاية عن مريم ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ
سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ فمدحوا اباها ونفوا عن امها البغاء اي الزنا وعرضوا لمريم بذلك ولذلك قال تعالى
﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ وكفرهم معروف والبهتان العظيم هو التعريض لها اي ما كان ابوك
امرأ سوء وما كانت امك بغيا اي انت بخلافهما وقد اتيت بهذا الولد وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فهذا اللفظ قد فهم منه ان المراد به ان الكفار على غير هدى
وان الله ورسوله على الهدى ففهم من هذا التعريض ما يفهم من صريحه وقد حبس عمر رضي الله عنه الحطيئة لما قال
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي لانه شبهه بالنساء في انهن يطعمن
ويسقين ويكسين ولما سمع قول النجاشي قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل قال ليت الخطاب
كذلك وانما اراد الشاعر ضعف القبيلة السادسة الجمهور من العلماء على انه لا حد على من قذف رجلا من اهل الكتاب
او امرأة منهم وقال الزهري وسعيد بن المسيب وابن ابي ليلى عليه الحد اذا كان لها ولد من مسلم وفيه قول ثالث وهو انه
اذا قذف النصرانية تحت المسلم جلد الحد قال ابن المنذر وجل العلماء مجمعون وقائلون بالقول الاول ولم ادرك احدا ولا لقيته
يخالف في ذلك واذا قذف النصراني المسلم الحر فعليه ما على المسلم ثمانون جلدة لا اعلم في ذلك اختلافا السابعة
والجمهور من العلماء على ان العبد اذا قذف حرا جلد اربعين لانه حد يتشطر بالرق كحد الزنا وروي عن ابن مسعود وعمر بن
عبد العزيز وقبيصة بن ذؤيب يجلد ثمانين وجلد ابو بكر بن محمد عبدا قذف حرا ثمانين قال الاوزاعي احتج الجمهور بقول الله
تعالى ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ وقال الآخرون فهمنا هناك ان حد الزنا لله تعالى
وانه ربما كان اخف فيمن قلت نعم الله عليه وافحش فيمن عظمت نعم الله عليه واما حد القذف فحق للآدمي وجب للجناية على
عرض المقذوف والجناية لا تختلف بالرق والحرية وربما قالوا لو كان يختلف لذكر كما ذكر في الزنا قال ابن المنذر والذي عليه

عوام علماء الامصار القول الاول وبه اقول الثامنة اجمع العلماء على ان الحر لا يجلد للعبد اذا افترى عليه
لتباين مرتبتهما ولقوله عليه السلام من قذف مملوكه بالزنا اقام عليه الحد يوم القيمة الا ان يكون كما قال خرجه البخاري ومسلم
وفي بعض طرقه من قذف عبده بزنا ثم لم يثبت اقيم عليه يوم القيمة الحد ثمانون ذكره الدارقطني قال العلماء وانما كان ذلك
في الاخرة لارتفاع الملك واستواء الشريف والوضيع والعبد والحر ولم يكن لاحد فضل الا بالتقوى ولما كان ذلك تكافا الناس
في الحدود والحرمة واقتص من كل واحد لصاحبه الا ان يعفو المظلوم عن الظالم وانما لم يتكافوا في الدنيا لئلا تدخل الداخلة على
المالكين في مكافاتهم لهم فلا تصح لهم حرمة ولا فضل في منزلة وتبطل فائدة التسخير حكمة من الحكيم العليم لا اله الا هو التاسعة
قال مالك والشافعي من قذف من يحسبه عبدا فاذا هو حر فعليه الحد وقاله الحسن البصري واختاره ابن المنذر قال مالك
ومن قذف ام الولد حد وروي عن ابن عمر وهو قياس قول الشافعي وقال الحسن البصري لا حد عليه العاشرة اختلف العلماء
فمن قال لرجل يا من وطئ بين الفخذين فقال ابن القاسم عليه الحد لانه تعريض وقال اشهب لا حد عليه لانه نسبه الى فعل
لا يعد زنا اجماعا الحادية عشرة اذا رمى صبية يمكن وطؤها قبل البلوغ بالزنا كان قذفا عند مالك وقال ابو حنيفة
والشافعي وابو ثور ليس بقذف لانه ليس بزنا اذ لا حد عليها ويعزر قال ابن العربي والمسئلة محتملة مشكلة لكن مالك طلب
حماية عرض المقذوف وغيره راعى حماية ظهر القاذف وحماية عرض المقذوف اولى لان القاذف كشف ستره بطرف
لسانه فلزمه الحد قال ابن المنذر وقال احمد في الجارية بنت تسع يجلد قاذفها وكذلك الصبي اذا بلغ عشرا ضرب
قاذفه قال اسحق اذا قذف غلاما يطا مثله فعليه الحد والجارية اذا جاوزت تسعا مثل ذلك قال ابن المنذر لا يحد
من قذف من لم يبلغ لان ذلك كذب ويعزر على الاذى قال ابو عبيد في حديث علي رضي الله عنه ان امراة جاءته فذكرت
ان زوجها ياتي جاريتها فقال ان كنت صادقة رجمناه وان كنت كاذبة جلدناك فقالت ردوني الى اهلي غيرى
نغرة قال ابو عبيد في هذا الحديث من الفقه ان على الرجل اذا واقع جارية امراته الحد وفيه ايضا اذا قذفه بذلك
قاذف كان على قاذفه الحد الا تسمع الى قوله وان كنت كاذبة جلدناك ووجه هذا كله اذا لم يكن الفاعل جاهلا بما ياتي
وهو يقول فان كان جاهلا او ادعى شبهة درئ عنه الحد في ذلك كله وفيه ايضا ان رجلا لو قذف رجلا بحضرة حاكم
وليس المقذوف حاضرا انه لا شيء على القاذف حتى يجي فيطلب حده لانه لا يدري لعله يصدقه الا ترى ان عليا لم يعرض لها
وفيه ان الحاكم اذا قذف عنده رجل ثم جاء المقذوف طلب حقه اخذه الحاكم بالحد بسماعه الا تراه يقول وان
كنت كاذبة جلدناك وهذا لانه من حقوق الناس قال المؤلف رحمه الله اختلف هل هو من حقوق الله او حقوق
الادميين وسياتي قال ابو عبيد قال الاصمعي سالني شعبة عن قوله غيرى نغرة فقلت له هو ماخوذ من نغر القدر وهو
غليانها وفورها يقال منه نغرت تنغر اذا غلت فمعناه انها ارادت ان جوفها يغلي من الغيظ والغيرة لما لم تجد عنده ما تريد
قال ويقال منه رايت فلانا يتنغر على فلان اي يغلي جوفه عليه غيظا الثانية عشرة من قذف زوجة من
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حد حدين قاله مسروق قال ابن العربي والصحيح انه حد واحد لعموم قوله والذين
يرمون المحصنات ولا يقتضي شرفهن زيادة في حد من قذفهن لان شرف المنزلة لا يؤثر في الحدود ولا نقصها يؤثر
في الحد بتنقيص والله اعلم وسياتي الكلام فيمن قذف عائشة هل يقتل ام لا الثالثة عشرة قوله تعالى ثم لم
يأتوا باربعة شهداء الذي يفتقر الى اربعة شهداء دون سائر الحقوق هو الزنا رحمة لعباده وسترا لهم وقد تقدم
في النساء الرابعة عشرة من شرط اداء الشهود الشهادة عند مالك ان يكون في مجلس واحد فان افترقت
لم تكن شهادة وقال عبد الملك تقبل شهادتهم مجتمعين ومفترقين فراى مالك ان اجتماعهم تعبد وبه قال ابن الحسن و

ونغرت تغر

ورأى عبد الملك ان المقصد اداء الشهادة واجتماعها وقد حصل وهو قول عثمان البتي وابي ثور واختاره ابن المنذر
لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقوله فاذ لم ياتوا بالشهداء ولم يذكر مفترقين ولا مجتمعين الخامسة عشرة
فان تمت الشهادة الا انهم لم يعدلوا فكان الحسن البصري والشعبي يريان ان لا حد على الشهود ولا على المشهود وبه قال
احمد والنعمان ومحمد بن الحسن وقال مالك اذا شهد عليه اربعة بالزنا فان كان احدهم مسخوطا عليه او عبدا
يجلدون جميعا وقال سفيان الثوري واحمد واسحق في اربعة عميان يشهدون على امراة بالزنا يضربون
السادسة عشرة فان رجع احد الشهداء وقد رجم المشهود عليه في الزنا فقالت طائفة يغرم ربع الدية
ولا شيء على الاخرين وكذلك قال قتادة وحماد وعكرمة وابو هاشم ومالك واحمد واصحاب الراي وقال الشافعي
ان قال عمدت ليقتل فالاولياء بالخيار ان شاءوا قتلوا وان شاءوا عفوا واخذوا ربع الدية وعليه الحد وقال
الحسن البصري يقتل وعلى الاخرين ثلاثة ارباع الدية وقال ابن سيرين اذا قال اخطات واردت غيره فعليه الدية
كاملة وان قال تعمدت قتل به وبه قال ابن شبرمة السابعة عشرة اختلف العلماء في حد القذف هل هو
من حقوق الله او حقوق الادميين او فيه شائبة منهما الاول قول ابي حنيفة والثاني قول مالك والشافعي والثالث
قاله بعض المتاخرين وفائدة الخلاف انه ان كان حقا لله وبلغ الامام اقامه وان لم يطلب ذلك المقذوف ونفعت القاذف
التوبة فيما بينه وبين الله تعالى ويتشطر فيه الحد بالرق كالزنا وان كان حقا للادمي فلا يقيمه الامام الا بمطالبة المقذوف
ويسقط بعفوه ولم تنفع القاذف التوبة حتى يحلله المقذوف الثامنة عشرة قوله تعالى باربعة شهداء قراءة الجمهور
على اضافة الاربعة الى الشهداء وقرا عبد الله بن مسلم بن يسار وابو زرعة بن عمرو بن جرير باربعة بالتنوين
شهداء وفيه اربعة اوجه يكون في موضع جر على النعت للاربعة وبدلا ويجوز ان يكون حالا من نكرة او تمييزا
وفي الحال والتمييز نظر اذ الحال من نكرة والتمييز مجموع وسيبويه يرى ان تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز
في الشعر وقد حسن ابو الفتح عثمان بن جني هذه القراءة وحبب على قراءة الجمهور قال النحاس ويجوز ان يكون
شهداء في موضع نصب بمعنى ثم لم يحضروا اربعة شهداء التاسعة عشرة حكم شهادة الاربعة ان تكون على
معاينة يرون ذلك كالمرود في المكحلة على ما تقدم في النساء في نص الحديث وان تكون في موطن واحد على قول
مالك وان اضطرب واحد منهم جلد الثلاثة كما فعل عمر في امر المغيرة بن شعبة وذلك انه شهد عليه بالزنا
ابو بكرة نفيع بن الحارث واخوه نافع وقال الزهراوي عبد الله بن الحارث وزياد اخوهما لام وهو مستلحق
معاوية وشبل بن معبد البجلي فلما جاءوا لاداء الشهادة وتوقف زياد ولم يؤدها جلد عمر الثلاثة المذكورين
الموفية عشرين قوله تعالى فاجلدوهم الجلد الضرب والمجالدة المضاربة في الجلود او بالجلود ثم استعير
الجلد لغير ذلك من سيف او غيره ومنه قول قيس بن الخطيم ، اجالدهم يوم الحديقة حاسرا كان يدي
بالسيف مخراق لاعب ، ثمانين نصب على المصدر جلدة تمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا هذا يقتضي
مدة اعمارهم ثم حكم عليهم بانهم فاسقون اي خارجون عن طاعة الله عز وجل الحادية والعشرون قوله
تعالى الا الذين تابوا في موضع نصب على الاستثناء ويجوز ان يكون في موضع خفض على البدل والمعنى
ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا الا الذين تابوا واصلحوا من بعد القذف فان الله غفور رحيم فتضمنت الاية
ثلاثة احكام في القاذف جلده ورد شهادته ابدا وفسقه والاستثناء غير عامل في جلده باجماع الا ما روي
عن الشعبي على ما سياتي وعامل في فسقه باجماع واختلف الناس في عمله في رد الشهادة فقال شريح القاضي

وابرهيم النخعي والحسن البصري وسفيان الثوري وابو حنيفه لا يعمل الاستثناء في رد شهادته وانما يزول فسقه عند الله
تعالى واما شهاده القاذف لا تقبل البته ولو تاب واكذب نفسه ولا بحال من الاحوال وقال الجمهور الاستثناء عامل
في رد الشهاده واذا تاب القاذف قبلت شهادته وانما كان ردها لعله الفسق فاذا زال بالتوبه قبلت شهادته مطلقا
قبل الحد وبعده وهو قول عامه الفقهاء ثم اختلفوا في صوره توبته فمذهب عمر بن الخطاب والشعبي وغيره ان توبته لا تكون
الا بان يكذب نفسه في ذلك الوقت الذي حد فيه وهكذا فعل عمر فانه قال للذين شهدوا على المغيره من اكذب نفسه اجز
شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم اجز شهادته فاكذب الشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كلده انفسهما وتابا
وابى ابو بكره ان يفعل فكان لا يقبل شهادته وحكى هذا القول النحاس عن اهل المدينه وقالت فرقه منها مالك رحمه الله
وغيره توبته ان يصلح ويحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب وحسبه الندم على قذفه والاستغفار منه وترك العود الى مثله
وهو قول ابن جرير ويروى عن الشعبي انه قال الاستثناء من الاحكام الثلثه اذا تاب وظهرت توبته لم يحد وقبلت شهادته
وزال عنه التفسيق لانه قد صار ممن يرضى من الشهداء وقد قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب الآيه الثانيه والعشرون
اختلف علماؤنا رحمهم الله متى تسقط شهادة القاذف فقال ابن الماجشون بنفس قذفه وقال ابن القاسم واشهب وسحنون
لا تسقط حتى يجلد فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته وقال ابو الحسن اللخمي شهادته في مده الاجل موقوفه ورجح
القول بان التوبه انما تكون بالتكذيب في القذف والا فاي رجوع لعدل ان قذف وحد وبقي على عدالته الثالثه والعشرون
واختلفوا ايضا على القول بجواز شهادته بعد التوبه في اي شيء تجوز فقال مالك تجوز في كل شيء مطلقا وكذلك كل من حد في شيء
من الاشياء رواه ابن نافع وابن عبد الحكم عن مالك وهو قول ابن كنانه وذكر الوقار عن مالك انه لا تقبل شهادته فيما حد فيه خاصه
وتقبل فيما سوى ذلك وهو قول مطرف وابن الماجشون وروى العتبي عن اصبغ وسحنون مثله قال سحنون من حد في شيء من الاشياء
فلا تجوز شهادته في مثل ما حد فيه وقال مطرف وابن الماجشون من حد في قذف او زنا فلا تجوز شهادته في شيء من وجوه الزنا
ولا في قذف ولا لعان وان كان عدلا ورويا عن مالك واتفقوا على ولد الزنا ان شهادته لا تجوز في الزنا الرابعه والعشرون
الاستثناء اذا تعقب جملا معطوفا عاد الى جميعها عند مالك والشافعي واصحابهما وعند ابي حنيفه وجل اصحابه يرجع الاستثناء
الى اقرب مذكور وهو الفسق ولهذا لا تقبل شهادته فان الاستثناء راجع الى الفسق خاصه لا الى قبول الشهاده وسبب الخلاف في
هذا الاصل شيئان احدهما هل الجمل في حكم الجمله الواحده للعطف الذي فيها او لكل جمله نفسها في الاستقلال وحرف العطف
محسن لا مشرك وهو الصحيح في عطف الجمل لجواز عطف الجمل المختلفه بعضها على بعض على ما يعرف في النحو السبب الثاني تشبيه الاستثناء
بالشرط في عوده الى الجمل المتقدمه فانه يعود الى جميعها عند الفقهاء او لا يشبه به لانه من باب القياس في اللغه وهو فاسد على ما يعرف
في اصول الفقه والاصل ان كل ذلك محتمل ولا ترجيح فتعين ما قاله القاضي من الوقف وبتاييد الاشكال بانه قد جاء في كتاب الله تعالى
كلا الامرين فان آيه المحاربه فيها عود الضمير الى الجميع باتفاق وآيه قتل المؤمن خطا فيها رد الاستثناء الى الاخيره باتفاق وآيه القذف
محتمله للوجهين فتعين الوقف من غير مين قال علماؤنا وهذا نظر كلي اصولي ويترجح قول مالك والشافعي من جهه نظر الفقه الجزئي
بان يقال الاستثناء راجع الى الفسق والتوبه جميعا الا ان يفرق بين ذلك بخبر يجب التسليم له واجمعت الامه على ان التوبه تمحو
الكفر فيجب ان يكون ما دون ذلك اولى والله اعلم قال ابو عبيد الاستثناء يرجع الى الجمل السابقه قال وليس من نسب الى الزنا
باعظم جرما من مرتكب الزنا ثم الزاني اذا تاب قبلت شهادته لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا قبل الله التوبه من العبد
كان العباد بالقبول اولى مع ان مثل هذا الاستثناء موجود في مواضع من القرآن منها قوله انما جزاء الذين يحاربون الله و
رسوله الى قوله الا الذين تابوا ولا شك ان هذا الاستثناء الى الجميع قال الزجاج وليس القاذف باشد جرما من الكافر فحقه اذا تاب

واصلح ان تقبل شهادته قال وقوله ابدا اي ما دام قاذفا كما يقال لا تقبل شهاده الكافر ابدا فان معناه ما دام كافرا
وقال الشعبي للمخالف في هذه المسئله يقبل الله توبته ولا تقبلون شهادته ثم ان كان الاستثناء يرجع الى الجمله
الاخيره عند اقوام من الاصوليين فقوله واولئك هم الفاسقون تعليل لا جمله مستقله اي لا تقبلوا شهادتهم بنفسها صح
لفسقهم فاذا زال الفسق فلم لا تقبل الشهاده ثم توبه القاذف اكذابه نفسه كما قال عمر لقذفه المغيره بحضره
الصحابه من غير نكير مع اشاعه القضيه وشهرتها من البصره الى الحجاز وغير ذلك من الاقطار ولو كان تاويل الآيه
ما تاوله الكوفيون لم يجز ان يذهب علم ذلك عن الصحابه ولقالوا لعمر لا يجوز قبول توبه القاذف ابدا ولم يسعهم السكوت
عن القضاء بتحريف الكتاب فسقط قولهم والله المستعان الخامسه والعشرون قال القشيري ولا خلاف انه اذا
لم يجلد القاذف بان مات المقذوف قبل ان يطالب القاذف بالحد او لم يرفع الى السلطان او عفى المقذوف فالشهاده
مقبوله لان عند الخصم في المسئله النهي عن قبول الشهاده معطوف على الجلد قال الله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلده
ولا تقبلوا لهم شهاده ابدا وعند هذا قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين حد لان الحدود كفارات فكيف
ترد شهادته في احسن حالتيه دون اخسهما قال المؤلف رحمه الله هكذا قال ولا خلاف وقد تقدم عن ابن الماجشون
انه بنفس القذف ترد شهادته وهو قول الليث والاوزاعي والشافعي ترد شهادته وان لم يحد لانه بالقذف يفسق
لانه من الكبائر فلا تقبل شهادته حتى يصح براءته باقرار المقذوف له بالزنا او بقيام البينه عليه السادسه والعشرون قوله
تعالى واصلحوا يريد اظهار التوبه وقيل واصلحوا العمل فان الله غفور رحيم حيث تابوا وقبلت توبتهم
قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم الى قوله تواب حكيم فيه ثلثون مسئله الاولى
قوله تعالى ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم انفسهم بالرفع على البدل ويجوز النصب على الاستثناء
وعلى خبر يكن فشهاده احدهم اربع شهادات بالرفع على الابتداء والخبر اي فشهاده احدهم التي تزيل
عنه حد القذف اربع شهادات وقراء اهل المدينه وابو عمرو اربع بالنصب لان معنى فشهاده ان يشهد والتقدير
فعليهم ان يشهد احدهم اربع شهادات او فالامر ان يشهد احدهم اربع شهادات ولا خلاف في الثاني انه منصوب
بالشهاده والخامسه رفع بالابتداء والخبر ان وصلتها ومعنى المخففه كمعنى المثقله لان معناها انه وقرا ابو عبد الرحمن
وطلحه وعاصم في روايه حفص والخامسه بالنصب بمعنى وتشهد الشهاده الخامسه الثانيه في سبب نزولها
وهو ما رواه ابو داود عن ابن عباس ان هلال بن اميه قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن السحماء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينه او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا احدنا رجلا على امراته يلتمس البينه فجعل النبي راى صح
صلى الله عليه وسلم يقول البينه والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله في امري
ما يبرئ ظهري من الحد فنزلت والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فقرا حتى بلغ من الصادقين
الحديث بكماله وقيل لما نزلت الآيه المتقدمه في الذين يرمون المحصنات وتناول ظاهرها الازواج وغيرهم قال سعد بن
معاذ يا رسول الله ان وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعه والله لاضربنه بالسيف غير مصفح عنه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيره سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الفاظ سعد روايات مختلفه
هذا نحو معناها ثم جاء من بعد ذلك هلال بن اميه الواقفي فرمى زوجته بشريك بن سحماء البلوي على ما ذكرنا وعزم
النبي صلى الله عليه وسلم على ضربه حد القذف فنزلت هذه الآيه عند ذلك فجمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وتلاعنا
فتلكات المراه عند الخامسه لما وعظت وقيل انها موجبه ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فالتعنت وفرق رسول الله

صلى الله عليه وسلم بينهما وولدت غلاما كأنه جمل أورق على النعت المكروه ثم كان الغلام بعد ذلك أميرا بمصر وهو لا يعرف
لنفسه أبا وجاء أيضا عويمر العجلاني فرمى امرأته ولاعن والمشهور أن نازله هلال كانت قبل وأنها سبب نزول الآية وقيل
نازله عويمر بن أشقر كانت قبل وهو حديث صحيح مشهور خرجه الأئمة قال أبو عبد الله بن أبي صفرة الصحيح أن القاذف لزوجه
عويمر وهلال بن أمية خطأ قال الطبري يستنكر قوله في الحديث هلال بن أمية وإنما القاذف عويمر بن زيد بن الحارث العجلاني
شهد أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رماها بشريك بن السحماء والسحماء أمه قيل لها ذلك لسوادها وهو ابن عبدة بن الحارث
العجلاني كذلك كان يقول أهل الأخبار وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على الناس في الخطبة يوم الجمعة والذين يرمون المحصنات
فقال عاصم بن عدي الأنصاري جعلني الله فداك لو أن رجلا منا وجد على بطن امرأته رجلا فتكلم وأخبر بما جرى جلد ثمانين و
سماه المسلمون فاسقا فلا تقبل شهادته فكيف لأحدنا عند ذلك بأربعة شهود وإلى أن تلتمس أربعة شهود فقد فرغ الرجل من حاجته
فقال عليه السلام كذلك أنزلت يا عاصم بن عدي فخرج عاصم سامعا مطيعا فاستقبله هلال بن أمية يسترجع فقال ما وراءك
قال شر وجدت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة يزني بها وخولة هذه بنت عاصم بن عدي كذا في هذا الطريق أن
الذي وجد مع امرأته شريكا هو هلال بن أمية والصحيح خلافه حسب ما تقدم بيانه قال الكلبي والأظهر أن الذي وجد مع
امرأته شريكا عويمر العجلاني لكثرة ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلاني وامرأته واتفقوا على أن هذا الزاني
هو شريك بن عبدة وأمه السحماء وكان عويمر وخولة بنت قيس وشريك بني عاصم وكانت هذه القصة في شعبان سنة
تسع من الهجرة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة قاله الطبري وروى الدارقطني عن عبد الله بن
جعفر قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لاعن بين عويمر العجلاني وامرأته مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غزوة تبوك أنكر حملها الذي في بطنها وقال هو ابن السحماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هات امرأتك فقد نزل القرآن
فيكما فلاعن بينهما بعد العصر عند المنبر على حمل في طريقه الواقدي عن الضحاك بن عثمان عن عمران بن أبي أنس قال سمعت عبد الله بن
جعفر يقول وذكره **الثالثة** قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ عام في كل رمي سواء قال زنيت
أو يا زانية أو رأيتها تزني وهذا الولد ليس مني فإن الآية مشتملة عليه ويجب اللعان إن لم يأت بأربعة شهداء وهذا
قول جمهور العلماء وعامة الفقهاء وجماعة أصحاب الحديث وقد روي مثل ذلك عن مالك وكان يقول لا يلاعن إلا أن يقول رأيتك
تزني أو ينفي حملا أو ولدا منها وقول أبي الزناد ويحيى بن سعيد مثل قول مالك إن الملاعنة لا تجب بالقذف وإنما تجب بالرؤية
أو نفي الحمل مع دعوى الاستبراء هذا هو المشهور عن مالك وقاله ابن القاسم والصحيح الأول لعموم قوله والذين يرمون أزواجهم
قال ابن العربي وظاهر القرآن يكفي لإيجاب اللعان بمجرد القذف من غير رؤية فلتعولوا عليه لا سيما وفي الحديث الصحيح أرأيت
رجلا وجد مع امرأته رجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاذهب فأت بها ولم يكلفه ذكر الرؤية وأجمعوا أن الأعمى يلاعن إذا
قذف زوجته ولو كان الرؤية من شرط اللعان ما لاعن الأعمى قاله أبو عمر وقد ذكر ابن القصار عن مالك أن لعان الأعمى لا يصح إلا أن
يقول لمست فرجه في فرجها والحجة لمالك ومن اتبعه ما رواه أبو داود عن ابن عباس قال جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة
الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح ثم غدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندهم رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه والذين يرمون أزواجهم الآية وذكر الحديث وهو نص على أن الملاعنة التي قضى فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم إنما كانت في الرؤية فلا يجب أن يتعدى ذلك ومن قذف امرأته ولم يذكر رؤية حد لعموم قوله والذين يرمون
المحصنات **الرابعة** إذا نفى الحمل فإنه يلتعن لأنه أقوى من الرؤية ولا بد من ذكر عدم الوطء والاستبراء بعده واختلف علماؤنا في

في الاستبراء فقال المغيرة ومالك في أحد قوليهما يجزئ في ذلك حيضة وقال مالك أيضا لا ينفيه إلا بثلاث حيض و
الصحيح الأول لأن براءة الرحم من الشغل يقع بها كما في استبراء الأمة وإنما راعينا الثلاث حيض في العدد لحكم آخر يأتي
بيانه في الطلاق إن شاء الله وحكى اللخمي عن مالك أنه قال مرة لا ينفى الولد بالاستبراء لأن الحيض يأتي على الحمل وقاله أشهب
في كتاب ابن المواز وقاله المغيرة وقال لا ينفى الولد إلا بخمس سنين لأنه أكثر مدة الحمل على ما تقدم **الخامسة** اللعان
يكون عندنا في كل زوجين حرين كانا أو عبدين مؤمنين كانا أو كافرين فاسقين أو عدلين وبه قال الشافعي ولا لعان
بين الرجل وأمته ولا بينه وبين أم ولده وقيل لا ينتفي ولد الأمة عنه إلا بيمين واحدة بخلاف اللعان وقد قيل إنه إذا نفى
ولد أم الولد لاعن والأول تحصيل مذهب مالك وهو الصواب وقال أبو حنيفة لا يصح اللعان إلا من زوجين حرين مسلمين
وذلك لأن اللعان عنده شهادة وعندنا وعند الشافعي يمين فكل من صحت يمينه صح قذفه ولعانه واتفقوا على أنه لا بد أن
يكونا مكلفين وقوله في الحديث وجد مع امرأته رجلا دليل على أن الملاعنة تجب على كل زوجين لأنه لم يخص رجلا من رجل
ولا امرأة من امرأة ونزلت آية اللعان على هذا الجواب فقال والذين يرمون أزواجهم ولم يخص زوجا من زوج وإلى هذا
ذهب مالك وأهل المدينة وهو قول الشافعي وأحمد وإسحق وأبي عبيد وأبي ثور وأيضا فإن اللعان يوجب فسخ النكاح فأشبه
الطلاق فكل من يجوز طلاقه يجوز لعانه واللعان أيمان لا شهادات قال الله تعالى لشهادتنا أحق من شهادتهما أي أيماننا
وقال تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ثم قال تعالى اتخذوا أيمانهم جنة وقال عليه السلام لولا
الأيمان لكان لي ولها شأن وأما ما احتج به الثوري وأبو حنيفة فهي حجج لا تقوم على ساق منها حديث عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ليس بينهم لعان ليس بين الحر والأمة لعان وليس بين
الحرة والعبد لعان وليس بين المسلم واليهودية لعان وليس بين المسلم والنصرانية لعان أخرجه الدارقطني من طرق ضعفها كلها
وروي عن الأوزاعي وابن جريج وهما إمامان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قوله ولم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم
واحتجوا من جهة النظر أن الأزواج لما استثنوا من جملة الشهداء بقوله ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم وجب أن لا يلاعن إلا
من تجوز شهادته وأيضا فلو كانت يمينا ما رددت والحكمة في ترديدها قيامها في الأعداد مقام الشهود في الزنا قلنا هذا
يبطل بيمين القسامة فإنها تكرر وليست بشهادة إجماعا والحكمة في تكرارها التغليظ في الفروج والدماء قال ابن العربي
والفيصل في أنها يمين لا شهادة أن الزوج يحلف لنفسه في إثبات دعواه وتخليصه من العذاب فكيف يجوز لأحد أن يدعي
في الشريعة أن شاهدا يشهد لنفسه بما يوجب حكما على غيره هذا بعيد في الأصل معدوم في النظر **السادسة** اختلف
العلماء في ملاعنة الأخرس فقال مالك والشافعي يلاعن لأنه ممن يصح طلاقه وظهاره وإيلاؤه إذا فهم ذلك عنه وقال
أبو حنيفة لا يلاعن لأنه ليس من أهل الشهادة ولأنه قد ينطق بلسانه فينكر اللعان فلا يمكننا إقامة الحد عليه وقد تقدم
هذا المعنى في مريم والدليل عليه **السابعة** قال ابن العربي والدليل عليه رأى أبو حنيفة عموم الآية فقال إن الرجل
إذا قذف زوجته بالزنا قبل أن يتزوجها فإنه يلاعن ونسي أن ذلك قد تضمنه قوله والذين يرمون المحصنات وهذا رماها
محصنة غير زوجة وإنما يكون اللعان في قذف يلحق به النسب وهذا قذف لا يلحق فيه نسب فلا يوجب لعانا كما لو قذف أجنبية
الثامنة إذا قذفها بعد الطلاق نظرت فإن كان هنالك نسب يريد أن ينفيه أو حمل يتبرأ منه لاعن وإلا لم يلاعن
وقال عثمان البتي لا يلاعن بحال لأنها ليست بزوجة وهذا ينتقض عليه بالقذف قبل الزوجية كما ذكرناه آنفا بل هذا أولى
لأن النكاح قد تقدم وهو يريد الانتفاء من النسب وتبرئته من ولد يلحق به فلا بد من اللعان وإذا لم يكن هنالك حمل يرجى
ولا نسب يخاف تعلقه لم يكن للعان فائدة فلم يحكم به وكان قذفا مطلقا داخلا تحت عموم قوله والذين يرمون المحصنات الآية

فوجب عليه الحد وبطل ما قال البتي لظهور فساده **التاسعة** لا ملاعنة بين الرجل وزوجته بعد انقضاء
العدة الا في مسئلة واحدة وهي ان يكون الرجل غايبا فتأتي امرأته بولد في مغيبه وهو لا يعلم فتطلقها وتنقضي عدتها
فيتقدم فينفيه فله ان يلاعنها هاهنا بعد العدة وكذلك لو قدم بعد وفاتها ونفى الولد لاعن لنفسه وهي ميتة بعد مدة
من العدة ويرثها لانها ماتت قبل وقوع الفرقة بينهما **العاشرة** اذا انتفى من الحمل ووقع ذلك بشرطه لاعن قبل
الوضع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يلاعن الا بعد ان تضع لانه يحتمل ان يكون ريحا او داء من الادواء ودليلنا
النص الصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن قبل الوضع وقال ان جاءت به كذا فهو لابيه وان جاءت به كذا فهو
لفلان فجاءت به على النعت المكروه **الحادية عشرة** اذا قذف بالوطي في الدبر لاعن وقال ابو حنيفة لا يلاعن
وبناه على اصله في ان اللواط لا يوجب الحد وهو فاسد لان الرمي به فيه معرة وقد دخلت تحت عموم قوله والذين يرمون
ازواجهم وقد تقدم في الاعراف والمؤمنين انه يجب به الحد **الثانية عشرة** قال ابن العربي من غريب امرهذا
الرجل انه اذا قذف زوجته وامها بالزنا انه ان حد للام سقط امر البنت فان لاعن للبنت لم يسقط حد الام وهذا لا وجه
له وما رايت لهم شيئا يحكى وهذا باطل جدا فانه خص عموم الآية في البنت وهي زوجة بحد الام من غير اثر ولا اصل قاسه
عليه **الثالثة عشرة** اذا قذف زوجته ثم زنت قبل التعانه فلا حد ولا لعان وبه قال ابو حنيفة والشافعي واكثر
اهل العلم وقال الثوري والمزني لا يسقط الحد عن القاذف وزنا المقذوف بعد ان قذف لا يقدح في حصانته المتقدمة
ولا يرفعها لان الاعتبار بالحصانة والعفة في حال القذف لا بعده كما لو قذف مسلما فارتد المقذوف بعد القذف و
قبل ان يحد القاذف لم يسقط الحد عنه وايضا فان الحدود كلها معتبرة بوقت الوجوب لا وقت الاقامة ودليلنا انه قد ظهر
قبل استيفاء الحد واللعان معنى لو كان موجودا في الابتداء منع صحة اللعان ووجوب الحد فكذلك اذا طرأ في الثاني
كما اذا شهد شاهدان ظاهرهما العدالة فلم يحكم الحاكم بشهادتهما حتى ظهر فسقهما بان زنيا او شربا خمرا لم يجز للحاكم ان يحكم
بشهادتهما تلك وايضا فان الحكم بالعفة والاحصان يؤخذ من طريق الظاهر لا من حيث القطع والتيقن وقد قال عليه السلام
ظهر المؤمن حمى فلا يحد القاذف الا بدليل قاطع **الرابعة عشرة** من قذف امرأته وهي كبيرة لا تحمل تلاعنا لدفع
الحد وهي لدرء العذاب فان كانت صغيرة لا تحمل لاعن هو لدفع الحد ولم يلاعن هي لانها لو اقرت لم يلزمها شيء وقال
ابن الماجشون لا حد على قاذف من لم تبلغ قال اللخمي فعلى هذا لا لعان على زوج الصغيرة التي لا تحمل **الخامسة
عشرة** اذا شهد اربعة على امرأة بالزنا احدهم زوجها فان الزوج يلاعن وتحد الشهود الثلاثة وهو احد قولي الشافعي و
القول الثاني انهم لا يحدون وقال ابو حنيفة اذا شهد الزوج والثلاثة ابتداء قبلت شهادتهم وحدت المرأة ودليلنا
قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الآية فاخبر ان من قذف محصنا ولم يات باربعة شهداء حد والزوج رامي
لزوجته فخرج عن ان يكون احد الشهود **السادسة عشرة** اذا ظهر بامرأته حمل فترك ان ينفيه لم يكن له نفيه
بعد سكوته بعد العلم به رضي به كما لو اقر وقال مجاهد وشريح له ان ينفيه ابدا وهو خطأ لان سكوته بعد العلم به رضى
به كما لو اقر به ثم ينفيه فانه لا يقبل منه **السابعة عشرة** فان اخر ذلك الى ان وضعت وقال رجوت ان يكون
ريحا ينفش او يسقط فاستريح من القذف فهل ينفيه بعد وضعه مدة ما فاذا جاوزها لم يكن له ذلك فقد اختلف
في ذلك فنحن نقول ان لم يكن له عذر في سكوته حتى مضت ثلاثة ايام فهو راض به ليس له نفيه وبهذا قال الشافعي
وقال ايضا متى امكنه نفيه على ما جرت به العادة من تمكنه من الحاكم فلم يفعل لم يكن له نفيه من بعد ذلك وبهذا قال
ابو حنيفة وقال ابو حنيفة لا اعتبر مدة وقال ابو يوسف ومحمد يعتبر فيه اربعين
يوما مدة النفاس قال ابن القصار والدليل لقولنا هو ان نفي ولده محرم عليه واستلحاق ولد ليس منه محرم عليه فلا بد
ان يوسع عليه لكي ينظر فيه ويفكر هل يجوز له نفيه او لا وانما جعلنا الحد ثلاثة لانه اول الكثرة وآخر حد القلة وقد جعلت
ثلاثة ايام يختبر بها حال المصراة فكذلك ينبغي ان يكون هنا واما ابو يوسف ومحمد فليس اعتبارهم باولى من اعتبار مدة
الولادة والرضاع اذ لا شاهد لهم في الشريعة وقد ذكرنا شاهدا في الشريعة من مدة المصراة **الثامنة عشرة** قال ابن
القصار اذا قالت المرأة لزوجها او لاجنبي يا زانية بالهاء وكذلك الاجنبي للاجنبي فلست اعرف فيه نصا لاصحابنا ولكنه
عندي يكون قذفا وعليه الحد وقد زاد حرفا وبه قال الشافعي ومحمد بن الحسن وقال ابو حنيفة وابو يوسف لا يكون قذفا
واتفقوا على انه اذا قال لامرأة يا زان انه قذف والدليل على انه يكون في الرجل قذفا هو ان الخطاب اذا فهم معناه
ثبت حكمه سواء كان بلفظ اعجمي او عربي الا ترى انه اذا قال للمرأة زنيت بفتح التاء كان قذفا لان معناه يفهم منه و
لابي حنيفة وابي يوسف انه لما جاز ان يخاطب المؤنث بخطاب المذكر لقوله وقال نسوة صلح ان يكون قوله يا زان
للمؤنث قذفا ولما لم يجز ان يؤنث فعل المذكر اذا تقدم عليه لم يكن لخطابه بالمؤنث حكم والله اعلم **التاسعة عشرة**
يلاعن في النكاح الفاسد زوجته لانها صارت فراشا ويلحق النسب فيه فجرى اللعان عليه **الموفية عشرين** اختلفوا
في الزوج اذا ابى من الالتعان فقال ابو حنيفة لا حد عليه لان الله تعالى جعل على الاجنبي الحد وعلى الزوج اللعان
فلما لم ينتقل اللعان الى الاجنبي لم ينتقل الحد الى الزوج ويسجن ابدا حتى يلاعن لان الحدود لا تؤخذ قياسا وقال مالك و
الشافعي وجمهور الفقهاء ان لم يلتعن الزوج حد لان اللعان له براءة كالشهود للاجنبي فان لم يات الاجنبي باربعة
شهداء حد فكذلك الزوج ان لم يلتعن وفي حديث العجلاني ما يدل على هذا لقوله ان سكت سكت على غيظ وان قتلت
قتلت وان نطقت جلدت **الحادية والعشرون** واختلفوا ايضا هل للزوج ان يلاعن مع شهوده فقال مالك و
الشافعي يلاعن كان له شهود او لم يكن لان الشهود ليس لهم عمل في غير درء الحد واما رفع الفراش ونفي الولد فلا بد
من اللعان وقال ابو حنيفة واصحابه انما جعل اللعان للزوج اذا لم يكن له شهود غير نفسه لقوله تعالى ولم يكن
لهم شهداء الا انفسهم **الثانية والعشرون** البداية في اللعان بما بدأ الله به وهو الزوج وفائدته درء
الحد عنه ونفي النسب منه لقوله عليه السلام البينة والا حد في ظهرك ولو بدئ بالمرأة قبله لم يجز لانه عكس ما رتبه
الله وقال ابو حنيفة يجزيه وهذا باطل لانه خلاف القرآن وليس له اصل يرده اليه ولا معنى يقوى به بل المعنى لنا لان
المرأة اذا بدأت باللعان فتنفي ما لم يثبت وهذا لا وجه له **الثالثة والعشرون** كيفية اللعان ان يقول الحاكم
للملاعن قل اشهد بالله لرأيتها تزني ورأيت فرج الزاني في فرجها كالمرود في المكحلة وما وطئتها بعد رؤيتها وان شئت
قل لقد زنت وما وطئتها بعد زناها يردد ما شاء من هذين اللفظين اربع مرات فان نكل عن هذه الايمان او عن شيء
منها حد فاذا نفى حملا قال اشهد بالله لقد استبرأتها وما وطئتها بعد وما هذا الحمل مني ويشير اليه فيحلف بذلك اربع مرات
ويقول في كل منها واني لمن الصادقين في قولي هذا عليها ثم يقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان
شاء قال ان كنت كاذبا فيما ذكرت عنها فاذا قال ذلك سقط عنه الحد وانتفى عنه الولد فاذا فرغ الرجل من التعانه قامت
المرأة بعده فحلفت بالله اربعة ايمان تقول فيها اشهد بالله انه لكاذب او انه لمن الكاذبين فيما ادعاه علي وذكر عني
وان كانت حاملا قالت وان حملي هذا منه ثم تقول في الخامسة وعلي غضب الله ان كان صادقا او ان كان من الصادقين
في قوله ذلك ومن اوجب اللعان في القذف يقول في كل شهادة من الاربع اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت
به فلانة من الزنا ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت كاذبا فيما رميتها به من الزنا وتقول هي اشهد بالله انه لكاذب

فيما رماني به من الزنا ويقول في الخامسة عليّ غضب الله ان كان صادقا فيما رماني به من الزنا وقال الشافعي يقول
الملاعن اشهد بالله انى لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة بنت فلان ويشير اليها ان كانت حاضرة يقول ذلك اربع
مرات ثم يقعده الامام ويذكره الله ويقول انى اخاف ان لم تكن صدقت ان تبوء بلعنة الله فان رآه يريد ان يمضي على
ذلك امر من يضع يده على فيه ويقول ان موكت على لعنة الله ان كنت من الكاذبين موجبا فان ابى تركه يقول ذلك لعنة
الله علي ان كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة من الزنا واحتج بما رواه ابو داود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر رجلا حين امر المتلاعنين ان يضع يده على فيه عند الخامسة يقول انها موجبة الرابعة والعشرون اختلف
العلماء في حكم من قذف امرأته برجل سماه هل يحد له ام لا فقال مالك عليه اللعان لزوجته وحد للمرمي به وبه قال ابو حنيفة
لانه قاذف لمن لم يكن له ضرورة الى قذفه وقال الشافعي لا حد عليه لان الله تعالى لم يجعل على من رمى زوجته بالزنا الا حدا واحدا
بقوله والذين يرمون أزواجهم ولم يفرق بين من ذكر رجلا بعينه وبين من لم يذكره وقد رمى العجلاني زوجته بشريك و
كذلك هلال بن امية فلم يحد واحدا منهما قال ابن العربي وظاهر القرآن لنا لان الله وضع الحد في قذف الاجنبي والزوجة
مطلقين ثم خص حد الزوجة بالخلاص باللعان وبقي الاجنبي على مطلق الآية وانما لم يحد العجلاني لشريك ولا هلال لانه لم يطلبه
وحد القذف لا يقيمه الامام الا بعد المطالبة اجماعا منا ومنه الخامسة والعشرون اذا فرغ المتلاعنان من
تلاعنهما جميعا تفرقا وخرج كل واحد منهما على باب من المسجد الجامع غير الباب الذي يخرج منه صاحبه ولو خرجا من باب
واحد لم يضر ذلك لعانهما ولا خلاف في انه لا يكون اللعان الا في مسجد جامع تجمع فيه الجمعة بحضرة السلطان او من يقوم مقامه من
الحكام وقد استحب جماعة من اهل العلم ان يكون اللعان في الجامع بعد العصر وتلتعن النصرانية من زوجها المسلم في الموضع الذي
يعظمه من كنيستها مثل ما يلتعن به المسلم السادسة والعشرون قال مالك واصحابه وبتمام اللعان تقع الفرقة بين المتلاعنين
فلا يجتمعان ابدا ولا يتوارثان ولا يحل له مراجعتها ابدا لا قبل زوج ولا بعده وهو قول الليث وزفر والاوزاعي وقال ابو حنيفة
وصاحباه لا تقع الفرقة بعد فراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وهو قول الثوري لقول ابن عمر فرق رسول الله صلى الله عليه
بين المتلاعنين فاضاف الفرقة اليه ولقوله عليه السلام لا سبيل لك عليها وقال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة والالتعان
فقد زال فراش امرأته التعنت او لم تلتعن قال واما التعان المرأة فانما هو لدرء الحد عنها لا غير وليس لالتعانها في زوال الفراش
معنى ولما كان لعان الزوج ينفي الولد ويسقط الفراش وكان عثمان البتي لا يرى التلاعن ينقص شيئا من عصمة الزوجين
حتى يطلق وهذا قول لم يتقدمه اليه احد من الصحابة على ان البتي قد استحب للملاعن ان يطلق بعد اللعان ولم يستحسنه
قبل ذلك فدل على ان اللعان عنده قد احدث حكما وبقول عثمان قال جابر بن زيد فيما ذكره الطبري وحكاه اللخمي عن محمد بن
ابي صفرة ومشهور المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة واحتج اهل هذه المقالة بانه ليس في كتاب الله تعالى اذا
لاعن او لاعنت يجب وقوع الفرقة وبقول عويمر كذبت عليها ان امسكتها فطلقها ثلاثا قال ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك عليه ولم يقل له لم قلت هذا وانت لا تحتاج اليه لان باللعان قد طلقت والحجة لمالك في المشهور ولمن وافقه قوله
عليه السلام لا سبيل لك عليها وهذا اعلام منه ان تمام اللعان رفع سبيله عليها وليس تفريقه بينهما باستئناف حكم وانما
كان تنفيذا لما اوجب الله بينهما من المباعدة وهو معنى اللعان في اللغة السابعة والعشرون ذهب الجمهور من العلماء ان
المتلاعنين لا يتناكحان ابدا وان اكذب نفسه جلد الحد ولحق به الولد ولم ترجع اليه ابدا وهذا على السنة التي لا شك فيها ولا اختلاف
وذكر ابن المبارك عن عطاء ان الملاعن اذا اكذب نفسه بعد اللعان لم يحد وقال قد تفرقا بلعنة من الله وقال ابو حنيفة
ومحمد اذا اكذب نفسه جلد الحد ولحق به الولد وكان خاطبا من الخطاب ان شاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وسعيد

بن جبير وعبد العزيز بن ابي سلمة وقالوا يعود النكاح حلالا كما لحق به الولد لانه لا فرق بين شيء من ذلك وحجة الجماعة
قوله عليه السلام لا سبيل لك عليها ولم يقل الا ان يكذب نفسك وروى ابن اسحق وجماعة عن الزهري قال مضت السنة انهما اذا تلاعنا
فرق بينهما فلا يجتمعان ابدا ورواه الدارقطني ورواه مرفوعا من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتلاعنان
اذا تفرقا لا يجتمعان ابدا وروى عن علي وعبد الله قالا مضت السنة ان لا يجتمع المتلاعنان ابدا الثامنة والعشرون اللعان
يفتقر الى اربعة اشياء عدد الالفاظ وهو اربع شهادات على ما تقدم والمكان وهو ان يقصد به اشرف البقاع بالبلدان ان
كان بمكة فعند الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان ببيت المقدس فعند الصخرة وان كان في ساير البلدان ففي
مساجدها وان كانا كافرين بعث بهما الى الموضع الذي يعتقدان تعظيمه ان كانا يهوديين فالكنيسة وان كانا مجوسيين ففي بيت
النار وان كانا لا دين لهما مثل الوثنيين فانه يلاعن بينهما في مجلس حكمه والوقت وذلك بعد صلاة العصر وجمع الناس وذلك ان يكون اربعة
انفس فصاعدا فاللفظ وجمع الناس مشروطان والزمان والمكان مستحبان التاسعة والعشرون من قال ان الفراق لا يقع
الا بالتعانهما فعليه لو مات احدهما قبل تمامه ورثه الآخر ومن قال لا يقع الا بتفريق الامام فمات احدهما قبل ذلك وتمام اللعان
ورثه الآخر وعلى قول الشافعي ان مات احدهما قبل ان تلتعن المرأة لم يتوارثا الموفية ثلاثين قال ابن القصار تفريق
اللعان عندنا ليس بفسخ وهو المذهب في المدونة ان اللعان حكم تفريقه حكم الطلاق ويعطى لغير المدخول بها نصف الصداق وفي
مختصر ابن الجلاب لا شيء لها وهذا على ان تفريق اللعان فسخ قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ
عُصْبَةٌ مِنْكُمْ الآيات العشر فيه ثمان وعشرون مسئلة الاولى قوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم
عصبة خبر ان ويجوز نصبها على الحال ويكون الخبر لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وسبب نزولها ما رواه الائمة من حديث
الافك الطويل في قصة عائشة رضي الله عنها وهو خبر صحيح مشهور اغنى اشتهاره عن ذكره وسيأتي مختصرا واخرجه البخاري تعليقا
وحديثه اتم قال وقال اسامة عن حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة واخرجه ايضا عن محمد بن كثير عن اخيه
سليمان من حديث مسروق عن ام رومان ام عائشة انها قالت لما رميت عائشة خرت مغشيا وعن موسى بن اسمعيل
من حديث ابي وائل قال حدثني مسروق بن الاجدع قال حدثتني ام رومان وهي ام عائشة قالت بينا انا قاعدة انا وعائشة
اذ ولجت امرأة من الانصار فقالت فعل الله بفلان وفعل فقالت ام رومان وما ذاك قالت ابني فيمن حدث الحديث قالت
وما ذاك قالت كذا وكذا قالت عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وابو بكر قالت نعم فخرت مغشيا عليها فما افاقت
الا وعليها حمى بنافض فطرحت عليها ثيابها فغطيتها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما شأن هذه قلت يا رسول الله اخذتها الحمى
بنافض قال فلعل في حديث تحدث به قالت نعم فقعدت عائشة رضي الله عنها فقالت والله لئن حلفت لا تصدقوني ولئن قلت لا تعذروني
مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه والله المستعان على ما تصفون قالت فانصرف ولم يقل شيئا فانزل الله عذرها قالت بحمد الله لا بحمد
احد ولا بحمدك قال ابو عبد الله الحميدي كان بعض من لقينا من الحفاظ البغداديين يقول الارسال في هذا الحديث ابين واستدل
على ذلك بان ام رومان توفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومسروق لم يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وللبخاري
من حديث عبيد الله بن عبد الله بن ابي مليكة ان عائشة كانت تقرأ اِذْ تَلِقُونَهُ بِاَلْسِنَتِكُمْ وتقول الولق الكذب قال ابن
ابي مليكة وكانت اعلم بذلك من غيرها لانه نزل فيها قال البخاري وقال معمر بن راشد عن الزهري وكان حديث الافك في غزوة
المريسيع قال ابن اسحق وذلك سنة ست وقال موسى بن عقبة سنة اربع واخرج البخاري من حديث معمر عن الزهري قال قال
لي الوليد بن عبد الملك ابلغك ان عليا كان فيمن قذف قال قلت لا ولكن اخبرني رجلان من قومك ابو سلمة بن عبد الرحمن
وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ان عائشة قالت لهما كان علي مسلما في شأنها واخرجه ابو بكر بن الاسماعيلي

الحديع ص

صلوتهم

فى كتابه المخرّج على الصحيح من وجه اخر من حديث معمر عن الزهري وفيه قال كنت عند الوليد بن عبد الملك
فقال الذي تولى كبره منهم علي بن ابي طالب فقلت لا قال حدثني سعيد بن المسيب وعروة وعلقمة
وعبد الله بن عبد الله بن عتبة كلهم يقول سمعت عائشة تقول والذي تولى كبره عبد الله بن ابيّ واخرج
البخاري ايضا من حديث الزهري عن عروة عن عائشة والذى تولى كبره منهم عبد الله بن ابيّ الثانية
قوله تعالى بالإفك الافك الكذب والعصبة ثلثة رجال قاله ابن عباس وعنه ايضا من الثلثة الى العشرة
ابن عيينه اربعون رجلا مجاهد من عشرة الى خمسة عشر واصلها فى اللغة وكلام العرب الجماعة الذين يتعصب
بعضهم لبعض والخير حقيقته ما زاد نفعه على ضره والشر ما زاد ضره على نفعه وان خيرا لا شر فيه هو الجنة وان
شرا لا خير فيه هو جهنم واما البلاء النازل على الاولياء فهو خير لان ضرره من الالم قليل فى الدنيا وخيره هو الثواب
الكثير فى الاخرى فنبه الله تعالى عائشة واهلها وصفوان اذ الخطاب لهم فى قوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير
لكم لرجحان النفع والخير على جانب الشر الثالثة لما خرج صلى الله عليه وسلم بعائشة معه فى غزوة
بني المصطلق وهي غزوة المريسيع وقفل ودنا من المدينة آذن ليلة بالرحيل قامت حين آذنوا بالرحيل
فمشت حتى جاوزت الجيش فلما فرغت من شأنها اقبلت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد
انقطع فرجعت فالتمسته فحبسها ابتغاؤه فوجدته وانصرفت فلم تجد احدا وكانت شابة قليلة اللحم فرفع الرجال
هودجها ولم يشعروا بزوالها منه فلما لم تجد احدا اضطجعت فى مكانها رجاء ان تفتقد فيرجع اليها فنامت فى الموضع
ولم يوقظها الا قول صفوان بن المعطل انا لله وانا اليه راجعون وذلك انه كان تخلف وراء الجيش لحفظ الساقة
وقيل انها استيقظت لاسترجاعه ونزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة واخذ يقودها حتى بلغ الجيش
بها فى نحر الظهيرة فوقع اهل الافك فى مقالتهم وكان الذى يجتمع اليه فيه ويستوشيه ويشيعه عبد الله بن ابيّ بن
سلول المنافق وهو الذى رأى صفوان اخذا بزمام ناقة عائشة فقال والله ما نجت منه وما نجى منها وقال امرأة
نبيكم باتت مع رجل وكان من قاله حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش هذا اختصار الحديث
وهو بكماله وانقانه فى البخاري ومسلم وهو فى مسلم اكمل ولما بلغ صفوان قول حسان فى الافك جاء فضربه بالسيف
ضربة على رأسه وقال تلقّ ذباب السيف عني فانني غلام اذا هوجيت لست بشاعر فاخذ جماعة حسان و
لببوه وجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهدر رسول الله جرح حسان واستوهبه اياه وهذا يدل
على ان حسان ممن تولى الكبر على ما يأتي والله اعلم وكان صفوان هذا صاحب ساقة رسول الله صلى الله عليه
سلم فى غزواته لشجاعته وكان من خيار الصحابة وقيل كان حصورا لا يأتي النساء ذكره ابن اسحق من طريق عائشة
وقيل كان له ابنان يدل على ذلك حديثه المروي مع امرأته وقول النبي صلى الله عليه وسلم فى ابنيه لهما اشبه به
من الغراب بالغراب وقوله فى الحديث والله ما كشفت كنف انثى قط يريد بزنى وقتل شهيدا رضي الله عنه فى
غزو ارمينيه سنة تسع عشرة فى زمان عمر وقيل ببلاد الروم سنة ثمان وخمسين فى زمن معاوية الرابعة
قوله تعالى لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ يعني ممن تكلم بالافك ولم يسم من اهل الافك الا
حسان ومسطح وحمنة وعبد الله وجهل الغير قاله عروة بن الزبير وقد سأله عن ذلك عبد الملك بن مروان وقال
الا انهم كانوا عصبة كما قال الله وفى مصحف حفصة عصبة اربعة الخامسة قوله تعالى وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ
مِنْهُمْ وقرأ يعقوب وحميد الاعرج كُبره بضم الكاف قال الفراء وهو وجه جيد لان العرب تقول فلان تولى

عظم كذا وكذا اي اكثره روي عن عائشة انه حسان وانها قالت حين عمي لعل العذاب العظيم الذى اوعده الله به
ذهاب بصره رواه عنها مسروق وروي عنها انه عبد الله بن ابي وهو الصحيح وقاله ابن عباس وحكى ابو عمر ابن عبد البر
ان عائشة برأت حسان من الفرية وقالت انه لم يقل شيئا وقد انكر حسان ان يكون قال شيئا من ذلك فى قوله
حصان رزان ما تزن بريبة ❊ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا ❊ نبيّ الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حيّ من لؤيّ بن غالب ❊ كرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ❊ وطهرها من كل شين وباطل
فان كان ما بلّغت عني قلته ❊ فلا رفعت سوطي اليّ انامل
فكيف وودي ما حييت ونصرتي ❊ لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلها ❊ تقاصر عنها سورة المتطاول
وقد روي انه لما انشدها حسان
رزان قالت له لست كذلك تريد انك وقعت فى الغوافل وهذا تعارض ويمكن الجمع بان يقال ان حسان لم يقل
ذلك نصا وتصريحا ويكون عرّض بذلك واومى اليه فنسب ذلك اليه والله اعلم وقد اختلف الناس فيه هل خاض
فى الافك ام لا وهل جلد الحد ام لا فالله اعلم اي ذلك كان وهي المسئلة السادسة فروى محمد بن اسحق وغيره
ان النبي صلى الله عليه وسلم جلد فى الافك رجلين وامرأة مسطحا وحسان وحمنة ذكره الترمذي وذكر
القشيري عن ابن عباس قال جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابيّ ثمانين جلدة وله فى الاخرة عذاب
النار قال القشيري والذى ثبت فى الاخبار انه ضرب ابن ابي وضرب حسان وحمنة واما مسطح فلم يثبت
عنه قذف صريح ولكنه كان يسمع ويشيع من غير تصريح السابعة قال الماوردي اختلفوا هل حدّ النبي
صلى الله عليه وسلم اصحاب الافك على قولين احدهما انه لم يحدّ احدا من اصحاب الافك لان الحدود انما تقام باقرار
وبينة ولم يتعبده الله ان يقيمها باخباره عنها كما لم يتعبده بقتل المنافقين وقد اخبر بكفرهم قال المؤلف
رحمه الله وهذا فاسد مخالف لنص القرآن قال الله تعالى يقول وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ اي على صدق قولهم فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً والقول الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم
جلد اهل الافك عبد الله بن ابيّ ومسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة وفى ذلك قال شاعر من
المسلمين
لقد ذاق حسان الذى كان اهله ❊ وحمنة اذ قالوا هجيرا ومسطح
وابن سلول ذاق فى الحد خزية ❊ كما خاض فى افك من القول يفصح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ❊ وسخطة ذى العرش الكريم فابرحوا
وآذوا رسول الله فيها فعمموها ❊ مخزاة مجللة تبقى وفضحوا
فصبت عليهم محصدات كأنها ❊ شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح

قال المؤلف رحمه الله المشهور من الاخبار والمعروف عند العلماء ان الذى
حدّ حسان وحمنة ومسطح ولم يسمع بحد لعبد الله بن ابي روى ابو داود عن عائشة قالت لما نزل عذري قام
النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلى القرآن فلما نزل من المنبر امر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم
مسطح بن اثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وفى كتاب الطحاوي ثمانين ثمانين قال علماؤنا وانما لم يحد
عدو الله ابن ابي لان الله اعد له فى الآخرة عذابا عظيما فلو حد فى الدنيا لكان ذلك نقصا من عذابه فى الآخرة
وتخفيفا عنه مع ان الله قد شهد ببراءة عائشة وبكذب كل من رماها فقد حصلت فائدة الحد اذ مقصوده اظهار
كذب القاذف وبراءة المقذوف كما قال فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وانما حد
هؤلاء المسلمون ليكفر عنهم اثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك فى الآخرة وقد قال صلى الله

بنت جحش صح

محصدات
عمموها صح

عليه وسلم في الحدود انها كفارة لمن اقيمت عليه كما في حديث عبادة بن الصامت ويحتمل ان يقال انما ترك حدّان ابي
استيلافا لقومه واحتراما لابنه واطفاء لنايرة الفتنة المتوقعة من ذلك وقد كان ظهر مبادئها من سعد بن عبادة
ومن قومه كما في صحيح مسلم والله اعلم الثامنة قوله تعالى لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ
الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا الآيه هذا عتاب من الله سبحانه للمؤمنين في ظنهم حين قال اصحاب الافك
ما قالوا قال ابن زيد ظن المؤمنون ان المؤمن لا يفجر بامه قال المهدوي ولولا بمعنى هلا وقيل المعنى انه كان ينبغي
ان يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الامر على انفسهم فان كان ذلك يبعد فذلك في عايشة وصفوان ابعد وروي ان
هذا النظر السديد وقع من ابي ايوب الانصاري وامراته وذلك انه دخل عليها فقالت له يا ابا ايوب اسمعت ما قيل
فقال نعم وذلك الكذب اكنت انت يا ام ايوب تفعلين ذلك قالت لا والله قال فعايشة والله افضل قالت ام ايوب
نعم فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله على المؤمنين اذ لم يفعله جميعهم التاسعة قوله تعالى بِأَنْفُسِهِمْ
قال النحاس معنى بانفسهم باخوانهم فاوجب الله على المسلمين اذا سمعوا رجلا يقذف احدا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به
ان ينكروا عليه ويكذبوه وتواعد من ترك ذلك ومن نقله قال المولف رحمه الله ولاجل هذا قال العلماء ان الآيه
اصل في ان درجة الايمان التي حازها الانسان ومنزلة الصلاح التي حلها المرء ولبسة العفاف التي يستتر بها المسلم
لا يزيلها عنه خبر محتمل وان شاع اذا كان اصله فاسدا او مجهولا العاشرة قوله تعالى لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ هذا توبيخ لاهل الافك ولولا بمعنى هلا اي هلا جاؤوا عليه باربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء
وهذا رد على الحكم الاول واحالة على الآيه السابقة في آيه القذف الحادية عشرة قوله تعالى فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا
بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ اي هم في حكم الله كاذبون وقد يعجز الرجل عن اقامة البينه
وهو صادق في قذفه ولكنه في حكم الشرع وظاهر الامر كاذب لا في علم الله وهو سبحانه انما رتب الحدود على حكمه الذي
شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالانسان على ما هو عليه فانما يبتني على ذلك حكم الآخرة قال المولف
رحمه الله ومما يقوي هذا المعنى ويعضده ما خرجه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايها الناس ان الوحي
قد انقطع وانما ناخذكم الآن بما ظهر لنا من اعمالكم فمن اظهر لنا خيرا امناه وقربناه وليس لنا من سريرته شي الله يحاسبه
في سريرته ومن اظهر لنا شرا لم نومنه ولم نصدقه وان قال ان سريرته حسنه واجمع العلماء على ان احكام الدنيا
على الظاهر وان السراير الى الله عز وجل الثانية عشرة قوله تعالى وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فضل رفع بالابتداء عند سيبويه والخبر محذوف لا يظهره العرب وحذف جواب لولا لانه قد ذكر مثله
بعد قال الله تعالى وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَمَسَّكُمْ اي بسبب ما قلتم في عايشة رضي
الله عنها عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وهذا عتاب من الله بليغ ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا ويرحم
في الآخرة من اتاه تايبا والافاضة الاخذ في الحديث اي اخذوا فيه الثالثة عشرة قوله تعالى إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِأَلْسِنَتِكُمْ قراءة محمد بن السميقع بضم التاء وسكون اللام وضم القاف من الالقاء وهذه قراءة بينة وقرا ابي
وابن مسعود تتلقونه من التلقي بتاءين وقرا الجمهور السبعة بحذف التاء الواحدة واظهار الدال دون ادغام وهو
ايضا من التلقي وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بادغام الدال في التاء وقرا ابن كثير باظهار الدال وادغام التاء في
التاء وهذه قراءة قلقه لانها تقتضي اجتماع ساكنين وليست كقراءة من قرا لا تناجوا ولا تنابزوا لان لزومه الالف
الساكنه وكونها حرف لين حسنت هناك ما لا يحسن مع سكون الدال وقرا ابن يعمر وعايشة رضي الله عنها وهم اعلم

وهو الذي اوقع عليه العتاب يقال افاض القوم في الحديث ع

الناس بهذا الامر تلِقونه بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قول العرب وَلَقَ
الرجل يلق ولقا اذا كذب واستمر عليه فجاوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي قال ابن عطيه وعندي انه اراد
اذ تلقون فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير وقال الخليل وابو عمرو اصل الولق الاسراع يقال جاءت الابل
تلق اي تسرع قال لما راوا جيشا عليهم قد طرق جاوا باسراب من الشام ولق اخر ان الحصين
زلق وزملق جاءت به عبس من الشام تلق يقال رجل زلق وزملق بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل
ان يجامع قال الراجز ان الحصين زلق وزملق والولق ايضا اخف الطعن وقد ولقه يلقه ولقا يقال
ولقه بالسيف ولقات اي ضربات فهو مشترك الرابعة عشرة قوله تعالى وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ
مبالغه والزام وتاكيد والضمير في تحسبونه عايد على الحديث والخوض فيه والاذاعة له وَهَيِّنًا اي شيا يسيرا
لا يلحقكم فيه اثم وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ في الوزر وهذا مثل قوله عليه السلام في حديث القبرين انهما
ليعذبان وما يعذبان في كبير اي بالنسبة اليكم الخامسة عشرة قوله تعالى لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
الى قوله عتاب لجميع المؤمنين اي كان ينبغي عليكم ان تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية
والنقل وان تنزهوا الله عن ان يقع هذا من زوج نبيه عليه السلام وان تحكموا على هذه المقالة بانها بهتان
وحقيقة البهتان ان تقول في الانسان ما ليس فيه والغيبه ان تقول في الانسان ما فيه وهذا المعنى قد جاء
في صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم وعظهم الله تعالى في العودة الى مثل هذه الحالة وان مفعول من اجله
بتقدير كراهية ان ونحوه السادسة عشرة قوله تعالى إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ توقيف وتاكيد كما تقول
ينبغي لك ان تفعل كذا وكذا ان كنت رجلا السابعة عشرة قوله تعالى يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا
لِمِثْلِهِ أَبَدًا يعني في عايشة لان مثله لا يكون الا نظير القول في المقول عنه بعينه او في من كان في مرتبته
من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله و
ذلك كفر من فاعله الثامنة عشرة قال هشام بن عمار سمعت مالكا يقول من سب ابا بكر او عمر ادب
ومن سب عايشة قتل لان الله تعالى يقول يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فمن
سب عايشة فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل وقال ابن العربي قال اصحاب الشافعي
من سب عايشة رضي الله عنها ادب كما في ساير المؤمنين وليس قوله ان كنتم مؤمنين في عايشة لان ذلك كفر وانما
هو كقوله عليه السلام لا يؤمن من لا يامن جاره بوايقه ولو كان سلب الايمان في من سب عايشة حقيقة
لكان سلبه في قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن حقيقه قلنا ليس كما زعمتم ان اهل الافك رموا
عايشة المطهرة بالفاحشه فبراها الله فكان من سبها بما براها الله تعالى منه مكذبا لله ومن كذب الله فهو
كافر فهذا طريق قول مالك وهو سبيل الآيه لاهل البصاير ولو ان رجلا سب عايشة بما براها الله منه لكان
جزاوه الكفر التاسعة عشرة قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ اي تفشوا
يقال شاع الشي شيوعا وشيعا وشيعانا وشيوعه اذا ظهر وتفرق فِي الَّذِينَ آمَنُوا في المحصنين والمحصنات
والمراد بهذا اللفظ العام عايشة وصفوان والفاحشه الفعل القبيح المفرط في القبح وقيل الفاحشه في هذه الآيه
القول السيء لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا اي الحدود وفي الآخرة عذاب النار اي للمنافقين فهو مخصوص
وقد بينا ان الحد للمومن كفاره وقال الطبري معناه ان مات مصرا غير تايب وَاللَّهُ يَعْلَمُ اي يعلم

فقد ان عظّم الذنب والمجازاة عليه ويعلم كل شئ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ روى من حديث ابى الدرداء ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل شد عضد امرء من الناس فى خصومة لا علم له بها فهو فى سخط الله حتى ينزع
عنها وايما رجل حال بشفاعته دون حد من حدود الله ان يقام فقد عاند الله حقا واقدم على سخطه وعليه لعنة
الله تتابع الى يوم القيمة وايما رجل اشاع على مسلم كلمة وهو منها برئ يرى ان يشينه بها فى الدنيا كان حقا على
الله ان يرميه بها فى النار ثم تلى مصداقه من كتاب الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ
الآيه الموفيه عشرين قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
يعنى مسالكه ومذاهبه المعنى لا تسلكوا الطريق التى يدعوكم اليها الشيطان وواحد الخطوات خطوة وهو ما بين
القدمين والخطوة بالفتح المصدر يقال خطوت خطوة وجمعها خطوات وتخطى الينا فلان ومنه الحديث انه راى رجلا
يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة وقراء الجمهور خطوات بضم الطآء واسكنها عاصم والاعمش وقراء الجمهور ما زكى
بتخفيف الكاف اى ما اهتدى ولا اسلم ولا عرف رشدا وقيل ما زكى اى ما صلح تقال زكى يزكو زكاء اى صلح وشددها
الحسن وابو حيوة اى تزكيته لكم وتطهيره وهدايته انما هى بفضله لا باعمالكم وقال الكسائى يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا
خطوات الشيطان معترض وقوله ما زكى منكم من احد ابدا جواب قوله اولا وثانيا ولولا فضل الله
الحادية والعشرون قوله تعالى وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ الآيه المشهور
من الروايات ان هذه الآيه نزلت فى قصة ابى بكر بن ابى قحافة رضى الله عنه ومسطح بن اثاثة وذلك انه كان ابن
خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين وهو مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف
ومسطح لقبه وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته وقرابته فلما وقع امر الافك وقال فيه مسطح ما قال حلف ابو بكر ان لا ينفق
عليه ولا ينفعه بنافعة ابدا فجاء مسطح فاعتذر وقال انما كنت اغشى مجلس حسان فاسمع ولا اقول فقال له ابو بكر لقد ضحكت
وشاركت فيما قيل ومر على يمينه فنزلت الآيه وقال الضحاك وابن عباس ان جماعة من المؤمنين قطعوا منافعهم عن كل
من قال فى الافك وقالوا والله لا نصل من تكلم فى عائشة فنزلت الآيه فى جميعهم والاول اصح غير ان الآيه تتناول الامة
الى يوم القيمة بان لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ان لا ينفع من هذه صفته غابر الدهر روى فى الصحيح ان الله لما انزل
هذه الآيات إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ عشر آيات قال ابو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق
عليه شيئا ابدا بعد الذى قال لعائشة فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله أَلَا تُحِبُّونَ
أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ قال عبد الله بن المبارك هذه ارجى آية فى كتاب الله فقال والله انى لاحب ان يغفر
الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال لا انزعها منه ابدا الثانية والعشرون فى هذه الآيه دليل
على ان القذف وان كان كبيرا لا يحبط الاعمال لان الله وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والايمان وكذلك سائر الكبائر ولا يحبط
الاعمال الا الشرك قال الله تعالى لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ الثالثة والعشرون من حلف على شئ لا يفعله فرأى
فعله اولى من تركه اتاه وكفر عن يمينه او كفر عن يمينه واتاه كما تقدم فى المائدة وراى الفقهاء ان من حلف ان لا يفعل
سنة من السنن او مندوبا وابد ذلك انها جرحة فى شهادته ذكره الباجى فى المنتقى الرابعة والعشرون قوله تعالى
وَلَا يَأْتَلِ معناه يحلف وزنها يفتعل من الالية وهى اليمين ومنه قوله تعالى يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وقد تقدم فى سورة
البقرة وقالت فرقة معناه يقصر من قولك الوت فى كذا اذا قصرت فيه ومنه قوله تعالى لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا الخامسة
والعشرون قوله تعالى أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ تمثيل وحجة اى كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم

فكذلك اغفروا لمن دونكم وينظر الى هذا قوله عليه السلام من لا يرحم لا يرحم السادسة والعشرون قال
بعض العلماء هذه ارجى آية فى كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ وقيل
ارجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وقد قال تعالى فى آية
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ فشرح الفضل الكبير فى هذه الآيه وبشر به المؤمنين فى تلك ومن آيات الرجاء قوله عز وجل قُلْ يَا
عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وقوله تعالى اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ وقال بعضهم ارجى آية فى كتاب الله تعالى
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى ببقاء احد من امته فى النار
السابعة والعشرون قوله تعالى أَنْ يُؤْتُوا اى لا يؤتوا فحذف لا كقول القائل فقلت يمين الله ابرح قاعدا
اى لا ابرح قاعدا ذكره الزجاج وعلى قول ابى عبيدة لا حاجة الى اضمار لا وَلْيَعْفُوا من عفا الربع اذا درس فهو محو
الذنب حتى يعفو كما يعفو اثر الربع قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى المحصنات تقدم فى النساء واجمع العلماء على ان حكم المحصنين فى
القذف كحكم المحصنات قياسا واستدلالا وقد بيناه فى اول السورة والحمد لله واختلف فيمن المراد بهذه الآيه فقال
سعيد بن جبير هى فى رماة عائشة خاصة وقال قوم هى فى عائشة وسائر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم قاله
ابن عباس والضحاك وغيرهما ولا تنفع التوبة ومن قذف غيرهن من المحصنات فقد جعل الله له توبة لانه قال
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ الى قوله إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا فجعل الله لهؤلاء توبة ولم
يجعل لاولئك توبة قاله الضحاك وقيل هذا الوعيد لمن اصر على القذف ولم يتب وقيل نزلت فى عائشة الا انه
يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة وقيل انه عام لجميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان الذين
يرمون الانفس المحصنات فدخل فى هذا المذكر والمؤنث واختاره النحاس وقيل انها نزلت فى مشركى مكة لانهم
يقولون للمراة اذا هاجرت انما خرجت لتفجر الثانية قوله تعالى لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
قال العلماء ان كان المراد بهذه الآية المؤمنون من القذفة فالمراد باللعنة الابعاد وضرب الحد واستيحاش
المؤمنين منهم وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبة العدالة والبعد عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين وعلى قول من قال
هى خاصة لعائشة رضى الله عنها تترتب فى هذه الشدائد فى عبد الله بن ابى واشباهه وعلى قول من قال نزلت فى
مشركى مكة فلا كلام فانهم مبعدون ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ومن اسلم فالاسلام يجب ما قبله وقال ابو جعفر
النحاس من احسن ما قيل فى تاويل هذه الآيه انه عام فى جميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان الذين
يرمون الانفس المحصنات فدخل فى هذا المذكر والمؤنث وكذا فى الذين يرمون الا انه غلب المذكر المؤنث قوله تعالى
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ قراءة العامة بالتاء واختاره ابو حاتم وقراء الاعمش ويحيى وحمزة و
الكسائى وخلف يشهد بالياء واختاره ابو عبيد لان الجار والمجرور قد حال بين الاسم والفعل والمعنى يوم تشهد السنة
بعضهم على بعض بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من القذف والبهتان وقيل تشهد عليهم السنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به وايديهم
وارجلهم اى تتكلم الجوارح بما عملوا فى الدنيا قوله تعالى يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ اى حسابهم
وجزاءهم وقراء مجاهد يومئذ يوفيهم الله دينهم الحقُّ برفع الحق على انه نعت لله تعالى وقال ابو عبيد ولولا كراهة خلاف
الناس لكان الوجه الرفع ليكون نعتا لله عز وجل ويكون موافقة لقراءة ابى وذلك ان جرير بن حازم قال رايت فى

مصحف ابي يوفيهم الله الحق دينهم قال النحاس وهذا الكلام من ابي عبيد غير مرضي لانه احتج بما هو مخالف
للسواد الاعظم ولاحجة ايضا فيه لانه لو صح هذا انه في مصحف ابي كذا جاز ان يكون القراءة يومئذ يوفيهم الله الحق
دينهم يكون دينهم بدلا من الحق وعلى قراءة العامة يكون الحق نعتا لدينهم والمعنى احسن لان الله عز وجل ذكر المسيئين
واعلم انه يجازيهم بالحق كما قال جل وعز وهل يجازى الا الكفور لان مجازاة الله عز وجل للكافر والمسيء بالحق و
العدل ومجازاة المحسن بالاحسان والفضل ويعلمون ان الله هو الحق المبين اسمان من اسمائه عز وجل
وقد ذكرناهما في غير موضع وخاصة في الكتاب الاسنى قوله تعالى **الخبيثات للخبيثين** الآية
قال ابن زيد المعنى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون للخبيثات وكذا الطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات وقال مجاهد وابن جبير وعطاء واكثر المفسرين المعنى الكلمات الخبيثات
من القول للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول وكذا الكلمات الطيبات من القول
للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول قال النحاس في كتاب معاني القرآن وهذا
احسن ما قيل في هذه الآية ودل على صحة هذا القول **اولئك مبرؤون مما يقولون** اي عايشة وصفوان
مما يقولون الخبيثون والخبيثات وقيل ان هذه الآية مبنية على قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الآية
فالخبيثات الزواني والطيبات العفايف وكذا الطيبون والطيبات واختار هذا القول النحاس ايضا وهو
معنى قول ابن زيد اولئك مبرؤون مما يقولون يعني به الجنس وقيل عايشة وصفوان فجمع كما قال فان كان
له اخوة والمراد اخوان قاله الفراء ومبرؤون يعني منزهين مما رموا به قال بعض اهل التحقيق ان يوسف
عليه السلام لما رمي بالفاحشة براه الله على لسان صبي في المهد وان مريم لما رميت براها الله
على لسان ابنها عيسى صلوات الله عليه وان عايشة لما رميت بالفاحشة براها الله بالقرآن فما رضي لها ببراءة صبي
ولا نبي حتى براها الله بكلامه من القذف والبهتان وروى علي بن زيد بن جدعان عن جدته عن عايشة رضي الله عنها
انها قالت لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي رسول الله عليه وسلم وان راسه لفي حجري
ولقد قبر في بيتي ولقد حفت الملائكة بيتي وان كان الوحي لينزل عليه وهو في اهله فينصرفون عنه وان كان
لينزل عليه وانا معه في لحافه فما يبينني عن جسده واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت
طيبة وعند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما يعني قوله **اولئك لهم مغفرة ورزق كريم** وهو
الجنة قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا** نسوا
وتسلموا على اهلها فيه سبعة عشر مسئلة الاولى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا
لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الابصار وملكهم الاستمتاع بها على
الانفراد وحجر على الخلق ان يطلعوا على ما فيها من خارج او يلجوها من غير اذن اربابها ادبهم بما يرجع الى الستر
عليهم لئلا يطلع احد منهم على عورة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن ~~رسول الله~~ النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم حل لهم ان يفقؤا
عينه وقد اختلف في تاويله فقال بعض العلماء ليس هذا على ظاهره فان فقاء فعليه الضمان والخبر منسوخ وكان قبل
نزول قوله تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ويحتمل ان يكون خرج على وجه الوعيد لا على وجه الحتم
والخبر لو كان مخالفا لكتاب الله تعالى فلا يجوز العمل به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بالكلام في الظاهر

وهو يريد شيئا آخر كما جاء في الخبر ان عباس بن مرداس لما مدحه قال لبلال قم فاقطع لسانه و
انما اراد بذلك ان يعطيه شيئا ولم يرد به القطع في الحقيقة وكذلك هذا يحتمل ان يكون ذكر فقء العين والمراد
ان يعمل عملا حتى لا ينظر بعد ذلك في بيت غيره وقال بعضهم لا ضمان عليه ولا قصاص وهو الصحيح للحديث البين
على ما ياتي الثانية سبب نزول هذه الآية ما رواه الطبري وغيره عن عدي بن ثابت ان امراة
من الانصار قالت يا رسول الله اني اكون في بيتي على حال لا احب ان يراني عليه احد لا والد ولا ولد
فياتي الاب فيدخل علي وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلي وانا على تلك الحال فكيف اصنع فنزلت الآية
فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله افرايت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن
فانزل الله تعالى **ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة** الثالثة مد الله تعالى التحريم
في دخول بيت ليس هو بيتك الى غاية هي الاستيناس قال ابن وهب قال مالك الاستيناس فيما نرى والله
اعلم الاستيذان وكذلك في قراءة ابي وابن عباس وسعيد بن جبير حتى تستاذنوا وتسلموا على اهلها وقيل
ان معنى حتى تستانسوا تستعلموا اي تستعلموا من في البيت قال مجاهد بالتنحنح او باي وجه امكن
ويتانى قدر ما يعلم انه قد شعر به ويدخل اثر ذلك وقال معناه الطبري ومنه قوله تعالى **فان آنستم منهم**
رشدا اي علمتم وقال الشاعر آنست نباة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء قلت وفي سنن ابن
ماجه حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن واصل بن السايب عن ابي سورة عن
ابي ايوب الانصاري قال قلنا يا رسول الله هذا السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة و
تحميدة ويتنحنح يؤذن اهل البيت وهذا نص في ان الاستيناس غير الاستيذان كما قال مجاهد ومن وافقه
الرابعة روي عن ابن عباس وبعض الناس يقول عن سعيد بن جبير تستانسوا خطا او وهم من الكاتب
انما هو تستاذنوا وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره فان مصاحف الاسلام كلها قد ثبتت فيها حتى تستانسوا
وصح الاجماع فيها من لدن مدة عثمان وهي التي لا يجوز خلافها واطلاق الخطا والوهم على الكاتب في لفظ اجمع
الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس وقد قال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد وقال تعالى **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** وقد روي عن ابن عباس ان
في الكلام تقديما وتاخيرا والمعنى حتى تسلموا على اهلها وتستانسوا حكاه ابو حاتم قال ابن عطية ومما ينفي هذا
القول عن ابن عباس وغيره ان تستانسوا متمكنة في المعنى بينة الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي صلى الله
عليه وسلم استانس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضي انه طلب الانس
به صلى الله عليه وسلم فكيف يخطئ ابن عباس اصحاب الرسول في مثل هذا قلت قد ذكرنا من حديث ابي ايوب ان
الاستيناس انما يكون قبل السلام وتكون الآية على بابها لا تقديم فيها ولا تاخير وانه اذا دخل سلم والله اعلم
الخامسة السنة في الاستيذان ثلاث مرات لا احب ان يزيد احد عليها الا من علم انه لم يسمع فلا ارى
باسا ان يزداد اذا استيقن انه لم يسمع وصورة الاستيذان ان يقول الرجل سلام عليكم اادخل فان اذن
له دخل وان امر بالرجوع انصرف وان سكت عنه استاذن ثلاثا ثم ينصرف بعد الثلاث وانما قلنا ان السنة
في الاستيذان ثلاث مرات لا يزاد عليه لحديث ابي موسى الاشعري الذي استعمله عمر بن الخطاب وشهد
به لابي موسى ابو سعيد الخدري ثم ابي بن كعب وهو حديث مشهور اخرجه الصحيح وهو نص صريح فان فيه فقال

يعني عمر ما منعك ان تاتينا فقلت اتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم يرد على فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يوذن له فليرجع وكذا ما ذكرناه من صور الاستيذان فلما رواه ابوداود عن
ربعي قال ثنا رجل من بني عامر انه استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه
اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقال له قل السلام عليكم ادخل فسمعه الرجل فقال السلام عليكم ادخل فاذن
له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل وذكره الطبري وقال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لامة له يقال لها روضة قولي لهذا
يقول السلام عليكم ادخل الحديث وروى عن ابن عمر انه اذته الرمضاء يوما فاتى فسطاط امراة من قريش فقال
السلام عليكم ادخل فقالت المراة ادخل بسلام فاعاد فاعادت فقال لها قولي ادخل فقالت المراة ذلك ادخل بسلام
فتوقف لما قالت بسلام لاحتمال اللفظ ان تريد بسلامك لا بشخصك السادسة قال علماؤنا رحمهم الله انما خص
الاستيذان بثلاث لان الغالب من الكلام اذا كرر ثلاثا سمع وفهم ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة
اعادها ثلاثا حتى يفهم عنه واذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثا واذا كان الغالب هذا فاذا لم يوذن له بعد ثلاث ظهر ان
رب المنزل لا يريد الاذن او لعله يمنعه من الجواب عذر لا يمكنه قطعه فينبغي للمستاذن ان ينصرف لان الزيادة على
ذلك قد يقلق رب المنزل وربما يضره الالحاح حتى ينقطع عما كان مشغولا به كما قال عليه السلام لابي ايوب حين استاذن
عليه فخرج مستعجلا فقال لعلنا اعجلناك الحديث وروى عقيل عن ابن شهاب قال اما سنة التسليمات الثلاث
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى سعد بن عبادة فقال السلام عليكم فلم يردوا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يردوا ثم قال السلام عليكم فلم يردوا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فقد سعد تسليمه علم انه قد انصرف فخرج
سعد في اثره حتى ادركه فقال وعليك السلام يا رسول الله انما اردنا ان نستكثر من تسليمك وقد والله سمعنا فانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سعد حتى دخل بيته قال ابن شهاب فانما اخذ التسليم ثلاثا من قبل ذلك ورواه الوليد
بن مسلم عن الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن سعد بن زرارة قال زارنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله قال فرد سعد ردا خفيا قال قيس فقلت الا تاذن لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ذره يكثر علينا من السلام الحديث اخرجه ابوداود وليس فيه قال ابن شهاب فانما اخذ التسليم ثلاثا
من قبل ذلك قال ابوداود ورواه عمر بن عبد الواحد وابن سماعة عن الاوزاعي مرسلا لم يذكرا قيس بن سعد السابعة
روى عن ابن عباس ان الاستيذان ترك العمل به الناس قال علماؤنا رحمهم الله عليهم وذلك لاتخاذ الناس الابواب وقرعها
روى ابوداود عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه
ولكن من ركنه الايمن او الايسر فيقول السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور الثامنة فان
كان الباب مردودا فله ان يقف حيث شاء منه ويستاذن وان شاء دق الباب لما رواه ابوموسى الاشعري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في حائط بالمدينة على قف البئر مدليا رجليه في البئر فدق الباب ابوبكر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ائذن له وبشره بالجنة وكذا رواه عبد الرحمن بن ابي الزناد وتابعه صالح بن كيسان ويونس بن يزيد فرووه جميعا عن ابي
الزناد عن ابي سلمة عن نافع بن عبد الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك واسناده الاول اصح والله اعلم التاسعة
صفة الدق ان يكون خفيفا بحيث يسمع ولا يعنف في ذلك فقد روى انس بن مالك قال كانت ابواب النبي صلى الله عليه وسلم
تقرع بالاظافير ذكره ابوبكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب في جامعه العاشرة روى الصحيحان وغيرهما عن جابر بن عبد الله
قال استاذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا انا كانه كره ذلك قال علماؤنا

انما كره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان قوله انا لا يحصل به تعريف وانما الحكم في ذلك ان يذكر اسمه كما فعل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وابوموسى لان في ذكر الاسم اسقاط كلفة السؤال والجواب ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة له فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم ايدخل عمر وفي صحيح مسلم ان اباموسى
جاء الى عمر بن الخطاب فقال السلام عليكم هذا ابوموسى السلام عليكم هذا الاشعري الحديث الحادية عشرة ذكر
الخطيب في جامعه عن علي بن عاصم الواسطي قال قدمت البصرة فاتيت منزل شعبة فدققت الباب عليه فقال من هذا
فقلت انا فقال يا هذا ما لي صديق يقال له انا ثم خرج الي فقال حدثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لي فدققت عليه الباب فقال من هذا فقلت انا فقال انا انا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره قولي
هذا او قوله هذا وذكر عن عمر بن ابي شيبة حدثنا محمد بن سلام عن ابيه قال دققت على عمرو بن عبيد الباب فقال لي
من هذا فقلت انا فقال لا يعلم الغيب الا الله قال الخطيب سمعت علي بن المحسن القاضي يحكي عن بعض الشيوخ انه كان اذا
دق الباب عليه فقال من هذا فقال الذي على الباب انا فيقول الشيخ انا هم دق الثانية عشرة ثم لكل
قوم في الاستيذان عرفهم في العبارة كما رواه ابوبكر الخطيب مسندا عن ابي عبد الملك مولى ام مسكين بنت عاصم
بن عمر بن الخطاب قال ارسلتني مولاتي الى ابي هريرة فجاء معي فلما قام بالباب قال اندراي قالت اندرون وذكر
عن احمد بن صالح كان الدراوردي من اهل اصبهان فنزل المدينة فكان يقول للرجل اذا اراد ان يدخل اندرون
فلقبه اهل المدينة الدراوردي الثالثة عشرة روى ابوداود عن كلدة بن حنبل ان صفوان بن امية بعثه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبن وجداية وضغابيس والنبي صلى الله عليه وسلم باعلا مكة فدخلت ولم اسلم فقال
ارجع فقل السلام عليكم وذلك بعدما اسلم صفوان بن امية وروى ابو الزبير عن جابر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال من لم يبدا بالسلام فلا تاذنوا له وذكر ابن جريج اخبرني عطاء قال سمعت اباهريرة يقول اذا قال الرجل
ادخل ولم يسلم فقل لا حتى تاتي بالمفتاح فقلت السلام عليكم قال نعم وروى ان حذيفة جاءه رجل فنظر الى ما في البيت فقال
السلام عليكم ادخل فقال حذيفة اما بعينك فقد دخلت واما باستك فلم تدخل الرابعة عشرة ومما يدخل
في هذا الباب ما رواه ابوداود عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل اذنه اي اذا
ارسل اليه فقد اذن في الدخول يبينه قوله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن
اخرجه ابوداود عن ابي هريرة الخامسة عشرة فان وقعت العين على العين فالسلام قد تعين
ولا تعد رؤيته اذنا لك في الدخول فاذا قضيت حق السلام لانك الوارد عليه تقول ادخل فان اذن لك والا رجعت
السادسة عشرة هذه الاحكام كلها انما هي في بيت ليس هو لك فاما بيتك الذي تسكنه فان كان فيه
اهلك فلا اذن عليها الا انك تسلم اذا دخلت قال قتادة اذا دخلت بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم فان كان
فيه معك امك واختك فقالوا تنحنح واضرب برجلك حتى ينتبها لدخولك لان الاهل لا حشمة بينك وبينها واما الاخت
والام فقد يكونا على حالة لا تحب ان تراهما فيها قال ابن القاسم قال مالك ويستاذن الرجل على امه واخته اذا اراد ان
يدخل وقد روى عطاء بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال اني اخدمها قال استاذن
عليها فعاوده ثلاثا قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن عليها ذكره الطبري السابعة عشرة فان دخل
بيت نفسه وليس فيه احد فقال علماؤنا يقول السلام علينا من ربنا التحيات الطيبات المباركات لله السلام رواه ابن
وهب عن النبي صلى الله عليه وسلم وسنده ضعيف وقال قتادة اذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

فانه يوميء بذلك قال وذكر لنا ان الملائكة ترد عليهم قال ابن العربي والصحيح ترك السلام والاستيذان والله اعلم قلت قول قتادة حسن قوله تعالى فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فان لم تجدوا الضمير في تجدوا للبيوت التي هي بيوت الغير وحكى الطبري عن مجاهد انه قال معنى قوله فان لم تجدوا فيها احدا اي لم يكن فيها متاع وضعف الطبري هذا التأويل وكذلك هو في غاية الضعف وكان مجاهدا رأى ان البيوت غير المسكونة انما تدخل دون اذن اذا كان للداخل فيها متاع ورأى لفظة المتاع متاع البيت الذي هو البسط والثياب وهذا كله ضعيف والصحيح ان هذه الآية مرتبطة بما قبلها والاحاديث التقدير يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا فان اذن لكم فادخلوا والا فارجعوا كما فعل عليه الصلوة والسلام مع سعد وابي موسى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى تجدوا اذنا واسند الطبري عن قتادة قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما ادركتها ان استأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانا مغتبط بقوله تعالى هو ازكى لكم الثانية سواء كان هذا الباب مفتوحا او مغلقا لان الشرع قد اغلقه بالتحريم للدخول حتى يفتحه الاذن من ربه بل يجب عليه ان يأتي الباب ويحاول الاذن على صفة لا يطلع منه على البيت لا في اقباله ولا في انقلابه فقد روى علماؤنا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال من ملأ عينه من قاعة بيت فقد فسق وروى الصحيح عن سهل بن سعد ان رجلا اطلع من جحر في باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل به رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اعلم انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الله الاذن من اجل البصر وروى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح الثالثة اذا ثبت ان الاذن شرط في دخول المنزل فانه يجوز من الصغير والكبير وقد كان انس بن مالك يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة مع ابنائهم وغلمانهم رضي الله عنهم وسيأتي لهذا مزيد بيان في آخر السورة ان شاء الله تعالى الرابعة وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ توعد لاهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة للمعاصي والنظر الى ما لا يحل لغيرهم ممن يقع في محظور قوله تعالى لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ فيه مسئلتان الاولى روى ان بعض الناس لما نزلت آية الاستيذان تعمق في الامر فكان لا يأتي موضعا خربا ولا مسكونا الا سلم واستأذن فنزلت هذه الآية اباح الله فيها رفع الاستيذان في كل بيت لا يسكنه احد لان العلة اي الاستيذان انما هي لاجل خوف الكشفة على الحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم الثانية اختلف العلماء في المراد بهذه البيوت فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هي الفنادق التي في طرق السابلة قال مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفة ليأوي اليها كل ابن سبيل وفيها متاع لهم اي استمتاع وعن محمد بن الحنفية ايضا ان المراد بها دور مكة ويشبه قول مالك وهذا على القول بانها غير ممتلكة وان الناس شركاء فيها وان مكة اخذت عنوة وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت القيساريات قال الشعبي لانهم جاؤوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلم وقال عطاء المراد بها الخرب التي يدخلها الانسان للبول والغائط ففي هذا ايضا متاع وقال جابر بن زيد ليس يعني بالمتاع الجهاز ولكنه ما سواه من الحاجة اما منزل ينزله قوم من ليل او نهار او خربة يدخلها لقضاء حاجة او دار ينظر اليها فهذا متاع وكل منافع الدنيا متاع قال ابو جعفر النحاس وهذا شرح حسن من قول امام من ائمة المسلمين وهو موافق اللغة والمتاع في كلام العرب المنفعة ومنه

امتع الله بك ومنه فمتعوهن قلت واختار ايضا القاضي ابو بكر ابن العربي فقال اما من فسر المتاع بانه جميع الانتفاع فقد طبق المفصل وجاء بالفيصل بين ان الداخل فيها انما هو لما له من الانتفاع فالطالب يدخل في الخانقاه وهي المدارس لطلب العلم والساكن يدخل الخانات وهي الفنادق اي الفنادق والزبون يدخل الدكان للابتياع والحاقن يدخل الخلاء للحاجة وكل يؤتى على وجهه من بابه واما قول ابن زيد والشعبي فقول ذلك ان بيوت القيساريات محظورة باموال الناس غير مباحة لكل من اراد دخولها باجماع ولا يدخلها الا من اذن له ربها بل اربابها موكلون بدفع الناس قوله تعالى قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ الى قوله يصنعون فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وصل تعالى بذكر الستر ما يتعلق بالنظر يقال غض بصره يغضه غضا قال الشاعر

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال عنترة

واغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

ولم يذكر تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج غير ان ذلك معلوم بالعادة وان المراد منه المحرم دون المحلل وفي البخاري وقال سعيد بن ابي الحسن للحسن ان نساء العجم يكشفن صدورهن ورؤوسهن قال اصرف بصرك يقول الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال قتادة عما لا يحل لهم وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ خائنة الاعين النظر الى ما نهي عنه الثانية قوله تعالى من ابصارهم من زائدة كقوله فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وقيل من للتبعيض لان من النظر ما يباح وقيل الغض النقصان يقال غض فلان من فلان اي وضع منه فالبصر اذا لم يمكن من عمله فهو موضوع عنه ومنقوص فمن من صلة الغض وليست للتبعيض ولا للزيادة الثالثة البصر هو الباب الاكبر الى القلب واعمر طرق الحواس اليه وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من اجله وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال فاذا ابيتم الا المجالس فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه ابو سعيد الخدري خرجه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الثانية وروى الاوزاعي قال حدثني هرون بن رئاب ان غزوان وابا موسى الاشعري كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت فقال انك للحاظة الى ما يضرك ولا ينفعك فلقي ابا موسى فسأله فقال ظلمت عينك فاستغفر الله وتب ان لها اول نظرة وعليها ما كان بعد ذلك قال الاوزاعي وكان غزوان ملك نفسه فلم يضحك حتى مات وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة فامرني ان اصرف بصري وهذا يقوي قول من يقول ان من للتبعيض لان النظرة الاولى لا تملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف اذ وقوعها لا يتأتى ان يكون مقصودا ولا تكون مكتسبة فلا تكون مكلفا بها فوجب التبعيض لذلك ولم يقل ذلك في الفرج لانها تملك ولقد كره الشعبي ان يديم الرجل النظر الى ابنته وامه واخته وزماننا خير من زماننا هذا وحرام على الرجل ان ينظر الى ذات محرمه نظرة شهوة يرددها الرابعة قوله تعالى وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ اي يستروها عن ان يراها احد ممن لا يحل له وقيل ويحفظوا فروجهم اي عن الزنا ولو قال من فروجهم لجاز والصحيح ان الجميع مراد واللفظ عام روى بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك او مما ملكت يمينك قال الرجل يكون مع الرجل قال ان استطعت ان لا يراها فافعل قلت فالرجل يكون خاليا قال الله احق ان يستحيى منه من الناس وقد ذكرت

عايشه رضی الله عنها رسول الله صلی الله علیه وسلم وحالها معه فقالت ما رایت ذلک منه ولا رای منی ذلک الخامسة بهذه الادلة
حرم العلماء نصا دخول الحمام بغیر میزر وقد روی عن ابن عمر انه قال اطیب ما انفق الرجل درهما یعطیه للحمام فی خلوه وصح
عن ابن عباس انه دخل الحمام وهو محرم بالجحفه فدخوله جایز للرجال بالمیازر وکذلک النسآء للضرورة کغسلهن من
الحیض او النفاس او مرض لحقهن والاولی بهن والافضل لهن غسلهن فی بیوتهن ان امکن ذلک فقد روی احمد
بن منیع حدثنا الحسن بن موسی حدثنا ابن لهیعه حدثنا زبان عن سهل بن معاذ عن ابیه عن ام الدردآء
انه سمعها یقول لقینی رسول الله صلی الله علیه وسلم وقد خرجت من الحمام فقال من این یا ام الدردآء قلت من الحمام لعله
فقال والذی نفسی بیده ما من امراة تضع ثیابها فی غیر بیت احد من امهاتها الا وهی هاتکة کل ستر بینها وبین الرحمن
عز وجل وخرج ابوبکر البزاز عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم احذروا بیتا یقال
له الحمام قالوا یا رسول الله ینقی الوسخ قال فاستتروا قال ابو محمد عبد الحق هذا اصح اسناد حدیث ورد فی هذا الباب
علی ان الناس یرسلونه عن طاوس واما ما خرجه ابو داود فی هذا من الحظر والاباحة فلا یصح منه شی لضعف
الاسانید وکذلک ما خرجه الترمذی قلت اما دخول الحمام فی هذا الزمان فحرام علی اهل الفضل والدین لغلبة
الجهل علی الناس واستسهالهم اذا توسطوا الحمام رموا میازرهم حتی یری الرجل البهی ذو الشیبة قایما منتصبا
وسط الحمام وخارجه بادیا عن عورته ضاما بین فخذیه ولا احد یغیر علیه هذا امر الرجال فکیف بالنسآء لا سیما
بالدیار المصریة اذ حماماتهم خالیه عن المظاهر التی هی عن اعین الناس سواتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلی
العظیم السادسة قال العلماء فان استتر فلیدخل بعشر شروط الاول ان لا یدخل الا بنیة التداوی
او بنیة التطهر عن الحیض او النفاس او الجنابة الثانی ان یعتمد اوقات الخلوة او قلة الناس الثالث ان یستر عورته
بازار صفیق الرابع ان یکون نظره الی الارض او یستقبل الحایط لئلا یقع بصره علی محظور الخامس ان یغیر ما
یری من منکر برفق یقول استتر سترک الله السادس ان دلکه احد لا یمکنه من عورته من سرته الی
رکبته الا امراته او جاریته وقد اختلف فی الفخذین هل هما عورة اولا السابع ان یدخله باجرة معلومة
بشرط او بعادة الناس الثامن ان یصب الماء علی قدر الحاجه التاسع ان لم یقدر علی دخوله وحده اتفق
مع قوم یحفظون ادیانهم علی کرایه العاشر ان یتذکر به جهنم فان لم یمکنه ذلک کله فلیستتر ولیجتهد فی غض
البصر ذکر الترمذی ابو عبد الله فی نوادر الاصول من حدیث طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلی
الله علیه وسلم اتقوا بیتا یقال له الحمام قیل یا رسول الله انه یذهب الوسخ ویذکر النار فقال ان کنتم لا بد
فاعلین فادخلوه مستترین وخرج من حدیث ابی هریرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم نعم البیت
یدخله الرجل المسلم بیت الحمام وذلک انه اذا دخله سال الله الجنة واستعاذ به من النار وبیس البیت
یدخله الرجل بیت العروس وذلک لانه یرغبه فی الدنیا وینسیه الآخرة قال ابو عبد الله فهذا لاهل
الغفلة صیر الله الدنیا بما فیها سببا للذکر لاهل الغفلة لیذکروا بها آخرتهم فاما اهل الیقین فقد صارت الآخرة
نصب اعینهم فلا بیت حمام یزعجه ولا بیت عروس یستفزه لقد دقت الدنیا بما فیها من الصنفین والضربین
فی جنب الآخرة حتی ان جمیع نعم الدنیا فی اعینهم کنثارة من مائدة عظیمة وجمیع شداید الدنیا فی اعینهم کتفلة عوقب التفلة
بها مجرم او مسیء قد کان استوجب القتل من جمیع عقوبات اهل الدنیا السابعة قوله تعالی ذلک
أَزْكَىٰ لَهُمْ ای غض البصر وحفظ الفرج ازکی واطهر فی الدین وابعد من دنس الآثام إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ ای عالم

بِمَا يَصْنَعُونَ تهدید ووعید قوله تعالی وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ الی
قوله نِسَائِهِنَّ فیه ثلاث وعشرون مسئلة الاولی قوله تعالی قل للمومنات خص الله تعالی هنا الاناث
بالخطاب علی طریق التاکید فان قوله قل للمومنین یکفی لانه قول عام یتناول الذکر والانثی من المومنین حسب کل
خطاب عام فی القرآن واظهر التضعیف فی یغضضن ولم یظهر فی یغضوا لان لام الفعل من الثانی ساکنة ومن الاول
متحرکه وهما فی موضع جزم جوابا وبدا بالغض قبل الفرج لان البصر راید للقلب کما ان الحمی راید الموت واخذ هذا المعنی
بعض الشعرآء فقال الم تر ان العین للقلب راید فما تالف العینان فالقلب آلف وفی الخبر النظر سهم من سهام
ابلیس مسموم فمن غض بصره اورثه الله الحلاوة فی قلبه وقال مجاهد اذا اقبلت المراة جلس الشیطان علی راسها
فزینها لمن ینظر واذا ادبرت جلس علی عجزها فزینها لمن ینظر وقال خالد بن ابی عمران لا تتبع النظرة النظرة فربما
نظر العبد نظرة نغل بها قلبه کما ینغل الادیم فلا ینتفع به فامر الله سبحانه المومنین والمومنات بغض الابصار
عما لا یحل فلا یحل للرجل ان ینظر الی المراة ولا المراة الی الرجل فان علاقتها کعلاقته بها وقصدها منه کقصده منها
وفی صحیح مسلم عن ابی هریرة قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ان الله کتب علی ابن آدم حظه من الزنا
ادرک ذلک لا محالة فالعینان تزنیان وزناهما النظر الحدیث وقال الزهری فی النظر الی التی لم تحض من النسآء
لا یصلح النظر الی شی منهن ممن یشتهی النظر الیهن وان کانت صغیرة وکره عطاء النظر الی الجواری التی
یبعن بمکة الا ان یرید ان یشتری وفی الصحیحین عنه علیه السلام انه صرف وجه الفضل عن الخثعمیة
حین سالته وطفق الفضل ینظر الیها وقال علیه السلام الغیرة من الایمان والمذاء من النفاق و
المذاء هو ان یجمع الرجل بین النسآء والرجال ثم یخلیهم یماذی بعضهم بعضا ماخوذ من المذی وقیل هو
ارسال الرجال الی النسآء ماخوذ من قولهم مذیت الفرس اذا ارسلتها ترعی وکل ذکر یمذی وکل انثی
تقذی فلا یحل لامراة تومن بالله والیوم الآخر ان تبدی زینتها الا لمن تحل له او لمن هی محرمة علیه
علی التابید فهو من ان یتحرک بطبعه الیها لوقوع الیاس له منها الثانیة روی الترمذی عن نبهان
مولی ام سلمة ان النبی صلی الله علیه وسلم قال لها ولمیمونة وقد دخل علیها ابن ام مکتوم احتجبا فقالتا انه
اعمی قال افعمیاوان انتما الستما تبصرانه فان قیل هذا الحدیث لا یصح عند اهل النقل لان راویه عن
ام سلمة نبهان مولاها وهو ممن لا یحتج بحدیثه وعلی تقدیر صحته فان ذلک منه تغلیظ علی ازواجه لحرمتهن علیه
کما غلظ علیهن امر الحجاب کما اشار الیه ابو داود وغیره من الایمة ویبقی معنی الحدیث الصحیح الثابت وهو
ان النبی صلی الله علیه وسلم امر فاطمة بنت قیس ان تعتد فی بیت ام شریک ثم قال تلک امراة یغشاها
اصحابی اعتدی عند ابن ام مکتوم فانه رجل اعمی تضعین ثیابک ولا یراک قلنا قد استدل بعض العلما
بهذا الحدیث علی ان المراة یجوز لها ان تطلع من الرجل علی ما لا یجوز للرجل ان یطلع علی المراة کالراس ومعلق
القرط واما العورة فلا فعلی هذا یکون مخصصا بعموم قوله تعالی وقل للمومنات یغضضن من ابصارهن
ویکون من للتبعیض کما فی الآیة قبلها قال ابن العربی انما امرها بالانتقال من بیت ام شریک الی بیت ابن ام
مکتوم لان ذلک اولی بها من بقائها فی بیت ام شریک اذ کانت ام شریک موثرة بکثرة الداخل الیها فیکثر الرای
لها وفی بیت ابن ام مکتوم لا یراها احد فکان امساک بصرها عنه اقرب من ذلک واولی فرخص لها فی ذلک
والله اعلم الثالثة امر الله تعالی النسآء بان لا یبدین زینتهن للناظرین الا ما استثناه من الناظرین

في باقي الآية حذرا من الافتتان ثم استثنى ما ظهر من الزينة واختلف الناس في قدر ذلك فقال ابن مسعود
ظاهر الزينة هو الثياب وزاد ابن جبير الوجه وقال سعيد بن جبير ايضا وعطاء والاوزاعي الوجه والكفان
والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة ظاهر الزينة هو الكحل والسواك والخضاب الى نصف الساق
والقرطة والفتخة ونحو هذا فمباح ان تبديه المراة لكل من دخل عليها من الناس وذكر الطبري عن قتادة في معنى
نصف الذراع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آخر عن عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل
لامراة يومن بالله واليوم الآخر اذا عركت ان تظهر الا وجهها ويديها الى ههنا وقبض على نصف الذراع قال ابن
عطية ويظهر لي بحكم الفاظ الآية ان المراة ماموره بان لا تبدي وان تجتهد في الاخفاء لكل ما هو زينة ووقع الاستثناء
مما ظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه او اصلاح شان ونحو ذلك فما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي اليه الضرورة في
النساء فهو المعفو عنه قلت هذا قول حسن الا انه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة
ذلك في الصلاة والحج فيصلح ان يكون الاستثناء راجعا اليهما يدل على ذلك ما رواه ابو داود عن عايشه ان اسماء
بنت ابي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا اسماء ان المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا واشار الى وجهه وكفيه فهذا اقوى في جانب
الاحتياط ولمراعاة فساد الناس فلا تبدي المراة من زينتها الا ما ظهر من وجهها وكفيها والله الموفق لا رب غيره
وقد قال ابن خوار منداد من اصحابنا ان المراة اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك
وان كانت عجوزا او مقبحة جاز ان تكشف وجهها وكفيها الرابعة الزينة على قسمين خلقية ومكتسبة فالخلقية
وجهها فانه اصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية لما فيه من المنافع وطرق العلوم واما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله
المراة في تحسين خلقتها كالثياب والحلي والكحل والخضاب ومنه قوله تعالى ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ
مَسْجِدٍ﴾ ومنه قول الشاعر: يأخذن زينتهن احسن ما ترى ... واذا عطلن فهن خير عواطل الخامسة
من الزينة ظاهر وباطن فما ظهر فمباح ابداؤه لكل الناس من المحارم والاجانب وقد ذكرنا ما للعلماء فيه واما
ما بطن فلا يحل ابداؤه الا لمن سماهم الله تعالى في هذه الآية او حل محلهم واختلف في السوار فقالت عايشه هو
من الزينة الظاهرة لانها في اليدين وقال مجاهد هو من الزينة الباطنة لانه خارج من الكفين وانما يكون في
الذراع قال ابن العربي واما الخضاب فهو من الزينة الباطنة اذا كان في القدمين السادسة قوله تعالى
﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ قراء الجمهور بسكون اللام التي هي للامر وقراء ابو عمرو في رواية
عباس بكسرها على الاصل لان اصل لام الامر الكسر حذفت الكسرة لثقلها وانما تسكينها كتسكين عضد وفخذ ويضربن
في موضع جزم بالامر الا انه بني على حالة واحدة اتباعا للماضي عند سيبويه وسبب هذه الآية ان النساء كن في ذلك
الزمان اذا غطين رؤسهن بالاخمرة وهي المقانع سدلنها من وراء الظهر قال النقاش كما يصنع النبط فيبقى النحر
والعنق والاذنان لا ستر على ذلك فامر الله تعالى بلي الخمار على الجيوب وهيئة ذلك ان تضرب المراة خمارها على
جيبها لتستر صدرها روى البخاري عن عايشه رضي الله عنها انها قالت رحم الله نساء المهاجرين الاول لما نزلت
﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن ازرهن فاختمرن بها ودخلت على عايشة حفصة بنت اخيها عبد الرحمن
وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها وما هنالك فشققته عليها وقالت انما يضرب بالكثيف الذي يستر السابعة
الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به راسها ومنه اختمرت المراة وتخمرت وهي حسنة الخمرة والجيوب جمع الجيب وهو موضع

القطع من الدرع والقميص وهو من الجوب وهو القطع ومشهور القراءة ضم الجيم من جيوبهن وقراء بعض الكوفيين بكسرها
بسبب الياء كقراءتهم ذلك في بيوت وشيوخ والنحويون القدماء لا يجيزون هذه القراءة ويقولون بيت وبيوت
كفلس وفلوس قال الزجاج يجوز ان تبدل من الضمة كسرة فاما ما روي عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر فمحال لا يقدر احد
ان ينطق به الا على الايماء الى ما لا يجوز قال مقاتل على جيوبهن اي على صدورهن يعني على مواضع جيوبهن الثامنة
في هذه الآية دليل على ان الجيب انما يكون في الثوب موضع الصدر وكذلك كانت الجيوب في ثياب السلف رضوان
الله عليهم على ما تصنعه النساء عندنا بالاندلس واهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم وقد ترجم البخاري
رحمة الله باب جيب القميص من عند الصدر وغيره وساق الحديث لابي هريرة قال ضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد وقد اضطرت ايديهما الى تراقيهما الحديث وقد تقدم
بكماله وفيه قال ابو هريرة فانا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول باصبعه هكذا في جيبه فلو رايته يوسعها
ولا تتوسع فهذا يبين لك ان جيبه عليه السلام كان في صدره لانه لو كان في منكبيه لم تكن يداه مضطرة الى ثدييه وتراقيه
وهذا استدلال حسن التاسعة قوله تعالى ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ البعل هو الزوج والسيد في كلام العرب
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام اذا ولدت المراة بعلها يعني سيدها اشارة الى الامة
كثرة السراري بكثرة الفتوحات فياتي الاولاد من الاماء فتعتق كل ام بولدها وكانه سيدها الذي من عليها بالعتق
اذ كان العتق حاصلا لها من سببه قاله ابن العربي قلت ومنه قوله عليه السلام في مارية اعتقها ولدها فنسب العتق اليه
وهذا من احسن تاويلات هذا الحديث والله اعلم فمسالة الزوج والسيد يرى الزينة من المراة واكثر من الزينة اذ كل
محل من بدنها حلال له لذة ونظرا ولهذا المعنى بدا بالبعولة لان اطلاعهم يقع على اعظم من هذا قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ
هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾
العاشرة اختلف الناس في جواز نظر الرجل الى فرج المراة على قولين احدهما يجوز لانه اذا جاز التلذذ به
فالنظر اولى وقيل لا يجوز لقول عايشه رضي الله عنها في ذكرها حالها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت ذلك منه
ولا راى ذلك مني والاول اصح وهذا محمول على الادب قاله ابن العربي وقال اصبغ من علمائنا يجوز له ان يلحسه بلسانه وقال
ابن خوار منداد اما الزوج والسيد فيجوز له النظر الى ساير الجسد وظاهر الفرج دون باطنه وكذلك المراة يجوز ان
تنظر الى عورة زوجها قلت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال النظر الى الفرج يورث الطمس اي العمى اي في الدنيا للناظر
وقيل ان الولد بينهما يولد اعمى والله اعلم الحادية عشرة لما ذكر الله تعالى الازواج وبدا بهم ثنى بذوي المحارم و
سوى بينهم في ابداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر فلا مرية ان كشف الاب والاخ على المراة احوط
من كشف ولد زوجها وتختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس الى ما يبدالهم فيبداء للاب ما لا يجوز ابداؤه لولد الزوج وقد ذكر القاضي
اسمعيل عن الحسن والحسين رضوان الله عليهما انهما كانا لا يريان امهات المومنين وقال ابن عباس ان رويتهما لهن تحل
قال اسمعيل احسب ان الحسن والحسين ذهبا في ذلك الى ان ابناء البعولة لم يذكروا في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في الآية التي
وهي قوله لا جناح عليهن في آبائهن وقال في سورة النور ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الآية فذهب ابن عباس الى هذه
الآية وذهب الحسن والحسين الى الآية الاخرى الثانية عشرة قوله تعالى ﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ يريد
ذكور اولاد الزوج ويدخل فيه اولاد الاولاد وان سفلوا ذكرانا كانوا او اناثا كبني البنين وبني البنات وكذلك
آباء البعولة والاجداد وان علوا من جهة الذكران لا باء الآباء وآباء الامهات وكذلك ابناؤهن وان سفلوا وكذلك

ابناء البنات وان سفلن وكذلك ابناء البعولة وان سفلوا فيستوي فيه اولاد البنين واولاد البنات و
كذلك اخواتهن وهم من ولده الآباء والامهات او احد الصنفين وكذلك بنوا الاخوة وبنوا الاخوات وان سفلوا
من ذكور كانوا او اناث كبني بني الاخوات وبني بنات الاخوات وهذا كله في معنى ما حرم من المناكح فان ذلك على المعاني
في الولادات وهولاء محارم وقد تقدم في النساء والجمهور على ان العم والخال كسائر المحارم في جواز النظر لهما الى ما لا يجوز لهم
و ليس في الآية ذكر الرضاع وهو كالنسب على ما تقدم وعند الشعبي وعكرمة ليس العم والخال من المحارم قال عكرمة لم نذكرهما في الآية
لانهما تبعان لابنائهما الثالثة عشرة قوله تعالى أَوْ نِسَآئِهِنَّ يعني المسلمات ويدخل في هذا الاماء المؤمنات
ويخرج منه نساء المشركين من اهل الذمة وغيرهم فلا يحل لامراة مؤمنة ان تكشف شيئا من بدنها بين يدي امراة
مشركة الا ان تكون امة لها فذلك قوله تعالى أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وكان ابن جريج وعبادة بن نسي وهشام
القاري يكرهون ان تقبل النصرانية المسلمة او ترى عورتها ويتاولون او نسائهن وقال عبادة بن نسي و
كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابي عبيدة بن الجراح انه بلغني ان نساء اهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء
المسلمين فامنع من ذلك وحل دونه فانه لا يجوز ان ترى الذمية عرية المسلمة قالت فعند ذلك قام ابو عبيدة وابتهل
وقال ايما امراة تدخل الحمام من غير عذر لا تريد الا ان تبيض وجهها فسود الله وجهها يوم تبيض الوجوه وقال ابن
عباس لا يحل للمسلمة ان تراها يهودية ولا نصرانية لئلا تصفها لزوجها وفي هذه المسالة خلاف للفقهاء فان كانت الكافرة
امة للمسلمة جاز ان تنظر الى سيدتها واما غيرها فلا لانقطاع الولاية بين اهل الاسلام واهل الكفر ولما
ذكرنا والله اعلم الرابعة عشرة قوله تعالى أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ظاهر الآية يشمل العبيد والاماء
المسلمات والكتابيات وهو قول جماعة من اهل العلم وهو الظاهر من قول عائشة وام سلمة رضي الله عنها وقال
ابن عباس لا باس ان ينظر المملوك الى شعر مولاته وقال اشهب سئل مالك اتلقي المراة خمارها بين يدي الخصي قال
نعم اذا كان مملوكا لها او لغيرها واما الحر فلا وان كان فحلا كبيرا وغدا تملكه لا هيئة له ولا منظر فلينظر الى شعرها قال
اشهب قال مالك ليس بواسع ان تدخل جارية الولد او الزوجة على الرجل المرحاض قال الله تعالى أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
وقال اشهب عن مالك ينظر الغلام الوغد الى شعر سيدته ولا احب لغلام الزوج وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم
هذه الآية أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ انما عني به الاماء ولم يعن به العبيد وكان الشعبي يكره ان ينظر العبد الى شعر
مولاته وهو قول عطاء ومجاهد روى ابو داود عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه
لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا غطت راسها لم يبلغ الى رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ الى راسها فلما راى النبي صلى
الله عليه وسلم ما تلقى من ذلك قال انه لا باس عليك انما هو ابوك وغلامك الخامسة عشرة قوله تعالى أَوِ التَّابِعِينَ
غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ اي غير اولي الحاجة والاربة الحاجة اربت الى كذا ارب اربا والارب الحاجة
والاربة والمأربة والارب الحاجة والجمع مآرب اي حوائج ومنه قوله تعالى وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى وقد تقدم وقال
طرفة اذا المرء قال الجهل والحوب والخنا تقدم يوما ثم ضاعت مآربه واختلف الناس في قوله أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ
أُولِي الْإِرْبَةِ فقيل هو الاحمق الذي لا حاجة به الى النساء وقيل الابله وقيل الرجل يتبع القوم فياكل معهم ويرتفق
بهم وهو ضعيف لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن وقيل العنين وقيل الخصي وقيل المخنث وقيل الشيخ الكبير والصبي
الذي لم يدرك وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى ويجتمع فيمن لا فهم له ولا همة ينتبه بها الى امر النساء وبهذه الصفة
كان هيت المخنث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع منه ما سمع من وصف محاسن المراة بادية ابنة غيلان

امر بالاحتجاب منه اخرج حديثه مسلم وابو داود ومالك في الموطا وغيرهم عن هشام بن عروة عن عروة
عن عائشة قال ابو عمر ذكر عبد الملك بن حبيب عن حبيب كاتب مالك قال قلت لمالك ان سفيان زاد في حديث
ابنة غيلان ان مخنثا يقال له هيت وليس في كتابك هيت فقال مالك صدق هو كذلك وغربه النبي صلى الله عليه
وسلم الى الحمى وهو موضع في ذي الحليفة ذات الشمال من مسجدها قال حبيب وقلت لمالك وقال سفيان في الحديث
اذا قعدت تبنت واذا تكلمت تغنت قال مالك صدق هو كذلك قال ابو عمر ما ذكره حبيب كاتب مالك عن سفيان
انه قال في الحديث يعني حديث هشام بن عروة ان مخنثا يدعى هيتا غير معروف عند احد من رواته عن هشام
لا ابن عيينة ولا غيره ولم يقل في نسق الحديث ان مخنثا يدعى هيتا وانما ذكره عن ابن جريج بعد تمام الحديث
وكذلك قوله عن سفيان انه يقول في الحديث اذا قعدت تبنت واذا تكلمت تغنت هذا ما لم يقله سفيان ولا
غيره في حديث هشام بن عروة وهذا اللفظ لا يوجد الا من رواية الواقدي والعجب انه يحكيه عن سفيان ويحكي
عن مالك انه كذلك فصارت روايته عن مالك ولم يروه عن مالك غير حبيب ولا ذكره عن سفيان غيره ايضا والله اعلم
وحبيب كاتب مالك روايته متروكة ضعيف عند جميعهم لا يكتب حديثه ولا يلتفت الى ما يجيء به ذكر الواقدي والكلبي
ان هيتا المخنث قال لعبد الله بن امية المخزومي وهو اخو ام سلمة لابيها وامه عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال له وهو في بيت اخته ام سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ان فتح الله عليكم الطائف فعليك
ببادية ابنة غيلان بن سلمة الثقفي فانها تقبل باربع وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان ان جلست تبنت وان تكلمت
تغنت بين رجليها كالاناء المكفو وهي كما قال قيس بن الخطيم تغترق الطرف وهي لاهية كانما شف وجهها
نزف بين شكول النساء خلقتها قصدا فلا جبلة ولا قضف تنام عن كبر شانها فاذا قامت رويدا تكاد تنقصف
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله ثم اجلاه عن المدينة الى الحمى قال فلما افتتحت
الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له منه بريهة في قول الكلبي ولم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبي
صلى الله عليه وسلم فلما ولي ابو بكر كلم فيه فابى ان يرده فلما ولي عمر كلم فيه فابى ثم كلم فيه عثمان بعد وقيل انه قد كبر
وضعف واحتاج فاذن له ان يدخل كل جمعة فيسال ويرجع الى مكانه قال وكان هيت مولى لعبد الله بن امية المخزومي
وكان له يقال له طويس ايضا فمن ثم قبل الخنث قال ابو عمر يقال بادنة بالباء وبادية بالنون والصواب فيه عندهم
بالياء وهو قول اكثرهم وكذلك ذكره الزبير بالياء السادسة عشرة وصف التابعين بغير لان التابعين غير
مقصودين باعيانهم فصار اللفظ كالنكرة وغير لا تتمحض نكرة فجاز ان تجري وصفا على المعرفة وان شئت قلت هو بدل و
القول فيها كالقول في غير المغضوب عليهم وقرا عاصم وابن عامر غير بالنصب فيكون استثناء اي يبدين زينتهن
للتابعين الا ذا الاربة منهم ويجوز ان يكون حالا اي والذين يتبعونهن عاجزين عنهن قاله ابو حاتم وذو الحال ما
في التابعين من الذكر السابعة عشرة قوله تعالى أَوِ الطِّفْلِ اسم جنس بمعنى الجمع والدليل على ذلك نعته بالذين
وفي مصحف حفصة او الاطفال على الجمع ويقال طفل ما لم يراهق الحلم ويظهرون معناه يطلعون بالوطء اي لم يكشفوا
عن عوراتهن للجماع لصغرهم وقيل لم يبلغوا ان يطيقوا النساء يقال ظهرت على كذا اي علمته وظهرت على كذا اي قهرته
والجمهور على سكون الواو من عورات لاستثقال الحركة على الواو وروي عن ابن عامر فتح الواو مثل جفنة وجفنات وحكى
الفراء انها لغة قيس عورات الثامنة عشرة اختلف العلماء في وجوب ستر ما سوى الوجه والكفين منه على قولين
احدهما لا يلزم لانه لا تكليف عليه وهو الصحيح والآخر يلزم لانه قد يشتهي وقد تشتهي هي ايضا فان راهق فحكمه حكم البالغ

في وجوب الستر ومثله الشيخ الذي سقطت شهوته اختلف فيه ايضا على قولين كما في الصبي والصحيح بقاء الحرمة
قاله ابن العربي التاسعة عشرة اجمع المسلمون على ان السوأتين عورة من الرجل والمرأة وان المرأة كلها
عورة الا وجهها ويديها فانهم اختلفوا فيهما وقال اكثر العلماء من سرته الى ركبته عورة لا يجوز ان ترى وقد مضى في الرجل صح
في الاعراف القول في هذا مستوفى العشرون قال اصحاب الرأي عورة المرأة مع عبدها من السرة الى
الركبة ابن العربي وكانهم ظنوها رجلا او ظنوه امرأة والله تعالى قد حرم المرأة على الاطلاق لنظر او لذة ثم استثنى
اللذة للازواج وملك اليمين ثم استثنى الزينة لاثني عشر شخصا العبد منهم فما لنا ولذلك هذا نظر فاسد واجتهاد
عن السداد متباعد وقد تأول بعض الناس قوله او ما ملكت ايمانهن على الاماء دون العبيد منهم سعيد بن
المسيب فكيف يحملون على العبيد ثم يلحقون بالنساء هذا بعيد جدا قاله ابن العربي وقد قيل ان التقدير او ما
ملكت ايمانهن من غير اولي الاربة او التابعين غير اولي الاربة حكاه المهدوي الحادية والعشرون قوله
تعالى وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ الآية اي لا تضرب المرأة برجلها اذا مشت ليسمع صوت خلخالها فاسماع صوت
الزينة كابداء الزينة واشد والغرض التستر اسند الطبري عن المعتمر عن ابيه انه قال زعم حضرمي ان امرأة اتخذت
برتين من فضة واتخذت جزعا فجعلت ذلك في ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الارض فوقع الخلخال على
الجزع فصوت فنزلت هذه الآية وسماع هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها قاله الزجاج الثانية
والعشرون من فعل ذلك منهن فرحا بالزينة فهو مكروه ومن فعل ذلك تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام
مذموم وكذلك من ضرب بنعله من الرجال ان فعل ذلك تعجبا حرم فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرجا لم يجز ه
الثالثة والعشرون قال مكي رحمه الله ليس في القرآن آية اكثر ضمائر من هذه جمعت خمسة وعشرين ضميرا كتاب الله صح
للمؤمنات من مخفوض ومرفوع قوله تعالى وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى وتوبوا امر ولا خلاف عن الامة في وجوب التوبة وانها فرض متعين وقد مضى الكلام فيها
في النساء وغيرها فلا فائدة في اعادة ذلك والمعنى وتوبوا الى الله فانكم لا تخلون من سهو وتقصير في اداء حقوق ولا معنى لاعادته صح
الله ولا تتركوا التوبة في كل حال الثانية قرأ الجمهور ايه بفتح الهاء وقرأ ابن عامر بضمها ووجهه ان تجعل
الهاء من نفس الكلمة فيكون اعراب المنادى فيها وضعف ابو علي هذا جدا وقال آخر الاسم هو الياء الثانية من اي فالمضموم
ينبغي ان يكون آخر الاسم ولو جاز ضم الياء هاهنا لاقترانها بالكلمة لجاز ضم الميم في اللهم لاقترانها بالكلمة في كلام طويل و
الصحيح انه اذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قراءة فليس الا اعتقاد الصحة في اللغة فان القرآن هو الحجة وانشد
الفراء يا ايه القلب اللجوج النفس افق عن البيض الحسان اللعس اللعس لون الشفة اذا كانت تضرب الى سواد
قليلا وذلك يستملح يقال شفة لعساء وفتية ونسوة لعس وبعضهم يقف ايه وبعضهم يقف ايها بالالف لان علة
حذفها في الوصل انما هو سكونها وسكون اللام فاذا كان الوقف ذهبت العلة فرجعت الالف كما ترجع الياء اذا وقفت
على محلي من قوله غير محلي وهذا الاختلاف الذي ذكرناه كذلك هو في يا ايه الساحر وايه الثقلان قوله تعالى
وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ فيه سبع مسائل الاولى هذه المخاطبة تدخل في باب الستر والصلاح اي
زوجوا من لا زوج له منكم فانه طريق التعفف والخطاب للاولياء وقيل للازواج والصحيح الاول اذ لو اراد الازواج
لقال وانكحوا بغير همز وكانت الالف للوصل وفي هذا دليل على ان المرأة ليس لها ان تنكح نفسها بغير ولي وهو
قول اكثر العلماء وقال ابو حنيفة اذا زوجت الثيب او البكر نفسها بغير ولي كفؤا لها جاز وقد مضى هذا في البقرة

مستوفى الثانية اختلف العلماء في هذا الامر على ثلاثة اقوال فقال علماؤنا يختلف الحكم في ذلك باختلاف
حال المؤمن من خوف العنت ومن عدم صبره ومن قوته على الصبر وزوال خشية العنت عنه واذا خاف الهلاك في الدين
او الدنيا او فيهما فالنكاح حتم وان لم يخش شيئا وكانت الحال مطلقة فقال الشافعي النكاح مباح وقال مالك وابو حنيفة
هو مستحب تعلق الشافعي بانه قضاء لذة فكان مباحا كالاكل والشرب وتعلق علماؤنا بالحديث الصحيح من رغب
عن سنتي فليس مني الثالثة قوله تعالى الْأَيَامَى مِنْكُمْ اي الذين لا ازواج لهم من الرجال والنساء
واحدهم ايم قال ابو عمرو ايامى مقلوب ايايم واتفق اهل اللغة على ان الايم في الاصل هي المرأة التي لا زوج لها
بكرا كانت او ثيبا حكى ذلك ابو عمرو والكسائي وغيرهما يقول العرب تأيمت المرأة اذا اقامت لا تتزوج وفي حديث
النبي صلى الله عليه وسلم انا وامرأة سفعاء الخدين تأيمت على ولدها الصغار حتى يبلغوا او يغنيهم الله من فضله
كهاتين في الجنة وقال الشاعر فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم ويقال ايم بين الايمة
وقد آمت هي وامت انا قال الشاعر لقد امت حتى لامني كل صاحب رجاء سليمى ان تئيم كما امت قال ابو عبيد
يقال رجل ايم وامرأة ايم واكثر ما يكون في النساء وهو كالمستعار في الرجال وقال امية بن ابي الصلت لله در
بني علي ايم منهم وناكح وقال قوم هذه الآية ناسخة لحكم قوله والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على
المؤمنين وقد بيناه في اول السورة والحمد لله الرابعة المقصود من قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الحرائر والاحرار
ثم بين حكم المماليك فقال والصالحين من عبادكم وامائكم وقرأ الحسن والصالحين من عبيدكم وعبيد اسم للجمع قال الفراء
ويجوز وامائكم بالنصب ترده على الصالحين يعني الذكور والاناث والصلاح الايمان وقيل المعنى ينبغي ان تكون الرغبة
في تزويج الاماء والعبيد اذا كانوا صالحين اما غير الصالحين فيجوز تزويجهم ولكن لا ترغيب فيه ولا استحباب كما قال
فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ثم قد يجوز الكتابة وان لم يعلم في العبد خير ولكن الخطاب ورد في الترغيب والاستحباب
وانما يستحب كتابة من فيه خير الخامسة اكثر العلماء على ان للسيد ان يكره عبده وامته على النكاح وهو
قول مالك وابي حنيفة وغيرهما قال مالك لا يجوز ذلك اذا كان ضررا وروى نحوه عن الشافعي ثم قال ليس للسيد
ان يكره العبد على النكاح وقال النخعي كانوا يكرهون المماليك على النكاح ويغلقون عليهم الابواب تمسك اصحاب الشافعي
فقالوا العبد مكلف فلا يجبر على النكاح لان التكليف يدل على ان العبد كامل من جهة الآدمية وانما تتعلق به المملوكية
فيما كان حظا للسيد من ملك الرقبة والمنفعة بخلاف الامة فانه له حق المملوكية في بضعها ليستوفيه فاما بضع العبد
فلا حق له فيه ولاجل ذلك لا تباح السيدة لعبدها هذه عمدة اهل خراسان والعراق وعمدتهم ايضا الطلاق فانه
يملكه العبد بتملك عقده ولعلمائنا النكتة العظمى في ان مالكية العبد استغرقتها مالكية السيد ولذلك لا يتزوج الا باذنه
باجماع والنكاح وبابه انما هو من المصالح ومصلحة العبد موكولة للسيد هو يراها ويقيمها للعبد السادسة قوله تعالى
إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ رجع الكلام الى الاحرار اي لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر
الرجل والمرأة ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلب رضا الله تعالى واعتصاما من
معاصيه وقال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح وتلا هذه الآية وقال عمر رضي الله عنه عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح
وقد قال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وروي هذا المعنى عن ابن عباس ايضا ومن حديث ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة كلهم حق على الله عونه المجاهد في سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب
يريد الاداء اخرجه ابن ماجه في سننه فان قيل فقد نجد الناكح لا يستغني قلنا لا يلزم ان يكون هذا على الدوام بل لو كان

في لحظة واحدة لصدق الوعد وقد قيل يغنيه اي بغنى النفس وفي الصحيح ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى
النفس وقد قيل ليس وعدا لا يقع فيه خلف بل المعنى ان المال غاد ورائح فارجوا الغنى وقد قيل المعنى يغنهم الله من
فضله ان شاء كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال يبسط الرزق لمن يشاء وقيل المعنى ان يكونوا فقراء الى النكاح
يغنهم الله من فضله بالحلال ليتعففوا عن الزنا السابعة هذه الآية دليل على تزويج الفقير ولا يقول كيف اتزوج
وانا فقير وليس لي مال فان رزقه على الله وقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة التي اتته تهب له نفسها
لمن ليس له الا ازار واحد وليس لها بعد ذلك فسخ النكاح بالاعسار لانها دخلت عليه وانما يكون ذلك اذا دخلت على اليسار
فخرج معسرا او طرا الاعسار بعد ذلك لان الجوع لا صبر عليه قاله علماؤنا وقال النقاش هذه الآية حجة على من قال
ان القاضي يفرق بين الزوجين اذا كان الزوج فقيرا لا يقدر على النفقة لان الله تعالى قال يغنهم ولم يقل يفرق وهذا
هذا انتزاع ضعيف وليس هذه الآية حكما فيمن عجز عن النفقة وانما هي وعد بالاغناء لمن تزوج فقيرا فاما من تزوج موسرا
ثم اعسر بالنفقة فانه يفرق بينهما قال الله تعالى وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ونفحات الله مأمولة
في كل حال موعود بها قوله تعالى وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وليستعفف الخطاب لمن يملك امر نفسه لا لمن زمامه
بيد غيره فانه يقوده الى ما يراه كالمحجور قولا واحدا والامة والعبد على احد قولي العلماء الثانية وَاسْتَعْفَفَ وزنه
استفعل ومعناه طلب ان يكون عفيفا فامر الله تعالى بهذه الآية كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده باي وجه تعذر
ان يستعفف ثم لما كان اغلب الموانع في النكاح عدم المال وعد بالاغناء من فضله فيرزقه ما يتزوج به او يجد امرأة
ترضى باليسير من الصداق او يزول عنه شهوة النساء وروى النسائي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة
كلهم حق على الله عز وجل عونه المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد العفاف والمكاتب الذي يريد الاداء الثالثة
قوله تعالى لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا اي طول نكاح فحذف المضاف وقيل النكاح ههنا ما تنكح به المرأة من المهر و
النفقة كاللحاف اسم لما يلتحف به واللباس اسم لما يلبس فعلى هذا لا اختلاف في الآية قاله جماعة من المفسرين وحملهم على
هذا قوله تعالى حتى يغنيهم الله من فضله فظنوا ان المامور بالاستعفاف انما هو لاجل المال الذي يتزوج به وفي هذا القول
تخصيص المامورين بالاستعفاف وذلك ضعيف بل الامر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح باي وجه تعذر
كما قدمناه والله اعلم الرابعة من تاقت نفسه الى النكاح فان وجد الطول فالمستحب ان يتزوج وان لم يجد الطول فعليه
بالاستعفاف ما امكن ولو بالصوم فان الصوم له وجاء كما في الخبر الصحيح ومن لم تتق نفسه الى النكاح فالاولى له التخلي لعبادة
الله تعالى وفي الخبر خيركم الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقد تقدم جواز نكاح الاماء عند عدم الطول
للحرة في النساء والحمد لله ولما لم يجعل الله بين العفة والنكاح درجة دل على ان ما عداهما محرم ولا يدخل فيه ملك اليمين
لانه بنص آخر مباح وهو قوله أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فجاءت فيه زيادة ويبقى على التحريم الاستمناء ردا على احمد وكذلك
يخرج عنه نكاح المتعة بنسخه وقد تقدم هذا في المؤمنين قوله تعالى وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ
مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا فيه ست عشرة مسألة الاولى
قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب الذين في موضع رفع وعند الخليل وسيبويه في موضع نصب على اضمار فعل لان بعده امرا
ولما جرى ذكر العبيد والاماء فيما سبق وصل به ان العبد ان طلب الكتابة فالمستحب كتابته فربما يقصد بالكتابة ان يستقل
ويكتسب ويتزوج اذا اراد فيكون اعف له قيل نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبح وقيل صبيح طلب

من مولاه ان يكاتبه فابى فانزل الله هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا
فاداها وقتل بحنين في الحرب ذكره القشيري وحكاه النقاش وقال مكي هو صبيح القبطي غلام حاطب بن ابي بلتعة وعلى
الجملة فان الله امر المؤمنين كافة ان يكاتب منهم كل من له مملوك وطلب المملوك الكتابة وعلم سيده منه خيرا الثانية
الكتاب والمكاتبة سواء مفاعلة مما لا يكون الا بين اثنين لانها معاقدة بين السيد وعبده يقال كاتب يكاتب كتابا
ومكاتبة كما يقال قاتل قتالا ومقاتلة فالكتاب في الآية مصدر كالقتال والجدال والجلاد والدفاع وقيل الكتاب ههنا
هو الكتاب المعروف الذي يكتب فيه الشيء وذلك انهم اذا كاتبوا العبد كتبوا عليه وعلى انفسهم بذلك كتابا فالمعنى يطلبون
العتق الذي يكتب به الكتاب فيدفع اليهم الثالثة معنى المكاتبة في الشرع هو ان يكاتب الرجل عبده على مال
يؤديه منجما عليه فاذا اداه فهو حر ولها حالتان الاولى ان يطلبها العبد ويجيبه السيد فهذا مطلق الآية وظاهرها
الثانية ان يطلبها العبد ويأباها السيد وفيها قولان الاول لعكرمة وعطاء ومسروق وعمرو بن دينار والضحاك
بن مزاحم وجماعة اهل الظاهر ان ذلك واجب على السيد وقال علماء الامصار لا يجب ذلك وتعلق من اوجبها بمطلق الامر
وافعل بمطلقه يدل على الوجوب حتى يأتي الدليل بغيره وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس واختاره الطبري
واحتج داود ايضا بان سيرين ابا محمد بن سيرين سأل انس بن مالك الكتابة وهو مولاه فابى انس فرفع عمر عليه
الدرة وتلا فَكَاتِبُوهُمْ فكاتبه انس قال داود ما كان عمر يرفع الدرة على انس فيما له مباح ان لا يفعله وتمسك الجمهور
بان الاجماع منعقد على انه لو سأله ان يبيعه من غيره لم يلزمه ذلك ولم يجبر عليه وان ضوعف له الثمن وكذلك لو
قال له اعتقني او دبرني او زوجني لم يلزمه ذلك بالاجماع فكذلك الكتابة لانها معاوضة فلا تصح الا عن تراض وقولهم
مطلق الامر يقتضي الوجوب صحيح لكن اذا عري عن قرينة تقتضي صرفه عن الوجوب وتعليقه ههنا بشرط علم الخير فيه
تعلق الوجوب على امر باطن وهو علم السيد بالخيرية واذا قال العبد كاتبني وقال السيد لم اعلم فيك خيرا وهو امر
باطن فيرجع فيه اليه ويعول عليه وهذا قوي في بابه الرابعة واختلف العلماء في قوله تعالى خيرا فقال ابن
عباس وعطاء المال مجاهد المال والاداء الحسن النخعي الدين والامانة وقال مالك سمعت بعض اهل العلم يقولون
هو القوة على الاكتساب والاداء وعن الليث نحوه وهذا قول الشافعي وقال عبيدة السلماني اقامة الصلاة والخير قال الطحاوي
وقول من قال انه المال لا يصح عندنا لان العبد مال لمولاه فكيف يكون له مال والمعنى عندنا ان علمتم فيهم الدين والصدق
وعلمتم انهم يعاملونكم على انهم متعبدون بالوفاء لكم بما عليهم من الكتابة والصدق في المعاملة فكاتبوهم وقال
ابو عمر من لم يقل ان الخير هنا المال انكر ان يقال ان علمتم فيهم مالا وانما يقال علمت فيه الخير والصلاح و الامانة
الكتابة ولا يقال علمت فيه المال وانما يقال علمت عنده المال قلت وحديث بريرة يرد على من قال ان الخير
المال على ما يأتي الخامسة اختلف العلماء في كتابة من لا حرفة له فكان ابن عمر يكره ان يكاتب عبده اذا لم تكن
له حرفة ويقول تأمرني ان آكل اوساخ الناس ونحوه عن سلمان الفارسي وروى حكيم بن حزام قال كتب عمر بن
الخطاب الى عمير بن سعد اما بعد فانه سرط امنع من قبلك من المسلمين ان يكاتبوا ارقاءهم على مسألة الناس
وكرهه الاوزاعي واحمد واسحق ورخص في ذلك مالك وابو حنيفة والشافعي وروي عن علي رضي الله عنه ان ابن
التياح مؤذنه قال له اكاتب وليس لي مال قال نعم ثم حض الناس على الصدقة علي فاعطوني ما فضل عن كتابتي فاتيت
عليا فقال اجعلها في الرقاب وقد روي عن مالك كراهة ذلك وان الامة التي لا حرفة لها تكره كتابتها لما تؤدي
اليه من فسادها والحجة في السنة لا فيما خالفها روى الائمة عن عائشة قالت دخلت علي بريرة فقالت ان اهلي كاتبوني

على تسع اواق في تسع سنين كل سنة اوقية فاعينوني الحديث فهذا دليل على ان للسيد ان يكاتب عبده وهو لا شي معه
الا ترى ان بريرة جاءت عائشة تخبرها بانها كاتبت اهلها وسالتها ان تعينها وذلك كان في اول كتابتها قبل ان تؤدي
شيئا كذلك ذكره ابن شهاب عن عروة ان عائشة اخبرته ان بريرة جاءت تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيئا اخرجه
البخاري وابو داود وفي هذا دليل على اجازة كتابتها تعني الامة وهي غير ذات صنعة ولا حرفة ولا مال ولم يسال النبي صلى الله
عليه وسلم هل لها سبب وعمل او مال ولو كان هذا واجبا لسال عنه ليقع حكمه عليه لانه بعث مبينا معلما صلى الله عليه وسلم
وفي هذا الحديث ما يدل على ان من تاول في قوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا ان المال الخير ليس بالتاويل الجيد وان الخير المذكور
وهو القوة على الاكتساب مع الامانة والله اعلم السادسة الكتابة تكون بقليل المال وكثيره وتكون على نجم لحديث بريرة
وهذا ما لا اختلاف فيه بين العلماء والحمد لله فلو كاتبه على الف درهم ولم يذكر اجلا نجمت عليه بقدر سعايته وان كره السيد قال
الشافعي لا بد فيها من اجل واقلها ثلاثة انجم واختلفوا اذا وقعت على نجم واحد فاكثر اهل العلم يجيزونها على نجم واحد وقال الشافعي
لا تجوز على نجم واحد ولا تجوز حالة البتة وانما ذلك عتق على صفة كانه قال اذا اديت كذا وكذا فانت حر وليست كتابة قال
ابن العربي اختلف العلماء والسلف في الكتابة اذا كانت حالة على قولين واختلف قول علمائنا كاختلافهم والصحيح في النظر ان
الكتابة مؤجلة كما وردت بها الآثار في حديث بريرة حين كاتبت اهلها على تسع اواق في كل عام اوقية وكما فعلت الصحابة ولذلك
سميت الكتابة لانها تكتب ويشهد عليها فقد استوسق الاسم والاثر وعضده المعنى فان المال ان جعله حالا وكان
عند العبد شيء فهو مال مقاطعة وعقد مقاطعة لا عقد كتابة وقال ابن خويزمنداد اذا كاتبه على مال معجل كان عتقا على مال
ولم تكن كتابة واجاز غيره من اصحابنا الكتابة الحالة وسماها قطاعة وهو القياس لان الاجل فيها انما هو فسحة للعبد في
التكسب الا ترى انه لو جاء بالمنجم عليه قبل محله لوجب على السيد ان ياخذه ويتعجل المكاتب عتقه ويجوز الكتابة الحالة قال الكوفيون قلت
لم يرد عن مالك نص في الكتابة الحالة والاصحاب يقولون انها جائزة ويسمونها قطاعة واما قول الشافعي انها
لا تجوز على اقل من ثلاثة انجم فليس بصحيح لانه لو كان صحيحا لجاز لغيره ان يقول لا تجوز على اقل من خمسة انجم لانها اقل نجوم
النجوم التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بريرة وعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وقضى فيها فكان بصواب
الحجة اولى روى البخاري عن عائشة ان بريرة دخلت عليها تستعينها في كتابتها وعليها خمسة اواق نجمت عليها في
خمس سنين الحديث كذا قال الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة وعليها خمسة اواق نجمت
عليها في خمس سنين وقال ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت جاءت بريرة فقالت اني كاتبت
اهلي على تسع اواق الحديث وظاهر الروايتين تعارض غير ان حديث هشام اولى لاتصاله وانقطاع حديث
يونس لقول البخاري وقال الليث حدثني يونس ولان هشاما اثبت في حديث ابيه وجده من غيره والله اعلم السابعة
المكاتب عبد ما بقي عليه من مال الكتابة شيء لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه من كتابته درهم اخرجه ابو داود
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وروي عنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما عبد كاتب على مائة
دينار فاداها الا عشرة دنانير فهو عبد وهذا قول مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابهم والثوري واحمد واسحق
وابي ثور وداود والطبري وروي ذلك عن ابن عمر من وجوه عن زيد بن ثابت وعائشة وام سلمة لم يختلف عنهم
في ذلك رضي الله عنهم وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وبه قال ابن المسيب والقاسم وسالم وعطاء قال مالك وكل من
ادركنا ببلدنا يقول ذلك وفيها قول آخر عن علي انه اذا ادى الشطر فهو غريم وبه قال النخعي وروي ذلك عن عمر
رضي الله عنه والاسناد عنه بان المكاتب عبد ما بقي عليه درهم خير من الاسناد عنه بان المكاتب اذا ادى الشطر فلا رق

عليه وعن علي ايضا يعتق منه بقدر ما ادى وعنه ايضا ان العتاقة تجري فيه باول نجم يؤديه وقال ابن مسعود
اذا ادى ثلث الكتابة فهو عتيق غريم وهو قول شريح وعن ابن مسعود لو كانت الكتابة مائتي دينار وقيمة
العبد مائة دينار فادى العبد المائة التي هي قيمته عتق وهو قول النخعي ايضا وقول سابع اذا ادى الثلاثة الارباع
وبقي عليه الربع فهو غريم ولا يعود عبدا قاله عطاء بن ابي رباح رواه ابن جريج عنه وحكي عن بعض السلف انه بنفس
عقد الكتابة حر وهو غريم بالكتابة لا يرجع الى الرق ابدا وهذا القول يرده حديث بريرة لصحته عن النبي صلى الله
عليه وسلم وفيه دليل واضح على ان المكاتب عبد ولولا ذلك ما بيعت بريرة ولو كان فيها شيء من العتق ما اجاز
بيع ذلك اذ من سنته المجمع عليها ان لا يباع الحر وكذلك كتابة سلمان وجويرية فان النبي صلى الله عليه وسلم حكم
لجميعهم بالرق حتى ادوا الكتابة وهي حجة للجمهور على ان المكاتب عبد ما بقي عليه شيء وقد ناظر علي بن ابي طالب
زيد بن ثابت في المكاتب فقال لعلي اكنت راجمه لو زنى او مجيزا شهادته لو شهد فقال علي لا فقال زيد هو عبد
ما بقي عليه شيء وقد روى النسائي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
المكاتب يعتق منه بقدر ما ادى كذا ويرث بقدر ما عتق منه واسناده صحيح وهو حجة لما روي عن علي وبعضد
بما رواه ابو داود عن نبهان مكاتب لام سلمة قال سمعت ام سلمة تقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كان لاحداكن مكاتب وكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه واخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح الا انه
يحتمل ان يكون خطابا مع زوجاته اخذا بالاحتياط والورع في حقهن كما قال لسودة احتجبي منه مع انه قد حكم
باخوتها له وبقوله لعائشة وحفصة افعميان انتما الستما تبصرانه يعني ابن ام مكتوم مع انه قال لفاطمة بنت
قيس اعتدي عند ابن ام مكتوم وقد تقدم هذا المعنى الثامنة اجمع العلماء على ان المكاتب اذا حل عليه نجم
من نجومه او نجمان او نجومه كلها فوقف السيد عن مطالبته وتركه بحاله ان الكتابة لا تنفسخ ما داما على ذلك ثابتين
التاسعة قال مالك ليس للعبد ان يعجز نفسه اذا كان له مال ظاهر وان لم يظهر له مال فذلك اليه وقال
الاوزاعي لا يمكن من تعجيز نفسه اذا كان قويا على الاداء وقال الشافعي له ان يعجز نفسه علم له مال او قوة على الكتابة
او لم يعلم فاذا قال قد عجزت وابطلت الكتابة فذلك اليه وقال مالك اذا عجز المكاتب فكل ما قبضه منه في كتابته كان
لكل من اعانه الرجوع بما اعطى او تحلل منه المكاتب ولو اعانوه صدقة لا على فكاك رقبته فذلك ان عجز حل له
كان من كسبه او من صدقة عليه واما ما اعين به على فكاك رقبته فذلك ان عجز حل لسيده ولو تم به فكاكه وبقيت منه
فضلة فان كان بحصن الفكاك رد اليهم بالحصص او يحللونه منها هذا كله مذهب مالك فيما ذكر ابن القاسم وقال اكثر
اهل العلم ان ما قبضه السيد منه من كتابته وما فضل بيده بعد عجزه من صدقة او غيرها فهو لسيده يطيب له اخذ
ذلك كله هذا قول الشافعي وابي حنيفة واصحابهما واحمد بن حنبل ورواية عن شريح وقال الثوري يجعل السيد ما اعطاه
في الرقاب وهو قول مسروق والنخعي ورواية عن شريح وقالت طائفة ما قبض منه السيد فهو له وما فضل بعد العجز له فهو له
دون سيده وهذا قول بعض من ذهب الى ان العبد يملك وقال اسحق ما اعطي بحال الكتابة رد على اربابه العاشرة
حديث بريرة على اختلاف طرقه والفاظه يتضمن ان بريرة وقع فيها بيع بعد كتابة تقدمت واختلف الناس في بيع المكاتب
بسبب ذلك وقد ترجم البخاري باب بيع المكاتب اذا رضي والى جواز بيعه للعتق اذا رضي المكاتب بالبيع ولو لم يكن
عاجزا ذهب ابن المنذر والداودي وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وبه قال ابن شهاب وابو الزناد وربيعة
غير انهم قالوا لان رضاه بالبيع عجز منه وقال مالك وابو حنيفة واصحابهما لا يجوز بيع المكاتب ما دام مكاتبا حتى يعجز ولا يجوز

بيع كتابته حال وهو قول الشافعي بمصر وكان بالعراق يقول بيعه جائز واما بيع كتابته فلا يجوز واجاز مالك بيع الكتابة فان اداها عتق والا كان رقيقا للمشتري الكتابة ومنع من ذلك ابو حنيفة لانه بيع غرر واختلف قول الشافعي في ذلك بالمنع والاجازة وقالت طائفة يجوز بيع المكاتب على ان يمضي في كتابته فان ادى عتق وكان ولاؤه للذي ابتاعه ولو عجز فهو عبد له وبه قال النخعي وعطاء والليث واحمد وابو ثور وقال الاوزاعي لا يباع المكاتب الا للعتق ويكره ان يباع قبل عجزه وهو قول احمد واسحق قال ابو عمر في حديث بريرة اجازة بيع المكاتب اذا رضي بالبيع ولم يكن عاجزا عن اداء نجم قد حل عليه خلاف قول من زعم ان بيع المكاتب غير جائز الا بالعجز لان بريرة لم تذكر انها عجزت عن اداء نجم ولا اخبرت بان النجم قد حل عليها ولا قال لها النبي صلى الله عليه وسلم أعاجزة انت ام هل حل عليك نجم فلم تؤده ولو لم يجز بيع المكاتب والمكاتبة الا بالعجز عن اداء ما قد حل لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد سألها أعاجزة هي ام لا وما كان ليأذن في شرائها الا بعد علمه صلى الله عليه وسلم انها عاجزة ولو عن اداء نجم واحد قد حل عليها وفي حديث الزهري انها لم تكن قضت من كتابتها شيئا ولا اعلم في هذا الباب حجة اصح من حديث بريرة هذا ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء يعارضه ولا في شيء من الاخبار دليل على عجزها استدل من منع من بيع المكاتب بامور منها ان قالوا ان الكتابة المذكورة لم تكن انعقدت وان قولها كاتبت اهلي معناه انها راوضتهم عليها وقدروا مبلغها واجلها ولم يعقدوها وظاهر الاحاديث خلاف هذا اذا تؤمل مساقها وقيل ان بريرة عجزت عن الاداء فاتفقت هي واهلها على فسخ الكتابة وحينئذ صح البيع الا ان هذا انما يمشي على قول من يقول ان تعجيز المكاتب غير مفتقر الى حكم حاكم اذا اتفق العبد والسيد عليه لان الحق لا يعدوهما وهو المذهب المعروف وقال سحنون لا بد من السلطان وهذا انما خاف ان يتواطئا على ترك حق الله ويدل على صحة انها عجزت ما روي ان بريرة جاءت عائشة تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيئا فقالت لها عائشة ارجعي الى اهلك فان احبوا ان اقضي عنك كتابتك فعلت فظاهر هذا انه جميع كتابتها او بعضها استحق عليها لانه لا يقضي من الحقوق الا ما وجبت المطالبة به والله اعلم هذا التأويلات واللائق اشبه ما لهم وفيها من الدخل ما بيناه وقال ابن المنذر ولا اعلم حجة لمن قال ليس له بيع المكاتب الا ان يقول لعل بريرة عجزت قال الشافعي واظهر معانيه ان لمالك المكاتب بيعه

المكاتب اذا ادى كتابته عتق ولا يحتاج الى ابتداء عتق من السيد وكذلك ولده الذين ولدوا في كتابته من امته يعتقون بعتقه ويرقون برقه لان ولد الانسان من امته بمثابته اعتبارا بالحر وكذلك ولد المكاتبة فان كان لها ولد قبل الكتابة لم يدخل في الكتابة الا بشرط

وَآتُوهُم مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ هذا امر للسادة باعانتهم في مال الكتابة اما بان يعطوهم شيئا مما في ايديهم اعني ايدي السادة او يحطوا عنهم شيئا من مال الكتابة قال مالك يوضع عن المكاتب من آخر كتابته وقد وضع ابن عمر خمسة آلاف من خمسة وثلاثين الفا واستحسن علي رضي الله عنه ان يكون ذلك ربع الكتابة قال الزهراوي روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم واستحسن ابن مسعود والحسن بن ابي الحسن ثلثها وقال قتادة عشرها ابن جبير يسقط عنه شيئا ولم يحده وهو قول الشافعي واستحسنه الثوري قال الشافعي والشيء اقل شيء يقع عليه اسم شيء ويجبر عليه السيد ويحكم به الحاكم على الورثة ان مات السيد ورأى مالك هذا الامر على الندب ولم ير لقدر الوضيعة حدا احتج الشافعي بمطلق الامر في قوله وآتوهم ورأى ان عطف الواجب على الندب معلوم في القرآن ولسان العرب كما قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وما كان مثله قال ابن العربي وذكره قبله اسمعيل بن اسحق القاضي جعل الشافعي الايتاء واجبا والكتابة غير واجبة فجعل الاصل غير واجب والفرع واجبا وهذا لا نظير له فصارت دعوى محضة فان قيل يكون ذلك كالنكاح لا يجب فاذا انعقد وجبت احكامه منها المتعة قلنا عندنا لا تجب المتعة فلا معنى لاصحاب الشافعي وقد كاتب عثمان بن عفان عبده وحلف ان لا يحطه في حديث طويل قلت وقد قال الحسن والنخعي وبريدة انما الخطاب بقوله وآتوهم للناس اجمعين في ان يتصدقوا على المكاتبين وان يعينوهم في فكاك رقابهم وقال زيد بن اسلم انما الخطاب للولاة بان يعطوا المكاتبين من مال الصدقة حظهم وهو الذي تضمنه قوله تعالى وفي الرقاب وعلى هذين القولين فليس لسيد المكاتب ان يضع شيئا عن مكاتبه ودليل هذا انه لو اراد حط شيء من نجوم الكتابة لقال وضعوا عنهم كذا

اذا قلنا ان المراد بالخطاب السادة فرأى عمر بن الخطاب ان يكون ذلك من اول نجومه مبادرة الى الخير خوفا ان لا يدرك آخرها ورأى مالك وغيره ان يكون الوضع من آخر نجم وعلة ذلك انه اذا وضع من اول نجم ربما عجز العبد فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه وضيعته وهي شبه الصدقة وهذا قول عبد الله بن عمر وعلي وقال مجاهد يترك له من كل نجم قال ابن العربي والاقوى عندي ان يكون في آخرها لان الاسقاط ابدا انما يكون في اخريات الديون والمكاتب اذا بيع للعتق رضي منه بعد الكتابة وقبض بايعه ثمنه لم يجب عليه ان يعطيه من ثمنه شيئا سواء باعه لعتق او لغير عتق وليس ذلك كالسيد يؤدي اليه مكاتبه فيؤتيه منها او يضع عنه من آخرها نجما او ما شاء على ما امر الله به في كتابه لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر موالي بريرة باعطائها مما قبضوا شيئا وان كانوا قد باعوها للعتق

اختلفوا في صيغة عقد الكتابة فقال ابن خويز منداد صفتها ان يقول السيد لعبده كاتبتك على كذا وكذا من المال في كذا وكذا نجما اذا اديته فانت حر او يقول له اد الي الفا في عشرة انجم وانت حر فيقول العبد قد قبلت ونحو ذلك من الالفاظ فمتى اداها عتق وكذلك لو قال العبد كاتبني فقال السيد قد فعلت او قد كاتبتك قال ابن العربي وهذا لا يلزم لان لفظ القرآن لا يقتضيه والحال يشهد له فان ذكره فحسن وان تركه فهو معلوم لا يحتاج اليه ومسائل هذا الباب وفروعه كثيرة وقد ذكرنا من اصوله جملة فيها لمن اقتصر عليها كفاية والله الموفق للهداية

في ميراث المكاتب واختلف العلماء في ذلك على ثلاثة اقوال فمذهب مالك ان المكاتب اذا هلك وترك مالا اكثر مما بقي عليه من كتابته وله ولد ولدوا في كتابته او كاتب عليهم ورثوا ما بقي من المال بعد قضاء كتابته لان حكمهم كحكمه وعليهم السعي فيما بقي من كتابته لو لم يخلف مالا ولا يعتقون الا بعتقه ولو ادى عنهم ما رجع بذلك عليهم لانهم يعتقون عليه فهم اولى بميراثه لانهم مساوون له في جميع حاله والقول الثاني انه يؤدي عنه من ماله جميع كتابته وجعل كانه قد مات حرا ويرثه جميع ولده وسواء في ذلك من كان حرا قبل موته من ولده ومن كاتب عليهم او ولدوا في كتابته لانهم قد استووا في الحرية كلهم حين تأدت عنهم كتابتهم روي هذا القول عن علي وابن مسعود ومن التابعين عن عطاء والحسن وطاوس وابرهيم وبه قال فقهاء الكوفة سفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حي واليه ذهب اسحاق والقول الثالث ان المكاتب اذا مات قبل ان يؤدي جميع كتابته فقد مات عبدا وكل ما يخلفه من المال فهو لسيده ولا يرثه احد من اولاده لا الاحرار ولا الذين معه في كتابته لانه لما مات قبل ان يؤدي جميع كتابته فقد مات عبدا وماله لسيده فلا يصح عتقه بعد موته لانه محال ان يعتق عبد بعد موته وعلى ولده الذين كاتب عليهم او ولدوا في كتابته ان يسعوا في باقي الكتابة ويسقط عنهم منها قدر حصته فان ادوا عتقوا لانهم كانوا فيها تبعا لابيهم وان لم يؤدوا ذلك رقوا هذا قول الشافعي وبه قال احمد بن حنبل وهو قول عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة

قوله تعالى وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا روي عن جابر بن عبد الله وابن عباس ان هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبيّ وكانت له جاريتان احداهما تسمى معاذة والاخرى مسيكة وكان يكرههما على الزنا ويضربهما عليه ابتغاء الاجر وكسب الولد فشكتا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين ومعاذة هذه ام خولة التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم في زوجها وفي صحيح مسلم عن جابر ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء

الى قوله ان الله غفور رحيم قوله تعالى إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا راجع الى الكتابة لفتيات وذلك ان الفتاة اذا ارادت التحصن فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها ويمكن ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد التحصن فلا يتصور ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للزنا فهذا امر في سادة وفتيات حالهم هذه والى هذا المعنى اشار ابن العربي فقال انما ذكر الله تعالى ارادة التحصن من المراة لان ذلك هو الذي يصور الاكراه فاما اذا كانت هي راغبة في الزنا لم يتصور اكراه فحصلوه وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله ان اردن تحصنا راجع الى الايامى قال الزجاج والحسين بن الفضل في الكلام تقديم وتاخير اى وانكحوا الايامى والصالحين من عبادكم ان اردن تحصنا وقال بعضهم هذا الشرط في قوله ان اردن تحصنا ملغى ونحو ذلك مما يضعف والله الموفق قوله تعالى لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا اى الشئ الذي تكسبه الامة بفرجها والولد يسترق فيباع وقيل كان الزاني يفتدي ولده من المزني بها بمائة من الابل يدفعها الى سيدها قوله تعالى وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ اى يقهرهن فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ لهن رَحِيمٌ بهن وقرأ ابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن جبير لهن غفور بزيادة لهن وقد مضى الكلام في الاكراه في النحل والحمد لله ثم عدد تعالى على المومنين نعمته فيما انزل اليهم من الآيات المنيرات وفيما ضرب لهم من امثال الماضين من الامم ليقع التحفظ مما وقع اولئك فيه قوله تعالى اللَّهُ نُورُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ الآية النور في كلام العرب الاضواء المدركة بالبصر واستعمل مجازا فيما صح من المعاني ولاح فيقال منه كلام له نور ومنه الكتاب المنير ومنه قول الشاعر نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا والناس يقولون فلان نور البلد وشمس العصر وقمره قال فانك شمس والملوك كواكب وقال آخر هلا خصصت من البلاد بمقصد قمر القبائل خالد بن يزيد وقال اخر اذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها فيجوز ان يقال الله تعالى نور من جهة المدح لانه اوجد الاشياء ونور جميع الاشياء منه ابتداؤها وعنه صدورها وهو سبحانه ليس من الاضواء المدركة جل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد قال هشام الجوالقي وطائفة من المجسمة هو نور لا كالانوار وجسم لا كالاجسام وهذا كله محال على الله تعالى عقلا ونقلا على ما يعرف في موضعه من علم الكلام ثم ان قولهم متناقض فان قولهم جسم او نور حكم عليه بحقيقة ذلك وقولهم لا كالانوار ولا كالاجسام نفي لما اثبتوه من الجسمية والنور وذلك متناقض وتحقيقه في علم الكلام والذي اوقعهم في ذلك ظواهر اتبعوها منها هذه الآية وقوله عليه السلام اذا قام من الليل يتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض وقال عليه السلام وقد سئل هل رايت ربك فقال رايت نورا الى غير ذلك من الاحاديث واختلف العلماء في تاويل هذه الآية فقيل المعنى اى به وبقدرته انارت اضواؤها واستقامت امورها وقامت مصنوعاتها فالكلام على التقريب للذهن كما يقال الملك نور اهل البلد اى به قوام امرها وصلاح جملتها لجريان امورها على سنن السداد فهو في الملك مجاز وهو في صفة الله حقيقة محضة اذ هو الذي ابدع الموجودات وخلق العقل نورا هاديا لان ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات تبارك الله لا رب غيره قال معناه مجاهد والزهري وغيرهما قال ابن عرفة اى منور السموات والارض وكذا قال الضحاك والقرظي كما يقولون فلان غياثنا اى مغيثنا وفلان زادي اى مزودي قال جرير وانت لنا نور وغيث وعصمة ونبت لمن يرجو نداك وريق اى ذو ورق وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض ابي بن كعب والحسن وابو العالية مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبياء والعلماء والمومنين وقال ابن عباس وانس المعنى الله هادي اهل السموات والارض والاول اعم للمعاني واصح مع التامل قوله تعالى مَثَلُ نُورِهِ اى صفة نوره دلائله التي يقذفها في قلب المومن والدلائل تسمى نورا وقد سمى الله تعالى كتابه نورا فقال وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا وسمى نبيه نورا

فقال قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ وهذا لان الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول ووجه الاضافة الى الله تعالى انه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها ويحتمل الآية معنى آخر ليس فيه مقابلة جزء من المثال بجزء الممثل به بل وقع التشبيه فيه جملة بجملة وذلك ان يريد مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من النور التي تتخذونه انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفات النور التي بين ايدي الناس فمثل نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم ايها البشر فمثل نوره والمشكاة الكوة التي في الحائط غير النافذة قاله ابن جبير وجمهور المفسرين وهي اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها واصلها الوعاء يجعل فيها الشئ والمشكاة وعاء من ادم كالدلو يبرد فيها الماء وهو على وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة قال الشاعر كان عينيه مشكاتان في حجر قيضا اقتياضا باطراف المناقير وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد هي القنديل وقال في زجاجة لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه في غير الزجاج والمصباح الفتيل بناره كانها كوكب دري اى في الانارة والضوء وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما ان يريد انها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك وهذا التاويل ابلغ في التعاون على النور قال الضحاك الكوكب الدري الزهرة قوله تعالى يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ اى من زيت شجرة فحذف المضاف والمباركة المنماة والزيتون من اعظم الثمار نماء والرمان كذلك والعيان يقتضي ذلك وقول ابي طالب يرثي مسافر بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس ليت شعري مسافر بن ابي عمرو وليت يقولها المحزون بورك الميت الغريب كما بورك نبع الرمان والزيتون وقيل من بركتها ان اغصانها تورق من اسفلها الى اعلاها وقال ابن عباس في الزيتونة منافع يسرج بالزيت وهو ادام ودهان ودباغ ووقود يوقد بحطبه وتفله وليس فيه شئ الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم وهي اول شجرة نبتت في الدنيا واول شجرة نبتت بعد الطوفان وتنبت في منازل الانبياء والارض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال اللهم بارك في الزيت والزيتون قاله مرتين قوله تعالى لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ اختلف العلماء في قوله لا شرقية ولا غربية فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم الشرقية التي تصيبها الشمس اذا شرقت ولا تصيبها اذا غربت لان لها سترا والغربية عكسها اى انها شجرة في صحراء ومنكشف من الارض لا يواريها عن الشمس شئ وهو اجود لزيتها فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية بل هي شرقية غربية وقال الطبري عن ابن عباس انها شجرة في دوحة قد احاطت بها فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من جهة الغرب قال ابن عطية وهذا قول لا يصح عن ابن عباس لان الثمرة التي بهذه الصفة يفسد جناها وذلك مشاهد في الوجود وقال الحسن ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره ولو كانت في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية الثعلبي وقد افصح القرآن بانها من شجر الدنيا لانه ابدل من الشجرة فقال زيتونة وقال ابن زيد انها من شجر الشام فان الشام لا شرقي ولا غربي وشجر الشام هي افضل الشجر وهي الارض المباركة وشرقية نعت لزيتونة ولا ليست تحول بين النعت والمنعوت ولا غربية عطف عليه قوله تعالى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ مبالغة في حسنه وصفائه وجودته نُورٌ عَلَى نُورٍ اى اجتمع في المشكاة ضوء المصباح الى ضوء الزجاجة والى ضوء الزيت فصار لذلك نور على نور واعتقلت هذه الانوار في المشكاة فصارت كانور ما يكون فكذلك براهين الله واضحة وهي برهان بعد برهان وتنبيه بعد تنبيه كارساله الرسل وانزاله الكتب ومواعظ تتكرر فيها لمن له عقل معتبر ثم ذكر تعالى هداه لنوره من يشاء واسعد من عباده وذكر تفضله للعباد في ضرب الامثال ليقع لهم العبرة والنظر المؤدي الى الايمان

الله

وقرأ عبد الله بن عياش بن ابي ربيعه وابو عبد الرحمن السلمي الله نَوَّرَ بفتح النون والواو مشدّدة واختلف
المتأولون في عود الضمير في نوره على من يعود فقال كعب الاحبار وابن جبير هو عائد على محمد صلى الله عليه
وسلم اي مثل نور محمد قال ابن الانباري الله نور السموات والارض وقف حسن ثم يبتدي مَثَلُ نوره كمشكاة
فيها مصباح على معنى نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال أُبَيّ بن كعب وابن جبير ايضا والضحاك هو عائد على
المؤمنين وفي قراءة أُبَيّ مثل نور المؤمنين وروى ان في قراءته مثل نور المؤمنين وروى ان فيها مَثَل نور
مَن آمَنَ به وقال الحسن هو عائد على القرآن والايمان قال مكّي وعلى هذه الاقوال توقف على قوله والارض
قال ابن عطية وهذه الاقوال فيها عود الضمير على من لم يجر له ذكر وفيه مقابلة جزء من المثال بجزء من
الممثّل فعلى من قال الممثّل به محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب الحبر فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو
المشكاة او صدره والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من عمله وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة هي الوحي و
الملائكة رسل الله اليه وسببه المتصل به والزيت هو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي ومن قال الممثّل
المؤمن وهو قول أُبَيّ فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها
قال أُبَيّ فهو على احسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات ومن قال ان الممثّل به هو القرآن
والايمان فتقدير الكلام مثل نوره الذي هو الايمان في صدر المؤمن في قلبه كمشكاة اي كهذه الجملة وهذا القول ليس
في مقابلة التشبيه كالاولين لان المشكاة ليست تقابل الايمان وقالت طائفة الضمير في نوره عائد على الله تعالى
وهذا قول ابن عباس فيما ذكر الثعلبي والماوردي والمهدوي وقد تقدم معناه ولا توقف على هذا القول على والارض
قال المهدوي الهاء لله عز وجل والتقدير الله هادي اهل السموات والارض مثل هداه في قلوب المؤمنين كمشكاة
روى ذلك عن ابن عباس وكذلك قال زيد بن اسلم والحسن ان الهاء لله عز وجل وكان ابن مسعود وابي يقرآنها
مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة قال محمد بن علي الترمذي فاما غيرهما فلم يقرأها في التنزيل هكذا وقد وافقهما
في التأويل ان ذلك نوره في قلب المؤمن وتصديقه في آية اخرى يقول أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للاسلام
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَّبِّهِ واعتل الاولون بان قالوا لا يجوز ان تكون الهاء لله عز وجل لان الله عز وجل لا حد لنوره
واما الكسائي فيما روى عنه ابو عمر الدوري الالف من مشكاة وكسر الكاف التي قبلها وقرأ نصر بن عاصم زجاجة
بفتح الزاء والزجاجة كذلك وهي لغة وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم دُرِّيٌّ بضم الدال وشد الياء ولهذه القراءة
وجهان اما ان ينسب الكوكب الى الدر لبياضه وصفائه واما ان يكون اصله دُرِّيء مهموز فُعِّيل من الدَّرْء وهو
الدفع وخففت الهمزة ويقال للنجوم العظام التي لا تعرف اسماؤها دراري بغير همز فلعلهم خففوا الهمزة والاصل من
الدرء الذي هو الدفع وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم دُرِّيءٌ بالهمز والمد وهو فُعِّيل من الدرء بمعنى انها تدفع بعضها بعضا
وقرأ الكسائي وابو عمرو دِرِّيءٌ بكسر الدال والهمز من الدرء والدفع مثل السِّكِّير والفسّيق قال سيبويه اي يدفع بعض
ضوئه بعضا من لمعانه قال النحاس وضعف ابو عبيد قراءة ابي عمرو والكسائي تضعيفا شديدا لانه تأولها من
من درأت اي دفعت اي كوكب يجري من الافق الى الافق واذا كان التأويل على تأويله لم يكن في الكلام فائدة
ولا كان لهذا الكوكب مزية على اكبر الكواكب الاترى انه لا يقال جاءني انسان من بني آدم ولا ينبغي ان يتأول لمثل
ابي عمرو والكسائي مع علمهما وجلالتهما هذا التأويل البعيد ولكن التأويل لهما على ما روى عن محمد بن يزيد ان معناهما في
ذلك كوكب مندفع بالنور كما يقال اندرأ الحريق اي اندفع وهذا تأويل صحيح لهذه القراءة وحكى سعيد بن مسعدة انه يقال

دره الكوكب بضوءه اذا امتد ضوءه وعلا وقال الجوهري في الصحاح ودرأ علينا فلان يدرأ دروءا اي اطلع مفاجأة
ومنه كوكب دري على فعيل مثل سكّير وخمّير لشدة توقده وتلألؤه وقد درأ الكوكب دروءا قال ابو عمرو بن العلاء سألت رجلا
من سعد بن بكر من اهل ذات عرق فقلت وهذا الكوكب الضخم ما تسمونه قال الدِّرِّيء وكان من افصح الناس قال النحاس
فاما قراءة حمزة فاهل اللغة جميعا قالوا هي لحن لا تجوز لانه ليس في كلام العرب اسم على فُعِّيل وقد اعترض ابو عبيد في هذا فاحتج
لحمزة فقال ليس هو فُعِّيل وانما هو فُعُّول مثل سبّوح ابدل من الواو ياء كما قالوا عتِيّ قال ابو جعفر النحاس وهذا الاعتراض
والاحتجاج من اعظم الغلط واشده لان هذا لا يجوز البتة ولو جاز ما قال لقيل في سبّوح سبّيح وهذا لا يقوله احد وليس
مثلها من هذا والفرق بينهما واضح بيّن لانه ليس يخلو عتيّا من احدى جهتين اما ان يكون جمع عات فيكون البدل فيه لازما
لان الجمع باب تغيير والواو لا تكون طرفا في الاسماء وقبلها ضمة فلما كان مثل هذا ساكن وقبل الساكن ضمة والساكن ليس
بحاجز حصين ابدل من الضمة كسرة فقلبت الواو ياء وان كان عتيّ واحدا كان بالواو اولى وجاز قلبها لانها طرف والواو في فعول
لست طرفا فلا يجوز قلبها قال الجوهري قال ابو عبيد ان ضممت الدال قلت دُرّي يكون منسوبا الى الدر على فُعلي ولم تهمزه لانه ليس
في كلام العرب فُعّيل ومن همزه من القراء فانما اراد فعولا مثل سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر وحكى الاخفش عن
بعضهم دُرّيء من درأته وهمزها وجعلها على فعّيل مفتوحة الاول قال وذلك من تلألؤه قال الثعلبي وقرأ سعيد بن المسيب
وابو رجاء دَرِّيء بفتح الدال مهموزا قال ابو حاتم هذا خطأ لانه ليس في الكلام فعّيل فان صح عنهما فهما حجة توقد قرأ
شيبة ونافع وايوب وسلام وابن عامر واهل الشام وحفص يوقد بياء مضمومة وتخفيف القاف وضم الدال وقرأ
الحسن والسلمي وابو جعفر وابو عمرو بن العلاء البصري تَوَقَّدَ مفتوحة الحروف كلها مشددة القاف واختارها ابو حاتم وابو
عبيد قال النحاس وهاتان القراءتان متقاربتان لانهما جميعا للمصباح وهو اشبه بهذا الوصف لانه الذي ينير ويضيء
وانما الزجاجة وعاء له وتوقد فعل ماض من توقد يتوقد ويوقد فعل مستقبل من اوقد يوقد وقرأ نصر بن عاصم والاصل على
قراءته تتوقد حذف احدى التاءين لان الاخرى تدل عليها وقرأ الكوفيون تُوقَدُ بالتاء يعنون الزجاجة فهاتان القراءتان
على تأنيث الزجاجة من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية تقدم القول فيه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
نور على نور وزعم ابو عبيد انه لا يعرف الا هذه القراءة وحكى ابو حاتم ان السدي روى عن ابي مالك عن ابن عباس انه
قرأ ولو لم يمسسه نار بالياء قال محمد بن يزيد التذكير على انه تأنيث غير حقيقي وكذا سبيل المؤنث عنده قال ابن عمر
المشكاة جوف محمد عليه السلام والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه يوقد من شجرة مباركة اي ان اصله
من ابراهيم وهو شجرته فاوقد الله في قلب محمد عليه السلام النور كما جعل في قلب ابراهيم عليه السلام وقال محمد بن كعب المشكاة
ابراهيم عليه السلام والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلوات الله عليهم اجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال وداعيا
الى الله باذنه وَسِرَاجًا مُنِيرًا توقد من شجرة مباركة وهي آدم عليه السلام بورك في نسله وكثر منه الانبياء والاولياء
وقيل هي ابراهيم سماه مباركا لان اكثر الانبياء كانوا من صلبه لا شرقية ولا غربية اي لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان
حنيفا مسلما وانما قال ذلك لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء اي تكاد محاسن محمد
صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان اوحى الله اليه نور على نور نبي من نسل نبي وقال الضحاك شبه عبد المطلب
بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح كان في قلبهما فورث النبوة من ابراهيم من شجرة اي شجرة
التقى والرضوان وعشيرة الهدى والايمان شجرة اصلها نبوة وفرعها مروة واغصانها تنزيل وورقها تأويل وخدمها
جبرئيل وميكائيل قال القاضي ابو بكر بن العربي ومن غريب الامر ان بعض الفقهاء قال ان هذا مثل ضربه الله تعالى لابراهيم

ص

على تأنيث النار

ومحمد ولعبد المطلب وابنه عبد الله فالمشكاة هي الكوة بلغة الحبشة فشبه عبد المطلب بالمشكاة فيها القنديل وهو الزجاجة و محمد كالمصباح يعني من اصلابهما وكانه كوكب دري وهو المشتري توقد من شجرة مباركة يعني ارث النبوة من ابراهيم عليه السلام هو الشجرة المباركة يعني حنيفية لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يقول يكاد ابراهيم يتكلم بالوحي من قبل ان يوحى اليه نور على نور ابراهيم ثم محمد عليهما السلام قال القاضي وهذا كله عدول عن الظاهر وليس يمتنع في التمثيل ان يتوسع المرء فيه قلت وكذلك جميع الاقوال لعدم ارتباطها بالآية ما عدا القول الاول وان هذا مثل ضربه الله لنوره ولا يمكن ان يضرب لنوره المعظم مثلا تنبيها لخلقه الا ببعض خلقه لان الخلق لقصورهم لا يفهمون الا بانفسهم ومن انفسهم ولولا ذلك ما عرف الله الا الله وحده قال ابن العربي قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه نار فان مسته النار زاد ضوءه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم زاده هدى على هدى ونورا على نور كقول ابراهيم من قبل ان تجيئه المعرفة هذا ربي من قبل ان يخبره احد ان له ربا فلما اخبره الله انه ربه زاد هدى فقال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومن قال ان هذا مثل للقرآن في قلب المؤمن قال كما ان هذا المصباح يستضاء به ولا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به ولا ينقص فالمصباح القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد حجج القرآن تتضح ولو لم يقرا نور على نور يعني ان القرآن نور من الله تعالى لخلقه مع ما اقام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور ثم اخبر ان هذا النور المذكور عزيز وانه لا يناله الا من اراد الله هداه فقال يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس اي يبين الاشباه تقريبا الى الافهام والله بكل شيء عليم اي بالمهتدي والضال وروى عن ابن عباس ان اليهود قالوا يا محمد كيف يخلص نور الله تعالى من دون السماء فضرب الله تعالى ذلك مثلا لنوره

قوله تعالى في بيوت اذن الله الى قوله وايتاء الزكوة فيه تسع عشرة مسئلة

الاولى قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع الباء في بيوت تضم وتكسر وقد تقدم واختلف في الفاء من قوله في فقيل هي متعلقة بمصباح وقيل بيسبح له فعلى هذا التاويل يوقف على عليم قال ابن الانباري سمعت ابا العباس يقول هو حال للمصباح والزجاجة والكوكب كانه قال وهي في بيوت وقال الترمذي الحكيم محمد بن علي في بيوت منفصل كانه يقول الله في بيوت اذن الله ان ترفع وبذلك جاءت الاخبار انه من جلس في المسجد فانما يجالس ربه وكذا ما جاء في الخبر فيما يحكى عن التوراة ان المؤمن اذا مشى الى المسجد قال الله تبارك وتعالى عبدي زارني وعلي قراه ولن ارضى له قرى دون الجنة قال ابن الانباري ان جعلت في متعلقة بيسبح او رافعة للرجال حسن الوقف على قوله والله بكل شيء عليم وقال الرماني هي متعلقة بيوقد وعليه فلا يوقف على عليم فان قيل فما الوجه اذا كان البيوت متعلقة بتوقد في توحيد المصباح والمشكاة وجمع البيوت ولا يكون مشكاة واحدة الا في بيت واحد قيل هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله سبحانه وتعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ونحوه وقيل رجع الى كل واحد من البيوت وقيل هو كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منها واختلف الناس في البيوت هنا على خمسة اقوال الاول انها المساجد المخصوصة لله تعالى بالعبادة وانها تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض قاله ابن عباس و مجاهد والحسن الثاني هي بيوت بيت المقدس عن الحسن ايضا الثالث بيوت النبي صلى الله عليه وسلم عن مجاهد ايضا الرابع هي البيوت كلها قاله عكرمة وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يقوي انها المساجد وقول خامس انها المساجد الاربعة التي لم يبنها الا نبي الكعبة وبيت اريحا ومسجد المدينة ومسجد قباء قاله ابن بريدة وقد تقدم ذلك في براءة

قال المؤلف رحمه الله الاظهر القول الاول لما رواه انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الله عز وجل فليحبني ومن احبني فليحب اصحابي ومن احب اصحابي فليحب القرآن ومن احب القرآن فليحب المساجد فانها افنية الله ابنيه اذن الله في رفعها وبارك فيها ميمونة ميمون اهلها محفوظة محفوظ اهلها هم في صلاتهم والله في حوائجهم هم في مساجدهم والله من ورائهم

الثانية قوله تعالى اذن الله ان ترفع اذن معناه امر وقضى وحقيقته الاذن العلم والتمكين دون حظر فان اقترن بذلك امر وانفاذ كان اقوى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد وعكرمة ومنه قوله سبحانه وتعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا من ماله بنى الله له بيتا في الجنة وفي هذا المعنى احاديث كثيرة تحض على بنيان المساجد وقال الحسن البصري وغيره معنى ترفع تعظم ويرفع شانها وتطهر من الانجاس والاقذار ففي الحديث ان المسجد لينزوي من النجاسة كما ينزوي الجلد من النار وروى ابن ماجه في سننه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخرج اذى من المسجد بنى الله له بيتا في الجنة وروى عن عائشة قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتخذ المساجد في الدور وان تطهر وتطيب

الثالثة اذا قلنا ان المراد بنيانها فهل تزين وتنقش اختلف في ذلك فكرهه قوم واباحه آخرون فروى حماد بن سلمة عن ايوب عن ابي قلابة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد اخرجه ابو داود وفي البخاري وقال انس يتباهون بها ثم لا يعمرونها الا قليلا وقال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى وروى الترمذي الحكيم ابو داود في نوادر الاصول من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم احتج من اباح ذلك بان فيه تعظيم المساجد والله سبحانه وتعالى امر بتعظيمها في قوله في بيوت اذن الله ان ترفع يعني تعظم وروى عن عمر انه بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالساج وحسنه قال ابو حنيفة لا باس بنقش المساجد بماء الذهب وروى عن عمر بن عبد العزيز انه نقش مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وبالغ في عمارته وتزيينه وذلك في زمن ولايته قبل خلافته ولم ينكر عليه احد ذلك وذكر ان الوليد بن عبد الملك انفق في عمارة مسجد دمشق وفي تزيينه مثل خراج الشام ثلاث مرات وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام بنى مسجد المقدس وبالغ في تزيينه

الرابعة ومما تصان عنه المساجد وتنزه عنه الروائح الكريهة والاقوال السيئة وغيرها ذلك على ما نبينه وذلك من تعظيمها وقد صح من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة تبوك من اكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا ياتين المساجد وفي حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل من هذه البقلة الثوم وقال مرة من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو آدم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته ثم انكم ايها الناس تاكلون شجرتين لا اراهما الا خبيثتين هذا البصل والثوم لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد امر به فاخرج الى البقيع فمن اكلهما فليمتهما طبخا خرجه مسلم في صحيحه قال العلماء اذا كانت العلة في اخراجه من المسجد انه يتاذى به ففي القياس ان كل من تاذى به جيرانه في المسجد بان يكون ذرب اللسان سفيها عليهم او كان ذا رائحة قبيحة لا تريمه لسوء صناعته او عاهة مؤذية كالجذام وشبهه وكل ما يتاذى به الناس كان لهم اخراجه ما كانت العلة موجودة فيه حتى تزول وكذلك يجتنب مجتمع الناس حيث كان لصلاة وغيرها كمجالس العلم والولائم وما اشبهها من اكل الثوم وما في معناه مما له رائحة كريهة تؤذي الناس ولذلك جمع بين الثوم والبصل والكراث واخبر ان ذلك مما يتاذى به الناس قال ابو عمر بن عبد البر وقد شاهدت شيخنا ابا عمر احمد بن عبد الملك بن هشام افتى في رجل شكاه جيرانه واتفقوا عليه انه يؤذيهم في المسجد بلسانه ويده فشوور فيه فافتى باخراجه من المسجد وابعاده عنه وان لا يشاهد معهم الصلاة اذ لا سبيل مع جنونه واستطالته الى السلامة منه فذاكرته يوما امره وطالبته بالدليل فيما افتى به

من ذلك وراجعته فيه القول فاستدل بحديث الثوم وقال هو عندي اكثر اذى من آكل الثوم وصاحبه يمنع
من شهود الجماعة في المسجد قال المؤلف رحمه الله وفي الآثار المرسلة ان الرجل ليكذب الكذبة فيتباعد عنه
الملك من نتن ريحه فعلى هذا يخرج من عرف منه الكذب والتقول بالباطل فان ذلك يؤذي اكثر
العلماء على ان المساجد كلها سواء لحديث ابن عمر وقال بعضهم انما خرج النهي على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
من اجل جبريل ونزوله فيه ولقوله في حديث جابر فلا يقربن مسجدنا والاول اصح لانه ذكر الصفة في الحكم وهي
المسجدية وذكر الصفة في الحكم تعليل وقد روى الثعلبي باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأتي الله يوم القيامة بمساجد الدنيا كانها نجائب بيض قوائمها من العنبر واعناقها من الزعفران ورؤسها من
المسك وازمتها من الزبرجد الاخضر وقوامها والمؤذنون فيها يقودونها وائمتها يسوقونها وعمارها متعلقون بها
فتجوز عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول اهل الموقف هؤلاء ملائكة مقربون وانبياء مرسلون فينادي ما
هؤلاء بملائكة ولا انبياء ولكنهم اهل المساجد والمحافظون على الصلوات من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وهذا عام في كل مسجد وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل
يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ان الله سبحانه وتعالى يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر
وقد تقدم السادسة وتصان المساجد عن البيع والشراء ايضا وجميع الاشتغال لقوله صلى الله عليه وسلم
للرجل الذي دعا الى الجمل الاحمر لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له خرجه مسلم من حديث سليمان بن بريدة
عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى قام رجل فقال من دعا الى الجمل الاحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له وهذا يدل على ان الاصل ان لا يعمل في المساجد غير الصلوات والاذكار وقراءة القرآن
وكذا جاء مفسرا من حديث انس قال بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء اعرابي فقام يبول
في المسجد فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مه مه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه دعوه فتركوه
حتى بال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر
انما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فامر رجلا من القوم فجاء بدلو
من ماء فشنه عليه خرجه مسلم ومما يدل على هذا من الكتاب قوله الحق وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وقوله صلى الله عليه
وسلم لمعاوية بن الحكم السلمي ان هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراءة
القرآن او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله خرجه مسلم في صحيحه وحسبك وسمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال ما هذا الصوت اتدري اين انت وكان خلف بن ايوب جالسا في
مسجده فاتاه غلامه يسأله عن شيء فقام وخرج واجابه فقيل له في ذلك فقال ما تكلمت في المسجد بكلام الدنيا
منذ كذا وكذا فكرهت ان اتكلم اليوم السابعة روى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن تناشد الاشعار في المسجد وعن البيع والشراء فيه وان يتحلق الناس
يوم الجمعة قبل الصلاة قال وفي الباب عن بريدة وجابر وانس حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن قال محمد بن اسمعيل
رايت محمدا واسحاق وذكر غيرهما يحتجون بحديث عمرو بن شعيب وقد كره قوم من اهل العلم البيع والشراء في المسجد وبه
يقول احمد واسحاق وروى ان عيسى بن مريم عليهما السلام اتى على قوم يتبايعون في المساجد فجعل رداءه مخراقا
ثم جعل يسعى عليهم ضربا ويقول يا ابناء الافاعي اتخذتم مساجد الله اسواقا هذا سوق الآخرة قال المؤلف رحمه الله

وقد كره بعض اصحابنا تعليم الصبيان في المساجد ورأى انه من باب البيع وهذا اذا كان باجرة فان كان بغير اجرة
فمنع ايضا من وجه آخر وهو ان الصبيان لا يتحرزون عن الاقذار والوسخ فيؤدي ذلك الى عدم تنظيف المساجد
وقد امر صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم واقامة حدودكم
ورفع اصواتكم وخصوماتكم وجمروها في الجمع واجعلوا على ابوابها المطاهر في اسناده العلاء بن كثير مولى بني امية
وهو ضعيف عندهم ذكره ابو احمد بن عدي الجرجاني الحافظ وذكر ابو احمد ايضا من حديث علي بن ابي طالب قال
صليت العصر مع عثمان امير المؤمنين فرأى خياطا في ناحية المسجد فامر باخراجه فقال يا امير المؤمنين انه يكنس
المسجد ويغلق الابواب ويرش احيانا فقال عثمان اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جنبوا صناعكم
من مساجدكم هذا حديث غير محفوظ في اسناده محمد بن حبيب الثقفي وهو ذاهب الحديث قال المؤلف رحمه الله
ما ورد في هذا المعنى وان كان طريقه لينا فهو صحيح معنى يدل على صحته ما ذكرناه قبل قال الترمذي وقد روى عن بعض
اهل العلم من التابعين رخصة في البيع والشراء في المسجد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث رخصة في
انشاد الشعر في المسجد قال المؤلف رحمه الله اما تناشد الشعر فاختلف في ذلك فمن مانع مطلقا ومن مجيز مطلقا والاولى
التفصيل وهو ان ينظر الى الشعر فان كان مما يقتضي الثناء على الله عز وجل او على رسوله صلى الله عليه وسلم او الذب عنهما
كما كان حسان يفعل او يتضمن الحض على الخير والوعظ والزهد في الدنيا والتقلل منها فهو حسن في المساجد وغيرها
كقول القائل طِرّتي يا نفس كي اقصد فردا صمدا وذريني لست ابغي غير ربي احدا فهو انسي وجليسي ودعي الناس
فما ان تجدي من دونه ملتحدا وما لم يكن كذلك لم يجز لان الشعر في الغالب لا يخلو عن الفواحش والكذب والتزين
بالباطل ولو سلم من ذلك فاقل ما فيه اللهو والهزل والمساجد منزهة عن ذلك لقوله في بيوت اذن الله ان ترفع
وقد يجوز انشاده في المسجد لقول القائل كحمل الغراب الفرد يضربه الندى تعلى الندى في متنه وتحدرا وقول الآخر
اذا سقط الغمام بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا فهذا النوع وان لم يكن فيه حمد ولا ثناء يجوز لانه خال
من الفواحش والكذب وسيأتي ذكر الاشعار الجائزة وغيرها بما فيه كفاية في الشعراء ان شاء الله وقد روى
الدارقطني من حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ذكر عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم الشعر فقال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة وابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في السنن قال المؤلف رحمه الله واصحاب الشافعي يأثرون هذا الكلام
عن الشافعي وانه لم يتكلم به غيره وكانهم لم يقفوا على الاحاديث في ذلك والله اعلم الثامنة واما رفع الصوت
فان كان مما يقتضي مصلحة للرافع صوته دعي عليه بنقيض قصده لحديث بريدة المتقدم وحديث ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن
لهذا والى هذا ذهب مالك وجماعة حتى كرهوا رفع الصوت في المسجد في العلم وغيره واجاز ابو حنيفة واصحابه
ومحمد بن مسلمة من اصحابنا رفع الصوت فيه في الخصومة والعلم قالوا لانهم لا بد لهم من ذلك وهذا مخالف لظاهر الحديث
وقولهم لا بد لهم من ذلك ممنوع بل لهم بد من ذلك لوجهين احدهما بملازمة الوقار والحرمة وباحضار ذلك بالبال والتحرز من نقيضه
والثاني انه اذا لم يمكن من ذلك فليتخذ لذلك موضعا يخصه كما فعل عمر حيث بنى رحبة تسمى
البطيحاء وقال من اراد ان يلغط او ينشد شعرا يعني في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليخرج الى هذه
الرحبة وهذا يدل على ان عمر كان يكره انشاد الشعر في المسجد ولذلك بنى البطيحاء خارجه التاسعة واما

كم

النوم فى المسجد لمن احتاج الى ذلك من رجل او امرأة كالغربآء ومن لا بيت له فجايز لان فى البخارى وقال ابو قلابه
عن انس قدم رهط من عكل على النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا فى الصفه وقال عبد الرحمن بن ابى بكر كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصفه فقراء وفى الصحيحين عن ابن عمر انه كان ينام وهو شاب اعزب لا اهل له فى مسجد النبى صلى
الله عليه وسلم لفظ البخارى وترجم باب نوم المرأه فى المسجد وادخل حديث عايشه فى قصه السوداء التى اتهمها اهلها
بالوشاح قالت عايشه رضى الله عنها وكان لها خباء فى المسجد فتش الحديث وقيل كان بيت عطاء بن رباح فى
المسجد اربعين سنه العاشرة روى مسلم عن ابى حميد او عن ابى اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل احدكم المسجد فليقل اللهم افتح لى ابواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم انى اسألك من فضلك خرجه ابو داود
كذلك الا انه زاد بعد قوله اذا دخل احدكم المسجد فليسلم وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لى
الحديث وروى ابن ماجه عن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
المسجد قال بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرج قال بسم الله
والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وفضلك وروى عن ابى هريره ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى ابواب رحمتك
واذا خرج فليسلم على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم وخرج ابو داود عن حيوه قال
لقيت عقبه بن مسلم فقلت له بلغنى انك عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال نعم قال فاذا قال ذلك
قال الشيطان حفظ منى ساير اليوم الحادية عشرة روى مسلم عن ابى قتاده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وعنه قال دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
بين ظهرانى الناس قال فجلست فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تركع ركعتين قبل ان تجلس فقلت يا رسول
الله رايتك جالسا والناس جلوس قال فاذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين قال العلماء فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم للمسجد مزيه يتميز بها عن ساير البيوت وهو ان لا يجلس حتى يركع وعامة العلماء على ان الامر
بالركوع على الندب والترغيب وقد ذهب داود واصحابه الى ان ذلك على الوجوب وهذا باطل ولو كان الامر على ما
قالوه لحرم دخول المسجد على المحدث الحدث الاصغر حتى يتوضا ولا قايل به فيما اعلم والله اعلم فان قيل فقد روى ابرهيم
بن يزيد عن الاوزاعى عن يحيى بن كثير عن ابى سلمه بن عبيد عن ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين واذا دخل احدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله سبحانه وتعالى جاعل
له فى ركعتيه فى بيته خيرا وهذا يقتضى التسويه بين المسجد والبيت قيل له هذه الزياده فى الركوع عند دخول البيت
لا اصل لها قال ذلك البخارى وانما يصح فى هذا حديث لابى قتاده الذى تقدم لمسلم وابراهيم هذا لا اعلم له روى عنه
الا سعد بن عبد الحميد ولا اعلم له الا هذا الحديث الواحد قاله ابو محمد عبد الحق الثانية عشرة روى سعيد بن زبان
حدثنى ابى عن ابيه عن جده عن ابى هريره رضى الله عنه قال حمل تميم يعنى الدارى من الشام الى المدينه قناديل وزيتا ومقطا
فلما انتهى الى المدينه وافق ذلك ليله الجمعه فامر غلاما يقال له ابو البراد فقام فنشط المقط وعلق القناديل و
صب فيها الماء والزيت وجعل فيها الفتيل فلما غربت الشمس امر ابا البراد فاسرجها وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المسجد فاذا هو يزهر فقال من فعل هذا فقالوا تميم الدارى يا رسول الله فقال نورت الاسلام نور

الله عليك فى الدنيا والآخرة اما انه لو كانت لى ابنه لزوجتكها قال نوفل بن الحارث لى ابنه يا رسول الله تسمى
المغيرة فافعل فيها ما اردت فانكحه اياها زبان بفتح الزاء والباء وتشديدها بنقطه واحدة من تحتها تفرد بالتسمى
به سعيد وحده وهو ابو عثمن سعيد بن زبان بن فايد بن زبان بن ابى هند وابو هند هذا مولى بنى بياضه
حجام النبى صلى الله عليه وسلم والمقط جمع المقاط وهو الحبل وكانه مقلوب القماط وروى ابن ماجه عن ابى سعيد
الخدرى قال اول من سرج فى المساجد تميم الدارى وروى عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من اسرج
فى مسجد سراجا لم تزل الملئكه وحمله العرش يصلون عليه ويستغفرون له ما دام ذلك الضوء فيه وان كنس غبار
المساجد نقد الحور العين قال العلمآء ويستحب ان ينور البيت الذى يقراء فيه القرآن بتعليق القناديل و
نصب الشموع فيه ويزاد فى شهر رمضان فى انوار المساجد الثالثة عشرة قوله تعالى يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ اختلف العلمآء فى وصف الله سبحانه وتعالى المسبحين فقيل هم المراقبون
امر الله الطالبون رضاه الذى لا يشغلهم عن الصلاه وذكر الله شئ من امور الدنيا وقال كثير من الصحابه نزلت
هذه الآيه فى اهل الاسواق الذين اذا سمعوا النداء بالصلاه تركوا كل شغل وبادروا وراى سالم بن عبد الله
اهل الاسواق وهم مقبلون الى الصلاه فقال هؤلاء الذين اراد الله بقوله لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ
الله وروى ذلك عن ابن مسعود وقراء عبد الله بن عامر وعاصم فى روايه ابى بكر عنه والحسن يسبح له فيها بفتح
البآء على ما لم يسم فاعله وكان نافع وابو عمرو وحمزة يقرؤن يسبح بكسر الباء وكذلك روى ابو عمرو عن عاصم فمن قراء
يسبح بفتح الباء كان على معنيين احدهما ان يرفع رجال بفعل مضمر دل عليه الظاهر المعنى يسبحه رجال فيوقف على هذا
على الاصال وقد ذكر سيبويه مثل هذا وانشد لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومختبطٌ مما تطيحُ الطوايحُ المعنى يبكيه
ضارع وعلى هذا يقال ضُرب زيد عمرو على معنى ضربه عمرو والوجه الآخر ان يرتفع رجال بالابتداء والخبر فى بيوت اى
فى بيوت اذن الله ان ترفع رجال ويسبح له فيها حال من الضمير اى يرفع كانه قال ان يرفع له مسبحا له فيها ولا يوقف على هذا
التقدير على الآصال ومن قراء يسبح بكسر الباء لم يقف على الاصال لان يسبح فعل للرجال والفعل يضطر الى فاعله ولا اضمار فيه
وقد تقدم القول فى الغدو والاصال فى آخر الاعراف والحمد لله الرابعة عشرة قوله يسبح له فيها قيل معناه يصلى و
قال ابن عباس كل تسبيح فى القرآن صلاة ويدل عليه قوله بالغدو والآصال اى بالغداه والعشى وقال اكثر المفسرين
اراد الصلاه المفروضه فالغدو صلاه الصبح والآصال صلاه الظهر والعصر والعشائين لان اسم الاصال يجمعها الخامسة
عشرة روى ابو داود عن ابى امامه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته متطهرا الى صلاة
مكتوبه فاجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه فاجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة كتاب
فى عليين وخرج عن بريده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيمة
وفى صحيح مسلم عن ابى هريره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له نزلا فى الجنه كلما غدا
وراح فى غير الصحيح من الزياده كما ان احدكم لو زار من يحب زيارته لاجتهد فى كرامته ذكره الثعلبى وخرج مسلم من حديث
ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطهر فى بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضه
من فرايض الله كان خطواته احدها تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاه الرجال فى جماعه تزيد على صلاته فى بيته وصلوته فى سوقه بضعا وعشرين درجه وذلك ان احدهم اذا
توضاء فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد لا ينهزه الا الصلاه فلم يخط خطوه الا رفعه الله بها درجه وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل

الاصال

المسجد فاذا دخل المسجد كان فى الصلاه ما كانت الصلاه هى تحتسبه والملئكه يصلون على احدكم ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه
يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفرله اللهم تب عليه مالم يوذ فيه مالم يحدث فيه فى روايه ما يحدث قال يفسو ويضرط وقال حكيم
بن زريق قيل لسعيد بن المسيب احضور الجنازه احب اليك ام الجلوس فى المسجد فقال من صلى على جنازه فله قيراط من
الاجر ومن شهد دفنها كان له قيراطان والجلوس فى المسجد احب الىّ لان الملائكه يقولون اللهم اغفرله اللهم ارحمه اللهم
تب عليه وروى عن الحكم بن عمير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا فى الدنيا اضيافا
واتخذوا المساجد بيوتا وعودوا قلوبكم الرقه واكثروا التفكر والبكاء ولا تختلف بكم الاهواء تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون
وتاملون ما لا تدركون وقال ابو الدرداء لابنه ليكن المسجد بيتك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المساجد
بيوت المتقين من كانت المساجد بيته ضمن الله تعالى له بالروح والراحة والجواز على الصراط وكتب ابو صادق الازدى الى
شعيب بن الحبحاب عليك بالمساجد فالزمها فانه بلغنى انها كانت مجالس الانبياء وقال ابو ادريس الخولانى المساجد مجالس الكرام
من الناس وقال مالك بن دينار بلغنى ان الله تبارك وتعالى يقول انى اهم بعذاب عبادى فانظر الى عمار المساجد وجلساء
القرآن وولدان الاسلام فيسكن غضبى وروى عنه عليه السلام انه قال سيكون فى آخر الزمان رجال ياتون المساجد فيقعدون
فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبها فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجه وقال ابن المسيب من جلس فى مسجد فانما يجالس ربه فما حقه ان
يقول الا خيرا وقد مضى فى تعظيم المساجد وحرمتها ما فيه كفايه وقد جمع بعض العلماء فى ذلك خمس عشره خصله فقال من حرمة المسجد
ان يسلم وقت الدخول ان كان القوم جلوسا وان لم يكن فى المسجد احد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وان يركع
ركعتين قبل ان يجلس وان لا يشترى فيه ولا يبيع ولا يسل فيه سهما ولا سيفا ولا يطلب فيه ضاله ولا يرفع فيه صوتا بغير ذكر الله
ولا يتكلم فيه باحاديث الدنيا ولا يتخطى رقاب الناس ولا ينازع فى المكان ولا يضيق على احد فى الصف ولا يمر بين يدى مصلى
ولا يبزق ولا يتنخم ولا يتمخط ولا يفرقع اصابعه او يعبث بشى من جسده وان ينزه عن النجاسات والصبيان والمجانين واقامة
الحدود وان يكثر ذكر الله سبحانه وتعالى ولا يغفل عنه فاذا فعل هذه الخصال فقد ادى حق المسجد وكان المسجد حرزا له و
حصنا من الشيطان الرجيم وفى الخبر ان مسجدا ارتفع باهله الى السماء يشكوهم الى الله لما يتحدثون فيه من احاديث الدنيا
وروى الدارقطنى عن عامر الشعبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعه ان يرى الهلال قبلا
فيقال لليلتين وان تتخذ المساجد طرقا وان يظهر موت الفجاءه هذا يرويه عبد الكبير بن المعافى عن شريك عن العباس بن
ذريح عن الشعبى عن انس وغيره يرويه عن الشعبى مرسلا والله اعلم وقال ابو حاتم عبد الكبير بن معافى ثقه كان يعد من
الابدال وفى البخارى عن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مر فى شى من مساجدنا او اسواقنا بنبل فليأخذ
على نصالها لا يعقر بكفه مسلما وخرج مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البزاق فى المسجد خطيئه و
كفارتها دفنها وعن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عرضت علىّ اعمال امتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن
اعمالها الاذى يماط عن الطريق ووجدت فى مساوى اعمالها النخاعه تكون فى المسجد لا تدفن وخرج ابو داود عن الفرج
بن فضاله عن ابى سعيد الخدرى قال رايت واثله بن الاسقع فى مسجد دمشق بصق على الحصير ثم مسحه برجله فقيل
له لم فعلت هذا قال لانى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله فرج بن فضاله ضعيف وايضا فلم يكن فى مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم حصر والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بصق على الارض بنعله اليسرى ولعل واثله انما اراد
هذا فحمل الحصير عليه السادسه عشره لما قال سبحانه وتعالى رجال وخصهم بالذكر دل على ان النساء لا حظ لهن فى المساجد
اذ لا جمعه عليهن ولا جماعه وان صلاتهن فى بيوتهن افضل روى ابو داود عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صلاة

المرأه فى بيتها افضل من صلاتها فى حجرتها وصلاتها فى مخدعها افضل من صلاتها فى بيتها السابعه عشره قوله تعالى
لَا تُلْهِيهِمْ اى تشغلهم تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ خص التجاره بالذكر لانها اعظم ما يشتغل بها الانسان
عن الصلاه فان قيل فلم كرر ذكر البيع والتجاره تشمله قيل له اراد بالتجاره الشراء لقوله ولا بيع نظيره قوله سبحانه و
تعالى وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا قاله الواقدى وقال الكلبى التجار هم الجلاب المسافرون
والباعه هم المقيمون عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ اختلف فى تاويله فقال عطاء يعنى حضور الصلاه وقاله ابن عباس وقال
المكتوبه وقيل عن الاذان ذكره يحيى بن سلام وقيل عن ذكره باسمائه الحسنى اى يوحدونه ويمجدونه والايه
نزلت فى اهل الاسواق قاله ابن عمر قال سالم جاء عبد الله بن عمر بالسوق وقد اغلقوا حوانيتهم وقاموا ليصلوا
فى جماعه فقال نزلت فيهم رجال لا تلهيهم تجاره الايه وقال ابو هريره عن النبى صلى الله عليه وسلم هم الذين يضربون
فى الارض يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وقيل ان رجلين كانا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم احدهما بياع فاذا سمع النداء
بالصلاه فان كان الميزان فى يده طرحه ولا يضعه وضعا وان كان بالارض لم يرفعه وكان الآخر قينا يعمل السيوف
للتجاره فكان اذا كانت مطرقته على السندان ابقاها موضوعه وان كان قد رفعها القاها من وراء ظهره اذا سمع
الاذان فانزل الله هذا ثناء عليهما وعلى كل من اقتدى بهما الثامنه عشره قوله تعالى وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
هذا يدل على ان المراد بقوله عن ذكر الله غير الصلاه لانه يكون تكرارا يقال اقام الصلاة اقامه والاصل اقوامه
نقلت حركه الواو الى القاف فانقلبت الواو الفا وبعدها الف ساكنه فحذفت احداهما واثبتت الهاء لئلا تحذفها فتجحف
فلما اضيفت قام المضاف مقام الهاء فجاز حذفها وان لم تضف لم يجز حذفها الا ترى انك تقول وعد عده ووزن زنه
فلا يجوز حذف الهاء لان الاصل وعد وعده ووزن وزنه فان اضيفت حذفت الهاء وانشد الفراء ان الخليط اجدوا
البين وانجردوا واخلفوك عد الامر الذى وعدوا يريد عده فحذف الهاء لما اضاف روى من حديث ابن انس قال
قال النبى صلى الله عليه وسلم ياتى الله يوم القيامه بمساجد الدنيا كانها نجب بيض قوائمها من العنبر واعناقها من
الزعفران ورؤسها من المسك وازمتها من الزبرجد الاخضر وقوامها والمؤذنون فيها يقودونها وائمتها يسوقونها
وعمارها يتعلقون بها فتجوز عرصات القيامه كالبرق الخاطف فيقول اهل الموقف هؤلاء ملائكه مقربون او انبياء
مرسلون فينادى ما هؤلاء بملائكه ولا انبياء ولكنهم اهل المساجد والمحافظون على الصلوات من امه محمد صلى الله عليه
وسلم وعن على رضى الله عنه قال ياتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه يعمرون
مساجدهم وهى من ذكر الله خراب شر اهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنه واليهم تعود يعنى انهم يعلمون ولا يعملون
بواجبات ما علموا التاسعه عشره قوله تعالى وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ قيل الزكاه المفروضه قاله الحسن وقال
ابن عباس الزكاه هنا طاعه الله والاخلاص اذ ليس لكل مؤمن مال يَخَافُونَ يَوْمًا يعنى يوم القيامه تَتَقَلَّبُ
فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ يعنى من هوله وحذر الهلاك والتقلب التحول والمراد قلوب الكفار وابصارهم
فتقلب القلوب انتزاعها من اماكنها الى الحناجر فلا هى ترجع الى اماكنها ولا هى تخرج واما تقلب الابصار فالزرق بعد
الكحل والعمى بعد البصر وقيل تتقلب القلوب بين الطمع فى النجاه والخوف من الهلاك والابصار تنظر من اى ناحيه يعطون كتبهم
والى اى ناحيه يوخذ بهم وقيل ان قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك ابصارهم لرؤيتهم اليقين
وذلك مثل قوله تعالى فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ فما كان يراه فى الدنيا غيا يراه رشدا
الا ان ذلك لا ينفعهم فى الآخره وقيل تتقلب على جمر جهنم كقوله يوم تقلب وجوههم فى النار وتقلب افئدتهم و

ابصارهم وفي قول من جعل المعنى تقلبها على لهب النار وقيل تقلب بان تلفحها النار مرة وتنضجها اخرى وقيل ان تقلب القلوب والابصار وجيبها وتقلب الابصار والنظر بها الى نواحي الاهوال **ليجزيهم الله احسن ما عملوا** فذكر الجزاء على الحسنات ولم يذكر الجزاء على السيآت وان كان يجازي عليها لامرين احدهما انه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة الثاني انه في صفة قوم لا يكون منهم الكبائر وكانت صغائرهم مغفورة **ويزيدهم من فضله** يحتمل وجهين احدهما ما يضاعفه من الحسنة بعشر امثالها الثاني ما يتفضل به من غير جزاء **والله يرزق من يشاء بغير حساب** اي من غير ان يحاسب على ما اعطاه اذ لا نهاية لعطائه وروى انه لما نزلت هذه الآية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء مسجد قباء فحضر عبد الله بن رواحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افلح من بنا المسجد قال نعم يا بن رواحة قال وصلى فيها قائما وقاعدا قال نعم يا بن رواحة قال ولم يبت لله الا ساجدا قال نعم يا بن رواحة كف عن السجع فما اعطى عبد شيئا شرا من طلاقة في لسانه ذكره الماوردي قوله تعالى **والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة** لما ضرب مثل المؤمن ضرب مثل الكافر مقاتل نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس كان يترهب ملتمسا للدين فلما خرج صلى الله عليه وسلم كفر ابو سهل في اهل الكتاب الضحاك في اعمال الخير للكافر كصلة الرحم ونفع الحيوان والسراب ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر كالماء في المفاوز يلصق بالارض والآل الذي يكون ضحى كالماء الا انه يرتفع عن الارض حتى يصير كانه بين الارض والسماء وسمي السراب سرابا لانه يسرب اي يجري كالماء يقال سرب الفحل اي مضى وسار في الارض ويسمى الآل ايضا ولا يكون الا في البرية والحر فيغتر به العطشان قال الشاعر وكنت كمهريق الذي في سقائه لرقراق آل فوق رابية صلد وقال اخر فلما كففنا الحرب كانت عهودهم كلمع سراب بالفلا متألق قال امرؤ القيس الم انض المطي بكل خرق طويل الطول لماع السراب والقيعة جمع القاع مثل جيرة وجار قاله الهروي وقال ابو عبيدة قيعة وقاع واحد حكاه النحاس والقاع ما انبسط من الارض واتسع ولم يكن فيه نبت وفيه يكون السراب واصل القاع الموضع المنخفض من الارض الذي يستنقع فيه الماء وجمعه قيعان قال الجوهري والقاع المستوي من الارض والجمع اقوع واقواع وقيعان صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والقيعة مثل القاع وهو ايضا من الواو وبعضهم يقول هو جمع **يحسبه الظمآن ماء** اي العطشان ماء اي يحسب السراب ماء **حتى اذا جاءه لم يجده شيئا** مما قدره ووجد ارضا لا ماء فيها وهذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للكفار يعولون على ثواب اعمالهم فاذا قدموا على الله سبحانه وتعالى وجدوا ثواب اعمالهم محبطة بالكفر اي لم يجدوا شيئا كما لم يجد صاحب السراب الا ارضا لا ماء فيها فهو يهلك او يموت **ووجد الله عنده** اي وجد الله بالمرصاد **فوفاه حسابه** اي جزاء عمله قال امرؤ القيس فولى مدبرا يهوي حثيثا وايقن انه لاقى الحسابا وقيل وجد وعد الله بالجزاء على عمله وقيل وجد امر الله عند حشره والمعنى متقارب وقرئ بقيعات المهدوي يجوز ان تكون الالف مشبعة من فتحة العين ويجوز ان تكون مثل رجل عزه وعزهاة للذي لا يقرب النساء ويجوز ان يكون جمع قيعة الجوهري رجل عزهاة وعزهاء وعزهى منون لا يطرب للهو ويبعد عنه والجمع عزاهي مثل سعلاة وسعالي وعزهون بالضم الكسائي رجل فيه عنز وهة اي كبر ويكون على هذا بالتاء في الوصل والوقف وروى عن نافع وابي جعفر وشيبة الظمان بغير همز والمشهور عنهما الهمز يقال ظمئ يظمأ ظمأ فهو ظمآن وان خففت الهمز قلت الظمان وقوله **والذين كفروا اعمالهم** ابتداء ثان والكاف من كسراب الخبر والجملة خبر عن الذين ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا من الذين كفروا اي واعمال الذين كفروا كسراب فحذف المضاف قوله تعالى **او كظلمات في بحر لجي** ضرب تعالى مثلا آخر للكفار اي اعمالهم

كسراب بقيعة او كظلمات قال الزجاج ان شئت مثل بالسراب وان شئت مثل بهذه الظلمات فاو للاباحة حسب ما تقدم من القول في او كصيب من السماء وقال الجرجاني الآية الاولى في ذكر اعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر على اعمالهم لان الكفر ايضا من اعمالهم وقد قال الله سبحانه وتعالى يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان وقال ابو علي او كظلمات اي وكذا ظلمات ودل على هذا المضاف قوله سبحانه وتعالى **اذا اخرج يده لم يكد يراها** فالكناية تعود الى المضاف المحذوف قال القشيري فعند الزجاج التمثيل وقع لاعمال الكفار وعند الجرجاني لكفر الكافر وعند ابي علي للكافر وقال ابن عباس في رواية هذا مثل قلب الكافر **بحر لجي** قيل هو منسوب الى اللجة وهذا الذي لا يدرك قعره واللجة معظم الماء والجمع لجج والتج البحر اذا تلاطمت امواجه ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ركب البحر اذا التج فقد برئت منه الذمة والتج الامر اذا عظم واختلط وقوله حسبته لجة اي ماء عميقا وبحج السفينة اي خاضت اللجة بضم اللام فاما اللجة بفتح اللام فاصوات الناس تقول سمعت لجة الناس اي اصواتهم وصخبهم قال ابو النجم في لجة امسك فلانا عن فل والتجت الاصوات اي اختلطت وعظمت **يغشاه موج** اي يعلو ذلك البحر اللجي **موج من فوقه موج** اي من فوق الموج موج ومن فوق هذا الموج الثاني سحاب فيجتمع خوف الموج وخوف الريح وخوف السحاب وقيل المعنى يغشاه موج من بعده فيكون الموج يتبع بعضه بعضا حتى كان بعضه فوق بعض وهو اخوف ما يكون اذا توالى موجه وتقارب ومن فوق هذا الموج سحاب وهو اعظم للخوف من وجهين احدهما انه غطى النجوم الذي يهتدى بها الثاني الريح تنشؤ مع السحاب والمطر الذي ينزل منه **ظلمات بعضها فوق بعض** قراء ابن محيصن والبزي عن ابن كثير سحاب ظلمات بالاضافة والخفض وقبل سحاب منونا ظلمات بالجر والتنوين الباقون بالرفع والتنوين قال المهدوي من قراء من فوقه سحاب ظلمات بالاضافة فلان السحاب يرتفع وقت هذه الظلمات فاضيف اليها كما يقال سحاب رحمة اذا ارتفع في وقت المطر ومن قراء سحاب ظلمات جر ظلمات على التاكيد لظلمات الاول او البدل منها وسحاب ابتداء ومن فوقه الخبر ومن قراء سحاب ظلمات وظلمات خبر ابتداء محذوف التقدير هي ظلمات او هذه ظلمات قال ابن الانباري ومن فوقه موج غير تام لان قوله من فوقه سحاب صلة للموج والوقف على قوله من فوقه سحاب حسن فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على السحاب ثم قيل المراد بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر ولا يبصر من كان في هذه الظلمات شيئا ولا كوكبا وقيل المراد بالظلمات الشدائد اي شدائد بعضها فوق بعض وقيل المراد بالظلمات اعمال الكافر وبالبحر اللجي قلبه وبالموج فوق الموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه روى معناه عن ابن عباس وغيره اي لا يبصر بقلبه نور الايمان كما ان صاحب الظلمات في البحر اذا اخرج يده لم يكد يراها وقال ابي ابن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيمة الى الظلمات في النار وبئس المصير اذا اخرج يده يعني الناظر لم يكد يراها اي من شدة الظلمات قال الزجاج وابو عبيدة المعنى لم يراها ولم يكد وهو معنى قول الحسن ومعنى لم يكد لم يطمع ان يراها وقال الفراء كاد صلة اي لم يراها كما تقول ما كدت اعرفه وقال المبرد يعني لم يرها الا من بعد الجهد كما تقول ما كدت اراك من الظلمة وقد رآه بعد ياس وشدة وقيل معناه قرب من الروية ولم ير كما يقال كاد العروس يكون اميرا وكاد النعام يطير وكاد المنتعل يكون راكبا النحاس واصح الاقوال في هذا ان المعنى لم يقارب رؤيتها فاذا لم يقارب رؤيتها فلم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة **ومن لم يجعل الله له نورا** يهتدى به اظلمت عليه الامور وقال ابن عباس اي من لم يجعل الله له دينا فما له من دين ومن لم يجعل الله له نورا يمشي

ثم تبتدئ ظلمات بعضها فوق بعض على معنى هي ظلمات بعضها فوق بعض ص

به يوم القيامة لم يهتد الى الجنة كقوله ويجعل لكم نورا تمشون به وقال الزجاج ذلك في الدنيا والمعنى من لم يهده الله لم يهتد وقال مقاتل بن سليمان نزلت في عتبة بن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح ثم كفر في الاسلام الماوردي في شيبة بن ربيعة وكان يترهب في الجاهلية ويلبس الصوف ويطلب الدين وكفر في الاسلام قال المؤلف رحمه الله وكلاهما مات كافرا ولا يبعد ان يكونا هما المراد بالآية وغيرهما وقيل نزلت في عبد الله بن جحش كان اسلم وهاجر الى ارض الحبشة ثم تنصر بعد اسلامه وذكر الثعلبي وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني من نور وخلق ابا بكر من نوري وخلق عايشة من نور ابي بكر وخلق المؤمنين من امتي من نور عمر وخلق المؤمنات من امتي من نور عايشة فمن لم يحبني ويحب ابا بكر وعمر وعايشة فما له من نور فنزلت ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قوله تعالى **ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات** لما ذكر وضوح الآيات زاد في الحجة والتبيان وبين ان مصنوعاته تدل بتغيرها على ان لها صانعا قادرا على الكمال فله بعثة الرسل وقد بعثهم وايدهم بالمعجزات واخبروا بالجنة والنار والخطاب في الم تعلم للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه الم تعلم والمراد الكل ان الله يسبح له من في السموات والارض من الملكة ومن في الارض من الجن والانس والطير صافات قال مجاهد وغيره الصلاة للانسان والتسبيح لما سواه من الخلق وقال سفيان للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود وقيل ان ضربها باجنحتها صلاة وان اصواتها تسبيح حكاه النقاش وقيل التسبيح ههنا ما يرى في المخلوقين من اثر الصنعة ومعنى صافات مصطفات الاجنحة في الهواء وقراءة الجماعة والطير بالرفع عطفا على من وقال الزجاج ويجوز والطير بمعنى مع الطير قال النحاس وسمعته يخبر قمت وزيدا بمعنى مع زيد قال وهو اجود من الرفع قال فان قلت قمت انا وزيد كان الاجود الرفع ويجوز النصب **كل قد علم صلاته وتسبيحه** يجوز ان يكون المعنى كل قد علم الله صلاته وتسبيحه اي علم صلاة المصلي وتسبيح المسبح ولهذا قال **والله عليم بما يفعلون** اي لا يخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم ومن هذه الجهة يجوز نصب كل عند البصريين والكوفيين باضمار فعل يفسره ما بعده قال مجاهد الصلاة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه وقيل المعنى قد علم كل مصل ومسبح صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلف به وقراء بعض الناس كل قد علم صلاته وتسبيحه وذكر بعض النحويين ان بعضهم قرا كل قد علم صلاته وتسبيحه ويجوز ان يكون تقديره كل قد علمه الله صلاته وتسبيحه ويجوز ان يكون المعنى كل قد علم غيره صلاته وتسبيحه اي صلاة نفسه فيكون التعليم هو الافهام والمراد الخصوص لان من الناس من لم يعلم ويجوز ان يكون المعنى كل قد استدل منه المستدل فعبر عن الاستدلال بالتعليم قاله المهدوي والصلاة هنا بمعنى التسبيح وكرر تاكيدا كقوله يعلم السر والنجوى والصلاة قد تسمى تسبيحا قاله القشيري **ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير** تقدم في غير موضع قوله تعالى **ألم تر أن الله يزجي سحابا** ذكر من حججه شيئا اخر الم تر بمعنى الم تعلم يزجي سحابا اي يسوق سحابا الى حيث يشاء والريح تزجي السحاب والبقرة تزجي ولدها اي تسوقه ومنه زجا الخراج يزجو زجاء ممدودا اذا تيسرت جبايته وقال النابغة

اني اتيتك من اهلي ومن وطني ... ازجي حشاشة نفس ما بها رمق

وقال ايضا

اسرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجي الشمال عليه جامد البرد

ثم يؤلف بينه اي يجمعه عند انتشائه ليقوى ويتصل ويكثف والاصل في التاليف الهمز تقول تألف وقراء يولف بالواو تخفيفا والسحاب واحد في اللفظ ولكن معناه جمع ولهذا قال وينشئ السحاب الثقال وبين لا يقع الا لاثنين فصاعدا فكيف جاز بينه والجواب ان بينه ههنا جماعة السحاب كما تقول الشجر قد جلست بينه لانه جمع وذكر الكناية على اللفظ قال معناه الفراء وجواب اخر وهو ان يكون السحاب واحدا فجاز ان يقال بينه لانه مشتمل على قطع كثيرة كما قال بين الدخول فحومل فاوقع بين على الدخول وهو واحد لاشتماله على مواضع وكما تقول ما زلت ادور بين الكوفة لان الكوفة اماكن كثيرة قاله الزجاج وغيره وزعم الاصمعي ان هذا لا يجوز وكان يروي بين الدخول وحومل **ثم يجعله ركاما** اي مجتمعا يركب بعضه بعضا كقوله سبحانه وتعالى **وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم** والركم جمع الشيء يقال منه ركم الشيء يركمه ركما اذا جمعه والقى بعضه على بعض وارتكم الشيء وتراكم اذا اجتمع والركمة الطين المجموع والركام الرمل المتراكب كذلك السحاب وما اشبهه ومرتكم الطريق بفتح الكاف جادته **فترى الودق يخرج من خلاله** في الودق قولان احدهما انه البرق قاله ابو الاشهب العقيلي ومنه قول الشاعر

اثرن عجاجة وخرجن منها ... خروج الودق من خلل السحاب

الثاني انه المطر قاله الجمهور ومنه قول الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا ارض ابقل ابقالها

وقال امرؤ القيس

فدمعهما ودق وسح وديمة ... وسكب وتوكاف وتنهملان

يقال ودقت السحابة فهي وادقة وودق المطر يدق ودقا اي قطر وودقت اليه اي دنوت منه وفي المثل ودق العير الى الماء اي دنا منه يضرب لمن خضع للشيء لحرصه عليه والموضع مودق وودقت به ودقا استأنست به ويقال لذات الحافر اذا ارادت الفحل ودقت تدق ودقا واودقت واستودقت وأتان ودوق وفرس ودوق ووديق ايضا وبها وداق والوديقة شدة الحر وخلال جمع خلل مثل جبل وجبال وهي فرجه ومخارج القطر منه وقد تقدم في البقرة ان كعبا قال ان السحاب غربال المطر لولا السحاب حين ينزل الماء من السماء لافسد ما يقع عليه من الارض وقراء ابن عباس والضحاك وابو العالية من خلله على التوحيد وتقول كنت في خلال القوم اي وسطهم **وينزل من السماء من جبال فيها من برد** قيل خلق الله في السماء جبالا من برد فهو ينزل منها بردا وفيه اضمار اي ينزل من جبال البرد بردا فالمفعول محذوف ونحو هذا قول الفراء لان التقدير عنده من جبال برد فالجبال عنده هي البرد وبرد في موضع خفض ويجب ان يكون على قوله المعنى من جبال برد فيها بجبال وقيل ان الله سبحانه وتعالى خلق في السماء جبالا فيها برد فيكون التقدير وينزل من السماء من جبال فيها برد ومن صلة وقيل المعنى وينزل من السماء قدر جبال او مثل جبال من برد الى الارض فمن الاولى للغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض لان البرد بعض الجبال والثالثة لتبيين الجنس لان جنس تلك الجبال من البرد وقال الاخفش ان من في الجبال وبرد زايدة في الموضعين والجبال والبرد في موضع نصب اي ينزل من السماء بردا يكون كالجبال والله اعلم **فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء** فيكون اصابته نقمة وصرفه نعمة وقد مضى في البقرة والرعد ان من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد **يكاد سنا برقه** اي ضوء ذلك البرق الذي في السحاب **يذهب بالأبصار** من شدة بريقه وضوئه قال الشماخ

وما كادت اذا رفعت سناها ... ليبصر ضوءها الا البصير

وقال امرؤ القيس

يضيء سناه او مصابيح راهب ... اهان السليط في الذبال المفتل

فالسنا مقصور ضوء البرق والسنا ايضا نبت يتداوى به والسناء من الرفعة ممدود وكذلك قراءة طلحة بن مصرف بالمد على المبالغة في شدة الضوء والصفاء فاطلق عليه اسم الشرف قال المبرد السنا مقصور وهو اللمع فاذا كان من الشرف والحسب فهو ممدود واصلهما واحد وهو الالتماع وقراء طلحة بن مصرف سنا برقه قال احمد بن يحيى وهو جمع برقة قال النحاس البرقة المقدار من البرق والبرقة المرة الواحدة وقراء الجحدري وابن القعقاع يذهب بالابصار بضم الياء وكسر الهاء من الاذهاب وتكون الباء في بالابصار صلة زايدة الباقون يذهب بالابصار بفتح الياء

والباء للالصاق والبرق دليل على تكاثف السحاب وتذير بقوة المطر ومحذر من نزول الصواعق يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ قيل تقليبهما ان يأتي باحدهما بعد الآخر وقيل تقليبهما زيادتهما ونقصانهما وقيل هو تغيير النهار بظلمة السحاب
مرة وبضوء الشمس اخرى وكذا الليل مرة تتغير بظلمة السحاب ومرة بضوء القمر قاله النقاش وقيل تقليبهما باختلاف ما تقدر
فيهما من خير وشر ونفع وضر إِنَّ فِي ذَٰلِكَ اى في الذى ذكرناه من تقلب الليل والنهار واحوال المطر والصيف والشتاء
لَعِبْرَةً اى اعتبارا لِأُولِي الْأَبْصَارِ اى لاهل البصاير من خلقي قوله تعالى وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ
قرأ يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي والله خالق كل بالاضافة الباقون خلق على الفعل قيل ان المعنيين في
القراءتين صحيحان اخبر الله عز وجل بخبرين ولا ينبغي ان يقال في هذا احد القراءتين اصح من الاخرى وقد قيل ان خلق لشيء
مخصوص وانما يقال خالق على العموم كما قال جل وعز الخالق البارئ وفي الخصوص الحمد لله الذى خلق السموات والارض وكذا
هو الذى خلقكم من نفس واحدة وكذا يجب ان يكون الله خلق كل دابة من ماء والدابة كل ما دب على الارض من الحيوان
يقال دب يدب فهو داب والهاء للمبالغة وقد تقدم في البقرة من ماء لم يدخل هذا الجن والملائكة لانا لم نشاهدهم ولم يثبت
انهم خلقوا من ماء بل في الصحيح ان الملائكة خلقوا من نور والجان من نار وقد تقدم وقال المفسرون من ماء اى من نطفة
قال النقاش اراد امنية الذكور وقال جمهور النظرة اراد ان خلقة كل حيوان فيها ماء كما خلق الله آدم من الماء والطين
وهذا تخرج قول النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ الذى سأل في غزاة بدر ممن انتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من
ماء الحديث وقال قوم لا يستثنى الجن والانس والملائكة بل كل حيوان خلق من الماء وخلق الروح من الماء اذ اول ما خلق الله سبحانه
وتعالى من العالم الماء ثم خلق كل شيء منه قلت ويدل على صحة هذا فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ المشى على البطن الحيات
والحوت ونحوه من الدود وغيره وعلى الرجلين الانسان والطير اذا مشى والاربع لساير الحيوان وفي مصحف ابي ومنهم من يمشى
على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان كالسرطان والخشاش ولكنه قرآن لم يثبته اجماع لكن قال النقاش انما اكتفى في القول
بذكر ما يمشى على اربع عن ذكر ما يمشى على اكثر لان جميع الحيوان انما اعتماده على اربع وهى قوام مشيه وكثرة الارجل في بعضه زيادة في
خلقته لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها قال ابن عطيه والظاهر ان تلك الارجل الكثيرة ليست باطلا بل هى يحتاج اليها
في تنقل الحيوان وهى كلها تحرك في تصرفه وقال بعضهم ليس في الكتاب ما يمنع من المشى على اكثر من اربع اذ لم يقل ليس منها ما يمشي على
اكثر من اربع وقيل فيه اضمار اى ومنهم من يمشى على اكثر من اربع كما وقع في مصحف ابي والله اعلم ودابة يشمل من يعقل وما لا يعقل
فغلب من يعقل لما اجتمع مع ما لا يعقل لانه المخاطب والمعتمد ولذلك قال فمنهم فاشار بالاختلاف الى ثبوت الصانع اى لولا ان للجميع
صانعا مختارا لما اختلفوا بل كانوا من جنس واحد وهو كقوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك
لآيات يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مما يريد خلقه قَدِيرٌ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ
مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تقدم بيانه في غير موضع
قوله تعالى وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ يعنى المنافقين يقولون بالسنتهم آمنا
بالله وبالرسول من غير يقين ولا اخلاص وَأَطَعْنَا اى ويقولون وكذبوا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ قوله تعالى وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وَإِذَا دُعُوا
الى الله ورسوله قال الطبري وغيره ان رجلا من المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود
خصومة في ارض فدعاه اليهودي الى التحاكم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا فابى

من ذلك وقال ان محمدا يحيف علينا فلنحكم عند كعب بن الاشرف فنزلت الآية فيه وقيل نزلت في المغيرة بن وائل
بن بنى امية كان بينه وبين على بن ابى طالب رضى الله عنه خصومة في ماء وارض فامتنع المغيرة ان يحاكم عليا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال انه يبغضنى فنزلت الآية ذكره الماوردي وقال ليحكم ولم يقل ليحكما لان المحكم هو الرسول عليه
السلام وانما بدأ بذكر الله اعظاما لله واستفتاح كلام الثانية قوله تعالى وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا
إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ اى طائعين منقادين لعلمهم انه عليه السلام يحكم بالحق يقال اذعن فلان لحكم فلان يذعن اذعانا
وقال النقاش مذعنين خاضعين مجاهد مسرعين الاخفش وابن الاعرابي مقرين أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
شك وريب أَمِ ارْتَابُوا ام حدث لهم شك في نبوته وعدله أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ
اى يجور في الحكم والظلم واتى بلفظ الاستفهام لانه اشد في التوبيخ وابلغ في الذم كقول جرير في المدح ألستم خير من
ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اى المعاندون الكافرون لاعراضهم
عن حكم الله سبحانه الثالثة القضاء يكون للمسلمين اذا كان بين المعاهد والمسلم ولا حق لاهل الذمة فيه واذا
كان بين ذميين فذلك اليهما فان جاء قاضي الاسلام فان شاء حكم وان شاء اعرض كما تقدم في المائدة الرابعة
هذه الآية دليل على وجوب اجابة الداعى الى الحاكم لان الله سبحانه وتعالى ذم من دعى الى رسوله ليحكم بينه وبين
خصمه باقبح الذم فقال أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ الآية قال ابن خويز منداد واجب من دعى الى الحاكم ان يجيب ما لم يعلم
مجلس
ان الحاكم فاسق او عداوة بين المدعى والمدعى عليه واسند الزهراوى عن الحسن بن ابى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من دعاه خصمه الى حكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم ولا حق له ذكره الماوردى ايضا قال ابن العربي وهذا
حديث باطل فاما قوله فهو ظالم فكلام صحيح واما قوله فلا حق له فلا يصح ويحتمل ان يريد انه على غير الحق قوله تعالى إِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ اى الى كتاب الله وحكم رسوله أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
قال ابن عباس اخبر بطاعة المهاجرين والانصار وان كان ذلك فيما يكرهون اى هذا قولهم وهؤلاء لو كانوا مؤمنين
لقالوا سمعنا واطعنا فالقول نصب على خبر كان واسمها في قوله ان يقولوا نحو وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا
ذنوبنا وقيل انما قول المؤمنين وكان صلة في الكلام كقوله كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا وقرأ ابن القعقاع
ليحكم بينهم غير مسمى الفاعل على بن ابى طالب انما كان قول بالرفع قوله تعالى وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فيما
امر به وحكم وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ قرأ حفص ويتقْه باسكان القاف على نية الجزم قال الشاعر ومن يتق فان الله
معه ورزق الله مؤتاب وغادي وكسرها الباقون لان جزمه بحذف آخره واسكن الهاء ابو عمرو وابو بكر واختلس الكسرة
يعقوب وقالون عن نافع والمسيبي عن ابي عمرو وحفص واشبع كسرة الهاء الباقون فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
ذكر اسلم ان عمر رضى الله عنه بينما هو قائم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واذا رجل من دهاقين الروم قائم على رأسه وهو
يقول انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال له عمر ما شأنك قال اسلمت لله قال هل لهذا سبب قال نعم
انى قرأت التوراة والزبور والانجيل وكثيرا من كتب الانبياء فسمعت اسيرا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما في الكتب
في الفرائض
المتقدمة فعلمت انه من عند الله فاسلمت قال ما هذه الآية قال قوله تعالى وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ في السنن وَيَخْشَ اللَّهَ فيما مضى
من عمره وَيَتَّقْهِ فيما بقى من عمره فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ والفائز من نجى من النار وادخل الجنة فقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم
اوتيت جوامع الكلم قوله تعالى وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ عاد الى ذكر المنافقين فانه لما بين
كراهتهم لحكم النبي صلى الله عليه وسلم اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا ونسائنا واموالنا لخرجنا ولو امرتنا بالجهاد

لجاهدنا فنزلت هذه الآية اى واقسموا بالله انهم يخرجون معك في المستانف ويطيعون جهد ايمانهم اى طاقة ما قدروا
ان يحلفوا وقال مقاتل من حلف بالله فقد اجهد في اليمين وقد مضى في الانعام بيان هذا وجهد منصوب على مذهب المصدر
تقديره اقساما بليغا قل لا تقسموا وبه تم الكلام طاعة معروفة اى طاعة معروفة اولى بكم من ايمانكم او ليكن منكم طاعة معروفة
وقول معروف باخلاص القلب لا حاجة الى اليمين وقال مجاهد المعنى قد عرفت طاعتكم وهي الكذب والتكذيب اى المعروف منكم
الكذب دون الاخلاص إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قوله تعالى قُلْ أَطِيعُوا
اللَّهَ وَالرَّسُولَ باخلاص الطاعة وترك النفاق فَإِنْ تَوَلَّوْا اى فان تتولوا فحذف احدى التائين ودل على هذا
ان بعده وعليكم ولم يقل وعليهم فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ اى من تبليغ الرسالة وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ اى من الطاعة
له عن ابن عباس وغيره وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا جعل الاهتداء مقرونا بطاعته وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ اى
التبليغ الْمُبِينُ قوله تعالى وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ الآية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما قاله مالك وقيل ان سبب هذه الآية ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه و
سلم شكا مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على انفسهم وانهم لا يضعون اسلحتهم فنزلت هذه الآية وقال ابو العالية مكث رسول ل
الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين بمكة بعدما اوحى الله اليه خائفا هو واصحابه يدعون الى الله سرا وجهرا ثم امر بالهجرة الى المدينة
وكانوا فيها خائفين يصبحون ويمسون في السلاح فقال رجل يا رسول الله ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه
السلام لن تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديدة ونزلت هذه الآية واظهر الله نبيه على جزيرة
العرب فوضعوا السلاح وامنوا قال النحاس فكان في هذه الآية دلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله جل وعز انجز
ذلك الوعد قال الضحاك في كتاب النقاش هذه الآية تتضمن خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي لانهم اهل الايمان وعملوا الصالحات
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون والى هذا القول ذهب ابن العربي في احكامه واختاره وقال
علماؤنا هذه الآية دليل على خلافة الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم وان الله استخلفهم ورضي امانتهم وكانوا على الدين الذي ارتضى
لهم لانه لم يتقدمهم احد في الفضيلة الى يومنا هذا فاستقر الامر لهم وقاموا بسياسة المسلمين وذبوا عن حوزة الدين فنفذ الوعد
فيهم واذا لم يكن هذا الوعد لهم نجز وفيهم نفذ وعليهم ورد ففيمن يكون اذن وليس بعدهم مثلهم الى يومنا هذا ولا يكون فيما بعده رضي
الله عنهم وحكى هذا القول القشيري عن ابن عباس واحتجوا بما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا قال سفينة امسك خلافة ابي بكر سنتان وخلافة عمر عشر
وخلافة عثمان اثنا عشرة سنة وخلافة علي ست سنين وقال قوم هذا وعد لجميع الامة في ملك الارض كلها تحت كلمة الاسلام
كما قال عليه الصلاة والسلام زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واختار هذا القول
ابن عطية في تفسيره حيث قال والصحيح في الآية انها في استخلاف الجمهور واستخلافهم هو ان يملكهم البلاد ويجعلهم اهلها كالذي
جرى في الشام والعراق والخراسان والمغرب قال ابن العربي قلنا لهم هذا وعد عام في النبوة والخلافة واقامة الدعوة وعموم الشريعة
فنفذ الوعد في كل احد بقدره وعلى حاله حتى في المفتين والقضاة والائمة وليس للخلافة محل تنفذ فيه الموعدة الكريمة الا من تقدم
من الخلفاء ثم ذكر قيل هذا اعتراضا وانفصالا معناه فان قيل هذا الامر لا يصح الا في ابي بكر وحده فاما عمر وعثمان فقتلا غيلة
وعلي قد نوزع في الخلافة قلنا ليس في ضمن الامن السلامة من الموت باي وجه كان واما علي فلم يكن نزاله في الحرب مذهبا للامن
وليس من شرط الامن رفع الحرب انما شرطه ملك الانسان لنفسه باختياره لا كما كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم قال
في آخر كلامه وحقيقة الحال انهم كانوا مقهورين فصاروا قاهرين وكانوا مطلوبين فصاروا طالبين فهذا نهاية الامن والعز

جيد

قال المؤلف رحمه الله فهذه الحال لم تختص بالخلفاء الاربعة رضي الله عنهم حتى يخصوا بها من عموم الآية بل شاركهم
في ذلك جميع المهاجرين بل وغيرهم الا ترى الى غزاة قريش في احد وغيرها خاصة الخندق حتى اخبر سبحانه وتعالى
عن جميعهم فقال إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ
بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ثم ان الله رد الكافرين لم ينالوا خيرا و
امن المؤمنين وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وهو المراد بقوله لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وقوله كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
مِنْ قَبْلِهِمْ يعني بني اسرائيل اذ اهلك الجبابرة بمصر واورثهم ارضهم وديارهم فقال وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ
كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وهكذا كانت الصحابة مستضعفين خائفين ثم ان الله
امنهم ومكنهم وملكهم فصح ان الآية عامة لامة محمد صلى الله عليه وسلم غير مخصوصة اذ التخصيص لا يكون الا بخبر ممن يجب
التسليم له ومن الاصل المعلوم التمسك بالعموم وجاء في معنى تبديل خوفهم بالامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قال اصحابه اما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تلبثون الا قليلا حتى يجلس الرجل منكم
في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديدة وقال عليه السلام والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى
حضرموت لا يخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون خرجه مسلم في صحيحه فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم
فالآية معجزة النبوة لانها اخبار عما سيكون فكان قوله تعالى لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ فيه قولان احدهما يعني ارض مكة
لان المهاجرين سالوا ذلك فوعدوا كما وعدت بنو اسرائيل قال معناه النقاش الثاني بلاد العرب والعجم قال ابن
العربي وهو الصحيح لان ارض مكة محرمة على المهاجرين قال النبي صلى الله عليه وسلم لكن البائس سعد بن خولة يرثي له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة وقال في الصحيح ايضا يمكث المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثا واللام في
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ جواب قسم مضمر لان الوعد قول مجازها قال الله تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم
في الارض فيجعلهم ملوكها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم
ارضهم وديارهم وقراءة العامة كما استخلف بفتح التاء واللام لقوله وعد وقوله ليستخلفنهم وقرا عيسى بن عمر وابو بكر
والمفضل عن عاصم استخلف بضم التاء وكسر اللام على الفعل المجهول وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى
لَهُمْ وهو الاسلام كما قال وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا وقد تقدم وروى سليم بن عامر عن المقداد بن الاسود
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما على وجه الارض بيت حجر ولا مدر الا ادخله الله كلمة الاسلام
بعز عزيز او ذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من اهلها واما يذلهم فيدينون بها ذكره الماوردي حجة لمن قال ان المراد
بالارض بلاد العرب والعجم وهو القول الثاني على ما تقدم آنفا وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ قراءة ابن محيصن وابن كثير ويعقوب
وابو بكر بالتخفيف من ابدل وهي قراءة الحسن واختيار ابي حاتم الباقون بالتشديد من بدل وهي اختيار ابي عبيد لانها هي
اكثر ما في القرآن قال الله سبحانه وتعالى لا تبديل لكلمات الله وقال تعالى واذا بدلنا آية مكان آية ونحوه وهما
لغتان قال النحاس وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال قراءة عاصم والاعمش وليبدلنهم مشددة وهذا القول صحيح كما تقول
أبدل لي هذا الدرهم اي ازله واعطني غيره وتقول قد بدلت بعدنا اي تغيرت غير انه قد يستعمل احدهما موضع
الآخر والذي ذكره اكثر وقد مضى هذا في النساء والحمد لله وذكرنا في سورة ابراهيم الدليل من السنة على ان بدل
معناه ازالة العين فتامله هناك وقرئ عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها مخففا ومثقلا يَعْبُدُونَنِي في
موضع الحال اي في حال عبادتهم الله بالاخلاص ويجوز ان تكون استئنافا على طريق الثناء عليهم لَا يُشْرِكُونَ بِي.

شيئا فيه اربعة اقوال احدها لا يعبدون الها غيري حكاه النقاش الثاني لا يراؤن بعبادتي احدا الثالث لا يخافون
غيري قاله ابن عباس الرابع لا يحبون غيري قاله مجاهد وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ اي بهذه النعم والمراد كفران النعمة
لانه قال سبحانه وتعالى فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ والكافر بالله فاسق بعد هذا الانعام وقبله قوله تعالى
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ تقدم فاعاد الامر بالاعادة تاكيدا قوله
تعالى لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد بالنصر وقراءة العامة تحسبن بالتاء
خطابا وقراء ابن عامر وحمزة وابو حيوة يحسبن بالياء بمعنى لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين الله في الارض لان الحسبان
تعدى الى مفعولين وهذا قول الزجاج وقال الفراء وابو علي يجوز ان يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تحسبن محمد
الذين كفروا معجزين فالذين مفعول اول ومعجزين مفعول ثان وعلى القول الاول الذين كفروا فاعل انفسهم مفعول اول
وهو محذوف مراد معجزين مفعول ثان قال النحاس وما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يخطئ قراءة حمزة
فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا ابو حاتم وقال الفراء هو ضعيف واجازه على ضعفه
على انه يحذف المفعول الاول وقد بيناه قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول في هذه القراءة يكون الذين كفروا في موضع
نصب قال ويكون المعنى ولا يحسبن الكافر الذين كفروا معجزين في الارض قال المولف رحمه الله وهذا موافق لما قاله الفراء
وابو علي الا ان الفاعل هناك النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا القول الكافر ومعجزين معناه فايتين وقد تقدم وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ اي المرجع قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
الى قوله حكيم فيه ثمان مسايل الاولى قال العلماء هذه آية خاصة والتي قبلها عامة لانه قال يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ثم خص هنا فقال ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فخص في هذه الآية
بعض المستاذنين وكذلك تناول القول في الاولى جميع الاوقات عموما وخص في هذه الآية بعض الاوقات فلا يدخل فيها
عبد ولا امة وغدا كان او ذا منظر الا بعد الاستيذان قال مقاتل نزلت في اسماء بنت مرثد دخل عليها غلام لها كبير
فاشتكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه الآية وقيل سبب نزولها دخول مدلج على عمر وسياتي الثانية
اختلف العلماء في المراد بقوله سبحانه وتعالى ليستاذنكم على ستة اقوال الاول انها منسوخة قاله ابن المسيب وابن جبير
الثاني انها ندب غير واجبة قاله ابو قلابة قال انما امروا بهذا نظرا لهم الثالث عني بها النساء قاله ابو عبد الرحمن السلمي
وقال ابن عمر هي في الرجال دون النساء وهو القول الرابع الخامس كان ذلك واجبا اذ لو كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو عاد
الحال لعاد الوجوب حكاه المهدوي عن ابن عباس السادس انها محكمة واجبة ثابتة على الرجال والنساء وهو قول اكثر اهل العلم
منهم القاسم وجابر بن زيد والشعبي واضعفها قول السلمي لان الذين لا يكون للنساء في كلام العرب انما يكون للنساء اللاتي واللواتي
وقول ابن عمر يستحسنه اهل النظر لان الذين للرجال في كلام العرب وان كان يجوز ان يدخل معهم النساء فانما يقع ذلك بدليل والكلام
على ظاهره غير ان في اسناده ليث بن ابي سليم واما قول ابن عباس فروى ابو داود عن عبيد الله بن ابي يزيد سمع ابن عباس يقول
انه لم يؤمن بها اكثر الناس آية الاستيذان واني لآمر جاريتي هذه تستاذن علي قال ابو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن
عباس يامر به وروى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس كيف ترى في هذه الآية التي امرنا فيها بما امرنا ولا يعمل
بها قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات
من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض قال ابو داود قرا القعنبي

الى عليم حكيم قال ابن عباس ان الله عليم رحيم بالمومنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما دخل الخادم
او الولد او يتيمة والرجل على اهله فامرهم الله بالاستيذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك
قال المولف رحمه الله هذا متن حسن وهو يرد قول سعيد بن جبير فانه ليس فيه دليل على نسخ الآية ولكن على انها كانت على حال
ثم زالت فان كان مثل ذلك الحال فحكمها قايم كما كان بل حكمها اليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحاري ونحوها
وروى وكيع عن سفيان عن موسى بن ابي عايشة عن الشعبي يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ليست منسوخة
قال المولف رحمه الله ان الناس لا يعملون بها قال الله جل وعز المستعان قال بعض اهل العلم ان الاستيذان ثلاثا ماخوذ من قوله
يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات قال يزيد ثلاث دفعات قال فورد القران
في المماليك والصبيان وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجميع قال ابن العربي عبد البر ما قاله من هذا وان كان له وجه فانه غير
معروف عند العلماء في تفسير الآية التي نزع بها والذي عليه جمهورهم في قوله ثلاث مرات اي في ثلاث اوقات ويدل على صحة هذا
القول ذكره فيها من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء الثالثة ادب الله
عباده في هذه الآية بان يكون العبيد اذ لا بال لهم والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم الا انهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها يستاذنون
على اهليهم في هذه الاوقات الثلاثة وهي الاوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعري فما قبل الفجر وقت انتهاء
النوم ووقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار ووقت القايلة وقت التجرد وهي الظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا علا واشتد
حره وبعد صلاة العشاء وقت التعري للنوم فالتكشف غالب في هذه الاوقات يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما
من الانصار يقال له مدلج الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظهيرة ليدعوه فوجده نايما وقد اغلق عليه الباب فدق الغلام الباب فناداه
ودخل واستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شيء فقال عمر وددت ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا في هذه الساعات
الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا لله عز وجل وهي مكية الرابعة قوله
تعالى وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ اي الذين لم يحتلموا من احراركم قاله مجاهد وذكر اسمعيل بن اسحاق كان يقول ليستاذنكم
الذين لم يبلغوا الحلم مما ملكت ايمانكم على التقديم والتاخير وان الآية في الاماء وقرا الجمهور بضم اللام وسكنها الحسن بن ابي الحسن لثقل
الضمة وكان ابو عمرو يستحسنها وثلاث مرات نصب على الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان في ثلاثة مواطن والظرفية في ثلاث بينة
من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وقد مضى معناه ولا يجب ان يستاذن ثلاث مرات
في كل وقت ثلاث عورات لكم قرا جمهور السبعة ثلاث عورات برفع الثلاث وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ثلاث بالنصب
على البدل من الظرف من قوله ثلاث مرات قال ابو حاتم النصب ضعيف مردود وقال الفراء الرفع احب الي قال وانما اخترت الرفع
لان المعنى هذه الخصال ثلاث عورات والرفع عند الكسائي بالابتداء والخبر عنده ما بعده ولم يقل بالعايد وقال نصا بالابتداء قال
العورات الساعات التي تكون فيها العورة الا انه قرا بالنصب والنصب فيه قولان احدهما انه مردود على قوله ثلاث مرات ولهذا
استبعده الفراء وقال الزجاج المعنى ليستاذنكم اوقات ثلاث عورات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعورات جمع
عورة وبابه في الصحيح ان يجي على فعلات بفتح العين كجفنة وجفنات ونحو ذلك وسكنوا العين في المعتل كبيضة وبيضات لان
فتحه داع الى اعتلاله فلم يفتح لذلك فاما قول الشاعر اخو بيضات رايح متاوب او مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود الخامسة
قوله تعالى لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ اي في الدخول من غير ان تستاذنوا وان كنتم متبذلين
طوافون بمعنى هم طوافون قال الفراء كقولك في الكلام انما هم خدمكم وطوافون عليكم واجاز الفراء نصب طوافين لانه نكرة والضمير
في عليكم معرفة ولا يجيز البصريون ان يكون حالا من المضمرين اللذين في عليكم وفي بعضكم لاختلاف العاملين ولا يجوز مررت بزيد ونزلت

على عمرو العاملين على النعت لهما ومعنى طوافون عليكم اى يطوفون عليكم ويطوفون عليهم ومنه الحديث فى الهرة انما هى من الطوافين عليكم او الطوافات فمنع فى الثلاث العورات من دخولهم علينا لان حقيقة العورة كل شئ لا مانع دونه ومنه قوله ان بيوتنا عورة اى سهلة المدخل فبين العلة الموجبة للاذن وهى الخلوة فى حال العورة فتعين امتثاله وتعذر اثم رفع الجناح بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض اى يطوف عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات الكاف فى موضع نصب اى يبين الله لكم آياته الدالة على متعبداته بيانا مثل ما بين لكم هذه الاشياء والله عليم حكيم تقدم السادسة قوله تعالى ومن بعد صلاة العشاء يريد العتمة وفى صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم الا انها العشاء وهم يعتمون بالابل وفى رواية فانها فى كتاب الله العشاء وانها تعتم بحلاب الابل وفى البخارى عن ابى برزة كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤخر العشاء وقال انس اخر النبى صلى الله عليه وسلم العشاء وهذا يدل على العشاء الاولى وفى الصحيح فصلاها يعنى العصر بين العشائين المغرب والعشاء وفى الموطا وغيره لو يعلمون ما فى العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا وفى مسلم عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الصلوات نحوا من صلاتكم وكان يخفف الصلاة وكان يؤخر العتمة بعد صلاتكم شيئا قال القاضى ابوبكر بن العربى وهذه اخبار متعارضة لا يعلم الاول منها من الاخر بالتاريخ ونهيه عليه السلام عن تسمية المغرب عشاء وعن تسمية العشاء عتمة ثابت فلا مرد له من اقوال الصحابة فضلا عمن عداهم وقد كان ابن عمر يقول من قال صلاة العشاء فالله سماها صلاة العشاء فاحب النبى صلى الله عليه وسلم ان يسمى بما سماها الله سبحانه وتعالى ويعلمها الانسان اهله وولده ولا يقول عتمة الا عند خطاب من لا يفهم وقد قال حسان وكانت لا يزال بها انيس خلال مروجها نعم وشاء فدع هذا ولكن من لطيف يؤرقنى اذا ذهب العشاء وقد قيل ان هذا النهى عن اتباع الاعراب فى تسميتهم العشاء عتمة انما كان لئلا يعدل بها عما سماها الله تعالى فى كتابه اذ قال ومن بعد صلاة العشاء فكانه نهى ارشاد الى ما هو الاولى وليس على جهة التحريم ولا على ان تسميتها العتمة لا يجوز الا ترى انه قد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم قد اطلق عليها ذلك وقد اباح تسميتها بذلك ابوبكر وعمر رضى الله عنهما وقيل انما نهى عن ذلك تنزيها لهذه العبادة الشرعية الدينية عن ان يطلق عليها ما هو اسم لفعلة دنيوية وهى الحلبة التى كانوا يحلبونها فى ذلك الوقت ويسمونها العتمة ويشهد لذلك قوله فانها تعتم بحلاب الابل السابعة روى ابن ماجة فى سننه حدثنا عثمان ابن ابى شيبة اخبرنا اسمعيل بن عياش عن عمارة بن غزية عن انس بن مالك عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول من صلى فى جماعة اربعين ليلة لا تفوته الركعة الاولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار وفى صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة فكانما قام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة فكانما قام الليل كله وروى الدارقطنى فى سننه عن سبيع او تبيع عن كعب قال من توضا فاحسن الوضوء وصلى العشاء الآخرة وصلى بعدها اربع ركعات فاتم ركوعهن وسجودهن ويعلم ما يقترأ فيهن كن له بمنزلة ليلة القدر قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الآية قرا الحسن الحلم حذف الضمة لثقلها والمعنى ان الاطفال امروا بالاستيذان فى الاوقات الثلاثة المذكورة وابيح لهم الامر فى غير ذلك كما ذكرنا ثم امر تعالى فى هذه الآية ان يكونوا اذا بلغوا الحلم على حكم الرجال فى الاستيذان فى كل وقت وهذا بيان من الله جل وعز لاحكامه وايضاح حلاله وحرامه وقال فليستاذنوا ولم يقل فليستاذنكم وقال فى الاول ليستاذنكم لان الاطفال غير مخاطبين ولا متعبدين وقال ابن جريج قلت لعطاء واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا قال واجب على الناس ان يستاذنوا اذا احتلموا احرارا كانوا او عبيدا وقال ابو اسحاق الفزارى

قلت للاوزاعى ما حد الطفل الذى يستاذن قال اربع سنين قال لا يدخل على امراة حتى يستاذن وقال الزهرى اى يستاذن الرجل على امه وفى هذا المعنى نزلت هذه الآية قوله تعالى والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا الى قوله سميع عليم فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى والقواعد من النساء القواعد واحدها جمع قاعد بلا هاء ليدل حذفها على انه قعود الكبر كما قالوا امراة حامل ليدل بحذف الهاء انه حمل حبل قال الشاعر فلو ان ما فى بطنه بين نسوة حبلن وان كن القواعد عقرا وقالوا فى غير ذلك قاعدة فى بيتها وحاملة على ظهرها بالهاء فالقواعد ايضا اساس البيت واحده قاعدة بالهاء الثانية القواعد العجز اللواتى قعدن عن التصرف من السن وقعدن عن الولد والمحيض هذا قول اكثر العلماء قال ربيعة هى التى اذا رايتها تستقذرها من كبرها وقال ابو عبيدة اللاتى قعدن عن الولد وليس ذلك بمستقيم لان المراة تقعد عن الولد وفيها مستمتع قاله المهدوى الثالثة قوله تعالى فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة انما خص القواعد بذلك لانصراف الانفس عنهن اذ لا مذهب للرجال فيهن فابيح لهن ما لم يبح لغيرهن وازيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن الرابعة قرا ابن مسعود وابى وابن عباس ان يضعن من ثيابهن بزيادة من قال ابن عباس وهو الجلباب وروى عن ابن مسعود ايضا من جلابيبهن والعرب تقول امراة واضع للتى كبرت فوضعت خمارها وقال قوم الكبيرة التى ايست من النكاح لو بدا شعرها فلا باس فعلى هذا يجوز لها وضع الخمار والصحيح انها كالشابة فى التستر الا ان الكبيرة تضع الجلباب الذى يكون فوق الدرع والخمار قاله ابن مسعود وابن جبير وغيرهما الخامسة قوله تعالى غير متبرجات بزينة اى غير مظهرات ولا متعرضات بالتزين لينظر اليهن فان ذلك من اقبح الاشياء وابعده عن الحق والتبرج التكشف والظهور للعيون ومنه بروج مشيدة وبروج السماء والاسوار اى لا حائل دونها يسترها وقيل لعائشة رضى الله عنها يا ام المومنين ما تقولين فى الصباغ والخضاب والتمايم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب ورقاق الثياب فقالت يا معشر النساء قصتكن قصة امراة واحدة احل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لا يحل لكن ان يروا منكن محرما وقال عطاء هذا فى بيوتهن فاذا خرجت فلا يحل لها وضع الجلباب وعلى هذا غير متبرجات غير خارجات من بيوتهن وعلى هذا يلزم ان يقال اذا كانت فى بيتها فلا بد لها من جلباب فوق الدرع وهذا بعيد الا اذا دخل عليها اجنبى ثم ذكر سبحانه وتعالى ان تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن الشاب افضل لهن وخير وقرا ابن مسعود وان يعففن بغير سين ثم قيل من التبرج ان تلبس المراة ثوبين رقيقين يصفانها روى الصحيح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من كذا وكذا قال ابن العربى انما جعلهن كاسيات لان الثياب عليهن وانما وصفهن بانهن عاريات لان الثوب اذا رق يصفهن ويبدى محاسنهن وذلك حرام قال المؤلف رحمه الله هذا احد التاويلين للعلماء فى هذا المعنى والثانى انهن كاسيات من الثياب عاريات من لباس التقوى الذى قال الله سبحانه وتعالى فيه ولباس التقوى ذلك خير وانشدوا اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا وان كان كاسيا وفى صحيح مسلم عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم رايت قوما يعرضون على وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدى ومنها ما دون ذلك ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ما ذا اولت ذلك يا رسول الله قال الدين فتاويله صلى الله عليه وسلم القميص

بالدين ماخوذ من قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير والعرب تكنى عن الفضل والعفاف بالثياب كما قال شاعرهم
ثياب بنى عوف طهارى نقيه وقد قال صلى الله عليه وسلم لعثمان ان الله سيلبسك قميصا فان ارادوك ان تخلعه
فلا تخلعه فعبر عن الخلافة بالقميص وهي استعارة حسنه معروفة قال المولف رحمه الله هذا التاويل اصح التاويلين وهو
اللائق بهن فى هذه الازمان وخاصة الشباب فانهن تتزين وتخرجن متبرجات فهن كاسيات بالثياب عاريات
من التقوى حقيقه ظاهرا او باطنا حيث تبدى زينتها ولا تبالى بمن نظر اليها بل ذلك مقصودهن وذلك مشاهد فى
الوجود منهن فلو كان عندهن شيا من التقوى لما فعلن ذلك ولم نعلم احدا هنالك ومما يقوى هذا التاويل ما ذكره
فى وصفهن فى بقيه الحديث فى قوله روسهن كاسنمة البخت والبخت ضرب من الابل عظام الاجسام عظام الاسنمة شبه
روسهن بها لما يرفعن من ظفائر شعورهن على اوساط روسهن وهذا مشاهد معلوم والناظر اليهن ملوم قال صلى
الله عليه وسلم ما تركت بعدى فتنه اضر على الرجال من النساء خرجه البخارى قوله تعالى لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ
حَرَجٌ الى قوله تعقلون فيه احدى عشره مسله قوله ليس على الاعمى حرج اختلف العلماء فى تاويل هذه
الآيه على ثمانيه اقوال اقربها هل هى منسوخه او ناسخه او محكمه فهذه ثلاثة اقوال الاول انها منسوخه من قوله ولا على
انفسكم الى آخر الايه قاله عبد الرحمن بن زيد قال هذا شى قد انقطع كانوا فى اول الاسلام ليس على ابوابهم اغلاق
وكانت الستور مرخاة فربما جاء الرجل فدخل البيت وهو جايع وليس فيه احد فسوغ الله عز وجل ان ياكل منه ثم صار
الاغلاق على البيوت فلا يحل لاحد ان يفتحها فذهب هذا وانقطع قال صلى الله عليه وسلم لا يحتلبن احد ماشية احد
الا باذنه الحديث خرجه الايمة الثاني انها ناسخه قاله جماعة وروى على بن ابى طلحه عن ابن عباس قال لما انزل الله
عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ قال المسلمون ان الله عز وجل قد نهانا ان
ناكل اموالنا بيننا بالباطل وان الطعام من افضل الاموال فلا يحل لاحدنا ان ناكل عند احد فكف الناس عن ذلك
فانزل الله عز وجل لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ الى اَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ قال هو الرجل يوكل الرجل بضيعته قال المولف رحمه الله
على بن ابى طلحة هذا هو مولى بنى هاشم سكن الشام يكنى ابا الحسن ويقال ابا محمد واسم ابيه ابى طلحة سالم تكلم
فى تفسيره فقيل انه لم ير ابن عباس والله اعلم الثالث انها محكمة قاله جماعة من اهل العلم ممن يقتدى بقولهم
منهم سعيد بن المسيب وعبد الله بن عبيد الله بن عتبه بن مسعود روى الزهرى عن عروة عن عايشه قالت كان
المسلمون يوعبون فى النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يدفعون مفاتيحهم الى ضمنائهم ويقولون ان احتجتم
فكلوا فكانوا يقولون انما احلوه لنا عن غير طيب نفس فانزل الله عز وجل لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا
مِن بُيُوتِكُمْ اَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ الى آخر الآيه قال النحاس يوعبون اى يخرجون باجمعهم فى المغازى يقال اوعب بنو فلان
لبنى فلان اذا جاءوهم باجمعهم وقال ابن السكيت اوعب بنو فلان جاءوا فلم يبق ببلدهم منهم احد وجاء الفرس بركض
وعب اى باقصى ما عنده وفى الحديث وفى الانف اذا استوعب جدعه الدية اذا لم يترك منه شى واستيعاب الشى
استيصاله ويقال بيت وعيب اذا كان واسعا يستوعب كلما جعل فيه والضمنى هم الزمنا واحدهم ضمن مثل زمن
وقال النحاس هذا القول من اجل ما روى فى الآيه لما فيه عن الصحابة والتابعين من التوقيف ان الآية نزلت فى شى
بعينه قال ابن العربى وهذا كلام منتظم لاجل تخلفهم عنهم فى الجهاد وبقاء اموالهم بايديهم لكن قوله او ما ملكتم مفاتحه قد
اقتضاه فكان هذا القول بعيدا جدا لكن المختار ان يقال ان الله رفع الحرج عن الاعمى فيما يتعلق بالتكليف الذى يشترط فيه البصر
وعن الاعرج فيما يشترط فى التكليف به من المشى وما يتعذر من الافعال مع وجود العرج وعن المريض فيما يوثر المرض فى اسقاطه

كالصوم وشروط الصلوة واركانها والجهاد ونحو ذلك ثم قال بعد ذلك مبينا وليس عليكم حرج ان تاكلوا من بيوتكم
فهذا معنى صحيح وتفسير مبين مفيد يعضده الشرع والعقل ولا يحتاج فى تفسير الآيه الى نقل قال المولف رحمه الله
والى هذا اشار ابن عطية فقال فظاهر الآيه وامر الشريعه ان الحرج عنهم مرفوع فى كل ما يضطرهم
اليه العذر وتقتضى نيتهم فيه الاتيان بالاكمل ويقتضى العذر ان يقع منهم الانقص فالحرج مرفوع عنهم فى هذا فاما ما
قال الناس فى هذا الحرج هنا وهى الثانية فقال ابن زيد هو الحرج فى الغزو اى لا حرج عليهم فى تاخرهم وقوله ولا على
انفسكم الآيه معنى مقطوع من الاول وقالت فرقه الآيه كلها فى معنى المطاعم قالت وكانت العرب ومن بالمدينه قبل المبعث
تتجنب الاكل مع اهل الاعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من الاعمى وللانبساط فى الجلسه من
الاعرج ولرايحه المريض وعلاته وهى اخلاق جاهليه وكبر فنزلت الآيه موذنه وبعضهم كان يفعل ذلك
تحرجا من غير اهل الاعذار اذ هم مقصرون عن درجه الاصحاء فى الاكل لعدم الرويه فى الاعمى وللعجز عن
المزاحمه فى الاعرج ولضعف المريض فنزلت الآيه فى اباحة الاكل معهم وقال ابن عباس فى كتاب الزهراوى
ان اهل الاعذار تحرجوا فى الاكل مع الناس من اجل عذرهم فنزلت الآيه مبيحة لهم وقيل كان الرجل اذا ساق
اهل العذر الى بيته فلم يجد شيئا ذهب به الى بيوت قرابته فتحرج اهل الاعذار من ذلك فنزلت الآيه
الثالثة قوله تعالى وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ هذا ابتداء كلام اى ولا عليكم ايها الناس ولكن لما اجتمع المخاطب
وغير المخاطب غلب المخاطب لينتظم الكلام وذكر بيوت القرابات وسقط منها بيوت الابناء فقال المفسرون
ذلك لانها داخلة فى قوله بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته وفى الخبر انت ومالك لابيك ولانه ذكر الاقرباء بعد
ولم يذكر الاولاد قال النحاس وعارض بعضهم هذا القول فقال هذا تحكم على كتاب الله بل الاولى فى الظاهر
ان لا يكون الابن مخالفا لهولاء وليس الاحتجاج بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك بقوى لوهاء
هذا الحديث وانه لو صح لم يكن فيه حجه اذ قد يكون النبى صلى الله عليه وسلم علم ان مال ذلك المخاطب لابيه وقد
قيل ان معنى لابيك وما لك اى ما لك لك والقاطع لهذا التوارث بين الاب والابن وقال الترمذى الحكيم ووجه
قوله سبحانه وتعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم كانه يقول مساكنكم التى فيها اهاليكم واولادكم فيكون
الاهل والولد هناك شى قد افادهم هذا الرجل الذى له المسكن فليس عليه حرج ان ياكل معهم من ذلك
القوت او يكون للزوجه والولد هناك شى من ملكهم معهم من ذلك القوت او يكون للزوجة والولد هناك شى من
ملكهم فليس عليكم فى ذلك حرج الرابعة قوله تعالى اَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ الى قوله اَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ
قال بعض العلماء هذا اذا اذنوا له فى ذلك وقال آخرون اذنوا له او لم ياذنوا فله ان ياكل لان القرابه التى
بينهم هى اذن منهم وذلك لان فى تلك القرابه عطفا تسمح النفوس منهم بذلك العطف ان ياكل هذا من شيئهم ويسروا بذلك
اذا علموا ابن العربى اباح لنا الاكل من جهه النسبة من غير استيذان اذا كان الطعام مبذولا فان كان محوزا
دونهم لم يكن لهم اخذه ولا يجوز ان يجاوزوا الى الادخار ولا الى ما ليس بماكول وان كان غير محوز عنهم الا باذن منهم
الخامسة قوله تعالى اَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ يعنى ما اختزنتم وصار فى قبضتكم وعظم ذلك ما ملكه الرجل
فى بيته وتحت غلقه وذلك تاويل الضحاك وقتادة ومجاهد وعند جمهور المفسرين يدخل فى الآيه الوكلاء والعبيد والاجراء
قال ابن عباس عنى وكيل الرجل على ضيعته وخازنه على ماله فيجوز له ان ياكل مما هو قيم عليه وذكر معمر عن قتادة عن
عكرمه قال اذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن ولا باس ان يطعم الشى اليسير ابن العربى وللخازن ان ياكل مما يخزن

اجماعاً وهذا اذا لم يكن له اجرة على الخزن فاما ان كانت له اجرة على الخزن حرم الاكل وقرأ سعيد بن جبير
مُلِكتم بضم الميم وكسر اللام وشدّها وقرأ ايضا مفاتحه بياء بين التاء والحاء جمع مفتاح وقد مضى في الانعام وقرأ
مفتاحه على الافراد وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الحارث بن عمرو خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
غازيا وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان آكل من طعامك بغير
اذنك فانزل الله هذه الآية السادسة قوله تعالى أَوْ صَدِيقِكُمْ الصديق بمعنى الجمع وكذلك العدو قال
الله سبحانه وتعالى فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي وقال جرير دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا باسهم اعداء وهن صديق
والصديق من يصدقك في مودتك ثم قيل هذا منسوخ بقوله تعالى لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ
لَكُمْ وقوله فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا الآية وقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب نفس
منه وقيل هي محكمة وهو اصح ذكر محمد بن ثور عن معمر قال دخلت بيت قتادة فابصرت فيه رطبا فجعلت اكله فقال ما
هذا فقلت ابصرت رطبا في بيتك فاكلت قال احسنت قال الله سبحانه وتعالى او صديقكم وذكر عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة في قوله او صديقكم قال اذا دخلت بيت صديقك من غير مؤامرته لم يكن بذلك باس وقال معمر
قلت لقتادة الا اشرب من هذا الحب قال انت لي صديق فما هذا الاستئذان وكان صلى الله عليه وسلم يدخل
حائط ابي طلحة المسمى ببيرحاء ويشرب من ماء فيها طيب بغير اذنه على ما قاله علماؤنا قالوا والماء متملك لاهله واذا
جاز الشرب من ماء الصديق بغير اذنه جاز الاكل من طعامه وثماره اذا علم ان نفس صاحبه تطيب به لتفاهته
ويسير مؤنته او لما بينهما من المودة ومن هذا المعنى اطعام ام حرام له صلى الله عليه وسلم اذ نام عندها لان
الاغلب ان ما في البيت من الطعام هو للرجل وان يد زوجته في ذلك عارية وهذا كله اذا لم يتخذ الاكل خبنة ولم يقصد
بذلك وقاية ماله وكان تافها يسيرا السابعة قرن الله عز وجل في هذه الآية الصديق بالقرابة المحضة
الوكيدة لان قرب المودة لصيق اوكد من القرابة الا ترى استغاثة الجهنميين فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا
صَدِيقٍ حَمِيمٍ قال المؤلف رحمه الله ولهذا لا تجوز عندنا شهادة الصديق لصديقه كما لا تجوز شهادة القريب
لقريبه وقد مضى بيان هذا والعلة فيه في النساء وفي المثل ايهم احب اليك اخوك او صديقك قال اخي اذا كان
صديقي الثامنة قوله تعالى لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا قيل انها نزلت
في بني ليث بن بكر وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده ويمكث اياما جائعا حتى يجد من يؤاكله
ومنه قول بعض الشعراء اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلا فاني لست آكله وحدي قال ابن عطية وكانت هذه
السيرة موروثة عندهم عن ابراهيم عليه السلام فانه كان لا يأكل وحده وكان بعض العرب اذا كان له ضيف لا يأكل الا
ان يأكل مع ضيفه فنزلت الآية مبينة سنة الاكل ومذهبة كلما خالفها من سيرة العرب ومبيحة من اكل المنفرد ما
كان عند العرب محرما نحت به نحو كرم الخلق فافرطت في الزامه وان احضار الاكيل لحسن لكن بان يحرم الانفراد ه
التاسعة قوله تعالى جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا جميعا نصب على الحال واشتاتا جمع شت والشت المصدر بمعنى التفرق
يقال شت القوم اي تفرقوا وقد ترجم البخاري في صحيحه باب ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
والنهد والاجتماع ومما قاله علماؤنا في هذا الباب اباحة الاكل جميعا وان اختلفت احوالهم في الاكل وقد سوغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فصار ذلك سنة في الجماعات التي تدعى الى الطعام في النهد والولائم وفي الاملاق في السفر
وما ملكت مفاتحه بامانة او قرابة او صداقة فلك ان تأكل مع العرب او الصديق وحدك والنهد ما يجمعه الرفقاء من مال

او طعام على قدر في النفقة ينفقونه بينهم وقد تناهدوا عن صاحب العين وقال ابن دريد يقال من ذلك تناهد
القوم الشيء بينهم الهروي وفي حديث الحسن اخرجوا نهدكم فانه اعظم للبركة واحسن لاخلاقكم النهد ما تخرجه الرفقة عند
المناهدة وهو استقسام النفقة بالسوية في السفر وغيره والعرب تقول هات نهدك بكسر النون قال المهلب وطعام
النهد لم يوضع للآكلين على انهم يأكلون بالسواء وانما يأكل كل واحد على قدر نهمته وقد يأكل الرجل اكثر من غيره وقد قيل
ان تركها اشبه بالورع وان كانت الرفقة تجتمع كل يوم على طعام احدهم فهو احسن من النهد لانهم لا يتناهدون الا
ليصيب كل واحد منهم من ماله ثم لا يدري لعل احدهم يقصر من ماله ويأكل غيره اكثر من ماله واذا كانوا يوما عند هذا ويوما
عند هذا بلا شرط فانما يكونون اضيافا والضيف يأكل بطيب نفس مما يقدم اليه وقال ايوب السختياني انما كان
النهد ان القوم كانوا يكونون في السفر فيسبق بعضهم الى المنزل فيذبح ويهيئ الطعام ثم يأتيهم ثم يسبق ايضا الى المنزل
فيفعل مثل ذلك فقالوا ان هذا الذي يصنع كلنا يحب ان نصنع مثله فتعالوا نجعل بيننا شيئا لا يتفضل بعضنا على بعض
فوضعوا النهد بينهم وكان الصلحاء اذا تناهدوا يتحرى افضلهم ان يزيد على ما يخرجه اصحابه وان لم يرضوا بذلك منه اذا علموه
فعله سرا دونهم العاشرة قوله تعالى فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا الآية اختلف المتأولون في اي البيوت اراد
ابراهيم النخعي والحسن اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها من ضيفكم فان لم يكن في المساجد احد فالسلام ان يقول المرء
السلام على رسول الله وقيل يقول السلام عليكم يريد الملائكة ويقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر عبد الرزاق
اخبرنا معمر عن ابن عباس عن ابي دينار في قوله سبحانه وتعالى فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ الآية قال اذا
دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقيل المراد بالبيوت البيوت المسكونة اي فسلموا على انفسكم
قاله جابر بن عبد الله وابن عباس ايضا وعطاء بن ابي رباح قالوا ويدخل في ذلك البيوت غير المسكونة ويسلم المرء فيها على
نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال ابن العربي القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ولا دليل
على التخصيص واطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير او لنفسه فاذا دخل بيتا لغيره استأذن كما تقدم
فاذا دخل بيتا لنفسه سلم كما ورد في الخبر يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعليه حمل ابن عمر البيت الفارغ قال
ابن العربي الذي اختاره اذا كان البيت فارغا ان لا يلزم السلام فان كان المقصود الملائكة فالملائكة لا تفارق العبد
بحال اما انه اذا دخلت بيتك يستحب لك ذكر الله بان تقول ما شاء الله لا قوة الا بالله وقد تقدم في سورة الكهف وقال
القشيري في قوله اذا دخلتم بيوتا والاوجه ان يقال ان هذا عام في دخول كل بيت فان كان فيه ساكن وسلم فيقول السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وان لم يكن فيه ساكن فيقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وان كان في البيت
من ليس بمسلم قال السلام على من اتبع الهدى والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر ابن خواز منداد قال كتب الي
ابو العباس الاصم قال حدثنا محمد بن الحكم قال نا ابن وهب قال نا جعفر بن ميسرة عن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على اهلها واذكروا اسم الله فان احدكم اذا سلم حين يدخل بيته وذكر اسم الله تعالى
على طعامه قال الشيطان لاصحابه لا مبيت لكم ههنا ولا عشاء واذا لم يسلم احدكم ولم يذكر اسم الله على طعامه قال الشيطان
لاصحابه ادركتم المبيت والعشاء قال المؤلف رحمه الله هذا الحديث بين معناه مرفوعا من حديث جابر خرجه مسلم
وفي كتاب ابي داود عن ابي مالك الاشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ولج الرجل في بيته فليقل اللهم اني
اسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على اهله الحادية عشرة
قوله تعالى تَحِيَّةً مصدر لان قوله فسلموا معناه فحيوا ووصفها بالبركة لان فيها الدعاء واستجلاب مودة المسلم عليه ووصفها

قال ابن عمر وهذا اذا كان فارغا فان كان فيه اهله وخدمه فليقل السلام عليكم وان كان مخيرا فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

بالطيب ايضا لان سامعها يستطيبها والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشاره الى ان هذه السنن اى كما بيّن لكم
سنه دينكم فى هذه الاشياء يبين لكم سائر ما بكم حاجه اليه فى دينكم قوله تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله انما فى هذه الآيه للحصر المعنى لايتم ولايكمل ايمان من آمن بالله ورسوله
الا بان يكون من الرسول سامعا غير معنت فى ان يكون الرسول يريد اكمال امر فيريد هو فساده بزواله فى وقت الجمع ونحو
ذلك وبيّن سبحانه وتعالى فى اول السوره انه انزل آيات بينات وانما النزول على محمد صلى الله عليه وسلم فختم السوره
بتاكيد الامر فى متابعته عليه السلام ليعلم ان اوامره كاوامر القرآن الثانيه واختلف فى الامر الجامع ما هو
فقيل المراد به ما يدعوهم حاجه الى جميع الناس فيه لمراعاه مصلحه من اقامة سنه فى الدين او لترهيب عدو باجتماعهم وللحرب
قال الله سبحانه وتعالى وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فاذا كان امر يشملهم نفعه وضره جمعهم للتشاور فى ذلك والامام الذى
يُرتقب اذنه هو امام الامره فلا يذهب احد لعذر الا باذنه فاذا ذهب باذنه ارتفع عنه الظن السيّئ وقال مكحول
والزهرى الجمعه من الامر الجامع وامام الصلاه ينبغى ان يستاذنه اذا قدمه امام الامره اذا كان يرى المستاذن وكان
ابن سيرين كانوا يستاذنون الامام على المنبر فلما كثر ذلك قال زياد من جعل يده على فيه فليخرج دون اذن وقد كان
هذا بالمدينه حتى ان سهل بن ابى صالح رعف يوم الجمعه فاستاذن الامام وظاهر الآيه تقتضى ان يستاذن امير الامره
الذى هو متقلد النبوه فانه ربما كان له رأى فى حبس ذلك الرجل لامر من امور الدين واما امام الصلاه فقط فليس ذلك
اليه لانه وكيل على جزء من اجزاء الدين الذى هو فى متقلد النبوه وروى ان هذه الآيه نزلت فى حفر الخندق حين
جاءت قريش وقائدها ابو سفيان وغطفان وقائدها عيينة بن حصن فضرب النبى صلى الله عليه وسلم الخندق على المدينه
وذلك فى شوال سنه خمس من الهجره وكان المنافقون يتسللون لواذا من العمل ويعتذرون باعذار كاذبه ونحوه روى
اشهب وابن عبد الحكم عن مالك وكذلك قال محمد بن اسحاق وقال مقاتل نزلت فى عمر رضى الله عنه استاذن النبى صلى الله عليه
وسلم فى غزوة تبوك فى الرجعة فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد بذلك ان يسمع المنافقين وقال ابن عباس
انما استاذن عمر فى العمره فقال عليه السلام لما اذن له يا ابا حفص لاتنسنا فى صالح دعائك قلت والصحيح الاول لتناوله جميع
الاقوال واختار ابن العربى ما ذكره فى نزول الآيه عن مالك وابن اسحاق وان ذلك مخصوص فى الحرب قال والذى يبين ذلك
امران احدهما قوله فى الآيه الاخرى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وذلك ان المنافقين كانوا يتلوذون ويخرجون عن
الجماعه ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله جميعهم بان لايخرج احد منهم حتى ياذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبذلك يتبين ايمانه الثانى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه اى اذن فى الحدث والامام يخطب وليس للامام خيار فى منعه ولا
ابقائه وقد قال فاذن لمن شئت منهم فتبين بذلك انه مخصوص فى الحرب قلت القول بالعموم اولى وارفع واحسن واعلى فاذن
لمن شئت منهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم بالخيار ان شاء ان ياذن وان شاء منع وقال قتاده قوله فاذن لمن شئت منهم
منسوخه بقوله عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ اى لخروجهم عن الجماعه ان علمت لهم عذرا إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ قوله تعالى لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا يريد يصيح من بعيد
بل عظّموه كما قال فى الحجرات إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ وقال سعيد بن جبير ومجاهد المعنى قولوا يا رسول الله
فى رفق ولين ولاتقولوا يا محمد بتجهّم وقال قتاده امرهم ان يشرّفوه ويفخّموه ابن عباس لاتتعرضوا لدعاء الرسول عليكم باسخاطه
فان دعوته موجبه قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا التسلل والانسلال الخروج واللواذ من الملاوذه وهى ان يستتر

بشئ مخافة من يراه فكان المنافقون يتسللون عن صلاه الجمعه لواذا مصدر فى معنى الحال اى متلاوذين اى يلوذ بعضهم
ببعض ينضم اليه استتارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن على المنافقين اثقل من يوم الجمعه وحضور
الخطبه حكاه النقاش وقد مضى القول فيه وقيل كانوا يتسللون فى الجهاد رجوعا عنه يلوذ بعضهم ببعض لواذا
فرارا من الجهاد ومنه قول حسان وقريش تجول منكم لواذا لم تحافظ وخف منها الحلوم وصحّت واوها لتحرّكها فى
لاوذ يقال لاوذ يلاوذ ملاوذة ولواذا ولاذ يلوذ لياذا انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها لياذا فى الاعتلال فاذا كان مصدر فاعل
لم يعلّ لان فاعل لايجوز قوله تعالى فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ بهذه الآيه احتج الفقهاء على
ان الامر على الوجوب ووجهها ان الله تبارك وتعالى قد حذّر عن مخالفه امره وتوعد بالعقاب عليها بقوله أَن تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فيحرم مخالفته فيجب امتثال امره والفتنه هنا القتل قاله ابن عباس عطاء الزلازل
والاهوال جعفر بن محمد سلطان جائر يسلّط عليهم وقيل الطبع على القلوب لشؤم مخالفة الرسول والضمير فى امره
قيل هو عائد على امر الله سبحانه وتعالى قاله يحيى بن سلام وقيل الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله قتاده ومعنى
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ اى يعرضون عنه وقال ابو عبيده والاخفش عن فى هذا الموضع زايده وقال الخليل وسيبويه
ليست بزائده والمعنى يخالفون بعد امره كما قال لم تنتطق ومنه قوله فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ اى بعد امر ربه وان فى
موضع نصب بيحذر ولايجوز عند اكثر النحويين حذر زيدا وهو فى ان جائز لان حروف الخفض يحذف معها قوله تعالى
أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خلقا وملكا قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ فهو يجازيكم به ويعلم ههنا بمعنى علم
وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ بعدما كان فى خطاب رجع فى خبر وهذا يقال خطاب التلوين فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا اى
يخبرهم باعمالهم ويجازيهم بها وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ من اعمالهم واحوالهم ختمت السوره بما تضمنت من التفسير
والحمد لله على التيسير

سورة الفرقان وهى مكية فى قول الجمهور

وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينه وهى وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ الى آخر الآيات
ومقصود هذه السوره ذكر موضع عظم القرآن وذكر مطاعن الكفار فى النبوه والرد على مقالاتهم من جملتها قولهم ان القرآن
افتراه محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الآيه تبارك اختلف فى معناه فقال الفراء هى
فى العربيه وتقدس واحد وهما للعظمه وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركه قال ومعنى البركه الكثره من كل ذى خير
وقيل تبارك تعالى وقيل تعالى عطاؤه اى زاد وكثر وقيل المعنى دام وثبت انعامه قال النحاس وهذا اولاها فى
اللغه والاشتقاق من برك الشئ اذا ثبت ومنه برك الجمل والطير على الماء اى دام وثبت فاما القول الاول فمخلط
لان التقديس انما هو من الطهاره وليس من ذا فى شئ قال الثعلبى ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا تبارك
لانه ينتهى فى اسمائه وصفاته الى حيث ورد التوقيف قال الطرماح تباركت لا معط لشئ منعته وليس لما اعطيت
يا رب مانع وقال آخر تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر قال المؤلف رحمه الله قد ذكر بعض العلماء فى اسمائه
الحسنى المبارك وذكرناه ايضا فى كتابنا فان كان وقع اتفاق على انه لايقال فيسلم للاجماع وان كان وقع فيه خلاف
ككثير من الاسماء اختلف فى عده كالدهر وغيره وقد نبهنا على ذلك هناك والحمد لله والفرقان القرآن وقيل اسم
لكل منزل كما قال وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وفى تسميته فرقانا وجهان احدهما لانه فرق بين الحق
والباطل والمومن والكافر الثانى لان فيه بيان ما شرع من حلال وحرام حكاه النقاش عَلَىٰ عَبْدِهِ يريد محمدا صلى

الله عليه وسلم ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ اسم تكون مضمر يعود على عبده لانه اولى لانه اقرب اليه
ويجوز ان تكون تعود على الفرقان وقرأ عبد الله بن الزبير على عباده ونقال انذر اذا خوّف وقد تقدم في اول
البقرة والنذير المحذر من الهلاك الجوهري النذير المنذر والنذير الانذار والمراد بالعالمين هنا الانس والجن
لان النبي صلى الله عليه وسلم كان رسولا اليهما ونذيرا لهما وانه خاتم الانبياء ولم يكن غيره عام الرسالة الا نوح فانه
عم برسالته جميع الانس بعد الطوفان لانه بدأ به الخلق قوله تعالى ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
عظم تعالى نفسه ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ نزّه سبحانه نفسه عما قاله المشركون من ان الملائكة اولاد الله تعالى يعني
بنات الله سبحانه وتعالى وعما قالت اليهود عزير ابن الله وعما قالت النصارى المسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما قال عبدة الاوثان ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا كما قال المجوس والثنوية ان
الشيطان او الظلمة تخلق بعض الاشياء ولا كما يقول من قال للمخلوق قدرة الايجاد فالآية رد على هؤلاء ﴿فَقَدَّرَهُ
تَقْدِيرًا﴾ اى قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما اراد لا عن سهو وغفلة بل جرت المقادير على ما خلق الله الى يوم القيمة
وبعد القيامة فهو الخالق المقدر فاياه فاعبدوا قوله تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ذكر ما صنع المشركون
على جهة التعجب في اتخاذهم الآلهة مع ظهور الدلالة على وحدانيته وقدرته ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾
لما اعتقد الكفار فيها انها تضر وتنفع عبّر عنها كما يعبّر عما يعقل ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ اى
لا دفع ضر ولا جلب نفع فحذف المضاف وقيل لا يقدرون ان يضروا انفسهم ولا ينفعوها بشيء ولا لمن يعبدهم لانها جمادات
﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ اى لا يميتون احدا ولا يحيونه والنشور الاحياء بعد الموت انشر الله
الموتى فنشروا وقد تقدم وقال الاعشى حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ يعني مشركي قريش وقال ابن عباس القائل منهم ذلك النضر بن الحارث وكذا كلما كان في القرآن فيه ذكر الاساطير
قال محمد بن اسحاق وكان مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنْ هَذَا﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾ اى كذب اختلقه
﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يعني اليهود قاله مجاهد وقال ابن عباس المراد بقوله قوم آخرون ابو فكيهة مولى
الحضرمي وعداس وجبر وكان هؤلاء الثلاثة من اهل الكتاب وقد مضى في النحل ذكرهم ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا﴾ اى بظلم فعل
المعنى فقد اتوا ظلما ﴿وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قال الزجاج واحد الاساطير اسطورة مثل احدوثة و
احاديث وقال غيره اساطير جمع اسطار مثل اقوال واقاويل ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ اى تلقى وتقرأ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ حتى تحفظ وتملى اصله تملل وفي نسخة تملل فابدلت
اللام الاخيرة ياء من التضعيف لقولهم تقضي البازي وشبهه قوله تعالى ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اى قل يا محمد انزل هذا القرآن الذي يعلم السر في السموات فهو عالم الغيب فلا يحتاج الى
معلم وذكر السر دون الجهر لانه من علم السر فهو من الجهر اعلم ولو كان القرآن ماخوذا من اهل الكتاب وغيرهم لما زاد عليها
وقد جاء بفنون تخرج عنها فليس ماخوذا منها وايضا لو كان ماخوذا من هؤلاء لتمكن المشركون منه ايضا كما تمكن محمد صلى
الله عليه وسلم فهلا عارضوه فبطل اعتراضهم من كل وجه ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يريد غفورا لاوليائه رحيما بهم
قوله تعالى ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى وقالوا لما ذكر شيئا آخر من مطاعنهم والضمير في وقالوا لقريش وذلك انهم كان لهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم مجلس مشهور وقد تقدم في سبحان ذكره ابن اسحاق في السيرة وغيره مضمنه ان سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا

معه فقالوا يا محمد ان كنت تحب الرياسة وليناك علينا وان كنت تحب المال جمعنا لك من اموالنا فلما ابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجعوا في باب الاحتجاج فقالوا ما لك وانت رسول الله تاكل الطعام وتمشي في الاسواق
فعيّروه باكل الطعام لانهم ارادوا ان يكون الرسول ملكا وعيّروه بالمشي في الاسواق حين راوا الاكاسرة والقياصرة
والملوك الجبابرة يترفعون عن الاسواق وكان عليه السلام يخالطهم في اسواقهم ويامرهم وينهاهم فقالوا هذا يطلب
ان يتملك علينا فما له يخالف سيرة الملوك فاجابهم الله بقوله وانزل على نبيه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فلا تغتم ولا تحزن فانها شكاة ظاهر عنك عارها الثانية
دخول الاسواق مباح للتجارة وطلب المعاش وكان عليه السلام يدخلها لحاجته ولتذكرة الخلق بامر الله ودعوته
ويعرض فيها نفسه على القبائل لعل الله ان يرجع بهم الى الحق وفي البخاري في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
وقد تقدم في الاعراف وذكر السوق مذكور في غير ما حديث ذكره اهل الصحيح وتجارة الصحابة فيها معروفة وخاصة المهاجرين
كما قال ابو هريرة وان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق خرجه البخاري وسياتي لهذه المسئلة
زيادة بيان في هذه السورة ان شاء الله سبحانه وتعالى قوله تعالى ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ اى
هلا ﴿فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ جواب الاستفهام ﴿أَوْ يُلْقَى﴾ في موضع رفع والمعنى او هلا يلقى اليه كنز او هلا تكون له جنة
ياكل منها ناكل بالياء قراءة المدنيين وابو عمرو وعاصم وقرأ سائر الكوفيين بالنون والقراءتان حسنتان تؤديان عن
معنى وان كانت القراءة بالياء ابين ذكره النحاس ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ تقدم في
سبحان والقائل عبد الله بن الزبعري فيما ذكره الماوردي قوله تعالى ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾
اى ضربوا لك هذه ليتوصلوا الى تكذيبك ﴿فَضَلُّوا﴾ عن سبيل الحق وعن بلوغ ما ارادوا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ الى
تصحيح ما قالوه فيك قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ
تَجْرِي﴾ شرط ومجازاة ولم يدغم جعل لك لان الكلمتين منفصلتان ويجوز الادغام لاجتماع المثلين وجعل لك في موضع
جزم عطفا على موضع جعل ويجوز ان يكون في موضع رفع مقطوعا من الاول وكذلك قرأ اهل الشام ويروى عن عاصم ايضا ويجعل
لك بالرفع اى وسيجعل لك في الآخرة قصورا قال مجاهد كانت قريش ترى البيت من حجارة قصرا كائنا ما كان والقصر
في اللغة الحبس وسمي القصر قصرا لان من فيه مقصور عن ان يوصل اليه وقيل العرب تسمي بيوت الطين القصر وما يتخذ من
الصوف والشعر البيت حكاه القشيري وروى سفيان عن حبيب بن ثابت عن خيثمة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
ان شئت ان نعطيك خزائن الدنيا ومفاتيحها ولم نعط ذلك من قبلك ولا نعطاه احد بعدك وليس ذلك بناقصك في
الآخرة شيئا وان شئت جمعنا لك في الآخرة فقال يجمع لي ذلك في الآخرة فانزل الله عز وجل تبارك الذي ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ويروى ان هذه الآية انزلها رضوان خازن
الجنات الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الخبر ان رضوان لما نزل سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا محمد رب العزة
يقرئك السلام وهذا سفط فاذا سفط من نور يتلألأ يقول لك ربك هذه مفاتيح خزائن الدنيا مع انه لا ينقص ما لك
في الآخرة مثل جناح بعوضة فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير له فضرب جبريل بيده الارض يشير ان تواضع
فقال يا رضوان لا حاجة لي فيها الفقر احب الي وان اكون عبدا صابرا شكورا فقال رضوان اصبت اصاب الله بك وذكر الحديث
قوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ يريد يوم القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾
يريد جهنم تتلظى عليهم ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ اى من مسيرة خمسمائة عام ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ قيل المعنى اذا رأتهم

جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم وقيل المعنى اذا رأتهم خزنتها سمعوا لها تغيظا وزفيرا حرصا على عذابهم والاول اصح لما روي
مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله
ولها عينان قال اما سمعتم الله عز وجل يقول اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا يخرج عنق من النار له عينان
يبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بكل من جعل مع الله الها آخر فلهو ابصر بهم من الطير فيلتقطهم في روايه فيخرج عنق من
النار فيلتقط الكفار لقط الطاير حب السمسم في روايه فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطاير حب السمسم ذكره رزين
في كتابه وصححه ابن العربي في قبسه وقال اي تفصلهم عن الخلق في المعرفه كما يفصل الطاير حب السمسم من التربه وخرجه الترمذي
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران واذنان
يسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وفي
الباب عن ابي سعيد الخدري قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وقال الكلبي سمعوا لها تغيظا كتغيظ بني آدم
وصوتا كصوت الحمار وقيل فيه تقديم وتأخير سمعوا لها زفيرا وعلموا لها تغيظا وقال قطرب التغيظ لا يسمع ولكن يرى
والمعنى رأوا لها تغيظا وسمعوا لها قال الشاعر ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا
لها اي فيها تغيظا وزفيرا للمعذبين كما قال لهم فيها زفير وشهيق وفي واللام متقاربان تقول افعل هذا في الله ولله
قوله تعالى وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ قال قتادة ذكر لنا ان عبد الله كان يقول ان جهنم
لتضيق على الكافر كتضييق الزج على الرمح ذكره ابن المبارك في رقائقه وكذا قال ابن عباس ذكره الثعلبي والقشيري عنه
وحكاه الماوردي عن عبد الله بن عمرو ومعنى مقرنين مكتفين قاله ابو صالح وقيل مصفدين قد قرنت ايديهم
الى اعناقهم في الاغلال وقيل قرنوا مع الشياطين اي قرن كل واحد منهم الى شيطانه قاله يحيى بن سلام وقد مضى
هذا في سورة ابرهيم وقال عمرو بن كلثوم فأبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مقرنينا دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا
اي هلاكا قاله الضحاك ابن عباس ويلا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اول من يقوله ابليس وذلك انه اول من
يكسى حلة من النار فتوضع على حاجبيه ويسحبها من خلفه وهو يقول واثبوراه وانتصب على المصدر اي ثبرنا ثبورا قاله
الزجاج وقال غيره هو مفعول به قوله تعالى لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا
فان هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة وقال ثبورا لانه مصدر يقع للقليل والكثير فلذلك لم يجمع وهو كقولك ضربته ضربا
كثيرا وقعد قعودا طويلا ونزلت الآيات في ابن خطل واصحابه قوله تعالى قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ
الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ان قيل كيف قال ذلك خير ولا خير في النار فالجواب ما حكى عن العرب الشقاء احب اليك
ام السعادة وقد علم ان السعادة احب اليه وقيل ليس هو من باب افعل منك وانما هو كقولك عنده خير وقال
النحاس وهذا قول حسن كما قال فشركما لخيركما الفدا وقيل انما قال ذلك لان الجنة والنار قد دخلتا في باب المنازل
فقال ذلك لتفاوت ما بين المنزلتين وقيل هو مردود على قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الآية وقيل
هو مردود على قوله او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقيل انما قال ذلك على معنى علمكم واعتقادكم ايها
الكفار وذلك انهم لما كانوا يعملون عمل اهل النار صاروا كأنهم يقولون ان في النار خيرا قوله تعالى لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ اي من النعيم خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا قال الكلبي وعد الله المؤمنين والمؤمنات
الجنة جزاء على اعمالهم فسألوه ذلك الوعد فقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وهو معنى قول ابن عباس
وقيل ان الملائكة تسأل لهم الجنة دليله قوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الآية وهذا قول محمد بن

زفيرا صح

وفي نسخة جبينه صح

كعب القرظي وقيل معنى وَعْدًا مَسْئُولًا اي واجبا وان لم يسأل كالدين حكي عن العرب لاعطينك الفا وقيل بمعنى وعدا
مسؤولا اي واجبا وان لم يسأل كالدين انه واجب لك فتسأله وقال زيد بن اسلم سألوا الله الجنة في الدنيا ورغبوا
اليه في الدعاء فاجابهم في الآخرة الى ما سألوه واعطاهم ما طلبوا وهذا يرجع الى القول الاول قوله تعالى وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ قرأ ابن محيصن وحميد بن كثير وحفص ويعقوب وابو عمرو في رواية الدوري يحشرهم بالياء واختاره
ابو عبيد وابو حاتم لقوله في اول الكلام كان على ربك وفي آخره أأنتم أضللتم عبادي الباقون بالنون على التعظيم
وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ من الملائكة والانس والجن والمسيح وعزير قاله مجاهد وابن جريج الضحاك وعكرمة
الاصنام فيقول قراءة العامة بالياء وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرأ ابن عامر وابو حيوة بالنون على التعظيم
أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ وهذا استفهام توبيخ للكفار قَالُوا سُبْحَانَكَ يعني المعبودون
من دون الله سبحانك تنزيها لك مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ فان قيل فان كانت
الاصنام التي تعبد تحشر فكيف تنطق وهي جماد قيل له ينطقها الله سبحانه وتعالى يوم القيامة كما ينطق الايدي
والارجل وقرأ الحسن وابو جعفر نتخذ بضم النون وفتح الخاء على الفعل المجهول وقد تكلم في هذه القراءة النحويون
فقال ابو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر لا يجوز نتخذ قال ابو عمرو لو كانت نتخذ لحذفت من الثانية فقلت ان نتخذ من دونك
اولياء وقال ابو عبيد لا يجوز نتخذ لان الله سبحانه وتعالى ذكر من مرتين ولو كان كما قال لقال ان نتخذ من دونك اولياء
وقيل ان من الثانية صلة قال النحاس ومثل ابو عمرو على جلالته ومحله يستحسن ما قال لانه شبهه جاء بينه وشرح ما قال انه
يقال ما اتخذت رجلا وليا فيجوز ان يقع هذا للواحد بعينه ثم يقال ما اتخذت من رجل وليا فيكون نفيا عاما وقولك
وليا تابع لما قبله فلا يجوز ان يدخل فيه من لانه لا فائدة في ذلك وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ اي في الدنيا بالصحة
والغنى وطول العمر بعد موت الرسل صلوات الله عليهم حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ اي تركوا ذكرك فاشركوا بك بطرا وجهلا
فعبدونا من غير ان امرناهم بذلك وفي الذكر قولان احدهما القرآن المنزل على الرسل تركوا العمل به قاله ابن زيد
الثاني الشكر على الاحسان اليهم والانعام عليهم إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا بُورًا اي هلكى قاله ابن عباس مأخوذ من البوار وهو
الهلاك وقال ابو الدرداء وقد اشرف على اهل حمص يا اهل حمص هلم الى اخ لكم ناصح فلما اجتمعوا حوله قال ما لكم
لا تستحيون تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون ان من كان قبلكم بنوا شديدا وجمعوا
عبيدا واملوا بعيدا فاصبح جمعهم بورا وآمالهم غرورا ومساكنهم قبورا فقوله بورا اي هلكى وفي حديث آخر فاصبحت منازلهم
بورا اي خالية لا شيء فيها وقال الحسن بورا لا خير فيهم مأخوذ من بوار الارض وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير
وقال شهر بن حوشب البوار الفساد والهلاك مأخوذ من قولهم بارت السلعة اذا كسدت كساد الفساد ومنه الحديث
نعوذ بالله من بوار الايم وهو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث قال ابن الزبعرى
يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور اذ اباري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور
وقال بعضهم الواحد باير والجمع بور كما يقال عائذ وعوذ وهائد وهود وقيل بورا عميا عن الحق قوله تعالى
فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ اي يقول الله عز وجل عند تبري المعبودين فقد كذبوكم اي في قولكم انهم آلهة
فَمَا تَسْتَطِيعُونَ يعني الآلهة صرف العذاب عنكم ولا نصركم وقيل فما يستطيع هؤلاء الكفار لما كذبهم المعبودون صرفا
للعذاب ولا نصرا من الله وقاله ابن زيد المعنى فقد كذبوكم ايها المؤمنون هؤلاء الكفار فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا فمعنى بما تقولون بما تقولون من الحق وقال ابو عبيد المعنى فيما تقولون فما تستطيعون لكم صرفا عن الحق الذي

حكى عن العرب لاعطينك الفا وقيل
وعدا مسؤولا يعني اهم

هداكم الله اليه ولا انصر الا انفسهم مما نزل بهم من العذاب بتكذيبهم اياكم وقراءة العامة بالتاء على الخطاب وقد بينا معناه
وحكى الفراء انه قراء فقد كذبوكم مخففا بما تقولون وكذا قراء مجاهد والبزى بالياء ويكون معنى يقولون بقولهم وقراء ابو حيوة بما
يقولون بياء فما تستطيعون بتاء على الخطاب لمتخذى الشركاء ومن قراء بالياء فالمعنى فما يستطيع الشركاء ومن يظلم
منكم قال ابن عباس من يشرك منكم ثم مات عليه نذقه في الآخرة عذابا كبيرا اى شديدا كقوله تعالى ولتعلن
علوا كبيرا اى شديدا قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الى قوله بصيرا فيه تسع مسايل الاولى
قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين نزلت جوابا للمشركين حيث قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في الاسواق
وقال ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في
الاسواق حزن النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فنزلت تعزية له فقال جبريل عليه السلام السلام عليك يا رسول الله ربك يقرئك
السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق اى يبتغون المعاش في
الدنيا الثانية قوله تعالى الا انهم لياكلون الطعام اذا دخلت اللام لم يكن في ان الا الكسرة ولو لم تكن اللام ما جاز ايضا
الا الكسر لانها مستانفة هذا قول جميع النحويين قال النحاس الا ان على بن سليمان حكى لنا عن محمد بن يزيد انه قال يجوز في ان هنا
الفتح وان كان بعدها اللام واحسبه حما قال ابو اسحق الزجاج وفي الكلام حذف والمعنى وما ارسلنا قبلك رسلا الا انهم لياكلون
الطعام ثم حذف رسلا لان في قولك من المرسلين ما يدل عليه فالموصوف محذوف عند الزجاج ولا يجوز عنده حذف الموصول
وتبقيه الصلة كما قال الفراء المحذوف من والمعنى الا من انهم لياكلون الطعام وشبهه بقوله وما منا الا له مقام معلوم وقوله
وان منكم الا واردها اى ما منكم الا من هو واردها وهذا قول الكسائى ايضا وتقول العرب ما بعثت اليك من الناس الا
من انه ليطيعك وقولك انه ليطيعك صله من قال الزجاج هذا خطاء لان من موصولة فلا يجوز حذفها وقال اهل المعانى المعنى
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا قيل انهم لياكلون الطعام دليله قوله سبحانه وتعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال
ابن الانبارى كسرت انهم بعد الا للاستيناف باضمار واو اى والا انهم وذهبت فرقة الى ان قوله لياكلون الطعام كناية عن الحدث
قال المولف رحمه الله وهذا بليغ في معناه ومثله ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان
الطعام ويمشون في الاسواق قراء الجمهور يمشون بفتح الياء وسكون الميم وتخفيف الشين وقراء على وابن مسعود وابن
عوف بضم الياء وفتح الميم وشد الشين المفتوحة بمعنى يدعون الى المشى ويحملون عليه وقراء ابو عبد الرحمن السلمى بضم الياء وفتح الميم
وضم الشين المشدده وهى بمعنى يمشون قال الشاعر امشى باعطان المياه وابتغى قلايص منها صعبة وركوب وقال كعب بن
زهير منه يظل سباع الجو ضامزة ولا تمشى بواديه الاراجيل بمعنى تمشى الثالثة هذه الآية اصل في تناول الاسباب
وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك وقد مضى هذا المعنى في غير موضع لكنا نذكر من ذلك ما يكفى فنقول قال لى
بعض مشايخ هذا الزمان في كلام جرى ان الانبياء عليهم السلام انما بعثوا ليسنوا الاسباب للضعفاء فقلت مجيبا له هذا
قول لا يصدر الا من الجهال الاغبياء والرعاع السفهاء او من طاعن في الكتاب والسنه العليا وقد اخبر الله سبحانه وتعالى
في كتابه عن اصفيائه ورسله وانبيائه بالاسباب والاحتراف فقال وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق قال العلماء اى يتجرون ويحترفون وقال عليه السلام
جعل رزقى تحت ظل رمحى وقال تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وكان الصحابة رضى الله عنهم يتجرون ويحترفون وفي
اموالهم يعملون ومن خالفهم من الكفار يقاتلون اتراهم ضعفاء بل هم والله كانوا الاقوياء وبهم الخلف الصالح اقتدى
وطريقهم فيه الهدى والاهتداء قال المولف رحمه الله لو كان ذلك لوجب عليهم وعلى الرسول معهم البيان كما ثبت في

في القرآن وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى
وهذا من البينات والهدى واما اصحاب الصفة فانهم كانوا ضيف الاسلام عند ضيق الحال وكان عليه السلام اذا اتته صدقة
خصهم بها واذا اتته هدية اكلها معهم وكانوا مع هذا يحتطبون ويسوقون الماء الى ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا
وصفهم البخارى وغيره ثم لما افتتح الله عليهم البلاد ومهد لهم المهاد تأمروا بالاسباب امروا ثم ان هذا القول يدل على ضعف النبى
صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم ايدوا بالملائكة وثبتوا بهم فلو كانوا اقوياء ما احتاجوا الى تأييد الملائكة وتثبيتهم اذ
ذلك سبب من اسباب النصر نعوذ بالله من قول واطلاق يؤل الى هذا بل القول بالاسباب والوسايط سنة الله وسنة
رسوله وهو الحق المبين والطريق المستقيم الذى انعقد عليه اجماع المسلمين والا كان يكون قوله الحق واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة الآية مقصورا على الضعفاء وجميع الخطابات كذلك وفي التنزيل حيث خاطب موسى الكليم اضرب بعصاك
البحر وقد كان قادرا على فلق البحر دون ضرب عصاه وكذلك مريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة وقد كان قادرا على
سقوط الرطب دون هز ولا تعب ومع هذا كله فلا ننكر ان يكون رجلا يلطف به ويعان او يجاب دعوته او يكرم بكرامة
في خاصة نفسه او لاجل غيره ولا تهد لذلك القواعد الكلية والامور الجلية هيهات هيهات لا تقال فقد قال سبحانه وتعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون فانا نقول صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وان الرزق هنا المطر باجماع اهل التاويل
بدليل قوله تعالى وينزل لكم من السماء رزقا وقال تعالى وانزلنا من السماء ماء فانبتنا به جنات وحب الحصيد
ولم نشاهد ننزل من السماء على الخلق اطباق الخبز ولا جفان اللحم بل الاسباب اصل في وجود ذلك وهو معنى قوله
عليه السلام اطلبوا الرزق في خبايا الارض اى بالحرث والحفر والغرس وقد يسمى الشئ بما يؤل اليه فسمى المطر
رزقا لانه عنه يكون الرزق وذلك مشهور في كلام العرب وقال عليه السلام لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على
ظهره خير له ان يسال احدا اعطاه او منعه وهذا فيما خرج بغير تعب من الحشيش والحطب ولو قدر رجل بالجبال منقطع
عن الناس لكان له بد من الخروج الى ما تخرجه الاكام وظهور الاعلام حتى يتناول من ذلك ما يعيش به وهو معنى قوله
عليه السلام لو انكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فغدوها ورواحها
سبب والعجب العجب ممن يدعى التجريد والتوكل على التحقيق ويقعد على ثنيات الطريق ويدع الطريق المستقيم والمنهج الواضح
القويم ثبت في البخارى عن ابن عباس قال كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا
سالوا الناس فانزل الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى ولم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان
الله عليهم اجمعين انهم خرجوا الى اسفارهم بغير زاد وكانوا المتوكلين حقا والتوكل اعتماد القلب على الرب في ان يلم
شعثه ويجمع عليه اربه ثم تناول الاسباب بمجرد الاصر وهذا هو الحق سال رجل الامام احمد بن حنبل فقال انى اريد
الحج على قدم التوكل فقال اخرج وحدك فقال لا الا مع الناس فقال له انت اذا متوكل على اجربتهم وقد اتينا على هذا
في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السوال بالكف والشفاعة والله الموفق للصواب الرابعة
خرج مسلم عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احب البلاد الى الله مساجدها وابغض البلاد الى
الله اسواقها وخرج البزار عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونن ان استطعت اول
من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فانها معركة الشيطان وبها ينصب رايته اخرجه ابو بكر البرقانى مسندا عن ابى محمد
عبد الغنى بن سعيد الحافظ من رواية عاصم عن ابى عثمان النهدى عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تكن اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ ففى هذا الحديث ما يدل على كراهة دخول

الاسواق لا سيما فى هذه الازمان التى تخالط فيها الرجال النسوان وهكذا قال علما ونا لما كثر الباطل فى الاسواق وظهرت فيها المناكر كره دخولها لارباب الفضل والمقتدى بهم فى الدين تنزيها لهم عن البقاع التى يعصى الله فيها فحق على من ابتلاه الله بالسوق ان يخطر بباله انه قد دخل محل الشيطان ومحل جنوده وانه ان قام هناك هلك ومن كانت هذه حاله اقتصر منه على قدر ضرورته وتحرز من سوء عاقبته وبليته الخامسة تشبيه النبى صلى الله عليه وسلم السوق بالمعركة تشبيه حسن وذلك ان المعركة موضع القتال سمى بذلك لتعارك الابطال فيه ومصارعة بعضهم بعضا فشبه السوق وفعل الشيطان بها ونيله منهم مما يحملهم من المكر والخديعة والتساهل فى البيوع الفاسدة والايمان الكاذبة واختلاط الاصوات وغير ذلك بمعركة الحرب ومن يصرع فيها السادسة قال ابن العربى اما اكل الطعام فضرورة الخلق لا عار ولا درك فيه واما الاسواق فسمعت مشيخة اهل العلم يقولون لا يدخل الاسواق الكتب والسلاح وعندى انه يدخل كل سوق للحاجة اليه ولا ياكل فيها لان ذلك اسقاط المروءة وهدم الحشمة ومن الاحاديث الموضوعة الاكل فى السوق دناءة قال المولف رحمه الله ما ذكره مشيخة اهل العلم فنعما هو فان ذلك خال عن النظر الى النسوان ومخالطتهن اذ ليس ذلك من حاجتهن واما غيرها من الاسواق فمشحونة منهن وقلة الحياء قد غلب عليهن حتى ترى المراة فى القيساريات وغيرهن قاعدة متبرجة بزينتها وهذا من المنكر الفاشى فى زماننا هذا نعوذ بالله من سخطه السابعة خرج ابو داود الطيالسى فى مسنده قال حدثنا حماد بن زيد قال حدثنا عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير عن سالم عن ابيه عن عمر بن الخطاب قال من دخل سوقا من هذه الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة وبنى له قصرا فى الجنة خرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب قال ابن العربى وهذا اذا لم يقصد فى تلك البقعة سواه ليعمرها بالطاعة اذا عمرت بالمعصية وليحليها بالذكر اذا عطلت بالغفلة وليعلم الجهلة وليذكر الناسين الثامنة قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ اى ان الدنيا دار بلاء وامتحان فاراد سبحانه ان يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم فى جميع الناس مومن وكافر فالصحيح فتنة للمريض والغنى فتنة للفقير والفقير الصابر فتنة للغنى ومعنى هذا ان كل واحد مختبر بصاحبه فالغنى ممتحن بالفقير عليه ان يواسيه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغنى عليه ان لا يحسده ولا ياخذ منه الا ما اعطاه وان يصبر كل واحد منهما على الحق قال الضحاك فى معنى اتصبرون اى على الحق واصحاب البلاء يقولون لم لم نعاف والاعمى يقول لم لم اجعل كالبصير وهكذا صاحب كل آفة والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لاشراف الناس من الكفار فى عصره وكذلك العلماء وحكام العدل الا ترى الى قولهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ فالفتنة ان يحسد المبتلى المعافى ويحقر المعافى المبتلى والصبر ان يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وهذا عن الضجر اتصبرون محذوف الجواب يعنى ام لا تصبرون فيقتضى جوابا عما قاله المزنى وقد اخرجته الفاقة فراى خصيا فى مراكب ومواكب فخطر بباله شىء فسمع من يقرا الآية اتصبرون فقال بلى ربنا نصبر ونحتسب وقد تلى ابن القسم صاحب مالك هذه الآية حين راى اشهب بن عبد العزيز فى مملكته عابرا عليه ثم اجاب نفسه بقوله سنصبر وعن ابى الدرداء انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضهم لبعض فتنة وقوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون اسنده الثعلبى رحمه الله وقال مقاتل نزلت فى ابى جهل

بن هشام والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعقبة بن ابى معيط وعتبة بن ربيعة والنضر بن الحارث حين راوا اباذر وعبد الله بن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وسالما مولى ابى حذيفة ومهجعا مولى عمر بن الخطاب وجبرا مولى الحضرمى ودونهم فقالوا على سبيل الاستهزاء انسلم فنكون مثل هولاء المومنين اتصبرون على ما ترون من هذه الحالة الشديدة فالموقف بالتصبرون خاص المومنين المحققين من امة محمد صلى الله عليه وسلم كانه جعل امهال الكفار والتوسعة عليهم فتنة للمومنين اى اختبارا لهم ولما صبر المسلمون انزل فيهم ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ قوله تعالى ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ اى بكل امر وبمن يصبر او يجزع وبمن يومن وبمن لا يومن وبمن ادى ما عليه من الحق وبمن لا يودى وقيل اتصبرون مثل فهل انتم منتهون اى انتهوا فهو امر للنبى صلى الله عليه وسلم بالصبر ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يريد لا يخافون البعث ولقاء الله اى لا يومنون بذلك قال اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل وقيل لا يرجون لا يبالون قال لعمرك لا ارجو اذا كنت مسلما على اى جنب كان فى الله مصرعى ابن شجرة لا يا ملون قال اترجو امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ﴾ اى هلا انزل ﴿عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فيخبرونا ان محمدا صادق ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ عيانا فيخبرنا برسالته نظيره قوله سبحانه وتعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الى قوله ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ قال الله تعالى ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ حيث سالوا الله الشطط لان الملائكة لا ترى الا عند الموت او عند نزول العذاب والله سبحانه وتعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فلا عين تراه وقال مقاتل عتوا علوا فى القول والعتو اشد الكفر وافحش الظلم واذ لم يكتفوا بالمعجزات وهذا القرآن فكيف يكتفوا بالملائكة وهم لا يميزون بينهم وبين الشياطين ولا بد لهم من معجزة يقيمها من يدعى انه ملك وليس للقوم طلب معجزة بعد ان شاهدوا معجزة وان ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ يريد ان الملائكة لا يراها احد الا عند الموت فتبشر المومنين بالجنة وتضرب المشركين والكفار بمقامع الحديد حتى تخرج انفسهم ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ يريد تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله واقام شرائعها عن ابن عباس وغيره وقيل ان ذلك يوم القيمة قاله مجاهد وعطية العوفى قال عطية اذا كان يوم القيمة تلقى المومن بالبشرى فاذا راى ذلك الكافر تمنى فلم يره من الملائكة وانتصب يوم يرون بتقدير لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة يومئذ بالبعد ليوم يرون قال النحاس لا يجوز ان يكون يوم يرون منصوبا ببشرى لان ما فى حيز النفى لا يعمل فيما قبله ولكن فيه تقدير ان يكون المعنى يمنعون البشارة يوم يرون الملائكة ودل هذا الحذف على ما بعده ويجوز ان يكون التقدير لا بشرى تكون يوم يرون الملائكة يومئذ موكد ويجوز ان يكون المعنى اذكر يوم يرون الملائكة ثم ابتدا فقال لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ اى وتقول الملائكة حراما محرما ان يكون لهم البشرى الا للمومنين قال المولف رحمه الله الشاعر الا اصبحت اسماء حجرا محرما واصبحت من ادنى حموتها حما اراد الا اصبحت اسماء حراما محرما وقال آخر حنت الى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس وروى عن الحسن انه قال ويقولون حجرا وقف من قول المجرمين فقال الله عز وجل محجورا عليهم ان يعاذوا او يجاروا فحجر الله عليهم يوم القيمة والاول قول ابن عباس وبه قال الفراء قاله ابن الانبارى وقرا الحسن وابو رجاء وحجرا بضم الحاء والناس على كسرها وقيل ان ذلك من قول الكفار لانفسهم قاله قتادة فيما ذكره الماوردى وقيل هو من قول الكفار للملائكة وهى كلمة استعاذة وكانت معروفة فى الجاهلية وكان الرجل اذا لقى من يخافه قال حجرا محجورا اى حرام عليك التعرض لى وانتصابه على معنى حجرت عليك وحجر الله عليك كما تقول

سقيا ورعيا اى ان المجرمين اذا رأوا الملائكة يلقونهم فى النار قالوا نعوذ بالله منكم وذكره القشيرى وحكى معناه المهدوى
عن مجاهد وقيل حجرا من قول المجرمين محجورا من قول الملائكة اى قالوا الملائكة نعوذ بالله منكم ان تتعرضوا لنا فتقول
الملائكة محجورا اى تعاذوا من شر هذا اليوم قاله الحسن قوله تعالى وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
تنبيه على عظم قدر يوم القيمة اى قصدنا فى ذلك الى ما كان يعمله المجرمون من عمل بر عند انفسهم يقال قدم فلان الى امر
كذا اى قصده وقال مجاهد قدمنا اى عمدنا وقال الراجز وقدم الخوارج الضلال الى عباد ربهم فقالوا ان دماءكم لنا
حلال وقيل هو قدوم الملائكة اخبر به عن نفسه تعالى فاعله فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا اى لا ينتفع به اى ابطلناه
بالكفر وليس هباء من ذوات الهمز وانما همزت لالتقاء الساكنين والتصغير هُبَىٌّ فى موضع الرفع ومن العرب من يقول
هُبَىٌ فى موضع الرفع حكاه النحاس وواحده هباءة والجمع اهباء قال الحارث بن حلزة يصف فرسا خلفها من الرجيع و
الرفع منثا كانه اهباء وروى الحارث عن على قال الهباء المنثور شعاع الشمس الذى يدخل من الكوة وقال الازهرى
الهباء ما يخرج من الكوة فى ضوء الشمس يشبه بالغبار تأويله ان الله سبحانه وتعالى احبط اعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء
المنثور فاما الهباء المنبث فهو ما تثير الخيل بسنابكها من الغبار والمنبث المتفرق وقال ابن عرفة الهبوة والهباء التراب
الدقيق قال الجوهرى ويقال له اذا ارتفع هباء يهبو هبوا واهبيته انا والهبوة الغبرة قال رؤبة تبدو لنا اعلامه بعد
الغرق فى قطع الال وهبوات الدقق وموضع هابى التراب اى كان تراب مثل الهباء فى الدقة وقيل انه ما اذرته الريح
من يابس اوراق الشجر قاله قتادة وابن عباس وقال ابن عباس ايضا انه الماء المهراق وقيل انه الرماد قاله عبيد بن يعلى
قوله تعالى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا تقدم القول فيه عند قوله تعالى
قل اذلك خير ام جنة الخلد قال النحاس والكوفيون يجيزون العسل احلى من الخل وهذا قول مردود لان معنى فلان خير من
فلان انه اكثر خيرا منه ولا حلاوة فى الخل ولا يجوز ان يقال النصرانى خير من اليهودى لانه لا خير فيهما فيكون احدهما ازيد فى الخير
ولكن يقال اليهودى شر من النصرانى فعلى هذا كلام العرب ومستقرا نصب على الظرف اذا قدر على غير باب افعل منك والمعنى
لهم خير فى مستقر واذا كان من باب افعل منك فانتصابه على البيان قاله النحاس والمهدوى قال قتادة واحسن مقيلا منزلا
ومأوى وقيل هو على ما تعرفه العرب من مقيل نصف النهار ومنه الحديث المرفوع ان الله تبارك وتعالى يفرغ من حساب
الخلق فى مقدار نصف يوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ثم قرأ ان مقيلهم لالى الجحيم كذا هى فى قراءة
ابن مسعود وقال ابن عباس من ذلك اليوم فى اوله فلا ينتصف النهار من يوم القيمة حتى يقيل اهل النار فى النار واهل
الجنة فى الجنة ومنه ما روى قيلوا فان الشياطين لا تقيل وذكر قاسم بن اصبغ من حديث ابى سعيد الخدرى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا اليوم فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى
بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا قوله تعالى وَيَوْمَ تَشَقَّقُ
السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ اى واذكر يوم تشقق السماء وقراءة عاصم والاعمش ويحيى وحمزة والكسائى وابو عمرو تشقق بتخفيف
الشين واصله تتشقق بتائين فحذفوا الاول تخفيفا واختاره ابو عبيد الباقون تشقق بتشديد الشين على الادغام
واختاره ابو حاتم وكذلك فى ق بالغمام اى عن الغمام والباء وعن يتعاقبان كما تقول رميت بالقوس وعن القوس روى ان
السماء تتشقق عن سحاب ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل فى تيههم فتشقق السماء عنه وهو الذى قال الله تعالى
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وتنزل الملائكة من السموات ويأتى الرب عز وجل فى الثمانية الذين
يحملون العرش لفصل القضاء على ما يجوز ان يحمل عليه اتيانه لا على ان يحمل عليه صفات المخلوقين من الحركة والانتقال وقال ابن

خير

ذكره المهدوى وقال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة من نهار الدنيا حتى يقيل هولاء فى الجنة وهولاء فى النار صح

قال

ابن عباس تشقق سماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن فى الارض من الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فينزل اهلها وهم
اكثر ممن فى السماء الدنيا ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة ثم تنزل الكروبيون وحملة العرش وهو معنى قوله وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا
اى من السماء الى الارض لحساب الثقلين وقيل ان السماء تشقق بالغمام الذى بينها وبين الناس فبتشقق الغمام تتشقق السماء
فاذا انشقت السماء انتقض تركيبها وطويت فنزلت الملائكة الى مكان سواها وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة بالنصب من
الانزال الباقون ونزل الملائكة بالرفع دليله تنزيلا ولو كان على الاول لقال انزالا وقد قيل ان نزل وانزل بمعنى فجاء تنزيلا على
نزل وقد قرأ عبد الوهاب عن ابى عمرو ونزل الملائكة وقرأ ابن مسعود وانزل الملائكة ابى بن كعب ونزلت الملائكة وعنه
ايضا وتنزلت الملائكة قوله تعالى الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ الملك مبتدأ والحق صفة له وللرحمن
الخبر لان الملك الذى يزول وينقطع ليس بملك بطلت يومئذ املاك المالكين وانقطعت دعاويهم وزال كل ملك وملكه
وبقى الملك الحق لله وحده وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا اى لما ينالهم من الاهوال ويلحقهم من الخزى والهوان وهو
على المؤمنين اخف من صلاة مكتوبة على ما تقدم فى الحديث وهذه الآية دالة عليه لانه اذا كان على الكافرين عسيرا
فهو على المؤمنين يسير يقال عسر يعسر وعسر يعسر قوله تعالى وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ الماضى عضضت
وحكى الكسائى عضضت بفتح الضاد الاولى وجاء التوقيف عن اهل التفسير منهم ابن عباس وابن المسيب ان الظالم
ههنا يراد به عقبة بن ابى معيط وان خليله امية بن خلف فعقبة قتله على بن ابى طالب عليه السلام وذلك انه كان
من الاسارى يوم بدر فامر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فقال أأقتل دونهم فقال بكفرك وعتوك فقال من للصبية
فقال النار فقام على رضى الله عنه فقتله وامية قتله النبى صلى الله عليه وسلم فانه خبر عنهما بهذا فقتلا على الكفر ولم تسميا
فى الآية لانه ابلغ فى الفائدة ليعلم ان هذا سبيل كل ظالم قبل من غيره فى معصية الله جل وعز قال ابن عباس وقتادة و
غيرهما وكان عقبة قد هم بالاسلام فمنعه ابى بن خلف فى المبارزة يوم احد ذكره القشيرى والثعلبى والاول ذكره النحاس
وقال السهيلى ويوم يعض الظالم على يديه هو عقبة بن ابى معيط وكان صديقه امية بن خلف الجمحى ويروى لابى بن
خلف اخى امية وكان قد صنع وليمة فدعا اليها قريشا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان يأتيه الا ان يسلم
وكره عقبة ان يتأخر عن طعامه من اشراف قريش احد فاسلم ونطق بالشهادتين فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واكل من طعامه فعاتبه خليله امية بن خلف او ابى بن خلف وكان غائبا فقال عقبة رأيت عظيما ان لا يحضر طعامى
رجل من اشراف قريش ولا يأكل فقال له خليله لا ارضى حتى ترجع وتبصق فى وجهه وتطأ عنقه وتقول كيت وكيت
ففعل عدو الله ما امره به خليله فانزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه قال الضحاك لما بصق عقبة فى
وجه النبى صلى الله عليه وسلم رجع بصاقه فى وجهه وشوى وجهه وشفتيه حتى اثر فى وجهه واحرق خديه فلم يزل
اثر ذلك فى وجهه حتى قتل وعضه يديه فعل النادم الحزين لاجل طاعة خليله يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا فى الدنيا يعنى طريقا الى الجنة يَا وَيْلَتَىٰ دعاء بالويل والثبور على مخالفة الكافر ومتابعته لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا يعنى امية وكنى عنه ولم يصرح باسمه لئلا يكون هذا الوعد مخصوصا ولا مقصورا بل يتناول جميع من
فعل مثل فعلهما وقال مجاهد وابو رجاء الظالم عام فى كل ظالم وفلان الشيطان واحتج لصاحب هذا القول بان بعده
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا قيل هذا من قول الله سبحانه وتعالى لا من قول الشيطان وتمام الكلام على هذا
عند قوله بعد اذ جاءنى والخذل الترك من الاغاثة ومنه خذلان ابليس للمشركين لما ظهر لهم فى صورة سراقة بن مالك فلما
رأى الملائكة تبرأ منهم وكل من صد عن سبيل الله واطيع فى معصية الله فهو شيطان للانسان خذولا عند نزول البلاء

وكان احدهما وكان النبى صلى الله عليه وسلم قتلهما جميعا قتل عقبة يوم بدر وابى بن خلف صح

وقرأ الحسن يا ويلتا وقد مضى سورة هود بيانه والخليل الصاحب والصديق وقد مضى فى السبا ما لقد اضلنى عن الذكر اى يقول هذا النادم

خليلا فى الدنيا فيما يلى يعنى... [illegible]

والعذاب ولقد احسن قول من قال تجنب قرين السوء واصرم حباله فان لم تجد عنه محيصا فداره واحب حبيب
الصدق واحذر مراره تنل منه صفو الود ما لم تماره وفي الشيب ما ينهى الحليم عن الصبى اذا اشتعلت نيرانه في عذاره
آخر اصحب خيار الناس حيث لقيتهم خير الصحابة من يكون عفيفا والناس مثل دراهم ميزتها فوجدت منها فضة
وزيوفا وفي الصحيح من حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك
ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما
تجد ريحا خبيثة لفظ مسلم واخرجه ابو داود من حديث انس وذكر ابو بكر البزار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله اي
جلسائنا خير قال من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله وقال مالك بن دينار انك ان تنقل
الاحجار مع الابرار خير لك من ان تأكل الخبيص مع الفجار وانشد وصاحب خيار الناس تنج مسلما وصاحب شرار الناس
يوما فتندما وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ يريد محمدا صلى الله عليه وسلم يشكوهم الى الله سبحانه وتعالى اِنَّ قَوْمِي
اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا فعزاه الله سبحانه وتعالى وسلاه بقوله وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
مِنَ الْمُجْرِمِينَ اي كما جعلنا لك يا محمد عدوا من مشركي قومك وهو ابو جهل في قول ابن عباس فكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا من مشركي قومه فاصبر لامري كما صبروا فاني هاديك وناصرك على كل من ناواك وقد قيل ان قول الرسول
يا رب انما يقوله يوم القيمة اي هجروا القرآن وهجروني وكذبوني وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن
وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين ان عبدك هذا اتخذني
مهجورا فاقض بيني وبينه ذكره الثعلبي وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا نصب على الحال والتمييز اي يهديك و
ينصرك فلا تبال بمن عاداك وقال ابن عباس عدو النبي صلى الله عليه وسلم ابو جهل لعنه الله قوله تعالى وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً اختلف في قائل هذا الكلام على قولين احدهما
انه كفار قريش قاله ابن عباس الثاني انهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقا هلا انزل عليه جملة واحدة كما انزلت
التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود فقال الله سبحانه وتعالى كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ نقوي
به قلبك فتعيه وتحمله لان الكتب المتقدمة انزلت على انبياء يكتبون ويقرؤون والقرآن نزل على نبي امي ولان من القرآن
الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سأل عن امور ففرقناه ليكون اوعى عند النبي صلى الله عليه وسلم وايسر على
العامل به وكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب قال المؤلف رحمه الله فان قيل هلا انزل القرآن دفعة واحدة و
حفظه اذ لو كان ذلك في قدرته قيل في قدرة الله سبحانه وتعالى ان يعلمه الكتاب والقرآن في لحظة واحدة ولكنه لم يفعل
ولا معترض عليه في حكمه وقد بينا وجه الحكمة في ذلك وقد قيل ان قوله كذلك من كلام المشركين اي لولا نزل عليه القرآن جملة
واحدة كذلك اي كالتوراة والانجيل فيتم الوقف على كذلك ثم يبتدي لنثبت به فؤادك ثم يبتدي على معنى انزلناه عليك متفرقا لنثبت
به فؤادك ويجوز ان يكون الوقف على جملة واحدة ثم يبتدي كذلك لنثبت به فؤادك قال ابن الانباري والوجه الاول اجود
واحسن والقول الثاني قد جاء به التفسير حدثنا محمد بن عثمان الشيبي قال حدثنا اسحق قال اخبرنا بشر بن عمارة عن ابي
روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى انا انزلناه في ليلة القدر قال انزل القرآن جملة واحدة من عند الله
عز وجل في اللوح المحفوظ والى السفرة الكرام البررة الكاتبين في السماء فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل
على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال فهو قوله فلا اقسم بمواقع النجوم يعني نجوم القرآن وانه لقسم لو تعلمون عظيم
انه لقرآن كريم قال فلما لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم جملة واحدة قال الله تبارك وتعالى كذلك لنثبت به فؤادك

اي قالوا فيه غير الحق من انه سحر او شعر عن مجاهد والنخعي وقيل معنى مهجورا اي متروكا

اي نقويه

قوله

يا محمد وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا يقول ورسلناه ترسيلا يقول شيئا بعد شيء وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ اِلَّا جِئْنَاكَ
بِالْحَقِّ وَاَحْسَنَ تَفْسِيرًا يقول لو انزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك ما تجيب ولكن
نمسك عليك فاذا سألوك اجبت قال النحاس وكان ذلك من علامات النبوة لانهم لا يسألون عن شيء الا
اجيبوا عنه وهذا لا يكون الا من نبي وكان ذلك تثبيتا لفؤاده وافئدتهم ويدل على هذا ولا يأتونك بمثل الا
جئناك بالحق واحسن تفسيرا ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم وعلم الله عز وجل ان الصلاح في انزاله
متفرقا لانهم ينبهون به مرة بعد مرة ولو نزل جملة واحدة لزال معنى التنبيه وفيه ناسخ ومنسوخ وكانوا يتعبدون
بالشيء الى وقت بعينه قد علم الله فيه الصلاح ثم ينزل النسخ بعد ذلك فمحال ان ينزل جملة واحدة افعلوا كذا ولا تفعلوا
قال النحاس والاولى ان يكون التمام جملة واحدة لانه اذا وقف كذلك صار كالتوراة والانجيل والزبور ولم يتقدم
فيها ذكر قال الضحاك واحسن تفسيرا اي تفصيلا والمعنى احسن من مثلهم فحذف لعلم السامع وقيل كان المشركون يستمدون
من اهل الكتاب وكان قد غلب على اهل الكتاب التحريف والتبديل فكان ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم احسن تفسيرا
مما عندهم لانهم كانوا يخلطون الحق بالباطل وقد قيل لا يأتونك بمثل كقولهم في صفة عيسى انه خلق من غير اب
الا جئناك بالحق اي بما فيه نقض حجتهم كآدم خلق من غير اب وام قوله تعالى اَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ
عَلَى وُجُوهِهِمْ اِلَى جَهَنَّمَ تقدم في سبحان اُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا لانهم في جهنم وقال مقاتل قال الكفار لاصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم هو شر الخلق فنزلت الآية وَاَضَلُّ سَبِيلًا اي دينا وطريقا ونظم الآية ولا يأتونك بمثل الا
جئناك بالحق وانت منصور عليهم بالحجج الواضحة وهم يحشرون على وجوههم قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ يريد التوراة وَجَعَلْنَا مَعَهُ اَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا تقدم في طه فَقُلْنَا اذْهَبَا اِلَى الْقَوْمِ الخطاب
لهما وقال انما امر موسى عليه السلام بالذهاب وحده في المعنى وهذا بمنزلة قوله نسيا حوتهما وقوله يخرج
مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ وانما يخرج من احدهما قال النحاس وهذا مما لا ينبغي ان يجترأ به على كتاب الله عز وجل
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا اِنَّنَا نَخَافُ اَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا اَوْ اَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا
اِنَّنِي مَعَكُمَا اَسْمَعُ وَاَرَى فَاْتِيَاهُ فَقُولَا اِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ونظير هذا وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ وقد قال جل
ثناؤه ثُمَّ اَرْسَلْنَا مُوسَى وَاَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا قال القشيري وقوله في موضع آخر اذْهَبْ اِلَى فِرْعَوْنَ اِنَّهُ
طَغَى لا ينافي هذا لانهم اذا كانا مأمورين فكل واحد مأمور ويجوز ان يقال امر موسى اولا ثم لما قال وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا
مِنْ اَهْلِي قال اذهبا الى فرعون اِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يريد فرعون وهامان والقبط فَدَمَّرْنَاهُمْ
تَدْمِيرًا اي اهلكناهم اهلاكا قوله تعالى وَقَوْمَ نُوحٍ في نصب قوم اربعة اقوال العطف على الهاء والميم في
دمرناهم الثاني بمعنى اذكر الثالث باضمار فعل يفسره ما بعده والتقدير واغرقنا قوم نوح اغرقناهم الرابع انه منصوب
باغرقناهم قاله الفراء ورده النحاس قال لان اغرقنا ليس مما يتعدى الى مفعولين فيعمل في المضمر وفي قوم نوح لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ
ذكر الجنس والمراد نوح وحده لانه لم يكن في ذلك الوقت رسول اليهم الا نوح وحده فنوح انما بعث بلا اله الا الله وبالايمان
بما ينزل الله فلما كذبوا كان في ذلك تكذيبا لكل من بعث بعده بهذه الكلمة وقيل ان من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل
لانه لا يفرق بينهم في الايمان ولانه ما من نبي الا يصدق بسائر انبياء الله فمن كذب منهم فقد كذب كل من صدقه من النبيين
اَغْرَقْنَاهُمْ اي بالطوفان على ما تقدم في هود وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً اي علامة ظاهرة على قدرتنا وَاَعْتَدْنَا
لِلظَّالِمِينَ اي المشركين من قوم نوح عَذَابًا اَلِيمًا اي في الآخرة وقيل اي هذه سبيلي في كل ظالم قوله تعالى

وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا كله معطوف على قوم نوح اذ كان قوم
نوح منصوبا على العطف او بمعنى اذكر ويجوز ان تكون كله منصوبا باضمار فعل اى اذكر عادا الذين كذبوا هودا
فاهلكهم الله بالريح العقيم وثمود كذبوا صالحا فاهلكوا بالرجفة واصحاب الرس والرس فى كلام العرب البئر التى
مطوية والجمع رساس قال تنابلة يحفرون الرساسا يعنى ابار المعادن قال ابن عباس سالت كعبا عن اصحاب
الرس قال صاحب يس الذى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فقتله قومه ورسوه فى بئر لهم يقال لها الرس طرحوه
فيها وكذلك قال مقاتل وقال السدى هم اصحاب قصة يس اهل انطاكية والرس بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار
مؤمن آل يس فنسبوا اليها وقال على رضى الله عنه هم قوم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم فقتلوه
ورسوه فى بئر فاظلتهم سحابة سوداء فاحرقتهم وقال ابن عباس هم قوم باذربيجان قتلوا الانبياء فجفت اشجارهم
وزروعهم فماتوا جوعا وعطشا وقال وهب بن منبه كانوا اهل بئر يقعدون عليها واصحاب مواشى وكانوا
يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه واذوه وتمادوا على كفرهم وطغيانهم فبينما هم حول البئر فى منازلهم
انهارت بهم وبديارهم فخسف الله بهم فهلكوا جميعا وقال قتادة اصحاب الرس واصحاب الايكة اثنان ارسل الله
اليهم شعيبا فكذبوه فعذبهم الله بعذابين قال قتادة والرس قرية بفلج اليمامة وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم فى
بئر ودليله ما روى محمد القرظى عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اول الناس دخولا الجنة يوم القيمة عبد
اسود وذلك ان الله بعث نبيا الى قومه فلم يؤمن به الا ذلك الاسود فحفر اهل القرية بئرا والقوه فيه حيا واطبقوا
عليه حجرا ضخما فكان العبد يحتطب على ظهره ويبيعه ويأتيه بطعامه وشرابه فيعينه الله على رفع تلك الصخرة حتى
يدليه اليه فبينما هو يحتطب اذ نام فضرب الله على اذنه سبع سنين وانكفأ لشقه الاخر فضرب الله على اذنه سبع سنين
ثم هب فاحتمل حزمة الحطب فباعها واتى بطعامه وشرابه الى البئر فلم يجده وكان قومه قد اراهم الله فاستخرجوه وامنوا
به وصدقوه ومات ذلك النبى قال النبى صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة ذكر هذا الحديث المهدوى
والثعلبى واللفظ للثعلبى وقال مجاهد وامنوا الا ان دمرهم الا ان تدمروا باحداث احدثوها بعد نبيهم وقال الكلبى
اصحاب الرس قوم ارسل الله نبيا فاكلوه وهم اول من عمل نساؤهم السحق ذكره الماوردى وقيل هم اصحاب الذين حفروا
الاخاديد وحرقوا فيها المؤمنين وسيأتى وقيل هم قوم ثمود وان الرس البئر المذكور فى الحج فى قوله وبئر معطلة على ما تقدم
وفى الصحاح والرس اسم بئر كانت لبقية من ثمود وقال جعفر بن محمد عن ابيه اصحاب الرس يستحسنون لنسائهم السحق
وكان نساؤهم كلهم ساحقات وروى من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشراط الساعة ان
يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق وقيل الرس ماء ونخل لبنى اسد وقيل الثلج المتراكم فى الجبال ذكره
القشيرى وما ذكرناه اولا هو المعروف وهو كل حفر احتفر كالقبر والمعدن والبئر قال ابو عبيدة الرس كل ركية لم تطو
وجمعها رساس قال الشاعر وهم سائرون الى ارضهم فيا ليتهم يحفرون الرساسا والرس اسم واد فى قول زهير
بكرن بكورا واستحرن بسحرة فهن لوادى الرس كاليد للفم ورسست رسا حفرت بئرا ورس الميت اى قبر والرس
الاصلاح بين الناس والافساد ايضا وقد رسست بينهم فهو من الاضداد وقد قيل فى اصحاب الرس غير ما ذكرناه ذكره الثعلبى
وغيره وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا اى امما لا يعلم عددهم الا الله بين قوم نوح وعاد وثمود واصحاب الرس وعن
الربيع بن خثيم اشتكى فقيل له الا تتداوى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى فقال لقد هممت فى ذلك ثم فكرت فيما
بينى وبين نفسى فاذا عادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كانوا اكثر واشد حرصا على جمع المال وكان فيهم

اطباء ولا الناعت منهم بقى ولا المنعوت فابى ان يتداوى فما مكث الا خمسة ايام حتى مات رحمه الله قوله تعالى
وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ قال الزجاج اى وانذرنا كلا ضربنا له الامثال وبينا لهم الحجة ولم نضرب لهم الامثال
الباطلة كما يفعله هؤلاء الكفرة وقيل انتصب على تقدير ذكرنا كلا ونحوه لان ضرب الامثال تذكير ووعظ ذكره المهدوى
والمعنى واحد وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا اى اهلكنا بالعذاب وتبرت الشئ كسرته وقال المؤرج والاخفش
دمرناهم تدميرا ابدل التاء والباء من الدال والميم قوله تعالى وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ يعنى مشركى
مكة والقرية قرية قوم لوط ومطر السوء الحجارة التى امطروا بها أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا اى فى اسفارهم ليعتبروا
قال ابن عباس كانت قريش فى تجارتها الى الشام تمر بمدائن قوم لوط كما قال تعالى وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وقال وانهما لبامام مبين وقد تقدم بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا اى لا يصدقون
بالبعث ويجوز ان يكون معنى يرجون يخافون ويجوز ان يكون على بابه ويكون معناه بل كانوا لا يرجون
ثواب الآخرة قوله تعالى وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا جواب اذا ان يتخذونك
وقيل الجواب محذوف وهو قالوا او يقولون اهذا الذى وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض ونزلت
فى ابى جهل كان يقول للنبى صلى الله عليه وسلم مستهزئا اهذا الذى بعث الله رسولا والعائد محذوف اى
بعثه الله رسولا نصب على الحال ويجوز ان يكون مصدرا لان معنى بعث ارسل ويكون معنى رسولا رسالة
على هذا والالف للاستفهام على معنى التقرير والاحتقار والتقدير اهذا الذى بعثه الله مرسلا إِنْ كَادَ
لَيُضِلُّنَا اى قالوا قد كاد ان يصرفنا عن آلهتنا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا اى حبسنا انفسنا على عبادتها
قال الله سبحانه وتعالى وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا يريد من اضل
دينا اهم ام محمد وقد راوه فى يوم بدر قوله تعالى أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ عجبه نبيه
صلى الله عليه وسلم من اضمارهم على الشرك واصرارهم عليه مع اقرارهم بانه خالقهم ورازقهم ثم يعمد الى حجر
يعبده من غير حجة قال الكلبى وغيره كانت العرب اذا هوى الرجل منهم شيئا عبده من دون الله فاذا راى
احسن منه ترك الاول وعبد الاحسن فعلى هذا يعنى ارايت من اتخذ الهه بهواه فحذف الجار وقال ابن
عباس الهوى اله يعبد من دون الله ثم تلى هذه الاية قال الشاعر لعمر ابيها لو تبدت لناسك قد اعتزل
الدنيا باحدى المناسك لصلى بها قبل الصلاة لربه ولا ارتد فى الدنيا باعمال فاتك وقيل اتخذ الهه
هواه اى اطاع هواه وعن الحسن لا يهوى شيئا الا اتبعه والمعنى واحد أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا
اى حفيظا وكفيلا حتى ترده الى الايمان وتخرجه من هذا الفساد اى ليست الهداية والضلالة موكولتين
الى مشيئتك وانما عليك التبليغ وهذا رد على القدرية ثم قيل انها منسوخة باية القتال وقيل لم تنسخ لان الآية
تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ
ولم يقل انهم لان منهم من قد علم انه يؤمن وذمهم جل وعز بهذا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون سماع قبول و
قيل المعنى انهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكانهم لم يسمعوا والمراد اهل مكة وقيل ام بمعنى بل فى مثل هذا
الموضع إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ اى فى الاكل والشرب لا يفكرون فى الاخرة بَلْ هُمْ أَضَلُّ اذ لا حساب ولا
عقاب على الانعام وقال مقاتل البهائم تعرف ربها وتهتدى الى مراعيها وتنقاد لاربابها التى تعقلها وهؤلاء
لا ينقادون ولا يعرفون ربهم الذى خلقهم ورزقهم وقيل لان البهائم لم تعتقد صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد

بطلان ذلك ايضا قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل يجوز ان تكون هذه الروية من
روية العين ويجوز ان تكون من العلم قال الحسن وقتادة وغيرهما مد الظل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقيل
من غيبوبة الشمس الى طلوعها والاول اصح والدليل عليه انه ليس من ساعة اطيب من تلك الساعة فانه يجد فيها المريض
راحة والمسافر وكل ذي علة وفيها ترد نفوس الاموات والارواح منهم الى الاجساد وتطيب نفوس الاحيا فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب وقال ابو العالية
نهار الجنة هكذا واشار الى ساعة المصلين صلاة الفجر ابو عبيدة والظل بالغداة والفيء بالعشي لانه يرجع بعد زوال
الشمس سمي فيئا لانه فاء من المشرق الى المغرب قال الشاعر وهو حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امراة فلا الظل
من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ
الشمس وحكى ابو عبيدة عن رؤبة قال كل ما كان عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل
ولو شاء لجعله ساكنا اي دائما مستقرا قال ابن عباس يريد الى يوم القيمة وقيل لو شاء لمنع الشمس من الطلوع
ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي جعلنا الشمس بنسخها الظل عند مجيئها دالة على ان الظل شيء ومعنى لان الاشياء تعرف باضدادها ولولا
الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة فالدليل فعيل بمعنى الفاعل وقيل بمعنى المفعول كالقتيل والدهين
والخضيب اي دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به اي اتبعناها اياه فالشمس دليل اي حجة وبرهان وهو
الذي يكشف المشكل ويوضحه ولم يؤنث الدليل وهو صفة الشمس لانه في معنى الاسم كما يقال الشمس برهان والشمس
حق ثم قبضناه يريد ذلك الظل الممدود الينا قبضا يسيرا اي يسيرا قبضه علينا فكل امر ربنا عليه يسير
فالظل مكثه في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر الى طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا وخلفه في هذا
الجو شعاع الشمس فاشرق على الارض وعلى الاشياء الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هناك ظل انما ذلك بقية
نور النهار وقال قوم قبضه بغروب الشمس لانها ما لم تغرب فالظل فيه بقية وانما يتم زواله بمجيء الليل ودخول الظلمة عليه
وقيل ان هذا القبض وقع بالشمس لانها اذا طلعت اخذ الظل في الذهاب شيئا فشيئا قاله ابو مالك وابرهيم
التيمي وقيل ثم قبضناه اي قبضنا ضياء الشمس بالفيء قبضا يسيرا وقيل يسيرا اي سريعا قاله الضحاك قتادة خفيا اي
اذا غابت الشمس قبض الظل قبضا خفيا كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزء من الظلمة وليس يزول دفعة واحدة
فهذا معنى قول قتادة وهو قول مجاهد قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا
والنوم سباتا وجعل النهار نشورا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وهو الذي جعل
لكم الليل لباسا يعني سترا للخلق يقوم مقام اللباس في ستر البدن قال الطبري وصف الليل باللباس تشبيها
من حيث انه يستر الاشياء ويغشاها الثانية قال ابن العربي ظن بعض الغفلة ان من صلى عريانا في
الظلام اجزأه لان الليل لباس وهذا يوجب ان يصلي في بيته عريانا اذا اغلق عليه بابه والستر في الظلام
عبارة تختص بها ليست لاجل نظر الناس ولا حاجة الى الاطناب في هذا الثالثة قوله تعالى والنوم سباتا
اي راحة لابدانكم بانقطاعكم عن الاشغال واصل السبات من التمدد يقال سبتت المراة شعرها اي نقضته وارسلته
ورجل مسبوت اي ممدود الخلقة وقيل للنوم سبات لانه من التمدد يكون وفي التمدد معنى الراحة وقيل
السبت القطع فالنوم انقطاع عن الاشتغال ومنه سبت اليهود لانقطاعهم عن الاعمال فيه وقيل السبت
الاقامة في المكان فكان السبات سكونا ما وثبوت عليه فالنوم سبات على معنى انه سكون عن الاضطراب
والحركة وقال الخليل والسبات نوم ثقيل اي جعلنا نومكم ثقيلا ليكمل الاجمام والراحة الرابعة قوله تعالى

جانب

وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته تقدم في الاعراف مستوفى قوله تعالى وانزلنا
من السماء ماء طهورا فيه خمس عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى ماء طهورا اي يتطهر به كما يقال وضوء
للماء الذي يتوضأ به وكل طهور طاهر وليس كل طاهر طهورا فالطهور بفتح الطاء الاسم وكذلك الوضوء و
الوقود وبالضم المصدر هذا هو المعروف في اللغة قال ابن الانباري فبين ان الماء المنزل من السماء طاهر
في نفسه مطهر لغيره فان الطهور بناء مبالغة في طاهر وهذه المبالغة اقتضت ان يكون طاهرا مطهرا و
الى هذا ذهب الجمهور وقيل ان طهورا بمعنى طاهر وهو قول ابي حنيفة وتعلق بقوله سبحانه وتعالى وسقاهم
ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا وقال الشاعر خليلي هل في نظرة بعد توبة اداوي بها قلبي علي فجور
الى رجح الاكفال غيد من الظبا عذاب الثنايا ريقهن طهور فوصف الريق بانه طهور وليس بمطهر و
تقول العرب رجل نؤوم وليس ذلك بمعنى انه منيم لغيره وانما يرجع ذلك الى فعل نفسه وقد اجاب علماؤنا عن
هذا فقالوا وصف شراب الجنة بانه طهور يفيد التطهير عن اوصاف الذنوب وعن خسائس الصفات
كالغل والحسد فاذا شربوا هذا الشراب يطهرهم الله من رحض الذنوب واوضار الاعتقادات الذميمة فجاؤا
الله بقلب سليم ودخلوا الجنة بصفات التسليم وقيل لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ولما كان حكمه في
الدنيا زوال حكم الحدث بجريان الماء على الاعضاء كانت تلك رحمته وحكمته في الآخرة واما قول الشاعر
ريقهن طهور فانه قصد بذلك المبالغة في وصف الريق بالطهورية لعذوبته وتعلقه بالقلوب وطيبه في
النفوس وسكون غليل المحب برشفه حتى كانه الماء الطهور وبالجملة فان الاحكام الشرعية لا تثبت بالمجازات
الشعرية فان الشعراء يتجاوزون في الاستغراق حد الصدق الى الكذب ويسترسلون في القول حتى يخرجهم ذلك
الى البدعة والمعصية وربما وقعوا في الكفر من حيث لا يشعرون الا ترى الى قول بعضهم ولو لم تلامس صفحة الارض
رجلها لما كنت ادري علة التيمم وهذا كفر صراح نعوذ بالله منه قال القاضي ابن العربي هذا منتهى كلام لنا و
كلام العلماء وهو بالغ في فنه الا اني لما تاملت من طريق العربية فوجدت فيه مطلعا مشرقا وهو ان بناء فعول
للمبالغة الا ان المبالغة قد تكون في الفعل المتعدي كما قال الشاعر ضروب بنصل السيف سوق سمانها وقد
تكون في الفعل القاصر كما قال الشاعر نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل وانما توجد طهورية الماء لغيره من الحسن
نظافة ومن الشرع طهارة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله تعالى صلاة بغير طهور واجمعت الامة لغة وشريعة على ان
وصف طهور يختص بالماء ولا يتعدى الى سائر المائعات وهي طاهرة فكان اقتصارهم بذلك على الماء اذن دليل ان الطهور
هو المطهر فقد ياتي فعول لوجه آخر ليس من هذا كله وهو عبارة عن الآلة للفعل لا عن الفعل كقولنا وقود وسحور
بفتح الواو فانه عبارة عن الحطب والطعام المتسحر به فوصف الماء بانه طهور ايضا بفتح الطاء يكون خبرا عن الآلة التي يتطهر
بها فاذا ضمت الواو في الوقود والسحور والطهور عاد الى الفعل فثبت بهذا ان الاسم المفعول بفتح الفاء يكون بناء للمبالغة
ويكون خبرا عن الآلة وهو الذي مال الحنفية ولكن قصرت اشداؤها عن لوكه وبعد هذا يقف الباب عن المبالغة
وعن الآلة على الدليل فقوله تعالى من السماء ماء طهورا وقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا يحتمل المبالغة
ويحتمل العبارة عن الآلة فلا حجة فيه لعلمائنا لكن قوله تعالى ليطهركم به نص في ان فعله يتعدى الى غيره الثانية
المياه المنزلة من السماء والمودعة في الارض طاهرة مطهرة على اختلاف الوانها وطعومها وارياحها حتى يخالطها غيرها والمخالط
للماء على ثلاثة اضرب ضرب يوافقه في صفتيه جميعا فلم يسلبه وصفا منهما لموافقته لهما وهو التراب والضرب الثاني يوافقه

في احدى صفتيه وهي الطهارة فاذا خالطه بغيره سلبه ما خالفه فيه وهي التطهير كماء الورد وسائر الطاهرات
والضرب الثالث مخالفه في الصفتين جميعا فاذا خالطه فغيره سلبه صفتين جميعا لمخالفته لها فيهما وهي النجس
الثالث ذهب البصريون من اصحاب مالك الى ان قليل الماء يفسده قليل النجاسة وان الكثير لا يفسده الا
ما غير لونه او طعمه او ريحه من المحرمات ولم يحدوا بين القليل والكثير حدا يوقف عنده الا ان ابن القسم روى عن
مالك الجنب يغتسل في حوض من الحياض التي تسقى فيها الدواب ولم يكن غسل ما به من الاذى انه قد افسد الماء وهو
مذهب ابن القسم واشهب وابن عبد الحكم ومن اتبعهم من البصريين الا ابن وهب فانه يقول في الماء بقول المدنيين من اصحاب
مالك وقوله ما حكاه ابو المصعب عنهم وعنه ان الماء لا تفسده النجاسة الحالة فيه قليلا كان او كثيرا الا ان تظهر فيه النجاسة
وتغير منه طعما او ريحا او لونا وذكر احمد بن المعدل ان هذا قول مالك بن انس في الماء والى هذا ذهب اسمعيل بن
اسحق ومحمد بن بكر وابو الفرج الابهري وسائر المنتحلين لمذهب مالك من البغداديين وهو قول الاوزاعي والليث
بن سعد والحسن بن صالح وداود بن علي وهو مذهب اهل البصرة وهو الصحيح في النظر وجيد الاثر وقال ابو حنيفة
اذا وقعت نجاسة في الماء افسدته كثيرا كان او قليلا اذا تحققت عموم النجاسة فيه ووجه تحقيقها عندهم ان تقع مثلا نقطة
بول في بركة فان كانت تتحرك بتحرك طرفاها لتحرك احدهما فالكل نجس وان كان حركة الطرفين لا يتحرك به الاخر لم ينجس
وفي المجموعة نحو مذهب ابي حنيفة وقال الشافعي بحديث القلتين وهو حديث مطعون فيه اختلف في اسناده في
سننه اخرجه ابو داود والترمذي وخاصة الدارقطني فانه صدر به كتابه وجمع طرقه قال ابن العربي ومدار الدار
على امامته ان يصحح حديث القلتين فلم يقدر وقال ابو عمر بن عبد البر واما ما ذهب اليه الشافعي من حديث القلتين
فمذهب ضعيف من جهة النظر غير ثابت في الاثر لانه قد تكلم فيه جماعة من اهل العلم بالنقل ولان القلتين لا يوقف على
حقيقة مبلغهما في اثر ثابت ولا اجماع ولو كان ذلك حدا لازما لوجب على العلماء البحث عنه ليقفوا على حد ما حرم صلى الله
عليه وسلم لانه من اصل دينهم وفرضهم ولو كان ذلك كذلك ما ضيعوه فلقد بحثوا عما هو ادون من ذلك والطف قال
المؤلف رحمه الله وفيما ذكره المنذري في القلتين من الخلاف يدل على عدم التوقيف فيهما والتحرير وفي سنن الدارقطني عن
حماد بن زيد عن عاصم بن المنذر القلال الخوابي العظام وعاصم هذا احد رواة القلتين ويظهر من قول الدارقطني انها مثل قلال
هجر نسبها في حديث الاسراء عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة
نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة وذكر الحديث قال ابن العربي وتعلق علماؤنا بحديث ابي سعيد الخدري في
بئر بضاعة رواه النسائي والترمذي وابو داود وغيرهم وهو ايضا حديث ضعيف لا قدم له في الصحة ولا معول عليه وقد
نا وضت الطوسي الاكبر في ذلك هذه المسئلة فقال ان اخلص المذاهب في هذه المسئلة مذهب مالك فان الماء طهور
ما لم يتغير احد اوصافه اذ لا حديث في الباب يعول عليه وانما المعول على ظاهر القول وهو قوله سبحانه وتعالى وانزلنا من
السماء ماء طهورا وهو ماء بصفاته فاذا تغير عن شيء منها خرج عن الاسم لخروجه عن الصفة ولذلك لما لم يجد البخاري امام الحديث
والفقه في الباب خبرا يعول عليه قال باب اذا تغير وصف الماء وادخل الحديث الصحيح ما من احد يكلم في سبيل الله الا
جاء يوم القيمة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك ولم يخرجه الراوي عن صفته المدمونة ولذلك
قال علماؤنا اذا تغير الماء بريح جيفة على طرفه وساحله لم يمنع ذلك الوضوء منه ولو تغير بها وقد وصف فيه لكان ذلك
نجسا النجاسة والاول مجاورة قال المؤلف رحمه الله وقد استدل به ايضا على نقيض ذلك وهو ان تغير الرائحة يخرجه
عن اصله ووجه هذا الاستدلال ان الدم لما استحالت رائحته الى رائحة المسك خرج عن كونه مستخبثا نجسا وانه صار مسكا

وان المسك بعض دم الغزال فكذلك الماء اذا تغيرت رائحته والى هذا التاويل ذهب الجمهور في الماء والى
الاول ذهب عبد الملك قال ابو عمر جعل الرائحة دون اللون وكان الحكم لها فاستدلوا عليها في زعمهم بهذا الحديث
وهذا لا يفهم منه معنى يسكن اليه النفس ولا في الدم معنى الماء فيقاس عليه ولا يشتغل بمثل هذا الفقهاء وليس من
شان اهل العلم اللغز به واشكاله وانما شانهم افصاحه وبيانه ولذلك اخذ الميثاق عليهم لتبيننه للناس ولا
تكتمونه والماء لا يخلو يعتريه نجاسة او لا يعتريه نجاسة فان كان نجاسة وتغير فقد اجمع العلماء على انه غير مطهر وكذا
اجمعوا انه اذا تغير بغير نجاسة انه طاهر على اصله وقال الجمهور انه غير مطهر الا ان يكون تغيره من تربة وحماة وما
اجمعوا عليه فهو الحق الذي لا اشكال فيه ولا التباس معه الرابعة الماء المتغير بقراره كزرنيخ او
جير يجري عليه او تغير بطحلب او ورق شجر ينبت عليه لا يمكن الاحتراز منه فاتفق العلماء ان ذلك لا يمنع من
الوضوء به لعدم الاحتراز منه والانفكاك عنه وقد روى ابن وهب عن مالك ان غيره اولى منه الخامسة
قال علماؤنا رحمهم الله ويكره سور النصراني وسائر الكفار والمدمن خمرا وما اكل الجيف كالكلاب وغيرها ومن
توضا منها وتيسورهم فلا شيء عليه حتى يستيقن النجاسة قال البخاري وتوضا عمر من بيت نصرانية ذكر سفيان
بن عيينة قال حدثونا عن زيد بن اسلم عن ابيه قال لما كنا بالشام اتيت عمر بن الخطاب بماء فتوضا منه فقال من
اين جئت بهذا الماء ما رايت ماء عذبا ولا ماء سماء اطيب منه قال قلت جئت به من بيت هذه العجوز
النصرانية فلما توضا منه اتاها فقال ايتها العجوز اسلمي تسلمي بعث الله محمدا بالحق فكشفت عن راسها فاذا مثل
الثغامة فقالت عجوز كبيرة وانما اموت الان فقال عمر اللهم اشهد اخرجه الدارقطني حدثنا الحسين بن اسمعيل
قال حدثنا احمد بن ابرهيم البوشنجي قال حدثنا سفيان فذكره ورواه ايضا عن الحسين بن اسمعيل قال حدثنا خلاد بن
اسلم حدثنا سفيان عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر توضا من بيت نصرانية اتاها فقال ايتها العجوز اسلمي وذكر الحديث
بمثل ما تقدم السادسة واما الكلب اذا ولغ في الماء فقال مالك يغسل الاناء سبعا ولا يتوضا منه وهو طاهر
وقال الثوري يتوضا بذلك الماء وهو يتيمم معه وهو قول عبد الملك بن عبد العزيز ومحمد بن مسلمة وقال ابو حنيفة الكلب
نجس ويغسل الاناء منه لانه نجس وبه قال الشافعي واحمد واسحق وقد كان مالك يفرق بين ما يجوز اتخاذه من الكلاب
وبين ما لا يجوز اتخاذه في غسل الاناء من ولوغه وتحصيل مذهبه انه طاهر عنده لا ينجس ولوغه شيئا ولغ فيه طعاما او
لا غيره الا انه استحب هراقة ما ولغ فيه من الماء ليسارة مؤنته وكلب البادية والحاضرة سواء ويغسل الاناء منه على
كل حال سبعا تعبدا هذا ما استقر عليه مذهبه عند المناظرين من اصحابه ذكر ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم عن ابيه عن عطاء عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحياض التي تكون فيما بين مكة
فقيل له ان الكلاب والسباع ترد عليها فقال لها ما اخذت ولنا ما بقي شراب وطهور اخرجه الدارقطني ونص
على طهارة الكلاب وطهارة ما تلغ فيه وفي البخاري عن ابن عمر ان الكلاب كانت تقبل وتدبر في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا يرشون شيئا من ذلك وقال عمر رضي الله عنه بحضرة الصحابة لصاحب الحوض الذي ساله عمرو بن
العاص هل ترد حوضك السباع وقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد على السباع وترد علينا اخرجه مالك والدارقطني
ولم يفرق بين الكلاب والسباع عن حملها ولا حجة للمخالف من الامر باراقته ما ولغ فيه وانما ذلك النجاسة وانما امر باراقته
لان النفس تعافه لا النجاسة لان التنزه عن الاقذار مندوب اليه او تغليظا عليهم لانهم نهوا عن اقتنائها كما قال ابن
عمر والحسن فلما لم ينتهوا عن ذلك غلظ عليهم في الماء لقلته عندهم في البادية حتى يشتد عليهم فيمتنعوا عن اقتنائها واما

طاهرا

مثلها

لا من غسل الاناء فصار لا لنجاسة كما ذكرناه بل لمعنيين احدهما ان الغسل قد دخله العدد الثاني انه قد جعل للتراب فيه مدخل لقوله عليه السلام وعفروه الثامنة بالتراب ولو كانت النجاسة لما كان للعدد ولا للتراب فيه حظ كالبول وقد جعل صلى الله عليه وسلم الهر وما ولغ فيه طاهرا والهر سبع بلا خلاف لا يفترس ويأكل الميتة وكذلك الكلاب وما كان مثله في السباع لانه اذا جاء نص في احدهما كان نصا في الآخر وهذا من اقوى انواع القياس هذا لو لم يكن هناك دليل وقد ذكرنا النص على طهارته فسقط قول المخالف والحمد لله السابعة ما مات في الماء مما لا دم له فلا يضر الماء ان لم يغير ريحه فان انتن لم يتوضأ وكذلك ما كان دواب الماء كالحوت والضفدع لم يفسد ذلك موته فيه الا ان تتغير الجثة فان تغيرت رائحته فانتن لم يجز التطهر به ولا الوضوء منه وليس بنجس عند مالك واما ما له نفس سائلة فمات في الماء ونزع مكانه فلم يغير لونه ولا رائحته فهو طاهر مطهر وسواء كان الماء قليلا او كثيرا عند المدنيين واستحب بعضهم ان ينزح من ذلك الماء دلاء لتطيب النفس به ولا يحدون في ذلك حدا لا يتعدى ويكرهون استعمال ذلك الماء قبل نزح الدلاء فان استعمله احد في غسل او وضوء جاز اذا كانت حاله ما وصفنا وقد كان بعض اصحاب مالك يرى لمن توضأ بهذا الماء وان لم يتغير ان يتيمم فيجمع بين الطهارتين احتياطا وان لم يفعل وصلى بذلك الماء اجزاه روى الدارقطني عن محمد بن سيرين ان زنجيا وقع في زمزم يعني مات فامر به ابن عباس فاخرج فامر بها ان تنزح قال فغلبتهم عين جاءتهم من الركن فامر بها فدسمت بالقباطي والمطارف حتى نزحوها فلما نزحوها انفجرت عليهم واخرجه عن ابي الطفيل ان غلاما وقع في بئر زمزم فنزحت وهذا يحتمل ان يكون الماء تغير والله اعلم روى شعبة عن حفص عن ابراهيم انه كان يقول كل نفس سائلة لا يتوضأ منها ولكن رخص في الخنفساء والعقرب والجراد والجدجد اذا وقعت في الركاء فلا باس به قال شعبة واظنه قد ذكر الوزغة اخرجه الدارقطني حدثنا الحسين بن اسماعيل قال حدثنا احمد الوليد قال اخبرنا محمد بن جعفر قال اخبرنا شعبه الثامنة ذهب الجمهور من الصحابة وفقهاء الامصار وسائر التابعين بالحجاز والعراق الى ان ما ولغ فيه الهر من الماء طاهر وانه لا باس بالوضوء بسؤره لحديث ابي قتادة اخرجه مالك وغيره وقد روي عن ابي هريرة فيه خلاف وروي عن عطاء بن ابي رباح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين انهم امروا باراقة ما ولغ فيه الهر وغسل الاناء منه واختلف في ذلك عن الحسن ويحتمل ان يكون الحسن رأى في فمه نجاسة لتصح مخرج الروايتين قال الترمذي لما ذكر حديث مالك وفي الباب عن عائشة وابي هريرة هذا حديث حسن صحيح وهو قول اكثر اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم مثل الشافعي واحمد واسحاق لم يروا بسؤر الهر باسا هذا احسن شيء في الباب وقد جود مالك هذا الحديث عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة ولم يات به احد اتم من مالك قال الحافظ ابو عمر والحجة عند التنازع والاختلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صح من حديث ابي قتادة انه اصغى الاناء لها حتى شربت وعليه اعتماد الفقهاء في كل مصر الا ابو حنيفة ومن قال بقوله فانه كان يكره سؤره وقال ان توضأ به اجزاه ولا اعلم حجة لمن كره الوضوء بسؤر الهر احسن من انه لم يبلغه حديث ابي قتادة وبلغه حديث ابي هريرة في الكلب فقاس الهر عليه وقد فرقت السنة بينهما في باب التعبد في غسل الاناء ومن حجة السنة خاصمه وما خالفها مطرح وبالله التوفيق ومن حجتهم ايضا ما رواه قرة بن خالد عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طهور الاناء اذا ولغ فيه الهرة مرة او مرتين شك قرة وهذا الحديث لم يرفعه الا قرة بن خالد وقرة ثقة ثبت قال المولف رحمه الله هذا الحديث اخرجه الدارقطني ومتنه طهور الاناء اذا ولغ فيه الكلب ان يغسل سبع مرات الاولى بالتراب والهر مرة او مرتين قال ابو بكر كذا رواه ابو عاصم مرفوعا ورواه غيره عن قرة وولوغ الكلب مرفوعا وولوغ الهر موقوفا روى ابو صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل الاناء من الهر كما يغسل من الكلب قال الدارقطني لا يثبت هذا مرفوعا والمرفوع والمحفوظ قول ابو هريرة

ثم اختلف عنه ذكر معمر بن جريج عن ابن طاووس عن ابيه انه كان يجعل الهر مثل الكلب وعن مجاهد انه قال في الاناء يلغ فيه السنور قال اغسله سبع مرات قاله الدارقطني التاسعة الماء المستعمل طاهر اذا كانت اعضاء المتوضئ به طاهرة الا ان مالكا وجماعة من الفقهاء اجلة كانوا يكرهون الوضوء به وقال مالك لا خير فيه ولا احب لاحد ان يتوضأ به فان فعل وصلى لم ار عليه اعادة وليتوضأ لما يستقبل وقال ابو حنيفة والشافعي واصحابهما لا يجوز استعماله في رفع الحدث ومن توضأ به اعاد لانه ليس بماء مطلق ويتيمم واجده لانه ليس بواجد للماء وقال بقولهم في ذلك اصبغ بن الفرج وهو قول الاوزاعي واحتجوا بحديث الصنابحي خرجه مالك وحديث عمرو بن عبسة اخرجه مسلم وغير ذلك من الآثار وقالوا الماء اذا توضئ به خرجت الخطايا معه فوجب التنزه عنه لانه ماء الذنوب وقال ابو عمر وهذا عندي لا وجه له لان الذنوب لا تنجس الماء لانها لا اشخاص لها ولا اجسام تمازج الماء فتفسده وانما معنى قوله خرجت الخطايا مع الماء اعلام منه بان الوضوء للصلاة عمل يكفر الله به السيئات عن عباده المؤمنين رحمة منه بهم وتفضلا عليهم وقال ابو ثور وداود مثل قول مالك وان الوضوء بالماء المستعمل جائز لانه ماء طاهر لا ينضاف اليه شيء وهو ماء مطلق واحتجوا باجماع الامة على طهارته اذا لم يكن في اعضاء المتوضئ نجاسة والى هذا ذهب ابو عبد الله المروزي محمد بن نصر وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر وابي امامة وعطاء بن ابي رباح والحسن البصري ومكحول والزهري انهم قالوا فيمن مسح راسه فوجد في لحيته بللا انه يجزيه ان يمسح بذلك البلل راسه فهؤلاء كلهم اجازوا الوضوء بالماء المستعمل روى عبد السلام بن صالح اخبرنا اسحاق بن سويد عن العلاء بن زياد عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ذات يوم وقد اغتسل وقد بقيت لمعة من جسده لم يصبها الماء فقلنا يا رسول الله هذه لمعة لم يصبها الماء فكان له شعر وارد فقال بشعره هكذا على المكان فبله اخرجه الدارقطني وقال عبد السلام بن صالح هذا بصري وليس بقوي وغيره من الثقات يرويه عن اسحاق عن العلاء مرسلا وهو الصواب قال المولف رحمه الله الراوي الثقة عن اسحق بن سويد العدوي عن العلاء بن زياد العدوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل الحديث كما ذكر هو هشيم قال ابن العربي في مسألة الماء انما ينبني على اصل آخر وهو ان الآلة اذا ادي بها فرض هل يؤدى بها فرض آخر ام لا فمنع ذلك المخالف قياسا على الرقبة اذا ادي بها فرض عتق لم يصلح ان يكون في اداء فرض آخر وهذا باطل من القول فان العتق اذا اتى على الرق اتلفه ولا يبقى محل الاداء الفرض لعتق آخر ونظيره ما تلف من الاعضاء فانه لا يصح ان يؤدى به فرض آخر لتلف عينه حسا كما تلف الرق في الرقبة بالعتق حكما وهذا نفيس فتاملوه العاشرة لم تفرق مالك واصحابه بين الماء تقع فيه النجاسة وبين النجاسة يرد الماء عليها راكدا كان الماء او غير راكد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء لا ينجسه شيء الا ما غلب عليه فغير طعمه او ريحه او لونه وفرقت الشافعية فقالوا اذا وردت النجاسة على الماء تنجس واختار ابن العربي وقال من اصول الشريعة في احكام المياه ان ورود النجاسة على الماء ليس كورود الماء على النجاسة لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اذا استيقظ احدكم من نومه فلا يغمسن يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده فمنع من ورود اليد على الماء وامر بايراد الماء عليها وهذا اصل بديع في الباب ولولا وروده على النجاسة قليلا كان او كثيرا لما طهرت وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بول الاعرابي في المسجد صبوا عليه ذنوبا من ماء قال شيخنا ابو العباس واستدلوا ايضا بحديث القلتين فقالوا اذا كان الماء دون قلتين فحلته نجاسة تنجس وان لم تغيره وان ورد ذلك القدر فاقل على النجاسة فاذهب عينها بقي الماء على طهارته وازال النجاسة وهذه مناقضة اذ المخالطة قد حصلت في الصورتين وتفريقهم بورود الماء على النجاسة وورودها عليه فرق صوري ليس فيه من الفقه شيء وليس الباب باب التعبدات بل من باب عقلية المعاني فانه من باب ازالة النجاسة واحكامها ثم هذا

كلهم يرده قوله عليه السلام الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او لونه او ريحه قال المؤلف رحمه الله هذا الحديث
اخرجه الدارقطني عن رشدين بن سعد ابي الحجاج عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن ابي امامة الباهلي
عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيه ذكر اللون وقال لم يرفعه غير رشدين عن معاوية بن صالح وليس
بالقوي واحسن منه في الاستدلال ما رواه ابو اسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب عن عبيد الله بن رافع ابن
خديج عن ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انتوضا من بير بضاعة وهي بير يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب
والنتن فقال صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء اخرجه ابو داود والترمذي والدارقطني كلهم بهذا الاسناد
قال ابو عيسى هذا حديث حسن وقد جود ابو اسامة هذا الحديث لم يرو حديث ابي سعيد في بير بضاعة احسن مما روى
ابو اسامة وهذا الحديث نص في ورود النجاسة على الماء وقد حكم صلى الله عليه وسلم بطهارته وطهوره قال ابو داود وسمعت
قتيبة بن سعيد قال سألت قيم بير بضاعة قلت اكثر ما يكون الماء فيها قال الى العانة قلت فاذا نقص قال دون العورة
قال ابو داود وقدرت بير بضاعة بردائي مددته عليها ثم ذرعته فاذا عرضها ستة اذرع وسألت الذي فتح لي
باب البستان فادخلني اليه هل غير بناؤها عما كان عليه فقال لا ورأيت فيها ماء متغير اللون فكان هذا دليلا لنا
على ما ذكرناه غير ان ابن العربي قال الخافي وسط السبخة فماؤها يكون متغيرا من قرارها والله اعلم
الماء الطاهر المطهر الذي يجوز به الوضوء وغسل النجاسات هو الماء القراح الصافي من ماء السماء والانهار والبحار والعيون
والآبار وما عرفه الناس ماء مطلقا غير مضاف الى شيء خالطه كما خلقه الله عز وجل صافيا ولا يضره لون ارضه على ما
بيناه وخالف في هذه الجملة ابو حنيفة وعبد الله بن عمرو فاما ابو حنيفة فاجاز الوضوء بالنبيذ في السفر وجوز ازالة
النجاسة بكل مائع طاهر فاما بالدهن والمرق فعنه روايتان انه لا يجوز ازالتها به الا ان اصحابه يقولون اذا زالت النجاسة
به جاز وكذلك عنده النار والشمس حتى ان جلد الميتة اذا جف في الشمس طهر من غير دباغ وكذلك النجاسة على الارض
اذا جفت بالشمس فانه يطهر ذلك الموضع بحيث يجوز الصلاة عليه ولكن لا يجوز التيمم بذلك التراب قال ابن العربي لما وصف
الله سبحانه الماء بانه طهور وامتن بانزاله من السماء ليطهرنا به دل على اختصاصه بذلك وكذلك قال عليه السلام لاسماء
بنت الصديق حين سالته عن دم الحيض يصيب الثوب حتيه ثم اقرصيه ثم اغسليه بالماء فلذلك لم يلحق غير الماء
بالماء لما في ذلك من ابطال الامتنان وليست النجاسة عينا محسوسا حتى يقال كلما ازالها فقد قام به الغرض وانما النجاسة
حكم شرعي عين له صاحب الشرع الماء فلا يلحق به غيره اذ ليس في معناه ولانه لو لحق به لاسقط والفرع اذا عاد الى
بالاصل في اسقاطه سقط في نفسه وقد كان تاج السنة ذو العز بن المرتضى الدبوسي يسميه فرخ زنا قال المؤلف
رحمه الله واما ما استدل به على استعمال النبيذ فاحاديث واهية ضعاف لا يقوم منها شيء على ساق ذكرها الدارقطني
وضعفها ونص عليها وكذلك ضعف ما روى عن ابن عباس قال موقوفا النبيذ وضوء من لم يجد الماء في طريقه ابن محرر
متروك الحديث وكذلك ما روى عن علي انه قال لا باس بالوضوء بالنبيذ الحجاج وابو ليلى ضعيفان وضعف حديث
ابن مسعود وقال تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث وذكر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود اشهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منكم ليلة اتاه داعي الجن فقال لا قال الشيخ هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة رواته و
اخرج الترمذي حديث ابن مسعود قال سالني النبي صلى الله عليه وسلم ما في اداوتك فقلت نبيذ فقال تمرة طيبة وماء
طهور قال فتوضا منه قال ابو عيسى وانما روى هذا الحديث عن ابي زيد عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وابو زيد
رجل مجهول وقد راى بعض اهل العلم الوضوء بالنبيذ منهم سفيان وغيره وقال بعض اهل العلم لا يتوضا بالنبيذ وهو

رسول الله

قول الشافعي واحمد واسحاق وقال اسحق ان ابتلي رجل بهذا وتوضا بالنبيذ وتيمم احب الي قال ابو عيسى قول
من يقول لا يتوضا بالنبيذ اقرب الى الكتاب واشبه لان الله سبحانه وتعالى قال فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا وهذه المسلة مطولة في كتب الخلاف وعمدتهم التمسك بلفظ الماء حسبما تقدم في المائدة بيانه فاعلم
لما قال الله سبحانه وتعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وقال ليطهركم به توقف جماعة في ماء البحر
لانه ليس بمنزل من السماء حتى رووا عن عبد الله بن عمر وابن عمرو معا انه لا يتوضا به لانه نار ولانه طبق جهنم
ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بين حكمه حين قال لمن ساله هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه مالك وقال فيه
ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وهو قول اكثر الفقهاء من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو بكر وعمر وابن عباس
لم يروا بماء البحر باسا وقد كره بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء بماء البحر منهم ابن عمر وعبد الله بن عمرو وقال
عبد الله بن عمرو هو نار قال ابو عمر وقد سال ابو عيسى الترمذي عن حديث مالك هذا عن صفوان بن سليم فقال هو
عندي حديث صحيح قال ابو عيسى فقلت للبخاري هشيم يقول فيه ابن ابي برزة فقال وهم فيه انما هو المغيرة بن ابي
بردة قال ابو عمر لا ادري ما هذا من البخاري ولو كان صحيحا لاخرجه من مصنفه الصحيح عنده ولم يفعل لانه لا يعول في
الصحيح الا على الاسناد وهذا الحديث لا يحتج اهل الحديث بمثل اسناده وهو عندي صحيح لان العلماء تلقوه بالقبول له
والعمل به ولا يخالف في جملته احد من الفقهاء وانما الخلاف بينهم في بعض معانيه وقد اجمع جمهور العلماء وجماعة ائمة الفتوى
بالامصار من الفقهاء ان البحر طهور ماؤه وان الوضوء به جائز الا ما روي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن
عمرو بن العاص انهما كرها الوضوء بماء البحر ولم يتابعهما احد من فقهاء الامصار على ذلك ولا عرج عليه ولا التفت اليه لحديث
هذا الباب وهذا يدلك على اشتهار الحديث عندهم وعلمهم به وفتواهم له وهو اولى عندهم من الاسناد الظاهر الصحة لمعنى
ترده الاصول وبالله التوفيق قال ابو عمر صفوان بن سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري من عباد اهل
المدينة واتقاهم لله ناسكا كثير الصدقة بما وجد من قليل وكثير كثير العمل خائفا لله يكنى ابا عبد الله سكن المدينة لم ينتقل
عنها وبها مات سنة اثنتين وثلثين ومائة ذكر عبد الله ابن احمد بن حنبل قال سمعت ابي سئل عن صفوان بن سليم
فقال ثقة من خيار عباد الله وفضلاء المسلمين واما سعيد بن سلمة فلم يرو عنه فيما علمت الا صفوان والله اعلم ومن كانت
هذه حاله فهو مجهول لا تقوم به حجة عند جميعهم واما المغيرة بن ابي بردة فقيل عنه انه غير معروف في حملة العلم كسعيد بن
سلمة وقيل ليس بمجهول وقال ابو عمر المغيرة بن ابي برده وجدت ذكره في مغازي موسى بن نصير بالمغرب وكان موسى
يستعمله على الخيل وفتح الله له في بلاد البربر فتوحات في البر والبحر روى الدارقطني من غير طريق مالك عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يطهره ماء البحر فلا طهره الله قال اسناد حسن قال
ابن العربي توهم قوم ان الماء اذا فضلت فضلة منه للجنب لا يتوضا به وهو مذهب باطل فقد ثبت عن ميمونة انها
قالت اجنبت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واغتسلت من جفنة وفضلت فضلة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليغتسل منها فقلت قد اغتسلت منه فقال ان الماء ليس عليه نجاسة وان الماء لا يجنب قال ابو عمر وردت آثار في هذا الباب
مرفوعة في النهي عن ان يتوضا الرجل بفضل المراة وزاد بعضهم في بعضها ولكن ليغترفا جميعا فقالت طائفة لا يجوز ان
تغترف الرجل مع المراة في اناء واحد لان كل واحد منهما متوضي بفضل صاحبه وقال آخرون انما كره من ذلك ان
تنفرد المراة بالاناء ثم يتوضا الرجل بعدها بفضلها وكل واحد منهم روى بما ذهب اليه اثرا والذي ذهب اليه الجمهور
من العلماء وجماعة فقهاء الامصار انه لا باس ان يتوضا الرجل بفضل المراة وتتوضا المراة من فضله انفردت المراة

بالاناء اولم تنفرد وفي مثل هذه الآثار كثيرة صحاح والذي نذهب اليه ان الماء لا ينجسه شئ الا ما ظهر فيه من
النجاسات او غلب عليه منها فلا وجه للاشتغال بالاصح من الآثار والاقوال والله المستعان روى الترمذي عن ابن
عباس قال حدثتني ميمونة قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد من الجنابة قال هذا
حديث حسن صحيح وروى البخاري عن عائشة قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد يقال له الفرق
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بفضل ميمونة وروى الترمذي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغتسل بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في جفنة فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتوضأ منه فقالت يا رسول الله اني كنت جنبا فقال ان الماء لا يجنب قال هذا حديث حسن صحيح وهو قول سفيان
الثوري ومالك والشافعي وروى الدارقطني عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت اتوضأ انا والنبي
صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وقد اصابت الهرة منه قبل ذلك قال هذا حديث صحيح وروى ايضا عن رجل من
بني غفار قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضل طهور المرأة وفي الباب عن عبد الله بن سرجس ذكره بعض الفقهاء
فضل طهور المراة وهو قول احمد بن اسحق ⁂ المواقعة عشرة ⁂ روى الدارقطني عن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب
ان عمر بن الخطاب كان يسخن له ماء في قمقمة ويغتسل به قال وهذا حديث صحيح وروي عن عائشة قالت دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سخنت ماء في الشمس فقال لا تفعلي يا حميراء فانه يورث البرص رواه خالد بن اسمعيل
المخزومي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة وهو متروك ورواه عمر بن الاعسم عن فليح عن الزهري عن عروة عن عائشة
وهو منكر الحديث ولم يروه غيره عن الفليح ولا يصح عن الزهري قاله الدارقطني ⁂ الحادية عشرة ⁂ كل اناء طاهر فجائز منه
الوضوء الا اناء الذهب والفضة لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذهما وذلك والله اعلم للتشبه بالاعاجم والجبابرة
لا للنجاسة فمن توضأ منهما اجزأه وضوءه وكان عاصيا باستعمالهما وقد قيل لا يجزئ الوضوء في احدهما والاول اكثر
قاله ابو عمر وكل جلد ذكي فجائز استعماله للوضوء وغير ذلك وكان مالك يكره الوضوء في اناء جلد الميتة بعد الدباغ على
اختلاف قوله وقد تقدم في النحل قوله تعالى ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾ اي بالمطر ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾ بالجدوبة والمحل وعدم النبات
قال كعب المطر روح الارض يحييها الله وقال ميتا ولم يقل ميتة لان معنى البلدة والبلد واحد قاله الزجاج وقيل اراد
بالبلد المكان ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ قراءة العامة بضم النون وقرأ عمر بن الخطاب وعاصم والاعمش فيما روى المفضل عنهما نسقيه
بفتح النون ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ اي بشرا كثيرا واناسي واحده انسي نحو جمع القرقور قراقير
وقراقر في قول الاخفش والمبرد واحد قولي الفراء وله قول آخر وهو ان يكون واحده انسانا ثم تبدل من النون ياء فتقول
اناسي والاصل اناسين مثل سرحان وسراحين وبستان وبساتين فجعل الياء عوضا من النون وعلى هذا يجوز سراحي
وبساتي لا فرق بينهما قال الفراء ويجوز اناسي بتخفيف الياء كانهم اسقطوا الياء التي فيما بين لام الفعل وعينه مثل قراقر
واقوار وقال كثيرا ولم يقل كثيرين لان فعيلا قد يراد به الكثرة نحو وحسن اولئك رفيقا قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ
بَيْنَهُمْ﴾ يعني القرآن وقد جرى ذكره في اول السورة قوله تبارك الذي نزل الفرقان وقوله لقد اضلني عن الذكر بعد
اذ جاءني وقوله اتخذوا هذا القرآن مهجورا ﴿لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ اي جحودا له وتكذيبا به وقيل
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ هو المطر روي عن ابن عباس وابن مسعود وانه ليس عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث
يشاء فما زيد لبعض نقص من غيرهم فهذا معنى التصريف وقيل صرفناه بينهم وابلا وطشا وطلا ورهاما ورذاذا وهي
الرهام الامطار اللينة الواحد رهمة بالكسر ويجمع ايضا رهما وقيل تصريفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي

والزراعات به والطهارات وسقي البساتين والغسل وشبهه ﴿لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ قال
عكرمة هو قولهم في الانواء مطرنا بنوء كذا قال النحاس ولا نعلم بين اهل التفسير اختلافا ان الكفر هاهنا قولهم مطرنا بنوء كذا
وكذا ونظيره فعل النجم كذا وان كل من نسب الانزال الى النجم فعلا فهو كافر وروى الربيع بن صبيح قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات ليلة فلما اصبح قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس فيها رجلين شاكر وكافر فاما الشاكر فيحمد الله
تعالى على سقياه وغياثه واما الكافر فيقول مطرنا بنوء كذا وكذا متفق على صحته بمعناه وسياتي في الواقعة ان شاء الله
تعالى وروي من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من سنة بامطر من اخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي
صرف ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف ذلك الى الفيافي والبحار وقيل التصريف راجع الى الريح وقد مضى في البقرة
وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا مخففة الذال من الذكر الباقون مثقلا من التذكر اي ليذكروا نعمة الله ويعلموا ان من
انعم بها لا يجوز الاشراك به فالتذكر قريب من الذكر غير ان التذكر يطلق فيما بعد عن القلب فيحتاج الى تكلف في التذكر قوله تعالى
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ اي رسولا ينذرهم كما قسمنا المطر ليخف عليك اعباء النبوة ولكنا
لم نفعل بل جعلناك نذيرا للكل لترتفع درجتك فاشكر نعمة الله عليك ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ اي فيما يدعونك اليه
من اتباع آلهتهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ قال ابن عباس بالقرآن ابن زيد بالاسلام وقيل بالسيف وهذا فيه بعد لان
السورة مكية ونزلت قبل الامر بالقتال ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لا يخالطه فتور قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ عاد الكلام الى ذكر النعم ومرج خلى وخلط وارسل قال مجاهد ارسلهما وافاض احدهما في الآخر
وقال ابن عرفة مرج البحرين اي خلطهما فهما يلتقيان يقال مرجته اذا خلطته ومرج الدين والامر اختلط واضطرب
ومنه قوله سبحانه وتعالى ﴿فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ ومنه قوله عليه السلام لعبد الله بن عمرو بن العاص اذا رايت الناس مرجت
عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين اصابعه فقلت له كيف اصنع عند ذلك جعلني الله فداك
قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر العامة خرجه
ابو داود والنسائي وغيرهما وقال الازهري مرج البحرين خلى بينهما يقال مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وقال ثعلب
المرج الاجراء فقوله مرج البحرين اي اجراهما وتقول قوم امرج البحرين مثل مرج فعل وافعل بمعنى ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾
اي حلو شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ اي فيه ملوحة ومرارة وروي عن طلحة انه قرأ ملح بفتح الميم وكسر اللام
﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ اي حاجزا من قدرته لا يغلب احدهما صاحبه كما قال في سورة الرحمن مرج البحرين يلتقيان
بينهما برزخ لا يبغيان ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ اي سترا مستورا يمنع احدهما من الاختلاط بالآخر فالبرزخ الحاجز والحجر
المنع وقال الحسن يعني بحر فارس والروم وقال ابن عباس وابن جبير يعني بحر السماء وبحر الارض قال ابن عباس يلتقيان في كل عام
وبينهما برزخ قضاء من قضائه وحجرا محجورا حراما محرما ان يعذب هذا المالح بالعذب او يملح هذا العذب بالمالح قوله
تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ فيه مسألتان ⁂ الاولى ⁂ قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا
اي خلق من النطفة انسانا ﴿فَجَعَلَهُ﴾ اي الانسان ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ وقيل من الماء اشارة الى اصل الخلقة في ان
كل حي مخلوق من الماء وفي هذه الآية تعديد النعمة على الناس في ايجادهم بعد العدم والتنبيه على العبرة في ذلك
⁂ الثانية ⁂ ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر معنيان يعمان كل قربى تكون بين آدميين قال ابن
العربي النسب عبارة عن خلط الماء بين الذكر والانثى على وجه الشرع فان كان بمعصية كان خلقا مطلقا
لم يكن نسبا محققا ولذلك لم يدخل تحت قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم بنته من الزنا لانها ليست بنت له في اصح القولين

لعلمائنا واصح القولين في الدين واذا لم يكن نسب شرعا فلا صهر شرعا فلا يحرّم الزنا بنت ام ولا ام بنت وما
يحرم من الحلال لا يحرم من الحرام لان الله تعالى امتنّ بالنسب والصهر على عباده ورفع قدرهما وعلّق الاحكام بهما
في الحل والحرمة عليهما ولا يلحق الباطل بهما ولا يساويهما قال المؤلف رحمه الله اختلف الفقهاء في نكاح الرجل ابنته
من زنا او اخته او بنت ابنه من زنا فحرّم ذلك قوم منهم ابو القسم وهو قول ابي حنيفة واصحابه واجاز ذلك آخرون
منهم عبد الملك بن الماجشون وهو قول الشافعي وقد مضى هذا في النساء مجودا قال الفراء النسب الذي لا يحل نكاحه
قاله الزجاج وهو قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه واشتقاق الصهر من صهرت الشيء اذا خلطته فكل واحد
من الصهرين تدخلط صاحبه فسميت المناكح صهرا لاختلاط الناس بها وقيل الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجة
هم الاختان وقرابة الزوج هم الاحماء والاصهار يقع عاما لذلك كله قاله الاصمعي وقال ابن الاعرابي الاختان
ابو المراة واخوها وعمها كما قال الاصمعي والصهر زوج ابنة الرجل واخوه وابوه وعمه وقال محمد بن الحسن
في رواية ابي سليمان الجوزجاني اختان الرجل ازواج بناته واخواته وعماته وخالاته وكل ذات محرم منه
واصهاره كل ذي رحم محرم من زوجته قال النحاس الاولى في هذا القول ان يكون الاصهار ما قاله الاصمعي
وان يكون من قبلهما جميعا يقال صهرت الشيء اي خلطته فكل واحد منهما قد خلط صاحبه والاولى في الاختان
ما قاله محمد بن الحسن لجهتين احدهما الحديث المرفوع روى محمد بن اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن اسامة
بن زيد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا علي فختني وابو ولدي وانت مني وانا منك
فهذا على ان زوج البنت ختن والجهة الاخرى ان اشتقاق الختن من ختنه اذا قطعه فكان الزوج قد انقطع
عن اهله وقطع زوجته عن اهلها وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع قال ابن عطيه وذلك عندي وهم اوجبه
ان ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر خمس وفي رواية اخرى من الصهر سبع يريد قول الله سبحانه
وتعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت فهذا هو النسب
ثم يريد بالصهر قوله تعالى وامهاتكم اللتي ارضعنكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين ثم ذكر المحصنات وحمل
هذا ان ابن عباس اراد حرم من الصهر مع ما ذكر معه فقد نبه بما ذكر الى عظمه وهو الصهر لا ان الرضاع صهر و
انما الرضاع عديل النسب يحرم منه ما يحرم من النسب بحكم الحديث الماثور فيه ومن روى وحرم من الصهر خمس
اسقط من الاسنين الجمع بين الاختين والمحصنات ومن ذوات الازواج قال الشيخ المؤلف رحمه الله فابن عطيه جعل
الزوج مع ما تقدم نسبا وهو قول الزجاج قال ابو اسحاق النسب الذي ليس بصهر من قوله جل ثناؤه حُرِّمَتْ
عليكم امهاتكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين والصهر من له التزويج قال ابن عطيه وحكى الزهراوي قولا ان
النسب من جهة البنين والصهر من جهة البنات قال المؤلف رحمه الله وذكر هذا القول النحاس وقال لان
المصاهرة من جهتين تكون وقال ابن سيرين نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه
لانه جمعه معه نسب وصهر قال ابن عطيه فاجتماعهما وكادة حرمة الى يوم القيامة وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
على خلق ما يريده قوله تعالى وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ لما عدد نعمه
وبين كمال قدرته عجب من المشركين في اشراكهم به من لا يقدر على نفع ولا ضر اي ان الله هو الذي خلق ما
ذكره ثم هولاء لجهلهم يعبدون من دونه امواتا جمادات لا تنفع ولا تضر وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا
روى عن ابن عباس الكافر هاهنا ابو جهل لعنه الله وشرحه انه يستظهر بعبادة الاوثان على اوليائه وقال

عكرمة الكافر ابليس ظهير على عداوة ربه وقال مطر الكافر هنا الشيطان وقال الحسن ظهيرا اي معينا للشيطان
على المعاصي وقيل المعنى وكان الكافر على ربه هينا ذليلا لا قدرة له ولا وزن عنده من قول العرب ظهرت به اي
جعلته خلف ظهرك ولم تلتفت اليه ومنه قوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا اي هينا ومنه قول الفرزدق
تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيى علي جوابها فهذا معنى قول ابي عبيده وظهير بمعنى مظهور اي كفر الكافر
على الله هين والله مستهين به لان كفره لا يضره وقيل وكان الكافر على ربه الذي يعبده وهو الصنم قويا غالبا
يعمل به ما يشاء لان الجماد لا قدرة له على دفع ونفع قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
يريد بالجنة مبشرا ومن النار نذيرا ما ارسلناك وكيلا ولا مسيطرا قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ يريد على ما
جئتكم به من القرآن والوحي ومن التاكيد إِلَّا مَن شَاءَ لكن من شاء فهو استثناء منقطع والمعنى لكن من شاء
أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا بانفاقه من ماله في سبيل الله فلينفق ويجوز ان يكون متصلا ويقدر حذف المضاف
التقدير الا اجر من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا باتباع ديني حتى ينال كرامة الدنيا والآخرة قوله تعالى
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ تقدم معنى التوكل في آل عمران وهذه السورة وانه اعتماد القلب على
الله سبحانه وتعالى في كل الامور وان الاسباب وسائط امر بها من غير اعتماد عليها وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ اي
نزه الله تعالى عما يصفه هولاء الكفار به من الشركاء والتسبيح التنزيه وقد تقدم وقيل وسبح اي صل له
وتسمى الصلاه تسبيحا وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا اي عليما فيجازيهم بها قوله تعالى الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
تقدم في الاعراف والذي في موضع خفض نعتا للحي وقال بينهما ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين والنوعين
والشيئين لقول القطامي الم يحزنك ان حبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا اراد وحبال تغلب فثنى
والحبال جمع لانه اراد الشيئين والنوعين الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا قال الزجاج فاسأل عنه وقد حكى
هذا جماعة من اهل اللغة ان الباء تكون بمعنى عن كما قال سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ وقال الشاعر هلا
سالت يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلم وقال امرؤ القيس فان تسالوني بالنساء فانني خبير
دواء النساء طبيب اي عن النساء وعما لم تعلم وانكره علي بن سليمان وقال اهل النظر ينكرون ان تكون
الباء بمعنى عن لان في هذا افساد المعاني تقول العرب لو لقيت فلانا للقيك به الاسد اي للقيك بلقائك
اياه الاسد والمعنى على هذا فاسأل بسؤالك اياه خبيرا وكذلك قال ابن جبير الخبير الله سبحانه وتعالى
وخبيرا نصب على المفعول به بالسؤال قال المؤلف رحمه الله قول الزجاج يخرج على قول الحسن ومعناه ان
يكون الخبر عن الله سبحانه وتعالى اي فاسأل عنه خبيرا اي عالما بصفاته واسمائه وقيل المعنى فاسأل له
خبيرا فهو نصب على الحال من الهاء المضمرة قال المهدوي والحسن حالا اذ لا يخلو ان تكون الحال من السائل او
المسؤول ولا يصح كونها حالا من الفاعل لان الخبير لا يحتاج ان يسال غيره ولا يكون من المفعول لان المسؤول عنه
وهو الرحمن خبير ابدا والحال في اغلب الامر يتغير وينتقل الا ان يحمل على انه حال مؤكدة مثل وهو الحق مصدقا فيجوز
واما الرحمن ففي رفعه ثلاثة اوجه يكون بدلا من المضمر الذي في استوى ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره
فاسأل به خبيرا ويجوز الخفض بمعنى وتوكل على الحي الذي لا يموت الرحمن يكون نعتا ويجوز النصب على المدح
قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ اي لله تعالى قالوا وما الرحمن على جهة الانكار

والتعجب اى ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وزعم القاضى ابوبكر بن العربى انهم انما جهلوا
الصفه لا الموصوف واستدل على ذلك بقوله وما الرحمن ولم يقولوا ومن الرحمن قال بن الحصاد وكانه رحمه الله لم يقرا الآيه
الاخرى وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا هذه قراءه المدنيين والبصريين اى لما تامرنا انت يا محمد واختاره
ابوعبيد وابوحاتم وقراء الاعمش وحمزه والكسائى يامرنا بالياء يعنون الرحمن كذا تاوله ابوعبيد قال ولو اقروا ان
الرحمن امرهم ما كانوا كفارا قال النحاس وليس يجب ان يتاول على الكوفيين فى قراءتهم هذا التاويل البعيد ولكن الاولى
ان يكون التاويل لهم انسجد لما يامرنا النبى صلى الله عليه وسلم فتصح القراءه على هذا وان كانت الاولى ابين واقرب
متناولا وَزَادَهُمْ نُفُورًا اى زادهم قول القايل لهم اسجدوا للرحمن نفورا عن الدين وكان سفيان الثورى يقول
فى هذه الآيه الهى زدنى لك خضوعا ما زاد عداك نفورا قوله تعالى تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا
اى منازل وقد تقدم ذكرها وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا قال بن عباس يعنى الشمس نظيره وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا وقراءه العامه
سِرَاجًا بالتوحيد وقرا حمزه والكسائى سُرُجًا يريدون النجوم العظام الوقادة والقراءه الاولى عند ابى عبيد اولى
لانه تاول السرج النجوم وان البروج النجوم فيجى المعنى نجوما ونجوما النحاس ولكن التاويل لهم ان ابان بن تغلب قال
السرج النجوم الدرارى الثعلبى كالزهره والمشترى وزحل والسماكين ونحوها وَقَمَرًا مُنِيرًا ينير الارض اذا
طلع وروى عصمة عن الاعمش وقُمْرًا بضم القاف واسكان الميم وهذه قراءة شاذة ولو لم يكن فيها الا ان احمد بن حنبل
وهو امام المسلمين فى وقته قال لا تكتبوا ما يحكيه عصمة الذى يروى القراآت وقد اولع ابوحاتم السجستانى بذكر ما يرويه
عصمة هذا قوله تعالى وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى خِلْفَةً قال ابوعبيد الخلفه كل شى بعد شى وكل واحد
من الليل والنهار يخلف صاحبه ويقال للمبطون اصابه خلفه اى قيام وقعود يخلف هذا ذاك ومنه خلفه النبات وهو
ورق يخرج بعد الورق الاول فى الصيف ومن هذا المعنى قول زهير بن ابى سلمى بها العين والآرام يمشين خلفة واطلاؤها ينهضن
من كل مجثم الريم ولد الظبى وجمعه آرام يقول اذا ذهب فوج جاء فوج ومنه قول الاخر يصف امراة تنتقل من
منزل فى الشتاء الى منزل فى الصيف دايما ولها بالماطرون اذا اكل النمل الذى جمعا خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت
من جلق بيعا فى بيوت وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا قال مجاهد خلفه من الخلاف هذا ابيض وهذا
اسود والاول اقوى وقيل يتعاقبان فى الضياء والظلام والزياده والنقصان وقيل هو من باب حذف المضاف
اى جعل الليل والنهار ذوى خلفه اى اختلاف لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ اى يتذكر فيعلم ان الله لم يجعله كذلك عبثا
فيعتبر بمصنوعات الله ويشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه عليه فى العقل والفكر والفهم وقال عمر بن الخطاب وابن عباس
والحسن معناه من فاته شى من الخير بالليل ادركه بالنهار ومن فاته بالنهار ادركه بالليل وفى الصحيح ما من امرى تكون
له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم فيصلى ما بين طلوع الشمس الى صلاه الظهر الا كتب الله له اجر صلاته وكان نومه
عليه صدقه وروى مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او عن شى منه
فقراه ما بين صلاه الفجر وصلاه الظهر كتب الله له كانما قراه من الليل الثانية قال ابن العربى سمعت
السند الاكبر يقول ان الله تعالى خلق العبد حيا عالما وبذلك كماله وسلط عليه الافه والنوم وضروره الحدث ونقصان
الخلقه اذ الكمال للاول الخالق فمتى يكن الرجل من دفع النوم بقلة الاكل والسهر فى طاعة الله فليفعل ومن الغبن العظيم
ان يعيش الرجل ستين سنه ينام ليلها فيذهب النصف من عمره لغوا وينام سدس النهار فيذهب ثلثاه ويبقى له

من العمر عشرون سنه ومن الجهاله والسفاهه ان يتلف الرجل ثلثى عمره فى لذة فانية ولا يتلف عمره بسهر
فى لذة باقية عند الغنى الوفى الذى ليس بعديم ولا ظلوم الثالثة الاشياء لا تتفاضل بانفسها
فان الجواهر والاعراض من حيث الوجود متماثله وانما معنى التفاضل بالصفات وقد اختلف اى الوقتين
افضل الليل او النهار وفى الصوم غنية فى الدلاله والله اعلم قاله ابن العربى قال المولف رحمه الله والليل
عظيم قدره امر نبيه عليه السلام بقيامه فقال ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال قم الليل على ما ياتى
بيانه ومدح المومنين على قيامه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال عليه السلام والصدقه تطفى
الخطيئة كما يطفى الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء وفيه ينزل
الرب سبحانه وتعالى حسب ما ياتى بيانه الرابعة قرا حمزه وحده بسكون الذال وضم الكاف وهى
قراءة بن وثاب وطلحة والنخعى وفى مصحف ابى يتذكر بزيادة تاء وقرا الباقون يذكر بتشديد الكاف ويذكر
ويذكر بمعنى واحد وقيل معنى يذكر بالتخفيف اى يذكر ما نسيه فى احد الوقتين فى الوقت الثانى او ليذكر
تنزيه الله وتسبيحه فيهما أَوْ أَرَادَ شُكُورًا يقال شكر يشكر شكرا وشكورا مثل كفر يكفر كفرا وكفورا وهذا
الشكر على انهما جعلهما قواما لمعاشهم وكانهم لما قالوا وما الرحمن قالوا هو الذى يقدر على هذه الاشياء
وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا الآيه لما ذكر جهالات المشركين
وطعنهم فى القرآن والنبوة ذكر عباده المومنين ايضا وذكر صفاتهم واضافهم الى عبوديته تشريفا لهم كما قال
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ وقد تقدم فمن اطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما امره
فهو الذى يستحق اسم العبوديه ومن كان بعكس هذا شمله قوله سبحانه وتعالى اولئك كالانعام اى فى عدم
الاعتبار كما تقدم فى الاعراف فكانه قال وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ هم الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا فحذف هم
كقولك زيد الامير اى هو الامير فالذين خبر ابتداء محذوف قاله الاخفش وقيل الخبر قوله فى آخر السوره
أُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وما بين المبتدا والخبر اوصاف لهم وما تعلق بها قاله الزجاج قال ويجوز
ان يكون الخبر الذين يمشون على الارض هونا ويمشون عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر
من ذلك المعظم لا سيما وفى الانتقال فى الارض معاشرة الناس وخلطتهم هَوْنًا الهون
مصدر الهين وهو من السكينة والوقار وفى التفسير يمشون على الارض حلماء متواضعين يمشون فى
اقتصاد والقصد والتؤدة وحسن السمت من اخلاق النبوة وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس عليكم
بالسكينة فان البر ليس فى الايضاع وروى فى صفته صلى الله عليه وسلم انه كان اذا زال زال تقلعا
ويخطو تكفيا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب التقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل
الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه
بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط
من صبب قاله القاضى عياض وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسرع فى مشيه جبلة لا تكلفا قال الزهرى
سرعة المشى تذهب بهاء الوجه قال ابن عطية يريد الاسراع الحثيث لانه يخل بالوقار والخير فى التوسط
قال زيد بن اسلم كنت اسال عن تفسير قوله الذين يمشون على الارض هونا فما وجدت من ذلك شفا فرايت فى
النوم من جاءنى فقال هم الذين لا يريدون ان يفسدوا فى الارض قال القشيرى وقيل لا يمشون لافساد ومعصية

بل في طاعة الله والامور المباحة من غير هزل وقد قال الله تعالى ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور وقال ابن عباس بالطاعة والمعروف والتواضع الحسن حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقيل لا يتكبرون على الناس قال المؤلف رحمه الله وهذه كلها معان متقاربة ويجمعها العلم بالله والخوف من الله والمعرفة باحكامه والخشية من عذابه وعقابه جعلنا الله منهم بفضله ومنه وذهبت فرقة الى ان هونا مرتبط بقوله يمشون على الارض اى ان المشي هو هون قال ابن عطية ويشبه ان يتأول هذا على ان تكون اخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه فيرجع القول الى نحو ما بيناه واما ان يكون صفة المشي وحده فباطل لانه رب ماش هونا رويدا وهو ذئب اطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيه كانما يمشي في صبب وهو عليه السلام الصدر في هذه الآية وقوله عليه السلام من مشى منكم في طمع فليمش رويدا انما اراد في عقد نفسه ولم يرد المشي وحده والا ترى ان المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي فقط حتى قال فيهم الشاعر ذما لهم كلهم يمشي رويدا كلهم يطلب صيدا قلت وفي عكسه انشد ابن العربي لنفسه

تواضعت في العلياء والاصل كابر وحزت قصاب السبق بالهون في الامر
سكون فلا خبث السريرة اصله وجل سكون الناس من عظم الكبر

قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال النحاس ليس سلاما من التسليم انما هو من التسلم تقول العرب سلاما اى تسلما منك اى براءة منك منصوب على احد امرين يجوز ان يكون منصوبا بقالوا ويجوز ان يكون مصدرا وهذا قول سيبويه والذي قوله ان قالوا هو العامل في سلاما لان المعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما سدادا اى يقول للجاهل كلاما يدفعه برفق ولين فقالوا على هذا التأويل عامل في قوله سلاما على طريقة النحويين وذلك انه بمعنى قولا وقالت فرقة ينبغي للمخاطب ان يقول للجاهل سلاما بهذا اللفظ اى سلمنا سلاما او تسليما ونحو هذا فيكون العامل فيه فعلا من لفظه على طريقة النحويين مسئلة هذه الآية كانت قبل آية السيف فنسخ منها ما يخص الكفرة وهي ادبها في المسلمين الى يوم القيامة وذكر سيبويه النسخ في هذه الآية في كتابه وما تكلم فيه على نسخ سواه رجح به ان المراد السلامة لا التسليم لان المؤمنين لم يؤمروا قط بالسلام على الكفرة والآية مكية فنسختها آية السيف قال النحاس ولا نعلم لسيبويه كلاما في معنى الناسخ والمنسوخ الا في هذه الآية قال سيبويه لم يؤمر المسلمون يومئذ ان يسلموا على المشركين لكنه على معنى قوله تسلما منكم ولا خير ولا شر بيننا وبينكم المبرد كان ينبغي ان يقول لم يؤمر المسلمون يومئذ بحربهم ثم امروا بحربهم محمد بن يزيد اخطأ سيبويه في هذا واساء العبارة ابن العربي لم يؤمر المسلمون يومئذ ان يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك بل امروا بالصفح والهجر الجميل وقد كان عليه السلام يقف على انديتهم ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم وقد اتفق الناس ان السفيه من المؤمنين اذا جفاك يجوز لك ان تقول له سلام عليك قال المؤلف رحمه الله هذا القول اشبه بدلائل السنة وقد بينا في سورة مريم اختلاف العلماء في جواز التسليم على الكفار فلا حاجة الى دعوى النسخ والله اعلم وقد ذكر النضر بن شميل قال حدثني الخليل قال اتيت ابا ربيعة الاعرابي وكان من اعلم من رأيت فاذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال فقال لنا اعرابي بجنبه امركم ان ترتفعوا قال الخليل هو من قول الله سبحانه وتعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فصعدنا اليه فقال هل لكم في خبز فطير ولبن هجير وماء نمير فقلنا الساعة فارقناه فقال سلاما فلم ندر ما قال فقال الاعرابي انه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر فقال الخليل هو من قول الله عز وجل وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ابن عطية ورأيت في بعض التواريخ ان ابراهيم بن المهدي وكان من المائلين على علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يوما بحضرة المأمون وعنده جماعة كنت ارى علي بن ابي طالب في النوم فكنت اقول له من انت فكان يقول علي بن ابي طالب فكنت اجيء معه الى قنطرة فيذهب فيتقدمني في عبورها فكنت اقول انما تدعي هذا الامر بامرأة ونحن احق به منك فما رأيت له في الجواب بلاغة كما يذكر عنه قال المأمون وماذا جاءك قال فكان يقول لي سلاما سلاما قال الراوي وكان ابراهيم بن المهدي لا يحفظ الآية او ذهبت عنه في ذلك الوقت فنبه المأمون على الآية من حضره وقال هو والله يا عم علي بن ابي طالب فقد جاوبك بابلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيا وكانت رؤيا لا محالة صحيحة قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الزجاج يقال بات الرجل يبيت اذا ادركه الليل نام او لم ينم قال امرؤ القيس فبتنا قياما عند رأس جوادنا يزاولنا عن نفسه ونزاوله وانشدوا في صفة الاولياء

امنع جفونك ان تذوق مناما واذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بانك ميت ومحاسب يا من على سخط الجليل اقاما
لله قوم اخلصوا في حبه فرضي بهم واختصهم خداما
قوم اذا جن الظلام عليهم باتوا هنالك سجدا وقياما
خمص البطون من التعفف ضمرا لا يعرفون سوى الحلال طعاما

وقال ابن عباس من صلى ركعتين او اكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقائما وقال الكلبي من اقام ركعتين بعد المغرب واربعا بعد العشاء فقد بات ساجدا وقائما قوله تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم اى هم مع طاعتهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله ابن عباس يقولون ذلك في قيامهم وسجودهم إن عذابها كان غراما اى لازما دائما غير مفارق ومنه سمي الغريم لملازمته ويقال فلان مغرم بكذا اى لازم له مولع به هذا معناه في كلام العرب فيما ذكر ابن العربي وابن عرفة وغيرهما وقال الاعشى ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي وقال الحسن قد علموا ان كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم وقال الزجاج الغرام اشد العذاب وقال ابن زيد الغرام الشر وقال ابو عبيدة الهلاك والمعنى واحد وقال محمد بن كعب طالبهم الله تعالى بثمن النعم في الدنيا فلما لم يأتوا به اغرمهم ثمنها بادخالهم النار إنها ساءت مستقرا ومقاما اى بئس المستقر وبئس المقام اى انهم يقولون ذلك عن علم واذا قالوا عن علم كانوا اعرف بعظم قدر ما يطلبون فيكون ذلك اقرب الى النجح قوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا اختلف المفسرون في تأويل هذه الآية فقال النحاس ومن احسن ما قيل في معناه ان من انفق في غير طاعة الله فهو الاسراف ومن امسك عن طاعة الله فهو الاقتار ومن انفق في طاعة الله فهو القوام وقال ابن عباس من انفق مائة الف في حق فليس بسرف ومن انفق درهما في غير حقه فهو سرف ومن منع من حق عليه فقد قتر وقاله مجاهد وابن زيد وغيرهما وقال عون بن عبد الله الاسراف ان تنفق مال غيرك قال ابن عطية وهذا ونحوه غير مرتبط بالآية والوجه ان يقال ان النفقة في معصية امر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وانما التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات فادب الشرع فيها ان لا يفرط الانسان حتى يضيع حقا آخر او عيالا ونحو هذا وان لا يضيق ولا يقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك هو القوام اى العدل والقوام في كل واحد بحسب عياله

وخف ظهره وصبره وجلده على الكسب او ضد هذه الخصال وخير الامور اوساطها ولهذا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابا بكر الصديق ان يتصدق بجميع ماله لان ذلك وسط بسبه جلده وصبره في الدين ومنع غيره من
ذلك وسوما قال ابرهيم النخعي هو الذي لايجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وقال يزيد بن
ابي حبيب هم الذين لايلبسون الثياب بجمال ولا ياكلون طعاما للذة وقال يزيد ايضا في هذه الآية اولئك
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال ولكن كانوا يريدون
من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على طاعة ربهم ومن اللباس ما يستر عوراتهم ويكنهم عن الحر والبرد
وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك فقال له عمر الحسنة بين السيئتين
ثم تلى الآية وقال عمر بن الخطاب كفى بالمرء سرفا ان لا يشتهي الا اشتراه فاكله وفي سنن ابن ماجه عن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف ان تاكل ما اشتهيت وقال ابو عبيدة لم يزيدوا على
المعروف ولم يبخلوا كقوله سبحانه وتعالى وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ وقال
الشاعر ولا تغل في شيء من الامر واقتصد كلا طرفي قصد الامور ذميم وقال اخر اذا المرء اعطى نفسه كل
ما اشتهت ولم ينهها تاقت الى كل باطل وساقت اليه الاثم والعار بالذي دعته اليه من حلاوة عاجل
وقال عمر لابنه عاصم يا بني كل في نصف بطنك ولا تطرح ثوبا حتى تستخلقه ولا تكونن من قوم يجعلون
ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم ولحاتم الطائي اذا انت قد اعطيت بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى
الذم اجمعا ولم يقتروا قراءة حمزة والكسائي والاعمش وعاصم ويحيى بن وثاب على اختلاف يَقْتُرُوا بفتح الياء
وضم التاء وهي قراءة حسنة من قتر يقتر وهذا القياس في اللازم مثل قعد يقعد وقرا ابو عمرو وابن كثير بفتح
الياء وكسر التاء وهي لغة حسنة معروفة وقرا اهل المدينة وابن عامر وابو بكر عن عاصم بضم الياء وكسر التاء قال
الثعلبي وكلها لغات صحيحة النحاس وتعجب ابو حاتم من قراءة اهل المدينة هذه لان اهل المدينة عنده لا يقع
في قراءتهم الشاذ وانما قال اقتر يقتر اذا افتقر كما قال عز وجل وعلى المقتر قدره وتاول ابو حاتم لهم ان المسرف
يفتقر سريعا وهذا تاويل بعيد ولكن التاويل لهم ان ابا عمر الجرمي حكى عن الاصمعي انه يقال للانسان اذا ضيق
قتر يقتر ويقتر واقتر يقتر فعلى هذا تصح القراءة وان كان فتح الياء اصح واقرب متناولا واشهر واعرف وقرا ابو عمرو
والناس قواما بفتح القاف يعني عدلا وقرا حسان بن عبد الرحمن قواما بكسر القاف اي مبلغا وسدادا وملاك
حال والقوام بالكسر ما يدوم عليه الامر ويستقر وقيل هما لغتان بمعنى وقواما خبر كان واسمها مقدر فيها اي
كان الانفاق من الاسراف والقتر قواما قاله الفراء وله قول اخر يجعل بين اسم كان وينصبها لان بين من الظروف تفعلها العرب
كثيرا ينبعها لها فتركت على حالها في موضع الرفع وقال النحاس ما ادري ما وجه هذا لان بينا اذا كانت
موضع رفع رفعت كما يقال بين عينيه احمر قوله تعالى وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ الاية اخرج
لعباده المومنين من صفات الكفرة في عبادتهم للاوثان وقتلهم للنفس بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال
والغارات ومن الزنا الذين كان عندهم مباحا وقال من صرف هذه الاية عن ظاهرها من اهل المعاني
لا يليق بمن اضافهم الرحمن اليه اضافة الاختصاص وذكرهم ووصفهم من صفات المعرفة والتشريف وقوع
هذه الامور القبيحة منهم حتى يمدحوا بنفيها عنهم لانهم اعلى واشرف فقال معناها لا يدعون الهوى الها ولا يذلون
انفسهم بالمعاصي فيكون قتلا لها ومعنى الا بالحق اي الا بسكين الصبر وسيف المجاهدة ولا ينظرون الى دنيا ليست

بحرام بشهوة فيكون سفاحا بل بالضرورة فيكون كالنكاح قال شيخنا ابو العباس وهذا كلام رائق غير
انه عند اهل السنن مائق وهي نبحة باطنية ونزعة باطلية وانما صح تشريف عباد الرحمن باختصاص
الاضافة بعد ان تحلوا بتلك الصفات الحميدة وتخلوا عن نقائض ذلك من الاوصاف الذميمة فبدا في
صدر هذه الآيات بصفات التحلي تشريفا لهم ثم اعقبها بصفات التخلي تبعيدا لها والله اعلم قال المولف
رحمه الله وانما يدل على بطلان ما ادعاه هذا القائل من ان تلك الامور ليست على ظاهرها روى مسلم عن
حديث عبد الله بن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو
خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك
فانزل الله تصديقها وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا والاثام في كلام العرب العقاب وقد فسر ابن زيد
وقتادة هذه الآية ومنه قول الشاعر جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام اي جزاء
وعقوبة وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد ان اثاما واد في جهنم جعله الله عقابا للكفرة قال الشاعر
لقيت المهالك في حربنا وبعد المهالك تلقى اثاما وقال الشدي جبل فيها قال وان مقامنا ندعوا
عليكم بابطح ذي المجاز له اثام وفي صحيح مسلم ايضا عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا
فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن ولو تخبرنا ان لما عملناه كفارة
فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر الآية ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وقد قيل
ان هذه الآية يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله سعيد بن جبير وابن عباس
وسياتي في الزمر بيانه قوله تعالى إِلَّا بِالْحَقِّ اي بالحق ان يقتل به النفوس من كفر بعد ايمان او
زنى بعد احصان على ما تقدم بيانه في الانعام وَلَا يَزْنُونَ فيستحلون الفروج بغير نكاح ولا ملك يمين
ودلت الآية على انه ليس بعد الكفر اعظم من قتل النفس بغير الحق ثم الزنا ولهذا ثبت في حد الزنا القتل لمن كان
محصنا واقصى الجلد لمن كان غير محصن قوله تعالى وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ
الْعَذَابُ قرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يضاعف ويخلد جزما وقرا ابن كثير يضعّف بتشديد
العين وطرح الالف وبالجزم في يضعف ويخلد وقرا طلحة بن سليمان نضعّف بضم النون وكسر العين
المشددة العذاب نصب ويخلد جزم وهي قراءة ابي جعفر وشيبة وقرا عاصم في رواية ابي بكر يضاعف
ويخلد بالرفع فيهما على القطع والاستيناف وقرا طلحة بن سليمان وتخلد بالتاء على معنى مخاطبة الكافر وروي
عن ابي عمرو ويُخلَد بضم الياء من تحت وفتح اللام قال ابو علي وهي غلط من جهة الرواية ويضاعف بالجزم
بدل من يلق الذي هو جزاء الشرط قال سيبويه مضاعفة العذاب لقي الاثام قال الشاعر متى تاتنا
تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقال اخر ان على الله ان تبايعا توخذ كرها او تجي
طائعا واما الرفع ففيه قولان احدهما ان تقطعه مما قبله والاخر ان يكون محمولا على المعنى كان قائلا قال ما
لقي الاثام فقيل له يضاعف له العذاب ومهانا معناه ذليلا خاسئا مبعدا مطرودا قوله تعالى إِلَّا
مَنْ تَابَ لا خلاف بين العلماء ان الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين
على ما تقدم بيانه في النساء ومضى في المائدة القول في جواز التراخي في الاستثناء في اليمين وهو مذهب ابن

عباس مستدلا بهذه الآية قوله تعالى فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ قال النحاس
من احسن ما قيل فيه انه يكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاص مطيع وقال مجاهد والضحاك ان يبدلهم الله
من الشرك الايمان وروى نحوه عن الحسن قال الحسن قوم يقولون التبديل في الآخرة وليس كذلك انما التبديل
في الدنيا يبدل لهم الله ايمانا من الشرك واخلاصا من الشك واحصانا من الفجور وقال الزجاج ليس يجعل مكان
السيئة الحسنة ولكن يجعل مكان السيئة التوبة والحسنة مع التوبة وروى ابوذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان السيآت تبدل بحسنات وروى معناه عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وغيرهما وقال ابو هريرة
ذلك في الآخرة فمن غلبت حسناته على سيآته فيبدل الله السيآت حسنات وفي الخبر ليتمنين اقوام انهم اكثروا
من السيآت قيل ومن هم قال الذين يبدل الله سيآتهم حسنات رواه ابوهريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ذكره الثعلبي والقشيري وقيل التبديل عبارة عن الغفر ان اى نغفر الله لهم تلك السيآت لاان يبدلها حسنات
قال المؤلف رحمه الله ولا يبعد في كرم الله تعالى اذا صحت توبة العبد ان نضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى
الله عليه وسلم لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وفي صحيح مسلم عن ابى ذر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر اهل الجنة دخولا وآخر اهل النار خروجا منها رجل يوتى به يوم القيمة فيقال
اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا وعملت
يوم كذا كذا وكذا فيقول نعم لا استطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان يعرض عليه فيقال ان لك مكان كل سيئة
حسنة فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها ههنا فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
وقال ابو طويل يا رسول الله ارايت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئا وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة الا
اقتطعها فهل له من توبة قال هل اسلمت قال انا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد انك عبد الله و
رسوله قال نعم تفعل الخيرات وتترك الشرات يجعلهن الله كلهن خيرات قال وغدراتي وفجراتي قال الله اكبر فما زال
يكررها حتى توارى ذكره الثعلبي قال مبشر بن عبيد وكان عالما بالنحو والعربية الحاجة التي تقطع على الحاج اذا توجهوا
والداجة التي تقطع عليهم اذا فعلوا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا قوله تعالى وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا لا يقال من قام فانه يقوم فكيف يقال من تاب فانه يتوب وقال ابن عباس
المعنى من آمن من اهل مكة وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحا وادى الفرائض فانه يتوب الى الله متابا
اى فانى قد فضلتهم وقدمتهم على من قاتل النبي صلى الله عليه وسلم واستحل المحارم وقال القفال يحمل ان تكون الآية الاولى
فمن تاب من المشركين ولهذا قال الا من تاب وآمن ثم عطف عليه من تاب من المسلمين واتبع توبته عملا صالحا فله حكم
التائبين ايضا وقيل اى من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله فليست تلك التوبة نافعة بل من تاب وعمل صالحا فحقق
التوبة بالاعمال الصالحة فهو الذى تاب الى الله متابا اى تاب حق التوبة وهي النصوح ولذلك اكد بالمصدر فمتابا مصدر
معناه التاكيد كقوله وكلم الله موسى تكليما اى فانه يتوب الى الله حقا فيقبل الله توبته حقا قوله تعالى وَالَّذِينَ
لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ فيه مسئلتان الاولى قوله لا يشهدون الزور اى لا يحضرون الكذب والباطل ولا
يشاهدونه والزور كل باطل زور وزخرف واعظمه الشرك وتعظيم الانداد وبه فسر الضحاك وابن زيد وابن عباس
وفي رواية عن ابن عباس انه اعياد المشركين عكرمة لعب كان في الجاهلية يسمى بالزور مجاهد الغناء وقال على بن ابى
طلحة ومحمد بن على المعنى لا يشهدون بالزور من الشهادة لا من المشاهدة قال ابن العربى اما القول بانه الكذب فصحيح

لان كل ذلك الى الكذب يرجع واما من قال انه لعب كان في الجاهلية فانه يحرم ذلك اذا كان فيه قمار او جهالة او امر
يعود الى الكفر واما القول بانه الغناء فليس ينتهى الى هذا الحد قال المؤلف رحمه الله من الغناء ما ينتهى سماعه الى
التحريم وذلك كالاشعار التى يذكر فيها الصور المستحسنات والخمر ونحو ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير
كامنا من اللهو مثل قول بعضهم ذهبي اللون تحسب من وجنته النار تقدح خوفوني من فضيحته ليته وافى وافتضح
لا سيما اذا اقترن بذلك شبابات وكارات مثل ما يفعل اليوم في هذا الزمان على ما بيناه في غير هذا الموضع واما
من قال انه شهادة الزور وهي الثانية فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه
ويحلق رأسه ويطوف به في السوق وقال اكثر اهل العلم لا تقبل له شهادة ابدا وان تاب وحسنت حالته فامره الى
الله ولا تقبل له شهادة ابدا وقد قيل انه اذا كان غير مبرز فحسنت حالته قبلت شهادته حسب ما تقدم بيانه في
سورة الحج فتامله هناك قوله تعالى وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا قد تقدم الكلام في اللغو وهو
كل سقط من فعل او قول فيدخل فيه الغناء واللهو وغير ذلك مما قاربه ويدخل فيه سفه المشركين واذاهم للمؤمنين
وذكر النساء وغير ذلك من المنكر وقال مجاهد اذا اوذوا صفحوا وروى عنه اذا ذكروا النكاح كنوا عنه وقال
الحسن اللغو المعاصي كلها وهذا جامع وكراما معناه معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمايلون عليه ولا يجالسون
اهله اى مروا مر الكرام الذين لا يدخلون في الباطل يقال تكرم فلان عما يشينه اى تنزه واكرم نفسه عنه و
روى ان عبد الله بن عمر سمع غناء فاسرع وذهب فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد اصبح ابن آدم
عبدا كريما وقيل من المرور باللغو كريما ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قوله تعالى وَالَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
والذين اذا ذكروا بآيات ربهم اى اذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة
من لا يسمع وقال لم يخروا وليس ثم خرور كما يقال قعد يبكى وان كان غير قاعد قاله الطبرى واختاره قال ابن
عطية وهو ان يخروا صما وعميانا صفة للكفار وهو عبارة عن اعراضهم وقرن ذلك بقولهم قعد فلان يشتمني وقام
فلان يبكى وانت لم تقصد الاخبار بقعود ولا قيام وانما هي توطئات في الكلام والعبارة قال ابن عطية فكان
المستمع للذكر قائم القناة قويم الامر فاذا اعرض وضل كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب
وان كان قد شبه به الذى يخر ساجدا لكن اصله على غير ترتيب وقيل اى اذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم
فخروا سجدا وبكيا ولم يخروا عليها صما وعميانا وقال الفراء اى لم يقعدوا على حالهم الاول كان لم يسمعوا
الثانية قال بعضهم ان من سمع رجلا يقرأ سجدة يسجد معه لانه قد سمع آيات الله تتلى عليه قال ابن
العربى وهذا لا يلزم الا القارى وحده واما غيره فلا يلزمه ذلك الا في مسئلة واحدة وهو ان الرجل اذا تلى
القرآن وتلى السجدة فان كان الذى جلس معه جلس ليسمعه فليسجد معه وان لم يلتزم السماع معه فلا سجود عليه
وقد مضى هذا في الاعراف قوله تعالى وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا
قُرَّةَ أَعْيُنٍ قال الضحاك اى مطيعين لك وفيه جواز الدعاء بالولد وقد تقدم والذرية تكون واحدا وجمعا
فكونها للواحد قوله رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً وهب لى من لدنك وليا وكونها للجمع ذرية ضعافا
وقد مضى في البقرة اشتقاقها مستوفى وقرأ نافع وابن كثير وابن عباس والحسن وذرياتنا وقرأ ابو عمرو و
حمزة والكسائى وطلحة وعيسى وذريتنا بالافراد قرة اعين نصب على المفعول اى قرة اعين لنا وهذا نحو

قوله عليه السلام لانس اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وقد تقدم بيانه في آل عمران ومريم وذلك ان الانسان
اذا بورك له في ماله وولده قرت عينه باهله وعياله حتى اذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها اما نيه من جمال وعفة
ونظر وحوطه او كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة معاونون على وظايف الدين والدنيا لم يلتفت الى زوج
احد ولا الى ولده فتسكن عينه من الملاحظة ولم تمتد عينه الى ما ترى فذلك قرة العين وسكون النفس ووحد قرة لانه
مصدر تقول قرت عينك قرة وقرة العين يحتمل ان تكون من القرار ويحتمل ان تكون من القر وهو الاشهر والقر البرد
لان العرب تتأذى بالحر وتستريح الى البرد ايضا فان دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فمن هذا يقال اقر الله عينك
واسخن الله عين عدوك قال الشاعر فكم سخنت بالامس عين قريرة وقرت عيون دمعها اليوم ساكب قوله
تعالى واجعلنا للمتقين اماما اى قدوة يقتدى بنا في الخير وهذا لا يكون الا ان يكون الداعي متقيا
قدوة وهذا هو قصد الداعي وفي الموطا انكم ايها الرهط ائمة يقتدى بكم وكان ابن عمر في دعائه يقول اللهم
اجعلنا من ائمة المتقين وقال اماما ولم يقل ائمة على الجمع لان الامام مصدر يقال ام فلان فلانا اماما مثل الصيام
والقيام وقال بعضهم اراد ائمة كما قال العرب بل اميرنا هؤلاء يعني امراؤنا وقال الشاعر يا عاذلاتي لا تردن ملامتي
ان العواذل ليس لي بامين اى امناء وكان القشيري ابو القاسم شيخ الصوفية يقول الامامة بالدعاء لا بالدعوى
يعني بتوفيق الله وتيسيره ومنته لا بما يدعيه كل احد لنفسه وقال ابراهيم النخعي لم يطلبوا الرياسة بل بان يكونوا قدوة
في الدين وقال ابن عباس اجعلنا ائمة هدى كما قال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا وقال مكحول اجعلنا
ائمة في التقوى يقتدى بنا المتقون وقيل هذا من المقلوب مجازه واجعل المتقين لنا اماما قاله مجاهد و
القول الاول اظهر واليه يرجع قول ابن عباس ومكحول ويكون فيه دليل على ان طلب الرياسة في الدين ندب وامام
واحد يدل على الجمع لانه مصدر كالقيام قال الاخفش الامام جمع آم من ام يؤم جمع على فعال نحو صاحب وصحاب و
قايم وقيام قوله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا اولئك خبر وعباد الرحمن
في قول الزجاج على ما تقدم وهو احسن ما قيل فيه وما تخلل بين المبتدا وخبره اوصافهم من التحلي والتخلي وهو احدى
عشرة التواضع والحلم والتهجد والخوف وترك الاسراف والاقتار والنزاهة عن الشرك والزنا والقتل والتوبة وتجنب
الكذب والعفو عن المسيء وقبول المواعظ والابتهال الى الله تعالى والغرفة الدرجة الرفيعة وهي اعلى منازل
الجنة وافضلها كما ان الغرفة اعلى مساكن الدنيا حكاه ابن شجرة وقال الضحاك الغرفة الجنة بما صبروا اى بصبرهم
على امر ربهم وطاعة نبيهم عليه السلام وقال محمد بن علي بن الحسين بما صبروا على الفقر والفاقة في الدنيا وقال
الضحاك بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية وسلاما قرا ابو بكر والمفضل والاعمش ويحيى وحمزة
والكسائي وخلف ويلقون مخففة واختاره الفراء قال لان العرب تقول فلان يتلقى بالسلام وبالتحية وبالخير
بالياء وقل ما يقولون فلان يلقى السلامة وقرا الباقون ويلقون واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله سبحانه وتعالى
ولقاهم نضرة وسرورا قال ابو جعفر النحاس وما ذهب اليه الفراء واختاره غلط لانه يزعم انها لو كانت يلقون
كانت في العربية بتحية وسلام وقال كما يقال فلان يتلقى بالسلام وبالخير فمن عجيب ما في هذا انه قال يتلقى والآية
يلقون والفرق بينهما بين لانه يقال فلان يتلقى بالتحية ولا يجوز حذف الياء فكيف يشبه هذا ذاك واعجب من هذا
ان في القرآن ولقاهم نضرة وسرورا لا يجوز ان يقرا بغيره وهذا يبين ان الاولى خلاف ما قال والتحية من الله والسلام
من الملائكة وقيل التحية البقاء الدائم والملك العظيم والاظهر انهما بمعنى واحد وانهما من قبل الله تعالى دليله قوله سبحانه وتعالى

تحيتهم يوم يلقونه سلام وسياتي خالدين نصب على الحال فيها حسنت مستقرا ومقاما
قوله تعالى قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم هذه آية مشكلة الي تعلقت بها الملحدة
يقال ما عبات بفلان اى ما باليت به اى ما كان له عندي وزن ولا قدر واصل يعبا من العبء وهو الثقل
وقول الشاعر كان بصدره وبجانبيه عبيرا بات يعبؤه عروس اى يجعل بعضه على بعض فالعبء الحمل الثقيل
وجمعه اعباء والعبء المصدر وما استفهامية ظهر في اثناء كلام الزجاج وصرح به الفراء وليس يبعد ان تكون
نافية لانك اذا حكمت بانها استفهام فهو نفي خرج مخرج الاستفهام كما قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان
قال ابن الشجري وحقيقة القول عندي ان موضع ما نصب والتقدير اى عبء يعبا بكم اى اى مبالاة يبالي
بكم لولا دعاؤكم اى لولا دعاؤه اياكم لتعبدوه فالمصدر الذي هو الدعاء على هذا القول مضاف الى مفعوله
وهو اختيار الفراء وفاعله محذوف وجواب لولا محذوف كما حذف في قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال
تقديره لم يعبا بكم ودليل هذا القول قوله سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
فالخطاب لجميع الناس وكانه قال لقريش منهم اى ما يبالي الله بكم ولا ينظر اليكم لولا عبادتكم اياه اى لو
كانت وذلك الذي يعبا بالبشر من اجله ويؤيد هذا قراءة ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون
فالخطاب بما يعبا لجميع الناس ثم يقول لقريش فانتم قد كذبتم ولم تعبدوه فسوف يكون التكذيب الذي
هو سبب العذاب لزاما وقال النقاش وغيره المعنى لولا استغاثتكم اليه في الشدائد ونحو ذلك بيانه فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ونحو هذا وقيل ما يعبا بكم اى بمغفرة ذنوبكم ولا هو عنده
عظيم لولا دعاؤكم معه الآلهة والشركاء بيانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم قاله الضحاك
وقال الوليد بن ابي الوليد بلغني فيها اني ما خلقتكم ولي حاجة اليكم الا ان تسالوني فاغفر لكم واعطيكم
وروى وهب بن منبه انه كان في التوراة يا ابن آدم وعزتي ما خلقتك لاربح عليك انما خلقتك لتربح علي
فاتخذني بدلا من كل شيء قال ابن جني قرا ابن الزبير وابن عباس فقد كذب الكافرون قال الزهراوي
والنحاس وهو قراءة ابن مسعود وهي على التفسير للتاء والميم في كذبتم وذهب القتبي والفارسي الى ان
الدعاء مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف والاصل لولا دعاؤكم آلهة من دونه وجواب لولا محذوف تقديره
في هذا الوجه لم يعذبكم ونظيره قوله لولا دعاؤكم آلهة قوله ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم فقد كذبتم اى بما دعيتم اليه هذا على القول الاول وكذبتم بتوحيد الله على الثاني فسوف
يكون لزاما اى يكون تكذيبكم لازما لكم والمعنى فسوف يكون جزاء التكذيب كما قال تعالى ووجدوا ما عملوا
حاضرا اى جزاء ما عملوا وقوله فذوقوا بما كنتم تكفرون اى جزاء ما كنتم تكفرون وحسن اضمار التكذيب لتقدم
ذكر فعله لانك اذا ذكرت الفعل دل بلفظه على مصدره كما قال ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اى لكان
الايمان وقوله وان تشكروا يرضه لكم اى يرضى الشكر ومثله كثير وجمهور المفسرين على ان المراد
باللزام هنا ما نزل بهم يوم بدر وهو قول عبد الله بن مسعود وابي بن كعب وابي مالك ومجاهد ومقاتل
وغيرهم وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود وقد مضت البطشة والدخان واللزام وسياتي مبينا في
سورة الدخان ان شاء الله تعالى ايضا وقالت فرقة هو توعد بعذاب الآخرة وعن ابن مسعود ايضا اللزام
التكذيب نفسه اى لا يعطون التوبة منه ذكره الزهراوي فدخل في هذا يوم بدر وغيره من العذاب الذي يلزمهم

كذبتم

وقال ابوعبيده لزاما اى فيصلا اى فسوف يكون فيصلا بينكم وبين المومنين والجمهور من القراء على كسر اللام و
انشد ابوعبيده لصخر فاما ينجو من خسف ارض فقد لقيا حتوفهما لزاما ولزاما وملازمة واحد وقال الطبرى
لزاما يعنى عذابا دايما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم ببعض كقول ابى ذويب ففاجاه بغادية لزام كما
يتفجر الحوض اللقيف يعنى باللزام الذى يتبع بعضه بعضا وباللقيف المتساقط الحجارة المتهدم النحاس وحكى
ابوحاتم عن ابى زيد قال سمعت قعنبا ابا السمال يقرا لزاما بفتح اللام قال ابوجعفر يكون مصدر لزم والكسر اولى
يكون مثل قتال وقاتل كما اجمعوا على الكسر فى قوله جل وعز ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما
قال غيره اللزام بالكسر مصدر لازم لزاما مثل خاصم خصاما واللزام بالفتح مصدر لزم لزاما مثل سلم سلاما اى
سلامة فاللزام بالفتح اللزوم واللزام الملازمة والمصدر فى القراءتين وقع موقع ملازم واللزام وقع موقع لازم كما
قال سبحانه وتعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا قال النحاس والفراء قول فى اسم يكون
قال مجهولا وهذا غلط لان المجهول لا يكون خبره الا جملة كما قال تعالى انه من يتق ويصبر وكما حكى النحويون كان
زيد منطلق يكون فى كان مجهول ويكون المبتدا وخبره خبر المجهول والتقدير كان الحديث فاما ان يقال كان
منطلقا ويكون فى كان مجهول فلا يجوز عند واحد علمناه

تفسير سورة الشعراء [illegible] منها مدنى الآيات التى ذكرنا الشعراء

وقوله اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل وقال ابن عباس حكيه الا اربع آيات منها نزلت بالمدينه
من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى اخرها وهى مايتان وسبع وعشرون ايه وفى روايه ست وعشرون ايه
وعن ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم اعطيت السورة التى تذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه
وطسم من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل
نافلة وعن البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطانى السبع الطوال مكان التوراة و
اعطانى المبين مكان الانجيل واعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والمفصل ما قراهن نبى قبلى

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرا الاعمش ومحمد
ويحيى وابوبكر والمفضل وحمزة والكسائى وخلف باماله الطاء مشبعا فى هذه السورة وفى اختيها وقرا
نافع وابوجعفر وشيبة والزهرى بين اللفظين واختاره ابوعبيد وابوحاتم وقرا الباقون بالفتح مشبعا قال
الثعلبى وهى كلها لغات فصيحه وقد مضى فى طه قول النحاس فى هذا قال النحاس وقرا المدنيون وابوعمرو
وعاصم والكسائى بادغام النون فى الميم والفراء يقولون باخفاء النون وقرا الاعمش وحمزة طسين ميم باظهار النون
قال النحاس للنون الساكنة والتنوين اربعة اقسام عند سيبويه يبينان عند حروف الحلق ويدغمان عند الراء واللام
والميم والواو والياء ويقلبان ميما عند الباء ويكونان من الخياشيم اى لا يبينان فعلى هذه الاربعة اقسام التى
نصها سيبويه لا تجوز هذه القراءة لانه ليس ههنا حرف من حروف الحلق فتبين النون عنده ولكن فى ذلك وجه
وجيه وهو ان حروف المعجم حكمها ان يوقف عليها فاذا وقف عليها تبينت النون قال الثعلبى الادغام اختيار ابى عبيد
وابى حاتم قياسا على كل القرآن وانما اظهرها اولئك للتبيين والتمكين وادغمها هولاء لمجاورتها حروف الفم قال النحاس
وحكى ابواسحاق فى كتابه فيما يجرى وما لا يجرى ان يقال طاسين ميم بفتح النون وضم الميم كما يقال هذا معديكرب وقال
ابوحاتم قرا خالد طسين ميم ابن عباس طسم قسم وهو اسم من اسماء الله سبحانه وتعالى والمقسم عليه ان نشا ننزل

عليهم من السماء آية وقال قتادة اسم من اسماء القرآن اقسم الله به مجاهد هو اسم السورة الحسن
افتتاح السورة الربيع حساب مدة قوم وقيل قارعة تحل بقوم وطسم وطس واحد قال

وجارة كالربع اسجاه طاسمه بان تسعدوا والدمع اسفاه ساجمه

وقال القرظى اقسم الله بطوله وسنائه وملكه وقال عبدالله بن محمد بن عقيل الطاء طور سيناء
والسين اسكندريه والميم مكه وقال جعفر بن محمد بن على الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى
والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقيل الطاء من الطاهر والسين من القدوس وقيل من
السميع وقيل من السلام والميم من المجيد وقيل من الرحيم وقيل من الملك وقد مضى هذا المعنى فى
اول البقره والحواميم الطواسيم والطواسين سور فى القرآن جمعت على غير قياس وانشد ابوعبيده
وبالطواسيم التى قد ثلثت وبالحواميم التى قد سبعت قال الجوهرى والصواب ان تجمع بذوات وتضاف
الى واحد فيقال ذوات طسم وذوات حم قوله تعالى تلك آيات رفع على اضمار مبتداء اى
هذه تلك آيات الكتاب المبين التى كنتم وعدتم بها لانهم قد وعدوا فى التوراة والانجيل بانزال
القرآن وقيل تلك بمعنى هذه لعلك باخع نفسك اى قاتل نفسك ومهلكها وقد مضى فى الكهف
بيانه الا يكونوا مؤمنين اى لتركهم الايمان قال الفراء ان فى موضع نصب لانها جزاء كذا التعارف و
القول فى هذا ما قاله ابواسحق فى كتابه فى القرآن قال ان فى موضع نصب مفعول من اجله والمعنى لعلك
قاتل نفسك لتركهم الايمان ان نشا ننزل عليهم من السماء آية اى معجزة ظاهرة وقدرة
باهرة فتصير معارفهم ضروريه ولكن سبق القضاء بان تكون المعارف نظرية وقال ابوحمزة الثمالى فى
هذه الآية بلغنى ان هذه الآيه صوت يسمع من السماء فى النصف من شهر رمضان تخرج به العواتق من
البيوت وتضج له الارض وهذا فيه بعد لان المراد قريش لاغيرهم فظلت اى فتظل اعناقهم لها خاضعين
قال مجاهد اعناقهم كبراؤهم قال النحاس ومعروف فى اللغه يقال جاءنى عنق من الناس اى رؤساء منهم ابوزيد
والاخفش اعناقهم جماعاتهم يقال جاءنى عنق من الناس اى جماعه وقيل انما اراد اصحاب الاعناق فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه وقال قتاده المعنى لو شاء لانزل آية يذلون بها فلا يلوى احد منهم عنقه الى معصية
وقال ابن عباس نزلت فينا وفى بنى اميه ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ذكره الثعلبى
والغزنوى فالله اعلم وخاضعين وخاضعة هنا سواء قال عيسى بن عمر واختاره المبرد والمعنى انهم اذا ذلت
رقابهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب اخبار عن اصحابها ويسوغ فى كلام العرب ان تترك الخبر عن الاول وتخبر عن
الثانى قال الراجز طول الليالى اسرعت فى نقضى طوين طولى وطوين عرضى فاخبر عن الليالى وترك الطول
وقال جرير ارى مر السنين اخذن منى كما اخذ السرار من الهلال وانما جاز ذلك لانه لو اسقط
مر وطول من الكلام لم يفسد معناه فكذلك رد الفعل الى الكنايه فى قوله فظلت اعناقهم لها لانه لو اسقط الاعناق
لما فسد الكلام ولادى ما بقى من الكلام عنه حتى يقول فظلوا لها خاضعين وعلى هذا اعتمد الفراء وابوعبيد والكسائى
تذهب الى ان المعنى خاضعيها هم وهذا خطا عند البصريين والفراء ومثل هذا الحذف لا يقع فى شئ من الكلام
قاله النحاس قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه
معرضين تقدم فى الانبياء فقد كذبوا اى اعرضوا ومن اعرض عن شئ ولم يقبله فهو تكذيب له

يكون

ملغت

علم

فسيأتيهم انبآء ما كانوا به يستهزؤن وعيد لهم اى فسوف ياتيهم عاقبة ما كذبوا والذى استهزؤا
به قوله تعالى اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيه من كل زوج كريم نبّه على عظمته
وقدرته وانهم لو راوا بقلوبهم ونظروا ببصايرهم لعلموا انه الذى يستحق ان يعبد اذ هو القادر على خلق كل شئ والزوج
اللون قاله الفراء وكريم حسن شريف واصل الكرم فى اللغة الشرف والفضل فنخلة كريمة اى فاضلة كثيرة الثمر ورجل
كريم شريف فاضل صفوح ونبتت الارض و انبتت بمعنى واحد وقد تقدم فى البقرة والله سبحانه المخرج للنبات
والمنبت له روى عن الشعبى انه قال الناس من نبات الارض فمن صار منهم الى الجنة فهو كريم ومن صار الى النار فهو
لئيم ان فى ذلك لاية اى فيما ذكر من الانبات فى الارض لدلالة على ان الله قادر لا يعجزه شئ وما كان
اكثرهم مؤمنين اى مصدقين لما سبق من علمى فيهم وكان صلة فى قول سيبويه تقديره وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يريد المنيع المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه قوله
تعالى واذ نادى ربك موسى اذ فى موضع نصب المعنى واتل عليهم اذ نادى ربك موسى و
يدل على هذا ان بعده واتل عليهم نبأ ابرهيم ذكره النحاس وقيل المعنى واذكر اذ نادى كما صرح به فى قوله
واذكر اخا عاد وقوله واذكر عبادنا ابرهيم وقوله واذكر فى الكتاب مريم وقيل المعنى واذ نادى ربك
موسى كان كذا وكذا والنداء الدعاء بيا فلان اى قال ربك يا موسى ان ائت القوم الظالمين ثم اخبر
منهم فقال قوم فرعون الا يتقون فقوم بدل والمعنى الا يتقون الا يخافون عقاب الله وقيل هذا
من الايماء الى الشئ لانه امره ان ياتى القوم الظالمين ودل قوله يتقون على انهم لا يتقون وعلى انه
امرهم بالتقوى وقيل المعنى قل لهم الا يتقون وجاء بالياء لانهم غيب وقت الخطاب ولو جاء بالتاء
لجاز ومثله قل للذين كفروا ستغلبون بالياء والتاء وقد قرأ عبيد بن عمير وابو حازم الا تتقون
بتائين اى قل لهم الا تتقون قال رب اى قال موسى رب انى اخاف ان يكذبون
اى فى الرسالة والنبوة ويضيق صدرى لتكذيبهم اياى وقراء العامة ويضيق ولا ينطلق بالرفع على
الاستيناف وقراء يعقوب وعيسى بن عمر وابو حيوة ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما ردا على قوله ان يكذبون
قال الكسائى القراءة بالرفع يعنى فى ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى يعنى نسقا على انى اخاف قال الفراء ويقرأ
بالنصب حكى ذلك عن الاعرج وطلحة وعيسى بن عمر وكلاهما له وجه قال النحاس الوجه الرفع لان النصب عطف
على يكذبون وهذا بعيد يدل على ذلك قوله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فهذا يدل على ان
هذا كذا ومعنى ولا ينطلق لسانى فى المحاجة على ما احب وكان فى لسانه عقدة على ما تقدم فى طه
فارسل الى هرون اى ارسل اليه جبرئيل بالوحى واجعله رسولا معى ليؤازرنى ويظاهرنى
ويعاوننى ولم يذكر هنا ليعيننى لان المعنى كان معلوما وقد صرح به فى طه قوله واجعل لى وزيرا
وفى القصص ارسله معى ردءا يصدقنى وكان موسى اذن له فى هذا السوال ولم يكن ذلك استعفاء
من الرسالة بل طلب من يعينه وفى هذا دليل على ان من لا يستقل بامر ويخاف من نفسه تقصيرا
ان ياخذ من يستعين به عليه ولا يلحقه فى ذلك لوم ولهم على ذنب فاخاف ان يقتلون
الذنب هنا قتل القبطى واسمه فاثور على ما ياتى فى القصص بيانه وقد مضى فى طه ذكره وخاف موسى
ان يقتلوه به ودل على ان الخوف قد يصحب الانبياء والفضلاء الاولياء مع معرفتهم بالله وان لا فاعل الا هو

اذ قد يسلط من يشاء على من يشاء قال كلا اى كلا لن يقتلوك فهو ردع وزجر عن هذا الظن وامر بالثقة
بالله سبحانه وتعالى اى ثق بالله وانزجر عن خوفك منهم فانهم لا يقدرون على قتلك ولا يقوون عليه فاذهبا
اى انت واخوك فقد جعلته رسولا معك باياتنا اى ببراهيننا وبالمعجزات وقيل اى مع اياتنا انا معكم يريد نفسه
سبحانه وتعالى مستمعون اى سامعون ما يقولون وما تجاوبون وانما اراد بذلك تقوية قلبيهما وانه يعينهما ويحفظهما
فالاستماع انما يكون بالاصغاء ولا يوصف البارى سبحانه بذلك وقد وصف سبحانه نفسه بانه السميع البصير
وقال فى طه اسمع وارى وقال معكم فاجراهما مجرى الجمع لان الاثنين جماعة ويجوز ان يكون لهما ولمن ارسلا
اليه ويجوز ان يكون لجميع بنى اسرائيل قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب
العالمين قال ابو عبيدة رسول بمعنى رسالة والتقدير على هذا انا ذو رسالة رب العالمين قال
الهذلى الكنى اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحى الخبر وقال اخر لقد كذب الواشون ما
بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول وقال اخر الا ابلغ ابا عمرو رسولا فانى عن
فتاحتكم غنى وقال العباس بن مرداس الا من مبلغ عنى خفافا رسولا بيت اهلك منتهاها
يعنى رسالة فلذلك انثها ابو عبيدة ويجوز ان يكون الرسول فى معنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا
رسولى ووكيلى وهذان رسولى ووكيلى وهؤلاء رسولى ووكيلى ومنه قوله سبحانه وتعالى فانهم عدو
لى وقيل معناه ان كل واحد منا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بنى اسرائيل اى
اطلقهم وخل سبيلهم حتى يسيروا معنا الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم اربعمائة
سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثون الفا فانطلقا الى فرعون فلم يؤذن لهما فى الدخول
عليه سنة فدخل البواب على فرعون فقال هاهنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين قال ائذن له
لعلنا نضحك منه فدخلا عليه واديا الرسالة وروى وهب وغيره انهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد
اخرج سباعا من اسد ونمور وفهود تتفرج عليها فخاف سواسها ان تبطش بموسى وهرون فاسرعوا
اليها واسرعت السباع الى موسى وهرون فاقبلت تلحس اقدامهما وتبصبص اليهما باذنابها وتلصق خدودها
بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما انتما قالا انا رسول رب العالمين فعرف موسى لانه نشأ فى بيته
فقال الم نربك فينا وليدا على جهة المن عليه والاحتقار اى ربيناك صغيرا ولم نقتلك فى جملة
من قتلنا ولبثت فينا سنين فمتى كان هذا الذى تدعيه ثم قرره بقتل القبطى بقوله وفعلت فعلتك التى
فعلت والفعلة بفتح الفاء المرة من الفعل وقراء الشعبى فعلتك بكسر الفاء والفتح اولى لانها للمرة الواحدة
والكسر بمعنى الهيئة والحال اى فعلتك التى تعرف فكيف تدعى مع علمنا احوالك بان الله ارسلك وقال
الشاعر كان مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل وقال كان ذلك ايام الردة
وانت من الكافرين قال الضحاك اى فى قتلك القبطى اذ هو نفس لا يحل قتله وقيل اى بنعمتى التى
كانت لنا عليك من التربية والاحسان اليك قاله ابن زيد الحسن من الكافرين فى انى الهك السدى
من الكافرين بالله لانك كنت معنا على ديننا الذى تعيبه وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل
القبطى وبين رجوعه نبيا احدى عشرة سنة غير اشهر فقال فعلتها اذا اى فعلت تلك الفعلة يريد
قتل القبطى وانا اذ ذاك من الضالين اى من الجاهلين فنفى عن نفسه الكفر واخبر انه فعل ذلك على الجهل

وكذا قال مجاهد من الضالين من الجاهلين ابن زيد من الجاهلين بان الوكزة تبلغ القتل وفي مصحف
عبد الله من الجاهلين ويقال لمن جهل شيئا ضل عنه وقيل انا من الضالين من الناسين قاله ابو عبيدة
وقيل من الضالين عن النبوة ولم ياتني فيه عن الله شيء فليس علي فيما فعلته في تلك الحالة توبيخ وبين بهذا
ان التربية فيهم لا تنافي النبوة والحكم على الناس وان القتل خطا او في وقت لم يكن فيه شرع لا ينافي النبوة
قوله تعالى فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا [خفتكم صح] اي خرجت من بينكم الى مدين كما في سورة القصص فخرج
منها خائفا يترقب وذلك حين القتل فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا يعني النبوة عن السدي وغيره
الزجاج تعليم التوراة فيها حكم الله وقيل علما وفهما وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ قوله تعالى وَتِلْكَ
نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اختلف الناس في معنى هذا الكلام فقال
السدي والطبري والفراء هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الاقرار بالنعمة كانه يقول نعم
وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني ولكن لا يدفع ذلك رسالتي وقيل هو من موسى على جهة
الانكار اي اتمن علي بان ربيتني وليدا وانت قد استعبدت بني اسرائيل وقتلتهم اي ليست بنعمة لان
الواجب كان ان لا تقتلهم ولا تستعبدهم فانهم قومي فكيف تذكر احسانك الي على الخصوص قال معناه قتادة و
غيره وقيل فيه تقدير استفهام اي او تلك نعمة قاله الاخفش والفراء ايضا وانكره النحاس وغيره قال النحاس
وهذا لا يجوز لان الف الاستفهام تحدث معنى وحذفها محال الا ان يكون في الكلام ام كما قال الشاعر تروح
من الحي ام تبتكر ولا اعلم بين النحويين خلافا في هذا الاشياء قاله الفراء قال يجوز حذف الف الاستفهام في
افعال الشك وحكى ترى زيدا منطلقا بمعنى اترى وكان علي بن سليمان يقول في هذا انما اخذه من الفاظ العامة قال
الثعلبي قال الفراء ومن قال انها انكار قال معناه او تلك نعمة على طريق الاستفهام كقوله اهذا ربي افهم
الخالدون قال الشاعر رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم
وانشد الغزنوي شاهدا على ترك الالف قولهم لم انس يوم الرحيل وقفتها وجفنها
من دموعها شرق وقولها والركاب واقفة تركتني هكذا وتنطلق قال المؤلف رحمه الله ففي هذا حذف
الف الاستفهام مع عدم ام خلاف قول النحاس وقال الضحاك ان الكلام خرج مخرج التبكيت والتبكيت يكون
باستفهام وبغير استفهام والمعنى لو لم تقتل بني اسرائيل لرباني ابواي فاي نعمة لك علي فانت تمن علي
بما لا يجب ان تمن به وقيل كيف تمن علي بالتربية وقد اهنت قومي ومن اهين قومه ذل وان عبدت في
موضع رفع على البدل من نعمة ويجوز ان يكون في موضع نصب بمعنى لان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا
يقال عبدته واعبدته بمعنى قاله الفراء وانشد علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤا وعبدان
قوله تعالى قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ لما غلب موسى فرعون بالحجة ولم يجد اللعين
من تقريره على التربية ونحوه لك حجة رجع الى معارضة موسى في قوله رسول رب العالمين فاستفهمه استفهاما
عن مجهول من الاشياء قال مكي وغيره كما يستفهم عن الاجناس فلذلك استفهم بما قال مكي وقد ورد له استفهام بمن
في موضع اخر ويشبه انها مواطن فاتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق
وقد سال فرعون عن الجنس ولا جنس لله سبحانه وتعالى لان الاجناس محدثة فعلم موسى جهله فاضرب عن سؤاله
واجبره بعظيم قدرة الله الله تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها فقال فرعون الا تستمعون على معنى الاغراء

[من صح]

والتعجب من سفه المقالة اذ كانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك فزاد موسى
في البيان بقوله رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فجاء بدليل يفهمونه عنه لانهم يعلمون انه قد كان
لهم آباء وانهم قد فنوا وانه لا بد من مغير وانهم قد كانوا بعد ان لم يكونوا وانه لا بد لهم من مكون فقال فرعون
حينئذ على جهة الاستخفاف إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ اي ليس يجيبني عما اسئل
فاجابه موسى عليه السلام عن هذا بان قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ اي ليس ملكه كملكك لانك انما تملك
بلدا واحدا لا يجوز امرك في غيره ويموت فيه من لا تحب [مؤنة صح] والذي ارسلني يملك المشرق والمغرب وَمَا
بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ وقيل علم موسى عليه السلام ان قصده في السؤال معرفة من سال عنه فاجاب
بما هو الطريق الى معرفة الرب اليوم ثم لما انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة رجع الى الاستعلاء والتغلب
فتوعد موسى بالسجن ولم يقل ما دليلك على ان هذا الاله ارسلك لان فيه الاعتراف بان ثم الها غيره وفي توعده
بالسجن ضعف وكان فيما يروى يفزع عنه فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك بوله وروي ان سجنه كان
اشد من القتل فكان اذا سجن احدا لم يخرجه من سجنه حتى يموت فكان مخوفا ثم لما كان عند موسى عليه السلام من امر
الله سبحانه وتعالى ما لم يرعه توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع في ايمانه أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ
مُّبِينٍ فيتضح لك به صدقي فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناءه موضع معارضة فقال له فَأْتِ بِهِ إِن
كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ولم يحتج الشرط الى جواب عند سيبويه لان ما تقدم يكفي منه فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ من
يده فكان ما اخبر الله من قصته وقد تقدم بيان ذلك وشرحه في الاعراف الى آخر القصة وقول السحرة لما توعدهم
فرعون بقطع الايدي والارجل لَا ضَيْرَ اي لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا اي انما عذابك ساعة
فنصبر لها وقد لقينا الله مؤمنين وهذا يدل على شدة استبصارهم وقوة ايمانهم قال مالك دعا موسى عليه السلم
فرعون اربعين سنة الى الاسلام وان السحرة آمنوا به في يوم واحد يقال لا ضير ولا ضر ولا ضور ولا ضارورة
بمعنى واحد قاله الهروي وانشد ابو عبيدة فانك لا يضورك بعد حول اظبي كان امك ام حمار
قال الجوهري ضاره يضوره ويضيره ضورا وضيرا اي ضره قال الكسائي سمعت بعضهم يقول لا ينفعني
ذلك ولا يضورني والتضور الصياح والتلوي عند الضرب او الجوع والضورة بالضم الرجل الحقير الصغير الشان
إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ يريد ننقلب الى رب كريم رحيم إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا
خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ان في موضع نصب اي لان كنا واجاز الفراء كسرها على ان
يكون مجازاة ومعنى اول المؤمنين اي عند ظهور الآية ممن كان في جانب فرعون الفراء اول مؤمني زماننا وانكره
الزجاج وقال قد روي انه آمن معه ستمائة الف وسبعون الفا وهم الشرذمة القليلون الذين قال فيهم
فرعون إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ روي ذلك عن ابن مسعود وغيره قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا
إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ لما كانت من سنته سبحانه وتعالى في
عباده انجاء المؤمنين المصدقين من اوليائه المعترفين برسالة رسله وانبيائه واهلاك الكافرين المكذبين
لهم من اعدائه امر موسى ان يخرج بني اسرائيل ليلا وسماهم عباده لانهم آمنوا بموسى عليه السلام ومعنى انكم
متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم وفي ضمن هذا الكلام تعريفهم ان الله ينجيهم منهم فخرج موسى عليه السلم
ببني اسرائيل سحرا فترك الطريق الى الشام على يساره وتوجه نحو البحر وكان الرجل من بني اسرائيل يقول له في ترك

الطريق فيقول هكذا امرت فلما اصبح فرعون وعلم بسري موسى ببني اسرائيل خرج في اثرهم وبعث الى مداين
مصر ليلحقه العساكر فروى انه لحقه ومعه مائة الف ادهم من الخيل حاشى سائر الالوان وروى ان بني اسرائيل
كانوا ستمائة الف وسبعين الفا والله اعلم بصحته وانما اللازم من الآية الذي ينطق به ان موسى عليه السلام
خرج بجمع عظيم من بني اسرائيل وان فرعون تبعه باضعاف ذلك قال ابن عباس كان مع فرعون الف
جبار كلهم عليه تاج وكلهم امير خيل والشرذمة الجمع القليل المحتقر والجمع الشراذم قال الجوهري الشرذمة الطائفة
من الناس والقطعة من الشيء وثوب شراذم اي قطع وانشد الثعلبي قول الراجز جاء الشتاء
وقميصي اخلاق شراذم يضحك منها النواق النواق من الرجال الذي يروض الامور ويصلحها قاله في الصحاح
واللام في قوله لشرذمة لام تاكيد وكثيرا ما يدخل في خبر ان الا ان الكوفيين لا يجيزون ان زيدا لسوف يقوم والدليل
على انه جائز قوله تعالى فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وهذه لام التوكيد بعينها وقد دخلت على سوف قاله النحاس
وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ اي اعداء لنا لمخالفتهم ديننا وذهابهم باموالنا التي استعاروها على ما تقدم
وماتت ابكارهم تلك الليلة وقد مضى هذا في الاعراف وطه مستوفى يقال غاظني كذا واغاظني والغيظ الغضب
ومنه التغيظ والاغتياظ اي غاظونا بخروجهم من غير اذن وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ اي مجتمع مستعد
اخذنا حذرنا واسلحتنا وقرئ حاذرون معناه معنى حذرون وقيل حاذرنا اي علينا السلاح وحذرون
اي فرقون خايفون قال الجوهري وقرئ وانا لجميع حاذرون وحذرون وحذرون ايضا بضم الذال
حكاه الاخفش ومعنى حاذرون متاهبون ومعنى حذرون خايفون قال النحاس حذرون قراءة
المدنيين وابي عمرو وقراءة الكوفة حاذرون وهي معروفة عند عبد الله بن مسعود وابن عباس وحادرون
بالدال غير معجمة قراءة ابي عباد وحكاه المهدوي عن ابي عماد والماوردي والثعلبي عن شميط بن عجلان قال
النحاس ابو عبيدة يذهب الى ان معنى حذرون وحاذرون واحد وهو قول سيبويه واجاز هو حذر زيدا
كما يقال حاذر زيدا وانشد حذر امورا لا تضير وآمن ما ليس ينجيه من الاقدار وزعم ابو عمرو الجرمي انه
يجوز حذر زيدا على حذف من اما اكثر النحويين فيفرقون بين حذر وحاذر منهم الكسائي والفراء ومحمد بن
يزيد فيذهبون الى ان معنى حذر في خلقته الحذر اي متيقظ متنبه فاذا كان هكذا لم يتعد ومعنى حاذر مستعد
وبهذا جاء التفسير عن المتقدمين قال عبد الله بن مسعود في قول الله عز وجل وانا لجميع حاذرون قال مؤدون
في السلاح والكراع مقوون فهذا ذاك بعينه وقوله مؤدون معهم اداة وقد قيل ان المعنى انا معنا سلاح وليس
معهم سلاح يحرضهم على القتال فاما حادرون بالدال المهملة مشتق من قولهم عين حدرة اي ممتلية اي ممتلئون
غيظا عليهم ومنه قول الشاعر وعين لها حدرة بدرة شقت مآقيهما من اخر وحكى اهل اللغة انه يقال رجل
حادر اذا كان ممتلئ اللحم يجوز ان يكون المعنى الامتلاء من السلاح المهدوي الحادر القوي الشديد قوله تعالى
فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يعني من ارض مصر وعن عبد الله بن عمرو قال وكانت الجنات
بحافتي النيل في الشقتين جميعا من اسوان الى رشيد وبين الجنات زروع وللنيل سبعة خلجان خليج
الاسكندرية خليج سخا خليج دمياط خليج سردوس خليج منف خليج الفيوم خليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شيء
عن شيء والزروع ما بين الخلجان كلها وكانت ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا بماء قدروا ودبروا
وامر قناطيرها وجسورها وخلجها ولذلك سمي النيل اذا علا ستة عشر ذراعا نيل السلطان ويخلع على ابن ابي

الرداد وهذه الحال مستمرة الى الآن وانما قيل نيل السلطان لانه حينئذ يجب الخراج على الناس وكانت ارض
مصر جميعها تروى من اصبع واحدة من سبعة عشر ذراعا وكانت اذا غلق النيل سبعة عشر ذراعا ونودي عليه اصبع
واحد من ثمانية عشر ذراعا ازداد في خراجها الف الف دينار فاذا خرج عن ذلك ونودي عليه اصبعا
واحدا من تسعة عشر ذراعا نقص خراجها الف الف دينار وسبب هذا ما كان ينصرف في المصالح والخلجان ٦
والجسور والاهتمام بعمارتها فاما الآن فان اكثرها لا تروى حتى ينادى اصابع من تسعة عشر ذراعا بمقياس مصر
فاما اعمال الصعيد الاعلى فان بها ما لا يتكامل ريه الا بعد دخول الماء في الذراع الثاني والعشرين بالصعيد الاعلى
قال المؤلف رحمه الله اما ارض مصر فلا تروى جميعها الان الا من عشرين ذراعا واصابع لعلو الارض وعدم
الاهتمام بعمارة جسورها وهو من عجايب الدنيا وذلك انه يزيد اذا انصبت المياه في جميع الارض حتى يسيح
على ارض مصر وتبقى البلاد كالاعلام لا يوصل اليها الا بالمراكب والقياسات وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلل الله له الانهار فاذا اراد ان يجري
نيل مصر امر كل نهر ان يمده فامدته الانهار بمائها وفجر الله له عيونا فاذا انتهى الى ما اراد الله عز وجل اوحى
الله سبحانه وتعالى الى كل ماء ان يرجع الى عنصره وقال قيس بن الحجاج لما افتتحت مصر اتى اهلها الى عمرو بن العاص
حين دخل بؤونه من شهور القبط فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم ما ذاك فقالوا
اذا كان لاثني عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من ابويها ارضينا ابويها وحملنا عليها من الحلي والثياب
افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو هذا شيء لا يكون في الاسلام وان الاسلام ليهدم ما قبله
فاقاموا بؤونه وابيب ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيرا وهموا بالجلاء فلما راى ذلك عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فاعلمه بالقصة فكتب اليه عمر بن الخطاب انك قد اصبت بالذي فعلت وان الاسلام يهدم ما قبله
ولا يكون هذا وبعث الله بطاقة في داخل كتابه وكتب الى عمرو اني قد بعثت اليك بطاقة في داخل كتابي فالقها في
النيل اذا اتاك كتابي هذا فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاص اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين
الى نيل مصر اما بعد فان كنت انما تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسال الله الواحد
القهار ان يجريك قال فالقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم وقد تهيا اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا يقوم مصلحتهم
فيها الا بالنيل فلما القى البطاقة في النيل اصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله سبحانه وتعالى في ليلة واحدة ستة
عشر ذراعا فقطع الله سبحانه وتعالى تلك السنة عن اهل مصر من تلك السنة فقال كعب الاحبار اربعة انهار من
الجنة وضعها الله في الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات فسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في
الجنة والنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وقال ابن لهيعة الدجلة نهر اللبن في الجنة قال المؤلف
رحمه الله الذي في الصحيح من هذا حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان
والنيل والفرات كل من انهار الجنة لفظ مسلم في حديث الاسراء وفي حديث الاسراء من حديث انس عن مالك بن
صعصعة رجل من قومه قال وحدث نبي الله عليه السلام انه راى اربعة انهار يخرج من اصلها نهران ظاهران
ونهران باطنان فقلت يا جبريل ما هذه الانهار فقال اما النهران الباطنان فنهران من الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات لفظ مسلم وقال البخاري من طريق شريك عن انس فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان
فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر

من لولؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر فقال ما هذا يا جبرئيل قال هذا الكوثر الذي خبا
لك ربك وذكر الحديث والجمهور على ان المراد بالعيون عيون الماء وقال سعيد بن جبير المراد عيون الذهب
وفي الدخان كم تركوا من جنات وعيون وزروع قيل انهم كانوا يزرعون ما بين الجبلين من اول
مصر الى آخرها وليس في الدخان وكنوز وكنوز جمع كنز وقد مضى في براءة والمراد بها هنا الخزائن وقيل الدفائن
وقال الضحاك الانهار وفيه نظر لان العيون يشملها ومقام كريم قال ابن عمر وابن عباس ومجاهد المقام الكريم
المنابر وكانت الف منبر لالف جبار يعظون عليها فرعون وملكه وقيل مجالس الامراء والرؤساء حكاه ابن عيسى
وهو قريب من الاول وقال سعيد بن جبير المنازل الحسان وقال ابن لهيعة سمعت ان المقام الكريم
الفيوم وقيل كان يوسف عليه السلام قد كتب في مجلس من مجالسه لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فسماها
الله كريمة بهذا وقيل مرابط الخيل لتفرد الزعماء بارتباطها عدة وزينة فصار مقامها اكرم منزول ذكره
الماوردي الاظهر انها المساكن الحسان كانت تكرم عليهم والمقام في اللغة يكون موضعا ويكون مصدرا النحاس
المقام في اللغة الموضع من قولك قام يقوم وكذلك المقامات واحدها مقامة كما قال وفيها مقامات
حسان وجوهها واندية ينتابها القول والفعل والمقام ايضا المصدر من قام والمقام بالضم الموضع من
اقام والمصدر ايضا من اقام يقيم قوله تعالى كذلك واورثناها بني اسرائيل يريد
ان جميع ما ذكره الله سبحانه وتعالى من الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم اورثه الله بني اسرائيل
قال الحسن وغيره رجع بنو اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وقيل اراد بالوراثة هنا ما استعاروه من
حلي آل فرعون بامر الله تعالى قال المؤلف رحمه الله وكلا الامرين حصل لهم والحمد لله فاتبعوهم
مشرقين اي فتبع فرعون وقومه بني اسرائيل قال السدي حين اشرقت الشمس بالشعاع وقال قتادة
حين اشرقت الشمس بالضياء قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت واختلف في تأخر
فرعون وقومه عن موسى وبني اسرائيل على قولين احدهما لاشتغالهم بدفن ابكارهم لان الوباء وقع في تلك
الليلة فيهم فقوله مشرقين حال لقوم فرعون الثاني ان سحابة اظلتهم وظلمة فقالوا نحن بعد في
الليل فما تقشعت عنهم حتى اصبحوا وقال ابو عبيدة معنى فاتبعوهم مشرقين ناحية المشرق وقرأ الحسن وعمرو
بن ميمون فاتبعوهم مشرقين بالتشديد والف الوصل اي نحو المشرق مأخوذ من قولهم شرق وغرب
اذا سار نحو المشرق والمغرب ومعنى الكلام قدرنا ان يرثها بنو اسرائيل فاتبع قوم فرعون بني اسرائيل مشرقين
فهلكوا وورث بنو اسرائيل بلادهم قوله تعالى فلما تراءا الجمعان اي تقابلا الجمعان بحيث
يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية قال اصحاب موسى انا لمدركون اي قرب منا العدو
ولا طاقة لنا بهم وقراءة جماعة لمدركون بالتخفيف من ادرك ومنه حتى اذا ادركه الغرق وقرأ
عبيد بن عمير والاعرج والزهري لمدّركون بتشديد الدال من ادّرك قال الفراء حفروا واحتفروا بمعنى واحد
وكذلك لمدركون ولمدّركون بمعنى واحد النحاس وليس كذلك يقول النحويون الحذاق انما يقولون مدركون
ملحقون ومدّركون مجتهد في لحاقهم كما يقال كسبت بمعنى اصبت وظفرت واكتسبت بمعنى اجتهدت وطلبت و
هذا معنى قول سيبويه قوله تعالى قال كلا ان معي ربي سيهدين لما لحق فرعون بجمعه
جمع موسى وقرب منهم ورأت بنو اسرائيل العدو القوي والبحر امامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسى على جهة التوبيخ

و الجفاء انا لمدركون فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه وتعالى له بالهداية
والظفر كلا اي لم يدركوكم ان معي ربي اي بالنصر على العدو سيهدين اي سيدلني على
طريق النجاة فلما عظم البلاء على بني اسرائيل ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها امر الله سبحانه
وتعالى ان يضرب البحر بعصاه وذلك انه اراد عز وجل ان تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعل
يفعله والا فضرب العصا ليس بفارق للبحر ولا معين على ذلك بذاته الا بما اقترن به من قدرة الله
سبحانه وتعالى واختراعه وقد مضى في البقرة قصة هذا البحر ولما انفلق صار فيه اثنا عشر طريقا على
عدد اسباط بني اسرائيل ووقف الماء بينها كالطود العظيم اي الجبل العظيم والطود الجبل وقال
امرؤ القيس فبينا المرء في الاحياء طود رماه الناس عن كثب فمالا وقال الاسود بن يعفر حلوا
بانقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من اطواد جمع طود اي جبل فصار لموسى واصحابه طريقا في البحر
يبسا فلما خرج اصحاب موسى وتكامل آخر اصحاب فرعون على ما تقدم في يونس انصب عليهم وغرق
فرعون فقال بعض اصحاب موسى ما غرق فرعون فنبذ على ساحل البحر حتى نظروا اليه وروى ابن القاسم عن
مالك قال خرج مع موسى عليه السلام رجلان من التجار الى البحر فلما اتوا اليه قالا له بما امرك الله قال امرت
ان اضرب البحر بعصاي هذه فيجف فقالا له افعل ما امرك ربك ثم القيا انفسهما في البحر تصديقا فما
زال كذلك البحر حتى دخل فرعون ومن معه ثم ارتد كما كان وقد مضى هذا المعنى في البقرة قوله تعالى
وازلفنا ثم الآخرين اي قربناهم الى البحر يعني فرعون وقومه قاله ابن عباس وغيره
قال الشاعر وكل يوم مضى او ليلة سلفت فيها النفوس الى الآجال تزدلف ابو عبيدة
ازلفنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزدلفة ليلة جمع وقرأ ابو عبد الله بن الحارث وابي بن كعب وابن
عباس وازلقنا بالقاف على معنى اهلكناهم من قولهم ازلقت الفرس فهي مزلق اذا القت ولدها
وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الآخرين يعني فرعون وقومه ان
في ذلك لآية اي علامة على قدرة الله سبحانه وتعالى وما كان اكثرهم مؤمنين
لانه لم يؤمن من قوم فرعون الا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسية امرأة فرعون
ومريم ابنة ذاموسى العجوز الذي دلت على قبر يوسف الصديق عليه السلام وذلك ان موسى عليه
السلام لما خرج ببني اسرائيل من مصر اظلم عليهم القمر فقال لقومه ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف عليه
السلام لما حضره الموت اخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه قال موسى
فايكم يدري قبره قالوا لا نعلمه الا عجوز لبني اسرائيل فارسل اليها فقال دليني على قبر يوسف قالت لا و
الله لا افعل حتى تعطيني حكمي قال وما حكمك قال حكمي ان اكون معك في الجنة فثقل عليه فقيل له اعطها حكمها
فدلتهم عليه فاحتفروه واخرجوا عظامه فلما اقلوها فاذا الطريق مثل ضوء النهار وفي رواية فاوحى الله اليه
ان اعطها ففعل فاتت بهم الى بحيرة فقالت انضبوا هذا الماء فانضبوه واستخرجوا عظام يوسف عليه
السلام فتبينت لهم الطريق مثل ضوء النهار وقد مضى في يوسف وروى ابو بردة عن ابي موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما حاجتك قال ناقة ارحلها واعنزا احلبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عجزت ان تكون
مثل عجوز بني اسرائيل فقال اصحابه وما عجوز بني اسرائيل فذكر لهم حال هذه العجوز احتكمت على موسى ان تكون معه في

الجنة قوله تعالى وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرٰهِيمَ نبّه المشركين على فرط جهلهم اذ رغبوا
عن اعتقاد ابرهيم ودينه وهو ابوهم والنبأ الخبر اى اقصص عليهم يا محمد خبره وحديثه وعيبه
على قومه ما تعبدون وانما قال ذلك ملزما لهم الحجة والجمهور من القراء على تخفيف الهمزة الثانية وهو
احسن الوجوه لانهم قد اجمعوا على تخفيف الثانية من كلمة واحدة نحو آدم وان شئت حققتهما فقلت
نبأ ابرهيم وان شئت خففت الاولى وثم وجه خامس الا انه بعيد فى العربية وهو ان تدغم الهمزة
فى الهمزة كما تقال رآاس للذى يبيع الرؤس وانما بعد لانك تجمع بين همزتين كانهما فى كلمة واحدة وحسن
فى فعّال لانه لا يأتى الا مدغما إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ اى اى شئ تعبدون قَالُوا
نَعْبُدُ أَصْنَامًا وكانت اصنامهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ
اى فنقيم على عبادتها وليس المراد وقتا معينا بل هو اخبار عما هم فيه وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون
الليل وكانوا فى الليل يعبدون الكواكب تقال ظل يفعل كذا اذا فعل نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله
ليلا قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ قال الاخفش فيه حذف والمعنى هل يسمعون منكم او هل يسمعون
دعاءكم كما قال الشاعر القايد الخيل منكوبا دوابرها قد احكمت حكمات القدّ والابقا قال والابق
الكتان فحذف والمعنى واحكمت حكمات الابق وفى الصحاح الابق بالتحريك القنب وروى عن قتاده انه قرأ
هل يُسمعونكم بضم الياء اى هل يسمعونكم اصواتهم إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ اى هل
ينفعكم هذه الاصنام وترزقكم او تملك لكم ضرا ان عصيتم وهذا استفهام لتقرير الحجة فاذا لم ينفعوا و
لم يضروا فما معنى عبادتكم لها قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ فدعوا الى التقليد من غير حجة و لا
دليل وقد مضى القول فيه قَالَ ابرهيم أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ عن هذه الاصنام أَنْتُمْ
وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ الاولون فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي واحد يؤدى عن جماعة وكذلك يقال
للمرأة هى عدو الله وعدوة الله حكاهما الفراء قال على بن سليمان من قال عدوة فاثبت الهاء قال هى
بمعنى معادية ومن قال عدو للمونث والجميع جعله بمعنى النسب ووصف الجماد بالعداوة بمعنى انهم عدو لى
ان عبدتهم يوم القيمة كما قال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفراء هذا من المقلوب
مجازه فانى عدو لهم لان من عاديته عاداك ثم قال الا رب العالمين قال الكلبى اى الا من عبد رب العالمين
اى الا عابد رب العالمين فحذف المضاف قال ابو اسحاق الزجاج قال النحويون هو استثناء ليس من الاول
واجاز ابو اسحاق ان يكون من الاول على انهم كانوا يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الاصنام فاعلمهم انه
تبرّأ مما يعبدون الا الله وتأوله الفراء على الاصنام وحدها والمعنى عنده فانهم لو عبدتهم عدو لى يوم القيمة
على ما ذكرنا وقال الجرجانى تقديره أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ انتم وآباؤكم الاقدمون الا رب العالمين
فانهم عدو لى والا بمعنى دون وسوى كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى دون الموتة الاولى
قوله تعالى الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ اى يرشدنى الى الدين وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
وَيَسْقِينِ اى يرزقنى ودخول هو تنبيه على ان غيره لا يطعم ولا يسقى كما تقول زيد هو الذى فعل كذا اى
لم يفعله غيره وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ قال مرضت رعاية للادب والا فالمرض والشفاء من
الله عز وجل جميعا ونظيره هذا قول فتى موسى وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ

يُحْيِينِ يريد البعث وكانوا ينسبون الموت الى الاسباب فبيّن ان الله هو الذى يحيى ويميت
وكله بغير ياء يهدين يشفين لان الحذف فى رؤس الآى حسن لتتفق كلها وقرأ ابن ابى اسحاق على
جلالته وقدره ومحله من العربية هذه كلها بالياء لان الياء اسم وانما دخلت النون لعله فان قيل فهذه
صفة لجميع الخلق فكيف جعلها ابرهيم دليلا على هدايته ولم يهتد بها غيره وقيل انما ذكرها احتجاجا على
وجوب الطاعة لان من انعم وجب ان يطاع ولا يعطى ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها وهذا الزام
صحيح قال المؤلف رحمه الله وتجوّز بعض اهل الاشارات فى غوامض المعانى فعدل عن ظاهر ما ذكرنا
الى ما تدفعه بداية العقول من انه ليس المراد من ابرهيم فقال وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ
اى يطعمنى لذة الايمان ويسقينى حلاوة القبول ولهم فى قوله وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وجهان
احدهما اذا مرضت بمخالفته شفانى برحمته الثانى اذا مرضت بمقاساة الخلق شفانى بمشاهدة
الحق وقال جعفر بن محمد الصادق اذا مرضت بالذنوب شفانى بالتوبة وتأولوا قوله وَالَّذِي يُمِيتُنِي
ثُمَّ يُحْيِينِ على ثلاثة اوجه فالذى يميتنى بالمعاصى يحيى بالطاعات الثانى يميتنى بالخوف و
يحيى بالرجا الثالث يميتنى بالطمع ويحيى بالقناعة وقول رابع يميتنى بالعدل ويحيينى بالفضل
وقول خامس يميتنى بالفراق ويحيى بالتلاق وقول سادس يميتنى بالجهل ويحيى بالعقل الى غير
ذلك مما ليس شئ منه مرادا من الآية فان هذه التأويلات الغامضة والامور الباطنة انما تكون لمن صدق
وعرف الحق واما من كان فى عمى عن الحق ولا يعرف الحق فكيف يرمز له الامور الباطنة ويترك الامور الظاهرة
هذا محال والله اعلم قوله تعالى وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ
اطمع اى ارجو وقيل هو بمعنى اليقين فى حقه وبمعنى الرجاء فى حق المؤمنين سواه وقرأ الحسن وابن
ابى اسحاق خطاياى وقال ليست خطيئة واحدة قال النحاس خطيئة بمعنى خطايا معروف فى كلام العرب
وقد اجمعوا على التوحيد فى قوله عز وجل فاعترفوا بذنبهم معناه اى بذنوبهم وكذا واقيموا الصلاة معناه الصلوات
وكذا خطيئتى ان كانت خطايا والله اعلم فالظاهر يعنى بخطيئته قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله انى سقيم
وقوله ان سارة اخته زاد الحسن وقوله للكواكب هذا ربى وقد مضى بيان هذا مستوفى وقال الزجاج
الانبياء بشر فيجوز ان يقع منهم الخطيئة نعم لا تجرى عليهم الكبائر لانهم معصومون عنها يَوْمَ الدِّينِ يوم الجزاء
حيث يجازى العباد باعمالهم وهذا من ابرهيم اظهار العبودية وان كان يعلم انه مغفور له وفى صحيح مسلم عن
عائشة قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه
قال لا ينفعه انه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين قوله تعالى رَبِّ هَبْ لِي
حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ حكما معرفة بك وبحدودك واحكامك قاله ابن عباس وقال
مقاتل فهما وعلما وهو راجع الى الاول وقال الكلبى نبوة ورسالة الى الخلق وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ اى بالنبيين
من قبلى فى الدرجة وقال ابن عباس باهل الجنة وهو توكيد قوله رب هب لى حكما قوله تعالى وَاجْعَلْ
لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ قال ابن عباس هو اجتماع الامم عليه وقال مجاهد الثناء الحسن
قال ابن عطية هو الثناء وعلو المكان باجماع من المفسرين وكذلك اجاب الله دعوته وكل امة تتمسك به و
تعظمه وهو على الحنيفية التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكى وقيل معناه سؤاله ان يكون من ذريته

في آخر الزمان من يقوم بالحق فاجيب الدعوة في محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطيه وهذا معنى حسن الا ان لفظ الايه لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ وقال القشيري اراد الدعاء الحسن الى قيام الساعة فان زياده الثواب مطلوبه في حق كل احد قال المولف رحمه الله وقد فعل الله ذلك اذ ليس احد يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلي على ابرهيم وخاصه في الصلوات وعلى المنابر التي هي افضل الحالات وارفع المقامات والصلاه دعاء بالرحمه والمراد باللسان القول واصله جارحه الكلام قال القتبي وضع اللسان موضع القول على الاستعاره وقد تكنى العرب بها عن الكلمة قال الاعشى اني اتتني لسان لا اسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر وقال الجوهري يروى ان علو بضم الواو وفتحها وكسرها اي اتاني خبر من اعلى والتانيث للكلمة وكان قد اتاه خبر بقتل اخيه المنتشر روى اشهب عن مالك قال قال الله عز وجل وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ لا باس ان يحب الرجل ان يثنى عليه صالحا ويرى في عمل الصالحين اذا قصد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد قال الله سبحانه وتعالى وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وقال إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا اي حبا في قلوب عباده وثناء حسنا فنبه تعالى بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل الليث بن سليمان اذ هي الحياة الثانيه قيل قد كان قوم وهي في الناس احياء قال ابن العربي وقال المحققون من شيوخ الزهاد في هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثناء الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث وفي روايه انه كذلك في الغرس والزرع وكذلك فيمن مات مرابطا يكتب له عمله الى يوم القيامة وقد بيناه في آخر آل عمران والحمد لله قوله تعالى وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ دعا بالجنه وبمن يرثها وهو يقول بعضهم لا اسال جنة ولا نارا قوله تعالى وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ كان ابوه وعده في الظاهر ان يومن به فاستغفر له لهذا فلما بان انه لا يفي بما قال تبرأ منه وقد تقدم هذا المعنى انه كان من الضالين اي المشركين وكان زائدة وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ اي لا تفضحني على رؤس الاشهاد ولا تعذبني يوم القيامه وفي البخاري عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابرهيم يرى اباه يوم القيامه عليه الغبرة والقترة الغبرة هي القترة وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابرهيم اباه فيقول يا رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله عز وجل اني حرمت الجنه على الكافرين انفرد بهما البخاري قوله تعالى يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ يوم بدل من يوم الاول اي يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا والمراد بقوله ولا بنون الاعوان لان الابن اذا لم ينفع فغيره متى ينفع وقيل ذكر البنين لانه جرى ذكر والد ابرهيم اي لم ينفعه ابرهيم إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ هو استثناء من الكافر اي لا ينفعه ماله ولا بنوه وقيل هو استثناء من غير الجنس اي لكن من اتى الله بقلب سليم ينفعه لسلامة قلبه وخص القلب بالذكر لانه اذا سلم سلمت الجوارح واذا فسد فسدت سائر الجوارح وقد تقدم في اول البقرة واختلف في القلب السليم فقيل من الشرك والشك فاما الذنوب فليس يسلم منها احد قاله قتاده وابن زيد واكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب القلب السليم الصحيح وهو قلب المومن لان قلب الكافر والمنافق مريض

يرد

قال الله سبحانه وتعالى فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وقال ابو عثمان السيارى هو القلب الخالي عن البدعه المطمئن الى السنه وقال الحسين سليم من آفة المال والبنين وقال الجنيد السليم في اللغه اللديغ فمعناه انه قلب كاللديغ من خوف الله وقال الضحاك السليم الخالص قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا القول يجمع شتات الاقوال بعمومه وهو حسن اي الخالص من الاوصاف الذميمه والمتصف بالاوصاف الجميله والله اعلم وقد روي عن عروه انه قال يا بني لا تكونوا لعانين فان ابرهيم لم يلعن شيئا قط وقال الله سبحانه وتعالى اذ جاء ربه بقلب سليم وقال محمد بن سيرين القلب السليم ان يعلم ان الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وفي صحيح مسلم عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنه اقوام افئدتهم مثل افئدة الطير يريد والله اعلم انها مثلها في انها خاليه عن كل ذنب سالمة من كل عيب لا خبره لهم بامور الدنيا كما روى انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنه البله وهو حديث صحيح اي البله عن معاصي الله تعالى قال الازهري الابله هنا الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه وقال القتبي البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس قوله تعالى وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ اي قربت وادنيت لهم ليدخلوها وقال الزجاج قرب دخولهم اياها ونظرهم اياها وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ اي اظهرت الجحيم يعني جهنم لِلْغَاوِينَ اي الكافرين الذين ضلوا عن الهدى اي يظهر جهنم لاهلها قبل ان يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر اهل الجنه الفرح لعلمهم انهم يدخلون الجنه وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ من الاصنام والانداد هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ من عذاب الله أَوْ يَنْتَصِرُونَ لانفسهم وهذا توبيخ فَكُبْكِبُوا فِيهَا اي قلبوا على رؤسهم وقيل دهوروا والقي بعضهم على بعض وقيل جمعوا ماخوذ من الكبكبة وهي الجماعه قاله الهروي وقال النحاس هو مشتق من كوكب الشيء اي معظمه والجماعة من الخيل كوكب وكبكبه وقال ابن عباس جمعوا فطرحوا في النار وقال مجاهد دهدهوا وقال مقاتل قذفوا والمعنى واحد تقول دهورت الشيء اذا جمعته ثم قذفته في مهواه ويقال هو يدهور اللقم اذا كبرها ويقال في الدعاء كبت الله عدو المسلمين ولا يقال اكبه وكبكبه اي كبه وقلبه ومنه قوله سبحانه وتعالى فكبكبوا فيها والاصل كببوا فابدل من الباء الوسطى كاف استثقالا لاجتماع الباءات قال السدي الضمير في كبكبوا لمشركي قريش والغاوون الآلهه وَجُنُودُ إِبْلِيسَ من كان من ذريته وقيل كل من دعاه الى عباده الاصنام فاتبعه وقال قتاده ومقاتل والكلبي الغاوون هم الشياطين وقيل انما تلقى الاصنام في النار وهي حديد ونحاس ليعذب بها غيرهم قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ يعني الانس والشياطين والمعبودين اختصموا حينئذ تَاللَّهِ حلفوا بالله إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي في خسار وتبار وحيرة عن الحق بينه اذا اتخذنا مع الله آلهة فعبدناها كما نعبد وهذا هو معنى قوله إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ اي في العباده وانتم لا تستطيعون الان نصرنا ولا نصر انفسكم وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ يعني الشياطين الذين زينوا لنا عباده الاصنام وقيل اسلافنا الذين قلدناهم قال ابو العاليه وعكرمة المجرمون ابليس وابن آدم القاتل هما اول من سن الكفر والقتل وانواع المعاصي فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ اي شفعاء يشفعون لنا من الملائكه والنبيين والمومنين وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ اي صديق مشفق وكان

علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول عليكم بالاخوان فانهم عدة الدنيا وعدة الآخرة الا تسمع قول اهل النار
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم الزمخشري جمع الشافع لكثرة الشافعين ووحد الصديق لقلته الا ترى
الى الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لتشفع عنه رحمة له وحسبه وان
لم يسبق له بأكثرهم معرفة واما الصديق فهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك فاعز
من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع
والحميم القريب الخاص ومنه حامة الرجل اي اقرباؤه واصل هذا من الحميم وهو الماء الحار ومنه الحمام والحمى
فحامة الرجل الذي يحرقهم ما احرقه كما يقال هم حزانته اي يحزنهم ما يحزنه ويقال حم الشيء واحم اذا قرب ومنه
الحمى لانها تقرب من الاجل وقال علي بن عيسى انما سمي القريب حميما لانه يحمى لغضب صاحبه فجعله ماخوذا من الحمية
وقال قتادة يذهب الله عز وجل يوم القيمة مودة الصديق ورقة الحميم ويجوز ولا صديق حميم بالرفع على موضع
من شافعين لان من شافعين في موضع رفع وجمع صديق اصدقاء وصدقاء وصداق ولا يقال صدق للفرق بين
النعت وغيره وحكى الكوفيون انه يقال في جمعه صدقان النحاس وهذا بعيد لان هذا جمع ما ليس بنعت نحو
رغيف ورغفان وحكوا ايضا صديق واصادق وافاعل انما هو جمع افعل اذا لم يكن نعتا نحو اشجع واشاجع ويقال
صديق للواحد والجماعة والمراة قال الشاعر نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا باعين اعداء وهن صديق
ويقال فلان صديقي اي اخص اصدقائي وانما يصغر على جهة المدح كقول حباب بن المنذر انا جذيلها المحكك
وعذيقها المرجب ذكره الجوهري النحاس وجمع حميم احما واحمة وكرهوا افعلاء فيه التضعيف فلو ان لنا
كرة ان في موضع رفع المعنى فلو وقع لنا رجوع الى الدنيا لآمنا حتى يكون لنا شفعاء تمنوا حين لا ينفعهم التمني
وانما قالوا ذلك حين تشفع الملئكة والمومنون قال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليقول
في الجنة ما فعل فلان وصديقه في الجحيم فلا يزال يشفع له حتى يشفعه الله فيه فاذا نجا قال المشركون ما لنا من
شافعين ولا صديق حميم وقال الحسن ما اجتمع ملاء على ذكر الله فيهم عبد من اهل الجنة الا شفعه الله فيهم وان
اهل الايمان يشفع بعضهم في بعض وهم عند الله شافعون مشفعون قال كعب ان الرجلين كانا صديقين في الدنيا
فمر احدهما بصاحبه وهو يجر الى النار فيقول له اخوه والله ما بقي لي الا حسنة واحدة انجو بها خذها يا اخي فتنجو
بها فما ارى وابقى انا واياك من اصحاب الاعراف قال فيأمر الله بهما جميعا فيدخلان الجنة ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم والحمد لله وحده قوله تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين قال كذبت والقوم مذكر لان المعنى كذبت جماعة قوم نوح وقال المرسلين
لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل لان كل رسول يامر بتصديق جميع الرسل وقيل كذبوا نوحا في النبوة
وفيما اخبرهم به من مجيء المرسلين بعده وقيل ذكر الجنس والمراد نوح وقد مضى هذا في الفرقان اذ قال لهم اخوهم
نوح اي ابن ابيهم وهي اخوة نسب لا اخوة دين وقيل هي اخوة المجانسة قال الله سبحانه وتعالى وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه وقد مضى هذا في الاعراف وقيل هو من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا
منهم الزمخشري ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا الا تتقون
اي الا تتقون الله في عبادة الاصنام اني لكم رسول امين اي صادق فيما ابلغكم عن الله سبحانه وتعالى
وقيل امين فيما بينكم فانهم كانوا عرفوا امانته وصدقه من قبل محمد صلى الله عليه وسلم في قريش فاتقوا الله و

اي استتروا بطاعة الله تعالى من عقابه واطيعون فيما آمركم به من الايمان وما اسالكم عليه من اجر
اي لا طمع لي في اموالكم ان اجري اي ما جزائي الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرر تاكيدا قوله تعالى
قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى انؤمن لك اي نصدق
قولك واتبعك الارذلون الواو للحال وفيه اضمار قد اي وقد اتبعك الارذلون جمع الارذل والمكسر اراذل والانثى
الرذلاء والجمع الرذل قال النحاس ولا يجوز حذف الالف واللام في شيء من هذا عند احد من النحويين علمناه وقرا ابن
مسعود والضحاك ويعقوب الحضرمي وغيرهم واتباعك الارذلون النحاس وهي قراءة حسنة وهذه الواو اكثر ما
تتبعها الاسماء والافعال بقد واتباع جمع تبع وتبع يكون للواحد والجمع قال الشاعر له تبع قد يعلم الناس
انه على من يداني صيف وربيع ارتفاع اتباعك يجوز ان يكون بالابتداء والارذلون الخبر والتقدير
انؤمن لك وانما اتباعك الارذلون ويجوز ان يكون معطوفا على الضمير في انؤمن لك التقدير انؤمن نحن لك
واتباعك الارذلون فنعد منهم وحسن ذلك الفصل بقوله لك وقد مضى القول في الاراذل في هود مستوفى
وهي المسئلة الثانية قيل ان الذين آمنوا به بنوه ونساؤه وكنائنه وبنو بنيه واختلف هل كان معهم غيرهم ام
لا وعلى اي الوجهين كان فالكل صالحون وقد قال نوح رب نجني ومن معي من المؤمنين الذين آمنوا به
معه هم الذين اتبعوه ولا يلحقهم من قول الكفرة شين ولا ذم بل الارذلون هم المكذبون لهم قال السهيلي
وقد اغري كثير من العوام بمقالة رويت في تفسير هذه الآية هم الحاكة والحجامون ولو كانوا حاكة كما زعموا لكان
ايمانهم بنبي الله واتباعهم له شرفا كما تشرف بلال وسلمان بسبقهما الاسلام فهما من وجوه النبي صلى الله عليه وسلم ومن
اكابرهم فلا ذرية نوح كانوا حاكة ولا حجامين ولا قول الكفرة في الحاكة والحجامين ان كانوا آمنوا بهم ارذلون
ما يلحق اليوم بحاكتنا ذما ولا نقصا لان هذه حكاية عن قول الكفرة الا ان يجعل الكفرة حجة ومقالتهم اصلا وهذا
جهل عظيم وقد اعلم الله سبحانه وتعالى ان الصناعات ليست بضائرة في الدين قوله تعالى قال وما
علمي بما كانوا يعملون كان زائدة والمعنى وما علمي بما يعملون اي لم اكلف العلم باعمالهم انما كلفت ان ادعوهم
الى الايمان والاعتبار بالايمان لا بالحرف والصنائع وكانهم قالوا انما اتبعك هؤلاء الضعفاء طمعا في العزة والمال
فقال اني لا اقف على باطن امرهم وانما الى ظاهرهم وقيل المعنى لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويرشدهم ويغويكم و
يوفقهم ويخذلكم ان حسابهم اي في اعمالهم وايمانهم الا على ربي لو تشعرون وجواب لو محذوف
اي لو شعرتم ان حسابهم على ربهم لما عبتموهم بصنائعهم وقراءة العامة تشعرون بالتاء على المخاطبة للكفار
وهو الظاهر وقرا ابن ابي عبلة ومحمد بن السميقع لو يشعرون بالياء كانه خبر عن الكفار وترك الخطاب لهم
نحو قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وروي ان رجلا سال سفين عن امراة زنت وقتلت ولدها
وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار فقال سفين ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المؤمنين
اي لخساسة احوالهم واشغالهم وكانهم طلبوا منه طرد الضعفاء كما طلبته قريش ان انا الا نذير مبين
يعني ان الله ما ارسلني اخص ذوي الغنى دون الفقراء انما انا رسول ابلغكم ما ارسلت به فمن
اطاعني فذلك السعيد عند الله تعالى وان كان فقيرا قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا نوح اي
عن سب آلهتنا وعيب ديننا لتكونن من المرجومين اي بالحجارة قاله قتادة وقال ابن عباس ومقاتل
من المقتولين قال الثمالي كل مرجومين في القرآن فهو القتل الا في مريم لئن لم تنته لارجمنك اي لاسبنك

وقيل من المرجومين من المشتومين قاله السدي ومنه قول ابي داود. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ذلك لما يئس من
ايمانهم والفتح الحكم وقد تقدم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ يريد السفينة وقد
مضى ذكرها والمشحون المملوّ والشحن ملء السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يؤنث الفلك هاهنا لان
الفلك هاهنا واحد لا جمع ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ اي بعد انجائنا نوحا ومن آمن ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قوله تعالى
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأنيث بمعنى القبيلة والجماعة وتكذيبهم المرسلين كما تقدم ﴿إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قوله تعالى ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً
تَعْبَثُونَ﴾ الريع ما ارتفع من الارض في قول ابن عباس وغيره جمع ريعة وكم ريع ارضك اي كم ارتفاعها
وقال قتادة والريع الطريق وهو قول الضحاك والكلبي ومقاتل والسدي وقاله ابن عباس ايضا ومنه قول المسيب
بن علس في الآل يخفضها ويرفعها ريع يلوح كانه سحل قال الشاعر طراق الخوافي مشرف فوق ريعة
ندى ليلة في ريشه يترقرق وقال عمارة الريع الجبل الواحد ريعة والجمع رياع وقال مجاهد هو الفج
بين الجبلين وعنه الثنية الصغيرة وعنه المنظرة وقاله عكرمة ومقاتل وكانوا يهتدون بالنجوم اذا سافروا
فبنوا على الطرق اميالا وطوالا عبثا ليهتدوا بها يدل عليه قوله آية اي علامة وعن مجاهد الريع بنيان
الحمام دليله تعبثون اي تلعبون اي تبنون بكل مكان مرتفع آية علما تلعبون بها على معنى ابنية الحمام و
بروجها وقيل تعبثون بمن يمر بالطريق اي تبنون بكل موضع مرتفع لتشرفوا على السابلة فتسخروا منهم و
قال الكلبي انه عبث العشارين باموال من يمر بهم ذكره الماوردي وقال ابن الاعرابي الريع الصومعة و
الريع البرج من الحمام يكون في الصحراء والريع التل العالي وفي الريع لغتان كسر الراء وفتحها وجمعه ارياع
ذكره الثعلبي قوله تعالى ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ اي منازل قاله الكلبي وقيل حصونا مشيدة
قاله ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشاعر تركن ديارهم منهم قفارا وهدمن المصانع والبروجا
وقيل قصورا مشيدة وقاله مجاهد ايضا وعنه بروج الحمام وقاله السدي قال الشيخ القرطبي رحمه الله وفيه
بعد عن مجاهد لانه تقدم عنه في الريع بنيان الحمام فيكون تكرارا في الكلام وقال قتادة ماجل للماء تحت الارض
وكذا قال الزجاج انها مصانع الماء واحدتها مصنعة ومصنع ومنه قول لبيد بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال
بعدنا والمصانع الجوهري المصنعة كالحوض يجمع فيه ماء المطر وكذلك المصنعة بضم النون والمصانع الحصون وقال
ابو عبيد يقال لكل بناء مصنعة حكاه المهدوي وقال عبد الرزاق المصانع عندنا بلغة اهل اليمن القصور العادية
﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ اي كي تخلدون وقيل لعل استفهام بمعنى التوبيخ اي فهل تخلدون كقولك لعلك تشتمني
اي هل تشتمني روي معناه عن ابن زيد وقال الفراء كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتاده
كانكم خالدون باقون فيها وفي بعض القراءات كانكم تخلدون ذكره النحاس وحكى قتادة انها كانت في بعض القراءات
كانكم خالدون قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ البطش السطوة والاخذ بالعنف
وقد بطش به يبطش ويبطش بطشا وباطشه مباطشة وقال ابن عباس ومجاهد البطش العسف قتلا

بالسيف وضربا بالسوط ومعنى ذلك فعلتم ذلك ظلما وقال مجاهد ايضا هو ضرب السياط ورواه مالك
عن انس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي وقيل هو القتل بالسيف في غير حق حكاه يحيى بن سلام وقال
الكلبي والحسن هو القتل على الغضب من غير تثبت وكله يرجع الى قول ابن عباس وقيل انه المؤاخذة على العمد
والخطاء من غير عفو ولا ابقاء قال ابن العربي ويؤيد ما قال مالك قول الله سبحانه وتعالى ذكره
عن موسى ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ
نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ وذلك ان موسى عليه السلام لم يسل
عليه سيفا ولا طعنه برمح وانما وكزه وكانت منيته في وكزته والبطش يكون باليد واقله الوكز و
الدفع ويليه السوط والعصا ويليه الحديد والكل مذموم الا بحق والآية نزلت خبرا عمن تقدم من الامم ووعظا
من الله عز وجل في مجانبة ذلك الفعل الذي ذمهم به وانكره عليهم قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذه
الاوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الامة لا سيما بالديار المصرية وليتها البحرية فيبطشون
بالناس بالسوط والعصا في غير حق وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك يكون كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب البقر
يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة لا يدخلون
الجنة ولا يجدون ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وخرج ابو داود من حديث ابن عمر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد
سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم جبارين قتالين والجبار القتال في غير حق وكذلك
قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ قاله الجوهري وقيل الجبار المتسلط
العالي ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ اي بمسلط قال الشاعر سلبنا من الجبار بالسيف ملكه عشيا
واطراف الرماح شوارع قوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ تقدم ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي
أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ اي من الخيرات ثم فسرها ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾
اي سخر ذلك لكم وتفضل بها عليكم فهو الذي يجب ان يعبد ويشكر ولا يكفر ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ﴾ ان كفرتم به واصررتم على ذلك ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾
كل ذلك عندنا سواء لا نسمع منك ولا نلوي على ما تقوله وروى العباس عن ابي عمرو وبشر عن الكسائي اوعظت
مدغمة الظاء في التاء وهو بعيد لان الظاء حرف اطباق انما يدغم فيما قرب منه جدا وكان مثله ومخرجه
﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ اي دينهم عن ابن عباس وغيره وقال الفراء عادة الاولين وقرأ ابن
كثير والكسائي وابو عمرو خَلْقُ الاولين الباقون خُلُقُ الاولين قال الهروي وقوله عز وجل ان هذا الا خلق
الاولين اي اختلاقهم وكذبهم ومن قرأ خلق الاولين فمعناه عادتهم والعرب تقول حدثنا فلان باحاديث الخلق
اي بالخرافات والاحاديث المفتعلة وقال ابن الاعرابي الخلق الدين والخلق الطبع والخلق المروءة وقال النحاس
خلق الاولين عند الفراء يعني عادة الاولين وحكى محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد قال خلق الاولين مذهبهم وما جرى
عليه امرهم قال ابو جعفر القولان متقاربان ومنه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم
خلقا اي احسنهم مذهبا وعادة وما يجري عليه الامر في طاعة الله عز وجل ولا يجوز ان يكون من كان حسن الخلق فاجرا

وان لا يكون أكمل ايمانا من السيئ الخلق الذي ليس بفاجر قال ابو جعفر وحكى لنا عن محمد بن يزيد ان معنى خلق
الاولين تكذيبهم وتخرصهم غير انه كان يميل الى القراءة الاولى لان فيها مدح آبائهم واكثر ما جاء القرآن في صفة مدحهم
لآبائهم وقولهم إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وعن ابي قلابة انه قرأ خلق الاولين بضم الخاء وسكون اللام
تخفيف خلق ورواها ابن جبير عن اصحاب نافع عن نافع وقد قيل ان معنى خلق الاولين دين الاولين ومنه قوله
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ اي دين الله وخلق الاولين عادة الاولين حياة ثم موت ولا بعث وقيل ما هذا الذي
انكرت علينا من البنيان والبطش الا عادة من قبلنا نحن نقتدي بهم وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ على ما
نفعل وقيل المعنى خلق اجسام الاولين اي ما خلقنا الا كخلق الاولين الذين خلقوا قبلنا وماتوا ولم ينزل بهم شيء
مما تحذرنا به من العذاب فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ اي بريح صرصر عاتية على ما يأتي في الحاقة إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ قال بعضهم اسلم معه ثلثمائة الف وستين وهلك باقيهم وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ قوله تعالى كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ذكر قصة صالح وقومه وهم ثمود
وكانوا يسكنون الحجر كما تقدم في الحجر وهي ذوات نخل وزروع ومياه أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا يعني في الدنيا
آمِنِينَ من الموت والعذاب قال ابن عباس كانوا معمرين لا يبقى البنيان مع اعمارهم ودل على هذا قوله سبحانه
وتعالى وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فقرعهم صالح ووبخهم وقال اتظنون انكم باقون في الدنيا بلا موت فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ الزمخشري فان قلت لم قال ونخل بعد قوله وجنات والجنة
تتناول النخل كما تتناول النعم الابل لذلك في الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون
الانعام ولا يقصدون الا الابل قال زهير كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقَا
يعني النخل والنخل السحوق البعيدة الطوال قال الشيخ القرطبي رحمه الله فيه وجهان احدهما ان يخص النخل
بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عنها والثاني ان يريد بالجنات غيرها من
الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل والطلعة هي التي تطلع من النخل كنصل السيف في اصله سمي
رخ العواسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وهضيم قال ابن عباس لطيف ما دام في كفراه والهضيم اللطيف
الدقيق ومنه قول امرئ القيس هضيم الكشح ريا المخلخل الجوهري ويقال للطلع هضيم ما لم يخرج منه كفراه
لدخول بعضه في بعض والهضيم من النساء اللطيفة الكشحين ونحوه حكى الهروي قال هو المنضم في وعائه قبل ان
يظهر ومنه يقال رجل اهضم الجنبين اي منضمهما هذا قول اهل اللغة وحكى الماوردي وغيره في ذلك اثني عشر
قولا احدها انه الرطب اللين قاله عكرمة الثاني المذنب من الرطب قال سعيد بن جبير قال النحاس وروى ابو
اسحق عن يزيد وهو ابن ابي حريم كوفي ويزيد بن ابي مريم شامي نخل طلعها هضيم قال منه ما قد ارطب ومنه ما لم
الثالث انه الذي ليس فيه نوى قاله الحسن الرابع انه المتهشم المتفتت اذا مس تفتت قاله مجاهد وقال ابو
العالية يتهشم في الفم الخامس هو الذي قد ضمر بركوب بعضه بعضا قاله الضحاك ومقاتل السادس انه المتلاصق
قاله ابو صخر السابع انه الطلع حين يتفرق ويخضر قاله الضحاك ايضا الثامن انه اليانع النضيج قاله ابن عباس
التاسع انه المكسر يريد ان يتشوق عنه العنق حكاه ابن شجرة قال كان حوله نخل عليه هضيم ما يحسن له شقوق
العاشر انه الرخو قاله الحسن الحادي عشر انه الرخص اللطيف اول ما يخرج وهو الطلع النضيد قاله الهروي الثاني عشر
انه المري قاله الماوردي فعيل بمعنى فاعل اي هنيء مريء من انهضام الطعام والطلع اسم مشتق من الطلوع وهو الظهور
ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات قوله تعالى وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ
النحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به وفي والصافات أتعبدون
ما تنحتون وكانوا ينحتون من الجبال لما طالت اعمارهم وتهدم بناؤهم من المدر وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهين
بغير الف الباقون فارهين بالف وهما بمعنى واحد في قول ابي عبيدة وغيره مثل عظام نخرة وناخرة وقاله قطرب
وحكى فره يفره فهو فاره وفره وفره يفره فهو فره وفاره اذا كان نشيطا وهو نصب على الحال وفرق بينهما قوم فقالوا
فارهين حاذقين بنحتها قاله ابو عبيدة وروي عن ابن عباس وابو صالح وغيرهما وقال عبد الله بن شداد فارهين
متجبرين وروي عن ابن عباس ايضا ان معنى فرهين بغير الف اشرين بطرين وقاله مجاهد وروي عنه شرهين
كيسين قتادة معجبين وعنه ناعمين وعنه ايضا آمنين وقيل متجبرين قاله الكلبي والسدي ومنه قول الشاعر
الى فره يماجد كل امر قصدت له لاختبر الطباعا وقيل متعجبين قاله خصيف وقال ابن زيد اقوياء وقيل فرهين
فرحين قاله الاخفش والعرب تعاقب بين الهاء والحاء تقول مدهته ومدحته فالفره الاشر الفرح ثم
الفرح بمعنى المرح مذموم قال الله سبحانه وتعالى وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا وقال إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ فَاتَّقُوا
اللهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ قيل المراد الذين عقروا الناقة وقيل التسعة الرهط الذين
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ قال السدي وغيره اوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال
لهم صالح ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه
فقالوا لا يولد في هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فابى ان
يذبح ابنه وكان لم يولد قبل ذلك فكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه
فقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم فتعصبوا وتقاسموا ابناءهم
بالله لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ قالوا نخرج الى سفر فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى اذا كان الليل وخرج
صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم قلنا مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فيصدقوننا ويعلمون انا قد خرجنا
الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية كان ينام في مسجده فاذا اصبح اتاهم ووعظهم فلما دخلوا الغار ارادوا
ان يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم فرأى ذلك ناس ممن كان اطلع على ذلك فصاحوا في القرية يا عباد الله اما
رضي صالح ان امر بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما اجتمع التسعة
على تبييت صالح بعد عقرهم الناقة وانذارهم العذاب على ما يأتي بيانه في سورة النمل قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
الْمُسَحَّرِينَ هو من السحر في قول مجاهد وقتادة على ما قال المهدوي اي اصبت بالسحر فبطل عقلك لانك بشر مثلنا
فلم تدعي الرسالة دوننا وقيل من المعللين بالطعام والشراب قاله ابن عباس والكلبي وقتادة ومجاهد ايضا فيما ذكر
الثعلبي وهو على هذا القول من السحر وهو الرئة اي بشر لك سحر اي رئة تأكل وتشرب مثلنا قال امرؤ القيس
فان تسألينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر وقال لبيد ونسحر بالطعام وبالشراب فَأْتِ بِآيَةٍ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في قولك قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قال ابن
عباس قالوا ان كنت صادقا فادع الله ان يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء فتضع ونحن ننظر وترد
هذا الماء فتشرب وتغدو علينا بمثله لبنا فدعا وفعل الله ذلك فقال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم ولها اي حظ
شرب يوم فكانت اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله اول النهار وتسقيهم اللبن آخر النهار واذا كان يوم شربهم

كان لانفسهم ومواشيهم وارضهم ليس لهم في يوم وردها ان يشربوا من شربها شيئا ولا لها ان تشرب في يومهم
من مائهم شيئا قال الفراء الشرب الحظ من الماء قال النحاس فاما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا وشربا
واكثرها المضموم لان المكسور والمفتوحة يشتركان مع شيء آخر فيكون الشرب الحظ من الماء ويكون الشرب جمع شارب
كما قال فقلت للشرب في دورنا وقد ثملوا الا ان ابا عمرو بن العلاء والكسائي يختاران الشرب بالفتح في المصدر ويحتجان
برواية بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انها ايام اكل وشرب وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ لا يجوز اظهار التضعيف
ههنا لانهما حرفان متحركان من جنس واحد فَيَأْخُذَكُمْ جواب النهي ولا يجوز حذف الفاء منه والجزم كما
جاز في الامر الا شيئا روي عن الكسائي انه يجيزه فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ اي على عقرها لما ايقنوا بالعذاب وذلك
انه انظرهم ثلاثا وظهرت عليهم العلامات في كل يوم وندموا ولم ينفعهم الندم عند معاينة العذاب وقيل لم ينفعهم
الندم لانهم لم يتوبوا بل طلبوا صالحا عليه السلام ليقتلوه لما ايقنوا بالعذاب وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد
اذ لم يقتلوه معها وهذا بعيد إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً الى آخرها تقدم وقيل انما آمن به في تلك الامم الا الفان وثمان
مائة رجل وامراة وقيل كانوا اربعة آلاف وقال كعب كان قوم صالح اثني عشر الف قبيل سوى النساء والذرية
ولقد كان قوم عاد مثلهم ست مرات قوله تعالى كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ مضى معناه وقصته في
الاعراف وهود مستوفى والحمد لله قوله تعالى أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ كانوا ينكحونهم
في ادبارهم وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء على ما تقدم في الاعراف وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ يعني فروج النساء فان الله خلقها للنكاح قال ابرهيم بن المهاجر قال لي مجاهد كيف يقرأ عبد الله
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم قلت وتذرون ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم قال الفرج كما قال
فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ متجاوزون لحدود الله قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ
يَا لُوطُ عن قولك هذا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ اي من بلدنا وقريتنا قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ يعني اللواط مِنَ
الْقَالِينَ اي المبغضين والقلى البغض قليته اقليه قلى وقلاء قال فلست بمقلي الخلال ولا قالي وقال آخر
عليك السلام لا مللت قريبه ومالك عندي ان نأيت قلاء رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ اي من عذاب عملهم
دعا الله لما يئس من ايمانهم ان لا يصيبه من عذابهم فقال سبحانه وتعالى فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ولم يكن
الا ابنتيه على ما تقدم في هود إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ روى سعيد عن قتادة غبرت في عذاب الله جل وعز اي
بقيت وابو عبيدة يذهب الى ان المعنى من الباقين في الهرم اي بقيت حتى هرمت قال النحاس يقال للذاهب غابر
وللباقي غابر كما قال لا تكسع الشول باغبارها انك لا تدري من الناتج والاغبار بقيات الالبان ثُمَّ دَمَّرْنَا
الْآخَرِينَ اي اهلكناهم بالخسف والحصب قال مقاتل خسف الله بقوم لوط وارسل عليهم الحجارة على من
كان خارجا من القرية وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا يعني الحجارة فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ قيل ان جبريل خسف
بقريتهم وجعل عاليها سافلها ثم اتبعها الله بالحجارة إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
لم يكن فيها مؤمن الا بيت لوط وابنتاه قوله تعالى كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ الايكة
الشجر الكثير الملتف الواحدة ايكة ومن قرأ اصحاب الايكة فهي الغيضة ومن قرأ ليكة فهي اسم القرية ويقال
هما مثل مكة وبكة قاله الجوهري وقال النحاس وقرأ ابو جعفر ونافع كذب اصحاب ليكة المرسلين وكذا قرأ في
ص واجمع القراء في الخفض في التي في سورة الحجر والتي في سورة ق فيجب ان يرد ما اختلفوا فيه الى ما اجمعوا عليه

اذ كان المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيد من ان ليكة هي اسم القرية التي كانوا فيها وان الايكة اسم البلد كله
فشيء لا يثبت ولا يعرف من قاله فيثبت علمه ولو عرف من قاله لكان فيه نظر لان اهل العلم جميعا من اهل التفسير
والعلم بكلام العرب على خلافه روى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة قال ارسل شعيب عليه السلام الى
امتين الى قومه من اهل مدين والى اصحاب الايكة قال والايكة غيضة من شجر وروى سعيد عن قتادة قال كان
اصحاب الايكة اهل غيضة وشجر وكانت عامة شجرهم الدوم وهو شجر المقل وروى ابن جبير عن الضحاك قال خرج
اصحاب الايكة يعني حين اصابهم الحر فانضموا الى الغيضة والشجر فارسل الله عليهم سحابة فاستظلوا تحتها فلما تتاموا
تحتها احترقوا ولو لم يكن في هذا الا ما روي عن ابن عباس قال الايكة الشجر ولا نعلم بين اهل اللغة اختلافا ان الايكة
الشجر الملتف فاما احتجاج بعض من احتج بقراءة من قرأ في هذين الموضعين بالفتح انه في السواد ليكة فلا حجة فيه والقول
فيه ان اصله الايكة ثم خففت الهمزة فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنيت عن الف الوصل لان اللام قد
تحركت ولا يجوز على هذا الا الخفض كما تقول بالاحمر تحقق الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شئت كتبته في الخط
على ما كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف ولم يجز الا الخفض فكذا لا يجوز في ليكة الا الخفض قال سيبويه واعلم ان
ما لا ينصرف اذا دخلت عليه الالف واللام او اضيف انصرف ولا نعلم احدا خالف سيبويه في هذا وقال الخليل الايكة
غيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن
اخا لاصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وقد تقدم القول في الاعراف في القول
في نسبه قال ابن زيد ارسل الله شعيبا رسولا الى قومه اهل مدين والى اهل البادية وهم اصحاب الايكة وقاله
قتادة وقد ذكرناه أَلَا تَتَّقُونَ الا تخافون الله إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
الآية انما كان جواب هؤلاء المرسلين واحدا على صيغة واحدة لانهم متفقون على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص
في العبادة والامتناع من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة قوله تعالى أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُخْسِرِينَ الناقصين للكيل والوزن وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ اي اعطوا الحق وقد مضى في
سبحان وغيرها وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ تقدم في هود و
غيرها وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ قال مجاهد الجبلة الخليقة وجبل فلان
على كذا اي خلق والخلق جبلة وجبلة وجبلة وجبلة وجبلة ذكره النحاس في معاني القرآن والجبلة
عطف على الكاف والميم قال الهروي الجبلة والجبلة والجبل والجبل والجبل لغات وهو الجمع ذو العدد
الكثير من الناس ومنه قوله سبحانه وتعالى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا قال النحاس في كتاب اعراب القرآن
له ويقال جبلة والجمع فيه جبال وتحذف الضمة والكسرة من الباء وكذلك التشديد من اللام فيقال جبلة وجبل
ويقال جبلة وجبال وتحذف الهاء من هذا كله وقرأ الحسن باختلاف عنه والجبلة الاولين بضم الجيم والباء
وروي عن شيبة والاعرج الباقون بالكسر قال والموت اعظم حادث فيما يمر على الجبلة قَالُوا إِنَّمَا
أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ الذين يأكلون الطعام والشراب على ما تقدم وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ في
انك رسول الله تعالى فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ وقطعة منه فننظر اليها كما قال وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ
السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ وقيل ارادوا انزل علينا العذاب وهو مبالغة في التكذيب قال ابو عبيد
الكسف جمع كسفة ايضا وهي القطعة والجانب تقديره كسرة وكسر قال الجوهري الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطني

اي جانبا

كسفه من ثوبك والجمع كسف ويقال الكسف والكسفه واحد وقال الاخفش من قراء كسفا من السماء جعله
واحدا ومن قراء كسفا جعله جمعا فقد مضى هذا في سبحان وقال الهروي ومن قراء كسفا على التوحيد فجمعه اكساف
وكسوف كانه قال او تسقطها علينا طبقا واحدا وهو من كسفت الشيء كسفا اذا غطيته إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اى انما علي التبليغ وليس العذاب الذي سالتم الي وهو يجازيكم فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ قال ابن عباس اصابهم حر شديد فارسل الله سبحانه وتعالى سحابة فهربوا اليها
ليستظلوا بها فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا وقيل قادها الله فوق رؤسهم والهبها عليهم حرا حتى ماتوا من
الرمد وكان من اعظم يوم في الدنيا عليهم وقيل بعث الله عذابا سموما فخرجوا الى الايكه يستظلون بها فاضرمها الله عليهم
نارا فاحترقوا وعن ابن عباس ايضا وغيره ان الله سبحانه وتعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم
وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هاربا الى البرية فبعث
الله سحابة فاظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة
الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي فصاروا رمادا فذلك قوله فأصبحوا
في ديارهم جاثمين كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا وقوله فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ وقيل ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام وسلط عليهم الحر حتى
اخذ بانفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الاسراب ليتبردوا فيها فيجدوها اشد حرا من الظاهر
فهربوا الى البرية فاظلتهم سحابة وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فامطرت عليهم فاحترقوا وقال يزيد الجريري
سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليهن ثم رفع لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته عيون وانهار و
شجر وماء بارد فاجتمعوا كلهم تحته فوقع عليهم الجبل وهو الظلة وقال قتادة بعث الله شعيبا الى امتين
اصحاب الايكة واصحاب مدين فاهلك اصحاب الايكة بالظلة واما اصحاب مدين فصاح بهم جبرئيل صيحة فهلكوا
اجمعين إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ قيل آمن بشعيب من الفئتين تسعمائة انسان
قوله تعالى وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عاد الى ما تقدم في اول السورة من اعراض المشركين
عن القرآن نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ نزل مخففا قراء نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون نزل مشددا به الروح
الامين نصبا وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ وهو مصدر نزل والحجة لمن قرا بالتخفيف
ان يقول ليس هذا هو المصدر انما المعنى وان القرآن لتنزيل رب العالمين نزل به جبرئيل اليك كما قال
قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله عَلَىٰ قَلْبِكَ اى يتلوه عليك فيعيه قلبك وقيل ليثبت قلبك لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ اى لئلا يقولوا لسنا نفهم ما تقول وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ
اى وان ذكر نزوله لفي كتب الاولين يعني الانبياء وقيل اى ان ذكر محمد في كتب الاولين كما قال تعالى
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل والزبر الكتب الواحد زبور كرسول ورسل وقد تقدم
قوله تعالى أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قال مجاهد يعني عبد
الله بن سلام وسلمان وغيرهما ممن اسلم وقال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم
عن محمد عليه السلام فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد في التوراة نعته وصفته فيرجع لفظ العلماء الى كل من كان
له علم بكتبهم اسلم او لم يسلم على هذا القول وانما صارت شهادة اهل الكتاب حجة على المشركين لانهم كانوا يرجعون

في اشياء من امور الدين الى اهل الكتاب لانهم مظنون بهم علم وقراء ابن عامر اولم تكن لهم آية
الباقون اولم يكن لهم آية النصب على الخبر واسم يكن ان يعلمه والتقدير اولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل
الذين اسلموا آية واضحة وعلى القراءة الاولى اسم كان آية والخبر ان يعلمه علم علماء بني اسرائيل وقراء عاصم
الجحدري ان تعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين اى على رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم
بغير لغة العرب لما آمنوا ولقالوا لا نفقه نظيره ولو جعلناه قرآنا اعجميا الآية وقيل معناه ولو نزلناه على رجل
ليس من العرب لما آمنوا به انفة وكبرا يقال رجل اعجم واعجمي اذا كان غير فصيح وان كان عربيا ورجل عجمي
وان كان فصيحا ينسب الى اصله الا ان الفراء اجاز ان يقال رجل عجمي بمعنى اعجمي وقراء الحسن على بعض
الاعجميين مشددة بياءين جعله نسبة ومن قراء الاعجمين فقيل انه لفظ اعجم وفيه بعد لان ما كان من الصفات
الذي مؤنثه فعلى لا يجمع مؤنثه بالواو والنون ولا مؤنثه بالالف والتاء لا يقال احمرون ولا حمراوات وقيل ان
اصله الاعجميين كقراءة الجحدري ثم حذف ياء النسبة وجعل جمعه بالياء والنون دليلا عليها قاله ابو الفتح عثمان
بن جني وهو مذهب سيبويه قوله تعالى كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ يعني القرآن اى ادخلناه في
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وقيل سلكنا التكذيب في قلوبهم فذلك الذي منعهم من الايمان
قاله يحيى بن سلام وقال عكرمة القسوة والمعنى متقارب وقد مضى في الحجر واجاز الفراء الجزم في لا يؤمنون
لان فيه معنى الشرط والمجازاة وزعم ان من شان العرب اذا وضعت لا موضع كي
لا في مثل هذا ربما جزمت ما بعدها وربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا ينفلت بالرفع والجزم قال لان معناه
وان لم اربطه ينفلت والرفع عنده بمعنى كيلا ينفلت وانشد لبعض بني عقيل وحتى رأينا احسن الفعل بيننا
مساكنة لا يعرف الشر قارف بالرفع لما حذف كي ومن الجزم قول آخر لطالما حلاتماها لا ترد فخلياها والسجال تبرد
قال النحاس وهذا كله في يؤمنون خطأ عند البصريين ولا يجوز الجزم بلا جازم ولا يكون شيء يعمل عملا فاذا حذف
عمل عملا اقوى من عمله وهو موجود فهذا احتجاج بين حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً اى العذاب وقراء
الحسن فتأتيهم بالتاء والمعنى فتأتيهم الساعة بغتة فاضمرت لدلالة العذاب الواقع فيها ولكثرة ما في القرآن من
ذكرها وقال رجل للحسن وقد قراء فتأتيهم يا ابا سعيد انما يأتيهم العذاب بغتة فانتهره وقال انما هي الساعة
تأتيهم بغتة اى فجاءة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ باتيانها فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ اى مؤخرون وممهلون
يطلبون الرجعة هنالك ولا يجابون اليها قال القشيري وقوله فياتيهم ليس عطفا على قوله حتى يروا بل هو جواب
قوله لا يؤمنون فلما كان جوابا للنفي انتصب وكذلك فيقولوا قوله تعالى أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ
قال مقاتل قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد الى متى تعدنا بالعذاب ولا تأتي به فنزلت افبعذابنا
يستعجلون أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ يعني في الدنيا والمراد اهل مكة في قول الضحاك وغيره مَا
أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ما الاولى استفهام معناه التقرير وهو في موضع نصب باغنى وما الثانية
في موضع رفع ويجوز ان تكون الثانية نفيا لا موضع لها وقيل ما الاولى حرف نفي وما الثانية في موضع رفع باغنى
والهاء العائدة محذوفة والتقدير ما اغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه وعن الزهري ان عمر بن عبد العزيز
كان اذا اصبح امسك بلحيته ثم يقرا أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ثم يبكي ويقول نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

فلا انت فى الايقاظ يقظان حازم ❊ ولا انت فى النوام نام فسالم ❊ تسر بما يفنى وتفرح بالمنى
كما سر باللذات فى النوم حالم ❊ وتسعى الى ما سوف تكره غبه ❊ كذلك فى الدنيا تعيش البهايم
قوله تعالى وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ من صلة للمعنى وما اهلكنا قرية اِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ اى
رسل ذِكْرَى قال الكسائى ذكرى فى موضع نصب على القطع الحال النحاس وهذا لا يحصل والقول فيه قول الفراء
وابى اسحاق انها فى موضع نصب على المصدر قال الفراء اى يذكرون ذكرى وهذا قول صحيح لان معنى الا لها منذرون
الا لها ذكرى وذكرى لا يتبين فيه الاعراب لان فيه الفا مقصوره ويجوز ان يكون ذكرىً بالتنوين ويجوز ان يكون
ذكرى فى موضع رفع على اضمار مبتدا قال ابو اسحق انذارنا ذكرى وقال الفراء ذلك ذكرى وتلك ذكرى وقال
ابن الانبارى قال بعض المفسرين ليس فى الشعراء وقف تام الا لها منذرون وهذا عندنا وقف حسن ثم تبتدى
ذكرى على معنى هى ذكرى او يذكرهم ذكرى والوقف على ذكرى اجود وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ فى تعذيبهم حيث
قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم قوله تعالى وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ يعنى بالقرآن بل نزل
به الروح الامين ❊ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ اى برمي الشهب
كما تقدم فى الحجر بيانه وقراء الحسن ومحمد بن السميقع وما تنزلت به الشياطون قال المهدوى وهو غير جائز فى
العربيه ومخالف الخط وقال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين وسمعت على بن سليمان يقول سمعت محمد بن
يزيد يقول هذا غلط العلماء انما يكون بدخول شبهه لما رأى الحسن فى آخره ياء ونونا وهو فى موضع رفع اشتبه عليه
بالجمع المسلم فغلط وفى الحديث احذروا زلة العالم وقد قراء هو مع الناس واذا خلوا الى شياطينهم ولو كان هذا بالواو
فى موضع رفع لوجب حذف النون للاضافة وقال الثعلبى قال الفراء غلط الشيخ يعنى الحسن فقيل ذلك للنضر بن
شميل فقال ان جاز ان يحتج بقول روبه والعجاج ودونهما جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه مع انا نعلم انهما
لم يقراء بذلك الا وقد سمعا فى ذلك شيئا وقال المورج ان كان الشيطان من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه
وقال يونس حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا بساتين من ورائها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن
قوله تعالى فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ❊ قيل المعنى قل
لمن كفر هذا وقيل هو مخاطبه له عليه السلام وان كان لا يفعل هذا لانه معصوم مختار ولكنه خوطب بهذا
والمراد غيره ودل على هذا قوله وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ اى لا يتكلوا على نسبهم وقرابتهم فيدعو
ما يجب عليهم قوله تعالى ❊ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ❊ فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ خص عشيرته الاقربين بالانذار لتحسم اطماع سائر عشيرته واطماع الاجانب فى
مفارقته اياهم على الشرك وعشيرته الاقربون قريش وقيل بنو عبد مناف ووقع فى صحيح مسلم وانذر عشيرتك
الاقربين ورهطك منهم المخلصين وظاهر هذا انه كان قرآنا يتلى وانه نسخ اذ لم يثبت نقله فى المصحف
ولا تواتر ويلزم على هذا ثبوته اشكال وهو انه كان يلزم عليه الا ينذر الا من آمن من عشيرته فان المؤمنين
هم الذين يوصفون بالاخلاص فى دين الاسلام وفى حب النبى صلى الله عليه وسلم لا المشركون لانهم ليسوا على
شئ من ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم دعى عشيرته كلهم مؤمنهم وكافرهم وانذر جميعهم ومن معهم ومن يأتى بعدهم
صلى الله عليه وسلم فلم يثبت ذلك نقلا ولا معنى وروى مسلم من حديث ابى هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر
عشيرتك الاقربين دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بنى كعب بن لوى

الثانية

انقذوا انفسكم من النار يا بنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بنى هاشم انقذوا انفسكم من النار
يا بنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا املك لكم من الله
شيئا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها قوله تعالى فى هذه الآية والحديث دليل على ان القرب فى
الانساب لا ينفع مع البعد فى الاسباب ودليل على صلة المؤمن الكافر وارشاده ونصيحته لقوله ان
لكم رحما سابلها ببلالها وقوله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين الآية على ما يأتى بيانه
هناك قوله تعالى وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ❊ تقدم فى الحجر و
سبحان يقال خفض جناحه اذا لان فَإِنْ عَصَوْكَ اى خالفوا امرك فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ
مِمَّا تَعْمَلُونَ اى برئ من معصيتكم اياى لان عصيانهم اياه عصيان لله عز وجل لانه عليه السلام
لا يأمر الا بما يرضاه ومن تبرأ منه فقد تبرأ الله منه قوله تعالى وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ
اى فوض امرك اليه فانه العزيز الذى لا يغالب الرحيم الذى لا يخذل اولياءه وقراءة العامه
وتوكل بالواو وكذلك هو فى مصاحفهم وقراء نافع وابن عامر فتوكل بالفاء وكذلك فى مصاحف المدينه
والشام ❊ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ❊ اى حين تقوم الى الصلاه فى قول اكثر المفسرين ابن عباس
وغيره وقال مجاهد يعنى تقوم حيث ما كنت وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ قال مجاهد وقتاده
فى المصلين وقال ابن عباس اى فى اصلاب الآباء آدم ونوح وابرهيم حتى اخرجه نبيا وقال
عكرمة يراك قائما وساجدا وراكعا وقاله ابن عباس ايضا وقيل المعنى انك ترى بقلبك فى صلاتك
من خلفك كما ترى بعينيك من قدامك وروى عن مجاهد ذكره الماوردى والثعلبى وكان عليه
السلام يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وذلك ثابت فى الصحيح وفى تأويل الآية بعد إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ تقدم قوله تعالى هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ
تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ انما قال تنزل لانها اكثر ما تكون فى الهواء وانها تمر فى الريح
يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ تقدم فى الحجر فيلقون السمع صفة للشياطين والضمير
يرجع الى الكهنة وقيل الى الشياطين قوله تعالى وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ
فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى والشعراء الشعراء جمع شاعر مثل جاهل وجهلاء قال
ابن عباس هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس وقيل الغاوون الزايلون عن الحق ودل بهذا ان
الشعراء ايضا غاوون لانهم لو لم يكونوا غاوين ما كان اتباعهم كذلك وقد قدمنا فى سورة النور ان من
الشعر ما يجوز انشاده ويحرم ويكره وروى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من شعر امية بن ابى الصلت شئ قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا
فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت هكذا صواب هذا السند وصحيح روايته
وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم عن عمرو بن الشريد عن الشريد ابيه وهو وهم لان الشريد هو الذى
اردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسم ابى الشريد سويد وفى هذا دليل على حفظ الاشعار والاعتناء بها
اذا تضمنت الحكم والمعانى المستحسنه شرعا وطبعا وانما استكثر النبى صلى الله عليه وسلم من شعر امية لانه
كان حكيما الا ترى قوله عليه السلام وكاد امية بن ابى الصلت ان يسلم فاما ما تضمن ذكر الله وحمده والثناء

يخذل

والثناء عليه فذلك مندوب اليه كقول القايل الحمد لله العلي المنان حمار الثريد في دوس الغدان او ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم او مدحه كقول العباس من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر … انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد … الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صلب الى رحم اذا … مضى عالم بدا طبق

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك او الذب عنه كقول حسان هجوت محمدا فاجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء وهي ابيات ذكرها مسلم في صحيحه وهي في السير اثم او الصلاة عليه كما روى زيد بن
اسلم قال خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار
صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا بالاسحار يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني
وحبيبي الدار يعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وكذلك ذكر اصحابه ومدحهم رضي الله عنهم ولقد
احسن محمد بن اسحاق حيث قال اني رضيت عليا للهوى علما كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت ابا حفص وشيعته وما رضيت بقتل الشيخ في الدار كل الصحابة عندي قدوة علم
فهل علي بهذا القول من عار ان كنت تعلم اني لا احبهم الا من اجلك فاعتقني من النار
وقال آخر حب النبي لجميع الخلق مفترض وحب اصحابه نور ببرهان
من كان يعلم ان الله خالقه لا يرمين ابا بكر ببهتان ولا ابا حفص الفاروق صاحبه
ولا الخليفة عثمان بن عفان اما علي فمشهور فضايله والبيت لا يستوي الا باركان
قال ابن العربي واما الاستعارات في التشبيهات فمأذون فيها وان استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد
فبذلك يضرب الملك الموكل بالرؤيا المثل وقد انشد كعب بن زهير النبي صلى الله عليه وسلم

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول … متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا … الا اغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت … كانه منهل بالراح معلول

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر
في التشبيه ريقها بالراح وانشد ابو بكر رضي الله عنه فقدنا الوحي اذ وليت عنا وودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا توارثه القراطيس الكرام فقد اورثتنا ميراث صدق
عليك به التحية والسلام فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه وابو بكر ينشده فهل للتقليد
والاقتداء موضع ارفع من هذا قال ابو عمر ولا ينكر الحسن من الشعر احد من اهل العلم ولا من اولي النهى
وليس احد من كبار الصحابة واهل العلم وموضع القدوة الا وقد قال الشعر وتمثل به او سمعه فرضيه ما كان حكمة
او مباحا ولم يكن فيه فحش ولا هجو ولا لمسلم اذى فان كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا
قوله روى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول اصدق كلمة او شعر قالتها العرب
قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اخرجه مسلم وزاد وكاد امية بن ابي الصلت ان يسلم فقال له
بعض جلسائه مثلك ينشد الشعر يا ابا بكر فقال ويلك يا لكع وهل الشعر الا كلام لا يخالف سائر الكلام الا

في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح قال وقد كانوا يتذاكرون الشعر قال وسمعت ابن عمر ينشد يحب الخمر
من مال الندامى ويكره ان تفارقه الفلوس وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود احد فقهاء المدينة
العشرة ثم المشيخة السبعة شاعرا مجيدا مقدما فيه وللزبير بن بكار القاضي في اشعاره كتاب وكان له زوجة تسمى عثمة
فعتب عليها في بعض الامر فطلقها وله فيها اشعار كثيرة منها قوله تغلغل حب عثمة في فؤادي
فباديه مع الخافي يسير تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور اكاد اذا
ذكرت العهد منها اطير لو ان انسانا يطير وقال ابن شهاب قلت له تقول الشعر في نسكك
وفضلك فقال ان المصدور اذا نفث برأ واما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه و
صاحبه ملوم فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا
التقي وان يفرطوا في القول بما لا يفعله المرء رغبة في تسلية النفس وتحسين القول كما روى عن الفرزدق
ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام
فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا
يفعلون وروي ان النعمان بن عدي بن نضلة كان عاملا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال

الا هل اتى الحسناء ان حليلها … بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية … ورقاصة تحذو على كل منسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني … ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل امير المؤمنين يسوؤه … تنادمنا بالجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر فارسل اليه بالقدوم عليه وقال اي والله يسوءني فقال والله يا امير المؤمنين ما فعلت شيئا
مما قلت وانما كان فضلة من القول وقد قال الله سبحانه وتعالى والشعراء يتبعهم الغاوون فقال له
عمر اما عذرك فقد درأ عنك الحد ولكن لا تعمل لي عملا ابدا وذكر الزبير بن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان
ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم يكن له هم الا عمر بن ابي ربيعة والاحوص فكتب الى عامله بالمدينة اني عرفت
والاحوص بالخبث والشر فاذا اتاك كتابي هذا فاشدد عليهما واحملهما الي فلما اتاه الكتاب حملهما اليه فاقبل على
عمر فقال هيه فلم ار كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج افلتن ذا هوى وكم مالي
عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى اما والله لو اهتممت بحجك لم تنظر الى شيء غيرك
فاذا لم يفلت الناس منك في هذه الايام فمتى يفلتون ثم امر بنفيه فقال يا امير المؤمنين او خير من ذلك
قال ما هو قال اعاهد الله الا اعود بمثل هذا الشعر ولا اذكر النساء في شعر ابدا واجدد توبة فقال او تفعل
قال نعم فعاهد الله على توبته وخلاه ثم دعا بالاحوص فقال هيه الله بيني وبين قيمها يهرب بها مني واتبعه
بل الله بين قيمها وبينك ثم امر بنفيه فكلمه فيه رجال من الانصار فابى فقال والله لا اردده ما كان لي سلطان
فانه فاسق مجاهر فهذا هو الشعر المذموم وحكم صاحبه فلا يحل سماعه ولا انشاده في مسجد ولا في غيره كمنثور الكلام القبيح
وغيره روى اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسن الشعر كحسن الكلام وقبح الشعر كقبح الكلام رواه اسمعيل عن عبد الله بن عون الشامي وحديثه
عن اهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام **الثالثة** روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف احدكم قيحا يريه خير من ان يمتلئ شعرا وفي الصحيح ايضا عن ابي سعيد الخدري قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان لان يمتلئ جوف رجل قيحا خير من ان يمتلئ شعرا قال علماؤنا انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله انه قد اتخذ الشعر طريقا للتكسب فيفرط في المدح اذا اعطي وفي الهجو والذم اذا منع فيؤذي الناس في اموالهم واعراضهم ولا خلاف في ان من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام وكل ما يقوله عليه حرام من ذلك ولا يحل الاصغاء اليه بل يجب الانكار عليه فان لم يكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعا تعين عليه ان يداريه بما استطاع ويدافعه بما امكن ولا يحل ان يعطى شيئا ابدا لان ذلك عون على المعصية فان لم يجد من ذلك بدا اعطاه بنية وقاية العرض فما وقى به الانسان عرضه كتب له به صدقة وقوله لأن يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه القيح المرة يخالطها دم فقال منه قاح الجرح يقيح وتقيح وقيح وبريه قال الاصمعي هو من الورى على مثال الرمي وهو ان يدوي جوفه يقال منه رجل موري مشدد غير مهموز وفي الصحاح وري القيح جوفه يريه وريا اذا اكله وانشد اليزيدي قالت له وريا اذا تنحنح وهذا الحديث احسن ما قيل في تأويله انه الذي غلب عليه الشعر فامتلأ صدره منه دون علم سواه ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد له كالمكثر من اللغط والهذر والغيبة وقبيح القول ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه الاوصاف المذمومة الدنية لحكم العادة الادبية وهذا المعنى هو الذي اشار اليه البخاري في صحيحه لما بوبه على هذا الحديث باب ما يكره من ان يكون الغالب على الانسان الشعر وقد قيل في تأويله ان المراد بذلك الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ليس بشيء لان القليل من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وكثيره سواء في انه كفر ومذموم وكذلك هجو غير النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين محرم قليله وكثيره وحينئذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى **الرابعة** قال الشافعي الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام يعني ان الشعر ليس يكره لذاته وانما يكره لتضمناته وقد كان عند العرب عظيم الموقع وقد قال الاول منهم وجرح اللسان كجرح اليد وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر الذي يرد به حسان على المشركين انه لأسرع فيهم من رشق النبل اخرجه مسلم وروى الترمذي وصححه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله فقال عمر يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل **الخامسة** قوله تعالى وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ لم يختلف القراء في رفع والشعراء فيما علمت ويجوز النصب على اضمار فعل يفسره يتبعهم وبه قرأ عيسى بن عمر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرأ والسارق والسارقة وحمالة الحطب وسورة انزلناها وقرأ نافع وشيبة والحسن والسلمي يَتْبَعُهم مخففا والباقون يتّبعهم وقال الضحاك تهاجا رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما انصاري والآخر من قريش مع كل واحد غواة قومه وهم السفهاء فنزلت وقاله ابن عباس وعنه هم الرواة للشعر وروى عنه علي بن ابي طلحة انهم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس وقد ذكرناه وروى غضيف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احدث هجاء في الاسلام فاقطعوا لسانه وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة رنّ ابليس رنّة فاجتمع اليه ذريته فقال ايسوا ان يريدوا امة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ولكن افشوا فيها يعني مكة والمدينة الشعر قوله تعالى أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ يقول في كل لغو يخوضون ولا يتبعون سنن الحق لان من اتبع الحق وعلم انه يكتب عليه ما يقوله تثبت ولم يكن هائما يذهب على وجهه لا يبالي ما قال نزلت في عبد الله بن الزبعري ومسافع بن عبد مناف وامية بن الصلت وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ يقول اكثرهم يكذبون اي يدلون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه وقيل انها نزلت في ابي عزة الجمحي حيث قال

الا ابلغا عني النبي محمدا ... بانك حق والمليك حميد
ولكن اذا ذكرت بدرا واهلها ... تأوه مني اعظم وجلود

ثم استثنى شعر المؤمنين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقتهم من القول الحق فقال إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا في كلامهم وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وانما يكون الانتصار بالحق وبما حده الله عز وجل فان تجاوز ذلك فقد انتصر بالباطل وقال ابو الحسن المبرد لما نزلت والشعراء جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وهو تعالى يعلم انا شعراء فقال اقرؤوا ما بعدها الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية انتم وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا انتم اي بالرد على المشركين قال صلى الله عليه وسلم انتصروا ولا تقولوا الا حقا ولا تذكروا الآباء والامهات فقال حسان لابي سفيان

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
وَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَتِي وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
أَتَشْتُمُهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ ... وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ

وقال كعب يا رسول الله ان الله قد انزل في الشعراء ما قد علمت فكيف ترى فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل وقال كعب

جاءت سخينة كي تغالب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ منسوخ بقوله الا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قال المهدوي والصحيح عن ابن عباس انه استثنى وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ في هذه الآية تهديد لمن انتصر بظلم وقال شريح سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي الله عز وجل فالظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصرة وقرأ ابن عباس اي منفلت ينفلتون بالفاء والتاء ومعناهما واحد الثعلبي ومعنى اي منقلب ينقلبون اي مصير يصيرون واي مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو اقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو شر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال

الى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا والله اعلم ذكره الماوردي وايّ منصوب بينقلبون وهو بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون منصوبا بسيعلم لان انا وسائر اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها فيما ذكر النحويون قال النحاس وحقيقة القول في ذلك ان الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض والله اعلم تمت السورة والحمد لله

تفسير سورة النمل وهي مكية كلها في قول الجميع وهي ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين مضى الكلام في الحروف المقطعة في البقرة وغيرها وتلك بمعنى هذه اى هذه السورة آيات القرآن وآيات كتاب مبين وذكر القرآن بلفظ المعرفة وقال وكتاب مبين بلفظ النكرة وهما في معنى المعرفة كما تقول فلان رجل عاقل وفلان الرجل العاقل والكتاب هو القرآن فجمع له ما بين الصفتين بانه قرآن وانه كتاب لانه ما يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة وقد مضى اشتقاقهما في البقرة وقال في سورة الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين فاخرج الكتاب بلفظ المعرفة والقرآن بلفظ النكرة وذلك لان القرآن والكتاب اسمان يصلح لكل واحد منهما ان يجعل معرفة وان يجعل صفة ووصفه بالمبين لانه بيّن فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وقد تقدم قوله تعالى هدى وبشرى للمؤمنين هدى في موضع نصب على الحال من الكتاب اى تلك آيات الكتاب هادية ومبشرة ويجوز فيه الرفع على الابتداء اى هو هدى وان شئت على حذف حرف الصفة اى فيه هدى ويجوز ان يكون الخبر للمؤمنين ثم وصفهم فقال الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون وقد مضى في اول البقرة بيان هذا قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة اى لا يصدّقون بالبعث زيّنّا لهم اعمالهم قيل اعمالهم السيئة حتى راوها حسنة وقيل زينّا لهم اعمالهم الحسنة حتى فلم يعملوها وقال الزجاج جعلنا جزاءهم على كفرهم ان زيّنّا لهم ما هم فيه فهم يعمهون اى يتردّدون في اعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس ابو العالية يتمادون قتادة يلعبون الحسن يتحيّرون قال الراجز

ومهمه اطرافه في مهمه ‧ اعمى الهدى بالحائرين العمّه

قوله تعالى اولئك الذين لهم سوء العذاب وهو جهنم وهم في الآخرة هم الاخسرون في الآخرة تبيين وليس بمتعلق بالاخسرين فان من الناس من خسر الدنيا وربح الآخرة وهولاء خسروا الآخرة بكفرهم فهم اخسر كل خاسر قوله تعالى وانك لتلقى القرآن اى يلقى عليك فتلقاه وتعلمه وتاخذه من لدن حكيم عليم لدن بمعنى عند الا انها مبنية غير معربة لانها لا تمكن وفيها لغات ذكرت في الكهف وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريدان يسوق من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه قوله تعالى اذ قال موسى لاهله اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم خذ يا محمد من آثار حكمته وعلمه قصة موسى اذ قال لاهله اني آنست نارا اى ابصرتها من بعد قال الحارث بن حلزة ‧ وانزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء ‧ سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون قراء عاصم وحمزة والكسائي بشهابٍ قبسٍ بتنوين شهاب والباقون بغير تنوين على الاضافة اى بشعلة نار واختاره ابو عبيد وابو حاتم وزعم الفراء في ترك التنوين انه بمنزلة قولهم ولدار الآخرة ومسجد الجامع وصلوة الاولى اضاف الشيء الى نفسه اذا اختلف اسماؤه قال النحاس اضافة الشيء الى نفسه محال عند البصريين لان معنى الاضافة في اللغة ضم الشيء الى الشيء فمحال ان يضم الى نفسه وانما يضاف الشيء الى الشيء ليبيّن به معنى الملك او النوع فمحال ان يبين انه مالك نفسه او من نوعها وبشهاب قبس اضافة النوع والجنس كما تقول هذا ثوب خزّ وخاتم حديد وشبهه والشهاب كل ذي نور نحو الكوكب والعود الموقد والقبس اسم لما يقتبس من جمر وما اشبهه فالمعنى بشهاب من قبس يقال اقتبست قبسا والاسم قبس كما تقول قبضت قبضا والاسم قبض ومن قرا بشهابٍ قبسٍ جعله بدلا منه المهدوي او صفة له لان الجنس يجوز ان يكون اسما غير صفة ويجوز ان يكون صفة فاما كونه صفة فلانهم قالوا قبسته اقبسه قبسا والقبس المقبوس واذا كان صفة فالاحسن ان يكون نعتا والاضافة فيه اذا كان غير صفة احسن وهي اضافة النوع الى جنسه كخاتم فضة وشبهه ولو قرئ بنصب قبس على البيان والحال لجاز النحاس ويجوز في غير القرآن بشهابٍ قبسًا على انه مصدر او بيان او حال لعلكم تصطلون اصل الطاء تاء فابدل منها طاء لان الطاء مطبقة والصاد مطبقة فكان الجمع بينهما حسنا ومعناه تستدفئون من البرد يقال اصطلى يصطلي اذا استدفا قال الشاعر

النار فاكهة الشتاء فمن يرد ‧ اكل الفواكه شاتيا فليصطلي

الزجاج كل ابيض ذي نور فهو شهاب ابو عبيدة الشهاب النار قال ابو النجم ‧ كانما كان شهابا واقدا ‧ اضاء ضوءا ثم صار خامدا ‧ احمد بن يحيى اصل الشهاب عود في احد طرفيه جمرة والآخر لا نار فيه وقول النحاس فيه حسن والشهاب الشعاع المضيء ومنه قيل للكوكب الذي يمتد ضوءه في السماء وقال الشاعر

في كفه صعدة مثقفة ‧ فيها سنان كشعلة القبس

قوله تعالى فلما جاءها اى فلما جاء موسى الذي ظن انه نار وهي نور قاله وهب بن منبه فلما رأى موسى النار وقف قريبا منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها العليق لا تزداد النار الا تضرما وعظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة وحسنا فتعجب منها واهوى اليها بضغث في يده ليقتبس منها فمالت اليه فخافها فتاخر منها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها الى ان وضع امرها على انها مأمورة لا يدري من امرها الى ان نودي ان بورك من في النار ومن حولها وقد مضى هذا المعنى في طه نودي اى ناداه الله كما قال وناديناه من جانب الطور الايمن ان بورك ان في موضع نصب اى بانه قال ويجوز ان يكون في موضع رفع جعلها اسم ما لم يسم فاعله وحكى ابو حاتم ان في قراءة ابي وابن عباس ومجاهد ان بوركت النار ومن حولها قال النحاس ومثل هذا لا يوجد باسناد صحيح ولو صح لكان على التفسير وتكون راجعة الى النار ومن حولها الملائكة وموسى وحكى الكسائي عن العرب باركك الله وبارك فيك الثعلبي تقول العرب باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك اربع لغات قال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا ‧ وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب

الطبري قال بورك من في النار ولم يقل بورك على النار على لغة من يقول باركك الله ويقال باركه الله

وبارك له وعليه وبارك فيه بمعنى اى بورك على من فى النار وهو موسى او على من فى قرب النار لا انه بارك
كان فى وسطها وقال السدى كان فى النار ملائكة فالتبريك عائد الى موسى والملائكة اى بورك فيك يا موسى
وفى الملائكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله سبحانه وتعالى الى موسى وتكرمة له كما حيا ابرهيم على لسان
الملائكة حين دخلوا عليه قال رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وقول ثالث قاله ابن عباس والحسن
وسعيد بن جبير قدس من فى النار وهو الله سبحانه وتعالى عنى به نفسه قال ابن عباس ومحمد
بن كعب النار نور الله عز وجل نادى الله موسى وهو فى النور وتاويل هذا ان موسى عليه السلام راى
نورا عظيما فظنه نارا وهذا لان الله سبحانه وتعالى ظهر لموسى باياته وكلامه من النار لا انه يتحيز فى جهة
وهو فى السماء اله وفى الارض اله لا انه يتحيز فيهما ولكن يظهر فى كل فعل فيعلم له وجود الفاعل وقيل على
هذا اى بورك من فى النار سلطانه وقدرته وقيل اى بورك ما فى النار من امر الله سبحانه وتعالى الذى
جعله علامة قال الشيخ القرطبى رحمه الله ومما يدل على صحة قول ابن عباس ما خرجه مسلم فى صحيحه وابن
ماجة فى سننه واللفظ له عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغى
له ان ينام يخفض القسط ويرفعه حجابه النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شئ ادركه بصره ثم قرا
ابو عبيدة ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خرجه البيهقى ايضا
ولفظ مسلم عن ابى موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل
لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل
الليل حجابه النور وفى رواية ابى بكر النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
قال ابو عبيدة يقال ان السبحة جلال وجهه ومنها قيل سبحان الله انما هو تعظيم له وتنزيه وقوله
لو كشفها يعنى لو رفع الحجاب عن اعينهم ولم يثبتهم لرؤيته لاحترقوا وما استطاعوها وقال ابن جريج
النار حجاب من الحجب وهى سبعة حجب حجاب العزة وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وحجاب
النور وحجاب الغمام وحجاب الماء وبالحقيقة فالمخلوق المحجوب والله لا يحجبه شئ فكانت النار نورا وانما ذكره
بلفظ النار لان موسى حسبه نارا والعرب تضع احدهما موضع الآخر وقال سعيد بن جبير كانت النار بعينها
فاسمعه سبحانه وتعالى كلامه من ناحيتها واظهر له ربوبيته من جهتها وهو كما روى انه مكتوب فى التوراة
انه جاء الله من سينا واشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران فمجيئه من سينا بعثته موسى منها و
اشراقه من ساعير بعثته المسيح منها واستعلاؤه من فاران بعثته محمدا صلى الله عليه وسلم وفاران مكة
وسيأتى فى القصص لاسماعه سبحانه كلامه من الشجرة زيادة بيان قوله تعالى ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ تنزيها وتقديسا لله رب العالمين وقد تقدم فى غير موضع والمعنى اى ويقول من حولها سبحان
الله فحذف وقيل ان موسى قاله حين فرغ من سماع النداء استعانة بالله سبحانه وتعالى وتنزيها له
قاله السدى وقيل هو من قول الله سبحانه وتعالى ومعناه وبورك فيمن سبح الله رب العالمين حكاه ابن
شجرة قوله تعالى ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الهاء عماد وليست بكناية
فى قول الكوفيين والصحيح انها كناية عن الامر والشان انا الله العزيز الغالب الذى ليس كمثله شئ الحكيم
فى امره وفعله وقيل قال موسى يا رب من الذى نادى فقال انه اى انى انا المنادى لك انا الله

قوله تعالى ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ قال وهب بن منبه ظن موسى ان الله امره ان يرفضها فرفضها
وقيل انما قال ذلك ليعلم موسى ان المكلم هو الله وان موسى رسوله وكل نبى فلا بد له من آية فى نفسه يعلم بها
نبوته وفى الآية حذف اى والق عصاك فالقاها من يده فصارت حية تهتز كانها جان وهى الحية الخفيفة
الصغيرة الجسم وقال الكلبى لا صغيرة ولا كبيرة وقيل انها قلبت له اولا حية صغيرة فلما انس بها قلبت حية
كبيرة وقيل انقلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعى وهى الانثى ومرة ثعبانا وهو الذكر الكبير من الحيات
وقيل المعنى انقلبت ثعبانا ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ لها عظم الثعبان وخفة الجان واهتزازه وهى حية
تسعى وجمع الجان جنان ومنه الحديث نهى عن قتل الجنان التى فى البيوت ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ خائفا
على عادة البشر ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ اى لم يرجع قاله مجاهد وقال قتادة لم يلتفت ﴿يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ اى
من الحية وضررها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ وانما يخاف غيرهم ممن ظلم ﴿إِلَّا مَن
ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ قاله الفراء قال النحاس استثناء من محذوف محال لانه استثناء من شئ لم يذكر
ولو جاز هذا لجاز انى لا اضرب القوم الا زيدا بمعنى انى لا اضرب القوم انما اضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان
والمجئ بما لا يعرف معناه وزعم الفراء ايضا ان بعض النحويين يجعل الا بمعنى الواو اى ولا من ظلم قال
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان قال النحاس وكون الا بمعنى الواو لا وجه له و
لا يجوز فى شئ من الكلام ومعنى الا خلاف الواو لانك اذا قلت جاءنى اخوتك الا زيدا اخرجت زيدا مما دخل فيه الاخوة
واذا قلت جاءنى اخوتك الا زيدا ادرجت زيدا فيما دخل فيه الاخوة ولا نسبة بينهما ولا تقارب وفى الاية قول
آخر وهو ان يكون الاستثناء متصلا والمعنى الا من ظلم من المرسلين باتيان الصغائر التى لا يسلم منها احد
سوى ما روى عن يحيى بن زكريا عليه السلام وما ذكره الله سبحانه وتعالى فى نبينا عليه السلام من قوله ﴿لِيَغْفِرَ
لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذكره المهدوى واختاره النحاس قال علم الله من عصى منهم فاستثناه
فقال ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ اى فانه يخاف فان كنت قد غفرت له الضحاك يعنى
آدم وداود عليهما السلام الزمخشرى كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن
موسى عليه السلام بوكزة القبطى فان قال قائل فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة قيل له هذه سبيل
العلماء بالله عز وجل ان يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين وهم ايضا لا يأمنون ان يكون قد بقى من اشراط
التوبة شئ لم يأتوا به فهم يخافون من المطالبة به وقال الحسن وابن جريج قال الله تعالى انى اخفتك لقتلك
النفس قال الحسن وكانت الانبياء تذنب فيعاقب قال الثعلبى والقشيرى والماوردى وغيرهم فالاستثناء
على هذا صحيح اى الا من ظلم نفسه من المرسلين والنبيين فيما فعل من صغيرة او قبل النبوة وكان موسى خاف
من قتل القبطى وتاب منه وقد قيل انهم بعد النبوة معصومون من الصغائر والكبائر وقد مضى هذا فى البقرة
وقال الشيخ القرطبى رحمه الله والاول اصح لتنصلهم من ذلك فى القيامة كما فى حديث الشفاعة فاذا احدث
المقرب حدثا فهو وان غفر له ذلك الحدث فاثر ذلك الحدث باق وما دام الاثر والتهمة قائمة فالخوف كائن
لا خوف العقوبة ولكن خوف العظمة والمتهم عند السلطان يجد للتهمة حزازة تؤديه الى ان يكدر عليه صفاء
الثقة وموسى صلى الله عليه وسلم قد كان منه الحدث فى ذلك الفرعونى ثم استغفر واقر بالظلم على نفسه
فغفر له ثم قال بعد المغفرة ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ ثم ابتلى من الغد

وتم الكلام ثم استثنى استثناء منقطعا فقال الا من ظلم وصل انه استثناء من محذوف والمعنى انى لا يخاف لدى المرسلون صح

بالفرعوني الآخر واراد ان يبطش به فصار حدثنا آخر بهذه الارادة وانما ابتلي من الغد لقوله فلن اكون
ظهيرا للمجرمين وتلك كلمة اقتدار من لن افعل فعوقب بالارادة وحين اراد ان يبطش ولم يفعل فسلط عليه الاسرائيلي
حتى افشى سره لان الاسرائيلي لما رآه تشمر للبطش ظن انه يريده فافشى عليه فقال يا موسى أتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس فهرب الفرعوني فاخبر فرعون بما افشى الاسرائيلي على موسى وكان القتل بالامس
مكتوما لا يدري من قتله فلما علم فرعون بذلك وجه في طلب موسى ليقتله اشتد الطلب واخذوا مجامع الطرق جاء
رجل من اقصى المدينة يسعى فقال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فخرج كما اخبر الله سبحانه
وتعالى فخوف موسى انما كان من اجل هذا الحدث فهو وان قربه ربه واكرمه واصطفاه بالكلام
فالتهمة الباقية ولت به ولم يعقب قوله تعالى وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ
مِنْ غَيْرِ سُوءٍ تقدم في طه القول فيه فِي تِسْعِ آيَاتٍ قال النحاس احسن ما قيل فيه ان هذه الآية
داخلة في تسع آيات المهدوي المعنى وادخل يدك في جيبك فهما آيتان من تسع آيات وقال معناه القشيري
كما تقول خرجت في عشر نفر وانت احدهم اي خرجت عاشر عشرة ففي بمعنى من لقربها منها كما تقول
خذ لي عشرا من الابل فيها فحلان اي منها وقال الاصمعي في قول امرئ القيس وهل ينعمن من كان
آخر عهده ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال في بمعنى من وقيل في بمعنى مع فالآيات عشرة منها اليد والتسع
الفلق والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والطمس وقد تقدم بيان جميعه إِلَى فِرْعَوْنَ
وَقَوْمِهِ قال الفراء في الكلام اضمار لدلالة الكلام عليه اي انك مبعوث او مرسل الى فرعون وقومه
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ اي خارجين عن طاعة الله وقد تقدم قوله تعالى فَلَمَّا
جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً اي واضحة بينة قال الاخفش ويجوز ان مبصرة وهو مصدر كما
يقال الولد مجبنة قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ جروا على عادتهم في التكذيب ولهذا قال وَجَحَدُوا
بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا اي تيقنوا انها من عند الله وانها ليست سحرا ولكنهم
كفروا بها وتكبروا ان يؤمنوا بموسى وهذا يدل على انهم كانوا معاندين وظلما وعلوا منصوبان
على نعت مصدر محذوف اي وجحدوا بها جحودا ظلما وعلوا والباء زائدة اي وجحدوها قاله ابو عبيدة
فَانْظُرْ يا محمد كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ اي جزاء امر الكافرين انظر ذلك بعين قلبك وتدبر
فيه الخطاب له والمراد غيره قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا اي
فهما قاله قتادة وقيل علما بالدين والحكم وغيرهما كما قال وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ وقيل
صنعة الكيميا وهو شاذ وانما الذي آتاهما الله النبوة والخلافة في الارض والزبور وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم
حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد
الله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقد تقدم هذا في غير موضع قوله تعالى
وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ قال الكلبي كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولدا ذكورا فورث
سليمان من بينهم نبوته وملكه ولو كان وراثة المال لكان جميع اولاده فيه سواء وقاله ابن العربي قال
فلو كانت وراثة مال لانقسمت على العدد فخص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة وزاده من فضله ملكا

الوعصا كان

لا ينبغي لاحد من بعده قال ابن عطية داود من بني اسرائيل وكان ملكا وورث سليمان ملكه
ومنزلته من النبوة بمعنى صار اليه ذلك بعد موت ابيه فسمي ميراثا تجوزا وهذا نحو قولهم العلماء ورثة الانبياء
ويحتمل قوله عليه السلام انا معشر الانبياء لا نورث ان يريد ان ذلك من فعل الانبياء وسيرتهم
وان كان فيهم من ورث ماله كزكريا على اشهر الاقوال فيه وهذا كما تقول انا معشر المسلمين انما شغلتنا
العبادة والمراد ان ذلك فعل الاكثر ومنه ما حكى سيبويه انا معشر العرب اقرى الناس لضيف قال
الشيخ القرطبي رحمه الله قد تقدم هذا المعنى في مريم وان الصحيح القول الاول لقوله عليه السلام
انا معشر الانبياء لا نورث فهو عام ولا يخرج شيء منه الا بدليل قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من
داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان قال غيره ولم يبلغ احد من الانبياء ما بلغ ملكه
فان الله سبحانه وتعالى سخر له الانس والجن والطير والوحش وآتاه ما لم يؤت احدا من العالمين
وورث اباه في الملك والنبوة وقام بشريعته وكل نبي جاء من بعد موسى ممن بعث او لم يبعث فانما
كان بشريعة موسى الى ان بعث المسيح عليه السلام فنسخها وبينه وبين الهجرة نحو من الف وثمانمائة
سنة وقيل ان بين موته وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من الف وسبعمائة سنة واليهود تنقص
منها ثلثمائة سنة وعاش نيفا وخمسين سنة قوله تعالى وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اي قال
سليمان لبني اسرائيل على جهة الشكر لنعم الله عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ اي تفضل الله علينا على ما
ورثنا من داود من العلم والنبوة والخلافة في الارض في ان فهمنا من اصوات الطير المعاني التي في
نفوسها قال مقاتل كان سليمان جالسا اذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون ما يقول هذا
الطائر انها قالت لي السلام عليك ايها الملك المسلط والنبي لبني اسرائيل اعطاك الله الكرامة
واظهرك على عدوك اني منطلق الى افراخي ثم امر بك الثانية وانه سيرجع الينا الثانية فقال انه
يقول السلام عليك ايها الملك المسلط ان شئت ان تأذن لي كيما اكتسب على افراخي حتى يشبعوا
ثم آتيك فافعل بي ما شئت فاخبرهم سليمان بما قال واذن له فانطلق وقال فرقد السبخي مر
سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل
قالوا لا يا نبي الله قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ومر بهدهد فوق شجرة
وقد نصب له صبي فخا فقال له سليمان احذر يا هدهد فقال يا نبي الله هذا صبي لا عقل له فانا
اسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يديه فقال هدهد ما هذا قال ما رأيتها
حين وقعت فيها يا نبي الله قال ويحك فانت ترى الماء تحت الارض اما ترى الفخ قال يا نبي الله اذا نزل
القضاء عمي البصر وقال كعب صاح ورشان عند سليمان بن داود قال أتدرون ما يقول قالوا لا قال
انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول
ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وصاح طاوس عنده فقال أتدرون ما
يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح عنده هدهد قال أتدرون ما يقول قالوا لا
قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عنده فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول
استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقيل ان الصرد هو الذي

في الآية

سنة واليهود تقول الف ومائتا سنة واربعون سنة

دل آدم على مكان البيت وهو اول من صام وكذلك يقال له الصرد الصوام روى عن ابي هريرة
وصاحت عنده طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول كل حي ميت وكل جديد بالي
وصاحت عنده خطافة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول قدموا خيرا تجدوا فمن ثمة نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها وقيل ان آدم لما خرج من الجنة اشتكى الى الله الوحشة فآنسه
الله بالخطاف والزمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم انسا لهم قال ومعها اربع آيات من كتاب الله عز وجل
لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ الى آخرها وتمد صوتها بقولها العزيز الحكيم وهدرت حمامة عند
سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى عدد ما في سمواته وارضه
وصاح قمري عند سليمان قال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انه تقول سبحان ربي العظيم سبحان
ربي الاعلى المهيمن قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار والحداة تقول
كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع
يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل
مكان وقال مكحول صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن
على العرش استوى وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال اذكروا الله يا غافلين
وقال الحسن بن علي بن ابي طالب النسر اذا صاح قال يا ابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت واذا صاح
العقاب قالت في البعد من الناس الراحة واذا صاح القنبر قال الهي العن مبغضي آل محمد صلى الله عليه
وسلم واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين الى آخرها فيقول ولا الضالين ويمد بها صوته
كما يمد القارئ قال قتادة والشعبي انما هذا الامر في الطير خاصة لقوله علمنا منطق الطير والنملة
طائر اذ قد يوجد له اجنحة قال الشعبي وكذلك كانت هذه النملة ذات جناحين وقالت فرقة بل كان في
جميع الحيوان وانما ذكر الطير لانه كان جندا من جند سليمان يحتاجه في التظليل عن الشمس وفي البعث في
الامور فخص بالذكر لكثرة مداخلته ولان امر سائر الحيوان نادر وغير متردد ترداد امر الطير وقال ابو
جعفر قال ابن النحاس والمنطق قد يقع لما يفهم بغير كلام والله عز وجل اعلم بما اراد قال ابن العربي من قال
انه لا يعلم الا منطق الطير فنقصان عظيم وقد اتفق الناس على انه كان يعلم كلام من لا يتكلم ويخلق له القول
من النبات فكان كل نبت يقول له انا شجر كذا انفع من كذا واضر من كذا فما ظنك بالحيوان قوله تعالى
وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ اي من كل شيء بنا اليه حاجة من النبوة والعلم والحكمة والمال وتسخير
الجن والانس والطير والوحش والرياح والدواب وكل ما بين السماء والارض إِنَّ هَذَا لَهُوَ
الْفَضْلُ الْمُبِينُ اي الظاهر والمظهر لفضلنا قوله تعالى وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ
جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ فيه مسئلتان الاولى
قوله سبحانه وتعالى وحشر حشر جمع والحشر الجمع ومنه قوله جل وعز وحشرناهم فلم نغادر
منهم احدا اختلف الناس في مقدار جند سليمان عليه السلام فقيل كان معسكره مائة فرسخ
في مائة خمسة وعشرين للجن وخمسة وعشرين للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية ابن عطية اختلف في

ن

في معسكره ومقدار جنده اختلافا شديدا غير ان الصحيح ان ملكه كان عظيما ملأ الارض وانقادت
له المعمورة كلها فَهُمْ يُوزَعُونَ معناه يرد اولهم الى آخرهم ويكفون عن قتادة كان لكل صنف وزعة في
رتبتهم ومواضعهم من الكرسي ومن الارض اذا مشوا فيها يقال وزعته ازعه وزعا اي كففته والوازع
في الحروب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم روى محمد بن اسحاق عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى يعني يوم الفتح قال ابو قحافة وقد كف بصره يومئذ لابنته اظهري
بي على ابي قبيس قالت فاشرفت به عليه فقال ما ترين قال ارى سوادا مجتمعا قال تلك الخيل وارى
رجلا بين السواد مقبلا ومدبرا قال ذلك الوازع يمنعها ان تنتشر وذكر تمام الخبر ومن هذا قوله عليه السلام
ما رئي الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى
من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر قيل وما رأى يا رسول الله فقال
اما انه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة اخرجه الموطأ ومن هذا المعنى قول النابغة
على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت الما اصح والشيب وازع آخر ولما تلاقينا
جرت من جفوننا دموع ... وزعنا غربها بالاصابع آخر ولا يزع النفس اللجوج عن الهوى
من الناس الا وافر العقل كامله ... وقيل هو من التوزيع بمعنى التفريق والقوم اوزاع اي طوائف
وفي القصة ان الشياطين نسجت له بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له كرسي من ذهب
وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة
الثانية في الآية دليل على اتخاذ الامام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعهم من تطاول بعضهم
على بعض اذ لا يمكن ذلك الحكام بانفسهم وقال ابن عون سمعت الحسن يقول وهو في مجلس قضائه لما رأى
ما يصنع الناس قال والله ما يصلح هؤلاء الا وزعة وقال الحسن ايضا لا بد للناس من وازع اي من سلطان
يكفهم وقال ابن القسم حدثنا مالك ان عثمان بن عفان كان يقول ما يزع الامام اكثر مما يزع القرآن
اي من الناس قال ابن القسم قلت لمالك ما يزع قال يكف قال القاضي ابو بكر بن العربي وقد جهل قوم
المراد بهذا الكلام فظنوا ان المعنى ان قدرة السلطان يردع الناس اكثر مما يردعهم حدود القرآن
هذا جهل بالله وحكمته فان الله ما وضع الحدود الا مصلحة عامة كافة قائمة لقوام الخلق لا زيادة عليها ولا
نقصان منها ولا مصلحة سواها ولكن الظلمة خاسوا بها وقصروا عنها واتوا ما اتوا بغير نية ولم يقصدوا
وجه الله سبحانه وتعالى في القضاء بها فلم يرتدع الخلق بها ولو حكموا بالعدل واخلصوا النية لاستقامت
الامور وصلح الجمهور قوله تعالى حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا
أَيُّهَا النَّمْلُ الى قوله فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى حتى اذا اتوا
على واد النمل قال قتادة ذكر لنا انه واد بارض الشام وقال كعب هو بالطائف قالت نملة يا
ايها النمل قال الشعبي كان للنملة جناحان فصارت من الطائر فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لما علمه
وقد مضى هذا ويأتي وقرأ سليمان التيمي بمكة وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها
وقال كعب مر سليمان عليه السلام بوادي السدير من اودية الطائف فاتى على وادي النمل فقال
نملة تمشي وكانت عرجاء اسمها شاكوس مثل الذئب في العظم فنادت ايها النمل الآية الزمخشري

قالت ص

للحكام ص

والنمل بفتح النون وضم الميم وعنه ايضا بضمها جمعا ص ص ص ص

سمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال وكانت تمشي وهي عرجاء وكان اسمها شكاوس وقيل كان اسمها طاخية وقال السهيلي ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه السلام وقالوا اسمها حرميا ولا ادري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضا ولا الادميون يمكنهم تسميه واحدة منهم باسم علم لانه لا يتميز للادميين بعضهم من بعض ولاهم ايضا واقعون تحت ملكة بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها فان العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب فان قلت ان العلمية موجودة في الاجناس كثعالة واسامة وجعال وقثام في الضبع وغير ذلك ونحوه كثير فليس اسم النملة من هذا لانهم زعموا انه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين ساير النمل وثعالة ونحوه لا يختص بواحدة من الجنس بل كل واحدة رايته من ذلك الجنس فهو ثعالة وكذلك اسامة وابن آوى وابن عرس وما اشبه ذلك فان صح ما قالوه فله وجه وهو ان تكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم في التوراة او في الزبور او في بعض الكتب المنزلة او في بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الانبياء قبل سليمان او بعضهم وخصت بالتسمية لنطقها وايمانها فهذا وجه واما معنى قولنا بايمانها انها قالت للنمل ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ التفاتة مومن اي من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها الا بان لا يشعرون وقد قيل ان تبسم سليمان سرورا بهذه الكلمة منها وكذلك اكد التبسم بقوله ضاحكا اذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضى الا تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئين وتبسم الضحك انما يكون عن سرور ولا يسر نبي بامر دنيا وانما يسر بما كان من الدين وقولها وهم لا يشعرون اشارة الى الدين والرافة ونظير قول النملة في جند سليمان قوله سبحانه وتعالى في جند محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ التفاتا الى انهم لا يقصدون هد مومن الا ان المثني على جند سليمان هي النملة باذن الله سبحانه وتعالى والمثني على جند محمد صلى الله عليه وسلم هو الله جل وعز بنفسه لما لجنود محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جند غيره من الانبياء كما لمحمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على ساير النبيين صلى الله عليهم اجمعين وقرا شهر بن حوشب مسكنكم بسكون السين على الانفراد وفي مصحف ابي مساكنكن لا يحطمنكن ذكره النحاس اي لا يكسرنكم بوطئهم عليكم وهم لا يعلمون بكم قال المهدوي وافهم الله سبحانه وتعالى هذه النملة لتكون معجزة لسليمان وقال وهب امر الله تعالى الريح ان لا يتكلم احد بشيء الا طرحته في سمع سليمان بسبب ان الشياطين ارادت كيده وقد قيل ان هذا الوادي كان ببلاد اليمن وانها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد قاله الكلبي وقال نوف الشامي وشقيق بن سلمة كان نمل ذلك الوادي كهيئة الذباب في العظم وقال بريدة الاسلمي كهيئة النعاج قال محمد بن علي الترمذي فان كانت على هذه الخلقة فلها صوت وانما افتقد صوت النمل الان لصغر خلقها والا فالاصوات في الطيور والبهائم كائنة وذلك منطقهم وفي تلك المناطق معاني التسبيح وغير ذلك وهو قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقوله لا يحطمنكم سليمان يدل على صحة قول الكلبي اذ لو كانت كهيئة الذباب والنعاج لما حطمت بالوطء والله اعلم وقال ادخلوا مساكنكم فجاء على خطاب الادميين لان النمل هاهنا اجري مجرى الادميين حين نطق كما ينطق الادميون قال ابو اسحق الثعلبي ورايت في بعض الكتب ان سليمان قال لها لم حذرت النمل اخفت ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان تتمنين مثل ما اعطيت او يفتتن بالدنيا او يشتغلن بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر فقال لها سليمان عظيني فقالت النملة اما علمت لم سمي ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جرحه فود اهل علمت لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم الناحيه على ما اوتيته بسلامة صدرك وان لك ان تلحق بابيك ثم قالت اتدري لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك ان الدنيا كلها ريح ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ متعجبا ثم مضت مسرعة الى قومها فقالت هل عندكم من شيء نهديه الى نبي الله قالوا وما قدر ما نهدي له والله ما عندنا الا نبقة واحدة قالت حسنة ائتوني بها فاتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها وامر الله الريح فاحتملتها واقبلت تشق الجن والانس والعلماء والانبياء على البساط حتى وقعت بين يدي سليمان ثم وضعت تلك النبقة من فيها في كفه وانشات تقول

الم ترنا نهدي الى الله ماله وان كان عنه ذا غني فهو قابله
ولو كان يهدي للجليل بقدره لقصر عنه البحر يوما وساحله
ولكننا نهدي الى من نحبه فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك الا من كريم فعاله والا فما في ملكنا ما يشاكله

فقال لها بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة اشكر خلق الله واكثر خلق الله وقال ابن عباس نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب الهدهد والصرد والنملة والنحلة خرجه ابو داود وصححه ابو محمد عبد الحق وروي من حديث ابي هريرة وقد مضى في الاعراف فالنملة اثنت على سليمان واخبرت باحسن ما يقدر عليه بانهم لا يشعرون ان حطموك ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم فنفت عنه الجور فلذلك نهى عن قتلها وعن قتل الهدهد لانه كان دليل سليمان على الماء ورسوله الى بلقيس وقال عكرمة انما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لانه كان بارا بوالديه والصرد يقال له الصرد الصوام وروي عن ابي هريرة قال اول من صام الصرد ولما خرج ابرهيم عليه السلام من الشام الى الحرم في بناء البيت كانت السكينة معه والصرد فكان الصرد دليله الى الموضع والسكينة مقداره فلما صار الى البقعة وقعت السكينة على موضع البيت ونادت ابن يا ابرهيم على مقدار ظلي وقد تقدم في الاعراف سبب النهي عن قتل الضفدع وفي النحل النهي عن قتل النحل والحمد لله

قوله الثانية قرا الحسن لا يحطنكم وعنه ايضا لا يحطمنكم وعن ابي رجاء لا يحطنكم والحطم الكسر حطمته حطما اي كسرته وتحطم والتحطم التكسر وهم لا يشعرون يجوز ان يكون حالا من سليمان وجنوده والعامل في الحال يحطمنكم او حالا من النملة والعامل قالت اي قالت ذلك في حال غفلة الجنود كقولك قمت والناس غافلون او حالا من النمل ايضا والعامل قالت على ان المعنى والنمل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالتها وفيه بعد وسيأتي

الثالثة روى مسلم من حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نملة قرصت نبيا من الانبياء فامر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة اهلكت امة من الامم تسبح وفي طريق اخرى فهلا نملة واحدة قال علماؤنا ان هذا النبي هو موسى عليه السلام وانه قال يا رب تعذب اهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطايع فكانه احب ان يريه ذلك من عنده فسلط الله عليه الحر حتى التجا الى شجرة مستروحا الى ظلها وعندها قرية النمل فغلبه النوم فلما وجد لذة النوم لدغته نملة فاضجرته فدلكهن بقدمه فاهلكهن واحرق تلك الشجرة التي عندها مساكنهم فاراه الله العبرة في ذلك

انه لما لدغتك نملة فكيف اصبت الباقين بعقوبتها يريد ان ينبهه ان العقوبة من الله تعالى تعم فتصير
رحمة على المطيع وطهارة وبركة وشرا ونقمة على العاصي وعلى هذا فليس في الحديث ما يدل على كراهة
ولا حظر في قتل النمل فان من آذاك حل لك دفعه عن نفسك ولا احد من خلقه اعظم حرمة من المؤمن وقد ابيح
لك دفعه عنك بقتل وضرب على المقدار فكيف بالهوام والدواب التي قد سخرت لك وسلطت عليه فاذا آذاك
احل لك قتله وروى عن ابرهيم ما آذاك من النمل فاقتله وقوله الا نملة واحدة دليل على ان الذي يؤذي
يؤذى ويقتل وكلما كان القتل لدفع ضرر او نفع فلا بأس به عند العلماء واطلق له نملة ولم يخص تلك النملة التي
لدغت من غيرها لانه ليس المراد القصاص لانه لو اراده لقال الا نملتك التي لدغتك ولكن قال الا نملة واحدة
فكان نملة تعم البرى والجاني وذلك ليعلم انه اراد ان ينبهه لمسألته ربه وفهم المطيع والعاصي وقد قيل ان بالتحريق
هذا النبي كانت العقوبة للحيوان جائزة في شرعه ولذلك انما عاتبه الله سبحانه وتعالى في احراق الكثير من
النمل لا في اصل الاحراق الا ترى الى قوله تعالى فهلا نملة واحدة احرقت نملة واحدة وهذا بخلاف شرعنا فان
النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التعذيب بالنار فقال لا تعذب بالنار الا الله وكذلك ايضا كان قتل النمل
مباحا في شرعة ذلك النبي فان الله تعالى لم يعتبه على اصل قتل النمل واما شرعنا فقد جاء عن ابن عباس وابي
هريرة النهي عن ذلك وقد كره مالك قتل النمل الا ان تضره ولا يقدر على دفعه الا بالقتل وقد قيل ان هذا
النبي انما عاتبه الله لانه انما انتقم لنفسه باهلاك جماعة آذاه واحدة وكان الاولى به الصبر والصفح لكن
وقع للنبي ان هذا النوع مؤذ لبني آدم وحرمة بني آدم اعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق
فلو انفرد له هذا النظر ولم ينضم اليه التشفي الطبعي لم يعاتب والله اعلم لكن لما انضاف اليه التشفي
الطبعي الذي دل عليه سياق الحديث عوتب عليه قوله اني ان قرصتك نملة اهلكت امة
من الامم فسبح مقتضى هذا انه تسبيح مقال ونطق كما اخبر الله عن النمل ان لها منطقا وفهمه سليمان
عليه السلام معجزة له وتبسم من قولها وهذا يدل دلالة واضحة على ان للنمل نطقا وقولا لكن لا يسمعه
كل احد بل من شاء الله سبحانه وتعالى ممن خرق له العادة من نبي او ولي ولا ننكر هذا من حيث انا لا نسمع
ذلك فانه لا يلزم من عدم الادراك عدم المدرك في نفسه ثم ان الانسان يجد من نفسه قولا وكلاما لا يسمع منه
الا اذا نطق بلسانه وقد خرق الله العادة لنبينا صلى الله عليه وسلم واسمعه كلام النفس من قوم تحدثوا مع
انفسهم واخبرهم بما في نفوسهم كما قد نقل منه الكثير من ائمتنا في كتاب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك
قد وقع لكثير ممن اكرمه الله سبحانه وتعالى من الاولياء مثل ذلك ما قضيته واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله ان في امتي محدثون وان منهم عمر وقد مضى هذا المعنى في الجماد في سبحان وانه سبح تسبيح لسان ومقال
لا تسبيح دلالة حال والحمد لله الخامسة قوله تعالى فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وقرأ ابن السميقع ضحكا بغير الف
وهو منصوب على المصدر بفعل محذوف يدل عليه تبسم كانه قال ضحك ضحكا هذا مذهب سيبويه وهو عند غير
سيبويه منصوب بنفس تبسم لانه في معنى ضحك ومن قرأ ضاحكا فهو منصوب على الحال من الضمير في تبسم والمعنى
تبسم بمقدار الضحك لان الضحك يستغرق التبسم لان الضحك يستغرق التبسم والتبسم دون الضحك وهو اوله تقال
بسم بالفتح يبسم بسما فهو باسم وابتسم وتبسم والمبسم الثغر مثل المجلس من جلس يجلس ورجل مبسام وبسام كثير التبسم
فالتبسم ابتداء الضحك والضحك عبارة عن الابتداء والانتهاء الا ان الضحك يقتضي مزيدا على التبسم فاذا زاد ولم ينضبط

الانسان نفسه قيل قهقه والتبسم ضحك الانبياء عليهم السلام في غالب امرهم وفي الصحيح عن جابر بن سمرة
وقيل له اكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح او
الغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فيأخذون في امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم ومنه
عن سعد قال كان رجل من المشركين قد احرق في المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارم فداك ابي و
امي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فاصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى نظرت الى نواجذه فكان عليه السلام في اكثر احواله يتبسم وكان ايضا يضحك في احوال اخر ضحكا
اعلى من التبسم واقل من الاستغراق التي تبدو فيه اللهوات وكان في النادر عند افراط تعجبه ربما ضحك حتى
بدت نواجذه وقد كره العلماء منه الكثرة كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقد روي
مرفوعا من حديث ابي ذر وغيره وضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه حين رمى سعد الرجل
فاصابه انما كان سرورا باصابته لا بانكشاف عورته وانه المنزه عن ذلك صلى الله عليه وسلم السادسة
لا اختلاف بين العلماء ان الحيوانات كلها لها افهام وعقول وقد قال الشافعي الحمام اعقل الطير قال ابن عطيه
والنمل حيوان فطن قوي شمام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين لئلا ينبت ويشق الكزبرة
باربع قطع لانها تنبت اذا قسمت شقتين ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي سائره عدة قال ابن العربي وهذه
خواص العلوم عندنا وقد ادركتها النمل بخلق الله ذلك لها قال الاستاذ ابو المظفر شاهفور الاسفرايني
ولا يبعد ان تدرك البهائم حدث العالم وحدث المخلوقات ووحدانية الاله ولكنا لا نفهم عنها ولا تفهم عنا اما ما
نطلبها وهي تفر منا فحكم الجنس قوله تعالى وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ اي اشكر نعمتك
علي وعلى والدي فان مصدر به اي الهمني ذلك واصله من وزع فكانه قال كفني عما يسخطك قال محمد بن
اسحق بن عمر اهل الكتاب على ان ام سليمان هي امرأة اوريا التي امتحن الله بها داود وانه بعد موت زوجها
تزوجها داود وولدت له سليمان وسيأتي بيان هذا في سورة ص ان شاء الله تعالى وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ
فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ اي مع عبادك عن ابن زيد وقيل المعنى في جملة عبادك الصالحين قوله تعالى
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ الى آخر قصة الهدهد فيه ثمان عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى وتفقد الطير
ذكر شيئا آخر مما جرى له في مسيره الذي كان فيه من النمل ما تقدم والتفقد تطلب ما غاب عنك من شيء
والطير اسم جامع والواحد طائر والمراد بالطير هنا جنس الطير وجماعتها وكانت تصحبه في سفره وتظله
باجنحتها واختلف الناس في معنى تفقد الطير فقالت فرقة ذلك بما تقتضيه العناية بامور الملك والتهمم
بكل جزء منها وهذا ظاهر الآية وقالت فرقة بل تفقد لان الشمس دخلت في موضع الهدهد حين غاب وكان ذلك
سبب تفقد الطير ليتبين من اين دخلت الشمس وقال عبد الله بن سلام طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة
الماء على كم هو من وجه الارض لانه كان نزل في مفازة عدم فيها الماء وان الهدهد كان يرى باطن الارض
وظاهرها وكان يخبر سليمان بموضع الماء ثم كانت الجن تخرجه في ساعة يسيرة تسلخ عنه وجه الارض كما تسلخ الشاة
قاله ابن عباس فيما روي عنه ابن سلام قال ابو مجلز قال ابن عباس اني اسألك عن ثلاث مسائل قال اتسألني
وانت تقرأ القرآن قال نعم ثلاث مرات قال لما تفقد سليمان الهدهد دون سائر الطير قال احتاج الى
الماء ولم يعرف عمقه او قال مسافته فكان الهدهد يعرف ذلك دون سائر الطير فتفقده وقال في كتاب النقاش

ملعت

ابو مجلز صح

مهندسًا وروى ان نافع بن الازرق وكان سمع بن عباس يذكر بيان الهدهد فقال له قف يا وقاف كيف يرى الهدهد باطن الارض وهو لا يرى الفخ حتى يقع فيه فقال ابن عباس اذا نزل القضاء عمي البصر وقال مجاهد قيل لابن عباس كيف تفقد الهدهد من الطير فقال نزل منزلا ولم يدر ما بعد الماء وكان الهدهد مهتديا اليه فاراد ان يسئله قال مجاهد كيف يهتدي والصبي يضع له الحبالة فيصيده فقال اذا جاء القدر عمي البصر قال ابن العربي ولا يقدر على هذا الجواب الا عالم القرآن قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا الجواب قد قاله الهدهد لسليمان كما تقدم وانشدوا . اذا اراد الله امرا بامرء . وكان ذا عقل وراي ونظر . وحيله يعملها في دفع ما ياتي به مكروه اسباب القدر . غطى عليه سمعه وعقله . وسله عن ذهنه سل الشعر . حتى اذا انفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليعتبر . قال الكلبي لم يكن له في مسيره الا هدهد واحد والله اعلم الثانية في هذه الآية دليل على تفقد الامام احوال رعيته والمحافظة عليهم فانظر الى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله فكيف بعظام الملك ويرحم الله عمر فانه كان على سيرته قال لو ان سخلة على شاطئ الفرات اخذها الذئب ليسأل عنها عمر فما ظنك بوال يذهب على يديه البلدان ويضيع الرعيه ويضيع الرعاء في الصحيح عن عبد الله بن عباس ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه امراء الاجناد ابو عبيدة واصحابه فاخبروه ان الوباء قد وقع بالشام الحديث قال علماؤنا كان هذا الخروج من عمر بعد ما فتح بيت المقدس في سنه سبع عشرة على ما ذكره خليفة بن خياط وكان يتفقد احوال رعيته واحوال امرائه بنفسه فقد دل القرآن والسنه وبينا ما يجب على الامام من تفقد احوال رعيته ومباشرة ذلك بنفسه والسفر الى ذلك وان طال ورحم الله ابن المبارك حيث يقول وما افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها الثالثة قوله تعالى مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ اي ما للهدهد لا اراه من القلب الذي يعرف معناه كقولك ما لي لا اراك كئيبا اي ما لك والهدهد طير معروف وهدهدته صوته قال ابن عطيه انما مقصد الكلام الهدهد غاب لكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو ان لا يراه فاستفهم على جهة التوقيف على اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف التي تحتاجها ام وقيل انما قال ما لي لا ارى الهدهد لانه اعتبر حال نفسه اذ علم انه اوتي الملك العظيم وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر باقامة الطاعة وادامة العدل فلما فقد نعمة الهدهد توقع ان يكون قصر في حق الشكر فلاجله سلبها فجعل يتفقد نفسه فقال ما لي قال ابن العربي وهكذا يفعل شيوخ الصوفيه اذا فقدوا ما لهم تفقدوا اعمالهم هكذا في الاداب فكيف بنا اليوم نحن نقصر في الفرائض وقرا ابن كثير وابن محيصن وعاصم والكسائي وهشام وايوب ما لي بفتح الياء وكذلك في يس وما لي لا اعبد واسكنها حمزة ويعقوب وقرا الباقون المدنيون وابو عمرو بفتح التي في يس واسكان هذه قال ابو عمرو لان هذه التي في النمل استفهام والاخرى انتفاء واختار ابو حاتم وابو عبيد الاسكان فقال ما لي وقال ابو جعفر النحاس زعم قوم انهم ارادوا ان يفرقوا بين ما كان مبتدا وبين ما كان معطوفا على ما قبله وهذا ليس بشيء وانما هي ياء النفس من العرب من يفتحها ومنهم من يسكنها فقرؤوا باللغتين واللغه الفصيحه في ياء النفس ان تكون مفتوحه لانها اسم وهي على حرف واحد وكان الاختيار الا يسكن فيجحف بالاسم أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ بمعنى بل الرابعة قوله تعالى لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ دليل على ان الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد اما انه يرفق بالمحدود في الزمان والصفه روي عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد ان تعذيبه للطير كان بان ينتف ريشه قال ابن جريج ريشه اجمع وقال يزيد بن رومان جناحاه وفعل سليمان هذا

بالهدهد اغلاظا على العاصين وعقابا على اخلاله بنوبته ورتبته وكان الله اباح له ذلك كما اباح ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع والله اعلم وفي نوادر الاصول حدثنا سليمان بن حميد ابو الربيع الايادي قال اخبرنا عون بن عمارة عن الحسين الجعفي عن الزبير بن حريث عن عكرمه قال انما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لانه كان بارا بوالديه وسياتي وقيل تعذيبه ان يجعل مع اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه وقيل ايداعه القفص وقيل بان جعله في الشمس بعد نتفه وقيل بتبعيده عن خدمتي والملوك يؤدبون بالهجران الجسد بتفريق الفه وهو مؤكد بالنون الثقيله وهي لازمه او الخفيفه قال ابو حاتم لو قرئت لأعذبنه عذابا شديدا او لأذبحنه جاز أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ اي بحجه بينه وليست اللام من ليأتيني لام القسم لانه لا يقسم سليمان على فعل الهدهد ولكن لما جاء في قوله لاعذبنه وهو مما جاز به القسم اجراه مجراه وقرا ابن كثير وحده ليأتينني بنونين الخامسة قوله تعالى فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ اي الهدهد والجمهور من القراء على ضم الكاف وقرا عاصم وحده بفتحها ومعناه في القراءتين اقام قال سيبويه مكث يمكث مكوثا كما قالوا قعد يقعد قعودا قال ومكث مثل ظرف قال غيره والفتح احسن لقوله تعالى ماكثين اذ هو من مكث يقال مكث يمكث فهو ماكث ومكث يمكث مثل عظم يعظم فهو مكيث مثل عظيم ومكث يمكث فهو ماكث مثل حمد يحمد فهو حامد والضمير في مكث يحتمل ان يكون لسليمان والمعنى بقي سليمان بعد التفقد والوعيد غير طويل اي غير وقت طويل ويحتمل ان يكون للهدهد وهو الاكثر فجاء فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وهي السادسة اي علمت ما لم تعلمه من الامر فكان في هذا رد على من قال ان الانبياء تعلم الغيب وحكى الفراء احط يدغم الطاء في التاء وحكى احت بقلب الطاء تاء وتدغم السابعة قوله تعالى وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ اعلم سليمان ما لم يكن يعلمه ودفع عن نفسه ما توعده من العذاب والذبح وقرا الجمهور سبإٍ بالصرف وابن كثير وابو عمرو سبأَ بفتح الهمزة وترك الصرف فالاول على انه اسم رجل نسب اليه قوم وعليه قول الشاعر . الواردون وتيم في ذرا سبا . قد عض اعناقهم جلد الجواميس . وانكر الزجاج ان يكون اسم رجل وقال سبا اسم مدينه تعرف بمارب اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة ايام قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقع في عيون المعاني للغزنوي ثلاثة اميال السدي بعث اليه اثني عشر نبيا وانشد النابغة الجعدي . من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما . قال فمن لم يصرف قال انه مدينه ومن صرف وهو الاكثر فلانه اسم للبلد فيكون مذكرا سمي به مذكر وقيل انه اسم امراة سميت به المدينه والصحيح انه اسم رجل كذلك في كتاب الترمذي من حديث فروة بن مسيك المرادي عن النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي ان شاء الله سبحانه وتعالى قال ابن عطيه وخفي هذا الحديث على الزجاج فخبط عشوا وزعم الفراء ان ابن الرواسي سال ابا عمرو بن العلاء عن سبا قال ما ادري ما هو قال النحاس وتاول الفراء على ابي عمرو انه منعه من الصرف لانه مجهول وانه اذا لم يعرف الشيء لم ينصرف قال النحاس وابو عمرو اجل من ان يقول مثل هذا وليس في حكاية الرواسي عنه دليل انه انما منعه من الصرف لانه لم يعرفه وانما قال لا اعرفه ولو سئل نحوي عن اسم فقال لا اعرفه لم يكن هذا دليلا على انه منعه من الصرف بل الحق على غير هذا والواجب اذا لم يعرفه ان يصرفه لان اصل الاسماء الصرف وانما يمنع الشيء من الصرف لعله داخله عليه والاصل ثابت بيقين ولا يزول بما لا يقين

وذكرها كثيرا عن النحاة قال في آخره والقول في سبا ما جاء فيه التوقيت في الاصل اسم رجل فان صرفته فلانه قد صار اسما للحي وان لم تصرفه جعلته اسما للقبيلة مثل ثمود الا ان الاختيار عند سيبويه الصرف وحجته في ذلك قاطعة لان هذا الاسم لما كان يقع له التذكير والتانيث كان التذكير اولى لانه الاصل والاخف

الثامنة وفي الآية دليل على ان الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس عندك اذا تحقق ذلك وتيقنه هذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مع جلالته وعلمه لم يكن علم بالاستئذان وكان التيمم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالا لا يتيمم الجنب وكان حكم الاذن في ان ينفر الحائض عند ابن عباس ولم يعلمه عمر ولا زيد بن ثابت وكان غسل راس المحرم معلوما عند ابن عباس وخفي عن المسور بن مخرمة ومثله كثير فلا نطول به

التاسعة قوله تعالى ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ لما قال الهدهد ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ قال سليمان وما ذاك الخبر قال اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل تملك اهل سبا ويقال كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بينه وبينها قريبة وهي مسيرة ثلاث من صنعا ومارب فالجواب ان الله سبحانه وتعالى اخفى ذلك عنه لمصلحة لها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب ويحكى ان احد ابويها كان من الجن قال ابن العربي وهذا امر ينكره الملحدة ويقولون الجن لا ياكلون ولا يلدون كذبوا لعنهم الله اجمعين ذلك صحيح ونكاحهم جائز عقلا وان صح نقلا فبها ونعمت قال الشيخ القرطبي رحمه الله خرج ابو داود من حديث عبد الله بن مسعود انه قال قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انه امتك ان يستنجوا بعظم او روثة او حممة فان الله جاعل لنا فيه رزقا وفي صحيح مسلم فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانه طعام اخوانكم وفي البخاري من حديث ابي هريرة فقال فقلت فما بال العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه اتاني جن نصيبين ونعم الجن فسالوني الزاد فدعوت الله ان لا يمروا بعظم ولا روثة الا وجدوا عليها طعاما وهذا كله نص في انهم يطعمون واما نكاحهم فقد تقدمت الاشارة اليه في سبحان عند قوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ وروى وهب بن جرير عن الخليل بن احمد عن عثمان بن حاضر قال كانت ام بلقيس من الجن يقال لها بلعمة بنت شيصان وسياتي لهذا زيادة بيان ان شاء الله تعالى

العاشرة روى البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة قال القاضي ابو بكر بن العربي هذا نص في ان المراة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل عن محمد بن جرير الطبري انه يجوز ان تكون المراة قاضية ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل عن ابي حنيفة انها انما تقضي فيما تشهد فيه وليس بان تكون قاضية على الاطلاق ولا بان يكتب لها مسطورا بان فلانة مقدمة على الحكم وانما ذلك كسبيل التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة وهذا هو الظن بابي حنيفة وابن جرير وقد روي ان عمر قدم امراة على حسبة السوق ولم يصح فلا تلتفتوا اليه فانما هو من دسائس المبتدعة في الاحاديث وقد تناظر في هذه المسئلة القاضي ابو بكر بن الطيب الاشعري مع ابي الفرج طرار شيخ الشافعية فقال ابو الفرج الدليل على ان المراة يجوز ان تحكم ان الغرض من الاحكام تنفيذ القاضي لها وسماع البينة عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممكن من المراة كامكانه من الرجل فاعترض عليه القاضي ابو بكر ونقض كلامه بالامامة الكبرى فان الغرض منه حفظ الثغور وتدبير الامور وحماية البيضة وقبض الخراج ورده على مستحقه

وذلك لا يتاتى من المراة كتاتيه من الرجل قال ابن العربي وليس كلام الشيخين في هذه المسئلة بشيء فان المراة لا يتاتى منها ان تبرز الى المجلس ولا تخالط الرجال ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير لانها ان كانت فتاة حرم النظر اليها وكلامها وان كانت برزة لم يجمعها والرجال مجلس واحد تزدحم فيه معهم وتكون مناظرة لهم ولن يفلح قوم من تصور هذا ولا من اعتقده

الحادية عشرة قوله تعالى ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما تحتاجه المملكة وقيل المعنى واوتيت من كل شيء في زمانها فحذف المفعول لان الكلام دل عليه ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ اي سرير ووصفه بالعظم في الهيئة ورتبة السلطان قيل كان من ذهب تجلس عليه وقيل هنا العرش الملك والاول اصح لقوله تعالى ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ الزمخشري فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله العظيم تعظيم له بالنسبة الى ما خلق من السموات والارض قال ابن عباس كان طول عرشها ثمانين ذراعا وعرضه اربعين ذراعا وارتفاعه في السماء ثلثون ذراعا مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر قوائمه من زبرجد اخضر قتادة وقوائمه لؤلؤ وجوهر وكان مسترا بالديباج والحرير عليه سبعة مغاليق مقاتل كان ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا وهو مكلل بالجواهر ابن اسحق كان يخدمها النساء وكان معها لخدمتها ستمائة امراة ابن عطية واللازم من الآية انها امراة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم وسرير عظيم وكانت كافرة من قوم كفار

الثانية عشرة ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قيل كانت هذه الامة ممن يعبد الشمس لانهم كانوا زنادقة فيما يروى وقيل كانوا مجوسا يعبدون الانوار وروي عن نافع ان الوقف على عرش قال المهدوي فعظيم على هذا متعلق بما بعده وكان ينبغي على هذا ان يكون عظيم ان وجدتها اي عظيم وجودي اياها كافرة وقال ابن الانباري ولها عرش عظيم وقف حسن ولا يجوز ان تقف على العرش وتبتدئ عظيم وجدتها الا على من فتح لان عظيما نعت للعرش فلو كان متعلقا بوجدتها لقلت عظيمة وجدتها وهذا محال من كل وجه وقد حدثني ابو بكر محمد بن الحسين بن شهريار قال حدثنا ابو عبد الله الحسين بن الاسود العجلي عن بعض اهل العلم انه قال الوقف على عرش والابتداء عظيم على معنى عظيم عبادتهم الشمس والقمر قال وقد سمعت من يؤيد هذا المذهب ويحتج بان عرشها احقر وادق شانا من ان يصفه الله بالعظم قال ابن الانباري والاختيار عندي ما ذكرته اولا لانه ليس على اضمار عبادة الشمس والقمر دليل وغير ممكن ان يصف الهدهد عرشها بالعظم اذ رآه متناهي الطول والعرض وجريه على اعراب عرش دليل على انه نعته ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ اي ما هم فيه من الكفر ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ اي عن طريق التوحيد فبين بهذا ان ما ليس على الحق بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على التحقيق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ الى الله وتوحيده

الثالثة عشرة قوله تعالى ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ قرا ابو عمرو ونافع وحمزة وعاصم ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بتشديد الا قال ابن الانباري فهم لا يهتدون غير تام لمن شدد الا لان المعنى وزين لهم الشيطان الا يسجدوا قال النحاس هي ان دخلت عليها لا وان في موضع نصب قال الاخفش بزين اي زين لهم لان لا يسجدوا قال الكسائي بفصدهم اي فصدهم الا يسجدوا وهو في الوجهين مفعول له وقال اليزيدي وعلي بن سليمان ان بدل من اعمالهم في موضع نصب وقال ابو عمرو وان في موضع خفض على البدل من السبيل وقيل العامل فيها لا يهتدون اي فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله اي لا يعلمون ان ذلك واجب عليهم وعلى هذا القول لا زائدة

كقوله ما منعك الا تسجد اى ما منعك ان تسجد وعلى هذه القرآءة فليس موضع سجدة لان ذلك خبر عنهم بترك السجود اما
بالتزيين او بالصد او بمنع الاهتداء وقرأ الزهري والكسائي وغيرهما الا يسجدوا لله بمعنى الا يا هولآء اسجدوا
لان يا ينادى بها الاسماء دون الافعال وانشد سيبويه ؛ يا لعنة الله والاقوام كلهم ؛ والصالحين على سمعان من جار
قال سيبويه يا لغير اللعنة لانه لو كان للعنة لكان نصبها لانه كان يصير منادى مضافا ولكن تقديره يا هولاء لعنة
الله والاقوام على سمعان وحكى بعضهم سماعا عن العرب الا يا ارحموا الا يا اصدقوا يريد الا يا قوم ارحموا اصدقوا فعلى
هذه القرآءة اسجدوا في موضع جزم بالامر والوقف عليه الا يا ثم تبتدى فتقول اسجدوا قال الكسائي ما كنت اسمع
الاشياخ يقرؤنها الا بالتخفيف على نية الامر وفي قراءة عبد الله هل تسجدون لله بالتاء والنون وفي قراءة ابي الا
تسجدون لله فهاتان القرآءتان حجة لمن خفف وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد واختار
ابو حاتم وابو عبيد قراءة التشديد وقال التخفيف وجه حسن الا ان فيه انقطاع الخبر عن امر سبأ ثم يرجع بعد الى ذكر
هم
والقراءة بالتشديد يكون خبرا يتبع بعضه بعضا لا انقطاع في وسطه ونحوه قال النحاس قال قراءة التخفيف بعيدة لان الكلام
يكون معترضا وقراءة التشديد يكون الكلام بها متسقا وايضا فان السواد على غير هذه القراءة لانه حذف منها الفان
وانما يختصر مثل هذا بحذف الف واحدة نحو يا عيسى بن مريم ابن الانباري وسقطت الف اسجدوا كما تسقط مع هولاء
اذا ظهروا ولما سقطت بها الف اسجدوا كما تسقط مع هولاء سقطت فعد سقوطها دلالة على الاختصار وايثارا
لما خف وقل الفاظه وقال الجوهري في آخر كتابه قال بعضهم ان يا في هذا الموضع انما هو للتنبيه كانه قال
واتصلت بها الف صح
الا اسجدوا فلما ادخل عليه يا التنبيه سقطت الالف التي في اسجدوا لانها الف وصل وذهبت الالف التي
في يا لاجتماع الساكنين لانها والسين ساكنان قال ذو الرمة ؛ الا يا سلمي يا دارمي على البلا ؛ ولا زال منهلا
بجرعائك القطر وقال الجرجاني هو كلام معترض من الهدهد او سليمان او من الله اى الا ليسجدوا كقوله قل
للذين آمنوا يغفروا للذين وقيل انه امر اى ليغفروا وتنتظم على هذا كتابة المصحف اى ليس ههنا نداء قال
ابن عطية قيل هو من كلام الهدهد الى قوله عظيم وهو قول ابن زيد وابن اسحق ويعترض بانه غير مخاطب
فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل ان يكون من قول سليمان لما اخبره الهدهد عن القوم ويحتمل ان يكون من قول
الله سبحانه وتعالى فهو اعتراض بين الكلامين وهو الثابت مع التامل وقراءة التشديد في الا يعطي ان الكلام
للهدهد وقراءة التخفيف تمنعه والتخفيف يقتضي الامر بالسجود لله جل وعز الامر على ما شاء وقال الزمخشري
فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام في احدهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع
السجدة اما امر بها واما مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك
قال مصنفه غفر الله له وقد اخبر الله عن الكفار بانهم لا يسجدون كما في الانشقاق وسجد النبي صلى الله عليه
وسلم فيها كما ثبت في صحيح البخاري وغيره وكذلك في النمل والله اعلم الزمخشري وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة
مع التخفيف دون التثقيل فغير مرجوع اليه ؛ الذي يخرج الخبء ؛ وخبء السماء قطرها وخبء الارض
كنوزها ونباتها وقال قتادة الخبء السر النحاس وهذا اولى اى ما غاب في السموات والارض ويدل
عليه ويعلم ما تخفون وما تعلنون ؛ وقرأ عكرمة ومالك بن دينار الخبا بفتح الباء بغير همز قال
المهدوي وهو التخفيف القياسي وذكر من ترك الهمز في الوقف وقال النحاس وحكى ابو حاتم ان عكرمة قرأ
الذي يخرج الخبا بالف غير مهموزة وزعم ان هذا لا يجوز في العربية واعتل بانه ان خفف الهمزة التي حركتها

على الباء وحذفها فقال الخب في السموات والارض وانه ان حول الهمزة قال الخبي باسكان الباء وبعدها ياء
الذي يخرج الخباء باسكان الباء وبعدها ياء صح
قال النحاس وحكى ابو حاتم ان عكرمة قرأ وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول كان ابو حاتم
دون اصحابه في النحو ولم يلحق بهم الا انه اذا خرج من بلده لم يلق اعلم منه حكى سيبويه عن العرب انها تبدل من
الهمزة الفا اذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة وتبدل منها واوا اذا كان قبلها ساكن وكانت مضمومة وتبدل منها
ياء اذا كان قبلها ساكن وكانت مكسورة فتقول هذا الوثو وعجبت من الوثي ورايت الوثا وهذا من وثئت
يده وكذلك الخبو وعجبت من الخبي ورايت الخبا وانما فعل هذا لان الهمزة خفيفة فابدل منها هذا الحرف وحكى
سيبويه عن قوم من بني تميم وبني اسد انهم يقولون هذا الخبو فيضمون الساكن اذا كانت الهمزة مضمومة ويثبتون
الهمزة ويكسرون الساكن اذا كانت الهمزة مكسورة ويفتحون الساكن اذا كانت الهمزة مفتوحة وحكى سيبويه ايضا
انهم يكسرون وان كانت الهمزة مضمومة الا ان هذا عن بني تميم فيقولون الردي وزعم انهم لم يضموا الدال لانهم
كرهوا ضمة قبلها كسرة لانه ليس في الكلام فعل وهذه كلها لغات داخلة على اللغة التي قرأ بها الجماعة وفي قراءة
عبد الله الذي يخرج الخبا في السموات ومن وفي تفاقيا ان تقول العرب لا يستخرجن العلم منكم يزيد فيكم قال الفراء
ويعلم ما يخفون وما يعلنون قراءة العامة فيهما بياء الغائب وهذه القراءة تعطي ان الآية من كلام الهدهد وان
ان الله سبحانه وتعالى خصه من المعرفة بتوحيده ووجوب السجود له فانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان
وتزيينه لهم ما خص به غيرهم من الطير وسائر الحيوان ان المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقول الراجحة تهتدي
لها وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر وحفص والكسائي يخفون ويعلنون بالتاء على الخطاب وهذه القراءة تعطي
ان هذه الآية من خطاب الله جل وعز لامة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم ؛ قرأ ابن محيصن العظيم رفعا نعتا لله الباقون بالخفض نعتا للعرش وخص بالذكر لانه اعظم
المخلوقات وما عداه في ضمنه وقبضته ؛ الرابعة عشرة ؛ قوله تعالى قال سننظر من النظر الذي
هو التامل والتصفح ؛ اصدقت ام كنت من الكاذبين ؛ في مقالتك وكنت بمعنى انت وقال
سننظر ولم يقل سننظر في امرك لان الهدهد لما خرج بحر العلم فقوله احطت بما لم تحط به صرح له سليمان
بانه سينظر اصدقت ام كذبت وكان ذلك كما قاله ؛ الخامسة عشرة ؛ في قوله اصدقت ام كنت من الكاذبين
دليل على ان الامام يجب عليه ان يقبل عذر رعيته ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر احوالهم بباطن اعذارهم لان
سليمان لم يعاقب الهدهد حين اعتذر اليه وانما صار صدق الهدهد عذرا لانه اخبر بما يقتضي الجهاد
وكان سليمان حبب اليه الجهاد وفي الصحيح لا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين فقد قبل عمر عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه ولكن للامام ان يمتحن ذلك اذا تعلق به حكم
من احكام الشريعة كما فعل سليمان فانه لما قال الهدهد ؛ اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من
كل شيء ولها عرش عظيم ؛ لم يستفزه الطمع ولا جبه الزيادة والملك الى ان تعرض له حتى قال وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله ؛ فغاظه حينئذ ما سمع وطلب الانتهاء الى ما اخبر وتحصيل علم ما غاب عنه
يستخرج صح
من ذلك فقال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين ؛ ونحو منه ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة قال
استشار عمر الناس في املاص المراة وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنينها فقال المغيرة بن شعبة شهدت
النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة عبد او امة قال فقال عمر ائتني بمن يشهد معك قال فشهد له محمد بن

مسلمة فى روايه فقال لا تبرح حتى تأتى بالمخرج من ذلك فخرجت فوجدت محمد بن مسلمة تحدث به فشهد وبحوه
حدث ابى موسى فى الاستئذان وغيره السادسة عشرة قوله تعالى اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا
فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ قال الزجاج فيها خمسة اوجه فالقه اليهم باثبات الياء فى اللفظ او بحذف الياء واثبات
الكسرة دالة عليها فالقه اليهم وبضم الهاء واثبات الواو على الاصل فالقهو اليهم وبحذف الواو واثبات الضمة فالقه
اليهم والقراءة الخامسة قراءة ابى عمرو باسكان الهاء فالقه اليهم النحاس وهذا عند النحويين لا يجوز الا على حيلة
بعيدة تكون تقدير الوقف وسمعت على بن سليمان يقول لا يلتفت الى هذه العلة ولو جاز ان يصل وينوى الوقف
لجاز ان يحذف الاعراب من الاسماء وقال اليهم على لفظ الجمع ولم يقل اليها لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس
فكانه قال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب فى الكتاب
على لفظ الجمع لذلك وروى فى قصص هذه الاية ان الهدهد وصل دون هذه الملكة فحجب حدارا ب فعمد الى كوة كانت
بلقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها فدخل منها فرمى الكتاب على بلقيس وهى فيما يروى نائمة
فلما انتبهت وجدته فراعها وظنت انه قد دخل عليها احد ثم قامت فوجدت حالها كما عهدت فنظرت الى الكوة تهمما
بامر الشمس فرات الهدهد فعلمت وقال وهب وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة مطلع الشمس فاذا اطلعت سجدت
فسدها الهدهد بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فلما رأت
الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه فقرأته فجمعت الملأ من قومها فخاطبتهم بما ياتى بعد و
قال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على راس المرأة وحولها الجنود والعساكر فرفرف ساعة
والناس ينظرون اليه فرفعت المرأة راسها فالقى الكتاب فى حجرها السابعة عشرة وفى هذه الاية دليل على
ارسال الكتب للمشركين وتبليغهم الدعوة ودعاهم الى الاسلام وقد كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر
والى كل جبار كما تقدم فى آل عمران الثامنة عشرة قوله تعالى ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ امره بالتولى حسن
ادب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعتهم قاله وهب بن منبه وقال ابن زيد
امره بالتولى بمعنى الرجوع اليه اى الى القه وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون فى معنى التقديم على قوله ثم
تول واتساق رتبة الكلام واظهر اى القه وفى خلال ذلك فانظر اى فانتظر وقيل فاعلم كقوله يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه اى اعلم ماذا يرجعون اى يجيبون او ماذا يردون من القول وقيل فانظر ماذا يتراجعون بينهم
من الكلام قوله تعالى قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ فيه ست مسائل
الاولى قوله تعالى قالت يا ايها الملأ فى الكلام حذف والمعنى فذهب فالقاه اليهم فسمعها يقول يا ايها الملأ ثم
وصفت الكتاب بالكريم اما لانه من عند عظيم فى نفسها ونفوسهم فعظمته اجلالا لسليمان عليه السلام وهذا قول
ابن زيد واما انها اشارت الى انه مطبوع عليه بالخاتم وكرامة الكتاب ختمه روى ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل انه بدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم وقد قال صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يبدأ فيه فهو اجذم وقيل
لانه بدأ فيه بنفسه ولا يفعل ذلك الا الجلة وفى حديث ابن عمر انه كتب الى عبد الملك بن
مروان يبايعه من عبد الله لعبد الملك بن مروان امير المؤمنين انى اقر لك بالسمع والطاعة ما استطعت
وان بنى قد اقروا لك بذلك وقيل توهمت انه كتاب جاء من السماء اذ كان الموصل طيرا وقيل كريم حسن كقوله
ومقام كريم اى مجلس حسن وقيل وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والموعظة فى الدعاء الى عبادة الله عز وجل

وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير ان يتضمن سبا ولا لعنا ولا ما يغير النفس ومن غير كلام نازل
ولا مستغلق على عادة الرسل فى الدعاء الى الله تعالى الا ترى الى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وقوله لموسى وهارون فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ وكلها وجوه حسان وهذا احسنها وقد روى انه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم
احد قبل سليمان وفى قراءة ابى وانه بزيادة الواو الثانية الوصف بالكريم فى الكتاب غاية الوصف
الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى انه لقرآن كريم واهل الزمان يصفون الكتاب بالخطير والاثير وبالمبرور
وان كان الملك قالوا العزيز واسقطوا الكريم غفلة وهو افضلها خصلة فاما الوصف بالعزيز فقد وصف به
القرآن فقال سبحانه وتعالى وانه لكتاب عزيز فهذه عزته وليست لاحد الا له فاجعلوه فى كتبكم
واجعلوا بدلها العالى توفية لحق الولاية وحياطة للديانة قاله القاضى ابن العربى الثالثة كان
رسم المتقدمين اذا كتبوا ان يبدؤوا بانفسهم وبذلك جاء الاثار وروى الربيع عن انس قال ما كان احد
اعظم حرمة من النبى صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه اذا كتبوا بدؤوا بانفسهم وقال ابن سيرين قال النبى
صلى الله عليه وسلم قال ان اهل فارس اذا كتبوا بدؤوا بعظمائهم فلا يبدأ الرجل الا بنفسه قال ابو الليث
السمرقندى فى كتاب البستان له ولو بدأ بالمكتوب اليه جاز لان الامة قد اجمعت عليه وفعلوه لمصلحة
راوها فى ذلك او نسخ ما كان من قبل والاحسن فى زماننا هذا ان يبدأ بالمكتوب اليه ثم بنفسه لان البداءة
بنفسه تعد منه استخفافا بالمكتوب اليه وتكبرا عليه الا ان يكتب الى عبد من عبيده او غلام من غلمانه
الرابعة واذا ورد على انسان كتاب بالتحية او نحوها ينبغى ان يرد الجواب لان الكتاب من الغائب
كالسلام من الحاضر وروى عن ابن عباس انه كان يرى رد الكتاب واجبا كما يرى رد السلام والله اعلم الخامسة
اتفقوا على كتب بسم الله الرحمن الرحيم فى اول الكتاب والرسائل وعلى ختمها لانه ابعد من الريبة وعلى هذا
جرى الرسم وبه جاء الاثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ايما كتاب لم يكن مختوما فهو اغلف وفى
الحديث كرم الكتاب ختمه وقال بعض الادباء من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به لان الختم
وقال انس لما اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم و
اصطنع خاتما ونقش على خاتمه لا اله الا الله محمد رسول الله وكانى انظر الى وبيصه وبياضه فى كفه السادسة
قوله تعالى إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بالكسر فيهما اى وان الكلام او ان مبتدأ الكلام بسم الله الرحمن الرحيم
واجاز الفراء انه من سليمان وانه بفتحهما جميعا على ان يكونا فى موضع رفع بدل من الكتاب بمعنى القى الى انه من
سليمان واجاز ان يكونا فى موضع نصب على حذف الخافض لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه
من سليمان وتصديره بسم الله الرحمن الرحيم وقرأ اشهب العقيلى ومحمد بن السميقع ان لا تغلوا على بالغين
المعجمة وروى عن وهب بن منبه من غلا يغلو اذا تجاوز وهى راجعة الى قراءة الجماعة وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
اى منقادين طائعين مؤمنين قوله تعالى قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي
فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى قالت يا ايها الملأ اشراف القوم وقد مضى فى البقرة القول فيه
قال ابن عباس كان معها الف قيل وقيل اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مائة الف والقيل الملك دون الملك
الاعظم فاخذت فى حسن الادب مع قومها وشاورتهم فى امرها واعلمتهم ان ذلك مطرد عندها فى كل امر يعرض

لقولها مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ فكيف فى هذه النازلة الكبرى فراجعها الملاء بما تقر
عينها من اعلامهم اياها بالقوة والباس ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع قال قتاده ذكر
لنا انه كان لها ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا هم اهل مشورتها كل رجل منهم على عشرة آلاف الثانيه فى
هذه الآية دليل على صحة المشاورة بالاراء وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فى
آل عمران اما استعانة بالآراء واما مداراة للاولياء وقد مدح الله سبحانه وتعالى الفضلاء بقوله وَأَمْرُهُمْ
شُورَىٰ بَيْنَهُمْ فالمشاورة فى الامر القديم وخاصة فى الحرب فهذه بلقيس امراة جاهلية كانت تعبد الشمس قالت
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ لتختبر عزمهم على مقاومة
عدوهم وحزمهم فيما يقيم امرهم وامضائهم على الطاعة لها لعلمها بانهم لم يبذلوا انفسهم ودماءهم واموالهم
دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها وان لم يجتمع امرهم وحزمهم وجدهم كان ذلك عونا لعدوهم عليهم وان
لم تختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من امرهم وربما كان استبدادها برايها وهنا فى طاعتها ودخيلة
فى تدبيرهم وكان فى مشاركتهم واخذ رايهم عونا على ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم الا ترى الى قولهم فى
جوابهم نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ قال ابن عباس كان من قوة احدهم انه يركض فرسه
حتى اذا احمه ضم فخذيه فحبسه بقوته الثالثة قوله تعالى وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا
تَأْمُرِينَ سلموا الامر الى نظرها مع ما اظهروا لها من القوة والباس والشدة فلما فعلوا ذلك اخبرت عند ذلك
بفعل الملوك بالقرى التى يتغلبون عليها وفى هذا الكلام خوف على قومها وحيطة لهم واستعظام لامر سليمان
وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ قيل هو من قول بلقيس تاكيدا للمعنى الذى ارادته وقال ابن عباس هو من قول الله عز
وجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته بذلك ومخبرا به وقال ابن وهب لما قرات عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله
فقالت ما هذا فقال بعض القوم نظن ما هذا الا عفريت عظيم من الجن يقتدر به هذا الملك على ما يريده فسكتوه وقال
الاخر اراهم ثلاثة من العفاريت فسكت فقال شاب قد علمنا سيدة الملوك ان سليمان ملك قد اعطاه الله
ملك السماء ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة الا بدأ فيها بتسمية الالهة والله اعلم مليك السماء والرحمن الرحيم نعوته
فعندها قالت أَفْتُونِي فِي أَمْرِي قالوا نحن اولوا قوة فى القتال واولوا باس شديد فى الحرب واللقاء و
الامر اليك ردوا امرهم اليها لما جربوا على رايها من البركة فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ فقالت إِنَّ
الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وخربوها وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً اهانوا اشرا فيها
لتستقيم لهم الامور فصدق الله قولها فقال وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ وشبهه فى سورة الاعراف قَالَ الْمَلَأُ مِنْ
قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ تم الكلام فقال فرعون فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
قال ابن سخره هو من قول بلقيس فالوقف وكذلك يفعلون اى وكذلك يفعل سليمان اذا دخل بلادنا قوله تعالى
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ
هذا من حسن نظرها وتدبيرها اى انى اختبر هذا الرجل بهدية واعطيه فيها نفائس الاموال واغرب
عليه بامور المملكة فان كان ملكا دنياويا ارضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال
ولازمنا فى امر الدين فينبغى ان نؤمن به ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهدية عظيمة اكثر الناس فى تفصيلها
فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ارسلت بآنية من ذهب فراى الرسل الحيطان من ذهب فصغر

قال ابن الانبارى وجعلوا اعزة
اهلها اذلة هذا وقف تام
ثم قال الله عز وجل محققا لقولها
وكذلك يفعلون صح

عندهم ما جاؤا به وقال مجاهد ارسلت بمائتى غلام ومائتى جارية وروى عن ابن عباس باثنى عشر
وصيفة مذكرين قد البستهم زى الغلمان واثنى عشر غلاما مؤنثين قد البستهم زى النساء وعلى ايدى
الوصائف اطباق مسك وعنبر وباثنى عشر نجيبة تحمل لبن الذهب وبخرزتين احدهما غير مثقوبة والاخرى
مثقوبة ثقبا معوجا وبقدح لا شئ فيه وبعصا كان يتوارثها ملوك حمير وانفذت الهدية مع جماعة من
قومها وقيل كان الرسول واحدا ولكن كان فى صحبته اتباع وخدم وقيل ارسلت رجلا من اشراف قومها
يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا ذوى راى وعقول والهدية مائة وصيف ومائة وصيفة قد خولف
بينهم فى اللباس قالت للغلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث يشبه كلام النساء وقالت للجوارى
كلمنه بكلام فيه غلظ يشبه كلام الرجال ويقال ان الهدهد جاء فاخبر سليمان بذلك كله وقيل ان الله
اخبر سليمان بذلك فامر سليمان ان يبسط من موضعه الى تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضة ثم قال اى الدواب
رايتم احسن فى البر والبحر قالوا يا نبى الله راينا فى بحر كذا دوابا منقطة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف
ونواصى فامر بها فجاءت فشدت على يمين الميدان وعلى يساره وعلى لبنات الذهب والفضة والقوا اليها
علوفاتها ثم قال للجن على باولادكم فاقامهم احسن ما يكون من الشباب عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان
عليه السلام على كرسيه فى مجلسه ووضع له اربعة آلاف كرسى من ذهب عن يمينه ومثلها عن يساره واجلس
عليها الانبياء والعلماء وامر الشياطين والجن ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر السباع والوحوش والهوام
والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب التى
لم تر اعينهم احسن منها تروث على لبنات الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا وفى
بعض الروايات ان سليمان لما امرهم ان يفرشوا الميدان بلبنات الذهب والفضة امرهم ان يتركوا على
طريقهم موضعا على قدر موضع بساط من الارض غير مفروشة فلما مروا بها خافوا ان يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم فى
ذلك المكان فلما راوا الشياطين راوا منظرا هائلا فظيعا ففزعوا فقال لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم فكانوا
يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والبهائم والهوام والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين
يدى سليمان فنظر اليهم نظرا حسنا بوجه طلق وقد كانت قالت لرسولها ان نظر اليك نظر مغضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك
منظره فانا اعز منه وان رايت الرجل بشا لطيفا فاعلم انه نبى مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فاخبر الهدهد
بذلك على ما تقدم وكانت عمدت الى حقة من ذهب فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب
وكتبت مع رسولها كتابا تقول فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفان والوصائف واخبر بما فى الحقة وعرفنى
راس العصا من اسفلها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيط الخرزة واملاء القدح ماء ليس من الارض ولا من
السماء فلما وصل الرسول ووقف بين يدى سليمان عليه السلام اعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة
فاتى بها فحركها فاخبره جبريل عليه السلام بما فيها ثم اخبرهم سليمان فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة
وادخل الخيط فى الخرزة فسال سليمان الجن والانس عن ثقبها فعجزوا فقال للشياطين ما الراى فيها فقالوا ترسل
الى الارضة فجاءت الارضة فاخذت شعرة فى فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما
حاجتك فقالت تصير رزقى فى الشجر فقال لها لك ذلك قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة
بيضاء انا لها يا نبى الله فاخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها

وخافوا

سليمان

فيها

سليمان ما حاجتك فقال تصبّ ردفي في الفواكه فقال ذلك لك ثم ميّز بين الغلمان فقال السدي امرهم بالوضوء
فجعل الرجل يحدر الماء على اليد والرجل حدرا وجعلت الجواري يصببن من اليد اليسرى على اليمنى ومن اليمنى
على اليسرى فميز بينهم بهذا وقيل كانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تحمله على الاخرى ثم تضرب به
على الوجه والغلام كما ياخذ الماء من الآنية يضرب في الوجه والجارية تصب على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد
والجارية تصب الماء صبا والغلام يحدر على يديه فميز بينهم بهذا وروى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال ارسلت
بلقيس بمائتي وصيف ووصيفة وقالت ان كان نبيا سيعلم الذكور من الاناث فامرهم فتوضؤا فمن توضأ منهم فبدأ
بمرفقه قبل كفه قال هو من الاناث ومن بدأ بكفه قبل مرفقه قال هو من الذكور ثم ارسل العصا الى الهواء فقال
اي رأس سبق الى الارض فهو اصلها وامر بالخيل فاجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها ثم رد سليمان الهدية
فيروى انه لما صرف الهدية عليها واخبرها رسولها بما شاهد قالت لقومها هذا امر من السماء الثانية كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ولا يقبل الصدقة وكذلك كان سليمان وجميع الانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين وانما جعلت بلقيس قبول الهدية او ردها علامة على ما في نفسها على ما ذكرناه من كون سليمان ملكا او نبيا لانه
قال لها في كتابه ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وهذا لا يقبل فيه فدية ولا يؤخذ عنه هدية وليس
هذا من الباب الذي تقرر في الشريعة من قبول الهدية بسبيل وانما هي رشوة وبيع الحق بالباطل وهي
الرشوة التي لا تحل واما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فانها جائزة من كل احد وعن كل احد وهذا ما لم يكن
من مشرك الثالثة فان كانت من مشرك ففي الحديث نهيت عن زبد المشركين يعني رفدهم وعطاياهم وروى
عنه عليه السلام انه قبلها كما في حديث مالك عن ثور بن زيد الديلي فقال جماعة من العلماء بالنسخ فيهما وقال آخرون
ليس فيها ناسخ ولا منسوخ والمعنى فيها انه كان لا يقبل هدية من يطمع بالظهور عليه واخذ بلده ودخوله في
الاسلام وهذه الصفة كانت حالة سليمان عليه السلام فمن مثل هذا نهي ان تقبل هديته ويهاديه ويقرّ على دينه
مع قدرته عليه لان في قبول هديته حملا على الكف عنه وهذا احسن تأويل للعلماء في هذا فانه جمع بين الاحاديث
وقيل غير هذا الرابعة الهدية مندوب اليها وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة روى مالك عن عطاء
الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا تذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء وروى
معاوية بن الحكم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضعف المودة ويذهب بغوائل الصدر
قال الدارقطني تفرد به ابن بكير عن ابيه عن مالك ولم يكن بالرضا ولا يصح عن مالك ولا عن الزهري ولا عن ابن شهاب
قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تهادوا بينكم فان الهدية تذهب السخيمة قال ابن وهب سألت يونس
عن السخيمة ما هي فقال الغل وهذا الحديث وصله الوقاصي عثمان عن الزهري وهو ضعيف وعلى الجملة فقد ثبت ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية وفيه الاسوة الحسنة ومن فضل الهدية مع اتباع السنة انها تزيل
حزازات النفوس وتكسب المهدي والمهدى اليه زينة في اللقاء والجلوس ولقد احسن القائل هدايا الناس
بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا وتزرع في الضمير هوى وودا ويلبسهم اذا حضروا جمالا وقال آخر
ان الهدايا لها حظ اذا وردت احظى من الابن عند الوالد الحدب الخامسة
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلساؤكم شركاؤكم في الهدية واختلف في معناه فقيل هو محمول
على ظاهره وقيل يشاركهم على وجه الكرم والمروءة فان لم يفعل فلا يجبر عليه وقال ابو يوسف ذلك في الفواكه
ونحوها وقال بعضهم هم شركاؤه في السرور لا في الهدية والخبر محمول في مثل اصحاب الصفة والخوانق والرباطات
واما اذا كان فقيها من الفقهاء اختص بهدية فلا شركة فيها لاصحابه فان اشركهم فذلك كرم وجود منه السادسة قوله
تعالى ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾ اي منتظرة ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال قتادة يرحمها الله ان كانت لعاقلة في اسلامها
وشركها قد علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس وسقطت الالف في بم للفرق بين ما الخبرية وقد يجوز اثباتها
قال على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾
اي جاء الرسول سليمان بالهدية ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ قرأ حمزة ويعقوب والاعمش بنون واحدة
مشددة وياء ثابتة بعدها الباقون بنونين وهو اختيار ابي عبيد لانها في كل المصاحف بنونين وقد روى
اسحق عن نافع انه كان يقرأ أتمدوني بنون واحدة مخففة بعدها ياء في اللفظ قال ابن الانباري فحذف الواو
يجب فيها اثبات الياء في الوقف ليصح لها موافقة هجاء المصحف والاصل في النون التشديد فخفف التشديد
من ذلك الموضع كما خفف من اشهد انك عالم واصله انك عالم وعلى ذا المعنى بني الذي قرأ تشاقون فيهم اتحاجوني
في الله وقد قالت العرب الرجال يضربوني ويقصدوني لانه ادغام يضربونني ويقصدونني قال الشاعر
تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فليني واصله يضربونني ويقصدونني فيهم
تُرهِبيني والجيد منك لليلى والحشا والبغام والعينان والاصل ترهبينني فخفف ومعنى اتمدونني
اتزيدونني مالا الى ما تشاهدونه من اموالي قوله تعالى ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾
اي ما اعطاني من الاسلام والنبوة والملك خير مما اعطاكم فلا افرح بالمال وآتان وقعت في كل المصاحف
بغير ياء وقرأ ابو عمرو ونافع وحفص آتاني الله بياء مفتوحة فاذا وقفوا حذفوا واما يعقوب فانه يثبتها
في الوقف ويحذف في الوصل لالتقاء الساكنين الباقون بغير ياء في الحالين ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ
تَفْرَحُونَ﴾ لانكم اهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا قوله تعالى ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ اي قال سليمان
للمنذر بن عمرو امير الوفد ارجع اليهم بهديتهم ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ اللام لام قسم
والنون لها لازمة قال النحاس وسمعت ابا الحسن بن كيسان يقول هي لام توكيد وكذا كان عنده ان اللامات
كلها ثلاث لا غير لام توكيد ولام امر ولام خفض وهذا قول الحذاق من النحويين لانهم يردون الشيء الى اصله
وهذا لا يتهيأ الا لمن درب في العربية ومعنى لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم عليها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾
اي من ارضهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وقيل منها اي من قرية سبأ وقد سبق ذكر القرية في قوله ان
الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اذلة قد سلبوا ملكهم وعزهم وهم صاغرون اي مهانون اذلاء
من الصغر وهو الذل ان لم يسلموا فرجع اليها رسولها فاخبرها فقالت قد عرفت انه ليس بملك ولا طاقة لنا بقتال
نبي من انبياء الله ثم امرت بعرشها فجعل في سبعة ابيات بعضها في جوف بعض في آخر قصر من قصورها وغلقت
الابواب وجعلت الحرس عليه وتوجهت الى سليمان في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة الف
قال ابن عباس وكان سليمان مهيبا لا يبتدئ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه
فقال ما هذا قالوا بلقيس يا نبي الله فقال سليمان لجنوده وقال وهب وغيره للجن ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي
بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وقال عبد الله بن شداد كانت بلقيس على فرسخ من سليمان
لما قال ايكم يأتيني بعرشها وكانت خلفت عرشها بسبأ ووكلت به حفظة وقيل انها لما بعثت بالهدية بعثت
رسلها في جندها لتغافص سليمان عليه السلام قبل ان يتأهب له سليمان ان كان طالب ملك فلما علم ذلك قال

أيكم يأتيني بعرشها قال ابن عباس كان امره بالاتيان بالعرش قبل ان يكتب الكتاب اليها
لم يكتب اليها حتى جاءه العرش قال ابن عطية فظاهر الآيات ان هذه المقالة من سليمان عليه السلام
هي بعد مجيء هديتها ورده اياها وبعثة الهدهد بالكتاب وعلى هذا جمهور المتأولين واختلفوا في
فائدة استدعاء عرشها فقال قتادة ذكر له بعظم وجوده فاراد اخذه قبل ان يعصمها وقومها الاسلام ويحمي
اموالهم والاسلام على هذا الدين وهو قول ابن جريج وقال ابن زيد استدعاؤه ليريها القدرة التي هي
من عند الله ويجعله دليلا على نبوته لاخذه من ثقافها دون جيش ولا حرب ومسلمين على هذا التأويل
بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس وقال ابن زيد ايضا اراد ان يختبر عقلها ولهذا قال نكروا
لها عرشها ننظر أتهتدي وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان عليه السلام فيولد له منها
فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان عليه السلام فقالت الجن لسليمان في عقلها خلل فاراد ان يمتحنها
بعرشها وقيل اراد ان يختبر صدق الهدهد في قوله ولها عرش عظيم قاله الطبري وعن قتادة
احب ان يراه لما وصفه الهدهد والقول الاول عليه اكثر العلماء لقوله سبحانه وتعالى قبل أن يأتوني
مسلمين ولانها لو اسلمت لحظر عليه مالها ولا يؤتى به الا باذنها روى انه كان من فضة وذهب مرصعا
بالياقوت والجوهر وانه كان في جوف سبعة ابيات عليه سبعة اغلاق قوله تعالى قال عفريت
من الجن كذا قراءة الجمهور وقراء ابو رجاء وعيسى الثقفي ومحمد بن السميفع عفريه ورويت عن ابي
بكر الصديق رضي الله عنه وفي الحديث ان الله يبغض العفريه النفريه النفريه اتباع لعفريه قال قتادة
هي الداهية قال النحاس يقال للشديد اذا كان معه خبث ودهاء عفر وعفريه وعفريت وعفاد
وقال عفريت اي رئيس وقراءت فرقة قال عفر بكسر العين حكاه ابن عطية قال النحاس من قال
عفريه جمعه على عفاد ومن قال عفريت كان له في الجمع ثلاثة اوجه ان شاء قال عفاريت وان شاء قال
عفاد لان التاء زايدة كما يقال طواغ في جمع طاغوت وان شاء عوض عن التاء ياء فقال عفاري والعفريت
من الشياطين القوي المارد والتاء زايدة فقد قالوا تعفرت الرجل اذا تخلق بخلق الاذاية قال
وهب بن منبه اسم هذا العفريت كودن ذكره النحاس وقيل ذكوان ذكره السهيلي وقال شعيب الجبائي
اسمه دعوان وروى عن ابن عباس انه صخر الجني ومن هذا الاسم قول ذي الرمة كانه كوكب في اثر
عفريه مصوب في سواد الليل منقضب وانشد الكسائي فقال شيطان لهم عفريت ما لكم مكث ولا
تثبيت وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن جعل
يفتك علي البارحة ليقطع علي الصلاة وان الله سبحانه وتعالى امكنني منه فذعته وذكر الحديث
وفي البخاري تفلت علي البارحة مكان جعل يفتك وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد انه قال أسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول الله
صلى الله عليه وسلم رآه فقال جبريل عليه السلام افلا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته
وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ من الارض
وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن قوله تعالى

أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعني مجلسه الذي يحكم فيه وإني عليه لقوي
أمين اي قوي على حمله امين على ما فيه ابن عباس امين على فرج المرأة ذكره المهدوي فقال سليمان
اريد اسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد
إليك طرفك اكثر المفسرين على ان الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وهو من بني
اسرائيل وكان صديقا يحفظ اسم الله الاعظم الذي اذا دعي الله به اجاب واذا سئل به اعطى وقالت
عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اسم الله الاعظم الذي دعا به آصف يا حي يا قيوم
قيل وهي بلسانهم آهيا شراهيا وقال الزهري دعاء الذي عنده اسم الله الاعظم يا الهنا واله كل
شيء الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها فمثل بين يديه وقال مجاهد دعا فقال يا الهنا واله
كل شيء يا ذا الجلال والاكرام قال السهيلي الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا ابن خالة
سليمان وكان عنده اسم الله الاعظم من اسماء الله الحسنى سبحانه وتعالى وقيل هو سليمان نفسه ولا يصح
في سياق الكلام مثل هذا التأويل قال ابن عطية وقالت فرقة هو سليمان عليه السلام والمخاطبة
في هذا التأويل للعفريت لما قال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك كان سليمان استبطأ ذلك
فقال له على جهة تحقير أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك واستدل قائلوا هذه المقالة بقوله
هذا من فضل ربي قال الشيخ القرطبي رحمه الله ما ذكره ابن عطية قاله النحاس في معاني القرآن
له وهو قول حسن ان شاء الله تعالى ابن بحر هو ملك بيده كتاب المقادير ارسله الله تعالى عند قول
العفريت قال السهيلي وذكر محمد بن الحسن المقري انه ضبة بن اد وهذا لا يصح البتة لان ضبة
هو ابن اد بن طابخة واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ومعد كان في مدة بخت نصر
وكان ذلك بعد عهد سليمان عليه السلام بدهر طويل فاذا لم يكن معد في عهد سليمان فكيف ضبة بن اد
وهو بعده بخمسة آباء وهذا بين لمن تأمله ابن لهيعة هو الخضر عليه السلام وقال ابن زيد الذي
عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزائر البحر خرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الارض
وهل يعبد الله ام لا فوجد سليمان فدعا باسم من اسماء الله سبحانه وتعالى فجيء بالعرش وقول سابع
انه رجل من بني اسرائيل اسمه يمليخا كان يعلم اسم الله الاعظم ذكره القشيري وقال ابن ابي بزة
كان الرجل الذي عنده علم من الكتاب اسمه اسطوم كان عابدا في بني اسرائيل وقال محمد بن المنكدر انما
هو سليمان عليه السلام اما ان الناس يرون انه كان ذلك اسم وليس كذلك انما كان رجل من بني اسرائيل
عالم آتاه الله علما وفقها قال أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال هات قال انت نبي الله ابن
نبي الله فان دعوت الله جاء به اليك فدعا الله سليمان فجاءه الله بالعرش وقول تاسع انه جبريل
عليه السلام قاله النخعي وروي عن ابن عباس وعلم الكتاب على هذا علمه بكتب الله المنزلة او بما في اللوح
المحفوظ وقيل علم كتاب سليمان الى بلقيس قال ابن عطية والذي عليه الجمهور من الناس انه رجل صالح من
بني اسرائيل اسمه آصف بن برخيا روي انه صلى ركعتين ثم قال لسليمان يا نبي الله امدد بصرك فمد بصره
نحو اليمن فاذا بالعرش فما رد سليمان بصره الا وهو عنده قال مجاهد هو ادامة النظر حتى يرتد طرفه
خاسئا حسيرا وقيل اراد مقدار ما يفتح عينه ثم يطرف وهو كما تقول افعل كذا في لحظة عين وهذا اشبه

لانه ان كان هذا الفعل من سليمان فهو معجزة وان كان من آصف او غيره من اولياء الله سبحانه وتعالى فهي
كرامة وكرامة الولي معجزة النبي قال القشيري وقد انكر كرامات الاولياء من قال ان الذي عنده علم من
الكتاب هو سليمان قال للعفريت انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وعند هؤلاء ما فعل العفريت فليس
من المعجزات ولا من الكرامات فان الجن يقدرون على امثال هذا ولا يقطع جوهر في حال واحدة مكانين بل
يتصور ذلك بان يعدم الله الجوهر في اقصى الشرق ثم يعيده في الحالة الثانية وهي الحالة التي بعد العدم في اقصى
الغرب او يعدم الاماكن المتوسطة ثم يعيدها قاله القشيري ورواه ابن وهب عن مالك وقد قيل بل جيء به
في الهواء قال مجاهد وكان بين سليمان والعرش كما بين الكوفة والحيرة وقال مالك كانت باليمن وسليمان
عليه السلام بالشام وفي التفاسير انخرق بعرش بلقيس مكانه الذي هو به ثم نبع بين يدي سليمان قال عبد
الله بن شداد فظهر العرش من نفق تحت الارض فالله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا
عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي اي هذا النصر والتمكين من فضل الله لِيَبْلُوَنِي قال الاخفش
لينظر ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وقال غيره معنى ليبلوني ليتعبدني وهو مجاز والاصل في الابتلاء
الاختبار اي ليختبرني ءاشكر نعمته ام اكفرها وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ اي لا يرجع
نفع ذلك الا الى نفسه حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد منها والشكر قيد النعمة
الموجودة وبه تنال النعمة المفقودة وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ اي عن الشكر كريم
في التفضل قوله تعالى قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا اي غيروه قيل جعل اعلاه اسفله
واسفله اعلاه وقيل غيروه بزيادة او نقصان قال الفراء وغيره انما امر بتنكيره لان الشياطين
قالوا له ان في عقلها شيئا فاراد ان يمتحنها وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان فيولد له منها ولد
فيبقون مسخرين لآل سليمان ابدا فقالوا لسليمان انها ضعيفة العقل ورجلها كرجل حمار فقال
نكروا لها عرشها لنعرف عقلها وكان لسليمان ناصح من الجن فقال كيف لي ان ارى قدميها من غير
ان اسألها كشفها فقال انا اجعل في هذا القصر ماء واجعل فوق الماء زجاجا حتى تظن انه ماء فترفع
ثوبها فترى قدميها فهذا هو الصرح الذي اخبر الله عنه قوله تعالى فَلَمَّا جَاءَتْ يريد بلقيس
قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ شبهته به لانها كانت خلفته تحت الاغلاق
فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها قال عكرمة كانت حكيمة فقالت كانه هو وقال مقاتل
عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولو قيل لها اهذا عرشك لقالت نعم وقاله الحسين بن الفضل ايضا
وقيل اراد سليمان ان يظهر لها ان الجن مسخرون له وكذلك الشياطين لتعرف انها نبوة وتؤمن
وقيل هذا في مقابلة تعميتها الامر في باب الغلمان والجواري وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا
قيل هو من قول بلقيس اي اوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الآية في العرش وَكُنَّا
مُسْلِمِينَ منقادين لامره وقيل هو من قول سليمان اي اوتينا العلم بقدرة الله على ما يشاء من قبل هذه
المرأة وقيل واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وقيل هو من كلام قوم سليمان والله اعلم
قوله تعالى وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ الوقف على من دون الله حسن
والمعنى منعها ان تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر فما على هذا التأويل في موضع رفع النحاس المعنى

اى اتيانا بما عنده

أي صدها عبادتها من دون الله وعبادتها اياها عن ان تعلم ما علمنا ويجوز ان يكون ما في موضع
نصب ويكون التقدير وصدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله اي حال بينها وبينه ويجوز ان يكون
المعنى وصدها الله اي منعها الله عن عبادتها غيره فحذفت عن وتعدى الفعل نظيره واختار موسى
قومه اي من قومه وانشد سيبويه نبئت عبد الله بالجو اصبحت كراما مواليها لئيما صميمها وزعم
ان المعنى عنده نبئت عن عبد الله إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ قرأ سعيد بن جبير انها بفتح الهمزة وهي
في موضع نصب بمعنى لانها ويجوز ان يكون بدلا من ما فيكون في موضع رفع ان كانت ما فاعلة او على ان فاعله
الصد والكسر على الاستيناف قوله تعالى قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ التقدير عند سيبويه
ادخلي الى الصرح فحذفت الى وعدي الفعل وابو العباس يغلط في هذا قال لان دخل يدل على مدخول
وكان الصرح صحنا من زجاج تحته ماء وفيه الحيتان عمله ليريها ملكا اعظم من ملكها قاله مجاهد وقال قتادة
كانت من قوارير خلفه ماء حَسِبَتْهُ لُجَّةً اي ماء وقيل الصرح القصر عن ابي عبيدة كما قال تحسب اعلامهن
الصروحا وقيل الصرح الصحن كما يقال هذه صرحة الدار وقاعتها بمعنى وحكى ابو عبيد في الغريب المصنف
ان الصرح كل بناء عال مرتفع من الارض وان الممرد الطويل النحاس اصل هذا انه يقال لكل بناء عمل عملا
واحدا صرح من قولهم لبن صريح اذا لم يشبه ماء ومن قولهم صرح بالامر ومنه عربي صريح وقيل عمله ليختبر
قول الجن فيها ان امها من الجن ورجلها رجل حمار قاله وهب بن منبه فلما رأت اللجة فزعت وظنت انه قصد
بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ما هالها ولم يكن لها بد من امتثال الامر فكشفت عن
ساقيها فاذا هي احسن النساء ساقا سليمة مما قالت الجن غير انها كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان
بعد ان صرف وجهه عنها إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ والممرد المحكوك المملس ومنه الامرد وتمرد
الرجل اذا ابطأ خروج لحيته بعد ادراكه قاله الفراء ومنه الشجرة المرداء التي لا ورق عليها ورملة مرداء اذا
كانت لا تنبت والممرد ايضا المطول ومنه قيل للحصن مارد ابو صالح طويل على هيئة النخلة ابن شجرة واسع في
طوله وعرضه قال غدوت صباحا باكرا فوجدتهم قبيل الضحى في السابري الممرد اي الدروع الواسعة وعند
ذلك استسلمت بلقيس واذعنت واسلمت واقرت بالظلم على نفسها على ما يأتي ولما رأى سليمان عليه السلام
قدميها قال لناصحه من الشياطين كيف لي ان اقلع هذا الشعر من غير مضرة بالجسد فدله على عمل النورة فكانت
النورة والحمامات من يومئذ ويروى ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك وقال سعيد بن
عبد العزيز في كتاب النقاش تزوجها وردها الى ملكها باليمن وكانت يأتيها على الريح في كل شهر مرة فولدت له
غلاما سماه داود مات في زمانه وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بلقيس من احسن نساء
العالمين ساقين وهي من ازواج سليمان عليه السلام في الجنة فقالت عائشة هي احسن ساقين مني فقال عليه السلام
انت احسن ساقين منها في الجنة ذكره القشيري وذكر الثعلبي عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اول من اتخذ الحمامات سليمان بن داود عليهما السلام فلما الصق ظهره الى الجدار فمسه حرها قال أواه من عذاب
الله ثم احبها حبا شديدا واقرها على ملكها باليمن وامر الجن فبنوا لها ثلاث حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا
سيلحون وبينون وغمدان ثم كان سليمان عليه السلام يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وحكى
الشعبي ان ناسا من حمير حفروا مقبرة الملوك فوجدوا فيها قبرا معقودا فيه امرأة عليها حلل منسوجة بالذهب

وعند رأسها لوح رخام فيه مكتوب يا أيها الاقوام عوجوا معًا واربعوا في مقبرى العيسا لتعلموا ان
تلك التي قد كنت ادعى الدهر بلقيسا شيدت قصر الملك في حمير قومي وقد كان مأنوسا وكنت
في ملكي وتدبيره ارغم في الله المعاطيسا بعلي سليمان النبي الذي قد كان للتوراة دريسا وسخر الريح
لدمر كبا تهب احيانا رواميسا مع ابن داود النبي الذي قدسه الرحمن تقديسا وقال محمد بن اسحاق
ووهب بن منبه لم يتزوجها سليمان وانما قال لها اختاري زوجا فقالت مثلي لا ينكح وقد كان لي من الملك ما
كان فقال لابد في الاسلام من ذلك فاختارت ذا تبع ملك همدان فزوجه اياها وردها الى اليمن وامر زوبعه
امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا حتى مات سليمان وقال قوم لم يرد فيه خبر صحيح لا في انه
تزوجها ولا في انه زوجها وهي بلقيس بنت السرح ابن الهداهد بن شراحيل بن ادد بن حدر بن السرح بن الحرث
ابن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح
وكان جدها الهداهد ملكا عظيم الشان قد ولد له اربعون ولدا كلهم ملوك وكان ملك ارض اليمن كلها وكان
ابوها السرح يقول لملوك الاطراف ليس احدكم كفوًا لي وابى ان يتزوج منهم فتزوج امرأة من الجن يقال لها
ريحانة بنت السكن فولدت له بلقمة وهي بلقيس ولم تكن له ولد غيرها وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
كان احد ابوي بلقيس جنيًا فمات ابوها واختلف قومها عليها فرقتين وملكوا امرهم رجلا فساءت سيرته حتى
فجر بنساء رعيته فادركت بلقيس الغيرة فعرضت عليه نفسها فتزوجته فسقته الخمر حتى حزت رأسه ونصبته
على باب دارها فملكوها وقال ابو بكرة ذكرت بلقيس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا امرهم
امرأة ويقال ان سبب تزوج ابيها من الجن انه كان وزيرًا لملك عات يغتصب نساء الرعية وكان الوزير
غيورًا فلم يتزوج فصحب مرة بعرفة رجلا في الطريق فقال له هل لك من زوجة قال لا اتزوج ابدا فان ملك
بلدنا يغتصب النساء من ازواجهن قال لئن تزوجت ابنتي لم يغتصبها ابدا قال بل يغتصبها قال انا قوم
من الجن لا يقدر علينا فتزوج ابنته فولدت له بلقيس ثم ماتت الام وابتنت بلقيس قصرا في الصحراء فتحدث
ابوها بحديثها غلطا فنمي للملك خبرها فقال له يا فلان تكون عندك هذه البنت الجميلة ولا تأتيني بها
وانت تعلم حبي النساء ثم امر بحبسه فارسلت بلقيس اليه اني بين يديك فتجهز للمسير الى قصرها فلما هم بالدخول
بمن معه خرجت اليه جواري من بنات الجن مثل صورة الشمس وقلن له الا تستحيي قالت لك سيدتنا اتدخل
بهؤلاء الرجال معك على اهلها فاذن لهم بالانصراف ودخل وحده فاغلقت عليه الباب وقتلته بالنعال ثم
قطعت رأسه ورمت به الى عسكره فامروها عليهم فلم تزل كذلك الى ان ابلغ الهدهد خبرها سليمان عليه السلام
وذلك ان سليمان لما نزل في بعض منازله قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فابصر
طول الدنيا وعرضها فابصر الدنيا يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فيه هدهد وكان اسم ذلك الهدهد
عنفير فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان
ابن داود عليهما السلام قال ومن سليمان قال ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والريح
وكل ما بين السماء والارض فمن اين انت قال من هذه البلاد ملكها امرأة يقال لها بلقيس تحت يدها اثنا عشر
قائد تحت كل قائد مائة الف مقاتل من سوى النساء والذراري فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها
ورجع الى سليمان وقت العصر وكان سليمان قد فقده وقت الصلاة فلم يجده وكانوا على غير ماء قال ابن عباس في

في رواية ووقعت نفحة من الشمس فنظر فقال لوزير الطير هذا موضع من قال يا نبي الله هذا موضع الهدهد
قال واين ذهب قال لا ادري اصلح الله الملك فغضب سليمان وقال لاعذبنه الآية ثم دعا بالعقاب
سيد الطير واجرها واشدها باسا فقال ما تريد يا نبي الله قال علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب
نفسه دون السماء حتى لزق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم فاذا هو بالهدهد
مقبلا من نحو اليمن فانقض نحوه وانشب فيه مخلبه فقال له الهدهد اسألك بالله الذي اقدرك وقواك
علي الا ما رحمتني فقال له الويل لك وثكلتك امك ان نبي الله سليمان حلف ان يعذبك او يذبحك
ثم اتى به فتلقته النسور وسائر عساكر الطير وقالوا له الويل لك لقد توعدك نبي الله فقال وما
قدري وما انا اما استثنى قالوا بلى انه قال او ليأتيني بسلطان مبين ثم دخل على سليمان فرفع
رأسه وارخى ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمان فقال له سليمان اين كنت عن خدمتك ومكانك لاعذبنك
عذابا شديدا او لاذبحنك فقال له الهدهد اذكر وقوفك بين يدي الله بمنزلة وقوفي بين يديك فاقشعر
جلد سليمان وارتعد وعفا عنه وقال عكرمة انما صرف الله سليمان عن ذبح الهدهد لانه كان بارا
بوالديه ينقل الطعام اليهما فيزقهما ثم قال له سليمان ما الذي ابطأك فقال الهدهد ما اخبر الله عنه عن
بلقيس وعرشها وقومها حسب ما تقدم بيانه قال الماوردي والقول بان ام بلقيس جنية مستنكر
من العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفاوت الحسين لان الآدمي جسماني والجن روحاني
وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ويمتنع الامتزاج مع هذا التباين
ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى القول في هذا والعقل
لا يحيله مع ما جاء في الخبر في ذلك واذا نظر في اصل الخلق فاصله الماء على ما تقدم بيانه ولا بعد في ذلك و
الله اعلم وفي التنزيل وشاركهم في الاموال والاولاد وقد تقدم وقال تعالى لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان على ما يأتي في الرحمن قوله تعالى قالت رب اني ظلمت نفسي
اي بالشرك الذي كانت عليه قاله ابن شجرة وقال سفين اي بالظن الذي توهمته في سليمان لانها لما
امرت بدخول الصرح حسبته لجة وان سليمان يريد ان يغرقها فيه فلما تبين لها انه صرح ممرد من
قوارير علمت انها ظلمت نفسها بذلك الظن وكسرت ان لانها مبتداة بعد القول ومن العرب من يفتحها
فيعمل فيها القول واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اذا سكنت مع فهي حرف جاء لمعنى بلا
اختلاف بين النحويين واذا فتحتها ففيها قولان احدهما انها بمعنى الظرف اسم والآخر انها حرف خافض مبني
على الفتح قاله النحاس قوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله تقدم معناه فاذا هم فريقان يختصمون اي مؤمن وكافر قال والخصومة ما قصه الله
تعالى في قوله اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه الى قوله كافرون وقيل تخاصمهم ان كل فرقة
قالت نحن على الحق دونكم قوله تعالى قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة
قال مجاهد بالعذاب قبل الرحمة والمعنى لم تؤخرون الايمان الذي يجلب اليكم الثواب وتقدمون
الكفر الذي يوجب العقاب وكان الكفار يقولون لفرط الانكار ايتنا بالعذاب وقيل اي لم تفعلون
ما تستحقون به العقاب لانهم التمسوا تعجيل العذاب لولا تستغفرون الله اي هلا تتوبون الى

الى الله من الشرك لعلكم ترحمون لكى ترحموا وقد تقدم قوله تعالى قالوا اطيرنا بك
وبمن معك اى تشاءمنا والشوم النحس ولا شئ اضر بالرأى ولا افسد للتدبير من اعتقاد الطيرة
ومن ظن ان خوار بقرة او نعيق غراب يرد قضاء او يدفع مقدورا فقد جهل قال الشاعر

طيرة الدهر لا ترد قضاء ° فاعذر الدهر لا تشبه بلوم
اى يوم تخصه بسعود ° والمنايا ينزلن فى كل يوم
ليس يوم الا وفيه سعود ° ونحوس تجرى لقوم وقوم

وقد كانت العرب اكثر الناس طيرة وكانت اذا ارادت سفرا نفرت طائرا فان طار يمنة سارت وان طار [margin: وتيمنت ص]
شامة رجعت وتشاءمت فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال اقروا الطير فى وكناتها على ما تقدم
بيانه فى المائدة قال طائركم عند الله اى مصائبكم بل انتم قوم تفتنون اى تمتحنون
وقيل تعذبون بذنوبكم قوله تعالى وكان فى المدينة اى مدينة صالح وهى الحجر تسعة رهط اى
تسعة رجال من ابناء اشرافهم قال الضحاك كان هؤلاء التسعة عظماء اهل المدينة وكانوا يفسدون ويأمرون
بالفساد فجلسوا عند صخرة عظيمة فقلبها الله عليهم وقال عطاء ابن ابى رباح بلغنى انهم كانوا يقرضون الدنانير
والدراهم وذلك من الفساد فى الارض وقاله سعيد بن المسيب وقيل فسادهم انهم كانوا يتبعون عورات الناس
ولا يسترون عليهم وقيل غير هذا واللازم من الاية ما قاله الضحاك وغيره انهم كانوا من اوجه القوم واغنائهم
واقنائهم وكانوا اهل كفر ومعاصى جمة جملة امرهم انهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم الجماعة فكانهم كانوا
رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط والجمع ارهط واراهط قال يا بؤس الحرب التى وضعت اراهط فاستراحوا
وهؤلاء المذكورون كانوا اصحاب قدار عاقر الناقة ذكره ابن عطية قال الشيخ القرطبى رحمه الله واختلف
فى اسمائهم فقال الغزنوى واسماؤهم قدار بن سالف ومصدع واسلم ودسما وذهم وذعمى وذعيم وقتال
وصداق بن اسحق رئيسهم قدار بن سالف ومصدع بن مهرع فاتبعهم سبعة هويلع بن ميلع ودعير بن
غنم وذؤاب بن مهرج واربعة لم تحفظ اسماؤهم وذكر الزمخشرى اسماءهم عن وهب بن منبه الهذيل بن
عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة
سمعان بن صفى قدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء
اشرافهم السهيلى ذكر النقاش التسعة الذين كانوا يفسدون فى الارض ولا يصلحون سماهم باسمائهم وذلك
لا ينضبط برواية غير انى اذكره على وجه الاجتهاد والتخيير ولكن نذكره على ما وجدناه فى كتاب محمد بن حبيب
وهم مصدع بن دهر ويقال دهم وقدار بن سالف وهريم وصواب ورياب وداب ودعمى وهرمى و
دعين بن عمرو قال الشيخ القرطبى رحمه الله وقد ذكر الماوردى اسماءهم عن ابن عباس فقال هم دعمى و
دعيم وهرمى وهريم وداب وصواب ورياب ومسطع وقدار وكانوا بارض الحجر وهى ارض الشام
قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله
وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
انا دمرناهم وقومهم اجمعين يجوز ان يكون تقاسموا فعلا مستقبلا وهو امر اى قال بعضهم
لبعض احلفوا ويجوز ان يكون ماضيا فى معنى الحال كانه قال قالوا متقاسمين بالله ودليل هذا التأويل

قراءة عبد الله يفسدون فى الارض ولا يصلحون تقاسموا بالله وليس فيها قالوا لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه
قراءة العامة بالنون فيهما واختاره ابو حاتم وقراء حمزة والكسائى بالتاء فيهما وضم التاء واللام على الخطاب
انهم تخاطبون بذلك واختاره ابو عبيد وقرا مجاهد وحميد بالياء فيهما وضم الياء واللام على الخبر والبيات
مباغتة العدو ليلا ومعنى لوليه اى لرهط صالح الذى له ولاية الدم ما شهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا
قتله ولا ندرى من قتله وقتل اهله وانا لصادقون فى انكارنا لقتله والمهلك بمعنى الاهلاك ويجوز ان
يكون الموضع وقراء حفص والسلمى بفتح الميم واللام اى الهلاك يقال ضرب يضرب مضربا اى ضربا وقراء
المفضل وابو بكر بفتح الميم وجر اللام فيكون اسم المكان كالمجلس لموضع الجلوس ويجوز ان يكون مصدرا
كقوله سبحانه وتعالى اليه مرجعكم اى رجوعكم ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما روى
ان هذه التسعة لما كان فى صدر الثلاثة الايام بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجئ العذاب اتفقوا
وتحالفوا على ان يأتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختص به قالوا فان كان كاذبا فى وعيده اوقعنا
به ما يستحقه وان كان صادقا كنا عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا قال معناه مجاهد وغيره قال ابن عباس
ارسل الله سبحانه وتعالى الملائكة تلك الليلة فامتلأت بهم دار صالح فاتى التسعة دار صالح شاهرين
سيوفهم فقتلهم الملائكة رضخا بالحجارة فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها وقال قتادة خرجوا مسرعين
الى صالح فسلط عليهم ملك هذه صخرة فقتلهم وقال السدى نزلوا على جرف من الارض فانهار بهم فاهلكهم
الله تحته وقيل اختفوا فى غار قريب من دار صالح فانحدرت عليهم صخرة شدختهم جميعا فهذا كان
مكرهم ومكر الله مجازاتهم على ذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين اى بالصيحة
التى اهلكتهم وقد قيل ان هلاك الكل كان بصيحة جبريل والاظهر ان التسعة هلكوا بعذاب مفرد ثم
هلك الباقون بالصيحة والدمدمة وكان الاعمش والحسن وابن ابى اسحاق وعاصم وحمزة والكسائى
يقرؤن انا بالفتح قال ابن الانبارى فعلى هذا المذهب لا يجوز الوقف على عاقبة مكرهم لان انا دمرناهم خبر
كان ويجوز ان تجعلها فى موضع رفع على الاتباع للعاقبة ويجوز ان تجعلها فى موضع نصب من قول الفراء
وخفض من قول الكسائى على معنى بانا دمرناهم ويجوز ان تجعلها فى موضع نصب على الاتباع لموضع كيف
فمن هذه المذاهب لا يحسن الوقف على مكرهم وقراء ابن كثير ونافع وابو عمرو انا دمرناهم بكسر الالف
على الاستيناف فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على مكرهم قال النحاس ويجوز ان ينصب عاقبة على خبر
كان ويكون انا فى موضع رفع على انها اسم كان ويجوز ان يكون انا فى موضع رفع على اضمار مبتداء تبيينا للعاقبة
والتقدير هى انا دمرناهم قال ابو حاتم وفى حرف ابى ان دمرناهم تصديقا لفتحها قوله تعالى
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون قراءة العامة بالنصب على الحال عند الفراء والنحاس اى خالية عن اهلها خرابا ليس بها
ساكن وقال الكسائى وابو عبيدة خاوية نصب على القطع مجازه فتلك بيوتهم الخاوية فلما قطع منها
الالف واللام نصب كقوله وله الدين واصبا وقراء عاصم بن عمرو ونصر بن عاصم والجحدرى بالرفع على
انها خبر عن تلك وبيوتهم بدل من تلك ويجوز ان يكون بيوتهم عطف بيان وخاوية خبر عن تلك ويجوز ان يكون
بيوتهم وخاوية خبرين عن تلك ويجوز ان يكون رفع خاوية على انها خبر ابتداء محذوف اى هى خاوية او

او بدل من بيوتهم لان النكرة تبدل من المعرفة ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا بصالح وكانوا
يتقون الله ويخافون عذابه قيل آمن بصالح قدر اربعة الاف رجل والباقون خرج بابدانهم في قول مقاتل
وغيره خراج مثل الحمص وكان في اليوم الاول احمر ثم صار من الغد اصفر ثم صار في الثالث اسود وكان
عقر الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم الاحد قال مقاتل نفقت تلك الخراجات وصاح بهم جبرئيل
خلال ذلك صيحة فخمدوا وكان ذلك ضحوة وخرج صالح بمن آمن معه الى حضرموت فلما دخلها مات صالح
فسمي حضرموت قال الضحاك ثم بنى الاربعة الاف مدينة فقال لها حاصورا كما تقدم بيانه في قصة اصحاب
الرس قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون ائنكم لتاتون
الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون اي وارسلنا لوطا او اذكر لوطا اذ
قال لقومه وهم اهل سدوم وقال لقومه اتاتون الفاحشة والفعلة القبيحة الشنيعة وانتم تبصرون
انها فاحشة وذلك اعظم لذنوبكم وقيل يأتي بعضكم بعضا وانتم تنظرون اليه كانوا لا يستترون عتوا منهم
وتمردا ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء اعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعتها بل انتم قوم تجهلون اما
اما التحريم او العقوبة فاختيار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية من ائنكم فاما الخط فالسبيل
فيه ان يكتب بالياء على الوجوه كلها لانها همزة مبتداة دخلت عليها الف الاستفهام قوله تعالى
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله
الا امرأته قدرناها من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اي عن ادبار
الرجال يقولون ذلك استهزاء منهم قاله مجاهد وقال قتادة عابوهم والله بغير عيب لانهم يتطهرون
من اعمال السوء فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين قراءة عاصم قدرنا مخففا والمعنى
واحد يقال قدرت الشيء قدرا وقدرا وقدرته وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اي من انذر
فلم يقبل الانذار وقد مضى بيان هذا في الاعراف وهود قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى الله خير اما يشركون قال الفراء قال اهل المعاني قيل للوط قل
الحمد لله على هلاكهم وخالف جماعة من العلماء الفراء في هذا وقالوا هو مخاطبة لنبينا صلى الله عليه وسلم
اي قل الحمد لله على هلاك كفار الامم الخالية قال النحاس وهذا اولى لان القرآن منزل على النبي صلى
الله عليه وسلم وكل ما فيه فهو مخاطب به عليه السلام الا ما لم يصح معناه الا لغيره وقيل المعنى اي قل يا محمد
الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى يعني امته عليه السلام قال الكلبي اصطفاهم الله بمعرفته
وطاعته وقال ابن عباس وسفيان هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح
بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل وبعث على
التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما يلقى على السامعين واصغائهم اليه وانزاله
من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المستمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا
الله وصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة
وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان

قوله تعالى الذين اصطفى اختار اي لرسالته وهم الانبياء عليهم السلام دليله قوله تعالى وسلام على المرسلين
الله خير واجاز ابو حاتم الله خير بهمزتين النحاس ولا نعلم احدا تابعه على ذلك لان هذه المدة انما جيء بها
فرقا بين الاستفهام والخبر وهذه الف التوقيف وخير هاهنا ليس بمعنى افضل منك وانما هو مثل
قول الشاعر اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء والمعنى فالذي فيه الشر منكما
للذي فيه الخير الفداء ولا يجوز ان يكون بمعنى من لانك قلت فلان شر من فلان ففي كل واحد منهما
شر وقيل المعنى الخير في هذا ام في هذا الذي تشركونه في العبادة وحكى سيبويه السعادة احب اليك ام
الشقاء وهو يعلم ان السعادة احب اليه وقيل هو على بابه من التفضيل والمعنى الله خير اما تشركون اي
ثوابه خير ام عقاب ما تشركونه وقيل قال لهم ذلك لانهم كانوا يعتقدون ان في عبادة الاصنام خيرا
فخاطبهم الله جل وعز على اعتقادهم وقيل اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وقرا ابو عمرو وعاصم و
يعقوب يشركون بالياء على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب وهو اختيار ابي عبيدة وابي حاتم وكان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قرا هذه الآية يقول الله خير وابقى واجل واكرم قوله تعالى امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون قال ابو حاتم تقديره الهتكم خير ام من خلق السموات
والارض وقدر على خلقهن وقيل المعنى اعبادة ما تعبدون من اوثانكم خير ام عبادة من خلق السموات
والارض فهو مردود على ما قبله من المعنى وفيه معنى التوبيخ لهم والتنبيه على قدرة الله عز وجل وعجز
آلهتهم فانبتنا به حدائق ذات بهجة الحديقة البستان الذي عليه حائط والبهجة المنظر الحسن قال
الفراء الحديقة البستان المحوط عليه فان لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة
وعكرمة الحدائق النخل ذات بهجة البهجة الزينة والحسن يبهج به من رآه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ما للنفي
ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا اي ما كان للبشر ولا يتهيا لهم ولا يقع تحت قدرتهم ان ينبتوا شجرها اذهم
عجزة عن مثلها لان ذلك اخراج شيء من العدم الى الوجود قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقد يستدل من هذا على منع
تصوير شيء سواء كان له روح او لم يكن وهو قول مجاهد ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز
وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة وليخلقوا شعيرة رواه مسلم
في صحيحه من حديث ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل فذكره
فعم بالذم والتهديد والتقبيح كل من يتعاطى تصوير شيء مما خلقه الله وضاهاه في التشبيه في خلقه فيما انفرد به
سبحانه من الخلق والاختراع وهذا واضح وذهب الجمهور الى ان تصوير ما ليس فيه روح يجوز هو و
الاكتساب به وقد قال ابن عباس للذي سأله ان يصنع الصور ان كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر
وما لا نفس له خرجه مسلم ايضا والمنع اولى والله اعلم لما ذكرنا وسياتي لهذا مزيد بيان في سبا ان شاء
الله سبحانه وتعالى ثم قال على جهة التوبيخ ءاله مع الله اي هل معبود مع الله يعينه على ذلك بل هم قوم
يعدلون بالله غيره وقيل يعدلون عن القصد والحق اي يكفرون وقيل ءاله مرفوع بمع تقديره امع الله
ويلكم اله والوقف على مع الله حسن قوله تعالى امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها
انهارا وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون قرارا اي مستقرا وجعل

وجعل لها رواسي

من ص

خلالها اى وسطها انها را مثل و فجرنا الارض خلالها نهرًا وجعل لها رواسى يعنى جبالا ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركه وجعل بين البحرين حاجزا اى مانعا من قدرته لئلا يختلط الاجاج بالعذب وقال ابن عباس سلطانا من قدرته فلا هذا يغيّر ذاك ولا ذاك يغير هذا والحجز المنع ءاله مع الله اى اذا ثبت انه لا يقدر على هذا غيره فلم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع بل اكثرهم لا يعلمون يعنى كانهم يجهلون الله ولا يعلمون ما يجب له من الوحدانية قوله تعالى اَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ اِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الْاَرْضِ ءَاِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قَلِيْلًا مَا تَذَكَّرُوْنَ فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه قال ابن عباس هو ذو الضرورة المجهود وقال السدى الذى لا حول له ولا قوة وقال ذو النون هو الذى قطع العلايق عما دون الله وقال ابو جعفر وابو عثمان النيسابورى هو المفلس وقال سهيل بن عبد الله هو الذى اذا رفع يديه الى الله داعيا لم يكن له وسيلة من طاعة قدمها وجاء رجل الى مالك ابن دينار فقال انا اسالك بالله ان تدعو لي فاني والله مضطر قال اذا فسله فانه يجيب المضطر اذا دعاه وقال الشاعر

وانى لادعو الله والامر ضيق ۞ على فما ينفك ان يتفرجا
ورب اخ سدت عليه وجوهه ۞ اصاب لها لما دعا الله مخرجا

الثانية وفى مسند ابي داود الطيالسي عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعاء المضطر اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لى شانى كله لا اله الا انت الثالثة ضمن الله سبحانه وتعالى اجابة المضطر اذا دعاه واخبر بذلك عن نفسه والسبب فى ذلك ان الضرورة اليه بالالتجاء تنشاء عن الاخلاص وقطع القلب عما سواه ~~او فاجر كما قال سبحانه وتعالى~~ وللاخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وجد من مؤمن او كافر طايع او فاجر كما قال سبحانه وتعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وقوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجابهم عند ضرورتهم ووقوع اخلاصهم مع علمه انهم يعودون الى شركهم وكفرهم وقال سبحانه وتعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية فيجيب المضطر لموضع اضطراره واخلاصه وفى الحديث ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده ذكره صاحب الشهاب وهو حديث صحيح وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ لما وجهه الى اليمن اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب وفى كتاب الشهاب اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين وهو صحيح ايضا وخرج الاجرى من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فاني لا اردها ولو من فم كافر فيجيب المظلوم لموضع اخلاصه لضرورته بمقتضى كرمه واجابة لاخلاصه وان كان كافرا وكذلك ان كان فاجرا فى دينه ففجور الفاجر وكفر الكافر لا يعود منه نقص ولا وهن على مملكة سيده فلا يمنعه ما قضى المضطر من اجابته وفسر اجابته للمظلوم بالنصرة على ظالمه بما شاء سبحانه من قهر له واقتصاص منه او تسليط ظالم آخر عليه يقهره كما قال جل وعز وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا واكد سرعة اجابتها بقوله تحمل على الغمام ومعناه والله اعلم ان الله عز وجل يوكل ملايكته بتلقي دعوة المظلوم ويحملها على الغمام فيعرجوا

بها الى السماء قبله الدعاء ليبدا بها للملايكة كلهم فيظهر منهم معاونة المظلوم وشفاعة منهم له فى اجابة دعوته رحمة له وفى هذا تحذير من الظلم جملة لما فيه من سخط الله ومعصيته ومخالفة امره حيث قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم وغيره يا عبادي انى حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث فالمظلوم مضطر ويقرب منه المسافر لانه منقطع عن الاهل والوطن منفرد عن الصديق والحميم لا يسكن قلبه الى مسعد ولا معين لغربته فتصدق ضرورته الى المولى فيخلص اليه فى اللجاء وهو المجيب للمضطر اذا دعاه وكذلك دعوة الوالد على ولده ولا تصدر منه مع ما يعلم من حنته عليه وشفقته الا عند تكامل عجزه عنه وصدق ضرورته واياسه عن بر ولده مع وجود اذيته فيسرع الحق الى اجابته قوله تعالى ويكشف السوء اى الضر وقال الكلبي الجور ويجعلكم خلفاء الارض اى سكانها يهلك قوما وينشئ آخرين وفى كتاب النقاش اى ويجعل اولادكم خلفا منكم وقال الكلبي خلفا من الكفار ينزلون ارضهم وطاعة الله بعد كفرهم ءاله مع الله على جهة التوبيخ كانه قال اءله مع الله ويلكم اله فاله مرفوع بمع ويجوز ان يكون مرفوعا باضمار اله مع الله يفعل ذلك فتعبدوه والوقف على الله حسن قليلا ما تذكرون قراء ابو عمرو وهشام ويعقوب يذكرون بالياء على الخبر لقوله بل اكثرهم لا يعلمون وتعالى الله عما يشركون فاخبر فيما قبلها وبعدها واختاره ابو حاتم الباقون بالتاء خطابا لقوله ويجعلكم خلفاء الارض قوله تعالى اَمَّنْ يَهْدِيْكُمْ فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَاِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ يهديكم اى يرشدكم الطريق فى ظلمات البر والبحر اذا سافرتم الى البلاد التى تتوجهون اليها بالليل وقيل جعل مفاوز البر التى لا اعلام لها ولجج البحار لها كانها ظلمات لانها ليس فيها علم يهتدى به ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر باتفاق اهل التاويل ءاله مع الله يفعل ذلك ويعينه عليه تعالى الله عما يشركون من دونه قوله تعالى اَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ ~~وَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ~~ ءَاِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قُلْ هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ كانوا يقرون بانه الخالق الرازق فالزمهم الاعادة اى اذا قدر على الابتداء فمن ضرورته القدرة على الاعادة وهو اهون عليه ءاله مع الله يخلق ويرزق ويبدي ويعيد قل هاتوا برهانكم اى حجتكم ان لى شريكا او حجتكم فى انه صنع احد شيئا من هذه الاشياء غير الله ان كنتم صادقين قوله تعالى قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ الْغَيْبَ اِلَّا اللّٰهُ وَمَا يَشْعُرُوْنَ اَيَّانَ يُبْعَثُوْنَ وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت فى المشركين حين سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة ومن فى موضع رفع والمعنى قل لا يعلم احد الغيب الا الله بدل من من قاله الزجاج الفراء وانما رفع ما بعد الا لان ما قبلها جحد كقوله ما ذهب احد الا ابوك والمعنى احد قال الزجاج ومن نصب نصب على الاستثناء يعنى فى الكلام قال النحاس وسمعت يحتج بهذه الاية على من صدق منجما وقال اخاف ان يكفر بعموم هذه الاية قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى هذا فى الانعام مستوفى وقالت عايشة رضى الله عنها من زعم ان محمدا يعلم ما فى غد فقد اعظم على الله الفرية والله سبحانه وتعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله خرجه مسلم وروي انه دخل على الحجاج منجم فاعتقله الحجاج ثم اخذ حصيات فعدهن ثم قال له

ومن يرزقكم من السماء والارض

كم في يدي من حصاة تحسبه المنجم ثم قال كذا فاصاب ثم اعتقله واخذ حصيات لم يعدهن فقال كم في يدي فحسبه
فاخطاء ثم حسبه فاخطاء فقال ايها الامير اظنك لا تعرف عدد ما قال لا قال فاني لا اصيبه قال فما الفرق
قال ان ذلك احصيته فخرج عن حد الغيب وهذا لم تحصه فهو غيب ولا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وقد مضى هذا في آل عمران قوله تعالى بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ منها ص
مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ هذا قراءة اكثر الناس منهم عاصم وشيبة ونافع ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة
والكسائي وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو وحميد بل ادرك من الادراك وقرأ عطا بن يسار
واخوه سليمان ابن يسار والاعمش بل ادَّرك غير مهموز مشددا وقرأ ابن محيصن بل ادرك
على الاستفهام وقرأ ابن عباس بلى باثبات الياء أادارك بهمزة قطع والدال مشددة والف بعدها
قال النحاس واسناده اسناد صحيح هو من حديث شعبة رفعه ابن عباس وزعم هارون القاري ان
قراءة ابي بل تدارك علمهم وحكى الثعلبي انها في حرف ابي ام تدارك والعرب يضع بل موضع ام وام موضع
بل اذا كان في اول الكلام استفهام كقول الشاعر ۝ فوالله ما ادري أسلمى تغولت ۝
ام القوم ام كل الي حبيب ۝ اي بل كل قال النحاس القراءة الاولى والاخرى معناهما واحد لان اصل ادرك
تدارك ادغمت التاء في الدال وجيء بالف الوصل وفي معناه قولان احدهما ان المعنى بل تكامل علمهم
به والقول الآخر ان المعنى بل تتابع علمهم اليوم في الاخرة فقالوا تكون وقالوا لا تكون القراءة الثانية
فيها ايضا قولان احدهما ان معناه كمل في الاخرة مثل الاول قال مجاهد معناه يدرك علمهم في الاخرة
ويعلمونها اذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لانهم كانوا في الدنيا مكذبين والقول الآخر على انه على معنى الانكار
وهو مذهب ابي اسحاق واستدل على صحة هذا القول بان ما بعده بل هم منها عمون اي لم يدرك علمهم علم
الآخرة وقيل بل ضل وغاب علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم والقراءة الثالثة بل ادرك فهي بمعنى بل اذا دك
وقد يجيء افتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صح ازدوجوا حين كان بمعنى تزاوجوا القراءة الرابعة ليس
فيها الا قول واحد يكون فيه معنى الانكار كما يقول أانا قاتلتك فيكون المعنى لم يدرك واليه ترجع قراءة ابن
عباس قال ابن عباس بل ادارك علمهم في الآخرة اي لم يدرك قال الفراء وهو وجه حسن كانه وجهه
الى الاستهزاء بالمكذبين بالبعث كقولك للرجل يكذبه بلى لعمري قد ادركت السلف فانت تروي ما لا
اروي فانت تكذبه وقراءة سابقة بل ادرك بفتح اللام عدل الى الفتحة لخفتها وقد حكي نحو ذلك عن قطرب
في قم الليل فانه عدل الى الفتح وكذلك بع الثوب ونحوه وذكر الزمخشري في الكتاب وقرئ بل اادرك
بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما بلى ادرك بلى اادرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة ثم اخذ
يعلل وجوه القراآت فقال فان قلت وجه قراءة بل ادرك على الاستفهام على وجه الانكار لادراك علمهم
وكذلك من قراء ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة واما من قراء بلى ادرك على الاستفهام
فمعناه بل يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها
لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الاخرة في شان الاخرة ومعناه ما بل هم في شك منها بل
هم منها عمون اي يعلوبهم واحدهم عمو وقيل عم واصله عميون حذفت الياء لالتقاء الساكنين ولم يحركها
لثقل الحركة فيها قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ هكذا يقرأ

نافع هنا وفي سورة العنكبوت وقرأ ابو عمرو باستفهامين الا انه خفف الهمزة وقرأ حمزة وعاصم ايضا
باستفهامين الا انهما حققا الهمزتين وكل ما ذكرناه في السورتين جميعا واحد وقرأ الكسائي وابن عامر ورويس
ويعقوب اذا بهمزتين اننا بنونين على الخبر في هذه السورة وفي سورة العنكبوت باستفهامين قال ابو جعفر
النحاس القراءة اذا كنا ترابا وآباؤنا اينا موافقة للخط حسنة وقد عارض فيها ابو حاتم فقال وهذا معنى كلام
اذا ليس باستفهام وائنا استفهام وفيه ان فيكون يجوز ان يعمل ما في حيز الاستفهام فيما قبله وكيف يجوز ان
يعمل ما بعد ان فيما قبلها وكيف يجوز غدا ان زيدا خارج فاذا كان فيه استفهام كان ابعد وهذا اذا سئل عنه
كان مشكلا لما ذكره قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول سالنا ابا العباس عن آية من القرآن صعبة
مشكلة وهو قول الله عز وجل وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق
جديد فقال ان اعمل في اذا ينبئكم كان محالا لانه لا يليتم ذلك الوقت وان عمل فيه ما بعد ان كان المعنى صحيحا
وكان خطاء في العربية ان يعمل ما قبل ان فيما بعدها وهذا سوال بين رايته ان يذكر في السورة التي هو
فيها فاما ابو عبيد فمال الى قراءة نافع ورد على من جمع بين استفهامين واستدل بقوله سبحانه وتعالى
افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وبقوله افائن مت فهم الخالدون وهذا الرد على ابي عمرو وعاصم و
حمزة وطلحة والاعرج لا يلزم منه شيء ولا يشبه ما جاء به من الاية شيئا والفرق بينهما ان الشرط وجوابه
بمنزلة شيء واحد ومعنى افان مت فهم الخالدون افان مت خلدوا ونظير هذا ازيد منطلق ولا يقال
ازيد امنطلق لانهما بمنزلة شيء واحد وليس كذا الاية لان الثاني جملة قائمة بنفسها فصلح فيها الاستفهام
والاول كلام مفرد يصلح فيها الاستفهام فاما من حذف الاستفهام من الثاني واثبته في الاول فقرأ
اذا كنا وآباؤنا اننا فحذفه من الثاني لان في الكلام دليلا عليه بمعنى الانكار قوله تعالى لَقَدْ
وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ تقدم في سورة المؤمنين و
كانت الانبياء يقربون امر البعث مبالغة في التحذير وكل ما هو آت فقريب قوله تعالى قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ اي قل لهولاء الكفار سيروا في بلاد الشام والحجاز
واليمن فانظروا اي بقلوبكم وبصايركم كيف كان عاقبة المكذبين لرسلهم وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي
ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اي على كفار مكة ان لم يومنوا ولا
تكن في ضيق حرج مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة وقد تقدم ذكرهم وقرئ في
ضيق بالكسر وقد مضى في آخر النحل ويقولون متى هذا الوعد اي وقت يجيئنا العذاب بتكذيبنا ان كنتم
صادقين قوله تعالى قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ردف لكم اي اقترب لكم ودنا منكم بعض
الذي تستعجلون اي من العذاب قاله ابن عباس وهو من ردفه واتبعه وجاء في اثره وتكون اللام
ادخلت لان المعنى اقترب لكم ودنا لكم او تكون متعلقة بالمصدر وقيل معناه معكم وقال ابن شجرة
تبعكم ومنه ردف المرأة لانه تبع لها من خلفها ومنه قول ابو ذويب ۝ شعر ۝
عاد السواد بياضا في مفارقه ۝ لا مرحبا ببياض الشيب اذ ردفا ۝
قال الجوهري واردفه امر لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه بمعنى قال الخزيمة بن مالك بن نهد

اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

يعنى فاطمة بنت يذكر بن عنزة احد القا رضين وقال الفراء ردف لكم دنا لكم ولهذا قال لكم وقيل ردفه وردف له بمعنى فيزاد اللام للتوكيد عن الفراء ايضا كما تقول فقدته وفقدت له وكلته وكلت له ووزنته ووزنت له ونحو ذلك بعض الذي تستعجلون من العذاب وكان ذلك يوم بدر وقيل عذاب القبر وان ربك لذو فضل على الناس في تاخير العقوبة وادرار الرزق ولكن اكثرهم لا يشكرون فضله ونعمه

قوله تعالى وَاِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُوْرُهُمْ وَمَا يُعْلِنُوْنَ ما تكن اى تخفى صدورهم وما يعلنون يظهرون من الامور وقراء ابن محيصن وحميد ما تكن من كننت الشئ اذا سترته هنا وفى القصص تقديره ما تكن صدورهم عليه وكان الضمير الذي فى الصدور كالجسم الساتر ومن تكن فهو المعروف يقال اكننت الشئ اذا اخفيته فى نفسك

قوله تعالى وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ اِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِيْنٍ قال الحسن الغائبة هنا القيامة وقيل ما غاب عنهم من عذاب السماء والارض حكاه النقاش وقال ابن شجرة الغائبة هنا جميع ما اخفى الله سبحانه وتعالى عن خلقه وغيبه عنهم وهذا عام وانما دخلت التاء فى الغائبة اشارة الى الجمع اى ما من خصلة غائبة عن الخلق الا والله عالم بها قد اثبتها فى ام الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما يسر هؤلاء وما يعلنونه وقيل اى كل شئ هو مثبت فى ام الكتاب يخرجه للاجل المؤجل له فالذى يستعجلونه من العذاب له اجل مضروب لا يتاخر عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ اثبت الله فيه ما اراد ليعلم بذلك من يشاء من ملائكته

قوله تعالى اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَقُصُّ عَلٰى بَنِىْٓ اِسْرَآءِيْلَ اَكْثَرَ الَّذِىْ هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ وذلك انهم اختلفوا فى كثير من الاشياء حتى لعن بعضهم بعضا فنزلت والمعنى ان هذا القران يبين لهم الذى اختلفوا فيه لو اخذوا به وذلك ما حرفوه من التوراة والانجيل وما سقط من كتبهم من الاحكام وانه يعنى القران لهدى ورحمة للمؤمنين خص المؤمنين لانهم المنتفعون به ان ربك يقضى بينهم بحكمه اى يقضى بين بنى اسرائيل فيما اختلفوا فيه فى الآخرة ليجازى المحق والمبطل وقيل يقضى بينهم فى الدنيا فيظهر ما حرفوه وهو العزيز المنيع الغالب الذى لا يرد امره العليم الذى لا يخفى عليه شئ وَاِنَّهُ لَهُدًى وَّرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ اِنَّ رَبَّكَ يَقْضِىْ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهٖ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْعَلِيْمُ تقدم معناه الآن

قوله تعالى فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ اِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِيْنِ اِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتٰى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ اِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِيْنَ فتوكل على الله اليه امرك واعتمد عليه فانه ناصرك انك على الحق المبين اى الظاهر وقيل المظهر لمن تدبر وجه الصواب انك لا تسمع الموتى يعنى الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وقيل هذا فيمن علم الله انه لا يؤمن ولا يسمع الصم الدعاء يعنى الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فاذا دعوا الى الخير اعرضوا وولوا كانهم لا يسمعون نظيره صم بكم عمى كما تقدم وقراء ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن ابى اسحاق وعباس عن ابى عمرو ولا يسمع بفتح الياء والميم الصم رفعا على الفاعل الباقون وتسمع مضارع اسمعت الصم نصبا

مسئلة وقد احتجت عائشة رضى الله عنها فى انكارها ان النبى صلى الله عليه وسلم اسمع موتى بدر بهذه الآية ونظرت فى الامر بقياس عقلى ووقفت مع هذه الآية وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انتم باسمع منهم قال ابن عطية فيشبه ان قصة بدر خرق عادة لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ان رد الله اليهم ادراكا سمعوا به مقاله ولولا اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماعهم لحملنا نداءه اياهم على معنى التوبيخ لمن بقى من الكفرة وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين

قال الشيخ القرطبى رحمه الله روى البخارى حدثنى عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن ابى عروبة عن قتادة قال ذكر لنا انس بن مالك عن ابى طلحة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من اطواء بدر خبيث مخبث فكان اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه قالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم باسمائهم واسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم قال قتادة احياهم الله حتى اسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما خرجه مسلم ايضا قال البخارى حدثنى عثمان قال حدثنا عبيدة عن هشام عن ابيه عن ابن عمر قال وقف النبى صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم الآن يسمعون ما اقول فذكر لعائشة فقالت انما قال انهم الآن ليعلمون ان الذى كنت اقول لهم هو الحق ثم قرات انك لا تسمع الموتى حتى قرات الآية وقد عورضت

بهذه الآية قصة بدر وبالسلام على القبور وما روى فى ذلك من ان صح

الارواح تكون على شفير القبور فى اوقات وبان الميت يسمع قرع النعال اذا انصرفوا عنه الى غير ذلك ولو لم يسمع الميت لم يسلم عليه وهذا واضح وقد ذكرناه فى كتاب التذكرة

قوله تعالى وَمَا اَنْتَ بِهٰدِى الْعُمْىِ عَنْ ضَلٰلَتِهِمْ اِنْ تُسْمِعُ اِلَّا مَنْ يُّؤْمِنُ بِاٰيٰتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُوْنَ عن ضلالتهم اى كفرهم اى ليس فى وسعك خلق الايمان فى قلوبهم وقراء حمزة وما انت تهدى العمى عن ضلالتهم كقوله افانت تهدى العمى الباقون بهادى العمى وهو اختيار ابى عبيد وابى حاتم وفى الروم مثله وكلهم وقف على بهادى بالياء فى هذه السورة وبغير ياء فى الروم اتباعا للمصحف الا يعقوب فانه وقف فيهما جميعا بالياء واجاز الفراء وابو حاتم وما انت بهاد العمى وهى الاصل وفى حرف عبد الله وما ان تهدى العمى ان تسمع اى ما تسمع الا من يؤمن باياتنا قال ابن عباس اى الا من خلقته للسعادة فهم مخلصون فى التوحيد

قوله تعالى وَاِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ اَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الْاَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ اَنَّ النَّاسَ كَانُوْا بِاٰيٰتِنَا لَا يُوْقِنُوْنَ اختلف فى معنى وقع القول وفى الدابة فقيل معنى وقع القول عليهم وجب الغضب عليهم قاله قتادة وقال مجاهد اى حق القول عليهم بانهم لا يؤمنون وقال ابو عمر وابو سعيد الخدرى رضى الله عنهما اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر اوجب الله السخط عليهم وقال عبد الله بن مسعود وقوع القول يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن قال عبد الله اكثروا تلاوة القرآن قبل ان يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الرجال قال يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون لا اله الا الله ويقعون فى قول الجاهلية واشعارهم وذلك حين يقع عليهم القول قال الشيخ القرطبى رحمه الله اسنده ابو بكر البزاز قال حدثنا عبيد الله بن يوسف الثقفى قال حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن موسى بن عبيدة عن صفوان بن سليم عن ابن لعبد الله

ابن مسعود عن ابيه انه قال اكثروا من زيارة هذا البيت من قبل ان يرفع وتينسي الناس مكانه واكثروا
تلاوة القرآن من قبل ان يرفع قالوا يا ابا عبد الرحمن هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يصبحون قبل ص
كنا نتكلم بكلام ونقول قولا فيرجعون الى شعر الجاهلية واحاديث الجاهلية وذلك حين يقع القول عليهم و فتقولون
وقيل القول قوله تعالى ولكن حق القول منى لاملأن جهنم فوقوع القول وجوب العقاب على هولاء فاذا صاروا مو صو
الى حد لا تقبل توبتهم ولا يولد لهم ولد مومن فحينئذ يقوم القيامة ذكره القشيري وقول سادس قالت حفصة
بنت سيرين سالت ابا العالية عن قول الله عز وجل فاذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون فقال اوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح انه لن يومن من قومك
الا من قد آمن وكانما كان على وجهي غطاء كشف قال النحاس وهذا من احسن الجواب لان الناس ممتحنون
لان فيهم مومنين وصالحين ومن قد علم الله عز وجل انه سيؤمن ويتوب فلهذا امهلوا وامر باخذ الجزية واذا
زال هذا وجب القول عليهم وصاروا كقوم نوح حين قال الله عز وجل انه لن يومن من قومك الا من قد آمن
قال الشيخ القرطبي رحمه الله وجميع الاقوال عند التامل يرجع الى معنى واحد والدليل عليه آخر الآية
ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون وقرى ان بفتح الهمزة وسياتي وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة
الارض وقد مضى في الانعام واختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها ومن اين تخرج اختلافا كثيرا قد ذكرناه
في كتاب التذكرة ونذكره هنا ان شاء الله تعالى مستوفى فاول الاقوال انه فصيل ناقة صالح وهو اصحها والله اعلم
لما ذكره ابو داود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها
ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في اقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم
تخرج خرجة اخرى دون ذلك فيفشوا ذكرها في اهل البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم بينا الناس في اعظم المساجد على الله حرمة خيرها واكرمها المسجد الحرام
لم يرعهم الا وهي ترغوا بين الركن والمقام تنفض عن راسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعا وثبت
عصابة من المومنين وعرفوا انهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كانها الكوكب الدري وولت
في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فيقول يا
فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الاموال ويصطلحون في الامصار
يعرف المومن من الكافر حتى ان المومن يقول يا كافر اقضني حقي وحتى ان الكافر يقول يا مومن اقضني حقي
وموضع الدليل من هذا الحديث انه الفصيل قوله وهي ترغوا والرغاء انما هو للابل وذلك ان الفصيل لما قتلت
الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عز وجل وروي انها دابة
مزغبة شعرا ذات قوايم طولها ستون ذراعا ويقال انها الجساسة وهو قول عبد الله بن عمر وروي عن ابن عمر
انها على خلقة الآدميين وهي في السحاب وقوايمها في الارض وروي انها جمعت من خلق كل حيوان وذكر الماوردي
والثعلبي انها دابة راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة
وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة بقر وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصل
ومفصل اثنى عشر ذراعا الزمخشري بذراع آدم عليه السلام تخرج معها عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت في وجه

المومن بعصا موسى نكتة بيضاء فيبيض وجهه وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه قاله ابن
الزبير رضي الله عنهما وفي كتاب النقاش عن ابن عباس ان الدابة الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي
اقتلعها العقاب حين ارادت قريش بناء الكعبة وحكى الماوردي عن محمد بن كعب عن علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه انه سيل عن الدابة فقال اما والله ما لها ذنب وان لها لحية قال الماوردي وفي هذا
القول منه اشارة الى انها من الانس وانه لم يصرح به قال الشيخ القرطبي رحمه الله ولهذا والله
اعلم قال بعض المتاخرين من المفسرين ان الاقرب ان تكون هذه الدابة انسانا متكلما يناظر اهل البدع
يناظر اهل البدع والكفر ويجادلهم لينقطعوا فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال
شيخنا ابو العباس احمد بن عمر القرطبي في كتاب المفهم له وانما كان عند هذا القايل الاقرب لقوله تعالى
يكلمهم وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة اية خاصة خارقة للعادة ولا تكون من جملة العشر الآيات المذكورة
في الحديث لان وجود المناظرين والمحتجين على اهل البدع كثير فلا آية خاصة فلا ينبغي ان تذكر مع العشر
وترتفع خصوصيته وجود ما اذا وقع القول ثم فيه العدول عن تسمية هذا الانسان المناظر الفاضل
العالم الذي على اهل الارض باسم الانسان او بالعالم او بالامام الى ان سمي بدابة وهذا خروج عن عادة الفصحاء
عن تعظيم العلماء وليس ذلك دأب العقلاء فالاولى ما قاله اهل التفسير والله بحقايق الامور عليم قال
الشيخ القرطبي رحمه الله قد دفع الاشكال في هذه الدابة ما ذكرناه من حديث حذيفة فليعتمد عليه و
اختلف من اي موضع تخرج فقال عبد الله بن عمر تخرج من جبل الصفا بمكة يتصدع فتخرج منه وقال
عبد الله بن عمرو نحوه وقال لو شيت ان اضع قدمي على موضع خروجها لفعلت وروي في خبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الارض تنشق وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى
وانها تخرج من الصفا فتسم بين عيني المومن هذا مومن سمة كانها كوكب دري وتسم بين عيني الكافر
نكتة سوداء كافر وذكر في الخبر انها ذات وبر وريش ذكره المهدوي وعن ابن عباس انها تخرج من
شعب فيمس راسها السحاب ورجلاها في الارض لم تخرجا وتخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان وعن
حذيفة تخرج ثلاث خرجات خرجة في بعض الوادي ثم تكمن وخرجة في القرى يتقاتل فيها الامراء حتى
تكثر الدماء وخرجة من اعظم المساجد واكرمها واشرفها وافضلها الزمخشري تخرج من بين الركن حذاء
دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وروي عن قتادة انها تخرج
من تهامة وروي انها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام وقيل من ارض الطايف
قال ابو قبيل ضرب عبد الله بن عمرو ارض الطايف برجله وقال من هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس
وقيل من بعض اودية تهامة قاله ابن عباس وقيل من شعب من صخرة اجياد قاله عبد الله بن عمرو
وقيل من بحر سدوم قاله وهب ابن منبه ذكر هذه الاقوال الثلاثة الاخيرة الماوردي في كتابه وذكر
البغوي ابو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز حدثنا علي ابن الجعد عن فضيل بن مرزوق الرقاشي
الاغر وسيل عنه يحيى بن معين فقال ثقة عن عطية العوفي عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في
الكعبة كجري الفرس ثلاثة ايام لا يخرج ثلثها قال الشيخ القرطبي رحمه الله فهذه اقوال الصحابة
والتابعين في خروج الدابة وصفتها وهي ترد قول من قال من المفسرين ان الدابة انما هي انسان متكلم

ناظرا هل البدع والكفر وقد روي ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ذكره الماوردي تكلمهم بضم التاء وشد اللام مكسورة من الكلام قراءة العامة تدل عليه قراءة ابي تنبئهم وقال السدي تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل تكلمهم بما يسوءهم وقيل تكلمهم بلسان ذلق فتقول بصوت يسمعه من قرب ومن بعد ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اى بخروجي لان اخروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وقرا ابو زرعة وابن عباس والحسن وابو رجا تكلمهم بفتح التاء من الكلم وهو الجرح قال عكرمة اى تسمهم وقال ابو الجوزاء سالت ابن عباس عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم فقال هى والله تكلمهم تكلم المؤمن وتكلمهم تكلم الفاجر اى تجرحه وقال ابو حاتم تكلمهم كما تقول تخرجهم يذهب الى انه تكثير من تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قراء الكوفيون وابن ابي اسحاق ان بالفتح وقرا اهل الحرمين واهل الشام واهل البصرة ان بكسر الهمزة قال النحاس في المفتوحة قولان وكذلك المكسورة قال الاخفش المعنى بان وكذا قرا ابن مسعود بان وقال ابو عبيد موضعها نصب بوقوع الفعل عليها اى يخبرهم ان الناس وقرا الكسائي والفراء ان الناس يعنى الكفار باياتنا لا يوقنون يعني بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك حين لا يقبل الله من كافر ايمانا ولم يبق الا مؤمنون وكافرون في علم الله قبل خروجها قوله تعالى وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ فوجا اى زمرة وجماعة ممن يكذب باياتنا يعني القران وبا علاماتنا ~~الدالة~~ على الحق فهم يوزعون اى يدفعون ويساقون الى موضع الحساب قال الشماخ

وكم ورعنا من خميس جحفل ۝ وكم حبونا من رئيس مسحل ۝

وقال قتادة يوزعون اى يرد اولهم على آخرهم حتى اذا جاؤا قال اى قال الله اكذبتم باياتى التي انزلتها على رسلي بالايات التي اقمتها دلالة على توحيدى ولم تحيطوا بها علما اى ببطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين غير مستدلين اماذا كنتم تعملون تقريع وتوبيخ اى ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا فيها ووقع القول عليهم بما ظلموا اى وجب العذاب عليهم بظلمهم اى بشركهم فهم لا ينطقون اى ليس لهم عذر ولا حجة وقيل يختم على افواهم فلا ينطقون قاله اكثر المفسرين قوله تعالى أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لتسكنوا فيه اى ليستقرون وينامون والنهار مبصرا اى يبصر فيه لسعى الرزق ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بالله ذكر الدلالة على الالهية وقدرته اى الم يعلموا كمال قدرتنا فيؤمنوا قوله تعالى وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ اى واذكر يوم او ذكرهم يوم ينفخ في الصور ومذهب الفراء ان المعنى وذلكم يوم ينفخ في الصور واجاز فيه الحذف والصحيح في الصور انه قرن من نور ينفخ فيه اسرافيل وقال مجاهد كهيئة البوق وقيل هو البوق بلغة اليمن وقد مضى في الانعام بيانه وما للعلماء في ذلك ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة قلت يا رسول الله ما الصور قال قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم

دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين وذكر الحديث ذكره على بن معبد والطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هناك وان الصحيح في النفخ في الصور نفختان لا ثلاث وان نفخة الفزع اما ان تكون راجعة الى نفخة الصعق لان الامرين لا زمان لها اى فزعوا فزعا ماتوا منه او الى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره فانه قال في كلامه على هذه الاية والمراد النفخة الثانية اى يحيون فزعين يقولون من بعثنا من مرقدنا ويعاينون من الامر ما يهولهم ويفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق ليجتمع الخلق في ارض الجزاء وقال الماوردي ويوم ينفخ في الصور هو يوم النشور من القبور قال وفي هذا الفزع قولان احدهما انه الاسراع والاجابة الى النداء من قولهم فزعت اليك في كذا اى اسرعت الى ندائك في معونتك والقول الثاني ان الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحزن لانهم ازعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا اشبه القولين قال الشيخ القرطبي رحمه الله والسنة الثابتة من حديث ابى هريرة وعبد الله بن عمرو يدل على انهما نفختان لا ثلاث خرجهما مسلم وقد ذكرناهما في كتاب التذكرة وهو الصحيح ان شاء الله انهما نفختان قال الله سبحانه وتعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاستثنى كما استثنى في نفخة الفزع فدل انهما واحدة وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة الاولى يميت الله بها كل حى والاخرى يحيى الله بها كل ميت فان قيل فان قوله سبحانه وتعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة الى ان قال فانما هى زجرة واحدة وهذا يقتضى بظاهره انها ثلاث قيل له ليس كذلك وانما المراد بالزجرة النفخة الثالثة التي تكون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطا وابن زيد وغيرهم قال مجاهد هما صيحتان اما الاولى فيميت كل شئ باذن الله واما الاخرى فيحيى كل شئ باذن الله سبحانه وتعالى وقال عطا الراجفة القيامة والرادفة البعث قال ابن زيد الراجفة الموت والرادفة الساعة والله اعلم اختلف في هذا المستثنى من هم ففي حديث ابى هريرة انهم الشهداء عند ربهم يرزقون انما يصل الفزع الى الاحياء وهو قول سعيد بن جبير انهم الشهداء متقلدوا السيوف حول العرش قال القشيري والانبياء داخلون في جملتهم لان لهم الشهادة مع النبوة وقيل الملائكة قال الحسن استثنى طوائف من الملائكة يموتون من النفختين وقال مقاتل يعنى جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الحور العين وقيل هم المؤمنون لان الله سبحانه وتعالى قال عقيب هذا من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون وقال بعض علمائنا والصحيح انه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل قال الشيخ القرطبي رحمه الله خفى عليه حديث ابي هريرة وقد صححه القاضي ابو بكر بن العربي فليعول عليه لانه نص في التعيين وغيره اجتهاد والله اعلم وقيل هذا على ما ياتي في الزمر وقوله ففزع من في السموات ماض وينفخ مستقبل فيقال كيف عطف ماضيا على مستقبل فزعم الفراء ان هذا محمول على المعنى لان المعنى اذا نفخ في الصور ففزع الا من شاء الله نصب على الاستثناء وكل اتوه داخرين قرا ابو عمرو وعاصم والكسائي ونافع وابن عامر وابن كثير اتوه جعلوه فعلا مستقبلا وقرا الاعمش ويحيى وحمزة وحفص عن عاصم وكل اتوه مقصورا على الفعل الماضي وكذلك

قراءة ابن مسعود وعن قتادة وكل أتاه داخرين قال النحاس وفي كتابي عن ابي اسحق في القرآن وكل أتوه
وحد على لفظ كل ومن قرأ أتوه جمع على معناها وهذا القول غلط قبيح لانه اذا قال وكل أتوه فلم يوحد وانما
جمع ولو وحد لقال أتاه ولكن من قال أتوه جمع على المعنى وجاء به ماضيا لانه رده الى ففزع ومن قرأ وكل
أتوه حمله على المعنى ايضا وقال أتوه لانها جملة منقطعة من الاول وقال ابن مضر قد حكى ابي اسحاق
رحمه الله ما لم يقله ونص ابي اسحاق وكل أتوه داخرين ويقرأ أتوه فمن وحد فللفظ كل ومن جمع فلمعناها
يريد ما اتى في القرآن او غيره من توحيد خبر كل فعلى اللفظ او جمع فعلى المعنى فلم يأخذ ابو جعفر هذا المعنى
قال المهدوي ومن قرأ وكل أتوه داخرين فهو فعل من الاتيان وحمل على معنى كل دون لفظها ومن قرأ
وكل آتوه فهو اسم الفاعل من اتى يدلك على ذلك قوله تعالى وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ومن قرأ
وكل أتاه حمله على لفظ كل دون معناها وحمل داخرين على المعنى ومعناه صاغرين عن ابن عباس و
قتادة وقد مضى في النحل قوله تعالى ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ
الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس جامدة اي قائمة وهي تسير سيرا حثيثا
قال القتبي وذلك ان الجبال تجمع وتسير وهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير وكذلك كل شيء عظيم وجمع
كثير يقصر عنه النظر لكثرته ويعد ما بين اطرافه وهو في حسبان الناظر كالواقف وهو يسير قال الشاعر
وهو النابغة في وصف جيش ۝ بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج ۝
ويقال للجيش الارعن وهو المضطرب لكثرته قال القشيري وهذا يوم القيامة اي هي لكثرتها
كانها جامدة اي واقفة في مرأى العين وان كانت في انفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم يظن انها
واقفة وهي تسير اي تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها شيء قال الله سبحانه وتعالى وسيرت الجبال فكانت
سرابا ويقال ان الله سبحانه وتعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها الى تفريغ الارض منها وابراز
ما كانت تواريها فاول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك اذا
صارت السماء كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن والحالة
الثالثة ان تصير كالهباء وذلك ان تنقطع وبعد ان كانت كالعهن والحالة الرابعة ان تنسف لانها مع
الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها والارض تحتها بارزة فتنسف عنها لتبرز فاذا نسفت فبارسال الرياح عليها
والحالة الخامسة ان الرياح ترفعها على وجه الارض فتظهرها شعاعا في الهواء كانها غبار فمن نظر اليها من
بعد يحسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي في الحقيقة مارة الا ان مرورها مرور الرياح كانها مندكة متفتتة
والحالة السادسة ان تكون سرابا يعني لا شيء فمن نظر الى مواضعها لم يجد فيها شيئا منها كالسراب قال
مقاتل تقع على الارض فيستوي بها ثم قيل هذا مثل قال الماوردي وفيما ضرب له ثلاثة اقاويل احدها انه
مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للدنيا يظن الناظر اليها انها واقفة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب
قاله سهل بن عبد الله الثاني انه مثل ضرب للايمان تحسبه ثابتا في القلب وعمله صاعدا الى السماء الثالث
انه مثل ضرب للنفس عند خروج الروح والروح تسير الى العرش صنع الله الذي اتقن كل شيء اي هذا من فعل الله
وهو فعل منه فهو متقن وترى من رؤية العين فلو كانت من رؤية القلب لتعدت الى مفعولين والاصل ترأى
فالقيت حركة الهمزة على الراء فتحركت الراء وحذفت الهمزة وهذا سبيل تخفيف الهمزة اذا كان قبلها

الا ان التخفيف لازم لترى واهل الكوفة يقرأون تحسبها بفتح السين وهو القياس لانه من حسب يحسب الا
انه قد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلافها انه قرأ بالكسر في المستقبل فتأتون على فعل يفعل مثل
نعم ينعم وبئس يبأس ويئس ييأس من السالم لا يعرف في كلام العرب غير هذه الاحرف وهي تمر مر السحاب
تقديره تمر مرا مثل مر السحاب فاقيمت الصفة مقام الموصوف والمضاف مقام المضاف اليه فالجبال
تزال من اماكنها من على وجه الارض وتجمع وتسير كما تسير السحاب ثم تكسر فتعود الى الارض كما قال وبست
الجبال بسا صنع الله منصوب عند الخليل وسيبويه على انه مصدر لانه لما قال عز وجل وهي تمر مر السحاب
دل على انه قد صنع ذلك صنعا ويجوز النصب على الاغراء اي انظروا صنع الله فيوقف على هذا على السحاب
ولا يوقف عليه على التقدير الاول ويجوز رفعه على تقدير ذلك صنع الله الذي اتقن كل شيء اي احكمه ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله من عمل عملا فاتقنه وقال قتادة احسن كل شيء والاتقان
الاحكام ويقال رجل تقن اي حاذق بالاشياء وقال الزهري اصله من ابن تقن وهو رجل
من عاد ولم يكن يسقط له سهم فضرب به المثل يقال ارمى من ابن تقن ثم يقال لكل حاذق تقن انه خبير
بما يفعلون قرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بالياء الباقون تفعلون بالتاء على الخطاب قوله تعالى
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ قال ابن مسعود وابن
عباس رضي الله عنهما الحسنة لا اله الا الله وقال ابو معشر كان ابرهيم يحلف بالله الذي لا اله
الا هو ولا يستثني ان الحسنة لا اله الا الله محمد رسول الله وقال علي بن الحسين بن علي رضوان الله
عليهم غزا رجل فكان اذا خلا بمكان قال لا اله الا الله وحده لا شريك له فبينما هو في ارض الروم في ارض خلفا
ويروى رفع صوته فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له فخرج عليه رجل على فرس عليه ثياب بيض فقال
له والذي نفسي بيده انها الكلمة التي قال الله سبحانه وتعالى من جاء بالحسنة الاية وروى ابو ذر قال
قلت يا رسول الله اوصني قال اتق الله واذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها قال قلت يا رسول الله امن
الحسنات لا اله الا الله قال من افضل الحسنات في رواية قال نعم هي احسن الحسنات ذكره البيهقي وقال
قتادة من جاء بالحسنة بالاخلاص والتوحيد وقيل اداء الفرائض كلها قال الشيخ القرطبي اذا اتى بلا
اله الا الله على حقيقتها وما يجب لها على ما تقدم بيانه في سورة ابرهيم فقد اتى بالتوحيد والاخلاص والفرائض
فله خير منها قال ابن عباس اي وصل اليه الخير منها وقاله مجاهد وقيل فله الخير الجميل وهو الجنة وليس خير
للتفضيل قال عكرمة وابن جريج اما ان يكون له خير منها يعني من الايمان فلا فانه ليس شيء خير لمن قال لا اله
الا الله ولكن له منها خير وقيل فله خير منها للتفضيل اي ثواب الله خير من عمل العبد قاله ابن عباس ايضا
وقيل يرجع هذا الى الاضعاف فان الله سبحانه وتعالى يعطيه بالواحدة عشرا وبالايمان في مدة يسيرة
الثواب الابدي قاله محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد وهم من فزع يومئذ آمنون قرأ عاصم
وحمزة والكسائي من فزع يومئذ بالتنوين وفتح الميم نافع بفتح الميم من غير تنوين الباقون من فزع
يومئذ بالاضافة قال ابو عبيد وهذا اعجب الي لانه اعم التاويلين ان يكون الامن من جميع فزع ذلك
اليوم واذا قال من فزع يومئذ صار كانه فزع دون فزع قال القشيري وقرئ من فزع بالتنوين ثم
قيل يعني به فزعا واحدا كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل عني الكثرة لانه مصدر والمصدر صالح

وحكى يئس ييئس به

وقوله وذكره وكذلك رضوان الله خير للعبد من فعل العبد

قال الشيخ القرطبي فعلى هذا يكون الفداتا ن بمعنى قال المهدوي ومن قرا من فزع يومئذ بالتنوين انتصب
يومئذ بالمصدر الذي هو فزع ويجوز ان يكون صفة لفزع ويكون متعلقا بمحذوف لان المصادر يخبر عنها
باسماء الزمان وتوصف ويجوز ان يتعلق باسم الفاعل الذى هو آمنون والاضافة على الاتساع فى الظروف
ومن حذف التنوين وفتح الميم بناه لانه ظرف زمان وليس الاعراب فى ظروف متمكنا فلما اضيف الى
غير ممكن ولا معرب بنى وانشد سيبويه على حين الهى الناس جل امورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب
قوله تعالى وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
قوله بالسيئة اى بالشرك قاله ابن عباس وابو هريرة والنخعي ومجاهد وقيس بن سعيد والحسن وهو اجماع
من اهل التاويل فى ان الحسنة لا اله الا الله وان السيئة الشرك فى هذه الاية فكبت وجوههم فى النار
قال ابن عباس القيت وقال الضحاك طرحت يقال كببت للاناء اى قلبته على وجهه واللازم منه اكب و
قيل ما يأتى هذا فى كلام العرب هل تجزون اى يقال لهم هل تجزون ثم يجوز ان يكون من قول الله ويجوز
ان يكون من قول الملائكة الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء عملكم قوله تعالى إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ
هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يعنى مكة التى عظم الله
حرمتها اى جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر
على ما تقدم بيانه فى غير موضع وقرا ابن عباس التى حرمها نعتا للبلدة وقراءة الجماعة الذي وهو فى موضع
نصب نعت لرب ولو كان بالالف واللام لقلت المحرمها فان كان نعتا للبلدة قلت المحرمها هو لابد من اظهار
المضمر مع الالف واللام لان الفعل جرى على غير من هو له فان قلت التى حرمها لم يحتج ان يقول هو وله
كل شئ خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين اى المنقادين لامره الموحدين له وان اتلو القرآن اي
وامرت ان اتلو القرآن اى اقرأه فمن اهتدى فله ثواب هداه ومن ضل فليس على الا البلاغ نسختها آية
القتال قال النحاس وان اتلو نصب بان قال الفراء وفى احدى القراءتين وان اتل وزعم انه فى موضع
جزم بالامر فلذلك حذفت منه الواو قال النحاس ولا نعرف احدا قرا هذه القراءة وهى مخالفة لجميع
المصاحف وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ
تقدم معناه قوله تعالى وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
الحمد لله على نعمه وعلى ما هدانا سيريكم اياته اي فى انفسكم وفى غيركم كما قال سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم
فتعرفونها اى تعرفون اي دلائل قدرته ووحدانيته فى انفسكم وفى السموات وفى الارض نظيره قوله سبحانه
وتعالى وفى الارض ايات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون وما ربك بغافل عما تعملون قرا اهل المدينة واهل
الشام وحفص عن عاصم بالتاء على الخطاب لقوله سيريكم اياته فتعرفونها فيكون الكلام على نسق واحد
والباقون بالياء على ان يرد الى ما قبله من قوله فمن اهتدى فاخبر عن ذلك الاية تمت السورة

تفسير سورة القصص

مكية كلها فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الا اية نزلت بين مكة والمدينة وقال
ابن سلام بالجحفة فى وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو قوله سبحانه وتعالى ان الذي

فرض عليك القران لرادك الى معاد وقال مقاتل فيها من المدنى الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين
وهى ثمان وثمانون آية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ طسم تقدم الكلام فيه تلك آيات الكتاب المبين تلك فى موضع رفع بمعنى هذه تلك
وآيات بدل منها ويجوز ان يكون تلك فى موضع نصب بنتلوا وايات بدل منها ايضا وتنصبها كما تقول زيدا ضربت
المبين اي المبين بركته وخيره والمبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وقصص الانبياء ونبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ويقال ابان الشئ وبان وابان افصح قال سبحانه وتعالى نتلوا عليك من نبإ موسى و
فرعون بالحق لقوم يؤمنون ذكر قصة موسى وفرعون وقارون واحتج على مشركى قريش وبين ان
قرابة قارون من موسى لم تنفعه مع كفره فكذلك قرابة قريش من محمد صلى الله عليه وسلم لا تنفعهم وبين ان فرعون
علا وتكبر فكان ذلك من كفره فليجتنب العلو فى الارض وكذلك التعزز بكثرة المال وهما من سيرة فرعون
وقارون نتلوا عليك اى نقرأ عليك جبرئيل بامرنا من نبإ موسى وفرعون اى من خبرهما ومن للتبعيض
ومن نبإ مفعول نتلوا اى نتلو عليك بعض خبرهما كقوله سبحانه وتعالى تنبت بالدهن وبالحق اى
بالصدق الذى لا ريب فيه ولا كذب لقوم يؤمنون اى يصدقون بالقران ويعلمون انه من عند الله
فاما من لم يؤمن فلا يعتقد انه حق قوله تعالى إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا
شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ
علا فى الارض اى استكبر وتجبر قاله ابن عباس والسدى وقال قتادة علا فى نفسه عن عبادة ربه
بكفره وادعى الربوبية وقيل بملكه وسلطانه وصار عاليا على من تحت يده فى الارض اى ارض مصر و
جعل اهلها شيعا اى فرقا واصنافا فى الخدمة قال الاعشى شعر
وبلدة يرهب الجواب دلجتها ... حتى تراه عليها يبتغى الشيعا
يستضعف طائفة منهم اى من بنى اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين تقدم
القول فى البقرة عند قوله يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم الآية وذلك
لان الكهنة قالوا ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يديه او قال المنجمون له ذلك او راى
رؤيا فعبرت بذلك قال الزجاج العجب من حمقه لم يدر ان الكاهن ان صدق فالقتل لا ينفع وان كذب
فلا معنى للقتل وقيل جعلهم شيعا فاستسخر كل قوم من بنى اسرائيل فى شغل مفرد انه كان من المفسدين اى فى
الارض بالعمل والمعاصى والتجبر قوله تعالى وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ
نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ اى نتفضل عليهم وننعم وهذه حكاية مضت ونجعلهم ائمة قال
ابن عباس قادة فى الخير مجاهد دعاة الى الخير قتادة ولاة وملوكا دليله قوله سبحانه وتعالى
وجعلكم ملوكا قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا اعم فان الملك امام يؤتم به ويقتدى ونجعلهم
الوارثين لملك فرعون يرثون ملكه ويسكنون مساكن القبط وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى وتمت كلمة ربك
الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا قوله تعالى وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَ
جُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ اى نجعلهم مقتدرين على الارض واهلها حتى يستولوا عليها

معنى صح

يعني ارض مصر والشام ونري فرعون وهامان وجنودهما اي ونريد ان نري فرعون وقراء الاعمش
ويحيى وحمزة والكسائي وخلف ويرى بالياء على انه فعل ثلاثي من راى وفرعون وهامان وجنودهما رفعا
لان الفاعل الباقون نري بضم النون وكسر الراء على انه فعل رباعي من ارى يري وهي على نسق الكلام
لان قوله ونريد وبعده ونمكن فرعون وهامان وجنودهما نصبا بوقوع الفعل واجاز الفراء ويُري فرعون
بضم الياء وكسر الراء وفتح الياء بمعنى ويُري الله فرعون منهم ما كانوا يحذرون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم
على يدي رجل من بني اسرائيل وكانوا على وجل منهم فاراهم الله تعالى ما كانوا يحذرون قال قتادة كان حازٍ لفرعون
والحازي المنجم قال له انه سيولد في هذه السنة مولود يذهب بملكك فامر فرعون بقتل الولدان في تلك
وقد تقدم قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ
قد تقدم معنى الوحي ومحامله واختلف في هذا الوحي الى ام موسى فقالت طايفة كان قولا في منامها وقال
قتادة كان الهاما وقالت فرقة كان بملك تمثل لها قال مقاتل اتاها جبريل بذلك فعلى هذا هو وحي اعلام لا
الهام واجمع الكل على انها لم تكن نبية وانما ارسال الملك اليها على نحو تكليم الملك للاقرع والابرص والاعمى
في الحديث المشهور خرجه البخاري ومسلم وقد ذكرناه في سورة براءة وغير ذلك مما روي من تكليم الملايكة للناس
من غير نبوة وقد سلمت على عمران ابن حصين فلم يكن بذلك نبيا واسمها ايارخا وقيل اباذخت فيما ذكر
السهيلي قال الثعلبي واسم ام موسى لوخا بنت هاند ابن لاوي ابن يعقوب ان ارضعيه وقراء عمر بن عبد
العزيز ان ارضعيه بكسر النون والف وصل حذف همزة ارضع تخفيفا ثم كسر لالتقاء الساكنين قال مجاهد
وكان الوحي بالرضاع قبل الولادة وقال غيره بعدها قال السدي لما ولدت ام موسى امرت ان
ترضعه عقيب الولادة وتصنع به ما في الآية لان الخوف كان عقيب الولادة وقال ابن جريج امرت
برضاعته اربعة اشهر في بستان فاذا خافت ان يصيح لان لبنها لا يكفيه صنعت به هذا والاول اظهر الا ان
الآخر يعضده قوله تعالى فاذا خفت عليه واذا لما يستقبل من الزمان فيروى انها اتخذت له تابوتا من بردي
وقيرته بالقار من داخله ووضعت فيه موسى والقته في نيل مصر وقد مضى خبره في طه قال ابن عباس
ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي فسلط الله عليهم القبط وساموهم سوء العذاب
الى ان انجاهم الله سبحانه وتعالى على يدي موسى قال وهب بلغني ان فرعون ذبح في طلب موسى سبعين الف
وليد ويقال تسعون الفا ويروى انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني
اسرائيل مصاحبة لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها
ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت
مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور نارا لم تعلم ما
تصنع لما طاش عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور وقد جعل الله
النار عليه بردا وسلاما قوله تعالى وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
فيه وجهان احدهما لا تخافي عليه الغرق قاله ابن زيد الثاني لا تخافي عليه الضيعة قاله يحيى بن سلام ولا تحزني
فيه ايضا وجهان احدهما لا تحزني لفراقه قاله ابن زيد الثاني لا تحزني ان يقتل قاله يحيى بن سلام فقيل انها
جعلته في تابوت طوله خمسة اشبار وعرضه خمسة اشبار وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته في

اليم بعد ان ارضعته اربعة اشهر وقال آخرون ثلاثة اشهر وقال آخرون ثمانية اشهر في حكاية الثعلبي و
حكي انه لما فرغ النجار من صنعة التابوت نم الى فرعون بخبره فبعث معه من ياخذه وطمس الله عينيه
وقلبه فلم يعرف الطريق فايقن انه المولود الذي تخوف منه فرعون فآمن من ذلك الوقت وهو مؤمن
آل فرعون ذكره الماوردي وقال ابن عباس فلما توارى عنها ندمها الشيطان وقالت في نفسها لو ذبح عندي
فواريته وكفنته كان احب الي من القايه في البحر فقال الله سبحانه وتعالى انا رادوه اليك وجاعلوه من
اي الى اهل مصر حكى الاصمعي قال سمعت جارية اعرابية تنشد تقول

استغفر الله لذنبي كله ○ قتلت انسانا بغير حله
مثل الغزال ناعما في دله ○ فانتصف الليل ولم اصله

فقلت قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة مع قوله سبحانه وتعالى واوحينا الى ام موسى الآية
فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين قوله تعالى فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ
لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ فاللام في ليكون لام العاقبة
ولام الصيرورة لانهم انما اخذوه ليكون لهم قرة عين فكان عاقبة ذلك بان كان لهم عدوا وحزنا فذكر الحال
بالمآل كما قال الشاعر
وللمنايا تربي كل مرضعة ○ ودورنا لخراب الدهر نبنيها
وقال آخر
فللموت ما تلد الوالدات ○ كما لخراب الدهر تبنى المساكن
اي فعاقبة البناء الخراب وان كان في الحال مفروحا به والالتقاط وجود الشيء من غير طلب ولا ارادة والعرب
يقول لما وجدته من غير طلب ولا ارادة التقطته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا قال الراجز
ومنهل وردته التقاطا ○ لم الق اذ وردته فراطا
ومنه اللقطة وقد مضى في ذلك من الاحكام في سورة يوسف ما فيه كفاية وقراء الاعمش ويحيى والمفضل وحمزة والكسائي وخلف
وحُزنا بضم الحاء وسكون الزاي الباقون بفتحهما واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال التفخيم فيه وهما لغتان
مثل العَدَم والعُدْم والسَقَم والسُقْم والرَشَد والرُشْد ان فرعون وهامان وكان وزيره من القبط وجنودهما
كانوا خاطئين اي عاصين مشركين آثمين قوله تعالى وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ
لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا يروى ان آسية امرأة فرعون رات التابوت يعوم
في اليم فامرت بسوقه وفتحه فرات فيه صبيا صغيرا فرحمته واحبته فقالت لفرعون قرة عين لي ولك
اي هو قرة عين لي ولك فقرة خبر ابتداء مضمر قاله الكسائي وقال النحاس وفيه وجه آخر بعيد ذكره ابو
اسحاق يكون رفعا بالابتداء والخبر لا تقتلوه وانما بعد لانه يصير المعنى انه معروف بانه قرة عين لي ولك
ولا تقتلوه وقيل تمام الكلام عند قوله ولك النحاس والدليل على هذا ان قراءة عبد الله ابن مسعود وقالت
امرأة فرعون لا تقتلوه قرة عين لي ولك ويجوز النصب بمعنى لا تقتلوا قرة عين لي ولك وقالت لا تقتلوه
ولم تقل لا تقتله فهي تخاطب فرعون كما تخاطب الجبارون وكما يخبرون عن انفسهم وقيل قالت لا تقتلوه
فان الله اتى به من ارض ولیس من بني اسرائيل عسى ان ينفعنا فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا
تلد واستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وكان فرعون لما راى الرويا وقصها على كهنته وعلمائه على
ما تقدم قالوا له ان غلاما من بني اسرائيل يفسد ملكك فاخذ بني اسرائيل بذبح الاطفال فراى انه يقطع

نسلهم فعاد يذبح عامًا ويستحيي عامًا فولد هارون في عام الاستحياء وولد موسى في عام الذبح قوله تعالى
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ هذا ابتداء كلام من الله سبحانه وتعالى اى وهم لا يشعرون ان هلاكهم بسببه
وقيل هو من كلام المرأة اى وبنوا اسرائيل لا يدرون انا التقطناه ولا يشعرون الا انه ولدنا واختلف
المتأولون في الوقت الذي قالت فيه امرأة فرعون قرة عين لي ولك فقالت فرقة كان ذلك عند التقاط
التابوت لما اشعرت فرعون به ولما اعلمته سبق الى وهمه انه من بني اسرائيل وان ذلك قصد به ليتخلص
به من الذبح فقال علي بالذباحين فقالت امرأته ما ذكر فقال فرعون اما لي فلا قال النبي صلى الله عليه
وسلم لو قال فرعون نعم لآمن بموسى ولكان قرة عين له وقال السدي بل ربته حتى درج فرأى فرعون
فيه شهامة وظنه من بني اسرائيل واخذه في يده فمد موسى يده ونتف لحية فرعون فهم حينئذ بذبحه وحينئذ
خاطبته بهذا وجربته له في الجمرة والياقوتة فاحترق لسانه وعلق العقدة على ما تقدم في طه وقال
الفراء سمعت محمد بن مروان الذي يقال له السدي يذكر عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال
انها قالت قرة عين لي ولك لا ثم قالت تقتلوه قال الفراء وهو لحن قال ابن الانباري وانما حكم عليه
باللحن لانه لو كان كذلك لكان تقتلونه بالنون لان الفعل المستقبل مرفوع حتى يدخل عليه الناصب او
الجازم فالنون فيه علامة الرفع قال الفراء ويقويك على رده قراءة عبد الله بن مسعود وقالت امرأة
فرعون لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه قوله تعالى **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن
كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** قال ابن مسعود وابن عباس
والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابو عمران الجوني وابو عبيد فارغا اى خاليا من ذكر كل
شيء في الدنيا الا من ذكر موسى وقال الحسن ايضا وابن اسحاق وابن زيد فارغا من الوحي اذ اوحي
اليها حين امرت ان تلقيه في البحر ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهده اليها ان يرده ويجعله من
المرسلين فقال لها الشيطان يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فغرقتيه انت ثم بلغها ان ولدها
وقع في يد فرعون فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا من الحزن والغم
لعلمها انه لم يغرق وقاله الاخفش ايضا وقال العلاء ابن زياد فارغا نافرا الكسائي ناسيا ذاهلا وقيل
والها رواه سعيد بن جبير ابن القاسم عن مالك مذهاب العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون
طار عقلها من فرط الفزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اى جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة
ابراهيم وذلك ان القلوب مركز العقول الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى فيكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل
عليه قراءة من قرأ فزعا النحاس اصح هذه الاقوال الاول والذين قالوه اعلم بكتاب الله عز وجل واذا كان
فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى فهو فارغ من الغم غلط قبيح لان بعده ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على
قلبها روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول وابناه وقرأ فضالة بن عبيد الانصاري رضي
الله عنه ومحمد بن السميقع وابو العالية وابن محيصن فزعا بالفاء والعين المهملة من الفزع اى خائفا عليه
ان يقتل ابن عباس قرعا بالقاف والعين والراء المهملتين وهي راجعة الى قراءة الجماعة فارغا ولذلك قيل
للراس الذي لا شعر فيه اقرع لفراغه من الشعر وحكى قطرب ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ فزغا بالفاء والزاي والغين المعجمة من غير الف وهو كقولك هدرا وباطلا يقال دماؤهم بينهم

فزغ اى هدر والمعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها وفي قوله واصبح وجهان احدهما
انه القته ليلا فاصبح فؤادها في النهار فارغا الثاني انه القته نهارا ومعنى اصبح اي صار وقال الشاعر
مضى الخلفاء بالامر الرشيد ◦ واصبحت المدينة للوليد
ان كادت اي انها كادت فلما حذفت الكناية سكنت النون فهي ان المخففة ولذلك دخلت اللام في لتبدي
به اى لتظهر امره من بدا يبدو اذا ظهر قال ابن عباس ان تصيح عند القائه وا ابناه السدي كادت
تقول لما حملت لارضاعه وحضانته هو ابني وقيل انه لما شب سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون فشق
عليها وضاق صدرها وكادت تقول هو ابني وقيل الهاء في به عائدة الى الوحي تقديره ان كادت لتبدي بالوحي
الذي اوحيناه اليها ان نرده عليها والاول اظهر قال ابن مسعود كادت تقول انا امه وقال الفراء ان
كادت لتبدي باسمه لضيق صدرها لولا ان ربطنا على قلبها قال قتادة بالايمان السدي بالعصمة وقيل
بالصبر والربط على القلب الهام الصبر لتكون من المؤمنين اى من المصدقين بوعد الله حين قال لها انا رادوه
اليك وقال السدي به ولم يقل لتبديه لان حروف الصفات قد تزاد في الكلام تقول اخذت الحبل وبالحبل
وقيل اى لتبدي القول به قوله تعالى **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ** اى قالت ام موسى لاخت موسى اتبعي اثره حتى تعلمي خبره واسمها مريم بنت عمران وافق
اسمها اسم مريم ام عيسى عليه السلام ذكره الثعلبي والسهيلي وذكر الماوردي عن الضحاك ان اسمها كلثمة وقال
السهيلي كلثوم جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اشعرت ان
الله عز وجل زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم اخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت الله
اخبرك بهذا فقال نعم فقالت بالرفاء والبنين فبصرت به عن جنب اى بعد قال مجاهد ومنه الاجنبي قال
الشاعر ◦ فلا تحرمني نائلا عن جنابة ◦ فاني امرؤ وسط القباب غريب ◦
واصله عن مكان جنب وقال ابن عباس عن جنب اى عن جانب وقرأ النعمان ابن سالم عن جانب اى ناحية
وقيل عن شوق وحكى ابو عمرو بن العلاء انها لغة جذام يقولون جنب اليك اى اشتقت اليك وقيل عن جنب
عن مجانبة لها منه فلم يعرفوا انها منه بسبيل وقال قتادة جعلت تنظر اليه بناحية كانها لا تريده وكان يقرأ
عن جنب وكانت تمشي على ساحل البحر حتى رأتهم اخذوه قوله تعالى **وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ** حرمناه اى منعناه من الارتضاع من
قبل اى من قبل مجيء امه واخته والمراضع جمع مرضع ومن قال مراضيع فهو جمع مرضاع ومفعال يكون
للتكثير ولا يدخل الهاء فيه فرقا بين المذكر والمؤنث لانه ليس بجار على الفعل ولكن من قال مرضاعة جاء
بالهاء للمبالغة كما يقال مطرابة قال ابن عباس لا يؤتى بمرضع فيقبلها وهذا تحريم منع لا تحريم شرع قال امرؤ القيس
جالت لتصرعني فقلت لها اقصري ◦ اني امرؤ صرعي عليك حرام ◦
اى ممتنع فلما رأت اخته ذلك قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم الآية فقالوا لها عند قولها وهم
له ناصحون وما يدريك لعلك تعرفين اهله فقالت لا ولكنهم يحرصون على مسرة الملك ويرغبون في ظئره
وقال السدي وابن جريج قيل لها لما قالت وهم له ناصحون قد عرفت اهل هذا الصبي فدلينا عليهم
فقالت اردت وهم للملك ناصحون فدلتهم على ام موسى فانطلقت اليها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون

فتح الجيم واسكان النون وهم لا يشعرون
انها اخته لانها كانت صح صح

يعلم شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فدفع اليها فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وقال ابن زيد استر
ابوها حين ذلك فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون وقيل انها لما قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم وكانوا يبالغون في طلب مرضعة يقبل ثديها فقالوا من هي فقالت هي امي فقيل لها لبن فقالت نعم
لبن هرون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها الصبيان فقالوا صدقت والله وهم له ناصحون اي فيهم شفقة
ونصح فروي انه قيل لام موسى حين ارتضع منها كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لاني
امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اكاد اوتى بصبي الا ارتضع مني قال ابو عمران الجوني وكان فرعون يعطي
ام موسى كل يوم دينارا الزمخشري فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على رضاع ولدها قلت ما كانت
تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه الاستباحة قوله تعالى فرددناه
إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون *[حاشية: اي رده اليها]*
وقد عطفنا بقلب العدو عليه ووفينا لها بالوعد كي تقر عينها اي بولدها ولا تحزن بفراق اي ولدها
ولتعلم ان وعد الله حق اي لتعلم وقوعها فانها كانت عالمة بان رده عليها سيكون ولكن اكثرهم معنى اكثر
آل فرعون لا يعلمون اي كانوا في غفلة عن التقدير وسر القضاء وقيل اي اكثر الناس لا يعلمون ان
وعد الله حق في كل ما وعد حق قوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك
نجزي المحسنين قد مضى الكلام في الاشد في الانعام وقول ربيعة ومالك الى الحلم اولى ما قيل فيه لقوله
سبحانه وتعالى حتى اذا بلغوا النكاح وذلك اول الاشد واقصاه اربع وثلثون سنة وهو قول سفيان
الثوري واستوى قال ابن عباس بلغ اربعين سنة والحكم الحكمة او العلم الفهم في قول السدي وقيل النبوة *[حاشية: قيل النبوه وقيل الفقه في الدين وقد مضى بيانها في البقره وغيرها]*
وقال مجاهد الفقه محمد بن اسحاق لما في دينه ودين ابائه وكان له تسعة من بني اسرائيل يسمعون منه و
يقتدون به ويجتمعون اليه وكان هذا قبل النبوة وكذلك نجزي المحسنين اي كما جزينا ام موسى لما استسلمت
لامر الله سبحانه وتعالى والقت ولدها في البحر وصدقت بوعد الله سبحانه وتعالى فرددنا ولدها بالتحف
والطرف اليها وهي آمنة ثم وهبنا له العقل والحكمة والنبوة فكذلك نجزي كل محسن قوله تعالى ودخل
المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من
عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال
هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو
الغفور الرحيم قيل لما عرف موسى ما هو عليه من الحق في دينه عاب ما عليه قوم فرعون وفشا ذلك
منه فاخافوه وخافهم وكان لا يدخل مدينة فرعون الا خائفا مستخفيا وقال السدي كان موسى في وقت
هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى كان يدعى موسى ابن فرعون فركب فرعون يوما
وسار الى مدينة من مداين مصر يقال لها منف ثم علم موسى بركوب فرسخين من مصر ثم علم موسى بركوب
فرعون فركب بعده ولحق بتلك القرية في وقت القايلة وهو وقت الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا
هو بين العشاء والعتمة قال ابن اسحق بل المدينة مصر نفسها وكان موسى في هذا الوقت قد اظهر خلاف
فرعون وعاب عليهم عبادة فرعون والاصنام فدخل مدينة فرعون يوما على حين غفلة من اهلها قال سعيد بن
جبير وقتادة وقت الظهر والناس نيام وقال ابن زيد كان فرعون قد نابذ موسى واخرجه من المدينة

وغاب عنها سنين فجاء والناس على غفلة بنسيانهم لامره وبعد عهدهم به وكان ذلك يوم عيد وقال الضحاك
اراد ان يدخل المدينة وقت غفلة اهلها فدخلها حين علم منهم ذلك وكان من قتل الرجل من قبل ان يؤمر
بقتله فاستغفر ربه فغفر له فقال في الكلام دخلت المدينة حين غفل اهلها ولا يقال على حين غفل
اهلها ودخلت على في هذه الآية لان الغفلة هي المقصودة فصار هذا كما تقول جئت على غفلة وان شئت
قلت جئت على حين غفلة وكذا الاية فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته والمعنى اذا نظر اليهما
الناظر قال هذا من شيعته اي من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من قوم فرعون فاستغاثه الذي
من شيعته اي طلب نصره وعونه وكذا قال في الآية بعدها فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه
اي يستغيث به على قبطي آخر وانما اغاثه لان نصر المظلوم دين في الملل كلها وفرض في جميع الشرائع
قال قتادة اراد القبطي ان يسخر الاسرائيلي ليحمل حطبا لمطبخ فرعون فابى عليه فاستغاث بموسى قال
سعيد بن جبير وكان خبازا لفرعون فوكزه موسى قال قتادة بعصاه مجاهد بكفه اي دفعه والوكز واللكز
واللهز واللهد بمعنى واحد وهو الضرب بجميع الكف وقيل الضرب بجميع الكف مجموعا كعقد ثلاث وسبعين
وقرا ابن مسعود الثعلبي ان في مصحف ابن مسعود فنكزه بالنون والمعنى واحد وقال الجوهري عن ابي
عبيدة اللكز الضرب بالجمع على الصدر قال ابو زيد في جميع الجسد واللهز الضرب بجميع اليد في الصدر
مثل اللكز عن ابي عبيدة ايضا وقال ابو زيد هو بالجمع في اللهازم والرقبة والرجل ملهز بكسر الميم
وقال الاصمعي نكزه اي ضربه ودفعه الكسائي بهمزة مثل نكزه ووكزه اي ضربه ودفعه ولهده لهدا
اي دفعه فذلّه فهو ملهود وكذلك لهده قال طرفة يذم رجلا شعر

بطيء الى الداعي سريع الى الخنا ۝ ذلول باجماع الرجال ملهد

اي مدفع وانما شدد للكثرة وقالت عايشة رضي الله عنها فلهدني تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدة
اوجعتني خرجه مسلم ففعل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد قتله انما قصد دفعه وكانت فيه نفسه
وهو معنى فقضى عليه وكل امر اتيت عليه وفرغت منه فقد قضيت عليه شيء قال قد عضه فقضى
عليه الاسجع قال هذا من عمل الشيطان اي من اغوائه قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ في تلك
الحال لانها كانت حال كف عن القتال انه عدو مضل مبين خبر بعد خبر قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر
لي فغفر له ندم موسى عليه السلام على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس فحمله ندمه على الخضوع لربه
والاستغفار من ذنبه قال قتادة عرف والله المخرج فاستغفر ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم يعدد ذلك
على نفسه مع علمه بانه قد غفر له حتى انه يقول في القيامة اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها وانما عدده
على نفسه ذنبا وقال ظلمت نفسي فاغفر لي من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وايضا فان الانبياء
يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم قال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة
يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة قال كعب كان اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة و
كان قتله مع ذلك خطا وان الوكز واللكز في الغالب لا تقتل روى مسلم عن سالم ابن عبد الله انه قال يا اهل العراق ما اسالكم عن الصغيرة واركبكم الكبيرة
سمعت ابي عبد الله ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الفتنة تجيء من ههنا
واومى بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان وانتم تضرب بعضكم رقاب بعض وانما قتل

موسى الذي قتل من آل فرعون خطاء فقال الله سبحانه وتعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا قوله تعالى قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قال رب بما انعمت علي من المعرفة والحكمة والتوحيد فلن اكون ظهيرا اي على الكافرين للوحي وما كان عالما بان الله سبحانه قال القشيري ولم يقل بما انعمت علي من المغفرة لان هذا قبل الوحي وما كان عالما بان الله سبحانه وتعالى غفر له ذلك القتل وقال الماوردي بما انعمت علي فيه وجهان احدهما من المغفرة وكذلك ذكر المهدوي والثعلبي قال المهدوي بما انعمت علي بالمغفرة فلن اعين بعدها مجرما وقال الثعلبي بما انعمت علي بالمغفرة فلم تعاقبني الوجه الثاني من الهداية قال الشيخ القرطبي رحمه الله قوله سبحانه وتعالى فغفر له يدل على المغفرة والله اعلم الزمخشري قوله بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرايلي المؤدية الى القتل الذي لم يحل له قتله وقيل اراد اني وان اساءت في هذا القتل الذي لم اومر به فلا اترك نصرة المسلمين على المجرمين فعلى هذا كان الاسرايلي مومنا ونصرة المومنين واجبة في جميع الشرايع وقيل في بعض الروايات ان ذلك الاسرايلي كان كافرا وانما قيل له انه من شيعته لانه كان اسرآيليا ولم يرد الموافقة في الدين فعلى هذا ندم لانه اعان كافرا على كافر فقال لا اكون بعد هذا ظهيرا للكافرين وقيل ليس هذا خبرا بل هو دعاء اى فلا اكون بعد هذا ظهيرا اى فلا تجعلني يا رب ظهيرا للمجرمين وهذا قول الكسائي والفراء قال الكسائي في قراءة عبد الله فلا تجعلني يا رب ظهيرا للمجرمين وقال الفراء المعنى اللهم فلن اكون ظهيرا للمجرمين وزعم ان قوله هذا هو قول ابن عباس قال النحاس وان يكون بمعنى الخبر اولى واشبه بنسق الكلام كما يقال لا اعصيك لانك انعمت علي وهذا قول ابن عباس على الحقيقة لا ما حكاه الفراء لان ابن عباس قال لم يستثن فابتلي من ثاني يوم والاستثناء لا يكون الا في الدعاء لا يقال اللهم اغفر لي ان شئت واعجب الاشياء ان الفراء روى ان ابن عباس قال هذا ثم حكى عنه قوله قال الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى هذا المعنى ملخصا مبينا في سورة النمل وانه خبر لا دعاء وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا الثانية قال سلمة ابن نبيط بعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك بعطاء اهل بخارى فقال اعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه حتى اعفاه فقيل له ما عليك ان تعطيهم انت ولا ترزاهم شيئا قال لا احب ان اعين الظلمة على شيء من امرهم وقال عبد الله بن الوليد الوصافي قلت لعطاء ابن ابي رباح ان لي اخا ياخذ بقلمه وانما يحسب ما يدخل ويخرج وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وادان فقال من الرئيس قلت خالد بن عبد الله الوليد فقال اما تقراء ما قال العبد الصالح رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين قال ابن عباس فلم يستثن فابتلي به ثانية فاعانه الله فلا يعينهم اخوك فان الله يعينه قال عطاء ولا يحل لاحد ان يعين ظالما ولا يكتب له ولا يصحبه وانه من فعل شيئا من ذلك فقد صار معينا للظالمين وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في

تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه ازل الله قدميه على الصراط يوم القيمة يدحض فيه الاقدام وفي الحديث من مشى مع ظالم فقد اجرم فالمشي مع الظالم لا يكون جرما الا اذا مشى معه ليعينه لانه ارتكب نهي الله سبحانه وتعالى في قوله سبحانه ولا تعاونوا على الاثم والعدوان قوله تعالى فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ قد تقدم في طه وغيرها ان الانبياء صلوات الله عليهم يخافون ردا على من قال غير ذلك وان الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل على الله وقيل اصبح خايفا من قتل النفس ان يوخذ بها وقيل خايفا من قومه ان يسلموه وقيل خايفا من الله سبحانه وتعالى يترقب قال سعيد بن جبير يتلفت من الخوف وقيل ينتظر ما يتحدث به الناس وقال قتادة يترقب اى يترقب الطلب وقيل خرج يستخبر الخبر ولم يكن احد علم بقتل القبطي غير الاسرايلي واصبح يحتمل ان يكون بمعنى صار اى لما قتل صار خايفا ويحتمل ان يكون دخل في الصباح اى في صباح اليوم الذي يلي يومه خايفا وخايفا منصوب على خبر اصبح وان شئت على الحال ويكون الظرف في موضع الخبر فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اى فاذا صاحبه الاسرايلي الذي خلصه امس يقاتل قبطيا آخر اراد ان يتسخره والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك لان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث قال

كنا اذا ما اتانا صارخ جزع ۝ كان الصراخ له قرع الظنابيب

قيل كان هذا الاسرايلي المستنصر السامري استسخره طباخ فرعون في حمل الحطب الى المطبخ ذكره القشيري والذي رفع بالابتداء ويستصرخه في موضع الخبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال وامس اليوم الذي قبل يومك وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين فاذا دخله الالف واللام او الاضافة تمكن فاعرب بالرفع والفتح عند اكثر النحويين ومنهم من يبنيه وفيه الالف واللام وحكى سيبويه وغيره ان من العرب من يجري امس مجرى ما لا ينصرف في موضع الرفع خاصة وربما اضطر الشاعر ففعل هذا في الخفض والنصب قال الشاعر

لقد رايت عجبا مذ امسا ۝ عجايز مثل السعالي رأسا

فخفض بمذ ما مضى واللغة الجيدة الرفع فاجرى امس في الخفض مجراه في الرفع على اللغة الثانية قال له موسى انك لغوي مبين والغوي الخايب اى لانك تشاد من لا تطيقه وقيل مضل بين الضلالة قتلت بسببك امس رجلا وتدعوني اليوم للآخر والغوي فعيل من اغوى يغوي وهو بمعنى مغو وهو كالوجيع والاليم بمعنى الموجع والمولم وقيل الغوي الغاوي اي انك لغوي في قتال من لا تطيق دفع شره عنك وقال الحسن انما قال للقبطي انك لغوي مبين في الاستبداد هذا الاسرايلي وهم ان يبطش به يبطش ويبطش والضم اقيس لانه فعل لا يتعدى قال يا موسى اتريد ان تقتلني قال ابن جبير اراد موسى ان يبطش بالقبطي فتوهم الاسرايلي انه يريده لانه اغلظ له القول فقال اتريد ان تقتلني

كما قتلت نفسا بالامس فسمع القبطى الكلام فافشاه وقيل اراد ان يبطش الاسرايلى بالقبطى فنهاه موسى فخاف
منه فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد اى ما تريد الآن تكون جبارا فى الارض اي
قتالا قال عكرمة والمعنى لا تكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير حق وقيل الجبار الذي
يفعل مايريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر فى العواقب ولا يدفع بالتى هى احسن وقيل المتعظم الذى
لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين اى الذين يصلحون بين الناس قوله تعالى وجاء
رَجُلٌ مِنْ اَقصَى الْمَدِيْنَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى اِنَّ الْمَلَاءَ يَاتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ اِنِّي لَكَ
مِنَ النَّاصِحِيْنَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ قال اكثر اهل
التفسير هذا الرجل هو حزقيل ابن صبورا مومن ال فرعون كان ابن عم فرعون ذكره الثعلبى وقيل طالوت
ذكره السهيلى وقال المهدوى عن قتاده اسم الرجل شمعون مؤمن ال فرعون وقيل شمعان قال الدارقطني
لا يعرف شمعان بالشين المعجمة الا مؤمن آل فرعون وروى ان فرعون امر بقتل موسى فسبق ذلك الرجل
بالخبر فقال يا موسى ان الملاء ياتمرون اى يتشاورون فى قتلك بالقبطى الذي قتلت بالامس وقيل يامر
بعضهم بعضا قال الازهرى ايتمر القوم وياتمروا اى امر بعضهم بعضا نظيره قوله وايتمروا بينكم بمعروف
وقال النمر ابن تولب ارى الناس قد احدثوا شيمة ٭ وفى كل حادثة يؤتمر
فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خايفا يترقب اى ينتظر الطلب قال رب نجنى من القوم الظالمين
قوله تعالى وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي اَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيْلِ لما خرج
موسى عليه السلام فارا بنفسه منفردا خايفا لا شى معه من زاد ولا راحلة ولا حذاء نحو مدين للنسب
الذى بينه وبينهم لان مدين من ولد ابرهيم وموسى من ولد يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم ورأى حاله
وعدم معرفته بالطريق وخلوه من زاد اسند امره الى الله بقوله عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل وغيوم صح
وهذه حالة المضطر ويروي انه كان يتقوت ورق الشجر وما وصل حتى سقط خف قدمه فى بنيات
الطريق فان موسى لا يعرف الطريق فجاء ملك راكبا فرسا ومعه عنزة فقال لموسى اتبعنى فاتبعه فهداه الى
الطريق فيقال انه اعطاه العنزة فكانت عصاه ويروى ان عصاه انما اخذها لرعية الغنم فى مدين
والمواضح والكثر وقال مقاتل والسدى ان الله بعث اليه جبرئيل فالله اعلم وبين مدين ومصر ثمانية
ايام قاله ابن جبير والناس وكان ملك مدين لغير فرعون قوله تعالى وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ
عَلَيْهِ اُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُوْنِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُوْدَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا
لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَاَبُوْنَا شَيْخٌ كَبِيْرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى اِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ
اِنِّي لِمَا اَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيْرٌ فَجَاءَتْهُ اِحْدٰيهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ اِنَّ اَبِي يَدْعُوْكَ
لِيَجْزِيَكَ اَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ قَالَتْ اِحْدٰيهُمَا يَا اَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ اِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْاَ
مِيْنُ قَالَ اِنِّي اُرِيْدُ اَنْ اُنْكِحَكَ اِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى اَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَاِنْ اَتْمَمْتَ
عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا اُرِيْدُ اَنْ اَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصَّالِحِيْنَ قَالَ
ذٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ اَيَّمَا الْاَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللّٰهُ عَلَى مَا نَقُوْلُ وَكِيْلٌ

فيه اربع وعشرون مسألة الاولى قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه مسى موسى عليه السلام حتى
ورد ماء مدين اى بلغها ووروده الماء معناه بلغه لا انه دخل فيه ولفظة الورود قد تكون بمعنى الدخول
فى المورود وقد تكون بمعنى الاطلاع عليه والبلوغ اليه وان لم يدخل فورود موسى هذا الماء كان بالوصول
اليه ومنه قول زهير ٭ فلما وردن الماء زرقا جمامه ٭ وضعن عصى الحاضر المتخيم ٭
وقد تقدمت هذه المعانى فى قوله تعالى وان منكم الا واردها ومدين لا ينصرف اذ هى بلدة معروفة
قال الشاعر ٭ رهبان مدين لو رأوك تنزلوا ٭ والعصم من شعف الجبال الفادر ٭
وقيل قبيلة من ولد مدين ابن ابرهيم وقد مضى فى الاعراف القول فيه والامة الجمع الكثير ويسقون
معناه ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة التى جاء منها فوصل الى المرأتين قبل وصوله الامة
ووجدهما تزودان ومعناه تمنعان وتحبسان ومنه قوله عليه السلام فليذادن رجال عن حوضى وفى
بعض المصاحف امرأتين حابستين تزودان يقال زاد يذود اذا ذهب وجاء وذدت الشيء حبسته
قال الشاعر ٭ ابيت على باب القوافى كانما ٭ اذود بها سربا من الوحش نزعا ٭
اى احبس وامنع وقيل تذودان تطردان قال الشاعر لقد سلبت عصاك بنو تميم ٭
فما تدري باي عصا تذود ٭ اى تطرد وتكف وتمنع ابن سلام تمنعان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس
فحذف المفعول اما ايهاما على المخاطب واما استغناء لعلمه قال ابن عباس تذودان غنمهما عن
الماء خوفا من السقاة الاقوياء قتادة تذودان الناس عن غنمهما قال النحاس والاول اولى لانه
بعده قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس لم تخبرا عن سبب سقيهما
بقوله حتى يصدر الرعاء فلما رأى موسى عليه السلام ذلك منهما قال ما خطبكما اى شانكما قال
رؤبة يا عجبا ما خطبه وخطبى ابن عطية وكان استعمال السؤال بالخطب انما هو فى مصاب اومضطهد
اومن يشفق عليه او ياتى بمنكر من الامر فكانه بالجملة فى شر فاخبرتاه بخبرهما وان ابانا شيخ كبير
فالمعنى لا يستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه وانهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الاقوياء
وان عادتهما التانى حتى يصدر الناس عن الماء وتخلى وحينئذ تردان وقرأ ابن عامر وابو عمرو يصدر
من صدر وهو ضد ورد اى يرجع الرعاء الباقون يصدر بضم الياء من اصدر اى حتى يصدروا مواشيهم
من وردهم والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب قالت فرقة كانت الآبار مكشوفة وكان
زحم الناس يمنعهما فلما اراد موسى ان يسقى لهما زحم الناس وغلبهم على الماء حتى سقى فعن هذا الغلب
الذى كان منه وصفته احداهما بالقوة وقالت فرقة انهما كانتا تتبع فضالتهم فى الصهاريج فان وجدتا
فى الحوض بقية كان ذلك سقيهما وان لم يكن بقية عطشت غنمهما فرق لهما موسى فعمد الى بئر كانت
مغطاة والناس يسقون من غيرها وكان حجرها لا يرفعه الا سبعة قاله ابن زيد ابن جريج عشرة
ابن عباس ثلاثون الزجاج اربعون فرفعه وسقى للمرأتين فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة وقيل
ان بئرهم كانت واحدة وانه دفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة اذ كانت عادة المرأتين شرب الفضلات
روى عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب انه قال لما سقى الرعاء غطوا على البئر صخرة لا يقلها الا عشرة رجال
فجاء موسى فاقتلعها واستقى ذنوبا واحدا لم يحتج الى غيره فسقى لهما الثانية ان قيل كيف ساغ لنبى

الله الذي هو شعيب صلى الله عليه وسلم ان يرضى لابنتيه لسقي الماشية قيل ليس ذلك بمحظور والشرع لا يأباه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو وغير مذهب الحضرة خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة **الثالثة** قوله تعالى ثم تولى الى الظل الى ظل سمرة قاله ابن مسعود وتعرض لسؤال ما يطعم بقوله انى لما انزلت الي من خير فقير وكان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق بطنه بظهره فعرض بالدعاء ولم يصرح بسؤال هكذا روى جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما يأكله فالخير يكون بمعنى الطعام كما في هذه الاية ويكون بمعنى المال كما قال ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد ويكون بمعنى القوة كما قال اهم خير ام قوم تبع ويكون بمعنى العبادة كقوله واوحينا اليهم فعل الخيرات قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع واخضر لونه من اكل البقل في بطنه وانه لاكرم الخلق على الله ويروى انه لم يصل الى مدين حتى سقط باطن قدميه وفي هذا معتبر واشعار لهوان الدنيا على الله وقال ابو بكر بن طاهر في قوله اني لما انزلت الي من خير فقير اى انى لما ابديت الي من فضلك وغناك فقير الى ان تغنيني بك عمن سواك قلت ما ذكره اهل التفسير اولى فان الله تعالى انما اغناه بواسطة شعيب **الرابعة** قوله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء في هذا الكلام اختصار يدل عليه هذا الظاهر قدره ابو اسحاق فذهبتا الى ابيهما سريعتين وكانت عادتهما الابطاء في السقي فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه وقيل الصغرى ان تدعوه له فجاءت على ما في هذه الاية قال عمر بن ميمون ولم يكن بسلفع من النساء خراجة ولا ولاجة وقيل جاءته ساترة وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب وروى ان اسم احداهما ليا والاخرى صفورا ابنتا يثرون ويثرون هو شعيب وقيل ابن اخي شعيب فان شعيبا كان قد مات واكثر الناس على انهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القرآن قال الله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا كذا في سورة الاعراف وفي سورة الشعراء كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب قال قتادة بعث الله تعالى شعيبا الى امتين اصحاب الايكة واصحاب مدين وقد مضى في الاعراف الخلاف في اسم ابيه فروى ان موسى عليه السلام لما جاءته بالرسالة قام يتبعها وكان بين موسى وبين ابيها ثلاثة اميال فهبت ريح ضمت قميصها فوصفت عجيزتها فتحرج موسى من النظر اليها فقال ارجعي خلفي وارشديني الى الطريق بصوتك وقيل ان موسى قال ابتداء كوني ورائي فاني رجل عبراني لا انظر في ادبار النساء ودليني على الطريق يمينا او يسارا فذلك سبب وصفها بالامانة قاله ابن عباس فوصل موسى الى داعيه فقص عليه امره من اوله الى اخره فآنسه بقوله لا تخف نجوت من القوم الظالمين وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون وقرب اليه طعاما فقال موسى لا اكل فانا اهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا فقال شعيب ليس هذا عوض السقي ولكن عادتي وعادة اباي قرى الضيف واطعام الطعام فحينئذ اكل موسى **الخامسة** قوله تعالى قالت يا ابت استأجره دليل على ان الاجارة كانت عندهم مشروعة معلومة وكذلك كانت في كل ملة وهي من ضرورة الخليقة ومصلحة الخلطة بين الناس خلافا للاصم حيث كان من سماعها اصم **السادسة** قوله تعالى انى اريد ان انكحك الاية فيه عرض الولي ابنته على الرجل وهذه سنة قائمة عرض صالح مدين ابنته على صالح بني اسرائيل وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على ابي بكر وعثمان وعرضت الموهوبة نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فمن الحسن عرض الرجل وليته والمراة نفسها

على الرجل الصالح اقتداء بهذا السلف الصالح قال ابن عمر لما تأيمت حفصة قال عمر لعثمان ان شئت انكحتك حفصة بنت عمر الحديث انفرد باخراجه البخاري **السابعة** في هذه الاية دليل على ان النكاح الى الولي لا حظ للمراة فيه لان صالح مدين تولاه وبه قال فقهاء الامصار وخالف في ذلك ابو حنيفة وقد تقدم **الثامنة** هذه الاية تدل على ان للاب ان يزوج ابنته البكر البالغ من غير استئمار وبه قال مالك واحتج بهذه الاية وهو ظاهر قوي في الباب واحتجاجه بها يدل على انه كان يعول على الاسرائيليات كما تقدم وبقول مالك في هذه المسئلة قال الشافعي وكثير من العلماء وقال ابو حنيفة اذا بلغت الصغيرة فلا يزوجها احد الا برضاها لانها بلغت حد التكليف فاما اذا كانت صغيرة فانه يزوجها بغير رضاها فانه لا اذن لها ولا رضى بغير خلاف **التاسعة** استدل اصحاب الشافعي بقوله انى اريد ان انكحك على ان النكاح موقوف على لفظ التزويج والانكاح وبه قال ربيعة وابو ثور وابو عبيد وداود ومالك على اختلاف عنه وقال علماؤنا في المشهور ينعقد النكاح بكل لفظ وقال ابو حنيفة ينعقد بكل لفظ يقتضي التمليك على التأبيد واما الشافعية فلا حجة لهم في الاية لانه شرع من قبلنا وهم لا يرونه حجة في شيء في المشهور عندهم واما ابو حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن حي فقالوا ينعقد النكاح بلفظ الهبة وغيره اذا كان قد اشهد عليه لان الطلاق يقع عليه بالتصريح وبالكناية قالوا فكذلك النكاح قالوا وكذا ما خص به النبي صلى الله عليه وسلم تعري البضع من العوض لا النكاح بلفظ الهبة وتابعهم ابن القاسم وقال ان وهب ابنته وهو يريد انكاحها فلا احفظ عن مالك فيه شيئا وهو عندي جائز كالبيع قال ابو عمر والصحيح انه لا ينعقد نكاح بلفظ الهبة كما لا ينعقد بلفظ النكاح هبة شيء من الاموال وايضا فان النكاح مفتقر الى التصريح لتقع الشهادة عليه وهو ضد الطلاق فكيف يقاس عليه وقد اجمعوا ان النكاح لا ينعقد بقوله ابحت لك واحللت لك فكذلك الهبة وقال صلى الله عليه وسلم استحللتم فروجهن بكلمة الله يعني القرآن وليس في القرآن عقد النكاح بلفظ الهبة وانما فيه التزويج والنكاح وفي اجازة النكاح بلفظ الهبة ابطال بعض خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم **العاشرة** قوله تعالى احدى ابنتي هاتين يدل على انه عرض لا عقد لانه لو كان عقدا لعين المعقود عليها له لان العلماء وان كانوا قد اختلفوا في جواز البيع اذا قال بعتك احد عبدي هذين بثمن كذا فانهم قد اتفقوا على ان ذلك لا يجوز في النكاح لانه خيار وشيء من الخيار لا يلصق بالنكاح **الحادية عشرة** قال مكي في هذه الاية خصائص في النكاح منها انه لم يعين الزوجة ولا حد اول الامد وجعل المهر اجارة ودخل ولم ينقد شيئا قلت فهذه اربع مسائل تضمنتها **الثانية عشرة** الاولى من الاربع قال علماؤنا اما التعيين فيشبه انه كان في ثاني حال المراوضة وانما عرض الامر مجملا وعين بعد ذلك وقد قيل انه زوجه صفورا وهي الصغرى يروى عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سئلت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما واوفاهما وان سئلت اي المراة تزوج فقل الصغرى وهي التي جاءت خلفه وهي التي قالت يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قيل الحكمة في تزويجه الصغرى منه قبل الكبرى وان كانت الكبرى احوج الى الرجال انه توقع ان يميل اليها لانه رآها في رسالته وماشاها في اقباله الى ابيها معها فلو عرض عليه الكبرى ربما اظهر له الاختيار وهو يضمر غيره وقيل غير هذا والله اعلم

اعلم وفي بعض الاخبار انه تزوج بالكبرى حكاه القشيري الثانية واما ذكر اول المدة فليس في الآية ما
يقتضي اسقاطه بل هو مسكوت عنه واما رسماه واما انه من اول وقت العقد الثالثة واما النكاح بالاجارة
فظاهر من الآيات وهو امر قد قرره شرعنا وجرى في حديث الذي لم يكن له عنده الا شئ من القرآن رواه
الايمة وفي بعض طرقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحفظ من القرآن فقال سورة البقرة والتي تليها
قال قم فعلمها عشرين آية وهي امراتك واختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة اقوال فكرهه مالك ومنعه
ابن القاسم واجازه ابن حبيب وهو قول الشافعي واصحابه قالوا يجوز ان يكون منفعة الحر صداقا كالخياطة
والبناء وتعليم القرآن وقال ابو حنيفة لا يصح ويجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة
لان العبد والدار مال وليس خدمتها بنفسه مالا وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز
لقوله تعالى اللاتي اتيت اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد
فهما متنافيان وقال ابن القاسم يفسخ قبل البناء ويثبت بعد وقال اصبغ ان نقد معه شيئا ففيه اختلاف
وان لم ينقد فهو اشد فان ترك مضى على كل حال بدليل قصة شعيب قاله مالك وابن المواز واشهب وعول على
هذه الاية جماعة من المتاخرين والمتقدمين في هذه النازلة قال مكي هذه الاية تضمنت النكاح على الاجارة
والعقد صحيح ويكره ان تجعل الاجارة مهرا وينبغي ان يكون المهر مالا كما قال عز وجل ان تبتغوا باموالكم محصنين
هذا قول اصحابنا جميعا الرابعة واما قوله ودخل ولم ينقد فقد اختلف الناس في هذا هل دخل حين عقد
ام حين سافر فان كان دخل حين عقد فما نقد وقد منع علماؤنا من الدخول حتى ينقد ولو ربع دينار قاله ابن القاسم
فان دخل قبل ان ينقد مضى لان المتاخرين من اصحابنا قالوا تعجيل الصداق او شئ منه مستحب على انه ان كان
الصداق رعية الغنم فقد نقد الشروع في الخدمة وان كان دخل حين سافر فطول الانتظار في النكاح
جائز وان كان مدى العمر بغير شرط واما ان كان بشرط فلا يجوز الا ان يكون العرض صحيحا مثل التاهب للبناء
او انتظار صلاحية الزوجة للدخول ان كانت صغيرة نص عليه علماؤنا الخامسة عشرة في هذه الاية
اجتماع اجارة ونكاح وقد اختلف علماؤنا في ذلك على ثلاثة اقوال الاول قال مالك في ثمانية ابن زيد
يكره ابتداء فان وقع مضى الثاني قال مالك ايضا وابن القاسم في المشهور لا يجوز ويفسخ قبل الدخول وبعده
لاختلاف مقاصدهما كساير العقود المتباينة الثالث اجازه اشهب واصبغ قال ابن العربي وهذا
هو الصحيح وعليه تدل الاية وقد قال مالك النكاح اشبه شئ بالبيوع فاي فرق بين اجارة وبيع او بين
بيع ونكاح فرع وان اصدقها تعليم شعر مباح صح قال المزني وذلك مثل قول الشاعر

يقول المرء فايدتي ومالي ٭ وتقوى الله افضل ما استفادا

وان اصدقها تعليم شعر فيه هجو او فحش كان كما لو اصدقها خمرا او خنزيرا الرابعة عشرة قوله تعالى على
ان تاجرني ثماني حجج جرى ذكر الخدمة مطلقا وقال مالك انه جائز ويحمل على العرف فلا يحتاج في التسمية الى
الخدمة وهو ظاهر قصة موسى فانه ذكر اجارة مطلقة وقال ابو حنيفة والشافعي لا يجوز حتى يسمي لانه مجهول
وقد ترجم البخاري باب من استاجر اجيرا فبين له الاجل ولم يبين له العمل لقوله تعالى على
ان تاجرني ثماني حجج قال المهلب ليس كما ترجم لان العمل عندهم كان معلوما من سقي وحرث ورعي وما شاكل
اعمال البادية في مهنة اهلها فهذا متعارف وان لم يتبين له اشخاص الاعمال ولا مقاديرها مثل ان تقول

ابن حوازم

له انك تحرث كذا من السنة وترعى كذا من السنة فهذا انما هو على المعهود من خدمة البادية وانما
الذي لا يجوز عند الجميع ان تكون المدة مجهولة والعمل مجهول غير معهود لا يجوز حتى يعلم قال ابن العربي
وقد ذكروا وقد ذكر اهل التفسير انه عين له رعية الغنم ولم يرو من طريق صحيحة ولكن قالوا ان
صالح مدين لم يكن له عمل الا رعية الغنم فكان ما علم من حاله قايما مقام التعيين للخدمة فيه الخامسة عشرة
اجمع العلماء على انه جائز ان يستاجر الراعي شهورا معلومة باجرة معلومة لرعاية غنم معدودة فان
كانت معدودة معينة ففيها تفصيل لعلمائنا قال ابن القاسم لا يجوز حتى يشترط الخلف ان ماتت
وهي رواية ضعيفة جدا وقد استاجر صالح مدين موسى على غنمه وقد راها وقد يشترط خلفا وان كانت مطلقة غير
مسماة ولا معينة جازت عند علمائنا وقال ابو حنيفة والشافعي لا يجوز لجهالتها وعول علماؤنا على العرف حسب
ما ذكرناه آنفا وانه يعطى بقدر ما يحتمل قوته وزاد بعض علمائنا انه يجوز حتى يعلم المستاجر قدر قوته وهذا صحيح
فان صالح مدين علم قدر قوة موسى برفع الحجر السادسة عشرة قال مالك وليس على الراعي ضمان وهو مصدق
فيما هلك او سرق لانه امين كالوكيل وقد ترجم البخاري باب اذا ابصر الراعي او الوكيل شاة تموت
او شيئا يفسد فاصلح ما خاف الفساد وساق حديث كعب بن مالك عن ابيه انه كانت لهم غنم ترعى بسلع فابصرت
جارية لنا شاة من غنمنا موتا فكسرت حجرا فذبحتها به فقال لهم لا تاكلوا حتى اسال النبي صلى الله عليه وسلم
او ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من يساله وانه سال النبي صلى الله عليه وسلم او ارسل اليه فامره باكلها
قال عبيد الله فيعجبني انها امة وانها ذبحت قال المهلب فيه من الفقه تصديق الراعي والوكيل
فيما ايتمنا عليه حتى يظهر عليهما دليل الخيانة والكذب وهذا قول مالك وجماعة وقول ابن القاسم اذا خاف
الموت على شاة فذبحها لم يضمن ويصدق اذا جاء بها مذبوحة وقال غيره يضمن حتى يتبين ما قال السابعة عشرة
واختلف ابن القاسم واشهب اذا انزى الراعي على اناث الماشية بغير اذن اربابها فهلكت فقال ابن القاسم
لا ضمان عليه لان الانزاء من اصلاح المال ونمائه وقال اشهب عليه الضمان وقول ابن القاسم اشبه بدليل
حديث كعب وانه لا ضمان عليه فيما تلف باجتهاده اذا كان من اهل الصلاح وممن يعلم اشفاقه على المال
واما ان كان من اهل الفسوق والفساد واراد صاحب المال ان يضمنه فعل لانه لا يصدق انه راى بالشاة
موتا لما عرف من فسقه الثامنة عشرة لم ينقل ما كانت اجرة موسى عليه ولكن روى يحيى ابن سلام
ان صالح مدين جعل لموسى كل سخلة توضع خلاف لون امها فاوحى الله الى موسى ان الق عصاك بينهن
يلدن خلاف شبههن كلهن وقال غير يحيى بل جعل له كل بلقاء تولد فولدت له كلهن بلقاء وذكر القشيري
ان شعيبا لما استاجر موسى قال له ادخل بيت كذا وخذ عصى من العصي الذي في البيت فاخرج موسى
عصا وكان اخرجها آدم من الجنة وتوارثها الانبياء حتى صارت الى شعيب فامره شعيب ان يلقيها في
البيت وياخذ عصى اخرى فدخل واخرج تلك العصى وكذلك سبع مرات كل ذلك تقع بيده غيرها فعلم شعيب
ان له شانا فلما اصبح قال له سق الاغنام الى مفرق الطريق فخذ عن يمينك وليس بها عشب كثير ولا تاخذ
عن يسارك فان بها عشبا كثيرا وتنينا كبيرا يقتل المواشي فساق المواشي الى مفرق الطريق فاخذت نحو
اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها فنام موسى وخرج التنين فقامت العصا وصارت شعبتاها حديدا وحاربت
التنين حتى قتلته وعادت الى موسى عليه السلام فلما انتبه موسى راى العصا مخضوبة بالدم والتنين

قال م

متدركا فعاد الى شعيب عشيا وكان شعيب ضريرا فمس الاغنام فاذا اثر الخصب دعليها فسأله عن القصة
فاخبره بها ففرح شعيب وكلما ولدت هذه المواشي هذه السنة قالب لون اى ذات لونين فهو لك فجاء جميع
السخال تلك السنة ذات لونين فعلم شعيب ان لموسى عند الله مكانة وروى عيينة بن حصن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال آجر موسى نفسه بشبع بطنه وعفة فرجه فقال له شعيب لك منها يعني من نتاج
غنمه ما جاءت به قالب لون ليس فيها عزوز ولا فشوش ولا كموش ولا ضبوب ولا كميشة ولا ثعول قال الهروي
العزوز النكيثة ماخوذ من العزاز وهي الارض الصلبة وقد تعززت الشاة والفشوش التي ينفش لبنها
من غير حلب وذلك لسعة الاحليل ومثله الفتوح والثرور العزوز التي يحصل حلبها والفشوش التي اذا
مشت سال لبنها والكموش الصغيرة الضرع الذي لا يضبطه الحالب الضبوب التي ضرعها مثل الموزتين
الثعول التي لها زيادة حلمة وهو عيب فيها ومن امثالهم لا يسئلك فش الوطب اى لاخرجن غضبك وكبرك
من راسك ويقال فش السقاء اذا اخرج منه الريح ومنه الحديث ان الشيطان يفش بين اليتي احدكم
حتى يخيل اليه انه احدث اى ينفخ نفخا ضعيفا والكموش الصغيرة الضرع وهي الكميشة ايضا سميت بذلك
لانكماش ضرعها وهو تقلصه ومنه يقال رجل كميش الازار والكشود مثل الكموش والضبوب الضيقة
ثقب الاحليل والضب الحلب بشدة العصر والثعول الشاة التي لها زيادة حلمة وهي الثعلا والثعل
زيادة السن وتلك الزيادة هي الثعل ورجل اثعل والثعل مخرج اللبن قال الهروي وتفسير قالب لون في
الحديث انها جاءت على غير الوان امهاتها التاسعة عشرة الاجارة بالعوض المجهول لا يجوز فان ولادة
الغنم غير معلومة وان من البلاد الخصبة ما يعلم ولادة الغنم قطعا وعدتها وسلامة سخالها كديار مصر
وغيرها بيد ان ذلك لا يجوز في شرعنا لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغرر ونهى عن المضامين
والملاقيح والمضامين في بطون الامهات والملاقيح ما في بطون اصحاب الفحول او على خلاف ذلك قال
الشاعر ملقوحة في بطن ناب حامل وقد مضى في سورة الحجر بيان ذلك على ان راشد بن معمر اجاز
الاجارة على الغنم بالثلث والربع وقال ابن سيرين وعطا ينسج الثوب بنصيب منه وبه قال احمد
الموفية العشرين الكفاءة في النكاح معتبرة واختلف العلماء هل في الدين والمال والحسب او في بعض
ذلك والصحيح جواز نكاح الموالي العربيات والقرشيات لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد جاء
موسى الى صالح مدين غريبا طريدا جايعا عريانا فانكحه ابنته لما تحقق ورأى من حاله واعرض عما سوى
ذلك وقد تقدمت هذه المسألة موعبة والحمد لله الحادية والعشرون قال مكي قال بعضهم هذا الذي
جرى من شعيب لم يكن ذكرا لصداق المراة وانما كان اشتراطا لنفسه على ما تفعله الاعراب فانها تشترط
صداق بناتها وتقول لي كذا في خاصة نفسي وترك المهر مفوضا ونكاح التفويض جائز قال ابن العربي
هذا الذي تفعله الاعراب هو حلوان وزيادة على المهر وهو حرام لا يليق بالانبياء فاما اذا اشترط الولي
شيئا لنفسه فقد اختلف العلماء فيما يخرجه الزوج من يده ولا يدخل في يد المراة على قولين احدهما
انه جائز والاخر لا يجوز والذي يصح عندي التقسيم فان المراة لا تخلو ان تكون بكرا او ثيبا فان كانت ثيبا
جاز لان نكاحها بيدها وانما يكون للولي مباشرة العقد ولا يمتنع اخذ العوض عليه كما ياخذه الوكيل
على عقد البيع وان كانت بكرا كان العقد بيده وكانه عوض في النكاح لغير الزوج وذلك باطل فان

كمش

وقع فسخ قبل البناء وثبت بعده على مشهور الرواية الثانية والعشرون لما ذكر الشرط واعقبه بالطوع في العشر
خرج كل واحد منهما على حكمه ولم يلحق الاخر بالاول ولا اشترك الفرض والطوع ولذلك يكتب في العقود
الشروط المتفق عليها ثم يقال وتطوع بكذا فيجري الشرط على سبيله والطوع على حكمه وانفصل الواجب
من التطوع وقيل ومن لفظ شعيب حسن في لفظ العقود في النكاح انكحه اياها اولى من انكحها اياه على
ما ياتي بيانه في الاحزاب وجعل شعيب الثمانية الاعوام شرطا ووكل العاشرة الى المروءة الثالثة والعشرون
قوله تعالى قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي لما فرغ كلام شعيب قرره موسى
عليه السلام وكرر معناه على جهة التوثيق في ان الشرط انما وقع في ثماني حجج وايما استفهام منصوب بقضيت
والاجلين مخفوض باضافة اي اليها وما صلة للتاكيد وفيه معنى الشرط وجوابه فلا عدوان وان عدوان
منصوب بلا وقال ابن كيسان ما في موضع خفض باضافة اي اليها وهي نكرة والاجلين بدل منها وكذلك
قال في قوله فبما رحمة من الله ان رحمة بدل من ما قال مكي وكان يتلطف في ان لا يجعل شيئا زائدا في القرآن
ويخرج له وجها يخرجه من الزيادة وقرأ الحسن ايما بسكون الياء وقرأ ابن مسعود اي الاجلين ما
قضيت وقرأ الجمهور عدوان بضم العين وابو حيوة بكسرها والمعنى لا تبعة علي ولا طلبة في الزيادة عليه
والعدوان التجاوز في غير الواجب والحجج السنون قال الشاعر

لمن الديار بقنة الحجر ... اقوين من حجج ومن دهر

الواحدة حجة بكسر الحاء والله على ما نقول وكيل قيل هو من قول موسى وقيل هو من قول المراة فاكتفى
الصالحان صلوات الله عليهما في الاشهاد عليهما بالله ولم يشهدا احدا من الخلق وقد اختلف العلماء في وجوب
الاشهاد في النكاح وهي الرابعة والعشرون على قولين احدهما انه لا ينعقد الا بشاهدين وبه قال ابو حنيفة
والشافعي وقال مالك انه ينعقد دون شهود لانه عقد معاوضة فلا يشترط فيه الاشهاد كالبيع وانما
يشترط فيه الاعلان والتصريح وفرق ما بين النكاح والسفاح الدف وقد مضت هذه المسألة في البقرة
مستوفى وفي البخاري عن ابي هريرة ان رجلا من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل ان يسلفه الف دينار
فقال ايتني بالشهداء اشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال ايتني بكفيل قال كفى بالله وكيلا قال صدقت فدفعها
اليه وذكر الحديث قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى فلما
قضى موسى الاجل قال سعيد بن جبير سألني رجل من النصارى اي الاجلين قضى موسى فقلت لا ادري
حتى اقدم على حبر العرب فاسأله اعني ابن عباس فقدمت عليه فسألته فقال قضى اكملهما واوفاهما فاعلمت
النصراني فقال صدق والله هذا العالم وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل في
ذلك جبريل فاخبره انه قضى عشر سنين وحكى الطبري عن مجاهد انه قضى عشرا وعشرا بعدها رواه
الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال ابن عطية وهذا ضعيف الثانية قوله تعالى وسار
باهله فيه دليل على ان الرجل يذهب باهله حيث شاء لما له عليها من فضل القوامية وزيادة الدرجة الا ان
يلتزم لها امرا فالمؤمنون عند شروطهم واحق الشروط ان يوفى بها ما استحللتم به الفروج الثالثة قوله
تعالى آنس من جانب الطور نارا الآية تقدم القول في ذلك في طه والجذوة بكسر الجيم قراءة العامة وضمها حمزة
ويحيى والاعمش وفتحها عاصم والسلمي وزر بن حبيش قال الجوهري الجذوة والجذوة والجذوة

الجمرة والجمع جذيٌ ومجذيٌ وجُذيٌ قال مجاهد في قوله تعالى او جذوة من النار اى قطعة من الجمر قال وهى بلغة جميع
العرب وقال ابو عبيدة الجذوة مثل الجذمة وهى القطعة الغليظة من الخشب كان فى طرفها نار او لم يكن
قال ابن مقبل ۝ باتت حواطبُ ليلى يلتمسْنَ لها جزلَ الجذى غيرَ خوّارٍ ولا دَعِرِ ۝ وقال
والقى على قبس من النار جذوة شديدًا عليها حميُها ولهيبُها قوله تعالى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ
الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
فلما اتاها يعنى الشجرة قدم ضميرها عليها نودى من شاطى الوادى الايمن ومن الاولى والثانية لابتداء الغاية
اى اتاه النداء من شاطى الواد الايمن قبل الشجرة ومن الشجرة بدل من قوله من شاطى الوادى بدل الشمال
لان الشجرة كانت نابتة على الشاطى وشاطى الوادى شطه وجانبه والجمع شطان وشواطى ذكره القشيرى وقال
الجوهرى ويقول شاطئ الاولى ولا يجمع وشاطأت الرجل اذا مشيت على شاطئ ومشى هو على الشاطى الآخر الايمن
اى عن يمين موسى وقيل عن يمين الجبل فى البقعة المباركة وقرأ الاشهب العقيلى فى البقعة بفتح الباء وقولهم
بقاع يدل على بقعة كما يقال جفنة وجفان ومن قال بقعة قال بقع مثل غرفة وغرف من الشجرة اى من ناحية
الشجرة قيل كانت شجرة العليق وقيل سمرة وقيل عوسج ومنها كانت عصاه ذكره الزمخشرى وقيل عناب
والعوسج اذا عظم يقال له الغرقد وفى الحديث انه شجر اليهود فاذا نزل عيسى وقتل اليهود الذين مع الدجال
فلا يختفى احد منهم خلف شجر الا نطقت وقالت يا مسلم هذا يهودى ورائى تعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر
اليهود فلا ينطق خرجه مسلم قال المهدوى وكلم الله تعالى موسى عليه السلام من فوق عرشه واسمعه كلامه
من الشجرة على ما شاء ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بالانتقال والزوال وشبه ذلك من صفات المخلوقين
قال ابو المعالى واهل الحق يقولون من كلمه الله تعالى وخصه بالرتبة العليا والغاية القصوى فيدرك كلامه
القديم المقدس عن مشابهة الحروف والاصوات والعبارات والنغمات وضروب اللغات كما ان من خصه
الله بمنازل الكرامات واكمل عليهم نعمته ورزقه رويته يرى الله سبحانه منزهًا عن مماثلة الاجسام واحكام
الحوادث ولا مثل له سبحانه فى ذاته وصفاته واجمعت الامة على ان الرب تعالى خصص موسى عليه السلام
بكلامه وغيره من المصطفين من الملائكة بكلامه قال الاستاد ابو اسحق اتفق اهل الحق على ان الله
تعالى خلق فى موسى عليه السلام معنًى من المعانى ادركه به كلامه كان اختصاصه فى سماعه وانه قادر على مثله
فى جميع خلقه واختلفوا فى نبينا عليه السلام هل سمع ليلة الاسرا كلام الله تعالى وهل سمع جبريل عليه السلام
كلامه على قولين وطريق احدهما النقل المقطوع به وذلك مفقود واتفقوا على ان سماع الخلق له عند قراءة
القران على معنى انهم سمعوا العبارة التى عرفوا بها معناه دون سماعه له فى عينه وقال عبد الله سعد بن كلاب
ان موسى عليه السلام فهم كلام الله القديم من اصوات مخلوقة اثبتها الله تعالى فى بعض الاجسام قال ابو
المعالى وهذا مردود بل يجب اختصاص موسى عليه السلام بادراك كلام الله خرقًا للعادة ولو لم يقل ذلك
لم يكن لموسى عليه السلام اختصاص بتكليم الله اياه والرب سبحانه وتعالى اسمعه كلامه العزيز وخلق له علمًا ضروريًا
حتى ان ما علم كلام الله وان الذى كلمه وناداه هو الله رب العالمين وقد ورد فى الاقاصيص ان موسى عليه
السلام قال سمعت كلام ربى بجميع جوارحى ولم اسمعه من جهة واحدة من جهاتى وقد مضى هذا المعنى
فى البقرة مستوفى أن يا موسى ان فى موضع نصب بحذف حرف الجر اى بان يا موسى انى انا الله رب العالمين

نبى لربوبية غيره سبحانه وصار بهذا الكلام من اصفيا الله عز وجل لا من رسله لانه لا يصير رسولًا الا بعد امره
بالرسالة والامر بها انما كان بعد هذا الكلام قوله تعالى وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ وان الق عصاك عطف
على ان يا موسى وتقدم الكلام فى هذا فى النمل وطه ومدبرًا نصب على الحال وكذلك موضع قوله
ولم يعقب نصب على الحال ايضا يا موسى اقبل ولا تخف قال وهب قيل له ارجع الى حيث كنت
فرجع فلف دراعيه على يده فقال له الملك ارايت ان اراد الله ان يصيبك بما تحاذر اينفعك لفك يدك
قال لا ولكنى ضعيف خلقت من ضعيف وكشف يده فادخلها فى فم الحية فعادت عصا انك من الامنين
اى مما تحاذر قوله تعالى اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ
مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ تقدم القول
فيه واضمم اليك جناحك من الرهب من متعلقة بولى اى ولى مدبرا من الرهب وقرأ حفص والسلمى
وعيسى ابن عمرو وابن ابى اسحاق من الرهْب بفتح الراء وسكون الهاء وقرأ ابن عامر والكوفيون الا حفص
بضم الراء وجزم الهاء الباقون بفتح الراء والهاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى ويدعوننا
رغبا ورهبا وكلها لغات وهو بمعنى الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك وشعاعها فادخلها فى جيبك واردها اليه
تعد كما كانت وقيل امره الله ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه خوف الحية عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك
عن ابن عباس قال وقال ابن عباس ليس من احد يدخله رهب بعد موسى عليه السلام ثم يدخل يده فيضعها
على صدره الا ذهب عنه الرهب وحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا يكتب بين يديه فانفلتت منه
فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك
فانى ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسى وقيل المعنى اضمم يدك الى صدرك ليذهب الله ما فى صدرك من
الخوف وكان موسى يرتعد خوفا اما من آل فرعون واما من الثعبان وضم الجناح هو السكون لقوله واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق وكذلك قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين اى ارفق
بهم وقال الفراء اراد بالجناح عصاه وقال بعض اهل المعانى الرهب الكم بلغة حمير وبنى حنيفة قال
مقاتل سالتنى اعرابية شيئا وانا آكل فملأت الكف واومات اليها فقالت ههنا فى رهبى تريد فى كمى وقال
الاصمعى سمعت اعرابيا يقول لاخر اعطنى ما فى رهبك فسالته عن الرهب فقال الكم فعلى هذا يكون
معناه واضمم اليك يدك واخرجها من الكم لانه تناول العصا ويده فى كمه وقوله اسلك يدك فى جيبك
يدل على انها اليد اليمنى لان الجيب على اليسار ذكره القشيرى قلت وما فسروه من ضم اليد الى الصدر
يدل على ان الجيب موضعه الصدر وقد مضى فى سورة النور بيانه الزمخشرى ومن بدع التفاسير ان
الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى ما فى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من
الاثبات الثقات التى ترتضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الاية وكيف تطبيقه المفصل كسائر
كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمين
لها قال القشيرى وقوله واضمم اليك جناحك يريد اليدين ان قلنا اراد الامن من فزع الثعبان وقيل واضمم اليك
جناحك اى تشمر وتستعد لتحمل اعباء الرسالة قلت فعلى هذا قيل انك من الامنين اى من المرسلين

كانوا

تطبيقه

لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون قال ابن بحر فصار عليه السلام بهذا التاويل رسولا بهذا القول وقال انما صار رسولا
بقوله فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه والبرهان اليد والعصا وقراء ابن كثير وابو عمرو فذانك
بتشديد النون وخففها الباقون وروى ابو عمارة عن ابي الفضل عن ابي بكر عن ابن كثير فذانيك بالتشديد
والياء وعن ابي عمرو ايضا قال لغة هذيل فذانيك بالتخفيف والياء ولغة قريش فذانك كما قراء ابو عمرو وابن
كثير وفي تعليله خمسة اقوال قيل شدد النون عوضا من الالف الساقطة في ذانك الذي هو تثنية ذا المرفوع
وهو رفع بالابتداء والف ذا محذوفة لدخول الف التثنية عليها ولم يلتفت الى ذلك لان اصله فذانك فحذف
الالف الاولى عوضا من النون الشديدة وقيل التشديد للتاكيد كما ادخلوا اللام في ذلك قال مكي وقيل ان
من شدد انما بناه على لغة من قال في الواحد ذلك فلما ثنى اثبت اللام بعد نون التثنية ثم ادغم اللام في النون
على حكم ادغام الثاني في الاول والاصل ان يدغم الاول ابدا في الثاني الا ان تمنع من ذلك علة فيدغم الثاني
في الاول والعلة التي منعت في هذا ان يدغم الاول في الثاني انه لو فعل ذلك لصار في موضع النون التي تدل
على التثنية لام مشددة فيتغير لفظ التثنية فادغم الثاني في الاول لذلك فصار نونا مشددة وقد قيل انه لما ثنى
اثبت اللام في ذلك قبل النون ثم ادغم الاول في الثاني على اصول الادغام فصارت نونا مشددة وقيل شددت
فرقا بينها وبين الظاهر التي تسقط للاضافة نونه لان ذان لا يضاف وقيل للفرق بين الاسم المتمكن وبينها و
كذلك العلة في تشديد النون في اللذين وهذان قال ابو عبيد وانما اختص ابو عمرو وهذا الحرف بالتشديد
دون كل تثنية من جنسه لقلة حروفه فقراءه بالتثقيل ومن قراء فذانيك بياء مع تخفيف النون فالاصل
عنده فذانك بالتشديد فابدل من النون الثانية ياء كراهية التضعيف كما قالوا لا املاه في لا امله فابدلوا
اللام الثانية الفا ومن قراء بياء بعد النون الشديدة فوجهه انه اشبع كسرة النون فتولدت عنها الياء
قوله تعالى قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ
لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ فارسله معي ردا يعني معينا مشتق
من اردته اي اعنته والردي العون قال الشاعر ∘ المرتات اصرم كان ردي ∘
وخير الناس من قل وماله ∘ النحاس وقد اردأه ورداه اي اعاد وترك همزه تخفيف وبه
قراء نافع وهو بمعنى المهموز قال المهدوي ويجوز ان يكون ترك الهمز من قولهم اردا على المائة اذا زاد
عليها فكان المعنى ارسله معي زيادة في تصديقي قاله مسلم ابن جندب وانشد قول الشاعر
واسمر خطيا كان كعوبه نوى القسب قد اردى ذراعا على العشر ∘
كذا انشد الماوردي هذا البيت قد اردى وانشده الغزنوي والجوهري في الصحاح قد ارمى قال
والقسب الصلب والقسب تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة قال يصف رمحا واسم البيت
قال الجوهري ردء الشيء يردء رداءة فهي ردي اي فاسد وارداته افسدته وارداته ايضا بمعنى اعنته
تقول ارداته بنفسي اي كنت له ردا وهو العون قال الله تعالى ارسله معي ردا يصدقني قال النحاس
وقد حكى رداته ردا وجمع ردى اردا وقراء عاصم وحمزة يصدقني بالرفع وجزم الباقون وهي اختيار ابي حاتم
على جواب الدعاء واختار الرفع ابو عبيد على الحال من الهاء في ارسله اي ارسله ردا مصدقا حالة

حالة التصديق كقوله انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا كاينة حال صرف الى الاستقبال ويجوز ان
يكون صفة لقوله ردا اني اخاف ان يكذبون اذا لم يكن لي وزير ولا معين لانهم لا يكادون يفقهون
عني فقال الله جل وعز له سنشد عضدك باخيك اي نقويك به وهذا تمثيل لان قوة اليد بالعضد
قال طرفة ∘ ابني لبيني لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله
عضدك وفي ضده فت الله عضدك ونجعل لكما سلطانا اي حجة وبرهانا فلا يصلون اليكما بالاذى
باياتنا اي تمتنعان منهم باياتنا فيجوز ان يوقف على اليكما ويبتدى باياتنا وان قدرت ونجعل لكما سلطانا
باياتنا فلا يصلون اليكما لم يوقف على اليكما ويكون في الكلام تقديم وتاخير وقيل التقدير انتما ومن اتبعكما
الغالبون باياتنا قاله الاخفش والطبري قال المهدوي وفي هذا تقديم الصلة على الموصول الا ان
يقدر انتما غالبان باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون وعني بالايات ساير معجزاته قوله تعالى فَلَمَّا
جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ
بينات اي ظاهرات بينات واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى مكذوب مختلق وما سمعنا بهذا
في ابائنا الاولين وقيل ان هذه الايات ما احتج به موسى في اثبات التوحيد من الحجج العقلية وقيل
هي معجزاته قوله تعالى وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ
عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ قراءة العامة بالواو وقراء مجاهد وابن كثير وابن محيصن
قال بلا واو وكذلك هو في مصاحف اهل مكة ربي اعلم بمن جاء بالهدى اي بالرشاد من عنده ومن
تكون قراء الكوفيون الا عاصما يكون بالياء والباقون بالتاء وقد تقدم هذا عاقبة الدار اي دار الجزاء له
انه الهاء ضمير الامر والشان لا يفلح الظالمون قوله تعالى وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا
عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ
مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ قال ابن عباس كان بينها وبين قوله انا ربكم الاعلى اربعون سنة
وكذب عدو الله بل علم انه ثم ربا هو خالقه وخالق قومه ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فاوقد لي
يا هامان على الطين اي اطبخ لي الاجر عن ابن عباس وقال قتادة هو اول من صنع الاجر وبني به ولما امر
فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال خمسين الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ
الاجر والجص ونشر الخشب وضرب المسامير فبنوا ورفعوا البناء وشيدوه بحيث لم يبلغه بنيان منذ
خلق الله السموات والارض فكان الباني لا يقدر ان يقوم على راسه يبني اراد الله ان يفتنهم فيه فحكى السدي
ان فرعون صعد الصرح ورمى بنشابه نحو السماء فرجعت اليه ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى
فروي ان جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى لهدمه عند مقالته والله اعلم بصحته فضرب الصرح بجناحه
فقطعه ثلاث قطع قطعة على عسكر فرعون قتلت منهم الف الف في البحر وقطعة في الغرب فهلك كل من عمل
فيه شيئا واني لاظنه من الكاذبين الظن هنا شك فكفر على الشك لانه قد راي من البراهين ما لا يخيل على
ذي فطرة قوله تعالى وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ
فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ
أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ

نشابه

وقطعة

القيمة هم من المقبوحين ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون﴾ واستكبر اي تعظم
هو وجنوده اى عن الايمان بموسى فى الارض بغير الحق اي بالعدوان اى لم تكن له حجة يدفع ما جاء
به موسى وظنوا انهم الينا لا يرجعون اى توهموا انه لا معاد ولا بعث وقرأ نافع وشيبة وابن محيصن
وحميد ويعقوب وحمزة والكسائى لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم على انه مسمى للفاعل الباقون يرجعون
على الفعل المجهول وهو اختيار ابي عبيد والاول اختيار ابي حاتم فاخذناه وجنوده وكانوا الفى الف وستمائة
الف فنبذناهم فى اليم اي طرحناهم فى البحر المالح قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اساف
اغرقهم الله فيه وقال وهب والسدى المكان الذى اغرقهم الله فيه ناحية القلزم يقال له بطن مرة
وهو الى اليوم غضبان وقال مقاتل يعنى نهر النيل والمشهور الاول فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين
اى آخر امرهم وجعلناهم ائمة اى جعلناهم زعماء يتبعون على الكفر فيكون لهم وزرهم ووزر من اتبعهم
حتى يكون عقابهم اكثر وقيل جعل الله الملاء من قومه رؤساء السفلة منهم فهم يدعون الى جهنم وقيل ائمة
يأتم بهم ذوو العبر ويتعظ بهم اهل البصائر يدعون الى النار اى الى عمل اهل النار ويوم القيمة لا ينصرون
واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة اى امرنا العباد بلعنهم فمن ذكرهم لعنهم وقيل اي الزمناهم اللعن اي
التبعيد عن الخير هم من المقبوحين اى من المهلكين الممقوتين قاله ابن كيسان وابو عبيدة وقال ابن عباس
المشوهين الخلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل من المبعدين يقال قبحه الله اى نحاه من كل خير
وقبحه وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عمر قبحت وجهه بالتخفيف بمعنى قبحت قال الشاعر

الا قبح الله البراجم كلها ۞ وقبح يربوعا وقبح دارها

وانتصب يوم على الحمل على موضع فى هذه الدنيا واستغنى عن حرف العطف فى قوله هم من المقبوحين
كما استغنى عنه فى قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويجوز ان يكون العامل فى يوم مضمرا يدل عليه قوله
هم من المقبوحين فيكون كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويجوز ان يكون العامل فى
يوم قوله هم من المقبوحين وان كان الظرف متقدما ويجوز ان يكون مفعولا على السعة كانه قال
واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ولعنة يوم القيمة قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعنى التوراة
قاله قتادة قال يحيى بن سلام هو اول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والاحكام وقيل الكتاب
هنا ست من المثانى والسبع التى انزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس ورواه
مرفوعا من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قال ابو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم ما
اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة ولا اهل قرية بعذاب من السماء ولا من الارض منذ انزل الله التوراة على موسى
غير القرية التى مسخت قردة الم تر الى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
اى من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقيل اى من بعد ما اغرقنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون بصائر للناس
اى آتيناه الكتاب بصائر اى ليتبصروا وهدى اى من الضلالة لمن عمل بها ورحمة لمن آمن بها لعلهم
يتذكرون اى ليتذكروا هذه النعمة فيقيموا على ايمانهم فى الدنيا ويثقوا بثوابهم فى الآخرة قوله تعالى ﴿وما
كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين﴾ اى ما كنت يا محمد

بجانب الغربى اى بجانب الجبل الغربى قال الشاعر اعطاك من اعطى الهدى النبيا ۞ نورا يزين المنبر الغربيا
اذ قضينا الى موسى الامر اى اذ كلفناه امرنا ونهينا والزمناه عهدنا وقيل اى اذ قضينا الى موسى امرك وذكرناك
بخير ذكر وقال ابن عباس اذ قضينا اخبرنا ان امة محمد صلى الله عليه وسلم خير الامم وما كنت من الشاهدين
اى من الحاضرين قوله تعالى ﴿ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا
فى اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين﴾ قرونا اى من بعد موسى فتطاول
عليهم العمر حتى نسوا ذكر الله اى عهده وامره نظيره فتطاول عليهم الامد فقست قلوبهم وظاهر هذا يوجب
ان يكون جرى لنبينا عليه السلام ذكر فى ذلك الوقت وان الله سيبعثه ولكن طالت المدة وغلبت القسوة
فنسى القوم ذلك وقيل آتينا موسى الكتاب واخذنا على قومه العهود ثم تطاول العهد فكفروا فارسلنا محمدا
مجددا للدين وداعيا للخلق اليه قوله تعالى وما كنت ثاويا فى اهل مدين اى مقيما كمقام موسى وشعيب بينهم
قال العجاج فبات حيث يدخل الثوى ۞ اي الضيف المقيم وقوله تتلوا عليهم آياتنا اى تذكرهم بالوعد
والوعيد ولكنا كنا مرسلين اى ارسلناك فى اهل مكة وآتيناك كتابا فيه هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها
قوله تعالى ﴿وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾ اى كما لم تحضر جانب المكان الغربى اذ ارسل
الله موسى الى فرعون فكذلك لم تحضر جانب الطور اذ نادينا موسى لما اتى الميقات مع السبعين وروى
عمرو بن دينار يرفعه قال نودى يا محمد اجبتكم قبل ان تدعونى واعطيتكم قبل ان تسألونى فذلك قوله وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا وقال ابو هريرة وفى رواية عن ابن عباس ان الله تعالى قال يا محمد اجبتكم قبل
ان تدعونى واعطيتكم قبل ان تسألونى وغفرت لكم قبل ان تستغفرونى ورحمتكم قبل ان تسترحمونى
قال وهب وذلك ان موسى لما ذكر الله له فضل محمد وامته قال يا رب ارنيهم فقال الله تعالى انك لن تدركهم
وان شئت ناديتهم فاسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله تعالى يا امة محمد فاجابوا من اصلاب
آبائهم فقال قد اجبتكم قبل ان تدعونى ومعنى الاية على هذا ما كنت بجانب الطور اذ كلمنا موسى فنادينا
امتك واخبرناه بما كتبناه لك ولامتك من الرحمة الى آخر الدنيا ولكن فعلنا ذلك رحمة منا بكم قال الاخفش
رحمة نصب على المصدر اى ولكن رحمناك رحمة وقال الزجاج هو مفعول من اجله اى فعل ذلك بك
لاجل الرحمة النحاس اى لم تشهد قصص الانبياء ولا تليت عليك ولكنا بعثناك واوحيناها اليك للرحمة
الكسائى على خبر كان التقدير ولكن كان رحمة قال ويجوز الرفع بمعنى ولكن هى رحمة الزجاج الرفع
بمعنى ولكن فعل ذلك رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعنى العرب اى لم تشاهد تلك الاخبار
ولكن اوحيناها اليك رحمة بمن ارسلت اليه لتنذرهم بها لعلهم يتذكرون قوله تعالى ﴿ولولا
ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون
من المؤمنين﴾ يريد قريشا وقيل اليهود مصيبة اى عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصى
وخص الايدى بالذكر لان الغالب من الكسب انما يقع بها وجواب لولا محذوف اى لولا ان تصيبهم عذاب بسبب
معاصيهم المتقدمة فيقولوا ربنا لولا اى هلا ارسلت الينا رسولا لما بعثنا الرسل وقيل لعاجلناهم بالعقوبة
وبعث الرسل ازاحة لعذر الكفار كما تقدم فى سبحان وآخر طه فنتبع آياتك نصب على جواب التحضيض ويكون عطف

عليه من المومنين اى المصدقين و قد احتج بهذه الآية من قال ان العقل توجب الايمان والشكر لانه قال بما قدمت
ايديهم و ذلك موجب للعقاب اذ تقدر الوجوب قبل بعثة الرسل وانما يكون ذلك بالعقل قال القشيري والصحيح
ان المحذوف لولا كذا لما احتيج الى تجديد الرسل اى هولاء الكفار غير معذورين اذ بلغتهم الشرائع السابقة
والدعوة الى التوحيد و لكن تطاول العهد فلو عذبناهم فقد يقول قايل منهم طال العهد بالرسل ويظن ان
ذلك عذر ولا عذر لهم بعد ان بلغهم خبر الرسل ولكن اكملنا ازاحة العذر واتممنا البيان فبعثناك يا محمد اليهم
وقد حكم الله بانه لا يعاقب عبدا الا بعد اكمال البيان والحجة وبعثة الرسل قوله تعالى فَلَمَّا جَاءَهُمُ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا
إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا يعني كفار مكة لولا
اي هلا اوتي مثل ما اوتي موسى من العصا واليد البيضا وانزل عليه القرآن جملة واحدة كالتوراة وكان
بلغهم ذلك من امر موسى قبل محمد فقال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا
اى موسى ومحمد تعاونا على السحر قال الكلبي بعثت قريش الى اليهود وسالوهم عن نعت محمد وشانه فقالوا
انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الجواب اليهم قالوا ساحران تظاهرا وقال قوم ان اليهود علموا
المشركين وقالوا قولوا لمحمد لولا اوتيت مثل ما اوتي موسى فانه اوتي التوراة بدفعة واحدة فهذا الاحتجاج
وارد على اليهود اي اولم يكفروا هولاء اليهود بما اوتي موسى حين قالوا في موسى وهارون انهما ساحران وانا
بكل كافرون بكل واحد منهما وقرا الكوفيون سحران بغير الف اى الانجيل والقرآن وقيل التوراة والقرآن
قاله الفراء وقيل التوراة والانجيل قاله ابو رزين الباقون ساحران بالف وفيه ثلاثة اقاويل احدها موسى
ومحمد عليهما السلام وهذا قول مشركي العرب وبه قال ابن عباس والحسن الثاني موسى وهارون وهذا
قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد فيكون الكلام احتجاجا عليهم
وهذا يدل على ان المحذوف في قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة لما جددنا بعثة الرسول لان اليهود اعترفوا بالنبوات
ولكنهم حرفوا وغيروا واستحقوا العقاب فقال قد اكملنا ازاحة عذرهم ببعثة محمد عليه السلام الثالث عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وهذا قول اليهود اليوم وبه قال قتادة وقيل اولم يكفر جميع اليهود بما اوتي موسى في التوراة
من ذكر المسيح وذكر الانجيل والقرآن فراوا موسى ومحمدا ساحرين والكتابين سحرين قوله تعالى قُلْ فَأْتُوا
بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اى قل يا محمد اذ كفرتم معاشر المشركين
بهذين الكتابين فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما ليكون ذلك عذرا لكم في الكفر ان كنتم صادقين
في انهما سحران او فاتوا بكتاب هو اهدى من كتابي موسى ومحمد عليهما السلام وهذا يقوى قراءة الكوفيين سحران
اتبعه قال الفراء بالرفع لانه صفة الكتاب وكتاب نكرة قال واذا جزمت وهو الوجه فعلى الشرط
قوله تعالى فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فان لم يستجيبوا لك يا محمد ان ياتوا بكتاب من عند الله
فاعلم انما يتبعون اهواهم اى اراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان وانه لا حجة لهم ومن اضل ممن
اتبع هواه بغير هدى من الله اى لا احد اضل منه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله تعالى وَلَقَدْ
وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ اى اتبعنا بعضه بعضا وبعثنا رسولا بعد رسول وقراء

قالوا م

من ص

الحسن

٢٠٧

والبيان

الحسن وصلنا مخففا وقال ابو عبيدة والاخفش معنا وصلنا اتممنا كصلتك الشيء وقال ابن عيينة والسدي
بينا وقاله ابن عباس وقال مجاهد فصلنا وكذلك كان يقروها وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا
بخبر الآخرة حتى كانهم عاينوا الآخرة في الدنيا وقال اهل المعاني والينا وتابعنا وانزلنا القرآن
يتبع بعضه بعضا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ونصايح ومواعظ ارادة ان يتذكروا فيفلحوا واصلها من
وصل الجبال بعضها الى بعض قال الشاعر فقل لبني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف ما يزال يوصل
وقال امرؤ القيس درير كخذروف الوليد امره يقلب كفيه بخيط موصل
والضمير في لهم لقريش عن مجاهد وقيل هو لليهود وقيل هو لهم جميعا والآية رد على من قال هلا اوتي
محمد القرآن جملة واحدة لعلهم يتذكرون قال ابن عباس يتذكرون محمدا فيومنوا به وقيل يتذكرون فيخافون
ان ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم قاله علي ابن عيسى وقيل لعلهم يتعظون بالقرآن عن عبادة الاوثان حكاه النقاش
قوله تعالى الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا
آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ اخبر ان قوما ممن اوتوا الكتاب من بني
اسرائيل من قبل القرآن يومنون بالقرآن كعبد الله ابن سلام وسلمان ويدخل فيه من اسلم من علماء النصارى
وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر بن ابي طالب المدينة اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية نفر اقبلوا من
الشام وكانوا ائمة النصارى منهم بحيرا الراهب وابرهة والاشرف وعامر وايمن وادريس ونافع كذا
سماهم الماوردي وانزل الله فيهم هذه الآية والتي بعدها الى قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا
قاله قتادة وعنه ايضا انها نزلت في عبد الله ابن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي
اسلموا فنزلت فيهم هذه الآية وعن رفاعة ابن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقال الزهري نزلت في
النجاشي واصحابه ووجه باثني عشر رجلا فجلسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل واصحابه
قريبا منهم فامنوا بالنبي عليه السلام فلما قاموا من عنده تبعهم ابو جهل ومن معه فقال لهم خيبكم الله
من ركب وقبحكم من وفد لم تلبثوا ان صدقتموه وما راينا ركبا احمق منكم ولا اجهل فقالوا سلام عليكم لم نال
انفسنا رشدا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وقد تقدم هذا في المايدة عند قوله واذا سمعوا ما انزل الى الرسول مستوفى
وقال ابو العالية هولاء قوم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد ادركه بعضهم من قبله
اى من قبل القرآن وقيل من قبل محمد عليه السلام هم به اي بالقرآن او بمحمد عليه السلام يومنون
اذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اى اذا قرئ عليهم القرآن قالوا صدقنا بما فيه انا كنا من قبله
اى من قبل نزوله او من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمين اى موحدين او مومنين بانه سيبعث
محمد وينزل عليه القرآن قوله تعالى أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ
لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين
بما صبروا ثبت في صحيح مسلم عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يوتون اجرهم مرتين
رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم فامن به واتبعه وصدقه فله اجران

ورجل كانت له امة فغذاها فاحسن غذاءها ثم ادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ثم قال الشعبي
للخراساني خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا الى المدينة خرجه البخاري
ايضا قال علماؤنا لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطبا بامرين من جهتين استحق كل واحد منهم اجرين فالكتابي
كان مخاطبا من جهة نبيه ثم انه خوطب من جهة نبينا فاجابه واتبعه فله اجر الملتين وكذلك العبد هو مامور
من جهة الله تعالى ومن جهة سيده ورب الامة لما قام بما خوطب به من تربية امته وادبها فقد احيا ما احيا
التربية ثم انه لما اعتقها وتزوجها احيا ما احياء الحرية التي الحقها فيه بمنصبه فقد قام بما امر فيها فاجر كل واحد
منهما اجرين ثم ان كل واحد من الاجرين مضاعف في نفسه الحسنة بعشر امثالها فتضاعف الاجور ولذلك قيل
ان العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى افضل من الحر وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر و
غيره وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد المملوك المصلح اجران والذي
نفس ابي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر امي لاحببت ان اموت وانا مملوك قال سعيد بن المسيب
وبلغنا ان ابا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت امه لصحبتها وفي الصحيح ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
نعما للعبد المملوك ان يتوفى بحسن عبادة الله وصحابة سيده نعما له الثانية قوله تعالى بما صبروا عام في صبرهم
على ملتهم ثم على هذه وعلى الاذى الذي يلقونه من الكفار وغير ذلك الثالثة قوله تعالى ويدرءون بالحسنة
السيئة ومما رزقناهم اي يدفعون درأت اذا دفعت والدرء الدفع وفي الحديث ادرؤوا الحدود ما استطعتم
قيل يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الاذى وقيل يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب وعلى الاول فهو وصف
لمكارم الاخلاق اي من قال لهم سوءا لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه وهذه اية مهادنة وهي من صدر الاسلام
وهي مما نسختها اية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاه امة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة ومنه
قوله عليه السلام لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ومن الخلق الحسن دفع المكروه والاذى
والصبر على الجفاء بالاعراض عنه ولين الحديث الرابعة قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اثنى عليهم بانهم
ينفقون من اموالهم في الطاعات وفي رسم الشرع وفي ذلك حض على الصدقات وقد يكون الانفاق من الابدان
بالصوم والصلوات ثم مدحهم ايضا على اعراضهم عن اللغو كما قال واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا سمعوا ما قال
لهم المشركون من الاذى والشتم اعرضوا عنه اي لم يشتغلوا به وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم اي
متاركة مثل قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي لنا ديننا ولكم دينكم سلام عليكم اي امنة لكم منا فانا
لا نحاوركم ولا نسابكم وليس من التحية في شيء قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال لا نبتغي الجاهلين اي
لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة قوله تعالى انك لا تهدي من احببت الاية قال الزجاج اجمع المسلمون
انها نزلت في ابي طالب قلت والصواب ان يقال اجمع كل المفسرين على انها نزلت في شان ابي طالب عم النبي صلى الله
عليه وسلم وهو نص حديث البخاري ومسلم وقد تقدم الكلام في ذلك في براءة وقال ابو روق قوله ولكن الله يهدي
من يشاء اشارة الى العباس وقاله قتادة وهو اعلم بالمهتدين قال مجاهد لمن قدر له ان يهتدي وقيل معنى من احببت
اي من احببت ان يهتدي وقال جبير بن مطعم لم يسمع احد الوحي يلقى على النبي صلى الله عليه وسلم الا ابا بكر الصديق
فانه سمع جبريل وهو يقول يا محمد اقرأ انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء قوله تعالى وقالوا
إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ

لصحبتها م

لم يمكن

رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ هذا قول مشركي قريش قال ابن عباس قايل ذلك الحارث
ابن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف القرشي قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا ان نتبع
الهدى معك ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا العرب من ارضنا يعني مكة لاجتماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم
وكان هذا من تعللاتهم فاجابه الله تعالى عما اعتل به فقال اولم نمكن لهم حرما امنا اي ذا امن وذلك ان العرب
كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعضهم ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة امنون حيث كانوا لحرمة الحرم فاخبر
انه قد امنهم بحرمة البيت ومنع عنهم عدوهم فلا يخافون ان يستحل العرب حرمته في قتالهم والتخطف الانتزاع
بسرعة وقد تقدم قال يحيى بن سلام يقول كنتم امنين في حرمي تاكلون رزقي وتعبدون غيري افتخافون
اذا عبدتموني وامنتم به يجبى اليه ثمرات كل شيء اي يجمع اليه ثمرات كل ارض وبلد عن ابن عباس وغيره يقال
جبى الماء في الحوض اي جمعه والجابية الحوض العظيم وقرا نافع تجبى بالتاء لاجل الثمرات الباقون بالياء لقوله
كل شيء واختاره ابو عبيد قال لانه حال بين الاسم المؤنث وبين فعله حايل وايضا فان الثمرات جمع وليس بتانيث
حقيقي رزقا من لدنا اي من عندنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يعقلون اي هم غافلون عن الاستدلال و
ان من رزقهم وامنهم فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو اسلموا ويمنع الكفار عنهم في اسلامهم ورزقا نصب على
المفعول من اجله ويجوز نصبه على المصدر بالمعنى لان معنى يجبى يرزق وقرئ تجبى بالنون من الجنى وتعديته
بالى كقولك يجبى الى فيه ويجبى الى الخافة خريطة من ادم يشتار فيها العسل قوله تعالى وَكَمْ أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ بين لمن
توهم انه لو امن لقاتلته العرب ان الخوف في ترك الايمان اكثر فكم من قوم كفروا ثم حل بهم البوار والبطر الطغيان
بالنعمة قاله الزجاج معيشتها اي في معيشتها فلما حذف في تعدى الفعل قاله المازني والزجاج كقوله واختار
موسى قومه الفراء هو منصوب على التفسير قال كما تقول ابطرك مالك وبطرته ونظيره عنده الا من سفه
نفسه وكذا عنده فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ونصب المعارف على التفسير محال عند البصريين لان معنى
التفسير والتمييز ان يكون واحدا نكرة يدل على الجنس وقيل انتصب ببطرت ومعنى بطرت جهلت فالمعنى جهلت
شكر معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا اي لم تسكن بعد هلاك اهلها الا قليلا من المساكن و
اكثرها خراب والاستثناء يرجع الى المساكن اي بعضها يسكن قاله الفراء واعترض عليه واعترض عليه فقيل لو كان
الاستثناء يرجع لقال الا قليل واذا نصبت كان القليل صفة للضرب اي لم تسكن الا ضربا قليلا فالمعنى اذا
فتلك مساكنهم لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او بعض يوم اي لم تسكن من بعدهم الا سكونا قليلا وكذا
قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر او مار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين اي لما خلفوا بعد هلاكهم
قوله تعالى وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا
مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ مهلك القرى اي القرى الكافرة اهلها حتى يبعث في امها قرئ بضم الهمزة
وكسرها لاتباع الجر يعني مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل في امها في اعظمها رسولا ينذرهم وقال
الحسن في اوائلها قلت ومكة اعظم القرى لحرمتها واولها لقوله ان اول بيت وضع للناس وخصت بالاعظم
لبعثة الرسول فيها لان الرسل تبعث الى الاشراف وهم يسكنون المداين وهي ام ما حولها وقد مضى هذا القول

كفر ص

خراب ص

في آخر سورة يوسف يتلوا عليهم آياتنا يتلوا في موضع الصفة اي تاليا اي يخبرهم ان العذاب ينزل بهم ان لم يؤمنوا
وما كنا مهلكي القرى سقطت النون بالاضافة مثل الظالمي اهلها الا واهلها ظالمون اي لم اهلكهم الا وقد استحقوا
الاهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وفي هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم اخبر انه لا يهلكهم
الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل
علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال عز من قائل وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما لهم منه وان حاله في غناه و
حكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم قوله وما اوتيتم
من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي يتمتعون بها مدة حياتكم او مدة في حياتكم فاما ان يزولوا عنها او تزولوا
عنكم وما عند الله خير وابقى اي افضل وادوم يريد الدار الآخرة وهي الجنة افلا يعقلون ان الباقي افضل
من الفاني قرأ ابو عمرو يعقلون بالياء الباقون بالتاء على الخطاب وهو الاختيار لقوله وما اوتيتم قوله تعالى
**أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ** فهو لاقيه يعني الجنة وما فيها من الثواب كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا فاعطى منها بعض ما اراد
ثم هو يوم القيمة من المحضرين اي في النار نظيره قوله ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين قال ابن عباس نزلت في
حمزة ابن عبد المطلب وابي جهل ابن هشام وقال مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقال محمد بن
كعب نزلت في حمزة وعلي وفي ابي جهل وعمارة ابن الوليد وقيل في عمارة والوليد بن المغيرة قاله السدي قال
القشيري والصحيح انها نزلت في المؤمن والكافر على التعميم الثعلبي وبالجملة فانها نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافية
فيه والغنى وله في الآخرة وفي كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله وله في الآخرة الجنة قوله تعالى **وَيَوْمَ
يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا
هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ** اي ينادي
الله يوم القيمة هؤلاء المشركين فيقول اين شركائي بزعمكم انهم ينصرونكم ويشفعون لكم قال الذين حق عليهم القول
اي حقت عليهم كلمة العذاب وهم الرؤسا قاله الكلبي وقال قتادة هم الشياطين ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي دعونا
الى الغي فقيل لهم اغويتموهم قالوا اغويناهم يعنون اضللناهم كما كنا ضالين تبرأنا اليك اي تبرا بعضنا من بعض
والشياطين يتبرؤن ممن اطاعهم والرؤسا يتبرؤن ممن قبل منهم كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين قوله تعالى **وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ
كَانُوا يَهْتَدُونَ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ** وقيل اي للكفار ادعوا شركاءكم اي استغيثوا بالهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم
وتدفع عنكم فدعوهم اي استغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم ولا اسعفوا بهم وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
قال الزجاج جواب لو محذوف والمعنى لو انهم كانوا يهتدون لانجاهم الهدى ولو صاروا الى العذاب وقيل لو
لو انهم كانوا يهتدون ما دعوهم وقيل ودوا حين راوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا اذا راوا العذاب
يوم القيمة ماذا اجبتم المرسلين اي يقول الله لهم ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين لما بلغوكم من رسالاتي
فعميت عليهم الانباء يومئذ اي خفيت عليهم الحجج قاله مجاهد لان الله قد اعذر اليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة

الجنة م

المعنى

يوم القيامة والانباء الاخبار سمى حججهم انباء لانها اخبار يخبرونها فهم لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا
عن الحجج لان الله تعالى ادحض حججهم قاله الضحاك وقال ابن عباس لا يتساءلون اي لا ينطقون بحجة وقيل لا
يتساءلون في تلك الساعة ولا يدرون ما يجيبون به من هول تلك الساعة ثم يجيبون بعد ذلك كما اخبر عن قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين وقال مجاهد لا يتساءلون بالانساب وقيل لا يسال بعضهم بعضا ان يحمل من ذنوبه شيئا
حكاه ابن عيسى قوله تعالى **فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ**
اي من الشرك وامن اي صدق وعمل صالحا ادى الفرائض واكثر من النوافل فعسى ان يكون من المفلحين اي
الفائزين بالسعادة وعسى من الله واجبة قوله تعالى **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ
الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ
اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** هذا متصل بذكر
الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعة اي الاختيار الى الله تعالى في الشفعاء لا الى المشركين وقيل
هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وعروة بن
مسعود الثقفي من الطايف وقيل هو جواب اليهود اذ قالوا الرسول الى محمد غير جبريل لآمنا به قال ابن
عباس والمعنى وربك يخلق ما يشاء ما يشاء من خلقه ويختار منهم من يشاء لطاعته وقال يحيى بن سلام المعنى
وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوته وحكى النقاش ان المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ويختار الانصار لدينه قلت وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا عن جابر ان الله
اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم اصحابي وفي اصحابي كلهم خير واختار امتي على سائر الامم واختار لي من امتي اربعة قرون وذكر سفيان بن
عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن ابيه في قوله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار قال اختار
من النعم الضان ومن الطير الحمام والوقف التام ويختار قال علي بن سليمان هذا وقف التام ولا يجوز ان يكون
ما في موضع نصب لانها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شيء قال وفي هذا رد على القدرية قال النحاس التمام ويختار اي
ويختار الرسل ما كان لهم الخيرة اي ليس يرسل من اختاروه وقال ابو اسحاق ويختار وقف التمام المختار
ويجوز ان يكون ما في موضع نصب بيختار ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة قال القشيري والصحيح
الاول لاطباقهم على الوقف على قوله ويختار قال المهدوي وهو اشبه بمذهب اهل السنة وما من قوله ما كان لهم الخيرة
نفي عام لجميع الاشياء ان يكون للعبد فيه شيء سوى اكتسابه بقدر الله عز وجل الزمخشري ما كان لهم الخيرة
بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء لهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه
الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه واجاز الزجاج وغيره ان يكون ما منصوبا بيختار وانكر الطبري
ان يكون ما نافية لئلا يكون المعنى انهم لم يكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل ولانه لم يتقدم كلام بنفي قال
المهدوي ولا يلزم ذلك لان ما تنفي الحال والاستقبال كليس ولذلك عملت عملها ولان الاي كانت تنزل على النبي
صلى الله عليه وسلم على ما يسال عنه وعلى ما هم مصرون عليه من الاعمال وان لم يكن ذلك في النص وتقدير الاية عند
الطبري ويختار لولايته الخيرة من خلقه لان المشركين كانوا يختارون خيار اموالهم فيجعلونه لالهتهم فقال
الله تبارك وتعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار للهداية من خلقه من سبقت له السعادة في علمه كما اختار المشركون

لو كان

خيارا من الهجر لا تهتم فاعلا هذا المعنى يعقل ومن جعله الذي والخيرة رفع بالابتداء ولهم الخيرة والجملة خبر كان
وشبهه بقولك كان زيد ابوه منطلق وفيه ضعف اذ ليس في الكلام عائد يعود على اسم كان الا ان يقدر حذف
فيه فيجوز على بعد وقدروي معنى ما قاله الطبري عن ابن عباس قال الثعلبي وما نفي اي ليس لهم الاختيار على الله
وهذا اصوب لقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم
فهو الصواب وقال محمود الوراق توكل على الرحمن في كل حاجة ○ اردت فان الله يقضي ويقدر
اذا ما يرد ذو العرش امرا ○ بعبده نصيبه وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الانسان من وجه حذره ○ وينجو بحمد الله من حيث يحذر
وقال آخر العبد ذو ضجر والرب ذو قدر ○ والدهر ذو دول والرزق مقسوم
والخير اجمع فيما اختار خالقنا ○ وفي اختيار سواه اللوم والشوم

قال العلماء لا ينبغي لاحد ان يقدم على احد من امور الدنيا الا حتى يسال الله الخيرة في ذلك وذلك بان يصلي
ركعتين صلاة الاستخارة ويقرا في الركعة الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الركعة الثانية قل هو الله
احد واختار بعض المشايخ ان يقرا في الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الاية وفي الركعة الثانية وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وكل حسن ثم يدعو بهذا الدعا بعد السلام
وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور
كلها كما يعلمنا السورة من القران يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم
اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت
علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال في عاجل امري وآجله
فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال
في عاجل امري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمي حاجته وروت
عائشة عن ابي بكر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد امرا قال اللهم خر لي واختر لي وروي
انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا انس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر
الى ما سبق قلبك فان الخير فيه قال العلماء وينبغي له ان يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مائلا الى امر من الامور
فعند ذلك ما يسبق الى قلبه يعمل عليه فان الخيرة فيه ان شاء الله وان عزم على سفر فيتوخى بسفره يوم الخميس
او يوم الاثنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزه نفسه سبحانه بقوله الحق فقال سبحان الله اي تنزيها
وتعالى وتقدس وتمجد عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون وقرا ابن محيصن وحميد تكن
بفتح الياء وضم الكاف وقد تقدم هذا في النمل مدح سبحانه بانه عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه وهو الله لا اله الا
هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون تقدم معناه وانه المتفرد بالوحدانية وان جميع المحامد
انما تجب له وان لا حكم الا له واليه المصير قوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى
يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون ○ قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ○ ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ○ سرمدا اي دائما ومنه قول طرفة

الرحمن

لعمرك ما امري علي بغمة ○ نهاري ولا ليلي علي بسرمد
بين سبحانه انه مهد اسباب المعيشة ليقوموا بشكر نعمه من اله غير الله ياتيكم بضياء اي بنور تطلبون فيه المعيشة
وقيل بنهار تبصرون فيه في معايشكم ويصلح فيه الثمار والنبات افلا تسمعون سماع فهم وقبول قل ارايتم
ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه اي تستقرون فيه من
النصب افلا تبصرون ما انتم فيه من الخطاء في عبادة غيره واذا اقررتم بانه لا يقدر على ايتاء الليل والنهار
غيره فلم تشركون به ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي فيهما وقيل الضمير للزمان وهو الليل
والنهار ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه فيه اي في النهار فحذف ولعلكم تشكرون الله على ذلك ❊
قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون اعاد هذا الاجل لا
الحالين ينادون مرة فيقال لهم اين شركاءي فيدعون الاصنام فلا يستجيبون فيظهر خزيهم ثم ينادون
مرة اخرى فيسكتون وهو توبيخ وزيادة خزي والمناداة هنا ليست من الله لان الله لا يكلم الكفار لقوله تعالى
ولا يكلمهم الله يوم القيمة لكنه تعالى يامر من يوبخهم ويبكتهم ويقيم الحجج عليهم في مقام الحساب وقيل يحتمل ان يكون
من الله وقوله لا يكلمهم الله حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقال شركاءي لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم
قوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم
ما كانوا يفترون ○ شهيدا اي نبيا عن مجاهد وقيل هم عدول الاخرة يشهدون على العباد باعمالهم في الدنيا
والاول اظهر لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله ويوم نبعث من
كل امة شهيدا وشهيد كل امة رسولها الذي يشهد عليها والشهيد الحاضر اي احضرنا رسولهم المبعوث اليهم
فقلنا هاتوا برهانكم اي حجتكم فعلموا ان الحق لله اي علموا صدق ما جاءت به الانبياء وضل عنهم اي ذهب عنهم
وبطل ما كانوا يفترون اي يختلقونه من الكذب على الله تعالى من ان معه الهة تعبد قوله تعالى ان
قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة
اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين لما قال وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة
الدنيا بين ان قارون اوتيها واغتر بها ولم تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ولستم ايها المشركون
باكثر عددا ومالا من قارون وفرعون فلم ينفع فرعون جنوده واموالة ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه
قال النخعي وقتادة وغيرهما كان ابن عم موسى لحا وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
وموسى ابن عمران بن قاهث وقال ابن اسحق كان عم موسى لاب وام وقيل كان ابن خالته ولم ينصرف
للعجمة والتعريف وما كان على وزن فاعول اعجميا لا يحسن فيه الالف واللام لم ينصرف في المعرفة وانصرف في
النكرة فان حسنت فيه الالف واللام انصرف ان كان اسما للمذكر نحو طاوس وراقود قال الزجاج ولو كان
قارون من قرنت الشيء لانصرف فبغى عليهم بغيه انه زاد في طول ثوبه شبرا قاله شهر بن حوشب وفي الحديث لا ينظر
الله الى من جر ازاره بطرا وقيل بغيه كفره بالله عز وجل قاله الضحاك وقيل بغيه استخفافه بهم لكثرة ماله
وولده قاله قتادة وقيل بغيه نسبته ما اتاه الله من الكنوز الى نفسه بعلمه وحيلته قاله ابن بحر وقيل بغيه
قوله اذا كانت النبوة لموسى والذبح والقربان في هارون فما لي فروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة
والحبورة لهرون تقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في

قومه لاصم

نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك
حتى ياتي باية فامر رؤسا بني اسرائيل ان يجيء كل واحد منهم بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان
الوحي ينزل عليه منها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر
كانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما يصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم وقال
يحيى بن سلام وابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون على بني اسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم وكان منهم
وقول سابع روي عن ابن عباس قال لما امر الله تعالى موسى برجم الزاني عمد قارون الى امراة بغي فاعطاها
مالا وحملها على ان ادعت على موسى انه زنا بها وانه احبلها فعظم على موسى ذلك واحلفها بالله الذي فلق البحر
لبني اسرائيل وانزل التوراة على موسى الا صدقت فتداركها الله فقالت اشهد انك بري وان قارون اعطاني
مالا وحملني على ان قلت ما قلت وانت الصادق وقارون الكاذب فجعل الله امر قارون الى موسى وامر الارض
ان يطيعه فجاءه وهو يقول للارض يا ارض خذيه يا ارض خذيه تاخذه شيئا شيئا وهو يستغيث يا موسى الى
ان ساخ في الارض هو وداره وجلساؤه الذين كانوا على مذهبه ويروى ان الله تعالى اوحى الى موسى يا موسى
استغاث بك عبادي فلم ترحمهم اما انهم لو دعوني لوجدوني قريبا مجيبا ابن جريج بلغنا انه يخسف بهم كل يوم قامة
فلا يبلغون الى اسفل الارض الى يوم القيمة وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج حدثني ابرهيم بن راشد قال
حدثني داود بن مهران عن الوليد ابن مسلم عن مروان ابن جناح عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال لقي
قارون يونس في ظلمات البحر فنادى قارون يونس فقال يا يونس تب الى الله فانك تجده عند اول قدم ترجع
بها اليه فقال يونس ما منعك من التوبة فقال ان توبتي جعلت الى ابن عمي فابى ان يقبل مني وفي الخبر اذا وصل
قارون الى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل في الصور والله اعلم السدي فكان اسم البغي سبرتا وبذل لها قارون
الفي درهم قتادة وكان قطع البحر مع بني اسرائيل وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق
كما نافق السامري قوله تعالى واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه قال عطاء اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه السلم
وقال الوليد بن مروان انه كان يعمل الكيميا ما ان مفاتحه ان واسمها وخبرها في صلة ما وما مفعولة اتينا
قال النحاس وسمعت علي ابن سليمان يقول ما اقبح ما يقول الكوفيون في الصلاة انه لا يجوز ان يكون صلة الذي
واخواته ان وما عملت فيه وفي القران ما ان مفاتحه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ومن قال مفتاح
قال مفاتيح ومن قال هي الخزاين فواحدها مفتح بالفتح لتنوء بالعصبة احسن ما قيل فيه ان المعنى لتنيء العصبة
اي تميلهم بثقلها فلما انفتحت الباء دخلت الباء كما قالوا هو يذهب بالبوس ويذهب البوس واختصار لتنوء
بالعصبة لجعل العصبة تنوء اي تنهض متثاقلة كقولك قم بنا اي اجعلنا نقوم يقال ناء ينوء نوا اذا نهض بثقل قال
الشاعر

تنوء باخراها فلايا قيامها ۞ وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر

اخذت فلم املك ونؤت فلم اقم ۞ كاني من طول الزمان مقيد

وناءني واناني اذا اثقلني عن ابي زيد وقال ابو عبيدة فقوله لتنوء بالعصبة مقلوب والمعنى لتنوء بها
العصبة اي ينهض بها ابو زيد نؤت بالعمل اذا نهضت به قال الشاعر

انا وجدنا خلفا بئس الخلف ۞ عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف

والاول معنى قول ابن عباس وابي صالح والسدي وهو قول الفراء واختاره النحاس كما يقال ذهبت به واذهبته

وجيت به واجاته وانانه ونوت به فاما قولهم عندي ما ساءه وناءه فهو اتباع كان يجب ان يقال واناءه مثله
هنا في الشيء وهو الي واخذه ما قدم وحدث وقيل هو ماخوذ من النائي وهو البعد ومنه قول الشاعر

ينؤون عنا وما تناى مودتهم ۞ فالقلب فيهم رهين حيث ما كانوا

وقرا بديل بن ميسرة بالياء اي لينوء الواحد منها او المذكور فحمل على المعنى وقال ابو عبيدة قلت لروبة بن العجاج
في قوله

فيها خطوط من سواد وبلق ۞ كانه في الجلد توليع البهق

ان كنت اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كل ذلك واختلف
في العصبة وهي الجماعة التي يتعصب بعضها ببعض على احد عشر قولا الاول ثلثة رجال قاله ابن عباس
وعنه ايضا من الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد والعصبة هنا ما بين العشرين الى خمسة عشر وعنه
ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعنه ايضا من عشرة الى خمسة ذكر الاول الثعلبي والثاني القشيري و
الماوردي والثالث المهدوي وقال ابو صالح والحكم بن عتيبة وقتادة والضحاك اربعون رجلا السدي ما بين
العشرة الى الاربعين وقاله قتادة ايضا وقال عكرمة منهم من يقولون اربعون ومنهم من يقولون سبعون
وهو قول ابي صالح ان العصبة سبعون رجلا ذكره الماوردي والاول ذكره عنه الثعلبي وقيل ستون رجلا
وقال سعيد بن جبير ستة او سبع عبد الرحمن بن زيد ما بين الثلاثة والتسعة وهو النفر الكلبي عشرة لقول
اخوة يوسف ونحن عصبة وقاله مقاتل وما لك خيثمة وجدت في الانجيل ان مفاتيح خزاين قارون وقر
ستين بغلا غرا محجلة وانها لتنوء بها من ثقلها ما يزيد مفتح منها على اصبع لكل مفتح منها كنز قال لعثم ذلك الكنز على
اهل البصرة لكفاهم قال مجاهد كانت المفاتيح من جلود الابل وقيل اتخذها من جلود البقر ليخف عليه وكانت
تحمل معه اذا ركب على سبعين بغلا فيما ذكر القشيري وقيل على اربعين بغلا وهو قول الضحاك وعنه ايضا
ان مفاتحه اوعيته وكذا قال ابو صالح ان المراد بالمفاتح الخزاين والله اعلم اذ قال له قومه اي المؤمنون من بني اسرائيل
قاله السدي وقال يحيى بن سلام القوم هنا موسى وقال الفراء قال وهو جمع اريد به واحد كقوله الذين قال
لهم الناس وانما هو نعيم بن مسعود على ما تقدم لا تفرح اي لا تاشر ولا تبطر ان الله لا يحب الفرحين اي البطرين
قاله مجاهد والسدي قال الشاعر

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ۞ ولا ضارع في صرفه المتقلب

وقال الزجاج المعنى لا يفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يؤدي حقه وقال مبشر بن عبد الله لا يفرح لا يفسد
قال الشاعر اذا انت لم تبرح تؤدي امانة ۞ وتحمل اخرى افرحتك الودايع اي افسدتك وقال
ابو عمرو وافرحه الدين اثقله وانشد اذا انت لم تبرح البيت وافرحه سره فهو مشترك قال الزجاج والفرحين
والفارحين سواء وفرق بينهما الفراء فقال معنى الفرحين الذين هم في حال فرح والفارحين الذين يفرحون
في المستقبل وزعم ان مثله طمع وطامع وميت ومايت ويدل على خلاف ما قال قول الله عز وجل انك ميت وانهم
ميتون ولم يقل مايت وقال مجاهد ايضا معنى لا يفرح لا تبغ ان الله لا يحب الفرحين اي الباغين وقال
ابن بحر لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين قوله تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا
تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان
الله لا يحب المفسدين اي اطلب فيما اعطاك الله من الدنيا الدار الاخرة وهي الجنة فان حق المؤمن
ان يصرف الدنيا فيما ينفعه في الاخرة لا في التجبر والبغي ولا تنس نصيبك من الدنيا اختلف فيه فقال ابن عباس

والجمهور لا تضيع عمرك في ان لا تعمل عملا صالحا في دنياك اذ الآخرة انما يعمل لها فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح
فيها فالكلام على هذا التأويل شدة في الموعظة وقال الحسن وقتادة معناه لا تضيع حظك من دنياك
في تمتعك بالحلال وطلبك اياه ونظرك لعاقبة دنياك فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به واصلاح الامر
الذي يشتهيه وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة قاله ابن عطية قلت وهذان
التأويلان قد جمعهما ابن عمر وفي قوله احرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا وعن الحسن
قدم الفضل وامسك ما يبلغ وقال مالك هو الاكل والشرب بلا سرف وقيل اراد بنصيبه الكفن فهذا وعظ متصل
كانهم قالوا لا تنس انك تترك جميع مالك الا نصيبك هذا الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله ○ رداآن تلوى فيهما وحنوط

آخر

وهي القناعة لا تبغي بها بدلا ○ فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا باجمعها ○ هل راح منها بغير القطن والكفن

ابن العربي وابدع ما فيه عندي قول قتادة ولا تنس نصيبك الحلال فهو نصيبك من الدنيا ويا ما احسن هذا
واحسن كما احسن الله اليك اي اطع الله واعبده كما انعم عليك ومنه الحديث ما الاحسان قال ان تعبد الله
كانك تراه وقيل هو امر بصلة المساكين قال ابن العربي فيه اقوال كثيرة جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله
وقال مالك هو الاكل والشرب من غير سرف قال ابن العربي ارى مالكا اراد الرد على الغالين في العبادة و
التقشف فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلوى ويشرب العسل ويستعمل الشوا ويشرب الماء البارد
وقد مضى هذا المعنى في غير موضع ولا تبغ الفساد في الارض اي لا تعمل بالمعاصي ان الله لا يحب المفسدين
قوله تعالى قَالَ اِنَّمَا اُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي يعني علم التوراة وكان فيما روي من اقرا الناس لها واعلمهم
وكان احد العلماء السبعين الذين اختارهم موسى للميقات وقال ابن زيد اي انما اوتيته لعلمه بفضلي ورضاه
عني فقوله عندي معناه ان عندي ان الله آتاني هذه الكنوز على علم باستحقاقي اياها بفضل في وقيل اوتيته
على علم من عندي بوجوه المكاسب والتجارات قاله علي بن عيسى ولم يعلم ان الله تعالى لو لم يسهل له اكتسابها لما
اجتمعت عنده وقال ابن عباس على علم عندي بصنعة الذهب واشار الى علم الكيميا وحكى النقاش ان موسى
عليه السلام علمه الثلث من صنعة الكيميا ويوشع الثلث وهرون الثلث فخدعهما قارون وكان على ايمانه حتى
علم ما عندهما وعمل الكيميا فكثرت امواله وقيل ان موسى علم الكيميا ثلثة يوشع بن النون وطالوت وقارون و
اختار الزجاج القول الاول وانكر قول من قال انه يعمل الكيميا قال لان الكيميا باطل لا حقيقة لها وقيل ان
موسى علم اخته علم الكيميا وكانت زوجة قارون وعلمت اخت موسى قارون والله اعلم قوله تعالى اَوَلَمْ
يَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَاَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْاَلُ
عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ من قبله اي بالعذاب من القرون اي الامم الخالية الكافرة من هو اشد منه
قوة واكثر جمعا اي للمال ولو كان المال يدل على فضل لما اهلكهم وقيل القوة والآلات والجمع والاعوان والانصار
والكلام خرج مخرج التقريع من الله تعالى لقارون اولم يعلم قارون ان الله قد اهلك من قبله من القرون ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمين اي لا يسألون استعتابا كما قال وهم لا يستعتبون وما هم من المعتبين وانما يسألون سؤال
تقريع وتوبيخ لقوله فوربك لنسألنهم اجمعين قاله الحسن وقال مجاهد لا تسأل الملائكة غدا عن المجرمين لانهم

يعرفون بسيماهم فانهم يحشرون سود الوجوه زرق العيون وقال قتادة لا يسأل المجرمين عن ذنوبهم لظهورها
وكثرتها بل يدخلون النار بلا حساب وقيل لا يسأل مجرمو هذه الامة عن ذنوبهم الامم الخالية الذين عذبوا في الدنيا
وقيل اهلك من اهلك من القرون على علم منه بذنوبهم فلم يحتج الى مسألتهم عن ذنوبهم قوله تعالى فَخَرَجَ عَلَىٰ
قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا اُوتِيَ قَارُونُ اِنَّهُ
لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ اي على بني اسرائيل فيما رآه زينة من متاع الحيوة الدنيا من الثياب والدواب والتجمل في يوم
عيد الغزنوي في يوم السبت في زينته اي مع زينته قال شعر

اذا ما قلوب القوم طارت مخافة ○ من الموت ارسوا بالنفوس النواجد

اي مع النفوس وكان خرج في سبعين الفا من تبعه عليهم المعصفرات وكان اول من صبغ الثياب المعصفرة
السدي مع الف جواد بيض على بغال بيض بسروج من ذهب على قطف الارجوان قال ابن عباس خرج على
البغال الشهب فتلاحقة على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليهم المعصفرات وكان ذلك اول يوم رؤي
فيه المعصفر قتادة خرج على اربعة الاف دابة عليهم ثياب حمر منها الف بغل ابيض عليها قطف حمر ابن جريج
خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان ومعه ثلثمائة جارية على البغال الشهب عليهن ثياب الحمر ابن زيد
خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات الكلبي خرج في ثوب كان الله انزله على موسى من الجنة فسرقه منه
قارون وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كانت زينته القرمز قلت القرمز صبغ احمر مثل الارجوان
والارجوان في اللغة صبغ احمر ذكره القشيري قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون انه لذو حظ عظيم اي نصيب وافر من الدنيا ثم قيل هذا من قول مؤمني ذلك الوقت تمنوا مثل ماله
رغبة في الدنيا وقيل هو من قول اقوام لم يرغبوا في الآخرة وهم الكفار قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ
اُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللّٰهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا اِلَّا الصَّابِرُونَ
اتوا العلم وهم احبار بني اسرائيل للذين تمنوا ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا
الصابرون اي لا يؤتى الاعمال الصالحة او لا يؤتى الجنة في الآخرة الا الصابرون على طاعة الله وجاز ضميرها
لانها المعنية بقوله ثواب الله قوله تعالى فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْاَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ
مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ قال مقاتل لما امر موسى الارض فابتلعته قالت بنو اسرائيل
انما اهلكه ليرث ماله لانه كان ابن عمه اخي ابيه فخسف الله تعالى بداره وجميع امواله بعده بثلاثة ايام
واوحى الى موسى اني لا اعيد طاعة الارض الى احد بعدك يقال خسف المكان يخسف خسوفا فاذهب في الارض
وخسف الله به الارض خسفا اي غاب به فيها ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في
الارض وخسف به وخسوف القمر كسوفه قال ثعلب كسفت الشمس وخسف القمر هذا اجود الكلام والخسف
النقصان يقال رضي فلان بالخسف اي بالنقيصة فما كان له من فئة اي جماعة وعصابة ينصرونه من دون
الله وما كان من المنتصرين لنفسه اي الممتنعين مما نزل به من الخسف فيروي ان قارون يسفل كل يوم بقدر
قامة حتى اذا بلغ قعر الارض السفلى نفخ اسرافيل في الصور وقد تقدم والله اعلم قوله تعالى وَاَصْبَحَ
الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْاَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَاَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا اَنْ
مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ اي صاروا يتندمون على ذلك التمني و

يقولون ويك ان الله حرى تقدم قال النحاس احسن ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه ويونس والكسائي ان القوم
تنبهوا او نبهوا فقالوا وى والمتندم من العرب يقول في حلال ندمه وي قال الجوهري وى كلمة تعجب وتقال
ويك و وى لعبد الله و قد يدخل وى على كان المخففة والمشددة تقول وى كان الله الخليل هي مفصولة تقول
وى ثم تبتدئ فيقول كان الثعلبي وقال الفراء هي كلمة تقرير كقولك اما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر ان
اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويك انه وراء البيت اى اما ترينه وقال ابن عباس والحسن وى كلمة ابتداء
وتحقيق تقديره ان الله يبسط الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة الا في قولك الا تفعل واما في قولك اما بعد قال الشاعر

سالتاني الطلاق اذ راتاني ۞ قل مالي قد جئتماني بنكر
وى كان لم يكن له نشب يحبب ۞ ومن يفتقر يعش عيش ضر

وقال قطرب انما هو ويلك فاسقطت لامه وضمت الكاف التي هي للخطاب اي وى قال عنترة شعر

ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها ۞ قول الفوارس ويك عنتر اقدم

وانكره النحاس وغيره وقالوا ان المعنى لا يصح عليه لان القوم لم يخاطبوا احدا فيقولوا له ويلك ولو كان كذلك
لكان انه بالكسر وايضا فان حذف اللام من ويلك لا يجوز وقال بعضهم التقدير ويلك اعلم انه اضمر فاضمر
اعلم ابن الاعرابي ويك ان الله اي اعلم وقيل معناه الم تر ان الله وقال القتبي معناه رحمة له بلغة حمير الكسائي
وى صلة وفيه معنى التعجب وروي عنه ايضا الوقف على وى وقال كلمة تفجع ومن قال ويك فوقف على الكاف
حرف خطاب لا اسم لان وى ليست مما يضاف وانما كتبت متصلة لانها لما كثر استعمالها جعلت مع ما بعدها كشيء
واحد لولا ان من الله علينا بالايمان والرحمة وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي لخسف بنا
وقرا الاعمش لولا من الله علينا وقرا حفص لخسف مسمى الفاعل الباقون على ما لم يسم فاعله وهو اختيار ابي عبيد
لان في حرف عبد الله لانخسف بنا كما يقول انطلق بنا وكذلك قرا الاعمش وطلحة بن مصرف واختار قراءة الجماعة
ابو حاتم لوجهين احدهما قوله فخسفنا به وبداره الارض والثاني قوله لولا ان من الله علينا فهو بان يضاف
الي الله تعالى لقرب اسمه منه اولى ويك انه لا يفلح الكافرون عند الله قوله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين الدار الآخرة
يعني الجنة وقال ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض اى رفعة وتكبرا على الايمان والمومنين ولا فسادا عملا بالمعاصي قاله ابن جريج و
مقاتل وقال عكرمة ومسلم البطين الفساد اخذ المال بغير حق وقال الكلبي الدعاء الى غير عبادة الله
وقال يحيى بن سلام هو قتل الانبياء والمرسلين والمومنين والعاقبة للمتقين قال الضحاك الجنة وقال ابو
معاوية الذي لا يريد علوا هو من لم يجزع من ذلها ولم ينافس في عزها وارفعهم عند الله اشدهم تواضعا واعزهم
غدا الذهم لذل اليوم روى سفيان بن عيينة عن اسماعيل ابن ابي خالد قال مر علي بن الحسين وهو راكب
على مساكين ياكلون كسرا لهم فسلم عليهم فدعوه الي طعامهم فتلى هذه الآية للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
ثم نزل فاكل معهم ثم قال قد اجبتكم فاجيبوني فحملهم الى منزله فاطعمهم وكساهم وصرفهم خرجه الطبراني
ابو القاسم سليمان بن احمد قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثني ابي قال حدثنا سفيان بن عيينة
فذكره وقيل لفظ الدار الآخرة يشمل الثواب والعقاب والمراد انما ينتفع بتلك الدار من اتقى ولم يتق فتلك الدار

عليه لا له لانها تضره ولا تنفعه قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون تقدم في النمل وقال عكرمة ليس شيء خير
من لا اله الا الله وانما المعنى من جاء بلا اله الا الله فله منها خير ومن جاء بالسيئة اى الشرك فلا يجزى
الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون اى يعاقب بما يليق بعمله قوله تعالى ان الذى فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين
ختم السورة ببشارة النبي صلى الله عليه وسلم برده الى مكة قاهرا لاعدائه وقيل هو بشارة بالجنة والاول
اكثر وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم قال القتبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف
ثم يعود وقال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا في غير الطريق مخافة الطلب
فلما رجع الى الطريق ونزل الجحفة عرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فقال له جبريل ان الله يقول
ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اى الى مكة ظاهرا عليها قال ابن عباس نزلت هذه الآية
بالجحفة ليست مكية ولا مدنية وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس الي معاد قال الى الموت وعن مجاهد
ايضا وعكرمة والزهري والحسن ان المعنى لرادك الى يوم القيمة وهو اختيار الزجاج يقال
بيني وبينك المعاد اى يوم القيمة لان الناس يعودون فيه احياء وفرض معناه انزل وعن مجاهد ايضا
وابي مالك وابي صالح الى الجنة وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس ايضا لانه دخلها ليلة
الاسرا وقيل لان اباه آدم خرج منها قل ربي اعلم اى قل للكفار مكة اذ قالوا انك لفي ضلال ربي اعلم بمن
جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين انا ام انتم قوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين اى ما علمت انا نرسلك الى الخلق وننزل
عليك القرآن الا رحمة من ربك قال الكسائي هو استثناء منقطع بمعنى لكن فلا تكونن ظهيرا للكافرين اى عونا
لهم ومساعدا وقد تقدم في هذه السورة قوله تعالى ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت
اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين يعني اقوالهم وكذبهم واذاهم ولا يلتفت نحوه
وامض لامرك وشانك وقرا يعقوب يصدنك مجزوم النون وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي
لغة في كلب وقال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم وادع الى ربك
الى التوحيد وهذا يتضمن المهادنة والموادعة وهذا كله منسوخ باية السيف وسبب هذه الآية ما كانت
قريش تدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تعظيم اوثانهم وعند ذلك القى الشيطان في امنيته امر الغرانيق
على ما تقدم والله اعلم قوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك
الا وجهه له الحكم واليه ترجعون اي لا تعبد معه غيره فانه لا اله الا هو نفي لكل معبود
واثبات لعبادته كل شيء هالك الا وجهه قال مجاهد الا هو وقال الصادق دينه وقال ابو العالية و
سفيان اى الا ما اريد به وجهه اى ما يقصد اليه بالقربة قال استغفر الله ذنبا لست محصيه
رب العباد اليه الوجه والعمل ۞ وقال محمد بن يزيد حدثني الثوري قال سالت ابا عبيدة عن قوله كل
شيء هالك الا وجهه فقال الا جاهه كما يقول لفلان وجه في الناس اى جاه له له الحمد في الاولى والآخرة و
له الحكم واليه ترجعون قال الزجاج وجهه منصوب على الاستثناء ولو كان في غير القرآن كان الا وجهه

بالرفع بمعنى كل شئ غيره وجهه هالك كما قال وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان والمعنى
كل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه واليه ترجعون بمعنى وترجعون اليه

تفسير سورة العنكبوت

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية كلها في احد قولي ابن عباس وقتادة وفي القول الآخر لهما وهو قول يحيى بن سلام مكية الا عشر آيات من اولها فانها نزلت بالمدينة في شان من كان من المسلمين بمكة وقال علي ابن طالب رضي الله عنه نزلت بين مكة والمدينة وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون تقدم القول في اوايل السور وقال ابن عباس المعنى انا الله اعلم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم للقرآن احسب استفهام اريد به التقرير والتوبيخ ومعناه الظن ان يتركوا في موضع نصب بحسب وهي وصلتها مقام المفعولين على قول سيبويه وان الثانية من ان يقولوا وعلى ان يقولوا والجهة الاخرى ان يكون على التكرير التقدير الم احسب الناس ان يتركوا احسبوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال ابن عباس وغيره يريد بالناس قوما من المومنين كانوا بمكة وكان الكفار من قريش يوذونهم ويعذبونهم على الاسلام كسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وياسر ابيه وسمية امه وعدة من بني مخزوم وغيرهم وكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استنكر ان يمكن الله الكفرة من المومنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة ان هذه هي سيرة الله في عباده اختبارا للمومنين وفتنة قال ابن عطية وهذه الآية وان كانت نزلت بهذا السبب او ما في معناه من الاقوال فهي باقية في امة محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتنة من الله تعالى باق في ثغور المسلمين بالاسر ونكاية العدو وغير ذلك واذا اعتبر ايضا كل موضع ففيه ذلك بالامراض وانواع المحن ولكن التي يشبه نازلة المومنين مع قريش هي ما ذكرناه من امر العدو في كل ثغر قلت ما احسن ما قال ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه وقال مقاتل نزلت في مهجع مولي عمر بن الخطاب كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامرأته فنزلت الم احسب الناس وقال الشعبي نزلت مفتتح هذه السورة في اناس كانوا بمكة من المسلمين فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية انه لا يقبل منكم اقرار ولا اسلام حتى تهاجروا فخرجوا فاتبعهم المشركون فاذوهم فنزلت فيهم هذه الآية الم احسب الناس ان يتركوا فكتبوا اليهم نزلت فيكم آية كذا فقالوا لنخرج وان اتبعنا احد قاتلناه فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا ونزل فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وهم لا يفتنون يمتحنون اي اظن الذين جزعوا من اذى المشركين ان يقنع منهم ان يقولوا انا مومنون ولا يمتحنون في ايمانهم وانفسهم واموالهم بما يتبين به حقيقة ايمانهم قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم اي ابتلينا الماضين كالخليل القي في النار وكقوم نشروا بالمناشير في دين الله فلم يرجعوا عنه روى البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط

في موضع نصب على احدى جهتين
معنى لان يقولوا او بان يقولوا

بامشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون وخرج ابن ماجة عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف فقلت يا رسول الله ما اشدها قال انا كذلك يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الاجر قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يحويها وان كان احدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح احدكم بالرخاء وروى سعد بن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه وان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه من خطيئة وروي عبد الرحمن بن زيد ان عيسى عليه السلام كان له وزير فركب يوما فاخذه السبع فاكله فقال عيسى يا رب وزيري في دينك وعوني على بني اسرائيل وخليفتي فيهم سلطت عليه كلبا فاكله قال نعم كانت له عندي منزلة رفيعة لم اجد عمله يبلغها فابتليته بذلك لابلغه تلك المنزلة وقال وهب قرأت في كتاب رجل من الحواريين اذا سلك بك سبيل البلاء فقر عينا وان سلك بك سبيل الرخاء فابك على نفسك فقد خولف بك عن سبيلهم قوله تعالى فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليرين الله الذين صدقوا في ايمانهم وقد مضى هذا المعنى في البقرة وغيرها قال الزجاج ليعلم صدق الصادق بوقوع صدقه منه وقد علم الصادق من الكاذب قبل ان يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازى عليه وانما يعلم صدق الصادق واقعا كاينا ووقوعه وقد علم انه سيقع وقال النحاس فيه قولان احدهما ان يكون صدقوا مشتقا من الصدق والكاذبين مشتقا من الكذب الذي هو ضد الصدق ويكون المعنى فليبين الله الذين صدقوا فقالوا نحن مومنون واعتقدوا مثل ذلك والذين كذبوا حين اعتقدوا غير ذلك والقول الآخر ان يكون صدقوا مشتقا من الصدق وهو الصلب والكاذبين مشتقا من كذب اذا انهزم فيكون المعنى فليعلمن الله الذين ثبتوا في الحرب والذين انهزموا كما قال الشاعر

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ۝ ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

فجعل ليعلمن في موضع ليبينن مجازا وقراءة الجماعة فليعلمن بفتح الياء واللام وقرا علي ابن ابي طالب بضم الياء وكسر اللام وهي تبين معنى ما قال النحاس ويحتمل ثلثة معان الاول ان يعلم في الآخرة هولاء الصادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه وباعمالهم في الدنيا بمعنى يوقفهم على ما كان منهم الثاني ان يكون المفعول الاول محذوفا تقديره فليعلمن الناس والعالم هولاء الصادقين والكاذبين اي يفضحهم ويشهرهم هولاء في الخير وهولاء في الشر وذلك في الدنيا والآخرة الثالث ان يكون ذلك من العلامة اي يضع لكل طايفة علامة يشتهر بها فالآية على هذا ينظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة البسه الله رداءها قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون السيئات اي الشرك ان يسبقونا اي يفوتونا ويعجزونا قبل ان نواخذهم بما يفعلون قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيرة وابا جهل والاسود والعاصي بن هشام وشيبة وعتبة وعقبة بن ابي معيط وحنظلة بن ابي سفيان والعاصي بن وايل ساء ما يحكمون اي بيس الحكم حكموا في صفات ربهم انه مسبوق والله القادر على كل شئ قدير وما في موضع نصب بمعنى ساء شيئا او حكما يحكمون ويجوز ان يكون ما في موضع رفع بمعنى ساء الشئ او الحكم حكمهم وهذا قول الزجاج وقدرها ابن كيسان تقديرين

اخرين خلاف ذينك احدهما ان يكون موضع ما تحكمون بمنزلة شئ واحد كما تقول اعجبني ما صنعت اى صنيعك فما و الفعل مصدر فى موضع رفع التقدير ساء حكمهم و التقدير الآخر ان يكون ما لا موضع لها من الاعراب و قد قامت مقام الاسم لسا وكذلك نعم وبئس قاله ابو الحسن بن كيسان وانا اختار ان اجعل لها موضعا فى كل ما اقدر عليه نحو قوله عز وجل فبما رحمة من الله وكذا فبما نقضهم وكذا ايما الاجلين ما فى موضع خفض فى هذا كله وما بعدها تابع لها وكذا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة ما فى موضع نصب وبعوضة تابعة لها قوله تعالى مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ يرجو بمعنى يخاف من قول الهذلي فى وصف عسّال اذا لسعتها الدبر لم يرج لسعها واجمع اهل التفسير على ان المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملا صالحا فانه لا بد ان يأتيه ذكره النحاس الزجاج معنى يرجو لقاء الله ثواب الله ومن فى موضع رفع بالابتداء وكان فى موضع الخبر وهى فى موضع جزم بالشرط ويرجو فى موضع خبر كان والمجازاة فان اجل الله لآت وهو السميع العليم قوله تعالى وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ اى ومن جاهد فى الدين وصبر على قتال الكفار واعمال الطاعات فانما يسعى لنفسه اى ثواب ذلك له ولا يرجع الى الله نفع من ذلك ان الله لغنى عن العالمين اى عن اعمالهم وقيل المعنى من جاهد عدوه لنفسه لا يريد وجه الله فليس لله حاجة لجهاده قوله تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ الذين آمنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اى لنغطينها عنهم بالمغفرة لهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى باحسن اعمالهم وهو الطاعات ثم قيل يحتمل ان يكفر عنهم كل معصية عملوها فى الشرك ويثابوا على ما عملوا من حسنة فى الاسلام ويحتمل ان يكفر عنهم سيئاتهم فى الكفر والاسلام ويثابوا على حسناتهم فى الكفر والاسلام قوله تعالى وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ نزلت فى سعد ابن ابي وقاص فيما روى الترمذي قال نزلت فى اربع آيات فذكر قصة فقالت ام سعد قد امر الله بالبر والله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اموت او يكفر قال فكانوا اذا ارادوا ان يطعموها شجروا فاها فنزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي الآية قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وروي عن سعد بن ابي وقاص انه قال كنت برا بامي فاسلمت فقالت لتدعن دينك او لا آكل ولا اشرب حتى اموت فتعير فى ويقال يا قاتل امه وبقيت يوما ثم يوما فقلت يا اماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فان شئت فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما رأت ذلك اكلت ونزلت وان جاهداك لتشرك بي وقال ابن عباس نزلت فى عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل لامه وقد فعلت امه مثل ذلك وعنه ايضا نزلت فى جميع الامة اذ لا يصبر على بلاء الله الا صديق وحسنا نصب عند البصريين على التكرير اى وصيناه حسنا وقيل على القطع تقديره ووصيناه بالحسن كما تقول وصيته خيرا اى بالخير وقال اهل الكوفة تقديره ووصينا الانسان ان يفعل حسنا فيقدر له فعل قال الشاعر

عجبت من دهما اذ تشكونا ◦ ومن ابي دهما اذ يوصينا ◦ خيرا بها كانما خافونا

اى يوصينا ان نفعل بها خيرا كقوله فطفق مسحا اى يمسح مسحا وقيل تقديره ووصيناه امرا ذا حسن فاقيمت الصفة مقام الموصوف وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه الزمناه حسنا

وقراءة العامة حسنا بضم الحاء واسكان السين وقرأ ابو رجاء وابو العالية والضحاك بفتح الحاء والسين وقرأ الجحدري احسانا على المصدر وكذلك فى مصحف ابي التقدير ووصينا الانسان ان يحسن اليهما احسانا ولا ينتصب بوصينا لانه قد استوفى مفعوليه الي مرجعكم وعيد فى طاعة الوالدين فى معنى الكفر فانبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين كرر تعالى التمثيل بحالة المؤمنين العاملين لتحرك النفوس الى نيل مراتبهم وقوله لندخلنهم فى الصالحين مبالغة على معنى فى الذين هم فى نهاية الصلاح وابعد غاياته واذا حصل للمؤمن هذا الحكم حصل ثمرته وجزاؤه وهو الجنة قوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ نزلت فى المنافقين كانوا يقولون آمنا بالله فاذا اوذوا فى الله جعلوا فتنة الناس اي اذاهم كعذاب الله فى الآخرة فارتد عن ايمانه وقيل جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الاذية فى الله ولئن جاء نصر من ربك المؤمنين ليقولون هؤلاء المرتدين انا معكم وهم كاذبون فقال الله لهم اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين يعني الله اعلم بما فى صدورهم منهم بانفسهم قال مجاهد نزلت فى ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الله او مصيبة فى انفسهم افتتنوا وقال الضحاك نزلت فى ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك وقال عكرمة كان قوم قد اسلموا فاكرههم المشركون على الخروج معهم الى بدر فقتل بعضهم فانزل الله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فكتب بها المسلمون من المدينة الى المسلمين بمكة فخرجوا فلحقهم المشركون فافتتن بعضهم فنزلت هذه الآية فيهم وقيل نزلت فى عياش بن ابي ربيعة اسلم وهاجر ثم اوذي وضرب فارتد وانما عذبه ابو جهل والحارث وكانا اخويه لامه قال ابن عباس ثم عاش بعد ذلك فى القوم الذين ردهم المشركون الى مكة قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ سبيلنا اى ديننا ولنحمل خطاياكم جزم على الامر قال الفراء والزجاج هو امر فى تأويل الشرط والجزاء اى ان تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم كما قال

فقلت ادعي وادع فان اندى ◦ لصوت ان ينادي داعيان

اى دعوت قال المهدوي وجاء وقوع وانهم لكاذبون بعده على الحمل على المعنى لان المعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فلما كان الامر يرجع فى المعنى الى الخبر وقع عليه التكذيب كما يوقع على الخبر قال مجاهد قال المشركون من قريش نحن وانتم لا نبعث فان كان عليكم وزر فعلينا اى نحن نحمل عنكم ما يلزمكم والحمل ههنا بمعنى الحمالة لا الحمل على الظهر وروي ان قائل ذلك الوليد بن المغيرة وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يعني ما يحمل عليهم من سيئات من ظلموه بعد فراغ حسناتهم وروى معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم فى آل عمران قال ابو امامة الباهلي يؤتى بالرجل يوم القيامة وهو كثير الحسنات ولا يزال يقتص منه حتى تفنى حسناته ثم يطالب فيقول الله عز وجل اقتصوا من عبدي فيقول الملائكة ما بقيت له حسنات فيقول خذوا من سيئات المظلوم فاجعلوا عليه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال قتادة من دعا الى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيئا نظيره قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة

ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون ويلتفت الى هذا قوله عليه السلام من سن في الاسلام سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء روى من حديث ابو هريرة وغيره وقال الحسن
قال النبي صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى فاتبع عليه وعمل به فله من اجور من تبعه لا ينقص من ذلك من اجورهم
شيئا وايما داع دعى الى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها بعده فعليه مثل اوزار من عمل بها ممن اتبعه لا ينقص ذلك من
اوزارهم شيئا ثم قرأ الحسن وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذا مرسل وهو معنى حديث ابي هريرة
خرجه مسلم ونص حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما داع دعى الى ضلالة فاتبع
فان له مثل اوزار من اتبعه ولا ينقص من اوزارهم شيء وايما داع دعي الى هدى فاتبع فان له مثل اجور من اتبعه
ولا ينقص من اجورهم شيء خرجه ابن ماجة في السنن وفي الباب عن ابي جحيفة وجرير وقد قيل ان المراد اعوان
الظلمة وقيل اصحاب البدع اذا اتبعوا عليها وقيل محدثوا السنن الجارية اذا عمل بها من بعدهم والمعنى متقارب
والحديث يجمع ذلك كله قوله تعالى وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ اَلْفَ سَنَةٍ اِلَّا خَمْسِينَ
عَامًا فَاَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ذكر قصة نوح تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم اي ابتلي النبيون
قبلك بالكفار فصبروا وخص نوحا بالذكر لانه اول رسول ارسل الى الارض وقد امتلأت كفرا على ما تقدم بيانه
في هود وانه لم يلق نبي من قومه ما لقي نوح على ما تقدم في هود عن الحسن وروى قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اول نبي ارسل نوح قال قتادة وبعث من الجزيرة واختلف في مبلغ عمره ما ذكره الله تعالى في كتابه قال
قتادة لبث فيهم قبل ان يدعوهم ثلثمائة سنة ودعاهم ثلثمائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلثماية وخمسين سنة
وقال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق ستين سنة حتى
كثر الناس وفشوا وعنه ايضا بعث وهو ابن مايتين وخمسين سنة ولبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش
بعد الطوفان مايتي سنة وقال وهب عمر نوح الفا واربع واربعماية وقال كعب الاحبار لبث نوح
في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان سبعين عاما فكان مبلغ عمره الف سنة وعشرين عاما
وقال عون بن ابي شداد بعث نوح وهو ابن خمسين وثلاث ماية سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما
وعاش بعد الطوفان ثلاث ماية وخمسين عاما فكان مبلغ عمره الف سنة وستماية سنة وخمسين سنة ونحوه
عن الحسن لما اتى ملك الموت نوحا ليقبض روحه قال يا نوح كم عشت في الدنيا قال ثلثمائة قبل ان ابعث والف
سنة الا خمسين عاما في قومي وثلثمايه وخمسين سنة بعد الطوفان قال ملك الموت وكيف وجدت الدنيا
قال نوح مثل دار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا وروي من حديث انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بعث الله نوحا الى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومايتي سنة فلبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وبقي بعد الطوفان
خمسين ومايتي سنة فلما اتاه ملك الموت قال يا نوح يا اكبر الانبياء ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف رايت الدنيا
قال مثل رجل بني له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر وقد قيل دخل من احدهما وجلس هنيهة ثم خرج
من الباب الآخر وقال ابن الوردي بنى نوح بيتا من قصب فقيل له لو بنيت غير هذا فقال هذا كثير لمن يموت وقال ابو
المهاجر لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما في بيت من شعر فقيل له يا نبي الله ابن بيتا فيقول اموت اليوم
اموت غدا وقال وهب بن منبه مرت بنوح خمسماية سنة لم يقرب النساء وجلا من الموت وقال مقاتل وجويبر
ان آدم عليه السلام حين كبر ورق عظمه فقال يا رب الى متى اكد واسعى قال يا آدم حتى يولد لك ولد مختون

فولد له نوح بعد عشرة ابطن وهو ابن الف سنة الا ستين عاما وقال بعضهم الا اربعين عاما فالله اعلم فكان بوميده
نوح ابن لامك بن متوسلخ بن ادريس وهو خنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم
وكان اسم نوح السكن وانما سمي السكن لان الناس بعد آدم سكنوا اليه فهو ابوهم وولد له سام وحام ويافث
فولد سام العرب وفارس والروم وفي كل هولاء خير وولد حام القبط والسودان والبربر وولد يافث
الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وليس من هولاء خير وقال ابن عباس في ولد سام بياض وادمه وفي
ولد حام سواد وبياض قليل وفي ولد يافث الصفرة والحمرة وكان له ولد رابع وهو كنعان الذي غرق والعرب
يسميه يام وسمي نوح نوحا لانه ناح على قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله فاذا كفروا بكى وناح عليهم
وذكر القشيري ابو القسم عبد الكريم في كتاب التحبير له يروى ان نوحا عليه السلام كان اسمه يشكر ولكن لكثرة
بكائه على خطيئته اوحى الله تعالى اليه يا نوح كم تنوح فسمي نوحا فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاي شي كان
خطيئته فقال انه مر بكلب فقال في نفسه ما اقبحه فاوحى الله تعالى اليه اخلق انت احسن من هذا وقال
يزيد الرقاشي انما سمي نوحا لطول ما ناح على نفسه فان قيل فلم قال الف سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة
وخمسين عاما ففيه جوابان احدهما ان المقصود به تكثير العدد وكان ذكره الالف في اللفظ اكثر في العدد
الثاني ما روى انه اعطي من العمر الف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما حضرته الوفاة
رجع في استكمال الالف فذكر الله سبحانه ذلك تنبيها على ان النقيصة كانت من جهته فاخذهم الطوفان قال
ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة المطر الضحاك الغرق وقيل الموت روته عايشة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم ومنه قول الشاعر افناهم طوفان موت جارف قال النحاس يقال لكل كثير مطيف بالجمع
من مطر او قتل او موت طوفان وهم ظالمون جملة في موضع الحال والف سنة منصوب على الظرف الا خمسين عاما
منصوب على الاستثناء من الموجب وهو عند سيبويه بمنزلة المفعول لانه مستغنى عنه كالمفعول فاما المبرد
ابو العباس محمد بن يزيد فهو عنده مفعول محض كانك قلت استثنيت زيدا تنبيه روى حسان بن غالب
بن نجيح ابو القاسم المصري حدثنا مالك بن انس عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي بن كعب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جبريل يذاكرني فضل عمر فقلت له يا جبريل ما بلغ فضل عمر قال لي يا محمد لو لبثت معك
ما لبث نوح في قومه ما بلغت لك فضل عمر ذكره الخطيب ابو بكر احمد بن ثابت البغدادي وقال تفرد بروايته
حسان بن غالب عن مالك وليس بثابت من حديثه قوله تعالى فَاَنْجَيْنَاهُ وَاَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَ
جَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ واصحاب السفينة معطوف على الهاء وجعلناها اية للعالمين الهاء والالف
في جعلناها للسفينة او للعقوبة او للنجاة ثلاثة اقوال قوله تعالى وَاِبْرَاهِيمَ اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا
اللّٰهَ وَاتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قال الكسائي وابرهيم منصوب بانجينا يعني انه معطوف
على الهاء واجاز ان يكون معطوفا على نوح والمعنى وارسلنا ابرهيم وقول ثالث ان يكون منصوبا بمعنى واذكر
ابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله اي افردوه بالعبادة واتقوه اي اتقوا عقابه وعذابه ذلكم خير لكم اي
من عبادة الاوثان ان كنتم تعلمون قوله تعالى اِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ اِفْكًا
اِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَ
اشْكُرُوا لَهُ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَاِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ اُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلَاغُ

ما تخذ ص

المبين أوثانا اى اصناما قال ابو عبيدة الصنم ما يتخذ من فضة او ذهب او نحاس والوثن من جص وحجارة
الجوهري الوثن الصنم والجمع وثن واوثان مثل اسد واساد وتخلقون افكا قال الحسن معنى تخلقون تنحتون فالمعنى
انما تعبدون اوثانا وانتم تصنعونها وقال مجاهد الافك الكذب فالمعنى تعبدون الاوثان وتخلقون الكذب وقرا
ابو عبد الرحمن وتخلقون وقرى وتخلقون من خلق بمعنى الكسر خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرى
افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخففا منه كالكذب واللعب ان يكون صفة على فعل اي
خلقا افكا ذا افك وباطل واوثانا نصب بتعبدون وما كافة ويجوز في غير القرآن رفع اوثان على ان تجعل ما اسما
لان وتعبدون صلته وحذفت الهاء لطول الاسم وجعلت اوثانا خبر ان فاما وتخلقون افكا فهو منصوب بالفعل
لا غير وكذا لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق اى اصرفوا رغبتكم في ارزاقكم الى الله فاياه فاسئلوه وحده
دون غيره وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم قيل هو من قول ابرهيم اى التكذيب عادة الكفار وليس على الرسل
الا التبليغ قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قراءة العامة
بالياء على الخبر والتوبيخ لهم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم قال ابو عبيد لذكر الامم كانه قال اولم ير الامم
كيف وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي وخلف تروا بالتاء خطابا لقوله وان تكذبوا
وقد قيل وان تكذبوا خطاب لقريش ليس من قول ابرهيم ثم يعيده يعني الخلق والبعث وقيل المعنى اولم يروا كيف
يبدئ الله الثمار فتحيى ثم تفنى ثم يعيدها ابدا وكذلك بدو خلق الانسان ثم يهلكه بعد ان خلق منه ولدا و
خلق من الولد ولدا وكذلك سائر الحيوان اى فاذا رأيتم قدرته على الابتداء والايجاد فهو القادر على الاعادة
ان ذلك على الله يسير لانه اذا اراد امرا قال له كن فيكون قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا
كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَ
مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا
مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا
مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ اى قل لهم يا محمد سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم
واختلاف السنتهم والوانهم وطبايعهم وانظروا الى مساكن القرون الماضية ودياريهم وآثارهم كيف اهلكهم لتعلموا
بذلك كمال قدرة الله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة وقرا ابو عمرو وابن كثير النشاءة بفتح الشين والمد وهما لغتان
عمرو بن العلاء ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء اى بعدله ويرحم من يشاء بفضله واليه تقلبون ترجعون
وتردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء قال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجزين الله وهو غامض
في العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني وهو كقول حسان فمن يهجوا رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
اراد من يمدحه وينصره سواء فاضمر من وقاله عبد الرحمن بن زيد ونظيره قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى من
له والمعنى ان الله لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا اهل السماء ان عصوه وقال قطرب ولا في السماء لو كنتم
فيها كما تقول لا يفوتني فلان بالبصرة ولا ههنا يعني لا يفوتني بالبصرة لو صار اليها وقيل لا يستطيعون هربا

النار ص

لا في الارض ولا في السماء وقال المبرد المعنى ولا من في السماء على ان من ليس موصولة ولكن يكون نكرة وفي السماء صفة لها
فاقيمت الصفة مقام الموصوف ورد ذلك على بن سليمان وقال لا يجوز وقال ان من اذا كانت نكرة فلا بد من وصفها
وصفتها كالصلة ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة قال والمعنى ان الناس خوطبوا بما يعقلون والمعنى لو كنتم في
السماء ما اعجزتم الله كما قال ولو كنتم في بروج مشيدة وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ويجوز نصير بالرفع على
الموضع ويكون من زائدة والذين كفروا بآيات الله اى بالقرآن او بما نصب من الادلة والاعلام اولئك يئسوا من رحمتي
اي من الجنة ونسب الناس اليهم والمعنى اويئسوا وهذه الايات اعترض بها تعالى تذكيرا وتحذيرا لاهل مكة ثم عاد
الخطاب الى قصة ابرهيم فقال فما كان جواب قومه حين دعاهم الى الله الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه ثم اتفقوا
على تحريقه فانجاه الله من النار اى من اذى النار ان في ذلك اى في انجائه من النار العظيمة حتى لم تحرقه بعد ما
القي فيها لايات وقراءة العامة جواب بنصب الباء على انه خبر كان وان قالوا في محل الرفع اسم كان وقرا سالم الافطس
وعمرو بن دينار جواب بالرفع على انه اسم كان وان في موضع الخبر نصبا وقال ابرهيم انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا قرا حفص وحمزة مودة بينكم وابن كثير وابو عمرو والكسائي مودة بينكم
والاعشى عن ابي بكر عن عاصم وابن وثاب والاعمش مودة بينكم الباقون مودة بينكم واما قراءة ابن كثير ففيها ثلاثة
اوجه ذكر الزجاج منها وجهين احدهما ان المودة ارتفعت على خبر ان ويكون ما بمعنى الذين والتقدير ان الذين
اتخذتموهم من دون الله اوثانا مودة بينكم والوجه الآخر ان يكون على اضمار مبتدا اى هي مودة او تلك مودة
بينكم والمعنى الفتكم او جماعتكم مودة بينكم قال ابن الانباري اوثانا وقف حسن لمن رفع المودة باضمار ذلك مودة
بينكم ومن رفع المودة على انها خبر ان لم يقف والوجه الثالث الذي لم يذكره ان يكون مودة رفعا بالابتداء وفي
الحيوة الدنيا خبره واما اضافة مودة الى بينكم فانه جعل بينكم اسما غير ظرف والنحويون يقولون جعله مفعولا
على السعة وحكى سيبويه يا سارق الليلة اهل الدار ولا يجوز ان يضاف اليه وهو ظرف لعلة ليس هذا موضع
ذكرها ومن رفع مودة ونونها فعلى معنى ما ذكر وبينكم بالنصب ظرفا ومن نصب مودة ولم ينونها جعلها مفعوله
بوقوع الاتخاذ عليها وجعل انما حرفا واحدا ولم يجعلها بمعنى الذي ويجوز نصب المودة على انه مفعول من اجلها
كما تقول جئتك ابتغاء الخير وقصدت فلانا مودة له بينكم بالخفض ومن نون مودة ونصبها فعلى ما ذكر بينكم
بالنصب من غير اضافة قال ابن الانباري ومن قرا مودة بينكم ومودة بينكم لم يقف على الاوثان ووقف
على الحيوة الدنيا ومعنى الآية جعلتم الاوثان تتحابون عليها وعلى عبادتها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا تتبرأ الاوثان من عبادها والرؤسا من السفلة كما قال الله عز وجل الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقون ومأواكم النار هو خطاب لعبدة الاوثان الرؤسا منهم والاتباع وقيل
يدخل فيه الاوثان كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قوله تعالى ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ
قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لوط اول من صدق ابرهيم حين رأى النار عليه بردا
وسلاما قال ابن اسحاق آمن لوط بابرهيم وكان ابن اخيه وآمنت به سارة وكانت بنت عمه وقال اني مهاجر
الى ربي قال النخعي وقتادة الذي قال اني مهاجر الى ربي هو ابرهيم عليه السلام قال قتادة هاجر من كوثا وهي
قرية من سواد الكوفة الى حران ثم الى الشام ومعه ابن اخيه لوط بن هاران بن تارخ وامرأته سارة الكلبي هاجر
من ارض حران الى فلسطين وهو اول من هاجر من ارض الكفر قال مقاتل هاجر ابرهيم وهو ابن خمس وسبعين سنة

وقيل ان الذي قال اني مهاجر الى ربي لوط عليه السلام ذكر البيهقي عن قتادة قال اول من هاجر الى الله ان م
عز وجل باهله عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قتادة سمعت النضر بن انس يقول سمعت ابا حمزة
يعني انس بن مالك يقول خرج عثمان بن عفان ومعه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة
فابطى على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم فقدمت امرأة من قريش فقالت يا محمد قد رايت ختنك
ومعه امراته قال على اي حال رايتهما قالت رايته قد حمل امراته على حمار من هذه الدابة وهو يسوقها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط قال البيهقي هذا في
الهجرة الاولى واما الهجرة الثانية الى الحبشة فهي فيما زعم الواقدي سنة خمس من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
الى ربي الى رضى ربي واني حيث امرني انه هو العزيز الحكيم تقدم وتقدم الكلام في الهجرة في النساء وغيرها
قوله تعالى وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ
فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى
الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ
أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ
مِنَ الْغَابِرِينَ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ
إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ووهبنا له اسحق و
يعقوب اي من الله عليه بالاولاد فوهب له اسحق ولدا ويعقوب ولد ولد وانما وهب له اسحاق من بعد اسمعيل
ويعقوب من اسحاق وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فلم يبعث الله نبيا بعد ابرهيم الا من صلبه ووحد
الكتاب لانه اراد المصدر كالنبوة والمراد التوراة والانجيل فهو عبارة عن الجمع فالتوراة انزلت على موسى
من ولد ابرهيم والانجيل على عيسى من ولده والفرقان على محمد من ولده صلى الله عليه وسلم وآتيناه اجره في الدنيا
يعني اجتماع اهل الملل عليه قال عكرمة وروى سفيان عن حميد بن قيس قال امر سعيد بن جبير انسانا ان
يسال عكرمة عن قوله جل ثناؤه وآتيناه اجره في الدنيا قال عكرمة اهل الملل كلها تدعيه ويقول هو منا
وقال سعيد بن جبير صدق وقال قتادة هو مثل قوله وآتيناه في الدنيا حسنة اي عاقبة وعملا صالحا
وثناء حسنا وذلك ان اهل كل دين يتولونه وقيل آتيناه اجره في الدنيا اي اكثر الانبياء من ولده
وانه في الآخرة لمن الصالحين ليس في الآخرة داخلا في الصلة وانما هو تبيين وقد مضى في البقرة
بيانه وكل هذا حث على الاقتداء بابرهيم في الصبر على الدين الحق قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه قال
الكسائي المعنى وانجينا لوطا او ارسلنا لوطا قال وهذا الوجه احب الي ويجوز ان يكون المعنى واذكر لوطا
اذ قال لقومه موبخا او محذرا انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ائنكم تقدم القراءة
في هذا وبيانها في سورة الاعراف وتقدم قصة لوط وقومه في الاعراف وهود ايضا ويقطعون السبيل قيل
كانوا قطاع الطريق قاله ابن زيد وقيل كانوا ياخذون الناس من الطرق لقضاء الفاحشة حكاه ابن شجرة

وقيل انه قطع النسل بالعدول عن النساء الى الرجال قاله وهب بن منبه اي استغنوا بالرجال عن النساء قلت
ولعل الجميع كان فيهم فكانوا يقطعون الطريق لاخذ الاموال والفاحشة ويستغنون عن النساء بذلك وياتون
في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منه فذلك المنكر الذي كانوا ياتونه اخرجه ابو داود
الطيالسي في مسنده وذكره النحاس والثعلبي والمهدوي والماوردي وذكر الثعلبي وقال معاوية قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل قصعة فيها الحصا للحذف فاذا
مر بهم عابر قذفوه فان اصابه كان اولى به يعني يذهب به للفاحشة فذلك قوله وتاتون في ناديكم المنكر وقالت
عايشة وابن عباس والقاسم بن ابي بزة والقاسم بن محمد انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد و
منصور كانوا ياتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وعن مجاهد كان من امرهم لعب الحمام وتطريف
الاصابع بالحنا والصفير والحذف ونبذ الحيا في جميع امورهم قال ابن عطية وقد توجد هذه الامور
في بعض عصاة امة محمد صلى الله عليه وسلم والتناهي واجب قال مكحول عشرة في هذه الامة من اخلاق
قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازار وسفص الاصابع والعمامة التي تلف حول الراس
والتشابك ورمي الجلاهق والصفير والحذف واللوطية الجلاهق البندق ومنه قوس الجلاهق وعن ابن
عباس قال ان قوم لوط كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة منها انهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضا ويتضارطون
في مجالسهم ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون المصبغات ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش
ويطرفون اصابعهم بالحنا وتتشبه الرجال بلباس النساء والنساء بلباس الرجال ويضربون المكوس على كل عابر و
مع هذا كله كانوا يشركون بالله وهم اول من ظهر على ايديهم اللوطية والسحاق فلما وقفهم لوط عليه السلام على
هذه القبائح رجعوا الى التكذيب واللجاج فقالوا ائتنا بالعذاب اي ان ذلك لا يكون ولا يقدر عليه وهم لم يقولوا
هذا الا وهم مصممون على اعتقاد كذبه وليس يصح في الفطرة ان يكون معاند يقول هذا ثم استنصر لوط عليه السلام
ربه فبعث عليهم ملائكة لعذابهم فجاءوا ابرهيم اولا مبشرين بنصره لوط على قومه حسب ما تقدم بيانه
في هود وغيرها وقرا الاعمش ويعقوب وحمزة والكسائي لننجينه واهله بالتخفيف وشدد الباقون
وقرا ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي انا منجوك واهلك بالتخفيف وشدد الباقون وهما لغتان انجى
ونجى بمعنى وقد تقدم وقرا ابن عامر انا منزلون بالتشديد وهي قراءة ابن عباس الباقون بالتخفيف و
قوله ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون قال قتادة هي الحجارة التي ابقيت وقاله ابو العالية وقيل انه
يرجم بها قوم من هذه الامة وقال ابن عباس هي آثار منازلهم الخربة وقال مجاهد هو الماء الاسود
على وجه الارض وكل ذلك باق فلا يعارض قوله تعالى وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا
فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ اي وارسلنا الى مدين وقد تقدم ذكرهم وفسادهم في الاعراف وهود وارجوا اليوم
الآخر قال يونس النحوي اي اخشوا الآخرة التي فيها الجزاء على الاعمال ولا تعثوا في الارض مفسدين اي لا
تكفروا فانه اصل كل فساد والعثو والعثي اشد الفساد عثا يعثى وعثا يعثو بمعنى واحد وقد تقدم وقيل
وارجوا اليوم الآخر اي صدقوا به فان القوم كانوا ينكرونه قوله تعالى وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ

النادي المجلس حلف في المنكر الذي كانوا ياتونه فيه فقالت فرقة
كانوا يحذفون الناس بالحصا ويستخفون بالغريب والخاطر عليهم
وروته ام هانئ عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت ام هانئ
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل
وتاتون في ناديكم المنكر صح

قال الكسائي قال بعضهم هو راجع الى اول السورة اى ولقد فتنا الذين من قبلهم وفتنا عادا وثمودا قال واحب الى ان يكون على فاخذتهم الرجفة واخذت عادا وثمودا وزعم الزجاج ان التقدير واهلكنا عادا وثمودا وقيل المعنى عادا اذ ارسلنا اليهم هودا فكذبوه فاهلكناهم وثمودا ايضا ارسلنا اليهم صالحا فكذبوهم فاهلكناهم بالصيحة كما اهلكنا عادا بالريح العقيم وقد تبين لكم يا معشر الكفار من مساكنهم بالحجر والاحقاف ايات في اهلاكهم فحذف فاعل التبين وزين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة فحسبوها رفيعة فصدهم عن السبيل اى عن طريق الحق وكانوا مستبصرين فيه قولان احدهما وكانوا مستبصرين في الضلالة قاله مجاهد والاخر وكانوا مستبصرين قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين وهذا القول اشبه لانه انما يقال فلان مستبصر اذا عرف الشيء على الحقيقة قال الفراء كانوا عقلاء ذوو بصائر فلم ينفعهم بصائرهم وقيل اتوا ما اتوا وقد تبين لهم ان عاقبتهم العذاب قوله تعالى وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ قال الكسائي ان شئت كان محمولا على عاد وكان فيه ما فيه وان شئت كان على فصدهم عن السبيل وصد قارون وفرعون وهامان وقيل اى واهلكنا هولاء بعد ان جاءتهم الرسل فاستكبروا في الارض عن عبادة الله وما كانوا سابقين اى فائتين وقيل سابقين في الكفر بل قد سبقهم للكفر قرون كثيرة فاهلكناهم فكلا اخذنا بذنبه قال الكسائي وكلا منصوب باخذنا اى اخذنا كلا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعني قوم لوط والحاصب ريح ياتي بالحصا وهي الحصا الصغار ويستعمل في كل عذاب ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمودا واهل مدين ومنهم من خسفنا به الارض قارون ومنهم من اغرقنا قوم نوح وقوم فرعون وما كان الله ليظلمهم لانه انذرهم وامهلهم وبعث اليهم الرسل وازاح العذر ... قوله تعالى مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ قال الاخفش كمثل العنكبوت وقف تام ثم قص قصتها فقال اتخذت بيتا قال ابن الانباري وهذا غلط لان اتخذت صلة للعنكبوت وكانه قال كمثل التي اتخذت بيتا فلا يحسن الوقف على الصلة دون الموصول وهو بمنزلة قولك كمثل الحمار يحمل اسفارا فيحمل صلة الحمار ولا يحسن الوقف على الحمار دون يحمل قال الفراء هو مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه الهة لا ينفعه ولا يضره كما ان بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا ولا يحسن الوقف على العنكبوت لانه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقيها من شيء فشبهت الالهة التي لا تنفع ولا تضر به وان اوهن البيوت اى اضعف البيوت لبيت العنكبوت قال الضحاك ضرب مثلا لضعف الهتهم ووهنها فشبهها ببيت العنكبوت لو كانوا يعلمون لو متعلقة ببيت العنكبوت اى لو علموا ان عبادة الاوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا يغني عنهم شيئا وان هذا مثلهم لما عبدوها الا انهم لا يعلمون ان بيت العنكبوت ضعيف وقال النحاس ان تاء العنكبوت اخرها مزيدة لانها تسقط في التصغير والجمع وهي مؤنثة وحكى الفراء تذكيرها وانشد

على هطالهم منهم بيوت ... كان العنكبوت هو ابتناها

ويروى على هطالهم منهم بيوت قال الجوهري والهطال اسم جبل والعنكبوت الدويبة المعروفة التي تنسج نسجا

واذكرهم

رقيقا مهلهلا بين الهوى وجمع عناكيب وعناكب وعكاب وعكب واعكب وقد حكى انه يقال عنكب وعنكبات قال الشاعر

كانما يسقط من لغامها ... بيت عكنبات على زمامها

ويصغر فيقال عنيكب وقد حكى عن يزيد بن ميسرة ان العنكبوت شيطان مسخها الله تعالى وقال عطاء الخراساني نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان جالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك نهى عن قتلها وروي عن علي رضي الله عنه انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر ومع الخمير يورث الفقر قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ما بمعنى الذي ومن للتبعيض ولو كانت زايدة للتوكيد لا يقلب المعنى والمعنى ان الله يعلم ضعف ما يعبدون من دونه وقرا عاصم وابو عمرو ويعقوب يدعون بالياء وهي اختيار ابي عبيد لذكر الامم قبلها الباقون بالتاء على الخطاب قوله تعالى وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ الامثال اى هذا المثل وغيره مما ذكر في البقرة والحج وغيرهما نضربها نبينها للناس وما يعقلها اى يفهمها الا العالمون اى العالمون بالله كما روي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه قوله تعالى خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بالحق اى بالعدل والقسط وقيل بكلامه وقدرته وذلك هو الحق ان في ذلك لاية اى علامة ودلالة للمؤمنين المصدقين قوله تعالى اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى اتل امر بالتلاوة والدوب عليها وقد مضى في طه الوعيد فيمن اعرض عنها وفي مقدمة الكتاب الامر بالحض عليها والكتاب يراد به القرآن الثانية قوله تعالى واقم الصلاة الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته واقامة الصلاة اداؤها في وقتها بقراءتها وركوعها وسجودها وتشهدها وجميع شروطها وقد تقدم بيان ذلك في البقرة فلا معنى لاعادتها الثالثة قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يريد بها ان الصلاة الخمس هي التي تكفر ما بينها من الذنوب كما قال عليه السلام ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيئا قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا خرجه الترمذي من حديث ابي هريرة قال فيه حديث حسن صحيح وقال ابن عمر الصلاة هنا القرآن والمعنى الذي يتلى في الصلاة تنهى عن الفحشاء وعن الزنا والمعاصي قلت ومنه الحديث الصحيح قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين يريد قراءة الفاتحة وقال حماد بن ابي سليمان وابن جريج والكلبي العبد ما دام في صلاته لا ياتي فحشا ولا منكرا اى ان الصلاة تنهى ما دمت فيها قال ابن عطية وهذه عجمة واين هذا مما رواه انس بن مالك قال كان فتى من الانصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيا من الفواحش والسرقة الا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم وفي الاية تاويل ثالث وهو الذي ارتضاه المحققون وقال به مشيخة الصوفية وذكره المفسرون فقيل المراد باقم الصلاة ادامتها والقيام بحدودها ثم اخبر حكما منه بان الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر وذلك لما فيها من تلاوة المشتمل على الموعظة والصلاة تشغل كل بدن المصلي فاذا دخل المصلي في محرابه وخشع واخبت

لربه ويذكر انه واقف بين يدى مولاه وانه مطلع عليه وانه يراه صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقا
الله تعالى وظهرت على جوارحه هيبتها ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة اخرى يرجع بها الى افضل حالة
فهذا معنى هذا الاخبار لان صلاة المومن هكذا ينبغى ان يكون قلت لاسيما وان اشعر نفسه ان هذا ربما
يكون آخر عمله فهو ابلغ في المقصود واتم في المراد فان الموت ليس له سن محدود ولا زمن مخصوص ولا مرض
معلوم وهذا مما لا خلاف فيه روى عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه
وكلم في ذلك فقال انى واقف بين يدي الله تعالى وحق لى هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك فهذه
صلاة تنهى ولابد عن الفحشاء والمنكر ومن كانت صلاته دائرة حول الاجزاء لا خشوع ولا يذكر ولا فضائل
كصلاتنا وليتها تجزى فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان فان كان على طريقة معاص تبعده من الله تركته
الصلاة تتمادى على بعده وعلى هذا تخرج الحديث المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن والاعمش قولهم
من ما تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وقد روي ان الحسن ارسله عن النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك غير صحيح السند قال ابن عطية سمعت ابي رضى الله عنه يقوله فاذا قرر
ونظر معناه فغير جائز ان يقول ان نفس صلاة العاصي تبعده عن الله حتى كانها معصية وانما تتخرج
ذلك على انها لا تؤثر في تقريبه من الله بل تتركه في حاله ومعاصيه من الفحشاء والمنكر تبعده فلم تزده الصلاة
الا تقرير ذلك البعد الذى كان بسبيله فكانها بعدته حين لم تكفه بعده عن الله وقيل لابن مسعود ان
فلانا كثير الصلاة فقال انها لا تنفع الا من اطاعها قلت وعلى الجملة فالمعنى المقصود بالحديث لم تزده من الله
الا بعدا ولم يزدد بها من الله الا مقتا اشارة الى ان مرتكب الفحشاء والمنكر لا قدر لصلاته لغلبة المعاصي
على صاحبها وقيل هو خبر بمعنى الامر اى لتنته المصلي عن الفحشاء والصلاة بنفسها لا تنهى ولكنها سبب
الانتهاء وهو كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به
يشركون الرابعة قوله تعالى ولذكر الله اكبر اى ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم اكبر من ذكركم
له في عبادتكم وصلواتكم قال معناه ابن مسعود وابن عباس وابو الدرداء وسلمان والحسن وابو قرة
وهذا اختيار الطبري وروي مرفوعا من حديث موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال في قول الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل ذكركم
الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن افضل من كل شئ وقيل المعنى ان ذكر الله اكبر مع المداومة من الصلاة في
النهى عن الفحشاء والمنكر وقال الضحاك ولذكر الله عند ما يحرم فيترك اجل الذكر وقيل المعنى ولذكر الله
للنهى عن الفحشاء والمنكر اكبر اى كبير واكبر يكون بمعنى كبير وقال ابن زيد وقتادة معناه ولذكر الله
اكبر من كل شئ اى افضل من العبادات كلها بغير ذكر وقيل ذكر الله يمنع من المعصية فان من كان ذاكرا له
لا يخالفه قال ابن عطية وعندي ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذى ينهى عن الفحشاء و
المنكر فالجزء الذي منه في الصلاة تفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا من ذاكر
الله مراقب له وثواب ذلك الذاكر ان يذكره الله تعالى كما في الحديث من ذكرنى في نفسه ذكرته في نفسي ومن
ذكرنى في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم والحركات التى في الصلاة لا تأثير لها في نهى والذكر النافع هو مع العلم
واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى وذكر الله تعالى للعبد هو افاضة

الذكر

الهدي ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربه قال الله عز وجل فاذكرونى اذكركم وباقى الآية ضرب
من الوعيد والحث على المراقبة قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون
به وما يجحد باياتنا الا الكافرون فيه مسئلتان الاولى اختلف العلماء في قوله تعالى
ولا تجادلوا فقال مجاهد هى محكمة فيجوز مجادلة اهل الكتاب بالتى هى احسن على معنى الدعاء لهم الى
الله عز وجل والتنبيه على حججه وآياته رجاء اجابتهم الى الايمان لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة وقوله على
هذا الا الذين ظلموا معناه ظلموكم والا فكلهم ظلمة على الاطلاق وقيل المعنى لا تجادلوا من آمن بمحمد صلى الله
عليه وسلم من اهل الكتاب المؤمنين كعبد الله بن سلام ومن آمن معه الا بالتى هى احسن اى بالموافقة
فيما حدثوكم به من اخبار اوايلهم وغير ذلك وقوله على هذا التاويل الا الذين ظلموا يريد به من بقى على
كفره كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم والآية على هذا ايضا محكمة وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد
قال من قاتلك ولم يعط الجزية فقاتله بالسيف وقيل هذه الآية منسوخة باية القتال قوله تعالى قاتلوا الذين
لا يؤمنون قاله قتادة الا الذين ظلموا اى جعلوا لله ولدا وقالوا يد الله مغلولة وان الله فقير فهولاء
المشركون في سقوط الجزية فانتصروا قال النحاس وغيره من قال هى منسوخة احتج بان الآية مكية ولم
يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن لان احكام الله تعالى
لا يقال فيها انها منسوخة الا بخبر يقطع العذر او حجة من معقول واختار هذا القول ابن العربى قال
مجاهد وسعيد بن جبير وقوله الا الذين ظلموا منهم معناه الا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم
بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية الثانية قوله تعالى وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل
اليكم روى البخاري عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية
لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم وروى عبد الله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسألوا اهل
الكتاب عن شئ فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل وفي البخاري عن حميد بن
عبد الرحمن سمع معاوية تحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق
هولاء المحدثين الذين تحدثون عن الكتاب وان كان مع ذلك لنبلو عليه الكذب قوله تعالى وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله الضمير في قبله عايد الى الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله
عليه وسلم اى وما كنت يا محمد تقرأ قبله ولا تختلف الى اهل الكتاب بل انزلناه اليك في غاية الاعجاز والتضمن
للغيوب وغير ذلك فلو كنت ممن تقرأ كتابا وتخط حروفا لارتاب المبطلون اى من اهل الكتاب وكان لهم
في ارتيابهم متعلق وقالوا الذى نجده في كتبنا انه امى لا يكتب ولا يقرأ وليس به قال مجاهد كان اهل الكتاب يجدون
في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية النحاس دليلا على نبوته لقريش لانه لا يكتب
ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن بمكة اهل الكتاب فجاءهم باخبار الانبياء والامم وزال الريبة والشك الثانية

نخطه ص

ذكر النقاش في تفسير هذه الاية عن الشعبي انه قال ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب واسند ايضا حديثا الى كبشة السلولي مضمنه انه صلى الله عليه وسلم قرا صحيفة لعيينة بن حصين واخبر بمعناها قال ابن عطية وهذا كله ضعيف وقول الباجي رحمه الله منه قال الشيخ المولف رحمه الله وقع في صحيح مسلم من حديث البراء في صلح الحديبية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المشركون لو نعلم انك رسول الله تابعناك في رواية بايعناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فامر عليا ان يمحاها فقال علي والله لا امحاها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذني مكانها فاراه فمحاها وكتب ابن عبد الله قال علماؤنا رضي الله عنهم ظاهر هذا انه عليه السلام محى تلك الكلمة التي هي رسول الله بيده وكتب مكانها ابن عبد الله وقد رواه البخاري رضي الله عنه باظهر من هذا فقال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب وزاد في طريق اخرى ولا يحسن ان يكتب فقال جماعة بجواز هذا الظاهر عليه وانه كتب بيده منهم السمناني وابو ذر والباجي وراوا ان ذلك غير قادح في كونه اميا ولا معارض لقوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا لقوله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب بل راوه زيادة في معجزاته واستظهارا على صدقه وصحة رسالاته وذلك انه كتب من غير تعلم الكتابة ولا تعاطى لاسبابها وانما اجرى الله على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله لمن قراها فكان ذلك خارقا للعادة كما انه عليه السلام علم علم الاولين والاخرين من غير تعلم ولا اكتساب فكان ذلك ابلغ في معجزاته واعظم في فضايله ولا تزول عنه اسم الامي مع كونه قال كتب قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر وانكر كثير هذا من متفقهة الاندلس وغيرهم وشددوا النكير عليه ونسبوا قايله الى الكفر وذلك دليل على عدم العلوم النظرية وعدم التوقف في تكفير المسلمين ولم يتفطنوا لان تكفير المسلم كقتله على ما جاء عنه عليه السلام في الصحيح لاسيما رمي من شهد له اهل عصره بالعلم والفضل والامامة على ان المسالة ليست قطعية بل مستندها ظواهر اخبار احاد صحيحة غير ان العقل لا يحيلها وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها قال الشيخ رحمه الله وقال بعض المتاخرين من قال هي اية خارقة فيقال له كانت تكون اية لا تنكر لولا انها مناقضة لاية اخرى وهو كونه اميا لا يكتب وبكونه اميا في امة امية قامت الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فكيف يطلق الله تبارك وتعالى يده فيكتب فيكون اية وانما الاية ان لا يكتب والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا وانما معنى كتب واخذ القلم اي امر من يكتب به من كتابه وكان كتبة الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ستة وعشرين كاتبا المسألة الثالثة ذكر القاضي عياض عن معاوية انه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم قال القاضي وهذا وان لم يصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة قال الشيخ رحمه الله هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفا واحدا وانما امر من يكتب وكذلك ما قرا ولا تهجا فان قيل فقد تهجى النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر الدجال فقال مكتوب بين عينيه ك ف ر وقلتم ان المعجزة قايمة في كونه اميا قال الله العظيم وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية وقال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب فكيف هذا والجواب ما نصه عليه السلام في حديث حذيفة والحديث في القران يفسر بعضه بعضا ففي حديث حذيفة يقراه كل مومن كاتب وغير كاتب فقد نص في ذلك

على غير الكاتب ممن يكون اميا وهذا من اوضح ما يكون جليا قوله تعالى بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا اِلَّا الظَّالِمُونَ بينات يعني القران قاله الحسن وزعم الفراء ان في قراءة عبد الله بل هي ايات بينات المعنى بل ايات القران ايات بينات قال ومثله هذا بصاير ولو كانت هذه لجاز ونظيره هذا رحمة من ربي قال الحسن اعطيت هذه الامة الحفظ وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم الا نظرا فاذا اطبقوه لم يحفظوا ما فيه الا النبيون فقال كعب في صفة هذه الامة انهم حكما علما وهم في الفقه انبياء في صدور الذين اوتوا العلم وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون به يحفظونه ويقرونه ووصفهم بالعلم لانهم ميزوا بافهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين وقال قتادة وابن عباس بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب يجدونه مكتوبا في كتبهم بهذه الصفة اميا لا يقرا ولا يكتب ولكنهم ظلموا انفسهم وكتموا وهذه اختيار الطبري ودليل هذا القول قراءة ابن مسعود وابن السميفع بل هذا ايات بينات وكان عليه السلام ايات لا اية واحدة لانه دل على اشياء كثيرة من امر الدين فلهذا قال الا الظالمون اي الكفار لانهم جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم وما جاء به قوله تعالى وَقَالُوا لَوْلَا اُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ اِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَاِنَّمَا اَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ اية من ربه هذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه هلا انزلت عليه اية من ربه كايات الانبياء قبل كما جاء صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى باحياء الموتى قل اي قل لهم يا محمد انما الايات عند الله فهو ياتي بها كما يريد اذا شاء ارسلها وليست عندي وانما انا نذير مبين وقرا ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي اية بالتوحيد وجمع الباقون وهو اختيار ابو عبيد لقوله قل انما الايات قوله تعالى اَوَلَمْ يَكْفِهِمْ اَنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ اِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه اي اولم يكف المشركين من الايات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بان ياتوا بمثله او بسورة منه فعجزوا ولو اتيتهم بايات موسى وعيسى لقالوا سحر ونحن لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة وقيل ان سبب نزول هذه الاية ما رواه عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتف فيه كتاب فقال كفى بقوم ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به نبي غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فانزل الله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الاية اخرجه الدارمي ابو محمد في مسنده وذكره اهل التفسير في كتبهم وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لو كان موسى ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي وفي مثله قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران اي يستغن به عن غيره وهذا تاويل البخاري رحمه الله في الاية واذا كان لقارئه بكل حرف عشر حسنات والكثر على ما ذكرناه في مقدمة الكتاب فالرغبة عنه الى غيره ضلال وخسران وغبن وخسران ان في ذلك لايات اي في القران لرحمة في الدنيا والاخرة وقيل رحمة في الدنيا باستنقاذهم به من الضلالة وذكرى في الدنيا بارشادهم به الى الحق لقوم يومنون قوله تعالى قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ اُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ اي قل للمكذبين لك

كفى الله شهيدًا يشهدلي بالصدق فيما ادعيه من انی رسوله وان هذا القرآن كتابه يعلم ما فی السموات
الارض ای لا يخفى عليه شیء و هذا احتجاج عليهم فی صحة شهادته عليهم لانهم قد اقروا بعلمه فلزمهم ان يقروا
بشهادته والذين آمنوا بالباطل قال يحيى بن سلام بابليس و قيل بعبادة الاوثان والاصنام قاله ابن
شجرة وكفروا بالله لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتابه وقيل بما اشركوا من الاوثان واضافوا اليه من
الاولاد والاضداد اولئك هم الخاسرون انفسهم واعمالهم في الآخرة قوله تعالى وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ العذاب صح
بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ لما انذرهم بالعذاب قالوا لفرط الانكار عجل لنا هذا
العذاب و قيل ان قايل ذلك النضر بن الحارث وابو جهل حين قالا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء وقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله ولولا اجل مسمى فی نزول
العذاب قال ابن عباس يعنی هو ما وعدتك لا اعذب قومك واوخرهم الى يوم القيمة بيانه بل الساعة موعدهم
وقال الضحاك مدة اعمارهم فی الدنيا وقيل المراد بالاجل المسمى النفخة الاولى قال يحيى بن سلام وقيل
الوقت الذی قدره الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن شجرة وقيل هو القتل ببدر وبالجملة فلكل عذاب اجل
لا يتقدم ولا يتاخر دليله لكل نبا مستقر لجاءهم العذاب يعنی الذی استعجلوه وليأتينهم بغتة اي
فجاة وهم لا يشعرون ای لا يعلمون بنزوله عليهم يستعجلونك بالعذاب ای يستعجلونك وقد اعد لهم
جهنم وانها ستحيط بهم لا محاله فما معنى الاستعجال وقيل نزلت فی عبد الله ابن ابي امية واصحابه من
المشركين حين قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا قوله تعالى يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قيل هو متصل بما هو قبله ای يوم ذوقوا صح
يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاذا غشيهم العذاب احاطت بهم جهنم وانما
قال من تحت ارجلهم للمقارنة والا فالغشيان من فوق قال فعلفتها تبنًا وماءً باردًا
وقال آخر لقد كان قواد الجياد الى العدا عليهن غاب من فتي و دروع ونقول ذوقوا
قراء اهل المدينة والكوفة نقول بالنون الباقون بالياء واختاره ابو عبيد لقوله قل كفى بالله ويحتمل
ان يكون الملك الموكل بهم يقول ذوقوا والقراءتان يرجع الى معنى ای نقول الملك بامرنا ذوقوا ∴
قوله تعالى يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ هذه الآية نزلت
فی تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة فی قول مقاتل والكلبی فاخبرهم تعالى بسعة
ارضه وان البقاء فی بقعة على اذی الكفار ليس بصواب بل ان يلتمس عبادة الله فی ارضه مع صالحی بل عليه صح
عباده ای ان كنتم فی ضيق من اظهار الايمان بها فهاجروا الى المدينة فانها واسعة لاظهار التوحيد
بها وقال ابن جبير وعطاء ان الارض التی فيها الظلم والمنكر تترتب بها هذه الآية وتلزم الهجرة
عنها الى بلد حق وقاله مالك وقال مجاهد ان ارضی واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال مطرف بن الشخير
المعنى ان رحمتی واسعة وعنه ايضًا ان رزقی لكم واسع فابتغوه فی الارض قال سفيان اذا كنت بارض
غالية فانتقل الى غيرها تملاء فيه جرابك خبزًا بدرهم وقيل المعنى ان ارضی التی ارض الجنة واسعة
فاعبدونی حتی اورثكموها فاياى فاعبدون اياى منصوب بفعل مضمر ای فاعبدوا اياى فاعبدون فاستغنى

باحد الفعلين عن الثانی والفاء فی قوله فاياى بمعنى الشرط ای ان ضاق بكم موضع فاياى فاعبدوا
لان ارضی واسعة قوله تعالى كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ تقدم فی آل عمران وجاء ذكره هنا تحقيرا لامر الدنيا ومخاوفها
كان بعض المؤمنين نظر فی عاقبة تلحقه فی خروجه من وطنه من مكة انه يموت او يجوع ونحو هذا فحقر
الله شان الدنيا ای انتم لا محالة ميتون ومحشورون الينا فالبدار الى طاعة الله والهجرة اليه والى ما
يمتثل ثم وعد المؤمنين العاملين بسكنى الجنة تحريضا منه تعالى وذكر الجزاء الذی ينالونه ثم نعتهم
بقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقراء ابو عمرو ويعقوب والجحدری وابن ابی اسحاق
وابن محيصن والاعمش وحمزة والكسائی وخلف يا عبادی باسكان الياء وفتحها الباقون ارضی
فتحها ابن عامر وسكنها الباقون وروی ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فر بدينه من
ارض الى ارض ولو قيد شبر من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام
ثم الينا ترجعون قراء السلمی وابو بكر عن عاصم يرجعون بالياء لقوله كل نفس ذايقه الموت
الباقون بالتاء لقوله يا عبادی الذين امنوا وانشد بعضهم

الموت فی كل حين ينشر الكفنا ∘ ونحن فی غفلة عما يراد بنا
لا تركنن الى الدنيا وزهرتها ∘ وان توشحت من اثوابها الحسنا
اين الاحبة والجيران ما فعلوا ∘ اين الذين هم كانوا لها سكنا
سقاهم الموت كاسًا غير صافية ∘ صيرهم تحت اطباق الثرى دهنا

وقراء ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائی لنثوينهم بالثاء مكان الباء من الثواء
وهو الاقامة ای لنعطينهم غرفا يثوون فيها وقراء رويس عن يعقوب والجحدری والسلمی لنبوئنهم
بالباء مكان النون الباقون لنبوئنهم ای لننزلنهم غرفا جمع غرفة وهی العلية المشرفة وفی صحيح مسلم
عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم
كما يتراءون الكوكب الدری الغابر من الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول
الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلی والذی نفسی بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين وخرج الترمذی عن علی رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فی الجنة
لغرفا يرى ظهورها من بطونها من ظهورها فقام اليه اعرابی فقال لمن هی يا رسول الله قال لمن اطاب
الكلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام وقد زدنا هذا المعنى بيانا فی
ابواب الجنة من كتاب التذكرة والحمد لله قوله تعالى وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا
اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اسند الواحدی عن يزيد بن هارون قال حدثنا
الجراح بن المنهال عن الزهری وهو عبد الرحيم بن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتی دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر فقال يا ابن عمر ما لك
لا تاكل فقلت لا اشتهيه يا رسول الله قال لكنی اشتهيه وهذه صبيحة رابعة لم اذق طعامًا ولو

باهر

ثبت لدعوت ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤن رزق
سنتهم ويضعف اليقين قال والله ما برحنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم قال الشيخ رحمه الله وهذا ضعيف يضعفه انه عليه السلام كان يدخر
لاهله قوت سنتهم اتفق عليه البخاري ومسلم وكانت الصحابه يفعلون ذلك وهم القدوة واهل اليقين
والايمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين وقد روى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين
بمكة حين آذاهم المشركون اخرجوا الى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة قالوا ليس لنا بها دار ولا
عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها اي ليس معها رزقها مدخرا
وكذلك انتم يرزقكم الله في دار الهجرة وهذا اشبه من القول الاول وتقدم الكلام في كاين وان هذه
اي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم والتقدير عند الخليل وسيبويه كالعدد اي كشئ كثير من العدد
من دابة قال مجاهد يعني الطير والبهايم تاكل بافواهها ولا تحمل شيا الحسن تاكل لوقتها ولا يدخر لغد وقيل
لا تحمل رزقها اي لا تقدر على رزقها الله يرزقها اين ما توجهت واياكم وقيل الحمل بمعنى الحمالة وحكى النقاش
ان المراد النبي صلى الله عليه وسلم ياكل ولا يدخر قال الشيخ رحمه الله وليس بشي لاطلاق لفظ الدابة وليس
مستعملا في العرف اطلاقها على الآدمي فكيف على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى هذا في النمل عند قوله
واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس قال ابن عباس الدواب هو
كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر الا ابن ادم والنمل والفار وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنه
ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها الله يرزقها واياكم سوى بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين الراغب
والقانع وبين الحيول والعاجز حتى لا يغتر الجلد انه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز انه ممنوع بعجزه
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدوا
خماصا وتروح بطانا وهو السميع لقولكم لا نجد ما ننفق بالمدينة العليم بما في قلوبكم قوله تعالى وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لما عير المشركون المسلمين بالفقر وقالوا لو كنتم
على حق لم تكونوا فقراء وكان هذا تمويها وكان في الكفار فقراء ايضا ازال الله هذه الشبهة وكذا قول من قال
ان هاجرنا لم نجد ما ننفق اي فاذا اعترفتم بان الله خالق هذه الاشياء فكيف تشكون في الرزق فمن بيده تكوين
الكاينات لا يعجز عن رزق العبد ولهذا وصله بقوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فانى
تؤفكون اي كيف تكفرون بتوحيدي وتنقلبون عن عبادتي الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي لا يختلف
امر الرزق بالايمان والكفر فالتوسيع والتقتير منه فلا تعيير بالفقر فكل شي بقضاء وقدر ان الله بكل شي
عليم من احوالكم واموركم وقيل عليم بما يصلحكم لكم من اقتار او توسيع قوله تعالى وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ من السماء
ماء اي من السحاب مطرا فاحيى به الارض من بعد موتها اي جدبها وقحط اهلها ليقولن الله اي فاذا اقررتم
بذلك فلم تشركون به وتنكرون الاعادة واذا قدر على ذلك فهو القادر على اغناء المؤمنين فكرر تاكيدا

لهي الحيوان

قل الحمد لله اي على ما اوضح من الحجج والبراهين على قدرته بل اكثرهم لا يعقلون اي لا يتدبرون هذه الحجج وقيل
الحمد لله على اقرارهم بذلك وقيل على انزال الماء واحيا الارض وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب
اي شي يلهى ويلعب اي ليس ما اعطاه الله تعالى الاغنياء من الدنيا الا وهو يضمحل ويزول كاللهو الذي
لا حقيقة له ولا ثبات قال بعضهم الدنيا ان بقيت لك لن تبق لها وانشد

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الامور امور
وتجرى الليالي باجتماع وفرقة ... وتطلع فيها انجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره ... فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا ... وايقن ان الدايرات تدور

قال الشيخ رحمه الله وهذا كله في امور الدنيا من المال والجاه والملبس الزايد على الضروري الذي
به قوام العيش والقوة على الطاعات واما ما كان منها لله فهو من الآخرة وهو الذي يبقى كما قال ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام اي ما ابتغى به ثوابه ورضاه وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي
دار الحيوة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها وزعم ابو عبيدة ان الحيوان والحياة والحي بكسر
الحاء واحدة كما قال وقد ترى اذ الحياة حي وغيره تقول ان الحي جمع على فعول مثل عصا وعصي والحيوان
يقع على كل شي حي والحيوان عين في الجنة وقيل اصل حيوان حييان فابدلت احداهما واوا لاجتماع
المثلين لو كانوا يعلمون انها كذلك قوله تعالى فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ في الفلك يعني السفن وخافوا الغرق دعوا الله
مخلصين اي صادقين في نياتهم وتركوا عبادة الاصنام ودعاها فلما نجاهم الى البر اذا هم
يشركون اي يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانا وقيل اشراكهم ان يقول قايلهم لولا الله والرئيس
او الملاح لغرقنا فيجعلون ما فعل الله لهم من النجاة قسمة بين الله تعالى وبين خلقه قوله تعالى
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ قيل هما لام كي اي لكي يكفروا ولكي يتمتعوا وقيل
اذا هم يشركون ليكون ثمرة شركهم ان يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا وقيل هما لام امر معناه التهديد
والوعيد اي اكفروا بما اعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا ودليل هذا قراءة ابي وتمتعوا
ابن الانبارى ويقوى هذا المذهب قراءة نافع والاعمش وحمزة وليتمتعوا بجزم اللام النحاس وليتمتعوا
لام كي ويجوز ان يكون لام امر لان اصل لام الامر الكسر الا انه امر فيه معنى التهديد ومن قرا
وليتمتعوا باسكان اللام لم يجعلها لام كي لان لام كي لا يجوز اسكانها وهي قراءة ابن كثير والمسيبي وقالون
عن نافع والكسائي وحمزة وحفص عن عاصم الباقون بكسر اللام وقرا ابو العالية ليكفروا بما اتيناهم
فتمتعوا فسوف يعلمون تهديد ووعيد قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ قال عبد الرحمن ابن زيد هي مكة
وهم قريش آمنهم الله تعالى بها ويتخطف الناس من حولهم قال الضحاك يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا
والخطف الاخذ بسرعة وقد مضى في القصص وغيرها فاذكرهم الله هذه النعمة ليذعنوا له بالطاعة اي
جعلت لهم حرما آمنوا فيه من السبي والغارة والقتل وخلصتهم في البر كما خلصتكم في البحر فصاروا

يشركون في البر ولا يشركون في البحر فهذا تعجيب من تناقض احوالهم افبا لباطل يؤمنون قال قتادة افبالشرك
وقال يحيى بن سلام افبابليس وبنعمة الله يكفرون قال ابن عباس افبعاقبة الله وقال ابن شجرة افبعطاء
الله واحسانه وقال ابن سلام اي بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى وحكى النقاش افباطعامهم
من جوع وآمنهم من خوف يكفرون وهذا تعجيب وانكار خرج مخرج الاستفهام قوله تعالى وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ اي لا احد
اظلم ممن جعل مع الله شريكا وولدا واذا فعل فاحشة قال وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها او كذب بالحق
لما جاءه قال يحيى بن سلام بالقرآن السدي بالتوحيد ابن شجرة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى الَيْسَ
في جهنم مثوى للكافرين اي مستقر وهو استفهام تقرير قوله تعالى وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ اي جاهدوا الكفار فينا اي لطلب مرضاتنا وقال السدي وغيره ان هذه
الاية نزلت قبل فرض القتال قال ابن عطية فهي قبل الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله
وطلب مرضاته قال الحسن ابن ابي الحسن الاية في العباد وقال عباس وابرهيم بن ادهم هي في الذين
يعملون بما يعلمون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم ونزع بعض العلماء بقوله
واتقوا الله ويعلمكم الله وقال عمر بن عبد العزيز انما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا
ولو عملنا ببعض ما علمنا لاورثنا علما لا يقوم به ابداننا وقال ابو سليمان الداراني ليس الجهاد في الاية
قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعظمه الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الاكبر وقال سفيان ابن عيينة لابن المبارك اذا
رايت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين واهل الثغور فان الله تعالى يقول لنهدينهم وقال الضحاك معنى الاية
والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الايمان ثم قال مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى
من دخل الجنة في العقبى سلم كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم وقال عبد الله بن عباس والذين جاهدوا في
طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وهذا يتناول لعموم الطاعة جميع الاقوال ونحوه قول عبد الله بن الزبير قال
تقول الحكمة من طلبني فلم يجد في فليطلبني في موضعين ان يعمل باحسن ما يعلم ويجتنب اسوا ما يعلم وقال
الحسين ابن الفضل فيه تقديم وتاخير الذين هدينا هم الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يعني طريق الجنة
قال السدي النقاش نوفقهم لطريق الحق وقال يوسف بن اسباط المعنى لنخلصن نياتهم وصدقاتهم و
صلواتهم وصيامهم وان الله لمع المحسنين لام كي تاكيد ودخلت في مع على احد وجهين ان يكون اسما ولام التوكيد
انما تدخل على الاسماء او حرفا عليها لان فيها معنى الاستقرار كما تقول ان زيدا لفي الدار ومع اذا اسكنت فهي
حرف لا غير واذا فتحت جاز ان تكون اسما وان تكون حرفا والاكثر ان تكون حرفا جاء لمعنى وتقدم معنى الاحسان
والمحسن في البقرة وغيرها وهو سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالاحاطة
والقدرة فبين المعيتين بون تمت السورة بحمد الله تعالى وعونه

تفسير سورة الروم

مكية كلها من غير خلاف وهي ستون آية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الم غُلِبَتِ

الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ روى الترمذي
عن ابي سعيد الخدري قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاعجب ذلك المؤمنين فنزلت
الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم الى قوله يفرح المؤمنون بنصر الله قال ففرح المؤمنون بظهور
الروم على فارس قال هذا حديث غريب من هذا الوجه هكذا قراء نصر بن علي الجهضمي غلبت الروم
في ادنى الارض ورواه ايضا من حديث ابن عباس باتم منه قال ابن عباس في قول الله عز وجل
الم غلبت الروم في ادنى الارض قال غلبت وغلبت قال كان المشركون يحبون ان يظهر اهل فارس على
الروم لانهم واياهم اهل اوثان وكان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب فذكروه لابي بكر
فذكره ابو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما انهم سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا و
بينك اجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل اجل خمس
سنين فلم يظهروا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال الا جعلته الى دون قال اراه العشر قال قال ابو
سعيد والبضع ما دون العشرة قال ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت الروم الى قوله ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر قال ابو عيسى هذا حديث حسن
صحيح غريب ورواه ايضا عن نيار بن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
غلبهم سيغلبون في بضع سنين وكانت فارس يوم نزلت هذه الاية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون
ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وفي ذلك قول الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من
يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا باهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل
الله هذه الاية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم في ادنى وهم من
بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قال ناس من قريش لابي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم
ستغلب فارسا في بضع سنين افلا نراهنك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر و
المشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم تجعل البضع ثلث سنين او تسع سنين فسم بيننا وبينك
وسطا ننتهي اليه قال فسموا بينهم ست سنين قال فمضت الست سنين قبل ان يظهروا فاخذ المشركون
رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على ابي بكر تسمية ست سنين
قال لان الله تعالى قال في بضع سنين قال واسلم عند ذلك ناس كثير قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب
صحيح وروى القشيري وابن عطية وغيرهما انه لما نزلت الايات خرج ابو بكر بها الى المشركين فقال
اسركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن الله تعالى انهم سيغلبون في بضع سنين فقال له ابي بن خلف
وامية اخوه وقيل ابو سفيان ابن حرب يا ابا فصيل يعرضون بكنيته بالبكر فلنتناحب اي نتراهن في ذلك
فراهنهم ابو بكر قال قتادة وذلك قبل ان يحرم القمار وجعلوا الرهان خمس قلايص والاجل ثلث سنين
وقيل جعلوا الرهان ثلث قلايص ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال احتطت فان البضع ما بين
الثلاث والتسع والعشر ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الاجل ففعل ابو بكر فجعلوا القلايص
ماية والاجل تسعة اعوام فغلبت الروم في اثناء الاجل وقال الشعبي فظهروا في تسع سنين القشيري
المشهور في الروايات ان ظهور الروم كان في السابعة من غلبة فارس للروم ولعل رواية الشعبي تصحيف

نيار بن
الارض صح
فمضت ع
فقال صح

من السبع الى التسع من بعض النقلة و في بعض الروايات انه جعل القلايص سبعة الى تسع سنين ويقال
انه آخر فتوح كسرى ابروين فتح فيه القسطنطينية حتى بنى فيها بيت النار فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساءه ذلك فانزل الله هاتين الايتين و حكى النقاش وغيره ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما اراد الهجرة
مع النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به ابي بن خلف وقال له اعطني كفيلا بالخطر ان غلبت فكفل به ابنه
عبد الرحمن فلما اراد ابي الخروج الى احد طلبه عبد الرحمن بالكفيل فاعطاه كفيلا ثم مات ابي بمكة من جرح
جرحه النبي صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية على راس تسع سنين من مناجبتهم
و قال الشعبي لم تمض تلك المدة حتى غلبت الروم فارس و ربطوا خيلهم بالمداين وبنوا رومية فقمر ابو بكر
ابيا واخذ مال الخطر من ورثته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به فتصدق به وقال المفسرون
ان سبب غلبة الروم فارس امرأة كانت في فارس لا تلد الا الملوك و الابطال فقال لها كسرى اريد ان استعمل
احد بنيك على جيش اجهزه الى الروم فقالت هذا هرمز اروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان
احد من سنان وانفذ من نبل و هذا شهربران احلم من كذا فاختر فقال فاختار الحليم وولاه فسار
الى الروم باهل فارس فظهر على الروم قال عكرمة ان شهربران لما غلب الروم خرب ديارها حتى بلغ
الخليج فقال اخوه فرخان لقد رايتني جالسا على سرير كسرى فكتب كسرى الى شهربران ان ارسل الي براس فرخان وغيره صح
فلم يفعل فكتب كسرى الى فارس اني قد استعملت عليكم فرخان و عزلت شهربران و كتب الى فرخان اذا
ولي ان يقتل شهربران فاراد فرخان قتل شهربران فاخرج له شهربران ثلاث صحايف من كسرى يامره بقتل
فرخان وراجعته ابدا في امرك ثم تقتلني انت بكتاب واحد فرد الملك الى اخيه وكتب شهربران الى قيصر
ملك الروم فتعاونا على كسرى فغلبت الروم فارس ومات كسرى و جاء الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية ففرح من معه من المسلمين فذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
يعني ارض الشام عكرمة باذرعات وهي ما بين بلاد العرب و الشام وقيل ان قيصر كان بعث رجلا
يدعى يحنس و بعث كسرى شهربران فالتقيا باذرعات و بصرى وهي ادنى بلاد الشام الى ارض
العرب والعجم مجاهد بالجزيرة و هو موضع بين العراق و الشام مقاتل بالاردن وفلسطين وادنى
معناه اقرب قال ابن عطية فان كانت الواقعة باذرعات فهي من ادنى الارض بالقياس الى مكة وهي
التي ذكر امرؤ القيس في قوله تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال وان كانت
الواقعة بالجزيرة فهي ادنى بالقياس الى ارض كسرى وان كانت بالاردن فهي ادنى الى ارض الروم فلما
طرأ ذلك وغلبت الروم سر الكفار فبشر الله عباده بان الروم سيغلبون وتكون الدولة لهم في
الحرب وقد مضى الكلام في فواتح السور وقرأ ابو سعيد الخدري وعلي ابن ابي طالب ومعاوية بن قرة
غلبت بفتح الغين واللام وتاويل ذلك ان الذي طرأ يوم بدر انما كانت الروم غلبت فعز ذلك على كفار
قريش وسر بذلك المسلمون فبشر الله عباده انهم سيغلبون ايضا في بضع سنين ذكر هذا التاويل
ابو حاتم قال ابو جعفر النحاس قراءة اكثر الناس غلبت بضم الغين وكسر اللام وروي عن ابن عمر
وابو سعيد انهما قرآ غلبت الروم وقرآ سيغلبون وحكى ابو حاتم ان عصمة روى عن هارون ان
هذه قراءة اهل الشام واحمد بن حنبل يقول ان عصمة هذا ضعيف وابو حاتم كثير الحكاية عنه والحديث

يدل على ان القراءة غُلِبت بضم العين وكان في هذا الاخبار دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان الروم
غلبتها فارس فاخبر الله عز وجل نبيه ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين وان المؤمنين يفرحون
بذلك لان الروم اهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذي اخبر الله عز وجل به مما لم يكن وامر ابا بكر
ان يراهنهم على ذلك وان يبالغ في الرهان ثم حرم الرهان بعد ونسخ بتحريم القمار قال ابن عطية والقراءة
بضم الغين اصح واجمع الناس على سيغلبون انه بفتح الياء يراد به الروم وروي عن ابن عمر انه قرأ
ايضا بضم الياء في سيُغلَبون وفي هذه القراءة قلب للمعنى الذي تظاهرت الروايات به قال ابو جعفر
النحاس ومن قرأ سيُغلبون فالمعنى عنده وفارس من بعد غلبهم اي من بعد ان غلبوا سيغلبون وروي
ان ايقاع الروم بالفرس كان يوم بدر كما في حديث ابي سعيد الخدري حديث الترمذي وروي ان ذلك
كان يوم الحديبية وان الخبر وصل يوم بيعة الرضوان قاله عكرمة وقتادة قال ابن عطية وفي كلا اليومين
كان نصر من الله تعالى للمؤمنين وقد ذكر الناس ان سبب سرور الناس بغلبة الروم وهمهم ان تغلب
انما هو ان الروم اهل كتاب كالمسلمين فهم اقرب من اهل الاوثان كما تقدم بيانه في الحديث النحاس وقول
آخر وهو ان فرحهما انما كان لانجاز وعد الله جل وعز اذ كان فيه دليل على النبوة لانه اخبر جل وعز فرحهم صح
بما يكون في بضع سنين فكان فيه ابن عطية ويشبه ان يعلل ذلك بما يقتضيه الفطر من محبة ان يغلب
العدو الاصغر لانه ايسر مؤونة و متى غلب الاكبر كثر الخوف منه فتامل هذا المعنى مع ما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرجاه من ظهور دينه وشرع الله الذي بعثه به وغلبته على الامم وارادة كفار
مكة ان يرميه الله بملك يستاصله و يريحهم منه وقيل سرورهم انما كان بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المشركين لان جبريل اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حكاه القشيري قال الشيخ رحمه الله
ويحتمل ان يكون سرورهم بالمجموع من ذلك فسروا بظهورهم على عدوهم وبظهور الروم ايضا وبانجاز
وعد الله وقرأ ابو حيوة الشامي ومحمد بن السميفع من بعد غلبهم بسكون اللام وهما لغتان مثل الظعن
والظعن و زعم الفراء ان الاصل من بعد غلبتهم فحذفت التاء كما حذفت في قوله عز وجل واقام الصلوة
واصله واقامة الصلاة قال النحاس و هذا غلط لا يخيل على كثير من اهل النحو لان اقامة الصلاة مصدر لا يخيل صح
قد حذف منه لاعتلال فعله فجعلت التاء عوضا من المحذوف وغلب ليس بمعتل ولا حذف منه شيء و
قد حكى الاصمعي طرد طردا وجلب جلبا وحلب حلبا وغلب غلبا فاي حذف في هذا و هل يجوز ان يقال
في اكل اكلا و ما اشبهه حذف منه في بضع سنين حذفت الهاء في بضع فرقا بين المذكر والمؤنث وقد مضى
الكلام فيه في يوسف و فتحت النون من سنين لانه جمع مسلم ومن العرب من يقول في بضع سنين كما
يقول في غسلين وجاز ان يجمع سنة جمع من يعقل بالواو والنون والياء والنون لانه قد حذف منها
شيء فجعل هذا الجمع عوضا من النقص الذي في واحده لان اصل سنة سنهة او سنوة وكسرت السين
دلالة على ان جمعه خارج من قياسه ونمطه هذا قول البصريين ويلزم الفراء ان يضمها لانه يقول الضمة
دليل على الواو و قد حذف من سنة واو في احد القولين ولا يضمها احد علمناه قوله تعالى لله الامر
من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
اخبر تعالى بانفراده بالقدرة وان ما في العالم من غلبة وغيرها انما هي منه وبارادته وقدرته فقال

لله الامر اى انفراد الاحكام من قبل ومن بعد اى من قبل هذه الغلبة و من بعد ما وقيل من كل شئ ومن بعد
كل شئ و من قبل ومن بعد ظرفان بنيا على الضم لانهما تعرفا بحذف ما اضيفا اليه وصارا متضمنين ما حذف
مخالفا تعريف الاسماء واشبها الحروف فى التضمين فبنيا وخصا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد فى انه
اذا نكر واضيف زال بناؤه وكذلك ضما ويقال من قبلٍ و من بعدٍ و حكى الكسائى عن بعض بنى اسد
لله الامر من قبلٍ ومن بعدُ الاول مخفوض منون و الثانى مضموم بلا تنوين وحكى الفراء من قبلِ
ومن بعدِ مخفوض بغير تنوين وانكره النحاس ورده وقال الفراء فى كتابه فى القرآن اشياء كثيرة
الغلط فيها بين منها انه زعم انه يجوز من قبلِ ومن بعدِ وانما يجوز من قبلٍ ومن بعدٍ على انهما نكرتان قال
الزجاج المعنى من متقدم ومن متاخر ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله تقدم ذكره ينصر من يشاء
يعنى من اوليائه لان نصره مختص بغلبة اوليائه لاعدائه فاما غلبة اعدائه لاوليائه فليس بنصر
وانما هو ابتلاء و قد يسمى ظفرا و هو العزيز فى نقمته والرحيم لاهل طاعته قوله تعالى وَعْدَ اللّهِ لا يُخْلِفُ
اللّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ
هُمْ غَافِلُونَ لان كلامه صدق ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهم الكفار وهم الكثر وقيل المراد مشركوا
مكة وانتصب وعد الله على المصدر اى وعد ذلك وعدا ثم بين تعالى مقدار ما يعلمون فقال يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا يعنى امر معاشهم و دنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون وكيف
يبنون قاله ابن عباس و عكرمة وقتادة وقال الضحاك هو بنيان قصورها وتشقيق انهارها وغرس
اشجارها والمعنى واحد وقيل هو ما يلقيه الشياطين اليهم من امور الدنيا عند استراقهم السمع من سماء الدنيا
قاله سعيد بن جبير وقيل الظاهر الباطل كما قال فى موضع اخر ام بظاهر من القول قال الشيخ رحمه الله
وقول ابن عباس اشبه بظاهر الحياة الدنيا حتى لقد قال الحسن بلغنى والله من علم احدهم بالدنيا انه ينقد
الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن ان يصلى وقال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح
للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم
بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم اى عن العلم بها والعمل لها هم
غافلون قال بعضهم ومن البلية ان ترى لك صاحبا ۞ فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة فى ماله ۞ واذا يصاب بدينه لم يشعر
قوله تعالى أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ قوله فى انفسهم ظرف للتفكر وليس
بمفعول تعدى اليه يتفكروا بحرف جر لانهم لم يؤمروا ان يتفكروا فى خلق انفسهم انما امروا ان يستعملوا
التفكر فى خلق السموات و الارض وانفسهم حتى يعلموا ان الله لم يخلق السموات وغيرها الا بالحق قال الزجاج
فى الكلام حذف اى فيعلموا لان فى الكلام دليلا عليه الا بالحق قال الفراء معناه الا للحق يعنى الثواب و
العقاب وقيل الا لاقامة الحق وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة والمعنى متقارب وقيل بالحق اى انه
هو الحق وللحق خلقها وهو الدلالة على توحيده وقدرته واجل مسمى اى للسموات والارض اجل
ينتهيان اليه وهو يوم القيمة وفى هذا تنبيه على الفناء وعلى ان لكل مخلوق اجلا وعلى ثواب

المحسن وعقاب المسئ وقيل واجل مسمى اى خلق ما خلق فى وقت سماه لان يخلق ذلك الشئ فيه وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اللام للتوكيد والتقدير لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتاخير
اى لكافرون بالبعث بعد الموت وتقول ان زيدا فى الدار لجالس ولو قلت ان زيدا لفى الدار لجالس
جاز فان قلت ان زيدا جالس لفى الدار لم يجز لان اللام انما يؤتى بها توكيد الاسم ان وخبرها واذا جئت
بهما لم يجز ان ياتى بها وكذا ان قلت ان زيدا لجالس لفى الدار لم يجز قوله تعالى أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ
وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فينظروا ببصائرهم وقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اى قلبوها للزراعة لان اهل مكة لم يكونوا اصحاب حرث
قال الله تعالى في شأن الارض وعمروها اكثر مما عمروها اى وعمروها اولئك اكثر مما عمرها هؤلاء فلم تنفعهم
عمارتهم ولا طول مدتهم وجاءتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات وقيل بالاحكام فكفروا ولم يؤمنوا فما كان
الله ليظلمهم بان اهلكهم من غير ذنب ولا رسل ولا حجة ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالشرك والعصيان
قوله تعالى ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ
السوأى فعلى من السوء تانيث الاسوأ وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن وقيل هاهنا النار
قاله ابن عباس ومعنى اساؤا اشركوا دل عليه ان كذبوا بايات الله فالسوأى جهنم كما ان الحسنى اسم الجنة ان كذبوا بايات
الله اى لان كذبوا قاله الكسائى وقيل بان كذبوا وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ثم كان عاقبة الذين بالرفع اسم كان
وذكرت لان تانيثها غير حقيقى والسوأى خبر كان والباقون بالنصب على خبر كان السوأى بالرفع اسم كان ويجوز ان
يكون اسمها التكذيب فيكون التقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين اساؤا ويكون السوأى مصدرا لاساؤا او صفة
لمحذوف اى الخلة السوأى وروى عن الاعمش انه قرأ ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوء برفع السوء قال النحاس
السوء اشد الشر والسوأى الفعلى منه ان كذبوا بايات الله قيل بمحمد والقرآن قاله الكلبى مقاتل بالعذاب ان
ينزل بهم الضحاك بمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا بها يستهزءون قوله تعالى اللّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ قرأ ابو عمرو وابو بكر يرجعون بالياء الباقون بالتاء ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون وقرأ ابو عبد الرحمن السلمى يبلس بفتح اللام والمعروف فى اللغة ابلس الرجل اذا سكت وانقطعت
حجته ولم يؤمل ان يكون له حجة ولو قربت منه تحقق كما قال العجاج
يا صاح هل تعرف رسما مكرسا ۞ قال نعم اعرفه وابلسا
وقد زعم بعض النحويين ان ابليس مشتق من هذا وانه ابلس لانه انقطعت حجته النحاس ولو كان كما قال
لوجب ان ينصرف وهو فى القرآن غير منصرف وقال الزجاج المبلس الساكت المنقطع فى حجته اليائس من ان
يهتدى اليها ولم يكن لهم من شركائهم اى ما عبدوه من دون الله شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين قالوا
ليسوا بالهة فتبرؤا منها وتبرأت منهم حسب ما تقدم فى غير موضع قوله تعالى وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ يتفرقون يعنى
المؤمنين من الكافرين ثم بين كيف تفريقهم فقال فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال النحاس سمعت الزجاج

يقول اما دع ماكنا فيه وخذ في غيره وكذا قال سيبويه ان معناها مهما يكن من شيء اي فخذ في غير ما كنا
فيه فهم في روضة يحبرون قال الضحاك الروضة الجنة والرياض الجنان وقال ابو عبيد الروضة ما كان
في تسغل فاذا كان مرتفعا فهو ترعة وقال غيره احسن ما تكون الروضة اذا كانت في موضع مرتفع غليظ
كما قال الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

الا انه لا يقال لها روضة الا اذا كان فيها نبت فان لم يكن فيها نبت وكانت مرتفعة فهي ترعة عن غير هذا وقال
القشيري والروضة عند العرب ما ينبت حول الغدير من البقول ولم يكن عند العرب شيء احسن منه الجوهري
والجمع روض ورياض صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والروض نحو من نصف القربة ماء وفي الحوض روضة
من ماء اذا غطى اسفله وانشد ابو عمرو ° وروضة سقيت منها نضوتي ° يحبرون قال الضحاك وابن
عباس يكرمون وقيل ينعمون قاله مجاهد وقتادة وقيل يسرون السري يفرحون والحبرة عند العرب السرور
والفرح ذكره الماوردي وقال الجوهري والحبر الحبور وهو السرور ويقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبرة
قال تعالى فهم في روضة يحبرون اي ينعمون ويكرمون ويسرون ورجل يحبور يفعول من الحبور النحاس
وحكى الكسائي حبرته اي اكرمته ونعمته وسمعت علي ابن سليمان يقول هو مشتق من قولهم على اسنانه
حبرة اي اثر فيحبرون يتبين عليهم اثر النعيم والحبر من هذا مشتق قال الشاعر

لا تملاء الدلو وعرق فيها ° اما ترى حبار من يسقيها

وقيل اصله من التحبير وهو التحسين فيحبرون يحسنون يقال فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا
حسن الهيئة ويقال ايضا فلان حسن الحبر والسبر بالفتح وهذا كانه مصدر قولك حبرته حبرا اذا احسنته
والاول اسم ومنه الحديث رجل يخرج من النار ذهب حبره وسبره وقال يحيى بن ابي كثير في روضة
يحبرون قال السماع في الجنة الا رددت الغناء بالتسبيح والتقديس وقال الاوزاعي ليس شيء من خلق الله
احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم زاد غير الاوزاعي
ولم يبق شجرة في الجنة الا وردت ولم يبق ستر ولا باب الا ارتج وانفتح ولم يبق حلقة الا طنت بالوان طنينها
ولم يبق اجمة من آجام الذهب الا وقع اهبوب الصوت في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر
ولم تبق جارية من جوار الحور العين الا غنت باغانيها والطير بالحانها ويوحي الله تبارك وتعالى الى الملايكة
ان جاوبوهم واسمعوا عبادي الذين نزهوا اسماعهم عن مزامير الشياطين فيجاوبون بالحان واصوات
روحانيين فتختلط هذه الاصوات فتصير رجة واحدة ثم يقول الله جل ذكره يا داود قم عند ساق عرشي
فمجدني فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يغمر الاصوات ويجليها وتتضاعف اللذة فذلك قوله فهم في روضة
يحبرون ذكره الترمذي الحكيم رحمه الله وذكر الثعلبي من حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي اخريات القوم اعرابي فقال يا رسول
الله هل في الجنة من سماع فقال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خمصانية يتغنين
باصوات لم يسمع الخلايق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة فسال رجل ابا الدرداء بماذا يتغنين فقال بالتسبيح

وقد قيل في الذي … صح

وقال الاوزاعي قال اذا اخذ اهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة صح

والخماصية الموهفة الاعلى الخمصانة البطن الضخمة الاسفل قال الشيخ رحمه الله وهذا كله من النعيم والسرور
والاكرام فلا تعارض بين تلك الاقوال واين هذا من قوله الحق فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
على ما ياتي وقوله عليه السلام فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد روي ان
في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع
في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ذكره الزمخشري
قوله تعالى واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا فاوليك في العذاب محضرون تقدم الكلام فيه
ولقاء الآخرة اي بالبعث فاوليك في العذاب محضرون اي مقيمون وقيل مجموعون وقيل معذبون وقيل
نازلون ومنه قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اي نزل به قاله ابن شجرة والمعنى متقارب قوله تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فسبحان الله الاية فيه ثلاثة اقوال الاول انه خطاب
للمومنين بالامر بالعبادة والحض على الصلاة في هذه الاوقات قال ابن عباس الصلوات الخمس في القرآن
قيل له اين قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون صلوة المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الفجر
وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وقاله الضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا وقتادة ان
الاية تنبيه على اربع صلوات المغرب والصبح والعصر والظهر قالوا والعشاء الآخرة هي في آية اخرى في زلف
من الليل وفي ذكر اوقات العورة وقال النحاس اهل التفسير على ان هذه الاية فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون في الصلوات وسمعت علي ابن سليمان يقول حقيقته عندي فسبحوا الله في الصلوات لان التسبيح
يكون في الصلاة وهو القول الثاني والقول الثالث فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون ذكره الماوردي
وذكر القول الاول ولفظه فيه فصلوا لله حين تمسون وحين تصبحون وفي تسمية الصلاة بالتسبيح وجهان
احدهما لما تضمنتها من ذكر التسبيح في الركوع والسجود الثاني ماخوذ من السبحة والسبحة الصلاة ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم يكون لهم سبحة يوم القيامة اي صلاة الثانية وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراض بين الكلام بدوب الحمد على نعمه والايه وقيل معنى وله الحمد اي الصلاة لاختصاصها
بقراءة الحمد والاول اظهر فان الحمد لله من نوع تعظيم الله تعالى والحض على عبادته ودوام نعمته فيكون نوعا آخر
خلاف الصلاة والله اعلم وبدا بصلاة المغرب لان الليل يتقدم النهار وفي سورة سبحان بدا بصلاة الظهر اذ
هي اول صلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم قال الماوردي وخص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة
النهار باسم الحمد لان للانسان في النهار متقلبا في احوال توجب حمد الله عليها وفي الليل على خلوة توجب
تنزيه الله من الاسواء فيها فلذلك صار الحمد بالنهار اخص فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل اخص فسميت
به صلاة الليل الثالثة قرا عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى حينا تمسون فيه وحينا تصبحون فيه
فحذف فيه تخفيفا والقول فيه كالقول في واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا وعشيا قال الجوهري العشي
والعشية من صلاة المغرب الى العتمة تقول اتيته عشية امس وعشي امس وتصغير العشي عشيان على غير القياس
مكبره فانهم صغروا عشيانا والجمع عشيات وقيل ايضا في تصغيره عشيشيان والجمع عشيشيات وتصغير العشية
عشيشية والجمع عشيشيات والعشاء بالمد والكسر مثل العشي والعشاءان المغرب والعتمة وزعم قوم ان

في الصلوات ثم

العشا من زوال الشمس الى طلوع الفجر وانشدوا غدونا غدوة سحرا بليل عشاء بعدما انتصف النهار
الماوردي والفرق بين المسا والعشا ان المسا بدو الظلام بعد المغيب والعشاء اخر النهار عند ميل الشمس
للمغيب وهو ماخوذ من عشاء العين وهو نقص النور من الناظر كنقص نور الشمس قوله تعالى يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ بين كمال
قدرته اى كما احيى الارض باخراج النبات بعد همود ما كذلك يحييكم بالبعث وفى هذا دليل على صحة القياس
وتقدم في ال عمران بيان يخرج الحي من الميت قوله تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ
بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ
أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ اى من علامات
ربوبيته ووحدانيته ان خلقكم من تراب اى خلق اباكم منه والفرع كالاصل وقد مضى بيان هذا فى الانعام
وان فى موضع رفع بالابتداء وكذا ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم انتم عقلاء ناطقون
تتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم يكن ليخلقكم عبثا ومن قدر على هذا فهو اهل للعبادة والتسبيح ومعنى
خلق لكم من انفسكم ازواجا اى نساء تسكنون اليها من انفسكم اى من نطفة الرجال ومن جنسكم وقيل المراد
حواء خلقها من ضلع ادم قاله قتادة وجعل بينكم مودة ورحمة قال ابن عباس ومجاهد المودة الجماع
والرحمة الولد قاله الحسن وقيل المودة والرحمة عطف قلوب بعضهم على بعض وقال السدي
المودة المحبة والرحمة الشفقة وروى معناه عن ابن عباس قال المودة حب الرجل امراته والرحمة
رحمته اياها ان يصيبها بسوء ويقال ان الرجل اصله من الارض وفيه قوة الارض وفيه الفرج
الذى منه بداء خلقه فيحتاج الى سكن وخلقت المراة سكنا للرجل قال الله تعالى ومن اياته ان خلقكم
من تراب الاية وقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فاول ارتفاق الرجل بالمراة
سكونه اليها مما فيه من غليان القوة وذلك ان الفرج اذا تحمل فيه هيج ماء الصلب اليه فاليها يسكن وبها
يتخلص من الهاج وللرجال خلق البضع منهن قال الله تعالى وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم
فاعلم الله عز وجل الرجال ان ذلك الموضع خلق منهن للرجال فعليها بذله فى كل وقت يدعوها الزوج ح
فان منعت فهى ظالمة وفى حرج عظيم ويكفيك من ذلك ما ثبت من صحيح مسلم من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشها فتابا عليه
الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفى لفظ آخر اذا باتت المراة هاجرة فراش زوجها
لعنتها الملائكة حتى تصبح ومن اياته خلق السموات والارض تقدم فى البقرة وكانوا يعترفون بان الله
هو الخالق واختلاف السنتكم والوانكم اللسان فى الفم واختلاف اللغات من العربية والعجمية والتركية
والرومية واختلاف الالوان فى الصور من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى احدا الا وانت تفرق

بينه

بينه وبين الاخر وليس هذه الاشياء من فعل النطفة ولا من فعل الابوين فلابد من فاعل فعلم ان الفاعل
هو الله تعالى وهذا من ادل دليل على المدبر البارى ان فى ذلك لايات للعالمين اى للبر والفاجر وقرا
حفص للعالمين بكسر اللام جمع علم ومن اياته منامكم بالليل والنهار قيل فى هذه الاية تقديم وتاخير والمعنى
ومن اياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر باتصاله بالليل وعطفه عليه والواو
تقوم مقام حرف الجر اذا اتصلت بالمعطوف عليه فى الاسم الظاهر خاصة فجعل النوم بالليل دليلا على
الموت والتصرف بالنهار دليلا على البعث ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون يريد سماع تفهم وتدبر وقيل
يسمعون الحق فيتبعونه وقيل يسمعون الوعظ فيخافونه وقيل يسمعون القران فيصدقونه والمعنى
متقارب وقيل كان منهم من اذا تلى القران وهو حاضر سد اذنيه حتى لا يسمع فبين الله عز وجل هذه
الدلايل عليه ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا قيل المعنى ان يريكم فحذف ان لدلالة الكلام عليه قال
طرفة الا ايهذا اللايمى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى وقيل هو
على التقديم والتاخير اي ويريكم البرق من اياته وقيل اى ومن اياته اية يريكم البرق كما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

وقيل اى من اياته انه يريكم البرق خوفا وطمعا من اياته قاله الزجاج فيكون عطف جملة على جملة خوفا اي
للمسافر وطمعا للمقيم قاله قتادة الضحاك خوفا من الصواعق وطمعا فى الغيث يحيى ابن سلام خوفا من البرد
ان يهلك الزرع وطمعا فى المطر ان يحيى الزرع ابن بحر خوفا ان يكون البرق برقا خلبا لا يمطر وطمعا
ان يكون ممطرا وانشد الشاعر لا يكن برقك برقا خلبا ان خير البرق ما الغيث معه

وقال آخر فقد اردُ المياه بغير زاد سوى عدى لها برق الغمام

والبرق الخلب الذى لا غيث فيه كانه خادع ومنه قيل لمن يعد ولم ينجز قال

انما انت كبرق خلب والخلب ايضا السحاب الذي لا مطر فيه ويقال برق خلب بالاضافة و
ينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون تقدم ومن اياته ان
تقوم السماء والارض بامره ان فى محل رفع كما تقدم اى قيامها واستمساكها بقدرته بلا عمد وقيل بتدبيره
وحكمته اى يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق وقيل بامره باذنه والمعنى واحد ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون اي الذى فعل هذه الاشيا قادر على ان يبعثكم من قبوركم والمراد سرعة وجود ذلك
من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعى المطاع مدعوه كما قال القايل

دعوت كليبا باسمه فكانما دعوت براس الطود او هو اسرع

يريد براس الطود الصدي او الحجر اذا تدهده وانما عطف هذا على قيام السموات والارض لعظم ما يكون من
ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والآخرين
الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى فى قوله اذا دعاكم للشرط
والثانية فى قوله اذا انتم للمفاجاة وهى تنوب مناب الفاء فى جواب الشرط واجمع القراء على فتح التاء
هنا فى تخرجون واختلفوا فى التى فى الاعراف فقراء اهل المدينة ومنها تخرجون بضم التاء وقرا اهل العراق
بالفتح واليه يميل ابو عبيد والمعنيان متقاربان الا ان اهل المدينة فرقوا بينهما لنسق الكلام فنسق الكلام

في التي في الاعراف بالضم اشبه اذا كان الموت ليس من فعلهم وكذا الاخراج والفتح في سورة الروم اشبه بنسق
الكلام اي اذا دعاكم خرجتم اي اطعتم فالفعل اشبه بهم وهذا الخروج انما هو عند نفخة اسرافيل النفخة الاخرة
على ما تقدم وسياتي وقرئ تخرجون بضم التاء وفتحها ذكره الزمخشري لم يزد على هذا شيئا ولم يذكر ما ذكرناه
من الفرق والله اعلم وله من في السموات والارض خلقا وملكا وعبدا كل له قانتون روى عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القرآن فهو طاعة قال النحاس مطيعون طاعة انقياد وقيل
قانتون مقرون بالعبودية اما قالة واما دلالة قاله عكرمة وابو مالك والسدي وقال ابن عباس قانتون
مصلون الربيع ابن انس كل له قانتون اي قايم يوم القيمة كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين اي للحساب
الحسن كل له قايم بالشهادة انه عبد له سعيد بن جبير قانتون مخلصون قوله تعالى وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
اما بدو خلقه فبعلوقه في الرحم قبل ولادته واما اعادته فباحيائه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث فجعل
ما علم من ابتدا خلقه دليلا على ما يخفى من اعادته استدلالا بالشاهد على الغايب ثم اكد ذلك بقوله وهو اهون
عليه وقرا ابن مسعود وابن عمر يبدي الخلق من ابدي يبدي دليله قوله تعالى انه هو يبدي ويعيد
ودليل قراة العامة قوله سبحانه كما بداكم تعودون واهون بمعنى هين اي الاعادة هين عليه قاله الربيع
ابن خيثم والحسن فاهون بمعنى هين لانه ليس شي اهون على الله من شي قال ابو عبيدة ومن جعل
اهون يعبر عن تفضيل شي على شي فقوله مردود بقول الله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا وبقوله ولا
يؤده حفظهما والعرب تحمل افعل على فاعل ومنه قول الفرزدق
ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعايمه اعز واطول
اي دعايمه عزيزة طويلة وقال آخر لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تغدو المنية اول
اراد اني لوجل وانشد ابو عبيدة ايضا اني لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لامثل
اراد لمايل وانشد احمد بن يحيى تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد
اراد بواحد وقال آخر لعمرك ان الزبرقان لباذل لمعروفه عند السنين وافضل اي فاضل
ومنه قولهم الله اكبر انما معناه الله الكبير وروى معمر عن قتادة قال في قراة عبد الله بن مسعود و
هو عليه هين وقال مجاهد وعكرمة والضحاك ان المعنى ان الاعادة اهون عليه اي على الله من البداية
اي ايسر وان كان جميعه على الله هينا وقال ابن عباس ووجهه ان هذا مثل ضربه الله لعباده يقول
اعادة الشي على الخلايق اهون من ابتدايه فينبغي ان يكون البعث لمن قدر على البداية عندكم فيما بينكم اهون
عليه من الانشاء وقيل الضمير في عليه للمخلوق اي وهو اهون عليه اي على الخلق يصاح بهم صيحة واحدة
فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون فذلك اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم
اجنة ثم اطفالا ثم غلمانا ثم شبانا ثم رجالا او نساء وقاله ابن عباس وقطرب وقيل اهون اسهل قال
وهان على اسما ان شطت النوى يحن اليها واله ويتوق
اي سهل عليها وقال الربيع بن خيثم في قوله تعالى وهو اهون عليه قال ما شي على الله تعالى بعزيز
عكرمة تعجب الكفار من احيا الله تعالى الموتى فنزلت هذه الاية وله المثل الاعلى اي ما اراده جل

وعز كان وقال الخليل المثل الصفة اي وله الوصف الاعلى في السموات والارض كما قال مثل الجنة التي وعد
المتقون اي صفتها وقد مضى الكلام في ذلك وعن مجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه اي الذي
له الوصف الاعلى اي الارفع الذي هو الوصف بالوحدانية وكذا قال قتادة ان المثل الاعلى شهادة
ان لا اله الا الله ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم على ما نبينه انفا ان شا الله تعالى و
قال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب
ويسهل يريد التفسير الاول وقال ابن عباس اي ليس كمثله شي وهو العزيز الحكيم قوله تعالى ضَرَبَ لَكُمْ
مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ
كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فيه مسلتان الاولى قوله تعالى من
انفسكم ثم قال من شركا ثم قال من ما ملكت ايمانكم فمن الاولى للابتدا كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من
اقرب شي منكم وهي انفسكم والثانية للتبعيض والثالثة لتاكيد الاستفهام والاية نزلت في كفار قريش كانوا
يقولون في التلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك قاله سعيد بن جبير وقال قتادة هذا مثل
ضربه الله للمشركين والمعنى هل يرضى احدكم ان يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله فاذا لم ترضوا بهذا لانفسكم
فكيف جعلتم لله شركا الثانية قال بعض العلما هذه الاية اصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم
الى بعض ونفيها عن الله سبحانه وتعالى وذلك انه لما قال جل وعز ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما
ملكت ايمانكم الاية فيجب ان يقولوا ليس عبيدنا شركانا فيما رزقنا فيقال لهم فكيف يتصور ان تنزهوا
نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركاي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب فاذا بطلت
الشركة بين العبيد وساداتهم فيما تملكه السادة والخلق كلهم عبيد الله تعالى فيبطل ان يكون شيا
من العالم شريكا لله تعالى في شي من افعاله فلم يبق الا انه واحد يستحيل ان يكون له شريك اذ الشركة
تقتضي المعاونة ونحن مفتقرون الى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل والقديم الازلي منزه عن ذلك
جل وعز وهذه المسالة افضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لان جميع العبادات البدنية لا تصح
الا بتصحيح هذه المسالة في القلب فافهم ذلك قوله تعالى بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ
فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ لما قامت عليهم الحجة ذكر انهم يعبدون الاصنام
باتباع اهوايهم في عبادتها وتقليد الاسلاف في ذلك فمن يهدي من اضل الله اي لا هادي لمن اضله الله
تعالى وفي هذا رد على القدرية وما لهم من ناصرين قوله تعالى فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فاقم وجهك قال الزجاج منصوب بمعنى
اتبع فطرة الله قال لان معنى فاقم وجهك للدين اتبع الدين واتبع فطرة الله وقال الطبري فطرة الله مصدر
من معنى فاقم وجهك لان معنى ذلك فطر الله الناس على الدين الحسن فطرة وقيل معنى ذلك اتبعوا دين الله
الذي خلق الانسان له وعلى هذا القول يكون الوقف على حنيفا تام وعلى القولين الاولين يكون متصلا
فلا يوقف على حنيفا وسميت الفطرة دينا لان الناس يخلقون له قال جل وعز وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ويقال عليها بمعنى لها كقوله تعالى وان اساتم فلها والخطاب باقم وجهك للنبي صلى الله عليه وسلم
امره باقامة وجهه للدين المستقيم كما قال فاقم وجهك للدين القيم وهو دين الاسلام واقامة الوجه هو

تقدم م

تنويم المقصد والقوة على الجد في اعمال الدين وخص الوجه بالذكر لانه جامع حواس الانسان واشرفه
ودخل في هذا الخطاب امته باتفاق اهل التاويل وحنيفا معناه معتدلا مايلا عن جميع الاديان المحرفة المنسوخة
الثانية في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يولد على
الفطرة في رواية على هذه الملة ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون
فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة واقرؤا ان شيتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
في رواية حتى تكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين
لفظ مسلم **الثالثة** واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على اقوال متعددة
منها الاسلام قال ابو هريرة وابن شهاب وغيرهما قالوا وهو المعروف عند عامة السلف من اهل
التاويل واحتجوا بالاية وحديث ابي هريرة وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حماد المجاشعي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال للناس يوما الا احدثكم بما حدثني الله في الكتاب ان الله خلق آدم وبنيه
حنفاء مسلمين واعطاهم المال حلالا لا حرام فيه فجعلوا مما اعطاهم الله حلالا وحراما الحديث وبقوله
صلى الله عليه وسلم خمس من الفطرة فذكر منها قص الشارب وهي من سنن الاسلام وعلى هذا التاويل فيكون
معنى الحديث ان الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي اخذه الله على ذرية آدم حين اخرجهم
من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل ان يدركوا في الجنة اولاد مسلمين كانوا او اولاد كفار وقال آخرون الفطرة
هي البداءة التي ابتداهم الله عليها اي على ما فطر الله عليه خلقه من انه ابتداهم للحياة والموت والسعادة
والشقاء والى ما يصيرون اليه عند البلوغ قالوا والفطرة في كلام العرب البداءة والفاطر المبتدئ
واحتجوا بما روي عن ابن عباس انه قال لم اكن ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتى اعرابيان
يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها قال المروزي كان احمد بن حنبل يذهب الى هذا
القول ثم تركه قال ابو عمر في كتاب التمهيد له ما رسمه مالك في موطئه وذكر في ابواب القدر فيه
فيه من الاثار يدل على ان مذهبه في ذلك نحو هذا والله اعلم ومما احتجوا به ما روي عن كعب القرظي
في قوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال من ابتداه الله خلقه للضلالة صيره للضلالة
وان عمل باعمال الهدى ومن ابتداه الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان عمل باعمال الضلالة
ابتدا الله خلق ابليس على الضلالة وعمل باعمال السعادة مع الملايكة ثم رده الله الى ما ابتداه عليه خلقه
قال وكان من الكافرين قال الشيخ رحمه الله قول كعب هذا في الاعراف وجاء معناه مرفوعا من حديث
عايشة رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة غلام من الانصار فقلت يا رسول
الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءا ولم يدركه قال او غير ذلك يا عايشة ان الله خلق
للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم ✓ خرجه ابن ماجه في السنن وخرج ابو عيسى الترمذي — وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم صح
عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال اتدرون ما
هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين
فيه اسماء اهل الجنة واسماء آبايهم وقبايلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم
ابدا وذكر الحديث وقال فيه حديث حسن وقالت فرقة ليس المراد بقوله تعالى الناس ولا قوله عليه السلام

كل مولود يولد على الفطرة العموم وانما اراد بالناس المومنون اذ لو فطر الجميع على الاسلام لما كفر احد
وقد ثبت انه خلق اقواما للنار كما قال ولقد ذرانا لجهنم واخرج الذرية من صلب آدم سودا
وبيضا وقال في الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا وروى ابو سعيد الخدري قال صلى
بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بنهار وفيه وكان فيما حفظنا انه قال الا ان بني آدم
خلقوا طبقات شتى فمنهم من يولد مومنا ويحيى مومنا ويموت مومنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى
كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مومنا ويحيى مومنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا
ويموت مومنا ومنهم حسن القضاء حسن الطلب ذكره حماد بن زيد كذا قال حدثنا علي ابن زيد على ابي
نضرة عن ابي سعيد قالوا والعموم بمعنى الخصوص كثير في لسان العرب الا ترى الى قوله عز وجل
تدمر كل شيء ولم تدمر السموات والارض وقوله فتحنا عليهم ابواب كل شيء ولم يفتح عليهم ابواب الرحمة
وقال اسحق بن راهويه الحنظلي تم الكلام عند قوله فاقم وجهك للدين حنيفا ثم فطرة الله اي فطر الله — قال صح
الخلق فطرة اما الجنة او النار واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كل مولود يولد على الفطرة ولهذا
قال لا تبديل لخلق الله قال شيخنا ابو العباس من قال سابقة السعادة والشقاوة فهذا انما يليق — هي صح
بالفطرة المذكورة في القرآن لان الله تعالى قال لا تبديل لخلق الله واما في الحديث فلا لانه قد اخبر في
بقية الحديث بانها تبدل وتغير وقالت طايفة من اهل الفقه والنظر الفطرة الخلقة التي خلق عليها
المولود في المعرفة بربه فكانه قال كل مولود على خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة — يولد صح
لخلقة البهايم التي لا تصل بخلقتها الى معرفته واحتجوا على ان الفطرة الخلقة والفاطر الخالق بقول
الله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض يعني خالقهن وبقوله مالي لا اعبد الذي فطرني
يعني خلقني وبقوله الذي فطرهن يعني خلقهن قالوا فالفطرة الخلقة والفاطر الخالق وانكروا ان
يكون المولود يفطر على كفر او ايمان او معرفة او انكار قالوا وانما المولود على السلامة في الاغلب خلقة
وطبعا وبنية ليس معها ايمان ولا كفر ولا انكار ولا معرفة ثم يعتقدون الكفر والايمان بعد البلوغ
اذا ميزوا واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعاء
مقطوعة الاذن فمثل قلوب بني آدم بالبهايم لانها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان ثم تقطع اذانها
بعد وانوفها فيقال هذه بحاير وهذه سوايب يقول فكذلك قلوب الاطفال في حين ولادتهم ليس
لهم كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار كالبهايم السايمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر اكثرهم
وعصم الله اقلهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا على شيء من الكفر والايمان في اولية امرهم ما انتقلوا
عنه ابدا وقد نجدهم يومنون ثم يكفرون قالوا ويستحيل في المعقول ان يكون الطفل في حين ولادته
يعقل كفرا او ايمانا لان الله اخرجهم في حال لا يفقهون معها شيا قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيا فمن لا يعلم شيا استحال منه كفر او ايمان او معرفة او انكار قال ابو عمرو بن عبد
البر هذا اصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها ومن الحجة ايضا في هذا قوله تعالى انما تجزون
ما كنتم تعملون وكل نفس بما كسبت رهينة ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشيء وقال وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا ولما اجمعوا على دفع القود والقصاص والحدود والاثام عنهم في دار الدنيا كانت

الاخرة اولي بذلك والله اعلم ويستحيل ان تكون الفطرة المذكورة الاسلام كما قال ابن شهاب لان الاسلام و
الايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل لا يجهل ذلك ذو عقل واما
قول الاوزاعي سالت الزهري عن رجل عليه رقبة اتجزى عنه الصبي ان يعتقه وهو رضيع قال نعم لانه ولد على
الفطرة يعنى الاسلام فانما اجزأ عتقه عند من اجازه لان حكمه حكم ابويه وخالفهم آخرون فقالوا لا يجزي في
الرقاب الواجبة الا من صام وصلى وليس في قوله تعالى كما بدأكم تعودون ولا في ان يختم الله للعبد بما قضاه
له وقدره عليه دليل على ان الطفل يولد حين يولد مؤمنا او كافرا لما شهدت له العقول انه في ذلك الوقت
ليس ممن يعقل ايمانا ولا كفرا والحديث الذى جاء فيه ان الناس خلقوا على طبقات ليس من الاحاديث التى
لا مطعن فيها لانه انفرد به علي ابن زيد بن جدعان وقد كان شعبة يتكلم فيه على انه يحتمل قوله يولد مؤمنا
اى يولد ليكون مؤمنا ويولد ليكون كافرا على سابق علم الله فيه وليس في قوله في الحديث خلقت هولاء للجنة
وخلقت هولاء للنار اكثر من مراعاة ما يختم به لهم لا انهم في حين طفوليتهم ممن يستحق جنة او نارا
او يعقل كفرا او ايمانا قال الشيخ رحمه الله والى ما اختاره ابو عمر واحتج له ذهب غير واحد من المحققين
منهم ابن عطية في تفسيره في معنى الفطرة وشيخنا ابو العباس قال ابن عطية في تفسيره في معنى
الفطرة والذى يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة انها الخلقة والهيئة التى في نفس الطفل التى هي معدة
ومهيأة لان يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به فكانه تعالى
قال اقم وجهك للدين الذى هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الاعداد له فطر البشر لكن تعرضهم
العوارض ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه
فذكر الابوين انما هو مثال للعوارض التى هي كثيرة وقال شيخنا في عبارته ان الله تعالى خلق
قلوب بنى آدم مؤهلة لقبول الحق كما خلق اعينهم واسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات فما دامت
باقية على ذلك القبول وعلى تلك الاهلية ادركت الحق ودين الاسلام وهو الدين الحق وقد دل
على صحة هذا المعنى قوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء يعنى ان البهيمة تلد
ولدها كامل الخلقة سليما من الافات فلو ترك على اصل تلك الخلقة لبقى كاملا بريا من العيوب لكن
يتصرف فيه فيجدع اذنه ويوسم وجهه فتطرأ عليه الافات والنقايص فيخرج على الاصل وكذلك الانسان
وهو تشبيه واقع ووجهه واضح قال الشيخ رحمه الله وهذا القول مع القول الاول موافق له
في المعنى وان ذلك بعد الادراك حين عقلوا امر الدنيا وتاكدت حجة الله عليهم بما نصب من الايات
الظاهرة من خلق السموات والارض والشمس والقمر والبر والبحر واختلاف الليل والنهار فلما عملت
اهواءهم فيهم اتتهم الشياطين فدعتهم الى اليهودية والنصرانية فذهبت باهوايهم يمينا وشمالا
وانهم ان ماتوا صغارا فهم في الجنة اعنى جميع الاطفال لان الله تعالى لما اخرج ذرية آدم من صلبه في
صورة الذر اقروا له بالربوبية وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و
اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ثم اعادهم في صلب آدم بعد ان اقروا له بالربوبية
وانه الله لا اله غيره ثم يكتب العبد في بطن امه شقيا او سعيدا على الكتاب الاول فمن كان في الكتاب
الاول شقيا عمر حتى يجرى عليه القلم فينقض الميثاق الذى اخذ في صلب آدم بالشرك ومن كان في الكتاب عليه

الاول سعيدا عمر حتى يجري عليه القلم فيصير سعيدا ومن مات صغيرا من اولاد المسلمين قبل ان يجرى
عليه القلم فهو مع ابايهم في الجنه ومن كان من اولاد المشركين فمات قبل ان يجري عليه القلم فليس يكونون
مع ابايهم لانهم ماتوا على الميثاق الاول الذى اخذ عليهم في صلب آدم ولم ينقض الميثاق ذهب الى
هذا جماعة من اهل التاويل وهو يجمع بين الاحاديث ويكون قوله عليه السلام لما سئل عن اولاد المشركين معناه
فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يعني لو بلغوا ودل على هذا التاويل ايضا حديث البخارى عن سمرة بن
جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الطويل حديث الرويا وفيه قوله صلى الله عليه وسلم واما
الرجل الطويل الذى في الروضة فابرهيم عليه السلم واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة
قال فقيل يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين وهذا
نص يرفع الخلاف وهو اصح شئ روى في هذا الباب وغيره من الاحاديث فيها علل وليست من
احاديث الايمة الفقهاء قاله ابو عمر بن عبد البر وقد روي من حديث انس قال سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اولاد المشركين فقال لم يكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك الجنه ولم تكن
لهم سيئات فيعاقبوا عليها فيكونوا من اهل النار فهم خدم لاهل الجنه ذكره يحيى بن سلام في التفسير
له وقد زدنا هذه المسئلة بيانا في كتاب التذكرة وذكرنا في كتاب المقتبس في شرح الموطا مالك ابن انس ما
ذكره ابن عمر من ذلك والحمد لله وذكر اسحاق بن راهوية قال حدثنا يحيى بن آدم قال اخبرنا جرير
ابن حازم عن ابى رجا العطاردى قال سمعت ابن عباس يقول لا يزال امر هذه الامة مواتيا او
متقاربا او كلمة تشبه هاتين حتى يتكلموا او ينظروا في الاطفال والقدر قال يحيى بن آدم فذكرته لابن المبارك
فقال ايسكت الانسان على الجهل قلت فتامر بالكلام قال فسكت وقال ابو بكر الوراق فطرة الله
التى فطر الناس عليها هي الفقر والفاقه وهذا حسن فانه منذ ولد الى حين يموت فقير محتاج نعم وفي
الاخرة قوله تعالى لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ
لخلق الله اى لهذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخالق ولا يجئ الامر على خلاف هذا بوجه اى لا يشقى
من خلقه سعيدا ولا يسعد من خلقه شقيا وقال مجاهد المعنى لا تبديل لدين الله وقاله قتادة وابن
جبير والضحاك وابن زيد والنخعي قالوا هذه معناه في المعتقدات وقاله عكرمة وروي عن ابن عباس
وعمر بن الخطاب ان المعنى لا تغيير لخلق الله من البهايم ان تخصى فحولها فيكون معناه النهي عن خصاء
الفحول من الحيوان وقد مضى هذا في النساء ذلك الدين القيم اى ذلك القضاء المستقيم قاله ابن عباس
وقال مقاتل ذلك الحساب البين وقيل ذلك الدين القيم اى دين الاسلام هو الدين القيم المستقيم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى لا يتفكرون فيعلمون ان لهم خالقا معبودا او الها قديما سبق قضاؤه
ونفذ حكمه قوله تعالى مُنِيْبِيْنَ اِلَيْهِ وَاتَّقُوْهُ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ مِنَ
الَّذِيْنَ فَارَقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ اختلف في معناه فقيل
راجعين اليه بالتوبة والاخلاص وقال يحيى بن سلام والفراء مقبلين اليه وقال عبد الرحمن ابن
زيد تائبين اليه من الذنوب ومنه قول قيس ابن الاسلت

فان تابوا فان بنى سليم وقومهم هوازن قد انابوا

والمعنى واحد فان معنى تاب وثاب وآب معناه الرجوع وقال الماوردى وفى اصل الانابة قولان
احدهما ان اصله القطع ومنه اخذ اسم الناب لانه قاطع فكان الانابة هى الانقطاع الى الله جل وعز بالطاعة
الثانى اصله الرجوع ماخوذ من ناب ينوب اذا رجع مرة بعد اخرى ومنه النوبة لانها الرجوع الى
عادة الجوهرى واناب الى الله اقبل وتاب والنوبة واحدة النوب تقول جات نوبتك ونيابتك وهم
يتناوبون النوبة فيما بينهم فى الماء وغيره وانتصب على الحال قال محمد بن يزيد لان معنى اقم وجهك فاقيموا
وجوهكم منيبين وقال الفراء المعنى فاقم وجهك ومن معك منيبين وقيل انتصب على القطع اى فاقم
وجهك انت وامتك المنيبين اليه لان الامر له امر لامته فحسن ان تقول منيبين اليه وقد قال
يا ايها النبى اذا طلقتم النساء واتقوه اى خافوه وامتثلوا ما امركم به واقيموا الصلاة ولا تكونوا من الله تعالى صح
المشركين وقد مضى هذا مبينا فى النساء والكهف وغيرهما من الذين فرقوا دينهم تاوله ابو هريرة و
عايشه وابو امامة لاهل القبلة من اهل الاهواء والبدع وقد مضى فى الانعام بيانه وقال الربيع بن انس
الذين فرقوا دينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقاله قتادة ومعمر وقرا حمزة والكسائى فارقوا
دينهم وقد قراء بذلك على بن ابى طالب اى فارقوا دينهم الذى يجب اتباعه وهو التوحيد وكانوا شيعا
اى فرقا قاله الكلبى وقيل اديانا قاله مقاتل كل حزب بما لديهم فرحون اى مسرورون معجبون لانهم
لم يتبينوا الحق وعليهم ان يتبينوه وقيل كان هذا قبل ان تنزل الفرايض وقول ثالث وان العاصى
لله عز وجل قد يكون فرحا بمعصيته فكذلك الشيطان وقطاع الطريق وغيرهم والله اعلم وزعم الفرا انه
يجوز ان يكون التمام ولا تكونوا من المشركين ويكون المعنى من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا على الاستيناف
وانه يجوز ان يكون متصلا بما قبله فهو عند البصريين على البدل باعادة الحرف كما قال جل وعز وقال الملاء
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم ولو كان بلا حرف لجاز قوله تعالى وَإِذَا مَسَّ
النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ
ضر اى شدة وقحط دعوا ربهم ان يرفع ذلك عنهم منيبين اليه قال ابن عباس مقبلين عليه بكل قلوبهم
لا يشركون ومعنى هذا الكلام التعجب منه من المشركين فى ترك الانابة الى الله تعالى مع تتابع الحجج عليهم عجب صح
اى اذا مس هولاء الكفار ضر من مرض وشدة دعوا ربهم اى استغاثوا به فى كشف ما نزل بهم مقبلين
عليه وحده دون الاصنام لعلمهم بانه لا فرج عندها ثم اذا اذاقهم منه رحمة اى عافية ونعمة اذا فريق
منهم بربهم يشركون اى يشركون به فى العبادة قوله تعالى لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ قيل هى لام كى وقيل هى
لام امر فيه معنى التهديد كما قال جل وعز فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر فتمتعوا فسوف تعلمون تهديد
ووعيد وفى مصحف عبد الله وليتمتعوا اى مكناهم من ذلك لكى يتمتعوا فهو اخبار عن غايب مثل ليكفروا
وهو على خط المصحف خطاب بعد الاخبار عن غايب اى تمتعوا ايها الفاعلون لهذا قوله تعالى
ام انزلنا عليهم سلطانا استفهام فيه معنى التوقيف قال الضحاك سلطانا اى كتابا وقاله قتادة والربيع ابن
انس واضاف الكلام الى الكتاب توسعا وزعم الفراء ان العرب تونث السلطان تقول قضت به عليك السلطان
فاما البصريون فالتذكير عندهم افصح وبه جاء القرآن والتانيث عندهم جايز لانه بمعنى الحجة اى حجة تنطق

بشركهم قاله ابن عباس والضحاك ايضا وقال على بن سليمان عن ابى العباس محمد بن يزيد قال سلطان
جمع سليط مثل رغيف ورغفان فتذكيره على معنى الجمع وتانيثه على معنى الجماعة وقد مضى فى آل عمران
الكلام فى السلطان ايضا مستوفى والسلطان ما يدفع به الانسان عن نفسه امرا يستوجب به عقوبة بايديهم
او كما قال تعالى لاذبحنه او لياتينى بسلطان مبين قوله تعالى وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً اوج
فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ فرحوا بها يعنى الخصب
والسعة والعافية قاله يحيى بن سلام النقاش النعمة والبطر وقيل الامن والدعة والمعنى متقارب
فرحوا بها اى بالرحمة وان تصبهم سيئة اى بلاء وعقوبة قاله مجاهد السدى قحط المطر بما قدمت
ايديهم اى بما عملوا من المعاصى اذا هم يقنطون اى يياسون من الرحمة والفرج قاله الجمهور وقال
الحسن ان القنوط ترك فرايض الله تعالى فى السر قنط يقنط وهى قراءة العامة وقنط يقنط وهى قراءة ابى
عمرو والكسائى ويعقوب وقرا الاعمش قنط يقنط بالكسر فيهما مثل حسب يحسب والاية صفة للكافر
يقنط عند الشدة ويبطر عند النعمة كما قيل كحمار السوء ان اعلفته رمح الناس وان جاع نهق
وكثير ممن لم يرسخ الايمان فى قلبه بهذه المثابة وقد مضى فى غير موضع فاما المومن فيشكر ربه عند
النعمة ويرجوه عند الشدة قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اى يوسع الخير فى الدنيا لمن يشاء ويضيق فلا يجب ان يدعوهم
الفقر الى القنوط ان فى ذلك لايات لقوم يومنون قوله تعالى فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ
وَابْنَ السَّبِيلِ فيه ثلاث مسايل الاولى لما تقدم انه سبحانه يبسط الرزق ويقدر امر من
وسع عليه الرزق ان يوصل الى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغنى والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
والمراد هو وامته لانه قال ذلك خير للذين وامر بايتاء ذى القربى لقرب رحمه وخير الصدقة
ما كان على القريب وفيها صلة الرحم وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على الاقارب
على عتق الرقاب فقال لميمونة وقد عتقت وليدة اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك
الثانية واختلف فى هذه الاية فقيل هى منسوخة باية المواريث وقيل لا نسخ بل للقريب حق
لازم فى البر على كل حال وهو الصحيح قال مجاهد وقتادة صلة الرحم فرض من الله عز وجل حتى قال
مجاهد لا يقبل صدقة من احد ورحمه محتاجة وقيل المراد بالقربى اقرباء النبى صلى الله عليه وسلم والاول
اصح فان حقهم مبين فى كتاب الله عز وجل فى قوله فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى وقيل ان الامر
بالايتاء لذى القربى على جهة الندب قال الحسن حقه المواساة فى اليسر وقول ميسور فى العسر والمسكين
قال ابن عباس اى اطعم السايل الطواف وابن السبيل الضيف فجعل الضيافة فرضا وقد مضى جميع هذا
مبسوطا مبينا فى مواضعه والحمد لله الثالثة ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
اى اعطاء الحق افضل من الامساك اذا اريد بذلك وجه الله والتقرب اليه واولئك هم المفلحون اى الفايزون
بمطلوبهم من الثواب فى الاخرة وقد تقدم فى البقرة القول فيه قوله تعالى وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ الله
فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُضْعِفُونَ فيه اربع مسايل الاولى لما ذكر ما يراد به وجهه ويثيب عليه ذكر غير ذلك من الصفة و

ما يراد به ايضا وجهه وقراء الجمهور اتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقراء ابن كثير ومجاهد وحميد بغير مد بمعنى
ما فعلتم من ربا كما تقول اتيت صوابا واتيت خطاء، واجمعوا على المد في قوله وما اتيتم من زكاة والربا
الزيادة وقد مضى في البقرة معناه وهو هناك محرم وههنا حلال وثبت بهذا انه قسمان منه حلال
ومنه حرام قال عكرمة في قوله تعالى وما اتيتم من ربوا ليربوا في اموال الناس قال الربا ربا آن
فربا حلال وربا حرام فاما الربوا الحلال فهو الذي يهدي يلتمس ما هو افضل منه وعن الضحاك في
هذه الآية هو الربوا الحلال الذي يهدي ليثاب افضل منه لا له ولا عليه ليس له فيه اجر وليس عليه فيه
اثم وكذلك قال ابن عباس قال وما اتيتم من ربا يريد هدية الرجل الشيء يرجوا ان يثاب افضل منه
فذلك الذي لا يربوا عند الله ولا يوجر صاحبه ولكن لا اثم عليه وفي هذا المعنى نزلت الآية قال ابن
عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد هذه آية نزلت في هبة الثواب قال ابن عطية وما جرى مجراها
مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند
الله تعالى وقال القاضي ابو بكر ابن العربي وفي كتاب النسائي عن عبد الرحمن بن علقمة قال قدم
وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم هدية وصدقة فقال ان كانت هدية فانما يبتغى
بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاء الحاجة وان كانت صدقة فانما يبتغى بها وجه الله
قالوا لا بل هدية فقبلها منهم وقعد معهم يسائلهم ويسألونه وقال ابن عباس ايضا وابرهيم النخعي
نزلت في قوم يعطون قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيدوا في اموالهم
على وجه النفع لهم وقال الشعبي معنى الآية ان ما خدم الانسان به احدا وخف له لينتفع به في دنيا
فان ذلك النفع الذي يجزى به الخدمة لا يربوا عند الله وقيل هذا كان حراما على النبي صلى الله عليه وسلم
على الخصوص قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر فنهى ان يعطي شيئا فياخذ اكثر منه عوضا وقيل انه الربوا
المحرم فمعنى لا يربوا عند الله على هذا القول لا يحكم به لاخذه بل هو للماخوذ منه قال السدي نزلت
هذه الآية في ربا ثقيف لانهم كانوا يعملون بالربا ويعمله فيهم قريش الثالثة قال القاضي ابو بكر
ابن العربي صريح الآية فيمن يهب يطلب الزيادة من اموال الناس في المكافاة قال المهلب اختلف
العلماء فيمن وهب هبة يطلب ثوابها وقال انما اردت الثواب فقال مالك ينظر فيه فان كان مثله
ممن يطلب الثواب من الموهوب له فله ذلك مثل هبة الفقير للغني وهبة الخادم لصاحبه وهبة
الرجل لاميره ومن فوقه وهذا احد قولي الشافعي وقال ابو حنيفة لا يكون له ثواب اذا لم يشترط
وهو قول الشافعي الآخر قال والهبة للثواب باطل لا تنفعه لانها بيع بثمن مجهول واحتج الكوفي بان موضوع
الهبة التبرع فلو اوجبنا فيها العوض لبطل معنى التبرع وصارت في معنى المعاوضات والعرب قد فرقت
بين لفظ البيع ولفظ الهبة فجعلت لفظ البيع على ما يستحق فيه العوض والهبة بخلاف ذلك ودليلنا ما رواه مالك
في موطاه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايما رجل وهب هبة يرى انها للثواب فهو على هبته
حتى يرضى منها ونحوها عن علي رضي الله عنه انه قال المواهب ثلثة موهبة يراد بها وجه الله وموهبة
يراد بها وجوه الناس وموهبة يراد بها الثواب فموهبة الثواب يرجع فيها صاحبها اذا لم يثب منها وترجم
البخاري رحمه الله باب المكافاة في الهبة وساق حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقبل الهدية ويثيب عليها واثاب على لقحة ولم ينكر على صاحبها حين طلب الثواب وانما انكر سخطه للثواب وكان
زائدا على القيمة خرجه الترمذي الثالثة ما ذكره علي رضي الله عنه وفصله من الهبة صحيح وذلك ان
الواهب لا يخلوا في هبته من ثلثة احوال احدها ان يريد بها وجه الله تعالى ويبتغي عليها الثواب منه
والثاني ان يريد بها وجوه الناس رئاء ليحمدوه عليها ويثنوا عليه من اجلها والثالث ان يريد بها الثواب
من الموهوب له وقد مضى الكلام فيه وقال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى
فاما اذا اراد بهبته وجه الله تعالى ابتغى عليه الثواب من عنده فله ذلك عند الله بفضله ورحمته قال
الله وما اوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وكذلك من يصل قرابته ليكون غنيا
حتى لا يكون كلا فالنية في ذلك متبوعة فان كان ليتظاهر بذلك دنيا فليس لوجه الله وان كان لما له
عليه من حق القرابة وبينهما من سجنة الرحم فانه لوجه الله واما من اراد بهبته وجوه الناس رئاء ليحمدوه
عليها ويثنوا عليه من اجلها فلا منفعة له في هبته لا ثواب في الدنيا ولا اجر في الاخرة قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس الآية واما من اراد
بهبته الثواب من الموهوب له فله ما اراد بهبته وله ان يرجع فيها ما لم يثب بقيمتها على مذهب ابن القاسم
او ما لم يرض منها بازيد من قيمتها على ظاهر قول عمر وعلي وهو قول مطرف في الواضحة ان الهبة ما كانت
قائمة العين وان زادت او نقصت فللواهب الرجوع فيها وان اثابه الموهوب فيها اكثر منها وقد قيل
انها اذا كانت قائمة العين لم تتغير فانه ياخذ ما شاء وقيل يلزمه القيمة كنكاح التفويض واما اذا كانت
بعد فوت الهبة فليس له الا القيمة اتفاقا قاله ابن العربي الرابعة قوله تعالى ليربوا قراءة جمهور
القراء ليربوا بالياء واسناد الفعل الى الربوا وقراء نافع وحده بضم التاء ساكنة على المخاطبة بمعنى تكونوا
ذوي زيادات وهذه قراءة ابن عباس والحسن وقتادة والشعبي قال ابو حاتم هي قراءتنا وقراء ابو مالك
ليربوها بضمير مونث فلا يربوا عند الله اي لا يزكوا ولا يثيب عليه لانه لا يقبل الا ما اريد وجهه وكان خالصا
له وقد تقدم في النساء وما اوتيتم من زكاة قال ابن عباس اي من صدقة تريدون وجه الله فاولئك
هم المضعفون اي ذلك الذي يقبله ويضاعفه له عشرة اضعافه او اكثر كما قال من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقال ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله
وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة وقال فاولئك هم المضعفون ولم يقل فانتم المضعفون لانه
رجع من المخاطبة الى الغيبة مثل قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وفي معنى المضعفين قولان
احدهما تضاعف لهم الحسنات كما ذكرنا والآخر انهم قد اضعف لهم الخير والنعيم اي هم اصحاب اضعاف
كما يقال فلان مقو اذا كانت ابله قوية او له اصحاب اقوياء ومسمن اذا كانت ابله سمان ومعطش اذا كانت
ابله عطاش ومضعف اذا كانت ضعيفة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من الخبيث المخبث
الشيطان الرجيم فالمخبث الذي اصحابه خبثة ويقال فلان ردي او هو ردي في نفسه ومردي اصحابه
ادرياء قوله تعالى اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ
يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ الله الذي خلقكم ابتداء وخبر عاد
الكلام الى الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرازق المميت المحيي ثم قال على جهة الاستفهام هل من شركائكم

من يفعل من ذلكم من شيء لا يفعل ثم نزه نفسه عن الانداد والاضداد والصاحبة والاولاد بقوله الحق سبحانه
وتعالى عما يشركون واضاف الشركاء اليهم لانهم كانوا يسمونهم بالآلهة والشركاء ويجعلون لهم من اموالهم
قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا
لعلهم يرجعون اختلف في معنى الفساد والبر والبحر فقال قتادة والسدي الفساد الشرك وهو اعظم
الفساد وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد فساد البر قتل ابن ادم اخاه قابيل قتل هابيل وفي البحر بالملك
الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وقيل الفساد القحط وقلة النبات وذهاب البركة ونحوه قال ابن عباس
قال هو نقصان البركة باعمال العباد كي يتوبوا قال النحاس وهو احسن ما قيل في الآية وعنه ايضا ان الفساد
في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم وقال عطية فاذا قل المطر قل الغوص عنده واخفق الصيادون
وعميت دواب البحر وقال ابن عباس اذا مطرت السماء تفتحت الاصداف في البحر فما وقع فيها من السماء
فهو لؤلؤ وقيل الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم
اي صار هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات والمعنى كله متقارب والبر والبحر هما المعروفان
المشهوران في اللغة وعند الناس لا ما قاله بعض العباد ان البر اللسان والبحر القلب لظهور ما على اللسان
وخفاء ما في القلب وقيل البر الفيافي والبحر القرى قاله عكرمة والعرب تسمي الامصار البحار وقال قتادة
البر اهل العمود والبحر اهل القرى والريف وقال ابن عباس ان البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر
والبحر ما كان على شط نهر وقاله مجاهد قال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهي بحر وقال
معناه النحاس قال في معناه قولان احدهما ظهر الجدب في البر اي في البوادي وقراها وفي البحر اي في مدن
البحر مثل واسال القرية اي ظهر قلة الغيث وغلاء السعر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم عقاب بعض الذي
عملوا ثم حذف والقول الاخر انه ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم فهذا هو الفساد على الحقيقة
والاول مجاز الا انه على الجواب الثاني فيكون في الكلام حذف واختصار دل عليه ما بعده ويكون المعنى ظهرت
المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهما الغيث واغلى سعرهم ليذيقهم عذاب بعض الذي عملوا لعلهم
يرجعون لعلهم يتوبون وقال بعض الذي عملوا لان معظم الجزاء في الاخرة والقراءة ليذيقهم بالياء
وقرا ابن عباس بالنون وهي قراءة السلمي وابن محيصن وقنبل ويعقوب على التعظيم اي نذيقهم عقوبة
بعض ما عملوا قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان
اكثرهم مشركين اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض ليعتبروا بمن قبلهم وينظروا كيف كان
عاقبة الذين من كذب الرسل كان اكثرهم مشركين اي كافرين فاهلكوا قوله تعالى فاقم وجهك
للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون قال الزجاج اي اقم قصدك واجعل
جهتك اتباع الدين القيم يعني الاسلام وقيل المعنى اوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل بما انت فيه ولا تحزن
عليهم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له اي لا يرده الله عنهم فاذا لم يرده لم يتهيا لاحد دفعه ويجوز عند غير
سيبويه لا مرد له وذلك عند سيبويه بعيد الا ان يكون في الكلام عطف والمراد يوم القيامة يومئذ يصدعون
قال ابن عباس معناه يتفرقون وقال الشاعر وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
اي لن يتفرقا نظيره قوله يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير والاصل يتصدعون ويقال

قبل صح

تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه اشتق الصداع لانه يفرق شعب الراس قوله تعالى من كفر فعليه كفره
ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون فعليه كفره اي جزاء كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يوطئون لانفسهم في الاخرة فراشا ومسكنا وقرارا بالعمل الصالح ومنه مهد الصبي والمهاد الفراش
وقد مهدت الفراش مهدا بسطته ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها وتمهيد العذر
بسطه وقبوله والتمهد التمكن وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد فلانفسهم يمهدون قال في القبر قوله تعالى
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين اي يمهدون لانفسهم
ليجزيهم الله من فضله وقيل يصدعون ليجزيهم الله اي ليميز الكافر من المسلم انه لا يحب الكافرين
قوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك
بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اي ومن اعلام كمال قدرته ارسال الرياح
مبشرات اي بالمطر لانها تتقدمه وقد مضى في الحجر بيانه وليذيقكم من رحمته يعني الغيث والخصب ولتجري
الفلك اي في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن
والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها بامره ولتبتغوا من فضله يعني الرزق بالتجارة ولعلكم تشكرون
هذه النعم بالتوحيد والطاعة وقد مضى هذا كله مبينا قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر
المؤمنين بالبينات بالمعجزات والحجج النيرات فانتقمنا اي فكفروا فانتقمنا ممن كفر وكان حقا علينا
نصر المؤمنين حقا خبر كان ونصر المؤمنين اسمها وكان ابو بكر يقف على حقا اي وكان عقابنا حقا ثم قال
علينا نصر المؤمنين ابتداء وخبر اي اخبرنا به ولا خلف في خبرنا وروي من حديث ابي الدرداء قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذب عن عرض اخيه الا كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار
جهنم يوم القيامة ثم تلا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ذكره النحاس والثعلبي والزمخشري وغيرهم
قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله
كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين قرا ابن محيصن وابن كثير وحمزة
والكسائي الريح بالتوحيد والباقون بالجمع قال ابو عمرو وكل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى
العذاب فهو موحد وقد مضى في البقرة معنى هذه الاية وفي غيرها كسفا جمع كسفة وهي القطعة وفي
قراءة الحسن وابي جعفر وعبد الرحمن الاعرج وابن عامر كسفا باسكان السين وهي ايضا جمع كسفة
كما يقال سدرة وسدر وعلى هذه القراءة يكون المضمر الذي بعده عائدا عليه اي فترى الودق اي المطر
يخرج من خلال الكسف لان كل جمع بينه وبين واحده الهاء لا غير فالتذكير فيه حسن ومن قرا كسفا فالمضمر
عنده عائد على السحاب وفي قراءة الضحاك وابي العالية وابن عباس فترى الودق يخرج من خلله ويجوز
ان يكون خلل جمع خلال فاذا اصاب به اي بالمطر من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون يفرحون بنزول
المطر عليهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي يائسين مكتئبين قد ظهر الحزن
عليهم لاحتباس المطر عنهم ومن قبله تكرير عند الاخفش معناه التاكيد واكثر النحويين على هذا القول

علينا صح

قال النحاس وقال قطرب ان قبل الاولى للانزال والثانية للمطر اى وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر وقيل المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع ودل على الزرع المطر اذ بسببه يكون ودل عليه ايضا فراوه مصفرا على ما ياتى وقيل المعنى من قبل السحاب من قبل رويته واختار هذا القول النحاس اى من قبل روية السحاب لمبلسين ليايسين وقد تقدم ذكر السحاب قوله تعالى فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ رحمة الله يعنى المطر اى انظروا نظر استبصار واستدلال اى استدلوا بذلك على ان من قدر عليه قادر على احياء الموتى وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى آثار بالجمع والباقون بالتوحيد لانه مضاف الى مفرد والاثر فاعل يحيى ويجوز ان يكون الفاعل اسم الله عز وجل ومن قرا آثار بالجمع فلان رحمة الله يجوز ان يراد بها الكثرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقرا الجحدرى وابو حيوة وغيرهما كيف تحيى الارض بالتاء ذهب بالتانيث الى لفظ الرحمة لان اثر الرحمة يقوم مقامها فكانه هو الرحمة اى كيف تحيى الرحمة الارض والآثار ويحيى اى يحيى الله عز وجل او المطر او الاثر فيمن قرا بالياء وكيف يحيى الارض في موضع نصب على الحال على الحمل على المعنى لان اللفظ لفظ الاستفهام والحال خبر والتقدير فانظر الى اثر رحمة الله محيية للارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير استدلال بالشاهد على الغائب قوله تعالى وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ مصفرا يعنى الريح والريح يجوز تذكيره وتانيثه قال محمد بن يزيد لا يمتنع تذكير كل مونث غير حقيقى نحو اعجبنى الدار و شبهه وقيل فراوا السحاب وقال ابن عباس الزرع وهو الاثر والمعنى فراوا الاثر مصفرا واصفرار الزرع بعد اخضراره يدل على يبسه وكذا السحاب يدل على انه لا يمطر والريح على انها لا تلقح لظلوا من بعده يكفرون اى ليظلوا وحسن وقوع الماضى في موضع المستقبل لما في الكلام من معنى المجازاة والمجازاة لا تكون الا بالمستقبل قاله الخليل وغيره قوله تعالى فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ذكر استدلالا اخر على قدرته في نفس الانسان ليعتبر ومعنى من ضعف من نطفة ضعيفة وقيل من ضعف اى في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولية والصغر ثم جعل من بعد ضعف قوة يعنى الشبيبة ثم جعل من بعد قوة ضعفا يعنى الهرم وقرا عاصم وحمزة بفتح الضاد فيهن الباقون بالضم لغتان والضم لغة النبى صلى الله عليه وسلم وقرا الجحدري بالضم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف بالفتح فيهما ضعفا بالضم خاصة اراد ان يجمع بين اللغتين قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم الجوهري الضعف والضعف خلاف القوة وقيل الضعف بالفتح في الراى وبالضم في الجسد ومنه الحديث في الرجل الذي كان يخدع في البيوع انه يبتاع وفي عقدته ضعف وشيبة مصدر كالشيب والمصدر يصلح للجملة وكذلك القول في الضعف والقوة يخلق ما يشاء يعنى من قوة وضعف وهو العليم بتدبيره القدير على ارادته واجاز النحويون الكوفيون من ضعف بفتح العين وكذا كل ما كان فيه حرف من حروف الحلق ثانيا او ثالثا قوله تعالى وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ يقسم المجرمون اى يحلف المجرمون المشركون ما لبثوا غير ساعة ليس في هذا رد لعذاب القبر

بالهام صح

اذ كان قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير طريق انه تعوذ منه وامر ان يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم ام حبيبة وهى تقول اللهم امتعنى بزوجى رسول الله وبابى ابي سفيان وباخى معاوية فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله لآجال مضروبة وارزاق مقسومة ولكن سليه ان يعيذك من عذاب جهنم او عذاب القبر في احاديث مشهور خرجها مسلم والبخاري وغيرهما وقد ذكرنا منها جملة في كتاب التذكرة وفى معنى ما لبثوا غير ساعة قولان احدهما انه لا بد من خمدة قبل يوم القيمة فعلى هذا قالوا ما لبثنا غير ساعة والقول الآخر انهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كان لم يلبثوا الا ساعة من نهار وان كانوا قد اقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون قال الله عز وجل كذلك كانوا يوفكون اي كانوا يكذبون في الدنيا يقال افك الرجل اذا صرف عن الصدق والخير وارض مافوكة ممنوعة من المطر وقد زعم جماعة من اهل النظر ان القيامة لا يجوز فيها كذب لما هم فيه والقرآن يدل على غير ذلك قال الله عز وجل كذلك كانوا يوفكون اى كما صرفوا عن الحق في قسمهم انهم ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يصرفون عن الحق في الدنيا وقال جل وعز يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء الا انهم هم الكاذبون وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اختلف في الذين اوتوا العلم فقيل الملائكة وقيل الانبياء وقيل علماء الامم وقيل مومنوا هذه الامة وقيل جميع المومنين اى يقول المومنون للكفار ردا عليهم لقد لبثتم في قبوركم الى يوم البعث والفاء في قوله فهذا يوم البعث جواب لشرط محذوف دل عليه الكلام مجازه ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وحكى يعقوب عن بعض القراء وهى قراءة الحسن الى يوم البعث بالتحريك وهذا مما فيه حرف من حروف الحلق وقيل معنى في كتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث قاله مقاتل وقتادة والسدي والقشيرى وعلى هذا اوتوا العلم بمعنى كتاب الله وقيل الذين حكم لهم في الكتاب بالعلم فهذا يوم البعث اي اليوم الذي كنتم تنكرونه قوله تعالى فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ معذرتهم اي لا ينفعهم العلم بالقيامة ولا الاعتذار يومئذ وقيل لما رد عليهم المومنون سالوا الرجوع الى الدنيا واعتذروا فلم يعذروا ولا هم يستعتبون اى ولا حالهم حال من يستعتب ويرجع يقال استعتبته فاعتبنى اى استرضيته فارضانى وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه وسياتى في فصلت بيانه وقرا عاصم وحمزة والكسائى يومئذ لا ينفع بالياء والباقون بالتاء قوله تعالى وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ من كل مثل اي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون وينبههم على التوحيد وصدق الرسل ولئن جئتهم باية اي معجزة كفلق البحر والعصا وغيرهما ليقولن الذين كفروا ان انتم يا معشر المومنين الا مبطلون اي

ان يكون صح

فهذا يوم البعث صح

في كلام الله وقيل في الكلام تقديم وتاخير اى وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله صح

تبتغون الباطل والسحر كذلك اي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك يطبع على قلوب
الذين لا يعلمون ادلة التوحيد فاصبر ان وعد الله حق اي اصبر على اذاهم فان الله ينصرك ولا
يستخفنك اي لا يستفزنك عن دينك الذين لا يوقنون قيل هو النضر بن الحارث والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد امته يقال استخف فلان فلانا اي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي وهو في موضع
جزم بالنهي اكد بالنون الثقيلة فبني على الفتح كما بني الشيئان اذا ضم احدهما الى الآخر الذين لا يوقنون
في موضع رفع ومن العرب من يقول الذون في موضع رفع وقد مضى في الفاتحة ختمت السورة بعون الله تعالى

تفسير سورة لقمان

وهي مكية غير آيتين قال قتادة اولهما ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى آخر الآيتين وقال ابن
عباس ثلاث ايات اولهن ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهي اربع وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى و
رحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون مضى الكلام في فواتح السور وتلك في موضع
رفع على اضمار مبتداء اي هذه تلك ويقال تيك ايات الكتاب الحكيم بدل من تلك والكتاب القران والحكيم المحكم
اي لا خلل فيه ولا تناقض وقيل ذو الحكمة وقيل الحاكم هدى ورحمة بالنصب على الحال مثل هذه ناقة الله
لكم آية وهذه قراءة المدنيين وابي عمرو وعاصم والكسائي وقراء حمزة هدي ورحمة بالرفع وهو من
وجهين احدهما على اضمار مبتداء لانه اول آية والآخر ان يكون خبر تلك والمحسن الذي يعبد الله كانه يراه فان
لم يكن يراه فانه يراه وقيل هم المحسنون في الدين وهو الاسلام قال الله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله الاية الذين يقيمون الصلاة في موضع الصفة ويجوز الرفع على القطع بمعنى هم الذين والنصب
باضمار اعني وقد مضى الكلام في هذه الاية والتي بعدها في البقرة وغيرها قوله تعالى ومن الناس
من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين
فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث من في موضع رفع بالابتداء
ولهو الحديث الغناء في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما النحاس وهو ممنوع بالكتاب والسنة
والتقدير من يشتري ذا لهو وذات لهو مثل واسئل القرية اويكون التقدير لما كان انما اشتراها يشتريها
ويبالغ في ثمنها كانه اشتراها للهو قال الشيخ رحمه الله هذه احدى الثلاث الايات التي استدل بها
العلماء على كراهة الغناء والمنع منه والآية الثانية قوله وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء
بالحميرية اسمدي لنا اي غني لنا والآية الثالثة قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال مجاهد
الغناء والمزامير وقد مضى في سبحان الكلام فيه وروي الترمذي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام
في مثل هذا انزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الى آخر الاية
قال ابو عيسى هذا حديث غريب انما يروى من حديث القاسم عن ابي امامة والقاسم ثقة وعلي بن يزيد

يضعف في الحديث قاله محمد بن اسمعيل قال ابن عطية وبهذا فسر ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد
الله ومجاهد وذكر ابو الفرج الجوزي عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والنخعي قال الشيخ رحمه الله
هذا اعلى ما قيل في هذه الاية وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات انه الغناء روى
سعيد بن جبير عن ابي الصهباء البكري قال سئل عبد الله ابن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس
من يشتري لهو الحديث فقال الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وعن ابن عمر
هو الغناء وكذلك قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول وروي شعبة وسفيان عن الحكم وحماد
عن ابرهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب وقاله مجاهد وزاد ان لهو الحديث
في الاية الاستماع الى الغناء والى مثله من الباطل والباطل في النار وقال ابن القاسم سألت ملكا عنه
فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال افحق هو وترجم البخاري باب كل لهو باطل اذا اشتغل
عن طاعة الله ومن قال لصاحبه تعال اقامرك وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل
عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا فقوله اذا شغل عن طاعة ماخوذ من قوله تعالى ليضل عن
سبيل الله وعن الحسن ايضا هو الكفر والشرك وتاوله قوم على الاحاديث التي يتلهى بها اهل الباطل
باللعب وقيل نزلت في النضر ابن الحارث لانه اشترى كتب الاعاجم رستم واسفنديار فكان يجلس
بمكة فاذا قالت قريش ان محمدا قال كذا ضحك منه وحدثهم بالاحاديث ملوك ويقول حديثي هذا احسن
من حديث محمد حكاه الفراء والكلبي وغيرهما وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد
الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد
من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وهذا القول والاول ظاهر في الشراء وقالت طائفة
الشراء في هذه الاية مستعار وانما نزلت الاية في احاديث قريش وتلهيهم بامر الاسلام وخوضهم
في الباطل قال ابن عطية فكان ترك ما يجب فعله وامتثال هذه المنكرات شراء لها على حد قوله تعالى اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدي اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وقال
مطرف شراء لهو الحديث استحبابه قتادة ولعله لا ينفق فيه مالا ولكن سماعه شراؤه قال الشيخ رحمه الله
القول الاول اولى ما قيل به في هذا الباب للحديث المرفوع فيه وقول الصحابة والتابعين فيه وقد زاد
الثعلبي والواحدي في حديث ابي امامة وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين
احدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت
وروى الترمذي وغيره من حديث انس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان
فاجران انهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نغمة ومرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق
جيوب وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلاني وخرج ابن بشران عن عكرمة عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل وروي الترمذي من حديث علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها اذا
اتخذت القينات والمعازف وفي حديث ابي هريرة وظهرت القينات والمعازف وروي ابن المبارك

عن مالك ابن انس عن ابي هريرة محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس
الى قينة يسمع منها صبّ فى اذنه الانك يوم القيمة وروى اسد بن موسى عن عبد العزيز بن ابي سلمة
عن محمد بن المنكدر قال بلغنا ان الله تعالى يقول يوم القيمة اين عبادى الذين كانوا ينزّهون
انفسهم واسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان احلّوهم رياض المسك واخبروهم انى قد احللت عليهم
رضوانى وروى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر مثله وزاد بعضهم قوله المسك ثم يقول للملائكة
أسمعوهم حمدي وشكري وثنائي واخبروهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد روى مرفوعا هذا
المعنى من حديث ابي موسى الاشعرى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم
يؤذن له ان يسمع الروحانيين فقيل ومن الروحانيون يا رسول الله قال قراء اهل الجنة خرجه الترمذي
الحكيم ابو عبد الله فى نوادر الاصول وقد ذكرناه فى كتاب التذكرة مع نظايره فمن شرب الخمر فى الدنيا
لم يشربها فى الآخرة ومن لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة الى غير ذلك وكل ذلك صحيح المعنى على
ما بيناه هناك ومن رواية مكحول عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده
جارية مغنية فلا تصلوا عليه ولهذه الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهى المسئلة الثانية وهو
الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذى يحرك النفوس ويبعثها على الهواء والغزل والمجون الذى يحرك الساكن
ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان فى شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات
لا يختلف فى تحريمه لانه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق فاما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه فى اوقات
الفرح كالعرس والعيد وعند التنشيط على الاعمال الشاقة كما كان فى حفر الخندق وحدو الحبشة وسلمة
ابن الاكوع فاما ما ابتدعته الصوفية اليوم من الادمان على سماع المغانى بالالات المطربة من الشبابات
والطار والمعازف والاوتار فحرام ابن العربى فاما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو وفى
اليراعة تردد والدف مباح قال القشيرى ضرب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يوم دخل المدينة
فهم ابو بكر بالزجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا ابا بكر حتى تعلم اليهود ان ديننا فسيح
فكن يضربن ويقلن نحن بنات النجار حبذا محمد من جار وقد قيل ان الطبل فى النكاح كالدف وكذلك
الالات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رفث الثالثة الاشتغال
بالغناء على الدوام سفه ترد به الشهادة فان لم يدم لم ترد وذكر اسحاق بن عيسى الطباع قال سألت مالكا
عن ما يرخص فيه اهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق وذكر ابو الطيب طاهر بن عبد الله
الطبرى قال اما مالك بن انس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجدها
مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب ساير اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد فانه حكى عنه زكريا
الساجى انه كان لا يرى به باسا وقال ابن خويز منداد فاما مالك فيقال عنه وانا غلام شاب فقالت
لى امى اى بنى ان هذه الصناعة يصلح لها من كان صبيح الوجه ولست كذلك فاطلب العلوم الدينية
فصحبت ربيعة فجعل الله فى ذلك خيرا قال ابو الطيب الطبرى واما مذهب ابى حنيفة فانه يكره الغناء
مع اباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك مذهب ساير اهل الكوفة ابرهيم و
الشعبى وحماد والثورى وغيرهم لا اختلاف بينهم فى ذلك وكذلك لا يعرف بين اهل البصرة خلاف

حديث صح

بسمع

والاوتار صح

قال

انه كان عالما بالصناعة وكان مذهبه تحريمها وروى عنه انه قال تعلمت هذه الصناعة صح

فى كراهته

فى كراهته ذلك والمنع منه الا ما روى عن عبيد الله بن الحسن العنبرى انه كان لا يرى به باسا قال و
اما مذهب الشافعى فقال الغناء مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته و
ذكر ابو الفرج الجوزى عن امامه احمد بن حنبل ثلاث روايات قال وقد ذكر اصحابنا عن ابى بكر الخلال
وصاحبه عبد العزيز اباحة الغناء وانما اشاروا الى ما كان فى زمانهما من القصايد الزهديات قال
وعلى هذا يحمل لم يكرهه احمد ويدل عليه انه سئل عن رجل مات وخلف ولدا وجارية مغنية فاحتاج
الصبى الى بيعها فقال تباع على انها ساذجة فقيل انها تساوى عشرين الفا فقال لا تباع الا انها ساذجة قال
ابو الفرج وانما قال احمد هذا لان هذه الجارية المغنية لا تغنى بقصايد الزهد بل بالاشعار المطربة المثيرة
الى العشق وهذا دليل يدل على ان الغناء محظور اذ لو لم يكن محظورا لما جاز تفويت المال على اليتيم
وصار هذا كقول ابي طلحة للنبى صلى الله عليه وسلم عندى خمر لايتام فقال اهرقها فلو جاز استصلاحها
لما امر بتضييع مال اليتيم قال الطبرى فقد اجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه وانما
فارق الجماعة ابرهيم بن سعد وعبيد الله العنبرى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد
الاعظم ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية قال ابو الفرج وقال القفال من اصحابنا لا تقبل
شهادة المغنى والرقاص قال الشيخ رحمه الله واذ قد ثبت ان هذا الامر لا يجوز فاخذ الاجرة عليه
لا يجوز وقد ادعى ابو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك وقد مضى فى الانعام عند قوله
وعنده مفاتح الغيب وحسبك الرابعة قال القاضى ابو بكر ابن العربى واما سماع القينات
فيجوز للرجل ان يسمع غناء جاريته اذ ليس شىء منها عليه حراما لا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف
يمنع من التلذذ بصوتها اما انه لا يجوز انكشاف النساء للرجال ولا هتك الاستار ولا سماع الرفث فاذا
خرج ذلك الى ما لا يحل ولا يجوز منع من اوله واجتنب من اصله وقال ابو الطيب الطبرى واما سماع
الغناء من المراة التى ليست بمحرم فان اصحاب الشافعى قالوا لا يجوز سواء كانت حرة او مملوكة
قال وقال الشافعى وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ثم غلظ
القول فيه فقال وهى دياثة وانما جعل صاحبها سفيها لانه دعى الناس الى الباطل ومن دعى
الناس الى الباطل كان سفيها الخامسة قوله تعالى ليضل عن سبيل الله قراءة العامة بضم الياء
اى ليضل غيره عن طريق الهدى واذا اضل غيره فقد ضل وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد وابو
عمرو ورويس وابن ابى اسحاق بفتح الياء على اللازم اى ليضل هو نفسه ويتخذها هزوا قراءة المدنيين
وابى عمرو وعاصم بالرفع عطفا على من يشترى ويجوز ان يكون مستانفا وقرا الاعمش وحمزة والكسائى
ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل ومن الوجهين جميعا لا يحسن الوقف على بغير علم والوقف على قوله
هزوا والهاء فى يتخذها كناية عن الايات ويجوز ان تكون كناية عن السبيل لان السبيل يونث ويذكر
اولئك لهم عذاب مهين اى شديد يهينهم قال الشاعر

ولقد جزعت الى النصارى بعدما لقى الصليب من العذاب مهينا

قوله تعالى وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ايتنا يعنى القران ولى اى اعرض مستكبرا نصبه على الحال كان لم يسمعها

لا علمنا انها مغنية فنقول انها تساوى ثلاثين الفا ولعلها اذا بيعت ساذجة

ابن صح

واجتنبه

قول صح

كان فى اذنيه وقرا ثقلا وصمما وقد تقدم فبشره بعذاب اليم تقدم ايضا قوله تعالى اِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيْمِ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ لما ذكر
عذاب الكفار ذكر نعيم المؤمنين خالدين فيها اى دائمين وعد الله حقا اى وعدهم الله جنها هذا وعدا
حقا لا خلف فيه وهو العزيز الحكيم تقدم ايضا قوله تعالى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَاَلْقٰى
فِى الْاَرْضِ رَوَاسِىَ اَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَنْبَتْنَا فِيْهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيْمٍ يكون ترونها فى موضع خفض على النعت لعمد فيمكن ان يكون ثم عمد ولكن لا ترى
ويجوز ان يكون فى موضع نصب على الحال من السموات ولا عمد ثم البتة النحاس وسمعت على ابن سليمان يقول الاولى
ان يكون مستانفا ولا عمد ثم قاله مكى ويكون بغير عمد التمام وقد مضى فى الرعد الكلام فى هذه الاية والقى فى
الارض رواسى اى جبالا ثوابت ان تميد فى موضع نصب اى كراهية ان تميد والكوفيون يقدرونه بمعنى
لئلا تميد وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم عن ابن عباس من كل
لون حسن وتاوله الشعبى على الناس لانهم مخلوقون من الارض قال من كان منهم يصير الى الجنة فهو
الكريم ومن كان منهم يصير الى النار فهو اللئيم وقد تاول غيره ان النطفة مخلوقة من تراب وظاهر
القران يدل على هذا ذلك قوله تعالى هٰذَا خَلْقُ اللهِ فَاَرُوْنِىْ مَاذَا خَلَقَ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهٖ بَلِ الظَّالِمُوْنَ
فِىْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ هذا خلق الله مبتداء وخبر والخلق بمعنى المخلوق اي هذا الذى ذكرته مما تعاينون
خلق الله اي مخلوق الله اي خلقها من غير شريك فارونى معاشر المشركين ماذا خلق الذين من دونه
يعنى الاصنام بل الظالمون اى المشركون فى ضلال مبين اى خسران ظاهر وما استفهام فى موضع رفع بالابتداء
وخبره ذا وذا بمعنى الذي وخلق واقع على هاء محذوفة تقديره فارونى اى شئ خلق الذين من دونه
والجملة فى موضع نصب بارونى وتضمر الهاء مع خلق تعود على الذى اي فارونى الاشياء التى خلقها الذين
من دونه وعلى هذا القول تقول ماذا تعلمت انحوام شعر ويجوز ان يكون ما فى موضع نصب بارونى وذا
زائد وعلى هذا تقول ماذا تعلمت انحو ام شعرا قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ اَنِ اشْكُرْ
لِلّٰهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَاِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهٖ وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللهَ غَنِىٌّ حَمِيْدٌ لقمان الحكيم مفعول ان
ولم ينصرف لقمان لان فى آخره الفا ونونا زائدتين فاشبه فعلان الذى انثاه فعلى فلم ينصرف فى المعرفة
لان ذلك ثقل ثان وانصرف فى النكرة لان احد الثقلين قد زال قاله النحاس وهو لقمان بن باعورا بن ناحور بن
تارخ وهو آزر ابو ابرهيم كذا نسبه محمد بن اسحاق وقيل هو لقمان بن عنقا بن سرون وكان نوبيا من اهل
ايلة ذكره السهيلى قال وهب كان ابن اخت ايوب وقال مقاتل ذكر انه كان ابن خالة ايوب الزمخشرى وهو لقمان
ابن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر عاش الف سنة وادرك داود واخذ عنه
العلم وكان يفتى قبل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفى اذا كفيت وقال الواقدى
كان قاضيا فى بنى اسرائيل وقال سعيد بن المسيب كان لقمان اسود من سودان مصر ذو مشافر اعطاه الله تعالى
الحكمة ومنعه النبوة وعلى هذا جمهور اهل التاويل انه كان وليا ولم يكن نبيا وقال بنبوته عكرمة والشعبى
وعلى هذا يكون الحكمة النبوة والصواب انه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى وهى الصواب فى المعتقدات والفقه
فى الدين والعقل قاضيا فى بنى اسرائيل اسود مشقق الرجلين ذا مشافر اى عظيم الشفتين قال ابن عباس

وغيره وروى من حديث ابن عمر قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان
عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة وخيره فى ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال
يا رب ان خيرتنى قبلت العافية وتركت البلاء وان عزمت على فسمعا وطاعة فانك ستعصمنى ذكره ابن
عطية وزاد الثعلبى فقالت له الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمن قال لان الحاكم باشد المنازل و
اكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ان يعن فبالحرى ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن فى
الدنيا ذليلا خير من ان يكون فيها شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة
فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبل
يعنى الخلافة فلم يشترط ما اشترط لقمان فهوى فى الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمن
يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمن لقد اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء واعطى داود الخلافة
وابتلى بالبلاء والفتنة وقال قتادة خير الله تعالى لقمن بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة فاتاه
جبرئيل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة فاصبح وهو ينطق بها فقيل له كيف اخترت الحكمة على النبوة
وقد خيرك ربك فقال له لو ارسل الى بالنبوة عزمة لرجوت فيها العون منه ولكنه خيرنى فخفت
ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الى واختلف فى صنعته فقيل كان خياطا قاله سعيد بن المسيب
وقال لرجل اسود لا تحزن من انك اسود فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى
عمر ولقمن وقيل كان يحتطب كل يوم لمولاه حزمة حطب وقال لرجل ينظر اليه ان كنت ترانى اسود فقلبى
ابيض وقيل كان راعيا فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال الست عبد بنى فلان قال بلى قال فما بلغ بك
ما ارى قال قدر الله واداء الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنينى قاله عبد الرحمن ابن زيد بن
جابر وقال خالد الربعى كان نجارا فقال له سيده اذبح لى شاة وائتنى باطيبها مضغتين فاتاه باللسان
والقلب فقال له ما كان فيها شئ اطيب من هذين فسكت ثم امره بذبح شاة اخرى ثم قال له الق
اخبثها مضغتين فالقى اللسان والقلب فقال امرتك ان تاتى باطيب مضغتين فاتيتنى باللسان و
القلب وامرتك ان تلقى اخبثها فالقيت اللسان والقلب فقال له ليس شئ اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث
منهما اذا خبثا قال الشيخ رحمه الله هذا معناه مرفوع فى غير ما حديث من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب وجاء
فى اللسان آثار كثيرة صحيحة وشهيرة منها قوله عليه السلام من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة ما بين لحييه
ورجليه الحديث وحكم لقمن كثيرة ماثورة هذا منها وقيل له اى الناس اشر قال الذى لا يبالى ان راه
الناس مسيئا قال الشيخ رحمه الله وهذا ايضا مرفوع معنى قال صلى الله عليه وسلم كل امتى معافى الا المجاهرون
وان من الجهار ان يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول عملت البارحة كذا وقد بات
يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه رواه ابو هريرة خرجه البخارى وقال وهب بن منبه قرات من حكمة
لقمن ارجح من عشرة آلاف باب وروى انه دخل على داود وهو يسرد الدروع وقال لين الله له الحديد
كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت
حكم اى حكمة وقليل فاعله فقال له داود حق ما سميت حكيما قوله تعالى ان اشكر لله فيه تقديران احدهما

ان يكون ان بمعنى اي مفسرة اى قلنا له اشكر و القول الاخرانها في موضع نصب و الفعل داخل في صلتها كما حكى
سيبويه كتبت اليه ان قم الا ان هذا الوجه عنده بعيد وقال الزجاج المعنى ولقد اتينا لقمن الحكمة لان
يشكر الله تعالى وقيل اي بان اشكر لله فشكر فكان حكيما بشكره لنا و الشكر لله طاعته فيما امر به وقد مضى
القول في حقيقته لغة و معنى في البقرة وغيرها و من يشكر فانما يشكر لنفسه اي من يطع الله فانما يعمل لنفسه
لان نفع الثواب عايدا اليه ومن كفر اى كفر النعم فلم يوحد الله فان الله لغني عن عبادة خلقه حميد عند
الخلق اى محمود و قال يحيى بن سلام غني عن خلقه حميد في فعله قوله تعالى قوله تعالى وَاِذْ قَالَ لُقْمٰنُ
لِابْنِهٖ وَهُوَ يَعِظُهٗ يٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ اِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ وهو يعظه قال السهيلي اسم ابنه
ثاران في قول الطبري و القتبي وقال الكلبي مشكم وقيل انعم حكاه النقاش وذكر القشيري ان ابنه وامرأته
كانا كافرين فما زال يعظهما حتى اسلما قال الشيخ رحمه الله ودل على هذا قوله لا تشرك بالله ان الشرك لظلم
عظيم وفي صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك
على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو
كما تظنون انما هو كما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم واختلف في قوله ان الشرك لظلم
عظيم فقيل انه من كلام لقمن وقيل هو خبر من الله منقطعا من كلام لقمن متصلا به في تاكيد المعنى ويؤيد
هذا الحديث المأثور انه لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اشفق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا اينا لم يظلم فانزل الله تعالى و قد يسكن الاشفاق بان يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه بالحكمة و
السداد واذ في موضع نصب بمعنى اذكر وقال الزجاج في كتابه في القرآن ان اذ في موضع نصب باتينا والمعنى
ولقد اتينا لقمن الحكمة و اذ قال النحاس واحسبه غلطا لان في الكلام واوا يمنع من ذلك وقال يا بني بكسر الياء
لانها دالة على الياء المحذوفة ومن فتحها فلخفة الفتحة عنده وقد مضى في يوسف القول في هذا وقوله يا بني ليس
هو على حقيقة التصغير وان كان على لفظه وانما هو على وجه الترقيق كما يقال للرجل يا اخي وللصبي هو كويس
قوله تعالى وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ اُمُّهٗ وَهْنًا عَلٰى وَهْنٍ وَّفِصَالُهٗ فِيْ عَامَيْنِ اَنِ
اشْكُرْ لِيْ وَلِوَالِدَيْكَ اِلَيَّ الْمَصِيْرُ وَاِنْ جَاهَدٰكَ عَلٰى اَنْ تُشْرِكَ بِيْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهٖ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَ
صَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوْفًا وَّاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ اَنَابَ اِلَيَّ ثُمَّ اِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ
فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى ووصينا الانسان هذه الايتان اعتراض بين اثناء وصية لقمن وقيل
ان هذا مما اوصي به لقمان ابنه اخبر الله به عنه اى قال لقمان لابنه لا تشرك بالله ولا تطع في الشرك والديك
فان الله وصى بهما في طاعتهما مما لا يكون شركا ومعصية لله تعالى وقيل اي واذ قال لقمن لابنه فقلنا
للقمان فيما آتيناه من الحكمة ووصينا الانسان بوالديه اي قلنا له اشكر لله وقلنا له ووصينا الانسان
وقيل واذ قال لقمان لابنه لا تشرك ونحن وصينا الانسان بوالديه حسنا وامرنا الناس بهذا وامر لقمان
به ابنه ذكر هذه الاقوال القشيري والصحيح ان هذه الآيتين نزلتا في شان سعد بن ابي وقاص كما تقدم في
العنكبوت وعليه جماعة من المفسرين وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك
فريضة على الاعيان ويلزم طاعتهما في المباحات ويستحسن في ترك الطاعات الندب ومنه امر الجهاد
الكفاية والاجابة للام في الصلاة مع امكان الاعادة على ان هذا اقوي من الندب لكن يعلل بخوف هلكة

يا بني صح

ان الشرك لظلم عظيم فسكن اشفاقهم وانما يسكن اشفاقهم بان يكون خبرا من الله تعالى صح

هذه

عليها

عليها ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون اقوى من الندب وخالف الحسن في هذا الفصل فقال ان منعته
امه من شهود العشاء شفقة فلا يطعها الثانية لما خص تعالى الام بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع
حصل لها بذلك ثلاث مراتب وللاب واحدة واشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل من
ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ثم ابوك فجعل له الربع من المبرة
كالآية وقد مضى هذا كله في سبحان الثالثة قوله تعالى وهنا على وهن اي حملته في بطنها وهي تزداد
كل يوم ضعفا على ضعف وقيل المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل وقرأ عيسى الثقفي وهنا على وهن
بفتح الهاء فيهما ورويت عن ابي عمرو وهما بمعنى واحد قال قعنب بن ام صاحب

هل للعواذل من ناه فيزجرها ان العواذل فيها الأين والوهن

يقال وهن يهن ووهن يوهن ووهن يهن مثل ورم يرم وانتصبا وهنا على المصدر ذكره القشيري
النحاس على المفعول الثاني باسقاط حرف الجر اى حملته بضعف على ضعف وقرأ الجمهور وفصاله وقرأ
الحسن ويعقوب وفصله وهما لغتان اى وفصاله في انقضاء عامين والمقصود من الفصال الفطام فعبر
بغايته ونهايته ويقال انفصل عن كذا اى تميز وبه سمي الفصيل الرابعة الناس مجمعون على العامين
في مدة الرضاع في باب الاحكام والنفقات واما في تحريم اللبن فحددت فرقة بالعام لا زيادة ولا نقص
وقالت فرقة العامان وما اتصل بهما من الشهر ونحوه اذا كان متصل الرضاع وقالت فرقة ان فطم
الصبي قبل العامين وترك اللبن فان ما شرب بعد ذلك في الحولين لا يحرم وقد مضى هذا في البقرة مستوفى
الخامسة قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك ان في موضع نصب في قول الزجاج وان المعنى ووصينا
الانسان بوالديه ان اشكر لي النحاس واجود منه ان يكون ان مفسرة والمعنى قلنا له ان اشكر لي ولوالديك
قيل الشكر لله على نعمة الايمان وللوالدين على نعمة التربية وقال سفيان ابن عيينة من صلى الصلوات الخمس
فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما السادسة قوله تعالى وان جاهداك
الاية قد بينا ان هذه الاية والتي قبلها نزلتا في شان سعد بن ابي وقاص لما اسلم وان امه وهي حمنة بنت
ابي سفيان ابن امية حلفت انه لا تاكل كما تقدم في الاية قبلها السابعة قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا
معروفا نعت لمصدر محذوف اى مصاحبا معروفا يقال صاحبته مصاحبة ومصاحبا ومعروفا اي ما يحسن
والاية دليل على صلة الابوين الكافرين بما امكن من المال ان كانا فقيرين والانة القول والدعاء الى الاسلام
برفق وقد قالت اسماء بنت ابي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قدمت عليها خالتها وقيل امها
من الرضاعة فقالت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم وراغبة قيل معناه
عن الاسلام قال ابن عطية والظاهر عندي انها راغبة في الصلة وما كانت لتقدم على اسماء لولا حاجتها
ووالدة اسماء هي قتيلة بنت عبد العزى بن عبد اسعد وام عايشة وعبد الرحمن هي ام رومان قديمة الاسلام
الثامنة قوله تعالى واتبع سبيل من اناب الي وصية لجميع العالم كان المأمور الانسان والانابة الميل الى ما
ورجع الى الشيء وهذه سبيل الانبياء والصالحين وحكى النقاش ان المأمور سعد والذي اناب ابو بكر
وقال ان ابا بكر لما اسلم اتاه سعد وعبد الرحمن بن عوف وعثمان وطلحة وسعد والزبير فقالوا آمنت
قال نعم فنزلت فيه ام من هو قانت اناء الليل فلما سمعها الستة آمنوا فانزل الله فيهم والذين اجتنبوا

الطاغوت ان يعبد و ما الى قوله اوليك الذين هدا هم الله و قيل الذى اناب النبى صلى الله عليه وسلم وقال
ابن عباس و لما اسلم سعد اسلم معه اخاه عامر و عويمر فلم يبق منهم مشرك الا عتبه ثم توعد عز وجل
بالبعث من في القبور والرجوع اليه للجزاء و التوقيف على صغير الاعمال وكبيرها قوله تعالى يا بني انها
ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان
الله لطيف خبير المعنى وقال لقمن لابنه يا بني و هذا القول من لقمن انما قصد به الاعلام ابنه بقدر قدرة
الله تعالى و هذه الغاية التى امكنه ان يفهمه لان الخردله يقال ان الحس لا يدرك لها ثقلا اذ لا ترجح ميزانا اي
لو كان للانسان رزق مثال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها الى من هى رزقه اى لا
تهتم للرزق حتى تشتغل به عن اداء الفرايض وعن اتباع سبيل من اناب قال الشيخ رحمه الله ومن
هذا المعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن مسعود لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وقد
نطقت هذه الآية بان الله تعالى قد احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا سبحانه لا شريك له و روي ان
ابن لقمن سال اباه عن الحبة تقع في سفل البحر ايعلمها الله فراجعه لقمن بهذه الاية وقيل المعنى انه اراد الاعمال
المعاصى والطاعات اى ان تك الحسنة او الخطيه مثقال حبة يات بها الله اى لا يفوت الانسان المقدور و
قوعها منه وبهذا المعنى يحصل في الموعظة ترجية وتخويف مضاف الى تبين قدرة الله تعالى و في القول
الاول ليس فيه ترجية ولا تخويف قوله تعالى مثقال حبة عبارة تصلح للجواهر اى قدرحبة وتصلح للاعمال
اى ما يزنه على جهة المماثلة قدرحبة و مما يويد قول من قال هى من الجواهر قراءة عبد الكريم الجزرى فتكن
بكسر الكاف وشد النون من الكن الذي هو الشئ المغطى وقراء جمهور القراء ان تك بالتاء من فوق مثقال بالنصب
على خبر كان واسمها مضمر تقديره مسئلتك على ما روي او المعصية والطاعة على القول الثانى ويدل على صحة
قول ابن لقمن لابيه يا ابت ان عملت الخطية حيث لا يرانى احد كيف يعلمها الله تعالى فقال لقمن له يا بني
انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات الاية فما زال ابنه يضطرب حتى مات قاله
مقاتل والضمير في انها ضمير القصة كقولك انها هند قايمة اي القصة انها ان تك مثقال حبة والبصريون
يجيزون انها زيد ضربته بمعنى ان القصة والكوفيون لا يجيزون هذا الا في المونث كما ذكرنا وقراء نافع مثقال
بالرفع وعلى هذا تك يرجع الى معنى خردلة اى ان تك حبة من خردل وقد اسند الى المثقال فعلا فيه علامة
التانيث من حيث انضاف الى مونث هو منه لان مثقال الحبة من الخردل اما سيئة او حسنة كما قال فله عشر
امثالها فانث وان كان المثل الى مونث مذكرا لانه اراد الحسنات و هذا كقول الشاعر

مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم

وتك ههنا بمعنى تقع فلا تقتضي خبرا قوله تعالى فتكن في صخرة قيل معنى الكلام المبالغة والانتهاء في
التفهيم اى ان قدرته تعالى تنال ما يكون في تضاعيف صخرة و ما يكون في السماء و الارض وقال ابن عباس
الصخرة تحت الارضين السبع وعليها الارض وقيل هى الصخرة على ظهر الحوت وقال السدي هى صخرة
ليست في السموات و الارض بل هى وراء سبع ارضين عليها ملك قايم لانه قال او في السموات او في الارض
وفيهما غنية عن قوله فتكن في صخرة و هذا الذى قاله ممكن ويمكن ان يقال قوله فتكن في صخرة تاكيد
كقوله اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق وقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا قوله تعالى

يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك لمن عزم الامور فيه
ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى يا بني اقم الصلاة وصى ابنه بعظم الطاعات وهى الصلاة والامر بالمعروف
والنهى عن المنكر و هذا انما يريد به بعد ان يمتثل ذلك هو في نفسه ويزدجر عن المنكر و هنا هى الطاعات
والفضايل اجمع ولقد احسن من قال وابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم في
ابيات تقدم في البقرة ذكرها الثانية قوله تعالى واصبر على ما اصابك يقتضي حضا على تغيير المنكر
وان نالك ضرر فهو اشعار بان المغير يوذي احيانا و هذا القدر على جهة الندب والقوة في ذات الله
واما على اللزوم فلا و مضى الكلام في هذا مستوفي في آل عمران والمايدة وقيل امره بالصبر على شدايد
الدنيا كالامراض وغيرها وان لا يخرج من الجزع الى معصية الله جل وعز وهذا قول حسن لانه يعم
الثالثة قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور قال ابن عباس من حقيقة الايمان الصبر على المكاره
وقيل اى اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر من عزم الامور اي مما عزمه الله وامر به قاله ابن
جريج ويحتمل ان يريد ان ذلك من مكارم الاخلاق وعزايم اهل الحزم السالكين طريق النجاة وقول ابن جريج
اصوب قوله تعالى ولا تصاعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل
مختال فخور فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ولا تصعر خدك قراء نافع وابو عمرو وحمزة و
الكسائي وابن محيصن تصاعر بالالف بعد الصاد وقراء ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد
تصعر وقراء الجحدري تصعر بسكون الصاد والمعنى متقارب والصعر الميل ومنه قول الاعرابي
وقد اقام الدهر صعري بعدان اقمت صعره ومنه قول عمرو بن حنى التغلبى

وكنا اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوم

وانشده الطبري فتقوما قال ابن عطية وهو خطا لان قافية الشعر مخفوضة وفي بيت آخر اقمناله
من خده المتصعر قال الهروى ولا تصاعر اى لا تعرض عنهم تكبرا عليهم يقال اصاب البعير صعر
وصيد اذا اصابه داء يلوى منه عنقه ثم يقال للمتكبر فيه صعر وصيد فمعنى لا تصعر اى لا تلزم خدك
الصعر وفي الحديث ياتى على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر او ابتر والاصعر المعرض بوجهه كبرا واراد
رذالة الناس الذين لا دين لهم وفي الحديث كل صعار ملعون اى كل ذى ابهة وكبر الثانية معنى الاية
ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا واحتقارا لهم وهذا تاويل ابن عباس وجماعة وقيل هو ان
تلوى شدقك اذا ذكر الرجل عندك كانك تحتقره فالمعنى اقبل عليهم متواضعا مونسا مستاء نسا
واذا حدثك اصغرهم فاصغ اليهم حتى يكمل حديثه وكذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل قال الشيخ رحمه
الله و من هذا المعنى ما رواه مالك عن ابن شهاب عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تباغضوا و تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث
فالتدابر الاعراض وترك الكلام والسلام ونحوه وانما قيل للاعراض تدابر لان من ابغضته اعرضت عنه
و وليته دبرك وكذلك يصنع هو بك و من احببته اقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسره وينزل معنى
التدابر موجود فيمن صعر خده وبه فسر مجاهد الاية و قال ابن خواز منداد قوله ولا تصاعر خدك للناس
كانه نهى ان يذل الانسان نفسه من غير حاجة ونحو ذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس للانسان

ان يذل نفسه الثانية قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا اى متبخترًا متكبرًا مصدر فى موضع الحال وقد مضى في سبحان وهو النشاط والمشى فرحا فى غير شغل وفى غير حاجة واهل هذه الخلق ملازمون للفخر والخيلا فالمرح مختال فى مشيته روى يحيى ابن جابر الطائي عن ابن عايذ الازدى عن غضيف بن الحارث قال اتيت بيت المقدس انا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال فجلسنا الى عبد الله بن عمرو بن العاصى فسمعته يقول ان القبر يكلم العبد اذا وضع فيه فيقول يا ابن ادم ما غرك بى لقد كنت تمشى حولى فدّادا قال ابن عايذ قلت لغضيف ما الفداد يا ابا اسما قال كبعض مشيتك يا ابن اخى احيانا قال ابو عبيد والمعنى ذا مال كثير وذا خيلا وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلا لا ينظر الله اليه يوم القيامة والفخور هو الذى يعدد ما اعطى ولا يشكر الله قاله مجاهد وفى اللفظة الفخر بالنسب وغير ذلك قوله تعالى
وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ فيه ست مسايل

الاولى قوله تعالى واقصد فى مشيك الآية لما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريم الذي ينبغى ان يستعمله فقال واقصد فى مشيك اى توسط فيه والقصد ما بين الاسراع والبطء اى لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشى تذهب بها المؤمن فاما روى عنه عليه السلام انه كان اذا مشى اسرع وقول عايشه فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت والله اعلم وقد مدح الله من هذه صفته حسب ما تقدم بيانه فى الفرقان الثانية قوله تعالى واغضض من صوتك اى انقص منه اى لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج اليه فان الجهر باكثر من الحاجة تكلف يؤذى والمراد بذلك كله التواضع وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الاذان باكثر من طاقته لقد خشيت ان ينشق مريطاؤك والمؤذن هذا هو ابو محذورة سمرة بن معير والمريطاء ما بين السرة الى العانة الثالثة قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير اى اقبحها واوحشها ومنه اتانا بوجه منكر والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردًا انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد فى مساوى الاداب ان يجري ذكر الحمار فى مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة وكان عليه السلام يركبه تواضعًا وتذللا لله جل وعز الرابعة فى الاية دليل على تعريف قبح رفع الصوت فى المخاطبة والملاحاة بقبح اصوات الحمير لانها عالية وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال واذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فانها رات شيطانا وقد روي ما صاح حمار ولا نبح كلب الا ان يرى شيطانا وقال سفيان الثورى صياح كل شئ تسبيح الا نهيق الحمير وقال عطا نهيق الحمار دعاء على الظلمة الخامسة وفى هذه الآية ادب من الله تعالى بترك الصياح فى وجوه الناس تهاونا بهم او بترك الصياح جملة وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك فمن كان منهم اشد صوتا كان اعز ومن كان اخفض كان اذل حتى قال شاعرهم

جهير الكلام جهير العطاس جهير الرُّوا جهير النغم
ويعدو على الاين عدوا الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم

فنبه الله سبحانه عن هذه الخلق الجاهلية بقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير اى لو ان شيا يهاب لصوته لكان الحمار فجعلهم فى المثل سواء السادسة قوله تعالى لصوت الحمير اللام للتاكيد ووحد الصوت وان كان مضافا الى الجماعة لانه مصدر يدل على الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتا فهو صايت ويقال صوّت تصويتا فهو مصوّت ورجل صات اى شديد الصوت بمعنى صايت كقولهم رجل مال ونال اى كثير المال والنوال قوله تعالى أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ذكر نعمه على بنى آدم وسخر لهم ما فى السموات من شمس وقمر ونجوم وملايكة تحوطهم وتجر اليهم منافعهم وما فى الارض عام فى الجبال والاشجار والثمار وما لا يحصى واسبغ عليكم نعمه اى اكملها واتمها وقرا ابن عباس ويحيى بن عمارة واصبغ بالصاد على بدلها من السين لان حروف الاستعلاء تجتذب السين من سفلها الى علوها فتردها صادا والنعم جمع نعمة كسدرة وسدر بفتح الدال وهى قراءة نافع وابي عمرو وحفص الباقون نعمة على الافراد والافراد يدل على الكثرة كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قراءة ابن عباس من وجوه صحاح وقيل ان معناها ما الاسلام قال النبى صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقد ساله عن هذه الاية الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيء عملك النحاس وشرح هذا ان سعيد بن جبير قال فى قول الله تعالى ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم قال يدخلكم الجنة وتمام نعمة الله عز وجل على العبد ان يدخله الجنة فكذا لما كان الاسلام يؤول امره الى الجنة سمي نعمة وقيل الظاهرة الصحة والباطنة نعم العقبى وقيل الظاهرة ما يرى بالابصار من المال والجمال والجاه فى الناس وتوفيق الطاعات والباطنة ما يجده المرء فى نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله عن العبد من الافات وقد سرد الماوردى اقوالا تسعة كلها يرجع الى هذا قوله تعالى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ تقدم فى الحج وغيرها نزلت فى يهودي جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرنى عن ربك من اى شئ هو فجاءت صاعقة فاخذته قاله مجاهد وقد مضى هذا فى الرعد وقيل انها نزلت فى النضر بن الحارث كان يقول ان الملايكة بنات الله قاله ابن عباس يجادل يخاصم بغير علم اى بغير حجة ولا هدى ولا كتاب منير اى نير بين الا الشيطان فيما يلقى اليهم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم والا تقليد الاسلاف كما فى الاية بعد ان لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير اى ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير يتبعونه قوله تعالى وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ومن يسلم وجهه الى الله اى يخلص عبادته وقصده الى الله وهو محسن لان العبادة من غير احسان ولا من معرفة القلب لا ينفع نظيره ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وفى حديث جبريل قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقد استمسك بالعروة الوثقى قال ابن عباس لا اله الا الله وقد مضى فى البقرة وقرا على بن ابي طالب والسلمي وعبد

الله مسلم بن يسار على التكثير الا ان المستعمل له ومن يسلم النحاس ويسلم في هذا اعرف كما قال عز وجل
فقل اسلمت وجهي لله ومعنى اسلمت وجهي لله اي قصدت بعبادتي الى الله عز وجل ويكون يسلم على التكثير
الا ان المستعمل في سلمت انه بمعنى دفعت يقال سلمت في الحنطة وقد يقال اسلمت الزمخشري قرأ علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت ماله عدي
بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته
ونفسه سالما لله اي خالصا ومعناه مع الى راجع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع
اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه والى الله عاقبة الامور اي مصيرها قوله تعالى ومن كفر
فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ فننبئهم بما عملوا اي نجازيهم ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا
اي نبقيهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها ثم نضطرهم نلجؤهم ونسوقهم الى عذاب غليظ وهو عذاب
جهنم ولفظ من يصلح للواحد والجمع فلهذا قال كفره ثم قال مرجعهم وما بعده على المعنى قوله تعالى و
لئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون لله
ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد اي هم يعترفون بان الله خالقهن فلم يعبدون
غيره قل الحمد لله اي على ما هداناله من دينه وليس الحمد لغيره ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا ينظرون
ولا يتدبرون لله ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا ان الله هو الغني اي عن خلقه وعن عبادتهم
وانما امرهم لتنفعهم الحميد اي المحمود على صنعه قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم لما احتج على المشركين بما
احتج بين ان معاني كلامه سبحانه لا تنفد وانها لا نهاية لها وقال القفال لما ذكر انه سخر لهم ما في السموات وما
في الارض وانه اسبغ النعم نبه على ان الاشجار لو كانت اقلاما والبحار مدادا فكتب بها عجايب صنع الله الدالة
على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجايب قال القشيري فرد معنى الكلمات الى المقدورات وحمل الاية
على الكلام القديم اولى والمخلوق لا بد له من نهاية واذا نفيت النهاية عن مقدوراته فهو نفي النهاية
عما يقدر في المستقبل على ايجاده فاما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناهيه والقديم لا نهاية له على
التحقيق وقد مضى الكلام في معنى كلمات الله في آخر الكهف وقال ابو علي المراد بالكلمات والله اعلم ما في
المقدور دون ما خرج منه الى الوجود وهذا نحو ما قاله القفال وانما الغرض الاعلام بكثرة معاني كلمات
الله وهي في نفسها غير متناهية وانما قرب الامر على افهام البشر بما يتناهى لانه غاية ما يعهده البشر من
الكثرة الا انها تنفد باكثر من هذه الاقلام والبحور ومعنى نزول الاية يدل على ان المراد بالكلمات الكلام
القديم قال ابن عباس ان سبب هذه الاية ان اليهود قالت يا محمد كيف عنينا بهذا القول وما اوتيتم من
العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا التوراة فيها كلام الله واحكامه وعندك انها تبيان كل شيء فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم التوراة قليل من كثير ونزلت هذه الاية والاية مدنية قال ابو جعفر النحاس فقد
تبين ان الكلمات ههنا يراد بها العلم وحقايق الاشياء لانه جل وعز علم قبل ان يخلق الخلق ما هو خالق
في السموات والارض من شيء وعلم ما فيه من مثاقيل الذر وعلم الاجناس كلها وما فيها من شعرة وعضو

وما في الشجرة من ورقة وما فيها من ضروب الخلق وما يتصرف فيه من ضروب الطعم واللون فلو سمى
كل دابة وحدها وسمى اجزاءها على ما يعلم من قليلها وكثيرها وما تحولت عليه من الاحوال وما زاد فيها
من كل زمان وبين كل شجرة وحدها وما تفرعت اليه وقدر ما ييبس من ذلك في كل زمان ثم كتب البيان
على كل واحد منها ما احاط الله جل ثناؤه به منها ثم كان البحر مدادا لذلك البيان الذي بين الله جل
وعز عن تلك الاشياء يمده من بعده سبعة ابحر لكان البيان عن تلك الاشياء اكثر قال الشيخ رحمه
الله هذا معنى قول القفال وهو حسن ان شاء الله وقال قوم ان قريشا قالت سيتم هذا الكلام لمحمد
فنزلت قوله تعالى والبحر يمده قرأ الجمهور بالرفع على الابتداء او خبره في الجملة التي بعدها والجملة في
موضع الحال كانه قال والبحر هذه حاله كذا قدرها سيبويه وقال بعض النحويين هو عطف على ان لانها
في موضع رفع بالابتداء وقرأ ابو عمرو وابن ابي اسحاق والبحر بالنصب على العطف على ما وهي اسم ان وقيل
اي ولو ان البحر يمده اي يزيد فيه وقرأ ابن هرمز والحسن يمده من امد قالت فرقة هما بمعنى واحد وقالت
فرقة مد الشيء بعضه بعضا كما يقول مد النيل في الخليج اي زاد فيه وامد الشيء ما ليس منه وقد مضى هذا
في البقرة وال عمران وقرأ جعفر بن محمد والبحر مداده ما نفدت كلمات الله تقدم ان الله عزيز حكيم
تقدم ايضا وقال ابو عبيدة البحر ههنا الماء العذب الذي ينبت الاقلام واما الماء الملح فلا ينبت الاقلام
قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير قال الضحاك المعنى ما ابتداء
خلقكم جميعا الا كخلق نفس واحدة وما بعثكم يوم القيمة الا كبعث نفس واحدة قال النحاس وهكذا
قدره النحويون بمعنى الا كخلق نفس مثل واسأل القرية وقال مجاهد لانه يقول للقليل والكثير كن
فيكون ونزلت الاية في ابي بن خلف وابي الاسدين ومنبه ونبيه ابني الحجاج بن السباق قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم تقول انا نبعث
خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة فانزل الله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لان الله تعالى
لا يصعب عليه ما يصعب على العباد وخلقه لجميع العالم كخلقه لنفس واحدة ان الله سميع لما يقولون
بصير بما يفعلون قوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل و
سخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله
هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير تقدم في الحج
والانعام وسخر الشمس والقمر اي ذللهما بالطلوع والافول تقدير الاجال واتمام المنافع كل يجري
الى اجل مسمى قال الحسن الى يوم القيامة قتادة الى وقته في طلوعه وافوله لا يعدوه ولا يقصر عنه وان
الله بما تعملون خبير اي من قدر على هذه الاشياء فلا بد من ان يكون عالما بها والعالم بها عالم باعمالكم وقراءة
العامة تعملون بالتاء خطابا وقرأ السلمي ونصر بن عاصم والدوري عن ابي عمرو بالياء على الخبر ذلك
اي فعل الله ذلك لتعلموا وتقروا بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل اي الشيطان
قاله مجاهد وقيل ما اشركوا به الله تعالى من الاصنام والاوثان وان الله هو العلي الكبير العلي
في مكانته الكبير في سلطانه قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من
آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ان الفلك اي السفن تجري في موضع الخبر في البحر

ويحسن نزلت وقال السدي قالت قريش ما اكثر كلام محمد

بنعمة الله اي بلطفه بكم ورحمته لكم في خلاصكم منه وقرأ ابن هرمز بنعمات الله جمع نعمة وهو جمع السلامة وكان الاصل تحريك العين فاسكنت ليريكم من اياته من للتبعيض اي يريكم جري السفن قاله يحيى بن سلام وقال ابن شجرة من اياته ما تشاهدون من قدرة الله تعالى فيه النقاش ما يرزقهم الله منه وقال الحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الارض الطرق ومفتاح السماء الدعاء ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي صبار لقضائه شكور على نعمائه وقال اهل المعاني اراد لكل مؤمن بهذه الصفة لان الصبر والشكر من افضل خصال الايمان والاية العلامة والعلامة لا تستبين الا لمن صبر على البلا وشكر على الرخا وقال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله الم تر الى قوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وقوله ان في ذلك لايات للموقنين وقال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قوله تعالى وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ كالظلل قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب وقال قتادة جمع ظلة شبه الموج بها لكبرها وارتفاعها قال النابغة في وصف بحر

وغاشيهن اخضر ذو ظلال ۝ على حافاته فلق الدنان

وانما شبه الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع لان الموج ياتي شيئا بعد شيء ويركب بعضه بعضا كالظلل وقيل هو بمعنى الجمع وانما لم يجمع لانه مصدر واصله من الحركة والازدحام ومنه ماج البحر والناس يموجون قال كعب

فجئنا الى موج من البحر وسطه ۝ احابيش منهم حاسر ومقنع ۝

وقرأ محمد ابن الحنفية موج كالظلال جمع ظل دعوا الله مخلصين له الدين موحدين له لا يدعون لخلاصهم سواه وقد تقدم فلما نجاهم يعني من البحر الى البر فمنهم مقتصد قال ابن عباس موف بما عاهد عليه الله في البحر وقال الحسن مقتصد مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة وقال مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر وقيل في الكلام حذف والمعنى فمنهم مقتصد ومنهم كافر ودل على المحذوف قوله تعالى وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور الختار الغدار والختر اسوء الغدر وقال عمرو بن معدي كرب

بابلق الفرد من تيماء منزله ۝ حصن حصين وجار غير ختار ۝

قال الاعشى

فانك لو رايت ابا عمير ۝ ملات يديك من غدر وختر ۝

قال الجوهري الختر الغدر يقال ختره فهو ختار الماوردي وهو قول الجمهور وقال عطية انه الجاحد ويقال ختر يختر ويختر بالضم والكسر خترا ذكره القشيري وجحد الايات انكار اعيانها والجحد بالايات انكار دلائلها قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ يا ايها الناس اتقوا ربكم يعني الكافر والمؤمن اي خافوه ووحدوه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا تقدم معنى يجزي في البقرة وغيرها فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم وقال من ابتلي بشيء من هذه البنات فاحسن اليهن كن له حجابا من النار قيل له المعنى بهذه الاية انه لا يحمل والد ذنب ولده ولا مولود ذنب والده ولا يؤاخذ احد منهما عن الاخر والمعنى بالاخبار ان ثواب الصبر على الموت والاحسان الى البنات يحجب العبد عن النار ويكون الولد سابقا له الى الجنة ان وعد الله حق اي بالبعث فلا تغرنكم اي تخدعنكم الحياة الدنيا بزينتها وما تدعوا اليه فتتكلوا عليها وتركنوا اليها وتتركوا العمل للاخرة ولا يغرنكم بالله الغرور قراءة العامة هنا وفي سورة الملائكة والحديد بفتح الغين وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره وهو الذي يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الاخرة وفي سورة النساء يعدهم ويمنيهم وقرأ سماك بن حرب وابو حيوة وابن السميقع بضم الغين اي لا تغتروا كانه مصدر غر يغر غرورا قال سعيد بن جبير هو ان يعمل بالمعصية ويتمنى المغفرة ۝

قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ زعم الفراء ان هذا معنى النفي اي ما يعلمه احد الا الله جل وعز قال ابو جعفر النحاس وانما صار فيه معنى النفي والايجاب بتوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال في قول الله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو انها هذه قال الشيخ رحمه الله قد ذكرنا في سورة الانعام حديث ابن عمر في هذا اخرجه البخاري وفي حديث جبريل قال اخبرني عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المسئول عنها باعلم من السائل هن خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الاية فقال الرجل صدقت لفظ ابي داود الطيالسي وقال عبد الله ابن مسعود كل شيء اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم غير خمس ان الله عنده علم الساعة الاية وقال ابن عباس هذه الخمس لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقران لانه خالفه ثم ان الانبياء يعلمون كثيرا من الغيب بتعريف الله اياهم والمراد ابطال كون الكهنة والمنجمين ومن يستسقي بالانواء وقد يعرف بطول التجارب اشياء من ذكورة الحمل وانوثته الى غير ذلك حسب ما ذكرنا في الانعام وقد تختلف التجربة وتنكسر العادة ويبقى العلم لله وحده روي ان يهوديا كان يحسب حساب النجوم فقال لابن عباس ان شئت انباتك نجم ابنك وانه يموت بعد عشرة ايام وانت لا تموت حتى تعمى وانا لا يحول علي الحول حتى اموت قال فاين موتك يا يهودي قال لا ادري فقال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس باي ارض تموت فرجع ابن عباس فوجد ابنه محموما ومات بعد عشرة ايام ومات اليهودي قبل الحول ومات ابن عباس اعمى قال علي ابن حسين راوي هذا الحديث هذا اعجب الاحاديث وقال مقاتل ان هذه الاية نزلت في رجل من اهل البادية اسمه الوارث ابن عمرو بن حارثة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امراتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت وقد علمت ما عملت اليوم فاخبرني ماذا اعمل غدا واخبرني متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الاية ذكره القشيري والماوردي وروى ابو المليح عن ابي عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الى قوله باي ارض تموت ذكره الماوردي وخرجه ابن ماجة من حديث ابن مسعود بمعناه وقد ذكرناه في كتاب التذكرة مستوفى وقراءة العامة وينزل مشدد وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي مخففا وقرأ ابي بن

كعب باية ارض الباقون باى ارض قال الفداء اكتفى بتانيث الارض من تانيثه اى وقيل اراد بالارض
المكان فذكر قال ٭ ولا مزنة ودقت ودقها ٭ ولا ارض ابقل ابقالها ٭ وقال الاخفش
يجوز مررت بجارية اى جارية واية جارية وشبه سيبويه تانيث اي بتانيث كل في قولهم كلتهن ان الله
عليم خبير تمت السورة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ٭

تفسير سورة السجدة

وهي مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون الى
تمام ثلاث ايات قاله الكلبي ومقاتل وقال غيرهما الا خمس ايات من قوله تتجافى جنوبهم الى الذي
كنتم به تكذبون وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية وفي الصحيح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرا في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر
الحديث وخرج الدارمي ابو محمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينام حتى يقراء الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك قال الدارمي واخبرنا ابو المغيرة حدثنا
عبده عن خالد بن معدان قال اقروا المنجيه وهي الم تنزيله فانه بلغني ان رجلا كان يقراء ها ما يقراء
شيا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراتي +
فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة ٭
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ٭ الٓمٓ تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيْهِ مِنْ
رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ٭ الاجماع على رفع تنزيل الكتاب ولو كان منصوبا على المصدر لجاز كما قرا الكوفيون انك
لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم وتنزيل رفع بالابتداء والخبر لا ريب فيه او خبر على
اضمار مبتداء اى هذا تنزيل او المتلو تنزيل او هذه الحروف تنزيل ودلت الم على ذكر الحروف ويجوز ان
يكون لا ريب فيه في موضع الحال من الكتاب ومن رب العالمين الخبر قال مكي وهو احسنها ومعنى لا ريب
فيه من رب العالمين لا شك فيه انه من عند الله فليس بسحر ولا شعر ولا كهانة ولا اساطير الاولين
قوله تعالى اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا اَتٰهُمْ مِنْ نَذِيْرٍ مِنْ
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُوْنَ ٭ هذه ام المنقطعة التي تقدر ببل والف الاستفهام اي بل اتقولون وهي
تدل على خروج من حديث الى حديث فانه عز وجل اثبت انه تنزيل من رب العالمين وان ذلك مما لا
ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه اى افتعله واختلقه بل هو الحق من ربك
كذبهم في دعوى الافترا لتنذر قوما قال قتادة يعني قريشا كانوا امة امية لم ياتهم نذير من قبل
محمد صلى الله عليه وسلم ولتنذر متعلق بما قبلها فلا يوقف على من ربك ويجوز ان يتعلق بمحذوف التقدير
انزله لتنذر قوما فيجوز الوقف على من ربك وما في قوله ما اتاهم نفي من نذير صلة ونذير في محل
الرفع وهو المعلم المخوف وقيل المراد بالقوم اهل الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس
ومقاتل وقيل كانت الحجة ثابتة لله جل وعز عليهم بانذار من تقدم من الرسل وان لم يروا رسولا وقد تقدم هذا المعنى
قوله تعالى اَللّٰهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِيْ سِتَّةِ

اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُوْنِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيْعٍ اَفَلَا تَتَذَكَّرُوْنَ ٭ عرفهم كمال
قدرته ليسمعوا القرآن ويتاملوه ومعنى خلق ابدع واوجد بعد العدم وبعد ان لم يكن شيا في ستة ايام من
يوم الاحد الى آخر يوم الجمعة قال الحسن من ايام الدنيا وقال ابن عباس ان اليوم من الايام الستة التي
خلق الله فيها السموات والارض مقداره الف سنة من سني الدنيا وقال الضحاك في ستة الاف سنة
اى في مدة ستة ايام من ايام الاخرة ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف والبقرة وغيرها وذكرنا
ما للعلماء في ذلك مستوفى في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى وليست ثم للترتيب وانما هي بمعنى
الواو مالكم من دونه من ولي ولا شفيع اى ما للكافرين من مولى يمنع من عذابهم ولا شفيع ويجوز الرفع على
الموضع افلا تتذكرون في قدرته ومخلوقاته قوله تعالى يُدَبِّرُ الْاَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ اِلَى الْاَرْضِ قال
ابن عباس ينزل القضا والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل وروى عمرو بن مرة عن عبد الرحمن
ابن سابط قال يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل صلوات الله عليهم اجمعين
فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والماء واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح
واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان ما دون العرش موضع
التفصيل قال الله تعالى ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل الايات وما دون السموات موضع التصريف
قال الله تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا قوله تعالى ثُمَّ يَعْرُجُ اِلَيْهِ فِيْ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ اَلْفَ
سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّوْنَ ٭ قال يحيى بن سلام هو جبريل يصعد الى السماء بعد نزوله بالوحي النقاش هو الملك
الذي يدبر الامر من السماء الى الارض وقيل انها اخبار اهل الارض تصعد اليه مع حملتها من الملائكة قاله
ابن شجرة في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقيل ثم يعرج اليه اى يرجع ذلك الامر والتدبير اليه
بعد انقضاء الدنيا في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وعلى الاقوال المتقدمة فالكناية في
يعرج عن الملك ولم يجر له ذكر لانه مفهوم من المعنى وقد جاء صريحا في سال سائل قوله تعرج الملائكة والروح
اليه والضمير في اليه يعود على السماء على لغة من يذكرها او على مكان الملك الذي يرجع اليه او على اسم الله
تعالى والمراد الى الموضع الذي امره بالعود اليه واذا رجعت الى السماء اى الى سدرة المنتهى فقد رجعت الى الله
فانه اليها يرتفع ما يصعد به من الارض ومنها ينزل ما يهبط به اليها ثبت معنى ذلك في صحيح مسلم والهاء
في مقداره راجعة الى التدبير والمعنى كان مقدار ذلك التدبير الف سنة من سني الدنيا اى يقضي امر
كل شيء لالف سنة في يوم واحد ثم يلقيه الى ملائكته فاذا مضت قضى لالف سنة اخرى ثم كذلك ابدا قاله
مجاهد وقيل الهاء للعروج وقيل المعنى انه يدبر امر الدنيا الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر
فيحكم فيه في يوم كان مقداره الف سنة وقيل المعنى يدبر امر الشمس في طلوعها وغروبها ورجوعها الى
موضعها من الطلوع في يوم مقداره في المسافة الف سنة وقال ابن عباس المعنى كان مقداره لو ساره
غير الملك الف سنة لان النزول خمسمائة والصعود خمسمائة وروى ذلك عن جماعة من المفسرين وهو
اختيار الطبري ذكره المهدوي وهو معنى القول الاول اى ان جبريل عليه السلام لسرعة سيره يقطع
مسيرة الف سنة في يوم من ايامكم ذكره الزمخشري وذكر الماوردي عن ابن عباس والضحاك ان الملك
يصعد في يوم مسيرة الف سنة وعن قتادة ان الملك ينزل ويصعد في يوم مقداره الف سنة

وعن قتادة انّ الملك ينزل و يصعد فى يوم مقداره الف سنة فيكون مقدار نزوله خمساية سنة و مقدار صعوده خمساية سنة على قول قتادة و السّدي وعلى قول ابن عباس و الضحاك النزول الف سنة والصعود الف سنة مما تعدّون اى مما تحسبون من ايام الدنيا و هذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بالف سنة من سني الدنيا وليس بيوم يستوعب نهارا بين ليلتين لانّ ذلك ليس عند الله و العرب قد تعبّر عن مدة العصر باليوم كما قال الشاعر

يومان يوم مقامات و اندية ● و يوم سير الى الاعداء تاويب

وليس يريد يومين مخصوصين و انّما اراد انّ زمانهم ينقسم شطرين فعبّر عن كل واحد من الشطرين بيوم وقرا ابن ابى عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرى يعدّون بالياء فاما قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فمشكل مع هذه الاية وقد سال عبد الله بن فيروز الديلمي عبد الله بن عباس عن هذه الاية وعن قوله فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقال ايام سمّاها الله سبحانه و ما ادري ما هى واكره ان اقول فيها ما لا اعلم ثم سئل عنها سعيد بن المسيب فقال لا ادري فاخبرته بقول ابن عباس فقال ابن المسيب للسايل هذا ابن عباس اتقى ان يقول فيها و هو اعلم منى ثم تكلم العلماء فى ذلك فقيل انّ آية سال سايل و هو اشارة الى يوم القيامة بخلاف هذه الاية و المعنى انّ الله تعالى جعله فى صعوبته على الكفار كخمسين الف سنة قاله ابن عباس و العرب تصف ايام المكروه بالطول و ايام السرور بالقصر قال

ويوم كظل الرمح قصّر طوله ● دم الزق عنا واصطفاق المزاهر ●

وقيل انّ يوم القيمة فيه ايام فمنه ما مقداره الف سنة ومنه ما مقداره خمسين الف سنة وقيل مواقف القيامة خمسون موقفا كل موقف الف سنة وقيل اوقات مختلفة فيعذب الكافر بجنس من العذاب الف سنة ثم ينقل الى جنس آخر مدته خمسون الف سنة وقيل مواقف القيامة خمسون موقفا كل موقف الف سنة فمعنى يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة اى مقدار وقت او موقف من يوم القيامة وقال النحاس اليوم فى اللغة بمعنى الوقت فالمعنى تعرج الملائكة والروح اليه فى وقت كان مقداره الف سنة وفى وقت آخر كان مقداره خمسين الف سنة وعن وهب ابن منبه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ما بين اسفل الارض الى العرش وذكر الثعلبى عن مجاهد و قتادة والضحاك فى قوله تعالى تعرج الملائكة و الروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اراد من الارض الى سدرة المنتهى الذى فيها جبرئيل يقول تعالى يسير جبرئيل و الملايكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة فى يوم واحد من ايام الدنيا وقوله اليه يعنى الى المكان الذى امرهم الله تعالى ان يعرجوا اليه و هذا كقول ابرهيم انى ذاهب الى ربّي سيهدين اراد ارض الشام و قال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله اى الى المدينة و قال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلّم اتانى ملك من ربّى تعالى برسالته ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء والاخرى على الارض لم يرفعها بعد قوله تعالى ذٰلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ اى علم ما غاب عن الخلق وما حضرهم وذلك يعنى انا حسب ما تقدم بيانه فى اول البقرة و فى الكلام معنى التهديد و الوعيد اى اخلصوا افعالكم واقوالكم فانى اجازى عليها قوله تعالى الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه باسكان اللام وفتحها الباقون واختاره ابو عبيد وابو حاتم طلبا لسهولتها و هو فعل ماض فى موضع خفض نعت لشىء و المعنى على ما روى عن ابن عباس

احكم كل شىء خلقه اى جاء به على ما اراد لم يتغير عن ارادته وقول آخر ان كل شى خلقه حسن لانه لا يقدر احد ان ياتى بمثله و هو دالّ على خالقه و من اسكن اللام فهو مصدر عند سيبويه لان قوله احسن كل يدلّ على خلق كل شى خلقا فهو مثل صنع الله وكتاب الله عليكم وعند غيره منصوب على البدل من كل شى احسن خلق كل شىء و هو مفعول ثان عند بعض النحويين على ان يكون معنى احسن افهم وعلم فيتعدى الى مفعولين اى افهم كل شى خلقه وقيل هو منصوب باسقاط حرف الجر والمعنى احسن كل شى فى خلقه وروى معناه عن ابن عباس واحسن اي اتقن و احكم فهو احسن من جهة ما هو لمقاصده التى اريد لها و من هذا المعنى قال ابن عباس وعكرمة ليست است القرد حسنة ولكنها متقنة محكمة وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد احسن كل شى خلقه قال اتقنه و هو مثل قوله تعالى اعطى كل شى خلقه اى لم يخلق الانسان على خلق البهيمة ولا خلق البهيمة خلق الانسان ويجوز خلقه بالرفع على تقدير ذلك خلقه وقيل هو عموم فى اللفظ والمعنى اى جعل كل شى خلقه حسنا حتى جعل الكلب فى خلقه حسنا قاله ابن عباس وقال قتادة فى است القرد حسنة قوله تعالى وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ خلق الانسان من طين يعنى آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين تقدم فى المؤمنين وغيرها وقال الزجاج من ماء مهين ضعيف وقال غيره مهين لا خطر له عند الناس ثم سواه رجع الى آدم اى سوى خلقه ونفخ فيه من روحه ثم رجع الى ذريته فقال وجعل لكم السمع والابصار وقيل ثم جعل ذلك الماء المهين خلقا معتدلا وركب فيه الروح واضافه الى نفسه تشريفا وايضا فانه من فعله وخلقه كما اضاف العبد اليه بقوله عبدي وعبّر عنه بالنفخ لان الروح فى جنس الريح وقد مضى هذا مبينا فى النساء وغيرها قليلا ما تشكرون اى ثم انتم لا تشكرون بل تكفرون قوله تعالى وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ هذا قول منكرى البعث اى هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا واصله من قول العرب ضلّ الماء فى اللبن اذا ذهب والعرب تقول للشى غلب عليه غيره حتى خفى فيه اثره قد ضلّ قال الاخطل شعر

كنت القذى فى موج اكدر مزبد ● قذف الاتيّ به فضلّ ضلالا

وقال قطرب معنا ضللنا غبنا فى الارض وانشد قول النابغة الذبيانى

فآب مضلّوه بعين جلية ● وغودر بالجولان حزم ونايل

وقال ابن محيصن ويحيى بن يعمر ضللنا بكسر اللام وهى لغة قال الجوهرى وقد ضللت اضلّ قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضلّ على نفسى فهذه لغة نجد وهى الفصيحة واهل العالية يقولون ضللت بالكسر اضلّ وهو ضالّ تالّ وهى الضلالة والتلالة واضله اى اضاعه واهلكه يقال اضلّ الميت اذا دفن قال وآب مضلّوه البيت ابن السكيت اضللت بعيرى اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعها وكذلك كل شى مقيم لا يهتدي له وفى الحديث لعلى اضلّ الله يريد اضلّ عنه اي اخفى عليه من قوله تعالى ءاذا ضللنا فى الارض اى خفينا واضله الله فضلّ تقول انك تهدى الضال ولا تهدى المتضال وقرا الاعمش والحسن صللنا بالصاد اى انتنا وهى قراءة على ابن ابي طالب رضى الله عنه

على التفسير والمعنى احسن كل شى خلقا وقيل هو منصوب ...

النحاس ولا يعرف فى اللغة ضللنا ولكن يقال ضلّ اللحم واصل وخمر واخمر اذا انتن الجوهرى ضلّ اللحم يضلّ بالكسر صلولا اى انتن مطبوخًا كان اونيا قال الحطيئة شعر

ذاك فتى يبذل ذا قدرة ٭ لا يُفسد اللحمَ لديه الصّلُول

واصلّ مثله انا لفى خلق جديد اى نخلق بعد ذلك خلقا جديدا او يُقرأ انا النحاس وفى هذا سوال صعب من العربية يقال ما العامل فى اذا وان لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والسوال فى الاستفهام اشد لان ما بعد الاستفهام اجدر ان لا يعمل فيما قبله من انّ كيف وقد اجتمعا فالجواب على قراءة من قرأ انا ان العامل ضللنا وعلى قراءة من قرأ اينا ان العامل مضمر والتقدير انبعث اذا متنا وفيه ايضا سوال آخر يقال اين جواب اذا على القراءة الاولى لان فيها معنى الشرط فالقول فى ذلك ان ما بعدها فعلا ماضيًا فلذلك جاز هذا بل هم بلقاء ربهم كافرون اى ليس لهم جحود قدرة الله تعالى عن الاعادة لانهم يعترفون بقدرته ولكنهم اعتقدوا ان لا حساب عليهم وانهم لا يلقون الله قوله تعالى قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت لما ذكر استبعادهم للبعث ذكر توفيهم وانه يعيدهم يتوفاكم من توفى العدد والشئ اذا توفاه وقبضه جميعًا يقال توفاه الله اى استوفا روحه وتوفيت مالى من فلان اى استوفيته ملك الموت واسمه عزرايل ومعناه عبد الله كما تقدم فى البقرة وتصرفه كله بامر الله جل وعز وبخلقه واختراعه وروى فى الحديث ان البهايم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك كانه يعدم حيا تها ذكره ابن عطية قال الشيخ رحمه وقد روى خلافه وان ملك الموت يتوفى جميع ارواح الخلايق حتى البرغوث والبعوضة روى جعفر بن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند راس رجل من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبى فانه مومن فقال ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسًا وقرّ عينا فانى بكل مومن رفيق واعلم ان ما من اهل بيت مدر ولا شعر فى بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى لانا اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو انى اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الامر بقبضها قال جعفر بن على بلغنى انه يتصفحهم عند مواقيت الصلوات ذكره الماوردى وذكر الخطيب ابو بكر احمد بن على ابن ثابت البغدادى حدثنى ابو محمد الحسن ابن محمد الخلال قال حدثنا ~~يحيى بن ايوب العلاف~~ ابو محمد عبد الله بن عثمان الصفار قال حدثنا ابو بكر حامد المصرى قال حدثنا يحيى بن ايوب العلاف قال حدثنا سليمان بن مهير الكلاعى قال حضرت ملك ابن انس فاتاه رجل فساله اباعبد الله البراغيث املك الموت يقبض ارواحها قال فاطرق مالك طويلا ثم قال الها نفس قال نعم قال ملك الموت يقبض ارواحها الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن عطية بعد ذكره الحديث وكذلك الامر فى بنى آدم الا انه نوع شرف يتصرف ملك وملايكه معه فى قبض ارواحهم فخلق الله ملك الموت وخلق على يديه قبض الارواح واستلالها من الاجسام واخراجها منه وخلق جندا يكونون معه يعملون عمله بامره فقال تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة وقال توفته رسلنا وقد مضى هذا المعنى فى الانعام والبارى خالق الكل الفاعل حقيقته لكل فعل قال الله تعالى الله

يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الذى خلق الموت والحياة يحى ويميت فملك الموت يقبض والاعوان يعالجون والله يزهق الروح وهذا هو الجمع بين الآي والاحاديث لكنه لما كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة اضيف التوفى اليه كما اضيف الخلق للملك كما تقدم فى الحج وروى عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدى الانسان ياخذ من حيث شا وقد روي هذا المعنى مرفوعا وقد ذكرناه فى التذكرة وروي ان ملك الموت لما وكله الله بقبض الارواح قال رب جعلتنى اذكر بسوء ويشتمنى بنو آدم فقال الله تعالى له انى اجعل لهم اسبابا من الامراض والاسقام ينسبون الموت اليها فلا يذكرك احد الا بخير وقد ذكرناه فى التذكرة مستوفى وذكرنا انه يدعو الارواح فتجيبه فيقبضها ثم يسلمها الى ملايكة الرحمة او العذاب بما فيه سفاء لمن اراد الوقوف على ذلك الثانية استدل بهذه الاية بعض العلماء على جواز الوكالة من قوله وكل بكم اى بقبض الارواح قال ابن العربى وهذا اخذ من لفظه لا من معناه ولو اطرد ذلك لقلنا فى قوله تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا انها نيابة عن الله تعالى ووكالة فى تبليغ رسالته ولقلنا ايضا فى قوله عز وجل واتوا الزكوة انه وكاله فان الله ضمن الرزق لكل دابة وحض الاغنيا بالاغذية واوعدالهم بان رزق الفقرا عندهم وامر بتسليمه اليهم مقدرا معلوما فى وقت معلوم دبره بعلمه وانفذه من حكمه وقدره بحكمته والاحكام لا يتعلق بالالفاظ الا ان ترد على موضوعاتها الاصلية فى مقاصدها المطلوبة فان ظهرت فى غير مقصدها لم تعلق عليها الا ترى ان البيع والشرى معلوم اللفظ والمعنى وقد قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولا يقال هذه الاية دليل جواز مبايعة السيد لعبده لان المقصدين مختلفان اما انه اذا لم يكن بد من المعانى فيقال ان هذه الاية دليل على ان للقاضى ان يستنيب من ياخذ الحق ممن هو عليه قسرا دون ان يكون له فى ذلك فعل او يرتبط به رضى اذا وجد ذلك قوله تعالى وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ عند ربهم ابتداء وخبر قال الزجاج المخاطبة للنبى صلى الله عليه وسلم مخاطبة لامته فالمعنى ولو ترى يا محمد منكرى البعث يوم القيامة لرايت العجب ومذهب ابى العباس غير هذا وان يكون المعنى يا محمد قل للمجرم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا روسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك ناكسوا روسهم اى من الندم والخزى والحزن والذل والغم عند ربهم اي عند محاسبة ربهم وجزاء اعمالهم ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا اى ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر وقيل ابصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك ابصروا حين لا ينفعهم البصر وسمعوا حين لا ينفعهم السمع فارجعنا اي الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اى مصدقون بالبعث قاله النقاش وقيل مصدقون بالذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم انه حق قاله يحى بن سلام قال سفيان الثورى فاكذبهم الله تعالى فقالت ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقيل انا موقنون اي قد زالت عنا الشكوك الان وكانوا يبصرون ويسمعون فى الدنيا ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع فلما تنبهوا فى الاخرة صاروا حينئذ كانهم سمعوا وابصروا وقيل اى ربنا لك الحجة قد ابصرنا رسلك وعجايب خلقك فى الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا فهذا اعتراف منهم ثم طلبوا

معنى ع

ان يردنا الى الدنيا ليؤمنوا قوله تعالى وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ قال محمد بن كعب القرظي لما قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون رد عليهم بقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول لو شئت لهديت
الناس جميعا فلم يختلف منهم احد ولكن حق القول مني لاملان الاية ذكره ابن المبارك في رقايقه
في حديث فيه طول وقد ذكرناه في التذكرة النحاس ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في معناه قولان
احدهما انه في الدنيا والآخر ان سياق الكلام يدل على انه في الآخرة اي لو شئنا لرددناهم الى الدنيا والمحنة
كما سالوا ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى حق القول مني لاعذبن من عصاني
بعذاب جهنم وعلم الله عز وجل لو رددهم لعادوا كما قال جل وعز ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذه
الهداية معناها خلق المعرفة في القلب وتاويل المعتزلة ولو شئنا لاكرهناهم على الهداية باظهار الآيات
الهايلة لكن لا يحسن منه فعله لانه ينقض الغرض المجرى بالتكليف اليه وهو الثواب الذي لا يستحق
الا بما يفعله المكلف باختياره وقالت الامامية في تاويلها انه يجوز ان الله يريد هداها الى طريق الجنة في
الآخرة ولم يعاقب احدا لكن حق القول منه انه يملا جهنم فلا يجب على الله عندنا هداية الكل اليها
قالوا بل الواجب هداية المعصومين فاما من له ذنب فجايز هدايته الى النار جزاء على افعاله وفي جواز
ذلك منع لقطعهم على ان المراد هداها الى الايمان وقد تكلم العلماء عليهم في هذين التاويلين بما فيه كفاية
في اصول الدين واقربهم مالهم في الجواب ان يقال فقد بطل عندنا وعندكم ان يهديهم سبحانه على طريق
الالجاء والاجبار والاكراه فصار يودي ذلك الى مذهب الجبرية وهو مذهب رذل عندنا وعندكم فلم يبق
الا ان المهتدين من المؤمنين انما هداهم الله الى الايمان والطاعة على طريق الاختيار حتى يصح التكليف
فمن شاء امن واطاع اختيارا لا اجبارا قال الله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وقال فمن شاء اتخذ الى
ربه سبيلا ثم عقب هاتين الآيتين بقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله فوقع ايمان المؤمنين بمشيتهم
ونفى ان يشاؤوا الا ان يشاء الله ولهذا فرطت الجبرية لما راوا ان هدايتهم معدوق بمشية الله تعالى
فقالوا الخلق مجبورون في طاعاتهم كلها التفاتا الى قوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله وفرطت القدرية
لما راوا ان هدايتهم الى الايمان معدوق بمشية العباد فقالوا الخلق خالقون لافعالهم التفاتا منهم
الى قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد هو مذهب بين مذهبي
المجبرة والقدرية وخير الامور اوساطها وذلك ان اهل الحق قالوا نحن نفرق بين ما اضطررنا اليه
وبين ما اخترناه وهو انا ندرك تفرقة بين حركة الارتعاش الواقعة في يد الانسان بغير محاولته
وارادته ولا مقرونة بقدرته وبين حركة الاختيار اذا حرك يده حركة مماثلة لحركة الارتعاش ومن
لا يفرق بين الحركتين حركة الارتعاش وحركة الاختيار وهما موجودتان في ذاته ومحسوستان في يده بمشاهدته
وادراك حاسته فهو معتوه في عقله ومختل في حسه وخارج من حزب العقلاء وهذا هو الحق المبين
وهو طريق بين طريقي الافراط والتفريط وكلا طرفي قصد الامور ذميم وبهذا الاعتبار اختار اهل
النظر من العلماء ان سموا هذه المنزلة بين المنزلتين كسبا واخذوا هذه التسمية من كتاب الله العزيز وهو
قوله سبحانه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قوله تعالى فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا

نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فيه قولان احدهما انه من النسيان
الذي لا ذكر معه اى لم يعملوا لهذا اليوم فكانوا بمنزلة الناسين والاخر ان نسيتم بمعنى تركتم وكذا انا
نسيناكم واحتج محمد بن يزيد بقوله جل وعز ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي قال والدليل على انه
بمعنى ترك ان الله تعالى جل وعز اخبر عن ابليس انه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين فلو كان آدم ناسيا لكان قد ذكره وانشد شعر

كانه خارجا من جنب صفحته ۞ سفود شرب نسوه عند مفتاد

اى تركوه ولو كان من النسيان لكان قد عملوا به مرة قال الضحاك نسيتم اى تركتم امري يحيى بن
سلام اى تركتم الايمان بالبعث في هذا اليوم نسيناكم تركناكم من الخير قاله السدي مجاهد تركناكم
في العذاب وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبنا الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم و
المعنى فذوقوا هذا اى ما انتم فيه من نكس الروس والخزي والغم بسبب نسيان الله او ذوقوا العذاب
المخلد وهو الدايم الذي لا انقطاع له في جهنم بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من المعاصي وقد يعبر
بالذوق عما يطرا على النفس وان لم يكن مطعوما لاحساسها به كاحساسها بذوق المطعوم قال عمر بن
ابي ربيعة

فذق هجرها ان كنت تزعم انها ۞ فسادا لا يارب ما كذب الزعم

الجوهري وذقت ما عند فلان اى خبرته وذقت القوس اذا جذبت وترها لتنظر ما شدتها واذاقه الله
وبال امره قال طفيل

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر ۞ من الغيظ في اكبادنا والتحوب

وتذوقته اى ذقته شيئا بعد شيء وامر مستذاق اى مجرب معلوم قال الشاعر

وعهد الغانيات كعهد قين ۞ ونت عنه الجعايل مستذاق

والذواق الملول قوله تعالى إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اى انهم لالفهم الكفر
لا يؤمنون بك انما يؤمن بك وبالقرآن المتدبرون له والمتعظون به وهم الذين اذا قرئ عليهم
القرآن خروا سجدا قال ابن عباس ركعا قال المهدوي وهذا على من مذهب من يرى الركوع عند
قراءة السجدة واستدل بقوله تعالى وخر راكعا واناب وقيل المراد به السجود وعليه اكثر العلماء
اى خروا سجدا لله على وجوههم تعظيما لآياته وخوفا من سطوته وعذابه وسبحوا بحمد ربهم اى
خلطوا التسبيح بالحمد اى نزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده سبحان ربي الاعلى وبحمده
اى تنزيها لله عن قول المشركين وقال سفيان وسبحوا بحمد ربهم اى صلوا حمدا لربهم وهم لا يستكبرون
عن عبادته قاله يحيى بن سلام النقاش لا يستكبرون كما استكبر اهل مكة عن السجود قوله تعالى
تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
تتجافى اى ترتفع وتنبو عن مواضع الاضطجاع وهو في موضع نصب على الحال اى متجافية جنوبهم والمضاجع
جمع مضجع وهي مواضع النوم ويحتمل عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز والحقيقة اولى ومنه قول عبد الله
ابن رواحه

وفينا رسول الله يتلو كتابه ۞ اذا انشق معروف من الصبح ساطع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ۞ اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قال الزجاج والرماني التجافي والتجفي الى جهة فوق وكذلك سوي الصفح عن المخطي في سب ونحوه والجنوب جمع جنب وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لاجله قولان احدهما لذكر الله تعالى اما في صلاة قاله ابن عباس والضحاك الثاني للصلاة وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لاجلها اربعة اقوال احدها التنفل بالليل قاله الجمهور من المفسرين وعليه اكثر الناس وهو الذي فيه المدح وهو قول مجاهد والاوزاعي وملك ابن انس والحسن ابن ابي الحسن وابي العالية وغيرهم ويدل عليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لانهم جوزوا ما اخفوا بما خفي والله اعلم وسياتي بيانه وفي قيام الليل احاديث كثيرة منها حديث معاذ بن جبل وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفي الخطية كما يطفي الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل قال ثم تلى تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون اخرجه ابو اسحاق وابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح

صلاة العشا التي يقال لها العتمة قاله الحسن وعطا وفي الترمذي عن انس بن مالك ان هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعا العتمة قال هذا حديث حسن غريب

التنفل ما بين المغرب والعشا قاله قتادة وعكرمة وروى ابو داود عن انس ابن مالك في هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشا

قال الضحاك تجافي الجنب هو ان يصلي الرجل العشا والصبح في جماعة وقاله ابو الدردا وعبادة قال الشيخ رحمه الله وهذا قول حسن وهو يجمع الاقوال بالمعنى وذلك ان منتظر العشا الى ان يصليها في صلاة وذكر لله جل وعز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاة وقال انس المراد بالاية انتظار صلاة العشا الاخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوخرها الى نحو ثلث الليل قال ابن عطية وكانت الجاهلية ينامون من اول الغروب ومن اي وقت شاء الانسان فجاء انتظار وقت العشاء غريبا شاقا ومصلي الصبح في جماعة لا سيما في اول الوقت كما كان عليه السلام يصليها والعادة ان من حافظ على هذه الصلاة في اول الوقت يقوم سحرا يتوضأ ويصلي ويذكر الله جل وعز الى ان يطلع الفجر فقد حصل التجافي اول الليل وآخره هذا يويد ما رواه مسلم من حديث عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى العشا في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة كان له قيام نصف ليلة ومن صلى العشا والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة وقد مضى في سورة النور عن كعب فيمن صلى بعد العشاء الاخرة اربع ركعات كن له بمنزلة ليلة القدر وجاءت اثار حسان في فضل الصلاة بين المغرب والعشاء وقيام الليل ذكره ابن المبارك اخبرنا يحيى بن ايوب قال حدثني محمد بن الحجاج او ابن ابي الحجاج انه سمع عبد الكريم يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشا بني له قصر في الجنة فقال عمر بن الخطاب اذا تكثر قصورنا وبيوتنا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر وافضل او قال اطيب وعن عبد الله عمرو بن العاصي قال صلاة الاوابين الخلوة التي بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس الى الصلاة وكان عبد الله بن مسعود يصلي في تلك الساعة ويقول ساعة الغفلة بين المغرب والعشا ذكره ابن المبارك

ورواه الثعلبي مرفوعا عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله من جفت جنباه المضاجع ما بين المغرب والعشاء بني له قصران في الجنة مسيرة عام وفيها من الشجر ما لو نزلها اهل المشرق والمغرب لاوسعتهم فاكهة وهي صلاة الاوابين وغفلة الغافلين وان من الدعاء المستجاب الذي لا يرد الدعاء بين المغرب والعشاء

فصل في فضل التجافي

ذكر ابن المبارك عن ابن عباس قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادي ثانية ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون الى الجنة قال ثم ينادي ثالثة ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون فيسرحون الى الجنة ذكره الثعلبي مرفوعا عن اسماء بنت يزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمعه الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي الثانية ستعلمون اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون ثم ينادي الثالثة ستعلمون اليوم من اولى بالكرم ليقم الحامدون لله على كل حال في السرا والضرا فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وذكر ابن المبارك اخبرنا معمر عن رجل عن ابي العلا بن الشخير عن ابي ذر قال ثلثة يضحك الله اليهم ويستبشر الله بهم رجل قام من الليل وترك فراشه ودفئه ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم قام الى الليل فيقول الله للملايكة ما حمل عبدي على ما صنع فيقولون ربنا انت اعلم به منا فيقول انا اعلم به ولكن اخبروني فيقولون رجيته شيا فرجاه وخوفته فخافه فيقول اني اشهدكم اني قد امنته مما خاف واوجبت له ما رجاه قال ورجل كان في سرية فلقي العدو فانهزم اصحابه وثبت هو حتى يقتل او يفتح الله عليهم فيقول الله للملايكة مثل هذه القصة ورجل سرا في ليله حتى اذا كان في آخر الليل نزل هو واصحابه فنام اصحابه وقام هو يصلي فيقول الله للملايكة فذكر القصة قوله تعالى يدعون ربهم في موضع نصب على الحال اي داعين ويحتمل ان يكون صفة مستانفة اي تتجافى جنوبهم وهم ايضا في كل حال يدعون ليلهم ونهارهم خوفا مفعول من اجله ويجوز ان يكون مصدرا وطمعا مثله اي خوفا من العذاب وطمعا في الثواب ومما رزقناهم ينفقون تكون ما بمعنى الذي وتكون مصدرا وفي كلا الوجهين يجب ان تكون منفصلة من من وينفقون قيل معناه الزكوة المفروضة وقيل النوافل وهذا القول امدح

قوله تعالى فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قرا حمزة ما اخفي لهم باسكان الياء وفتحها الباقون وفي قراة عبد الله ما نخفي بالنون مضمومة وروى المفضل عن الاعمش ما يخفي لهم بالياء المضمومة وفتح الفاء وقرا ابن مسعود وابو هريرة من قرات اعين فمن اسكن الياء من قوله ما اخفي فهو مستقبل والفه الف المتكلم وما في موضع نصب باخفي وهي استفهام والجملة في موضع نصب لوقوعها موقع المفعولين والضمير العايد على ما محذوف ومن فتح الياء فهو فعل ماض مبني للمفعول وما في موضع رفع بالابتداء والخبر اخفي وما بعده

والضمير في اخفي عائد على ما قال الزجاج ويقرأ ما اخفي لهم بمعنى ما اخفى الله لهم وهي قراءة محمد بن كعب وما في موضع نصب المهدوي ومن قرا قرات اعين فهو جمع قرة وحسن الجمع فيه لاضافته الى الجمع والافراد لانه مصدر وهو اسم للجنس وقال ابوبكر الانباري وهذا غير مخالف للمصحف لان تاء قرة يكتب تاء على لغة من يجري الوصل على الوقف كما كتبوا رحمت الله بالتاء ولا يستنكر سقوط الالف من قرات في الخط وهو موجود في اللفظ كما لم يستنكر سقوط الالف من السموات وهي ثابتة في اللسان والنطق والمعنى المراد انه اخبر تعالى بما لهم من النعيم الذي لم تعلمه نفس ولا بشر ولا ملك وفي معنى هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا على قلب بشر خطر ثم اقرا هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون الى قوله بما كانوا يعملون اخرجه الصحيح من حديث سهل بن سعد الساعدي وقال ابن مسعود في التوراة مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا اذن سمعته ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس الامر في هذا اجل واعظم من ان يعرف تفسيره قال الشيخ رحمه الله وهذه الكرامة انما هي لاعلى اهل الجنة منزلا كما جاء مبينا في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سال موسى عليه السلام ربه فقال يا رب ما ادنى اهل الجنة منزلة قال هو رجل ياتي بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول اي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له اترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقال هذا لك وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلاهم منزلة قال فاولئك الذين اردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه من كتاب الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية وقد روي عن المغيرة موقوفا قوله وخرج مسلم ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعكم عليه ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن سيرين المراد به النظر الى الله تعالى وقال الحسن اخفى القوم اعمالا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون فيها ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اي ليس المؤمن كالفاسق فلهذا اتيناها ولا المؤمنين الثواب العظيم قال ابن عباس وعطاء بن يسار نزلت الاية في علي ابن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط وذلك انهما تلاحيا فقال له الوليد انا ابسط منك لسانا واحد سنانا وارد للكتيبة وروي واملا في الكتيبة جسدا فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت الاية وذكر النحاس والزجاج انها نزلت في علي وعقبة بن ابي معيط قال ابن عطية وعلى هذا يلزم ان يكون الاية مكية لان عقبة لم يكن بالمدينة وانما قتل في طريق مكة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر ويعترض القول الاخر باطلاق اسم الفسق على الوليد وذلك يحتمل ان يكون في صدر اسلام الوليد لشيء كان في نفسه او لما روي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا على ما ياتي في الحجرات بيانه ويحتمل ان تطلق الشريعة ذلك عليه لانه كان على طرف مما

ما ينبغي وهو الذي شرب الخمر في زمن عثمان وصلى الصبح بالناس ثم التفت وقال تريدون ان ازيدكم ونحو هذا مما يطول ذكره الثانية لما قسم الله المؤمنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر لان التكذيب في اخر الاية يقتضي ذلك اقتضى ذلك نفي المساواة بين المؤمن والكافر ولهذا منع القصاص بينهما اذ من شرط وجوب القصاص المساواة بين القاتل والمقتول وبذلك احتج علماؤنا على ابي حنيفة في قتله المسلم بالذمي وقال اراد نفي المساواة ههنا في الاخرة في الثواب وفي الدنيا بالعدالة ونحن حملناه على عمومه وهو اصح اذ لا دليل يخصه قاله ابن العربي الثالثة قوله تعالى لا يستوون قال الزجاج وغيره من يصلح للواحد والجمع النحاس لفظ من يؤدي عن الجماعة فلهذا قال لا يستوون هذا قول كثير من النحويين وقال بعضهم لا يستوون لاثنين لان الاثنين جمع لانه واحد جمع مع اخر وقاله الزجاج ايضا والحديث يدل على هذا القول لانه عن ابن عباس وغيره قال نزلت افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا في الوليد بن عقبة بن ابي معيط وقال الشاعر

أليس الموت بينهما سواء ... اذا ماتوا وصاروا في القبور

قوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اخبر عن مقر الفريقين غدا فللمؤمنين جنات الماوى اي ياوون الى الجنات فاضاف الجنات الى الماوى لان ذلك الموضع يتضمن جنات نزلا اي ضيافة والنزل ما يهيا للنازل والضيف وقد مضى في اخر ال عمران وهو نصب على الحال من الجنات اي لهم الجنات معدة ويجوز ان يكون مفعولا له واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الايمان الى الكفر فماواهم النار اي مقامهم فيها كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي اذا دفعهم لهب النار الى اعلاها ردوا الى موضعهم فيها لانهم يطمعون في الخروج منها وقد مضى هذا في الحج وقيل لهم اي تقول لهم خزنة جهنم او يقول الله لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون والذوق يستعمل محسوسا ومعنى وقد مضى في هذه السورة بيانه قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون قال الحسن وابو العالية والضحاك وابي ابن كعب وابرهيم النخعي العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها مما يبتلى به العبد حتى يتوبوا وقاله ابن عباس وعنه ايضا انه الحدود وقال ابن مسعود والحسن بن علي وعبد الله بن الحارث هو القتل بالسيف يوم بدر وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف وقاله مجاهد وعنه ايضا العذاب الادنى عذاب القبر وقاله البراء بن عازب قالوا والاكبر عذاب يوم القيامة قال القشيري وقيل عذاب القبر وفيه نظر لقوله لعلهم يرجعون قال ومن حمل العذاب على القتل قال لعلهم يرجعون اي يرجع من بقي منهم ولا خلاف ان العذاب الاكبر عذاب جهنم الا ما روي عن جعفر بن محمد انه خروج المهدي بالسيف والادنى غلاء السعر وقد قيل ان معنى قوله لعلهم يرجعون على قول مجاهد والبراء اي لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرا يرجعون على البناء للمفعول ذكره الزمخشري قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين

مُنْتَقِمُونَ من اظلم اى لا احد اظلم لنفسه ممن ذكر بايات ربه اى بحججه وعلاماته ثم اعرض عنها بترك القبول انا من المجرمين منتقمون لتكذيبهم واعراضهم قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فلا تكن فى مرية من لقايه فلا تكن يا محمد فى شك من لقا موسى قاله ابن عباس وقد لقيه ليلة الاسرا قتادة المعنى فلا تكن فى شك من انك لقيته ليلة الاسرا والمعنى واحد وقيل فلا تكن فى شك من لقا موسى فى القيامه وستلقاه فيها وقيل فلا تكن فى شك من لقا موسى الكتاب فاوذى وكذب فلا تكن فى شك من انه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والاذى فالهاء عايدة على محذوف والمعنى من لقاء ما لاقى النحاس وهذا قول غريب الا انه من رواية عمرو بن عبيد وقيل فى الكلام تقديم وتاخير والمعنى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم فلا تكن فى مرية من لقائه فجاء معترضا بين ولقد اتينا موسى الكتاب وبين وجعلناه هدى لبنى اسرائيل والضمير فى جعلناه فيه وجهان احدهما جعلنا موسى قاله قتادة الثانى جعلنا الكتاب قاله الحسن وجعلنا منهم ايمة اي قادة وقدوة يقتدى بهم فى دينهم والكوفيون يقرؤن أَأَمّة النحاس وهو لحن عند جميع النحويين لانه جمع بين همزتين فى حرفين كلمة واحدة وهو من دقيق النحو وشرحه ان الاصل اممة ثم القيت حركة الميم على الهمزة وادغمت الميم وخففت الهمزة الثانية لئلا يجتمع همزتان والجمع بين همزتين فى حرفين بعيد فاما فى حرف واحد فلا يجوز الا تخفيف الثانية نحو قولك آدم وآخرون ويقال هذا اوم من هذا وايم بالواو والياء وقد مضى فى براءة يهدون بامرنا اى يدعون الخلق الى طاعتنا بامرنا اى امرناهم بذلك وقيل بامرنا اى لامرنا اى يهدون الناس لديننا ثم قيل المراد الانبياء قاله قتادة وقيل المراد الفقهاء والعلماء لما صبروا قراءة العامة لما بفتح اللام وشد الميم وفتحها اى حين صبروا وقرا يحيى وحمزة والكسائي وخلف ورويس عن يعقوب لما صبروا اى لصبرهم جعلناهم ايمة واختاره ابو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود بما صبروا بالباء وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلاء وقيل صبروا عن الدنيا ان ربك هو يفصل بينهم اى يقضى ويحكم بين المومنين والكفار فيجازى كلا بما يستحق وقيل يقضى بين الانبياء وبين قومهم حكاه النقاش قوله تعالى أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ وقراء ابو عبد الرحمن السلمى وقتادة وابو زيد عن يعقوب نهد لهم بالنون فهذه قراءة بينه النحاس وبالياء فيها اشكال لانه يقال الفعل لا يخلو من فاعل واين الفاعل ليهد فتكلم النحويون فى هذا فقال الفراء كم فى موضع رفع بيهد وهذا نقض لاصول النحويين فى قولهم ان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولا فى كم بوجه اعنى ما قبلها ومذهب ابي العباس ان يهد يدل على الهدى والمعنى اولم يهد لهم الهدى والمعنى اولم يهدي الله لهم فيكون معنى الياء والنون واحدا اي اولم نبين لهم اهلاكنا القرون الكافرة من قبلهم وقال الزجاج كم فى موضع نصب باهلكنا يمشون فى مساكنهم يحتمل الضمير فى يمشون ان يعود على الماشين فى مساكن المهلكين اى وهولاء يمشون ولا يعتبرون ويحتمل ان يعود على المهلكين فيكون حالا والمعنى اهلكنا ماشين فى مساكنهم ان فى ذلك لايات اولا يسمعون ايات الله وعظاته فيتعظون قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ اي

بالقبول قاله مجاهد والزجاج وعن الحسن انه قال فى معناه ولقد اتينا موسى الكتاب صح

اى اولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء الى الارض الجرز اليابسة التى لا نبات فيها لنحييها الزمخشرى الجرز الارض التى جرز نباتها اى قطع اما لعدم الماء واما لانه رعى وازيل ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا قال ابن عباس هى ارض باليمن وقال مجاهد هى ابين وقال عكرمة هى الارض الظماء وقال الضحاك هى الارض الميتة العطشى وقال الفراء هى الارض التى لا نبات فيها وقال الاصمعى هى الارض التى لا تنبت شيئا قال محمد بن يزيد يبعد ان يكون الارض بعينها لدخول الالف واللام الا انه يجوز على قول من قال العباس والضحاك والاسناد عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه وهذا انما هو نعت والنعت للمعرفة يكون بالالف واللام وهو مشتق من قولهم رجل جروز اذا كان لا يبقى شيئا الا اكله قال الراجز

خب جروز واذا جاع بكى ... وياكل التمر ولا يلقى النوى

وكذلك ناقة جروز اذا كانت تاكل شيا تجده وسيف جرز اى قاطع ماض وجرزت الجراد الزرع اذا استاصلته بالاكل وحكى الفراء وغيره انه يقال ارض جُرْز وجُرُز وجَرَز وجَرْز وكذلك بخل ورغب ورهب فى الاربعة اربع لغات وقد روي ان هذه الارض لا انهار فيها وهى بعيدة من البحر وانما ياتيها فى كل عام واديان فيزرعون ثلاث مرات فى كل عام وعن مجاهد ايضا انها ارض النيل فنخرج به اى بالماء زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم من الكلاء والحشيش وانفسهم من الحب والخضر والفواكه افلا يبصرون هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم فنخرج يكون معطوفا على نسوق او منقطعا مما قبله تاكل منه انعامهم فى موضع نصب على النعت قوله تعالى وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ متى فى موضع رفع ويجوز ان يكون فى موضع نصب على الظرف قال قتادة الفتح القضاء وقال الفراء والقتبى يعنى فتح مكة واولى من هذا ما قاله مجاهد قال يعنى يوم القيامة ويروى ان المومنين قالوا سيحكم الله عز وجل بيننا يوم القيمة فيثيب المحسن ويعاقب المسىء فقال الكفار على التهزى متى يوم الفتح اى هذا الحكم ويقال للحاكم فاتح وفتاح لان الاشياء تنفتح على يديه وتنفصل وفى القران ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقد مضى هذا فى البقرة وغيرها قل يوم الفتح على الظرف واجاز الفراء الرفع لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون اى يوخرون ويمهلون للتوبة ان كان يوم الفتح يوم بدر او فتح مكة ففى بدر قتلوا ويوم الفتح هربوا فلحقهم خالد بن الوليد فقتلهم قوله تعالى فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ قيل معناه اعرض عن سفههم ولا تجبهم الا بما امرت به وانتظر انهم منتظرون اى انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك عليهم ابن عباس فاعرض عنهم اى عن مشركى قريش مكة وان هذا منسوخ بالسيف فى براءة فى قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وانتظر اى موعدي لك قيل يعنى يوم بدر انهم منتظرون اى ينتظرون بكم حوادث الزمان وقيل الاية غير منسوخة اذ قد يقع الاعراض مع الامر بالقتال كالهدنة وغيرها وقيل اعرض عنهم بعد ما بلغت الحجة وانتظر انهم منتظرون ان قيل كيف ينتظرون القيامة وهم لا يومنون ففى هذا جوابان احدهما ان يكون المعنى انهم منتظرون الموت وهو من اسباب القيامة فيكون هذا مجازا والاخر ان فيهم من يشك ومنهم من يومن بالقيمة فيكون هذا جوابا لهذا الصنفين والله اعلم وقراء ابن السميفع انهم منتظرون بفتح الظاء ورويت عن مجاهد وابن محيصن قال الفراء لا يصح هذا الا باضمار مجازه انهم منتظرون بهم

قال ابو حاتم الصحيح الكسر اى انتظر عذابهم انهم منتظرون هلاكك وقيل انه قراه ابن السميفع بفتح الظا
ومعناها وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعنى انهم هالكون لا محالة وانتظر ذلك فان الملائكة
فى السماء ينتظرونه ذكره الزمخشري وهو معنى قول الفراء والله اعلم بتمت السورة المباركة بحمد الله

تفسير سورة الاحزاب

مدنية فى قول جميعهم نزلت فى المنافقين وايذائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنهم فيه وفى نكحه منا
وغيرها وهى ثلاث وسبعون آية وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة وكانت فيها آية
الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ذكره ابو بكر الانبارى عن
ابي ابن كعب وهذا يحمله اهل العلم على ان الله تعالى رفع من الاحزاب اليه ما يزيد على ما فى ايدينا وان آية
الرجم رفع لفظها وقد حدثنا احمد بن الهيثم بن خالد حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام حدثنا ابن ابى مريم
عن ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة عن عايشة قالت كانت سورة الاحزاب تعدل على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم مايتى آية فلما كتب المصحف لم يقدر منها الا على ما هي الآن قال ابو بكر فمعنى هذا من قول
ام المؤمنين عايشة رضى الله عنها ان الله تعالى رفع اليه من سورة الاحزاب ما يزيد على ما عندنا قال الشيخ
رحمه الله هذا وجه من وجوه النسخ وقد تقدم فى البقرة القول فيه مستوفى والحمد لله وروى عن ابى ابن
كعب انه قال كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به ابى ابن كعب
انها كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابى ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما حكى ان تلك
الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عايشة فاكلتها الداجن فمن تاليف الملاحدة والروافض
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى اتق الله ولا تطع
الكافرين ان الله كان عليما حكيما ضمت اي لانه نداء مفرد والتنبيه لازم لها والنبى نعت
لاى عند النحويين الا الاخفش فانه يقول انه صلة لاى مكى ولا يعرف فى كلام العرب اسم مفرد صلة لشئ
النحاس وهو خطاء عند النحويين لان الصلة لا يكون الا جملة والاحتيال له فيما قال انه لما كان نعتا لازما
سمى صلة فهذا الكوفيون يسمون نعت النكرة صلة لها ولا يجوز نصبه على الموضع عند اكثر النحويين واجازه
المازنى جعله كقولك يا زيد الظريف بنصب الظريف على موضع زيد مكى وهذا نعت يستغنى عنه ونعت اي
لا يستغنى عنه فلا يحسن نصبه على الموضع وايضا فان نعت اى هو المنادى فى المعنى فلا يحسن نصبه وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبنى قينقاع
وقد تابعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز
عنه وكان يسمع منهم فنزلت وقيل انها نزلت فيما ذكر الواحدى والقشيرى والثعلبى والماوردى وغيرهم
فى ابى سفيان ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفين نزلوا المدينة على عبد الله بن
ابي بن سلول راس المنافقين بعد احد وقد اعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام
معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب

ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة ومنعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على
النبى صلى الله عليه وسلم ما قالوا فقال عمر يا رسول الله ائذن لنا فى قتلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
انى قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فامر النبى صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا
من المدينة فنزلت الاية يا ايها النبى اتق الله اى خف الله ولا تطع الكافرين من اهل مكة يعنى ابا سفين
وابا الاعور وعكرمة والمنافقين من اهل المدينة يعنى عبد الله بن ابي وطعمة وعبد الله بن ابي سرح
فيما نهيت عنه ولا تمل اليهم ان الله كان عليما بكفرهم حكيما فيما يفعل بهم الزمخشرى روى ان ابا سفيان
ابن حرب وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فى الموادعة التى
كانت بينهم وبينه وقام معهم عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وذكر الخبر بمعنى ما تقدم وان الآية نزلت فى نقض العهد ونبذ
الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى ان اهل مكة
دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم ويزوجه شيبة
ابن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت النحاس ودل بقوله ان الله
كان عليما حكيما على انه كان يميل اليهم استدعا لهم الى الاسلام اى لو علم الله عز وجل ان ميلك اليهم
فيه منفعة لما نهاك عنه لانه حكيم ثم قيل الخطاب له ولامته قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك من
ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يعنى القرآن و
فيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية وامر بجهادهم ومنابذتهم وفيه دليل على ترك اتباع الاراء مع وجود
النص والخطاب له ولامته ان الله كان بما تعملون خبيرا قراءة العامة بتاء على الخطاب وهو اختيار ابي
عبيد وابى حاتم وقرا السلمى وابو عمرو وابن ابى اسحاق يعملون بالياء على الخبر وكذلك فى قوله بما يعملون
بصيرا وتوكل على الله اى اعتمد عليه فى كل احوالك فهو الذى ينفعك ولا يضرك من خذلك وكفى بالله
وكيلا حافظا وقال شيخ من اهل الشام قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وفد بنى ثقيف وطلبوا منه ان يمتعهم
باللات سنة وهى الطاغية التى كانت ثقيف تعبدها وقالوا لتعلم قريش منزلتنا عندك فهم النبى صلى
الله عليه وسلم بذلك فنزلت وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اى كافيا لهم ما تخافه منهم وبالله فى موضع
رفع لانه الفاعل ووكيلا نصب على البيان او الحال قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه
وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم
بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فيه خمس مسائل الاولى قال مجاهد نزلت
فى رجل من قريش كان يدعا ذا القلبين من دهايه وكان يقول ان لي فى جوفى قلبين اعقل بكل واحد
منهما افضل من عقل محمد قال وكان من فهر الواحدى والقشيرى وغيرهما نزلت فى جميل بن معمر الفهرى
وكان رجلا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول لى قلبان اعقل
بهما افضل من عقل محمد فلما هزم المشركون يوم بدر ومعهم جميل بن معمر راه ابو سفيان فى العير وهو
معلق احدى نعليه بيده والاخرى فى رجله فقال ابو سفيان ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال
احدى نعليك فى يدك والاخرى فى رجلك فقال ما شعرت الا انهما فى رجلى فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان

لما نسى نعله فى يده وقال السهيلى كان جميل بن معمر الجمحى وهو ابن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن
جمح واسم جمح تيم وكان يدعى ذا القلبين فنزلت فيه الاية وفيه يقول الشاعر

وكيف ثوائى بالمدينة بعد ما قضى وطرًا منها جميل بن معمر

قال الشيخ رحمه الله كذا قالوا جميل بن معمر وقال الزمخشرى جميل بن اسد الفهرى وقال ابن عباس
سببها ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان فى شىء فنزع فى غيره نزعة ثم عاد الى
شانه الاول فقالوا ذلك عنه فاكذبهم الله عز وجل وقيل نزلت فى عبد الله بن خطل وقال الزهرى
وابن حبان نزل ذلك تمثيلا فى زيد بن حارثة لما تبناه النبى صلى الله عليه وسلم فالمعنى كما لا يكون لرجل
قلبان كذلك لا يكون ولد واحد لرجلين قال النحاس وهذا قول ضعيف لا يصح فى اللغة وهو من منقطعات
الزهرى رواه معمر عنه وقيل هو مثل ضرب للمظاهر اى كما لا يكون للرجل قلبان كذلك لا يكون امراة
المظاهر امه حتى يكون له امان وقيل كان الواحد من المنافقين يقول لى قلب يامرنى بكذا وقلب يامرنى
بكذا فالمنافق ذو قلبين فالمقصود رد النفاق وقيل لا يجتمع الكفر والايمان بالله فى قلب كما لا يجتمع قلبان
فى جوف فالمعنى لا يجتمع اعتقادان متغايران فى قلب ويظهر من الاية بجملتها نفى اشياء كانت العرب
تعتقدها فى ذلك الوقت واعلام بحقيقة الامر والله اعلم الثانية القلب بضعة صغيرة على هيئة
الصنوبرة خلقها الله فى الادمى وجعلها محلا للعلم فيحصى به العبد من العلوم ما لا يسع فى اسفار
يكتبه الله فيه بالخط الالاهى ويضبطه فيه بالحفظ الربانى حتى يحصيه ولا ينسى منه شيا وهو بين لمتين
له من الملك وله من الشيطان كما قال عليه السلام خرجه الترمذى وقد مضى فى البقرة وهو محل
الخطرات والوساوس ومكان الكفر والايمان وموضع الاصرار والانابة ومجرى الانزعاج والطمانينة
والمعنى فى الاية انه لا يجتمع فى القلب الكفر والايمان والهدى والضلال والانابة والاصرار وهذا نفى
لكل ما توهمه احد فى ذلك من حقيقة او مجاز والله اعلم الثالثة اعلم الله عز وجل فى هذه الاية انه
لا احد بقلبين ويكون فى هذا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم اى انما هو قلب واحد فاما فيه
ايمان واما كفر لان درجة النفاق كانها متوسطة فنفاها الله وبين انه قلب واحد وعلى هذا النحو
يستشهد الانسان بهذه الاية حتى نسى شيئا او وهم يقول على جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل من قلبين
فى جوفه الرابعة قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائى تظهرون منهن امهاتكم يعنى قول الرجل لامراته
انت كظهر امى وذلك مذكور فى سورة المجادلة على ما ياتى ان شاء الله تعالى الخامسة قوله تعالى وما
جعل ادعياكم ابناكم اجمع اهل التفسير على ان هذا نزل فى زيد بن حارثة وروى الايمة ان ابن عمر
قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لاباىهم هو اقسط عند الله وكان
زيد فيما روى عن انس بن مالك وغيره مسبيا من الشام سبته خيل من تهامة فابتاعه حكيم بن حزام
ابن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبى صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه
فاقام عنده مدة ثم جاء عمه وابوه يرغبان فى فدائه فقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعث
خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فداء فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه
فقال محمد صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا انه ابنى يرثنى وارثه وكان يطوف على

خلق قريش يشهدهم على ذلك فرضى ذلك عمه وابوه وانصرفا وكان ابوه لما سبى يدور على الشام ويقول

بكيت على زيد ولم ادر ما فعل ○ احى يرجى ام اتى دونه الاجل
فوالله لا ادرى وانى لسائل ○ اغالك بعدى السهل ام غالك الجبل
فياليت شعرى هل لك الدهر اوبة ○ فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ○ ويعرض ذكراه اذا غربها افل
وان هبت الارياح هيجن ذكره ○ فيا طول ما حزنى عليه وما وجل
ساعمل نص العيس فى الارض جاهدا ○ ولا اسام التطواف او تسام الابل
حياتى او تاتى على منيتى فكل امرئ فان وان غره الامل

فاخبر انه بمكة فجاء اليه فهلك عنده وروى انه جاء اليه فخيره النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا
وانصرف وسياتى من ذكره وشرفه وفضله شفا عند قوله فلما قضى زيد منها وطرا ان شاء الله وقتل
زيد بموته من ارض الشام سنة ثمان من الهجرة وكان النبى صلى الله عليه وسلم امره فى تلك الغزاة
وقال ان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة فى تلك الغزاة رضوان
الله عليهم اجمعين ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيد وجعفر بكى وقال اخوانى ومونسانى
ومحدثانى قوله تعالى ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ○ فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى ادعوهم لاباىهم نزلت فى
زيد بن حارثة على ما تقدم بيانه وفى قول ابن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد دليل
على ان التبنى كان معمولا به فى الجاهلية والاسلام يتوارث به ويتناصر الى ان نسخ الله ذلك بقوله
ادعوهم لاباىهم هو اقسط عند الله اى اعدل فرفع الله حكم التبنى ومنع من اطلاق لفظه وارشد
بقوله ادعوهم الى ان الاولى والاعدل ان ينسب الرجل الى ابيه نسبا فيقال كان الرجل فى الجاهلية
اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب
اليه فيقال فلان ابن فلان وقال النحاس هذه الاية ناسخة لما كانوا عليه من التبنى وهو من نسخ السنة
بالقران فامر ان يدعوا من دعوا الى ابيه المعروف فان لم يكن له اب معروف نسبوه الى وليه فان لم يكن
له ولاء معروف قال يا اخى يعنى فى الدين قال الله تعالى انما المومنون اخوة الثانية لو نسبه انسان
الى ابيه من التبنى فان كان على جهة الخطاء وهو ان يسبق لسانه الى ذلك من غير قصد فلا اثم ولا مواخذ
لقوله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به وكذلك لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه فليس
عليك باس قاله قتادة ولا يجرى هذا المجرى ما غلب عليه اسم التبنى كالحال فى المقداد بن عمرو فانه كان
غلب عليه نسب التبنى فلا يكاد يعرف الا بالمقداد بن الاسود فان الاسود بن عبد يغوث كان
قد تبناه فى الجاهلية وعرف به فلما نزلت الاية قال المقداد انا ابن عمرو ومع ذلك فبقى الاطلاق
عليه ولم يسمع فيمن مضى من عصى مطلق ذلك كله وان كان متعمدا وكذلك سالم مولى ابى حذيفة كان
يدعى لابى حذيفة وغيرها ولا ممن تبنى وانتسب لغير ابيه وشهد بذلك وغلب عليه وذلك بخلاف الحال

اخوانى ومونسانى ومحدثانى

فى زيد بن حارثه فانه لا يجوز ان يقال فيه زيد بن محمد فان قاله احد متعمدًا اعصى بقوله تعالى ولكن ما تعمدت
قلوبكم اى فعليكم الجناح والله اعلم ولذلك قال بعده وكان الله غفورًا رحيمًا اى غفورًا للعمد ورحيمًا
برفع اثم الخطاء الثالثة وقد قيل ان قوله تعالى لا جناح عليكم فيما اخطأتم به بمجمل اى وليس عليكم جناح فى
شىء اخطاتم به وكانت فتيا عطا وكثير من العلماء على هذا اذا حلف رجل انه لا يفارق غريمه حتى يستوفى
منه حقه فاخذ منه ما يرى انه جيد من دنانير فوجدها زجاجًا انه لا شىء عليه وكذلك عنده اذا حلف ان
لا يسلم على فلان فسلم عليه وهو لا يعرفه لانه لم يتعمد ذلك وما فى موضع خفض ردًّا على ما التى مع اخطاتم
ويجوز ان يكون فى موضع رفع على اضمار مبتداء والتقدير ولكن الذى تواخذون به ما تعمدت قلوبكم قاله
قتادة وغيره من نسب رجلا الى غير ابيه وهو يرى انه ابوه خطاء فذلك الذى رفع الله فيه الجناح وقيل
هو ان يقول له فى المخاطبة يا بنى على غير تبنيه الرابعة قوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم تاكيد لبطلان القول
اى انه قول لا حقيقه له فى الوجود انما هو لسانى فقط وهذا كما تقول انا امشى اليك على قدم فانما تريد بذلك
المبرة وهذا كثير وقد تقدم هذا المعنى فى غير موضع والله يقول الحق الحق نعت لمصدر محذوف اى يقول القول
الحق ويهدى معناه يبين فهو يتعدى بغير حرف جر الخامسة الادعيا جمع الدعى وهو الذى يدعى
ابنا لغير ابيه او يدعى غير ابيه والمصدر الدعوة بالكسر فامر تعالى بدعاء الادعياء الى ابائهم للصلب
فمن جهل ذلك فيه ولم تشتهر انسابهم كان مولى واخا فى الدين وذكر الطبرى ان ابا بكرة قرا هذه الاية
وقال انا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم فى الدين ومولاكم قال الراوى عنه ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى
اليه ورجال الحديث يقولون فى ابى بكرة نفيع بن الحارث السادسة روى الصحيح عن سعد بن ابى وقاص
وابى بكرة كلاهما قال سمعته اذناى ووعاه قلبى محمدا صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير ابيه وهو
يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام وفى حديث ابى ذر انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ليس من رجل
ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ
أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ فيه تسع مسايل
الاولى قوله تعالى النبى اولى بالمومنين من انفسهم وباموالهم هذه الاية ازال الله بها احكاما كانت فى صدر
الاسلام منها انه عليه السلام كان لا يصلى على ميت عليه دين فلما فتح الله عليه الفتوح قال انا اولى بالمومنين
من انفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاوه ومن ترك مالا فلورثته اخرجه الصحيحان وفيهما ايضا فايكم
ترك دينا او ضياعا فانا مولاه قال ابن العربى فانقلبت الان الحال بالذنوب فان تركوا مالا ضويق العصبة
فيه وان تركوا ضياعا اسلموا اليه فهذه تفسير الولاية المذكورة فى هذه الاية بتفسير النبى صلى الله عليه وسلم
وتبيينه ولا عطر بعد عروس قال ابن عطية وقال بعض العلماء العارفين هو اولى بهم من انفسهم
لان انفسهم يدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة قال ابن عطية ويويد هذا قوله عليه السلام وانا اخذ
بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش قال الشيخ رحمه الله هذا قول حسن فى معنى الاية
وتفسيرها والحديث الذى ذكر اخرجه مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما مثلى ومثل امتى كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه وانا اخذ بحجزكم

وانتم تقحمون فيه وعن جابر مثله وقال وانتم تفلتون من يدى قال العلما الحجزة للسراويل والمعقد للازار
فاذا اراد الرجل امساك من يخاف سقوطه اخذ بذلك الموضع منه وهذا مثل لاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم
فى نجاتنا وحرصه على تخلصنا من المهلكات التى بين ايدينا فهو اولى بنا من انفسنا ولجهلنا بقدر ذلك
وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدونا اللعين تاصرنا احقر من الفراش واذل من الفراش ولا حول ولا
قوة الا بالله وقيل اولى بهم اى انه اذا امر بشىء ودعت النفس الى غيره كان امر النبى صلى الله عليه وسلم
اولى وقيل اولى بهم هو اولى بان يحكم على المومنين فينفذ حكمه فى انفسهم اى فيما يحكمون به لانفسهم مما
يخالف حكمه الثانية قال بعض اهل العلم يجب على الامام ان يقضى من بيت المال دين الفقراء
اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فانه قد صرح بوجوب ذلك عليه حيث قال فعلى قضاوه والضياع بفتح
الضاد مصدر ضاع ثم جعل اسما لكل ما هو بصدد ان يضيع من عيال وبنين لا كافل لهم ومال لا قيم له
وسميت الارض ضيعة لانها معرضة للضياع وجمع ضياعا بكسر الضاد الثالثة قوله تعالى وازواجه
امهاتهم شرف تعالى ازواج نبيه صلى الله عليه وسلم بان جعلهن امهات المومنين اى فى وجوب التعظيم
والبره والاجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبن رضى الله عنهن بخلاف الامهات وقيل لما كانت شفقتهن
عليهم كشفقة الامهات انزلن منزلة الامهات ثم هذه الامومة لا توجب ميراثا كامومة التبنى وجاز
تزويج بناتهن ولا يجعلن اخوات للناس وسياتى عدد ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فى اية التخيير ان
شاء الله تعالى واختلف الناس هل هن امهات الرجال والنساء ام امهات الرجال خاصة على قولين
فروى الشعبى عن مسروق عن عايشه رضى الله عنها ان امراة قالت لها يا امه فقالت لها لست لك بام
انما انا ام رجالكم قال ابن العربى وهو الصحيح قال الشيخ رحمه الله لا فايدة لاختصاص الحصر فى الاباحة للرجال
دون النساء والذى يظهر لى انهن امهات الرجال والنساء تعظيما لحقهن على الرجال والنساء ويدل
عليه صدر الاية النبى اولى بالمومنين من انفسهم وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة ويدل على ذلك
حديث ابى هريرة وجابر فيكون قوله وازواجه امهاتهم عايدا الى الجميع ثم ان فى مصحف ابى بن كعب
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب وازواجه وهذا كله يوهن ما
رواه مسروق ان صح من جهة الترجيح وان لم يصح يسقط الاستدلال به فى التخصيص وبقينا على الاصل الذى
هو العموم الذى يسبق الى الفهوم والله اعلم الرابعة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
فى كتاب الله من المومنين والمهاجرين قيل انه اراد بالمومنين الانصار وبالمهاجرين قريشا وفيه قولان
احدهما انه ناسخ للتوارث بالهجرة حكى سعيد عن قتادة قال كان نزل فى سورة الانفال والذين آمنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة فكان لا يرث الاعرابى المسلم
من قريبه المسلم المهاجر شيا حتى يهاجر ثم نسخ ذلك فى هذه السورة بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض الثانى ان ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والمواخاة فى الدين روى هشام بن عروة عن ابيه عن
الزبير واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وذلك انا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا
ولا اموال لنا فوجدنا الانصار نعم الاخوان فواخيناهم فاخيناهم فاورثونا واورثناهم فاخى ابو بكر خارجة
بن زيد واخيت انا كعب بن مالك فجيت فوجدت السلاح قد اثقله فوالله لقد مات عن الدنيا ما ورثه غيرى

حتى انزل الله هذه الاية فرجعنا الي موارثتنا وثبت عن عروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين الزبير وبين كعب بن مالك فارتث كعب يوم احد فجاء الزبير يقوده بزمام راحلته فلومات يومئذ كعب عن الضح والريح لورثه الزبير فانزل الله جل وعز واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فبين الله ان القرابة اولى من الحلف فتركه الوراثة بالحلف وورثوا بالقرابة وقد مضى في الانفال الكلام في توريث ذوى الارحام وقوله في كتاب الله يحتمل ان يريد القرآن ويحتمل ان يريد اللوح المحفوظ الذى قضى فيه احوال خلقه ومن المؤمنين متعلق باولى لا بقوله واولوا الارحام بالاجماع لان ذلك كان يوجب تخصيصا ببعض المؤمنين ولا خلاف في عمومها وهذا حل اشكالها قاله ابن العربي النحاس واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يتعلق من المؤمنين باولوا فيكون التقدير واولوا الارحام من المؤمنين والمهاجرين ويجوز ان يكون المعنى اولى من المؤمنين وقال المهدوى وقيل ان معناه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله الا ما يجوز لازواج النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعين امهات المؤمنين الخامسة واختلف في كونهن كالامهات في المحرم واباحة النظر على وجهين احدهما هن محرم لا يحرم النظر اليهن الثاني ان النظر اليهن محرم لان تحريم نكاحهن انما يكون حفظا لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن وكان من حفظ حقه تحريم النظر اليهن ولان عائشة رضى الله عنها كانت اذا ارادت دخول رجل عليها امرت اختها اسما ان ترضعه ليصير ابنا لاختها من الرضاعة فيصير محرما يستبيح النظر واما اللاتى طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمة لهن على ثلاثة اوجه احدها يثبت لهن هذه الحرمة تغليبا لحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني لا يثبت ذلك لهن بل هن كساير النساء لان النبى صلى الله عليه وسلم قد ابت عصمتهن وقال ازواجي في الدنيا هن ازواجي في الاخرة الثالثة من دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم منهن ثبت حرمتها وحرم نكاحها وان طلقها حفظا لحرمته وحراسة لخلوته ومن لم يدخل بها لم يثبت لها هذه الحرمة وقد هم عمر بن الخطاب رضى الله عنه برجم امراة فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البناء بها ارادت تتزوج فقالت لم هذا ولا ضرب علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حجابا ولا سميت ام المؤمنين فكف عنها السادسة قال قوم لا يجوز ان يسمى النبى صلى الله عليه وسلم ابا لقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن يقال مثل الاب للمؤمنين كما قال انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم الحديث خرجه ابو داود والصحيح انه يجوز ان يقال انه ابو المؤمنين اى في الحرمة وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اى في النسب وسياتى وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب لهم وازواجه وسمع عمر هذه القراءة فانكرها وقال حكها يا غلام فقال له انها في مصحف ابي فذهب اليه فسأله فقال له ابي انه كان يلهيني القرآن ويلهيك الصفق بالاسواق واغلظ لعمر وقد قيل في قوم لوط عليه السلام هؤلاء بناتي انما اراد المؤمنات اى تزوجوهن وقد تقدم السابعة قال قوم لا يقال بناته اخوات المؤمنين ولا اخوالهن اخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت ابى بكر وهى اخت عايشة ولم يقل هى خالة المؤمنين واطلق قوم هذا وقالوا معاوية خال المؤمنين يعنى في الحرمة لا في النسب الثامنة قوله تعالى الا ان تفعلوا الي اوليايكم معروفا يريد الاحسان في الحياة والوصية عند الموت اى ان ذلك جاير قاله قتادة والحسن وعطاو بن

الحنفية قال محمد بن الحنفية نزلت في اجازة الوصية لليهودي والنصراني اى يفعل هذا مع الولي والقريب وان كان كافرا فالمشرك ولي في النسب لا في الدين فيوصى له بوصية واختلف العلماء هل يجعل الكافر وصيا فجوز بعضهم ومنع بعض ورد النظر الى السلطان في ذلك بعض منهم مالك رضى الله عنه وذهب مجاهد وابن زيد والرماني الى ان المعنى الى اوليائكم من المؤمنين ولفظ الاية تعضد هذا المذهب وتعميم الولي ايضا حسن وولاية النسب لا يدفع الكافر وانما يدفع ان يلقى اليه بالمودة كولي الاسلام التاسعة قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا الكتاب يحتمل الوجهين المذكورين المتقدمين في كتاب الله ومسطورا من قولك سطرت الكتاب اذا اثبته اسطارا وقال قتادة اى مكتوبا عند الله تعالى ان لا يرث كافر مسلما قال قتادة وفي بعض القراءة كان ذلك عند الله مكتوبا وقال القرظي كان ذلك في التوراة قوله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ميثاقهم اى عهدهم على الوفاء بما حملوا وان يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضا اى كان مسطورا حين كتب الله ما هو كاين وحين اخذ الله المواثيق من الانبياء ومنك يا محمد ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم وانما خص هؤلاء الخمسة لانهم اصحاب الشرايع والكتب واولوا العزم من الرسل وايمة الامم ويحتمل ان يكون هذا تعظيما في قطع الولاية بين المسلمين والكافرين اى هذا مما لم يختلف فيه شرايع الانبياء اى كان في ابتداء الاسلام توارث بالهجرة والهجرة سبب متاكد في الديانة ثم توارثوا بالقرابة مع الايمان وهو سبب وكيد فاما التوارث بين مؤمن وكافر فلم يكن في دين احد من الانبياء الذين اخذ عليهم المواثيق فلا تداهنوا في الدين ولا تمايلوا الكفار ونظيره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ولا تتفرقوا فيه ومن ترك التفرق في الدين ترك موالاة الكفار وقيل اى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم كان ذلك في الكتاب مسطورا وماخوذا به المواثيق من الانبياء واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا وثيقا عظيما على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة وان يصدق بعضهم بعضا والميثاق هو اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تاكيد للميثاق الاول باليمين وقيل الاول هو الاقرار بالله والثاني في امر النبوة ونظير هذا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية اى اخذ عليهم ان يعلنوا ان محمدا رسول الله ويعلن محمد ان لا نبي بعده وقدم محمدا في الذكر لما روي قتادة عن الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث وقال مجاهد هذا في ظهر ادم عليه السلام قوله تعالى لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا فيه اربعة اوجه احدها ليسال الانبياء عن تبليغهم الرسالة الى قومهم حكاه النقاش وفي هذا تنبيه اذا كان الانبياء يسالون فكيف من سواهم الثاني ليسال الانبياء عن ما اجابهم به قومهم حكاه علي ابن عيسى الثالث ليسال الانبياء عن الوفاء بالميثاق الذى اخذه عليهم حكاه ابن شجرة الرابع ليسال الافواه الصادقة عن القلوب المخلصة وفي التنزيل فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقد تقدم وقيل فايدة سوالهم توبيخ الكفار كما قال أأنت قلت للناس

واعتدنا للكافرين عذابا اليما وهو عذاب جهنم قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا يعني يوم
الاحزاب غزوة الخندق والاحزاب وبني قريظة وكانت حالا شديدة معقبه بنعمة ورخا وغبطة وتضمنت
احكاما كثيرة وايات باهرات غزيرة ونحن نذكر من ذلك بعون الله ما يكفي في عشر مسايل الاولى اختلف
في اى سنة كانت فقال ابن اسحاق كانت في شوال من السنة الخامسة وقال ابن وهب وابن القاسم عن
مالك كانت وقعة الخندق سنه اربع وهي وبنو قريظة في يوم واحد وبين بني قريظة والنضير اربع سنين
قال ابن وهب وسمعت ملكا يقول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال من المدينة وذلك قوله
تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قال ذلك يوم الخندق
جاءت قريش من ههنا واليهود من ههنا والنجدية من ههنا يريد ملك ان الذين جاؤ من فوقهم بنو قريظة
ومن اسفل منهم قريش وغطفان وكان سببها ان نفرا من اليهود منهم كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق و
سلام بن ابي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن اخطب النضيريون وهودة بن قيس وابو عمار من بني
وايل وهم كلهم يهود هم الذين حزبوا الاحزاب والبوا وجمعوا خرجوا في نفر من بني النضير ونفر من بني
وايل فاتوا مكة فدعوا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدوهم من انفسهم بعون من انتدب
الى ذلك فاجابهم اهل مكة فخرجت قريش الى ذلك ثم خرج اليهود المذكورون الى غطفان فدعوهم الى مثل
ذلك فاجابوهم فخرجت قريش يقودهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدهم عيينة بن حصن
ابن بدر الفزاري على فزارة والحارث بن عوف المري على بني مرة ومسعود بن رخيلة على اشجع فلما سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم وخروجهم شاور اصحابه فاشار عليهم سلمان بحفر الخندق
فرضي رايه وقال المهاجرون يومئذ سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سلمان منا اهل البيت وكان الخندق اول مشهد شهده سلمان مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا فعمل المسلمون في الخندق مجتهدين
ونكص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت فيهم ايات من القرآن ذكرها ابن اسحاق وغيره
وكان من فرغ من المومنين من حصته عاد الى غيره حتى كمل الخندق وكانت فيه ايات بينات وعلامات
للنبوات قال الشيخ رحمه الله ففي هذا الذي ذكرناه من هذا الخبر من الفقه وهي الثانية مشاورة
السلطان اصحابه وخاصته في امر القتال وقد مضى ذلك في آل عمران والنمل وفيه التحصن من العدو
بما امكن من الاسباب واستعمالها وقد مضى ذلك في غير موضع وفيه ان حفر الخندق يكون مقسوما
على الناس فمن فرغ منهم عاون من لم يفرغ فالمسلمون يد على من سواهم وفي البخاري ومسلم عن البراء
ابن عازب قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق
حتى وارى عني الغبار جلده بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ويقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ○ ولا تصدقنا ولا صلينا ○ فانزلن سكينة علينا ○ وثبت الاقدام ان لاقينا

واما ما كان فيه من الايات وهي الثالثة فروى النسائي عن ابي سكينة رجل من المحررين عن رجل
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض

لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق
وقال وتمت كلمة ربك الاية فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قايم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى
الله عليه وسلم برقة ثم ضرب الثانية وقال وتمت الاية فندر الثلث الاخر فبرقت برقة فراها سلمان
ثم ضرب الثالثة وقال وتمت الاية فندر الثلث الباقي وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رداءه
وجلس قال سلمان يا رسول الله رايتك حين ضربت ما تضرب ضربة الا كانت معها برقة
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ذلك يا سلمان قال اي والذي بعثك بالحق نبيا يا رسول
الله قال فاني حيث ضربت الضربة الاولى رفعت لي مداين كسرى وما حولها ومداين كثيرة حتى رايتها
بعيني قال له من حضره من اصحابه يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بايدينا
بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مداين قيصر وما حولها
حتى رايتها بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا الثالثة فرفعت لي مداين الحبشة
وما حولها من القرى حتى رايتها بعيني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك دعوا الحبشة ما
ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم وخرجه ايضا عن البراء بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان نحفر الخندق عرض لنا صخرة لا تاخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى ثوبه واخذ المعول وقال بسم الله فضرب ضربة
فكسر ثلث الصخرة ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتح الشام والله اني لابصر الى قصورها الحمر الان مكاني
هذا قال ثم ضرب اخرى وقال بسم الله فكسر ثلثا اخر ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر
قصر المداين الابيض ثم قال ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن
والله اني لابصر باب صنعاء صححه ابو محمد عبد الحق الرابعة فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الخندق اقبلت قريش في نحو عشرة الاف بمن معهم من كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان
بمن معها من اهل نجد حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى
نزلوا بظهر سلع في ثلثة الاف وضربوا عسكرهم والخندق بينهم وبين المشركين واستعمل على المدينة
ابن ام مكتوم في قول ابن شهاب وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد
القرظي وكان صاحب عقد بني قريظة ورئيسهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم و
عاقده وعاهده فلما سمع كعب بن اسد حيي بن اخطب اغلق دونه باب حصنه واتى ان يفتح له
فقال له افتح لي يا اخي فقال لا افتح لك فانك رجل مشؤم تدعوني الى خلاف محمد وانا قد عاقدته و
عاهدته ولم ار منه الا وفاء وصدقا فلست بناقض ما بيني وبينه قال حيي افتح لي حتى اكلمك وانصرف
عنك قال لا افعل قال انما تخاف ان اكل معك جشيشتك فغضب كعب وفتح له فقال له يا كعب انما جئتك
بعز الدهر جئتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد تعاقدوا على ان يستاصلوا محمدا ومن
معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وجهام لا غيث فيه ويحك يا حيي دعني فلست بفاعل ما
تدعوني اليه فلم يزل حيي بكعب يعده ويغره حتى رجع اليه وعاقده على خذلان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه وان يصير معهم وقال له حيي ابن اخطب ان انصرفت قريش وغطفان دخلت عندك

ذراريهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت صح

بمن معه من يهود فلما انتهى خبر كعب وحيي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة وهو
سيد الخزرج وسيد الاوس سعد بن معاذ وبعث معهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير وقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا الى بني قريظة فان كان ما قيل لنا حقا فالحنوا لنا لحنا ولا تفتوا
في اعضاد الناس وان كان كذبا فاجهروا به للناس فانطلقوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما
قيل لهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عهد له عندنا فشاتمهم سعد بن معاذ
وشاتموه وكانت فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم اكثر من ذلك
ثم اقبل سعد وسعد حتى اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة المسلمين فقالا عضل والقارة
يعرضان بغدر عضل والقارة باصحاب الرجيع خبيب واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتى المسلمين عدوهم من فوقهم يعني
من فوق الوادي من قبل المشرق ومن اسفل منهم من بطن الوادي من قبل المغرب حتى ظنوا بالله
الظنونا واظهر المنافقون كثيرا مما كانوا يسرون فمنهم من قال ان بيوتنا عورة فلننصرف اليها
فانا نخاف عليها وممن قال ذلك اوس ابن قيظي ومنهم من قال يعدنا محمد ان نفتح كنوز كسرى و
قيصر واحدنا اليوم لا يامن على نفسه يذهب الى الغائط وممن قال ذلك معتب ابن قشير احد بني عمرو
ابن عوف فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من
شهر لم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشتد على
المسلمين البلا بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحرث بن الحرث بن عوف المري وهما قايدا
غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا بقومهما
عنهم وكانت هذه المقالة مراوضة ولم تكن عقدا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما انهما قد اراد و
رضيا اتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وذكر ذلك لهما واستشارهما فقالا يا رسول الله هذا امر تحبه
فنصنعه لك او شيء امرك الله به فنسمع له ونطيع او امر تصنعه لنا قال بل امر اصنعه لكم والله ما
اصنعه الا انى قد رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله والله
لقد كنا نحن وهولاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط ان
ينالوا منها ثمرة الا شرا وقرا افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله
لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال انتم وذاك
وقال لعيينة والحرث انصرفا فليس لكم عندنا الا السيف وتناول سعد الصحيفة وليس فيها شهادة فمحاها
الخامسة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون على قتالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال
بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن ود العامري من بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل
وهبيرة بن ابي وهب وضرار بن الخطاب الفهري وكانوا فرسان قريش وشجعانهم اقبلوا حتى
وقفوا على الخندق فلما راوه قالوا ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق
فضربوا خيلهم فاقتحمت بهم وجازوا الخندق وصاروا بين الخندق وبين سلع وخرج علي ابن ابي
طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها واقبلت الفرسان نحوهم وكان

عمرو بن عبد ود قد اثبته الجراح يوم بدر فلم يشهد احدا واراد يوم الخندق ان يرى مكانه فلما وقف
هو وخيله نادى من يبارز فبرز له علي ابن ابي طالب وقال له يا عمرو انك عاهدت الله فيما بلغنا انك
ما تدعى الى احدى خلتين الا اخذت احداهما قال نعم قال فاني ادعوك الى الله والاسلام قال لا حاجة لي بذلك
قال فادعوك الى البراز قال يا ابن اخي والله ما احب ان اقتلك لما كان بيني وبين ابيك فقال له
علي انا والله احب ان اقتلك فحمي عمرو بن عبد ود ونزل عن فرسه فعقره وصار نحو علي فتنازلا
وتجاولا وثار النقع بينهما حتى حال دونهما فلما انجلى النقع حتى رئي علي على صدر عمرو يقطع راسه فلما
راى اصحابه انه قد قتله علي اقتحموا بخيلهم الثغرة منهزمين هاربين وقال علي رضي الله عنه
في ذلك
نصر الحجارة من سفاهة رايه • ونصرت دين محمد بضراب
نازلته فتركته متجدلا • كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن اثوابه ولو انني • كنت المقطر بزني اثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه • ونبيه يا معشر الاحزاب
قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي قال ابن هشام والقى عكرمة بن ابي جهل
رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فقال حسان ابن ثابت في ذلك
فر والقى لنا رمحه • لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم • ما ان تحور عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستانسا • كان قفاك قفا فرعل
قال ابن هشام فرعل صغير الضباع وكانت عايشة رضي الله عنها في حصن بني حارثة وام سعد بن معاذ
معها وعلى سعد درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه وفي يده حربته وهو يقول
لبث قليلا يلحق الهيجا جمل • لا باس بالموت اذا كان الاجل
ورمي يومئذ سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل واختلف فيمن رماه فقيل رماه حبان بن
قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال له خذها وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق
الله وجهك في النار وقيل ان الذي رماه خفاجة بن عاصم بن حبارة وقيل بل الذي رماه ابو اسامة
الجشمي حليف بني مخزوم ولحسان مع صفية بنت عبد المطلب خبر طريف نورده ذكره ابن اسحق وغيره
قالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها كنا يوم الاحزاب في حصن حسان ابن ثابت وحسان معنا
في النسا والصبيان والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في نحر العدو ولا يستطيعون الانصراف الينا
فاذا يهودي يدور فقلت لحسان انزل اليه فاقتله فقال ما انا بصاحب هذا يا ابنة عبد المطلب فاخذت
عمودا ونزلت من الحصن فقتلته فقلت يا حسان انزل فاسلبه فلم يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال ما لي
بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب قال فنزلت فسلبته قال ابو عمر بن عبد البر وقد انكر هذا عن حسان
جماعة من اهل السير وقالوا لو كان في حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك الذين كان يهاجيهم في
الجاهلية والاسلام ولهجي بذلك ابنه عبد الرحمن فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان كثيرا
ما يهاجي الناس من شعراء العرب مثل النجاشي وغيره السادسة واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي فقال يا رسول الله اني قد اسلمت ولم يعلم قومي باسلامي فمرني بما شئت
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل واحد من غطفان فلو خرجت وجدلت عنا ان
استطعت كان احب الينا من بقائك معنا فاخرج فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى
بني قريظة وكان نيادمهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم
قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم فيه اموالكم و
ابناؤكم ونساؤكم وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليهم فان راوا
نهزة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا
مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودي لكم معشر قريش وفراقي
محمدا وقد بلغني امر رايت من الحق ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال يعلمون ان معشر يهود
قد ندموا على ما كان من خذلانهم محمدا وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان ناخذ
من قريش وغطفان رهنا رجالا ونسلمهم اليك تضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستاصلهم
ثم اتى غطفان فقال مثل ذلك فلما كان ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله عز وجل لرسوله و
المؤمنين ارسل ابو سفيان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان تقول لهم انا
لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا صبح غد للقتال حتى نناجز محمدا فارسلوا اليهم ان اليوم
يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فلما رجع
الرسول بذلك قالوا صدقنا والله نعيم بن مسعود فردوا اليهم الرسل وقالوا والله لا نعطيكم رهنا ابدا
فاخرجوا معنا ان شئتم والا فلا عهد بيننا وبينكم فقال بنو قريظة صدق والله نعيم بن مسعود وخذل الله
بينهم واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديدة البرد فجعلت الريح تقلب انيتهم
وتكفا قدورهم السابعة فلما اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف امرهم بعث حذيفة بن اليمان
لياتيه بخبرهم فاتاهم فاستتر في غمارهم وسمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ جليسه
قال حذيفة فاخذت بيد جليسي وقلت من انت فقال انا فلان ثم قال ابو سفيان ويلكم يا معشر قريش
انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذه الريح
ما ترون ما يستمسك لنا بناء ولا يثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما
حل عقال يده الا وهو قائم قال حذيفة ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لي اذ بعثني قال لي ترى
القوم فاعلم ما هم عليه ولا تحدث شيئا لقتلته بسهم ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رحيلهم وهو
قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل قال ابن هشام المرجل ضرب من وشي اليمن فاخبرته فحمد الله قال
الشيخ رحمه الله وخبر حذيفة هذا مذكور في صحيح مسلم وفيه آية عظيمة رواه جرير عن الاعمش عن ابرهيم
التيمي عن ابيه قال كنا عند حذيفة فقال رجل لو ادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه و
ابليت فقال حذيفة انت كنت تفعل ذاك لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب
واخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل ياتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم
القيامة فسكتنا فلم يجبه منا احد ثم قال الا رجل ياتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيمة فسكتنا فلم يجبه

منا احد فقال قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم اجد بدا اذ دعاني باسمي ان اقوم قال اذهب فاتني بخبر القوم
ولا تذعرهم علي فلما وليت من عنده جعلت كانما امشي في حمام حتى اتيتهم فرايت ابا سفيان يصلي ظهره
بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فاردت ان ارميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تذعرهم علي ولو رميته لاصبته فرجعت وانا امشي في مثل الحمام فلما اتيته فاخبرته بخبر القوم و
فرغت قررت فالبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل
نائما حتى اصبحت قال قم يا نومان ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الاحزاب رجع
الى المدينة ووضع المسلمون سلاحهم فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم في صورة دحية بن خليفة الكلبي
على بغلة عليها قطيفة ديباج فقال يا محمد انكم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها ان
الله يامرك ان تخرج الى بني قريظة واني متقدم اليهم فمزلزل بهم حصونهم فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن الثامنة مناديا فنادى لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فتخوف ناس فوت الوقت
فصلوا دون بني قريظة وقال آخرون لا نصلي العصر الا حيث امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان فاتنا الوقت فما عنف واحدا من الفريقين وفي هذا من الفقه تصويب المجتهدين وقد مضى بيانه
في الانبياء وكان سعد بن معاذ اذا اصابه السهم دعا ربه فقال اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش
شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك واخرجوه اللهم وان كنت وضعت
الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة وروى ابن وهب عن مالك
قال بلغني ان سعد بن معاذ مر بعائشة رضي الله عنها ونساء معها في الاطم الذي قارع وعليه درع
مقلصة مشمر الكمين وبه اثر صفرة وهو يرتجز شعر

لبث قليلا يدرك الهيجا جمل لا باس بالموت اذا حان الاجل

فقالت عائشة رضي الله عنها لست اخاف ان يصاب سعد اليوم الا من اطرافه فاصيب في الاكحل
وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالت عائشة ما رايت رجلا اجمل من سعد بن معاذ حاشى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصيب في الاكحل ثم قال اللهم ان كان حرب قريظة لم يبق منه شيء فاقبضني
اليك وان كان قد بقيت منه بقية فابقني حتى اجاهد مع رسولك اعداءه فلما حكم في بني قريظة توفي
ففرح الناس وقالوا نرجوا ان يكون قد استجيبت دعوته التاسعة ولما خرج المسلمون الى بني
قريظة اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية علي بن ابي طالب واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم
ونهض علي وطائفة معه حتى اتوا بني قريظة ونازلوهم فسمعوا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانصرف علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال
له اظنك سمعت منهم شتمي لو راوني لكفوا عن ذلك ونهض اليهم فلما راوه امسكوا فقال لهم نقضتم
العهد يا اخوة القرود اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل علينا و
نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة وعرض عليهم سيدهم كعب
ثلاث خصال ليختاروا ايها شاءوا اما ان يسلموا ويتبعوا محمدا على ما جاء به فيسلموا قال فتحرزوا اموالكم
ونساءكم وابناءكم فوالله لتعلمون انه الذي تجدونه مكتوبا في كتابكم واما ان يقتلوا ابناءهم ونساءهم ثم

يتقدمون فيقاتلون حتى يموتوا من آخرهم واما ان نبيتوا المسلمين ليلة السبت في حين طمانيتهم فيقتلوهم قتلا فقالوا له اما الاسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراة واما قتل ابنائنا ونسائنا فما جزاء هم المساكين منا ان نقتلهم ونحن لا نعتدي في السبت ثم بعثوا الى ابي لبابة وكانوا حلفاء بني عمرو بن عوف وساير الاوس فلما هم فجمعوا اليه ابناءهم ورجالهم ونساءهم وقالوا له يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد فقال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح ان تعلمتم ثم ندم ابو لبابة في الحين وعلم انه خان الله ورسوله وانه امر لا يستره الله عليه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فانطلق الى المدينة ولم يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وربط نفسه في سارية واقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه وكانت امراته تحله لوقت الصلاة قال ابن عيينة وغيره فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم الاية واقسم ان لا يدخل ارض بني قريظة ابدا مكانا اصاب فيه الذنب فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من فعل ابي لبابة قال اما انه لو اتاني لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فلست اطلقه حتى يطلقه الله تعالى فانزل الله في امر ابي لبابة وآخرون اعترفوا بذنوبهم الاية فلما نزل فيهم القران امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاقه فلما اصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد علمت انهم حلفاؤنا وقد اسعفت عبد الله بن ابي بن سلول في بني النضير حلفاء بني الخزرج فلا يكن حظنا اوكس وانقص عندك من حظ غيرنا فهم موالينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الاوس الا ترضون ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب له خيمة في المسجد ليعوده من قريب في مرضه من جرحه الذي اصابه في الخندق فحكم فيهم بان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء وتقسم اموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع ارقعة وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرجوا الى موضع بسوق المدينة اليوم زمن ابن اسحاق فخندق بهم خنادق ثم امر عليه السلام فضربت اعناقهم في تلك الخنادق وقتل يومئذ حيي بن اخطب وكعب بن الاسد وكانا راس القوم وكانوا من الست مائة الى السبعمائة وكان علي حتى حله نواحيه قد شقها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتي به ويداه الى عنقه بحبل قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس لا باس بامر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وقتل من نسائهم امراة وهي بنانة امراة الحكم القرظي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كل من انبت منهم وترك من لم ينبت وكان عطية القرظي ممن لم ينبت فاستحياه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو معدود في الصحابة ووهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس ابن شماس ولد الزبير بن باطا فاستحياهم منهم عبد الرحمن بن الزبير اسلم ايضا وله صحبة ووهب ايضا عليه السلام رفاعة بن سموال القرظي لام المنذر سلمى بنت قيس اخت سليط بن قيس من بني النجار وكانت قد صلت القبلتين فاسلم رفاعة وله صحبة ورواية وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال اتى ثابت بن قيس بن شماس الى ابن باطا وكانت له عنده يد وقال قد استوهبتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدك التي لك عندي قال ذلك يفعل الكريم بالكريم ثم قال وكيف يعيش رجل لا ولد

له ولا اهل قال فاتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فاعطاه اهله وولده فاتى فاعلمه فقال كيف يعيش رجل لا مال له فاتى ثابت النبي صلى الله عليه وسلم فطلبه فاعطاه ماله فرجع اليه فاخبره قال ما فعل ابن ابي الحقيق الذي كان وجهه مراة صينية قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة قال قتلوا قال فما فعلت الفتيان قال قتلنا قال بريت ذمتك ولن اصب فيها دلوا ابدا يعني النخل فالحقني بهم فابى ان يقتله فقتله غيره واليد التي كانت لابن باطا عند ثابت انه اسره يوم بعاث فجز ناصيته فاطلقه العاشرة وقسم صلى الله عليه وسلم اموال بني قريظة فاسهم للفارس ثلثة اسهم وللراجل سهما وقد قيل للفارس سهمان وللراجل وكانت الخيل للمسلمين يومئذ ستة وثلثين فرسا ووقع للنبي صلى الله عليه وسلم من سباهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احد بني عمرو بن قريظة فلم تزل عنده الى ان مات صلى الله عليه وسلم وقيل ان غنيمة قريظة هي اول غنيمة قسم فيها للفارس والراجل واول غنيمة جعل فيها الخمس وقد تقدم ان اول ذلك ان يكون غنيمة قريظة اول غنيمة جرى فيها الخمس بعد ما نزل قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الاية وكان عبد الله بن جحش قد خمس قبل ذلك في بعثة ثم نزل القران بمثل ما فعله وكان ذلك من فضايله رحمة الله عليه وكان فتح قريظة في آخر ذي القعدة واول ذي الحجة من السنة الخامسة من الهجرة فلما تم امر بني قريظة احيبت دعوة الرجل الفاضل الصالح سعد بن معاذ فانفجر جرحه وانفتح عرقه فجرى دمه ومات رضي الله عنه وهو الذي اتى الحديث فيه اهتز لموته عرش الرحمن يعني سكان العرش من الملائكة فرحوا بقدوم روحه واهتزوا له وقال ابن القاسم عن مالك حدثني يحيى بن سعيد قال لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون الف ملك ما نزلوا الى الارض قبلها قال مالك ولم يستشهد يوم الخندق احد من المسلمين الا اربعة او خمسة قال الشيخ رحمه الله الذي استشهد من الخندق من المسلمين ستة نفر فيما ذكر اهل العلم بالسير سعد بن معاذ ابو عمرو من بني عبد الاشهل وانس بن اوس بن عتيك وعبد الله بن سهيل وكلاهما ايضا من بني عبد الاشهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكلاهما من بني سلمة وكعب بن زيد من بني دينار ابن النجار اصابه سهم غرب فقتله رضي الله عنهم وقتل من الكفار ثلثة منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم مات منه بمكة وقد قيل انما هو عثمان بن امية بن منبه بن عبيد بن السباق ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي اقتحم الخندق فتورط فيه فقتل وغلب المسلمين على جسده فروي عن الزهري انهم اعطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جسده عشرة آلاف درهم فقال لا حاجة لنا بجسده ولا بثمنه فخلى بينهم وبينه وعمرو بن ود الذي قتله علي مبارزة وقد تقدم واستشهد يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو من بني الحرث بن الخزرج طرحت عليه امراة من بني قريظة رحى فقتله ومات في الحصار ابو سنان بن محصن بن حرثان الاسدي اخو عكاشة بن محصن فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقبرة بني قريظة التي يتدافن فيها المسلمون السكان بها اليوم ولم يصب غيرهما احد ولم يغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق واسند الدارمي ابو محمد في مسنده اخبرنا يزيد بن هارون عن ابن ابي ذويب عن المقبري عن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل حتى كفينا وذلك قول الله عز وجل وكفى الله المومنين القتال

وكان الله قويا عزيزا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام فصلى الظهر فاحسن كما كان يصليها في وقتها ثم امره فاقام بالعصر فصلاها ثم امره فاقام المغرب فصلاها ثم امره فاقام العشا فصلاها وذلك قبل ان ينزل فان خفتم فرجالا او ركبانا خرجه النسائي ايضا وتضمنت هذه المسلة في طه وقد ذكرنا في هذه الغزاة احكاما كثيرة لمن تاملها في مسايل عشر ثم يرجع الى اول الاى ومن تسع عشر آية تضمنت ماذكرنا قوله اذ جاتكم جنود يعنى الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا قال مجاهد هي الصبا ارسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى الفت قدورهم ونزعت فساطيطهم قال والجنود الملائكة ولم تقاتل يومئذ وقال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان محوة لا تسري بليل فكانت الريح التى ارسلت عليهم الصبا وروي سعد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وكانت هذه الريح معجزة للنبي لان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا قريبا منها لم يكن بينهم وبينها الا عرض الخندق وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها وجنودا لم تروها وقرى بالياء اى لم يروها المشركون قال المفسرون بعث الله عليهم الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وارسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملايكة في جوانب العسكر حتى كان سيد كل خباء يقول يا بنى فلان هلم الى فاذا اجتمعوا قال لهم النجا النجا لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما تعملون بصيرا وقرى يعملون بالياء على الخبر وهى قراه ابى عمرو والباقون بالتاء يعنى من حفر الخندق والتحذر من العدو قوله تعالى إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا اذ في موضع نصب بمعنى واذكر كذا او اذ قالت طايفة منهم من فوقكم يعني من فوق الوادى وهو اعلاه من قبل المشرق جاء منه عوف بن مالك في بنى نضر وعيينة بن حصن في اهل نجد وطليحة بن خويلد الاسدي في بنى اسد ومن اسفل منكم يعنى من بطن الوادي من قبل المغرب جاء منه ابو سفيان ابن حرب على اهل مكة ويزيد بن جحش على قريش وجاء ابو الاعور السلمي ومعه حيي ابن اخطب اليهودي في يهود بنى قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق واذ زاغت الابصار اى شخصت وقيل مالت فلم يلتفت الا الى عدوها دهشا من فرط الهول وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها من القلوب حتى بلغت الحناجر وهى الحلاقيم واحدها حنجرة فلولا ان الحلوق ضاقت عليها لخرجت قاله قتادة وقيل هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على اضمار كاد قال اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما اى كادت تقطر ويقال ان الريه تنتفخ عند الخوف فيرتفع القلب حتى تكاد تبلغ الحنجرة مثلا ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره وقيل انه مثل مضروب في شده الخوف ببلوغ القلب الحناجر وان لم يزل عن اماكنها مع بقاء الحياة قال معناه عكرمة وحماد بن زيد عن ايوب عن عكرمة بلغ فزعها والاظهر انه اراد اضطراب القلب وضربانه اى كانه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة والحنجرة والحنجور بزيادة النون حرف الحلق وتظنون بالله الظنونا قال الحسن ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المؤمنون انهم ينصرون وقيل هو خطاب للمنافقين اى قلتم هلك محمد واصحابه واختلف القراء في قوله

تعالى ج

الظنونا

الظنونا والرسولا والسبيلا اخر السورة فاثبت الفاتها في الوصل والوقف نافع وابن عامر وروى عن عمرو والكسائى تمسكا بخط المصحف مصحف عثمان وجميع المصاحف في جميع البلدان واختاره ابو عبيد الا انه قال لا ينبغي للقارى ان يدرج القراة بعدهن لكن يقف عليهن قالوا ولان العرب تفعل ذلك فى قوافي اشعارهم ومصاريعها قال نحن جلبنا القرح القوافلا تستنفر الاواخر الاوايلا وقرا ابو عمرو والجحدري ويعقوب وحمزة بحذفها في الوصل والوقف معا قالوا هى زايدة في الخط كما زيدت الالف في قوله ولا اوضعوا خلالكم فكتبوها كذلك وغير هذا واما الشعر فموضع ضرورة بخلاف القران فانه افصح اللغات ولا ضرورة فيه قال ابن الانبارى ولم يخالف المصحف من قرا الظنون والسبيل والرسول بغير الف فى الحروف الثلاثه وخطهن في المصحف بالف لان الالف التى في اطعنا او الداخلة في اول الرسول والظنون والسبيل كفى من الالف المتطرفة المتاخرة كما كفت الف ابي جاد من الف هواز وفيه حجة اخرى ان الالف انزلت منزلة الفتحة وماتلحق دعامة للحركة التى تسبق والنية فيه السقوط فلما عومل على هذا كانت الالف مع الفتحة كالشىء الواحد يوجب الوقف سقوطها ويعمل على ان ضرورة الالف في الخط لا توجب موضعا فى اللفظ وانها كالالف في ساحران وفي فاطر السموات وفي واعدنا موسى وما يشبههن مما حذف في الخط وهو موجود فى اللفظ ويثبت في اللفظ وهو مسقط من الخط وفيه حجة ثالثة هى انه كتب على لغة من يقول لقيت الرجلا وقرى على لغة من يقول لقيت الرجل بغير الف اخبرنا احمد بن يحيى عن جماعة من اهل اللغة انهم رووا عن العرب قام الرجلو بالواو ومررت بالرجلى بالياء في الوصل والوقف ولقيت الرجلا بالف في الحالتين كلتيهما قال الشاعر

اسايلة عميرة عن ابيها ● خلال الجيش تعترف الركابا

فاثبت الالف فى الركابا بناء على هذه اللغة وقال الاخر

اذا الجوزا اردفت الثريا ● ظننت بآل فاطمة الظنونا

وعلى هذه اللغة بنى نافع وغيره وقرا ابن كثير وابن محيصن والكسائى باثباتها في الوقف وحذفها في الوصل قال ابن الانبارى ومن وصل بغير الف ووقف بالف فجايز ان يحتج بان الالف احتاج اليها عند السكوت حرصا على بقاء الفتحة وان الالف تدعمها وتقويها قوله تعالى هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا هنا للقرب من المكان وهنالك للبعيد وهناك للمتوسط ويشار به الى الوقت اي عند ذلك اختبر المومنون ليتبين المومن من المنافق وكان هذا الابتلى بالخوف والقتال والجوع والحصر والنزال وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا تحريكا قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعلال يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقلته قلقالا وقلقالا وزلزلوا زلزالا شديدا وزلزالا والكسر اجود لان غير المضاعف على الكسر نحو دحرجته دحراجا وقراة العامة بكسر الزاء وقرا عاصم والجحدري زلزالا بفتح الزاى قال ابن سلام اى حركوا بالخوف تحريكا شديدا وقال الضحاك هو ازاحتهم عن اماكنهم حتى لم يكن لهم الا موضع الخندق وقيل انه اضطرابهم عما كانوا عليه فمنهم من اضطرب فى نفسه ومنهم من اضطرب فى دينه وهنالك يجوز ان يكون العامل فيه ابتلى فلا يوقف على هنالك ويجوز ان يكون وتظنون بالله الظنونا فيوقف على هنالك قوله تعالى وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ

الاغرورا في قلوبهم مرض اى شك ونفاق ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اى باطلا من القول وذلك ان
لعمة بن ابيرق ومتعب بن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلا قالوا يوم الخندق كيف يعدنا كنوز كسرى
وقيصر ولا يستطيع احدنا ان يتبرزوا وانما قالوا ذلك لما فشى في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عند
ضرب الصخرة على ما تقدم في حديث النسائي فانزل الله هذه الاية قوله تعالى وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ آمنوا بالذي يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا الطائفة تقع على الواحد فما فوقه وهنا عني به
اوس بن قيظي والدعابة اوس الذي يقول فيه الشماخ شعر

اذا ما راية رفعت لمجد ۰ تلقاها عرابة باليمين

ويثرب هي المدينة وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وطابة وقال ابو عبيدة يثرب اسم الارض
والمدينة ناحية منها السهيلي وسميت يثرب لان الذي نزلها من العمالق اسمه يثرب ابن عميل
ابن مهلاييل ابن عوص ابن عملاق بن لاود بن ارم وفي بعض هذه الاسما اختلاف وبنو عميل هم الذين
سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول فيها وبها سميت الجحفة لا مقام لكم بفتح الميم قراءة العامة وقرا حفص
والسلمي والجحدري وابو حيوة بضم الميم يكون مصدرا من اقام يقيم اى لا اقامة او موضعا يقيمون فيه ومن
فتح هو اسم كان اي لا موضع لكم يقيمون فيه فارجعوا اى الى منازلكم امروهم بالهروب من عسكر النبي صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس قالت اليهود لعبد الله ابن ابي ابن سلول واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم
على قتل انفسكم بيد ابي سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينة فانا مع القوم فانتم آمنون قوله تعالى وَ
يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا في الرجوع الى منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة بن الحرث في قول ابن عباس وقال يزيد بن رومان
قال ذلك اوس بن قيظي عن ملا من قومه يقولون ان بيوتنا عورة وما سايبة ضايعة ليست بحصنة وهي
مما يلي العدو وقيل ممكنة للسراق لخلوتها من الرجال يقال دار معورة وذات عورة اذا كان يسهل
دخولها يقال عور المكان عورا فهو عور وبيوت عورة واعور فهو معور وقيل عورة ذات عورة و
وكل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة قاله الهروي وقرا ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابو رجا
العطاردي بكسر الواو عورة يعني قصيرة الجدران فيها خلل تقول العرب دار فلان عورة اذا لم تكن
حصنته وقد اعور الفارس اذا بدا فيه خلل للضرب والطعن قال الشاعر

متى ما تلقهم لم تلق في البيت معورا ۰ ولا الضيف مفجوعا ولا الجار مرملا

الجوهري والعورة كل حال يتخوف منه في ثغر او حرب النحاس يقال اعور المكان اذا تبينت فيه عورة
واعور الفارس اذا تبين فيه موضع الخلل المهدوي ومن كسر الواو في عورة فهو شاذ ومثله قولهم
رجل عور كور اى لا شئ له وكان القياس ان يعل فيقال عادة كيوم راح ورجل مال اصلهما روح و
مول ثم قال تعالى وما هي بعورة تكذيبا لهم وردا عليهم فيما ذكروه ان يريدون الا فرارا اى ما يريدون
الا الهرب قيل من القتل وقيل من الدين وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في قبيلتين من الانصار
بني حارثة وبني سلمة وهموا ان يتركوا مراكزهم يوم الخندق وفيهم انزل الله تعالى اذ همت طائفتان
منكم ان تفشلا الاية فلما نزلت هذه الاية قالوا والله ما ساءنا ما كنا هممنا به اذ الله ولينا وقال السدي

الذي

الذي استاذنه منهم رجلان من الانصار من بني حارثة احدهما ابو عرابة بن اوس والاخر اوس بن
القيظي قال الضحاك ورجع ثمانون رجلا بغير اذنه قوله تعالى وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ها
ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا من اقطارها وهي البيوت او المدينة
اى من نواحيها وجوانبها الواحد قطر وهو الجانب والناحية وكذلك القتر لغة في القطر ثم سئلوا
الفتنة لآتوها اى لجاؤها هذا على قراءة نافع وابن كثير وبالقصر وقرا الباقون بالمد اى لاعطوها
من انفسهم وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقد جاء في الحديث ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يعذبون في الله ويسئلون الشرك فكل اعطى ما سالوه الا بلالا وفيه دليل على قراءة المد من
الاعطاء يدل على قراءة القصر قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فهذا يدل على لاتوها
مقصورا وفي الفتنة هنا وجهان احدهما سئلوا القتال في العصبية لاسرعوا اليه قاله الضحاك الثاني
ثم سئلوا الشرك لاجابوا اليه مسرعين قاله الحسن وما تلبثوا بها اي بالمدينة بعد اعطاء الكفر
الا قليلا حتى يهلكوا قاله السدي والقتبي والحسن والفراء وقال اكثر المفسرين اى وما احتبسوا
عن فتنة الشرك الا قليلا ولاجابوا بالشرك منقطعين وذلك لضعف نياتهم ولفرط نفاقهم فلو
اختلطت بهم الاحزاب لاظهروا الكفر قوله تعالى وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ
قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا من قبل اى من قبل غزوة الخندق
وبعد بدر قال قتادة وذلك انهم غابوا عن بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والنصر
فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا
مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها فذكر الله لهم الذي اعطوه من انفسهم
وكان عهد الله مسئولا اى مسئولا عنه قال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا
به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم واموالكم واولادكم فقالوا ما لنا اذا فعلنا ذلك يا نبي الله المنعوني
قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة فذلك قوله وكان عهد الله مسئولا اي ان الله ليسئلهم
عنه يوم القيمة قوله تعالى قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا
تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا اى من حضر اجله مات او قتل فلا ينفع الفرار وإذا لا تمتعون الا قليلا اي
في الدنيا بعد الفرار الى ان ينقضي اجالكم وكل ما هو ات فقريب وروى الساجي عن يعقوب الحضرمي
وإذا لا يتمتعون بيا وفي بعض الروايات وإذا لا تمتعوا نصب باذن والرفع بمعنى ولا تمتعون وإذا ملغا
ويجوز اعمالها فهذا حكمها اذا كان قبلها الواو والفا فاذا كانت مبتداة نصبت بها فقلت اذا
اكرمك قوله تعالى قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً
وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يعصمكم من الله اى يمنعكم منه ان اراد بكم سوا
اى هلاكا او اراد بكم رحمة اى خيرا ونصرا وعافية ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اى
لا قريبا ينفعهم ولا ناصرا ينصرهم قوله تعالى قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ
هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا المعوقين منكم اي المعترضين منكم لان يصدوا الناس

عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتق من عاقني عن كذا اي صرفني عنه وعوق على التكثير والقائلين
لاخوانهم هلم الينا على لغة اهل الحجاز وغيرهم يقولون هلموا للجماعة وهلمي للمراة لان الاصل ها التي
للتنبيه ضمت اليها لم ثم حذفت الالف استخفافا وبنيت على الفتح ولم يجز فيها الكسر ولا الضم لانها لا
يتصرف ومعنى هلم اقبل وهولاء طايفتان اي منكم من يثبط ويعوق والعوق المنع والصرف يقال عاقه
يعوقه عوقا وعوقه واعتاقه بمعنى واحد قال مقاتل هم عبد الله بن ابي واصحابه المنافقون و
القائلين لاخوانهم هلم فيهم ثلثة اقوال احدها انهم المنافقون قالوا للمسلمين ما محمد واصحابه الا
اكلة راس وهو هالك ومن معه فهلم الينا الثاني انهم اليهود من بني قريظة قالوا لاخوانهم من المنافقين
هلم الينا اي تعالوا الينا وفارقوا محمدا فانه هالك وان ابا سفيان ان ظفر لم يبق منكم احدا الثالث ما
حكاه بن زيد ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان بين الرماح والسيوف فقال له اخوه وكان من
امه وابيه هلم الي قد تبع بك وبصاحبك اي تداحيط بك وبصاحبك فقال له كذبت والله لاخبرنه بامرك
وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجده قد نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى قد
يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ذكره الماوردي والثعلبي ايضا ولفظه قال بن زيد
هذا يوم الاحزاب انطلق رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم فوجد اخاه بين يديه رغيف وشوا و
نبيذ فقال انت في هذا ونحن بين الرماح والسيوف فقال هلم الى هذا فقد تبع لك ولاصحابك والذي
يحلف به لا يستقل بها محمد ابدا فقال كذبت فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره فوجده قد نزل
جبريل بهذه الاية ولا ياتون الباس الا قليلا خوفا من الموت وقيل لا يحضرون القتال الا ريا وسمعة
قوله تعالى اشحة عليكم فاذا جاء الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك
لم يومنوا وكان ذلك على الله يسيرا اشحة عليكم اي بخلا عليكم اي بالحفر في الخندق
والنفقة في سبيل الله قاله مجاهد وقتادة وقيل بالقتال معكم وقيل بالنفقة على فقرايكم ومساكينكم
وقيل اشحة بالغنايم اذا اصابوها قاله السدي وانتصب على الحال قال الزجاج ونصبه عند الفراء من
اربع جهات احدها ان على الذم ويجوز ان يكون عنده نصبا بمعنى يعوقون اشحة ويجوز ان يكون العدو
والقائلين اشحة يعني اشحة على الفقراء بالغنيمة جبناء النحاس ولا يجوز ان يكون العامل فيه المعوقين و
لا القائلين ليلا يفرق بين الصلة والموصول ابن الانباري الا قليلا غير تام لان اشحة متعلق بالاول
فهو ينتصب من اربعة اوجه احدها ان ينصبه على القطع من المعوقين كانه قال قد يعلم الله الذين
يعوقون عند القتال ويشحون عن الانفاق على فقراء المسلمين ويجوز ان يكون منصوبا على القطع من القائلين
اي وهم اشحة ويجوز ان ينصبه على القطع مما في ياتون كانه قال ولا ياتون الناس الا جبناء بخلاء ويجوز
ان ينصب اشحة عليكم على الذم فمن هذا الوجه الرابع يحسن ان يقف على قوله الا قليلا اشحة عليكم وقف
حسن ومثله اشحة على الخير حال من المضمر في سلقوكم وهو العامل فيه فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وصفهم بالجبن وكذا سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محددا
بصره وربما غشي عليه وفي الخوف وجهان احدهما من قتال العدو واذا اقبل قاله السدي الثاني الخوف
من النبي صلى الله عليه وسلم اذا غلب قاله بن شجرة رايتهم ينظرون اليك خوفا من القتال على القول الاول

ومن

ومن النبي صلى الله عليه وسلم على الثاني تدور اعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة وقيل
لشدة خوفهم حذرا ان ياتيهم القتل من كل جهة فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد وحكى الفراء
صلقوكم بالصاد وخطيب سلاق وصلاق اذا كان بليغا واصل الصلق الصوت ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة قال الاعشى

فيهم المجد والسماحة والنجدة فيهم والخاطب السلاق

قال قتادة معنى بسطوا السنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطنا اعطنا فانا قد شهدنا معكم فعند
الغنيمة اشح قوم وابسطهم لسانا ووقت الباس اجبن قوم واخوفهم قال النحاس هذا قول حسن
لان بعده اشحة عليكم وقيل المعنى بالغوا في مخاصمتكم والاحتجاج عليكم وقال القتبي المعنى اذوكم بالكلام
الشديد والسلق الاذى ومنه قول الشاعر

ولقد سلقنا هوازنا بنواهل حتى انحنينا

اشحة على الخير اي
على الغنيمة قاله يحيى بن سلام وقيل على المال ان ينفقوه في سبيل الله قاله السدي اولئك لم يومنوا
يعني بقلوبهم وان كان ظاهرهم الايمان والمنافق كافر على الحقيقة لوصفهم الله عز وجل بالكفر
فاحبط الله اعمالهم اي لم يثبهم عليها اذا لم يقصدوا وجه الله تعالى بها وكان ذلك على الله يسيرا يحتمل
وجهين احدهما وكان نفاقهم على الله هينا الثاني وكان احباط عملهم على الله هينا قوله تعالى
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب
يسالون عن انبايكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي
لجبنهم يظنون الاحزاب لم ينصرفوا وكانوا انصرفوا ولكنهم لم يتباعدوا في السير وان يات الاحزاب اي و
ان يرجع الاحزاب اليهم للقتال يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا ان يكونوا مع الاعراب حذرا
من القتل وتربصا للدواير وقرا طلحة بن مصرف لو انهم بدى في الاعراب يقال باد وبدى مثل غاز وغزى
ويمد مثل صايم وصوام بدا فلان يبدو اي خرج الى البادية وهي البداوة والبداوة بالكسر والفتح واصل
الكلمة من البدو وهو الظهور يسلون وقرا يعقوب في رواية رويس يتسالون عن انبايكم اي عن اخبار
النبي صلى الله عليه وسلم يتحدثون اما هلك محمد واصحابه اما غلب ابو سفيان واحزابه اي يودوا لو انهم
بادون سايلون عن انبايكم من غير مشاهدة القتال لفرط جبنهم وقيل اي هم ابدا لجبنهم يسالون عن
اخبار المومنين وهل اصيبوا وقيل كان منهم في اطراف المدينة من لم يحضر الخندق جعلوا يسالون عن
اخباركم ويتمنون هزيمة المسلمين ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي رميا بالنبل والحجارة على طريق
الريا والسمعة ولو كان ذلك لله لكان قليله كثيرا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا فيه مسلتان الاولى قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة هذا عتاب للمتخلفين عن القتال اي كان لكم قدوة في النبي صلى الله عليه
وسلم حيث بذل نفسه لدين الله في خروجه الى الخندق والاسوة القدوة وقرا عاصم اسوة بضم الهمزة
والباقون بالكسر وهما لغتان والجمع بينهما واحد عند الفراء والعلة عنده في الضم على لغة من كسر في الواحدة
الفرق بين ذوات الواو وذوات الياء فيقولون كسوة وكسا ولحية ولحى الجوهري والاسوة والاسوة بالضم

والفتح والكسر لغتان والجمع اسى واسى وروى عقبة بن حسان الهجري عن مالك ابن انس عن نافع عن ابن
عمر لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قال في جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب
ابو بكر احمد وقال تفرد به عقبة ابن حسان عن مالك ولم اكتبه الا بهذا الاسناد الثانية قوله
تعالى اسوة الاسوة القدوة والاسوة ما يتاسى به اي يتعزى به فيقتدى به في جميع افعاله ويتعزى
به في جميع احواله فلقد شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يلق الا صابرا محتسبا
وشاكرا راضيا وعن انس ابن مالك عن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع
ورفعنا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين حرجه ابو عيسى الترمذي وقال هذا حديث
غريب وقال صلى الله عليه وسلم لما شج اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقد تقدم لمن كان يرجوا الله واليوم
الآخر قال سعد بن جبير المعنى لمن كان يرجوا ثواب الله في اليوم الاخر ولا يجوز عند الحذاق من النحويين
ان يكتب يرجو الا بغير الف اذا كان لواحد لان العلة التي في الجمع ليست في الواحد وذكر الله كثيرا خوفا من
عقابه ورجاء لثوابه وقيل ان لمن بدل من قوله لكم ولا يجيزه البصريون لان الغايب لا يبدل من الخاطب وانما
اللام من لمن متعلقة بحسنة واسوة اسم كان ولكم الخبر واختلف فيمن اريد بهذا الخطاب على قولين احدهما المنافقون
عطفا على ما تقدم من خطابهم الثاني المؤمنون لقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر واختلف في هذه الاسوة
بالرسول عليه السلام هل هي على الايجاب او على الاستحباب على قولين احدهما على الايجاب حتى يقوم دليل على
الاستحباب الثاني على الاستحباب حتى يقوم دليل على الايجاب ويحتمل ان يحمل الايجاب في امور الدين وعلى
الاستحباب في امور الدنيا قوله تعالى وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ومن العرب من يقول راء
على القلب قالوا هذا ما وعدنا الله يريد قوله تعالى في سورة البقرة ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم الاية فلما راوا الاحزاب يوم الخندق قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله قاله قتادة وقول ثان
رواه كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن ابيه عن جده قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذكرت
الاحزاب فقال اخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها يعني على قصور الحيرة ومداين كسرى فا
بشروا بالنصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صادق اذ وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت
الاحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله ذكره الماوردي وما وعدنا ان جعلت ما بمعنى الذي فالها
محذوفة وان جعلتها مصدرا لم يحتج الى عايد وما زادهم الا ايمانا وتسليما قال الفراء وما زادهم النظر الى
الاحزاب وقال علي بن سليمان راى تدل على الروية وتانيث الروية غير حقيقي والمعنى ما زادهم الروية الا
ايمانا بالرب وتسليما للقضا قاله الحسن ولو قال ما زادونهم الروية لجاز ولما اشتد الامر على المسلمين وطال المقام
في الخندق قام عليه السلام على التل الذي عليه مسجد الفتح في بعض الليالي وتوقع ما وعده الله من النصر وقال
من يذهب لياتينا بخبرهم وله الجنة فلم يجبه احد فقال ثانيا وثالثا فلم يجبه احد فنظر الى جانبه وقال من هذا
فقال حذيفة فقال الم تسمع كلامي منذ الليلة قال حذيفة فقلت يا رسول الله منعني ان اجيبك الضر والقر
فقال انطلق حتى تدخل في القوم فتسمع كلامهم وتاتيني بخبرهم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وعن شماله حتى ترده الي انطلق ولا تحدث شيا حتى تاتيني فانطلق حذيفة بسلاحه ورفع رسول الله صلى الله

لقا الله بايمانه ويصدق بالبعث الذي فيه جزا الافعال وقيل اي لمن كان يرجوا صح صح صح صح صح

علي صح

عليه وسلم يده يقول يا صريخ المكروبين اكشف همي وغمي وكربي فقد ترى حالي وحال اصحابي فنزل جبريل
وقال ان الله سمع دعوتك وكفاك هول عدوك فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وبسط
يديه وارخى عينيه ويقول شكرا شكرا كما رحمتني ورحمت اصحابي واخبره جبريل ان الله
مرسل عليهم ريحا فبشر اصحابه بذلك قال حذيفة فانتهيت اليهم واذا نيرانهم تتقد فاقبلت ريح شديدة
فيها حصباء فما تركت لهم نارا الا اطفاتها ولا بناء الا طرحته وجعلوا يتترسون من الحصباء وقام ابو
سفيان الى راحلته وصاح في قريش النجا النجا وفعل كذلك عيينة بن حصن والحرث بن عوف و
الاقرع بن حابس وتفرقت الاحزاب واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد الى المدينة وبه
من الشعث ما شاء الله فجاءته فاطمة بغسول فكانت تغسل راسه فاتاه جبريل فقال وضعت السلاح
ولم تضعه اهل السماء ما زلت اتبعهم حتى جاوزت بهم الروحاء ثم قال انهض الى بني قريظة وقال ابو
سفيان ما زلت اسمع قعقعة السلاح حتى جاوزت الروحاء قوله تعالى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا
لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا رجال رفع بالابتداء وصلح الابتداء بالنكرة لان صدقوا في موضع
النعت فمنهم من قضى نحبه من في موضع رفع بالابتداء وكذا ومنهم من ينتظر والخبر في المجرور والنحب
النذر والعهد يقول منه نحبت انحب بالضم قال الشاعر

واذ نحبت كلب على الناس انهم احق بتاج الماجد المتكرم

وقال آخر قد نحب المجد علينا نحبا وقال آخر

انحب فيقضى ام ضلال وباطل

وروى البخاري ومسلم والترمذي عن انس
قال قال عمي انس بن النضر سميت به ولم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر
عليه قال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله مشهدا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما اصنع قال فهاب ان يقول غيرها فشهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد من العام القابل فاستقبله سعد بن مالك فقال يا ابا عمرو
اين قال واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة
وطعنة ورمية فقالت عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا لفظ الترمذي وقال هذا
حديث حسن صحيح وقالت عايشه رضي الله عنها في قوله تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفي الترمذي عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترؤن على مسالته توقيرا له ومهابة
فساله الاعرابي فاعرض عنه ثم ساله فاعرض عنه ثم ساله فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد
وعلي ثياب خضر فلما راني النبي صلى الله عليه وسلم قال اين السايل عمن قضى نحبه قال الاعرابي انا

يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يونس ابن بكير وقيل النحب الموت اى مات على ما عاهد عليه عن ابن عباس والنحب ايضا الوقت والمدة يقال قضى فلان نحبه اذا مات وقال ذو الرمة شعر

عشية فر الحارثيون بعد ما قضى نحبه في ملتقى الخيل هوبر

والنحب ايضا الحاجة والهمة يقول قايلهم ما لي عندهم نحب وليس المراد بالاية والمعنى في هذا الموضع بالنحب النذر كما قدمنا اولا اي منهم من بذل جهده على الوفا بعهده حتى قتل مثل حمزة وسعد بن معاذ وانس ابن النضر وغيرهم ومنهم من ينتظر الشهادة وما بدلوا عهدهم ونذرهم وروي البيهقي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه ودعا له ثم قرا هذه الاية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم الاية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هولاء شهدا عند الله يوم القيمة فاتوهم وزوروهم والذى نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه وقد روي عن ابن عباس انه قرا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومنهم من بدل تبديلا قال ابو بكر الانباري وهذا الحديث عند اهل العلم مردود لخلافه الاجماع ولان فيه طعنا على المومنين والرجال الذين مدحهم الله وشرفهم بالصدق والوفا فما يعرف فيهم مغير وما وجد من جماعتهم مبدل رضي الله عنهم ليجزى الله الصادقين بصدقهم اى امر الله بالجهاد ليجزى الصادقين في الاخرة بصدقهم ويعذب المنافقين في الاخرة ان شاء ان يعذبهم ثم يوفقهم للتوبة وان لم يشا ان يعذبهم تاب عليهم قبل الموت ان الله كان غفورا رحيما قوله تعالى وَرَدَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللّٰهُ الْمُؤْمِنِيْنَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللّٰهُ قَوِيًّا عَزِيْزًا قال محمد بن عمرو يرفعه الى عايشة رضي الله عنها قالت الذين كفروا ههنا ابو سفيان وعيينة بن بدر رجع ابو سفيان الى تهامة ورجع عيينة الى نجد وكفى الله المومنين القتال بان ارسل عليهم ريحا وجنودا حتى رجعوا ورجعت بنو قريظة الى صياصيهم فكفى امر قريظة بالرعب وكان الله قويا عزيزا امره عزيزا لا يغلب قوله تعالى وَاَنْزَلَ الَّذِيْنَ ظَاهَرُوْهُمْ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيْهِمْ وَقَذَفَ فِيْ قُلُوْبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَ وَتَاْسِرُوْنَ فَرِيْقًا وَاَوْرَثَكُمْ اَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَاَمْوَالَهُمْ وَاَرْضًا لَمْ تَطَئُوْهَا وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرًا يعني الذين عاونوا الاحزاب قريشا وغطفان وهم بنو قريظة وقد مضى خبرهم من صياصيهم اى حصونهم واحدها صيصية قال الشاعر

فاصبحت النيران صرعى واصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا

ومنه قيل لشوكة الحايك التي بها يسوى السداة واللحمة صيصية قال دريد بن الصمة

نجيت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

ومنه صيصة الديك التي في رجله وصياصي البقر قرونها لانها تمتنع بها وربما كانت تركب في الرماح مكان الاسنة ويقال جد الله صيصته اي اصله وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النساء والذرية على ما تقدم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها بعد قال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل يعني حنين ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله اياها وقال قتادة

كنا نتحدث انها مكة وقال الحسن هي فارس والروم وقال عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا فيه وجهان احدهما على ما اراد بعباده من نقمة او عفو قدير قاله محمد بن اسحاق الثاني على ما اراد ان يفتحه من الحصون والقرى قدير قاله النقاش وقيل وكان الله على كل شيء مما وعدكموه قديرا لا ترد قدرته ولا يجوز عليه العجز تعالى ويقال تاسرون وتاسرون بكسر السين وضمها حكاه الفرا قوله تعالى يَا اَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِاَزْوَاجِكَ اِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا فَتَعَالَيْنَ اُمَتِّعْكُنَّ وَاُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيْلًا وَاِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ وَالدَّارَ الْاٰخِرَةَ فَاِنَّ اللّٰهَ اَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ اَجْرًا عَظِيْمًا فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك قال علماؤنا هذه الاية متصلة بمعنى ما تقدم من المنع من ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تاذى ببعض الزوجات قيل سالنه شيا من عرض الدنيا وقيل زيادة في النفقة وقيل اذينه بغيرة بعضهن على بعض وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوة هذه الاية عليهن وتخييرهن بين الدنيا والاخرة وقال الشافعي رحمه الله ان من ملك زوجة فليس عليه تخييرها وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخير نساءه فاخترنه وجملة ذلك ان الله سبحانه خير النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا وعرض عليه مفاتيح خزاين الدنيا وبين ان يكون نبيا مسكينا فشاور جبريل فاشار بالمسكنة فاختارها فلما اختارها وهي اعلى المنزلتين امره الله جل وعز ان يخير زوجاته فربما كان فيهن من يكره المقام معه على الشدة تنزيها له وقيل ان السبب الذي اوجب التخيير لاجله ان امراة من ازواجه سالته ان يصوغ لها حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من فضة وطلاها بالذهب وقيل بالزعفران فابت الا ان يكون من ذهب فنزلت اية التخيير فخيرهن فقلن اخترنا الله ورسوله وقيل ان واحدة منهن اختارت الفراق فالله اعلم روي البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال فاذن لابي بكر ثم جاء عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال والله لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الاية يا ايها النبي صلى الله عليه وسلم قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشة فقال يا عايشة اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلى عليها الاية قالت افيك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسايك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا وروي الترمذي عن عايشة قالت لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا بي فقال يا عايشة

نبيا

اني ساذكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستامري ابويك قالت وقد علم ان ابوي لم يكونا ليامراني بفراقه قالت ثم قال ان الله تعالى يقول يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما فقلت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت قال هذا حديث حسن صحيح قال العلماء وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم عايشة ان تشاور ابويها لانه كان يحبها وكان يخاف ان يحملها فرط الشباب على ان تختار فراقه ويعلم من ابويها انهما لا يشيران عليها بفراقه الثانية قوله تعالى قل لازواجك كان للنبي صلى الله عليه وسلم ازواج منهن من دخل بها ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها ومنهن من خطبها فلم يتم نكاحه معها الاولى خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت قبل عند ابي هالة واسمه زرارة بن النباش الاسدي وكانت قبله عند عتيق ابن عايذ وولدت منه غلاما اسمه عبد مناف وولدت من ابي هالة هند بن ابي هالة وعاش الى زمان الطاعون فمات فيه ويقال ان الذي عاش الى الطاعون هند بن هند وسمعت نادبته يقول حين مات واهند بن هنداه واربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت اربعين سنة وتوفيت بعد ان مضى من النبوة سبع سنين وقيل عشر وكان لها حين توفيت خمس وستون سنة وهي اول امراة امنت به وجميع اولاده منها غير ابرهيم قال حكيم بن حزام توفيت فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولم يكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها الثانية سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية اسلمت قديما وبايعت وكانت عند ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو واسلم ايضا وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل مات بالحبشة فلما حلت خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها ودخل بها بمكة وهاجر بها الى المدينة فلما كبرت اراد طلاقها فسالته ان لا يفعل وان يدعها في نسايه وجعلت ليلتها لعايشة حسب ما هو مذكور في الصحيح فامسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين الثالثة عايشة بنت ابي بكر الصديق وكانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله دعني اسلها من جبير سلا رفيقا فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث سنين وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين ومات صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وماتت سنة تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين الرابعة حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طلقها فاتاه جبريل فقال ان الله يامرك ان تراجع حفصة فانها صوامة قوامة فراجعها قال الواقدي وتوفيت في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة وقيل ماتت في خلافة عثمان بالمدينة الخامسة ام سلمة واسمها هند بنت ابي امية المخزومية واسم ابي امية سهيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال سنة اربع زوجها منه ابنها سلمة على الصحيح وكان عمر ابنها صغيرا وتوفيت في سنة تسع وخمسين وقيل سنة ثنتين وستين والاول اصح وصلى عليها سعيد بن زيد وقيل ابو هريرة وقبرت بالبقيع وهي ابنة اربع وثمانين سنة السادسة ام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري الى النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

خديجة صح

اربعمائة دينار وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وتوفيت سنة اربع واربعين وقال الدارقطني وكانت ام حبيبة تحت عبيد الله بن جحش فمات بارض الحبشة على النصرانية فزوجها النجاشي النبي صلى الله عليه وسلم وامهرها عنه اربعة الاف وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة السابعة زينب بنت جحش ابن رياب الاسدية وكان اسمها برة فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدل اسم ابي فان البرة حقيرة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لو كان ابوك مؤمنا سميناه باسم رجل منا اهل البيت ولكني قد سميته جحشا والجحش اكبر من البرة ذكر هذا الحديث الدارقطني تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنة عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين الثامنة زينب بنت خزيمة بن الحرث بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية كانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان على راس احدى وثلثين شهرا من الهجرة فمكثت عنده ثمانية اشهر وتوفيت في حياته في اخر ربيع الاول على راس تسعة وثلثين شهرا ودفنت بالبقيع التاسعة جويرية بنت الحرث بن ابي ضرار الخزاعية المصطلقية اصابها في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها وذلك في شعبان سنة ست وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وتوفيت في ربيع الاول سنة ست وخمسين وقيل سنة خمسين وهي ابنة خمس وستين العاشرة صفية بنت حيي بن اخطب الهارونية سباها النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر واصطفاها لنفسه واسلمت واعتقها وجعل عتقها صداقها وفي الصحيح انها وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة ارؤس وماتت في سنة خمسين وقيل سنة اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع الحادية عشر ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النضير سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقها وتزوجها في سنة ست وماتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها بالبقيع وقال الواقدي ماتت سنة ست عشرة وصلى عليها عمر قال ابو الفرج الجوزي وقد سمعت من يقول انه كان يطاها بملك اليمين ولم يعتقها قال الشيخ رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يذكرها ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي في عداد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم الثانية عشر ميمونة بنت الحرث الهلالية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف على عشرة اميال من مكة وذلك في سنة سبع من الهجرة في عمرة القضية وهي اخر امراة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بها ودفنت هنالك وذلك في سنة احدى وستين وقيل ثلاث وستين وقيل ثمان وثلثين فهؤلاء المشهورات من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهن اللاتي دخل بهن رضي الله عنهن فاما من تزوجها ولم يدخل بها فالاولى الكلابية واختلفوا في اسمها فقيل فاطمة وقيل عمرة وقيل العالية قال الزهري تزوج فاطمة بنت الضحاك الكلابية واستعاذت منه فطلقها وكانت تقول انا الشقية تزوجها في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين الثانية اسما بنت النعمان بن ابي الجون بن الحرث الكندية وهي الجونية قال قتادة لما دخل عليها دعاها فقالت تعال انت فطلقها وقال غيره هي التي استعاذت منه وفي البخاري قال تزوج النبي صلى الله عليه وسلم اميمة بنت شراحيل فلما دخلت عليه بسط يده اليها فكانها كرهت ذلك فامر ابا اسيد

فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وكان اسم ابيها برة صح

وقد زاد الله تعالى انها ماتت في المكان الذي بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

ان يجهزها ويكسوها ثوبين و في لفظ آخر قال ابو اسيد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونية فلما
دخل عليها قال هبي لي نفسك فقالت و هل يهب الملكة نفسها لسوقة فاهوى بيده ليضعها عليها
لتسكن فقالت اعوذ بالله منك قال قد عذت بمعاذ ثم خرج علينا فقال يا ابا اسيد اكسها رازقيين والحقها
باهلها الثالثة قتيلة بنت قيس اخت الاشعث بن قيس زوجها اياه الاشعث ثم انصرف الى
حضرموت فحملها اليه فبلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فردها الى بلاده فارتد وارتدت
معه ثم تزوجها عكرمة بن ابي جهل فوجد ابو بكر من ذلك وجدا شديدا فقال له عمر انها والله ما هي
من ازواجه ما خيرها ولا حجبها ولقد براها الله منه بالارتداد وكان عروة ينكر ان يكون تزوجها
الرابعة ام شريك الازدية واسمها غزية بنت جابر بن حكيم وكانت قبله عند ابي بكر بن ابي سلمى
فطلقها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها وهي التي وهبت نفسها وقيل ان التي وهبت نفسها للنبي
صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم الخامسة خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه السادسة شراف بنت خليفة اخت دحية تزوجها ولم يدخل بها
السابعة ليلى بنت الحطيم اخت قيس تزوجها وكان غيورا فاستقالته فاقالها الثامنة عمرة بنت معاوية
الكندية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قال الشعبي تزوج امراة من كندة فجيء بها بعد ما مات التاسعة
ابنة جندب بن ضمرة الجندعية قال بعضهم زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكر بعضهم وجود ذلك
العاشرة الغفارية قال بعضهم تزوج امراة من غفار فامرها فنزعت ثيابها فراى بياضا فقال الحقي
باهلك ويقال انما راى البياض بالكلابية فهولاء اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن صلى الله عليه
وسلم فاما من خطبهن فلم يتم نكاحه معهن ومن وهبت له نفسها الاولى ام هانئ بنت ابي طالب واسمها
فاختة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها الثانية
ضباعة بنت عامر الثالثة صفية بنت بشامة بن نضلة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وكان اصابها
سباء فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان شئت انا وان شئت زوجك قالت زوجي فارسلها فلعنتها
بنو تميم قاله ابن عباس الرابعة ام شريك وقد تقدم ذكرها الخامسة ليلى بنت الحطيم وقد تقدم ذكرها
السادسة خولة بنت حكيم ابن امية وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فارجاها فتزوجها عثمان بن
مظعون السابعة جمرة بنت الحرث بن عوف المزني خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها
سوءا ولم يكن بها فرجع اليها ابوها وقد برصت وهي ام شبيب بن البرصا الشاعر الثامنة سودة
القرشية خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت اخاف ان تضغو صبيتي عند راسك
فحمدها ودعا لها التاسعة امراة لم يذكر اسمها قال مجاهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة
فقالت استامر ابي فلقيت اباها فاذن لها فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قد التحفنا لحافا
غيرك فهولاء جميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان له من السراري جاريتان مارية القبطية وريحانة
في قول قتادة وقال غيره كان له اربع مارية وريحانة واخرى جميلة اصابها في السبي وجارية وهبتها له
زينب بنت جحش الثالثة قوله تعالى ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها ان شرط وجوابه فتعالين
فعلق التخيير على شرط وهذا يدل على ان التخيير والطلاق المعلقين على شرط صحيحان فينفذان ويمضيان

خلافا

خلافا للجهال المبتدعة الذين يزعمون ان الرجل اذا قال لزوجته انت طالق ان دخلت الدار انه لا يقع
الطلاق ان دخلت الدار لان الطلاق الشرعي هو المنجز في الحال لا غير الرابعة قوله تعالى
فتعالين هو جواب الشرط وهو فعل جماعة النساء من قولك تعال وهو دعا الى الاقبال اليه تقال
تعال بمعنى اقبل وضع لمن له جلالة ورفعة ثم صار في الاستعمال لكل داع الى الاقبال واما في هذا الموضع
فهو على اصله فان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعكن قد تقدم الكلام في المتعة وقرئ
امتعكن بضم العين وكذا واسرحكن بضم الحاء على الاستيناف والسراح الجميل هو ان يكون طلاقا للسنة
من غير ضرار ولا منع واجب لها الخامسة اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه
على قولين الاول انه خيرهن باذن الله في البقاء على الزوجية او الطلاق فاخترن البقا قالته عايشة
ومجاهد وعكرمة والشعبي وابن شهاب وربيعة ومنهم من قال انما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن
او بين الاخرة فيمسكهن لتكون لهن المنزلة العليا كما كانت لزوجهن ولم يخيرهن في الطلاق ذكره الحسن
وقتادة ومن الصحابة علي فيما رواه عنه احمد بن حنبل انه قال لم يخير رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه الا بين الدنيا والآخرة قال الشيخ رحمه الله القول الاول اصح لقول عايشة رضي الله عنها لما
سئلت عن الرجل يخير امراته فقالت قد خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا في رواية
فاخترناه فلم يعده طلاقا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا التخيير المامور بين البقا و
الطلاق ولذلك قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان تعجلي فيه حتى تستامري ابويك الحديث
ومعلوم انه لم يرد الاستيمار في اختيار الدنيا وزينتها على الاخرة فثبت ان الاستيمار انما وقع في الفرقة
او النكاح والله اعلم السادسة اختلف العلماء في المخيرة اذا اختارت زوجها فقال جمهور العلماء
من السلف وغيرهم وايمة الفتوى انه لا يلزمه طلاق لا واحدة ولا اكثر هذا قول عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وعايشة ومن التابعين عطاء ومسروق
وسليمان بن يسار وربيعة وابن شهاب وروي عن علي وزيد ايضا ان اختارت زوجها فواحدة
بائنة وهو قول الحسن البصري والليث وحكاه النقاش والخطابي عن مالك وتعلقوا بان قوله اختاري
كناية في ايقاع الطلاق فاذا اضافه اليها وقعت طلقة كقوله انت باين والصحيح الاول لقول عايشة
خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعده علينا طلاقا اخرجه الصحيحان قال ابن المنذر
وحديث عايشة يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا ويدل على ان اختيارها
نفسها يوجب الطلاق ويدل على معنى ثالث وهو ان المخيرة اذا اختارت نفسها انها تطليقة يملك زوجها
رجعتها اذ غير جائز ان يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما امره الله وروي هذا عن عمر
وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن ابي ليلى والثوري والشافعي وروي عن علي انها اذا اختارت
نفسها انها واحدة باينة وهو قول ابي حنيفة واصحابه وبه قال ابن خواز منداد عن مالك وروي عن
زيد بن ثابت انها اذا اختارت نفسها انها ثلاث وهو قول الحسن البصري وبه قال مالك والليث لان الملك
انما يكون بذلك وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت نفسها فليس بشي وروي عنه ايضا اذا اختارت
زوجها فواحدة رجعية السابعة ذهب جماعة من المدنيين وغيرهم الى ان التمليك والتخيير سواء و

النضا ما قضت فيهما جميعا و هو قول عبد العزيز بن ابى سلمة قال ابن شعبان وقد اختاره كثير من اصحابنا
و هو قول جماعة من اهل المدينة قال ابو عمر وعلى هذا قول اكثر العلما و المشهور من مذهب مالك الفرق
بينهما و ذلك ان التمليك عند مالك هو قول الرجل لامراته قد ملكتك اى قد ملكتك ما جعل الله لى من الطلاق
واحدة او اثنين او ثلاثا فلما جاز ان يملكها بعض ذلك دون بعض و ادعى ذلك كان القول قوله مع يمينه
اذا ناكرها وقالت طايفة من اهل المدينة له المناكرة له في التمليك و في التخيير سواء في المدخول بها
والاول قول مالك في المشهور وروى ابن خويز منداد عن مالك ان للزوج ان يناكر المخيرة في الثلاث ويكون
طلقة باينة كما قال ابو حنيفة وبه قال ابن الجهم قال سحنون وعليه اكثر اصحابنا وتحصيل مذهب مالك
ان المخيرة اذا اختارت نفسها وهى مدخول بها فهو الطلاق كله وان انكر زوجها فلا نكرة له وان
اختارت واحدة فليس بشي وانما الخيار البتات اما اخذته واما تركته لان معنى التخيير التسريح قال الله
تعالى في آية التخيير فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا فمعنى التسريح البتات قال الله تعالى
الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان والتسريح باحسان هى الطلقة الثالثة روى ذلك
عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومن جهة المعنى ان قوله اختاريني او اختاري نفسك يقتضي
ان لا يكون له عليها سبيل اذا اختارت نفسها ولا يملك منها شيئا اذ قد جعل اليها ان تخرج ما يملكه منها
او تقيم معه اذا اختارته فاذا اخترت البعض من الطلاق لم يعمل بمقتضى اللفظ وكانت بمنزلة من خير
بين شيئين فاختار غيرهما واما التى لم يدخل بها فله مناكرتها في التخيير والتمليك اذا زادت على واحدة لانها
تبين في الحال الثامنة اختلفت الرواية عن مالك متى يكون لها الخيار فقال مرة لها الخيار ما دامت
في المجلس قبل القيام والاشتغال بما يدل على الاعراض فان لم تختر ولم تقض شيئا حتى افترقا من مجلسهما
بطل ما كان من ذلك اليها وعلى هذا اكثر الفقها وقال مرة لها الخيار ابدا ما لم يعلم انها تركته وذلك
يعلم بان تمكنه من نفسها بوطى او مباشرة فعلى هذا ان منعت نفسها ولم تختر شيئا كان له رفعها الى الحاكم
ليوقع او يسقط فان ابت اسقط الحاكم تمليكها وعلى القول الاول اذا اخذت في غير ذلك من حديث او
عمل او مشي او ما ليس من التخيير بشي كما ذكرنا سقط تخييرها واحتج بعض اصحابنا لهذا القول بقوله
تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وايضا فان الزوج اطلق لها القول ليعرف الخيار
لها فصار كالعقد بينهما فان قبلته والا سقط كالذي يقول قد وهبت لك او بايعتك فان قبل والا كان
الملك باقيا بحاله هذا قول الثوري والكوفيين والاوزاعي والليث والشافعي وابى ثور وهو اختيار ابن
القاسم ووجه الرواية الثانية ان ذلك قد صار في يدها وملكته على زوجها بتمليكه اياها فلما ملكت ذلك
وجب ان يبقى في يدها كبقايه في يد زوجها قال الشيخ رحمه الله وهذا هو الصحيح لقوله عليه السلام لعايشة
انى ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستامرى ابويك رواه الصحيح وخرجه البخاري وصححه الترمذي
وقد تقدم في اول الباب وهو حجة لمن قال انه اذا خير الرجل امراته او ملكها ان لها ان تقضي في ذلك
وان افترقا من مجلسهما روى هذا عن الحسن والزهري وقاله مالك في احدى روايتيه وقال ابو عبيد و
الذى عندنا في هذا الباب اتباع السنة في عايشة في هذا الحديث حين جعل لها التاخير الى ان تستامر ابويها
ولم يجعل قيامها من مجلسها خروجا من الامر قال المروزي هذا اصح الاقاويل عندى وقاله ابن المنذر والطحاوى

قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين و
كان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها
اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما فيه ثلاث مسايل الاولى قال العلما لما اختار
نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم شكرهن الله على ذلك وقال تكرمة
لهن لا يحل لك النسا من بعد الاية وبين حكمهن عن غيرهن فقال وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وجعل ثواب طاعتهن وعقاب معصيتهن اكثر مما لغيرهن فقال
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فاخبر تعالى ان من جاء من
نساء النبي صلى الله عليه وسلم بفاحشة والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك يضاعف لها
العذاب ضعفين لشرف منزلتهن وفضل درجتهن وتقدمهن على ساير النساء اجمع وكذلك بينت
الشريعة في غير ما موضع حسب ما تقدم بيانه غير مرة انه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات
ولذلك ضوعف حد الحر على العبد والثيب على البكر وقيل لما كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في
مهبط الوحي وفي منزل اوامر الله ونواهيه قوى الامر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن اكثر مما
يلزم غيرهن فضوعف لهن الاجر والعذاب وقيل انما ذلك لعظم الضرر في جرايمهن بايذاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واختار هذا القول الكيا
الثانية قال قوم لو قدر الزنا من واحدة منهن وقد اعاذهن الله عن ذلك لكانت تحد حدين
لعظم قدرها كما يزاد حد الحرة على الامة والعذاب بمعنى الحد قال الله تعالى وليشهد عذابهما طايفة
من المومنين وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين او المرتين وقال ابو عبيدة ضعف الشي شيئين
حتى يكون ثلاثة وقاله ابو عمرو فيما حكى الطبرى عنه فيضاف اليه عذابان مثله فيكون ثلثة اعذبة
وضعفه الطبرى وكذلك هو غير صحيح وان كان له باللفظ تعلق الاحتمال وكون الاجر مرتين مما
هذا القول لان العذاب في الفاحشة بازاء الاجر في الطاعة قاله ابن عطية وقال النحاس فرق ابو عمرو
بين فيضاعف ويضعف قال يضاعف للمرار الكثيرة ويضعف مرتين وقرا يضعف لهذا وقال ابو عبيد
يضاعف لها العذاب يجعل ثلاثة اعذبة قال النحاس التفريق الذى جاء به ابو عمرو وابو عبيدة لا
يعرفه احد من اهل اللغة علمته والمعنى في يضاعف ويضعف واحد اى يجعل ضعفين كما تقول
ان دفعت الى درهما دفعت اليك ضعفيه اى مثليه يعنى درهمين ويدل على هذا نوتها اجرها مرتين
ولا يكون العذاب اكثر من الاجر وقال في موضع آخر آتهم ضعفين من العذاب اى مثلين وروى معمر
عن قتادة يضاعف لها العذاب ضعفين قال عذاب الدنيا وعذاب الاخرة قال القشيرى ابو نصر الظاهر
انه اراد بالضعفين المثلين لانه قال نوتها اجرها مرتين فاما في الوصايا لو اوصى لرجل بضعف نصيب
ولده فهو وصية بان يعطى مثل نصيبه ثلاث مرات فان الوصايا تجرى على العرف فيما بين الناس لا نسان بضعفى نصيبه
تجرى على العرف فيما بين الناس وكلام الله يرد تفسيره الى كلام العرب والضعف في كلام العرب
المثل الى ما زاد وليس بمقصور على مثلين يقال هذا ضعف هذا اى مثله وهذا ضعفاه اى مثلاه

فالضعف فى الاصل زيادة غير محصورة قال الله تعالى فاولئك لهم جزآء الضعف ولم يرد مثلا ولا مثلين كل هذا قول الازهرى وقد تقدم فى النور الاختلاف فى حد من قذف واخذه منهن والحمد لله
قال ابو رافع كان عمر رضى الله عنه كثيرا ما يقرا سورة يوسف وسورة الاحزاب فى الصبح وكان اذا بلغ يا نساء النبى رفع بها صوته فقيل له فى ذلك فقال اذكرهن العهد قرا الجمهور من يات بالياء وكذلك من يقنت حملا على لفظ من والقنوت الطاعة وقد تقدم وقرا يعقوب من تات وتقنت بالتاء من فوق حملا على المعنى وقال قوم الفاحشة اذا وردت معرفة فهى الزنا واللواط واذا وردت منكرة فهى ساير المعاصى واذا وردت منعوتة فهى عقوق الزوج وفساد عشيرته وقالت فرقة بل قوله فاحشة مبينة تعم جميع المعاصى وكذلك الفاحشة كيف وردت وقراء ابن كثير مبينة بفتح الياء وقراء نافع وابو عمرو فيما روى خارجة نضاعف بالنون المضمومة ونصب العذاب وهذه قراءة بن محيصن وهذه مفاعلة من واحد كطارقت النعل وعاقبت اللص وقرا نافع وحمزة والكسائى يضاعف بالياء وفتح العين العذاب رفعا وهى قراءة الحسن وابن كثير وعيسى وقرا ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وكسر العين المشددة العذاب نصبا قال مقاتل هذا التضعيف فى العذاب انما هو فى الاخرة لان ايتاء الاجر مرتين فى الاخرة وهذا حسن لان نساء النبى صلى الله عليه وسلم لا ياتين بفاحشة توجب حدا وقد قال بن عباس ما بغت امراة نبى قط وانما خانتا فى الايمان والطاعة وقال بعض المفسرين العذاب الذى توعدن به ضعفين هو عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وكذلك الاجر قال ابن عطية وهذا ضعيف اللهم الا ان يكون ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لا ترفع عنهم حدود الدنيا عذاب الاخرة على ما هى حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصامت وهذا امر لم يروى فى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقرره واهل التفسير على ان الرزق الكريم الجنة ذكره النحاس قوله تعالى يا نساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا يعنى فى الفضل والشرف وقال كاحد ولم يقل كواحدة لان احدا نفى من المذكر والمونث والواحد والجماعة وقد يقال على ما ليس بادمى يقال ليس فيها احد لا شاة ولا بعير وانما خصص النساء بالذكر لان فيمن تقدم اسيه ومريم وقد اشار الى هذا قتادة وقد تقدم فى ال عمران الاختلاف فى التفضيل بينهن فتامله هنالك ثم قال ان اتقيتن اى خفتن الله فبين ان الفضيلة انما تتم لهن بشرط التقوى لما منحهن الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القران فى حقهن قوله تعالى فلا تخضعن فى موضع جزم بالنهى الا انه مبنى كما بنى الماضى هذا مذهب سيبويه اى لا تلن القول امرهن الله ان يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا ولا يكون على وجه يظهر فى القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال عليه فى نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه مثل كلام المريبات والمومسات فنهاهن عن مثل هذا قوله تعالى فيطمع بالنصب على جواب النهى الذى فى قلبه مرض اى شك ونفاق عن قتادة والسدى وقيل تشوق للفجور وهو الفسق والغزل قاله عكرمة وهذا اصوب وليس للنفاق مدخل فى هذه الاية وحكى ابو حاتم ان الاعرج قرا فيطمع بفتح الياء وكسر الميم النحاس احسب هذا غلطا وان يكون قرا فيطمع بفتح الياء وكسر العين بعطفه على يخضعن فهذا وجه جيد حسن ويجوز فيطمع بمعنى فيطمع الخضوع او القول قوله تعالى و

بكسرها وقرأت طايفة تضاعف وكسر العين على اسناد الفعل الى الله تعالى وقراء ابو عمرو صح

وقلن قولا معروفا

بن

وقلن قولا معروفا قال ابن عباس امرهن بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والمراة تندب اذا خاطبت الاجانب وكذا المحرمات عليها بالمصاهرة الى الغلظة فى القول من غير رفع صوت فان المراة مامورة بخفض الكلام وعلى الجملة فالقول المعروف هو الصواب الذى لا تنكره الشريعة ولا النفوس
قوله تعالى وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى فيه اربع مسايل
الاولى قوله تعالى وقرن قراء الجمهور بكسر القاف وقراء عاصم ونافع بفتحها فاما القراءة الاولى فتحتمل وجهين احدهما ان يكون من الوقار تقول وقر يقر وقارا اى سكن والامر قر وللنساء قرن مثل عدن وزن والقول الثانى وهو القول للمبرد ان يكون من القرار تقول قررت بالمكان بفتح الراء اقر والاصل اقررن بكسر الراء فحذفت الراء الاولى تخفيفا كما قالوا ظلت ومست ونقلوا حركتها الى القاف واستغنى عن الف الوصل لتحرك القاف قاله ابو على بل على ان ابدلت الراء ياء كراهة التضعيف كما ابدلت فى قيراط ودينار ويصير للياء حركة الحرف المبدل منه فالتقدير اقيرن ثم تلقى حركة الياء على القاف كراهة تحرك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فيصير قرن واما قراءة اهل المدينة وعاصم فعلى لغة العرب قررت فى المكان اذا اقمت فيه بكسر الراء اقر بفتح القاف من باب حمد يحمد وهى لغة اهل الحجاز ذكرها ابو عبيد فى الغريب المصنف عن الكسائى وهو اجل مشايخه وذكرها الزجاج وغيره والاصل اقررن حذفت الراء الاولى لثقل التضعيف والقيت حركتها على القاف فتقول قرن قال الفراء هو كما تقول احست صاحبك اى هل احسست وقال ابو عثمان المازنى قررت به عينا بالكسر لا غير من قرة العين ولا يجوز قررت فى المكان بالكسر وانما هو قررت بفتح الراء وما انكره من هذا لا يقدح فى القراءة اذا ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فيستدل بما ثبت عنه من القراءة على صحة هذه اللغة وزعم ابو حاتم ان قرن لا مذهب له فى كلام العرب وقال النحاس واما قول ابى حاتم انه لا مذهب له فقد خولف فيه وفيه مذهبان احدهما حكاه الكسائى والاخر ما سمعت على ابن سليمان تقول قال وهو من قررت به عينا اقر والمعنى واقررن به عينا فى بيوتكن وهو وجه حسن الا ان الحديث يدل على انه من الاول كما روى ان عمارا قال لعايشة رضى الله عنها ان الله قد امرك ان تقرى فى منزلك فقال يا ابا اليقظان ما زلت قوالا بالحق فقالت الحمد لله الذى جعلنى كذلك على لسانك وقرا ابن ابى عبلة واقررن بالف وصل وراءين الاولى مكسورة
الثانية معنى هذه الاية الامر بلزوم البيت وان كان الخطاب لنساء النبى صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن بالمعنى هذا ولم يرد دليل يخص جميع النساء كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها الا لضرورة على ما تقدم فى غير موضع فامر الله تعالى نساء النبى صلى الله عليه وسلم بملازمة بيوتهن وخاطبهن بذلك تشريفا لهن ونهاهن عن التبرج واعلم انه فعل الجاهلية الاولى فقال ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقد تقدم معنى التبرج فى النور وحقيقته اظهار ما ستره احسن وهو ماخوذ من السعة يقال فى اسنانه برج اذا كانت متفرقة قاله المبرد واختلف الناس فى الجاهلية الاولى فقيل فى الزمن الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المراة تلبس الدرع من اللولو فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقال الحكم بن عتيبة ما بين

الى القاف صح

ادم ونوح ومن ثمانمائة سنة وحكيت لهم سير ذميمة وقال ابن عباس ما بين نوح وادريس الكلبي ما بين
نوح وابرهيم قيل ان المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين وتلبس الثياب الرقاق
ولا تواري بدنها وقالت فرقة ما بين موسى وعيسى الشعبي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
ابو العالية هي زمان داود وسليمان كان فيه للمرأة قميص من الدرع غير مخيط الجانبين وقال
ابو العباس المبرد والجاهلية الاولى كما تقول الجاهلية الجهلاء قال وكان النساء في الجاهلية
الجهلاء يظهرن ما يقبح اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها فينفرد خلها بما فوق الازار
الى الاعلى وينفرد زوجها بما دون الازار الى اسفل وربما سأل احدهما صاحبه البدل وقال مجاهد كان
النساء يتمشين بين الرجال فذلك التبرج قال ابن عطية والذي يظهر عندي انه اشار للجاهلية التي
لحقتها فامرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لانهم كانوا لا غيرة
عندهم وكان امر النساء دون حجبة وجعلها اولى بالنسبة الى ما كن عليه وليس المعنى ان ثم جاهلية
اخرى وقد اوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام فقالوا جاهلي في الشعراء وقال ابن
عباس في البخاري سمعت اني يقول في الجاهلية الى غير هذا قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا قول
حسن ويعترض بان العرب كانت اهل قشف وظنك في الغالب وان التنعم الزينة انما جرى في الازمان
السابقة وهي المراد بالجاهلية الاولى وان المقصود من الاية مخالفة من قبلهن من المشية على تغنج
وتكسير واظهار المحاسن للرجال الى غير ذلك مما لا يجوز شرعا وذلك يشمل الاقوال كلها ويعمها فيلزمن
البيوت فان مست الحاجة الى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام والله الموفق الثالثة ذكر الثعلبي
وغيره ان عايشة رضى الله عنها اذا قرات هذه الاية تبكي حتى تبل خمارها وذكر ان سودة قيل لها لم
لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي قال
الراوي فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت جنازتها رضوان الله عليها قال ابن العربي
لقد دخلت نيفا على الف قرية فما رايت نساء اصون عيالا ولا اعف نساء من نساء نابلس التي رمى بها
الخليل صلى الله عليه وسلم بالنار فاني اقمت فيها فما رايت امراة في طريق نهارا الا يوم الجمعة فانهن
يخرجن اليها حتى يمتلي المسجد منهن فاذا قضيت الصلاة وانقلبن الى منازلهن لم تقع عيني على
واحدة منهن الى الجمعة الاخرى وقد رايت بالمسجد الاقصى عفايف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن
فيه الرابعة قال ابن عطية بكى عايشة رضى الله عنها انما كان بسبب سفرها ايام الجمل وحينئذ
قال لها عمار ان الله قد امرك ان تقري في بيتك قال ابن العربي تعلق الرافضة لعنهم الله بهذه الاية
على ام المؤمنين عايشة رضى الله عنها اذ قالوا انها خالفت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
خرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مازق الطعن والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجوز
لها قالوا ولقد حصر عثمان فلما رات ذلك امرت برواحلها فقربت لتخرج الى مكة فقال لها مروان اقيمي
هنا يا ام المؤمنين وردي هولاء الرعاع فان الاصلاح بين الناس خير من حجك قال ابن العربي قال
علماؤنا رحمة الله عليهم ان عايشة رضى الله عنها نذرت الحج قبل الفتنة فلم تر التخلف عن نذرها ولو خرجت
في تلك الثايرة لكان ذلك صوابا لها واما خروجها الى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس
بها وشكوا اليها ما صاروا اليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس ورجوا بركتها وطمعوا في الاستحيا
منها اذا وقفت الى الخلق وظنت هي ذلك معتدية بالله في قوله لا خير في كثير من نجواهم الا من امر
بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وبقوله وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما والامر
بالاصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر وانثى حر او عبد فلم يرد الله بسابق قضايه ونافذ حكمه ان يقع
اصلاح ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى يكاد يفنى الفريقان فعمد بعضهم الى الجمل فعرقبه فلما
سقط لجنبه ادرك محمد بن ابي بكر عايشة رضى الله عنها فاحتملها الى البصرة وخرجت في ثلثين امراة
قرنهن علي بها حتى اوصلوها الى المدينة بره تقية مجتهدة مصيبة مثابة فيما تاولت ماجورة فيما فعلت اذ
كل مجتهد في الاحكام مصيب وقد تقدم في النحل اسم هذا الرجل وبه يعرف ذلك اليوم قوله تعالى
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا اى فيما امرونهى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
قال الزجاج قيل به يراد نساء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يراد به نساؤه واهله الذين هم اهل بيته
على ما ياتي بيانه بعد واهل البيت نصب على المدح قال وان شيت على البدل قال ويجوز الرفع والخفض
قال النحاس ان خفض على انه بدل من الكاف والميم لم يجز عند ابي العباس محمد بن يزيد قال لا يبدل من
المخاطبة ولا من المخاطب لانهما لا يحتاجان الى تبيين ويطهركم تطهيرا مصدر في معنى التوكيد قوله تعالى
وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا فيه
ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان
لطيفا خبيرا هذه الالفاظ تعطي ان اهل البيت نساؤه وقد اختلف اهل العلم في اهل البيت من هم
فقال عطا وعكرمة وابن عباس هم زوجاته خاصة لا رجل معهن وذهبوا الى ان اهل البيت اريد
به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقالت فرقة منهم الكلبي هم علي
وفاطمة والحسن والحسين خاصة وفي هذا احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله
تعالى ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن ويطهركن
الا انه يحتمل ان يكون خرج على لفظ الاهل كما يقول الرجل لصاحبه كيف اهلك اي امراتك ونساؤك
فيقول هم بخير قال الله تعالى اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت والذي
يظهر من الاية انها عامة في جميع اهل البيت من الازواج وغيرهم وانما قال ويطهركم لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليا وحسنا وحسينا كان فيهم واذا اجتمع المذكر والمونث غلب المذكر
فاقتضت الايات ان الزوجات من اهل البيت لان الاية فيهن والمخاطبة لهن يدل عليه سياق
الكلام والله اعلم اما ان ام سلمة قالت نزلت هذه الاية في بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبري وقال هولاء اهل بيتي وقرا الاية
وقال اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمة وانا معهم يا نبي الله قال انت على مكانك
وانت على خير اخرجه الترمذي وغيره وقال هذا حديث غريب وقال القشيري وقالت ام سلمة ادخلت
راسي الكساء وقلت انا منهم قال نعم وقال الثعلبي هم بنو هاشم فهذا يدل على ان البيت يراد به بيت

النسب فكون العباس واعمامه وبنوا عمامه منهم وروي نحوه عن زيد بن ارقم رضي الله عنه وعلى قول
الكلبي يكون قوله واذكرن ابتداء مخاطبة امر الله عز وجل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الموعظة
وتعديد النعمة بذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة قال اهل العلم بالتأويل آيات الله القرآن
والحكمة السنة والصحيح ان قوله واذكرن منسوق على ما قبله وقال عنكم لقوله اهل فالاهل مذكر فسماهن
وان كن اناثا باسم التذكير فلذلك صار عنكم ولا اعتبار بقول الكلبي واشباهه فانه يوجد له اشياء في هذا
التفسير ما لو كان في زمان السلف الصالح لمنعوه من ذلك وحجروا عليه فالآيات كلها من قوله يا ايها النبي
قل لازواجك الى قوله ان الله كان لطيفا خبيرا منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلاما منفصلا
لغيرهن وانما هذا شيء جرى في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية دعا عليا و
فاطمة والحسن والحسين فعمد النبي صلى الله عليه وسلم الى كساء فلفها عليهم ثم الوى بيده الى السماء فقال
اللهم هؤلاء اهلي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فهذه دعوة من النبي صلى الله عليه وسلم
لهم بعد نزول الآية احب ان يدخلهم في الآية التي خوطب بها الازواج فذهب الكلبي ومن وافقه فصيرها
لهم خاصة وهي دعوة لهم خارجة من التنزيل الثانية لفظ الذكر يحتمل ثلاث معان احدها اي اذكرن
موضع النعمة اذ صيركن الله في بيوت يتلى فيها آيات الله والحكمة الثاني اذكرن آيات الله واقدرن قدرها
وفكرن فيها حتى يكون منكن على بال لتتعظن بمواعظ الله ومن كان هذا حاله ينبغي ان تحسن افعاله والثالث
اذكرن بمعنى احفظن واقرأن والزمنه الالسنة فكأنه يقول واحفظن اوامر الله ونواهيه وذلك هو الذي
يتلى في بيوتهن من آيات الله فامر سبحانه ان يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وما يرين من افعال
النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعن من اقواله حتى يبلغن ذلك الى الناس فيعملون عليه ويقتدون و
هذا يدل على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنساء في الدين الثالثة قال ابن العربي في هذه
الآية مسئلة بديعة وهي ان الله تعالى امر نبيه عليه السلام بتبليغ ما نزل عليه من القرآن وتعليم ما علمه
من الدين فكان اذا قرأ على واحد او ما اتفق سقط عنه الفرض وكان على من سمعه ان يبلغه الى غيره ولا
يلزمه ان يذكره لجميع الصحابة ولا كان عليه اذا علم ذلك ازواجه ان يخرج الى الناس فيقول لهم نزل كذا
ولا كان كذا ولهذا قلنا يجوز بخبر بسرة في ايجاب الوضوء من مس الذكر لانها روت ما سمعت وبلغت ما
وعت ولا يلزم ان يبلغ ذلك الرجال كما قال ابو حنيفة على انه قد نقل عن سعد بن ابي وقاص وابن عمر
قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيه مسئلتان الاولى
روى الترمذي عن ام عمارة الانصارية انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما ارى كل شيء الا
للرجال ولا ارى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الآية ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
الآية هذا حديث غريب [illegible] اسم ان والمسلمات عطف عليه ويجوز رفعهن عند البصريين فاما الفراء
فلا يجوز عنده الا فيما [illegible] الاعراب الثانية بدأ تعالى في هذه الآية بذكر الاسلام الذي يعم الايمان

وعمل الجوارح ثم ذكر الايمان تخصيصا له وتنبيها على انه اعظم الاسلام ودعامته والقانت العابد المطيع
والصادق معناه فيما عوهد عليه ان يفي به والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات في المكره والمنشط
والخاشع الخائف لله والمتصدق بالفرض بالنفل وقيل بالفرض خاصة والاول امدح والصائم كذلك
والحافظين فروجهم والحافظات اي عما لا يحل من الزنا وغيره وفي قوله والحافظات حذف يدل عليه المتقدم
تقديره والحافظاتها فاكتفى بما تقدم وفي الذاكرات ايضا مثله ونظيره قول الشاعر

وكمتا مدماة كان متونها ... جرى فوقها واستشعرت لون مذهب

وروى سيبويه لون مذهب بالنصب وانما يجوز الرفع على حذف الهاء كانه واستشعرته فيمن رفع
لونا والذاكر قيل في ادبار الصلوات وغدوا وعشيا وفي المضاجع وعند الانتباه من النوم وقد تقدم
هذا كله مفصلا في مواضعه وما يترتب عليه من الفوائد والاحكام فاغنى عن الاعادة والحمد لله
قال مجاهد لا يكون ذاكرا لله عز وجل كثيرا حتى يذكره قائما وجالسا ومضطجعا وقال ابو سعيد
الخدري من ايقظ اهله بالليل وصليا اربع ركعات كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى
وما كان روى قتادة وابن عباس ومجاهد في سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمته فظنت ان الخطبة لنفسه فلما تبين انه يريدها لزيد كرهت وابت
وامتنعت فنزلت الآية فاذعنت زينب حينئذ وتزوجته في رواية فامتنعت وامتنع اخوها عبد الله
لنسبها من قريش وان زيدا كان بالامس عبدا الى ان نزلت هذه الآية فقال له اخوها مرني بما شئت
فزوجها من زيد وقيل انها نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فزوجنا غيره فنزلت هذه الآية بسبب ذلك فاجابا الى تزويج زيد قاله ابن زيد وقال الحسن ليس
لمؤمن ولا مؤمنة اذا امر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بامر ان يعصياه الثانية لفظ ما كان وما
ينبغي ونحوها معناها الحظر والمنع فيجيء لحظر الشيء والحكم بانه لا يكون كما في هذه الآية وربما كان امتناع ذلك
الشيء عقلا كقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وربما كان العلم بامتناعه شرعا كقوله وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا وربما كان في المندوبات كما تقول ما كان لك يا فلان ان تترك النوافل ونحو
هذا الثالثة في هذه الآية دليل بل نص في ان الكفاءة لا تعتبر في الاحساب وانما تعتبر في الاديان
خلافا لمالك والشافعي والمغيرة وسحنون وذلك ان الموالي تزوجت في قريش تزوج زيد زينب بنت جحش
وتزوج المقداد بن الاسود ضباعة بنت الزبير وزوج ابو حذيفة سالما من هند بنت الوليد بن عتبة
وتزوج بلال اخت عبد الرحمن بن عوف وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع الرابعة قوله تعالى ان
يكون لهم الخيرة قرأ الكوفيون ان يكون بالياء وهو اختيار ابي عبيد لانه قد فرق بين المؤنث وبين فعله — الباقون بالتاء
بالتاء لان اللفظ مؤنث فعله حسن والتذكير على ان الخيرة بمعنى التخيير فالخيرة مصدر بمعنى الاختيار
وقرأ ابن السميفع الخيرة باسكان الياء وهذه الآية في ضمن قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم

ثم توعد تعالى واخبر ان من يعص الله ورسوله فقد ضل وهذا ادل دليل على ما ذهب اليه الجمهور من فقهائنا
وفقهاء اصحاب الامام الشافعي وبعض الاصوليين من ان صيغة افعل للوجوب في اصل وضعها لان الله
تبارك وتعالى نفى خيرة المكلف عند سماع امره وامر رسوله ثم اطلق على من يبقى له خيرة عند صدور الامر
اسم المعصية ثم علق على المعصية بذلك الضلال فلزم حمل الامر على الوجوب والله اعلم قوله تعالى
وَاِذْ يَقُولُ لِلَّذِي اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَاَنْعَمْتَ عَلَيْهِ اَمْسِكْ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللّٰهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا
اللّٰهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللّٰهُ اَحَقُّ اَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ فِي اَزْوَاجِ اَدْعِيَائِهِمْ اِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ
عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللّٰهُ لَهُ سُنَّةَ اللّٰهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ قَدَرًا مَقْدُورًا
الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللّٰهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ اَحَدًا اِلَّا اللّٰهَ وَكَفَى بِاللّٰهِ حَسِيبًا
فيه تسع مسائل الاولى روى الترمذي قال حدثنا علي بن حجر قال حدثنا داود بن الزبرقان عن داود بن
ابي هند عن الشعبي عن عايشة قالت لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحي لكتم هذه
الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه يعني بالاسلام وانعمت عليه بالعتق فاعتقته امسك عليك زوجك
واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه الى قوله وكان امر الله مفعولا
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قالوا تزوج حليلة ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان رسول الله تبناه وهو صغير فلبث حتى صار رجلا يقال له
زيد بن محمد فانزل الله تعالى ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين
ومواليكم فلان مولى فلان وفلان اخو فلان هو اقسط عند الله قال ابو عيسى هذا حديث قد روي
عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق عن عايشة قالت لو كان النبي صلى الله عليه وسلم كاتما شيا
من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه هذا الحرف لم يرد بطوله قلت
هذا القدر هو الذي اخرجه مسلم في صحيحه وهو الذي صححه الترمذي في جامعه وفي البخاري عن انس بن
مالك ان هذه الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شان زينب بنت جحش وزيد بن حارثة وقال عمر
وابن مسعود وعايشة والحسن ما انزل الله على رسوله اية اشد عليه من هذه الاية وقال الحسن وعايشة
لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحي لكتم هذه الاية لشدتها عليه وروي في الخبر انه
امسى زيد فاوى الى فراشه قالت زينب ولم يستطعني زيد وما امتنع منه غير ما منعه الله مني فلا يقدر
علي هذه رواية ابي عصمة نوح ابن ابي مريم رفع الحديث الى زينب انها قالت ذلك وفي بعض الروايات
ان زيدا تورم ذلك منه حين اراد ان يقربها فهذا قريب من ذلك وجاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل فاني اريد ان اطلقها فقال له امسك عليك زوجك
واتق الله الاية فطلقها زيد فنزلت واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الاية واختلف الناس
في تاويل هذه الاية فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصا على ان يطلقها
زيد فيتزوجها هو ثم ان زيدا لما اخبره بانه يريد فراقها ويشكو منها غلظة قول وعصيان امر واذى

بلسان وتعظما بالشرف قال له اتق الله اي فيما تقول عنها وامسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص على طلاق
زيد اياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه لزم ما يجب من الامر بالمعروف وقال مقاتل زوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حينا ثم انه عليه السلام اتى زيدا يوما
يطلبه فابصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة من اتم نساء قريش فهويها وقال سبحان الله مقلب
القلوب فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن زيد فقال يا رسول الله ائذن لي في طلاقها
فان فيها كبرا تعظم علي وتؤذيني بلسانها فقال عليه السلام امسك زوجك واتق الله وقيل ان الله
بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها فراى زينب فوقعت في نفسه ووقع في نفس
زينب انها وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما جاء يطلب زيدا فجاء زيد فاخبرته بذلك
فوقع في نفس زيد ان يطلقها وقال ابن عباس وتخفي في نفسك الحب لها وتخشى الناس اي تستحييهم
وقيل تخاف ويكره لائمة المسلمين لو قلت طلقها ويقولون امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها حين طلقها
والله احق ان تخشاه في كل حال وقيل والله احق ان تستحيي ولا تامر زيدا بامساك زوجته بعد ان
اعلمك الله انها ستكون زوجتك فعاتبه الله على جميع هذا وروي عن ابن الحسين ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان قد اوحى اليه ان زيدا يطلق زينب وانه لا تطيعه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما شكى زيد
للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جهة الادب والوصية اتق الله في قولك وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه يفارقها
وهذا هو الذي اخفى في نفسه ولم يرد ان يامره بالطلاق لما علم انه سيتزوجها وخشي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يلحقه قول من الناس في ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه
الله على هذا القدر من ان خشي الناس في شيء قد اباحه الله له بان قال امسك مع علمه بانه يطلق واعلمه
ان الله احق بالخشية اي في كل حال قال علماؤنا وهذا القول احسن ما قيل في تاويل هذه الاية وهو الذي
عليه اهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي
ابو بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما ارجاف المنافقين بانه نهى عن تزويج نساء
الابناء وتزوج بزوجة ابنه فاما ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب امراة زيد وربما اطلق
بعض المجان لفظ عشق فهذا انما يصدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا او
مستخف بحرمته صلى الله عليه وسلم قال الترمذي الحكيم في نوادر الاصول واسند الى علي بن الحسين
قوله فعلي بن حسين جاء بهذا من خزانة العلم جوهرا من الجواهر ودرا من الدرر انه انما عتب الله
عليه في انه قد اعلمه ان ستكون هذه من ازواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد امسك عليك زوجك واخذتك
خشية الناس ان يقولوا تزوج امراة ابنه والله احق ان تخشاه وقال النحاس قال بعض العلماء ليس هذا
من النبي صلى الله عليه وسلم خطيئة الا ترى انه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار منه وقد يكون الشيء ليس
بخطيئة الا ان غيره احسن منه واخفى ذلك في نفسه خشية ان يفتتن الناس الثانية قال ابن العربي
فان قيل لاي معنى قال له امسك عليك زوجك وقد اخبره الله انها زوجه قلنا اراد ان يختبر ما لم يعلمه الله
من رغبته فيها او رغبته عنها فابدى له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم تكن علم منه في امرها

فان قيل كيف يامره بالتمسك بها وقد علم ان الفراق لا بدّ منه وهذا تناقض قلنا بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة
كاقامة الحجة ومعرفة العاقبة الا يرى ان الله تعالى يامر العبد بالايمان وقد علم انه لا يؤمن فليس
في مخالفة متعلق الامر لمتعلق العلم ما يمنع من الامر به عقلا وحكما وهذا من نفيس العلم فتقبلوه
وتقبلوه وقوله واتق الله اى في طلاقها فلا تطلقها واراد نهى تنزيه لا نهى تحريم لان الاولى لا يطلق
وقيل اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج وتخفى في نفسك قيل تعلق قلبه وقيل مفارقة
الثالثة صح
زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها لان الله قد اعلمه بذلك الثالثة روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لزيد ما اجد في نفسي اوثق منك فاخطب زينب على قال فذهبت ووليتها ظهري
توقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم وخطبتها ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي
فقامت الى مسجدها ونزل القران فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها قلت معنى هذا الحديث
ثابت في الصحيح وترجم له النسائي صلاة المراة اذا خطبت واستخارت ربها روى الايمة واللفظ
لمسلم عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد فاذكرها علي قال فانطلق
زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينتها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران وجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا
الخبز واللحم حتى امتد النهار الحديث في رواية حتى تركوه وفي رواية عن انس ايضا قال ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولم على امراة ما اولم على زينب فانه ذبح شاة قال علماؤنا بقوله عليه السلام لزيد
فاذكرها علي اى اخطبها كما بينه الحديث الاول وهذا امتحان لزيد واختبار له حتى يظهر صبره وانقياده
وطوعه قلت وقد يستنبط من هذا ان يقول الانسان لصاحبه اخطب علي فلانة لزوجه المطلقة منه
الرابعة صح
ولا حرج في ذلك والله اعلم الرابعة لما وكلت امرها الى الله تعالى وصح تفويضها اليه تولى الله انكاحها
ولذلك قال فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وروى الامام جعفر بن محمد عن ابائه عن النبي صلى
الله عليه وسلم وطرا زوجناكها ولما اعلمه الله بذلك دخل عليها بغير اذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق
ولا شيء مما يكون شرطا في حقوقنا ومشروعا لنا وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه
فيها احد باجماع من المسلمين ولهذا كانت زينب تفاخر نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن اناؤكن
وزوجني الله تعالى اخرجه النسائي عن انس بن مالك قال كانت زينب تفخر على نساء النبي صلى الله
عليه وسلم تقول ان الله عز وجل انكحني من السماء وفيها نزلت اية الحجاب رضي الله عنها وسيأتي العاشرة
العاشرة صح
المنعم عليه في هذه الاية هو زيد بن حارثة كما بيناه وقد تقدم خبره في اول السورة وروى ان عمه لقيه
يوما وكان ورد مكة في شغل له فقال ما اسمك يا غلام قال زيد قال ابن من قال ابن حارثة قال ابن من
قال ابن شراحيل الكلبي صح
قال فما اسم امك قال سعدى وكنت في اخوالي طي
فضمته الى صدره وارسل الى اخيه وقومه فحضروا وارادوا منه ان يقيم معهم فقالوا لمن انت قال لمحمد بن
عبد الله فاتوه وقالوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرض عليه فان اختاركم فخذوا بيده فبعث الى زيد وقال
هل تعرف هؤلاء قال نعم هذا ابي وهذا اخي وهذا عمي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاني صاحبك كنت لك

فبكى قال لم سالتني عن ذلك قال اخبرك فان اجبت ان تلحق بهم فالحق وان كنت اردت ان تقيم فانا من
قد عرفت فقال ما اختار عليك احدا فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبودية على ابيك وعمك قال
اى والله العبودية عند محمد احب الي من ان اكون عندكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا اني وارث وموروث فلم يزل يقال زيد بن محمد الى ان نزل قوله ادعوهم لابائهم ونزل
السادسة صح
ما كان محمد ابا احد من رجالكم السادسة قال الامام ابو القسم عبد الرحمن السهيلي رضي الله عنه
كان يقال زيد بن محمد الى ان نزل قوله ادعوهم لابائهم فقال انا زيد بن حارثة وحرم ان يقول انا زيد
ابن محمد فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصة
لم يكن يخص بها احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهي انه سماه في القران فقال تعالى فلما
قضى زيد منها وطرا يعني من زينب ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرانا يتلى
في المحاريب نوه به غاية التنويه فكان في هذا تانيس له وعوض من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم
الا ترى ان ابي بن كعب قال له النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله امرني ان اقرا عليك سورة كذا فبكى فقال او ذكرت هنالك وكان بكاؤه من الفرح حين
اخبر ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرانا يتلى مخلدا لا يبلى يتلوه اهل الدنيا اذا قرؤوا
القران واهل الجنة كذلك ابدا لا يزال على السنة المؤمنين كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند
رب العالمين اذ القران كلام الله القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد هذا في الصحف المكرمة المرفوعة
المطهرة بذكره في التلاوة السفرة الكرام البررة وليس ذلك لاسم من اسماء المؤمنين الا لنبي من
الانبياء او لزيد بن حارثة تعويضا من الله تعالى له مما نزع عنه وزاد في الاية ان قال واذ تقول للذي
انعم الله عليه اى بالايمان فدل على انه من اهل الجنة علم ان ذلك قبل ان يموت وهذه فضيلة اخرى
السابعة صح
رضي الله عنه السابعة قوله تعالى وطرا الوطر كل حاجة للمرء له فيها همة والجمع الاوطار قال ابن
عباس اى بلغ ما اراد من حاجته يعني الجماع وفيه اضمار اى لما قضى وطره منها طلقها زوجناكها وقرا
الثامنة صح
اهل البيت زوجتكها وقيل الوطر عبارة عن الطلاق قاله قتادة الثامنة ذهب بعض الناس من
هذه الاية ومن قول شعيب اني اريد ان انكحك الى ان ترتيب هذا المعنى في المهور ينبغي ان يكون انكحه اياها
فتقدم ضمير الزوج كما في الايتين وكذلك قوله عليه السلام لصاحب الرداء اذهب فقد انكحتكها بما معك
من القران قال ابن عطية وهذا غير لازم لان الزوج في الاية مخاطب فحسن تقديمه وفي المهور الزوجان
التاسعة صح
فقدم من شئت ولم يبق ترجيح الا بدرجة الرجال وانهم القوامون التاسعة قوله تعالى زوجناكها
دليل على ثبوت الولي في النكاح وقد تقدم الخلاف في ذلك روي ان عايشة وزينب تفاخرتا فقالت عايشة
انا الذي جاء بي الملك الى النبي صلى الله عليه وسلم في سرقة من حرير فيقول هذه امراتك اخرجه الصحيح
وقالت زينب انا التي زوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسائك امراة تدل بهن ان جدي وجدك واحد وان
الله انكحك اياي من السماء وان السفير في ذلك جبريل وروي عن زينب انها قالت لما وقعت في قلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يستطعني زيد وما امتنع منه غيرما يمنعه الله تعالى مني فلا يقدر على قوله تعالى سنة الله
في الذين خلوا من قبل هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة اعلمهم ان هذا ونحوه هو السنن الاقدم في الانبياء

ان نالوا احله لهم اى سن لمحمد صلى الله عليه وسلم فى التوسعة فى النكاح سنة الانبيا الماضية كداود و
سليمان فكان لداود ماية امراة وثلثماية سرية ولسليمان ثلثماية امراة وسبعماية سرية وذكر الثعلبى
عن مقاتل وابن الكلبى ان الاشارة الى داود عليه السلام حيث جمع الله بينه وبين من فتن بها وسنة نصب
على المصدر اى سن الله له سنة واسعة والذين خلوا هم الانبياء بدليل وصفهم الله بعد بقوله الذين يبلغون
رسالات الله قوله تعالى ماكان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين
وكان الله بكل شئ عليما فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ما كان محمد لما تزوج زينب
قال الناس تزوج امراة ابنه فنزلت الاية اى ليس هو بابيه حتى تحرم عليه حليلته ولكنه ابو امته فى
فى التبجيل والتعظيم وان نساءهم عليهم حرام فاذهب الله بهذه الاية ما وقع فى نفوس المنافقين وغيرهم
واعلم ان محمدا لم يكن ابا احد من الرجال المعاصرين له فى الحقيقة ولم يقصد بهذه الاية ان النبى لم يكن
له ولد فقد ولد له ذكور ابرهيم والقاسم والطيب والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلا واما الحسن
والحسين فكانا طفلين ولم يكونا رجلين معاصرين له الثانية قوله تعالى ولكن رسول الله قال الاخفش
والفراء ولكن كان رسول الله واجازا ولكن رسول الله وخاتم بالرفع وكذلك قرا ابن ابى عبلة وبعض الناس
ولكن رسول الله بالرفع على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين وقرات فرقة ولكن بتشديد النون ونصب
رسول الله على انه اسم كان والخبر محذوف وخاتم قرا عاصم وحده بفتح التاء بمعنى انهم ختموا به فهو كالخاتم و
والطابع لهم وقرا الجمهور بكسر التاء بمعنى انه ختمهم اى جاء آخرهم وقيل الخاتم والخاتم لغتان مثل طابع وطابع
ودانق ودانق وطابق من اللحم وطابق الثالثة قال ابن عطية هذه الالفاظ عند جماعة علماء الامة خلفا
وسلفا متلقاة على العموم التام مقتضية نصا انه لا نبى بعده صلى الله عليه وسلم وما ذكره القاضى
ابن الطيب فى كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال فى الفاظ هذه الاية ضعيف وما ذكره الغزالى فى هذه
الاية وهذا المعنى فى كتابه الذى سماه بالاقتصاد الحاد عندى وتطرق خبيث الى تشويش عقيدة المسلمين
فى ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة فالحذر الحذر منه والله الهادى برحمته قلت وقد روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لا نبوة بعدى الا ما شاء الله قال ابو عمر يعنى الرؤيا والله اعلم التى هى جزء
منها كما قال عليه السلام ليس يبقى بعدى من النبوة الا الرؤيا الصالحة وقرا ابن مسعود من رجالكم
ولكن نبيا ختم النبيين قال الرمانى ختم به عليه السلام الاستصلاح فمن لم يصلح به فميؤوس من صلاحه
قلت ومن هذا المعنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفى صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل الدنيا كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس
يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا موضع اللبنة
جيت فختمت الانبياء ونحوه عن ابى هريرة غير انه قال فانا اللبنة وانا خاتم النبيين الرابعة يا ايها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا امر تعالى بان يذكروه
ويشكروه ويكثروا من ذلك على ما انعم به عليهم وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد ولعظم الاجر
فيه قال ابن عباس لم يعذر احد فى ترك ذكر الله الا من غلب على عقله وروى ابو سعيد عن النبى صلى الله
عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقيل الذكر الكثير ما جرى على الاخلاص من القلب والقليل

ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا اى اشغلوا السنتكم فى معظم احوالكم
بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير قال مجاهد وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب
وقيل ادعوه قال جرير فلا تنس تسبيح الضحى ان يوسفا دعا ربه فاختاره حين سبحا
وقيل المراد صلوا لله بكرة واصيلا والصلاة تسمى تسبيحا وخص الفجر والمغرب والعشا بالذكر
لانها احق بالتحريض عليها لاتصالها باطراف الليل وقال قتادة والطبرى الاشارة الى صلاة
الغداة وصلاة العصر والاصيل العشى وجمعه اصائل والاصل بمعنى الاصيل وجمعه آصال
قاله المبرد وقال غيره اصل جمع اصيل كرغيف ورغف وقد تقدم مسئلة هذه الاية مدنية فلا تعلق
بها لمن زعم ان الصلاة انما فرضت اولا صلاتين فى طرفى النهار والرواية بذلك ضعيفة فلا التفات
اليها ولا معول عليها وقد مضى الكلام فى كيفية فرض الصلاة وما للعلماء فى ذلك فى سبحان والحمد لله
قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين
رحيما قال ابن عباس لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبى قال المهاجرون والانصار هذا
هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شئ فانزل الله فيه هذه الاية قلت وهذه نعمة من الله تعالى
على هذه الامة من اكبر النعم ودليل على فضيلتها على ساير الامم وقد قال كنتم خير امة اخرجت للناس
والصلاة من الله على العبد هى رحمته له وبركته لديه وصلاة الملائكة دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم
لهم كما قال ويستغفرون للذين آمنوا وسياتى وفى الحديث ان بنى اسرائيل سالوا موسى عليه السلام
ايصلى ربك عز وجل فاعظم ذلك فاوحى الله عز وجل ان صلاتى بان رحمتى سبقت غضبى ذكره
النحاس وقال ابن عطية وروت فرقة ان النبى صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاة
الله على عباده قال سبوح قدوس رحمتى سبقت غضبى واختلف فى تاويل هذا القول فقيل
انه كله من كلام الله وهى صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس من كلام محمد صلى الله عليه وسلم
وقدمه بين يدى نطقه باللفظ الذى هو صلاة الله وهو رحمتى سبقت غضبى من حيث فهم من السايل
انه توهم فى صلاة الله على عباده وجها لا يليق بالله عز وجل فقدم التنزيه والتعظيم بين يدى
اخباره قوله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور اى من الضلالة الى الهدى ومعنى هذا التثبيت على
الهداية لانهم كانوا فى وقت الخطاب على الهداية ثم اخبر تعالى برحمته للمؤمنين تانيسا لهم فقال وكان
بالمؤمنين رحيما قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما يا ايها النبى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اختلف فى الضمير
الذى فى يلقونه على من يعود فقيل على الله تعالى اى كان بالمؤمنين رحيما فهو يؤمنهم من عذاب الله
يوم القيمة وفى ذلك اليوم يلقونه وتحيتهم اى تحية بعضهم لبعض سلام اى سلامة لنا ولكم من
عذاب الله وقيل هذه التحية من الله تعالى المعنى فيسلمهم من الآفات او يبشرهم بالامن واستشهد
بقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام وقيل يوم يلقونه اى يوم يلقون ملك الموت وقد ورد انه لا يقبض
روح مؤمن الا سلم عليه روى عن البراء بن عازب تحيتهم يوم يلقونه سلام فيسلم ملك الموت على المؤمنين
عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه قوله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا و

نذيرا الاية هذه الاية فيها تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين وتكريم لجميعهم وهذه الاية تضمنت من اسمايه صلى الله عليه وسلم ستة اسماء ولنبينا صلى الله عليه وسلم اسماء كثيرة وسمات جليلة ورد ذكرها في الكتاب والسنة والكتب المتقدمة وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد وقال صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه الثقات العدول لي خمسة اسماء انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطعم وقد سماه الله تعالى رووفا رحيما وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة وقد تتبع القاضي ابو الفضل عياض في كتابه المسمى بالشفا ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما نقل في الكتب القديمة واطلاق الامة اسماء كثيرة وصفات عديدة صدقت عليه صلى الله عليه وسلم مسمياتها ووجدت فيه معانيها وقد ذكر القاضي ابو بكر ابن العربي في احكامه في هذه الاية من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وستين اسما وذكر صاحب وسيلة المتعبدين الى متابعة سيد المرسلين عن ابن عباس ان لمحمد صلى الله عليه وسلم مائة وثمانين اسما من ارادها وجدها هناك وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فبعثهما الى اليمن وقال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ولا تعسرا فانه قد انزل ويسرا
على وقرا الاية قوله تعالى شاهدا قال سعيد عن قتادة شاهدا على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ انبياهم ونحو ذلك ومبشرا معناه للمومنين برحمة الله وبالجنة ونذيرا معناه للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد وداعيا الى الله هو تبليغ التوحيد والاخذ به ومكافحة الكفرة وباذنه معناه هنا بامره اياك وتقديره ذلك في وقته واوانه وسراجا منيرا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه وقيل وسراجا اي هاديا من ظلم الضلالة وانت كالمصباح المضيء ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطي وسراج لا يضي ومائدة ينتظر لها من يجي سيل بعضهم عن الوحشتين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر واسند النحاس قال حدثنا محمد بن ابرهيم الرازي قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن شيبان النحوي قال حدثنا قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فقال انطلقا فبشرا ولا تعسرا فانه قد نزل على الليلة اية انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا من النار وداعيا الى الله قال شهادة ان لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا قال بالقران وقال الزجاج وسراجا اي وذا سراج منيرا اي كتاب نير واجاز ايضا ان يكون بمعنى وتاليا كتاب الله

قوله تعالى وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا الواو عاطفة جملة على جملة والمعنى منقطع من الذي قبله امره تعالى ان يبشر المومنين بالفضل الكبير من الله عز وجل وعلى قول الزجاج ذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا تكون معطوفا على الكاف في ارسلناك قال ابن عطية قال لنا ابي رضي الله عنه

هذه

هذه من ارجى اية عندي في كتاب الله لان الله تعالى قد امر نبيه ان يبشر المومنين بان لهم عنده فضلا كبيرا وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاوون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فالاية التي في هذه السورة خبر والتي في حم عسق تفسير لها ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تطعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين ولا تمالئهم الكافرين اي سفيان وعكرمة وابي الاعور السلمي قالوا يا محمد لا تذكر الهتنا بسوء نتبعك والمنافقين عبد الله ابن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة بن ابيرق حثوا النبي صلى الله عليه وسلم على اجابتهم بعلة المصلحة ودع اذاهم اي دع ان توذيهم مجازاة على اذايتك اياهم فامره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ونسخ من الاية على هذا التاويل ما يخص الكافرين وناسخه اية السيف وفيه معنى ثان اي اعرض عن اقوالهم وما يوذونك ولا تشتغل به فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد والاية منسوخة باية السيف وتوكل على الله امره بالتوكل عليه وانسه بقوله وكفى بالله وكيلا وفي قوة الكلام وعد بنصر والوكيل الحافظ القائم على الامر

قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا فيه سبع مسايل

الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات لما جرت قصة زيد وتطليقه زينب وكانت مدخولا بها وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها كما بيناه خاطب الله المومنين بحكم الزوجة تطلق قبل البناء وبين ذلك الحكم للامة فالمطلقة اذا لم تكن ممسوسة لا عدة عليها بنص الكتاب واجماع الامة على ذلك فان دخل بها فعليها العدة اجماعا ∴

الثانية النكاح في الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانه سبب في اقتراف الاثم ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء وهو من اداب القران الكناية عنه بلفظ الملابسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان

الثالثة استدل بعض العلماء بقوله تعالى وان طلقتموهن وبمهلة ثم على ان الطلاق لا يكون الا بعد نكاح وان من طلق المراة قبل نكاحها وان عينها فان ذلك لا يلزمه وقال هذا نيف على ثلاثين من صاحب وتابع وامام سمى البخاري منهم اثنين وعشرين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل نكاح ومعناه ان الطلاق لا يقع حتى يحصل النكاح قال حبيب ابن ثابت سيل علي ابن الحسين رضي الله عنهما عن رجل قال لامراته ان تزوجتك فانت طالق فقال ليس بشيء ذكر الله النكاح قبل الطلاق وقالت طائفة من اهل العلم ان طلاق المعينة الشخص او القبيلة او البلد لازم قبل النكاح منهم مالك وجميع اصحابه وجميع عظيم من علماء الامة وقد مضى في براءة الكلام فيها ودليل الفريقين والحمد لله فاذا قال كل امراة اتزوجها وكل عبد اشتريه حر لم يلزمه شيء وان قال كل امراة اتزوجها الى عشرين سنة او ان تزوجت من بلد فلان او من بني فلان فهي طالق لزمه الطلاق ما لم يخف العنت على نفسه في طول السنين او يكون عمره في الغالب لا يبلغ ذلك فله ان يتزوج وانما لم يلزمه الطلاق اذا عم لانه ضيق على نفسه المناكح فلو منعناه ان لا يتزوج لحرج وخيف عليه العنت وقد قال بعض اصحابنا انه ان

وجد ما يتستر به لم ينكح وليس بشيء وذلك ان الضرورات والاعذار يرفع الاحكام فيصير هذا من حيث الضرورة كمن لم يحلف قاله ابن خواز منداد الرابعة استدل داود ومن قال بقوله ان المطلقة الرجعية اذا راجعها زوجها قبل ان ينقضي عدتها ثم فارقها قبل ان يمسها انه ليس عليه ان يتم عدتها ولا عدة مستقبلة وقد ظلم زوجها نفسه واخطا ان كان ارتجعها ولا حاجة له بها وعلى هذا اكثر اهل العلم لانها في حكم الزوجات المدخول بهن في النفقة والسكنى وغير ذلك ولذلك يستانف العدة من يوم طلقت وهو قول جمهور فقها البصرة والكوفة ومكة والمدينة والشام وقال الثوري اجمع الفقهاء عندنا على ذلك الخامسة فلو كانت بائنة غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول فقد اختلفوا في ذلك ايضا فقال الشافعي ومالك وزفر وعثمان البتي لها نصف الصداق وتتم بقية العدة الاولى وهو قول الحسن وعطا وعكرمة وابن شهاب وقال ابو حنيفة وابو يوسف والثوري والاوزاعي لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة جعلوها في حكم المدخول بها لاعتدادها من مائه وقال داود لها نصف الصداق وليس عليها بقية العدة الاولى ولا عدة مستقبلة والاولى ما قاله مالك والشافعي والله اعلم السادسة هذه الاية مخصصة لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولقوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر وقد مضى في البقرة ومضى فيها الكلام في المتعة فاغنى عن الاعادة هنا وسرحوهن سراحا جميلا فيه وجهان احدهما انه دفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة قاله ابن عباس الثاني انه طلاقها طاهرا من غير جماع قاله قتادة وقيل فسرحوهن بعد الطلاق الى اهلهن فلا يجتمع الرجل والمطلقة في موضع واحد السابعة قوله تعالى فمتعوهن قال سعيد هي منسوخة بالاية التي في البقرة وهي قوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي فلم يذكر المتعة وقد مضى هذا في البقرة مستوفى وقوله سرحوهن طلقوهن والتسريح كناية عن الطلاق عند ابي حنيفة لانه يستعمل في غيره فيحتاج الى النية وعند الشافعي صريح وقد مضى في البقرة القول فيه فلا معنى للاعادة جميلا بسنة من غير بدعة قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا فيه تسع عشرة مسئلة الاولى روى السدي عن ابي صالح عن ام هاني بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقاء خرجه ابو عيسى وقال هذا حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه قال ابن العربي وهو ضعيف جدا ولم يات هذا الحديث من طريق صحيح يحتج بها الثانية لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنه حرم عليه التزويج لغيرهن والاستبدال بهن مكافاة لهن على فعلهن والدليل على ذلك قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد الاية وهل كان

لانها مطلقة قبل الدخول بها وقال عطا بن ابي رباح وفرقة تمضي في عدتها من طلاقها الاول وهو احد قولي الشافعي لان طلاقه لها اذا لم يمسها في حكم من طلقها في عدتها قبل ان يراجعها ومن طلق امراته في كل طهر مرة بنت ولم تستانف وقال مالك اذا فارقها قبل ان يمسها لا يبني على ما مضى من عدتها وانما تبني من يوم طلقها عدة مستقبلة صح صح صح

حل له ان يطلق واحدة منهن بعد ذلك فقيل لا يحل له ذلك جزاء لهن على اختيارهن له وقيل كان حل له ذلك كغيره من الناس ولكن لا يتزوج بدلها ثم نسخ هذا التحريم فاباح له ان يتزوج بمن شاء عليهن من النساء والدليل عليه قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك والاحلال يقتضي تقدم حظر وزوجاته اللاتي في حياته لم يكن محرمات عليه وانما كان حرم عليه التزويج بالاجنبيات فانصرف الاحلال اليهن ولانه قال في سياق الاية وبنات عمك الاية ومعلوم انه لم يكن تحته احد من بنات عمه ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته فثبت انه احل له التزويج بهذا ابتداء وهذه الاية وان كانت مقدمة في التلاوة فهي متاخرة النزول على الاية المنسوخة بها كاتني الوفاة في البقرة وقد اختلف الناس في تاويل قوله تعالى احللنا لك ازواجك فقيل المراد بها ان الله تعالى احل له ان يتزوج كل امراة يؤتيها مهرها قاله ابن زيد والضحاك فعلى هذا يكون الاية مبيحة جميع النساء حاشى ذوات المحارم وقيل المراد احللنا لك ازواجك اي الكائنات عندك لانهن قد اخترنك على الدنيا والاخرة قاله الجمهور من العلماء وهو الظاهر لان قوله آتيت ماض ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال الا بشروط ويجي الامر على هذا التاويل ضيقا على النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا التاويل ما قاله ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج في اي الناس شاء وكان يشق ذلك على نسائه فلما نزلت هذه الاية وحرم عليه بها الناس الا من سمى سر نساؤه بذلك قلت والقول الاول اصح لما ذكرناه ويدل ايضا على صحته ما خرجه الترمذي عن عطا قال قالت عايشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له النساء قال هذا حديث حسن صحيح الثالثة قوله تعالى وما ملكت يمينك احل الله السراري لنبيه صلى الله عليه وسلم ولامته مطلقا واحل الازواج لنبيه صلى الله عليه وسلم مطلقا واحله للخلق بعدد وقوله مما افاء الله عليك اي رده عليك من الكفار والغنيمة قد تسمى فيئا اي مما افاء الله عليك من النساء الماخوذة على وجه القهر والغلبة الرابعة قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك اي احللنا لك ذلك زايدا من الازواج اللاتي اتيت اجورهن على قول الجمهور لانه لو اراد احللنا لك كل امراة تزوجتها واتيت اجرها لما قال بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم قلت وهذا لا يلزم وانما خص هولاء بالذكر تشريفا لهن كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان والله اعلم الخامسة قوله تعالى اللاتي هاجرن معك فيه قولان الاول لا يحل لك من النساء من قرابتك كبنات عمه العباس وغيره من اولاد عبد المطلب وبنات اولاد بنات عبد المطلب وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف بن زهرة الا من اسلم لقوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه الثاني لا يحل لك منهن الا من هاجر الى المدينة لقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ومن لم يهاجر لم يكمل ومن لم يكمل لم يصلح للنبي صلى الله عليه وسلم الذي كمل وشرف وعظم صلى الله عليه وسلم السادسة قوله تعالى معك المعية هنا الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة فيها فمن هاجر حل له كان في صحبته اذ هاجر او لم يكن يقال دخل فلان معي وخرج معي اي كان عمله كعملي وان لم يكن فيه عملكما ولو قلت خرجنا معا لاقتضى ذلك المعنيين جميعا الاشتراك في الفعل والاقتران السابعة ذكر الله عز وجل العم فردا والعمات جمعا وكذلك قال خالك وخالاتك والحكمة في ذلك ان العم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر

لم يقترن به

والراحو وليس كذلك العمة والخالة وهذا عرف لغوي فجاء الكلام عليه بغاية البيان لرفع الاشكال وهذا دقيق فتاملوه قاله ابن العربي الثامنة قوله تعالى وامراة مومنة عطف على واحللنا المعنى واحللنا لك امراة يهب نفسها من غير صداق وقد اختلف في هذا المعنى فروي عن ابن عباس انه قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم المراة الا بعقد نكاح او ملك يمين فاما الهبة فلم يكن عنده منهن احد وقال قوم بلى كانت عنده موهوبة قلت والذي في الصحيحين يقوي هذا القول ويعضده روى مسلم عن عايشة انها قالت كنت اغار على اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول اما تستحي امراة تهب نفسها لرجل حتى انزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء فقلت والله ما ارى ربك الا يسارع في هواك وروى البخاري عن عايشة انها قالت كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل هذا انهن كن غير واحدة والله اعلم الزمخشري قيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قلت وفي بعض هذا اختلاف قال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة ام المساكين امراة من الانصار وقال علي ابن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر الاسدية وقال عروة بن الزبير ام حكيم بنت الاوقص السلمية التاسعة وقد اختلف في اسم الواهبة نفسها فقيل هي ام شريك الانصارية اسمها غزية وقيل غزيلة وقيل ليلى بنت حكيم وقيل هي ميمونة بنت الحرث حين خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فجاءها الخاطب وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي ام شريك العامرية وكانت عند ابي العكر الازدي وقيل عند الطفيل ابن الحارث فولدت له شريكا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها ولم يثبت ذلك والله اعلم ذكره ابو عمر بن عبد البر وقال الشعبي وعروة هي زينب بنت خزيمة ام المساكين فالله اعلم العاشرة قرا جمهور الناس ان وهبت بكسر الالف وهذا يقتضي استيناف الامر اي ان وقع فهو حلال له وقد روي عن ابن عباس ومجاهد انهما قالا لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة موهوبة وقد دللنا على خلافه وروى الايمة من طريق سهل وغيره في الصحاح ان امراة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم جئت اهب لك نفسي فسكت حتى قام رجل فقال زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة فلو كانت هذه الهبة غير جايزة لما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا يقر على الباطل اذا سمعه غير انه يحتمل ان يكون سكوته منتظرا بيانا فنزلت الاية بالتحليل والتخيير فاختار تركها وزوجها من غيره ويحتمل ان يكون سكت ناظرا في ذلك حتى قام الرجل لها طالبا وقرا الحسن البصري وابي ابن كعب والشعبي ان وهبت بفتح الالف وقرا الاعمش وامراة مومنة وهبت قال النحاس وكسر ان اجمع للمعاني لانه قيل انهن نساء واذا فتح كان المعنى على واحدة بعينها لان الفتح على البدل من امراة او بمعنى لان الحادية عشرة قوله تعالى مومنة يدل على ان الكافرة لا تحل له قال امام الحرمين وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة عليه قال ابن العربي والصحيح عندي تحريمها عليه وبهذا يتميز علينا فانه ما كان من جانب الفضايل والكرامة فحظه فيه اكثر وما كان من جانب النقايص فجانبه عنها اطهر فجوز لنا نكاح الحراير الكتابيات وقصر هو صلى الله عليه وسلم

حلالة

حلالة على المومنات واذا كان لا يحل له من لم يهاجر لنقصان فضل الهجرة فاحرى ان لا يحل له الكتابية الكافرة لنقصان الكفر الثانية عشرة قوله تعالى ان وهبت نفسها دليل على ان النكاح عقد معاوضة على صفات مخصوصة قد تقدمت في النساء وغيرها وقال الزجاج معنى ان وهبت نفسها للنبي اي انه وهبت نفسها للنبي حلت وقرا الحسن ان وهبت بفتح الهمزة وان في موضع نصب قال الزجاج اي لان وقال غيره ان وهبت بدل الاشتمال من امراة الثالثة عشرة قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي اذا وهبت المراة نفسها وقبلها النبي صلى الله عليه وسلم حلت له وان لم يقبلها لم يلزم ذلك كما اذا وهب لرجل شيا فلا يجب عليه القبول بيد ان مكارم الاخلاق يبنيا ان يقبل من الواهب هبته ويرى الاكارم ان ردها هجنة في العادة ووصمة على الواهب واذاية في قلبه فبين الله ذلك في حق رسوله وجعله قرانا يتلى ليرفع عنه الحرج ويبطل بطل الناس في عادتهم وقولهم الرابعة عشرة قوله تعالى خالصة لك من دون المومنين اي هبة النساء انفسهن خالصة ومزية لا تجوز فلا يجوز ان تهب المراة نفسها لرجل ووجه الخاصة انها لو طلبت فرض المهر قبل الدخول لم يكن لها ذلك فاما فيما بيننا فللمفوضة طلب المهر قبل الدخول ومهر المثل بعد الدخول الخامسة عشرة اجمع العلما على ان هبة المراة نفسها غير جايز وان هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح الا ما روي عن ابي حنيفة وصاحبيه فانهم قالوا اذا وهبت فاشهد هو على نفسه بمهر فلذلك جايز قال ابن عطية فليس في قولهم الا تجويز العبارة ولفظة الهبة والا فالافعال التي اشترطوها هي افعال النكاح بعينه وقد تقدمت هذه المسالة في القصص مستوفاة والحمد لله السادسة عشرة خص الله رسوله في احكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها احد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزية على الامة وهبت له ومرتبة خص بها ففرضت عليه اشيا ما فرضت على غيره وحرمت عليه افعال لم يحرم عليهم وحللت له اشيا لم تحلل لهم منها متفق عليه ومختلف فيه فاما ما فرض عليه فتسعة الاول التهجد بالليل الثاني الضحى الثالث الاضحى الرابع الوتر وهو يدخل في قسم التهجد الخامس السواك السادس قضا دين من مات معسرا السابع مشاورة ذوي الارحام في غير الشرايع الثامن تخيير النسا التاسع اذا عمل عملا اثبته واما ما حرم عليه فجملته عشر الاول تحريم الزكاة عليه وعلى آله الثاني صدقة التطوع عليه وفي آله تفصيل باختلاف الثالث خاينة الاعين وهو ان يظهر خلاف ما يضمر او يخدع عما يجب وقد ذم بعض الكفار عند اذنه ثم الان له القول عند دخوله الرابع حرم عليه اذا لبس لامته ان يخلعها عنه او يحكم الله بينه وبين محاربه الخامس الاكل متكيا السادس اكل الاطعمة الكريهة الرايحة السابع التبدل بازواجه وسياتي الثامن نكاح امراة تكره صحبته التاسع نكاح الحرة الكتابية العاشر نكاح الامة وحرم الله عليه اشياء لم يحرمها على غيره تنزيها له وتطهيرا فحرم عليه الكتابة وقول الشعر وتعليمه تاكيدا لحجته وبيانا لمعجزته قال الله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كتب والاول هو المشهور وحرم عليه ان يمد عينيه الى ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا الاية واما ما احل له صلى الله عليه وسلم فجملته ستة عشر الاول صفي المغنم الثاني الاستبداد بخمس الخمس

او الجنس الثالث الوصال الرابع الزيادة على اربع نسوة الخامس النكاح بلفظ الهبة السادس النكاح بغير
ولي السابع النكاح بغير صداق الثامن نكاحه في حالة الاحرام التاسع سقوط القسم بين الازواج عنه وسياتي
العاشر اذا وقع بصره على امراة وجب على زوجها طلاقها وحل له نكاحها قال ابن العربي هكذا قال امام الحرمين
وقد مضى ما للعلماء في قصة زيد من هذا المعنى الحادي عشر انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها الثاني عشر
دخوله مكة بغير احرام وفي حقنا فيه اختلاف الثالث عشر القتال بمكة الرابع عشر انه لا يورث وانما
ذكر هذا في قسم التحليل لان الرجل اذا قارب الموت بالمرض زال عنه اكثر ملكه ولم يبق له الا الثلث خالصا
وبقي ملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقرر بيانه في آية المواريث وسورة مريم بيانه ايضا
الخامس عشر بقاء زوجيته من بعد الموت السادس عشر اذا طلق امراة تبقى حرمته عليها فلا تنكح وهذه
الاقسام الثلاثة تقدم معظمها مفصلا في مواضعها ويأتي ان شاء الله السابع عشر قوله تعالى ان يستنكحها
اي ينكحها يقال نكح واستنكح مثل عجب واستعجب وعجل واستعجل ويجوز ان يرد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح
او طلب الوطء وخالصة نصب على الحال قاله الزجاج وقيل حال من ضمير متصل بفعل مضمر دل عليه المضمر
تقديره احللنا لك ازواجك واحللنا لك امراة مؤمنة احللناها خالصة بلفظ الهبة وبغير صداق

الثامنة عشرة قوله تعالى من دون المؤمنين فائدته ان الكفار وان كانوا مخاطبين بفروع الشريعة
عندنا فليس لهم في ذلك دخول لان تصريف الاحكام انما يكون فيهم على تقدير الاسلام قوله تعالى قد علمنا
ما فرضنا عليهم في ازواجهم اي ما اوجبنا على المؤمنين وهو ان لا يتزوجوا الا اربع نسوة بمهر وبينة
وولي قال معناه ابي بن كعب وقتادة وغيرهما التاسعة عشرة قوله لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق
في امر انت فيه محتاج الى السعة اي بينا هذا البيان وشرحنا هذا الشرح لكي لا يكون عليك حرج فلكيلا
متعلقة بقوله انا احللنا لك ازواجك اي فلا يضيق قلبك حتى يظهر منك انك قد اثمت عند ربك في شيء
ثم انس تعالى جميع المؤمنين بغفرانه ورحمته فقال تعالى وكان الله غفورا رحيما قوله تعالى ترجي
مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ
ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا فيه احدى عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى ترجي من تشاء منهن
وتؤوي اليك قرئ مهموزا وغير مهموز وهما لغتان يقال ارجيت الامر وارجاته اذا اخرته وتؤوي
تضم يقال اوى اليه ممدودة الالف ضم اليه واوى مقصورة الالف انضم اليه الثانية واختلف العلماء
في تأويل هذه الآية واصح ما قيل فيها التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه
القسم بين زوجاته وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى وهو الذي ثبت معناه في الصحيح عن عائشة
رضي الله عنها قالت كنت اغار على اللائي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول وتهب المراة
نفسها لرجل فلما انزل الله عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت
قالت قلت والله ما ارى ربك الا يسارع في هواك قال ابن العربي هذا الذي ثبت في الصحيح هو الذي
ينبغي ان يعول عليه والمعنى المراد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا في ازواجه ان شاء ان
يقسم قسم وان شاء ان يترك القسم ترك فخص النبي صلى الله عليه وسلم بان جعل الامر اليه فيه لكنه كان يقسم

تعالى

من قبل نفسه دون فرض ذلك عليه تطييبا لنفوسهن وصونا لهن عن اقوال الغيرة التي تؤدي الى ما لا ينبغي
وقيل كان القسم واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ الوجوب عنه بهذه الآية وقيل المراد الواهبات
روى مسلم عن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها في قوله ترجي من تشاء منهن قالت هذا في الواهبات
انفسهن قال الشعبي هن الواهبات انفسهن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم منهن وترك منهن
وقال الزهري ما علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجأ احدا من ازواجه بل آواهن كلهن قال ابو
رزين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم بطلاق بعض نسائه فقلن له اقسم لنا ما شئت فكان
ممن آوى عائشة وحفصة وام سلمة وزينب فكانت قسمتهن من نفسه وماله سواء بينهن وكان ممن ارجى
سودة وجويرية وام حبيبة وميمونة وصفية فكان يقسم لهن ما شاء وقال ابن عباس وغيره المعنى
في طلاق من شاء ممن حصل في عصمته وامساك من شاء وقيل غير هذا وعلى كل معنى فالآية معناها
التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاباحة وما اخترناه اصح والله اعلم الثالثة ذهب هبة
الله في الناسخ والمنسوخ الى ان قوله ترجي من تشاء منهن الآية ناسخ لقوله تعالى لا يحل لك النساء
من بعد الآية وقال ليس في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ سوى هذا وكلامه يضعف من جهات وفي
البقرة عدة المتوفى عنها اربعة اشهر وعشر وهذا ناسخ للحول وقد تقدم عليه الرابعة قوله تعالى
ومن ابتغيت ممن عزلت ابتغيت طلبت والابتغاء الطلب وعزلت ازلت والعزلة الازالة اي ان اردت
ان تؤوي اليك امراة ممن عزلتهن من القسمة وتضمها اليك فلا بأس عليك في ذلك وكذلك حكم الارجاء
فدل احد الطرفين على الثاني الخامسة قوله تعالى فلا جناح عليك اي لا ميل يقال جنحت السفينة
اي مالت الى الارض اي لا ميل عليك باللوم والتوبيخ السادسة قوله تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن
قال قتادة وغيره اي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن ادنى الى رضاهن اذ كان من عندنا
لانهن اذا علمن ان الفعل من الله قرت اعينهن بذلك ورضين لان المرء اذا علم انه لا حق له في شيء
كان راضيا بما اوتي منه وان قل وان علم ان له حقا لم يقنعه ما اوتي منه واشتدت غيرته عليه وعظم
حرصه فيه فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض الامر اليه في احوال ازواجه اقرب الى رضاهن معه والى
استقرار اعينهن بما يسمح به لهن دون ان يتعلق قلوبهن باكثر منه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء و
نصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول وكان عليه السلام مع هذا يشدد على نفسه في رعاية التسوية
بينهن تطييبا لنفوسهن كما قدمناه ويقول اللهم هذه قدرتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني
قلبه لايثاره عائشة دون ان يكون يظهر ذلك في شيء من فعله وكان في مرضه الذي توفي فيه يطاف
به محمولا على بيوت ازواجه الى ان استحللهن ان يقيم في بيت عائشة قالت عائشة اول ما اشتكى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فاستاذن ازواجه ان يمرض في بيتها يعني بيت عائشة فاذن له الحديث
خرجه الصحيح وفي الصحيح ايضا عن عائشة قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقد يقول اين
انا اليوم اين انا غدا استبطاء ليوم عائشة قالت فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري صلى الله عليه
وسلم السابعة على الرجل ان يعدل بين نسائه لكل واحدة منهن يوما وليلة هذا قول عامة العلماء وذهب
بعضهم الى وجوب ذلك في الليل دون النهار ولا يسقط حق الزوجة مرضها ولا حيضها ويلزمه المقام

عندها في يومها وليلها وعليه ان يعدل بينهن في مرضه كما يفعل في صحته الا ان يعجز عن الحركة فيقيم حيث غلب
عليه المرض فاذا صح استانف القسم والاماء والحراير والكتابيات والمسلمات في ذلك سواء قال عبد الملك
للحرة ليلتان وللامة ليلة واما السراير فلا قسم بينهن وبين الحراير ولا حظ لهم فيه الثامنة ولا يجمع بينهن
في منزل واحد الا برضاهن ولا يدخل لاحداهن في يوم الاخرى وليلتها لغير حاجة واختلف في دخوله
لحاجة وضرورة فالاكثرون على جوازه مالك وغيره وفي كتاب ابن حبيب منعه وروى ابن بكير عن مالك
عن يحيى بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له امرأتان فاذا كان يوم هذه لم يشرب من بيت الاخرى الماء
قال ابن بكير وحدثنا مالك عن يحيى بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له امرأتان ماتا في الطاعون فاسهم بينهما
ايهما تدلى اول التاسعة قال مالك ويعدل بينهن في النفقة والكسوة اذا كن معتدلات الحال ولا يلزم ذلك
في المختلفات المناصب واجاز مالك ان يفضل احداهما في الكسوة على غير وجه الميل فاما الحب والبغض فخارجان
عن الكسب فلا يتاتى العدل فيهما وهو المعنى بقوله عليه السلام في قسمته اللهم هذا فعلي فيما املك فلا تلمني
فيما تملك ولا املك اخرجه النسائي وابو داود عن عائشة رضي الله عنها وفي كتاب ابي داود يعني القلب
واليه الاشارة بقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وقوله والله يعلم ما في قلوبكم
وهذا هو وجه تخصيصه بالذكر هنا تنبيها منه لنا على انه يعلم ما في قلوبنا من ميل بعضنا الى بعض من عندنا
من النساء دون بعض وهو العالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء يعلم السر واخفى لكنه
سمح في ذلك اذ لا يستطيع العبد ان يصرف قلبه عن ذلك الميل والى ذلك يعود قوله وكان الله غفورا رحيما
وقد قيل في قوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن ومن العاشرة اي ذلك اقرب ان لا يحزن اذا لم يجمع احداهن
مع الاخرى ويعاين الاثرة والميل وروى ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل ويرضين بما اتيتهن كلهن توكيد للمضمر
اي ويرضين كلهن واجاز ابو حاتم والزجاج ويرضين بما اتيتهن كلهن على التوكيد للمضمر الذي في اتيتهن
والفراء لا يجيزه لان المعنى ليس عليه اذ كان المعنى ويرضى كل واحدة منهن وليس المعنى بما اعطيتهن كلهن
النحاس والذي قاله حسن الحادية عشرة قوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم خبر عام والاشارة الى ما في
قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من محبة شخص دون شخص ولذلك يدخل في المعنى ايضا المؤمنون
وفي البخاري عن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فاتيته
فقلت اي الناس احب اليك قال عائشة فقلت من الرجال فقال ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب
فعد رجالا وقد تقدم القول في القلب بما فيه كفاية في اول البقرة وفي اول هذه السورة يروى ان
لقمان الحكيم كان عبدا نجارا قال له سيده اذبح شاة وايتني باطيبها مضغتين فاتاه بالقلب واللسان
ثم امره بذبح شاة اخرى فقال له الق اخبثها مضغتين فالقى اللسان والقلب فقال له امرتك ان تاتيني
باطيبها مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي اخبثها مضغتين فالقيت اللسان والقلب فقال
ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قوله تعالى لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ وَلَا أَنْ
تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا
فيه سبع مسائل الاولى اختلف العلماء في تاويل قوله لا يحل لك النساء من بعد على اقوال سبعة الاول

انها منسوخة بالسنة والناسخ لها حديث عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له
النساء وقد تقدم الثاني انها منسوخة باية اخرى روى الطحاوي عن ام سلمة قالت لم يمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له ان يتزوج من النساء من شاء الا ذات محرم وذلك قوله الله
عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء قال النحاس وهذا والله اعلم اولى ما قيل في
الاية وهو وقول عائشة واحد في النسخ وقد يجوز ان تكون عائشة ارادت احل له ذلك بالقران وهو
مع هذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس وعلي بن الحسين والضحاك وقد عارض بعض فقهاء الكوفيين
فقال محال ان تنسخ هذه الاية يعني ترجي من تشاء منهن لا تحل لك النساء من بعد وهي قبلها في المصحف
الذي اجمع عليه المسلمون ورجح قول من قال نسخت بالسنة قال النحاس وهذه المعارضة لا تلزم
وقائلها غالط لان القران بمنزلة سورة واحدة كما صح عن ابن عباس انزل الله القران جملة واحدة الى السماء
الدنيا في شهر رمضان ويبين لك ان اعتراض هذا لا يلزم قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج منسوخة على قول اهل التاويل لا يعلم بينهم خلافا
بالاية التي قبلها والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا الثالث انه
صلى الله عليه وسلم حظر عليه ان يتزوج على نسائه لانهن اخترن الله ورسوله والدار الاخرة هذا
قول الحسن وابن سيرين وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث الحرث بن هشام قال النحاس وهذا
القول يجوز ان يكون هكذا ثم نسخ الرابع انه لما حرم عليهن ان يتزوجن بعده حرم عليه ان يتزوج
غيرهن قاله ابو امامة بن سهل بن حنيف الخامس لا تحل لك النساء من بعد اي من بعد الاصناف التي
سميت قاله ابي بن كعب وعكرمة وابو رزين وهو اختيار محمد بن جرير ومن قال بان الاباحة كانت
له مطلقة قال هنا لا تحل لك النساء معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات وهذا تاويل فيه
بعد روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ايضا وهو القول السادس قال مجاهد لئلا يكون
كافرة اما للمؤمنين وهذا القول يبعد لانه يقدره من بعد المسلمات ولم يجر للمسلمات ذكر وكذلك قدر
ولا ان تبدل بهن اي ولا ان يطلق مسلمة ليستبدل بها كتابية السابع ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان له حلالا ان يتزوج من شاء ثم نسخ ذلك قال وكذلك كانت الانبياء قبله صلى الله عليه وسلم قاله
محمد بن كعب القرظي الثانية قوله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج قال ابن زيد هذا شيء كانت
العرب تفعله يقول احدهم خذ زوجتي واعطني زوجتك روى الدارقطني عن ابي هريرة قال كان
البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي وازيدك فانزل
الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن قال فدخل عيينة بن حصين الفزاري على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير اذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عيينة فاين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت قال من
هذه الحميراء الى جنبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة ام المؤمنين قال افلا انزل
لك عن احسن الخلق فقال يا عيينة ان الله قد حرم ذلك قال فلما خرج قالت عائشة يا رسول الله
من هذا قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقد انكر الطبري والنحاس وغيرهما ما حكاه

ابن زيد عن العرب من انها كانت تبادل بازواجها قال الطبرى وما فعلت العرب قط هذا وما روى من حديث عيينة بن حصن من انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة الحديث فليس بتبديل ولا اراد ذلك وانما احتقر عايشة لانها كانت صبية فقال هذا القول قلت وما ذكرناه من حديث زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابى هريرة من ان البدل كان فى الجاهلية يدل على خلاف ما انكر من ذلك والله اعلم قال المبرد وقرى لا يحل بالتاء والياء فمن قراء بالتاء فعلى معنى جماعة النساء وبالياء من تحت على معنى جميع النساء وزعم الفراء قال اجتمعت القراء على القراءة بالياء وهذا غلط وكيف يقال اجتمعت القراء وقد قراء ابو عمرو بالتاء بلا خلاف عنه [illegible] قوله تعالى ولو اعجبك حسنهن قال ابن عباس نزل ذلك بسبب اسما بنت عميس اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات عنها جعفر ابن ابى طالب حسنها فاراد ان يتزوجها فنزلت الاية وهذا حديث ضعيف قاله ابن العربى [illegible] فى هذه الاية دليل على جواز ان ينظر الرجل الى من يريد زواجها وقد اراد المغيرة بن شعبة زواج امراة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه اجدر ان يودم بينكما وقال عليه السلام لاخر انظر اليها فان فى اعين الانصار شيا اخرجه الصحيح قال الحميدى وابو الفرج الجوزى يعنى صغرا وزرقا وقيل رمصا [illegible] الامر بالنظر الى المخطوبة انما هو على جهة الارشاد الى المصلحة فانه اذا نظر اليها فلعله يرى منها ما يرغبه فى نكاحها ومما يدل على ان الامر على جهة الارشاد ما ذكره ابو داود من حديث جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر منها الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل فقوله فان استطاع فليفعل لا يقال مثله فى الواجب وبهذا قال جمهور الفقهاء مالك والشافعى والكوفيون وغيرهم واهل الظاهر وقد كره ذلك قوم لا مبالاة بقولهم للاحاديث الصحيحة وقوله تعالى ولو اعجبك حسنهن وقال سهل بن ابى حثمة رايت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك على اجار من اجاجير المدينة فقلت له اتفعل هذا فقال نعم قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا القى الله فى قلب احدكم خطبة امراة فلا باس ان ينظر اليها [illegible] اختلف فيما يجوز ان ينظر منها فقال مالك ينظر الى وجهها وكفيها ولا ينظر الا باذنها وقال الشافعى واحمد باذنها وبغير اذنها اذا كانت مستترة وقال الاوزاعى ينظر اليها ويجتهد وينظر مواضع اللحم منها قال داود ينظر الى ساير جسدها تمسكا بظاهر اللفظ واصول الشريعة ترد عليه فى تحريم الاطلاع على العورة والله اعلم [illegible] قوله تعالى الا ما ملكت يمينك اختلف العلماء فى احلال الامة الكافرة للنبى صلى الله عليه وسلم على قولين تحل لعموم قوله الا ما ملكت يمينك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وعطا والحكم قالوا قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد اى لا يحل لك النساء من غير المسلمات فاما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك اى لا يحل لك ان يتزوج كافرة فيكون اما للمومنين ولو اعجبك حسنها الا ما ملكت يمينك فان له ان يتسرى بها القول الثانى لا يحل تنزيها لقدره عن مباشرة الكافرة وقد قال تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر فكيف به صلى الله عليه وسلم وما فى قوله الا ما ملكت يمينك فى موضع رفع بدل من النساء ويجوز ان يكون فى موضع نصب على استثنا وفيه ضعف ويجوز ان يكون مصدرية والتقدير الا ملك يمينك وملك بمعنى مملوك وهو فى موضع نصب لانه استثناء من غير الجنس الاول قوله تعالى يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ اِلَّا اَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ اِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِيْنَ اِنَاهُ

الثالثة م

الرابعة م

الخامسة م

السادسة م

الاجار السطح بلغة اهل الشام والحجاز قال ابو عبيد وجمع الاجار اجاجير واجاجرة

السابعة م

وَلٰكِنْ اِذَا دُعِيْتُمْ فَادْخُلُوا فَاِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَاْنِسِيْنَ لِحَدِيْثٍ اِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللّٰهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَاِذَا سَاَلْتُمُوْهُنَّ مَتَاعًا فَاسْاَلُوْهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذٰلِكُمْ اَطْهَرُ لِقُلُوْبِكُمْ وَقُلُوْبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُؤْذُوْا رَسُوْلَ اللّٰهِ وَلَا اَنْ تَنْكِحُوْا اَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ اَبَدًا اِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيْمًا فيه ست عشرة مسئلة

الاولى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يوذن لكم ان فى موضع نصب على معنى الا بان يوذن لكم او يكون الا استثناء ليس من الاول الى طعام غير ناظرين اناه نصب على الحال اى لا تدخلوا فى هذه الحال ولا يجوز فى غير الخفض على النعت للطعام لانه لو كان نعتا لم يكن بد من اظهار الفاعلين وكان تقول غير ناظرين اناه انتم ونظير هذا من النحو هذا رجل مع رجل ملازم له وان شيت قلت هذا رجل مع رجل ملازم له هو وان فى موضع نصب على معنى الا بان يوذن لكم او يكون الا استثنا ليس من الاول وهذه الاية تضمنت قصتين احدهما الادب فى امر الطعام والجلوس والثانيه امر الحجاب وقال حماد بن زيد هذه الاية نزلت فى الثقلا فاما القضية الاولى فالجمهور من المفسرين على ان سببها ان النبى صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش امراة زيد اولم عليها فدعا الناس فلما طعموا جلس طوايف منهم يتحدثون فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته مولية وجهها الى الحايط فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس فما ادرى انا اخبرت النبى صلى الله عليه وسلم ان القوم قد خرجوا او اخبرنى قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب قال ووعظ القوم بما وعظوا به وانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الى قوله ان ذلكم كان عند الله عظيما اخرجه الصحيح وقال قتادة ومقاتل فى كتاب الثعلبى ان هذا السبب جرى فى بيت ام سلمة والاول الصحيح كما رواه الصحيح وقال ابن عباس نزلت فى ناس من المومنين كانوا يتحينون طعام النبى صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل ان يدرك الطعام فيقعدون الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وقال اسمعيل بن ابى حكيم فهذا ادب ادبه الله به الثقلا وقال ابن ابى عايشة فى كتاب الثعلبى حسبك من الثقلا ان الشرع لم يحتملهم واما قصة الحجاب فقال انس بن مالك وجماعة سببها امر القعود فى بيت زينب القصة المذكورة آنفا وقالت عايشة وجماعة سببها ان عمر قال قلت يا رسول الله ان نساك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت هذه الاية وروى فى الصحيح عن ابن عمر قال قال عمر وافقت ربى فى ثلث فى مقام ابرهيم وفى الحجاب وفى اسارى بدر هذا اصح ما قيل فى امر الحجاب وما عدا هذين القولين من الاقوال والروايات فواهية لا يقوم شى منها على ساق واضعفها ما روى عن ابن مسعود ان عمر امر نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب بنت جحش يا بن الخطاب انك تغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فانزل الله تعالى واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب وهذا باطل لان الحجاب نزل يوم البنا بزينب كما بيناه اخرجه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصاب يد رجل منهم يد عايشة فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب قال ابن عطية وكانت سيرة القوم اذا كان لهم طعام او وليمة او نحوه ان يبكر من شاء من الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك اذا فرغوا

منه جلسوا كذلك فنهى الله المؤمنين عن امثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في نهيه
ساير المؤمنين والتزم الناس ادب الله تعالى لهم في ذلك فمنعهم من الدخول الا باذن عند الاكل لا قبله
لانتظار نضج الطعام الثانية في قوله تعالى بيوت النبي دليل على ان البيت للرجل ويحكم له به فان الله اضافه
له فان قيل فقد قال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله الاية قلنا اضافة البيوت الى النبي
اضافة ملك واضافة البيوت الى الازواج اضافة محل بدليل انه جعل فيها الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم
والاذن انما يكون للمالك الثالثة واختلف العلما في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان يسكن فيها
اهله بعد موته هل هي ملك لهن ام لا على قولين فقالت طايفة كانت ملكا لهن بدليل انهن سكن فيها
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاتهن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب لهن ذلك في حياته
الثاني ان ذلك كان اسكانا كما يسكن الرجل اهله ولم يكن هبة وتمادى سكناهن بها الى الموت وهذا هو
الصحيح وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهم فان ذلك من مونتهن التي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم استثناها لهن كما استثنى لهن نفقاتهن حين قال لا تقتسم ورثتي دينارا ولا درهما
ما تركت بعد نفقة اهلي ومؤونة عاملي فهو صدقة هكذا قال اهل العلم قالوا ويدل على ذلك ان مساكنهن
لم يرثها عنهن ورثتهن قالوا ولو كان ذلك ملكا لهن كان لا شك قد ورثه عنهن ورثتهن قالوا وفي
ترك ورثتهن ذلك دليل على انها لم تكن لهن ملكا وانما كان لهن سكنى حياتهن فلما توفين جعل ذلك
زيادة في المسجد الذي يعم المسلمين نفعه كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما مضين لسبيلهن فزيد الى اصل المال فصرف في منافع المسلمين مما يعم جميعهم
نفعه والله الموفق قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقت نضجه واناه مقصور وفيه لغات
اني بكسر الهمزة قال الشيباني

تمخضت المنون له بيوم ... اني ولكل حاملة تمام
وكسرى اذ تقسمه بنوه ... باسياف كما اقتسم اللحام

وقرا ابن ابي عبلة غير ناظرين مجرورا صفة لطعام الزمخشري وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو
له من حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي
واني بفتحها وانا بفتح الهمزة والمد قال الحطيئة شعر

واخرت العشا الى سهيل ... او الشعرى فطال بي الاناء

يعني الى طلوع سهيل واناه مصدر اني الشي ياني اذا فرغ وحان وادرك الرابعة قوله تعالى ولكن
اذا دعيتم فادخلوا فاكد المنع وخص وقت الدخول بان يكون عند الاذن على جهة الادب وحفظ الحضرة
الكريمة من المباسطة المكروهة قال ابن العربي وتقدير الكلام ولكن اذا دعيتم واذن لكم في الدخول
فادخلوا والا فنفس الدعوة لا يكون اذنا كافيا في الدخول والفا في جواب اذا لازمة لما فيها من معنى
المجازاة الخامسة قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا امر بعد الطعام بان يتفرق جمعهم وينتشر والمراد
الزام الخروج من المنزل عند انقضا المقصود من الاكل والدليل على ذلك ان الدخول حرام وانما
جاز لاجل الاكل فاذا انقضى الاكل زال السبب المبيح وعاد التحريم الى اصله السادسة في هذه الاية
دليل على ان الضيف ياكل على ملك المضيف لا على ملك نفسه لانه قال فاذا طعمتم فلم يجعل له اكثر من الاكل ولا اضاف

اليهم

اليهم سواه وبقي الملك على اصله السابعة قوله تعالى ولا مستانسين لحديث عطف على قوله غير ناظرين وغير
منصوبة على الحال من الكاف والميم في لكم اي غير ناظرين ولا مستانسين والمعنى المقصود لا يمكثوا مستانسين
بالحديث كما فعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يمتنع من بيانه واظهاره ولما كان ذلك يقع من البشر لعلة الاستحيا
نفى عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر وفي الصحيح عن ام سلمة قالت جاءت ام سليم الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله لا يستحيي من الحق فهل على المراة من غسل اذا احتلمت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رات الماء الثامنة قوله تعالى واذا سالتموهن متاعا
الاية روى ابو داود الطيالسي عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في اربع الحديث وفيه قلت يا رسول
الله لو ضربت على نسايك الحجاب فانه يدخل عليهن البر والفاجر فانزل الله عز وجل واذا سالتموهن
متاعا فاسالوهن من وراء حجاب واختلف في المتاع فقيل ما يتمتع به من العواري وقيل فتوى وقيل
صحف القران والصواب انه عام في جميع ما يمكن ان يطلب من المواعين وساير المرافق للدين والدنيا
التاسعة في هذه الاية دليل على ان الله تعالى اذن في مسالتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض او
مسالة يستفتين فيها ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته اصول الشريعة من ان المراة كلها
عورة بدنها وصوتها كما تقدم فلا يجوز كشف ذلك الا لحاجة كالشهادة عليها او داء يكون ببدنها او
سوالها عما يعرض ويتعين عندها العاشرة استدل بعض العلما باخذ الناس عن ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم من وراء حجاب على جواز شهادة الاعمى وبان الاعمى يطا زوجته بمعرفته بكلامها وعلى
اجازة شهادته اكثر العلما ولم يجزها ابو حنيفة والشافعي وغيرهما قال ابو حنيفة يجوز في الانساب
وقال الشافعي لا يجوز الا فيما راه قبل ذهاب بصره الحادية عشرة قوله تعالى ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في امر النساء وللنساء في امر الرجال اي ذلك انفى
للريبة وابعد للتهمة واقوى في الحماية وهذا يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يثق بنفسه في الخلوة مع من
لا تحل له فان مجانبة ذلك احسن لحاله واحصن لنفسه واتم لعصمته الثانية عشرة قوله تعالى وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية هذا تكرار للعلة وتاكيد لحكمها وتاكيد العلل اقوى في الاحكام الثالثة
عشرة قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا روى اسماعيل بن اسحاق قال حدثنا محمد بن عبيد
قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان رجلا قال لو قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت
عايشة فانزل الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية
ونزلت وازواجه امهاتهم وقال القشيري ابو نصر عبد الرحيم قال ابن عباس قال رجل من سادات
قريش من العشرة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على حرا في نفسه لو توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتزوجت عايشة وهي بنت عمي قال مقاتل هو طلحة بن عبيد الله قال ابن عباس وندم هذا الرجل
على ما حدث به في نفسه فمشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة افراس في سبيل الله واعتق رقيقا فكفر الله
عنه وقال ابن عطية روي انها نزلت بسبب ان بعض الصحابة قال لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتزوجت عايشة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاذى به هكذا كنى عنه ابن عباس ببعض

الصحابة وحكى مكي عن معمر انه قال هو طلحة بن عبيد الله قلت وكذا حكى النقاش عن معمر انه طلحة ولا يصح قال ابن عطية لله در ابن عباس وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبد الله قال شيخنا الامام ابو العباس القرطبي وقد حكى هذا القول عن فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله وانما الكذب في نقله وانما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال روي ان رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة بعد ابي سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات لاجلنا السهام على نسائه فنزلت الاية في هذا فحرم الله نكاح ازواجه من بعده وجعل لهن حكم الامهات وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رحمه الله وازواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لا يحل لاحد نكاحهن ومن استحل ذلك كان كافرا لقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وقد قيل انما منع من التزوج بزوجاته لانهن ازواجه في الجنة وان المرأة في الجنة لآخر ازواجها قال حذيفة لامرأته ان سرك ان تكوني زوجتي في الجنة ان جمعنا الله فيها فلا تزوجي من بعدي فان المرأة لآخر ازواجها وقد ذكرنا ما للعلماء في هذا في كتاب التذكرة من ابواب الجنة الرابعة عشرة اختلف العلماء في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته هل بقين ازواجا ام زال النكاح بالموت واذا زال النكاح بالموت فهل عليهن عدة ام لا فقيل عليهن العدة لانه توفي عنهن والعدة عبادة وقيل لا عدة عليهن لانها مدة تربص لا ينتظر بها الاباحة وهو الصحيح لقوله عليه السلام ما تركت بعد نفقة عيالي وروي اهلي وهذا اسم خاص بالزوجية فابقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن لكونهن نساءه وحرمن على غيره وهذا هو معنى بقاء النكاح وانما جعل الموت في حقه عليه السلام لهن بمنزلة المغيبة في حق غيره لكونهن ازواجا له في الآخرة قطعا بخلاف سائر الناس لان الرجل لا يعلم كونه مع اهله في دار واحدة فربما كان احدهما في الجنة والآخر في النار فبهذا انقطع السبب في حق الخلق وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الآخرة وقال عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع الا سببي ونسبي فانه باق الى يوم القيمة فرع فاما زوجاته عليه السلام اللاتي فارقهن في حياته مثل الكلبية وغيرها فهل كان يحل لغيره نكاحهن فيه خلاف والصحيح جواز ذلك لما روي ان الكلبية التي فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها عكرمة بن ابي جهل على ما تقدم وقيل ان الذي تزوجها اشعث بن قيس الكندي قال ابو الطيب الذي تزوجها مهاجر بن ابي امية ولم ينكر ذلك احد فدل انه اجماع الخامسة عشرة قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما يعني اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم او نكاح ازواجه فجعل ذلك من جملة الكبائر ولا ذنب اعظم منه السادسة عشرة قد بينا سبب نزول الحجاب من حديث انس وقول عمر وكان يقول لسودة اذا خرجت وكانت امرأة طويلة قد رايناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله تعالى آية الحجاب ولا بعد في نزول الاية عند هذه الاسباب كلها والله اعلم بيد انه قال لما ماتت زينب بنت جحش قال لا يشهد جنازتها الا ذو محرم منها مراعاة للحجاب الذي نزل بسببها فدلته اسماء بنت عميس على سترها في النعش في القبة واعلمته انها رأت ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر وروي ان ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

علي صح

الباري سبحانه وتعالى عالم ما بدا وما خفا وما كان وما لم يكن لا يخفى عليه ماض تقضى ولا مستقبل ياتي وهذا على العموم يمدح به وهو اهل المدح والحمد والمراد ههنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض به في الاية قبلها ممن اشير اليه بقوله ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ومن اشير اليه في قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فقيل لهم في هذه الآية ان الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة ويجازيكم عليها فصارت هذه الاية منعطفة على ما قبلها مبينة لها والله اعلم قوله تعالى لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا فيه ثلث مسايل الاولى لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت هذه الاية الثانية ذكر الله في هذه الاية من يحل للمرأة البروز له ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد يسمى العم ابا قال الله تعالى نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحاق كان الخمر قال الزجاج العم والخال ربما يصفان المرأة لولديهما فان المرأة تحل لابن العم وابن الخال فكره لهما الروية وقد كره الشعبي وعكرمة ان تضع المرأة خمارها عند عمها او خالها وقد ذكر في هذه الاية بعض المحارم وذكر الجميع في سورة النور فهذه الاية بعض تلك قد مضى الكلام هنالك مستوفى والحمد لله الثالثة قوله تعالى واتقين الله لما ذكر تعالى الرخصة في هذه الاصناف وانجزمت الاباحة عطف بامرهن بالتقوى عطف جملة وهذا في نهاية البلاغة والايجاز كانه قال اقتصرن على هذا واتقين الله فيه ان تتعدينه الى غيره وخص النساء بالذكر وعينهن في هذا الامر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن والله اعلم ثم توعد تعالى بقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ هذه الاية شرف الله تعالى بها رسوله عليه السلام حياته وموته وذكر منزلته منه وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء او في ازواجه ونحو ذلك والصلاة من الله رحمته ورضوانه ومن الملايكة الدعاء والاستغفار ومن الامة الدعاء والتعظيم لامره مسئلة واختلف العلماء في الضمير في قوله يصلون فقالت فرقة الضمير فيه لله والملايكة وهذا قول من الله تعالى شرف به ملايكته فلا يصحبه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بيس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اخرجه الصحيح قالوا لانه ليس لاحد ان يجمع ذكر الله مع غيره في ضمير ولله ان يفعل في ذلك ما يشاء وقالت فرقة في الكلام حذف تقديره ان الله يصلي وملايكته يصلون وليس في الاية اجتماع في ضمير وذلك جائز للبشر فعله ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيس الخطيب انت لهذا المعنى وانما قاله لان الخطيب وقف على ومن يعصهما وسكت سكتة واستدلوا بما رواه ابو داود عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ومن يطع الله ورسوله ومن يعصهما فقال قم او اذهب بيس الخطيب اصلح له بعد ذلك جميع كلامه فقال قل ومن يعص الله ورسوله كما في كتاب مسلم ويؤيد القول الاول فانه لم يقف على ومن يعصهما وقرا ابن عباس وملايكته بالرفع على موضع اسم الله قبل دخول ان والجمهور بالنصب عطفا على المكتوبة قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا فيه

الا انه يحتمل ان يكون لما خطاه في وقفه وقال له بيس الخطيب صح

خمس مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا الآية امر تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم دون انبيايه تشريفا له ولا خلاف في ان الصلاة عليه فرض في العمر مرة وفي كل حين من الواجبات
وجوب السنن الموكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه الزمخشري فان قلت الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم
من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه
قيل له يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم
المكنون ولولا انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال
ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملايكته جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند كل مسلم فلا يصلي
علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملايكته لذينك الملكين امين ومنهم من قال تجب في
كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قال في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم
من اوجبها في العمر وكذا في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عند كل ذكر لما ورد من
الاخبار في ذلك الثانية واختلفت الاثار في صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فروى مالك عن ابي
مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعيد بن عبادة فقال له بشير بن
سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
تمنينا انه لم يسئله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام
كما قد علمتم ورواه النسائي عن طلحة مثله باسقاط قوله في العالمين وقوله والسلام كما قد علمتم وفي الباب عن
كعب بن عجرة وابي حميد الساعدي وابي سعيد الخدري وعلي ابن ابي طالب وابي هريرة وبريدة الخزاعي
وزيد بن خارجة ويقال ابن حارثة اخرجها ايمة الحديث في كتبهم وصحح الترمذي حديث كعب بن عجرة
خرجه مسلم في صحيحه مع حديث ابي حميد الساعدي قال ابو عمر روى شعبة والثوري عن الحكم بن عبد
الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما جاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة فقال قل اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ال ابرهيم انك
حميد مجيد وهذا لفظ حديث الثوري لا حديث شعبة وسويد خلف في التفسير المسند لقول الله تعالى
ان الله وملايكته يصلون على النبي الآية فبين كيف الصلاة عليه وعلمهم في التحيات كيف السلام عليه وهو
قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وروى المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابي فاختة
عن الاسود عن عبد الله انه قال اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المسلمين و
امام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا تغبطه به الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد وروينا

بالاسناد المتصل في كتاب الشفا للقاضي عياض عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال [margin: العدد في] عدهن في يدي النبي صلى الله عليه
وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابرهيم و
على ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم
انك حميد مجيد قال ابن العربي من هذه الروايات صحيح ومنها سقيم واصحها ما رواه مالك فاعتمدوه
ورواية غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة وغيرها لا يقوى وانما على الناس ان ينظروا في اديانهم
نظرهم في اموالهم وهم لا ياخذون في البيع دينارا معيبا وانما يختارون السالم الطيب كذلك لا يوخذ
من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ما صح سنده ليلا يدخل في حيز الكذب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فبينما هو يطلب الفضل اذا به قد اصابه النقص بل ربما اصابه الخسران المبين الثالثة في فضل
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه
بها عشرا وقال سهل بن عبد الله الصلاة على محمد افضل العبادات لان الله تعالى تولاها هو وملايكته
ثم امر بها المومنين وساير العبادات ليس كذلك قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله
حاجة فليبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال الله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم فان الله يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يرد ما بينهما وروى سعيد بن المسيب
عن عمر بن الخطاب انه قال الدعاء يحجب دون السماء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءت
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رفع الدعا وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل
الملايكة يصلون عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب الرابعة واختلف العلماء في الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم في الصلاة فالذي عليه الجم الغفير والجمهور الكثير ان ذلك من سنن الصلوة ومستحباتها صح قال ابن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري
واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد
الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب
اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وقال ابو عمر وقال الشافعي اذا لم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم في التشهد الاخير بعد التشهد وقبل التسليم اعاد الصلاة قال وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه وهذا
قول حكاه عنه حرملة بن يحيى لا يكاد يوجد هكذا عن الشافعي الا من رواية حرملة عنه وهو من
كبار اصحابه الذين كتبوا كتبه وقد تقلده اصحاب الشافعي ومالوا اليه وناظروا عليه وهو عندهم تحصيل
مذهبه وزعم الطحاوي انه لم يقل به احد من اهل العلم غيره وقال الخطابي وهو من اصحاب الشافعي وليست
بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست
من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع عليه في هذه المسئلة جدا
وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عنه صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر كان ابو بكر

يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر وليس فيه ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قلت وقد قال بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة محمد بن المواز من اصحابنا فيما ذكر ابن القصار وعبد الوهاب واختاره ابن العربي للحديث الصحيح ان الله امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فعلم الصلاة ووقتها فتعينت كيفية ووقتا وذكر الدارقطني عن ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين انه قال لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وروى مرفوعا عنه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم والصواب انه قول ابي جعفر قاله الدارقطني الخامسة قوله تعالى وسلموا تسليما قال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره وروى النسائي عن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلت انا لنرى البشرى في وجهك قال انه اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وعن محمد بن عبد الرحمن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من احد يسلم علي اذا مت الا جاني سلامه مع جبريل يقول يا محمد هذا فلان بن فلان يقراء عليك السلام فاقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وروى النسائي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام قال القشيري والتسليم قولك سلام عليك قوله تعالى ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَاَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِيْنًا﴾ فيه خمس مسائل الاولى اختلف العلماء في اذاية الله بماذا تكون فقال الجمهور من العلماء معناه بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك اليه ووصفه بما لا يليق به كقول اليهود لعنهم الله وقالت اليهود يد الله مغلولة والنصارى المسيح ابن الله والمشركين الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وفي صحيح البخاري قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك الحديث وقد تقدم في سورة مريم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما هكذا جاء هذا الحديث موقوفا على ابي هريرة في هذه الرواية وقد جاء مرفوعا عنه يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار اخرجه ايضا مسلم وقال عكرمة معناه بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله الا الله بنحت الصور وغيرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المصورين قلت وهذا مما يقوي قول مجاهد في المنع من تصوير الشجر وغيرها اذ كل ذلك صفة اختراع وتشبه بفعل الله الذي انفرد به سبحانه وتعالى وقد تقدم هذا في سورة النمل والحمد لله وقالت فرقة ذلك على حذف مضاف تقديره يؤذون اولياء الله واما اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي كل ما يؤذيه من الاقوال في غير معنى واحد ومن الافعال ايضا فطواف فساحر شاعر كاهن مجنون واما فعلهم فكسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وبمكة القاء السلا على ظهره وهو ساجد الى غير ذلك وقال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي واطلق اذاية الله ورسوله وقيد اذاية المؤمنين والمؤمنات لان اذاية الله ورسوله لا تكون الا بغير حق ابدا واما اذاية المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه

الثانية قال علماؤنا والطعن في تامير اسامة بن زيد اذاية له عليه السلام روى الصحيح عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وامر عليهم اسامة بن زيد فطعن الناس في امارته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تطعنوا في امارته فقد كنتم تطعنون في امره ابيه من قبل وايم الله ان كان خليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي وان هذا لمن احب الناس الي بعده وهذا البعث والله اعلم هو الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اسامة وامره عليهم وامره ان يغزو ابنى وهي القرية التي عند موته الموضع الذي قتل فيه زيد ابوه مع جعفر بن ابي طالب وعبد الله ابن رواحة فامره ان ياخذ بثار ابيه فطعن من في قلبه ريب في امارته من حيث انه من الموالي ومن حيث انه كان صغير السن لانه كان اذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة فمات النبي صلى الله عليه وسلم وقد برز هذا البعث عن المدينة ولم ينفصل بعد عنها فنفذه ابو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة في هذا الحديث اوضح دليل على جواز امامة المولى والمفضول على غيرهما ما عدى الامامة الكبرى وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم سالما مولى ابي حذيفة على الصلاة بقباء فكان يؤمهم وفيهم ابو بكر وعمر وغيرهم رضي الله عنهما من كبراء قريش وروى الصحيح عن عامر بن واثلة الاسقع ان نافع بن الحرث لقي عمر رضي الله عنه بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على هذا الوادي قال ابن ابزي قال ومن ابن ابزى قال مولى من موالينا قال فاستخلفت عليهم مولى قال انه لقارئ لكتاب الله وانه عالم بالفرائض قال اما ان نبيكم قد قال ان الله يرفع بهذا العلم اقواما ويضع به آخرين الرابعة كان اسامة رضي الله عنه الحب ابن الحب وبذلك كان يدعى وكان اسود شديد السواد وكان زيد ابوه ابيض من القطن هكذا ذكره ابو داود عن احمد بن صالح وقال غير احمد كان زيد ازهر اللون وكان شديد الادمة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبس اسامة وهو صغير ويمسح مخاطه وينقي انفه ويقول لو كان اسامة جارية لزيناه وجهزناه وحببناه الى الازواج وقد ذكر ان سبب ارتداد العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم انه لما كان عليه السلام في حجة الوداع بجبل عرفة عشية عرفة عند النفر احتبس النبي صلى الله عليه وسلم قليلا بسبب اسامة الى ان اتاه فقالوا ما احتبس الا لاجل هذا تحقيرا له فكان قولهم هذا سبب ارتدادهم ذكره البخاري في التاريخ بمعناه والله اعلم الخامسة كان عمر رضي الله عنه يفرض لاسامة في العطاء خمسة آلاف ولابنه عبد الله الفين فقال له عبد الله فضلت علي اسامة وقد شهدت ما لم يشهد فقال ان اسامة كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك واباه كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك ففضل رضي الله عنه محبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبوبه وهكذا يجب ان يحب ما احب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغض من ابغض وقد قابل مروان هذا الحب بنقيضه وذلك انه مر باسامة ابن زيد وهو يصلي عند باب البيت بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مروان انما اردت ان يرى مكانك فقد راينا مكانك ففعل الله بك وفعل قولا قبيحا فقال له اسامة انك اذيتني وانك فاحش متفحش وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يبغض الفاحش المتفحش فانظر ما بين الفعلين وقس ما بين الرجلين فلقد اذى بنو امية النبي صلى الله عليه وسلم في احبابه وناقضوه في محابه قوله تعالى لعنهم معناه ابعدهم من كل خير

واللعن فى اللغة الابعاد ومنه اللعان واعدلهم عذابا مهينا تقدم فى غير موضع قوله تعالى وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا اذاية المومنين والمومنات هى ايضا بالافعال والاقوال القبيحة كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق وهذه الاية نظيره للاية التى فى النساء ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا كما قال هنا وقد قيل ان من الاذاية تعييره بحسب مذموم او حرفة دنية او بشى يثقل عليه اذا سمعه لان اذاه فى الجملة حرام وقد ميز الله تعالى بين اذايه واذاء رسول الله واذى المومنين فجعل الاول كفرا والثانى كبيرة فقال فى اذى المومنين فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقد بيناه وروى ان عمر بن الخطاب قال لابى ابن كعب قرات البارحة هذه الاية ففزعت منها والذين يوذون المومنين والمومنات الاية والله لاضربهم وانهرهم فقال له ابى يا امير المومنين لست منهم انما انت معلم ومقوم وقد قيل ان سبب نزول هذه الاية ان عمر راى جارية من الانصار فضربها وكره ما راى من زينتها فخرج اهلها فاذوا عمر باللسان فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت فى على فان المنافقين كانوا يوذونه ويكذبون عليه رضى الله عنه قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى قل لازواجك وبناتك قد مضى الكلام فى تفصيل ازواجه واحدة واحدة قال قتادة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسع خمس من قريش عايشة وحفصه وام حبيبه وسوده وام سلمه وثلاث من ساير العرب ميمونه وزينب بنت جحش وجويريه وواحدة من بنى هرون صفية واما اولاده فكان للنبى صلى الله عليه وسلم اولاد ذكور واناث فالذكور من اولاده القاسم وامه خديجه وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم وهو اول من مات من اولاده وعاش سنتين وقال عروة ولدت خديجة للنبى صلى الله عليه وسلم القاسم والطاهر وعبد الله والطيب وقال ابو بكر البرقى ويقال ان الطاهر هو الطيب وهو عبد الله وابرهيم امه مارية القبطيه ولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفى ابن ستة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر ذكره الدارقطنى وتوفى بالبقيع وقال صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا تتم رضاعه فى الجنة وجميع اولاد النبى صلى الله عليه وسلم من خديجه سوى ابرهيم وكل اولاده ماتوا فى حيوته غير فاطمة واما الاناث من اولاده فمنهن فاطمة الزهرا بنت خديجه ولدتها وقريش تبنى البيت قبل النبوة بخمس سنين وهى اصغر بناته وتزوجها على رضى الله عنهما فى السنة الثانية من الهجرة فى رمضان وبنى بها فى ذى الحجة وقيل تزوجها فى رجب وتوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير وهى اول من لحقه باهل بيته رضى الله عنها ومنهن زينب امها خديجه تزوجها ابن خالتها ابو العاص بن الربيع وكانت ام العاص هالة بنت خويلد اخت خديجة واسم ابى العاص لقيط وقيل هاشم وقيل هشيم وقيل مهشم وكانت اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبرها ومنهن رقية امها خديجة تزوجها عتبة ابن ابى لهب قبل النبوة فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه تبت يدا ابى لهب قال ابو لهب لابنه راسى من راسك حرام ان لم يطلق ابنته ففارقها ولم يكن بنا بها واسلمت حين اسلمت امها خديجة وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم هى واخواتها حين بايعه النسا وتزوجها عثمان بن عفان وكانت نساء

يقلن حين تزوجها عثمان احسن شخصين راى انسان رقية وبعلها عثمان وهاجرت معه الى ارض الحبشة الهجرتين وكانت قد اسقطت من عثمان سقطا ثم ولدت بعد ذلك عبد الله وكان يكنى به فى الاسلام وبلغ ست سنين فنقره ديك فى وجهه فمات ولم تلد له شيا بعد ذلك وهاجرت الى المدينة ومرضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر على راس سبعة عشر شهرا من الهجرة وقدم زيد بن حارثة بشيرا من بدر فدخل المدينة حين سوى التراب على رقية ولم يشهد دفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهن ام كلثوم امها خديجه تزوجها عتيبة بن ابى لهب اخو عتبة قبل النبوة وامره ابوه ان يفارقها للسبب المذكور فى امر رقية ولم يكن دخل بها فلم تزل بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت حين اسلمت امها وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخواتها حين بايعه النساء وهاجرت الى المدينة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفيت رقية تزوجها عثمان وبذلك سمى ذا النورين وتوفيت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى شعبان سنة تسع من الهجرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرها ونزل فى حفرتها على والفضل واسامة وذكر الزبيرى ان اكبر ولد النبى صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر وولد بعد النبوة ومات صغيرا ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم بمكة ثم مات عبد الله الثانية لما كانت عادة العربيات التبذل وكن يكشفن وجوههن كما تفعل الاماء وكان ذلك داعية الى نظر الرجال اليهن وتشعب الفكرة فيهن امر الله رسوله ان يامرهن بادخاء الجلابيب عليهن اذا اردن الخروج الى حوايجهن وكن يتبرزن فى الصحرا قبل ان تتخذ الكنف فيقع الفرق بينهن وبين الاماء فيعرف الحراير بسترهن فيكف عن معارضتهن من كان عزبا او شابا وكانت المراة من نساء المومنين قبل نزول هذه الاية تتبرز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن انها امة فتصيح به فيذهب فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ونزلت الاية بسبب ذلك قال معناه الحسن وغيره الثالثة قوله تعالى من جلابيبهن الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب اكبر من الخمار وروى عن ابن عباس وابن مسعود انه الردا وقد قيل انه القناع والصحيح انه الثوب الذى يستر جميع البدن وفى صحيح مسلم عن ام عطية قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم احدانا لا يكون لها جلباب قال لتلبسها اختها من جلبابها الرابعة واختلف الناس فى صورة ادخايها فقال ابن عباس وعبيدة السلمانى ذلك ان تلويه المراة حتى لا يظهر منها الا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس ايضا وقتادة ذلك ان تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناه لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وقال الحسن تغطى نصف وجهها الخامسة امر الله سبحانه جميع النساء بالتستر وان ذلك لا يكون الا بما لا يصف جلدها الا اذا كانت مع زوجها فلها ان تلبس ما شات لان له ان يستمتع بها كيف شاء ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم استيقظ ليله فقال سبحان الله ماذا انزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزاين من يوقظ صواحب الحجرات كاسية فى الدنيا عارية فى الاخرة وروى ان دحية الكلبى لما رجع من عند هرقل فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية فقال اجعل صدعا لك قميصا واعط صاحبتك صدعا تختمر به والصدع النصف ثم قال له مرها تجعل تحتها شيا لئلا يصف وذكر ابو هريرة

رقة الثياب للنساء فقال الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات ودخل نسوة من بني تميم على عايشة
رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق فقالت عايشة ان كنتن مومنات فليس هذا بلباس المومنات وان
كنتن غير مومنات فتمتعنه وادخلت امراة عروس على عايشة رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر
فلما راتها قالت لم تومن بسورة النور امراة تلبس هذا وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
نسا كاسيات عاريات مايلات مميلات روسهن مثل اسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها
وقال عمر رضي الله عنه ما يمنع المراة المسلمة اذا كانت لها حاجة ان تخرج في اطمارها او اطمار
جارتها مستخفية لا يعلم بها احد حتى ترجع الى بيتها الثانية قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن
اي الحراير حتى لا يختلطن بالاماء فاذا عرفن لم يقابلن باذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية
فينقطع الاطماع عنهن وليس المعنى انه يعرف المراة حتى يعلم من هي وكان عمر رضي الله عنه اذا راى
امة قد تقنعت ضربها بالدرة محافظة على زي الحراير وقد قيل انه يجب الستر والتقنع الان في حق الجميع
من الحراير والاماء وهذا كما ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا النساء المساجد بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله لا تمنعوا اماء الله مساجد الله حتى قالت عايشة رضي الله عنها
لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا لمنعهن من الخروج الى المساجد كما منعت نسا
بني اسرايل وكان الله غفورا رحيما تانيس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الامر المشروع
قوله تعالى لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي
الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا
وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى لين لم ينته المنافقون الاية اهل التفسير
على ان الاوصاف الثلاثة لشيء واحد كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن ابي رزين قال
المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة قال هم شيء واحد يعني انهم قد جمعوا
هذه الاشياء والواو مقحمة كما قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
اراد الى الملك القوم ابن الهمام ليث الكتيبة وقد مضى في البقرة وقيل كان قوم منهم يرجفون وقوم
يتبعون النساء للريبة وقوم يشككون المسلمين قال عكرمة وشهر بن حوشب الذين في قلوبهم مرض
يعني الذين في قلوبهم الزنا وقال طاوس نزلت هذه الاية في امر النسا وقال سلمة ابن كهيل نزلت في اصحاب
الفواحش والمعنى متقارب وقيل المنافقون والذين في قلوبهم مرض شي واحد عبر عنهم بلفظين دليله
اية المنافقين في اول البقرة والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المومنين بما يسوءهم من عدوهم
فيقولون اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قد قتلوا وهزموا وان العدو قد اتاكم
قاله قتادة وغيره وقيل كانوا يقولون اصحاب الصفة قوم عزاب فهم الذين يتعرضون للنساء وقيل هم
قوم من المسلمين ينطقون بالاخبار الكاذبة حبا للفتنة وقد كان في اصحاب الافك قوم مسلمون ولكنهم خاضوا
حبا للفتنة وقال ابن عباس الارجاف التماس الفتنة والارجاف اشاعة الكذب والباطل للاغتمام به و
قيل تحريك القلوب يقال رجفت الارض اي تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان الاضطراب الشديد
والرجاف البحر سمي لاضطرابه قال الشاعر المطعمون اللحم كل عشية حتى يغيب الشمس في الرجاف

والارجاف واحد اراجيف الاخبار وقد ارجفوا في الشيء اي خاضوا فيه قال الشاعر
فانا وان عيرتمونا بقتله وارجف بالاسلام باغ وحاسد
وقال اخر ابالاراجيف يا ابن اللوم يوعدني وفي الاراجيف خلت اللؤم
والخور والارجاف حرام لان فيه اذاية فدلت الاية على تحريم الايذاء بالارجاف الثانية قوله تعالى
لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم فتستاصلهم بالقتل وقال ابن عباس لم ينتهوا عن اذا النسا و
ان الله عز وجل قد اغراه بهم ثم انه عز وجل قال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
واية امره بلعنهم وهذا هو الاغرا وقال محمد بن يزيد قد اغراه بهم في الاية التي تلي هذه مع اتصال
الكلام بها وهو قوله عز وجل اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فهذا فيه معنى الامر بقتلهم واخذهم
اي هذا حكمهم اذا كانوا مقيمين على النفاق والارجاف وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس
يقتلن في الحل والحرم فهذا فيه معنى الامر كالاية سواء النحاس وهذا احسن ما قيل في الاية وقيل انهم
قد انتهوا عن الارجاف فلم يغر بهم ولام لنغرينك لام القسم واليمين واقعة عليها وادخلت اللام في ان
توطية لها الثالثة قوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة الا قليلا نصب على الحال من الضمير في
يجاورونك فكان الامر كما قال جل وعز لانهم لم يكونوا الا اقلاء فهذا احد جوابي الفرا وهو الاولى
عنده اي لا يجاورونك الا في حال قلتهم والجواب الاخر ان يكون المعنى الا وقتا قليلا اي لا يبقون الا
مدة يسيرة او لا يجاورونك فيها الا جوارا يسيرا حتى يهلكوا فيكون نعتا لمصدر او ظرف محذوف
ودل على ان من كان معك ساكنا بالمدينة فهو جار وقد مضى في النساء الرابعة قوله تعالى ملعونين
هذا تمام الكلام عند محمد بن يزيد وهو منصوب على الحال وقال ابن الانباري قليلا ملعونين وقف
حسن النحاس ويجوز ان يكون التمام الا قليلا وينصب ملعونين على الشتم كما قرا عيسى بن عمر وامراته
حمالة الحطب وقد حكى عن بعض النحويين انه قال يكون المعنى اينما ثقفوا اخذوا ملعونين وهذا خطا
لا يعمل ما مع المجازاة فيما قبله وقيل معنى الاية انهم ان اصروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينة الا وهم مطرودون
ملعونون وقد فعل بهم هذا فانه لما نزلت سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان
قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد الخامسة
قوله تعالى سنة الله نصب على المصدر اي سن الله جل وعز فيمن ارجف بالانبياء واظهر نفاقه ان يوخذ
ويقتل ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تحويلا وتغييرا حكاه النقاش وقال السدي يعني ان من قتل بحق
فلا دية على قاتله المهدوي وفي الاية دليل على جواز ترك انفاذ الوعيد والدليل على ذلك بقاء المنافقين
معه حتى مات والمعروف من اهل الفضل اتمام وعدهم وتاخير وعيدهم وقد مضى هذا في ال عمران وغيرها
قوله تعالى يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ
قَرِيبًا هولاء المؤذون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما توعدوا بالعذاب سالوا عن الساعة استبعادا
وتكذيبا موهمين انها لا تكون قل انما علمها عند الله اي اجبهم عن سوالهم وقل علمها عند الله وليس في اخفا
الله وقتها عني ما يبطل نبوتي وليس من شرط النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلم الغيب بغير تعليم من الله
عز وجل وما يدريك اي ما يعلمك لعل الساعة تكون قريبا اي في زمان قريب وقال صلى الله عليه وسلم انا والساعة
بعشر

كما بين واشار الى السبابة والوسطى خرجه اهل الصحيح وقيل اى لبث الساعة تكون قريبا فحذف هاء
التانيث ذهابا بالساعة الى اليوم كقوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة ذهابا بالرحمة
الى العفو اذ ليس تانيثها اصليا وقد مضى هذا مستوفى وقيل انما اخفى وقت الساعة ليكون العبد مستعدا
لها في كل وقت قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ ان الله لعن الكافرين اى طردهم وابعدهم واللعن الطرد والابعاد عن الرحمة و
قد مضى في البقرة بيانه واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا فانث السعير لانها بمعنى النار لا يجدون
وليا ولا نصيرا ينجيهم من عذاب الله والخلود فيه قوله تعالى يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝ قراءة العامة بضم التاء وفتح اللام على الفعل المجهول وقرا عيسى الهمداني وابن
اسحاق نقلب بنون وكسر اللام وجوههم نصبا وقرا عيسى ايضا تقلب بضم التاء وكسر اللام على
معنى تقلب السعير وجوههم وقرا ابو حيوة باختلاف عنه وابو جعفر وشيبة تقلب بفتح التاء و
اللام على معنى تتقلب وهذا التقليب تغيير الوانهم بلفح النار فتسود مرة وتخضر اخرى واذا ابدلت
جلودهم بجلود اخر فحينئذ يتمنون انهم ما كفروا يا ليتنا اى يقولون يا ليتنا ويجوز ان يكون المعنى
يقولون يوم تقلب وجوههم في النار يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا اى لم نكفر فننجو من العذاب
كما نجى المومنون وهذه الالف تقع في الفواصل فيوقف عليها ولا يوصل بها وكذا السبيلا وقد مضى
اول السورة وقرا الحسن انا اطعنا ساداتنا بكسر التاء جمع سادة وكان في هذا زجر عن التقليد
والسادة والكبراء بمعنى وقال مقاتل هم المطعمون في غزوة بدر والاظهر العموم في العادة
والرؤساء في الشرك والضلالة اى اطعناهم في معصيتك وما دعونا اليه فاضلونا السبيلا اى عن السبيل
وهو التوحيد فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب والاضلال لا يتعدى الى مفعولين من غير توسط حرف
الجر كقوله لقد اضلني عن الذكر قوله تعالى رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا
كَبِيرًا ۝ قال قتادة عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وقيل عذاب الكفر وعذاب الاضلال اى عذبهم
مثلي ما تعذبنا فانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا قرا ابن مسعود واصحابه ويحيى وعاصم بالباء
بالثاء واختاره ابو حاتم وابو عبيد والنحاس لقوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذا
لعن كثير وقال محمد بن ابي السري رايته في المنام كاني في مسجد عسقلان وكان رجلا يناظرني فيمن يبغض
اصحاب محمد فقال والعنهم لعنا كثيرا ثم كررها حتى غاب عني لا يقوله الا بالثاء وقرا بالباء يرجع في المعنى
الى الثاء لان ما كبر كان كثيرا عظيم المقدار قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا
مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝ لما ذكر تعالى المنافقين والكفار الذين آذوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين حذر المومنين من التعرض للايذاء ونهاهم عن التشبه
ببني اسرائيل في اذيتهم نبيهم موسى واختلف الناس فيما اوذي به محمد صلى الله عليه وسلم فحكى
النقاش ان اذيتهم محمدا قولهم زيد بن محمد وقال ابو وايل اذاه انه عليه السلام قسم قسما
فقال رجل من الانصار ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فغضب

ابداً م

النار م

جمع السيد وهو فعلة مثل كتبة وفجرة وسادة انما جمع الجمع والجنا دنا م

وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر واما اذايه موسى صلى الله عليه وسلم فقال ابن
عباس وجماعة هي ما تضمنه حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال كان
بنو اسرائيل يغتسلون عراة وكان موسى عليه السلام يتستر كثيرا ويخفي بدنه فقال قوم هو آدر او
ابرص او به آفة فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بارض الشام وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر
بثيابه واتبعه موسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء من بني اسرائيل فنظروا اليه وهو
من احسنهم خلقا واعدلهم صورة وليس به الذي قالوا فهو قوله فبراه الله مما قالوا اخرجه البخاري
ومسلم بمعناه ولفظ مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر
بعضهم الى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا
الا انه ادر قال فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى عليه السلام باثره
يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سواة موسى وقالوا والله ما بموسى من باس فقام
الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله انه بالحجر ندب ستة او سبعة ضرب
موسى بالحجر فهذا قول وروى ابن عباس عن علي بن ابي طالب انه قال آذوا موسى بان قالوا قتل هرون ٥
وذلك ان موسى وهرون خرجا من فحص التيه الى جبل فمات هرون فيه فجاء موسى فقالت بنو اسرائيل
لموسى انت قتلته وكان الين لنا منك واشد حبا فاذوه بذلك فامر الله ملائكة فحملته حتى طافوا به في
بني اسرائيل ورأوا آية عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم يكن فيه اثر وقد قيل ان الملائكة تكلمت بموته
ولم يعرف موضع قبره الا الرخم وان الله تعالى جعله اصم ابكم ومات هرون قبل موسى في التيه
ومات موسى قبل انقضاء مدة التيه بشهرين وحكى القشيري عن علي بن ابي طالب ان الله تعالى احيا
هرون فاخبرهم انه لم يقتله ثم مات وقد قيل ان اذايه موسى رميهم اياه بالسحر والجنون والصحيح الاول
ويحتمل ان فعلوا كل ذلك فبراه الله من جميع ذلك مسئلة في وضع موسى عليه السلام ثوبه على الحجر
ودخوله في الماء عريانا دليل على جواز ذلك وهو مذهب الجمهور ومنعه ابن ابي ليلى واحتج بحديث لم يصح
وهو قوله عليه السلام لا تدخلوا الماء الا بمئزر فان للماء عامرا قال القاضي عياض وهو ضعيف عند
اهل العلم قلت اما انه يستحب التستر لما رواه اسرائيل عن عبد الاعلى ان الحسن بن علي دخل غديرا وعليه
برد له متوشحا له فلما خرج قيل له قال انما سترت ممن يراني ولا اراه من ربي والملائكة فان قيل كيف نادى
موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل قيل لانه صدر عن الحجر فعل من يعقل وحجر منادى مفرد محذوف
حرف النداء كما قال تعالى يوسف اعرض عن هذا وثوبي منصوب بفعل مضمر التقدير اعطني ثوبي او اترك
ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه قوله تعالى وكان عند الله وجيها اى عظيما والوجيه عند العرب
العظيم القدر الرفيع المنزلة ويروى انه كان اذا سال الله شيا اعطاه اياه وقرا ابن مسعود وكان عبد الله
وقيل معنى وجيها اى كلمه تكليما قال ابو بكر الانباري في كتاب الرد زعم من طعن في القرآن
ان المسلمين صحفوا وكان عند الله وجيها وان الصواب عنده وكان عبد الله وجيها وذلك يدل
على ضعف مقصده ونقصان فهمه وقلة علمه وذلك ان الاية لو حملت على قوله وقرئت وكان عبد الله
نقص الثناء على موسى عليه السلام وذلك ان وجيها يكون عند اهل الدنيا وعند اهل زمانه وعند اهل

الاخرة فلا توقف على مكان المدح لانه ان كان وجيها عند بني الدنيا كان ذلك انعاما من الله عليه لا يبين
عليه معه ثناء من الله فلما اوضح الله تعالى موضع المدح بقوله وكان عند الله وجيها استحق الشرف
واعظم الرفعة بان الوجاهة عند الله فمن غيا اللفظ صرف عن نبي الله اخزا الثناء واعظم المدح
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما قولا سديدا اى قصدا وحقا وقال ابن عباس
اى صوابا وقال قتادة ومقاتل يعني قولوا قولا سديدا في شان زيد وزينب ولا تنسبوا النبي صلى الله
عليه وسلم الى ما لا يحل وقال عكرمة وابن عباس ايضا القول السداد لا اله الا الله وقيل هو الذي يوافق
ظاهره باطنه وقيل هو ما اريد به وجه الله دون غيره وقيل هو الاصلاح بين المتشاجرين وهو
ماخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض والقول السداد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر
وغير ذلك وظاهر الآية يعطي انه انما اشار الى ما يكون خلافا للاذي الذي قيل في جهة الرسول
وجهة المومنين ثم وعد جل وعز بانه يجازي على القول السداد باصلاح الاعمال وغفران الذنوب و
حسبك بذلك درجة ورفعة منزلة ومن يطع الله ورسوله اى فيما امر به ونهى عنه فقد فاز فوزا عظيما
قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المومنين والمومنات وكان الله غفورا رحيما
لما بين تعالى في هذه السورة من الاحكام ما بين امر بالتزام اوامره والامانة تعم جميع وظايف الدين على الصحيح
من الاقوال وهو قول الجمهور روى الترمذي الحكيم ابو عبد الله قال حدثنا اسمعيل بن نصر عن صالح بن عبد
الله عن محمد بن زيد بن جوهر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
لآدم يا ادم اني عرضت الامانة على السموات والارض فلم يطقنها فهل انت حاملها بما فيها قال وما فيها يا رب
قال ان حملتها اجرت وان ضيعتها عذبت فاحتملها بما فيها فلم يبت في الجنة الا قدر ما بين صلاة الاولى
الى العصر حتى اخرجه الشيطان منها فالامانة هي الفرايض التي ايتمن الله عليها العباد وقد اختلف
في تفاصيل بعضها على اقوال فقال ابن مسعود هي في امانات الاموال كالودايع وغيرها وروى عنه انها في
كل الفرايض واشدها امانة المال وقال ابي بن كعب من الامانة ان اوتمنت المراة على فرجها وقال ابو الدردا
غسل الجنابة امانة وان الله تعالى لم يامن ابن آدم على شيء من دينه غيرها وفي حديث مرفوع الامانة الصلاة
ان شيت قلت قد صليت وان شيت قلت لم اصل وكذلك الصيام وغسل الجنابة وقال عبد الله بن
عمرو بن العاصي اول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها فلا تلبسها الا بحق
فان حفظتها حفظتك فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واللسان امانة والبطن امانة واليد
امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقال السدي هي ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده واهله
وخيانته اياه في قتل اخيه وذلك ان الله تعالى قال له يا آدم هل تعلم ان لي بيتا في الارض قال اللهم لا
قال فان لي بالامانة بيتا بمكة فاته فقال للسما احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض احفظي ولدك
بالامانة فابت فقال للجبال فابت فقال لقابيل احفظ ولدي بالامانة فقال نعم تذهب وترجع فتجد ولدك

كما يسرك فرجع فوجده قد قتل اخاه فلذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
الاية وروى معمر عن الحسن ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال قالت وما فيها قيل
لها ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله تعالى ادم عرضها
عليه قال وما هي قال ان احسنت اجرتك وان اسات عذبتك قال فقد تحملتها يا رب قال مجاهد فما
كان بين ان يحملها الى ان اخرج من الجنة الا قدر ما بين الظهر والعصر وروى علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال قال الامانة الفرايض عرضها
الله على السموات والارض والجبال ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا
من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله عز وجل الا يقوموا به ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها قال
النحاس وهذا القول هو الذي عليه اهل التفسير وقيل لما حضرت آدم صلى الله عليه وسلم الوفاة امر ص
ان تعرض الامانة على الخلق فعرضها فلم تقبلها الا بنوه وقيل هذه الامانة هي ما اودعه الله تعالى
في السموات والارض والجبال والخلق من الدلايل على ربوبيته ان يظهروها فاظهروها الا الانسان
فانه كتمها وجحدها قاله بعض المتكلمين ومعنى عرضنا اظهرنا كما تقول عرضت الجارية على البيع والمعنى
انا عرضنا الامانة وتضييعها على اهل السموات واهل الارض من الملايكة والانس والجن فابين ان يحملنها
اى ان يحملن وزرها كما قال جل وعز وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وحملها الانسان قال الحسن
المراد الكافر والمنافق انه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه فيكون على هذا الجواب مجازا مثل واسأل
القرية وفيه جواب آخر على ان يكون حقيقة انه عرض على السموات والارض والجبال الامانة وتضييعها
وهي الثواب والعقاب اى اظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها واشفقت وقالت لا نبغي ثوابا و
لا عقابا وكل يقول هذا امر لا نطيقه ونحن لك سامعون ومطيعون فيما امرت به وسخرت له قاله
الحسن وغيره قال العلما معلوم ان الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة على القول الاخير
وهذا العرض عرض تخيير لا الزام والعرض على الانسان وقال القفال وغيره العرض في هذه الاية الزام ص
ضرب مثل اى ان السموات والارض على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرايع
لما فيها من ثواب وعقاب اى ان التكليف امر حقه ان تعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان
وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته ثم قال وتلك الامثال نضربها
للناس قال القفال واذا تقرر في انه تعالى يضرب الامثال وورد علينا من الخبر ما لا يخرج الا على ضرب المثل
وجب حمله عليه وقال قوم ان الاية من المجاز اي انا اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة السموات والارض والجبال
راينا انها لا تطيقها وانها لو تكلمت لابت واشفقت فعبر عن هذا المعنى بقوله انا عرضنا الامانة الاية و
هذا كما تقول عرضت الحمل على البعير فاباه وانت تريد قايست قوته بثقل الحمل فرايت انها تقصر عنه
وقيل عرضنا بمعنى عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن الامانة ورجحت
الامانة بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانة على السموات والارض والجبال انما كان من آدم عليه السلام وذلك
ان الله تعالى لما استخلفه على ذريته وسلطه على جميع ما في الارض من الانعام والطير والوحش وعهد اليه
عهدا امره فيه ونهاه وحرم واحل فقبله ولم يزل عاملا به فلما ان حضرته الوفاة سال الله ان يعلمه من يستخلف

بعده ونقلده من الامانة ما نقلده فامره ان يعرض ذلك على السموات بالشرط الذي اخذه عليه من الثواب ان
اطاع ومن العقاب ان عصى فابين ان يقبلنه منه شفقا من عذاب الله ثم امره ان يعرض ذلك على الارض
والجبال كلها فابياه ثم امره ان يعرض على ولده ونعرضه عليه فقبله بالشرط ولم يهب منه ما تهيبت
السموات والارض والجبال انه كان ظلومًا لنفسه جهولًا بعاقبة ما تقلد لربه قال الترمذي
الحكيم ابو عبد الله محمد بن على عجبت لهذا القايل من اين اتى بهذه القصة فان نظرنا الى الاثار وجدناها
بخلاف ما قال وان نظرنا الى باطنه وجدناه بعيدًا مما قال وذلك انه ردد ذكر الامانة ولم يذكر ما الامانة — ظاهره وجدناه بخلاف ما قال وان نظرنا الى م
الا انه يومى في مقالته الى انه سلط على جميع ما فى الارض وعهد الله اليه عهدا فيه امره ونهيه وحله وحرامه
وزعم انه امره ان يعرض ذلك على السموات والارض والجبال فما يصنع السموات والارض والجبال بالحلال
والحرام وبالتسليط على الانعام والطير والوحش وكيف اذا عرضه على ولده فقبله فى اعناق ذريته
من بعده وفى مبداء الخبر فى التنزيل انه عرض الامانة على السموات والارض والجبال حتى ظهر الاباء منهم
ثم ذكر ان الانسان حملها اى من قبل نفسه لا انه حمل ذلك وسماه ظلومًا اى لنفسه جهولا بما فيها واما
الاثار التى هى بخلاف ما ذكر فحدثنا ابى رحمة الله قال حدثنا الفيض بن الفضل الكوفى قال حدثنا السرى
ابن اسمعيل عن عامر الشعبى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال لما خلق الله الامانة مثلها صخرة ثم
وضعها حيث شاء ثم دعا لها السموات والارض والجبال ليحملنها وقال لهن ان هذه الامانة ولها ثواب وعليها
عقاب فقالوا يا رب لا طاقة لنا بها واقبل الانسان من قبل ان يدعا فقال للسموات والارض والجبال ما وقفكم
قالوا دعانا ربنا ان نحمل هذه فاشفقن منها ولم نطقها قال فحركها بيده وقال والله لوشيت ان احملها — بطقنها
لحملتها فحملها حتى بلغ بها الى ركبتيه ثم وضعها وقال والله لوشيت ان ازددت لازددت قالوا دونك
فحملها حتى بلغ بها حقويه ثم وضعها على عاتقه فلما اهوى ليضعها قالوا مكانك ان هذه الامانة ولها ثواب — وقال والله لوشئت ان ازداد لازددت قالوا دونك فحملها حتى وضعها
وعليها عقاب وامرنا ربنا ان نحملها فاشفقنا منها وحملتها انت من غير ان ندعى لها فهى فى عنقك وفى
اعناق ذريتك الى يوم القيامة انك كنت ظلومًا جهولا وذكر اخبارا عن الصحابة والتابعين تقدم اكثرها
وحملها الانسان اى التزم القيام بحقها وهو فى ذلك ظلوم لنفسه وقال قتادة للامانة جهول القدر
ما دخل فيه وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير وقال الحسن جهول بربه قال ومعنى حملها خان فيها
وقاله الزجاج والاية فى الكافر والمنافق والعصاة على قدرهم على هذا التاويل وقال ابن عباس
واصحابه والضحاك وغيره الانسان آدم تحمل الامانة فما تم له يوم حتى عصى المعصية التى اخرجته من الجنة
وعن ابن عباس ان الله تعالى قال له اتحمل هذه الامانة بما فيها قال وما فيها قال ان احسنت جزيت
وان اسات عوقبت قال انا احملها بما فيها بين اذنى وعاتقى فقال الله تعالى له انى سأعينك قد جعلت
لبصرك حجابا فاغلقه عما لا يحل لك ولفرجك لباسًا فلا تكشفه الا على ما احللت لك وقال قوم الانسان
النوع كله وهذا احسن مع عموم الامانة كما ذكرناه اولا وقال السدى الانسان قابيل فالله اعلم ليعذب
الله المنافقين والمنافقات اللام فى ليعذب متعلقة بحمل اى حملها ليعذب العاصى ويثيب المطيع فهى
لام التعليل لان العذاب نتيجة حمل الامانة وقيل تعرضنا اى عرضنا الامانة على الجميع ثم تقلدنا ها
الانسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله وايمان المؤمن ليثيبه الله ويتوب الله

قراءة الحسن بالرفع بقطعه من الاول اى يتوب الله عليهم بكل حال وكان الله غفورًا رحيمًا خبر بعد
خبر لكان ويجوز ان يكون نعتًا لغفورٌ ويجوز ان يكون حالًا من المضمر

تفسير سورة سبا

مكية فى قول الجميع الا اية واحدة اختلف فيها وهى قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الاية فقالت
فرقة هى مكية والمراد المؤمنون اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقالت فرقة هى مدنية
والمراد بالمؤمنين من اسلم بالمدينة كعبد الله بن سلام وغيره قال مقاتل وقال قتادة هم امة محمد صلى
الله عليه وسلم المؤمنون به كان من كان وهى اربع وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات
وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير الذى فى موضع خفض على
النعت او البدل ويجوز ان يكون فى موضع رفع على اضمار مبتداء وان يكون فى موضع نصب بمعنى اعنى وحكى
سيبويه الحمد لله اهل الحمد بالرفع والنصب والخفض والحمد الكامل والثناء الشامل كله لله اذ النعم كلها
منه وقد مضى الكلام فيه فى اول الفاتحة وله الحمد فى الاخرة قيل هو قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده وقيل هو قوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهو المحمود فى الاخرة كما انه المحمود فى الدنيا
وهو المالك للاخرة كما انه المالك للاولى وهو الحكيم فى فعله الخبير بامر خلقه قوله تعالى يعلم ما يلج فى الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور يعلم ما يلج فى الارض اى ما يدخل فيها
من قطر وغيره كما قال فسلكه ينابيع فى الارض ومن الكنوز والدفاين والاموات وما هى له كفات وما يخرج منها
من نبات وغيره وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والمقادير والبركات وقاله
على بن ابى طالب وما ينزل بالنوب والشديد وما يعرج فيها من الملايكة واعمال العباد قاله الحسن وغيره وهو الرحيم
الغفور قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب
عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب
مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم قيل المراد
اهل مكة قال مقاتل قال ابو سفيان لكفار مكة واللات والعزى لا تأتينا الساعة ابدا ولا نبعث فقال الله
قل يا محمد بلى وربى لتأتينكم وروى هرون عن طلق المعلم قال سمعت اشياخنا يقرؤن قل بلى وربى لتأتينكم
بيا حملوه على المعنى كانه قال ليأتينكم البعث او امره كما قال هل ينظرون الا ان يأتيهم الملايكة او يأتى امر ربك فهولا
الكفار مقرون بالابتداء منكرون للاعادة وهو نقض لما اعترفوا بالقدرة على البعث وقالوا وان قدر لا يفعل
فهذا تحكم بعد ان اخبر على السنة الرسل انه يبعث الخلق واذا ورد الخبر بشىء هو ممكن فى الفعل مقدور
فتكذيب من وجب صدقه محال عالم الغيب بالرفع قرا نافع وابن كثير على الابتداء وخبره لا يعزب عنه
وقرا عاصم وابو عمرو عالم الغيب بالخفض اى الحمد لله عالم فعلى هذه القراءة لا يحسن الوقف على قوله لتأتينكم
وقرا حمزة والكساى علام الغيب على المبالغة والنعت لا يعزب عنه اى لا يغيب عنه ويعزب ايضا قال
الفراء والكسر احب الى النحاس وهى قراءة يحيى بن وثاب وهى لغة معروفة يقال عزب يعزب اذا بعد وغاب

مثقال ذرة اى قدر نملة صغيرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
وفى قراءة الاعمش ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالفتح فيهما عطفا على ذرة وقراءة العامة بالرفع عطفا على
مثقال الا في كتاب مبين فهو العالم بما خلق ولا يخفى عليه شيء ليجزى منصوب بلام كى والتقدير لتاتينكم ليجزى
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالثواب والكافرين بالعقاب اولئك يعنى المؤمنين لهم مغفرة لذنوبهم
ورزق كريم وهو الجنة قوله تعالى وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ
أَلِيمٌ في ابطال ادلتنا والتكذيب باياتنا معجزين مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا وان الله
لا يقدر على بعثهم في الاخرة وظنوا انا نهملهم فهولاء لهم عذاب من رجز اليم يقال عاجزه واعجزه اذا غالبه
وسبقه واليم قراه نافع بالكسر نعتا للرجز فان الرجز هو العذاب قال الله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السماء وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم عذاب من رجز اليم برفع اليم هنا وفي الجاثيه نعتا للعذاب
وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد بن قيس ومجاهد وابو عمرو معجزين اى مثبطين اى ثبطوا الناس
عن الايمان بالمعجزات وآيات القرآن قوله تعالى وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ لما ذكر الذين سعوا في ابطال النبوة بين ان الذين اوتوا
العلم يرون ان القرآن حق قال مقاتل الذين اوتوا العلم هم مؤمنوا اهل الكتاب وقال ابن عباس هم اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المسلمين وهو اصح لعمومه والرؤية بمعنى العلم وهى في موضع نصب
عطفا على ليجزى اى متعلق بقوله لتاتينكم الساعة ولا يقال لتاتينكم الساعة ليرى الذين اوتوا العلم ان
القرآن حق فانهم يرون القرآن حقا وان لم ياتهم الساعة والصحيح انه رفع على الاستيناف ذكره القشيرى
قلت واذا كان ليجزى متعلقا بمعنى اثبت ذلك في كتاب مبين فيحسن عطف ويرى اى واثبت ايضا ليرى الذين
اوتوا العلم ان القرآن حق فانهم يرون القرآن حقا ويجوز ان يكون مستانفا الذي في موضع نصب على انه
مفعول اول ليرى هو الحق مفعول ثان وهو فاصلة والكوفيون يقولون عماد ويجوز الرفع على ان يكون مبتدا
والحق خبره والجملة في موضع نصب على المفعول الثانى والنصب اكثر فيما كانت فيه الالف واللام عند جميع
النحويين وكذا ما كان نكرة لا يدخله الالف واللام فيشبه المعرفة فان كان الخبر اسما معروفا نحو قولك كان
اخوك هو زيد فزعم الفراء ان الاختيار فيه الرفع وكذا كان محمد هو عمرو وعلته في اختياره الرفع انه لما
لم يكن فيه الالف واللام اشبه النكرة في قولك كان زيد هو جالس لان هذا لا يجوز فيه الا الرفع ويهدى الى
صراط العزيز الحميد اى يهدي القرآن الى طريق الاسلام الذى هو دين الله ودل بقوله العزيز على انه
لا يغالب وبقوله الحميد على انه لا يليق به صفة العجز قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وان شئت ادغمت اللام في النون لقربها
منها ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق هذا اخبار عن من قال لا تاتينا الساعة اى هل نرشدكم الى رجل ينبئكم اى يقول
لكم انكم تبعثون بعد البلاء في القبور وهذا صادر على فرط انكارهم الزمخشرى فان قلت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شايعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل
ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز
والهزؤ والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجى التى يتحاجى بها للضحك والتلهى متجاهلين به وبامره

اى ليجزى وليرى قاله الزجاج والفراء وفيه نظر لان قوله ليجزي ص م

وإذا في موضع نصب والعامل فيها مزقتم قاله النحاس ولا يجوز ان يكون العامل فيها ينبئكم لانه ليس يخبرهم ذلك الوقت
ولا يجوز ان يكون العامل ما بعد ان لانه لا يعمل فيما قبله وان لا يتقدم عليها ما بعدها ولا معمولها واجاز الزجاج
ان يكون العامل فيها محذوفا والتقدير اذا مزقتم كل ممزق بعثتم او ينبئكم بانكم تبعثون اذا مزقتم المهدوي ولا
يعمل فيه مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف واجاز بعضهم على ان يجعل اذا للمجازاة
فيعمل فيها حينئذ ما بعدها لانها غير مضافة اليه واكثر ما يقع اذا للمجازاة في الشعر ومعنى مزقتم كل ممزق
فرقتم كل تفريق والمزق خرق الاشياء يقال ثوب مزيق وممزوق ومتمزق وممزق قوله تعالى أَفْتَرَى عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ لما دخلت الف
الاستفهام استغنيت عن الف الوصل فحذفتها وكان فتح الف الاستفهام فرقا بينها وبين الف الوصل وقد
مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى اطلع الغيب مستوفى ام به جنة هذا مردود على ما تقدم من قول
المشركين والمعنى قال المشركون افترى على الله كذبا والافتراء الاختلاق ام به جنة اى جنون فهو يتكلم بما لا يدرى
ثم رد عليهم فقال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد اى ليس الامر كما قالوا بل هو
اصدق الصادقين ومن ينكر البعث فهو غدا في العذاب واليوم في الضلال عن الصواب اذ صاروا الى تعجيز
الاله ونسبة الافتراء الى من ايده الله بالمعجزات قوله تعالى أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ اعلم الله تعالى ان الذى قدر على خلق السموات والارض وما فيهن قادر على
البعث وعلى تعجيل العقوبة لهم فاستدل بقدرته عليهم وان السموات والارض ملكه وانهما محيطتان
بهم من كل جانب فكيف يامنون الخسف والكسف كما فعل بقارون واصحاب الايكة وقرا حمزة والكسائي
ان يشا يخسف بهم الارض او يسقط بالياء في الثلاث اى ان يشا الله امر الارض فيخسف بهم او السماء فيسقط
عليهم كسفا الباقون بالاسكان وقد تقدم بيانه في سبحان وغيرها ان في ذلك لآية اى في هذا الذى
ذكرناه من قدرتنا لآية اى دلالة ظاهرة لكل عبد منيب اى تائب رجاع الى الله بقلبه وخص المنيب بالذكر
لانه المنتفع بالفكرة في حجج الله وآياته قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا بين لمنكرى نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ان ارسال الرسل ليس امرا بدعا بل ارسلنا الرسل وايدناهم بالمعجزات واحللنا
بمن خالفهم العقاب آتينا اعطينا فضلا اى امرا فضلناه به على غيره واختلف في هذا الفضل على تسعة
اقوال الاول النبوة الثانى الزبور الثالث العلم قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما الرابع القوة
قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد الخامس تسخير الجبال والناس قال الله تعالى يا جبال
اوبى معه السادس التوبة فغفرنا له ذلك الاية السابع الحكم بالعدل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
الثامن الانة الحديد التاسع حسن الصوت وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن وحسن
الصوت هبة من الله وتفضل منه وهو المراد بقوله جل وعز يزيد في الخلق ما يشاء على ما يانى وقال صلى الله
عليه وسلم لابى موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود قال العلماء المزمار والمزمور الصوت الحسن
وبه سميت آلة الزمر مزمارا وقد استحسن كثير من فقهاء الامصار القراءة بالتزيين والترجيع وقد مضى هذا
في مقدمة الكتاب والحمد لله قوله تعالى يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ اى وقلنا

عبد ص

بالنون على التعظيم وقراءة السلمي وحفص كسفًا بفتح السين والباقون ص

الآية م

والنا له الحديد ص

يا جبال اولى معه اى سبحي معه لانه جل وعز قال انا سخرنا الجبال معه يسبحن قال ابو ميسرة هو التسبيح بلسان الحبشة ومعنى تسبيح الجبال هو ان الله تعالى خلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى سيري معه حيث شاء من التأويب الذي هو سير النهار اجمع وينزل الليل قال ابن مقبل

لحقنا بحي اوبوا السير بعد ما ۞ دفعنا شعاع الشمس والطرف مجنح

وقرا الحسن وقتادة وغيرهما اوبي معه اي ارجعي معه من آب يؤوب اذا رجع اوبا واوبة وايابا وقيل المعنى تصرفي معه على ما يتصرف عليه داود بالنهار فكان اذا قرا الزبور صوتت الجبال معه واصغى اليه الطير فكانها فعلت ما فعل وقال وهب بن منبه المعنى نوحي معه والطير تسعده على ذلك فكان اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدا الجبال الذي يسمعه الناس انما كان من ذلك اليوم الى هذه الساعة فايد بمساعدة الجبال والطير لئلا يجد فترة فاذا دخلت الفترة اهتاج اي ثار وتحرك وقوي بمساعدة الجبال وكان قد اعطي من الصوت ما يتزاحم الوحوش من الجبال على صوته وكان الماء الجاري ينقطع عن الجري وقوفا لصوته والطير بالرفع قراءة ابن ابي اسحاق ونصر عن عاصم وابن هرمز ومسلمة بن عبد الملك عطفا على لفظ الجبال او على المضمر في اوبي وحسنه الفصل مع الباقون بالنصب عطفا على موضع يا جبال اي نادينا الجبال والطير قاله سيبويه وعند ابي عمرو بن العلا باضمار فعل على معنى وسخرنا له الطير وقال الكسائي هو معطوف على واتيناه الطير حملا على ولقد اتينا داود منا فضلا النحاس ويجوز ان يكون مفعولا معه كما تقول استوى الماء والخشبة وسمعت الزجاج يجيز قمت وزيدا فالمعنى اوبي معه ومع الطير والنا له الحديد قال ابن عباس صار عنده كالشمع وقال الحسن كالعجين والشمع يصرفه كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بمطرقة وقاله مقاتل وكان يفرغ من الدرع في بعض اليوم او بعض الليل ثمنها الف درهم وقيل اعطي قوة يثني بها الحديد وسبب ذلك ان داود لما ملك بني اسرائيل لقي ملكا وداود يظنه انسانا وداود متنكر خرج يسأل عن نفسه وسيرته في بني اسرائيل في خفا فقال داود لذلك الشخص الذي تمثل له ما تقول في هذا الملك داود فقال له الملك نعم العبد لولا خلة فيه قال داود وما هي قال يرتزق من بيت المال ولو اكل من عمل يده لتمت فضايله فرجع فدعا الله في ان يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة لبوس كما قال عز وجل في سورة الانبيا فالان له الحديد فصنع الدروع فكان يصنع الدرع فيما بين يومه وليله تساوي الف درهم حتى ادخر منها كثيرا وتوسعت معيشة منزله ويتصدق على الفقرا والمساكين وكان ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين وهو اول من اتخذ الدروع وصنعها وكانت قبل ذلك صفايح ويقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة الاف والدرع مؤنثة اذا كانت للحرب ودرع المراة مذكر مسألة في هذه الاية دليل على تعلم اهل الفضل الصنايع وان التحرف بها لا ينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضايلهم اذ يحصل لهم التواضع في انفسهم والاستغنا عن غيرهم وكسب الحلال الخلي عن الامتنان وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان خير ما اكل المؤمن عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده وقد مضى هذا في الانبياء مجودا قوله تعالى اَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ سابغات اي دروعا سابغات اي كوامل تامات واسعات يقال سبغ

فكان يعمله من غير نار وقال السدى كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجين صح

الدرع والثوب وغيرهما اذا غطى كل ما هو عليه وفضل منه وقدر في السرد قال قتادة كانت الدروع قبله صفايح فكانت ثقالا فلذلك امر هو بالتقدير فيما يجمع من الخفة والحصانة اي قدر ما تاخذ من هاذين المعنيين بقسطه اي لا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة وقال ابن زيد التقدير الذي امر به هو في قدر الحلقة اي لا تعملها صغيرة فتضعف ولا يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فينال لابسها وقال ابن عباس التقدير الذي امر به هو في المسمار اي لا تجعل مسمار الدروع دقيقا فيقلق ولا غليظا فيفصم الحلق روي يفصم بالقاف والفاء ايضا رواية في السرد والزراد تبدل من السين الزاي كما يقال سراط وزراط والسرد الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز والمسرد الاشفى ويقال سراد وقال الشماخ

فظلت تباعا خيلنا في بيوتكم ۞ كما تابعت سرد العنان الخوارز

والسراد السير الذي يخرز به قال لبيد

يشك صفاحها بالروق شزرا ۞ كما خرج السراد من النقال

ويقال قد سرد الحديث والصوم فالسرد فيهما ان يجي به ولا في نسق واحد ومنه سرد الكلام وفي حديث عايشة لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم كان يحدث الحديث لو اراد العاد ان يعده لاحصاه قال سيبويه ومنه رجل سرندى اي جري قال لانه يمضي قدما واصل ذلك في سرد الدروع وهو ان يحكمها ويجعل نظام حلقها ولاء غير مختلف قال لبيد

صنع الحديد مضاعفا اسراده ۞ لينال طول العيش غير مروم

والسرد نسج حلق الدروع ومنه قيل لصانع الدروع السراد صح صح

وقال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع واعملوا صالحا اي عملا صالحا وهذا خطاب لداود واهله كما قال اعملوا آل داود شكرا اني بما تعملون بصير قوله تعالى وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ قال الزجاج التقدير وسخرنا لسليمان الريح وقرا عاصم في رواية ابي بكر عنه الريح بالرفع على الابتداء والمعنى له تسخير الريح او بالاستقرار اي ولسليمان الريح ثابتة وفيه ذلك المعنى الاول فان قال قايل اذا قلت اعطيت زيدا درهما ولعمرو دينار فرفعته لم يكن فيه معنى الاول وجاز ان يكون لم يعطه الدينار قيل الامر كذا ولكن الاية على خلاف هذا من جهة المعنى لانه قد علم انه لم يسخرها احد الا الله عز وجل غدوها شهر ورواحها شهر اي مسيرة شهر قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع ثم يروح من اصطخر ويبيت بكابل وبينهما شهر للمسرع قال السدي كانت تسير به في اليوم مسيرة شهرين وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمان اذا جلس نصبت حواليه اربعماية الف كرسي ثم جلس روسا الانس مما يليه وجلس سفلة الجن مما يليهم ومو كل بكل كرسي طاير لعمل قد عرفه ثم تقلهم الريح والطير تظلهم من الشمس فيغدو من بيت المقدس الى اصطخر فيبيت ببيت المقدس ثم قرا ابن عباس غدوها شهر ورواحها شهر وقال وهب ذكر لي ان منزلا بناحية دجلة مكتوبا فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلنا وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رايحون منه ان شاء الله فبايتون بالشام وقال الحسن شغلت سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر فعقر الخيل فابدله الله خيرا منها واسرع ابدله الريح تجري بامره حيث شاء غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن زيد كان مستقر سليمان بمدينة تدمر

الانس مما يليهم وجلس
رؤسا الجن مما يليهم

وكان امر الشياطين قبل شخوصه من الشام الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر

وفيه يقول النابغة ۞ الا سليمان اذ قال الاله له قم ۞ في البرية فاحددها عن الفند ۞

وجيش الجن اني قد اذنت لهم ۞ يبنون تدمر بالصفاح والعمد ۞

فمن اطاعك فانفعه بطاعته ۞ كما اطاعك وادلله على الرشد ۞

ومن عصاك فعاقبه معاقبة ۞ تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد ۞

ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بارض كشكر انشاهن بعض اصحاب سليمان عليه السلام ونحن

ولا حول سوى حول ربنا نروح الى الاوطان من ارض تدمر ۞

اذا نحن رحنا كان ريث رواحنا ۞ مسيرة شهر والغدو لآخر

اناس شروا ابتهوا طوعا نفوسهم ۞ بنصر ابن داود النبي المطهر ۞

لهم في معالي الدين فضل ورافة ۞ وان نسبوا يوما فمن خير معشر

متى يركب الريح المطيعة اسرعت ۞ مبادرة عن شهرها لم تقصر ۞

تظلهم طير صفوف عليهم ۞ متى رفرفت من فوقهم لم تنفر

قوله تعالى ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ۞ القطر النحاس عن ابن عباس وغيره اسيلت له مسيرة ثلاثة ايام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن ولم يذب النحاس فيما روي لاحد قبله وكان لا يذوب ومن وقته ذاب وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله لسليمان عليه السلام قال قتادة اسال الله عينا يستعملها فيما يريد وقيل لعكرمة الى اين سالت فقال لا ادري وقال ابن عباس ومجاهد والسدي اجريت له عين الصفر ثلاثة ايام بلياليهن قال القشيري وتخصيص الاسالة بثلاثة ايام لا يدرى ما حده ولعله وهم من الناقل اذ في رواية عن مجاهد انها سالت من صنعا ثلث ليال مما يليها وهذا يشير الى بيان الموضع لا الى بيان المدة والظاهر انه جعل النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته وقال الخليل القطر النحاس المذاب قلت دليله قراءة من قرا من قطر آن ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامره ومن يزغ منهم عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير اي في الاخرة قاله اكثر المفسرين وقيل ذلك في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل بهم فيما روي عن السدي ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة من حيث لا يراه فاحرقته ومن في موضع نصب بمعنى وسخرنا له من الجن من يعمل ويجوز ان يكون في موضع رفع كما تقدم في الريح

قوله تعالى ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾ فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى من محاريب المحاريب في اللغة كل موضع مرتفع وقيل للذي يصلى فيه محراب لانه يجب ان يرفع ويعظم وقال الضحاك من محاريب اي من مساجد وكذا قال قتادة وقال مجاهد المحاريب دون القصور وقال ابو عبيدة المحراب اشرف بيوت الدار قال ۞ وماذا عليه ان ذكرت اوانسا كغزلان رمل في محاريب اقيال ۞

وقال عدي بن زيد ۞ كدمى العاج في المحاريب او كالبيض في الروضة زهره مستنير ۞

وقيل ما يرقى اليه بالدرج كالغرفة الحسنة كما قال اذ تسوروا المحراب وقوله فخرج عليهم من المحراب اي

اي اشرف عليهم وفي الخبر انه امر ان يعمل حول كرسيه الف محراب فيها الف رجل عليهم المسوح يصرخون الى الله دايبا وهو على الكرسي في موكبه والمحاريب حوله ويقول لجنوده اذا ركب سبحوا الله الى ذلك العلم فاذا بلغوه قالوا هللوه الى ذلك العلم فاذا بلغوه قال كبروه الى ذلك العلم الآخر فتلج الجنود بالتسبيح والتهليل لجة واحدة الثانية قوله تعالى وتماثيل جمع تمثال وهو كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان او غير حيوان وقيل كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل اشيا ليست بحيوان وذكر انها صور الانبياء عليهم السلام والعلما وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا قال صلى الله عليه وسلم ان اوليك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اي ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة وهذا يدل على ان التصوير كان مباحا في ذلك الزمان ونسخ ذلك بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة نوح عليه السلام وقيل التماثيل طلسمات كان يعملها ويحرم على كل مصور ان يتجاوزها فلا يتجاوزها فيعمل تمثالا للذباب او للبعوض او للتماسيح في مكان ويامرهم ان لا يتجاوزوه فلا يتجاوزه واحد ابدا ما دام ذلك التمثال قايما وواحد التماثيل تمثال بكسر التاء قال ۞ ويارب يوم قد لهوت وليلة باانسة كانها خط تمثال ۞

وقيل ان هذه التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسال ربه ان ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح ويقال ان اسفنديار كان منهم والله اعلم وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما الثالثة حكى مكي في الهداية له ان فرقة تجوز التصوير وتحتج بهذه الآية قال ابن عطية وذلك خطا وما احفظ عن احد من ايمة العلم من يجوزه قلت ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله قال النحاس قال قوم عمل الصور جايز لهذه الاية ولما اخبر الله جل وعز عن المسيح وقال قوم قد صح النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم عنها والتوعد لمن عملها او اتخذها فنسخ الله عز وجل بهذا ما كان مباحا قبله وكانت الحكمة في ذلك لانه بعث عليه السلام والصور تعبد فكان الاصلح ازالتها الرابعة التمثال على قسمين حيوان وموات والموات على قسمين جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه لعموم قوله وتماثيل وفي الاسرائيليات ان التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان فان قيل لا عموم لقوله وتماثيل فانه اثبات في نكرة والاثبات في النكرة لا عموم له انما العموم في النفي في النكرة قلنا كذلك هو بيد انه قد اقترن بهذا الاثبات في النكرة ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله ما يشاء فاقتران المشية به يقتضي العموم له فان قيل كيف استجاز الصور المنهي عنها قلنا ذلك جايز في شرعه ونسخ ذلك بشرعنا كما بينا والله اعلم وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما الخامسة مقتضى الاحاديث يدل على ان الصور ممنوعة ثم جاء الا ما كان رقما في ثوب فخص من جملة الصور ثم يثبت الكراهية فيه بقوله عليه السلام لعايشة في الثوب اخريه عني فاني كلما رايته ذكرت الدنيا ثم بهتكه الثوب المصور على عايشة منع منه ثم بقطعها له وسادتين حتى تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها بان جواز ذلك اذا لم يكن الصورة فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز لقولها في النمرقة المصورة اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فمنع منه وتوعد عليه وتبين بحديث الصلاة الى الصور ان ذلك جايز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه فهكذا استقر الامر والله اعلم قاله ابن العربي السادسة روى

مسلم عن عائشة قالت كان لنا ستر فيه تمثال طاير وكان الداخل اذا دخله استقبله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حوّلي هذا فاني كلما دخلت فرايته ذكرت الدنيا قالت وكانت لنا قطيفة كنا نقول علمها حرير
فكنا نلبسها وعنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مستترة بقرام فيه صور فتلون وجهه
ثم تناول الستر فهتكه ثم قال ان من اشد الناس عذابا يوم القيمة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل
وعنها انه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود الى سهوة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اليه فقال اخريه
عني قالت فاخرته فجعلته وسادتين قال بعض العلماء ويشبه ان يكون تهتيكه عليه السلام الثوب وامره
بتاخيره ورعا لان محل النبوة والرسالة الكمال فتامله السابعة قال المزني عن الشافعي انه دعي رجل الى
عرس فراى صورة ذات روح او ذات ارواح لم يدخله ان كانت منصوبة وان كانت توطا فلا باس وان
كانت صور الشجر ولم يختلفوا ان التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك عندهم ما كان
خرطا او نقشا في البناء واستثنى بعضهم ما كان رقما في ثوب لحديث سهل بن حنيف قلت لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم المصورين ولم يستثن وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج عنق من النار يوم القيمة له عينان يبصران واذنان يسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاث
بكل جبار عنيد وبكل من دعى مع الله الها اخر وبالمصورين قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وفي البخاري
ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون
يدل على المنع من تصوير شيء اي شيء كان وقد قال جل وعز ما كان لكم ان تنبتوا شجرها على ما تقدم بيانه فاعلمه
الثامنة وقد استثنى من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي
بنت سبع سنين وزفت اليه وهي بنت تسع ولعبتها معها ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وعنها
ايضا قالت كنت العب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن منه فيسربهن الي فيلعبن
معي خرجها مسلم قال العلماء وذلك للضرورة الى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية اولادهن ثم انه
لا بقاء لذلك وكذلك ما يصنع من الحلاوة او من العجين لا بقاء له فرخص ذلك والله اعلم التاسعة
وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ قال ابن عرفة الجواب جمع الجابية وهي حفيرة كالحوض وقال مجاهد كحياض الابل و
قال ابن القسم عن مالك كالجوبة من الارض والمعنى متقارب وكان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل النحاس
وجفان كالجوابي الاولى ان يكون بالياء ومن حذف الياء قال سبيل الالف واللام ان يدخل على النكرة فلا
يغيرها عن حالها فلما كان يقال جواب ودخلت الالف واللام اقر على حاله فحذف الياء وواحد الجوابي جابية
وهي القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير الذي يجبى فيه الشيء اي يجمع ومنه جبيت الخراج وجبيت الجراد
اي جعلت الكسا فجمعته فيه الا ان ليثا روي عن مجاهد قال الجوابي جمع جوبة والجوبة الحفرة الكبيرة تكون
في الجبل فيها ماء المطر وقال الكسائي جبوت الماء في الحوض وجبيته اي جمعته والجابية الحوض الذي يجبى فيه الماء
للابل قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ ذكره النحاس قوله تعالى وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ
قال سعيد بن جبير هي قدور النحاس يكون بفارس وقال الضحاك هي قدور يعمل من الجبال غيره قد نحتت
من الجبال الصم مما عملت له الشياطين اثافيها منها منحوته هكذا من الجبال ومعنى راسيات ثوابت لا تحمل
ولا تحرك لعظمها قال ابن العربي وكذلك كانت قدور عبد الله بن جدعان يصعد اليها في الجاهلية بسلم وعنها

وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى

اي جعلت

العراقي تفهق ويروى نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

عبّر طرفة بن العبد بقوله كالجوابي لا تني مترعة لقري الاضياف او للمحتضر قال ابن العربي
ورايت برباط ابي سعيد قدر الصوفية على نحو ذلك فانهم يطبخون جميعا وياكلون جميعا من غير استيثار
واحد منهم على احد قوله تعالى اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وقليل من عبادي الشكور قد مضى
معنى الشكر في البقرة وغيرها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فتلى هذه الاية ثم قال
ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي آل داود قال فقلنا ما هن يا رسول الله فقال العدل في الرضا والغضب
والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله عن عطا بن يسار
عن ابي هريرة وروي ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اطيق شكرك على نعمك والهامي وقدرتي على شكرك
نعمة لك فقال يا داود الان عرفتني وقد مضى هذا المعنى في سورة ابرهيم وان الشكر حقيقته الاعتراف بالنعمة
للمنعم واستعمالها في طاعته والكفران استعمالها في المعصية وقليل من يفعل ذلك لان الخير اقل من الشر والطاعة
اقل من المعصية بحسب سابق التقدير وقال مجاهد لما قال الله عز وجل اعملوا آل داود شكرا قال
داود لسليمان ان الله عز وجل قد ذكر الشكر فاكفني صلاة النهار اكفك صلاة الليل قال لا اقدر قال
فاكفني قال الفاريابي اراه قال الى صلاة الظهر قال نعم فكفاه وقال الزهري اعملوا آل داود شكرا
اي قولوا الحمد لله وشكرا نصب على جهة المفعول اي اعملوا عملا هو الشكر وكان الصلاة والصيام والعبادات
كلها هي في نفسها الشكر اذ سدت مسده ويبين هذا قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما
هم وهو المراد بقوله وقليل من عبادي الشكور وقد قال سفيان بن عيينة عن عايشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل في تاويل قوله تعالى ان اشكر لي ان المراد بالشكر
الصلوات الخمس وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من
الليل حتى تفطرت قدماه فقالت له عايشة رضي الله عنها اتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا انفرد باخراجه مسلم فظاهر القران والسنة ان الشكر بعمل الابدان
دون الاقتصار على عمل اللسان فالشكر بالافعال عمل الاركان والشكر بالاقوال عمل اللسان فاعلم
قوله تعالى وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ يحتمل ان يكون مخاطبة لآل داود ويحتمل ان يكون مخاطبة
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وعلى كل وجه ففيه تنبيه وتحريض وسمع عمر بن الخطاب رجلا
يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعا فقال الرجل اردت قوله تعالى وقليل من عبادي
الشكور فقال عمر رضي الله عنه كل الناس اعلم منك يا عمر وروى ان سليمان عليه السلام كان ياكل الشعير و
يطعم اهله الخشكار ويطعم المساكين الدرمك وقد قيل انه كان ياكل الرماد ويتوسده والاول اصح اذ الرماد
ليس بقوت وروي انه ما شبع قط فقيل له في ذلك فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجياع وهذا من الشكر
ومن القليل فتامله قوله تعالى فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ
تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فلما قضينا عليه الموت اي فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالامر المفروغ منه و
وقع به الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته وذلك انه كان متكيا على المنساة وهي العصا بلسان
الحبشة في قول السدي وقيل هي لغة اهل اليمن ذكره القشيري فمات كذلك وبقي خافي الحال الى ان سقط
ميتا لانكسار العصا لاكل الارضة اياها فعلم موته بذلك فكانت الارضة دالة على موته اي سببا لظهور

اوتي

موته وكان سال الله ان لا يعلموا بموته حتى يمضي عليه سنة واختلفوا في سبب سؤاله لذلك على قولين احدهما
ما قاله قتادة وغيره قال كانت الجن يدعي علم الغيب فلما مات سليمان وخفي موته عليهم تبينت الانس ان
الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ابن مسعود اقام حولا والجن يعمل بين يديه حتى اكلت
الارضة منساته فسقط ويروى انه لما سقط لم يعلم منه مات فوضعت الارضة على العصا فاكلت منها يوما
وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وقيل كان رؤساء الجن سبعة وكانوا منقادين
لسليمان عليه السلام وكان داود اسس بيت المقدس فلما مات اوصى الى سليمان في اتمام المسجد بيت
المقدس فامر سليمان الجن به فلما دنا وفاته قال لاهله لا تخبروهم بموتي حتى يتموا بناء المسجد وكان بقي لاتمامه
سنة وفي الخبر ان ملك الموت كان صديقه فساله عن آية موته فقال ان تخرج من موضع سجودك شجرة يقال
لها الخروبة فلم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت في بيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فيقول الشجرة اسمي كذا وكذا
فيقول ولاي شيء انت فتقول لكذا وكذا فيامر بها فيقطع ويغرسها في بستان له ويامر بكتب منافعها و
مضارها واسمها وما يصلح له في الطب فبينما هو يصلي ذات يوم اذ راى شجرة نبتت بين يديه فقال لها
ما اسمك قالت الخروبة قال ولاي شيء انت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي
انت الذي على وجهك هلاكي وهلاك بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايط ثم قال اللهم عم على الجن
موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء
وانهم يعلمون ما في غد ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب فقام يصلي واتكا على عصاه على كرسيه فمات و
لم يعلم الجن الى ان مضت سنة وتم بناء بيت المقدس قال ابو جعفر النحاس وهذا احسن ما قيل في الاية ويدل
على صحته الحديث المرفوع روى ابرهيم بن طهمان عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله ابن داود اذا صلى راى شجرة نابتة بين يديه فيسالها ما اسمك فان كانت
لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم واذا شجرة نابتة بين يديه فقال ما اسمك
قالت الخروب فقال لاي شيء انت قالت لخراب هذا البيت قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس
ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكا عليها حولا ميتا وهم لا يعلمون فسقط فعلمت الانس ان الجن لا
يعلمون الغيب فنظروا مقدار ذلك فوجدوه سنة وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس
ان لو كان الجن يعلمون الغيب وقرا يعقوب في رواية رويس تُبُيِّنَت الجن غير مسمى الفاعل ونافع وابو عمرو
وقرا كل منساته بالف بين السين والتاء من غير همز والباقون بهمزة مفتوحة موضع الالف لغتان الا ان ابن
ذكوان اسكن الهمزة تخفيفا قال الشاعر في ترك الهمز

اذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وقال آخر فهمز وفتح

ضربنا بمنساة وجهه فصار بذاك مهينا ذليلا

وقال آخر

امن اجل حبل لا اباك ضربته بمنساة قد جر حبلك احبلا

وقال آخر فسكن همزها

وقايم قد قام من تكاته كقومة الشيخ الى منساته

واصلها من نسات الغنم اي زجرتها وسقتها فسميت العصا بذلك لانه يزجر بها الشيء ويساق قال طرفة

امون كالواح الاران نساتها على لاحب كانه ظهر برجد

قال النحاس واشتقاقها يدل على انها مهموزة لانها مشتقة من نساته اي اخرته ودفعته فقيل منساة لانه يدفع
بها الشيء ويوخر وقال مجاهد وعكرمة هي العصا ثم قرا منساته ابدل من الهمزة الفا فان قيل البدل من الهمز
قبيح جدا وانما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ وابو عمرو بن العلا لا يغيب عنه مثل هذه لا سيما واهل
المدينة على هذه القراءة فالجواب على هذا ان العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها هكذا كما
يقع البدل في غير هذا ولا يقاس عليه حتى قال ابو عمرو فلست ادري ممن هو الا انها غير مهموزة لان ما
كان مهموزا فقد يترك همزه وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه المهدوي ومن قرا بهمزة ساكنة فهو شاذ
بعيد لان هاء التانيث لا يكون ما قبلها الا متحركا او الفا لكنه يجوز ان يكون مما سكن من المفتوح استخفافا ويجوز
ان يكون لما ابدل الهمزة الفا على قياس قلب الالف همزة كما قلبوها في قولهم العالم والخاتم وروي عن سعيد
ابن جبير من منسوله سأته مهموزة مكسورة التاء فقيل انه من سية القوس في لغة من همزها وقد روي
همز سية القوس عن رؤبة قال الجوهري سية القوس ما عطف من طرفيها والجمع سيات والهاء عوض
من الواو والنسبة اليها سيوي قال ابو عبيدة كان رؤبة يهمز سية القوس وساير العرب لا يهمزونها
وفي دابة الارض قولان احدهما انها الارضة قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقد قرئ دابة الارض
بفتح الراء هو واحد الارضة ذكره الماوردي الثاني انها دابة تاكل العيد انه قال الجوهري والارضة
بالتحريك دويبة تاكل الخشب يقال ارضت الخشبة تورض ارضا بالتسكين فهي ماروضة اذا اكلتها قوله

تعالى **فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**

فلما خر اي سقط تبينت الجن قال الزجاج اي تبينت الجن موته وقال غيره المعنى تبين امر الجن مثل
واسال القرية وفي التفسير بالاسانيد الصحاح عن ابن عباس قال اقام سليمان بن داود صلى الله عليه
وسلم حولا لا يعلم بموته وهو متوكي على عصاه والجن منصرفة فيما كان امرها به ثم سقط بعد حول فلما
خر تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وهذه القراءة من ابن عباس
على جهة التفسير وفي الخبر ان الجن شكرت ذلك للارضة فاينما كانت ياتونها بالماء قال السدي والطين
الم تر الى الطين الذي يكون في جوف الخشب فانه مما ياتيها به الشياطين شكرا وقالت لو كنت تاكلين
الطعام والشراب لاتيناك بهما وان في موضع رفع في البدل من الجن والتقدير تبين امر الجن فحذف
المضاف اي تبين وظهر للانس وانكشف لهم امر الجن انهم لا يعلمون الغيب وهذا بدل الاشتمال
ويجوز ان يكون في موضع نصب على تقدير حذف اللام ولبثوا اقاموا والعذاب المهين السخرة والحمل
والبنيان وغير ذلك وعمر سليمان ثلثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة فملك وهو ابن
ثلاث عشرة سنة وابتدا في بنيان بيت المقدس وهو ابن سبع عشرة وقال السدي وغيره كان عمر
سليمان سبعا وستين سنة ملك وهو ابن سبع عشرة سنة وابتدا في بنيان بيت المقدس وهو ابن عشرين
وكان ملكه خمسين سنة وحكي ان سليمان عليه السلام ابتدا بنيان بيت المقدس في السنة الرابعة
من ملكه وقرب بعد فراغه منه اثني عشر الف ثور ومائة وعشرين الف شاة واتخذ اليوم الذي
فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه الى الله تعالى بالدعاء فقال اللهم انت وهبت
الي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد اللهم فاوزعني شكرك على ما انعمت علي وتوفني

على ملتك ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني اللهم اني اسئلك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة الا غفرت له وتبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا اغنيته والخامس ان لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من اراد الحادا او ظلما يا رب العالمين ذكره الماوردي قلت وهذا اصح من ما تقدم انه لم يفرغ بناؤه الا بعد موته بسنة والدليل على صحة هذا ما اخرجه النسائي وغيره باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله خلالا ثلثا حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله حين فرغ من بنائه المسجد الا ان ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقد ذكرنا هذا الحديث في آل عمران وذكرنا بناؤه في سبحان والحمد لله قوله تعالى لقد كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ قرا نافع وغيره بالصرف والتنوين على انه اسم حي وهو في الاصل اسم رجل جاء بذلك التوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم روى الترمذي قال حدثنا ابو كريب وعبد بن حميد قالا حدثنا ابو اسامة عن الحسن بن الحكم النخعي قال حدثنا ابو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك المرادي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الا اقاتل من ادبر من قومي من اقبل منهم فاذن لي في قتالهم وامرني فلما خرجت من عنده سال عني ما فعل الغطيفي فاخبر اني قد سرت قال فارسل في اثري فردني فاتيته وهو في نفر من اصحابه فقال ادع القوم فمن اسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى احدث اليك قال وانزل في سبا ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض ولا بامراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة وروي في هذا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وقرا ابن كثير وابو عمرو لسبا بغير صرف جعله اسما للقبيلة وهو اختيار ابي عبيد واستدل على انه اسم قبيلة ان بعده في مساكنهم النحاس ولو كان كما قال لكان في مساكنها وقد مضى في النمل زيادة لهذا المعنى وقال الشاعر في الصرف

الواردون وتيم في ذرى سبا ۞ قد عض اعناقهم جلد الجواميس

وقال آخر في غير الصرف ۞ من سبا الحاضرين مارب اذ ۞ يبنون من دون سيله العرما

وقرا قنبل وابو حيوة والجحدري لسبا باسكان الهمزة في مساكنهم قراءة العامة على الجمع وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم لان لهم مساكن كثيرة وليس بمسكن واحد وقرا ابرهيم وحمزة وحفص مسكنهم موحدا الا انهم فتحوا الكاف وقرا يحيى والاعمش والكسائي موحدا كذلك الا انهم كسروا الكاف قال النحاس ومساكن في هذا ابين لانه يجمع اللفظ والمعنى فاذا قلت مسكنهم كان فيه تقديران احدهما ان يكون واحدا يؤدي عن الجمع والآخر ان يكون مصدرا لا يثنى ولا يجمع كما قال جل وعز ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجاء بالسمع موحدا وكذا مقعد صدق ومسكن مثل مسجد خارج عن القياس ولا يوجد مثله الا سماعا آية اسم كان اي علامة دالة على قدرة الله عز وجل على ان لهم خالقا خلقهم وان كل الخلائق لو اجتمعوا على

ان يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ولم يهتدوا الى اختلاف اجناس الثمار والوانها وطعومها وروائحها وازهارها وفي ذلك ما يدل على انها لا يكون الا من عالم قادر جنتان يجوز ان يكون بدلا من آية ويجوز ان يكون خبر ابتداء محذوف فيوقف على هذا الوجه على آية وليس بتمام قال الزجاج اي الآية جنتان فجنتان رفع لانه خبر ابتداء محذوف وقال الفراء رفع تفسير للاية ويجوز ان ينصب آية على انها خبر كان ويجوز ان ينصب آية على انها خبر كان ويجوز ان ينصب الجنتين على الخبر ايضا في غير القران وقال عبد الرحمن بن زيد ان الآية التي كانت لاهل سبا في مساكنهم انهم لم يروا فيها بعوضة قط ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا حية ولا غيرها من الهوام واذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل والدواب فاذا نظروا الى بيوتهم ماتت الدواب وقيل ان الآية هي الجنتان كانت المراة تمشي فيهما وعلى راسها مكتل فيمتلي من انواع الفواكه من غير ان تمسها بيدها قاله قتادة وروي ان الجنتين كانتا بين جبلين باليمن قال سفيان وجد فيهما قصران مكتوب على احدهما نحن بنينا سلحين في سبعين خريفا دائبين وعلى الآخر مكتوب نحن بنينا صرواح مقيل ومراح فكانت احدى الجنتين عن يمين الوادي والاخرى عن شماله قال القشيري ولم يرد جنتين اثنين بل اراد من الجنتين يمنة ويسرة اي كانت بلادهم ذات بساتين واشجار وثمار تستر الناس بظلالها كلوا من رزق ربكم اي من ثمار الجنتين واشكروا له يعني على رزقكم بلدة طيبة هذا كلام مستانف اي هذه بلدة طيبة اي كثيرة الثمار وقيل غير سبخة وقيل طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها قال مجاهد هي صنعاء ورب غفور اي والمنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه وقيل انما ذكر المغفرة مشيرا الى ان الرزق قد يكون فيه حرام وقد مضى القول في هذا في البقرة وقيل انما امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستيصال بتكذيب من كذبوه من سالف الانبياء الى ان استداموا الاصرار فاستوصلوا قوله تعالى فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ فاعرضوا يعني عن امره واتباع رسله بعد ان كانوا مسلمين قال السدي ووهب بعث الى اهل سبا ثلثة عشر نبيا فكذبوهم قال القشيري وكان لهم رئيس يلقب بالحمار وكانوا في زمن الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان له ولد فمات فرفع راسه الى السماء فبزق وكفر فلهذا يقال اكفر من حمار وقال الجوهري وقولهم اكفر من حمار هو رجل من عاد مات له اولاد فكفر كفرا عظيما فلا يمر بارضه احد الا دعاه الى الكفر فان اجابه والا قتله ثم لما سال السيل بجنتيهم تفرقوا في البلاد على ما ياتي ولهذا قيل في المثل تفرقوا ايادي سبا وقيل الاوس والخزرج منهم فارسلنا عليهم سيل العرم العرم فيما روي عن ابن عباس السد فالتقدير سيل السد العرم وقال عطاء العرم اسم الوادي قتادة العرم وادي سبا كان يجتمع اليه مسايل من الاودية من البحر واودية اليمن فردموا ردما بين جبلين وجعلوا في ذلك الردم ثلثة ابواب بعضها فوق بعض فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجاتهم فاخصبوا وكثرت اموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفار فنقب الردم قال وهب كانوا يزعمون انهم يجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا صخرة بين صخرتين الا ربطوا الى جانبها هرة فلما جاء ما اراد الله بهم اقبلت فارة حمراء الى بعض تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت عن الحجرة ثم وثب ودخلت في الفرجة التي كانت عندها ونقبت السد حتى اوهنته للسيل وهم لا يدرون فلما

اي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم امر ولكنهم تمكنوا من تلك النعم وقيل اي قالت الرسل لهم قد اباح الله لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعة من رزق ربكم

جاء السيل دخل تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الماء على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم وقال الزجاج
العرم اسم الجرد الذى نقب السكر عليهم وهو الذى يقال له الخلد وقاله قتادة ايضا فنسب السيل
اليه لانه سببه وقال ابن الاعرابي ايضا العرم من اسماء الفار وقال مجاهد وابن ابى نجيح العرم ما احمر
ارسله الله تعالى فى السد فشقه وهدمه وعن ابن عباس ايضا ان العرم المطر الشديد وقيل العرم بسكون
الراء وعن الضحاك كان ذلك فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقال عمرو بن شرحبيل العرم المسناة
وقاله الجوهرى قال ولا واحد لها من لفظها ويقال واحدها عرمة وقال محمد بن يزيد العرم كل شئ حاجز
بين شيئين وهو الذى يسمى السكر وهو جمع عرمة النحاس وما اجتمع من مطر بين جبلين وفى وجهه مسناة
فهو العرم والمسناة هى التى تسميها اهل مصر الجسر وكانوا يفتحونها اذا شاؤا فاذا رويت جنتاهم سدوها
قال الهروى المسناة الضفيرة تبنى للسيل ترده سميت مسناة لان فيها مفاتح الماء وروى ان العرم سد
بنته بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وهو المسناة بلغة حمير بنته بالصخر والقار وجعلت له ابوابا
ثلثة بعضها فوق بعض وهو مشتق من العرامة وهى الشدة ويقال رجل عارم اى شديد وعرمت العظم
اعرمه واعرمه عرما اذا عرقته وكذلك عرمت الابل الشجر اى نالت منه والعرام بالضم العراق من العظم
والشجر وتعرمت العظم تعرقته وصبى عارم بين العرام بالضم اى شرس وقد عرم يعرم ويعرم عرامة
بالفتح والعرم العرام عن الجوهرى قوله تعالى وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ
وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ وقرا ابو عمرو اكل خمط بغير تنوين مضافا قال اهل التفسير والخليل
الخمط الاراك الجوهرى الخمط ضرب من الاراك له حمل يوكل وقال ابو عبيدة هو كل شجر ذى شوك فيه مرارة
الزجاج كل نبت فيه مرارة ولا يمكن اكله المبرد الخمط كل ما تغير الى ما لا يشتهى واللبن خمط اذا حمض والاولى
عنده فى القراءة ذواتى اكل خمط بالتنوين على انه نعت لاكل او بدل منه لان الاكل هو الخمط بعينه عنده واما الاضافة
فباب جوازها ان يكون تقديرها ذواتى اكل حموضة او اكل مرارة وقال الاخفش والاضافة احسن فى
كلام العرب نحو قولهم ثوب خز والخمط اللبن الحامض وذكر ابو عبيد ان اللبن اذا ذهب عنه حلاوة الحلب
ولم يتغير طعمه فهو سامط وان اخذ شيئا من الريح فهو خامط وخميط فان اخذ شيئا من طعم فهو ممحل فاذا كان
فيه طعم الحلاوة فهو فوهة وتخمط الفحل هدر وتخمط فلان اى تغضب وتكبر وتخمط البحر التطم وخمطت الشاة
اخمطها خمطا اذا نزعت جلدها وشويتها فهو سميط والخمطة الخمر التى قد اخذت ريح الادراك كريح التفاح
ولم تدرك بعد ويقال هى الحامضة قاله الجوهرى وقال القتبى فى ادب الكاتب يقال للحامضة خمطة ويقال
للخمطة التى قد اخذت شيئا من الريح وانشد شعر

عقار كماء النى ليست بخمطة ○ ولا خلة تكوى الشروب شهابها ○

والاثل قال الفراء هو شبيه بالطرفاء الا انه اعظم منه طولا ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وللاثل اصول غليظة يتخذ منه الابواب وورقه كورق الطرفاء الواحدة اثلة والجمع اثلات وقال الحسن الاثل
الخشب قتادة هو ضرب من الخشب يشبه الطرفاء رايته بفيد وقيل هو السمر وقال ابو عبيدة هو شجر
النضار وشئ من سدر قليل قال الفراء هو السمر ذكره النحاس وقال الازهرى السدر من الشجر سدران
ابرى لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمر عفص لا يوكل وهو الذى يسمى الضال والثانى سدر ينبت

على الماء وثمرة النبق وورقه غسول يشبه شجر العناب قال قتادة بينما شجر القوم من خير شجر اذ صيره
الله من شر الشجر باعمالهم فاهلك اشجارهم المثمرة وانبت بدلها الاراك والطرفاء والسدر القشري
واشجار البوادى لا يسمى جنة وبستانا ولكن لما وقعت الثانية فى مقابلة الاولى اطلق لفظ الجنة وهو كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها ويحتمل ان يرجع قوله قليل الى جملة ما ذكر من الخمط والاثل والسدر قوله تعالى
ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ○ اى هذا التبديل جزاء كفرهم
وموضع نصب اى جزيناهم ذلك بكفرهم وهل يجازى الا الكفور قراءة العامة يجازى بياء مضمومة
وزاء مفتوحة الكفور رفعا على ما لم يسم فاعله وقرا يعقوب وحفص وحمزة والكسائى نجازى بالنون
وكسر الزاى الكفور بالنصب واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لان قبله جزيناهم ولم يقل جوزوا
النحاس والامر فى هذا واسع والمعنى فيه بين ولو قال قائل خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم من طين و
قال آخر خلق آدم من طين لكان المعنى واحدا مسئلة فى هذه الاية سؤال ليس فى السورة اشد منه
وهو ان يقال لم خص المجازاة بالكفور ولم يذكر اصحاب المعاصى فتكلم العلماء فى هذا فقال قوم ليس يجازى
بهذا الجزاء الذى هو الاصطلام والاهلاك الا من كفر وقال مجاهد يجازى بمعنى يعاقب وذلك ان المومن
يكفر الله عنه سيئاته والكافر يجازى بكل سوء عمله والمومن يجزى ولا يجازى لانه يثاب وقال طاوس
هو المناقشة فى الحساب واما المومن فلا يناقش الحساب وقال قطرب خلاف هذا جعلها فى اهل المعاصى
غير الكفار وقال المعنى على من كفر بالنعم وعمل بالكبائر النحاس واولى ما قيل فى هذه الاية واجل ما روى
فيها ان الحسن قال مثلا بمثل وعن عايشة قالت سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من حوسب هلك
فقلت يا نبى الله فاين قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال انما ذلك العرض ومن نوقش الحساب
هلك وهذا اسناد صحيح وشرحه ان الكافر يكافا على اعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير ويبين هذا
قوله جل وعز فى الاول ذلك جزيناهم بما كفروا وفى الثانى وهل يجازى ومعنى يجازى يكافا بكل عمل
ومعنى جزيناهم وفيناهم فهذا حقيقة اللغة وان كان جازى يقع بمعنى جزى مجازا قوله تعالى
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ○ قال الحسن يعنى بين اليمن والشام والقرى التى بورك فيها
الشام والاردن وفلسطين والبركة قيل انها كانت اربعة آلاف وسبعمائة قرية بورك فيها بالشجر والثمر والماء
ويحتمل ان يكون باركنا فيها بكثرة العدد قرى ظاهرة قال ابن عباس يريد بين المدينة والشام وقال قتادة
معنى ظاهرة متصلة على الطريق يغدون فيقيلون فى قرية ويرجعون فيبيتون فى قرية وقيل كان على كل ميل
قرية بسوق وهو سبب امن الطريق قال الحسن كانت المراة تخرج معها مغزلها وعلى راسها مكتلها ثم تلتهى
بمغزلها فلا ياتى بيتها حتى يمتلى مكتلها من كل الثمار فكان ما بين الشام واليمن كذلك وقيل ظاهرة اى مرتفعة
قاله المبرد وقيل انما قيل لها ظاهرة لظهورها اى اذا خرجت من هذه ظهرت لك الاخرى فكانت قرى ظاهرة
اى معروفة يقال هذا امر ظاهر اى معروف وقدرنا فيها السير اى جعلنا السير بين قراهم وبين القرى التى باركنا
فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية الى قرية الفراء اى جعلنا من كل قريتين نصف يوم حتى يكون
المقيل فى قرية والمبيت فى اخرى وانما يبالغ الانسان فى السير لعدم الزاد والماء ولخوف الطريق فاذا

وجد الزاد والامن لم يحمل على نفسه المشقة ونزل اينما اراد سيروا فيها اى وقلنا لهم سيروا فيها اى في هذه المسافه
نهو امر تمكين اى كانوا يسيرون فيها الى مقاصدهم اذا ارادوا آمنين فهو امر بمعنى الخبر وفيه اضمار القول ليالي
واياما ظرفان آمنين نصب على الحال وقيل ليالى واياما بلفظ النكرة تنبيهًا على قصر اسفارهم اى كانوا لا يحتاجون
الى طول السفر لوجود ما يحتاجون اليه قال قتادة كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء كانوا يسيرون
سيرة اربعة اشهر في امان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقى الرجل قاتل ابيه لم يحركه قوله تعالى فَقَالُوا رَبَّنَا
بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ لما بطروا وطغوا وسئموا الراحة ولم يصبروا على العافية
تمنوا طول الاسفار والكدح في المعيشة كقول بني اسرائيل ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها و
قثائها الاية وكالنضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
فاجابه الله وقتل يوم بدر بالسيف صبرًا فكذلك هولاء تبددوا في الدنيا ومزقوا كل ممزق وجعل بينهم وبين
الشام فلوات ومفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون الازواد وقراة العامة ربنا بالنصب على انه نداء
مضاف وهو منصوب لانه مفعول به لان معناه ناديت ودعوت باعد سالوا المباعدة في اسفارهم وقرا ابن
كثير وابو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر ربنا كذلك على الدعا بعد من التبعيد النحاس وباعد وبعد واحد
في المعنى كما تقول قارب وقرب وقرا ابو صالح ومحمد بن الحنفية وابو العالية ونصر بن عاصم ويعقوب و
يروى عن ابن عباس ربنا رفعا باعد بفتح العين والدال على الخبر تقديره لقد باعد ربنا بين اسفارنا كان الله
تعالى يقول قربنا لهم اسفارهم فقالوا اشرا وبطرا لقد بوعدت علينا اسفارنا واختار هذه القراة ابو حاتم قال
لانهم ما طلبوا التبعيد انما طلبوا اقرب من ذلك القرب بطرا وعجبا مع كفرهم وقراة يحيى بن يعمر وعيسى بن
عمرو ويروى عن ابن عباس ربنا بعد بين اسفارنا بشد العين من غير الف وفسرها ابن عباس قال شكوا ان
ربهم بعد بين اسفارهم وقراة سعيد بن ابي الحسن اخو الحسن البصري ربنا بعد بين اسفارنا ربنا نداء
مضاف ثم اخبروا بعد ذلك فقالوا بعد بين اسفارنا ورفع بين بالفعل اى بعد ما يتصل باسفارنا وروى
الفرا وابو اسحاق قراة سادسة مثل الذى قبلها في ضم العين الا انك تنصب بين على انه ظرف وتقديره في
العربية بعد سيرنا بين اسفارنا النحاس وهذه القرات اذا اختلفت معانيها لم يجز ان يقال احدها اجود من الاخرى
كما لا يقال ذلك في اخبار الاحاد اذا اختلفت معانيها ولكن خبر عنهم انهم دعوا ربهم ان يبعد بين اسفارهم
بطرا واشرا وخبر عنهم انهم لما فعل ذلك بهم خبروا به وشكوا كما قال ابن عباس وظلموا انفسهم اى بكفرهم
فجعلناهم احاديث اى يتحدث باخبارهم وتقديره في العربية ذوى احاديث ومزقناهم كل ممزق اى لما لحقهم
ما لحقهم تفرقوا وتمزقوا قال الشعبي فلحقت الانصار بيثرب وغسان بالشام والاسد بعمان وخزاعة بتهامة
وكانت العرب تضرب بهم المثل فيقول تفرقوا ايدى سبا وايادي سبا اى مذاهب سبا وطرقها ان في
ذلك لايات لكل صبار شكور الصبار الذى يصبر عن المعاصى وهو تكثير صابر يمدح بهذا الاسم فان اردت انه
صبر عن المعصية لم يستعمل فيه الاصبار عن كذا شكور لنعمه وقد مضى هذا المعنى في البقرة قوله تعالى
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فيه اربع قرات قرا ابو جعفر
وشيبه ونافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويروي عن مجاهد ولقد صدق بالتخفيف ابليس بالرفع ظنه

قال الزجاج وهو على المصدر اى
عليهم ظنا ظنه اذ صدق في ظنه

بالنصب اى في ظنه فنصب على المصدر او على الظرف وقال ابو علي ظنه نصب لانه مفعول به اى صدق الظن
الذى ظنه اذ قال لا قعدن لهم صراطك المستقيم وقال لاغوينهم اجمعين ويجوز تعديه الصدق الى المفعول
به ويقال صدق الحديث اى في الحديث وقرا ابن عباس ويحيى بن وثاب والاعمش وعاصم وحمزة والكسائى
صدق بالتشديد ظنه بالنصب بوقوع الفعل عليه قال مجاهد ظن ظنا فكان كما ظن فصدق ظنه وقراء
ابو جعفر بن محمد وابو الهجهاج صدق عليهم بالتخفيف ابليس بالنصب ظنه بالرفع قال ابو حاتم لا وجه لهذه
القراة عندى والله اعلم وقد اجاز هذه القراة الفرا وذكرها الزجاج جعل الظن فاعل صدق وابليس
مفعولا به والمعنى ان ابليس سول له ظنه فيهم شيا فصدق ظنه فكانه قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس وعلى
متعلقة بصدق كما تقول صدقت عليك فيما ظننته بك ولا تتعلق بالظن لاستحاله تقدم شيء من الصلة على
الموصول والقراة الرابعة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه برفع ابليس والظن مع التخفيف في صدق على ان
يكون ظنه بدلا من ابليس وهو بدل الاشتمال ثم قيل هذا في اهل سبا اى كفروا وغيروا وبدلوا بعد ان كانوا
مسلمين الا قوما امنوا برسلهم وقيل هذا عام اى صدق ابليس ظنه على الناس كلهم الا من اطاع الله قاله مجاهد
وقال الحسن لما اهبط آدم من الجنة ومعه حوا وهبط ابليس قال ابليس اما اذ اصبت من الابوين ما
اصبت فالذرية اضعف واضعف وكان ذلك ظنا من ابليس فانزل الله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقال
ابن عباس ان ابليس قال خلقت من نار وخلق آدم من طين والنار تحرق كل شيء لاحتنكن ذريته
الا قليلا فصدق ظنه عليهم وقال زيد بن اسلم ان ابليس قال يا رب ارايت هولاء الذين كرمتهم وشرفتهم
وفضلتهم على لا تجد اكثرهم شاكرين ظنا منه فصدق عليهم ظنه فاتبعوه وقال الحسن ما ضربهم بسوط ولا
بعصا وانما ظن ظنا فكان كما ظن بوسوسته الا فريقا من المومنين نصب على الاستثناء وفيه قولان احدهما
انه يراد به بعض المومنين لان كثيرا من المومنين من مذنب ومنقاد لابليس في بعض المعاصى اى ما سلم
من المومنين ايضا الا فريق وهم المعنى بقوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فاما ابن عباس فعنه
انه قال هم المومنون كلهم فمن على هذا للتبيين لا للتبعيض فان قيل كيف علم ابليس صدق ظنه وهو لا
يعلم الغيب قيل له لما نفذ له في ادم ما نفذ غلب على ظنه انه ينفذ له مثل ذلك ينفذ له مثل ذلك في ذريته وقد
وقع له تحقيق ما ظن وجواب آخر وهو انه ما اجيب من قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك
واجلب عليهم بخيلك ورجلك فاعطى القوة والاستطاعة فظن انه يملكهم كلهم بذلك فلما راى انه تاب
على آدم وانه سيكون له نسل يتبعونه الى الجنة وقال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين فعلم ان له تبعا ولآدم تبعا فظن ان تبعه اكثر من تبع آدم لما وضع في يديه من سلطان
الشهوات ووضعت الشهوات في اجواف الآدميين فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في اعينهم تلك
الشهوات ومدهم اليها بالامانى والخدايع فصدق عليهم الظن الذى ظنه والله اعلم قوله تعالى وَ
مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ حَفِيظٌ اى لم يقهرهم ابليس على الكفر وانما كان منه الدعا والتزيين والسلطان القوة وقيل
الحجة اى لم يكن له حجة يستتبعهم بها وانما اتبعوه بشهوة وتقليد وهوى نفس لا عن حجة ودليل الا
لنعلم من يؤمن بالآخرة يريد علم الشهادة الذي يقع به الثواب والعقاب فاما الغيب فقد علمه جل وعز

ومذهب الفرّا يكون المعنى الا لنعلم ذلك عندهم كما قال ابن شركاي اي على قولكم وعندكم وليس قوله الا لنعلم ذلك
بجواب وما كان له عليهم من سلطان في ظاهره انما هو محمول على المعنى اى وما جعلنا له عليهم من سلطان الا
لنعلم فالا استثناء منقطع اى لا سلطان له عليهم ولكنا ابتليناهم بوسوسته لنعلم فالا بمعنى لكن وقيل هو متصل
اى ما كان له عليهم من سلطان غير انا سلطناه عليهم ليتم الابتلاء وقيل كان زايدة اى وما له عليهم من سلطان
كقوله كنتم خير امة اي انتم خير امة وقيل لما اتصل طرف منه بقصة سبا قال وما كان لابليس عليهم اوليك الكفار
من سلطان قيل وما كان له في قضايانا السابق سلطان عليهم وقيل الا لنعلم الا لنظهره وهو كما تقول النار
يحرق الحطب فيقول آخر لا بل الحطب يحرق النار فيقول الاول تعال حتى نجرب النار والحطب لنعلم ايهما
يحرق صاحبه اى لنظهر ذلك وان كان معلوما لهم ذلك وقيل الا لتعلموا انتم وقيل اى ليعلم اولياونا و
الملايكة كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياء الله ورسوله وقيل اى لتميز كقوله
ليميز الله الخبيث من الطيب وقد مضى هذا المعنى في البقرة وغيرها وقرا الزهري الا ليعلم على ما لم يسم فاعله
وربك على كل شي حفيظ اي انه عالم بكل شي وقيل يحفظ كل شي على العبد حتى يجازيه عليه قوله تعالى
قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ
فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ اى هذا الذى مضى ذكره من امر داود وسليمان وقصة سبا
من اثار قدرتي فقل يا محمد لهولاء المشركين هل عند شركايكم قدرة على شي من ذلك وهذا خطاب توبيخ
وفيه اضمار اى ادعوا الذين زعمتم انهم الهة لكم من دون الله لينفعكم او ليدفع عنكم ما قضاه الله عز وجل
عليكم فانهم لا يملكون ذلك ولا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما له فيهما من شرك وما له منهم
من ظهير اى ما لله من هولاء من معين على خلق شي بل الله المنفرد بالايجاد فهو الذى يعبد وعبادة غيره
محال قوله تعالى وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا
قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ اى شفاعة الملايكة وغيرهم عنده اى عند الله الا لمن
اذن له قراة العامة اذن بفتح الهمزة لذكر الله جل وعز اولا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى اذن بضم الهمزة
على ما لم يسم فاعله والاذن هو الله جل وعز ومن يجوز ان يرجع الى الشافعين يجوز ان يرجع الى المشفوع لهم
حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ابن عباس جلي عن قلوبهم الفزع فطرب اخرج ما فيها من الخوف مجاهد كشف عن
قلوبهم الغطا يوم القيامة اى ان الشفاعة لا يكون من احد من هولاء المعبودين من دون الله من الملايكة والانبيا
والاصنام الا ان الله ياذن للانبياء والملايكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال وهم من خشيته
مشفقون والمعنى انه اذا اذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك الحال من الامر الهايل
والخوف ان يقع في تنفيذ ما اذن فيه تقصير فاذا سري عنهم قالوا للملايكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم
الوحي بالاذن ماذا قال ربكم اى ماذا امر الله به فيقولون لهم قال الحق وهو ان اذن لكم في الشفاعة للمومنين
وهو العلي الكبير فله ان يحكم في عباده بما يريد ثم يجوز ان يكون هذا اذنا لهم في الدنيا في شفاعة اقوام ويجوز
ان يكون في الاخرة وفي الكلام اضمار اى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ففزع لما ورد ~~في الاخرة~~
~~وفي الكلام~~ عليه من الاذن تهيبا لكلام الله جل وعز حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم اجاب بالانقياد
وقيل هذا الفزع يكون اليوم للملايكة في كل امر يامر به الرب تعالى اى لا ينفع الشفاعة الا من الملايكة الذين

شرك صح

ثم فزعون اليوم مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السماء امرا اضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانها سلسلة
على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال والشياطين بعضهم
فوق بعض قال حديث حسن صحيح وقال النواس ابن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اذا اراد ان
يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع اهل السموات
ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من رفع راسه جبريل فيكلمه الله ويقول له من وحيه ما اراد
ثم يمر جبريل بالملايكة كلما مر بسما ساله ملايكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي
الكبير قال فيقولون كلهم كما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث امره الله تعالى وذكر البيهقي عن ابن عباس
في قوله عز وجل حتى اذا فزع عن قلوبهم قال كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي
وكان اذا نزل الوحي سمع له صوت كامرار سلسلة على الصفوان فلا ينزل على اهل سماء الا صعقوا
فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ثم يقول يكون العام كذا ويكون
كذا فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة به والكهنة الناس يكون كذا كذا فيجدونه كذلك فلما بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم ~~...~~ دحروا بالشهب فقالت العرب حين لم يخبرهم الجن بذلك هلك من في السماء فجعل
صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم شاة حتى اسرعوا في اموالهم
فقالت ثقيف وكانت اعقل الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من في السماء وان هذا ليس بانتثار النجوم
ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر والليل والنهار قال فقال ابليس لقد حدث في الارض اليوم حدث
فايتوني من تربة كل ارض فاتوه بها فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا جا الحدث فنصتوا فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وقد مضى هذا المعنى مرفوعا مختصرا في سورة الحجر ومضى القول ايضا في رميهم
بالشهب واحراقهم بها ويأتي في سورة الجن بيان ذلك وقيل انما تفزعوا من قيام الساعة قال الكلبي و
كعب كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام فترة خمس ماية وخمسون سنة لا يجي فيها الرسول فلما بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم كلم الله جبريل بالرسالة فلما سمعت الملايكة الكلام ظنوا انها الساعة قد قامت
فصعقوا مما سمعوا فلما انحدر جبريل جعل يمر بكل سما فيكشف عنهم فيرفعون روسهم ويقولون بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم فلم يدروا ما قال ولكنهم قالوا قال الحق وهو العلي الكبير وذلك ان محمدا عند اهل السموات من اشراط
الساعة وقال الضحاك ان الملايكة المعقبات الذين يختلفون الى اهل الارض يكتبون اعمالهم يرسلهم الرب
تعالى فاذا انحدروا سمع لهم صوت شديد فيحسب الذين هم اسفل من الملايكة انه من امر الساعة فيخرون سجدا
ويصعقون حتى تعلموا انه ليس من امر الساعة وهذا تنبيه من الله تعالى واخبار ان الملايكة مع اصطفائهم
ورفعتهم لا يمكنهم ان يشفعوا لاحد حتى يوذن لهم فاذا اذن لهم وسمعوا صعقوا وكان هذه حالهم فكيف
تشفع الاصنام او كيف تؤملون انتم الشفاعة ولا تعترفون بالقيامة وقال الحسن وابن زيد ومجاهد حتى
اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين قال مجاهد في الاخرة وقال الحسن وابن زيد عند نزول الموت
اقامة للحجة عليهم قالت الملايكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار اي
قالوا قال الحق وقراة العامة فزع عن قلوبهم وقرا ابن عباس فزع عن قلوبهم مسمى الفاعل وفاعله ضمير

حذروا صح

يرجع الى اسم الله جل وعز ومن بناه للمفعول فالجار والمجرور في موضع رفع والفعل في المعنى لله عز وجل والمعنى
في القرائتين اذيل الفزع عن قلوبهم حسب ما تقدم بيانه ومثله اشكاه اذا ازال عنه ما يشكوه وقراء الحسن
فزع مثل قراءة العامة الا انهم خفف الزاي والجار والمجرور في موضع رفع ايضا وهو كقولك انصرف عن
كذا الى كذا وكذا معنى فزع بالرا والغين المعجمة والتخفيف غير مسمى الفاعل رويته عن الحسن ايضا وقتادة
وعنهما ايضا فرغ بالراء والغين المعجمة مسمى الفاعل والمعنى فرغ الله قلوبهم اى كشف عنها اى فرغها من الفزع
والخوف والى ذلك يرجع البناء للمفعول على هذه القراءة وعن الحسن ايضا فزع بالتشديد قوله تعالى
قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
لما ذكر ان الهتهم لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب قرر ذلك فقال قل يا محمد للمشركين من يرزقكم
من السموات والارض اى من يخلق لكم هذه الارزاق الكاينة من السموات اى عن المطر والشمس والقمر
والنجوم وما فيها من المنافع والارض اى الخارجة من الارض عن الماء والنبات اى لا يمكنهم ان يقولوا
هذا فعل الهتنا فيقولون لا ندري فقل ان الله يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم وان قالوا الله يرزقنا فقد
تقررت الحجة فانه الذي ينبغي ان يعبد وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا على وجه الانصاف في
الحجة كما يقول القايل احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وان صاحبه كاذب والمعنى ما نحن وانتم على امر واحد
بل على امرين متضادين واحد الفريقين مهتد وهو نحن والاخر ضال وهو انتم فكذبهم باحسن من تصريح
التكذيب والمعنى انتم الضالون حين اشركتم بالذي يرزقكم من السموات والارض او اياكم معطوف على اسم
ان ولو عطف على الموضع لكان او انتم ويكون لعلى هدى للاول لا غير واذا قلت او اياكم كان للثاني
اولى وحذفت من الاول ويجوز ان يكون للاول وهو اختيار المبرد قال ومعناه معنى قول المستبصر
لصاحبه على صحة الوعيد والاستظهار بالحجة الواضحة احدنا كاذب وقد عرف المعنى كما تقول انا افعل
كذا وتفعل انت كذا واحدنا مخطي وقد عرف انه هو المخطي فهكذا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
واو عند البصريين على بابها وليست للشك لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا اذا لم يرد المخبر ان يبين وهو
عالم بالمعنى وقال ابو عبيدة والفرا هي بمعنى الواو وتقديره وانا على هدى واياكم لفي ضلال مبين وقال
جرير ∘ اثعلبة الفوارس او رياحا ∘ عدلت بهم طهية والربابا ∘ يعني اثعلبة ورياحا
وقال اخر ∘ فلما اشتد امر الحرب فينا ∘ تاملنا رياحا او رزاما ∘ اى ورزاما ∘
قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ اى اكتسبنا ولا نسال نحن ايضا عما تعملون
اى انما اقصد بما ادعوكم اليه الخير لكم لا انه ينالني ضرر كفركم وهذا كما قال لكم دينكم ولي دين والله مجازي
الجميع فهذه اية مهادنة ومتاركة وهي منسوخة بالسيف وقيل نزل هذا قبل اية السيف قوله تعالى
قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ يريد يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق
اى يقضي فيثيب المهتدي ويعاقب الضال وهو الفتاح اى القاضي بالحق العليم باحوال الخلق وهذا كله
منسوخ باية السيف قوله تعالى قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللّٰهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
تكون اروني هنا من روية القلب فيكون شركاء المفعول الثالث اى عرفوني هذه الاصنام والاوثان التي
جعلتموها شركاء لله جل وعز هل شاركت في خلق شيء فبينوا ما هو والا فلم تعبدونها ويجوز ان يكون

به ٥

من روية البصر فيكون شركاء حالا كلا اى ليس الامر كما زعمتم وقيل ان كلا رد لجوابهم المحذوف كانه
قال اروني الذين الحقتم به شركاء قالوا هي الاصنام فقال كلا اى ليس له شركاء بل هو الله العزيز
العزيز الحكيم قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ
لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ اى وما ارسلناك الا للناس كافة اى عامة
ففي الكلام تقديم وتاخير وقال الزجاج اى وما ارسلناك الا جامعا للناس بالانذار والابلاغ والكافة
بمعنى الجامع وقيل معناه كافا للناس تكفهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم الى الاسلام والها للمبالغة
وقيل اى الا ذا كافة فحذف المضاف اى ذا منع للناس من ان يشذوا عن تبليغك وذا منع لهم من
الكفر ومنه كف الثوب لانه ضم طرفيه بشيرا اي بالجنة لمن اطاع ونذيرا من النار لمن كفر ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ما عند الله وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت اكثر من المومنين عددا ويقولون
متى هذا الوعد يعني موعدكم لنا بقيام الساعة ان كنتم صادقين فقال الله تعالى قل يا محمد لكم ميعاد يوم
لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فلا يغرنكم تاخيره والميعاد الميقات ويعني بهذا الميعاد وقت
البعث وقيل وقت حضور الموت اى لكم قبل يوم القيمة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي
وقيل اراد بهذا اليوم يوم بدر لان ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى واجاز
النحويون ميعاد يوم على ان يكون ميعاد ابتداء ويوم بدل منه والخبر لكم واجازوا ميعاد يوما يكون
ظرفا ويكون الهاء في عنه يرجع الى يوم ولا يصح ميعاد يوم لا تستاخرون بغير تنوين واضافة يوم الى
ما بعده اذا قدرت الهاء عايدة على اليوم لان ذلك يكون من اضافة الشيء الى نفسه من اجل الهاء التي
في الجملة ويجوز ذلك على ان يكون الهاء للميعاد لا لليوم قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ
نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ
قال الذين كفروا يريد كفار قريش لن نومن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه قال سعد عن قتادة
ولا بالذي بين يديه من الكتب والانبياء عليهم السلام وقيل من الاخرة وقال ابن جريج قايل ذلك
ابو جهل ابن هشام وقيل ان اهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فاسالوه فلما سالوه فوافق
ما قال اهل الكتاب قال المشركون لن نومن بهذا القرآن ولا بالذي قبله من التوراة والانجيل بل نكفر بالجميع
وكانوا قبل ذلك يراجعون اهل الكتاب ويحتجون بقولهم فظهر بهذا تناقضهم وقلة علمهم ثم اخبر الله تعالى
عن حالهم في مالهم فقال ولو ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم محبوسون
في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد ان كانوا في الدنيا اخلاء متناصرين
وجواب لو محذوف اى لو رايت امرا هايلا فظيعا ثم ذكر اى شي يرجع من القول بينهم فقال يقول الذين
استضعفوا في الدنيا من الكافرين للذين استكبروا وهم القادة والروسا لولا انتم لكنا مومنين اي
اغويتمونا واضللتمونا واللغة الفصيحة لولا انتم ومن العرب من يقول لولاكم حكاها سيبويه يكون لولا
تخفض المضمر ويرتفع المظهر بعدها بالابتداء ويحذف خبره ومحمد بن يزيد يقول لا يجوز لولاكم لان المضمر

استكبروا ٥

اى مح

عقيب المظهر فلما كان المظهر مرفوعًا بالاجماع وجب ان يكون المضمر ايضا مرفوعًا قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى هو استفهام بمعنى الانكار اى ما رددناكم نحن عن الهدى ولا اكرهناكم
بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اى المشركين مصرين على الكفر وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل
مكر الليل والنهار المكر اصله فى كلام العرب الاحتيال والخديعة وقد مكرته يمكر فهو ماكر ومكار قال
الاخفش هو على تقدير هذا مكر الليل والنهار قال النحاس والمعنى والله اعلم بل مكركم فى الليل والنهار اى
مسارّتكم ايانا ودعاكم لنا الى الكفر حملنا على هذا وقال سفيان الثورى بل عملكم فى الليل والنهار قتادة بل
مكركم بالليل والنهار صدّنا فاضيف المكر اليهما لوقوعه فيهما وهو كقوله تعالى ان اجل الله لا يؤخر فاضاف الاجل
الى نفسه ثم قال فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اذ كان الاجل لهم وهذا من قبيل
قولك ليله قايم ونهاره صايم قال المبرد اى بل مكركم الليل والنهار كما تقول العرب نهاره صايم وليله قايم
وانشد لجرير ◦ لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى ◦ ونمت وما ليل المطى بنايم ◦ وانشد سيبويه
فنام ليلى وتجلّى همّي ◦ اى نمت فيه ونظيره والنهار مبصرًا وقرا قتادة بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بتنوين
مكر ونصب الليل والنهار والتقدير بل مكرٌ كاين فى الليل والنهار فحذف وقرا سعيد بن جبير بل مكَرُّ
بفتح الكاف وشدّ الراء بمعنى الكرور وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف ويجوز ان يرتفع بفعل مضمر دلّ عليه انحن
صددناكم كانهم لما قالوا لهم انحن صددناكم عن الهدى قالوا بل صدنا مكر الليل والنهار وروى عن سعيد بن جبير
بل مكر الليل والنهار قال مر الليل والنهار فغفلوا وقيل طول السلامة فيها كقوله فطال عليهم الامد وقرا
راشد بل مكرَّ الليلَ والنهارَ بالنصب كما تقول رايته مقدم الحاج وانما يجوز هذا فيما يعرف لو قلت رايته
مقدم زيد لم يجز ذكره النحاس اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادًا اى اشباهًا وامثالًا ونظرا قال محمد
بن يزيد ند فلان فلان اى مثله ويقال نديد وانشد ◦ شعر ◦

اتيما تجعلون الي ندًّا ◦ وما تيم لذي حسب نديد ◦

وقد مضى هذا فى البقرة واسرّوا الندامة اى اظهروها وهو من الاضداد بمعنى الاخفاء والابداء قال
امرؤ القيس ◦ تجاوزت احراسًا واهوال معشر ◦ على حراص لو يسرّون مقتلى ◦
وقد روي يشرون وقيل واسروا الندامة اى تبينت الندامة فى اسرار وجوههم وقيل الندامة لا يظهروا
ما يكون فى القلب وانما يظهر ما يتولد عنها حسب ما تقدم بيانه فى سورة يونس وآل عمران وقيل اظهارهم للندامة
قولهم فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين وقيل اسروا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا القول بها كما قال
واسروا النجوى وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا الاغلال جمع غل يقال فى رقبته غل من حديد
ومنه قيل للمرأة السيئة الخلق غل قمل واصله ان الغل كان يكون من قد وعليه شعر فيقمل وغللت يده
الى عنقه وقد غل فهو مغلول يقال ما له الّ وغلّ والغل ايضا والغلة حرارة العطش وكذلك الغليل يقال
منه غل الرجل يغل غللا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهرى اى جعلت الجوامع فى اعناق التابعين
والمتبوعين قيل من غيرها ولا الفريقين وقيل يرجع الذين كفروا اليهم وقيل تم الكلام عند قوله لما راوا العذاب
ثم ابتداء فقال وجعلنا الاغلال بعد ذلك فى اعناق ساير الكفار هل يجزون الا ما كانوا يعملون فى الدنيا
قوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ قال قتادة اغنياؤها ورؤساؤها
وجبابرتها وقادة الشر للرسل انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اى فضلنا
عليكم بالاموال والاولاد ولو لم يكن ربكم راضيًا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك وما
نحن بمعذبين لان من احسن اليه فلا يعذبه فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء اى يوسعه ويقدر اى يقتر اى ان الله هو
الذى يفاضل بين عباده فى الارزاق امتحانا لهم فلا يدل شى من ذلك على ما فى العواقب فسعة
الرزق فى الدنيا لا يدل على سعادة الاخرة فلا يظنوا اموالكم واولادكم تغنى عنكم غدا شيئا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون هذا لانهم لا يتأملون ثم قال تاكيدًا وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى قال مجاهد
اى قربى والزلفة القربة وقال الاخفش اى ازلافا وهو اسم المصدر فيكون موضع قربى نصبًا كانه قال
بالتى تقربكم عندنا تقريبًا وزعم الفرا ان التى تكون للاموال والاولاد جميعًا وله قول آخر وهو مذهب
ابى اسحاق الزجاج يكون المعنى وما اموالكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ثم حذف
خبر الاول لدلالة الثانى عليه وانشد الفرا ◦ شعر ◦

نحن بما عندنا وانت بما ◦ عندك راضٍ والراى مختلف ◦

ويجوز فى غير القران باللتين وباللاتى وباللواتى وبالذين وباللذين للاولاد خاصة اى لا يزيدكم الاموال
عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبًا الا من آمن وعمل صالحا فلن يضره ماله وولده فى الدنيا وروى
ليث عن طاوس انه كان يقول اللهم ارزقنى الايمان والعمل وجنبنى المال والولد فانى سمعت فيما اوحى
وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا قال الشيخ رحمه الله قول طاوس
فيه نظر والمعنى والله اعلم جنبنى المال والولد المطغيين او اللذين لا خير فيهما فاما المال الصالح والولد الصالح
للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى هذا فى آل عمران ومريم والفرقان ومن فى موضع نصب على الاستثناء
المنقطع اى لكن من آمن وعمل صالحا فايمانه وعمله تقربانه منى وزعم الزجاج انه فى موضع نصب بالاستثناء
على البدل من الكاف والميم التى فى تقربكم النحاس وهذا القول غلط لان الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل
ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابى اسحاق هذا هو قول الفرا الا ان الفرا لا يقول بدل لانه ليس من لفظ
الكوفيين ولكن قوله يؤول الى ذلك وزعم ان مثله الا من اتى الله بقلب سليم يكون منصوبًا بينفع واجاز الفرا
ان يكون من فى موضع رفع بمعنى ما هو الا من آمن كذا قاله ولست احصّل معناه فاولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا يعنى قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فالضعف الزيادة اى لهم جزاء التضعيف وهو من باب
اضافة المصدر الى المفعول وقيل لهم جزاء الاضعاف فالضعف فى معنى الجمع واضافة الجزاء الى الضعف
كاضافة الشىء الى نفسه نحو حق اليقين وصلاة الاولى اى لهم الجزاء المضعف للواحد عشرة الى ما يريد الله
من الزيادة وبهذه الاية يستدل من فضل الغنى على الفقر وقال محمد بن كعب ان المؤمن اذا كان غنيا
تقيا اتاه الله اجره مرتين بهذه الاية وهم فى الغرفات آمنون قراءة العامة جزاء الضعف بالاضافة وقرا
الزهرى ويعقوب ونصر بن عاصم جزاءً منونا منصوبًا الضعفُ رفعًا اى فاولئك لهم الضعف جزاءً
على التقديم والتاخير وجزاءُ الضعفِ على ان يجازوا الضعف وجزاءٌ الضعفُ مرفوعان الضعف بدل

من جزاء، وقرا الجمهور ايضا في الغرفات على الجمع وهو اختيار ابي عبيد لقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا الزمخشري
وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وقراء الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة وخلف في الغرفة على
التوحيد لقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة والغرفة قد يراد بها اسم الجمع واسم الجنس قال ابن عباس هي
غرف من ياقوت وزبرجد ودر وقد مضى بيان ذلك امنون اى من العذاب والموت والاسقام والاحزان
والذين يسعون في آياتنا اى في ابطال ادلتنا وحجتنا وكتابنا معاجزين معاندين يحسبون انهم يفوتونا
بانفسهم فاولئك في العذاب محضرون اى في جهنم يحضرهم الزبانية فيها قوله تعالى قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين
كرر تاكيدا وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اي قل يا محمد لهؤلاء المفترين بالاموال والاولاد بل انفقوها
ان الله يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تغتروا بالاموال والاولاد بل انفقوها في طاعة الله فان ما
انفقتم في طاعة الله فهو يخلفه وفيه اضمار اى فهو يخلفه عليكم يقال اخلف له واخلف عليه اى يعطكم
خلفه وبدله وذلك البدل اما في الدنيا واما في الاخرة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا
واعط ممسكا تلفا وفيه ايضا عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى قال لي انفق
انفق عليك الحديث وهذه اشارة الى الخلف في الدنيا بمثل المنفق بها اذا كانت النفقة في طاعة الله وقد لا
يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعا كما تقدم سوا في الاجابة او التكفير او الادخار وهنا مثله في الاجر
مسئلة روى الدارقطني وابو احمد بن عدى عن عبد الحميد الهلالي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما
وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان من نفقة في بنيان
او معصية قال عبد الحميد وثقه ابن معين قال الشيخ رحمه الله اما ما انفق في معصية فلا خلاف انه
غير مثاب عليه ولا مخلوف له واما البنيان فما كان منه ضروريا يكن الانسان ويحفظه فلذلك مخلوف عليه
ومأجور ببنيانه وذلك لحفظ بنيته وستر عورته قال صلى الله عليه وسلم ليس لابن آدم حق في سوى
هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء وقد مضى هذا المعنى في الاعراف
مستوفى وهو خير الرازقين لما كان يقال في الانسان انه يرزق عياله والامير جنده قال وهو خير الرازقين
والرازق من المخلوق يرزق لكن ذلك من مال يملك عليهم ثم ينقطع والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى
ولا يتناهى ومن اخرج من عدم الى الوجود فهو الرازق على الحقيقة كما قال ان الله هو الرزاق ذو القوة
المتين قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هذا
متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم لو تراهم في هذه الحالة لرايت امرا فظيعا والخطاب للنبي
عليه السلام والمراد هو وامته ثم قال ولو تراهم ايضا ويوم يحشرهم جميعا العابدين والمعبودين اي
نجمعهم للحساب ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن قتادة هذا استفهام كقوله
عز وجل لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال النحاس فالمعنى ان الملائكة صلى الله

قلت لابن المنكدر وما وقى
الرجل عرضه قال يعطى
الشاعر وذا اللسان
عبد الحميد صح م

قوله تعالى م

الله عليهم اذا اكذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم فهو استفهام توبيخ للعابدين قالوا سبحانك اى تنزيها لك انت ولينا
من دونهم اى انت ربنا الذى نتولاه ونطيعه ونعبده ونخلص في العبادة له بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم
اي يطيعون ابليس واعوانه وفي التفسير ان حيا يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن
ويزعمون ان الجن تترا آى لهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله وهو قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
قوله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين نفعا اى شفاعة ونجاة ولا ضرا اي
عذابا وهلاكا وقيل اى لا تملك الملائكة دفع ضر عن عابديهم فحذف المضاف ويقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يجوز ان يقوله الله لهم او الملائكة ذوقوا قوله تعالى واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات يعني القرآن قالوا ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباكم اى اسلافكم من الالهة التي كانوا يعبدونها وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون
القرآن اى ما هو الا كذب مختلق وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فتارة قالوا سحر وتارة
قالوا افك ويحتمل ان يكون منهم من قال سحر ومنهم من قال افك قوله تعالى وما آتيناهم من كتب
يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما
بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير يدرسونها اى لم يقرؤوا في كتاب
اوتوه بطلان ما جئته به ولا سمعوه من رسول بعث اليهم كما قال ام آتيناهم كتابا من قبله فهم
به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه يتشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا
مبطلين نحن اهل كتاب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله
الحق وكذب الذين من قبلهم اى كذب الذين من قبلهم اقوام كانوا اشد من هؤلاء بطشا واكثر اموالا
واولادا واوسع عيشا فاهلكتهم كثمود وعاد وما بلغوا اى بلغ اهل مكة معشار ما آتينا تلك الامم
والمعشار والعشير سواء لغتان وقيل المعشار عشر العشر الجوهري ومعشار الشيء عشره ولا يقولون
هذا في شيء سوى العشر وقيل ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما اعطيناهم حكاه النقاش وقيل
ما اعطى الله تعالى من قبلهم معشار ما اعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان قال ابن عباس فليس
امة اعلم من امته ولا كتاب ابين من كتابه وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير عشر العشر فيكون
جزءا من الف جزء الماوردي وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل فكذبوا رسلي فكيف
كان نكيري اى عقابي في الامم وفيه محذوف وتقديره فاهلكناهم فكيف كان نكيري قوله تعالى قل
انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل انما اعظكم بواحدة تمم الحجة على المشركين
اى قل لهم يا محمد انما اعظكم اى اذكركم واحذركم سوء عاقبة ما انتم فيه بواحدة اي بكلمة واحدة مشتملة
على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك واثبات الاله قال مجاهد هي لا اله الا الله وهذا قول ابن عباس والسدي

وعن مجاهد ايضا بطاعة الله وقيل بالقرآن لانه يجمع كل المواعظ وقيل تقديره بخصلة واحدة ثم بينها
بقوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى فيكون ان في موضع خفض على البدل من واحدة او في موضع رفع
على اضمار مبتداء اى هي ان تقوموا ومذهب الزجاج انها في موضع نصب بمعنى لان تقوموا وهذا القيام
معناه القيام الي طلب الحق لا القيام الذى هو ضد القعود وهو كما يقال قام فلان بامر كذا اى لوجه
الله والتقرب اليه وكما قال تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط مثنى وفرادي اى وحدانا ومجتمعين
قاله السدى وقيل منفردا برايه ومشاورا لغيره وهذا قول ماثور وقال العتبي مناظرا مع غيره و
مفكرا في نفسه وكله متقارب ويحتمل رابعا ان المثنى عمل النهار والفرادي عمل الليل لانه في النهار
معان وفي الليل وحيد قاله الماوردى وقيل انما قال مثنى وفرادى لان الذهن حجة الله على العباد
وهو العقل فاوفرهم عقلا اوفرهم حظا من الله فاذا كانوا فرادى كانت فكرة واحده واذا كانوا
مثنى تقابل الذهنان فترايا من العلم لهما ما اضعف على الانفراد والله اعلم ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
الوقف عند ابي حاتم وابن الانباري على ثم تتفكروا وقيل ليس هو بوقف لان المعنى ثم تتفكروا هل جربتم
على صاحبكم كذبا اورايتم منه جنة او في احواله من فساد او اختلف الى احد ممن يدعى العلم بالسحر او تعلم
الاقاصيص وقرا الكتب او عرفتموه بالطمع في اموالكم او يقدرون على معارضته في سورة واحدة فاذا
عرفتم بهذا الفكر صدقه فما بال هذه المعاندة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد وفي صحيح مسلم
عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد
فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان صح
ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير
لكم بين يدى عذاب شديد قال فقال ابولهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت
يدا ابي لهب وقد تب كذا قراء الاعمش الى آخر السورة قوله تعالى قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ
لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ اى جعل على تبليغ الرسالة فهو لكم على صح
اى ذلك الجعل لكم ان كنت سالتكموه ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد اى رقيب وعالم وحاضر
لاعمالي واعمالكم لا يخفى عليه شئ فهو يجازي الجميع قوله تعالى قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ يقذف بالحق اى يبين الحجة ويظهرها قال
قتادة بالحق بالوحى وعنه الحق القرآن وقال ابن عباس اى يقذف الباطل بالحق علام الغيوب
وقرا عيسى ابن عمر علام الغيوب على انه بدل اى قل ان ربي علام الغيوب يقذف بالحق قال الزجاج ان ح
الرفع من وجهين على الموضع لان الموضع موضع رفع او على البدل مما في يقذف النحاس وفي الرفع وجهان
اخران يكون خبرا بعد خبر ويكون على اضمار مبتدا وزعم الفراء ان الرفع في مثل هذا اكثر في كلام العرب
اذا اتى بعد خبر ان ومثله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقرى الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب
فالغيوب بالرفع كالبيوت والغيوب بالنصب كالصبور وهو الامر الذى غاب وخفي جدا قوله تعالى
قل جاء الحق قال سعيد عن قتادة يريد القرآن النحاس والتقدير جاء صاحب الحق اى الكتاب الذى

فيه البراهين والحجج وما يبدئ الباطل قال قتادة الشيطان اى ما يخلق الشيطان احدا وما يعيد فما نفي
ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى اى شئ اى جاء الحق فاي شئ بقي للباطل حتى يعيده ويبديه اى فلم يبق
منه شئ كقوله فهل ترى لهم من باقية اى لا ترى قوله تعالى قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي
وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ وذلك ان الكفار قالوا تركت دين
ابائك فضللت فقال له قل يا محمد قل ان ضللت كما تزعمون فانما اضل على نفسي وقراة العامة ضللت
بفتح اللام وقرا يحيى بن وثاب وغيره قل ان ضللت بكسر اللام وفتح الضاد من اضل والضلال والضلالة
ضد الرشاد وقد ضللت بفتح اللام اضل بكسر الضاد قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي
فهذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالية يقولون ضللت بالكسر اضل اى اثم ضلالي على نفسي وان
اهتديت فبما يوحي الى ربي من الحكمة والبيان انه سميع قريب اى سميع ممن دعاه قريب الاجابة وقيل
وجه النظم قل ان ربي يقذف بالحق ويبين الحجة وضلال من ضل لا يبطل الحجة ولو ضللت لاضررت
بنفسي لا انه يبطل حجة الله فاذا اهتديت فذلك فضل الله اذ ثبتني على الحجة انه سميع قريب قوله تعالى وَ
لَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ذكر احوال الكفار في وقت ما يضطرون
فيه الى معرفة الحق والمعنى ولو ترى اذ فزعوا في الدنيا عند نزول الموت او غيره من باس الله تعالى بهم
روى معناه عن ابن عباس والحسن هو فزعهم في القبور من الصيحة وعنه ان ذلك الفزع انما هو اذا
خرجوا من قبورهم وقاله قتادة وقال ابن مغفل اذا عاينوا عقاب الله يوم القيمة السدى هو فزعهم
يوم بدر حين ضربت اعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا فرارا ولا رجوعا الي التوبة سعيد بن جبير
هو الجيش الذى يخسف به في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي اصحابه فيفزعوا فهذا هو فزعهم
فلا فوت فلا نجاة قاله ابن عباس مجاهد فلا مهرب واخذوا من مكان قريب اي من القبور وقيل من
حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه وقال ابن عباس نزلت في ثمانين الفا يغزون
في اخر الزمان الكعبة ليخربوها فكما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب قال الشيخ رحمه
الله وفي هذا المعنى خبر مرفوع عن حذيفة وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفياني
من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة
فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بارض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة يعني مدينة بغداد
قال فيقتلون اكثر من ثلاثة الاف ويفتضون اكثر من مائة امراة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من ولد
العباس ثم يخرجون متوجهين الى الشام فيخرج راية هدى من الكوفة فيلحق ذلك الجيش منها على ليلتين
فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنائم ويحل جيشه الثاني بالمدينة
فينتهبونها ثلاثة ايام ولياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل
عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم وذلك قوله تعالى
ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب فلا يبقى منهم الا رجلان احدهما بشير والاخر
نذير وهما من جهينة ولذلك جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين وقيل اخذوا من مكان قريب اى

تبضت ارواحهم فی اماکنها فلم یمکنهم الفرار من الموت وعلی هذا علی قول من یقول هذا الفزع عند النزع ویجوز
ان یکون هذا من الفزع الذي هو بمعنی الاجابة یقال فزع الرجل ای اجاب الصارخ الذی یستغیث به اذا
نزل به خوف ومنه الخبر اذ قال للانصار انکم لتقلون عند الطمع وتکثرون عند الفزع ومن قال اراد
الخسف او القتل فی الدنیا کیوم بدر قال اخذوا فی الدنیا قبل ان یؤخذوا فی الآخرة ومن قال هو فزع
یوم القیمة قال اخذوا من بطن الارض الی ظهرها وقیل اخذوا من مکان قریب من جهنم فالقوا فیها
قوله تعالی وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ آمنا به ای بالقران وقال مجاهد
بالله عز وجل الحسن بالبعث قتادة بالرسول علیه السلام وانی لهم التناوش من مکان بعید قال
ابن عباس والضحاک التناوش الرجعة ای یطلبون الرجعة الی الدنیا لیؤمنوا وهیهات من ذلک
ومنه قول الشاعر ۝ تمنی ان تؤوب الی میّ ۝ ولیس الی تناوشها سبیل
وقال السدی هو التوبة ای طلبوها وقد بعدت لانه انما یقبل التوبة فی الدنیا وقیل التناوش التناول
قال ابن السکیت یقال للرجل اذا تناول رجلا لیاخذ براسه ولحیته ناشه ینوشه نوشا وانشد
فهی تنوش الحوض نوشا من علا ۝ نوشا به تقطع اجواز الفلا ۝
ای تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا کثیرا وتقطع بذلک الشرب فلوات فلا تحتاج الی ماء آخر
قال ومنه المناوشة فی القتال وذلک اذا تدانی الفریقان ورجل نووش ای ذو بطش والتناوش التناول
والانتیاش مثله قال الراجز ۝ کانت تنوش العنق انتیاشا وقوله تعالی وانی لهم التناوش من مکان
بعید یقول انی لهم تناول الایمان فی الآخرة وقد کفروا به فی الدنیا وقرا ابو عمرو والکسائی والاعمش
وحمزة وانی لهم التناؤش بالهمز النحاس وابو عبیدة یستبعد هذه القراءة لان التناؤش بالهمز البعد
فکیف یکون وانی لهم البعد من مکان بعید قال ابو جعفر والقراءة جایزة حسنة ولها وجهان فی کلام
العرب ولا یتاول بها هذا المتناول البعید فاحد الوجهین ان یکون الاصل غیر مهموز ثم همزت الواو
لان الحرکة فیها خفیة وذلک کثیر فی کلام العرب وفی المصحف الذي نقلته الجماعة عن الجماعة واذا
الرسل اقتت والاصل وقتت لانه مشتق من الوقت ویقال فی جمع دار ادور والوجه الآخر
ذکره ابو اسحاق قال یکون مشتقا من النیش وهو الحرکة فی ابطاء ای من این لهم الحرکة فیما قد بعد یقال
نأشت الشیء اخذته من بعد والنیش الشیء البطیء قال الجوهری التناؤش بالهمز التاخر والتباعد
وقد ناشت الامر انأشه نأشا اخرته فانتأش ویقال فعله نئیشا ای اخیرا قال الشاعر ۝
تمنی نئیشا ان یکون اطاعنی ۝ وقد حدثت بعد الامور امور ۝
وقال آخر ۝ قعدت زمانا عن طلابک للعلی ۝ وجئت نئیشا بعد ما فاتک الخیر ۝
وقال الفراء الهمز وترک الهمز فی التناوش متقارب مثل ذمت الرجل وذامته ای عبته من مکان بعید
ای من الآخرة وروی ابو اسحاق عن التمیمی عن ابن عباس وانی لهم قال الرد سالوه ولیس بحین رد
قوله تعالی وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
وقد کفروا به ای بالله عز وجل وقیل بمحمد من قبل یعنی فی الدنیا ویقذفون بالغیب العرب تقول لکل
من تکلم بما لا یحقه هو یقذف ویرجم بالغیب من مکان بعید علی جهة التمثیل لمن یرجم ولا یصیب

اي

ای یرمون بالظن فیقولون لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار رجما منهم بالظن قال قتادة وقیل
یقذفون ای یرمون فی القران فیقولون سحر وشعر واساطیر الاولین وقیل فی محمد فیقولون
ساحر شاعر کاهن مجنون من مکان بعید ای ان الله بعد لهم ان یعلموا صدق محمد وقیل اراد
البعد عن القلب ای مکان بعید عن قلوبهم وقرا مجاهد ویقذفون بالغیب غیر مسمی الفاعل
ای یرمون به وقیل یقذف به الیهم من یغویهم ویضلهم قوله تعالی وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا
يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ قیل حیل بینهم وبین النجاة
من العذاب وقیل حیل بینهم وبین ما یشتهون فی الدنیا من اموالهم واهلیهم ومذهب قتادة ان المعنی
انهم کانوا یشتهون لما راوا العذاب ان یقبل منهم ان یطیعوا الله جل وعز وینتهوا الی ما یامرهم
به الله فحیل بینهم وبین ذلک لان ذلک انما کان فی الدنیا وقد زالت فی ذلک الوقت والاصل حول
فقلبت حرکة الواو علی الحاء فانقلبت یاء ثم حذفت حرکتها لثقلها کما فعل باشیاعهم الاشیاع جمع
شیع وشیع جمع شیعة من قبل ای بمن مضی من القرون السالفة الکافرة انهم کانوا فی شک ای من
امر الرسل والبعث والجنة والنار وقیل فی الدین والتوحید والمعنی واحد مریب ای یستراب
به یقال اراب الرجل ای صار ذا ریبة فهو مریب ومن قال هو من الریب الذی هو الشک والتهمة
قال فیقال شک مریب کما یقال عجب عجیب وشعر شاعر فی التاکید ۝ ختمت السورة

تفسیر سورة فاطر

مکیة فی قول الجمیع وهی خمس واربعون آیة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَ
رُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ یجوز فی فاطر ثلاثة اوجه
الخفض علی النعت والرفع علی اضمار مبتدا والنصب علی المدح وحکی سیبویه الحمد لله اهل الحمد وکذا
جاعل الملائکة والفاطر الخالق وقد مضی فی یوسف وغیرها والفطر الشق عن الشیء یقال فطرته
فانفطر ومنه فطر ناب البعیر طلع فهو بعیر فاطر وتفطر الشیء تشقق وسیف فطار ای فیه تشقق
قال عنترة ۝ وسیفی کالعقیقة فهو کمعی ۝ سلاحی لا افل ولا فطارا ۝ والفطر الابتداء
والاختراع قال ابن عباس کنت لا ادري ما فاطر السموات والارض حتی اتانی اعرابیان یختصمان
فی بئر فقال احدهما انا فطرتها ای انا ابتدأتها والفطر حلب الناقة بالسبابة والابهام والمراد
بذکر السموات والارض العالم کله ونبه بهذا علی ان من قدر علی الابتداء قادر علی الاعادة جاعل
الملائکة لا یجوز فیه التنوین لانه لما مضی رسلا مفعول ثان ویقال علی اضمار فعل لان فاعلا اذا کان
لما مضی لم یعمل فیه شیئا واعماله علی انه مستقبل حذف التنوین منه تخفیفا وقرا الضحاک الحمد لله
فطر السموات والارض علی الفعل الماضی جاعل الملائکة رسلا الرسل منهم جبریل ومیکائیل واسرافیل
وملک الموت صلی الله علیهم اجمعین وقرا الحسن جاعل الملائکة بالرفع وقرا خلید بن نشیط جعل
الملائکة وکله ظاهر اولی اجنحة نعته ای اصحاب اجنحة مثنی وثلاث ورباع ای اثنین اثنین وثلاثة

ثلاثه واربعة اربعة قال قتادة بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثه وبعضهم اربعة ينزلون بها من السماء
الى الارض ويعرجون من الارض الى السماء وهي مسيرة كذا في وقت واحد اى جعلهم رسلا قال يحيى بن
سلام الى الانبيا وقال السدي الى العباد برحمة او نقمه وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ان النبي صلى
الله عليه وسلم راى جبرئيل عليه السلام له ست مائة جناح وعن الزهري ان جبرئيل عليه السلام
قال له يا محمد لو رايت اسرافيل انه له لاثنى عشر الف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب
وان العرش لعلى كاهلة وانه في الاحايين ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع والوضع عصفور
صغير حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته واولوا اسم جمع لذو كما ان هؤلاء اسم جمع لذا ونظيرهما في المتمكنة
المخاض والخلفة وقد مضى الكلام في مثنى وثلاث ورباع في النساء وانه غير منصرف يزيد في الخلق
ما يشاء اى في خلق الملائكة في قول اكثر المفسرين ذكره المهدوي وقال الحسن يزيد في الخلق اى في اجنحة
الملائكة ما يشاء وقال الزهري وابن جريج يعني حسن الصوت وقد مضى القول فيه في مقدمة الكتاب
وقال الهيثم الفارسي رايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي فقال انت الهيثم الذي يزين القرآن بصوتك
جزاك الله خيرا وقال قتادة يزيد في الخلق ما يشاء الملاحة في العينين والحسن في الانف والحلاوة في
الفم وقيل الخط الحسن وقال مهاجر الكلاعي قال النبي صلى الله عليه وسلم الخط الحسن يزيد الكلام وضوحا
وقيل الوجه الحسن وقيل في الخبر في هذه الاية هو الوجه الحسن والصوت الحسن ذكره القشيري وشو الحسن صح
النقاش هو الشعر الجعد وقيل العقل والتميز وقيل العلوم والصنايع ان الله على كل شيء قدير من
النقصان والزيادة الزمخشري والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال
صورة وتمام في الاعضا وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراة في القلب و
سماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا
يحيط به وصف قوله تعالى مَا يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ واجاز النحويون في غير القرآن فلا ممسك له على لفظ ما ولها على
المعنى واجازوا وما يمسك فلا مرسل لها واجازوا ما يفتح الله للناس من رحمة بالرفع يكون ما بمعنى الذي
اى ان الرسل بعثوا رحمة للناس فلا يقدر على ارسالهم غير الله وقيل ما ياتيهم به من مطر او رزق فلا
يقدر احد ان يمسكه وما يمسك من ذلك فلا يقدر احد على ان يرسله وقيل هو الدعا قاله الضحاك ابن عباس
من توبه وقيل من توفيق وهداية قلت ولفظ الرحمة يجمع ذلك اذ هي منكرة للاشاعة والابهام فهي
متناولة لكل رحمة على البدل فهو عام في جميع ما ذكر وفي موطا مالك انه بلغه ان ابا هريرة كان يقول اذا
اصبح وقد مطر الناس مطرنا بنوء الفتح ثم يتلوا هذه الاية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك وهو العزيز الحكيم تقدم قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ معنى هذا الذكر الشكر هل من خالق غير الله
يجوز في غير القرآن الرفع والنصب والخفض فالرفع من وجهين احدهما بمعنى هل من خالق الا الله بمعنى
ما خالق الا الله والوجه الثاني ان يكون نعتا على الموضع لان المعنى هل خالق غير الله ومن زائدة و
النصب على الاستثناء والخفض على اللفظ قال حميد الطويل قلت للحسن من خلق الشر فقال سبحان الله

هل من خالق غير الله جل وعز خلق الخير والشر وقرا حمزة والكسائي هل من خالق غير الله بالخفض
الباقون بالرفع يرزقكم من السماء اى المطر والارض اي النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون من الافك بالفتح
وهو الصرف يقال ما افكك عن كذا اي ما صرفك عنه وقيل من الافك بالكسر ~~وهو الصرف يقال ما افكك~~
~~عن كذا~~ بالكسر وهو الكذب ويرجع هذا ايضا ما تقدم لانه قول مصروف عن الصدق والصواب اى من
ان يقع لكم التكذيب بتوحيد الله والاية حجة على القدرية لانه نفى خالقا غير الله وهم يثبتون معه خالقين على
ما تقدم في غير موضع قوله تعالى وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ وان يكذبوك يعني كفار قريش فقد كذبت رسل من قبلك يعزي نبيه ويسليه صلى الله عليه وسلم
وليتاسى بمن قبله في الصبر والى الله ترجع الامور قرا الحسن والاعرج ويعقوب وابن عامر وابو حيوة
وابن محيصن وحميد والاعمش وحمزة ويحيى والكسائي وخلف بفتح التاء على انه مسمى الفاعل واجازه
ابو عبيد لقوله تعالى الا الى الله تصير الامور الباقون بالرفع على الفعل المجهول قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ هذا وعظ للمكذبين للرسول
بعد ايضاح الدليل على صحة قوله اى البعث والثواب والعقاب حق فلا يغرنكم الحياة الدنيا قال سعيد بن
جبير غرور الحياة الدنيا ان يشتغل الانسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الاخرة حتى يقول يا ليتني قدمت
لحياتي ولا يغرنكم بالله الغرور قال ابن السكيت وابو حاتم الغرور الشيطان وغرور جمع غر وغر مصدر
ويكون الغرور مصدرا وهو بعيد عند غير ابي اسحاق لان غررته متعد والمصدر المتعدي انما هو على فعل
نحو ضربته ضربا الا في اشيا يسيرة لا يقاس عليها قالوا لزمته لزوما ونهكه المرض نهوكا فاما معنى الحرف
فاحسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن جبير قال الغرور بالله ان يكون الانسان يعمل المعاصي ثم يتمنى على الله
المغفرة وقراءة العامة الغرور بفتح الغين وهو الشيطان اى لا يغرنكم بوساوسه في انه يتجاوز عنكم
لفضلكم وقرا ابو حيوة وابن سماك العدوي ومحمد بن السميفع الغرور برفع الغين وهو الباطل اي
لا يغرنكم الباطل وقال ابن السكيت والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا قال الزجاج ويجوز ان يكون
الغرور جمع غار مثل قاعد وقعود الزمخشري او مصدر غره كاللزوم والنهوك النحاس او جمع غر وشبه
بقولهم نهكه المرض نهوكا ولزمه لزوما قوله تعالى إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا
يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا اى
فعادوه ولا تطيعوه ويدلكم على عداوته اخراجه اباكم من الجنة وضمانه اضلالكم في قوله ولاضلنهم ولا
منينهم الاية وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية فاخبرنا
جل وعز ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا آدم صلوات الله عليه وكيف
انتدب لعداوتنا وغرورنا من قبل وجودنا وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا
وكان الفضيل بن عياض يقول يا كذاب يا مفتري اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه
في السر وقال ابن السماك يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته باحسانه واطاع اللعين بعد معرفته بعداوته
وقد مضى هذا المعنى في البقرة مجودا وعدو في قوله ان الشيطان لكم عدو يجوز ان يكون بمعنى معاد

فيثنى ويجمع ويونث ويكون بمعنى النسب فيكون موحدا بكل حال كما قال جل وعز فانهم عدو لي وفي المونث على هذا ايضا عدو قال النحاس فاما قول بعض النحويين ان الواو حذفت فجاوا بالها فخطاء بل الواو حرف جلد انما يدعو حزبه كفت ما ان عن العمل فوقع بعدها الفعل حزبه اي اشياعه ليكونوا من اصحاب السعير بهذه عداوته الذين كفروا لهم عذاب شديد يكون الذين بدلا من اصحاب فيكون في موضع خفض او يكون بدلا من الواو فيكون في موضع رفع وقول رابع وهو احسنها يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره لهم عذاب شديد وكانه سبحانه بين حال موافقته ومخالفته ويكون الكلام قد تم في قوله من اصحاب السعير ثم ابتدا فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات في موضع رفع بالابتداء ايضا وخبره لهم مغفرة اي لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة قوله تعالى أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ من في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف قال الكسائي والذي يدل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال فالمعنى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ذهبت نفسك عليهم حسرات قال وهذا كلام عربي ظريف لا يعرفه الا قليل وذكره الزمخشري عن الزجاج قال النحاس والذي قاله الكسائي احسن ما قيل في الآية لما ذكره من الدلالة على المحذوف والمعنى ان الله جل وعز نهى نبيه عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال عز وجل فلعلك باخع نفسك قال اهل التفسير قاتل قال نضراني علي سالت الاصمعي عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في اهل اليمن هم ارق قلوبا وابخع طاعة ما معنى ابخع فقال انصح فقلت له ان اهل التفسير مجاهدا وغيره يقولون في قول الله عز وجل لعلك باخع نفسك معناه قاتل نفسك فقال هو من ذاك بعينه كانه من شدة النصح لهم قاتل نفسه وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير مجازه له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل الجواب محذوف المعنى افمن زين له سوء عمله كمن هدي ويكون يدل على هذا المحذوف فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقرا يزيد بن القعقاع فلا تذهب نفسك وفيمن زين له سوء عمله اربعة اقوال احدها انهم اليهود والنصارى والمجوس قاله ابو قلابة ويكون سوء عمله معاندة الرسول الثاني انهم الخوارج رواه عمر بن القاسم فيكون سوء عمله تحريف التاويل الثالث الشيطان قاله الحسن ويكون سوء عمله الاغواء الرابع كفار قريش قاله الكلبي ويكون سوء عمله الشرك وقال انها نزلت في العاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب وقال غيره نزلت في ابي جهل ابن هشام فرآه حسنا اي صوابا قاله الكلبي وقيل جميلا قال الشيخ رحمه الله والقول بان المراد كفار قريش اظهر الاقوال لقوله تعالى ليس عليك هداهم وقوله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث وقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين وقوله في هذه الآية فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وهذا ظاهر بين اي لا ينفع تاسفك على مقامهم على كفرهم فان الله اضلهم وهذه الآية ترد على القدرية

من حزبه فيكون في موضع نصب اويكون بدلا ح

افمن زين ح

قولهم على ما تقدم اي فمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تريد ان تهديه وانما ذلك الى الله لا اليك والذي اليك هو التبليغ وقرا ابو جعفر وشيبة وابن محيصن فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصبا على المفعول والمعنيان متقاربان حسرات منصوب مفعول من اجله اي فلا تذهب نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بالحسرات لان المصدر لا تتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كان كلهن صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى … حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قول الآخر

فعلى اثرهم تساقط نفسي … حسرات وذكرهم لي سقام

او مصدرا ان الله عليم بما يصنعون قوله تعالى وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ميت وميت واحد وكذا ميتة وميتة هذا قول الحذاق من النحويين وقال محمد بن يزيد هذا قول البصريين ولم يستثن احد واستدل على ذلك بدلايل قاطعة وانشد

ليس من مات فاستراح بميت … انما الميت ميت الاحيا

انما الميت من يعيش كئيبا … كاسفا باله قليل الرجا

قال فهل ترى بين ميت وميت فرقا وانشد

هينون لينون ايسار بنو يسر … سواس مكرمة ابناء ايسار

قال فقد اجمعوا على ان هينون ولينون واحد وكذا ميت وميت وسيد وسيد وقال فسقناه بعد ان قال الله الذي ارسل الرياح وهو من باب تلوين الخاطب وقال ابو عبيدة سبيله فتسوقه لانه قال فتثير سحابا الزمخشري فان قلت لم جاء بتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت ليحكي الحال التي تقع فيها اثاره الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وكذلك يفعلون يفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال تابط شرا

باني قد لقيت الغول تهوي … بسهب كالصحيفة صحصحان

فاضربها بلا دهش فخرت … صريعا لليدين وللجران

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت لما كانا من الدلايل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه وقراة العامة الرياح وقرا ابن محيصن وابن كثير والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي الريح توحيدا وقد مضى بيان هذه الآية والكلام فيها مستوفى كذلك النشور اي كذلك تحيون بعدما متم من نشر الانسان نشورا فالكاف في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشر الاموات وعن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه قال

وتستحضر نح

اما مررت بوادي اهلك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم يا رسول الله قال فلذلك يحيي الله الموتى وتلك اسنته في خلقه وقد ذكرنا هذا الخبر في الاعراف وغير ما موضع قوله تعالى مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ إِلَيْهِ جَمِيعًا ٥ التقدير عند الفرآء من كان يريد علم العزة وكذا قال غيره من اهل العلم اى من كان يريد علم العزة التى لا ذلة معها لان العزة اذا كانت تودي الى ذلة فانما هي للذلة والعزة التى لا ذل معها لله جل وعز جميعا منصوب على الحال وقدر الزجاج معناه من كان يريد بعبادته الله جل وعز العزة والعزة له سبحانه فان الله جل وعز يعزه في الآخرة والدنيا قال — يعرض صح

الشيخ رحمه الله وهذا حسن وروي مرفوعا على ما ياتى فلله العزة جميعا ظاهره هذا ايا س السامعين من عزته وتعريفهم ان ما وجب له من ذلك لا مطمع له فيه لغيره فيكون الالف واللام للعهد عند العالمين به سبحانه وبما وجب له من ذلك وهو المفهوم من قوله الحق في سورة يونس ولا يحزنك قولهم ان العزة لله ويحتمل ان يريد سبحانه ان ينبه ذوى الاقدار والهمم من اين ينال العزة ومن اين تستحق فيكون الالف واللام للاستغراق وهو المفهوم من ايات هذه السورة فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع وجدها عنده ان شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن طلبها من غيره وكلها الى من طلبها عنده وقد ذكر قوما طلبوا العزة عند من سواه فقال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فانباك صريحا لا اشكال فيه ان العزة له يعز بها من يشاء ويذل من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم مفسرا لقوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا من اراد عز الدارين فليطع العزيز وهذا معنى قول الزجاج ولقد احسن من قال

وإذا تذللت الرقاب تواضعا ... منا اليك فعزها في ذلها

فمن كان يريد العزة لينال الفوز الاكبر ويدخل دار العزة ولله العزة فليقصد بالذلة لله سبحانه والاعتزاز به فانه من اعتز بالعبيد اذله الله ومن اعتز بالله اعزه الله قوله تعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ٥ فيه مسئلتان الاولى قوله اليه يصعد الكلم الطيب وتم الكلام ثم يبتدى والعمل الصالح يرفعه على معنى يرفعه الله او يرفع صاحبه ويجوز ان يكون المعنى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون الكلام متصلا على ما ياتى بيانه والصعود هو الحركة الى فوق وهو العروج ايضا ولا يتصور ذلك في الكلام لانه عرض لكن ضرب صعوده مثلا لقبوله لان موضع الثواب فوق وموضع العذاب اسفل وقال الزجاج يقال ارتفع الامر الى القاضي اي علمه فهو بمعنى العلم وخص الكلام الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه وقوله اليه يصعد وقيل يصعد الى سمائه والمحل الذى لا يجري فيه لاحد غيره حكم وقيل اى يحمل الكتاب الذى كتب فيه طاعات العبد الى السماء والكلم الطيب هو التوحيد الصادر عن عقده طيبه وقيل هو التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه وانشدوا

شديد صح

اي الى الله صح

لا ترض من رجل حلاوة قوله ... حتى يزين ما يقول فعال

فاذا وزنت فعاله بمقاله ... فتوازنا فاخاء ذاك جمال

وقال ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وفيه قيل

لا يكون المقال الا بفعل ... كل قول بلا فعال هباء

ان قولا بلا فعال جميل ... ونكاحا بلا ولي سواء

وقرأ الضحاك يصعد بضم الياء وقرأ جمهور الناس الكلم جمع كلمة وقرأ ابو عبد الرحمن الكلام قال الشيخ رحمه الله فالكلام على هذا قد يطلق بمعنى الكلم وبالعكس وعليه يخرج قول ابي القاسم اقسام الكلام ثلثة فوضع الكلام موضع الكلم والله اعلم والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما المعنى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة قال ابن عباس فاذا ذكر العبد الله وقال كلاما طيبا وادى فرائضه ارتفع قوله مع عمله واذا قال ولم يود فرائضه رد قوله على عمله قال ابن عطية وهذا قول يرده معتقد اهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق ان العاصي التارك للفرائض اذا ذكر الله وقال كلاما طيبا فانه مكتوب له متقبل منه وله حسناته وعليه سيئاته والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك وايضا فان الكلام الطيب عمل صالح وانما يستقيم قول من يقول ان العمل هو الرافع للكلم بان يتاول انه يزيده في رفعه وحسن موقعه اذا تعاضد معه كما ان صاحب الاعمال من صلاة وصيام وغيره لك اذا تخلل اعماله كلم طيب وذكر الله تعالى كانت الاعمال اشرف فيكون قوله والعمل الصالح يرفعه موعظة وتذكرة وحضا على الاعمال واما الاقوال التي هي اعمال في نفوسها كالتوحيد والتسبيح فمقبوله قال ابن العربي ان كلام المرء بذكر الله ان لم يقترن به عمل صالح لم ينفع لان من خالف قوله فعله فهو وبال عليه وتحقيق هذا ان العمل اذا وقع شرطا في قبول القول او مرتبطا فانه لا قبول له الا به وان لم يكن شرطا فيه فان كلمه الطيب يكتب له وعمله السئ يكتب عليه وتقع الموازنة بينهما ثم يحكم الله بالفوز والربح والخسران قال الشيخ رحمه الله ما قاله ابن العربي تحقيق والظاهر ان العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب وقد جاء في الاثار ان العبد اذا قال لا اله الا الله بنية صادقة نظرت الملائكة الى عمله فان كان العمل موافقا لقوله صعدا جميعا وان كان عمله مخالفا لقوله وقف قوله حتى يتوب من عمله فعلى هذا العمل الصالح يرفع الكلم الطيب الى الله والكناية في يرفعه ترجع الى الكلم الطيب وهذا قول ابن عباس وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وابي العالية والضحاك وعلى ان الكلم الطيب هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح لانه لا يقبل العمل الصالح الا مع الايمان والتوحيد اى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالكناية تعود على العمل الصالح وروي هذا القول عن شهر بن حوشب قال الكلم الطيب القران والعمل الصالح يرفعه الله على الكلم الطيب لان العمل تحقيق الكلم والعامل اكثر تعبا من القائل وهذا هو حقيقة الكلام لان الله هو الرافع الخافض والثاني والاول مجاز ولكنه سائغ جائز قال النحاس القول الاول اولاها واصحها لعلو من قال به وانه في العربية اولى لان القراء على رفع العمل ولو كان المعنى والعمل الصالح يرفعه الله او العمل الصالح يرفع الكلم الطيب لكان الاختيار نصب العمل ولا نعلم

سم

القرآن وقيل تعود على الله جل وعز اي ان العمل الصالح يرفعه صح

فى الفلك الى البلدان البعيدة فى مدة قريبة كما تقدم فى البقرة وقيل ما تستخرج من حليته ويصاد
من حيتانه ولعلكم تشكرون على ما اكرمكم من فضله وقيل على ما انجاكم من هوله قوله تعالى يولج
الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى
ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ٥ يولج الليل
فى النهار ويولج النهار فى الليل تقدم فى آل عمران وغيرها وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى
تقدم فى لقمان بيانه ذلكم الله ربكم له الملك اى هذا الذى من صنعه ما تقرر هو الخالق المدبر والقادر
المقتدر فهو الذى يعبد والذين تدعون من دونه يعنى الاصنام ما يملكون من قطمير اى لا يقدرون عليه
ولا على خلقه والقطمير القشرة الرقيقة البيضا التى بين التمرة والنواة قاله اكثر المفسرين وقال ابن
عباس هو شق النواة وهو اختيار المبرد وقاله قتادة وعن قتادة ايضا ان القطمير القمع الذى على رأس
النواة الجوهرى ويقال هى النكتة البيضاء التى فى ظهر النواة تنبت منها النخلة قوله تعالى ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ولا ينبئك مثل خبير ٥ اى ان
تستغيثوا بهم فى النوائب لا يسمعوا دعاءكم لانها جمادات لا تبصر ولا تسمع ولو سمعوا ما استجابوا
لكم اذ ليس كل سامع ناطقا وقال قتادة المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم وقيل اى لو جعلنا لهم عقولا وحياة
فسمعوا دعاءكم لكانوا اطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على الكفر ويوم القيامة يكفرون بشرككم اى يجحدون
انكم عبدتموهم وتبترون منكم ثم يجوز ان يرجع هذا الى المعبودين مما يعقل كالملائكة والجن والانبيا والاوليا
والشياطين اى يجحدون ان يكون ما فعلتموه حقا وانهم امروكم بعبادتهم كما اخبر عن عيسى بقوله ما يكون
لى ان اقول ما ليس لى بحق ويجوز ان تندرج فيه الاصنام ايضا اى يحييها الله حتى تخبر بانها ليست اهلا
للعبادة ولا ينبئك مثل خبير هو الله جل وعز اى لا احد اخبر بخلق الله من الله فلا ينبئك مثله فى علمه
قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ٥ يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله اى المحتاجون اليه فى بقائكم وكل احوالكم الزمخشرى فان قلت لم عرف الفقراء قلت
قصد بذلك ان يريهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه
من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله
سبحانه على الانسان بالضعف فى قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذى خلقكم من ضعف
ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد قلت لما اثبت
فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان الغنى جوادا منعما واذا جاد وانعم
حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم
عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه وتخفيف الهمزة الثانية اجود الوجوه عند الخليل ويجوز
تخفيف الاولى وحدها وتخفيفهما وتحقيقهما جميعا والله هو الغنى الحميد يكون هو زايدة فلا يكون
لها موضع من الاعراب ويكون مبتداء فيكون موضعها رفعا قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ٥ ان يشأ يذهبكم فيه حذف المعنى ان يشأ ان يذهبكم يذهبكم
اى يفنيكم ويأت بخلق جديد اى اطوع منكم وازكى وما ذلك على الله بعزيز اى ممتنع عسير متعذر وقد مضى

ويوم القيمة يكفرون بشرككم صح

الى الله صح

هذا فى ابرهيم قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها
لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا
الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير ٥ ولا تزر وازرة وزر
اخرى تقدم الكلام فيه وهو مقطوع مما قبله والاصل توزر حذفت الواو اتباعا ليزر ووازرة
نعت لمحذوف اى نفس وازرة وكذا وان تدع مثقلة قال الفرا اى نفس مثقلة او دابة قال
وهذا يقع للمذكر والمؤنث قال الاخفش اى وان تدع مثقلة انسانا الى حملها وهو ذنوبها والحمل
ما كان على الظهر والحمل حمل المرأة وحمل النخلة حكاهما الكسائى بالفتح لا غير وحكى ابن السكيت
ان حمل النخلة يفتح ويكسر لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى التقدير على قول الاخفش ولو كان الانسان المدعو
ذا قربى واجاز الفرا ولو كان ذو قربى وهذا جائز عند سيبويه ومثله وان كان ذو عسرة فيكون كان
بمعنى وقع او يكون الخبر محذوفا اى وان كان فيمن يطالبون ذو عسرة وحكى سيبويه الناس مجزيون
باعمالهم ان خيرا فخير على هذا وخيرا فخيرا على الاول وروى عن عكرمة انه قال بلغنى ان اليهودى و
النصرانى يرى الرجل المسلم يوم القيامة فيقول له الم اكن قد اسديت اليك يدا الم اكن قد احسنت اليك
فيقول بلى فيقول انفعنى فلا يزال المسلم يسأل الله تعالى حتى ينقص من عذابه وان الرجل ليأتى الى
ابنه يوم القيامة فيقول الم اكن بك بارا وعليك مشفقا واليك محسنا وانت ترى ما انا فيه فهب
لى حسنة من حسناتك او احمل عنى سيئة فيقول ان الذى سألتنى ليسير ولاكنى اخاف مثل ما تخاف
وان الاب ليقول لابنه مثل ذلك فيرد عليه نحو من هذا وان الرجل ليقول لزوجته الم اكن احسن
العشرة لك فاحملى عنى خطيئته لعلى انجو فيقول ان ذلك ليسير ولاكنى اخاف مما تخاف منه ثم تلى
عكرمة وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى وقال الفضيل ابن عياض هى المرأة
تلقى ولدها فتقول يا بنى الم يكن بطنى لك وعاء الم يكن حجرى لك وطاء الم يكن يدى لك سقاء فيقول
بلى يا اماه فيقول يا بنى قد اثقلتنى ذنوبى فاحمل عنى منها ذنبا واحدا فيقول اليك عنى يا اماه
فانى بذنبى عنك مشغول انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اى انما تقبل انذارك من يخشى عقاب
الله وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه
اى ومن اهتدى فانما يهتدى لنفسه وتزكى من ازكى فانما يزكى لنفسه والى الله المصير اى اليه مرجع
جميع الخلق قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور
ان انت الا نذير ٥ وما يستوى الاعمى والبصير اى الكافر والمؤمن والجاهل والعالم مثل قل لا
يستوى الخبيث والطيب ولا الظلمات ولا النور قال الاخفش سعيد لا زائدة والمعنى ولا الظلمات
والنور ولا الظل والحرور قال الاخفش والحرور لا يكون الا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل
وقيل عكسه وقال رؤبة بن العجاج الحرور يكون بالليل خاصة والسموم يكون بالنهار خاصة حكاه المهدوى
وقال الفرا السموم لا يكون الا بالنهار والحرور يكون فيهما النحاس وهذا اصح لان الحرور فعول من الحر
وفيه معنى التكثير اى الحر المؤذى قال الشيخ رحمه الله وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله

ولا النور صح

فى الفلك الى البلدان البعيدة فى مدة قريبة كما تقدم فى البقرة وقيل ما تستخرج من حليته ويصاد
من حيتانه ولعلكم تشكرون على ما اتاكم من فضله وقيل على ما انجاكم من هوله قوله تعالى يولج
اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝ يولج الليل
فى النهار ويولج النهار فى الليل تقدم فى آل عمران وغيرها وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى
تقدم فى لقمان بيانه ذلكم الله ربكم له الملك اى هذا الذى من صنعه ما تقرر هو الخالق المدبر والقادر
المقتدر فهو الذى يعبد والذين تدعون من دونه يعنى الاصنام ما يملكون من قطمير اى لا يقدرون عليه
ولا على خلقه والقطمير القشرة الرقيقة البيضا التى بين التمرة والنواة قاله اكثر المفسرين وقال ابن
عباس هو شق النواة وهو اختيار المبرد وقاله قتادة وعن قتادة ايضا ان القطمير القمع الذى على رأس
النواة الجوهرى ويقال هى النكتة البيضاء التى فى ظهر النواة تنبت منها النخلة قوله تعالى إِنْ
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ اى ان
تستغيثوا بهم فى النوائب لا يسمعوا دعاءكم لانها جمادات لا تبصر ولا تسمع ولو سمعوا ما استجابوا
لكم اذ ليس كل سامع ناطقا وقال قتادة المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم وقيل اى لو جعلنا لهم عقولا وحياة
فسمعوا دعاءكم لكانوا اطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على الكفر ويوم القيامة يكفرون بشرككم اى يجحدون
انكم عبدتموهم وتبترون منكم ثم يجوز ان يرجع هذا الى المعبودين مما يعقل كالملائكة والجن والانبيا والاوليا
والشياطين اى يجحدون ان يكون ما فعلتموه حقا وانهم امروكم بعبادتهم كما اخبر عن عيسى بقوله ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق ويجوز ان تندرج فيه الاصنام ايضا اى يحييها الله حتى تخبر بانها ليست اهلا
للعبادة ولا ينبئك مثل خبير هو الله جل وعز اى لا احد اخبر بخلق الله من الله فلا ينبئك مثله فى علمه
قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله اى المحتاجون اليه فى بقائكم وكل احوالكم الزمخشري فان قلت لم عرف الفقراء قلت
قصد بذلك ان يريهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه
من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله
سبحانه على الانسان بالضعف فى قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف
ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء فان قلت قد قوبل الفقراء بالغنى فما فائدة الحميد قلت لما اثبت
فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان الغنى جوادا منعما واذا جاد وانعم
حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم
عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه وتخفيف الهمزة الثانية اجود الوجوه عند الخليل ويجوز
تخفيف الاولى وحدها وتخفيفهما وتحقيقهما جميعا والله هو الغنى الحميد يكون هو زائدة فلا يكون
لها موضع من الاعراب ويكون مبتداء فيكون موضعها رفعا قوله تعالى إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝ ان يشاء يذهبكم فيه حذف المعنى ان يشاء يذهبكم يذهبكم
اى يفنيكم ويأت بخلق جديد اي اطوع منكم وازكى وما ذلك على الله بعزيز اى ممتنع عسر متعذر وقد مضى

وبوم القيمه يكفرون بشركم صح

الى الله صح

هذا

هذا فى ابرهيم قوله تعالى وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا
لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ ولا تزر وازرة وزر
اخرى تقدم الكلام فيه وهو مقطوع مما قبله والاصل توزر حذفت الواو اتباعا ليزر ووازرة
نعت لمحذوف اي نفس وازرة وكذا وان تدع مثقلة قال الفرا اى نفس مثقلة او دابة قال
وهذا يقع للمذكر والمونث قال الاخفش اى وان تدع مثقلة انسانا الى حملها وهو ذنوبها والحمل
ما كان على الظهر والحمل حمل المرأة وحمل النخلة حكاهما الكسائي بالفتح لا غير وحكى ابن السكيت
ان حمل النخلة يفتح ويكسر لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى التقدير على قول الاخفش ولو كان الانسان المدعو
ذا قربى واجاز الفرا ولو كان ذو قربى وهذا جائز عند سيبويه ومثله وان كان ذو عسرة فيكون كان
بمعنى وقع او يكون الخبر محذوفا اى وان كان فيمن يطالبون ذو عسرة وحكى سيبويه الناس مجزيون
باعمالهم ان خير فخير على هذا وخيرا فخيرا على الاول وروي عن عكرمة انه قال بلغني ان اليهودي و
النصراني يرى الرجل المسلم يوم القيامة فيقول له الم اكن قد اسديت اليك يدا الم اكن قد احسنت اليك
فيقول بلى فيقول انفعني فلا يزال المسلم يسال الله تعالى حتى ينقص من عذابه وان الرجل ليأتي الى
ابيه يوم القيامة فيقول الم اكن بك بارا وعليك مشفقا واليك محسنا وانت ترى ما انا فيه فهب
لى حسنة من حسناتك او احمل عنى سيئة فيقول ان الذي سالتني ليسير ولكني اخاف مثل ما تخاف
وان الاب ليقول لابنه مثل ذلك فيرد عليه نحوا من هذا وان الرجل ليقول لزوجته الم اكن احسن
العشرة لك فاحملي عنى خطيئة لعلي انجو فيقول ان ذلك ليسير ولكني اخاف مما تخاف منه ثم تلا
عكرمة وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقال الفضيل ابن عياض هى المرأة
تلقى ولدها فتقول يا بني الم يكن بطني لك وعاء الم يكن حجرى لك وطاء الم يكن يدى لك سقاء فيقول
بلى يا اماه فتقول يا بني قد اثقلتني ذنوبي فاحمل عنى منها ذنبا واحدا فيقول اليك عنى يا اماه
فاني بذنبي عنك مشغول انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اى انما تقبل انذارك من يخشى عقاب
الله وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه
اى ومن اهتدى فانما يهتدى لنفسه وقرئ من ازكى فانما يزكى لنفسه والى الله المصير اي اليه مرجع
جميع الخلق قوله تعالى وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۝ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ
وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ
إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝ وما يستوى الاعمى والبصير اي الكافر والمومن والجاهل والعالم مثل قل لا
يستوى الخبيث والطيب ولا الظلمات ولا النور قال الاخفش سعيد لا زائدة والمعنى ولا الظلمات
والنور ولا الظل والحرور قال الاخفش والحرور لا يكون الا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل
وقيل عكسه وقال روبة بن العجاج الحرور يكون بالليل خاصة والسموم يكون بالنهار خاصة حكاه المهدوي
وقال الفرا السموم لا يكون الا بالنهار والحرور يكون فيهما النحاس وهذا اصح لان الحرور فعول من الحر
وفيه معنى التكثير اي الحر المودي قال الشيخ رحمه الله وفى صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله

ولا النور صح

عليه وسلم قال قالت النار رب اكل بعضي بعضا فاذن لي اتنفس فاذن لها بنفسين نفس في الشتا
ونفس في الصيف فما وجدتم من برد او زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر او حرور فمن نفس
جهنم وروي من حديث الزهري عن سعيد عن ابي هريرة فما تجدون من الحر من سمومها وشدة ما
تجدون من البرد من زمهريرها وهذا يجمع تلك الاقوال وان السموم والحرور يكونان بالليل والنهار
فتامله وقيل المراد بالظل والحرور الجنة والنار فالجنة ذات ظل دايم كما قال تعالى اكلها دايم وظلها
والنار ذات حرور قال معناه السدي وقال ابن عباس اي ظل الليل وحر السموم بالنهار وقطرب
الحرور الحر والظل البرد وما يستوي الاحياء ولا الاموات قال ابن قتيبة الاحياء العقلاء ولا
الاموات الجهال قتادة كلها امثال اي كما لا يستوي هذه الاشياء كذلك لا يستوي الكافر والمومن
ان الله يسمع من يشاء اي يسمع اولياءه الذين خلقهم لجنته وما انت بمسمع من في القبور اي الكافر الذين
اماتهم الكفر قلوبهم اي كما لا يسمع من مات كذلك لا يسمع من مات قلبه وقراء الحسن وعيسى الثقفي وعمرو
ابن ميمون بمسمع من في القبور بحذف التنوين تخفيفا اي هم بمنزلة المقبور في انهم لا ينتفعون بما يسمعونه
ولا يقبلونه قوله تعالى ان انت الا نذير اي رسول منذر فليس عليك الا التبليغ ليس لك من الهدى
شيء انما الهدى بيد الله جل وعز قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة
الا خلا فيها نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالجنة اهل طاعته ونذيرا بالنار
اهل معصيته وان من امة الا خلا فيها نذير اي سلف فيها نبي قال ابن جريج الا العرب قوله تعالى
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير وان يكذبوك يعني كفار قريش
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم انبياؤهم يسلي رسوله صلى الله عليه وسلم جاءتهم رسلهم بالبينات
اي بالمعجزات الظاهرات والشرايع الواضحات وبالزبر اي الكتب المكتوبة وبالكتاب المنير الواضح
وكرر الزبر والكتاب وهما واحد لاختلاف اللفظين وقيل يرجع البينات والزبر والكتاب الى معنى واحد
وهو ما انزل على الانبياء من الكتب ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي كيف كان عقوبتي لهم واثبت
ورش عن نافع ويعقوب الياء في نكيري حيث وقعت في الوصل دون الوقف واثبتها يعقوب في الحالين
وحذفها الباقون في الحالين وقد مضى هذا كله والحمد لله قوله تعالى الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرابيب سود هذه الاية رؤية القلب والعلم اي الم ينته علمك ورايت بقلبك ان الله انزل فان
فان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي الروية فاخرجنا به ثمرات هو من باب تلوين الخطاب مختلفا
الوانها نصبت مختلفا نعتا لثمرات الوانها رفع بمختلف وصلح ان يكون نعتا لثمرات لما عاد عليه من ذكره
ويجوز في غير القرآن رفعه ومثله رايت رجلا خارجا ابوه به اي بالماء وهو واحد والثمرات مختلفة ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها الجدد جمع جدة وهي الطرايق المختلفة الالوان وان كان الجميع جمرا او ترابا
قال الاخفش ولو كان جمع جديد لقال جدد بضم الجيم والدال نحو سرير وسرر وقال زهير

كانه اسفع الخدين ذو جدد طاو ويرتع بعد الصيف عريانا

وقيل ان الجدد القطع ماخوذ من جددت الشيء اذا قطعته حكاه ابن بحر قال الجوهري والجدة الخطة التي
في ظهر الحمار تخالف لونه والجدة الطريقة والجمع جدد وقال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف
الوانها اي طرايق تخالف لون الجبل ومنه قولهم ركب فلان جدة من الامر اذا راى فيه رايا وكساء
مجدد فيه خطوط مختلفة الزمخشري وقراء الزهري جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة
وجدد وجدايد كسفينة وسفاين وسفن وقد فسر بها قول ابي ذويب

جون السراة له جدايد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع
الطرايق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض ومن الناس والدواب وقرئ من الدواب مخففا
ونظير هذا التخفيف قراءة من قراء ولا الضالين لان كل واحد منهما فر من التقاء الساكنين فحرك ذلك
اولهما وحذف هذا اخرهما قاله الزمخشري والانعام مختلف الوانه اي فيهم الاحمر والابيض والاسود
وغير ذلك وكل ذلك دليل على صانع مختار وقال مختلف الوانه فذكر الضمير مراعاة لمن قاله المورج وقال
ابو بكر بن عياش انما ذكر الكناية لاجل انها مردودة الى الاجل ما مضمرة مجازه ومن الناس ومن الدواب
ومن الانعام ما هو مختلف الوانه اي ابيض واحمر واسود وغرابيب سود قال ابو عبيدة
الغربيب الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتاخير والمعنى ومن الجبال سود غرابيب والعرب تقول
للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب اسود غربيب قال الجوهري وتقول هذا اسود غربيب اي شديد
السواد واذا قلت غرابيب سود تجعل السود بدلا من غرابيب لان توكيد الالوان لا يتقدم وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشيخ الغربيب يعني الذي يخضب بالسواد قال امرؤ القيس

العين طامحة واليد سابحة والرجل لايحة والوجه غربيب

وقال آخر يصف كرما ومن تعاجيب خلق الله غاطية يعصر منها ملاحي وغربيب

كذلك هنا تمام الكلام اي كذلك تختلف احوال العباد في الخشية ثم استانف فقال انما يخشى الله من
عباده العلماء يعني بالعلماء الذين يخافون قدرته فمن علم انه جل وعز قدير ايقن بمعاقبته على المعصية
كما روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس انما يخشى الله من عباده العلماء قال الذين علموا ان الله على كل شيء قدير
وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وقال مجاهد انما العالم من خشي الله عز وجل وعن ابن مسعود
كفى بخشية الله علما وبالاغترار جهلا وقيل لسعد بن ابراهيم من افقه اهل المدينة قال اتقاهم لله عز وجل
وعن مجاهد قال انما الفقيه من يخاف الله وعن علي رضي الله عنه قال ان الفقيه حق الفقيه من لم يقنط
الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يومنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه
الى غيره انه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فقه فيه ولا قراءة لا تدبر فيها واسند الدارمي ابو محمد
عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم تلا هذه
الاية انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله وملايكته واهل سمواته وارضيه والنون في البحر يصلون
على الذين يعلمون الناس الخير الخبر مرسل قال الدارمي وحدثنا ابو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن يزيد
ابن حازم قال حدثني عمي جرير بن يزيد انه سمع تبيعا يحدث عن كعب قال اني لاجد نعت قوم يتعلمون لغير
العمل ويتفقهون لغير العبادة ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون جلود الضان قلوبهم امر من الصبر

فتى يعترون ابا بي تحادعون فبي حلفت لاتيحن لهم فتنة تدد الحليم فيها حيرانا خرجه الترمذي مرفوعا
من حديث ابي الدرداء وقد كتبناه في مقدمة الكتاب والحمد لله الزمخشري فان قلت فما وجه قراءة
من قرا انما يخشى الله بالرفع من عباده العلماء بالنصب وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي حنيفة
قلت الخشية في هذه القراة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين
الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة
وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب والمثيب حقه ان يخشى قوله تعالى ان
الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون
تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور هذه اية
القرا العاملين العالمين الذين يقيمون الصلوة الفرض والنفل وكذا في الانفاق وقد مضى في
مقدمة ما ينبغي ان يتخلق به قارئ القران يرجون تجارة لن تبور قال احمد بن يحيى خبر ان يرجون
ويزيدهم من فضله قيل الزيادة الشفاعة في الاخرة وهذا مثل الاية الاخرى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى قوله ويزيدهم من فضله وقوله في آخر النساء واما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وهناك بيناه انه غفور شكور يقبل القليل
من العمل الخالص ويثيب عليه الجزيل من الثواب قوله تعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب
هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير والذي اوحينا اليك من
الكتاب يعني القران هو الحق مصدقا لما بين يديه اي من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير
قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن
يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله
لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب فيه اربع مسايل الاولى هذه الاية مشكلة
لانه قال جل وعز اصطفينا من عبادنا ثم قال فمنهم ظالم لنفسه وقد تكلم العلماء فيها من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم قال النحاس فمن اصح ما روي في ذلك ما روي عن ابن عباس فمنهم ظالم
لنفسه قال الكافر رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطا عن ابن عباس وعن ابن عباس
ايضا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال نجت فرقتان ويكون
التقدير في العربية فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه اي كافر وقال الحسن اي فاسق ويكون الضمير
الذي يدخلونها يعود على المقتصد والسابق لا على الظالم وعن عكرمة وقتادة والضحاك و
الفراء ان المقتصد المومن العاصي والسابق التقي على الاطلاق قالوا وهذه الاية نظير قوله في سورة
الواقعة وكنتم ازواجا ثلاثة الاية قالوا وبعد ان يكون ممن يصطفى ظالم ورواه مجاهد عن ابن
عباس قال مجاهد فمنهم ظالم لنفسه اصحاب المشامة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق
بالخيرات السابقون من الناس كلهم وقيل الضمير في يدخلونها يعود على الثلاثة الاصناف على ان لا يكون

الظالم ههنا كافرا ولا فاسقا وممن روى عنه هذا القول عمر وعثمان وابو الدرداء وابن
مسعود وعقبة بن عمرو وعايشة والتقدير على هذا القول ان يكون الظالم لنفسه الذي عمل
الصغائر والمقتصد قال محمد بن يزيد هو الذي يعطي الدنيا حقها والاخرة حقها فيكون جنات
عدن يدخلونها عايدا على الجميع على هذا الشرح والتبيين وروي عن ابي سعيد الخدري وقال
كعب الاحبار استوت مناكبهم ورب الكعبة وتفاضلوا باعمالهم وقال ابو اسحاق السبيعي اما
الذي سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج وروي اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه
الاية وقال كلهم في الجنة وقرا عمر بن الخطاب هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا
سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فعلى هذا القول يقدر مفعول الاصطفا من قوله اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا مضافا حذف كما حذف المضاف في واسال القرية اي اصطفينا دينهم
فحذف العائد الى الموصول كما حذف في قوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي تزدريهم فالاصطفا
اذا موجه الى دينهم كما قال تعالى ان الله اصطفى لكم الدين قال النحاس وقول ثالث يكون الظالم
صاحب الكبائر والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سياته فيكون جنات عدن يدخلو[نها]
للذين سبقوا بالخيرات لا غير وهذا قول جماعة من اهل النظر لان الضمير في حقيقة النظر لما
يليه اولى قال الشيخ رحمه الله القول الوسط اولاها واصحها ان شاء الله لان الكافر والمنافق
لم يصطفوا بحمد الله ولا اصطفي دينهم وهو قول ستة من الصحابة وحسبك وسنزيده بيانا وايضاحا
في باقي الاية الثانية قوله تعالى اورثنا الكتاب اي اعطيناه والميراث عطا حقيقة او مجازا فانه
يقال فيما صار للانسان بعد موت آخر والكتاب ههنا يريد به معاني الكتاب وعلمه واحكامه وعقايده
وكان الله تعالى لما اعطى امة محمد عليه السلام القران وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة فكانه ورث
امة محمد عليه السلام الكتاب الذي كان في الامم قبلنا اصطفينا اي اخترنا واشتقاقه من الصفو
هو الخلوص من شوائب الكدر واصله اصتفونا فابدلت التاء طاء والواو ياء من عبادنا قيل المراد
امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره وكان اللفظ يحتمل جميع المومنين من كل امة الا ان
عبارة توريث الكتاب لم يكن الا لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاول لم يرثوه وقيل المصطفون الانبيا
توارثوا الكتاب بمعنى انه انتقل عن بعضهم الى آخر قال الله تعالى وورث سليمان داود وقال يرثني
ويرث من آل يعقوب فاذا جاز ان تكون النبوة موروثة فكذلك الكتاب فمنهم ظالم لنفسه من وقع في
صغيرة قال ابن عطية وهذا قول مردود من غير ما وجه قال الضحاك معنى فمنهم ظالم لنفسه اي من ذريتهم
ظالم لنفسه وهو المشرك الحسن من امتهم على ما تقدم ذكره من الخلاف في الظالم والاية في امة محمد
صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت عبارات ارباب القلوب في الظالم والمقتصد والسابق فقال
سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري الظالم
الذاكر الله بلسانه فقط والمقتصد الذاكر بقلبه والسابق الذي لا ينساه وقال الانطاكي الظالم
صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وقال ابن عطا الظالم الذي
يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل العقبى والسابق الذي اسقط مراده بمراد

الحق وقيل الظالم الذى يعبد الله خوفًا من النار والمقتصد الذى يعبد الله طمعًا في الجنة والسابق الذى يعبده لوجهه لا لسبب وقيل الظالم الزاهد في الدنيا لانه ظلم نفسه فترك لها حظها وهي المعرفة والمحبة والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل الظالم الذي يجزع عند البلا والمقتصد الصابر على البلا والسابق المتلذذ بالبلا وقيل الظالم الذي يعبد الله على الغفلة والعادة والمقتصد الذى يعبده على الرغبة والرهبة والسابق الذى يعبده على الهيبة وقيل الظالم الذي اعطى فمنع والمقتصد الذي اعطى فبذل والسابق الذى منع فشكر فآثر يروى ان عابد بن النقيا فقال كيف احوال اخوانكم بالبصرة قال بخير ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ عبادنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا وقيل الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل الظالم التالى للقرآن ولا يعمل به والمقتصد التالي للقرآن ويعمل به والسابق القارئ للقرآن العامل به والعالم به وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل تاذين المؤذن والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد اذن والظالم الذى يدخل المسجد وقد اقيمت الصلاة لانه ظلم نفسه الاجر فلم يحصل لها ما حصله غيره وقال بعض اهل العلم في هذا بل السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك الفضيلتين والمقتصد الذى ان فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت الوقت والجماعة فهو اولى بالظلم وقيل الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذى يحب دينه والسابق الذى يحب ربه وقيل الظالم الذي ينتصف ولا ينصف والمقتصد الذى ينتصف وينصف والسابق الذى ينصف ولا ينتصف وقالت عايشة رضى الله عنها السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد من اسلم بعد الهجرة والظالم من لم يسلم الا بالسيف وهم كلهم مغفور لهم قال الشيخ رحمه الله ذكر هذه الاقوال وزيادة عليها الثعلبي فى تفسيره وبالجملة فهما طرفان وواسطة وهو المقتصد اللازم للقصد وهو ترك الميل ومنه قول جابر بن جني التغلبي

تعاطى الملوك السلم ما قصدوا لنا ... وليس علينا قتلهم بمحرم

اى يعاطيهم الصلح ما ركبوا بنا القصد اى ما لم يجوزوا وليس قتلهم بمحرم علينا ان جاروا فلذلك كان المقتصد منزلة بين المنزلتين فهو فوق الظالم لنفسه ودون السابق بالخيرات ذلك هو الفضل الكبير وقيل وعد الجنة يعنى ايتاننا الكتاب لهم وقيل ذلك الاصطفا مع علمنا بعيوبهم هو الفضل الكبير وقيل وعد الجنة لها ولا الثلاثة فضل كبير الثالثة وتكلم الناس في تقديم الظالم على المقتصد والسابق فقيل التقديم في الذكر لا يقتضى تشريفا كقوله تعالى لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة وقيل قدم الظالم لكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل ذكره الزمخشري لم يذكر غيره وقيل قدم الظالم لتاكيد الرجا فى حقه اذ ليس له شئ يتكل عليه الا رحمة ربه واتكل المقتصد على حسن ظنه والسابق اتكل على طاعته وقيل قدم الظالم لئلا ييئس من رحمة الله واخر السابق لئلا يعجب بعمله وقال جعفر بن محمد بن على الصادق رضى الله عنهم قدم الظالم ليخبر انه لا يتقرب اليه الا بصرف رحمته وكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفائية اذا كانت ثم عناية ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجا ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكر الله وكلهم في الجنة

بحرمة

بحرمة كلمة الاخلاص لا اله الا الله محمد رسول الله وقال محمد بن على الترمذي جمعهم في الاصطفا ازالة للعلل عن العطا لان الاصطفا يوجب الارث لا الارث يوجب الاصطفا ولذلك قيل في الحكمة صحح النسبة ثم ادعى فى الميراث وقيل اخر السابق ليكون اقرب الى الجنات والثواب كما قدم الصوامع والبيع فى سورة الحج على المساجد ليكون الصوامع اقرب الى الهدم والخراب ويكون المساجد اقرب الى ذكر الله وقيل ان الملوك اذا ارادوا الجمع بين الاشياء بالذكر قدموا الادنى كقوله لشديد العقاب وانه لغفور رحيم وقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقوله لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة قال الشيخ رحمه الله ولقد احسن من قال

وغاية هذا الجود انت وانما ... يوافى الى الغايات في آخر الامر

الرابعة قوله تعالى جنات عدن يدخلونها جمعهم في الدخول لانه ميراث والعاق والبار في الميراث سواء اذا كانوا معترفين بالنسب فالعاصى والمطيع مقرين بالرب وقرى جنة عدن على الافراد كانها جنة مختصة بالسابقين لقلتهم على ما تقدم وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اى يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذا للجميع وهو الصحيح ان شاء الله وقرا ابو عمرو ويدخلونها بضم الياء وفتح الخاء قال لقوله يحلون وقد مضى في الحج الكلام فى قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن قال ابو ثابت دخل رجل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحدتي ويسر لي جليسا صالحا فقال ابو الدردا لئن كنت صادقا فلانا اسعد بذلك منك سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال فيجئ هذا السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ويوبخ ويقرع ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وفى لفظ آخر واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين يتلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الى قوله ولا يمسنا فيها لغوب وقيل هو الذى يوخذ منه فى مقامه يعنى يكفر عنه بما يصيبه من الهم والحزن ومنه قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به يعنى في الدنيا قال الثعلبي وهذا التاويل اشبه بالظاهر لانه قال جنات عدن يدخلونها ولقوله الذين اصطفينا من عبادنا والكافر والمنافق لم يصطفوا قال الشيخ رحمه الله وهذا هو الصحيح وقد قال صلى الله عليه وسلم ومثل المنافق الذى يقرا القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر فاخبر ان المنافق يقروه واخبر الحق سبحانه بان المنافق في الدرك الاسفل من النار وكثير من الكفار اليهود والنصارى يقرونه فى زماننا هذا وقال مالك قد يقرا القرآن من لا خير فيه والنصب التعب واللغوب الاعيا قوله تعالى وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ لما ذكر اهل

الجنة واحوالهم ومقالتهم ذكر اهل النار واحوالهم ومقالتهم لا يقضى عليهم فيموتوا مثل لا يموت فيها ولا يحيى ولا يخفف عنهم من عذابها مثل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب كذلك نجزى كل كفور اي كافر بالله ورسوله وقراء الحسن فيموتون بالنون ولا يكون للنفي حينئذ جواب ويكون فيموتون عطفا على يقضى تقديره ولا يقضى عليهم ولا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون قال الكسائى ولا يؤذن لهم فيعتذرون بالنون فى المصحف لانه راس آية ولا يقضى عليهم فيموتوا لانه ليس راس آية ويجوز فى كل واحد منهما ما جاز فى صاحبه وهم يصطرخون فيها اى يستغيثون فى النار بالصوت العالى والصراخ الصوت العالى والصارخ المستغيث والمصرخ المغيث قال

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ❊ كان الصراخ له قرع الظنابيب

ربنا اخرجنا اى يقولون ربنا اخرجنا من جهنم وردنا الى الدنيا نعمل صالحا قال ابن عباس نقل لا اله الا الله ومعنى قولهم غير الذي كنا نعمل اى من الشرك اى نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية ونمتثل امر الرسل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر هذا جواب دعائهم اى فيقال لهم فالقول مضمر وترجم البخارى باب من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله اليه فى العمر لقوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعنى الشيب حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا عمر بن على حدثنا معن ابن محمد الغفارى عن سعيد بن ابى سعيد المقبرى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرء اخر اجله حتى بلغ ستين سنة قال الخطابى اعذر اليه اي بلغ به اقصى العذر ومنه قولهم قد اعذر من انذر اى اقام عذر نفسه فى تقديم نذارته والمعنى ان من عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر لان الستين قريب من معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع وترقب المنية ولقاء الله تعالى ففيه اعذار بعد اعذار الاول بالنبى صلى الله عليه وسلم والمرتان فى الاربعين و الستين قال على وابن عباس وابو هريرة فى تاويل قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر انه ستون سنة وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى موعظته ولقد ابلغ فى الاعذار من تقدم فى الانذار وانه لينادى مناد من قبل الله تعالى ابناء الستين اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وذكر الترمذى الحكيم من حديث عطاء ابن ابى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نودى ابناء الستين وهو العمر الذى قال الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وعن ابن عباس ايضا انه اربعون سنة وعن الحسن البصري ومسروق مثله ولهذا القول ايضا وجه وهو صحيح والحجة له قوله جل وعز حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الاية ففى الاربعين تناهى العقل وما قبل ذلك وما بعده منتقص عنه والله اعلم وقال مالك ادركت اهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس حتى ياتى لاحدهم اربعون سنة فاذا اتت عليهم اعتزلوا الناس واشتغلوا بالقيامة حتى ياتيهم الموت وقد مضى هذا المعنى فى سورة الاعراف والحمد لله وخرج ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتى ما بين الستين الى السبعين واقلهم من تجاوز ذلك قوله تعالى وجاءكم النذير وقرئ وجاءتكم النذر واختلف فيه فقيل القرآن وقيل الرسول قاله زيد بن على وابن زيد وقال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين ابن الفضل والفراء والطبرى هو الشيب وقيل النذير الحمى وقيل الموت والاقارب وقيل كمال العقل والنذير بمعنى الانذار قال الشيخ رحمه الله فالشيب والحمى وانه الموت قال الازهرى معناه ان الحمى رسول الموت اي كانها تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه والشيب نذير ايضا لانه ياتى فى سن الاكتهال وهو علامة لمفارقة سن الصبى الذى هو سن اللهو واللعب قال

رايت الشيب من نذر المنايا ❊ لصاحبه وحسبك من نذير وقال آخر

فقلت لها المشيب نذير عمرى ❊ ولست مسودا وجه النذير واما موت الاهل والاقارب والاصحاب والاخوان فانذار بالرحيل فى كل وقت واوان وحين وزمان قال

اراك تخملهم ولست تردهم ❊ وكانى بك قد حملت فلم ترد وقال آخر

الموت فى كل حين ينشر الكفنا ❊ ونحن فى غفلة عما يراد بنا

واما كمال العقل فيه تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات فالعاقل يعمل لآخرته ويرغب فيما عند ربه فهو نذير واما محمد صلى الله عليه وسلم فبعثه الله عز وجل مبشرا ونذيرا الى عباده قطعا لحججهم قال الله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قوله تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير يريد عذاب جهنم لانكم ما اعتبرتم ولا اتعظتم فما للظالمين من نصير اى مانع من عذاب الله قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور تقدم معناه فى غير موضع والمعنى علم انه لو ردكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعالم اذا كان نعتا منونا يصلح ان يكون للماضى والمستقبل واذا كان منونا لم يجز ان يكون للماضى قوله تعالى هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم قال قتادة خلفا بعد خلف وقرنا بعد قرن والخلف هو التالى للمتقدم ولذلك قيل لابى بكر يا خليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله وانا راض بذلك فمن كفر فعليه كفره اي جزاء كفره وهو العقاب والعذاب ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي هلاكا وضلالا قوله تعالى قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ام آتيناهم شركاؤهم منصوب بالرؤية ولا يجوز رفعه وقد يجوز الرفع عند سيبويه فى قولهم قد علمت زيدا ابو من هو لان زيدا فى المعنى مستفهم عنه ولو قلت ارايت زيدا ابو من هو لم يجز الرفع والفرق بينهما ان معنى هذا اخبرنى عنه وكذا معنى هذا اخبرونى عن شركائكم الذين تدعون من دون الله اعبدتموهم لان لهم شركة فى خلق السموات ام خلقوا من الارض شيئا ام آتيناهم كتابا ام عندهم كتاب انزلناه اليهم بالشركة وكان فى هذا رد على من عبد غير الله جل وعلا لانهم لا يجدون فى كتاب من الكتب ان الله عز وجل امر ان يعبد غيره فهم على بينة منه قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم على بينة بالتوحيد

ومو‌ت الاهل كل انذار بالموت قال صلى الله عليه وسلم الحمى صح

الصدور

عند ربهم الا مقتا اي بغضا وغضبا ولا يزيد الكافرين كفرهم صح

كتابا فهم على بينات منه بل ان اي صح يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا صح

وجمع الباقون والمعنيان متقاربان الا ان قراة الجمع اولي لانه لا يخلو من قراة علي بينة
من ان يكون خلاف السواد الاعظم او يكون جابه علي لغة من قال جاني طلحة ووقف بالتاء
وهي لغة شاذة قليلة قاله النحاس وقال ابو حاتم وابو عبيد الله الجمع اولي لموافقته الخط لانها
في مصحف عثمن بينات بالالف والتا بل ان يعد الظالمون اي ما يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
اي اباطيل تغر وهو قول السادة للسفلة ان هذه الالهة تنفعكم وتقربكم وقيل ان الشيطان يعد
المشركين ذلك وقيل وعدهم بانهم ينصرون عليهم قوله تعالى ان الله يمسك السموات لعمـ
والارض ان تزولا ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان
حليما غفورا صح لما بين ان الهتهم لا تقدر علي خلق شي من السموات والارض بين ان خالقهما وممسكهما
هو الله فلا يوجد حادث الا بايجاده ولا يبقي الا بابقايه وان في موضع نصب بمعني كراهة ان
تزولا او لئلا تزولا او يحمل علي المعني لان المعني ان الله يمنع السموات والارض من ان تزولا
فلا حاجة علي هذا الي اضمار وهذا قول الزجاج ولين زالتا ان امسكهما من احد من بعده
قال الفراء اي ولو زالتا ما امسكهما من احد وان بمعني ما قال وهو مثل قوله ولين ارسلنا
ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وقيل المراد زوالهما يوم القيمة وعن ابراهيم
قال دخل رجل من اصحاب ابن مسعود الي كعب الاحبار يتعلم منه العلم فلما رجع قال له ابن
مسعود ما الذي اصبت من كعب قال سمعت كعبا يقول ان السماء تدور علي قطبه مثل قطبة
الدحا في عمود علي منكب ملك فقال له عبد الله وددت انك انقلبت براحلتك ورحلها كذب
كعب ما ترك يهوديته ان الله تعالي يقول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ان السموات لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال صح
لا تدور ولو كانت تدور لكانت قد زالت وعن ابن عباس نحوه وانه قال سمعته يقول ان السموات
علي منكب ملك قال كذب كعب ما ترك يهوديته بعد ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا و
والسموات سبع والارضون سبع ولاكن لما ذكرهما اجراهما مجري الشيين فعادت الكناية
اليهما وهو كقوله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم الاية بقوله ان الله كان
حليما غفورا لان المعني فيما ذكره بعض اهل التاويل ان الله يمسك السموات والارض ان ختم صح
تزولا من كفر الكافرين وقولهم اتخذ الله ولدا قال الكلبي لما قالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصاري المسيح ابن الله كادت السموات والارض ان تزولا عن امكنتهما فمنعهما الله وانزل
هذه الاية فيه وهو كقوله لقد جيتم شيا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الاية قوله تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن اهدي من احدي
الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ
هم قريش اقسموا قبل ان بعث الله رسولا محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم ان اهل الا باهله صح
الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم واقسموا بالله جل اسمه لين جاءهم
نذير اي نبي ليكونن اهدي من احدي الامم يعني ممن كذب الرسل من اهل الكتاب وكانت العرب
تمني ان يكون منهم رسولا كما كان الرسل من بني اسرائيل فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير

من انفسهم

من انفسهم نفروا عنه ولم يومنوا استكبارا اي عتوا عن الايمان ومكر السيئ اي
مكر العمل السيئ وهو الكفر وخدع الضعفا وصدهم عن الايمان ليكثروا اتباعهم
وانث من احدي الامم لتانيث امة قاله الاخفش وقرا حمزة والاعمش ومكر السيئ ولا
يحيق المكر السيئ بحذف الاعراب من الاول واثبته في الثاني قال الزجاج وهو لحن وانما صار
لحنا لانه حذف الاعراب منه وزعم المبرد انه لا يجوز في كلام ولا في شعر لان حركات
الاعراب لا يجوز حذفها لانها دخلت للفرق بين المعاني وقد اعظم بعض النحويين
ان يكون الاعمش علي جلالته ومحله يقرا بهذا قال انما كان يقف عليه فغلط من ادي عنه
والدليل علي هذا انه تمام الكلام وان الثاني لما لم يكن تمام الكلام اعرب باتفاق والحركة في
الثاني اثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين وقد احتج بعض النحويين لحمزة في هذا
بقول سيبويه وانه انشد هو وغيره اذا اعوججن قلت صاحب قوم وقال اخر
فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وهذا لا حجة فيه لان سيبويه لم يجزه
وانما حكاه عن بعض النحويين والحديث اذا قيل فيه عن بعض العلماء لم يكن فيه حجة
فكيف وانما جا به علي الشذوذ ولضرورة الشعر وقد خولف فيه وزعم الزجاج ان ابا
العباس انشده اذا اعوججن قلت صاح قوم وانه انشد فاليوم اشرب غير مستحقب
ذكر جميعه النحاس الزمخشري وقرا حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله
الحركات ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق المكر وقرا
ابن مسعود ومكرا سيئا قال المهدوي ومن سكن الهمزة من قوله ومكر السيئ فهو علي تقدير
الوقف عليه ثم اجري الوصل مجري الوقف او علي انه اسكن الهمزة لتوالي الكسرات والياءات
كما قال فاليوم اشرب غير مستحقب قال القشيري وقرا حمزة ومكر السيئ بسكون الهمزة
وخطاه اقوام وقال قوم لعله وقف عليه لانه تمام الكلام فغلط الراوي وروي ذلك عنه في
الادراج وقد سبق الكلام في امثال هذا وقلنا ما ثبت بالاستفاضة او التواتر ان النبي صلى
الله عليه وسلم قراه فلا بد من جوازه ولا يجوز ان يقال انه لحن ولعل مراد من صار الي
التخطية ان غيره افصح منه وان كان هو فصيحا ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اي لا ينزل عاقبة
الشرك الا بمن اشرك وقيل هذا اشارة الي قتلهم ببدر وقال الشاعر
وقد دفعوا المنية فاستقلت ذراعا بعد ما كانت تحيق اي تنزل وهذا قول قطرب وقال
الكلبي يحيق بمعني يحيط والحوق الاحاطة يقال حاق به كذا اي احاط به وعن ابن عباس ان كعبا
قال له اني اجد في التوراة من حفر لاخيه المسلم حفرة وقع فيها فقال ابن عباس فاني اوجدك
في القران ذلك قال ابن فقرا ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا
وقع فيه منكبا وروي الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تمكر ولا تعن ماكرا فان الله
يقول ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ولا تبغ ولا تعن باغيا فان الله تعالي يقول ومن نكث فانما ينكث
علي نفسه وقال انما بغيكم علي انفسكم وقال بعض الحكماء يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود

علي من ظلم • الى متى انت وحتى متى تحصي المصيبات وتنسى النعم • وفي الحديث المكر والخديعة
في النار فقوله في النار يعني في الاخرة يدخل اصحابها في النار لانها من اخلاق الكفار لا من
اخلاق المومنين الاخيار ولهذا قال عليه السلام في سياق هذا الحديث وليس من اخلاق المومن
المكر والخديعة والخيانة وفي هذا ابلغ تحذير عن التخلق بهذه الاخلاق الذميمة والخروج
عن اخلاق الايمان الكريمة قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد
لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة ١/ اي انما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الاولين
فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي اجرى الله العذاب على الكفار وجعل
ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه لا يقدر احد ان يبدل ذلك ولا ان يحول العذاب
عن نفسه الى غيره والسنة الطريقة والجمع سنن وقد مضى في ال عمران واضافها الى الله عز وجل
وقال في موضع اخر سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا فاضاف الى القوم لتعلق الامر بالجانبين
وهو كالاجل تارة يضاف الى الله وتارة الى القوم قال الله ان اجل الله لات وقال فاذا جاء اجلهم
قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ١/ بين السنة
التي ذكرها اي اولم يروا ما انزلنا بعاد وثمود وبمدين وامثالهم لما كذبوا الرسل فيتدبروا
ذلك بنظرهم الى مساكنهم ودورهم وبما سمعوا على التواتر مما حل بهم افليس فيه عبرة
وبيان لهم ليسوا خيرا من اوليك ولا اقوى بل كان اوليك اقوى دليله قوله وكانوا اشد منهم
قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض اي اذا اراد انزال عذاب بقوم لم يعجزه
ذلك انه كان عليما قديرا قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على
ظهرها من دابة ولكن يوخرهم ١/ يعني من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة قال
ابن مسعود يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام
قال الكلبي من دابة يريد الجن والانس دون غيرهما لانهما مكلفان بالعقل وقال ابن
جريج والاخفش والحسن ابن الفضل اراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم قال
الشيخ والاول اظهر لانه عن صحابي كبير قال ابن مسعود كاد الجعل ان يعذب في جحره بذنب
ابن ادم وقال يحيى ابن ابي كثير امر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر فقال له رجل عليك بنفسك
فان الظالم لا يضر الا نفسه فقال ابو هريرة كذب والله الذي لا اله الا هو ثم قال والذي
نفسي بيده ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال الثمالي ويحيى ابن سلام
في هذه الاية يحبس الله المطر فيهلك كل شي وقد مضى في البقرة نحو هذا عن عكرمه ومجاهد
في تفسير ويلعنهم اللاعنون هم الحشرات والبهايم يصيبهم الجدب بذنوب علما السو
الكاتمين فيلعنونهم وذكرنا هناك حديث البرا ابن عازب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله تعالى يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال دواب الارض ولكن يوخرهم
الى اجل مسمى قال مقاتل الاجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقال يحيى هو يوم القيامة

الله تحويلا صح

في السموات ولا في الارض

انه كان عليما قديرا صح

الى اجل مسمى صح

فان

فان الله كان بعباده اي بمن يستحق العقاب منهم بصيرا ولا يجوز ان يكون العامل في اذا بصيرا
كما لا يجوز اليوم ان زيدا خارج ولكن العامل فيها جاء لشبهها بحروف المجازاة والاسماء
التي يجازى بها يعمل فيها ما بعدها وسيبويه لا يرى المجازاة باذا الا في الشعر كما قال
اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب خطت

سورة يس وهي ثلاث وثمانون اية الا ان فرقة قالت ان قوله ونكتب ما قدموا واثارهم
نزلت في بني سلمة من الانصار حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم على ما ياتي وفي كتاب ابي داود عن معقل بن يسار قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا يس على موتاكم وذكر الاجري من حديث ام الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ميت يقرا عليه سورة يس الا هون عليه وفي
مسند الدارمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يس في ليلة
ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة خرجه ابو نعيم الحافظ ايضا وروى الترمذي عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي قلبا وقلب القران يس ومن قرا
يس كتب الله له بقراتها قراة القران عشر مرات قال هذا حديث غريب وفي اسناده هرون
ابو محمد شيخ مجهول وفي الباب عن ابي بكر الصديق ولا يصح حديث ابي بكر من قبل اسناده
واسناده ضعيف وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في القران لسورة
تشفع لقاريها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس تدعى في التوراة المعممة قيل يا رسول الله
وما المعممة قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه اهاويل الاخرة وتدعى الدافعة والقاضية
قيل يا رسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة ومن قراها عدلت
له عشرين حجة ومن سمعها كانت له كالف دينار تصدق بها في سبيل الله ومن كتبها وشربها
ادخلت جوفه الف دوا والف نور والف يقين والف رحمة والف رافة والف هدى ونزع
عنه كل دا وغل ذكره الثعلبي من حديث عايشة والترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث
ابي بكر الصديق مسندا وفي مسند الدارمي عن شهر بن حوشب قال قال ابن عباس من قرا يس
حين يصبح اعطي يسر يومه حتى يمسي ومن قراها في صدر ليلة اعطي يسر ليلته حتى يصبح وذكر النحاس
عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى قال لكل شي قلب وقلب القران يس ومن قراها نهارا كفي همه ومن
قراها ليلا غفر ذنبه وقال شهر بن حوشب يقرا اهل الجنة طه ويس فقط رفع هذه الاخبار الثلاثة
الماوردي فقال روى الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شي
قلبا وقلب القران يس ومن قراها في ليلة اعطي يسر تلك الليلة ومن قراها في يوم اعطي يسر ذلك اليوم
وان اهل الجنة يرفع عنهم القران فلا يقرون شيا الا طه ويس وقال يحيى بن ابي كثير بلغني انه من قرا
سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ومن قراها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني
من جربها ذكره الثعلبي وابن عطية قال ابن عطية ويصدق ذلك التجربة وذكر الترمذي الحكيم في
نوادر الاصول عن عبد الاعلى قال حدثنا محمد بن الصلت عن عمرو بن ثابت عن محمد بن مروان عن ابي

وهي مكية باجماع صح

قال من وجد في قلبه قساوة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه حدثني ابي رحمه الله قال حدثنا
اصرم بن حوشب عن بقية ابن الوليد عن المغيرة ابن اشرف عن محمد بن علي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم القران افضل من كل شي دون الله وفضل القران على ساير الكلام كفضل الله على خلقه فمن
وقر القران فقد وقر الله ومن لم يوقر القران لم يوقر الله وحرمة القران عند الله كحرمة الوالد على ولده
القران شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القران شفع ومن محل به القران صدق ومن جعله امامه
قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار حملة القران هم المحفوفون برحمة الله الملبسون
نور الله المعلمون كلام الله من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله يقول الله تعالى
يا حملة القران استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يزدكم حبا ويحببكم الى عباده يدفع عن مستمع القران
بلوى الدنيا وبلوى الاخرة ومن استمع اية من كتاب الله كان له افضل مما تحت العرش الى التخوم وان
في كتاب الله لسورة تدعى العزيزة ويدعى صاحبها الشريف يوم القيامة يشفع لصاحبها اكثر من ربيعة
ومضر وهي سورة يس وذكر الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
يس ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل المقابر
فقرا سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين في يس اوجه من القراات
قرا اهل المدينة والكسائي يس والقران الحكيم بادغام النون في الواو وقرا ابو عمرو
والاعمش وحمزة يسن باظهار النون وقرا عيسى ابن عمرو يسنَ بنصب النون وقرا ابن عباس
وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم يسنِ بالكسر وقراها هرون الاعور ومحمد بن السميفع يسنُ بضم النون
فهذه خمس قراات القراة الاولى بالادغام على ما يجب في العربية لان النون تدغم في الواو ومن بيّن
قال سبيل حروف الهجاء ان يوقف عليها وانما يكون الادغام في الادراج وذكر سيبويه النصب
وجعله من جهتين احديهما ان يكون مفعولا ولا يصرفه لانه عنده اسم اعجمي بمنزلة هابيل والقدير
اذكر يسين وجعله سيبويه اسما للسورة وقوله الاخران يكون مبنيا على الفتح مثل كيف واين
واما الكسر فزعم الفراء انه مشبه بقول العرب جير لا افعل فعلى هذا يكون يسين قسما وقاله ابن عباس
وقيل شبه بامس وحذام وهاولا ورقاش واما الضم فمشبه بمنذ وحيث وقط وبالمنادى المفرد
اذا قلت يا رجل قال ابن السميفع وهارون وقد جا في تفسيرها يا رجل فالاولى بها الضم قال ابن
الانباري يس وقف حسن لمن قال هو افتتاح للسورة ومن قال معنى يس يا رجل لم يقف عليه وروي
عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ان معناه يا انسان وقالوا في قوله تعالى سلام على ال
ياسين اي على ال محمد وقال سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم دليله انك
لمن المرسلين قال السيد الحميري يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة على المودة الا ال ياسينا وقال
ابو بكر الوراق معناه يا سيد البشر وقيل انه اسم من اسماء الله قاله مالك روى عنه اشهب قال

سالته هل ينبغي لاحد ان يسمي ياسين قال ما اراه ينبغي يقول الله يس والقران الحكيم يقول هذا
اسمي يس قال ابن العربي هذا كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يسمي باسم الرب اذا كان
فيه معنى منه كقوله عالم وقادر ومريد ومتكلم وانما منع مالك من التسمية بيسين لانه اسم
من اسماء الله لا يدرى معناه فربما كان معناه ينفرد به الرب فلا يجوز ان يقدم عليه العبد
فان قيل فقد قال الله تعالى سلام على ال ياسين قلنا ذلك مكتوب بهجاء فتجوز التسمية به وهذا
الذي ليس بمتهجى هو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال والله اعلم وقال بعض العلماء افتتح
الله هذه السورة بالياء والسين وفيهما مجمع الخير ودل المفتتح على انه قلب والقلب امير
على الجسد وكذلك يس امير على ساير السور مشتمل على جميع القران ثم اختلفوا فيه
ايضا فقال سعيد بن جبير وعكرمة هو بلغة الحبشة وقال الشعبي هو بلغة طي الحسن
بلغة كلب الكلبي هو بالسريانية فتكلمت به العرب فصار من لغتهم وقد مضى هذا المعنى في طه
وفي مقدمة الكتاب مستوفى وقد سرد القاضي عياض اقوال المفسرين في معنى يس فحكى ابو
محمد المكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها
طه ويس اسمان له قال الشيخ وذكر الماوردي عن علي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله تعالى اسماني في القران سبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس
والمزمل والمدثر وعبد الله قال القاضي وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان اراد
محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله سبحانه وقال الزجاج قيل معناه
يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله
به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم
فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما
تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جا قسم اخر
بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين
بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق
قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه
وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم انتهى كلامه
وحكى القشيري قال ابن عباس قالت كفار قريش لست مرسلا وما ارسلك الله الينا فاقسم الله بالقران
المحكم ان محمدا لمن المرسلين والحكيم المحكم حتى لا يتعرض لبطلان وتناقض كما قال احكمت اياته
وكذلك احكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل وقد يكون الحكيم في حق الله بمعنى المحكم بكسر
الكاف كالاليم بمعنى المولم على صراط مستقيم اي دين مستقيم وهو الاسلام وقال الزجاج
على طريق الانبياء الذين تقدموك قال وانك لمن المرسلين خبر ان وانك على صراط مستقيم
خبر ثان اي انك لمن المرسلين وانك على صراط مستقيم وقيل المعنى لمن المرسلين على استقامة

فيكون قوله على صراط مستقيم من صلة المرسلين اي انك من المرسلين الذين ارسلوا على
طريقة مستقيمة كقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله اي الصراط الذي امر
الله به قوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم قراء ابن عامر وحفص والاعمش ويحيى وحمزة
والكسائي وخلف تنزيل بنصب اللام على المصدر اي نزل الله ذلك تنزيلا فاضاف المصدر
فصار معرفة كقوله فضرب الرقاب اي فضربا للرقاب الباقون تنزيل بالرفع على خبر ابتداء
محذوف اي هو تنزيل ام الذي انزل اليك تنزيل العزيز الرحيم هذا وقرئ تنزيل بالجر على
البدل من القران والتنزيل يرجع الى القران وقيل الى النبي اي انك لمن المرسلين وانك
تنزيل العزيز الرحيم فالتنزيل على هذا بمعنى الارسال قال الله تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا
رسولا يتلوا ويقال ارسل الله المطر وانزله بمعنى ومحمد صلى الله عليه وسلم رحمة الله
انزلها من السماء ومن نصب قال انك لمن المرسلين ارسالا من العزيز الرحيم والعزيز
المنتقم ممن خالفه الرحيم باهل طاعته قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون
ما لا موضع لها من الاعراب عند اكثر اهل التفسير منهم قتادة لانها نفي والمعنى لتنذر
قوما ما اتى اباهم قبلك نذير وقيل هي بمعنى الذي فالمعنى لتنذرهم مثل ما انذر اباؤهم
قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ايضا وقيل ان ما والفعل مصدر اي لتنذر قوما انذار
اباءهم ثم يجوز ان يكون العرب قد بلغتهم بالتواتر اخبار الانبياء فالمعنى لم ينذروا برسول
من انفسهم ويجوز ان يكون بلغهم الخبر ولكن غفلوا واعرضوا ونسوا ويجوز ان يكون
هذا خطابا لقوم لم يبلغهم خبر نبي وقد قال الله وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون
اي لم ياتهم نبي وعلى قول من قال بلغهم خبر الانبياء فالمعنى فهم معرضون الان متغافلون
عن ذلك ويقال للمعرض عن الشيء انه غافل عنه وقيل فهم غافلون عن عقاب الله قوله تعالى
لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
فهي الى الاذقان فهم اي وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون بالله لما
سبق في علم الله انه يموت على كفره ثم بين سبب تركهم الايمان فقال انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قيل نزلت في ابي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك ان ابا جهل حلف
لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه بحجر فلما راه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما اوما اليه رجعت يده
الى عنقه والتصق الحجر بيده قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما فهو على هذا تمثيل اي هو بمنزلة
من غلت يده الى عنقه فلما عاد الى اصحابه اخبرهم بما راى فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن
المغيرة انا ارضخ راسه فاتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته
ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال والله ما رايته ولقد سمعت صوته فقال
الثالث والله لاشدخن انا راسه ثم اخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر
على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شانك قال عظيم رايت الرجل فلما دنوت منه اذا فحل يخطر بذنبه

مقمحون صح

ما رايت قط فحلا اعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لاكلني
فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وقرا
ابن عباس انا جعلنا في ايمانهم وقال الزجاج وقرئ انا جعلنا في ايديهم وقال
النحاس وهذه القراءة تفسير ولا يقرا بما خالف المصحف وفي الكلام حذف على قراءة
الجماعة التقدير انا جعلنا في اعناقهم وفي ايديهم اغلالا فهي الى الاذقان فهي
كناية عن الايدي لا عن الاعناق والعرب تحذف مثل هذا ونظيره سرابيل تقيكم الحر
وتقديره وسرابيل تقيكم البرد فحذف لان ما وقى من الحر وقى من البرد لان الغل
اذا كان في العنق فلا بد ان يكون في اليد ولا سيما وقد قال الله جل وعز فهي الى
الاذقان فقد علم انه يراد به الايدي فهم مقمحون اي رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون
الاطراق لان من غلت يده الى ذقنه ارتفع راسه روى عبد الله بن يحيى ان علي ابن
ابي طالب عليه السلام اراهم الاقماح فجعل يديه تحت لحيته والصقهما ورفع راسه
قال النحاس وهذا اجل ما روي فيه وهو ماخوذ مما حكاه الاصمعي قال يقال اكمحت الدابة
اذا جذبت لجامها لترفع راسها قال النحاس والقاف مبدلة من الكاف لقربها منها
كما يقال قهرته وكهرته قال الاصمعي يقال اكمحت الدابة اذا جذبت عنانها حتى تنصب
راسها قال ومنه قول الشاعر . والراس مكمح ويقال اكمحتها واكفحتها وكبحتها هذه وحدها
بلا الف عن الاصمعي وقمح البعير قموحا اذا رفع راسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو بعير
قامح وقمح يقال شرب فتقمح وانقمح بمعنى اذا رفع وترك الشرب ريا وقد قامحت ابلك اذا وردت
ولم تشرب ورفعت راسها من داء يكون بها او برد وهي ابل مقامحة وبعير مقامح وناقة مقامح
ايضا والجمع قماح على غير قياس قال بشر يصف سفينة . ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح
والاقماح رفع الراس وغض البصر يقال اقمحه الغل اذا ترك راسه مرفوعا من ضيقه وشهرا قماح
اشد ما يكون من البرد وهما الكانونان سميا بذلك لان الابل اذا وردت اذاها برد الماء تقامحت
رؤوسها ومنه اقمحت السويق وقيل هو مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعهم من الهدى
كامتناع المغلول قاله يحيى ابن سلام وابو عبيدة وكما قال فلان حمار اي لا يبصر الهدى وكما قال
لهم عن الرشد اغلال واقياد . وفي الحديث ان ابا ذويب كان يهوى امراة في الجاهلية
فلما اسلم راودته فابى وانشا يقول . فليس كعهد الدار يا ام مالك
ولكن احاطت بالرقاب السلاسل . وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل
اراد منعنا بموانع الاسلام عن تعاطي الزنا والفسق وقال الفراء ايضا هذا ضرب مثل اي حبسناهم
عن الانفاق في سبيل الله وهو كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقاله الضحاك وقيل
ان هذا ولا صادوا في الاستكبار عن الحق كمن جعل في يده غل فجمعت الى عنقه فبقي رافعا راسه
لا يخفضه وغاضا بصره لا يفتحه والمتكبر يوصف بانتصاب العنق وقال الازهري ان ايديهم
لما غلت عند اعناقهم رفعت الاغلال اذقانهم ورؤوسهم صعدا كالابل ترفع رؤوسها

راسه صح

وهذا المنع بحائل الكفر في قلوب الكفار وعند قوم يسلبهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم
وقيل الاية اشارة الى ما يفعل باقوام غدا في النار من وضع الاغلال في اعناقهم والسلاسل
كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل واخبر عنه بلفظ الماضي فهم مقمحون تقدم
تفسيره وقال مجاهد مقمحون مغللون عن كل خير قوله تعالى وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ
أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ قال مقاتل لما عاد ابو جهل الى اصحابه ولم يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وسقط الحجر فلما دنا من النبي عليه السلام طمس الله على بصره فلم ير النبي عليه السلام فرجع الى
اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فهذا معنى الاية وقال مجاهد بن اسحق في روايته جلس عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية ابن خلف يرصدون النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا
من اذاه فخرج عليهم وهو يقرا يس وفي يده تراب فرماهم به وقرا وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاطرقوا حتى مر عليهم عليه السلام وقد مضى هذا في سبحان ومضى
في الكهف الكلام في سدا بضم السين وفتحها وهما لغتان فاغشيناهم اي غطينا ابصارهم
وقد مضى في اول البقرة وقرا ابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر فاعشيناهم بالعين غير
معجمة من العشا في العين وهو ضعف بصره حتى لا يبصر بالليل قال متى تأته تعشو الى ضوء
ناره وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الاية والمعنى متقارب والمعنى اعميناهم كما قال

ومن الحوادث لا أبا لك أنني ضربت على الارض بالاسداد

لا اهتدي فيها لموضع تلعة بين العذيب وبين ارض مراد

فهم لا يبصرون اي الهدى
قاله قتادة وقيل محمدا حين ائتمروا على قتله قاله السدي وقال الضحاك وجعلنا من بين ايديهم
سدا اي الدنيا ومن خلفهم سدا اي الاخرة اي عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع في
قال الله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اي زينوا لهم الدنيا
وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون تقدم في البقرة والاية رد على القدرية وغيرهم
وعن ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز احضر غيلان القدري فقال يا غيلان بلغني انك تتكلم بالقدر
فقال يكذبون علي يا امير المؤمنين ثم قال يا امير المؤمنين ارايت قول الله تعالى انا خلقنا الانسان من
نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فقال اقرا
يا غيلان فقرا حتى انتهى الى قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فقال اقرا فقال وما تشاءون
الا ان يشاء الله فقال والله يا امير المؤمنين ان شعرت ان هذا في كتاب الله قط فقال له يا غيلان
اقرا اول سورة يس فقرا حتى بلغ وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فقال
غيلان والله يا امير المؤمنين لكاني لم اقراها قط قبل اليوم اشهد يا امير المؤمنين اني تائب فقال
عمر اللهم ان كان صادقا فتب عليه وثبته وان كان كاذبا فسلط عليه من لا يرحمه واجعله
اية للمؤمنين فاخذه هشام فقطع يديه ورجليه وصلبه قال ابن عون فانا رايته مصلوبا على
باب دمشق فقلنا ما شانك يا غيلان فقال اصابتني دعوة الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز

و دعوتهم الى التكذيب بالاخرة وقيل على هذا من بين ايديهم سدا اي اغتروا بالدنيا ومن خلفهم سدا اي كذبوا بالاخرة وقيل ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا صح

قوله تعالى إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ
يعني القران وعمل به وخشي الرحمن بالغيب اي ما غاب من عذابه وناره قاله قتادة
وقيل يخشاه في مغيبه عن ابصار الناس وانفراده بنفسه فبشره بمغفرة اي لذنبه
واجر كريم اي الجنة قوله تعالى انا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ
شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى انا نحن
نحيي الموتى اخبر تعالى باحيائه الموتى ردا على الكفرة وقال الضحاك والحسن اي
نحييهم بالايمان بعد الجهل والاول اظهر اي نحييهم بالبعث للجزاء ثم توعدهم
بذكر كتب الاثار وهي الثانية واحصا كل شيء وكل ما يصنعه الانسان قال قتادة معناه
من عمل وقاله مجاهد وابن زيد ونظيره قوله علمت نفس ما قدمت واخرت وقوله
ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر وقوله اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فاثار
المرء التي تبقى وتذكر بعد الانسان من خير او شر يجازى بها من اثر حسن كعلم علموه
او كتاب صنفوه او حبس احتبسوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك
او سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء
احدثه فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن
بها وقيل هي اثار المشائين الى المساجد وعلى هذا المعنى تاول الاية عمر وابن عباس وسعيد
بن جبير وعن ابن عباس ايضا ان معنى واثارهم خطاهم الى المساجد قال النحاس
وهو اولى ما قيل فيه لانه قال ان الاية نزلت في ذلك لان الانصار كانت منازلهم بعيدة
عن المسجد وفي الحديث مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يكتب له برجل حسنة
ويحط عنه برجل سيئة ذاهبا وراجعا اذا خرج الى المسجد قال الشيخ رح وفي الترمذي
عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الى قرب
المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا قال هذا حديث غريب من حديث الثوري
وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد قال
والبقاع خالية فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم
دياركم تكتب اثاركم فقالوا ما كان يسرنا انا كنا تحولنا وقال ثابت البناني مشيت مع انس
ابن مالك الى الصلاة فاسرعت فحبسني فلما انقضت الصلاة قال مشيت مع النبي صلى الله عليه
وسلم فاسرعت فحبسني فلما انقضت الصلاة قال اما علمت ان الاثار تكتب فهذا احتجاج بالاية
وقال قتادة ومجاهد ايضا والحسن الاثار في هذه الاية الخطا وحكى الثعلبي عن انس انه
قال الاثار هي الخطا الى الجمعة وواحد الاثار اثر ويقال اثر الثالثة في هذه الاحاديث
المفسرة لمعنى الاية دليل على ان البعد من المسجد افضل فلو كان بجوار مسجد فهل له ان
يجاوزه الى الابعد اختلف فيه فروي عن انس انه كان يجاوز المحدث الى القديم وروي

عن غيره الابعد فالابعد من المسجد اعظم اجرًا وكره الحسن وغيره هذا وقال لا يدع
مسجدًا قربه ويأتي غيره وهذا مذهب مالك وفي تخطي مسجد الى مسجد الاعظم قولان وخرج
ابن ماجة من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الرجل
في بيته بصلاة وصلوته في مسجد القبايل بخمس وعشرين صلاة وصلوة في المسجد الذي
يجمع فيه بخمس مائة صلاة الزاهد دبارکم منصوب على الاغراء اي الزموا وكتب جزم
على جواب ذلك الامر وكل نصب بفعل مضمر يدل عليه احصيناه كانه قال واحصينا كل
كل شيء احصيناه ويجوز رفعه بالابتداء الا ان نصبه اولى ليعطف ما عمل فيه الفعل وهو
قول الخليل وسيبويه والامام الكتاب المقتدى به الذي هو حجة وقال مجاهد وقتادة
وابن زيد اراد اللوح المحفوظ وقالت فرقة اراد صحايف الاعمال قوله تعالى واضرب
لَهُمْ مَثَلًا اَصْحَابَ الْقَرْيَةِ اِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ اِذْ اَرْسَلْنَا اِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا اِنَّا اِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ قَالُوا مَا اَنْتُمْ
اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا اَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ
اِنَّا اِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا اِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ قَالُوا اِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ
لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ اَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ
هذه القرية هي انطاكية في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي نسبت الى اهل انطيس وهو
اسم الذي بناها ثم غير لما عرب ذكره السهيلي ويقال فيها انتاكية بالتاء بدل الطاء وكان بها فرعون
يقال له انطيخس ابن انطيخس يعبد الاصنام ذكره المهدوي وحكاه ابو جعفر النحاس عن كعب
ووهب قال ارسل الله اليه ثلاثة وهم صادق وصدوق وشلوم هو الثالث هذا قول الطبري وقال
غيره سمعون ويوحنا وحكى النقاش سمعان ويحيى ولم يذكرا صادقا ولا صدوقا ويجوز ان
يكون مثلا واصحاب القرية مفعولين لاضرب واصحاب القرية بدلا من مثلا اي اضرب لهم مثلا
مثل اصحاب القرية فحذف المضاف امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار هؤلاء المشركين ان يحل بهم
ما حل بكفار اهل القرية المبعوث اليهم لانه رسل فهل رسل من الله على الابتداء وقيل ان عيسى
بعثهما الى انطاكية للدعاء الى الله وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فاضاف الرب ذلك الى
نفسه لان عيسى ارسلهما بامر الرب وكان ذلك حين رفع عيسى الى السماء فكذبوهما قيل ضربوهما
وسجنوهما فعززنا بثالث اي قوينا وشددنا الرسالة بثالث وقرا ابو بكر عن عاصم فعززنا بثالث
بالتخفيف وشدد الباقون قال الجوهري وقوله تعالى فعززنا بثالث يخفف ويشدد اي قوينا وشددنا
قال الاصمعي انشدني فيه ابو عمرو بن العلاء للمتلمس
اجد اذا رحلت تعزز لحمها واذا تشد بنسعها لا تنبس اي لا ترغو فعلى هذا يكون
التثقيل بمعنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزني في الخطاب والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا
وفي القصة ان عيسى ارسل اليهم رسولين فلقيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس
فدعوه الى الله وقالا نحن رسولا عيسى ندعوك الى طاعة الله فطالبهما بالمعجزة فقالا نحن نشفي المرضى وكان

له ابن مجنون وقيل مريض على الفراش فمسحاه فقام باذن الله صحيحا فامن الرجل بالله وقيل هو الذي
جا من اقصى المدينة يسعى ففشا امرهما وشفيا كثيرا من المرضى فارسل الملك اليهما وكان يعبد الاصنام
يستخبرهما فقالا نحن رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونبرئ المريض باذن
الله وندعوك الى عبادة الله وحده فهم الملك بضربهما وقال وهب حبسهما الملك وجلدهما
مائة جلدة فانتهى الخبر الى عيسى فارسل ثالثا قيل شمعون الصفا راس الحواريين لينصرهما فعاشر حاشية
الملك حتى تمكن منهم واستانسوا به ورفعوا حديثه الى الملك فانس به واظهر موافقته في دينه فرضي
الملك طريقته ثم قال يوما للملك بلغني انك حبست رجلين دعواك الى الله فلو سالت عنهما ما وراءهما فقال
ان الغضب حال بيني وبين سؤالهما قال فلو احضرتهما فامر بذلك فقال لهما شمعون ما برهانكما على ما تدعيان
فقالا نبرئ الاكمه والابرص فجيء بغلام ممسوح العينين موضع عينيه كالجبهة فدعوا ربهما فانشق موضع
البصر فاخذا بندقتين طينا فوضعاها في خديه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك وقال ان هاهنا
غلاما مات منذ سبعة ايام ولم ادفنه حتى يجيء ابوه فهل يحييه ربكما فدعوا الله علانية ودعا شمعون
سرا فقام الميت حيا فقال للناس اني مت منذ سبعة ايام فوجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية من
النار فاحذركم ما انتم فيه فامنوا بالله ثم فتحت ابواب السموات فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة
شمعون وصاحبيه حتى احياني الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان عيسى روح الله
وكلمته وان هؤلاء هم رسل الله فقالوا له وهذا شمعون ايضا معهم قال نعم وهو افضلهم فاعلمهم
شمعون انه رسول المسيح اليهم فاثر قوله في الملك ودعاه الى الله فامن الملك في قوم كثير وكفر اخرون
وحكى القشيري ان الملك امن ولم يؤمن قومه وصاح جبريل صيحة مات كل من بقي منهم من الكفار
وروي ان عيسى لما امرهم ان يذهبوا الى تلك القرية قالوا يا نبي الله انا لا نعرف ان نتكلم بالسنتهم
ولغاتهم فدعا الله لهم فناموا بمكانهم فهبوا من نومتهم وقد حملتهم الملائكة فالقتهم بارض
انطاكية فكلم كل واحد منهم صاحبه بلغة القوم فذلك قوله وايدناه بروح القدس فقالوا جميعا
انا اليكم مرسلون فقالوا ما انتم الا بشر مثلنا تاكلون الطعام وتمشون في الاسواق وما انزل الرحمن
من شيء يامر به ولا نهي عنه ان انتم الا تكذبون في دعواكم الرسالة فقالت الرسل ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون وان كذبتمونا وما علينا الا البلاغ المبين في ان الله واحد فقالوا لهم انا تطيرنا بكم اي
تشاءمنا بكم قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم ويقال انهم اقاموا ينذرونهم
عشر سنين لئن لم تنتهوا اي عن انذارنا لنرجمنكم قال الفراء لنقتلنكم قال وعامة ما في القران
من الرجم معناه القتل وقال قتادة هو على بابه من الرجم بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقد تقدم
جميعه وليمسنكم منا عذاب اليم وقيل هو القتل وقيل التعذيب المؤلم قبل القتل كالسلخ والقطع
والصلب فقالت الرسل طائركم معكم اي شؤمكم معكم اي حظكم من الخير والشر معكم ولازم في
اعناقكم وليس هو من شؤمنا قال معناه الضحاك وقال قتادة اعمالكم معكم ابن عباس معناه الارزاق
والاقدار تتبعكم الفراء طائركم معكم رزقكم وعملكم والمعنى واحد وقرا الحسن اطيركم اي تطيركم
ائن ذكرتم قال قتادة ان ذكرتم تطيرتم وفيه سبعة اوجه من القراءات قرا اهل المدينة اين ذكرتم بتخفيف

الهمزة الثانية وقراء اهل الكوفة أان بتحقيق الهمزتين والوجه الثالث آان ذكرتم بهمزتين بينهما
الف ادخلت الالف كراهة للجمع بين الهمزتين والوجه الرابع آان بهمزة بعدها الف وبعد الالف
همزة مخففة والقراة الخامسة أان بهمزتين مفتوحتين بينهما الف والوجه السادس أان بهمزتين
محققتين مفتوحتين وحكى الفراء ان هذه قراة ابي رزين قال الشيخ وحكاها الثعلبي عن زر بن حبيش [رحمه الله]
وابن السميفع وقرا عيسى ابن عمر والحسن البصري قالوا طائركم معكم اين ذكرتم بمعنى حيث وقرا
زيد بن القعقاع والحسن وطلحة ذكرتم بالتخفيف ذكره النحاس وذكر المهدوي عن طلحة بن مصرف
وعيسى الهمداني آن ذكرتم بالمد على ان همزة الاستفهام دخلت على همزة مفتوحة الماجشون ان ذكرتم
بهمزة واحدة مفتوحة فهذه تسع قرات وقرا ابن هرمز طيركم معكم اين ذكرتم اي لان وعظتم وهو
كلام مستانف اي ان وعظتم تطيرتم وقيل انما تطيروا لما بلغهم ان كل نبي دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبتهم
قومه الهلاك بل انتم قوم مسرفون قال قتادة مسرفون في تطيركم يحيى بن سلام مسرفون في كفركم وقال ابن
بحر السرف هاهنا الفساد ومعناه بل انتم قوم مفسدون وقيل مسرفون مشركون والاسراف مجاوزة الحد والمشرك
يجاوز الحد قوله تعالى وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ
اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ
لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ
الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ هو حبيب بن مري وكان نجارا وقيل اسكافا وقيل [ولا ينقذون صح]
قصارا وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن
امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وبينهما ست مائة سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم
يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره قال وهب وكان حبيب مجذوما ومنزله عند اقصى باب من ابواب المدينة
وكان عكف على عبادة الاصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضره فما استجابوا
له فلما ابصر الرسل دعوه الى عبادة الله فقال هل من اية قالوا نعم ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما بك
فقال ان هذا لعجب لي ادعو هذه الالهة سبعين سنة تفرج عني فلم تستطع يفرجه ربكم في غداة واحدة
قالوا نعم ربنا على ما يشاء قدير وهذه لا تنفع شيا ولا تضر فامن ودعوا ربهم فكشف الله ما به كان لم يكن به
باس فحينئذ اقبل على التكسب فاذا امسى تصدق بكسبه فاطعم عياله نصفا وتصدق بنصف فلما هم قومه بقتل
الرسل جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين الاية وقال قتادة كان يعبد الله في غار فلما سمع بخبر المرسلين
جاء يسعى فقال للمرسلين اتطلبون على ما جئتم به اجرا قالوا لا ما اجرنا الا على الله قال ابو العالية فاعتقد
صدقهم وامن بهم واقبل على قومه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا اي لو كانوا [قال قتادة قال لقومه انت على دينهم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني صح]
متهمين لطلبوا منكم المال وهم مهتدون فاهتدوا بهم وما لي لا اعبد الذي فطرني اي خلقني
واليه ترجعون وهذا احتجاج منه عليهم واضاف الفطرة الى نفسه لان ذلك نعمة عليه توجب الشكر و
البعث اليهم لان ذلك وعيد يقتضي الزجر فكان اضافة النعمة الى نفسه اظهر شكرا واضافة البعث
الى الكافر ابلغ أأتخذ من دونه الهة يعني اصناما ان يردن الرحمن بضر يعني ما اصابه من السقم
لا تغني عني شفاعتهم شيا ولا ينقذون يخلصوني مما انا فيه من البلاء اني اذا يعني ان فعلت ذلك لفي

ضلال مبين اي خسران ظاهر اني امنت فاسمعون اي فاشهدوا اي كونوا شهودي بالايمان
وقال كعب ووهب انما قال ذلك للمرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا رفعوه الى الملك وقالوا قد تبعت [قال ذلك لقومه اني امنت بربكم الذي كفرتم به وقيل انه لما قال لقومه اتبعوا صح]
عدونا فطول معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل الى ان قال اني امنت بربكم
فوثبوا عليه فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره والقي
في بئر وهي الرس وهم اصحاب الرس وفي رواية انهم قتلوا الرسل الثلاثة وقال السدي [انهم صح]
رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقال الكلبي حفروا حفرة وجعلوه
فيها وردموا فوقه التراب فمات ردما وقال الحسن حرقوه حرقا وعلقوه من سور المدينة
وقبره في سور انطاكية حكاه الثعلبي وقال القشيري وقال الحسن لما اراد القوم ان يقتلوه
رفعه الله الى السماء فهو في الجنة لا يموت الا بفناء السماء وهلاك الجنة فاذا اعاد الله الجنة
ادخلها وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت روحه الا في الجنة
فدخلها فذلك قوله ادخل الجنة فلما دخل الجنة فلما شاهدها قال يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي اي بغفران ربي لي فما مع الفعل بمنزلة المصدر وقيل بمعنى الذي والعائد
من الصلة محذوف ويجوز ان يكون استفهاما فيه معنى التعجب كانه قال ليت قومي يعلمون
باي شيء غفر لي ربي قاله الفراء واعترضه الكسائي فقال لو صح هذا لقال بم من غير الف
وقال الفراء يجوز ان يقال بما بالالف وهو استفهام وانشد فيه ابياتا الزمخشري بم غفر لي
بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت المهدوي
واثبات الالف في الاستفهام قليل فيوقف على هذا على يعلمون وقال جماعة معنى قيل ادخل
الجنة وجبت لك الجنة فهو خبر بانه قد استحق دخول الجنة لان دخولها يستحق بعد البعث
قال الشيخ والظاهر من الاية انه لما قتل قيل له ادخل الجنة قال قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها [رحمه الله]
حي يرزق اراد قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون على ما تقدم بيانه في ال عمران والله اعلم قوله تعالى قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ
بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ
جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ إِنْ كَانَتْ مرتب على تقدير سؤال سائل [الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون صح]
عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم الذي هو بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقرئ
المكرمين وفي معنى تمنيه قولان احدهما بمعنى ان يعلموا بحاله ليعلموا حسن ماله وحميد
عاقبته الثاني بمعنى بذلك ليؤمنوا مثل ايمانه فيصيروا الى مثل حاله قال ابن عباس نصح قومه
حيا وميتا رفعه القشيري قال وفي الخبر انه عليه السلام قال في هذه الاية نصح لهم في حياته
وبعد موته وقال ابن ابي ليلى سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي ابن ابي طالب
وهو افضلهم ومؤمن ال فرعون وصاحب يس فهم الصديقون ذكره الزمخشري مرفوعا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية تنبيه عظيم ودلالة على وجوب كظم الغيظ
والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه

والتلطف في افدايه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا يري كيف تمني الخير
لقتلته والباغين له الغوايل وهم كفرة عبدة الاصنام فلما قتل غضب الله له وعجل النقمة
علي قومه فامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن اخرهم فذلك قوله وما انزلنا علي قومه
من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين اي ما انزلنا عليهم من رسالة ولا نبي
بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن قال الحسن الجند الملايكة النازلون بالوحي علي الانبياء
وقيل الجند العساكر اي لم احتج في هلاكهم الي ارسال جنود ولا جيوش ولا عساكر بل اهلكتهم
بصيحة واحدة قال معناه ابن مسعود وغيره فقوله وماكنا منزلين لصغير امرهم
اي اهلكناهم بصيحة واحدة من بعد ذلك الرجل ومن بعد رفعه الي السماء وقيل المعني وماكنا
منزلين علي من كان قبلهم الزمخشري فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق
فقال فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقال بالف من الملايكة مردفين بثلاثة الاف من
الملايكة مسومين بخمسة الاف من الملايكة مسومين قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد
اهلكت مداين قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة ولكن الله
فضل محمدا صلي الله عليه وسلم بكل شيء علي كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا عن
حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوته احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا
من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين الي ان انزال الجنود من عظايم
الامور التي لا يوهل لها الا مثلك وماكنا نفعله لغيرك ان كانت الا صيحة واحدة قراة العامة
صيحة واحدة بالنصب علي تقدير ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة وقرا ابو جعفر بن القعقاع
وشيبة والاعرج صيحة واحدة بالرفع هنا وفي قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع
جعلوا الكون بمعني الوقوع والحدوث وكانه قال ما وقعت عليهم الا صيحة واحدة وانكر هذه
القراة ابو حاتم وكثير من النحويين بسبب التانيث فهو ضعيف كما تقول ما قامت الا هند
ضعيفا من حيث كان المعني ما قام احد الا هند قال ابو حاتم فلو كان كما قرا ابو جعفر لقال
ان كان الا صيحة قال النحاس لا يمتنع شيء من هذا يقال ما جاءتني الا جاريتك بمعني ما جاءتني امراة
او جارية الا جاريتك والتقدير في القراة بالرفع ما قاله ابو اسحق قال المعني ان كانت عليهم صيحة
الا صيحة واحدة وقدره غيره ما وقعت عليهم الا صيحة واحدة وكان بمعني وقع كثير في كلام
العرب وقرا عبد الرحمن بن الاسود ويقال انه في حرف عبد الله كذلك ان كانت الا زقية واحدة
وهذا مخالف للمصحف وايضا فان اللغة المعروفة زقا يزقو اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي فكان يجب علي هذا ان يكون زقوة ذكره
النحاس قال الشيخ رحمه الله وقال الجوهري الزقو والزقي مصدر وقد زقي الصدا يزقو زقاء اي صاح وكل صايح
زاق والزقية الصيحة قال الشيخ رحمه الله فعلي هذا يقال زقوة وزقية لغتان فالقراة صحيحة لا اعتراض
عليها والله اعلم فاذا هم خامدون اي ميتون هامدون تشبيها بالرماد الخامد وقال قتادة
هلكي والمعني واحد قوله تعالي يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ منصوب لانه نداء نكرة ولا يجوز فيه غير النصب عند البصريين وفي حرف ابي يا حسرة

العباد

العباد علي الاضافة وحقيقة الحسرة في اللغة ان يلحق الانسان من الندم ما يصير به حسيرا
وزعم الفراء ان الاختيار النصب وانه لو رفعت النكرة الموصولة بالصلة كان صوابا واستشهد
باشياء منها انه سمع من العرب يا مهتم بامرنا لا تهتم وانشد
يا دار غيرها البلي تغييرا قال النحاس وفي هذا ابطال باب النداء او اكثره لانه
يرفع النكرة المحضة ويرفع ما هو بمنزلة المضاف في قوله ويحذف التنوين متوسطا ويرفع
ما هو في المعني مفعول بغير علة اوجبت ذلك فاما ما حكاه عن العرب فلا يشبه ما اجازه
لان تقديره يا مهتما بامرنا لا تهتم علي التقديم والتاخير والمعني يا ايها المهتم لا تهتم بامرنا
وتقدير البيت يا ايتها الدار ثم حول المخاطبة اي يا هؤلاء غير هذه الدار البلي كما قال الله عز وجل
حتي اذا كنتم في الفلك وجرين بهم فحسرة منصوب علي النداء كما تقول يا رجلا اقبل ومعني
النداء هنا موضع حضور الحسرة الطبري المعني يا حسرة من العباد علي انفسهم وتندما وتلهفا
في استهزايهم برسل الله عليهم السلام ابن عباس يا حسرة علي العباد اي يا ويلا علي العباد
وعنه ايضا حل هؤلاء محل من يتحسر عليهم وروي الربيع عن انس عن ابي العالية ان العباد
ها هنا الرسل وذلك ان الكفار لما راوا العذاب قالوا يا حسرة علي العباد فتحسروا علي قتلهم
وترك الايمان بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم الايمان وقاله مجاهد وقال الضحاك انها
حسرة الملايكة علي الكفار حين كذبوا الرسل وقيل يا حسرة علي العباد من قول الرجل الذي
جا من اقصي المدينة يسعي لما وثب القوم لقتله وقيل ان الرسل الثلاثة هم الذين قالوا لما قتل
القوم ذلك الرجل الذي جا من اقصي المدينة وحل بالقوم العذاب يا حسرة علي هؤلاء كانهم
تمنوا ان يكونوا قد امنوا وقيل هذا من قول القوم قالوا لما قتلوا الرجل وفارقتهم الرسل او
قتلوا الرجل مع الرسل الثلاثة علي اختلاف الروايات يا حسرة علي هؤلاء الرسل وعلي هذا الرجل
ليتنا امنا بهم في الوقت الذي ينفع الايمان وتم الكلام علي هذا ثم ابتدا فقال ما ياتيهم من
رسول وقرا ابن هرمز ومسلم بن جندب وعكرمة يا حسرة علي العباد بسكون الهاء للحرص
علي البيان وتقرير المعني في النفس اذ كان موضع وعظ وتنبيه والعرب تفعل ذلك في مثله وان لم يكن
موضعا للوقف ومن ذلك ما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه كان يقطع قراته حرفا حرفا
حرصا علي البيان والافهام ويجوز ان يكون علي العباد متعلقا بالحسرة ويجوز ان يكون متعلقا
بمحذوف لا بالحسرة فكانه قدر الوقف علي الحسرة فاسكن الهاء ثم قال علي العباد اي اتحسر علي العباد
وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما يا حسرة العباد مضاف بحذف علي وهو خلاف المصحف
وجاز ان يكون من باب الاضافة الي الفاعل فيكون العباد فاعلين كانهم اذا شاهدوا العذاب تحسروا
فهو كقولك ما قام زيد ويجوز ان يكون من باب الاضافة الي المفعول فيكون العباد مفعولين فكان
العباد يتحسر عليهم من يشفق لهم وقراة من قرا يا حسرة علي العباد مقوية لهذا المعني قوله
تعالي أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ
وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ صح قال سيبويه ان بدل من كم ومعني كم هاهنا الخبر فلذلك جاز ان

بدل منها ما ليس باستفهام والمعنى الم يروا من اهلكنا والوجه اهلكنا هم انهم اليهم لا يرجعون
وقال الفراء كم في موضع نصب من وجهين احدهما بيروا واستشهد على هذا بانه في قراة ابن مسعود
الم يروا من اهلكنا والوجه الاخر ان يكون كم في موضع نصب باهلكنا قال النحاس القول الاول محال لان
كم لا يعمل فيها ما قبلها لانها استفهام ومحال ان تدخل الاستفهام في ما جين ما قبله وكذا حكمها اذا كانت
خبرا وان كان سيبويه قد اوما الى بعض هذا فجعل انهم بدلا من كم وقد رد ذلك محمد بن يزيد اشد
رد وقال كم في موضع نصب باهلكنا وانهم في موضع نصب والمعنى عنده بانهم اي الم يروا
كم اهلكنا قبلهم من القرون بالاستيصال قال والدليل على هذا انها في قراة عبد الله من اهلكنا
قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وقرا الحسن انهم اليهم لا يرجعون بكسر الهمزة على
الاستيناف وهذه الاية رد على من زعم ان من الخلق من يرجع قبل القيمة بعد الموت وان كل
لما شدد لما وخفف الباقون فان مخففة من الثقيلة وما بعدها مرفوع بالابتدا وما بعده الخبر
وبطل عملها حين تغير لفظها ولزمت اللام في الخبر فرقا بينها وبين ان التي بمعنى ما وما عند ابي
عبيدة زايد والتقدير عنده وان كل لجميع قال الفراء ومن شدد جعل لما بمعنى الا وان بمعنى
ما اي ما كل الا جميع كقوله ان هو الا رجل به جنة وحكى سيبويه في قوله سالتك بالله لما فعلت وزعم
الكسائي انه لا يعرف هذا وقد مضى هذا المعنى في هود وفي حرف الحج وان منهم الا جميع لدينا محضرون
قوله تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ
نبههم الله تعالى بهذا على احياء الموتى وذكرهم توحيده وكمال قدرته وهي الارض الميتة
احييناها بالنبات واخراج الحب منها فمنه اي من الحب يا كلون وبه يتغذون وشدد اهل
المدينة الميتة وخفف الباقون وقد تقدم وجعلنا فيها اي في الارض جنات اي بساتين
من نخيل واعناب وخصصهما بالذكر لانهما اعلى الثمار وفجرنا فيها من العيون اي في البساتين
لياكلوا من ثمره الهاء في ثمره تعود على ماء العيون لان الثمر منه اندرج قاله الجرجاني والمهدوي
وغيرهما وقيل اي لياكلوا من ثمر ما ذكرنا كما قال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه
وقرا حمزة والكسائي من ثمره بضم الثاء والميم وفتحها الباقون وعن الاعمش ضم الثاء واسكان
الميم وقد مضى الكلام فيه في الانعام وما عملته ايديهم ما في موضع خفض على العطف على من
ثمره اي ومما عملته ايديهم وقرا الكوفيون وما عملت بغير هاء الباقون عملته على الاصل
من غير حذف وحذف الصلة ايضا في الكلام كثير لطول الاسم ويجوز ان يكون ما نافية لا موضع
لها فلا يحتاج الى صلة ولا راجع اي ولم يعمله ايديهم من الزرع الذي انبته الله لهم وهذا قول ابن عباس
والضحاك ومقاتل وقال غيرهم المعنى ومن الذي عملته ايديهم اي من الثمار ومن اصناف
الحلاوات والاطعمة ومما اتخذوا من الحبوب بعلاج كالخبز والدهن المستخرج من السمسم والزيتون
وقيل يرجع ذلك الى ما يغرسه الناس روي معناه عن ابن عباس ايضا افلا يشكرون نعمه
قوله تعالى سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار اذ عبدوا غيره مع ما راوا
من نعمه واثار قدرته وفيه تقدير الامر اي سبحوه ونزهوه عما لا يليق به وقيل فيه معنى التعجب
اي عجبا لهولاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الايات ومن تعجب من شي قال
سبحان الله والازواج الانواع والاصناف فكل زوج صنف لانه مختلف في الالوان والطعوم
والاشكال والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها وقال قتادة يعني الذكر والانثى مما تنبت الارض
يعني من النبات لانه اصناف ومن انفسهم يعني وخلق منهم اولادا وازواجا ذكورا
واناثا ومما لا يعلمون اي من اصناف خلقه في البر والبحر والسما والارض ثم يجوز ان يكون
ما يخلقه لا يعلمه البشر وتعلمه الملايكة ويجوز ان لا يعلمه مخلوق ووجه الاستدلال في الاية
انه اذا انفرد بالخلق فلا ينبغي ان يشرك به قوله تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ اي وعلامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب الالهية والسلخ
الكشط والنزع يقال سلخه الله من دينه ثم يستعمل بمعنى الاخراج وقد جعل ذهاب
الضوء ومجي الظلمة كالسلخ من الشي وظهور المسلوخ فهي استعارة ومظلمون داخلون في الظلام
يقال اظلمنا اي دخلنا في ظلام الليل واظهرنا دخلنا في وقت الظهر وكذلك اصبحنا واضحينا
وامسينا وقيل منه بمعنى عنه والمعنى نسلخ عنه ضيا النهار فاذا هم مظلمون اي في ظلمة
لان ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضي فاذا خرج منه اظلم قوله تعالى وَالشَّمْسُ تَجْرِي
لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ يجوز ان يكون تقديره واية لهم الشمس ويجوز ان يكون
الشمس مرفوعا باضمار فعل يفسره الثاني ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء تجري في موضع الخبر
اي جارية وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل
والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفيه عن ابي ذر قال النبي صلى الله عليه
وسلم قال يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال ان هذه تجري
حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من
حيث جيت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري ~~لا يستنكر الناس منها شيا~~ حتى تنتهي الى مستقرها تحت
العرش فيقال لها ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تدرون متى ذاكم حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
ولفظ البخاري عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس تدري
اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها ويوشك
ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يوذن لها يقال لها ارجعي من حيث جيت فتطلع من مغربها
فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ولفظ الترمذي عن ابي ذر قال دخلت
المسجد حين غابت الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا
ذر اتدري اين تذهب هذه قال قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب فتستاذن في السجود
فيوذن لها وكانها قد قيل لها اطلعي من حيث جيت فتطلع من مغربها قال ثم قرا وذلك مستقر

وآثارهم

العلم

فترجع

العرش

لها قال وذلك قراءة عبد الله قال ابو عيسي هذا حديث حسن صحيح وقال عكرمة ان الشمس
اذا غربت دخلت محرابًا تحت العرش تسبح الله حتى تصبح فاذا اصبحت استعفت ربها من الخروج
فيقول لها الرب ولم ذلك قالت اني اذا خرجت عبدت من دونك فيقول الرب تبارك و تعالى
اخرجي فليس عليك من ذلك شيء سابعث اليهم جهنم مع سبعين الف ملك تقود و نها
حتى يدخلونهم فيها وقال الكلبي وغيره المعنى تجري الي ابعد منازلها في الغروب ثم ترجع
الي ادنى منازلها فمستقرها بلوغها الموضع الذي لا تجاوزه بل ترجع منه كالانسان تقطع مسافة حتى
يبلغ اقصى مقصوده فيقضي وطره ثم يرجع الي منزله الاول الذي ابتدا منه سفره وعلي يبلغ الشمس
اقصى منازلها وهو مستقرها اذا طلعت الهنعة وذلك اليوم اطول الايام في السنة وتلك الليلة
اقصر الليالي فالنهار خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات ثم تاخذ في النقصان وترجع الشمس
فاذا طلعت الثريا استوى الليل والنهار وكل واحد اثنا عشرة ساعة ثم تبلغ ادنى منازلها وتطلع
النعايم وذلك اليوم اقصر الايام والليل خمسة عشرة ساعة حتى اذا طلع فرع الدلو المؤخر
استوى الليل والنهار فياخذ الليل من النهار كل يوم عشر ثلث ساعة وكل عشرة ايام ثلث ساعة
وكل شهر ساعة تامة حتى يستويا ويا خذ الليل حتى يبلغ خمس عشرة ساعة ويا خذ النهار
من الليل كذلك وقال الحسن ان للشمس في السنة ثلاث ماية وستين مطلعًا تنزل في كل يوم
مطلعًا ثم لا تنزله الي الحول فهي تجري في تلك المنازل وهي مستقرها وهو معنى الذي قبله سواء وقال
ابن عباس انها اذا غربت وانتهت الي الموضع الذي لا تجاوزه استقرت تحت العرش الي ان تطلع
قال الشيخ ما قاله ابن عباس يجمع الاقوال فتامله وقيل الي انتهاء امدها عند انقضاء الدنيا
وقرا ابن مسعود وابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي انها تجري في الليل والنهار لا وقوف
لها ولا قرار الي ان يكورها الله يوم القيامة وقد احتج من خالف المصحف فقال انا اقرا بقراءة
ابن مسعود وابن عباس قال ابو بكر الانباري وهذا باطل مردود علي من نقله لان ابا عمرو روى
عن مجاهد عن ابن عباس وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عباس والشمس تجري لمستقرها
فهذان السندان عن ابن عباس اللذان يشهد بصحتهما الاجماع يبطلان ما روي بالسند الضعيف
مما يخالف مذهب الجماعة وما اتفقت عليه الامة قال الشيخ والاحاديث الثابتة التي ذكرناها
ترد قوله فما اجراه علي كتاب الله قاتله الله وقوله لمستقرها اي الي مستقرها والمستقر موضع
القرار ذلك تقدير اي الذي ذكر من امر الليل والنهار والشمس تقدير العزيز العليم قوله
تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون
فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى والقمر يكون تقديره واية لهم القمر ويجوز ان يكون والقمر مرفوعًا
بالابتداء وقرا الكوفيون والقمر بالنصب علي اضمار فعل وهو اختيار ابي عبيد قال لانه
قبله فعلا وبعده فعلا قبله نسلخ وبعده قدرناه قال النحاس واهل العربية جميعًا فيما علمت
علي خلاف ما قال منهم الفراء قال الرفع اعجب الي وانما كان الرفع عندهم اولي لانه معطوف علي

علي ما قبله ومعناه واية لهم القمر وقوله ان قبله نسلخ فقبله ما هو اقرب منه وهو
تجري وقبله والشمس بالرفع والذي ذكره بعده وهو قدرناه قد عمل في الهاء قال ابو
حاتم الرفع اولى لانك شغلت الفعل عنه بالضمير فرفعته بالابتداء ويقال القمر ليس
هو المنازل فكيف قال قدرناه منازل ففي هذا جوابان احدهما قدرناه ذا منازل
مثل واسال القرية والتقدير الاخر قدرنا له منازل ثم حذفت اللام وكان حذفها
حسنا لتعدي الفعل الي مفعولين مثل واختار موسى قومه سبعين رجلًا والمنازل
ثمانيه وعشرين منزلًا ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل وهي الشرطين البطين الثريا الدبران
الهقعه الهنعة الذراع النثره الطرف الجبهة الخراتان الصرفه العوا السماك الغفر الزبانا
الاكليل القلب الشوله النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
الفرغ المقدم الفرغ المؤخر بطن الحوت فاذا صار القمر في اخرها عاد الي اولها فيقطع الفلك
في ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ثم يطلع هلالًا فيعود في قطع الفلك علي المنازل وهي منقسمة
علي البروج لكل برج منزلتان وثلث فللحمل الشرطين والبطين وثلث الثريا وللثور ثلثا
الثريا والدبران وثلثا الهقعه ثم كذلك الي سايرها وقد مضى في النساء تسمية البروج والحمد لله
الثانية واعلم ان السنة منقسمة علي اربعة فصول لكل فصل سبع منازل فاولها الربيع
واوله خمسة عشر يومًا من اذار وعدد ايامه اثنان وتسعون يومًا تقطع فيه الشمس ثلاثه
بروج الحمل والثور والجوزاء وسبعة منازل الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة
والهنعة والذراع ثم يدخل فصل الصيف في خمسة وعشرين يومًا من حزيران وعدد
ايامه اثنان وتسعون يومًا تقطع الشمس فيه ثلاثه بروج السرطان والاسد والسنبلة
وسبعة منازل وهي النثرة والطرف والجبهة والخراتان والصرفة والعوا والسماك ثم يدخل
فصل الخريف في خمسة عشر يومًا من ايلول وعدد ايامه احد وتسعون يومًا تقطع الشمس
فيه ثلاثة بروج وهي الميزان والعقرب والقوس وسبعة منازل الغفر والزبانا والاكليل
والقلب والشوله والنعايم والبلدة ثم فصل الشتاء في خمسة عشر يومًا من كانون الاول
وعدد ايامه تسعون يومًا وربما كان احدًا وتسعين يومًا تقطع فيه الشمس ثلاثة بروج
وهي الجدي والدلو والحوت وسبعة منازل سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
الفرغ المقدم الفرغ المؤخر بطن الحوت وهذه قسمة السريانيين لشهورها تشرين الاول تشرين
الثاني كانون الاول كانون الثاني شباط اذار نيسان ايار حزيران تموز اب ايلول وكلها احد
وثلاثون الا تشرين الثاني ونيسان وحزيران وايلول فهي ثلاثون وشباط ثمانيه وعشرون
يومًا وربع يوم وانما اردنا بهذا ان ننظر في قدرة الله تعالى فذلك قوله تعالى والقمر قدرناه
منازل فاذا كانت الشمس في منزل اهل الهلال بالمنزل الذي بعده وكان الفجر بمنزلتين من
قبله فاذا كانت الشمس بالثريا في خمسة وعشرين يومًا من نيسان كان الفجر بالشرطين واهل
الهلال بالدبران ثم يكون له في كل ليلة منزلة حتى تقطع في ثمان وعشرين ليلة ثمانيا

في نسخة عشرون يوما

بقوله

ما قبلها

وعشرون منزلة وقد قطعت الشمس منزلتين فيقطعهما ثم يطلع في المنزلة التي بعد منزلة الشمس
فذلك تقدير العزيز العليم وقيل ان الله تعالى خلق الشمس والقمر من نار ثم كسيا النور
عند الطلوع فاما نور الشمس فمن نور العرش واما نور القمر فمن نور الكرسي فذلك اصل
الخلقة وهذه الكسوة فاما الشمس فتركت كسوتها على حالها لتشعشع وتشرق واما القمر فامر
الروح الامين جناحه على وجهه فمحا ضوءه بسلطان الجناح وذلك انه روح والروح سلطانه
غالب على الاشيا فبقي ذلك المحو على ما يراه الخلق ثم جعل في غلاف من ماء ثم جعل له مجرى
فكل ليلة يبدو للخلق من ذلك الغلاف قمرا بمقدار يقمرهم حتى ينتهي بدوه ويراه الخلق بكماله
واستدارته ثم لا يزال يعود الى الغلاف كل ليلة شي منه فينقص من الرؤية والاقمار بمقدار
ما زاد في البدو ويبتدي في النقصان من الناحية التي لا يراه الشمس وهو ناحية المغرب
حتى يعود كالعرجون القديم وهو العذق المنقوس ليبسه ودقته وانما قال القمر لانه يقمر
اي يبيض الجو ببياضه الى ان يستتر وقوله حتى عاد كالعرجون القديم قال الزجاج هو عود
العذق الذي عليه الشماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف اي سار في منازله
فاذا كان في اخرها دق واستقوس وصار حتى عاد كالعرجون وعلى هذا فالنون زايدة وقال
قتادة هو العذق اليابس المنحني من النخلة تغلب كالعرجون القديم قال العرجون الذي
يبقى من الكباسة في النخلة اذا قطعت والقديم البالي الخليل في باب الرباعي العرجون اصل العذق
وهو اصفر عريض يشبه به الهلال اذا انحنى الجوهري العرجون اصل العذق الذي يعوج
وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا وعرجنته ضربته بالعرجون فالنون على قول هولاء اصلية
ومنه شعر اعشى بني قيس شرق المسك والعبير بها فهي صفراء كعرجون القمر
فالعرجون اذا عتق ويبس وتقوس شبه القمر في دقته وصفرته به ويقال له ايضا الاهان
والكباسة والقنو واهل مصر يسمونه الاسباطه وقرئ العرجون بوزن فرجون وهما لغتان
كالبزيون والبريون ذكره الزمخشري وقال هو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة
قوله تعالى القديم قال الزمخشري القديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر
فشبه القمر به من ثلاثة اوجه وقيل اقل الموصوف بالقدم الحول فلو ان رجلا قال كل
مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق من مضى له حول او اكثر قال الشيخ
قد مضى في البقرة ما يترتب على الاهلة من الاحكام والحمد لله قوله لا الشمس ينبغي
لها ان تدرك القمر رفعت الشمس بالابتداء ولا يجوز ان تعمل لا في معرفة وقد تكلم
العلماء في معنى هذه الاية فقال بعضهم معناها ان الشمس لا تدرك القمر فتبطل معناه
اي لكل واحد منهما سلطان على حياله فلا يدخل احدهما على الاخر فيذهب سلطانه الى
ان يبطل الله ما دبر من ذلك فتطلع الشمس من مغربها على ما تقدم في اخر الانعام بيانه
وقيل اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء روي معناه
عن ابن عباس والضحاك وقال مجاهد اي لا يشبه ضوء احدهما ضوء الاخر وقال قتادة لكل

حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جا سلطان هذا ذهب هذا وقال الحسن انهما لا
يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة اي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر ولكن اذا غربت الشمس
طلع القمر يحيى بن سلام لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لانه يبادر بالمغيب قبل طلوعها
وقيل معناه اذا اجتمعا في السماء كان احدهما بين يدي الاخر في منازل لا يشتركان فيها قاله
ابن عباس ايضا وقيل القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة فهي لا تدركه
ذكره النحاس والمهدوي قال النحاس واحسن ما قيل في معناها وابينه مما لا يدفع ان سير
القمر سير سريع والشمس لا يدركه في السير ذكره المهدوي ايضا فاما قوله سبحانه جمع الشمس
والقمر فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في اخر الانعام وياتي في القيامة
ايضا وجمعهما علامة لانقضا الدنيا وقيام الساعة كل يعني من الشمس والقمر والنجوم
في فلك يسبحون اي يجرون وقيل يدورون ولم يقل تسبح لانه وصفها بفعل من يعقل وقال
الحسن الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والارض غير ملصقة ولو كانت ملصقة ما جرت
ذكره الثعلبي والماوردي واستدل بعضهم بقوله تعالى ولا الليل سابق النهار على ان النهار مخلوق
قبل الليل ~~وان الليل~~ وان الليل لم يسبقه بخلق وقيل كل واحد منهما يجي وقته لا يسبق
صاحبه الى ان يجمع بين الشمس والقمر يوم القيمة كما قال وجمع الشمس والقمر وانما هذا
التعاقب الان ليتم مصالح العباد وليعلموا عدد السنين والحساب ويكون الليل للاجمام
والاستراحة والنهار للتصرف كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله وقال وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم من عمل النهار فقوله ولا
الليل سابق النهار اي غالب النهار يقال سبق فلان فلانا اي غلبه وذكر المبرد قال سمعت عمارة
يقرا ولا الليل سابق النهار فقلت ما هذا فقال اردت سابقٌ النهار فحذفت التنوين لانه اخف قال
النحاس يجوز ان يكون النهار منصوبا بغير تنوين ويكون التنوين حذف لالتقاء الساكنين
قوله تعالى وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ يحتمل ثلاثة معان احدها عبرة
لهم لان في الايات اعتبارا الثاني نعمة عليهم لان في الايات انعاما الثالث انذارا لهم لان في
الايات انذارا انا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون من اشكل ما في السورة لانهم هم المحمولون
فقيل المعنى واية لاهل مكة انا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون فالضميران مختلفان
ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي ابن سليمان انه سمعه يقوله وقيل الضميران جميعا
لاهل مكة على ان يكون ذرياتهم اولادهم وضعفاؤهم فالفلك على القول الاول سفينة نوح
وعلى الثاني يكون اسما للجنس خبر جل وعز بلطفه وامتنانه وانه خلق السفن يحمل فيها من
يصعب عليه المشي والركوب من الذرية والضعفاء فيكون الضميران على هذا متفقين وقيل
الذرية الابا والاجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح فالابا ذرية ~~لان منهم~~ والابناء ذرية
بدليل هذه الاية قاله ابو عثمان وسمي الاباء ذرية لان منهم ذرأ الابناء وقول رابع ان الذرية
النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيها بالفلك المشحون قاله علي ابن ابي طالب ذكره الماوردي

وقد مضي في البقرة اشتقاق الذرية والكلام فيها مستوفى والمشحون المملو الموقر والفلك
تكون واحدًا وجمعًا وقد تقدم في يونس القول فيه قوله تعالى وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ
والاصل يركبونه فحذفت الهاء لطول الاسم وانه راس اية وفي معناه ثلاثة اقوال مذهب
مجاهد وقتادة وجماعة من اهل التفسير وروي عن ابن عباس ان معنى من مثله للابل
خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر والعرب تشبه الابل بالسفن قال
طرفه • كان حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
جمع خليه وهي السفينة العظيمة والقول الثاني انه للابل والدواب وكل ما يركب والقول
الثالث انه للسفن النخاس وهو اصحها لانه متصل الاسناد عن ابن عباس وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون قال خلق لهم سفنا امثالها يركبون فيها وقال ابو ملك انها السفن الصغار
خلقها مثل السفن الكبار وروي عن ابن عباس ايضًا والحسن وقال الضحاك وغيره
هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح قال الماوردي ويجي علي مقتضي تاويل علي رض
في ان الذرية في الفلك المشحون هي النطف في بطون النساء قول خامس في قوله وخلقنا
لهم من مثله ما يركبون ان يكون تاويله النساء خلقن لركوب الازواج لكن لم اره محكيا
قوله تعالى وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً
مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ اي في البحر فترجع الكناية الي اصحاب الذرية او الي
الجميع وهذا يدل علي صحة قول ابن عباس ومن قال ان المراد من مثله السفن لا الابل
فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم رواه سعيد عن قتادة وروي شيبان عنه فلا منعة لهم
لان بعده ما لا يجوز فيه الا الرفع لانه معرفه وهو ولا هم ينقذون والنحويون يجيزون
لا رجل في الدار ولا زيد ومعنى ينقذون يخلصون من الغرق وقيل من العذاب الا رحمة
منا قال الكسائي هو نصب على الاستثناء وقال الزجاج نصب مفعول من اجله اي للرحمة ومتاعا
معطوف عليه الي حين الي الموت قاله قتادة يحيي بن سلام الي القيامة اي الا ان يرحمهم
ويمتعهم الي اجالهم وان الله عجل عذاب الامم السالفه واخر عذاب امة محمد وان كذبوه
الي الموت والقيامة قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ قال قتادة معنى اتقوا ما بين ايديكم اي من الوقايع فيمن كان قبلكم
من الامم وما خلفكم من الاخرة ابن عباس وابن جبير ومجاهد ما بين ايديكم ما مضي
من الذنوب وما خلفكم ما ياتي من الذنوب الحسن ما بين ايديكم ما مضي من اجلكم وما خلفكم
ما بقي منه وقيل ما بين ايديكم من الدنيا وما خلفكم من عذاب الاخرة وما عملوا لها وما
خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم ما ظهر لكم وما خلفكم
ما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير اذا قيل لهم ذلك اعرضوا دليله قوله بعد وما
تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فاكتفي بهذا عن ذلك قوله تعالى
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ

وعنا بها متقا ربان وصريخ بمعنى مصرخ فعيل بمعنى فاعل ويجوز فلا صريخ لهم مع

قال سعيان وحكي عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس قال ما بين ايديكم من امر الاخرة مع

اي تصدقوا على الفقراء قال الحسن يعني اليهود امروا باطعام الفقراء وقيل هم المشركون
قال لهم فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها
لله وذلك قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبًا فحرموهم وقالوا لو
شاء الله اطعمكم استهزاء فلا نطعمكم حتى ترجعوا الي ديننا قالوا انطعم اي
نرزق من لو يشاء الله اطعمه كان بلغهم من قول المسلمين ان الرزاق هو الله فقالوا
تهزؤا انرزق من لو يشاء الله اغناه وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا
بالصدقه علي المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسمعون المومنين
يعلقون افعال ~~المومنين~~ بمشيته فيقولون لو شاء الله لاغني فلانا ولو شاء لاعز ولو
شاء لكان كذا وكذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمومنين وبما كانوا
يقولون من تعلق الامور بمشيته تعالى وقيل قالوا هذا تعلقا بقول المومنين لهم
انفقوا مما رزقكم الله اي فاذا كان الله رزقنا فهو قادر علي ان يرزقكم فلم تلتمسوا الرزق
منا وكان هذا الاحتجاج باطلا لان الله تعالى اذا ملك عبدًا مالا ثم اوجب عليه فيه حقا
فكانه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض وقد صدقوا في قولهم لو شاء الله اطعمهم
ولكن كذبوا في الاحتجاج ومثله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا وقوله
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ان
انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين اي في سوال المال وفي اتباعكم محمدا
قال معناه مقاتل وغيره وقيل هو من قول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من قول
الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب وقيل ان ابا بكر الصديق رض كان يطعم مساكين
المسلمين فلقيه ابو جهل فقال يا ابا بكر اتزعم ان الله قادر علي اطعام هولاء قال نعم قال
فما باله لم يطعمهم قال ابتلا قوما بالفقر وقوما بالغني وامر الفقراء بالصبر وامر الاغنياء بالاعطا
فقال والله يا ابا بكر ما انت الا في ضلال اتزعم ان الله قادر علي اطعام هولاء وهو لا يطعمهم
ثم تطعمهم انت فنزلت الاية وقيل نزلت الاية في قوم من الزنادقه وقد كان فيهم اقوام يزندقون
فلا يومنون بالصانع واستهزوا بالمسلمين بهذا القول ذكره القشيري والماوردي قوله
تعالى وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ
لما قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قالوا متى هذا الوعد وكان هذا استهزاء منهم ايضًا اي
لا تحقيق لهذا الوعيد قال الله تعالى ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهي نفخة اسرافيل
تاخذهم وهم يخصمون اي يختصمون في امور دنياهم فيموتون في مكانهم وهذه نفخة الصعق
وفي يخصمون خمس قراءات قرا ابو عمرو وابن كثير وهم يخصمون بفتح اليا والخا وتشديد الصاد
وكذا روي ورش عن نافع فاما اصحاب القراات واصحاب نافع سوى ورش فرووا عنه وهم
يخصمون باسكان الخا وتشديد الصاد على الجمع بين ساكنين وقرا يحيى بن وثاب والاعمش

لهم

ونزل قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الايات مع

وحمزة وهم يخصمون باسكان الخاء وتخفيف الصّاد من خصمه وقرأ عاصم والكسائي وهم
يخصمون بكسر الخا وتشديد الصّاد ومعناه يخصم بعضهم بعضًا وقيل يا خذهم وهم عند انفسهم
يخصمون في الحجة انهم لا يبعثون وقد روي ابن جبير عن ابي بكر عن عاصم وحماد عن عاصم
كسر اليا والخا وتشديد الصّاد قال النحاس القراءة الاولى ابينها والاصل فيها يختصمون
فادغمت التاء في الصاد فقلبت حركتها على الخاء وفي حرف ابي وهم يختصمون واسكان الخاء
لا يجوز ولانه جمع بين ساكنين وليس احدهما حرف مدّ ولين وقيل اسكنوا الخاء على اصلها
والمعنى يخصم بعضهم بعضًا فحذف المضاف وجاز ان يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند انفسهم
فحذف المفعول قال الثعلبي وهي قراءة ابي ابن كعب قال النحاس فاما يخصمون فالاصل فيه ايضًا
يختصمون فادغمت التا في الصاد ثم كسرت الخا لالتقاء الساكنين وزعم الفراء ان هذه القراءة
اجود واكثر فترك ما هو اولى من الفاء حركة التا وحركة واجتلبت لها حركة اخرى وجمع
بين يا وكسرة وزعم انه اجود واكثر وكيف يكون اكثر وبالفتح قراءة الخلق من اهل مكة واهل
بصرة واهل المدينة وما روي عن عاصم من كسر الخا والياء فللاتباع وقد مضى هذا في البقرة
في يخطف ابصارهم وفي يونس في يهدي وقال عكرمة في قوله جلّ وعلا الّا صيحة واحدة
قال هي النفخة الاولى في الصّور وقال ابو هريرة ينفخ في الصّور والناس في اسواقهم
فمن حالب لقحة ومن ذارع ثوبا ومن مار في حاجة وروي نعيم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلّم تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما
يطويانه حتى تقوم الساعة والرجل يلط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم
الساعة والرجل يخفض ميزانه فما يرفعه حتى تقوم الساعة والرجل يرفع اكلته الى فيه
فما يبتلعها حتى تقوم الساعة وفي حديث عبد الله ابن عمرو واول من يسمعه رجل يلوط
حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس الحديث فلا يستطيعون توصية اي لا يستطيع بعضهم
ان يوصي بعضًا لما في يده من حق وقيل لا يستطيع ان يوصي بعضهم بعضًا بالتوبة والاقلاع بل
يموتون في اسواقهم ومواضعهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا ماتوا وقيل ان المعنى ولا الى
اهلهم يرجعون لا يرجعون اليهم قولًا وقال قتادة ولا الى اهلهم يرجعون اي الى منازلهم
لانهم قد اعجلوا عن ذلك قوله تعالى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى
رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ هذه النفخة الثانية للنشاة وقد بيّنا في سورة النمل انهما نفختان لا ثلاث
وهذه الاية دالة على ذلك وروي المبارك ابن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلي
عليه وسلّم بين النفختين اربعون سنة الاولى يميت الله بها كل حيّ والاخرى يحيي الله تعالى
كل ميّت وقال قتادة الصور جمع صورة اي نفخ في الصّور الارواح وصورة وصور مثل
سورة البنا وسور قال العجاج ورب ذي سرادق محجور سرت اليه في اعالي السور وقد روي
عن ابي هريرة انه قرأ ونفخ في الصور النحاس والصحيح ان الصور باسكان الواو القرن
جا بذلك التوقيف عن رسول الله صلي الله عليه وسلّم وذلك معروف في كلام العرب انشد اهل

على الخاء صح

اللغة نحن نطحناهم غداة الغورين بالضابحات في غبار النقعين
نطحًا شديدًا لا كنطح الصورين وقد مضى هذا في الانعام مستوفى فاذا هم من الاجداث
اي القبور وقري بالفاء من الاجداف ذكره الزمخشري يقال جدث وجدف واللغة الفصيحة
الجدث بالثاء والجمع اجدث واجداث قال المتنخل الهذلي
عرفت باجدث فنعاف عرق علامات كتحبير النماط واجتدث اي اتخذ
جدثا الى ربهم ينسلون اي يخرجون قاله ابن عباس وقتادة ومنه قول امرئ القيس
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ومنه قيل للولد نسل لانه يخرج من بطن امه وقيل يسرعون
والنسلان والعسلان الاسراع في السير ومنه مشية الذئب قال
عسلان الذئب امسى قاربًا برد الليل عليه فنسل يقال عسل الذئب ونسل يعسل
وينسل من باب ضرب يضرب ويقال ينسل بالضم ايضًا الاسراع في المشي يخرجون مسرعين وفي
التنزيل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقال يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر
وفي سال سائل يوم يخرجون من الاجداث كانهم الى نصب يوفضون اي يسرعون وفي الخبر
شكونا الى النبيّ صلي الله عليه وسلّم الضعف فقال عليكم بالنسل اي بالاسراع في المشي فانه
ينشط قوله تعالى قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ
وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً قال ابن الانباري يا ويلنا وقف حسن
ثم يبتدي من بعثنا وروي عن بعض القراء يا ويلنا من بعثنا بكسر من والثا من البعث
روي ذلك عن علي رض فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف علي قوله يا ويلنا حتى يقول من
مرقدنا وفي قراءة ابي ابن كعب من اهبنا من مرقدنا فهذا دليل على صحة مذهب العامّة
قال المهدوي وقرا ابن ابي ليلى قالوا يا ويلتنا بزيادة تاء وهو تانيث الويل ومثله يا ويلتا
الدوانا عجوز وقرأ علي رض يا ويلنا من بعثنا فمن متعلق بالويل او حال من ويلنا فيتعلق
بمحذوف كانه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا وكما يجوز ان يكون خبرًا عنه كذلك يجوز ان يكون
حالًا منه ومن من قوله من مرقدنا متعلقة بنفس البعث ثم قيل كيف قالوا هذا وهم من
المعذبين في قبورهم فالجواب ان ابي ابن كعب قال ينامون نومة وفي رواية فيقولون
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ابو بكر الانباري لا يحمل هذا الحديث علي ان اهبنا من لفظ
القرآن كما قاله من طعن في القرآن ولكنه تفسير بعثنا او معبر عن بعض معانيه قال ابو
بكر وكذا حفظته من هبنا بغير الف في هبنا مع تسكين نون من والصواب فيه على طريق اللغة
من اهبنا بفتح النون على ان فتحة همزة اهب القيت على نون من واسقطت الهمزة كما قالت
العرب من اخبرك من اعلمك وهم يريدون من اخبرك وتقال
اهببت النائم فهب النائم انشدنا احمد بن يحيى النحوي
وعاذلة هبّت بليل تلومني ولم يغتمرني قبل ذاك عذول وقال ابو صالح اذا نفخ
النفخة الاولى رفع العذاب عن اهل القبور وهجعوا هجعة الى النفخة الثانية وبينهما اربعون

بالوصل صح

سنة وذلك قولهم من بعثنا من مرقدنا وقاله ابن اعباس وقتادة وقال اهل المعاني
ان الكفار لما عاينوا جهنم وما فيها من انواع العذاب صار ما عذبوا به في قبورهم
الي جنب عذابها كالنوم قال مجاهد فقال لهم المومنون هذا ما وعد الرحمن وقال
قتادة فقال لهم من هدي الله هذا ما وعد الرحمن وقال الفراء فقال لهم الملايكة هذا
ما وعد الرحمن النحاس وهذه الاقوال متفقة لان الملايكة من المومنين وممن هدي
الله عز وجل وعلي هذا تاول قول الله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية وكذا الحديث المومن عند الله خير مما خلق ويجوز ان يكون الملايكة
صلي الله عليهم وغيرهم من المومنين قالوا لهم هذا ما وعد الرحمن وقيل ان الكفار
لما قال بعضهم لبعض من بعثنا من مرقدنا صدقوا الرسل لما عاينوا ما اخبروهم به ثم قالوا
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فكذبنا به اقروا حين لم ينفعهم الاقرار وكان حفص
يقف علي من مرقدنا ثم يبتدي فيقول هذا قال ابن الانباري من بعثنا من مرقدنا وقف
حسن ثم يبتدي هذا ما وعد الرحمن ويجوز ان يقف علي مرقدنا هذا فيخفض هذا علي
الاتباع للمرقد ويبتدي ما وعد الرحمن علي معني بعثكم ما وعد الرحمن اي بعثكم وعد
الرحمن النحاس التمام علي من مرقدنا وهذا في موضع رفع بالابتداء وخبره ما وعد الرحمن
ويجوز ان يكون في موضع خفض علي النعت لمرقدنا فيكون التمام من مرقدنا هذا ما وعد
الرحمن في موضع رفع من ثلاث جهات ذكرها ابو اسحق منها اثنتان قال يكون باضمار هذا والجهة
الثانية ان يكون بمعني حق ما وعد الرحمن بعثكم والجهة الثالثة ان يكون بمعني بعثكم ما وعد
الرحمن ان كانت الا صيحة واحدة يعني ان بعثهم واحياهم كان بصيحة واحدة وقول اسرافيل
ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة والعظام المتمزقة والشعور المتمزقة ان الله يامركن
ان تجتمعن لفصل القضا وهذا معني قوله الحق يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج
وقال مهطعين الي الداعي علي ما ياتي وفي قراة ابن مسعود ان صح عنه ان كانت الا زقية واحدة
والزقية الصيحة وقد تقدم هذا فاذا هم جميع لدينا محضرون فاذا هم جميع مبتداء وخبر
وجميع نكرة ومحضرون من صفته ومعني محضرون مجموعون احضروا موقف الحساب وهو
كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر قوله تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون اي لا تنقص من ثواب عمل ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ما في موضع نصب
من وجهين الاول انه مفعول ثان لما لم يسم فاعله والثاني بنزع حرف الصفة تقديره الا بما كنتم تعملون
اي تعملونه فحذف قوله تعالى إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ
وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ
قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد شغلهم بافتضاض العذاري وذكر الترمذي
الحكيم في كتاب مشكل القران له حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن
حميد عن شمر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله ابن مسعود في قوله ان اصحاب الجنة

اليوم في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض العذاري حدثنا محمد بن حميد حدثنا هرون
ابن المغيرة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس بمثله وقال ابو قلابة بينما الرجل من اهل الجنة
مع اهله اذ قيل له تحول الي اهلك فيقول انا مع اهلي مشغول فيقال تحول ايضا الي اهلك وقيل
اصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام باهل المعاصي ومصيرهم
الي النار وما هم فيه من اليم العذاب وان كان فيهم اقرباوهم واهلوهم قاله سعيد ابن
المسيب وغيره وقال وكيع يعني في السماع وقال ابن كيسان في شغل اي في زيارة بعضهم بعضا
وقيل في ضيافة الله تعالى وروي انه اذا كان يوم القيامة نادي مناد اين عبادي الذين اطاعوني
وحفظوا عهدي بالغيب فيقومون كانما وجوههم البدر والكوكب الدري ركبانا علي نجب من
نور ازمتها من الياقوت تطير بهم علي رووس الخلايق حتي يقوموا بين يدي العرش
فيقول الله جل وعز لهم السلام علي عبادي الذين اطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب انا
اصطفيتكم وانا اجتبيتكم وانا اخترتكم اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب فلا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيمرون علي الصراط كالبرق الخاطف فيفتح لهم ابوابها
الجنة ثم ان الخلق في المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض يا قوم اين فلان وفلان وذلك
حين يسال بعضهم بعضا فينادي مناد ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وشغل وشغل
لغتان قري بهما مثل الرعب والرعب والسحت والسحت وقد تقدم فاكهون قال الحسن
مسرورون وقال ابن عباس فرحون مجاهد والضحاك معجبون السدي ناعمون والمعني
متقارب والفكاهة المزاح والكلام الطيب وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج فكهون
بغير الف وهما لغتان كالفاره والفره والحاذر والحذر قاله الفراء وقال الكسايي
وابو عبيدة الفاكه ذو الفاكهة مثل شاحم ولاحم وتامر ولابن والفكه المتفكه
والمتنعم وفكهون بغير الف في قول قتادة معجبون وقال ابو زيد يقال رجل فكه
اذا كان طيب النفس ضحوكا وقرا طلحة ابن مصرف فاكهين نصبه علي الحال هم وازواجهم
في ظلال علي الارايك متكئون مبتداء وخبر ويجوز ان يكون هم توكيدا وازواجهم
عطف علي المضمر ومتكئون نعت لقوله فاكهون وقراة العامة في ظلال بكسر الظاء والالف
وقرا ابن مسعود وعبيد بن عمير والاعمش ويحيي وحمزة والكسايي وخلف في ظلل
بضم الظاء من غير الف فالظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة علي الارايك يعني السرر في الحجال
واحدها اريكة مثل سفينة وسفاين قال

كان احمرار الورد فوق غصونه بوقت الضحي في روضة المضاحك
خدود عذاري قد خجلن من الحيا تهادين بالريحان فوق الارايك

وفي الخبر عن ابي سعيد الخدري قال النبي صلي الله عليه وسلم ان اهل الجنة كلما جامعوا
نساهم عادوا ابكارا وقال ابن عباس ان الرجل من الجنة ليعانق الحوراء سبعين سنة
لا يملها ولا تمله كلما اتاها وجدها بكرا وكلما رجع اليها عادت اليه شهوته فيجامعها

بقوة سبعين رجلاً لا يكون بينهما مني يأتي من غير مني منه ولا منيها لهم فيها فاكهة
ابتدا وخبر ولهم ما يدعون الدال الثانية مبدلة من تاء لانه يفتعلون من دعاء اي
من دعا بشيء اعطيه قاله ابو عبيدة فمعنى يدعون يتمنون من الدعا وقيل المعنى ان
من ادعى منهم شيئاً فهوله لان الله تعالى قد طبعهم على ان لا يدعي احد الا ما يجمل و
يحسن ان يدعيه وقال يحيى ابن سلام يدعون يشتهون ابن عباس يسألون والمعنى متقارب
قال ابن الانباري ولهم ما يدعون وقف حسن ثم يبتدي سلام على معنى ذلك لهم سلام
ويجوز ان يرفع السلام على معنى ولهم ما يدعون مسلّم خالص فعلى هذا المذهب لا يحسن
الوقف على ما يدعون وقال الزجاج سلام مرفوع على البدل من ما اي ولهم ان يسلم
الله عليهم وهذا منى اهل الجنة وروي من حديث جرير بن عبد الله البجلي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا روسهم
فاذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله
سلام قولا من رب رحيم فنظر اليهم حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم في
ديارهم ذكره الثعلبي والقشيري ومعناه ثابت في صحيح مسلم وقد بيناه في يونس عند قوله
للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويجوز ان يكون ما نكرة وسلام نعتاً لها اي ولهم ما يدعون
مسلّم ويجوز ان يكون ما رفعاً بالابتداء وسلام خبر عنها وعلى هذه الوجوه لا يوقف على ولهم
يدعون وفي قراءة ابن مسعود سلاماً يكون مصدراً وان شئت في موضع الحال اي ولهم ما
يدعون ذا سلام او سلامة او مسلّماً فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على يدعون وقراء محمد
بن كعب القرظي سلمٌ على الاستيناف كانه قال ذلك سلم لهم لا يتنازعون فيه ويكون ولهم ما
يدعون تام ويجوز ان يكون سلام بدلاً من قوله ولهم ما يدعون وخبر ما يدّعون لهم ويجوز
ان يكون سلام خبراً آخر ويكون معنى الكلام انه لهم خالص من غير منازع فيه قولاً مصدر
على معنى قال الله ذلك قولاً او يقوله قولاً ودل على الفعل المحذوف لفظ مصدره ويجوز
ان يكون المعنى ما يدعون قولاً اي عدة من الله فعلى هذا المذهب الثاني لا يحسن الوقف
على يدعون وقال السجستاني الوقف على قوله سلام تام وهذا خطا لان القول خارج مما
قبله قوله تعالى وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ويقال تميزوا وامازوا وامتازوا بمعنى
ومزته فانماز وامتاز وميزته فتميز اي يقال لهم هذا عند الوقف عند السوال حين يومر باهل
الجنة الى الجنة اي اخرجوا من جملتهم قال قتادة عزلوا عن كل خير وقال الضحاك يمتاز
المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة والمجوس فرقة والصابئون
فرقة وعبدة الاوثان فرقة وعنه ايضاً ان لكل فرقة في النار بيتاً يدخل فيها ويرد بابه
فيكون فيه ابداً لا يرى ولا يرى وقال داود ابن الجراح فيمتاز المسلمون من المجرمين الا
اصحاب الاهواء فيكونون مع المجرمين قوله تعالى أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

ويتظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه

ولهم

العهد هنا بمعنى الوصية اي الم اوصيكم وابلغكم على السنة الرسل ان لا تعبدوا الشيطان
اي لا تطيعوه في معصيتي قال الكسائي لا للنهي وان اعبدوني بكسر النون على الاصل ومن
ضم كره كسرة بعدها ضمة هذا صراط مستقيم اي عبادتي دين قويم قوله تعالى
وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اي اغوى جبلا كثيرا
اي خلقاً كثيراً قاله مجاهد قتادة جموعاً كثيرة الكلبي امماً كثيرة والمعنى واحد
وقراء اهل المدينة وعاصم جبلاً بكسر الجيم والباء وابو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم
واسكان الباء الباقون جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وشددها الحسن وابن
ابي اسحق وعيسى ابن عمر وعبد الله بن عبيد والنضر ابن انس وقراء ابو يحيى والاشهب
العقيلي جبلا بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام فهذه خمس قراءات قال المهدوي
والثعلبي وكلها لغات بمعنى الخلق النحاس ابينها القراءة الاولى والدليل على ذلك
انهم قد اجمعوا على ان قروا والجبلة الاولين فيكون جبلا جمع جبلة والاشتقاق
فيه كله واحد وانما هو من جبل الله عز وجل الخلق اي خلقهم وقد ذكرت قراءة
سادسة وهي لقد اضل منكم جيلا كثيرا بالياء وحكى عن الضحاك ان الجيل الواحد عشرة
الاف والكثير ما لا يحصيه الا الله عز وجل ذكره الماوردي افلم تكونوا تعقلون
عداوته وتعلموا ان الواجب طاعة الله هذه جهنم اي يقول لهم خزنة جهنم هذه
جهنم التي وعدتم فكذبتم بها وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الانس والجن والاولين والاخرين في صعيد واحد
ثم اشرف عنق من النار على الخلايق فاحاط بهم ثم ينادي مناد هذه جهنم التي كنتم توعدون
اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون فحينئذ تجثوا الامم على ركبها وتضع كل ذات حمل حملها وتذهل
كل مرضعة عما ارضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
قوله تعالى الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا في صحيح مسلم عن انس ابن مالك
قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله
اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فاني لا
اجيز على نفسي الا شاهداً مني قال فيقول كفى بنفسك عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً
قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام
قال فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت اناضل خرجه ايضاً من حديث ابي هريرة وفيه ثم
يقال الان نبعث شاهداً عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال
لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق
وذلك الذي سخط الله عليه وخرج الترمذي عن معاوية ابن حيدة عن النبي صلى الله عليه

في حديث ذكره قال واشار بيده الى الشام فقال ها هنا الى هنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون
على وجوهكم يوم القيامة على افواهكم الفدام توفون سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم
على الله وان اول ما يعرب عن احدكم فخذه في رواية اخرى فخذه وكفه الفدام مصفاة الكوز
والابريق قاله الليث قال ابو عبيد يعني انهم منعوا الكلام حتى يتكلم افخاذهم فشبه ذلك بالفدام
الذي يجعل على الابريق ثم قيل في سبب الختم اربعة اوجه احدها لانهم قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين فختم الله على افواههم حتى نطقت جوارحهم قاله ابو موسى الاشعري الثاني ليعرفهم
اهل الموقف فيتميزون منهم قاله ابن زياد الثالث لان اقرار غير الناطق ابلغ في الحجة من اقرار الناطق
لخروجه مخرج الاعجاز وان كان يومًا لا يحتاج الى اعجاز الرابع ليعلم ان اعضاءه التي كانت اعوانا
في حق نفسه صارت عليه شهودًا في حق ربه فان قيل لم قال وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
فجعل ما كان من اليد كلامًا وما كان من الرجل شهادة قيل لان اليد مباشرة لعمله والرجل
حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه اقرار بما قال او فعل فلذلك عبر
عما صدر من الايدي بالقول وعما صدر من الارجل بالشهادة وقد روي عن عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على
الافواه فخذه من الرجل اليسرى ذكره الماوردي والمهدوي وقال ابو موسى الاشعري اني
لاحسب ان اول ما نطق منه فخذه اليمنى ذكره المهدوي ايضًا قال الماوردي فاحتمل ان يكون
تقدم الفخذ بالكلام على سائر الاعضاء لان لذة معاصيه يدركها بحواسه التي هي في الشطر
الاسفل منها الفخذ فجاز لقربه منها ان يتقدم في الشهادة عليها قال وتقدمت اليسرى
لان الشهوة في مياسر الاعضاء اقوى منها في ميامنها فلذلك تقدمت اليسرى على اليمنى
لقلة شهوتها قال الشيخ او بالعكس لغلبة الشهوة او كلاهما معًا والكف فان بمجموع
ذلك يكون تمام الشهوة واللذة والله اعلم قوله تعالى وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى اعينهم
فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ حكى الكسائي طمس يطمس ويطمس والمطموس والطميس عند اهل اللغة
الاعمى الذي ليس في عينيه شق قال ابن عباس المعنى لاعمينا هم عن الهدى فلا يهتدون
ابدًا الى طريق الحق وقال الحسن والسدي المعنى لتركناهم عميًا يترددون فالمعنى لاعميناهم فلا
يبصرون طريقًا الى تصرفهم في منازلهم ولا غيرها وهذا اختيار الطبري وقوله فاستبقوا الصراط
اي استبقوا الطريق ليجوزوا فاني يبصرون اي فمن اين يبصرون وقال عطاء ومقاتل وقتادة
وروي عن ابن عباس ولو نشاء لفقانا اعين ضلالتهم واعميناهم عن غيهم وحولنا
ابصارهم من الضلالة الى الهدى فاهتدوا وابصروا رشدهم وتبادروا الى طريق الاخرة
ثم قال فانى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم اي فكيف يهتدون وعين الهدى مطموسة على الضلال
باقية وقد روي عن عبد الله ابن سلام في تاويل هذه الاية وتاولها على انها في يوم القيامة
وقال اذا كان يوم القيامة ومد الصراط نادى مناد ليقم محمد صلى الله عليه وسلم وامته فيقوم
برهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط فاذا صاروا عليه طمس الله اعين فجارهم فاستبقوا

نثيرا تقدم صح

الصراط فمن اين يبصرونه حتى يجاوزوه ثم ينادي مناد ليقم عيسى صلى الله عليه
وسلم فيقوم فيتبعونه برهم وفاجرهم فيكون سبيلهم تلك السبيل وكذا سائر الانبياء
ذكره النحاس وقد كتبناه في التذكرة بمعناه حسب ما ذكره ابن المبارك في رقائقه و
ذكره القشيري وقال ابن عباس اخذ الاسود بن عبد الاسود حجرًا ومعه جماعة من بني
مخزوم ليطرحه على النبي صلى الله عليه وسلم فطمس الله على بصره والصق الحجر بيده فما ابصره
ولا اهتدى ونزلت الاية فيه والمطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق ماخوذ من طمس
الريح الاثر قاله الاخفش والقتبي قوله تعالى وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا
اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ المسخ تبديل الخلقة وقلبها حجرًا
او جمادًا او بهيمة قال الحسن اي لاقعدناهم فلا يستطيعون ان يمضوا امامهم ولا يرجعوا
وراءهم وكذلك الجماد لا يتقدم ولا يتاخر وقد يكون المسخ تبديل صورة الانسان بهيمة ثم تلك
البهيمة لا تعقل موضعًا تقصده فتتحير فلا تقبل ولا تدبر ابن عباس المعنى لو نشاء لاهلكناهم
في مساكنهم وقيل المعنى لو نشاء لمسخناهم في المكان الذي اجترؤوا فيه على المعصية ابن سلام
هذا كله يوم القيامة يطمس الله اعينهم على الصراط وقرا الحسن والسلمي وزر بن حبيش و
عاصم في رواية ابي بكر مكاناتهم على الجمع الباقون بالتوحيد وقرا ابو حيوة فما استطاعوا
مضيا بفتح الميم والمضي بضم الميم مصدر مضى يمضي مضيا اذا ذهب قوله تعالى وَمَنْ
نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا قرا عاصم وحمزة ننكسه بضم النون الاولى وتشديد الكاف
من التنكيس الباقون ننكسه بفتح النون الاولى وضم الكاف من نكس الشيء انكسه نكسا قلبته
على راسه فانتكس قال قتادة المعنى انه يصير الى حال الهرم الذي يشبه حال الصبي وقال سفيان
في قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق اذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته قال
الشاعر .. من عاش اخلقت الايام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر
وطول العمر يصير الشاب هرمًا والقوة ضعفًا والزيادة نقصًا وهذا هو الغالب وقد تعوذ
صلى الله عليه وسلم من ان يرد الى ارذل العمر وقد مضى في النحل بيانه افلا يعقلون ان من فعل
هذا بكم قادر على بعثكم وقرا نافع وابن ذكوان تعقلون بالتاء والباقون بالياء قوله تعالى وَمَا
عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ فيه اربع مسائل الاولى اخبر تعالى عن
حال نبيه صلى الله عليه وسلم ورد قول من قال من الكفار انه شاعر وان القران شعر بقوله وما
علمناه الشعر وما ينبغي له وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الشعر ولا يزنه وكان
اذا حاول انشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه وانما كان يحرز المعاني فقط من ذلك انه انشد يوما
قول طرفة .. ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزوده بالاخبار ..
وانشد يوما وقد قيل له من اشعر الناس فقال الذي يقول .. الم ترياني كلما جئت طارقا وجدت بها
وان لم تطيب طيبا .. وانشد يوما .. اتجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة ..
وقد كان صلى الله عليه وسلم ربما انشد البيت المستقيم في النادر روي انه انشد بيت ابن رواحة

تعملون صح

سعن صح

بيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع • وقال الحسن ابن ابي الحسن
انشد النبي صلى الله عليه وسلم • كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا • فقال ابو بكر يا نبي الله
انما قال الشاعر • هريرة ودع ان تجهزت غاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا • •
فقال ابو بكر او عمر اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن
الخليل ابن احمد كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لا ياتي
به الثانية اصابته الوزن احيانا لا يوجب انه يعلم الشعر وكذلك ما ياتي احيانا من نثر كلامه
ما يدخل في وزن كقوله يوم حنين وغيره • هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقوله • انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب • فقد ياتي مثل ذلك في ايات الله وفي
كل كلام وليس كل ذلك بشعر ولا في معناه كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله
نصر من الله وفتح قريب وبشر المومنين وقوله وجفان كالجوان وقدور راسيات الى غير ذلك من
الايات وقد ذكر ابن العربي منها ايات وتكلم عليها واخرجها عن الوزن على ان ابا الحسن الاخفش
قال في قوله انا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين ان ما جاء من السجع على جزئين
لا يكون شعرا وروي عنه انه من منهوك الرجز وقد قيل لا يكون من منهوك رجز الا بالوقف على البا
من قوله لا كذب ومن قوله عبد المطلب ولم يعلم كيف قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن العربي
والاظهر من حاله انه قال لا كذب البا مرفوعة وبخفض البا من عبد المطلب على الاضافة وقال
النحاس قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم يكن شعرا لانه اذا فتح البا من بيت
الاول اوضمها او نونها وكسر البا من عبد المطلب خرج عن وزن الشعر وقال بعضهم ليس هذا الوزن من
الشعر وهذا مكابرة العيان لان اشعار العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره واما قوله هل انت الا
اصبع دميت فقيل انه من بحر السريع وذلك لا يكون الا اذا كسرت التا من دميت فان سكن لم يكن شعرا
بحال لان هاتين الكلمتين على هذه الصفة لا يكون فعولا ولا مدخل لفعول في بحر السريع ولعل النبي صلى
الله عليه وسلم قالها ساكنة التاء او متحركة التا من غير اشباع والمعول عليه في الانفصال على تسليم هذا شعر
ويسقط الاعتراض ولا يلزم منه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بالشعر ولا شاعرا ان التمثل بالبيت النذر
واصابة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب ان يكون قائلها عالما بالشعر ولا يسمى شاعرا باتفاق العقلا
كما ان من خاط خيطا لا يكون خياطا قال ابو اسحق الزجاج معنى وما علمناه الشعر اي ما جعلناه
شاعرا وهذا لا يمنع ان ينشد شيا من الشعر قال النحاس وهذا من احسن ما قيل في هذا وقيل انما اخبر الله
جل وعز انه ما علمه الله الشعر ولم يخبر انه لا ينشد شعرا وهذا ظاهر الكلام وقد قيل فيه قول بين زعم
صاحبه انه اجماع من اللغة وذلك انهم قالوا كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الى شعر فليس
بشعر وانما وافق الشعر وهذا قول بين قالوا وانما الذي نفاه الله عن نبيه عليه السلام فهو العلم
بالشعر واصنافه واعاريضه وقوافيه والاتصاف بقوله ولم يكن موصوفا بذلك بالاتفاق الا ترى
ان قريشا تراوضت فيما يقولون للعرب فيه اذا قدموا عليهم الموسم فقال بعضهم نقول انه شاعر
فقال اهل الفطنة منهم والله ليكذبنكم العرب فانهم يعرفون اصناف الشعر فوالله ما يشبه

شيا منها وما قوله بشعر وقال انيس اخو ابي ذر لقد وضعت قوله على اقرا الشعر فلم يلتيم انه شعر
اخرجه مسلم وكان انيس من اشعر العرب وكذلك قال عتبة ابن ربيعة لما كلمه والله ما هو بشعر ولا
كهانة ولا سحر على ما ياتي من خبره في سورة فصلت ان شا الله تعالى وكذلك قال غيرهما من فصحاء
العرب العرباء واللسن البلغاء ثم ان ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد
منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد اليه فقد يقول القايل حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب
الكسا ولا يعد هذا شعرا وقد كان رجل ينادي في مرضه وهو من عرض العامة العقلاء اذهبوا
بي الى الطبيب وقولوا قد اكتوى الثالثة روى ابن القاسم عن مالك انه سيل عن انشاد الشعر
فقال لا تكثرن به فمن عيبه ان الله يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال ولقد بلغني ان عمر ابن الخطاب
كتب الى ابي موسى الاشعري ان اجمع الشعراء قبلك وسلهم عن الشعر وهل بقي معهم معرفة واحضر
لبيدا فقال ما قلت من شعر منذ سمعت الله عز وجل يقول الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال ابن العربي
هذه الاية ليست من عيب الشعر كما لم يكن قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
من عيب الكتابة فلما لم تكن الامية من عيب الخط كذلك لا يكون نفي النظم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من عيب الشعر روي ان المامون قال لابي علي المنقري بلغني انك امي وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن
فقال يا امير المومنين اما اللحن فربما سبق لساني منه شي واما الامية وكسر الشعر فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقيم الشعر فقال له سالتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل
يا جاهل ان ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وهو فيك وفي امثالك نقيصة وانما منع النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك لنفي الظنة عنه لا لعيب في الشعر والكتابة الرابعة قوله تعالى وما ينبغي
له اي وما يصلح له ان يقوله وجعل الله جل وعلا ذلك علما من اعلام نبيه عليه السلام لئلا تدخل الشبهة
على من ارسل اليه فيظن انه قوي على القران بما في طبعه من القوة على الشعر ولا اعتراض لملحد على هذا
بما يتفق الوزن فيه من القران وكلام الرسول لان ما وافق وزن الشعر ولم يقصد به الى الشعر ليس بشعر
ولو كان شعرا لكان كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعرا على ما تقدم
بيانه وقال الزجاج معنى وما ينبغي له اي وما يتسهل له قول الشعر لا الانشاد ان هو الا ذكر اي هذا
الذي يتلوه عليكم الا ذكر وقران مبين قوله تعالى لِتُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ
عَلَى الْكَافِرِينَ اي حي القلب قاله قتادة الضحاك عاقلا وقيل المعنى لتنذر من كان مومنا
في علم الله هذا على قراة التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وهي قراة نافع وابن عامر وقرا
الباقون بالياء على معنى لينذر الله او لينذر محمد صلى الله عليه وسلم او لينذر القران وروي ابن
السميقع لينذر بفتح الياء والذال ويحق القول على الكافرين وتجب الحجة بالقران على الكفرة
قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ
وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ
أَفَلَا يَشْكُرُونَ هذه روية القلب اي او لم ينظروا ويعتبروا ويتفكروا مما عملت ايدينا اي مما ابدعناه و
عملنا من غير واسطة ولا وكالة ولا شركة وما بمعنى الذي وحذفت الهاء لطول الاسم وان جعلت ما

ما مصدرية لم يحتج الي اضمار الهاء انعامًا جمع نعم والنعم مذكر فهم لها مالكون ضابطون
قاهرون وذللناها لهم اي سخرناها لهم حتى يقود الصبي الجمل العظيم ويضربه ويصرفه كيف
يشاء لا يخرج من طاعته فمنها ركوبهم قراءة العامة بفتح الراء اي مركوبهم كما يقال ناقة حلوب
اي محلوب وقراء الحسن والاعمش وابن السميفع فمنها ركوبهم بضم الراء علي المصدر وروي
عن عائشة انها قرات فمنها ركوبتهم وكذا في مصحفها والركوب والركوبة واحد مثل الحلوب
والحلوبة والحمول والحمولة وحكي النحويون الكوفيون ان العرب تقول امراة صبور وشكور
بغير هاء ويقولون شاة حلوبة وناقة ركوبة لانهم ارادوا ان يفرقوا بين ما كان له الفعل
وما كان الفعل واقعا عليه فحذفوا الهاء مما كان فاعلًا واثبتوها مما كان مفعولًا كما قال
فيها اثنتان واربعون حلوبة سودًا كخافية الغراب الاسحم • فيجب ان يكون علي
هذا ركوبتهم فاما البصريون فيقولون حذفت الهاء علي النسب والحجة للقول الاول ما رواه
الجرمي عن ابي عبيدة قال الركوبة تكون للواحد والجماعة والركوب لا يكون الا للجماعة فعلي
هذا يكون لتذكير الجموع وزعم ابو حاتم انه لا يجوز فمنها ركوبهم بضم الراء لانه مصدر والركوب
ما يركب واجاز الفراء فمنها ركوبهم بضم الراء كما تقول فمنها اكلهم ومنها شربهم ومنها ياكلون
من لحمانها ولهم فيها منافع من اصوافها واوبارها واشعارها وشحومها ولحومها وغير
ذلك ومشارب يعني البانها ولم يصرفا لانهما من الجموع التي لا نظير لها في الواحد افلا يشكرون
الله تعالي علي نعمه قوله تعالى واتخذوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ اي قد راوا هذه الايات من قدرتنا ثم اتخذوا من دوننا الهة
لا قدرة لها علي فعل لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم يعني الالهة وجمعوا بالواو والنون
لانه اخبر عنهم بخبر الادميين وهم يعني الكفار لهم اي للالهة جند محضرون قال الحسن
يمنعون منهم ويدفعون عنهم وقال قتادة اي يغضبون لهم في الدنيا وقيل المعني انهم يعبدون
الالهة ويقومون بها فهم لهم بمنزلة الجند وهي لا تستطيع ان تنصرهم وهذه الاقوال الثلاثة
متقاربة المعني وقيل اي الالهة جند للعابدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن
بعض وقيل معناه وهذه الاصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم في جهنم لانهم يلعنونهم
ويتبرؤون من عبادتهم وقيل الالهة جند لهم محضرون يوم القيامة لاعانتهم في ظنونهم
وروي في الخبر انه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله فيتبعونه الي النار فهم
لهم جند محضرون قال الشيخ ومعني هذا الخبر ثابت في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة
وفي الترمذي عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد
ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول الا ليتبع كل انسان ما كان يعبد فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب
التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقي المسلمون وذكر الحديث
بطوله فلا يحزنك قولهم هذه اللغة الفصيحة ومن العرب من يقول يحزنك والمراد تسلية نبيه عليه

العلام

اي لا يحزنك قولهم شاعر ساحر وتم الكلام ثم استانف فقال انا نعلم ما يسرون من القول والعمل
وما يظهرون فنجازيهم بذلك قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ
فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ قال ابن عباس الانسان هو عبد الله ابن ابي وقال سعيد بن جبير هو العاص
ابن وائل السهمي وقال الحسن هو امية ابن خلف وقال قتادة ومجاهد هو ابي ابن خلف الجمحي و
قال ابن اسحق ورواه ابن وهب عن مالك انا خلقناه من نطفة وهو اليسير من الماء نطف
اذا قطر فاذا هو خصيم مبين اي مجادل في الخصومة مبين للحجة يريد بذلك انه صار بعد ان لم يكن
شيئا مذكورا خصيمًا مبينًا وذلك انه اتي النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال يا محمد اتري
الله يحيي هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك الله ويدخلك النار
فنزلت هذه قوله تعالى وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ
وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
فيه مسالتان الاولى قوله تعالى وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه اي ونسي انا انشاناه من نطفة ميتة
فركبنا فيه الحياة اي جوابه من نفسه حاضر ولهذا قال عليه السلام نعم ويحييك الله ويدخلك
النار ففي هذا دليل علي صحة القياس لان الله جل وعلا احتج علي منكري البعث بالنشاة الاولى
قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية رم العظم فهو رميم ورمام وانما قال رميم ولم
يقل رميمة لانها معدولة عن فاعلة وما كان معدولًا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اعرابه
كقوله وما كانت امك بغيا اسقط الهاء لانها مصروفة عن باغية وقيل ان هذا الكافر قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ارايت ان سحقتها واذريتها في الرياح ايعيدها الله فنزلت قل يحييها الذي
انشاها اول مرة اي من غير شيء فهو قادر علي اعادته في النشاة الثانية من شيء وهو عجم الذنب
ويقال عجب الذنب بالباء وهو بكل شيء عليم اي كيف يبدي ويعيد الثانية في هذه الاية دليل
علي ان في العظام حياة وانها تنجس بالموت وهو قول ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وقال
الشافعي لا حياة فيه وقد تقدم هذا في النحل فان قيل اراد بقوله من يحيي العظام اصحاب العظام واقامة المضاف
مقام المضاف اليه كثير في اللغة موجود في الشريعة قلنا انما يكون اذا احتيج لضرورة وليس هنا
ضرورة تدعو الي هذا الاضمار ولا يفتقر الي هذا التقدير اذ الباري سبحانه قد اخبر به وهو قادر
عليه والحقيقة تشهد له فان الاحساس الذي هو علامة الحياة موجود فيه قاله ابن العربي قوله
تعالى الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ
الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ نبه تعالي علي وحدانيته ودل علي كمال قدرته في احياء الموتى بما يشاهدونه
من اخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب وذلك ان الكافر قال النطفة حارة رطبة بطبع الحياة
فخرج منها الحياة والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة فانزل الله تعالي الذي جعل
لكم من الشجر الاخضر نارا اي ان الشجر الاخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان فاخرج
الله منه النار فهو القادر علي اخراج الضد من الضد وهو علي كل شيء قدير ويعني بالاية ما في المرخ

خلف م

اصحاب العظام م

والعفار وهي زنادة العرب ومنه قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فالعفار الزند وهو الاعلى
والمرخ الزندة وهي الاسفل يوخذ منهما غصنان مثل المسواكين يقطران ما فيحك بعضهما الى بعض فيخرج منهما النار
وقال من الشجر الاخضر ولم يقل الخضر وهو جمع لانه رده الى اللفظ ومن العرب من يقول الشجر الخضر
كما قال عز وجل من شجر من زقوم فمالئون منها البطون ثم قال محتجا اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم اي امثال المنكرين للبعث وقرا سلام ابو المنذر ويعقوب الحضرمي يقدر على
ان يخلق مثلهم على انه فعل بلى اي ان خلق السموات والارض اعظم من خلقهم فالذي خلق السموات
والارض يقدر على ان يبعثهم وهو الخلاق العليم وقراء الحسن باختلاف عنه الخالق
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده
ملكوت كل شيء واليه ترجعون قراء الكساي فيكون بالنصب عطفا على ان يقول اي
اذا اراد خلق شيء لا يحتاج الى تعب ومعالجة وقد مضى هذا في غير موضع فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء نزه نفسه تعالى عن العجز والشرك وملكوت وملكوتي في كلام العرب بمعنى ملك والعرب تقول
جبروتي خير من رحموتي وقال سعيد عن قتادة ملكوت كل شيء مفاتح كل شيء وقرا طلحة ابن
مصرف وابراهيم التيمي والاعمش ملكة وهو بمعنى ملكوت الا انه خلاف المصحف واليه ترجعون اي تردون
وتصيرون بعد مماتكم وقراءة العامة بالتا على الخطاب وقراء السلمي وزر بن حبيش واصحاب عبد الله يرجعون
بالياء على الخبر ختمت السورة بحمد الله تعالى وعونه سورة والصافات مكيه في قول الجميع
بسم الله الرحمن الرحيم
وقوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد
رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق هذه قراة اكثر القراء
وحمزة بالادغام فيهن وهذه القراة التي نفر منها احمد بن حنبل لما سمعها النحاس وهي بعيده
في العربية من ثلاث جهات احداهن ان التا ليست من مخرج الصاد ولا من مخرج الراء ولا من
مخرج الذال ولا من اخواتهن وانما اختاها الطا والدال واخت الراء الصاد والسين واخت الذال
الظا والثاء والجهة الثانية ان التاء في كلمة وما بعدها كلمة اخرى والجهة الثالثة انك اذا ادغمت
جمعت بين ساكنين من كلمتين وانما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا اذا كان في كلمة واحدة نحو دابة
وشابة ومحار وقراء حمزة ان التا قريبة المخرج من هذه الحروف والصافات قسم الواو بدل من الباء
والمعنى برب الصافات والزاجرات عطف عليه ان الهكم لواحد جواب القسم واجاز الكساي فتح ان
في القسم والمراد بالصافات وما بعدها الى قوله والتاليات ذكرا الملايكة في قول ابن عباس وابن مسعود
وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة تصف في السماء ~~وتصف في السماء~~ كصفوف الخلق في
الدنيا للصلاة وقيل تصف اجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يامرها الله بما يريد وهذا كما تقوم العبيد
بين ايدي ملوكهم صفوفا وقال الحسن صفا لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم وقيل هي الطير دليله
قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات والصف ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة والصافات
جمع الجمع يقال جماعة صافة ثم يجمع صافات وقيل الصافات جماعة الناس المومنين اذا قاموا

صفا في الصلاة او في الجهاد ذكره القشيري والزاجرات الملايكة في قول ابن مسعود وابن
عباس ومسروق وغيرهم على ما ذكرنا اما لانها تزجر السحاب وتسوقه في قول السدي واما
لانها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصايح وقال قتادة هي زواجر القران فالتاليات
ذكرا الملايكة تقرا كتاب الله قاله ابن مسعود والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي
وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع لانه كبير الملايكة فلا يخلو من جنود واتباع وقال قتادة
المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه وقيل هي ايات القران وصفها بالتلاوة كما قال ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل ويجوز ان يقال لايات القران تاليات لان بعض الحروف يتبع بعضا ذكره القشيري
وذكر الماوردي ان المراد بالتاليات الانبياء يتلون الذكر على اممهم فان قيل ما حكم الفا اذا
جات عاطفة في الصفات قيل له اما ان تدل على ترتيب معانيها في الوجود كقوله
يا لهف زيابة للحرث فالصابح فالغانم فالايب كانه قال الذي صبح فغنم
فاب واما على ترتيبها في التفاوت في بعض الوجوه كقولك خذ الاكمل فالاكمل واعمل الاحسن
فالاحسن واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه الوجوه
الثلاثه تنساق امر العاطفة من الصفات قاله الزمخشري ان الهكم لواحد جواب القسم قال مقاتل
وذلك ان الكفار بمكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا وكيف يسع هذا الخلق فرد الاله فاقسم الله
بهولاء تشريفا ونزلت الاية قال ابن الانباري وهو وقف حسن ثم تبتدي رب السموات والارض
على معنى هو رب السموات قال النحاس ويجوز ان يكون بدلا من واحد قال الشيخ وعلى هذين الوجهين لا يوقف على لواحد
وحكى الاخفش رب السموات ورب المشارق بالنصب على النعت لاسم ان بين سبحانه معنى وحدانيته
والوهيته وكمال قدرته بانه رب السموات والارض خالقهما ومالكهما وما بينهما ورب المشارق
اي مالك مطالع الشمس ابن عباس للشمس كل يوم مشرق ومغرب وذلك ان الله تعالى خلق للشمس
ثلاث مائة وخمسة وستين كوة في مطلعها ومثلها في مغربها على عدد ايام السنه الشمسيه تطلع
في كل يوم في كوة منها وتغيب في كوة لا تطلع في تلك الكوة الا في ذلك اليوم من العام المقبل ولا تطلع
الا وهي كارهة فتقول رب لا تطلعني على عبادك فاني اراهم يعصونك ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد
وابن الانباري في كتاب الرد عن عكرمة قال قلت لابن عباس ارايت ما جاء عن النبي صلى الله عليه
وسلم في امية ابن ابي الصلت آمن شعره وكفر قلبه قال هو حق فما انكرتم من ذلك قلت انكرنا
قوله والشمس تطلع كل اخر ليله حمرا يصبح لونها يتورد ليست بطالعة لهم في رسلها الا معذبة والا تجلد
ما بال الشمس تجلد فقال والذي نفسي بيده ما طلعت شمس قط حتى ينخسها سبعون الف ملك فيقولون
لها اطلعي اطلعي فتقول لا اطلع على قوم يعبدونني من دون الله فياتيها ملك فيستقل لضيا بني ادم فياتيها
شيطان يريد ان يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها وذلك قول رسول
الله ما طلعت الا بين قرني شيطان ولا غربت الا بين قرني شيطان وما غربت قط الا خرت لله ساجدة
فياتيها شيطان يريد ان يصدها عن السجود فتغرب بين قرنيه فيحرقه الله تعالى تحتها فذلك قول رسول
الله ولا غربت الا بين قرني شيطان لفظ ابن الانباري وذكر عن عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله

اُميه ابن ابي الصلت في هذا الشعر ٭ رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخري وليث مرصد
والشمس تطلع كل اخر ليله حمرا يصبح لونها تتورد
لست بطالعة لهم في رسلها الا معذبة و الا تجلد
قال عكرمة فقلت لابن عباس يا مولاه ا تجلد الشمس فقال انما اضطره الروي الي الجلد
لاكنها تخاف العقاب فدل يذكر المطالع علي المغارب فلهذا لم يذكر المغارب وهو كقوله
سرابيل تقيكم الحر وحض المشارق بالذكر لان الشروق قبل الغروب وقال في سورة الرحمن
رب المشرقين ورب المغربين اراد بالمشرقين اقصي مطلع تطلع منه الشمس في الايام الطوال
واقصر يوم في الايام القصار علي ما تقدم في يس والله اعلم قوله تعالى اِنّا زَيَّنّا السَّمَا
الدُّنيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ وَحِفظًا مِن كُلِّ شَيطَانٍ مَارِدٍ قال قتادة خلقت
النجوم ثلاثا رجومًا للشياطين ونورًا يهتدي بها وزينة لسماء الدنيا وقراء مسروق والاعمش
والنخعي وعاصم وحمزة بزينة مخفوض منون الكواكب خفض علي البدل من الزينة لانها هي
هيا ويجوز ان يكون منصوبًا بالاضمار اعني كانه قال انا زينا ها بزينة اعني الكواكب وقيل هو بدل
من زينة علي الموضع ويجوز بزينة الكواكب بمعني بان زينتها الكواكب او بمعني هي الكواكب الباقون
بزينة الكواكب علي الاضافة والمعني زينا السما الدنيا بتزيين الكواكب اي بحسن الكواكب
ويجوز ان يكون كقراءة من نون الا انه حذف التنوين استخفافًا وحفظًا مصدر اي حفظناها
حفظا من كل شيطان مارد لما اخبر ان الملائكة تنزل بالوحي من السماء بين انه حرس السماء
بين م
عن استراق السمع بعد ان زينها بالكواكب والمارد العاتي من الجن والانس والعرب تسميه
شيطانا قوله تعالى لَا يَسَّمَّعُونَ اِلَي المَلَاِ الاَعلَي وَيُقذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا
وَلَهُم عَذَابٌ وَاصِبٌ اِلَّا مَن خَطِفَ الخَطفَةَ فَاَتبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ قال ابو حاتم
اي لا يسمعوا ثم حذف ان فرفع الفعل والملا الاعلي اهل السماء الدنيا فما فوقها ويسمي
الكل منهم اعلي بالاضافة الي ملاء الارض والضمير في يسمعون للشياطين وقراء جمهور
الناس يسمعون بتشديد السين والميم من التسمع فينتفي علي القراة الاولي سماعهم وان
بسكون السين وتخفيف الميم وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص لا يسمعون م م
كانوا يستمعون وهو المعني الصحيح ويعضده قوله انهم عن السمع لمعزولون وينفي علي القراة
الخفيفه ان يقع منهم استماع او سماع قال مجاهد كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون وروي
عن ابن عباس لا يسمعون الي الملا قال هم لا يسمعون ولا يتسمعون واصل يسمعون يتسمعون فادغمت
التاء في السين لقربها منها واختارها ابو عبيد لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وتقول تسمعت
اليه ويقذفون من كل جانب اي يرمون من كل جانب اي بالشهب دحورا مصدر لان معني
يقذفون يدحرون دحرته دحرًا ودحورًا اي طردته وقراء السلمي ويعقوب الحضرمي دحورًا
بفتح الدال يكون مصدرًا علي فعول واما الفراء فقدره علي انه اسم الفاعل اي يقذفون بما يدحرهم
اي بدحور ثم حذف الباء والكوفيون يستعملون هذا كثيرا كما قال ٭ تمرون الديار ولم تعوجوا
واختلف

واختلف هل كان هذا القذف قبل المبعث او بعده لاجل البعث علي قولين وجاءت الاحاديث بذلك
علي ما ياتي من ذكره في سورة الجن عن ابن عباس وقد يمكن الجمع بينهما ان يقال ان الذين
قالوا لم تكن الشياطين ترمي بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم رميت اي لم تكن
ترمي رميًا يقطعها عن السمع ولكنها كانت ترمي وقتا ولا ترمي وقتا وترمي من جانب ولا ترمي
من جانب ولعل الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورًا ولهم عذاب واصب الي
من قبل م
هذا المعني وهو انهم كانوا لا يقذفون الا من بعض الجوانب فصاروا يرمون واصبًا وانما كانوا
كالمتجسسة من الانس يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغها غيره ويسلم واحد ولا يسلم غيره بل يقبض
عليه ويعاقب وينكل فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وزيد في حفظة السماء واعدت
لهم شهب لم تكن من قبل ليدحروا به عن جميع جوانب السماء ولا يقروا في مقعد من المقاعد
التي كانت لهم منها فصاروا لا يقدرون علي سماع شيء مما يجري فيها الا ان يختطف احد منهم
بخفه حركته خطفة فيتبعه شهاب ثاقب قبل ان ينزل الي الارض فيلقيها الي اخوانه فيحرقه
فبطلت من ذلك الكهانة وحصلت الرسالة والنبوة فان قيل ان هذا القذف ان كان لاجل
صلى الله عليه وسلم م
النبوة فلم دام بعد النبي فالجواب انه دام بدوام النبوة فان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر
ببطلان الكهانة فقال ليس منا من يكهن فلو لم تحرس بعد موته لعادت الجن الي تسمعها
وعادت الكهانة ولا يجوز ذلك بعد ان بطل ولان قطع الحراسة عن السماء انما وقع لاجل
النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهه علي ضعفاء المسلمين ولم يؤمن ان يظنوا ان الكهانة
انما عادت لتناهي النبوة فصح ان الحكمة تقضي دوام الحراسة في حيوة النبي وبعد ان توفاه
الله الي كرامته ولهم عذاب واصب اي دائم عن مجاهد وقتادة وقال ابن عباس شديد الكلبي
والسدي وابو صالح موجع اي الذي يصل وجعه الي القلب ماخوذ من الوصب وهو المرض
الا من خطف الخطفة استثناء من قوله ويقذفون من كل جانب دحورًا وقيل الاستثناء يرجع
الارض م
الي غير الوحي لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون فيسترق الواحد منهم شيئا مما يتفاوض
فيه الملائكة مما سيكون في العالم قبل ان يعلمه اهل الارض وهذا لخفة اجسام الشياطين فيرجمون
بالشهب وروي في هذا الباب احاديث صحاح مضمنها ان الشياطين كانت تصعد الي السماء
فيقعد للسمع واحدا فوق واحد يتقدم الاجسر نحو السماء ثم الذي يليه ثم الذي يليه فيقضي
الله تعالي الامر من امر الارض فيتحدث به اهل السماء فيسمعه منهم الشيطان الادني فيلقيه
الى الذي تحته فربما احرقه شهاب وقد القي الكلام وربما لم يحرقه علي ما بيناه فتنزل تلك الكلمة
الي الكهان فيكذبون معها مائة كذبة وتصدق تلك الكلمة فيصدق الجاهلون الجميع كما بيناه
في الانعام فلما جاء الله بالاسلام حرست السماء بشده فلا يفلت شيطان سمع بتة والكواكب الراجمة
هي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي وليست بالكواكب الجارية في السماء لان تلك
لا تري حركتها وهذه الراجمة تري حركتها لقربها منا وقد مضي في هذا الباب في سورة الحجر من
البيان ما فيه كفاية وذكرنا في سبا حديث ابي هريرة وفيه والشياطين بعضهم فوق بعض وقال

فنه الترمذيّ فنقذفونه الي اوليائهم فما جا وابه علي وجهه فهو حقّ ولكنّهم خَطِفَ وَخَطَفَ وخَطَّفَ وخِطِّفَ وخِطَّفَ والاصل في المشددات اختطف فادغمت التا في الطاء لانها اختها وفتحت الخاء لان حركه التاء القت عليها ومن كسرها فلالتقاء الساكنين ومن كسر الطاء تبع الكسر الكسر فاتبعه شهاب ثاقب اي مضيّ قاله الضحاك والحسن وغيرهما وقيل المراد كواكب النار تتبعهم حتى تسقطهم في البحر وقال ابن عباس في الشُّهُب قال تحرقهم من غير موت وليست الشهب التي يرجم بها من الكواكب الثوابت يدل ذلك رويه حركاتها والثابتة تجري ولا يري حركاتها لبعدها وقد مضي هذا وجمع شهاب شهب والقياس في القليل اشهبه وان لم يسمع من العرب وثاقب معناه مضي قاله الحسن ومجاهد وابو مجلز ومنه قوله وزندك اثقب ازنادها

اي اضوا وحكي الاخفش في الجمع شهب ثُقُبٌ وثواقب وثقاب وحكي الكسايي ثقبت النار تثقب ثقابة وثقوبًا اذا اتقدت واثقبتها انا وقال زيد بن اسلم في الثاقب انه المستوقد من قولهم اثقب زندك اي استوقد نارك وقاله الاخفش وانشد قول الشاعر

بينما المرء شهاب ثاقب ضرب الدهر سناه فخمد

قوله تعالى فَاسْتَفْتِهِمْ اَهُمْ اَشَدُّ خَلْقًا اَمَّنْ خَلَقْنَا اِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ اي سلهم يعني اهل مكة ماخوذ من استفتا المعني اهم اشد خلقًا ام من خلقنا قال مجاهد اي من خلقنا من السموات والارض والجبال والبحار وقيل يدخل فيه الملايكة ومن سلف من الامم الماضية يدل ذلك انه اخبر عنهم بمن قال سعيد بن جبير الملايكة وقال غيره من الامم الماضيه وقد هلكوا وهم اشد خلقًا منهم نزلت في ابي الاشِدّين كلدة سمي بابي الاشدين لشده بطشه وقوته وسياتي في البلد ذكره ونظير هذا لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله اانتم اشد خلقًا ام السماء انا خلقناهم من طين لازب اي لاصق قاله ابن عباس ومنه قول علي رضي الله عنه

تعلم فان الله زادك بسطة واخلاق خير كلها لك لازب

وقال قتادة وابن زيد معنى لازب لازق الماوردي والفرق بين اللاصق واللازق ان اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض واللازق هو الذي يلزق بما اصابه وقال عكرمة لازب لزج سعيد بن جبير اي جيد حر يلصق باليد مجاهد لازب لازم والعرب تقول طين لازب ولازم تبدل البا من الميم ومثله قولهم لاتب ولاتم علي بدل البا من الميم واللازب الثابت تقول صار الشي ضربه لازب وهو افصح من لازم قال النابغة

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب

وحكي الفراء عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب الثابت تقول ومنه لتب يلتب لتبا ولتوبا مثل لزب يلزب بالضم لزوبا وانشد ابو الجراح في اللاتب

فان يك هذا من نبيذ شربته فاني من شرب النبيذ لتايب
صداع وتوصيم العظام وفترة وغم مع الاشراق في الجوف لاتب

واللاتب ايضا اللاصق مثل اللازب عن الاصمعي حكاه الجوهري وقال السدي والكلبي في اللازب انه الخالص مجاهد والضحاك هو المنتن قوله تعالى بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ قراة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم بفتح التا خطابًا

لازب صح

علي صح

للنبي صلى الله عليه وسلّم اي بل عجبت مما نزل عليك من القران وهم يسخرون به وهي قراة شريح وان الله تعالى لا يعجب من شي وانما يعجب من لا يعلم وقيل المعني بل عجبت من انكارهم البعث وقرا الكوفيون الا عاصما بضم التا واختارها ابو عبيد والفرا وهي مروية عن علي وابن مسعود رواه شعبة عن الاعمش عن ابي وايل عن عبد الله ابن مسعود انه قرا بل عجبتُ بضم التا ويروي عن ابن عباس وقال الفراء في قوله سبحانه بل عجبت ويسخرون قراها الناس بنصب التا ورفعها والرفع احب الي لانها عن علي وعبد الله وابن عباس قال ابو زكريا الفرا العجب ان اسند الي الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد وكذلك قوله الله يستهزي بهم ليس ذلك من الله كمعناه من العباد وفي هذا بيان الكسر لقول شريح حيث انكر القراة بها روي جرير عن الاعمش عن ابي وايل شقيق بن سلمة قال قراها عبد الله يعني ابن مسعود بل عجبتُ ويسخرون قال شريح ان الله لا يعجب من شي انما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحا كان يعجبه رايه ان عبد الله كان اعلم من شريح وكان يقراها عبد الله بل عجبتُ قال الهروي وقال بعض الايمة معنى قوله بل عجبت بل جازيتهم علي عجبهم لان الله تعالى اخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق فقال وعجبوا ان جاهم منذر منهم وقالوا ان هذا لشي عجاب اكان للناس عجبا ان اوحينا الي رجل منهم فقال تعالى بل عجبت بل جازيتهم علي التعجب قال الشيخ وهذا تمام معنى قول الفراء واختاره البيهقي وقال ابن عباس معنى القراتين واحد والتقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله عليه وسلّم مخاطب بالقران النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير البيهقي والاول اصح المهدوي ويجوز ان يكون اخبار الله عن نفسه بالعجب محمولا علي انه اظهر من امره وسخطه علي من كفر به ما يقوم مقام العجب من المخلوقين كما يحمل اخباره تعالى عن نفسه بالضحك لمن رضي عنه علي ما جا في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلّم علي انه اظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك من المخلوقين مجازا واتساعا قال الهروي ويقال معنى عجب ربكم اي رضي واثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة كما قال ويمكرون ويمكر الله معناه ويجازيهم الله علي مكرهم ومثله في الحديث عجب ربكم من الّكم وقنوطكم وقد يكون العجب بمعنى الوقوع ذلك العمل عند الله عظيما فيكون معنى قوله بل عجبت اي بل عظم فعلهم عندي قال البيهقي ويشبه ان يكون هذا معنى حديث عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول يعجب ربك من شاب ليست له صبوة قال البيهقي وقد يكون المعنى في هذا الحديث وما ورد من امثاله انه يعجب ملايكته من كرمه ورافته بعباده حين حملهم علي الايمان به بالقتال والاسر في السلاسل حتى اذا امنوا ادخلهم الجنة وقيل معنى بل عجبت بل انكرت حكاه النقاش وقال الحسين ابن الفضل التعجب من الله انكار الشي وتعظيمه وهو لغة العرب وقد جا في الخبر عجب ربكم من الّكم وقنوطكم ويسخرون قيل الواو واو الحال اي عجبت منهم في حال سخريتهم وقيل تم الكلام عند قوله بل عجبت ثم استانف فقال ويسخرون اي مما جيت به اذا تلوته عليهم وقيل ويسخرون منك اذا دعوتهم قوله تعالى وَاِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ وَاِذَا رَاَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا اِنْ هَذَا اِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ اَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا

علي ابن سليمان صح

من صح

الآ صح

نرابا وعظاما ايناً لمبعوثون يي قول قتادة لا ينكرون لا سفعون به وقال سعيد اي اذا ذكر
لهم ما حل بالمكذبين من قبلهم اعرضوا عنه ولم يتدبروا واذا راوا اية اي معجزة يستسخرون
اي يسخرون في قول قتادة ويقولون انها سحر واسسخر وسخر بمعني مثل استقر وقر واستعجب وعجب
وقيل يستسخرون ان يستدعون السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزون وقيل اي يظنون ان تلك
الاية سخرية وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي اذا عجزوا عن مقابلة المعجزات بشيء قالوا هذا سحر وتخييل
وخداع ائذا متنا اي انبعث اذا متنا فهو استفهام انكار منهم وسخرية اذا اباونا الاولون اي او تبعث
اباونا دخلت الف الاستفهام علي حرف العطف وقراء نافع او اباونا بسكون الواو وقد مر هذا في قوله اومن
اهل القري قوله تعالى قل نعم وانتم داخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم اي — سطور صح
صاغرون اذلا لانهم اذا راوا وقوع ما انكروه فلا محالة يذلون وقيل اي سيقوم القيمة وان كرهتم
فهو امر واقع علي رغمكم وان انكرتموه اليوم بزعمكم وانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة قاله
الحسن وهي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لان مقصودها الزجر اي يزجر بها كزجر الابل والخيل
عند السوق فاذا هم قيام ينظرون اي ينظر بعضهم الي بعض وقيل المعني ينظرون ما يفعل بهم وقيل هو مثل
قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقيل اي ينظروا الي البعث الذي انكروه قوله تعالى وقالوا
يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون
نادوا علي انفسهم بالويل لانهم يومئذ يعلمون ما حل بهم وهو منصوب علي انه مصدر عند البصريين
وزعم الفراء ان تقديره يا وي لنا ووي بمعني حزن النحاس ولو كان كما قال لكان منفصلاً وهو في
المصحف متصل ولا نعلم احدًا يكتبه الا متصلاً ويوم الدين يوم الحساب وقيل يوم الجزاء هذا يوم الفصل الذي
كنتم به تكذبون قيل هو من قول بعضهم لبعض اي هذا اليوم الذي كذبنا به وقيل هو من قول الله تعالى لهم وقيل
من قول الملائكة اي هذا يوم الحكم بين الناس فيتبين المحق من المبطل ففريق في الجنة وفريق في السعير
قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من
دون الله فاهدوهم الي صراط الجحيم هو من قول الله للملائكة اي احشروا المشركين و
ازواجهم اي اشياعهم في الشرك والشرك الظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فيحشر الكافر مع الكافر
قاله قتادة وابو العالية وقال عمر ابن الخطاب في قول الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال
الزاني مع الزاني وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة مع صاحب السرقة وقال ابن عباس وازواجهم
اي اشباههم وهذا يرجع الي قول عمر وقيل ازواجهم نساوهم الموافقات علي الكفر قاله مجاهد والحسن
ورواه النعمان ابن بشر عن عمر ابن الخطاب وقال الضحاك وازواجهم قرناوهم من الشياطين وهذا قول
مقاتل ايضًا يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة وما كانوا يعبدون من دون الله اي من الاصنام والشياطين
وابليس فاهدوهم الي صراط الجحيم اي سوقوهم الي النار وقيل فاهدوهم اي دلوهم يقال هديته الي الطريق
وهديته الطريق اي دللته عليه واهديت الهدية وهديت العروس ويقال اهديتها اي جعلتها بمنزلة الهدية
قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون
واقبل بعضهم علي بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم

تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قومًا طاغين
فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم
يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل — لهم لا اله الا الله يستكبرون صح
وحكي عيسي ابن عمر انهم بفتح الهمزة قال الكسائي اي لانهم وبانهم يقال وقفت الدابة اقفها
وقفًا فوقفت هي وقوفًا يتعدي ولا يتعدي اي احبسوهم وهذا يكون قبل السكون الي الجحيم وفيه
تقديم وتاخير اي قفوهم للحساب ثم سوقوهم الي النار وقيل يساقون الي النار اولًا ثم يحشرون للسوال
اذا قربوا من النار انهم مسولون عن اعمالهم اقوالهم وافعالهم قاله القرظي والكلبي الضحاك عن خطاياهم
ابن عباس عن لا اله الا الله وعنه ايضًا عن ظلم الخلق وفي هذا كله دليل علي ان الكافر يحاسب
وقد مضي في الحجر الكلام فيه وقيل سوالهم ان يقال لهم الم ياتكم رسل منكم اقامة للحجة ويقال لهم
ما لكم لا تناصرون علي جهة التقريع والتوبيخ اي ينصر بعضكم بعضًا فيمنعه من عذاب الله وقيل هو
اشارة الي قول ابي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر واصله تتناصرون وطرحت احدي التاءين تخفيفًا
وشدد البزي التاء في الوصل قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال قتادة مستسلمون في عذاب
الله جل وعلا ابن عباس خاضعون ذليلون الحسن منقادون الاخفش ملقون بايديهم والمعني
متقارب واقبل بعضهم علي بعض اي الروسا والاتباع يتساءلون يتخاصمون ويقال لا يتساءلون فسقطت لا
النحاس وانما غلط الجاهل باللغة فتوهم ان هذا من قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
انما هو لا يتساءلون بالارحام فيقول احدهم اسالك بالرحم الذي بيني وبينك لما نفعتني او اسقطت لي حقًا
لك علي او وهبت لي حسنة وهذا بين لان قبله فلا انساب بينهم اي ليس ينتفعون بالانساب التي بينهم
كما جاء في الحديث ان الرجل ليسر ان يصح له علي ابيه او علي ابنه حق فياخذه منه لانها الحسنات
والسيات وفي حديث اخر رحم الله امرا كان لاخيه عنده مظلمة من مال او عرض فاتاه فاستحله
قبل ان يطالبه به فياخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات زيد عليه من سيات المطالب ويتساءلون
ههنا انما هو ان يسال بعضهم بعضًا ويوبخه في انه اضله او فتح له بابًا من المعصية يبين ذلك ان بعده
انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قال مجاهد هو قول الكفار للشياطين قتادة هو قول الانس للجن وقيل
هو من قول الاتباع للمتبوعين دليله قوله تعالي ولو تري اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم الي بعض القول الاية قال سعيد عن قتادة اي تاتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها وعن
ابن عباس نحو منه وقيل تاتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفال بها ليغرونا بذلك من جهة النصح والعرب
تتفال بما جاء عن اليمين وتسميه السانح وقيل تاتوننا عن اليمين تاتوننا مجي من اذا حلف لنا صدقناه
وقيل تاتوننا من قبل الدين فتهونون علينا امر الشريعة وتنفروننا عنها قال الشيخ رحمه الله وهذا
القول حسن جدًا لان من جهة الدين يكون الخير والشر واليمين بمعني الدين اي كنتم تزينون
لنا الضلالة وقيل اليمين بمعني القوة اي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر قال الله تعالي فراغ عليهم
ضربًا باليمين اي بالقوة وقوة الرجل في يمينه وقال الشاعر اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
اي بالقوة والقدرة وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق انه معكم

وكله متقارب المعنى قالوا بل لم يكونوا مومنين قال قتاده هذا قول الشياطين لهم وقيل من قول
الروسا اي لم يكونوا مومنين قط حتى ننقلكم منه الى الكفر بل كنتم على الكفر فاقمتم عليه
للالف والعادة وما كان لنا عليكم من سلطان اي من حجة في ترك الحق بل كنتم قوما طاغين
اي ظالمين متجاوزين الحد فحق علينا قول ربنا هو لنضا من قول المتبوعين اي وجب علينا
وعليكم قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب كما كتب الله واخذ على السنة الرسل لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا موافق للحديث ان الله عز وجل كتب للنار اهلا
لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم فاغويناكم اي دعوناكم الى ما كنتم عليه انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون
الضال والمضل انا كذلك اي مثل هذا الفعل نفعل بالمجرمين اي المشركين انهم كانوا اذا قيل لهم
لا اله الا الله يستكبرون اي اذا قيل لهم قولوا فاضمر القول ويستكبرون في موضع نصب على خبر
كان ويجوز ان يكون في موضع رفع على انه خبر ان وكان ملغاة ولما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابي طالب عند موته واجتماع قريش قولوا لا اله الا الله تملكوا بها العرب ويدين
لكم العجم ابوا وانفوا من ذلك وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله
في كتابه فذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال
اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين
والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر
عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدة ذكر هذا
الخبر البيهقي والذي قبله القشيري قوله تعالى ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر
مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما
تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين اي لقول شاعر مجنون فرد
الله عليهم فقال بل جا بالحق يعني القران والتوحيد وصدق المرسلين فيما جاوا به من التوحيد
انكم لذائقوا العذاب الاليم الاصل لذائقون فحذفت النون استخفافا وخفضت للاضافة ويجوز النصب
كما انشد سيبويه فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا واجاز سيبويه والمقيمي
الصلاة على هذا وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا بما عملتم من الشرك الا عباد الله المخلصين
استثناء ممن يذوقوا العذاب وقراة اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام يعني الذين اخلصهم
الله لطاعته ودينه وولايته الباقون بكسر اللام اي الذين اخلصوا لله العباده وقيل هو استثناء
منقطع اي انكم ايها المجرمون ذايقوا العذاب لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب قوله
تعالى اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم
يعني المخلصين اي لهم عطية معلومة لا تنقطع قال قتادة يعني الجنة وقال غيره يعني رزق
الجنة وقيل هي الفواكه التي ذكر قال مقاتل حين يشتهونه وقال ابن السايب انه بمقدار الغداه
والعشي قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فواكه جمع فاكهة قال الله تعالى
وامددناهم بفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها قاله ابن عباس وهم مكرمون

من الكفر انا كنا غاوين بالوسوسة والاستدعاء ثم قال خبرا عنهم فانهم صح

اي ولهم اكرام من الله جل وعلا برفع الدرجات وسماع كلامه ولقايه في جنات النعيم
اي في بساتين يتنعمون فيها وقد تقدم ان الجنان سبع في سورة منها النعيم قوله تعالى
على سرر متقابلين قال عكرمة ومجاهد لا ينظر بعضهم في قفا بعض تواصلا وتحابا وقيل
الاسرة تدور كيف شاؤا فلا يرى احد قفا احد وقال ابن عباس على سرر مكللة بالدر
والياقوت والزبرجد السرير ما بين صنعا الى الجابية وما بين عدن الى ايلة وقيل تدور
باهل المنزل الواحد والله اعلم قوله تعالى يطاف عليهم بكاس من معين بيضاء
لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم
قاصرات لما ذكر مطاعمهم ذكر شرابهم والكاس عند اهل اللغة اسم شامل لكل
انا مع شرابه فان كان فارغا فليس بكاس قال الضحاك والسدي كل كاس في القران فهي الخمر
والعرب تقول للانا اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر قالوا انا وقدح النحاس من
يوثق به من اهل اللغة ان العرب تقول للقدح اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر
فهو قدح كما يقال للخوان اذا كان عليه طعام مايدة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مايدة قال
ابو الحسن ابن كيسان ومنه ظعينة للهودج اذا كان فيه المراة وقال الزجاج بكاس من معين
اي من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الارض والمعين الماء الجاري الظاهر بيضا صفة
للكاس وقيل للخمر لذة للشاربين قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة قال الزجاج
اي ذات لذة فحذف المضاف وقيل هو مصدر جعل اسما اي بيضا لذيذة يقال شراب لذ ولذيذ
مثل نبات غض وغضيض فاما قول القايل ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية
الحدثان
فانه يريد النوم وقيل بيضا اي لم يعتصرها الرجال باقدامهم لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم
ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع ولا هم عنها ينزفون اي لا تذهب عقولهم بشربها يقال الخمر
غول للحلم والحرب غول للنفوس اي تذهب بها ويقال نزف الرجل ينزف فهو منزوف ونزيف اذا
سكر قال امرء القيس واذ هي تمشي كمشي النزيف يصرعه بالكثيب البهر وقال ايضا
نزيف اذا قامت لوجه تمايلت تراشي الفواد الرخص الا تخترا وقال آخر
فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج وقرا حمزه والكسائي بكسر الزاي
من انزف القوم اذا حان منهم النزف وهو السكر كما يقال احصد الزرع اذا حان حصاده واقطف
الكرم اذا حان قطافه واركب المهر اذا حان ركوبه وقيل المعنى لا ينفد شرابهم لا تهم دابهم
يقال انزف الرجل فهو منزوف اذا فنيت خمره قال الحطيئة
لعمري لين انزفتم او صحوتم لبيس الندامى كنتم آل ابجرا النحاس والقراة الاولى
ابين واوضح في المعنى لان معنى ينزفون عند جلة اهل التفسير منهم مجاهد لا تذهب عقولهم فنفى الله
جل وعز عن خمر الجنة الافات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر ومعنى ينزفون
الصحيح فيه انه يقال انزف الرجل اذا نفد شرابه وهو يبعد ان يوصف به شراب الجنه ولكن مجازه
ان يكون بمعنى لا ينفد ابدا وقيل لا ينزفون بكسر الزاي لا يسكرون ذكره الزجاج وابو علي على ما ذكره

القشيري المهدوي ولا يكون معناه يسكرون لان قبله لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فيكون تكريرا وسوغ ذلك في الواقعة ويجوز ان يكون معنى لا فيها غول لا يمرضون فيكون معنى ولا هم عنها ينزفون لا يسكرون او لا ينفد شرابهم قال قتادة الغول وجع البطن وكذا روي ابن ابي نجيح عن مجاهد لا فيها غول لا فيها صداع وحكي الضحاك عنه انه قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقي والبول فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال مجاهد ابن كيسان مغض وهذه الاقوال متقاربة وقال الكلبي لا فيها غول اي اثم نظيره لا فيها غول ولا تاثيم وقال الشعبي والسدي وابو عبيدة لا تغتال عقولهم فتذهب بها ومنه قول الشاعر ۝ وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول ۝

اي تصرع واحدًا واحدًا وانما صرف الله تعالى السكر عن اهل الجنة ليلا ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق في خفا تقال اغتاله اغتيالًا اذا افسد عليه امره في خفيه ومنه الغول والغيلة وهو القتل خفية قوله تعالى وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ اي نسآء قد قصرن طرفهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغيرهم ماخوذ عكرمة قاصرات الطرف اي محبوسات على ازواجهن والتفسير الاول ابين لانه ليس في الاية مقصورات ولكن في موضع اخر مقصورات ياتي بيانه وقاصرات ماخوذ من قولهم قد اقتصر على كذا اذا اقتنع به وعدل عن غيره قال امرؤ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا ۝ ويروي فوق الخد والاول ابلغ والاتب القميص والمحول الصغير من الذر وقال مجاهد ايضًا معناه لا يغرن عن عظام العيون الواحدة عينًا قاله السدي مجاهد عين حسان العيون الحسن الشديدات بياض العين الشديدات سوادها والاول اشهر في اللغة يقال رجل اعين واسع العين بين العين والجمع عين واصله فعل بالضم فكسرت العين ليلا تنقلب الواو ياء ومنه قيل لبقر الوحش عين والثور اعين والبقرة عيناء كانهن بيض مكنون اي مصون قال الحسن وابن زيد شبهن ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار فلونه ابيض في صفرة وهو احسن الوان النساء وقال ابن عباس وابن جبير والسدي شبهن ببطن البيض قبل ان يقشر وتمسه الايدي وقال شبهن بالسحا الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض ونحوه قول الطبري قال هو القشر الرقيق الذي على البيضة من ذلك وروي نحو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تشبه المراة بالبيضة لصفائها وبياضها قال امرؤ القيس وبيضة خدر لا يرام خباوها تمتعت من لهو بها غير معجل ۝

ويقول العرب اذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كانه بيض النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر اي انهن عذاري وقيل المراد بالبيض اللولو كقوله تعالى وحور عين كامثال اللولو المكنون اي في اصدافه قاله ابن عباس ايضًا ومنه قول الشاعر ۝ ۝

وهي بيضا مثل لولوة الغواص ميزت من جوهر مكنون ۝ وانما ذكر المكنون والبيض جمع لانه رد النعت الى اللفظ قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتسالون اي يتفاوضون فيما بينهم احاديثهم في الدنيا وهو من تمام الانس في الجنة

وهو معطوف على معنى يطاف عليهم المعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشراب قال بعضهم وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتسالون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جي به ماضيًا على عادة الله في اخباره قوله تعالى قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ اي من اهل الجنة اني كان لي قرين اي صديق ملازم يقول اينك لمن المصدقين اي بالبعث والجزاء وقال سعيد بن جبير قرينه شريكه وقد مضى في الكهف ذكرهما وقصتهما والاختلاف في اسمهما مستوفى عند قوله تعالى واضرب لهم مثلًا رجلين وفيهما انزل الله جل وعلا قال قايل اني كان لي قرين الى من المحضرين وقيل اراد بالقرين قرينه من الشياطين كان يوسوس اليه بانكار البعث وقري اينك لمن المصدقين بتشديد الصاد رواه علي ابن كيسه عن سليم عن حمزة قال النحاس ولا يجوز اينك لمن المصدقين لانه لا معنى للصدقة هنا وقال القشيري وفي قراة عن حمزه اينك لمن المصدقين بتشديد الصاد واعترض عليه بان هذا من التصدق لا من التصدق والاعتراض باطل لان القراة اذا ثبتت عن النبي عليه السلام فلا مجال للطعن فيها والمعنى اينك لمن المصدقين بالمال طلبًا في ثواب الاخرة اذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا اينا لمدينون اي مجزيون محاسبون بعد الموت فقال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون وقيل هو من قول المومن لاخوانه في الجنة هل انتم مطلعون الى النار هل انتم مطلعون لنريها م انما هو بمعنى الامر اي اطلعوا قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه لما نزلت اية الخمر قام عمر قائما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع راسه الى السماء ثم قال يا رب بيانًا اشفى من هذا في الخمر فنزلت فهل انتم منتهون قال فنادى عمر انتهينا يا ربنا انتهينا يا ربنا وقراء ابن عباس هل انتم مطلعون باسكان الطاء خفيفة فاطلع بقطع الالف مخففة على معنى هل انتم مقبلون فاقبل قال النحاس فاطلع فيه قولان احدهما ان يكون فعلًا مستقبلًا اي فاطلع انا ويكون منصوبًا على انه جواب الاستفهام والقول الثاني ان يكون فعلًا ماضيًا ويكون اطلع واطلع واحدًا قال الزجاج يقال طلع واطلع بمعنى واحد وقد حكي هل انتم مطلعون بكسر النون وانكره ابو حاتم وغيره النحاس وهو لحن ولا يجوز لانه جمع بين النون والاضافة ولو كان مضافًا لكان هل انتم مطلعي وان كان سيبويه والفراء قد حكيا مثله وانشدا هم الفاعلون الخير والامرونه اذا ما خشوا من محدث الامر معظما ۝ وانشد الفراء والفاعلونه وانشد سيبويه وحده ۝ ولم يرتفق والناس محتضرونه ۝ ۝

وهذا شاذ خارج عن كلام العرب وما كان مثل هذا لم يحتج به في كتاب الله جل وعلا ولا يدخل في الفصيح وقد قيل في توجيهه انه اجري اسم الفاعل مجرى المضارع لقربه منه فجري مطلعون مجري يطلعون ذكره ابو الفتح عثمن ابن جني وانشد اراتيت ان جات به املودا ۝ مرجلا ويلبس البرودا اقايلن احضروا الشهودا فاجري اقايلن مجري اتقولن وقال ابن عباس في قوله هل انتم مطلعون

وقال قايل

لننظر كيف حال ذلك القرين وقيل هو من قول الملائكة وليس صح

والطلع صح

فاطلع فراه ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الي النار واهلها وكذلك قال كعب فيما ذكر ابن المبارك
قال ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن ان ينظر الي عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض
الكوى قال الله فاطلع فراه في سواء الجحيم اي في وسط النار والحسك حواليه قاله ابن مسعود
ويقال تعبت حتى انقطع سوائي اي وسطي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى ابن عمر كنت اكتب بانا عسلا
حتي انقطع سوائي وعن قتادة قال قال بعض العلماء لولا ان الله جل وعز عرفه اياه لما عرفه
لقد تغير حبره وسبره فعند ذلك يقول تالله ان كدت لتردين ان مخففة من الثقيلة دخلت علي
كاد كما تدخل علي كان ونحوه ان كاد ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ولولا نعمة
ربي لكنت من المحضرين في النار وقال الكسائي لتردين اي لتهلكني والردي الهلاك وقال المبرد
لو قيل لتردين لتوقعني في النار لكان جايزا ولولا نعمة ربي اي عصمته وتوفيقه بالاستمساك
بعروة الاسلام والبراءة من القرين السوء وما بعد لولا مرفوع بالابتداء عند سيبويه والخبر
محذوف لكنت من المحضرين قال الفراء اي لكنت معك في النار محضرا واحضر لا يستعمل مطلقا الا
في الشر قاله الماوردي قوله تعالى أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ
وقري بمايتين والهمزة في افما للاستفهام دخلت على فا العطف والمعطوف محذوف
معناه نحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين الا موتتنا الاولى يكون استثناء ليس من
الاول ويكون مصدرا لانه منعوت وهو من قول اهل الجنة للملايكة حين يذبح الموت ويقال يا اهل
الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وقيل هو من قول المومن علي جهة الحديث بنعمة
الله في انهم لا يموتون ولا يعذبون اي هذه حالنا وصفتنا وقيل هو من قول المومن توبيخا للكافر
لما كان ينكره من البعث وانه ليس الا الموت في الدنيا ثم قال المومن مشيرا الي ما هو فيه ان هذا لهو
الفوز العظيم يكون هو مبتدا وما بعده خبر عنه والجملة خبر ان ويجوز ان يكون هو فاصلا لمثل
هذا فليعمل العاملون يحتمل ان يكون من كلام المومن لما راي ما اعد الله له في الجنة وما اعطاه
قال لمثل هذا العطا والفضل فليعمل العاملون نظير ما قال له الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا
ويحتمل ان يكون من قول الملايكة وقيل هو من قول الله لاهل الدنيا اي قد سمعتم ما في الجنة
من الخيرات والجزاء ولمثل هذا الجزاء فليعمل العاملون النحاس وتقدير الكلام والله اعلم فليعمل
العاملون لمثل هذا فان قال قايل الفا في العربية تدل علي ان الثاني بعد الاول فكيف صار ما بعدها
ينوي به التقديم فالجواب ان التقديم مثل التاخير لان حق حروف الخفض وما بعدها ان تكون متاخرة
قوله تعالى أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ مبتدا وخبر وهو من قول الله عز وجل نزلا على
البيان والمعنى انعيم الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم خير نزلا والنزل في اللغة الرزق الذي
له سعة النحاس وكذا النزل والنزل الا انه يجوز ان يكون النزل باسكان الزاء لغة ويجوز ان يكون
اصله النزل ومنه اقيم للقوم نزلهم واشتقاقه انه الغذاء الذي يصلح ان ينزلوا معه ويقيموا فيه
وقد مضى هذا في اخر سورة ال عمران وشجرة الزقوم مشتقة من التزقم وهو البلع علي جهد لكراهتها

عز وجل صح

ونتنها قال

قال المفسرون وهي في الباب السادس وانها تحيا بلهب النار كما تحيي الشجرة ببرد الماء فلا بد لاهل
النار من ان ينحدر اليها من كان فوقها فياكلون منها وكذلك يصعد اليها من كان اسفل واختلف
فيها هل هي من شجر الدنيا ومن قال بهذا اختلفوا فيها فقال قطرب انها شجرة مرة تكون بتهامة من
اخبث الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل القول الثاني انها لا تعرف في شجر الدنيا فلما نزلت هذه الاية
في شجرة الزقوم قال كفار قريش ما نعرف هذه الشجرة فقدم عليهم رجل من افريقية فسالوه فقال هو عندنا
الزبد والتمر فقال ابن الزبعرى اكثر الله في بيوتنا الزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا فاتته بزبد وتمر
ثم قال لاصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا به محمد يزعم ان النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر
قوله تعالى إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً اي للمشركين وذلك انهم قالوا كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق
الشجر وقد مضى هذا المعنى في سبحان واستخفافهم في هذا كقولهم في قوله تعالى عليها تسعة عشر
ما الذي يخصص هذا العدد حتى قال بعضهم انا اكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين فقال الله تعالى وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والفتنة الاختبار وكان هذا القول منهم جهلا اذ لا يستحيل
في العقل ان يخلق الله في النار شجرا من جنسها لا تاكله النار كما يخلق الله فيها الاغلال والقيود
والعقارب وخزنة النار وقيل هذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع الان للملحدة حتى
حملوا الجنة والنار على نعيم او عقاب تتخلله الارواح وحملوا وزن الاعمال والصراط واللوح
والقلم علي معاني زوروها في انفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد الشرع واذا ورد خبر الصادق
بشي موهوم في العقل فالواجب تصديقه وان جاز ان يكون له تاويل ثم التاويل في موضع اجماع المسلمين
على انه تاويل باطل لا يجوز والمسلمون مجمعون على الاخذ بهذه الاشياء من غير مصير الي علم الباطن
وقيل انها فتنة اي عقوبة للظالمين كما قال ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون قوله تعالى
إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ
لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ
اي قعر النار ومنشاها ثم هي متفرعة في جهنم طلعها ثمرها سمي طلعا لطلوعه كانه رءوس الشياطين
قيل يعني الشياطين صح
باعيانهم شبهها برءوسهم لقبحهم ورءوس الشياطين متصور في النفوس وان كان غير مرئي ومن
ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة هو كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبرا
عن صواحب يوسف ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي روي معناه عن ابن عباس
والقرظي ومنه قول امرئ القيس . . ومسنونة زرق كانياب اغوال . . وان كان الغول لا يعرف ولكن
لما تصور من قبحها في النفوس وقد قال الله تعالى شياطين الانس والجن فمردة الانس شياطين مرئية
وفي الحديث الصحيح ولكان نخلها رءوس الشياطين وقد ادعى كثير من العرب رؤية الشياطين والغيلان
الشياطين صح
وقال الزجاج والفراء الشياطين حيات لها رءوس واعراف وهي من اقبح الحيات واخبثها واخفها جسما قال الراجز
وقد شبه المراة بحية لها عرف . . عنجرد تحلف حين احلف كمثل شيطان الحماط اعرف
الواحدة حماطة والاعرف الذي له عرف وقال الشاعر يصف ناقته . . . .
تلاعب مثنى حضرمي كانه تعمج شيطان بذي خروع قفر . . المعج الاعوجاج في السير وسهم

التي تعرفها العرب ام لا على قولين احدهما انها معروفة من شجر الدنيا صح

عموج تلتوي في ذهابه و نعجت الحية اذا تلوت في مرّها و قال يصف زمام الناقه بلاعب مثنى
حضرمي البيت و قيل انما شبه ذلك بنبت قبيح في اليمن يقال له الاستن والشطان قال النحاس
وليس ذلك معروفا عند العرب الزمخشري هو شجر خشن مرّ منكر الصورة سمي ثمرة رؤس
الشاطين النحاس و قيل الساطين ضرب من الحيات قباح فانهم لاكلون منها فمالؤن منها البطون
فهذا طعامهم و فاكهتهم بدل رزق اهل الجنة و قال في الغاشيه ليس لهم طعام الا من ضريع
وساقي ثم ان لهم عليها اي بعد الاكل من الشجرة لشوبا من حميم الشوب الخلط والشوب
والشوب لغتان كالفقر والفقر والفتح اشهر قال الفراء شاب الطعام وشرابه اذا خلطهما
شي يشوبهما شوبا و شابة فاخبر انه يشاب لهم والحميم الماء الحار ليكون اشنع قال الله
وسقوا ماء حميما فقطع امعاهم السدي يشاب لهم الحميم بغساق اعينهم و صديد من قيح ودما بهم
و قيل يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظا لعذابهم وتجديد
لبلايهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قيل ان هذا يدل على انهم كانوا حين اكلوا الزقوم في عذاب
في غير النار ثم يردون اليها و قال مقاتل الحميم خارج الجحيم ثم يوردون الحميم لشربه ثم يردون
الى الجحيم لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها و بين حميم ان وقرا ابن مسعود
ثم ان منقلبهم لالى الجحيم ابو عبيدة يجوز ان تكون ثم بمعنى الواو القشيري ولعل الحميم في موضع
من جهنم على طرف منها قوله تعالى انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون
ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان
عاقبة المنذرين الا عباد الله . . اي صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم فهم على اثارهم يهرعون
اي يسرعون عن قتادة و قال مجاهد كهيئة الهرولة قال الفراء الاهراع برعدة و قال ابو عبيدة يهرعون
يستحثون من خلفهم و نحوه قول المبرد قال المهرع المستحث يقال جاء فلان يهرع الى النار اذا
استحثه البرد اليها و قيل يزعجون من شدة الاسراع قاله المفضل الزجاج يقال هرع واهرع اذا استحث
وازعج قوله تعالى و لقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الماضية ولقد ارسلنا فيهم منذرين
اي رسلا انذروهم العذاب فكفروا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي اخر امرهم الا عباد الله
المخلصين اي الذين استخلصهم الله من الكفر و قد تقدم ثم قيل هو استثناء من المنذرين و قيل هو من
قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين قوله تعالى ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه
واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين . . . . .
من النداء الذي هو استغاثه ودعا قيل بمسالة هلاك قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فلنعم المجيبون قال الكسائي اي فلنعم المجيبون له كنا فنجيناه واهله يعني اهل دينه وهم من امن
معه وكانوا ثمانين على ما تقدم من الكرب العظيم وهو الغرق و جعلنا ذريته هم الباقين قال ابن عباس
لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءه فذلك قوله وجعلنا
ذريته هم الباقين و قال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام ابو العرب
وفارس والروم و اليهود والنصارى و حام ابو السودان من المشرق الى المغرب الهند والسند و النوب

والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم ويافث ابو الصقالبة والترك والابر والخزر و ياجوج
وماجوج وما هنالك وقال قوم كان لغير ولد نوح ايضا نسل بدليل قوله ذرية من حملنا
مع نوح وقوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك و على امم ممن معك ثم يمسهم منا
عذاب اليم فعلى هذا معنى الاية وجعلنا ذريته هم الباقين دون ذرية من كفر فانا اغرقنا
اولئك قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين اي تركنا
عليه ثناء حسنا في كل امة فانه محبب الى الجميع حتى ان في المجوس من يقول انه افريدون
روي معناه عن مجاهد وغيره وزعم الكسائي ان فيه تقديرين احدهما وتركنا عليه في
الاخرين يقال سلام على نوح اي تركنا عليه هذا الثناء الحسن وهذا مذهب ابي العباس المبرد
اي تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي
كقوله سورة انزلناها والقول الاخر ان يكون المعنى وابقينا عليه وتم الكلام ثم ابتداء فقال سلام
على نوح اي سلامة له من ان يذكر بسوء في الاخرين قال الكسائي وفي قراءة ابن مسعود سلاما
منصوب بتركنا اي تركنا عليه ثناء حسنا سلاما و قيل في الاخرين اي في امة محمد صلى الله عليه وسلم
و قيل في الانبياء اذ لم يبعث بعده نبي الا امر بالاقتداء به قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا وقال سعيد بن المسيب وبلغني انه من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه
عقرب ذكره ابو عمر في التمهيد وفي الموطا عن خولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من نزل منزلا فليقل اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فانه لن يضره شي حتى يرتحل وفيه
عن ابي هريرة ان رجلا من اسلم قال ما نمت هذه الليلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اي شي فقال لدغتني عقرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك لو قلت حين
امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي نبقي عليهم
الثناء الحسن والكاف في موضع نصب اي جزاء كذلك ثم اغرقنا الاخرين اي من كفر وجمعه اخر والاصل فيه ان يكون معه
من الا انها حذفت لان المعنى معروف ولا يكون اخر الا وقبله شي من جنسه وثم ليس للتراخي
ها هنا بل هو لتعديد النعم كقوله او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا اي ثم اخبركم اني
قد اغرقت الاخرين وهم الذين تاخروا عن الايمان قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم
قال ابن عباس اي من اهل دينه وقال مجاهد اي على منهاجه وسنته قال الاصمعي الشيعة الاعوان
وهو ماخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد وقال الكلبي والفراء المعنى
وان من شيعته محمد لابراهيم فالهاء في شيعته على هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول لنوح
وهو اظهر لانه هو المذكور اولا وما كان بين نوح و ابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح
وابراهيم الفان وست ماية واربعون سنه حكاه الزمخشري قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب
سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ايفكا الهة دون الله تريدون
اي مخلص من الشرك والشك وقال عوف الاعرابي سالت محمد بن سيرين ما القلب السليم فقال الناصح
لله في خلقه وذكر الطبري عن غالب القطان وعوف وغيرهما عن محمد بن سيرين انه كان يقول للحجاج

انه من عبادنا المومنين هذا بيان احسانه قوله تعالى ثم اغرقنا الاخرين صح

مسكين ابو محمد ان عذبه الله فذنبه وان غفر له فهنا له وان كان قلبه سليمًا فقد اصاب الذنوب
من خيرمنه قال عوف فقلت لمحمد ما القلب السليم قال ان يعلم ان الله حق وان الساعة قائمة وان هوجو
الله يبعث من في القبور وقال هشام بن عروة كان ابي يقول لنا يا بني لا تكونوا لعانين الم تروا الي ابرهيم
لم يلعن شيا قط فقال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم ويحتمل مجيئه الي ربه وجهين احدهما عند دعائه
الي توحيده وطاعته الثاني عند القائه في النار اذ قال لابيه وهو ازر وقد مضي الكلام فيه وقومه
ماذا تعبدون يكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا خبره ويجوز ان يكون ما وذا في موضع نصب
بتعبدون ائفكا نصب على المفعول به بمعني اتريدون افكا قال المبرد والافك اسوا الكذب وهو
الذي لا يثبت ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الارض الهة بدل من افك دون الله تريدون اي تعبدون
ويجوز ان يكون حالاً بمعني اتريدون الهة من دون الله افكين فما ظنكم برب العالمين اي ما ظنكم
به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فهو تحذير مثل قوله ما غرك بربك الكريم وقيل المعني اي شي
توهمتموه حتى اشركتم به غيره قوله تعالى فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ
فَتَوَلَّوْا عَنْهُ قال ابن زيد عن ابيه ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا فنظر الي نجم
الطالع فقال ان هذا يطلع مع سقمي وكان علم النجوم مستعملاً عندهم منظورا فيه فاوهمهم هو
من تلك الجهة واراهم من معتقدهم عذرًا لنفسه وذلك انهم كانوا اهل رعاية وفلاحة وهاتان
المعيشتان يحتاج فيها الي نظر في النجوم وقال ابن عايشه كان علم النجوم من النبوة فلما حبس الله
تعالى الشمس علي يوشع بن نون ابطل ذلك فنظر ابراهيم فيها علما نبويا وحكي جويبر عن الضحاك
ان علم النجوم كان باقيا الي زمان عيسى حتى دخلوا عليه في موضع ولا يطلع عليه فقالت لهم مريم
من اين علمتم بموضعه قالوا من النجوم فدعا ربه عند ذلك فقال اللهم فوهمهم في علمها فلا يعلم علم النجوم
احد فصار حكمها في الشرع محظورًا وعلمها في الناس مجهولاً قال الكلبي وكانوا بقرية بين البصرة والكوفه
يقال لها هرمزجرد وكانوا ينظرون في النجوم فهذا قول وقال الحسن المعني انهم لما كلفوه الخروج معه تفكر
فيما يعمل فالمعني علي هذا انه نظر فيما نجم له من الراي اي فيما طلع له منه فعلم ان كل حي يسقم فقال
اني سقيم الخليل والمبرد يقال للرجل اذا فكر في الشي يدبره نظر في النجوم وقيل كانت الساعة التي دعوه
الي الخروج معهم فيها ساعة تعتاده فيها الحمي وقيل المعني فنظر فيما نجم من الاشيا فعلم ان لها خالقا
ومدبرا وانه يتغير كتغيرها فقال اني سقيم وقال الضحاك معني سقيم سأسقم سقم الموت لان من كتب
عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت وهذه توريه وتعريض كما قال للملك لما ساله عن سارة هي اختي
يعني اخوة الدين وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك ايضًا اشار لهم الي مرض وسقم يعدي كالطاعون
وكانوا يهربون من الطاعون ولذلك تولوا عنه مدبرين اي فارين منه خوفًا من العدوى وروي
الترمذي الحكيم حدثنا ابي قال حدثنا عمرو بن حماد عن اسباط عن السدي عن ابي مالك وابي صالح
عن ابن عباس وعن مره عن الهمداني عن ابن مسعود قال قال ابو ابراهيم ان لنا عيدًا لو خرجت معنا
لاعجبك ديننا فلما كان يوم العيد خرجوا اليه وخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القي بنفسه وقال
اني سقيم اشتكي رجلي فوطئوا رجله وهو صريع فلما مضوا نادي في اخرهم وتالله لاكيدن اصنامكم

قال ابو عبد الله وهذا ليس بمعارض لما قال ابن عباس وابن جبير لانه يحتمل ان يكون قد اجتمع
له امران قال الشيخ وفي الصحيح عن ابن عباس لم يكذب ابراهيم النبي عليه السلام الا ثلاث للنبي صلى الله عليه وسلم
كذبات الحديث وقد مضي في سورة الانبياء وهو يدل على انه لم يكن سقيمًا وانما عرض لهم
وقد قال جل وعلا انك ميت وانهم ميتون قال المعني اني سقيم فيما استقبل فتوهموا هم انه سقيم
الساعة وهذا من معاريض الكلام علي ما ذكرنا ومنه المثل السائر كفي بالسلامة داء وقول لبيد
فدعوت ربي بالسلامة جاهدًا ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاة فالتف
عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه فابراهيم صادق
ولكنه لما كان الانبياء لقرب محلهم واصطفائهم عُدّ هذا ذنبا ولهذا قال والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقد مضي هذا كله مبينًا والحمد لله وقيل اراد سقيم النفس لكفرهم والنجوم يكون
جمع نجم ويكون واحدًا مصدرًا قوله تعالى فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ
لَا تَنطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ قال السدي ذهب اليهم وقال ابو مالك جاء اليهم
وقال قتاده مال اليهم وقال الكلبي اقبل عليهم وقيل عدل والمعني متقارب راغ يروغ روغا
وروغانا اذا مال وطريق رائغ اي مائل وقال الشاعر
ويريك من طرف اللسان حلاوة ويروغ عنك كما يروغ الثعلب فقال الا تاكلون فخاطبها كما يخاطب
من يعقل لانهم انزلوها بتلك المنزلة وكذا ما لكم لا تنطقون قيل كان بين ايدي الاصنام طعام
تركوه ليأكلوه اذا رجعوا من العيد وانما تركوه لتصيبه بركة اصنامهم بزعمهم وقيل تركوه
للسدنه وقيل قرب هو لها طعامًا علي جهة الاستهزاء فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون
فراغ عليهم ضربًا باليمين خص الضرب باليمين لانها اقوى والضرب بها اشد قاله الضحاك و
الربيع بن انس وقيل المراد باليمين اليمين التي حلفها حين قال وتالله لاكيدن اصنامكم وقال
الفراء وثعلب ضربا بالقوة واليمين القوة وقيل بالعدل واليمين ها هنا العدل ومنه قوله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين اي بالعدل فالعدل لليمين والجور للشمال
الا تري ان العدو عن الشمال والمعاصي عن الشمال والطاعة عن اليمين ولذلك قال انكم كنتم تاتوننا
عن اليمين اي من قبل الطاعات فاليمين هو موضع العدل من المسلم والشمال موضع الجور الا تري
انه بايع الله بيمينه يوم الميثاق فالبيعة باليمين فلذلك يعطي كتابه غدًا بيمينه لانه وفي بالبيعة ويعطي
الناكث للبيعة والهارب برقبته من الله بشماله لان الجور هناك فقوله فراغ عليهم ضربًا باليمين
اي بذلك العدل الذي كان بايع الله عليه يوم الميثاق ثم وفاه ها هنا فجعل تلك الاوثان جذاذًا
اي فتاتا كالجذاذة وهي السويق وليس من قبل القوة قاله الترمذي الحكيم فاقبلوا اليه يزفون
قراءة حمزة يزفون بضم الياء الباقون بفتحها اي يسرعون قاله ابن زيد قتاده والسدي يمشون وقيل
المعني يمشون بجمعهم علي مهل امنين ان يصيب احد الهتهم بسوء وقيل المعني يتسللون تسللاً
بين المشي والعدو ومنه رفيف النعامة وقال الضحاك يسعون وحكي يحيى ابن سلام يرعدون
غضبا وقيل يختالون وهو مشي الخيلاء قاله مجاهد ومنه اخذ زفاف العروس الي زوجها وقال

وجا قريع الشول قبل افالها يزف وجات خلفه وهي رقف ٠ ومن قراء يرفون فمعناه يرفون
غيرهم اي يحملونهم علي التزفيف وعلي هذا فالمفعول محذوف قال الاصمعي ارففت الابل
اي حملتها علي ان يرف وقيل هما لغتان يقال رف القوم وارفوا ورففت العروس وارففتها و
اردففتها بمعني والمرفه المحفه التي يزف فيها العروس حكي ذلك عن الخليل النحاس يرفون
بضم اليا زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء
وشبهها بقولهم اطردت الرجل اي اصرته الي ذلك وطردته نحيته وانشد هو وغيره ٠ ٠
تمني حصين ان يسود جداعه فامسي حصين قد اذل واقهرا ٠ ٠ اي صير الي ذلك فكذلك
يرفون يصيرون الي الرفيف قال مجاهد الرفيف الاسراع وقال ابو اسحق الرفيف اول عدو النعام
وقال ابو حاتم وزعم الكسايي ان قوما قروا فاقبلوا اليه يرفون خفيفه وزف يرف مثل
وزن يزن قال النحاس فهذه حكاية ابي حاتم وابو حاتم لم يسمع من الكسايي شيا وروي الفرا
عن الكسايي انه لا يعرف يرفون مخففة قال الفراء وانا لا اعرفها قال ابو اسحق
وقد عرفها غيرهما وزف يرف اذا اسرع قال النحاس ولا نعلم احد قرا يرفون قال الشيخ هي
قراة عبد الله ابن زيد فيما ذكر المهدوي الزمخشري ويزفون علي البنا للمفعول ويرفون من
زفاه اذا احداه كان بعضهم يرفوا بعضا لتسارعهم اليه وذكر الثعلبي عن الحسن ومجاهد
وابن السميقع يرفون بالراء رفيف النعام وهو ركض بين المشي والطيران قوله تعالى قَالَ أَتَعْبُدُونَ
مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ فيه حذف اي قالوا من فعل هذا بالهتنا
فقال محتجا اتعبدون ما تنحتون اي تعبدون اصناما انتم تنحتونها بايديكم والنحت النجر
والبري نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاته البراة والمنحت ما نحت به والله خلقكم
وما تعملون ما في موضع نصب اي وخلق ما تعملونه من الاصنام يعني الخشب والحجارة وغيرهما
كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل ان ما استفهام ومعناه التحقير لعملهم
وقيل هي نفي والمعني وما تعملون ذلك لكن الله خالقه والاحسن ان تكون ما مع الفعل مصدرا
والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا هو مذهب اهل السنه ان الافعال خلق لله عز وجل واكتساب
للعباد وفي هذا ابطال مذاهب القدرية والجبرية وروي ابو هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال ان الله خالق كل صانع وصنعته ذكره الثعلبي وخرجه البيهقي من حديث حذيفه قال قال رسول
صلي الله عليه وسلم ان الله صنع كل صانع وصنعته فهو الخالق وهو الصانع سبحانه وقد بيناهما
في الكتاب الاسني في شرح اسماء الله الحسني قوله تعالى ابنوا له بنيانا اي تشاوروا في امره لما غلبهم
بالحجة حسب ما تقدم في الانبياء بيانه فقالوا ابنوا له بنيانا تملؤنه حطبا فتضرمونه ثم القوه فيه
وهو الجحيم قال ابن عباس بنوا حايطا من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعا وملوه نارا وطرحوه
فيها وقال عبد الله ابن عمرو بن العاص فلما صار في البنيان قال حسبي الله ونعم الوكيل والالف واللام
في الجحيم يدل علي الكناية اي في جحيمه اي في جحيم ذلك البنيان وذكر الطبري ان قايل ذلك اسمه
الهيزون رجل من اعراب فارس وهم الترك وهو الذي جا فيه الحديث بينا رجل يمشي في حلة له يتبختر

قالوا ح

فيها فخسف به فهو يتجلجل في الارض الي يوم القيمة والله اعلم فارادوا به كيدا اي بابراهيم والكيد المكر اي
احتالوا لاهلاكه فجعلناهم الاسفلين المقهورين المغلوبين اذا نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ
فيه مكرهم ولا كيدهم قوله تعالى وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي فيه مسالتان الاولي هذه الاية اصل في الهجرة
والعزلة واول من فعل ذلك ابراهيم وذلك حين خلصه الله تعالى من النار قال اني ذاهب الي ربي اي
مهاجر من بلد قومي ومولدي الي حيث اتمكن من عبادة ربي فانه سيهدين فيما نويت الي الصواب قال مقاتل
هو اول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة الي الارض المقدسة وهي ارض الشام وقيل ذاهب بعملي
وعبادتي وقلبي ونيتي فعلي هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن وقد مضي بيان هذا في الكهف مستوفي
وعلي الاول بالمهاجرة الي الشام وبيت المقدس وقيل خرج الي حران فاقام بها مدة ثم قيل
قال ذلك لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخا لهم وقيل قاله لمن هاجر معه من اهله فيكون
ذلك منه ترغيبا وقيل قاله هذا قبل القايه في النار وقيل علي هذا القول تاويلان احدهما اني ذاهب
الي ما قضاه علي ربي الثاني اي ميت كما يقال لمن مات قد ذهب الي الله تعالى لانه تصور عليه السلام
انه يموت بالقايه في النار علي المعهود من حالها في تلف ما يلقي فيها الي ان قيل لها كوني بردا وسلاما
فح سلم ابراهيم منها وفي قوله سيهدين علي هذا القول تاويلان احدهما سيهدين الي الخلاص
منها الثاني الي الجنة وقال سليمن ابن صرد وهو ممن ادرك النبي صلي الله عليه وسلم لما ارادوا
القا ابراهيم في النار جعلوا يجمعون له الحطب فجعلت المراه العجوز تحمل علي ظهرها وتقول اذهب به
الي هذا الذي يذكر الهتنا فلما ذهب به ليطرح في النار قال اني ذاهب الي ربي فلما طرح في النار قال
حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما فقال ابو لوط وكان ابن عمه ان
النار لم تحرقه من اجل قرابته مني فارسل الله عنقا من نار فاحرقه الثانية قوله تعالى رب هب
لي من الصالحين لما عرفه الله تعالى انه مخلصه دعا الله ليعضده بولد يانس به في غربته وقد مضي
في آل عمران القول في هذا وفي الكلام حذف اي هب لي ولدا صالحا من الصالحين وحذف هذا
كثير قال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم اي انه يكون حليما في كبره فكانه بشر ببقاء ذلك الولد
لان الصغير لا يوصف بذلك وكانت البشري علي السنة الملايكة كما تقدم في هود وياتي في الذاريات
قوله تعالى فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ الاية فيه ست عشر
مسالة الاولي قوله تعالى فلما بلغ معه السعي اي فوهبنا له غلاما فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعي
مع ابيه في امور دنياه معينا له علي اعماله قال يا بني اني اري في المنام اني اذبحك وقال مجاهد
فلما بلغ معه السعي اي شب وادرك سعيه اي سعي ابراهيم وقال الفراء كان يومئذ ابن ثلاث عشرة
سنة وقال ابن عباس هو الاحتلام قتادة مشي مع ابيه الحسن ومقاتل هو سعي العقل الذي
تقوم به الحجة ابن زيد هو السعي في العبادة ابن عباس صام وصلي الم تسمع الله عز وجل يقول وسعي
لها سعيها وهو مومن واختلف العلماء في الماموري بذبحه فقال اكثرهم الذبيح اسحق وممن قال
ذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وهو الصحيح عنه روي الثوري وابن جريج يرفعانه
عن ابن عباس قال الذبيح اسحق وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود ان رجلا قال له انا ابن الاشياخ

يمنا

الكرام فقال عبد الله ذلك يوسف ابن يعقوب ابن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وقد روي عن
حماد ابن زيد يرفعه الى رسول الله قال ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم وروي ابو الزبير عن جابر قال الذبيح اسحق وذلك مروي ايضا عن علي بن ابي طالب
وعن عبد الله بن عمر ان الذبيح اسحق وهو قول عمر فهؤلاء سبعة من الصحابة ومن التابعين وغيرهم علقمة والشعبي
ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم ابن ابي بزة وعطاء ومقاتل
وعبد الرحمن ابن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن ابي الهذيل ومالك ابن انس كلهم قالوا الذبيح اسحق وعليه
اهل الكتابين اليهود والنصارى واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما قال سعيد بن جبير
اري ابراهيم ذبح اسحق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتي به المنحر من منى فلما صرف الله
عنه الذبح وامره ان يذبح الكبش فذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال
وقال اخرون هو اسماعيل وممن قال ذلك ابو هريرة وابو الطفيل عامر بن واثلة وروي ذلك عن ابن عمر
وابن عباس ايضا ومن التابعين سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف ابن مهران ومجاهد والربيع بن انس ومحمد
بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة وسئل ابو سعيد الضرير عن الذبيح فانشد ان الذبيح هديت اسمعيل
نطق القران بذاك والتنزيل شرف به خص الاله نبينا واتى به التفسير والتاويل وعن الاصمعي قال
سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان
اسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وروي عن النبي عم ان الذبيح اسماعيل والاول اكثر
عن النبي وعن الصحابة وعن التابعين واحتجوا بان الله قد اخبر عن ابراهيم حين فارق قومه فهاجر
الى الشام مع امراته سارة وابن اخيه لوط فقال اني ذاهب الى ربي سيهدين ثم انه دعا فقال رب هب لي
من الصالحين فقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب ولان الله تعالى قال
وفديناه بذبح عظيم فذكر انه في الغلام الحليم الذي بشر به ابراهيم وانما بشر باسحق لانه قال فبشرناه باسحق وقال
هنا فبشرناه بغلام حليم وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان يصير له اسماعيل وليس في القران انه بشر بولد
الا اسحق احتج من قال انه اسماعيل بان الله وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسماعيل واليسع وذا الكفل
كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من
نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى قال فبشرناه باسحق نبيا فكيف يامره بذبحه وقد وعده انه يكون
نبيا وايضا قال فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يومر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد في يعقوب
وايضا ورد في الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على ان الذبيح اسماعيل ولو كان اسحق لكان الذبح
يقع ببيت المقدس وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع اما قولهم كيف يامره بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا فانه
يحتمل ان يكون المعنى وبشرناه بنبوته بعد ان كان من امره ما كان قاله ابن عباس وسياتي ولعله امر
بذبح اسحق بعد ولادة اسحق يعقوب او يقال لم يرد في القران ان يعقوب يولد له من اسحق واما قولهم ولو كان
الذبيح اسحق لكان الذبح يقع ببيت المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال الزجاج
الله اعلم ايهما الذبيح وهذا مذهب ثالث الثانية قوله تعالى قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك
فانظر ماذا ترى قال مقاتل راى ذلك ابراهيم ثلاث ليال متتابعات وقال محمد بن كعب كانت الرسل ياتيهم
الوحي من الله تعالى ايقاظا ورقودا فان الانبياء لا تنام قلوبهم وهذا ثابت في الخبر المرفوع قال رسول الله عم

ان صح

انا

انا معشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا وقال ابن عباس رؤيا الانبياء وحي واستدل عليه بهذه الاية
وقال السدي لما بشر ابراهيم باسحق قبل ان يولد له قال هو اذا لله ذبيح فقيل له في منامه قد نذرت نذرا
فف بنذرك ويقال ان ابراهيم راى في ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى في نفسه
اي فكر اهذا الحلم من الله او من الشيطان فسمي يوم التروية فلما كانت الليلة الثانية راى ذلك ايضا وقيل له الوعد
فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمي يوم عرفة ثم راى في الليلة الثالثة مثله فهم بنحره فسمي يوم النحر وروي
انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وقد
اختلف الناس في وقوع هذا الامر وهي الثالثة فقال اهل السنة ان نفس الذبح لم يقع وانما وقع الامر بالذبح قبل
ان يقع الذبح ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل لانه لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ما
تحقق الفداء وقوله تعالى قد صدقت الرؤيا اي حققت ما نبهناك عليه وفعلت ما امكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا اصح
ما قيل به في هذا وقالت طايفة ليس هذا مما ينسخ بوجه لان معنى ذبحت الشيء قطعته واستدل على هذا بقول مجاهد قال اسحق لابراهيم
لا تنظر الي فترحمني ولكن اجعل وجهي الى الارض فاخذ ابراهيم السكين فامرها على حلقه فانقلبت فقال له ما لك قال انقلبت السكين
فقال اطعني بها طعنا وقال بعضهم كان كلما قطع جزءا التام وقالت طايفة وجد حلقه نحاسا او مغشيا نحاسا وكان كلما اراد
قطعا وجد منعا وهذا كله جائز في القدرة الالهية لكنه يفتقر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما طريقه الخبر ولو كان
قد جرى ذلك لبينه الله تعالى تعظيما لرتبة اسماعيل وابراهيم وكان اولى بالبيان من الفداء وقال بعضهم ما امر بالذبح الحقيقي
الذي هو فري الاوداج وانهار الدم وانما راى انه اضجعه للذبح فتوهم انه امر بالذبح الحقيقي فلما اتى بما امر به من الاضجاع
قيل له قد صدقت الرؤيا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل والذبيح ان يفهما من هذا الامر ما ليس له حقيقة
حتى يكون منهما التوهم وايضا لو صحت هذه الاشياء لما احتيج الى الفداء الرابعة قوله تعالى فانظر ماذا ترى قرا اهل
الكوفة غير عاصم ماذا تري بضم التاء وكسر الراء من اري يري قال الفراء فانظر ماذا تري من صبرك وجزعك
قال الزجاج لم يقل هذا احد غيره وانما قال العلماء ماذا تشير اي ماذا تريك نفسك من الراي وانكر ابو عبيد
تري وقال انما يكون هذا من رؤية العين خاصة وكذا قال ابو حاتم النحاس وهذا غلط وهذا يكون من رؤية
العين وغيرها وهو مشهور يقال اريت فلانا الصواب وارته رشده وهذا ليس من رؤية العين الباقون ترى مضارع راى
وقد روي عن الضحاك والاعمش ترى غير مسمى الفاعل ولم يقل له ذلك على جهة المؤامرة في امر الله وانما شاوره ليعلم صبره لامر
الله ولتقر عينه اذا راى من ابنه طاعة الله في امر الله قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به فوصل الفعل الى الضمير فصار تؤمره ثم حذفت الهاء كقوله وسلام على عباده الذين اصطفى اي اصطفاهم
على ما تقدم وما يعني الذي ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال بعض اهل الاشارة لما استثنى وفقه الله للصبر وقد مضى الكلام في
يا ابت وكذلك في يا بني في يوسف وغيرها الخامسة قوله تعالى فلما اسلما اي انقادا لامر الله وقرا ابن مسعود وابن عباس وعلي فلما سلما
اي فوضا امرهما الى الله وقال ابن عباس استسلما وقال قتادة اسلم احدهما نفسه لله عز وجل واسلم الاخر ابنه وتله
للجبين قال قتادة كبه وحول وجهه الى القبلة وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره فلما اسلما وتله للجبين
فديناه بكبش وقال الكوفيون الجواب ناديناه والواو زائدة مقحمة كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة
الجب واوحينا اليه اي اوحينا وقوله وهم من كل حدب ينسلون واقترب اي اقترب وقوله فلما جاءوها
وفتحت ابوابها وقال اي قال لهم وقال امرؤ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى اي انتحى والواو زائدة
وقال حتى اذا حملت بطونكم ورايتم ابناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم الفاجر الخب اراد

الله صح

انا ابا سم صح

قلتم وقال النحاس الواو من حروف العطف لا يجوز ان تزاد وفي الخبر ان الذبيح قال لابراهيم حين اراد ذبحه يا ابت اشدد رباطي
حتى لا اضطرب واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها شي من دمي فتراه امي فتحزن واسرع مر السكين على حلقي ليكون الموت
اهون علي واقذفني للوجه لئلا تنظر الى وجهي فترحمني ولئلا انظر الى الشفرة فاجزع واذا اتيت امي فاقرها مني السلام
فلما جر ابراهيم السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيا ثم ضربه على جبينه وحز في قفاه فلم تعمل
السكين شيا فذلك قوله وتله للجبين كذلك قال ابن عباس معناه كبه على جبهته فنودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت
فاذا بكبش ذكره المهدوي وقد تقدمت الاشارة الى عدم صحته وان المعنى لما اعتقد الوجوب وتهيا للعمل هذا
بهيئة الذبح وهذا بصورة المذبوح اعطيا محلا للذبح فداء ولم يكن هنا كمر سكين وعلى هذا يتصور النسخ قبل الفعل على ما تقدم والله
اعلم قال الجوهري وتله للجبين اي صرعه كما تقول كبه لوجهه الهروي التل الدفع والصرع ومنه حديث ابي الدرداء وبركوك
لتلك اي لصرعك وفي حديث اخر فجاء بناقة كوما فتلها اي اناخها وفي الحديث بينا انا نايم اتيت بمفاتيح خزاين الارض فتلت
في يدي قال ابن الانباري اي فالقيت في يدي يقال تللت الرجل اذا القيته وقال ابن الاعرابي فصبت في يدي والتل
الصب يقال تل يتل اذا صب وتل يتل اذا سقط قلت وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله اتي بشراب فشرب منه
وعن يمينه غلام وعن يساره اشياخ فقال للغلام اتاذن ان اعطي هولاء فقال الغلام لا والله لا اوثر بنصيبي منك احدا فتله رسول
الله في يده يريد جعله في يده وقال بعض اهل الاشارة ان ابراهيم ادعى محبة الله ثم نظر الى الولد بالمحبة فلم يرض حبيبه
محبة مشتركة فقيل له يا ابراهيم اذبح ولدك في مرضاتي فشمر واخذ السكين واضجع ولده ثم قال اللهم تقبله مني في
مرضاتك فاوحى الله اليه يا ابراهيم لم يكن المراد ذبح الولد وانما المراد ان ترد قلبك الينا فلما رددت قلبك الينا بكليته
رددنا ولدك اليك وقال كعب وغيره لما اري ابراهيم ذبح ولده في منامه قال الشيطان والله لين لم افتن عند هذا
آل ابراهيم لا افتن منهم احدا فتمثل الشيطان لهم في صورة الرجل ثم اتى ام الغلام وقال اتدرين اين يذهب ابراهيم
بابنك قالت لا قال انه يذهب به ليذبحه قالت كلا هو ارأف به من ذلك فقال انه يزعم ان ربه امره بذلك قالت
فان كان ربه قد امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه ثم اتى الغلام فقال اتدري اين يذهب بك ابوك قال لا
قال فانه يذهب بك ليذبحك قال ولم قال زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره الله به سمعا وطاعة
لامر الله ثم جاء ابراهيم فقال اين تريد والله اني لاظن ان الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك فعرفه
ابراهيم فقال اليك عني يا عدو الله لامضين امر ربي فلم يصب الملعون منهم شيئا وقال ابن عباس لما امر
ابراهيم بذبح ابنه عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم عرض له الشيطان عند جمرة
العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله تعالى واختلف في الموضع الذي اراد
ذبحه فيه فقيل بمكة في المقام وقيل في منى المنحر عند الجمار التي رمى بها ابليس قاله ابن عباس
وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب وحكي عن سعيد بن جبير انه ذبحه على الصخرة
التي باصل ثبير بمنى وقال سعيد بن جبير انه ذبحه على الصخرة التي باصل ثبير بمنى وقال ابن
جريج ذبحه بالشام وهو من بيت المقدس على ميلين والاول اكثر فانه ورد في الاخبار تعليق
قرن الكبش في الكعبة فدل انه ذبح بمكة وقال ابن عباس فوالذي
نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب
الكعبة قد وحش يعني يبس اجاب من قال بان الذبح وقع بالشام
لعل الراس حمل من الشام الى مكة والله اعلم

قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي نجزيهم بالخلاص من الشدايد في الدنيا والاخرة السادسة
ان هذا لهو البلاء المبين اي النعمة الظاهرة يقال ابلاه الله ابلاء وبلاء اذا انعم عليه وقد يقال بلاه قال
زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو فزعم قوم انه جاء باللغتين وقال اخرون بل الثاني من بلاه
يبلوه اذا اختبره ولا يقال من الاختبار الا بلاه يبلوه ولا يقال من الابتلاء يبلوه واصل هذا كله
من الاختبار انه يكون بالخير والشر قال الله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال ابو زيد هذا
في البلاء الذي نزل به في ان يذبح ابنه قال وهذا من البلاء المكروه قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم الذبح
اسم المذبوح وجمعه ذبوح كالطحن اسم المطحون والذبح بالفتح المصدر عظيم اي عظيم القدر ولم يرد عظيم
الجثة وانما عظم قدره لانه فدي به الذبيح او لانه متقبل قال النحاس عظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف
واهل التفسير على انه ههنا الشريف او المتقبل وقال ابن عباس هو الكبش الذي تقرب به هابيل
وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله به اسمعيل وعنه ايضا انه كبش ارسله الله من الجنة كان قد رعى
في الجنة اربعين خريفا وقال الحسن ما فدي اسماعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير فذبحه
ابرهيم فدا عن ابنه وهذا قول علي رضي الله عنه فلما راه ابرهيم اخذه فذبحه واعتق ابنه وقال
يا بني اليوم وهبت لي وقال ابو اسحاق الزجاج قد قيل انه فدي بوعل والوعل التيس الجبلي واهل
التفسير على انه فدي بكبش السابعة في هذه الاية دليل على ان الاضحية بالغنم افضل من الابل
والبقر وهذا مذهب مالك واصحابه قالوا افضل الضحايا الفحول من الضان واناث الضان خير من فحول
المعز وفحول المعز خير من اناثها واناث المعز خير من الابل والبقر وحجتهم قوله سبحانه وفديناه بذبح عظيم
اي ضخم الجثة سمين وذلك كبش لا جمل ولا بقرة وروى مجاهد وغيره عن ابن عباس انه ساله رجل اني نذرت
ان انحر ابني قال يجزيك كبش سمين ثم قرا وفديناه بذبح عظيم وقال بعضهم لو علم الله حيوانا افضل من الكبش
لفدى به اسحاق وضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين واكثر ما ضحى به الكباش وذكر ابن ابي شيبة
عن ابن علية عن ليث عن مجاهد قال الذبح العظيم الشاة الثامنة واختلفوا ايما افضل الاضحية
او الصدقة بثمنها فقال مالك واصحابه الضحية افضل الا بمنى لانه ليس موضع الضحية حكاه ابو عمر وقال
ابن المنذر روينا عن بلال انه قال ما ابالي ان لا اضحي الا بديك ولان اضعه في يتيم قد ترب فيه هكذا قال
المحدث احب الي من ان اضحي به وهذا قول الشعبي ان الصدقة افضل وبه قال مالك وابو ثور وفيه قول
ثاني وهو ان الضحية افضل هذا قول ربيعة وابي الزناد وبه قال اصحاب الراي زاد ابو عمر واحمد بن
حنبل قالوا الضحية افضل من الصدقة لان الضحية سنة وكيدة كصلاة العيد ومعلوم ان صلاة العيد
افضل من ساير النوافل وكذلك صلوات السنن افضل من التطوع كله قال ابو عمر وقد روي في فضل
الضحايا اثار حسان فمنها ما رواه سعيد بن داود بن ابي زنبر عن مالك عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفقة بعد صلة الرحم افضل عند الله من اهراق الدم
قال ابو عمر وهو حديث غريب من حديث مالك وعن عايشة قالت يا ايها الناس ضحوا وطيبوا انفسا
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد توجه باضحيته الى القبلة الا كان دمها
وقرنها وصوفها حسنات محضرات في ميزانه يوم القيامة فان الدم ان وقع في التراب فانما يقع في حرز

الله حتى يوفيه صاحبه يوم القيامة ذكره ابو عمرو في كتاب التمهيد وخرجه الترمذي ايضا عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عمل آدمي من عمل يوم النحر احب الى الله من اهراق الدم
انه لتاتي يوم القيامة بقرونها واشعارها واظلافها وان الدم ليقع عند الله بمكان قبل ان يقع
على الارض فطيبوا بها نفسا قال وفي الباب عن عمران بن حصين وزيد بن ارقم وهذا حديث
حسن التاسعة الضحية ليست بواجبة ولكنها سنة ومعروف وقال عكرمة كان ابن عباس
يبعثني يوم الاضحى بدرهمين اشترى له لحما ويقول من لقيت فقل هذه اضحية بن عباس قال
ابو عمرو محمل هذا وما روي عن ابي بكر وعمر انهما لا يضحيان عند اهل العلم لئلا يعتقد فيها للمواظبة
عليها انها واجبة فرض وكانوا ائمة يقتدى بهم من بعدهم ممن ينظر في دينه اليهم لانهم الوسائط
بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين امته فساغ لهم من الاجتهاد في ذلك ما لا يسوغ اليوم لغيرهم
وقد حكى الطحاوي في مختصره قال ابو حنيفة الاضحية واجبة على المقيمين الواجدين من اهل
الامصار ولا تجب على المسافر قال ويجب على الرجل من الاضحية على ولده الصغير مثل الذي يجب
عليه عن نفسه وخالفه ابو يوسف ومحمد فقالا ليست بواجبة ولكنها سنة غير مرخص لمن وجد السبيل
اليها في تركها قال وبه ناخذ قال ابو عمرو وهذا قول مالك قال لا ينبغي لاحد تركها مسافرا كان او مقيما
فان تركها فبئس ما صنع الا ان يكون له عذر الا الحاج بمنى وقال الشافعي هي سنة على جميع الناس
وعلى الحاج بمنى وليست بواجبة وقد احتج من اوجبها بان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابا بردة بن نيار
ان يعيد ضحية اخرى لان ما لم يكن فرضا لم يؤمر به بالاعادة احتج الآخرون بحديث ام سلمة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل العشر واراد احدكم ان يضحي قالوا فلو كان ذلك واجبا لم يجعل ذلك
الى ارادة المضحي وهو قول ابي بكر وعمر وابي مسعود البدري وبلال العاشرة والذي يضحى
به باجماع المسلمين الازواج الثمانية وهي الضان والمعز والابل والبقر قال ابن المنذر وقد حكى ١
عن الحكم ابن صالح انه قال يضحى ببقرة الوحش عن سبعة وبالظبي عن رجل وقال الشافعي لو نزا
ثور وحشي ببقرة انسية او ثور انسي ببقرة وحشية لا يجوز شيء من هذا اضحية وقال اصحاب الراى ٢
جائز لان ولدها بمنزلة امه وقال ابو ثور يجوز اذا كان منسوبا الى الانعام الحادية عشرة قد مضى
في سورة الحج الكلام في وقت الذبح والاكل من الاضحية مستوفى وفي صحيح مسلم عن انس قال ضحى النبي
صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما في رواية قال
ويقول بسم الله والله اكبر وقد مضى في آخر الانعام حديث عمران بن حصين ومضى في المائدة القول
في التذكية وبيانها وما يذكى به وان ذكاة الجنين ذكاة امه مستوفى وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي
الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بكبش اقرن يطاء في سواد ويبرك في سواد وينظر
في سواد فاتي به ليضحي به فقال لها يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ
الكبش فاضجعه ثم ذبحه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن امة محمد ثم ضحى به وقد
اختلف العلماء في هذا فكان الحسن البصري يقول في الاضحية بسم الله والله اكبر هذا منك ولك تقبل
من فلان وقال مالك ان فعل ذلك فحسن وان لم يفعل وسمى الله اجزاه وقال الشافعي

والتسمية على الذبيحة بسم الله فان زاد بعد ذلك شيئا من ذكر الله او صلى على محمد عليه السلام
لم اكرهه او قال اللهم تقبل مني او قال تقبل من فلان فلا بأس وقال النعمان يكره ان يذكر
مع اسم الله غيره ويكره ان يقول اللهم تقبل من فلان عند الذبح وقال لا باس اذا كان قبل
التسمية وقبل ان يضجع للذبح وحديث عائشة يرد هذا القول وقد تقدم ان ابرهيم عليه السلام قال
لما اراد ذبح ابنه الله اكبر والحمد لله فبقي سنة الثانية عشرة روى البراء بن عازب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل ماذا يتقى من الضحايا فاشار بيده وقال اربع وكان البراء يشير بيده
ويقول يدي اقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم العرجاء البين ظلعها والعوراء البين
عورها والمريضة البين مرضها والعجفاء التي لا تنقي لفظ مالك ولا خلاف فيه واختلف في اليسير
من ذلك وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف
العين والاذن وان لا يضحى بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء قال والمقابلة ما قطع طرف
اذنها والمدابرة ما قطع من جانب الاذن والشرقاء المشقوقة والخرقاء المثقوبة قال هذا حديث
حسن صحيح وفي الموطا عن نافع ان عبد الله بن عمر كان يتقي من الضحايا والبدن التي لم تسنن
والتي نقص من خلقها قال مالك وهذا احب ما سمعت الي قال القتبي لم تسنن اي لم تنبت
اسنانها كانها لم تعط اسنانا وهذا كما يقال فلان لم تلبن اي لم تعط لبنا ولم تسمن اي لم تعط
سمنا ولم تعسل اي لم تعط عسلا وهذا مثل النهي في الاضاحي عن الهتماء قال ابو عمرو ولا
باس ان يضحى عند مالك بالشاة الهتماء اذا كان سقوط اسنانها من الكبر والهرم وكانت سمينة
فان كانت ساقطة الاسنان وهي فتية لم يجز ان يضحى بها لانه عيب غير خفيف والنقصان كله
مكروه وشرحه وتفصيله في كتب الفقه وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم استشرفوا
ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم ذكره الزمخشري الثالثة عشرة ودلت الآية على ان
من نذر نحر ابنه او ذبحه انه يفديه بكبش كما فدى به ابرهيم ابنه قاله ابن عباس وعنه رواية
اخرى ينحر مائة من الابل كما فدي به عبد المطلب ابنه روي الروايتين عنه الشعبي وروى
عنه القاسم بن محمد يجزيه كفارة يمين وقال مسروق لا شيء عليه وقال الشافعي هو معصية
تستغفر الله منها وقال ابو حنيفة هي كلمة يلزمه بها في ولده ذبح شاة ولا يلزمه في غير ولده
شيء وقال محمد عليه في الحلف بنحر عبده مثل الذي عليه في الحلف بنحر ولده اذا حنث وذكر
ابن عبد الحكم عن مالك فيمن قال انا انحر ولدي عند مقام ابرهيم في يمين ثم حنث فعليه هدي
قال ومن نذر ان ينحر ابنه ولم يقل عند مقام ولا اراده فلا شيء عليه قال ومن جعل
ابنه هديا اهدى عنه قال القاضي ابن العربي يلزمه شاة كما قال ابو حنيفة لان الله تعالى
جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح الشاة شرعا فالزم الله ابرهيم ذبح الولد واخرجه عنه
بذبح شاة وكذلك اذا نذر العبد ذبح ولده يلزمه ان يذبح شاة لان الله تعالى قال
ملة ابيكم ابرهيم والايمان التزام اصلي والنذر التزام فرعي فيجب ان يكون محمولا عليه
فان قيل كيف يؤمر ابرهيم بذبح الولد وهي معصية والامر بالمعصية لا يجوز قلنا هذا اعتراض

على ما اراد الله تعالى ولا يكون ذلك ممن يعتقد الاسلام فكيف بمن يغني عن الحلال والحرام وقد قال
الله تعالى افعل ما تؤمر والذى يجلوا الالباس عن قلوب الناس في ذلك ان المعاصي والطاعات
ليست باوصاف ذاتية للاعيان وانما الطاعات عبارة عن ما تعلق به الامر من الافعال — والمعصية عبارة عما تعلق به النهى من الافعال صح
فلما تعلق الامر بذبح الولد اسماعيل من ابرهيم صار طاعة وابتلاء ولهذا قال الله تعالى
ان هذا لهو البلاء المبين في الصبر على ذبح الولد والنفس ولما تعلق النهي بنا في ذبح ابنائنا
صار معصية فان قيل كيف يصير نذرا وهو معصية قلنا انما يكون معصية لو كان
يقصد ذبح الولد بنذره ولا ينوى الفداء فان قيل فلو وقع ذلك وقصد المعصية ولم ينو
الفداء قلنا لو قصد ذلك لم يضره في قصده ولا اثر في نذره لان ذبح الولد صار عبارة عن
ذبح الشاة شرعا **الرابعة عشر** قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين اى على ابرهيم ثناء
جميلا في الامم بعده فما من امة الا تصلي عليه وتحبه وقيل هو دعاء ابرهيم عليه السلم واجعل
لى لسان صدق في الآخرين وقال عكرمة هو السلام على ابرهيم اى سلاما منا
وقيل سلامة له من الآفات مثل سلام على نوح فى العالمين حسب ما تقدم كذلك نجزى
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اى من الذين اعطوا العبودية حقها حتى استحقوا الاضافة
الى الله تعالى **الخامسة عشر** قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين قال ابن عباس
بشر بنبوته وذهب الى ان البشارة كانت مرتين فعلى هذا الذبيح هو اسحاق بشر بنبوته
جزاء على صبره ورضاه بامر ربه واستسلامه له وباركنا عليه وعلى اسحاق اى ثبتنا عليهم
النعمة وقيل كثرنا ولدهما اى باركنا على ابرهيم واولاده وعلى اسحاق حين اخرج انبياء
بنى اسرائيل من صلبه وقد قيل ان الكناية في عليه تعود على اسماعيل وذلك انه هو
الذبيح قال المفضل الصحيح الذى نزل عليه القرآن انه اسماعيل وذلك انه قص قصة الذبيح
فلما قال فى آخر القصة وفديناه بذبح عظيم ثم قال سلام على ابرهيم كذلك نجزى المحسنين قال
وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه اى على اسماعيل وعلى اسحاق كنى عنه لانه
تقدم ذكره ثم قال ومن ذريتهما فدل على انهما ذرية اسماعيل وعلى اسحاق وليس تختلف الرواة
في ان اسمعيل كان اكبر من اسحاق بثلاث عشرة سنة قلت قد ذكرنا اولا ما يدل على ان اسحاق اكبر
من اسماعيل وان المبشر به هو اسحاق بنص التنزيل فاذا كانت البشارة باسحاق نصا فالذبيح
لا شك هو اسحاق وبشر به ابرهيم مرتين الاولى بولادته والثانية بنبوته كما قال ابن عباس و
لا تكون النبوة الا في حال الكبر ونبيا نصب على الحال والهاء في باركنا عليه عائدة الى ابرهيم
وليس لاسماعيل فى الآية ذكر حتى ترجع الكناية اليه واما ما روي من طريق معاوية قال سمعت
رجلا يقول للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال
معاوية ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله ان سهل الله عليه امرها ليذبحن احد ولده
فسهل الله عليه امرها فوقع السهم على عبد الله فمنعه اخواله بنو مخزوم وقالوا افد ابنك
ففداه بمائة من الابل وهو الذبيح واسماعيل هو الذبيح الثانى فلا حجة فيه لان سنده لا يثبت

على ما ذكرناه فى كتاب الاعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلوة والسلام ولان العرب تجعل
العم ابا قال الله تعالى نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسماعيل واسحاق وقال الله تعالى
ورفع ابويه على العرش وهما ابوه وخالته وكذلك ما روى عن الشاعر الفرزدق عن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم لو صح اسناده فكيف والفرزدق فى نفسه مقال **السادسة عشر**
قوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه لما ذكر البركة في الذرية والكثرة قال منهم
محسن ومنهم مسيء وان المسيء لا ينفعه بنوة النبوة فاليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحاق
والعرب وان كانوا من ولد اسماعيل فلا بد من الفرق بين المحسن والمسيء والمؤمن والكافر وفي
التنزيل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية اى ابناء رسل الله فرأوا
لانفسهم فضلا وقد تقدم قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهارون لما ذكر انجاء اسحاق من الذبح
وما من به عليه بعد من النبوة ذكر ما من به ايضا على موسى وهارون من ذلك وقوله من الكرب
العظيم قيل من الرق الذي لحق بني اسرائيل وقيل من الغرق الذى لحق فرعون ونصرناهم
قال الفراء لموسى وهارون وحدهما وهذا على ان الاثنين جمع له قوله وآتيناهما
وهديناهما وقيل الضمير لموسى وهارون وقومهما وهذا هو الصواب لان قبله
ونجيناهما وقومهما والكتاب المستبين التوراة يقال استبان كذا اى صار بينا واستبانه
فلان مثل تبين الشيء بنفسه وتبينه فلان والصراط المستقيم الدين القويم الذى لا اعوجاج فيه
وهو دين الاسلام وتركنا عليهما في الآخرين يريد الثناء الجميل سلام على موسى وهارون
انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين تقدم قوله وان الياس لمن المرسلين قال
المفسرون الياس نبى من بنى اسرائيل وروي عن ابن مسعود قال واسرائيل هو يعقوب والياس
هو ادريس وقرأ وان ادريس وقال عكرمة وقال هو في مصحف عبد الله وان ادريس
لمن المرسلين وانفرد بهذا القول وقال ابن عباس هو عم اليسع وقال ابن اسحاق وغيره
كان القيم بامر بنى اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي
عظمت الاحداث في بنى اسرائيل ونسوا عهد الله وعبدوا الاوثان من دونه فبعث الله اليهم
الياس نبيا وتبعه اليسع وآمن به فلما عتا عليه بنو اسرائيل دعا ربه ان يريحه منهم فقيل
له اخرج يوم كذا وكذا الى موضع كذا وكذا فما استقبلك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج ومعه
اليسع فقال يا الياس ما تأمرني فقذف اليه بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه
اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به وقطع الله عن الياس لذة المطعم والمشرب و
كساه الريش والبسه النور وطار مع الملائكة فكان انسيا ملكا سمائيا ارضيا قال ابن قتيبة
وذلك ان الله تعالى قال لالياس سلني اعطك قال ترفعني اليك وتؤخر عني مذاقة الموت
فصار يطير مع الملائكة وقال بعضهم كان قد مرض واحس بالموت فبكى فاوحى الله اليه لم تبكي
حرصا على الدنيا او جزعا من الموت او خوفا من النار قال لا ولا لشيء من هذا وعزتك انما
جزعي كيف يحمدك الحامدون بعدي ولا احمدك ويذكرك الذاكرون بعدي ولا اذكرك ويصوم

الصايمون بعدک ولا اصوم ويصلي المصلون ولا اصلي فقيل له يا الياس وعز في لا وخرتك
الى وقت لا يذكرني فيه ذاكر يعني يوم القيمة وقال عبد العزيز بن ابي رواد ان الياس والخضر
عليهما السلام يصومان شهر رمضان في كل عام ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وذكر
ابن ابي الدنيا انهما يقولان عند افتراقهما من الموسم ماشاء الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله
ماشاء الله ماشاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ماشاء الله ماشاء الله ماشاء الله توكلت على الله
حسبنا الله ونعم الوكيل وقد مضى في الكهف وذكر من طريق مكحول عن انس قال غزونا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني
من امة محمد المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابيض الراس واللحية عليه ثياب بيض
طوله اكثر من ثلثماية ذراع فلما نظر الي قال انت رسول النبي قلت نعم قال ارجع اليه فاقره مني
السلام وقل هذا اخوك الياس يريد لقاءك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا
قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما شيء من السماء يشبه
السفرة فدعواني فاكلت معهما فاذا فيها كماة ورمان وكرفس فلما اكلت قمت فتنحيت وجاءت
سحابة فاحتملته فاذا انا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوى به فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت
وامي هذا الطعام الذي اكلنا امن السماء نزل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سالته عنه فقال
ياتيني به جبريل في كل اربعين يوما اكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رايته على الجب
يملا بالدلو وربما سقاني قوله تعالى **اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اَلَا تَتَّقُوْنَ اَتَدْعُوْنَ بَعْلًا وَتَذَرُوْنَ اَحْسَنَ الْخَالِقِيْنَ اللّٰهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ اٰبَائِكُمُ الْاَوَّلِيْنَ** اذ قال لقومه يعني لبني
اسرائيل الا تتقون يعني الله عز وجل وتخافون عقابه اتدعون بعلا اسم صنم لهم كانوا
يعبدونه وبذلك سميت مدينتهم بعلبك قال ثعلب اختلف الناس في قوله جل وعز اتدعون
بعلا فقالت طايفة البعل ههنا الصنم وقالت طايفة البعل ههنا ملك وقال ابن اسحاق امراة
كانوا يعبدونها والاول اكثر وروي الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس اتدعون بعلا قال
صنما وروي عطا بن السايب عن عكرمة عن ابن عباس اتدعون بعلا قال ربا النحاس والقولان
صحيحان اي اتدعون صنما عملتموه ربا يقال هذا بعل الدار اي ربها والمعنى اتدعون ربا
اختلقتموه واتدعون بمعنى اتسمون حكى ذلك سيبويه وقال مجاهد وعكرمة وقتادة و
السدي البعل الرب بلغة اليمن وسمع ابن عباس رجلا من اهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال
من بعل هذه اي من ربها ومنه سمي البعل زوجا قال ابو دواد ورايت بعلك في الوغا متقلدا
سيفا ورمحا مقاتل صنم كسره الياس وهرب منهم وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين
ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعماية سادن وجعلوه انبياءه
فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها
الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك كما ذكرنا وتذرون

ماشاء الله لا يسوق الخير الا الله ماشاء الله ماشاء الله ماشاء الله ماشاء الله صح

احسن الخالقين اي احسن من قيل له خالق وقيل المعنى احسن الصانعين لان الناس يصنعون
ولا يخلقون الله ربكم ورب ابائكم الاولين بالنصب في الاسماء الثلاثة قراءة الربيع بن خثيم
والحسن وابن ابي اسحاق وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي واليها يذهب ابو عبيد
وابو حاتم وحكى ابو عبيد انها على النعت النحاس وهو غلط وانما هو على البدل ولا يجوز النعت
ههنا لانه ليس بتحلية وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وابو جعفر وشيبة ونافع بالرفع
قال ابو حاتم بمعنى هو الله ربكم النحاس واولى مما قال انه مبتدا وخبر بغير اضمار ولا حذف
ورايت علي بن سليمان يذهب الى ان الرفع اولى واحسن لان قبله راس اية والاستيناف
اولى ابن الانباري من نصب او رفع لم يقف على احسن الخالقين على جهة التمام لان الله عز وجل
مترجم عن احسن الخالقين من الوجهين جميعا قوله تعالى **فَكَذَّبُوْهُ فَاِنَّهُمْ لَمُحْضَرُوْنَ اِلَّا عِبَادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِيْنَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْاٰخِرِيْنَ سَلَامٌ عَلٰى اٰلِ يَاسِيْنَ اِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ اِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ** فكذبوه اخبر عن قوم الياس انهم كذبوه فانهم لمحضرون
اي في العذاب الا عباد الله المخلصين اي من قومه فانهم نجوا من العذاب وقرئ المخلصين
بكسر اللام وقد تقدم وتركنا عليه في الاخرين وتقدم سلام على آل ياسين قراءة الاعرج
وشيبة ونافع وقرا عكرمة وابو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي سلام على الياسين
وقرا الحسن سلام على الياسين بوصل الالف كانها ياسين دخلت عليها الالف واللام التي
للتعريف والمراد الياس عليه السلام وعليه وقع التسليم ولكنه اسم اعجمي والعرب تضطرب
في هذه الاسماء الاعجمية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسماء العجمية
تلاعبا فياسين والياس والياسين شيء واحد الزمخشري وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف
رفع وقرئ على الياسين وادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس
ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى النحاس ومن قرا سلام على آل ياسين فكانه و
الله اعلم جعل اسمه الياس وياسين ثم سلم على آله اي اهل دينه ومن كان على مذهبه وعلم انه اذا
سلم على آله من اجله فهو داخل في السلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى
وقال الله عز وجل ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ومن قرا الياسين فللعلماء
فيه غير قول فروي هرون عن ابن ابي اسحاق قال الياسين مثل ابرهيم يذهب الى انه اسم له
وابو عبيدة يذهب الى انه جمع جمع التسليم على انه واهل بيته نسلم عليهم وانشد
قدني من نصر الخبيبين قدي يقال قدني وقدي بمعنى حسب وانما يريد ابا خبيب عبد
الله بن الزبير فجمعه على ان من كان على مذهبه داخل معه وغير ابو عبيدة يرويه الخبيبين على
التثنية يريد عبد الله ومصعبا ورايت علي بن سليمان يشرحه باكثر من هذا قال العرب
تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب
قال فعلى هذا على وجه التشبيه سلام على الياسين سمى كل رجل منهم بالياس وقد ذكر سيبويه
في كتابه شيئا من هذا الا انه ذكر ان العرب تفعل هذا على وجه النسبة فيقولون الاشعريون

يريدون النسب المهدوي ومن قراء الياسين فهو جمع يدخل فيه الياس فهو جمع الياسي فحذف ياء
النسب كما حذفت ياء النسبة فى الجمع المكسر فى نحو المهالبة فى جمع مهلبي كذلك حذفت فى المسلم
فقيل المهلبون وقد حكى سيبويه الاشعرون والنميرون يريد الاشعريين والنميريين السهيلي
وهذا لا يصح بل هى لغة فى الياس ولو اراد ما قالوه لادخل الالف واللام كما يدخل فى المهالبة
والاشعريين فكان يقول سلام على الالياسين لان العلم اذا جمع ينكر حتى يعرف بالالف
واللام لا تقول سلام على زيدين بل على الزيدين بالالف واللام فالياس عليه السلام فيه
ثلاث لغات النحاس واحتج ابو عبيد فى قراءة سلام على الياسين وانه اسمه كما ان اسمه
الياس لانه ليس فى السورة سلام على ال لغيره من الانبياء صلى الله عليهم وسلم فلما سمى
الانبياء كذا سمي هو وهذا الاحتجاج اصله لابي عمرو وهو غير لازم لانا قد بينا قول اهل اللغة
انه اذا سلم على آله من اجله فهو سلام عليه والقول بان اسمه الياسين يحتاج الى دليل ورواية
فقد وقع فى الامر اشكال قال الماوردي وقرأ الحسن سلام على ياسين باسقاط الالف
واللام وفيه وجهان احدهما انهم آل محمد قاله ابن عباس الثانى انهم ال الياس فعلى هذا فى دخول
الزيادة فى ياسين وجهان احدهما انها زيدت لتساوى الآى كما قال فى موضع طور سيناء وفى موضع
آخر طور سينين فعلى هذا يكون السلام على اهله دونه وتكون الاضافة اليه تشريفا له الثانى انها
دخلت للجمع فيكون داخلا فى جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم قال السهيلي قال بعض المتكلمين
فى معانى القرآن ال ياسين ال محمد عليه السلام ونزع الى قول من قال ياسين فى تفسير يا محمد
وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة احدها ان سياقة الكلام فى قصة الياسين يلزم ان يكون
كما هى فى قصة ابرهيم ونوح وموسى وهارون وان التسليم راجع اليهم ولا معنى للخروج عن مقصود
الكلام لقول قيل فى تلك الاية الاخرى مع ضعف ذلك القول ايضا فان يس وحم والم ونحو ذلك
القول فيها واحد انما هى حروف مقطعة اما ماخوذة من اسماء الله تعالى كما قال ابن عباس
واما من صفات القرآن واما كما قال الشعبي لله فى كل كتاب سر وسره فى القرآن فواتح
القرآن وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى خمسة اسماء ولم يذكر فيها ياسين
ايضا فان ياسين جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف ولو كان اسما للنبي صلى الله عليه وسلم
لقال ياسين بالضم كما قال يوسف ايها الصديق واذا بطل هذا القول لما ذكرناه فالياسين
هو الياس المذكور وعليه وقع التسليم وقال ابو عمرو بن العلاء هو مثل ادريس وادراسين
وكذلك هو فى مصحف ابن مسعود وان ادريس لمن المرسلين ثم قال سلام على ادراسين انا
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين تقدم قوله تعالى وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ
عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥ وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا فى الغابرين تقدم قصة لوط ثم دمرنا الآخرين اى بالعقوبة وانكم لتمرون عليهم مصبحين
خاطب العرب اى يمرون عليهم ايضا وتم الكلام ثم قال افلا تعقلون تعتبرون وتدبرون

قوله تعالى وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ
فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ
لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فيه ثمان مسائل الاولى قوله تعالى وان يونس لمن
المرسلين يونس هو ذو النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز التى نزل عليها الياس فاستخفا
عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبي يرضع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتوانسه ولا تدخر
عنه كرامة تقدر عليها ثم ان الياس سيم ضيق البيوت فلحق بالجبال ومات ابن المرأة يونس
فخرجت فى اثر الياس تطوف وراءه فى الجبال حتى وجدته فسالته ان يدعو الله لها لعله يحيى
لها ولدها فجاء الياس الى الصبي بعد اربعة عشر يوما من موته فتوضأ وصلى ودعا الله
فاحيى الله يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام وارسل الله يونس الى نينوى من ارض
ابلص
الموصل وكانوا يعبدون الاصنام ثم تابوا حسبما تقدم بيانه فى سورة يونس ومضى فى الانبياء
قصة يونس فى خروجه مغاضبا واختلف فى رسالته هل كانت قبل التقام الحوت اياه او بعده
فقال الطبري عن شهر بن حوشب ان جبريل عليه السلام اتى يونس فقال انطلق الى اهل نينوى
فانذرهم ان العذاب قد حضرهم قال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك قال التمس حذاء قال
الامر اعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست السفينة لا تقدم
ولا تاخر قال فساهموا قال فسهم فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودي الحوت ايا حوت
انا لم نجعل لك يونس رزقا انا جعلناك له حرزا ومسجدا فالتقمه الحوت من ذلك المكان حتى
مر به على الابلة ثم انطلق حتى مر به على دجلة ثم انطلق حتى القاه بنينوى حدثنى الحارث
قال حدثنا الحسن قال حدثنا شهر بن حوشب عن ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس بعد
ابو بلال زمال نحدثنا ص
ما نبذه الحوت واستدل هولاء بان الرسول لا يخرج مغاضبا لربه فكان ما جرى منه قبل النبوة
وقال آخرون كان ذلك منه بعد دعائه من ارسل الى ما امره الله بدعائهم اليه وتبليغه اياهم
رسالة ربه ولكنه وعدهم نزول ما كان حذرهم من باس الله فى وقت وقته لهم ففارقهم اذ لم يتوبوا
ولم يراجعوا طاعة الله فلما اظل القوم العذاب وغشيهم كما قال الله تعالى فى تنزيله تابوا الى
الله فرفع الله العذاب عنهم وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذى كان وعدهموه فغضب
من ذلك وقال وعدتهم وعدا فكذب وعدى فذهب مغاضبا ربه وكره الرجوع اليهم وقد جربوا
عليه الكذب رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد مضى بيان هذا فى الانبياء وهو الصحيح
على ما ياتى عند قوله وارسلناه الى مائة الف ولم ينصرف يونس لانه اسم اعجمي ولو كان عربيا لانصرف
وان كان فى اوله الياء لانه ليس فى الكلام يفعل كما انك اذا سميت بيعفر صرفته وان سميت بيعفر
لم تصرفه الثانية قوله تعالى اذ ابق قال المبرد اصل ابق تباعد ومنه غلام آبق و
قال غيره انما قيل ليونس ابق لانه خرج بغير امر الله جل وعز مستترا من الناس الى الفلك المشحون
اى المملوء والفلك يذكر ويؤنث ويكون واحدا وجمعا وقد تقدم وقال الترمذي الحكيم سماه آبقا
لانه ابق عن العبودية وانما العبودية ترك الهوى وبذل النفس عند امور الله تعالى فلما لم يبذل

النفس عند ما اشتدت عليه العزمة من الملك حسب ما تقدم في الانبياء واثر هواه لزمه اسم الابق
وكانت عزمة الملك في امر الله لا في امر نفسه وحظ حق الله لا لحظ نفسه فتحري يونس فلم يصب
الصواب الذي عند الله فسماه آبقا ومليما المسألة الثالثة قوله تعالى فساهم قال المبرد اي فقارع
قال واصله من السهام التي تجال فكان من المدحضين قال من المغلوبين قال الفراء دحضت
حجته وادحضها الله واصله من الزلق قال الشاعر

قتلنا المدحضين بكل فج ... فقد قرت بقتلهم العيون

اي المغلوبين الرابعة قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم اي اتى بما يلام عليه فاما الملوم
فهو الذي يلام استحق ذلك او لم يستحق وقيل المليم المعيب يقال لام الرجل اذا عمل شيا فصار معيبا
بذلك العمل فلولا انه كان من المسبحين قال الكسائي لم تكسر ان لدخول اللام لان اللام ليست لها
النحاس والامر كما قال انما اللام في جواب لولا فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون عقوبة له اي يكون بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة واختلف كم اقام في بطن الحوت
فقال السدي والكلبي ومقاتل ابن سليمان اربعين يوما الضحاك عشرين يوما عطا سبعة ايام
مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وقيل ساعة واحدة الخامسة روى الطبري من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله سبحانه وتعالى ذكره حبس يونس في بطن الحوت
اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدش لحما ولا تكسر عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر
فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تبارك وتعالى اليه
وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو في بطن الحوت قال فسمعت الملائكة
تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته
في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح
قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت بقذفه في الساحل كما قال الله وهو سقيم وكان سقمه
الذي وصفه به الله تعالى ذكره انه القاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس قد نشر اللحم والعظم
وروي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه ويونس يسبح لم يفارقهم حتى انتهوا
الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا ذكره الزمخشري في تفسيره قال ابن العربي اخبرني
غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني انه سئل
هل الباري في جهة فقال لا هو يتعالى عن ذلك قيل له ما الدليل عليه قال الدليل عليه قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل له ما وجه الدليل من هذا الخبر فقال لا
اقوله حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها
اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس بن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت
وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين كما اخبر الله
ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به الى موضع
يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه واوحى اليه ما اوحى باقرب الى الله من يونس في

بطن

يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر السادسة ذكر الطبري ان يونس عليه السلام لما ركب
في السفينة اصاب اهلها عاصف من الريح فقالوا هذه خطيئة احدكم فقال يونس وعرف
انه صاحب الذنب فقال هذه خطيئتي فالقوني في البحر وانهم ابوا عليه حتى افاضوا سهامهم
فساهمهم فكان من المدحضين فقال لهم قد اخبرتكم ان هذا الامر بذنبي وانهم ابوا عليه
حتى افاضوا سهامهم الثانية فكان من المدحضين وانهم ابوا ان يلقوه في البحر حتى اعادوا
سهامهم الثالثة فكان من المدحضين فلما رأى ذلك القى نفسه في البحر وذلك تحت الليل فابتلعه
الحوت وروى انه لما ركب السفينة تقنع ورقد فساروا غير بعيد اذ جاءتهم ريح كادت السفينة
ان تغرق فاجتمع اهل السفينة فدعوا فقالوا ايقظوا الرجل يدعوا معنا فدعى الله معهم فرفع
الله عنهم تلك الريح ثم انطلق يونس الى مكانه فرقد فجاءت ريح كادت السفينة ان تغرق فايقظوه
ودعوا الله فارتفعت الريح قال فبينما هم كذلك اذ رفع حوت عظيم رأسه اليهم اراد ان يبتلع
السفينة فقال لهم يونس يا قوم هذا من اجلي فلو طرحتموني في البحر لسرتم ولذهب الريح
عنكم والروع قالوا لا نطرحك حتى نتساهم فمن وقعت عليه رميناه في البحر قال فتساهموا فوقع
على يونس فقال لهم يا قوم اطرحوني فمن اجلي اتيتم فقالوا لا نفعل حتى نتساهم مرة اخرى ففعلوا فوقع
على يونس فقال لهم يا قوم اطرحوني فمن اجلي اتيتم فذلك قول الله عز وجل فساهم فكان
من المدحضين اي وقع السهم عليه فانطلقوا به الى صدر السفينة ليلقوه في البحر فاذا بحوت
فاتح فاه ثم جاءوا به الى جانب السفينة فاذا بالحوت ثم رجعوا به الى الجانب الاخر فاذا بالحوت
فاتح فاه فلما رأى ذلك القى بنفسه فالتقمه الحوت فاوحى الله تعالى الى الحوت اني لم اجعله
لك رزقا ولكن جعلت بطنك له وعاء فمكث في بطن الحوت اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي
المؤمنين على ما تقدم ويأتي فيه هذا من الفقه ان القرعة كانت معمولا بها في شرع من
قبلنا وجاءت في شرعنا على ما تقدم في ال عمران بيانه قال ابن العربي وقد وردت القرعة
في الشرع في ثلاث مواطن الاول كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه
فايتهن خرج سهمها خرج بها معه الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع اليه ان رجلا اعتق
ستة اعبد لا مال له غيرهم فاقرع بينهم فاعتق اثنين وارق اربعة الثالث ان رجلين اختصما
اليه في مواريث قد درست فقال اذهبا وتوخيا الحق واستهما وليحلل كل واحد منكما صاحبه
فهذه ثلاث مواطن وهي القسم في النكاح والعتق والقسمة وجريان القرعة فيها لرفع الاشكال وحسم
داء التشهي واختلف علماؤنا في القرعة بين الزوجات في الغزو على قولين الصحيح منهما الاقراع وبه
قال فقهاء الامصار وذلك ان السفر بجميعهن لا يمكن واختيار واحدة منهن ايثار فلم يبق
الا القرعة وكذلك في مسئلة الاعبد الستة فان كل اثنين منهما ثلث وهو القدر الذي يجوز له
فيه العتق في مرض الموت وتعيينهما بالتشهي لا يجوز شرعا فلم يبق الا القرعة وكذلك التشاجر
اذا وقع في اعيان المواريث لم يميز الحق الا القرعة فصارت اصلا في تعيين المستحق اذا اشكل قال

والحق عندي ان تجرى في كل مشكل فلذلك ابين لها واقوى لفصل الحكم فيها واجلى لرفع الاشكال عنها
ولذلك قلنا ان القرعة بين الزوجات في الطلاق كالقرعة بين الاماء في العتق الثانية
لا تتناع على القاء الآدمي في البحر لا يجوز وانما كان ذلك في يونس وزمانه مقدمة لتحقيق برهانه
وزيادة في ايمانه فانه لا يجوز لمن كان عاصيا ان يقتل ولا يرمى به في النار والبحر وانما تجري
عليه الحدود والتعزير على مقدار جنايته وقد ظن بعض الناس ان البحر اذا هال على القوم فا
ضطروا الى تخفيف السفينة ان القرعة تضرب عليهم فيطرح بعضهم تخفيفا وهذا فاسد فانها
لا تخف برمي بعض الرجال وانما ذلك في الاموال ولكنهم يصبرون على قضاء الله عز وجل الثالثة
اخبر الله عز وجل ان يونس كان من المسبحين وان تسبيحه كان سبب نجاته ولذلك قيل ان العمل
الصالح يرفع صاحبه اذا عثر قال ابن عباس من المسبحين من المصلين قال قتادة كان يصلي قبل
ذلك فحفظ الله عز وجل له فنجاه وقال الربيع بن انس لولا انه كان له قبل ذلك عمل صالح للبث في
بطنه الى يوم يبعثون قال ومكتوب في الحكمة ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر وقال مقاتل
من المسبحين من المصلين المطيعين قبل المعصية وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما
كان له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكره الله به في حال الشدة
وان العمل الصالح ليرفع عن صاحبه واذا عثر وجد متكأ قلت ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه
وسلم من استطاع منكم ان تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل فليجتهد العبد ويحرص على خصلة
من صالح عمله يخلص فيها بينه وبين ربه ويدخرها ليوم فاقته وفقره ويخبأها بجهده ويسترها
عن خلقه يصل اليه نفعها احوج ما كان اليه وقد خرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما ثلاثة نفر في رواية ممن كان قبلكم يتماشون اخذهم المطر فا
ووا الى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض
انظروا اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم الحديث بكماله وهو مشهور
شهرته اغنت عن تمامه وقال سعيد بن جبير لما قال في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين قذفه الحوت وقيل من المسبحين من المصلين في بطن الحوت قلت والاظهر انه تسبيح
اللسان الموافق للجنان وعليه يدل حديث ابي هريرة المذكور قبل الذي ذكره الطبري قال فسبح
في بطن الحوت قال فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غربة وتكون
كان على هذا القول زائدة اي فلولا انه من المسبحين وفي كتاب ابي داود عن سعد بن ابي وقاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعاء ذي النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
لم يدع به رجل مسلم في شيء قط الا استجيب له وقد مضى هذا في سورة الانبياء فيونس عليه السلام
كان قبل مصليا مسبحا وفي بطن الحوت كذلك وفي الخبر فنودي الحوت انا لم نجعل يونس لك رزقا
انما جعلناك له حرزا ومسجدا وقد تقدم قوله تعالى **فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ** روي
ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل وقال ابن قسيط عن ابي هريرة طرح يونس بالعراء
وانبت الله عليه يقطينة فقلنا يا ابا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدباء هيأه الله له اروية

وحشية تاكل من خشاش الارض او هشاش الارض فتفشج عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى
نبت وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج به يعني الحوت حتى لفظه في ساحل البحر فطرحه
مثل الصبي المنفوس لم ينقص من خلقه شيء وقيل ان يونس لما القاه الحوت على ساحل البحر انبت
الله عليه شجرة من يقطين وهي فيما ذكر شجرة القرع يتقطر عليه من اللبن حتى رجعت اليه قوته ثم
رجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها يبست فحزن وبكى عليها فعوتب فقيل له احزنت على شجرة وبكيت
عليها ولم تحزن على مائة الف وزيادة من بني اسرائيل من اولاد ابراهيم خليلي اسرى في ايدي العدو
اردت هلاكهم جميعا وقيل هي شجرة التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها وافطر
على ثمارها والاكثر على انها كانت شجرة اليقطين على ما ياتي ثم ان الله تبارك وتعالى اجتباه فجعله من
الصالحين ثم امره ان ياتي قومه ويخبرهم ان الله قد تاب عليهم فعمد اليهم حتى لقي راعيا فسأله
عن قوم يونس وعن حالهم وكيف هم فاخبره انهم بخير وانهم على رجاء ان يرجع اليهم رسولهم
فقال له فاخبرهم اني لقيت يونس فقال لا استطيع الا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه فقال
هذه تشهد لك انك لقيت يونس قال وهذه البقعة التي انت فيها تشهد لك انك لقيت يونس قال
وماذا قال وهذه الشجرة تشهد انك لقيت يونس وانه رجع الراعي الى قومه فاخبرهم انه لقي يونس
فكذبوه وهموا به شرا فقال لا تعجلوا علي حتى اصبح فغدا بهم الى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها
فاخبرتهم انه لقي يونس واستنطق الشاة والشجرة فاخبرتهم انه لقي يونس ثم ان يونس اتاهم بعد
ذلك ذكر هذا الخبر وما قبله الطبري رحمه الله ونبذناه طرحناه وقيل تركناه بالعراء بالصحراء
قاله ابن الاعرابي الاخفش بالفضاء ابو عبيدة الواسع من الارض الفراء العراء المكان الخالي قال وقال
ابو عبيدة العراء وجه الارض وانشد لرجل من خزاعة

رفعت رجلا لا اخاف عثارها ... ونبذت بالبلد العراء ثيابي

وحكى الاخفش في جمع سقيم سقامى وسقام وقال في هذه السورة فنبذناه بالعراء وقال في ن
والقلم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم والجواب ان الله عز وجل
خبر ههنا انه نبذه بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمة الله عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم
قاله النحاس قوله تعالى **وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ** وانبتنا عليه اي عنده
كقوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي وقيل عليه بمعنى له شجرة من يقطين اليقطين شجرة الدباء وقيل
غيرها ذكره ابن الاعرابي وفي الخبر الدباء والبطيخ من الجنة وقد ذكرناه في التذكرة وقال المبرد يقال
لكل شجرة ليس لها ساق يفترش ورقها على الارض يقطينة نحو الدباء والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق
يقلها فهي شجرة فقط وان كانت قائمة اي بعروق تفترش فهي نجمة وجمعها نجم قال الله تعالى
والنجم والشجر يسجدان وروي نحوه عن ابن عباس والحسن ومقاتل قالوا كل نبت يمتد ويبسط على الارض
ولا يبقى على استواء وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل فهو يقطين وقال سعيد بن
جبير هو كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فيدخل في هذا الموز قلت وهو مما له ساق الجوهري
واليقطين ما لا ساق له كشجرة القرع ونحوه الزجاج اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان اي اقام

به فهو يفعيل وقيل هو اسم اعجمي وقيل انما خص اليقطين بالذكر لانه لا ينزل عليه الذباب وقيل ما كان ثم يقطين فانبته الله في الحال القشيري وفي الاية ما يدل على انه كان مغروسًا ليكون له ظل الثعلبي كانت تظله فرأى خضرتها فاعجبته فيبست فجعل يحزن على شجيرة فانا الذي خلقت مائة الف من الناس او يزيدون تريد مني ان استاصلهم في ساعة واحدة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة يونس وقال انس قرب للنبي صلى الله عليه وسلم مرق فيه دبا وقديد فجعل يتبع الدباء من حوالي القصعة قال انس فلم ازل احب الدباء من يومئذ خرجه الائمة قوله تعالى **وَاَرْسَلْنَاهُ اِلَى مِائَةِ اَلْفٍ اَوْ يَزِيدُونَ** ۝ قد تقدم عن ابن عباس ان رسالة يونس عليه السلام انما كانت بعد ما نبذه الحوت وليس له طريق الا عن شهر بن حوشب النحاس واجود منه اسنادًا واصح ما حدثناه علي بن الحسين قال حدثنا حسن قال حدثنا عمرو العنقري قال حدثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال حدثنا عبد الله بن مسعود في بيت المال عن يونس النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يونس وعد قومه العذاب واخبرهم انه ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وخرجوا فجاروا الى الله عز وجل واستغفروا فكف الله عز وجل عنهم العذاب وغدا يونس عليه السلام ينتظر العذاب فلم ير شيئًا وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فخرج يونس مغاضبًا فاتى قومًا على سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت السفينة والسفن تسير يمينًا وشمالًا فقالوا ما لسفينتكم قالوا لا ندري فقال يونس عليه السلام ان فيها عبدًا آبقًا من ربه عز وجل انها لن تسير حتى تلقوه قالوا اما انت يا نبي الله فانا نلقيك قال فاقترعوا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس فابوا ان يدعوه قال فاقترعوا ثلاثًا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس ثلاث مرات او قال ثلاثًا فوقع وقد وكل الله عز وجل به حوتًا فابتلعه وهو يهوي به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش قال وانبت الله عليه شجرة من يقطين فنبتت فكان يستظل بها ويصيب منها فيبست فبكى عليها فاوحى الله عز وجل اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان تهلكهم قال وخرج يونس صلى الله عليه وسلم فاذا هو بغلام يرعى قال يا غلام من انت قال من قوم يونس قال فاذا جئتهم فاخبرهم انك قد لقيت يونس قال ان كنت يونس فقد علمت انه من كذب قتل اذا لم تكن له بينة فمن يشهد لي قال هذه الشجرة وهذه البقعة قال فمرهما قال لهما يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم قال فرجع الغلام الى قومه فكان في منعة وكان له اخوة فاتى الملك فقال اني قد لقيت يونس وهو يقرأ عليك السلام قال فامر به ان يقتل فقالوا ان له بينة فارسلوا معه فاتى الشجرة والبقعة فقال لهما نشدتكما بالله عز وجل اتشهدان اني لقيت يونس قالتا نعم قال فرجع القوم مذعورين يقولون شهدت له الشجرة والارض فاتوا الملك فاخبروه بما راوا قال عبد الله فتناول الملك يد الغلام فاجلسه

عليها فقيل له يا يونس انت الذي لم تخلق ولم تسق ولم تنبت تحزن ص

وقد نابعوا ... فابعث عليهم ... الا الدهر الذي ... ص

في مجلسه فقال انت احق مني بهذا المكان قال عبد الله فاقام لهم ذلك الغلام امرهم اربعين سنة قال ابو جعفر النحاس فقد تبين في هذا الحديث ان يونس كان قد ارسل قبل ان يلتقمه الحوت بهذا الاسناد الذي لا يؤخذ بالقياس وفيه ايضًا من الفائدة ان قوم يونس آمنوا وندموا قبل ان يروا العذاب لان فيه انه اخبرهم انه ياتيهم العذاب الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وهذا هو الصحيح في الباب وانه لم يكن حكم الله عز وجل فيهم كحكمه في غيرهم في قوله عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت الاية وقال بعض العلماء انهم راوا مخايل العذاب فتابوا وهذا لا يمتنع وقد تقدم ما للعلماء في هذا في سورة يونس فلينظر هناك قوله تعالى او يزيدون قد مضى في البقرة محامل او في قوله او اشد قسوة وقال الفراء او بمعنى بل وقال غيره انها بمعنى الواو ومنه قول الشاعر

فلما اشتد امر الحرب فينا ۝ تاملنا رياحًا او رزاما ۝

اي ورزاما وهكذا قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقرا جعفر بن محمد الى مائة الف ويزيدون فيزيدون في موضع رفع بانه خبر مبتدا محذوف اي وهم يزيدون النحاس ولا يصح هذان القولان عند البصريين وانكروا كون او بمعنى بل وبمعنى الواو لان بل للاضراب عن الاول والايجاب لما بعده وتعالى الله عز وجل عن ذلك او لخروج من شيء الى شيء وليس هذا موضع ذلك والواو معناها خلاف معنى او فلو كان احدهما بمعنى الاخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان وارسلناه الى اكثر من مائتي الف اخصر وقال المبرد المعنى وارسلناه الى جماعة لو رايتموهم لقلتم هم مائة الف او اكثر وانما خوطب العباد على ما يعرفون وقيل هو كما تقول جاءني زيد او عمرو وانت تعرف من جاءك منهما الا انك ابهمت على المخاطب وقال الاخفش والزجاج اي او يزيدون في تقديركم قال ابن عباس زادوا على مائة الف عشرين الفا ورواه ابي بن كعب مرفوعًا وعن ابن عباس ايضًا ثلاثين الفا الحسن والربيع بضعًا وثلاثين الفا وقال مقاتل بن حيان سبعين الفا فامنوا فمتعناهم الى حين اي الى منتهى آجالهم قوله تعالى **فَاسْتَفْتِهِمْ اَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ اَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ اِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ اَلَا اِنَّهُمْ مِنْ اِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللّٰهُ وَاِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ اَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ اَفَلَا تَذَكَّرُونَ اَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ فَاْتُوا بِكِتَابِكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ۝ لما ذكر اخبار الماضين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم احتج على كفار قريش في قولهم ان الملائكة بنات الله فقال فاستفتهم وهو معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة اي فاسال يا محمد اهل مكة الربك البنات وذلك ان جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله وهذا سؤال توبيخ ام خلقنا الملائكة اناثًا وهم شاهدون اي حاضرون لخلقنا اياهم اناثًا وهذا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثًا اشهدوا خلقهم ثم قال الا انهم من افكهم وهو اسوء الكذب ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون في قولهم ان لله ولدًا وهو الذي لا يلد ولا يولد وان بعد الا مكسورة لانها مبتدا وحكى سيبويه انها تكون بعد اما مفتوحة ومكسورة فالفتح على ان يكون اما بمعنى حقًا والكسر على ان

يكون اما بمعنى الا النحاس وسمعت علي ابن سليمان يقول يجوز فتحها بعد الا تشبيها بانما فاما في الاية فلا يجوز الا الكسر لان بعدها الرفع وتمام الكلام لكاذبون ثم تبتدي اصطفى على معنى التقريع والتوبيخ كانه قال وتحكم اصطفى البنات اي اختار البنات وترك البنين وقراءة العامة اصطفى بقطع الالف لانها الف الاستفهام دخلت على الف الوصل فحذفت الف الوصل وبقيت الف الاستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها مثل اطلع الغيب على ما تقدم وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وحمزة اصطفى بوصل الالف على الخبر بغير استفهام واذا كسر الهمزة وزعم ابو حاتم انه لا وجه لها لان بعدها ما لكم كيف تحكمون فالكلام جار على التوبيخ النحاس هذه القراءة وان كانت شاذة فهي تجوز من جهتين احدهما ان يكون تبيينا وتفسيرا لما قالوه من الكذب ويكون ما لكم كيف تحكمون منقطعا مما قبله والجهة الثانية انه قد حكى النحويون منهم الفراء ان التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما قال عز وجل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقيل هو على اضمار القول اي ويقولون اصطفى البنات او يكون بدلا من قوله ولد الله لان ولادة البنات واتخاذهن اصطفاء لهن فابدل مثال الماضي من مثال الماضي فلا يوقف على هذا على لكاذبون افلا تذكرون في انه لا يجوز ان يكون له ولد ام لكم سلطان مبين اي حجة وبرهان فاتوا بكتابكم اي بحجتكم ان كنتم صادقين في قولكم قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون اكثر اهل التفسير على ان الجنة ههنا الملائكة روى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال قالوا يعني كفار قريش الملائكة بنات الله عز وجل فقال ابو بكر رضي الله عنه فمن امهاتهم قالوا مخدرات الجن وقال اهل الاشتقاق قيل لهم جنة لانهم لا يرون وقال مجاهد انهم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وروي عن ابن عباس وروى اسرائيل عن السدي عن ابي مالك قال انما قيل لهم جنة لانهم خزان على الجنان والملائكة كلهم جنة نسبا مصاهرة قال قتادة والكلبي ومقاتل قالت اليهود ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهم وقال مجاهد والسدي ومقاتل ايضا القائل ذلك كنانة وخزاعة قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن وقال الحسن اشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قلت قول الحسن هذا حسن دليله قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين اي في العبادة وقال ابن عباس والضحاك والحسن ايضا هو قولهم ان الله تعالى وابليس اخوان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قوله تعالى ولقد علمت الجنة اي الملائكة انهم يعني قائلي هذا القول لمحضرون في النار قاله قتادة وقال مجاهد للحساب الثعلبي الاول اولى لان الاحضار تكرر في هذه السورة ولم يرد الله به غير العذاب سبحان الله عما يصفون اي تنزيها لله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم ناجون من النار قوله تعالى فانكم وما تعبدون من دون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما بمعنى الذي وقيل بمعنى المصدر اي فانكم وعبادتكم لهذه الاصنام وقيل اي فانكم مع ما تعبدون من دون الله يقال جاء فلان وفلان وجاء فلان مع فلان ما انتم عليه اي على الله بفاتنين بمضلين النحاس اهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى ما انتم بمضلين احدا الا من قدر الله عز وجل

عليه ان يصلى وقال الشاعر فرد بنعمته كيده عليه وكان لنا فاتنا اي مضلا الثانية في هذه الاية رد على القدرية قال عمر بن ذر قدمنا على عمر بن عبد العزيز فذكر عنده القدر فقال عمر لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس وهو راس الخطيئة وان في ذلك لعلما في كتاب الله عز وجل عرفه من عرفه وجهله من جهله ثم قرا انكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من كتب الله عليه ان يصلى الجحيم وقال فصلت هذه الاية بين الناس وفيها من المعاني ان الشياطين لا يصلون الى اضلال احد الا من كتب الله عليه انه لا يهتدي ولو علم الله انه يهتدي لحال بينه وبينهم وعلى هذا قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك اي لست تصل الى شيء منهم الا الى ما في علمي وقال لبيد بن ربيعة في تثبيت القدر فاحسن

ان تقوى ربنا خير نفل … وباذن الله ريثي وعجل
احمد الله فلا ند له … بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى … ناعم البال ومن شاء اضل

قال الفراء اهل الحجاز يقولون فتنته واهل نجد يقولون افتنته الثالثة روي عن الحسن انه قال الا من هو صال الجحيم بضم اللام النحاس وجماعة اهل التفسير يقولون انه لحن لانه لا يجوز هذا قاض المدينة ومن احسن ما قيل فيه ما سمعت علي ابن سليمان يقوله قال هو محمول على المعنى لانه معنى من جماعة فالتقدير صالون فحذف النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين وقيل اصله فاعل الا انه قلب من صال الى صايل وحذفت الياء وبقيت اللام مضمومة فهو مثل شفا جرف هار ووجه ثالث انه حذف لام صال تخفيفا وجرى الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة من قرا وجنا الجنتين دان وله الجوار المنشآت اجرى الاعراب على العين قاله الزمخشري والاصل في قراءة الجماعة صالي بالياء فحذفها الكاتب من الخط لسقوطها في اللفظ قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون هذا من قول الملائكة تعظيما لله عز وجل وانكارا منهم عبادة من عبدهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون قال مقاتل هذه الثلاث الايات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اهنا تفارقني فقال ما استطيع ان اتقدم عن مكاني وانزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم الايات والتقدير عند الكوفيين وما منا الا من له مقام معلوم فحذف الموصول وتقديره عند البصريين وما منا ملك الا له مقام معلوم اي مكان معلوم في العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وقال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وقالت عائشة قال النبي صلى الله عليه وسلم ما في السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجد او قائم وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت اني كنت شجرة تعضد خرجه ابو عيسى الترمذي

وقال فيه حديث حسن غريب ويروي من غير هذا الوجه ان ابا ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد
ويروى عن ابى ذر موقوفا وقال قتادة كان يصلي الرجال والنساء جميعا حتى نزلت هذه الآية
وما منا الا له مقام معلوم فتقدم الرجال وتاخر النساء وانا لنحن الصافون قال الكلبي صفوفهم
كصفوف اهل الدنيا في الارض وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن في المسجد فقال الا تصفون كما تصف الملايكة عند ربها فقلنا يا رسول الله
كيف تصف الملايكة عند ربها قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف وكان عمر
يقول اذا قام الى الصلوة اقيموا صفوفكم واستووا انما يريد الله بكم هدي الملايكة ويقرأ وانا
لنحن الصافون تاخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر وقد مضى في الحجر بيانه وقال ابو مالك
كان الناس يصلون متبددين فانزل الله وانا لنحن الصافون فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يصطفوا وقال الشعبي جاء جبرئيل او ملك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يقوم ادنى من
ثلثي الليل ونصفه وثلثه ان الملايكة لتصلي وتسبح ما في السماء ملك فارغ وقيل اي لنحن الصافون
اجنحتنا في الهواء وقوفا ينتظر ما يومر به وقيل اي نحن الصافون حول العرش وانا لنحن المسبحون
اى المصلون قاله قتادة وقيل اى المنزهون الله عما اضاف اليه المشركون والمراد انهم يخبرون انهم
يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وليسوا معبودين ولا بنات الله وقيل وما منا الا له مقام معلوم
من قول الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين للمشركين اى لكل واحد منا ومنكم في الاخرة مقام معلوم
وهو مقام الحساب وقيل اى منا من له مقام الشكر الى غيرها من المقامات قلت والاظهر ان
ذلك راجع الى قول الملايكة وما منا الا له مقام معلوم والله اعلم قوله تعالى وان كانوا ليقولون
لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف
يعلمون عاد الى الاخبار عن المشركين اى كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اذا عيروا
بالجهل قالوا لو ان عندنا ذكرا من الاولين اى لو بعث الينا نبي ببيان الشرائع لاتبعناه
ولما خففت ان دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقا بين النفي والايجاب والكوفيون
يقولون ان بمعنى ما واللام بمعنى الا وقيل معنى لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين
لكنا عباد الله المخلصين اى لو جاءنا ذكر كما جاء الاولين لاخلصنا العبادة فكفروا به اي بالذكر
والفراء يقدره على حذف اى فجاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالذكر فكفروا به وهذا تعجب منهم
اى فجاءهم نبي وانزل عليهم كتاب فيه بيان ما يحتاجون اليه فكفروا به وما وفوا بما قالوا فسوف
يعلمون قال الزجاج يعلمون مغبة كفرهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قال الفراء اى بالسعادة
وقيل اراد بالكلمة قوله جل وعز كتب الله لاغلبن انا ورسلي قال الحسن لم يقتل من اصحاب
الشرايع احد قط انهم لهم المنصورون اى سبق الوعد بنصرهم بالحجة والغلبة وان جندنا لهم
الغالبون على المعنى ولو كان على اللفظ لكان هو الغالب مثل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
وقال الشيباني جاء ههنا على الجمع من اجل انه راس آية قوله تعالى فتول عنهم حتى حين

الخوف ومنا من له مقام الرجاء
ومنا من له مقام الاخلاص ومنا
من له مقام صـ

وابصرهم فسوف يبصرون افبعذابنا يستعجلون فتول عنهم اي اعرض عنهم حتى حين
قال قتادة الى الموت وقال الزجاج الي الوقت الذى امهلوا اليه وقال ابن عباس يعني القتل ببدر
وقيل يعني فتح مكة وقيل الاية منسوخة باية السيف وابصرهم فسوف يبصرون قال قتادة سوف
يبصرون حين لا ينفعهم الابصار وعسى من الله للوجوب وعبر بالابصار عن تقريب الامر اى عن قريب
يبصرون وقيل المعنى فسوف يبصرون العذاب يوم القيمة افبعذابنا يستعجلون كانوا يقولون
من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب اى لا تستعجلوه فانه واقع بكم قوله تعالى فاذا نزل بساحتهم
فساء صباح المنذرين فاذا نزل بساحتهم اي العذاب قال الزجاج وكان عذاب هولاء
بالقتل ومعنى بساحتهم اى بدارهم عن السدي وغيره والساحة والسحسحة في اللغة فناء
الدار الواسع الفراء نزل بساحتهم ونزل بهم سواء صباح المنذرين اى بئس صباح الذين انذروا
بالعذاب وفيه اضمار اى فساء الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر لان العذاب كان ياتيهم فيه
ومنه الحديث الذى رواه انس رضي الله عنه قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر
وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي فقالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بقوم فساء صباح المنذرين وسمى
معنى فاذا نزل بساحتهم يريد النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وتول عنهم حتى حين
وابصر فسوف يبصرون كرر تاكيدا وكذا وابصر فسوف يبصرون تاكيدا ايضا قوله تعالى
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى سبحان ربك نزه سبحانه نفسه عما اضاف اليه
المشركون رب العزة على البدل الزجاج ويجوز النصب على المدح والرفع بمعنى هو رب العزة
عما يصفون اى من الصاحبة والولد وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله
فقال هو تنزيه الله تعالى عز وجل عن كل سوء وقد مضى في البقرة مستوفى الثانية سيل
محمد بن سحنون عن معنى رب العزة لم جاز ذلك والعزة من صفات الذات ولا يقال رب
القدرة ونحوها من صفات ذاته عز وجل فقال العزة يكون صفة ذات وصفة فعل فصفة
الذات نحو فلله العزة جميعا وصفة الفعل نحو قوله تعالى رب العزة والمعنى رب العزة التي
يتعازّ بها الخلق فيما بينهم فهي من خلق الله عز وجل قال وقد جاء في التفسير ان العزة تراد
بها ههنا الملايكة قال وقال بعض علمائنا من حلف بعزة الله فان اراد عزته التي هي صفته
فحنث فعليه الكفارة وان اراد التي جعلها الله بين عباده فلا كفارة عليه الماوردي رب العزة
يحتمل وجهين احدهما مالك العزة الثاني رب كل شيء متعزز من ملك او متجبر قلت
وعلى الوجهين فلا كفارة اذا نواها الحالف الثالثة روي من حديث ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سلم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين ذكره الثعلبي قلت وقرات على الشيخ المحدث الحافظ ابي علي
الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالجزيرة قبالة المنصورة المنصورة من الديار المصرية

قال اخبرتنا الحرة ام المؤيد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الشعري بنيسابور في المرة الاولى
اخبرنا ابو محمد اسمعيل بن ابي بكر القارئ حدثنا ابو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي حدثنا
ابو سهل بشر بن احمد الاسفرايني حدثنا ابو سليمان داود بن الحسين البيهقي حدثنا ابو زكريا يحيى
ابن يحيى بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري حدثنا هشيم بن ابي هارون العبدي عن ابي سعيد
الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته او حين
ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين الماوردي
وروي الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيامة فليقل في آخر مجلسه حين يريد ان يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين ذكره الثعلبي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا
قوله تعالى وسلام على المرسلين اي الذين بلغوا عن الله تعالى التوحيد والرسالة
وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما انا رسول من المرسلين
وقيل معنى وسلام على المرسلين اي امن لهم من الله عز وجل لهم يوم الفزع الاكبر والحمد لله
رب العالمين اي على ارسال الانبياء مبشرين ومنذرين وقيل اي على جميع ما انعم الله به على
الخلق اجمعين وقيل اي على هلاك المشركين دليله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين قلت والكل مراد والحمد لله بعمره والله اعلم ومعنى يصفون يكذبون والتقدير عما يصفون

سورة ص

مكية في قول الجميع وهي ست وثمانون آية وقيل ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

ص قراءة العامة ص بجزم الدال على الوقف لانه حرف من حروف الهجاء مثل الم والمر وقرا ابي
ابن كعب والحسن وابن ابي اسحاق ونصر بن عاصم صادِ بكسر الدال بغير تنوين ولقراءته مذهبان
احدهما انه من صادى يصادي اذا عارض ومنه فانت له تصدى اي تعرض والمصاداة المعارضة
ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية والمعنى صاد القرآن بعملك اي عارضه بعملك
وقابله به فاعمل باوامره وانته عن نواهيه النحاس وهذا المذهب يروى عن الحسن انه فسر به
قراءته رواية صحيحة وعنه ان المعنى اتله وتعرض لقراءته والمذهب الآخر ان تكون الدال مكسورة
لالتقاء الساكنين وقرا عيسى بن عمر صادَ بفتح الدال ومثله ق ونون بفتح آخرها وله في ذلك
ثلاثة مذاهب احدها ان يكون بمعنى اتل صاد والثاني ان يكون فتح لالتقاء الساكنين واختار
الفتح للاتباع ولانه اخف الحركات والثالث ان يكون منصوبا على القسم بغير حرف كقولك الله
لافعلن وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به
وقرا ابن ابي اسحاق ايضا صادٍ بكسر الدال والتنوين على ان يكون مخفوضا على حذف حرف
القسم وهذا بعيد وان كان سيبويه قد اجاز مثله ويجوز ان يكون مشبها بما لا يتمكن من الاصوات

وغيرها وقرا هارون الاعور ومحمد بن السميقع صُ وقُ بضم آخرهن لانه المعروف بالبناء في غالب الحال
نحو منذ وقط وقبل وبعد وصاد اذا جعلته اسما للسورة لم ينصرف كما انك اذا سميت مؤنثا بمذكر لم ينصرف
وان قلت حروفه وقال ابن عباس وجابر بن عبد الله وقد سئلا عن صاد فقالا لا ندري ما هي وقال
عكرمة سال نافع بن الازرق ابن عباس عن صاد فقال صاد كان بحرا بمكة وكان عليه عرش الرحمن
اذ لا ليل ولا نهار وقال سعيد بن جبير صاد بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين وقال الضحاك
معناه صدق الله وعنه ان ص قسم اقسم الله به وهو من اسمائه تعالى وقاله السدي وروي عن
ابن عباس وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله تعالى صمد وصانع المصنوعات وصادق الوعد
قال قتادة هو اسم من اسماء الرحمن وعنه انه اسم من اسماء القرآن وقال مجاهد هو فاتحة السورة
وقيل هو مما استاثر الله بعلمه وهو معنى القول الاول وقد تقدم جميع هذا في البقرة قوله تعالى
والقرآن ذي الذكر والقرآن خفض بواو القسم والواو بدل من الباء اقسم بالقرآن تنبيها
على جلالة قدره فان فيه بيان كل شيء وشفاء لما في الصدور ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
ذي الذكر خفض على النعت وعلامة خفضه الياء وهو اسم معتل والاصل فيه ذوي على فعل قال ابن
عباس ومقاتل معنى ذي الذكر ذي البيان الضحاك ذي الشرف اي من آمن به كان شرفا له في الدارين
كما قال الله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وايضا القرآن شريف في نفسه لاعجازه
واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره وقيل ذي الذكر اي فيه ذكر ما يحتاج اليه من امر الدين وقيل ذي الذكر
اي فيه ذكر اسماء الله وتمجيده وقيل اي ذي الموعظة والذكر وجواب القسم محذوف واختلف فيه
على اوجه فقيل جواب القسم ص لان معناه حق فهي جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله نزل
والله وجب والله فيكون الوقف من هذا الوجه على قوله والقرآن ذي الذكر حسنا وعلى في عزة و
شقاق تماما قاله ابن الانباري وحكى معناه الثعلبي عن الفراء وقيل الجواب بل الذين كفروا في عزة
وشقاق لان بل نفي لامر سبق واثبات لغيره قاله القتبي فكانه قال والقرآن ذي الذكر بل
الذين كفروا في عزة وشقاق عن قبول الحق وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم او والقرآن ذي
الذكر ما الامر كما يقولون من انك ساحر كذاب لانهم يعرفونك بالصدق والامانة بل هم في تكبر
عن قبول الحق وهو كقوله ق والقرآن المجيد بل عجبوا وقيل الجواب كم اهلكنا فانه قال والقرآن
لكم اهلكنا فلما تاخرت كم حذفت اللام منها كقوله تعالى والشمس وضحاها ثم قال قد افلح اي لقد
افلح قال المهدوي وهذا مذهب الفراء ابن الانباري فمن هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله
في عزة وشقاق وقال الاخفش جواب القسم ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ونحو منه قوله
تعالى تالله ان كنا لفي ضلال مبين وقوله والسماء والطارق ان كل نفس لما عليها حافظ ابن الانباري
وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وكثرت الآيات والقصص وقال الكسائي جواب القسم قوله
ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ابن الانباري وهذا اقبح من الاول لان الكلام اشد طولا فيما بين القسم
وجوابه وقيل الجواب قوله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد وقال قتادة الجواب محذوف تقديره
والقرآن ذي الذكر لتبعثن ونحوه قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق

بل الذين كفروا في عزة اى فى تكبر وامتناع من قبول الحق كما قال عز وجل واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم والعزة عند العرب الغلبة والقهر يقال من عز بز من غلب سلب و
منه وعزنى فى الخطاب اى غلبنى وقال جرير

يعز على الطريق بمنكبيه ○ كما ابترك الخليع على القداح

اى يغلب وشقاق اى فى اظهار خلاف ومباينة وهو من الشق كأن هذا فى شق وذلك فى شق
وقد مضى فى البقرة مستوفى قوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص ○ كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من قوم كانوا امنع من هولاء وكم لفظة التكثير
فنادوا اى بالاستغاثة والتوبة والنداء رفع الصوت ومنه الخبر القه على بلال فانه اندى منك صوتا
اى ارفع ولات حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل النجاة
وهذا تفسير منه لقوله تعالى ولات حين مناص فاما اسرائيل فروى عن اسحاق عن التميمي عن ابن عباس
رضى الله عنهما ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا فرار قال ضبط القوم جميعا قال
الكلبى كانوا اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص اى عليكم بالفرار والهزيمة فلما اتاهم العذاب
قالوا مناص فقال الله جل وعز ولات حين مناص نحذف لدلالة بقية الكلام عليه اى ليس الوقت
وقت ما تنادون به وفى هذا نوع تحكم اذ يبعد ان يقال كل من هلك من القرون كانوا يقولون مناص
عند الاضطرار وقيل معنى ولات حين مناص اى لا خلاص وهو نصب بوقوع لا عليه قال القشيرى
وفيه نظر لانه لا معنى على هذا للواو فى ولات حين مناص وقال الجرجانى اى فنادوا حين لا مناص
اى ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما يقتضى الحال اذا جعل ابتداء
وخبرا مثل قولك جاء زيد راكبا فاذا جعلته مبتدا وخبرا اقتضى الواو مثل جاء زيد وهو راكب
فحين ظرف لقوله فنادوا والمناص بمعنى التاخر والفرار والخلاص اى نادوا لطلب الخلاص فى
وقت لا يكون لهم فيه خلاص قال الفراء النوص التاخر وانشد لامرئ القيس

امن ذكر ليلى اذ نأتك تنوص ○ يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا اى فر
وزاغ النحاس ويقال ناص ينوص اذا تقدم قلت فعلى هذا يكون من الاضداد والنوص الحمار
الوحشى واستناص اى تاخر قاله الجوهرى وتكلم النحويون فى ولات حين وفى الوقف عليه
وكثر فيه ابو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب القراءات وكل ما جاء به الا يسيرا مردود فقال
سيبويه لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر اى ليست احياننا حين مناص وحكى ان من العرب
من يرفع بها فيقول ولات حين مناص وحكى ان الرفع قليل ويكون الخبر محذوفا فى النصب كما كان
الاسم محذوفا اى ولات حين مناص لنا والوقف عليها عند سيبويه والفراء ولات بالتاء ثم يبتدئ
حين مناص وهو قول ابن كيسان والزجاج قال ابو الحسن بن كيسان والقول كما قال سيبويه لانه
شبهها بليس فكما يقال ليست يقال لات والوقوف عليها عند الكسائى بالهاء ولاه وهو قول
المبرد محمد بن يزيد وحكى عنه على بن سليمان ان الحجة فى ذلك انها دخلت عليها الهاء لتانيث
الكلمة كما يقال ثمة وربه وقال القشيرى وقد يقال ثمت بمعنى ثم وربت بمعنى رب فكانهم زادوا

قال القشيرى وعلى هذا فالتقدير فنادوا مناص

فى لا كما زادوا فى ثم ولما ثم عند الاصل فصارت تاوم وقال الثعلبى وقال اهل اللغة
ولات حين مفتوحتان فانهما كلمة واحدة وانما هى لا زيدت فيها التاء نحو رب وربت وثم وثمت
قال ابو زبيد الطائى

طلبوا صلحنا ولات اوان ○ فاجبنا ان ليس حين بقاء ○

وقال آخر

تذكرت ليلى لات حينا ○ وامسى الشيب قد قطع القرينا ○

ومن العرب من يخفض بها وانشد الفراء

فلتعرفن خلائقا مشمولة ○ ولتندمن ولات ساعة مندم ○

وكان الكسائى والفراء والخليل وسيبويه والاخفش
يذهبون الى ان ولات حين التاء منقطعة من حين ويقولون معناها وليست وكذلك
فى المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء من حين والى هذا كان يذهب ابو عبيدة معمر بن
المثنى وقال ابو عبيد القاسم بن سلام الوقف عندى على هذا الحرف ولا والابتداء تحين
مناص فتكون التاء مع حين وقال بعضهم لات ثم يبتدى فيقول حين مناص قال المهدوى
وذكر ابو عبيد ان التاء فى المصحف متصلة بحين وهو غلط عند النحويين وهو خلاف
قول المفسرين ومن حجة ابى عبيد ان قال انا لم نجد العرب تزيد هذه التاء الا فى حين
واوان والآن وانشد لابى وجزة السعدى

العاطفون تحين ما من عاطف ○ والمطعمون زمان اين المطعم ○

وانشد لابى زبيد الطائى

طلبوا صلحنا ولات اوان ○ فاجبنا ان ليس حين بقاء ○

فادخل التاء فى اوان قال ابو عبيد ومن ادخالهم التاء فى الآن حديث ابن عمر وساله رجل
عن عثمان رضى الله عنه فذكر مناقبه ثم قال اذهب بها تلان معك وكذلك قول الشاعر

نولى قبل يوم ترحمانا ○ وصلينا كما زعمت تلانا ○

قال ابو عبيد ثم مع هذا كله انى تعمدت النظر فى الذى يقال له الامام مصحف عثمان فوجدت
التاء متصلة مع حين قد كتبت تحين قال ابو جعفر النحاس اما البيت الاول الذى انشده
لابى وجزة فرواه العلماء باللغة على اربعة اوجه كلها على خلاف ما انشده وفى احدها تقديران
ورواه ابو العباس محمد بن يزيد العاطفون حين ولات ما من عاطف والرواية الثانية العاطفون
ولات حين بعاطف والرواية الثالثة رواها ابن كيسان العاطفونه حين ما من عاطف
وجعلها هاء فى الوقف وتاء فى الادراج وزعم انها لبيان الحركة شبهت بهاء التانيث والرواية
الرابعة العاطفونه حين ما من عاطف وفى هذه الرواية تقديران احدهما وهو مذهب اسمعيل
ابن اسحاق الهاء فى موضع نصب كما تقول الضاربون زيدا فاذا كنيت قلت الضاربوه واجاز
سيبويه فى الشعر الضاربونه فجاء اسمعيل بالبيت على مذهب سيبويه فى اجازته مثله والتقدير
الآخر العاطفونه على ان الهاء لبيان الحركة كما تقول مر بنا المسلمونه فى الوقف ثم اجريت فى الوصل
مجراها فى الوقف كما قرا اهل المدينة ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه واما البيت الثانى
فلا حجة له فيه لانه يوقف ولات اوان غير ان فيه شيئا مشكلا لانه يروى ولات اوان بالخفض
وانما يقع ما بعد لات مرفوعا او منصوبا وان كان قد روى عن عيسى بن عمر انه قرا ولات حين

مناص فبنى لات على الكسر ونصب حين فاما ولاتَ اوانٍ ففيه تقديران قال الاخفش فيه مضمر
اى ولات حين اوان قال النحاس وهذا القول بيّن الخطاء والتقدير الآخر عن ابي اسحاق قال
تقديره ولات اوانَنا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يُعرب وكسره لالتقاء الساكنين وانشده
محمد بن يزيد ولاتَ اوانٌ بالرفع واما البيتُ الثالث فبيت مولّد لا يُعرف قائله ولا تتم به حجة
على ان محمد بن يزيد رواه كما زعمت الاوآن وقال غيره المعنى كما زعمت تِتَ الآنَ فاسقط الهمزة من الآن
والنون واما احتجاجه بحديث ابن عُمَر لما ذكر للرجل مناقب عثمان فقال له اذهب بها تلان الى اصحابك
فلا حجة فيه لان المحدّث انما يروي هذا المعنى والدليل على هذا ان مجاهد اروي عن ابن عمر هذا الحديث
وقال فيه اذهب فاجهد جهدك ورواه الآخر اذهب بها الآن معك واما احتجاجه بانه وجدها
في الامام تحين فلا حجة فيه لان المعنى للامام انه امام المصاحف فان كان مخالفا لها فليس بامام لها
وفي المصاحف كلها ولات فلو لم يكن في هذا الا هذا الاحتجاج لكان مقنعا وجمع مناص مناوص ٥

قوله تعالى وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ان في
موضع نصب والمعنى من ان جاءهم قيل هو متصل بقوله في عزة وشقاق اي في عزة وشقاق
وعجبوا وقوله كم اهلكنا معترض وقيل لا بل هذا ابتداء كلام اى ومن جهلهم انهم اظهروا التعجب
من ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر اي يجيء بالكلام المموه الذي يخدع به الناس وقيل
يفرق بسحره بين الوالد وولده والرجل وزوجته كذاب اى في دعوى النبوة قوله تعالى أَجَعَلَ
الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ اى عجيب وقراء السلمي عجّاب بالتشديد والعُجاب والعجّاب
والعجيب سواء بمعنى وقد فرق الخليل بين عجيب وعجاب فقال العجيب العجب والعجاب الذي قد تجاوز
حد الطول وقال الجوهري العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجّاب بالتشديد اكثر
منه وكذلك الاعجوبة وقال مقاتل عجاب لغة ازد شنوءة وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
مرض ابو طالب فجاءت قريش وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وعند رأس ابي طالب مجلس رجل فقام
ابو جهل حتى يمنعه قال وشكوه الى ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال يا عم انا اريد منهم
كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها الجزية العجم فقال كلمة واحدة قال وما هي قال لا اله الا الله
قال فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا قال فنزل فيهم القرآن ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا
في عزة وشقاق حتى بلغ ان هذا الا اختلاق خرجه الترمذي ايضا بمعناه وقال هذا حديث حسن
صحيح وقيل لما اسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شق على قريش اسلامه فاجتمعوا الى ابي طالب
وقالوا اقض بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي
هؤلاء قومك يسألونك ذا السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال وماذا يسألوني قال ارفضنا و
ارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا فقالوا اجعل الآلهة الها
واحدا فكيف يسع الخلق كلهم اله واحد فانزل الله فيهم هذه الآيات الى قوله كذبت قبلهم

مفعول ثان اي صيّر الآلهة
الها واحدا

قوم نوح قوله تعالى وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ
يُرَادُ ٥ وانطلق الملاء الاشراف والانطلاق الذهاب بسرعة اى انطلق هؤلاء الكافرون من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لبعض ان امشوا اى امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا
في دينه واصبروا على آلهتكم وقيل هو اشارة الى مشيهم الى ابي طالب في مرضه كما سبق وفي رواية
محمد بن اسحاق انهم ابو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وامية بن خلف والعاص
ابن وائل وابو معيط جاؤا الى ابي طالب فقالوا انت سيدنا وانصفنا في انفسنا فاكفنا امر ابن اخيك
وسفهاء معه فقد تركوا آلهتنا وطعنوا في ديننا فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ان قومك يدعوك الى السواء والنصفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعوهم الى كلمة
واحدة فقال ابو جهل وعشرا فقال تقولون لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا الآيات ان امشوا
ان في موضع نصب والمعنى بان امشوا وقيل ان بمعنى اي اي وانطلق الملاء منهم ان امشوا وهذا تفسير
انطلاقهم لا انهم تكلموا بهذا اللفظ وقيل المعنى وانطلق الاشراف منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على
آلهتكم اى على عبادة آلهتكم ان هذا اي هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لشيء يراد اى يراد باهل
الارض من زوال نعم قوم وغير تنزل بهم وقيل ان هذا لشيء يراد كلمة تحذير اى انما يريد محمد بما يقول
الانقياد له ليعلو علينا ونصير له اتباعا فيتحكم فينا بما يريد فاحذروا ان تطيعوه وقال مقاتل ان عمر
لما اسلم وقوي به الاسلام شق ذلك على قريش فقالوا ان اسلام عمر في قوة الاسلام لشيء يراد

قوله تعالى مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ قال ابن عباس والقرظي
وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي يعنون ملة عيسى النصرانية وهي آخر الملل والنصارى يجعلون
مع الله الها وقال مجاهد وقتادة ايضا يعنون ملة قريش وقال الحسن ما سمعنا ان هذا يكون
في آخر الزمان وقيل اى ما سمعنا من اهل الكتاب ان محمدا رسول حق ان هذا الا اختلاق اي
كذب وتخرص عن ابن عباس وغيره يقال خلق واختلق اى ابتدع وخلق الله عز وجل الخلق من هذا
اى ابتدعهم على غير مثال قوله تعالى أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ٥ هو استفهام انكار والذكر هنا القرآن انكروا اختصاصه
بالوحي من بينهم فقال الله تعالى بل هم في شك من ذكري اي من وحيي وهو القرآن اى قد علموا
انك لم تزل صدوقا فيما بينهم وانما شكوا فيما انزلته عليك هل هو من عندي ام لا بل لما يذوقوا
عذابي اى انما اغتروا بطول الامهال ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك ولما قالوا ذلك
ولكن لا ينفع الايمان حينئذ ولما بمعنى لم وما زائدة كقوله عما قليل وبما نقضهم ميثاقهم

قوله تعالى أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ
قيل ام لهم هذا فيمنعوا محمدا صلى الله عليه وسلم مما انعم الله عز وجل به عليه من النبوة وام
قد ترد بمعنى التقريع اذا كان الكلام متصلا بكلام قبله كقوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من
رب العالمين ام يقولون افتريه وقد قيل ان قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك متصل

بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فالمعنى ان الله عز وجل يرسل من يشاء لان خزاين السموات والارض
لم ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اى فان ادعوا ذلك فليرتقوا فى الاسباب اى فليصعدوا
الى السموات والارض وليمنعوا الملايكة من انزال الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم فقال رقى يرقى
رقيا مثل رمى يرمى رميا من الترقيه وقال الربيع بن انس الاسباب ادق من الشعر واشد من الحديد
ولكن لا ترى والسبب فى اللغة كل ما يوصل به الى المطلوب من حبل او غيره وقيل الاسباب ابواب
السموات التى تنزل الملايكة منها قاله مجاهد وقتادة قال زهير

ولو رام اسباب السماء بسلم

وقيل الاسباب السموات نفسها اى فليصعدوا
سماء سماء وقال السدى فى الاسباب فى الفضل والدين وقيل اى فليعلوا فى اسباب القوة
ان ظنوا انها مانعة وهو معنى قول ابى عبيدة وقيل الاسباب الجبال اى ان وجدوا جبلا او سببا
يصعدون فيه الى السماء فليرتقوا وهذا امر توبيخ وتعجيز ثم وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بالنصر
عليهم فقال جند ما هنالك ما فا صلة وتقديره هم جند فجند خبر مبتداء محذوف مهزوم اى مقموع
ذليل اى قد انقطعت حجتهم لانهم لا يصلون الى ان يقولوا هذا لنا ويقال تهزمت القربة اذا انكسرت
وهزمت الجند والكلام مرتبط بما قبل اى بل الذين كفروا فى عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب
مهزومون فلا يغمك عزتهم وشقاقهم فانى اهزم جميعهم واسلب عزهم وهذا تانيس للنبى صلى الله
عليه وسلم وقد فعل بهم هذا يوم بدر قال قتادة وعد الله انه سيهزمهم وهم بمكة فجاء تاويلها يوم
بدر وهنالك اشارة لبدر وهو موضع تحزبهم لقتالهم لمحمد وقيل المراد بالاحزاب الذين اتوا المدينة
وتحزبوا على النبى صلى الله عليه وسلم وقد مضى ذلك فى الاحزاب والاحزاب الجند كما يقال جند
من قبايل شتى وقيل اراد بالاحزاب القرون الماضية من الكفار اى هولاء جند على طريقة اولئك كقوله
فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى اى على دينى ومذهبى وقال الفراء المعنى هم جند
مغلوب اى ممنوع ان يصعد الى السماء وقال القتبى يعنى انهم جند لهذه الالهة مهزوم فهم لا يقدرون
على ان يدعوا لشىء من الهتهم ولا لانفسهم شيئا من خزاين رحمة الله ولا من ملك السموات والارض

قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط
واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ذكرها تعزية
لنبيه صلى الله عليه وسلم وتسلية له اى هولاء من قومك يا محمد جند من الاحزاب المتقدمين الذين
تحزبوا على انبيائهم وقد كانوا اقوى من هولاء فاهلكوا وذكر الله تعالى بلفظ التانيث واختلف اهل
العربية فى ذلك على قولين احدهما انه قد يجوز فيه التذكير والتانيث الثانى انه مذكر اللفظ لا يجوز
تانيثه الا ان يقع المعنى على العشيرة والقبيلة فيغلب فى اللفظ حكم المعنى المضمر تنبيها عليه كقوله تعالى
كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره ولم يقل ذكرها لانه لما كان المضمر فيه مذكرا ذكره وان كان اللفظ
مقتضيا للتانيث ووصف فرعون بانه ذو الاوتاد وقد اختلف فى تاويل ذلك فقال ابن عباس
ذو البناء المحكم وقال الضحاك كان كثير البنيان والبنيان يسمى اوتادا وعن ابن عباس ايضا وقتادة
وعطاء انه كانت له اوتاد وارسان وملاعب يلعب له عليها وعن الضحاك ايضا ذو القوة والبطش

وارتقى يرتقى اذا صعد ورقى يرقى صح

وقال الكلبى ومقاتل كان يعذب الناس بالاوتاد وكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة
اوتاد فى الارض ويرسل عليها العقارب والحيات حتى يموت وقيل كان يشبح المعذب بين اربع
سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل ذو الاوتاد
اى ذو الجنود الكثيرة فسميت الجنود اوتادا لانهم يقوون امره كما يقوى الوتد البيت وقال ابن قتيبة
العرب تقول هم فى عز ثابت الاوتاد وملك ثابت الاوتاد يريدون دايما شديدا واصل هذا ان البيت
من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم بالاوتاد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ... فى ظل ملك ثابت الاوتاد

وواحد الاوتاد وتد بالكسر وبالفتح لغة وقال الاصمعى يقال وتد واتد كما يقال شغل شاغل و
انشد

لاقت على الماء جذيلا واتدا ... ولم يكن يخلفها المواعدا

قال شبه الرجل بالجذل وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اى الغيضة وقد مضى ذكرها فى الشعراء
وقراء نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بفتح اللام والتاء من غير همز الباقون وكسروا التاء وقد
تقدم هذا اولئك الاحزاب اى هم الموصوفون بالقوة والكثرة كقولك فلان هو الرجل كل بمعنى ما كل
الا كذب الرسل فحق عقاب اى فنزل بهم العذاب لذلك التكذيب واثبت يعقوب الياء فى عذابى
وعقابى فى الحالين وحذفها الباقون فى الحالين ونظير هذه الاية قوله عز وجل وقال الذى امن
يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود فسمى هذه الامم احزابا

قوله تعالى وما ينظر هولاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق ينظر بمعنى ينتظر
ومنه انظرونا نقتبس من نوركم هولاء يعنى كفار مكة الا صيحة واحدة اى نفخة القيامة اى ما ينتظرون
بعد ان اصيبوا ببدر الا صيحة القيامة وقيل ما ينتظر احياؤهم الان الا الصيحة التى هى النفخة
فى الصور كما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة وهى النفخة وقال عبدالله بن عمرو لم تكن صيحة
تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية وهذا اخبار عن قرب القيامة والموت وقيل
اى ما ينتظر كفار اخر هذه الامة المتدينين بدين اولئك الا صيحة واحدة وهى النفخة وقال عبدالله بن
عمرو لم تكن صيحة فى السماء الا بغضب من الله على اهل الارض ما لها من فواق اى من ترداد عن
ابن عباس رضى الله عنهما مجاهد ما لها رجوع قتادة من مثنوية السدى ما لها من افاقة وقراء حمزة
والكساى ما لها من فواق بضم الفاء الباقون بالفتح الجوهرى والفواق والفواق ما بين الحلبتين
من الوقت لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب يقال ما اقام عنده الا فواقا
وفى الحديث العيادة قدر فواق ناقة وقوله تعالى ما لها من فواق يقراء بالفتح وبالضم اى ما لها من
نظرة وراحة وافاقة والفيقة بالكسر اسم اللبن الذى يجتمع بين الحلبتين صارت الواو ياء لكسرة ما
قبلها قال الاعشى يصف بقرة حتى اذا فيقة فى ضرعها اجتمعت جاءت لترضع شق النفس لو رضعا
والجمع فيق ثم افواق مثل شبر واشبار ثم افاويق قال ابن همام السلولى

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ... افاويق حتى ما يدر لها ثعل

والافاويق ايضا ما اجتمع فى السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة وافاقت الناقة افاقة اى

اجتمعت الفيقة في ضرعها فهي مفيق ومفيقة عن ابي عمرو والجمع مفاويق وقال الفراء وابو عبيدة وغيرهما من فواق بفتح الفاء اي راحة اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه ومن فواق بضم الفاء من انتظار وقد تقدم انهما بمعنى وهو ما بين الحلبتين قال الشيخ المصنف رحمه الله والمعنى المراد انها ممتدة لا تقطيع فيها وروى ابو هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في طائفة من اصحابه الحديث وفيه يأمر الله عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السماء واهل الارض الا من شاء الله ويأمره فيمدها ويديمها ويطولها يقول الله عز وجل ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وذكر الحديث خرجه علي بن معبد وغيره وقد ذكرناه في التذكرة قوله تعالى **وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ** قال مجاهد اي عذابنا وكذا قال قتادة نصيبنا من العذاب الحسن نصيبنا من الجنة لنتنعم به في الدنيا وقاله سعيد بن جبير ومعروف في اللغة ان يقال للنصيب قط وللكتاب المكتوب بالجائزة قط قال الفراء القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل للصك قط وقال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز والجمع القطوط قال الاعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته ... بغبطته يعطي القطوط ويافق

يعني كتب الجوائز ويروى بامته بدل بغبطته اي بنعمته وحاله الجليلة ويافق يصلح ويقال في جمع قط ايضا قططة وفي القليل اقط واقطاط ذكره النحاس وقال السدي سألوا ان يمثل لهم منازلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسمعيل بن ابي خالد المعنى عجل لنا ارزاقنا وقيل معناه عجل لنا ما يكفينا من قولهم قطني اي يكفيني وقيل انهم قالوا ذلك استعجالا لكتبهم التي يعطونها بايمانهم وشمائلهم حين تلي عليهم بذلك القرآن وهو قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه وراء ظهره واصل القط القط وهو القطع ومنه قط القلم فالقط اسم للقطعة من الشيء كالقسم والقسم فاطلق على النصيب والكتاب والرزق لقطعه عن غيره الا انه في الكتاب اكثر استعمالا واقوى حقيقة قال امية بن ابي الصلت

قوم لهم ساحة العراق وما ... يجبى اليه والقط والقلم

قبل يوم الحساب اي قبل القيامة في الدنيا ان كان الامر على ما يقول محمد وكل هذا استهزاء منهم قوله تعالى **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ** امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر لما استهزؤا به وهذه منسوخة باية السيف قوله تعالى **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ** لما ذكر من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على اذاهم وسلاه بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء ليتسلى بصبر من صبر منهم وليعلم ان له في الاخرة اضعاف ما اعطيه داود وغيره من الانبياء وقيل المعنى اصبر على قولهم واذكر لهم اقاصيص الانبياء لتكون برهانا على صحة نبوتك ذا الايد اي ذا القوة في العبادة وكان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد الصوم وافضله وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر اذا لاقى العدو وكان قويا في الدعاء الى الله تعالى وقوله عبدنا اظهارا لشرفه بهذه الاضافة ويقال الايد والآد كما يقال العيب والعاب قال لم يك ينآد فامسى انآدا ومنه رجل أيد اي قوي وتأيد الشيء تقوى قال الشاعر

اذا القوس وترها أيد ... رمى فاصاب الكلى والذرى

يقول اذا الله تعالى وتر القوس التي في السحاب رمى كلى الابل واسنمتها بالشحم يعني من النبات الذي يكون من المطر انه اواب قال الضحاك اي تواب وعن غيره انه كلما ذكر ذنبه او خطر على باله استغفر منه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ويقال آب يؤوب اذا رجع كما قال وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب فكان داود رجاعا الى طاعة الله تعالى ورضاه في كل امر فهو اهل لان يقتدى به قوله تعالى **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ** فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى يسبحن في موضع نصب على الحال ذكر تعالى ما اتاه من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود اذا ذكر الله عز وجل ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال وقال ابن عباس يسبحن يصلين وانما يكون هذا معجزة اذا رآه الناس وعرفوه وقال محمد بن اسحق اوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوي حسن وما يصغي لحسنه وتصوت معه فهذا تسبيح الجبال والطير وقيل سخرها الله تعالى لتسير معه فذلك تسبيحها لانها دالة على تنزيه الله تعالى عن شبه المخلوقين وقد مضى القول في هذا في سبأ وفي سبحان عند قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وان ذلك تسبيح مقال على الصحيح من الاقوال والله اعلم بالعشي والاشراق الاشراق ابيضاض الشمس بعد طلوعها يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت فكان داود يسبح اثر صلوته عند طلوع الشمس وعند غروبها الثانية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كنت امر بهذه الآية بالعشي والاشراق ولا ادري ما هي حتى حدثتني ام هانئ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلاة الاشراق وقال عكرمة قال ابن عباس كان في نفسي شيء من صلاة الضحى حتى وجدتها في القرآن يسبحن بالعشي والاشراق قال عكرمة وكان ابن عباس لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وروي ان كعب الاحبار قال لابن عباس اني اجد في كتاب الله تعالى صلاة بعد طلوع الشمس هي صلاة الاوابين فقال ابن عباس وانا اوجدك في القرآن ذلك في قصة داود يسبحن بالعشي والاشراق الثالثة صلاة الضحى نافلة مستحبة وهي في الغداة بازاء العصر في العشي لا ينبغي ان تصلى الا حتى تبيض الشمس طالعة ويرتفع كدرها وتشرق بنورها كما لا تصلى العصر اذا اصفرت الشمس وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الاوابين حين ترمض الفصال والفصال جمع فصيل وهو الذي يفطم عن الرضاعة من الابل والرمضاء شدة الحر في الارض وخص الفصال هنا بالذكر لانها هي التي ترمض قبل انتهاء شدة الحر التي ترمض بها امهاتها لقلة جلدها وذلك يكون في الضحى او بعده بقليل وهو الوقت المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها قال القاضي ابو بكر بن العربي ومن الناس من يبادر بها قبل ذلك استعجالا لاجل شغله فيخسر عمله لانه يصليها في الوقت المنهي عنه ويأتي بعمل هو عليه لا له الرابعة روى الترمذي من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب في الجنة قال حديث غريب وفي صحيح مسلم عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصبح على كل سلامى من احدكم

صدقه وكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة
ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة
قال اوصاني خليلي بثلاث لا ادعهن حتى اموت صوم ثلثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم
على وتر لفظ البخاري وقال مسلم وركعتي الضحى وخرجه من حديث ابي الدرداء كما خرجه البخاري
من حديث ابي هريرة وهذا كله يدل على ان اقل الضحى ركعتان واكثره ثنتي عشرة والله اعلم واصل
السلامى بضم السين عظام الاصابع والاكف والارجل ثم استعمل في ساير عظام الجسد
ومفاصله وروي من حديث عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه خلق
كل انسان من بني آدم على ستين وثلثماية مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر
الله وعزل حجرا عن طريق الناس او شوكة او عظما عن طريق الناس وامر بمعروف او نهي عن منكر
عدد تلك الستين والثلاثماية السلامى فانه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار وقال ابو توبة
وربما قال يمسي خرجه مسلم وقوله ويجزي من ذلك ركعتان اي يكفي من هذه الصدقات عن هذه
الاعضاء ركعتان وذلك ان الصلاة عمل بجميع اعضاء الجسد فاذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه
في الاصل والله اعلم قوله تعالى وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ معطوف على الجبال
قال الفراء ولو قرئ والطير محشورة لجاز لانه لم يظهر الفعل قال ابن عباس رضي الله عنهما كان داود
اذا سبح جاوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه فاجتماعها اليه حشرها فالمعنى وسخرنا الطير
مجموعة اليه لتسبح الله معه وقيل اي وسخرنا الريح لتحشر الطيور اليه لتسبح معه او امرنا الملائكة تحشر
الطيور وكل له اي لداود اواب اي مطيع اي ياتيه ويسبح معه وقيل الهاء لله عز وجل قوله تعالى
وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ اي قويناه حتى ثبت قيل بالهيبة والقاء الرعب منه في القلوب وقيل بكثرة
الجنود وقيل بالتاييد والنصر وهذا اختيار ابن العربي فلا ينفع الجيش الكثير التفافه على غير
منصور وغير معان وقال ابن عباس كان داود اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة نيف
وثلاثون الف رجل فاذا اصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله والملك عبارة عن كثرة الملك فقد يكون
للرجل ملك ولكن لا يكون ملكا حتى يكثر ذلك فلو ملك الرجل دارا وامراة لم يكن ملكا حتى يكون
له خادم يكفيه مؤنة التصرف في المنافع التي تفتقر اليها ضرورته الادمية وقد مضى هذا المعنى
في براءة وحقيقة الملكية في النمل مستوفى قوله تعالى وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وآتيناه الحكمة اي النبوة عن السدي مجاهد العدل ابو
العالية العلم بكتاب الله تعالى قتادة السنة شريح العلم والفقه وفصل الخطاب قال ابو عبد الرحمن
السلمي وقتادة يعني الفصل في القضاء وهو قول ابن مسعود والحسن والكلبي عنه هو البينة على
المدعي واليمين على من انكر وقاله شريح والشعبي وقتادة ايضا وقال ابو موسى الاشعري والشعبي
وقتادة ايضا هو قوله اما بعد وهو اول من تكلم بها وقيل فصل الخطاب البيان الفاصل بين الحق والباطل
وقيل هو الايجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل والمعنى في هذه الاقوال متقارب وقول علي بن ابي طالب

ومنها قوله قال ابن عباس ... الكلام علي بن طالب رضي الله عنه

رضي الله عنه يجمعه لان مدار الحكم عليه في القضاء ما عدا قول ابي موسى الثانية قال القاضي ابو بكر بن
العربي فاما علم القضاء فلعمر الهك انه لنوع من العلم مجرد وفصل منه موكد غير معرفة الاحكام
والبصر بالحلال والحرام ففي الحديث اقضاكم علي واعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل فقد يكون
الرجل بصيرا باحكام الافعال عارفا بالحلال والحرام ولا يقوم بفصل القضاء يروى ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن حفر قوم زبية للاسد فوقع فيها الاسد
وازدحم الناس على الزبية فوقع فيها رجل وتعلق باخر وتعلق الاخر باخر حتى صاروا اربعة فجرحهم
الاسد فيها فهلكوا وحمل القوم السلاح وكاد يكون بينهم قتال فاتيتهم فقلت اتقتلون مائتي رجل من
اجل اربعة اناسي تعالوا اقضي بينكم بقضاء فان رضيتموه فهو قضاء بينكم وان ابيتم رفعتم ذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو احق بالقضاء فجعل للاول ربع الدية وجعل للثاني ثلث الدية وجعل للثالث
نصف الدية وجعل للرابع الدية وجعل الديات على من حفر الزبية على القبائل الاربع فسخط بعضهم ورضي
بعضهم ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصوا عليه القصة فقال انا اقضي بينكم فقال قايل ان
عليا قد قضى بيننا فاخبروه بما قضى علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاء كما قضى علي وكذلك يروى في المعرفة
بالقضاء ان ابا حنيفة جاء اليه رجل فقال ان ابن ابي ليلى وكان قاضيا بالكوفة جلد امراة مجنونة قالت
لرجل يا ابن الزانيين حدين في المسجد وهي قايمة فقال اخطا من ستة اوجه قال ابن العربي وهذا الذي
قاله ابو حنيفة بالبديهة لا يدركه احد بالروية الا العلماء فاما قضية علي فلا يدركها الشادي ولا يلحقها
بعد التمرن في الاحكام الا العاكف المتمادي ولا يلحقها بعد التمرن وتحقيقها ان هولاء الاربعة مقتولون
خطاء بالتدافع على الحفرة من الحاضرين عليها فلهم الديات على من حضر على وجه الخطاء بيد ان الاول مقتول
بالمدافعة قاتل ثلثة بالمجاذبة فله الدية بما قتل وعليه ثلثة ارباع الدية بالثلاثة الذين قتلهم واما الثاني
فله ثلث الدية وعليه الثلثان بالاثنين اللذين قتلهما بالمجاذبة واما الثالث فله نصف الدية وعليه نصف
لانه قتل واحدا بالمجاذبة فوقعت المحاصة وغرمت العواقل هذا التقدير بعد القضاء الجاري فيه وهذا
من بديع الاستنباط واما ابو حنيفة فانه نظر الى المعاني المتعلقة فراها ستة الاول المجنون لا حد
عليه لان الجنون يسقط التكليف وهذا اذا كان القذف في حالة الجنون واما اذا كان يجن مرة ويفيق
اخرى فانه يحد بالقذف في حال افاقته الثاني قولها يا ابن الزانيين فجلدها حدين لكل اب حد فانما
خطا ابو حنيفة على مذهبه في ان حد القذف يتداخل لانه عنده حق الله تعالى كحد الخمر والزنا واما الشافعي
ومالك فانهما يريان ان الحد بالقذف حق للادمي فيتعدد بتعدد المقذوف الثالث انه جلد بغير مطالبة
المقذوف ولا يجوز اقامة حد القذف باجماع من الامة الا بعد المطالبة باقامته من يقول انه حق الله
تعالى ومن يقول انه حق الادمي اذ لو كان حقا لله لما وقف على المطالبة كحد الزنا الرابع انه والى بين
الحدين ومن وجب عليه حدان لم يوال عليه بينهما بل يحد لاحدهما ثم يترك حتى يندمل الضرب ثم يقام
عليه الحد الاخر الخامس انه حدها قايمة ولا تحد المراة الا جالسة مستورة قال بعض الناس في
زنبيل السادس انه اقام الحد في المسجد ولا تقام الحدود فيه اجماعا وفي القضاء في المسجد والتعزير
فيه خلاف قال القاضي فهذا هو فصل الخطاب وعلم القضاء الذي وقعت الاشارة اليه على احد التاويلات

الحديث المروي اقضاكم علي واما من قال انه الايجاز فذلك للعرب دون العجم ولمحمد صلى الله عليه وسلم
دون العرب وقد بين هذا بقوله واوتيت جوامع الكلم واما من قال انه قولك اما بعد فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته اما بعد ويروى ان اول من قالها في الجاهلية سحبان بن
وايل اول من آمن بالبعث واول من توكا على عصا وعمر مائة وثمانين سنة ولو صح ان داود
قالها لم يكن ذلك منه بالعربية على هذا النظر وانما كان بلسانه والله اعلم قوله تعالى وَهَلْ أَتَاكَ
نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ
بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي
لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا
وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ فيه اثنان وعشرون
مسئلة الاولى الخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة لان اصله المصدر قال الشاعر

وخصم غضاب ينفضون لحاهم كنفض البراذين العراب المخاليا

النحاس ولا خلاف بين اهل التفسير انه يراد به ههنا ملكان وقال تسوروا وان كانا اثنين حملا
على الخصم اذ كان بلفظ الجمع ومضارعا له مثل الركب والصحب وتقديره للاثنين ذوا خصم وللجماعة
ذووا خصم ومعنى تسوروا اتوه من اعلا سوره يقال تسور الحائط تسلقه والسور حائط المدينة
وهو بغير همز وكذلك السور جمع سورة مثل بسرة وبسر وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة
القرآن لانها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الاخرى وقد مضى في مقدمة الكتاب بيان هذا وقول النابغة

ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

المرتبة يريد شرفا ومنزلة فاما السؤر بالهمز فهو بقية الطعام في الاناء ابن العربي والسور الوليمة بالفارسية
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب ان جابرا قد صنع لكم سورا فحي هلا بكم و
المحراب هنا الغرفة لانهم تسوروا عليه فيها قاله يحيى بن سلام وقال ابو عبيدة انه صدر المجلس
ومنه محراب المسجد وقد مضى القول فيه في غير موضع اذ دخلوا على داود جاءت اذ مرتين لانهما
فعلان وزعم الفراء ان احداهما بمعنى لما وقول آخر ان تكون الثانية مع ما بعدها تبيينا لما قبلها قيل
انهما كانا انسيين قاله النقاش وقيل ملكين ~~في صورة انسيين بعثهما الله اليه~~ قاله جماعة وعينهما جماعة فقال
انهما جبريل وميكائيل وقيل ملكين في صورة انسيين بعثهما الله اليه في يوم عبادته فمنعهما الحرس
الدخول فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو في الصلاة الا وهما بين يديه جالسين وهو قوله تعالى
وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب اي علوا ونزلوا عليه من فوق المحراب قاله سفيان
الثوري وغيره وسبب ذلك ما حكاه ابن عباس ان داود حدث نفسه ان ابتلي ان يعتصم فقيل له
انك ستبتلى وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فاخذ الزبور ودخل المحراب ومنع من الدخول
عليه فبينا هو يقرأ الزبور اذ جاء طائر كاحسن ما يكون من الطير فجعل يدرج بين يديه فهم ان يتناوله

كلمه

بيده فاستدرج حتى وقع في كوة المحراب فدنا منه لياخذه فانقض فاطلع ليبصره فاشرف على امرأة تغتسل
فلما رأته غطت جسدها بشعرها قال السدي فوقعت في قلبه قال ابن عباس وكان زوجها غازيا في سبيل
الله وهو اوريا بن حنان فكتب داود الى امير الغزاة ان يجعل زوجها في حملة التابوت وكان حملة التابوت اما
ان يفتح الله عليهم او يقتلوا فقدمه فيهم فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود واشترطت عليه ان ولدت
غلاما ان يكون الخليفة بعده وكتبت عليه بذلك كتابا واشهدت عليه خمسين رجلا من بني اسرائيل فلم
تستقر نفسه حتى ولدت سليمان وشب وتسور الملكان وكان من شانهما ما قص الله في كتابه ذكره
الماوردي وغيره ولا يصح وقال ابن العربي وهو مثل ما روي في ذلك قال الشيخ رحمه الله ورواه
مرفوعا بمعناه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن يزيد الرقاشي سمع انس بن مالك يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلام حين نظر الى المرأة
فهم بها قطع على بني اسرائيل بعثا واوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا و
سماه قال فقربه بين يدي التابوت وكان ذلك التابوت في ذلك الزمان يستنصر به فمن قدم بين
يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش الذي يقاتله فقدم فقتل زوج المرأة ونزل
الملكان على داود فقصا عليه القصة وقال سعيد عن قتادة كتب الى زوجها وذلك في حصار عمان
مدينة بلقاء ان ياخذوا بحلقة الباب وفيه الموت الاحمر فتقدم فقتل وقال الثعلبي قال قوم من
العلماء انما امتحن الله داود بالخطيئة لانه تمنى يوما على ربه منزلة ابراهيم واسحاق ويعقوب وساله
ان يمتحنه نحو ما امتحنهم ويعطيه نحو ما اعطاهم وكان داود قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس
ويوم يخلو فيه بعبادة ربه ويوم يخلو فيه بنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحاق
ويعقوب فقال يا رب ان الخير كله قد ذهب به ابائي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا
عليها ابتلي ابراهيم بنمرود وبالنار وبذبح ابنه وابتلي اسحاق بالذبح وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف
وذهاب بصره ولم تبتل انت بشيء من ذلك فقال داود فابتلني بمثل ما ابتليتهم واعطني مثل ما اعطيتهم
فاوحى الله اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم الجمعة فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل
يصلي ويقرأ الزبور فبينا هو كذلك اذ مثل له الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون
حسن فوقفت بين رجليه فمد يده لياخذها فيدفعها لابن له صغير فطارت غير بعيد ولم تؤيسه من
نفسها فامتد اليها لياخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب لياخذها فطارت
فنظر داود يرتفع في اثرها ليبعث اليها من ياخذها فنظر امرأة في بستان على شط بركة تغتسل قاله
الكلبي وقال السدي تغتسل عريانة على سطح لها فراى اجمل النساء خلقا فابصرت ظله فنفضت شعرها
فغطى بدنها فزاده اعجابا بها وكان زوجها اوريا بن حنان في غزاة مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود
فكتب داود الى ايوب ان ابعث باوريا الى مكان كذا وكذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم قبل
التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله عليه او يستشهد فقدمه ففتح له فكتب الى داود يخبره
بذلك قال الكلبي وكان اوريا سيف الله في ارضه في زمان داود وكان اذا ضرب ضربة وكبر كبر جبريل
عن يمينه وميكائيل عن شماله وكبرت ملائكة السماء بتكبيره حتى ينتهي ذلك الى العرش فتكبر ملائكة

العرش بتكبيره قال وكان سيوف الله هكذا ثلثة كالب بن يوفنا في زمن موسى واوريا في زمن داود وحمزة
ابن عبد المطلب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كتب اتوب الى داود تخبره ان الله قد فتح
على اوريا كتب داود اليه ان ابعثه في بعث كذا وقدمه قبل التابوت ففتح الله عليه فقتل في الثالثة
شهيدًا فتزوج داود تلك المراة حين انقضت عدتها فهي ام سليمان بن داود عليهما السلام وعلى نبينا
وقيل سبب امتحان داود عليه السلام ان نفسه حدثته انه يطيق قطع يوم بغير مقارفة شيء قال
الحسن ان داود جزأ الدهر اربعة اجزاء جزءًا لنسائه وجزءًا للعبادة وجزءًا لبني اسرائيل يذاكرونه
ويذاكرهم ويبكونه ويبكيهم ويومًا للقضاء فتذاكروا هل يمر على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا
فاضمر داود انه يطيق ذلك فاغلق الباب على نفسه يوم عبادته وامران لا يدخل عليه احد واكب
على قراءة الزبور فوقعت حمامة من ذهب بين يديه وذكر نحو ما تقدم قال علماؤنا وفي هذا دليل وفي
الثانية على انه ليس على الحاكم ان ينتصب للناس كل يوم وانه ليس للانسان ان يترك وطء نسائه
وان كان مشغولا بالعبادة وقد مضى هذا المعنى في النساء وحكم كعب بذلك بمحضر عمر رضي الله عنهما
وقد قال عليه السلام لعبد الله بن عمرو ان لزوجتك حقا الحديث وقال الحسن ايضا ومجاهد ان
داود عليه السلام قال لبني اسرائيل حين استخلف والله لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي بهذا
وقال ابو بكر الوراق كان داود كثير العبادة فاعجب بعمله وقال هل في الارض احد يعمل كعملي فاوحى الله
اليه جبرئيل فقال ان الله تعالى يقول لك عجبت بعبادتك والعجب ياكل العبادة كما تاكل النار الحطب
فان اعجبت ثانية وكلتك الى نفسك قال يا رب كلني الى نفسي سنة قال ان ذلك لكثير قال فشهرًا قال
ان ذلك لكثير قال فيومًا قال ان ذلك لكثير قال يا رب فكلني الى نفسي ساعة قال فشانك بها فوكل
الاحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في عبادته اذ وقع الطائر
بين يديه فكان من امر المراة ما كان وقال سفيان الثوري قال داود ذات يوم يا رب ما يوم الا
ومن ال داود فيه صائم وما من ليلة الا ومن آل داود ذلك فيها قائم فاوحى الله اليه يا داود منك
ذلك او مني وعزتي لاكلنك الى نفسك قال يا رب اعف عني قال اكلك الى نفسك سنة قال لا بعزتك
قال فشهرا قال بعزتك قال فاسبوعا قال لا بعزتك قال فيوما قال لا بعزتك قال فساعة قال لا بعزتك
قال فلحظة فقال له الشيطان وما قدر لحظة قال كلني الى نفسي لحظة فوكله الله الى نفسه لحظة وقيل
له هي في يوم كذا فلما جاء ذلك اليوم جعله للعبادة ووكل الاحراس حول مكانه قيل اربعة آلاف
وقيل ثلاثين الفا او ثلثة وثلثين الفا وخلى بعبادة ربه ونشر الزبور بين يديه فجاءت الحمامة
فوقعت له فكان من امره في لحظته مع المراة ما كان وارسل الله جل وعز اليه الملكين بعد ولادة
سليمان وضربا له المثل بالنعاج فلما سمع المثل ذكر خطيئته فخر ساجدا اربعين ليلة على ما ياتي الثالثة
قوله تعالى ففزع منهم لانهما اتياه ليلا في غير وقت دخول الخصوم وقيل لدخولهم عليه بغير اذنه
وقيل لانهم تسوروا عليه المحراب ولم ياتوه من الباب قال ابن العربي وكان محراب داود عليه
السلام من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقي اليه آدمي بحيلة الا ان يقيم اياما فيها واشهرا بحسب طاقته
مع اعوان يكثر عددهم وآلات جمة مختلفة الانواع ولو قلنا انه يوصل اليه من باب المحراب لما قال الله تعالى

مخبرًا عن ذلك تسوروا المحراب اذ لا يقال تسور المحراب والغرفة لمن دخلها وجاءها من اسفلها
الا ان يكون ذلك مجازا واذا شاهدت الكوة التي دخل منها الخصمان علمت قطعا انهما ملكان لانها من
العلو بحيث لا ينالها الا علوي قال الثعلبي وقد قيل كان المتسوران اخوين من بني اسرائيل لاب وام
فلما قضى داود بينهما بقضيته قال له ملك من الملائكة فهلا قضيت بذلك في نفسك يا داود قال
الثعلبي والاول احسن انهما كانا ملكين نبها داود على ما فعل قال الشيخ رحمه الله على هذا اكثر اهل
التاويل فكيف يجوز ان يقول الملكان خصمان بغى بعضنا على بعض وذلك كذب والملائكة عن مثله منزه
فالجواب عنه انه لابد في الكلام من تقدير فكانهما قالا قدرنا خصمين بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق
وعلى ذلك يحمل قولهما ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة لانه وان كان بصورة الخبر فالمراد ايراده على
طريق التقرير لتنبيه داود على ما فعل والله اعلم الرابعة ان قيل لم فزع داود وهو نبي قد قويت
نفسه بالنبوة واطمانت بالوحي ووثقت بما اتاه الله من المنزلة واظهر على يديه من الايات وكان من
الشجاعة في غاية المكانة قيل له ذلك سبيل الانبياء قبله لم يامنوا القتل والاذاية ومنها كان يخاف الا
ترى الى موسى وهارون كيف قالا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال الله جل وعز لا تخافا و
قالت الرسل للوط لا تخف انا رسل ربك لن يصلوا اليك وكذا قال الملكان هنا لا تخف قال محمد بن
اسحاق بعث الله اليه ملكين يختصمان اليه وهو في محرابه مثلا ضربه الله له ولاوريا فراءهما واقفين
على رأسه فقال ما ادخلكما علي قالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فجئناك لتقضي بيننا الخامسة
قال ابن فان قيل كيف لم يامر باخراجهم اذ قد علم مطلبهم ولا ادبهم ودخلوا عليه بغير اذن فالجواب
عليه من اربعة اوجه الاول انا لم نعلم كيفية شرعه في الحجاب والاذن فيكون الجواب بحسب تلك
الاحكام وقد كان ذلك في ابتداء شرعنا مهملا عن هذه الاحكام حتى اوضحها الله بالبيان الثاني انا
لو ان لنا الجواب على احكام الحجاب لاحتمل ان يكون الفزع الطاري عليه اذهله عما كان يجب في ذلك له
الثالث انه اراد ان يستوفي كلامهما الذي دخلا له حتى يعلم آخر الامر منه ويرى هل يحتمل التقحم
بغير اذن ام لا وهل يقترن بذلك عذر لهما ام لا يكون لهما عذر فيه فكان من آخر الحال ما انكشف انه بلاء
ومحنة ومثلا ضربه الله في القصة وادب وقع على دعوى العصمة الرابع انه يحتمل ان يكون في
مسجد ولا اذن في المسجد لاحد اذ لا حجة فيه على احد قال الشيخ رحمه الله وقول خامس ذكره القشيري
وهو انهما قالا لما لم ياذن لنا الموكلون بالحجاب توصلنا الى الدخول بالتسور وخفنا ان يتفاقم الامر بيننا
فقبل داود عذرهم واصغى الى قولهم السادسة قوله تعالى خصمان ان قيل كيف قال خصمان وقبل
هذا اذ تسوروا فقيل لان الاثنين جمع قال الخليل كما تقول نحن فعلنا اذا كنتما اثنين وقال الكسائي
جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة خبر الاثنان عن انفسهما فقالا خصمان وقال الزجاج
المعنى نحن خصمان وقال غيره القول محذوف اي نقول خصمان بغى بعضنا على بعض قال الكسائي
ولو كان بغى بعضهما على بعض لجاز الماوردي وكانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين ولا ياتي منهما كذب
وتقدير كلامهما ما تقول ان اتاك خصمان قالا بغى بعضنا على بعض وقيل اي نحن فريقان من الخصوم
بغى بعضنا على بعض وعلى هذا يحتمل انه كانت الخصومة بين اثنين ومع كل واحد جمع ويحتمل ان يكون لكل

واحد من هذا الفريق خصومة مع واحد من الفريق الآخر فحضروا الخصومات ولكن ابتداء منهم اثنان نعرف داود بذكر النكاح القصة واغنى بذلك عن التعرض للخصومات الاخر والبغي التعدي والخروج عن الواجب يقال بغى الجرح اذا افرط وجعه وترامى الى ما يفحش ومنه بغت المرأة اذا اتت الفاحشة السابعة قوله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر قاله السدي وحكى ابو عبيد شططت عليه واشططت اي جرت وفي حديث تميم الداري انك لشاطي اي جاير علي في الحكم وقال قتادة لا تمل الاخفش لا تسرف وقيل لا تفرط والمعنى متقارب والأصل فيه البعد من شطت الدار اي بعدت شطت الدار تشط وتشط شطا وشطوطا بعدت واشط في القضية اي جار واشط في السوم واشتط اي ابعد واشطوا في طلبي اي امعنوا قال ابو عمرو الشطط مجاوزة القدر في كل شيء وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط اي لا نقصان ولا زيادة وفي التنزيل لقد قلنا اذا شططا اي جورا من القول وبعدا عن الحق واهدنا الى سواء الصراط اي ارشدنا الى قصد السبيل الثامنة قوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة اي قال الملك الذي تكلم عن أوريا ان هذا اخي اي على ديني واشار الى المدعى عليه وقيل اخي اي صاحبي له تسع وتسعون نعجة وقرأ الحسن تسع وتسعون بفتح التاء فيهما وهي لغة شاذة وهي الصحيحة من قراءة الحسن قاله النحاس والعرب تكني عن المرأة بالنعجة والشاة لما هي عليه من السكون والمعجزة وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والحجرة والناقة لان الكل مركوب قال ابو فرعون

أنا أبوهن ثلاث هنه ○ رابعة في البيت صغراهنه
ونعجتي خمسا توفيهنه ○ ألا فتى في البيت يغذيهنه
طي النقا في الجوع يطويهنه ○ ويل الرغيف ويله منهنه

وقال عنترة

يا شاة ما قنص لمن حلت له ○ حرمت علي وليتها لم تحرم
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي ○ فتجسسي اخبارها لي واعلم
قالت رأيت من الاعادي غرة ○ والشاة ممكنة لمن هو مرتم
فكأنما التفتت بجيد جداية ○ رشاء من الغزلان حر ارثم

وقال آخر

فرميت غفلة عينه عن شاته ○ فاصبت حبة قلبها وطحالها

وهذا من احسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء قال الحسين بن الفضل هذا من الملكين تعريض وتنبيه لقولهم ضرب زيد عمرا وما كان ضرب ولا نعاج على التحقيق كانه قال نحن خصمان هذه حالنا وقال ابو جعفر النحاس احسن ما قيل في هذا المعنى يقول خصمان بغى بعضنا على بعض على جهة المسألة كما يقول رجل لا مرأته كذا ما يجب عليه قال الشيخ رحمه الله وقد تأوله المزني وغيره المزني صاحب الشافعي هذه الاية وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن شهاب الذي هو خرجه مو لك يا عبد بن زمعة على نحو هذا قال المزني يحتمل هذا الحديث عندي والله اعلم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم اجاب عن المسألة فاعلمهم بالحكم ان هكذا ان يكون اذا ادعى صاحب فراش وصاحب زنى لا انه قبل على عتبة قول اخيه سعد ولا على زمعة قول ابنه انه ولد زنا لان كل واحد منهما اخبر عن غيره وقد اجمع المسلمون انه لا يقبل اقرار احد على غيره وقد ذكره الله سبحانه في كتابه مثل ذلك في قصة داود والملائكة

سح ص

اذ دخلوا عليه ففزع منهم قالوا لا تخف ولم يكونوا خصمين ولا كان لواحد منهما تسع وتسعون نعجة ولكنهم كلموه على المسألة ليعرف بها ما ارادوا تعريفه فيحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم حكم في هذه القصة على المسألة وان لم يكن احد يؤنسني على هذا التأويل في الحديث فانه عندي صحيح والله اعلم التاسعة قال النحاس وفي قراءة ابن مسعود ان هذا اخي كان له تسع وتسعون نعجة انثى وكان هذا مثل قوله جل وعز وكان الله غفورا رحيما فاما قوله انثى فهو تاكيد كما يقال هو رجل ذكر وهو تاكيد وقيل لما كان يقال هذه مائة نعجة وان كان فيها من الذكور شيء يسير جاز ان يقال انثى ليعلم انه لا ذكر فيها وفي التفسير له تسع وتسعون امرأة قال ابن العربي ان كان جميعهن احرارا فذلك شرعه وان كن اماء فذلك شرعنا والظاهر ان شرع من تقدم قبلنا لم يكن محصورا بعدد وانما الحصر في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لضعف الابدان وقلة الاعمار وقال القشيري ويجوز ان يقال لم يكن له هذا العدد بعينه ولكن المقصود ضرب مثل كما تقول لو جئتني مائة مرة لم اقض حاجتك اي مرارا كثيرة قال ابن العربي قال بعض المفسرين لم يكن لداود مائة امرأة وانما ذكر التسعة والتسعين مثلا المعنى هذا غني عن الزوجة وانا مفتقر اليها وهذا فاسد من وجهين احدهما ان العدول عن الظاهر بغير دليل لا معنى له ولا دليل يدل عليه ان شرع من قبلنا كان مقصورا من النساء على ما في شرعنا الثاني انه روى البخاري وغيره ان سليمان قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله ونسي ان يقول ان شاء الله وهذا نص العاشرة قوله تعالى ولي نعجة واحدة اي امرأة واحدة فقال اكفلنيها اي انزل لي عنها حتى اكفلها وقال ابن عباس اعطنيها وعنه تحول لي عنها وقاله ابن مسعود وقال ابو العالية ضمها الي حتى اكفلها وقال ابن كيسان اجعلها كفلي ونصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني قال الضحاك ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان ابطش مني يقال عزه يعزه بضم العين في المستقبل عزا غلبه وفي المثل من عز بز اي من غلب سلب والاسم العزة وهي القوة والغلبة قال قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح وقرأ عبد الله بن مسعود وعبيد بن عمير وعازني في الخطاب اي غالبني من المعازة وهي المغالبة عازه اي غالبه قال ابن العربي واختلف في سبب الغلبة فقيل معناه غلبني ببيانه وقيل غلبني بسلطانه لانه لما سأله لم يستطع خلافه كان ببلادنا امير يقال له سير بن ابي بكر فكلمته في ان يسأل لي رجلا حاجة فقال لي اما علمت ان طلب السلطان للحاجة غصب لها فقلت اما اذا كان عدلا فلا فعجبت من عجمته وحفظه لما تمثل به وفطنته كما عجب من جوابي له واستغربه الحادية عشرة قوله تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه قال النحاس فيقال ان هذه كانت خطيئة داود لانه قال لقد ظلمك من غير تثبت ببينة ولا اقرار من الخصم هل كان هذا كذا ام لم يكن فهذا قول قال الشيخ رحمه الله وسيأتي بيانه في المسألة بعد هذا وهو حسن ان شاء الله تعالى قال ابو جعفر النحاس فاما قول العلماء الذين لا يدفع قولهم منهم عبد الله بن مسعود وابن عباس فانهم قالوا ما زاد داود صلى الله عليه وسلم على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك قال ابو جعفر فعاتبه الله عز وجل على هذا ونبهه عليه وليس هذا بكبير من المعاصي ومن تخطى الى غير هذا فانما يأتي بما لا يصح عن عالم ويلحقه فيه اثم عظيم كذا قال في كتاب اعراب القرآن وقال في كتاب معاني القرآن له بمثله قال الشيخ رحمه الله قد جاءت

بيانه وقيل غلبني ص

اخبار وقصص فى امر داود عليه السّلام واوريا واكثرها لا يصح ولا يتصل اسناده ولا ينبغي ان يجترأ
على مثلها الا بعد المعرفة بصحتها واصح ما روي فى ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود قال
ما زاد داود عليه السّلام على ان قال اكفلنيها اى انزل لى عنها وروى المنهال عن سعيد بن جبير قال
ما زاد داود عليه السّلام على ان قال اكفلنيها اى تحوّل لي عنها وضمها الى قال ابو جعفر فهذا اجل ما
روى فى هذا والمعنى عليه ان داود عليه السلام سأل اوريا ان يطلق امرأته كما يسئل الرجل الرجل
ان يبيعه جاريته فنبهه الله جلّ وعزّ على ذلك وعاتبه لما كان نبيا وكان له تسع وتسعون انكر عليه ان يشتغل
بالدنيا بالتزيد منها فاما ما غير هذا فلا ينبغي الاجتراء عليه قال ابن العربي اما قولهم انها لما اعجبته امر
بتقديم زوجها للقتل فى سبيل الله فهذا باطل قطعا فان داود صلى الله عليه وسلم لم يكن ليريق دمه فى غرض
نفسه وانما كان من الامر ان داود قال لبعض اصحابه انزل لي عن اهلك وعزم عليه فى ذلك كما يطلب الرجل
من الرجل الحاجة برغبته صادقة كانت فى الاهل او فى المال وقد قال سعيد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف
حين اخى رسول الله صلى الله عليه بينهما ان لى زوجتين انزل لك عن احسنهما فقال له بارك الله لك فى اهلك
وما يجوز فعله ابتداء يجوز طلبه وليس فى القرآن ان ذلك كان ولا انه تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها
ولا ولادتها لسليمان فعمن يروى هذا ويسند على من فى نقله يعتمد وليس يأثره عن الثقات الاثبات
احد اما ان فى سورة الاحزاب نكتة تدل على ان داود قد صارت له المرأة زوجة وذلك قوله ما كان على
النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل يعنى فى احد الاقوال تزويج داود المرأة
التى نظر اليها كما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الا ان تزويج زينب كان من غير سؤال للزوج
فى فراق بل امره بالتمسك بزوجتها وكان تزويج داود للمرأة بسؤال زوجها فراقها فكانت هذه المنقبة لمحمد
صلى الله عليه وسلم على داود منضافة الى مناقبه العلية صلى الله عليه وسلم ولكن قد قيل ان معنى سنة الله
فى الذين خلوا من قبل تزويج الانبياء من غير صداق من وهب نفسه لهم من النساء وقيل اراد بقوله
سنة الله فى الذين خلوا من قبل ان الانبياء صلوات الله عليهم فرض لهم ما يمتثلونه فى النكاح وغيره
وهذا اصح الاقوال وقد روي المفسرون ان داود صلى الله عليه وسلم نكح مائة امرأة وهذا نص القرآن
وروي ان سليمان كانت له ثلاث مائة امراءة وسبعمائة جارية فربك اعلم وذكر الكيا الطبري فى احكامه
فى قوله تعالى وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب الاية ذكر المحققون الذين يرون تنزيه الانبياء
عليهم السّلام عن الكبائر ان داود عليه السّلام كان قد اقدم على خطبة امرأة قد خطبها غيره يقال هو اوريا
فمال القوم الى تزويجها من داود راغبين فيه وزاهدين فى الخاطب الاول ولم يكن بذلك داود عارفا وقد كان
يمكنه ان يعرف ذلك فيعدل عن هذه الرغبة وعن الخطبة بها فلم يفعل ذلك من حيث اعجب بها اما وصفا
او مشاهدة على غير تعمد وقد كان لداود عليه السلام من النساء العدد الكثير وذلك الخاطب لا امرأة له
فنبهه الله تعالى على ما فعل بما كان من تسور الملكين وما اورداه من التمثيل على وجه التعريض لكى يفهم
من ذلك موقع العتب فيعدل عن هذه الطريقة ويستغفر ربه من هذه الصغيرة الثانية عشرة
قوله تعالى لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فيه الفتوى فى النازلة بعد السماع من احد الخصمين وقبل
ان يسمع من الآخر بظاهر هذا القول قال ابن العربي وهذا مما لا يجوز عند احد ولا فى ملة من الملل ولا يمكن

ذلك للبشر وانما تقدير الكلام ان احد الخصمين ادعى والآخر سلّم فى الدعوى فوقعت بعد ذلك الفتوى
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض لاحدهما حتى تسمع من الآخر وقيل
ان داود لم يقض للآخر حتى اعترف صاحبه بذلك وقيل تقديره لقد ظلمك ان كان كذلك والله اعلم بتعيين
ما يمكن من هذه الوجوه • قال الشيخ رحمه الله ذكر هذين الوجهين القشيري والماوردي وغيرهما قال
القشيري وقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك من غير ان يسمع كلام الخصم مشكل فيمكن ان يقال هذا بعد
مراجعة الخصم الآخر وبعد اعترافه وقد روي هذا وان لم تثبت روايته فهو معلوم من قرائن الحال
او اراد لقد ظلمك ان كان الامر على ما تقول فسكته بهذا وصبّره الى ان يسئل خصمه قال ويحتمل ان يقال
كان من شرعهم التعويل على قول المدعي عند سكوت المدعى عليه اذا لم يظهر منه انكار بالقول وقال
الحليمي ابو عبد الله فى كتاب المنهاج الذي له ومما جاء فى شكر النعمة المنتظرة اذا حضرت او كانت خافية
فظهرت السجود لله عزّ وجلّ قال والاصل فى ذلك قوله عزّ وجلّ وهل اتاك نبؤ الخصم الى قوله وحسن
مآب اخبر الله عزّ وجلّ عن داود عليه السلام انه سمع قول المتظلم من الخصمين ولم يخبر عنه انه سأل
الآخر انما حكى انه ظلمه فكان ظاهر ذلك انه راي فى المتكلم مخائل الضعف والهضيمة فحمل امره على انه
مظلوم كما يقول ودعاه ذلك الى ان لا يسأل الخصم فقال له مستعجلا لقد ظلمك مع امكان انه لو سأله
لكان يقول كانت مائة نعجة ولا شيء لهذا فسرق منى هذه النعجة فلما وجدتها عنده قلت له اردده
وما قلت له اكفلنيها وعلم انى مرافعه اليك فجرني قبل ان اجره وجاءك متظلما من قبل ان احضره
لتظن انه هو المحق وانى انا الظالم ولما تكلم داود بما حملته العجلة عليه علم ان الله عزّ وجلّ خلاه ونفسه
فى ذلك الوقت وهو الفتنة التى ذكرها وان ذلك لم يكن الا عن تقصير منه فاستغفر ربه وسجد
لله تعالى شكرا على ان عصمه بان اقتصر على تظليم المشكو ولم يزده على ذلك شيئا من انتهار او ضرب
او غيرهما مما يليق بمن تصوّر فى القلب انه ظالم فغفر الله له ثم اقبل عليه يعاتبه فقال يا داود انا
جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فبان بما اقتصه الله
تعالى من هذه الموعظة التى توخاه بها بعد المغفرة ان خطيئته انما كانت التقصير فى الحكم والمبادرة
الى تظليم من لم يثبت عنده ظلمه ثم جاء عن ابن عباس رضى الله عنه انه سجدها داود شكرا وسجدها
النبي صلى الله عليه وسلم اتباعا فثبت ان السجود للشكر سنة متواترة عن الانبياء صلوات الله عليهم
بسؤال نعجتك فاضاف المصدر الى المفعول والقى الهاء من السؤال وهو كقوله تعالى لا يسأم الانسان
من دعاء الخير اى من دعائه الخير الثالثة عشرة وان كثيرا من الخلطاء يقال خليط وخلطاء
ولا يقال طويل وطولاء لثقل الحركة فى الواو وفيه وجهان احدهما انهم الاصحاب الثانى الشركاء قال الشيخ رحمه
الله اطلاق الخلطاء على الشركاء فيه بعد وقد اختلف العلماء فى صفة الخلطاء فقال اكثر العلماء هو بان
يأتى كل واحد بغنمه فيجمعها راع واحد والدلو والمراح وقال طاوس وعطاء لا يكون الخلطاء الا الشركاء
وهذا خلاف الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة
وما كان من الخليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية وروي فانهما يترادان الفضل ولا موضع لترادّ الفضل
بين الشركاء فاعلمه واحكام الخلطة مذكورة فى كتب الفقه ومالك واصحابه وجمع من العلماء لا يرون على

الله

اي بسؤال نعجتك

من ليس في حصته ما يجب فيه الزكاة وقال ربيعة والليث وجمع من العلماء منهم الشافعي اذا كان في جميعها ما تجب فيه الزكاة اخذت منها الزكاة قال مالك والاخذ المصدق. بهذا ترادوا بينهم للاختلاف في ذلك ويكون لحكم حاكم اختلف فيه الرابعة عشرة قوله تعالى ليبغي بعضهم على بعض اي يتعدى ويظلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم يعني الصالحين اي قليل هم فما زائدة وقيل بمعنى الذي وتقديره وقليل الذين هم وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول في دعائه اللهم اجعلني من عبادك القليل فقال له عمر ما هذا الدعاء فقال اردت قول الله جل وعز الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم فقال عمر الناس افقه منك يا عمر الخامسة عشرة وظن داود انما فتناه اي ابتليناه وظن معناه ايقن قال ابو عمرو والفراء ظن بمعنى ايقن الا ان الفراء شرحه بانه لا يجوز في المعاين ان يكون الظن الا بمعنى اليقين والقراءة فتناه بتشديد النون دون التاء وقرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتناه بتشديد التاء والنون على المبالغة وقرا قتادة وعبيد بن عمير بن السميفع فتناه بتخفيفهما ورواه علي بن نصر عن ابي عمرو والمراد الملكان اللذان دخلا على داود السادسة عشرة لما قضى داود بينهما في المسجد نظر احدهما الى صاحبه فضحك فلم يفطن داود فاحبا ان يعرفهما فصعدا الى السماء حيال وجهه فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه بذلك ونبهه على ما ابتلاه به قال الشيخ رحمه الله وليس في القرآن ما يدل على القضاء في المسجد الا هذه الآية وبها استدل من قال بجواز القضاء في المسجد ولو كان ذلك لا يجوز كما قال الشافعي لما اقرهم داود على ذلك ويقول انصرفا الى موضع القضاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء يقضون في المسجد وقد قال مالك القضاء في المسجد من الامر القديم يعني في اكثر الامور ولا باس ان يجلس في رحبته ليصل اليه الضعيف والمشرك والحائض ولا يقيم فيه الحدود ولا باس بخفيف الادب وقد قال اشهب يقضي في منزله واين احب السابعة عشرة قال مالك رحمه الله وكان الخلفاء يقضون بانفسهم واول من استقضى معاوية قال مالك وينبغي للقضاة مشاورة العلماء وقال عمر بن عبد العزيز لا يستقضى حتى يكون عالما بآثار من مضى مستشيرا لذوي الرأي حليما نزها قال ويكون ورعا قال مالك وينبغي ان يكون متيقظا كثير التحذر من الحيل وان يكون عالما بالشروط عارفا بما لا بد له منه من العربية فان الاحكام تختلف باختلاف العبارات والدعاوي والاقرار والشهادات والشروط التي تتضمن حقوق المحكوم له وينبغي له ان يقول قبل انفاذ الحكم للمطلوب ابقيت لك حجة فان قال لا حكم عليه ولا يقبل منه حجة بعد انفاذ حكمه الا ان ياتي بما له وجه او بينة واحكام القضاء والقضاة فيما لهم وعليهم مذكورة في غير هذا الموضع الثامنة عشرة قوله تعالى فاستغفر ربه اختلف المفسرون في الذنب الذي استغفر منه على اقوال ستة الاول انه نظر الى المراة حتى شبع منها قال سعيد بن جبير انما كانت فتنته النظرة قال ابو اسحاق ولم يتعمد داود النظر الى المراة لكنه عاود النظر اليها فصارت الاولى له والثانية عليه الثاني انه اغزى زوجها في حملة التابوت الثالث انه نوى ان مات زوجها ان يتزوجها الرابع ان اوريا كان خطب تلك المراة فلما غاب خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعتب الله على داود اذ لم يتركها لخاطبها وقد كان عنده تسع وتسعون امراة الخامس انه لم يجزع على قتل اوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند ثم تزوج امراته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله السادس انه حكم لاحد الخصمين

قبل ان يسمع من الآخر فلا يجوز على الانبياء وكذلك تعريض زوجها للقتل واما من قال انه نظر اليها حتى شبع فلا يجوز عندي بحال لان طموح النظر لا يليق بالاولياء المتجردين للعبادة فكيف بالانبياء الذين هم وسائط الله المكاشفون بالغيب وحكى السدي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لو سمعت رجلا يذكر ان داود عليه السلام قارف من تلك المراة محرما لجلدته ستين ومائة لان حد الناس ثمانون وحد الانبياء ستون ومائة ذكره الماوردي والثعلبي ايضا قال الثعلبي وقال الحرث الاعور عن علي من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص معتقدا جلدته حدين لعظم ما ارتكب برمي من قد رفع الله محله وارتضاه من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمهتدين قال ابن العربي وهذا مما لا يصح عن علي فان قيل فما حكمه عندنا قلنا اما من قال ان نبيا زنى فانه يقتل واما من نسب اليه ما دون ذلك من النظر او الملامسة فقد اختلف الناس في ذلك فان صمم احد على ذلك فيه ونسبه اليه قتله فانه يناقض التعزير المامور به فاما قولهم انه وقع بصره على امراة تغتسل عريانة فلما رأته اسبلت شعرها فسترت جسدها فهذا لا حرج عليه فيه باجماع من الامة لان النظرة الاولى تكشف المنظور اليه ولا ياثم الناظر بها فاما النظرة الثانية فلا اصل لها واما قولهم انه نوى ان مات زوجها تزوجها فلا شيء فيه اذ لم يعرضه للموت واما قولهم انه خطب على خطبة اوريا فباطل يرده القرآن والآثار التفسيرية كلها وقد روى اشهب عن مالك قال بلغني ان تلك الحمامة اتته فوقعت قريبا من داود عليه السلام وهي من ذهب فلما رآها اعجبته فقام لياخذها فكانت قرب يده ثم صنع مثل ذلك مرتين ثم طارت واتبعها ببصره فوقعت عينه على تلك المراة وهي تغتسل ولها شعر طويل فبلغني انه اقام اربعين ليلة ساجدا حتى نبت العشب من دموع عينيه قال ابن العربي اما قول المفسرين ان الطائر درج عنده فهم باخذه واتبعه فهذا لا يناقض العبادة لانه مباح فعله لا سيما وهو حلال وطلب الحلال فريضة وانما اتبع الطائر لذاته لا لجماله فانه لا منفعة له فيه وانما ذكرهم لحسن الطائر حرق في الجهالة اما انه روي انه كان طائرا من ذهب فاتبعه لياخذه لانه من فضل الله سبحانه كما روي في الصحيح ان ايوب عليه السلام كان يغتسل عريانا فخر عليه رجل من جراد فجعل يحثي منه ويجعله في ثوبه فقال له الله تعالى يا ايوب الم اكن اغنيتك قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقال القشيري فهم داود بان ياخذه ليدفعه الى ابن له صغير فطار ووقع على كوة البيت وقاله الثعلبي ايضا وقد تقدم التاسعة عشرة قوله تعالى وخر راكعا واناب اي خر ساجدا وقد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر

فخر على وجهه راكعا ۞ وتاب الى الله من كل ذنب

قال ابن العربي لا خلاف بين العلماء ان الركوع ههنا السجود فان السجود هو الميل والركوع هو الانحناء واحدهما يدخل على الآخر ولكنه قد يختص كل واحد بهيئته ثم جاء هذا على تسمية احدهما بالآخر فسمي السجود ركوعا وقال المهدوي وكان ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعا وقال مقاتل فوقع من ركوعه ساجدا لله اي لما احس بالامر قام الى الصلاة ثم وقع من الركوع الى السجود لاشتمالهما جميعا على الانحناء وقال الحسين بن الفضل سالني عبد الله بن طاهر وهو الوالي عن قول الله عز وجل وخر راكعا هل يقال للراكع خر قلت لا قال فما معنى الآية قلت معناها فخر بعد ان كان راكعا فسجد واناب اي تاب من خطيئته ورجع الى الله العشرون واختلف في سجدة داود هل هي من عزائم السجود المامور به في القرآن

ام لا فروى ابوسعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه قراء على المنبر ص والقران ذي الذكر فلما بلغ السجدة
نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرا بها فتشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم للسجود ونزل وسجد وهذا لفظ ابي داود وفي البخاري
وغيره عن ابن عباس انه قال ص ليست من عزائم القرآن وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يسجد فيها وقد روي من طريق عن ابن مسعود انه قال ص توبة نبي لا يسجد فيها وعن ابن عباس
انها توبة نبي ونبيكم ممن امر ان يقتدى به قال ابن العربي والذي عندي انها ليست موضع
سجود ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها فسجدنا بالاقتداء به ومعنى السجود ان داود سجد خاضعا
لربه معترفا بذنبه تائبا من خطيئته فاذا سجد احد فيها فليسجد بهذه النية فلعل الله ان يغفر له بحرمة
داود الذي اتبعه وسواء قلنا ان شرع من قبلنا شرع لنا ام لا فان هذا امر مشروع في كل ملة لكل
احد والله اعلم الثالثة قال ابن خويز منداد قوله فخر راكعا واناب فيه دلالة على ان السجود
للشكر مفردا لا يجوز لانه ذكر معه الركوع وانما الذي يجوز ان ياتي بركعتين شكرا فاما سجدة مفردة
فلا وذلك ان البشارات كانت ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم والائمة بعده فلم ينقل ان احدا منهم سجد
شكرا ولو كان ذلك مفعولا لهم لنقل نقلا متظاهرا لحاجة العامة الى جوازه وكونه قربة وفي سنن ابن
ماجة عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بشر براس ابي جهل ركعتين وخرج
من حديث ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه امر يسره او يسر به خر ساجدا شكرا لله
وهذا قول الشافعي وغيره روى الترمذي وغيره واللفظ للغير ان رجلا من الانصار على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل يستتر بشجرة وهو يقرا ص والقران ذي الذكر فلما بلغ السجدة
سجد وسجدت معه الشجرة فسمعها وهي تقول اللهم اعظم لي بهذه السجدة اجرا وارزقني بها شكرا قال
الشيخ رحمه الله خرج ابن ماجة في سننه عن ابن عباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل
فقال اني رايت البارحة فيما يرى النائم كاني اصلي الى اصل شجرة فقرات السجدة فسجدت الشجرة بسجودي
فسمعتها تقول اللهم احطط عني بها وزرا واكتب لي بها اجرا واجعلها لي عندك ذخرا قال ابن عباس
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا السجدة فسجد فسمعته يقول في سجوده مثل الذي اخبره الرجل
عن قول الشجرة وذكره الثعلبي من حديث ابي سعيد الخدري قال قلت يا رسول الله رايتني في النوم كاني
تحت شجرة والشجرة تقرا ص فلما بلغت السجدة سجدت فيها فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي
بها اجرا واحطط بها عني وزرا وارزقني بها شكرا وتقبل مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اسجدت انت يا ابا سعيد فقلت لا والله يا رسول الله فقال لقد كنت احق بالسجود
من الشجرة ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم ص حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل ما قالت الشجرة
الحادي والعشرون قوله تعالى فغفرنا له ذلك اي فغفرنا له ذنبه قال ابن الانباري فغفرنا له ذلك
تام ثم يبتدي وان له وقال القشيري ويجوز الوقف على فغفرنا ثم يبتدي ذلك وان له لقوله هذا وان
للطاغين اي الامر ذلك وقال عطاء الخراساني وغيره ان داود سجد اربعين يوما حتى نبت المرعى حول
وجهه وغمر راسه فنودي اجائع فتطعم ام عار فتكتسى فنحب نحبة هاج من حر جوفه فغفر له وسترها
المرعى

لادمهم
فقال يا رب هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غفرته وكيف بفلان وكذا وكذا رجلا من بني اسرائيل تركت اولادهم
ايتاما ونساءهم ارامل قال يا داود لا يجاوزني يوم القيامة ظلم امكنه منك ثم استوهبك منه بثواب
الجنة قال يا رب هكذا تكون المغفرة الهنية ثم قيل يا داود ارفع راسك فذهب ليرفع راسه فاذا به
قد نشب في الارض فاتاه جبريل فاقتلعه عن وجه الارض كما تقتلع من الشجرة صمغها رواه الوليد بن
مسلم عن جابر عن عطاء قال الوليد واخبرني منير بن الزبير قال فلزق مواضع مساجده على الارض
من فروة وجهه ما شاء الله قال الوليد قال ابن لهيعة وكان يقول في سجوده سبحانك هذا شرابي
دموعي وهذا طعامي رماد بين يدي في رواية انه سجد اربعين يوما لا يرفع راسه الا للصلاة المكتوبة
فبكى حتى نبت العشب من دموعه وروي مرفوعا من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان داود مكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جبينه
وهو يقول في سجوده يا رب داود زل زلة بعد بها ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف
داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فقال له جبريل بعد اربعين سنة
يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذي هممت به وقال وهب ان داود عليه السلام نودي اني قد غفرت
لك فلم يرفع راسه حتى جاءه جبريل فقال لم لا ترفع راسك وربك قد غفر لك قال يا رب كيف وانت
لا تظلم احدا فقال الله لجبريل اذهب الى داود فقل له يذهب الى قبر اوريا فيتحلل منه فانا اسمعه
نداك فلبس داود المسوح وجلس عند قبر اوريا ونادى يا اوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي
لذتي وايقظني فقال انا اخوك داود اسالك ان تجعلني في حل فاني عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة
فانت في حل وقال الحسن وغيره كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين ويقول تعالوا الى
داود الخطاء ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة
فلا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الرماد والملح فياكل ويقول هذا اكل الخاطئين وكان
قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر ثم صام بعد الدهر كله وقام الليل كله وقال
يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته منقوشة في كفه فكان لا يبسطها لطعام ولا شراب ولا شيء
الا راها فابكته وان كان ليوتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه عن شفته حتى
يفيض من دموعه وروى الوليد بن مسلم حدثني ابو عمرو الاوزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انما مثل عيني داود مثل القربتين تنطفان ولقد خدد الدموع في وجه داود خديد الماء في الارض
قال الوليد حدثنا عثمان بن ابي العاتكة انه كان من قول داود اذ هو خلو من الخطيئة شدة قوله
في الخطائين انه كان يقول اللهم لا تغفر للخطائين ثم صار الى ان يقول رب اغفر للخطائين لكي يغفر لداود
معهم سبحان خالق النور الهي خرجت اسال اطباء عبادك ان يداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني الهي اخطات
خطيئة قد خفت ان تجعل حصادها عذابك يوم القيامة ان لم تغفرها سبحان خالق النور الهي اذا ذكرت
خطيئتي ضاقت الارض برحبها علي واذا ذكرت رحمتك ارتد الى روحي وفي الخبر ان داود عليه السلام كان
اذا علا المنبر رفع يمينه فاستقبل بها الناس ليريهم نقش خطيئته وكان ينادي الهي اذا ذكرت خطيئتي
ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتد الى روحي رب اغفر للخطائين كي تغفر لداود معهم

وكان يقعد على سبعة افرشة من الليف محشوة بالرماد فكان تستنقع دموعه تحت رجليه حتى تنفذ الافرشة
كلها وكان اذا كان يوم نوحه نادى منادٍ في الطرق والاسواق والاودية والشعاب وعلى رؤوس الجبال وافواه
الغيران الا ان هذا يوم نوح داود فمن اراد ان يبكي على ذنبه فليات داود فيسعده فيهبط السباع من الغيران
والاودية وترتفع الاصوات حول منبره والوحوش والسباع والطير عكف وبنو اسرائيل حول منبره فاذا اخذ
في العويل والنوح واثارت الحرقات منابع دموعه صارت الجماعة ضجة واحدة نوحًا وبكاءً حتى يموت حول
منبره بشر كثير في مثل ذلك اليوم ومات داود عليه السلام فيما قيل يوم السبت فجاءة اتاه ملك الموت وهو
يصعد في محرابه وينزل فقال ما الى ذلك سبيل حيث لاقبض روحك فقال دعني حتى انزل او ارتقي فقال
ما الى ذلك سبيل نفدت الايام والشهور والسنون والاثار والارزاق فما انت بموثر بعدها اثرا قال فسجد
داود على مرقاة من الدرج فقبض نفسه على تلك الحال وكان بينه وبين موسى عليه السلام خمسماية وتسع وستون
سنة وقيل تسع وسبعون وعاش ماية سنة واوصى الى ابنه سليمان عليهما السلام الثامنة والعشرون
قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن ماب قال محمد بن كعب ومحمد بن قيس وان له عندنا لزلفى قربة بعد
المغفرة وحسن مآب قالا والله ان اول من يشرب الكاس يوم القيامة داود وقال مجاهد عن عبد الله بن عمر
الزلفى الدنو من الله جل وعز يوم القيامة وعن مجاهد قال يبعث داود يوم القيامة وخطيئته منقوشة
في كفه فاذا راى اهاويل يوم القيامة لم يجد منها محرزا الا ان يلجا الى رحمة الله تعالى قال ثم يرى خطيئته
فيقلق فيقال له ههنا ثم يرى فيقلق فيقال له ههنا ثم يرى فيقلق فيقال له ثمنا فذلك قوله وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب ذكره الترمذي الحكيم قال حدثنا الفضل بن محمد قال حدثنا عبد الملك بن الاصبغ قال
حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا ابرهيم بن محمد الفزازي عن عبد الملك بن ابي سليمان عن مجاهد فذكره
قال الترمذي ولقد كنت امر زمانا طويلا بهذه الايات فلا ينكشف لي المراد والمعنى من قوله وقالوا
ربنا عجل لنا قطنا والقط الصحيفة في اللغة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى عليهم فاما من
اوتي كتابه بيمينه وقال لهم انكم ستجدون هذا كله في صحايفكم تعطونها بشمالكم فقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي
صحيفتنا قبل يوم الحساب قال الله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد فقص قصة
خطيئته الى منتهاها فكنت اقول امره بالصبر على ما قالوا وامره بذكر داود فاي شيء اريد من هذا الذكر
وكيف اتصل هذا بذاك فلا اقف على شيء يسكن قلبي عليه حتى هدا نى الله له يومًا فالهمته ان هولاء
انكروا قوله انهم يعطون كتبهم بشمائلهم فيها ذنوبهم وخطاياهم استهزاءً بامر الله وقالوا ربنا عجل لنا
قطنا قبل يوم الحساب فاوجعه ذلك من استهزائهم فامره بالصبر على مقالتهم وان يذكر عبده داود
سال تعجيل خطيئته ان يراها منقوشة في كفه فنزل به ما نزل من انه كان اذا راها اضطرب وامتلأ
القدح من دموعه وكان اذا رآها بكى حتى تنفذ سبعة افرشة من الليف محشوة بالرماد فانما سالها بعد
المغفرة وبعد ضمان الخصم وان الله تبارك وتعالى اسمه يستوهبه منه ومرحبيه ووليه وصفيه
فروية نقش الخطيئة بصورتها مع هذه المرتبة صنعت به هكذا فكيف كان يحل باعداء الله وبعصاته
من خلقه واهل خزيه لو عجلت لهم صحايفهم فنظروا الى صور تلك الخطايا التي عملوها على الكفر والجحود وما
ذا يحل بهم اذا نظروا اليها في تلك الصحايف وقد اخبر الله عنهم فقال فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون

ياويلتنا

ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فداود صلوات الله عليه مع المغفرة و
البشرى والعطف لم يقم لروية صورتها وقد روينا في الحديث اذا رآها يوم القيامة منقوشة في كفه
قلق حتى يقال له ههنا ثم يرى فيقلق ثم يقال له ههنا ثم يرى فيقلق حتى يقرب فيسكن قوله تعالى
يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا
نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ○ فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى جعلناك خليفة اي ملكناك لتامر
بالمعروف وتنهى عن المنكر فتخلف من كان قبلك من الانبياء والايمة الصالحين وقد مضى في البقرة
القول في الخليفة واحكامه مستوفى والحمد لله الثانية قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق اي
بالعدل وهذا امر على الوجوب وقد ارتبط هذا بما قبله وذلك ان الذي عوتب عليه داود طلبه
المراة من زوجها وليس ذلك بعدل فقيل له بعد هذا فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله اي عن طريق الجنة ان الذين يضلون عن سبيل الله اي يحيدون عنها ويتركونها لهم
عذاب شديد في النار بما نسوا يوم الحساب اي بما تركوا من سلوك طريق الله فقوله نسوا اي تركوا او
تركوا العمل به فصاروا كالناسين ثم قيل هذا لداود لما اكرمه الله بالنبوة وقيل بعد ان تاب عليه و
غفر خطيئته الثالثة قال العلماء الاصل في الاقضية قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله تعالى لتحكم بين الناس بما
اراك الله وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الاية وقد مضى
القول فيه الرابعة قال ابن عباس في قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله قال انه ارتفع لك الخصمان فكان لك في احدهما هوى
فلا تشتهي في نفسك الحق له ليفلح على صاحبه فان فعلت محوت اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي
ولا اهل كرامتي فدل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق وان لا يميل الى احد الخصمين لقرابة او رجاء نفع او سبب
يقتضي الميل من صحبة او صداقة او غيرهما وقال ابن عباس انما ابتلى سليمان بن داود عليهما السلام
لانه تقدم اليه خصمان فهوى ان يكون الحق لاحدهما وقال عبد العزيز ابي رواد بلغني ان قاضيا كان في
زمن بني اسرائيل بلغ من اجتهاده انه طلب الى ربه ان يجعل بينه وبينه علما اذا هو قضى بالحق عرف
ذلك واذا هو قصر عرف ذلك فقيل له ادخل منزلك ثم مد يدك في جدارك ثم انظر كيف تبلغ اصابعك من
الجدار فاخطط عندها خطا فاذا انت قمت من مجلس القضاء فارجع الى ذلك الخط فامدد يدك اليه فانك
متى ما كنت على الحق فانك ستبلغه وان قصرت عن الحق قصر بك فكان يغدو الى القضاء وهو مجتهد
فكان لا يقضي الا بحق واذا قام من مجلسه وفرغ لم يذق طعاما ولا شرابا ولم يفض الى اهله بشيء من الامور
حتى ياتي ذلك الخط فاذا بلغه حمد الله وافضى الى كل ما احل الله له من اهل او مطعم او مشرب فلما كان
ذات يوم وهو في مجلس القضاء اقبل اليه رجلان يريد انه فوقع في نفسه انهما يريدان ان يختصما
اليه وكان احدهما له صديق وخدن فتحرك قلبه عليه محبة ان يكون الحق له فيقضي له فلما ان تكلم دار الحق
على صاحبه فقضى عليه فلما قام من مجلسه ذهب الى خطه كما كان يذهب كل يوم فمد يده الى الخط فاذا

اي لا تتعدى بهواك الحكم الا امر الله

الخط قد ذهب و تشمر الى السقف فاذا هو لا يبلغه فخر ساجدًا وهو يقول يا رب شيئا لم اتعمده ولم ارده فتبينه لي فقيل له اتحسب ان الله تعالى لم يطلع على خيانة قلبك حيث احببت ان يكون الحق لصديقك لتقضي له به وقد اردته واحببته ولكن الله قد رد الحق الى اهله وانت كاره وعن ليث قال تقدم الى عمر بن الخطاب خصمان فاقامهما ثم عادا فاقامهما ثم عادا ففصل بينهما فقيل له في ذلك فقال تقدما الى فوجدت لاحدهما ما لم اجد لصاحبه فكرهت ان افصل بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض ذلك ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما وقال الشعبي كان بين عمر وابي خصومة فتقاضيا الى زيد بن ثابت فلما دخلا عليه اشار لعمر الى وسادته فقال عمر هذا اول جور جرت اجلسني واياه مجلسًا واحدًا فجلسا بين يديه الخامسة هذه الاية تمنع من حكم الحاكم بعلمه لان الحكام لو مكنوا ان يحكموا بعلمهم لم يشاء احدهم اذا اراد ان يحفظ وليه ويهلك عدوه اذا ادعى علمه فيما حكم به ونحو ذلك روي عن جماعة من الصحابة منهم ابو بكر قال لو رايت رجلا على حد من حدود الله ما اخذته حتى يشهد على ذلك غيري وروي ان امرأة جاءت الى عمر فقالت له احكم لي على فلان بكذا فانك تعلم ما لي عنده فقال لها ان اردت ان اشهد لك فنعم فاما الحكم فلا وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اشترى فرسًا فجحده البائع فلم يحكم عليه بعلمه وقال من يشهد لي فقام خزيمة فشهد فحكم خرج الحديث ابو داود وغيره وقد مضى في البقرة قوله تعالى وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ باطلا اي هزلا ولعبا اي ما خلقنا هما الا لامر صحيح وهو الدلالة على قدرتنا ذلك ظن الذين كفروا اي حسبان الذين كفروا ان الله خلقهما باطلا فويل للذين كفروا من النار ثم وبخهم فقال ام نجعل الذين آمنوا والميم صلة تقديره انجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض فكان في هذا رد على المرجئة لانهم يقولون يجوز ان يكون المفسد كالصالح او ارفع درجة منه وبعده ايضا ام نجعل المتقين كالفجار اي انجعل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كالكفار قاله ابن عباس وقيل هو عام في المسلمين المتقين والفجار الكافرين وهو احسن وهو رد على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي الى شيء واحد قوله تعالى كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ اي هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد ليدبروا اي ليتدبروا فادغمت التاء في الدال وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن ودليل على ان الترتيل افضل من الهذ اذ لا يصح التدبر مع الهذ على ما بيناه في كتاب التذكار وقال الحسن تدبر آيات الله اتباعها وقراءة العامة ليدبروا وقرأ ابو جعفر وشيبة لتدبروا بتاء وتخفيف الدال وهي قراءة علي رضي الله عنه والاصل لتتدبروا فحذف احدى التاءين تخفيفا وليتذكر اولوا الالباب اي اصحاب العقول واحدها لب وقد جمع على البب كما جمع بؤس على ابؤس ونعم على انعم قال ابو طالب

قلبي اليه مشرف الالبب

وربما اظهروا التضعيف في ضرورة الشعر قال الكميت

اليكم ذوي آل النبي تطلعت ٭ نوازع من قلبي ظماء والبب

قوله تعالى وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ لما ذكر داود ذكر سليمان واواه معناه مطيع اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد يعني الخيل جمع جواد للفرس اذا كان شديد الحضر كما يقال للانسان جواد اذا كان كثير العطية غزيرها يقال قوم اجواد وخيل جياد جاد الرجل بماله يجود جودا فهو جواد وقوم جود مثال قذال وقذل وانما سكنت الواو لانها حرف علة واجواد واجاود وجوداء وكذلك امرأة جواد ونسوة جود مثل نوار ونور قال الشاعر

صناع باشفاها حصان بشكرها ٭ جواد بقوت البطن والعرق زاخر

وتقول سرنا عقبة جوادا وعقبتين جوادين وعقبا جيادا وجاد الفرس اي صار رائعا يجود جودة بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل جياد واجياد واجاويد وقيل انها الطوال الاعناق مأخوذ من الجيد وهو العنق لان طول اعناق الخيل من صفات فراهتها وفي الصافنات ايضا وجهان احدهما ان صفونها قيامها قاله القتبي والفراء الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل او غيرها ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سره ان يقوم له الرجال صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي يديمون له القيام حكاه قطرب ايضا وانشد قول النابغة

لنا قبة مضروبة بفنائها ٭ عتاق المهاري والجياد الصوافن

وهذا قول قتادة الثاني ان صفونها رفع احدى اليدين على طرف الحافر حتى يقوم على ثلاث كما قال الشاعر

الف الصفون فما يزال كانه ٭ مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقال عمرو بن كلثوم

تركنا الخيل عاكفة عليه ٭ مقلدة اعنتها صفونا

وهذا قول مجاهد قال الكلبي غزا سليمان اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من ابيه داود الف فرس وكان ابوه اصابها من العمالقة وقال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وقاله الضحاك وانها كانت خيلا اخرجت لسليمان من البحر منقوشة ذات اجنحة ابن زيد اخرج الشيطان لسليمان الخيل من البحر من مروج البحر وكانت لها اجنحة وكذلك قال علي رضي الله عنه كانت عشرين فرسا ذوات اجنحة وقيل كانت مائة فرس وفي الخبر عن ابراهيم التيمي انها كانت عشرين الفا فالله اعلم قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي يعني بالخير الخيل والعرب تسميها كذلك وتعاقب بين الراء واللام فتقول انهملت العين وانهمرت وختلته وخترته اذا خدعته قال الفراء الخير في كلام العرب والخيل واحد النحاس في الحديث الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة فكانها سميت خيرا لهذا وفي الحديث لما وفد زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم قال له انت زيد الخير وهو زيد بن مهلهل الشاعر وقيل انما سميت خيرا لما فيها من المنافع وفي الخبر ان الله تعالى عرض على آدم جميع الدواب وقيل له اختر منها واحدا فاختار الفرس فقال له اخترت عزك فصار اسمه الخير من هذا الوجه وسمي خيلا لانها موسومة بالعز وسمي فرسا لانه يفترس مسافات الجو افتراس الاسد وثبانا ويقطعها كالالتهام بيديه على شيء خبطا وتناولا وسمي عربيا لانه جيء به من بعد آدم لاسماعيل

اصفه

جزا على دفع قواعد البيت واسماعيل عزلي فصادت له نخلة من الله فسمّ عرّتيا وحب مفعول في قول الفراء
المعنى انى اثرت حب الخير وغيره يقدره مصدرًا الى المفعول اى اجبت الخير حبًّا فالهانى عن ذكر ربى
وقيل ان معنى اجبت قعدت وتاخرت من قولهم اجب البعير اذا برك وتاخر واجب فلان اى طاطا
رأسه قال ابو زيد يقال بعير مجب وقد اجب اجبابًا وهو ان يصيبه مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى
يبرأ او يموت وقال ثعلب يقال ايضا للبعير الحسير مجب فالمعنى قعدت عن ذكر ربى وحب على هذا
مفعول له وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان اجبت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذا احبا
حتى توارت بالحجاب يعنى الشمس كناية عن غير مذكور مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة اى على
ظهر الارض وتقول العرب هاجت باردة اى هاجت الريح باردة وقال الله تعالى حتى اذا بلغت الحلقوم
وقال انها ترمى بشرر ولم يتقدم للنار ذكر وقال الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشيء او دليل
الذكر وقد جرى ههنا الدليل وهو قوله بالعشى والعشى ما بعد الزوال والتوارى الاستتار عن الابصار
والحجاب جبل اخضر محيط بالخلائق قاله قتادة وكعب وقيل هو من جبل قاف وقيل جبل دونها
والحجاب الليل سمى حجابا لانه يستر ما فيه وقيل حتى توارت اى الخيل في المسابقة وذلك ان سليمان كان له ميدان
مستدير يسابق فيه بين الخيل حتى توارت عنه وتغيب عن عينه في المسابقة لان الشمس لم يجر لها ذكر
وذكر النحاس ان سليمان عليه السلام كان في صلاة فجئ اليه بخيل لتعرض عليه قد غنمت فاشار بيده
لانه كان يصلى حتى توارت الخيل وسترتها جدر الاصطبلات فلما فرغ من صلاته قال ردوها على فطفق
مسحًا اى فاقبل يمسحها مسحًا وفي معناه قولان احدهما انه اقبل يمسح سوقها واعناقها بيده اكرامًا منه
لها وليرى ان الجليل لا يقبح ان يفعل مثل هذا بخيله وقال قائل هذا القول كيف يقتلها وفي ذلك افساد
المال ومعاقبة من لا ذنب له وقيل المسح ههنا هو القطع اذن له في قتلها قال الحسن والكلبى ومقاتل
صلى سليمان الصلاة الاولى وقعد على كرسيه وهى تعرض عليه وكانت الف فرس فعرض عليه منها
تسعماية فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم فقال
ردوها على فردت فعقرها بالسيف قربة لله وبقى منها ماية فما في ايدي الناس اليوم من الخيل العتاق
فهى من نسل تلك الخيل قال العشيرى وقيل ما كان في ذلك الوقت صلاة ظهر ولا صلاة عصر
بل كانت تلك الصلاة نافلة فشغل عنها وكان سليمان رجلًا مهيبًا فلم يذكره احد ما نسى من الفرض
او النفل وظنوا التاخر مباحًا فتذكر سليمان تلك الصلاة الفايتة وقال على سبيل التلهف انى
اجبت حب الخير عن ذكر ربى اى عن الصلاة وامر برد الافراس اليه وامر بضرب عراقيبها واعناقها
ولم يكن ذلك معاقبة للافراس اذ ذبح البهايم جايز اذا كانت ماكولة بل عاقب نفسه حتى لا تشغله
الخيل بعد ذلك عن الصلاة ولعله عرقبها ليذبحها فحبسها بالعرقبة عن النفار ثم ذبحها في الحال ليتصدق
بلحمها او لان ذلك كان مباحًا في شرعه فاتلفها لما شغلته عن ذكر الله حتى يقطع عن نفسه ما يشغله عن الله
فاثنى الله عليه بهذا وبين انه اثابه بان سخر له الريح فكان يقطع عليها من المسافة في يوم ما يقطع مثله على
الخيل في شهرين غدوًّا ورواحًا وقد قيل ان الهاء في قوله ردوها على للشمس لا للخيل قال ابن عباس سالت
عليًّا عن هذه الاية فقال ما بلغك فيها فقلت سمعت كعبًا يقول ان سليمان بعرض الافراس حتى توارت

الشمس بالحجاب وفاتته الصلاة قال انى اجبت حب الخير اى اثرت الخيل عن ذكر ربى الآية ردوها على
يعنى الافراس وكانت اربع عشرة فضرب سوقها واعناقها بالسيف وان الله سلبه ملكه اربع عشرة يومًا
لانه ظلم الخيل فقال على بن ابي طالب كذب كعب لكن سليمان اشتغل بعرض الافراس للجهاد حتى
توارت اى غربت الشمس بالحجاب فقال بامر الله للملايكة الموكلين بالشمس ردوها يعنى الشمس فردوها
حتى صلى العصر في وقتها وان انبياء الله لا يظلمون لانهم معصومون قال الشيخ رحمه الله الاكثر في
التفسير ان الذي توارت بالحجاب هى الشمس وتركها لدلالة السياق عليها بما ذكر بما يرتبط بها ويتعلق
بذكرها حسب ما تقدم بيانه وكثيرًا ما يضمرون الشمس حتى قال لبيد

حتى اذا القت يدًا في كافر ○ واجن عورات الثغور ظلامها

والهاء في ردوها للخيل ومسحها قال الزهري وابن كيسان كان يمسح سوقها واعناقها ويكشف الغبار
عنها حبًّا لها وقاله ابن عباس والحسن وقتادة وفي الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم رئى وهو يمسح
وجه فرسه بردائه وقال انى عوتبت الليلة في الخيل خرجه الموطا عن يحيى بن سعيد مرسلا وهو
في غير الموطا مسند متصل عن مالك عن يحيى بن سعيد عن انس وقد مضى في الانفال قوله عليه السلام
وامسحوا بنواصيها واكفالها وروى ابن وهب عن مالك انه مسح اعناقها وسوقها بالسيوف قال الشيخ
رحمه الله وقد استدل الشبلى وغيره من الصوفية في تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان هذا وهو
استدلال فاسد لانه لا يجوز ان ينسب الى نبى معصوم انه فعل الفساد والمفسرون اختلفوا في معنى
الاية فمنهم من قال مسح على اعناقها وسوقها اكرامًا لها وقال انت في سبيل الله فهذا اصلاح ومنهم من قال عرقبها
ثم ذبحها وذبح الخيل واكل لحمها جايز وقد مضى في النحل بيانه وعلى هذا فما فعل شيئًا عليه فيه جناح
فاما افساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجايز ان يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل
ولا يكون في شرعنا وقد قيل انما فعل بالخيل ما فعل باباحة الله جل وعز له ذلك وقد قيل ان مسحه
اياها وسمها بالكى وجعلها في سبيل الله والله اعلم وقد ضعف هذا القول من حيث ان السوق ليست
بمحل الوسم بحال وقيل يقال للكى على الساق علاط وعلى العنق وثاق والذى في الصحاح للجوهرى
علط البعير علطا كواه في عنقه بسمة العلاط والعلاطان جانبا العنق قال الشيخ رحمه الله
ومن قال ان الهاء في ردوها ترجع للشمس فذلك من معجزاته وقد اتفق مثل ذلك لنبينا صلى الله عليه
وسلم خرج الطحاوى في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان يوحى اليه وراسه في حجر على فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصليت يا على قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت على الجبال والارض وذلك
بالصهباء في خيبر قال الطحاوى وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات قال الشيخ رضى الله عنه
وضعفه ابو الفرج الجوزى هذا الحديث فقال وغلو الرافضة في حب على عليه السلام حملهم على
ان وضعوا احاديث كثيرة في فضايله منها ان الشمس غابت ففاتت عليًّا عليه السلام العصر فردت
له الشمس وهذا من حيث النقل محال ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد

لا يرد الوقت ومن قال ان الها ترجع الى الخيل وانها كانت تبعد عن عين سليمان في السباق ففيه دليل
على المسابقة بالخيل وهو امر مشروع وقد مضى القول فيه في يوسف قوله تعالى ولقد فتنا سليمان
قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة ذكره الزمخشري وفتنا اي
ابتلينا وعاقبنا وسبب ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اختصم الى سليمان عليه السلم
فريقان احدهما من اهل جرادة امرأة سليمان وكان يحبها فهوى ان يقع القضاء لهم ثم قضى بينهما بالحق
فاصابه الذي اصابه عقوبة لذلك الهوى وقال سعيد بن المسيب ان سليمان عليه السلام احتجب عن الناس
ثلاثة ايام لا يقضي بين احد ولا ينصف مظلوما من ظالم فاوحى الله تعالى اليه اني لم استخلفك لتحتجب عن
عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم وقال شهر بن حوشب ووهب بن منبه ان سليمان سبا
بنت ملك غزاه في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون فالقيت عليه محبتها وهي تعرض عنه لا تنظر
اليه الا شزرا ولا تكلمه الا نزرا وكان لا يرقا لها دمع حزنا على ابيها وكانت في غاية من الجمال ثم انها سالته
ان يصنع لها تمثالا على صورة ابيها حتى تنظر اليه فامر فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجدت معها جواريها
وصار صنما معبودا في داره وهو لا يعلم حتى مضت اربعون ليلة وفشا خبره في بني اسرائيل وعلم به سليمان
فكسره وحرقه ثم ذراه في البحر وقيل ان سليمان لما اصاب ابنة ملك صيدون واسمها جرادة فيما ذكر
الزمخشري اعجب بها فعرض عليها الاسلام فابت فخوفها فقالت اقتلني ولا اسلم فتزوجها وهي مشركة فكانت
تعبد صنما لها من ياقوت اربعين يوما في خفية من سليمان الى ان اسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه
اربعين يوما وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نسائه
في شيء من حيض او غيره وقيل انه امر ان لا يتزوج امرأة الا من بني اسرائيل فتزوج امراة من غيرهم
فعوقب على ذلك فالله اعلم قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب والقينا على كرسيه
جسدا قيل شيطان في قول اكثر اهل التفسير القى الله شبه سليمان عليه واسمه صخر بن عمير صاحب البحر وهو
الذي دل سليمان على الماس حين امر سليمان ببناء بيت المقدس فصوتت الحجارة لما صنعت بالحديد
فاخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة والفصوص وغيرها ولا تصوت قال ابن عباس كان
ماردا لا يقوى عليه جميع الشياطين ولم يزل يحتال حتى ظفر بخاتم سليمان وكان سليمان لا يدخل الكنيف
بخاتمه فجاء صخر في صورة سليمان حتى اخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان ام ولد له يقال لها الامينة
قاله شهر ووهب وقال ابن عباس وابن جبير اسمها جرادة فقام اربعين يوما ملكا على ملك سليمان وسليمان يوما صح
هارب حتى رد الله عليه الخاتم والملك وقال سعيد بن المسيب كان سليمان قد وضع خاتمه تحت فراشه
فاخذه الشيطان من تحته وقال مجاهد اخذه الشيطان من يد سليمان لان سليمان سال الشيطان
وكان اسمه اصف كيف تضلون الناس فقال له الشيطان اعطني خاتمك حتى اخبرك فاعطاه خاتمه فلما اخذ
الشيطان الخاتم جلس على كرسي سليمان متشبها بصورته داخلا على نسائه يقضي بغير الحق ويامر بغير الصواب
واختلف في اصابته لنساء سليمان فحكي عن ابن عباس ووهب بن منبه انه كان ياتيهن في حيضهن وقال
مجاهد منع من اتيانهن وزال عن سليمان ملكه فخرج هاربا الى ساحل البحر يتضيف الناس ويحمل سموك الصيادين
بالاجر واذا اخبر الناس انه سليمان اكذبوه قال قتادة ثم ان سليمان بعد ان استنكر بنو اسرائيل حكم الشيطان

اخذ حوته من صياد قيل انه استطعمها وقال ابن عباس اخذها اجرة في حمل حوت وقيل ان سليمان صادها
فلما شق بطنها وجد خاتمه فيها وذلك بعد اربعين يوما من زوال ملكه عنه وهي عدد الايام التي عبد الصنم
في داره وانما وجد الخاتم في بطن الحوت لان الشيطان الذي اخذه القاه في البحر وقال علي بن ابي طالب
بينما سليمان على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه وقال جابر بن
عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود لا اله الا الله محمد رسول الله
وحكى يحيى بن ابي عمرو الشيباني ان سليمان وجد خاتمه بعسقلان فمشى منها الى بيت المقدس تواضعا
لله تعالى قال ابن عباس وغيره ثم ان سليمان لما رد الله عليه ملكه اخذ صخرا الذي اخذ خاتمه ونقر له
صخرة وادخله فيها وسد عليها باخرى واوثقها بالحديد والرصاص وختم عليها بخاتمه والقاها
في البحر وقال هذا محبسك الى يوم القيامة وقال علي رضي الله عنه لما اخذ سليمان الخاتم اقبلت اليه
الشياطين والجن والانس والطير والوحش والريح وهرب الشيطان الذي خلف في اهله فاتى جزيرة نسله صح
في البحر فبعث اليه الشياطين فقالوا لا نقدر عليه ولكنه يرد عينا في الجزيرة في كل سبعة ايام يوما
لا نقدر عليه حتى يسكر قال فنزح سليمان ماءها وجعل فيها خمرا فجاء يوم ورده فاذا هو بالخمر فقال
والله انك لشراب طيبة الا انك تطيشين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ثم عطش عطشا شديدا ثم اتاها
فقال مثل مقالته ثم شربها فغلبته على عقله فاروه الخاتم فقال سمعا وطاعة فاتوا به سليمان فاوثقه
وبعث به الى جبل فذكروا انه جبل الدخان فقالوا ان الدخان الذي ترون من نفسه والماء الذي
يخرج من الجبل من بوله وقال مجاهد اسم ذلك الشيطان آصف وقال السدي اسمه حبقيق فالله اعلم
وقد ضعف هذا القول من حيث ان الشيطان لا يتصور بصورة الانبياء ثم من المحال ان يلتبس على اهل
مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا انهم مع نبيهم في حق وهم مع الشيطان في باطل وقيل
ان الجسد ولد ولد لسليمان وانه لما ولد اجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ابن لم ننفك
مما نحن فيه من البلاء والسخرة فتعالوا نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان ذلك فامر الريح حتى حملته الى السحاب
وغدا ابنه في السحاب خوفا من مضرة الشيطان فعاقبه الله بخوفه من الشياطين فلم يشعر الا وقد
وقع على كرسيه ميتا قال معناه الشعبي فهو الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا و
حكى النقاش وغيره ان اكثر ما وطئ سليمان جواريه طلبا للولد فولد له نصف انسان فهو كان الجسد
الملقى على كرسيه جاءت به القابلة فالقته هناك وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن ياتي بفارس يجاهد في سبيل
الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل وايم الذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون
وقيل ان الجسد هو آصف ابن برخيا الصديق كاتب سليمان وذلك ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم
من يده وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط فايقن بالفتنة فقال له آصف انك مفتون ولذلك لا يتماسك
الخاتم في يدك ففر الى الله تعالى تائبا من ذلك وانا اقوم مقامك في عالمك الى ان يتوب الله عليك ولك من
حيث افتتنت اربعة عشر يوما ففر سليمان هاربا الى ربه واخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وكان

عنده علم من الكتاب واقام آصف فى ملك وعياله يسير بسيره ويعمل بعمله الى ان رجع سليمان الى منزله
تائبًا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فاقام آصف من مجلسه وجلس على كرسيه واعاد الخاتم وقيل ان
الجسد سليمان نفسه وذلك انه مرض مرضًا شديدًا حتى صار جسدًا وقد يوصف به المريض المضنى فيقال
كالجسد الملقى صفة كرسي سليمان وملكه روي عن ابن عباس قال كان سليمان يوضع له
ست مائة كرسي ثم يجئ اشراف الناس فيجلسون مما يليه ثم ياتى اشراف الجن فيجلسون مما يلى الانس ثم يدعو
الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتقلهم وتسير بالغداة الواحدة مسيرة شهر وقال وهب وكعب و
غيرهما ان سليمان لما ملك بعد ابيه امر باتخاذ كرسى ليجلس عليه للقضاء وامر ان يعمل بديعًا مهولا
بحيث اذا رآه مبطل او شاهد زور ارتدع وتهيب فامر ان يعمل من انياب الفيلة مفصصة بالدر
والياقوت والزبرجد وان يحف بنخيل الذهب فحف باربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت
الاحمر والزمرد الاخضر على راس نخلتين منهما طاووسان من ذهب وعلى راس نخلتين نسران من ذهب
بعضها مقابل بعض وجعلوا من جنبتى الكرسى اسدين من ذهب على راس كل واحد منهما عمود من الزمرد
الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار كروم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت
الاحمر بحيث اظل عرش الكروم النخل والكرسى وكان سليمان اذا اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة
السفلى فيستدير الكرسى كله بما فيه دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس اجنحتها
ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض باذنابهما وكذلك يفعل فى كل درجة يصعدها سليمان فاذا
استوى باعلاه اخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على راسه ثم يستدير الكرسى بما فيه
ويدور معه النسران والطاووسان والاسدان مايلان برؤسهما الى سليمان وينضحن عليه من اجوافهن
المسك والعنبر ثم تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من اعمدة الجواهر فوق الكرسى التوراة فيفتحها
سليمان ويقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قالوا ويجلس عظماء بنى اسرائيل على كراسى
الذهب المفصصة بالجوهر وهى الف كرسى عن يمينه ويجلس عظماء الجن على كراسى الفضة عن يساره
وهى الف كرسى ثم تحف بهم الطير تظلهم ويتقدم الناس لفصل القضاء فاذا تقدمت الشهود للشهادة
دار الكرسى بما فيه وعليه دوران الرحى المسرعة ويبسط الاسدان ايديهما ويضربان الارض باذنابهما
وتنشر النسران والطاووسان اجنحتهما فتفزع الشهود فلا يشهدون الا بالحق وقيل ان الذى كان
يدور بذلك الكرسى تنين من ذهب ذلك الكرسى عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجنى فاذا احست بدورانه
تلك النسور والاسد والطواويس التى فى اسفل الكرسى الى اعلاه درن معه فاذا وقف وقفن كلهن وا قفا
على راس سليمان وهو جالس ثم ينضحن جميعًا على راسه ما فى اجوافهن من المسك والعنبر فلما توفى سليمان
بعث بخت نصر فاخذ الكرسى فحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد عليه
فلما وضع رجله ضرب الاسد ساقه فكسرها وكان سليمان اذا صعد وضع قدميه جميعا ومات بخت نصر
وحمل الكرسى الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك ان يجلس عليه ولكنه لم يدر احد عاقبة امره ولعله رفع
قوله تعالى ثم اناب اي رجع الى الله وتاب وقد تقدم قوله تعالى قال رب اغفر لي وهب
لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب قال رب اغفر لي اي اغفر لي ذنبي

وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يقال كيف اقدم سليمان على طلب الدنيا مع ذمها من الله تعالى
وبغضه فيها وحقارتها لديه فالجواب ان ذلك محمول عند العلماء على اداء حقوق الله
تعالى وسياسة ملكه وترتيب منازل خلقه واقامة حدوده والمحافظة على رسومه وتعظيم شعائره
وظهور عبادته ولزوم طاعته ونظم قانون الحكم النافذ عليهم منه وتحقيق الموعود فى انه يعلم ما لا
يعلم احد من خلقه حسب ما صرح بذلك للملائكة فقال انى اعلم ما لا تعلمون وحوشى سليمان عليه السلام
ان يكون سؤاله لطلب نفس الدنيا لانه هو والانبياء ازهد خلق الله فيها وانما سال مملكتها لله كما
سال نوح دمارها وهلاكها فكانا محمودين مجابين الى ذلك فاجاب نوح فاهلك من عليها واعطى سليمان
المملكة وقد قيل ان ذلك كان بامر من الله جل وعز على الصفة التى علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو
وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيمًا فقال لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا فيه نظر
والاول اصح ثم قال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب قال الحسن ما من احد الا ولله عليه
تبعة فى نعمة غير سليمان بن داود فانه قال هذا عطاؤنا الاية قال الشيخ رحمه الله وهذا يرد ما روي
فى الخبر ان آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه فى الدنيا وفى بعض الاخبار
يدخل الجنة بعد الانبياء باربعين خريفا ذكره صاحب القوت وهو حديث لا اصل له لانه سبحانه اذا كان
عطاؤه لا تبعة فيه لانه من طريق المنة فكيف يكون آخر الانبياء دخولا الجنة وهو سبحانه يقول وان له
عندنا لزلفى وحسن مآب وفى الصحيح ان لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل لكل نبى دعوته الحديث وقد
تقدم فجعل له من قبل السؤال حاجة مقضية فلذلك لم تكن عليه تبعة ومعنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي
اي ان يساله فكانه سال منع السؤال بعده حتى لا يتعلق به امل لاحد ولم يسال منع الاجابة وقيل ان سؤاله
ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ليكون محله وكرامته من الله ظاهرًا فى خلق السماء والارض فان الانبياء
عليهم السلام لهم تنافس فى المحل عنده فكل يحب ان يكون له خصوصية يستدل بها على محله عنده ولهذا
لما اخذ النبى صلى الله عليه وسلم العفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه اراد ربطه
ثم ذكر قول اخيه سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده خاسئا فلو اعطي
احد بعده مثله ذهبت الخصوصية فكانه كره صلى الله عليه وسلم ان يزاحمه فى تلك الخصوصية بعد ان
علم انه شيء هو الذي خص به من سخرة الشياطين وانه اجيب ان لا يكون لاحد بعده والله اعلم
قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اى لينة مع قوتها وشدتها حتى لا تضر باحد
وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه وكان موكبه فيما روي فرسخا فى فرسخ مائة درجة بعضها فوق بعض
فى كل درجة صنف من الناس وهو فى اعلى درجة مع جواريه وحشمه وخدمه صلوات الله وسلامه عليه
وذكر ابو نعيم الحافظ حدثنا احمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا احمد بن محمد بن ايوب
حدثنا ابو بكر بن عياش عن ادريس عن وهب بن منبه قال حدثنى ابي قال كان لسليمان بن داود عليهما
السلام الف بيت اعلاه قوارير واسفله حديد فركب الريح يومًا فمر بحراث فنظر الحراث فقال لقد اوتى
آل داود ملكا عظيمًا فحملت الريح كلامه فالقته فى اذن سليمان قال فنزل حتى اتى الحراث فقال انى سمعت
قولك وانما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه لتسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما اوتى آل داود

فقال الحارث اذهب الله همك كما اذهبت همي قوله تعالى حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد حيث اصاب اي اراد قاله مجاهد والعرب تقول اصاب الصواب واخطاء الجواب اي اراد الصواب واخطاء الجواب قاله ابن الاعرابي وقال الشاعر

اصاب الكلام فلم يستطع فاخطى الجواب لذي المفصل

وقيل اصاب اراد بلغة حمير وقال قتادة هو بلسان هجر وقيل حيث اصاب ما قصد وهو ماخوذ من اصابه السهم الغرض المقصود والشياطين كل بناء وغواص اي وسخرنا له الشياطين وما سخرت لاحد قبله كل بناء بدل من الشياطين اي كل بناء منهم فهم يبنون له ما يشاء قال

الا سليمان اذ قال الجليل له قم في البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وغواص يعني في البحر يستخرجون له الدر فسليمان اول من استخرج له اللؤلؤ من البحر وآخرين مقرنين في الاصفاد اي وسخرنا مردة الشياطين حتى قرنهم في سلاسل الحديد وقيود الحديد قاله قتادة السدي في الاغلال ابن عباس في وثاق ومنه قول الشاعر

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وابنا بالملوك مصفدينا

قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل ذلك الا بكفارهم فاذا آمنوا اطلقهم ولم يسخرهم قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب الاشارة بهذا الى الملك اي هذا الملك عطاؤنا فاعط من شئت او امنع من شئت لا حساب عليك عن الحسن والضحاك وغيرهما قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه فيها تبعة الا سليمان عليه السلام فان الله تعالى يقول هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقال قتادة الاشارة في قوله تعالى هذا عطاؤنا الى ما اعطيه من القوة على الجماع وكانت له ثلاث مائة امراة وسبعمائة سرية وكان في ظهره ماء مائة رجل رواه عكرمة عن ابن عباس ومعناه صحيح في البخاري وعلى هذا فامنن من المني يقال امنى يمني ومنى يمني لغتان فاذا امرت من امنى قلت امن وقلت من منى يمني في الامر امن فاذا جئت بنون الفعل نون الخفيفة قلت امنن ومن ذهب به الى المنة قال من عليه فاذا اخرجه مخرج الامر ابرز النونين لانه كان مضاعفا فقال امنن فيروى في الخبر انه سخر له الشياطين فمن شاء من عليه بالعتق والتخلية وان شاء امسكه وقاله قتادة والسدي على ما روى عكرمة عن ابن عباس اي جامع من شئت من نسائك واترك جماع من شئت منهن لا حساب عليك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب اي ان انعمنا عليه في الدنيا فله في الآخرة قربة وحسن مرجع قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه امر للنبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في الصبر على المكاره ايوب بدل اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب وقرا عيسى بن عمر اني بكسر الهمزة اي قال قال الفراء واجمعت القراء على ان قرؤوا بنصب بضم النون والتخفيف النحاس وهذا غلط وبعده مناقضة وغلط ايضا لانه قال اجمعت القراء على هذا وحكى بعده انهم ذكروا عن يزيد بن القعقاع انه قرا بنصب بفتح النون والصاد فغلط على ابي جعفر وانما قراء ابو جعفر بنصب

بضم النون والصاد كذا حكاه ابو عبيد وغيره وهو مروي عن الحسن فاما بنصب فقراءة عاصم الجحدري ويعقوب الحضرمي وقد رويت هذه القراءة عن الحسن وقد حكى بنصب بفتح النون وسكون الصاد عن ابي جعفر وهذا كله عند اكثر النحويين بمعنى النصب فنصب ونصب كحزن وحزن وقد يجوز ان يكون نصب جمع نصب كوثن ووثن ويجوز ان يكون نصب بمعنى نصب حذفت منه الضمة فاما وما ذكر على النصب فقيل انه جمع نصاب وقال ابو عبيدة وغيره النصب الشر والبلاء والنصب التعب والاعياء وقد قيل في معنى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي ما لحقه من وسوسته لا غير والله اعلم ذكره النحاس وقيل ان النصب ما اصابه في بدنه والعذاب ما اصابه في ماله وفيه بعد وقال المفسرون ان ايوب كان روميا من البثنية وكنيته ابو عبد الله في قول الواقدي اصطفاه الله بالنبوة واتاه جملة عظيمة من الثروة في انواع الاموال والاولاد وكان شاكرا لانعم الله مواسيا لعباد الله برا رحيما ولم يؤمن به الا ثلاثة نفر وكان لابليس موقف من السماء السابعة في يوم من العام فوقف به ابليس على عادته فقال الله له او قيل له عنه اقدرت من عبدي ايوب على شيء فقال يا رب وكيف اقدر منه على شيء وقد ابتليته بالمال والعافية فلو ابتليته بالبلاء والفقر ونزعت منه ما اعطيته لحال عن حاله ولخرج عن طاعته قال الله قد سلطتك على اهله وماله فانحط عدو الله فجمع عفاريت الجن فاعلمهم وقال قائل منهم اكون اعصارا فيه نار اهلك ماله فجاء ايوب في صورة قيم ماله فاعلمه بما جرى فقال الحمد لله هو اعطاه وهو منعه ثم جاء قصره باهله وولده فاحتمل القصر من نواحيه حتى القاه على اهله وولده ثم جاء اليه واعلمه فالقى التراب على راسه وصعد ابليس الى السماء فسبقته توبة ايوب قال يا رب سلطني على بدنه قال قد سلطتك على بدنه الا على لسانه وقلبه وبصره فنفخ في جسده نفخة اشتعل فصار في جسده ثآليل فحك باظفاره حتى دميت ثم بالفخار حتى تساقط لحمه فقال عند ذلك مسني الشيطان ولم يخلص الى شيء من حشوة البطن لانه لا بقاء للنفس الا بها فهو ياكل ويشرب فمكث كذلك ثلاث سنين فلما غلب ايوب اعترض لامراته في هيئة اعظم من هيئة بني آدم في القدر والجمال وقال لها انا اله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت ولو سجدت لي سجدة واحدة لرددت عليه حاله وماله وهم عندي وعرض لها في بطن الوادي ذلك كله في صورته اي اظهره لها فاخبرت ايوب فاقسم ان يضربها ان عافاه الله وذكروا كلاما طويلا في مراجعته لربه وتبرمه من البلاء الذي نزل به وان النفر الثلاثة الذين آمنوا به نهوه عن ذلك واعترضوا عليه وقيل استغاث به مظلوم فلم ينصره فابتلي من سبب ذلك وقيل استضاف يوما الناس فمنع فقيرا الدخول فابتلي بذلك وقيل كان ايوب يغزو ملكا وكان له غنم في ولايته فداهنه لاجلها بترك غزوه فابتلي وقيل كان الناس يتعدون امراته ويقولون نخشى العدوى وكانوا يستقذرونها فلهذا قال مسني الضر وامراته ليا بنت يعقوب وكان ايوب في زمن يعقوب وكانت امه ابنة لوط وقيل كانت زوجة ايوب رحمة ابنة افراثيم بن يعقوب عليهم السلام ذكر القولين الطبري رحمه الله قال ابن العربي ما ذكره المفسرون من ان ابليس كان له مكان في السماء السابعة يوم من العام فقول باطل لانه اهبط منها بلعنة وسخط الى الارض فكيف يرقى الى محل الرضا ويجول في مقامات الانبياء ويخترق السموات العلى ويعلو الى السابعة

يوسف ابن...

الى منازل الانبياء فيقف موقف الخليل انه هذا لخطب من الجهالة عظيم واما قولهم ان الله تعالى قال له هل قدرت من عبدي ايوب على شيء فباطل قطعا لان الله عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم جند ابليس الملعون فكيف يكلم من تولى ضلالهم واما قولهم ان الله تعالى قال قد سلطتك على ماله وولده فذلك ممكن في القدرة ولكنه بعيد في هذه القصة وكذلك قولهم انه نفخ في جسده حين سلطه عليه فهو ابعد والبارى سبحانه قادر على ان يخلق ذلك كله من غير ان يكون للشيطان فيه كسب حتى تقر له لعنة الله عليه عين بالتمكن من الانبياء في اموالهم واهليهم وانفسهم واما قولهم انه قال لزوجه انا اله الارض ولو ترك ذكر الله وسجدت انت لي لعافيته فاعلموا وانكم لتعلمون انه لو عرض لاحدكم وبه الم وقال هذا الكلام ما جاز عنده ان يكون الها في الارض وانه يسجد له وانه يعافي من البلا فكيف ان يستريب زوجة نبي ولو كانت زوجة سوداء او فدم بربرية ما ساغ ذلك عندها واما تصويره الاموال والاهل في واد للمراة فذلك ما لا يقدر عليه ابليس بحال ولا هو في طرق السحر فيقال انه من جنسه ولو تصور لعلمت المراة انه سحر كما نعلم نحن وهي فوقنا في المعرفة بذلك فانه لم يخل زمان قط من السحر وحديثه وجريه بين الناس وتصويره قال القاضي والذي جرأهم على ذلك وتذرعوا به الى ذكر هذا قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فلما راوه قد شكى من الشيطان اضافوا اليه من رأيهم ما سبق من التفسير في هذه الاقوال وليس الامر كما زعموا والافعال كلها خيرها وشرها في ايمانها وكفرها طاعتها وعصيانها خالقها هو الله لا شريك له في خلقه ولا في خلق شيء غيرها ولكن الشر لا ينسب اليه ذكرا وان كان موجودا منه خلقا ادبا ادبنا به وتحميدا علمناه وكان من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لربه به قوله من جملته والخير في يديك والشر ليس اليك على هذا المعنى ومنه قول ابرهيم واذا مرضت فهو يشفين وقال الفتى للكليم وما انسانيه الا الشيطان واما قولهم انه استعان به مظلوم فلم ينصره فمن لنا بصحة هذا القول ولا يخلو ان يكون قادرا على نصره فلا يحل لاحد تركه فيلام على انه عصى وهو منزه عن ذلك او كان عاجزا فلا شيء عليه في ذلك وكذلك قولهم انه منع فقيرا من الدخول ان كان علم به فهو باطل عليه وان لم يعلم به فلا شيء عليه فيه واما قولهم انه داهن على غنمه الملك الكافر فلا نقل داهن ولكن قل دارا ودفع الكافر والظالم عن النفس او المال بالمال جائز نعم وحسن الكلام قال ابن العربي القاضي ابو بكر رضي الله عنه ولم يصح عن ايوب في امره الا ما اخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين الاولى قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر والثانية في ص اني مسني الشيطان بنصب وعذاب واما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه انه ذكره بحرف واحد الا قوله بينا ايوب يغتسل اذ خر عليه رجل من جراد من ذهب الحديث واذ لم يصح فيه قرآن ولا سنة الا ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع الى ايوب خبره ام على اي لسان سمعه والاسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات فاعرض عن سطورها بصرك واصمم عن سماعها اذنيك فانها لا تعطي فكرك الا خيالا ولا تزيد فؤادك الا خبالا وفي الصحيح واللفظ للبخاري ان ابن عباس قال يا معشر المسلمين تسألون اهل الكتاب وكتابكم الذي انزل على نبيكم احدث الاخبار بالله تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بايديهم الكتب فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولا ينهاكم

ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما راينا رجلا منهم يسألكم عن الذي انزل اليكم وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الموطا على عمر قراءة التوراة قوله تعالى ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ الركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة وركض ثوبه برجله وقال المبرد الركض التحريك ولهذا قال الاصمعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها في ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر وحزنته فحزن وفي الكلام اضمار اي قلنا له اركض قاله الكسائي وهذا لما عافاه الله هذا مغتسل بارد وشراب اي فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به فذهب الداء من ظاهره ثم شرب منه فذهب الداء باطنه وقال قتادة هما عينان بارض الشام في ارض يقال لها الجابيه فاغتسل من احداهما فاذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله تعالى باطن دائه ونحوه عن الحسن ومقاتل نبعت عين جارية فاغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فشرب منها ماء عذبا باردا وقيل امر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده والمغتسل الماء الذي يغتسل به قاله القتبي وقيل انه الموضع الذي يغتسل فيه قاله مقاتل الجوهري واغتسلت بالماء والغسول الماء الذي يغتسل به وكذلك المغتسل تقول هذا مغتسل بارد وشراب والمغتسل ايضا الذي يغتسل فيه والمغسل والمغسل بكسر السين وفتحها مغسل الموتى والجمع المغاسل واختلف كم بقي ايوب في البلاء فقال ابن عباس سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب بن منبه اصاب ايوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وعذب بخت نصر وحول في السباع سبع سنين ذكره ابو نعيم وقيل عشر سنين وقيل ثماني عشرة سنة رواه انس مرفوعا فيما ذكر الماوردي قال الشيخ رحمه الله وذكره ابن المبارك اخبرنا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب وما اصابه من البلاء وذكر ان البلاء الذي اصابه كان به ثماني عشرة سنة وذكر الحديث القشيري وقيل اربعين سنة قوله تعالى وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ووهبناه اهله ومثلهم معهم تقدم في الانبياء الكلام فيه رحمة منا اي نعمة منا وذكرى لاولي الالباب اي عبرة لذوي العقول قوله تعالى وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ فيه سبع مسائل الاولى كان ايوب حلف في مرضه ان يضرب امراته مائة جلدة وفي سبب ذلك اربعة اقاويل احدها ما حكاه ابن عباس ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب فقال لها اداويه على انه اذا برئ قال انت شفيتني لا اريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت على ايوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان الثاني ما حكاه سعيد بن المسيب انها جاءته بزيادة على ما كانت تاتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها الثالث ما حكاه يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان اغواها ان تحمل ايوب على ان يذبح سخلة تقربا اليه وانه يبرأ فذكرت ذلك له فحلف ان عوفي ليضربنها مائة (الرابع) وقيل باعت ذوائبها برغيفين اذ لم تجد شيئا تحمله الى ايوب وكان ايوب يتعلق بها اذا اراد القيام فلهذا حلف ليضربنها فلما شفاه الله امره ان ياخذ ضغثا فيضرب به فاخذ شماريخ قدر مائة فضربها ضربة واحدة وقيل الضغث

قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وقال ابن عباس انه اثكال النخل الجامع لشماريخه الثانية تضمنت
الاية جواز ضرب الرجل امراته تاديبا وذلك ان امراة ايوب اخطات فحلف ليضربنها مائة فامره الله تعالى ان
يضربها بعثكول من عثاكيل النخل وهذا لا يجوز في الحدود انما امره الله بذلك لئلا يضرب امراته فوق حد الادب
وذلك انه ليس للزوج ان يضرب امراته فوق حد الادب ولهذا قال عليه السلام واضربوهن ضربا غير مبرح
على ما تقدم في النساء بيانه الثالثة واختلف العلماء في هذا الحكم هل هو عام او خاص بايوب وحده
فروي عن مجاهد انه عام للناس ذكره ابن العربي وحكى عنه القشيري ان ذلك خاص بايوب وحكى
المهدوي عن عطاء بن رباح انه ذهب الى ان ذلك حكم باق وانه اذا ضرب بمائة قضيب ونحوه ضربة واحدة
بر وروى نحوه عن الشافعي وروى نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المقعد الذي حملت منه الوليدة
وامر ان يضرب بعثكول فيه مائة شمراخ ضربة واحدة وقال القشيري وقيل لعطا هل يعمل بهذا اليوم فقال
ما انزل القران الا ليعمل به ويتبع ابن العربي وروي عن عطاء انه لايوب خاص وكذلك روى ابو زيد
عن ابن القاسم عن مالك من حلف ليضربن عبده مائة فجمعها فضربه ضربة واحدة لم يبر قال بعض علمائنا
يريد مالك بقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ذلك منسوخ بشريعتنا قال ابن المنذر وقد روينا
عن علي انه جلد الوليد بن عقبة بسوط له طرفان اربعين جلدة وانكر مالك هذا وتلا قول الله تعالى فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة وهذا مذهب اصحاب الراي وقد احتج الشافعي لقوله بحديث وقد تكلم في اسناده
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله الحديث الذي احتج به الشافعي خرجه ابو داود في سننه قال حدثنا
احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال اخبرني يونس عن ابن شهاب قال اخبرني ابو امامة بن سهل
ابن حنيف انه اخبره بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انه اشتكى رجل منهم حتى اضنى
فعاد جلدة على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه
اخبرهم بذلك وقال استفتوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني قد وقعت على جارية دخلت علي فذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما راينا باحد من الناس من الضر مثل الذي هو به لو حملناه
اليها لتفسخت عظامه ما هو الا جلد على عظم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياخذوا مائة شمراخ
فيضربوه بها ضربة واحدة قال الشافعي اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربا ولم يقل ضربا شديدا
ولم ينو ذلك بقلبه يكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الاية ولا يحنث قال ابن المنذر واذا حلف الرجل
ليضرب عبده مائة فضربه ضربا خفيفا فهو بار عند الشافعي وابو ثور واصحاب الراي وقال مالك ليس الضرب
الا الضرب الذي يؤلم الرابعة قوله تعالى ولا تحنث دليل على ان الاستثناء في اليمين لا يرفع
حكمها اذا كان متراخيا وقد مضى القول فيه في المائدة يقال حنث في يمينه يحنث اذا لم يبر بها وعند الكوفيين
الواو مقحمة اي فاضرب لا تحنث الخامسة قال ابن العربي قوله تعالى فاضرب به ولا تحنث يدل على
احد وجهين اما ان يكون انه صدر منه نذر لا يمين واذا كان النذر معينا فلا كفارة فيه عند مالك وابي حنيفة
وقال الشافعي في كل نذر كفارة قال الشيخ رحمه الله قوله انه لم يكن في شرعهم كفارة فليس بصحيح فان ايوب
عليه السلام لما بقي في البلاء ثماني عشرة سنة كما في حديث ابن شهاب قال له صاحباه لقد اذنبت ذنبا ما اظن
احدا بلغه فقال ايوب صلى الله عليه وسلم ما ادري ما تقولان غير ان ربي عز وجل يعلم اني كنت امر

لم يكن في شرعهم كفارة وانما كان البر والحنث وانه يكون ص

على الرجلين يتزاعمان فكل يحلف بالله او على النفر يتزاعمون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم ارادة ان لا
ياثم احد بذكره ولا يذكره الا بحق فنادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وذكر الحديث فقد
افادك هذا الحديث ان الكفارة كانت من شرع ايوب وان من كفر عن غيره بغير اذنه فقد قام بالواجب
عنه وسقطت عنه الكفارة السادسة استدل بعض جهال المتزهدة وطغام المتصوفة بقوله
تعالى لايوب اركض برجلك على جواز الرقص قال ابو الفرج الجوزي وهذا احتجاج بارد لانه لو كان امر
بضرب الرجل فرحا كان له فيه شبهة وانما امر بضرب الرجل لينبع الماء قال ابن عقيل اين الدلالة
في مبتلى امر عند كشف البلايا ان يضرب برجله الارض لينبع الماء اعجازا من الرقص ولئن جاز ان يكون
تحريك رجل قد انحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الاسلام جاز ان يجعل قوله سبحانه
لموسى اضرب بعصاك الحجر دلالة على ضرب المخاد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع وقد
احتج بعض قاصريهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر
اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل ومنهم من احتج بان الحبشة زفنت والنبي
صلى الله عليه وسلم ينظر اليهم والجواب اما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فاين هو والرقص
وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي يفعل عند اللقاء للحرب السابعة قوله تعالى انا وجدناه صابرا
اي على البلاء نعم العبد انه اواب اي تواب رجاع مطيع وسئل سفيان عن عبدين ابتلي احدهما فصبر
وانعم على الاخر فشكر فقال كلاهما سواء لان الله تعالى اثنى على عبدين احدهما صابر والاخر شاكر
ثناء واحدا فقال في وصف ايوب نعم العبد انه اواب وقال في وصف سليمان نعم العبد انه اواب قال
الشيخ رحمه الله وقد رد هذا الكلام صاحب القوت واستدل بقصة ايوب في تفضيل الفقر على الغنى
وذكر كلاما كثيرا شيد به كلامه وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من كتاب منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد
وخفي عليه ان ايوب عليه السلام كان احد الاغنياء من الانبياء قبل البلاء وبعده وانما ابتلي بذهاب
ماله وولده وعظيم البلاء في جسده وكذلك الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم صبروا على ما به امتحنوا
وفتنوا فايوب عليه السلام دخل في البلاء على صفة فخرج منه كما دخل فيه وما تغير منه حال ولا مقال
وكذلك سليمان عليه السلام دخل في الملك وخرج منه وما تغير له حال ولا مقال فقد اجتمع مع ايوب
في المعنى المقصود وهو عدم التغير الذي يفضل فيه بعض الناس بعضا وبهذا الاعتبار يكون الغني
الشاكر والفقير الصابر سواء وهو كما قال سفيان والله اعلم وفي حديث ابن شهاب عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان ايوب خرج لما كان يخرج اليه من حاجته فاوحى الله اليه اركض برجلك هذا مغتسل بارد
وشراب فاغتسل فاعاد الله لحمه وشعره وبشره على احسن ما كان ثم شرب فاذهب الله كل ما كان في جوفه
من الم او ضعف وانزل الله عليه ثوبين من السماء ابيضين فاتزر باحدهما وارتدى بالاخر ثم اقبل يمشي
الى منزله وراث على امراته فاقبلت حتى لقيته وهي لا تعرفه فسلمت عليه وقالت اي يرحمك الله هل
رايت هذا الرجل المبتلى قال من هو قال نبي الله ايوب اما والله ما رايت احدا قط اشبه به منك اذ كان
صحيحا قال فاني ايوب واخذ ضغثا فضربها به نزعم ابن شهاب ان ذلك الضغث كان ثماما ورد الله اليه اهله
ومثلهم معهم واقبلت سحابة حتى سجلت في اندر قمحه ذهبا حتى امتلا واقبلت سحابة اخرى الى

مطلب في الجهلة المتصوفة

اندرستعيرة وقطانية فتجلت فيه ورقاحة امتلاء قوله تعالى وَاذكُرْ عِبَادَنَا إبرٰهيمَ
وَإسحٰاقَ وَيعقُوبَ أُولِي الأَيدي وَالأَبْصَارِ ٥ وقراء ابن عباس عبدنا باسناد صحيح رواه
ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عنه وهي قراءة مجاهد وحميد وابن محيصن وابن كثير فعلى هذه القراءة
يكون ابرهيم بدلا من عبدنا واسحق ويعقوب عطف والقراءة بالجمع ابين وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم
ويكون ابرهيم وما بعده على البدل النحاس وشرح هذا من العربية انك اذا قلت رايت اصحابنا زيدا وعمرا
وخالدا فزيد وعمرو وخالد بدل وهم الاصحاب واذا قلت رايت صاحبنا زيدا وعمرا وخالدا فزيد وحده
بدل وهو صاحبنا وزيد وعمرو عطف على صاحبنا وليسا بداخلين في المصاحبة الا بدليل غير هذا غير انه قد
علم ان قوله واسحق ويعقوب داخل في العبودية وقد استدل بهذه الآية من قال ان الذبيح اسحاق لا
اسماعيل وهو الصحيح على ما ذكرناه في كتاب الاعلام بمولد النبي صلى الله عليه وسلم اولي الايدي والابصار
قال النحاس اما الابصار فمتفق على تأويلها انها البصائر في الدين والعلم واما الايدي فمختلف في تاويلها فاهل
التفسير يقولون انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يد وهي النعمة اي هم اصحاب النعم و
الاحسان لانهم قد احسنوا وقدموا خيرا وهذا اختيار الطبري وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار
اي الذين اصطفاهم من الادناس واختارهم لرسالته ومصطفين جمع مصطفى والاصل مصتفي وقد مضى
في البقرة عند قوله ان الله اصطفى والاخيار جمع خير وقراء الاعمش وعبد الوارث والحسن وعيسى
الثقفي اولي الايد بغير ياء في الاصل والوقف على معنى اولي القوة في طاعة الله ويجوز ان يكون كمعنى
قراءة الجماعة وحذفت الياء تخفيفا قوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ٥ قراءة العامة بخالصة منونة وهي اختيار ابي عبيد
وابي حاتم وقراء نافع وشيبة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر بخالصة ذكرى الدار بالاضافة
فمن نون خالصة فذكرى الدار بدل منها التقدير انا اخلصناهم بان يذكروا الدار الآخرة ويتاهبوا
لها ويرغبوا فيها ويرغبوا الناس ويجوز ان يكون خالصة مصدرا لخلص وذكرى في موضع رفع بانها فاعله
والمعنى اخلصناهم بان خلصت لهم ذكرى الدار اي تذكير الدار الآخرة ويجوز ان يكون خالصة مصدرا
لاخلصت فحذفت الزيادة فيكون ذكرى على هذا في موضع نصب التقدير بان اخلصوا ذكرى الدار والدار
يجوز ان يراد بها الدنيا اي ليذكروا الدنيا ويزهدوا فيها ولتخلص لهم بالثناء الحسن عليهم كما قال وجعلنا
لهم لسان صدق عليا ويجوز ان يراد بها الدار الآخرة وتذكير الخلق بها ومن اضاف خالصة الى الدار
فهي مصدر بمعنى الاخلاص والذكرى مفعول به اضيف اليه المصدر اي باخلاصهم ذكرى الدار ويجوز
ان يكون المصدر مضافا الى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص اي بان خلصت لهم ذكرى الدار
وهي الدار الآخرة او الدنيا على ما تقدم وقال ابن زيد معنى اخلصناهم اي الآخرة اي يذكرون
الآخرة ويرغبون ويزهدون في الدنيا وقال مجاهد المعنى انا اخلصناهم بان ذكرنا الجنة لهم
قوله تعالى وَاذْكُرْ إسمٰعِيلَ وَاليَسَعَ وَذَا الكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ هَذَا ذِكْرٌ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ ٥ مضى ذكر اليسع في الانعام
وذا الكفل في الانبياء وكل من الاخيار اي ممن اختير للنبوة هذا ذكر بمعنى هذا ذكر جميل في الدنيا

اي الذين انعم الله عليهم وقيل
هم اصحاب النعم ٥

وشرف يذكرون به في الدنيا ابدا وان للمتقين لحسن مآب اي لهم مع هذا الذكر الجميل في الدنيا حسن المرجع
في القيامة ثم بين ذلك عز وجل بقوله جنات عدن والعدن في اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا
اقام وقال عبد الله بن عمرو جنة عدن قصر في الجنة له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف خيرة
لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد مفتحة لهم الابواب رفعت الابواب لانها اسم ما لم يسم فاعله قال الزجاج
اي مفتحة لهم الابواب منها وقال الفراء مفتحة لهم ابوابها واجاز الفراء مفتحة لهم الابواب بالنصب
قال الفراء اي مفتحة الابواب ثم جئت بالتنوين فنصبت وانشد هو وسيبويه ٥ ٥
ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام ٥ ٥ ٥
وانما قال مفتحة ولم يقل مفتوحة لانها تفتح لهم بالامر لا بالمس قال الحسن تكلم انفتحي فتنفتح انغلقي
فتنغلق وقيل تفتح لهم الملائكة الابواب قوله تعالى مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ
كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ٥ متكئين فيها هو حال قدمت على العامل فيها وهو قوله يدعون فيها اي يدعون
في الجنات متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة اي بالوان الفواكه وشراب اي وشراب كثير فحذف لدلالة
الكلام عليه قوله تعالى وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
الحِسَابِ ٥ وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى في والصافات اترابا
على سن واحد وميلاد امرأة واحدة وقد تساوين في الحسن والشباب بنات ثلاث وثلاثين سنة
قال ابن عباس يريد الادميات واتراب جمع ترب وهو نعت لقاصرات لان قاصرات نكرة وان كان
مضافا الى معرفة والدليل على ذلك ان الالف واللام يدخلانه كما قال من القاصرات الطرف لو دب محول
من الذر فوق الاتب منها لاثرا قوله تعالى هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسَابِ اي هذا
الخير الذي وعدتم به وقراءة العامة بالتاء اي ما توعدون ايها المؤمنون وقراء ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو
ويعقوب بالياء على الخبر وهي قراءة السلمي واختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله وان للمتقين فهو خبر ليوم الحساب
اي في يوم الحساب قال الاعشى المهينين ما لهم لزمان السوء حتى اذا ما افاق افاقوا ٥ اي في زمان
السوء قوله تعالى إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ٥ دليل على ان نعيم الجنة دائم لا ينقطع
كما قال عطاء غير مجذوذ وقال لهم اجر غير ممنون قوله تعالى هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ
لما ذكر ما للمتقين ذكر ما للطاغين قال الزجاج هذا خبر ابتداء محذوف اي هذا الامر او الامر هذا فيوقف
على هذا قال ابن الانباري هذا وقف حسن ثم تبتدئ وان للطاغين وهم الذين كذبوا الرسل لشر مآب
اي منقلب يصيرون اليه ثم بين ذلك بقوله جهنم يصلونها فبئس المهاد اي بئس ما مهدوا لانفسهم او بئس
الفرش لهم ومنه مهد الصبي وقيل فيه حذف اي بئس موضع المهاد وقيل اي الذي وصفت لهم ولا
للمتقين ثم قال وان للطاغين لشر مرجع فيوقف على هذا ايضا قوله تعالى هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ
حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ هذا في موضع رفع بالابتداء وخبره حميم على التقديم والتاخير اي هذا حميم وغساق
فليذوقوه ولا يوقف على فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا في موضع رفع بالابتداء وفليذوقوه في موضع
الخبر ودخلت الفاء للتنبيه الذي في هذا فيوقف على فليذوقوه ويرتفع حميم على تقدير هذا حميم
قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا وحميم وغساق اذا لم تجعلهما خبرا ورفعتهما على معنى هو

ج حالم

حميم وغساق والفراء يرفعهما بمعنى منه حميم وغساق و انشد
حتى ما اضاء الصبح في غلس ٭ وغودر البقل ملوي ومحصود
وقال آخر لها متاع واعوان غدون لها ٭ قتب وغرب اذا ما افرغ انسحقا
ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره فليذوقوه كما يقال زيدا اضربه والنصب في هذا
اولى فيوقف على فليذوقوه و يبتدى حميم وغساق على تقدير هذا حميم وغساق و قراءة اهل المدينة
واهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين في وغساق وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي
وغساق بالتشديد و هما لغتان بمعنى واحد في قول الاخفش وقيل معناهما مختلف فمن خفف فهو اسم
مثل عذاب وجواب وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل نقل الى فعال للمبالغة نحو ضراب وقتال
وهو فعال من غسق يغسق فهو غساق وغاسق قال ابن عباس هو الزمهرير يخوفهم ببرده وقال مجاهد
ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده وقال غيرهما انه يحرق ببرده كما يحرق الحميم بحره وقال عبد الله
بن عمرو هو قيح غليظ لو وقع منه شيء بالمشرق لانتن من في المغرب ولو وقع شيء منه في المغرب لانتن من في
المشرق وقال قتادة هو ما يسيل من فروج الزناة ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم من الصديد والقيح والنتن
وقال محمد بن كعب هو عصارة اهل النار وهذا القول اشبه باللغة يقال غسق الجرح يغسق غسقا اذا
خرج منه ما اصفر قال الشاعر اذا ما تذكرت الحياة وطيبها الي جرى دمع من العين غاسق
اي بارد ويقال ليل غاسق لانه ابرد من النهار قال السدي الغساق الذي يسيل من اعينهم ودموعهم
يسقونه مع الحميم وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم يجمع في حياض النار فيسقونه والصديد الذي يخرج من
جلودهم والاختيار على هذا وغساق حتى يكون مثل سيال وقال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها
سم كل ذي حمة من عقرب وحية وقيل هو ماخوذ من الظلمة والسواد والغسق اول ظلمة الليل وقد غسق
الليل يغسق اذا اظلم وفي الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان دلوا
من غساق يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا قال الشيخ رحمه الله وهذا اشبه على الاشتقاق الاول
كما بينا الا انه يحتمل ان يكون الغساق مع سيلانه اسود مظلما فيصح الاشتقاقان والله اعلم قوله تعالى
وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ٭ قراء ابو عمرو واخر جمع اخرى مثل الكبرى والكبر الباقون واخر مفرد
مذكر وانكر ابو عمرو وآخر لقوله ازواج اي لا يخبر بواحد عن جماعة وانكر عاصم الجحدري وآخر قال
ولو كانت واخر لكان من شكلها وكلا الردين لا يلزم والقراءتان صحيحتان وآخر اي عذاب آخر سوى
الحميم والغساق من شكله قال قتادة من نحوه قال ابن مسعود هو الزمهرير وارتفع واخر بالابتداء
وازواج مبتدا ثان ومن شكله خبره والجملة خبر آخر ويجوز ان يكون واخر مبتداء والخبر مضمر دل عليه
هذا فليذوقوه حميم وغساق لان فيه دليلا على انه لهم فكانه قال ولهم اخر ويكون من شكله ازواج صفة لاخر
والمبتداء يتخصص بالصفة وازواج مرفوع بالظرف ومن قراء واخر اراد وانواع من العذاب اخر ومن جمع
وهو يريد الزمهرير فعلى انه جعل الزمهرير اجناسا فجمع لاختلاف الاجناس او على انه جعل لكل جزء منه
زمهريرا ثم جمع كما قالوا شابت مفارقه او على انه جمع لما في الكلام من الدلالة على جواز الجمع لانه جعل الزمهرير
الذي هو نهاية البرد بازاء الجمع في قوله هذا فليذوقوه حميم وغساق والضمير في شكله يجوز ان يعود على الحميم

اوالغساق او على معنى وآخر من شكله صفة و فيه ذكر يعود على المبتداء وازواج خبر المبتداء ولا يجوز ان
تحمل على تقدير ولهم اخر ومن شكله صفة لاخر وازواج مرتفعه بالظرف كما جاز في الافراد لان الصفة
لا ضمير فيها من حيث ارتفع ازواج بالظرف ولا ضمير في الظرف والهاء في شكله لا تعود على اخر لانه
جمع والضمير مفرد قاله ابو علي وازواج اي اصناف والوان من العذاب وقال يعقوب الشكل بالفتح المثل
وبالكسر الدل قوله تعالى هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ
قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج
يعني الاتباع والفوج الجماعة مقتحم معكم اي داخل النار معكم فقالت السادة لا مرحبا بهم اي لا اتسعت
منازلهم في النار والرحب السعة ومنه رحبت المسجد وهو في مذهب الدعا فلذلك نصب قال النابغة
فلا مرحبا بغد ولا اهلا به ٭ ان كان تفريق الاحبة في غد
وقال ابو عبيدة العرب تقول لا مرحبا بك اي لا رحبت عليك الارض ولا اتسعت انهم صالوا النار
قيل هو من قول القادة اي انهم صالوا النار كما صليناها وقيل هو من قول الملائكة متصل بقولهم
هذا فوج مقتحم معكم قالوا بل انتم لا مرحبا بكم هو من قول الاتباع وحكى النقاش ان الفوج الاول قادة
المشركين ومطعموهم يوم بدر والفوج الثاني اتباعهم ببدر والظاهر من الاية انها عامة في كل تابع ومتبوع
انتم قدمتموه لنا اي دعوتمونا الى العصيان فبئس القرار لنا ولكم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا
قال الفراء من سوغ لنا هذا وسنه وقال غيره من قدم لنا هذا العذاب بدعايه ايانا الى المعاصي فزده
عذابا ضعفا في النار اي عذابا بكفره وعذابا بدعايه ايانا فصار ذلك ضعفا وقال ابن مسعود يعني عذابا
ضعفا في الدنيا الحيات والافاعي ونظير هذه الاية قوله ربنا هولاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من
النار قوله تعالى وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا
أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ٭ وقالوا يعني اكابر المشركين ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال ابن عباس يريدون اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يقول ابو جهل اين بلال اين صهيب اين عمار اولئك في الفردوس واعجبا لابي جهل مسكين اسلم ابنه
عكرمة وبنته جويرية واسلمت امه واسلم اخوه وكفر هو قال
ونورا اضاء الارض شرقا ومغربا ٭ وموضع رجلي منه اسود مظلم
اتخذناهم سخريا قال مجاهد اتخذناهم سخريا في الدنيا فاخطانا ام زاغت عنهم الابصار فلم نعلم مكانهم
قال الحسن كل ذلك فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم في الدنيا حقرة لهم وقيل معنى
ام زاغت عنهم الابصار اي اهم معنا في النار فلا نراهم وكان ابن كثير والاعمش وابو عمرو وحمزة
والكسائي يقرؤون من الاشرار اتخذناهم بحذف الالف في الوصل وكان ابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم
وابن عامر يقرؤون اتخذناهم بقطع الالف على الاستفهام وسقطت الف الوصل لانه قد استغنى عنها
فمن قراء بحذف الالف لم يقف على الاشرار لان اتخذناهم حال وقال النحاس والسجستاني هو نعت لرجال
قال ابن الانباري وهذا خطا لان النعت لا يكون ماضيا ولا مستقبلا ومن قراء اتخذناهم بقطع الالف
وقف على الاشرار قال الفراء والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب ام زاغت عنهم الابصار اذا

قرات بالاستفهام كانت ام للتسوية واذا قرأت بغير الاستفهام فهي بمعنى بل وقراء ابو جعفر ونافع
وشيبه والمفضل وهبيرة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي سخريا بضم السين الباقون بالكسر
قال ابو عبيدة من كسر جعله من الهزء ومن ضم جعله من التسخير وقد تقدم ان ذلك لحق تخاصم
اهل النار لحق خبر ان وتخاصم خبر مبتداء محذوف بمعنى هو تخاصم ويجوز ان يكون بدلا من حق ويجوز
ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون بدلا من ذلك على الموضع اى ان تخاصم اهل النار فى النار
لحق يعنى قولهم لا مرحبا بكم الاية وشبهه من قول اهل النار قوله تعالى قل انما انا منذر
وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز
الغفار قل انما انا منذر اى مخوف عقاب الله لمن عصاه وقد تقدم وما من اله اى معبود الا الله
الواحد القهار الذى لا شريك له رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار بالرفع على النعت
وان نصبت الاول نصبته ويجوز رفع الاول ونصب ما بعده على المدح والعزيز معناه المنيع الذى
لا مثل له الغفار الستار لذنوب خلقه قوله تعالى قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون
اى وقل لهم يا محمد هو نبأ عظيم اي ما انذركم به من الحساب والثواب والعقاب خبر عظيم القدر
فلا ينبغي ان يستخف به قال معناه قتادة نظيره قوله تعالى عم يتساءلون عن النبإ العظيم وقال
ابن عباس ومجاهد وقتادة يعنى القرآن الذى انبأتكم به خبر جليل وقيل عظيم المنفعة انتم
عنه معرضون قوله تعالى ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون الملأ
الاعلى هم الملائكة فى قول ابن عباس والسدي اختصموا في امر آدم حين خلق فقالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها وقال ابليس انا خير منه وفي هذا بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر عن
قصة آدم وغيره وذلك لا يتصور الا بتأييد الهي فقد قامت المعجزة على صدقه فما بالهم اعرضوا
عن تدبر القرآن ليعرفوا صدقه ولهذا وصل قوله بقوله قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون وقول
ثان رواه ابو الاشهب عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالني ربي فقال يا محمد
فيم اختصم الملأ الاعلى قلت فى الكفارات والدرجات قال وما الكفارات قلت المشي على الاقدام
الى الجماعات واسباغ الوضوء في السبرات والتعقب في المساجد انتظار الصلوات بعد الصلوات
قال وما الدرجات قلت افشاء السلام واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام خرجه
الترمذي بمعناه عن ابن عباس وقال فيه حسن غريب وعن معاذ بن جبل ايضا وقال حديث
حسن صحيح وقد كتبناه بكماله فى الكتاب الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى واوضحنا اشكاله والحمد لله
وقد مضى في يس القول فى المشي الى المساجد وان الخطا تكفر السيئات وترفع الدرجات وقيل الملأ
الاعلى الملائكة والضمير فى يختصمون لقريش يعنى قول من قال منهم الملائكة بنات الله وقيل الملأ
الاعلى ههنا قريش يعنى اختصامهم فيما بينهم سرا فاطلع الله نبيه على ذلك قوله تعالى
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اى ان يوحى الي الا الانذار وقراء ابو جعفر بن القعقاع
الا انما بكسر الهمزة لان الوحي قول كانه قال يقال لي انما انا نذير مبين ومن فتح جعلها في موضع رفع
لانها اسم ما لم يسم فاعله قال الفراء كانك قلت ما يوحى الي الا الانذار النحاس ويجوز ان تكون فى موضع

نصب بمعنى الا لانما قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس
استكبر وكان من الكافرين اذ من صلة يختصمون المعنى ما كان لي من علم بالملإ
الاعلى حين يختصمون اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين وقيل واذ قال بدل من اذ يختصمون
ويختصمون متعلق بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملإ الاعلى وقت اختصامهم فاذا سويته
اذا ترد الماضي الى المستقبل لانها تشبه حروف الشرط وجوابها كجوابه اى خلقته ونفخت فيه من روحي
اى من الروح الذي املكه ولا يملكه غيرى فهذا معنى الاضافة وقد مضى هذا المعنى مجودا في النساء فى قوله
في عيسى وروح منه فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون اى امتثلوا الامر وسجدوا خضوعا
له وتعظيما لله بتعظيمه الا ابليس انف من السجود له جهلا بان السجود له طاعة لله والانفة من طاعة
الله استكبارا كفر ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن امر الله تعالى وقد مضى الكلام في هذا في البقرة
مستوفى قوله تعالى قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت
ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال يا ابليس
ما منعك اى صرفك وصدك ان تسجد اي عن ان تسجد لما خلقت بيدي اضاف خلقه الى نفسه تكريما
له وان كان خالق كل شيء وهذا كما اضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد فخاطب
الخلق بما يعرفونه من تعاملهم فان الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئا بيده الا على سبيل الاعظام
والتكرم فذكر اليد ههنا بمعنى هذا قال مجاهد اليد هنا بمعنى التاكيد والصلة مجازه لما خلقت
انا كقوله ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك وقيل التثنية في اليد فى خلق الله تعالى دليل على انه ليس بمعنى
النعمة والقوة والقدرة وانما هما صفتان من صفات ذاته تعالى وقيل اراد باليد القدرة يقال
مالى بهذا الامر يد ومالي بالحمل الثقيل يدان ويدل عليه ان الخلق لا يقع الا بالقدرة بالاجماع وقال
الشاعر تحملت من ذلفاء ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان
وقيل لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة استكبرت اي عن السجود ام كنت من العالين
اى من المتكبرين على ربك وقراء محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير واهل مكة بيدي استكبرت موصولة
الالف على الخبر وتكون ام منقطعة بمعنى بل مثل ام يقولون افتراه وشبهه ومن استفهم فام معادلة
لهمزة الاستفهام وهو تقرير وتوبيخ اى استكبرت بنفسك حين ابيت عن السجود لآدم ام كنت من القوم
الذين يتكبرون فتكبرت لهذا قوله تعالى قال انا خير منه قال الفراء ومن العرب من يقول
انا اخير منه واشر وهذا هو الاصل الا انه حذف منه لكثرة الاستعمال خلقتني من نار وخلقته
من طين فضل النار على الطين وهذا جهل منه لان الجواهر متجانسة فقاس فاخطاء القياس
وقد مضى في الاعراف بيانه قال فاخرج منها يعني من الجنة فانك رجيم اى مرجوم بالكواكب والشهب
وان عليك لعنتي اى طردي وابعادي من رحمتي الى يوم الدين تعريف باصراره على الكفر لان
اللعن ينقطع حينئذ ثم بدخوله النار يظهر تحقيق اللعن قال رب فانظرني الى يوم يبعثون
وهي النفخة الآخرة اراد الملعون انه لا يموت فلم يجب الى ذلك واخر الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم

يموت الخلق فيه فاخرانيه تها ونا به قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لما طرده بسبب آدم حلف بعزة الله
ان يضل بني آدم بتزيين الشهوات و ادخال الشبه عليهم فمعنى لاغوينهم لاستدعينهم الى المعاصي وقد
علم انه لا يصل الا الى الوسوسة ولا يفسد الا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه ولهذا قال الا عبادك منهم
المخلصين اى الذين اخلصتهم لعبادتك عصمتهم مني وقدمضى هذا في الحجر قوله تعالى قال
فالحق والحق اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين هذه قراءة اهل الحرمين
واهل البصرة والكسائي وقرأ ابن عباس ومجاهد وعاصم والاعمش وحمزة برفع الاول واجاز
الفراء فيه الخفض ولا اختلاف في الثاني انه منصوب باقول ونصب الاول على الاغراء اى فاتبعوا الحق
واستمعوا الحق والثاني بايقاع القول عليه وقيل هو بمعنى احق الحق اى افعله قال ابو علي الحق
الاول منصوب بفعل مضمر اى يحق الله الحق او على القسم وحذف حرف الجر كما تقول الله لافعلن و
مجازه قال فالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه والحق اقول جملة اعترضت بين القسم والمقسم عليه وهي
توكيد القصة واذا جعل الحق منصوبا باضمار فعل كان لاملأن على ارادة القسم وقد اجاز الفراء و
ابو عبيد ان يكون الحق منصوبا بمعنى حقا لاملأن جهنم وذلك عند جماعة من النحويين خطاء لا يجوز زيدا
لاضربن لان ما بعد اللام مقطوع مما قبلها فلا يعمل فيه والتقدير على قولهما لاملأن جهنم حقا ومن
رفع الحق رفعه بالابتداء اى فانا الحق او الحق مني روياجميعا عن مجاهد ويجوز ان يكون التقدير هذا الحق
وقول ثالث على مذهب سيبويه والفراء ان معنى فالحق لاملأن جهنم بمعنى فالحق ان املأ جهنم وفي الخفض
قولان وهي قراءة ابن السميفع وطلحة بن مصرف احدهما انه على حذف حرف القسم هذا قول الفراء قال
كما يقول الله عز وجل لافعلن وقد اجاز مثل هذا سيبويه وغلط فيه ابو العباس ولم يجز الخفض لان حروف
الخفض لا تضمر والقول الآخر ان يكون الفاء بدلا من واو القسم كما انشدوا
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا ۝ لاملأن جهنم منك اى من نفسك وذريتك وممن تبعك من
بني آدم اجمعين قوله تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ۝
قل ما اسألكم عليه من اجر اى من جعل على تبليغ الوحي وكنى به عن غير مذكور وقيل هو راجع الى
قوله اانزل عليه الذكر من بيننا وما انا من المتكلفين اى لا اتكلف ولا اتخرص ما لم اومر به وروى
مسروق عن عبد الله بن مسعود قال من سئل عن ما لا يعلم فليقل لا اعلم ولا يتكلف فان قوله لا اعلم
علم وقد قال جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلفين ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال
ويقول ما لا يعلم وروى الدارقطني من حديث نافع عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره فسار ليلا فمروا على رجل جالس على مقراة له فقال له عمر يا صاحب المقراة اولغت
السباع الليلة في مقراتك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا صاحب المقراة لا تخبره هذا متكلف لها
ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور وفي الموطا عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ان عمر بن
الخطاب خرج في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضا فقال عمرو بن العاص لصاحب الحوض
يا صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع فقال عمر بن الخطاب يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد

على

على السباع وترد علينا وقدمضى القول في المياه في سورة الفرقان قوله تعالى ان هو الا ذكر
للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين ۝ انه هو يعني القرآن الا ذكر للعالمين من الجن والانس
ولتعلمن نبأه بعد حين اى نبأ الذكر وهو القرآن انه حق بعد حين قال قتادة بعد
الموت وقاله الزجاج وقال ابن عباس وعكرمة وابن زيد يعني يوم القيامة وقال الفراء بعد
الموت وقبله اى ليظهرن لكم حقيقة ما اقول بعد حين اي في المستانف اذا اخذتكم سيوف المسلمين
قال السدي وذلك يوم بدر وكان الحسن يقول يا ابن آدم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وسئل
عكرمة عمن حلف ليصنعن كذا الى حين قال ان من الحين ما لا يدرك كقوله تعالى ولتعلمن نباه بعد
حين ومنه ما يدرك كقوله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها من صرام النخل الى طلوعه ستة اشهر
وقدمضى القول في هذا في البقرة وابراهيم والحمد لله

سورة الزمر

ويقال الغرف قال وهب بن منبه من احب ان يعرف قضاء الله عز وجل في خلقه فليقرأ سورة
الغرف وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقال ابن عباس الا آيتين نزلتا
بالمدينة احداهما الله نزل احسن الحديث والاخرى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وقال
آخرون الا سبع آيات من قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى آخر السبع نزلت في وحشي
واصحابه على ما ياتي وروى الترمذي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ
الزمر وبني اسرائيل وهي خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝ تنزيل الكتاب رفع بالابتداء وخبره من الله العزيز
الحكيم ويجوز ان يكون مرفوعا بمعنى هذا تنزيل قاله الفراء واجاز الكسائي والفراء ايضا تنزيل
بالنصب على انه مفعول به قال الكسائي اي اتبعوا واقرؤوا تنزيل الكتاب وقال الفراء هو على الاغراء
مثل كتاب الله عليكم اي الزموا والكتاب القرآن سمي بذلك لانه مكتوب قوله تعالى انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق اى هذا تنزيل الكتاب من الله وقد انزلناه بالحق اي بالصدق وليس بباطل وهزل فاعبد الله
مخلصا فيه مسئلتان الاولى مخلصا نصب على الحال اى موحدا لا تشرك به شيئا له الدين اى الطاعة
وقيل العبادة وهو مفعول به الا لله الدين الخالص اى الذى لا يشوبه شيء وفي حديث الحسن عن ابي هريرة
ان رجلا قال يا رسول الله اني اتصدق بالشيء واصنع الشيء اريد به وجه الله وثناء الناس فقال النبي
صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئا شورك فيه ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا لله الدين الخالص وقدمضى هذا المعنى في البقرة والنساء والكهف مستوفى الثانية قال ابن
العربي هذه الآية دليل على وجوب النية الخالصة في كل عمل واعظمه الوضوء الذي هو شطر الايمان
خلافا لابي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك اللذين يقولان ان الوضوء يكفي من غير نية وما كان ليكون

له الدين صح

الله صح

من الايمان شطرًا ولا يخرج الخطايا من بين الاظافر والشعر بغير نية قوله تعالى وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝ والذين اتخذوا من دونه اولياء يعنى الاصنام والخبر
محذوف اى قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم
ومن خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء قالوا الله فيقال لهم ما معنى عبادتكم الاصنام
قالوا ليقربونا الى الله ويشفعوا لنا عنده قال الكلبى جوابه هذا الكلام فى الاحقاف فلولا ان
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة الاية والزلفى القربة اى ليقربونا اليه تقريبا فوضع
زلفى موضع المصدر وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والذين اتخذوا من دونه اولياء
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفى حرف ابى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ذكره النحاس قال والحكاية فى هذا بينة ان الله يحكم بينهم اى بين اهل الاديان
يوم القيامة فيجازى كلا بما يستحق ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اى من سبق له القضاء بالكفر
لم يهتد اى للدين الذي ارتضاه وهو دين الاسلام كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا وفى هذا رد
على القدرية وغيرهم على ما تقدم قوله تعالى لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ اي لو اراد ان يسمى احدا من خلقه بهذا ما جعله عز وجل اليهم سبحانه
اى تنزيها له من الولد هو الله الواحد القهار قوله تعالى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
اى هو القادر على الكمال المستغنى عن الصاحبة والولد ومن كان هكذا فحقه ان يفرد بالعبادة لا ان
يشرك به ونبه بهذا على ان له ان يتعبد العباد بما شاء وقد فعل قوله تعالى يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ
الْغَفَّارُ ۝ قال الضحاك اي يلقى هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوير فى اللغة وهو
طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع اى القى بعضه على بعضه ومنه كور العمامة وقد روى عن
ابن عباس هذا فى معنى الاية قال ما نقص من الليل دخل فى النهار وما نقص من النهار دخل فى الليل
وهو معنى قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وقيل تكوير الليل على النهار
تغشيته اياه حتى يذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو
معنى قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا وسخر الشمس والقمر اي بالطلوع والغروب لمنافع
العباد كل يجري لاجل مسمى اى فى فلكه الى ان تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة حين تنفطر السماء
وتنتثر الكواكب وقيل الاجل المسمى هو الوقت الذى ينتهى فيه سير الشمس والقمر الى المنازل المرتبة
لغروبها وطلوعها قال الكلبى يسيران الى اقصى منازلهما ثم يرجعان الى ادنى منازلهما لا يجاوزانه
وقد تقدم بيان هذا فى سورة يس الا هو العزيز الغفار الا تنبيه اى تنبهوا فانى انا العزيز
الغالب الغفار اى الساتر لذنوب خلقه برحمته قوله تعالى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ
بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ

خلقكم

خلقكم من نفس واحدة يعنى ادم عليه السلام ثم جعل منها زوجها يعنى حوا ليحصل التناسل وقد مضى
هذا فى الاعراف وغيرها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اخبر عن الازواج بالنزول لانها
تكونت بالنبات والنبات بالماء المنزل وهذا يسمى التدريج ومثله قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا
الاية وقيل انزل انشأ وقال سعيد بن جبير خلق وقيل ان الله خلق هذه الانعام فى الجنة
ثم انزلها الى الارض كما قيل فى قوله وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آدم لما اهبط الى الارض
انزل معه الحديد وقيل انزل لكم من الانعام اى اعطاكم وقيل جعل الخلق انزالا لان الخلق
انما يكون بامر ينزل من السماء فالمعنى خلق لكم كذا بامره النازل قال قتادة من الابل اثنين
ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين كل واحد زوج وقد تقدم هذا يخلقكم
فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال قتادة والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما
ابن زيد خلقا فى بطون امهاتكم من بعد خلقكم فى ظهر آدم وقيل خلقا فى ظهر الاب ثم خلقا فى بطن الام
ثم خلقا بعد الوضع ذكره الماوردى فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة قاله
ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقيل ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المراة وظلمة
الرحم وهذا مذهب ابي عبيدة وقال ابن جبير ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة الليل والقول
الاول اصح اى لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين ذلكم الله ربكم اى الذى خلق هذه الاشياء هو ربكم
لا اله الا هو فانى تصرفون اى كيف تنقلبون وتنصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقرا
حمزة امهاتكم بكسر الهمزة والميم والكسائى بكسر الهمزة وفتح الميم الباقون بضم الهمزة وفتح الميم
قوله تعالى إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۝ ان تكفروا
فان الله غنى عنكم شرط وجوابه ولا يرضى لعباده الكفر اى ان يكفروا اى لا يحب ذلك منهم وقال
ابن عباس والسدي معناه لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله فيهم ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان وكقوله عينا يشرب بها عباد الله اى المؤمنون وهذا على قول من لا يفرق
بين الرضى والارادة وقيل لا يرضى الكفر وان اراده فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبارادته
كفر ولا يرضاه ولا يحبه فهو يريد كون ما لا يرضاه وقد اراد الله عز وجل خلق ابليس وهو لا يرضاه
فالارادة غير الرضا وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ۝ اي يرضى الشكر لكم لان تشكروا ادل عليه وقد مضى القول فى الشكر فى البقرة
وغيرها ويرضى بمعنى يثيب ويثنى فالرضى على هذا اما ثوابه فيكون صفة فعل لئن شكرتم
لازيدنكم واما ثناؤه فهو صفة ذات ويرضه بالاسكان فى الهاء قراء ابو جعفر وابو عمرو وشيبة
وهبيرة عن عاصم واشبع الضمة ابن ذكوان وابن كثير وابن محيصن والكسائى وورش عن نافع
واختلس الباقون ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم
بذات الصدور تقدم فى غير موضع قوله تعالى وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ
مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا

ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ۝ واذا مس الانسان يعني
الكافر الضر اى الشدة من الفقر والبلاء دعا ربه منيبا اليه اى راجعا اليه مخبتا مطيعا له
مستغيثا به في ازالة تلك الشدة عنه ثم اذا خوله نعمة منه اى اعطاه وملكه يقال خولك الله الشئ
اى ملكك اياه وكان ابو عمرو بن العلا ينشد هنالك ان يستخولوا المال يخولوا وان يسئلوا يعطوا
وان ييسروا يغلوا وخول الرجل حشمه الواحد خايل وقال ابو النجم ۝
اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول ۝ ۝ ۝
نسى ما كان يدعوا اليه من قبل اى نسى ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضر عنه فما على
هذا الوجه لله جل وعز وقيل بمعنى الذى وقيل بمعنى من كقوله وما انتم عابدون ما اعبد والمعنى
واحد وقيل نسى الدعاء الذى كان يتضرع به الى الله جل وعز اى ترك كون الدعاء منه الى الله
فما والفعل على هذا القول مصدر وجعل لله اندادا اى اوثانا واصناما وقال السدى يعني اندادا
من الرجال يعتمدون عليهم في جميع امورهم ليضل عن سبيل الله اى ليقتدى به الجهال قل تمتع بكفرك
قليلا اى قل لهذا الانسان تمتع وهو امر تهديد فمتاع الدنيا قليل انك من اهل النار اى مصيرك
الى النار قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا
رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب
بين ان المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره وقراء الحسن وابو عمرو وعاصم والكسائى امن
بالتشديد وقراء نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة امن بالتخفيف على معنى النداء كانه
قال يا من هو قانت قال الفراء الالف بمنزلة يا تقول يا زيد اقبل وازيد اقبل وحكى ذلك سيبويه وجميع
من النحويين كما قال اوس بن حجر ۝ ابنى لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ۝ ۝
وقال آخر هو ذو الرمة ادار الحزوى هجت العين عبرة ۝ فما الهوى يرفض او يترقرق ۝
والتقدير على هذا قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يا من هو قانت انك من اصحاب الجنة
كما يقال في الكلام فلان لا يصلى ولا يصوم فيا من يصلى ويصوم ابشر فحذف لدلالة الكلام عليه
وقيل ان الالف في امن الف استفهام اى امن هو قانت اناء الليل افضل ام من جعل لله اندادا
والتقدير الذي هو قانت خير ومن شدد امن فالمعنى العاصون المتقدم ذكرهم خير ام من هو
قانت فالجملة التى عادلت ام محذوفة والاصل ام من فادغمت في الميم النحاس وام بمعنى بل وامن
بمعنى الذي والتقدير ام الذى هو قانت افضل ممن ذكر وفي قانت اربعة اوجه احدها
انه المطيع قاله ابن مسعود الثاني انه الخاشع في صلاته قاله ابن شهاب الثالث انه القائم في صلاته
قاله يحيى بن سلام الرابع انه الداعي لربه وقول ابن مسعود يجمع ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال كل قنوت في القرآن فهو طاعة الله تعالى وروى عن جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه سئل اى الصلاة افضل فقال طول القنوت وتاوله جماعة من اهل العلم على انه طول
القيام وروى عبيد الله عن نافع عن ابن عمر سئل عن القنوت فقال ما اعرف القنوت الا طول
القيام وقراءة القرآن وقال مجاهد من القنوت طول الركوع وغض البصر وكان العلماء اذا وقفوا

في الصلاة غضوا ابصارهم وخضعوا ولم يلتفتوا في صلاتهم ولم يعبثوا ولم يذكروا شيئا من
امر الدنيا الا ناسين قال النحاس اصل هذا ان القنوت الطاعة فكل ما قيل فيه فهو طاعة
لله جل وعز فهذه الاشياء كلها داخلة في الطاعة وما هو اكثر منها كما قال نافع قال لي ابن عمر
قم فصل فقمت اصلي وكان علي ثوب خلق فدعاني فقال لي ارايت لو وجهتك في حاجة
اكنت تمضي هكذا فقلت كنت اتزين فقال فالله احق ان تتزين له واختلف في تعيين القانت هنا فذكر
يحيى بن سلام انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه هو ابو بكر وعمر
رضى الله عنهما وقال ابن عمر هو عثمان رضى الله عنه وقال مقاتل انه عمار بن ياسر الكلبي وصهيب وابو
ذر وابن مسعود وعن الكلبي ايضا انه مرسل فيمن كان على هذه الحال اناء الليل قال الحسن ساعاته
اوله واوسطه وآخره وعن ابن عباس اناء الليل جوف الليل قال ابن عباس من احب ان يهون الله عليه
الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه وقيل
ما بين المغرب والعشاء وقوله الحسن عام يحذر الآخرة قال سعيد بن جبير اى عذاب الاخرة ويرجوا
رحمة ربه اى نعيم الجنة وروي عن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجوا فقال هذا
متمن ولا يقف على قوله رحمة ربه ومن خفف امن هو قانت على معنى النداء لان قوله قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون متصل الا انه يقدر في الكلام حذفا وهو ابشر على ما تقدم بيانه قال
الزجاج اى كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذا لا يستوى المطيع والعاصي وقال غيره الذين
يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به فاما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم
يعلم انما يتذكر اولوا الالباب اى اصحاب العقول من المؤمنين قوله تعالى قل يا عبادي الذين امنوا
اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب ۝ قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم اى قل يا محمد لعبادي المؤمنين اتقوا
ربكم اى اتقوا معاصيه والتاء مبدلة من واو وقد تقدم وقال ابن عباس يريد جعفر بن ابي طالب و
الذين خرجوا معه الى الحبشة ثم قال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني بالحسنة الاولى الطاعة
وبالثانية الثواب في الجنة وقيل المعنى للذين احسنوا في الدنيا حسنة في الدنيا فيكون ذلك زيادة على
ثواب الآخرة والحسنة الزائدة في الدنيا الصحة والعافية والظفر والغنيمة قال القشيري والاول اصح
لان الكافر قد نال نعم الدنيا قال الشيخ رحمه الله وينالها معه الثناء المؤمن ويزاد في الجنة اذا
شكر تلك النعم وقد تكون الحسنة في الدنيا الثناء الحسن وفي الآخرة الجزاء وارض الله واسعة فهاجروا
فيها ولا تقيموا مع من يعمل بالمعاصي وقد مضى القول في هذا مستوفى في النساء وقيل المراد ارض الجنة رغبهم
في سعتها وسعة نعيمها كما قال وجنة عرضها السموات والارض والجنة قد تسمى ارضا قال الله تعالى الحمد لله
الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء والاول اظهر فهو امر بالهجرة اى ارحلوا
من مكة الى حيث تامنوا الماوردي ويحتمل انه يريد بسعة الارض سعة الرزق لانه يرزقهم من الارض
فيكون معناه ورزق الله واسع وهو اشبه لانه انه اخرج سعتها مخرج الامتنان قال الشيخ رحمه الله
فتكون الاية دليلا على الانتقال من الارض الغالية الى الارض الراخية كما قال سفيان الثوري كن

فى موضع تملاء فيه جرابك خبزا بدد هم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اى بغير تقدير وقيل يزاد على الثواب لانه لو اعطى بقدر ما عمل لكان بحساب اى بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا والصابرون هنا الصائمون دليله قوله عليه السلام مخبرا عن الله جل وعز الصوم لى وانا اجزى به قال اهل العلم كل اجر يكال كيلا ويوزن وزنا الا الصوم فانه يحثا حثوا ويغرف غرفا وحكى عن على رضى الله عنه وقال مالك ابن انس فى قوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال هو الصبر على فجايع الدنيا واحزانها ولا شك ان كل من سلم فيما اصابه وترك ما نهى عنه فلا مقدار لاجره وقال قتادة لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان حدثنى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تنصب الموازين فيوتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين وكذلك الصلوة والحج ويوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر بغير حساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسامهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل وعن الحسين بن على رضى الله عنهما قال سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ادّ الفرائض تكن من اعبد الناس وعليك بالقنوع تكن من اغنى الناس يا بنى ان فى الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا ثم تلى النبى صلى الله عليه وسلم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولفظ صابر يمدح به وانما هو لمن صبر عن المعاصى واذا اردت انه صبر على المصيبة قلت صابر على كذا قاله النحاس وقد مضى فى البقرة مستوفى

قوله تعالى قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين تقدم اول السورة وامرت لان اكون اول المسلمين من هذه الامة وكذلك كان فانه اول من خالف دين ابايه وخلع الاصنام وحطمها واسلم لله وامن به ودعا اليه صلى الله عليه وسلم واللام فى قوله لان اكون صلة زايدة قاله الجرجانى وغيره وقيل لام اجل وفى الكلام حذف اى امرت بالعبادة لان اكون

قوله تعالى قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ يريد عذاب يوم القيامة وقاله حين دعاه قومه الى دين آبايه قاله اكثر المفسرين وقال ابو حمزة الثمالى وابن المسيب هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فكانت هذه الاية من قبل ان يغفر ذنب النبى صلى الله عليه وسلم

قوله تعالى قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ قل الله اعبد نصب باعبد مخلصا له دينى طاعتى وعبادتى فاعبدوا ما شئتم من دونه امر تهديد ووعيد وتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم وقيل منسوخة باية السيف قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة قال ميمون بن مهران عن ابن عباس ليس من احد الا وقد خلق الله عز وجل له زوجة فى الجنة فاذا دخل النار خسر نفسه واهله فى رواية عن ابن عباس فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والاهل الا ما كان له قبل ذلك وهو قوله اوليك هم الوارثون

قوله تعالى لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ سمى ما تحتهم ظللا لانها تظل من تحتها وهذه الاية

نظير

نظير قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ذلك يخوف الله به عباده قال ابن عباس اولياءه يا عباد فاتقون اى يا اوليائى فخافون وقيل هو عام فى المومن والكافر وقيل خاص بالكفار

قوله تعالى وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ قال الاخفش الطاغوت جمع ويجوز ان يكون واحدة مونثة وقد تقدم اى تباعدوا من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها قال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدى هى الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل انه اسم اعجمى مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت وقيل انه اسم عربى مشتق من الطغيان وان فى موضع نصب بدلا من الطاغوت تقديره الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وانابوا الى الله اى رجعوا الى عبادته وطاعته لهم البشرى فى الحيوة الدنيا بالجنة فى العقبى روى انها نزلت فى عثمان رضى الله عنه وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير سالوا ابا بكر رضى الله عنه فاخبرهم بايمانه فامنوا وقيل نزلت فى عمرو بن نفيل وابى ذر وغيرهما ممن وحدوا الله تعالى قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وقوله فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قال ابن عباس هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون القرآن واقوال الرسول فيتبعون احسنه اى محكمه فيعملون به وقيل يستمعون عزما وترخيصا فياخذون بالعزم دون الرخص وقيل يستمعون العقوبة الواجبة لهم والعفو فياخذون بالعفو وقيل احسن القول على من جعل الاية فيمن وحد الله قبل الاسلام لا اله الا الله وقال عبد الرحمن ابن زيد نزلت فى زيد بن عمرو بن نفيل وابى ذر الغفارى وسلمان الفارسى اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها فى جاهليتهم واتبعوا احسن ما صار من القول اليهم اوليك الذين هداهم الله اى لما يرضاه واوليك هم اولوا الالباب اى الذين انتفعوا بعقولهم

قوله تعالى أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقوة فنزلت هذه الاية قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان وكرر الاستفهام فى قوله افانت تاكيدا لطول الكلام وكذا قال سيبويه فى قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون على ما تقدم والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه والكلام شرط وجوابه وجى بالاستفهام ليدل على التوقيف والتقرير وقال الفراء المعنى افانت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب والمعنى واحد وقيل ان فى الكلام حذفا والتقدير افمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه وما بعده مستانف وقال افمن حق عليه وقال فى موضع آخر حقت كلمة العذاب لان الفعل اذا تقدم ووقع بينه وبين الموصوف به حائل جاز التذكير والتانيث على ان التانيث هنا ليس بحقيقى بل الكلمة فى معنى الكلام والقول اى افمن حق عليه قول العذاب

قوله تعالى لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ لما بين ان للكفار ظللا من النار من فوقهم

الى الله ص

ملعت

ومن تحتهم ثمرتين ان للمتقين غرفا فوقها غرف لان الجنة درجات يعلو بعضها بعضا ولكن ليس للاستدراك لانه لم يات نفي كقولك مارايت زيدا لكن عمرا بل هو لترك قصة الى قصة مخالفة للاولى كقولك جاني زيد لكن عمرو لم يات غرف مبنية قال ابن عباس من زبرجد وياقوت تجري من تحتها الانهار اى هي جامعة لاسباب النزهة وعد الله نصب على المصدر لان معنى لهم غرف وعدهم الله ذلك وعدا ويجوز الرفع بمعنى ذلك وعد لا يخلف الله الميعاد اى ما وعد الفريقين قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الم تر ان الله انزل من السماء ماء اي انه لا يخلف الميعاد في احياء الخلق والتمييز بين المومن والكافر وهو قادر على ذلك كما انه قادر على انزال الماء من السماء انزل من السماء اي من السحاب ماء اي المطر فسلكه اى فادخله في الارض واسكنه فيها كما قال واسكناه في الارض ينابيع جمع ينبوع وهو يفعول من نبع ينبع وينبع وينبع بالرفع والنصب والخفض النحاس وحكى لنا ابن كيسان في قول الشاعر

ينباع من ذفرى غضوب جسرة ان معناه ينبع فاشبع الفتحة فصارت الفا نبوعا

خرج والينبوع عين الماء والجمع الينابيع وقد مضى في سبحان ثم يخرج به زرعا اى بذلك الماء الخارج من ينابيع الارض زرعا هو للجنس اى زروعا شتى لها الوان مختلفة حمرة وصفرة وزرقة وخضرة ونوارا قال الشعبي والضحاك كل ماء في الارض فمن السماء نزل انما ينزل من السماء الى الصخرة ثم تقسم منها العيون والركايا ثم يهيج اى ييبس فتراه اى بعد خضرته مصفرا قال المبرد قال الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا ادبر نبتها وولى قال وكذلك هاج النبت قال وكذلك قال غير الاصمعي وقال الجوهري هاج النبت هياجا اى يبس وارض هاجة يبس بقلها او اصفر واهاجت الريح النبت ايبسته واهجنا الارض اى وجدناها هاجة النبات وهاج هائجة اى ثار غضبه وهدا هائجه اى سكنت فورته ثم يجعله حطاما اى فتاتا مكسرا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس والمعنى ان من قدر على هذا قدر على الاعادة وقيل هو مثل ضربه الله للقران ولصدور من في الارض اى انزل من السماء قرانا فسلكه في قلوب المومنين ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اى دينا مختلفا بعضه افضل من بعض فاما المومن فيزداد ايمانا ويقينا واما الذي في قلبه مرض فانه يهيج كما يهيج الزرع وقيل هو مثل ضربه الله للدنيا اى كما يتغير النبت الاخضر فيصفر كذلك الدنيا بعد بهجتها ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ شرح فتح ووسع قال ابن عباس وسع صدره للاسلام حتى ثبت فيه وقال السدي وسع صدره للاسلام للفرح به والطمانينة اليه فعلى هذا لا يجوز ان يكون هذا الشرح الا بعد الاسلام وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون الشرح قبل الاسلام فهو على نور من ربه اى على هدى من ربه كمن طبع على قلبه واقساه ودل على هذا المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم قال المبرد يقال قسا القلب اذا صلب وكذلك عتا وعسا مقاربة لها وقلب قاس اى صلب لا يرق ولا يلين والمراد بمن شرح الله صدره ههنا فيما ذكر المفسرون على وحمزة

رضي الله عنهما وحكى النقاش انه عمر بن الخطاب وقال مقاتل عمار بن ياسر وعنه ايضا والكلبي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاية عامة فيمن شرح الله صدره بخلق الايمان فيه وروى مرة عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كيف انشرح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفتح قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اى المومنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع قالوا فما اية ذلك يا نبي الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت فذكر صلى الله عليه وسلم خصالا ثلثة ولا شك ان من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الايمان فان الانابة انما هي اعمال البر لان دار الخلود انما وضعت جزاء لاعمال البر الا ترى كيف ذكره الله تعالى في مواضع في تنزيله ثم يعقبه ذلك جزاء بما كنتم تعملون فالجنة جزاء الاعمال فاذا انكمش العبد في اعمال البر فهو انابته الى دار الخلود واذا خمد حرصه عن الدنيا ولها عن طلبها واقبل على ما يعنيه منها فاكتفى به وقنع فقد تجافى عن دار الغرور واذا احكم اموره بالتقوى فكان ناظرا في كل امر واقفا متادبا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه الى ما لا يريبه فقد استعد للموت فهذه علاماتهم في الظاهر وانما صار هكذا لرؤية الموت ورؤية صرف الاخرة عن الدنيا ورؤية الدنيا دار الغرور وانما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي ولج القلب وقوله فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله قيل المراد ابو لهب وولده ومعنى من ذكر الله ان قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره وقيل ان من بمعنى عن والمعنى قست عن قبول ذكر الله وهذا اختيار الطبري وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اطلبوا الحوائج من السمحاء فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وقال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم الا نزع الرحمة من قلوبهم قوله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ [يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ صح] وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث يعني القران لما قال فيتبعون احسنه بين ان احسن ما يسمع ما انزله القران وهو القران قال سعد بن ابي وقاص قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا فانزل الله تعالى الله نزل احسن الحديث فقالوا لو قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا لو ذكرتنا فنزل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت والحديث ما يحدث به المحدث وسمي القران حديثا لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث به اصحابه وقومه وهو كقوله فباي حديث بعده يومنون وقوله افمن هذا الحديث تعجبون وقوله ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا وقوله ومن اصدق من الله حديثا وقوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث قال القشيري وتوهم قوم ان

الحديث من الحدوث فليدل على ان كلامه محدث وهو وهم لانه لا يزيد لفظ الحديث على ما في قوله ما ياتيهم
من ذكر من ربهم محدث وقالوا ان الحدوث يرجع الى التلاوة لا الى المتلو وهو كالذكر مع المذكور اذا ذكرنا
اسماء الرب تعالى كتابا نصب على البدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه متشابها يشبه بعضه
بعضا في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقضا ولا اختلافا وقال قتادة يشبه بعضه
بعضا في الاي والحروف وقيل يشبه كتب الله المنزلة على انبيائه لما يتضمنه من امر ونهي وترغيب وترهيب
وان كان اعم واعجز ثم وصفه فقال مثاني تثنى فيه القصص والمواعظ والاحكام وثني للتلاوة فلا يمل
تقشعر تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي عند آية
الرحمة وقيل الى العمل بكتاب الله والتصديق به وقيل الى ذكر الله يعني الاسلام مسئلة وعن اسماء
بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعنها قالت كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرئ عليهم
القرآن كما نعتهم الله تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قيل لها فان اناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر
احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال سعيد بن عبد الرحمن الجمحي مر ابن عمر
برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط فقال
ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط ثم قال ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن عبد العزيز ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن
فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من اوله الى اخره
فان رمى بنفسه فهو صادق وقال ابو عمران الجوني وعظ موسى عليه السلام بني اسرائيل ذات يوم فشق
رجل قميصه فاوحى الله الى موسى قل لصاحب القميص لا تشق قميصه فاني لا احب المبذرين يشرح لي
عن قلبه مسئلة قال زيد بن اسلم قرأ ابي بن كعب عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقوا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعا عند الرقة فانها رحمة وعن العباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة البالية
ورقها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا حرمه
الله على النار وعن شهر بن حوشب عن ام الدرداء قالت انما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة
اما تجد الا قشعريرة قلت بلى قالت فادع الله فان الدعاء عند ذلك مستجاب وعن ثابت البناني قال
قال فلان اني لا علم متى يستجاب لي قالوا ومن اين تعلم ذلك قال اذا اقشعر جلدي ووجل قلبي وفاضت
عيناي فذلك حين يستجاب لي يقال اقشعر جلد الرجل اقشعرارا فهو مقشعر والجمع قشاعر فتحذف
الميم لانها زايدة يقال اخذته قشعريرة قال امرؤ القيس فبت اكابد ليل التمام والقلب من خشيته تقشعر
وقيل ان القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة فكانوا اذا راوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود
منه اعظاما وتعجبا من حسن ترصيعه وتهيبا لما فيه وهو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله فالتصدع قريبا من الاقشعرار والخشوع قريبا من قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم
من ذكر الله ومعنى لين القلب رقته وطمانيته وسكونه ذلك هدى الله اي القرآن هدى الله وقيل اي
الذي وهبه لهولاء الله من خشية عذابه ورجاء ثوابه هدى الله ومن يضلل الله فما له من هاد اي من خذله فلا مرشد

له وهو رد على القدرية وغيرهم وقد مضى هذا كله مستوفى في غير موضع والحمد لله ووقف ابن كثير
وابن محيصن على قوله هاد في الموضعين بالياء الباقون بغير ياء قوله تعالى افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون قال عطاء بن زيد يرمى
به مكتوفا في النار فاول شيء تمس منه النار وجهه وقال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال مقاتل
هو ان الكافر يرمى في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت
فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من اجل
الاغلال والخبر محذوف قال الاخفش اي افمن يتقي بوجهه سوء العذاب افضل ام من سعد مثل افمن
يلقى في النار خير ام من ياتي آمنا يوم القيامة وقيل للظالمين اي وتقول الخزنة للكافرين ذوقوا ما
كنتم تكسبون اي جزاء كسبكم من المعاصي ومثله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قوله تعالى
كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي
في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون تقدم معناه وقال المبرد
يقال لكل ما نال الجارحة من شيء قد ذاقته اي وصل اليها كما تصل الحلاوة والمرارة الى الذائق لهما
قال والخزي المكروه والخزاية من الاستحياء ولعذاب الآخرة اكبر اي مما اصابهم في الدنيا لو كانوا يعلمون
قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون اي
من كل مثل يحتاجون اليه مثل قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل اي ما ذكرنا من اهلاك الامم
السالفة مثل لها ولا لعلهم يتذكرون يتعظون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون نصب على
الحال قال الاخفش لان قوله جل وعز في هذا القرآن معرفة وقال علي بن سليمان عربيا نصب على الحال
وقرآنا توطية للحال كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا فقولك صالحا هو المنصوب على الحال وقال الزجاج
عربيا منصوب على الحال قال وقرآنا توكيد غير ذي عوج النحاس احسن ما قيل فيه قول الضحاك
قال غير مختلف وهو قول ابن عباس ذكره الثعلبي وعن ابن عباس ايضا غير مخلوق ذكره المهدوي
وقاله السدي فيما ذكر الثعلبي وقال عثمان بن عفان غير متضاد وقال مجاهد غير ذي لبس
وقال بكر بن عبد الله المزني غير ذي لحن وقيل غير ذي شك قاله السدي فيما ذكر الماوردي
قال وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب
لعلهم يتقون الكفر والكذب قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
قال الكسائي نصب رجلا لانه ترجمة للمثل وتفسير له وان شئت نصبته بنزع الخافض مجازه
ضرب الله مثلا برجل فيه شركاء متشاكسون قال الفراء اي مختلفون وقال المبرد اي متعاسرون
من شكس يشكس شكسا فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر يقال رجل شكس وشرس وضرس
وضبس ويقال رجل ضبس وضبيس اي شرس عسر شكس قاله الجوهري الزمخشري التشاكس والتشاخس
الاختلاف يقال تشاكست احواله وتشاخست اسنانه ويقال شاكسني فلان اي ماكسني وشاحني
في حقي قال الجوهري رجل شكس بالتسكين اي صعب الخلق قال الراجز

عربيا ص

شكس عبوس عبس غدود ٥ وقوم شكس مثال رجل صدق وقوم صدق ورجل شكس بالكسر شكاسة
وحكى الفرا رجل شكس وهو القياس وهذا مثل من عبد الآلهة كثيرة ورجلا سالما لرجل اي
خالصا لسيد واحد وهو مثل من يعبد الله وحده هل يستويان مثلا هذا الذي يخدم جماعة شركا
اخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة لا يلقاه رجل الا جره واستخدمه فهو يلقى منهم العنا والنصب
والتعب العظيم وهو مع ذلك كله لا يرضى واحدا منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته والذي
يخدم واحدا لا ينازعه فيه احد الا اطاعه وحده عرف ذلك له وان اخطا صفح عن خطائه فايهم
اقل تعبا او على هدى مستقيم وقرا ة اهل الكوفة واهل المدينه ورجلا سلما وقرا ابن عباس ومجاهد
والحسن وعاصم الجحدري وابو عمرو وابن كثير ويعقوب ورجلا سالما واختاره ابو عبيد لصحة
التفسير فيه قال لان السالم الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب ولا موضع للحرب هنا النحاس
وهذا الاحتجاج لا يلزم لان الحرف اذا كان له معنيان لم يحمل الا على اولاهما فهذا وان كان السلم
ضد الحرب فله موضع آخر كما يقال لك في هذا المنزل شركا فصار سلما لك ويلزمه ايضا في سالم ما الزم
غيره لانه يقال شيء سالم اي لا عاهة به والقراتان حسنتان قرا بهما الائمة واختار ابو حاتم قراة
اهل المدينة سلما قال وهو الذي لا تنازع فيه وقرا سعيد بن جبير وعكرمة وابو العالية ونصر
سلما بكسر السين وسكون اللام وسلما وسلما مصدران والتقدير ورجلا ذا سلم فحذف المضاف
ومثلا صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفاتهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيتبعونه قوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ وقرا ابن محيصن وابن ابي عبلة
وعيسى بن عمرو وابن ابي اسحاق انك مايت وانهم مايتون وهي قراة حسنة وبها قرا عبد الله بن الزبير
النحاس ومثل هذه الالف تحذف في السواد ومايت في المستقبل كثير في كلام العرب ومثله ما كان
مريضا وانه لمارض من هذا الطعام وقال الحسن والفرا والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت و
سيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح فلذلك لم تخفف هنا قال قتادة نعيت الى النبي صلى الله
عليه وسلم نفسه ونعيت اليكم انفسكم وقال ثابت البناني نعى رجل الى صلة بن اشيم اخا له فوافقه
ياكل فقال ادن فكل فقد نعي لي اخي منذ حين قال وكيف وانا اول من اتاك بالخبر قال ان الله تعالى
نعاه الي فقال انك ميت وانهم ميتون وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اخبره بموته وموتهم
فاحتمل خمسة اوجه احدها ان يذكر ذلك تحذيرا من الآخرة الثاني ان يذكره حثا على العمل الثالث
ان يذكره توطية للموت الرابع لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الامم في غيره حتى ان عمر رضي الله عنه
لما انكر موته احتج ابو بكر رضي الله عنه بهذه الآية فامسك الخامس ليعلمه ان الله تعالى قد سوى فيه بين
خلقه مع تفاضلهم في غيره لتكثر فيه السلوة وتقل فيه الحسرة ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
يعني تخاصم الكافر والمومن والظالم والمظلوم قاله ابن عباس وغيره وفي خبر فيه طول ان الخصومة
تبلغ يوم القيامة الى ان تحاج الروح الجسد وقال الزبير لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله ايكرر علينا
ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يودي الى كل ذي حق حقه فقال

الزبير والله ان الامر لشديد وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى هذه الآية نزلت فينا
وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقلنا وكيف نختصم ونبينا واحد وديننا
واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها فينا نزلت وقال ابو سعيد
الخدري كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين و
شد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وقال ابرهيم النخعي لما نزلت هذه الآية جعل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما خصومتنا بيننا فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه
خصومتنا بيننا وقيل تخاصمهم هو تحاكمهم الى الله تعالى فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مظلمته
ويردها في حسنات من وجبت له وهذا عام في جميع المظالم كما في حديث ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس
من امتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا وضرب هذا
واكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل
انقضاء ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار خرجه مسلم وقد مضى هذا المعنى مجودا
في آل عمران وفي البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له عند اخيه
مظلمة من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح
اخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات اخذ من سيات صاحبه فحمل عليه وفي الحديث
المسند اول ما تقع الخصومات في الدماء وقد ذكرنا هذا الباب مستوفى في كتاب التذكرة والحمد لله
قوله تعالى فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ
جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ فمن اظلم اي لا احد اظلم ممن كذب
على الله فزعم ان له ولدا وشريكا وكذب بالصدق يعني القرآن اليس في جهنم استفهام تقرير مثوى
للكافرين اي مقاما للجاحدين فهو مشتق من ثوي بالمكان اذا اقام به يثوي ثواء وثويا مثل مضى
مضاء ومضيا ولو كان من اثوى لكان مثوى وهذا يدل على ان ثوي هي اللغة الفصيحة وحكى ابو عبيد
اثوى وانشد قول الاعشى اثوى وقصر ليله ليزودا فمضت واخلف من قتيلة موعدا
والاصمعي لا يعرف الا ثوى ويروي البيت اثوى على الاستفهام واثويت غيري يتعدى ولا يتعدى
قوله تعالى وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ٥ والذي جاء بالصدق موضع رفع بالابتداء وخبره اولئك هم
المتقون واختلف في الذي جاء بالصدق وصدق به فقال علي رضي الله عنه الذي جاء بالصدق النبي
صلى الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر رضي الله عنه وقال مجاهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي
الله عنه السدي الذي جاء بالصدق جبريل صلى الله عليه وسلم والذي صدق به محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق به المومنون
واستدلوا على ذلك بقوله اولئك هم المتقون كما قال هدى للمتقين وقال النخعي ومجاهد الذي جاء بالصدق
وصدق به المومنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة فيقولون هذا الذي اعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه

فيكون الذي على هذا بمعنى جمع كما يكون من بمعنى جمع وقيل بل حذفت النون منه لطول الاسم وتاوله الشعبي
على انه واحد وقال الذى جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم فيكون
على هذا خبره جماعة كما يقال لمن يعظم هو فعلوا وزيد فعلوا كذا وكذا وقيل ان ذلك عام فى كل من دعا الى توحيد
الله عز وجل قاله ابن عباس وغيره واختاره الطبرى وفى قراءة ابن مسعود والذى جاوا بالصدق
وصدقوا به وهذه قراءة على التفسير وفى قراءة ابى صالح الكوفى والذى جاء بالصدق وصدق به مخففا
على معنى وصدق بمجيئه به اى صدق فى طاعة الله عز وجل وقد مضى فى البقرة الكلام فى الذى وانه يكون
واحدا ويكون جمعا لهم ما يشاؤن عند ربهم اى من النعيم فى الجنة كما يقال لك اكرام عندى اى ينالك منى
ذلك جزاء المحسنين الثناء فى الدنيا والثواب فى الاخرة قوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوء الذى
عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون ليكفر الله اى صدقوا ليكفر الله عنهم اسوء
الذى عملوا اى يلذ بهم ولا يواخذهم بما عملوا قبل الاسلام ويجزيهم اجرهم اى يثيبهم على الطاعات فى
الدنيا باحسن الذى كانوا يعملون وهى الجنة قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين
من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهدى الله فما له من مضل اليس الله بعزيز
ذى انتقام حذفت الياء من كاف لسكونها وسكون التنوين بعدها وكان الاصل ان لا تحذف
فى الوقف لزوال التنوين الا انها حذفت ليعلم انها كذلك فى الوصل ومن العرب من يثبتها فى الوقف
على الاصل فيقول كافى وقراءة العامة عبده بالتوحيد يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يكفيه الله وعيد المشركين
وكيدهم وقراء حمزة والكسائى عباده وهم الانبياء او الانبياء والمومنون بهم واختار ابو عبيد
قراءة الجماعة لقوله عقيبه ويخوفونك بالذين من دونه ويحتمل ان يكون العبد لفظ الجنس كقوله
ان الانسان لفى خسر وعلى هذا يكون القراءة الاولى راجعة الى الثانية والكفاية شر الاصنام فانهم
كانوا يخوفون المومنين بالاصنام حتى قال ابرهيم عليه السلام وكيف اخاف ما اشركتم به ولا تخافون
انكم اشركتم بالله وقال الجرجانى ان الله كاف عبده المومن وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب
قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان
فقالوا اتسب الهتنا لئن لم تكف عن ذكرها لتخبلنك او تصيبك بسوء وقال قتادة مشى خالد بن
الوليد الى العزى ليكسرها بالفاس فقال له سادنها احذر لها يا خالد لها شدة لا يقوم لها شئ
فعمد خالد الى العزى فهشم انفها حتى كسرها بالفاس وتخويفهم لخالد تخويف النبى صلى الله عليه وسلم
لانه الذى وجه خالدا ويدخل فى الاية تخويفهم النبى صلى الله عليه وسلم بكثرة جمعهم وقوتهم
كما قال ام يقولون نحن جميع منتصر ومن يضلل الله فما له من هاد تقدم ومن يهدى الله فما له
من مضل اليس الله بعزيز ذى انتقام اى ممن عاداه وعادا رسله قوله تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرايتم ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون
ولئن سالتهم اى ولئن سالتهم يا محمد من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع عبادتهم
الاوثان مقرون بان الخالق هو الله واذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بالهتهم التى هى مخلوقة

مادعون من دون الله صح

ممسكات صح

لله تعالى وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي خلقها وخلق السموات والارض قل افرايتم
اى قل لهم يا محمد بعد اعترافهم بهذا افرايتم ان ارادنى الله بضر بشدة وبلاء هل هن كاشفات
ضره يعنى هذه الاصنام او ارادنى برحمة نعمة ورخاء هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل فسالهم
النبى صلى الله عليه وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيا قدره الله ولكنها تشفع فنزلت
قل حسبى الله وترك الجواب لدلالة الكلام عليه يعنى فسيقولون لا فقل حسبى الله اى عليه توكلت
اى اعتمدت وعليه فليتوكل المتوكلون يعتمد المعتمدون وقد تقدم الكلام فى التوكل وقرا
نافع وابن كثير والكوفيون ما عدا عاصما كاشفات ضره بغير تنوين وقراء ابو عمرو وشيبة وهى
المعروفة من قراءة الحسن وعاصم هل هن كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين على الاصل و
هى قراءة ابى عبيد وابى حاتم لانه اسم فاعل فى معنى الاستقبال واذا كان كذلك كان التنوين اجود
قال الشاعر الضاربون عميرا عن بيوتهم بالليل يوم عمير ظالم عادى وان
كان ماضيا لم يجز فيه التنوين وحذف التنوين على التخفيف فاذا حذفت التنوين لم يبق بين الاسمين
حاجز فخفضت الثانى بالاضافة وحذف التنوين كثير فى كلام العرب موجود حسن قال الله تعالى
هديا بالغ الكعبة وقال انا مرسلوا الناقة قال سيبويه ومثل ذلك غير محلى الصيد وانشد سيبويه
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
وقال النابغة احكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد
معناه وارد الثمد فحذف التنوين مثل كاشفات ضره قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل اى على مكانتى اى على جهتى التى تمكنت عندى فسوف تعلمون
وقراء ابو بكر مكاناتكم وقد مضى فى الانعام من ياتيه عذاب يخزيه اى يهينه ويذله اى فى الدنيا
وذلك بالجوع والسيف ويحل عليه اى فى الاخرة عذاب مقيم قوله تعالى انا انزلنا عليك
الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل
تقدم الكلام فى هذه الاية مستوفى فى غير موضع قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين
موتها والتى لم تمت فى منامها فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى الله يتوفى الانفس اى يقبضها
عند فناء اجالها والتى لم تمت فى منامها اختلف فيه فقيل يقبضها عن التصرف مع بقاء ارواحها فى
اجسادها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهى النائمة فيطلقها بالتصرف الى اجل
موتها قاله ابن عيسى وقال الفرا المعنى ويقبض التى لم تمت فى منامها عند انقضاء اجلها قال وقد يكون
توفيها نومها فيكون التقدير على هذا والتى لم تمت وفاتها نومها وقال ابن عباس وغيره من المفسرين
ان ارواح الاحيا والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف ما شاء الله منها فاذا اراد جميعها الرجوع
الى الاجساد امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحيا الى اجسادها وقال سعيد
ابن جبير ان الله يقبض ارواح الاموات اذا ماتوا وارواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء
الله ان تتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى فيعيدها قال على رضى الله عنه فما رانه

او صح

نفس النائم وهي في السماء قبل ارسالها الى جسدها فهي الرؤيا الصادقة وما راته بعد ارسالها
وقبل استقرارها في جسدها يلقيها الشياطين وتخيل اليها الاباطيل فهي الرؤيا الكاذبة وقال
ابن زيد النوم وفاة والموت وفاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما تنامون فكذلك تموتون وكما
توقظون فكذلك تبعثون وقال عمر النوم اخو الموت روي مرفوعا من حديث جابر بن عبد الله قيل
يا رسول الله اينام اهل الجنة قال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها خرجه الدارقطني وقال ابن
عباس في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها
النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وهذا قول ابن الانباري و
الزجاج قال القشيري ابو نصر هذا بعد اذ المفهوم من الاية ان النفس المقبوضة في الحالين شيء
واحد ولهذا قال فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فاذا يقبض الله الروح
في حالين في حالة النوم وحالة الموت فما قبضه في حال النوم فمعناه انه يغمره بما يحبسه عن التصرف
فكانه شيء مقبوض وما قبضه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله الى يوم القيامة وقوله ويرسل الاخرى
اي يزيل الحابس عنه فيعود كما كان فتوفي الانفس في حال النوم بخلق الموت وازالة الحس بالكلية فيمسك
التي قضى عليها الموت بان لا يخلق فيها الادراك كيف وقد خلق فيها الموت ويرسل الاخرى بان يعيد
اليها الاحساس الثانية وقد اختلف الناس في هذه الاية في النفس والروح هل هما شيء واحد
او شيئان على ما ذكرنا والاظهر انهما شيء واحد وهو الذي تدل الاثار الصحاح عليه ما نذكره في هذا الباب من
ذلك حديث ام سلمة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي سلمة وقد شق بصره فاغمضه ثم قال
ان الروح اذا قبض تبعه البصر وحديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تروا الانسان
اذا مات شخص بصره قال فذلك حين يتبع بصره نفسه خرجهما مسلم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تحضر الملائكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب
اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج
ثم يعرج بها الى السماء وذكر الحديث واسناده صحيح خرجه ابن ماجة وقد ذكرناه في التذكرة
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال اذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها وذكر
الحديث وقال بلال في حديث الوادي اخذ بنفسي يا رسول الله الذي اخذ بنفسك وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقابلا له في حديث زيد بن اسلم في حديث الوادي يا ايها الناس ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا الثالثة والصحيح فيه انه جسم لطيف مشابك للاجسام المحسوسة
يجذب ويخرج وبه الى السماء يعرج لا يموت ولا يفنى وهو مما له اول وليس له اخر وهو بعينين ويدين
وانه ذو ريح طيب وخبيث كما في حديث ابي هريرة وهذه صفة الاجسام لا صفة الاعراض وقد ذكرنا
الاخبار بهذا كله في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الآخرة وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم
يعني النفس عند خروجها من الجسد وهذه صفة الجسم والله اعلم الرابعة خرج البخاري ومسلم
من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اوى احدكم الى فراشه فلياخذ داخلة
ازاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فانه لا يعلم ما خلفه على فراشه فاذا اراد ان يضطجع فليضطجع

في صح

بازالة الحس وخلق الغفلة والآفة في محل الادراك ويوقعها في حالة النوم صح

عليه صح

على شقه الايمن وليقل سبحانك ربي باسمك وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وقال
البخاري وابن ماجة والترمذي فارحمها بدل فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
الصالحين زاد الترمذي واذا استيقظ فليقل الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي
واذن لي بذكره وخرج البخاري عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه
من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول اللهم باسمك اموت واحيى واذا استيقظ قال الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور قوله تعالى فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيمسك التي قضى عليها الموت هذه قراءة العامة
على انه مسمى الفاعل الموت نصبا اي قضاء الله عليها وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله في اول الاية
الله يتوفى الانفس فهو يقضي عليها وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي قضي عليها الموت
على ما لم يسم فاعله النحاس والمعنى واحد غير ان القراءة الاولى ابين واشبه بنسق الكلام لانهم قد اجمعوا
على ويرسل ولم يقرؤوا ويرسل وفي الاية تنبيه على عظيم قدرته وانفراده بالوحدانية وانه يفعل ما يشاء ويحيي ويميت
لا يقدر على ذلك سواه ان في ذلك لآيات يعني في قبض الله نفس الميت والنائم وارساله نفس النائم
وحبسه نفس الميت لقوم يتفكرون وقال الاصمعي سمعت معتمرا يقول روح الانسان مثل كبة الغزل
فترسل الروح فتمضي ثم تطوى فتجيء فتدخل فمعنى الاية انه يرسل من الروح شيء في حال النوم و
معظمها في البدن متصل بما يخرج منها اتصالا خفيفا فاذا استيقظ المرء جذب روحه ما انبسط منها
فعادت وقيل غير هذا وفي التنزيل ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي اي لا يعلم حقيقته الا
الله وقد تقدم في سبحان قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا
لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون
اي بل اتخذوا يعني الاصنام وفي الكلام ما يتضمن ام اي ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ام يتفكرون
ولكنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة ولا يعقلون لانها جمادات
وهذا استفهام انكار قل لله الشفاعة جميعا نص في ان الشفاعة لله وحده كما قال من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه فلا شافع الا من شفاعته ولا يشفعون الا لمن ارتضى جميعا نصب على الحال فان قيل جميعا
انما يكون للاثنين فصاعدا والشفاعة واحدة فالجواب ان الشفاعة مصدر والمصدر يؤدي عن الاثنين
والجميع له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
واذا ذكر الله وحده نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه وعلى الحال عند يونس اشمازت قال
المبرد انقبضت وهو قول ابن عباس ومجاهد وقال قتادة نفرت واستكبرت وكفرت وتعصت
وقال المؤرخ انكرت واصل الاشمئزاز النفور والازورار قال عمرو بن كلثوم

اذا عض الثقاف بها اشمازت ... وولته عشوزنة زبونا

العشوزنة الصلب الشديد الغليظ والانثى عشوزنة وقال يصف قناة

عشوزنة اذا غمزت ارنت ... تشج قفا المثقف والجبينا

قال ابو زيد دعر اشمأز الرجل ذعر من الفزع وهو المذكور وكان المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله
نفروا وكفروا واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان حين القى في امنية النبي صلى الله عليه وسلم
عند قراءته سورة والنجم ۝ تلك الغرانيق العلى ۝ وان شفاعتهم ترتجى ۝
قاله جماعة من المفسرين اذا هم يستبشرون اي يظهر في وجوههم البشر والسرور قوله تعالى
قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ قل اللهم فاطر السموات والارض نصب لانه نداء مضاف وكذا عالم الغيب ولا يجوز
عند سيبويه ان يكون نعتا انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون وفي صحيح مسلم عن ابي سلمة بن
عبد الرحمن ابن عوف قال سألت عائشة ام المؤمنين باي شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح
صلوته اذا قام من الليل قالت اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني
لما اختلف من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ولما بلغ الربيع بن خثيم قتل الحسين ابن علي
رضي الله عنهم قرا قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة الاية وقال سعيد بن
جبير اني لاعرف موضع آية ما قراها احد قط فسال الله شيئا الا اعطاه اياه قوله تعالى قل اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون قوله تعالى
وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ وَبَدَا لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ اي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى هذا في ال عمران والرعد وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون من اجل ما روي فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال عملوا اعمالا توهموا
انها حسنات فاذا هي سيئات وقال السدي وقيل عملوا اعمالا توهموا انهم يتوبون منها قبل
الموت فادركهم الموت قبل ان يتوبوا وقيل كانوا ظنوا انهم ينجون بالتوبة ويجوز ان يكونوا
توهموا انه يغفر لهم من غير توبة فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من دخول النار وقال
سفيان الثوري في هذه الاية ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء هذه ايتهم وقصتهم وقال عكرمة
ابن عمار جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديدا فقيل له ما هذا الجزع قال اخاف آية من كتاب
الله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانا اخشى ان يبدو لي ما لم اكن احتسب وبدا لهم اي ظهر
لهم سيئات ما كسبوا اي عقاب سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي وحاق بهم اي احاط بهم ونزل
ما كانوا به يستهزءون قوله تعالى فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قيل انها نزلت في ابي
حذيفة بن المغيرة ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم قال قتادة على علم عندي بوجوه
المكاسب وعنه ايضا على علم على خير عندي وقيل على علم اي على علم من الله بفضلي وقال الحسن
على علم اي بعلم علمني الله اياه وقيل المعنى انه قال قد علمت اني اذا اوتيت هذا في الدنيا ان لي عند الله منزلة
فقال الله بل هي فتنة اي بل النعمة التي اوتيها فتنة يختبر به قال الفراء انث هي لتانيث الفتنة ولو

كان بل هو فتنة لجاز النحاس التقدير بل عطيته فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون ان اعطاءهم المال
اختبار قوله تعالى قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا
هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ قد قالها انث على تانيث الكلمة الذين من قبلهم يعني الكفار قبله كقارون و
غيره حيث قال انما اوتيته على علم عندي فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما للجحد اي لم تغن عنهم
اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا وقيل اي فما الذي اغنى اموالهم فما استفهام فاصابهم سيئات
ما كسبوا اي جزاء سيئات اعمالهم وقد يسمى جزاء السيئة سيئة والذين ظلموا اي اشركوا من هؤلاء الامة
سيصيبهم سيئات ما كسبوا اي بالجوع والسيف وما هم بمعجزين اي فائتين الله ولا سابقيه وقد تقدم
قوله تعالى أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ خص المؤمنون بالذكر لانه هو الذي يتدبر الايات وينتفع بها ويعلم ان
سعة الرزق قد تكون مكرا واستدراجا وتقتيره رفعة واعظاما قوله تعالى قُلْ يَا عِبَادِيَ
الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وان شئت حذفت الياء لان النداء موضع حذف النحاس ومن اجل ما روي
فيه ما رواه محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال لما اجتمعنا على الهجرة اتعدت انا وهشام
ابن العاصي بن وائل السهمي وعياش بن ابي ربيعة بن عتبة فقلنا الموعد اضاءة بني غفار
وقلنا من تاخر منا فقد حبس فليمض صاحبه فاصبحت انا وعياش بن عتبة وحبس عنا هشام
واذا به قد فتن فافتتن فكنا نقول بالمدينة هؤلاء قوم قد عرفوا الله جل وعز وآمنوا برسوله
صلى الله عليه وسلم ثم افتتنوا لبلاء لحقهم لا نرى لهم توبة وكانوا هم ايضا يقولون هذا في انفسهم
فانزل الله جل وعز في كتابه قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله تعالى
اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قال عمر فكتبتها بيدي ثم بعثت بها الى هشام فلما قدمت عليه خرجت
بها الى ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها فعرفت انها نزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان قوم من المشركين
قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم او بعثوا اليه ان ما تدعوا اليه لحسن
لو تخبرنا ان لنا توبة فانزل الله عز وجل الاية قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ذكره البخاري بمعناه ومسلم وقد مضى في آخر الفرقان وعن ابن عباس ايضا نزلت
في اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له وكيف نهاجر ونسلم
وقد عبدنا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قوم
من المسلمين اسرفوا على انفسهم في العبادة وخافوا ان لا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهلية وقال
ابن عباس ايضا وعطاء نزلت في وحشي قاتل حمزة لانه ظن ان الله لا يقبل اسلامه روى ابن جريج عن
عطاء عن ابن عباس قال اتى وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني
حتى اسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت احب ان اراك على غير جوار فاما

اذا اتيتك مستجيرًا فانت فى جواري حتى تسمع كلام الله قال فانى اشركت بالله وقتلت النفس التى حرم
الله وزنيت هل يقبل الله منى توبة فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انزلت والذين لا يدعون
مع الله الهًا آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون الى آخر الاية فتلاها عليه
فقال ارى شرطا فلعلى لا اعمل صالحا انا فى جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدعا به فتلا ها عليه فقال فلعلى ممن لا يشاء انا فى جوارك حتى اسمع
كلام فنزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال نعم الآن لا ارى
شرطا فاسلم وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسما انها سمعت النبى صلى الله
عليه وسلم يقرأ قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله لا يغفر الذنوب
جميعًا ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وفى مصحف ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن
يشاء قال ابو جعفر النحاس وهاتان القراتان على التفسير اى يغفر الله لمن يشاء وقد عرف الله
عز وجل من شاء ان يغفر له وهو التائب او من عمل صغيرة ولم يكن كبيرة ودل على انه يريد التائب
ما بعده وانيبوا الى ربكم فالتائب مغفور له ذنوبه جميعًا يدل على ذلك وانى لغفار لمن تاب وآمن
وعمل صالحا فهذا لا اشكال فيه وقال على بن ابى طالب ما فى القرآن اوسع من هذه الاية قل يا عبادى
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقد مضى هذا فى سبحان وقال عبد الله بن عمرو هذه ارجى
آية من كتاب الله فرد عليهم ابن عباس وقال ارجى اية فى كتاب الله قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم وقد مضى فى الرعد وقرئ لا تقنطوا بكسر النون وفتحها وقد مضى فى الحجر بيانه
قوله تعالى وَاَنِيبُوا اِلَى رَبِّكُمْ وَاَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ
اى ارجعوا اليه بالطاعة لما بين ان من تاب من الشرك يغفر له امر بالتوبة والرجوع اليه والانابة
الرجوع الى الله بالاخلاص واسلموا له اى اخضعوا له واطيعوا من قبل ان يأتيكم العذاب فى الدنيا
ثم لا تنصرون اى لا تمنعون من عذابه وروى من حديث جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من
السعادة ان يطيل الله عمر العبد فى طاعة الله ويرزقه الانابة وان من الشقوة ان يعمل المرء و
يعجب بعمله قوله تعالى وَاتَّبِعُوا اَحْسَنَ مَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ احسن ما انزل هذا القرآن وكله حسن والمعنى ما قال الحسن التزموا
طاعته واجتنبوا معصيته وقال السدى الاحسن ما امر الله به فى كتابه وقال ابن زيد يعنى
المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل انزل الله كتبا التوراة والانجيل والزبور ثم انزل
القرآن وامر باتباعه فهو الاحسن وهو المعجز وقيل هو احسن لانه ناسخ قاض على جميع الكتب
وجميع الكتب منسوخة وقيل يعنى العفو لان الله تعالى خير نبيه صلى الله عليه وسلم بين العفو
والقصاص وقيل ما علم الله النبى صلى الله عليه وسلم وليس بقرآن فهو حسن وما اوحى اليه من
القرآن فهو الاحسن وقيل احسن ما انزل اليكم من اخبار الامم الماضية قوله تعالى اَنْ تَقُولَ
نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا ~~من قبل ان يأتيكم العذاب~~ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ وَاِنْ كُنْتُ لَمِنَ
السَّاخِرِينَ ۝ ان فى موضع نصب اى كراهة ان تقول وعند الكوفيين لئلا تقول وعند البصريين

الله ص

حذر ان تقول وقيل اي من قبل ان تقول نفس لانه قال قبل هذا من قبل ان يأتيكم العذاب المحرك
فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز ان يريد نفسا متميزة
من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد او بعقاب عظيم ويجوز ان يراد بالتكثير كما قال الاعشى ۝
ورب بقيع لو هتفت بجوه اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا ۝
وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدًا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل
قارعت ولا يقصد الا التكثير يا حسرتى والاصل يا حسرتى فابدل من الياء الفا لانها اخف
وامكن فى الاستغاثة بمد الصوت وربما الحقوا بها الهاء انشد الفراء
۝ يا مرحباه بحمار ناجية اذا اتى قربته للسانية ۝
وربما الحقوا بها الياء بعد الالف ليدل على الاضافة وكذلك قرأها ابو جعفر يا حسرتاى و
الحسرة الندامة على ما فرطت فى جنب الله قال الحسن فى طاعة الله وقال الضحاك اى فى طاعة
الله جل وعز قال يعنى القرآن والعمل به وقال ابو عبيدة فى جنب الله اى فى ثواب الله وقال
الفراء الجنب القرب والجوار يقال فلان يعيش فى جنب فلان اى فى جواره ومنه والصاحب
بالجنب اى على ما فرطت فى طلب جواره وقربه وهو الجنة وقال الزجاج اى على ما فرطت فى الطريق
الذى هو طريق الله الذى دعانى اليه والعرب تسمى السبب والطريق الى الشئ جنبا تقول تجرعت
فى جنبك غصصًا اى لاجلك وسببك ولاجل مرضاتك وقيل فى جنب الله اى فى الجانب جنبا قال
الشاعر ۝ الناس جنب والامير جنب ۝ يعنى الناس
من جانب والامير من جانب وقال ابن عرفة اى تركت من امر الله يقال ما فعلت ذلك فى جنب
حاجتى قال كثير ۝ الا تتقين الله فى جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع ۝ وكذا قال
مجاهد اى ضيعت من امر الله ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس الرجل مجلسا
ولا مشى ممشى ولا اضطجع مضجعًا لم يذكر الله عز وجل فيه الا كان عليه ترة يوم القيامة اى حسرة
خرجه ابو داود بمعناه وقال ابراهيم التيمى من الحسرات يوم القيامة ان يرى الرجل ماله الذى
اتاه الله فى الدنيا يوم القيامة فى ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له اجره وعلى الآخر
وزره ومن الحسرات ان يرى الرجل عبده الذى خوله الله اياه فى الدنيا اقرب منزلة من الله عز وجل
او يرى رجلا يعرفه اعمى فى الدنيا قد ابصر يوم القيامة وعمى هو وان كنت لمن الساخرين
اى وما كنت الا من المستهزئين بالقرآن وبالرسول فى الدنيا وباولياء الله قال قتادة لم يكفه ان ضيع
طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل ان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اى فرطت
فى حال سخريتى وقيل وما كنت الا فى سخرية ولعب وباطل اى كان سعيى فى عبادة غير الله تعالى
قوله تعالى اَوْ تَقُولَ لَوْ اَنَّ اللهَ هَدَانِى لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ اَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ
لَوْ اَنَّ لِى كَرَّةً فَاَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ
مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ او تقول هذه النفس لو ان الله هدانى اى ارشدنى الى دينه لكنت من المتقين
اى الشرك والمعاصى وهذا القول لو ان الله هدانى لاهتديت قول صدق وهو قريب من احتجاج

اى فى الحاني الذى يؤدى الى رضى الله
عز وجل وثوابه والعرب تسمى السبب
صح

المشركين فيما اخبر الرب جل وعز عنهم في قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا فهي كلمة حق اريد
بها باطل كما قال علي رضي الله عنه لما قال قايل من الخوارج لا حكم الا لله اويقول يعني هذه النفس حين ترى
العذاب لو ان لي كرة اي رجعة فاكون نصب على جواب التمني وان شيت كان معطوف على كرة لان
معناه ان اكر كما قال الشاعر ٥ للبس عباءة وتقر عيني ٥ احب الي من لبس الشفوف ٥
٥ والنفد القرآء فمالك منها غير ذكرى وخشية وتسال عن ركبانها اين يمموا ٥
فنصب وتسل على موضع الذكرى لان موضع الكلام فمالك منها الا ان تذكر ومنه للبس عباءة
اي لان البس عباءة وتقر وقال ابو صالح كان رجل عالم في بني اسرائيل وجد رقعة ان العبد
ليعمل الزمن الطويل بعبادة الله فيختم له عمله بعمل اهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل الزمن
الطويل بمعصية الله ثم يختم له عمله بعمل رجل من اهل الجنة فيدخل الجنة فقال ولاي شي اتعب
نفسي فترك عمله واخذ في الفسوق والمعصية وقال له ابليس لك عمر طويل فتمتع في الدنيا ثم توب
فاخذ في الفسوق وانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان فندم حين لا ينفعه الندم فانزل الله خبره في القرآن
وقال قتادة هولاء اصناف صنف منهم قال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وصنف منهم قال لو ان
الله هداني لكنت من المتقين وقال اخر لو ان لي كرة فاكون من المحسنين فقال الله تعالى ردا لكلامهم
بلى قد جاءتك اياتي قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي ولكن معنى لو ان الله هداني
ما هداني وكان هذا القايل يقول ما هديت فقيل بلى قد بينت لك طريق الهدى فكنت بحيث لو اردت ان
تومن امكنك ان تومن اياتي اي القرآن وقيل عني بالايات المعجزات اي وضح الدليل فانكرته وكذبته
واستكبرت اي تكبرت عن الايمان وكنت من الكافرين وقال استكبرت وكنت وهو خطاب لمذكر
لان النفس تقع على الذكر والانثى يقال ثلثة انفس وقال المبرد تقول العرب نفس واحد اي انسان
واحد وروي الربيع بن انس عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قراء قد جاءتك اياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين وقراء الاعمش بلى قد جاءته اياتي وهذا يدل على التذكير والربيع
ابن انس لم يلحق ام سلمة الا ان القرآة جايزة لان النفس تقع للمذكر والمونث وقد انكر هذه القراءة
بعضهم وقال يجب اذا كسر التاء ان يقول وكنت من الكوافر او من الكافرات قال النحاس
وهذا لا يلزم الا تري ان قبله ان تقول نفس ثم قال وان كنت لمن الساخرين ولم يقل من السواخر
ولا من الساخرات والتقدير في العربية على كسر التاء واستكبرت وكنت من الجميع الساخرين
اي من الناس الساخرين او من القوم الساخرين قوله تعالى وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ
كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ٥ ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اي مما احاط بهم من غضب الله ونقمته وقال الاخفش
ترى غير عاملة في قوله وجوههم مسودة انما هو ابتداء وخبر الزمخشري جملة في موضع الحال ان كان
ترى من روية البصر ومفعول ثان ان كان من روية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم معنى الكبر فقال عليه السلام سفه الحق وغمص الناس اي احتقارهم وقد مضى

في البقرة وغيرها وفي حديث عبد الله عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة
كالذر يلحقهم الصغار حتى يوتى بهم الى سجن في جهنم قوله تعالى وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ
لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ
وينجي وقرئ وينجي الله الذين اتقوا اي الشرك والمعاصي بمفازتهم على التوحيد قراءة العامة
لانه مصدر وقراء الكوفيون بمفازاتهم وهو جايز كما تقول بسعاداتهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم تفسير هذه الاية من حديث ابي هريرة قال يحشر الله مع كل امرء عمله فيكون عمل المومن معه
في احسن صورة واطيب ريح فكلما كان رعب او خوف قال لا تروع فما انت بالمراد به ولا انت بالمعني
فاذا كثر ذلك عليه قال ما احسنك فمن انت فيقول اما تعرفني انا عملك الصالح حملتني على ثقلي فوالله لاحملنك
ولادفع عنك فهي التي قال وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل
شيء وهو على كل شيء وكيل اي حافظ وقايم به وقد تقدم قوله تعالى لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ٥ واحدها مقليد وقيل مقلاد واكثر ما يستعمل فيه اقليد والمقاليد المفاتيح عن ابن عباس
وغيره وقال السدي خزاين السموات والارض قال غيره خزاين السموات المطر وخزاين الارض
النبات وفيه لغة اخرى اقاليد وعليها يكون واحدها اقليدا قال الجوهري والاقليد المفتاح و
المقلد مفتاح كالمنجل وربما يقلد به الكلاء كما تقلد القت اذا جعل حبالا اي يفتل والجمع المقاليد
واقلد البحر على خلق كثير اي غرقهم كانه اغلق عليهم وخرج البيهقي عن ابن عمر ان عثمان ابن عفان رضي الله
عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالني عنها احد تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده
استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن يحيي ويميت بيده الخير وهو
على كل شيء قدير ذكره الثعلبي في تفسيره وزاد لمن قالها اذا اصبح او امسى عشر مرات اعطاه الله
ست خصال اولها يحرس من ابليس والثانية يحضره اثنا عشر الف ملك والثالثة يعطى قنطارا من الاجر
والرابع ترفع له درجة والخامسة يزوجه الله من الحور العين والسادسة يكون له من الاجر كمن قراء
القرآن والتوراة والانجيل والزبور وله ايضا من الاجر كمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته فان
مات من ليلته مات شهيدا وروي الحرث عن علي قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد
فقال يا علي لقد سالت عن عظيم المقاليد ان تقول عشرا اذا اصبحت وعشرا اذا امسيت لا اله الا
الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشر مرات اذا اصبح وعشرا اذا امسى
اعطاه الله خصالا ستا اولها يحرسه من الشيطان وجنوده فلا يكون لهم عليهم سلطان والثانية يعطى
قنطارا في الجنة هو اثقل في ميزانه من جبل احد والثالث ترفع له درجة لا ينالها الا الابرار والرابعة
يزوجه الله من الحور العين والخامسة يشهده اثنا عشر الف ملك يكتبونها له في رق منشور ويشهدون
له بها يوم القيامة والسادسة يكون له من الاجر كانما قراء التوراة والانجيل والزبور والفرقان وكمن
حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته وان مات من يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهداء وقيل المقاليد

الطاعة يقال القى الى فلان بالمقاليد اي اطاعه فيما يامره فمعنى الآية له طاعة من في السموات والارض
قوله تعالى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ والذين كفروا بايات الله
اى بالقران والحجج والدلالات اولئك هم الخاسرون تقدم قوله تعالى قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي
أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ وذلك حين دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى ما هم عليه من عبادة الاصنام
وقالوا هو دين ابائك وهو نصب باعبد على تقدير اعبد غير الله فيما تامروني ويجوز ان تنصب
بتامروني على حذف حرف الجر التقدير اتامروني بغير الله ان اعبده لان ان مقدرة وان والفعل مصدر
وهي بدل من غير التقدير اتامروني بعبادة غير الله وقراء نافع تامروني بنون واحدة مخففة وفتح الياء
وقراء ابن عامر تامرونني بنونين مخففتين على الاصل الباقون بنون واحدة مشددة على الادغام و
اختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة وقراء نافع على حذف النون
الثانية وانما كانت المحذوفة الثانية لان التكرير والتثقيل يقع بها وايضا حذف الاول لا يجوز لانها
دلالة الرفع وقد مضى في الانعام بيانه عند قوله تعالى اتحاجوني اعبد ان اعبد فلما حذف ان رفع قاله
الكسائى ومنه قول الشاعر الا ايها ذا الزاجرى احضر الوغى والدليل على صحة هذا الوجه قراءة
من قراء اعبد بالنصب قوله تعالى وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ
لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ قيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير ولقد اوحى اليك
لئن اشركت واوحى الى الذين من قبلك كذلك وقيل هو على بابه قال مقاتل اي اوحى اليك والى الانبياء
قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لئن اشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
خاصة وقيل الخطاب له والمراد امته اذ قد علم الله انه لا يشرك ولا يقع منه اشراك والاحباط الا
بطال والفساد قال القشيري فمن ارتد لم تنفعه طاعته السابقة ولكن احباط الردة العمل مشروطا بالموافاة
على الكفر ولهذا قال من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فالمطلق هنا محمول
على المقيد ولهذا قلنا من حج ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام لا يجب عليه اعادة الحج قال الشيخ رحمه الله هذا مذهب
الشافعي وعند مالك يجب عليه الاعادة وقد مضى في البقرة بيان هذا مستوفى قوله تعالى بَلِ اللَّهَ
فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ النحاس في كتابي عن ابي اسحاق لفظ اسم الله جل وعز منصوب باعبد
قال ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين قال النحاس وقال الفراء يكون منصوبا باضمار فعل
وحكاه المهدوي عن الكسائى فاما الفاء فقال الزجاج انها للمجازاة وقال الاخفش هي زائدة وقال ابن عباس
فاعبد فوحد وقال غيره بل الله فاطع وكن من الشاكرين لنعمه بخلاف المشركين قوله تعالى وَ
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ قال المبرد ما عظموه حق عظمته من قولك فلان
عظيم القدر قال النحاس والمعنى على هذا وما عظموه حق عظمته اذ عبدوا معه غيره وهو خالق الاشياء
ومالكها ثم اخبر عن قدرته وعظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه ثم نزه نفسه عن ان يكون ذلك بجارحة فقال سبحانه وتعالى عما يشركون وفي الترمذي
عن عبد الله قال جاء يهودي الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على

على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والخلائق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك النبى صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه وقال وما قدروا الله حق قدره قال هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري ومسلم عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم
يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي الترمذي عن عائشة انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قال قلنا فاين الناس
يومئذ يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على جسر جهنم في رواية قال على الصراط يا عائشة قال حديث
حسن صحيح فقوله والارض جميعا قبضته اى يقبضه الله الارض عبارة عن قدرته واحاطته بجميع مخلوقاته
يقال ما فلان الا في قبضتي بمعنى ما فلان الا في قدرتي والناس يقولون الاشياء في قبضته يريدون في
ملكه وقدرته وقد يكون بمعنى القبض والطى افناء الشيء واذهابه فقوله جل وعز والارض جميعا قبضته
يحتمل ان يكون المراد به والارض جميعا ذاهبة فانية يوم القيامة والمراد بالارض الارضون السبع
يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات لان الموضع موضع تفخيم فهو مقتض للمبالغة وقوله والسموات
مطويات بيمينه ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وانما المراد بذلك الفناء والذهاب يقال قد انطوى
عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره وانطوى عنا دهر بمعنى المضي والذهاب واليمين في كلام العرب قد تكون
بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم يريد به الملك وقال لاخذنا منه باليمين اى بالقوة
والقدرة اى لاخذنا قوته وقدرته قال الفراء والمبرد اليمين القدرة والقوة وانشدوا

اذا ما راية رفعت لمجد ۝ تلقاها عرابة باليمين

وقال آخر

ولما رايت الشمس اشرق نورها ۝ تناولت منها حاجتي بيميني
قتلت شنيفا ثم فاران بعده ۝ وكان على الايات غير امين

وانما خص يوم القيامة بالذكر وان كانت قدرته شاملة لكل شيء ايضا لان الدعاوي تنقطع ذلك اليوم كما قال
والامر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين حسب ما تقدم في الفاتحة ولذلك قال في الحديث ثم
يقول انا الملك اين ملوك الارض وقد زدنا هذا الباب في التذكرة بيانا وتكلمنا على ذكر الشمال في حديث
ابن عمر قوله ثم يطوى الارض بشماله قوله تعالى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ بين ما يكون بعد
قبض الارض وطى السماء وهو النفخ في الصور وانما هما نفختان يموت الخلق في الاولى منهما ويحيون
في الثانية وقد مضى الكلام في هذا في النمل والانعام ايضا والذى ينفخ في الصور هو اسرافيل عليه السلام
وقد قيل انه يكون معه جبريل الحديث ابى سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
صاحبى الصور بايديهما او في ايديهما قرنان يلاحظان النظر متى يومران خرجه ابن ماجة في السنن
وفي كتاب ابى داود عن ابى سعيد الخدري قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور وقال
عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل واختلف في المستثنى من هم فقيل هم الشهداء متقلدين
اسيافهم حول العرش روى مرفوعا من حديث ابى هريرة فيما ذكر القشيري ومن حديث عبد الله
ابن عمر فيما ذكر الثعلبي وقيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وروي من حديث

انس ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
فقالوا يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى قال هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت
فيقول الله لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو اعلم فيقول يا رب بقي جبرئيل وميكائيل
واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس اسرافيل وميكائيل فيخرا في
معتان كالطودين العظيمين فيقول مت يا ملك الموت فيقول الله لجبرئيل يا جبرئيل من بقي فيقول الله — فيموت صح
تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبرئيل الميت الفاني فيقول الله
تعالى يا جبرئيل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت
يا ذا الجلال والاكرام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم
على الضرب من الظراب ذكره الثعلبي وذكره النحاس ايضا من حديث محمد بن اسحاق عن يزيد الرقاشي
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله جل وعز فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله قال جبرئيل وميكائيل وحملة العرش وملك الموت واسرافيل وفي هذا الحديث
ان آخرهم موتا جبرئيل صلى الله عليه وسلم وحديث ابي هريرة في الشهداء اصح على ما تقدم في النمل
وقال الضحاك هو رضوان والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب النار وحياتها وقال الحسن
هو الله الواحد القهار وما يدع احدا من اهل السموات والارض الا اذاقه الموت وقال قتادة
الله اعلم بثنياه وقيل الاستثناء في قوله الا من شاء الله يرجع الى من مات قبل النفخة الاولى اي فيموت — فيموت صح
من في السموات والارض الا من سبق موته لانهم كانوا قد ماتوا وفي الصحيحين وابن ماجه واللفظ
له عن ابي هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من
الانصار يده فلطمه قال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قال الله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من
شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فاكون اول من رفع راسه فاذا انا بموسى آخذ
بقائمة من قوائم العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي او كان ممن استثنى الله ومن قال انا خير من يونس
ابن متى فقد كذب وخرجه الترمذي ايضا وقال فيه حديث حسن صحيح قال القشيري ومن حمل
الاستثناء على موسى والشهداء فهؤلاء قد ماتوا غير انهم احياء عند الله فيجوز ان تكون الصعقة
بزوال العقل دون زوال الحياة ويجوز ان تكون بالموت ولا يبعد ان يكون الموت والحياة فكل ذلك مما يجوزه
العقل والامر في وقوعه موقوف على خبر صدق قال الشيخ رحمه الله جاء في بعض طرق ابي هريرة انه
عليه السلام قال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش
بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي ام كان ممن استثنى الله خرجه مسلم ونحوه عن ابي
سعيد الخدري والافاقة انما تكون عن غشية وزوال عقل لا عن موت برد الحياة والله اعلم
قوله تعالى فاذا هم ينظرون اي فاذا الاموات من اهل الارض والسماء احياء بعثوا من قبورهم — قيام صح
واعيدت اليهم ابدانهم وارواحهم فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون وقيل قيام على ارجلهم ينظرون الى البعث
الذي وعدوا به وقيل هذا النظر بمعنى الانتظار اي ينتظرون ما يفعل بهم واجاز الكسائي قياما بالنصب

كما تقول خرجت فاذا زيد جالسا قوله تعالى وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا اشراقها اضاءتها يقال
اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت ومعنى بنور ربها بعدل ربها قاله الحسن وغيره وقال
الضحاك بحكم ربها والمعنى واحد اي انارت واضاءت بعدل الله وقضائه بالحق بين عباده والظلم ظلمات
والعدل نور وقيل ان الله يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الارض فتشرق الارض به وقال ابن عباس
النور المذكور ههنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه الله فيضيء به الارض وروي ان الارض
يومئذ من فضة تشرق بنور الله تعالى حين تاتي لفصل القضاء والمعنى انها اشرقت بنور خلقه الله
تعالى فاضاف النور اليه على حد اضافة الملك الى المالك وقيل انه اليوم الذي يقضى فيه بين خلقه لانه
نهار لا ليل فيه وقرا ابن عباس وعبيد بن عمير واشرقت الارض على ما لم يسم فاعله ومن قراءة على
التفسير وقد ضل قوم ههنا فتوهموا ان الله جل وعز من جنس النور والضياء المحسوس وهو متعال عن
مباينة المحسوسات بل هو منور السموات والارض فمنه كل نور خلقا وانشاء وقال ابو جعفر النحاس
وقوله جل وعز واشرقت الارض بنور ربها يبين هذا الحديث المرفوع من طرق كثيرة صحاح تنظرون
الى الله جل وعز لا تضامون في رؤيته وهو يروى على اربعة اوجه لا تضامون ولا تضارون ولا تضامون
ولا تضارون فمعنى لا تضامون لا يلحقكم ضيم كما يلحقكم في الدنيا في النظر الى الملوك ولا تضارون لا يلحقكم
ضير ولا تضامون لا ينضم بعضكم الى بعض ليسأله ان يريه ولا تضارون لا يخالف بعضكم بعضا يقال
ضاررته مضارة وضرارا اي خالفته قوله تعالى وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ
الشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا — لا يظلمون صح
يَفْعَلُونَ قال ابن عباس يريد اللوح المحفوظ وقال قتادة يعني الكتب والصحف التي فيها اعمال
بني آدم فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وجيء بالنبيين اي جيء بهم فيسألوا عما اجابتهم به اممهم والشهداء الذين
يشهدون على الامم من امة محمد عليهم السلام كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس وقيل المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن
دين الله قاله السدي وقال ابن زيد هم الحفظة الذين يشهدون على الناس باعمالهم قال الله تعالى وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق يسوقها الى الحساب والشهيد يشهد عليها وهو الملك الموكل بالانسان
على ما ياتي بيانه في ق وقضي بينهم بالحق اي بالصدق والعدل وهم لا يظلمون قال سعيد بن جبير لا ينقص
من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ووفيت كل نفس ما عملت من خير او شر وهو اعلم بما يفعلون في الدنيا
ولا حاجة به جل وعز الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزاما للحجة قوله تعالى
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ اي الكتب المنزلة على الانبياء وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الكافر الى النار
والمؤمن الى الجنة والزمر الجماعات واحدها زمرة كظلمة وغرفة وقال الاخفش وابو عبيدة زمرا
جماعات متفرقة بعضها اثر بعض قال الشاعر وترى الناس الى منزله زمرة تنتابه بعد زمره

وقال آخر ۞ حتى احزألت زمر بعد زمر ۞ وقيل دفعًا وزجرًا بصوت كصوت المزمار
حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها جواب اذا وهي سبعة ابواب وقد مضى في الحجر وقال لهم خزنتها
واحدهم خازن نحو سادن وسدنة يقولون لهم تقريعًا وتوبيخًا الم يأتكم رسل منكم اي من انفسكم
يتلون عليكم ايات ربكم اي الكتب المنزلة على الانبياء وينذرونكم اي يخوفونكم لقاء يومكم هذا قالوا
بلى اي قد جاءتنا وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
وهي قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ادخلوا
جهنم وقد مضى الكلام في ابوابها قال وهب تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعها
فانه ليقع في الدفعة الواحدة الى النار بعدد ربيعة ومضر فبئس مثوى المتكبرين تقدم بيانه
قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرًا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده واورثنا الارض نتبوأ منها حيث نشاء فنعم اجر العاملين ۞ وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرًا يعني من الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقى الله
تعالى وعمل بطاعته وقال في حق الفريقين وسيق بلفظ واحد فسوق اهل النار طردهم بالخزي
والهوان كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل وسوق اهل
الجنان سوق مراكبهم الى دار الكرامة والرضوان لانه لا يذهب بهم الا راكبين كما يفعل بمن يشرف
ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها
قيل الواو ههنا للعطف عطف جملة على جملة والجواب محذوف قال المبرد اي سعدوا وفتحت وحذف
الجواب بليغ في كلام العرب وانشد فلو انها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط انفسا
فحذف جواب لو والتقدير لكان اروح وقال الزجاج حتى اذا جاؤها دخلوها وهو قريب من الاول
وقيل الواو زائدة قاله الكوفيون وهو خطأ عند البصريين وقد قيل ان زيادة الواو دليل على
ان الابواب فتحت لهم قبل ان يأتوا لكرامتهم على الله تعالى والتقدير حتى اذا جاؤها وابوابها
مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحذفت الواو في قصة اهل النار لانهم وقفوا
على النار وفتحت بعد وقوفهم اذلالا وترويعًا لهم ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس قبله قال
النحاس فاما الحكمة في اثبات الواو في الثاني وحذفها من الاول فقد تكلم فيه بعض اهل العلم بقول
لا اعلم انه سبقه اليه احد وهو انه لما قال الله جل وعز في اهل النار حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها
دل بهذا على انها كانت مغلقة ولما قال في اهل الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها دل بهذا على انها
كانت مفتحة قبل ان يجيئوها والله اعلم وقيل انها واو الثمانية وذلك ان من عادة قريش انهم
يعدون من واحد فيقولون خمسة ستة سبعة فاذا بلغوا قالوا وثمانية قاله ابو بكر بن عياش
قال الله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقال التائبون العابدون الحامدون ثم قال في
الثامن والناهون عن المنكر قال ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ثيبات وابكارًا وقد مضى
القول في هذا في براءة مستوفى وفي الكهف ايضًا قال الشيخ رحمه الله وقد استدل من قال بهذا ان

ابواب الجنة ثمانية وذكروا حديث عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
من احد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدًا عبده ورسوله
الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء خرجه مسلم وغيره وقد خرج الترمذي
حديث عمر هذا وقال فيه فتح له من ابواب الجنة ثمانية ابواب يوم القيامة بزيادة من وهو يدل
على ان ابوابها اكثر من ثمانية وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة وانتهى عددها الى ستة عشر بابًا و
ذكرنا هناك عظم ابوابها وسعتها حسب ما روي في الحديث من ذلك فمن اراده اي وقف عليه هناك
وقال لهم خزنتها قيل الواو ملغاة تقديره حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم
اي في الدنيا قال مجاهد بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح حكاه النقاش والمعنى واحد وقال مقاتل اذا
قطعوا جسر جهنم على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى
اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان واصحابه سلام عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين قال
الشيخ رحمه الله خرج البخاري حديث القنطرة هذا في جامعه من حديث ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وحكى النقاش ان على باب الجنة شجرة
ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من احداهما فتطهر اجوافهم وذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابًا
طهورًا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب ابشارهم فعندها يقول لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وهذا يروى معناه عن علي رضي الله عنه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده اي اذا دخلوا
الجنة قالوا هذا واورثنا الارض اي ارض الجنة قيل انهم ورثوا الارض التي كانت تكون لاهل النار
لو كانوا مؤمنين قاله ابو العالية وابو صالح وقتادة والسدي واكثر المفسرين وقيل انها
ارض الدنيا على التقديم والتاخير مجازه فنعم اجر العاملين قيل هو من قولهم اي نعم الثواب
هذا وقيل هو من قول الله تعالى اي نعم ثواب المحسنين هذا الذي اعطيتهم قوله تعالى
وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق و
قيل الحمد لله رب العالمين ۞ وترى الملائكة يا محمد حافين اي محدقين من حول العرش
في ذلك اليوم يسبحون بحمد ربهم متلذذين بذلك لا متعبدين به اي يصلون حول العرش
شكرًا لربهم والحافون اخذ من حافات الشيء ونواحيه قال الاخفش واحدهم حاف وقال
الفراء لا واحد له اذ لا يقع لهم الاسم الا مجتمعين ودخلت من على حول لانه ظرف والفعل يتعدى
الى الظرف بحرف وبغير حرف وقال الاخفش من زائدة اي حافين حول العرش وهو كقوله ما جاءني
من احد فمن توكيد الثعلبي والعرب تدخل الباء احيانًا في التسبيح وتحذفها احيانًا فيقولون سبح
بحمد ربك العظيم وقضي بينهم بالحق بين اهل الجنة والنار وقيل قضى بين النبيين الذين جيء بهم مع
الشهداء وبين اممهم بالحق والعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقول المؤمنون الحمد لله على
ما اثابنا من نعمه واحسانه ونصرنا على من ظلمنا وقال قتادة في هذه الاية افتتح الله اول الخلق بالحمد

لله فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وختم بالحمد فقال وقضى
بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فلزم الاقتداء به والاخذ فى ابتداء كل امر بحمد الله وخاتمته
بحمده وقيل ان الحمد لله رب العالمين من قول الملايكة فعلى هذا يكون حمدهم لله تعالى على عدله
وقضائه ويروى من حديث بن عمران رسول الله صلعم قراء على المنبر آخر سورة الزمر فتحرك المنبر مرتين

سورة غافر وهي سورة المؤمن

وتسمى سورة الطول وهى مكية فى قراءة الحسن وعطا وعكرمة وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا
آيتين منها نزلتا بالمدينه وهما ان الذين يجادلون فى ايات الله والتى بعدها وهى خمس وثمانون
آية وقيل ثنتان وثمانون آية وفى مسند الدارمى حدثنا جعفر بن عون عن مسعر عن سعيد بن
ابرهيم قال كن الحواميم انه يسمين العرائس وروي من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الحواميم ديباج القرآن وروي عن ابن مسعود قوله قال الجوهرى وابوعبيد وآل حم سور فى
القرآن قال ابن مسعود آل حم ديباج القرآن قال الفرا انما هو كقولك آل فلان وآل
فلان كانه نسب السورة كلها الى حم قال الكميت وجدنا لكم فى آل حم آية تاولها منا تقى ومعرب
قاله ابوعبيد هكذا رواها الاموى بالزاى وكان ابوعمرو يرويها بالراء فاما قول العامة الحواميم فليس
فى كلام العرب وقال ابوعبيدة الحواميم سور فى القرآن على غير قياس وانشد
وبالحواميم التى قد سبقت قال والاولى ان تجمع بذوات حم وروي ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
لكل شئ ثمرة وثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع
فى رياض الجنة فليقراء الحواميم وقال النبى صلى الله عليه وسلم مثل الحواميم فى القرآن كمثل الحبرات
فى الثياب ذكرهما الثعلبى وقال ابوعبيد وحدثنى حجاج بن محمد عن ابى معشر قال راى رجل سبع
جوار حسنات مزينات فى النوم فقال لمن انتن بارك الله فيكن فقلن نحن لمن قرانا نحن آل حم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
حم اختلف فى معناه فقال عكرمة قال النبى صلى الله عليه وسلم حم اسم من اسماء الله تعالى
وهى مفاتح خزاين ربك وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة
وعنه ايضا اسم من اسماء الله تعالى اقسم به وقال قتادة انه اسم من اسماء القرآن مجاهد فواتح السور
وقال عطا الخراسانى الحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحنان وحكيم والميم افتتاح اسمه ملك ومجيد
ومنان ومتكبر ومصور يدل عليه ماروي انس ان اعرابيا سال النبى صلى الله عليه وسلم ما حم فانا
لا نعرفها فى لساننا فقال النبى صلى الله عليه وسلم بدو اسما وفواتح سورة وقال الضحاك والكسايي
معناه قضى ما هو كاين كانه اراد الاشارة الى تهجى حم لانها تصير حم بضم الحاء وتشديد الميم اى قضى
ووقع وقال كعب بن مالك فلما لقيناهم ودارت بنا الرحا وليس لامر حمه الله دافع وعنه
ايضا ان المعنى حم امر الله اى قرب كما قال الشاعر قد حم يومى فسر قوم قوم بهم غفلة ونوم
ومنه سميت الحمى لانها تقرب من المنية والمعنى المراد قرب نصره لاوليائه وانتقامه من اعدائه

كيوم بدر وقيل حروف هجاء قال الجرمى ولهذا تقراء ساكنة الحروف فخرجت مخرج التهجى واذا سميت
سورة بشئ من هذه الحروف اعربت فتقول قرات حم فتنصب قال الشاعر
يذكرنى حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم
وقراء عيسى بن عمر الثقفى حم بفتح الميم على معنى اقرا او لالتقاء الساكنين وابن ابى اسحاق وابو السماك
بكسرها والامالة وبه الكسر لالتقاء الساكنين او على وجه القسم وقراء ابوجعفر بقطع الحا من الميم الباقون
بالوصل وكذلك فى حم عسق وقراء ابوعمرو وابوبكر وحمزه والكسايي وخلف وبن ذكوان بالامالة
فى الحا وروي عن ابي عمرو بين اللفظين وهى قراءة نافع وابى جعفر وشيبه الباقون بالفتح مشبعا
قوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب ابتداء والخبر
من الله العزيز الحكيم ويجوز ان يكون تنزيل خبر لمبتداء محذوف اى هذا تنزيل ويجوز ان يكون حم مبتداء
وتنزيل خبره والمعنى ان القرآن انزله الله وليس منقولا ولا مما يجوز ان يكذب به قوله تعالى
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قال الفرا جعلهما كالنعت للمعرفة وهى نكرة وقال الزجاج هى
خفض على البدل النحاس وتحقيق الكلام فى هذا وتلخيصه ان غافر الذنب وقابل التوب يجوز ان يكونا معرفتين
على انهما لما مضى فيكونا نعتين ويجوز ان يكونا للمستقبل والحال فيكونان نكرتين ولا يجوز ان يكونا نعتين على
هذا ولكن يكون خفضهما على البدل ويجوز النصب على الحال فاما شديد العقاب فهو نكرة ويكون خفضه على البدل
قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لم يقل
لا اله الا الله وقال ثابت البنانى كنت الى سرادق مصعب بن الزبير فى مكان لا تمر فيه الدواب قال
فاستفتحت حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم فمر على رجل على دابة فلما قلت غافر الذنب قال قل
يا غافر الذنب اغفر لى ذنبى فلما قلت قابل التوب قال قل يا قابل التوب تقبل توبتى فلما قلت شديد
العقاب قال قل يا شديد العقاب اعف عنى فلما قلت ذي الطول قال قل يا ذا الطول طل على بخير فقمت
اليه فاخذ ببصرى فالتفت يمينا وشمالا فلم ار شيئا وقال اهل الاشارة غافر الذنب فضلا وقابل التوب
وعدا شديد العقاب عدلا لا اله الا هو اليه المصير وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه افتقد
رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع فى هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى
فلان سلام عليك وانا احمد الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الى قوله واليه
المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما
اتته الصحيفة جعل يقروها ويقول قد وعدنى الله ان يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها
حتى بكى ثم نزع فاحسن النزع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم احدا
قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه والتوب يجوز
ان يكون مصدر تاب يتوب توبا ويحتمل ان يكون جمع توبة نحو دومة ودوم وعزمة وعزم ومنه
قوله فيخبو ساعة ويهب ساعا ويجوز ان يكون التوب بمعنى التوبة قال ابو العباس الذى يسبق
الى قلبى ان يكون مصدرا اى يقبل هذا الفعل كما تقول قال قولا واذا كان جمعا فمعناه يقبل التوبات

ذي الطول على البدل وعلى النعت لانه معرفة واصل الطول الانعام والفضل يقال منه اللهم طل اي انعم وتفضل قال ابن عباس ذي الطول ذي النعم وقال مجاهد ذي الغنى والسعة ومنه قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا اي غنى وسعة وعن ابن عباس ايضا ذي الطول ذي الغنا عن من لا يقول لا اله الا الله وقال عكرمة ذي الطول ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي الطول ذي التفضل احسانه غير مستحق والطول ماخوذ من الطول كانه طال بانعامه على غيره وقيل لانه طالت مدة انعامه لا اله الا هو اليه المصير اي المرجع قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد اي في دفع ايات الله الا الذين كفروا سجل سبحانه على المجادلين في ايات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الباطل واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقد مضى هذا المعنى في البقرة عند قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه مستوفى فلا يغررك وقرئ فلا يغرك تقلبهم في البلاد اي تصرفهم في البلاد فاني وان امهلتهم فلا اهملهم بل اعاقبهم قال ابن عباس يريد تجارتهم من مكة الى الشام والى اليمن وقيل لا يغررك ما هم فيه من الخير والسعة في الرزق فانه متاع قليل في الدنيا وقال الزجاج لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وقال ابو العالية ايتان ما اشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب كذبت قبلهم قوم نوح على تانيث الجماعة اي كذبت الرسل والاحزاب من بعدهم اي والامم الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود فمن بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه اي ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة والسدي ليقتلوه والاخذ يرد بمعنى الاهلاك كقوله فاخذتهم فكيف كان نكير والعرب تسمي الاسير الاخيذ لانه ماسور للقتل وانشد قطرب قول الشاعر

فاما تاخذوني تقتلوني ومن اخذ فليس له خلود

وفي وقت اخذهم لرسولهم قولان احدهما عند دعائه لهم الثاني عند نزول العذاب بهم وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق اي ليزيلوا ومنه مكان دحض اي مزلقة والباطل داحض لانه يزلق ويزل فلا يستقر قال يحيى بن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان فاخذتهم اي بالعذاب فكيف كان عقاب اي عاقبة الامم المكذبة اي اليس وجدوه حقا قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وكذلك حقت اي وجبت ولزمت ماخوذ من الحق لانه اللازم كلمة ربك هذه قراءة العامة على التوحيد وقرا نافع وابن عامر كلمات جمعا على الذين

كفروا

قال الماوردي والفرق بين المن والفضل ان المن عفو عن ذنب والتفضل ...

كفروا انهم قال الاخفش اي لانهم وبانهم قال الزجاج انهم بكسر الهمزة اصحاب النار اي المعذبون بها وتم الكلام ثم ابتداء فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وروي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشراف الملائكة وافضلهم ففي الحديث ان الله تبارك وتعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة ويقال خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر وقرا ابن عباس العرش بضم العين ذكره الزمخشري وقيل اتصل هذا بذكر الكفار لان المعنى والله اعلم الذين يحملون العرش ومن حوله ينزهون الله عز وجل عما يقوله الكفار ويستغفرون للذين امنوا اي يسالون لهم المغفرة من الله تعالى واقاويل اهل التفسير على ان العرش هو السرير وانه جسم مجسم خلقه الله عز وجل وامر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الارض بيتا وامر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة روى ابرهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام ذكره البيهقي وقد مضى في البقرة في اية الكرسي عظم العرش وانه اعظم المخلوقات خلقا وروى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب الاحبار انه قال لما خلق الله تعالى العرش قال لن يخلق الله خلقا اعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية للحية سبعة الف جناح في الجناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان تخرج من افواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد ايام الدنيا وعدد الملائكة اجمعين فالتوت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية به وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة ربنا اي يقولون وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء فلما نقل الفعل عن الرحمة والعلم نصب على التفسير فاغفر للذين تابوا اي من الشرك والمعاصي واتبعوا سبيلك اي دين الاسلام وقهم عذاب الجحيم اي اصرفه عنهم حتى لا يصل اليهم قال ابراهيم النخعي كان اصحاب عبد الله يقولون الملائكة خير من ابن الكوا هم يستغفرون لمن في الارض وابن الكوا يشهد عليهم بالكفر قال ابرهيم وكانوا يقولون لا يحجبون الاستغفار عن احد من اهل القبلة وقال مطرف بن عبد الله وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشيطان وتلى هذه الاية وقال يحيى بن معاذ الرازي لاصحابه في هذه الاية افهموها فما في العالم جنة ارجى منها ان ملكا واحدا لو سال الله تعالى ان يغفر لجميع

بين

الجحيم

المؤمنين لخفد لهم كيف وجميع الملايكة وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين وقال خلف بن هشام
البناد القادي كنت اقراء على سليم بن عيسى فلمّا بلغته ويستغفرون للذين آمنوا بكى وقال يا خلف ما
اكرم المؤمنين على الله نايمًا على فراشه والملايكة يستغفرون له قوله تعالى رَبَّنَا وَاَدْخِلْهُمْ
جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَاَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ يروي انّ عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار ما جنات عدن قال قصر من ذهب
في الجنة يدخله النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وائمة العدل التي وعدتهم التي في محل
نصب نعتا للجنات ومن صلح من في محل نصب عطفا على الهاء والميم في قوله وادخلهم من صلح بالايمان
من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وقد مضى في الرعد نظير هذه الاية قال سعيد بن جبير يدخل
الرجل الجنة فيقول يا رب اين ابي وجدي وامي واين ولدي وولد ولدي واين زوجاتي فيقال
انهم لم يعملوا لعملك فيقول يا رب كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ثم تلى الذين يحملون
العرش ومن حوله الى قوله ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وقرئ من هذه الآية و
الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله تعالى وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ
تَقِ السَّيِّئَاتِ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥ وقهم السيات قال قتادة اى وقهم
ما يسوءهم وقيل التقدير وقهم عذاب السيات وهو امر من وقاه الله يقيه وقاية بالكسر اى حفظه
ومن تق السيات يومئذ فقد رحمته اى بدخول الجنة وذلك الفوز العظيم النجاة الكبيرة قوله تعالى
اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَمَقْتُ اللهِ اَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ اَنْفُسَكُمْ اِذْ تُدْعَوْنَ اِلَى الْاِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ
قال الاخفش لمقت هذه لام الابتداء وقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم والندا قول و
قال غيره المعنى يقال لهم لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقت بعضكم
بعضًا يوم القيامة لان بعضهم عادا بعضا ومقته يوم القيامة فاذعنوا عند ذلك وخضعوا وطلبوا
الخروج من النار وقال الكلبي يقول كل انسان من اهل النار لنفسه مقتك يا نفس فيقول الملايكة
لهم وهم في النار لمقت الله اياكم اذ انتم في الدنيا وقد بعثت اليكم الرسل فلم تؤمنوا اشد من مقتكم انفسكم
اليوم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا نظروا الى سياتهم مقتوا انفسهم فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وقال معناه مجاهد وقال قتادة المعنى
لمقت الله لكم اذ تدعون الى الايمان اكبر من مقتكم انفسكم اذ عاينتم النار فان قيل كيف يصح
انه يمقتوا انفسهم ففيه وجهان احدهما انهم احلوها بالذنوب محل الممقوت الثاني انهم لما صاروا
الى حال زال عنهم الهوى وعلموا ان نفوسهم هي التي اوبقتهم في المعاصي مقتوها وقال محمد بن كعب
القرظي ان اهل النار لما يئسوا مما عند الخزنة وقال لهم مالك انكم ماكثون على ما ياتي قال بعضهم لبعض
يا هؤلاء انه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر
اهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر اذ صبروا فاجمعوا رايهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم
جزعوا فنادوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي من ملجاء فقام ابليس عند ذلك فقال ان
الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الى قوله ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي يقول بمغن عنكم شيئا

ان الذين

كفرت بما اشركتموني من قبل فلما سمعوا مقالته مقتوا انفسهم قال فنودوا لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم الى قوله فهل الى خروج من سبيل قال فرد عليهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ذكره ابن المبارك قوله تعالى قَالُوا رَبَّنَا اَمَتَّنَا
اثْنَتَيْنِ وَاَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَهَلْ اِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ٥ اختلف اهل التاويل في معنى
قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة و
الضحاك كانوا امواتا في اصلاب ابائهم ثم امتهم ثم احياهم ثم اماتهم الموتة التي لا بد
منها في الدنيا ثم احياهم للبعث والقيامة فهاتان حياتان وموتتان وهو كقوله تعالى كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احياهم
في قبورهم للمسئلة ثم اميتوا ثم احيوا في الاخرة وانما صار الى هذا لان لفظ الميت لا يطلق في
العرف على النطفة واستدل العلماء من هذا في اثبات سوال القبر ولو كان الثواب والعقاب
للروح دون الجسد فما معنى الاحياء والاماتة والروح عند من يقصر احكام الاخرة على الارواح
لا تموت ولا تتغير ولا تفسد وهو حي لنفسه لا يتطرق اليه موت ولا غشية ولا فناء وقال
ابن زيد ربنا امتنا اثنتين الاية قال خلقهم في ظهر آدم واستخرجهم واحياهم واخذ عليهم الميثاق
ثم اماتهم ثم احياهم في الدنيا ثم اماتهم وقد مضى هذا في البقرة فاعترفنا بذنوبنا اعترفوا حيث لا ينفعهم
الاعتراف وندموا حين لا ينفعهم الندم فهل الى خروج من سبيل اى هل نرد الى الدنيا لنعمل بطاعتك
نظيره فهل الى مرد من سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا وقوله يا ليتنا نرد الاية قوله تعالى ذَلِكُمْ
بِاَنَّهُ اِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَاِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ٥
ذلكم في موضع رفع اى الامر ذلكم او ذلكم العذاب الذي انتم فيه بكفركم وفي الكلام متروك تقديره
فاجيبوا بان لا سبيل الى الرد وذلكم لانكم اذا دعي الله اى وحد الله وحده كفرتم وانكرتم ان تكون
الالوهية له خاصة وان اشرك به مشرك صدقتموه وامنتم بقوله قال الثعلبي وسمعت
بعض العلماء يقول وان يشرك به بعد الرد الى الدنيا لو كان تؤمنوا تصدقوا المشرك نظيره ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالحكم لله العلي الكبير عن ان يكون له صاحبة او ولد قوله تعالى هُوَ
الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ اِلَّا مَنْ يُنِيبُ فَادْعُوا اللهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٥ هو الذي يريكم اياته اى دلائل توحيده
وقدرته وينزل لكم من السماء رزقا جمع بين اظهار الايات وانزال الرزق لان بالايات قوام
الاديان وبالرزق قوام الابدان وهذه الايات هي السموات والارضون وما فيهما وما بينهما من الشمس
والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والانهار والعيون والجبال والاشجار واثار قوم هلكوا
وما يتذكر الا من ينيب اى لا يتعظ بهذه الايات فيوحد الله الا من ينيب اى يرجع الى طاعة الله
اى اعبدوه مخلصين له الدين اى العبادة وقيل الطاعة ولو كره الكافرون عبادة الله فلا
تعبدوا انتم غيره قوله تعالى رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ اَمْرِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ

فاعترفنا بذنوبنا صح

اليوم لله الواحد القهار ۝ رفيع الدرجات ذو العرش على اضمار مبتدأ قال الاخفش ويجوز نصبه على المدح ومعنى رفيع الدرجات اى رفيع الصفات وقال بن عباس والكلبي وسعيد بن جبير رفيع السموات السبع وقال يحيى بن سلام هو رفعه درجات اوليائه في الجنة فرفيع على هذا بمعنى رافع فعيل بمعنى فاعل وهو على القول الاول من صفات الذات ومعناه الذي لا ارفع قدرا منه وهو المستحق لدرجات المدح والثناء وهي اصنافها وابوابها لا يستحق لها غيره قاله الحليمي وقد ذكرناه في الكتاب الاسنى ذو العرش اى خالقه ومالكه لا انه محتاج اليه وقيل هو من قولهم ثل عرش فلان اى زال ملكه وعزه فهو سبحانه ذو العرش بمعنى ثبوت ملكه وسلطانه وقد بيناه في الاسنى يلقي الروح من امره اى الوحي والنبوة على من يشاء من عباده وسمى ذلك روحا لان الناس يحيون به اى يحيون من موت الكفر كما تحيى الابدان بالارواح وقال بن زيد الروح القرآن قال الله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال نزله روح القدس من ربك بالحق من امره اى من قوله وقيل من قضائه وقيل من بمعنى الباء اى بامره على من يشاء من عباده وهو ان يكونوا انبياء وليس لاحد فيهم مشية لينذر يوم التلاق اي انما يبعث الرسول لانذار يوم البعث فقوله لينذر يرجع الى الرسل وقيل اى لينذر الله ببعث الرسل الى الخلق يوم التلاق وقرأ ابن عباس والحسن وابن السميفع لتنذر بالتاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم يوم التلاق قال ابن عباس وقتادة يوم يلتقي اهل السماء واهل الارض وقال قتادة وابو العالية ومقاتل يلتقي فيه الخلق والخالق وقيل العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلقى كل انسان جزاء عمله وقيل يلتقي الاولون والاخرون على صعيد واحد روي معناه عن ابن عباس وكله صحيح المعنى يوم هم بارزون يكون بدلا من يوم الاول وقيل هم في موضع رفع بالابتداء وبارزون خبره والجملة في موضع خفض بالاضافة فلذلك حذفت التنوين من يوم وانما يكون هذا عند سيبويه اذا كان الظرف بمعنى اذ تقول لقيتك يوم زيد امير فان كان بمعنى اذا لم يجز نحو انا القاك يوم زيد امير ومعنى بارزون خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء لان الارض يومئذ قاع صفصف لا عوج فيها ولا امتى على ما تقدم في طه بيانه لا يخفى على الله منهم شيء قيل ان هذا هو العامل في يوم هم بارزون اى لا يخفى عليه شيء منهم ومن اعمالهم يوم هم بارزون لمن الملك اليوم وذلك عند فناء الخلق قال الحسن هو السائل تعالى وهو المجيب لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار النحاس واصح ما قيل فيه ما رواه ابو وايل عن ابن مسعود قال يحشر الناس على ارض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله جل وعز عليها فيؤمر مناديا ينادي لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار فيقول المؤمنون هذا سرورا وتلذذا ويقوله الكافرون هذا رغما وانقيادا وخضوعا فاما ان يكون هذا والخلق غير موجودين فبعيد فانه لا فائدة فيه والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتاويل قال الشيخ رحمه الله والاول ظاهر جدا لان المقصود اظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوى المدعين وانتساب المنتسبين اذ قد ذهب كل ملك وملكه ومتكبر وملكه وانقطعت نسبهم ودعاويهم ودل على هذا قوله الحق عند قبض الارواح وطي السماء انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وعند

وعند قوله سبحانه لمن الملك اليوم هو انقطاع زمن الدنيا وبعده يكون البعث والنشر قال محمد بن كعب قوله سبحانه لمن الملك اليوم بين النفختين حين فني الخلائق وبقي الخالق فلا يرى غير نفسه مالكا ولا مملوكا فيقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد لان الخلق اموات فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار لانه بقي وحده وقهر خلقه وقيل انه ينادي مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيب اهل الجنة لله الواحد القهار ذكره الزمخشري فالله اعلم قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ۝ اى يقال لهم اذا اقروا بالملك يومئذ لله وحده اليوم تجزى كل نفس بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم اى لا ينقص احد شيئا مما عمله ان الله سريع الحساب اى لا يحتاج الى تفكر وعقد يد كما يفعله الحساب لانه العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء فلا يؤخر جزاء احد للاشتغال بغيره وكما يرزقهم في ساعة واحدة يحاسبهم كذلك في ساعة واحدة وفي الخبر لا ينتصف النهار حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار قوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ۝ وانذرهم يوم الآزفة اى يوم القيامة سميت بذلك لانها قريبة اذ كل ما هو آت قريب وازف فلان اي قرب يازف ازفا قال النابغة

ازف الترحل غير ان ركابنا ۝ لما تزل برحالنا وكان قد

اي قرب ونظير هذه الآية ازفت الآزفة اى قربت الساعة وكان بعضهم يتمثل ويقول

ازف الرحيل وليس لي ۝ من زاد غير الذنوب لشقوتي ونكاد ۝ ۝

اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين على الحال وهو محمول على المعنى قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم واجاز الفراء ان يكون التقدير وانذرهم كاظمين واجاز رفع كاظمين على انه خبر للقلوب وقال المعنى اذ هم كاظمون وقال الكسائي يجوز رفع كاظمين على الابتداء وقد قيل ان المراد بيوم الازفة يوم حصول المنية قاله قطرب وكذا اذ القلوب لدى الحناجر عند حضور المنية والاول اظهر قال قتادة وقعت في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا تعود في امكنتها وهذا لا يكون الا يوم القيامة كما قال وافئدتهم هواء وقيل هو اخبار عن نهاية الجزع كما قال وبلغت القلوب الحناجر واضيف اليوم الى الازفة على تقدير يوم القيامة الازفة او يوم المجادلة الازفة وعند الكوفيين هو من باب اضافة الشيء الى نفسه مثل مسجد الجامع وصلاة الاولى ما للظالمين من حميم اى من قريب ينفع وشفيع يطاع فيشفع فيهم قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير ۝ قال المؤرخ فيه تقديم وتاخير اى يعلم الاعين الخائنة وقال ابن عباس هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر اليها وعنه هو الرجل ينظر الى المرأة فاذا نظر اليه اصحابه غض بصره فاذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر فاذا نظروا اليه اصحابه غض بصره وقد علم الله جل وعز منه انه يود لو نظر الى عورتها وقال مجاهد هي مسارقة الاعين الى ما نهى الله عنه وقال قتادة هي الهمزة بعينه واغماضه فيما لا يحب الله تعالى وقال الضحاك

هو قول الانسان ما رايت وقد رای ورايت وما رای وقال السدی انه الرمز بالعين وقال سفيان
في النظرة بعد النظرة وقال الفرا خاينة الاعين النظرة الثانية وما تخفي الصدور النظرة الاولى
وقال ابن عباس وما تخفي الصدور اي هل يزني بها اذا خلا ام لا وقيل وما تخفي الصدور تكنه وتضمر
ولما جيء بعبد الله بن ابي سرح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمأن اهل مكة وطلب له
الامان عثمان رضي الله عنه صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله ما صمت الا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل
من الانصار فهلا اومأت الي يا رسول الله فقال ان النبي لا ينبغي ان يكون له خاينة اعين والله يقضي بالحق
اي يجازي من غض بصره عن المحارم ومن نظر اليها ومن عزم على مواقعة الفواحش اذا قدر عليها
والذين يدعون من دونه يعني الاوثان لا يقضون لانها لا تعلم ولا تقدر عليه ولا تملك وقراءة العامة بالياء
على الخبر عن الظالم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرأ نافع وشيبة وهشام تدعون بالتاء ان
الله هو السميع البصير هو زايدة فاصلة ويجوز ان يكون في موضع رفع بالابتداء وما بعدها خبرها
والجملة خبر ان قوله تعالى اَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ اَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَاَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانَتْ تَاْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَا
خَذَهُمُ اللَّهُ اِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ اولم يسيروا في الارض فينظروا في موضع جزم عطف
على يسيروا ويجوز ان يكون في موضع نصب على انه جواب والجزم والنصب في التثنية والجمع واحد كيف
كان عاقبة اسم كان والخبر في كيف وواق في موضع خفض معطوف على اللفظ ويجوز ان يكون في موضع
رفع على الموضع فرفعه وخفضه واحد لان الياء تحذف وتبقى الكسرة دالة عليها وقد مضى الكلام في معنى
هذه الاية في غير موضع فاغنى عن الاعادة قوله تعالى وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
اِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وهي التسع الآيات
المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وقد مضى تعيينها وسلطان مبين اي حجة
واضحة بينة وهو يذكر ويونث وقد مضى تعيينها وقيل اراد بالسلطان التوراة الى فرعون وهامان
وقارون خصهم بالذكر لان مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون
صاحب الاموال والكنوز فجمعه الله معهما لان عمله في الكفر والتكذيب كاعمالهما فقالوا ساحر كذاب
لما عجزوا عن معارضته حملوا المعجزات على السحر قوله تعالى فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
اقْتُلُوا اَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ اِلَّا فِي ضَلَالٍ
فلما جاءهم بالحق من عندنا وهي المعجزة الظاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه قال قتادة
هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان وقت ولادة موسى فلما بعث
الله موسى اعاد القتل على بني اسرائيل عقوبة لهم فيمتنع الناس من الايمان ولئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا
بالذكور من اولادهم فشغلهم الله عن ذلك بما انزل عليهم من انواع العذاب كالضفادع والقمل والدم
والطوفان الى ان خرجوا من مصر فاغرقهم الله وهذا معنى قوله تعالى وما كيد فرعون الا في ضلال ما لحق صح

اي في خسران وهلاك وان الناس لا يمتنعون من الايمان وان فعل بهم مثل هذا فكيده يذهب باطلا
قوله تعالى وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي اَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ اِنِّي اَخَافُ اَنْ يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ اَوْ اَنْ يُظْهِرَ فِي الْاَرْضِ الْفَسَادَ اقتل جزم لانه جواب وليدع جزم لانه امر وذروني
ليس بمجزوم وان كان امرا ولكن لفظه لفظ المجزوم وهو مبني وقيل هذا على انه قيل لفرعون انا
نخاف ان يدعو عليك فيجاب فقال وليدع ربه اي لا يهولنكم ما يذكر من ربه فانه لا حقيقة له وانا ربكم
الاعلى اني اخاف ان يبدل دينكم اي عبادتكم لي الى عبادة ربه وان يظهر في الارض الفساد اي يقع
بين الناس بسببه الخلاف وقراءة المدنيين وابي عبد الرحمن السلمي وابن عامر وابي عمرو وان يظهر
في الارض الفساد وقراءة الكوفيين او ان يظهر بفتح الياء في الارض الفساد بالرفع وكذلك هي في
مصاحف الكوفيين او بالف واليه يذهب ابو عبيد قال لان فيه زيادة حرف وفيه فصل ولان
او تكون بمعنى الواو والنحاس وهذا عند حذاق النحويين لا يجوز ان يكون بمعنى الواو ولان في ذلك
بطلان المعاني ولو جاز ان يكون بمعنى الواو لما احتيج الى هذا ههنا لان معنى الواو واني اخاف الامرين
جميعا ومعنى او لاحد الامرين اي اني اخاف ان يبدل دينكم فان اعوزه ذلك اظهر في الارض الفساد
قوله تعالى وَقَالَ مُوسَى اِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
الْحِسَابِ لما هدده فرعون بالقتل استعاذ موسى بالله من كل متكبر اي متعظم عن الايمان بالله و
صفته انه لا يؤمن بيوم الحساب قوله تعالى وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ
اِيمَانَهُ اَتَقْتُلُونَ رَجُلًا اَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَاِنْ يَكُ كَاذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَاِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ اِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وقال رجل مؤمن ذكر بعض المفسرين ان اسم هذا الرجل حبيب
وقيل شمعان بالشين المعجمة قال السهيلي وهو اصح ما قيل فيه وفي تاريخ الطبري رحمه الله اسمه
خير وقيل حزقيل ذكره الثعلبي عن ابن عباس واكثر العلماء الزمخشري واسمه سمعان او حبيب
واختلف هل كان اسراييليا او قبطيا فقال الحسن وغيره كان قبطيا ويقال انه كان ابن عم فرعون
قاله السدي قال وهو الذي نجا مع موسى عليه السلام ولهذا قال من آل فرعون وهو المراد بقوله وجاء
رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى الاية وهذا قول مقاتل وقال ابن عباس لم يكن من آل
فرعون مؤمن غيره وامرأة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى فقال ان الملاء ياتمرون
بك وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تعجب من مشركي قومك وكان هذا الرجل له وجاهة
عند فرعون فلهذا لم يتعرض له بسوء وقيل كان هذا الرجل من بني اسراييل يكتم ايمانه من آل
فرعون عن السدي ايضا ففي الكلام على هذا تقديم وتاخير والتقدير وقال رجل مؤمن يكتم
ايمانه من آل فرعون فمن جعل الرجل قبطيا فمن عنده متعلقة بمحذوف صفة لرجل التقدير وقال
رجل مؤمن منسوب من آل فرعون ومن جعله اسراييليا فمن متعلقة بيكتم في موضع مفعول ثان
ليكتم القشيري ومن جعله اسراييليا ففيه بعد لانه يقال كتمه امر كذا ولا يقال كتم منه قال الله تعالى
ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان فرعون ليحتمل من بني اسراييل مثل هذا القول الثانية

اي

قوله تعالى اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اي لان يقول ومن اجل ان يقول ربي الله فان في موضع
نصب بنزع الخافض وقد جاءكم بالبينات من ربكم يعني الايات التسع من ربكم وان يك كاذبا فعليه
كذبه ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن تلطفا في الاستكفاف واستنزالا عن الاذى
ولو كان وان يكن بالنون جاز ولكن حذفت النون لكثرة الاستعمال على قول سيبويه ولانها نون
الاعراب على قول ابي العباس وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي انه لم يصبكم الا بعض الذي
يعدكم به هلكتم ومذهب ابي عبيدة ان معنى بعض الذي يعدكم كل الذي يعدكم وانشد قول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها ۝ او يرتبط بعض النفوس حمامها

فبعض بمعنى كل لان البعض اذا اصابهم الكل لا محالة لدخوله في الوعيد وهذا ترقيق الكلام في الوعظ
وذكر الماوردي ان البعض قد يستعمل في الكل تلطفا في الخطاب وتوسعا في الكلام كما قال الشاعر

قد يدرك المتاني بعض حاجته ۝ وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقيل ايضا قال ذلك لانه حذرهم انواعا من العذاب كل نوع منها مهلك فكانه حذرهم ان يصيبهم بعض
تلك الانواع وقيل وعدهم موسى بعذاب الدنيا او بعذاب الاخرة ان كفروا فالمعنى يصبكم احد العذابين
وقيل اي يصبكم هذا العذاب الذي يقوله في الدنيا وهو بعض الوعيد ثم يترادف العذاب في الاخرة
ايضا وقيل وعدهم العذاب ان كفروا والثواب ان آمنوا فاذا كفروا يصبهم بعض ما وعدوا ان الله
لا يهدي من هو مسرف على نفسه كذاب على ربه اشارة الى موسى ويكون هذا من قول المؤمن وقيل
مسرف في عناده كذاب في ادعائه اشارة الى فرعون ويكون هذا من قول الله تعالى الثالثة قال
القاضي ابو بكر بن العربي ظن بعضهم ان المكلف اذا كتم ايمانه ولم يلفظ بلسانه انه لا يكون مؤمنا اعتقادا
وقد قال مالك ان الرجل اذا نوى بقلبه طلاق زوجته انه يلزمه كما يكون مؤمنا بقلبه وكافرا بقلبه
فجعل مدار الايمان على القلب وانه كذلك لكن ليس على الاطلاق وقد بيناه في اصول الفقه بيانه ان المكلف
اذا نوى الكفر بقلبه كان كافرا وان لم يلفظ بلسانه واما اذا نوى الايمان بقلبه فلا يكون مؤمنا بحال
حتى يتلفظ بلسانه ولا يمنعه التقية والخوف من ان يتلفظ بلسانه فيما بينه وبين الله تعالى انما يمنعه
التقية من ان يسمعه غيره وليس من شرط الايمان ان يسمعه الغير في صحته من التكليف وانما يشترط
سماع الغير له ليكف عن نفسه وماله الرابعة روى البخاري عن عروة بن الزبير قال
قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فاقبل ابو بكر
فاخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم لفظ البخاري خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث جعفر
بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنهم قال اجتمعت قريش بعد وفاة ابي طالب بثلاث
فارادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل هذا يجاه وهذا يتلتله فاستغاث النبي
صلى الله عليه وسلم يومئذ فلم يغثه احد الا ابو بكر وله ضفيرتان فاقبل يجأ ذا ويتلتل ذا ويقول
باعلى صوته ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والله انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت

اصابهم

فقطعت احدى ضفيرتي ابي بكر يومئذ فقال علي والله ليوم ابي بكر خير من مؤمن آل فرعون ان ذلك رجل
كتم ايمانه فاثنى الله عليه في كتابه وهذا ابو بكر اظهر ايمانه وبذل ماله ودمه لله عز وجل قال الشيخ
رحمه الله قول علي رضي الله عنه ذلك رجل كتم ايمانه يريد في اول امره بخلاف الصديق فانه اظهر
ايمانه ولم يكتمه والا فالقرآن مصرح بان مؤمن آل فرعون اظهر ايمانه لما ارادوا قتل موسى عليه السلام
على ما ياتي بيانه وفي نوادر الاصول عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه قالوا لها ما اشد شيء رايت
من المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون قعودا في المسجد
يتذاكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول في آلهتهم فبينا هم كذلك اذ دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه باجمعهم وكانوا اذا سالوه عن شيء صدقهم فقالوا اله الست تقول
كذا في آلهتنا قال بلى قال فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى ابي بكر فقال له ادرك صاحبك فخرج من عندنا
وان له غدائر فدخل المسجد وهو يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر فرجع الينا ابو بكر فجعل لا يمس
شيئا من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام اكرام قوله تعالى
يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ
مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ يا قوم لكم الملك اليوم هذا من قول
مؤمن آل فرعون وفي قوله يا قوم دليل على انه قبطي ولذلك اضافهم الى نفسه فقال يا قوم ليكونوا اقرب الى
قبول وعظه لكم الملك فاشكروا الله على ذلك ظاهرين في الارض اي عالين وهو نصب على الحال اي في حال
ظهوركم والمراد بالارض ارض مصر في قول السدي وغيره كقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي
في ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا اي من عذاب الله تحذيرا لهم من نقمه ان كان موسى صادقا
فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور حجته فقال ما اريكم الا ما ارى قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ما اشير
عليكم الا بما اري لنفسي وما اهديكم الا سبيل الرشاد في تكذيب موسى والايمان بي قوله تعالى وَقَالَ
الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۝ وقال الذي آمن يا قوم زادهم
في الوعظ اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب يعني ايام العذاب التي عذب فيها المتحزبون على الانبياء
المذكورون فيما بعد قوله تعالى وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ
مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝ ويا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد زاد في الوعظ والتخويف وافصح عن ايمانه اما مستسلما موطنا نفسه على القتل
او واثقا بانهم لا يقصدونه بسوء وقد وقاه الله شرهم بقوله الحق فوقاه الله سيئات ما مكروا و
قراءة العامة التناد بتخفيف الدال وهو يوم القيامة وقال امية بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحاها ۝ فهم سكانها حتى التناد

سمي بذلك لمناداة الناس بعضهم بعضا فينادي اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم وينادي
اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادي اصحاب النار انه افيضوا علينا
من الماء وينادي المنادي ايضا بالشقوة والسعادة الا ان فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد

مثل دأب قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم وما الله
يريد ظلما للعباد صح صح

بعدها ابدًا الا ان فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وهذا عند وزن الاعمال وينادي
الملائكة اصحاب الجنة ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وينادي حين يذبح الموت يا اهل الجنة
خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وينادى كل قوم بامامهم الى غير ذلك من النداء وقراء
الحسن وابن السميفع ويعقوب وابن كثير ومجاهد التنادى باثبات الياء في الوصل والوقف
على الاصل وقراء ابن عباس والضحاك وعكرمة يوم التناد بتشديد الدال قال بعض اهل العربية
هذا لحن لانه من ند يند اذا مر على وجهه هاربا كما قال الشاعر

وبرك هجود قد اثارت مخافتى ۞ نواديها اسعى بعضب مجرد

قال فلا معنى لهذا في القيامة قال ابو جعفر النحاس وهذا غلط والقراءة به حسنة على معنى يوم
التناد قال الضحاك ذلك اذا سمعوا بزفير جهنم ندوا هربا فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا وجدوا
صفوفا من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قوله يوم التناد وقوله يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا الآية وقوله والملك على ارجائها
ذكره ابن المبارك بمعناه قال واخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال حدثنا عبد الجبار بن عبيد الله
ابن سلمان في قوله انى اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم تستجيب لهم اعينهم بالدمع فيبكون
حتى ينفد الدمع فتغور اعينهم كالحرق في الطين وقيل ان هذا يكون عند نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور
نفخة الفزع ذكره علي بن معبد الطبري وغيرهما من حديث ابي هريرة فتكون الارض كالسفينة في البحر تضربها
الامواج فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما في بطونها وتشيب الولدان وتطير
الشياطين هاربة فيلقاها الملائكة تضرب وجوههم ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهي
التي يقول الله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد
الحديث بكماله وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هناك وروى علي بن نصر عن ابي عمرو اسكان
الدال من التناد في الوصل خاصة وهو مذهب ورش والمشهور عن ابي عمرو حذفها في الحالين وكذلك
قراء سائر السبعة سوى ورش على ما ذكرنا عنه وسوى ابن كثير على ما تقدم وقيل سمي يوم القيامة
يوم التناد لان الكافر ينادى فيه بالويل والحسرة والثبور قاله ابن جريج وقيل فيه اضمار
اى انى اخاف عليكم عذاب يوم التناد فالله اعلم يوم تولون مدبرين على البدل من يوم التناد ومن
يضلل الله فما له من هاد اي من خلق الله في قلبه الضلال فلا هادى له وفي قائله قولان احدهما موسى
الثانى مومن آل فرعون وهو الاظهر والله اعلم قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ
رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ قيل ان هذا من قول موسى وقيل هو من
تمام وعظ مومن آل فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الانبيا واراد يوسف بن يعقوب جاءهم بالبينات
ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قال ابن جريج هو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولا
الى القبط بعد موت الملك من قبل موسى بالبينات وهي الرؤيا وقال ابن عباس هو يوسف بن افرائيم بن
يوسف بن يعقوب عليهم السلام اقام فيهم نبيا عشرين سنة وحكى النقاش عن الضحاك ان الله تعالى بعث اليهم

رسولا

رسولا من الجن يقال له يوسف وقال وهب بن منبه ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر وغيره يقو
هو آخر النحاس وليس في الآية ما يدل على انه هو لانه اذا اتى بالبينات نبي لمن معه ولمن بعده فقد جاءهم
جميعا بها وعليهم ان يصدقوا بها فما زلتم في شك مما جاءكم به اي اسلافكم كانوا في شك حتى اذا هلك
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اى من يدعى الرسالة كذلك يضل الله اى مثل ذلك الضلال
يضل الله من هو مسرف مشرك مرتاب شاك في وحدانية الله تعالى قوله تعالى ﴿الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ
آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ الذين يجادلون في ايات الله اي
في حججه الظاهرة بغير سلطان اى بغير حجة وبرهان والذين في موضع نصب على البدل من من
وقال الزجاج اى كذلك يضل الله الذين يجادلون في آيات الله فالذين نصب قال ويجوز ان يكون رفعا
على معنى هم الذين او على الابتداء والخبر كبر مقتا ثم قيل هذا من كلام مؤمن آل فرعون وقيل ابتداء
خطاب من الله تعالى مقتا على البيان اى كبر جدالهم مقتا كقوله كبرت كلمة ومقت الله تعالى ذمه لهم
ولعنه اياهم واحلال العذاب بهم كذلك اي كما طبع على قلوب هولاء المجادلين فكذلك يطبع اى يختم على كل
قلب متكبر جبار حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق وقراءة العامة على كل قلب متكبر باضافة قلب
الى المتكبر واختاره ابو حاتم وابو عبيد وفي الكلام حذف والمعنى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار فحذف كل الثانية لتقدم ما يدل عليه واذا لم يقدر حذف كل لم يستقم المعنى لانه يصير معناه انه يطبع
على جميع قلبه وليس المعنى عليه وانما المعنى انه يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين قلبا قلبا ومما
يدل على حذف كل قول ابى داود

اكل امرئ تحسبين امرءا ۞ ونار توقد بالليل نارا

يريد وكل نار وفي قراءة ابن مسعود على قلب كل متكبر فهذه قراءة على التفسير والاضافة وقراء ابو عمرو
وابن محيصن وابن ذكوان عن اهل الشام قلب منون على ان متكبرا نعت للقلب فكنى بالقلب
عن الجملة لان القلب هو الذى يتكبر وسائر الاعضاء تبع لها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهي القلب
ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى على كل ذى قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب
قوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ
فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ لما قال مومن آل فرعون ما قال وخاف
فرعون ان يتمكن كلام هذا المومن في قلوب القوم اوهم انه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد
فان بان له صوابه لم يخفه عنهم وان لم يصح ثبتهم على دينهم فامر وزيره هامان ببناء الصرح وقد
مضى في القصص ذكره لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات بدل من الاول واسباب السماء ابوابها
في قول قتادة والسدى والاخفش وانشد ۞ ومن خاف اسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلم
وقال ابو صالح اسباب السموات طرقها وقيل الامور التي تستمسك بها السموات وكرر اسباب تفخيما
لان الشيء اذا ابهم ثم اوضح كان تفخيما لشانه فاطلع الي اله موسى فانظر اليه نظر مشرف عليه توهم
انه جسم تحويه الاماكن وكان فرعون يدعى الالهية ويرى تحقيقها بالجلوس في مكان مشرف وقراءة

العامة فاطلع بالرفع نسقا على قوله ابلغ وقراء الاعرج والسلمي وعيسى وحفص فاطلع بالنصب قال ابو عبيدة على
جواب لعل بالفاء النحاس ومعنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت الاسباب
اطلعت ومعنى الرفع لعلي ابلغ الاسباب ثم لعلي اطلع بعد ذلك الا ان ثم اشد تراخيا من الفاء واني لاظنه
كاذبا اي واني لاظن موسى كاذبا في ادعائه الها دوني وانما افعل ما افعل لازاحة العلة وهذا يوجب
شك فرعون في امر الله وقيل ان الظن بمعنى اليقين اي انا اتيقن انه كاذب وانما اقول ما اقوله لازالة
الشبهة عمن لا يتيقن ما اتيقنه قوله تعالى وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ
السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ اي كما قال هذه المقالة وارتاب زين له الشيطان او
زين له سوء عمله اي الشرك والتكذيب وصد عن السبيل قراءة الكوفيين وصد على ما لم يسم فاعله وهي
اختيار ابي عبيد وابي حاتم ويجوز على هذه القراءة وصد بكسر الصاد نقلت كسرة الدال على الصاد
وهي قراءة يحيى بن وثاب وعلقمة وقراء ابن ابي اسحاق وعبد الرحمن بن ابي بكرة وصد عن السبيل
بالرفع والتنوين الباقون وصد بفتح الصاد والدال اي صد فرعون الناس عن السبيل وما كيد فرعون
الا في تباب اي في خسران وضلال ومنه تبت يدا ابي لهب وقوله وما زادوهم غير تتبيب وفي موضع
غير تخسير فهذا الله صرحه وغرقه هو وقومه على ما تقدم قوله تعالى وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ
اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ هذا من تمام ما قاله مؤمن آل فرعون اي اقتدوا بي في الدين
اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى وهو الجنة وقيل من قول موسى وقراء معاذ بن جبل الرشاد
بتشديد الشين وهو لحن عند اكثر اهل العربية لانه انما يقال ارشد يرشد ولا يقال فعال من افعل
انما يكون من الثلاثي فان اردت التكثير من الرباعي قلت مفعال قال النحاس يجوز ان يكون الرشاد
بمعنى يرشد لا على انه مشتق منه ولكن كما يقال لآل من اللؤلؤ فهو بمعناه وليس جاريا عليه ويجوز ان
يكون رشاد من رشد يرشد اي صاحب رشاد كما قال كليني لهم يا اميمة ناصب
الزمخشري وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل من ارشد كجبار
من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسآر وقصار وجبار
ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل
ووقع في المصحف اتبعون بغير ياء وقراها يعقوب وابن كثير بالاثبات في الوصل والقطع وحذفها
ابو عمرو ونافع في الوقف واثبتوها في الوصل الا ورشا حذفها في الحالين وكذلك الباقون لانها وقعت
في المصحف بغير ياء ومن اثبتها فعلى الاصل قوله تعالى يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ
وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي يتمتع بها
قليلا ثم ينقطع بالدار الآخرة الجنة والنار لانهما لا يفنيان بين ذلك بقوله من عمل سيئة يعني الشرك
فلا يجزى الا مثلها وهو العذاب ومن عمل صالحا قال ابن عباس يريد قول لا اله الا الله وهو مؤمن مصدق
بقلبه لله وللانبياء فاولئك يدخلون الجنة بضم الياء على ما لم يسم فاعله وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن
وابي عمرو ويعقوب وابي بكر عن عاصم يدل عليه يرزقون فيها بغير حساب الباقون يدخلون

بفتح اليا

الى النار يدعونني صح

بفتح الياء قوله تعالى وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ
مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ
دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى طريق الايمان الموصل الى الجنان وتدعونني الى النار بين ان
ما قال فرعون من قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد سبيل الغي عاقبته النار وكانوا دعوه الى
اتباعه ولهذا قال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وهو فرعون وانا ادعوكم الى العزيز
الغفار لا جرم تقدم الكلام فيه ومعناه حقا ان ما تدعونني اليه ما بمعنى الذي ليس له دعوة قال
الزجاج ليس له استجابة دعوة تنفع وقال غيره ليس له دعوة توجب له الالوهية في الدنيا ولا في
الاخرة وقال الكلبي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الاخرة وكان فرعون اولا يدعو الناس الى
عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فاذا هرمت امر بذبحها
ثم دعا باخرى لتعبد ثم لما طال عليه الزمان قال انا ربكم الاعلى وان المسرفين هم اصحاب النار قال
قتادة وابن سيرين يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي هم السفهاء السفاكون للدماء بغير
حقها وقال عكرمة الجبارون المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله وهذا جامع لما ذكر وان في
المواضع الثلاثة في موضع نصب باسقاط حرف الجر فعلى ما حكاه سيبويه عن الخليل من ان لا جرم
رد لكلام يجوز ان يكون موضع ان رفعا على تقدير وجب ان ما تدعونني اليه كانه قال وجب بطلان ما
تدعونني اليه والمراد الى الله وكون المشركين اصحاب النار وقوله تعالى فستذكرون ما اقول لكم
تهديد ووعيد وما يجوز ان يكون بمعنى الذي اي الذي اقوله لكم ويجوز ان يكون مصدرية اي فستذكرون
قولي لكم اذا حل بكم العذاب وافوض امري الى الله اي اتوكل عليه واسلم اليه امري الى الله وقيل
هذا يدل على انهم ارادوا قتله وقال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فلم يقدروا عليه وقد قيل
القائل موسى والاظهر انه مؤمن آل فرعون وهو قول ابن عباس قوله تعالى فَوَقَاهُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ
عَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ فوقاه الله سيئات ما
مكروا اي من الحاق انواع العذاب به فطلبوه فما وجدوه لانه فوض امره الى الله قال قتادة وكان
قبطيا فنجاه الله مع بني اسرائيل فالهاء على هذا المؤمن آل فرعون وقيل انها لموسى على ما تقدم من الخلاف
وحاق بآل فرعون سوء العذاب قال الكسائي يقال حاق يحيق حيقا وحيوقا اذا نزل ولزم ثم
بين العذاب فقال النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وفيه ستة اوجه يكون رفعا على البدل
من سوء ويجوز ان يكون بمعنى هو النار ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وقال الفراء يكون مرفوعا
بالعائد على معنى النار عليها يعرضون فهذه اربعة اوجه في الرفع واجاز الفراء النصب لان بعدها
عائدا وقبلها ما يتصل به واجاز الاخفش الخفض على البدل من العذاب والجمهور على ان هذا العرض
في البرزخ واحتج بعض اهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا

ما دامت الدنيا كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال هذه الاية تدل على عذاب القبر
في الدنيا الا تراه يقول عن عذاب الاخرة يوم القيامة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وفي الحديث
عن ابن مسعود ان ارواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار يعرض على النار بالغداة والعشي
فيقال هذه داركم وعنه ايضا ان ارواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك
عرضها وروى شعبة عن يعلى بن عطا قال سمعت ميمون بن ميسرة يقول كان ابو هريرة اذا اصبح
ينادي اصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار واذا امسى نادي امسينا والحمد لله وعرض آل
فرعون على النار فلا يسمع ابا هريرة احدا الا تعوذ بالله من النار وفي حديث صخر بن جويرية عن نافع
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر اذا مات عرض على النار بالغداة والعشي
ثم تلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وان المؤمن اذا مات عرض روحه على الجنة بالغداة والعشي
وخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض
عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل
النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة قال الفراء في الغداة والعشي بمقادير ذلك في
الدنيا وهو قول مجاهد قال غدوا وعشيا قال من ايام الدنيا وقال حماد بن محمد الفزاري قال رجل
للاوزاعي رأينا طيورا تخرج من البحر تاخذ ناحية الغرب بيضا صغارا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله
فاذا كان العشا رجعت مثلها سودا قال تلك الطيور في حواصلها ارواح آل فرعون يعرضون على النار
غدوا وعشيا فترجع الى اوكارها وقد احترقت رياشها وصارت سودا فينبت عليها من الليل ريشا
بيضا وتتناثر السود ثم تغدو فتعرض على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكرها فذلك دابها ما كانت
في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وهو الهاوية قال
الاوزاعي فبلغنا انهم الفا الف وستماية الف وغدوا مصدر جعل ظرفا على السعة وعشيا عطف عليه
وتم الكلام ثم تبتدي ويوم تقوم الساعة على ان ينصب يوما بقوله ادخلوا ويجوز ان يكون منصوبا بيعرضون
على معنى يعرضون على النار في الدنيا ويوم تقوم الساعة فلا يوقف عليه وقراء نافع واهل المدينة
وحمزة والكسائي ادخلوا بقطع الالف وكسر الخاء من ادخل وهي اختيار ابي عبيد اي يامر الله الملائكة
ان يدخلوهم ودليله النار يعرضون عليها الباقون ادخلوا بوصل الالف وضم الخاء من دخل اي
يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب وهو اختيار ابي حاتم قال في القراة الاولى مفعول اول
واشد مفعول ثان بحذف الجر وفي القراة الثانية منصوب لانه نداء مضاف وآل فرعون من كان
على دينه وعلى مذهبه واذا كان من كان على دينه ومذهبه في اشد العذاب كان هو اقرب الى ذلك
وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت مؤمنا
منهم يحيى بن زكريا ولد مؤمنا وحيي مؤمنا ومات مؤمنا وان العبد يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت
كافرا منهم فرعون ولد كافرا وحيي كافرا ومات كافرا ذكره النحاس وجعل الفرا في الاية تقديما
وتاخيرا مجازه ادخلوا آل فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فجعل العرض
في الاخرة وهو خلاف ما ذهب اليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدم والله اعلم

قوله تعالى وَاِذ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ استَكبَرُوا اِنَّا كُنَّا لَكُم
تَبَعًا فَهَل اَنتُم مُغنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ وَقَالَ الَّذِينَ استَكبَرُوا اِنَّا كُلٌّ فِيهَا
اِنَّ اللَّهَ قَد حَكَمَ بَينَ العِبَادِ ۝ واذ يتحاجون في النار اي يختصمون فيها فيقول الضعفاء
للذين استكبروا عن الانقياد للانبياء انا كنا لكم تبعا فيما دعوتمونا اليه من الشرك في
الدنيا فهل مغنون اي متحملون عنا نصيبا من النار اي جزءا من العذاب والتبع يكون واحدا
وجمعا في قول البصريين واحده تابع وقال اهل الكوفة هو جمع لا واحد له كالمصدر فلذلك لم يجمع ولم
يقل اتباع قال الذين استكبروا انا كل فيها اي في جهنم قال الاخفش كل مرفوع بالابتداء واجاز
الكسائي والفرا انا كلا فيها بالنصب على النعت والتاكيد للضمير في انا وكذلك قراءة ابن السميفع
وعيسى بن عمر والكوفيون يسمون التاكيد نعتا ومنع ذلك سيبويه قال لان كلا لا تنعت ولا ينعت
بها ولا يجوز فيها البدل لان المخبر عن نفسه لا يبدل منه غيره وقال معناه المبرد قال لا يجوز ان
يبدل من المضمر هنا لانه مخاطب ولا يبدل من المخاطب ولا من المخاطب لانهما لا يشكلان فيبدل منهما
هذا نص كلامه ان الله قد حكم بين العباد اي بان لا يوخذ احد بذنب غيره فكل منا كافر قوله
تعالى وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادعُوا رَبَّكُم يُخَفِّف عَنَّا يَومًا مِنَ العَذَابِ
قَالُوا اَوَلَم تَكُ تَاتِيكُم رُسُلُكُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادعُوا وَمَا دُعَاءُ
الكَافِرِينَ اِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝ وقال الذين في النار من الامم الكافرة ومن العرب من يقول اللذون على
انه جمع مسلم معرب ومن قال الذين في الرفع بناه كما كان في الواحد مبنيا وقال الاخفش ضمت النون
الى الذين فاشبه خمسة عشر فبني على الفتح لخزنة جهنم جمع خازن ويقال خزان وخزن ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما من العذاب يخفف جواب مجزوم وان كان بالفاء كان منصوبا الا ان الاكثر في
كلام العرب في جواب الامر وما اشبهه ان يكون بغير فاء وعلى هذا جاء القرآن بافصح اللغات كما
قال ۝ قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ۝ قال محمد بن كعب القرظي بلغني او
ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فسالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فردت عليهم اولم
تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال الخبر بطوله
وفي الحديث عن ابي الدرداء خرجه الترمذي وغيره قال يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل
ما هم فيه من العذاب فيستغيثون منه فيغاثون بالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فياكلونه فلا
يغني عنهم شيا فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيغصون به فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجيزون
الغصص بالماء فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم الحميم بالكلاليب فاذا دنى من وجوههم شواها فاذا وقع
في بطونهم قطع امعاهم وما في بطونهم فيستغيثون بالملايكة يقولون ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب
فيجيبونهم الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي
خسار وتبار قوله تعالى اِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَيَومَ
يَقُومُ الاَشهَادُ يَومَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُم وَلَهُمُ اللَّعنَةُ وَلَهُم سُوءُ الدَّارِ ۝

انا لننصر رسلنا و يجوز حذف الضمة لثقلها فيقال رسلنا و المراد موسى عليه السلام و الذين آمنوا
في موضع نصب عطف على الرسل والمراد المؤمن الذي وعظ وقيل هو عام في الرسل و المؤمنين
ونصرهم باعلى الحجج وافلاحها في قول ابي العالية وقيل بالانتقام من اعدائهم قال السدي ما قتل
قوم قط نبيا او قوما من دعاة الحق من المؤمنين الا بعث الله عز وجل من ينتقم لهم فصاروا منصورين
فيها وان قتلوا قوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد يعني يوم القيامة قال زيد بن اسلم الاشهاد
اربعة الملائكة والنبيون والمؤمنون والاشهاد وقال مجاهد والسدي الاشهاد الملائكة تشهد
للانبياء بالابلاغ وعلى الامم بالتكذيب وقال قتادة الملائكة والانبياء ثم قيل الاشهاد جمع شهيد
مثل شريف واشراف وقال الزجاج الاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب النحاس ليس باب
فاعل ان يجمع على افعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء منه مسموعا ادي على ما سمع وكان على حذف
الزائد واجاز الاخفش والفراء ويوم تقوم الاشهاد بالتاء على تانيث الجماعة وفي الحديث عن ابي
الدردا وبعضهم المحدثين يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه المسلم كان حقا
على الله عز وجل ان يرد عنه نار جهنم ثم تلى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وعنه عليه السلام انه قال
من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله عز وجل ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من النار ومن ذكر
مسلما بشيء يشينه به وقفه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال يوم بدل من يوم الاول لا ينفع
الظالمين معذرتهم قراء نافع والكوفيون ينفع بالياء الباقون بالتاء ولهم اللعنة ولهم سوء الدار
اللعنة البعد من رحمة الله و سوء الدار جهنم قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ولقد اتينا موسى الهدي هذا دخل في نصرة
الرسل في الدنيا والاخرة اي اتيناه التوراة والنبوة وسميت التوراة هدى بما فيها من الهدي
والنور وفي التنزيل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور واورثنا بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة
جعلناها لهم ميراثا هدى بدل من الكتاب ويجوز بمعنى هو هدى يعني ذلك الكتاب وذكرى لاولي الالباب
اي موعظة لاصحاب العقول قوله تعالى فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
اي فاصبر يا محمد على اذى المشركين كما صبر من قبلك ان وعد الله حق بنصرك واظهارك كما نصرت
موسى وبني اسرائيل وقال الكلبي نسخ هذا باية السيف واستغفر لذنبك قيل لذنب امتك حذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل لذنب نفسك على من يجوز الصغائر على الانبياء ومن قال
لا يجوز قال هذا تعبد للنبي صلى الله عليه وسلم بالدعا كما قال وآتنا ما وعدتنا والفائدة زيادة الدرجات
وان يصير الدعا سنة لمن بعده وقيل فاستغفر الله من ذنب صدر منك قبل النبوة وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار يعني صلاة الفجر وصلاة العصر قاله الحسن وقتادة وقيل هي صلاة كانت بمكة
قبل ان تفرض الصلوات الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية عن الحسن ايضا ذكره الماوردي
فيكون هذا مما نسخ والله اعلم وقوله بحمد ربك اي بالشكر له والثناء عليه وقيل وسبح بحمد ربك اي

اي استدم التسبيح في الصلاة وخارجا منها لتشتغل بذلك عن استعجال النصر قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ان الذين يجادلون يخاصمون في ايات الله بغير سلطان اي
حجة اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال الزجاج المعنى ما في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغي ارادتهم فيه قدره على الحذف وقال غيره المعنى ما هم ببالغي الكبر على غير حذف لان هؤلاء قوم
راوا انهم ان اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم قل ارتفاعهم ونقصت احوالهم وانهم يرتفعون اذا لم يكونوا
تبعا فاعلم الله عز وجل انهم لا يبلغوا الارتفاع الذي املوه بالتكذيب والمراد المشركون وقيل
اليهود والاية مدنية على هذا كما تقدم اول السورة والمعنى انهم تعظموا عن اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم قالوا ان الدجال سيخرج عن قرب فيرد الملك الينا وتسير معه الانهار وهو آية من
ايات الله تعالى فنزلت الاية فيهم قاله ابو العالية وغيره وقد تقدم في آل عمران انه يخرج ويطا
البلاد كلها الا مكة والمدينة وقد ذكرناه مستوفى في كتاب التذكرة وهو يهودي واسمه صاف ويكنى
ابا يوسف وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذا حسن لانه يعم وقال مجاهد معناه في صدورهم
عظمة ما هم ببالغيها والمعنى واحد وقيل المراد بالكبر الامر الكبير اي يطلبون النبوة او امرا كبيرا يصلون
به اليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك او يتمنون موتك قبل ان يتم دينك ولا يبلغونه قوله تعالى
فاستعذ بالله قيل من فتنة الدجال على قول من قال ان الاية نزلت في اليهود وعلى القول الاخر من
شر الكفار وقيل من مثل ما ابتلوا به من الكبر والكفر انه هو السميع البصير هو يكون فاصلا ويكون
مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر ان على ما تقدم قوله تعالى لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ
مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
مبتدا وخبره قال ابو العالية اي اعظم من خلق الدجال حين عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام
هو احتجاج على منكري البعث اي هما اكبر من اعادة خلق الناس فلم اعتقدوا عجزي عنها ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ذلك قوله تعالى وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ
عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ وما يستوي الاعمى والبصير اي المؤمن والكافر
والضال والمهتدي والذين امنوا وعملوا الصالحات اي ولا يستوي العامل للصالحات ولا المسيء الذي
يعمل السيئات قليلا ما يتذكرون قراءة العامة بياء على الخبر واختاره ابو عبيد وابو حاتم لاجل ما قبله
من الخبر وما بعده وقراء الكوفيون بالتاء على الخطاب قوله تعالى إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ
فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ان الساعة لآتية هذه لام التاكيد دخلت في خبر
ان وسبيلها ان تكون في اول الكلام لانها توكيد الجملة الا انها تزحلف عن موضعها لئلا يجمع بينها وبين ان
لانهما يؤديان عن معنى واحد وكذا لا يجمع بين ان وان عند البصريين واجاز هشام ان ان زيدا منطلق
حق فان حذفت حقا لم يجز عند احد من النحويين علمته قاله النحاس لا ريب فيه لا شك ولا مرية ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها وعندها يبين فرق ما بين الطائع والعاصي قوله تعالى
وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

كذا قال سيبويه بقوله انه عمر الحاليع دائما
وضرب عن موضعها صح

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝ روى النعمان بن بشير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الدعاء هو العبادة ثم قرأ، وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح فدل هذا ان الدعاء هو العبادة وكذا قال اكثر المفسرين وان المعنى وحدوني واعبدوني اتقبل عبادتكم واغفر لكم وقيل هو الذكر والدعا والسوال قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى في شسع نعله اذا انقطع ويقال الدعا هو ترك الذنوب وحكى قتادة ان كعب الاحبار قال اعطيت هذه الامة ثلثا لم تعطهن امة قبلهم الا نبي كان اذا ارسل نبي قيل انت شاهد على امتك وقال تعالى لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكانه يقال للنبي ادعني استجب لكم وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم قال الشيخ رحمه الله مثل هذا لا يقال من جهة الراي وقد جاء مرفوعا رواه ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعطيت امتي ثلثا لم تعط الا الانبياء كان الله تعالى اذا بعث النبي قال ادعني استجب لك وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم وكان الله اذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما جعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله اذا بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهداء على الناس ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وكان خالد الربعي يقول عجبت لهذه الامة قيل لها ادعوني استجب لكم امرهم بالدعا ووعدهم الاجابة وليس بينهما شرط قال له قايل مثل ماذا قال مثل قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق فليس فيه شرط العمل ومثل قوله ادعوا الله مخلصين له الدين فههنا شرط وقوله ادعوني استجب لكم ليس فيه شرط فكانت الامم تفزع الى انبيائها في حوائجهم حتى تسال الانبياء لهم ذلك وقد قيل ان هذا من باب المطلق والمقيد على ما تقدم في البقرة بيانه اي استجب لكم ان شئت كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقد يكون الاستجابة في غير عين المطلوب على حديث ابي سعيد الخدري على ما تقدم في البقرة بيانه فتامله هناك وقرأ ابن كثير وابن محيصن ورويس عن يعقوب وعباس عن ابي عمرو وابو بكر والمفضل عن عاصم سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله الباقون يدخلون بفتح الياء وضم الخاء ومعنى داخرين صاغرين اذلا وقد تقدم قوله تعالى اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ جعل هنا بمعنى خلق والعرب تفرق بين جعل اذا كانت بمعنى خلق وبين جعل اذا لم يكن بمعنى خلق فاذا كانت بمعنى خلق فلا تعديها الا الى مفعول واحد واذا لم يكن بمعنى خلق عدتها الى مفعولين نحو قولنا انا جعلناه قرانا عربيا وقد مضى هذا المعنى في غير موضع والنهار مبصرا اي مضيئا لتبصروا فيه حوائجكم وتتصرفوا في طلب معايشكم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله وانعامه عليهم قوله تعالى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء

بين.

بين الدلالة على وحدانيته وقدرته لا اله الا هو فانى تؤفكون اي كيف تنقلبون وتنصرفون عن الايمان بعد ان بينت لكم دلايله كذلك اي كما صرفتم عن الحق مع قيام الدليل عليه فكذلك يصرف عن الحق الذين كانوا بايات الله يجحدون قوله تعالى اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الله الذي جعل لكم الارض قرارا زاد في تاكيد التعريف والدليل اي جعل لكم الارض مستقرا لكم في حياتكم وبعد الموت والسماء بناء تقدم وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم في احسن صورة وقرا ابو رزين والاشهب العقيلي صوركم بكسر الصاد قال الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة وينشد هذا البيت على هذه اللغة يصف الجواري

اشبهن من بقر الخلصاء اعينها ۝ وهن احسن من صيرانها صورا ۝

وقد جمعها الشاعر بقوله اذا لاح الصوار ذكرت ليلى ۝ واذكرها اذا نفح الصوار ۝

والصيار لغة فيه ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين تقدم هو الحي اي الباقي الذي لا يموت لا اله الا هو فادعوا الله مخلصين له الدين اي الطاعة والعبادة الحمد لله رب العالمين قال الفرا هو خبر وفيه اضمار امر اي ادعوه واحمدوه وقد مضى هذا كله مستوفى في البقرة وغيرها وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل الحمد لله رب العالمين قوله تعالى قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ اي قل يا محمد نهاني الله الذي هو الحي ولا اله غيره ان اعبد غيره لما جاءني البينات من ربي اي دلايل توحيده وامرت ان اسلم اي ذل واخضع لرب العالمين وكانوا دعوه الى دين ابايه فامر ان يقول هذا قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وقد تقدم هذا ثم لتبلغوا اشدكم وهي حالة اجتماع القوة وتمام العقل وقد مضى في الانعام بيانه ثم لتكونوا شيوخا بضم الشين قراءة نافع وابن محيصن وحفص وهشام ويعقوب وابو عمرو وعلى الاصل لانه جمع فعل نحو قلب وقلوب وراس وروس وقرا الباقون بكسر الشين لمراعاة الياء وكلاهما جمع كثرة وفي العدد القليل اشياخ والاصل اشيخ مثل فلس وافلس الا ان الحركة في الياء ثقيلة وقرى وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم واقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس وفي الصحاح جمع الشيخ شيوخ واشياخ وشيخة وشيخان ومشيخة ومشايخ ومشيوخا والمراة شيخة قال عبيد كانها شيخة رقوب وقد اشاخ الرجل يشيخ شيخا بالتحريك على اصله وشيخوخة واصل الياء متحركة فسكنت لانه ليس في الكلام فعلول وشيخت تشييخا اي شاخ ودعوته شيخا للتبجيل وتصغير الشيخ شييخ وشييخ ايضا بكسر الشين ولا تقل شويخ النحاس وان اضطر شاعر جاز ان يقول اشيخ مثل عين واعين الا انه حسن في عين لانها مونثة والشيخ من جاوز اربعين سنة ومنكم من يتوفى من قبل قال مجاهد اي من قبل ان يكون شيخا او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولتبلغوا

اجلاً مسمّى قال مجاهد الموت للكل والّلام لام العاقبة ولعلكم تعقلون ذلك فتعلموا ان لا اله غيره ٥
قوله تعالى هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥ هو الذي يحيي ويميت
زاد في التنبيه اي هو الذي يقدر على الاحياء والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد فعله قال له كن فيكون ونصب
فيكون ابن عامر على جواب الامر وقد مضى في البقرة القول فيه قوله تعالى الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ
فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٥
قال ابن زيد هم المشركون بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا وقال اكثر المفسرين
نزلت في القدرية قال ابن سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت في القدرية فلا ادري فيمن نزلت وقال
ابو قبيل لا احسب المكذبين بالقدر الا الذين يجادلون الذين آمنوا وقال عقبة ابن عامر قال النبي صلى الله
عليه وسلم نزلت هذه الاية في القدرية ذكره المهدوي قوله تعالى إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ٥
اذ الاغلال في اعناقهم اي عن قريب يعلمون بطلان ما هم فيه فاذا دخلوا النار وغلت ايديهم الى اعناقهم
قال النبي لو ان غلا من اغلال جهنم جعل على جبل لوهصه حتى يبلغ الماء الاسود الوهص كسر الشيء
الرخو وقد هصه والوهص شدة الوطء وفي الحديث ان آدم عليه السلام حين اهبط من الجنة وهصه
الله كانه رمى به وغمزه الى الارض قاله في الصحاح والسلاسل بالرفع قراة العامة عطفا على الاغلال قال
ابو حاتم يسحبون مستانف على هذه القراءة وقال غيره هو في موضع نصب على الحال والتقدير اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل مسحوبين وقراء ابن عباس وابو الجوزا وعكرمة وابن مسعود والسلاسل
بالنصب يسحبون بفتح الياء والتقدير في هذه القراة ويسحبون السلاسل قال بن عباس اذا كانوا
يجرونها فهو اشد عليهم وحكى عن بعضهم والسلاسل بالجر ووجهه انه محمول على المعنى لان المعنى
اعناقهم في الاغلال والسلاسل قاله الفرا وقال الزجاج ومن قراء السلاسل يسحبون بالخفض
فالمعنى عنده وفي السلاسل يسحبون قال ابن الانباري والخفض على هذا المعنى غير جائز لانك اذا
قلت زيد في الدار لم يحسن ان تضمر في فتقول زيد الدار ولكن الخفض جائز على معنى اذ اعناقهم في الاغلال
والسلاسل فتخفض السلاسل على النسق على تاويل الاغلال لان الاغلال في تاويل خفض كما تقول خاصم
عبد الله زيد العاقلين فتنصب العاقلين ويجوز رفعهما لان احدهما اذا خاصم صاحبه فقد خاصمه صاحبه
انشد الفرا ٥ قد سالم الحيات منه القدما الافعوان والشجاع الشجعما ٥ فنصب الافعوان
على الاتباع للحيات اذا سالمت القدم فقد سالمتها القدم فمن نصب السلاسل او خفضها لم يقف عليها
والحميم المتناهي في الحر وقيل الصديد المغلي ثم في النار يسجرون اي يطرحون فيها فيكونون
وقودا لها قاله مجاهد يقال سجرت التنور اذا اوقدته وسجرته ملأته ومنه البحر المسجور اي المملوء
فالمعنى على هذا تملأ بهم النار وقال الشاعر يصف وعلا ٥
٥ اذا شاء طالع مسجوره ترى حولها النبع والساسما ٥
اي عينا مملوءة ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله وهذا تقريع وتوبيخ قالوا ضلوا عنا اي هلكوا

وذهبوا عنا وتركونا في العذاب من ضل الماء في اللبن اي خفي وقيل اي صاروا بحيث لا نجدهم بل لم نكن
ندعوا من قبل شيا اي شيا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا انكارا لعبادة الصنم بل
هو اعتراف بان عبادتهم الاصنام كانت باطلة قال الله تعالى كذلك يضل الله الكافرين اي كما
فعل بهؤلاء من الاضلال يفعل بكل كافر قوله تعالى ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى
الْمُتَكَبِّرِينَ ٥ ذلكم اي ذلكم العذاب بما كنتم تفرحون بالمعاصي يقال لهم ذلك توبيخا اي انما نالكم
لكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال والاتباع والصحة وقيل ان فرحهم
بما عندهم انهم قالوا للرسل نحن نعلم انا لا نبعث ولا نعذب وكذا قال مجاهد في قوله جل وعز فلما
جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وبما كنتم تمرحون قال مجاهد وغيره اي تبطرون
وتاشرون وقد مضى في سبحانه بيانه وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وروى خالد
عن ثور عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البذخين الفرحين
ويحب كل قلب حزين ويبغض اهل بيت لحمين ويبغض كل حبر سمين فاما اهل بيت لحمين
الذين ياكلون لحوم الناس بالغيبة واما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر بعلمه الناس يعني المستكثر
من علمه ولا ينفع به الناس ذكره الماوردي وقد قيل في اللحمين انهم الذين يكثرون اكل اللحم ومنه
قول عمر اتقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر ذكره الهروي والاول قول سفيان الثوري
ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ذلك اليوم وقد قال الله تعالى لها سبعة ابواب فبئس
مثوى المتكبرين تقدم جميعه قوله تعالى فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ
الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ٥ هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي انا لننتقم
لك منهم اما في حياتك او في الآخرة فاما نرينك في موضع جزم بالشرط وما زائدة للتوكيد وكذا النون
وزال الجزم وبني الفعل على الفتح او نتوفينك عطف عليه فالينا يرجعون الجواب قوله تعالى
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
الْمُبْطِلُونَ ٥ ولقد ارسلنا رسلا من قبلك عزاه ايضا بما لقيت الرسل قبله منهم من قصصنا عليك
اي انباءك باخبارهم وما لقوا من قومهم ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي
باية اي من قبل نفسه الا باذن الله فاذا جاء امر الله اي اذا جاء الوقت المسمى لعذابهم اهلكهم
الله وانما التاخير لاسلام من علم الله اسلامه منهم ولمن في اصلابهم من المؤمنين وقيل اشار
بهذا الى القتل ببدر قضي بينهم بالحق وخسر هنالك المبطلون الذين يتبعون الباطل والشرك
قوله تعالى اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥ الله الذي جعل لكم
الانعام قال ابو اسحاق الزجاج الانعام ههنا الابل لتركبوا منها ومنها تاكلون فاحتج من منع اكل
الخيل والخيل والبغال والحمير لتركبوها ولم يذكر اباحة اكلها وقد مضى هذا في النحل مستوفى
قوله تعالى وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا

واباح اكل الجمال بان الله عز وجل
قال في الانعام ومنها تاكلون وقال
في الخيل صح

وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون ۝ ولكم فيها منافع في الوبر
الصوف والشعر واللبن والزبد والسمن والجبن وغير ذلك ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
اي لحمل الاثقال والاسفار وقد مضى في النحل بيان هذا كله فلا معنى لاعادته ثم قال وعليها
يعني الانعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون ويريكم آياته اى اياته الدالة على وحدانيته وقدرته
فيما ذكر فاي آيات الله تنكرون لانه الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله ولو كان مع الفعل
هاء لكان الاختيار في اي الرفع ولو كان الاستفهام بالالف او هل وكان بعدها اسم بعده فعل معه
هاء لكان الاختيار النصب اى اذا كنتم لا تنكرون ان هذه الاشياء من الله فلم تنكرون قدرته على البعث
والنشر قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ۝
اولم يسيروا في الارض حتى يشاهدوا آثار الامم السالفة كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون من الابنية والاموال وما ادالوا به من الاولاد والاتباع وعلى هذا ما الجحد اي
فلم تغن عنهم ذلك شيأ وقيل ما للاستفهام اى اي شيء اغنى عنهم كسبهم حين هلكوا ولم ينصرف اكثر
لانه على وزن افعل من كذا فانه لا يجوز صرفه بوجه في معرفة ولا غيره اذا كانت معه من قال ابو
العباس ولو كانت من المانعة من صرفه لوجب ان لا يقال مررت بخير منك وشر من عمرو قوله
تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن ۝ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم في
معناه ثلثة اقوال قال مجاهد ان الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن اعلم منهم لن
نعذب ولن نبعث وقيل فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل لما كذبهم قومهم اعلمهم الله جل وعز انه مهلك الكافرين ومنجيهم والمؤمنين
فرحوا بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وحاق بهم اى بالكفار ما كانوا به يستهزؤن اى عقاب
استهزائهم بما جاء به الرسل قوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما
كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده
وخسر هنالك الكافرون ۝ فلما راوا باسنا اى عاينوا العذاب قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
اى بالاوثان التي اشركناهم في العبودية فلم يك ينفعهم ايمانهم بالله عند معاينة العذاب وحين راوا
الباس سنة الله مصدر لان العرب تقول سن يسن سنا وسنة اى سن الله عز وجل في الكفار
انه لا ينفعهم الايمان اذا راوا العذاب وقد مضى هذا مبينا في النساء ويونس وان التوبة لا تقبل بعد
روية العذاب وحصول العلم الضروري وقيل اي احذروا يا اهل مكة سنة الله في اهلاك الكفرة فسنة
منصوب على التحذير والاغراء وخسر هنالك الكافرون قال الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل
ذلك الا انه تبين لنا الخسران لما راوا العذاب وقيل فيه تقديم وتاخير اي لم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا وخسر هنالك الكافرون كسنتنا في جميع الكافرين فسنة نصب
بنزع الخافض اي سنة الله في الامم كلها تمت السورة

سورة فصلت

مكية في قول الجميع وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
حم تنزيل من الرحمن الرحيم ۝ قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصلت آياته
وهذا قول البصريين وقال الفراء يجوز ان يكون رفعه على اضمار هذا ويجوز ان يقال كتاب بدل من قوله
تنزيل وقيل نعت لقوله تنزيل وقيل حم اى هذه حم كما تقول باب كذا اي هو باب كذا فحم خبر ابتدا
مضمر اى هو حم وقوله تنزيل مبتدأ اخر وقوله كتاب خبره فصلت آياته اى بينت وفسرت قال
قتادة ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته الحسن بالوعد والوعيد سفيان بالثواب والعقاب
وقرئ فصلت اى فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل
اى تباعد من البلد قوله تعالى قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون ۝ قرآنا عربيا في نصبه وجوه قال الاخفش هو نصب على المدح وقيل على اضمار فعل
اى اذكر قرآنا عربيا وقيل على اعادة الفعل اى فصلنا قرآنا عربيا وقيل على الحال اى فصلت آياته في
حال كونه قرآنا عربيا وقيل لما شغل التفصيل بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل انتصب القرآن لوقوع
البيان عليه وقيل على القطع لقوم يعلمون قال الضحاك اي ان القرآن منزل من عند الله وقال مجاهد اى
يعلمون انه اله واحد في التوراة والانجيل وقيل يعلمون العربية فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي
لما علموه قال الشيخ رحمه الله هذا اصح والسورة نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش في اعجاز القرآن
بشيرا ونذيرا حالان من الايات والعامل فيه فصلت وقيل هما نعتان للقرآن بشيرا لاولياء الله نذيرا لاعدائه
وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدأ محذوف فاعرض اكثرهم يعني اهل مكة فهم لا يسمعون سماعا
ينتفعون به روى ان الوليد بن حرملة قال قال الملأ من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو
التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله
لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفى على ان كان كذلك فقالوا ائته فحدثه فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد انت خير ام قصي بن كلاب انت خير ام هشام انت خير ام عبد المطلب
انت خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا وتسفه احلامنا وتذم ديننا فان كنت تريد الرياسة
عقدنا لك الويتنا فكنت رئيسنا ما بقيت وان كنت تريد الباءة زوجناك عشر نساء من اى بنات
قريش ما شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به انت وعقبك من بعدك وان كان هذا
الذى ياتيك رئيا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك من اموالنا في الطلب ما تتداوى به او نغلب
فيك والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال قد فرغت يا ابا الوليد قال نعم فقال يا ابن اخي
اسمع قال اسمع بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرآنا
عربيا الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب عتبة ووضع يده
على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الله والرحم ليسكت ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش

فجاءه ابو جهل وقال اصبوت الى محمد ام اعجبك طعامه فغضب عتبة واقسم انه لا يكلم محمدا ابدا ثم قال
والله لقد تعلمون اني من اكثر قريش مالا ولكني لما اقتصصت عليه القصة اجابني بشيء والله ما هو بشعر
ولا كهانة ولا سحر ثم تلى عليهم ما سمع منه الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود وامسكت بفيه وناشدته
بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فوالله لقد خفت ان ينزل بكم العذاب
يعني الصاعقة وقد روى هذا الخبر ابو بكر الانبارى فى كتاب الرد له عن محمد بن كعب القرظي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ حم فصلت حتى انتهى الى السجدة فسجد وعتبة مصغ يسمع قد
اعتمد على يديه من وراء ظهره فلما قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة قال له يا ابا الوليد قد سمعت
الذى قرأت عليك فانت وذاك فانصرف عتبة الى قريش فى ناديها فقالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد
بغير الوجه الذى مضى به من عندكم ثم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال والله لقد سمعت من محمد
كلاما ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة فاطيعوني فى هذه وانزلوها
بي خلوا محمدا وشانه واعتزلوه فوالله ليكونن لما سمعت من كلامه نبأ فان اصابته العرب كفيتموه
بايدى غيركم وان كان ملكا او نبيا كنتم اسعد الناس به لان ملكه ملككم وشرفه شرفكم قالوا هيهات سحرك
محمد فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما شئتم قوله تعالى وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ۝ الاكنة جمع كنان وهو الغطاء
وقد مضى فى البقرة قال مجاهد الكنان للقلب كالجنة للنبل وفى آذاننا وقر اى صمم فكلامك لا يدخل
اسماعنا وقلوبنا مستورة عن فهمه ومن بيننا وبينك حجاب اى خلاف فى الدين لانهم يعبدون الاصنام
وهو يعبد الله عز وجل قال معناه الفراء وغيره وقيل سترا مانعا من الاجابة وقيل ان ابا جهل
استغشى على رأسه ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه حكاه النقاش وذكره القشيري
فالحجاب هنا الثوب فاعمل اننا عاملون اى اعمل فى هلاكنا فانا عاملون فى مثل ذلك قاله الكلبي
وقال مقاتل اعمل لالهك الذى ارسلك فانا نعمل لالهتنا التى نعبدها وقيل اعمل لآخرتك فانا
نعمل لدنيانا ذكره الماوردي قوله تعالى قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ
وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ قل انما انا بشر
مثلكم اى لست بملك بل انا من بني آدم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع يوحى الي اي
من السماء على ايدى الملائكة انما الهكم اله واحد فآمنوا به واستقيموا اليه اى وجهوا وجوهكم
بالدعاء له والمسألة اليه كما يقول الرجل استقم الى منزلك اى لا تعرج على شيء غير القصد الى منزلك
واستغفروه اي من شرككم وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال ابن عباس لا يشهدون
ان لا اله الا الله وهي زكاة الانفس وقال قتادة لا يقرون بالزكاة انها واجبة وقال
الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون فى الطاعة قرعهم بالشح الذى يانف منه الفضلاء
وفيه دلالة على ان الكافر يعذب بكفره مع منع وجوب الزكاة عليه وقال الفراء وغيره كان
المشركون ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم

بانتقصيه دينكم انا عاملون
بانتقصيه دينا وكتمانا مسا
نا عملوا

نزلت هذه الاية فيهم وهم بالاخرة هم كافرون فلهذا لا ينفقون فى الطاعة ولا يستقيمون ولا يستغفرون
الزمخشرى فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالاخرة قلت
لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك اقوى دليل
على ثباته الا ترى الى قوله جل وعلا الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
اى يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا
فقويت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا
الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد
من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع ماخوذ من مننت الحبل اذا
قطعته ومنه قول ذي الاصبع اني لعمرك ما بابي بذي غلق على الصديق ولا خيري بممنون
وقال آخر ۝ فترى خلفها من الرجع والوقع منينا كانه اهباء ۝ يعني بالمنين الغبار
المنقطع الضعيف وعن ابن عباس ايضا ومقاتل غير منقوص ومنه المنون لانها تنقص منة الانسان
اى قوته وقاله قطرب وانشد قول زهير فضل الجواد على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا
قال الجوهري والمن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم اجر غير ممنون وقال لبيد
غبسا كواسب لا يمن طعامها وقال مجاهد غير ممنون غير محسوب وقيل غير ممنون عليهم
به قال السدي نزلت فى الزمنى والمرضى والهرمى اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر كاصح
ما كانوا يعملون فيه قوله تعالى قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ
وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ
فِيهَا أَقْوَاتَهَا سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ۝ ائنكم بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين وهو
استفهام معناه التوبيخ امره بتوبيخهم والتعجب من فعلهم اى لم تكفرون بالله وهو خالق السموات
والارض فى يومين الاحد والاثنين وتجعلون له اندادا اى اضدادا وشركاء ذلك رب العالمين
وجعل فيها اى فى الارض رواسي من فوقها يعني الجبال قال وهب لما خلق الله الارض مادت
على وجه الماء فقال لجبريل ثبتها يا جبريل فنزل فامسكها فغلبته الرياح قال يا رب انت اعلم لقد
غلبت فيها فثبتها بالجبال وارساها وبارك فيها بما خلق فيها من المنافع قال السدى انبت فيها
شجرها وقدر فيها اقواتها قال السدى والحسن ارزاق اهلها ومصالحهم وقال قتادة ومجاهد
خلق فيها انهارها واشجارها ودوابها فى يوم الثلاثاء والاربعاء وقال عكرمة والضحاك معنى قدر
فيها اقواتها اى ارزاق اهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع فى كل بلدة ما لم يجعله
فى الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد قال عكرمة حتى انه فى بعض
البلاد ليتبايعون الملح بالذهب مثلا بمثل وقال مجاهد اقواتها السابري من سابور والطيالسة
من الري والحبر اليمانية من اليمن فى اربعة ايام يعني فى تتمة اربعة ايام ومثاله قول القائل خرجت من
البصرة الى بغداد فى عشرة ايام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما اى فى تتمة خمسة عشر يوما قال معناه

ابن الانبارى وغيره سوآء للسائلين قال الحسن المعنى فى اربعة ايام مستوية تامة الفرا فى الكلام
تقديم وتاخير والمعنى وقدر فيها اقواتها سوآء للمحتاجين واختاره الطبرى وقراء الحسن البصرى
ويعقوب الحضرمى سواءٍ للسائلين بالجر وعن ابن القعقاع سواءٌ بالرفع فالنصب على المصدر
وسواء بمعنى استواء اى استوت استواء وقيل على الحال والقطع والجر على النعت لايام واربعة
اى فى اربعة ايام مستوية تامة والرفع على الابتداء والخبر للسائلين او على تقدير هى سوآء للسائلين
وقال اهل المعانى معناه سوآء للسائلين ولغير السائلين اى خلق الارض وما فيها لمن سال ولمن
لم يسال ويعطى من سال ومن لا يسال قوله تعالى ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ ثم استوى الى السماء وهى دخان
اى عمد الى خلقها وقصد لتسويتها والاستواء من صفة الافعال على اكثر الاقوال يدل عليه قوله
تعالى ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وقد مضى القول هناك وروى ابو صالح عن ابن
عباس فى قوله ثم استوى الى السماء يعنى صعد امره الى السمآء وقال الحسن ومن قال انه صفة
ذاتية زائدة قال استوى فى الازل بصفاته ثم ترجع الى نقل السماء من صفة الدخان الى حالة
الكثافة وكان ذلك الدخان من تنفس الماء وحين تنفس على ما مضى فى البقرة عن ابن مسعود وغيره
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اى جيئا بما خلقت فيكما من المنافع والمصالح واخرجاها للخلق
قال ابن عباس قال الله للسمآء اطلعى شمسك وقمرك وكواكبك واجرى رياحك وسحابك وقال للارض
شقى انهارك واخرجى شجرك وثمارك طائعتين او كارهتين قالتا اتينا طائعين وفى الكلام حذف
اى اتينا امرك طائعين وقيل معنى هذا الامر التسخير اى كونا فكانتا كما قال تعالى انما قولنا لشىء اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون فعلى هذا قال ذلك قبل خلقهما وعلى القول الاول قال ذلك بعد خلقهما
وهو قول الجمهور وفى قوله تعالى لهما وجهان احدهما انه قول تكلم به الثانى انها قدرة منه ظهرت
لهما فقام مقام الكلام فى بلوغ المراد ذكره الماوردى قالتا اتينا طائعين فيه ايضا وجهان احدهما
انه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا واجابا فقام مقام قولهما ومنه قول الراجز
امتلاء الحوض وقال قطنى ۝ مهلا رويدا قد ملات بطنى ۝ يعنى ظهر ذلك فيه وقال
اكثر اهل العلم بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما اراد تعالى قال ابو نصر السكسكى فنطق من
الارض موضع الكعبة ونطق من السمآء ما بحيالها فوضع الله تعالى فيه حرمه وقال طائعين ولم يقل
طائعتين على اللفظ ولا طائعات على المعنى لانهما سماوات وارضون لانه اخبر عنهما وعمن فيهما وقيل
لما وصفهن بالقول والاجابة وذلك من صفات من يعقل اجراهما فى الكناية مجرى من يعقل ومثله رايتهم
لى ساجدين وقد تقدم وفى حديث ان موسى عليه السلام قال يا رب لو ان السموات والارض حين قلت
لهما ائتيا طوعا او كرها عصتاك ما كنت صانعا بهما قال كنت امر دابة من دوابى فتبتلعهما قال يا رب
واين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قال يا رب واين ذلك المرج قال فى علم من علمى ذكره الثعلبى
وقراء ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة آتيا بالمد والفتح وكذلك قوله اتينا طائعين على
معنى اعطينا الطاعة من انفسكما قالتا اتينا طائعين فحذف المفعولين جميعا ويجوز وهو حسن

ان

ان يكون اتينا مفعول واحد ومن قراء اتينا فالمعنى جئنا بما فينا على ما تقدم بيانه قوله تعالى
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ فقضاهن سبع سموات فى يومين اى اكملهن
وفرغ منهن وقيل احكمهن كما قال وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع
فى يومين سوى الاربعة الايام التى خلق الله فيهن الارض فوقع خلق السموات والارض فى ستة
ايام كما قال تعالى خلق السموات والارض فى ستة ايام على ما تقدم فى الاعراف بيانه قال مجاهد
ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وعن عبد الله بن سلام قال خلق الله الارض فى يومين وقدر
فيها اقواتها فى يومين وخلق السموات فى يومين خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وقدر فيها اقواتها
يوم الثلثا ويوم الاربعاء وخلق السموات فى يوم الخميس ويوم الجمعة وآخر ساعة فى يوم الجمعة خلق الله آدم
فى عجل وهى التى تقوم فيها الساعة وما خلق الله من دابة الا وهى تفزع من يوم الجمعة الا الانس والشيطان
على هذا اهل التفسير الا ما رواه مسلم من حديث ابى هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال
خلق الله التربة يوم السبت الحديث وقد تكلمنا على اسناده فى اول سورة الانعام واوحى فى كل سماء امرها
قال قتادة والسدى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وافلاكها وخلق فى كل سمآء خلقها من الملائكة والخلق
الذى فيها من البحار وجبال البرد والثلوج وهو قول ابن عباس قال ولله فى كل سماء بيت تحج اليه و
تطوف به الملائكة بحذاء الكعبة والذى فى السماء الدنيا هو البيت المعمور وقيل اوحى فى كل سماء امرها
اى اوحى فيها ما اراده وما امر به فيها والايحاء قد يكون امرا كقوله بان ربك اوحى لها وقوله واذ اوحيت
الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى اى امرتهم وهو امر تكوين وزينا السمآء الدنيا بمصابيح اى بكواكب تضئ
وقيل انه فى كل سماء كواكب تضئ وقيل بل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا وحفظا اى وحفظناها حفظا
اى من الشياطين الذين يسترقون السمع وهذا الحفظ بالكواكب التى ترجم بها الشياطين على ما تقدم فى الحجر
بيانه وظاهر هذه الاية يدل على ان الارض خلقت قبل السماء وقال فى اية اخرى ام السمآء بناها ثم قال و
الارض بعد ذلك دحاها وهذا يدل على خلق السمآء اولا فقال قوم خلقت الارض قبل السمآء فاما قوله
والارض بعد ذلك دحاها فالدحو غير الخلق فالله خلق الارض ثم خلق السموات ثم دحى الارض اى مدها
وبسطها قاله ابن عباس وقد مضى هذا المعنى مجودا فى البقرة والحمد لله ذلك تقدير العزيز العليم
قوله تعالى فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ
مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم
بِهِ كَافِرُونَ ۝ فان اعرضوا يعنى كفار قريش عما تدعوهم اليه يا محمد من الايمان فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود اى خوفتكم هلاكا مثل هلاك عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن
خلفهم يعنى ممن ارسل اليهم والى من قبلهم الا تعبدوا الا الله موضع ان نصب باسقاط الخافض اى بان
لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة بدل الرسل فانا بما ارسلتم به كافرون من الانذار والتبشير
قيل هذا استهزاء منهم وقيل اقرار منهم بارسالهم ثم بعده جحود وعناد قوله تعالى فَأَمَّا عَادٌ فَا
سْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ

منهم قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فاما عاد فا
ستكبروا في الارض على عباد الله هود ومن آمن به بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اغتروا باجسامهم
حين تهددهم بالعذاب وقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عن انفسنا بفضل قوتنا وذلك انهم كانوا ذوي
اجسام طوال وخلق عظيم وقد مضى في الاعراف عن ابن عباس ان اطولهم كان مائة ذراع واقصرهم كان
ستين ذراعا فقال الله تعالى ردا عليهم اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وقدرة وانما
يقدر العبد باقدار الله فالله اقدر اذا وكانوا باياتنا يجحدون اي بمعجزاتنا يكفرون قوله تعالى
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الاخرة اخزى وهم لا ينصرون هذا تفسير الصاعقة التي ارسلها عليهم اي ريحا باردة شديدة البرد
وشديدة الصوت والهبوب ويقال اصلها صرر من الصر فابدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل لقولهم
كبكبوا اصله كببوا وتجفجف الثوب اصله تجفف ابو عبيدة معنى صرصر شديدة صاعقة عكرمة وسعيد
ابن جبير شديد البرد وانشد قطرب قول الحطيئة

المطعمون اذا هبت بصرصرة ۝ والحاملون اذا استودوا على الناس

استودوا اذا سئلوا الدية مجاهد الشديدة السموم روى معمر عن قتادة قال باردة قال عطاء لان صرصرا
ماخوذ من صر والصر في كلام العرب البرد كما قال

لها عذر كقرون النساء ركبن ۝ في يوم ريح وصر

وقال السدي الشديد الصوت ومنه صر القلم والباب يصر صريرا اي صوت ويقال
درهم صري وصري للذي له صوت اذا نقد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون
من الصر وهو البرد ويجوز ان يكون من صرير الباب ومن الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت
امراته في صرة وصرصر اسم نهر بالعراق في ايام نحسات اي مشئومات قاله مجاهد وقتادة كن آخر
شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما قال ابن عباس ما عذب
قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات باردات حكاه النقاش وقيل متتابعات عن ابن عباس وعطية
والضحاك شداد وقيل ذات غبار حكاه ابن عيسى ومنه قول الراجز

قد اغتدي قبل طلوع الشمس ۝ للصيد في يوم قليل النحس

قال الضحاك وغيره امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودرت الرياح عليهم في غير مطر وخرج قوم منهم
الى مكة يستسقون بها لعاد وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد طلبوا الى الله تعالى
الفرج منه وكانت طلبتهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس
كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة عارف حرمتها ومكانها من الله تعالى وقال جابر بن عبد الله والتيمي
اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح وقراء نافع وابن كثير وابن عمرو نحسات
باسكان الحاء على انه جمع نحس الذي هو مصدر وصف به الباقون نحسات بكسر الحاء اي ذوات نحس
ومما يدل على ان النحس مصدر قوله في يوم نحس مستمر ولو كان صفة لم يضف اليوم اليه وبهذا كان يحتج
ابو عمرو على قراته واختاره ابو حاتم واختار ابو عبيد القراة الثانية وقال لا تصح حجة ابي عمرو

لانه اضاف اليوم الى النحس فاسكن وانما كان يكون حجة لو نون اليوم ونعت واسكن فقال في يوم نحس وهذا
لم يقرا به احد نعلمه قال المهدوي ولم يسمع في نحس الا الاسكان قال الجوهري وقرئ في قوله في يوم نحس على الصفة
والاضافة اكثر واجود وقد نحس الشيء بالكسر فهو نحس ايضا قال الشاعر

ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم ۝ طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

ومنه قيل ايام نحسات لنذيقهم اي لكي نذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا بالريح العقيم ولعذاب الاخرة
اخزى اي اعظم واشد وهم لا ينصرون قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون اي بينا لهم الهدى والضلال عن ابن عباس وغيره وقراء الحسن وابن ابي اسحاق وغيرهما
واما ثمود بالنصب وقد مضى الكلام فيه في الاعراف فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على
الايمان وقال ابو العالية اختاروا العمى على البيان السدي اختاروا المعصية على الطاعة فاخذتهم صاعقة
العذاب الهون الهون بالضم الهوان وهون ابن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر اخو كنانة واسد
واهانه استخف به والاسم الهوان والمهانة واضيفت الصاعقة الى العذاب لان الصاعقة اسم للمبير
المهلك فكانه قال مهلكوا العذاب اي العذاب المهلك والهون وان كان مصدرا فمعناه الاهانة والاهانة
عذاب فجاز ان يجعل احدهما وصفا للاخر فكانه قال صاعقة الهون وهو كقولك عندي علم
اليقين وعندي العلم اليقين ويجوز ان يكون الهون اسما مثل الدون يقال عذاب هون اي مهين
كما قال ما لبثوا في العذاب المهين وقيل اي صاعقة العذاب ذي الهون بما كانوا يكسبون من تكذيبهم
صالحا وعقرهم الناقة على ما تقدم ونجينا الذين آمنوا يعني صالحا ومن آمن به اي ميزناهم عن الكفار
فلم يحل بهم ما حل بالكفار وهكذا نفعل يا محمد بمؤمني قومك وكفارهم قوله تعالى ويوم
يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قراة نافع نحشر بالنون اعداء بالنصب الباقون
يحشر بياء مضمومة اعداء بالرفع ومعناهما بين واعداء الله الذين كذبوا رسله وخالفوا امره فهم
يوزعون يساقون ويدفعون الى جهنم قال قتادة والسدي يحبس اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا قال
ابو الاحوص فاذا تكاملت العدة بدئ بالاكابر فالاكابر جرما وقد مضى في النمل الكلام في يوزعون
مستوفى قوله تعالى حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون حتى اذا ما جاؤها ما زائدة شهد
عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون الجلود يعني بها الجلود باعيانها في قول اكثر
المفسرين وقال السدي وعبيد الله بن ابي جعفر والفراء اراد بالجلود الفروج وانشد بعض الادباء
لعامر بن جوية

المرء يسعى للسلامة والسلامة حسبه ۝ او سالم من قد تثنى جلده وابيض راسه

وقال جلده كناية عن فرجه وقالوا يعني الكفار لم شهدتم علينا وانما كنا نجادل عنكم قالوا انطقنا الله
الذي انطق كل شيء لما خاطبت وخوطبت اجريت مجرى من يعقل وهو خلقكم اول مرة اي ركب

الحياة فيكم بعد ان كنتم نطفا فمن قدر عليه قدر على ان ينطق الجلود وغيرها من الاعضاء وقيل وهو خلقكم
اول مرة ابتدأ كلام من الله واليه ترجعون وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قال قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول
يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك
اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله قال
ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وفي حديث ابي هريرة ثم يقال
الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق
فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه خرجه
مسلم ايضا قوله تعالى وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ° يجوز ان يكون من قول الجوارح لهم ويجوز ان
يكون من قول الله جل وعز او الملائكة وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال اجتمع عند البيت ثلاثة نفر قرشيان
وثقفي او ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فقال احدهم اترون الله يسمع ما نقول فقال
الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فهو يسمع اذا اخفينا فانزل الله
عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم الآية خرجه الترمذي فقال اختصم عند
البيت ثلاثة نفر ثم ذكره بلفظه حرفا حرفا وقال حديث حسن صحيح حدثنا هناد قال حدثنا ابو معاوية
عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله كنت مستترا باستار الكعبة
فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم قرشي وختناه ثقفيان او ثقفي وختناه قرشيان فتكلموا بكلام
لم افهمه فقال احدهم اترون الله يسمع كلامنا هذا فقال الآخر انا اذا رفعنا اصواتنا سمعه واذا لم نرفع اصواتنا
لم يسمعه فقال الآخر ان سمع منه شيئا سمعه كله فقال عبد الله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم الى قوله فاصبحتم من الخاسرين
قال هذا حديث حسن قال الثعلبي والثقفي عبد يا ليل وختناه ربيعة وصفوان بن امية
ومعنى تستترون تستخفون في قول اكثر العلماء اي ما كنتم تستخفون من انفسكم حذرا من شهادة الجوارح
عليكم لان الانسان لا يمكنه ان يخفي من نفسه عمله فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية وقيل الاستتار
بمعنى الاتقاء اي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه
الشهادة قال معناه مجاهد وقال قتادة وما كنتم تستترون اي تظنون ان يشهد عليكم سمعكم بان يقول
سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي ولا ابصاركم فيقول رايت آيات الله فما اعتبرت
ونظرت الى ما لا يجوز ولا جلودكم تقدم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من اعمالكم فجادلتم على
ذلك حتى شهدت عليكم جوارحكم باعمالكم روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم قال يدعون يوم القيامة مفدمة افواههم بفدام
فاول ما يبين عن الانسان فخذه وكفه وقال عبد الله بن عبد الاعلى الشامي فاحسن

العمر ينقص والذنوب تزيد ° وتقال عثرة الفتى فيعود

هل يستطيع جحود ذنب واحد ° رجل جوارحه عليه شهود
والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي ° تقليلها وعن الممات يحيد

وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على ابن آدم الا ينادى فيه
يا ابن آدم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت
لم ترني ابدا ويقول الليل مثل ذلك ذكره ابو نعيم الحافظ وقد ذكرناه في التذكرة في باب شهادة الارض
والليالي والايام والمال وقال محمد بن بشير فاحسن

مضى امسك الادنى شهيدا معدلا ° ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة ° فثن باحسان وانت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد ° لعل غدا ياتي وانت فقيد

قوله تعالى وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ °
ارداكم اي اهلككم فاوردكم النار قال قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يموتن احدكم الا وهو يحسن بالله الظن فان قوما اساءوا الظن بربهم فاهلكهم فذلك قوله وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال الحسن البصري ان قوما الهتهم الاماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة
ويقول احدهم اني احسن الظن بربي وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل وتلا قول الله تعالى وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وقال قتادة من استطاع منكم ان يموت وهو حسن
الظن بربه فليفعل فان الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية هؤلاء قوم
كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلون على المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ثم قرأ وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين قوله تعالى فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى
لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ° اي فان يصبروا في الدنيا على اعمال اهل النار
فالنار مثوى لهم نظيره فما اصبرهم على النار على ما تقدم وان يستعتبوا في الدنيا وهم مقيمون
على كفرهم فما هم من المعتبين وقيل المعنى فان يصبروا في النار او يجزعوا فالنار مثوى لهم اي لا محيص
لهم عنها ودل على الجزع قوله وان يستعتبوا لان المستعتب جزع والمعتب المقبول عتابه قال النابغة

فان اك مظلوما فعبدا ظلمته ° وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب

اي مثلك من قبل الصلح والمراجعة اذا سئل قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة تقول
عاتبه معاتبة وبينهم اعتوبة يتعاتبون بها يقال اذا تعاتبوا اصلح ما بينهم العتاب واعتبني فلان اذا
عاد الى مسرتي راجعا عن الاساءة والاسم منه العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضي العاتب
واستعتب بمعنى واستعتب ايضا طلب ان يعتب تقول استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني
فمعنى وان يستعتبوا اي طلبوا الرضى لم ينفعهم ذلك بل لا بد لهم من النار وفي التفاسير وان
يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين وقرأ عبيد بن عمير وابو العالية وان يستعتبوا بفتح التاء الثانية
وضم الياء على الفعل المجهول فما هم من المعتبين بكسر التاء اي ان اقالهم الله وردهم الى الدنيا لم
يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله تعالى من الشقاء قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكره

المعروي وقال ثعلب يقال اعتب اذا غضب واعتب اذا رضي قوله تعالى وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا
لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ قال النقاش اى هيأنا لهم شياطين وقيل سلطنا عليهم
قرناء يزينون عندهم المعاصي وهولاء القرناء من الجن والشياطين ومن الانس ايضا اى شينا لهم
قرناء يقال قيض الله فلانا لفلان اى جاءه به واتاحه له ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء القشيري
ويقال قيض الله لي رزقا اى اتاحه كما كنت اطلب والتقييض الابدال ومنه المقايضة قايضت الرجل
مقايضة اى عارضته بمتاع وهما قيضان كما تقول بيعان فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا
فحسنوه لهم حتى اثروه على الاخرة وما خلفهم حسنوا لهم ما بعد مماتهم ودعوهم الى التكذيب بامور
الاخرة عن مجاهد وقيل المعنى قيضنا لهم قرناء في النار فزينوا لهم اعمالهم في الدنيا والمعنى قدرنا
عليهم ان ذلك سيكون وحكمنا به عليهم وقيل المعنى احوجناهم الى الاقران اى احوجنا الفقير الى الغنى
لينال منه والغنى الى الفقير ليستعين به فزين بعضهم لبعض المعاصي وليس قوله وما خلفهم عطفا على ما
بين ايديهم بل المعنى وانسوهم ما خلفهم ففيه هذا الاضمار قال ابن عباس ما بين ايديهم تكذيبهم بامور
الاخرة وما خلفهم التسويف والترغيب في الدنيا الزجاج ما بين ايديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على
ان يعملوه وقد تقدم قول مجاهد وقيل المعنى لهم مثل ما تقدم من المعاصي وما خلفهم ما يعمل بعدهم
وحق عليهم القول في امم اى وجب عليهم من العذاب ما وجب على الامم الذين من قبلهم الذين كفروا
ككفرهم وقيل في بمعنى مع فالمعنى هم داخلون في الامم الكافرة قبلهم فيما دخلوا فيه وقيل في امم في
جملة امم ومثله قول الشاعر ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا يريد فانت
في جملة آخرين لست في ذلك بأوحد ومحل في امم النصب على الحال من الضمير في عليهم اى حق عليهم
القول كائنين في جملة امم انهم كانوا خاسرين اعمالهم في الدنيا وانفسهم واهليهم يوم القيامة
قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ
لما اخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح وغيرهم اخبر عن مشركي قريش وانهم كذبوا القران
فقالوا لا تسمعوا وقيل معنى لا تسمعوا لا تطيعوا يقال سمعت لك اطعتك والغوا فيه قال ابن عباس
قال ابو جهل اذا قرا محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول وقيل انهم فعلوا ذلك لما اعجزهم القران
وقال مجاهد المعنى والغوا فيه بالمكاء والتصفيق والتخليط في المنطق حتى يصير لغوا وقال الضحاك
اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال ابو العالية وابن عباس ايضا قعوا فيه وعيبوه لعلكم
تغلبون محمدا على قراءته فلا تظهر ولا تستميل القلوب وقرا عيسى بن عمر والجحدري وابن ابي اسحاق
وابو حيوة وبكر بن حبيب السهمي والغوا بضم الغين وهي لغة من لغا يلغو وقراءة الجماعة من لغي
يلغى وقال الهروي وقوله والغوا فيه قيل عارضوه بكلام لا يفهم يقال لغوت اللغو واللغي ولغي
يلغى ثلاث لغات وقد مضى معنى اللغو في البقرة وهو ما لا يعلم له حقيقة ولا تحصيل قوله تعالى
فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَٰلِكَ
جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ قد تقدم

ان الذوق يكون محسوسا ومعنى والعذاب الشديد ما يتوالى فلا ينقطع وقيل هو العذاب في جميع اجزائهم
ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون اى ولنجزينهم في الاخرة جزاء قبح اعمالهم التي عملوها في الدنيا واسوا
الاعمال الشرك قوله تعالى ذلك جزاء اعداء الله النار اى ذلك العذاب الشديد ثم بينه بقوله النار
وقرا ابن عباس ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد فترجم بالدار عن النار وهو مجاز
الاية وذلك ابتداء وجزاء الخبر والنار بدل من جزاء او خبر مبتدا مضمر والجملة في موضع بيان للجملة
الاولى قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا
تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ وقال الذين كفروا يعني في النار فذكر بلفظ الماضي والمراد
المستقبل ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعني ابليس وابن آدم الذي قتل اخاه عن ابن
عباس وابن مسعود وغيرهما ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع ما من مسلم يقتل ظلما الا كان على
ابن آدم الاول كفل من ذنبه لانه اول من سن القتل ويروى اسن القتل خرجه الترمذي وقيل
هو بمعنى الجنس وثنى على التثنية لاختلاف الجنسين نجعلهما تحت اقدامنا سالوا ذلك حتى يشتفوا
منهم بان يجعلوهم تحت اقدامهم ليكونوا من الاسفلين في النار وهو الدرك الاسفل سالوا ان
يضعف الله عذاب من كان سبب ضلالتهم من الجن والانس وقرا ابن محيصن والسوسي عن ابي
عمرو وابن عامر وابو بكر والمفضل ارنا باسكان الراء وعن ابي عمرو ايضا باختلاسها واشبع الباقون
كسرتها وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا
تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
قال عطاء عن ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان المشركين قالوا
ربنا الله والملائكة بناته وهولاء شفعاؤنا عند الله فلم يستقيموا وقال ابو بكر ربنا الله وحده لا شريك له و
محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله فاستقام وفي الترمذي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قرا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قال الناس ثم كفر اكثرهم فمن مات
عليها فهو ممن استقام قال حديث غريب ويروى في هذه الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم وابي
بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم معنى استقاموا ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال
قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك وفي رواية غيرك قال قل امنت بالله
ثم استقم زاد الترمذي قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا و
روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ثم استقاموا لم يشركوا بالله شيئا وروي عنه الاسود
بن هلال انه قال لاصحابه ما تقولون في هاتين الايتين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين
آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا ايمانهم بخطيئة فقال ابو بكر لقد حملتموها
على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى اله غيره ولم يلبسوا ايمانهم بشرك اولئك لهم الامن
وهم مهتدون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر وهو يخطب ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا فقال استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب وقال
عثمان رضي الله عنه ثم اخلصوا العمل لله وقال علي رضي الله عنه ثم ادوا الفرائض واقوال التابعين

قال ابن زيد وقتادة استقاموا على طاعة الله الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا
معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال سفيان الثوري
عملوا على وفاق ما قالوا وقال الربيع اعرضوا عما سوى الله وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية
ورغبوا في الباقية وقيل استقاموا اسرارا كما استقاموا اقرارا وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا
قولا وقال انس لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم امتي ورب الكعبة وقال الامام
بن فورك السين سين الطلب مثل استسقى اي سألوا من الله ان يثبتهم على الدين وكان الحسن
اذا قرا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة قال الشيخ رحمه الله وهذه الاقوال وان
تداخلت فتلخيصها اعتدلوا على طاعة الله تعالى عقدا وقولا وفعلا وداموا على ذلك تتنزل عليهم الملائكة
قال ابن زيد ومجاهد عند الموت وقال مقاتل وقتادة اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال ابن عباس
هي بشرى تكون لهم من الملائكة في الاخرة وقال وكيع وابن زيد البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت
وفي القبر وعند البعث ان لا تخافوا اي بان لا تخافوا فحذف الجار قال مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا
على اولادكم فان الله خليفتكم عليهم وقال عطاء بن ابي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وقال عكرمة لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم فاني اغفرها لكم وقال عكرمة لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم فان
على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وقال عكرمة لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم فاني اغفرها لكم
قوله تعالى نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ۝ اي تقول لهم الملائكة الذين تتنزل عليهم بالبشارة نحن
اولياؤكم قال مجاهد اي نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم
حتى ندخلكم الجنة وقال السدي اي نحن الحفظة لاعمالكم في الدنيا واولياؤكم في الاخرة ويجوز ان يكون
من قول الله تعالى والله ولي المؤمنين ومولاهم ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اي من الملائكة ولكم فيها ما تدعون
تسألون وتتمنون نزلا اي رزقا وضيافة وقد تقدم في ال عمران وهو منصوب على المصدر اي انزلناه نزلا
وقيل على الحال وقيل هو جمع نازل اي لكم ما تدعون نازلين فيكون حالا من الضمير المرفوع في يدعون او من
المجرور لكم قوله تعالى وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ۝ هذا توبيخ للذين تواصوا باللغو في القرآن والمعنى اي كلام احسن من القرآن ومن احسن
قولا من الداعي الى الله وطاعته وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين والسدي وابن زيد
والحسن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا تلى هذه الاية يقول هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا والله احب اهل الارض
الى الله اجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما اجاب الله وقالت عايشة رضي الله عنها وعكرمة وقيس بن
ابي حازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قال فضيل بن رفيدة كنت مؤذنا لاصحاب عبد الله بن مسعود فقال
لي عاصم بن هبيرة اذا اذنت فقلت الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فقل وانا من المسلمين ثم قرا هذه الاية
قال ابن العربي والاول اصح لان الاية مكية والاذان مدني وانما يدخل فيها بالمعنى لا انه كان المقصود
وقت القول ويدخل فيه ابو بكر الصديق حين قال في النبي صلى الله عليه وسلم وقد خنقه الملعون
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ويتضمن كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد والايمان قال الشيخ رحمه الله

وقول ثالث وهو احسنها قال الحسن هذه الاية عامة في كل من دعا الى الله وكذا قال قيس بن ابي حازم قال
نزلت في كل مؤمن قال ومعنى وعمل صالحا الصلاة بين الاذان والاقامة وقال ابو امامة قال صلى ركعتين
بين الاذان والاقامة وقال عكرمة وعمل صالحا صلى وصام وقال الكلبي اداء الفرايض قال
الشيخ رحمه الله وهذا احسنها مع اجتناب المحارم وكثرة المندوب والله اعلم وقال انني من المسلمين
قال ابن العربي وما تقدم يدل على الاسلام لكن لما كان الدعا بالقول والسيف يكون للاعتقاد
ويكون للحجة وكان العمل للدنيا والاخلاص دل على انه لا بد من التصريح بالاعتقاد لله في ذلك وان
العمل لوجهه لما قال تعالى وقال انني من المسلمين ولم يقل له اشترط ان شاء الله كان
ذلك ردا على من يقول انا مسلم ان شاء الله قوله تعالى وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
قال الفرا لا صلة اي ولا تستوي الحسنة والسيئة وانشد
ما كان يرضى رسول الله فعلهم ۝ والطيبان ابو بكر ولا عمر ۝
اراد ابو بكر وعمر اي لا يستوي ما انت عليه من التوحيد وما المشركون عليه من الشرك قال ابن عباس
الحسنة لا اله الا الله والسيئة الشرك وقيل الحسنة الطاعة والسيئة الشرك وهو الاول بعينه وقيل
الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقال الضحاك
الحسنة العلم والسيئة الفحش وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحسنة حب ال الرسول صلى الله عليه وسلم
والسيئة بغضهم قوله تعالى ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۝ نسخت بالسيف وبقي المستحب من ذلك
حسن العشرة والاحتمال والاغضاء قال ابن عباس اي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك وعنه ايضا
هو الرجل يسب الرجل فيقول الاخر ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله
لك وكذلك يروى في الاثر ان ابا بكر رضي الله عنه قال لرجل نال منه وقال مجاهد بالتي هي
احسن يعني السلام اذا لقي من يعاديه وقاله عطاء وقول ثالث ذكره القاضي ابو بكر بن العربي
في الاحكام وهو المصافحة وقد اجتمع مع سفيان فتكلما فيها فقال سفيان قد صافح رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعفرا حين قدم من ارض الحبشة فقال له مالك وذلك خاص فقال له سفيان ما خص
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصنا وما عمه يعمنا والمصافحة ثابتة فلا وجه لانكارها وقد روي
قتادة قال قلت لانس هل كانت المصافحة في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وهو
حديث صحيح وفي الاثر من تمام المحبة الاخذ باليد ومن حديث محمد بن اسحاق وهو امام مقدم عن
الزهري عن عروة عن عايشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فقرع
الباب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه والله ما رايته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه
وقبله قال الشيخ رحمه الله وقد روي عن مالك جواز المصافحة وعليها جماعة العلماء وقد مضى ذلك في يوسف
وذكرنا هناك حديث البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان
فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا القيت ذنوبهما بينهما قوله تعالى فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ اي قريب صديق قال مقاتل نزلت في ابي سفيان بن
حرب كان مؤذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان عدوا بالمصاهرة التي وقعت بينه

وفي الاثر تصافحوا يذهب الغل ولم ير مالك المصافحة ص

وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فصار وليا في الاسلام حميما بالقرابة وقيل هذه الآية نزلت في ابي جهل
ابن هشام كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه ذكره
الماوردي والاول ذكره الثعلبي والقشيري وهو الظهر لقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وقيل كان هذا قبل الامر بالقتال قال ابن عباس امره تعالى في هذه الآية بالصبر عند الغضب
والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم
وروى ان رجلا شتم قنبرا مولى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فناداه يا قنبر دع شاتمك واله عنه
ترضي الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب شاتمك فما عوقب الاحمق بمثل السكوت عنه وانشدوا

وللكف عن شتم اللئيم تكرما ∘ اضر له من شتمه حين يشتم

وقال آخر

وما شيء احب الى سفيه ∘ اذا سب الكريم من الجواب
متاركة السفيه الى جواب ∘ اشد على السفيه من السباب

وقال محمود الوراق

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ∘ وان كثرت منه لدي الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلثة ∘ شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ∘ واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت ∘ عن اجابته عرضي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفا ∘ تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

وما يلقاها يعني هذه الفعلة الكريمة والخصلة الشريفة الا الذين صبروا بكظم الغيظ واحتمال الاذى وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم اي نصيب وافر من الخير قاله ابن عباس وقال قتادة الحظ العظيم الجنة وقال الحسن
والله ما عظم حظ قط دون الجنة وقيل الكناية في يلقاها عن الجنة اي ما يلقاها الا الصابرون والمعنى متقارب

قوله تعالى ﴿وَاِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
واما ينزغنك من الشيطان نزغ تقدم في آخر الاعراف مستوفى فاستعذ بالله من كيده وشره انه
هو السميع لاستعاذتك العليم بافعالك واقوالك

قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ اِنْ كُنْتُمْ اِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
فَاِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْاَمُونَ﴾ ومن اياته
اي علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته الليل والنهار والشمس والقمر وقد مضى في غير موضع ثم نهى عن
السجود لهما لانهما وان كانا خلقين عجيبين فليس ذلك لفضيلة لهما في انفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله
لان خالقهما هو الله ولو شاء لاعدمهما او طمس نورهما واسجدوا لله الذي خلقهن وصورهن فالكناية ترجع
الى الشمس والقمر والليل والنهار وقيل للشمس والقمر خاصة لان الاثنين جمع وقيل الضمير عائد على معنى
الآية ان كنتم اياه تعبدون وانما انث على جمع التكسير ولم يجر على طريق التغليب للمذكر والمؤنث لانه فيما لا
يعقل فان استكبروا يعني الكفار عن السجود لله فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل و
النهار وهم لا يسأمون اي لا يملون عبادته قال ــــــ زهير

يسميت تكاليف الحياة ومن يعش ∘ ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

مسألة هذه آية سجدة بلا خلاف واختلفوا في موضع السجود منها فقال مالك موضعه ان كنتم اياه
تعبدون لانه متصل بالامر وكان علي وابن مسعود يسجدان عند قوله اياه تعبدون وقال
ابن وهب والشافعي موضعه وهم لا يسأمون لانها تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال وبه
قال ابو حنيفة وقال ابن عباس يسجد عند قوله يسأمون وقال ابن عمر اسجد بالآخرة منهما
وكذلك يروى عن مسروق وابي عبد الرحمن السلمي وابرهيم النخعي وابي صالح ويحيى بن وثاب
وطلحة وزبيد اليامين والحسن وابن سيرين وكان ابو وائل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون
عند قوله يسأمون قال ابن العربي والامر قريب والله اعلم مسألة ذكر ابن خويز منداد
ان هذه الآية تضمنت صلاة كسوف الشمس والقمر وذلك ان العرب كانت تقول ان الشمس و
القمر لا يكسفان الا لموت عظيم فصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف قال الشيخ رحمه الله
صلاة الكسوف ثابتة في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما واختلفوا في كيفيتها اختلافا كثيرا لا
لاختلاف الآثار وحسبك ما في صحيح مسلم من ذلك وهو العمدة في الباب والله الموفق للصواب

قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اَنَّكَ تَرَى الْاَرْضَ خَاشِعَةً فَاِذَا اَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ اِنَّ الَّذِي اَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى اِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومن آياته انك ترى
الارض خاشعة الخطاب لكل عاقل اي ومن آياته الدالة على انه يحيي الموتى انك ترى الارض
خاشعة اي يابسة جدبة هذا وصف الارض بالخشوع وقال ــــــ النابغة

رماد ككحل العين لايا ابينه ∘ ونؤي كجذم الحوض اثلم خاشع

والارض الخاشعة الغبراء التي لا تنبت وبلدة خاشعة اي مغبرة لا منزل بها ومكان خاشع
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اي بالنبات قاله مجاهد اهتز الانسان اي تحرك ومنه

تراه كنصل السيف يهتز للندى ∘ اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

وربت اي انتفخت وعلت قبل ان تنبت قاله مجاهد اي تصعدت عن النبات بعد موتها
وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتاخير وتقديره ربت واهتزت والاهتزاز والربو
قد يكونان قبل الخروج من الارض وقد يكونان بعد خروج النبات الى وجه الارض فربوها
ارتفاعها ويقال للموضع المرتفع ربوة ورابية فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبر
طولا وعرضا وقرأ ابو جعفر وخالد وربأت ومعناه عظمت من الربيئة وقيل اهتزت اي
استبشرت بالمطر وربت اي انتفخت بالنبات والارض اذا انشقت بالنبات وصفت بالضحك
فيجوز وصفها بالاستبشار ايضا ويجوز ان يقال الربو واهتزاز واحد وهي حالة خروج النبات
وقد مضى هذا المعنى في الحج ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير تقدم في غير موضع

قوله تعالى ﴿اِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا اَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ
خَيْرٌ اَمْ مَنْ يَاْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ اِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ان الذين
يلحدون في آياتنا اي يميلون عن الحق في ادلتنا والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد
في القبر لانه اميل الى ناحية منه يقال الحد في دين الله اي حاد عنه وعدل ولحد لغة فيه وهذا

يرجع الى الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وهم الذين الحدوا في آياته ومالوا عن الحق فقالوا ليس القرآن من عند الله او هو شعر او سحر فالايات آيات القران قال مجاهد يلحدون في اياتنا اى عند تلاوة القرآن بالمكى والتصدية واللغو والغنا وقال ابن عباس هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وقال قتادة يلحدون في آياتنا يكذبون في اياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقال ابن زيد يشركون ويكذبون والمعنى متقارب وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وقيل الآيات المعجزات وهو يرجع الى الاول فان القران معجز افمن يلقى في النار على وجهه وهو ابو جهل في قول ابن عباس وغيره ام من ياتي آمنا يوم القيامة قيل النبي صلى الله عليه قاله مقاتل وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل حمزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي وقيل المؤمنون وقيل انها على العموم فالذي يلقى في النار الكافر والذى ياتى امنا يوم القيامة المومن قاله ابن بحر اعملوا ما شئتم امر تهديد اى بعد ما علمتم انهما لا يستوى يا ن فلا بد لكم من الجزاء انه بما تعملون بصير وعيد فتهدد وتوعد قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ الذكر ههنا القران في قول الجميع لانه فيه ذكر ما يحتاج اليه من الاحكام والخبر محذوف هالكون او معذبون وقيل الخبر اولئك ينادون من مكان بعيد واعترض قوله ما يقال لك ثم رجع الى الذكر فقال ولو جعلناه قرانا اعجميا ثم قال اولئك ينادون والاول الاختيار قال النحاس عند النحويين جميعا فيما علمت وانه لكتاب عزيز اى عزيز على الله قاله ابن عباس وعنه عزيز من عند الله وقيل كريم على الله وقيل عزيز اى اعزه الله فلا يتطرق اليه باطل وقيل ينبغي ان يعز ويجل وان لا يلغى فيه وقيل عزيز من الشيطان ان يبدله قاله السدي مقاتل منيع من الشيطان والباطل السدي غير مخلوق فلا مثل له وقال ابن عباس ايضا عزيز اى ممتنع عن الناس ان يقولوا مثله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يكذبه شئ مما انزل الله من قبل ولا ينزل بعده كتاب يبطله وينسخه قاله الكلبي وقال السدي وقتادة لا ياتيه الباطل يعني الشيطان من بين يديه ولا من خلفه لا يستطيع ان يغير ولا يزيد ولا ينقص وقال سعيد بن جبير لا ياتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه ابن جريج لا ياتيه الباطل فيما اخبر عما مضى ولا فيما اخبر عما يكون وعن ابن عباس من بين يديه من الله تعالى ولا من خلفه يريد من جبرئيل صلى الله عليه وسلم ولا من محمد صلى الله عليه وسلم تنزيل من حكيم حميد ابن عباس حكيم في خلقه حميد اليهم قتادة حكيم في امره حميد الى خلقه قوله تعالى مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ما يقال لك من الاذى والتكذيب الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعزي نبيه ويسليه ان ربك لذو مغفرة لك ولاصحابك وذو عقاب اليم يريد لاعدائك وجميعا وقيل اى ما يقال لك من اخلاص العبادة الا ما قد اوحي من قبلك ولا خلاف بين الشرائع فيما يتعلق بالتوحيد وهو كقوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك اى لم تدعهم الا الى ما دعا اليه جميع الانبياء فلا معنى لانكارهم عليك وقيل هو استفهام اي اي شئ يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل ان ربك كلام مبتداء وما قبله

كلام

كلام تام اذا كان الخبر مضمرا وقيل هو متصل بما يقال لك اي انما يقال لك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اى انما امرت بالانذار والتبشير قوله تعالى وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا اي بلغة غير لغة العرب لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلغتنا فاننا عرب لا نفهم عجمية فبين انه انزله بلسانهم ليتقرر به معنى الاعجاز اذ هم اعلم الناس بانواع الكلام نظما ونثرا واذا عجزوا عن معارضته كان من ادل الدليل على انه من عند الله ولو كان بلسان العجم لقالوا لا علم لنا بهذا اللسان الثانية واذا ثبت هذا ففيه دليل على ان القران عربي وانه نزل بلغة العرب وانه ليس اعجميا وانه اذا نقل منها الى غيرها لم يكن قرانا الثالثة قوله تعالى اعجمي وعربي قراء ابو بكر وحمزة والكسائى اعجمي وعربي بهمزتين مخففتين والعجمي الذي ليس من العرب كان فصيحا او غير فصيح والاعجمي الذى لا يفصح كان من العرب او من العجم والاعجم ضد الفصيح وهو الذي لا يبين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق اعجم ومنه صلاة النهار عجما اى لا يجهر فيها بالقراءة فكانت النسبة الى الاعجم اكد لان الرجل العجمي الذى ليس من العرب قد يكون فصيحا بالعربية والعربي قد يكون غير فصيح فالنسبة الى الاعجمي اكد في البيان والمعنى اقران اعجمي ونبي عربي وهو استفهام انكار وقراء الحسن وابو العالية ونصر بن عاصم والمغيرة وهشام عن ابن علية اعجمي بهمزة واحدة على الخبر والمعنى لولا فصلت اياته فكان منها عربي تفهمه العرب واعجمي تفهمه العجم وروي سعيد بن جبير قال قالت قريش لولا انزل القرآن اعجميا وعربيا فيكون بعض الاية عجميا وبعضها عربيا فنزلت الاية وانزل في القرآن من كل لغة فمنه السجيل وهى فارسية واصلها سنك كيل اى طين وحجر ومنه الفردوس رومية وكذلك القرطاس وقراء اهل الحجاز وابو عمرو وابن ذكوان وحفص على الاستفهام الا انهم لينوا الهمزة على اصولهم والقراءة الفصيحة قراءة الاستفهام والله اعلم قوله تعالى قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ اعلم الله ان القران هدى وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والاوجاع والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر اي صمم عن سماع القرآن ولهذا تواصوا باللغو فيه ونظيره هذا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقد مضى مستوفى وقراء العامة عمى على المصدر وقراء ابن عباس وعبد الله ابن الزبير وعمرو بن العاص ومعوية وسليمان ابن قتة وهو عليهم عم بكسر الميم اى لا يبين لهم واختار ابو عبيد القراءة الاولى لاجماع الناس فيها ولقوله اولا هدى وشفاء ولو كان هاد وشاف لكان الكسر في عمى اجود ليكون نعتا مثلهما تقديره والذين لا يؤمنون في ترك قبوله بمنزلة من في اذانهم وقر وهو يعنى القران عليهم ذو عمي لانهم لا يفقهون فحذف المضاف وقيل المعنى والوقر عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد تقول ذلك لمن لا يفهم على التمثيل وحكى اهل اللغة انه يقال للذى يفهم انت تسمع من قريب ويقال للذي لا يفهم انت تنادي من بعيد اى كانه ينادي من موضع بعيد منه فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه وقال الضحاك ينادون يوم القيامة باقبح اسمايهم من مكان بعيد فيكون ذلك اشد

سجين ص

لتوبيخهم وفضيحتهم وقيل اي من لم يتدبر القرآن صار كالاعمى الاصم فهو ينادى من مكان بعيد فينقطع صوت المنادي عنه وهو لم يسمع وقال علي رضي الله عنه ومجاهد اي بعيد من قلوبهم وفي التفاسير كانما ينادون من السماء فلا يسمعون وحكى معناه النقاش قوله تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۝ ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه اي آمن به قوم وكذب به قوم والكناية ترجع الى الكتاب وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابهم وقيل الكناية ترجع الى موسى ولولا كلمة سبقت من ربك اي في امهالهم لقضي بينهم اي لعجل العذاب وانهم لفي شك منه من القرآن مريب اي شديد الريبة وقد تقدم وقال الكلبي في هذه الآية لولا ان الله اخر عذاب هذه الامة الى يوم القيامة لاتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الامم وقيل تأخير العذاب لما يخرج من اصلابهم من المؤمنين قوله تعالى مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝ من عمل صالحا فلنفسه شرط وجوابه وكذا ومن اساء فعليها والله جل وعز مستغن عن طاعة العباد فمن اطاع فالثواب له ومن اساء فالعقاب عليه وما ربك بظلام للعبيد نفى الظلم عن نفسه جل وعز قليله وكثيره واذا انتفت المبالغة انتفى غيرها دليله قوله الحق ان الله لا يظلم الناس شيئا وروى العدول الثقات والائمة الاثبات عن الزاهد العدل عن امين الارض عن امين السماء عن الرب جل وعز يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث وايضا فهو الحكيم المالك وما يفعله المالك في ملكه لا اعتراض عليه اذ له التصرف في ملكه بما يريد قوله تعالى إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۝ اليه يرد علم الساعة اي حين وقتها وذلك انهم قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت وما تخرج من ثمرة من زائدة اي وما تخرج ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها فالاكمام اوعية الثمرة واحدها كمة وهي كل ظرف لمال او غيره ولذلك سمي قشر الطلع اعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة قال ابن عباس الكمة الكفرى قبل ان ينشق فاذا انشقت فليست بكمة وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة الرحمن وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات على الجمع الباقون ثمرة بالتوحيد والمراد الجمع لقوله وما تحمل من انثى والمراد الجمع يقول اليه يرد علم الساعة كما يرد اليه علم الثمار والنتاج ويوم يناديهم اين شركاي الذين زعمتم في الدنيا انها آلهة تشفع قالوا يعني الاصنام وقيل المشركون ويحتمل ان يريدهم جميعا العابد والمعبود قالوا آذناك اسمعناك واعلمناك يقال آذنه يؤذنه اذا اعلمه قال

آذنتنا ببينها اسماء ۝ رب ثاو يمل منه الثواء ۝

ما منا من شهيد اي يعلمك ما منا احد يشهد بان لك شريكا منهم لما عاينوا القيامة تبرءوا من الاصنام وتبرءت الاصنام منهم كما تقدم في غير موضع وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا وظنوا اي ايقنوا وعلموا ما لهم من محيص اي فرار عن النار وما هنا حرف وليس باسم فلذلك لم يعمل فيه الظن

وجعل

وجعل الفعل ملغى تقديره وظنوا انهم ما لهم من محيص ولا مهرب حاص يحيص حيصا ومحيصا اذا هرب وقيل ان الظن هنا اي هو اغلب الراي لا يشكون في انهم اصحاب النار ولكن يطمعون ان يخرجوا منها وليس يبعد ان يكون لهم ظن ورجاء الى ان يؤيسوا قوله تعالى لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ۝ الخير هنا المال والصحة والسلطان والعز قال السدي والانسان ههنا يراد به الكافر قيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية بن خلف وفي قراءة عبد الله لا يسأم الانسان من دعاء المال وان مسه الشر الفقر والمرض فيؤوس من روح الله قنوط من رحمته وقيل يؤوس من اجابة الدعاء قنوط بسوء الظن بربه وقيل يؤوس اي يئس من زوال ما به من المكروه قنوط اي يظن انه يدوم والمعنى متقارب قوله تعالى وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ ولئن اذقناه رحمة منا ورخاء وغنى من بعد ضراء مسته ضر وسقم وشدة وفقر ليقولن هذا لي اي هذا شيء استحقه على الله لرضاه بعملي فيرى النعمة حتما واجبا على الله تعالى ولم يعلم انه ابتلاه بالنعمة والمحنة ليتبين شكره وصبره وقال ابن عباس هذا لي اي هذا من عندي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة واللام للتاكيد يتمنى الاماني بلا عمل قال الحسن ابن محمد بن علي بن ابي طالب للكافر امنيتان اما في الدنيا فيقول لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى واما في الآخرة فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ويا ليتني كنت ترابا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنجزينهم قسم اقسم الله عليه ولنذيقنهم من عذاب غليظ قوله تعالى وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۝ واذا انعمنا على الانسان يريد الكافر اعرض ونأى بجانبه وقال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وامية بن خلف اعرضوا عن الاسلام وتباعدوا عنه ومعنى نأى بجانبه اي ترفع عن الانقياد للحق وتكبر على انبياء الله وقيل نأى تباعد يقال نأيته ونأيت عنه وانى عنه نأيا بمعنى اي بعدت عنه وانأيته فانتأى اي ابعدته فبعد وتناءوا تباعدوا والمنتأى الموضع البعيد قال النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي ۝ وان خلت ان المنتأى عنك واسع ۝

وقرا يزيد بن القعقاع وناء بجانبه بالف قبل الهمزة فيكون من ناء اذا نهض ويجوز ان يكون على قلب الهمزة بمعنى الاول واذا مسه الشر اي اصابه المكروه فذو دعاء عريض كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة يقال اطال فلان في الكلام واعرض في الدعاء اذا اكثر وقال ابن عباس فذو دعاء عريض فذو تضرع واستغاثة والكافر يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء قوله تعالى قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ قل ارايتم اي قل لهم يا محمد ارايتم يا معشر المشركين ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به من اضل اي فاي الناس اضل اي لا احد اضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم وقيل قوله ان كان من عند الله يرجع الى الكتاب المذكور في قوله آتينا موسى الكتاب والاول اظهر وهو قول ابن عباس

قوله تعالى سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ

سنريهم آياتنا في الآفاق اي علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق يعني خراب منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلايا والامراض وقال ابن زيد في الآفاق آيات السماء وفي انفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الآفاق فتح القرى فيسر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده ونصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عمومًا وفي ناحية المغرب خصوصًا من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورًا خارجة عن المعهود خارقًا للعادات وفي انفسهم فتح مكة وهو اختيار الطبري وقاله المنهال ابن عمرو والسدي وقال قتادة والضحاك في الآفاق وقائع الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر وقال عطا وابن زيد ايضًا في الآفاق يعني اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغيره وفي الصحاح الآفاق النواحي واحدها افق وافق مثل عسر وعسر ورجل افقي بفتح الهمزة والفاء اذا كان من آفاق الارض حكاه ابو نصر وبعضهم يقول افقي بضمهما وهو القياس وانشد غير الجوهري ۞ اخذنا بآفاق السماء عليكم ۞ لنا قمراها والنجوم الطوالع ۞ وفي انفسكم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول فان الرجل يشرب وياكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرتا ماء ينظر بهما من السماء الى الارض مسيرة خمسماية عام وفي اذنيه التي يفرق بها بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله منه وقيل في انفسهم كونهم نطفًا الى غير ذلك من انتقال احوالهم كما تقدم في المؤمنين بيانه وقيل المعنى ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن واخبار الغيوب حتى يتبين لهم انه الحق فيه اربعة اوجه احدها انه القرآن والثاني الاسلام جاءهم به الرسول ودعاهم اليه والثالث ان ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق والرابع ان محمدًا صلى الله عليه وسلم هو الرسول الحق اولم يكف بربك بربك في موضع رفع بانه فاعل بيكفي وانه بدل من ربك فهو رفع ان قدرته بدلا على الموضع وجر ان قدرته بدلا على اللفظ ويجوز ان يكون نصبًا بتقدير حرف اللام والمعنى اولم يكفهم بربك بما دلهم عليه من توحيده لانه على كل شيء شهيد واذا شهد جاز عليه وقيل المعنى اولم يكف بربك يا محمد انه شاهد على اعمال الكفار وقيل اولم يكف بربك شاهدًا على ان القرآن من عند الله وقيل اولم يكفك من ربك انه على كل شيء مما يفعله العبد شهيد والشهيد بمعنى العالم او هو من الشهادة التي هي الحضور الا انهم في مرية من لقاء ربهم في الآخرة وقال السدي اي من البعث الا انه بكل شيء محيط اي احاط علمه بكل شيء قاله السدي وقال الكلبي احاطت قدرته بكل شيء وقال الخطابي هو الذي احاط بكل شيء علمًا واحصى كل شيء عددًا وهذا الاسم اكثر ما يجيء في معرض الوعيد وحقيقته الاحاطة بكل شيء والاستيصال المحاط به واصله محيط نقلت حركة الياء الى الحاء فسكنت يقال منه احاط يحيط احاطة وحيطة ومن ذلك حايط الدار واحيط

احاطت قدرته بجميع خلقه وهو الذي ... صح

بثمره يحوطها اهلها واحاطت الخيل بفلان اذا اخذ احدًا حاضرًا من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره

سوره الشورى مكيه فى قول الحسن وعكرمه وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتاده الا اربع آيات
منها انزلت بالمدينه قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى الى آخرها وهى ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق قال عبد المؤمن
سالت الحسين ابن الفضل لم قطع حم من عسق ولم يقطع كهيعص والمر والمص فقال لان
حم عسق بين سور اولها حم فجرت مجرى نظايرها قبلها وبعدها فكان حم مبتدا وعسق خبره
لانها عدت اثنين وعدت اخواتها اللواتى كتبت جمله آيه واحده وقيل ان الحروف المعجمة كلها
فى المعنى واحد من حيث انها اس البيان وقاعدة للكلام ذكره الجرجانى وكتب حم عسق
منفصلا وكهيعص متصلا لانه قيل حم اى حم ما هو كاين ففصلوا بين ما يقدر فيه فعل
وبين ما لا يقدر ثم لو فصل هذا ووصل ذا لجاز حكاه القشيرى وفى قراة ابن مسعود وابن عباس حم
سق قال ابن عباس وكان على رضى الله عنه يعرف الفتن بها وقال ارطاة ابن المنذر قال رجل لابن عباس
وعنده حذيفة بن اليمان اخبرنى عن تفسير حم عسق فاعرض عنه حتى اعاد عليه ثلثا فاعرض
عنه فقال حذيفه بن اليمان انا انبيك بها قد عرفت لم تركها نزلت فى رجل من اهل بيته يقال
له عبد الاله او عبد الله ينزل على نهر من انهار المشرق يبنى عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا
فاذا اراد الله زوال ملكهم وانقطاع دولتهم بعث على احداهما نارا ليلا فتصبح سودا مظلمة
فتحترق كلها كانها لم تكن مكانها فتصبح صاحبتها متعجبه كيف قلبت فما هو الا بياض يومها حتى
يجتمع فيها كل جبار عنيد فيخسف الله بها وبهم جميعا فذلك حم عسق اى عزمة من عزمات الله
وفتنة وقضا حم حم ع عدلا منه س سيكون ق واقع فى هاتين المدينتين ونظير هذا التفسير
ما روى جرير بن عبد الله البجلى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول تبنى مدينه بين دجلة
ودجيل وقطربل والفراة يجتمع فيها جبابره الارض تجبى اليها الخزاين تخسف بها وفى رواية تخسف
باهلها فلهى اسرع ذهابا فى الارض من الوتد الجيد فى الارض الرخوة وقرا ابن عباس حم سق
بغير عين وكذلك هو فى مصحف عبد الله بن مسعود حكاه الطبرى وروى نافع عن ابن عباس
الحا حلمه والميم مجده والعين علمه والسين سناه والقاف قدرته اقسم الله بها وعن
محمد بن كعب اقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسناه وقدرته ان لا يعذب من عاذ بلا اله
الا الله مخلصا من قلبه وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير الحا من الرحمن والميم من

المجيد والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر وقال مجاهد فواتح السور وقال
عبد الله بن بريدة انه اسم الجبل المحيط بالدنيا ذكره القشيرى واللفظ للثعلبى ان النبى صلى الله عليه
وسلم لما نزلت هذه الاية عرفت الكابة فى وجهه فقيل له يا رسول الله ما احزنك قال اخبرت ببلايا
تنزل بامتى من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم فى البحر وآيات متتابعات متصلات
بنزول عيسى وخروج الدجال والله اعلم وقيل هذا فى شان النبى صلى الله عليه وسلم فالحاء
حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزة الموجود والسين سناه المشهود والقاف
قيامه فى المقام المحمود وقربه يوم القيمة من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب
كتاب الا وقد اوحى اليه حم عسق فلذلك قال يوحى اليك والى الذين من قبلك المهدوى قد جا فى الخبر
ان حم عسق معناه اوحيت الى الانبياء المتقدمين وقرا ابن محيصن وابن كثير ومجاهد يوحى بفتح
الحاء على ما لم يسم فاعله وروى عن ابن عمر فيكون الجار والمجرور فى موضع رفع لقيامه مقام
الفاعل ويجوز ان يكون اسم ما لم يسم فاعله مضمرا اى يوحى اليك القرآن الذى تضمنته هذه السورة
ويكون اسم الله مرفوعا باضمار فعل التقدير يوحيه الله اليك لقراة ابن عامر وابى بكر يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال اى يسبحه رجال وانشد سيبويه ليبك يزيد ضارع
لخصومة واشعث ممن طوحته الطوايح فقال ليبك يزيد ثم بين من ينبغى اى يبكيه فالمعنى يبكيه
ضارع ويجوز ان يكون مبتدا والخبر محذوف كانه قال الله يوحيه او على تقدير اضمار مبتدا اى الموحى
الله او يكون مبتدا والخبر العزيز الحكيم وقرا الباقون يوحى اليك بكسر الحاء ورفع الاسم على
انه الفاعل له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تقدم فى غير موضع قوله تعالى
تكاد السموات قراة العامة بالتاء وقرا نافع وابن وثاب والكسائى بالياء ينفطرن قرا نافع وغيره
بالياء والتاء والتشديد فى الطاء وهى قراة العامة وقرا ابو عمرو وابو بكر والمفضل وابو عبيد
ينفطرن من الانفطار لقوله اذا السماء انفطرت وقد مضى فى سورة مريم بيان هذا وقال ابن عباس
تكاد السموات يتفطرن اى تكاد كل واحدة منها تنفطر فوق التى تليها من قول المشركين اتخذ الله و
لدا وقال الضحاك والسدى يتفطرن اى يتشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن وقيل فوقهن
فوق الارضين من خشية الله لو كن مما يعقل قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد
ربهم اى ينزهونه عما لا يجوز فى وصفه وما لا يليق بجلاله وقيل يتعجبون من جراة المشركين
فيذكر التسبيح فى موضع التعجب وعن على رضى الله ان تسبيحهم تعجب مما يرون من تعرضهم لسخط
الله وقال ابن عباس تسبيحهم خضوع لما يرون من عظمة الله ومعنى بحمد ربهم بامر ربهم
قاله السدى ويستغفرون لمن فى الارض قال الضحاك لمن فى الارض من المومنين وقاله السدى
بيانه فى سورة المومن ويستغفرون للذين آمنوا وعلى هذا تكون الملائكة هنا حملة العرش
وقيل جميع ملائكة السماء وهو الظاهر من قول الكلبى وقال وهب بن منبه هو منسوخ بقوله
ويستغفرون للذين آمنوا قال المهدوى والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص للمومنين
وقال ابو الحسن الماوردى عن الكلبى ان الملائكة لما رات الملكين اللذين اختبرا وبعثا

الى الارض يحكما بينهم فافتتنا بالزهرة و هربا الى ادريس و هو جد ابى نوح عليهما السلام وسالاه
ان يدعو لهما سمعت الملايكة تحمد ربهم واستغفرت لبنى آدم قال ابو الحسن ابن الحصار و قد
ظن بعض من جهل ان هذه الآية نزلت بسبب هاروت و ماروت وانها منسوخه بالاية التى
فى المؤمن وما علموا ان حملة العرش مخصوصون بالاستغفار للمؤمنين خاصة ولله ملايكه اخر
يستغفرون لمن فى الارض الماوردى فى استغفارهم لهم قولان احدهما من الذنوب والخطايا و هو
ظاهر قول مقاتل الثانى انه طلب الرزق لهم و السعة عليهم قاله الكلبى قال الشيخ رحمه الله و هو
اظهر لان الارض تعم الكافر وغيره و على قول مقاتل لا يدخل فيه الكافر وقد روى فى هذا الباب خبر
رواه عاصم الاحول عن ابى عثمان عن سلمان قال ان العبد اذا كان يذكر الله فى السرا فنزلت به الضرا
قالت الملايكة صوت معروف من ادمى ضعيف كان يذكر الله تعالى فى السراء فنزلت به الضرا
فيستغفرون له فاذا كان لا يذكر الله فى السرا فنزلت به الضرا قالت الملايكه صوت منكر
من آدمى كان لا يذكر الله فى السرا فنزلت به الضرا قالت الملايكه فلا يستغفرون له فهذا يدل
على ان الآية فى الذاكر لله تعالى فى السرا والضرا فهى خاصة ببعض من فى الارض من المؤمنين والله
اعلم ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران فى قوله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم
عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما قاله الزمخشرى وقال مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد
الله الملايكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشياطين وقد تقدم الا ان الله هو الغفور الرحيم
قال بعض العلماء هيب وعظم جل وعز فى الابتداء والطف وبشر فى الانتها قوله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اولياء يعنى اصناما يعبدونها الله حفيظ عليهم اى يحفظ اعمالهم ليجازيهم بها وما انت
عليهم بوكيل وهذه منسوخة باية السيف وفى الخبر اطت السما وحق لها ان تيط اى صوتت من ثقل
سكانها لكثرتهم فهم مع كثرتهم لا يفترون من عبادة الله وهاولا الكفار يشركون به قوله تعالى
وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا اى وكما اوحينا اليك والى من قبلك هذه المعانى كذلك اوحينا
اليك قرآنا عربيا بيناه بلغة العرب وقيل اى انزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان قومك كما ارسلنا
كل رسول بلسان قومه والمعنى واحد لتنذر ام القرى يعنى مكة وقيل لمكة ام القرى لان
الارض دحيت من تحتها ومن حولها من ساير الخلق وينذر يوم الجمع اى بيوم الجمع وهو يوم القيامة
لا ريب فيه لا شك فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ابتدا وخبر واجاز الكسائى النصب على تقدير
لتنذر فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير قوله تعالى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة
قال الضحاك اهل دين واحد اهل ضلالة او اهل هدى ولكن يدخل من يشاء فى رحمته قال انس
ابن مالك فى الاسلام والظالمون رفع على الابتدا والخبر ما لهم من ولى ولا نصير عطف على اللفظ
وتجيز ولا نصير بالرفع على الموضع ومن زايدة قوله تعالى ام اتخذوا اى بل اتخذوا من
دونه اولياء يعنى اصناما فالله هو الولى اى وليك يا محمد وولى من اتبعك لا ولى سواه و هو
يحيى الموتى يريد عند البعث وهو على كل شى قدير وغيره من الاولياء لا يقدر على شى

قوله تعالى وما اختلفتم فيه من شى حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اى
وما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين من امر الدين فقولوا لهم حكمه الى الله لا
اليكم وقد حكم ان الدين هو الاسلام لا غيره وامور الشرايع انما تتلقى من بيان الله ذلكم
الله ربى اى الموصوف بهذه الصفات هو ربى وحده وفيه اضمار اى قل لهم يا محمد ذلكم الله
الذى يحيى الموتى ويحكم بين المختلفين هو ربى عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع
قوله تعالى فاطر السموات والارض بالرفع على النعت لاسم الله او على تقدير هو فاطر ويجوز
النصب على الندا والجر على البدل من الهاء فى عليه والفاطر المبدع والخالق وقد تقدم جعل
لكم من انفسكم ازواجا قيل معناه اناثا وانما قال من انفسكم لانه خلق حوا من ضلع آدم
وقال مجاهد نسلا بعد نسل ومن الانعام ازواجا يعنى الثمانية التى ذكرها فى الانعام ذكور
الابل والبقر والضان والمعز واناثها يذروكم فيه اى يخلقكم وينشيكم فيه اى فى الرحم وقيل
فى البطن وقال الفرا وابن كيسان فيه بمعنى به وكذلك قال الزجاج معنى يذروكم فيه يكثركم
فيه اى يكثركم بجعلكم ازواجا اى حلايل لانهن سبب النسل وقيل ان الها فى فيه للجعل
ودل عليه جعل فكانه قال يخلقكم ويكثركم فى الجعل ابن قتيبة يذروكم فيه اى فى الزوج
اى يخلقكم فى بطون الاناث قال ويكون فيه الرحم وفيه بعد لان الرحم مونثه ولم يتقدم
لها ذكر ليس كمثله شى وهو السميع البصير وقيل ان الكاف زايدة للتوكيد اى ليس مثله شى
قال وصاليات ككما يوثفين فادخل على الكاف كافا تاكيدا للتشبيه وقيل المثل زايدة
للتوكيد وهو قول ثعلب اى ليس كهو شى نحو قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وفى حرف
ابن مسعود فان آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا قال اوس ابن حجر وقتلى كمثل جذوع النخل
يغشاهم مطر منهمر اى كجذوع والذى يعتمد فى هذا الباب ان الله جل اسمه فى عظمته
وكبريايه وملكوته وحسنى اسمايه وعلى صفاته لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه بشى وان ما
جاء مما اطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم
جل وعز بخلاف صفات المخلوق اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى
منزه عن ذلك بل لم يزل باسمايه وبصفاته على ما بيناه فى الكتاب الاسنى فى شرح اسما الله
الحسنى تعالى وكفى فى هذا قوله الحق ليس كمثله شى وقد قال بعض العلما المحققين
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد الواسطى رحمه
الله بيانا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من
جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة لما استحال ان
تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضى الله
عنهم قوله تعالى له مقاليد السموات والارض تقدم فى الزمر بيانه النحاس الذى
يملك المفاتح يملك الخزاين يقال للمفتاح اقليد وجمعه على غير قياس كمحاسن والواحد وجمعه
حسن يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شى عليم تقدم ايضا فى غير موضع

قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى شرع
لكم اى الذى له مقاليد السموات والارض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ثم بين ذلك بقوله اى اقيموا الدين وهو توحيد الله وطاعته والايمان برسله
وكتبه ويوم الجزا وساير ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرايع التى هى مصالح الامم
على حسب احوالها فانها مختلفه متفاوته قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقد تقدم
القول فيه ومعنى شرع اى نهج واوضح وبين المسالك وقد شرع لهم يشرع شرعا اى سن و
الشارع الطريق الاعظم وشرع المنزل اذا كان على طريق نافذ وشرعت الابل اذا امكنتها
من الشريعة وشرعت الاديم اذا سلخته وقال يعقوب اذا شققت ما بين الرجلين قال وسمعته
من ام الحمارس البكرية وشرعت فى هذا الامر شروعا اى خضت ان اقيموا الدين ان فى محل
الرفع على تقدير والذى وصى به نوحا ان اقيموا الدين ووقف على هذا الوجه على عيسى وقيل
هو نصب اى شرع لكم اقامة الدين وقيل هو جر بدلا من الهاء فى به كانه قال بان اقيموا
الدين ولا يوقف على عيسى على هتين الوجهين ويجوز ان يكون ان مفسرة مثل ان امشوا فلا
يكون لها محل من الاعراب الثانيه قال القاضى ابو بكر بن العربى ثبت فى الحديث الصحيح
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الشفاعة المشهور الكبير ولكن ايتوا نوحا
فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فياتون نوحا فيقولون له انت اول رسول بعثه
الله الى اهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان ادم اول رسول نبى بغير اشكال الا ان
ادم لم تكن معه الا نبوة ولم تفرض له الفرايض ولا شرعت له المحارم وانما كان تنبيها
على بعض الامور واقتصارا على ضرورات المعاش واخذا بوظايف الحيوة والبقاء فاستقر المدى
الى نوح فبعثه الله بتحريم الامهات والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات واوضح له
الآداب فى الديانات ولم يزل ذلك يتاكد بالرسل ويتناصر بالانبياء صلوات الله عليهم
واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان اكرم
الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان المعنى اوصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا
يعنى فى الاصول التى لا تختلف فيها الشريعة وهى التوحيد والصلوة والزكاة والصيام
والحج والتقرب الى الله تعالى بصالح العمل والزلف اليه بما يرد القلب والجارحة اليه
والصدق والوفاء بالعهد واداء الامانه وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزناء
والاذاية للخلق كيف ما تصرفت والاعتدا على الحيوان كيف ما دار واقتحام الدنات وما يعود
بخرم المروات فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة متحدة لم تختلف على السنة الانبياء وان
اختلف اعدادهم وذلك قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اى اجعلوه قائما يريد
دايما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وفا بذلك ومنهم
من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه واختلفت الشرايع وراء هذا فى معانى حسبما اراد الله
مما اقتضت المصلحة واوجبت الحكمة وضعه فى الازمنة على الامم والله اعلم قال مجاهد لم يبعث

الله نبيا

الله نبيا قط الا وصاه باقامة الصلوة وايتاء الزكوة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذى شرع
لهم وقاله الوالبى عن ابن عباس وهو قول الكلبى وقال قتاده يعنى تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم
تحريم الامهات والاخوات والبنات وما ذكره القاضى يجمع هذه الاقوال ويزيد عليها وخص نوحا
وابراهيم وموسى وعيسى بالذكر لانهم ارباب الشرايع قوله تعالى كبر على المشركين اى عظم عليهم
ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض الاوثان قال قتاده كبر على المشركين واشتد عليهم شهادة ان
لا اله الا الله وحده وضاق بها ابليس وجنوده فابى الله عز وجل الا ان ينصرها ويعليها ويظفرها على
من ناواها ثم قال الله يجتبى اليه من يشاء اى يختار والاجتبا الاختيار اى يختار للتوحيد من يشاء ويهدى
اليه من ينيب اى يستخلص لدينه من رجع اليه وما تفرقوا قال ابن عباس يعنى قريشا الا من بعد ما جاءهم
العلم محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يتمنون ان يبعث اليهم نبى دليله قوله تعالى فى سورة فاطر
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير يريدون نبيا وقال فى سورة البقرة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به على ما تقدم بيانه هناك وقيل امم الانبياء المتقدمين فانهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم
المدى فامن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس ايضا يعنى اهل الكتاب دليله فى سورة المنفكين وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فالمشركون قالوا لم خص بالنبوة واليهود حسدوه
لما بعث وكذا النصارى بغيا بينهم اى بغيا من بعضهم على بعض طلبا للرياسة فليس تفرقهم لقصور
فى البيان والحجج ولكن للبغى والظلم والاشتغال بالدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك فى تاخير
العقاب عنهم الى اجل مسمى قيل القيامة لقوله تعالى والساعة موعدهم وقيل الى الاجل
الذى فيه بعذابهم لقضى بينهم اى بين من امن وبين من كفر بنزول العذاب وان الذين اورثوا
الكتاب يريد اليهود والنصارى من بعدهم اى من بعد المختلفين فى الحق لفى شك من الذى اوصى
به الانبياء والكتاب هنا التورية والانجيل وقيل ان الذين اوتوا الكتاب قريش من بعدهم
من بعد اليهود والنصارى لفى شك من القران او من محمد وقال مجاهد يعنى من بعدهم من قبلهم يعنى
من قبل مشركى مكة وهم اليهود والنصارى قوله تعالى فلذلك فادع واستقم لما جاز ان يكون
الشك لليهود والنصارى او لقريش قيل له فلذلك فادع واستقم اى فتبيت شكهم فادع الى الله اى الى
ذلك الدين الذى شرعه الله للانبيا ووصاهم به فاللام بمعنى الى كقوله بان ربك اوحى لها اى
اليها وذلك بمعنى هذا وقد تقدم اول البقرة والمعنى فلهذا القران فادع وقيل فى الكلام تقديم
وتاخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع وقيل ان اللام على بابها والمعنى
فمن اجل ذلك الذى تقدم ذكره فادع واستقم قال ابن عباس اى الى القران فادع الخلق واستقم خطاب
له عليه السلام قال قتاده اى استقم على امر الله وقال سفين اى استقم على القران وقال الضحاك استقم
على تبليغ الرساله ولا تتبع اهواءهم اى لا تنظر الى خلاف من خالفك وقل آمنت بما انزل الله من كتاب
وامرت لاعدل بينكم اى ان اعدل كقوله وامرت ان اسلم لرب العالمين وقيل هى لام كى اى لكى
اعدل قال ابن عباس وابو العالية لاسوى بينكم فى الدين فاومن بكل كتاب وبكل رسول وقال
غيرهما لاعدل فى جميع الاحوال وقيل هذا القول هو العدل فى الاحكام وقيل فى التبليغ الله ربنا

وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لاحجة بيننا وبينكم قال بن عباس ومجاهد الخطاب لليهودى
لنا ديننا ولكم دينكم قال ثم نسخت بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية قال
مجاهد ومعنى لاحجة بيننا وبينكم لاخصومة بيننا وبينكم وقيل ليس بمنسوخ لان البراهين قد
ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق الا العناد وبعد العناد لاحجة ولا جدال قال النحاس ويجوز ان
يكون معنى لاحجة بيننا وبينكم على ذلك القول لم نؤمر ان نحتج عليكم ونقاتلكم ثم نسخ هذا لما ان
قايلا لو قال من قبل ان تحول القبلة لا يصلى الى الكعبة ثم حول الناس بعد لجاز ان يقال نسخ
ذلك الله يجمع بيننا يريد يوم القيامة واليه المصير اى فهو يحكم بيننا اذا صرنا اليه ويجازى
كلا بما كان عليه وقيل ان هذه الاية نزلت فى الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة وقد سالا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع عن دعوته ودينه الى دين قريش على ان يعطيه الوليد
نصف ماله ويزوجه شيبة بابنته قوله تعالى والذين يحاجون فى الله رجع الى المشركين
من بعد ما استجيب له قال مجاهد من بعد ما اسلم الناس قال وهاولا قوم توهموا ان الجاهلية
تعود وقال قتادة الذين يحاجون فى الله اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم
وكتابنا قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم الفضيلة بانهم اهل كتاب وانهم اولاد الانبيا
وكان المشركون يقولون اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا فقال الله تعالى ان
ولا الذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة اى لا ثبات لها كالشى الذى
يزل عن موضعه والها فى له تجود ان يكون لله عز وجل اى من بعد ما وحدوا الله وشهدوا له
بالوحدانية وتجود ان يكون للنبى صلى الله عليه وسلم اى من بعد ما استجيب لمحمد صلى الله عليه وسلم
فى دعوته من اهل بدر ونصر الله المومنين يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله و
الادحاض الازلاق ومكان دحض ودحض ايضا بالتحريك اى زلق ودحضت رجله تدحض
دحضا زلقت ودحضت الشمس عن كبد السما زالت وعليهم غضب يريد فى الدنيا ولهم عذاب
شديد يريد فى الاخرة عذاب دايم قوله تعالى الله الذى انزل الكتاب يعنى القران وساير
الكتاب المنزلة بالحق بالصدق والميزان اى العدل قاله بن عباس واكثر المفسرين والعدل
يسمى ميزانا لان الميزان الة الانصاف والعدل وقيل الميزان ما بين فى الكتاب مما يجب على
كل انسان ان يعمل به وقال قتادة الميزان العدل فيما امر به ونهى عنه وهذه الاقوال
متقاربة المعنى وقيل هو الجزا على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقيل انه
الميزان نفسه الذى يوزن به انزله من السما وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم
وتباخس قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط قال مجاهد هو الذى يوزن به ومعنى انزل الميزان هو الهامه
للخلق ان يعملوه ويعملوا به وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بينكم بكتاب الله
وما يدريك لعل الساعة قريب فلم يخبره بها يحضه على العمل بالكتاب والعدل والسوية
والعمل بالشرايع قبل ان يفاجى اليوم الذى يكون فيه المحاسبة ووزن الاعمال فيوفى لمن

اوفى

اوفى ويطفف لمن طفف فذلك قال لعل الساعة قريب اى منك وانت لا تدرى وقال قريب ولم يقل
قريبة لان تانيثها غير حقيقى لانها كالوقت قاله الزجاج والمعنى لعل البعث او لعل مجى
الساعة قريب وقال الكسائى قريب نعت به المونث والمذكر والجمع بمعنى ولفظ واحد قال
الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الشاعر
وكنا قريبا والديار بعيدة فلما وصلنا نصب اعينهم غبنا قوله تعالى يستعجل بها الذين
لا يؤمنون بها يعنى على طريق الاستهزا ظنا منهم انها غير اتية او ايهاما للضعفة انها لا تكون
والذين امنوا مشفقون منها اى خايفون وجلون لاستقصارهم انفسهم مع الجهد فى الطاعة
كما قال والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ويعلمون انها الحق اى
التى لا شك فيها الا ان الذين يمارون اى يشكون ويخاصمون فى قيام الساعة لفى ضلال بعيد
اى عن الحق وطريق الاعتبار اذ لو تذكروا لعلموا ان الذى انشاهم من تراب ثم من نطفة
الى ان بلغوا ما بلغوا قادر على بعثهم قوله تعالى الله لطيف بعباده قال بن عباس حفى بهم
وقال عكرمة بار بهم وقال السدى رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم
جوعا بمعاصيهم وقال القرظى لطيف بهم فى العرض والمحاسبة قال غدا عند مولى الخلق للخلق
موقف يسايلهم فيه الجليل ويلطف وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين يلطف بهم فى الرزق
من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثانى انه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره
وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم فى القران وتفصيله وتفسيره وقال الجنيد لطف باوليايه
حتى عرفوه ولو لطف باعدايه لما جحدوه وقال محمد بن على الكتانى اللطيف بمن لجا اليه من
عباده اذا يئس من الخلق توكل عليه ورجع اليه فحينيذ يقبله ويقبل عليه وجا فى حديث
النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يطلع على القبور الدوارس فيقول امحت اثارهم واضمحلت صورهم
وبقى عليهم العذاب وانا اللطيف وانا ارحم الراحمين خففوا عنهم العذاب فيخفف عنهم
قال ابو على الثقفى امر بافنا القبور كانى اخو بطنة والثوب فيه نحيف قوله تعالى ومن شق
فاه الله قدر رزقه وزلى بمن يلجا اليه لطيف وقيل اللطيف الذى ينشر من عباده المناقب
ويستر عليهم المثالب وعلى هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم يا من اظهر الجميل وستر
القبيح وقيل هو الذى يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل هو الذى يجبر الكسير وييسر العسير
وقيل هو الذى لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذى يبذل لعبده النعمة فوق
الهمة ويكلفه الطاعة فوق الطاقة قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقال ما جعل عليكم فى الدين من حرج يريد الله ان يخفف
عنكم وقيل هو الذى يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذى لا يعاجل من عصاه ولا
يخيب من رجاه وقيل هو الذى لا يرد سايله ولا يويس امله وقيل هو الذى يعفو عمن يهفو وقيل هو
الذى يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذى اوقد فى اسرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل
الصراط المستقيم لهم منهاجا واجزل لهم من سحايب بره ماء ثجاجا وقد مضى فى الانعام قول

ابى العاليه والجنيد ايضا وقد ذكرنا جميع هذا فى الكتاب الاسنى فى شرح اسما الله الحسنى عند اسمه
اللطيف والحمد لله يرزق من يشآء ويحرم من يشاء وفى تفضيل قوم بالمال حكمة يحتاج البعض الى
البعض كما قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فكان هذا لطفا بالعباد وايضا يمتحن الغنى بالفقير
والفقير بالغنى كما قال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون على ما تقدم بيانه وهو القوى العزيز
قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه الحرث العمل والكسب ومنه قول
عبد الله بن عمر واحرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا ومنه سمى الرجل
حارثا والمعنى اى من طلب بما رزقناه حرثا لاخرته فاتى حقوق الله وانفق فى اعزاز الدين فانا نعطيه
ثواب ذلك للواحد عشرا الى سبع مائة فاكثر ومن كان يريد حرث الدنيا اى طلب المال فاتاه الله
رياسة الدنيا والتوصل الى المحضورات فانا لانحرمه الرزق اصلا ولكن لاحظ له فى الاخرة من ماله
قال الله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشآء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما
مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاوليك كان سعيهم مشكورا وقيل نزد له فى حرثه
يوفقه للعبادة ونسهلها عليه وقيل حرث الاخرة الطاعة اى من اطاع فله الثواب وقيل نزد
له فى حرثه اى نعطيه الدنيا مع الاخرة وقيل الاية فى الغزو اى من اراد بغزوه الاخرة اوتى الثواب
ومن اراد بغزوه الغنيمة اوتى منها قال القشيرى والظاهر ان الاية فى الكافر يوسع عليه الدنيا
اى لا ينبغى ان يغتر بذلك لان الدنيا لا تبقى وقال قتاده ان الله يعطى على نية الاخرة ما شا
من امر الدنيا ولا يعطى على نية الدنيا الا الدنيا وقال ايضا يقول الله تعالى من عمل لاخرته زدناه
فى عمله واعطيناه من الدنيا ما كتبنا له ومن اثر دنياه على اخرته لم نجعل له نصيبا فى الاخرة
الا النار ولم يصب من الدنيا الا رزقا قد قسمناه له لا بد ان كان يوتاه مع ايثار او غير ايثار
قال الشيخ رحمه الله قول قتاده حسن والاية نعم روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
قال وقوله عز وجل من كان يريد حرث الاخرة من كان من الابرار يريد بعمله الصالح ثواب الاخرة
نزد له فى حرثه اى فى حسناته ومن كان يريد حرث الدنيا اى من كان من الفجار يريد بعمله الحسن
الدنيا نوته منها ثم نسخ ذلك فى سبحان من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشآء لمن نريد والصواب
ان هذا ليس بنسخ لان هذا خبر والاشيا كلها بارادة الله جل وعز الا ترى انه قد صح عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقل احدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت
وقد قال قتادة ما تقدم ذكره عنه وهو يبين لك ان لا نسخ وقد ذكرنا فى هود ان هذا من باب
المطلق والمقيد وان النسخ لا يدخل فى الاخبار والله المستعان مسيله هذه الاية تبطل
مذهب ابى حنيفه فى قوله انه من توضا تبردا انه يجزيه عن فريضة الوضو الموظف عليه فان
فريضة الوضو من حرث الاخرة والتبرد من حرث الدنيا فلا يدخل احدهما على الاخر ولا تجزى
نيته عنه بظاهر هذه الاية قاله ابن العربى قوله تعالى ام لهم شركآء اى الميم والميم صلة
والهمزة للتقريع وهذا متصل بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقوله الله الذى
انزل الكتاب بالحق والميزان كانوا لا يؤمنون به فهل لهم الهة شرعوا لهم الشرك الذى لم

باذن

باذن به الله واذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك فمن اين تدينون ولولا كلمة الفصل يوم القيامة
حيث قال بل الساعة موعدهم لقضى بينهم فى الدنيا فعاجل الظالم بالعقوبة واثاب الطايع وان
الظالمين اى المشركين لهم عذاب شديد فى الدنيا القتل والاسار والقهر وفى الاخرة عذاب
النار وقرا ابن هرمز وان بفتح الهمزة على العطف على ولولا كلمة والفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بجواب لولا جايز ويجوز ان يكون موضع ان رفعا على تقدير وجب ان الظالمين
لهم عذاب اليم فيكون منقطعا مما قبله كقراة الكسر فاعلمه قوله تعالى ترى الظالمين
مشفقين اى خايفين مما كسبوا اى من جزا ما كسبوا والظالمون ها هنا الكافرون بدليل التقسيم
بين المؤمن والكافر وهو واقع بهم اى نازل بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات فى روضات
الجنات الروضة الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضى فى الروم لهم ما يشآؤن عند ربهم
اى من النعيم والثواب الجزيل ذلك هو الفضل الكبير اى لا يوصف ولا تهتدى العقول
الى كنه صفته لان الحق اذا قال كبير فمن ذا الذى يقدر قدره قوله تعالى ذلك الذى
يبشر الله عباده الذين آمنوا قرى يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشر وفيه حذف
اى يبشر الله به عباده المؤمنين ليتعجلوا السرور ويزدادوا جدا فى الطاعة قوله تعالى
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل لا اسئلكم
عليه اجرا اى قل يا محمد لا اسئلكم على تبليغ الرسالة جعلا الا المودة فى القربى قال الزجاج
الا المودة استثنا ليس من الاول اى الا ان تودونى لقرابتى فتحفظونى والخطاب لقريش
خاصة قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابو ملك والشعبى وغيرهم قال الشعبى اكثر الناس
علينا فى هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نساله عنها فكتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اوسط الناس فى قريش فليس بطن من بطونهم الا وقد ولده فقال الله له قل لا اسئلكم
عليه اجرا الا ان تودونى فى قرابتى منكم او تراعوا ما بينى وبينكم فتصدقونى فالقربى ها هنا
قرابة الرحم فانه قال اتبعونى للقرابة ان لم تتبعونى للنبوة قال عكرمة وكانت قريش تصل
ارحامها فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم قطعته فقال صلونى كما كنتم تفعلون فالمعنى على هذا
قل لا اسئلكم عليه اجرا لكن اذكركم قرابتى على انه استثنا ليس من الاول ذكره النحاس وفى البخارى
عن طاوس عن ابن عباس انه سيل عن قوله الا المودة فى القربى فقال سعيد بن جبير قربى
ال محمد فقال ابن عباس عجلت ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له
فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بينكم من القرابة فهذا قول وقيل القربى قرابة الرسول صلى الله
عليه وسلم اى لا اسئلكم اجرا الا ان تودوا قرابتى واهل بيتى كما امر باعظامهم ذوى القربى
وهذا قول على بن حسين لما انزل الله جل وعز قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى
قالوا يا رسول الله من هاولا الذين نودهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ايضا ما روى عن
على رضى الله عنه شكوت الى النبى صلى الله عليه وسلم حسد الناس لى فقال اما ترضى ان تكون
رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمايلنا

وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي و اذاني في
عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا
لقيني يوم القيامة وقال قتادة والحسن المعنى الا ان تتوددوا الى الله وتتقربوا اليه بطاعته فالقربى
على هذا بمعنى القربة يقال قربة وقربى بمعنى كالزلفة والزلفى روى قزعة بن سويد عن ابن ابي نجيح
عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اسألكم على ما انبيكم به اجرا الا ان
توادوا وتقربوا اليه بالطاعة وروى منصور عن عوف قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى
قال تتوددون الى الله عز وجل وتتقربون منه بطاعته وقال قوم الاية منسوخة وانها نزلت بمكة
وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وامرهم الله بمودة نبيه
صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر اوته الانصار ونصروه واراد الله ان يلحقه
باخوانه من الانبيا حيث قالوا وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين فانزل الله
تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فنسخت بهذه الاية وبقوله قل ما اسألكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقوله ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسألهم اجرا
فهم من مغرم مثقلون قاله الضحاك والحسن ابن الفضل ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
قال الثعلبي وليس بقوي وكفى قبحا بقول من يقول ان التقرب الى الله بطاعته ومودة نبيه صلى الله
عليه وسلم واهل بيته منسوخا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد
مات شهيدا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة ومن مات
على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ومن مات على بغض آل محمد جا يوم القيامة مكتوبا
بين عينيه ايس اليوم من رحمة الله ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة ومن مات
على بغض اهل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي قال الشيخ رحمه الله وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره
باطول من هذا فقال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن
مات على حب آل محمد مات مومنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة
ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن
مات على حب آل محمد فتح له من قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار
ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل
محمد جا يوم القيامة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا
الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة قال النحاس ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة قال
كانوا يصلون ارحامهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قطعوه فقال قل لا اسألكم عليه اجرا الا ان
تودوني وتحفظوني لقرابتي ولا تكذبوني قال الشيخ رحمه الله وهذا هو معنى قول ابن عباس في البخاري
والشعبي عنه بعينه وعليه لا نسخ قال النحاس وقول الحسن حسن ويدل على صحته الحديث المسند
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثناه احمد بن محمد الازدي قال اخبرنا الربيع بن سليمان
المرادي قال اخبرنا اسد بن موسى قال حدثنا قزعة وهو ابن يزيد البصري قال حدثنا عبد الله بن ابي

نجيح

نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اسألكم على ما انبيكم به من
البينات والهدى اجرا الا ان توادوا الله جل وعز وان تتقربوا اليه بطاعته فهذا المبين عن
الله جل وعز قد قال هذا وكذا قالت الانبيا صلى الله عليهم قبله ان اجري الا على الله الثانية
واختلفوا في سبب نزولها فقال ابن عباس لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانت تنوبه
نوايب وحقوق لا يسعها ما في يديه فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم الله به وهو ابن اختكم
وتنوبه نوايب وحقوق لا يسعها ما في يديه فنجمع له ففعلوا ثم اتوه به فنزلت قال الحسن نزلت
حين تفاخرت الانصار والمهاجرين بقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم روى مقسم
عن ابن عباس قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فخطب فقال للانصار الم تكونوا اذلا
فاعزكم الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي الم تكونوا خايفين فامنكم الله بي الا تردون علي فقالوا
بم نجيبك قال تقولون الم يطردك قومك فاويناك الم يكذبك قومك فصدقناك فعدد عليهم قال
فجثوا على ركبهم فقالوا انفسنا واموالنا لك فنزلت قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى
وقال قتادة قال المشركون لعل محمدا فيما يتعاطاه يطلب اجرا فنزلت هذه الاية ليحثهم على مودته
ومودة اقربايه قال الثعلبي وهذا اشبه بالاية لان السورة مكية قوله تعالى ومن يقترف حسنة
اي يكتسب واصل القرف الكسب يقال فلان يقرف لعياله اي يكتسب والاقتراف الاكتساب
وهو ماخوذ من قولهم رجل قرفة اذا كان محتالا وقد مضى في الانعام القول فيه وقال ابن عباس
ومن يقترف حسنة قال الحب المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم نزد له فيها حسنا اي نضاعف
له الحسنة بعشر فصاعدا ان الله غفور شكور قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي
غفور لذنوب آل محمد عليه السلام شكور لحسناتهم قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا
الميم صلة والتقدير ايقولون افترى واتصل الكلام بما قبل لان الله لما قال وقل امنت بما انزل الله
من كتاب وقال الله نزل الكتاب بالحق قال اتماما للبيان ام يقولون افترى على الله كذبا
يعني كفار قريش قالوا ان محمدا اختلق الكذب على الله فان يشا الله يختم شرط وجوابه على
قلبك قال قتادة يطبع على قلبك فينسيك القران فاخبرهم الله انه لو افترى عليه لفعل بمحمد
صلى الله عليه وسلم ما اخبرهم به في هذه الاية وقال مجاهد ومقاتل ان يشا الله يربط على قلبك
بالصبر على اذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل المعنى ان نشا نزل تمييزك وقيل
المعنى لو حدثت نفسك ان تفتري على الله كذبا لطبع على قلبك قاله ابن عيسى وقيل فان يشا الله
يختم على قلوب الكفار وعلى السنتهم وعاجلهم بالعقاب فالخطاب له والمراد الكفار ذكره
القشيري ثم ابتدا فقال ويمح الله الباطل قال ابن الانباري يختم على قلبك تام وقال الكسائي فيه
تقديم وتاخير اي والله يمح الباطل فحذف منه الواو في المصحف وهو في موضع رفع كما حذفت
من قوله سندع الزبانية ويدع الانسان ولانه عطف على قوله يختم على قلبك وقال الزجاج قوله
ام يقولون افترى على الله كذبا تام وقوله ويمح الله الباطل احتجاج على من انكر ما اتى به النبي
صلى الله عليه وسلم اي لو كان ما اتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين ويحق الحق

ای الاسلام فیبّینه بکلماته ای بما انزله من القرآن انّه علیم بذات الصّدور عام ای عا فی قلوب
العباد و قیل خاص و المعنی انّك لوحدّثت نفسك ان تفتری علی الله کذبا لعلمه وطبع علی قلبك قوله
هو الّذی یقبل التوبة عن عباده قال بن عبّاس لما نزل قوله تعالی قل لا اسئلکم علیه اجرًا
الا المودّة فی القربی قال قوم فی نفوسهم ما یرید الا ان تحثنا علی اقاربه من بعده فاخبر جبریل النبی
صلّی الله علیه وسلّم وانهم قد اتهموه فانزل ام یقولون افتری علی الله کذبا الآیة فقال القوم یرسول
الله فانا نشهد انك صادق وفتوب فنزلت وهو الذی یقبل التوبة عن عباده قال بن عبّاس ای عن
اولیائه واهل طاعته والآیة عامّة وقد مضی الکلام فی معنی التوبة واحکامها ومضی هذا اللفظ فی براة
و یعفو عن السیّآت ای عن الشرك قبل الاسلام ویعلم ما یفعلون ای من الخیر و الشرّ وقرا حمزة
والکسای وحفص وخلف بالتاء علی الخطاب وهی قراة بن مسعود واصحابه الباقون بالیاء علی الخبر
واختاره ابو عبید و ابو حاتم لانه بین خبرین الاوّل و هو الذی یقبل التوبة عن عباده والثانی
ویستجیب الذین آمنوا وعملوا الصالحات ویستجیب الذین آمنوا وعملوا الصالحات
الذین فی موضع نصب ای ویستجیب الذین آمنوا ای یقبل عبادة من اخلص له بقلبه واطاع ببدنه
وقیل یعطیهم مسئلتهم اذا دعوه وقیل ویجیب دعا المؤمنین بعضهم لبعض یقال اجاب واستجاب
بمعنی واحد وقد مضی فی البقره وقال بن عباس ویستجیب الذین آمنوا وعملوا الصالحات یشفعهم
فی اخوانهم ویزیدهم من فضله قال یشفعهم فی اخوان اخوانهم وقال المبرد معنی ویستجیب الذین آمنوا
ولیستدع الذین آمنوا الاجابة هکذا حقیقه معنی استفعل فالذین فی موضع رفع والکافرون لهم
عذاب شدید قوله تعالی ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا فی الارض فیه مسئلتان الاولی
فی نزولها قیل انها نزلت فی قوم من اهل الصّفّة تمنوا سعة الرّزق وقال الخباب بن الارت فینا
نزلت نظرنا الی اموال بنی النظیر وقریضه وبنی قینقاع فتمنیناها فنزلت ولو بسط معناه وسّع
وبسط الشئ نشره وبالصّاد ایضا لبغوا فی الارض طغوا وعصوا وقال بن عبّاس بغیهم طلبهم
منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومرکبا بعد مرکب وملبسا بعد ملبس وقیل اراد لو اعطاهم
الکثیر لطلبوا ما هو اکثر منه لقوله لو کان لابن ادم وادیان من ذهب لابتغی الیهما ثالثا
وهذا هو البغی وهو معنی قول بن عبّاس وقیل لو جعلنا هم سوآء فی المال لما انقاد بعضهم لبعض
ولتعطّلت الصنایع وقیل اراد بالرزق المطر ای لو دام المطر لتشاغلوا به عن الدّعا فیقبض تارة
فیتضرّعوا ویبسط اخری فیشکروا وقیل کانوا اذا اخصبوا اغار بعضهم علی بعض فلا یبعد حمل البغی
علی هذا الزمخشری لبغوا من البغی وهو الظلم ای لبغا هذا علی ذاك وذاك علی هذا لان الغنی
مبطرة ماشرة وکفی بحال قارون عبرة ومنه قوله علیه السلام اخوف ما اخاف علی امتی زهرة
الدنیا وکثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمی ینبت بیننا وبین بنی رومان نبعا وشوحطا یعنی
انهم احیوا فحدثوا انفسهم بالبغی والتفاتن او من البغی وهو البذخ والکبر ای لتکبروا فی الارض
وفعلوا ما یتبع الکبر من العلو فیها والفساد ولکن ینزل بقدر ما یشا ای ینزل بقدر ما یشاء
لکفایتهم وقال مقاتل ینزل بقدر ما یشاء یجعل من یشاء غنیا ومن یشاء فقیرا الثانیة قال

علما ونا

علما ونا افعال الرب سبحانه لا تخلوا عن مصالح وان لم یجب علی الله الاستصلاح فقد یعلم من حال عبد انه
لو بسط علیه قاده ذلك الی الفساد فیزوی عنه الدنیا مصلحة له فلیس ضیق الرزق هوانا ولا سعة الرزق
فضیلة وقد اعطی اقواما مع علمه بانهم یستعملونه فی الفساد ولو فعل بهم ما فعل لکانوا اقرب من الصلاح
والامر علی الجمله مفوض الی مشیته ولم یلزم مذهب الاستصلاح فی کل فعل من افعال الله تعالی
وروی انس عن النبی صلی الله علیه وسلم فیما یرویه عن ربه تبارك وتعالی قال من اهان لی ولیا فقد
بارزنی بالمحاربة وانی لاسرع شی الی نصرة اولیای وانی لاغضب لهم کما یغضب اللیث الحرد وما
ترددت عن شی انا فاعله ترددی فی قبض روح عبدی المؤمن یکره الموت وانا اکره اسائته ولا بد
له منه وما تقرب لی عبدی المؤمن بمثل اداء ما افترضت علیه وما یزال عبدی المؤمن یتقرب الی بالنوافل
حتی احبه فاذا احببته کنت له سمعا وبصرا ولسانا ویدا ومؤیدا فان سالنی اعطیته وان دعانی اجبته
وان من عبادی المؤمنین من یسئلنی الباب من العبادة وانی علیم انی لو اعطیته ایاه لدخله العجب
فافسده وان من عبادی المؤمنین من لا یصلحه الا الغنی ولو افقرته لافسده الفقر وان من عبادی
المؤمنین من لا یصلحه الا الفقر ولو اغنیته لافسده الغنی وانی لادبر عبادی لعلمی بقلوبهم فانی
علیم خبیر ثم قال انس اللهم انی من عبادك المؤمنین الذین لا یصلحهم الا الغنی فلا تفقرنی برحمتك
قوله تعالی وهو الذی ینزل الغیث من بعد ما قنطوا قرا ابن کثیر و بن محیصن وحمید ومجاهد
وابو عمرو ویعقوب و بن وثاب والاعمش وحمزه والکسای وینزل مخففا الباقون بالتشدید وقرا بن
وثاب ایضا والاعمش وغیرهما قنطوا بکسر النون وقد تقدم جمیع هذا والغیث المطر وسمی الغیث غیثا
لانه یغیث الخلق وقد غاث الغیث الارض ای اصابها وغاث الله البلاد یغیثها غیثا وغیثت الارض
الارض تغاث غیثا فهی ارض مغیثه ومغیوثه وعن الاصمعی قال مررت ببعض قبایل العرب وقد مطروا
فسالت عجوزا منهم کم اتاکم المطر فقالت غثنا ما شئنا ای مطرنا وقال ذو الرمة قاتل الله امة بنی فلان
ما افصحها قلت لها کیف کان المطر عندکم فقالت غثنا ما شئنا ذکر الاول الثعلبی والثانی الجوهری
وربما سمی السحاب والنبات غیثا والقنوط الایاس قاله قتادة وغیره قال قتاده ذکر ان رجلا قال
لعمر بن الخطاب یا امیر المؤمنین قحط المطر وقل الغیث وقنط الناس فقال مطرتم ان شا الله ثم قرا وهو الذی
ینزل الغیث من بعد ما قنطوا والغیث ما کان نافعا فی وقته والمطر قد یکون ضارا ونافعا فی وقته وغیر
وقته قاله الماوردی وینشر رحمته قیل المطر وهو قول السدی وقیل ظهور الشمس بعد المطر ذکره
المهدوی وقال مقاتل نزلت فی حبس المطر عن اهل مکة سبع سنین حتی قنطوا ثم انزل الله المطر وقیل
نزلت فی الاعرابی الذی سال رسول الله صلی الله علیه وسلم المطر یوم الجمعة فی خبر الاستسقا ذکره
القشیری والله اعلم وهو الولی الحمید الولی الذی ینصر اولیاه الحمید المحمود بکل لسان
قوله تعالی ومن آیاته خلق السموات والارض ای علاماته الدالة علی قدرته وما بث فیهما
من دابة قال مجاهد یدخل فی هذا الملائکة والناس وقد قال تعالی ویخلق ما لا تعلمون
وقال الفرا اراد ما بث فی الارض دون السما لقوله یخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما یخرج
من الملح دون العذب وقال ابو علی تقدیره وما بث فی احدهما فحذف المضاف وقوله

يخرج منها اى من احدهما وهو على جمعهم اى يوم القيامة اذا يشآء قدير قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فيما كسبت ايديكم قرا نافع وبن عامر بما كسبت بغير فا الباقون بالفا فبما واختاره ابو عبيد وابو حاتم
للزيادة فى الحرف والاجر قال المهدوى ان قدرت ان ما الموصولة جاز حذف الفآء واثباتها والاثبا
احسن وان قدرتها التى للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه واجازه الاخفش واحتج بقوله تعالى
وان اطعتموهم انكم لمشركون والمصيبة هنا الحدود على العاصى قاله الحسن وقال الضحاك
ما تعلم رجل القران ثم نسيه الا بذنب قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ثم قال واى مصيبة اعظم من نسيان القران ذكره بن المبارك عن عبد العزيز بن ابى رواد قال عنه
ابو عبيد انما هذا على الترك فاما الذى هو دائب فى تلاوته حريص على حفظه الا ان النسيان
بقلبه فليس من ذلك فى شئ ومما يحقق ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشئ من
القرآن حتى يذكره من ذلك حديث عايشه ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع قراة رجل فى المسجد
فقال ماله رحمه الله لقد ذاكرنى آيات كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وقيل ما عفى الذى والمعنى
الذى اصابكم فيما مضى بما كسبت ايديكم وقال على رضى الله عنه هذه الآيه ارجى اية فى كتاب الله
عزوجل واذا كان يكفر عنى بالمصايب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفاراته وعفوه وقد روى
هذا المعنى مرفوعا عنه رضى الله عنه قال على بن ابى طالب الا اخبركم بافضل آية فى كتاب الله
حدثنا به النبى صلى الله عليه وسلم ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم الاية يا على ما اصابكم
من مرض او عقوبة او بلا فى الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثنى عليكم العقوبة فى
الآخره وما عفى عنه فى الدنيا فالله احلم من ان يعاقب به بعد عفوه وقال الحسن لما نزلت هذه
الاية قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خرش عود ولا نكبة حجر الا بذنب
ولما يعفو الله عنه اكبر وقال الحسن دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل لا بد ان اسلك عما
ارى بك من الوجع فقال عمران يا اخى لا تفعل فوالله انى لاحب الوجع ومن احبه كان احب الناس
الى الله قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فهذا مما كسبت يدى وعفو ربى عما
بقى اكثر وقال مرة الهمدانى رايت على ظهر كف شريح قرحة فقلت يا ابا امية ما هذا قال هذا
بما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقال بن عون ان محمد بن سيرين لما ركبه الدين اغتم
لذلك فقال انى لاعرف هذا الغم هذا بذنب اصبته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابى
الحوارى قيل لابى سليمان الدارانى ما بال العقلاء ازالوا اللوم عمن اساء اليهم فقال لانهم
علموا ان الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
وقال عكرمة ما من نكبه اصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها او لينيل
درجة لم يكن يوصله اليه الا بها وروى ان رجلا قال لموسى سل الله لى فى حاجة يقضيها لى
هو اعلم بها ففعل موسى فلما نزل اذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يا رب
ما بال هذا فقال الله تعالى يا موسى انه سالنى درجة علمت انه لا يبلغها بعمله فاصبته بما ترى
لاجعلها وسيلة له فى نيل تلك الدرجة فكان سليمان الدارانى اذا ذكر هذا الحديث يقول

سبحان

سبحان من كان قادرا على ان ينيله تلك الدرجة بلا بلوى ولكنه يفعل ما يشآء قال الشيخ رحمه الله
ونظير هذه الآية فى المعنى قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به وقد مضى القول فيه قال علماؤنا وهذا فى
حق المؤمنين فاما الكافر فعقوبته مؤخره الى الآخره وقيل هذا خطاب للكفار وكان اذا اصابهم شر
قالوا هذا بشوم محمد فرد عليهم وقال هذا بشوم كفركم والاول اكثر واظهر واشهر قال ثابت
البنانى انه كان يقال ساعات الاذى يذهبن ساعات الخطايا ثم فيها قولان احدهما انها خاصة فى
البالغين ان تكون عقوبة لهم وفى الاطفال ان تكون مثوبة لهم الثانى انها عقوبة عامة
للبالغين فى انفسهم والاطفال فى غيرهم من والد ووالده ويعفو عن كثير اى عن كثير من المعاصى
ان لا يكون عليها حدود وهو مقتضى قول الحسن وقيل اى يعفوا عن كثير من العصاه ان لا يعجل
عليهم بالعقوبة وما انتم بمعجزين فى الارض اى بفائتين الله اى لن تعجزوه ولن تفوتوه وما لكم من
دون الله من ولى ولا نصير تقدم فى غير موضع قوله تعالى ومن آياته الجوارى فى البحر كا
لاعلام اى ومن علاماته الدالة على قدرته السفن الجارية فى البحر كانها من عظمتها اعلام
والاعلام الجبال وواحد الجوارى جارية قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية سميت
جارية لانها تجرى فى الماء والجارية هى المراة الشابة سميت بذلك لانها تجرى فيها ماء الشباب
وقال مجاهد الاعلام القصور واحدها علم ذكره الثعلبى وذكر الماوردى عنه انها الجبال وقال
الخليل كل شئ مرتفع عند العرب فهو علم قالت الخنساء ترثى اخاها صخرا
وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم فى راسه نار ان يشاء يسكن الرياح كذا قرآة اهل
المدينة الرياح بالجمع فيظللن رواكد على ظهره اى فتبقى السفن سواكن على ظهر البحر لا تجرى
ركد الماء ركودا سكن وكذلك الريح والسفينه والشمس اذا قام قائم الظهيره وكل ثابت فى
مكان فهو راكد وركد الميزان استوى وركد القوم هدؤا والمراكد المواضع التى يركد فيها
الانسان وغيره وقرا قتاده فيظللن بكسر اللام على ان يكون لغة مثل ظللت اضل وفتح اللام هى
اللغة المشهورة ان فى ذلك لايات وعلامات لكل صبار شكور اى صبار على البلوى شكور على النعماء
قال قطرب نعم العبد الصبار الشكور الذى اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر وقال عون ابن عبد الله فكم
من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر قوله تعالى او يوبقهن بما كسبوا اى وان يشا يجعل
الرياح عواصف فيوبق السفن اى تغرقهن بذنوب اهلها وقيل توبق اهل السفن ويعف عن كثير
من اهلها فلا تغرقهم معها حكاه الماوردى وقيل ويعف عن كثير اى ويتجاوز عن كثير من الذنوب
فينجيهم الله من الهلاك قال القشيرى والقرآة الفاشيه ويعف بالجزم وفيها اشكال لان المعنى
ان يشاء يسكن الرياح فتبقى تلك السفن رواكدا ويهلكها بذنوب اهلها فلا يحسن عطف يعف
على هذا لانه يصير المعنى ان يشا يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير
شرط المشيئة فهو اذا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرا قوم ويعفو
بالرفع وهى جيدة فى المعنى ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص يعنى الكفار اى اذا
توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان او بقيت السفن رواكد علموا انهم لا ملجا لهم

سوا الله ولا دافع لهم ان اراد الله اهلاكهم فمخصوصون له بالعباده وقد مضى هذا المعنى في غير موضع
ومضى القول في ركوب البحر في البقرة وغيرها ومضى في ركوب بما يغني عن اعادته وقرا نافع
وبن عامر ويعلم بالرفع الباقون بالنصب فالرفع على الاستيناف بعد الشرط والجزا كقوله في سورة
البقره ويخزهم وينصركم عليهم ثم قال ويتوب الله على من يشا رفعا ونظيره في الكلام ان
تاتني اتك وينطلق عبد الله او على انه خبر ابتدا محذوف والنصب على الصرف كقوله ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم الى النصب استخفافا كراهية لتوالي الجزم
لقول النابغة فان يهلك ابوقابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام
وتمسك بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وهذا معنى قول الفرا
قال ولو جزم ويعلم جاز وقال الزجاج نصب على اضمار ان لان قبلها جزما تقول ما تصنع اصنع
مثله واكرمك وان شيت قلت واكرمك بالجزم وفي بعض المصاحف وليعلم وهذا يدل على ان
النصب بمعنى ليعلم او لان يعلم وقال ابو علي والمبرد النصب باضمار ان على ان يجعل الاول على تقدير
المصدر ويكون منه عفو وان يعلم فلما حمله على الاسم اضمر ان كما تقول ان تاتيني وتعطيني اكرمك
فتنصب تعطيني اي ان يكن منك اتيان وان تعطيني ومعنى من محيص من فرار ومهرب قاله قطرب
السدي من ملجا وهو ماخوذ من قولهم حاص به البعير حيصة اذا رمى به ومنه قولهم فلان يحيص
عن الحق اي يميل عنه قوله تعالى فما اوتيتم من شيء يريد من الغنى والسعة في الدنيا فمتاع اي
فانما هو متاع في ايام قليله ينقضي ويذهب فلا ينبغي ان يتفاخر به والخطاب للمشركين وما عند الله
خير وابقى يريد من الثواب على الطاعة للذين آمنوا صدقوا ووحدوا وعلى ربهم يتوكلون نزلت
في ابي بكر الصديق حين انفق جميع ماله في طاعة الله فلامه الناس وجا في الحديث انه انفق
ثمانين الفا قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى الذين يجتنبون الذين في موضع جر معطوف على قوله خير وابقى
للذين آمنوا اي وهو للذين يجتنبون كباير الاثم وقد مضى القول في الكباير في النسا وقرا حمزه
والكسائي كبير الاثم فالواحد قد يراد به الجمع عند الاضافة كقوله وان تعدوا نعمة الله وكما
جا في الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها الباقون بالجمع هنا وفي النجم والفواحش
قال السدي يعني الزنا وقاله ابن عباس وقال كبير الاثم الشرك وقال قوم كباير الاثم ما تقع
الصغاير مغفورة عند اجتنابها والفواحش داخلة في الكباير ولكنها تكون افحش واشنع
كالقتل بالنسبة الى الجرح والزنا بالنسبة الى المراودة وقيل الفواحش والكباير بمعنى واحد
فكرر لتعدد اللفظ اي يجتنبون المعاصي لانها كباير وفواحش وقال مقاتل الفواحش
موجبات الحدود الثانيه قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون اي يتجاوزون ويحلمون
عمن ظلمهم قيل نزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في ابي بكر حين لامه الناس على انفاق
ماله كله وحين شتم فحلم وعن علي رضي الله عنه قال اجتمع لابي بكر مال مرة فتصدق به
كله في سبيل الخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت وما اوتيتم من شي الى قوله

واذا

واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال ابن عباس شتم رجل من المشركين ابا بكر فلم يرد عليه شيا فنزلت الاية وهذه
من محاسن الاخلاق يشفقون على ظالمهم ويصفحون لمن جهل عليهم يطلبون بذلك ثواب الله تعالى
وعفوه كقوله تعالى في آل عمران والكاظمين الغيظ وهو ان يتناولك الرجل فتكظم غيظك عنه
وانشد بعضهم اني عفوت لظالمي ظلمي ووهبت ذلك له على علمي
ما زال يظلمني وارحمه حتى بكيت له من الظلم
قوله تعالى والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى والذين استجابوا لربهم قال عبد الرحمن ابن زيد
هم الانصار بالمدينه استجابوا الى الايمان بالرسول حين انفذ اليهم اثني عشر نقيبا منهم قبل
الهجرة واقاموا الصلوة اي ادوها لمواقيتها بشروطها وهيآتها الثانيه قوله تعالى وامرهم
شورى بينهم اي يتشاورون في الامور والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والذكرى
ونحوه فكانت الانصار قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم اليهم اذا ارادوا امرا تشاوروا
فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به قاله النقاش اي لانهم لانقيادهم الى الراي في امورهم
متفقين لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم قال الحسن ما تشاور قوم قط الا هدوا الارشد امورهم
وقال الضحاك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد النقبا اليهم
حتى اجتمع رايهم في دار ابي ايوب على الايمان به والنصرة له وقيل تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستاثر
بعضهم بخبر دون بعض وقال ابن العربي الشورى الفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب الى الصواب
وما تشاور قوم قط الا هدوا وقد قال الحكيم
اذا بلغ الراي المشورة فاستعن برای لبيب او مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة مكان الخوافي نافع للقوادم
فمدح الله المشاورة في الامور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وقد كان النبي صلى الله
عليه وسلم يشاور اصحابه في الاراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في الارا كثير ولم يكن يشاورهم
في الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح
والحرام فاما الصحابة بعد ما استاثر الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون في الاحكام ويستنبطونها
من الكتاب والسنة واول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان النبي صلى الله عليه وسلم
لم ينص عليها حتى كان فيها بين ابي بكر والانصار ما سبق بيانه وقال عمر نرضى لدنيانا ما
رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وتشاوروا في اهل الردة فاستقر راي ابي بكر
على القتال وتشاوروا في الجد وميراثه وفي حد الخمر وعدده وتشاوروا بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الحروب حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلما في المغازي فقال له
الهرمزان مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طاير له ريش وله جناحان
ورجلان فان كسر احد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والراس وان كسر الجناح الاخر
نهضت الرجلان والراس وان شدخ الراس ذهب الرجلان والجناحان والراس

كسرى فالجناح الواحد قيصر والاخرى فارس فمرا لمسلمين فليقدروا الى شاورت قومى ففعلت الذى يرون
فان اصبت كسرى وذكر الحديث وقال بعض العقلا ما اخطات قط اذا حزبنى امر شاورت قومى ففعلت
الذى يرون فان اصبت فهم المصيبون وان اخطات فهم المخطئون الثانيه قد مضى فى ال عمران
ما تضمنته الشورى من الاحكام عند قوله تعالى وشاورهم فى الامر والمشورة بركة والمشورة الشورى
وكذلك المشورة بضم الشين تقول منه شاورته فى الامر واستشرته بمعنى وروى الترمذى عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم وامورهم شورى بينكم
فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامورهم الى نسائكم
فبطن الارض خير لكم من ظهرها قال حديث غريب قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اى ومما اعطيناهم
يتصدقون وقد تقدم فى البقرة قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله لمن عزم الامور
فيه احدى عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغى اى اصابهم بغى المشركين قال ابن
عباس وذلك ان المشركين بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه واذوهم واخرجوهم
من مكة فاذن الله لهم بالخروج ومكن لهم فى الارض ونصرهم على من بغى عليهم وذلك فى قوله فى
سورة الحج اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا الايات كلها
وقيل هو عام فى بغى كل باغ من كافر وغيره اى اذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا لظلمه وهذا اشارة
الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واقامة الحدود قال ابن العربى ذكر الله الانتصار فى البغى فى معرض
المدح وذكر العفو عن الجرم فى موضع اخر فى معرض المدح فاحتمل ان يكون احدهما راجعا الى الاخر
واحتمل ان يكون ذلك راجعا الى حالتين احداهما ان يكون الباغى معلنا بالفجور وقحا فى الجمهور
موذيا للصغير والكبير فيكون الانتقام منه افضل وفى مثله قال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون ان
يذلون انفسهم فيجترى عليهم الفساق الثانية ان تكون الفلتة او يقع ذلك ممن يعرف بالزلة
ويسال المغفرة فالعفو ههنا افضل وفى مثله نزلت وان تعفوا اقرب للتقوى وقوله فمن تصدق
به فهو كفارة له وقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم قال الشيخ رحمه الله هذا
حسن وهكذا ذكر الكيا الطبرى فى احكامه قال قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون
يدل ظاهره على ان الانتصار فى هذا الموضع افضل الا ترى انه قرنه الى ذكر الاستجابة لله سبحانه
واقام الصلوة وهو محمول على ما ذكر ابراهيم النخعى انهم كانوا يكرهون للمومنين ان يذلوا انفسهم
فيجترى عليهم الفساق فهذا فيمن تعدى واصر على ذلك والموضع المامور فيه بالعفو اذا
كان الجانى نادما مقلعا وقد قال عقب هذه الاية ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من
سبيل ويقتضى ذلك اباحة الانتصار لا الامر به وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور وهو محمول على الغفران على غير المصر فاما المصر على البغى والظلم فالافضل
الانتصار بدلالة الاية التى قبلها وقيل اى اذا اصابهم البغى تناصروا عليه حتى يزيلوه
عنهم ويدفعوه قاله ابن بحر وهو راجع الى العموم على ما ذكرنا الثانيه قوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها قال العلماء جعل الله المومنين صنفين صنف يعفون عن الظالم

فبدا بذكرهم فى قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم ثم بين حد الانتصار بقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها فينتصر ممن ظلمه من غير ان يتعدى قال مقاتل وهشام بن حجيرة هذا فى
المجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره من سب او شتم وقال الشافعى وابو حنيفة وسفين
قال سفين وكان ابن شبرمة يقول ليس بمكة مثل هشام وتاول الشافعى فى هذه الاية ان للانسان
ان ياخذ من مال من خانه مثل ما خانه من غير علمه واستشهد فى ذلك بقول النبى صلى الله عليه
وسلم لهند زوج ابى سفين خذى من ماله ما يكفيك وولدك فاجاز لها اخذ ذلك بغير اذنه وقد
مضى الكلام فى هذا مستوفى فى البقرة قال ابن ابى نجيح انه محمول على المقابلة فى الجراح واذا قال
اخزاه الله او لعنه الله ان يقول مثله ولا يقابل القذف بقذف ولا الكذب بكذب وقال السدى
قال انما مدح الله من انتصر ممن بغى عليه من غير اعتداء بالزيادة على مقدار ما فعل به يعنى كما كانت العرب
تفعله وسمى الجزاء سيئة لانه فى مقابلتها فالاساءة فى مال او بدن وهذا القصاص يسوه بمثل
ذلك ايضا وقد مضى هذا كله مستوفى فى البقرة الثانيه قوله تعالى فمن عفى واصلح قال ابن عباس
من ترك القصاص واصلح بينه وبين الظالم بالعفو فاجره على الله اى ان الله ياجره على ذلك
قال مقاتل فكان العفو من الاعمال الصالحة وقد مضى فى ال عمران فى هذا ما فيه كفاية والحمد
لله وذكر ابو نعيم الحافظ عن على بن الحسين رضى الله عنهم قال اذا كان يوم القيمة نادى
مناد ايكم اهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون
الى اين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من انتم قالوا اهل الفضل قالوا وما كان فضلكم
قالوا كنا اذا جهل علينا حلمنا واذا ظلمنا صبرنا واذا اسى الينا عفونا قالوا ادخلوا الجنة
فنعم اجر العاملين وذكر الحديث انه لا يحب الظالمين اى من بدا بالظلم قاله سعيد بن جبير
وقيل لا يحب من يتعدى فى الاقتصاص ويجاوز الحد قاله ابن عيسى الرابعه قوله تعالى
ولمن انتصر بعد ظلمه اى المسلم اذا انتصر من الكافر فلا سبيل الى لومه بل يحمد على ذلك مع
الكافر ولا لوم ان انتصر الظالم من المسلم فالانتصار من الكافر حتم ومن المسلم مباح والعفو
مندوب الخامسه فى قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل دليل على
ان له ان يستوفى ذلك من نفسه وهذا ينقسم ثلثة اقسام احدها ان يكون قصاصا فى بدن
يستحقه ادمى فلا حرج عليه ان استوفاه من غير عدوان وثبت حقه عند الحكام لكن
يزجره الامام فى تفوده بالقصاص لما فيه من الجراة على سفك الدم وان كان حقه غير ثابت
عند الحاكم فليس عليه بينه وبين الله حرج وهو فى الظاهر مطالب وبفعله مواخذ ومعاقب
القسم الثانى ان يكون حد الله تعالى لا حق لادمى فيه كحد الزنى وقطع السرقة فان
لم يثبت ذلك عند حاكم اخذ به وعوقب عليه وان ثبت عند حاكم نظر فان كان قطعا فى سرقة
سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعه ولم يجب عليه فى ذلك حق لان التعزير ادب
وان كان جلدا لم يسقط به الحد لتعديه مع بقاء محله فكان ماخوذا بحكمه القسم
الثالث ان يكون حقا فى مال فيجوز لصاحبه ان يغالبه على حقه حتى يصل اليه

ان كان من هو عالما به وان كان غير ظالم نظر فان امكنه الوصول اليه عند المطالبة لم يكن له
الا الاستشاد باخذه وان كان لا يصل اليه بالمطالبة لجحود من هو عليه من عدم بينه يشهد به
ففي جواز استشاره باخذه مذهبان احدهما جوازه وهو قول ملك والشافعي الثاني المنع وهو قول
ابي حنيفه السادسة قوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي بعدوانهم عليهم في قول
اكثر العلما وقال بن جريج اي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم ويبغون في الارض بغير الحق اي في
النفوس والاموال في قول الاكثرين وقال مقاتل بغيهم عملهم بالمعاصي وقال ابو ملك هو ما يرجوه كفار
قريش ان يكون بمكة غير الاسلام دينا وعلى هذا الحد قال بن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وان
هذا للمشركين خاصه وقول قتادة انه عام وكذا يدل ظاهر الكلام وقد بيناه والحمد لله السابعة
قال بن العربي هذه الاية في مقابلة الاية المتقدمة في برا وهي قوله ما على المحسنين من سبيل
فكما نفى الله السبيل عمن احسن فكذلك نفاها على من ظلم واستوفى بيان القسمين الثامنة واختلف
علماؤنا في السلطان يضع على اهل بلد مالا معلوما ياخذهم به ويوديه على قدر اموالهم هل لمن قدر على
الخلاص من ذلك ان يفعل وهو اذا تخلص اخذ ساير اهل البلد بتمام ما جعل عليهم فقيل لا وهو
قول سحنون من علماينا وقيل نعم له ذلك ان قدر على الخلاص واليه ذهب ابو جعفر احمد بن نصر
الداودي ثم المالكي قال ويدخل عليه قول ملك في الساعي ياخذ من غنم احد الخلطاء شاه وليس
في جميعها نصاب انها مظلمة على من اخذت له لا يرجع على اصحابه بشي قال ولست اخذ بما روي عن
سحنون لان الظلم لا اسوة فيه ولا يلزم احد ان يولج نفسه في ظلم مخافة ان يضاعف الظلم
على غيره والله سبحانه يقول انما السبيل على الذين يظلمون الناس التاسعة واختلف العلما
في التحليل فكان بن المسيب لا يحلل احدا من عرض ولا مال وكان سليمان بن يسار ومحمد بن
سيرين يحللان من العرض والمال وراى ملك التحليل من المال دون العرض روى بن القاسم
وبن وهب عن ملك وسيل عن قول سعيد بن المسيب لا احلل احدا فقال ذلك يختلف
فقلت له يا با عبد الله الرجل يسلف الرجل فيهلك ولا وفا له قال ارى ان يحلله وهو افضل
عندي فان الله تعالى يقول الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فقيل له الرجل يظلم الرجل
فقال لا ارى ذلك هو عندي مخالف للاول يقول الله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون
الناس ويقول تعالى ما على المحسنين من سبيل فلا ارى ان تجعله من ظلمه في حل قال بن
العربي فصار في المسلة ثلاثة اقوال احدها لا يحلله بحال قاله سعيد بن المسيب الثاني يحلله
قاله محمد بن سيرين الثالث ان كان مالا حلله وان كان ظلما لم يحلله وهو قول ملك
وجه الاول ان لا يحلل ما حرم الله فيكون كالتبديل لحكم الله ووجه الثاني انه حقه
فله ان يسقط لما يسقط دمه وعرضه ووجه الثالث الذي اختاره ملك هو ان الرجل
اذا غلب اداء عن حقك فمن الرفق به ان تحلله وان كان ظالما فمن الحق ان لا تتركه
ليلا يغتر الظلمة ويسترسلون في افعالهم القبيحة وفي صحيح مسلم حديث ابي اليسر الطويل
وفيه انه قال لغريمه اخرج الي فقد علمت اين انت فخرج فقال ما حملك على ان اختبات

منى

مني قال انا والله احدثك ثم لا اكذبك خشيت والله ان احدثك فاكذبك وان اعدك فاخلفك
وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله معسرا قال قلت الله قال الله قال فاتى بصحيفة
فمحاها فقال ان وجدت قضاء فاقض والا فانت في حل وذكر الحديث قال بن العربي وهذا في الحي الذي
يرجى له الاد والسلامة الذمة ورجا التحلل فكيف بالميت الذي لا محالة له ولا ذمة معه تقال تحلل
اي احال فهو متحلل قاله الجوهري العاشرة قال بعض العلماء ان من ظلم واخذ له مال فانما له ثواب
ما احتبس عنه الى موته ثم يرجع الثواب الى ورثته ثم كذلك الى اخرهم لان المال يصير بعد الموارث
قال ابو جعفر الداودي هذا صحيح في النظر وعلى هذا القول ان مات الظالم قبل من ظلمه ولم يترك
شيا او ترك ما لم يعلم وارثه فيه بظلم لم تنتقل تباعة المظلوم الى ورثة الظالم لانه لم يبق للظالم
ما يستوجبه ورثة المظلوم الحادية عشرة قوله تعالى ولمن صبر وغفر اي صبر على الاذى وغفر
ترك الانتصار لوجه الله وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه
الله فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلى هذه الاية فقال الحسن عقلها والله
وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال
فيرجع ترك العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة
الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عايشه رضي الله عنها
بحضرته فكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعايشه دونك فانتصري خرجه مسلم في صحيحه بمعناه وقيل
صبر عن المعاصي وستر على المساوي ان ذلك لمن عزم الامور اي من عزايم الله التي امر بها وقيل
من عزايم الصواب التي وفق لها وذكر الكلبي والفرا ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه مع ثلاث ايات قبلها وقد شتمه بعض الانصار فرد عليه ثم امسك وهي
المدنيات من هذه السورة وقيل هذه الايات في المشركين وكان هذا في ابتدا الاسلام قبل
الامر بالقتال ثم نسختها اية القتال وهو قول بن زيد وقد تقدم وفي تفسير بن عباس ولمن انتصر
بعد ظلمه يريد حمزة وعبيدة وعليا وجميع المهاجرين رضوان الله عليهم فاوليك ما عليهم
من سبيل يريد حمزة بن عبد المطلب وعبيدة وعليا وجميع المهاجرين رضوان الله عليهم انما
السبيل على الذين يظلمون الناس يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وابا
جهل والاسود وكل من قاتل من المشركين يوم بدر ويبغون في الارض يريد بالظلم والكفر اوليك
لهم عذاب اليم يريد وجيع ولمن صبر وغفر يريد ابا بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح ومصعب
بن عمير وجميع اهل بدر رضوان الله عليهم ان ذلك لمن عزم الامور حيث قبلوا الفداء
وصبروا على الاذى قوله قوله تعالى ومن يضلل الله اي يخذله فما له من ولي من بعده هذا
فيمن اعرض عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما دعاه اليه من الايمان بالله والمودة في القربى
ولم يصدقه في البعث وان الدنيا متاع قليل اي من اضله الله عن هذه الاشياء فلا يهديه
هاد قوله تعالى وترى الظالمين اي الكافرين لما راوا العذاب يعني جهنم وقيل راوا العذاب
عند الموت يقولون هل الى مرد من سبيل يطلبون ان يردوا الى الدنيا ليعملوا بطاعة الله

فلا يجابون الى ذلك قوله تعالى وتراهم يعرضون عليها اى على النار لانها عذابهم فكنى عن العذاب
المذكور بحرف التانيث لان ذلك العذاب هو النار وان شئت جهنم ولو راعى اللفظ لقال
عليه ثم قيل هم المشركون جميعا يعرضون على جهنم عند انطلاقهم اليها قاله الاكثرون وقيل
آل فرعون خصوصا تحبس ارواحهم في اجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح فهو عرضهم عليها قاله
بن مسعود وقيل انهم عامة المشركين تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم ويعرضون على العذاب
في قبورهم وهذا معنى قول ابي الحجاج خاشعين من الذل ذهب بعض القراء الى الوقف على خاشعين
وقوله من الذل متعلق بينظرون وقيل هو متعلق بخاشعين والخشوع الانكسار والتواضع ومعنى
ينظرون من طرف خفي اى لا يرفعون ابصارهم للنظر رفعا تاما لانهم ناكسوا الرؤس والعرب
تصف الذليل بغض الطرف كما يستعملون في ضده حديد النظر اذا لم يتهم بريبة فيكون عليه منها
غضاضة وقال مجاهد من طرف خفي اى ذليل قال وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا
وعين القلب طرف خفي وقال قتادة والسدي والقرظي وسعيد بن جبير يسارقون النظر من
شدة الخوف وقيل المعنى ينظرون من عين ضعيفة النظر وقال يونس من بمعنى الباء اى ينظرون
بطرف خفي اى ضعيف من الذل والخوف ونحوه عن الاخفش وقال بن عباس بطرف ذابل ذليل
وقيل اى يفزعون ان ينظروا اليها بجميع ابصارهم لما يرون من اصناف العذاب وقال الذين آمنوا
ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة اى يقول المؤمنون في الجنة لما عاينوا
ما حل بالكفار ان الخسران في الحقيقة ما صاروا اليه هؤلاء فانهم خسروا انفسهم لانهم
في العذاب المخلد وخسروا اهليهم لان الاهل ان كان في النار فلا انتفاع بهم وان
كان في الجنة فقد حيل بينه وبينهم وقيل خسران الاهل انهم لو آمنوا لكان لهم اهل في
الجنة من الحور العين وفي سنن ابن ماجة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات فدخل النار
ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون وقد تقدم وفي مسند الدارمي
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدخله الله الجنة الا زوجه
الله اثنين وسبعين زوجة من الحور العين وسبعين من ميراثه من اهل النار وما منهن
واحدة الا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني قال هشام بن خالد من ميراثه من اهل النار يعني
رجالا ادخلوا النار فورث اهل الجنة نساءهم كما ورثت امراة فرعون الا ان الظالمين في عذاب
مقيم اى دائم لا ينقطع يجوز ان يكون هذا من قول المؤمنين ويجوز ان يكون ابتداء من الله تعالى
قوله تعالى وما كان لهم من اولياء اى اعوانا ونصراء ينصرونهم من دون الله اى من عذابه
ومن يضلل الله فما له من سبيل اى طريق يصل به الى الحق في الدنيا والجنة في الآخرة لانه
قد سدت عليه طريق النجاة قوله تعالى استجيبوا لربكم اى اجيبوه الى ما دعاكم اليه من
الايمان به والطاعة استجاب واجاب بمعنى وقد تقدم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له
من الله يريد يوم القيمة اى لا يرده احد بعد ما حكم الله به وجعله اجلا ووقتا ما لكم

من ملجا

من ملجا اى ملجا ينجيكم من العذاب وما لكم من نكير اى ناصر ينصركم قاله مجاهد وقال النكير بمعنى المنكر
كالاليم بمعنى المولم اى لا تجدون يومئذ منكرا لما ينزل بكم من العذاب حكاه بن ابي حاتم وقاله الكلبي
الزجاج معناه انهم لا يقدرون ان ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها وقيل اى انكار على ما ينزل بكم
من العذاب والنكير والانكار تغيير المنكر قوله تعالى فان اعرضوا اى عن الايمان فما ارسلناك
عليهم حفيظا اى حافظا لاعمالهم حتى تحاسبهم عليها وقيل موكلا بهم لا تفارقهم دون ان يؤمنوا
اى ليس لك اكراههم على الايمان ان عليك الا البلاغ وقيل نسخ هذا باية القتال وانا اذا اذقنا
الانسان الكافر منا رحمة رخاء وصحة فرح بها بطر بها وان تصبهم سيئة بلاء وشدة فان الانسان
كفور اى لما تقدم من النعمة فيعدد المصائب وينسى النعم قوله تعالى لله ملك السموات والارض
يخلق ما يشاء فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى لله ملك السموات والارض ابتداء وخبر يخلق ما يشاء
من الخلق يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور قال عبيد يهب لمن يشاء اناثا لا ذكور معهن
ويهب لمن يشاء الذكور لا اناث معهن وادخل الالف واللام على الذكور دون الاناث لانهم اشرف
فميزهم بسمة التعريف وقال واثلة بن الاسقع ان من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر وذلك
ان الله تعالى قال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور فبدا بالاناث او يزوجهم
ذكرانا واناثا قال مجاهد هو ان تلد المراة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال
محمد بن الحنفية هو ان تلد توأما غلاما وجارية او يزوجهم ذكرانا واناثا قال القتبي التزويج
ها هنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والكبار
ويجعل من يشاء عقيما اى لا يولد له يقال رجل عقيم وامراة عقيم وعقمت المراة تعقم عقما مثل
حمد يحمد وعقمت تعقم مثل عظم يعظم واصله القطع ومنه الملك العقيم اى تقطع فيه الارحام
بالقتل والعقوق خوفا على الملك وريح عقيم لا تلقح سحابا ولا شجرا ويوم القيمة يوم عقيم
لانه لا يوم بعده ويقال نساء عقم وعقم قال الشاعر

عقم النساء فما يلدن شبيهه ۞ ان النساء بمثله عقم

وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في الانبياء خصوصا وان عم حكمها فوهب للوط البنات
ليس معهن ذكور ووهب لابراهيم الذكور ليس معهن انثى ووهب لاسماعيل واسحاق الذكور
والاناث وجعل عيسى ويحيى عقيمين ونحوه عن ابن عباس واسحاق بن بشر قال اسحاق نزلت
في الانبياء ثم عمت يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا عليه السلام لم يولد له ذكر وانما ولد له ابنتان
ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه السلام لم يولد له انثى بل ولد له ثمانية ذكور او يزوجهم
ذكرانا واناثا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين واربع بنات ويجعل من
يشاء عقيما يعني يحيى بن زكريا عليهم السلام لم يذكر عيسى ابن العربي قال علماء نا يهب لمن يشاء
اناثا يعني لوطا كان له بنات ولم يكن له ابن ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم كان له بنون
ولم يكن له بنت وقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني آدم كانت حواء تلد له في كل بطنين
ولدين توأمين ذكرا وانثى ويزوج الذكر من هذا البطن من الانثى من البطن الآخر حتى

احكم الله التحريم فى شرع نوح عليه السلام وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان له ذكور
واناث من الاولاد القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب وام كلثوم ورقية وفاطمة
وكلهم من خديجة رضى الله عنها وابراهيم وهو من مارية القبطية وكذلك قسم الله الخلق
من لدن آدم الى زماننا الى ان تقوم الساعة على هذا التقدير المحدود بحكمته البالغة ومشيئته
النافذة ليبقى النسل ويتمادى الخلق وينفذ الوعد ويحق الامر وتعمر الدنيا وتاخذ الجنة وجهنم
ما يملا كل واحدة ويبقى ففى الحديث ان النار لن تمتلى حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط
واما الجنة فيبقى منها فينشى الله لها خلقا آخر الثانية قال ابن العربى ان الله تعالى بعموم
قدرته وشديد قوته لخلق الخلق ابتداء من غير شى وبعظيم لطفه وبديع حكمته خلق شيا
من شى لا عن حاجة فانه قدوس عن الحاجات سلام عن الآفات كما قال القدوس السلام فخلق
آدم من الارض وخلق حوا من آدم وخلق النشاة من بينهما منهما مرتبا على الوطى كاينا عن الحمل
موجودا فى الجنين بالوضع كما قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا سبق ماء الرجل ماء المراة اذكرا واذا
سبق ماء المراة ماء الرجل انثا وكذلك فى الصحيح ايضا اذا علا ماء الرجل ماء المراة اشبه الولد
اعمامه واذا علا ماء المراة ماء الرجل شبه الولد اخواله قال الشيخ رحمه الله هذا معنى حديث عايشه
لا لفظ خرجه مسلم من حديث عروة بن الزبير عنها ان امراة قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم هل تغتسل المراة اذا احتلمت وابصرت الماء فقال نعم فقالت لها عايشه تربت
يداك واليت قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعيها وهل يكون الشبه الا من قبل
ذلك اذا علا ماؤها ماء الرجل شبه الرجل اخواله واذا علا ماء الرجل ماؤها اشبه اعمامه
قال علماؤنا فعلى مقتضى هذا الحديث ان العلو يقتضى الشبه وقد جاء فى حديث ثوبان خرجه
مسلم ايضا ان النبى صلى الله عليه قال لليهودى ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اجتمعا
فعلى منى الرجل منى المراة اذكرا باذن الله واذا علا منى المراة منى الرجل انثا باذن الله
الحديث فجعل فى هذا الحديث ايضا العلو يقتضى الذكورة والانوثة فعلى مقتضى الحديثين يلزم
اقتران الشبه للاعمام والذكورة ان علا منى الرجل وكذلك يلزم اذا علا منى المراة اقتران
الشبه للاخوال والانوثه لانهما معلولا علة واحدة وليس الامر كذلك بل الوجود بخلاف ذلك
لانا نجد الشبه للاخوال والذكورة والشبه للاعمام والانوثه فتعين تاويل احد الحديثين والذى
يتعين تاويله الذى فى حديث فيقال ان ذلك العلو معناه سبق الماء الى الرحم ووجهه ان العلو لما
كان معناه الغلبة من قولهم سابقنى فلان فسبقته اى غلبته ومنه قوله تعالى وما نحن بمسبوقين
اى مغلوبين قيل عليه علا ويويد هذا التاويل قوله فى الحديث اذا سبق ماء الرجل ماء المراة
اذكرا واذا سبق ماء المراة ماء الرجل انثا وقد بنى القاضى ابو بكر ابن العربى على هذه الاحاديث
بنا فقال ان للماءين اربعة احوال الاول ان يخرج ماء الرجل اولا الثانى ان يخرج ماء المراة
اولا الثالث ان يخرج ماء الرجل اولا ويكون اكثر الرابع ان يخرج ماء المراة اولا ويكون اكثر
ويتم التقسيم بان يخرج ماء الرجل اولا ثم يخرج ماء المراة بعده فيكون اكثر او بالعكس فاذا خرج

بالغ صح

ماالرجل اولا وكان اكثر جا الولد ذكرا بحكم السبق واشبه الولد اعمامه بحكم الكثرة وان خرج
ماء المراة اولا وكان اكثر جا الولد انثى بحكم السبق واشبه اخواله بحكم الغلبة وان خرج
ماء الرجل اولا لكن لما خرج ماء المراة بعده كان اكثر كان الولد ذكرا بحكم السبق واشبه
اخواله بحكم غلبة ماء المراة وان سبق ماء المراة لكن لما خرج ماء الرجل كان اعلى من ماء المراة
كان الولد انثى بحكم سبق ماء المراة واشبه اعمامه بحكم غلبة ماء الرجل قال وبانتظام هذه الاقسام
يستتب الكلام ويرتفع التعارض عن الاحاديث فسبحان الخالق العليم الثالثة قال علماؤنا
كانت الخلقة مستمرة ذكرا وانثى الى ان وقع فى الجاهلية الاولى الخنثى فاتى به فريض
العرب ومعمرها عامر بن الظرب فلم يدر ما يقول فيه وارجاهم عنه فلما جن عليه
الليل تنكر موضعه واقض عليه مضجعه وجعل يتقلى ويتقلب وتجى به الافكار وتذهب
الى ان انكرت خادمه حاله فقالت ما بك قال لها سهرت لامر قصدت به فلم ادر ما اقول
فيه فقالت ما هو قال لها رجل له ذكر وفرج كيف يكون حاله فى الميراث قالت له الامة
ورثه من حيث يبول فعقلها واصبح فعرضها عليهم وانقلبوا بها راضين وجاء الاسلام
على ذلك فلم تنزل الا فى عهد على رضى الله عنه فقضى فيها وقد روى الفرضيون عن الكلبى
عن ابى صالح عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن مولود له قبل وذكر
من اين يورث قال من حيث يبول وروى انه اتى بخنثى من الانصار فقال ورثوه من اول ما يبول
وكذا روى محمد بن الحنفية عن على ونحوه عن ابن عباس وبه قال ابن المسيب وابو حنيفة
وابو يوسف ومحمد وحكاه المزنى عن الشافعى وقال قوم لا دلالة فى البول فان خرج
البول منهما جميعا قال ابو يوسف يحكم بالاكثر وانكره ابو حنيفة وقال اتكيله ولم يجعل اصحاب
الشافعى للكثرة حكما وحكى عن على والحسن انه قال تعد اضلاعه فان المراة تزيد
على الرجل بضلع واحد وقد مضى ما للعلما فى هذا فى اية المواريث فى النساء مجودا
والحمد لله الرابعة قال القاضى ابو بكر بن العربى وقد انكر قوم من رؤس العوام
وجود الخنثى لان الله تعالى قسم الخلق الى ذكر وانثى قلنا هذا جهل باللغة وغباوة
عن مقطع الفصاحة وقصور عن معرفة سعة القدرة فاما قدرة الله سبحانه فانه واسع
عليم واما ظاهر القران فلا يخفى وجود الانثى لان الله تعالى قال لله ملك السموات والارض
يخلق ما يشاء فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه لان القدرة تقتضيه واما قوله يهب لمن
يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما فهذا اخبار عن الغالب في الموجودات
وسكت عن ذكر النادر لدخوله تحت عموم الكلام الاول والوجود يشهد له والعيان يكذب
منكره وقد كان يقرا معنا برباط ابى سعد على الامام الشهيد من بلاد المغرب خنثى ليس
له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك اعلم به ومع طول الصحبة عقلنى الحيا عن سواله
ويودى اليوم لو كاشفته عن حاله قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
فيه مسلتان الاولى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الا وحيا سبب ذلك ان اليهود

اناثا ويهب لمن يشاء

قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لا نؤمن
بك حتى تفعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى لم ينظر اليه فنزلت قوله الا وحيا
ذكره النقاش والواحدي والثعلبي وحيا قال مجاهد نفث ينفث في قلبه فيكون الهاما ومنه قوله
عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها واجلها فاتقوا الله
واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم او من وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل رسولا كارساله
جبريل عليه السلام وقيل الا وحيا رؤيا يراها في منامه قاله زهير بن محمد او من وراء حجاب
قال زهير كما كلم موسى او يرسل رسولا قال زهير هو جبريل عليه السلام فيوحي باذنه ما يشاء وهذا
الوحي من الرسل خطاب منهم للانبياء يسمعونه نطقا ويرونهم عيانا وهكذا كانت حال جبريل
عليه السلام اذا نزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس نزل جبريل عليه السلام
على كل نبي فلم يره منهم الا محمد وعيسى وموسى وزكريا عليهم السلام فاما غيرهم فكان وحيا
الهاما في المنام وقيل الا وحيا بارسال جبريل او من وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل رسولا
الى الناس الى الناس كافة وقرا الزهري وشيبة ونافع او يرسل رسولا فيوحي برفع الفعلين
الباقون بنصبهما فالرفع على الاستيناف اي وهو يرسل وقيل يرسل بالرفع في موضع الحال
والتقدير الا موحيا او مرسلا ومن نصب عطفوه على محل الوحي لان معناه وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الا ان يوحي او يرسل ويجوز ان يكون النصب على تقدير حذف
الجار من ان المضمرة ويكون في موضع الحال التقدير او بان يرسل رسولا ولا يجوز ان
يعطف او يرسل بالنصب على ان يكلمه لفساد المعنى لانه يصير ما كان لبشر ان يرسله
او ان يرسل اليه رسولا وهو قد ارسل الرسول من البشر وارسل اليهم الثانية
احتج بهذه الاية من راى فيمن حلف ان لا يكلم رجلا فارسل اليه رسولا انه حانث
لان المرسل قد سمي فيها مكلما للمرسل اليه الا ان ينوي الحالف المواجهة بالخطاب قال
ابن المنذر واختلفوا في الرجل ان لا يكلم فلانا فكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا
فقال الثوري الرسول ليس بكلام وقال الشافعي لا يتبين ان يحنث وقال النخعي والحكم في الكتاب
يحنث وقال ملك يحنث في الكتاب والرسول وقال مرة الرسول اسهل من الكتاب وقال ابو عبيد
الكلام سوى الخط والاشارة وقال ابو ثور لا يحنث في الكتاب قال ابن المنذر لا يحنث في
الكتاب والرسول قال الشيخ رحمه الله وهو قول ملك قال ابو عمرو من حلف ان لا يكلم
رجلا فسلم عليه عامدا او ساهيا او سلم على جماعة هو فيهم فقد حنث في ذلك كله عند ملك
وان ارسل اليه رسولا او سلم عليه في الصلوة لم يحنث قال الشيخ رحمه الله يحنث في الرسول
الا ان ينوي المشافهة للاية وهو قول ملك وابن الماجشون وقد مضى في اول مريم هذا المعنى
عن علمائنا والحمد لله قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي وكالذي اوحينا الى الانبيا
قبلك اوحينا اليك روحا اي نبوة قاله ابن عباس الحسن وقتادة رحمة من عندنا السدي

وحيا

وحيا الكلبي كتابا الربيع هو جبريل الضحاك هو القرآن وهو قول ملك بن دينار وسماه روحا
لان فيه حياة من موت الجهل وجعله من امره بمعنى انزله كما شاء على من شاء من النظم المعجز
والتاليف المعجب ويمكن ان يحمل قوله ويسئلونك عن الروح على القرآن ايضا قل الروح
من امر ربي اي يسئلونك من اين لك هذا القرآن قل انه من امر الله انزله علي معجزا ذكره القشيري
وكان ملك بن دينار يقول يا اهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فان القرآن ربيع القلوب
كما ان الغيث ربيع الارض الثانية ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي لم تكن تعرف
الطريق الى الايمان وظاهر هذا يدل على انه ما كان قبل الايحاء متصفا بالايمان قال القشيري
وهو من مجوزات العقول والذي صار اليه المعظم ان الله ما بعث نبيا الا كان مؤمنا به قبل البعثة
وفيه تحكم الا ان يثبت ذلك بتوقيف مقطوع به قال القاضي ابو الفضل عياض واما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصحيح انهم معصومون قبل النبوة من الجهل
بالله وصفاته والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبيا بتنزيههم
عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف
ونفحات الطاف السعادة ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال
موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال الله تعالى واتيناه الحكم
صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه قال معمر كان ابن سنتين
او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة
من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة وروحه وقيل صدقه
وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لا تحزني
على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني
عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا وقال ففهمناها سليمان وكلا اتيناه حكما وعلما
وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابو داود
وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون
واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله
اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
فذلك رشده وقيل ان القا ابراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء
اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان
وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب
بقوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير
ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه

الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الي
الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشي مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد
ثم تتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية
ويبلغوا باصطفا الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا
رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما قال القاضي ولم ينقل احد
من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم ان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله قال القاضي وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها
واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شي من ذلك تعييرا لواحد منهم
برفضه الهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين
وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة
من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم عن الاعراض
عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن
تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم الثالثة
وتكلم العلماء في نبينا صلى الله عليه وسلم هل كان متعبدا بدين قبل الوحي ام لا فمنهم من منع ذلك
مطلقا واحاله عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا على هذا على التحسين
والتقبيح وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك
اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهذا مذهب ابي المعالي
وقالت فرقة ثالثة انه كان متعبدا بشرع من قبله وعاملا به ثم اختلف هاولا في التعيين
فذهبت طايفة الى انه كان على دين عيسى فانه ناسخ لجميع الاديان والملل قبلها فلا يجوز ان
يكون النبي على دين منسوخ وذهبت طايفة الى انه كان على دين ابراهيم لانه من ولده وهو ابو
الانبيا وذهبت طايفة الى انه كان على دين موسى لانه اقدم الاديان وذهبت المعتزلة الى
انه لا بد ان يكون على دين ولكن عين الدين غير معلومة عندنا وقد ابطل هذه الاقوال كلها
ايمتنا اذ هي اقوال متعارضة وليس فيها دلالة قاطعة وان كان العقل يجوز كل ذلك والذي
يقطع به انه عليه السلام لم يكن منسوبا الى واحد من الانبيا نسبة تقتضي ان يكون واحدا
من امته ومخاطبا بكل شريعته بل شريعته مستقلة بنفسها مفتتحة من عند الله الحاكم
جل وعز وانه صلى الله عليه وسلم كان مومنا بالله عز وجل ولا سجد لصنم ولا اشرك
بالله ولا زنا ولا شرب الخمر ولا شهد السامر ولا حضر حلف المطر ولا حلف المطيب بل
نزهه الله وصانه عن ذلك فان قيل فقد روى عثمان بن ابي شيبة حدثنا بسنده عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه
احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام

الاصنام فلم يشهدهم بعد فالجواب ان هذا حديث انكره الامام احمد بن حنبل جدا وقال
هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة
منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه
عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه
وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه علامات
النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسلني بهما فوالله ما ابغضت شيا
قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف
من سيرته عليه السلام وتوفيق الله اياه له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة في الحج وكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام فان قيل فقد
قال تعالى قل بل ملة ابرهيم وقال ان اتبع ملة ابراهيم وقال شرع لكم من الدين الاية وهذا
يقتضي ان يكون متعبدا بشرع فالجواب ان ذلك فيما لا اختلف فيه الشرايع من التوحيد واقامة
الدين على ما تقدم بيانه في غير موضع وفي هذه السورة عند قوله شرع لكم من الدين
والحمد لله الرابعة اذا تقرر هذا فاعلم ان العلما اختلفوا في قوله تعالى ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان فقال جماعة معنى الايمان في هذه الاية شرايع الايمان ومعالمه ذكره
الثعلبي وقيل تفاصيل هذا الشرع اي كنت غافلا عن هذه التفاصيل ويجوز اطلاق لفظ الايمان
على تفاصيل الشرع ذكره القشيري وقيل ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعوا
الخلق الى الايمان ونحوه عن ابي العالية وقال ابو بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام
قال وكان قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهذه
الاقوال الاربعة متقاربة وقال ابن خزيمة عني بالايمان الصلوة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص وقال الحسين بن
الفضل اي ما كنت تدري ما الكتاب ولا اهل الايمان وهو من باب حذف المضاف اي من الذي
يومن ابو طالب او العباس او غيرهما وقيل ما كنت تدري شيا اذ كنت في المهد وقبل البلوغ
وحكى الماوردي نحوه عن علي بن عيسى قال ما كنت تدري ما الكتاب لولا الرسالة ولا الايمان
لولا البلوغ وقيل ما كنت تدري ما الكتاب لولا انعامنا عليك ولا الايمان لولا هدايتنا لك
وهو محتمل وفي هذا الايمان وجهان احدهما انه الايمان بالله وهذا يعرفه بعد بلوغه وقبل
نبوته الثاني انه دين الاسلام وهذا لا يعرفه بعد النبوة قال الشيخ رحمه الله الصحيح انه عليه
السلام كان مومنا بالله جل وعز من حين نشا الى حين بلوغه على ما تقدم وقيل ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان اي كنت من قوم اميين لا يعرفون الكتاب ولا الايمان حتى
تكون قد اخذت ما جيتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم وهو كقوله تعالى ما كنت تتلوا من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روي معناه عن ابن عباس ولكن
جعلناه نورا قال ابن عباس والضحاك يعني الايمان السدي القران وقيل الوحي اي جعلنا

هذا الوحى نورًا نهدى به من نشا اى من نختاره للنبوة لقوله نختص برحمته من يشاء ووجد الكناية
لان الفعل فى كثرة اسمايه بمنزلة الفعل فى الاسم الواحد الا نرى انك تقول اقبالك وادبارك
يعجبنى وهما اثنان وانك لتهدى اى تدعوا وترشد الى صراط مستقيم دين قويم لا اعوجاج فيه وقال على
الكتاب مستقيم وقرا عاصم الجحدرى وحوشب وانك لتهدى غير مسمى الفاعل اى لتدعى لنا قون
لتهدى مسمى الفاعل وفى قراة ابى وانك لتدعوا قال النحاس وهذا لا يقرا به لانه مخالف للسواد
وانما يحمل ما كان مثله على انه من قايله على جهة التفسير كما قال سفيان فى قوله عز وجل وانك لتهدى
اى لتدعوا وروى معمر عن قتادة فى قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال ولكل قوم هاد صراط
الله بدل من الاول بدل المعرفة من النكرة قال على هو القرآن وقيل الاسلام ورواه النواس بن سمعان
عن النبى صلى الله عليه وسلم الذى له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وعبدا وخلقا الا الى الله تصير
الامور وعيد بالبعث والجزا قال سهل بن ابى الجعد احترق مصحف فلم يبق الا قوله الا
الى الله تصير الامور وغرق مصحف فانمحى كله الا قوله الا الى الله تصير الامور

سورة الزخرف مكية باجماع وقال مقاتل الا قوله وسل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا وهى تسع وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم والكتاب تقدم الكلام فيه وقيل حم قسم والكتاب المبين قسم ثان
ولله ان يقسم بما شا والجواب انا جعلناه وقال بن الانبارى من جعل جواب والكتاب حم كما تقول
نزل والله وجيت والله وقف على الكتاب المبين ومن جعل جواب القسم انا جعلناه لم يقف على
الكتاب المبين ومعنا انا جعلناه اى سميناه ووصفناه وكذلك تعدى الى مفعولين كقوله
ما جعل الله من بحيره وقال السدى اى انزلناه قرانا مجاهد قلناه الزجاج وسفيان الثورى
بيناه عربيا اى انزل بلسان العرب لان كل نبى انزل كتابه بلسان قومه قاله سفيان الثورى وغيره
وقال مقاتل لان لسان اهل السما عربى وقيل المراد بالكتاب جميع الكتب المنزلة على الانبيا
لان الكتاب اسم جنس فكانه اقسم بجميع ما انزل من الكتب انه جعل القرآن عربيا والكناية
فى قوله جعلناه ترجع الى القرآن وان لم يجد له ذكر فى هذه السورة كقوله انا انزلناه فى ليلة
القدر لعلكم تعقلون اى تفهمون احكامه ومعانيه فعلى هذا القول يكون خاصا للعرب دون
العجم قاله بن عيسى وقال بن زيد المعنى لعلكم تتفكرون فعلى هذا يكون خطابا عاما للعرب
والعجم ونعت الكتاب بالمبين لان الله بين فيه احكامه وفرايضه على ما تقدم فى غير موضع قوله
تعالى وانه فى ام الكتاب يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ لعلى حكيم اى رفيع محكم لا يوجد
فيه اختلاف ولا تناقض قال الله تعالى وانه لقرآن كريم فى كتاب مكنون وقال بل هو
قرآن مجيد فى لوح محفوظ وقال بن جريج المراد بقوله وانه اعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة
ومعصية لعلى اى رفيع عن ان ينال فيبدل حكيم اى محفوظ من نقص او تغيير وقال بن عباس
اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا وانه فى ام

الكتاب لدينا لعلى حكيم وكسر الهمزة من ام الكتاب حمزة والكساى وضم الباقون وقد تقدم
قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا يعنى القرآن عن الضحاك وغيره وقيل المراد بالذكر
العذاب اى افنضرب عنكم العذاب ولا نعاقبكم على اسرافكم وكفركم قاله مجاهد وابو صالح والسدى
ورواه العوفى عن ابن عباس وقال بن عباس المعنى افحسبتم ان نصفح عنكم العذاب ولما تفعلوا
ما امرتم به وعنه ايضا ان المعنى اتكذبون بالقرآن ولا تعاقبون وقال السدى افنترككم
سدى ولا نامركم ولا ننهاكم وقال قتادة المعنى افنهلككم ولا نامركم ولا ننهاكم وعنه ايضا
فنمسك عن انزال القرآن من قبل انكم لا تومنون به فلا ننزله عليكم وقاله بن زيد قال قتاده
والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردته اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله كرره عليهم برحمته
وقال الكساى افنطوى عنكم الذكر طيا فلا توعظون ولا تومرون وقيل الذكر التذكير فكانه
قال انترك تذكيركم لان كنتم قوما مسرفين فى قراة من فتح ومن كسرها جعلها للشرط وما قبلها جوابا لها
لانها لم تعمل فى اللفظ ونظيره وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مومنين وقيل الجواب محذوف دل
عليه ما تقدم كما تقول انت ظالم ان فعلت ومعنى الكسر عند الزجاج الحال لان فى الكلام معنى
التقرير والتوبيخ ومعنى صفحا اعراضا يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن دينه وقد ضربت
عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته والاصل فيه صفحة العنق يقال اعرضت عنه اى وليته
صفحه عنقى قال الشاعر صفوحا فما تلقاك الا بخيلة • فمن مل منها ذلك الوصل ملت
وانتصب صفحا على المصدر لان معنى افنضرب افنصفح وقيل التقدير افنضرب عنكم الذكر
صافحين كما يقال جا فلان مشيا ومعنى مسرفين مشركين واختار ابو عبيد الفتح فى ان وهى
قراة ابن كثير وابى عمرو وعاصم وبن عامر قال لان الله تعالى عاتبهم على ما كان منهم وعلمه
قبل ذلك من فعلهم قوله تعالى وكم ارسلنا من نبى فى الاولين كم هنا خبرية والمراد بها
التكثير والمعنى ما اكثر ما ارسلنا من الانبيا كما قال كم تركوا من جنات وعيون اى ما اكثر
ما تركوا وما ياتيهم من نبى اى لم يكن ياتيهم نبى الا كانوا به يستهزون كاستهزا قومك بك
يعزى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ويسليه فاهلكنا اشد منهم بطشا اى قوما اشد منهم
قوة والكناية فى منهم ترجع الى المشركين المخاطبين بقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا فكنى عنهم
بعد ان خاطبهم واشد نصب على الحال وقيل هو مفعول اى فقد اهلكنا اقوى من هولا
المشركين فى ابدانهم واتباعهم ومضى مثل الاولين اى عقوبتهم عن قتادة وقيل صفة الاولين
وخبرهم بانهم اهلكوا على كفرهم حكاه النقاش والمهدوى والمثل الوصف والخبر قوله
تعالى ولين سالتهم يعنى المشركين من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم فاقروا له بالخلق والايجاد ثم عبدوا معه غيره جهلا منهم وقد مضى فى غير
موضع قوله تعالى الذى جعل لكم الارض مهادا وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة
وهذا ابتدا اخبار عنه عن نفسه ولو كان هذا اخبارا عن قول الكفار لقال الذى جعل لنا الارض
مهادا فراشا وبساطا وقد تقدم وقرا الكوفيون مهدا وجعل لكم فيها سبلا اى معايش

وقيل طرقا لتسلكوا منها الى حيث اردتم لعلكم تهتدون فتستدلون بمقدوراته على قدرته وقيل لعلكم تهتدون في اسفاركم قاله ابن عيسى وقيل لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم قاله سعيد بن جبير وقيل تهتدون الى معايشكم قوله تعالى والذي نزل من السماء ماء بقدر قال ابن عباس اي لا كما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم بل هو بقدر لا طوفان مغرق ولا قاصر عن الحاجة حتى يكون معاشا لكم ولانعامكم فانشرنا اي احيينا به اي بالماء بلدة ميتا اي مقفرة من النبات كذلك تخرجون اي من قبوركم لان من قدر على هذا قدر على ذلك وقد مضى في الاعراف مجودا وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر تخرجون بفتح التاء وضم الراء الباقون على الفعل المجهول قوله تعالى والذي خلق الازواج كلها فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى والذي خلق اي والله هو الذي خلق الازواج قال سعيد بن جبير اي الاصناف كلها وقال الحسن الشتا والصيف والليل والنهار والسموات والارض والشمس والقمر والجنة والنار وقيل ازواج الحيوان من ذكر وانثى قاله ابن عيسى وقيل اراد ازواج النبات كما قال وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى قال الشيخ رحمه الله وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها بعمومه وجعل لكم من الفلك السفن والانعام الابل ما تركبون في البر والبحر لتستووا على ظهوره ذكر الكناية لانه رده الى ما في قوله ما تركبون قاله ابو عبيد وقال الفرا اضاف الظهور الى كل واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجيش والجند فلذلك ذكر وجمع الظهور اي على ظهور هذا الجنس الثانية قال سعيد بن جبير الانعام هنا الابل والبقر وقال ابو معاذ الابل وحدها وهو الصحيح لقوله عليه السلام بينما رجل راكب بقرة اذ قالت له لم اخلق لهذا انما خلقت للحرث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت بذلك انا وابو بكر وعمر وما هما في القوم وقد مضى هذا في اول سورة النحل مستوفى والحمد لله الثالثة قوله تعالى لتستووا على ظهوره يعني به الابل خاصة بدليل ما ذكرنا ولان الفلك انما يركب بطونها ولانه ذكرهما جميعا في اول الاية وعطف اخرها على احدهما ويحتمل ان يجعل ظاهرها باطنها لان الماء غمره وستره وباطنها ظاهرا لانه انكشف للظاهرين وظهر للمبصرين الرابعة قوله تعالى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي ركبتم عليه وذكر النعمة هو الحمد لله تسخيره ذلك لنا في البر والبحر وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي ذلك لنا هذا المركب وفي قراءة علي بن ابي طالب سبحان من سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين في قول ابن عباس والكلبي وقال الاخفش وابو عبيدة مقرنين ضابطين وقيل مماثلين في الايدي والقوة من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله في القوة ويقال فلان مقرن لفلان اي ضابط له واقرنت كذا اي اطقته واقرن له اي اطاقه وقوي عليه كانه صار له قرنا قال الله تعالى وما كنا له مقرنين اي مطيقين وانشد قطرب قول عمرو بن معدي كرب

لقد علم القبائل ما عقيل لنا في النائبات بمقرنينا
وقال آخر
ركبتم صعبتي اشرا وحيفا ولستم للصعاب بمقرنينا

والمقرن

والمقرن ايضا الذي غلبته ضيعته تكون له ابل او غنم ولا معين له عليها او يكون يسقي ابله ولا ذايد له يذودها قاله ابن السكيت وفي اصله قولان احدهما انه ماخوذ من الاقران يقال اقرن يقرن اقرانا اذا اطاق واقرنت كذا اذا اطقته وحكمته كانه جعله في قرن وهو الحبل فاوثقه به وشده والثاني انه ماخوذ من المقارنة وهو ان يقرن بعضها ببعض في السير تقول قرنت كذا بكذا اذا ربطته وجعلته قرينه [قوله تعالى] علمنا الله سبحانه ما نقول اذا ركبنا الدواب وعرفنا في اية اخرى على لسان نوح صلى الله عليه وسلم ما نقول اذا ركبنا السفن وهي قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم فكم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة امر مخطور واتصالا باسباب من اسباب التلف امر ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا لقضاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه حكى سليمان ابن يسار ان قوما كانوا في سفر فكانوا اذا ركبوا قالوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وكان فيهم رجل على ناقة له رازم وهي التي لا تتحرك هزالا فقال اما انا فاني لهذه لمقرن قال فقمصت به فدقت عنقه وروى ان اعرابيا ركب قعودا له وقال اني لمقرن له فركض به القعود حتى صرعته فاندقت عنقه ذكر الاول الماوردي والثاني ابن العربي وقال ما ينبغي لعبد ان يدع قول هذا وليس بواجب ذكره باللسان وانما الواجب اعتقاده بالقلب اما انه يستحب له ذكره باللسان فيقول متى ما ركب وخاصة في السفر اذا تذكر سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل والمال يعني بالحور بعد الكور تشتت امر الرجل بعد اجتماعه وقال قال عمرو بن دينار ركبت مع ابي جعفر الى ارض له نحو حايط يقال لها مدركة فركب على جمل صعب فقلت له ابا جعفر اما تخاف ان يصرعك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على سنام كل بعير شيطان اذا ركبتموها فاذكروا اسم الله كما امركم ثم امتهنوها لانفسكم فانما يحمل الله وقال علي بن ربيعة سمعت علي بن ابي طالب ركب دابة يوما فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على الدابة قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله والله اكبر ثلاثا اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت له ما اضحكك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت وقال كما قلت ثم ضحك قلت له ما يضحكك يا رسول الله قال العبد او قال عجبا لعبد ان يقول اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه لا يغفر الذنب غيره خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وابو عبد الله محمد بن خويز منداد في احكامه وذكر الثعلبي نحوه مختصرا عن علي رضي الله عنه ولفظه عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي

سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون واذا نزلتم من الفلك والانعام فقولوا اللهم انزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين وروى ابن نجيح عن مجاهد قال من ركب ولم يقل سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال له الشيطان تغنه فان لم يحسن قال له تمنه ذكره النحاس ونستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنايه تعالوا نتنزه على الخيل او فى بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اوانى الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تمل طلاهم وهم على ظهور الدواب او فى بطون السفن وهى تجرى بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره الزمخشرى ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمانت به الدار فلم يشعر بسيره ولا احس به فلم يبن فعل اوليك الراكبين وبين ما امر الله به فى هذه الاية قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزا اى عدلا عن قتاده يعنى ما عبد من دون الله عز وجل الزجاج والمبرد الجزء هاهنا البنات عجب المؤمنون من جهلهم اذ اقروا بان خالق السموات والارض هو الله ثم جعلوا له شريكا او ولدا ولم يعلموا ان من قدر على خلق السموات والارض لا يحتاج الى شئ يعتضد به او يستانس به لان هذا من صفات النقص قال الماوردى والجزء عند اهل العربية البنات يقال قد اجزات المراة اذا ولدت البنات قال الشاعر

ان اجزات حرة يوما فلا عجب ... قد تجزر الحرة المذكار احيانا

الزمخشرى ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعا ان الجزء فى لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزات المراة ثم صنعوا بيتا وبيتا

ان اجزات حرة يوما فلا عجب ... زوجتها من بنات الاوس مجزية

وانما قالوا وجعلوا له من عباده جزا متصل بقوله ولين سالتهم اى ولين سالتهم عن خلق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزا فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزا ان قالوا الملايكة بنات الله فجعلهم جزا له وبضعا كما يكون الولد بضعة من والده وجزء له وقرى جزءا بضمتين ان الانسان لكفور مبين قال الحسن يعد المصايب وينسى النعم مبين مظهر الكفر قوله تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات الميم صلة تقديره اتخذ ما يخلق بنات كما زعمتم ان الملايكة بنات الله فلفظه لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ واصفاكم بالبنين اى اختصكم واخلصكم بالبنين يقال اصفيته بكذا اى اثرته به واصفيته الود اخلصته وصافيته وتصافينا تخالصنا عجب من اضافتهم الى الله اختيار البنات مع اختيارهم لانفسهم البنين وهو مقدس عن ان يكون له ولد فهلا اضاف اليه ارفع الجنسين ولم جعلها ولا لا لانفسهم اشرف الجنسين وله الاخس وهذا كما قال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى قوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اى بانه ولدت له بنت ظل وجهه اى صار وجهه مسودا قيل ببطلان مثله الذى ضربه وقيل بما بشر به من الانثى دليله فى سورة النحل اذا بشر احدهم بالانثى ومن حالهم ان احدهم اذا قيل لهم قد ولدت له بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو حملوا

من الكرب وعن بعض العرب ان امراته وضعت انثى فهجر البيت الذى فيه المراة فقالت

ما لابى حمزة لا ياتينا ... فظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا ... وانما ناخذ ما اعطينا

وقرى مسود ومسواد وفى قراءة الجماعة يكون وجهه اسم ظل ومسودا خبره ويجوز ان يكون فى ظل ضمير عايد على احد وهو اسمها ووجهه بدل من الضمير ومسودا خبر ظل ويجوز ان يكون رفع وجهه بالابتدا ويرفع مسودا على انه خبره وفى ظل اسمها والجملة خبرها وهو كظيم اى حزين قال قتادة وقيل مكروب قاله عكرمه وقيل ساكت حكاه بن ابى حاتم وذلك لفساد مثله وبطلان حجته ومن اجاز ان تكون الملايكة بنات الله فقد جعل الملايكة شبها لله لان الولد من جنس الوالد وشبهه ومن اسود وجهه مما يضاف اليه مما لا يرضى اولى ان يسود وجهه باضافة مثل ذلك الى من هو اجل منه فكيف الى الله عز وجل وقد مضى فى النحل فى معنى هذه الاية ما فيه كفاية قوله تعالى اومن ينشا فى الحلية فيه مسالتان الاولى قوله تعالى اومن ينشا اى يربى ويشب والنشو التربية يقال نشات فى بنى فلان نشا ونشوا اذا شب فيهم ونشى وانشى بمعنى وقرا بن عباس والضحاك وبن وثاب وحفص وحمزه والكساى وخلف ينشا بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين اى يربى ويكبر فى الحلية واختاره ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلا وقرا الباقون ينشاء بفتح الياء واسكان النون واختاره ابو حاتم اى ينبت ويثبت واصله من نشا اى ارتفع قاله الهروى فينشا متعد وينشا لازم الثانيه قوله تعالى فى الحلية اى فى الزينة قال بن عباس وغيره هن الجوارى زيهن غير زى الرجال قال مجاهد رخص للنسا فى الذهب والحرير وقرا هذه الاية قال الكيا فيه دلالة على اباحة الحلى للنسا والاجماع منعقد عليه والاخبار فيه لا تحصى قال الشيخ رحمه الله روى عن ابى هريرة انه كان يقول لابنته يا بنية اياك والتحلى بالذهب فانى اخاف عليك اللهب قوله تعالى وهو فى الخصام غير مبين اى فى المجادلة والادلاء بالحجة قال قتادة ما تكلمت امراة ولها حجة الا جعلتها على نفسها وفى مصحف عبد الله وهو فى الكلام غير مبين ومعنى الاية ايضاف الى الله من هذا وصفه اى لا يجوز ذلك وقيل المنشا فى الحلية اصنامهم التى صاغوها من فضة وذهب وحلوها قاله بن زيد والضحاك ويكون معنى وهو فى الخصام غير مبين على هذا القول اى ساكت عن الجواب ومن فى محل نصب اى اتخذوا لله من ينشا فى الحلية ويجوز ان يكون رفعا على الابتداء والخبر مضمر قاله الفرا وتقديره اومن كان على هذه الحالة يستحق العبادة وان شيت قلت خفض ردا الى اول الكلام وهو قوله بما ضرب او على ما فى قوله مما يخلق بنات وكون البدل فى هذين الموضعين ضعيف لكون الف الاستفهام حايلة بين البدل والمبدل منه وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قرا الكوفيون عباد بالجمع واختاره ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلى ولان الله تعالى انما كذبهم فى قولهم انهم بنات الله فاخبرهم انهم عبيد وانهم ليسوا بناته وعن ابن عباس انه قرا عباد الرحمن فقال سعيد بن جبير

ان فى مصحفى عند الرحمن فقال امحها واكتبها عباد الرحمن وتصديق هذه القراءة قوله تعالى
بل عباد مكرمون وقوله افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء قوله تعالى
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقرا الباقون عند الرحمن بنون ساكنه
واختاره ابو حاتم وتصديق هذه القراءة ان الذين عند ربك وقوله وله ما فى السموات وما فى
الارض ومن عنده والمقصود ايضاح كذبهم وبيان جهلهم فى نسبة الاولاد الى الله فى تحكمهم
بان الملائكة اناث وهم بنات الله وذكر العباد مدح لهم اى كيف عبدوا من هو فى نهاية العبادة
ثم كيف حكموا بانهم اناث من غير دليل والجعل هنا بمعنى القول والحكم تقول جعلت زيدا اعلم الناس
اى حكمت له بذلك اشهدوا خلقهم اى احضروا حالة خلقهم حتى حكموا بانهم اناث وقيل ان
النبى صلى الله عليه وسلم سالهم وقال فما يدريكم انهم اناث فقالوا سمعنا ذلك من آبائنا ونحن
نشهد انهم لم يكذبوا فى انهم اناث فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون اى يسئلون عنها فى
الآخرة وقرا نافع اواشهدوا بهمزة استفهام داخلة على همزة مضمومة مسهلة ولا يد سوى
ما روى المسيبى عنه انه يمد وروى المفضل عن عاصم مثل ذلك وحقق الهمزتين والباقون
اشهدوا بهمزة واحدة للاستفهام وروى عن الزهري اشهدوا خلقهم على الخبر ستكتب قراءة
العامة بضم التاء على الفعل المجهول شهادتهم نصبا ~~بتسمية الفاعل~~ رفعا وقرا السلمى وابن
السميفع وهبيرة عن حفص سنكتب بنون شهادتهم نصبا بتسمية الفاعل وعن ابى رجاء
ستكتب شهاداتهم بالجمع قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن يعنى قال المشركون على طريق
الاستهزاء والسخرية لو شاء الرحمن على زعمكم ما عبدنا هذه الملائكه وهذا منهم كلمة
حق اريد بها باطل وكل شىء بارادة الله وارادته تجب وكذا علمه فلا يمكن الاحتجاج بهما وخلاف
المعلوم والمراد مقدور ان لم يقع ولو عبدوا الله بدل الاصنام لعلمنا ان الله اراد منهم ما حصل
منهم وقد مضى هذا المعنى فى الانعام عند قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
وفى يس انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقوله ما لهم بذلك من علم مردود الى قوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عند الرحمن اناثا اى ما لهم بقولهم الملائكة بنات الله من علم قاله قتاده
ومقاتل والكلبى وقال مجاهد وابن جريج يعنى الاوثان اى ما لهم بعبادة الاوثان من علم
من صلة ان هم الا يخرصون اى يحدسون ويكذبون فلا عذر لهم فى عبادة غير الله وكان
فى ضمن كلامهم ان الله امرنا بهذا او رضى ذلك منا ولهذا لم ينهنا ولم يعاجلنا بالعقوبة
قوله تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله هذا معادل لقوله اشهدوا خلقهم ام اتيناهم
كتابا من قبله اى من قبل القرآن اى بما ادعوه فهم به مستمسكون يعملون بما فيه بل قالوا
انا وجدنا اباءنا على امة فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى على امة اى على طريقة ومذهب
قاله عمر بن عبد العزيز وكان يقرا هو ومجاهد وقتاده على إمة بكسر الالف و
الإمة الطريقه قال الجوهري والإمة بالكسر النعمه والإمة ايضا لغة فى الامة وهى
الطريقة والدين عن ابى عبيد قال عدى بن زيد فى النعمة

ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور عن غير الجوهري وقال قتاده وعطية
على امة على دين ومنه قول قيس بن الخطيم كنا على امة ابائنا ويقتدى بالاول الاخر
قال الجوهري والامة الطريقه والدين يقال فلان لا امة له اى لا دين له ولا نحلة قال الشاعر
وهل يستوى ذو امة وكفود وقال مجاهد وقطرب على دين على ملة وفى بعض المصاحف قالوا انا
وجدنا اباءنا على امة اى على ملة وهذه الاقوال متقارب وحكى عن الفراء على ملة على قبلة الاخفش
على استقامة وانشد قول النابغه حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل ياثمن ذو امة وهو طائع
قوله تعالى وانا على آثارهم مهتدون اى نهتدى بهم وفى الاية الاخرى مقتدون اى نقتدى بهم
والمعنى واحد وقال قتاده مقتدون متبعون وفى هذا دليل على ابطال التقليد لذمه اياهم
على تقليد اباءهم وتركهم النظر فيما دعاهم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد مضى القول
فى هذا فى البقرة مستوفى وحكى مقاتل ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة وابى
سفيان وابى جهل وعتبه وشيبة ابنى ربيعة من قريش اى وكما قال هؤلاء فقد قال من
قبلهم ايضا يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ونظيره ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل
من قبلك والمترف المنعم والمراد هنا الملوك والجبابرة قوله تعالى قل اولو جئتكم باهدى
اى قل يا محمد لقومك اوليس قد جئتكم من عند الله باهدى يريد بارشد مما وجدتم عليه اباءكم
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون يعنى بكل ما ارسل به الرسل فالخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
ولفظه لفظ الجمع لان تكذيبه تكذيب لمن سواه وقرئ قل اولو جئتكم وجئناكم قل وقال
وجئتكم وجئناكم يعنى اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين اباءكم قالوا انا ثابتون
على دين اباءنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى وقد مضى فى البقرة القول
فى التقليد وذمه فلا معنى لاعادته قوله تعالى فانتقمنا منهم بالقحط والقتل والسبى
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين آخر امر من كذب الرسل وقراءة العامة قل اولو جئتكم
وقرا ابن عامر وحفص قال اولو جئتكم على الخبر عن النذير انه قال لهم هذه المقالة وقرا
ابو جعفر قل اولو جئناكم بنون والف على ان المخاطبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن جميع الرسل قوله تعالى واذ قال اى ذكرهم اذ قال ابرهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون
البراء يستعمل للواحد فما فوقه فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لانه مصدر وضع موضع النعت
لا يقال البراءان والبراءون لان المعنى ذو البراء قال الجوهري وتبرات من كذا وانا منه
براء وخلاء منه لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر فى الاصل مثل سمع سماعا فاذا قلت انا برئ منه
وخلى ثنيت وجمعت وقلت فى الجمع نحن منه براء مثل فقيه وفقهاء وبراء ايضا مثل كرام وكرام
وابراء مثل شريف واشراف وابرياء مثل نصيب وانصباء وبريئون وامراة بريئة وهما
بريئتان وهن بريئات وبرايا ورجل برى وبراء مثل عجيب وعجاب والبراء بالفتح اول
ليلة من الشهر سميت بذلك لتبرى القمر من الشمس الا الذى فطرنى استثنا
متصل لانهم عبدوا الله مع الهتهم قال قتاده كانوا يقولون الله ربنا مع عبادة

الاوثان ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن الذى فطرنى استثنا متصل لانهم فهو يهدين قال ذلك
ثقة بالله وتنبيها لقومه ان الهداية من ربه قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فيه ثلاث
مسايل الاول قوله تعالى وجعلها كلمة الضمير فى وجعلها عايد على قوله الا الذى فطرنى وضمير الفاعل
فى جعلها لله عز وجل اى وجعل الله هذه الكلمة باقية فى عقبه وهم ولده وولد ولده اى انهم
توارثوا البراة عن عبادة غير الله واوصى بعضهم بعضا فى ذلك والعقب من ياتى بعده وقال
السدى هم ال محمد صلى الله عليه وسلم وقال بن عباس قوله فى عقبه اى فى خلفه وفى الكلام
تقديم وتاخير والمعنى فانه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها كلمة باقية فى عقبه اى قال
لهم ذلك لعلهم يتوبون عن عبادة غير الله قال مجاهد وقتادة الكلمة لا اله الا الله قال
قتاده لا يزال فى عقبه من يعبد الله الى يوم القيمة وقال الضحاك الا تعبدوا الا الله عكرمه الاسلام
لقوله تعالى هو سماكم المسلمين القرظى وجعل وصية ابرهيم التى وصى بها بنيه وهو قوله يا بنى ان
الله اصطفى لكم الدين الاية المذكورة فى البقرة كلمة باقية فى ذريته وبنيه وقال بن زيد الكلمة
قوله اسلمت لرب العالمين وقرا هو سماكم المسلمين من قبل وقيل الكلمة النبوه قال بن العربى
ولم تزل النبوة باقية فى ذرية ابرهيم والتوحيد هم اصله وغيرهم فيه تبع لهم الثانية قال بن
العربى انما كانت لابراهيم فى الاعقاب موصولة بالاحقاب بدعويته المجابتين احدهما فى قوله
انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين فقد قال نعم الا من ظلم
منهم فلا عهد الثانيها قوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وقيل بل الاولى قوله واجعل لى
لسان صدق فى الاخرين فكل امة تعظمه بنوه وغيرهم ممن تجتمع معه فى سام او نوح الثالثة
قال بن العربى جرى ذكر العقب ها هنا موصولا فى المعنى وذلك مما يدخل فى الاحكام وتترتب عليه
عقود العمرى والتحبيس قال النبى صلى الله عليه وسلم ايما رجل اعمر عمرى له ولعقبه
فانها للذى اعطيها لا ترجع الى الذى اعطاها لانه اعطا عطا وقعت فيه المواريث وهى ترد
على احدى عشر لفظا اللفظ الاول الولد وهو عند الاطلاق عبارة عمن وجد من الرجل وامراته
من الاناث والذكور وعن ولد الذكور دون الاناث لغة وشرعا ولذلك وقع الميراث على الولد
العين واولاد الذكور من العين دون ولد الاناث لانه من قوم اخرين ولذلك يدخلوا فى
الحبس بهذا اللفظ قاله قاله ملك فى المجموعة وغيرها وقال الشيخ رحمه الله هذا مذهب ملك
وجميع اصحابه المتقدمين ومن حجتهم على ذلك الاجماع على ان ولد البنات لا ميراث لهم
مع قوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم وقد ذهب جماعة من العلماء ان ولد البنات من
الاولاد والاعقاب يدخلون فى الاحباس يقول المحبس حبست على ولدى او على عقبى وهذا
اختيار ابى عمر بن عبد البر وغيره واحتجوا بقول الله جل وعز حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
قالوا فلما حرم الله البنات حرمت بذلك بنت البنت باجماع علم انها بنت ووجب ان تدخل
فى حبس ابيها اذا حبس على ولده او عقبه وقد مضى هذا المعنى فى الانعام مستوفى اللفظ
الثانى البنون فان قال هذا حبس على ابنى فلا يتعد الابن المعين ولا يتعدد ولو قال ولدى

الكلمة ص

لتعدد وتعدد فى كل من ولده ولو قال على بنى دخل فيه الذكور والاناث قال ملك من تصدق على
بنيه وبنى بنيه فان بناته وبنات بناته يدخلن فى ذلك روى عيسى عن ابن القاسم فيمن حبس على بناته
فان بنات بنيه يدخلن فى ذلك مع بنات صلبه والذى عليه جماعة اصحابه ان ولد البنات لا يدخلون
فى البنين فان قيل فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحسن ابن ابنته ان ابنى هذا سيد ولعل
الله ان يصلح به بين فيتين عظيمتين من المسلمين قلنا هذا مجاز وانما اشار به الى تشريفه وتقديمه
الا ترى انه تجوز نفيه عنه فيقول الرجل فى ولد بنته ليس بابنى ولو كان حقيقة ما جاز نفيه عنه
لان الحقايق لا تنفى على مشبهاتها الا ترى انه ينتسب الى ابيه دون امه ولذلك قيل فى عبد الله
بن عباس انه هاشمى وليس بهلالى ولو كانت امه هلالية قال الشيخ رحمه الله هذا الاستدلال
غير صحيح بل هو ولد على الحقيقة فى اللغة لوجود معنى الولادة فيه ولان اهل العلم قد اجمعوا
على تحريم بنت البنت من قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وقال تعالى ومن ذريته داود
وسليمان الى قوله من الصالحين فجعل عيسى من ذريته وهو ابن ابنته على ما تقدم بيانه هناك فان
قيل فقد قال الشاعر بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابنا الرجال الاباعد
قيل لهم هذا لا دليل فيه لان معنى قوله انما هو ان ولد بنيه الذكران هم الذين لهم حكم بنيه
فى الموارثة والنسب وان ولد بناته ليس لهم حكم بناته فى ذلك اذ ينتسبون الى غيره فاخبر
بافتراقهم بالحكم مع اجتماعهم فى التسمية ولم ينف عن ولد البنات اسم الولد لانه
ابنا وقد يقول الرجل فى ولده ليس هو بابنى ولا يطيعنى ولا يرى لى حقا ولا يريد بذلك
نفى اسم الولد عنه وانما يريد ان ينفى عنه حكمه ومن استدل بهذا البيت على ان ولد
البنت لا يسمى ولدا فقد افسد معناه وابطل فايدته وتاول على قايله ما لا يصح اذ لا
يمكن ان يسمى ولد الابن فى اللسان العربى ابنا ولا يسمى ولد الابنة ابنا من اجل
ان معنى الولادة الذى اشتق منها اسم الولد فيه ابين واقوى لان ولد الابنة هو
ولدها بحقيقة الولادة وولد الابن انما هو ولده بماله مما كان سببا للولادة ولم يخرج
ملك رحمه الله اولاد البنات من حبس من حبس على ولده من اجل ان اسم الولد
غير واقع عليه عنده فى اللسان وانما اخرجهم منه قياسا على الموارثة وقد مضى هذا فى الانعام
والحمد لله اللفظ الثالث الذرية وهى ماخوذة من ذرا الله الخلق فيدخل فيه ولد البنات
لقوله ومن ذريته داود وسليمن الى ان قال وزكريا ويحيى وعيسى وانما كان من ذريته
من قبل امه وقد مضى فى البقرة اشتقاق الذرية وفى الانعام الكلام على ومن ذريته الاية
فلا معنى للاعاده اللفظ الرابع العقب وهو فى اللغة عبارة عن شى بعد شى كان
من جنسه او من غير جنسه يقال اعقب الله بخير اى جا بعد الشده بالرخا واعقب
الشيب السواد وعقب يعقب عقوبا وعقبا اذا جا شيا بعد شى ولهذا قيل لولد الرجل
عقبه والمعقبات من النسا التى تلد ذكرا بعد انثى هكذا ابدا وعقب الرجل ولده وولد
ولده الباقون بعده والعاقبة الولد قال يعقوب فى القران وجعلها كلمة باقية فى عقبه

وقيل بل المورثة كلهم عقبه والعاقبة الولد وكذلك فسره مجاهد هنا وقال بن زيد هاهنا
هم الذرية وقال بن شهاب هم الولد وولد الولد وقيل غيره على ما تقدم عن السدى وفى الصحاح
والعقب بكسر القاف مؤخر القدم وهى مونثة وعقب الرجل ايضا ولده وولد ولده وفيه
لغتان عقب وعقب بالتسكين وهى ايضا مونثة عن الاخفش وعقب فلان مكان ابيه عاقبه
اى خلفه وهو اسم جاء بمعنى المصدر لقوله ليس لوقعتها كاذبة ولا فرق عند احد من العلما
بين لفظ العقب والولد فى المعنى واختلف فى الذرية والنسل فقيل انهما بمنزلة الولد
والعقب لا يدخل ولد البنات فيهما على مذهب ملك وقيل انهم يدخلون فيهما وقد مضى
الكلام فى الذرية هنا وفى الانعام اللفظ ... نسلى وهو عند علمائنا كقوله ولدى
وولد ولدى فانه يدخل فيه ولد البنات ويجب ان يدخلوا لان نسل بمعنى خرج وولد
البنات قد خرجوا منه بوجه ولم يقترن به ما يخصه كما اقترن بقوله عقبى ما تناسلوا
وقال بعض علمائنا ان النسل بمنزلة الولد والعقب لا يدخل فيه ولد البنات الا ان يقول
المحبس نسلى ونسل نسلى كما اذا قال عقبى وعقب عقبى فاما اذا قال ولدى او عقبى مفردا
فلا يدخل فيه البنات اللفظ السادس الآل وهم الاهل وهو اللفظ السابع قال بن القاسم
هما سوا وهم العصبة والاخوة والاخوات والبنات والعمات ولا يدخل فيه الخالات واصل
اهل الاجتماع يقال مكان اهل اذا كان فيه جماعة وذلك بالعصبة ومن دخل فى العقد
والعصبة مشتقة منه وهى اخص به وفى حديث الافك يرسول الله اهلك ولا نعلم
الا خيرا يعنى عايشه ولكن لا تدخل فيه الزوجة باجماع وان كانت اصلا لتناهل
لان ثبوتها ليس بيقين اذ قد يتبدل ربطها وينحل بالطلاق وقد قال ملك ال محمد
كل تقى وليس من هذا الباب وانما اراد ان الايمان اخص من القرابة فاشتملت
عليه الدعوة وقصد بالرحمة وقد قال ابو اسحق التونسى يدخل فى الاهل كل من كان من
جهة الابوين فوفى الاشتقاق حقه وغفل عن العرف ومطلق الاستعمال وهذه المعانى
انما تبنى على الحقيقة او على العرف المستعمل عند الاطلاق فهذان لفظان اللفظ
الثامن قرابة فيه اربعة اقوال الاول قال ملك فى كتاب محمد وبن عبدوس انهم
الاقرب فالاقرب بالاجتهاد ولا يدخل فيه ولد البنات ولا ولد الخالات الثانى يدخل
فيه اقاربه من قبل ابيه وامه قاله على بن زياد الثالث قال اشهب يدخل فيه كل
رحم من الرجال والنساء الرابع قال بن كنانه يدخل فيه الاعمام والعمات والاخوال
والخالات وبنات الاخت وقد قال بن عباس فى تفسير قوله تعالى قل لا اسألكم عليه
اجرا الا المودة فى القربى قال الا ان تصلوا قرابة ما بينى وبينكم وقال لم يكن بطن
من قريش الا كانت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم قرابة فهذا يضبطه والله
اعلم اللفظ التاسع العشيرة ويضبطه الحديث الصحيح ان الله تعالى لما انزل
وانذر عشيرتك الاقربين دعا النبى صلى الله عليه وسلم بطون قريش وسماهم

كما تقدم

كما تقدم ذكرهم وهم العشيرة الاقربون وسواهم عشيرة فى الاطلاق واللفظ يحمل على الاخص الاقرب
بالاجتهاد كما تقدم من قول علمائنا اللفظ العاشر القوم تحمل ذلك على الرجال خاصة من العصبة دون
النساء والقوم يشمل الرجال والنساء وان كان الشاعر قد قال

وما ادرى وسوف اخال ادرى اقوم الحصن ام نساء

ولكنه اراد ان الرجل اذا دعى قومه للنصرة عنى الرجال واذا دعاهم للحرمة دخل فيهم الرجال
والنساء فتعممه الصفة وتخصصه القرينة اللفظ ... الموالى قال ملك يدخل فيه موالى
ابيه وابنه مع مواليه وقال بن وهب يدخل فيه اولاد مواليه قال بن العربى والذى يتحصل منه
انه يدخل فيه من يرثه بالولا قال وهذه فصول الكلام واصوله المرتبطة بظاهر القران و
السنة المبينة له والتفريع والتتميم فى كتب المسايل والله اعلم ... بل متعت هؤلاء
متعناها ولاوا اباهم اى فى الدنيا بالامهال حتى جاءهم الحق اى محمد صلى الله عليه وسلم بالتوحيد
والاسلام الذى هو اصل دين ابرهيم وهو الكلمة التى بقاها الله فى عقبه ورسول مبين اى
يبين لهم ما بهم اليه حاجة ولما جاءهم الحق يعنى القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون
جاحدون وقالوا لولا نزل اى هلا انزل هذا القران على رجل وقرى رجل بسكون الجيم من القريتين
عظيم اى من احدى القريتين لقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من احداهما او على احد رجلين من
القريتين القريتان مكة والطايف والرجلان الوليد بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم عم ابى جهل
والذى من الطايف ابو مسعود عروة بن مسعود الثقفى قاله قتادة وقيل عمير بن عبد ياليل الثقفى
من الطايف وعتبة بن ربيعة من مكة وهو قول مجاهد وعن بن عباس ان عظيم الطايف حبيب
ابن عمرو الثقفى وقال السدى كنانة بن عبد بن عمرو وروى ان الوليد بن المغيرة وكان يسمى
ريحانة قريش كان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل على او على بن مسعود فقال الله تعالى اهم
يقسمون رحمة ربك يعنى النبوة فيضعونها حيث شاوا نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا
اى افقرنا قوما واغنينا قوما فاذا لم يكن امر الدنيا اليهم فكيف يفوض امر النبوة اليهم قال قتادة
تلقاه ضعيف القوة قليل الحيلة عيى اللسان وهو مبسوط له وتلقاه شديد الحيلة بسيط
اللسان وهو مقتر عليه وقرا بن عباس ومجاهد وبن محيصن فى رواية عنه معايشهم وقيل
اى نحن اعطينا عظيم القريتين ما اعطينا لا لكرامتهما على وانا قادر على نزع النعمة عنهما فاى
فضل وقدر لهما ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اى فاضلنا بينهم فمن فاضل ومفضول ورييس
ومرؤس قاله مقاتل وقيل بالحرية والرق فبعضهم مالك وبعضهم مملوك وقيل بالغنى والفقر
فبعضهم غنى وبعضهم فقير وقيل بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
قال السدى وبن زيد خولا وخداما يسخر الاغنيا الفقرا فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال
قتادة والضحاك يعنى ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التى بمعنى الاستهزاء اى ليستهزى
الغنى بالفقير قال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت منه وضحكت به وهزيت منه
وبه كل يقال والاسم السخرية بالضم والسخرى والسخرى بالضم والكسر وكل الناس ضموا

سخريا الا ابن محيصن ومجاهد فانهما قرا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون اى افضل مما
يجمعون من الدنيا ثم قيل الرحمة النبوة وقيل الجنة وقيل تمام الفرايض خير من كثرة النوافل
وقيل ما يتفضل به عليهم خير مما يجازيهم عليه من اعمالهم قوله تعالى ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة فيه خمس مسايل
الاول قال العلماء معنى الكلام ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها وانها عنده من الهوان بحيث كان
يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهبا وفضة لولا غلبة حب الدنيا على القلوب فيحمل ذلك على
الكفر قال الحسن المعنى لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الاخرة
لاعطيناهم في الدنيا ما وصفناه بهوان الدنيا عند الله جل وعز وعلى هذا اكثر المفسرين
ابن عباس والسدى وغيرهم وقال ابن زيد ولولا ان يكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا
واختيارها على الاخرة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وقال الكسائى المعنى
لولا ان يكون في الكفار غنى وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا هذا لهوانها
الثانية قرا ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين واسكان القاف على الواحد ومعناه
الجمع اعتبارا بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم وقرا الباقون بضم السين والقاف على الجمع
مثل رهن ورهن قال ابو عبيد ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف نحو كثيب وكثب ورغيف
ورغف قاله الفرا وقيل هو جمع سقوف فيصير جمع الجمع سقف وسقف نحو فلس وفلوس ثم جعلوا
فعولا كانه اسم واحد فجمعوه على فعل وروى عن مجاهد سقفا باسكان القاف وقيل اللام في
لبيوتهم بمعنى على اى على بيوتهم وقيل بدل كما تقول فعلت هذا لزيد لكرامته قال الله
تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس كذلك قال هنا لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة الثالثة قوله تعالى ومعارج يعني الدرج قاله ابن عباس وهو قول الجمهور واحدها
معراج والمعراج السلم ومنه ليلة المعراج والجمع معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح لغتان
ومعاريج قرا ابو رجا العطاردى وطلحة بن مصرف وهي المراقي والسلاليم قال الاخفش ان
شيت جعلت الواحد معرج ومعرج مثل مرقاة ومرقاة عليها يظهرون اى على المعارج
يرتقون يقال ظهرت على البيت اى علوت سطحه وهذا لان من علا شيا وارتفع عليه ظهر
للناظرين ويقال ظهرت على الشي اى علمته وظهرت على العدو اى غلبته وانشد نابغة بن جعدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم علونا السما عزة ومهابة وانا لنرجوا فوق ذلك مظهرا
اى مصعدا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الى اين قال الى الجنة قال اجل ان
شا الله قال الحسن والله لقد مالت الدنيا باكثر اهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل الرابعة
استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان السقف لا حق فيه لرب العلو لان الله تعالى
جعل السقوف للبيوت كما جعل الابواب لها وهذا مذهب مالك رحمه الله قال ابن العربي
وذلك لان البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب فمن له البيت فله اركانه
ولا خلاف ان العلو له الى السما واختلفوا في السفل فمنهم من قال هو له ومنهم

من قال ليس له في باطن الارض شي وفي مذهبنا القولان وقد بين حديث الاسرايلى الصحيح فيما تقدم
ان رجلا باع من رجل دارا فبناها فوجد فيها جرة من ذهب فجا بها الى البايع فقال
انما اشتريت الدار دون الجرة وقال البايع انما بعت الدار بما فيها وكلهم يدافعها فقضى بينهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يزوج احدهما ولده من بنت الاخر ويكون المال لهما والصحيح
ان العلو والسفل له الا ان يخرج عنهما بالبيع فاذا باع احدهما احد الموضعين فله منه
ما ينتفع به وباقيه للمبتاع منه الخامسة من احكام العلو والسفل اذا كان العلو والسفل
بين رجلين فيعتل السفل او يريد صاحبه هدمه فذكر سحنون عن اشهب انه قال اذا اراد
صاحب السفل ان يهدم او اراد صاحب العلو ان يبني علوه فليس لصاحب السفل ان يهدم
الا من ضرورة ويكون هدمه له ارفق لصاحب العلو لئلا ينهدم بانهدامه العلو وليس
لرب العلو ان يبني على علوه شيا لم يكن قبل ذلك الا الشي الخفيف الذي لا يضر بصاحب
السفل ولو انكسرت خشبة من ضعف العلو لادخل مكانها خشبة ما لم تكن اثقل منها ويخاف
ضررها على صاحب السفل قال اشهب وباب الدار على صاحب السفل قال ولو انهدم السفل
اجبر صاحبه على بنايه وليس على صاحب العلو ان يبني السفل فان ابى صاحب السفل من
البنا قيل له بع ممن يبني وروى ابن القاسم عن مالك في السفل لرجل والعلو لاخر فاعتل
السفل فان صلاحه على رب السفل وعليه تعليق العلو حتى يصلح سفله لان عليه اما
ان يحمله على بنيان او على تعليق وكذلك لو كان على العلو علو فتعليق العلو الثاني على صاحب
الاوسط وقد قيل ان تعليق العلو الثاني على رب العلو حتى يبني الاسفل وحديث النعمان
بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القايم على حدود الله والواقع فيها كمثل
قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها
اذا استقوا من الما مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا
فان يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا اصل في هذا الباب
وهو حجة لمالك واشهب وفيه دليل على ان صاحب السفل ليس له ان يحدث على صاحب
العلو ما يضر به وانه لو احدث عليه ضررا لزمه اصلاحه دون صاحب العلو وان
لصاحب العلو منعه من الضرر لقوله عليه السلام فان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا
جميعا ولا يجوز الاخذ الا على يد الظالم او من هو ممنوع من احداث ما لا يجوز له في السنة
وفيه دليل على استحقاق العقوبة بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد مضى
في الانفال وفيه دليل جواز القرعة واستعمالها وقد مضى في ال عمران فتامل كلا
في موضعه تجده مبينا والحمد لله قوله تعالى ولبيوتهم ابوابا اى ولجعلنا لبيوتهم
وقيل لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر بالرحمن ابوابا اى من فضة وسررا
كذلك وهو جمع السرير وقيل جمع الاسرة والاسرة جمع السرير فيكون جمع الجمع يتكيون
عليها الاتكا والتوكو التحامل على الشي ومنه اتوكا عليها ورجل تكاة مثال همزة

كثيرا لا نكا والتكاة ايضا ما يتكا عليه واتكا على الشئ فهو متكى والموضع متكا وطعنه حتى اتكاه
على افعله اى لقاه على هيات المتكى وتوكات على العصى واصل التا في جميع ذلك واو ففعل
به ما فعل باتزن واتعدو زخرفا الزخرف هنا الذهب عن ابن عباس وغيره نظيره او يكون
لك بيتا من زخرف وقد تقدم وقال ابن زيد هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الامتعة
والاثاث وقال الحسن النقوش واصله الزينة يقال زخرفت الدار اى زينتها وتزخرف
فلان اى تزين وانتصب زخرفا على معنى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا نزع الخافض والمعنى
لجعلنا لهم سقفا وابوابا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف من قال و زخرفا فنصب
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا قرا عاصم وحمزة وهشام عن ابن عامر وان كل ذلك
لما متاع الحيوة الدنيا بالتشديد الباقون بالتخفيف وقد ذكر هذا وروى عن ابى رجا كسر
اللام من لما فما عنده بمنزله الذى والعايد عليها محذوف والتقدير وان كل ذلك للذى
هو متاع الحيوة الدنيا وحذف الضمير ههنا كحذفه فى قراة من قرا مثلا ما بعوضة فما فوقها
وتماما على الذى احسن ابو الفتح ينبغى ان تكون كل على هذه القراة منصوبة لان ان
مخففة من الثقيلة وهى اذا خففت وبطل عملها لزمتها اللام فى اخر الكلام للفرق
بينها وبين ان النافية التى بمعنى ما نحو ان زيد لقايم ولا لام هنا سوى الجارة والاخرة
عند ربك للمتقين يريد الجنة لمن اتقى وخاف وقال كعب انى لاجد فى بعض كتب الله
المنزله لولا ان تحزن عبدى المومن لكللت راس عبدى الكافر بالاكليل ولا يتصدع
ولا ينبض منه عرق بوجع وفى صحيح الترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة
وفى الباب عن ابى هريرة وقال حديث صحيح غريب وانشدوا

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ... اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبيا كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهايم

اخر

تمتع من الايام ان كنت حازما ... فانك فيها بين ناه وامر
اذا ابقت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضاير
فلم تزن الدنيا جناح بعوضة ... ولا وزن زف من جناح لطاير
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمحسن ... ولا رضى الدنيا عقابا لكافر

قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقرا ابن
عباس وعكرمة ومن يعش بفتح الشين ومعناه يعمى يقال منه عشى يعشى عشا اذا
عمى ورجل اعشى وامراة عشوا اذا كان لا يبصر ومنه قول الاعشى رات رجلا
غايب الوافدين مختلف الخلق اعشى ضريرا وقوله ان راته رجلا اعشى اضر به
ريب المنون ودهر مفند خبل الباقون بالضم من عشا يعشو اذا لحقه ما يلحق

الاعشى وقال الخليل العشو هو النظر ببصر ضعيف وانشد

متى تاته تعشو الى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

وقال اخر لنعم الفتى تعشو الى ضوء ناره اذا الريح هبت والمكان جديب الجوهرى والعشى
مقصور مصدر الاعشى وهو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمراة عشوا وامراتان
عشواوان واعشاه الله فعشى بالكسر يعشى عشى وهما يعشيان ولم يقولوا يعشوان لان الواو
لما صارت فى الواحد يا لكسرة ما قبلها تركت فى التثنية على حالها وتعاشى اذا ارى من نفسه
انه اعشى والنسبة الى اعشى اعشوى والى العشية عشوى والعشوا الناقة التى لا تبصر
امامها فهى تخبط بيديها كل شئ وركب فلان العشوا اذا خبط امره على غير بصيرة وفلان
خابط خبط عشوا وهذه الاية تتصل بقوله اولا افنضرب عنكم الذكر صفحا اى نواصل
لكم الذكر فمن يعش عن ذلك الذكر بالاعراض عنه الى اقاويل المضلين واباطيلهم نقيض
له شيطانا اى نسبب له شيطانا جزاء له على كفره فهو له قرين قيل فى الدنيا يمنعه من الحلال
ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويامره بالمعصية وهو معنى قول ابن عباس وقيل فى
الاخرة اذا قام من قبره قاله سعيد الجريرى وفى الخبر ان الكافر اذا خرج من قبره يشفع بشيطان
لا يزال معه حتى يدخلا النار وان المومن يشفع بملك حتى يقضى الله بين خلقه ذكره المهدوى
وقال القشيرى والصحيح فهو له قرين فى الدنيا والاخرة وقال ابو الهيثم والازهرى عشوت
الى كذا اى قصدته وعشوت عن كذا اى اعرضت عنه فتفرق بين الى وعن مثل ملت اليه وملت
عنه وكذا قال قتادة يعش يعرض وهو قول الفرا النحاس وهو غير معروف فى اللغة وقال
القرظى يولى ظهره والمعنى واحد وقال ابو عبيدة والاخفش يظلم عينه وانكر القتبى عشوت
بمعنى اعرضت قال وانما الصواب تعاشيت والقول قول ابى الهيثم والازهرى وكذلك
قال جميع اهل المعرفة وقرا السلمى وابن ابى اسحاق ويعقوب وعصمة عن عاصم وعن الاعمش
يقيض بالياء لذكر الرحمن اولا اى يقيض له الرحمن شيطانا الباقون بالنون وعن ابن عباس
يقيض له شيطان فهو له قرين اى ملازم ومصاحب قيل فهو كناية عن الشيطان على ما تقدم
وقيل عن الاعراض عن القران اى هو قرين للشيطان وانهم ليصدونهم عن السبيل اى وان
الشيطان ليصدونهم عن سبيل الهدى وذكر بلفظ الجمع لان من فى قوله ومن يعش فى معنى
الجمع ويحسبون اى ويحسب الكفار انهم مهتدون وقيل ويحسب الكفار ان الشياطين
مهتدون فيطيعونهم حتى اذا جاءنا على التوحيد قرا ابو عمرو وحمزة والكساى وحفص
جاءنا يعنى الكافر يوم القيامة الباقون جاءانا على التثنية يعنى الكافر وقرينه وقد جعلا
فى سلسلة واحدة فيقول الكافر يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين اى مشرق الشتاء
ومشرق الصيف كما قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين ونحوه قول قتاده وقراة
التوحيد وان كان ظاهرها الافراد فالمعنى لهما جميعا لانه قد عرف ذلك بما بعده كما قال

وعين لها حدرة بدرة ... شقت ما فيهما من احد ... قال مقاتل يتمنى الكافر

نعم نسخ

ان بينهما بعد مشرق اطول يوم فى السنة الى مشرق اقصر يوم فى السنة و كذلك قال بعد المشرقين
وقال لفرا اراد المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما كما يقال القمران الشمس والقمر و
العمران لابى بكر و عمر والبصرتان للكوفة والبصرة والعصران للغداة والعصر وقال الشاعر

اخذنا بافاق السماء عليكم ◦ لنا قمراها والنجوم الطوالع

وانشد ابو عبيده
لحمد ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر وانشد سيبويه

قدنى من نصر الخبيبين قد ◦

يريد عبد الله ومصعبا ابنى الزبير وانما ابو خبيب
عبد الله فبئس القرين اى فبئس الصاحب انت لانه يورده الى النار وقال ابو سعيد الخدرى
اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير به الى النار قوله
تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ بدل من اليوم اى يقول الله للكافر لن ينفعكم
اليوم اذ اشركتم فى الدنيا هذا الكلام وهو قول الكافر يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين
اى لا ينفع الندامة اليوم انكم بالكسر فى العذاب مشتركون وهى قراءة بن عامر باختلاف
عند الباقون بالفتح وهى فى موضع رفع تقديره ولن ينفعكم اليوم اشتراككم فى العذاب
لان لكل واحد نصيبه الاوفر منه كما اعلم الله تعالى انه منع اهل النار التاسى كما يتاسى
اهل المصائب فى الدنيا وذلك ان التاسى يستروح اهل الدنيا فيقول احدهم لى فى
البلاء والمصيبة اسوة فيسكن ذلك من حزنه كما قالت الخنساء

فلولا كثرة الباكين حولى ◦ على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن ◦ اعزى النفس عنه بالتاسى

فاذا كان فى الآخرة لم ينفعهم التاسى شيئا لشغلهم بالعذاب وقال مقاتل لن ينفعكم
الاعتذار والندم اليوم لان قرناكم وانتم فى العذاب مشتركون كما اشتركتم فى الكفر
قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدى العمى يا محمد ومن كان فى ضلال مبين اى ليس
لك ذلك فلا يضق صدرك ان كفروا ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه رد
على القدرية وغيرهم وان الهدى والرشد والخذلان فى القلب خلق الله يهدى من
يشاء ويضل من يشاء قوله تعالى فاما نذهبن بك نريد نخرجنك من مكة من اذى قريش
فانا منهم منتقمون او نرينك الذى وعدناهم وهو الانتقام منهم فى حياتك فانا عليهم
مقتدرون قال ابن عباس قد اراه الله ذلك يوم بدر وهذا قول اكثر المفسرين
وقال الحسن وقتاده هى فى اهل الاسلام يريد ما كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم
من الفتن وتذهبن بك على هذا نتوفينك وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم
نقمة شديدة فاكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به فلم يره فى امته الا التى تقر به
عينه وابقى النعمة بعده وليس من نبى الا وقد ارى النقمة فى امته روى ان النبى صلى
الله عليه وسلم ارى ما لقيت امته من بعده فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقى الله
جل وعز وعن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بامة خيرا

قبض

معنى القرآن شرف لك ولقومكم

قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا واذا اراد الله بامته عذابا عذبها ونبيها حى لتقر عينه كما
كذبوه وعصوا امره قوله تعالى فاستمسك بالذى اوحى اليك يريد القرآن وان كذب به من
كذب فانك على صراط مستقيم يوصلك الى الله ورضاه وثوابه وانه لذكر لك ولقومك من قريش
اذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم نظيره لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اى شرفكم فالقرآن
نزل بلسان قريش واياهم خاطب فاحتاج اهل اللغات كلها الى لسانهم كل من آمن بذلك
فصاروا عيالا عليهم لان اهل كل لغة احتاجوا الى ان ياخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى
الذى عنى به من الامر والنهى وجميع ما فيه من الانباء فشرفوا بذلك على ساير اهل اللغات و
لذلك سمى عربيا وقيل بيان لك ولامتك فيما بكم اليه حاجة وقيل تذكرة تذكرون
به امر الدين وتعملون به وقيل وانه لذكر لك ولقومك يعنى الخلافة فانها فى قريش لا تكون
فى غيرهم قال النبى صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش فى هذا الشان مسلمهم تبع لمسلمهم
وكافرهم تبع لكافرهم وقال ملك هو قول الرجل حدثنى ابى عن ابيه حكاه بن ابى سلمه
عن ابيه عن ملك بن انس فيما ذكر الماوردى والثعلبى وغيرهما قال بن العربى ولم اجد فى
الاسلام هذه الرتبة لاحد الا ببغداد فان بنى التميمى بها يقولون حدثنى ابى قال حدثنى
ابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك شرفت اقدارهم وعظم الناس شانهم وتهمت
الخلافة بهم ورايت بمدينة السلام ابنى ابى محمد رزق الله بن عبد الوهاب ابى الفرج
بن عبد العزيز بن الحرث بن اسد بن الليث بن سليمان بن اسود بن سفيان بن يزيد بن اكينه
بن عبد الله التميمى وكانا يقولان سمعنا ابانا رزق الله يقول سمعت ابى يقول سمعت ابى يقول
سمعت ابى يقول سمعت ابى يقول سمعت ابى يقول سمعت ابى يقول سمعت على بن ابى طالب
وقد سئل عن الحنان المنان فقال الحنان الذى يقبل على من اعرض عنه والمنان الذى
يبدا بالنوال قبل السؤال والقائل سمعت عليا اكينة بن عبد الله جدهم الاعلى والاقوى
ان يكون المراد بقوله وانه لذكر لك ولقومك يعنى القرآن فعليه انبنى الكلام واليه
يرجع المصير والله اعلم قال الماوردى لقومك فيه قولان احدهما من اتبعك من امتك
قاله قتادة وذكره الثعلبى عن الحسن الثانى لقومك من قريش فيقال ممن هذا فيقال
من العرب فيقال من اى العرب فيقال من قريش قاله مجاهد قال الشيخ رحمه الله و
الصحيح انه شرف لمن عمل به كان من قريش او غيرهم روى ابن عباس قال اقبل نبى الله
صلى الله عليه وسلم من سرية او غداة فدعا فاطمه فقال فاطمة اشترى نفسك من الله
فانى لا اغنى عنك من الله شيئا وقال مثل ذلك لنسوته وقال مثل ذلك لعترته ثم قال صلى
الله عليه وسلم ما بنو هاشم باولى الناس بامتى ان اولى الناس بامتى المتقون ولا الانصار
اولى الناس بامتى ان اولى الناس بامتى المتقون انما انتم من رجل وامراة وانتم
كجمام الصاع ليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى وعن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام يفتخرون بفحم من فحم جهنم او يكونوا شرا عند الله

من الجعلان التى تدفع النتن بانفها كلكم بنو آدم وآدم من تراب ان الله اذهب عنكم عيبة
الجاهلية وفخرها بالآباء مومن تقى وفاجر شقى خرجهما الطبرى وسياتى هذا مزيدبيان
فى الحجرات ان شا الله تعالى وسوف تسلون اى عن الشكر عليه قاله مقاتل والفرا وقال
بن جريج اى تسلون انت ومن معك على ما اتاك وقيل تسلون عما عملتم فيه والمعنى متقارب
وَسْئَلْ مَنْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا اَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ
قال بن عباس وبن زيد لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له آدم ومن ولد من المرسلين وجبريل
مع النبى صلى الله عليه وسلم فاذن جبريل صلى الله عليه وسلم ثم اقام الصلوة ثم قال يا محمد
تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل صلى الله عليهما سل
يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسئل قد اكتفيت قال بن عباس وكانوا سبعين
نبيا منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فلم يسلهم لانه كان اعلم بالله منهم وفى غير
رواية بن عباس فصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة صفوف والنبيون
اربعة وكان يلى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم خليل الله وعلى يمينه اسمعيل
وعلى يساره اسحاق ثم موسى ثم ساير المرسلين فصلى بهم ركعتين فلما انفتل قام فقال ان ربى اوحى
الى ان اسئلكم هل ارسل احد منكم يدعوا الى عبادة غير الله فقالوا يا محمد انا نشهد انا ارسلنا
اجمعين بدعوة واحدة ان لا اله الا الله وان ما تعبدون من دونه باطل وانك خاتم النبيين
وسيد المرسلين قد استبان ذلك لنا بامامتك ايانا وان لا نبى بعدك الى يوم القيامة الا عيسى
بن مريم فانه مامور ان يتبع اثرك وقال سعيد بن جبير فى قوله تعالى وَسْئَلْ مَنْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رُسُلِنَا قال لقى الرسل ليلة اسرى به وقال الوليد بن مسلم فى قوله تعالى وسل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا قال سالت عن ذلك خليد بن دعلج فحدثنى عن قتادة قال سالهم ليلة اسرى به
اى الانبيا ولقى آدم ومالك خازن النار قال الشيخ رحمه الله وهذا هو الصحيح فى تفسير
الآية ومن التى قبل رسلنا على هذا القول غير زايدة وقال المبرد وجماعة من العلماء ان المعنى
واسئل امم من ارسلنا من قبلك من رسلنا وروى ان فى قراة بن مسعود وسل الذين ارسلنا
اليهم قبلك رسلنا وهذه قرآة مفسرة فمن على هذا زايدة وهو قول مجاهد والسدى و
الضحاك وقتادة وعطا والحسن وبن عباس ايضا اى واسئل مومنى اهل الكتابين التورية
والانجيل وقيل المعنى سلنا يا محمد عن الانبيا الذين ارسلنا قبلك فحذفت عن والوقف
على رسلنا على هذا تام ثم ابتدا بالاستفهام على طريق الانكار وقيل الانكار المعنى واسئل
تباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا فحذف المضاف والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
والمراد امته اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون اخبر عن الآلهة كما اخبر عمن يعقل
فقال يعبدون ولم يقل تعبد ولا يعبدن لان الآلهة جرت عندهم مجرى من يعقل فاجرى

المرسلون بعده صفوف صح

الخبر عنهم مجرى الخبر عمن يعقل وسبب هذا الامر بالسوال ان اليهود والمشركين قالوا للنبى
صلى الله عليه وسلم ان ما جيت به مخالف لمن كان قبلك فامره الله بسواله الانبيا على جهة
التوقيف والتقدير لا لانه كان فى شك منه واختلف اهل التاويل فى سوال النبى صلى الله
عليه وسلم لهم على قولين احدهما انه سالهم فقالت الرسل بعثنا بالتوحيد قاله الواقدى
الثانى انه لم يسلهم ليقينه بالله جل وعز حتى حكى بن زيد ان ميكايل قال لجبريل هل
سالك محمد عن ذلك فقال جبريل هو اشد ايمانا واعظم يقينا من ان يسل عن ذلك وقد
تقدم هذا المعنى فى الروايتين حسب ما ذكرنا وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ لما اعلم النبى صلى الله عليه وسلم بانه منتقم له من عدوه واقام الحجة
باستشهاد الانبيا واتفاق الكل على التوحيد اكد ذلك بقصة موسى وفرعون وما كان من
فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الاغراق والتعذيب اى ارسلنا موسى بالمعجزات
وهى التسع الآيات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة له فكذلك انت ومعنى يضحكون
استهزا وسخرية يوهموا اتباعهم ان تلك الآيات سحر وتخييل وانهم قادرون عليها
وقوله وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها اى كانت آيات موسى من كبار الآيات
وكانت كل واحدة اعظم مما قبلها وقيل ان لا هى اكبر من اختها لان الاولى تقتضى علما
والثانية تقتضى علما فتنضم الثانية الى الاولى فيزداد الوضوح ومعنى الاخوة المشاكلة
والمناسبة كما يقال هذه صاحبة هذه اى هما قرينتان فى المعنى واخذناهم بالعذاب
اى على تكذيبهم بتلك الآيات وهو كقوله ولقد اخذنا آل فرعون هذه الآيات الاخيرة
عذابا لهم وآيات لموسى لعلهم يرجعون من كفرهم وقالوا يا ايه الساحر لما عاينوا العذاب
قالوا يا ايه الساحر نادوه بما كانوا ينادونه من قبل ذلك على حسب عادتهم وقيل كانوا
يسمون العلماء سحرة بذلك على سبيل التعظيم قال بن عباس يا ايه الساحر يا ايها العالم
وكان الساحر فيهم عظيما يوقرونه ولم يكن السحر صفة ذم وقيل يا ايه الذى غلبنا
بسحره يقال ساحرته فسحرته اى غلبته بالسحر كقول العرب خاصمته فخصمته اى غلبته
بالخصومة وفاصلته ففصلته ونحوها ويحتمل ان يكون ارادوا به الساحر على الحقيقة على
معنى الاستفهام فلم يلمهم على ذلك رجا ان يومنوا وقرا بن عامر وابو حيوة ويحيى بن وثاب
ايه الساحر بغير الف والها مضمومة وعلتها ان الها خلطت بما قبلها والزمت ضم اليا
الذى اوجبه النداء المفرد وانشد الفرا يا ايها القلب اللجوج النفس
افق عن البيض الحسان اللعس فضم الها حملا على ضم اليا وقد مضى فى النور
معنى هذا ووقف ابو عمرو وبن ابى اسحق ويحيى والكساى ايها بالالف على الاصل
الباقون بغير الف لانها كذلك وقعت فى المصحف ادع لنا ربك بما عهد عندك
اى بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان آمنا كشف عنا فسله يكشف عنا اننا لمهتدون
اى فيما يستقبل فلما كشفنا عنهم العذاب اى فدعا فكشفنا اذا هم ينكثون اى ينقضون

بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم صح

تنادوه صح

العهد الذى جعلوه على انفسهم لم يؤمنوا وقيل قولهم اننا لمهتدون اخبار منهم عن نفسهم
بالايمان فلما كشف عنهم العذاب ارتدوا قوله تعالى ونادى فرعون فى قومه قيل لما راى تلك
الايات خاف ميل القوم اليه فجمع قومه فنادى بمعنى قال قاله ابو ملك فيجوز ان يكون عنده
عظما القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه فى جموع القبط وكانه نودى به بينهم
وقيل انه امر من ينادى فى قومه قال ابن جريج قال يا قوم اليس لى ملك مصر اى لا ينازعنى
فيه احد قيل انه ملك منها اربعين فرسخا فى مثلها حكاه النقاش وقيل المراد بالملك
هنا الاسكندرية وهذه الانهار تجرى من تحتى يعنى انهار النيل ومعظمها اربعة
نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قال قتادة كانت جنانا وانهارا
تجرى من تحت قصوره وقيل من تحت سريره وقيل من تحتى اى تصرفى نافذ فيها من غير
صانع وقيل كان اذا امسك عنانه امسك النيل عن الجرى قال القشيرى ويجوز ظهور
خوارق العادة على مدعى الربوبية اذ لا حاجة فى تمييز الاله من غير الاله
الى فعل خارق للعادة وقيل معنى وهذه الانهار تجرى من تحتى اى القواد والرؤسا
والجبابرة يسيرون تحت لواى قاله الضحاك وقيل اراد بالانهار الاموال وعبر
عنها بالانهار لكثرتها وظهورها وقوله تجرى من تحتى اى افرقها على من يتبعنى لان
الترغيب والقدرة فى الاموال دون الانهار افلا تبصرون عظمتى وقوتى وضعف
موسى وقيل قدرتى على نفقتكم وعجز موسى والواو فى وهذه يجوز ان تكون عاطفة
للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها ويجوز ان يكون واو الحال واسم الاشارة
مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدا وفتح اليا من تحتى اهل المدينة
والبزى وابو عمرو واسكن الباقون وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدى
فولاها الخصيب وكان على وضوه وعن عبد الله بن طاهر انه لما وليها خرج اليها فلما
شارفها ووقع عليها بصره قال اهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال اليس لى
ملك مصر والله لهى عندى اقل من ان ادخلها فثنى عنانه ثم صرح بحاله فقال
ام انا خير قال ابو عبيدة والسدى ام بمعنى بل وليست بحرف عطف على قول اكثر
المفسرين والمعنى قال فرعون لقومه بل انا خير من هذا الذى هو مهين لا عز له
فهو يمتهن نفسه فى حاجاته لحقارته وضعفه ولا يكاد يبين يعنى ما كان فى لسانه
من العقدة على ما تقدم فى طه وقال الفرا فى ام وجهان ان شئت جعلتها من الاستفهام
الذى جعل بام لاتصاله بكلام قبله وان شئت جعلتها نسقا على قوله اليس
لى ملك مصر وقيل هى زايدة وروى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زايدة والمعنى
انا خير من هذا الذى هو مهين وقال الاخفش فى الكلام حذف والمعنى افلا
تبصرون ام تبصرون كما قال   ايا ظبية الوعسا بين جلاجل
وبين النقا انت ام ام سالم   اى انت احسن ام ام سالم ثم ابتدا فقال انا خير

وقال الخليل وسيبويه المعنى افلا تبصرون ام انتم بصرا فعطف بام على افلا تبصرون لان
معنى ام انا خير اى ام تبصرون وذلك انهم اذا قالوا له انت خير منه كانوا عنده بصرا وروى
عن عيسى الثقفى ويعقوب الحضرمى انهما وقفا على ام على ان يكون التقدير افلا تبصرون
ام تبصرون فحذف تبصرون الثانى وقيل من وقف على ام جعلها زايدة وكانه وقف على تبصرون
من قوله افلا تبصرون ولا يتم الكلام على تبصرون عند الخليل وسيبويه لان ام تقتضى الاتصال
بما قبلها وقال قوم الوقف على قوله افلا تبصرون ثم ابتدا ام انا خير بمعنى بل انا خير انشد الفرا
بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها ام انت فى العين املح
فمعناه بل انت املح وذكر الفرا ان بعض القرا قرا اما انا خير ومعنى هذا الست خيرا وروى
عن مجاهد انه وقف ام ثم يبتدى انا خير وقد ذكر [illegible] فلولا اى هلا القى عليه
اساورة من ذهب انما قال ذلك لانه كان عادة الوقت وزى اهل الشرف وقرا حفص اسورة
جمع سوار كخمار واخمرة وقرا ابى اساور جمع اسوار وابن مسعود اساوير الباقون اساورة
جمع الاسورة فهو جمع الجمع ويجوز ان يكون اساورة جمع اسوار والحقت الها فى الجمع عوضا من اليا
فهو مثل زناديق وزنادقة وبطاريق وبطارقة وشبهه وقال ابو عمرو بن العلا واحد الاساورة
والاساور والاساوير اسوار وهى لغة فى سوار قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه
بسوارين وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته فقال فرعون هلا القى رب موسى عليه
اساورة من ذهب ان كان صادقا او جا معه الملايكة مقترنين يعنى متتابعين فى قول قتادة
مجاهد يمشون معا ابن عباس يعاونونه على من خالفه والمعنى هلا ضم اليه الملايكة التى
يزعم انها عند ربه حتى يتكثر بهم ويصرفهم على امره ونهيه فيكون ذلك اهيب فى القلوب
فاوهم قومه ان رسل الله ينبغى ان يكونوا كرسل الملوك فى الشاهد ولم يعلم ان رسل الله انما
ايدوا بالجنود السماوية وكل عاقل يعلم ان حفظ الله موسى مع تفرده ووحدته من فرعون
مع كثرة اتباعه وامداد موسى بالعصا واليد البيضا كان ابلغ من ان يكون له اسورة
او ملايكة يكونون معه اعوانا فى قول مقاتل او دليلا على صدقه فى قول الكلبى وليس يلزم
هذا لان الاعجاز كاف وقد كان فى الجايز ان يكذب مع مجى الملايكة كما كذب مع ظهور
الايات وذكر فرعون الملايكة حكاية عن لفظ موسى لانه لا يؤمن بالملايكة
من لا يعرف خالقهم قوله تعالى فاستخف قومه قال ابن الاعرابى المعنى فاستجهل قومه
فاطاعوه لخفة احلامهم وقلة عقولهم يقال استخفه الفرح اى ازعجه واستخفه
اى حمله على الجهل ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقيل استفزهم بالقول
فاطاعوه على التكذيب وقيل استخف قومه اى وجدهم خفاف العقول وهذا لا يدل
على انه يجب ان يطيعوه فلا بد من اضمار بعد تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم
الى الغواية فاطاعوه وقيل اى استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه يقال استخفه خلاف
استثقله واستخف به اهانه انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن طاعة الله

قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم روى الضحاك عن بن عباس اى اغاضونا واغضبونا وروى
عن على بن ابى طلحة اى اسخطونا قال الماوردى ومعناهما مختلف والفرق بينهما ان السخط اظهار
الكراهة والغضب ارادة الانتقام القشيرى والاسف هاهنا بمعنى الغضب والغضب من
الله اما ارادة العقوبة فيكون من صفات الذات واما عين العقوبة فيكون من صفات
الفعل وهو معنى قول الماوردى وقال عمر بن ذر يا اهل معاصى الله لا تغتروا بطول حلم
الله عنكم واحذروا اسفه فانه قال فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل آسفونا اى اغضبوا رسلنا
واولياءنا المؤمنين نحو السحرة وبنى اسرائيل وهو كقوله يؤذون الله ويحاربون الله اى اولياءه ورسله
قوله تعالى فجعلناهم سلفا اى جعلنا قوم فرعون سلفا قال ابو مجلز سلفا لمن عمل عملهم
ومثلا لمن لم يعمل عملهم وقال مجاهد سلفا اخبارا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومثلا
اى عبرة لهم وعنه ايضا سلفا لكفار قومك يتقدمونهم الى النار قتادة سلفا الى النار
ومثلا عظة لمن ياتى بعدهم والسلف المتقدم يقال سلف يسلف سلفا مثل طلب طلبا
اى تقدم ومضى وسلف له عمل صالح اى تقدم والقوم السلاف المتقدمون وسلف
الرجل اباؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقراءة العامة سلفا بفتح السين
واللام جمع سالف كخادم وخدم وراصد ورصد وحارس وحرس وقرا حمزة والكسائى
سلفا بضم السين واللام قال الفرا هو جمع سليف نحو سرير وسرر وقال ابو حاتم هو جمع
سلف نحو خشب وخشب وثمرة وثمر ومعناهما واحد وقرا على وابن مسعود وعلقمة وابو وائل والنخعى
وحميد بن قيس سلفا بضم السين وفتح اللام جمع سلفة اى فرقة متقدمة قال المورج
والنضر بن شميل سلفا جمع سلفة نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وظلمة وظلم
قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون لما قال تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون تعلق المشركون بامر عيسى
وقالوا ما يريد محمد الا ان نتخذه الها كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم الها قاله قتادة
ونحوه عن مجاهد قال ان قريشا قالت ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى فانزل
الله تعالى هذه الاية وقال بن عباس اراد به مناظرة عبد الله بن الزبعرى مع النبى
صلى الله عليه وسلم فى شان عيسى وان الضارب لهذا المثل عبد الله بن الزبعرى السهمى
حالة كفره لما قالت له قريش ان محمدا يتلو انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
الاية فقال لو حضرته لرددت عليه قالوا وما كنت تقول قال كنت اقول هذا المسيح تعبده
النصارى واليهود تعبد عزيرا افهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته ورأوا
انه قد خصم وذلك معنى قوله يصدون فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون ولو تامل بن الزبعرى الاية ما اعترض عليها لانه قال وما تعبدون
ولم يقل ومن تعبدون وانما اراد الاصنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح ولا
الملائكة وان كانوا معبودين وقد مضى هذا فى آخر سورة الانبيا وروى بن عباس

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش يا معشر قريش لا خير فى احد يعبد من دون الله
قالوا اليس تزعم ان عيسى كان عبدا نبيا وعبدا صالحا فان كان كما تزعم فقد كان يعبد من دون
الله فانزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون اى يضجون كضجيج الابل عند
حمل الاثقال قرا نافع وبن عامر والكسائى يصدون بضم الصاد ومعناه يعرضون قاله النخعى
وكسر الباقون قال الكسائى هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون وينمون وينمون ومعناه يضجون
قال الجوهرى وصد يصد ويصد صديدا اى ضج وقيل انه بالضم من الصدود وهو الاعراض وبالكسر
من الضجيج قاله قطرب اختاره ابو عبيد وابو حاتم قال ابو عبيد لو كانت من الصدود عن
الحق لكانت اذا قومك عنه يصدون يضجون الفرا هما سواء منه وعنه وقال بن المسيب يصدون
الضحاك يعجون ابن عباس يضحكون ابو عبيدة من ضم فمعناه يعدلون فيكون المعنى من
اجل المثل يعدلون ولا يعدى يصدون بمن ومن كسر فمعناه يضجون فمن متصلة بيصدون
والمعنى يضجون منه قوله تعالى وقالوا آلهتنا خير ام هو اى آلهتنا خير ام عيسى قاله السدى
وقال خاصموه وقالوا ان كان كل من عبد من دون الله فى النار فنحن نرضى ان تكون
آلهتنا مع عيسى والملائكة وعزير فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون الاية وقال قتادة ام هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وفى قراءة بن مسعود
آلهتنا خير ام هذا وهو يقوى قول قتادة فهو استفهام تقديره ان آلهتهم خير وقرا الكوفيون
ويعقوب أآلهتنا بتحقيق الهمزتين ولين الباقون وقد تقدم ما ضربوه لك الا جدلا
جدلا حال اى جدلين يعنى ما ضربوا لك هذا المثل الا ارادة الجدل لانهم علموا ان
المراد بحصب جهنم ما اتخذوه من الموات بل هم قوم خصمون مجادلون بالباطل وفى صحيح
الترمذى عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ما ضربوه
لك الا جدلا بل هم قوم خصمون قوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه اى ما عيسى الا عبد
انعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلا لبنى اسرائيل اى آية وعبرة يستدل بها على قدرة الله
تعالى فان عيسى كان من غير اب ثم جعل اليه من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
والاسقام كلها ما لم يجعل لغيره فى زمانه مع ان بنى اسرائيل كانوا يومئذ خير الخلق
واحبه الى الله عز وجل والناس دونهم ليس احد عند الله عز وجل مثلهم وقيل
المراد بالعبد المنعم عليه محمد صلى الله عليه وسلم والاول اظهر ولو نشاء لجعلنا
منكم اى بدلا منكم ملائكة يكونون خلفا عنكم قاله السدى ونحوه عن مجاهد قال
ملائكة يعمرون الارض بدلا منكم وقال الازهرى ان من قد تكون للبدل بدليل
هذه الاية قال الشيخ رحمه الله قد تقدم هذا المعنى فى براءة وغيرها وقيل لو نشاء
لجعلنا من الانس ملائكة وان لم تجر العادة بذلك والجواهر جنس واحد
والاختلاف بالاوصاف والمعنى لو نشاء لاسكنا الارض الملائكة وليس فى اسكاننا

اياهم السمآء شرف حتى يعبدوا او يقال لهم بنات الله ومعنى يخلفون تخلف بعضهم بعضا
قاله بن عباس قوله [illegible] وانه لعلم للساعة قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير يريد
القرآن لانه يدل على قرب مجى الساعة او به تعلم الساعة واهوالها واحوالها وقال
بن عباس ومجاهد والضحاك والسدى وقتادة ايضا انه خروج عيسى عليه السلام
وذلك من اعلام الساعة لان الله ينزله من السمآء قبيل قيام الساعة كما ان
خروج الدجال من اعلام الساعة وقرابن عباس وابو هريرة وقتادة وملك بن دينار والضحاك
وانه لعلم الساعة بفتح العين واللام اى امارة وقد روى عن عكرمة وانه للعلم بلامين
وذلك خلاف للمصاحف وعن عبد الله بن مسعود قال لما كان ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه
وسلم لقى ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة فبدوا بابراهيم فسئلوه
عنها فلم يكن عنده منها علم ثم سالوا موسى فلم يكن عنده منها علم فرد الحديث الى عيسى بن مريم
قال قد عهد الى فيما دون وجبتها فاما وجبتها لا يعلمها الا الله عز وجل فذكر خروج
الدجال قال فانزل فاقتله وذكر الحديث خرجه بن ماجة فى سننه وفى صحيح مسلم فبينما هو
كذلك يعنى المسيح الدجال اذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضا شرقى
دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر
منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر ان يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهى حيث
ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله الحديث وذكر الثعلبى والزمخشرى
وغيرهما من حديث ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم
من السما عليه السلام على ثنية من الارض المقدسة يقال لها افيق بين ممصرتين وشعر
راسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال فياتى بيت المقدس والناس فى صلاة العصر
والامام يوم بهم فيتاخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه
وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من
امن به وروى خالد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة
لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وانا اولى الناس بعيسى بن مريم وانه ليس بينى
وبينه نبى وانه اول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الاسلام
قال الماوردى وحكى بن عيسى عن قوم انهم قالوا اذا نزل عيسى رفع التكليف لئلا
يكون رسولا الى ذلك الزمان يامرهم عن الله تعالى وينهاهم وهذا قول مردود لثلاثة
امور منها الحديث ولان بقاء الدنيا يقتضى التكليف فيها ولانه ينزل امرا بالمعروف وناهيا
عن منكر وليس يستنكر ان يكون امر الله تعالى له مقصورا على تاييد الاسلام والامر به والدعا
اليه قال الشيخ رحمه الله ثبت فى صحيح مسلم وبن ماجة عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن
وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد ولتدعون

وفى رواية فامكم منكم قال ابن ابى ذيب
تدرى ما امكم منكم

الى المال فلا يقبله احد وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل بن مريم
فيكم وامامكم منكم قلت تخبرنى قال فامكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال
علماؤنا رحمة الله عليهم فهذا نص على انه ينزل مجددا لدين النبى صلى الله عليه وسلم للذى درس
منه لا بشرع مبتدا والتكليف باق على ما بيناه هنا وفى كتاب التذكرة وقيل وانه لعلم الساعة
اى وان احيا عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى قاله ابن اسحق قال الشيخ ويحتمل ان
يكون المعنى وانه وان محمد العلم للساعة بدليل قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين
وضم السبابة والوسطى خرجه البخارى ومسلم وقال الحسن اول اشراطها محمد صلى الله
عليه وسلم فلا تمترن بها اى فلا تشكون فيها يعنى الساعة قاله يحيى بن سلام وقال السدى
فلا تكذبون بها ولا تجادلون فيها فانها كاينة لا محالة واتبعون اى فى التوحيد وفيما ابلغكم
عن الله هذا صراط مستقيم اى طريق قويم الى الله اى الى جنته واثبت اليآء يعقوب
فى قوله واتبعونى فى الحالتين وكذلك وكذلك واطيعونى وابو عمرو واسماعيل عن نافع
فى الوصل دون الوقف وحذف الباقون فى الحالين ولا يصدنكم الشياطين اى لا
تغتروا بوساوسه وشبه الكفار المجادلين فان شرايع الانبيا لم تختلف فى التوحيد ولا
فيما اخبروا به من علم الساعة وغيرها مما تضمنته من جنة ونار انه لكم عدو مبين
تقدم فى البقره وغيرها قوله [illegible] ولما جاء عيسى بالبينات قال بن عباس يريد
احيا الموتى وابرا الاسقام وخلق والق الطير والمايدة وغيرها والاخبار بكثير من الغيوب
وقتادة البينات هنا الانجيل قال قد جيتكم بالحكمة اى النبوة قاله السدى ابن عباس
علم ما يودى الى الجميل ويكف عن القبيح وقيل الانجيل ذكره القشيرى والماوردى ولا
بين لكم بعض الذى تختلفون فيه قال مجاهد من موبل التورية الزجاج المعنى لابين لكم
فى الانجيل تختلفون فيه وبين لهم فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل بين لهم بعض
الذى اختلفوا فيه من احكام التورية على قدر ما سالوه ويجوز ان يختلفوا فى اشيا غير
ذلك لم يسلوه عنها وقيل ان بنى اسرايل اختلفوا بعد موت موسى فى اشيا من امر دينهم
واشيا من امر دنياهم فبين لهم امر دينهم ومذهب ابو عبيده ان البعض بمعنى الكل
ومنه قوله تعالى يصبكم بعض الذى يعدكم وانشد الاخفش قول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها

والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض ويقال للمنية علوف وعلاقة قال
المفضل البكرى وسايلة بثعلبة بن سير وقد علقت بثعلبة العلوق وقال مقاتل
هو كقوله ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم يعنى ما احل فى الانجيل مما كان محرما
فى التورية كلحم الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت فاتقوا الله
اى اتقوا الشرك ولا تعبدوا الا الله وحده واذا كان هذا قول عيسى فكيف يجوز
ان يكون الاها او بن الاه واطيعون فيما ادعوكم اليه من التوحيد وغيره ان الله

ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى عبادة الله صراط مستقيم وما سواه معوج لا يؤدى
سالكه الى الحق قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم قال قتادة يعنى ما بينهم وفيهم قولان
احدهما انهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضا قاله مجاهد والسدى
الثانى فرق النصارى من النسطورية والملكية واليعاقبة واختلفوا فى عيسى فقالت النسطورية
هو ابن الله وقالت اليعاقبة هو الله وقالت الملكية ثالث ثالثة احدهم الله قاله الكلبى و
مقاتل وقد مضى هذا فى مريم فويل للذين ظلموا اى كفروا واشركوا كما فى مريم من عذاب يوم اليم
اى اليم عذابه ومثله ليل نايم اى ينام فيه هل ينظرون يريد الاحزاب لا ينتظرون الا الساعة
يريد القيامة ان تاتيهم بغتة اى فجاة وهم لا يشعرون يفطنون وقد مضى فى غير موضع
وقيل المعنى لا ينتظر مشركوا العرب الا الساعة ويكون الاحزاب على هذا الذين تحزبوا
على النبى صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين ويتصل هذا بقوله ما ضربوه لك الا
جدلا قوله تعالى الاخلاء يومئذ يريد يوم القيامة بعضهم لبعض عدو اى اعداء يعادى
بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا الا المتقين فانهم اخلاء فى الدنيا والاخرة قال معناه ابن
عباس ومجاهد وغيرهما وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت فى امية بن خلف
الجمحى وعقبة بن ابى معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبى صلى الله عليه وسلم
فقالت قريش قد صبا عقبة بن ابى معيط فقال له امية وجهى من وجهك حرام ان لقيت
محمدا ولم تتفل فى وجهه ففعل عقبة ذلك فنذر النبى صلى الله عليه وسلم قتله
فقتله يوم بدر صبرا وقتل امية فى المعركة وفيهم نزلت هذه الاية وذكر الثعلبى
عن على رضى الله عنه فى هذه الاية قال كان خليلان مومنان وخليلان كافران
فمات احد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يامرنى بطاعتك وطاعة رسولك
وكان يامرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى
واهده كما هديتنى واكرمه كما اكرمتنى فاذا مات خليله المومن جمع الله بينهما
فيقول الله تعالى ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول يارب انه كان يامرنى بطاعتك
وطاعة رسولك ويامرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك فيقول الله
تعالى نعم الخليل ونعم الاخ ونعم الصاحب كان قال ويموت احد الكافرين فيقول
يارب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرنى بالشر وينهانى
عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فاسلك يارب ان لا تهده بعدى وان تضله
كما اضللتنى وان تهينه كما اهنتنى فاذا مات خليله الكافر قال الله لهما
ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول يارب انه كان يامرنى بمعصيتك ومعصية رسولك
ويامرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى انى غير ملاقيك فاسلك ان تضاعف
عليه العذاب فيقول الله تعالى بيس الصاحب والاخ والخليل كنت فليلعن كل واحد
منكما صاحبه قال الشيخ رحمه الله والاية عامة فى كل مومن ومتق وكافر

ومضل

ومضل قوله تعالى يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون قال مقاتل ورواه المعتمر بن
سليمان عن ابيه ينادى مناد فى العرصات لا خوف عليكم فيرفع اهل العرصة رؤسهم فيقول
المنادى الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان رؤسهم غير المسلمين وذكر
المحاسبى فى الرعاية وقد روى فى الحديث ان المنادى ينادى يوم القيامة يا عبادى لا
خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرفع الخلايق رؤسهم يقولون نحن عباد الله ثم
ينادى الثانية الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤسهم ويبقى الموحدون
رافعى رؤسهم ثم ينادى الثالثة الذين امنوا وكانوا يتقون فينكس اهل الكباير رؤسهم
ويبقى اهل التقوى رافعى رؤسهم قد زال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم لانه اكرم الاكرمين
لا يخذل وليه ولا يسلمه عند الهلكة وقرى يا عباد الذين امنوا قال الزجاج
الذين نصب على النعت لعبادى لان عبادى منادى مضاف وقيل الذين امنوا ابتداء وخبره
محذوف تقديره هم الذين امنوا والذين امنوا يقال لهم ادخلوا الجنة وقرا ابوبكر وزر بن
جبيش يا عبادى بفتح الياء واثباتها فى الحالين وكذلك اثبتها نافع وابن عامر وابو عمرو
ورويس ساكنة فى الحالين لانها وقعت وحذفها الباقون فى الحالين لانها وقعت مثبتة
فى مصاحف المدينه والشام لا غير ادخلوا الجنة اى يقال لهم ادخلوا الجنة او يا عبادى
الذين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم المسلمات فى الدنيا وقيل قرناؤكم من المؤمنين
وقيل زوجاتهم من الحور العين تحبرون تكرمون قاله ابن عباس والكرامة فى المنزلة
الحسن تفرحون والفرح فى القلب قتادة تنعمون والنعيم فى البدن مجاهد تسرون
والسرور فى العين ابن ابى نجيح تعجبون والعجب هاهنا درك ما يستطرف يحيى بن ابى
كثير هو التلذذ بالسماع وقد مضى هذا فى الروم قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف
من ذهب واكواب فيه اى فيهم فى الجنة اربع مسايل الاولى قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف
من ذهب واكواب اى لهم فى الجنة اطعمة واشربة يطاف بها عليهم فى صحاف من ذهب
واكواب ولم يذكر الاطعمة والاشربة لانه يعلم انه لا معنى للاضافة بالصحاف والاكواب
عليهم من غير ان يكون فيها شى وذكر الذهب فى الصحاف واستغنى به عن الاعادة
فى الاكواب لقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفى الصحيحين عن حذيفه انه
سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا فى انية
الذهب والفضة ولا تاكلوا فى صحافها فانها لهم فى الدنيا ولكم فى الاخرة وقد مضى
فى سورة الحج ان من اكل فيهما فى الدنيا او لبس الحرير فى الدنيا ولم يتب حرم ذلك فى
الاخرة تحريما مؤبدا والله اعلم وقال المفسرون يطوف على ادناهم فى الجنة منزلة
سبعون الف غلام بسبعين الف صحيفة من ذهب تغدى عليه بها فى كل واحدة منها
لون ليس فى صاحبتها ياكل من اخرها كما ياكل من اولها ويجد طعم اخرها كما يجد طعم
اولها لا يشبه بعضه بعضا ويراح عليه بمثلها ويطوف على ارفعهم درجة كل يوم سبعماية

الف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها ياكل في آخرها
كما ياكل في اولها وتجد طعم آخرها كما تجد طعم اولها لا يشبه بعضه بعضا واكواب اي يطاف
عليهم باكواب كما قال ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب وذكر بن المبارك قال اخبرنا
معمر عن رجل عن ابي قلابة قال يوتون بالطعام والشراب فاذا كان آخر ذلك اوتوا بالشراب
الطهور فتضمر لذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم اطيب من ريح المسك ثم قرا شرابا
طهورا وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام
قال جشا ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد في رواية كما يلهمون النفس الثانية
روى الايمة من حديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي يشرب في انية الذهب
والفضة انما تجرجر في بطنه نار جهنم وقال لا تشربوا في انية الذهب والفضة ولا تاكلوا
في صحافها وهذا يقتضي التحريم ولا خلاف في ذلك واختلف الناس في استعمالها في غير
ذلك قال بن العربي والصحيح انه لا يجوز للرجال استعمالها في شي لقول النبي صلى الله
عليه وسلم في الذهب والحرير هذان حرام لذكور امتي حل لاناثها والنهي عن الاكل
والشرب فيهما يدل على تحريم استعمالهما لانه نوع من المتاع فلم تجز اصله الاكل والشرب
ولان العلة في ذلك استعجال امر الاخرة وذلك يستوي فيه الاكل والشرب وساير اجزا
الانتفاع ولانه صلى الله عليه وسلم قال هي لهم في الدنيا ولنا في الاخرة فلم يجعل لنا فيها
حظا في الاخرة الثالثة اذا كان الانا مضببا بهما او فيه حلقة منهما فقال مالك لا يعجبني
ان يشرب فيه وكذلك المراة تكون فيها الحلقة من الفضة ولا يعجبني ان ينظر فيها
وجهه وقد كان عند انس انا مضبب بفضة وقال لقد سقيت فيه النبي صلى الله عليه وسلم
قال بن سيرين كانت فيه حلقة حديد فاراد انس ان يجعل فيه حلقة فضة فقال ابو طلحة
لا اغير شيا مما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه الرابعة اذا لم يجز استعمالهما
لم يجز اقتناوهما لان ما لا يجوز استعماله لا يجوز اقتناوه كالصنم والطنبور وفي كتب علماينا
انه يلزم الغرم في قيمتها وهو معنى فاسد فان كسرها واجب فلا ثمن لقيمتها ولا يجوز تقويمها
في الزكاة بحال وغير هذا لا يلتفت اليه قوله تعالى بصحاف قال الجوهري الصحيفة كالقصعة
والجمع صحاف قال الكساي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة
تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والصحيفة
الكتاب والجمع صحف وصحايف قوله تعالى واكواب قال الجوهري الكوب كوز لا عروة له والجمع
اكواب قال الاعشى يصف الخمر

صريفية طيب طعمها لها زبد بين كوب ودن

وقال الاخر

متكيا تصفق ابوابه يسعى عليه بالكوب

وقال قتادة الكوب المدور القصير العنق القصير العروة والابريق المستطيل العنق

كوزه

الطويل

الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب الاباريق التي لا خراطيم لها وقال قطرب هي الاباريق
التي ليست لها عرى وقال مجاهد انها الانية المدورة الافواه السدي هي التي لا اذان لها ابن
عزيز اكواب اباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب قال الشيخ رحمه الله وهو معنى قول مجاهد
والسدي وهو مذهب اهل اللغة انها لا اذان لها ولا عرا قوله تعالى وفيها ما تشتهي الانفس
وتلد الاعين روى الترمذي عن سليمان بن بريدة عن ابيه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله هل في الجنة من خيل قال ان الله ادخلك الجنة فلا تشا ان تحمل فيها على فرس
من ياقوتة حمرا تطير بك حيث شيت قال وساله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من ابل
قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت
عينك وقرا اهل المدينة وبن عامر واهل الشام وفيها ما تشتهيه الانفس الباقون تشتهي
الانفس اي تشتهيه الانفس تقول الذي ضربت زيدا اي الذي ضربته زيد وتلذ الاعين
تقول لذ الشي يلذ لذاذا ولذاذة ولذذت بالشي الذ بالكسر في الماضي والفتح في
المستقبل لذاذا ولذاذة اي وجدته لذيذا والتذذت به وتلذذت به بمعنى اي في الجنة
ما تستلذه العين فكان حسن المنظر وقال سعيد بن جبير وتلذ الاعين النظر الى الله عز وجل
كما في الخبر اسالك لذة النظر الى وجهك وانتم فيها خالدون باقون دايمون لانها لو تقطعت
لتبغضت قوله تعالى وتلك الجنة اي يقال لكم هذه تلك الجنة التي كانت توصف لكم
في الدنيا وقال بن خالويه اشار تعالى الى الجنة بتلك والى جهنم بهذه ليخوف بجهنم ويوكد
التحذير منها وجعلها بالاشارة القريبة كالحاضرة التي ينظر اليها التي اورثتموها بما كنتم
تعملون قال بن عباس خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة
الكافر وقد تقدم هذا مرفوعا في قد افلح المومنون من حديث ابي هريرة وفي الاعراف
ايضا قوله تعالى لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون الفاكهة معروفة واجناسها الفواكه
والفاكهاني الذي يبيعها وقال بن عباس هي الثمار كلها رطبها ويابسها اي لهم في الجنة سوى
الطعام والشراب فاكهة كثيرة ياكلون منها قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم
خالدون لما ذكر احوال اهل الجنة ذكر احوال اهل النار ايضا ليبين فضل المطيع على العاصي
لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم ذلك العذاب وهم فيه مبلسون اي ايسون من الرحمة
وقيل ساكتون سكوت ياس وقد مضى في الانعام وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا
هم الظالمين انفسهم بالشرك ويجوز ولكن كانوا هم الظالمون بالرفع على الابتدا والخبر
والجملة خبر كان قوله تعالى ونادوا يا مالك وهو خازن جهنم خلقه لغضبه اذا
زجر النار زجرة اكل بعضها بعضا وقرا علي وبن مسعود رضي الله عنهما ونادوا يا مال
وذلك خلاف المصحف وقال ابو الدردا وبن مسعود قرا النبي صلى الله عليه وسلم ونادوا
يا مال باللام خاصة يعني رخم الاسم وحذف الكاف والترخيم الحذف ومنه ترخيم
الاسم في الندا وهو ان تحذف من اخره حرف او اكثر فتقول في مالك يا مال وفي

حارث باحار وفى فاطمة يا فاطم وفى عايشة يا عايش وفى مروان يامرو وهكذا قال

يا حار لا ارمين منكم بداهية لم يلقها سوقة قبلى ولا ملك

وقال امرؤ القيس اجارتى برقا اريك وميضه كلمع اليدين فى حبى مكلل وقال ايضا افاطم

مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت صرمى فاجملى اخر

يا مروان مطيتى محبوسه ترجو الحفاء وربها لم يايس

وفى صحيح الحديث اى فل هلم وللترخيم آخر الاسم المرخم وجهان احدهما ان يبقيه على ما كان عليه قبل الحذف والآخر ان تبنيه على الضم مثل يا زيد كانك انزلته منزلته ولم تراع المحذوف وذكر ابو بكر الانبارى حدثنا محمد بن يحيى المروزى حدثنا محمد وهو بن سعدان حدثنا حجاج عن شعبة عن الحكم بن عيينة عن مجاهد قال كنا لا ندرى ما الزخرف حتى وجدناه فى قراءة عبد الله بيت من ذهب وكنا لا ندرى ونادوا يا ملك او يا مالك بفتح اللام وكسرها حتى وجدناه بقراءة عبد الله ونادوا يا مال على الترخيم قال ابو بكر لا يحمل على هذا الحديث لانه مقطوع لا يقبل مثله عن الرواية عن الرسول عليه السلام وكتاب الله احق بان يحتاط له وينفى عنه الباطل قال الشيخ رحمه الله وفى صحيح البخارى عن صفوان ابن يعلى عن ابيه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا ملك ليقض علينا ربك باثبات الكاف وقال محمد بن كعب القرظى بلغنى او ذكر لى ان اهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فسالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه من العذاب فردت عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا الكافرين الا فى ضلال قال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا وهو عليهم وله مجلس فى وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى اقصاها كما يرى ادناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قال سالوه الموت قال فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة قال والسنة ستون وثلاث مائة يوم والشهر ثلاثون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم بعد الثمانين فقال انكم ماكثون وذكر الحديث ذكره ابن المبارك وفى حديث ابى الدردا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون قال الاعمش نبيت ان بين دعايهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام خرجه الترمذى وقال بن عباس يقولون ذلك فلا يجيبهم الف سنة ثم يقول انكم ماكثون وقال مجاهد ونوف البكالى بين ندايهم واجابته اياهم مائة سنة وقال عبد الله بن عمرو اربعون سنة ذكره بن المبارك قوله تعالى لقد جئناكم بالحق يحتمل ان يكون من قول مالك لهم اى انكم ماكثون فى النار لانا جيناكم فى الدنيا بالحق فلم تقبلوا ويحتمل ان يكون من كلام الله لهم اليوم اى بينا لكم الادلة وارسلنا اليكم الرسل ولكن اكثركم قال بن عباس ولكن اكثركم اى ولكن كلكم وقيل اراد بالكثرة الروسا والقادة منهم واما الاتباع فما كان لهم اثر للحق اى للاسلام ودين الله كارهون قوله تعالى ام ابرموا

امرا فانا مبرمون قال مقاتل نزلت فى تدبيرهم بالمكر بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة حتى استقر امرهم على ما اشار به ابو جهل عليهم ان يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا فى قتله فتضعف المطالبة بدمه فنزلت هذه الآية وقتل الله جميعهم ببدر ابرموا احكموا والابرام الاحكام ابرمت الشئ احكمته وابرم القتال اذا احكم الفتل وهو الفتل الثانى والاول سحيل كما قال من سحيل ومبرم فالمعنى انهم احكموا كيدا فانا محكمون لهم كيدا قاله بن زيد مجاهد قتادة ام اجمعوا على التكذيب فانا مجمعون على الجزا بالبعث الكلبى ام قضوا امرا فانا قاضون عليهم بالعذاب وام بمعنى بل وقيل ام ابرموا عطف على قوله اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقيل اى ولقد جيناكم بالحق افلم تسمعوا ام سمعوا فاعرضوا لانهم فى انفسهم ابرموا امرا العقاب قوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اى ما يسرونه فى انفسهم ويتناجون به بينهم بلى نسمع ونعلم ورسلنا لديهم يكتبون اى الحفظة عندهم يكتبون عليهم وروى ان هذا نزل فى ثلثة نفر كانوا بين الكعبة واستارها فقال احدهم اترى ان الله يسمع كلامنا وقال الثانى اذا جهرتم يسمع واذا اسررتم لم يسمع وقال الثالث ان كان يسمع اذا اعلنتم فهو يسمع اذا اسررتم لم يسمع وقال الثالث ان كان يسمع قاله محمد بن كعب وقد مضى هذا المعنى عن ابن مسعود فى سورة فصلت قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اختلف فى معناه فقال بن عباس والحسن والسدى المعنى ما كان للرحمن ولد فان بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تاما ثم تبتدى فانا اول العابدين اى الموحدين من اهل مكة على انه لا ولد له والوقف على العابدين تام وقيل المعنى قل يا محمد ان ثبت لله ولد فانا اول من يعبد ولده ولكن يستحيل ان يكون له ولد وهو كما تقول لمن تناظره ان ثبت ما قلت بالدليل فانا اول من يعتقده وهذا مبالغة فى الاستبعاد اى لا سبيل الى اعتقاده وهذا ترقيق فى الكلام كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين والمعنى على هذا فانا اول العابدين لذلك الولد لان تعظيم الولد تعظيم للوالد وقال مجاهد المعنى ان كان للرحمن ولد فانا اول من عبده وحده على انه لا ولد له وقال السدى ايضا المعنى لو كان له ولد كنت اول من عبده على ان له ولدا ولكن لا ينبغى ذلك قال المهدوى فان على هذه الاقوال للشرط وهو الاجود وهو اختيار الطبرى لان كونها بمعنى ما يتوهم معه ان المعنى لم يكن له فيما مضى وقيل ان معنى العابدين الانفين وقال بعض العلماء لو كان لذلك لكان العبدين وكذلك قرا ابو عبد الرحمن اليمانى فانا اول العبدين بغير الف يقال عبد يعبد عبدا بالتحريك اذا انف وغضب فهو عبد والاسم العبدة مثل الانفة عن ابى زيد قال الفرزدق

اولئك اجلاسى فجئنى بمثلهم واعبد ان اهجو كليبا بدارم

وينشد ايضا اولئك اناس لو هجونى هجوتهم واعبد ان تهجا كليب بدارم

قال الجوهرى وقال ابو عمرو وقوله تعالى فانا اول العابدين من الانف والغضب وقال

الكسائى والقتبى حكاه الماوردى عنهما وقال الهروى وقوله تعالى فانا اول العابدين قيل هو
من عبد يعبد اى من الانفين وقال بن عرفة انما يقال عبد يعبد فهو عبد وقل ما يقال عابد
والقرآن لا يأتى بالقليل من اللغة ولا الشاذ ولكن المعنى فانا اول من يعبد الله جل وعز
على انه واحد لا ولد له وروى ان امراة دخلت على زوجها فولدت منه لستة اشهر فذكر
ذلك لعثمان فامر برجمها فقال له على قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال فى
آية اخرى وفصاله فى عامين فوالله ما عبد عثمان ان بعث اليها ترد قال عبد الله بن وهب
يعنى ما استنكف ولا انف وقال بن الاعرابى اى الغضاب الانفين وقيل فانا اول العابدين
اى انا اول من يعبده على الوحدانية مخالفا لكم ابو عبيدة معناه الجاحدين وحكى عبدنى
حقى اى جحدنى وقرا اهل الكوفة الا عاصما ولدا بضم الواو وسكون اللام الباقون وعاصم
ولدا وقد تقدم سبحان رب السموات والارض اى تنزيها له وتقديسا نزه نفسه عن
كل ما يقتضى الحدوث وامر النبى صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما يصفون اى عما يقولون
من الكذب قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا يعنى كفار مكة حين كذبوا بعذاب الاخرة
اى اتركهم يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون اما العذاب
فى الدنيا او فى الاخرة وقيل ان هذا منسوخ باية السيف وقيل هو محكم وانما اخرج مخرج
التهديد وقرا ابن محيصن ومجاهد وحميد بن القعقاع وبن السميفع حتى يلقوا بفتح الياء و
اسكان اللام من غير الف وفتح القاف هنا وفى الطور والمعارج الباقون يلاقوا قوله تعالى
وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله هذا تكذيب لهم فى ان لله شريكا وولدا اى
هو المستحق للعبادة فى السماء والارض وقال عمر رضى الله عنه وغيره المعنى وهو الذى
فى السماء اله فى الارض وكذلك قرا والمعنى انه يعبد فيهما وروى انه قراه هو وبن مسعود وغيرهما
وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله وهذا خلاف المصحف والاه رفع على انه خبر
مبتدا محذوف اى وهو الذى فى السماء هو اله قاله ابو على وحسن حذفه لطول الكلام
وقيل فى بمعنى على كقوله فى جذوع النخل اى على جذوع النخل اى هو القادر على السماء والارض
وهو الحكيم العليم تقدم قوله تعالى وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما
تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وعنده علم الساعة اى وقت قيامها واليه ترجعون
بالياء قرا ابن كثير وحمزة والكسائى واليه يرجعون بالياء الباقون بالتاء وكان بن
محيصن وحميد ويعقوب وبن ابى اسحاق يفتحون اوله على اصولهم وضم الباقون
قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم
يعلمون فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى الا من شهد بالحق من فى موضع الخفض واراد
بالذين يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والمعنى ولا يملك هولاء الشفاعة الا لمن شهد
بالحق وآمن على علم وبصيرة قاله سعيد بن جبير وغيره قال وشهادة الحق لا اله الا
الله وقيل من فى محل رفع اى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة يعنى الالهة

فى قول قتادة اى لا يشفعون لعابديها الا من شهد بالحق يعنى عزيرا وعيسى والملائكة فانهم
يشهدون بالحق والوحدانية لله وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به وقيل انها نزلت بسبب ان النضر
ابن الحرث ونفرا من قريش قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملئكة وهم احق بالشفاعة
لنا منه فانزل الله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق اى اعتقدوا
ان الملائكة او الاصنام او الجن او الشياطين تشفع لهم ولا شفاعة لاحد يوم القيامة الا من
شهد بالحق يعنى المومنين اذا اذن لهم قال بن عباس الا من شهد بالحق اى شهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وقيل اى لا يملك هولاء العابدون من دون الله ان يشفع لهم احد
الا من شهد بالحق فان من شهد بالحق يشفع له ولا يشفع لمشرك والا بمعنى لكن اى لا ينال
المشركين الشفاعة لكن ينال الشفاعة من شهد بالحق فهو استثناء منقطع وتجوز ان يكون
متصلا لان فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة ويقال شفعته وشفعت له
مثل كلته وكلت له وقد مضى فى البقرة معنى الشفاعة واشتقاقها فلا معنى لاعادتها وقيل
الا من شهد بالحق الا من تشهد له الملائكة بانه كان على الحق فى الدنيا مع علمهم بذلك منه
بان يكون الله اخبرهم به او بان شاهدوه على الايمان قوله تعالى الا من شهد بالحق وهم
يعلمون يدل على معنيين احدهما ان الشهادة بالحق غير نافعة الا مع العلم وان التقليد لا يغنى
مع عدم العلم بصحة المقالة والثانى ان شرط سائر الشهادات فى الحقوق وغيرها ان يكون
الشاهد عالما بها ونحوه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا رايت مثل الشمس فاشهد و
لا فدع وقد مضى فى البقرة قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله اى لاقروا
بان الله خلقهم بعد ان لم يكونوا شيئا فانى يوفكون اى كيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون
عنها حتى اشركوا به غيره رجاء شفاعتهم له يقال افكه يافكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشى
ومنه قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا عما وجدنا عليه اباءنا وقيل اى ولئن سالت الملئكة وعيسى
من خلقهم لقالوا الله فاى يوفكون اى فانا يوفك هولاء فى ادعائهم اياهم الهة قوله تعالى
وقيله يا رب ان هولاء قوم لا يومنون فيه ثلاث قراءات النصب والجر والرفع فاما الجر
فهى قراءة عاصم وحمزة وبقية السبعة بالنصب واما الرفع فهى قراءة الاعرج وقتادة وبن هرمز
ومسلم بن جندب فمن جر حمله على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله ومن نصب فعلى معنى
وعنده علم الساعة ويعلم قيله وهى اختيار الزجاج وقال الفرا والاخفش يجوز ان
يكون قيله عطفا على قوله انا لا نسمع سرهم ونجواهم قال بن الانبارى سالت ابا العباس محمد
بن يزيد المبرد فاى شى ينصب القيل فقال انصبه على وعنده علم الساعة ويعلم قيله فمن
هذا الوجه لا تحسن الوقف على ترجعون ولا على يعلمون وتحسن الوقف على يكتبون
واجاز الفرا والاخفش ان ينصب القيل على معنى لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله كما ذكرنا
فمن هذا الوجه لا تحسن الوقف على يكتبون واجاز الفرا والاخفش ايضا ان ينصب
على المصدر كانه قال وقال قيله وشكى شكواه الى الله عز وجل كما قال كعب بن زهير

يمشي الوشاة جانبيها وقيلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول

اراد ويقولون قيلهم ومن دفع قيله فالتقدير وعنده قيله وقيله مسموع او قيله هذا القول الزمخشري والذى قالوه ليس بقوى في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قيل واقسم بقيله يارب او قيله يارب قسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم قال ابن الانباري ويجوز في العربية وقيله بالرفع على ان يرفعه بان هؤلاء قوم لا يؤمنون المهدوي او يكون على تقدير وقيله قيله يارب فحذف قيله الاول الذى هو خبر وموضع يارب نصب بالخبر المضمر ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع حذف بعض الموصول وبقا بعضه لان حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور والها في قيله لعيسى وقيل لمحمد عليه السلام وقد جرى ذكره اذ قال قل ان كان للرحمن ولد وقرا ابو قلابة يارب بفتح البآء والقيل مصدر كالقول ومنه الخبر نهى عن قيل وقال ويقال قلت قولا وقيلا وقالا وفي النسآء ومن اصدق من الله قيلا قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون قال قتادة امر بالصفح عنهم ثم امر بقتالهم فصار الصفح منسوخا بالسيف ونحوه عن ابن عباس قال فاصفح عنهم اى اعرض عنهم وقل سلام اى معروفا اى قل لمشركى اهل مكة فسوف تعلمون ثم نسخ هذا في سورة براءة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية وقيل هى محكمة لم تنسخ وقراءة العامة فسوف يعلمون بالياء على انه خبر من الله تعالى لنبيه بالتهديد وقرا نافع وابن عامر تعلمون بالتاء على انه خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين بالتهديد وسلام رفع باضمار عليكم قاله الفرا ومعناه الامر بتوديعهم بالسلام ولم يجعله تحية لهم حكاه النقاش وروى شعيب الحجاب انه عرفه بذلك كيف السلام عليهم والله اعلم

سورة الدخان مكية باتفاق الا قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا وهي سبع وخمسون اية وقيل تسع وفي مسند الدارمي عن ابي رافع قال من قرا الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وزوج من الحور العين رفعه الثعلبي من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وفي لفظ آخر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا حم الدخان ليلة الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة قوله تعالى حم والكتاب المبين ان جعلت حم جواب القسم تم الكلام عند قوله المبين ثم تبتدى انا انزلناه وان جعلت انا كنا منذرين جواب القسم الذى هو الكتاب وقفت على منذرين وابتدات فيها يفرق كل امر حكيم وقيل الجواب انا انزلناه وانكره بعض النحويين من حيث كان صفة للمقسم به ولا يكون صفة المقسم به جوابا للقسم

والهآء في انزلناه للقرآن ومن قال اقسم بسائر الكتب فقوله انا انزلناه كنى به عن غير القرآن على ما تقدم بيانه في اول الزخرف والليلة المباركة ليلة القدر ويقال ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسما الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة القدر ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب وروى قتادة عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين من رمضان وانزلت الزبور لاثنى عشرة من رمضان وانزل الانجيل لثمان عشرة خلت من رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين مضتين رمضان ثم قيل انزل القرآن كله الى السماء الدنيا في هذه الليلة ثم انزل نجما نجما في سائر الايام على حسب اتفاق الاسباب وقيل كان ينزل في كل ليلة القدر ما ينزل في سائر السنة وقيل كان ابتدا الانزال في هذه الليلة وقال عكرمة الليلة المباركة ها هنا ليلة النصف من شعبان والاول اصح لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر قال قتادة وابن زيد انزل الله القرآن كله في ليلة القدر من ام الكتاب الى بيت العزة في سما الدنيا ثم انزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالى والايام في ثلاث وعشرين سنة وقد مضى هذا المعنى في البقرة ويأتي آنفا ان شا الله فيها يفرق كل امر حكيم قال ابن عباس يحكم الله امر الدنيا الى قابل في ليلة القدر ما كان من حيوة او موت او رزق وقاله قتادة ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل الا الشقا والسعادة فانهما لا يتغيران قاله ابن عمر قال المهدوي ومعنى هذا القول امر الله عز وجل الملائكة بما يكون في ذلك العام ولم يزل ذلك في علمه عز وجل وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم احد ولا ينقص منهم احد وروى عثمان بن المغيرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها فان الله ينزل لغروب الشمس الى سماء الدنيا يقول الا مستغفر فاغفر له الا مبتلى فاعافيه الا مسترزق فارزقه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر ذكره الثعلبي وخرج الترمذي بمعناه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب وفي الباب عن ابي بكر الصديق قال ابو عيسى حديث عائشة لا نعرفه مرفوعا الا من حديث الحجاج بن ارطاه عن يحيى بن ابي كثير عن عروة عن عائشة وسمعت محمدا يضعف هذا الحديث وقال يحيى بن ابي كثير لم يسمع من عروة الحجاج بن ارطاه لم يسمع من يحيى بن ابي كثير قال الشيخ رحمه الله وقد ذكر حديث عائشة مطولا صاحب كتاب العروس واختار ان الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم ليلة النصف من شعبان وانها تسمى ليلة البراة وقد ذكرنا قوله والرد عليه في غير هذا الموضع وان الصحيح انما هي ليلة القدر على ما بيناه روى حماد بن سلمة قال اخبرنا ربيعة ابن كلثوم قال سال رجل الحسن

وانا عنده فقال يا با سعيد ارايت ليلة القدر اني كل رمضان هي قال اي و الذي لا اله الا هو انها
لفي كل رمضان انها الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم فيها يقضي الله كل خلق واجل و رزق
وعمل الى مثلها وقال ابن عباس يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت
وحيات ورزق ومطر حتى الحج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال في هذه الاية انك لترى الرجل
يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وهذه الابانة لاحكام السنة انما هي للملائكة الموكلين
باسباب الخلق و قد ذكرنا هذا المعنى انفا وقال القاضي ابو بكر بن العربي وجمهور العلما على
انها ليلة القدر ومنهم من قال انها ليلة النصف من شعبان وهو باطل لان الله تعالى قال
من كتابه الصادق القاطع شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن فنص على ان ميقات
نزوله رمضان ثم عين من زمانه الليل هاهنا بقوله في ليلة مباركة فمن زعم انه في غيره
فقد اعظم الفرية على الله و ليلة النصف من شعبان ليس فيها حديث يعول عليه لا في فضلها
و لا في نسخ الاجال فيها فلا تلتفتوا اليها الزمخشري وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح
المحفوظ في ليلة البراة و يقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكايل و نسخة
الحروب الى جبرئيل و كذلك الزلازل و الصواعق و الخسف و نسخة الاعمال الى اسماعيل
صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم و نسخة المصايب الى ملك الموت و عن بعضهم يعطى كل
عامل بركات اعماله فيلقي على السنة الخلق مدحه و على قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد
و يفرق كل على بنايه للفاعل ونصب كل والفارق الله جل و عز و قرا زيد بن علي رضي
الله عنه نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه الحكمة
قوله تعالى امرا من عندنا قال النقاش الامر هو القرآن انزله الله من عنده وقال
ابن عيسى هو ما قضاه الله في الليلة المباركة من احوال عباده وهو مصدر في موضع الحال
و كذلك رحمة من ربك وهما عند الاخفش حالان تقديرهما انزلناه امرين به وراحمين
المبرد امرا في موضع المصدر و التقدير انزلناه انزالا و الفرا و الزجاج امرا نصب بيفرق
مثل قولك يفرق فرقا فامر بمعنى فرق وهو مصدر مثل قولك يضرب ضربا وقيل يفرق يدل
على يومر فهو مصدر عمل فيه ما قبله انا كنا مرسلين رحمة من ربك قال الفرا رحمة مفعول لمرسلين
والرحمة النبي صلى الله عليه و سلم وقال الزجاج رحمة مفعول له من اجله اي ارسلناه للرحمة
وقيل هي بدل من قوله امرا وقيل هي مصدر الزمخشري امرا نصب على الاختصاص جعل كل امر
جزلا فخما بانه وصف بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا
حاصلا من عندنا كاينا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتقديرنا وفي قراءة زيد امر من عند نا
على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرا الحسن رحمة على تلك هي رحمة و هي
تنصر انتصابها بانه مفعول له رب السموات والارض قرا الكوفيون رب بالجر الباقون
بالرفع ردا على قوله انه هو السميع العليم وان شئت على الابتدا والخبر لا اله الا هو او يكون
خبر ابتداء محذوف تقديره هو رب السموات والارض والجر على البدل من ربك و كذلك

ربكم ورب آبائكم الاولين بالجر فيهما رواه الشيزري عن الكسائي الباقون بالرفع على الاستيناف
ثم يحتمل ان يكون هذا الخطاب مع المعترف بان الله خلق السموات والارض اي ان كنتم
موقنين به فاعلموا ان له ان يرسل الرسل و ينزل الكتب ويجوز ان يكون الخطاب مع من لا يعترف
انه الخالق اي ينبغي ان يعرفوا انه الخالق وانه الذي يحيي ويميت وقيل الموقن هاهنا هو الذي
يريد اليقين و يطلبه كما يقول فلان ينجد اي يريد نجدا ويتهم اي يريد تهامة لا اله الا
هو يحيي ويميت اي هو خالق العالم فلا يجوز ان يشرك به غيره فمن لا يقدر على خلق شي وهو
يحيي ويميت اي يحيي الاموات ويميت الاحيا ربكم ورب آبائكم الاولين اي مالككم
ومالك من تقدم منكم واتقوا تكذيب محمد لئلا ينزل بكم العذاب بل هم في شك يلعبون اي
ليسوا على يقين فيما يظهرونه من الايمان و الاقرار في قولهم ان الله خالقهم وانما يقولونه لتقليد
الآبا لهم من غير علم فهم في شك وان توهموا انهم مومنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن
لهم من غير حجة وقيل يلعبون يضيفون الى النبي صلى الله عليه و سلم الاستهزا ويقال لمن
اعرض عن الوعظ لاعب وهو كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عابثة قوله تعالى
فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين ارتقب معناه انتظر اي انتظر يا محمد هولا الكفار
يوم تاتي السماء بدخان مبين قاله قتادة وقيل معناه احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم
تاتي السماء بدخان مبين وكذلك سمي الحافظ رقيبا وفي الدخان اقوال ثلثة الاول انه من اشراط
الساعة لم تجي بعد وانه يمكث في الارض اربعون يوما يملا ما بين السماء والارض فاما المومن
فيصيبه مثل الزكام واما الكافر والفاجر فيدخل في انوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق انفاسهم
وهو من آثار جهنم يوم القيامة وممن قال ان الدخان لم يات بعد علي وابن عباس وابن عمر
وابو هريرة وزيد بن علي والحسن وابن ابي مليكة وغيرهم وروى ابو سعيد الخدري مرفوعا
انه دخان يهيج بالناس يوم القيامة ياخذ المومن منه كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل
مسمع منه ذكره الماوردي وفي صحيح مسلم عن ابي طفيل عن ابي اسيد الغفاري قال اطلع النبي
صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا الساعة قال انها لن تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها و نزول
عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم و ياجوج وماجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى
محشرهم في رواية ان الساعة لا تكون حتى يكون عشر آيات خسف بالمغرب وخسف بالمشرق
وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الارض وياجوج وماجوج وطلوع
الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس وخرجه الثعلبي ايضا حذيفة
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اول الآيات خروج الدجال والدخان ونزول عيسى بن
مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل
معهم اذا قالوا وتصبح معهم اذا اصبحوا وتمسي معهم اذا امسوا قلت يا نبي الله وما الدخان

قال هذه الآيه فارتقب يوم تاتى السمآء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين
يوما وليلة اما المومن فيصيبه مثل شبه الزكام واما الكافر فيكون بمنزلة السكران تخرج الدخان
من فيه ومنخره وعينيه واذنيه ودبره فهذا قول القول الثانى ان الدخان هو ما اصاب قريشا
من الجوع بدعآء النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى من السمآء والارض دخانا قاله بن
مسعود قال وقد كشفه الله عنهم ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم والحديث عنه بهذا فى
صحيح البخارى ومسلم والترمذى قال البخارى حدثنى يحيى قال حدثنا ابو معاوية عن الاعمش
عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله انما كان هذا لان قريشا لما استعصت على النبى صلى
الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل
الرجل ينظر الى السمآء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب
يوم تاتى السمآء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم قال فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت قال لمضر انك لجرى فاستسقى
فسقوا فنزلت انكم عايدون فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين اصابتهم الرفاهية
فانزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال يعنى يوم بدر قال ابو عبيدة
الدخان الجدب القتبى سمى دخانا ليبس الارض منه حتى يرتفع منها كالدخان القول
الثالث انه يوم فتح مكة لما حجبت السمآء الغبرة قاله عبد الرحمن الاعرج يغشى
الناس فى موضع الصفة للدخان فان كان قد مضى على ما قال بن مسعود فانه خاص بالمشركين
من اهل مكة وان كان من اشراط الساعة فهو عام على ما تقدم هذا عذاب اليم ان يقول الله
لهم هذا عذاب اليم فمن قال ان الدخان قد مضى فقوله هذا عذاب اليم حكاية حال ماضية ومن
جعله مستقبلا فهو حكاية حال اتية وقيل هذا بمعنى ذلك وقيل اى يقول الناس لذلك الدخان
هذا عذاب اليم وقيل هو اخبار عن دنو الامر كما تقول هذا الشتا فاعد له قوله قوله تعالى
ربنا اكشف عنا العذاب اى يقولون ذلك اكشف عنا العذاب فانا مومنون اى نومن بك ان
كشفته عنا قيل ان قريشا اتوا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كشف الله تعالى عنا العذاب
اسلمنا ثم نقضوا هذا القول قال قتادة العذاب هنا الدخان وقيل الجوع حكاه النقاش قال
الشيخ رحمه الله ولا تناقض فان الدخان لم يكن الا من الجوع الذى اصابهم على ما تقدم
وقد يقال للجوع والقحط الدخان ليبس الارض فى سنة الجدب وارتفاع الغبار بسبب
قلة الامطار ولهذا يقال لسنة الجدب الغبرآء وقيل ان العذاب هنا الثلج قال الماوردى
وهذا لا وجه له لان هذا انما يكون فى الآخرة او فى اهل مكة ولم تكن مكة من بلاد الثلج
غير انه مقول فحكيناه قوله تعالى انى لهم الذكرى اى من اين يكون لهم التذكر والاتعاظ
عند حلول العذاب وقد جاءهم رسول مبين يبين لهم الحق والذكرى والذكر واحد قاله
البخارى ثم تولوا عنه اى اعرضوا قال بن عباس اى متى يتعظون والله ابعدهم من الاتعاظ
والتذكر بعد توليهم عن محمد عليه السلام من تكذيبهم اياه وقيل اى انا ينفعهم قولهم

انا يومنون

انا يومنون بعد ظهور العذاب غدا او بعد ظهور اعلام الساعة قد صارت المعارف ضرورية هذا اذا
جعلت الدخان انه مرتقبة وقالوا معلم مجنون اى علمه بشر او علمه الكهنة والشياطين ثم هو
مجنون وليس برسول قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا اى وقتا قليلا وعد ان يكشف
عنهم ذلك العذاب قليلا اى فى زمان قليل ليعلم انهم لا يفون بقولهم بل يعودون الى الكفر
بعد كشفه قاله بن مسعود فلما كشف ذلك عنهم باستسقا النبى صلى الله عليه وسلم لهم عادوا
الى تكذيبه ومن قال ان الدخان منتظر قال اشار بهذا الى ما كان من الفرجة بين آية وآية
من آيات قيام الساعة ثم من قضى عليه بالكفر يستمر على كفره ومن قال هذا فى القيامة
قال اى لو كشفنا عنكم لعدتم الى الكفر وقيل معنى انكم عايدون الينا اى مبعوثون بعد الموت
وقيل المعنى انكم عايدون الى نار جهنم ان لم تومنوا قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى
انا منتقمون يوم محمول على ما دل عليه منتقمون اى ينتقم منهم يوم نبطش وابعده بعض النحويين
بسبب ان ما بعد ان لا يفسر ما قبلها وقيل ان العامل فيه منتقمون وهو بعيد ايضا لان
ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ولا يحسن تعلق بقوله عايدون ولا بقوله انا كاشفوا العذاب
اذ ليس المعنى عليه ويجوز نصبه باضمار فعل كانه قال ذكرهم او اذكر ويجوز ان يكون المعنى
انكم عايدون فاذا عدتم انتقمنا منكم يوم نبطش البطشة الكبرى ولهذا وصل هذا بقصة
فرعون فانهم وعدوا موسى الايمان ان كشف عنهم العذاب ثم لم يومنوا حتى غرقوا وقيل
انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون كلام تام ثم ابتدا يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
اى ينتقم من جميع الكفار وقيل المعنى وارتقب الدخان وارتقب يوم نبطش فحذف واو العطف
كما تقول اتق النار اتق العذاب والبطشة الكبرى فى قول بن مسعود يوم بدر وهو قول بن
عباس ابى ابن كعب ومجاهد والضحاك وقيل عذاب جهنم يوم القيامة قاله الحسن و
عكرمة وبن عباس ايضا واختاره الزجاج وقيل دخان يقع فى الدنيا او جوع او قحط
يقع قبل القيامة الماوردى ويحتمل انها قيام الساعة لانها خاتمة بطشاته فى الدنيا
ويقال انتقم الله منه اى عاقبه والاسم منه النقمة والجمع نقمات وقيل بالفرق بين
النقمة والعقوبة فالعقوبة بعد المعصية لانها من العاقبة والنقمة قد تكون قبلها
قاله بن عباس وقيل العقوبة ما تقدرت والانتقام غير مقدر قوله تعالى ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون اى ابتليناهم ومعنى هذه الفتنة والابتلا الامر بالطاعة والمعنا
عاملناهم معاملة المختبر ببعثة موسى اليهم فكذبوا فاهلكوا فهكذا افعل باعداك
يا محمد ان لم يومنوا وقيل فتناهم عذبناهم بالغرق وفى الكلام تقديم وتاخير والتقدير
ولقد جاء آل فرعون رسول كريم وفتناهم اى اغرقناهم لان الفتنة كانت بعد مجى الرسل
والواو لا ترتيب ومعنى كريم اى كريم فى قومه وقيل كريم الاخلاق بالتجاوز والصفح وقال
الفرا كريم على ربه اختصه بالنبوة واسما الكلام ان ادوا الى عباد الله قال بن عباس
المعنى جاهم فقال ان اتبعون فعباد الله منادى وقال مجاهد المعنى ارسلوا معى عباد الله

واطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا مفعول وقيل ادوا الى سمعكم حتى ابلغكم سأله اى وقيل المعنى ادوا
الى عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله اى ادوا الى سمعكم حتى ابلغكم رسالة ربكم انى لكم
رسول امين اى امين على الوحى فاقبلوا نصحى وقيل امين عاما استاد به منكم فلا اخون فيه وان لا تعلوا
على الله اى لا تتكبروا عليه ولا ترتفعوا عن طاعته وقال قتادة لا تبغوا على الله ابن عباس لا تفتروا
على الله والفرق بين البغى والافترا ان البغى بالفعل والافترا بالقول وقال ابن جريج لا تعظموا
على الله يحيى بن سلام لا تستكبروا على عباد الله والفرق بين التعظيم والاستكبار ان التعظيم
تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر ذكره الماوردى انى اتيكم بسلطان مبين قال قتاده
بعذر بين وقال يحيى بن سلام بحجة بينة والمعنى واحد اى برهان بين قوله تعالى وانى عذت
بربى وربكم ان ترجمون كانهم توعدوه بالقتل فاستجار بالله قال قتاده ترجمون بالحجارة
وقال ابن عباس تشتمونى فيقولوا ساحر كذاب واظهر الذال من عذت نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم
ويعقوب وادغم الباقون والادغام طلبا للتخفيف والاظهار على الاصل ثم قيل انى عذت بالله فيما
مضى لان الله وعده فقال فلا يصلون اليكما وقيل انى اعوذ كما تقول نشدتك بالله واقسمت عليك
بالله اى اقسم قوله تعالى وان لم تؤمنوا لى اى لم تصدقونى ولم تؤمنوا بالله لاجل برهانى فاللام
فى لى لام اجل وقيل اى وان لم تؤمنوا بى لقوله فآمن له لوط اى به فاعتزلون اى دعونى
كفافا لا لى ولا على قاله مقاتل وقيل اى كونوا بمعزل منى وانا بمعزل منكم الى ان يحكم الله
بيننا وقيل فخلوا سبيلى وكفوا عن اذاى والمعنى متقارب قوله تعالى فدعا ربه فيه حذف
اى فكفروا فدعا ربه ان هؤلاء بالفتح ان اى بان هؤلاء قوم مجرمون اى مشركون قد امتنعوا
من اطلاق بنى اسرائيل ومن الايمان قوله تعالى فاسر بعبادى ليلا فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى فاسر بعبادى ليلا اى فاجبنا دعاه واوحينا اليه ان اسر بعبادى اى بمن آمن
بالله من بنى اسرائيل ليلا اى قبل الصباح انكم متبعون وقرا اهل الحجاز فاسر بوصل الالف وكذلك
ابن كثير من سوى الباقون فاسر بالقطع من اسرى وقد تقدم وتقدم خروج فرعون ورا موسى
فى البقرة والاعراف وطه والشعرا ويونس واغرا قه وانجا موسى فلا معنى للاعادة. الثانية
امر موسى عليه السلام بالخروج ليلا وسير الليل فى الغالب انما يكون عن خوف والخوف
يكون بوجهين اما من العدو فيتخذ الليل سترا مسدلا فهو من اسرار الله تعالى واما من خوف
المشقة على الدواب والابدان بحر او جدب فيتخذ السرى مصلحة من ذلك وكان النبى صلى الله
عليه وسلم يسرى ويدلج ويترفق ويستعجل بحسب الحاجة وما تقتضيه المصلحة وفى الصحيح
عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم فى السنة فبادروا بها نقيها وفى الخصب فاعطوا الابل
حظها من الارض واذا سافرتم فى السنة فبادروا بها نقيها وقد مضى فى اول النحل والحمد لله
قوله تعالى واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون قال ابن عباس رهوا اى طريقا وقاله
كعب والحسن وعن ابن عباس ايضا سمتا الضحاك والربيع سهلا عكرمة يبسا لقوله فاضرب
لهم طريقا فى البحر يبسا وقيل مفترقا مجاهد منفرجا وعنه يابسا وعنه ساكنا وهو المعروف

في اللغ

فى اللغة وقاله قتادة والهروى وقال غيرهما منفرجا وقال ابن عرفة وهما يرجعان الى معنى
واحد وان اختلف لفظاهما لانه اذا سكن جريه انفرج وكذلك كان البحر سكن جريه
وانفرج لموسى عليه السلام والرهو عند العرب الساكن يقال جاءت الخيل رهوا اى ساكنة
قال والخيل تمزع رهوا فى اعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد
الجوهرى ويقال افعل ذلك رهوا اى ساكنا على هينتك وعيش راه اى ساكن رافه وخمس
راه اذا كان سهلا ورها البحر اى سكن وقال ابو عبيدة رها بين رجليه يرهو رهوا اى فتح
ومنه قوله تعالى واترك البحر رهوا والرهو السير السهل يقال جاءت الخيل رهوا
قال ابن الاعرابى رها يرهو فى السير اى رفق قال القطامى فى نعت الركاب
يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل
والرهو والرهوة المكان المرتفع والمنخفض ايضا يجتمع فيه الماء وهو من الاضداد و
قال ابو عبيد الرهو الجوبة تكون فى محلة القوم يسيل فيها ماء المطر وغيره وفى الحديث انه
قضى ان لا شفعة فى فنا ولا طريق ولا منقبة ولا ركح ولا رهو والجمع رها والرهو المراة
الواسعة الهن حكاه النضر بن شميل والرهو ضرب من الطير ويقال هو الكركى قال الهروى
ويجوز ان يكون رهوا من نعت موسى عليه السلام وقاله القشيرى اى سر ساكنا على هينتك
فالرهو من نعت موسى وقومه لا من نعت البحر وعلى الاول من نعت البحر اى اتركه ساكنا
كما هو قد انفرق فلا تامره بالانضمام حتى يدخل فرعون وقومه قال قتادة اراد موسى ان يضرب
البحر كما قطعه بعصاه حتى يلتئم وخاف ان يتبعه فرعون فقيل له هذا وقيل ليس الرهو من
السكون بل هو الفرجة بين الشيئين يقال رها ما بين الرجلين اى فرج فقوله رهوا اى منفرجا
وقال الليث الرهو مشى فى سكون يقال رها يرهو رهوا فهو راه وعيش راه وادع خافض وافعل
ذلك سهوا رهوا اى ساكنا بغير شدة وقد ذكرنا انفا انهم اى ان فرعون وقومه جند مغرقون
اخبر موسى بذلك ليسكن قلبه قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم كم للتكثير وقد مضى الكلام فى معنى هذه الاية فى الشعرا مستوفى ونعمة كانوا فيها فاكهين
النعمة بالفتح التنعيم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وامراة منعمة ومناعمة بمعنى والنعمة بالكسر
اليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك وكذلك النعمى فان فتحت النون مددت وقلت النعما
والنعيم مثله وفلان واسع النعمة اى واسع المال جميعه عن الجوهرى وقال ابن عمر المراد بالنعمة
نيل مصر ابن لهيعة الفيوم ابن زياد ارض مصر لكثرة خيرها وقيل ما كانوا فيه من السعة والدعة
وقد يقال نعمة ونعمة بفتح النون وكسرها حكاه الماوردى قال وفى الفرق بينهما وجهان احدهما
انها بكسر النون فى الملك وبفتحها فى البدن والدين قاله النضر بن شميل الثانى انها بالكسر من المنن
وهو الافضال والعطية وبالفتح من التنعيم وهو سعة العيش والراحة قاله ابن زياد قال الشيخ
رحمه الله هذا الفرق هو الذى وقع فى الصحاح وقد ذكرناه وقرا ابو رجا والحسن وابو الاشهب
والاعرج وابو جعفر وشيبة فكهين بغير الف ومعناه اشرين بطرين قال الجوهرى

فكِهَ الرجل بالكسر فهو فكِهٌ اذا كان طيب النفس مزاحًا والفكه ايضًا الاشر البطر وقرى ونعمة كانوا فيها فكهين اى اشرين وفاكهين اى ناعمين القشيرى فاكهين لاهين مازحين يقال انه لفاكه اى مزاح الثعلبى وقيل هما لغتان كالحاذر والحذر والفاره والفره وقيل ان الفاكه هو المستمتع بانواع اللذة كما يتمتع الرجل بانواع الفاكهة والفاكهة فضل على القوت الذى لا بد منه قوله تعالى كذلك واورثناها قومًا آخرين قال الزجاج اى الامر كذلك فيوقف على ذلك وقيل الكاف فى موضع نصب على تقدير نفعل فعلا كذلك بمن يريد اهلاكه وقال الكلبى كذلك افعل بمن عصانى وقيل كذلك كان امرهم فاهلكوا واورثناها قومًا آخرين يعنى بنى اسرائيل ملكهم الله تعالى ارض مصر بعد ان كانوا فيها مستعبدين فصاروا لها وارثين لوصول ذلك اليهم لوصول الميراث ونظيره واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الاية قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اى لكفرهم وما كانوا منظرين اى موخرين بالغرق وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم بكت له السماء والارض اى عمت مصيبته الاشياء حتى بكته السماء والارض والريح والبرق وبكته الليالى الشاتيات قال الشاعر

الريح تبكى شجوه والبرق يلمع فى غمامه وقال الاخر

والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكى عليه نجوم الليل والقمرا وقال الخارجية

ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكاء عليه والمعنى انهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد لهم فقد وقيل فى الكلام اضمار اى ما بكى عليهم اهل السماء والارض من الملائكة كقوله واسئل القرية بل سروا بهلاكهم قاله الحسن وروى يزيد الرقاشى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مومن الا له فى السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فاذا مات فقداه فبكيا عليه وتلى فما بكت عليهم السماء والارض يعنى انهم لم يعملوا على الارض عملا صالحا تبكى عليه لاجله ولا صعد لهم الى السماء عمل صالح فتبكى فقد ذلك وقال مجاهد ان السماء والارض يبكيان على المومن اربعين صباحا قال ابو يحيى فعجب من قوله فقال اتعجب وما للارض لا تبكى على عبد يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل وقال على وابن عباس رضى الله عنهما انه يبكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء وتقدير الاية على هذا فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الارض وهو معنى قول سعيد بن جبير وفى بكاء الارض والسماء ثلاثة اوجه احدها انه كالمعروف من بكاء الحيوان ويشبه ان يكون قول مجاهد وقال شريح الحضرمى قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء يوم القيامة قيل منهم يا رسول الله قال الذين اذا فسد الزمان صلحوا ثم قال الا لا غربة على مومن وما مات مومن فى غربة غائبا عنه بواكيه

الا بكت عليه السماء والارض ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والارض ثم قال الا انهما لا يبكيان على الكافر قال الشيخ رحمه الله وذكر ابو نعيم محمد بن معمر قال حدثنا ابو شعيب الحرانى قال حدثنا يحيى بن عبد الله قال حدثنا الاوزاعى قال حدثنى عطاء الخراسانى قال ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقيل بكاؤها حمرة اطرافها قاله على بن ابى طالب رضى الله عنه وعطاء والسدى والترمذى ومحمد بن على وحكاه عن الحسن وقال السدى لما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكت عليه السماء والارض وبكاؤها حمرتها وحكى جرير عن يزيد بن ابى زياد قال لما قتل الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما احمر له آفاق السماء اربعة اشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وقال محمد بن سيرين اخبرونا ان الحمرة التى مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين ابن على رضى الله عنهما وقال سليمان القاضى مطرنا دما يوم قتل الحسين قال الشيخ رحمه الله روى الدارقطنى من حديث ملك بن انس عن نافع عن ابن عمر قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الشفق الحمرة وعن عبادة بن الصامت وشداد بن اوس قالا الشفق شفقان الحمرة والبياض فاذا غابت الحمرة حلت الصلوة وعن ابى هريرة قال الشفق الحمرة وهذا يرد ما حكاه ابن سيرين وقد تقدم فى سبحان عن قرة بن خالد قال ما بكت السماء على احد الا على يحيى بن زكريا والحسين ابن على وحمرتها بكاؤها وقال محمد بن على الترمذى والبكاء ادرار الشى فاذا ادرت العين بمائها قيل بكت واذا ادرت السماء حمرتها قيل بكت واذا ادرت الارض بغبرتها قيل بكت لان المومن نور ومعه نور الله فالارض مضيئة بنوره وان غاب فاذا فقد نور المومن اغبرت فدرت باغبرارها لانها كانت غبرا الخطايا اهل الشرك وانما صارت مضيئة بنور المومن فاذا قبض المومن منها درت بغبرتها وقال انس لما كان اليوم الذى دخل فيه النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء كل شى فلما كان اليوم الذى قبض فيه اظلم كل شى وانا لفى دفنه ما نفضنا الايدى منه حتى انكرنا قلوبنا واما بكاء السماء فحمرتها كما قال الحسن وقال نصر بن عاصم ان اول الايات حمرة تظهر وانما ذلك لدنو الساعة فتدر بالبكاء لخلائها من انوار المومنين وقيل بكاؤها امارة تظهر منها تدل على حزن واسف قال الشيخ رحمه الله والاظهر القول الاول اذ لا استحالة فى ذلك واذا كانت السموات والارض تسبح وتسمع وتتكلم كما بيناه فى سبحان ومريم وحم فصلت فكذلك تبكى مع ما جاء من الخبر فى ذلك والله اعلم قوله تعالى ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين يعنى ما كانت القبط تفعل بهم بامر فرعون من قتل الابناء واستخدام النساء واستعبادهم اياهم وتكليفهم الاعمال الشاقة من فرعون بدل من العذاب المهين فلا تتعلق من بقوله من العذاب لانه قد وصف وهو لا يعمل بعد الوصف عمل الفعل وقيل اى نجيناهم من العذاب ومن فرعون انه كان عاليا من المسرفين اى جبارا من المشركين وليس هذا علو مدح بل هو علو فى الاسراف لقوله ان فرعون علا فى الارض وقيل هذا العلو هو الترفع عن عبادة الله قوله تعالى ولقد اخترناهم يعنى بنى اسرائيل على علم اى على علم منا بهم لكثرة الانبياء منهم

على العالمين اى عالمى زمانهم بدليل قوله لهذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس وهذا قول قتادة وغيره
وقيل على كل العالمين بما جعل فيهم من الانبيا وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه بن عيسى والزمخشرى
وغيرهما ويكون قوله كنتم خير امة اى بعد بنى اسرايل والله اعلم وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخليصهم
من الغرق وايراثهم الارض بعد فرعون وآتيناهم من الآيات اى من معجزات موسى ما فيه
بلا مبين قال قتادة الآيات انجاوهم من عدوهم وفلق البحر لهم وظلل الغمام عليهم وانزال المن
والسلوى ويكون هذا الخطاب متوجها الى بنى اسرايل وقيل انها العصا واليد ويشبه ان يكون قول
الفرا ويكون الخطاب متوجها الى قوم فرعون وقول ثالث انه الشر الذى نهاهم عنه والخير الذى امرهم
به قاله عبد الرحمن ابن زيد ويكون الخطاب متوجها الى الفريقين معا من قوم فرعون وبنى اسرايل
وفى قوله بلا مبين اربعة اوجه احدها نعمة ظاهرة قاله الحسن وقتادة كما قال الله تعالى
وليبلى المومنين منه بلاء حسنا وقال زهير فابلاهما خير البلا الذى يبلوا
الثانى عذاب شديد قاله الفرا الثالث اختبار يتميز به المومن من الكافر قاله عبد الرحمن ابن زيد
وعنه ايضا ابتلاهم بالرخاء والشدة وقرا لنبلوكم بالشر والخير فتنة قوله تعالى ان هؤلاء
ليقولون يعنى كفار قريش ان هى الا موتتنا الاولى ابتدا وخبر مثل ان هى الا فتنتك ان هى الا حياتنا
الدنيا وما نحن بمنشرين اى بمبعوثين فاتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ان نشر الله الموتى فنشروا وقد
تقدم والمنشورون المبعوثون قيل ان قال هذا من كفار قريش ابو جهل قال يا محمد ان كنت صادقا
فى قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا احدهما قصى بن كلاب فانه كان رجلا صادقا لنسله عما يكون
بعد الموت وهذا القول من ابى جهل من اضعف الاقوال لشبهات لان الاعادة انما هى للجزاء
لا للتكليف فكانه قال ان كنت صادقا فى اعادتهم للجزاء فاعدهم للتكليف وهو كقول قايل
لو قال ان كان ينشا بعدنا قوم من الابناء فلم لا يرجع من مضى من الآبا حكاه الماوردى ثم قيل فاتوا
بآبائنا مخاطبة للنبى صلى الله عليه وسلم وحده لقوله رب ارجعون قاله الفرا وقيل مخاطبة
له ولتباعه قوله تعالى اهم خير ام قوم تبع هذا استفهام انكار اى انهم مستحقون فى
هذا القول العذاب اذ ليسوا خيرا من قوم تبع والامم المهلكة واذا اهلكنا اولئك
فكذا هؤلا وقيل المعنى اهم اظهر نعمة واكثر اموالا ام قوم تبع وقيل اهم اعز واشد وا
منع ام قوم تبع وليس المراد بتبع رجلا واحدا بل المراد ملوك اليمن وكانوا يسمون ملوكهم
التبابعة فتبع لقب للملك منهم كالخليفة للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وقال ابو عبيدة
سمى كل واحد منهم تبعا لانه يتبع صاحبه قال الجوهرى والتبابعة ملوك اليمن واحدهم
تبع والتبع ايضا الظل وقال برد المياه حضيرة ونفيضة وردة القطاة اذا اسمال التبع
يعنى اذا حضر الظل نصف النهار فالوح والتبع ايضا ضرب من الطير وقال السهيلى تبع
اسم لكل ملك ملك اليمن والسحر وحضرموت وان ملك اليمن وحدها لم يقل له تبع
قاله المسعودى فمن التبابعة الحرث الرايش وهو ابن همال ذى شدد وابرهة ذو المنار
وعمرو ذو الاذعار وشمر بن ملك الذى تنسب اليه سمرقند وافريقيس بن قيس

الذى

الذى ساق البربر الى افريقيه من ارض كنعان وبه سميت افريقيه والظاهر من الآيات ان الله
سبحانه انما اراد واحدا منها ولا وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم اشد من معرفته غيره
وكذلك قال عليه السلام ولا ادرى اتبع لعين ام لا ثم قد روى عنه انه قال لا تسبوا تبعا
فانه كان مومنا فهذا يدلك على انه كان واحدا بعينه والله اعلم ابو كريب الذى كسا البيت
بعد ما اراد غزوه وبعد غزا المدينه واراد خرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبى
اسمه احمد وقال شعرا اودعه عند اهلها فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبى
صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال كان الكتاب والشعر عند ابى ايوب خالد بن زيد
وفيه شهدت على احمد انه رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم
وذكر الزجاج وبن ابى الدنيا والزمخشرى وغيرهم انه حفر له قبر بصنعا ويقال بناحية حمير
فى الاسلام فوجد فيه امراتان صحيحتان وعند روسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب
هذا قبر حبا لميس ويروى ايضا حبا وتماضر ويروى ايضا هذا قبر رضوى وقبر حبى ابنتا
تبع ماتتا وهما يشهدان ان لا اله الا الله ولا يشركان به شيا وعلى ذلك مات الصالحون
قبلهما قال الشيخ رحمه الله وروى ابن اسحاق وغيره انه كان فى الكتاب الذى كتبه اما بعد
فانى امنت بك وبكتابك الذى انزل عليك وانا على دينك وسنتك وامنت بربك ورب كل
شى وامنت بكل ما جاء من ربك من شرايع الاسلام فان ادركتك فيها ونعمت وان لم ادركك
فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فانى من امتك الاولين وبايعتك قبل مجيك وانا على ملتك
وملة ابيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن
بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن عبد الله نبى الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين
صلى الله عليه وسلم من تبع الاول وقد ذكرنا بقية خبره واوله فى اللمع اللولوية فى شرح العشر
بينات النبوية للفازازى رحمه الله وكان من اليوم الذى مات فيه تبع الى اليوم الذى
بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم الف سنة لا تزيد ولا تنقص واختلف هل كان نبيا
او ملكا فقال بن عباس كان تبع نبيا وقال كعب كان تبع ملكا من الملوك وكان قومه كهانا
وكان معهم قوم من اهل الكتاب فامر الفريقين ان يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلو
فتقبل قربان اهل الكتاب فاسلم وقالت عايشه رضى الله عنها لا تسبوا تبعا فانه كان
رجلا صالحا وحكى قتادة ان تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حير الحيرة
واتى سمرقند فهدمها حكاه الماوردى وحكى الثعلبى عن قتادة انه تبع الحميرى وكان
سار بالجيوش حتى عبر الحيرة وبنا سمرقند وقتل وهدم البلاد وقال الكلبى تبع هذا ابو كرب
اسعد بن ملكيكرب وانما سمى تبعا لانه تبع من قبله وقال سعيد بن جبير هو الذى كسى البيت
الحبرات وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه وضرب بهم لقريش مثلا لقربهم من دارهم وعظمهم
فى نفوسهم فلما اهلكهم الله تعالى ومن قبلهم لانهم كانوا مجرمين كان من اجرم مع

ضعف الید وقلة العدد احدى بالهلاك وافتخر اهل الیمن بهذه الآیة اذ جعل الله قوم تبع خیرا
من قریش وقیل سمی اولهم تبعًا لانه اتبع قرن الشمس وسافر فی الشرق مع العساكر
والذین من قبلهم اهلكناهم الذین فی موضع رفع عطف علی قوم تبع اهلكناهم صلته ویكون
من قبلهم متعلقًا به وتجوز ان یكون من قبلهم صلة الذین ویكون فی الظرف عاید الی الموصول
واذا كان كذلك كان اهلكناهم علی احد امرین اما ان یقدر معه قد فیكون فی موضع الحال او یقدر
حذف موصوف كانه قال اهلكناهم والتقدیر افلا یعتبرون انا قدرنا علی اهلاك هاؤلا
المذكورین قدرنا علی اهلاك المشركین وتجوز ان یكون والذین من قبلهم ابتدا خبره اهلكناهم
وتجوز ان یكون الذین فی موضع جر عطفا علی تبع كانه قال قوم تبع المهلكین من قبلهم وتجوز
ان یكون الذین فی موضع نصب باضمار فعل دل علیه اهلكناهم قوله تعالى وما خلقنا السموت
والارض وما بینهما لاعبین ای غافلین قاله مقاتل وقیل لاهین وهو قول الكلبی ما خلقناهما الا
بالحق ای الا بالامر الحق قاله مقاتل وقیل الا للحق قاله الكلبی والحسن وقیل الا لاقامة الحق
واظهاره من توحید الله والتزام طاعته وقد مضی هذا المعنی فی الانبیاء ولكن اكثرهم یعنی اكثر
الناس لا یعلمون ذلك قوله تعالى ان یوم الفصل میقاتهم اجمعین یوم الفصل هو یوم القیامة
وسمی بذلك لان الله یفصل فیه بین خلقه دلیله قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم
یوم القیامة یفصل بینكم ونظیره ویوم تقوم الساعة یومئذ یتفرقون فیوم الفصل میقات
الكل كما قال ان یوم الفصل میقاتا ای الوقت المجعول لتمییز المسیء من المحسن والفصل
بینهما فریق فی الجنة وفریق فی السعیر وهذا غایة فی التحذیر والوعید ولا خلاف بین القرا
فی رفع میقاتهم علی انه خبر ان واسمها یوم الفصل واجاز الكسای والفرا نصب میقاتهم
بان ویوم الفصل ظرف فی موضع خبر ان ای ان میقاتهم یوم الفصل قوله تعالى یوم لا یغنی
مولی عن مولی شیئا یوما بدل من یوم الاول والمولی الولی وهو ابن العم والناصر ای لا یدفع ابن
عم عن ابن عمه ولا قریب عن قریبه ولا صدیق عن صدیقه ولا هم ینصرون ای لا ینصر المومن
الكافر لقرابته ونظیر هذه الایة واتقوا یوما لا تجزی نفس عن نفس شیئا الآیة الا
من رحم الله من رفع علی البدل من المضمر فی ینصرون كانك قلت لا یقوم احد الا فلان
او علی الابتداء والخبر مضمر كانه قال الا من رحم الله فمغفور له او فیغنی عنه ویشفع
وینصر او علی البدل من مولی الاول كانه قال لا یغنی الا من رحم الله وهی عند الكسای
والفرا نصب علی الاستثناء المنقطع ای لكن من رحم الله لا ینالهم ما یحتاجون فیه الی
من ینفعهم من المخلوقین وتجوز ان یكون استثناء متصلا ای لا یغنی قریب عن قریب الا
المومنین فانه یوذن لهم فی شفاعة بعضهم لبعض انه هو العزیز الرحیم ای المنتقم
من اعدایه الرحیم باولیایه كما قال شدید العقاب ذی الطول فقرن الوعد بالوعید
قوله تعالى ان شجرة الزقوم كل ما فی كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف علیه بالهاء
الا حرفا واحدا فی سورة الدخان ان شجرت الزقوم طعام الاثیم قاله ابن الانباری والاثیم

الفاجر

الفاجر قاله ابو الدرداء وكذلك قراه ابن مسعود قال همام بن الحرث كان ابو الدردا یقری
رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثیم والرجل یقول طعام الیتیم فلما لم یفهم قال له طعام
الفاجر قال ابو بكر الانباری حدثنی ابی حدثنا نصر حدثنا ابو عبید حدثنا نعیم بن حماد عن
عبد العزیز بن محمد عن ابن عجلان عن عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال علم عبد الله
بن مسعود رجلا ان شجرت الزقوم طعام الاثیم فقال الرجل طعام الیتیم فاعاد عبد الله الصواب
واعاد الرجل الخطا فلما رای عبد الله ان لسان الرجل ما یستقیم قال له اما تحسن ان تقول
طعام الفاجر قال بلی قال افعل ولا حجة فی هذا للجهال من اهل الزیغ انه یجوز ابدال الحرف من
القران بغیره لان ذلك انما كان من عبد الله تقریبا للمتعلم وتوطیة منه للرجوع الی الصواب
واستعمال الحق والتكلم بالحرف علی انزال الله وحكایة رسول الله صلى الله علیه وسلم وقال
الزمخشری وبهذا یستدل علی ان ابدال كلمة مكان كلمة جایز اذا كانت مودیة معناها ومنه اجاز
ابو حنیفه القراءة بالفارسیة علی شریطه وهو ان یودی القاری المعانی علی كمالها من
غیر ان یخرم منها شیا قالوا وهذه الشریطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان فی كلام
العرب خصوصا فی القرآن الذی هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واسالیبه من لطایف
المعانی والاغراض ما لا یستقل باداییه لسان من فارسیة وغیرها وما كان ابو حنیفه
رحمه الله یحسن الفارسیة فلم یكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروی عن علی بن الجعد
عن ابی یوسف عن ابی حنیفه مثل قول صاحبیه فی انكار القراءة بالفارسیة وشجرت
الزقوم الشجرة التی خلقها الله فی جهنم وسماها الشجرة الملعونة فاذا جاع اهل النار التجوا
الیها فاكلوا منها فغلیت فی بطونهم كما یغلی الماء الحار وشبه ما یصیر منها الی بطونهم بالمهل
وهو النحاس المذاب وقراءة العامة تغلی بالتاء حمله علی الشجرة وقرا ابن كثیر وحفص
وابن محیصن ورویس عن یعقوب یغلی بالیاء حمله علی الطعام وهو فی المعنی الشجرة ولا یحمل
علی المهل لانه ذكر للتشبیه والاثیم الاثم من اثم یاثم اثما قاله القشیری وابن عیسی فقیل
هو المشرك المكتسب للاثم قاله یحیی بن سلام وفی الصحاح وقد اثم الرجل بالكسر اثما
ومأثما اذا وقع فی الاثم فهو اثم واثیم واثوم ایضا فمعنی طعام الاثیم ای ذو الاثم الفاجر
وهو ابو جهل وذلك انه قال یعدنا محمد ان فی جهنم الزقوم وانما هو الثرید بالزبد
والتمر فبین الله خلاف ما قاله وحكی النقاش عن مجاهد ان شجرة الزقوم ابو جهل
قال الشیخ رحمه الله ولا یصح هذا عن مجاهد وهو مردود بما ذكرناه فی هذه السورة
فی سورة والصافات وسبحان ایضا قوله تعالى خذوه فاعتلوه ای یقال للزبانیة
خذوه یعنی الاثیم فاعتلوه ای جروه وسوقوه والعتل ان یاخذ بتلابیب الرجل
فیعتله ای یجره الیك لتذهب به الی حبس او بلیة عتلت الرجل اعتله واعتله
اذا جذبته جذبا عنیفا ورجل معتل بالكسر قال یصف فرسا
نفرعه فرعا ولسنا نعتله   وفیه لغتان عتله وعتنه باللام

والنون جميعا قاله ابن السليب وقرا الكوفيون وابو عمرو فاعتلوه بالكسر وضم الباقون
الى سوا الجحيم وسط الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الجحيم قال مقاتل يضرب
ملك خازن النار ضربة على راس ابي جهل بمقمع من حديد فيتفتت راسه عن دماغه
فيجري دماغه على جسده ثم يصب الملك ماء حميما قد انتهى حره فيقع في بطنه فيقول
الملك ذق العذاب ونظيره يصب من فوق روسهم الحميم قوله تعالى ذق انك انت
العزيز الكريم قال ابن الانباري اجمعت العوام على كسر ان وروى عن الحسن عن علي
رحمه الله ذق انك بفتح ان وبها يقرا الكسائي فمن كسر ان وقف على ذق ومن
فتحها لم يقف على ذق لان المعنى ذق لانك وبانك انت العزيز الكريم قال قتادة نزلت
في ابي جهل وكان قد قال ما فيها اعز مني ولا اكرم فلذلك قيل له ذق انك العزيز الكريم
وقال عكرمة التقى النبي صلى الله عليه وسلم وابو جهل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى فقال باي شي تهددني والله ما تستطيع انت
ولا ربك ان تفعلا بي شيئا اني لمن اعز هذا الوادي واكرمه على قومه فقتله الله يوم
بدر واذله ونزلت هذه الاية اي يقول لك الملك ذق انك انت العزيز الكريم بزعمك
وقيل هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزا والاهانة والتنقيص اي قال
له انك انت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب لشعيب انك لانت الحليم الرشيد يعنون
السفيه الجاهل في احد التاويلات على ما تقدم وهذا قول سعيد بن جبير ان هذا ما
كنتم به تمترون اي تقول لهم الملائكة ان هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا قوله تعالى
ان المتقين في مقام امين لما ذكر مستقر الكافرين وعذابهم ذكر نزل المومنين ونعيمهم
وقرا نافع وابن عامر في مقام بضم الميم الباقون بالفتح قال الكسائي المقام المكان والمقام
الاقامة كما قال ۝ عفت الديار محلها فمقامها ۝ قال الجوهري واما المقام
والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام لانك
اذا جعلته من قام يقوم فمفتوح وان جعلته من اقام يقيم فمضموم لان الفعل اذا جاوز
الثلاثة فالموضع مضموم الميم لانه مشبهة ببنات الاربعة نحو دحرج وهذا مدحرجنا
وقيل المقام بالفتح المشهد والمجلس وبالضم يمكن ان يراد به المكان ويمكن ان يكون
مصدرا ويقدر فيه المضاف اي في موضع اقامة امين يومن فيه من الآفات في جنات وعيون
بدل من مقام امين يلبسون من سندس واستبرق متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض متواجهين
يدور بهم مجلسهم حيث داروا والسندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه
وقد مضى في الكهف قوله تعالى كذلك اي الامر كذلك الذي ذكرناه فيوقف على كذلك
وقيل اي كما ادخلناهم الجنة وفعلنا بهم ما تقدم ذكره كذلك اكرمناهم بان زوجناهم
حورا عينا وقد مضى الكلام في العين في والصافات والحور البيض في قول قتادة والعامة
جمع حوراء والحوراء البيضاء التي يرى ساقها من وراء ثيابها ويرى الناظر وجهه في كعبها

كالمرأة

كالمرأة من دقة الجلد وبضاضة البشرة وصفاء اللون ودليل هذا التاويل انها في حرف ابن مسعود
بعيس عين وذكر ابو بكر الانباري اخبرنا احمد بن الحسين حدثنا حسن حدثنا عمار بن محمد قال صليت
خلف منصور بن المعتمر فقرا في حم الدخان بعيس عين لا يذوقون طعم الموت الا الموتة الاولى
والعيس البيض ومنه قيل للابل البيض عيس واحدها بعير اعيس وناقة عيساء قال امرؤ القيس
يرعن الى صوتي اذا ما سمعنه ۝ كما يرعوي عيس الى صوت اعيسا
فمعنى الحور هنا الحسان الثاقبات البياض بحسن وذكر ابن المبارك اخبرنا معمر عن ابي
اسحاق عن عمرو بن ميمون الاودي عن ابن مسعود قال ان المراة من الحور العين ليرى مخ ساقها
من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء وقال
مجاهد انما سميت الحور حورا لانهن يحار الطرف في حسنهن وبياضهن وصفاء لونهن وقيل انما
قيل لهن حور لحور اعينهن والحور شدة بياض العين في شدة سوادها امراة حوراء بينة الحور يقال
احورت عينه احورارا واحور الشي ابيض قال الاصمعي ما ادري ما الحور في العين وقال ابو عمرو
الحور ان تسود العين كلها مثل اعين الظباء والبقر قال وليس في بني آدم حور وانما قيل النساء حور
عين لانهن شبهن بالظباء والبقر وقول العجاج
باعين محورات بيض ۝ يعني الاعين النقيات البياض
الشديدات سواد الحدق وجمع عينا وهي الواسعة العظيمة العينين وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز وعن ابي
قرصافة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد مهور الحور العين ذكرها الثعلبي رحمه الله وقد
افردنا لهذا المعنى بابا مفردا في كتاب التذكرة والحمد لله واختلف ايما افضل في الجنة
نساء الآدميات ام الحور فذكر ابن المبارك قال واخبرنا رشدين عن ابن انعم عن حبان بن ابي جبلة
قال ان نساء الآدميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وروي
مرفوعا ان الآدميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف وقيل ان الحور العين افضل
لقوله عليه السلام في دعائه وابدله زوجا خيرا من زوجه والله اعلم وقرا عكرمة بحور عين
مضاف والاضافة والتنوين في بحور عين سواء قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة آمنين
قال قتادة آمنين من الموت والوصب والشيطان وقيل آمنين من انقطاع ما هم فيه من النعيم
او من ان ينالهم من اكلها اذى او مكروه قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
اي لا يذوقون فيها الموت البتة لانهم خالدون فيها ثم قال الا الموتة الاولى على الاستثناء المنقطع
اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها في الدنيا وانشد سيبويه
من كان اسرع في تفرق فالج ۝ فلبونه جربت معا واغدت
ثم استثنى بما ليس من الاول فقال ۝ الا كناشرة التي ضيعتم ۝ كالغصن في غلوائه المتنبت
وقيل ان الا بمعنى بعد لقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك اي بعد رجل عندك

وقيل الا بمعنى سوى اى سوى الموتة التى ماتوها فى الدنيا لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
الا ما قد سلف اى سوى ما قد سلف وهو كما تقول ما ذقت اليوم طعاما سوى ما اكلت امس وقال
القتبى الا الموتة الاولى معناه ان المومن اذا اشرف على الموت استقبلته ملائكة الرحمة وتلقى الروح
والريحان وكان موته فى الجنة لاتصاله باسبابها فهو استثناء صحيح والموت عرض لا يذاق ولكن
جعل كالطعام الذى يكره ذوقه فاستعير فيه لفظ الذوق ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك
اى فعل ذلك بهم تفضلا منه عليهم ففضلا مصدر عمل فيه يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم
وقيل فعل مضمر وقيل معنى الكلام الذى قبله لانه تفضل منه عليهم اذ وفقهم فى الدنيا
الى اعمال يدخلون بها الجنة ذلك هو الفوز العظيم اى السعادة والربح العظيم والنجاة العظيمة
وقيل هو من قولك فاز بكذا اى نال وظفر به قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك يعنى القرآن
اى سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه لعلهم يتذكرون يتعظون وينزجرون ونظيره
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فختم السورة بالحث على اتباع القرآن وان لم
يكن مذكورا كما قال فى مفتتح السورة انا انزلناه فى ليلة مباركة انا انزلناه فى ليلة القدر
على ما تقدم فارتقب انهم مرتقبون اى انتظر ما وعدتك من النصر عليهم انهم منتظرون
لك الموت حكاه النقاش وقيل انتظر الفتح من ربك انهم منتظرون بزعمهم قهرك وقيل انتظر
ان يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك ريب الحدثان والمعنى متقارب وقيل ارتقب يوم
القيامة ما وعدتك من الثواب فانهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب وقيل ارتقب يوم القيامة
فانه يوم الفصل وان لم يعتقدوا وقوع القيامة جعلوا كالمرتقبين لان عاقبتهم ذلك

سورة الجاثية مكية كلها فى قول الحسن وجابر وعكرمه وقال ابن عباس وقتادة
الا آية وهى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله نزلت بالمدينة فى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ذكره الماوردى وقال المهدوى والنحاس عن ابن عباس انها نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه
رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فانزل الله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله ثم نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فالسورة على هذا مكية كلها من غير خلاف
وهى سبع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم مبتدأ وتنزيل خبره وقال
بعضهم حم اسم السورة وتنزيل الكتاب مبتدأ وخبره من الله والكتاب القرآن والعزيز المنيع
المنيع الحكيم فى فعله وقد تقدم جميع هذا قوله تعالى ان فى السموات والارض اى فى خلقها
لآيات للمومنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها
وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تقدم جميعه مستوفى فى البقرة وغيرها وقراءة
العامة وما يبث من دابة آيات وتصريف الرياح آيات بالرفع فيهما وقرا حمزة والكسائى بكسر التاء
فيهما ولا خلاف فى الاول انه بالنصب على اسم ان وخبرها فى السموات ووجه الكسر فى آيات الثانى

العطف على ما عملت فيه ان التقدير وان فى خلقكم وما يبث من دابة آيات فاما الثالث فقيل
ان وجه النصب فيه تكرير آيات لما طال الكلام كما تقول ضربت زيدا زيدا وقيل انه على الحمل على ما
عملت فيه ان على تقدير حذف فى التقدير وفى اختلاف الليل والنهار آيات فحذف فى لتقدم ذكرها
وانشد سيبويه فى الحذف اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا فحذف كل المضاف الى
نار المجرورة لتقدم ذكرها وقيل هو من باب العطف على عاملين ولم يجزه سيبويه واجازه
الاخفش وجماعة من الكوفيين فعطف اختلاف على قوله وفى خلقكم ثم قال وتصريف الرياح
آيات فيحتاج الى العطف على عاملين والعطف على عاملين قبيح من اجل ان حروف العطف
تنوب مناب العامل فلم تقو ان تنوب مناب عاملين مختلفين اذ لو ناب مناب رافع وناصب
لكان رافعا ناصبا فى حال واما قراءة الرفع فحملا على موضع ان مع ما عملت فيه وقد الزم النحويون
فى ذلك ايضا العطف على عاملين لانه عطف واختلاف على وفى خلقكم وعطف آيات على
موضع آيات الاول ولكنه يقدر على تكرير فى ويجوز ان يرفع على القطع مما قبله فيرتفع بالابتداء
وما قبله خبره ويكون عطف جملة على جملة وحكى الفراء رفع اختلاف وآيات جميعا وجعل
الاختلاف هو الآيات قوله تعالى تلك آيات الله اى هذه آيات الله اى حججه وبراهينه
الدالة على وحدانيته وقدرته نتلوها عليك بالحق اى بالصدق الذى لا باطل ولا كذب
فيه وقرئ يتلوها بالياء فباى حديث بعد الله اى بعد حديث الله وقيل بعد قرآنه وآياته يومنون
وقراءة العامة بالياء على الخبر وقرا ابن محيصن وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائى تومنون
بالتاء على الخطاب قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم ويل واد فى جهنم توعد من ترك
الاستدلال بآياته والافاك الكذاب والافك الكذب اثيم اى مرتكب الاثم والمراد فيما روى النضر
الحارث وعن ابن عباس انه الحارث ابن كلدة وحكى الثعلبى انه ابو جهل واصحابه يسمع آيات
الله تتلى عليه يعنى آيات القرآن ثم يصر مستكبرا اى يتمادى على كفره متعظما فى نفسه على الانقياد
ماخوذ من صر الصرة اذا شدها قال معناه ابن عباس وغيره وقيل اصله من اصرار الحمار على العانة
وهو ان ينحى عليها صارا اذنيه وان من كان مخففة من الثقيلة كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان
كما فى قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم ومحل الجملة النصب اى يصر مثل غير السامع وقد تقدم
فى اول لقمان القول فى معنى هذه الآية وتقدم معنى فبشره بعذاب اليم فى البقرة قوله تعالى
واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا نحو قوله فى الزقوم انه الزبد والتمر وقوله
فى خزنة جهنم ان كانوا تسعة عشر فانا القاهم وحدى اولئك لهم عذاب مهين مذل مخزى
من ورائهم جهنم اى من وراء ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق جهنم وقال
ابن عباس من ورائهم جهنم اى امامهم نظيره من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد
اى من امامه قال لبيد اليس ورائى ان تراخت منيتى ادب مع الولدان ازحف
كالنسر ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا اى من المال والولد نظيره لن تغنى عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء يعنى الاصنام

ولهم عذاب عظيم اى ابم مؤلم هذا هدى ابتدا وخبر يعنى القران وقال ابن عباس
يعنى كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا بآيات ربهم اى جحدوا دلايله
لهم عذاب من رجز اليم الرجز العذاب اى لهم عذاب من عذاب اليم دليله قوله تعالى
فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء اى عذابا وقيل الرجز القذر مثل الرجس وهو
كقوله يسقى من ماء صديد اى لهم عذاب من تجرع الشراب القذر وضم الراء من الرجس
ابن محيصن حيث وقع وقرا ابن كثير وابن محيصن وحفص اليم بالرفع على معنى لهم عذاب
اليم من رجز الباقون بالخفض نعتا للرجز الله الذى سخر لكم البحر
لتجرى الفلك فيه بامره الاية ذكر كمال قدرته وتمام نعمته على عباده وبين انه خلق
ما خلق لمنافعهم وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه يعنى ان ذلك فعله وخلقه
احسان منه وانعام وقرا ابن عامر والجحدرى وغيرهما جميعا منة بكسر الميم وتشديد النون
وتنوين الهاء منصوبا على المصدر قال ابو عمرو وكذلك سمعت مسلمة يقرؤها منة اى تفضلا وكرما
وعن مسلمة بن المحارب ايضا جميعا منه على اضافة المن الى هاء الكناية وهو عند ابى حاتم
خبر ابتدا محذوف اى ذلك او هو منه وقراءة الجماعة ظاهرة ان فى ذلك لآيات لقوم
يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا جزم على جواب قل تشبيها بالشرط والجزا
كقولك قم تصب خيرا وقيل هو على حذف اللام وقيل على معنى قل لهم اغفروا يغفروا فهو جواب امر
محذوف دل الكلام عليه قاله على بن عيسى واختاره ابن العربى ونزلت الآية بسبب ان رجلا
من قريش شتم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهم ان يبطش به قال ابن العربى وهذا لم يصح وذكر
الواحدى والقشيرى وغيرهما عن ابن عباس ان الآية نزلت فى عمر مع عبد الله ابن ابى فى غزوة
بنى المصطلق فانهم نزلوا على بير يقال لها المريسيع فارسل عبد الله غلامه ليستقى فابطا عليه
فقال ما حبسك قال غلام عمر بن الخطاب قعد على فم البير فما ترك احدا يستقى حتى ملا
قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب ابى بكر وملا لمولاه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء
الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ عمر رضى الله عنه قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجه اليه
ليقتله فانزل الله هذه الآية هذه رواية عطا عن ابن عباس وروى عنه ميمون بن مهران
قال لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال يهودى بالمدينة يقال له فنحاص احتاج
رب محمد قال فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج فى طلبه فجاء جبريل عليه السلام
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام
الله واعلم ان عمر قد اشتمل على سيفه وخرج فى طلب اليهودى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى طلبه فلما جاء قال يا عمر ضع سيفك قال يا رسول الله صدقت اشهد ان الله ارسلك بالحق
الى ارسلت بالحق قال فان ربك يقول للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قال لا جرم
والذى بعثك بالحق لا يرى الغضب فى وجهى قال المولف الشيخ رحمه الله وما ذكره المهدوى والنحاس
فهو رواية الضحاك عن ابن عباس وهو قول القرظى والسدى وعليه يتوجه النسخ فى الآية

عمرو

وعلى

وعلى ان الآية نزلت بالمدينة او فى غزوة بنى المصطلق فليست بمنسوخة ومعنى يغفروا يعفوا و
يتجاوزوا ومعنى لا يرجون ايام الله اى لا يرجون ثوابه وقيل اى لا يخافون باس الله ونقمته
وقيل الرجاء بمعنى الخوف كقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون له عظمة والمعنى
لا تخشون مثل عذاب الامم الخالية والايام يعبر بها عن الوقايع وقيل لا يامنون نصر الله لاوليايه
وايقاعه باعدايه وقيل المعنى لا يخافون البعث ليجزى قوما بما كانوا يكسبون قراءة العامة ليجزى
بالياء على معنى ليجزى الله وقرا حمزة والكساى وابن عامر لنجزى بالنون على التعظيم وقرا ابو
جعفر والاعرج وشيبة ليجزى بيا مضمومة وفتح الزاى على الفعل المجهول قوما بالنصب قال
ابو عمرو وهو لحن ظاهر وقال الكساى معناه ليجزى الجزا قوما نظيره وكذلك نجى المومنين على
قراءة ابن عامر وابى بكر فى سورة الانبيا قال الشاعر ولو ولدت قفيرة جرو كلب
لسب بذلك الجرو الكلابا اى لسب السب قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون تقدم ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب
يعنى التورية والحكم والنبوة الحكم الفهم فى الكتاب وقيل الحكم على الناس والقضاء والنبوة يعنى
الانبيا من وقت يوسف الى زمن عيسى ورزقناهم من الطيبات اى الحلال من الاقوات والثمار والاطعمة
التى كانت بالشام وقيل يعنى المن والسلوى فى التيه وفضلناهم على العالمين اى على عالمى زمانهم
على ما تقدم فى الدخان بيانه وآتيناهم بينات من الامر قال ابن عباس يعنى امر النبى صلى الله عليه
وسلم وشواهد نبوته بانه يهاجر من تهامة الى يثرب وينصره اهل يثرب وقيل بينات الامر شرايع
واضحات فى الحلال والحرام ومعجزات فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم يريد يوشع بن نون فامن
بعضهم وكفر بعضهم حكاه النقاش وقيل من بعد ما جاءهم العلم بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم
فاختلفوا فيها بغيا بينهم اى حسدا على النبى صلى الله عليه وسلم قال معناه الضحاك وقيل معنى
بغيا اى بغى بعضهم على بعض بطلب الفضل والرياسة وقتلوا الانبيا وكذا مشركو عصرك يا محمد
قد جاءتهم البينات ولكن اعرضوا عنها للمنافسة فى الرياسة ان ربك تقضى بينهم اى تحكم وتفصل
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فى الدنيا ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة الشريعة فى اللغة المذهب والملة ويقال
لمشرعة الماء وهى مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع لانه طريق الى المقصد فالشريعة ما شرع
الله لعباده من الدين والجمع الشرايع والشرايع فى الدين المذاهب التى شرعها الله لخلقه فمعنى
جعلناك على شريعة من الامر اى على منهاج واضح من امر الدين يشرع بك الى الحق وقال ابن عباس
على شريعة اى على هدى من الامر وقال قتادة الشريعة الامر والنهى والحدود والفرايض
وقال مقاتل البينة لانها طريق الى الحق وقال الكلبى السنة لانه يستن بطريقة من قبله من
الانبيا وقال ابن زيد الدين لانه طريق النجاة قال ابن العربى والامر يرد فى اللغة بمعنيين احدهما
بمعنى الشان كقوله واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد والثانى احد اقسام الكلام
الذى يقابله النهى وكلاهما يصح ان يكون مرادا ههنا وتقديره ثم جعلناك على طريقة من

وشا

نعمه

الذين وهي ملة الاسلام كما قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا ولا خلاف ان الله تعالى لم يغاير بين الشرايع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينهما في الفروع حسبما علمه سبحانه قال ابن العربي ظن بعض من يتكلم في العلم ان هذه الآية دليل على ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا لان الله تعالى افرد النبي صلى الله عليه وسلم وامته في هذه الآية بشريعة ولا ينكر ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته منفردان بشريعة وانما الخلاف فيما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء هل يلزم اتباعه ام لا **ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون** يعني المشركين وقال ابن عباس قريظة والنضير وعنه نزلت لما دعته قريش الى دين آبائه **انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا** اي ان اتبعت اهواهم لا يدفعون عنك من عذاب الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اي اصدقاء وانصار واحباب قال ابن عباس يريد ان المنافقين اولياء اليهود والله ولي المتقين اي ناصرهم ومعينهم والمتقون هنا الذين اتقوا الشرك والمعاصي **هذا بصائر للناس** ابتدا وخبر اي هذا الذي انزلت عليك براهين ودلايل ومعالم للناس في الحدود والاحكام وقرئ هذه بصاير اي هذه الآيات وهدى اي رشد وطريق يؤدي الى الجنة لمن اخذ به ورحمة في الآخرة لقوم يوقنون **ام حسب الذين اجترحوا السيئات** اي اكتسبوها والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وقد تقدم في المايدة ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات قال الكلبي الذين اجترحوا عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والذين آمنوا علي وحمزه وعبيده بن الحارث رضي الله عنهم حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم وقيل نزلت في قوم من المشركين قالوا انهم يعطون في الآخرة خيرا مما يعطاه المؤمن كما اخبر الرب عنهم في قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله ام حسب استفهام معطوف معناه الانكار واهل العربية يجوزون ذلك من غير عطف اذا كان متوسطا للخطاب وقوم يقولون فيه اضمار اي والله ولي المتقين افيعلم المشركون ذلك ام حسبوا انا نسوي بينهم وقيل هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان وقراءة العامة سواء بالرفع على انه خبر ابتدا متقدم اي محياهم ومماتهم سواء والضمير في محياهم ومماتهم يعود على الكفار اي محياهم محيا سوء ومماتهم كذلك وقرا حمزة والكسائي والاعمش سواء بالنصب واختاره ابو علي وقال معناه نجعلهم سواء وقرا الاعمش ايضا وعيسى بن عمر ومماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم فلما اسقط الخافض انتصب ويجوز ان يكون محياهم ومماتهم بدلا من الهاء والميم في نجعلهم المعنى ان نجعل محياهم ومماتهم سواء كمحيا الذين آمنوا ومماتهم ويجوز ان يكون الضمير في محياهم ومماتهم للكفار والمؤمنين جميعا قال مجاهد المؤمن يموت مؤمنا ويبعث مؤمنا والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا وذكر ابن المبارك اخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي الضحى عن مسروق قال قال رجل من اهل مكة هذا مقام تميم الداري لقد رايته ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية كلها وقال بشير بت عند الربيع

بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فقرا هذه الآية فمكث ليلة حتى اصبح لم يعدها ببكاء شديد وقال ابرهيم ابن اشعث كثيرا ما رايت الفضيل بن عياض يردد من اول الليل الى آخره هذه الآية ونظيرها ثم يقول ليت شعري من اي الفريقين انت لانها محكمة وكانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين قوله تعالى **وخلق الله السماوات والارض بالحق** اي بالامر الحق ولتجزى اي ولكي تجزى كل نفس بما كسبت في الآخرة وهم لا يظلمون قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه وقال عكرمة افرايت من جعل الهه الذي يعبده ما يهواه او يستحسنه فاذا استحسن شيئا وهويه اتخذه الها قال سعيد بن جبير كان احدهم يعبد الحجر فاذا راى ما هو احسن منه رمى به وعبد الآخر وقال مقاتل نزلت في الحارث بن قيس السهمي احد المستهزئين لانه كان يعبد ما تهواه نفسه وقال سفيان بن عيينة انما عبدوا الحجارة لان البيت حجارة وقيل المعنى افرايت من ينقاد لهواه انقياده لالهة ومعبوده تعجبا لذوي العقول من هذا الجهل وقال الحسين بن الفضل في الآية تقديم وتاخير مجازه افرايت من اتخذ هواه الهه وقال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال ابن عباس ما ذكر الله هوى في القرآن الا ذمه قال الله تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال واتبع هواه وكان امره فرطا وقال بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال ابو امامة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما عبد تحت السماء اله ابغض الى الله من الهوى وقال شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال عليه السلام اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمنجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والرضى وقال ابو الدرداء رضي الله عنه اذا اصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فان كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء وان كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح وقال الاصمعي سمعت رجلا يقول ان الهوان هو الهوى قلب اسمه فاذا هويت فقد لقيت هوانا وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه فنظمه شاعر فقال

نون الهوان من الهوى مسروقة … فاذا هويت فقد لقيت هوانا
وقال آخر
ان الهوى لهو الهوان بعينه … فاذا هويت فقد كسبت هوانا
واذا هويت فقد تعبدك الهوى … فاخضع لحبك كائنا من كانا

ولعبد الله ابن المبارك
ومن البلاء للبلاء علامة … ان لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها … والحر يشبع تارة ويجوع
ولابن دريد اذا طالبتك

النفس يوما بشهوة وكان اليها الخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما هواك عدو والخلاف صديق
ولابى عبيد الطوسى والنفس ان اعطيتها مناها فاغرة نحو هواها فاها وقال احمد بن ابى الحوارى
مررت براهب فوجدته نحيفا فقلت له انت عليك قال نعم قلت منذكم قال منذ عرفت نفسى قلت فداوى
قال قد اعيانى الدواء وقد عزمت على الكى قلت وما الكى قال مخالفة الهوى وقال سهل بن عبد الله
التسترى هواك داؤك فان خالفته فدواؤك وقال وهب اذا شككت فى امرين ولم تدر خيرهما
فانظر ابعدهما من هواك فأته وللعلماء فى هذا الباب فى ذم الهوى ومخالفته كتبا وابوابا
اشرنا الى ما فيه كفاية منه وحسبك بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هى المأوى واما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى قوله تعالى
واضله الله على علم اى على علم قد علمه منه وقيل اضله عن الثواب على علم منه بانه لا يستحقه
وقال ابن عباس اى على علم قد سبق عنده انه سيضل وقال مقاتل على علم منه انه ضال والمعنى
متقارب وقيل على علم من عابد الصنم انه لا ينفع ولا يضر ثم قيل على علم يجوز ان يكون حالا
من الفاعل المعنى اضله على علم منه به اى اضله عالما بانه من اهل الضلال فى سابق علمه ويجوز
ان يكون حالا من المفعول فيكون المعنى اضله فى حال علم الكافر بانه ضال وختم على سمعه وقلبه
اى طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى وجعل على بصره غشاوة
اى غطاء حتى لا يبصر الرشد وقرا حمزة والكسائى غشوة بفتح الغين من غير الف وقد مضى
فى البقرة وقال الشاعر

اما والذى انا عبد له يمينا وما لك ابدى اليمينا
لئن كنت البستنى غشوة لقد كنت اصفيتك الود حينا

فمن يهديه من بعد الله
اى من بعد ان اضله افلا تذكرون تتعظون وتعرفون انه قادر على ما يشاء وهذه الاية
ترد على القدرية والامامية ومن سلك سبيلهم فى الاعتقاد اذ هى مصرحة بمنعهم الهداية
ثم قيل وختم على سمعه وقلبه انه خارج مخرج الخبر عن احوالهم وانه خارج مخرج الدعاء
بذلك عليهم كما تقدم فى اول البقرة وحكى ابن جريج انها نزلت فى الحارث بن قيس من العياطلة
وحكى النقاش انها نزلت فى الحارث بن نوفل بن عبد مناف وقال مقاتل نزلت فى ابى جهل وذلك
انه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة فتحدثا فى شان النبى صلى الله عليه
وسلم فقال ابو جهل والله انى لاعلم انه صادق فقال له مه وما دلك على ذلك قال يا ابا عبد
شمس كنا نسميه فى صباه الصادق الامين فلما تم عقله وكمل رشده نسميه الكذاب الخائن
والله انى لاعلم انه لصادق قال فما يمنعك ان تصدقه وتؤمن به قال تتحدث عنى بنات قريش
انى قد اتبعت يتيم ابى طالب من اجل كسرة واللات والعزى ان اتبعته ابدا فنزلت وختم
على سمعه وقلبه قوله تعالى وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى هذا انكار منهم للاخرة
وتكذيب للبعث وابطال للجزاء ومعنى نموت ونحيى اى نموت نحن ونحيى اولادنا قاله الكلبى
وقرئ ونحيى بضم النون وقيل نموت بعضنا ونحيى بعضنا وقيل فيه تقديم وتاخير اى نحيى ونموت
وهى قراءة ابن مسعود وما يهلكنا الا الدهر قال مجاهد يعنى السنين والايام وقال قتادة الا العمر

المعنى واحد وقرئ الا دهر يمر وقال ابن عيينة كان اهل الجاهلية يقولون الدهر هو الذى
يهلكنا وهو الذى يميتنا ويحيينا فنزلت هذه الاية وقال قطرب وما يهلكنا الا الموت وانشد
قول ابى ذويب امن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع وقال عكرمة اى وما
يهلكنا الا الله وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم كان اهل الجاهلية يقولون
ما يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر فقال الله
تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار قال
الشيخ المولف رحمه الله قوله فقال الله الى آخره نص البخارى ولفظه وخرجه مسلم ايضا
وابو داود وفى الموطا عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم
يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من اسماء الله وقال
من لم يجعله من العلماء اسما انما خرج ردا على العرب فى جاهليتها فانهم كانوا يعتقدون
ان الدهر هو الفاعل كما اخبر الله عنهم فى هذه الاية فكانوا اذا اصابهم ضر او ضيم او مكروه
نسبوا ذلك الى الدهر فقيل لهم على ذلك لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى الله هو الفاعل
لهذه الامور التى تضيفونها الى الدهر فيرجع السب اليه سبحانه فنهوا عن ذلك ودل على صحة
هذا ما ذكرناه من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
يؤذينى ابن آدم الحديث ولقد احسن من قال وهو ابو على الثقفى

يا عاتب الدهر اذا نابه لا تلم الدهر على غدره
الدهر مأمور له آمر ينتهى الدهر الى امره
كم كافر امواله جمة يزداد اضعافا على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد ايمانا على فقره

وروى ان سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيرا مما يذكر الدهر فزجره ابوه وقال
اياك يا بنى وذكر الدهر وانشد

فما الدهر بالجانى لشئ لحينه ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا
ولكن متى ما يبعث الله باعثا على معشر يجعل مياسرهم عسرا

وقال ابو عبيد
ناظرت بعض الملحدة فقال الا تراه يقول فان الله هو الدهر فقلت وهل كان احد يسب
الله فى آباد الدهر بل كانوا يقولون كما قال الاعشى

ان محلا وان مرتحلا وان فى السفر اذ مضوا مهلا
استاثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا

قال ابو عبيد ومن شان العرب ان يذموا الدهر عند المصائب والنوائب
حتى ذكروه فى اشعارهم ونسبوا الاحداث اليه قال عمرو بن قميئة

رمتنى بنات الدهر من حيث لا ارى فكيف بمن يرمى وليس برامى
فلو انها نبل اذا لاتقيتها ولكننى ارمى بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا انوء ثلاثا بعدهن قيامى

ومثله كثير
فى الشعر ينسبون ذلك الى الدهر ويضيفونه اليه والله سبحانه الفاعل لا رب سواه
وما لهم بذلك من علم اى علم ومن زائدة اى قالوا ما قالوا شاكين ان هم الا يظنون اى

ما هم الا يتكلمون بالظن وكان المشركون اصنافا منهم هولاء ومنهم من كان يثبت الصانع
وينكر البعث ومنهم من كان يشك في البعث ولا يقطع بانكاره وحدث في الاسلام اقوام ليس
يمكنهم انكار البعث خوفا من المسلمين فيتأولون ويرون القيامة موت البدن ويرون
الثواب والعقاب الى خيالات يقع للارواح بزعمهم فشر هولاء اضر من شر جميع الكفار
لان هولاء يلبسون على الحق ويغتر بتلبيسهم الظاهر والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم
وقيل نموت ونحيى آثارنا فهذه الحياة الذكر وقيل اشاروا الى التناسخ اى تموت الرجل فتجعل
روحه في موات فتحيا به قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اى واذا تقرا على هولاء
المشركين آياتنا المنزلة في حيوا بالبعث لم يكن ثم دفع حجتهم خير كان الاسم الا ان قالوا ائتوا
بآبائنا الموتى الا ان قالوا ائتوا بآبائنا الموتى نسألهم عن صدق ما تقولون فرد الله عليهم
بقوله قل الله يحييكم يعني بعد كونكم نطفا امواتا ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة كما احياكم
في الدنيا ولكن فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله يعيدهم كما بداهم قال الزمخشري
فان قلت لم سمى قولهم حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا بها كما يدلي المحتج بحجته وساقوه
مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في
اسلوب قوله تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة
والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا
ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان
ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم
ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي
الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان
بآبائهم وكان اهون شيء عليه قوله تعالى ولله ملك السموات والارض خلقا
وملكا ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون يوم الاول منصوب بيخسر ويومئذ
تكرير للتاكيد او بدل وقيل ان التقدير وله الملك يوم يقوم الساعة والعامل في
يومئذ يخسر ومفعول يخسر محذوف والمعنى يخسرون منازلهم في الجنة قوله تعالى
وترى كل امة جاثية اى من هول ذلك اليوم والامة هنا اهل كل ملة وفي
الجاثية تاويله خمس الاول قال مجاهد مستوفزة قاله مجاهد وقال سفيان المستوفز
الذي لا يصيب الارض منه الا ركبتاه واطراف انامله وقال الضحاك ذلك عند الحساب
الثاني مجتمعة قاله ابن عباس قال الفراء المعنى وترى اهل كل دين مجتمعين الثالث
متميزة قاله عكرمة الرابع خاضعة بلغة قريش قاله مورج الخامس باركة على
الركب قاله الحسن والجثو الجلوس على الركب جثا على ركبته يجثو ويجثي جثوا وجثيا
على فعول فيهما وقد مضى في مريم واصل الجثوة الجماعة من كل شيء قال طرفة يصف
قبرين ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد ثم قيل هو خاص بالكفار

قال يحيى بن سلام وقيل انه عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو
عن عبد الله بن باباه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كاني اراكم بالكوم جاثين دون جهنم ذكره الماوردي
وقال سلمان ان في يوم القيامة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ان ابراهيم
عليه السلام كتابها قال يحيى بن سلام الى حسابها وقيل الى كتابها الذي كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير
وشر قاله مقاتل وهو معنى قول مجاهد وقيل كتابها ما كتبت الملائكة عليها وقيل كتابها المنزل عليها لينظر
هل عملوا بما فيه وقيل الكتاب ههنا اللوح المحفوظ وقرا يعقوب الحضرمي كل امة بالنصب على البدل من
كل الاول لما في الثانية من الايضاح الذي ليس في الاولى اذ ليس في جثوها شيء من حال شرح
الجثو كما في الثانية من ذكر السبب الداعي اليه وهو استدعاؤها الى كتابها وقيل بنصب باعمال
ترى مضمرا والرفع على الابتداء اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير او شر هذا
كتابنا قيل من قول الله لهم وقيل من قول الملائكة ينطق عليكم بالحق اى يشهد وهو استعارة
يقال نطق الكتاب بكذا اى بين وقيل انهم يقرؤونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا فكانه ينطق عليهم
دليله قوله ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
وفي المؤمنين ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون وقد تقدم وينطق في موضع الحال من
الكتاب او من ذا او خبر بان لذا او يكون كتابنا بدلا من هذا وينطق الخبر انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون اى نامر بنسخ ما كنتم تعملون قال علي رضي الله عنه ان لله ملائكة
ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه اعمال بني آدم وقال ابن عباس ان الله وكل ملائكة
مطهرين فينسخون من ام الكتاب في رمضان كل ما يكون من اعمال بني آدم فيعارضون
حفظة الله على العباد كل خميس فيجدون ما جاء به الحفظة من اعمال العباد موافقا
لما في كتابهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب لا زيادة فيه ولا نقصان قال ابن
عباس وهل يكون النسخ الا من كتاب وقال الحسن نستنسخ ما كتبته الحفظة على بني آدم
لان الحفظة ترفع الى الخزنة صحائف الاعمال وقيل تحمل الحفظة كل يوم ما كتبوا
على العبد ثم اذا عادوا الى مكانهم نسخ منه الحسنات والسيئات ولا تحول المباحات
الى النسخة الثانية وقيل ان الملائكة اذا دفعت اعمال العباد الى الله عز وجل امر
ان يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب
قوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اى الجنة
ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اى فيقال لهم ذلك وهو
استفهام توبيخ فاستكبرتم عن قبولها وكنتم قوما مجرمين اى مشركين تكسبون المعاصي يقال
فلان جريمة اهله اذا كان كاسبهم فالمجرم من اكتسب نفسه المعاصي وقد قال الله
سبحانه افنجعل المسلمين كالمجرمين فالمجرم ضد المسلم فهو المذنب بالكفر اذا قوله تعالى
واذا قيل ان وعد الله حق اى البعث كائن والساعة لا ريب فيها وقرا حمزة
والساعة بالنصب عطفا على وعد الباقون بالرفع على الابتداء او العطف على موضع

إن وعد الله ولا تحسن على الضمير الذي في المصدر لانه غير موكد والضمير المرفوع انما يعطف عليه بغير
تاكيد في الشعر قلتم ماندري ما الساعة هل هي حق ام باطل ان نظن الا ظنا تقديره عند المبرد ان نحن
الا نظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل اي وقلتم ان نظن الا ظنا وما نحن
بمستيقنين ان الساعة آتية قوله تعالى وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا اي ظهر لهم جزاء سيات
ما عملوا وحاق بهم اي نزل بهم واحاط ما كانوا به يستهزؤن من عذاب الله قوله تعالى وَقِيلَ الْيَوْمَ
نَنْسَاكُمْ اي نترككم في النار كما تركتم لقاء يومكم هذا اي تركتم العمل له وماواكم النار اي مسكنكم
ومستقركم وما لكم من ناصرين من ينصركم قوله تعالى ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ
يعني القرآن هزوا ولعبا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا اي خدعتكم باباطيلها وزخارفها وظننتم ان ليس
ثم غيرها وان لا بعث فاليوم لا يخرجون منها اي من النار ولا هم يستعتبون يسترضون وقد تقدم
وقرا حمزه والكسائي فاليوم لا يخرجون بفتح الياء وضم الراء لقوله تعالى كلما ارادوا ان
يخرجوا منها اعيدوا فيها الباقون بضم الياء وفتح الراء لقوله تعالى ربنا اخرجنا ونحوه قوله تعالى
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وقرا مجاهد وابن محيصن وحميد
رب السموات ورب الارض رب العالمين بالرفع فيها كلها على معنى هو رب وله الكبرياء اي العظمة
والجلال والبقاء والسلطان والقدرة والكمال في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ تقدم ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق تقدم ايضا واجل مسمى يعني القيامة في قول ابن عباس وغيره وهو
الاجل الذي ينتهي اليه السموات والارض وقيل انه الاجل المقدور لكل مخلوق والذين كفروا
عما انذروا خوفوه معرضون مولون لاهون غير مستعدين له ويجوز ان تكون ما مصدرية اي
اي عن انذارهم ذلك اليوم قوله تعالى قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي
مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ الى قوله صادقين فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى قل ارايتم
ما تدعون من دون الله اي ما تعبدون من الاصنام والانداد من دون الله اروني ماذا خلقوا
من الارض اي هل خلقوا شيا من الارض ام لهم شرك اي نصيب في السموات اي في خلق
السموات مع الله ايتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا القرآن الثانية قوله تعالى
او اثارة من علم قراءة العامة او آثارة بالف بعد الثاء قال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم هو خط كانت تخطه العرب في الارض ذكره المهدوي والثعلبي قال ابن العربي ولم
يصح وفي مشهور الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق
خطه فذاك ولم يصح هذا ايضا قال المولف رحمه هو ثابت من حديث معاويه بن الحكم
السلمي خرجه مسلم واسند النحاس حدثنا محمد بن احمد يعرف بالجريجي قال حدثنا بندار
قال حدثنا يحيى ابن سعيد عن سفيان الثوري عن صفوان بن سليم عن ابي سلمه عن ابن عباس

عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل او اثارة من علم قال الخط وهذا صحيح قال ابن العربي
واختلفوا في تاويله فمنهم من قال جاء لاباحة الضرب لان بعض الانبياء كان نفعله ومنهم من
قال جا للنهي عنه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال فمن وافق خطه فذاك ولا سبيل الى معرفة طريق النبي
صلى الله عليه وسلم المتقدم فيه فاذا لا سبيل الى العمل به لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا
زاجرات الطير ما الله صانع وحقيقته عند اربابه ترجع الى صور الكواكب فيدل ما يخرج منها على
ما تدل عليه تلك الكواكب من سعد او نحس يحل بهم فصار ظنا مبينا على ظن وتعلقا بامر غايب
قد درست طريقه وفات تحقيقه وقد نهت الشريعة عنه واخبرت ان ذلك مما اختص الله
به وقطعه عن الخلق وان كانت لهم قبل ذلك اسباب يتعلقون بها عن درك الاشياء
المغيبه فان الله قد رفع تلك الاسباب وطمس تلك الابواب وافرد نفسه بعلم الغيب فلا يجوز
مراجعته في ذلك ولا يحل لاحد دعواه وطلبه عنا لو لم يكن فيه نهي فاذ وقد ورد النهي فطلبه
معصية او كفر بحسب قصد الطالب قال المولف رحمه الله ما اختاره هو قول الخطابي
قال الخطابي قوله عليه السلام فمن وافق خطه فذاك هذا يحتمل الزجر اذ كان ذلك
علما لنبوته وقد انقطعت فنهينا عن التعاطي كذلك قال القاضي عياض الاظهر من اللفظ خلاف
هذا وتصويب خط من يوافق خطه لكن من اين يعلم الموافقة والشرع منع من التخرص
وادعا الغيب جمله فانما معناه ان من وافق خطه فذلك الذي يجدون اصابته لا انه يريد اباحة
ذلك لفاعله على ما تاوله بعضهم وحكى مكي في تفسير قوله كان نبي من الانبيا يخط انه كان يخط
باصبعه السبابه والوسطى في الرمل ثم يزجر وقال ابن عباس في تفسير قوله ومنا رجال يخطون
هو الخط الذي يخطه الحازي فيعطه حلوانا فيقول له افعل حتى اخط لك وبين يدي الحازي
غلام معه ميل ثم ياتي الى ارض رخوه فيخط الاستاذ خطوطا معجلة لئلا يلحقها العدد
ثم يرجع فيمحوا على مهل خطين خطين فان بقي خطان فهو علامة النجح وان بقي واحد فهو علامه
الخيبه والعرب تسميه الاسحم وهو عندهم مشووم قال ابن العربي ان الله
سبحانه لم يبق من الاسباب الدالة على الغيب التي اذن الله في التعلق بها والاستدلال
منها الا الرويا فانه اذن فيها واخبر انها جزو من النبوة وكذلك الفال واما الطيرة و
الزجر فانه نهى عنهما والفال هو الاستدلال بما يسمع من الكلام على ما يريد من الامر اذا كان
حسنا فان سمع مكروها فهو نظير امر الشرع بان يفرح بالفال ويمضي على امره مسرورا
واذا سمع المكروه اعرض عنه ولم يرجع لاجله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك وقد روى بعض الادبا الفال
والزجر والكهان كلهم مضللون ودون الغيب اقفال وهذا كلام صحيح الا في
الفال فان الشرع استثناه وامر به فلا يقبل من هذا الشاعر ما نظمه فيه فانه تكلم
بجهل وصاحب الشرع اصدق واعلم واحكم قال المولف رحمه الله قد مضى في الفال
والطيره وفي الفرق بينهما ما كفى في المايدة وغيرها ومضى في الانعام ان الله

سبحانه منفرد بعلم الغيوب وان احدا لا يعلم من ذلك الا ما اعلمه الله او يجعل على ذلك دلالة
عادية يعلم بها ما يكون على مجرى العادة وقد يتخلف مثاله اذا راى نخلة قد اطلعت فانه يعلم
انها ستثمر واذا راها قد سا ثر طلعها علم انها لا تثمر وقد يجوز ان ياتى عليها افة يهلك تمرها فلا
تثمر كما انه جائز ان يكون النخلة التى قد سا ثر طلعها يطلع الله فيها طلعا ثانيا فتثمر وكما
انه يجوز ايضا ان لا يلى شهره شهر ولا يومه يوم ان اراد الله افنا العالم ذلك الوقت
الى غير ذلك مما تقدم فى الانعام بيانه الرابعة قال ابن خواز منداد قوله تعالى او اثارة
من علم يريد الخط وقد كان مالك يحكم بالخط اذا عرف الشاهد خطه واذا عرف الحاكم
خطه او خط من كتب اليه حكم به ثم رجع على ذلك حين ظهر فى الناس ما ظهر من الحيل
والتزوير وقد روى عنه قال يحدث الناس فجورا فيحدث لهم اقضية فاما اذا شهد الشهود
على الخط المحكوم به مثل ان شهدوا ان هذا خط الحاكم وكتابه اشهدها على ما فيه ان لم
يعلموا ما فى الكتاب وكذلك الوصية او خط الرجل باعتراف بمال لغيره يشهدون انه
خطه ونحو ذلك فلا يختلف مذهبه انه يحكم به وقيل او اثارة من علم اى بقية من علم
قاله ابن عباس والكلبى وابو بكر بن عياش وغيرهم وفى الصحاح واثارة من علم بقية منه
وكذلك الاثرة بالتحريك ويقال سمنت الابل على اثارة اى بقية شحم كان قبل ذلك
وانشد الماوردى والثعلبى قول الراعى   وذات اثارة اكلت عليها نباتا
فى اكنة قصارا   وقال الهروى والاثارة والاثر البقية يقال ما ثم عين ولا اثر
وقال ميمون بن مهران وابو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة او اثارة من علم خاصة من علم
وقال مجاهد رواية تاثرونها عمن كان قبلكم وقال عكرمة ومقاتل رواية عن الانبيا
وقال القرظى هو الاسناد الحسن المعنى شى يثار او يستخرج وقال الزجاج او اثارة
اى علامة والاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة واصل الكلمة من الاثر وهو الرواية
يقول اثرت الحديث اثره اثرة واثارة واثرا فانا اثر اذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل
حديث ماثور اى نقله خلف عن سلف قال الاعشى ان الذى فيه تماريتما بين للسامع
والاثر يروى بين وقرى او اثرة بضم الهمزة وسكون الثا ويجوز ان يكون معناه بقية
من علم ويجوز ان يكون معناه شيئا ماثورا من كتب الاولين والماثور ما يتحدث به مما
صح سنده عمن تحدث به عنه وقرا السلمى والحسن وابو رجا بفتح الهمزة والثا من
غير الف اى خاصة من علم اوتيتموها او اوثرتم بها على غيركم وروى عن الحسن ايضا
وطائفة اثرة مفتوحة الالف ساكنة الثاء ذكر الاول الثعلبى والثانية الماوردى وحكى
الثعلبى عن عكرمة او ميراث من علم ان كنتم صادقين الخامسة قوله تعالى
ايتونى بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم فيه بيان مسالك الادلة باسرها فاولها المعقول
وهو قوله تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك فى السموات وهو احتجاج بدليل العقل فى ان الجماد لا يصح ان يدعا

من دون الله فانه لا يضر ولا ينفع ثم قال ايتونى بكتاب من قبل هذا فيه بيان ادلة السمع
او اثارة من علم قوله تعالى ومن اضل اى لا احد اضل واجهل ممن يدعوا من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهى الاوثان وهم عن دعائهم غافلون يعنى لا يسمعون
ولا يفهمون فاخرجها وهى جماد مخرج ذكور بنى ادم اذ قد مثلتها عبدتها بالملوك والامرا
التى تخدم قوله تعالى واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يريد يوم القيامة اى هولاء
المعبودون اعداء الكافرين يوم القيامة والملائكة اعداء الكفار والجن والشياطين
يتبرون غدا من عبدتهم ويلعن بعضهم بعضا ويجوز ان يكون الاصنام للكفار الذين
عبدوها اعدا على تقدير خلق الحياة لها دليله قوله تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقيل عادوا معبوداتهم لانهم كانوا سبب هلاكهم وجحد المعبودون عبادتهم وهو
قوله وكانوا بعبادتهم كافرين قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعنى القران
قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه الميم صلة التقدير
ايقولون افتراه اى تقوله محمد وهو اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا ومعنى الهمزة فى
ام الانكار والتعجب كانه قال دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضى منه العجب وذلك ان
محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب لكانت
قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم
لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الايات قل ان افتريته
على سبيل الفرض فلا تملكون لى من الله شيئا اى لا يقدرون على ان تردوا عنى عذاب الله
فكيف افترى على الله لاجلكم هو اعلم بما تفيضون فيه عن مجاهد وقيل تخوضون فيه من التكذيب
والافاضة فى الشى الخوض فيه والاندفاع افاضوا فى الحديث اى اندفعوا فيه وافاض البعير
اى دفع جرته من كرشه فاخرجها ومنه قول الشاعر   وافضن بعد كظومهن بجرة
وافاض الناس من عرفات الى منى اى دفعوا وكل دفعة افاضة كفى به شهيدا نصب
على التمييز بينى وبينكم اى هو يعلم صدقى وانكم مبطلون وهو الغفور لمن تاب الرحيم بعباده
المومنين قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل اى اول من ارسل قد كان قبلى رسل
عن ابن عباس وغيره والبدع الاول وقرا عكرمة وغيره بدعا بفتح الدال على تقدير
حذف المضاف والمعنى ما كنت صاحب بدع وقيل بدع وبديع بمعنى مثل نصف ونصيف
وابدع الشاعر جا بالبديع وشى بدع بالكسر اى مبتدع وفلان بدع فى هذا الامر
اى بديع وقوم ابداع عن الاخفش وانشد قطرب لقول عدى بن زيد فلا انا بدع من
حوادث تعترى رجالا عرت من بعد بوسى باسعد وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم يريد
يوم القيامة ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا
لا يدرى ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا ولولا انه ابتدع الذى يقوله
من تلقا نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فنزلت ليغفر لك الله ما تقدم من

ذنبك وما تأخر فنسخت هذه الآيه وارغم الله انف الكفار وقالت الصحابه هنيئا
لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ما هو فاعل بنا فنزلت ليدخل
المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآيه ونزلت وبشر المؤمنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا قاله انس وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمه والضحاك وقالت ام العلا
امراة من الانصار اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون ابن حذافه بن جمح وانزلناه
ابياتنا فتوفى فقلت رحمة الله عليك ابا السايب ان الله اكرمك فقال النبى صلى الله عليه وسلم
وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابى وامى يا رسول فمن قال اما هو فقد جاه اليقين وما راينا الا
خيرا فوالله انى لارجوا له الجنه ووالله انى لرسول الله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم قالت
فوالله لا ازكى بعده احدا ابدا ذكره الثعلبى وقال وانما قال هذا حين لم يعلم بغفران ذنبه
وانما غفر الله له ذنبه فى غزوه الحديبيه قبل موته باربع سنين قال المولف رحمه الله حديث
ام العلا خرجه البخارى وروايتى فيه وما ادرى ما يفعل به ليس فيه بى ولا بكم وهو الصحيح
ان شاء الله على ما ناتى بيانه والايه ليست بمنسوخه لانها خبر قال النحاس محال ان يكون
فى هذا ناسخ ولا منسوخ من جهتين احدهما انه خبر والاخر ان من اول السورة الى هذا
الموضع خطاب للمشركين واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم فوجب ان يكون هذا ايضا خطابا للمشركين
كما كان قبله وما بعده ومحال ان يقول صلى الله عليه وسلم للمشركين ما ادرى ما يفعل
بى ولا بكم فى الآخرة ولم يزل صلى الله عليه وسلم من اول مبعثه الى وفاته يخبر ان من مات
على الكفر مخلد فى النار ومن مات على الايمان واتبعه واطاعه فهو فى الجنة فقد درى
صلى الله عليه وسلم ما يفعل به وبهم فى الآخرة وليس يجوز ان يقول لهم ما ادرى ما يفعل
بى ولا بكم فى الآخرة فيقولوا كيف نتبعك وانت لا تدرى اتصير الى خفض ودعة ام
الى عذاب وعقاب والصحيح فى الآيه قول الحسن كما قرئ على محمد ابن جعفر بن حفص عن
يوسف ابن موسى قال ثنا وكيع قال ثنا ابو بكر الهذلى عن الحسن وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم
فى الدنيا قال ابو جعفر وهذا اصح قول واحسنه لا يدرى صلى الله عليه وسلم ما يلحقه واياهم
من مرض وصحة ورخص وغلاء وغنى وفقر ومثله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير وذكر الواحدى وغيره عن الكلبى عن ابى صالح
عن ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى فى المنام
انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وماء فقصها على اصحابه فاستبشروا بذلك وراوا فيها
فرجا مما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهه لا يرون ذلك فقالوا يا رسول
الله متى نهاجر الى الارض التى رايت فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم يعنى لا ادرى اخرج الى الموضع الذى رايته فى منامى ام لا ثم
قال انما هو شىء رايته فى منامى ما اتبع الا ما يوحى الى اى لم يوح الى ما اخبرتكم به قال القشيرى
فعلى هذا لا نسخ فى الآيه وقيل المعنى ما ادرى ما يفرض على وعليكم من الفرايض واختار

الطبرى ان يكون المعنى ما ادرى ما يصير اليه امرى وامركم فى الدنيا اتؤمنون ام تكفرون
ام تعاجلون بالعذاب ام تؤخرون قال المؤلف رحمه الله وهو معنى قول الحسن والسدى وغيرهما
قال الحسن ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا اما فى الآخرة فمعاذ الله قد علم انه فى الجنه حين
اخذ ميثاقه فى الرسل ولكن قال ما ادرى ما يفعل بى فى الدنيا اخرج كما اخرجت الانبيا قبلى او اقتل
كما قتلت الانبيا قبلى ولا ادرى ما يفعل بكم امتى المصدقه ام المكذبه ام امتى المرميه بالحجارة
من السماء قذفا ام مخسوف بها خسفا ثم نزلت هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله يقول سيظهر دينه على الاديان ثم قال فى امته وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم فاخبره الله بما يصنع به وبامته ولا نسخ على هذا كله والحمد لله وقال الضحاك ايضا ما ادرى
ما يفعل بى ولا بكم اى ما تؤمرون به وتنهون عنه وقيل امر النبى صلى الله عليه وسلم ان يقول
للمؤمنين ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى القيامة ثم بين الله تعالى ذلك بقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وبين فيما بعد ذلك حال المؤمنين ثم بين حال الكافرين قال الشيخ المولف
رحمه الله وهذا معنى القول الاول الا انه اطلق فيه النسخ بمعنى البيان وانه امر ان يقول ذلك
للمؤمنين والصحيح ما ذكرناه عن الحسن وغيره وما فى ما يفعل يجوز ان يكون موصوله وان
يكون استفهاميه مرفوعه ان اتبع الا ما يوحى الى وقرى يوحى الى الله عز وجل وما انا الا نذير
مبين تقدم فى غير موضع قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله يعنى القران
وكفرتم به قال الشعبى المراد محمد صلى الله عليه وسلم وشهد شاهد من بنى اسرائيل قال ابن عباس
والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد هو عبد الله ابن سلام شهد على اليهود ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مذكور فى التوريه وانه نبى من عند الله وفى الترمذى عنه ونزلت فى آيات من
كتاب الله نزلت فى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا
يهدى القوم الظالمين وقد تقدم فى آخر سورة الرعد وقال مسروق هو موسى والتوريه لا
ابن سلام لانه اسلم بالمدينه والسورة مكية وقال وقوله وكفرتم به مخاطبه لقريش قال
الشعبى هو من آمن من بنى اسرائيل بموسى والتوريه لان ابن سلام انما اسلم قبل وفاة النبى صلى
الله عليه وسلم بعامين والسورة مكيه قال القشيرى ومن قال الشاهد موسى قال السورة مكيه
واسلم ابن سلام قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بعامين ويجوز ان يكون الآيه نزلت بالمدينة
وتوضع فى سورة مكيه فان الآيه كانت تنزل فيقول النبى صلى الله عليه وسلم ضعوها فى سورة كذا و
الآيه فى محاجة المشركين ووجه الحجه انهم كانوا يراجعون اليهود فى اشيا اى شهادتهم لى وشهادة نبيهم لى
من اوضح الحجج ولا يبعد ان يكون السورة فى محاجة اليهود ولما جاء ابن سلام النبى مسلما من قبل
ان يعلم اليهود باسلامه قال يا رسول الله اجعلنى حكما بينك وبين اليهود فسالهم عنه اى رجل
هو فيكم فقالوا سيدنا وعالمنا فقال انه قد آمن بك فاساؤا القول فيه الحديث وقد تقدم قال
ابن عباس رضيت اليهود بحكم ابن سلام وقالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان شهد لك امنا بك
فسئل فشهد ثم اسلم على مثله اى على مثل ما جئتم به فشهد موسى على التوريه وشهد محمد على القران

وقال الجرجاني مثل تأصله اي وشهد شاهد عليه انه من عند الله فآمن اي هذا الشاهد واستكبرتم انتم عن الايمان وجواب ان كان محذوف تقديره فامن اتؤمنون قاله الزجاج وقيل فامن واستكبرتم اليس قد ظلمتم بينه ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقيل فامن واستكبرتم افتأمنون عذاب الله وارايتم لفظ موضوع للسؤال والاستفهام ولذلك لا يقتضي مفعولا وحكى النقاش وغيره ان في الآية تقديما وتاخيرا وتقديره قل ارايتم ان كان من عند الله وشهد شاهد من بني اسرائيل فامن هو وكفرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ اختلف في سبب نزولها على اقوال ستة الاول ان ابا ذر الغفاري دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام بمكة فاجاب واستجاب به قومه فاتاه زعيمهم فاسلم ثم دعاهم الزعيم فاسلموا فبلغ ذلك قريشا فقالوا غفار الحلفا لو كان خيرا ما سبقونا اليه فنزلت هذه الآية قاله ابو المتوكل الثاني ان زنيرة اسلمت فاصيب بصرها فقالوا لها اصابك اللات والعزى فرد الله عليها بصرها فقال عظما قريش لو كان ما جا به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل الله هذه الآية قاله عروة بن الزبير الثالث ان الذين كفروا هم بنو عامر وغطفان وتميم واسد وحنظلة واشجع قالوا لمن اسلم من غفار واسلم وجهينة ومزينة وخزاعة لو كان ما جا به محمد خيرا ما سبقتنا اليه رعاة البهم اذ نحن اعز منهم قاله الكلبي والزجاج وحكاه القشيري عن ابن عباس قال قتادة نزلت في مشركي قريش قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه بلال وصهيب وعمار وفلان وفلان وهو القول الرابع القول الخامس ان الذين كفروا من اليهود قالوا للذين آمنوا يعني عبد الله بن سلام واصحابه لو كان دين محمد حقا ما سبقونا اليه قاله اكثر المفسرين حكاه الثعلبي وقال مسروق ان الكفار قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليهود فنزلت هذه الآية وهذه المعارضة من الكفار في قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه من اكبر المعارضات بانقلابها عليهم لكل من خالفهم حتى يقال لهم لو كان ما انتم عليه خيرا ما عدلنا عنه ولو كان تكذيبكم للرسول خيرا ما سبقتمونا اليه ذكره الماوردي ثم قيل قوله ما سبقونا اليه يجوز ان يكون من قول الكفار لبعض المومنين ويجوز ان يكون على الخروج من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واذ لم يهتدوا به يعني الايمان وقيل القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم فسيقولون هذا افك قديم اي لم يصيبوا الهدى بالقرآن ولا بمن جا به عادوه ونسبوه الى الكذب وقالوا هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل لبعضهم هل في القرآن من جهل شيئا عاداه فقال نعم قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومثله بل كذبوا بما لم يحيطوا قوله تعالى وَمِنْ قَبْلِهِ اي ومن قبل القرآن كتاب موسى اي التوراة اماما يقتدى بما فيه ورحمة من الله وفي الكلام حذف اي فلم يهتدوا به وذلك انه كان في التوراة نعت النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به فتركوا ذلك واماما نصب على الحال لان المعنى وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة معطوف عليه

وقيل

وقيل انتصب باضمار فعل اي انزلناه اماما ورحمة وقال الاخفش على القطع لان كتاب موسى معرفة بالاضافة لان النكرة اذا اعيدت او اضيفت او ادخل عليها الالف واللام صارت معرفة وهذا كتاب يعني القرآن مصدق يعني للتوراة ولما قبله من الكتب وقيل مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم لسانا عربيا منصوب على الحال اي مصدق لما قبله عربيا ولسانا توطية للحال اي تاكيد كقولهم جاني زيد رجلا صالحا فتذكر رجلا توكيدا وقيل نصب باضمار فعل تقديره وهذا كتاب مصدق اعني لسانا عربيا وقيل نصب باسقاط حرف الخفض تقديره بلسان عربي وقيل ان لسانا مفعول والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم اي وهذا كتاب مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم لانه معجزته والتقدير مصدق ذا لسان عربي فاللسان منصوب بمصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم ويبعد ان يكون اللسان القرآن لان المعنى يكون يصدق نفسه لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قراة العامة لينذر بالياء خبرا عن الكتاب اي لينذر الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية وقيل هو خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن عامر والبزي بالتاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ بشرى في موضع رفع اي وهو بشرى وقيل عطفا على الكتاب اي وهذا كتاب مصدق وبشرى ويجوز ان يكون منصوبا باسقاط حرف الخافض اي لينذر الذين ظلموا وللبشرى فلما حذف الخافض نصب وقيل على المصدر اي ويبشر المحسنين بشرى فلما جعل مكان ويبشر بشرى او بشارة نصب كما يقول اتيتك لازورك وكرامة لك وقضا لحقك يعني لازورك واكرمك واقضي حقك فنصب الكرامة بفعل مضمر قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا الآية تقدم معناها وقال ابن عباس نزلت في ابي بكر الصديق والآية تعم جزاء نصب على المصدر قوله تعالى وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا الى قوله من المسلمين فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا بين اختلاف حال الانسان مع ابويه فقد يطيعهما وقد يخالفهما اي فلا يبعد مثل هذا في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقومه حتى يستجيب له البعض ويكفر البعض فهذا وجه اتصال الكلام بعضه ببعض قاله القشيري الثانية قوله تعالى حسنا قراة العامة حسنا وكذا هو في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام وقرا ابن عباس والكوفيون احسانا وحجتهم قوله في الانعام وبني اسرائيل وبالوالدين احسانا وكذا هو في مصاحف الكوفة وحجة القراة الاولى قوله في العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيها والحسن خلاف القبح والاحسان خلاف الاساة والتوصية الامر وقد مضى القول في هذا وفيمن نزلت الثالثة قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها اي بكره ومشقة وقراة العامة بفتح الكاف واختاره ابو عبيد قال وكذلك لفظ الكره في كل القرآن بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم لان ذلك اسم وهذه كلها مصادر وقرا الكوفيون كرها بالضم قيل هما لغتان مثل الضعف والضعف والشهد والشهد قاله الكسائي وكذلك هو عند جميع البصريين وقال

الكساى ايضا والفرآء في الفرق بينهما ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل
على غيره اى قهرا وغصبا ولهذا قال بعض اهل العربية ان كرها بفتح الكاف بالفتح لحن
الرابعة قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت تسعة
اشهر ارضعت احدا وعشرين شهرا وان حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين
شهرا وروى ان عثمان اتى بامراة قد ولدت لستة اشهر فاراد ان يقضي عليها بالحد
فقال له علي ليس ذلك عليها قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين فالرضاع اربعة وعشرون شهرا والحمل ستة اشهر
فرجع عثمان عن قوله ولم يحدها وقد مضى في البقرة وقيل لم يعد ثلثة اشهر في ابتدا الحمل
لان الولد فيها نطفة وعلقة ومضغة فلا يكون له ثقل يحس وهو معنى قوله تعالى فلما تغشاها
حملت حملا خفيفا فمرت به والفصال الفطام وقد تقدم في لقمان الكلام فيه وقرا يعقوب
والحسن وغيرهما وفصله بفتح الفآء وسكون الصاد وروى ان الاية نزلت في ابي بكر الصديق
وكان حمله وفصاله في ثلثين شهرا حملته امه تسعة اشهر وارضعته ~~وحمد~~ امه احدى وعشرين
شهرا وفي الكلام حذف اى ومدة حمله ومدة فصاله ثلثون شهرا ولولا هذا الاضمار لنصب ثلثون
على الظرف وتغير المعنى الخامسة قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس ثمان عشرة
سنة وقال في رواية عطا عنه ان ابا بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة
سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين وهم يريدون الشام للتجارة فنزلوا منزلا فيه
سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك فساله عن الدين
فقال الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال
هذا والله نبي وما استظل تحتها احد بعد عيسى فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق
فكان لا يكاد يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره وحضره فلما نبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين سنة صدق ابو بكر فاسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثمانية وثلثين سنة فلما بلغ اربعين سنة قال رب اوزعني الاية وقال الشعبي وابن
زيد الاشد الحلم وقال الحسن هو بلوغ الاربعين وعنه قيام الحجة عليه وقد مضى في الانعام
الكلام في الاشد وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص وقد تقدم وقال
الحسن هي مرسلة نزلت على العموم السادسة قوله تعالى قال رب اوزعني اى الهمني ان
اشكر في موضع نصب على المصدر اى اشكر نعمتك على ما انعمت به علي من الهداية وعلى والدي
بالتحنن والشفقة حتى ربياني صغيرا وقيل انعمت علي بالصحة والعافية وعلى والدي بالغنى
والثروة وقال علي رضي الله عنه هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق اسلم ابواه جميعا
ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره فاوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده ووالده
هو ابو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد تيم وامه ام الخير واسمها سلمى
بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد وام ابيه ابي قحافة قيلة بالياء المعجمة باثنتين من

من تحتها وامراة ابي بكر اسمها قتلة بالتاء المعجمة باثنتين من فوقها بنت عبد العزى وان
اعمل صالحا ترضاه قال ابن عباس فاجابه الله فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم
بلال وعامر بن فهيرة ولم يدع شيا من الخير الا اعانه الله عليه وفي الصحيح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم اليوم صايما قال ابو بكر انا قال فمن تبع منكم
اليوم جنازة قال ابو بكر انا قال فمن اطعم اليوم منكم مسكينا قال ابو بكر انا قال فمن عاد منكم اليوم
مريضا قال ابو بكر انا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة السابعة
قوله تعالى واصلح لي في ذريتي اى اجعل ذريتي صالحين قال ابن عباس فلم يبق له ولد ولا
ولد ولد ولا والد ولا والدة الا امنوا بالله وحده ولم يكن احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
اسلم هو وابواه واولاده وبناته كلهم الا ابو بكر وقال سهل بن عبد الله المعنى اجعلهم لي خلف
صدق ولك عبيد حق وقال ابو عثمان اجعلهم ابرارا لي مطيعين لك وقال ابن عطا وفقهم
بصالح اعمال ترضى بها عنهم وقال محمد بن علي لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلا
وقال مالك بن مغول اشتكى ابو معشر ابنه الى طلحة بن مصرف فقال استعن عليه بهذه الاية رب
اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي
اني تبت اليك قال ابن عباس رجعت عن الامر الذي كنت عليه واني من المسلمين اى المخلصين
بالتوحيد قوله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سياتهم
قراءة العامة بضم اليآء منهما وقرى يتقبل ويتجاوز بفتح اليآء والضمير فيهما لله تعالى وقرا حفص
وحمزة والكسائي نتقبل ونتجاوز بالنون فيهما اى نغفرها ونصفح عنها والتجاوز اصله من جزت
الشيء اذا لم تقف عليه وهذه الاية تدل على ان الاية التي قبلها ووصينا الانسان الى اخرها مرسلة
نزلت على العموم وهو قول الحسن ومعنى نتقبل عنهم اى نتقبل منهم الحسنات ونتجاوز عن السيات
قال زيد بن اسلم ونحليه مرفوعا انهم اذا اسلموا قبلت حسناتهم وغفرت سياتهم وقيل الاحسن
ما يقتضي الثواب من الطاعات وليس في الحسن المباح ثواب ولا عقاب حكاه ابن عيسى
في اصحاب الجنة في بمعنى مع اى مع اصحاب الجنة يقول اكرمك واحسن اليك في جميع اهل
البلد اى مع جمعهم وعد الصدق نصب لانه مصدر موكد لما قبله اى وعد الله اهل الايمان
ان يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وعد الصدق وهو من باب اضافة الشيء الى نفسه
لان الصدق هو ذلك الوعد الذي وعده الله وهو كقوله حق اليقين وهذا عند الكوفيين
فاما عند البصريين فتقديره وعد الكلام الصدق او الكتاب الصدق فحذف الموصوف وقد
مضى هذا في غير موضع الذي كانوا يوعدون في الدنيا على السنة الرسل وذلك الجنة قوله تعالى
والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج اى ان ابعث وقد خلت القرون
من قبلي قراءة نافع وحفص وغيرهما اف مكسور منون وقرا ابن كثير وابن محيصن وابن عامر والمفضل
عن عاصم اف بالفتح من غير تنوين الباقون بالكسر غير منون وكلها لغات وقد مضى في
بني اسرايل وقراءة العامة اتعدانني بنونين مخففتين وفتح ياءه اهل المدينة ومكة واسكن الباقون

وقرا ابو حياه والمغيره وهشام اتعدانّى بنون واحدة مشددة وكذلك هى فى مصاحف اهل
الشام والعامة على ضم الالف وفتح الرآء من ان اخرج وقرا الحسن ونصر وابو العاليه
وابو العاليه والاعمش وابو معمر بفتح الالف وضم الرآء قال ابن عباس والسدى وابو العاليه ومجاهد
نزلت فى عبد الله بن ابى بكر رضى الله عنهما وكان يدعوه ابواه الى الاسلام فيجيبهما بما اخبر الله عز
وجل وقال قتادة والسدى ايضا هو عبد الرحمن بن ابى بكر قبل اسلامه وكان ابوه وامه ام
رومان يدعوانه الى الاسلام ويعدانه بالبعث فيرد عليهما ما حكاه الله تعالى عنه وكان هذا
منه قبل اسلامه وروى ان عايشه رضى الله عنها انكرت ان يكون نزلت فى عبد الرحمن وقال الحسن
وقتادة ايضا هى نعت عبد كافر عاق لوالديه وقال الزجاج كيف يقال نزلت فى عبد الرحمن قبل
اسلامه والله عز وجل يقول اولئك الذين حق عليهم القول اى العذاب ومن ضرورته عدم
الايمان وعبد الرحمن من افاضل المومنين والصحيح انها نزلت فى عبد كافر عاق لوالديه وقال
محمد بن زياد كتب معاوية الى مروان حتى يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابى بكر لقد
جيتم بها هرقليه اتبايعون لابنايكم فقال مروان هو الذى يقول الله فيه والذى قال لوالديه
اف لكما الاية فقال والله ما هو به ولو شيت لسميت ولكن الله لعن اباك وانت فى صلبه
فانت فضض من لعنه الله قال المهدوى ومن جعل الاية فى عبد الرحمن كان قوله بعد ذلك اولئك
الذين حق عليهم القول يراد به من اعتقد ما تقدم ذكره فاول الاية خاص واخرها عام وقيل ان
عبد الرحمن لما قال وقد خلت القرون من قبلى قال مع ذلك فاين عبد الله بن جدعان عبد الله وابن
عثمان بن عمرو وابن عامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسالهم عما يقولون فقوله اولئك الذين
حق عليهم القول يرجع الى اوليك الاقوام قال المولف رحمه الله قد مضى من خبر عبد الرحمن بن ابى بكر
فى سورة الانعام عند قوله تعالى له اصحاب يدعونه الى الهدى ما يدل على نزول هذه الاية فيه اذ كان
كافرا وعند اسلامه وفضله تعين انه ليس المراد بقوله اولئك الذين حق عليهم القول وهما يعنى
والديه يستغيثان الله اى يدعوان الله له بالهدى او يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار
وصل الفعل فنصب وقيل الاستغاثه الدعا فلا حاجة الى الباء قال الفرا اجاب الله دعاه
وغوانه وتلك امن اى صدق بالبعث ان وعد الله حق اى صدق لا خلف فيه فيقول ما هذا
اى ما يقوله والداه الا اساطير الاولين اى احاديثهم وما سطروه مما لا اصل له اولئك الذين
حق عليهم القول يعنى الذين اشار اليهم ابن ابى بكر فى قوله احيوا الى مشايخ قريش وهم المعنيون
فى قوله وقد خلت القرون من قبلى فاما ابن ابى بكر عبد الله او عبد الرحمن فقد اجاب الله دعا ابيه
فيه فى قوله واصلح لى فى ذريتى على ما تقدم ومعنى حق عليهم القول اى وجب عليهم العذاب
وهى كلمة الله هولاء فى الجنة ولا ابالى وهولاء فى النار ولا ابالى فى امم اى مع امم قد خلت
تقدمت ومضت من قبلهم من الجن والانس الكافرين انهم اى تلك الامم الكافرة كانوا
خاسرين لاعمالهم اى ضاع سعيهم وخسروا الجنة قوله تعالى ولكل درجات اى ولكل
واحد من الفريقين المومنين والكافرين من الجن والانس مراتب عند الله يوم القيامه باعمالهم

قال ابن زيد درجات اهل النار فى هذه الاية تذهب سفالا ودرج اهل الجنة علوا وليوفيهم اعمالهم
قرا ابن كثير وابن محيصن وعاصم وابو عمرو ويعقوب بالياء لذكر الله قبله وهو قوله ان وعد الله حق
واختاره ابو حاتم الباقون بالنون ردا على قوله ووصينا الانسان بوالديه وهو اختيار ابى عبيد وهم
لا يظلمون اى لا يزاد على مسى ولا ينقص من محسن قوله تعالى ويوم يعرض اى ذكرهم يا محمد يوم يعرض
الذين كفروا على النار اى يكشف الغطا فيقربون من النار وينظرون اليها اذهبتم طيباتكم فى حياتكم
الدنيا اى يقال لهم اذهبتم فالقول مضمر وقرا الحسن ونصر وابو العاليه ويعقوب وابن كثير ااذهبتم
بهمزتين محققتين واختاره ابو حاتم وقرا ابو حياه وهشام اذهبتم بهمزة واحدة مطولة على الاستفهام
الباقون بهمزة واحدة من غير مد على الخبر وكلها لغات فصيحة ومعناها التوبيخ والعرب توبخ
بالاستفهام وبغير الاستفهام وقد تقدم واختار ابو عبيد ترك الاستفهام لانه قراءة اكثر ائمة السبعة
نافع وعاصم وابو عمرو وحمزه والكساى مع من وافقهم شيبة والزهرى وابن محيصن والمغيره ابن ابى
شهاب ويحيى بن الحرث والاعمش ويحيى بن وثاب وغيرهم فهذه عليها جلة الناس وترك الاستفهام
احسن لان اثباته يوهم انهم لم يفعلوا ذلك كما يقول اناظلمتك يريد انا لم اظلمك واثباته حسن
ايضا يقول القائل ذهبت فعلت كذا يوبخ ويقول اذهبت فعلت كل ذلك جايز ومعنى اذهبتم
طيباتكم اى تمتعتم بالطيبات فى الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات يعنى المعاصى فاليوم تجزون
عذاب الهون اى عذاب الخزى والفضيحة قال مجاهد الهون الهوان قتاده بلغة قريش بما كنتم
تستكبرون فى الارض بغير الحق اى تستعلون على اهلها بغير استحقاق وبما كنتم تفسقون فى افعالكم
بغيا وظلما وقيل اذهبتم طيباتكم اى افنيتم شبابكم فى الكفر والمعاصى قال ابن بحر الطيبات
الشباب والقوة ماخوذ من قولهم ذهب اطيباه اى شبابه وقوته قال الماوردى ووجدت الضحاك
قاله ايضا قال المولف رحمه الله القول الاول اظهر روى الحسن عن الاحنف بن قيس انه سمع
عمر بن الخطاب يقول لانا اعلم بخفض العيش ولو شيت لجعلت اكبادا وصلاء وصنابا وصلايق
ولكنى استبقى حسناتى فان الله عز وجل وصف اقواما فقال اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها قال ابو عبيد فى حديث عمر لو شيت لدعوت بصلايق وصناب وصناق وكراكر
واسنمه وفى بعض الحديث وافلاد قال ابو عمرو وغيره الصلاء بالكسر والمد الشوا سمى بذلك
لانه يصلى بالنار والصلاء ايضا صلاء النار فان فتحت الصاد قصرت وقلت صلى النار
والصناب الاصبغة المتخذة من الخردل والزبيب قال ابو عمرو ولهذا قيل للبردون
صنابى انما يشبه لونه بذلك قال والسلايق بالسين هو ما سلق من البقول وغيرها وقال
غيره هى الصلايق بالصاد قال جرير تكلفنى معيشة ال زيد
ومن لى بالصلايق والصناب والصلايق الخبز الرقاق العريض وقد مضى هذا
المعنى فى الاعراف واما الكراكر فكراكر الابل واحدتها كركره وهى معروفة هذا قول ابى
عبيد وفى الصحاح والكركرة رحى زور البعير وهى احدى الثفنات الخمس والكركره
ايضا الجماعة من الناس وابو مالك عمرو بن كركره رجل من علماء اللغة قال ابو عبيد واما

واما الافلاذ فات واحدها فلذ وهي القطعة من الكبد قال اعشى باهله بكفيه حزة فلذ ان الم بها من
الشوا وقال قتادة ذكر لنا ان عمر قال لو شيت كنت اطيبكم طعاما والينكم لباسا ولكني استبقي
طيباتي للآخرة ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال هذا لنا فما للفقرآء المسلمين
الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر بالدموع
وقال لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام وذهبوا هم في حظهم بالجنة فلقد باينونا بونا بعيدا
وفي صحيح مسلم وغيره ان عمر رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مشربة حين
هاجر نساءه قال فالتفت فلم ار شيا يرد البصر الا اهبا جلودا معطونة قد سطع ريحها فقلت يا رسول
الله انت رسول الله وخيرته وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير قال فاستوى جالسا وقال
افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت استغفر لي
فقال اللهم اغفر له وقال حفص بن ابي العاصي كنت اتغدى عند عمر بن الخطاب الخبز والزيت
والخل والخبز واللبن والخبز والقديد واقل ذلك اللحم الغريض يقال غرض الشي غرضا
مثل صغر صغرا فهو غريض اي طري يقال لحم غريض وكان يقول لا تنخلوا الدقيق فانه طعام
كله فجي بخبز منقطع غليظ فجعل ياكل ويقول كلوا فجعلنا لا ناكل فقال ما لكم لا تاكلون
فقلنا والله يا امير المومنين نرجع الى طعام الين من هذا فقال يا ابن ابي العاصي اما ترى
باني عالم ان لو امرت بعناق سمينة فلقي عنها شعرها ثم تخرج مصلية كانها كذا وكذا
اما ترى باني عالم ان لو امرت بصاع او صاعين من زبيب فاجعله في سقا ثم اشن عليه من
الماء فيصبح كانه دم غزال فقلت يا امير المومنين اجاد ما تنعت العيش قال اجل والله
الذي لا اله الا هو لولا اني اخاف ان تنقص حسناتي يوم القيامة لشاركناكم في العيش
ولكني سمعت الله عز وجل يقول لقوم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق اي
تتعظمون عن طاعة الله وعلى عباد الله وبما كنتم تفسقون تخرجون عن طاعة الله وقال
جابر اشتهى اهلي لحما فاشتريت لهم فمررت بعمر بن الخطاب فقال ما هذا يا جابر فاخبرته
فقال او كلما اشتهى احدكم شيا جعله في بطنه اما تخشى ان تكون من اهل هذه الآية
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قال ابن العربي وهذا عتاب منه له على التوسع بابتياع
اللحم والخروج عن جلف الخبز والماء فان تعاطي الطيبات من الحلال تستشري
بها الطباع وتستمر بها العادة فاذا فقدتها استسهلت في تحصيلها بالشبهات حتى تقع في
الحرام المحض بغلبة العادة واستشرا الهوى على النفس الامارة بالسوء فاخذ عمر الامر
من اوله وحماه من ابتدائه كما يفعله مثله والذي يضبط هذا الباب ويحفظ قانونه
على المرء ان ياكل ما وجد طيبا كان او قفارا ولا يتكلف الطيب ويتخذه عادة وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم يشبع اذا وجد ويصبر اذا عدم وياكل الحلوى اذا قدر عليها
ويشرب العسل اذا اتفق له وياكل اللحم اذا تيسر ولا يعتمده اصلا ولا يجعله ديدنا

ومعيشة

ومعيشة النبي صلى الله عليه وسلم معلومة وطريقة الصحابة منقولة فاما اليوم عند استيلاء الحرام
وفساد الحطام فالخلاص عسير والله يهب الاخلاص ويعين على الخلاص برحمته وقيل ان التوبيخ
واقع على ترك الشكر لا على تناول الطيبات المحللة وهو حسن فان تناول الطيب الحلال مأذون
فيه فاذا ترك الشكر عليه واستعان به على ما لا يحل له فقد اذهبه واذكر اخا عاد
هو هود بن عبد الله بن رباح عليه السلام كان اخاهم في النسب لا في الدين اذ انذر قومه
بالاحقاف اي اذكر لهولاء المشركين قصة عاد ليعتبروا بها وقيل امره ان يتفكر في نفسه قصة هود
ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه له والاحقاف ديار عاد وهي الرمال العظام في قول الخليل
وغيره وكانوا اقهر اهل الارض بفضل قوتهم والاحقاف جمع حقف وهو ما استطال من الرمل
العظيم واعوج ولم يبلغ ان يكون جبلا والجمع حقاف واحقاف واحقوقف الرمل والهلال اي
اعوج وقيل الحقف جمع حقاف والاحقاف جمع الجمع يقال حقف احقف قال الاعشى بات الى ارطاة حقف
احقفا اي رمل مستطيل مشرف والفعل منه احقوقف قال العجاج
طي الليالي زلفا فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا اي انحنا واستدار وقال امرؤ القيس
كحقف النقا يمشي الوليدان فوقه بما احتسبا من لين مس وتسهال وفيما اريد بالاحقاف ههنا مختلف
فيه فقال ابن زيد هي رمال مشرفة مستطيلة كهيئة الجبال ولم تبلغ ان تكون جبالا وشاهده ما
ذكرناه وقال قتادة هي جبال مشرفة بالشحر والشحر قريب من عدن يقال شحر عمان وشحر عمان
وهو ساحل البحر بين عمان وعدن وعنه ايضا ذكر لنا ان عادا كانوا احيا باليمن اهل رمل مشرفين
على البحر بارض يقال لها الشحر وقال مجاهد هي ارض من حسمى تسمى بالاحقاف وحسمى وحسم بكسر
الخاء بضم الحا اسم ارض بالبادية فيها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتام تفارقها
قال النابغة فاصبح عاقلا بجبال حسمى دقاق الترب محتزم القتام قاله الجوهري محروف
وقال ابن عباس والضحاك الاحقاف جبل بالشام وعن ابن عباس ايضا واد بين عمان
ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليه ينسب
الابل المهرية فيقال ابل مهرية ومهاري وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود
رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقال الكلبي احقاف الجبل ما نضب عنه الماء زمان
الغرق كان ينضب الماء من الارض ويبقى اثره وروى الطفيل عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال خير واديين في الناس واد بمكة وواد نزل به آدم بارض الهند وشر واديين في الناس
واد بالاحقاف وواد بحضرموت يدعى برهوت يلقى فيه ارواح الكفار وخير بير في الناس
بير زمزم وشر بير في الناس بير برهوت وهو في ذلك الوادي الذي بحضرموت
وقد خلت النذر اي مضت الرسل من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي ومن بعده
قاله الفرا وفي قراة ابن مسعود من بين يديه ومن بعده الا تعبدوا الا الله هذا من قول
الرسل فهو كلام معترض ثم قال هود اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقيل ان لا تعبدوا
الا الله من كلام هود والله اعلم قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا عن آلهتنا فيه وجهان

احدهما لتزيلنا عن عبادتها بالافك الثاني لتصرفنا عن آلهتنا بالمنع قاله الضحاك قال
عروة بن اذينة ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا يقول ان لم توفق للاحسان
فانت في قوم قد صرفوا فاتنا بما تعدنا هذا يدل على ان الوعد قد يوضع موضع الوعيد ان كنت
من الصادقين انك نبي قال انما العلم بوقت مجي العذاب عند الله لا عندي وابلغكم ما ارسلت
به عن ربكم ولكني اراكم قوما تجهلون في سؤالكم استعجال العذاب فلما راوه عارضا مستقبل
اوديتهم قال المبرد الضمير في راوه يعود الى غير مذكور وبينه قوله عارضا فالضمير يعود الى
السحاب اي فلما راوا السحاب عارضا فعارضا نصب على التكرير سمي بذلك لانه يبدو في عرض
السماء وقيل نصب على الحال وقيل يرجع الضمير الى قوله فاتنا بما تعدنا فلما راوه حسبوه سحابا
يمطرهم وكان المطر قد ابطا عنهم فلما راوه مستقبل اوديتهم استبشروا وكان قد جاهم من
وادي جرت العادة ان ما جاهم منه يكون غيثا قاله ابن عباس وغيره قال الجوهري والعارض
السحاب يعترض في الافق ومنه قوله تعالى هذا عارض ممطرنا اي ممطر لنا لانه معرفة لا يجوز
ان يكون صفة لعارض وهو نكرة والعرب انما يفعل مثل هذا في الاسما المشتقة من الافعال
دون غيرها قال جرير يا رب غابطنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا ولا يجوز
ان يقال هذا رجل غلامنا وقال اعرابي بعد الفطر رب صايمه لن تصومه وقايمه لن يقومه
فجعله نعتا للنكرة واضافه الى المعرفة قال المولف رحمه الله قوله لا يجوز ان يكون
صفة لعارض خلاف قول النحويين والاضافة في تقدير الانفصال فهي اضافة لفظية لا حقيقية
لانها لم تفد الاول تعريفا بل الاسم نكرة على حاله فلذلك جرى نعتا على النكرة هذا قول النحويين
في الاية والبيت ونعت النكرة نكرة ورب لا تدخل الا على النكرة بل هو اي قال هود لهم
والدليل عليه قراءة من قرا قال هود بل هو وقرى قل بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل بل
هو ما استعجلتم به يعني قولهم فاتنا بما تعدنا ثم بين ما هو فقال ريح فيها عذاب اليم والريح
التي عذبوا بها نشات من ذلك السحاب الذي راوه وخرج هود من بين اظهرهم فجعلت
تحمل الفساطيط وتحمل الظعينة فترفعها كانها جرادة ثم يضرب بها الصخور قال ابن عباس
اول ما راوا العارض قاموا فمدوا ايديهم فاول ما عرفوا انها عذاب راوا ما كان خارجا
من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح ما بين السماء والارض مثل الريش فدخلوا
بيوتهم واغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال
فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام حسوما ولهم انين ثم امر الله تعالى الريح فكشفت
عنهم الرمال واحتملتهم فرمتهم في البحر فهي التي قال الله تعالى تدمر كل شي بامر ربها اي كل شي
مرت به من رجال عاد واموالها قال ابن عباس اي كل شي بعثت اليه والتدمير الهلاك
وكذلك الدمار وقرى يدمر كل شي من دمر دمارا يقال دمره تدميرا ودمارا ودمر عليه
بمعنى ودمر يدمر دمورا دخل بغير اذن وفي الحديث من سبق طرفه استيذانه فقد دمر
مخفف الميم وتدمر بلد بالشام ويربوع تدمري اذا كان صغيرا قصيرا بامر ربها

باذن

باذن ربها وفي البخاري عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم قال وكان اذا راى غيما او ريحا عرف في وجهه
قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجا ان يكون فيه المطر واراك اذا رايته
عرف في وجهك الكراهية فقال يا عايشة ما يومنني ان يكون فيه عذاب عذب قوم بالريح وقد
راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا اخرجه مسلم والترمذي وقال فيه حديث حسن
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وذكر الماوردي ان القايل هذا عارض ممطرنا من قوم عاد بكر بن معاوية
ولما راى السحاب قال اني لارى سحابا مرمدا لا يدع من عاد احدا وذكر عمرو بن ميمون انها
كانت ياتيهم بالرجل الغايب حتى يقذفه في ناديهم قال ابن اسحق واعتزل هود ومن معه
من المومنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه منها الا ما تلين اعليه بهم وتلتذ الانفس
به وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا وحكى
الكلبي ان شاعرهم قال في ذلك

فدعا هود عليهم دعوة اضحوا همودا
عصفت ريح عليهم تركت عادا خمودا
سخرت سبع ليال لم تدع في الارض عودا

وعمر هود في قومه بعدهم مائة وخمسين سنة فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم قرا عاصم
وحمزه لا يرى الا مساكنهم بالياء غير مسمى الفاعل وكذا روى حماد بن سلمه عن ابن كثير
الا انه قرا ترى بالتاء وقد روى ذلك عن ابي بكر عن عاصم الباقون ترى بتاء مفتوحة مساكنهم
بالنصب اي لا ترى يا محمد الا مساكنهم قال المهدوي ومن قرا بالتاء غير مسمى الفاعل فعلى لفظ
الظاهر الذي هو المساكن المونثه وهو قليل لا يستعمل الا في الشعر وقال ابو حاتم لا يستقيم
هذا في اللغة الا ان يكون فيه اضمار كما تقول في الكلام لا ترى النساء الا زينب ولا
يجوز لا ترى الا زينب وقال سيبويه معناه لا ترى اشخاصهم الا مساكنهم واختار ابو عبيد وابو حاتم
قراءة عاصم وحمزه قال الكسائي معناه لا يرى شي الا مساكنهم فهو محمول على المعنى كما تقول ما قام الا
هند والمعنى ما قام احد الا هند وقال الفرا لا ترى الناس لانهم كانوا تحت الرمل وانما ترى
مساكنهم لانها قايمة كذلك نجزي القوم المجرمين اي مثل هذه العقوبة نعاقب بها المشركين
قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قيل ان ان زايدة تقديره ولقد
مكناهم فيما مكناكم فيه وهذا قول القتبي وانشد الاخفش يرجي المرء ما ان لم يراه
وتعرض دون ادناه الخطوب وقال اخر فما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولة
آخرينا وقيل ان ما بمعنى الذي وان بمعنى ما والتقدير ولقد مكناهم في الذي
ما مكناهم فيه قاله المبرد وقيل شرطية وجوابها مضمر محذوف وتقديره ولقد
مكناهم فيما ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر وعنادكم اشد وتم الكلام ثم ابتدا فقال
وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة يعني قلوبا يفقهون بها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افيدتهم من شي من عذاب الله اذ كانوا يجحدون يكفرون بايات الله وحاق بهم

احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم
من القرى يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوهما مما كان يجاوز بلاد الحجاز وكانت اخبارهم
متواترة عندهم وصرفنا الآيات يعني الحجج والدلالات وانواع البينات والعظات اي
بيناها لاهل تلك القرى لعلهم يرجعون فلم يرجعوا وقيل اي صرفنا آيات القرآن في
الوعد والوعيد والقصص والاعجاز لعل هؤلاء المشركين يرجعون قوله تعالى فلولا نصرهم
لولا بمعنى هلا اي هل لا نصرهم آلهتهم التي تقربوا بها بزعمهم الى الله ليشفع لهم حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما يتقرب
به الى الله من طاعة ونسيكة والجمع قرابين كالرهبان والرهابين واحد مفعولي اتخذ الراجع
الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة
بدل منه لفساد المعنى قاله الزمخشري وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اي هلكوا عنهم وقيل
بل ضلوا عنهم اي ضلت عنهم آلهتهم لانها لم تصبهم ما اصابهم اذ هي جماد وقيل ضلوا عنهم اي
تركوا الاصنام وتبرؤا منها وذلك افكهم اي والآلهة التي ضلت عنهم هي افكهم في قولهم
انها تقربهم الى الله زلفى وقراءة العامة افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء اي كذبهم
والافك الكذب وكذلك الافيكة والجمع الافائك ورجل افاك اي كذاب وقرا ابن عباس
ومجاهد وابن الزبير وذلك افكهم بفتح الهمزة والكاف والفاء على الفعل اي ذلك القول
صرفهم عن التوحيد والافك بالفتح مصدر قولك افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن
الشيء وقرا عكرمة افّكهم بتشديد الفاء على التاكيد والتكثير قال ابو حاتم يعني قلبهم عما كانوا
عليه من النعم وذكر المهدوي عن ابن عباس ايضا آفكهم بالمد وكسر الفاء بمعنى صادفهم
وعن عبد الله ابن الزبير باختلاف عنه آفكهم بالمد فجاز ان يكون افعلهم اي اصادهم
الى الافك وجاز ان يكون فاعلهم كخادعهم ودليل قراءة العامة افكهم قوله وما
كانوا يفترون اي يكذبون وقيل افكهم مثل افكهم الافك والافك كالحذر والحذر
قاله المهدوي قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن هذا توبيخ لمشركي قريش اي ان
الجن سمعوا القرآن فآمنوا به وعلموا انه من عند الله وانتم معرضون
مصرون على الكفر ومعنى صرفنا وجهنا اليك وبعثنا وذلك انهم صرفوا عن استراق السمع
من السماء برجوم الشهب على ما ياتي ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه الا عند مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم وخروجه الى الطائف يلتمس قال المفسرون ابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد وغيرهم لما مات ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم وحده الى الطائف
يلتمس من ثقيف النصرة فقصد عبد ياليل ومسعودا وحبيبا وهم اخوة بنو عمرو بن
عمير وعندهم امراة من قريش من بني جمح فدعاهم الى الايمان وسالهم ان ينصروه على قومه فقال
احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الآخر اما وجد الله احدا
يرسله غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك كلمة ابدا ان كان الله ارسلك كما تقول

فانت

فانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب فما ينبغي لي ان اكلمك ثم
اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع عليه الناس والجاوه الى
حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فقال للجمحية ماذا لقينا من احمائك ثم قال اللهم اني اشكو
اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين
وانت ربي لمن تكلني لعبد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي
ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك
العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فرحمه ابنا ربيعة وقالا لغلام لهما نصراني يقال له
عداس خذ قطفا من العنب وضعه في هذا الطبق ثم ضعه بين يدي هذا الرجل فلما وضعه
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بسم الله ثم اكل فلما نظر عداس الى وجهه قال
والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اي
البلاد انت يا عداس وما دينك قال انا نصراني من اهل نينوى فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك ما يونس بن متى قال ذاك
اخي كان نبيا وانا نبي قالت عداس حتى قبل راس النبي صلى الله عليه ويديه ورجليه
فقال له ابنا ربيعة لم فعلت هكذا فقال يا سيدي ما في الارض خير من هذا اخبرني
بامر ما يعلمه الا نبي ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم حتى يئس من خير ثقيف حتى
اذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي فمر به نفر من جن اهل نصيبين وكان سبب
ذلك ان الجن كانوا يسترقون السمع فلما حرست السماء ورموا بالشهب قال ابليس
ان هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الارض فبعث سراياه ليعرف الخبر اولهم
ركب نصيبين وهم اشراف الجن الى تهامة فلما بلغوا بطن نخلة سمعوا النبي صلى
الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة ويتلو القرآن فاستمعوا له وقالوا
انصتوا وقالت طائفة بل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم
الى الله تعالى ويقرا عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن من
نينوى وجمعهم له فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني اريد ان اقرا القرآن على الجن
الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم قال الثانية فاطرقوا ثم قال الثالثة فاطرقوا فقال
ابن مسعود انا يا رسول الله قال ابن مسعود ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى
اذا كنا باعلى مكة دخل النبي صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون
وخط لي خطا وامرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق
حتى قام فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور تمشي وتهوي في رفرفها وسمعت
لغطا وغمغمة حتى خفت على النبي صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني
وبينه حتى ما اسمع صوته ثم طفقوا ينقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي
صلى الله عليه وسلم مع الفجر فقال انمت قلت لا والله لقد هممت مرارا ان استغيث

بالناس حتى سمعتك تفرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال لو خرجت لم امن عليك ان يختطفك
بعضهم ثم قال هل رايت شيا قلت نعم رايت رجالا سودا مستثفرين ثيابا بيضا قال اولئك
جن نصيبين سالوني المطاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حايل وروثه وبعرة فقالوا يا
رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروثة
قلت يا نبي الله وما يغني ذلك عنهم قال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل
ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكل فقلت يا رسول الله لقد سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن
تدارات في قتيل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق ثم تبرز النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اتاني فقال هل معك ما فقلت يا نبي الله معي اداوة فيها شي من نبيذ التمر فصببت على يده فتوضا
وقال تمرة طيبة وماء طهور روى معناه معمر عن قتادة وسعيد ايضا عن ابن مسعود وليس في
حديث معمر ذكر نبيذ التمر وروى عن ابن عثمان النهدي ان ابن مسعود ابصر زطا فقال ما هولا
قالوا هولاء الزط قال ما رايت شبيهم الا الجن ليلة الجن وكانوا مستثفرين يتبع بعضهم بعضا
وذكر الدارقطني عن عبد الله ابن لهيعة حدثني قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس عن ابن
مسعود انه وضا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن بنبيذ فتوضا به وقال شراب وطهور
ابن لهيعة لا يحتج به وبهذا السند عن ابن مسعود انه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة
الجن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امعك ما يا ابن مسعود فقال معي نبيذ في اداوة
فقال صلى الله عليه وسلم صب علي منه فتوضا وقال هو شراب وطهور تفرد به ابن لهيعة وهو
ضعيف الحديث قال الدارقطني وقيل عن ابن مسعود لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
كذلك رواه علقمة ابن قيس وابو عبيدة بن عبد الله وغيرهما عنه انه قال ما شهدت ليلة الجن
حدثنا ابو محمد بن صاعد حدثنا ابو الاشعث حدثنا بشر بن المفضل حدثنا داود بن ابي هند عن عامر
عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله ابن مسعود اشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منكم
ليلة اتاه داعي الجن قال لا قال الدارقطني هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة رواته
وعن عمرو بن مرة قال قلت لابي عبيدة حضر عبد الله بن مسعود ليلة الجن فقال لا وقال ابن
عباس كان الجن سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم النبي صلى الله عليه وسلم رسلا الى
قومهم وقال زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وقال قتادة انهم من اهل نينوى وقال مجاهد
من اهل حران وقال عكرمة من جزيرة الموصل وقيل انهم كانوا سبعة ثلثة من اهل نجران
واربعة من اهل نصيبين وروى ابن ابي الدنيا ان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
وذكر فيه نصيبين فقال رفعت الي حتى رايتها فدعوت الله ان يكثر مطرها وينضر شجرها
وان يغدق نهرها وقال السهيلي ويقال كانوا سبعة وكانوا يهودا فاسلموا ولذلك قالوا انزل
من بعد موسى وقيل في اسمايهم شاصر وماصر ومنشي وماشي والاحقب ذكر هولاء ابن
دريد ومنهم عمرو بن جابر ذكره ابن سلام من طريق ابي اسحق السبيعي عن اشياخه عن ابن مسعود
انه كان في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار ثم جا اعصار

اعظم

اعظم منه فاذا حية قتيل وعمد رجل منا الى ردايه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما
جن الليل اذا امراتان تسالان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندري من عمرو بن جابر
فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع المومنين منهم
فقتل عمرو وهو الحية التي رايتم وهو من النفر الذين استمعوا القران من محمد عليه الصلوة
والسلام ثم ولوا الى قومهم منذرين وذكر ابن سلام رواية اخرى ان الذي كفنه هو صفوان
بن المعطل قال المولف وذكر هذا الخبر الثعلبي بنحوه فقال وقال ثابت بن قطبة جا اناس الى
ابن مسعود فقالوا انا كنا في سفر فراينا حية متشحطة في دمايها فاخذها رجل منا فواريناها
فجاهم ناس فقالوا ايكم دفن عمرا قالوا واما عمرو قالوا الحية التي دفنتم في مكان كذا اما
انه كان من النفر الذين سمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم وكان بين حيين من
الجن مسلمين وكافرين قتال فقتل ففي هذا الخبر ان ابن مسعود لم يكن في سفره لا حضر الدفن
فالله اعلم وذكر ابن ابي الدنيا عن رجل من التابعين سماه ان حية دخلت عليه في خبايه
تلهث عطشا فسقاها ثم انها ماتت فدفنها فاتى من الليل وسلم عليه وشكر واخبر ان تلك
الحية كانت رجلا من جن نصيبين اسمه زوبعة قال السهيلي وبلغنا في فضايل عمر بن عبد
العزيز مما حدثنا به ابو بكر بن طاهر الاشبيلي ان عمر بن عبد العزيز كان يمشي بارض فلاة
فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردايه ودفنها فاذا قايل يقول يا سرق اشهد لسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة فيكفنك رجل صالح فقال ومن انت
يرحمك الله فقال رجل من الجن الذين استمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ستموت بارض فلاة لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وقد قتلت عايشة
رضي الله عنها حية راتها في حجرتها يستمع وعايشة تقرا فاتيت في المنام فقيل لها
انك قتلت رجلا مومنا من الجن الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لو
كان مومنا ما دخل على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها ما دخل عليك الا
وانت متقنعة وما جاء الا ليستمع الذكر فاصبحت عايشة فزعة واشترت رقابا فاعتقتهم
قال السهيلي وقد ذكرنا من اسما القوم ما حضرنا فان كانوا سبعة فالاحقب منهم وصف لاحدهم هولاء الجن م
وليس باسم علم فان الاسماء التي ذكرناها انفا ثمانية بالاحقب والله اعلم قال المولف رحمه
الله وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه هامة بن الهيم ابن لاقيس بن ابليس قيل انه من
مومني الجن وممن لقي النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه سورة الواقعة والمرسلات وعم
يتساءلون واذا الشمس كورت والحمد والمعوذتين وذكر انه حضر قتل هابيل وشرك
في دمه وهو غلام ابن اعوام وانه لقي نوحا وتاب على يديه وهودا وصالحا ويعقوب
ويوسف والياس وموسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهم السلام وقد ذكر الماوردي
اسماهم عن مجاهد صح فقال حسى ومسى ومنسى وشاصر وماصر والاردوانان والاحقب
وذكرها ابو عمرو عثمان بن احمد المعروف بابن السماك حدثنا محمد بن البرا حدثنا الزبير

بن بكار قال كان حمزه بن عتبه بن ابى لهب يسمى جن نصيبين الذين قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيقول حسا ومسا وشاصر وماصر والاخر والازد وايان **فلما حضروه**
اى حضروا النبى صلى الله عليه وسلم وهو من باب تلوين الخطاب وقيل لما حضروا القران
واستماعه قالوا انصتوا اى قال بعضهم اسكتوا لاستماع القرآن قال ابن مسعود هبطوا على النبى
صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القرآن ببطن نخله فلما سمعوه قالوا انصتوا قالوا صه وكانوا
سبعة احدهم زوبعة فانزل الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى ضلال مبين وقيل انصتوا
لسماع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى متقارب فلما قضى وقرا لاحق بن حميد وحبيب بن
عبد الله بن الزبير فلما قضى بفتح القاف والضاد يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قيل الصلوة
وذلك انهم خرجوا حين حرست السماء من استراق السمع ليستخبروا ما اوجب ذلك فجاءوا
وادى نخله والنبى صلى الله عليه وسلم يقرا فى صلوة الفجر وكانوا سبعة فسمعوه وانصرفوا
الى قومهم منذرين ولم يعلم بهم النبى صلى الله عليه وسلم وقيل بل امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ينذر الجن ويقرا عليهم القرآن فصرف الله اليه نفرا من الجن ليستمعوا منه وينذروا
قومهم فلما تلى عليهم القرآن وفرغ انصرفوا بامره قاصدين من وراءهم من قومهم من الجن منذرين
لهم مخالفة القرآن ومحذرين اياهم باس الله لعله ان لم يؤمنوا انثا وهذا يدل على انهم آمنوا
بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه ارسلهم ويدل على هذا قولهم يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به
ولولا ذلك لما انذروا قومهم وقد تقدم عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا
الى قومهم فعلى هذا ليلة الجن ليلتان وقد تقدم هذا المعنى مستوفى وفى صحيح مسلم ما يدل على ذلك
على ما ياتى بيانه فى قل اوحى الى وفى صحيح مسلم عن معن قال سمعت ابى قال سالت مسروقا من اذن
النبى صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا الجن القرآن فقال حدثنى ابوك يعنى ابن مسعود انه
اذنته بهم شجرة قوله تعالى **قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى** اى
القران وكانوا مومنين بموسى قال عطا كانوا يهودا فاسلموا ولذلك قالوا انزل من بعد موسى وعن
ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى ولذلك قالت من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعنى
ما قبله من التورية يهدى الى الحق والى طريق مستقيم دين الله القويم يا قومنا اجيبوا داعى
الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس قال مقاتل ولم
يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد عليه الصلوة والسلام قال المؤلف رحمه الله يدل على قوله ما فى صحيح
مسلم عن جابر بن عبد الله الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن
احد قبلى كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لى الغنائم ولم تحل
لاحد قبلى وجعلت لى الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان
ونصرت بين يدى مسيرة شهر واعطيت الشفاعة قال مجاهد الاحمر والاسود الجن والانس
وفى رواية من حديث ابو هريرة وبعثت الى الخلق كافة وختم بى النبيون وآمنوا به اى بالداعى
وهو محمد عليه السلام وقيل به اى بالله لقوله يغفر لكم من ذنوبكم قال ابن عباس فاستجاب

لهم

لهم من قومهم سبعون رجلا فرجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فوافقوه بالبطحا فقرا عليهم
القرآن وامرهم ونهاهم هذه الآية تدل على ان الجن كالانس فى الامر والنهى والثواب
والعقاب وقال الحسن ليس لمؤمنى الجن ثواب غير نجاتهم من النار يدل عليه قوله يغفر لكم من ذنوبكم
ويجركم من عذاب اليم وبه قال ابو حنيفه قال ليس ثواب الجن الا ان يجاروا من النار ثم يقال
لهم كونوا ترابا مثل البهايم وقال آخرون انهم كما يعاقبون فى الاساءة يجازون فى الاحسان مثل
الانس واليه ذهب مالك والشافعى وابن ابى ليلى وقد قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون
ويشربون قال القشيرى والصحيح ان هذا مما لا يقطع فيه بشى والعلم عند الله قال المؤلف رحمه الله
قوله **ولكل درجات مما عملوا** يدل على انهم يثابون ويدخلون الجنة لانه
قال فى اول الآية **يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم**
آياتى الى ان قال ولكل درجات مما عملوا والله اعلم وسياتى لهذا فى سورة الرحمن مزيد بيان
قوله **ومن لا يجب داعى الله** فليس بمعجز فى الارض اى لا يفوت الله ولا يسبقه
وليس له من دونه اولياء اى انصار يمنعونه من عذاب الله اولئك فى ضلال مبين قوله تعالى
اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض الرؤية هنا بمعنى العلم وان واسمها
وخبرها سدت مسد مفعولى الرؤية ولم يعى بخلقهن بقادر على ان يحيى الموتى احتجاج على منكرى
البعث ومعنى لم يعى يعجز ويضعف عن ابداعهن يقال عى بامره وعيى اذا لم يهتد لوجهه والادغام
اكثر ويقول فى الجمع عيوا مخففا وعيوا ايضا بالتشديد قال عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامه
وعييت بامرى اذا لم يهتد لوجهه واعيانى هو وقرا الحسن ولم يعى بكسر العين واسكان الياء
وهو شاذ قليل لم يات اعتلال العين وتصحيح اللام الا فى اسماء قليلة نحو غاية وآية ولم يات
فى الفعل سوى بيت انشده الفرا وهو قول الشاعر وكانها بين النساء سبيكة
تمشى بسدة بيتها فتعى بقادر قال ابو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كالباء فى قوله
وكفى بالله شهيدا وقوله تنبت بالدهن وقال الكسائى والفرا والزجاج الباء فيه خلف الاستفهام
والجحد فى اول الكلام قال الزجاج والعرب تدخلها مع الجحد تقول ما ظننت ان زيدا بقائم ولا
تقول ظننت ان زيدا بقائم وهذا لدخول ما ودخول ان للتوكيد والتقدير اليس الله بقادر
كقوله اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر وقرا ابن مسعود والاعرج والجحدرى
وابن ابى اسحق ويعقوب يقدر واختاره ابو حاتم لان دخول الباء فى خبر ان قبيح واختار ابو عبيد
قراءة العامة لانها فى قراءة عبد الله خلق السموات والارض قادر بغير باء قوله تعالى
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى ذكرهم يوم يعرضون فيقال لهم اليس هذا
بالحق قالوا بلى وربنا فيقول لهم المقرر فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اى
بكفركم قوله تعالى **فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل** قال ابن عباس
ذووا الحزم والصبر قال مجاهد هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام
وهم اصحاب الشرايع وقال ابو العاليه ان اولوا العزم نوح وهود وابراهيم فامر الله نبيه عليه السلام

ان يكون رابعهم وقال السدى انهم ستة ابرهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد
صلوات الله عليهم وقيل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على النسق
فى سورة الاعراف والشعرا وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه مدة وابرهيم صبر
على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر
على البئر والسجن وايوب صبر على الضر وقال ابن جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وايوب
وليس منهم يونس ولا سليمان ولا ادم وقال الشعبى والكلبى ومجاهد انما هم الذين امروا
بالقتال فاظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام
وهم ثمانية عشر ابرهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وايوب ويوسف وموسى
وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا واختاره
الحسين بن الفضل لقوله فى عقبه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ابن عباس
ايضا كل الرسل كانوا اولى عزم واختاره على بن مهدى الطبرى قال وانما دخلت من للتجنيس
لا للتبعيض كما يقول اشتريت اردية من البز واكسية من الخز اى اصبر كما صبر الرسل وقيل كل الانبياء
اولوا عزم الا يونس بن متى الا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان يكون مثله لخفة
وعجلة ظهرت منه حين ولى مغاضبا لقومه فابتلاه الله بثلاث سلط عليه العمالقة حتى
اغاروا على اهله وماله وسلط الذئب على ولده فاكله وسلط عليه الحوت فابتلعه قاله ابو القاسم
الحكيم وقال بعض العلماء اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بنى اسرائيل بالشام فعصوهم
فاوحى الله الى الانبياء انى مرسل عذابى الى عصاة بنى اسرائيل فشق ذلك على المرسلين فاوحى
الله اليهم اختاروا لانفسكم ان شئتم انزلت بكم العذاب وانجيت بنى اسرائيل وان شئتم
نجيتكم وانزلت العذاب ببنى اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رايهم على ان ينزل بهم
العذاب وينجى الله بنى اسرائيل فانجا الله بنى اسرائيل وانزل باولئك العذاب وذلك انه سلط
عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من سلخ جلدة راسه ووجهه ومنهم من صلب
على الخشب حتى مات ومنهم من حرق بالنار والله اعلم وقال الحسن اولوا العزم اربعة
ابرهيم وموسى وداود وعيسى فاما ابرهيم فقيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلى فى ماله
وولده ووطنه ونفسه فوجد صادقا وافيا فى جميع ما ابتلى به واما موسى فعزمه حين قال له
قومه انا لمدركون فقال كلا ان معى ربى سيهدين واما داود فاخطا خطيئة فنبه عليها فاقام
يبكى اربعين سنة حتى نبتت من دموعه شجرة فقعد تحت ظلها واما عيسى فعزمه لم يضع
لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها فكان الله تعالى يقول لرسوله صلى الله
عليه وسلم اصبر اى كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق ابراهيم واثقا بنصر مولاك مثل
ثقة موسى مهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود زاهدا فى الدنيا مثل زهد عيسى ثم
قيل هى منسوخة باية السيف وقيل محكمة والاظهر انها منسوخة لان السورة مكية
وذكر مقاتل ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فامر الله

تعالى

تعالى ان يصبر على ما اصابه كما صبر اولوا العزم من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتا له والله اعلم ولا
تستعجل لهم قال مقاتل بالدعا عليهم وقيل فى احلال العقاب بهم فان ابعد غاياتهم يوم
القيامة ومفعول الاستعجال محذوف وهو العذاب كانهم يوم يرون ما يوعدون قال يحيى
من العذاب وقال النقاش من الاخرة لم يلبثوا اى فى الدنيا حتى جاءهم العذاب وهو مقتضى قول
يحيى وقال النقاش فى قبورهم حتى بعثوا للحساب الا ساعة من نهار فى جنب يوم القيامة وقيل لعى م
نساهم هول ما عاينوا من العذاب طول لبثهم فى الدنيا ثم قال بلاغ اى هذا القران بلاغ
قاله الحسن فبلاغ رفع على اضمار مبتدا دليله قوله هذا بلاغ للناس ولينذروا به وقوله
ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل اى ان ذلك اللبث بلاغ قاله
ابن عيسى فيوقف على هذا على بلاغ وعلى نهار وذكر ابو حاتم ان بعضهم وقف على ولا تستعجل
ثم ابتدا لهم على معنى لهم بلاغ قال ابن الانبارى وهذا خطا لانك قد فصلت بين البلاغ وبين
اللام وهى رافعه بشئ ليس منها ويجوز فى العربية بلاغا وبلاغ على معنى الا ساعة بلاغا على النصب م
المصدر او على النعت للساعة والخفض على معنى من نهار بلاغ وبالنصب قرا عيسى بن عمر والحسن
وروى عن بعض القرا بلغ على الامر فعلى هذه القراءة يكون الوقف من نهار ثم يبتدى بلغ
فهل يهلك الا القوم الفاسقون اى الخارجون عن امر الله قاله ابن عباس وغيره وقرا
ابن محيصن فهل يهلك الا القوم على اسناد الفعل الى القوم وقال ابن عباس اذا عسر
على المراة ولدها تكتب هاتين الايتين والكلمتين فى صحيفة ثم يغسل ويسقى منها وهى
بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات
ورب الارض ورب العرش العظيم كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ صدق الله العظيم
وعن قتادة لا يهلك الله الا هالك مشرك وقيل هذه اقوى اية فى الرجا

سورة القتال وهى سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مدنية فى قول ابن عباس ذكره النحاس وقال الماوردى فى قول الجميع الا ابن عباس وقتاده
فانهما قالا الا اية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكه وجعل ينظر الى البيت
وهو يبكى حزنا عليه فنزل عليه وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك وقال الثعلبى انها مكية
وحكاه ابن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهى تسع وثلثون اية وقيل ثمان
قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم
قال ابن عباس ومجاهد هم اهل مكه كفروا بتوحيد الله وصدوا انفسهم والمومنين عن دين
الله وهو الاسلام بنهيهم عن الدخول فيه وقاله السدى وقال الضحاك عن سبيل الله
عن بيت الله بمنع قاصديه ومعنى اضل اعمالهم ابطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه
وسلم وجعل الدائرة عليهم قاله الضحاك وقيل ابطل ما عملوه فى كفرهم مما كانوا يسمونه
مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقال ابن عباس

نزلت في المطعمين ببدر وهم اثنا عشر رجلا ابو جهل والحارث بن هشام وعتبه وشيبه ابنا ربيعة وابى
وامية ابنا خلف ومنبه ونبيه ابن الحجاج وابو البختري بن هشام وزمعه ابن الاسود وحكيم
بن حزام والحارث ابن عامر بن نوفل قوله تعالى وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وآمنوا بما نزل على محمد قال ابن عباس ومجاهد هم الانصار وقال مقاتل انها نزلت خاصة في ناس
من قريش وقيل هما عامتان فيمن كفر وامن ومعنى اضل اعمالهم ابطلها وقيل اضلهم عن
الهدى بما صرفهم عنه من التوفيق وعملوا الصالحات من قال انهم الانصار فهي المواساة
في مساكنهم واموالهم ومن قال انهم من قريش فهي الهجرة ومن قال بالعموم فالصالحات جميع الاعمال
التي ترضي الله تعالى وآمنوا بما نزل على محمد لم يخالفوه في شي قاله سفيان الثوري وقيل صدقوا
محمدا فيما جاء به وهو الحق من ربهم يريد ان ايمانهم هو الحق من ربهم وقيل ان ايمانهم
وقيل اي ان القرآن هو الحق من ربهم نسخ به ما قبله كفر عنهم سيئاتهم اي ما مضى من
سيئاتهم قبل الايمان واصلح بالهم اي شانهم عن مجاهد وغيره وقال قتادة حالهم ابن عباس
امورهم والثلاثة متقاربة وهي متاوله على اصلاح ما تعلق بدنياهم وحكى النقاش ان المعنى اصلح
نياتهم ومنه قول الشاعر فان تقبلي بالود اقبل بمثله وان تدبري اذهب الى حال باليا
وهو على هذا التاويل محمول على صلاح دينهم والبال كالمصدر ولا يعرف منه فعل ولا يجمع الا
في ضرورة الشعر فيقولون فيه بالات المبرد قد يكون البال في موضع اخر بمعنى القلب يقال
ما يخطر فلان على بالي اي على قلبي الجوهري والبال رخا النفس يقال فلان رخي البال و
البال الحال يقال ما بالك وقولهم ليس هذا من بالي اي مما اباليه والبال الحوت العظيم
من حيتان البحر والبالة وعا الطيب فارسي معرب واصله بالفارسية بيله قال ابو ذويب
كان عليها بالة لطمية لها من خلال الداتين اريج قوله تعالى ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ذلك في موضع رفع اي الامر
ذلك او ذلك الاضلال والهدى المتقدم ذكرهما سببه هذا فالكافر اتبع الباطل والمومن
اتبع الحق والباطل الشرك والحق التوحيد والايمان كذلك يضرب الله للناس امثالهم
اي هذا البيان الذي بين يبين الله للناس امر الحسنات والسيات والضمير في امثالهم
يرجع الى الذين كفروا والذين امنوا قوله تعالى فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ
الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فيه اربع مسايل الاولى قوله فاذا
لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب لما ميز بين الفريقين امر بجهاد الكفار قال ابن عباس
الكفار المشركون عبدة الاوثان وقيل كل من خالف دين الاسلام من مشرك او كتابي
اذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة ذكره الماوردي واختاره ابن العربي وقال وهو
الصحيح لعموم الاية فيه فضرب الرقاب مصدر قال الزجاج اي فاضربوا الرقاب
ضربا وخص الرقاب بالذكر لان القتل اكثر ما يكون بها وقيل نصب على الاغرا
قال ابو عبيدة هو كقولك يا نفس صبرا وقيل التقدير اقصدوا ضرب الرقاب

وليس بعربي

وقال

وقال فضرب الرقاب ولم يقل فاقتلوهم لان في العبارة بضرب الرقاب من الغلظة والشدة
ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو
الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضايه حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ اي اكثرتم
القتل وقد مضى في الانفال عند قوله حتى يثخن في الارض فشدوا الوثاق اي اذا اسرتموهم
والوثاق اسم الايثاق وقد يكون مصدرا يقال اوثقه ايثاقا ووثاقا واما الوثاق بالكسر فهو اسم
فهو اسم الشي الذي يوثق به كالرباط قاله القشيري وقال الجوهري واوثقه في الوثاق اي شده
وقال تعالى فشدوا الوثاق والوثاق بكسر الواو لغة فيه وانما امر بشد الوثاق لئلا
يفلتوا فاما منا عليهم بالاطلاق من غير فدية واما فدآء ولم يذكر القتل ههنا اكتفا بما تقدم
من القتل في صدر الكلام ومنا وفدا نصب باضمار فعل وقرى فدى بالقصر مع فتح الفاء اي
فاما ان تمنوا عليهم منا واما ان تفادوهم فدآ روي عن بعضهم انه قال كنت واقفا على
راس الحجاج حين اتي بالاسرى من اصحاب عبد الرحمن بن الاشعث وهم اربعة الاف
وثمانمائة فقتل منهم نحو من ثلاثة الاف حتى قدم اليه رجل من كندة فقال يا حجاج لا
جزاك الله عن السنة والكرم خيرا قال ولم ذاك قال ان الله تعالى قال يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد
واما فدا فنحن الذين كفروا فوالله ما مننت ولا فديت وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه
من مكارم الاخلاق ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم اذا اثقل الاعناق حمل المحارم فقال
الحجاج اف لهذه الجيف اما كان فيهم من يحسن مثل هذا الكلام خلوا سبيل من بقي فخلي
يوميذ عن بقية الاسرى وهم زها الفين بقول ذاك الرجل الثانية اختلف العلماء
في تاويل هذه الاية على خمسة اقوال الاول انها منسوخة وهي في اهل الاوثان لا يجوز ان
ولا يمن عليهم والناسخ لها عندهم قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقوله واما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وقوله فاقتلوا المشركين كافة الاية
قاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج والعوفي عن ابن عباس وقاله كثير من الكوفيين
وقال عبد الكريم الجزري كتب الى ابي بكر في اسير اسر فذكروا انهم التمسوه بفدا كذا وكذا
فقال اقتلوه لقتل رجل من المشركين احب الي من كذا وكذا الثاني انها في الكفار جميعا
وهي منسوخة على قول جماعة من العلماء واهل النظر منهم قتادة وجماعة قالوا اذا اسر
المشرك لم يجز ان يمن عليه ولا ان يفادى به فيرد الى المشركين ولا يجوز ان يفادى عندهم
الا بالمراة لانها لا يقتل والناسخ لها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اذ كانت براءة
آخر ما نزلت بالتوقيف فوجب ان يقتل كل مشرك الا من قامت الدلالة على تركه من النساء
والصبيان ومن توخذ منه الجزية وهو المشهور من مذهب ابي حنيفة خيفة ان يعودوا
حربا للمسلمين ذكر عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة فاما منا بعد واما فدآء نسخها فشرد
بهم من خلفهم وقال مجاهد نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهو قول الحكم الثالث

نزلت

بقي

نفادوا

انها ناسخة قاله الضحاك وغيره روى الثورى عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم قال نسختها فاما منا بعد واما فدا وقال ابن المبارك عن ابن جريج عن
عطا فاما منا بعد واما فدا فلا يقتل المشرك ولكن يمن عليه ويفادى كما قال الله جل وعز
قال الاشعث كان الحسن يكره ان يقتل الاسير وتلا فاما منا بعد واما فداء وقال الحسن
ايضا في الاية تقديم وتاخير فكانه قال فضرب الرقاب حتى يضع الحرب اوزارها
ثم قال حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وزعم انه ليس للامام اذا حصل الاسير في يديه ان
يقتله لكنه بالخيار في ثلثه منازل اما ان يمن او يفادى او يسترق الرابع قول سعيد بن
جبير لا يكون فداء ولا اسر الا بعد الاثخان والقتل بالسيف لقوله تعالى ما كان لنبى
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فاذا اسر بعد ذلك فللامام ان يحكم بما راه من
قتل او غيره الخامس ان الاية محكمة والامام مخير في كل حال رواه على بن ابى طلحة
عن ابن عباس وقاله كثير من العلماء منهم ابن عمر والحسن وعطا وهو مذهب مالك
والشافعى والثورى والاوزاعى وابى عبيد وغيرهم وهو الاختيار لان النبى صلى الله عليه
وسلم والخلفاء الراشدين فعلوا كل ذلك وقتل النبى صلى الله عليه وسلم عقبة بن
ابى معيط والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا وفادى سائر اسارى بدر ومن قوله ومن الى قوله
ومن على ثمامة على ابى عروة الجحى وقتل بنى قريظة وقد نزلوا على حكم سعد وصار والى يده
سبيا ومن على ثمامة بن اثال الحنفى وهو اسير في يده واخذ من سلمة بن الاكوع جارية ففدى بها
اناسا من المسلمين وهبط على النبى عليه الصلوة والسلام قوم من اهل مكة فاخذهم النبى
صلى الله عليه وسلم ومن عليهم وقد من على سبى هوازن وهذا كله ثابت في الصحيح وقد
مضى في الانفال وغيرها قال النحاس وهذا على ان الايتين محكمتان معمول بهما وهو
قول حسن لان النسخ انما يكون لشئ قاطع فاذا امكن العمل بالايتين فلا معنى للقول
بالنسخ اذا كان يجوز ان يقع التعبد اذا لقينا الذين كفروا قتلناهم واذا كان الاسر
جاز القتل والاسترقاق والمفاداة والمن على ما فيه الصلاح للمسلمين وهذا القول
يروى عن اهل المدينة والشافعى وابى عبيد وحكاه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفه
والمشهور عنه ما قدمناه وبالله عز وجل التوفيق الرابعة قوله تعالى حتى يضع الحرب
اوزارها قال مجاهد وابن جبير هو خروج عيسى عليه السلام وعن مجاهد ايضا ان
المعنى حتى لا يكون دين الا دين الاسلام فيسلم كل يهودى ونصرانى وصاحب ملة ويامن
الشاة من الذئب ونحوه عن الحسن والكلبى والفرا والكسائى قال الكسائى حتى يسلم
الخلق وقال الفرا حتى يؤمنوا ويذهب الكفر وقال الكلبى حتى يظهر الاسلام على
الدين كله وقال الحسن حتى لا يعبدوا الا الله وقيل معنى الاوزار السلاح فالمعنى شدوا
الوثاق حتى تامنوا وتضعوا السلاح وقيل معناه حتى يضع الحرب اى الاعدا المحاربين
اوزارهم وهو سلاحهم بالهزيمة او الموادعة ويقال للكراع اوزار قال الاعشى

واعدت

واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا
ومن نسج داود يحدى بها على اثر الحى عيرا فعيرا

وقيل حتى يضع الحرب اوزارها اى اثقالها والوزر الثقل ومنه وزير الملك لانه يتحمل
عنه الاثقال واثقالها السلاح لثقل حملها قال ابن العربى قال الحسن وعطا في الاية
تقديم وتاخير المعنى فضرب الرقاب حتى يضع الحرب اوزارها فاذا اثخنتموهم فشدوا
الوثاق وليس للامام ان يقتل الاسير وقد روى عن الحجاج انه دفع اسيرا الى عبد الله
بن عمر ليقتله فابى وقال ليس بهذا امرنا الله وقرا حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق قلنا
قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله وليس في تفسير الله للمن والفدا منع من غيره
فقد بين الله في الزنا حكم الجلد وبين النبى صلى الله عليه وسلم حكم الرجم ولعل ابن عمر كره ذلك
من يد الحجاج فاعتذر بما قال وربك اعلم ذلك ولو يشاء الله لانتصر
منهم ذلك في موضع رفع على ما تقدم اى الامر ذلك الذى ذكرت وبينت وقيل هو منصوب
على معنى افعلوا ذلك ويجوز ان يكون مبتدا المعنى ذلك حكم الكفار وهى كلمة يستعملها الفصيح
عند الخروج من كلام الى كلام وهو كما قال هذا وان للطاغين لشر ماب اى هذا حق وانا
اعرفكم ان للظالمين كذا ومعنى لانتصر منهم اى اهلكهم بغير قتال وقال ابن عباس لاهلكهم
بجند من الملائكة ولكن ليبلوا بعضكم ببعض اى امركم بالحرب ليبلو ويختبر بعضكم ببعض
فيعلم المجاهدين والصابرين كما في السورة نفسها والذين قتلوا في سبيل الله يريد قتلى
احد من المؤمنين فلن يضل اعمالهم قراءة العامة قاتلوا وهى اختيار ابى عبيد وقرا ابو عمرو
وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء وكذلك قراءة الحسن الا انه شدد التاء على التكثير وقرا
الجحدرى وعيسى بن عمر وابو حيوة قتلوا بفتح القاف والتاء من غير الف يعنى الذين
قتلوا المشركين قال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت يوم احد ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون اعل هبل ونادى
المسلمون الله اعلى واجل فقال المشركون يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال النبى صلى الله
عليه وسلم قولوا لا سواء قتلانا احياء عند ربهم يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون فقال
المشركون ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال المسلمون الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم
ذكر ذلك في ال عمران قوله تعالى سيهديهم قال القشيرى قراءة ابى عمرو قتلوا بعيده
لقوله تعالى سيهديهم ويصلح بالهم والمقتول لا يوصف بهذا قال غيره يكون المعنى سيهديهم
الى الجنة او سيهدى من بقى منهم اى يحقق لهم الهداية وقال ابن زياد يهديهم الى محاجة منكر
ونكير في القبر قال ابو المعالى وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المؤمنين الى مسالك
الجنان والطرق المفضية اليها من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم
سيهديهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم قوله تعالى
ويدخلهم الجنة عرفها لهم اى اذا دخلوها يقال لهم تفرقوا الى منازلكم

فهم اعرف بمنازلهم من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم قال معناه مجاهد واكثر المفسرين
وفي البخاري ما يدل على صحة هذا القول عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا
ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة بمنزله
كان في الدنيا وقيل عرفها لهم اي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال قال الحسن وصف
الله تعالى لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف اي عرف طرقها
ومساكنها وبيوتها لهم فحذف المضاف وقيل هذا التعريف بدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد
يمشي بين يديه ويتبعه العبد حتى ياتي العبد منزله ويعرفه الملك جميع ما جعل له في الجنة وحديث
ابي سعيد يرده وقال ابن عباس عرفها لهم اي طيبها لهم بانواع الملاذ ماخوذ من العرف
وهو الرائحة الطيبة وطعام معرف اي مطيب يقول العرب عرفت القدر اذا طيبتها بالملح
والابازير وقال الشاعر عرفت كاتب عرفته اللطائم يخاطب رجلا ويمدحه
يقول كما عرف الاتب وهو البقير والبقيرة البقير الاتب وهو قميص لا كمي له تلبسه النساء
وقيل هو من وضع الطعام بعضه على بعض من كثرته يقال حرير معرف اي بعضه على بعض
وهو من العرف المتتابع كعرف الفرس وقيل عرفها لهم اي وفقهم للطاعة حتى استوجبوا
الجنة وقيل عرف اهل السماء انها لهم اظهارا لكرامتهم فيها وقيل عرف المطيعين انها لهم
قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم** اي ان تنصروا
دين الله ينصركم على الكفار نظيره ولينصرن الله من ينصره وقد تقدم وقال قطرب ان
تنصروا نبي الله ينصركم على الكفار نبي الله ينصركم الله والمعنى واحد ويثبت اقدامكم
اي عند القتال وقيل على الاسلام وقيل على الصراط وقيل المراد تثبيت القلوب بالامن
فيكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب وقد مضى في الانفال
هذا المعنى وقال هناك اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا فاثبت هناك
واسطه ونفاها هنا لقوله قل يتوفيكم ملك الموت ثم نفاه بقوله هو الذي خلقكم
ثم يميتكم الذي خلق الموت والحياة ومثله كثير فلا فاعل الا الله وحده قوله تعالى
والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتدا والنصب بما تفسره فتعسا لهم كانه قال
اتعس الذين كفروا فتعسا لهم نصب على المصدر بسبيل الدعا قاله الفرا مثل سقيا له ورعيا
وهو نقيض لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وفيه عشرة اقوال الاول افول لعا
بعدا لهم قاله ابن عباس وابن جريج الثاني حزنا لهم قاله السدي الثالث شقا لهم قاله
ابن زيد الرابع شتما لهم من الله قاله الحسن الخامس هلاكا لهم قاله ثعلب السادس
خيبة لهم قاله الضحاك وابن زياد السابع قبحا لهم قاله النقاش الثامن رغما لهم
قاله الضحاك ايضا التاسع شرا لهم قاله ثعلب ايضا العاشر شقوة لهم قاله ابو
العاليه وقيل ان التعس الانحطاط والعثار قال ابن السكيت التعس ان يخر على ان تخر

وجهه والنكس ان يخر على راسه قال والتعس ايضا الهلاك قال الجوهري واصله ان تخر
الكب وهو ضد الانتعاش وقد تعس بفتح العين يتعس تعسا واتعسه الله قال
مجمع بن هلال تقول وقد افردتها من خليلها تعست كما اتعستني يا مجمع يقال تعسا لفلان
اي الزمه الله هلاكا قال القشيري وجوز قوم تعس بكسر العين قال المولف رحمه الله
ومنه حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم
والقطيفة والخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط لم يرض خرجه البخاري وفي بعض
طرق هذا الحديث تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش خرجه ابن ماجه قوله تعالى
واضل اعمالهم اي ابطلها لانها كانت في طاعة الشيطان ودخلت الفا في قوله
فتعسا لاجل الابهام الذي في الذين وجاء واضل اعمالهم على الخبر حملا على لفظ الذي
لانه خبر في اللفظ فدخول الفا حملا على المعنى واضل حملا على اللفظ قوله تعالى
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي ذلك الاضلال والاتعاس لانهم كرهوا
ما انزل الله من الكتاب والشرايع فاحبط اعمالهم اي ما لهم من صور الخيرات كعمارة
المسجد وقرا الصيف واصناف القرب ولا يقبل الله العمل الا من مومن وقيل
احبط اعمالهم اي عبادة الصنم قوله تعالى **افلم يسيروا في الارض** بين احوال
المومن والكافر بينها على وجوب الايمان ثم وصل هذا بالنظر اي الم يسر هولاء في
ارض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا بهم فينظروا بقلوبهم كيف كان آخر امر
الكافرين قبلهم دمر الله عليهم اي اهلكهم واستاصلهم يقال دمره تدميرا ودمر
عليه بمعنى ثم تواعد مشركي مكة فقال وللكافرين امثالها اي امثال هذه الفعلة يعني
التدمير وقال الزجاج والطبري الها تعود على العاقبه اي وللكافرين من قريش امثال
عاقبة تكذيب الامم السالفة ان لم يومنوا قوله تعالى **ذلك بان الله مولى الذين
آمنوا** اي وليهم وناصرهم وفي حرف ابن مسعود ذلك بان الله ولي الذين آمنوا
والمولى الناصر ههنا قاله ابن عباس وغيره قال فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى
المخافة خلفها وامامها قال قتادة نزلت يوم احد والنبي صلى الله عليه وسلم في الشعب
اذ صاح المشركون يوم بيوم لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم وان الكافرين لا مولى لهم اي لا ينصرهم
احد من الله قوله تعالى **ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار** تقدم في غير موضع والذين كفروا يتمتعون في الدنيا كانهم
انعام ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم ساهون عما في غدهم وقيل المومن في الدنيا يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع والنار مثوى لهم اي مقام ومنزل قوله تعالى **وكاين
من قرية** تقدم الكلام في كاين في آل عمران وهي هنا بمعنى كم اي وكم من قرية
وانشد الاخفش قول لبيد وكاين راينا من ملوك وسوقة ومفتاح قيد للاسير المكبل فيد

فيكون معناه وكاين من اهل قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك
اهلها اهلكناهم فلا ناصر لهم قال قتادة وابن عباس لما خرج النبي صلى الله عليه و سلم
من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال اللهم انت احب البلاد الى الله وانت احب البلاد
الي ولولا المشركون اهلك اخرجوني لما خرجت منك فنزلت ذكره الثعلبي وهو صحيح
افمن كان على بينة من ربه الالف الف تقرير ومعنى على بينة اي على ثبات
ويقين قال ابن عباس ابو العاليه هو محمد صلى الله عليه وسلم والبينة الوحي كمن زين له سوء
عمله اي عبادة الاصنام وهو ابو جهل والكفار واتبعوا اهواءهم اي ما اشتهوا وهذا التزيين
من جهة الله تعالى خلقا ويجوز ان يكون من الشيطان دعاء ووسوسة ويجوز ان يكون
من الكافر اي زين لنفسه سوء عمله واصر على الكفر وقال سوء على لفظ من واتبعوا على معناه
مثل الجنة التي وعد المتقون لما قال جل وعز ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات وصف تلك الجنات اي صفة الجنة
المعدة للمتقين وقد مضى الكلام في هذا في الرعد وقرا علي بن ابي طالب مثال الجنة التي
وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير الرائحة والآسن من الماء مثل
الآجن وقد اسن الماء ياسن وياسن اسونا اذا تغيرت رائحته وكذا اجن الماء ياجن
وياجن اجنا واجونا ويقال بالكسر فيهما اسن واجن ياسن وياجن اسنا واجنا قاله
اليزيدي واسن الرجل ايضا ياسن بالكسر لا غير اذا دخل البير فاصابته ريح منتنة
من ريح البير او غير ذلك فغشي عليه او دار راسه قال زهير قد اترك القرن
مصفرا انامله يميد في الرمح ميد المائح الآسن ويروى الوسن وتاسن الماء تغير
قال ابو زيد تاسن علي تاسنا اعتل وابطا ويروى الوسن ابو عمرو تاسن الرجل
اباه اخذ اخلاقه وقال اللحياني اذا نزع اليه في الشبه وقراة العامة آسن
بالمد وقرا حميد وابن كثير أسن بالقصر وهما لغتان مثل حاذر وحذر وقال الاخفش
اسن للحال وآسن مثل فاعل يراد به الاستقبال وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي
لم يحمض بطول المقام كما تتغير البان الدنيا الى الحموضة وانهار من خمر لذة للشاربين
اي لم تدنسها الارجل ولم تدنقها الايدي كخمر الدنيا فهي لذيذة الطعم طيبة الشرب
لا يتكرهها الشاربون يقال شراب لذ ولذيذ بمعنى واستلذه عده لذيذا وانهار من
عسل مصفى العسل ما يسيل من لعاب النحل وفي الترمذي مصفى اي من الشمع والقذى
خلقه الله كذلك لم يطبخ على نار ولا دنسه النحل وفي الترمذي عن حكيم بن معاويه
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل
وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال حديث حسن صحيح وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه سيحان وجيحان والنيل
والفرات كل من انهار الجنة وقال كعب نهر دجلة نهر ماء الجنة ونهر الفرات

الناه

خمره

فيه

نهر

نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر
والعسل يذكر ويونث وقال ابن عباس من عسل مصفى اي لم يخرج من بطون النحل ولهم فيها من
كل الثمرات من زائدة للتاكيد ومغفرة من ربهم اي لذنوبهم كمن هو خالد في النار قال الفرا المعنى
افمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار وقال الزجاج اي افمن كان على بينة من ربه واعطى
هذه الاشيا كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار فقوله كمن بدل من قوله افمن زين له
سوء عمله وقال ابن كيسان مثل هذه الجنة التي فيها الثمار والانهار كمثل النار التي فيها الحميم
والزقوم ومثل اهل الجنة في النعيم المقيم كمثل اهل النار في العذاب المقيم وسقوا ماء حميما اي
حارا شديد الغليان اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة روسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم
واخرجها من دبورهم والامعا جمع معي والتثنية معيان وهو جميع ما في البطن من الحوايا
ومنهم من يستمع اليك اي من هولاء الذين يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام
وزين لهم سوء عملهم قوم يستمع اليك وهم المنافقون عبد الله بن ابي ابن سلول ورفاعة
بن التابوت وزيد بن الصليت والحارث بن عمرو ومالك بن دخشم كانوا يحضرون الخطبة
يوم الجمعة فاذا سمعوا ذكر المنافقين فيها اعرضوا عنه فاذا خرجوا سالوا عنه قاله الكلبي
ومقاتل وقيل كانوا يحضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المومنين فيستمعون
منه ما يقول فيعيه المومن ولا يعيه الكافر فاذا خرجوا من عندك اي اذا فارقوا مجلسك
قالوا للذين اوتوا العلم قال عكرمة هو عبد الله بن عباس قال ابن عباس كنت ممن يسال اي
كنت من الذين اوتوا العلم وفي رواية عن ابن عباس انه يريد عبد الله بن مسعود وكذا قال
عبد الله بن بريدة هو عبد الله بن مسعود وقال القاسم بن عبد الرحمن هو ابو الدردا وقال
ابن زيد انهم الصحابة ماذا قال آنفا اي الآن على جهة الاستهزا اي انا لم نلتفت الى
قوله وآنفا يراد به الساعة التي هي اقرب الاوقات من قولك استانفت الشي اي ابتدات
به ومنه امر انف وروضة انف اي لم يرعها احد وكاس انف اذا لم يشرب منها
شي كانه استونف شربها مثال روضة انف قال الشاعر ويحرم سر جارتهم عليهم
وياكل جارهم انف القصاع وقال آخر ان الشوا والنشيل والرغف والقينة
الحسنا والكاس الانف للطاعنين الخيل والخيل خنف النشيل لحم يطبخ بلا توابل
والرغف جمع رغيف يقال رغيف ورغفان وقال امرا العيس قد غدا يحملني في انفه
اي في اوله وانف كل شي اوله وقال قتادة في هولاء المنافقين الناس رجلان
رجل عقل عن الله فانتفع بما سمع ورجل لم يعقل ولم ينتفع بما سمع وكان يقال الناس
ثلثة فسامع عامل وسامع عاقل وسامع غافل تارك ثم قال تعالى **اولئك الذين طبع
الله على قلوبهم فلم يومنوا واتبعوا اهواءهم** في الكفر **والذين اهتدوا**
اي للايمان زادهم الله هدى وقيل زادهم النبي عليه السلام هدى وقيل ما يستمعونه
من القرآن هدى اي يتضاعف يقينهم وقال الفرا زادهم اعراض المنافقين

زيادة

واستهزآء هم هدى وقيل زادهم نزول الناسخ هدى وفي الهدى الذي زادهم اربعة اقوال
احدها زادهم علما قاله الربيع بن انس زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا لنبيهم قاله الكلبي
الثالث انهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا قاله الضحاك الرابع شرح صدورهم بما هم عليه من
الايمان واتاهم تقواهم اي الهمهم اياها وقيل فيه خمسة اوجه احدها اتاهم الخشية قاله
الربيع الثاني ثواب تقواهم من الآخرة قاله السدي الثالث وفقهم للعمل الذي فرض
عليهم قاله مقاتل الرابع بين لهم ما يتقون قاله ابن زياد والسدي الخامس انه ترك
المنسوخ والعمل بالناسخ قاله عطية ويحتمل سادسا انه ترك الرخص والاخذ بالعزائم
وقرئ واعطاهم بدل واتاهم وقال عكرمة هذه نزلت فيمن امن من اهل الكتاب
قوله تعالى **فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة** اي فجأة وهذا
وعيد للكفار فقد جاء اشراطها اي اماراتها وعلاماتها وكانوا قد قرؤوا في كتبهم ان محمدا
صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء فبعثته من اشراطها وادلتها قاله الضحاك والحسن
وفي الصحيح عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين
وضم السبابة والوسطى لفظ مسلم وخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه ويروى
بعثت والساعة كفرسي رهان وقيل اشراط الساعة اسبابها التي هي دون معظمها ومنه
يقال للدون من الناس الشرط وقيل يعني بعلامات الساعة انشقاق القمر والدخان
قاله الحسن ايضا وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة
الكرام وكثرة اللئام وقد اتينا على هذا الباب في كتاب التذكرة مستوفى والحمد لله وواحد
الاشراط شرط واصله الاعلام ومنه قيل الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون
بها ومنه الشرط في البيع وغيره قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم فقد جعلت
اشراط اوله تبدو ويقال اشرط فلان نفسه في عمل كذا اي اعلمها وجعلها له قال اوس بن حجر
يصف رجلا تدلى بحبل من راس جبل الى نبعة ليقطعها يتخذ منها قوسا فاشرط نفسه فيها وهو معصم
والقى باسباب له وتوكلا ان تأتيهم بغتة ان بدل الاشتمال من الساعة نحو قوله
ان تطؤهم من قوله **رجال مؤمنون ونساء مؤمنات** وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة
لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو والزمخشري وما اخوفني ان [illegible] وروى ابو جعفر
الرواسي وغيره عن اهل مكة ان تأتهم بغتة قال المهدوي ومن قرأ ان تأتهم بغتة كان الوقف
على الساعة ثم استأنف الشرط وما يحتمله الكلام من الشك مردودا الى الخلق كانه قال ان
شكوا في مجيئها فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ابتدا وانى لهم الخبر والضمير
المرفوع في جاءتهم الساعة التقدير فمن اين لهم التذكر اذا جاءتهم الساعة قال معناه قتادة
وغيره وقيل فكيف لهم بالنجاة اذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة قاله ابن زيد
وفي الذكرى وجهان احدهما تذكيرهم بما عملوه من خير او شر الثاني هو دعاؤهم باسمائهم
تبشيرا وتخويفا روى ابان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احسنوا اسمائكم

الثالث

الماوردي

فانكم

فانكم تدعون بها يوم القيامة يا فلان قم الى نورك يا فلان قم لا نور لك ذكره الماوردي
قوله تعالى **فاعلم انه لا اله الا الله** قال الماوردي وفيه وان كان الرسول
عالما بالله ثلاثة اوجه الاول اعلم ان الله اعلمك ان لا اله الا الله الثاني ما علمته
استدلالا فاعلمه خبرا يقينا الثالث فاذكر ان لا اله الا الله فعبر عن الذكر
بالعلم لحدوثه عنه وعن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله
حين بدا به فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال اعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة ثم قال بعد ذلك فاحذروهم وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله
خمسه ثم امر بالعمل بعد قوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين احدهما يعني استغفر الله
ان يقع منك ذنب الثاني استغفر الله ليعصمك من الذنوب وقيل لما ذكر له حال
الكافرين والمؤمنين امره بالثبات على الايمان اي اثبت على ما انت عليه من التوحيد
والاخلاص والحذر عما تحتاج معه الى استغفار وقيل الخطاب له والمراد به الامة وعلى
هذا القول يوجب الاية استغفار الانسان لجميع المسلمين وقيل كان عليه السلام يضيق
صدره والمنافقين فنزلت الاية اي فاعلم انه لا كاشف يكشف ما بك الا الله فلا تعلق
قلبك باحد سواه وقيل امر بالاستغفار لتقتدي به الامة وللمؤمنين والمؤمنات اي و
لذنوبهم وهذا امر بالشفاعة وروى مسلم عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس المخزومي
قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واكلت من طعامه فقلت يا رسول الله غفر الله لك فقال
له صاحبي هل استغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم ولك ثم تلا هذه الاية واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ثم تحولت فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه جمع خيلان
كانه الثاليل **والله يعلم متقلبكم ومثواكم** فيه خمسة اوجه احدها يعلم اعمالكم
في تصرفكم واقامتكم الثاني متقلبكم في اعمالكم نهارا ومثواكم في ليلكم نياما وقيل متقلبكم
في الدنيا ومثواكم في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس والضحاك وقال عكرمة متقلبكم
في اصلاب الاباء الى ارحام الامهات ومثواكم مقامكم في الارض وقال ابن كيسان متقلبكم
من ظهر الى بطن الى الدنيا ومثواكم في القبور قال المؤلف رحمه الله والعموم ياتي
على هذا كله فلا يخفى عليه سبحانه شيء من حركات بني آدم وسكناتهم وكذا جميع خلقه
فهو عالم بجميع ذلك قبل كونه جملة وتفصيلا اولى واخرى سبحانه لا اله الا هو قوله
تعالى **ويقول الذين امنوا** اي المؤمنون المخلصون لولا نزلت سورة اشتياقا
للوحي وحرصا على الجهاد وثوابه ومعنى لولا هلا فاذا انزلت سورة محكمة لا نسخ فيها
قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران على المنافقين وفي قراءة
عبد الله فاذا انزلت سورة محدثة اي محدثة النزول وذكر فيها القتال اي فرض فيها
الجهاد وقرئ فاذا انزلت وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رايت

من كفر الكفار

الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي نظر
المغموسين مغتاظين بتحديد وتحديق كمن يشخص بصره عند الموت وذلك لجبنهم عن القتال
جزعا وهلعا ولميلهم في السر الى الكفار قوله تعالى فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ
اولى لهم قال الجوهري قولهم اولى لك تهدد ووعيد قال الشاعر فاولى ثم اولى ثم اولى
وهل للدر يحلب من مرد قال الاصمعي معناه قاربه ما يهلكه اي نزل به وانشد فعادى بين هاديتين
منها واولى ان يزيد على الثلاث اي قارب ان يزيد قال ثعلب ولم يقل احد في اولى احسن
مما قال الاصمعي وقال المبرد يقال لمن هم بالعطب ثم افلت اولى لك اي قاربت العطب كما روى
ان اعرابيا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه ثم افلت منه
فقال صيدهم فلو كان اولى يطعم القوم صدتهم ولكن اولى يترك القوم جوعا وقيل هو كقول الرجل
لصاحبه يا محروم اي شيء فاتك وقال الجرجاني هو ماخوذ من الويل فهو افعل ولكن فيه قلب وهو
ان عين الفعل وقع موقع اللام وقد تم الكلام على قوله فاولى لهم قال قتادة كانه قال العقاب
اولى لهم وقيل اي وليهم المكروه ثم قال طاعة وقول معروف اي طاعة وقول معروف امثل واحسن
وهو مذهب الخليل وسيبويه وقيل ان التقدير امرنا طاعة وقول معروف فحذف المبتدا
فيوقف على فاولى لهم وكذا من قدر يقولون منا طاعة وهي قراءة ابي يقولون طاعة وقيل ان الاية
الثانية متصلة بالاولى واللام في قوله لهم بمعنى الباء اي الطاعة اولى واليق بهم واحق لهم
من ترك امتثال امر الله وقيل ان طاعة نعت لسورة على تقدير واذا انزلت سورة ذات طاعة
فلا يوقف على هذا على لفظ على المثابة ليس في نفيه للسيح فاولى لهم وقال ابن عباس ان قولهم طاعة
اخبار من الله عز وجل عن المنافقين والمعنى لهم طاعة وقول معروف قيل وجوب الفرايض
عليهم فاذا انزلت الفرايض شق عليهم نزولها فيوقف على هذا على فاولى قوله تعالى فَإِذَا عَزَمَ
الْأَمْرُ اي جد القتال او وجب فرض القتال كرهوه فكرهوه جواب اذا وهو محذوف وقيل المعنى
فاذا عزم اصحاب الامر فلو صدقوا الله اي في الايمان والجهاد لكان خيرا لهم من المعصية والمخالفة
قوله تعالى فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم اختلف في معنى ان توليتم فقيل
هو من الولاية قال ابو العالية المعنى فهل عسيتم ان توليتم الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا
في الارض باخذ الرشا وقال الكلبي اي فهل عسيتم ان توليتم امر الامة ان تفسدوا في الارض
بالظلم وقال كعب المعنى فهل عسيتم ان توليتم الامر ان يقتل بعضكم بعضا وقيل من الاعراض
عن الشيء قال قتادة اي فهل عسيتم ان توليتم عن كتاب الله عز وجل ان تفسدوا في الارض
بسفك الدماء الحرام وتقطعوا ارحامكم وقال ابن جريج فهل عسيتم ان توليتم عن طاعة الله
ان تفسدوا في الارض بالمعاصي وقطع الارحام وقيل فهل عسيتم اي فلعلكم ان اعرضتم
عن القتال وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض فتعودوا الى جاهليتكم وقرئ بفتح السين
وكسرها وقد مضى في البقرة القول فيه وقال بكر المزني انها نزلت في الحرورية والخوارج

وفيه

وفيه بعد لان الطاهر انها انما عني بها المنافقين وقال ابن حيان قريش ونحوه قال ابن المسيب
ابن شريك والفرا نزلت في بني امية وبني هاشم ودليل هذا التاويل ما روى عبد الله ابن معقل
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض ثم قال
هم هذا الحي من قريش اخذ الله عليهم ان ولوا امور الناس وليّ الناس ان لا يفسدوا
في الارض ولا يقطعوا ارحامهم وقرا علي بن ابي طالب ان توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام
وهي قراءة ابن ابي اسحق ورواها رويس عن يعقوب يقول ان وليتكم ولاة جائرة خرجتم
معهم في الفتنة وحاربتموهم وتقطعوا ارحامكم بالبغي والظلم والقتل وقرا يعقوب وسلام
وعيسى وابو حاتم وتقطعوا بفتح التاء وتخفيف القاف من القطع اعتبارا بقوله تعالى
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل وروى هذه القراءة هرون عن ابي عمرو وقرا
الحسن وتقطعوا مفتوحة الحروف مشددة اعتبارا بقوله تعالى وتقطعوا امرهم
امرهم بينهم الباقون وتقطعوا بضم التاء مشددة الطاء من التقطيع على التكثير وهي اختيار
ابي عبيد وتقدم ذكر عسيتم في البقرة وقال الزجاج في قراءة نافع لو جاز هذا لجاز عسى
بالكسر قال الجوهري يقال عسيت ان افعل ذلك وعسيت بالكسر وقرئ فهل عسيتم بالكسر
قال الشيخ رحمه الله ويدل قوله هذا على انها لغتان وقد مضى القول فيه في البقرة مستوفى
اولئك الذين لعنهم الله اي طردهم وابعدهم من رحمته فاصمهم عن الحق واعمى ابصارهم
اي قلوبهم عن الخير فاتبع الاخبار بان من فعل ذلك حقت عليه لعنته وسلبه الانتفاع
بسمعه وبصره حتى لا ينقاد للحق وان سمعه فجعله كالبهيمة التي لا تعقل وقال فهل
عسيتم ثم قال اولئك الذين ... فرجع من الخطاب الى
الغيبة على عادة العرب في ذلك الثانية قوله تعالى أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ
اي يتفهمونه فيعلمون ما اعد الله للذين لم يتولوا عن الاسلام ام على قلوب اقفالها
اي بل على قلوب اقفال اقفلها الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون وهذا يرد على القدرية
والامامية قولهم وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليها اقفالا
كاقفال الحديد حتى يكون الله يفتحها واصل القفل اليبس والصلابة ويقال لما يبس
من الشجر القفل والقفيل مثله والقفيل ايضا نبت والقفيل السوط قال الراجز
كيف قريت شيخك الازبا لما اتاك يابسا قرشبا قمت اليه بالقفيل ضربا كيف قريت شيخك الازبا
القرشب بكسر القاف المسن عن الاصمعي واقفله الصوم اي ايبسه قاله القشيري
والجوهري والاقفال ههنا اشارة الى ارتتاج القلب وخلوه عن الايمان
اي لا يدخل قلوبهم الايمان ولا يخرج منها الكفر لان الله طبع على قلوبهم وقال على قلوب
لانه لو قال على قلوبهم لم يدخل قلب غيرهم في هذه الجملة والمراد ام على قلوب هؤلاء
وقلوب من كانوا بهذه الصفة اقفالها الثالثة في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت
هذا مقام العايذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع

من قطعك قالت بلى قال فذاك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل
عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم الاية وظاهرها انها خطاب لجميع الكفار
وقال قتاده وغيره معنى الاية فلعلكم او نخاف عليكم ان اعرضتم عن الايمان ان تعودوا الى
الفساد فى الارض بسفك الدماء قال قتاده كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى
الم يسفكوا الدماء الحرام ويقطعوا الارحام وعصوا الرحمن فالرحم على هذا رحم دين الاسلام
والايمان التى قد سماها الله تعالى اخوة بقوله انما المؤمنون اخوة وعلى قول الفراء ان الاية
نزلت فى بنى هاشم وبنى اميه والمراد من اضمر منهم نفاقا فاشار بقطع الرحم الى ما كان بينهم
وبين النبى صلى الله عليه وسلم من القرابة بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القتال
وبالجملة فالرحم على وجهين خاصه وعامه فالعامه رحم الدين ويجب مواصلتها بملازمة الايمان
والمحبه لاهله ونصرتهم والنصيحه لهم وترك مضارتهم والعدل بينهم والنصفه فى معاملتهم والقيام
بحقوقهم الواجبه كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم والصلوة عليهم ودفنهم وغير ذلك
من المرتبه لهم واما الرحم الخاصة وهى رحم القرابة من طرفى الرجل ابيه وامه فيجب لهم الحقوق
العامه وزيادة كالنفقة وتفقد احوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم فى اوقات ضروراتهم
وتتاكد فى حقهم حقوق الرحم العامه حتى اذا تزاحمت الحقوق بدئ بالاقرب فالاقرب وقال
بعض اهل العلم ان الرحم التى يجب صلتها هى كل رحم محرم فلا تجب وغلد فى بنى الاعمام وبنى الاخوال
وقيل بل هذا فى كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوى الارحام فى المواريث محرما كان او غير
محرم فيخرج من هذا ان رحم الام التى لا يتوارث بها لا يجب صلتهم ولا يحرم قطعهم وهذا ليس
بصحيح والصواب ان كل ما يشمله ويعمه الرحم يجب صلته كل على حال قربه ودنيته على ما ذكرناه
اولا والله اعلم وقد ذكر ابو داود الطيالسى فى مسنده قال حدثنا شعبه قال اخبرنى محمد بن عبد
الجبار قال سمعت محمد بن كعب القرظى يحدث عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان للرحم لسانا يوم القيامة تحت العرش يقول يا رب قطعت يا رب ظلمت يا رب
اسى الى فيجيبها ربها الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وفى صحيح مسلم عن جبير
ابن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع رحم قال ابن ابى عمر قال
سفيان يعنى قاطع رحم ورواه البخارى الرابعة قوله عليه السلام ان الله خلق الخلق حتى
اذا فرغ منهم خلق بمعنى اخترع واصله التقدير كما تقدم والخلق هنا بمعنى المخلوق ومنه قوله
تعالى هذا خلق الله اى مخلوقه ومعنى فرغ منهم كمل خلقهم لا انه اشتغل بهم ثم فرغ من شغله
بهم اذ ليس فعله بمباشرة ولا مناولة ولا خلقه بآلة ولا محاولة تعالى عن ذلك وقوله قامت
الرحم فقالت يحمل على احد وجهين احدهما ان يكون الله تعالى اقام من يتكلم عن الرحم من
الملئكة فيقول ذلك وكانه وكل بهذه العبادة من يناضل عنها ويكتب ثواب من وصلها و
وزر من قطعها كما قد وكل الله بسائر الاعمال كراما كاتبين وبمشاهدة اوقات الصلوة ملئكة
متعاقبين وثانيهما ان ذلك على جهة التقدير والتمثيل المفهم للاعيا وشدة الاعتنا

فكانه

فكانه قال لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت هذا الكلام كما قال تعالى لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم قال
وتلك الامثال نضربها للناس وقوله فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة مقصود
هذا الكلام الاخبار بتاكد امر صلة الرحم وانه تعالى قد نزلها بمنزلة من استجار به فاجاره
وادخله فى ذمته وخفارته واذا كان كذلك فجار الله غير مخذول وعهده غير منقوض
ولذلك قال مخاطبا للرحم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وهذا
كما قال عليه السلام من صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشئ فانه
من يطلبه بذمته بشئ يدركه ثم يكبه فى النار على وجهه قوله تعالى ان الذين
ارتدوا على ادبارهم قال قتاده هم كفار اهل الكتاب كفروا بالنبى صلى الله عليه
وسلم بعدما عرفوا نعته عندهم وقاله ابن جريج وقال ابن عباس والضحاك والسدى
هم المنافقون قعدوا عن القتال بعدما علموه فى القرآن الشيطان سول لهم اى
زين لهم خطاياهم قاله الحسن واملى لهم اى مد لهم الشيطان فى الامل ووعدهم
طول العمر عن الحسن ايضا وقيل ان الذى املى لهم فى الامل ومد فى اجالهم
هو الله عز وجل قاله الفراء والمفضل وقال الكلبى ومقاتل ان معنى املى لهم امهلهم
فعلى هذا يكون الله تعالى املى لهم بالامهال فى عذابهم وقرا ابو عمرو وابن ابى اسحق
وعيسى بن عمر وابو جعفر وشيبه واملى لهم بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم
فاعله وكذلك قرا ابن مسعود ومجاهد والجحدرى ويعقوب الا انهم سكنوا الياء على وجه الخبر
من الله عز وجل على نفسه انه يفعل ذلك بهم كانه قال وانا املى لهم واختاره ابو حاتم قال
لان فتح الهمزة يوهم ان الشيطان يملى لهم وليس كذلك فلهذا عدل الى الضم قال المهدوى
ومن قرا واملى لهم فالفاعل اسم الله تعالى وقيل الشيطان واختار ابو عبيد قراءة العامة قال
لان المعنى معلوم لقوله ليؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه رد التسبيح
على اسم الله والتوقير والتعزير على اسم الرسول قوله تعالى ذلك بانهم قالوا اى ذلك
الاملاء لهم حتى يتمادوا فى الكفر بانهم قالوا يعنى المنافقين واليهود للذين كرهوا ما نزل الله وهم
المشركون سنطيعكم فى بعض الامر اى فى مخالفة محمد والتظاهر على عداوته والقعود عن الجهاد
معه وتوهين امره فى السر وهم انما قالوا ذلك سرا فاخبر الله نبيه وقراءة العامة اسرارهم
بفتح الهمزة جمع سر وهو اختيار ابى عبيد وابى حاتم وقرا الكوفيون ابن وثاب والاعمش وحمزه
والكسائى وحفص عن عاصم اسرارهم بكسر الهمزة على المصدر نحو قوله تعالى واسررت لهم
اسرارا جمع لاختلاف ضروب السرور قوله تعالى فكيف اى فكيف يكون حالهم اذا
توفتهم الملئكة يضربون اى ضاربين فهو فى موضع الحال ومعنى الكلام التخويف والتهديد
اى ان تاخر عنهم العذاب فالى انقضاء العمر وقد مضى فى الانفال والنحل وقال ابن
عباس لا يتوفى احد على معصية الا بضرب شديد لوجهه وقفاه وقيل ذلك عند القتال

نصره لرسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الملايكة وجوههم عند الطلب وادبارهم عند الهرب وقيل ذلك في القيامة عند سوقهم الى النار قوله تعالى **ذلك** اى ذلك الجزآ **لانهم اتبعوا ما اسخط الله** قال ابن عباس هو كتمانهم ما في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وان حملت على المنافقين فهو اشارة الى ما اضمروا عليه من الكفر كرهوا رضوانه يعني الايمان فاحبط اعمالهم اى ما عملوه من صدقة وصلة رحم وغير ذلك على ما تقدم قوله تعالى **ام حسب الذين في قلوبهم مرض** نفاق وشك يعني المنافقين ان لن يخرج الله اضغانهم الاضغان ما يضمر من المكروه واختلف في معناه فقال السدي غشهم وقال ابن عباس حسدهم وقال قطرب عداوتهم وانشد قول الشاعر قل لابن هند ما اردت بمنطق ساء الصديق وشيد الاضغانا وقيل احقادهم واحدها ضغن قال وذى ضغن كففت النفس عنه وقد تقدم وقال عمرو بن كلثوم وان الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الدآ الدفينا وتضاغن القوم واضطغنوا ابطنوا على الاحقاد واضطغنت الصبي اذا احدته تحت حضنك وانشد الاحمر كانه مضطغن صبيا اى حاملة في حجره وقال ابن مقبل اذا اصطغنت سلاحي عند معرضها ومرفق كرئاس السيف اذ شسفا وفرس ضاغن لا يعطي ما عنده من الجري الا بالضرب والمعنى ام حسبوا ان لن يظهر الله عداوتهم وحقدهم لاهل الاسلام ولو نشاء لاريناكهم اى لعرفناكهم قال ابن عباس وقد عرفه اياهم في سورة براءة بقول العرب سارايك ما اصنع اى ما علمك ومنه قوله تعالى بما اراك الله اى بما علمك فلتعرفنهم بسيماهم اى بعلاماتهم قال انس ما خفي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم قال ولقد كنا في غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشكوهم الناس فاصبحوا ذات ليلة وعلى جبهة كل واحد مكتوب هذا منافق فذلك سيماهم وقال ابن زيد قدر الله اظهارهم وامر ان يخرجوا من المسجد فابوا الا ان يتمسكوا بلا اله الا الله فحقنت دماؤهم ونكحوا وانكحوا بها ولتعرفنهم في لحن القول اى في نحواه ومعناه ومنه قول الشاعر وخير الكلام ما كان لحنا اى ما عرف بالمعنى ولم يصرح به ماخوذ من اللحن في الاعراب وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض اى اذهب بها في الجواب لقوته على تصريف الكلام ابو زيد لحنت له بالفتح الحن لحنا اذا قلت له قولا يفهمه عنك ويخفى على غيره ولحنه هو عني بالكسر يلحنه لحنا اى فهمه والحنته انا اياه ولاحنت الناس فاطنتهم قال الفزاري وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق رايع وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا يريد انها تتكلم وهي تريد غيره وتعرض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها وذكايها وقد قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقال القتال الكلابي ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب وقال مرار الاسدي ولحنت لحنا فيه غش ورابني صدود ك ترضين الوشاة الاعاديا قال الكلبي فلم يتكلم بعد نزولها منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم

الا عرفه وقيل كان المنافقون يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم بكلام تواضعوه فيما بينهم والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ذلك وياخذ بالظاهر المعتاد فنبهه الله عليه فكان بعد هذا يعرف المنافقين اذا سمع كلامهم قال انس فلم يخف منافق بعد هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه الله ذلك بوحي او علامة عرفها بتعريف الله اياه والله يعلم اعمالكم اى لا يخفى عليه شي منها قوله تعالى **ولنبلونكم** اى نتعبدكم بالشرايع وان علمنا عواقب الامور وقيل لنعاملنكم معاملة المختبرين حتى يعلم المجاهدين منكم والصابرين عليه قال ابن عباس حتى نعلم حتى نميز وقال علي رضي الله عنه حتى يعلم حتى نرى وقد مضى في البقرة وقراءة العامة بالنون في نبلونكم ونعلم ونبلو وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء فيهن وروى رويس عن يعقوب اسكان الواو من نبلوا على القطع مما قبل ونصب الباقون ردا على قوله حتى نعلم وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزا لانه انما يجازيهم باعمالهم لا بعلمه القديم عليهم فتاويله حتى يعلم المجاهدين علم شهادة لانهم اذا امروا بالعمل تشهد منهم ما عملوا فالجزا بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة ونبلوا اخباركم نختبرها ونظهرها قال ابراهيم بن الاشعث كان الفضيل بن عياض اذا قرا هذه الاية بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا قوله تعالى **ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** يرجع الى المنافقين او الى اليهود وقال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر نظيره ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية وشاقوا الرسول اى عادوه وخالفوه من بعد ما تبين لهم الهدى اى علموا انه نبي بالحجج والايات لن يضروا الله شيا بكفرهم وسيحبط اعمالهم اى ثواب ما عملوه قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم** فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لما بين حال الكفار امر المومنين بلزوم الطاعة في اوامره والرسول في سنته ولا تبطلوا اعمالكم اى حسناتكم بالمعاصي قاله الحسن وقال الزهري بالكباير وقال ابن جريج بالرياء والسمعة وقال مقاتل والثمالي بالمن وهو خطاب لمن كان يمن على النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وكله متقارب وقول الحسن يجمعه وفيه اشارة الى ان الكباير تحبط الطاعات والمعاصي تخرج عن الايمان الثانية احتج علماونا وغيرهم بهذه الاية على ان التحلل من التطوع صلاة كان او صوما بعد التلبس به لا يجوز لان فيه ابطال العمل وقد نهى الله عنه وقال من اجاز ذلك وهو الشافعي وغيره المراد بذلك ابطال ثواب العمل المفروض فنهى الله عن احباط ثوابه فاما ما كان نفلا فلا لانه ليس واجبا عليه فان زعموا ان اللفظة عام والعام يجوز تخصيصه ووجه تخصيصه ان النفل تطوع والتطوع يقتضي تخييرا وعن ابي العالية كانوا يرون انه لا يضر مع الاسلام ذنب حتى نزلت هذه الاية فخافوا الكباير ان تحبط الاعمال وقال مقاتل يقول الله تعالى اذا عصيتم الرسول فقد ابطلتم اعمالكم **ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله**

ماهو

احى غيرهم ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم بين ان الاعتبار بالوفاة على الكفر يوجب
الخلود فى النار وقد مضى فى البقره الكلام فيه وقيل ان المراد بالآية اصحاب القليب
وحكمها عام **ولا تهنوا وتدعوا الى السلم** فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله ولا تهنوا اى تضعفوا عن القتال والوهن الضعف وهو وهن الانسان
ووهنه غيره يتعدى ولا يتعدى قال انى لست موهون فقير ووهن ايضا بالكسر وهنا
اى ضعف وقرى فما وهنوا بضم الهاء وكسرها وقد مضى فى ال عمران قوله تعالى وتدعوا
الى السلم اى الصلح وانتم الاعلون اى وانتم اعلم بالله منهم وقيل وانتم الاعلون فى الحجة
وقيل المعنى وانتم الغالبون لانكم مؤمنون وان غلبوكم فى الظاهر فى بعض الاحوال
وقال قتاده لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها الثالثة اختلف العلما فى
حكمها فقيل انها ناسخة لقوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لان الله تعالى
منع من الميل الى الصلح اذا لم تكن بالمسلمين حاجة الى الصلح وقيل منسوخة بقوله
تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقيل هى محكمة والآيتان نزلتا فى وقتين مختلفى الاحوال
وقيل قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها مخصوص فى قوم باعيانهم والاخرى عامه فلا تجوز مهادنه
الكفار الا عند الضرورة وذلك اذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين وقد مضى
هذا المعنى مستوفى والله معكم اى بالنصر والمعونة مثل وان الله لمع المحسنين ولن
يتركم اعمالكم اى لن ينقصكم عن ابن عباس وغيره ومنه الموتور الذى قتل له قتيل
فلم يدرك بدمه يقول منه وتره يتره وترا وترة ومنه قوله عليه السلام من فاتته
صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اى ذهب بهما وكذلك وتره حقه اى نقصه وقوله تعالى
لن يتركم اعمالكم اى لن ينقصكم فى اعمالكم كما تقول دخلت البيت وانت تريد فى البيت
قاله الجوهرى الفرا ولن يتركم هو مشتق من الوتر وهو الذحل وقيل هو مشتق من الوتر
وهو الفرد فكان المعنى ولن يفردكم بغير ثواب قوله تعالى **انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو** تقدم فى الانعام وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم شرط وجوابه ولا
يسئلكم اموالكم اى لا يامركم باخراج جميعها فى الزكاة بل امر باخراج البعض قاله ابن
عيينه وغيره وقيل لا يسئلكم اموالكم لنفسه او لحاجة منه اليها انما يامركم بالانفاق
فى سبيله ليرجع ثوابه اليكم وقيل لا يسئلكم اموالكم وانما يسئلكم امواله لانه املك لها
وهو المنعم باعطائها وقيل لا يسئلكم محمد اموالكم اجرا على تبليغ الرسالة نظيره قل ما اسئلكم عليه
من اجر الآية ان يسئلكموها فيحفكم يلح عليكم يقال احفى بالمسئلة والحف والح بمعنى واحد
والحفى المستقصى فى السؤال وكذلك الاحفا الاستقصا فى الكلام والمنازعة ومنه احفى
شاربه اى استقصى فى اخذه تبخلوا ويخرج اضغانكم اى يخرج البخل اضغانكم قال قتاده
قد علم الله ان فى سؤال المال خروج الاضغان وقرا ابن عباس ومجاهد وابن محيصن
وحميد وتخرج بتا مفتوحة ورا مضمومة اضغانكم بالرفع لكونه الفاعل وروى الوليد

عن يعقوب الحضرمى ونخرج بالنون وابن معمر عن عبد الوارث عن ابى عمرو ويخرج بالرفع فى الجيم
على القطع والاستيناف والمشهور عنه ويخرج كسائر القرا عطف على ما تقدم
ها انتم هؤلاء تدعون اى ها انتم هؤلاء ايها المؤمنون تدعون لتنفقوا فى سبيل الله اى
فى الجهاد وطريق الخير فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اى على نفسه اى يمنعها
الاجر والثواب والله الغنى اى انه ليس بمحتاج الى اموالكم وانتم الفقراء اليها وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم اى اطوع لله منكم روى الترمذى عن ابى هريرة
قال تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية سيستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه قال حديث غريب
فى اسناده مقال وقد روى عبد الله بن جعفر بن نجيح والد على بن المدينى ايضا هذا الحديث عن
العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة قال قال اناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا امثالنا
قال وكان سلمان فى جنب الحانب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضرب رسول الله فخذ
سلمان قال هذا واصحابه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال
من فارس وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم قال المحاسبى فلا احد بعد العرب
من جميع اجناس الاعاجم احسن دينا ولا كانت منهم العلماء الا الفرس وقيل انهم اهل اليمن
وهم الانصار قاله شريح بن عبيد وابن عباس وعنه انهم الملائكة وعنه انهم التابعون
وقال مجاهد انهم من شاء من ساير الناس ثم لا يكونوا امثالكم قال الطبرى اى فى البخل
بالانفاق فى سبيل الله وحكى عن ابى موسى الاشعرى انه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال هى احب الى من الدنيا

سورة الفتح مدنية باجماع وهى تسع وعشرون آية

ونزلت ليلا بين مكة والمدينة فى شان الحديبية روى محمد بن اسحق عن الزهرى عن
عروة بن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة فى شان
الحديبية من اولها الى اخرها وفى الصحيحين عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا
فساله عمر عن شى فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلتك
فى بعض النسخ ذلك وعليه تصحيح امك عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
مرات كل ذلك لا يجيبك فقال عمر فحركت بعيرى ثم تقدمت امام الناس وخشيت
ان ينزل فى قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت ان يكون
نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت على
الليلة سورة لهى احب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا لفظ
البخارى وقال الترمذى حديث حسن غريب صحيح وفى صحيح مسلم عن قتادة ان

هذا وقومه

رجال

انس بن مالك حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما مرجعه من
من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكابة وقد نحر الهدى بالحديبية فقال لقد انزلت
على اية هي احب الي من الدنيا جميعا وقال عطا عن ابن عباس ان اليهود شتموا النبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدرى
ما يفعل به فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ونحوه قال مقاتل بن سليمان قال
لما نزل قوله وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع رجلا
لا يدرى ما يفعل به ولا باصحابه فنزلت بعد ما رجع من الحديبية انا فتحنا لك فتحا مبينا اى
قضينا قضا فنسخت هذه الاية تلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على سورة
ما يسرني بها حمر النعم وقال المسعودي بلغني ان من قرا سورة الفتح في اول ليلة من رمضان
في صلوة التطوع حفظه الله ذلك العام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلف في هذا الفتح ما هو ففي البخاري حدثني محمد بن بشار
قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة قال سمعت قتاده عن انس انا فتحنا لك فتحا الحديبية وقال
جابر ما كنا نعد فتح مكة الا يوم الحديبية وقال البراء تعدون انتم اليوم فتح مكة وقد كان
فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا نعد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بير وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال
وكان الصلح من الفتح وقال مجاهد هو نحره بالحديبية وحلقه راسه وقال كان فتح
الحديبية اية عظيمة نزح ماؤها فمج فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقال
موسى بن عقبة قال رجل منصرفهم عن الحديبية ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم
بالراح ويسئلونكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا وقال الشعبي في قوله
انا فتحنا لك فتحا مبينا قال هو فتح الحديبية لقد اصاب فيها ما لم يصب في غزوة غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبويع بيعة الرضوان واطعموا نخل خيبر وبلغ
الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب على المجوس
وقال الزهري لقد كان الحديبية اعظم الفتوح وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
جاء اليها في الف واربع مائة فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض وعلموا وسمعوا
عن الله فما اراد احد الاسلام الا تمكن منه فما مضت تلك السنتان الا والمسلمون قد جاؤا
الى مكة في عشرة الاف وقال مجاهد ايضا والعوفي هو فتح خيبر والاول اكثر وخيبرا نما كانت
وعدا وعدوه على ما ياتي بيانه في قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم وقوله وعدكم
الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وقال مجمع بن حارثة وكان احد القرا

الدنب

الذين قرؤا القرآن شهدنا الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا
الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا اوحى الله الى
النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا نبي الله صلى الله عليه وسلم عند كراع
الغميم فلما اجتمع الناس قرا النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر
بن الخطاب او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل
الحديبية وقيل ان قوله تعالى فتحا يدل على ان مكة فتحت عنوة لان اسم الفتح لا يقع مطلقا
الا على ما فتح عنوة هذا هو حقيقة الاسم وقد يقال فتح البلد صلحا فلا يفهم الصلح الا بان
يقرن بالفتح فصار الفتح في الصلح مجازا والاخبار دالة على انها فتحت عنوة وقد مضى القول
فيها وياتي قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال ابن الانباري
فتحا مبينا غير تام لان قوله ليغفر لك الله ما تقدم متعلق بالفتح كانه قال انا فتحنا لك فتحا
مبينا لكي يجمع الله لك مع الفتح المغفرة فيجمع لك به ما تقربه عينك في الدنيا والاخرة
وقال ابو حاتم السجستاني هي لام القسم وهذا خطا لان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ولو
جاز هذا لجاز ليقوم زيد بتا وبل ليقومن زيد الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة
قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام
النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك
على عدوك ليجمع لك عز الدارين واعراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح مكة
من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب وفي الترمذي عن انس قال انزلت
على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه من
الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على اية احب الي مما على وجه
الارض ثم قراها عليهم فقالوا هنيا مريا يا رسول الله لقد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا
يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المومنين والمومنات جنات حتى بلغ فوزا عظيما قال هذا حديث
حسن صحيح وفيه عن مجمع ابن جارية واختلف اهل التاويل في معنى ليغفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقيل ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر بعدها قاله مجاهد
ونحوه قال الطبري وسفيان الثوري قال الطبري هو راجع الى قوله تعالى اذا جاء
نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك
واستغفره ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر الى وقت
نزول هذه الاية وقال سفيان الثوري ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ما عملته
في الجاهلية من قبل ان يوحى اليك وما تاخر كل شي لم تعمله وقاله الواحدي وقد مضى
الكلام في جريان الصغاير على الانبياء في البقرة فهذا قول وقيل ما تقدم قبل
الوحي وما تاخر بعد الوحي وقيل ما تقدم قبل نزول هذه الاية وما تاخر بعدها
وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابيك ادم وحوى وما تاخر

لم يدخل فيها احد الا من
شهد الحديبية صح

من ذنوب امتك وقيل من ذنب ابيك ابراهيم وما تاخر من ذنوب النبيين وقيل ما تقدم
من ذنب يوم بدر وما تاخر من ذنب يوم حنين وذلك ان الذنب المتقدم يوم بدر انه
جعل يدعوا ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض ابدا وجعل يردد
هذا القول دفعات فاوحى الله اليه من اين تعلم اني لو اهلكت هذه العصابة لا اعبد
ابدا فكان هذا المتقدم واما الذنب المتاخر فيوم حنين لما انهزم الناس قال لعمه
العباس ولابن عمه ابي سفيان ناولاني كفا من حصباء الوادي فناولاه فاخذه بيده ورما
به في وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون فانهزم القوم عن اخرهم
ولم يبق احد الا امتلأت عيناه رملا وحصباء ثم نادى في اصحابه فرجعوا فقال لهم عند رجوعهم
لو لم ارمهم لم ينهزموا فانزل الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكان هذا الذنب المتاخر
وقال ابو علي الروذباري يقول لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك قوله تعالى **ويتم
نعمته عليك** قال ابن عباس في الجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة والطائف
وخيبر وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من تجبر **ويهديك صراطا مستقيما** اي يثبتك على الهدى
الى ان تقبضه اليه **وينصرك الله نصرا عزيزا** اي غالبا منيعا لا يتبعه ذل قوله تعالى **هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** السكينة السكون
والطمانينة قال ابن عباس كل سكينة في القران هي الطمانينة الا التي في البقرة وتقدم معنى زيادة الايمان
في ال عمران وقال ابن عباس بعث النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوه
فيها زادهم الصلوة فلما صدقوه زادهم الزكاة فلما صدقوه زادهم الصيام فلما صدقوه زادهم
الحج ثم اكمل لهم دينهم فذلك قوله تعالى **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** اي تصديقا بشرايع
الايمان مع تصديقهم وقال الربيع ابن انس خشية مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم
ولله جنود السموات والارض قال ابن عباس يريد الملائكة والجن والشياطين والانس
وكان الله عليما حكيما فيما يريده قوله تعالى **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات**
اي انزل السكينة ليزدادوا ايمانا ثم تلك الزيادة سبب ادخالهم الجنة وقيل اللام في ليدخل
متعلق بما يتعلق به اللام في قوله ليغفر لك الله ما تقدم وكان ذلك اي ذلك الوعد من
دخول مكة وغفران الذنوب عند الله فوزا عظيما اي نجاة من كل غم وظفرا بكل مطلوب
وقيل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
قالوا هنيئا لك يا رسول الله فما ذا لنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات ولما قرا
ويتم نعمته عليك قالوا هنيئا لك فنزلت واتممت فلما قال **ويهديك صراطا مستقيما**
نزل في حق الامة ويهديكم صراطا مستقيما ولما قال وينصرك الله نصرا عزيزا نزل وكان حقا
علينا نصر المؤمنين وهو كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال وهو
الذي يصلي عليكم ذكره القشيري قوله تعالى **ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات** اي باتصال الهموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وبان

بالايمان صح

عليما باحوال خلقه حكيما صح

يعني عليكم

يسلط

يسلط النبي عليه السلام قتله واسرا واسترقاقا الظانين بالله ظن السوء يعني ظنهم ان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يرجع الى المدينة ولا احد من اصحابه حين خرج الى الحديبية وان المشركين
يستاصلونهم كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وقال الخليل
وسيبويه السوء هنا الفساد عليهم دائرة السوء في الدنيا بالقتل والسبي والاسر وفي الاخرة
جهنم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وفتح الباقون قال الجوهري ساءه يسوءه سوءا
بالفتح ومساءة ومسائية نقيض سره والاسم السوء بالضم وقرئ عليهم دائرة السوء يعني الهزيمة
والشر ومن فتح فهو من المساءة وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا
ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما تقدم في غير موضع جميعه
والحمد لله لما جرى صلح الحديبية قال ابن ابي يظن محمد انه اذا صالح اهل مكة او فتحها لا يبقى له
عدو فاين فارس والروم فبين الله عز وجل ان جنود السموات والارض اكثر من فارس والروم
وقيل يدخل فيه جميع المخلوقات وقال ابن عباس ولله جنود السموات الملائكة وجنود الارض
المؤمنون واعاد لان الذي سبق عقيب ذكر المشركين من قريش وهذا عقيب ذكر المنافقين
وساير المشركين والمراد في الموضعين التخويف والتهديد فلو اراد اهلاك المشركين والمنافقين
لم يعجزه ذلك ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى قوله تعالى **انا ارسلناك شاهدا** قال قتادة على
امتك بالبلاغ وقيل شاهدا عليهم باعمالهم من طاعة او معصية وقيل مبينا لهم ما ارسلناك
به اليهم وقيل شاهدا عليهم يوم القيامة فهو شاهد افعالهم اليوم والشهيد عليهم يوم القيامة
وقد مضى في النساء عن سعيد بن المسيب هذا المعنى مبينا ومبشرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا من
النار لمن عصى وقد مضى في البقرة اشتقاق البشارة والنذارة ومعناهما وانتصب شاهدا ومبشرا
ونذيرا على الحال المقدرة حكى سيبويه مررت برجل معه صقر صائدا به غدا فالمعنى انا ارسلناك
مقدرين شهادتك يوم القيامة وعلى هذا تقول رايت عمرا قائما غدا لتؤمنوا بالله ورسوله
قرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو ليؤمنوا بالياء وكذلك تعزروه اي تعظموه وتفخموه
قاله الحسن والكلبي والتعزير التعظيم والتوقير وقال قتادة تنصروه وتمنعوا منه ومنه
التعزير في الحد لانه مانع قال القطامي الا بكرت مي بغير سفاهة تعاتب والودود ينفعه
العزر وقال ابن عباس وعكرمة تقاتلون معه بالسيف وقال بعض اهل اللغة تطيعوه
وتوقروه اي تسودوه قاله السدي وقيل تعظموه والتوقير التعظيم والترزين ايضا والها
فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم وهنا وقف تام ثم تبتدي وتسبحوه اي تسبحوا الله بكرة
واصيلا اي غدوا وعشيا وقيل الضماير كلها لله تعالى فعلى هذا يكون تاويله تعزروه وتوقروه
اي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه ان يكون له ولد او شريك واختار هذا القول
القشيري والاول قول الضحاك وعليه يكون بعض الكلام راجعا الى الله سبحانه وهو
وتسبحوه بغير خلاف وبعضه راجعا الى رسوله وهو تعزروه وتوقروه اي تدعوه
بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية وفي تسبحوه وجهان احدهما تسبيحه بالتنزيه له سبحانه

وقيل صح

وتوقروه وتسبحوه كله بالياء على
الخبر واختاره ابو عبيد لذكر المؤمنين
قبله وبعده فاما قبله فقوله ليدخل
المؤمنين واما بعده فقوله ان الذين
يبايعونك الباقون بالتاء على الخطاب
واختاره ابو حاتم وتعزروه صح

من كل قبيح والثاني هو فعل الصلوة التي فيها التسبيح بكرة واصيلا اى غدوه وعشيا
وقد مضى القول فيه وقال الشاعر لعمري لانت البيت اكرم اهله واجلس في افنائه بالاصايل
قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ اى بالحديبيه يا محمد إنما يبايعون الله بين ان بيعتهم لنبيه الله
صلى الله عليه وسلم انما هي بيعة كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وهذه المبايعه هي بيعه الرضوان
على ما ياتي بيانها في هذه السورة ان شاء الله يد الله فوق ايديهم قيل المعنى يده في الثواب فوق ايديهم
في الوفا ويده في المنة عليهم بالهداية فوق ايديهم في الطاعة وقال الكلبي معناه نعمة الله عليهم
فوق ما صنعوا من البيعه وقال ابن كيسان قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم فمن نكث بعد البيعة
فانما ينكث على نفسه اى يرجع ضرر النكث عليه لانه حرم نفسه الثواب والزمها العقاب ومن
اوفى بما عاهد عليه الله قيل في البيعه وقيل في ايمانه فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الجنة
وقرا حفص والزهري عليهُ الله بضم الهاء وجرها الباقون وقرا نافع وابن كثير وابن عامر فسنؤتيه
بالنون واختاره الفرا وابو معاذ وقرا الباقون بالياء وهو اختيار ابو عبيد وابي حاتم لقرب اسم الله
منه قوله تعالى سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ قال مجاهد وابن عباس يعني اعراب
غفار ومزينه وجهينه واسلم واشجع والديل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينه تخلفوا عن النبي
صلى الله عليه وسلم حين اراد السفر الى مكه عام الفتح بعد ان كان استنفرهم ليخرجوا معه حذرا
من قريش واحرم بعمره وساق معه الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقلوا عنه واعتلوا
بالشغل فنزلت وانما قال المخلفون لان الله خلفهم عن صحبة نبيه والمخلف المتروك
وقد مضى في براءة شغلتنا اموالنا واهلونا اى ليس لنا من يقوم بهما فاستغفر لنا جاءوا يطلبون
الاستغفار واعتقادهم بخلاف ظاهرهم ففضحهم الله تعالى بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم وهذا هو النفاق المحض قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا قرا حمزة
والكسائي ضرا بضم الضاد هنا فقط اى امرا يضركم وقال ابن عباس الهزيمة الباقون بالفتح
وهو مصدر ضررته ضرا وبالضم اسم لما ينال الانسان من الهزال وسوء الحال والمصدر يؤدي
عن المرة والكثرة واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لانه قابله بالنفع وهو ضد الضر وقيل هما
لغتان بمعنى كالفقر والفُقر والضَعف والضُعف او اراد بكم نفعا اى نصرا وغنيمة وهذا
رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن الرسول يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع قوله تعالى
بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وذلك انهم
قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس لا يرجعون وزين ذلك اى النفاق في قلوبهم وهذا التزيين
من الشيطان او خلق الله ذلك في قلوبهم وظننتم ظن السوء ان الله لا ينصر رسوله وكنتم
قوما بورا اى هلكى قاله مجاهد وقال قتاده فاسدين لا يصلحون لشيء من الخير قال الجوهري
البور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه قال عبد الله بن الزبعري السهمي يا رسول الله
المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور اقوما بورا وهو جمع بائر وامراة بور ايضا
حكاه ابو عبيد وقوم بور هلكى قال تعالى وكنتم قوما بورا وهو جمع بائر مثل حائل

الله

وحول وقد بار فلان اى هلك وأباره الله اهلكه وقيل بورا اشرارا قاله ابن بحر وقال حسان
بن ثابت لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد يهدى الاله سبيل المعشر البور اى الهالك
قوله تعالى وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا
وعيد لهم وبيان انهم كفروا بالنفاق قوله تعالى وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
اى هو غني عن عباده وانما ابتلاهم بالتكليف ليثيب من امن ويعاقب من كفر وعصى
قوله تعالى سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا يعني مغانم
خيبر لان الله وعد اهل الحديبيه فتح خيبر وانها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر
ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم
من حضر قال ابو اسحق وكان المتولى للقسمة بخيبر جبار بن صخر الانصاري من بني سلمه
وزيد بن ثابت من بني النجار كانا حاسبين قاسمين ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ اى دعونا تقول ذره اى دعه
وهو يذره اى يدعه واصله وذِرَه يذره مثال وسعه يسعه وقد اميت مصدره وقد اميت
صدره لا يقال وذره ولا واذره لكن تركه وهو تارك قال مجاهد تخلفوا عن الخروج الى مكه فلما
خرج النبي صلى الله عليه وسلم واخذ قوما ووجه بهم قالوا ذرونا نتبعكم فنقاتل معكم يريدون
ان يبدلوا اى يغيروا كلام الله قال ابن زيد هو قوله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل
لن تخرجوا معي ابدا الاية وانكر هذا القول الطبري وغيره بسبب ان غزوه تبوك كانت
بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة وقيل المعنى يريدون ان يغيروا وعد الله الذي وعد لاهل
الحديبيه وذلك ان الله تعالى جعل لهم غنايم خيبر عوضا من فتح مكة اذ رجعوا من الحديبيه
على صلح قاله مجاهد وقتاده واختاره الطبري وعليه عامة اهل التاويل وقرا حمزة والكسائي
كلم الله باسقاط الالف وكسر اللام جمع كلمة نحو سلمة وسلم الباقون كلام على المصدر واختاره
ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا بقوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي والكلام ما
ما استقل بنفسه من الجمل قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون
اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبقة ونبق ولهذا قال سيبويه هذا باب
علم ما الكلم من العربية ولم يقل ما الكلام لانه اراد نفس ثلاثة اشياء الاسم والفعل والحرف
فجاء بما لا يكون الا جمعا وترك ما يمكن ان يقع على الواحد والجماعة وتميم يقول هي كلمة بكسر
الكاف وقد مضى في براءة القول فيها كذلكم قال الله من قبل اى من قبل رجوعنا من الحديبيه
ان غنيمه خيبر لمن شهد الحديبيه خاصه فسيقولون بل تحسدوننا ان نصيب معكم
من المغانم وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خرجتم لم امنعكم الا انه لا سهم
لكم فقالوا هذا حسد فقال المسلمون قد اخبر الله بالحديبيه بما سيقوله وهو قوله
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا فقال الله تعالى بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا يعني لا يعلمون
الا امر الدنيا وقيل لا يفقهون من امر الدين الا قليلا وهو من ترك النفاق قوله تعالى
قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فيه اربع مسايل

مكة

الاولى قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب اى قل لهولاء الذين تخلفوا عن الحديبيه ستدعون
الى قوم اولى باس شديد قال ابن عباس وعطا بن ابى رباح ومجاهد وابن ابى ليلى وعطاء
الخراسانى هم فارس وقال كعب والحسن وعبد الرحمن ابن ابى ليلى الروم وعن الحسن
ايضا فارس والروم وقال ابن جبير هوازن وثقيف وقال عكرمه هوازن وقال قتاده
هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى ومقاتل بنو حنيفه اهل اليمامه اصحاب
مسيلمه وقال رافع بن خديج والله لقد كنا نقرا هذه الاية فيما مضى ستدعون الى قوم اولى
باس شديد فلا نعلم من هم حتى دعانا ابو بكر الى قتال بنى حنيفه فعلمنا انهم هم وقال
ابو هريرة لم تات هذه الاية بعد وظاهر الاية يرده الثانية فى هذه الاية دليل
على صحة امامة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما لان ابا بكر دعاهم الى قتال بنى حنيفه وعمر
دعاهم الى قتال فارس والروم واما قول عكرمه وقتاده ان ذلك فى هوازن وغطفان
يوم حنين فلا لانه يمتنع ان يكون الداعى لهم الرسول عليه الصلوه والسلام لانه قال
لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا فدل على ان المراد الداعى غير محمد صلى الله عليه وسلم
ومعلوم انه لم يدع هولاء القوم بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا ابا بكر وعمر وقال الزمخشرى
فان صح ذلك عن قتاده فالمعنى لن تخرجوا معى ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب
والاضطراب فى الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم فى المغنم والله اعلم الثالثه قوله تعالى تقاتلونهم
او يسلمون هذا حكم من لا توخذ منه الجزيه وهو معطوف على تقاتلونهم اى يكون احد
الامرين اما المقاتله واما الاسلام لا ثالث لهما وفى حرف ابى او يسلموا بمعنى حتى يسلموا
كما تقول كل وتشبع اى حتى تشبع قال فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت
فنعذرا وقال الزجاج قال او يسلمون لان المعنى او هم يسلمون من غير قتال وهذا فى قتال
المشركين لا فى اهل الكتاب الرابعه قوله تعالى فان تطيعوا يوتكم الله اجرا
حسنا الغنيمه والنصر فى الدنيا والجنة فى الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل
عام الحديبيه يعذبكم عذابا اليما وهو عذاب النار قوله تعالى ليس على الاعمى
حرج الاية قال ابن عباس لما نزلت وان تتولوا يعذبكم عذابا اليما قالت اهل الزمانه
كيف بنا يا رسول الله فنزلت ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج اى لا اثم عليهم فى التخلف عن الجهاد لعماهم وزمانتهم وضعفهم وقد
مضى فى براءه وغيرها والعرج افة تعرض لرجل واحده واذا كان ذلك موثرا
فخلل الرجلين اولى ان يوثر وقال مقاتل هم اهل الزمانه الذين تخلفوا عن الحديبيه
وقد عذرهم اى من شاء ان يسير منهم معكم الى خيبر فليفعل ومن يطع الله ورسوله
فيما امراه يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار قرا نافع وابن عامر ندخله بالنون
على التعظيم الباقون بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لتقدم اسم الله اولا ومن

يتول يعذبه عذابا اليما قوله تعالى لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة هذه بيعة الرضوان وكانت بالحديبيه وهذا خبر الحديبيه على
اختصار وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم اقام منصرفه من غزوه بنى المصطلق فى شوال
وخرج فى ذى القعده معتمرا واستنفر الاعراب الذين حول المدينه فابطا عنه اكثرهم
وخرج صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والانصار ومن اتبعه من العرب
وجميعهم نحو الف واربع مايه وقيل الف وخمسمايه وقيل غير هذا على ما ياتى وساق
معه الهدى فاحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس انه لم يخرج لحرب
فلما بلغ خروجه قريشا خرج جمعهم صادين لرسول الله عن المسجد الحرام ودخول
مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه دون ذلك وقدموا خالد بن الوليد فى خيل الى كراع
الغميم فورد الخبر بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعسفان وكان المخبر
له بشر بن سفيان الكعبى فسلك طريقا يخرج به فى ظهورهم وخرج الى الحديبيه من اسفل
مكه وكان دليله فيه رجل من اسلم فلما بلغ ذلك خيل قريش التى مع خالد جرت الى قريش
رجلا صح
يعلمهم بذلك فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبيه بركت ناقته صلى
الله عليه وسلم ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكه لا تدعونى
فقال خلأت خلا فقال النبى صلى الله عليه وسلم صح
قريش اليوم الى خطة يسلونى فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ثم نزل صلى الله عليه
وسلم هنالك فقيل يا رسول الله ليس بهذا الوادى ما فاخرج عليه السلام سهما من كنانته
فاعطاه رجلا من اصحابه فنزل فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه فجاش بالماء
الروى حتى كفى جميع اهل الجيش وقيل ان الذى نزل بالسهم فى القليب ناجيه بن جندب
بن عمير الاسلمى وهو سايق بدن النبى صلى الله عليه وسلم يوميذ وقيل نزل بالسهم فى القليب
البرا بن عازب ثم جرت السفرا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش
وطال التراجع والتنازع الى ان جاء سهيل بن عمرو العامرى فقاضاه على ان ينصرف
عليه السلام عامه ذلك فاذا كان من قابل اتى معتمرا ودخل هو واصحابه مكه بلا سلاح
حاشى السيوف فى قربها فيقيم بها ثلاثا ويخرج وعلى ان يكون بينه وبينهم صلح عشرة اعوام
يتداخل فيها الناس ويامن بعضهم بعضا وعلى ان من جاء من الكفار الى المسلمين مسلما
من رجل او امراة رد الى الكفار ومن جاء من المسلمين الى الكفار مرتدا لم يردوه الى المسلمين
فعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلم لما علمه الله من انه سيجعل للمسلمين فرجا فقال لاصحابه اصبروا فان الله يجعل
هذا الصلح سببا الى ظهور دينه فانس الناس الى قوله هذا بعد نفار منهم وابى سهيل بن عمرو
ان يكتب فى صدر صحيفة الصلح من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له لو صدقناك
صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد ولا بد ان تكتب باسمك اللهم فقال لعلى
وكان يكتب صحيفه الصلح امح يا على واكتب باسمك اللهم فابى على ان يمحو بيده محمد

رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضه علي فاشار اليه ابو جندل بن سهيل
فمحاه صلى الله عليه وسلم بيده وامره ان يكتب من محمد بن عبد الله واتى ابو جندل بن سهيل
يومئذ بام كتاب الصلح وهو يرسف في قيوده فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابيه فعظم
ذلك على المسلمين فاخبرهم صلى الله عليه وسلم واخبر ابا جندل ان الله سيجعل له فرجا
ومخرجا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الصلح قد بعث عثمان بن عفان الى مكة
رسولا فجاء خبر الى رسول الله بان اهل مكة قتلوه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ
الى المبايعة له على الحرب والقتال لاهل مكة فروى انه بايعهم على الموت وروى انه بايعهم
على ان لا يفروا وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة التي اخبر الله تعالى انه رضي عن المبايعين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يدخلون
النار وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله لعثمان فهو كمن شهدها وذكر
وكيع عن اسمعيل بن ابي خالد عن الشعبي قال اول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية ابو سفيان الاسدي وفي صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر قال كنا يوم الحديبية
الفا واربع مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة قال بايعناه على ان لا
نفر ولم نبايعه على الموت وعنه انه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة
مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري
اختبا تحت بطن بعيره وعن سالم بن ابي الجعد قال سالت جابر بن عبد الله عن اصحاب
الشجرة فقال لو كنا مائة الف لكفانا كنا الفا وخمسمائة في رواية كنا خمس عشرة مائة
وعن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وكان اسلم ثمن المهاجرين
وعن يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة على اي شي بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية قال على الموت وعن البراء بن عازب قال كتب علي رضي الله عنه الصلح بين النبي
صلى الله عليه وسلم وبين المشركين يوم الحديبية فكتب هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا لا تكتب رسول الله فلو نعلم انك رسول الله لم نقاتلك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي امحاه فمحاه رسول الله بيده وكان
فيما اشترطوا ان يدخلوا مكة فيقيموا فيها ثلاثا ولا يدخلها بسلاح الا جلبان السلاح
القراب وما فيه وعن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سهيل بن عمرو
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن عمرو اما بسم الله
فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم فقال اكتب من محمد
رسول الله فقالوا لو علمنا انك رسوله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اكتب من محمد بن عبد الله فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان من جاء منكم لم نرده
عليكم ومن جاء منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من جاء منا اليهم
فابعده الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وعن ابي وائل قال قام سهل بن حنيف

يوم صفين قال يا ايها الناس اتهموا انفسكم لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين المشركين فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله السنا على حق وهم على باطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم
في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن
الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله ابدا قال فانطلق عمر ولم يصبر متغيظا فاتى ابا بكر
فقال يا ابا بكر السنا على حق وهم على باطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في
النار قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن
الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله ابدا قال فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالفتح فارسل الى عمر فاقراه اياه فقال يا رسول الله او فتح هو قال نعم فطابت نفسه ورجع
قوله تعالى **فعلم ما في قلوبهم** من الصدق والوفا قاله الفرا وقال ابن
جريج وقتادة من الرضا بامر البيعة على ان لا يفروا وقال مقاتل من كراهة البيعة على ان
يقاتلوا معه على الموت فانزل السكينة عليهم حتى بايعوا وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكابة
بصد المشركين اياهم وتخلف رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم اذ راى انه يدخل الكعبة
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذلك رؤيا منام وقال الصديق لم يكن فيها
الدخول في هذا العام والسكينة الطمانينة وسكون النفس الى صدق الوعد وقيل الصبر
واثابهم فتحا قريبا قال قتادة وابن ابي ليلى فتح خيبر وقيل فتح مكة وقرئ واتاهم ومغانم
كثيرة يأخذونها يعني اموال خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال وكانت خيبر بين الحديبية
ومكة فمغانم على هذا بدلا من فتحا قريبا والواو مقحمة وقيل ومغانم فارس والروم قوله تعالى
وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها قال ابن عباس ومجاهد انها المغانم التي
تكون الى يوم القيمة وقال ابن زيد هي مغانم خيبر فعجل لكم هذه اي خيبر قاله مجاهد وقال
ابن عباس عجل لكم صلح الحديبية وكف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة كفهم عنكم
بالصلح وقال قتادة كف ايدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم
الى الحديبية وخيبر وهو اختيار الطبري لان كف ايدي المشركين بالحديبية مذكور في قوله
وهو الذي كف ايديهم عنكم وقال ابن عباس في كف ايدي الناس عنكم يعني عيينة بن
حصن الفزاري وعوف بن مالك النضري ومن كان معهما اذ جاءوا لينصروا اهل خيبر و
النبي صلى الله عليه وسلم محاصرهم فالقى الله عز وجل في قلوبهم الرعب وكفهم عن
المسلمين ولتكون آية للمؤمنين اي ولتكون هزيمتهم وسلامتكم آية للمؤمنين فيعلموا ان
الله يحرسهم في مشهدهم ومغيبهم وقيل اي ولتكون كف ايديهم عنكم آية للمؤمنين وقيل اي
ولتكون هذه التي عجلها لكم آية للمؤمنين على صدقك حيث وعدتهم ان تصيبوها
والواو في وليكون مقحمة عند الكوفيين وقال البصريون عاطفة على مضمر اي وكف

ايدى الناس عنكم لتشكروه ولتكون اية للمومنين ويهديكم صراطا مستقيما اى يزيدكم
هدى او يثبتكم على الهداية قوله تعالى واخرى اخرى معطوفة على هذه اى فجعل لكم هذه المغانم
ومغانم اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها قال ابن عباس هى الفتوح التى فتحت على المسلمين
كارض فارس والروم وجميع ما فتحه المسلمون وهو قول الحسن ومقاتل وابن ابى ليلى وعن ابن
عباس ايضا والضحاك وابن زيد وابن اسحق هى خيبر وعدها الله نبيه قبل ان يفتتحها ولم
يكونوا يرجونها حتى اخبرهم بها وعن الحسن ايضا وقتاده هو فتح مكة وقال عكرمه حنين
لانه قال لم تقدروا عليها وهذا يدل على تقدم محاولتها وفوات درك المطلوب فى الحال
كما كان فى مكة قاله القشيرى وقال مجاهد هى ما يكون الى يوم القيامة ومعنى قد احاط
الله بها اى عدها لكم فهى كالشئ الذى قد احيط به من جوانبه فهو محصور لا يفوت
فانتم وان لم تقدروا عليها فى الحال فهى محبوسه عليكم لا تفوتكم وقيل احاط الله بها علم انها
ستكون لكم كما قال وان الله قد احاط بكل شئ علما وقيل حفظها الله عليكم لتكون فتحها
لكم وكان الله على كل شئ قديرا قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار
قال قتاده يعنى كفار قريش فى الحديبيه وقيل ولو قاتلكم غطفان واسد والذين ارادوا نصرة
اهل خيبر لكانت الدائرة عليهم ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت
من قبل يعنى طريقة الله وعادته السالفة نصر اولياءه على اعدائه وانتصب سنه على
المصدر وقيل سنة الله اى كسنة الله والسنة الطريقة والسيرة قال فلا تجزعن من سنة
انت سرتها فاول راض سنة من يسيرها والسنة ايضا ضرب من تمر المدينه ولن تجد
لسنة الله تبديلا قوله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم
ببطن مكة وهى الحديبيه من بعد ان اظفركم عليهم روى يزيد بن هرون
قال حدثنا حماد بن سلمه عن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على النبى صلى
الله عليه وسلم من جبل التنعيم مستلحين يريدون غرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
فاخذناهم سلما فاستحييناهم وانزل الله هذه الاية قوله تعالى وهو الذى كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وقال عبد
الله بن مغفل المزنى كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبيه فى اصل الشجرة التى
قال الله فى القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا
فى وجوهنا فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ الله بابصارهم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم فى عهد احد وهل جعل لكم احد امانا قالوا
اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله وهو الذى كف ايديهم عنكم الاية وذكر ابن هشام
عن وكيع وكانت قريش قد جاء منهم نحو سبعين رجلا او ثمانين رجلا للايقاع بالمسلمين
وانتهاز الفرصة فى اطرافهم ففطن المسلمون لهم فاخذوهم اسرا وكان ذلك والسفرا
يمشون بينهم فى الصلح فاطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الذين يسمون

العنقا

وشهيد لان هذا لا يعرف الا بالنصوص الالهيه فكشفنا عنك غطاك اى عملك
وفيه اربعة اوجه احدها اذا كان فى بطن امه فولد قاله السدى الثانى اذا كان
فى القبر فنشر وهذا معنى قول ابن عباس الثالث وقت العرض فى القيامة قاله
مجاهد الرابع انه نزول الوحى وتحمل الرسالة وهذا معنى قول ابن زيد فبصرك اليوم حديد
قيل يراد به بصر القلب كما يقال هو بصير بالفقه فبصر القلب وبصيرته يبصر بها شواهد
الافكار ونتايج الاعتبار كما تبصر العين ما قابلها من الاشخاص والاجسام وقيل المراد
به بصر العين وهو الظاهر اى بصر عينك اليوم حديد اى قوى نافذ يرى ما كان محجوبا
عنك قال مجاهد فبصرك اليوم حديد يعنى نظرك الى لسان ميزانك حتى توزن سيئاتك
وحسناتك وقاله الضحاك وقيل لا يعاين ما يصير اليه من ثواب وعقاب وهو معنى قول
ابن عباس وقيل يعنى ان الكافر يحشر وبصره حديد ثم يزرق ويعمى وقرى لقد كنت عنك
فبصرك بالكسر على خطاب النفس قوله تعالى وقال قرينه يعنى الملك الموكل
به فى قول الحسن وقتادة والضحاك هذا ما لدى عتيد اى هذا ما عندى من كتابة عمله
معد محفوظ وقال مجاهد يقول هذا الذى وكلتنى به من بنى ادم قد احضرته واحضرت
ديوان عمله وقيل المعنى هذا ما عندى من العذاب حاضر وعن مجاهد ايضا قرينه
الذى قيض له من الشياطين وقال ابن زيد فى رواية ابن وهب عنه انه قرينه من الانس
فيقول الله تعالى لقرينه القيا فى جهنم قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الصحيح
ان تخاطب الواحد بلفظ الاثنين فيقول ويلك ادخلاها وازجراها وخذاه واطلقاه
للواحد قال الفرا يقول للواحد قوما عنا واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل فى ابله
وغنمه ورفقته فى سفره اثنان فجرى كلام الرجل على صاحبيه ومنه قولهم للواحد
فى الشعر خليلى ثم يقول اصاح قال امرؤ القيس خليلى مرا بى على ام جندب نقضى
لبانات الفؤاد المعذب وقال ايضا قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى
بين الدخول فحومل وقال اخر فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر وان تدعوانى احم
عرضا ممنعا وقيل جاء كذلك لان القرين يقع للجماعه والاثنين وقال المازنى قوله
القيا يدل على الق الق وقال المبرد هى تثنية على التوكيد المعنى الق الق فناب القيا
مناب التكرار ويجوز ان يكون القيا تثنية على خطاب الحقيقه من قول الله تعالى
تخاطب به الملكين وقيل هو من مخاطبه السابق والحافظ وقيل ان الاصل القين
بالنون الخفيفه وهى تقلب فى الوقف الفا فحمل الوصل على الوقف وقرا الحسن القين
بالنون الخفيفة نحو قوله وليكونا من الصاغرين وقوله لنسفعا كل كفار عنيد
اى معاند قاله مجاهد وعكرمه وقال بعضهم العنيد المعرض عن الحق يقال عند
يعند بالكسر عنودا اى خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند وجمع العنيد
عند مثل رغيف ورغف مناع للخير يعنى الزكاه المفروضه وكل حق واجب

لكونس

معتدٍ في منطقه وسيرته وامره ظالم مريبٌ شاك في التوحيد قاله الحسن وقتادة اراب
الرجل فهو مريب اذا جآء بالريبه وهذا للمشرك يدل عليه قوله تعالى الذى جعل مع الله
الها آخر وقيل نزلت في الوليد بن المغيره واراد بقوله مناع للخير انه كان يمنع بني
اخيه للاسلام فالقياه في العذاب الشديد تاكيد للامر الاول قال قرينه ربنا ما اطغيته
يعني الشيطان الذى قيض لهذا الكافر العنيد تبرأ منه وكذبه ولكن كانوا في ضلال
بعيد عن الحق وكان طاغيا باختياره انما دعوته فاستجاب لى وقرينه هنا هو شيطانه
بغير اختلاف حكاه المهدوى وحكى الثعلبى وقال ابن عباس ومقاتل قرينه الملك و
ذلك ان الوليد ابن المغيرة للملك الذى كان يكتب سيآته رب انه اعجلنى فيقول
الملك ربنا ما اطغيته اى ما اعجلته وقال سعيد بن جبير يقول الكافرون انه زاد على
فى الكتابه فيقول الملك ربنا ما اطغيته اى ما زدت عليه في الكتابه فحينئذ يقول
الله تعالى لا تختصموا الذى يعني الكافرين وقرناهم من الشياطين قال القشيرى وهذا
يدل على ان القرين الشيطان وقد قدمت اليكم بالوعيد اى ارسلت الرسل وقيل هذا
خطاب لكل من اختصم وقيل هو للاثنين وجآء بلفظ الجمع ما يبدل القول لدى قيل هو
قوله تعالى مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى
إِلَّا مِثْلَهَا وقيل هو قوله لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وقال
الفرا اى ما يكذب عندى اى ما يزاد في القول ولا ينقص لعلمي بالغيب وما انا بظلام
للعبيد اى ما انا بمعذب من لم يجرم قاله ابن عباس وقد مضى القول في معناه في الحج
وغيرها قوله تعالى يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ
قرا نافع وابو بكر يوم يقول بالياء اعتبارا بقوله لا تختصموا لدى الباقون بالنون
على الخطاب من الله تعالى وهي نون التعظيم وقرا الحسن يوم اقول وعن ابن مسعود
وغيره يوم يقال وانتصب يوم على معنى ما يبدل القول لدى يوم وقيل بفعل مقدر
معناه وانذرهم يوم يقول لجهنم هل امتلات لما سبق من وعده اياها انه يملاها
وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتقريع لاعدايه
والتنبيه لجميع عباده وتقول جهنم هل من مزيد اى ما بقي في موضع للزيادة كقوله
عليه السلام هل ترك لنا عقيل من ربع او منزل اى ما ترك فمعنى الكلام الجحد ويحتمل
ان يكون استفهاما بمعنى الاستزادة اى هل من مزيد فازداد وانما صلح هذا للوجهين
لان في الاستفهام ضربا من الجحد وقيل ليس ثم قول وانما هو على طريق المثل اى
انها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقه بذلك كما قال الشاعر امتلا الحوض
وقال قطني مهلا رويدا قد ملات بطني وهذا تفسير مجاهد وغيره اى هل
فى من مسلك قد امتلات وقيل ينطق الله النار حتى يقول هذا كما ينطق الجوارح
وهذا اصح على ما بيناه في سورة الفرقان وفى صحيح مسلم والبخارى والترمذى

نقول

عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من
مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوى بعضها الى بعض وتقول
قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشى الله لها خلقا فيسكنهم فضل
الجنة لفظ مسلم وفى رواية اخرى من حديث ابى هريرة فاما النار فلا يمتلى حتى يضع الله
عليها رجله تقول قط قط فهنالك يمتلى وينزوى بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه
احدا واما الجنة فان الله ينشى لها خلقا قال علماؤنا رحمهم الله معنى القدم هنا قوم
يقدمهم الله الى النار قد سبق في علمه انهم من اهل النار وكذلك الرجل وهو
العدد الكثير من الناس وغيرهم يقال رايت رجلا من الناس ورجلا من جراد
قال الشاعر فمر بنا رجل من الناس وانزوى اليهم من الحى اليمانين ارجل
قبايل من لخم وعكل وحمير على ابنى نزار بالعداوة احفل وبين هذا المعنى ما روى عن
ابن مسعود انه قال ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت الا وعليه
اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته فاذا
استوفى كل واحد منهم ما امر به وما ينتظره ولم يبق منهم احد قالت الخزنة
قط قط حسبنا حسبنا اى اكتفينا اكتفينا وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها و
تنطبق اذ لم يبق احد ينتظر فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ويشهد
لهذا التاويل قوله في نفس الحديث ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشى الله لها
خلقا فيسكنهم فضل الجنة وقد زدنا هذا المعنى بيانا ومهدناه فى كتاب الاسماء
والصفات من كتاب الاسنى والحمد لله وقال النضر بن شميل في معنى قوله
عليه السلام حتى يضع الجبار فيها قدمه اى من يسبق في علمه انه من اهل النار
قوله تعالى وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ اى قربت منهم قيل هذا قبل الدخول في الدنيا
اى قربت من قلوبهم حين قيل لهم اجتنبوا المعاصى وقيل بعد الدخول قربت لهم
مواضعهم فيها فلا تبعد غير بعيد اى منهم وهو تاكيد هذا ما توعدون اى ويقال
لهم هذا الجزاء الذى وعدتم في الدنيا على السنة الرسل وقراءة العامة توعدون
بالتاء على الخطاب وقرا ابن كثير بالياء على الخبر لانه اتى بعد ذكر المتقين
لكل اواب حفيظ اواب اى رجاع الى الله عن المعاصى يذنب ثم يرجع
ويذنب ثم يرجع هكذا قاله الضحاك وغيره وقال ابن عباس وعطا الاواب
المسبح من قوله يا جبال اوبى معه وقال الحكم بن عتيبه هو الذاكر الله
تعالى في الخلوة وقال الشعبى ومجاهد هو الذى يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر
الله منها وهو قول ابن مسعود وقال عبيد بن عمير هو الذى لا يجلس مجلسا حتى
يستغفر الله فيه وعنه قال كنا نحدث ان الاواب الحفيظ الذى اذا قام من
مجلسه قال سبحان ربى وبحمده اللهم انى استغفرك مما اصبت في مجلسى

فينزوى

الناس

هكذا في الحديث من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان في ذلك المجلس هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وقال بعض العلماء انا احب ان اقول استغفرك واسئلك التوبة ولا احب ان اقول واتوب اليك الا على حقيقة قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا استحسان واتباع الحديث اولى قال ابو بكر الوراق وهو المتوكل على الله في السراء والضراء وقال القاسم هو الذي لا يشتغل الا بالله جل وعز حفيظ قال ابن عباس هو الذي حفظ ذنوبه حتى رجع عنها وقال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته وائتمنه عليه وعن ابن عباس ايضا هو الحافظ لامر الله وقال مجاهد هو الحافظ لحق الله بالاعتراف ولنعمة بالشكر وقال الضحاك الحافظ لوصية الله تعالى بالقبول وروى مكحول عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على اربع ركعات من اول النهار كان اوابا حفيظا ذكره الماوردي قوله تعالى **مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ** من في محل خفض على البدل من قوله لكل اواب او في موضع الصفة لاواب ويجوز الرفع على الاستيناف والخبر ادخلوها على تقدير حذف جواب الشرط والتقدير فيقال لهم ادخلوها والخشية بالغيب ان تخافه ولم تره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حين لا يراه احد وقال الحسن اذا ارخى الستر واغلق الباب وجاء بقلب منيب مقبل على الطاعة وقيل مخلص قال ابو بكر الوراق علامة المنيب ان يكون عارفا لحرمته مواليا له متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه قال الشيخ المؤلف رحمه الله ويحتمل ان يكون القلب المنيب القلب السليم كما قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم على ما تقدم والله اعلم ادخلوها اي يقال لاهل هذه الصفات ادخلوها بسلام اي بسلامة من العذاب وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم وقال ادخلوها وفي اول الكلام من خشي لان من يكون بمعنى الجمع قوله تعالى **لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا** يعني ما يشتهيه انفسهم وتلذ اعينهم ولدينا مزيد من النعم مما لم يخطر على بالهم وقال انس وجابر المزيد النظر الى الله جل وعز بلا كيف وقد ورد ذلك في اخبار مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم وذكر ابن المبارك ويحيى بن سلام قال اخبرنا المسعودي عن المنهال بن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال يسارعوا الى الجمعة فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور ابيض فيكونون منه في القرب قال ابن المبارك على قدر تسارعهم الى الجمعة في الدنيا وقال يحيى بن سلام لمسارعتهم الى الجمع في الدنيا وزاد فيحدث الله لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا راوه قبل ذلك قال يحيى وسمعت غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله ولدينا مزيد قال الشيخ المؤلف رحمه الله قوله في كثيب يريد اهل الجنة اي وهم على كثيب.

كما في مرسل الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ينظرون الى ربهم في كل يوم جمعة على كثب من كافور الحديث وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقيل ان المزيد ما يزوجون به من الحور العين رواه ابو سعيد الخدري مرفوعا قوله تعالى **وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ** اي كم اهلكنا يا محمد قبل قومك من امم اشد منهم بطشا وقوة فنقبوا في البلاد اي ساروا فيها طلبا للمهرب وقيل اثروا في البلاد قاله ابن عباس وقال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر بن شميل دوروا وقال قتادة طوفوا وقال المؤرج تباعدوا ومنه قول امرئ القيس وقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب ثم قيل طافوا في اقاصي البلاد طلبا للتجارات وهل وجدوا من الموت محيصا وقيل طوفوا في البلاد يلتمسون محيصا من الموت قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال وقرأ الحسن وابو العالية فنقبوا في البلاد بفتح القاف وتخفيفها والنقب هو الخرق والدخول في الشيء وقيل النقب الطريق في الجبل وكذلك المنقب والمنقبة عن ابن السكيت ونقب الجدار نقبا واسم تلك النقبة نقب ايضا وجمع النقب النقوب اي خرقوا البلاد وساروا في نقوبها وقيل اثروا فيها كتاثير الحديد فيما ينقب وقرأ السلمي ويحيى بن يعمر فنقبوا بكسر القاف والتشديد على الامر للتهديد والوعيد اي طوفوا البلاد وسيروا فيها فانظروا هل من الموت محيص او مهرب ذكره الثعلبي وحكى القشيري فنقبوا بكسر القاف مع التخفيف اي اكثروا السير فيها حتى نقبت دوابهم قال الجوهري ونقب البعير بالكسر اذا رقت اخفافه وانقب الرجل اذا نقب بعيره ونقب الخف الملبوس اي تخرق والمحيص مصدر حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا اي عدل وحاد يقال ما عنه محيص اي محيد ومهرب والانحياص مثله يقال للاولياء حاصوا عن العدو وللاعداء انهزموا قوله تعالى **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى** اي فيما ذكرناه في هذه السورة تذكرة وموعظة لمن كان له قلب اي عقل يتدبر به فكنا بالقلب عن العقل لانه موضعه قال معناه مجاهد وغيره وقيل لمن كان له حياة ونفس مميزة فعبر عن النفس الحية بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها كما قال امرؤ القيس اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تامري القلب يفعل وفي التنزيل لينذر من كان حيا وقال يحيى بن معاذ القلب قلبان قلب محتش باشغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الآخرة لم يدر ما يصنع وقلب قد احتشى باهوال الآخرة حتى اذا حضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة او القى السمع اي استمع القرآن تقول العرب الق الي سمعك اي استمع وقد مضى في طه كيفية الاستماع وثمرته وهو شهيد اي شاهد القلب قال الزجاج اي وقلبه حاضر فيما يسمع وقال سفيان اي لا يكون

حاضرًا وقلبه غايب ثم قيل الاية لاهل الكتاب قاله مجاهد وقتادة وقال الحسن انها في اليهود والنصارى خاصة وقال محمد بن كعب وابو صالح انها في اهل القرآن خاصة قوله تعالى **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ۝ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ** يقدم في الاعراف وغيرها واللغوب التعب والاعيا تقول منه لغب يلغب بالضم لغوبا ولغب بالكسر يلغب لغوبا لغة ضعيفة فيه والغبته انا اى انصبته وقال قتادة والكلبي هذه الاية نزلت في يهود المدينة زعموا ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعه واستراح يوم السبت فجعلوه راحه فاكذبهم الله في ذلك قوله تعالى **فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ** ۝ فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى فاصبر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امرا بالصبر على ما تقوله المشركون اى هون امرهم عليك ونزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخه وقيل هو ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم وامته وقيل معناه فاصبر على ما يقول اليهود من قولها ان الله استراح يوم السبت الثانية قوله تعالى **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** الاية قيل انه يراد به الصلوات الخمس قال ابو صالح قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة العصر وروا جرير بن عبد الله مرفوعا قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال اما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصر والفجر ثم قرا جرير وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها متفق عليه واللفظ لمسلم وقال ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة العشايين وقيل المراد تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قاله عطاء الخراساني وابو الاحوص وقال بعض العلماء في قوله قبل طلوع الشمس قال ركعتين الفجر وقبل الغروب الركعتين قبل المغرب وقال ثمامة بن عبد الله ابن انس كان ذوو الالباب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصلون الركعتين قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا في المدينه فاذا اذن الموذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فركعوا ركعتين حتى ان الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب ان الصلوة قد صليت من كثرة من يصليها وقال قتادة ما ادركت احدا يصلي الركعتين قبل المغرب الا انسا وابا برزة الاسلمي الثالثه قوله تعالى **وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ** ۝ فيه اربعة اقوال الاول هو تسبيح الله تعالى في الليل قاله ابو الاحوص الثاني انها صلوة الليل كله قاله مجاهد الثالث انها ركعتا الفجر قاله ابن مجاهد الرابع انها صلوة

العشاء الاخرة قاله ابن زيد قال ابن العربي من قال انه التسبيح في الليل فيعضده الصحيح من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله واما من قال انه الصلوة بالليل فان الصلوة تسمى تسبيحا لما فيها من تسبيح الله ومنه سبحة الضحى واما من قال انها صلوة الفجر والعشاء فلانها من صلوة الليل والعشاء اوضحه الرابعة قوله تعالى **وَاَدْبَارَ السُّجُودِ** قال عمر وعلي وابو هريره والحسن بن علي والحسن البصري والنخعي والشعبي والاوزاعي والزهري ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر ورواه العوفي عن ابن عباس وقد رفعه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ركعتان بعد المغرب ادبار السجود ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي وروي عن ابن عباس قال بت ليلة عند النبي صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين قبل الفجر ثم خرج الى الصلوة فقال يا ابن عباس ركعتان قبل الفجر ادبار النجوم وركعتان بعد المغرب ادبار السجود وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلاته في عليين قال انس يقرا في الركعة الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانيه قل هو الله احد قال مقاتل ووقتها ما لم يغب الشفق وعن ابن عباس ايضا هو الوتر وقال ابن زيد هو النوافل بعد الصلوات ركعتان بعد كل صلوة مكتوبة قال النحاس والظاهر يدل على هذا الا ان الاولى اتباع الاكثر وهو صحيح عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقال ابو الاحوص هو التسبيح في ادبار السجود قال ابن العربي فهو الاقوى في النظر وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر المكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقيل انه منسوخ بالفرايض فلا تجب على احد الا خمس صلوات نقل ذلك الجماعة الخامسة قرا نافع وابن كثير وحمزه وادبار السجود بكسر الهمزة على المصدر من ادبر الشي ادبارا اذا ولى الباقون بفتحها جمع دبر وهي قراءة علي وابن عباس ومثالها طنب واطناب او دبر كقفل واقفال وقد استعملوه ظرفا نحو جيتك في دبر الصلوة وفي ادبار الصلوات ولا اختلاف في اخر والطور وادبار النجوم انه بالكسر مصدر وهو ذهاب ضوءها اذا طلع الفجر الثاني وهو البياض المنشق من سواد الليل قوله تعالى **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ** ۝ مفعول الاستماع محذوف اى استمع النداء او الصوت او الصيحة وهي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية والمنادي جبريل وقيل اسرافيل قال الزمخشري وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي فينادي بالحشر يقول هلموا الى الحساب فالنداء على هذا في المحشر وقيل نستمع نداء الكفار بالويل والثبور من مكان قريب اى يسمع الجميع فلا يبعد احد عن ذلك النداء قال عكرمه ينادي منادي الرحمن فكانما ينادي في اذانهم وقيل

المكان القريب صخرة بيت المقدس ويقال انها وسط الارض واقرب الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وقال كعب بثمانية عشر ميلا ذكر الاول القشيري والزمخشري والثاني الماوردي فيقف جبريل او اسرافيل على الصخرة فينادي بالحشر ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة ويا عظام النخرة ويا اكفانا فانية ويا قلوبا خاوية ويا ابدانا فاسدة ويا عيونا سائلة قوموا لعرض رب العالمين قال قتادة هو اسرافيل صاحب الصور يوم يسمعون الصيحة بالحق يعني صيحة البعث بالخروج والاجتماع ومعنى بالخروج والاجتماع الى الحساب ذلك يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي ونميت نحيي الموتى ونميت الاحيا اميت هنا الحقيقة وتحيي يوم تشقق الارض عنهم سراعا الى المنادي صاحب الصور الى بيت المقدس ذلك حشر علينا يسير اي هين سهل وقرا الكوفيون تشقق بتخفيف الشين على حذف التاء الاولى الباقون بالادغام التا في الشين واثبت ابن محيصن وابن كثير ويعقوب بالمنادي في الحالين على الاصل واثبتها النافع وابو عمرو في الاصل الوصل لا غير وحذف الباقون في الحالين قال الشيخ المولف رحمه الله وقد زادت السنة هذه الاية بيانا وروى الترمذي عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده الى الشام فقال ها هنا الى ها هنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون على وجوههم يوم القيامة على افواهكم الفدام توفون سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم على الله وان اول ما يعرب عن احدكم فخذه في رواية اخرى فخذه وكفه وخرج علي بن معبد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ثم يقول يعني الله لاسرافيل انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الارواح كامثال النحل قد ملات ما بين السماء والارض فيقول الله جل وعز وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى جسده فيدخل الارواح في الارض الى الاجساد ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الاجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنكم وانا اول من تنشق الارض عنه فتخرجون منها شبابا كلكم ابنا ثلاث وثلثين واللسان يومئذ بالسريانية وذكر الحديث وقد ذكرنا جميع هذا وغيره في التذكرة مستوفى والحمد لله قوله تعالى **نحن اعلم بما يقولون** اي من تكذيبك وشتمك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام فيكون الاية منسوخة بالامر بالقتال والجبار من الجبرية والتسليط اذ لا يقال جبار بمعنى مجبر كما لا يقال خراج بمعنى مخرج حكاه القشيري وقال النحاس وقيل معنى جبار لست تجبرهم وهو خطا لانه لا يكون فعال من افعل وحكى الثعلبي وقال ثعلب قد جاءت احرف فعال بمعنى مفعل وهي شاذة جبار بمعنى مجبر ودراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وبكاء بمعنى مبكي وعدا بمعنى معدي وقد قري وما اهديكم الى سبيل الرشاد بتشديد الشين بمعنى المرشد وهو موسى وقيل هو الله وكذلك قرا اما السفينة فكانت لمساكين بمعنى ممسكين وقال ابو حامد

الخازنجي يقول العرب سيف سقاط بمعنى مسقط وقيل جبار بمعنى مصيطر كما في الغاشية لست عليهم بمصيطر وقال الفرا سمعت من العرب من يقول جبره على الامر اي قهره فالجبار من هذه اللغة بمعنى القهر صحيح وقيل الجبار من قولهم جبرته على الامر اي اجبرته وهي لغة كنانية وهما لغتان قال الجوهري واجبرته على الامر اكرهته عليه واخبرته ايضا نسبته الى الكفر كما يقول اكفرته نسبته الى الكفر فذكر بالقران من يخاف وعيد قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقران من يخاف وعيدي اي ما اعددته لمن عصاني من العذاب فالوعيد العذاب والوعد الثواب قال الشاعر

واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وكان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك واثبت اليا في وعيدي يعقوب في الحالين واثبتها ورش في الوصل دون الوقف وحذف الباقون في الحالين

سورة والذاريات مكية

في قول الجميع وهي ستون آية قوله تعالى **والذاريات ذروا** قال ابو بكر الانباري حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا مكي بن ابرهيم حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد ان رجلا قال لعمر رحمه الله اني مررت برجل يسال عن تفسير مشكل القران فقال عمر اللهم امكني منه فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس ثيابا وعمامة وعمر يقرا القران فلما فرغ قام الرجل فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال البسوه ثيابه واحملوه على قتب وابلغوا به حيه ثم ليقم خطيبا فليقل ان صبيغا طلب العلم فاخطاه فلم يزل وضيعا في قومه بعد ان كان سيدا فيهم وعن عامر بن واثلة ان ابن الكوا سال عليا رضي الله عنه فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا فقال ويلك سل تفقها ولا تسل تعنتا والذاريات ذروا الرياح فالحاملات وقرا السحاب فالجاريات يسرا السفن فالمقسمات امرا الملائكة وروى الحارث عن علي والذاريات ذروا قال الرياح فالحاملات وقرا قال السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر فالجاريات يسرا قال السفن وقوله فالمقسمات امرا قال الملائكة تاتي بامر مختلف جبريل بالغلظة وميكائيل صاحب الرحمة وملك الموت ياتي بالموت وقال الفرا وقيل تاتي بامر مختلف من الخصب والجدب والمطر والموت والحوادث ويقال ذرت الريح التراب تذروه ذروا واذرته تذريه ذريا ثم قيل والذاريات وما بعده اقسام واذا اقسم الرب بشي اثبت له شرفا وقيل المعنى ورب الذاريات والجواب انما اي الذي توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب لصادق لا كذب فيه ومعنى لصادق لصدق وقع الاسم موقع المصدر وان الدين لواقع يعني الجزا نازل بكم ثم ابتدا قسما آخر فقال والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف وقيل ان

الذاريات النساء الولودات لان في ترائبهن ذو الخلق لانهن يذرين الاولاد فصرن
ذاريات واقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عبادة الصالحين وخص النساء بذلك
دون الرجال وان كان كل واحد منهما دارئا لامرين احدهما لانهن اوعية دون
الرجال فلاجتماع الذروين فيهن خصص بالذكر الثاني ان الذرو فيهن اطول زمان
وهن بالمباشرة اقرب عهدا فالحاملات السحاب وقيل الحاملات من النساء اذا اثقلن
بالحمل والوقر بكسر الواو ثقل الحمل على ظهر او في بطن يقال جاء يحمل وقره وقد اوفر
بعيره واكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار والوسق في حمل البعير وهذه
امراة موقرة بفتح القاف اذا حملت حملا ثقيلا واوقرت النخلة كثر حملها يقال
نخلة موقرة وموقر وموقرة وحكي موقر وهو على غير القياس لان الفعل للنخلة
وانما قيل موقر بكسر القاف على قولك امراة حامل لان حمل الشجر مشبه بحمل النساء
فاما موقر بالفتح فشاد وقد روي في قول لبيد يصف نخيلا عصب كوارع في خليج
محلم حملت فمنها موقر مكموم والجمع مواقر فاما الوقر بالفتح فهو ثقل الاذن
وقد وقرت اذنه توقر وقرا اي صمت وقياس مصدره التحريك الا انه جاء بالتسكين
وقد تقدم في الانعام القول فيه فالجاريات يسرا السفن تجري بالرياح يسرا
الى حيث سيرت وقيل السحاب وفي جريها يسرا على هذا القول وجهان احدهما
الى حيث سيرهما الله تعالى من البلاد والبقاع الثاني هو سهولة تسييرها وذلك
معروف عند العرب كما قال اعشى كان مشيتها من بيت جارتها مشي السحابة لا ريث
ولا عجل قوله تعالى والسماء ذات الحبك قيل المراد بالسماء هاهنا السحاب
الذي يظل الارض وقيل السماء المرفوعة قال ابن عمر هي السماء السابعة ذكره
المهدوي والثعلبي والماوردي وغيرهم وفي الحبك اقوال سبعة الاول قال ابن عباس
وقتادة ومجاهد والربيع ذات الخلق الحسن المستوي وقاله عكرمة قال الم تر الى
النساج اذا نسج الثوب فاجاد نسجه يقال منه حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا
اي اجاد نسجه قال ابن الاعرابي كل شي احكمته واحسنت عمله فقد احتبكته الثاني
ذات الزينة قاله الحسن وسعيد بن جبير وعن الحسن ايضا ذات النجوم وهو
الثالث الرابع قال الضحاك ذات الطرائق يقال لما تراه في الماء والرمل
اذا اصابته الريح حبك ونحوه قول الفراء قال الحبك تكسر كل شي كالرمل اذا مرت به الريح
الساكن والماء القائم اذا مرت به الريح ودرع الحديد لها حبك والشعرة الجعدة
تكسرها حبك وفي حديث الدجال ان شعره حبك قال زهير مكلل باصول النجم تنسجه
ريح خريق لضاحي مائه حبك ولكنها تبعد من العباد فلا يرونها الخامس ذات الشدة
قاله ابن زيد وقرا وبنينا فوقكم سبعا شدادا والمحبوك الشديد الخلق من الفرس وغيره
قال امرؤ القيس قد غدا يحملني في انفه لاحق الاطلين محبوك ممر آخر درج الذين

سير — الطرائق

فاعددت

فاعددت له مشرف الحارك محبوك الكند وفي الحديث ان عائشة رضي الله عنها كانت
تحتبك تحت الدرع في الصلوة اي تشد الازار وتحكمه السادس ذات الصفاقة قاله خصيف ومنه
ثوب صفيق ووجه صفيق بين الصفاقة السابع ان المراد بالطرق المجرة التي في السماء
سميت بذلك لانها كاثر المجر والحبك جمع حباك قال الراجز كانما جللها الحواك
طنفسة في وشيها حباك والحباك والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه وجمع الحباك
حبك وجمع الحبيكة حبائك والحبكة مثل العبكة وهي الحبة من السويق عن الجوهري وروي
عن الحسن في قوله ذات الحبك الحبك والحبك كالجماعة وروي عن عكرمة
وابي مجلز الحبك بما يحبك ما يحبك واحدها حبيكة والحبك مخفف والحبك واحدها
حبكة ومن قرا الحبك قالوا حدة حبكة كبرقة وبرق او حبكة كظلمة وظلم ومن
قرا الحبك فهو كابل واطل والحبك مخفف منه ومن قرا الحبك فهو شاذ ليس في كلام العرب
فعل وهو محمول على تداخل اللغات كانه كسر الحاء ليكسر الباء ثم تصور الحبك
بضم الباء قال جميعه المهدوي قوله تعالى انكم لفي قول مختلف هذا جواب
القسم الذي هو والسماء اي انكم يا اهل مكة في قول مختلف في محمد والقرآن فمن
مصدق ومكذب وقيل نزلت في المقتسمين وقيل اختلافهم قولهم ساحر بل شاعر
بل افتراه بل هو مجنون بل هو كاهن بل هو اساطير الاولين وقيل اختلافهم ان
منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه وقيل المراد عبدة الاوثان والاصنام يقرون
بان الله خالقهم ويعبدون غيره قوله تعالى يوفك عنه من افك اي يصرف عن
الايمان بمحمد والقران من صرف عن الحسن وغيره وقيل المعنى يصرف عن الايمان
من اراده بقوله هو سحر وكهانة واساطير الاولين وقيل المعنى يصرف عن ذلك
الاختلاف من عصمه الله افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشي ومنه قوله تعالى قالوا
اجئتنا لتافكنا وقال مجاهد معنى يوفك عنه من افك يوفن عنه من افن والافن فساد
فساد العقل قال الزمخشري وقرئ عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع
اذا انهكه حلبا وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال اليزيدي يدفع عنه من دفع
والمعنى واحد وكله راجع الى معنى الصرف قوله تعالى قتل الخراصون في التفسير
لعن الكذابون وقال ابن عباس اي قتل المرتابون يعني الكهنة وقال الحسن هم الذين
يقولون لسنا نبعث ومعنى قتل اي هؤلاء ممن يجب ان يدعى عليهم بالقتل على ايدي
المومنين وقال الفراء معنى قتل لعن قال والخراصون الكذابون الذين يتخرصون
بما لا يعلمون فيقولون ان محمدا مجنون كذاب ساحر شاعر وهذا دعاء عليهم لان
من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك قال ابن الانباري علمنا الدعاء عليهم اي
قالوا قتل الخراصون وهو جمع خارص والخرص الكذب والخراص الكذاب وقد خرص
يخرص بالضم خرصا اي كذب يقال خرص واخترص وخلق واختلق وبشك واتبشك

والحبك والحبك — يوفن

وسرج وسدج ومان بمعنى كذب حكاه النحاس والخرص ايضا حزرما على النخل من الرطب
تمرا وقد خرصت النخل والاسم الخرص بالكسر يقال كم خرص نخلك والخراص الذى يخرصها
فهو مشترك واصل الخرص القطع على ما تقدم بيانه فى الانعام ومنه الخريص للخليج
لانه ينقطع اليه الماء والخرص حبه القرط اذا كانت منفرده لانقطاعها عن اخواتها (عنها)
والخرص العود لانقطاعه عن نظائره بطيب رائحته والخرص الذى به جوع وبرد لانه
ينقطع به يقال خرص الرجل بالكسر فهو خرص اى جائع مقرور ولا يقال للجوع بلا برد
خرص ويقال للبرد بلا جوع خصر والخرص والخرص بالضم والكسر الحلقة من الذهب
او الفضة والجمع الخرصان ويدخل فى الخرص قول المنجم وكل من يدعى الحدس
والتخمين وقال ابن عباس هم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكه واقتسموا القول
فى نبى الله صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الايمان به قوله تعالى **الذين
هم فى غمرة ساهون** الغمره ما ستر الشى وغطاه ومنه نهر غمر اى يغمر
من دخله ومنه غمرات الموت ساهون اى لاهون غافلون عن امر الاخره قوله تعالى
يسئلون ايان يوم الدين اى متى يوم الحساب يقولون ذلك استهزاء وشكا
فى القيامة يوم هم على النار يفتنون نصب يوم على تقدير الجزاء اى هذا الجزاء
يومهم يفتنون اى يحرقون وهو من قولهم فتنت الذهب اى احرقته لتختبره (على الناس)
واصل الفتنه الاختبار وقيل انه مبنى بنى لاضافته الى غير متمكن وموضعه نصب
على التقدير المتقدم او رفع على البدل من يوم الدين وقال الزجاج يقول تجيبى يوم
انت قايم ويوم انت يقوم وان شيت فتحت وهو فى موضع رفع فانما انتصب هذا
وهو فى المعنى رفع وقال ابن عباس يفتنون يعذبون ومنه قول الشاعر
كل امرى من عباد الله مضطهد . ببطن مكة مقهور ومفتون (مضطهد)
قوله تعالى **ذوقوا فتنتكم** اى يقال لهم ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد وقال
مجاهد حريقكم وقال ابن عباس اى تكذيبكم يعنى جزاءه الفراء اى عذابكم الذى كنتم
به تستعجلون فى الدنيا وقال هذا ولم يقل هذه لان الفتنة هنا بمعنى العذاب
قوله تعالى **ان المتقين فى جنات وعيون** لما ذكر ما للكفار ذكر ما للمومنين
اى هم فى بساتين فيها عيون جارية على نهاية ما يتنزه به اخذين نصب على الحال
ما اتاهم ربهم اى اعطاهم من الثواب وانواع الكرامات قاله الضحاك وقال
ابن عباس وسعيد بن جبير اخذين ما اتاهم ربهم اى عاملين بالفرايض انهم
انهم كانوا قبل ذلك محسنين اى قبل دخولهم الجنه فى الدنيا محسنين بالفرائض
وقال ابن عباس المعنى كانوا قبل ان يفرض عليهم الفرايض محسنين فى اعمالهم
قوله تعالى **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون** الى قوله والمحروم فيه
خمس مسايل الاولى قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون معنى يهجعون

يناموت

يناموت والهجوع النوم ليلا والتهجاع النومة الخفيفة قال ابو قيس بن الاسلت قد
حصت البيضة راسى فما اطعم نوما غير تهجاع وقال عمرو بن معدى كرب يتشوق اخته
وكان اسرها الصمة قال ابو دريد بن الصمة امن ريحانة الداعى السميع يورقنى واصحابى
هجوع يقال هجع يهجع هجوعا وهبغ يهبغ هبوغا بالغين المعجمة اذا نام قاله الجوهرى
واختلف فى ما فقيل صلة زائدة قاله ابرهيم النخعى والتقدير كانوا قليلا من الليل يهجعون
اى ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره قال عطا وهذا لما امروا بقيام الليل
وكان ابوذر يحتجن ثم ياخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة قم الليل الا قليلا
الاية وقيل ليس ما صلة بل الوقف عند قوله قليلا ثم يبتدى من الليل ما يهجعون
فما للنفى وهو نفى النوم عنهم البته قال الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا
اقله وربما نشطوا فجدوا الى السحر وروى عن يعقوب الحضرمى انه قال اختلفوا فى تفسير
هذه الاية فقال بعضهم كانوا قليلا معناه كان عددهم يسيرا ثم ابتدا فقال من الليل
ما يهجعون قال ابن الانبارى وهذا فاسد لان الاية انما تدل على قلة نومهم لا قلة عددهم
وبعد فلو ابتدانا من الليل ما يهجعون على معنى من الليل يهجعون لم يكن فى هذا مدح
لهم لان الناس كلهم يهجعون من الليل الا ان يجعل ما جحدا قال الشيخ المولف
رحمه الله وعلى ما تاوله بعض الناس وهو قول الضحاك من ان عددهم كان يسيرا
يكون الكلام متصلا بما قبل من قوله انهم كانوا محسنين اى كان المحسنون
قليلا ثم استانف فقال من الليل ما يهجعون وهو قول الضحاك وعلى التاويل
الاول والثانى يكون كانوا من الليل خطابا مستانفا بعد تمام ما تقدمه ويكون
الوقف على ما يهجعون وكذلك ان جعلت قليلا خبر كان ويرفع ما بمعنى قليل
كانه قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم فما يجوز ان تكون نافيه وتجوز
ان يكون مع الفعل مصدرا وتجوز ان يكون رفعا على البدل من اسم كان التقدير
كان هجوعهم قليلا من الليل وانتصاب قوله قليلا ان قدرت ما زايده موكده
بيهجعون على تقدير كانوا وقتا قليلا او هجوعا قليلا يهجعون وان لم تقدر
ما زايدة كان قوله قليلا خبر كان ولم يجز نصبه بيهجعون لانه اذا قدر نصبه
بيهجعون مع تقدير ما مصدر قدمت الصله على الموصول وقال انس وقتاده فى
تاويل الاية اى كانوا يصلون بين العشايين بين المغرب والعشاء وقال ابو العاليه
كانوا لا ينامون بين العشايين وقاله ابن وهب وقال نزلت فى الانصار كانوا يصلون
العشايين فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثم يمضون الى قبا وقال محمد بن على
بن الحسين كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمه قال الحسن كانه عد هجوعهم
قليلا فى جنب يقظتهم للصلوة وقال ابن عباس ومطرف قل ليله لا ياتى عليهم
الا يصلون لله فيها اما من اولها واما من وسطها الثانيه روى عن بعض المتهجدين

انا صم

انه اتاه آت فی منامه فانشده وكيف تنام الليل عين قريرة ولم تدر فی ای المجالس تنزل
وروی عن رجل من الازد انه قال كنت لا انام الليل فنمت فی آخر الليل فاذا بانسانين
احسن ما رايت ومعهما حلل فوقفا علی كل مصل وكسوه حله ثم انتهوا الی النيام فلم
يكسوهم فقلت لهما اكسوانی من حللكما هذه فقالا لی انها ليست حلة لباس انما
هی رضوان الله تحل علی كل مصل ويروی عن ابن خلاد انه قال حدثنی صاحب لی
قال بينما انا نائم ذات ليلة اذ مثلت لی القيامة فنظرت الی قوم من اخوانی قد اضاءت
وجوههم واشرقت الوانهم وعليهم الحلل من دون الخلايق فقلت ما بال هاولاء
مكتسون والناس عراة ووجوههم مشرقة ووجوه الناس مغبرة فقال لی قايل رايتهم
مكتسون هم المصلون بين الاذان والاقامة والذين وجوههم مشرقة فاصحاب الذين هم
السهر والتهجد قال ورايت قوما علی نجائب فقلت ما بال هاولاء ركبانا والناس
مشاة حفاة فقالوا لی هاولاء الذين قاموا علی اقدامهم تقربا لله فاعطاهم الله بذلك
خير الثواب قال فصحت فی منامی واها للعابدين ما اشرف مقامهم ثم استيقظت من
منامی وانا خايف **الثالثة** قوله تعالى **وبالاسحار هم يستغفرون** مدح ثانی
ويستغفرون ای من ذنوبهم قاله الحسن والسحر وقت يرجی فيه اجابة الدعا وقد وفی السحر
مضی فی آل عمران القول فيه وقال ابن عمر ومجاهد ای يصلون فسموا الصلوة استغفارا
وقال الحسن فی قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون مدوا الصلوة من اول
الليل الی السحر ثم استغفروا فی السحر وقال ابن وهب هی فی الانصار يعنی انهم
كانوا يغدون من قبا فيصلون فی مسجد النبی صلی الله عليه وسلم ابن وهب عن
ابن لهيعة عن يزيد بن ابی حبيب قال كانوا ينضحون لناس من الانصار بالدلا
علی الثمار ثم يهجعون قليلا ثم يصلون آخر الليل الضحاك صلاة الفجر وقال
الاحنف بن قيس عرضت عملی علی اعمال اهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا
لا نبلغ اعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وعرضت عملی علی اعمال اهل النار
فاذا قوم لا خير فيهم يكذبون بكتاب الله وبرسول الله وبالبعث بعد الموت فوجدنا
خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا **الرابعة** قوله تعالى **وفی
اموالهم حق للسايل والمحروم** مدح ثالث قال محمد بن سيرين وقتادة الحق
هنا هو الزكاة المفروضة وقيل انه حق سوی الزكوة يصل به رحما او يقری
به ضيفا او يحمل به كلا او يغنی به محروما وقاله ابن عباس لان السورة مكية
وفرضت الزكوة بالمدينة قال ابن العربی والاقوی فی هذه الآية انه الزكوة
فی قوله تعالى فی سورة سال سايل وفی اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم والحق
المعلوم هو الزكوة التی بين الشرع قدرها وجنسها ووقتها فاما غيرها لمن
يقول به فليس بمعلوم لانه غير مقدر ولا مجنس ولا موقت **الخامسة**

قوله تعالى **للسايل والمحروم** السايل الذی يسال الناس لفاقته قاله ابن
عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما والمحروم الذی حرم المال واختلف فی تعيينه
فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب المحروم المحارف الذی ليس له فی الاسلام سهم ليس هم
وقالت عايشة رضی الله عنها المحروم المحارف الذی لا يتيسر له مكسبه يقال رجل
محارف بفتح الراء ای محدود محروم وهو خلاف قولك مبارك وقد حورف كسب
فلان اذا شدد عليه فی معاشه كانه ميل برزقه عنه وقال قتادة والزهری
المحروم المتعفف الذی لا يسال الناس شيا ولا يعلم بحاجته وقال الحسن
ومحمد بن الحنفية المحروم الذی يجی بعد الغنيمة وليس له فيها سهم روی ان النبی
صلی الله عليه وسلم بعث سرية فاصابوا وغنموا فجا قوم بعدما فرغوا فنزلت هذه
الآية وفی اموالهم وقال عكرمة المحروم الذی لا ينمی له مال وقال زيد بن اسلم هو الذی
اصيب ثمره او زرعه او نسل ماشيته وقال القرطبی المحروم الذی اصابته الجايحة
ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون نظيره فی قصة اصحاب الجنة حيث قالوا بل
نحن محرومون وقال ابو قلابة كان رجل من اهل اليمامة له مال فجاء سيل فذهب بماله
فقال رجل من الصحابة هذا المحروم فاقسموا له وقيل انه الذی يطلب الدنيا وتدبر
عنه وهو يروی عن ابن عباس ايضا وقال عبد الرحمن بن حميد المحروم المملوك وقيل
انه الكلب روی ان عمر بن عبد العزيز كان فی طريق مكة فجا كلب فانتزع عمر رحمه
الله كتف شاة فرمی بها اليه وقال يقولون انه المحروم وقيل انه من وجبت نفقته
بالفقر من ذوی الانساب لانه قد حرم كسب نفسه حتی وجبت نفقته فی مال
غيره وروی ابن وهب عن مالك انه الذی يحرم الرزق وهذا قول حسن فانه
يعم جميع الاقوال وقال الشعبی لی اليوم سبعون سنة مذ احتلمت اسال عن المحروم فما
انا اليوم باعلم منی فيه يوميذ رواه شعبة عن عاصم الاحول عن الشعبی واصله فی
اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع قال علقمه ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه
انا توجه والمحروم محروم وعن انس ان النبی صلی الله عليه وسلم قال ويل
للاغنيا من الفقرا يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التی فرضت لنا عليهم
فيقول الله تعالى وعزتی لاقربنكم ولابعدنهم ثم تلی رسول الله صلی الله عليه وسلم
وفی اموالهم حق للسايل والمحروم ذكره الثعلبی قوله تعالى **وفی الارض آيات
للموقنين** لما ذكر امر الفريقين بين ان فی الارض علامات تدل علی قدرته علی البعث
والنشور فمنها عود النبات بعد ان صار هشيما ومنها انه قدر الاقوات فيها قواما
للحيوانات ومنها سيرهم فی البلدان التی يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالامم
المكذبة والموقنون هم العارفون المحققون وحدانية ربهم وصدق نبوة نبيهم
خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها قوله تعالى **وفی انفسكم**

أَفَلَا تُبْصِرُونَ قيل التقدير وفي الارض وفي انفسكم آيات للموقنين وقال قتاده المعنى
من سار في الارض راى ايات وعبرا ومن تفكر في نفسه علم انه خلق ليعبد الله قال
ابن الزبير ومجاهد المراد سبيل الخلاء والبول وقال السايب ابن شريك ياكل ويشرب
من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب لبنا محضا لخرج منه الماء ومنه الغايط
فتلك الاية في النفس وقال ابن زيد المعنى انه خلقكم من تراب وجعل لكم السمع والابصار
والافيدة ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال السدى وفي انفسكم اى في حياتكم وموتكم
وفيما يدخل ويخرج من طعامكم وقال الحسن في الكبر بعد الشباب والضعف بعد
القوة والشيب بعد السواد وقيل المعنى وفي خلق انفسكم من نطفه وعلقه ومضغة
ولحم وعظم الى نفخ الروح وفي اختلاف الالسنه والالوان والصور الى غير ذلك
من الآيات الباطنه والظاهرة وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت
به من انواع المعاني والفنون وبالالسن والنطق ومخارج الحروف والابصار والاطراف
وساير الجوارح وتاتيها لما خلقت له وما سوى في الاعضا من المفاصل للانعطاف
والتثني فانه اذا جسا شي منها جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن
الخالقين افلا تبصرون يعني بصر القلوب لتعرفوا كمال قدرته وقيل انه نجى العاجز وحرمان
الحازم قال الشيخ المولف رحمه الله كلما ذكر مراد في الاعتبار وقد قدمنا في اية التوحيد
من سورة البقرة ان ما في بدن الانسان الذي هو العالم الصغير شي الا وله نظير في العالم
الكبير وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن يدبر قوله تعالى وَفِي السَّمَاءِ
رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ قال سعيد بن جبير والضحاك الرزق هنا ما ينزل من
السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيى به الخلق قال سعيد كل عين قايمة فانها من
الثلج وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم
ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وقال اهل المعاني وفي السماء رزقكم معناه وفي المطر رزقكم
سمي المطر سما لانه عن السماء ينزل قال اذا سقط السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا
غضابا وقال ابن كيسان يعني وعلى رب السماء رزقكم نظيره وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وقال سفيان الثوري وفي السماء رزقكم اى عند الله في السماء
رزقكم وقيل المعنى وفي السماء تقدير رزقكم وما قسمه لكم مكتوب في ام الكتاب
وعن سفيان قال قرا واصل الاحدب وفي السماء رزقكم فقال الا ارى رزقي في السماء وانا
اطلبه في الارض فدخل خربة فمكث ثلثا لا يصيب شيا فاذا هو في الثالثه بدوخله
رطب وكان له اخ احسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دابهما
حتى فرق الله بينهما بالموت الدوخلة من هذا المنسوج من الخوص يجعل فيه الرطب
ويخفف عن يعقوب الحضرمي وقرا ابن محيصن ومجاهد يعني من خير وشر وقال غيره من
خير خاصة وقيل الشر خاصة وقيل الجنة عن سفيان بن عيينه وقال الضحاك وما توعدون

شرح

الرزق في السما ... الله هو الرزاق وما توعدون قال مجاهد

من الجنة

من الجنة والنار وقال ابن سيرين وما توعدون من امر الساعة وقال الربيع قوله تعالى
فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ اكد ما اخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق
فاقسم عليه بانه لحق ثم اكده بقوله مثل ما انكم تنطقون وخص النطق من بين ساير الحواس
لان ما سواه من الحواس يدخله التشبيه كالذي يرى في المراة واستحالة الذوق عند غلبة الصفرا
ونحوها والدوي والطنين في الاذنين والنطق سالم من ذلك ولا يعترض بالصدا لانه لا يكون
الا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به وقال بعض الحكما كما ان كل انسان
ينطق بنفسه ولا يمكنه ان ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان ياكل رزقه ولا يمكنه ان
ياكل رزق غيره وقال الحسن بلغني ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اقواما اقسم
لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه قال الله تعالى فورب السماء والارض انه لحق وقال الاصمعي
اقبلت ذات مرة من مسجد البصره اذ طلع اعرابي جلف جاف على قعود له متقلدا سيفه وبيده
قوسه فدنا وسلم وقال ممن الرجل قلت من اصمع قال انت الاصمعي قلت نعم قال ومن اين اقبلت
قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال وللرحمن كلام يتلوه الادميون قلت نعم قال فاتل
علي منه شيا فقرات والذاريات حتى وصلت الى قوله وفي السماء رزقكم فقال يا اصمعي
حسبك ثم قام الى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها وقال اعني على توزيعها ففرقناها على من اقبل
وادبر ثم عمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرحل وولى نحو البادية وهو
يقول وفي السماء رزقكم وما توعدون فمقت نفسي ولمتها ثم حججت مع الرشيد فبينا
انا اطوف اذا انا بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي ناحل مصفر فسلم علي واخذ بيدي
وقال اتل علي كلام الرحمن واجلسني من وراء المقام فقرات والذاريات حتى وصلت
الى قوله وفي السماء رزقكم فقال الاعرابي لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقا وقال فهل
غير هذا قلت نعم يقول الله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم
تنطقون قال فصاح الاعرابي يا سبحان الله من الذي اغضب الجليل حتى حلف
الم يصدقوه في قوله حتى الجوه الى اليمين فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه وقال
يزيد بن مرثد ان رجلا جاع بمكان ليس له فيه شي فقال اللهم رزقك الذي
وعدتني به فشبع وروي من غير طعام ولا شراب وروى عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه
الموت اسنده الثعلبي رحمه الله وفي سنن ابن ماجه عن حبه وسوا ابني خالد
قالا دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج شيا فاعناه عليه فقال
لا تيئسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه
قشر ثم يرزقه الله وروى ان قوما من الاعراب زرعوا زرعا فاصابته جايحه
فحزنوا لاجله فخرجت عليهم اعرابية فقالت ما لي اراكم قد نكستم رؤسكم
وضاقت صدوركم هو ربنا والعالم بنا رزقنا عليه ياتينا من حيث شا ثم انشات

فاقدم

وهل

فاتى م

تقول لو كان في صخرة في البحر راسية صمّا ململمة مُلس نواحيها رزق لنفس براها الله
لانفلقت حتى يؤدّى اليها كل ما فيها او كان بين طباق السبع مسلكها لسهّل الله في المرقى مراقيها
حتى تنال الذى في اللوح خطّ لها ان لم تنله والا سوف ياتيها قال الشيخ المولف رحمه الله
وفي هذا المعنى قصة الاشعريين حين ارسلوا رسولهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فسمع
قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فرجع ولم يكلم النبى صلى الله عليه وسلم
وقال ليس الاشعريون باهون على الله من الدواب وقد ذكرناه في سورة هود وقال لقمان يا بنى
انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة وقد مضى في لقمان وقد استوفينا هذا الباب
في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة والحمد لله وهذا هو التوكل الحقيقى الذى لا يشوبه
شئ وهو فراغ القلب مع الرب رزقنا الله اياه ولا احالنا على احد سواه بمنه وكرمه قوله تعالى
مثل قراة العامة بالنصب اى كمثل ما انكم وهو منصوب على تقدير حذف الكاف اى كمثل
نطقكم وما زايدة قاله بعض الكوفيين وقال الزجاج والفرا يجوز ان ينصب على التوكيد
اى لحق حقا مثل نطقك فكانه نعت لمصدر محذوف وقول سيبويه انه مبنى بنى حين
اضيف الى غير متمكن وما زايدة للتوكيد المازنى مثل مع ما بمنزله شئ واحد فبنى على الفتح
كذلك واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال ولان من العرب من يجعل مثلا منصوبا ابدا
فيقول قال لى رجل مثلك ومررت برجل مثلك نصب وقرا ابو بكر وحمزه والكساى والاعمش
مثل بالرفع على انه صفة لحق لانه نكره وان اضيف الى معرفة اذ لا تختص بالاضافة
لكثرة الاشيا التى يقع بعدها التماثل بين المتماثلين ومثل مضاف الى انكم وما زايده
ولا يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر اذ لا فعل معها تكون معه مصدرا ويجوز
ان تكون بدلا من الحق قوله تعالى هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين
ذكر قصة ابرهيم عليه السلام ليبيّن بها انه اهلك المكذب باياته كما فعل بقوم
لوط هل اتاك اى الم ياتك وقيل هل بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر
وقد مضى الكلام في ضيف ابرهيم في هود والحجر المكرمين اى عند الله دليله قوله
تعالى بل عباد مكرمون قال ابن عباس يريد جبريل وميكاييل واسرافيل زاد عثمان بن
محصن ورفايل عليهم السلام وقال محمد بن كعب كان جبريل وميكاييل ومعهما ملك اخر
قال ابن عباس سماهم مكرمين لانهم غير مدعوين وقال مجاهد سماهم مكرمين
لخدمة ابرهيم اياهم بنفسه قال عبد الوهاب قال لى على بن عياض عندى هريسه
ما رايك فيها قلت ما احسن راى فيها قال امض بنا فدخلت الدار فنادى الغلام
فاذا هو غايب فما راعنى الا به ومعه القمقمه والطست وعلى عاتقه المنديل فقلت
انا لله وانا اليه راجعون لو علمت يا ابا الحسن ان الامر هكذا قال هوّن عليك
فانك عندنا مكرم والمكرم انما يخدم بالنفس انظر الى قوله تعالى هل اتيك حديث
ضيف ابرهيم المكرمين قوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما يقدم في الحجر

ومعه تسعه وقال عطاء وجاهد كانوا ثلثه جبريل صح

قال سلام

قال سلام اى عليكم سلام وتكون بمعنى امرى سلام اوردى لكم سلام وقرا اهل الكوفه الا عاصما
سلم بكسر السين قوم منكرون اى انتم قوم منكرون غربا لا نعرفكم وقيل لانه راهم على غير
صور البشر وعلى غير صور الملايكه الذين كان يعرفهم فنكرهم فقال قوم منكرون وقيل انكرهم
لانهم دخلوا عليه من غير استيذان وقال ابو العاليه انكر سلامهم في ذلك الزمان
وفي تلك الارض وقيل خافهم يقال انكرته اذا خفته قال الشاعر فانكرتنى وما كان الذى
نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قوله تعالى فراغ الى اهله قال الزجاج اى عدل الى اهله
وقد مضى في والصافات ويقال اراغ وارتاغ بمعنى طلب وماذا تريغ اى تريد وتطلب واراغ
الى كذا اى مال اليه سرا وحاد فعلى هذا يكون راغ واراغ لغتان بمعنى فجاء بعجل سمين اى
جاء ضيفه بعجل قد شواه لهم كما في هود فما لبث ان جا بعجل حنيذ ويقال ان ابرهيم انطلق
الى منزله كالمستخفى من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد ان يتخذ لهم في الطعام قوله تعالى
فقربه اليهم يعنى العجل فقال الا تاكلون قال قتادة كان عامة مال ابرهيم البقر
واختاره لهم سمينا زيادة في اكرامهم وقيل العجل في بعض اللغات الشاة ذكره القشيرى
وفي الصحاح العجل والعجول مثله والجمع العجاجيل والانثى عجله عن ابى
الجراح وبقره معجل ذات عجل وعجل قبيله لهم من ربيعه قوله تعالى فاوجس منهم
خيفة اى احس في نفسه خوفا وقيل اضمر لما لم يتحرموا بطعامه ومن اخلاق الناس
ان من تحرم بطعام انسان امنه وقال عمرو بن دينار قالت الملايكه لا ناكل الا بثمن قال
كلوا وادوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال تسمون الله اذا اكلتم وتحمدونه اذا فرغتم فنظر بعضهم
الى بعض وقالوا لهذا اتخذك الله خليلا وقد تقدم هذا في هود ولما راوا ما بابرهيم من
الخوف قالوا لا تخف واعلموه انهم ملايكة الله ورسله وبشروه بغلام عليم اى يولد
اى يولد يولد له من سارة زوجته وقيل لما اخبروه انهم ملايكه لم يصدقهم فدعوا الله
فاحيى العجل الذى قربه اليهم وروى عون ابن ابى شداد ان جبريل مسح العجل
بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه وام العجل في الدار ومعنى عليم اى يكون بعد
بلوغه من اولى العلم بالله وبدينه والجمهور على ان المبشر به هو اسحق وقال مجاهد وحده
هو اسمعيل وليس بشئ فان الله تعالى يقول فبشرناها باسحق وهذا نص قوله تعالى فاقبلت
امراته في صرة اى صيحة وضجه وعن ابن عباس وغيره ومنه احد صرير
الباب وهو صوته وقال عكرمه وقتاده انها الرنه والتاوه ولم يكن هذا الاقبال
من مكان الى مكان قال الفرا وانما هو كقولك اقبل يشتمنى اى اخذ في شتمى وقيل
اقبلت في صرة اى في جماعة من الناس تسمع كلام الملايكة قال الجوهرى الصرة
الضجة والصيحة والصرة الجماعة والصرة الشدة من كرب وغيره قال
امرو القيس فالحقه بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل فحتمل هذا البيت
الوجوه الثلثه وصرة القيظ شدة حره فلما سمعت ساره البشارة صكت وجهها

اسحق

اى ضربت يدها على وجهها على عادة النسوان عند التعجب قاله سفيان الثورى وغيره
وقال ابن عباس صكت وجهها لطمته واصل الصك الضرب صكه اى ضربه قال
الراجز يا كروانا صك فاكبانا قال الاموى كبنا لطبض اذا لطا بالارض واكبانت
انقبض وقالت عجوز عقيم اى انلد عجوز عقيم الزجاج اى وقالت انا عجوز عقيم فكيف الد كما
قال يا ويلتا االد وانا عجوز قالوا كذلك اى كما قلنا لك واخبرناك قال ربك فلا تشكى فيه
وكان بين البشارة والولادة سنة وكانت سارة لم تلد قبل ذلك فولدت وهى بنت
تسع وتسعين وابرهيم يومئذ ابن مائة سنة وقد مضى هذا انه هو الحكيم العليم
حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه قوله تعالى **فما خطبكم ايها المرسلون** لما تيقن
ابرهيم عليه السلام انهم ملئكة باحيا العجل والبشارة قال لهم فما خطبكم اى
شانكم وقصتكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يريد قوم لوط لنرسل
عليهم حجارة من طين اى لنرجمهم بها مسومة اى معلمة قيل كانت مخططة ببياض
وسواد وقيل بسواد وحمرة وقيل مسومة اى معروفة بانها حجارة العذاب وقيل
على كل حجر اسم من يهلك به وقيل عليها امثال الخواتيم وقد مضى هذا كله فى هود
فجعلت الحجارة تتبع مسافريهم وشذاذهم فلم تفلت منهم مخبر عند ربك اى عند الله وقد
اعدها لرجم من قضى برجمه ثم قيل كانت مطبوخة طبخ الاجر قاله ابن زيد وهو معنى
قوله تعالى حجارة من سجيل على ما تقدم بيانه فى هود وقيل هى الحجارة التى نراها واصلها
طين وانما تصير حجارة باحراق الشمس اياها على مر الدهور وانما قال من طين ليعلم
انها ليست حجارة الماء التى هى البرد حكاه القشيرى قوله تعالى **فاخرجنا من
كان فيها من المؤمنين** اى لما اردنا اهلاك قوم لوط اخرجنا من كان فى
قومه من المؤمنين لئلا يهلك المؤمنون وذلك قوله فاسر باهلك فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين يعنى لوطا وبنتيه وفيه اضمار اى فما وجدنا فيها غير
اهل بيت وقد يقال بيت شريف يراد به الاهل وقوله فيها كناية عن القرية ولم
يتقدم لها ذكر لان المعنى مفهوم وايضا قوله تعالى انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يدل على القرية لان القوم انما يسكنون قرية وقيل الضمير فيها للجماعة والمؤمنون
والمسلمون هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر كما قال انما اشكوا بثى وحزنى
وقيل الايمان تصديق القلب والاسلام الانقياد بالظاهر فكل مؤمن مسلم
وليس كل مسلم مؤمنا فسماهم فى الاية الاولى مؤمنين لانه ما من مؤمن
الا وهو مسلم وقد مضى الكلام فى هذا المعنى فى البقرة وغيرها وقوله تعالى
قالت الاعراب آمنا الاية يدل على الفرق بين الايمان والاسلام وهو مقتضى
حديث جبريل عليه السلام فى صحيح مسلم وغيره وقد بيناه فى غير موضع
قوله تعالى **وتركنا فيها** آية اى عبرة وعلامة لاهل ذلك الزمان

ومن بعدهم

ومن بعدهم نظيره ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ثم قيل الاية المتروكة
نفس القرية الخربة وقيل الحجارة المنضودة التى رجموا بها هى الاية للذين يخافون لانهم
المنتفعون قوله تعالى **وفى موسى** اى **وتركنا** ايضا فى قصة موسى اية وقال
الفرا هو معطوف على قوله وفى الارض ايات وفى موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين اى بحجة بينة وهى العصا وقيل اى بالمعجزات من العصى وغيرها قوله تعالى **فتولى
بركنه** يعنى فرعون اعرض عن الايمان بركنه اى بجموعه واجناده قاله ابن زيد وهو
معنى قول مجاهد ومنه قوله او اوى الى ركن شديد يعنى المنعة والعشيرة وقال ابن عباس
وقتادة بقوته ومنه قول عنترة فما اوهى مراس الحرب ركنى ولكن من يقادم وقيل
بنفسه وقال الاخفش بجانبه كقوله اعرض ونأى بجانبه وقاله المورج الجوهرى وركن الشى
جانبه الاقوى وهو ياوى الى ركن شديد اى عزة ومنعة وقال القشيرى والركن الشى
جانب البدن وهذا عبارة عن المبالغة فى الاعراض عن الشى وقال ساحر او مجنون او
بمعنى الواو لانهم قد قالوا هما جميعا قاله المورج والفرا وانشد بيت جرير اثعلبة الفوارس
او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا وقد يوضع او بمعنى الواو كقوله تعالى ولا تطع
منهم آثما او كفورا والواو بمعنى او كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
مثنى وثلاث ورباع وقد تقدم جميع هذا فاخذناه وجنوده لكفرهم وتوليهم عن الايمان
فنبذناهم اى طرحناهم فى اليم وهو مليم يعنى فرعون لانه اتى ما يلام عليه قوله تعالى
وفى عاد اى وتركنا فى عاد اية لمن تامل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهى
التى لا تلقح سحابا ولا شجرا ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة ومنه امراة
عقيم لا تحمل ولا تلد ثم قيل هى الجنوب روى ابن ابى ذيب عن الحارث بن
عبد الرحمن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الريح العقيم الجنوب وقال مقاتل
هى الدبور كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وقال ابن عباس هى النكبا وقال عبيد بن عمير مسكنها الارض الرابعة
وما فتح على عاد منها الا كقدر منخر الثور وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد انها
الصبا فالله اعلم قوله تعالى **ما تذر من شىء اتت عليه الا جعلته كالرميم**
اى كالشى الهشيم يقال للنبت اذا يبس وتفتت رميم وهشيم قال ابن عباس
كالشى الهالك البالى وقاله مجاهد ومنه قول الشاعر تركتنى حين كف
الدهر من بصرى واذ بقيت كعظم الرمة البالى وقال قتادة انه الذى ديس
من يابس النبات وقال ابو العالية والسدى كالتراب المدقوق قطرب الرميم
الرماد وقال يمان ما رمته الماشية من الكلا بمرمتها ويقال للشفة المرمة
والمقمة بالكسر والمرمة بالفتح لغة فيه واصل الكلمة من رم العظم اذا
بلى يقول منه رم العظم يرم بالكسر رمة فهو رميم قال وداعواقب خلف ذاك

مدمّه تنفى عليه والعظام رميم والرمة بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام
ونظير هذه الاية تدمر كل شئ حسب ما تقدم قوله تعالى وفى ثمود اى وفيهم
ايضا عبرة واية حين قيل لهم عيشوا متمتعين بالدنيا حتى حين اى الى وقت الهلاك
وهو ثلثة ايام كما فى هود تمتعوا فى داركم ثلثة ايام وقيل معنى تمتعوا اى اسلموا وتمتعوا
الى وقت فناء اجالكم فعتوا عن امر ربهم اى خالفوا امر الله فعقروا الناقة فاخذتهم
الصاعقة اى الموت وقيل هى كل عذاب مهلك قال الحسين بن واقد كل صاعقة فى
القرآن فهو العذاب وقرا عمر بن الخطاب وحميد وابن محيصن ومجاهد والكسائى
الصعقة يقال صعق الرجل صعقة وتصعاقا اى غشى عليه وصعقتهم السماء اذا القت
عليهم الصاعقة والصاعقة ايضا صيحة العذاب وقد مضى فى البقرة وغيرها وهم
ينظرون اليها نهارا فما استطاعوا من قيام قيل معناه من نهوض وقيل اى ما اطاقوا
ان يستقلوا بعذاب الله وان يتحملوه ويقوموا به او يدفعوه عن انفسهم يقول لا
اقوم لهذا الامر اى لا اطيقه وقال ابن عباس اى ذهبت اجسامهم وبقيت ارواحهم
فى العذاب وما كانوا منتصرين اى ممتنعين من العذاب حتى اهلكوا اى ما كان
لهم ناصر قوله تعالى وقوم نوح من قبل قرا حمزة والكسائى وابو عمرو وقوم
نوح بالخفض اى وفى قوم نوح اية ايضا الباقون بالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح
او يكون معطوفا على الهاء والميم فى نبذناهم او الهاء والميم فى اخذتهم او الهاء
فى اخذناه اى فاخذتهم الصاعقة واخذت قوم نوح او نبذناهم فى اليم ونبذنا قوم
نوح او يكون بمعنى اذكر قوله تعالى والسماء بنيناها بايد لما بين هذه الايات قال
وفى السماء ايات وعبر تدل على ان الصانع قادر على الكمال فعطف امر السماء على
قصة قوم نوح لانهما ايتان ومعنى بايد اى بقوة وقدرة عن ابن عباس وغيره وانا
لموسعون قال ابن عباس لقادرون وقيل اى انا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها
لا يضيق علينا شئ نريده وقيل اى وانا لموسعون الرزق على خلقنا عن ابن عباس ايضا
وقال الحسن اى وانا المطيقون وعنه ايضا وانا لموسعون الرزق بالمطر وقال الضحاك
اغنيناكم دليله على الموسع قدره وقال القتبى ذو سعة على خلقنا والمعنى متقارب
وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة الجوهرى واوسع الرجل اى صار ذا سعة وغنى ومنه
قول الله تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون اى اغنياء قادرون فشمل جميع
الاقوال والارض فرشناها اى بسطناها كالفراش على وجه الماء ومددناها فنعم الماهدون
اى فنعم الماهدون نحن لهم والمعنى فى الجمع التعظيم مهدت الفراش مهدا بسطته
ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها قوله تعالى ومن كل شئ خلقنا
زوجين اى صنفين ونوعين مختلفين قال ابن زيد اى ذكرا وانثى وحلوا وحامضا
ونحو ذلك وقال مجاهد يعنى الذكر والانثى والسماء والارض والشمس والقمر والليل

والنهار والنور والظلام والسهل والجبل والجن والانس والشر والخير والبكرة
والعشا وكالاشياء المختلفة الالوان من الطعوم والروائح والاصوات اى جعلنا
هذا هكذا لانه على قدرتنا ومن قدر على هذا فليقدر على الاعادة وقيل ومن
كل شئ خلقنا زوجين ليعلموا ان خالق الازواج فرد فلا يقدر على صفته حركة
ولا سكون ولا ضياء ولا ظلام ولا قعود ولا قيام ولا ابتدا ولا انتها اذ هو عز وجل
وتر ليس كمثله شئ لعلكم تذكرون قوله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير
مبين لما تقدم ما جرى من تكذيب اممهم لانبيائهم واهلاكهم لذلك قال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد اى قل لقومك ففروا الى الله
اى فروا من معاصيه الى طاعته وقال ابن عباس فروا الى الله بالتوبة من ذنوبكم وعنه
فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان
ففروا الى الله اخرجوا الى مكة وقال الحسين بن الفضل احترزوا من كل شئ
دون الله فمن فر الى غيره لم يمتنع منه وقال ابو بكر الوراق فروا من طاعة
الشيطان الى طاعة الرحمن وقال الجنيد الشيطان داع الى الباطل ففروا
الى الله يمنعكم منه وقال ذو النون المصرى ففروا من الجهل الى العلم ومن
الكفر الى الشكر وقال عمرو بن عثمان فروا من انفسكم الى ربكم وقال ايضا فروا
الى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم وقال سهل بن عبد الله فروا مما
سوى الله الى الله انى لكم منه نذير مبين اى انذركم عقابه على الكفر والمعصية
قوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر امر محمدا صلى الله عليه وسلم
ان يقول هذا للناس وهو النذير وقيل هو خطاب من الله للخلق انى
لكم منه اى من محمد وسيوفه نذير اى انذركم باسه وسيفه ان اشركتم
بى قاله ابن عباس قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم اى كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون
كذب من قبلهم وقالوا مثل قولهم والكاف من كذلك يجوز ان يكون نصبا
على تقدير انذركم انذارا كانذار من تقدمنى من الرسل الذين انذروا قومهم او رفعا
على تقدير الامر كذلك اى كالاول والاول تخويف لمن عصاه من الموحدين والثانى
لمن اشرك به من الملحدين والتمام على قوله كذلك عن يعقوب وغيره قوله تعالى
اتواصوا به اى اوصى اولهم اخرهم بالتكذيب وتواطؤا عليه والالف للتوبيخ
والتعجب بل هم قوم طاغون اى لم يوص بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة
الحد فى الكفر قوله تعالى فتول عنهم اى اعرض عنهم واصفح عنهم فما انت
بملوم عند الله لانك اديت ما عليك من تبليغ الرسالة ثم نسخ هذا بقوله
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقيل نسخ باية السيف والاول قول

الضحاك قال لانه قد امر بالاقبال عليهم بالموعظه وقال مجاهد فتول عنهم فاعرض عنهم فما انت بملوم اى ليس يلومك ربك على تقصير كان منك وذكر اى بالعظة فان العظة تنفع المومنين وقال قتادة وذكر بالقران فان الذكرى به تنفع المومنين وقيل ذكرهم بالعقوبة وايام الله وخص المومنين لانهم المنتفعون بها قوله تعالى **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** قيل ان هذا خاص فيمن سبق فى علم الله انه يعبده فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص المعنى وما خلقت اهل السعادة من الجن والانس الا ليوحدون قال القشيرى والاية دخلها التخصيص على القطع لان المجانين والصبيان ما امروا بالعبادة حتى يقال اراد منهم العبادة وقد قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة فالاية محمولة على المومنين منهم وهو كقوله قالت الاعراب امنا وانما قال فريق منهم ذكره الضحاك والكلبى والفرا والقتيبى وفى قراءة عبد الله وما خلقت الجن والانس من المومنين الا ليعبدون وقال على رضى الله عنه وما خلقت الجن والانس الا لامرهم بالعبادة واعتمد الزجاج على هذا القول ويدل عليه قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الاها واحدا فان قيل كيف كفروا وقد خلقهم للاقرار بربوبيته والتذلل لامره ومشيته قيل قد تذللوا لقضائه عليهم لان قضاءه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه وانما خالفه من كفر فى العمل بما امره به فاما التذلل لقضائه فانه غير ممتنع منه وقيل الا ليعبدون الا ليقروا الى بالعباده طوعا او كرها رواه على بن ابى طلحة عن ابن عباس فالكره ما يرى فيهم من اثر الصنعة وقال مجاهد الا ليعرفونى وقال الثعلبى وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده ودليل هذا التاويل قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وما اشبه هذا من الايات وعن مجاهد ايضا الا لامرهم وانهاهم زيد بن اسلم هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة فخلق السعدا من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقيا منهم للمعصية وعن الكلبى ايضا الا ليعبدون الا ليوحدون فاما المومن فيوحده فى الشدة والرخا واما الكافر فيوحده فى الشدة والبلا دون النعمة والرخا يدل عليه قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقال عكرمه الا ليعبدون ويطيعون فاثيب العابد واعاقب الجاحد وقيل المعنى الا لاستعبدهم والمعنى متقارب تقول عبد بين العبوده والعبودية واصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل والتعبد التذلل يقال طريق معبد قال وظيفا وظيفا فوق مور معبد والتعبيد الاستعباد وهو ان تتخذه عبدا وكذلك الاعتباد والعبادة الطاعة والتعبد التنسك

فمعنى

فمعنى ليعبدون ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا ما اريد منهم من رزق من صلة اى رزقا بل انا الرزاق والمعطى وقال ابن عباس وابو الجوزا اى ما اريد ان يرزقوا انفسهم ولا ان يطعموها وقيل المعنى ما اريد ان يرزقوا عبادى ولا ان يطعموهم ان الله هو الرزاق وقرا ابن محيصن وغيره الرازق ذو القوة المتين اى الشديد القوى وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب والنخعى المتين بالجر على النعت للقوة انما قرى بالرفع على النعت للرزاق او ذو او من قوله ذو القوة او يكون خبرا بعد خبر محذوف او نعتا لاسم ان على الموضع او خبرا بعد خبر قال الفرا كان حقه المتينة فذكره لانه ذهب بها الى الشى المبرم المحكم الفتل يقال حبل متين وانشد الفرا لكل دهر قد لبست اثوبا حتى اكتسى الراس قناعا اشيبا من ريطة واليمنة المعصبا فذكر المعصب لان اليمنة صنف من الثياب المغضبا ومن هذا الباب فمن جاءه موعظة اى وعظ واخذ الذين ظلموا الصيحة اى الصياح والصوت قضيه اى قطعه وكذلك قصبه فالقضب والقصب القطع قوله تعالى **فان للذين ظلموا** اى كفروا من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اى نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الامم السالفه وقال ابن الاعرابى يقال يوم ذنوب اى طويل الشر لا ينقضى واصل الذنوب فى اللغة الدلو العظيمه وكانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك على الانصبا فقيل للذنوب نصيب من هذا قال الراجز لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب وقال علقمة وفى كل يوم قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب وقال آخر لعمرك والمنايا طارقات لكل بنى اب منها ذنوب قال الجوهرى الذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب النصيب والذنوب لحم اسفل المتن والذنوب الدلو الملاى ما وقال ابن السكيت فيها ما قرب من الملى يونث ويذكر ولا يقال لها وهى فارغه ذنوب والجمع فى ادنى العدد اذنبة والكثير ذنائب مثل قلوص وقلائص فلا يستعجلون اى فلا يستعجلوا نزول العذاب بهم لانهم قالوا يا محمد ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فنزل بهم يوم بدر ما حقق الله تعالى به وعده وعجل به انتقامه ثم لهم فى الاخرة العذاب الدائم والخزى القائم الذى لا انقطاع له ولا نفاد ولا غاية ولا اباد

سورة والطور مكية

فى قول الجميع وهى ثمان واربعون آية روى الائمة عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بالطور فى المغرب متفق عليه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى **والطور**

الطور اسم الجبل الذى كلم الله عليه موسى اقسم الله تعالى به تشريفا وتكريما وتذكيرا بما فيه من الآيات وهو احد جبال الجنة روى اسمعيل بن اسحق قال اخبرنا اسمعيل ابن ابى اويس حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده انه قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة اجبال من جبال الجنة واربعة انهر من
انهار الجنة واربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل فمن الجبل قال الجبل احد يحبنا
ونحبه والطور جبل من جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة وذكر الحديث
وقد استوفيناه في كتاب التذكرة قال مجاهد هو بالسريانية والمراد به طور سينا
وقاله السدي وقال مقاتل ابن حيان هما طوران يقال لاحدهما طور سينا وللاخر
طور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هو جبل بمدين واسمه زبير قال الجوهري
والزبير الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام قال الشيخ المؤلف رحمه الله
ومدين بالارض المقدسة وهي قرية شعيب عليه السلام وقيل ان الطور
كل جبل انبت وما لا ينبت فليس بطور قاله ابن عباس وقد مضى في البقرة مستوفى
قوله تعالى وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ اي مكتوب يعني القران يقروه المومنون من
المصاحف ويقروه الملايكة من اللوح المحفوظ كما قال الله تعالى انه لقران
كريم في كتاب مكنون وقيل يعني ساير الكتب المنزلة على الانبيا وكان
كل كتاب في رق ينشره اهله لقرايته وقال الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده
من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقال الفرا هو صحايف الاعمال فمن اخذ
كتابه بيمينه واخذ كتابه بشماله بطيره ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا وقوله واذا الصحف نشرت وقيل انه الكتاب الذي كتبه
تعالى لملايكته في السما يقرون فيه ما كان وما يكون وقيل المراد ما كتب
الله في قلوب الاولياء من المومنين بيانه اوليك كتب الله في قلوبهم الايمان قال
الشيخ المؤلف رحمه الله وفي هذا القول تجوز لانه عبر بالقلوب عن الرق
قال المبرد الرق ما رقق من الجلد ليكتب فيه والمنشور المبسوط وكذا قال
الجوهري في الصحاح قال والرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه
قوله تعالى في رق منشور والرق ايضا العظيم من السلاحف قال ابو عبيد
وجمعه رقوق والمعنى المراد ما قاله الفرا والله اعلم وكل صحيفة فهي
رق لرقة حواشيها ومنه قول المتلمس فكانما هي من تقادم عهدها رق
اتيح كتابها مسطور واما الرق بالكسر فهو الملك يقال عبد مرقوق وحكى الماوردي عن
ابن عباس ان الرق بالفتح ما بين المشرق والمغرب قوله تعالى وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ
قال علي وابن عباس وغيرهما هو بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون
الف ملك ثم يخرجون منه فلا يعودون اليه قال علي رضي الله عنه هو في السماء
السادسة وقيل في السماء الرابعة روى انس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بي الى السما الرابعة فرفع لنا البيت
المعمور فاذا هو حيال الكعبة لو خر خر عليها يدخله كل يوم سبعون الف ملك

اذا خرجوا منه لم يعودوا اليه ذكره الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس انه
في السما الدنيا وقال ابو بكر الانباري سال ابن الكوا عليا رضي الله عنه فقال فما البيت المعمور
قال بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح وكذا في الصحاح والضراح بالضم بيت
في السماء وهو البيت المعمور عن ابن عباس وعمرانه كثرة غاشيته من الملايكة وقال
المهدوي عنه حذا العرش والذي في صحيح مسلم عن مالك ابن صعصعة عن النبي صلى
الله عليه وسلم في حديث الاسراء ثم رفع الي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا اليه اخر ما عليهم
وذكر الحديث وفي حديث ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق الحديث وفيه ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابرهيم عليه السلام مسند ظهره الى البيت المعمور واذا
هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وعن ابن عباس ايضا قال لله في السموات
والارضين خمسة عشر بيتا سبعة في السموات وسبعة في الارض والكعبة وكلها مقابلة
للكعبة وقال الحسين البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام الذي هو معمور من الناس
يعمره الله كل سنة ست مائة الف فان عجز الناس عن ذلك اتمه الله بالملايكة
وهو اول بيت وضعه الله للعبادة في الارض وقال الربيع ابن انس ان البيت المعمور
كان في الارض موضع الكعبة في زمان ادم عليه السلام فلما كان زمان نوح امرهم ان
يحجوه فابوا عليه وعصوه فلما طغى الما رفع فجعل بحذا به في السماء الدنيا فيعمره كل
يوم سبعون الف ملك ثم لا يرجعون اليه حتى ينفخ في الصور قال فبوا الله جل وعز لابراهيم
مكان البيت الحرام حيث كان قال الله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك
بي شيا وطهر بيتي للطايفين والعاكفين والقايمين والركع السجود والسقف المرفوع
يعني السماء سماها سقفا لانها للارض كالسقف للبيت بيانه وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وقال ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة والبحر المسجور قال مجاهد الموقد
وقد جاء في الخبر ان البحر يسجر يوم القيامة فيكون نارا وقال قتادة المملو وانشد
النحويون للنمر بن تولب اذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والساسما يريد وعلا يطالع
عينا مسجورة مملوة فيجوز ان يكون المملو نارا فيكون كالقول المتقدم وكذا قال الضحاك
وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والاخفش انه الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور
ومنه قيل للمسعر مسجر ودليل هذا التاويل قوله واذا البحار سجرت اي اوقدت سجرت
التنور اسجره سجرا اذا احميته وقال سعيد بن المسيب قال علي رضي الله عنه لرجل من
اليهود ابن جهنم قال البحر قال ما اراك الا صادقا وتلا والبحر المسجور واذا البحار
سجرت مخففة وقال عبد الله بن عمرو لا يتوضا بما البحر لانه طبق جهنم وقال كعب

للمسعر مسجر

يسجر البحر غدا فيزاد فى نار جهنم فهذا قول وقال ابن عباس المسجور الذى ذهب ماؤه وقاله ابو العاليه وروى عطيه وذو الرمه الشاعر عن ابن عباس قال خرجت امة لتستقى فقالت ان الحوض مسجور اى فارغ قال ابن ابى داود ليس لذى الرمه حديث سوى الا هذا وقيل المسجور اى المفجور دليله واذا البحار فجرت اى تنشفها الارض فلا يبقى فيها ما وقول ثالث قاله على رضى الله عنه وعكرمه قال ابو مكين سالت عكرمه عن البحر المسجور فقال هو بحر دون دون العرش وقال على تحت العرش فيه ما غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون فى قبورهم وقال الربيع بن انس المسجور المختلط العذب بالمالح قال الشيخ المولف رحمه الله واليه يرجع معنى فجرت فى احد التاويلين اى فجر عذبها فى مالحها والله اعلم وسياتى وروى على بن ابى طلحة عن ابن عباس قال المسجور المحبوس ان عذاب ربك لواقع هذا جواب القسم اى واقع بالمشركين قال جبير بن مطعم قدمت المدينه لاسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسارى بدر فوافيته يقرا فى صلوة المغرب والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبى فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مكانى الا حتى يقع بى العذاب وقال هشام بن حسام انطلقت انا ومالك بن دينار الى الحسن وعنده رجل يقرا والطور حتى اذا بلغ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فبكا الحسن وبكا اصحابه وجعل مالك يضطرب حتى غشى عليه ولما ولى بكار القضا جا اليه رجلان يختصمان فتوجهت على احدهما اليمين فرغب الصلح بينهما وانه يعطى خصمه من عنده عوضا من يمينه فابى الا اليمين فاحلفه باول الطور الى ان قال له قل ان عذاب الله لى لواقع ان كنت كاذبا فقالها فخرج فكسر من حينه قوله تعالى **يوم تمور السما مورا** العامل فى يوم قوله واقع اى يقع العذاب بهم يوم القيامة وهو اليوم الذى تمور فيه السماء قال اهل اللغة مار الشى يمور مورا اى تحرك وجاء وذهب كما تكفا النخلة العيدانة اى الطويله والتمور مثله وقال الضحاك يموج بعضها فى بعض وقال مجاهد تدور دورا ابو عبيده والاخفش تكفا وانشد بيت الاعشى كان مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل وقيل تجرى جريا ومنه قول جرير وما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ما دجلة اشكل وقال ابن عباس تمور السماء يومئذ بما فيها وتضطرب وقيل تدور اهلها فيها ويموج بعضهم فى بعض والمور ايضا الطريق ومنه قول طرفه فوق مور معبد والمور الموج وناقة موارة اليد اى سريعة والبعير يمور عضداه اذا ترددا فى عرض جنبه قال الشاعر

على ظهر موار الملاط حصان الملاط الجنب

وقولهم لا ادرى اغار ام مار اى اتى غورا ام دار فرجع الى نجد والمور بالضم الغبار بالريح وقيل ان السماء هاهنا الفلك ومورة اضطراب نظمه واختلاف سيره قاله ابن بحر **وتسير الجبال سيرا** قال مقاتل تسير عن اماكنها حتى تستوى

بالارض وقيل تسير كسير السحاب اليوم فى الدنيا وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وقد مضى هذا المعنى فى الكهف فويل يومئذ للمكذبين ويل كلمة يقال لهالك وانما دخلت الفا لان فى الكلام معنى المجازاة الذين هم فى خوض يلعبون اى فى تردد فى الباطل وهو خوضهم فى امر محمد بالتكذيب وقيل فى خوضهم فى اسباب الدنيا يلعبون لا يذكرون حسابا ولا جزاء وقد مضى فى براءة قوله تعالى **يوم يدعون** يوم بدل من يومئذ ويدعون معناه يدفعون الى جهنم بشده وعنف فقال دععته ادعه دعا اى دفعته ومنه قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم وفى التفسير ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعونهم فى النار دفعا على وجوههم وزجا فى اعناقهم حتى يردوا النار وقرا ابو رجا العطاردى وابن السميفع يوم يدعون الى نار جهنم دعا بالتخفيف من الدعا فاذا دنوا من النار قالت لهم الخزنه هذه النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا قوله تعالى **افسحر هذا** استفهام معناه التوبيخ والتقريع اى يقال لهم افسحر هذا الذى ترون الان باعينكم ام انتم لا تبصرون وقيل ام بمعنى بل اى بل كنتم لا تبصرون فى الدنيا ولا تعقلون قوله تعالى **اصلوها** اى تقول لهم الخزنه ذوقوا حرها بالدخول فيها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم اى سوا كان لكم فيها صبر او لم يكن فسوا خبره محذوف اى سوا عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم شى كما اخبر عنهم انهم يقولون سوا علينا اجزعنا ام صبرنا انما تجزون ما كنتم تعملون قوله تعالى **ان المتقين فى جنات ونعيم** لما ذكر حال الكفار ذكر حال المومنين ايضا فاكهين اى ذوى فاكهة كثيرة يقال رجل فاكه اى ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر ذو لبن وتمر قال وغررتنى وزعمت انك لابن بالصيف تامر اى ذو لبن وتمر وقرا الحسن وغيره فكهين بغير الف ومعناه معجبين ناعمين فى قول ابن عباس وغيره يقال فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر وقد مضى فى الدخان القول فى هذا بما اتاهم اعطاهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا اى يقال لهم ذلك هنيا الهنى ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر قال الزجاج اى ليهنئكم ما صرتم اليه هنيا وقيل اى متعتم بنعيم الجنه امتاعا هنيا وقيل اى كلوا واشربوا هنيا فهو صفة فى موضع المصدر وقيل هنيا اى حلالا وقيل لا اذى فيه ولا غائله وقيل هنيا اى لا تموتون فان ما يبقى او لا يبقى الانسان معه منغص غير هنى قوله تعالى **متكئين على سرر** جمع سرير وفى الكلام حذف تقديره متكئين على نمارق على سرر مصفوفه قال ابن بحر اى موصول بعضها الى بعض حتى تصير صفا وفى الاخبار انها تصف فى السما بطول كذا وكذا فاذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت له فاذا جلس عليها عادت الى حالها قال ابن عباس هى سرر من ذهب مكلله بالزبرجد والدر والياقوت

والسرير ما بين مكة وايلة وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بها قال يونس بن حبيب يقول
العرب زوجته امراة وتزوجت بامراة وليس من كلام العرب تزوجت بامراة
قال وقول الله جل وعز وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن من قول الله عز وجل
احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي وقرناءهم وقال الفرا تزوجت بامراة لغة في ازد
شنوءة وقد مضى القول في معنى الحور العين قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم
قراءة العامة واتبعتهم بوصل الالف وتشديد التاء وفتح العين والتاء وقرا ابو عمرو
واتبعناهم بقطع الالف واسكان التاء ونون اعتبارا بقوله الحقنا بهم ليكون الكلام
على نسق واحد فاما قوله ذريتهم الاول فقراها بالجمع ابن عامر وابو عمرو ويعقوب ورواها
عن نافع الا ان ابا عمرو كسر التاء على المفعول وضم الباقون ذريتهم على التوحيد
وضم التاء وهو المشهور عن نافع فاما الثانية فقراها نافع وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب بكسر التاء على الجمع الباقون ذريتهم على التوحيد وفتح التاء واختلف في معناه
فعن ابن عباس اربع روايات الاولى انه قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن اليه وان
كانوا دونه في العمل لتقر عينه وتلا هذه الاية ورواه مرفوعا النحاس في الناسخ
والمنسوخ له عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته وان كان لم يبلغها بعمله
لتقر بهم عينه ثم قرا والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الاية وقال ابو جعفر
فصار الحديث مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا يجب ان يكون لان
ابن عباس لا يقول هذا الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن
الله جل وعز بما يفعله وبمعنى اية انزلها جل ثناؤه وقال الزمخشري فيجمع الله لهم
انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين
وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم وعن ابن عباس ايضا قال ان الله ليلحق بالمؤمن ذريته
الصغار الذين لم يبلغوا الايمان قال المهدوي والذرية يقع على الصغار والكبار فان جعلت الذرية
ها هنا للصغار كان قوله بايمان في موضع الحال من المفعولين وكان التقدير بايمان من الاباء
وان جعلت الذرية للكبار كان قوله بايمان حالا من الفاعلين القول الثالث عن ابن
عباس بالذين آمنوا المهاجرون والانصار والذرية التابعون وفي رواية عنه ان كان
الاباء ارفع درجة رفع الله الابناء الى الاباء وان كان الابناء ارفع درجة رفع الله الاباء الى
الابناء فالاباء داخلون في اسم الذرية كقوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون وعن ابن عباس يرفعه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
دخل اهل الجنة الجنة سال احدهم عن ابويه وعن زوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا
ما ادركت فيقول يا رب اني عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به وقالت خديجة سالت النبي وفي نسخة
صلى الله عليه وسلم عن ولدين لي ماتا في الجاهلية فقال لي هما في النار فلما راى الكراهية في

وجهي

وجهي قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال
ان المؤمنين واولادهم في الجنة والمشركين واولادهم في النار ثم قرا والذين آمنوا
واتبعتهم ذريتهم الاية وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصنا الابناء من ثواب اعمالهم
من ثواب اعمالهم لقصر اعمارهم وما نقصنا الاباء من ثواب اعمالهم شيئا بالحاق الذريات
بهم والهاء والميم راجعتان الى قوله والذين آمنوا وقال ابن زيد المعنى واتبعتهم ذريتهم بايمان
الحقنا بالذرية ابناءهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل فالهاء والميم على هذا القول للذرية
وقرا ابن كثير وما التناهم بكسر اللام وفتح الباقون وعن ابن هرمز آلتناهم بالمد قال
ابن الاعرابي التة يالته التا والاته يوليته ايلاتا ولاته يليته ليتا كلها اذا نقصه وفي الصحاح
ولاته عن وجهه يلوته ويليته اي حبسه عن وجهه وصرفه وكذلك الاته عن وجهه
فعل وافعل بمعنى ويقال ايضا ما الاته من عمله شيئا اي ما نقصه مثل التة وقد مضى في
الحجرات كل امرئ بما كسب رهين قيل يرجع الى اهل النار قال ابن عباس ارتهن اهل
جهنم باعمالهم وصار اهل الجنة الى نعيمهم ولهذا قال كل امرئ بما كسبت رهينة الا
اصحاب اليمين وقيل هو عام لكل انسان مرتهن بعمله فلا ينقص احد من ثواب عمله فاما
الزيادة على ثواب العمل فهي تفضل من الله ويحتمل ان يكون هذا في الذرية الذين
لم يؤمنوا فلا يلحقون اباءهم المؤمنين بل يكونون مرتهنين بكفرهم قوله تعالى
وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي اكثرنا لهم من ذلك زيادة من
الله امدهم بها غير الذي كان لهم قوله تعالى يتنازعون فيها كاسا اي يتناولها بعضهم
من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة والكاس اناء الخمر وكل اناء مملو
من شراب او غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا وشاهد التنازع والكاس في اللغة قول
الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار نازعته طيب
الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري وقال امرؤ القيس فلما
في تنازعنا الحديث واسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميال وقد مضى هذا في الصافات
لا لغو فيها اي في الكاس اي لا يجري بينهم لغو ولا تاثيم ولا ما فيه اثم والتاثيم تفعيل
من الاثم اي تلك الكاس لا تجعلهم اثمين لانه مباح لهم وقيل لا لغو فيها اي في
الجنة قال ابن عطا اي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن وسقاتهم الملائكة
وشربهم على ذكر الله وريحانهم وتحيتهم من عند الله والقوم اضياف الله ولا
تاثيم اي ولا كذب قاله ابن عباس وقال الضحاك يعني لا يكذب بعضهم بعضا
وقرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو لا لغو ولا تاثيم بفتح اخره الباقون
بالرفع والتنوين وقد مضى هذا في البقرة عند قوله لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
قوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم اي بالفواكه والتحف والطعام
والشراب دليله يطاف عليهم بصحاف من ذهب يطاف عليهم بكاس من

معين ثم قيل هم الاطفال من اولادهم الذين سبقوهم فاقر الله تعالى بهم اعينهم وقيل
انهم من اخدمهم الله تعالى اباهم من اولاد غيرهم وقيل هم غلمان خلقوا في الجنة
قال الكلبي لايكبرون ابدا كانهم في الحسن والبياض لولو مكنون في الصدف والمكنون
المصون وقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون قيل هم اولاد المشركين وهم خدم
اهل الجنة وليس في الجنة نصب ولاحاجة الى خدمة ولكنه اخبر بانهم على نهاية التنعيم
وعن عايشه رضي الله عنها ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة
من ينادي الخادم من خدمه فتجيبه الف كلهم لبيك لبيك وعن عبد الله بن عمر قال
النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل غلام على
عمل ليس عليه صاحبه وعن الحسن انهم قالوا يارسول الله اذا كان الخادم كاللولو فكيف
يكون المخدوم فقال بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين اصغر الكواكب قال الكساي كننت
الشي سترته وصنته من الشمس واكننته في نفسي اسررته وقال ابو زيد كننته واكننته
بمعنى من في الكن وفي النفس جميعا يقول كننت العلم واكننته فهو مكنون ومكن وكننت
الجارية واكننتها فهي مكنونة ومكننة قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال ابن عباس اذا بعثوا من قبورهم سال بعضهم بعضا وقيل في الجنة يتساءلون اي
يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا من البعث والخوف من العاقبة ويحمدون الله على زوال
الحزن عنهم وقيل يقول بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة قالوا انا
كنا قبل في اهلنا مشفقين اي قال كل مسؤول منهم لسايله انا كنا قبل اي في
الدنيا خايفين وجلين من عذاب الله فمن الله علينا بالجنة والمغفرة وقيل بالتوفيق
والهداية ووقانا عذاب السموم قال الحسن السموم اسم من اسماء النار وطبقة
من طبقات جهنم وقيل هو النار كما يقول جهنم وقيل اي عذاب نار السموم والسموم
الريح الحارة تونث يقال منه سم يومنا فهو مسموم والجمع سمايم قال ابو عبيدة السموم
بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم
في لفح البرد وهو في لفح الحر والشهر اكثر قال الراجز اليوم يوم بارد سمومه من
جزع اليوم فلا تلومه قوله تعالى انا كنا من قبل ندعوه اي في الدنيا بان يمن
علينا بالمغفرة عن تقصيرنا وقيل ندعوه اي نعبده انه هو البر الرحيم قرا نافع
والكساي انه بفتح الهمزة اي لانه الباقون بالكسر على الابتدا والبر اللطيف
قاله ابن عباس وعنه ايضا الصادق فيما وعد وقاله ابن جريج قوله تعالى فذكر
اي فذكر يا محمد قومك بالقران فما انت بنعمة ربك يعني برسالة ربك بكاهن
تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي ولا مجنون وهذا رد لقولهم في النبي
صلى الله عليه وسلم ولا باثم بفتح اخره الباقون بالرفع والتنوين وقد مضى
هذا في البقرة عند قوله ولا خلة ولا شفاعة قوله تعالى ويطوف عليهم غلمان

هم

مكرر

لهم اي بالفواكه والتحف والطعام والشراب دليله يطاف عليهم بصحاف من ذهب
يطاف عليهم بكاس من معين ثم قيل هم الاطفال من اولادهم الذين سبقوهم فاقر ا
لله تعالى بهم اعينهم وقيل انهم من اخدمهم الله تعالى اباهم من اولاد غيرهم وقيل
هم غلمان خلقوا في الجنة قال الكلبي لايكبرون ابدا كانهم في الحسن والبياض لولو
مكنون في الصدف والمكنون المصون وقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون
قيل هم اولاد المشركين وهم خدم اهل الجنة وليس في الجنة نصب ولاحاجة الى
خدمة ولكنه اخبر بانهم على نهاية التنعيم وعن عايشة رضي الله عنها ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فتجيبه الف
كلهم لبيك لبيك وعن عبد الله بن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد
من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه وعن الحسن
انهم قالوا يارسول الله اذا كان الخادم كاللولو فكيف يكون المخدوم فقال بينهما كما بين
القمر ليلة البدر وبين اصغر الكواكب قال الكساي كننت الشي سترته وصنته
من الشمس واكننته في نفسي اسررته وقال ابو زيد كننته واكننته بمعنى من في الكن
وفي النفس جميعا يقول كننت العلم واكننته فهو مكنون ومكن وكننت الجارية واكننتها
فهي مكنونة ومكننة قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عباس
اذا بعثوا من قبورهم سال بعضهم بعضا وقيل في الجنة يتساءلون اي يتذاكرون ما كانوا
فيه في الدنيا من البعث والخوف من العاقبة ويحمدون الله على زوال الحزن عنهم وقيل
يقول بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة قالوا انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين اي قال كل مسوول منهم لسايله انا كنا اي في الدنيا خايفين وجلين من عذاب
الله فمن الله علينا بالجنة والمغفرة وقيل بالتوفيق والهداية ووقانا عذاب السموم
قال الحسن السموم اسم من اسماء النار وطبقة من طبقات جهنم وقيل هو النار كما
يقول جهنم وقيل اي عذاب نار السموم والسموم الريح الحارة تونث يقال منه سم
يومنا فهو مسموم والجمع سمايم قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور
بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشهر
اكثر قال الراجز اليوم يوم بارد سمومه من جزع اليوم فلا تلومه قوله تعالى
انا كنا من قبل ندعوه اي في الدنيا بان يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا وقيل
ندعوه اي نعبده انه هو البر الرحيم قرا نافع والكساي انه بفتح الهمزة اي لانه
الباقون بالكسر على الابتدا والبر اللطيف قاله ابن عباس وعنه ايضا الصادق
فيما وعد وقاله ابن جريج قوله تعالى فذكر اي فذكر يا محمد قومك بالقران فما انت
بنعمة ربك يعني برسالة ربك بكاهن تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي
ولا مجنون وهذا رد لقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم كعقبة بن ابي معيط

قال انه مجنون وشيبة بن ربيعة قال ساحر وغيرهما قال كاهن فاكذبهم الله ورد
عليهم ثم قيل ان معنى فما انت بنعمت ربك القسم اى ونعمت الله ما انت بكاهن ولا مجنون
وقيل ليس قسما وانما هو كما يقول ما انت بحمد الله بجاهل اى قد برّاك الله من ذلك
ام يقولون شاعر اى بل يقولون محمد شاعر قال سيبويه خوطب العباد بما جرى بينهم
ولا مسروح ان في كلامهم قال ابو جعفر النحاس وهذا كلام حسن الا انه غير مبين ولا
مسروح يريد سيبويه ان ام في كلام العرب لخروج من حديث الى حديث كما قال انتجوا
غانية ام تلموفتم الكلام ثم خرج الى شى اخر فقال ام الحبل واذنها مجذم فما جا
في كتاب الله من هذا فمعناه التقرير والتوبيخ والخروج من حديث الى حديث والنحويون
يمثلونها ببل نتربص به ريب المنون قال قتادة قال ناس من الكفار تربصوا بمحمد الموت
يكفيكموه كما كفي شاعر بني فلان قال الضحاك هو ولا بنو عبد الدار نسبوه الى انه شاعر
اى يهلك عن قريب كما هلك من قبل من الشعراء وان اباه مات شابا فربما يموت كما مات
ابوه وقال الاخفش نتربص به الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما يقول قصدت
زيدا وقصدت الى زيد والمنون الموت في قول بن عباس قال ابو الغول الطهوى
هم منعوا حمى الوقى بضرب يؤلف بين اشتات المنون اى المنايا يقول ان الضرب
يجمع بين قوم متفرقي الامكنة لو اتتهم مناياهم في امكنتهم لاتتهم متفرقة فاجتمعوا
في موضع واحد فاتتهم المنايا مجتمعة وقال السدى عن ابى مالك عن ابن عباس ريب
في القران الا مكانا واحدا في الطور ريب المنون يعني حوادث الامور قال وقال ابن
عباس تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما او يموت حليلها وقال مجاهد ريب
المنون حوادث الدهر والمنون هو الدهر قال ابو ذويب امن المنون وريبه
تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع وقال الاعشى ان رات رجلا اعشى اضر به
ريب المنون ودهر متبل خبل قال الاصمعي المنون الليل والنهار وسميا بذلك
لانهما ينقصان الاعمار ويقطعان الاجال وعنه انه قيل للدهر منون لانه يذهب
بمنة الحيوان اى قوته وكذلك المنية وقال ابو عبيده قيل للدهر منون لانه مضعف
من قولهم حبل منين اى ضعيف والمنين الغبار الضعيف قال الفرا والمنون
مونثة ويكون واحدا وجمعا وقال الاصمعي المنون واحد لا جماعة له وقال الاخفش
هو جماعة لا واحد له والمنون تذكر وتونث فمن ذكره جعله الدهر او الموت ومن
انث فعلى الحمل على المعنى كانه اراد المنية قوله تعالى قل تربصوا اى قل لهم
يا محمد تربصوا اى انتظروا فاني معكم من المتربصين اى من المنتظرين بكم العذاب
فعذبوا يوم بدر بالسيف ام تامرهم احلامهم اى عقولهم بهذا اى بالكذب عليك
ام هم قوم طاغون اى ام طغوا بغير عقول وقيل ام بمعنى بل اى بل كفروا طغيانا
وان ظهر لهم الحق وقيل لعمرو بن العاصي ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم

القول

الله بالعقل فقال تلك عقول كادها الله اى لم يصحبها بالتوفيق وقيل احلامهم اى
اذهانهم لان العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لامن وانما يعطى الكافر الذهن
فصار عليه حجة والذهن يقبل العلم جملة والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود
الامر والنهي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما اعقل فلان
النصراني فقال مه ان الكافر لا عقل له اما سمعت قول الله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وفي حديث ابن عمر فزجره النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
مه ان العاقل من عمل بطاعة الله ذكره الترمذي الحكيم ابو عبد الله باسناده ام يقولون
تقوله اى افتعله وافتراه يعني القران والتقول تكلف القول وانما يستعمل في الكذب
في غالب الامر ويقال قولتني ما لم اقل اى ادعيته علي وتقول عليه اى كذب عليه واقتال
عليه تحكم قال ومنزلة في دار صدق وغبطة وما اقتال من حكم علي طبيب فام الاولى للانكار
والثانية للايجاب اى ليس كما يقولون بل لا يؤمنون جحدا واستكبارا فلياتوا بحديث مثله
اى بقران يشبهه من تلقاء انفسهم ان كانوا صادقين في ان محمدا افتراه وقرا الجحدرى
فلياتوا بحديث مثله بالاضافة والهاء في مثله للنبي عليه السلام واضيف الحديث الذى
يراد به القران اليه لانه المبعوث به والهاء على قراءة الجماعة للقران قوله تعالى
ام خلقوا من غير شى ام صلة زايدة والتقدير اخلقوا من غير شى قال ابن عباس
من غير رب خلقهم وقدرهم وقيل من غير ام ولا اب فهم كالجماد لا يعقلون
ولا يقوم لله عليهم حجة ليسوا كذلك اليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة قاله
ابن عطا وقال ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا من غير شى اى لغير شى فمن بمعنى
اللام اى هم الخالقون اى ايقولون انهم خلقوا انفسهم فلا ياتمرون لامر الله وهم
لا يقولون ذلك واذا اقروا ان ثم خالقا غيرهم فما الذى يمنعهم من الاقرار له بالعبادة
دون الاصنام ومن الاقرار بانه قادر على البعث ام خلقوا السموات والارض اى ليس
الامر كذلك فانهم لم يخلقوا شيئا بل لا يوقنون بالحق ام عندهم خزاين ربك اى ام عندهم
ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن امر الله قال ابن عباس خزاين ربك امره المطر والرزق
وقيل مفاتيح الرحمة وقال عكرمة النبوة اى افبايديهم مفاتيح الرسالة لتضعوها حيث
شاوا وضرب المثل بالخزاين لان الخزانة بيت يهيا لجميع انواع مختلفة من الذخاير
ومقدورات الرب كالخزاين التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية له
ام هم المصيطرون قال ابن عباس المسلطون الجبارون وعنه ايضا المبطلون
وقاله الضحاك وعن ابن عباس ايضا اهم المتولون وقال عطا ام هم ارباب
قاهرون قال عطا يقال تسيطرت علي اى اتخذتني خولا لك وقاله ابو عبيدة وفي
الصحاح والمسيطر والمصيطر المسلط على الشى ليشرف عليه ويتعهد احواله
ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب مسطر والذى يفعله مسطر ومسيطر

واقولتني مالم اقل صح

سدا صح

ربك صح

٥٩٩

يقال سيطرت علينا ابن خير ام هم المصيطرون اى اهم الحفظة ماخوذ من تسطير
الكتاب الذى يحفظ ماكتب فيه فصار المسيطر هنا حافظ ماكتبه الله فى اللوح
المحفوظ وفيه لغات ثلاث الصاد وبها قرا العامة والسين وهى قراة ابن محيصن
وحميد ومجاهد وقنبل وهشام وابى حيوة وباشمام الصاد الزاى وهى قراة حمزه كما
يقدم فى الصراط قوله تعالى ام لهم سلم اى ايدعون ان لهم مرتقى الى السماء
ومصعدا وسببا يستمعون فيه اى عليه الاخبار ويصلون به الى علم الغيب كما
يصل اليه محمد بطريق الوحى فلياتِ مستمعهم بسلطان مبين اى بحجة بينة ان هذا
الذى هم عليه حق والسلم واحد السلاليم الذى يرتقى عليها وربما سمى الغرز بذلك
قال ابو الربيس التغلبى نصف ناقته مطارة قبل ان تثنى الرجل رتها بسلم غرز فى مناخ
تعاجله وقال زهير ومن هاب اسباب المنية يلقها ولو رام اسباب السماء بسلم
وقال الاخر تجنيت فى ذنبا وما ان جنيته لتتخذى عذرا الى الهجر سلما وقال ابن مقبل
فى الجمع لا تحرز المرء احجاء البلاد ولا تبنى له فى السموات السلاليم الاحجاء النواحى
مثل الارجاء واحدها حجى ورجى مقصور ويروى اعناء البلاد والاعناء ايضا الجوانب والنواحى
واحدها عنو بالكسر وقال ابن الاعرابى واحدها عنى مقصود وجاءنا اعناء من الناس
واحدهم عنو بالكسر وهم قوم من قبايل شتى يستمعون فيه اى عليه كقوله فى جذوع
النخل اى عليها قاله الاخفش وقال ابو عبيده يستمعون به وقال الزجاج اى الهم جبريل
بل الذى ياتى النبى عليه السلام بالوحى قوله تعالى ام له البنات ولكم البنون
سفه احلامهم توبيخا لهم وتقريعا اى اتضيفون الى الله البنات مع انفتكم منهم
ومن كان عقله هذا فلا يستبعد منه انكار البعث ام تسئلهم اجرا اى على تبليغ الرسالة
فهم من مغرم مثقلون اى فهم من المغرم الذى يطلبهم به مثقلون مجهودون
لما كلفتهم به ام عندهم الغيب فهم يكتبون اى يكتبون للناس ما ارادوه من
علم الغيوب وقيل اى ام عندهم علم ما غاب عن الناس حتى علموا انما اخبرهم
به الرسول من امر القيامة والجنة والنار والبعث باطل وقال قتاده لما قالوا
نتربص به ريب المنون قال الله تعالى ام عندهم الغيب حتى علموا متى يموت محمد
او الى ما يؤول اليه امره وقال ابن عباس ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون
مافيه ويخبرون الناس به وقال القتبى يكتبون يحكمون والكتاب الحكم
ومنه قوله تعالى كتب ربكم اى حكم وقوله عليه السلام والذى نفسى بيده لا
حكمن بينكم بكتاب الله اى بحكم الله قوله تعالى ام يريدون كيدا اى
مكرا بك فى دار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون اى المحلول بهم ولا يحيق
المكر السىء الا باهله وذلك انهم قتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يخلق
ويرزق ويمنع سبحان الله نزه نفسه عن ان يكون له شريك قال الخليل كل ما فى

سورة والطور من ذكر ام فكله استفهام وليس بعطف قوله تعالى وان يروا
كسفا من السماء ساقطا قال ذلك جوابا لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء
وقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فاعلم انه لو جعل ذلك لقالوا سحاب
مركوم اى بعضه فوق بعض سقط علينا وليس سماء هذا فعل المعاند او فعل من استولى
عليه التقليد وكان فى المشركين الفتيان والكسف جمع كسفه وهى القطعة من الشى يقال
اعطنى كسفه من ثوبك ويقال فى جمعها ايضا كسف ويقال الكسف والكسفه واحد
وقال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا وقد تقدم
القول فى هذا فى سبحان وغيرها قوله تعالى فذرهم منسوخ باية السيف حتى يلاقوا
يومهم الذى فيه يصعقون بفتح الياء قراة العامة وقرا ابن عامر وعاصم بضمها قال
الفراء هما لغتان صعق وصعق مثل سعد وسعد قال قتاده يوم يموتون وقيل هو يوم
بدر وقيل عند النفخة الاولى وقيل يوم القيامة ياتيهم فيه من العذاب ما يزيل
عقولهم وقيل يصعقون بضم الياء من اصعقه الله قوله تعالى يوم لا يغنى عنهم
كيدهم شيئا اى ما كادوا به النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ولا هم ينصرون
من الله وهو منصوب على البدل من يومهم الذى فيه يصعقون قوله تعالى وان
للذين ظلموا اى كفروا عذابا دون ذلك قيل قبل موتهم قال ابن زيد مصايب
الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الاموال والاولاد وقال مجاهد
هو الجوع والجهد سبع سنين وقال ابن عباس هو القتل وعنه عذاب القبر وقاله
~~مجاهد هو الجوع والجهد~~ البراء بن عازب وعلى رضى الله عنهم فدون بمعنى غير
وقيل عذابا اخف من عذاب الاخرة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان العذاب
نازل بهم وقيل ولكن اكثرهم لا يعلمون ما يصيرون اليه قوله تعالى واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى واصبر لحكم
ربك قيل لقضاء ربك فيما حملك من رسالته وقيل لبلائه فيما ابتلاك به من
قومك ثم نسخ باية السيف الثانية قوله تعالى فانك باعيننا اى بمراى و
منظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل وقيل بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك
ونرعاك والمعنى واحد ومنه قوله تعالى لموسى ولتصنع على عينى اى بحفظى وحراستى
وقد تقدم قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار
النجوم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم اختلف فى
تاويل حين تقوم فقال عوف بن مالك وابن مسعود وعطا وسعيد بن جبير
وسفيان الثورى وابو الاحوص يسبح الله حين يقوم من مجلسه فيقول
سبحان الله وبحمده او سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا
ازددت ثناء حسنا وان كان غير ذلك كان كفارة له ودليل هذا التاويل

ما خرجه الترمذي الحكيم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم
وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في
مجلسه ذلك قال حديث حسن صحيح غريب وفيه عن ابن عمر قال كنا نعد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من قبل ان يقوم رب اغفر لي وتب
علي انك انت التواب الغفور قال حديث حسن صحيح غريب وقال محمد بن كعب والضحاك
والربيع المعنى حين تقوم الى الصلوة قال الضحاك يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا قال الكيا الطبري وهذا فيه بعد فان قوله حين تقوم لا يدل
على التسبيح بعد التكبير فان التكبير هو الذي يكون بعد القيام والتسبيح يكون وراء ذلك فدل
ان المراد به حين يقوم من كل مكان كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وقال ابو الجوزا وحسان
بن عطية المعنى حين تقوم من منامك قال حسان ليكون مفتتحا لعمله بذكر الله وقال
الكلبي واذكروا الله باللسان حين تقوم من فراشك الى ان تدخل الصلوة وهي صلوة الفجر
وفي هذا روايات مختلفة صحاح منها حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم
اغفر لي او دعا استجيب له فان توضأ قبلت صلاته وخرجه البخاري تعار الرجل من الليل
اذا هب من نومه مع صوت ومنه عار الظليم يعار عرارا وهو صوته وبعضهم يقول
عر الظليم يعر عرارا كما قالوا زمر النعام يزمر زمارا وعن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام للصلوة من جوف الليل اللهم لك
الحمد انت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت قيام السموات والارض
ومن فيهن ولك الحمد انت رب السموات والارض ومن فيهن انت الحق ووعدك
الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون
حق ومحمد حق اللهم لك اسلمت وعليك توكلت وبك امنت واليك انبت وبك خاصمت
واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت انت المقدم وانت المؤخر
لا اله الا انت ولا اله غيرك متفق عليه وعن ابن عباس ايضا انه عليه السلام كان
اذا استيقظ من الليل مسح النوم عن وجهه ثم قرا العشر الايات الاواخر من سورة
ال عمران وقال زيد بن اسلم المعنى حين تقوم من نوم القايلة لصلوة الظهر قال
ابن العربي اما نوم القايلة فليس فيه اثر وهو ملحق بنوم الليل وقال الضحاك انه
التسبيح في الصلوة اذا قام اليها وقال الماوردي وفي هذا التسبيح قولان احدهما
وهو قوله سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الاعلى في السجود الثاني
انه التوجه في الصلوة يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى

حمدك

جدك ولا اله غيرك قال ابن العربي من قال انه تسبيح الصلوة فهو افضله والاثار
في ذلك كثيرة اعظمها ما ثبت عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلوة قال وجهت وجهي الحديث وقد ذكرناه وغيره
في اخر سورة الانعام وفي البخاري عن ابي بكر الصديق قال قلت يا رسول الله علمني
دعاء ادعو به في صلاتي فقال قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب
الا انت فاغفر لي من عندك مغفرة وارحمني انك انت الغفور الرحيم الثانية
قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم تقدم في ق مستوفى عند قوله
ومن الليل فسبحه وادبار السجود واما ادبار النجوم فقال علي وابن عباس وجابر وانس يعني
هي ركعتي الفجر فحمل بعض العلماء الاية على هذا القول على الندب وجعلها منسوخة
بالصلوات الخمس وعن الضحاك وابن زيد ان قوله وادبار النجوم يريد به صلوة الصبح
وهو اختيار الطبري وعن ابن عباس انه التسبيح في ادبار الصلوات وبكسر الهمزة
في ادبار النجوم قرا القرا السبعة على المصدر حسب ما بيناه في ق وقرا سالم بن ابي
الجعد ومحمد بن السميفع وادبار بالفتح ومثله روي عن يعقوب وسلام وايوب
وهو جمع دبر ودبر ودبر الامر ودبره اخره وروى الترمذي من حديث محمد بن
فضيل عن رشدين بن كريب عن ابيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود الركعتين بعد المغرب
قال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل
عن رشدين وسالت محمد بن اسمعيل عن محمد ورشدين بن كريب ايهما اوثق
فقال ما اقربهما ومحمد عندي ارجح قال وسالت عبد الله بن عبد الرحمن عن هذا
فقال ما اقربهما ورشدين بن كريب ارجحهما عندي قال الترمذي والقول عندي
ما قال ابو محمد ورشدين ارجح من محمد واقدم وقد ادرك رشدين ابن عباس وراه
وفي صحيح مسلم عن عايشة قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من
النوافل اشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح وعنها عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها

سورة والنجم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهي
قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الاية وهي احدى
وستون اية وقيل اثنان وستون وقيل ان السورة مدنية
والصحيح انها مكية لما روى ابن مسعود انه قال هي اول سورة اعلنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة وفي البخاري عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وعن عبد الله

ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم فسجد لها فما بقي احد من القوم الا سجد
فاخذ رجل من القوم كفا من حصى او تراب فرفعه الى وجهه وقال يكفيني هذا قال عبد الله
فلقد رايته بعد قتل كافرا متفق عليه الرجل يقال هو امية بن خلف وفي الصحيحين
عن زيد بن ثابت انه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم اذا هوى فلم يسجد وقد
مضى في الاعراف القول في هذا والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **والنجم اذا هوى** قال ابن عباس ومجاهد معنى والنجم اذا هوى
والثريا اذا سقطت مع الفجر والعرب تسمي الثريا نجما وان كانت في العدد نجوما
يقال انها سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به ابصارهم وفي
الشفا للقاضي عياض ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما
وعن مجاهد ايضا ان المعنى والقران اذا نزل لانه كان ينزل نجوما وقاله الفرا
وعنه ايضا يعني نجوم السماء كلها حين تغرب وهو قول الحسن قال اقسم الله
بالنجم اذا غار وليس يمتنع ان يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع كقول
الراعي فباتت تعد النجم في مستحيرة سريع بايدي الآكلين جمودها المستحير سحاب ثقيل
متردد ليس له ريح تسوقه وقال عمر بن ابي ربيعة احسن النجم في السما الثريا والثريا
في الارض زين النسا وقال الحسن ايضا المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة
وقال السدي ان النجم هنا الزهرة لان قوما من العرب كانوا يعبدونها وقيل المراد
به النجوم التي ترجم بها الشياطين وسببه ان الله تعالى لما اراد بعث محمد صلى
الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده فذعر اكثر العرب منها
وفزعوا الى كاهن كان لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث فسالوه عنها فقال انظروا
البروج الاثني عشر فان انقض منها شي فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شي
فسيحدث في الدنيا امر عظيم فاستشعروا ذلك فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
كان هو الامر العظيم الذي استشعروه فانزل الله تعالى والنجم اذا هوى اي ذلك
النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت وقيل النجم هنا النبت الذي له ساق
وهوى اي سقط على الارض وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين والنجم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السماء ليلة المعراج وعن عروة بن الزبير
ان عتبة ابن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج
الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى
وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته
وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة

آخر

فرجع

فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب
من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر
قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم
واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان
فمن يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع واصل النجم الطلوع يقال
نجم السن ونجم فلان ببلد كذا اي خرج على السلطان والهوى النزول والسقوط
يقال هوى يهوي هويا مثل مضى يمضي مضيا قال زهير فشج بها الاماعز وهي تهوي
هوي الدلو اسلمها الرشاء وقال آخر بينما نحن بالبلاكث فالقاع سراعا والعيس
تهوي هويا خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنا فما استطعت مضيا
وقال الاصمعي هوى بالفتح يهوي هويا اي سقط الى اسفل قال وكذلك الهوي في السير اذا
مضى فيه وهوى وهوي لغتان بمعنى وقد جمعهما الشاعر في قوله ومنزلة لولاي
طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي ويقال في الحب هوي بالكسر يهوى هوى
اي احب قوله تعالى **ما ضل صاحبكم** هذا جواب القسم اي ما ضل محمد صلى
الله عليه وسلم عن الحق وما حاد عنه وما غوى الغي ضد الرشد اي ما صار غاويا
وقيل اي ما تكلم بالباطل وقيل اي ما خاب مما طلب والغي الخيبة قال الشاعر
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما اي من خاب
في طلبه لامه الناس ثم يجوز ان يكون هذا اخبارا عما بعد الوحي ويجوز ان
يكون اخبارا عن احواله على التعميم اي كان ابدا موحدا لله وهو الصحيح على ما بيناه
في الشورى عند قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان قوله تعالى **وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى** فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وما ينطق عن الهوى
قال قتادة اي وما ينطق بالقران عن هواه ان هو الا وحي يوحى اليه وقيل عن الهوى
اي بالهوى قاله ابو عبيدة كقوله تعالى فاسال به خبيرا اي فاسال عنه قال النحاس
قول قتادة اولى وتكون عن على بابها اي ما يخرج نطقه عن رايه انما هو بوحي من الله
عز وجل لان بعده ان هو الا وحي يوحى الثانية قد يحتج بهذه الاية من
لا يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الحوادث وفيها ايضا دلالة على ان
السنة كالوحي المنزل في العمل وقد تقدم في مقدمة الكتاب حديث المقدام
بن معدي كرب في ذلك قال السجستاني ان شئت ابدلت ان هو الا وحي يوحى من ما
ضل صاحبكم قال ابن الانباري وهذا غلط لان ان الخفيفة لا تكون مبدلة من
ما الدليل على هذا انك لا تقول والله ما قمت ان انا لقاعد قوله تعالى
علمه شديد القوى يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين
سوى الحسن فانه قال هو الله عز وجل ويكون قوله ذو مرة على قول الحسن

اعينونا

تمام الكلام ومعناه ذو قوة والقوة من صفات الله تعالى وأصله من شدة فتل الحبل
كأنه استمر به الفتل حتى بلغ الى غاية يصعب معها الحل ثم قال فاستوى يعني الله
عز وجل اى استوى على العرش روى معناه عن الحسن وقال الربيع ابن انس والفرا
فاستوى وهو بالافق الاعلى اى استوى جبريل ومحمد عليهما السلام وهذا على العطف
على المضمر المرفوع بهو واكثر العرب اذا ارادوا العطف في مثل هذا الموضع اظهروا
كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقل ما يقولون استوى وفلان
وانشد الفرا الحزرات الشيخ يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف اى
لا يستوي هو والخروع ونظيرها ايذا كنا ترابا وآباؤنا والمعنى اذا كنا ترابا نحن وآباؤنا
ومعنى الآية استوى جبريل هو ومحمد ليلة الاسرى بالافق الاعلى واجاز العطف على الضمير
لئلا يتكرر وانكر ذلك الزجاج الا في ضرورة الشعر وقيل المعنى فاستوى جبريل بالافق
الاعلى وهو اجود واذا كان المستوي جبريل فمعنى ذو مرة في وصفه ذو منطق حسن قاله
ابن عباس وقال قتادة ذو خلق طويل حسن وقيل معناه ذو صحة جسم وسلامة من
الآفات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة
سوي وقال امرؤ القيس وكنت فيهم ابدا ذا حيلة محكم المرة مأمون العقد
وقد قيل ذو مرة ذو قوة وقال الكلبي وكانت شدة جبريل عليه السلام انه اقتلع
مداين قوم لوط من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السماء حتى سمع اهل
السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها وكان من شدته ايضا انه ابصر ابليس
يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه
باقصى جبل الهند وكان من شدته صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فاصبحوا جاثمين
خامدين وكانت شدته هبوطه من السماء على الانبياء وصعوده اليها في اسرع من
الطرف وقال قطرب تقول العرب لكل جزل الراي حصيف العقل ذو مرة قال الشاعر
قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه وكانت جزالة رايه وحصافة
عقله ان الله ائتمنه على وحيه الى جميع رسله قال الجوهري والمرة احد الطبايع الاربع
والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مرير اى قوي ذو مرة قال ترى الرجل
النحيف فتزدريه وحشوثيابه اسد مرير وقال لقيط حتى استمرت على شزر مريرته
مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا وقال مجاهد وقتادة ذو مرة ذو قوة ومنه قول خفاف
بن ندبة اني امرؤ ذو مرة فاستبقني فيما ينوب من الخطوب صليب فالقوة تكون من
صفة الله عز وجل ومن صفة المخلوق فاستوى يعني جبريل عليه السلام على
ما بينا اى ارتفع وعلا الى مكانه في السماء بعد ان علم محمدا صلى الله عليه وسلم
قاله سعيد بن المسيب وابن جبير وقيل فاستوى اى قام في صورته التي خلقه الله
عليها لانه كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما ياتي الى الانبيا

فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه التي جبله الله عليها فاراه نفسه مرتين
مرة في الارض ومرة في السماء فاما في الارض ففي الافق الاعلى وكان النبي صلى
الله عليه وسلم بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض الى المغرب فخر النبي
صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في صورة الآدميين وضمه الى نفسه وجعل
يمسح الغبار عن وجهه فلما افاق النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما ظننت
ان الله خلق احدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما نشرت جناحين من
اجنحتي وان لي ست مائة جناح جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب
فقال ان هذا لعظيم فقال وما انا في جنب ما خلق الله الا يسيرا ولقد خلق الله
اسرافيل له ست مائة جناح كل جناح منها قدر جميع اجنحتي وانه ليتضاءل احيانا
من مخافة الله حتى يكون بقدر الوصع يعني العصفور الصغير دليله قوله ولقد
رآه بالافق المبين فاما في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبيا على
تلك الصورة الا نبي الله صلى الله عليه وسلم وقول ثالث ان معنى فاستوى اى استوى
القرآن في صدره وفيه على هذا وجهان احدهما في صدر جبريل حين نزل به
عليه السلام الثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه وقول
رابع ان معنى فاستوى فاعتدل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفيه على هذا
وجهان احدهما فاعتدل في قوته الثاني في رسالته ذكرهما الماوردي قال الشيخ
المؤلف رحمه الله وعلى الاول يكون تمام الكلام ذو مرة وعلى الثاني شديد القوى
وقول خامس ان معناه فارتفع وفيه على هذا وجهان احدهما انه جبريل ارتفع
الى مكانه على ما ذكرنا آنفا الثاني انه النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع بالمعراج
وقول سادس يعني الله عز وجل اى استوى على العرش على قول الحسن وقد مضى
القول فيه في الاعراف قوله تعالى وهو بالافق الاعلى جملة في موضع الحال والمعنى
فاستوى عاليا اى استوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ذلك يراه عليها حتى ساله اياها على ما ذكرنا والافق ناحية السماء وجمعه آفاق
وقال قتادة هو الموضع الذي تاتي منه الشمس وكذا قال سفيان هو الموضع الذي تطلع
منه الشمس ونحوه عن مجاهد ويقال افق وافق مثل عسر وعسر وقد مضى في حم
السجدة وفرس افق بالضم اى رايع وكذلك الانثى قال الشاعر ارجل لمتي واجر
ذيلي وتحمل شكتي افق كميت وقيل وهو اى والنبي عليه السلام بالافق الاعلى
يعني ليلة الاسرى وهذا ضعيف لانه يقال استوى هو وفلان ولا يقال
استوى وفلان الا في ضرورة الشعر والصحيح استوى جبريل عليه السلام
وجبريل بالافق الاعلى على صورته الاصلية لانه كان يتمثل للنبي صلى الله عليه
وسلم اذا نزل بالوحي في صورة رجل فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراه

على صفته الحقيقية فاستوى في افق المشرق فملا الافق قوله تعالى **ثم دنى فتدلى**
اى دنا جبريل بعد استوايه بالافق الاعلى من الارض فتدلى فنزل على النبى صلى
الله عليه وسلم بالوحى المعنى انه لما راى النبى صلى الله عليه وسلم من عظمته ما
راى وهاله ذلك رده الله الى صورة آدمى حتى قرب من النبى صلى الله عليه وسلم
بالوحى وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الله الى جبريل وكان جبريل
قاب قوسين او ادنى قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم وعن ابن عباس
ايضا فى قوله ثم دنى فتدلى ان معناه ان الله تعالى دنى من محمد عليه السلام وروى نحوه
انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى دنى منه امره وحكمه واصل التدلى
النزول الى الشىء حتى يقرب منه فوضع موضع القرب قال لبيد فتدليت عليه قافلة
وعلى الارض غيابات الطفل وذهب الفرا الى ان الفا فى فتدلى بمعنى الواو والتقدير
ثم تدلى جبريل عليه السلام ودنى ولكنه جايز اذا كان معنى الفعلين واحدا
او كالواحد قدمت ايهما شيت فقلت فدنى فقرب وقرب فدنى وشتمنى فاسا واسا فشتمنى
لان الشتم والاساءة شىء واحد وكذلك قوله تعالى قوله **اقتربت الساعة وانشق**
القمر المعنى والله اعلم انشق القمر واقتربت الساعة وقال الجرجانى
فى الكلام تقديم وتاخير اى تدلى فدنى لان التدلى سبب الدنو وقال ابن الانبارى
ثم تدلى جبريل اى نزل من السماء فدنا من محمد وقال ابن عباس تدلى الرفرف لمحمد عليه
السلام ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه وسياتى ومن قال المعنى فاستوى جبريل
ومحمد بالافق الاعلى قد يقول ثم دنى محمد من ربه دنو كرامة فتدلى اى هوى للسجود
وهذا قول الضحاك قال القشيرى وقيل على هذا تدلى اى تدلل مثل تظنى بمعنى
تظنن وهذا بعيد لان الدلال غير مرضى فى صفة العبودية قوله تعالى **وكان**
قاب قوسين او ادنى اى كان محمد من ربه او من جبريل قاب قوسين اى قدر
قوسين عربيتين قاله ابن عباس وعطا والفرا الزمخشرى قال قلت كيف تقدير قوله
فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين
فحذف هذه المضافات كما قال ابو على فى قوله وقد جعلتنى من خزيمة اصبعا اى ذا
مقدار مسافة اصبع او ادنى اى على تقديركم كقوله او يزيدون وفى الصحاح ويقول
بينهما قاب قوسين وقيب قوس وقاد قوس وقيد قوس وقد قوس وقرا زيد بن على قاد
وقرى قيد وقدر ذكره الزمخشرى والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس
قابان وقال بعضهم فى قوله تعالى قاب قوسين اراد قابى قوس فقلبه وفى الحديث ولقاب
قوس احدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وفى الصحيح
عن ابى هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ولقاب قوس احدكم فى الجنة
خير من الدنيا وما فيها وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف فى القاب والله

من ربه صح

الوسط

اعلم

قال القاضى عياض اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب من الله او الى الله فليس
بدنو مكان ولا قرب مدى وانما دنو النبى صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة
عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته
ومن الله تعالى مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول فى قوله ينزل ربنا
الى السماء على احد الوجوه نزول اجمال وقبول واحسان قال القاضى وقوله فكان
قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل كان عبارة عن نهاية
القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه
وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضا المطالب واظهار التحفى وانافة المنزلة
والرتبة من الله ويتاول فيه ما يتاول فى قوله عليه السلام من يقرب منى شبرا
تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المامول وقد قيل ثم دنا جبريل من ربه فكان قاب قوسين
او ادنى قاله مجاهد يدل عليه ما روى فى الحديث ان اقرب الملايكة من الله
جبريل عليه السلام وقيل او بمعنى الواو اى قاب قوسين وادنى وقيل بمعنى بل اى
بل ادنى وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير
الذى يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فاخبر ان جبريل قرب من محمد
كقرب قاب قوسين وقال سعيد بن جبير وعطا وابو اسحق الهمدانى وابو وايل
شقيق بن سلمة فكان قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل
شىء وهى لغة بعض الحجازيين وقيل هى لغة ازد شنوءة ايضا وقال الكسائى قوله
فكان قاب قوسين او ادنى اراد قوسا واحدا كقول الشاعر ومهمهين قذفين
مرتين قطعتها بالسمت لا بالسمتين اراد مهمها واحدا والقوس تذكر وتونث فمن
انث قال فى تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس وفى المثل هو من خير قويس
سهما والجمع قسى واقواس وقياس وانشد ابو عبيدة ووتر الاساور القياسا والقوس
ايضا بقية التمر فى الجلة اى الوعا والقوس برج فى السماء فاما القوس بالضم
فصومعة الراهب قال الشاعر وذكر امراة لا ستفتنتنى وذا المسحين فى القوس
قوله تعالى **فاوحى الى عبده ما اوحى** تفخيم للوحى الذى اوحى اليه وتقدم
معنى الوحى وهو القا الشىء بسرعة ومنه الوحا الوحا والمعنى فاوحى الله تعالى
الى عبده محمد ما اوحى وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما اوحى وقيل
المعنى فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما اوحى اليه ربه قاله الربيع والحسن وابن
زيد وقتادة قال قتادة اوحى الله الى جبريل واوحى جبريل الى محمد ثم قيل
هذا الوحى هل هو مبهم لا نطلع نحن عليه وتعبدنا بالايمان به على الجملة او هو
معلوم مفسر قولان وبالثانى قال سعيد بن جبير قال اوحى الله الى محمد صلى الله

لقوله صح

فيه صح

عليه وسلم الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا
فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك
ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى
تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى
اى لم يكذب قلب محمد ليلة المعراج وذلك ان الله تعالى جعل بصره فى فؤاده
حتى راى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية وقيل كانت رؤيا حقيقة بالبصر و
الاول مروى عن ابن عباس فى صحيح مسلم انه راه بقلبه وهو قول ابى ذر وجماعة
من الصحابة والثانى قول انس وجماعة وروى عن ابن عباس ايضا فانه قال
اتعجبون ان تكون الخلة لابرهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس انما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين وقد مضى
القول فى هذا فى الانعام عند قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وروى
محمد بن كعب قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليك هل رايت ربك قال رايته بفؤادى
مرتين ثم قرا ما كذب الفؤاد ما راى وقول ثالث انه راى جلالته وعظمته قاله
الحسن وروى ابو العالية قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك
قال رايت نهرا ورايت وراء النهر حجابا ورايت وراء الحجاب نورا لم ار غير
ذلك وفى صحيح مسلم عن ابى ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رايت ربك قال نور انى اراه المعنى غلبنى من النور وبهرنى منه ما منعنى
من رؤيته ودل على هذه الرواية الاخرى رايت نورا وقال ابن مسعود راى
جبريل على صورته مرتين وقرا هشام عن ابن عامر واهل الشام ما كذب
بالتشديد اى ما كذب قلب محمد ما راى بعينه تلك الليلة بل صدقه فما مفعوله
بغير حرف مقدر لانه يتعدى مشددا بغير حرف ويجوز ان يكون ما بمعنى
الذى والعائد محذوف ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا الباقون مخففا
اى ما كذب فؤاد محمد فيما راى فاسقط حرف الصفة قال حسان لو كنت صادقة
الذى حدثتنى لنجوت منجا الحارث بن هشام اى فى الذى حدثتنى ويجوز ان
مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون بمعنى الذى اى ما كذب فؤاد محمد الذى راى
قوله تعالى أفتمارونه على ما يرى قرا حمزة والكسائى افتمرونه بفتح التاء
من غير الف على معنى افتجحدونه واختاره ابو عبيد لانه قال لم تماروه
وانما جحدوه يقال مراه حقه اى جحده ومريته انا قال الشاعر
لئن هجوت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا
اى جحدته وقال المبرد يقال مراه عن حقه وعلى حقه اذا منعه منه ودفعه
عنه قال ومثل على بمعنى عن قول بنى كعب بن ربيعة رضى الله عليك

اى عنك

اى عنك وقرا الاعرج ومجاهد أتُمرونه بضم التاء من غير الف من امريت
اى تريبونه وتشككونه الباقون افتمارونه بالف اى اتجادلونه وتدافعونه
فى انه راى الله والمعنيان متداخلان لان مجادلتهم جحود وقيل ان الجحود
كان دائما منهم وهذا جدال جديد فالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن
عيرنا التى فى طريق الشام على ما تقدم قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى
نزلة مصدر فى موضع الحال كانه قال ولقد راه نازلا نزلة اخرى قال ابن عباس
راى محمد ربه مرة اخرى بقلبه روى مسلم عن ابى العالية عنه قال ما كذب
الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفؤاده مرتين فقوله نزلة اخرى
يعود الى محمد فانه كان له صعود ونزول مرارا بحسب اعداد الصلوات المفروضة
فلكل عرجة نزلة وعلى هذا قوله عند سدرة المنتهى اى ومحمد عند السدرة
المنتهى وفى بعض تلك النزلات وقال ابن مسعود وابو هريرة فى تفسير قوله تعالى
ولقد رآه نزلة اخرى انه جبريل ثبت هذا ايضا فى صحيح مسلم وقال ابن مسعود
قال النبى صلى الله عليه وسلم رايت جبريل بالافق الاعلى له ستمائة جناح يتناثر
من ريشه الدر والياقوت ذكره المهدوى قوله تعالى عند سدرة المنتهى
عند من صلة راه على ما بينا والسدر شجر النبق وهى فى السماء السادسة وجاء
فى السابعة والحديث بهذا فى صحيح مسلم الاولى رواه مرة عن عبد الله قال
لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى
فى السماء السادسة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلثا اعطى الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك
بالله شيئا المقحمات الحديث الثانى رواه قتادة عن انس ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال لما رفعت الى سدرة المنتهى فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر
وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان
قلت يا جبريل ما هذا قال اما الباطنان ففى الجنة واما الظاهران فالنيل
والفرات لفظ الدارقطنى والنبق بكسر الباء ثمر السدر الواحد نبقة ويقال نبق
بفتح النون وسكون الباء ذكرهما يعقوب فى الاصلاح وهى لغة المصريين والاولى
افصح وهى التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى الترمذى عن اسماء بنت
ابى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر له سدرة المنتهى قال
يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة او يستظل بظلها مائة راكب شك
يحيى فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال قال ابو عيسى هذا حديث حسن
صحيح قال الشيخ المؤلف رحمه الله لفظ مسلم من حديث ثابت عن انس ثم ذهب

والله نهى ما يهبط به فوقها فيقبض منها هم ص

ى الى السدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما
غشيها من امر الله عز وجل ما غشى فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من
حسنها واختلف لم سميت بالسدرة المنتهى على اقوال تسعة الاول ما تقدم عن ابن
مسعود انه اليها ينتهى ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها الثانى لانه ينتهى علم الانبيا
اليها ويعزب علمهم عن ما وراها قاله ابن عباس الثالث لان الاعمال تنتهى اليها
وتقبض منها قاله الضحاك الرابع لانتهاء الملئكه والانبياء اليها ووقوفهم عندها
قاله كعب الخامس سميت سدرة المنتهى لانها تنتهى اليها ارواح الشهداء قاله الربيع بن
انس السادس تاوى اليها ارواح المومنين قاله قتاده السابع لانه ينتهى اليها كل من
كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه قاله على رضى الله عنه والربيع
بن انس ايضا الثامن هى شجرة على رؤس حملة العرش اليها ينتهى علم الخلايق قاله
كعب ايضا قال الشيخ المؤلف رحمه الله يريد والله اعلم ان ارتفاعها واعلى اغصانها
قد جاوزت رؤس حملة العرش دليله ما تقدم من ان اصلها فى السماء السادسة و
اعلاها فى السماء السابعة ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤس حملة العرش
والله اعلم التاسع سميت بذلك لان من رفع اليها فقد انتهى فى الكرامة وعن
ابى هريرة لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى السدرة فقيل له
هذه سدرة المنتهى ينتهى اليها كل احد خلا من امتك على سنتك فاذا هى شجرة
تخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى واذا هى شجرة يسير الراكب المسرع
فى ظلها مائة عام لا يقطعها والورقة منها تغطى الامة كلها ذكره الثعلبى قوله تعالى
عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى تعريف بموضع جنة الماوى وانه عند سدرة المنتهى وقرا
على وابو هريرة وانس وابو سبرة الجهنى وعبد الله بن الزبير ومجاهد عندها جنه
الماوى يعنى جنة المبيت قال مجاهد يريد اجنه والها النبى صلى الله عليه وسلم
وقال الاخفش ادركه كما يقول اجنه الليل اى ستره وادركه وقراة العامة جنة
الماوى قال الحسن هى التى تصير اليها المتقون وقيل انها جنة تصير اليها ارواح
الشهداء قاله ابن عباس وهى عن يمين العرش وقيل هى الجنة التى اوى اليها ادم
عليه السلام الى ان اخرج منها وهى فى السماء الرابعة وقيل لان ارواح المومنين
كلهم فى جنة الماوى وانما قيل لها جنة الماوى لانها تاوى اليها ارواح المومنين
وهى تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها وقيل لان جبريل
وميكائيل ياويان اليها والله اعلم قوله تعالى **اِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى**
قال ابن عباس والضحاك وابن مسعود واصحابه فراش من ذهب ورواه
مرفوعا ابن مسعود وابن عباس الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم فى

الراك

ياويان

صحيح مسلم

صحيح مسلم عن ابن مسعود قوله وقال الحسن غشيها نور رب العالمين فاستنارت قال
القشيرى وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيها قال فراش من ذهب وفى خبر
آخر غشيها نور من الله حتى ما يستطيع احد ان ينظر اليها وقال الربيع بن انس غشيها
نور الرب والملايكه تقع عليها كما تقع الغربان على الشجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قايما يسبح وذلك
قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى ذكره المهدوى والثعلبى وقال انس بن مالك اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال جراد من ذهب وقد رواه مرفوعا وقال مجاهد انه رفرف اخضر وعنه عليه
السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن عباس غشيها رب العزة اى امره كما
فى صحيح مسلم مرفوعا فلما غشيها من امر الله ما غشى وقيل هو تعظيم الامر كانه قال
اذ يغشى السدرة ما اعلم الله به من دلايل ملكوته وهكذا قوله فاوحى الى عبده ما
اوحى وقوله والموتفكة اهوى فغشاها ما غشى ومثله الحاقة ما الحاقة قوله تعالى
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى قال ابن عباس اى ما عدل يمينا ولا شمالا ولا تجاوز الحد
الذى راى وقيل ما جاوز ما امر به وقيل لم يمد بصره الى غير ما راى من الايات
وهذا وصف اداب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام اذ لم يلتفت يمينا ولا
شمالا وقال الماوردى فى معانى القرآن له فان قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر
دون غيرها من الشجر قيل لان السدرة تختص بثلاثه اوصاف ظل مديد وطعام
لذيذ ورايحة ذكيه فشابهت الايمان الذى يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان
بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورايحتها بمنزلة القول
لظهوره وروى ابو داود فى سننه قال حدثنا نصر بن على قال حدثنا ابو اسامة عن ابن
جريج عن عثمان ابن ابى سليمان عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن
حبشى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قطع سدرة صوب الله راسه
فى النار وسيل ابو داود عن معنى هذا الحديث فقال هذا الحديث مختصر يعنى
من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق يكون
له فيها صوب الله راسه فى النار قوله تعالى **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**
قال ابن عباس راى رفرفا سد افق السماء وذكر البيهقى عن عبد الله قال لقد راى
من آيات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر سد افق السماء وعنه قال راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فى حلة رفرف اخضر قد ملا ما بين السماء
والارض قال البيهقى قوله فى الحديث راى رفرفا يريد جبريل عليه السلام فى صورته
على رفرف والرفرف البساط ويقال فراش ويقال بل هو ثوب كان لباسا له فقد
روى انه راه فى حلة رفرف قال الشيخ المؤلف رحمه الله خرجه الترمذى
عن عبد الله قال ما كذب الفؤاد ما راى قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم

جبريل في حلة من رفرف قد ملا ما بين السماء والارض قال هذا حديث حسن
صحيح قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد روى عن ابن عباس في قوله تعالى دنا فتدلى
انه على التقديم والتاخير اي تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات
وسمعت كلام ربي فعلى هذا الرفرف ما يقعد ويجلس عليه كالبساط وغيره وهو
بالمعنى الاول جبريل قال عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حيان راى جبريل في صورته
التي يكون فيها في السموات وكذا في صحيح مسلم عن عبد الله قال لقد راى من ايات
ربه الكبرى قال راى جبريل عليه السلام في صورته له ستمائة جناح ولا يبعد
مع هذا ان يكون في حلة رفرف وعلى رفرف والله اعلم وقال الضحاك راى سدرة
المنتهى وعن ابن مسعود راى ما غشى السدرة من فراش الذهب حكاه الماوردي
وقيل المعراج وقيل هو ما راى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه وهذا احسن (راى ه)
دليله لنريه من اياتنا ومن تجوز ان تكون للتبعيض ويكون الكبرى مفعوله
لراى وهي في الاصل صفة الايات ووحدت لرؤس الايات وايضا يجوز نعت
الجماعة بنعت الانثى كقوله ولي فيها مارب اخرى وقيل الكبرى نعت محذوف
اي راى من آيات ربه الاية الكبرى ويجوز ان يكون من رايه اي راى ايات
ربه الكبرى وقيل فيه تقديم وتاخير اي راى الكبرى من ايات ربه قوله تعالى
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لما ذكر الوحي الى النبي صلى
الله عليه وسلم وذكر من اثار قدرته ما ذكر حاج المشركين اذ عبدوا ما لا يعقل
وقيل افرايتم هذه الالهة التي يعبدونها اوحين اليكم شيئا كما اوحى الى محمد
وكانت اللات لثقيف والعزى لقريش وبني كنانة ومناة لبني هلال وقال هشام
وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها
عام الفتح ثم اتخذوا اللات بالطايف وهي احدث من مناة وكانت صخرة
مربعة وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بنا فكانت قريش وجميع
العرب يعظمونها وبها كانت تسمي العرب زيد اللات وتيم اللات وكانت في موضع
مسجد الطايف اليسرى فلم تزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا
العزى وهي احدث من اللات اتخذها ظالم بن سعد وكانت بوادي نخلة
الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منها الصوت قال (نخ ه)
ابن هشام وحدثني ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال كانت العزى شيطانة
تاتي ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
بعث خالد بن الوليد فقال ايت نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى

فاتاها فعضدها فلما جاء اليه قال هل رايت شيئا قال لا قال فاعضد الثانية فاتاها
فعضدها ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل رايت شيئا قال لا قال فاعضد
الثالثة فاتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تضرب بانيابها
وخلفها دبية السلمي وكان سادنها فقال يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله
قد اهانك ثم ضربها ففلق راسها فاذا هي حممة ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى وقال ابن جبير العزى
حجر ابيض كانوا يعبدونه وقال قتادة بيت كان ببطن نخلة ومناة صنم لخزاعة
وقيل ان اللات فيما ذكره بعض المفسرين اخذه المشركون من اسماء الله تعالى
والعزى من العزيز ومناة من منى الله الشي اذا قدره وقرا ابن عباس وابن الزبير
ومجاهد وحميد وابو صالح اللات بتشديد التاء وقالوا كان رجلا يلت السويق
للحاج ذكره البخاري عن ابن عباس فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه قال ابن
عباس كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويصبه عليها فلما مات ذلك الرجل
عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق وقال ابو صالح انما كان
رجلا بالطايف فكان يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق فلما مات عبدوه وقال
مجاهد كان رجلا في راس جبل له غنيمة يسلي منها السمن وياخذ منها الاقط ويجمع
رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه
وهو اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة ابن غنم وقيل انه
عامر بن الظرب العدواني قال الشاعر لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف
ينصركم من ليس ينتصر والقراءة الصحيحة اللات بالتخفيف اسم صنم والوقف
عليها بالتاء وهو اختيار الفرا قال الفرا وقد رايت الكساي سال ابا فقعس
الاسدي فقال ذاه لذات وقال افرايتم اللات لللاه وكذلك قرا الدوري
عن الكساي والبزي عن ابن كثير اللاه بالهاء في الوقف ومن قال ان اللات
من الله وقف بالهاء ايضا وقيل اصلها لاهة مثل شاة وهي من لاهت اي اختفت قال
الشاعر لاهت فما عرفت يوما بخارجة يا ليتها خرجت حتى رايناها وفي الصحاح
واللات اسم صنم لثقيف وكان بالطايف وبعض العرب يقف عليها بالتاء وبعضهم
بالهاء قال الاخفش سمعت من العرب من يقول افرايتم اللات والعزى ويقول هي
اللات فجعلها تاء في السكون وهي اللات فاعلم جر في موضع الرفع فهذا مثل امس
مكسور على كل حال وهو اجود منه لان الالف واللام التي في اللات لا تسقطان
وان كانتا زايدتين واما ما سمعنا من الاكثر في اللات والعزى في السكوت عليها
واللاه لانها هاء فصارت تاء في الوصل وهي في تلك اللغة مثل كان من الامر
كيت وكيت وكذلك هيهات في لغة من كسرها الا انه يجوز في هيهات ان تكون

جماعة ولا يجوز ذلك في اللات لان التاء لا تزاد في الجماعة الا مع الالف واللام
وان جعلت الالف واللام زايدتين بقي الاسم على حرف احد قوله تعالى **ومناة الثالثة
الاخرى** قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي الاعشى عن ابي بكر
ومناة بالمد والهمز الباقون بترك الهمز لغتان وقيل سمي بذلك لانهم كانوا يريقون
عنده الدما يتقربون بذلك اليه وبذلك سميت منا لكثرة ما يراق فيها من الدماء وكان الكساى
وابن كثير وابن محيصن يقفون بالهاء على الاصل الباقون بالتاء اتباعا لخط المصحف
وفي الصحاح ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة والهاء للتانيث وتسكت عليها
بالتاء وهي لغة والنسبة اليها منوي وعبد مناة بن اد بن طابخة وزيد مناة بن تميم
بن مر يمد ويقصر قال هوبر الحارثي الا هل اتيم بن عبد مناة على الشنء فيما بيننا ابن
تميم التالثة الاخرى العرب يقول للثالثة اخرى وانما الاخرى نعت للثانية واختلفوا
في وجهها فقال الخليل انما قال ذلك لوفاق رؤس الاى كقوله مآرب اخرى ولم يقل
آخر وقال الحسين ابن الفضل في الاية تقديم وتاخير مجازها افرايتم اللات والعزى
الاخرى ومناة الثالثة وقيل انما قال ومناة لانها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم
بعد اللات والعزى فالكلام على نسقه وقد ذكرنا عن بن هشام ان مناة كانت اولا
في التقديم فلذلك كانت مقدمة عندهم في التعظيم والله اعلم وفي الاية حذف دل عليه
الكلام اى افرايتم هذه الالهة هل نفعت اوضرت حتى يكون شركاء لله ثم قال على جهة
التقريع والتوبيخ الكم الذكر وله الانثى ردا عليهم قولهم الملائكة بنات الله والاصنام
بنات الله قوله تعالى **تلك اذا** يعني هذه التسمية قسمة ضيزى اى جائرة عن العدل
خارجة عن الصواب مايلة عن الحق يقال ضاز في الحكم اى جار وضازه حقه يضيزه
ضيزا عن الاخفش اى نقصه وبخسه قال وقد يهمز فيقال ضازه يضازه ضازا وانشد
فان تنا عنا ننتقصك وان تغب فحقك مضؤوز وانفك راغم وقال الكساى يقال
ضاز يضيز ضيزا وضاز يضوز ضوزا وضاز يضاز ضازا اذا ظلم وتعدى وبخس
وانتقص قال ضازت بنو اسد بحكمهم اذ يجعلون الراس كالذنب وقوله تعالى قسمة
ضيزى اى جائرة وهي فعلى مثل طوبى وحبلى وانما كسروا الضاد لتسلم الياء لانه ليس
في الكلام فعلى صفة وانما هو من بناء الاسماء كالشعرى والدفلى قال الفراء وبعض العرب
يقول ضأزى وضؤزى بالهمز وحكى ابو حاتم عن ابي زيد انه سمع العرب تهمز
ضيزى قال غيره وبها قرا ابن كثير جعله مصدرا مثل ذكرى وليس بصفة اذ ليس
في الصفات فعلى ولا يكون اصلها فعلى اذ ليس فيها ما يوجب القلب وهي من قولهم
ضازته اى ظلمته فالمعنى قسمة ذات ظلم وقد قيل هما لغتان بمعنى وحكى
فيها ايضا سواهما ضيزى وضازى وضوزى وقال المورج كرهوا ضم الضاد في
ضيزى وخافوا انقلاب الياء واوا وهي من بنات الواو فكسروا الضاد لهذه

العلة

العلة كما قالوا في جمع ابيض بيض والاصل بوض مثل حمر وصفر وخضر فاما من قال
ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل شورى قوله تعالى **ان هي الا اسماء سميتموها**
اى ما هي يعني هذه الاوثان الا اسماء سميتموها يعني نحتموها وسميتموها الهة انتم واباؤكم
اى قلدتموهم في ذلك ما انزل الله بها من سلطان اى ما انزل بها حجة ولا برهانا ان يتبعون
الا الظن عاد من الخطاب الى الخبر اى ما يتبع هؤلاء الا الظن وما تهوى الا نفس
اى تميل اليه وقراءة العامة يتبعون بالياء وقرا عيسى بن عمر وايوب وابن السميفع
تتبعون بالتاء على الخطاب وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ولقد جاءهم من ربهم
الهدى اى البيان من جهة الرسول انها ليست بالهة ام للانسان ما تمنى اى اشتهى
اى ليس ذلك له وقيل ام للانسان ما تمنى من البنين ان يكون له دون البنات
وقيل ام للانسان ما تمنى من غير جزاء ليس الامر كذلك وقيل ام للانسان ما تمنى
من النبوة ان يكون فيه دون غيره وقيل ام للانسان ما تمنى من شفاعة الاصنام
نزلت في النضر بن الحارث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في ساير الكفار فلله الاخرة
والاولى يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى احد قوله تعالى **وكم من ملك في
السموات** لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى هذا
توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والاصنام وزعم ان ذلك يقربه الى الله
فاعلم ان الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا يشفع الا لمن اذن ان
يشفع له قال الاخفش الملك موحد ومعناه جمع وهو كقوله فما منكم من احد عنه
حاجزين وقيل انما ذكر ملكا واحدا لان كم تدل على الجمع قوله تعالى **ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة** هم الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله والاصنام
بنات الله ليسمون الملائكة تسمية الانثى اى كتسمية الانثى اى يعتقدون ان الملائكة
اناث وانهم بنات الله وما لهم بذلك من علم اى انهم لم يشاهدوا خلقة
الملائكة ولم يسمعوا ما قالوه من رسول ولم يروه في كتاب ان يتبعون اى ما يتبعون
الا الظن في ان الملائكة اناث وان الظن لا يغني من الحق شيئا قوله تعالى
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا يعني القران والايمان وهذا منسوخ
باية السيف ولم يرد الا الحيوة الدنيا نزلت في النضر وقيل في الوليد ذلك مبلغهم
من العلم اى انما يبصرون امر دنياهم ويجهلون امر دينهم قال الفراء صغرهم
وازدرى بهم اى ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم ان اثروا الدنيا على الاخرة
وقيل ان جعلوا الملائكة والاصنام بنات الله ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله اى حاد عن دينه وهو اعلم بمن اهتدى فيجازي كلا باعمالهم قوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اللام متعلقة بالمعنى
الذي دل عليه ولله ما في السموات وما في الارض كانه قال هو مالك ذلك يهدي

اساؤا صح

من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن باحسانه والمسيء باسائته وقيل ولله ما في السموات وما في الارض معترض في الكلام والمعنى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ليجزي وقيل هي لام العاقبة اي ولله ما في السموات وما في الارض اي وعاقبة امر الخلق ان يكون فيهم مسيء ومحسن فللمسيء السوء وهي جهنم وللمحسن الحسنى وهي الجنة قوله تعالى **الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم** فيه ثلث مسائل الاولى قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش هذا نعت للمحسنين اي هم لا يرتكبون كبائر الاثم وهو الشرك لانه اكبر الآثام وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي كبير على التوحيد **وفسره** ابن عباس بالشرك والفواحش الزنا وقال مقاتل كبائر الاثم كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقد مضى في النساء القول في هذا ثم استثنى استثناء منقطعا وهي الثانية فقال الا اللمم وهي الصغائر الذي لا يسلم من الوقوع فيها الا من عصمه الله وحفظه وقد اختلف في معناها فقال ابو هريرة وابن عباس والشعبي اللمم كل ما دون الزنا وذكر مقاتل بن سليمان ان هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار كان له حانوت يبيع فيها تمرا فجاءته امراة تشتري منه تمرا فقال لها ان داخل الدكان ما هو خير من هذا فلما دخلت راودها فابت وانصرفت فندم نبهان فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما من شيء يصنعه الرجل الا وقد فعلته الا الجماع فقال لعل زوجها غاز فنزلت هذه الآية وقد مضى في اخر هود وكذا قال ابن مسعود وابو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق ان اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة وروى مسروق عن عبد الله ابن مسعود قال زنا العينين النظر وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي وانما يصدق ذلك او يكذبه الفرج فان تقدم كان زنا وان تاخر كان لمما وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا ~~الرجلين~~ اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه والمعنى ان الفاحشة العظيمة والزنا التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الاثم والله اعلم وفي رواية ابي صالح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه خرجه مسلم وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الاذن واليد والرجل وزاد فيه بعد العينين واللسان

العين

وزنا

وزنا الشفتين القبلة فهذا قول وقال ابن عباس ايضا هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب قال الم تسمع النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما رواه عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال النحاس هذا اصح ما قيل فيه واجلها اسنادا وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل الا اللمم قال هو ان يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده قال الشاعر ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما وكذلك قال مجاهد والحسن هو الذي ياتي الذنب ثم لا يعاوده ونحوه عن الزهري قال اللمم ان يزني ثم يتوب فلا يعود وان يسرق او يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود ودليل هذا التاويل قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية ثم قال اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم فضمن لهم المغفرة كما قال عقيب اللمم ان ربك واسع المغفرة فعلى هذا التاويل يكون الا اللمم استثناء متصل قال عبد الله بن عمرو بن العاصي اللمم ما دون الشرك وقيل اللمم الذنب بين الحدين وهو ما لم يات عليه حد في الدنيا ولا توعد عليه بعذاب في الآخرة تكفره الصلوات الخمس قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة ورواه العوفي والحكم بن عتيبة عن ابن عباس وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله جل وعز عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي يكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به الانسان المرة بعد المرة فيتوب منه وعن ابن عباس ايضا وابي هريرة وزيد بن ثابت هو ما سلف في الجاهلية فلا يواخذهم به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انما كنتم بالامس تعملون معنا فنزلت وقاله زيد بن اسلم وابوه كقوله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقيل اللمم هو ان ياتي بذنب لم يكن له به عادة قاله نفطويه قال والعرب يقول ما ياتينا الا لماما اي في الحين بعد الحين قال ولا يكون ان تلم ولا تفعل لان العرب لا يقول الم بنا الا اذا فعل الانسان لا اذا هم ولم يفعله وفي الصحاح والم الرجل من اللمم وهو صغار الذنوب ويقال هو مقاربة المعصية من غير مواقعة وانشد غير الجوهري بزينب المم قبل ان يرحل الركب وقل ان تملينا فما ملك القلب اي اقرب وقال عطاء بن ابي رباح اللمم عادة النفس الحين بعد الحين وقال سعيد بن المسيب هو ما الم على القلب اي خطر وقال محمد بن حنفية كلما هممت به من خير او شر فهو لمم ودليل هذا التاويل قوله عليه السلام ان للشيطان لمة وللملك لمة الحديث وقد مضى في البقرة عند قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر وقال ابو اسحق الزجاج اصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال الممت به اذا زرته وانصرفت عنه ويقال

ما فعلنه الا لمما والماما اى الحين بعد الحين وانما زيارتك الماما ومنه المام الخيال
قال الاعشى الخيال من قتيلة بعدما وهى حبلها من حبلنا فصرما وقيل الا بمعنى الواو
وانكر هذا الفرا قال المعنى الا المتقارب من صغار الذنوب وقيل اللمم النظر التى
يكون فجاة قال الشيخ المولف رحمه الله هذا فيه بعد اذ هو معفوا عنه ابتدا غير مواخذ
لانه يقع من غير قصد واختيار وقد مضى فى النور بيانه واللمم ايضا طرف من الجنون ورجل
ملموم اى به لمم ويقال ايضا اصابت فلانا لمة من الجن وهى المس والشى القليل قال
فادو ذلك ياكبيشه لم يكن الا كلمة حالم بخيال الثالثة قوله تعالى ان ربك واسع
المغفرة لمن تاب عن ذنبه واستغفر قاله ابن عباس قال ابو ميسرة عمرو بن شرحبيل
وكان من افاضل اصحاب بن مسعود رايت فى المنام كانى دخلت الجنة فاذا قباب مضروبة
فقلت لمن هذه فقالوا لذى الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل بعضهم بعضا فقلت وكيف
ذلك فقالوا انهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة قال ابو خالد بلغنى ان ذا الكلاع
اعتق اثنى عشر الف بيت قوله تعالى هو اعلم بكم من انفسكم منكم اذ انشاكم
من الارض يعنى اباكم ادم من الطين وخرج اللفظ على الجميع قال الترمذى
ابو عبد الله وليس هو كذلك عندنا بل وقع الانسان على التربة التى رفعت من الارض
وكنا جميعا فى تلك التربة وفى تلك الطينة ثم خرجت من الطينة المياه الى الاصلاب
مع ذرو النفوس على اختلاف هيئتها ثم استخرجها من صلبه على اختلاف الهيئات منهم
كالدر يتلالا وبعضهم انور من بعض ومنهم سود كالحممه وبعضهم اشد سوادا من بعض
فكان الانسان اقعا علينا وعليه حدثنا عيسى بن حماد العسقلانى حدثنا بشر بن بكر
قال حدثنا الاوزاعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على الاولون والاخرون
بين يدى حجرتى هذه الليله فقال قايل يا رسول الله ومن مضى من الخلق قال نعم عرض
على ادم فمن دونه فهل كان ثم احد قالوا للرجال ومن فى اصلاب وبطون الامهات
قال نعم مثلوا فى الطين فعرفتهم كما علم ادم الاسما كلها قال الشيخ المولف رحمه الله
وقد تقدم فى اول الانعام ان كل انسان يخلق من طين البقعة التى يدفن فيها واذ انتم
اجنة جمع جنين وهو الولد ما دام فى البطن سمى جنينا لاجتنانه واستتاره قال عمرو
ابن كلثوم هجان اللون لم تقرا جنينا وقال مكحول كنا اجنة فى بطون امهاتنا فسقط
منا من سقط وكنا فيمن بقى ثم صرنا مواضع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقى ثم كنا
يفعة فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقى ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا
فيمن بقى ثم صرنا شيوخا لا ابا لك فما بعد هذا ينتظر وروى ابن لهيعة عن الحارث
بن يزيد عن ثابت بن الحارث الانصارى قال كانت اليهود تقول اذا هلك لهم صبى
صغير هو صديق فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال كذبت يهود ما من
نسمة يخلقها الله فى بطن امه الا انه شقى او سعيد فانزل الله تعالى عند ذلك هذه

قيل

الايه

الاية هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض الى اخره ونحوه عن عايشه كان اليهود
بمثله فلا تزكوا انفسكم اى لا تمدحوها وتثنوا عليها فانه ابعد من الريا واقرب الى الخشوع
هو اعلم بمن اتقى اى اخلص العمل واتقى عقوبة الله عن الحسن وغيره قال الحسن قد علم الله
سبحانه كل نفس ما هى عاملة وما هى صانعة والى ما هى صايرة وقد مضى فى النسا الكلام
فى معنى هذه الاية عند قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم فتامله هناك وقال ابن
عباس ما من احد من هذه الامة ازكيه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
افرايت الذى تولى الايات لما بين جهل المشركين فى عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم
معينا بسوء فعله قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال لم تركت دين الاشياخ
وضللتهم وزعمت انهم فى النار قال انى خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه
شيا من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فاعطى الذى عاتبه بعض
ما كان ضمن ثم بخل ومنعه فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل كان الوليد مدح القران
ثم امسك عنه فنزل واعطى قليلا واكدى اى من الخير بلسانه واكدى اى قطع ذلك
وامسك عنه وعنه انه اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الايمان ثم تولى
فنزلت افرايت الاية وقال ابن عباس والسدى والكلبى والمسيب بن شريك نزلت فى
عثمان بن عفان كان يتصدق وينفق فى الخير فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن
ابى سرح ما هذا الذى تصنع يوشك ان لا يبقى لك شى فقال عثمان ان لى ذنوبا وخطايا
وانى اطلب بما اصنع رضى الله تعالى وارجوا عفوه فقال له عبد الله اعطنى ناقتك برحلها
وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن بعض ما كان يصنع
فانزل الله تعالى افرايت الذى تولى واعطى قليلا واكدى فعاد عثمان الى احسن ذلك
واجمله ذكره الواحدى والثعلبى وقال السدى ايضا نزلت فى العاص بن وايل
السهمى وذلك انه كان ربما يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقال محمد
بن كعب القرظى نزلت فى ابى جهل بن هشام قال والله ما يامر محمد الا بمكارم الاخلاق
فذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى وقال الضحاك هو النضر بن الحارث اعطى
خمس قلايص لفقير من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن له ان يتحمل عنه ما ثم
رجوعه واصل اكدى من الكدية يقال لمن حفر بيرا ثم بلغ الى حجر لا يتهيا له فيه
حفر قد اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى ولم يتمم ولمن طلب شيا فلم يبلغ اخره
قال الحطيئة فاعطى قليلا ثم اكدى عطاءه ومن يبذل المعروف فى الناس يحمد
قال الكسائى وغيره اكدى الحافر واجبل اذا بلغ فى حفره كدية او جبلا فلا يمكنه
ان يحفر وحفر فاكدى اذا بلغ الى الصلب ويقال كديت اصابعه اذا مجلت
من الحفر وكديت يده اذا كلت فلم تعمل شيا واكدى النبت اذا قل ريعه

وكدت الارض تكدو اكدوا فهي كادية اذا ابطأ نباتها عن ابي زيد واكديت الرجل عن الشيء رددته واكدى الرجل اذا قل خيره وقوله واعطى قليلا واكدى اى قطع القليل قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى اى عند هذا المكدى علم ما غاب عنه من امر العذاب فهو يرى اى يعلم ما غاب عنه من امر الاخرة وما يكون من امره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره وكفى بهذا جهلا وحمقا وهذه الرؤية هي المتعدية الى مفعولين والمفعولان محذوفان كانه قال فهو يرى الغيب مثل الشهادة قوله تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم اى وصحف ابرهيم الذي وفى كما في سورة الاعلى صحف ابرهيم وموسى اى لا يوخذ نفس بدلا عن اخرى كما قال ان لا تزر وازرة وزر اخرى وخص صحف ابرهيم وموسى بالذكر لانه كان ما بين نوح وابرهيم يوخذ الرجل بجريرة ابنه وابيه قاله الهذيل بن شرحبيل وان هذه مخففة من الثقيلة وموضعها جر بدلا من ما او تكون في موضع رفع على اضمار هو وقرا سعيد بن جبير وقتادة وفى خفيفة ومعناها صدق في قوله وعمله وهي راجعة الى معنى قراءة الجماعة وفى بالتشديد اى قام بجميع ما فرض عليه فلم يخرم منه شيا وقد مضى في البقرة عند قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقال ابو بكر الوراق قام بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى قال له اسلم قال اسلمت لرب العالمين فطالبه الله تعالى بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده وافيا لذلك قوله وابرهيم الذي وفى اى ادعى الاسلام ثم صحح دعواه وقيل وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار رواه الهيثم عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى سهل بن سعد الساعدي عن ابيه قال الا اخبركم لم سمى الله خليله ابرهيم الذي وفى لانه كان يقول كلما اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية ورواه سهل بن معاذ بن انس عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل وفى اى وفى ما ارسل به وهو قوله الا تزر وازرة وزر اخرى قال ابن عباس كانوا قبل ابرهيم ياخذون الرجل بذنب غيره وياخذون الولي بالولي في القتل والجراح فيقتل الرجل بابيه وابنه واخيه وعمه وخاله وابن عمه وقريبه وزوجته وزوجها وعبده فبلغهم ابرهيم عليه السلام عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في قوله تعالى وفى عمل ما امر به وبلغ رسالات ربه وهذا احسن لانه عام وكذا قال مجاهد وفى بما فرض عليه وقال ابو مالك الغفاري قوله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى الى قوله فباي الاء ربك تتمارى في صحف ابرهيم وموسى وقد مضى في اخر الانعام القول في ولا تزر وازرة وزر اخرى مستوفى قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى روى عن ابن عباس انها منسوخة بقوله تعالى والذين

آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الاباء في الابناء والابناء في الاباء يدل على ذلك قوله تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا وقال اكثر اهل العلم هي محكمة ولا ينفع احدا عمل احد واجمعوا انه لا يصلي احد عن احد ولم يجز مالك الصيام والحج والصدقة عن الميت الا انه قال ان اوصى بالحج ومات جاز ان يحج عنه واجاز الشافعي رحمه الله وغيره الحج التطوع عن الميت وروى ان عايشة رضي الله عنها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وروى ان سعد بن عبادة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الماء وقد مضى جميع هذا مستوفى في البقرة وال عمران والاعراف وقد قيل ان الله جل وعز انما قال وان ليس للانسان الا ما سعى ولام الخفض معناها في العربية الملك والايجاب فلم يجب للانسان الا ما سعى فاذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء الا ان الله جل وعز يتفضل عليه بما لم يجب له كما يتفضل على الاطفال بادخالهم الجنة بغير عمل وقال الربيع ابن انس وان ليس للانسان الا ما سعى يعني الكافر واما المومن فله ما سعى وما سعى له غيره قال الشيخ المولف رحمه الله وكثير من الاحاديث تدل على هذا القول وان المومن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وقد تقدم كثير منها لمن تاملها وليس في الصدقة اختلاف كذا في صدر كتاب مسلم عن عبد الله بن المبارك وفي الصحيح اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلثة وفيه او ولد صالح يدعو له وهذا كله تفضل من الله جل وعز كما ان زيادة الاضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعماية ضعف الى الف الف حسنة كما قيل لابي هريرة اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الفي الف حسنة فهذا تفضل وطريق العدل ان ليس للانسان الا ما سعى قال الشيخ المولف رحمه الله ويحتمل ان يكون قوله وان ليس للانسان الا ما سعى خاص في السيئة بدليل ما في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فان عملها كتبتها عشر حسنات الى سبعماية ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة وقال ابو بكر الوراق الا ما سعى الا ما نوى بيانه قوله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيامة على نياتهم قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اى يريه الله جزاه يوم القيامة ثم يجزاه اى يجزى به الجزاء الاوفى قال الاخفش يقال جزيته الجزاء وجزيته

باجزاسو الاقرف بينهما قال الشاعر ان احجر علقمة بن سعد سعية لم اجزه ببلاء يوم واحد
فجمع بين اللغتين قوله تعالى **وان الى ربك المنتهى** اى المرجع والمرد والمصير
فيعاقب ويثيب وقيل منه ابتدا المنة واليه انتها الامان وعن ابى بن كعب قال النبى
صلى الله عليه وسلم وان الى ربك المنتهى قال لا فكره فى الرب وعن انس قال النبى
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الله تعالى فانتهوا قال الشيخ المولف رحمه الله ومن هذا المعنى
قوله عليه السلام ياتى الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من
خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته وقد تقدم آخر الاعراف ولقد احسن
من قال ولا تفكرن فى ذى العلا عز وجهه فانك تردى ان فعلت وتخذل ودونك
مصنوعاته فاعتبر بها وقل مثل ما قال الخليل الممجد قوله تعالى **وانه هو اضحك
وابكى وانه هو امات واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
من نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى وانه هو اغنى واقنى**
ذهبت الوسايط وبقيت الحقايق لله سبحانه وتعالى فلا فاعل الا هو وفى صحيح مسلم
عن عايشه رضى الله عنها قالت لا والله وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم قط
ان الميت يعذب ببكا احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكاء اهله عذابا وان
الله لهو اضحك وابكى ولا تزر وازرة وزر اخرى وعنها قالت مر النبى صلى الله عليه وسلم
على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
فنزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك وانه هو اضحك وابكى اى قضا
فرجع اليهم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتانى جبريل فقال ايت هولاء
فقل لهم ان الله يقول هو اضحك وابكى اى قضا اسباب الضحك والبكا وقال
عطا بن ابى مسلم يعنى افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب
البكا وقيل لعمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون
قال نعم والله والايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وقد تقدم هذا المعنى
فى النمل وبراة قال الحسن اضحك اهل الجنة فى الجنة وابكى اهل النار فى النار
وقيل اضحك من شا فى الدنيا بان سره وابكى من شا بان غمه وقال الضحاك اضحك
الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل اضحك الاشجار بالنوار وابكى السحاب
بالامطار وقال ذو النون اضحك قلوب المومنين والعارفين بشمس معرفته
وابكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته وقال سهل بن عبد الله
اضحك المطيعين بالرحمة وابكى العاصين بالسخط وقال محمد بن على الترمذى
اضحك المومن فى الآخرة وابكاه فى الدنيا وقال بسام بن عبد الله اضحك اسنانهم
وابكى قلوبهم وانشد السن تضحك والاحشا تحترق وانما ضحكها زور ومختلق
يا رب باك بعين لا دموع لها ورب ضاحك سن ما به رمق وقيل ان الله خص

الانسان

الانسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان وليس فى سائر الحيوان من يضحك ويبكى
غير الانسان وقد قيل ان القرد وحده يضحك ولا يبكى وان الابل تبكى وحدها ولا
تضحك وقال يوسف بن الحسين سيل طاهر المقدسى اتضحك الملايكه فقال ما ضحكوا
ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم وانه هو امات واحيى اى قضا اسباب الموت
والحياة وقيل خلق الموت والحياة كما قال هو الذى خلق الموت والحياة قاله ابن
بحر وقيل امات الكافر بالكفر واحيى المومن بالايمان قال الله تعالى اومن
كان ميتا فاحييناه الآية وقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله على
ما تقدم واليه يرجع قول ابن عطا امات بعدله واحيى بفضله وقول من قال امات
بالمنع والبخل واحيا بالجود والبذل وقيل امات النطفة واحيى النسمه وقيل امات
الاباء واحيا الابناء وقيل يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب وقيل انام وايقظ
وقيل امات فى الدنيا واحيى للبعث وانه خلق الزوجين اى الذكر والانثى من اولاد آدم ولم
يرد آدم وحوا لانهما ما خلقا من نطفه والنطفه الماء القليل مشتق من نطف
الماء اذا قطر تمنى تصب فى الرحم وتراق قاله الكلبى والضحاك وعطا ابن ابى رباح
يقال منى الرجل وامنى من المنى وسميت منى بهذا الاسم لما يمنى بها من الدماء اى
يراق وقيل تمنى يقدر قاله ابو عبيده يقال منيت الشى اذا قدرته ومنى له اى قدر
قال الشاعر حتى تلاقى ما يمنى لك المانى اى ما يقدر لك القادر وان عليه النشاة الاخرى
اى اعادة الارواح فى الاشباح للبعث وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح الشين والمد
الهمزة اى وعد ذلك ووعده صدق وانه هو اغنى واقنى قال ابن زيد اغنى من
شاء وافقر من شاء ثم قرا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرا يقبض
ويبسط واختاره الطبرى وعن ابن زيد ايضا ومجاهد وقتادة والحسن اغنى
مول واقنى اخدم وقيل اقنى جعل لكم قنية تقتنونها وهو معنى اخدم ايضا و
قيل معناه ارضا بما اعطى اى اغناه ثم رضاه بما اعطاه قاله ابن عباس وقال الجوهرى
قنى الرجل يقنى قنى مثل غنى يغنى غنى واقناه الله اى اعطاه ما يقتنى من القنية و
النشب واقناه ايضا اى رضاه والقنى الرضا عن ابى زيد قال وتقول العرب
من اعطى مائة من المعز فقد اعطى القنى ومن اعطى مائة من الابل فقد
اعطى المنا ويقال اغناه الله واقناه اى اعطاه ما يسكن اليه وقيل اغنى واقنى
اى اغنى نفسه وافقر خلقه اليه قاله سليمان التيمى وقال سفيان اغنى بالقناعة
واقنى بالرضاء وقال الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان اولد وهذا راجع الى
ما تقدم وانه هو رب الشعرى الشعرى الكوكب المضى الذى يطلع بعد
الجوزا وطلوعه فى شدة الحر وهما الشعريان العبور التى فى الجوزا والشعرا
الغميصا التى فى الذراع تزعم العرب انهما اختا سهيل وانما ذكر انه رب

الضان فقد اعطى الغنا ومن اعطى مائه من
صح

الشعرى وان كان ربا لغيره لان العرب كانت تعبده فاعلمهم الله جل وعز ان الشعرى
مربوب وليس برب واختلف فيمن كان يعبده فقال السدى كانت تعبده حمير و
خزاعه قال غيره اول من عبده ابو كبشه احد اجداد النبى صلى الله عليه وسلم من قبل
امهاته وبذلك كان مشركوا قريش يسمون النبى صلى الله عليه وسلم ابن ابى كبشه حين
دعا الى الله وخالف اديانهم وقالوا ما لقينا من ابن ابى كبشه وقال ابو سفيان يوم الفتح
وقد وقف فى بعض المضايق وعساكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر عليه لقد امر
امر ابن ابى كبشه وقد كان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها فى
العالم قال الشاعر مضى ايلول وارتفع الحرور واخبت نارها الشعرى العبور وقيل
ان العرب يقول فى خرافاتها ان سهيلا والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل
فصار يمانيا فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا
لانها اخفى من الاخرى وانه اهلك عادا الاولى سماها الاولى لانهم كانوا من قبل
ثمود وقيل ان ثمود من نسل عاد قال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانها اول امة اهلكت
بعد نوح عليه السلام وقال ابن اسحق هما عادان فالاولى اهلكت بالريح الصرصر
ثم كانت الاخرة فاهلكت بالصيحة وقيل عاد الاولى هو عاد بن ارم بن عوص بن سام
بن نوح وعاد الثانية من ولد عاد الاولى والمعنى متقارب وقيل ان عاد الاخرة
الجبارون وهم قوم هود وقراءة العامة عادا الاولى ببيان التنوين والهمز وقرا نافع وابن
محيصن وابو عمرو عاد الاولى بنقل حركة الهمزة على اللام وادغام التنوين فيها الا
ان قالون والمسيبى يظهرون الهمزة الساكنة وقلبها الباقون واوا على اصلها والعرب
تقلب هذا القلب فيقولون قم لان عنا وضم لاثنين اى قم الان وضم الاثنين وثمودا فما
ابقى ثمود هم قوم صالح اهلكوا بالصيحة قرى ثمود او ثمود وقد تقدم وانتصب على
العطف على عاد وقوم نوح من قبل اى واهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا
هم اظلم واطغى وذلك لطول مده نوح فيهم حتى كان الرجل فيهم ياخذ بيد ابنه
فينطلق به الى نوح فيقول احذر هذا فانه كذاب وان ابى قد مشى بى الى هذا وقال
لى ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصيه ابيه وقيل الكناية
يرجع الى كل من ذكر من عاد وثمود وقوم نوح اى كانوا اكفر من مشركى العرب واطغى فيكون
فيه تسليه وتعزيه للنبى صلى الله عليه وسلم وكانه يقول له فاصبر انت ايضا فالعاقبة
الحميده لك والموتفكة اهوى يعنى مداين قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت وصار
عاليها سافلها يقال افكته اى قلبته وصرفته اهوى اى خسف بهم بعد رفعها
الى السماء رفعها جبريل ثم اهوى بها الى الارض وقال المبرد جعلها تهوى
ويقال هوى بالفتح تهوى هويا اى سقط واهوى اى اسقط فغشاها ما
غشى اى البسها ما البس من الحجارة قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا

عليها حجارة من سجيل وقيل الكناية ترجع الى جميع هذه الامم اى غشاها من العذاب
ما غشاهم وابهم لان كلا منهم اهلك بضرب غير ما اهلك به الاخر وقيل هذا
تعظيم الامر فباى الاء ربك تتمارى اى فباى نعم ربك تشك والمخاطبة للانسان المكذب
والالاء النعم واحدها الى والى والى وقرا يعقوب تمارى بادغام التاء اى فى الاخرى
والتشديد قوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى قال ابن جريج ومحمد بن كعب
يريد ان النبى صلى الله عليه وسلم نذير بالحق الذى انذر به الانبيا قبله فان اطعتموه
افلحتم والا حل بكم ما حل بمكذبى الرسل السالفة وقال قتادة يريد القران وانه
نذير بما انذرت الكتب الاولى وقيل اى هذا الذى اخبرنا به من اخبار الامم الذين
هلكوا تخويف لهذه الامه من ان ينزل بهم ما نزل باولائك من النذر اى مثل النذر
والنذر فى قول بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار اى هذا انذار لكم وقال ابو مالك
هذا الذى انذرتكم به من وقايع الامم الخاليه هو فى صحف ابرهيم وموسى وقال
السدى اخبرنى ابو صالح قال هذه الحروف التى اخبر ذكر الله تعالى بها من قوله عز وجل
ام لم ينبا بما فى صحف موسى الى قوله هذا نذير من النذر الاولى كل هذه فى صحف ابراهيم
وموسى قوله تعالى ازفت الازفة اى قربت الساعة ودنت القيامة وسماها
ازفة لقرب قيامها عنده كما قال ترونه بعيدا ونراه قريبا وقيل سماها ازفة لدنوها
من الناس وقربها منهم ليستعدوا لها لان كل ما هو ات فقريب قال ازف الترحل
غير ان ركابنا لما تزل بنا وكان قد وفى الصحاح ازف الترحل يازف ازفا اى دنا وافد
ومنه قوله تعالى ازفت الازفة يعنى القيامة وازف الرجل اى عجل فهو ازف على
فاعل والمتازف القصير وهو المتداني قال ابو زيد قلت لاعرابى ما المحبنطى قال
المتكاكى قلت ما المتكاكى قال المتازف قلت ما المتازف قال انت احمق وتركنى
ومر ليس لها من دون الله كاشفة اى ليس لها من دون الله من يوخرها او يقدمها
وقيل كاشفة اى انكشاف اى لا يكشف عنها ولا يبديها الا الله فالكاشفة
اسم بمعنى المصدر والهاء فيه كالهاء فى العاقبة والعافية والداهية والباقية
كقولهم ما لفلان من باقيه اى بقا وقيل اى لا احد يرد ذلك اى ان القيامة
اذا قامت لا يكشفها احد من الهتهم ولا ينجيهم غير الله وقد سميت القيامة
الغاشية فاذا كانت غاشية كان ردها كشفا فالكاشفة على هذا نعت مونث
محذوف اى نفس كاشفة او فرقة كاشفة او حال كاشفة وقيل ان كاشفة بمعنى
كاشف والهاء للمبالغة مثل راوية وداهية قوله تعالى افمن هذا الحديث
تعجبون يعنى القران وهذا استفهام توبيخ تعجبون تكذيبا به وتضحكون استهزا
ولا تبكون انزجارا وخوفا من الوعيد وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم
ما روى بعد نزول هذه الاية ضاحكا الا تبسما وقال ابو هريرة لما نزلت افمن

هذا الحديث تعجبون قال اهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاهم بكا معهم فبكينا لبكائه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكا من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ثم اتى بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم الله انه هو الغفور الرحيم وقال ابو حازم نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يبكي فقال له من هذا فقال هذا فلان فقال جبريل انا نزن اعمال بني آدم كلها الا البكا فان الله ليطفي بالدمعة الواحدة بحورا من جهنم قوله تعالى **وانتم سامدون** اي لاهون معرضون عن ابن عباس رواه الوالبي والعوفي عنه وقال عكرمة عنه هو الغنا بلغة حمير يقال سمد لنا اي غن لنا وكانوا اذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا وقال الضحاك سامدون شامخون متكبرون وفي الصحاح سمد سمودا رفع راسه تكبرا وكل رافع راسه فهو سامد قال سوامد الليل خفاف الازواد يقول ليس في بطونها علف وقال ابن الاعرابي سمدت سمودا علوت وسمدت الابل في سيرها جدت والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال للقينة اسمدينا اي الهينا بالغناء وتسميد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد وتسميد الراس استيصال شعره لغة في التسبيد واسماد الرجل بالهمز اسميدادا اي ورم غضبا وروي عن علي رضي الله عنه ان معنى سامدون ان يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلوة وقال الحسن واقفون للصلوة قبل وقوف الامام ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج والناس ينتظرونه قياما فقال مالي اراكم سامدون حكاه الماوردي وذكره المهدوي عن علي انه خرج الى الصلوة فراى الناس قياما فقال ما لكم سامدون قال المهدوي والمعروف في اللغة سمد يسمد سمودا اذا لها واعرض وقال المبرد سامدون خامدون قال الشاعر اتى الحدثان نسوة آل حرب بمقدور سمدن له سمودا وقال صالح ابو الخليل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون لم ير ضاحكا ولا متبسما حتى مات صلى الله عليه وسلم ذكره النحاس قوله تعالى **فاسجدوا لله واعبدوا** قيل المراد به سجود تلاوة القرآن وهو قول ابن مسعود وبه قال ابو حنيفة والشافعي وقد تقدم اول السورة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وسجد معه المشركون وقيل انما سجد معه المشركون لانهم سمعوا اصوات الشياطين في اثنا قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وانه قال تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى كذا في رواية سعيد بن جبير ترتجى وفي رواية ابي العالية وشفاعتهن ترتضى ومثلهن

لاينسى

لاينسى فغرح المشركون وظنوا انه من قول محمد عليه السلام على ما تقدم بيانه في الحج فلما بلغ الخبر بالحبشة من كان بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجعوا ظنا منهم ان اهل مكة آمنوا فكان اهل مكة اشد عليهم واخذوا في تعذيبهم الى ان كشف الله عنهم وقيل المراد سجود الفرض في الصلوة وهو قول ابن عمر كان لا يراها من عزائم السجود وبه قال مالك وروى ابي بن كعب كان آخر فعل النبي صلى الله عليه وسلم ترك السجود في المفصل والاول اصح وقد مضى القول فيه آخر الاعراف والحمد لله

سورة القمر مكية

في قول الجمهور وقال مقاتل مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر الى قوله تعالى والساعة ادهى وامر ولا يصح على ما ياتي وهي خمس وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

اقتربت الساعة وانشق القمر اقتربت اي قربت مثل ازفت الآزفة على ما بيناه فهي بالاضافة الى ما مضى قريبة لانه قد مضى اكثر الدنيا كما روى قتادة عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب فقال ما بقي من دنياكم فيما مضى الا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى وما يرى من الشمس الا يسيرا وقال كعب ووهب الدنيا ستة آلاف سنة قال وهب قد مضت منها خمسة آلاف وستمائة سنة ذكره النحاس ثم قال تعالى وانشق القمر اي وقد انشق القمر وكذا قرا حذيفة اقتربت الساعة وقد انشق القمر بزيادة قد وعلى هذا الجمهور من العلماء ثبت ذلك في الصحيح البخاري وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وانس وجبير بن مطعم وابن عباس رضي الله عنهم وعن انس قال سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب قال ابو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح ولفظ البخاري عن انس قال انشق القمر فرقتين وقال قوم لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر اي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر وان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره كذا قال القشيري وقال قوم وذكر الماوردي ان هذا هو قول الجمهور قال لانه اذا انشق ما بقي احد الا راه لانها آية والناس في الآيات سواء وقال الحسن اقتربت الساعة فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية وقيل وانشق القمر اي وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح قال اقيموا بني امي صدور مطيكم فاني الى سواكم لاميل فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وارحل من حمت الحاجات اي قضيت وقدرت وعجلت قال الاصمعي يقال عجلت بنا وبكم حمة الفراق اي قدر الفراق وطيات جمع طية وهي النية تقول منه مضى لطيته اي لنيته التي انتواها وبعدت

عنا طيته وهو المنزل الى الذى انتواه ومضى لطيته وطيته بعيدة اى شاسعة عن الخليل
وقيل انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه فى اثنائها كما يسمى الصبح فلقا
لانفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة فلما
ادبروا ولهم دوى دعانا عند شق الصبح داع قال الشيخ المولف رحمه الله قد ثبت
بنقل الاحاد العدول ان القمر انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل ولا يلزم ان يستوى
الناس فيها لانها اية ليلية وانما كانت باستدعاء النبى صلى الله عليه وسلم من الله
تعالى عند التحدى فروى ان حمزة بن عبد المطلب حين اسلم غضبا من سب ابى
جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم طلب ان يريه اية يزداد بها يقينا فى ايمانه وقد تقدم
فى الصحيح ان اهل مكة هم الذين سالوا وطلبوا ان يريهم اية فاراهم انشقاق
القمر فلقتين كما فى حديث ابن مسعود وغيره وعن حذيفة انه خطب بالمداين
ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبينا صلى الله
عليه وسلم وقيل هو على التقديم والتاخير وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة
قاله ابن كيسان وقد مضى عن الفراء ان الفعلين اذا كانا متقاربى المعنى فلك ان
توخر وتقدم عند قوله تعالى ثم دنى فتدلى قوله تعالى **وان يروا آية يعرضوا**
هذا يدل على انهم راوا انشقاق القمر قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول
صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصف على ابى قبيس
ونصف على قعيقعان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تومنون
قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما قالوا
فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى المشركين يا فلان يا فلان
اشهدوا وفى حديث ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
قريش هذا من سحر ابن ابى كبشة سحركم فسالوا السفار فقالوا قد راينا القمر انشق
فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا اى ان يروا اية تدل
على صدق محمد صلى الله عليه وسلم اعرضوا عن الايمان ويقولوا سحر مستمر اى ذاهب من
قولهم مر الشى واستمر اذا ذهب قاله انس وقتادة ومجاهد والفراء والكسائى وابو عبيدة
واختاره النحاس وقال ابو العالية والضحاك محكم قوى شديد وهو من المرة وهى القوة
كما قال لقيط حتى استمرت على شزر مريرته مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا وقال الاخفش
هو ماخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله وقيل معناه مر من المرارة يقال امر الشى صار
مرا وكذلك مر الشى بالفتح مرارة فهو مر وامره غيره ومره وقال الربيع
مستمر نافذ يمان ماض وقال ابو عبيدة باطل وقيل دائم قال وليس على شى قوله
مستمر اى دائم وقيل يشبه بعضه بعضا اى قد استمرت افعال محمد على هذا الوجه
فلا ياتى بشى له حقيقة بل الجميع تخيلات ومعناه قد مر من الارض الى السماء وكذبوا

قبل ه

نبينا

٦١٥

نبينا واتبعوا اهواهم اى ضلالتهم واختيارهم وكل امر مستقر اى يستقر لكل عامل
عمله فالخير مستقر باهله فى الجنة والشر مستقر باهله فى النار وقرا شيبة مستقر
بفتح القاف اى لكل شى وقت يقع فيه من غير تقدم وتاخر وقد روى عن ابى
جعفر بن القعقاع وكل امر مستقر بكسر القاف والرا جعله نعتا لامر وكل على هذا
يجوز ان يرتفع بالابتدا والخبر محذوف كانه قال وكل امر مستقر فى ام الكتاب
كاين ويجوز ان يرتفع بالعطف على الساعة المعنى اقتربت الساعة وكل امر مستقر
اى اقترب استقرار الامور يوم القيامة ومن رفعه جعله خبرا عن كل قوله تعالى
ولقد جاءهم من الانباء اى من بعض الانباء فذكر سبحانه من ذلك ما علم انهم
يحتاجون اليه وان لهم فيه شفاء وكان هنالك امور اكثر من ذلك وانما اقتص علينا
ما علم ان بنا اليه الحاجة وسكت عما سوى ذلك قوله ولقد جاءهم من الانباء اى جاء
الكفار من اخبار الامم الماضية ما فيه مزدجر اى ما يزجرهم عن الكفر لو قبلوه
واصله مزتجر فقلبت التاء دالا لان التاء حرف مهموس والزاى حرف مجهور فابدل
من التاء دالا توافقها فى المخرج وتوافق الزاى فى الجهر ومزدجر من الزجر
وهو الانتهاء يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر وزجرته انا فانزجر اى كففته
فكف كما قال فاصبح ما يطلب الغانيات مزدجرا عن هواه ازدجارا وقرى
مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاى فيها حكاه الزمخشرى حكمة بالغة
يعنى القرآن وهو بدل من ما من قوله ما فيه مزدجر ويجوز ان يكون خبر ابتدا
محذوف اى هو حكمة فما تغنى النذر اذا كذبوا وخالفوا كما قال فما تغنى الايات
والنذر عن قوم لا يومنون فما نفى اى ليست تغنى عنهم النذر ويجوز ان يكون
استفهاما بمعنى التوبيخ اى فاى شى تغنى النذر عنهم وهم معرضون عنها والنذر
يجوز ان يكون بمعنى الانذار ويجوز ان يكون جمع نذير قوله تعالى **فتول عنهم**
اى اعرض عنهم قيل هذا منسوخ باية السيف وقيل هو تمام الكلام ثم قال يوم يدع
الداعى العامل فى يوم يخرجون من الاجداث او خشعا او فعل مضمر تقديره
واذكر يوم وقيل على حذف حرف الفاء وما عملت فيه من جواب الامر تقديره
فتول عنهم فان لهم يوم يدع الداعى وقيل اى تول عنهم يا محمد فقد اقمت الحجة
وانصرهم يوم يدع الداعى وقيل اى اعرض عنهم يوم القيامة ولا تسل عنهم وعن
احوالهم فانهم يدعون الى شى نكر وينالهم عذاب شديد وهو كما يقول لا تسال عما
جرى على فلان اى اخبرته بامر عظيم وقيل اى وكل امر مستقر يوم يدع
الداعى وقرا ابن كثير نكر باسكان الكاف وضمها الباقون وهما لغتان كعسر
وعسر وشغل وشغل ومعناه الامر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة والداعى
اسرافيل عليه السلام وقد روى عن مجاهد وقتاده انهما قرا الى شى نكر

بكسر الكاف وفتح الزاي على الفعل المجهول خشعا ابصارهم الخشوع في البصر الخضوع
والذلة واضاف الخشوع الى الابصار لان اثر العز والذل في ناظر الانسان قال الله
تعالى ابصارها خاشعة وقال خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ويقال خشع
واختشع اذا ذل وخشع ببصره اذا غضه وقرا حمزه والكسائي وابو عمرو خاشعا بالالف
ويجوز في اسماء الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو خاشعا ابصارهم
والتانيث نحو خاشعة ابصارهم ويجوز الجمع نحو خشعا ابصارهم قال وشباب حسن
اوجههم من اياد بن نزار بن معد وخشعا جمع خاشع والنصب فيه على الحال من
الهاء والميم في عنهم فيقبح الوقف على هذا التقدير على عنهم ويجوز ان يكون حالا
من المضمر في يخرجون فيوقف على عنهم وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر
ومحل الجملة النصب على الحال كقوله حاضراه الجود والكرم يخرجون من الاجداث
اي القبور واحدها جدث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداع وقال في موضع
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فهما صفتان في وقتين مختلفين احدهما
عند الخروج من القبور يخرجون فزعين لا يهتدون اين يتوجهون فيدخل بعضهم في
بعض فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها فاذا سمعوا
المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر لان الجراد له وجه يقصدها ومهطعين
معناه مسرعين قاله ابو عبيده ومنه قول الشاعر بدجلة دارهم ولقد اراهم بدجلة
مهطعين الى السماع وقال الضحاك مقبلين وقال قتادة عامدين وقال ابن عباس
ناظرين وقال عكرمة فاتحين اذانهم الى الصوت والمعنى متقارب يقال هطع الرجل
يهطع هطوعا اذا اقبل على الشيء ببصره لا يقلع عنه واهطع اذا مد عنقه وصوب
راسه قال الشاعر تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع
(وغير مهطع م)
في عنقه تصويب خلقة واهطع في عدوه اي اسرع يقول الكافرون هذا يوم
عسر يعني يوم القيامة لما ينالهم فيه من الشدة قوله تعالى كذبت قبلهم
قوم نوح ذكر جملة من وقائع الامم الماضية تانيسا للنبي صلى الله عليه
وسلم وتعزية له قبلهم اي قبل قومك فكذبوا عبدنا يعني نوحا قال الزمخشري
فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله كذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا
عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب (تبعه قرن مكذب م) او كذبت
قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا
كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون اي هو مجنون وازدجر اي
زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل وقيل انما قيل وازدجر
بلفظ ما لم يسم فاعله لانه راس اية فدعا ربه اي دعا عليهم حينئذ نوح
وقال رب اني مغلوب اي غلبوني بتمردهم فانتصر اي فانتصر لي وقيل للانبيا

كانوا لا يدعون على قومهم بالهلاك الا باذن الله جل وعز لهم فيه ففتحنا ابواب السماء
اي فاجبنا دعاءه وامرنا باتخاذ السفينة وفتحنا ابواب السماء بماء منهمر اي كثير قاله السدي
قال الشاعر اعيني جودا بالدموع الهوامر على خير باد من معد وحاضر وقيل انه المنصب
(المتدفق ومنه قول امرء القيس يصف غيثا راح تمريه الصبا م)
الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر والهمر الصب وقد همر الماء والدمع يهمره
همرا وهمر ايضا اذا اكثر الكلام واسرع وهمر له من ماله اي اعطاه قال ابن عباس
ففتحنا ابواب السماء بماء من غير سحاب لم يقلع اربعين يوما وقرا ابن عامر ويعقوب
ففتحنا مشدده على التكثير الباقون ففتحنا مخففا ثم قيل انه فتح رتاجها وسعة مسالكها
وقيل انه المجرة وهي شرج السماء ومنها فتحت بماء منهمر قاله علي رضي الله عنه وفجرنا
الارض عيونا قال عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماءها فتفجرت بالعيون
وان عينا تاخرت غضب عليها فجعل ماءها مرا اجاجا الى يوم القيامة فالتقى الماء
اي ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي على مقدار لم يزد احدهما على الاخر حكاه
ابن قتيبة اي كان ماء السماء والارض سواء وقيل قد قدر بمعنى قضي عليهم قال قتادة
قدر لهم اذا كفروا ان يغرقوا وقال محمد بن كعب كانت الاقوات قبل الاجساد وكان القدر
قبل البلاء وتلا هذه الاية وقال التقى الماء والالتقاء انما يكون في اثنين فصاعدا
لان الماء يكون جمعا وواحدا وقيل لانهما لما اجتمعا صارا ماء واحدا وقرا الجحدري
فالتقى الماءان وقرا الحسن فالتقى الماوان وهما لغتان في المرسوم قال القشيري وفي
بعض المصاحف فالتقى الماان وهي لغة طي وقيل كان ماء السماء باردا مثل الثلج
وماء الارض حارا مثل الحميم وحملناه على ذات الواح اي على سفينة ذات الواح ودسر
قال قتاده يعني المسامير التي دسرت بها السفينة اي شدت وقاله القرظي وابن زيد
وابن جبير ورواه الوالبي عن ابن عباس وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمه هي
صدر السفينة التي تضرب بها الموج سميت بذلك لانها تدسر الماء اي تدفعه والدسر
الدفع والمخر ورواه العوفي عن ابن عباس قال الدسر كلكل السفينة وقال الليث الدسار
خيط ليف يشد به الواح السفينة وفي الصحاح الدسار واحد الدسر وهي خيوط
يشد بها الواح السفينة ويقال هي المسامير وقال تعالى على ذات الواح ودسر ودسر
ايضا مثل عسر ويسر والدسر الدفع قال ابن عباس في العنبر انما هو شيء يدسره
البحر دسرا اي يدفعه ودسره بالرمح ورجل مدسر تجري باعيننا بمراى
منا وقيل بامرنا وقيل بحفظنا وكلاءة وقد مضى في هود ومنه قول الناس للمودع
عين الله عليك اي حفظه وكلاءته وقيل بوحينا وقيل بالاعين النابعة اي
باعين الماء التي انبعناها من الارض وقيل باعين اوليائنا من الملائكة
الموكلين بحفظها وكل ما خلق الله يمكن ان يضاف اليه وقيل اي تجري باوليائنا
كما في الخبر مرض عين من عيوننا فلم تعده جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك

كانوا

ثوابا وجزاء لنوح على صبره على اذى قومه وهو المكفور به فاللام فى لمن لام المفعول له وقيل كفر اى جحد فمن كناية عن نوح وقيل كناية عن الله والجزا بمعنى العقاب اى عقابا لكفرهم بالله وقرا يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفا بمعنى كان الغرق جزاء او عقابا لمن كفر بالله وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق كان الماء الى حجزته وسبب نجاته ان نوحا احتاج الى خشبه الساج لبنا السفينة فلم يمكنه نقلها فحمل عوج تلك الخشبة اليه من الشام فشكر الله له ذلك ونجاه من الغرق ولقد تركناها اية يريد هذه الفعله عبره وقيل اراد السفينة تركها اية لمن بعد قوم نوح يعتبرون بها فلا يكذبون الرسل قال قتادة ابقاها الله بباقردى من ارض الجزيره عبرة واية حتى نظرت اليها اوايل هذه الامه وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا فهل من مدكر متعظ خايف مفتعل واصله مذتكر مفتعل من الذكر فثقلت على الالسنة فقلبت التاء دالا لتوافق الدال فى الجهر وادغمت الذال فيها فكيف كان عذابى ونذر اى انذارى قال الفرا الانذار والنذر مصدران وقيل نذر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار ~~والنذر~~ كنكير بمعنى الانكار قوله تعالى **ولقد يسرنا القران للذكر** اى سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزينى الذى كنت اصنع وقال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرا كله ظاهرا الا القران قال غيره ولم يكن هذا لبنى اسرايل ولم يكونوا يقرؤون التوراة الا نظرا غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم ومن اجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التورية عن ظهر قلبه حين احرقت على ما تقدم بيانه فى سورة براءة فيسر الله تعالى على هذه الامه حفظ كتابه ليذكروا ما فيه اى يفتعلوا الذكر والافتعال هو ان ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب فيهم فهل من مدكر قارى يقروه وقال ابو بكر الوراق وابن شوذب فهل من طالب علم وخير فيعان عليه وكرر فى هذه السورة للتنبيه والافهام وقيل ان الله تعالى اقتص فى هذه السورة على هذه الامة انباء الامم وقصص المرسلين وما عاملتهم به الامم وما كان من عقبى امورهم وامور المرسلين فكان فى كل قصة ونبا ذكر للمستمع ان لو اذكروا عا كرر هذه الكلمة عند كل قصة من انباء الامم بقوله فهل من مدكر لان هل كلمة استفهام تستدعى افهامهم التى ذكنت فى اجوافهم وجعلها حجة عليهم فاللام من هل للاستعراض والهاء للاستخراج قوله تعالى **كذبت عاد** هم قوم

هود **فكيف كان عذابى ونذر** وقعت نذرى فى هذه السورة فى ستة اماكن محذوفة اليا فى جميع المصاحف وقراها يعقوب مثبتة فى الحالين وورش فى الوصل لا غير وحذف الباقون ولا خلاف فى حذف اليا من قوله فما تغن النذر والوا ومن قوله يدع واما اليا من الداعى الاول فاثبتها فى الحالين ابن محيصن وحميد ويعقوب والبزى واثبتها ورش وابو عمرو فى الوصل وحذف الباقون واما الداع الثانية فاثبتها يعقوب وابن محيصن وابن كثير فى الحالين واثبتها ابو عمرو ونافع فى الوصل وحذف الباقون انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى شديدة البرد قاله قتادة والضحاك وقيل شديدة الصوت وقد مضى فى حم السجدة فى يوم نحس اى فى يوم كان مشوما عليهم وقال ابن عباس اى فى يوم كانوا يتشامون به وقال الزجاج قيل فى يوم اربعا قال ابن عباس كان اخر اربعا فى الشهر افنى صغيرهم وكبيرهم وقرا هرون الاعور نحس بكسر الحاء وقد مضى القول فى حم السجدة فى ايام نحسات وفى يوم نحس مستمر اى دايم الشوم استمر عليهم بنحوسه واستمر فيه العذاب الى الهلاك وقيل استمر بهم الى نار جهنم وقال الضحاك كان مرا عليهم وكذا حكى الكساى ان قوما قالوا هو من المرارة يقال مر الشى وامر اى كان كالشى المر تكرهه النفوس وقد قال فذوقوا والذى يذاق قد يكون مرا وقيل هو من المرة بمعنى القوة اى فى يوم نحس مستحكم الشوم كالشى المحكم الفتل الذى لا يطاق نقضه فان قيل فاذا كان يوم الاربعا يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعا وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر وقد مضى فى البقره حديث جابر بذلك فالجواب والله اعلم ما جا فى خبر يرويه مسروق عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال اتانى جبريل فقال ان الله تعالى يامرك ان تقضى باليمين مع الشاهد وقال يوم الاربعا يوم نحس مستمر ومعلوم انه لم يرد بذلك انه نحس على الصالحين بل اراد انه نحس على الفجار والمفسدين كما كانت الايام النحسات المذكوره فى القرآن نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمومنين به منهم واذا كان كذلك لم يبعد ان يمهل الظالم من اول يوم الاربعا الى ان تزول الشمس فاذا ادبر النهار ولم يحدث رجعة استجيب دعا المظلوم عليه وكان اليوم نحسا على الظالم ودعا النبى صلى الله عليه وسلم انما كان على الكفار وقول جابر فى حديثه لم ينزل بى امر غليظ اشارة الى هذا والله اعلم قوله تعالى **تنزع الناس** فى موضع الصفة للريح اى تقلعهم من مواضعهم قيل قلعتهم من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها وقال مجاهد كانت تقلعهم من الارض فترمى بهم على رؤوسهم فتندق اعناقهم وتبين رؤوسهم من اجسادهم وقيل تنزع الناس من البيوت وقال محمد بن كعب عن ابيه قال النبى صلى الله عليه وسلم انتزعت الناس الريح من قبورهم وقيل حفروا احفارا دخلوها فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم وتبقى تلك الحفر كانها اصول نخل قد هلك ما كان فيها فتبقى

مواضعها منقعرا ويروى ان سبعة منهم حفروا حفرا وقاموا فيها ليردوا الريح
قال ابن اسحق لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة سمى لنا منهم ستة من اشد
عاد واجسمها منهم عمرو بن الحلى والحارث بن شداد والهلقام وابنا تقن وخلجان
ابن سعد فاولجوا العيال في شعب بين جبلين ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا
الريح عن من في الشعب من العيال فجعلت الريح تجعفهم رجلا رجلا فقالت امراة
عن عاد ذهب الدهر بعمرو بن حلى والهنيات ثم بالحارث والهلقام طلاع الثنيات
والذى شد مهب الريح ايام البليات قال الطبرى في الكلام حذف والمعنى تنزع
الناس فتتركهم كانهم اعجاز نخل منقعر فالكاف في موضع نصب على الحال والمعنى
تنزع الناس مشبهين اعجاز نخل والتشبيه قيل انه للحفر التى كانوا فيها والاعجاز
جمع عجز وهو مؤخر الشى وكانت عاد موصوفين بطول القامة فشبهوا بالنخل انكبت
لوجوهها وقال اعجاز نخل منقعر للفظ النخل وهو من الجمع الذى يذكر ويونث والمنقعر
المنقلع من اصله فقعرت الشجرة قعرا قلعتها من اصلها فانقعرت قال الكسائى قعرت
البير اى نزلت حتى انتهيت الى قعرها وكذلك الاناء اذا شربت ما فيه حتى انتهيت
الى قعره قال واقعرت البير جعلت لها قعرا وقال ابو بكر ابن الانبارى سئل المبرد
بحضرة اسمعيل القاضى عن الف مسئلة هذه من جملتها فقيل له ما الفرق بين قوله
تعالى ولسليمان الريح عاصفة وجاءتها ريح عاصف وقوله كانهم اعجاز نخل
خاوية واعجاز نخل منقعر فقال كلما ورد عليك من هذا الباب فان
شئت رددته الى اللفظ تذكيرا او الى المعنى تانيثا وقيل ان النخل والنخيل بمعنى
يذكر ويونث كما ذكرنا فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر تقدم قوله تعالى **كذبت ثمود بالنذر** هم قوم صالح كذبوا الرسل
ونبيهم او كذبوا بالايات التى هى النذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه وندع جماعة
وقرا ابو الاشهب وابن السميفع وابو السماك العدوى ابشر بالرفع واحد كذلك رفع
بالابتداء والخبر نتبعه الباقون بالنصب على معنى انتبع بشرا منا واحدا نتبعه وقرا
ابو السماك ابشر بالرفع منا واحدا بالنصب رفع ابشر باضمار فعل يدل عليه القى
كانه قال اينبا بشر منا وقوله واحدا يجوز ان يكون حالا من المضمر في منا والنصب
لها الظرف والتقدير اينبا بشر كاين منا منفردا ويجوز ان يكون حالا من الضمير
في نتبعه منفردا لا ناصر له انا اذا لفى ضلال اى ذهاب عن الصواب وسعر
اى جنون من قولهم ناقة مسعورة اى كانها من شدة نشاطها مجنونة ذكره ابن
عباس قال الشاعر يصف ناقة تخال بها سعرا اذا السفر هزها ذميل
وايقاع من السير متعب الذميل ضرب من سير الابل قال ابو عبيد اذا ارتفع
السير عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم

بالمعروف وقال النحاس الكاف في موضع نصب

فانقعرت

الناصب

يقال

يقال ذمل يذمل ويذمل ذميلا قال الاصمعى ولا يذمل بعير يوما وليلته الا مهرى
قاله الجوهرى وقال ابن عباس ايضا السعر العذاب وقاله الفرا وقال مجاهد بعد
من الحق السدى في احتراق قال اصحوت اليوم ام شاقتك هر ومن الحب جنون
مستعرا اى متقد ومحترق قال ابو عبيدة هو جمع سعير وهو لهيب النار والبعير المجنون
يذهب كذا وكذا لما يتلهب به من الحدة ومعنى الاية انا اذا في شقاء وعناء مما يلزمنا
قوله تعالى **القى الذكر عليه من بيننا** اى خصص بالرسالة من بين ال عود
وفيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا وهو الاستفهام معناه الانكار بل هو كذاب
اشر اى ليس كما يدعيه وانما يريد ان يتعاظم ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق
والاشر المرح والتجبر والنشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا قال امرؤ
القيس يصف كلبا فادركنا فعم داجن سميع بصير طلوب نكر الص الضروس حتى
الطلوع ينوح ارنب نشيط اشر وقيل اشر بطر والاشر البطر قال الشاعر
اشرتم بلبس الخز لما لبستم ومن قبل لا تدرون من فتح القرى وقد اشر
بالكسر يأشر اشرا فهو اشر واشران وقوم اشارى مثل سكران وسكارى قال الشاعر
وخلت وعولا اشارى بها وقد ازهف الطعن ابطالها يقال ازهفته الدابة اى صرعته
وازهف الشى اى ذهب به فهو مزدهف وازهفه فلان اى ذهب به واهلكه
قاله في الصحاح وقيل انه المتعدى الى منزلة لا يستحقها والمعنى واحد وقال
ابن زيد وعبد الرحمن بن حماد الاشر الذى لا يبالى ما قال وقرا ابو جعفر وابو قلابه
اشر بفتح الشين وتشديد الراء يعنى به اشرنا واخبثنا سيعلمون غدا اى سيرون
العذاب يوم القيامة او في حال نزول العذاب بهم في الدنيا وقرا ابن عامر وحمزه
بالتاء على انه من قول صالح لهم على الخطاب الباقون بالياء اخبارا من الله
لصالح عنهم وقوله غدا على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب
ان مع اليوم غدا قال للموت فينا سهام غير مخطية من لم يكن ميتا في اليوم
مات غدا وقال ابو الطماح الا عللانى قبل نوح النوائح وقبل اضطراب النفس
بين الجوانح وقبل غد يا لهف نفسى على غد اذا راح اصحابى ولست برائح انما
اراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه من الكذاب الاشر قرا ابو قلابه الاشر
بفتح الشين وتشديد الراء جاء به على الاصل قال ابو حاتم لا يكاد العرب تتكلم بالاشر
والاخير الا في ضرورة الشعر كقول رؤبه بلال خير الناس وابن الاخير
وانما يقولون هو خير قومه وهو شر الناس قال الله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس وقال فسيعلمون من هو شر مكانا وعن ابى حيوة فتح الشين
وتخفيف الراء وعن مجاهد وسعيد بن جبير ضم الشين والراء والتخفيف
قال النحاس وهو معنى الاشر ومثله رجل حذر وحذر قوله تعالى **انا**

ومثله

منها

مرسلوا الناقة اى مخرجوها من الهضبة التى سألوا فروى ان صالحا صلى ثم ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التى عينوها عن سنامها فخرجت ناقة عشراء جرداء **فتنة لهم** اى اختبارا وهو مفعول له **فارتقبهم** اى انتظر ما يصنعون **واصطبر** اى اصبر على اذاهم واصل الطا فى اصطبر تا فتحولت طا لتكون موافقة للصاد فى الاطباق **ونبئهم** اى اخبرهم **ان الماء قسمة بينهم** اى بين ثمود والناقة وسن
لها يوم ولهم يوم كما قال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا فى نعيم واذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم يبق لهم شيئا وانما قال وبينهم لان العرب اذا اخبروا عن بنى آدم مع البهايم غلبوا بنى آدم وروى ابو الزبير عن جابر قال لما نزلنا الحجر فى مغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك قال ايها الناس لا تسألوا فى الآيات هاولا قوم صالح سألوا نبيهم ان يبعث لهم ناقة فبعث الله عز وجل اليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج تشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون منها مثل الذى كانوا يشربون منها يوم غبها وهو معنى قوله تعالى ونبئهم ان الماء قسمة بينهم **كل شرب محتضر** الشرب بالكسر الحظ من الماء وفى المثل آخرها اقلها شربا واصله فى سقى الابل لان آخرها يرد وقد نزف الحوض ومعنى محتضر اى تحضره من هو له فالناقة تحضر الماء يوم وردها ويغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون قوله تعالى **فنادوا صاحبهم** يعنى بالحظ على عقرها **فتعاطى فعقر** فعقرها ومعنى تعاطى تناول الفعل من قولهم عطوت اى تناولت ومنه قول حسان كلتاهما حلب العصير فعاطنى بزجاجة ارخاهما للمفصل قال محمد بن اسحق فكمن لها فى اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها من بطنها ثم نحرها وانطلق سقبها حتى اتى صخرة فى راس جبل فرغا ثم لاذ بها فاتاهم صالح عليه السلام فلما راى الناقة قد عقرت بكى وقال انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله وقد مضى فى الاعراف بيان هذا المعنى قال ابن عباس وكان الذى عقرها احمر ازرق اشقر اكشف اقفى ويقال فى اسمه قدار بن سالف قال الافوه الاودى او قبله لقدار حين تابعه على الغوايه اقوام فقد بادوا والعرب تسمى الجزار قدار تشبيها بقدار بن سالف مشوم آل ثمود قال مهلهل انا لنضرب بالسيوف رؤسهم ضرب القدار نقيعة القدام وذكره زهير فقال فتنتج لكم غلمان اشام كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم يريد الحرب فكنى عن ثمود بعاد قوله تعالى **انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة** يريد صيحة جبريل وقد مضى فى هود **فكانوا كهشيم المحتظر** وقرا الحسن وقتادة وابو العالية المحتظر بفتح الظاء ارادوا الحظيرة الباقون بالكسر ارادوا صاحب الحظيرة وفى الصحاح والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وقرى كهشيم المحتظر فمن كسره جعله الفاعل ومن فتح جعله المفعول به ويقال للرجل القليل الخير انه لنكد الحظيرة قال ابو عبيده اراه سمى امواله حظيرة لانه حظرها عنده ومنعها وهى فعيله بمعنى مفعوله قال المهدوى من فتح الظاء من المحتظر فهو مصدر والمعنى كهشيم الاحتظار ويجوز ان يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة قال ابن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم قال الاثر عجاجة كدخان نار تنشب بخرفد بالهشيم وعنه كحشيش تاكله الغنم وعنه ايضا كالعظام النخرة المحترقة وهو قول قتادة وقال سعيد بن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان فى يوم ريح وقال سفيان الثورى هو ما تناثر من الحظيرة اذا ضربتها بالعصى وهو فعيل بمعنى مفعول وقال ابن زيد العرب تسمى كل شئ كان رطبا فيبس هشيما والحظر المنع والمحتظر المفتعل يقال منه احتظر على ابله وحظر اى جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد الريح والسباع عن ابله قال الشاعر
ترى جيف المطى بجانبيه كان عظامها خشب الهشيم
وعن ابن عباس ايضا انهم كانوا مثل القمح الذى ديس وهشم والمحتظر على هذا الذى يتخذ حظيرة على زرعه والهشيم فتات السنبلة والتبن قوله تعالى **كذبت قوم لوط بالنذر** اخبر عن قوم لوط ايضا لما كذبوا لوطا **انا ارسلنا عليهم حاصبا** اى ريحا ترميهم بالحصباء وهى الحصا قال النضر الحاصب الحصباء فى الريح وقال ابو عبيده الحاصب الحجارة وفى الصحاح والحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء وكذلك الحصبة قال لبيد جرت عليها ان خوت من اهلها اذيالها كل عصوف حصبة عصفت الريح اى اشتدت فهى ريح عاصف وعصوف وقال الفرزدق مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور **الا آل لوط** يعنى من تبعه على دينه ولم يكن الا بنتاه **نجيناهم بسحر** قال الاخفش انما اجراه لانه نكره ولو اراد سحر يوم بعينه لما اجراه ونظيره اهبطوا مصرا لما نكره فلما عرفه فى قوله ادخلوا مصر ان شاء الله لم يجره وكذا قال الزجاج سحر اذا كان نكره يراد به سحر من الاسحار يصرف تقول اتيته سحرا فاذا اردت سحر يومك لم تصرفه تقول اتيته سحر يا هذا واتيته بسحر والسحر هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر وهو فى كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض اول النهار لان فى هذا الوقت يكون مخايل الليل ومخايل النهار **نعمة من عندنا** انعاما منا على لوط وابنتيه وهو نصب لانه مفعول به **كذلك نجزى من شكر** اى كما جزينا لوطا واهله بالانجا فكذلك نجزى من شكرنا امن بالله واطاعه **ولقد انذرهم** يعنى لوطا خوفهم

بطشتنا عقوبتنا ولقد انذرهم بالعذاب فتماروا بالنذر اى شكوا فيما انذرهم به الرسول
ولم يصدقوه وهو تفاعلوا من المرية ولقد راودوه عن ضيفه اى ارادوا منه تمكينهم
ممن كان اتاه من الملائكة فى هيئة الاضياف طلبا للفاحشة على ما تقدم يقال راودته
على كذا مراودة ورواداً اى اردته وراد الكلا يروده روداً وريادا وارتاده ارتيادا
بمعنى اى طلبه وفى الحديث اذا بال احدكم فليرتد لبوله اى يطلب مكانا لينا او منحدرا
فطمسنا اعينهم يروى ان جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا وقيل صارت اعينهم
كسائر الوجه لا يرى لها شق كما تطمس الريح الاعلام بما تسفى عليها من التراب وقيل
لا بل اعماهم الله مع صحة ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد راينا هم حين دخلوا
البيت فاين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم فذوقوا عذابى ونذر اى فقلنا لهم ذوقوا
والمراد من هذا الامر الخبر اى فاذقتهم عذابى الذى انذرهم به لوط ولقد صبحهم
بكرة عذاب مستقر اى دائم عام استقر فيهم حتى يفضى بهم الى عذاب الآخرة
وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها وبكرة هنا نكرة فلذلك
صرفت فذوقوا عذابى ونذر العذاب الذى نزل بهم من طمس الاعين غير العذاب الذى
اهلكوا به فلذلك حسن التكرير ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قوله تعالى
ولقد جاء آل فرعون النذر يعنى القبط والنذر موسى وهارون وقد يطلق لفظ الجمع على
الاثنين كذبوا باياتنا كلها معجزاتنا الدالة على توحيدنا ونبوة انبيائنا وهى العصا واليد والسنين
والطمسة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل النذر الانذار فاخذناهم
اخذ عزيز اى غالب فى انتقامه مقتدر اى قادر على ما اراد قوله تعالى **اكفاركم**
خير من اولئكم خاطب العرب وقيل اراد كفار امة محمد وهو استفهام انكار
ومعناه النفى اى ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم
ام لكم براءة فى الزبر اى فى الكتب المنزلة على الانبياء بالسلامة من العقوبة وقال ابن عباس
ام لكم فى اللوح المحفوظ براءة من العذاب ام يقولون نحن جميع منتصر اى جماعة لا نطاق لكثرة
عددهم وقوتهم ولم يقل منتصرين اتباعا لرؤس الآى فرد الله عليهم وقال سيهزم الجمع اى جمع
كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره وقراءة العامة سيهزم بالياء على ما لم يسم
فاعله الجمع بالرفع وقرا رويس يعقوب سنهزم الجمع بالنون وكسر الزاى الجمع نصبا ويولون
الدبر قراءة العامة بالياء على الخبر عنهم وقرا عيسى وابن ابى اسحق ورويس عن يعقوب
وتولون بالتاء على الخطاب والدبر اسم جنس كالدرهم والدينار فوحد والمراد الجمع
لاجل رؤس الآى وقال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف وقال نحن
ننتصر اليوم من محمد واصحابه فانزل الله تعالى نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر
وقال سعيد بن المسيب قال سعد بن ابى وقاص لما نزل قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر
كنت لا ادرى اى الجمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبى صلى الله عليه وسلم يثب

فلم يروهم قال الضحاك طمس الله على ابصارهم

الرسل ... يوسف ... موسى ... النذر

عن م

الدفع ويقول اللهم ان قريشا حادتك تحادك وتحاد رسولك بفخرها وخيلها فاخنهم الغداة
ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرف تاويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر اخنى عليه الدهر اى اتى عليه واهلكه ومنه قول
النابغة اخنى عليه الذى اخنى على لبد واخنيت عليه افسدت قال ابن عباس كان بين نزول
هذه الآية وبين بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية وفى البخارى عن عائشة ام المؤمنين
قالت لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وانى لجارية العب بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة له يوم
بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال
حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك وهو فى الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون
الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر بل الساعة موعدهم يريد القيامة والساعة
ادهى وامر اى ادهى وامر فيما لحقهم يوم بدر وادهى من الداهية وهى الامر العظيم يقال دهاه
امر كذا اى اصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهوا ودهيا وهى توكيد
لها قوله تعالى **ان المجرمين فى ضلال وسعر** فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى ان
المجرمين فى ضلال اى حيدة عن الحق وسعر اى احتراق وقيل جنون على ما تقدم فى هذه السورة
يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال جاء
مشركوا قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القدر فنزلت يوم يسحبون فى النار
على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر خرجه الترمذى ايضا وقال
حديث حسن صحيح وروى مسلم عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال النبى صلى الله عليه
وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وهذا ابطال لمذهب القدرية
ذوقوا اى يقال لهم ذوقوا ومسها ما يوجد من الالم عند الوقوع فيها وسقر اسم من اسماء
جهنم مؤنث لا ينصرف لانه اسم مؤنث معرفة وكذلك لظى وجهنم وقال عطا سقر الطبق
السادس من جهنم وقال قطرب سقر من سقرته الشمس وصقرته لوحته ويوم
مسمقر ومصمقر شديد الحر الثانية قوله تعالى انا كل شئ قراءة العامة كل بالنصب وقرا
ابو السمال كل بالرفع على الابتداء ومن نصب فباضمار فعل وهو اختيار الكوفيين لان ان تطلب
الفعل فهى به اولى والنصب ادل على عموم المخلوقات لله تعالى لانك لو حذفت خلقناه المفسر
واظهرت الاول لصار انا خلقنا كل شئ بقدر ولا يصح كون خلقناه صفة لشئ لان الصفة لا تعمل
فيما قبل الموصوف ولا تكون تفسيرا لما يعمل فيما قبله الثالثة الذى عليه اهل السنة ان الله
سبحانه قدر الاشياء اى علم مقاديرها واحوالها وازمانها قبل ايجادها ثم اوجد منها ما سبق
فى علمه انه يوجده على نحو ما سبق فى علمه فلا يحدث فى العالم العلوى والسفلى الا
وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته دون خلقه وان الخلق ليس لهم فيها الا

نوع اكتساب ومحاولة ونسبة واضافة وان ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله وبقدرته
وتوفيقه والهامه سبحانه لا اله الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القرآن والسنة لا كما قالت
القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا والآجال بيد غيرنا قال ابو ذر قدم وفد نجران على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الاعمال الينا والآجال بيد غيرنا فنزلت هذه الآيات الى قوله
انا كل شيء خلقناه بقدر فقالوا يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا فقال انتم خصماء الله يوم القيامة
الرابعة روى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه
الامة المكذبون باقدار الله ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم فلا
تسلموا عليهم خرجه ابن ماجه في سننه وخرج ايضا عن ابن عباس وجابر قالا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس لهم في الاسلام نصيب اهل الارجاء والقدر واسند النحاس
وحدثنا ابرهيم بن شريك الكوفي قال حدثنا عقبة بن مكرم الضبي قال حدثنا يونس بن بكير عن
سعيد بن ميسرة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية الذين يقولون الخير
والشر بايدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا انا منهم ولا هم مني وفي صحيح مسلم ان ابن
عمر تبرا منهم ولا يتبرا الا من كافر ثم اكد هذا بقوله والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم
مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين
وما منعهم ان يقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وهذا واضح وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن قوله تعالى
وما امرنا الا واحدة اي الا مرة واحدة كلمح بالبصر اي قضائي في خلقي اسرع
من لمح البصر واللمح النظر بالعجلة يقال لمح البرق ببصره وفي الصحاح لمحه والمحه اذا
ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمحا اي لمع قوله تعالى **ولقد
اهلكنا اشياعكم** اي اشباهكم في الكفر من الامم الخالية وقيل اتباعكم واعوانكم
فهل من مدكر اي من يتذكر قوله تعالى **وكل شيء فعلوه في الزبر** اي جميع
ما فعلته الامم قبلهم من خير او شر كان مكتوبا عليهم وهذا بيان قوله انا كل شيء
خلقناه بقدر في الزبر اي في اللوح المحفوظ وقيل في كتب الحفظة وقيل في ام الكتاب
وكل صغير وكبير مستطر اي كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامله قبل ان يفعله ليجازوا
ومكتوب اذ فعلوه سطر يسطر سطرا كتب واستطر مثله قوله تعالى **ان المتقين في
جنات ونهر** لما وصف الكفار وصف المؤمنين ايضا ونهر يعني انهار الماء
والخمر والعسل قاله ابن جريج ووحد لانه راس الآية ثم الواحد قد ينبئ عن الجميع
وقيل في نهر وضياء وسعة ومنه النهار لضيائه ومنه انهرت الجرح قال الشاعر

ملكت بها كفي فانهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

قال ابو مجلز وابو نهيك والاعرج وطلحة بن مصرف وقتادة ونهر بضمتين كانه جمع
نهار لا ليل لهم كسحاب وسحب قال الفراء انشدني بعض العرب ان تك ليليا فاني

نهر

نهري متى ارى الصبح فلا انتظر اي صاحب النهار وقال آخر لولا الثريدان هلكنا بالضمر
ثريد ليل وثريد بالنهر في مقعد صدق اي مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وهو الجنة
عند مليك مقتدر اي يقدر على ما يشاء وعند ها هنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة
والكرامة والمنزلة قال الصادق مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق
وقرا عثمان البتي في مقاعد صدق بالجمع والمقاعد مواضع قعود الناس في الاسواق وغيرها
قال عبد الله ابن بريدة ان اهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار تبارك وتعالى فيقرؤن
القرآن على ربهم تبارك وتعالى وقد جلس كل انسان مجلسه على منابر من الدر والياقوت
والزبرجد والذهب والفضة بقدر اعمالهم فلا يقر اعينهم بشيء قط كما يقر بذلك ولم
يسمعوا شيئا اعظم ولا احسن منه ثم ينصرفون الى منازلهم قريرة اعينهم الى مثلها من
الغد وقال ثور بن يزيد عن خالد بن معدان بلغنا ان الملائكة ياتون المؤمنين يوم القيامة
فيقولون يا اولياء الله انطلقوا فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة فيقول المؤمنون انكم
تذهبون بنا الى غير بغيتنا فيقولون فما بغيتكم فيقولون مقعد صدق عند مليك
مقتدر وقد روى هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى ففي الخبر ان طائفة من العقلاء
بالله عز وجل يزفها الملائكة الى الجنة والناس في الحساب فيقولون للملائكة الى اين تحملوننا فيقولون
وما بغيتكم فيقولون المقعد الصدق مع الحبيب كما اخبر في مقعد صدق عند مليك مقتدر

سورة الرحمن مكية

كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر وقال جابر الا آية منها وهي
قوله تعالى يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شان الآية

ست وسبعون آية

وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والقول الاول اصح لما روى عروة بن الزبير
قال اول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان
الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن
مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابى ثم قام عند المقام فقال
بسم الله الرحمن الرحيم **الرحمن علم القرآن** ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش
في انديتها فتاملوا وقالوا ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل
عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح
بنخلة فقرا سورة الرحمن ومر النفر من الجن فآمنوا به وفي الترمذي عن جابر
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن
من اولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن منكم
مردودا كنت كلما اتيت على قوله فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك
ربنا نكذب فلك الحمد قال حديث غريب وفي هذا دليل على انها مكية والله اعلم وروى

ان قيس بن عاصم المنقري قال للنبي صلى الله عليه وسلم اتل علي مما انزل عليك فقرا عليه
سورة الرحمن فقال اعدها فاعادها ثلاثا فقال والله ان له لطلاوة وعليه لحلاوة واسفله
لمغدق واعلاه مثمر وما يقول هذا بشر وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وروى
على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور
اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر وحم ونون فيكون مجموع هذه الرحمن علم
القرآن اي علمه نبيه صلى الله عليه وسلم حتى اداه الى جميع الناس ونزلت حين
قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمن اليمامة
يعنون مسيلمة فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن وقال الزجاج معنى علم القرآن
اي سهله لان يذكر ويقرا كما قال ولقد يسرنا القرآن للذكر وقيل جعله علامة لما
تعبد الناس به خلق الانسان قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني آدم عليه السلام
علمه البيان اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وعن ابن عباس ايضا البيان بيان الحلال
من الحرام ايضا وابن كيسان الانسان هاهنا يراد به محمد صلى الله عليه وسلم والبيان
بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين
والآخرين ويوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما
ينفعه مما يضره وقاله قتادة وقيل الانسان يراد به جميع الناس فهو اسم للجنس و
البيان على هذا الكلام الفهم وهو مما فضل به الانسان على سائر الحيوان
وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقال يمان الكتابة والخط بالقلم
نظيره علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الشمس والقمر بحسبان اي يجريان
بحساب معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة وابو مالك اي يجريان بحساب في
منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها وقال ابن زيد وابن كيسان يعني ان بهما تحسب
الاوقات والاعمار والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر احد كيف
يحسب شيئا لو كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير آجالهما اي
تجري باجال كآجال الناس فاذا جاء اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى وقال الضحاك
بقدر وقال مجاهد بحسبان كحسبان الرحى يعني قطبها يدوران في مثل القطب والحسبان
قد يكون مصدر حسبته احسبه بالضم حسبا وحسبانا وحسبانا مثل الغفران والكفران
والرجحان وحسابة ايضا اي عددته وقال الاخفش ويكون جماعة الحساب مثل
شهاب وشهبان والحسبان ايضا بالضم العذاب والسهام القصار وقد مضى
في الكهف الواحدة حسبانة والحسبانة ايضا الوسادة الصغيرة تقول منه حسبته
اذا وسدته قال لثويت غير محسب اي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفن والنجم

والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم ما لا ساق له والشجر ما له ساق وانشد
ابن عباس قول صفوان بن اسد التميمي لقد انجم القاع الكبير عضاهه وتم به حيا
تميم ووائل وقال زهير ابن ابي سلمى مكلل باصول النجم تنسجه ريح الجنوب لضاحي مائه
حبك واشتقاق النجم من نجم الشيء ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع وسجودهما بسجود ظلالهما
قاله الضحاك وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها حتى ينكسر
الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال يتفيؤ ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم
نجم السماء وسجوده في قول مجاهد دوران ظله وهو اختيار الطبري حكاه المهدوي وقيل
سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتناء لثمارها حكاه الماوردي وقيل ان جميع ذلك
مسخر لله فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم وعبد كثير من العجم
الشجر والسجود الخضوع والمعنى به اثار الحدوث حكاه القشيري وقال النحاس اصل السجود
في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات كله استسلامها لامر الله عز
وجل وانقيادها له من الحيوان كذا ويكون من سجود الصلوة وانشد محمد بن يزيد في النجم
بمعنى النجوم فباتت تعد النجم في مستحيره سريع بايدي الآكلين جمودها والسماء رفعها
وقرا ابو السماك والسماء بالرفع على الابتداء واختار ذلك لما عطف على الجملة التي هي
والنجم والشجر يسجدان فجعل المعطوف مركبا من ابتدا وخبر كالمعطوف عليه الباقون
بالنصب على اضمار فعل يدل عليه ما بعده ووضع الميزان اي العدل عن مجاهد وقتادة
والسدي اي وضع في الارض العدل الذي امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا
اي القاه وقيل على هذا الميزان القرآن لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين
بن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن
به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله
واقيموا الوزن بالقسط والقسط العدل وقيل هو الحكم وقيل اراد وضع الميزان
في الآخرة لوزن الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى في الاعراف القول فيه
ان لا تطغوا في الميزان موضع ان يجوز ان يكون نصبا على تقدير حذف حرف
الجر كانه قال لئلا تطغوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا ويجوز ان لا يكون
لان موضع من الاعراب فيكون بمعنى اي ولا تطغوا على هذا التقدير مجزوما كقوله
وانطلق الملاء منهم ان امشوا اي امشوا والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان
العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال
ابن عباس اي لا تخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين
بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل
فيه اضمار اي وضع الميزان وامركم ان لا تطغوا فيه واقيموا الوزن بالقسط اي
افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدرداء اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل

وقال ابن عيينه الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية
وقيل هو كقولك اقام الصلوة اى اتى بها فى وقتها واقام الناس اسواقهم اى اتوا
بها لوقتها اى لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل ولا تخسروا الميزان اى لا ينقصوا ولا
يبخسوا الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقال قتاده فى هذه
الاية اعدل يا ابن ادم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك فان
العدل صلاح الناس وقيل المعنى ولا تخسروا ميزان حسناتكم يوم القيامة فيكون ذلك حسرة
عليكم وكرر الميزان لحال رؤس الاى وقيل التكرير للامر بايفاء الوزن ورعاية العدل
فيه وقراءة العامة تخسروا بضم التاء وكسر السين وقرا بلال بن ابى برده وابان بن عثمان
تخسروا بفتح التاء والسين وهما لغتان يقال اخسرت الميزان وخسرته كاجبرته وجبرته
وقيل تخسروا بفتح التاء والسين محمول على تقدير حرف الجر والمعنى ولا تخسروا فى الميزان
والارض وضعها للانام الانام الناس عن ابن عباس وقال الحسن الجن والانس وقال
الضحاك كل ما دب على الارض وهذا عام فيها فاكهة اى ما يتفكه به الانسان من
الوان الثمار والنخل ذات الاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهرى والكم بالكسر والكمامة
وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام واكمة واكمام والاكاميم ايضا وكم الفسيل اذا اشفق
عليه فستر عليه حتى يقوى قال العجاج بل لو شهدت الناس اذ تكموا بغمة لو لم
تفرج غموا وتكموا اى اغمى عليهم وغطوا وكمت اى اخرجت كمامها والكمام بالكسر
والكمامة ايضا ما يكم فيه به فم البعير لئلا يعض تقول منه بعير مكموم اى محجوم
وكممت الشى غطيته والكم ما ستر شيا وغطاه ومنه كم القميص بالضم والجمع اكمام
وكممة مثل حب وحببة والكمة القلنسوه المدوره لانها تغطى الراس وقلت لهم
كيلوا بكمة بعضكم دراهمكم انى لذاك اكيل قال الحسن ذات الاكمام اى ذات
الليف فان النخلة قد تكمم بالليف وكمامها ليفها الذى اعناقها وقال ابن زيد
ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمه ذات الاحمال والحب ذو العصف والريحان
الحب الحنطة والشعير ونحوهما والعصف التبن عن الحسن وغيره وقال مجاهد
ورق الشجر والزرع وقال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذى تعصفه الرياح وقال
سعيد بن جبير بقل الزرع اى اول ما ينبت منه وقاله الفراء والعرب تقول خرجنا
نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا فى الصحاح وعصفت الزرع اى
جززته قبل ان يدرك وعن ابن عباس ايضا العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع
رؤسه ويبس نظيره فجعلهم كعصف ماكول قال الجوهرى وقد اعصف الزرع ومكان
معصف اى كثير الزرع قال ابو قيس بن الاسلت الانصارى اذا جادى منعت قطرها
ان جنابى عطن معصف والعصف ايضا الكسب ومنه قول الراجز بغير ما عصف
ولا اكتساب وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق المجتمع الذى يكون فيه

النور

وكمت م

السنبل

السنبل وقال الهروى والعصف والعصيفة ورق السنبل وحكى الثعلبى وقال ابن السكيت تقول
العرب لورق الزرع العصف والعصيفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة تسقى مذانب
قد مالت عصيفتها حدورها من اتى الماء مطموم وفى الصحاح والجل بالكسر قصب الزرع
اذا حصد والريحان الرزق عن ابن عباس ومجاهد قال الضحاك هى لغة حمير وعن ابن
عباس ايضا والضحاك وقتاده انه الريحان الذى يشم وقاله ابن زيد وعن ابن عباس ايضا
انه خضرة الزرع وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف الماكول
من الزرع والريحان ما لا يوكل وقال الكلبى ان العصف الورق الذى لا يوكل والريحان هو
الحب الماكول وقيل الريحان كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة
طيبة اى يشم فهو فعلان روحان من الرائحة واصل الياء فى الكلمة واو قلبت ياء للفرق
بينه وبين الروحان وهو كل شى له روح قال ابن الاعرابى يقال شى ريحانى وروحانى اى له
روح ويجوز ان يكون على وزن فعلان فاصله ريوحان فابدل من الواو ياء وادغم كهين
ولين ثم الزم التخفيف لطوله ولحاق الزائدتين الالف والنون والاصل فيما يتركب من
الراء والواو والحاء الاهتزاز والحركه وفى الصحاح والريحان نبت معروف والريحان
الرزق تقول خرجت ابتغى ريحان الله قال النمر بن تولب سلام الاله وريحانه ورحمته
وسماء درر وفى الحديث الولد من ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على
المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا واما قوله والحب ذو العصف والريحان
فالعصف ساق الزرع والريحان ورقه عن الفراء وقراءة العامه والحب ذو العصف
والريحان بالرفع فيها كلها على العطف على الفاكهة ونصبها كلها ابن عامر وابو حيوه
والمغيره عطفا على الارض وقيل باضمار فعل اى وخلق الحب ذا العصف والريحان
فمن هذا الوجه يحسن الوقف على ذات الاكمام وجر حمزة والكسائى الريحان
عطفا على العصف اى فيها الحب والعصف والريحان ولا يمتنع ذلك على قول من جعل
الريحان الرزق فيكون كانه قال والحب ذو الرزق والرزق من حيث كان العصف
رزقا لان العصف رزق للبهايم والريحان رزق للناس ولا شبهة فيه فى قول من
قال انه الريحان المشموم فباى الاء ربكما تكذبان خطاب للانس والجن لان الانام
واقع عليهما وهذا قول الجمهور يدل عليه حديث جابر المذكور اول السوره خرجه
الترمذى وفيه للجن احسن منكم ردا وقيل لما قال خلق الانسان وخلق الجان دل
ذلك على ما تقدم وما تاخر لهما وايضا قال سنفرغ لكم ايها الثقلان وهو خطاب
للانس والجن وقد قال فى هذه السوره يا معشر الجن والانس وقال الجرجانى خاطب
الجن مع الانس وان لم يتقدم للجن ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب وقيل سبق ذكر
الجن فيما سبق نزوله من القران والقران كالسوره الواحدة فاذا ثبت انهم
يكلفون كالانس خوطب الانسان بهذه الايات وقيل الخطاب للانس على

قد

عادة العرب في الخطاب للواحد بلفظ التثنية حسب ما تقدم من القول في القيا في جهنم
وكذا قولهم قفا نبك وخليلي مرا بي فاما ما بعد خلق الانسان وخلق الجان فانه خطاب
للانس والجن والصحيح قول الجمهور لقوله والارض وضعها للانام والالاء النعم
وهو قول جميع المفسرين واحدها الى والى مثل معا وعصا والي والى اربع لغات حكاها
النحاس قال وفي واحد آناء الليل ثلث لغات يسقط منها المفتوحة الالف المسكنة
اللام وقد مضى في الاعراف والنجم وقال ابن زيد انها القدرة وتقدير الكلام فباي قدرة
ربكما تكذبان وقاله الكلبي واختاره الترمذي محمد بن علي وقال هذه السورة من
بين السور علم القرآن والعلم امام الجند والجند تبعه وانما صارت علما لانها
صورة صفة الملك والقدرة فقال الرحمن علم القرآن فافتتح السورة باسم
الرحمن من بين الاسماء ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله ومن
ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة العظمى من رحمانيته فقال الرحمن علم
القرآن ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان ثم ذكر ما صنع به وما من عليه به ثم ذكر
حسبان الشمس والقمر وسجود الاشياء مما نجم وشجر وذكر رفع السماء ووضع الميزان
وهو العدل ووضع الارض للانام فخاطب هذين الثقلين الجن والانس حين راوا
ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة
الى ذلك واشركوا به الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه وجحدوا الرحمة التي خرجت
هذه الاشياء بها اليهم فقال سائلا لهم فباي آلاء ربكما تكذبان باي قدرة ربكما
تكذبان فانما كان تكذيبهم انهم جعلوا له في هذه الاشياء التي خرجت من ملكه وقدرته
شركا يملك معه ويقدر معه فذلك تكذيبهم ثم ذكر خلق الانسان من صلصال كالفخار
وخلق الجان من مارج من نار ثم سائلهم فقال فباي آلاء ربكما تكذبان اي باي
قدرة ربكما تكذبان فان له في كل خلق بعد خلق قدرة والتكرير في هذه الآيات
للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ الحجة عليهم بما وقفهم على خلق خلق
وقال القتبي ان الله تعالى عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه آلاءه ثم اتبع
كل خلة الخصلة بفتح الخاء وضعها ونعمة وضعها بهذه وجعلها فاصلة بين كل
نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها كما يقول لمن تتابع فيه احسانك وهو يكفره
وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر
هذا الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال كم
نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال لا يقتلي مسلما ان كنت مسلمة اياك من
دمه اياك اياك وقال الاخر لا تقطعن الصديق ما طرفت عيناك كاشح اشر ولا
تملن من زيارته زره وزره وزر وزر وزر وقال الحسين ابن الفضل التكرير
طردا للغفلة وتاكيدا للحجة قوله تعالى **خلق الانسان** لما ذكر سبحانه خلق

العالم الكبير من السماء والارض وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق
العالم الصغير فقال خلق الانسان يعني آدم باتفاق من اهل التاويل من صلصال
الصلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة شبهه بالفخار الذي طبخ وقيل هو طين
خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل اذا انتن وقد مضى في الحجر
وقال هنا من صلصال كالفخار وقال هناك من صلصال من حمإ مسنون وقال انا خلقناهم
من طين لازب وقال كمثل آدم خلقه من تراب وذلك متفق المعنى وذلك انه اخذ
من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل فصار كالحمإ المسنون ثم انتقل فصار
صلصالا كالفخار وخلق الجان من مارج من نار قال الحسن الجان ابليس وهو ابو الجن
وقيل الجان واحد الجن والمارج اللهب عن ابن عباس وقال خلق الله الجان من
خالص النار وعنه ايضا من لسانها الذي يكون في طرفها اذا التهبت وقال الليث
المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي
يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر ونحوه عن مجاهد وكله متقارب
المعنى وقيل المارج كل امر مرسل غير ممنوع ونحوه قول المبرد قال المبرد المارج النار المرسلة
التي لا تمنع وقال ابو عبيدة والحسن المارج خلط النار واصله من مرج اذا اضطرب
واختلط ويروى ان الله تعالى خلق نارين فمزج احدهما بالاخرى فاكلت احداهما
الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس قال القشيري والمارج في اللغة المرسل او المختلط
وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ذو مرج وقال الجوهري
في الصحاح ومارج من نار نار لا دخان لها خلق منها الجان فباي آلاء ربكما تكذبان
قوله تعالى **رب المشرقين ورب المغربين** اي هو رب المشرقين وفي الصافات
رب المشارق والمغارب وقد مضى الكلام فيه هناك قوله تعالى **مرج البحرين
يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان** مرج اي خلى وارسل واهمل يقال مرج السلطان الناس
اي اهملهم واصل المرج الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى ويقال مرج
خلط وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فعل وافعل بمعنى البحرين
قال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض وقاله مجاهد وسعيد بن جبير يلتقيان
في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن
جريج انه البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق والمغرب يلتقي طرفاهما وقيل
بحر اللؤلؤ والمرجان بينهما برزخ حاجز فعلى القول الاول ما بين السماء والارض
قاله الضحاك وعلى القول الثاني الارض التي بينهما وهي الحجاز قاله الحسن وقتادة
وعلى غيرهما من الاقوال القدرة الالهية على ما تقدم في الفرقان وفي الخبر عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كلم الناحية الغربية فقال
اني جاعل فيك عبادا لي يسبحوني ويكبروني ويهللوني فكيف انت لهم قالت اغرقهم

يارب قال فانى احملهم على يدى واجعل باسك فى نواحيك ثم كلم الناحيه الشرقيه فقال انى حامل فيك عبادا لى يسبحونى ويكبرونى ويهللونى ويمجدونى فكيف انت لهم قال اسبحك معهم اذا سبحوك واكبرك معهم اذا كبروك واهللك معهم اذا هللوك وامجدك معهم اذا مجدوك فاتاها الله الحليه وجعل بينهما برزخا وحول احداهما ملحا اجاجا وبقى الاخر على حالته عذبا فراتا ذكر هذا الخبر الترمذى الحكيم ابو عبد الله قال حدثنا صالح بن محمد حدثنا القاسم العمرى عن سهيل عن ابيه عن ابى هريرة لا يبغيان قال قتاده لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جعل بينهما وبين الناس اليبس وعنه ايضا ومجاهد لا يبغى احدهما على صاحبه فيغلبه وقال ابن زيد المعنى لا يبغيان ان يلتقيا وتقدير الكلام مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذى بينهما لا يبغيان ان يلتقيا وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخره اى بينهما مده قدرها الله وهى مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله فى انقضا الدنيا صار البحران شيا واحدا وهو كقوله واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحر طريق الخير والشر والبرزخ الذى بينهما التوفيق والعصمة قوله تعالى **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** اى تخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان كما تخرج من التراب الحب والعصف والريحان وقرا نافع وابو عمرو يخرج بضم اليا وفتح الرا على الفعل المجهول الباقون تخرج بفتح اليا وضم الرا على ان اللؤلؤ هو الفاعل وقال منهما وانما تخرج من الملح لا العذب لان العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن احدهما كقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس دون الجن قاله الكلبى وغيره وقال الزجاج قد ذكرهما الله فاذا خرج من احدهما شى فقد خرج منهما وهو كقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا والقمر فى السما الدنيا ولكن اجمل ذكر السبع فكان ما فى احداهن فيهن وقال ابو على الفارسى هذا من باب حذف المضاف اى من احدهما كقوله تعالى على رجل من القريتين عظيم اى من احدى القريتين وقال الاخفش سعيد زعم قوم انه تخرج اللؤلؤ من العذب وقيل هما بحران تخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الاخر المرجان وقال ابن عباس هما بحر السما والارض فاذا وقع ما السما فى صدف البحر انعقد لؤلؤا فصار خارجا منهما وقاله الطبرى قال الثعلبى ولقد ذكر لى ان نواة كانت فى جوف صدفه فاصابت القطرة بعض النواة ولم تصب البعض فكان حيث اصاب القطرة من النواة لؤلؤة وسايرها نواه وقيل ان العذب والملح قد يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح فينسب اليهما كما ينسب الولد الى الذكر والانثى وان ولدته الانثى وكذلك قيل انه لا تخرج اللؤلؤ الا من موضع يلتقى فيه العذب والمالح ثم قيل المرجان عظام اللؤلؤ وكباره قاله على وابن عباس رضى الله عنهما واللؤلؤ صغاره وعنهما ايضا بالعكس ان اللؤلؤ كبار اللؤلؤ والمرجان صغاره وقاله الضحاك وقتاده وقال

ابن مسعود وابو مالك المرجان الخرز الاحمر قوله تعالى **وله الجوار** يعنى السفن المنشات قراة العامة المنشآت بفتح الشين قال قتاده اى المخلوقات للجرى ماخوذ من الانشاء وقال مجاهد هى السفن التى رفع قلعها قال واذا لم يرفع قلعها فليست بمنشاة وقال الاخفش انها المجريات وفى الحديث ان عليا رضى الله عنه راى سفنا مقلعة فقال ورب الجوار المنشاة ماقتلت عثمان ولا مالات فى قتله وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم باختلاف عنه المنشئات بكسر الشين اى المنشئات السير اضيف الفعل اليها على التجوز والاتساع وقيل الرافعات الشرع اى القلع ومن فتح الشين قال المرفوعات الشرع كالاعلام اى كالجبال والعلم الجبل الطويل قال اذا قطعنا علما بدا علم فالسفن فى البحر كالجبال فى البر وقد مضى فى الشورى بيانه وقرا يعقوب الجوارى بيا فى الوقف وحذف الباقون قوله تعالى **كل من عليها فان** الضمير فى عليها للارض وقد جرى ذكرها فى اول السورة فى قوله والارض وضعها للانام وقد يقال هو اكرم من عليها يعنون الارض وان لم يجر لها ذكر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملايكه هلك اهل الارض فنزلت كل شى هالك الا وجهه فايقنت الملايكه بالهلاك وقاله مقاتل ووجه النعمة فى فنا الخلق التسوية بينهم فى الموت ومع الموت تستوى الاقدام وقيل وجه النعمة ان الموت سبب النقل الى دار الجزا والثواب ويبقى وجه ربك اى ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه قال الشاعر قضى على خلقه المنايا فكل شى سواه فان وهذا الذى ارتضاه المحققون من علمايا ابن فورك وابو المعالى وغيرهم وقال ابن عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال ابو المعالى واما الوجه فالمراد به عند معظم ايمتنا وجود البارى تعالى وهو الذى ارتضاه شيخنا ومن الدليل على ذلك قوله تعالى ويبقى وجه ربك والموصوف بالبقا عند تعرض الخلق للفنا وجود البارى تعالى وقد مضى فى البقره القول فى هذا عند قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله وذكرناه فى الكتاب الاسنى مستوفى قال القشيرى قال قوم هو صفة زايدة على الذات لا تكيف تحصل بها الاقبال على من اراد الرب تخصيصه بالاكرام والصحيح ان يقال وجهه وجوده وذاته يقال هذا وجه الامر ووجه الصواب وعين الصواب وقيل اى يبقى الظاهر بادلته كظهور الانسان بوجهه وقيل ويبقى الجهة التى يتقرب بها الى الله ذو الجلال الجلال عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح يقال جل الشى اى عظم واجللته اى اعظمته والجلال اسم من جل والاكرام اى هو اهل لان يكرم عما لا يليق به من الشرك كما يقول انا اكرمك عن هذا ومنه اكرام الانبيا والاوليا وقد اتينا على هذين الاسمين لغة ومعنى فى الكتاب الاسنى مستوفى وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وروى انه من قول ابن مسعود ومعناه الزموا ذلك فى الدعا قال ابو عبيد

الا الظاظ لزوم الشئ والمثابرة عليه ويقال الالظاظ الالحاح وعن سعيد المقبرى ان
رجلا الح فجعل يقول اللهم يا ذا الجلال والاكرام اللهم يا ذا الجلال والاكرام
فنودى انى قد سمعت فما حاجتك قوله تعالى **يسئله من فى السموات والارض**
قيل المعنى يسئله من فى السموات الرحمة ومن فى الارض الرزق وقال ابن عباس
وابو صالح اهل السموات يسئلونه المغفرة ولا يسئلونه الرزق واهل الارض يسئلونهما
جميعا وقال ابن جريج وتسئله الملائكة الرزق لاهل الارض فكانت المسئلتان جميعا من
اهل السماء واهل الارض لاهل الارض وفى الحديث ان من الملائكة ملكا له اربعة اوجه
وجه كوجه الانسان وهو يسئل الله الرزق لبنى آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسئل
الله الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسئل الله الرزق للبهائم ووجه كوجه
النسر وهو يسئل الله الرزق للطير وقال ابن عطاء انهم سألوه القوة على العبادة
كل يوم هو فى شان هذا كلام مبتدا وانتصب كل يوم ظرفا لقوله فى شان او ظرفا
للسؤال ثم يبتدى هو فى شان وروى ابو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال كل يوم هو فى شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع اقواما ويضع
آخرين وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل كل يوم هو
فى شان قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقيل من شانه انه يحيى ويميت ويعز
ويذل ويرزق ويمنع وقيل اراد شانه فى يومى الدنيا والآخرة قال ابن بحر الدهر كله
يومان احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيمة فشانه سبحانه فى ايام الدنيا الابتلاء
والاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشانه يوم القيامة
الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقيل المراد بذلك الاخبار عن شانه فى كل
يوم من ايام الدنيا وهو الظاهر والشان فى اللغة الخطب العظيم والجمع الشؤون
والمراد بالشان هاهنا الجمع كقوله ثم يخرجكم طفلا وقال الكلبى شانه سوق
المقادير الى المواقيت وقال عمرو بن ميمون فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان من شانه
ان يميت حيا ويقر فى الارحام ما يشاء ويعز ذليلا ويذل عزيزا وسال بعض الامراء
وزيره عن قوله كل يوم هو فى شان فلم يعرف معناها واستمهله الى الغد فانصرف
كئيبا الى منزله فقال له غلام له اسود ما شانك فاخبره فقال عد الى الامير فانى
افسرها له فدعاه فقال ايها الامير شانه ان يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى
الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافا
ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال له فرجت
عنى فرج الله عنك ثم امر فخلع ثياب الوزير وكساها الغلام فقال يا مولاى
هذا من شان الله تعالى وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل
وقال له اشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله تعالى **فاصبح من**

النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شان وصح ان القلم جف
بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف
فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة فى تلك الامة ويكون توبة فى هذه الامة
لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم
قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى
فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولى ان اجزيه بواحدة الفا واما قوله كل يوم هو
فى شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ
خراجه قوله تعالى **سنفرغ لكم ايها الثقلان** يقال فرغت من الشغل
افرغ فروغا وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودى فى كذا اى بذلته وليس
بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم وهذا وعيد
وتهديد لهم كما يقول القائل لمن يريد تهديده اذا افرغ لك اى اقصد قصدك وفرغ
بمعنى قصد وانشد ابن الانبارى فى مثل هذا الجرير الآن وقد فرغت الى نمير
فهذا حين كنت لها عذابا يريد وقد قصدت وقال ايضا انشد النحاس فرغت الى
العبد المقيد فى الحجل وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار
ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب هذا مذمم يبايع بنى قيلة على حربكم
فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لاتفرغن
لك اى اقصد الى ابطال امرك وهذا اختيار القتبى والكسائى وغيرهما وقيل ان
الله تعالى وعد على التقوى واوعد على الفجور ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم
ونوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك وانفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد
وقرا عبد الله وابى سنفرغ اليكم وقرا الاعمش وابرهيم سيفرغ لكم بضم الياء
وفتح الراء على ما لم يسم فاعله وقرا ابن شهاب والاعرج سنفرغ بفتح النون والراء
قال الكسائى هى لغة تميم يقولون فرغ يفرغ وحكى ايضا فرغ يفرغ ورواها
هبيرة عن حفص عن عاصم وروى الجعفى عن ابى عمرو سيفرغ بفتح الياء
والراء وروبت عن ابى هريرة وروى عن عيسى الثقفى سنفرغ بكسر النون وفتح
الراء وقرا حمزة والكسائى سيفرغ بالياء الباقون بالنون وهى لغة تهامة
والثقلان الجن والانس سميا بذلك لعظم شانهما بالاضافة الى ما فى الارض من
غيرهما بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهم ثقل على الارض احياء وامواتا
قال الله تعالى واخرجت الارض اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اى وزنه
وقال بعض اهل المعانى كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض
النعام ثقل لان واجده وصائده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق
سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقال سنفرغ لكم ايها الجمع ثم قال ايه الثقلان

لانهما فريقان وكل فريق جمع وكذا قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ولم يقل ان استطعتما لانهما فريقان في حال الجمع كقوله فاذا هم فريقان يختصمون
وهذان خصمان اختصموا في ربهم ولو قال سنفرغ لكما وقال ان استطعتما لجاز
وقرا اهل الشام ايه الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها وقد تقدم مسئلة
هذه السورة والاحقاف وقل اوحى الى دليل على ان الجن مخاطبون مكلفون مامورون
منهيون مثابون معاقبون كالانس سوا مومنهم كمومنهم وكافرهم ككافرهم لا فرق بيننا
وبينهم في شي من ذلك قوله تعالى يا معشر الجن والانس الاية ذكر ابن المبارك
واخبرنا جويبر عن الضحاك قال اذا كان يوم القيامة امر الله السماء الدنيا ٥
فتشققت باهلها فتكون الملايكة على حافاتها حتى يامرهم الرب فينزلون الى الارض
فيحيطون بالارض ومن فيها ثم بالسماء التي تليها فينزلون فيكونون صفا من خلف
ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة
فينزل الملك الاعلى في بهايه وملكه ومجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها
فلا ياتون قطرا من اقطارها الا وجدوا صفوفا من الملايكه فذلك قوله تعالى يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون
الا بسلطان والسلطان العذر وقال الضحاك ايضا بينما الناس في اسواقهم انفتحت
السماء ونزلت الملايكه فيهرب الجن والانس فتحدق بهم الملايكه فذلك قوله تعالى
لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس قال الشيخ المولف رحمه الله فعلى هذا يكون
في الدنيا وعلى ما ذكر ابن المبارك يكون في الاخرة وعن الضحاك ايضا ان استطعتم ان
تهربوا من الموت فاهربوا وقال ابن عباس ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات ومن
في الارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان اي بينة من الله تعالى وعنه ايضا ان
معنى لا تنفذون الا بسلطان لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم وقال قتادة
لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل لا تنفذون الا الى سلطاني ايا بمعنى
الى كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي قال الشاعر اسيي بنا او احسني لا ملولة لدينا ولا
مقلية ان تقلت وقوله فانفذوا امر تعجيز قوله تعالى يرسل عليكما شواظ
من نار ونحاس اي لو خرجتم ارسل عليكما شواظ واخذكم العذاب المانع
من النفوذ وقيل ليس هذا متعلقا بالنفوذ بل اخبر انه يعاقب العصاه غدا بالنار
وقيل اي بالاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار عقوبة على ذلك التكذيب
وقيل تحاط على الخلايق بالملايكه وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس
فتلك النار قوله يرسل عليكما شواظ من نار والشواظ في قول ابن عباس وغيره
اللهب لا دخان فيه والنحاس الدخان الذي لا لهب فيه ومنه قول اميه بن ابي
الصلت يهجوا حسان بن ثابت كذا وقع في تفسير الثعلبي والماوردي ابن ابي الصلت

دق

وفي الصحاح والوقف والابتدا لابن الانباري امية بن خلف

الا من مبلغ حسان عني ... مغلغلة يدب الى عكاظ
اليس ابوك فينا كان قينا ... لدى القينات فسلا في الحفاظ
يمانيا يظل يشد كيرا ... وينفخ دايبا لهب الشواظ

الفسل من الرجال الرذل والمفسول مثله فاجابه حسان فقال

هجوتك فاختضعت لها بذل ... بقافية تاجج كالشواظ

وقال رويه ان لهم من وقعنا اقياطا ونار حرب تسعر الشواظا ونسا

وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان
الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقاله سعيد بن جبير وقد قيل ان الشواظ
النار والدخان جميعا قاله ابو عمرو عن الاخفش عن بعض العرب وقرا ابن كثير حكاه م
شواظ بكسر الشين الباقون بالضم وهما لغتان مثل صوار وصوار لقطيع البقر ونحاس
قراءة العامة ونحاس بالرفع عطف على شواظ وقرا ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وابو
عمرو ونحاس بالخفض عطفا على النار قال المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان المحض
جميعا فالجر في نحاس على هذا بين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب الذي
لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف كانه قال يرسل عليكما
شواظ من نار وشي من نحاس فشي معطوف على شواظ ومن نحاس جمله هي صفة لشي وحذف
شي وحذفت من لتقدم ذكرها في من نار كما حذفت على من قولهم على من تنزل انزل
عليه فيكون نحاس على هذا مجرورا بمن المحذوفه وعن مجاهد وحميد وعكرمه
وابي العاليه ونحاس بكسر النون لغتان كالشواظ والشواظ والنحاس بالكسر ايضا
الطبيعه والاصل يقال فلان كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجار وعن
مسلم بن جندب ونحس بالرفع وعن حنظله بن مره بن النعمان الانصاري ونحس
بالجر عطف على نار ويجوز ان يكون ونحاس بالكسر جمع نحس كصعب وصعاب ونحس
بالرفع عطف على شواظ وعن الحسن ونحس بالضم فيهن جمع نحس ويجوز ان يكون
اصله ونحوس فقصر بحذف واوه حسب ما يقدم عند قوله وبالنجم هم يهتدون
وعن عبد الرحمن بن ابي بكره ونحس بفتح النون وضم الحاء وشد السين من
حس يحس حسا اذا استاصل ومنه قوله تعالى اذ تحسونهم باذنه والمعنى نقتل
بالعذاب وعلى القراءة الاولى ونحاس فهو الصفر المذاب يصب على رووسهم
قاله مجاهد وقتاده وروي عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا وسعيد بن
جبير ان النحاس الدخان الذي لا لهب فيه وهو قول الخليل والنحاس هو معروف
وفي كلام العرب قال نابغة بني جعده تضي كضو سراج السليط لم يجعل الله فيه
نحاسا قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول السليط دهن السمسم بالشام ولا دخان

فيه وقال مقاتل هي خمسة انهار من صفر مذاب تجري من تحت العرش على رؤس اهل النار
ثلثة انهار على مقدار الليل ونهران على مقدار النهار وقال ابن مسعود النحاس
المهل وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار الذي له ريح شديد
فلا تنتصران اي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس قوله تعالى **فاذا انشقت**
السماء اي انصدعت يوم القيامة فكانت وردة كالدهان الدهان الدهن عن
مجاهد والضحاك وغيرهما والمعنى انها صارت في صفاء الدهن والدهان
على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير وقتادة المعنى فكانت حمرا وقيل المعنى
تصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمرا
من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقيل الدهان الجلد الاحمر
الصرف ذكره ابو عبيدة والفرا اي تصير السماء حمرا كالاديم لشدة حر النار
قال ابن عباس المعنى فكانت كالفرس الورد يقال للكميت ورد اذا كان يتلون
بالوان مختلفة قال ابن عباس الفرس الورد في الربيع كميت اصفر وفي اول الشتاء
كميت احمر فاذا اشتد الشتاء كان كميتا اغبر وقال الفرا اراد الفرس الوردة
تكون في الربيع وردة الى الصفرة فاذا اشتد البرد كانت وردة حمرا فاذا
كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من
الخيل وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا
وقال زيد بن اسلم المعنى انها تصير كعكر الزيت وقيل المعنى انها تمر وتجي قال
الزجاج اصل الواو والراء والدال للمجي والاتيان وهذا قريب مما قدمنا من ان
الفرس الوردة تتغير الوانها وقال قتادة انها اليوم خضرا وسيكون لها لون
احمر حكاه الثعلبي وقال الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السماء الحمرة
وانها لكثرة الحوايل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الازرق وشبهوا ذلك بعروق
البدن هي حمرة كحمرة الدم وترى بالحايل زرقا فان كان هذا صحيحا فان السماء
لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمرا لانه اصل لونها
والله اعلم قوله تعالى **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان**
هذا مثل قوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وان القيامة مواطن لطول
ذلك اليوم فيسئل في بعض وهذا قول عكرمه وقيل المعنى لا يسئلون اذا استقروا
في النار وقال الحسن وقتاده لا يسئلون عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم
وكتبتها الملايكة رواه العوفي عن ابن عباس وعن الحسن ومجاهد ايضا
المعنى لا يسئل الملايكه عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده وقاله
مجاهد عن ابن عباس وعنه ايضا في قوله تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين
وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قال لا نسئلهم ليعرف ذلك

ولا يسأل في بعض م

منهم لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسئلهم لم عملتموها سوال توبيخ وقال ابو العالية
لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة كانت المسئلة قبل ثم ختم على افواه القوم
وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قال
فيلقى العبد فيقول اي قل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الابل والخيل واذرك
ترأس وتربع فيقول بلى فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك كما نسيتني
ثم يلقى الثاني فيقول له ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك
فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما
استطاع قال فيقول هاهنا اذا ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليك فيفكر في نفسه
من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه و
عظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله
عليه وقد مضى هذا الحديث في حم السجدة وغيرها قوله تعالى **يعرف المجرمون**
بسيماهم قال الحسن سواد الوجوه وزرقة الاعين قال الله تعالى ونحشر المجرمين
يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيوخذ بالنواصي والاقدام اي تاخذ
الملايكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم في النار والنواصي
جمع ناصية وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وعنه
يوخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار وقيل
يفعل ذلك به ليكون اشد لعذابه واكثر لتشويهه وقيل تسحبهم الملايكة
الى النار تارة تاخذ بناصيته وتجره على وجهه وتارة تاخذ بقدميه وتسحبه
على راسه قوله تعالى **هذه جهنم** اي يقال لهم هذه النار التي اخبرتم بها
فكذبتم يطوفون بينها وبين حميم آن قال قتادة يطوفون مرة بين الحميم ومرة بين
الجحيم والجحيم النار والحميم الشراب وفي قوله تعالى آن ثلثة اوجه احدها انه
الذي قد انتهى حره وحميه قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه قول
النابغة الذبياني وتخضب لحية غدرت وخانت باحمر من نجيع الجوف آن قال
قتادة ان طبخ منذ خلق الله السموات والارض يقول اذا استغاثوا من النار
جعل غياثهم ذلك وقال كعب آن واد من اودية جهنم تجتمع فيه صديد اهل
النار فيغمسون باغلالهم فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث
الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم
آن وعن كعب ايضا انه الحاضر وقال مجاهد انه الذي قد آن شربه وبلغ غايته
والنعمة فيما وصف من هول القيامة وعقاب المجرمين ما في ذلك من الزجر عن
المعاصي والترغيب في الطاعات وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتى على
شاب في الليل يقرأ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب

منهم

وعنقته العبرة وجعل يقول ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى
الله عليه وسلم مهلا يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك
قوله تعالى **ولمن خاف مقام ربه جنتان** فيه مسئلتان الاولى لما ذكر احوال
اهل النار ذكر ما اعد للابرار والمعنى خاف قيامه بين يدي ربه للحساب فترك
المعصية فمقام مصدر بمعنى القيام وقيل خاف قيام ربه عليه اي اشرافه واطلاعه
عليه بيانه افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال مجاهد وابرهيم النخعي
هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه الثانية هذه الاية دليل
على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان
كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه وقاله سفيان الثوري وافتى
به وقال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقال
ابن عباس من خاف مقام ربه بعد اداء الفرايض وقيل المقام الموضع اي خاف
مقامه بين يدي ربه للحساب كما تقدم ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف
الى الله وهو كالاجل في قوله فاذا جاء اجلهم وقوله في موضع آخر ان اجل الله
اذا جاء لا يوخر جنتان اي لمن خاف جنتان على حدة فلكل خائف جنتان
وقيل جنتان لجميع الخائفين والاول اظهر وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام في وسط
كل بستان دار من نور على نور وليس منها شيء الا يهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت
وشجرها ثابت ذكره المهدوي والثعلبي ايضا من حديث ابي هريرة وقيل ان الجنتين
جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل
ازواجه كما يفعله رؤساء الدنيا وقيل ان احدى الجنتين مسكنه والاخرى
بستانه وقيل ان احدى الجنتين اسافل القصور والاخرى اعاليها وقال مقاتل
هما جنة عدن وجنة النعيم وقال الفراء انما هي جنة واحدة فثنى لرؤس الآي
وانكر القتبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة
عشر لمراعاة رؤس الآي وايضا قال ذواتا افنان وقال ابو جعفر النحاس قال
الفراء قد تكون جنة فتثنى في الشعر وهذا القول من اعظم الغلط على كتاب
الله عز وجل يقول الله تعالى عز وجل جنتان ويصفهما بقوله فيهما فيدع الظاهر
ويقول يجوز ان تكون جنة ويحتج بالشعر وقيل انما كانتا اثنتين ليضاعف له
السرور بالتنقل من جهة الى جهة وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه
خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين برزت قاله عطا
وابن شوذب وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه فسال عنه
فاخبر انه من غير حل فاستقاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال

رحمك الله لقد انزلت فيك آية وتلا عليه هذه الآية قوله تعالى **ذواتا افنان**
قال ابن عباس وغيره اي ذواتا الوان من الفاكهة الواحد فن وقال مجاهد الافنان
الاغصان واحدها فنن قال النابغة دعاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن
تغني وقال آخر يصف طائرين فانا على غصن بان في ذرى فنن يرددان لحونا ذات
الوان اراد باللحون اللغات وقال آخر ما هاج شوقك من هدير حمامة تدعو على
فنن الغصون حماما تدعو ابا فرخين صادف ضاريا ذا مخلبين من الصقور قطاما
والفنن جمعه افنان ثم الافانين وقال يصف رحى لها زمام من افانين الشجر
وشجرة فناء اي ذات افنان وفنواء ايضا على غير قياس وفي الحديث اهل الجنة
مرد مكحلون اولو افانين يريد اولو فنن وهو جمع افنان وافنان جمع فنن من
الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقيل ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل
على ما سواهما قاله قتادة وعن مجاهد ايضا وعكرمة ان الافنان ظل الاغصان
على الحيطان قوله تعالى **فيهما عينان تجريان** اي في كل واحدة منهما عين
جارية قاله ابن عباس تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على اهل
الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى العينين
التسنيم والاخرى السلسبيل وعنه ايضا عينان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة
حصاؤهما الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحماتهما المسك
الاذفر وحافتاهما الزعفران وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى
من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك وقال ابو بكر الوراق
فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله
قوله تعالى **فيهما من كل فاكهة زوجان** اي صنفان وكلاهما حلو
يستلذ به قال ابن عباس ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى
الحنظل الا انه حلو ضربان رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل والطيب و
قيل اراد تفضيل هاتين الجنتين على الجنتين اللتين دونهما فانه ذكر هاهنا عينين
جاريتين وذكر ثم عينين نضاختين بالماء والنضخ دون الجري فكانه قال في تلك
الجنتين من كل فاكهة نوع وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان قوله تعالى
متكئين على فرش هو نصب على الحال والفرش جمع فراش وقرا ابو حيوة
فرش باسكان الراء بطائنها جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة والاستبرق
ما غلظ من الديباج وخشن اي اذا كانت البطانة التي تلي الارض هكذا فما
ظنك بالظهارة قاله ابن مسعود وابو هريرة وقيل لسعيد بن جبير البطائن
من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطائنها لتهتدي اليه قلوبكم فاما

الظواهر فلا يعلمها الا الله في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها
نور يتلألأ وعن الحسن بطاينها من استبرق وظواهرها من نور جامد وعن الحسن
ايضا البطاين من الظواهر وهو قول الفرا وروى عن قتادة والعرب تقول للبطن
ظهرا فيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض وقال الفرا قد تكون البطانة الظهارة
والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء
وهذا بطن السماء لظاهرها الذى نراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون
هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولى كل واحد منهما قوم كالحايط بينك وبين قوم
وعلى ذلك امر السماء وجنى الجنتين دان الجنى ما يجتنى من الشجر يقال اتانا بجناة طيبة
لكل ما يجتنى وتمر جنى على فعيل حين جنى وقال الشاعر هذا جناى وخياره فيه
اذ كل جان يده الى فيه وقرى وجنى بكسر الجيم دان قريب قال ابن عباس تدنوا الشجرة
حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قايما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا لا يرد يده بعد
ولا شوك قوله تعالى **فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم**
ولا جان فيه ثلاثة مسايل الاولى قوله تعالى فيهن اى في الجنتين المذكورتين
قال الزجاج وانما قال فيهن لانه عنى الجنتين وما اعد لصاحبهما من النعم وقيل
فيهن يعود على الفرش التى بطاينها من استبرق اى في هذه الفرش قاصرات
الطرف اى نساء قاصرات الطرف قصرن اعينهن على ازواجهن فلا يرين غيرهم
وقد مضى في والصافات ووحد الطرف مع الاضافة الى الجمع لانه في معنى المصدر
من طرفت عينه تطرف طرفا ثم سميت العين بذلك فادى عن الواحد والجمع كقولهم
قوم عدل وصوم الثانية قوله تعالى لم يطمثهن اى لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن
هاولا احد قال الفرا والطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية طمثها يطمثها
ويطمثها طمثا اذا افتضها ومنه قيل امراة طامث اى حايض وغير الفرا يخالفه
في هذا ويقول طمثها بمعنى وطيها على اى الوجوه كان الا ان قول الفرا اعرف
واشهر وقرا الكساى لم يطمثهن بضم الميم طمثت المراة تطمث بالضم حاضت
وطمثت بالكسر لغة فهى طامث وقال الفرزدق دفعن الى لم يطمثن قبلى وهن
اصح من بيض النعام وقيل لم يطمثهن لم يمسسهن قال ابو عمرو الطمث المس
وذلك في كل شى يمس ويقال للمرتع ما طمث ذا المرتع قبلنا احد وما طمث هذه
الناقة حبل اى ما مسها عقال وقال المبرد اى لم يذللهن انس ولا جان والطمث
التذليل وقرا الحسن جان بالهمزة الثالثة في هذه الاية دليل على ان الجن
تغشى كالانس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات قال ضمرة للمومنين منهم
ازواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن وقيل اى لم يطمث ما
يهب الله للمومنين من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات جن ولم يطمث

ما يهب الله للمومنين من الانس في الجنة من الحور العين من الانسيات انس وذلك لان
الجن لا تطا بنات ادم في الدنيا ذكره القشيرى قال الشيخ المولف رحمه الله قد مضى في النمل
القول في هذا وفي سبحان ايضا وانه جايز ان تطا بنات آدم وقد قال مجاهد اذا جامع
الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان وذلك بان الله تبارك وتعالى وصف الحور العين بانه لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان يعلمك ان نساء الادميات قد يطمثهن الجان وان الحور قد برين
من هذا العيب ونزهن والطمث الجماع ذكره بكماله الترمذى الحكيم وذكره المهدوى
ايضا والثعلبى وغيرهما قوله تعالى **كانهن الياقوت والمرجان** روى الترمذى
عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المراة من نساء اهل
الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله عز
وجل يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه
سلكا ثم استصفيته لرايته ويروى موقوفا وقال عمرو بن ميمون ان المراة من الحور
العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك كما يرى الشراب الاحمر في
الزجاجة البيضا وقال الحسن هو في صفاء الياقوت وبياض المرجان قوله تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان هل في الكلام على اربعة اوجه
تكون بمعنى قد كقوله هل اتى وهل اتاك وبمعنى الاستفهام كقوله فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله فهل انتم منتهون وبمعنى ما في الجحد كقوله فهل على الرسل
الا البلاغ وهل جزاء الاحسان الا الاحسان قال عكرمة اى هل جزاء من قال لا اله
الا الله الا الجنة وقال ابن عباس اى ما جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم الا الجنة وقيل اى هل جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن
اليه في الاخرة قاله ابن زيد وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا هل
جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم قال هل جزاء من
انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية فقال يقول الله هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتى وتوحيدى الا
ان اسكنه جنتى وحظيرة قدسى برحمتى وقال الصادق هل جزاء من احسنت اليه
في الازل الا حفظ الاحسان عليه في الابد وقال محمد بن الحنفية والحسن هى مسجلة
للبر والفاجر اى مرسلة على الفاجر في الدنيا والبر في الاخرة قوله تعالى
ومن دونهما جنتان اى وله من دون الجنتين الاوليين جنتان
اخريان قال ابن عباس ومن دونهما في الدرج وقال ابن زيد ومن دونهما في الفضل
ابن عباس والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الاوليين النخل والشجر
وفي الاخريين الزرع والنبات وما انبسط قال الماوردى ويحتمل ان يكون ومن

دونهما جنتان لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته احداهما للحور العين والاخرى
للولدان والمخلدين ليتميز فيها الذكور من الاناث وقال ابن جريج هي اربع جنان
منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان
لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان وقال ابن
زيد ان الاولين من ذهب للمقربين والاخريين من ورق لاصحاب اليمين قال الشيخ المولف
رحمه الله الى هذا ذهب الحليمي ابو عبد الله الحسن ابن الحسين في كتاب منهاج
الدين له واحتج بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ولمن خاف مقام ربه جنتان
الى قوله مدهامتان قال تلك للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابى موسى
الاشعرى نحو ذلك ولما وصف الله الجنتين اشار الى الفرق بينهما فقال في الاولين
فيهما عينان تجريان وفي الاخريين فيهما عينان نضاختان اى فوارتان ولكنهما ليستا
كالجاريتين لان النضخ دون الجرى وقال في الاولتين فيهما من كل فاكهة زوجان فعم
ولم تخص وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولم يقل من كل فاكهة وقال
في الاولتين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وهو الديباج وفي الاخريين
متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان والعبقرى الوشى ولا شك ان الديباج اعلى
من الوشى والرفرف كسر الخباء ولاشك ان الفرش المعدة للاتكاء عليها افضل من
فضل الخباء وقال في الاولتين في صفة الحور العين كانهن الياقوت والمرجان
وفي الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان
وقال في الاولتين ذواتا افنان وفي الاخريين مدهامتان اى خضراوان كانهما من شدة
خضرتهما سوداوان ووصف الاولين بكثرة الاغصان والاخريين بالخضرة وحدها
وفي هذا كله تحقيق للمعنى الذى قصدنا بقوله ومن دونهما جنتان ولعل ما لم يذكر
من تفاوت ما بينهما اكثر مما ذكر فان قيل كيف لم يذكر اهل هاتين الجنتين كما ذكر اهل
الجنتين الاولتين قيل الجنان الاربع لمن خاف مقام ربه الا ان الخايفين لهم مراتب
فالجنتان الاولتان لاعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى والجنتان الاخريان
لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى قال الشيخ المولف رحمه الله فهذا قول والقول
الثاني ان الجنتين في قوله تعالى ومن دونهما جنتان اعلى وافضل من الاولتين ذهب
الى هذا الضحاك وان الجنتين الاولين من ذهب وفضة والاخريين من ياقوت
وزمرد وهما افضل من الاولتين وقوله ومن دونهما اى ومن امامهما ومن قبلهما والى هذا
ذهب ابو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم في نوادر الاصول وقال ومعنى ومن دونهما
جنتان اى دون هذا الى العرش اى اقرب وادنى الى العرش واخذ يفضلهما على الاولين
كما سنذكر عنه وقال مقاتل الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان
جنة الفردوس وجنة الماوى قوله تعالى مدهامتان اى خضراوان من الرى

ومذهب الضحاك ان الجنتين الاولتين من ذهب وفضة

قال

قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد مسودتان والدهمة في اللغة السواد يقال فرس
ادهم وبعير ادهم وناقة دهماء اى اشتدت زرقته حتى ذهب البياض الذى فيه فان
زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو جون وادهم الفرس ادهماما اى صار ادهم وادهام
الشئ ادهيماما اى اسواد قال تعالى مدهامتان اى سوداوان من شدة الخضرة من الرى
والعرب يقول لكل اخضر اسود وقال لبيد يرثى قتلى هوازن وجاءوا به في هودج ووراءه
كتائب خضر في نسيج السنور السنور لبوس من قد كالدرع وسميت قرى العراق سوادا
لكثرة خضرتها ويقال لليل المظلم اخضر ويقال اباد الله خضراءهم اى سوادهم قوله
تعالى فيهما عينان نضاختان اى فوارتان بالماء عن ابن عباس والنضخ
بالخاء اكثر من النضح بالحاء وعنه ان المعنى نضاختان بالخير والبركة وقاله الحسن
ومجاهد وقال ابن مسعود وابن عباس ايضا وانس ينضح على اولياء الله بالمسك والعنبر
والكافور في دور اهل الجنة كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والماء
وقال الترمذى بانواع الفواكه والنعيم والجوار المزينات والدواب المسرجات والثياب
الملونات قال الترمذى وهذا يدل على ان النضخ اكثر من الجرى وقيل تنبعان ثم
تجريان قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فيه مسئلتان الاولى قال
بعض العلماء ليس الرمان والنخل من الفاكهة لان الشئ لا يعطف على نفسه انما
يعطف على غيره وهذا ظاهر الكلام وقال الجمهور هما من الفاكهة وانما اعاد ذكر
النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة كقوله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل
وقد تقدم وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهما في ذلك الوقت بمنزلة
البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما عندهم
لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار التى يعجبون بها فانما ذكر الفاكهة
ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها
من ارض اليمن فاخرجهما في الذكر من الفواكه وافرد الفواكه على حدتها وقيل
افرد بالذكر لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا
للتفكه ومنه قال ابو حنيفه رحمه الله وهي المسئلة الثانية اذا حلف ان لا ياكل
فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه والناس قال ابن عباس الرمانة
في الجنة مثل جلد البعير المقتب وذكر ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن حماد عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب
احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال
والدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس فيه عجم
قال وحدثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن ابى عبيدة قال نخل الجنة نضيد من

اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمره عادت مكانها اخرى وان ماءها يجرى
فى غير اخدود والعنقود اثنى عشر ذراعا قوله تعالى فيهن خيرات حسان فيه
مسئلتان الاولى قوله تعالى فيهن خيرات حسان يعنى النسآء الواحدة خيرة على معنى ذوات
خير وقيل لخيرات بمعنى خيرات فخفف كهين ولين قال ابن المبارك اخبرنا الاوزاعى عن
حسان بن عطية عن سعيد بن عامر قال لو ان خيرة من خيرات حسان اطلعت من السمآء
لاضاءت لها ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر والنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا
وما فيها حسان اى حسان الخلق واذا قال تعالى حسان فمن ذا الذى يقدر ان نصف حسنهن
وقال الزهرى وقتادة خيرات الاخلاق حسان الوجوه وروى ذلك عن النبى صلى الله
عليه وسلم من حديث ام سلمة وقال ابو صالح لانهن عذارى ابكار وقرا قتادة وابن السميفع
وابو رجى العطاردى وبكر بن حبيب السهمى خيرات بالتشديد على الاصل وقد قيل ان خيرات
جمع خير والمعنى ذوات خير وقيل مختارات قال الترمذى فالخيرة ما اختارهن الله
فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار الادميين ثم قال حسان فوصفهن
بالحسن فاذا وصف خالق الحسن شيئا بالحسن فانظر ما هناك وفى الاولين ذكر بانهن قاصرات
الطرف وكانهن الياقوت والمرجان فانظر كم بين الخيرة وهى مختارة الله وبين قاصرات
الطرف وفى الحديث ان الحور العين ياخذ بعضهم بايدى بعض ويتغنين باصوات لم تسمع
الخلايق باحسن منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن المقيمات فلا نظعن
ابدا ونحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن الناعمات فلا نبوس ابدا ونحن خيرات حسان
حبيبات لازواج كرام خرجه الترمذى بمعناه من حديث على رضى الله عنه وقالت
عايشه رضى الله عنها ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابهن المومنات من
نسآء اهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصايمات وما صمتن ونحن المتوضات
وما توضاتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عايشة رضى الله عنها فغلبتهن والله
الثانية واختلف ايما اكثر حسنا وابهر جمالا الحور ام الادميات فقيل الحور لما ذكر من
وصفهن فى القران والسنة ولقوله عليه السلام فى دعايه على الميت وابدله زوجا خيرا
من زوجه وقيل الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف روى مرفوعا وذكر ابن
المبارك واخبرنا رشدين عن ابن انعم عن حبان ابن ابى جبله قال ان نسآء الدنيا من دخل
منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن فى الدنيا وقد قيل ان الحور العين المذكورات
فى القرآن هن المومنات من ازواج النبيين والمومنين تخلقن فى الاخرة على احسن صورة
قاله الحسن البصرى والمشهور ان الحور العين ليس من نسآء اهل الدنيا انما هن مخلوقات
فى الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نسآء اهل الدنيا مطموثات
ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اقل ساكنى الجنة النسآء فلا يصيب كل واحد منهم
امراة ووعد الحور العين لجماعتهم فثبت انهن من غير نسآء الدنيا قوله تعالى

حورا

حور مقصورات فى الخيام حور جمع حورا وهى الشديدة بياض العين الشديدة سواد العين
وقد تقدم مقصورات محبوسات مستورات فى الخيام فى الحجال ليس بالطوافات فى الطرق
قاله ابن عباس وقال عمر رضى الله عنه الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس وقال هو فرسخ
فى فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب وقال الترمذى الحكيم ابو عبد الله فى قوله تعالى
حور مقصورات فى الخيام بلغنا فى الرواية ان سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات
الرحمه ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطى الانهار سعتها اربعون ميلا وليس لها باب
حتى اذا حل ولى الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله ان ابصار المخلوقين
من الملايكة والخدم لم تاخذها فهى مقصورة قد قصر بها عن ابصار المخلوقين والله اعلم
وقال فى الاولين هن قاصرات الطرف قصرن طرفهن عن الازواج ولم يذكر انهن مقصورات
فدل على ان المقصورات اعلى وافضل وقال مجاهد مقصورات قد قصرن على ازواجهن
فلا يردن بدلا منهم وفى الصحاح وقصرت الشى اقصره قصرا حبسته ومنه مقصورة
الجامع وقصرت الشى على كذا اذا لم تجاوز به الى غيره وامراة قصيرة وقصورة
اى مقصوره فى البيت لا تترك ان تخرج قال كثير وانت التى حببت كل قصيرة الى وما تدرى
بذاك القصاير عنيت قصيرات الحجال ولم ارد قصار الخطا شر النسا البحاتر وانشده
الفرا قصورة ذكره ابن السكيت وروى انس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم مررت
ليلة اسرى بى فى الجنة بنهر حافاته قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك
يا رسول الله فقلت يا جبريل من هؤلا قال هؤلا جوار من الحور العين استاذن ربهن
فى ان يسلمن عليك فاذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ابدا نحن الناعمات
فلا نباس ابدا نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ازواج رجال كرام ثم قرا النبى صلى
الله عليه وسلم حور مقصورات فى الخيام اى محبوسات حبس صيانه وتكرمه وروى
عن اسمآء بنت عبيد الاشهلية انها اتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله انا معشر النسآء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحوامل اولادكم فهل
نشارككم فى الاجر فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم اذا احسنتن تبعل
ازواجكن وطلبتن مرضاتهم قوله تعالى لم يطمثهن اى لم يمسسهن على ما تقدم
قبل وقراة العامة يطمثهن بكسر الميم وقرا ابو حيوة الشامى وطلحة بن مصرف
والاعرج والشيرزى عن الكسائى بضم الميم فى الحرفين وكان الكسائى يكسر احداهما
ويضم الاخرى ويخير فى ذلك فاذا رفع الاولى كسر الثانيه واذا كسر الاولى رفع الاخره
وهى قراة ابى اسحق السبيعى قال ابو اسحق كنت اصلى خلف اصحاب على فيرفعون الميم
وكنت اصلى خلف اصحاب عبد الله فيكسرونها فاستعمل الكسائى الامرين وهما
لغتان طمث وطمث مثل يعرشون ويعرشون فمن ضم فللجمع بين اللغتين ومن
كسر فلانها اللغة السايرة وانما اعاد قوله لم يطمثهن ليبين ان صفة الحور

المقصورات في الخيام كصفة الحور القاصرات الطرف يقول اذا تحجرن كانت لهم
الخيام في تلك الحال قوله تعالى متكئين على رفرف خضر ‌. الرفرف المحابس وقال
ابن عباس الرفرف فضول الفرش والبسط ايضا وعنه الرفرف المحابس يتكون على فضولها
وقاله قتادة وقال الحسن والقرظي هي البسط وقال ابن عيينه هي الزرابي وقال ابن كيسان هي
المرافق وقاله الحسن ايضا وقال ابو عبيده هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من
الثياب الخضر تبسط وقيل الفرش المرتفعه وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف
قال ابن مقبل وانا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من اصناف ريط ورفرف وهذه اقوال
متقاربة وفي الصحاح والرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس الواحده رفرفه وقال
سعيد بن جبير وابن عباس ايضا الرفرف رياض الجنة واشتقاق الرفرف من رف
يرف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطاير لتحريكه جناحيه في الهوى وربما سموا الظليم
رفرافا بذلك لانه يرفرف بجناحيه ثم يعدو ورفرف الطاير ايضا اذا حرك جناحيه
حول الشي يريد ان يقع عليه والرفرف ايضا كسر الخبا وجوانب الدرع وما تدلى منها الواحد
رفرفه وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقه
اي رفع طرف الفسطاط وقيل اصل الرفرف من رف النبت يرف اذا صار غضا نضيرا حكاه الثعلبي
وقاله القتيبي يقال للشي اذا كثر ماوه من النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز رف يرف
رفيفا حكاه الهروي وقد قيل ان الرفرف شي اذا استوى عليه صاحبه رفرف به واهوى
به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع انيسته قاله الترمذي الحكيم في
نوادر الاصول وقد ذكرناه في التذكرة قال الترمذي فالرفرف اعظم خطرا من الفرش
فذكر في الاولين متكئين على فرش بطاينها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف
خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شي اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار به هكذا
وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح واصله من رفرف بين يدي الله تعالى روي لنا في حديث
المعراج ان رسول الله صلى الله عليه لما بلغ السدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله
من جبريل فطار به الى سند العرش فذكر انه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف
بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه
الى جبريل صلوات الله عليه وسلم وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف
خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان
البراق دابة تركبها الانبيا مخصوصة بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخره
لاهل الجنتين الدانيتين هو متكاهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار
وشطوطها حيث شا الى خيام ازواجه الخيرات الحسان ثم قال وعبقري حسان
والعبقري ثياب منقوشة تبسط فاذا قال النفوس انها حسان فما ظنك بتلك العباقر
وعبقري حسان وقرا عثمان رضي الله عنه والجحدري والحسن وغيرهم متكئين

على رفارف

على رفارف بالجمع غير مصروف وكذلك وعباقري حسان جمع رفرف وعبقري ورفرف اسم
للجمع وعبقري واحد يدل على الجمع المنسوب الى عبقر وقد قيل ان واحد رفرف وعبقري رفرفه
وعبقريه والرفارف والعباقري جمع الجمع والعبقري الطنافس الثخان منها قاله الفرا وقيل
الزرابي عن ابن عباس وغيره والحسن هي البسط وقال مجاهد الديباج الغليظ كل ثوب وشي عند
العرب عبقري قال ابو عبيده هو منسوب الى ارض يعمل فيها الوشي فينسب اليها كل وشي نسج
حسن قال ذو الرمة حتى كان رياض القف البسها من وشي عبقر تجليل وتنجيد ويقال عبقر
قريه بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشه وقال ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قريه
يسكنها الجن ينسب اليها كل فاخر قيل و قال الخليل كل جليل نافس فاضل وفاخر من الرجال
والنساء وغيرهم عند العرب عبقري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه
فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه وقال ابو عمرو ابن العلا وقد سيل عن قوله عليه السلام فلم
ار عبقريا يفري فريه فقال رئيس قوم وجليلهم وقال زهير بخيل عليها جنة عبقريه جديرون
يوما ان ينالوا فيستعلوا وقال الجوهري العبقر موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد
كهول وشبان كجنة عبقر ثم نسبوا اليه كل شي يعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا
عبقري وهو واحد وجمع وفي الحديث انه كان يسجد على عبقري وهو هذه البسط التي فيها الاصباغ
والنقوش حتى قالوا ظلم عبقري وهذا عبقري للرجل القوي وفي الحديث فلم ار عبقريا يفري
فريه ثم خاطبهم الله تعالى بما تعارفوه فقال عبقري حسان وقرا بعضهم عباقري وهو خطا
لان المنسوب لا يجمع على نسبته وقال قطرب ليس بمنسوب هو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي
وروى ابو بكره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان
ذكره الثعلبي وضم الضاد من خضر قليل قوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام ‌. تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم ذي الجلال اي العظمة وقد تقدم والاكرام
وقرا ابن عامر ذو الجلال بالواو وجعله وصفا للاسم وذلك تقويه لكون الاسم هو المسمى الباقون
ذي الجلال جعلوا ذي صفة لربك وكانه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن
فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن والشياطين وخلق السموات والارض
وصنعه وكل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها
وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في اخر الصفة تبارك اسم ربك ذي
الجلال والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله
خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السماء والارض والخلق والخليقه
والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال ذي الجلال والاكرام
جليل في ذاته كريم في افعاله ولم يختلف القرا في اجرا النعت على الوجه بالرفع في اول السورة
وهو يدل على ان المراد به وجه الله تعالى الذي يلقى المومنين عند ما ينظرون
اليه فيستبشرون بحسن الجزا وجميل اللقا وحسن العطا

سورة الواقعة مكية

فى قول الحسن وعكرمه وجابر وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها نزلت بالمدينه
وهى قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبى مكية الا اربع ايات منها آيتان
افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا فى سفره وقوله تعالى ثلة
من الاولين وثلة من الاخرين نزلتا فى سفره الى المدينه وهى سبع وتسعون آيه
وقال مسروق من اراد ان يعلم نبا الاولين والآخرين ونبا اهل الجنة ونبا اهل النار ونبا اهل الدنيا
ونبا اهل الآخرة فليقرا سورة الواقعة وذكرا بو عمر بن عبد البر فى التمهيد والتعلى
ايضا ان عثمان دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال له ما تشتكى قال ذنوبى
قال فما تشتهى قال رحمه ربى قال افلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضنى قال افلا نامر لك بعطائك
قال لا حاجة لى فيه حبسته عنى فى حياتى وتدفعه لى عند مماتى قال يكون لبناتك من بعدك
قال اتخشى على بناتى الفاقة من بعدى انى امرتهن ان يقرا ن سورة الواقعة كل ليلة فانى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **اذا وقعت الواقعة** اى قامت القيامة والمراد النفخة الاخيرة وسميت واقعة
لانها تقع عن قريب وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدايد وفيه اضمار اى اذكر اذا وقعت
الواقعه وقال الجرجانى اذا صلة اى وقعت الواقعه كقوله اقتربت الساعة واتى امر الله
وهو كما يقال قد جاء الصوم اى دنا واقترب وعلى الاول اذا للوقت والجواب قوله فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة **ليس لوقعتها كاذبة** الكاذبة مصدر بمعنى الكذب والعرب
قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا يسمع فيها لاغية اى لغو والمعنى
ليس لها كذب قاله الكسائى ومنه قول العامة عايذا بالله اى معاذ الله وقم قايما اى قم
قياما ولبعض نساء العرب ترقص ابنها قم قايما قم قايما اصبت عبدا نايما وقيل الكاذبة
صفة والموصوف محذوف اى ليس لوقعتها حال كاذبة او نفس كاذبة اى كل من يخبر
عن وقعتها صادق وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة اى لا يردها شى ونحوه قول الحسن
وقتاده وقال الثورى ليس لوقعتها احد يكذب بها وقال الكسائى ايضا اى ليس لها تكذيب
اى ينبغى ان لا يكذب بها احد وقيل ان قيامها جد لا هزل فيه قوله تعالى **خافضة
رافعة** قال عكرمه ومقاتل والسدى خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت
الصوت فاسمعت من نأى يعنى اسمعت القريب والبعيد وعن السدى خفضت المتكبرين
ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت اقواما فى عذاب الله ورفعت اقواما الى
طاعة الله وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خفضت اعدا الله فى النار ورفعت اوليا
الله فى الجنة قال محمد بن كعب خفضت اقواما كانوا فى الدنيا مرفوعين ورفعت اقواما
كانوا فى الدنيا مخفوضين وقال ابن عطا خفضت قوما بالعدل ورفعت اخرين بالفضل

والخفض والرفع يستعملان عند العرب فى المكان والمكانه والعز والاهانه ونسب
سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعا ومجازا على عادة العرب فى اضافتها الفعل الى المحل والزمان
وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون ليل قايم ونهار صايم وفى التنزيل بل مكر الليل
والنهار والخافض والرافع على الحقيقة انما هو الله وحده تعالى سبحانه فرفع اوليايه
فى اعلى الدرجات وجعل اعداءه فى اسفل الدركات وقرا الحسن وعيسى الثقفى خافضة
رافعة بالنصب الباقون بالرفع على اضمار مبتدا ومن نصب فعلى الحال وهو عند الفرا على
اضمار فعل والمعنى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة وقعت خافضة رافعة والقيامة
لا شك فى وقوعها وانها ترفع اقواما وتضع اخرين على ما بيناه قوله تعالى **اذا رجت
الارض رجا** اى زلزلت وحركت عن مجاهد وغيره يقال رجه يرجه رجا اى حركه
وزلزله وناقة رجاء عظيمة السنام والرجرجه الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب
وفى الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعنى اذا اضطربت امواجه قال
الكلبى وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها اضطربت فرقا من الله تعالى قال المفسرون
ترتج كما يرتج الصبى فى المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شى عليها من الجبال
وغيرها وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت وموضع اذا نصب
على البدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اى تخفض وترفع وقت رج الارض
وبس الجبال لان عند ذلك يتخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض وقيل اى وقعت
الواقعة اذا رجت الارض قاله الزجاج والجرجانى وقيل اى اذكر اذا رجت رجا مصدر
وهو دليل على تكرير الزلزله قوله تعالى **وبست الجبال بسا** اى فتت عن ابن عباس
وقال مجاهد كما يبس الدقيق اى يلت البسيسة الدقيق او السويق يلت بالسمن او بالزيت
ثم يوكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا تطيلا بمناخ
حبسا وذكر ابو عبيده انه لص من غطفان اراد ان يخبز فخاف ان يعجل عن ذلك فاكله
عجينا والمعنى انها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت بشى من الماء اى تصير الجبال ترابا
فيختلط البعض بالبعض وقال الحسن بست قلعت من اصلها فذهبت نظيرها ينسفها
ربى نسفا وقال عطية بسطت كالرمل والتراب وقيل البس السوق اى سيقت الجبال
قال ابو زيد البس السوق وقد بسست الابل ابسها بالضم بسا وقال ابو عبيد بسست الابل وابسست
لغتان اذا زجرتها وقلت بس بس وفى الحديث يخرج قوم من المدينه الى اليمن والشام
او العراق يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ومنه الحديث الآخر جاءكم
اهل اليمن يبسون عيالا تهم والعرب يقول جى به من حسك وبسك ورواهما
ابو زيد بالكسر فمعناهما من حيث احسسته وبسك من حيث بلغه مسيرك
وقال مجاهد سالت سيلا عكرمه هدت هدا وقال محمد بن كعب سيرت سيرا
ومنه قول الاغلب العجلى وقال الحسن قطعت قطعا والمعنى متقارب قوله تعالى

فكانت هباء منبثا قال علي رضي الله عنه الهباء المنبث الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب فجعل الله تعالى اعمالهم كذلك وقال مجاهد الهباء هو الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وروي نحوه عن ابن عباس وعنه ايضا ما هو تطاير من النار اذا اضطربت يطير منه شرر فاذا وقع لم يكن شيئا وقاله عطية وقد مضى في الفرقان عند قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقراءة العامة منبثا بالثاء المثلثة اي متفرقا من قوله تعالى وبث فيها من كل دابة اي فرق ونشر وقرا مسروق والنخعي وابو حيوة منبتا بالتاء باثنتين اي منقطعا من قوله بتة الله اي قطعة ومنه البتات

قوله تعالى **وكنتم ازواجا ثلثة** اي اصنافا ثلثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة ثم بين من هم فقال فاصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون فاصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشئمة الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار قال السدي والمشئمة الميسرة وكذلك الشامة يقال فلان شامه ويقال يا فلان سائم باصحابك اي خذ بهم شامة اي ذات الشمال والعرب يقول لليد الشمال الشومى وللجانب الشمال الاشام وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الشوم وقال ابن عباس والسدي اصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقال زيد بن اسلم هم الذين اخذوا من شق ادم الايمن يومئذ واصحاب المشامة هم الذين اخذوا من شق ادم الايسر وقال عطا ومحمد بن كعب اصحاب الميمنة من اوتي كتابه بيمينه واصحاب المشئمة من اوتي كتابه بيساره وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اهل الحسنات واصحاب المشئمة هم اهل السيات وقال الحسن والربيع اصحاب الميمنة الميامين على انفسهم بالاعمال الصالحة واصحاب المشامة المشائيم على انفسهم بالاعمال السيئة القبيحة وفي صحيح مسلم من حديث الاسرى عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم عليه السلام وهذه الاسود عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عند شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد اصحاب الميمنة اصحاب التقدم واصحاب المشامة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين والتكرير فيما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة للتفخيم والتعجيب كقوله الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة كما يقال زيد ما زيد وفي حديث ام زرع مالك وما مالك والمقصود تكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب وما لاصحاب المشامة من العقاب وقيل اصحاب رفع بالابتداء

والخبر ما اصحاب الميمنة كانه قيل فاصحاب الميمنة ما هم المعنى اي شيء هم وقيل يجوز ان يكون ما تاكيدا والمعنى فالذين يعطون كتابهم بايمانهم هم اصحاب التقدم وعلو المنزلة

قوله تعالى **والسابقون السابقون** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ذكره المهدوي وقال محمد بن كعب القرظي انهم الانبياء وقال الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل امة ونحوه عن عكرمة محمد بن سيرين هم الذين صلوا القبلتين دليله قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال مجاهد وغيره هم السابقون الى الجهاد واول الناس رواحا الى الصلوة وقال علي رضي الله عنه هم السابقون الى الصلوات الخمس وقال الضحاك الى الجهاد سعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم اثنى عليهم فقال اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقيل انهم اربعة منهم سابق امة موسى وهو حزقيل مومن ال فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقان في امة محمد عليه الصلوة والسلام وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابن عباس حكاه الماوردي وقال سميط بن عجلان الناس ثلثة فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبة حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وقيل هم كل من سبق الى شيء من اشياء الصلاح ثم قيل السابقون رفع بالابتداء والثاني توكيد له والخبر اولئك المقربون وقال الزجاج السابقون رفع بالابتدا والثاني خبره والمعنى السابقون الى طاعة الله هم السابقون الى رحمة الله اولئك المقربون من صفتهم وقيل اذا خرج رجل من السابقين المقربين من منزله في الجنة كان له ضوء تعرفه به من دونه

قوله تعالى **ثلة من الاولين** اي جماعة من الامم الماضية وقليل من الاخرين اي من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن ثلة ممن قد مضى قبل هذه الامة وقليل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم وسموا قليلا بالاضافة الى من كان قبلهم لان الانبياء المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان بهم فزادوا على عدد من سبق الى التصديق من امتنا وقيل لما نزل شق على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان يكونوا ربع اهل الجنة بل ثلث اهل الجنة بل نصف اهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكانه اراد انها منسوخة والاشبه انها محكمة لانها خبر ولان ذلك في جماعتين مختلفتين قال الحسن سابقوا من مضى

اكثر من سابقينا فلذلك قال وقليل من الآخرين وقال في اصحاب اليمين وهم سوى السابقين
ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان
تكون امتي شطر اهل الجنة ثم تلى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وقال مجاهد كل من هذه
الامة وروى سفيان عن ابان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال الثلتان جميعا من امتي يعني ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وروى هذا القول
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال ابو بكر رضي الله عنه كلا الثلثين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
فمنهم من هو في اول الامة ومنهم من هو في آخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل ثلة من الاولين اي من اوائل هذه الامة
وقليل من الآخرين يسارع في الطاعة حتى يلحق درجة الاولين ولهذا قال عليه السلام
خيركم قرني ثم سوى في اصحاب اليمين بين الاولين والآخرين والثلة من ثلث الشئ اي
قطعته فمعنى ثلة كمعنى فرقة قاله الزجاج قوله تعالى **على سرر موضونة** اي السابقون في
الجنة على سرر اي مجالسهم على سرر جمع سرير موضونة قال ابن عباس منسوجة بالذهب وقال
عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة مصفوفة كما قال في موضع آخر
على سرر مصفوفة وعنه ايضا وعن مجاهد مرمولة بالذهب وفي التفاسير موضونة اي منسوجة
بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد والوضن النسج المضاعف والنضد
يقال وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض وهو موضون ودرع موضونة اي محكمة
في النسج مثل موصونة ~~مصفوفة مرموصة~~ صح قال الاعشى ومن نسج داود موضونة تساق   مرصوفة مصفوفة / مرموصة نسخ
معي الحي عيرا فعيرا وقال ايضا وبيضاء كالنهي موضونة لها قونس فوق جيب البدن والسرير
الموضون الذي سطحه بمنزلة المنسوج ومنه الوضين بطان من سيور ينسج فيدخل بعضه
في بعض ومنه قوله اليك تعدو قلقا وضينها متكئين عليها اي على السرر متقابلين اي لا يرى
بعضهم قفا بعض بل تدور بهم الاسرة وهذا في المؤمن وزوجته واهله اي يكونون متقابلين
قاله مجاهد وغيره وقال الكلبي طول كل سرير ثلاث مائة ذراع فاذا اراد العبد ان يجلس
عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت قوله تعالى **يطوف عليهم ولدان مخلدون**
اي غلمان لا يموتون قاله مجاهد وقال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول
امرئ القيس وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال وقال سعيد بن
جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد وجماعة الحلي الخلد وقيل مسورون ونحوه عن
الفراء قال الشاعر ومخلدات باللجين كانما اعجازهن اقاوز الكثبان وقيل مقرطقون
يعني ممنطقون من المناطق وقال عكرمة مخلدون منعمون وقيل على سن واحد انشاهم
الله تعالى لاهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه والحسن البصري الولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة
لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم

حسنات

حسنات يجزون بها ولا سيآت يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان اهل
الجنة على اتم السرور والنعمة والنعمة انما تتم اليوم باحتفاف الخدم والولدان بالانسان
باكواب واباريق اكواب جمع كوب وقد مضى في الزخرف وهي الآنية التي لا عرى لها ولا خراطيم
والاباريق التي لها عرا وخراطيم واحدها ابريق سمي بذلك لانه يبرق لونه من صفائه وكاس
من معين مضى في الصافات القول فيه والمعين الجاري من ماء او خمر غير ان المراد به في هذا
الموضع الخمر الجارية من العيون وقيل الظاهرة للعيون فيكون معين مفعولا من المعاينة وقيل
هو فعيل من المعن وهو الكثرة وبين انها ليست كخمر الدنيا التي تستخرج بعصر وتكلف ومعالجة
قوله تعالى **لا يصدعون عنها ولا ينزفون** اي لا تتصدع رؤسهم من شربها اي
انها لذة بلا اذى بخلاف شراب الدنيا ولا ينزفون تقدم في الصافات اي لا يسكرون
فتذهب عقولهم وقرا مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون
وقرا اهل الكوفة ينزفون بكسر الزاء اي لا ينفد شرابهم ولا يفنى خمرهم ومنه قول الشاعر
لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا وروى الضحاك عن ابن عباس قال
في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقي والبول وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه
الخصال قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون اي يتخيرون ما شاؤا لكثرتها وقيل وفاكهة
متخيرة مرضية والتخير الاختيار ولحم طير مما يشتهون روى الترمذي عن انس بن
مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله يعني في الجنة
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه
لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم منها قال هذا حديث حسن وخرجه
الثعلبي من حديث ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة طيرا مثل اعناق
البخت يصطف على يد ولي الله فيقول احدها يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش وشربت
من عيون التسنيم فكل مني فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه اكل احدها فتخر
بين يديه على الوان مختلفة فياكل منه ما اراد فاذا شبع تجمع عظام الطائر فطار يرعى
في الجنة حيث شاء فقال عمر يا نبي الله انها لناعمة فقال آكلها انعم منها وعن ابي سعيد
الخدري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لطيرا في الطائر منها سبعون
الف ريشة فيقع على صحفة الرجل من اهل الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون
طعام ابيض من الثلج والبرد والين من الزبد واعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه
صاحبه فياكل منه ما اراد ثم يذهب فيطير قوله تعالى **وحور عين** قرئ بالرفع والنصب
والجر فمن جر وهو حمزة والكسائي وغيرهما جاز ان يكون معطوفا على باكواب
وهو محمول على المعنى لان المعنى ينعمون باكواب وفاكهة ولحم وحور قاله الزجاج
وجاز ان يكون معطوفا على جنات اي هم في جنات النعيم وفي حور على تقدير حذف
المضاف كانه قال وفي معاشرة حور قال الفراء الجر على الاتباع في اللفظ وان اختلفا

في المعنى لان الحور لا يطاف بهن قال الشاعر اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن
الحواجب والعيونا والعين لا تزجج وانما تكحل وقال الاخر ورايت زوجك في الوغا متقلدا
سيفا ورمحا وقال قطرب هو معطوف على الاكواب والاباريق من غير حمل على المعنى قال
ولا ينكر ان يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذة ومن نصب وهو النخعي والاشهب
العقيلي وعيسى بن عمر الثقفي وهو كذلك في مصحف ابي فهو على تقدير اضمار فعل كانه قال
ويزوجون حورا عينا والحمل في النصب على المعنى ايضا يحسن لان معنى يطاف عليهم به
يعطونه ومن رفع وهم الجمهور وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم فعلى معنى وعندهم حور
عين لانه لا يطاف عليهم بالحور العين وقال الكسائي ومن قال وحور عين بالرفع وعلل
بانه لا يطاف بهن يلزمه ذلك في فاكهة ولحم لان ذلك لا يطاف به وليس يطاف
الا بالخمر وحدها وقال الاخفش يجوز ان يكون محمولا على المعنى لان المعنى لهم اكواب
ولهم حور عين وجاز ان يكون معطوفا على ثلة وثلة ابتدا وخبره على سرر موضونة وكذلك
وحور عين وابتدى بالنكرة لتخصيصها بالصفة كامثال اي مثل امثال اللولو المكنون
اي الذي لم تمسه الايدي ولم يقع عليه الغبار فهو اشد ما يكون صفا وتلالوا اي هن
في تشاكل اجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن كما قال الشاعر كانما خلقت في
قشر لولوة فكل اكنافها وجه لمرصاد جزاء بما كانوا يعملون اي ثوابا ونصبه على
المفعول له ويجوز ان يكون على المصدر لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون وقد مضى
الكلام في الحور العين في الطور وغيرها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم
خلق الله تعالى الحور العين من الزعفران وقال خالد بن الوليد سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول ان الرجل من اهل الجنة يمسك التفاحة من تفاح الجنة فتنفلق في يده
فيخرج منها حورا لو نظرت للشمس لاخجلت الشمس من حسنها من غير ان ينقص
من التفاحة فقال له رجل يا ابا سليمان ان هذا لعجب ولا ينقص من التفاحة
قال نعم كالسراج الذي يوقد منه سراج اخر وسرج ولا ينقص والله على ما يشاء قدير وروى
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال خلق الله الحور العين من اصابع رجليها الى ركبتيها
من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الاذفر ومن ثدييها الى عنقها من العنبر
الاشهب ومن عنقها الى راسها من الكافور الابيض عليها سبعون الف حلة مثل شقايق
النعمان اذا اقبلت يتلالا وجهها نورا ساطعا كما يتلالا الشمس لاهل الدنيا واذا اقبلت
يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها في راسها سبعون الف ذوابة من المسك الاذفر لكل
ذوابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادي هذا ثواب الاولياء جزاء بما كانوا يعملون
قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما قال ابن عباس باطلا ولا كذبا واللغو
ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر اثمته اي قلت له اثمت قال محمد بن كعب ولا تاثيما
لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما شتما ولا ماثما

الا قيلا

الا قيلا سلاما سلاما قيلا منصوب بيسمعون او استثنا منقطع اي لكن يقولون قيلا او
يسمعون قيلا وسلاما سلاما منصوبان بالقول اي الا انهم يقولون الخير او على المصدر اي الا
ان يقول بعضهم لبعض سلاما او يكون وصفا لقيل والسلام الثاني بدل من الاول والمعنى الا قيلا
يسلم فيه من اللغو ويجوز الرفع على تقدير سلام عليكم قال ابن عباس اي يحيي بعضهم بعضا وقيل
تحييهم الملايكة او تحييهم ربهم جل وعز قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
رجع الى ذكر منازل اصحاب الميمنة وهم السابقون على ما تقدم والتكرير لتعظيم شان النعيم
الذي هم فيه في سدر مخضود اي في نبق قد خضد شوكه اي قطع قاله ابن عباس وغيره
وذكر ابن المبارك اخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسايلهم قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله
لقد ذكر الله في القران شجرة موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة تودي صاحبها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا موذيا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا
تفتق الثمر منها على اثنين وسبعين لونا طعاما ما فيه لون يشبه الاخر وقال ابو العالية
والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطايف مخصب فاعجبهم سدره فقالوا يا ليت
لنا مثل هذه فنزلت قال امية ابن ابي الصلت يصف الجنة ان الحدايق في الجنان
ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل ابن حيان
في سدر مخضود هو الموقر حملا وهو قريب مما ذكرنا في الخبر وقال سعيد بن جبير ثمرها اعظم
من القلال وقد مضى هذا في سدرة المنتهى ان ثمرها مثل قلال هجر من حديث انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وطلح منضود الطلح شجر الموز واحده طلحة
قاله اكثر المفسرين علي وابن عباس وغيرهم وقال الحسن ليس هو موزا ولكنه شجر
له ظل بارد رطب وقال الفرا وابو عبيدة شجر عظام لها شوك قال بعض الحداة وهو
الجعدي بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والاجبالا فالطلح كل شجر عظيم
كثير الشوك وقال الزجاج يجوز ان يكون في الجنة وقد ازيل شوكه وقال الزجاج ايضا
كشجر ام غيلان نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا ما يحبون مثله الا ان فضله
على ما في الدنيا كفضل ساير ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي طلح الجنة يشبه طلح
الدنيا لكن له ثمر احلى من العسل وقرا علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وطلع منضود
بالعين وتلى هذه الاية طلعها هضيم وهو خلاف المصحف وفي رواية انه قرى بين
يديه وطلح منضود فقال ما شان الطلح انما هو وطلع منضود ثم قال لها طلع نضيد فقيل
له افلا نحولها فقال لا ينبغي ان يهاج القران ولا يحول فقد اختار هذه القراة
ولم ير اثباتها في المصحف لمخالفة ما رسمه مجمع عليه قاله القشيري واسنده ابو بكر الانباري
قال حدثني ابي قال حدثنا حسن بن عرفه حدثنا عيسى بن يونس عن مجالد عن

الحسن بن سعد عن قيس بن عباد قال قرأت عند علي او قرئت عند علي شك مجالد وطلح منضود
فقال علي رضي الله عنه ما بال الطلح اما يقرأ وطلع ثم قرأ طلع نضيد فقيل له يا امير المؤمنين
أنحكها من المصحف فقال لا لا يهاج القرآن اليوم قال ابو بكر ومعنى هذا انه رجع الى ما في
المصحف وعلم انه هو الصواب وابطل الذي كان فرط من قوله والمنضود المتراكب الذي قد
نضد اوله وآخره بالحمل ليست له سوق بارزة بل هو مرضوض والنضد هو الرض والمنضد المرضوض
قال النابغة خلت سبيل اتي كان تحبسه ورفعته الى السجفين فالنضد وقال مسروق اشجار الجنة
من عروقها الى افنانها نضيدة ثمر كله كلما اكل ثمرة عاد مكانها احسن منها قوله تعالى
وظل ممدود اي دائم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله تعالى الم تر الى ربك
كيف مد الظل وذلك بالغداة وهي ما بين الاسفار الى طلوع الشمس حسب ما تقدم
بيانه هناك والجنة كلها ظل لا شمس معه قال الربيع ابن انس يعني ظل العرش وقال عمرو
بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وقال ابو عبيدة يقول العرب الدهر الطويل والعمر
الطويل والشيء الذي لا ينقطع ممدود قال لبيد غلب العزاء وكان غير مغلب دهر طويل
دائم ممدود وفي صحيح الترمذي وغيره من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤوا ان شئتم وظل ممدود
وماء مسكوب اي جار لا ينقطع واصل السكب الصب يقال سكبه سكبا والسكوب انصبابه
يقال سكب سكوبا وانسكب انسكابا اي وماء مصبوب يجري الليل والنهار في غير اخدود
لا ينقطع عنهم وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم
عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشا فوعدوا في الجنة خلاف ذلك ووصف
لهم اسباب النزهة المعروفة في الدنيا وهي الاشجار وظلالها والمياه والانهار واطرادها
قوله تعالى وفاكهة كثيرة اي ليست بالقليلة العزيزة كما كانت في بلادهم
لا مقطوعة اي في وقت من الاوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ولا ممنوعة
اي لا يحظر عليها كثمار الدنيا وقيل لا ممنوعة اي لا تمنع من ارادها بشوك ولا بعد
ولا حائط بل اذا اشتهاها العبد دنت حتى ياخذها قال الله تعالى وذللت قطوفها
تذليلا وقيل ليست مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان قوله تعالى
وفرش مرفوعة روى الترمذي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة
سنة قال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقال بعض
اهل العلم في تفسير هذا الحديث الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء
والارض وقيل ان الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدم
لهن ذكر ولكن قوله عز وجل وفرش مرفوعة دال لانها محل النساء فالمعنى
ونساء مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن دليله قوله تعالى انا انشاناهن

انشاء

انشاء اي خلقناهن خلقا وابدعناهن ابداعا والعرب تسمي المراة فراشا
ولباسا وازارا وقد قال تعالى هن لباس لكم ثم قيل على هذا هن الحور العين
اي خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نساء بني آدم اي خلقناهن خلقا جديدا
وهو الاعادة اي اعدناهن الى حال الشباب وكمال الجمال والمعنى انشانا العجوز
والصبية انشاء واحدا واضمرن لم يتقدم ذكرهن لانهن قد دخلن في اصحاب اليمين
ولان الفرش كناية عن النساء كما تقدم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
انا انشاناهن انشاء قال منهن البكر والثيب وقالت ام سلمة سالت النبي صلى الله
عليه وسلم عن قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا فقال
يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر
اترابا على ميلاد واحد في الاستواء اسنده النحاس عن انس قال حدثنا احمد بن عمرو قال
حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا ابو عاصم عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن انس
ابن مالك رفعه انا انشاناهن انشاء قال هن العجائز العمش الرمص كن في الدنيا عمشا
رمصا وقال المسيب ابن شريك قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشاناهن
انشاء الآية قال هن عجائز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن
وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة ذلك قالت واوجعاه فقال لها النبي صلى الله
عليه وسلم ليس هناك وجع عربا جمع عروب قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما العرب العواشق
لازواجهن وعن ابن عباس انها العروب الملقة وقال عكرمة الغنجة وقال ابن
زيد بلغة اهل المدينة ومنه قول لبيد وفي الخباء عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى
ضوؤها البصرا وهي الشكلة بلغة اهل مكة وعن زيد بن اسلم ايضا الحسنة الكلام
وعن عكرمة ايضا وقتادة العرب المتحببات الى ازواجهن واشتقاقه من اعرب اذا
بين فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن كلام وقيل انها الحسنة التبعل
لتكون الذ استمتاعا وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عربا قال كلامهن عربي وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم عربا باسكان
الراء وضم الباقون وهما جائزان في جمع فعول اترابا على ميلاد واحد وسن واحد
ثلاث وثلاثين سنة يقال في النساء اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى
من جاوزت حد الصبا من النساء وانحطت عن الكبر وقيل اترابا امثالا واشكالا
قاله مجاهد وقال السدي اتراب في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد لاصحاب
اليمين قيل الحور العين للسابقين والاتراب العرب لاصحاب اليمين قوله تعالى
ثلة من الاولين وثلة من الآخرين رجع الكلام الى قوله واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين اي هم ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وقد مضى الكلام
في معناه وقال ابو العالية ومجاهد وعطاء بن ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين

يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة من آخرها يدل عليه
ما روى ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبي صلى
الله عليه وسلم هم جميعا من امتي وقال الواحدي اصحاب الجنة نصفان نصف من
الامم الماضية ونصف من هذه الامة وهذا يرده ما رواه ابن ماجه في سننه
والترمذي في جامعه عن بريدة بن خصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم
قال ابو عيسى هذا حديث حسن وثلة رفع على الابتداء او على حذف خبر حرا للصفة
حرف الصفة ومجازه لاصحاب اليمين ثلة من هؤلاء وثلة من هؤلاء والاولون
الامم الماضية والآخرون هذه الامة على القول الثاني قوله تعالى **واصحاب الشمال**
ما اصحاب الشمال ذكر منازل اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم
يأخذون كتبهم بشمائلهم ثم عظم ذكرهم في العذاب والبلاء فقال ما اصحاب
الشمال في سموم والسموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن والمراد هنا حر
النار ولفحها وحميم اي وماء حار قد انتهى حره اذا احرقت النار اكبادهم واجسادهم
فزعوا الى الحميم كالذي يفزع من النار الى الماء ليطفئ به الحر فيجده حميما حارا في
نهاية الحرارة والغليان وقد مضى في القتال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وظل
من يحموم اي يفزعون من السموم الى الظل كما يفزع اهل الدنيا فيجدونه ظلا من يحموم
اي من دخان جهنم اسود شديد السواد وعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وكذلك
اليحموم في اللغة الشديد السواد وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار
وقيل هو ماخوذ من الحمم وهو الفحم وقال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل
ما فيها اسود وعن ابن عباس ايضا قال النار سوداء وقال ابن زيد اليحموم جبل في جهنم
يستغيث الى ظله اهل النار لا بارد بل حار لانه من دخان سعير جهنم ولا كريم
عذب عن الضحاك وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره وكل ما لا خير فيه فليس
بكريم وقيل وظل من يحموم اي من النار يعذبون بها كقوله تعالى لهم من فوقهم
ظلل من النار انهم كانوا قبل ذلك مترفين اي انما استحقوا هذه العقوبة لانهم
كانوا في الدنيا متنعمين بالحرام والمترف المنعم عن ابن عباس وغيره وقال
السدي مترفين اي مشركين وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي يقيمون على
الشرك عن الحسن والضحاك وابن زيد وقال قتادة ومجاهد الذنب العظيم
الذي لا يتوبون منه الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكبائر يقال حنث في يمينه
اي لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام انداد الله
فذلك حنثهم قال الله تعالى مخبرا عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت وفي الخبر كان يتحنث في حراء ان يفعل ما يسقط عن نفسه الحنث

وهو

وهو الذنب وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا هذا استبعاد منهم لامر البعث وتكذيب له
فقال الله لهم قل يا محمد ان الاولين من آبائكم والآخرين منكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يريد يوم
القيامة ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في قوله لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم لمجموعون
قسما حقا خلاف قسمكم الباطل ثم انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لآكلون
من شجر من زقوم وهو شجر كريه المنظر كريه الطعم وهي التي ذكرت في سورة والصافات فمالئون
منها اي من الشجرة لان المقصود من الشجر شجرة ويجوز ان يكون من الاولى زائدة
ويجوز ان يكون المفعول محذوفا كانه قال لآكلون من شجر من زقوم طعاما وقوله من زقوم
صفة لشجر والصفة اذا قدرت الجار زائدا نصب على المعنى او جر على اللفظ فان قدرت
المفعول محذوفا لم تكن الصفة الا في موضع جر قوله تعالى **فشاربون عليه** اي على الزقوم
او على الاكل او على الشجر لانه يذكر ويؤنث من الحميم وهو الماء المغلي الذي قد اشتد غليانه وهو
وهو صديد اهل النار اي يورثهم حر ما ياكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشا فيشربون
ما يظنون انه يزيل العطش فيجدونه حميما مغلى قوله تعالى **فشاربون شرب الهيم**
قراءة نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين الباقون بفتحها لغتان جيدتان يقول العرب
شربت شربا وشربا بضمتين قال ابو زيد سمعت العرب يقول بفتح الشين وضمها وكسرها
والفتح هو المصدر الصحيح لان كل مصدر من ذوات الثلاثة فاصله فعل الا ترى
انك ترده الى المرة الواحدة فيقول فعلة نحو شربة وبالضم الاسم وقيل ان الفتح والاسم
مصدران فالشرب كالاكل والشرب كالذكر والشرب بالكسر المشروب كالطحن المطحون
والهيم الابل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي
وغيرهم وقال عكرمة ايضا هي الابل المراض وقال الضحاك الهيم الابل يصيبها داء تعطش
منه عطشا شديدا واحدها اهيم والانثى هيماء ويقال لذلك الداء الهيام قال قيس ابن
الملوح يقال به داء الهيام اصابه وقد علمت نفسي مكان شفائيا وقوم هيم ايضا اي عطاش
وقد هام يهيم هياما ومن العرب من يقول في الابل هائم وهائمة والجمع هيم قال لبيد اجزت
على معارفها بشعث واطلاح من المهري هيم وقال الضحاك والاخفش وابن عيينة وابن
كيسان الهيم الارض السهلة ذات الرمل وروي ايضا عن ابن عباس فيشربون شرب الرمال
التي لا تروى بالماء وقال المهدوي يقال لكل ما لا يروى من الابل والرمل اهيم وهيماء وفي الصحاح
والهيام بالضم اشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيام داء ياخذ الابل تهيم
في الارض لا ترعى يقال ناقة هيماء والهيماء ايضا المفازة لا ماء بها والهيام بالفتح الرمل الذي
لا يتماسك ان يسيل من اليد للينه والجمع هيم مثل قذال وقذل والهيام بالكسر الابل
العطاش الواحد هيمان وناقة هيمى مثل عطشان وعطشى قوله تعالى **هذا نزلهم**
يوم الدين اي رزقهم الذي يعد لهم كالنزل الذي يعد للاضياف تكرمة لهم
وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وكقول ابي السعر الضبي وكنا اذا

اذا الجبار بالجيش ضاقنا جعلنا القنى والمرهقات له نزلا وقرا يونس بن حبيب وعباس عن ابى عمر
وهذا انزلهم باسكان الزاء وقد مضى فى اخر ال عمران القول فيه يوم الدين يوم الجزا يعنى فى جهنم
قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون ٥ اى فهلا تصدقون بالبعث لان الاعادة
كالابتداء وقيل المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تومنوا قوله تعالى
افرايتم ما تمنون اى ماتصبونه من المنى فى ارحام النسآء انتم تخلقونه تصورون منه الانسان
ام نحن الخالقون المقدرون المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيان للاية الاولى اذا اقررتم الله
بانا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا بالبعث وقرا ابو السماك ومحمد بن السميفع واشهب العقيلى تمنون
بفتح التا وهما لغتان امنى ومنى وامذى ومذى يمنى ويمنى ويمذى ويمذى قال الماوردى و
يحتمل ان يختلف معناهما عندى فيكون امنى اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل عن احتلام
وفى تسمية المنى منيا وجهان احدهما لامنائه وهو اراقته الثانى لتقديره ومنه المنا الذى
يوزن به لانه مقدار لذلك كذلك المنى مقدار صحيح لتصوير الخلقة قوله تعالى
نحن قدرنا بينكم الموت ٥ احتجاج ايضا اى الذى يقدر على الامانة يقدر
على الخلق واذا قدر على الخلق قدر على البعث وقرا مجاهد وحميد وابن محيصن وابن كثير
قدرنا بتخفيف الدال الباقون بالتشديد قال الضحاك اى سوينا بين اهل السماء واهل الارض
وقيل قضينا وقيل كتبنا والمعنى متقارب فلا احد يبقى غيره جل وعز سبحانه و ما
نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم لم يسبقنا احد اى لم يغلبنا وما نحن بمسبوقين
معناه بمغلوبين وقال الطبرى المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم
بعد موتكم بآخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين فى اجالكم اى لا يتقدم متاخر و لا
يتاخر متقدم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيات قال الحسن اى نجعلكم قردة
وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا
فيجمل المومن ببياض وجهه ويقبح الكافر بسواد وجهه وقال سعيد بن المسيب قوله
فيما لا تعلمون يعنى فى حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف وبرهوت واد فى
اليمن وقال مجاهد معنى فيما لا تعلمون فى اى خلق شئنا وقيل المعنى ننشئكم فى عالم لا تعلمون
وفى مكان لا تعلمون قوله تعالى ولقد علمتم النشاة الاولى ٥ اى اذ خلقتم من نطفة
ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا عن مجاهد وغيره وقال قتادة والضحاك يعنى
خلق ادم عليه السلام فلولا تذكرون اى فهلا تذكرون وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب
بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى عجبا للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى
لدار الغرور وقراة العامة النشاة بالقصر وقرا مجاهد والحسن وابن كثير
وابو عمرو والنشاة بالمد وقد مضى فى العنكبوت بيانه قوله تعالى افرايتم ما
تحرثون ٥ هذه حجة اخرى اى اخبرونى عما تحرثون من ارضكم فتطرحون
فيها البذر انتم تنبتونه وتحصلونه تذعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن نفعل

ذلك

ذلك وانما منكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم بان اخراج السنبلة من الحب ليس اليكم فكيف تنكرون
اخراج الاموات من الارض واعادتهم واضاف الحرث اليهم والزرع اليه تعالى لان الحرث فعلهم
ويجرى على اختيارهم والزرع من فعل الله تعالى وينبت على اختياره لا على اختيارهم وكذلك ما روى
ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع
هو الله تعالى قال ابو هريرة الم تسمعوا قول الله تعالى انتم تزرعونه ام نحن الزارعون والمستحب لكل
من يلقى البذر فى الارض ان يقرا بعد الاستعاذة افرايتم ما تحرثون الاية ثم يقول بل
الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ال محمد وارزقنا ثمره وجنبنا
ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع
الافات الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجرب فوجد كذلك ومعنى انتم تزرعونه
اى تجعلونه زرعا وقد يقال فلان كما يقال حراث اى يفعل ما يؤول الى ان يكون زرعا وفى التنزيل
يعجب الزراع وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الارض وتكريبها تجوزا قال الشيخ المولف رحمه الله
فهو نهى ارشاد وادب لا نهى حظر وايجاب ومثله قوله عليه السلام لا يقولن احدكم عبدى
وامتى وليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى وقد مضى فى يوسف القول فيه وقد بالغ بعض
العلماء فقال لا يقل حرثت فاصبت بل يقول اعاننى الله فحرثت واعطانى بفضله ما اصبت
قال الماوردى وتتضمن هذه الاية امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم
حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم الثانى البرهان الموجب للاعتبار لانه لما انبت زرعهم
بعد تلاشى بذره وانتقاله الى استوا حاله من العفن والتتريب حتى صار زرعا اخضر
ثم قويا مشتدا اضعاف ما كان عليه فهو باعادة من امات احق عليه واقدر وفى
هذا البرهان مقنع لذوى الفطر السليمة ثم قال لو نشاء لجعلناه حطاما اى متكسرا يعنى
الزرع والحطام الهشيم الهالك الذى لا ينتفع به فى مطعم ولا غذاء فنبه بذلك ايضا على امرين
احدهما ما اولاهم به من النعم فى زرعهم اذ لم يجعله حطاما ليشكروه الثانى ليعتبروا
بذلك فى انفسهم كما انه يجعل الزرع حطاما اذا شاء كذلك يهلكهم اذا شاء ليتعظوا
فينزجروا فظلتم تفكهون اى تعجبون بذهابها وتندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتاده
وغيرهما وفى الصحاح وتفكه اى تعجب ويقال تندم قال الله تعالى فظلتم تفكهون اى تندمون
وتفكهت بالشئ تمتعت به وقال يمان تندمون على نفقاتكم دليله فاصبح يقلب كفيه
على ما انفق فيها وقال عكرمة تلاومون وتندمون على ما سلف منكم من معصية الله التى
اوجبت عقوبتكم حتى نالتكم فى زرعكم وقال ابن كيسان تحزنون والمعنى متقارب وفيه
لغتان تفكهون وتفكنون قاله الفرا والنون لغة عكل وفى الصحاح التفكن التندم
على ما فات وقيل التفكه التكلم فيما لا يعنيك ومنه قيل للمزاح فكاهة بالضم فاما الفكاهة
بالفتح فمصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا وقراة العامة
فظلتم بفتح الظاء وقرا عبد الله فظلتم بكسر الظاء ورواها هارون عن حسين عن

الثانى ٥

ابى بكر فمن فتح فعلى الاصل والاصل ظللتم فحذف اللام الاولى تخفيفا ومن كسر نقل كسرة اللام
الاولى الى الظاء ثم حذفها انا لمغرمون قرا ابو بكر والمفضل أئنا بهمزتين على الاستفهام
ورواه عاصم عن زر بن حبيش الباقون بهمزة واحدة على الخبر اى ويقولون
انا لمغرمون اى معذبون عن ابن عباس وقتادة قالا والغرام العذاب ومنه قول
ابن المحلم وثقت بان الحفظ منى سجية وان فؤادى مبتلى بك مغرم وقال مجاهد وعكرمة
لمولع بنا ومنه قول النمر بن تولب سلا عن تذكره تكتما وكان رهينا بها مغرما يقال
اغرم فلان بفلانة اى اولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم وقال مجاهد ايضا
الملقون شرا وقال مقاتل بن حيان مهلكون النحاس لمغرمون ماخوذ من الغرام وهو الهلاك
كما قال يوم النسار ويوم الجفار كان عذابا وكان غراما الضحاك وابن كيسان هو
من الغرم والمغرم الذى ذهب ماله بغير عوض اى غرمنا الحب الذى بذرناه وقال
مرة الهمدانى محاسبون بل نحن محرومون اى حرمنا ما طلبنا من الريع والمحروم المحدود
الممنوع من الرزق والمحروم ضد المرزوق وهو المحارف فى قول قتادة وعن انس ان النبى
صلى الله عليه وسلم مر بارض الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة فقال لا يفعلوا
فان الله تعالى يقول انا الزارع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالبذر الماء
وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلى افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه
ام نحن الزارعون قال الشيخ المولف رحمه الله وفى هذا الخبر والحديث الذى قبله
ما يصحح قول من ادخل الزارع فى اسماء الله سبحانه واباه الجمهور من العلماء وقد ذكرنا ذلك
فى الكتاب الاسنى فى اسماء الله الحسنى قوله تعالى افرايتم الماء الذى تشربون لتحيوا
به انفسكم وتسكنوا به عطشكم لان الشراب انما يكون تبعا للمطعوم ولهذا جاء الطعام
مقدما فى الاية قبل الا ترى تسقى ضيفك بعد ان تطعمه قال الزمخشرى ولو عكست قعدت
قول ابى العلاء اذا سقيت ضياف الناس محضا سقوا اضيافهم شيما زلالا وسقى بعض
العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة انتم انزلتموه من المزن اى السحاب الواحدة مخصا
مزنة قال الشاعر فنحن كماء المزن ما فى نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيل وهذا
قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان المزن السحاب وعن ابن عباس ايضا والثورى
المزن السماء والسحاب وفى الصحاح ابو زيد المزنة السحابة البيضاء والجمع مزن
والمزنة المطرة قال الشاعر الم تر ان الله انزل مزنة وعفر الظباء فى الكناس تقمع ام نحن
المنزلون اى فاذا عرفتم بانى انزلته فلم لا تشكرونى باخلاص العبادة لى ولم تنكرون
قدرتى على الاعادة لو نشاء جعلناه اجاجا اى ملحا شديد الملوحة قاله ابن عباس الحسن
مرا قعاعا لا تنتفعون به فى شرب ولا زرع ولا غيرهما فلولا اى فهلا تشكرون
الذى صنع ذلك بكم قوله تعالى افرايتم النار التى تورون اى اخبرونى
عن النار التى تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب انتم انشاتم شجرتها يعنى التى

يكون

تكون منها الزنود وهى المرخ والعفار ومنه قولهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار
اى استكثرا منها كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما ويقال لانهما يسرعان الورى يقال
اوريت النار اذا قدحتها وورى الزند يرى بالكسر فيهما ام نحن المنشئون اى المخترعون
الخالقون اى فاذا عرفتم قدرتى فاشكرونى ولا تنكروا قدرتى على البعث قوله تعالى
نحن جعلناها تذكرة يعنى نار الدنيا موعظة للنار الكبرى قاله قتادة وقال
مجاهد تبصرة للناس من الظلام وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ناركم هذه
التى توقد بنو ادم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله ان كانت لكافية
قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها ومتاعا للمقوين قال الضحاك
اى منفعة للمسافرين سموا بذلك لنزولهم القوا وهو القفر الفراء انما يقال للمسافرين مقوين
اذا نزلوا القى وهى الارض القفر التى لا شىء فيها وكذلك القوى والقوا بالمد القفر ومنزل
قواء لا انيس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اى خلت من سكانها قال النابغة يا دار مية
بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الامد وقال عنترة حييت من طلل تقادم
عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم ويقال اقوى اى قوى وقوى اصحابه واقوى اذا
سافر اى نزل القوى والقى وقال مجاهد للمقوين المستمتعين بها من الناس اجمعين فى الطبخ
والخبز والاصطلاء والاستضاءة ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله تعالى منها وقال ابن زيد
للجائعين فى اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا وكذا اى ما اكلت شيئا وبات فلان القواء
وبات القفر اذا بات جائعا على غير طعم قال الشاعر وانى لاختار القوى طاوى الحشى
محافظة من ان يقال لئيم وقال الربيع والسدى للمنزلين المقوين الذين لا زناد معهم يعنى
نارا يوقدون فيختبزون بها ورواه العوفى عن ابن عباس وقال المقوى من الاضداد
يكون بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغنى يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد واقوى
واقوى اذا قويت دوابه وكثر ما له قال المهدوى والاية تصلح للجميع لان النار يحتاج
اليها المسافر والمقيم والغنى والفقير وحكى الثعلبى ان اكثر المفسرين على القول الاول
قال القشيرى وخص المسافر بالانتفاع بها لان انتفاعه بها اكثر من منفعة المقيم
لان اهل البادية لا بد لهم من النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع وفى كثير
من حوائجهم قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم اى فنزه الله عما اضافه اليه
المشركون من الانداد والعجز عن البعث قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم فيه سبع
مسائل الاولى قوله تعالى فلا اقسم لا صلة فى قول اكثر المفسرين والمعنى فاقسم بدليل
قوله تعالى وانه لقسم وقال الفراء هى نفى والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف
اقسم وقد يقول الرجل لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفى اليمين بل يريد نفى كلام
تقدم اى ليس الامر كما ذكرت بل هو كذا وقيل لا بمعنى الا للتنبيه كما قال الا عم صباحا ايها
الطلل البالى ونبه بهذا على فضيلة القران ليتدبروه وانه ليس بشعر ولا سحر

اذا اقدح منه النار و منه لعه اخرى ورى الزند يرى

قطرب ص

ولا لها نه كما نعوا وقرا الحسن وحميد وعيسى بن عمر فلا قسم بغير الف بعد اللام على
التحقيق وهو فعل حال ونقدر مبتدا محذوفا التقدير فلانا اقسم بذلك ولو اريد به الاستقبال
للزمت النون وقد جا حذف النون مع الفعل الذى يراد به الاستقبال وهو شاد الثانية قوله
تعالى بمواقع النجوم مواقع النجوم مساقطها ومغايبها فى قول قتادة وغيره وقال عطا بن ابى
رباح منازلها وقال الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيمة الضحاك هى الانوا التى كانت اهل
الجاهلية يقول اذا مطروا قالوا مطرنا بنو كذا الماوردى ويكون قوله تعالى فلا اقسم مستعملا
على حقيقته من نفى القسم القشيرى هو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله
تعالى وصفاته القديمة قال الشيخ المولف رحمه الله يدل على قراة الحسن فلا قسم وما اقسم
به سبحانه من مخلوقاته فى غير موضع من كتابه وقال ابن عباس المراد بمواقع النجوم نزول
القرآن نجوما انزله الله تعالى من اللوح المحفوظ فى السماء العليا الى السفرة الكاتبين
فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد عليهما السلام عشرين
سنة فهو ينزله على الاحداث من امته حكاه الماوردى عن ابن عباس والسدى وقال ابو بكر
الانبارى حدثنا اسمعيل بن اسحق القاضى حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا همام عن الكلبى
عن ابى صالح عن ابن عباس قال نزل القرآن الى سماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل الى الارض
نجوما وفرق بعد ذلك خمس آيات واقل واكثر فذلك قول الله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم وحكى الفرا عن ابن مسعود ان مواقع
النجوم هو محكم القرآن وقرا حمزة والكسائى بموقع على التوحيد وهى قراة عبد الله
بن مسعود والنخعى والاعمش وابن محيصن ورويس عن يعقوب الباقون على الجمع فمن
افرد فلانه اسم جنس يودى الواحد فيه عن الجميع ومن جمع فلاختلاف انواعه
الثالثة قوله تعالى وانه لقرآن كريم قيل الهاء تعود على القرآن اى ان القرآن لقسم
عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اى ما اقسم الله تعالى به عظيم انه لقرآن كريم ذكر
المقسم عليه اى اقسم بمواقع النجوم ان هذا القرآن قرآن كريم ليس بسحر ولا كهانة وليس
بمفترى بل هو قرآن كريم محمود جعله الله تعالى معجزة نبيه وهو كريم على المومنين لانه كلام ربهم
وشفاء صدورهم كريم على اهل السماء لانه تنزيل ربهم ووحيه وقيل كريم اى غير مخلوق
وقيل كريم لما فيه من كريم الاخلاق ومعالى الامور وقيل انه يكرم حافظه ويعظم قاريه
الرابعة قوله تعالى فى كتاب مكنون اى مصون عند الله تعالى وقيل مكنون محفوظ عن
الباطل والكتاب هنا كتاب فى السماء قاله ابن عباس وقال جابر بن زيد وابن عباس
ايضا هو اللوح المحفوظ وقال عكرمة التوراة والانجيل فيهما ذكر القرآن ومن ينزل عليه
وقال السدى الزبور مجاهد وقتادة هو المصحف الذى فى ايدينا الخامسة قوله تعالى
لا يمسه الا المطهرون اختلف فى معنى لا يمسه هل هو حقيقة فى المس بالجارحة
او معنى وكذا اختلف فى المطهرون من هم فقال انس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك

مطرنا

الكتاب الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة وكذا قال ابو العالية وابن زيد انهم الذين طهروا
من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بنى آدم فجبريل النازل به مطهر والرسل الذين
يجيئهم بذلك مطهرون وقال الكلبى هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو نحو
ما اختاره مالك حيث قال احسن ما سمعت فى قوله لا يمسه الا المطهرون انها بمنزلة الاية التى
فى عبس وتولى فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة يريد ان
المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة فى سورة عبس وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا
المطهرون الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء وقيل لا يمس اللوح المحفوظ الذى هو الكتاب
المكنون الا الملائكة المطهرون قيل ان اسرافيل هو الموكل بذلك حكاه القشيرى قال ابن العربى وهذا
باطل لان الملائكة لا تناله فى وقت ولا تصل اليه بحال ولو كان المراد به ذلك لما كان للاستثناء
فيه مجال واما من قال انه الذى بايدى الملائكة فى الصحف فهو قول محتمل وهو الذى اختاره مالك
وقيل المراد بالكتاب المصحف الذى بايدينا وهو الاظهر وقد روى مالك وغيره ان فى كتاب
عمرو بن حزم الذى كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسخته من محمد النبى الى شرحبيل بن
عبد كلال والحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال قيل ذى رعين ومعافر وهمدان اما بعد
كان فى كتابه الا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تمس
القرآن الا وانت طاهر وقالت اخت عمر لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة
لا يمسه الا المطهرون فقام فاغتسل واسلم وقد مضى فى اول سورة طه وعلى هذا المعنى
قال قتاده وغيره لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس وقال الكلبى من الشرك وقال
الربيع ابن انس من الذنوب والخطايا وقيل معنى لا يمسه لا يقرؤه الا المطهرون الا الموحدون
قاله محمد بن فضيل وعبده قال عكرمة كان ابن عباس ينهى ان يمكن احد من اليهود والنصارى
من قراءة القرآن وقال الفرا لا يجد طعمه ونفعه وبركته الا المطهرون اى المومنون
بالقرآن قال ابن العربى وهذا اختيار البخارى قال النبى صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان
من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقال الحسين بن الفضل لا يعرف
تفسيره وتاويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يوفق
للعمل به الا السعدا وقيل المعنى لا يمس ثوابه الا المومنون ورواه معاذ عن النبى صلى الله
عليه وسلم السادسة ثم قيل ظاهر الاية خبر عن الشرعية اى لا يمسه الا المطهرون
شرعا فان وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع وهذا اختيار القاضى ابى بكر ابن العربى
وابطل ان يكون لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر وقد مضى هذا المعنى فى سورة البقرة وقال
المهدوى يجوز ان يكون خبرا وتكون ضمة السين ضمة اعراب ويجوز ان يكون نهيا
ويكون ضمة بناء والفعل مجزوم السابعة واختلف العلماء فى مس المصحف على غير
وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب على
وابن مسعود وسعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد وعطا والزهرى والنخعى والحكم وحماد

السين ط

وجاعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي واختلف الرواية عن ابي حنيفه فروى عنه انه تمسه
المحدث وقد روى هذا عن جاعة من السلف منهم ابن عباس والشعبي وغيرهما وروى عنه انه
يمس ظاهره وحواسيه وهما لا مكتوب فيه واما الكتاب فلا يمسه الا طاهر قال ابن العربي
وهذا ان سلمه مما يقوى الحجه عليه لان حريم الممنوع ممنوع وفيما كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو

منوع ص

بن حرم اقوى دليل عليه وقال مالك لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة وقال ابو حنيفه
لا باس بذلك ولم يمنع من حمله بعلاقة او مسه بحايل وقد روى عن الحكم وحماد وداود بن علي
انه لا باس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا او محدثا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك حمله
واحتجوا في اباحه ذلك بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر وهو موضع ضرورة فلا حجة
فيه وفي مس الصبيان اياه وجهان احدهما المنع اعتبارا بالبالغ والثاني الجواز لانه لو منع
لم يحفظ القرآن لان حال الصغر ولان الصبي وان كانت له طهارة الا انها ليست بكاملة

حال العلم ص
طهاره ص

لان النية لا تصح منه فاذا جاز ان يحمله على غير كاملة جاز ان يحمله محدثا قوله تعالى
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ اي منزل كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن وقيل تنزيل صفة كقوله
انه لقرآن كريم وقيل اي هو تنزيل قوله تعالى أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ يعني القرآن انتم مدهنون
اي مكذبون قاله ابن عباس وعطا وغيرهما والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه
شبه بالدهن في سهولة ظاهره وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون نظيره
ودوا لو تدهن فيدهنون وقال المورج المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي كفره و
الادهان والمداهنة التكذيب لكفر والنفاق واصله اللين وان يسر خلاف ما يظهر قال
ابو قيس بن الاسلت الحزم والقوة خير من الادهان والفهة والهاع وادهن وداهن
واحد وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت وقال الضحاك مدهنون معرضون
وقال مجاهد ممالئون الكفار على الكفر به ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه
ويدفعه بالعلل وقال بعض اللغويين مدهنون تاركون للجزم في قبول القرآن قوله تعالى
وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ قال ابن عباس تجعلون شكركم التكذيب
وذكر الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان اي ما شكره وانما صلح ان يوضع
اسم الرزق مكان شكره لان شكر الرزق تقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا على هذا
المعنى فقيل وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقا لكم تكذبون
بالرزق اي تضعون الكذب مكان الشكر وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلوة ففيه بيان ان
ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسايط التي جرت العادة بان
تكون اسبابا بل ينبغي ان يراه من قبل الله تعالى ثم تقابله بالشكر ان كان نعمة او بالصبر
ان كان مكروها تعبدا له وتذللا وروى علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرا وتجعلون شكركم انكم تكذبون حنيفه وعن ابن عباس ايضا ان المراد به

الاستسقا بالانواء وهو قول العرب مطرنا بنو كذا ورواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه
وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال
بعضهم لقد صدق نو كذا وكذا قال فنزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم تقولون هذا المطر بنو كذا
فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانوا فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة
فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول
سقينا بنو كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم الله
تعالى على رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنو كذا كقوله جعلت احساني اليك
اساءة منك الي وجعلت انعامي لديك ان اتخذتني عدوا وفي الموطا عن زيد بن خالد الجهني
انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سما كانت من
الليل فلما انصرف اقبل على الناس قال اتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال
اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي
كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب قال الشافعي رحمه

بنو كذا وان كان النو عندنا الوقت المخلوق
لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيئا من
المطر والذي احب ان يقول مطرنا ع

الله لا احب لاحد ان يقول مطرنا بوقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنو كذا وهو
يريد ان النو انزل الماء كما بعض اهل الشرك من الجاهلية يقوله فهو كافر حلال دمه ان
لم يتب وقال ابو عمر بن عبد البر واما قوله عليه السلام حاكيا عن الله سبحانه اصبح من عبادي
مومن بي وكافر فمعناه عندي على وجهين اما احدهما فان المعتقد بان النو هو الموجب لنزول
الماء وهو المنشي للسحاب دون الله عز وجل فذلك كافر كفرا صريحا يجب استتابته عليه
وقتله لنبذه الاسلام ورده القرآن والوجه الآخر ان يعتقد ان النو ينزل الله به الماء
وانه سبب الماء على ما قدره الله تعالى وسبق في علمه فهذا وان كان وجها مباحا فان فيه
ايضا كفرا بنعمة الله عز وجل وجهلا بلطيف حكمته لانه ينزل الماء متى شاء مرة بنو كذا ومرة
دون النو وكثيرا ما يخوى النو فلا ينزل معه شي من الماء وذلك من الله سبحانه وتعالى لا من
النو وكذلك كان ابو هريرة يقول اذا اصبح وقد مطر مطرنا بنو الفتح ثم يتلو ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها قال ابو عمر وهذا عندي نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
مطرنا بفضل الله ورحمته ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس بن
عبد المطلب حين استسقى به يا عم رسول الله كم بقي من نو الثريا فقال العباس العلما
يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد سقوطها فما مضت سابعة حتى مطروا فقال
عمر الحمد لله هذا بفضل الله ورحمته فكان عمر رحمه الله قد علم ان نو الثريا وقت يرجى
فيه المطر ويؤمل فساله عنه اخرج ام بقيت منه بقية وروى سفيان بن عيينه

عن اسماعيل ابن اميه ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا في بعض اسفاره يقول مطرنا
ببعض عثانين الاسد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت بل هو سقيا الله عز وجل
قال سفيان عثانين الاسد الذراع والجبهة وقراءة العامة تكذبون من التكذيب وقرا المفضل
عن عاصم ويحيى بن وثاب تكذبون بفتح التاء مخففا ومعناه ما قدمناه من قول من قال انه
قولهم مطرنا بنوء كذا وثبت من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث لا يزلن في امتي التفاخر في الاحساب والنياحة والانواء ولفظ مسلم في هذا اربع في
امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم
والنياحة قوله تعالى **فلولا اذا بلغت الحلقوم** ۝ اي فهلا اذا بلغت النفس او الروح
الحلقوم ولم يتقدم لها ذكر لان المعنى معروف قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وفي حديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون
العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهي بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت وانتم
حينئذ تنظرون امري وسلطاني وقيل تنظرون الى الميت لا تقدرون له على شيء وقال ابن
عباس يريد من حضر من اهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم في
قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي فهلا ردوا روح الواحد منهم اذا
بلغت الحلقوم وقيل المعنى فهلا اذا بلغت النفس احدكم الحلقوم عند النزع وانتم حضور
امسكتم روحه في جسده مع حرصكم على امتداد عمره وحبكم لبقائه وهذا رد لقولهم نموت
ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وقيل هو خطاب لمن هو في النزع اي ان لم يكن ما بك من
الله فهلا حفظت على نفسك الروح ونحن اقرب اليه منكم اي بالقدرة والعلم والرؤية
قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شيء الا رايت الله تعالى اقرب الي منه وقيل اراد ورسلنا
الذين يتولون قبضه اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون اي لا ترونهم قوله تعالى
فلولا ان كنتم غير مدينين ۝ اي فهلا ان كنتم غير محاسبين ولا مجزيين باعمالكم
ومنه قوله تعالى ائنا لمدينون اي مجزيون محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين
ولا مقهورين قال الفراء وغيره دنته ملكته وانشد للحطيئة لقد دينت امر بنيك حتى تركتهم
ادق من الطحين يعني ملكت ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان وقد مضى في
الفاتحة القول في هذا عند قوله يوم الدين ترجعونها اي ترجعون الروح الى الجسد
ان كنتم صادقين اي ولن ترجعوها فبطل زعمكم انكم غير مملوكين ولا محاسبين وترجعونها
جواب لقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين اجيبا
بجواب واحد ومنه قوله وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله
فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم اجيبا بجواب واحد وهما
شرطان وقيل حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقيل فيها تقديم وتاخير مجازها فلولا
وهلا ان كنتم غير مدينين ترجعونها تردون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت

الحلقوم

الحلقوم قوله تعالى **فاما ان كان من المقربين** ۝ ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند
البعث وبين درجاتهم فقال فاما ان كان هذا المتوفى من المقربين وهم السابقون فروح
وريحان وجنة نعيم وقراءة العامة فروح بفتح الراء ومعناه عند ابن عباس وغيره
فراحة من الدنيا وقال الحسن الروح الرحمة وقال الضحاك الروح الاستراحة وقال القتبي
المعنى له في القبر طيب نسيم وقال ابو العباس ابن عطا الروح النظر الى وجه الله تعالى والريحان
الاستماع لكلامه ووحيه وجنة نعيم هو ان لا يحجب عن الله عز وجل وقال الحسن وقتاده
ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب فروح بضم الراء ورويت عن ابن
عباس قال الحسن الروح الرحمه كانها كالحياة للمرحوم وقالت عايشة قرا النبي صلى
الله عليه وسلم فروح بضم الراء ومعناه فبقاء له وحياة في الجنة وهذا هو الرحمة وريحان
قال مجاهد وسعيد بن جبير اي رزق قال مقاتل هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت اطلب
ريحان الله اي رزقه قال النمر بن تولب سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر
وقال قتاده انه الجنة الضحاك الرحمة وقيل هو الريحان المعروف الذي يشم قاله
الحسن وقتاده ايضا وقال الربيع ابن خثيم هذا عند الموت والجنة مخبوءة له الى
ان يبعث وقال ابو الجوزاء هذا عند قبض روحه يتلقى بضبائر الريحان وقال ابو العاليه
لا يفارق احد من المقربين روحه في الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان فيشمها ثم تقبض
روحه فيها واصل ريحان واشتقاقه تقدم في اول سورة الرحمن فتامله وقد سرد الثعلبي
في الروح والريحان اقوالا كثيره سوى ما ذكرنا من ارادها وجدها هناك قوله تعالى
واما ان كان من اصحاب اليمين ۝ اي ان كان هذا المتوفى من اصحاب اليمين
فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم
لهم فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاغتمام
لهم والمعنى واحد وقيل اي ان اصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بان يصلي الله عليك
ويسلم وقيل المعنى انهم يسلمون عليك يا محمد وقيل المعنى سلمت ايها العبد مما تكره فانك
من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيى بالسلام اكراما فعلى هذا في محل السلام
ثلاثة اقاويل احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك
وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقريك السلام وقد
مضى هذا في سورة النحل عند قوله تعالى الذين يتوفاهم الملائكة طيبين الثاني عند مسايلته
في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيامة يسلم عليه الملائكة قبل وصوله
اليها قال الشيخ المولف رحمه الله ورضي عنه وقد يحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلاث
ويكون ذلك اكراما بعد اكرام والله اعلم وجواب ان عند المبرد محذوف والتقدير
مهما يكن من شيء فسلام لك من اصحاب اليمين ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين فحذف جواب الشرط لدلالة ما تقدم عليه ومذهب الاخفش ان الفا

معنا

كما حذف الجواب في نحو قولك انت ظالم ان فعلت
لدلالة ما تقدم عليه ص

جواب اما وان ومعنى ذلك ان الفا جواب اما وقد سدت مسد جواب ان على التقدير المقدم
والفا جواب لهما على هذا الحد ومعنى اما عند الزجاج الخروج من شئ الى شئ اى دع ما كنا فيه
وخذ فى غيره قوله تعالى وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ بالبعث الضالين عن الهدى
وطريق الحق فنزل من حميم اى فلهم رزق من حميم كما قال ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون
الى ان قال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وتصلية جحيم ادخال فى النار وقيل اقامة فى الجحيم
ومقاساة لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه اى جعله يصلاها والمصدر ههنا يضاف
الى المفعول كما يقال لفلان اعطاء مال اى يعطى المال وقرئ وتصليه بكسر التاء اى ونزل
من تصلية جحيم ثم ادغم ابو عمرو التاء فى الجيم وهو بعيد ان هذا لهو حق اليقين اى هذا
الذى قصصنا محض اليقين وخالصه وجاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف
لفظهما قال المبرد هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين فهو من باب اضافة الشئ الى نفسه
عند الكوفيين وعند البصريين بمعنى حق الامر اليقين او الخبر اليقين وقيل هو توكيد وقيل
اصل اليقين ان يكون نعتا فاضيف المنعوت الى النعت على الاتساع والمجاز كقوله ولدار
الآخرة وقال قتاده فى هذه الآية ان الله ليس تاركا احدا من الناس حتى يقفه
على اليقين من هذا القرآن فاما المؤمن فايقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة
واما الكافر فايقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين فسبح باسم ربك العظيم اى
نزه الله تعالى عن السوء والبا زائدة اى سبح ربك والاسم المسمى وقيل فسبح اى فصل
بذكر ربك وبامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه وعن عقبه بن عامر قال لما نزلت
فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت فسبح
~~باسم ربك العظيم~~ سبح اسم ربك الاعلى قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم
خرجه ابو داود

سورة الحديد مدنية فى قول الجميع وهى تسع وعشرون آية

عن العرباض بن سارية ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بالمسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من
الف آية يعنى بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اى مجد الله ونزهه من السوء وقال
ابن عباس صلى لله ما فى السموات ممن خلق من الملائكة والارض من شئ فيه روح
او لا روح فيه وقيل هو تسبيح الدلالة وانكر الزجاج هذا وقال لو كان هذا تسبيح
الدلالة وظهور اثار الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما
هو تسبيح مقال واستدل بقوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان هذا
التسبيح تسبيح دلالة فاى تخصيص لداود قال الشيخ المؤلف رحمه الله وما ذكره
هو الصحيح وقد مضى بيانه والقول فيه فى سبحان عند قوله تعالى وان من شئ الا
يسبح بحمده وهو العزيز الحكيم قوله تعالى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

اى

اى انفرد بذلك والملك عبارة عن الملك ونفاذ الامر فهو سبحانه المالك القادر القاهر وقيل
اراد خزاين المطر والنبات وساير الرزق يحيى ويميت يميت الاحياء فى الدنيا ويحيى الاموات
للبعث وقيل يحيى النطف وهى موات ويميت الاحياء وموضع يحيى ويميت رفع على معنى وهو يحيى ويميت
ويجوز ان يكون نصبا بمعنى له ملك السموات والارض محييا ومميتا على الحال من المجرور فى له
والجار عاملا فيها وهو على كل شئ قدير لا يعجزه شئ قوله تعالى هُوَ الْأَوَّلُ
وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ اختلف فى معانى هذه الاسماء وقد بيناها فى الكتاب
الاسنى وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغنى عن قول كل قائل فقال فى
صحيح مسلم من حديث ابى هريرة اللهم انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك
شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين
واغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب وبالباطن العالم والله اعلم وهو بكل شئ
عليم مما كان او يكون لا يخفى عليه شئ قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ تقدم فى الاعراف مستوفى قوله
تعالى يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ اى يدخل فيها من مطر وغيره وما يخرج منها
من نبات وغيره وما ينزل من السماء من رزق وملك ومطر وما يعرج فيها يصعد فيها
من الملائكة واعمال العباد وهو معكم يعنى بقدرته وسلطانه وعلمه اينما كنتم والله
بما تعملون بصير يبصر اعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شئ منها وقد جمع فى هذه الآية بين
استوى على العرش وبين وهو معكم والاخذ بالظاهر تناقض فدل على انه لا بد من
التاويل والاعراض عن التاويل اعتراف بالتناقض وقد قال الامام ابو المعالى
ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا لم يكن باقرب الى الله عز وجل من يونس بن
متى حين كان فى بطن الحوت وقد تقدم قوله تعالى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
هذا التكرير للتاكيد اى هو المعبود على الحقيقة والى الله ترجع الامور اى امور الخلايق
فى الآخرة وقرا الحسن والاعرج ويعقوب وابن عامر وابو حيوة وابن محيصن وحميد
والاعمش وحمزة والكسائى وخلف ترجع بفتح التاء وكسر الجيم الباقون ترجع
قوله تعالى يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ تقدم فى آل عمران
وهو عليم بذات الصدور اى لا يخفى عليه الضماير ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز ان
يعبد من سواه قوله تعالى آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ اى صدقوا ان الله واحد وان محمدا
رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل انفقوا فى سبيل الله وقيل المراد الزكاة المفروضة وقيل
غيرها من وجوه الطاعات وما يقرب منه مما جعلكم مستخلفين فيه دليل على ان
اصل الملك لله سبحانه وان العبد ليس له فيه الا التصرف الذى يرضى الله فيثيبه على
ذلك بالجنة فمن انفق منها فى حقوق الله تعالى وهان عليه الانفاق منها كما يهون
على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه كان له الثواب الجزيل والاجر

العظيم وقال الحسن مستخلفين فيه بوراثتكم اياه عمن كان قبلكم وهذا يدل على انها ليست
باموالكم في الحقيقة وما انتم فيه الا بمنزلة النواب والوكلاء فاغتنموا الفرصة فيها
باقامة الحق قبل ان يزال عنكم الى من بعدكم فالذين آمنوا منكم وانفقوا في سبيل الله لهم اجر
كبير وهو الجنة قوله تعالى **وما لكم لا تؤمنون بالله** استفهام يراد به التوبيخ
اي اي عذر لكم في ان لا تؤمنوا وقد ازيحت العلل والرسول يدعوكم بين بهذا انه لا حكم قبل
ورود الشرايع وقرا ابو عمرو وقد اخذ ميثاقكم على غير مسمى الفاعل والباقون مسمى الفاعل
اي اخذ الله ميثاقكم قال مجاهد هو الميثاق الاول الذي كان وهم في ظهر آدم بان الله
ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم بان ركب فيكم العقول واقام عليكم الحجج والدلايل
التي تدعوا الى متابعة الرسول ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل اي ان كنتم مؤمنين
بالحجج والدلايل وقيل اي ان كنتم مؤمنين لحق يوما من الايام فالان فقد صحت براهينه
وقيل ان كنتم مؤمنين بان الله تعالى خلقكم وكانوا يعترفون بهذا وقيل هو خطاب لقوم
آمنوا واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقهم فارتدوا وقوله ان كنتم مؤمنين اي ان
كنتم تقرون بشرايط الايمان قوله تعالى **هو الذي ينزل على عبده آيات
بينات** يريد القرآن وقيل المعجزات اي لزمكم الايمان بمحمد لما معه من المعجزات
والقرآن اكبرها واعظمها ليخرجكم اي بالقرآن وقيل بالرسول وقيل بالدعوة من
الظلمات وهو الشرك والكفر الى النور وهو الايمان وان الله بكم لرؤوف الرحيم
قوله تعالى **وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله** فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى
وما لكم اي شيء يمنعكم من الانفاق في سبيل الله وفيما تقرب من ربكم وانتم تموتون وتخلفون
اموالكم وهي صايرة الى الله فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الانفاق ولله ميراث السموات
والارض اي انهما راجعتان اليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث الى المستحق له الثانية
قوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح
فتح مكة وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية قال قتادة كان قتالان احدهما افضل من
الآخر ونفقتان احداهما افضل من الاخرى كان القتال والنفقة قبل فتح مكة افضل
من القتال والنفقة بعد ذلك وفي الكلام حذف اي لا يستوي من انفق من قبل الفتح
وقاتل ومن انفق من بعد الفتح وقاتل فحذف لدلالة الكلام عليه وانما كانت النفقة
قبل الفتح اعظم لان حاجة الناس كانت اكثر لضعف الاسلام وفعل ذلك كان على
المنفقين حينئذ اشق والاجر على قدر النصب والله اعلم الثالثة روى اشهب عن مالك
قال ينبغي ان يقدم اهل الفضل والعزم وقد قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل
الفتح وقاتل وقال الكلبي نزلت في ابي بكر ففيها دليل واضح على تفضيل ابي بكر وتقديمه
لانه اول من اسلم وعن ابن مسعود اول من اظهر الاسلام بسيفه النبي صلى الله عليه
وسلم وابو بكر ولانه اول من انفق على نبي الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر قال

كنت

كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل — عباه م
جبريل فقال يا نبي الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال قال انفق ماله علي
قبل الفتح قال فان الله يقول لك اقرا على ابي بكر السلام ويقول لك اراض انت عني في فقرك
ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي اني على ربي لراض اني عن ربي لراض قال فان الله يقول لك
قد رضيت عنك كما انت عني راض فبكى ابو بكر فقال جبريل والذي بعثك يا محمد بالحق لقد تخللت
حملة العرش بالعبي منذ تخلل صاحبك هذا بالعباءة ولهذا قدمه الصحابة على انفسهم واقروا
له بالتقديم والسبق رضي الله عنهم اجمعين وقال علي رضي الله عنه سبق النبي صلى الله عليه وسلم
وصلى ابو بكر وثلث عمر فلا اوتى برجل فضلني على ابي بكر الا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح
الشهادة فنال المتقدمون من المشقة اكثر مما نال من بعدهم وكانت بصايرهم ايضا انفذ
الرابعة التقدم والتاخر قد يكون في احكام الدنيا فاما في احكام الدين فقالت عايشة
رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم واعظم المنازل مرتبة
الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس الحديث وقال
يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وقال ليؤمكما اكبركما من حديث مالك ابن الحويرث وقد
تقدم وفهم منه البخاري وغيره من العلماء انه اراد كبر المنزلة كما قال صلى الله عليه
وسلم الولاء للكبر ولم يعن كبر السن وقد قال مالك وغيره ان للسن حقا وراعاه الشافعي
وابو حنيفة وهو احق بالمراعاة لانه اذا اجتمع العلم والسن في خيرين قدم العلم
واما احكام الدنيا فهي مرتبة على احكام الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الاثار
ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه ومن الحديث الثابت
في الافراد ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه وانشد
واياك عيبا للشيوخ من اشر داخله الصبا ومن يدخ اذكره اذا شئت ان تعييهم جدك
واذكر اباك يا ابن اخ واعلم بان الشباب منسلخ عنك وما وزره بمنسلخ من لا يعز
الشيوخ لا بلغت يوما به سنه الى الشيخ الخامسة قوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى
اي المتقدمون المتناهون والمتاخرون اللاحقون وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت
الدرجات وقرا ابن عامر وكل بالرفع وكذلك هو بالرفع في مصاحف اهل الشام الباقون
وكلا بالنصب على ما في مصاحفهم فمن نصب فعلى ايقاع الفعل عليه اي وعد الله
كلا الحسنى ومن رفع فان المفعول اذا تقدم ضعف عمل الفعل والهاء محذوفة من
وعده قوله تعالى **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** ندب الى الانفاق
في سبيل الله وقد مضى في البقرة القول فيه والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا
قد اقرض كما قال واذا جوزيت قرضا فاجزه انما يجزي الفتى ليس الجمل وسماه قرضا لان
القرض اخرج لاسترداد البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى يبدله الله
بالاضعاف الكثيرة قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا اي محتسبا من قلبه بلا من ولا اذى

فيضعفه له ما بين سبع الى سبع مائة الى ما شاء الله من الاضعاف وقيل القرض الحسن هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر رواه سفيان عن ابي حيان وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن هو التطوع بالعبادات وقيل انه عمل الخير والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء وقال القشيري القرض الحسن ان يكون المتصدق صادق النية طيب النفس يبتغي به وجه الله دون الرياء والسمعة وان يكون من الحلال ومن القرض الحسن ان لا يقصد الى الردي فيخرجه لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وان يتصدق في حال تامل الحياة فان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الصدقة فقال ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وان يخفي صدقته لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وان لا يمن لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وان يستحقر كثير ما يعطي لان الدنيا كلها قليلة وان يكون من احب ماله لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان يكون كثيرا لقوله عليه السلام افضل الرقاب اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها فيضاعفه له قرا ابن كثير وابن عامر فيضعفه باسقاط الالف الا ان ابن عامر ويعقوب نصبوا الفاء وقرا نافع واهل الكوفة والبصرة فيضاعفه بالالف وتخفيف العين الا ان عاصما نصب الفاء ورفع الباقون عطفا على يقرض وبالنصب جوابا على الاستفهام وقد مضى في البقرة القول في هذا مستوفى وله اجر كريم يعني الجنة قوله تعالى **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات** العامل في يوم وله اجر كريم وفي الكلام حذف اي وله اجر كريم في يوم ترى فيه المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم اي يمضي على الصراط في قول الحسن وهو الضياء الذي يمرون فيه بين ايديهم اي قدامهم وبايمانهم قال الفراء الباء بمعنى في اي في ايمانهم او بمعنى عن ايمانهم وقال الضحاك نورهم هداهم وبايمانهم كتبهم واختاره الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم فالباء على هذا بمعنى في ويجوز على هذا ان يوقف على بين ايديهم ولا يوقف اذا كانت بمعنى عن وقرا سهل بن سعد الساعدي وابو حيوة وبايمانهم بكسر الالف اراد الايمان الذي هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف لان معنى الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف والمعنى يسعى كائنا بين ايديهم وكائنا بايمانهم وليس قوله بين ايديهم متعلقا بنفس يسعى وقيل اراد بالنور القرآن وعن ابن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله فيطفى مرة ويوقد اخرى وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضيء نوره كما بين المدينة وعدن ابين من اليمن او صنعا ودون ذلك حتى يكون منهم من لا يضيء نوره الا موضع قدميه قال الحسن ليستضيؤوا به

على الصراط

على الصراط كما تقدم وقال مقاتل ليكون لهم دليلا الى الجنة قوله تعالى **بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار** التقدير يقال لهم بشراكم اليوم دخول جنات ولا بد من تقدير حذف المضاف لان البشرى حدث والجنة عين فلا تكون هي البشرى تجري من تحتها الانهار اي من تحتهم انهار اللبن والماء والخمر والعسل من تحت مساكنها خالدين فيها حال من الدخول المحذوف التقدير بشراكم اليوم دخول جنات تجري من تحتها الانهار مقدرين الخلود فيها ولا يكون الحال من بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول ويجوز ان يكون مما دل عليه البشرى كانه قال تبشرون خالدين ويجوز ان يكون الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم وجنات بدل من البشرى على تقدير حذف المضاف كما تقدم وخالدين حال حسبما تقدم واجاز الفراء نصب جنات على الحال على ان يكون اليوم خبرا عن بشراكم وهو بعيد اذ ليس في جنات معنى الفعل واجاز ان يكون بشراكم نصبا على معنى الفعل واجاز ان يكون بشراكم نصبا على معنى يبشرونهم بشرى وينصب جنات بالبشرى وفيه تفرقة بين الصلة والموصول قوله تعالى **يوم يقول المنافقون** العامل في يوم ذلك الفوز العظيم وقيل هو بدل من اليوم الاول انظرونا قراءة العامة بوصل الالف مضمومة الظاء من نظر والنظر الانتظار اي انتظرونا وقرا حمزة والاعمش ويحيى بن وثاب انظرونا بقطع الالف وكسر الظاء من الانتظار اي امهلونا واخرونا انظرته اخرته واستنظره اي استمهله وقال الفراء تقول العرب انظرني اي انتظرني وانشد لعمرو بن كلثوم ابا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا اي انتظرنا نقتبس من نوركم اي نستضيء من نوركم قال ابن عباس وابو امامة يغشى الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يمشون فيه قال المفسرون يعطي الله المؤمنين يوم القيامة نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم دليله قوله تعالى وهو خادعهم وقيل انما يعطون النور لان جميعهم اهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه قاله ابن عباس وقال ابو امامة يعطى المؤمن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفا بذلك نور المنافقين فذلك قوله ربنا اتمم لنا نورنا يقوله المؤمنون خشية ان يسلبوه كما سلبه المنافقون فاذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا اي قالت لهم الملائكة ارجعوا وقيل بل هو قول المؤمنين لهم ارجعوا وراءكم الى الموضع الذي اخذنا منه النور فاطلبوا هنالك لانفسكم نورا فانكم لا تقتبسون من نورنا فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ضرب بينهم بسور وقيل اي هلا طلبتم النور من الدنيا بان تؤمنوا بسور اي سور والباء صلة قاله الكسائي والسور حاجز بين الجنة والنار وروي ان ذلك السور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم باطنه فيه الرحمة يعني ما يلي منه المؤمنين وظاهره

نور المومنين م

من قبله العذاب يعني ما يلي المنافقين قال كعب الاحبار هو الباب الذي ببيت المقدس
المعروف بباب الرحمة وقال عبد الله بن عمرو انه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه
المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم ونحوه عن ابن عباس وقال زياد بن
ابي سوادة قام عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكا وقال من هاهنا اخبرنا
النبي صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم وقال قتادة هو حائط بين الجنة والنار باطنه
فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم وقال مجاهد انه حجاب
كما في الاعراف وقد مضى القول فيه وقد قيل ان الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والظاهر
الذي في ظاهره ظلمة المنافقين قوله تعالى **ينادونهم** اي ينادي المنافقون المؤمنين
الم نكن معكم في الدنيا يعني نصلي كما تصلون ونغزو مثل ما تغزون ونفعل مثل ما تفعلون
قالوا بلى اي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي استعملتموها
في الفتنة وقال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالمعاصي قاله ابو سنان وقيل بالشهوات
واللذات رواه ابو نمير الهمداني وتربصتم اي تربصتم بالنبي عليه السلام الموت وبالمؤمنين
الدوائر وقيل تربصتم بالتوبة وارتبتم اي شككتم في التوحيد والنبوة وغرتكم الاماني
اي الاباطيل وقيل طول الامل وقيل هو ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر
بهم وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان وقيل الدنيا قاله عبد الله بن عباس
وقال ابو سنان هو قولهم سيغفر لنا وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سيآتك
غرة حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال قتادة القاؤهم
في النار وغركم اي خدعكم بالله الغرور اي الشيطان قاله عكرمة وقيل الدنيا
قاله الضحاك وقال بعض العلماء ان للباقي بالماضي معتبرا وللاخر بالاول مزدجرا
والسعيد من لا يغتر بالطمع ولا يركن الى الخدع ومن ذكر المنية نسي الامنية ومن
اطال الامل نسي العمل وغفل عن الاجل وجاء الغرور على لفظ المبالغة للكثرة
وقرا ابو حيوة ومحمد بن السميقع وسماك بن حرب الغرور بضم الغين يعني الاباطيل
وهو مصدر وعن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم خط لنا خطوطا
وخط منها خطا ناحية فقال اتدرون ما هذا هذا مثل ابن ادم ومثل التمني وتلك
الخطوط الاماني بينما هو يتمنى اذ جاءه الموت وعن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسطه خطا وجعله خارجا منه وخط
عن يمينه ويساره خطوطا صغارا فقال هذا ابن ادم وهذا اجله محيط به وهذا
امله قد جاوز اجله وهذه الخطوط الصغار الاعراض فان اخطاه هذا نهشه هذا
وان اخطاه نهشه هذا قوله تعالى **فاليوم لا يؤخذ منكم** فدية ايها المنافقون
ولا من الذين كفروا اي ايسهم من النجاة وقراءة العامة يؤخذ بالياء لان
التانيث غير حقيقي ولانه قد فصل بينها وبين الفعل وقرا ابن عامر ويعقوب

توخذ بالتاء واختاره ابو حاتم لتانيث الفدية والاول اختيار ابي عبيد اي لا يقبل منكم
بدل ولا عوض ولا نفس اخرى ماواكم النار اي مقامكم ومنزلكم هي مولاكم اي اولى
بكم والمولى من يتولى مصالح الانسان ثم استعمل فيمن كان ملازما للشيء وقيل ان
النار تملك امرهم بمعنى ان الله تعالى يركب فيها الحياة والعقل فهي تتميز غيظا على
الكفار ولهذا خوطبت في قوله يوم نقول لجهنم وبئس المصير اي ساءت مرجعا
ومصيرا قوله تعالى **الم يان للذين امنوا** اي يقرب ويحين قال الشاعر
الم يان لي يا قلب ان اترك الجهلا ... وان يحدث الشيب المبين لنا عقلا
وماضيه انى بالقصر ياني ويقال آن لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا اي حان مثل
انى لك وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت الم يان لي ان تجلى عمايتي
واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا فجمع بين اللغتين وقرا الحسن الما يان واصلها الم زيدت
ما فهي نفي لقول القائل قد كان كذا ولم نفي لقوله كان كذا وفي صحيح مسلم عن ابن
مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الا اربع سنين قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال
ومذاكرة الموجدة يقول عاتبته معاتبة ان تخشع ان تذل وتلين قلوبهم لذكر الله
وما نزل من الحق روي ان المزاح والضحك كثر في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الاية ولما نزلت هذه الاية قال عليه السلام ان الله
يستبطئكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا
وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب
المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت في المنافقين
بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان ان يحدثهم بعجائب التوراة فنزلت
الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص الاية
فاخبرهم ان هذا القصص احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم
سالوه مثل الاول فنزلت الم يان للذين امنوا فعلى هذا التاويل يكون الذين امنوا
في العلانية باللسان قال السدي وغيره الم يان للذين امنوا بالظاهر واسروا
الكفر ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المؤمنين قال سعد قيل يا رسول
الله لو قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فانزل الله
الله نزل احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا فانزل الله الم يان للذين امنوا
ونحوه عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع
سنين فجعل بعضنا ينظر الى بعض ويقول ما احدثنا قال الحسن يستبطئهم وهم
احب خلقه اليه وقيل هذا الخطاب لمن امن بموسى وعيسى دون محمد عليه السلام
لانه قال عقيب هذا والذين امنوا بالله ورسله اي الم يان للذين امنوا بالتوراة

والانجيل ان تلين قلوبهم للقرآن وان لا تكونوا المتقدى قوم موسى وعيسى اذ طال عليهم الامد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم قوله تعالى **ولا يكونوا** ٥ اى وان لا يكونوا فهو منصوب عطفا على ان تخشع وقيل مجزوم على النهى مجازه ولا يكونن ودليل هذا التاويل رواية رويس عن يعقوب ولا تكونوا بالتاء وهى قراءة وابن اسحق يقول لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا التورية والانجيل فطالت الازمان بهم قال ابن مسعود ان بنى اسرائيل لما طال عليهم الامد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند انفسهم استحلته انفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ثم قال اعرضوا هذا الكتاب على بنى اسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم والا فاقتلوهم ثم اصطلحوا على ان يرسلوه الى عالم من علمائهم وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان ابى قتلناه فلا يختلف علينا بعده احد فارسلوا اليه فكتب كتاب الله فى ورقة وجعلها فى قرن وعلقها فى عنقه ثم لبس عليه ثيابه واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا اتؤمن بهذا فضرب بيده على صدره فافترقت بنو اسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذى القرن قال عبد الله ومن يعش منكم فسيرى منكرا وبحسب احدكم اذا راى المنكر لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال مقاتل بن حيان يعنى مؤمنى اهل الكتاب طال عليهم الامد واستبطؤا بعث النبى صلى الله عليه وسلم فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعنى الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين به من الفقه ويخالف من يعلم وقيل هم من لا يؤمن فى علم الله تعالى ثبتت طايفة منهم على دين عيسى حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم فامنوا به وطايفة رجعوا عن دين عيسى وهم الذين فسقهم الله وقال محمد بن كعب كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابوا الريف والنعمة ففتروا عما كانوا فيه فقست قلوبهم فوعظهم الله فافاقوا وذكر ابن المبارك اخبرنا مالك بن انس قال بلغنى ان عيسى عليه السلام قال لقومه لا تكثروا الكلام بغير الله تعالى فيقسوا قلوبكم فان القلب القاسى بعيد من الله ولكن لا تعلمون ولا تنظروا فى ذنوب الناس كانكم ارباب وانظروا فيها او قال فى ذنوبكم كانكم عبيد فانما الناس رجلان معافى ومبتلى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله تعالى على العافية وهذه الاية الم يان للذين امنوا كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما الله ذكر ابو المطرف عبد الرحمن بن مروان القلانسى قال حدثنا ابو محمد الحسن بن رشيق قال حدثنا على بن يعقوب الزيات قال حدثنا ابرهيم بن هشام قال حدثنا زكريا بن ابى ابان قال حدثنا الليث بن الحارث قال حدثنا الحسن بن داهر قال سئل عبد الله بن المبارك عن بدو زهده قال كنت يوما مع اخوانى فى بستان لنا وذلك حين حملت الثمار من الوان الفاكهة فاكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا وكنت مولعا بضرب العود والطنبور فقمت فى بعض الليل فضربت بصوت

عيسى

وقال امنت بهذا

الفواكه

يقال

يقال له راسين السحر واراد سنان يغنى وطاير يصيح فوق راسى على شجرة والعود بيدى لا يجيبنى الى ما اريد واذا انه ينطق كما ينطق الانسان يعنى العود الذى بيدى وهو يقول الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى والله وكسرت العود وصرفت من كان عندى فكان هذا اول زهدى وتشميرى وبلغنا عن الشعر الذى اراد ابن المبارك ان يضرب به فى العود

الم يان لى منك ان ترحما ... وتعصى العواذل واللوما
وترثى لصب بكم مغرم ... اقام على هجركم ماتما
يبيت اذا جنه ليله ... يراعى الكواكب والانجما
وماذا على الظبى لو انه ... احل من الوصل ما حرما

واما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته انه عشق جارية فواعدته ليلا فبينما هو يرتقى الجدران اليها اذ سمع قاريا يقرأ الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد آن فاواه الليل الى خربة وفيها جماعة من السابلة وبعضهم يقول لبعض ان فضيلا يقطع الطريق فقال الفضيل اوانى بالليل اسعى فى معاصى الله وقوما من المسلمين يخافونى اللهم انى قد تبت اليك وجعلت توبتى اليك جوار بيتك الحرام قوله تعالى **اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها** ٥ اى الجدبة بالمطر وقال صالح المرى المعنى تلين القلوب بعد قسوتها وقال جعفر بن محمد يحييها بالعدل بعد الجور وقيل المعنى فكذلك يحيى الكافر بالهدى الى الايمان بعد موته بالكفر والضلالة وقيل كذلك يحيى الموتى من الامم ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسى قلبه قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اى احياء الله الارض بعد موتها دليل على قدرة الله وانه يحيى الموتى قوله تعالى **ان المصدقين والمصدقات** ٥ قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق اى المصدقين بما انزل الله تعالى الباقون بالتشديد اى ان المتصدقين والمتصدقات فادغمت التاء فى الصاد وكذلك هى فى مصحف ابى وهو حث على الصدقات ولهذا قال واقرضوا الله قرضا حسنا بالصدقة والنفقة فى سبيل الله قال الحسن كلما فى القرآن من القرض الحسن فهو التطوع وقيل هو العمل الصالح من الصدقة وغيرها محتسبا صادقا وانما عطف بالفعل على الاسم لان ذلك الاسم فى تقدير الفعل اى ان الذين صدقوا واقرضوا يضاعف لهم امثالها وقراءة العامة بفتح العين على ما لم يسم فاعله وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة هاء وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب فيضعفه بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم يعنى الجنة قوله تعالى **والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم** اختلف فى

الشهداء هل هو مقطوع مما قبل او متصل به فقال مجاهد وزيد بن اسلم ان الشهداء والصديقين
هم المومنون وانه متصل وروى معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يوقف
على هذا والصديقون وهذا قول ابن مسعود في تاويل الاية قال القشيري قال الله تعالى
اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
فالصديقون هم الذين يتلون الانبياء والشهداء هم الذين يتلون الصديقين
والصالحون يتلون الشهداء فيجوز ان يكون هذه الاية في جملة من صدق بالرسل
اعني والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء ويكون المعنى
بالشهداء من شهد لله تعالى بالوحدانية فيكون صديق فوق صديق في الدرجات
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنات العلى ليراهم من دونهم كما يرى
احدكم الكوكب الذي في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وروى عن
ابن عباس ومسروق ان الشهداء غير الصديقين فالشهداء على هذا منفصل
مما قبله والوقف على قوله الصديقون حسن والمعنى والشهداء عند ربهم لهم
اجرهم انفسهم ونور انفسهم وفيهم قولان احدهما انهم الرسل يشهدون على اممهم
بالتصديق والتكذيب قاله الكلبي دليله قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الثاني
انهم امم الرسل يشهدون يوم القيامة وفيما يشهدون به قولان احدهما انهم
يشهدون على انفسهم بما عملوا من طاعة ومعصية وهذا معنى قول مجاهد الثاني
يشهدون لانبياهم بتبليغهم الرسالة الى اممهم قاله الكلبي وقال مقاتل قولا ثالثا انهم
القتلى في سبيل الله تعالى ونحوه عن ابن عباس ايضا قال اراد شهداء المومنين والواو واو
الابتداء والصديقون على هذا القول مقطوع من الشهداء وقد اختلف في تعيينهم
فقال الضحاك هم ثمانية نفر ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وحمزة وتاسعهم وتابعهم عمر بن الخطاب الحقه الله تعالى بهم لما صدق نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم وقال مقاتل بن حيان الصديقون هم الذين امنوا بالرسل ولم يكذبوهم
طرفة عين مثل مومن ال فرعون وصاحب آل ياسين وابي بكر الصديق وصاحب
اصحاب الاخدود قوله تعالى **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** اي بالرسل و
المعجزات اولئك اصحاب الجحيم فلا اجر لهم ولا نور قوله تعالى **اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو** الاية وجه الاتصال ان الانسان قد يترك الجهاد
خوفا على نفسه من القتل وخوفا من لزوم الموت فبين ان الحيوة الدنيا منقضية
فلا ينبغي ان يترك امر الله محافظة على ما لا يبقى وما صلة وتقديره اعلموا ان الحيوة
الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي وقال قتادة لعب ولهو اكل وشرب وقيل انه على
المعهود من اسمه قال مجاهد كل لعب لهو وقد مضى هذا المعنى في الانعام وقيل اللعب
ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الآخرة اي شغل عنها وقيل اللعب الاقتنا واللهو

النساء وزينة الزينة ما يتزين به فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة وكذلك من تزين
في غير طاعة الله وتفاخر بينكم اي يفخر بعضكم على بعض بها وقيل بالخلقة والقوة
وقيل بالانساب على عادة العرب في المفاخرة بالآباء وفي صحيح مسلم عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر
احد على احد وصح عنه عليه الصلوة والسلام انه قال اربع في امتي من امر الجاهلية
الفخر في الاحساب الحديث وقد تقدم جميع هذا وتكاثر في الاموال والاولاد لان
عادة الجاهلية ان تتكاثر بالابناء والاموال وتكاثر المومنين بالايمان والطاعة
قال بعض المتاخرين لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان
وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان وقيل المعنى ان الدنيا كهذه الاشيا
في الزوال والفناء وعن علي رضي الله عنه انه قال لعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا
ستة اشياء ماكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل
وهي بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج
وهو نسج دودة وافضل المشموم المسك وهو دم فارة وافضل المركوب الفرس وعليها
يقتل الرجال واما المنكوح فالنساء وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد
به اقبحها ثم ضرب الله تعالى مثله بالزرع في غيث اي مطر اعجب الكفار نباته الكفار
هنا الزراع لانهم يغطون البذر والمعنى ان الحيوة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين
اليه لخضرته بكثرة الامطار ثم لا يلبث ان يصير هشيما كان لم يكن واذا اعجب
الزراع فهو غاية ما يستحسن وقد مضى معنى هذا المثل في يونس والكهف وقيل
الكفار هنا الكافرون بالله جل وعز لانه اشد اعجابا بزينة الدنيا من المومنين
وهذا قول حسن فان اصل الاعجاب لهم وفيهم ومنهم يظهر وهو التعظيم للدنيا
وما فيها وفي الموحدين من ذلك فروع تحدث من شهواتهم وتتقلل عندهم وتدق اذا ذكروا
الآخرة وموضع الكاف رفع على الصفة ثم يهيج اي يجف بعد خضرته فتراه مصفرا اي
متغيرا عما كان عليه من النضرة ثم يكون حطاما اي فتاتا وتبنا فيذهب بعد حسنه
كذلك دنيا الكافر وفي الآخرة عذاب شديد اي للكفار والوقف عليه حسن
ويبتدا ومغفرة من الله ورضوان اي للمومنين وقال الفراء وفي الآخرة عذاب شديد
ومغفرة تقديره اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور هذا تاكيد ما سبق اي تغر الكفار فاما المومن فالدنيا له متاع
بلاغ الى الجنة وقيل العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيدا في العمل للدنيا وترغيبا
للعمل في الآخرة قوله تعالى **سابقوا الى مغفرة من ربكم** اي سارعوا
بالاعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقيل سارعوا بالتوبة لانها
تودي الى المغفرة قاله الكلبي وقيل التكبيرة الاولى مع الامام قاله مكحول وقيل

القيان

الصف الاول وجنة عرضها كعرض السماء والارض لو وصل بعضها ببعض قال الحسن يعني
جميع السموات والارضين مبسوطتان كل واحدة الى صاحبتها وقيل يريد لرجل واحد اي
لكل واحد جنة بهذه السعة قال ابن كيسان عنى به جنة واحدة من الجنات والعرض
اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر عن سعة الشي بعرضه دون طوله قال
كان بلاد الله وهي عريضة على الخايف المطلوب كفة حايل وقد مضى هذا كله في آل عمران
وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل
وجنة عرضها كعرض السماء والارض فاين النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى
وجاء النهار اين يكون الليل فقالوا لقد نزعت بما في التورية مثله اعدت للذين آمنوا
بالله ورسله شرط الايمان لا غير وفيه تقوية الرجا وقد قيد شرط الايمان هنا فرا د
عليه فقال اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس ذلك فضل الله يوتيه من يشاء اي ان الجنة لا تنال ولا تدخل الا برحمة الله
وفضله وقد مضى هذا في الاعراف والله ذو الفضل العظيم قوله تعالى **ما اصاب
من مصيبة في الارض** قال مقاتل القحط وقلة النبات والثمار وقيل الجوائح
في الزرع ولا في انفسكم بالاوصاب والاسقام قاله قتادة وقيل اقامة الحدود
قاله ابن حيان وقيل ضيق المعاش وهذا معنا رواه ابن جريج الا في كتاب يعني اللوح
المحفوظ من قبل ان نبراها الضمير في نبراها عايد على النفوس او الارض او المصايب
او الجميع وقال ابن عباس من قبل ان نخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان
نخلق الارض والنفس ان ذلك على الله يسير اي خلق ذلك وحفظ جميعه على الله
يسير هين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير بكيت فقال ما يبكيك قلت ابكي
لما ارى بك ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله ان يكون الم تسمع
قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية وقال ابن عباس
لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب ما هو كاين الى يوم القيامة وقد ترك هذه الاية
جماعة من الفضلاء الدواء في امراضهم فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه وقالوا قد
علم الله ايام المرض وايام الصحة فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما
قدروا قال الله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبراها وقد قيل ان هذه الاية تتصل بما قبل وهو ان الله سبحانه هون
عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح وبين ان ما يخلفهم عن الجهاد من
المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له وانما
على المرء امتثال الامر ثم ادبهم فقال هذا لكي لا تاسوا على ما فاتكم اي حتى لا تحزنوا
على ما فاتكم من الرزق وذلك انهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم ياسوا على
ما فاتهم منه وعن ابن مسعود ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجد

احدكم

احدكم طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
ثم قرا لكي لا تاسوا على ما فاتكم اي كيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا فانه لم يقدر
لكم ولو قدر لكم لم يفتكم ولا تفرحوا بما آتاكم اي من الدنيا قاله ابن عباس وقال
سعيد بن جبير من العافية والخصب وروى عكرمة عن ابن عباس ليس من احد الا
وهو يحزن ويفرح ولكن المومن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن
والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدا فيهما الى ما لا يجوز قال الله تعالى والله لا يحب
كل مختال فخور اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور به على الناس وقراة العامة
آتاكم بمد الالف اي اعطاكم من الدنيا واختاره ابو حاتم وقرا ابو العالية ونصر بن عاصم
وابو عمرو اتاكم بقصر الالف واختاره ابو عبيد اي جاكم وهو معادل لفاتكم ولهذا لم يقل
افاتكم قال جعفر بن محمد يا ابن ادم ما لك تاسى على مفقود لا يرده عليك الفوت او
تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت وقيل لبزرجمهر ايها الحكيم ما لك لا تحزن
على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفايت لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام
بالحبرة وقال الفضيل بن عياض في هذا المعنى الدنيا مبيد ومفيد فما باد فلا رجعة
له وما افاد آذن بالرحيل وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه والفخور الذي ينظر الى الناس
بعين الاستحقار وكلاهما شرك خفي والفخور بمنزلة المصراة تشد اخلافها ليجتمع
فيها اللبن فيتوهم المشتري ان ذلك معتاد وليس كذلك فكذلك الذي يرى
من نفسه حالا وزينة وهو مع ذلك مدع فهو الفخور قوله تعالى **الذين يبخلون**
اي لا يحب المختالين الذين يبخلون فالذين في موضع خفض نعتا للمختال وقيل رفع
بالابتدا اي الذين يبخلون فالله غني عنهم قيل اراد روسا اليهود الذين بخلوا ببيان
صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يومن به الناس فيذهب ما كلتهم
قاله السدي والكلبي وقال سعيد بن جبير الذين يبخلون يعني بالعلم ويامرون الناس
بالبخل بان لا يعلموا الناس شيا وقال زيد بن اسلم انه البخل باداء حق الله جل وعز
وقيل انه البخل بالصدقة والحقوق قاله عامر بن عبد الله الاشعري وقال طاوس
انه بما في يديه وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة المعنى وفرق اصحاب الخواطر بين
البخل والسخا بفرقين احدهما ان البخيل الذي يلتذ بالامساك والسخي الذي
يلتذ بالعطا الثاني ان البخيل الذي يعطي عند السوال والسخي الذي يعطي بغير
سوال ومن يتول اي عن الايمان فان الله غني عنه ويجوز ان يكون لما حث
على الصدقة اعلمهم ان الذين يبخلون بها ويامرون الناس بالبخل بها فان الله
غني عنهم وقراة العامة بالبخل بضم البا وسكون الخا وقرا انس وعبيد بن عمير
ويحيى بن يعمر ومجاهد وحميد وابن محيصن وحمزة والكساي بالبخل بفتحتين
وهي لغة الانصار وقرا ابو العالية وابن السميقع البخل بفتح البا واسكان الخا

العين م

وعن نصر بن عاصم البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة وقد تقدم الفرق بين
البخل والشح في آخر آل عمران وقرا نافع وابن عامر فان الله الحميد بغير هو والباقون
هو الغني على ان يكون فصلا ويجوز ان يكون مبتدا والغني خبره والجملة خبر ان ومن حذفها
فالاحسن ان يكون فصلا لان حذف الفصل سهل من حذف المبتدا قوله تعالى
لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اى بالمعجزات البينة والشرايع الظاهرة
وقيل الاخلاص لله تعالى في العبادة واقام الصلاة وايتاء الزكوة الى ذلك دعت رسل الرسل
نوح فمن دونه الى محمد صلى الله عليه وسلم وانزلنا معهم الكتاب اى الكتب اى اوحينا اليهم
خبر ما كان قبلهم والميزان قال ابن زيد هو ما يوزن به ويتعامل ليقوم الناس بالقسط
اى بالعدل في معاملاتهم وقوله بالقسط يدل على انه اراد الميزان المعروف وقال قوم اراد
به العدل قال القشيري واذا حملناه على الميزان المعروف فالمعنى انزلنا الكتاب ووضعنا
الميزان وهو من باب علفتها تبنا وماء باردا ويدل على هذا قوله والسماء رفعها ووضع
الميزان ثم قال واقيموا الوزن بالقسط وقد مضى القول فيه وانزلنا الحديد فيه باس
شديد روى عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله انزل اربع بركات من السماء
الى الارض الحديد والنار والماء والملح وروى عكرمة عن ابن عباس قال ثلاثة اشياء نزلت
مع آدم الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى وكانت من اس الجنة طولها عشرة
اذرع مع طول موسى والحديد انزل معه ثلاثة اشياء السندان والكلبتان والميقعة
وهي المطرقة ذكره الماوردي وقال الثعلبي قال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه
من الحديد خمسة اشياء من آلة الحداد بن السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة
والابرة وحكاه القشيري قال والميقعة ما يحدد به يقال وقعت الحديدة اقعها اى
حددتها وفي الصحاح والميقعة الموضع الذي يالفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار
التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروى ان الحديد انزل في يوم الثلثا فيه
باس شديد اى اهراق الدماء وكذلك نهى عن الفصد والحجامة في يوم الثلثا لانه
يوم جرى فيه الدم وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الثلثا ساعة
لا يرقا فيها الدم وقيل انزلنا الحديد اى انشاناه وخلقناه كقوله وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج وهذا قول الحسن فيكون من الارض غير منزل من السماء
وقال اهل المعاني اى اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه فيه باس
شديد يعني السلاح والكراع والجنة وقيل اى ان فيه من خشية القتل خوف
شديد ومنافع للناس قال مجاهد يعني جنة وقيل يعني انتفاع الناس بالماعون
من الحديد مثل السكين والفاس ونحوه وليعلم الله من ينصره اى انزل الحديد ليعلم
من ينصره وقيل هو عطف على قوله ليقوم الناس بالقسط اى ارسلنا رسلنا وانزلنا
معهم الكتاب وهذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق وليرى الله من ينصر دينه

وينصر

لا يكذبونهم ويؤمنون بهم بالغيب اى وهم لا يرونهم ح

وينصر رسله بالغيب قال ابن عباس ينصرونهم ان الله قوي عزيز قوي في اخذه عزيز اى منيع
غالب وقد تقدم وقيل بالغيب بالاخلاص قوله تعالى **ولقد ارسلنا نوحا
وابرهيم** فصل ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب واخبر انه ارسل نوحا وابرهيم
وجعل النبوة في نسلهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اى جعلنا بعض ذريتهما
الانبيا وبعضهما امما يتلون الكتاب المنزل من السماء التورية والانجيل والزبور والفرقان
وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم فمنهم من اى انتم بابرهيم ونوح مهتد وقيل فمنهم
مهتد اى من ذريتهما مهتدون وكثير منهم فاسقون كافرون خارجون عن الطاعة
قوله تعالى **ثم قفينا على آثارهم برسلنا** فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى قفينا
اى اتبعنا على آثارهم اى على آثار الذرية وقيل على آثار نوح وابرهيم برسلنا موسى والياس
وداود وسليمان ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى بن مريم فهو من ذرية ابرهيم من
جهة امه واتيناه الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد تقدم اشتقاقه في اول
سورة آل عمران الثانية قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه يعني
الحواريين واتباعهم رافة ورحمة اى مودة فكان يواد بعضهم بعضا وقيل هذا اشارة
الى انهم امروا في الانجيل بالصلح وترك ايذاء الناس والان الله قلوبهم لذلك بخلاف
اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه والرافة اللين والرحمة الشفقة
وقيل الرافة تخفيف الكل والرحمة حمل الثقل وقيل الرافة اشد الرحمة وتم الكلام
ثم قال ورهبانية ابتدعوها اى من قبل انفسهم والاحسن ان تكون الرهبانية منصوبة
باضمار فعل قال ابو علي وابتدعوها رهبانية ابتدعوها وقال الزجاج اى ابتدعوها رهبانية
كما تقول رايت زيدا وعمرا اكلمت وقيل انه معطوف على الرافة والرحمة والمعنى على هذا
ان الله تعالى اعطاهم اياها فغيروا وابتدعوا فيها قال الماوردي وفيها قراءتان احدهما
بفتح الراء وهي الخوف من الرهب الثانية بضم الراء وهي منسوبة الى الرهبان كالـ
الرضوانية من الرضوان وذلك لانهم حملوا على انفسهم المشقات في الامتناع من
المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع وذلك ان ملوكهم غيروا وبدلوا
وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا
المحارم ثلثمايه سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم فقال
قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم فاعتزلوا الناس
واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع
وفي خبر مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال ما كتبناها عليهم اى ما فرضناها عليهم
ولا امرناهم بها قاله ابن زيد وقوله الا ابتغاء رضوان الله اى ما امرناهم الا بما يرضي
الله قاله ابن مسلم وقال الزجاج ما كتبناها عليهم معناه لم نكتب عليهم شيا البتة
ويكون الا ابتغاء رضوان الله بدلا من الهاء والالف في كتبناها والمعنى ما كتبنا

عليهم الا ابتغاء رضوان الله وقيل الا ابتغاء استثناء منقطع والتقدير ما كتبناها
عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اى ما قاموا بها حق القيام
وهذا خصوص لان الذين لم يرعوها بعض القوم وانما تسببوا بالترهب الى طلب ط
الرياسة على الناس واكل اموالهم كما قال تعالى ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل وهذا فى قوم اداهم الترهب الى طلب الرياسة فى اخر الامر
وروى سفيان الثورى عن عطاء ابن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
فى قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها قال كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التورية والانجيل
وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التورية والانجيل ويدعون الى دين الله فقال اناس
لملوكهم لو قتلت هذه الطايفة فقال المؤمنون نحن نكفيكم انفسنا فطايفة قالت
ابنوا لنا اسطوانة ارفعونا فيها واعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد
عليكم وطايفة قالت دعونا نهيم فى الارض ونسيح ونشرب كما تشرب الوحوش
فى البرية فان قدرتم علينا فاقتلونا وطايفة قالت ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر
الابار ونحترث البقول فلا تروننا وليس احد من اولئك الا وله حميم منهم ففعلوا
فمضى اولئك على مناهج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فقالوا
نسيح ونتعبد كما تعبد اولئك وهم على شركهم لا علم لهم بايمان من تقلدوا من الذين اقتدوا
بهم فذلك قوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله الاية
يقول ابتدعوها هؤلاء الصالحون فما رعوها المتأخرون فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم
يعنى الذين ابتدعوها اولا ورعوها وكثير منهم فاسقون يعنى المتأخرون فلما بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل جاؤا من الكهوف والصوامع والغيران فامنوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم الثالثة هذه الاية دالة على ان كل محدث بدعة فينبغى لمن ابتدع
خيرا ان يدوم عليه ولا يعدل عنه الى ضده فيدخل فى الاية وعن ابى امامة الباهلى واسمه
صدى بن عجلان قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم انما كتب عليكم الصيام
فدوموا على القيام اذ فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بنى اسرايل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله
عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله بتركها فقال ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها الرابعة وفى
الاية دليل على العزلة عن الناس فى الصوامع والبيوت وذلك مندوب اليه عند فساد
الزمان وتغير الاصدقاء والاخوان وقد مضى بيان هذا فى سورة الكهف مستوفى وفى
مسند احمد بن حنبل من حديث ابى امامة الباهلى رضى الله قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شئ من ماء فحدث نفسه
بان يقيم فى ذلك الغار فيقوته ما كان فيه شئ من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى
من الدنيا قال لو انى اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان اذن لى فعلت

والا

والا لم افعل فاتاه فقال يا نبى الله انى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل فحدثتنى نفسى
بان اقيم فيه واتخلى من الدنيا قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى لم ابعث باليهودية
ولا النصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة او روحة
فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم فى الصف خير من صلاته ستين
سنة وروى الكوفيون عن ابن مسعود قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرى
اى الناس اعلم قال قلت الله ورسوله اعلم قال اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف
الناس وان كان مقصرا فى العمل وان كان يزحف على استه هل تدرى من اين اتخذ
بنى اسرايل الرهبانية ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصى الله فغضب
اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا
ان افنونا لم يبق للدين احد يدعوا اليه فتعالوا نفترق فى الارض الى ان يبعث الله النبى
الذى وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال واحدثوا
رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر وتلا ورهبانية الاية اتدرى
ما رهبانية امتى الهجرة والجهاد والصوم والصلوة والحج والعمرة والتكبير
على التلاع يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم من اليهود على احدى وسبعين
فرقة فنجا منها فرقة وهلك سايرهم واختلف من كان قبلكم من النصارى على اثنين
وسبعين فرقة فنجا منها ثلاثة وهلك سايرها فرقة وازت الملوك وقاتلتهم على دين
الله ودين عيسى بن مريم فاخذهم الملوك وقتلتهم وقطعتهم بالمناشير وفرقة لم تكن
لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بان يقيموا بين ظهرانى قومهم فيدعوهم الى دين طهرا ط
الله ودين عيسى فساحوا فى الجبال وترهبوا فيها وهى التى قال الله فيهم ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الاية فمن امن بى واتبعنى وصدقنى فقد رعاها
حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الفاسقون يعنى الذين تهودوا وتنصروا
وقيل هؤلاء الذين ادركوا محمدا عليه السلام فلم يؤمنوا به فهم الفاسقون وفى
الاية تسلية للنبى عليه السلام اى ان الاولين اصروا على الكفر ايضا فلا تعجب
من اهل عصرك ان اصروا على الكفر قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا**
الله اى امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وامنوا بمحمد عليه السلام يؤتكم
كفلين من رحمته اى مثلين من الاجر على ايمانهم بعيسى وبمحمد صلى الله عليهما وهذا مثل
قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقد تقدم القول فيه والكفل الحظ
والنصيب وقد مضى فى النساء وهو فى الاصل كساء يكتفل به الراكب فيحفظه
من السقوط قاله ابن جريج ونحوه قال الازهرى قال اشتقاقه من الكساء الذى
يحويه راكب البعير على سنامه اذا ارتدفه لئلا يسقط فتأويله يؤتكم نصيبين
يحفظانكم من هلكة المعاصى كما يحفظ الكفل الراكب وقال ابو موسى الاشعرى

صح قتلوا وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك فاقاموا
بين ظهرانى قومهم فدعوهم الى دين الله ودين عيسى
صح

كفلين ضعفين بلسان الحبشه وعن ابن زيد كفلين اجر الدنيا والآخرة وقيل لما نزلت
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا افتخر مؤمنوا اهل الكتاب على اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية ان الحسنة
انما لها من الاجر مثل واحد فقال الحسنة اسم عام ينطلق على كل نوع من الايمان و
ينطلق على عمومه فان انطلقت الحسنة على نوع واحد فليس له عليها من الثواب الا مثل
واحد وان انطلقت على حسنة مشتملة على نوعين كان الثواب عليها مثلين بدليل
هذه الآية فانه قال كفلين من رحمته والكفل النصيب كالمثل فجعل لمن اتقى الله
وامن برسوله نصيبين نصيبا لتقوى الله ونصيبا لايمانه برسوله فدل على ان الحسنة
التي جعل لها عشر هي التي جمعت عشرة انواع من الحسنات وهو الايمان الذي جمع الله
تعالى في صفته عشرة انواع لقوله سبحانه ان المسلمين والمسلمات الآية بكمالها فكانت
هذه الانواع العشرة هي التي ثوابها امثالها فيكون لكل نوع منها مثل وهذا تأويل
فاسد لخروجه عن عموم الظاهر في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها بما لا
يحتمله تخصيص العموم لان ما جمع عشر حسنات فليس تجزى عن كل حسنة الا بمثلها
وبطل ان يكون جزاء الحسنة عشر امثالها والاخبار داله عليه وقد تقدم ذكرها
ولو قال كما ذكر لما كان بين السيئة والحسنة فرقان ويجعل لكم نورا اي بيانا وهدى عن
مجاهد وقال ابن عباس هو القرآن وقيل ضياء تمشون به في الآخرة على الصراط وفي
القيامة الى الجنة وقيل تمشون به في الناس تدعونهم الى الاسلام فتكونوا رؤسا
في دين الاسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم كانوا خافوا ان تزول
رياستهم لو امنوا بمحمد عليه السلام وانما كان تفوتهم اخذ رشوة يسيره من الضعفه
بتحريف احكام الله لا الرياسة الحقيقيه في الدين ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
رحيم قوله تعالى **لئلا يعلم اهل الكتاب** اي ليعلموا ان لا صلة زايدة
موكدة قاله الاخفش وقال الفراء معناه لان يعلم ولا صلة زايدة موكدة في كل
كلام دخل عليه جحد قال قتادة حسد اهل الكتاب المسلمين فنزلت لئلا يعلم
اهل الكتاب اي لان يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله
وان الفضل بيد الله وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان تخرج منا نبي يقطع
الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا فنزلت لئلا يعلم اي ليعلم اهل
الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله يعني انهم لا يقدرون كقوله لا يرجع
اليهم قولا وعن الحسن ليلا يعلم اهل الكتاب وروى ذلك ابن مجاهد وروى
قطرب بكسر اللام واسكان الياء وفتح لام الجر لغة معروفة ووجه اسكان الياء
ان همزة ان حذفت فصارت لن فادغمت النون في اللام فصار للا فلما اجتمعت
اللامات ابدل الوسطى منها ياء كما قالوا في اما ايما وكذلك القول في قراءة من قرأ ليلا

بكسر اللام

بكسر اللام الا انه ابقى اللام على اللغة المشهورة فيها فهو اقوى من هذه الجهة وعن ابن مسعود
لكيلا يعلم وعن حطان بن عبد الله لان يعلم وعن عكرمة ليعلم وهو خلاف المرسوم
من فضل الله قيل الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم الله التي لا تحصى
وان الفضل بيد الله ليس بايديهم فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل
وان الفضل بيد الله اي هو له يؤتيه من يشاء وفي البخاري حدثنا الحكم ابن نافع حدثنا شعيب
عن الزهري اخبرني سالم بن عبد الله ان عبد الله ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو قائم على المنبر انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب
الشمس اعطى اهل التورية فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا
ثم اعطى اهل الانجيل فعملوا به حتى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم
اعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل
التورية ربنا هؤلاء اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم من شيء قالوا لا قال فذلك
فضلي اوتيه من اشاء في رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث

سورة المجادلة مدنية في قول الجميع

في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعها
بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله** فيه
مسئلتان الاولى التي اشتكت هي خوله بنت ثعلبه وقيل بنت حكيم وقيل اسمها جميله وخوله اصح
وزوجها اوس ابن الصامت اخو عباده ابن الصامت وقد مر بها عمر بن الخطاب في خلافته
والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم
قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت
ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف
لهذه العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستني من اول النهار الى آخره لا زلت الا للصلوة
المكتوبة اتدرون ما هذه العجوز هي خوله بنت ثعلبه سمع الله قولها من فوق سبع سموات
ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وقالت عايشه تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني لاسمع
كلام خوله بنت ثعلبه ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني
اللهم اني اشكو اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها وتشتكي الى الله خرجه ابن ماجه في السنن والذي في البخاري من هذا عن عايشه
قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادله تشكو الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا في ناحية البيت ما اسمع ما يقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك

في زوجها وقال الماوردي هي خوله بنت ثعلبه وقيل بنت خويلد وليس هذا بمختلف لان
احدهما ابوها والاخر جدها فنسبت الى كل واحد منهما وزوجها اوس بن الصامت وقال الثعلبي
قال ابن عباس هي خوله بنت خويلد الخزرجيه كانت تحت اوس ابن الصامت اخو عباده ابن الصامت
وكانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجده فنظر عجيزتها فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها
فابت فغضب عليها قال عروه وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي
كظهر امي وكان الايلاء والظهار من الطلاق في الجاهليه فسالت النبي صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا ثم قالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي
وفراق زوجي وابن عمي وقد نفضت له بطني فقالت حرمت عليه فما زالت تراجعه وتراجعها حتى نزلت
الايه وروى الحسن انها قالت يا رسول الله قد نسخ الله سنن الجاهليه وان زوجي ظاهر مني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي في هذا شي فقالت يا رسول الله اوحي اليك في كل شي وطوي
عنك هذا فقال هو ما قلت لك فقالت الى الله اشكو لا الى رسوله فانزل الله تعالى قد سمع الله قول
التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الايه وروى الدارقطني من حديث قتاده ان انس بن
مالك حدثه قال ان اوس ابن الصامت ظاهر من امراته خويله بنت ثعلبه فشكت ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ظاهر حين كبرت سني ورق عظمي فانزل الله ايه الظهار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاوس اعتق رقبه قال ما لي بذلك يدان قال فصم شهرين متتابعين
قال اما اني اذا اخطاني ان اكل في اليوم ثلاث مرات يكل بصري قال فاطعم ستين مسكينا
فقال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصله قال فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسه
عشر صاعا حتى جمع الله له والله رحيم قال وكانوا يرون ان عنده مثلها وذلك لستين
مسكينا وفي الترمذي وسنن ابن ماجه ان سلمه ابن صخر البياضي ظاهر من امراته وان
النبي عليه السلام قال له اعتق رقبه قال فضربت صفحه عنقي بيدي فقلت لا والذي بعثك
بالحق ما اصبحت املك غيرها قال فصم شهرين قلت يا رسول الله وهل اصابني ما اصابني الا
في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا الحديث وذكر ابن العربي في احكامه روى ان خوله بنت
الدليج ظاهر منها زوجها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد حرمت عليه قالت الى الله اشكو حاجتي وعايشه تغسل
شق راسه الايمن ثم تحولت الى الشق الاخر وقد نزل عليه الوحي فذهبت ان تعود
فقالت عايشه اسكتي فانه قد نزل الوحي فلما نزل القران قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لزوجها اعتق رقبه قال لا اجد قال صم شهرين متتابعين قال ان لم اكل في اليوم ثلث
مرات خفت ان يعشو بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال فاعني فاعانه بشي
قال ابو جعفر النحاس اهل التفسير على انها خوله وزوجها اوس ابن الصامت واختلفوا
في نسبها فقال بعضهم هي انصاريه وهي بنت ثعلبه وقال بعضهم هي ابنه دليج وقيل هي
ابنه خويلد وقال بعضهم هي ابنه صامت وقال بعضهم هي امه كانت لعبد الله بن ابي

وهي التي انزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لانه يكرهها على الزنا وقيل هي ابنه
حكيم قال النحاس وهذا ليس بمتناقض يجوز ان تنسب مره الى ابيها ومره الى امها ومره الى
جدها ويجوز ان يكون ابيه كانت لعبد الله ابن ابي فقيل لها انصاريه بالولا لانه كان في
عداد الانصار وان كان من المنافقين الثانيه قرى قد سمع الله بالادغام وقد سمع الله
بالاظهار والاصل في السماع ادراك المسموعات وهو اختيار الشيخ ابي الحسن وقال ابن فورك
الصحيح انه ادراك المسموع وقال الحاكم ابو عبد الله في معنى السميع انه المدرك الاصوات
التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات
لا تخفى عليه وان كان غير موصوف بالحس المركب في الاذن كالاصم من الناس لما لم يكن
له هذه الحاسه لم يكن اهلا لادراك الصوت والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدره
والحيوه والاراده فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما وتشتكي واشتكى
بمعنى واحد وقرى تحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك اي تسائلك قوله تعالى
الذين يظهرون فيه ثلاث وعشرون مسله الاولى قرا ابن عامر وحمزه والكسائي
وخلف يظاهرون بفتح اليا وتشديد الظا والف وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو و
يعقوب يظهرون بحذف الالف وتشديد الها والظا وفتح اليا وقرا ابو العاليه وعاصم
وزر بن حبيش يظاهرون بضم اليا وتخفيف الظا والف وكسر الها وقد تقدم هذا
في الاحزاب وفي قراه ابي يتظاهرون وهو معنى قراه ابن عامر وحمزه وذكر الظهر كنايه
عن معنى الركوب والادميه انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من
غير الادميات فانما يركب ظهره وكنى بالظهر عن المركوب ويقال نزل عن امراته اي طلقها
كانه نزل عن مركوب ومعنى انت علي كظهر امي اي انت علي محرمه لا يحل لي ركوبك
الثانيه حقيقه الظهار تشبيه ظهر بظهر والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل
بظهر محرم ولهذا اجمع الفقها على ان من قال لزوجته انت علي كظهر امي انه مظاهر واكثرهم
على انه ان قال لها انت علي كظهر ابنتي او اختي او غير ذلك من ذوات المحارم انه مظاهر وهو
مذهب مالك وابي حنيفه وغيرهما واختلف فيه عن الشافعي فروى عنه نحو قول مالك لانه
شبه امراته بظهر محرم عليه مويد كالام وروى عنه ابو ثور ان الظهار لا يكون الا بالام وحدها
وهو مذهب قتاده والشعبي والاول قول الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري الثالثه
اصل الظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وانما ذكر الله الظهر كنايه عن
البطن وسترا فان قال انت علي كامي ولم يذكر الظهر او قال انت علي مثل امي فان اراد
الظهار فله نيته وان اراد الطلاق كان مطلقا البته عند مالك وان لم يكن له نيه
في طلاق ولا ظهار كان مظاهرا ولا ينصرف صريح الظهار بالنيه الى الطلاق كما
لا ينصرف صريح الطلاق وكنايته المعروفه له الى الظهار وكنايه الظهار خاصه تنصرف
بالنيه الى الطلاق البت الرابعه الفاظ الظهار ضربان صريح وكنايه فالصريح انت

على كظهر امي وانت عندي وانت مني وانت معي كظهر امي وكذلك انت علي كبطن امي او كراسها او فرجها او نحوه وكذلك فرجك او راسك او ظهرك او بطنك او رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر هذه مثل قوله يدك او رجلك او راسك او فرجك طالق يطلق عليه وقال الشافعي في احد قوليه لا يكون طهارا وهذا ضعيف منه لانه قد وافقنا على انه يصح اضافة الطلاق اليه خلافا لابي حنيفه فصح اضافة الظهار اليه ومتى شبهها بامه او باحدى جداته من قبل ابيه وامه فهو ظهار بلا خلاف وان شبهها بغيرهن من ذوات المحارم التي لا تحل بحال كالبنت والاخت والعمة والخالة كان مظاهرا عند اكثر الفقهاء وعند الشافعي على الصحيح من المذهب على ما ذكرنا والكناية ان يقول انت علي كامي او مثل امي فانه يعتبر فيه النية وان اراد الظهار كان ظهارا وان لم ينو الظهار لم يكن مظاهرا عند الشافعي وابي حنيفه رحمهما الله وقد تقدم مذهب مالك في ذلك والدليل عليه انه اطلق تشبيه امراته بامه فكان ظهارا اصله اذا ذكر الظهر وهذا اقوى فان معنى اللفظ فيه موجود واللفظ بمعناه ولم يلزم حكم الظهر للفظه وانما لزمه بمعناه وهو التحريم قاله ابن العربي الخامسة اذا شبه جملة اهله بعضو من اعضاء امه كان ظهارا خلافا لابي حنيفه في قوله انه ان شبهها بعضو يحل له النظر اليه لم يكن مظاهرا وهذا لا يصح لان النظر اليه على طريق الاستمتاع لا يحل له وفيه التشبيه واياه قصد المظاهر وقد قال الشافعي في قول انه لا يكون ظهارا الا في الظهر وحده وهذا فاسد لان كل عضو منها محرم فكان التشبيه به ظهارا كالظهر ولان المظاهر انما يقصد تشبيه المحلل بالمحرم فلزم على المعنى السادسة ان شبه امراته باجنبيه فان ذكر الظهر كان ظهارا حملا على الاول وان لم يذكر الظهر فاختلف فيه علماؤنا فمنهم من قال يكون ظهارا ومنهم من قال يكون طلاقا وقال ابو حنيفه والشافعي لا يكون شيئا قال ابن العربي وهذا فاسد لانه شبه محللا من المراة بمحرم فكان مقيدا بحكمه كالظهر والاسماء بمعانيها عندنا وعندهم بالفاظها وهذا نقض الاصل منهم قال الشيخ المؤلف رحمه الله الخلاف في الظهار بالاجنبية قوي عند مالك واصحابه منهم من لا يرى الظهار الا بذات المحارم خاصة ولا يرى الظهار بغيرهن شيئا ومنهم من لا يجعله شيئا ومنهم من يجعله في الاجنبية طلاقا وهو عند مالك اذا قال كظهر ابني او غلامي او كظهر زيد او كظهر اجنبية ظهار لا يحل له وطؤها في حين يمينه وقد روي عنه ايضا ان الظهار بغير ذوات المحارم ليس بشيء كما قال الكوفي والشافعي وقال الاوزاعي لو قال لها انت علي كظهر فلان رجل فهو يمين يكفرها السابعة اذا قال انت حرام كظهر امي كان ظهارا ولم يكن طلاقا لان قوله انت حرام يحتمل التحريم بالطلاق فهي مطلقة ويحتمل التحريم بالظهار فلما صرح به كان تفسيرا لاحد الاحتمالين يقضى به فيه الثامنة الظهار لازم في كل زوجة مدخول بها او غير مدخول بها على اي الاحوال كانت من كل زوج يجوز طلاقه وكذلك عند مالك من يجوز له وطؤها من امائه اذا ظاهر منهن لزمه الظهار فيهن وقال ابو حنيفه والشافعي لا يلزم قال القاضي ابو بكر ابن العربي

وهي مسئلة

وهي مسئلة عسيرة جدا علينا لان مالكا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم فكيف يبطل فيها صريح التحريم ويصح كنايته لكن تدخل الامة في عموم قوله من نسائكم لانه اراد من محللاتكم والمعنى فيه انه لفظ يتعلق بالبضع دون رفع العقد فصح في الامة اصله الحلف بالله تعالى التاسعة ويلزم الظهار قبل النكاح اذا نكح التي ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند الشافعي وابي حنيفه لقوله تعالى من نسائهم وهذه ليست من نسائه وقد مضى اصل هذه المسئلة في سورة براءة عند قوله تعالى ومنهم من عاهد الله الاية العاشرة الذمي لا يلزم ظهاره وبه قال ابو حنيفه وقال الشافعي يصح ظهار الذمي ودليلنا قوله تعالى منكم يعني من المسلمين وهذا يقتضي خروج الذمي من الخطاب فان قيل هذا استدلال بدليل الخطاب قلنا هو استدلال بالاشتقاق والمعنى فان انكحة الكفار فاسدة مستحقة الفسخ فلا يتعلق بها حكم طلاق ولا ظهار وذلك لقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم واذا خلت الانكحة عن شروط الصحة فهي فاسدة ولا ظهار في النكاح الفاسد بحال الحادية عشر قوله تعالى **منكم** يقتضي صحة ظهار العبد خلافا لمن منعه وحكاه الثعلبي عن مالك لانه من جملة المسلمين واحكام النكاح في حقه ثابتة وان تعذر عليه العتق والاطعام فانه قادر على الصيام الثانية عشر قال مالك رحمه الله ليس على النساء تظاهر انما قال الله تعالى والذين يظهرون منكم من نسائهم ولم يقل اللاتي يظهرن منكن من ازواجهن انما الظهار على الرجال قال ابن العربي هكذا روي عن القاسم وسالم ويحيى ابن سعيد وربيعة وابي الزناد وهو صحيح معنى لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال ليس بيد المراة منه شيء وهذا اجماع قال ابو عمر ليس على النساء ظهار في قول جمهور العلماء وقال الحسن ابن زياد هي مظاهرة وقال الثوري وابو حنيفه ومحمد ليس ظهار المراة من الرجل بشيء قبل النكاح كان او بعده وقال الشافعي لا ظهار للمراة من الرجل وقال الاوزاعي اذا قالت المراة لزوجها انت علي كظهر ولانه فهي يمين تكفرها وكذلك قال اسحاق قال لا تكون امراة متظاهرة من رجل ولكن عليها يمين يكفرها وقال الزهري ارى ان يكفر كفارة الظهار ولا تحول قولها هذا بينها وبين زوجها ان يصيبها رواه عنه معمر وابن جريج عن عطا قال حرمت ما احل الله عليها كفارة يمين وهو قول ابي يوسف وقال محمد بن الحسن لا شيء عليها الثالثة عشرة من به لمم وانتظمت له في بعض الاوقات الكلم لزم ظهاره لما روي في الحديث ان خولة بنت ثعلبة وكان زوجها اوس بن الصامت وكان به لمم فاصابه بعض لممه فظاهر من امراته الرابعة عشر من غضب فظاهر من امراته او طلق لم يسقط غضبه حكمه وفي بعض طرق هذا الحديث قال يوسف بن عبد الله بن سلام حدثتني خولة امراة اوس بن الصامت قال كان بينه وبيني شيء فقال انت علي كظهر امي ثم خرج الى نادي قومه فقولها كان بيني وبينه شيء دليل على منازعة احرجته فظاهر منها والغضب لغو فلا يرفع حكما ولا يغير شرعا وكذا السكران وهي الخامسة عشر يلزمه حكم الظهار والطلاق في حال سكره اذا

عقل قوله ونظم كلامه لقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون على ما تقدم في النسآء بيانه
السادسة عشرة ولا يقرب المظاهر امراته ولا يباشرها ولا يتلذذ منها بشي حتى يكفر خلافا
للشافعي في احد قوليه لان قوله انت علي كظهر امي يقتضي تحريم كل استمتاع بلفظه ومعناه
فان وطيها قبل ان يكفر وهي السابعة عشرة استغفر الله وامسك عنها حتى يكفر كفارة
واحدة وقال مجاهد وغيره عليه كفارتان روى سعيد عن قتادة ومطر عن رجا بن حيوة
عن قبيصة بن ذويب عن عمرو بن العاص في المظاهر اذا وطي قبل ان يكفر عليه كفارتان
ومعمر عن قتادة قال قال قبيصة بن ذويب عليه كفارتان وروى جماعة من الايمة منهم
ابن ماجه والنسآء عن ابن عباس ان رجلا ظاهر من امراته فغشيها قبل ان يكفر فاتى النبي صلى
الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال ما حملك على ذلك قال يا رسول الله رايت بياض حجلها في ضوء
القمر فلم املك نفسي ان وقعت عليها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يقربها
حتى يكفر وروى ابن ماجه رحمه الله والدارقطني عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر انه ظاهر
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقع بامراته قبل ان يكفر فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر ذلك له فامره ان يكفر تكفيرا واحدا الثامنة عشرة اذا ظاهر من اربع نسوة
في كلمة واحدة لقوله انتن علي كظهر امي كان مظاهرا من كل واحدة منهن ولم يجز له وطء
احداهن واجزته كفارة واحدة وقال الشافعي يلزمه اربع كفارات وليس في الاية
دليل على شي من ذلك لان لفظ الجمع انما وقع في عامة المومنين والمعول على المعنى وقد روى
الدارقطني عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب يقول اذا كان تحت الرجل اربع نسوة
فظاهر منهن يجزيه كفارة واحدة فان ظاهر منهن واحدة بعد اخرى لزمه في كل واحدة
منهن كفارة وهذا اجماع التاسعة عشرة وان قال لاربع نسوة ان تزوجتكن فانتن
علي كظهر امي فتزوج احداهن لم يقربها حتى يكفر ثم قد سقط عنه اليمين في سايرهن وقد
قيل لا يطأ البواقي منهن حتى يكفر والاول هو المذهب الموفيه عشرين وان قال لامراته
انت علي كظهر امي وانت طالق البتة لزمه الطلاق والظهار معا ولم يكفر حتى ينكحها بعد
زوج ولا يطاها اذا نكحها حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي كظهر امي لزمه
الطلاق ولم يلزمه الظهار لان المبتوتة لا يلحقها طلاق الحادية والعشرون قال بعض
العلمآء لا يصح ظهار غير المدخول بها وقال المزني لا يصح الظهار من المطلقة الرجعية وهذا
ليس بشي لان احكام الزوجية في الموضعين ثابتة وكما يلحقها الطلاق كذلك يلحقها الظهار
قياسا ونظرا والله اعلم الثانية والعشرون ما هن امهاتهم اي ما نسآوهم بامهاتهم
وقرآة العامة امهاتهم بخفض التآء على لغة اهل الحجاز لقوله ما هذا بشرا وقرا ابو معمر
والسلمي وغيرهما امهاتهم بالرفع على لغة تميم قال الفرا اهل نجد وبنو تميم يقولون
ما هذا بشر وما هن امهاتهم بالرفع ان امهاتهم الا اللاي ولدنهم اي ما امهاتهم الا الوالدات
وفي المثل ولدك من دمى عقبيك وتقدم القول في اللاي في الاحزاب الثالثة والعشرون

قوله تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا اي فظيعا من
القول لا يعرف في الشرع والزور الكذب وان الله لعفو غفور اذ جعل الكفارة عليهم
مخلصة لهم عن هذا القول المنكر قوله تعالى والذين يظهرون من نسايهم
فيه اثنتا عشرة مسلة الاولى قوله تعالى والذين يظهرون من نسايهم هذا ابتدآء والخبر
فتحرير رقبة وحذف عليهم لدلالة الكلام عليه اي فعليهم تحرير رقبة وقيل اي
فكفارتهم عتق رقبة والمجتمع عليه عند العلمآء في الظهار قول الرجل لامراته انت علي كظهر
امي وهو قول المنكر والزور الذي عنى الله بقوله وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا
فمن قال هذا القول حرم عليه وطي امراته فمن عاد لما قال لزمه كفارة الظهار لقوله
عز وجل والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة وهذا يدل على ان
كفارة الظهار لا يلزم بالقول خاصة حتى ينضم اليها العود وهذا حرف مشكل اختلف الناس
فيه على اقوال سبعة الاول انه العزم على الوطء وهو مشهور قول العراقيين ابي حنيفة واصحابه
وروى عن مالك فان عزم على وطيها كان عودا وان لم يعزم لم يكن عودا الثاني العزم على
الامساك بعد التظاهر منها قاله ملك الثالث العزم عليها وهو قول ملك في موطيه قال مالك في
قول الله عز وجل والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا قال سمعت ان تفسير
ذلك ان يظاهر الرجل من امراته ثم يجمع على اصابتها وامساكها فان اجمع على ذلك فقد
وجبت عليه الكفارة وان طلقها ولم يجمع بعد تظاهره منها على امساكها واصابتها فلا
كفارة عليه قال مالك وان تزوجها بعد ذلك لم يمسها حتى يكفر كفارة المظاهر القول الرابع
انه الوطء نفسه فان لم يطأ لم يكن عودا قاله الحسن ومالك ايضا الخامس قال الشافعي هو
ان يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق لانه لما ظاهر قصد التحريم فان
وصل به الطلاق فقد جرى على خلاف ما ابتداه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه وان
سكت عن الطلاق فقد عاد الى ما كان عليه فيجب عليه الكفارة السادس ان الظهار
يوجب تحريما لا يرفعه الا الكفارة ومعنى العود عند القايلين بهذا انه لا يستبيح وطيها
الا بكفارة يقدمها قاله ابو حنيفة واصحابه والليث بن سعد السابع هو تكرير الظهار
بلفظه وهذا قول اهل الظاهر النافين للقياس قالوا اذا كرر اللفظ بالظهار فهو
العود وان لم يكرر فليس بعود ويسند ذلك الى بكير بن الاشج والى العالية وابي حنيفة
ايضا وهو قول الفرا قال ابو العالية وظاهر الاية يشهد له لانه قال ثم يعودون
لما قالوا اي الى قول ما قالوا وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل والذين
يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا هو ان يقول لها انت علي كظهر امي فاذا
قال لها ذلك فليست تحل له حتى يكفر كفارة الظهار قال ابن العربي فاما القول
بان العود الى لفظ الظهار فهو باطل قطعا لا يصح عن بكير وانما يشبه ان يكون
من جهالة داود واشياعه وقد رويت قصص المتظاهرين وليس في ذكر الكفارة

عليهم ذكر يعود القول منهم وايضا فان المعنى ينقضه لان الله تعالى وصفه بانه منكر
من القول وزور فكيف يقال اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليك
الكفارة وهذا لا يعقل الا ترى ان كل سبب يوجب الكفارة لا يشترط فيه الاعادة
من قتل ووطى في صوم وغيره قال الشيخ المولف رحمه الله قوله يشبه ان يكون من
جهالة داود واشياعه جهل منه عليه وقد قال بقول داود من ذكرناه عنهم واما قول الشافعي
بانه ترك الطلاق مع القدرة عليه فينقضه ثلثة امور احدهات الاول انه قال ثم وهذا
يظاهر يقتضي التراخي الثاني ان قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل من جهته ومرور الزمان
ليس بفعل منه الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي البقاء على الملك فلم يسقط حكم
الظهار كالايلا فان قيل فاذا راها كالام لم يمسكها اذ لا يصح امساك الام بالنكاح وهذه
عمدة اهل ما وراء النهر قلنا اذا عزم على خلاف ما قال ورآها خلاف الام كفر وعاد الى
اهله وتحقيق هذا القول ان العزم قول نفسي وهذا رجل قال قولا اقتضى التحليل وهو النكاح
وقال قولا اقتضى التحريم وهو الظهار ثم عاد لما قال وهو التحليل ولا يصح ان يكون منه ابتدا
عقد لان العقد باق فلم يبق الا انه قول عزم يخالف ما اعتقده وقاله في نفسه من الظهار
الذي اخبر عنه بقوله انت علي كظهر امي واذا كان ذلك كفر وعاد الى اهله من قبل ان يتماسى
وهذا تفسير بالغ الثانية قال بعض اهل التاويل الاية فيها تقديم وتاخير والمعنى
والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون الى ما كانوا عليه من الجماع فتحرير رقبة لما قالوا
اي فعليهم تحرير رقبة من اجل ما قالوا فالجار في قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذي
هو خبر الابتدا وهو عليهم قاله الاخفش وقال الزجاج المعنى ثم يعودون الى ارادة
الجماع من اجل ما قالوا وقيل المعنى الذين كانوا يظهرون من نسائهم في الجاهلية
ثم يعودون لما كانوا قالوه في الجاهلية في الاسلام فكفارة من عاد ان يحرر رقبة الفرا
اللام بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عن ما قالوا ويريدون الوط وقال الاخفش لما قالوا والى
ما قالوا واحد واللام والى يتعاقبان قال الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال فاهدوهم الى
صراط الجحيم وقال بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح الثالثة قوله تعالى **فتحرير
رقبة** اي فعليه اعتاق رقبة يقال حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة يجب ان
تكون كاملة سليمة من كل عيب ومن كمالها اسلامها عند مالك والشافعي كالرقبة
في كفارة القتل وعند ابي حنيفة واصحابه تجزي الكافرة ومن فيها شعبة رق كالمكاتبة وغيرها
الرابعة فان اعتق نصفي عبدين فلا تجزيه عندنا ولا عند ابي حنيفة وقال الشافعي
تجزيه لان نصف العبدين في معنى العبد الواحد ولان الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز
ان يدخلها التبعيض والتجزي كالاطعام ودليلنا فتحرير رقبة وهذا الاسم عبارة عن
شخص واحد وبعض الرقبة ليس برقبة وذلك مما لا تدخله التلفيق لان العبادة المتعلقة
بالرقبة لا يقوم النصف من رقبتين مقامها اصله اذا اشتركا رجلان في اضحيتين ولانه

قوله تعالى صح

لوامر

لو امر رجلين ان يحجا عنه حجة لم يجز ان يحج واحد منهما كذلك هذا ولانه لو اوصى
بان يشتري رقبة فيعتق عنه لم يجز ان يعتق عنه نصف عبدين كذلك في مسئلتنا
وبهذا يطرد بالهم والاطعام وغيره لا يتجزى في الكفارة عندنا الخامسة قوله تعالى
من قبل ان يتماسا اي يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوط قبل التكفير فان وطي عصى
ولا يسقط عنه التكفير وحكي عن مجاهد انه اذا وطي قبل ان يشرع في التكفير لزمته
كفارة اخرى وعن غيره ان الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شي
اصلا لان الله سبحانه اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس فاذا اخرها حتى مس فقد فات
وقتها والصحيح ثبوت الكفارة لانه بوطيه ارتكب اثما فلم يكن ذلك مسقطا للكفارة
وياتي بها قضا كما لو اخر الصلوة عن وقتها وفي حديث اوس بن الصامت لما اخبر النبي عليه
السلم بانه وطي امراته امره بالكفارة وهذا نص وسوا كانت كفارة بالعتق او الصوم
والاطعام وقال ابو حنيفة ان كانت كفارته بالاطعام جاز ان يطا ثم يطعم فاما غير
الوط من القبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في قول اكثر العلماء وقاله الحسن وسفيان
وهو الصحيح من مذهب الشافعي وقيل كل ذلك محرم وكل معاني المسيس وهو قول مالك
واحد قولي الشافعي وقد تقدم السادسة قوله تعالى **ذلكم توعظون به**
اي تومرون به والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره السابعة من لم يجد الرقبة
ولا ثمنها او كان مالكا لها الا انه شديد الحاجة اليها لخدمته او كان مالكا لثمنها
الا انه يحتاج اليه لنفقة او كان له مسكن ليس له غيره ولا يجد شيا سواه فله ان
يصوم عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصوم وعليه العتق ولو كان محتاجا الى ذلك
وقال مالك من له دار وخادم لزمه العتق فان عجز عن الرقبة وهي الثامنة فعليه
صوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنايها بغير عذر استانفها وان افطر بعذر
من سفر او مرض فقيل يبني قاله ابن المسيب والحسن وعطا ابن ابي رباح وعمرو بن
دينار والشعبي وهو احد قولي الشافعي وهو الصحيح من مذهبه وقال مالك انه اذا
مرض في صيام كفارة الظهار بني اذا صح ومذهب ابي حنيفة انه يبتدي وهو احد
قولي الشافعي التاسعة اذا ابتدا الصيام ثم وجد الرقبة اتم الصيام واجزاه عند
مالك والشافعي لانه بذلك امر حتى دخل فيه ويهدم الصوم ويعتق عند ابي حنيفة و
اصحابه قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور ترى الدم قبل انقضايها فانها تستانف الحيض
اجماعا من العلماء واذا ابتدا سفرا في صيامه فافطر ابتدا الصيام عند مالك والشافعي
وابي حنيفة لقوله متتابعين ويبني في قول الحسن البصري لانه عذر وقياسا على
رمضان فان تخللها زمان لا يحل صومه في الكفارة كالعيدين وشهر رمضان انقطع
التتابع العاشرة وان وطي المظاهر في خلال الشهرين نهارا بطل التتابع في
قول الشافعي وليلا فلا يبطل لانه ليس محلا للصوم وقال مالك وابو حنيفة يبطل

بكل حال ووجب عليه ابتدا الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا وهذا الشرط
عايد الى جملة الشهرين والى ابعاضهما فاذا وطى قبل ان تكمل زيدا وكلم زيدا في الصلوة او قال
صل قبل ان تبصر زيدا فابصر في الصلوة لزمه استينافها لان هذه الصلوة ليست هي
الصلوة المامور بها كذلك هذا الحادية عشرة ومن تطاول مرضه طولا لا يرجى برؤه كان
بمنزلة العاجز من كبر وجاز له العدول عن الصيام الى الاطعام ولو كان مرضه مما يرجى
برؤه واشتدت حالته الى وطى امراته كان الاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام
ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزاه الثانية عشرة ومن تظاهر
وهو معسر ثم ايسر لم يجزه الصوم وان تظاهر وهو موسر ثم اعسر قبل ان يكفر صام
وانما ينظر الى حاله يوم يكفر ولو جامعها في عدمه وعسره فلم يصم حتى ايسر لزمه العتق
ولو ابتدا بالصوم ثم ايسر فان كان مضى من صومه صدر صالح نحو الجمعة وشبهها تمادى وان
اليوم واليومين ونحوها ترك الصوم وعاد الى العتق وليس ذلك بواجب عليه الا ترى انه
غير واجب من طر الماء عليه وهو قد دخل بالتيمم في الصلوة ان يقطع ويبتدي الطهارة
عند مالك الثالثة عشرة ولو اعتق رقبتين عن كفارتي ظهار او قتل او فطر في
رمضان واشرك بينهما في كل واحدة منهما لم يجزه وهو بمنزلة من اعتق رقبة واحدة
عن كفارتين وكذلك لو صام عنهما اربعة اشهر حتى يصوم عن كل واحدة شهرين
وقد قيل ان ذلك يجزيه ولو ظاهر من امراتين له فاعتق رقبة عن احداهما بغير عينها
لم يجز له وطى واحدة منهما حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عين الكفارة لاالاخرى
عن احداهما جاز له ان يطاها قبل ان يكفر الكفارة عن الاخرى ولو ظاهر من اربع
نسوة فاعتق عنهن ثلاث رقاب وصام شهرين لم يجز العتق ولا الصيام لانه
الحا صام عن كل واحدة خمسة عشر يوما فان كفر عنهن بالاطعام جاز ان يطعم
عنهن مايتي مسكين وان لم يقدر فرق بخلاف العتق والصيام لان صيام الشهرين
لا يفرق والاطعام يفرق والله اعلم

فصل

وفيه ست مسايل الاولى ذكر الله عز
وجل الكفارة هنا مرتبة فلا سبيل الى الصيام الا عند العجز عن الرقبة وكذلك لا سبيل
الى الاطعام الا عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق الصيام وجب عليه
اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم وان اطعم مدا
بمد هشام وهو مدان الا ثلث او اطعم مدا ونصفا بمد النبي صلى الله عليه اجزاه قال
ابو عمر بن عبد البر وافضل ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل
لم يقل في كفارة الظهار من اوسط ما تطعمون اهليكم فواجب قصد الشبع قال ابن
العربي وقال مالك في رواية ابن القاسم وابن عبد الحكم مد بمد هشام وهو الشبع
هاهنا لان الله تعالى اطلق الطعام ولم يذكر الوسط وقال في رواية اشهب مدان
بمد النبي صلى الله عليه وسلم قيل له الم تكن قلت مد هشام قال بلى ومدان

قبل تعضيهما فليس هو الصيام المامور
به فلزمه استينافه كما لو قال صل
صح

بمد النبي

بمد النبي صلى الله عليه وسلم احب الي وكذلك قال عنه ابن القاسم ايضا قال
الشيخ المولف رحمه الله وهي رواية ابن وهب ومطرف عن مالك انه يعطي مدين
لكل مسكين بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ومذهب
الشافعي وغيره مد واحد لكل مسكين لا يلزمه اكثر من ذلك لانه يكفر بالاطعام
ولم يلزمه صرف زيادة على المد اصله كفارة الفطار واليمين ودليلنا قوله تعالى
فاطعام ستين مسكينا واطلاق الاطعام يتناول الشبع وذلك لا يحصل بالعادة
بمد واحد الا بزيادة عليه وكذلك قال اشهب قلت لمالك اختلف الشبع عندنا وعندكم
قال نعم الشبع عندنا مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر لان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا لنا بالبركة دونكم فانتم تاكلون اكثر مما ناكل وقال ابو
الحسن القابسي انما اخذ اهل المدينة بمد هشام في كفارة الظهار لتغليظها على
المتظاهرين الذين شهد الله عليهم انهم يقولون منكرا من القول وزورا
قال ابن العربي وقع الكلام هاهنا في مد هشام كما ترون ووددت ان يهشم
الزمان ذكره ويمحى من الكتب رسمه فان المدينة التي نزل بها واستقر الرسول
ووقع عندهم الظهار وقيل لهم فيه فاطعام ستين مسكينا فهموا وعرفوا المراد
به وانه الشبع وقدره معروف عندهم متقرر لديهم وقد ورد ذلك الشبع
في الاخبار كثيرا واستمرت الحال على ذلك ايام الخلفاء الراشدين المهديين حتى
نفخ الشيطان في اذن هشام فراى ان مد النبي صلى الله عليه وسلم لا يشبعه
ولا مثله من حواشيه ونظرايه فسول له ان يتخذ مدا يكون فيه شبعه فجعله
رطلين وحمل الناس عليه فاذا ابتل عاد نحوا الثلاثة الارطال فغير السنة واذهب
محل البركة في مدهم وصاعهم مثل ما بارك لابرهيم قال صلى الله عليه وسلم حين دعا
لاهل المدينة ان يبقى لهم البركة في مدهم وصاعهم مثل ما بارك لابرهيم بمكة فكانت البركة
تجري بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مده فسعى الشيطان في تغيير هذه السنة
واذهاب هذه البركة فلم يستجب له في ذلك الا هشام فكان من حق العلماء ان يلغوا
ذكره ويمحوا رسمه او لم يغيروا امره واما ان يحيلوا على ذكره في الاحكام ويجعلوه
تفسيرا لما ذكر الله ورسوله بعد ان كان مفسرا عند الصحابة الذين نزل عليهم
فخطب جسيم ولذلك كانت رواية اشهب في ذكر مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم
في كفارة الظهار احب الينا من الرواية بانها بمد هشام الا ترى كيف نبه مالك
على هذا العلم بقوله الشبع عندنا بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم
اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا بالبركة وبهذا اقول فان العبادة اذا
اديت بالسنة فان كانت في البدن كان اسرع الى القبول وان كانت في المال
كان قليلها اثقل في الميزان وابرك في يد الاخذ واطيب في شدقه واقل افة في بطنه

واكثر اقامة لقلبه والله الموفق لارب غيره الثانية ولا يجزى عند مالك والشافعى ان يطعم اقل من ستين مسكينا وقال ابو حنيفة واصحابه ان اطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد اجزاه الثالثة قال القاضى ابو بكر ابن العربى من غريب الامر ان ابا حنيفة قال الحجر على الحر باطل واحتج بقوله تعالى فتحرير رقبة ولم يفرق بين السفيه والرشيد وهذا فقه ضعيف لا يناسب قدره فان هذه الاية عامة وقد كان القضا بالحجر فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشيا والنظر يقتضيه ومن كان عليه حجر الصغر والولاية وبلغ سفيها قد نهى عن دفع المال اليه كيف ينفذ فعله والخاص يقضى على العام فيه الرابعة وحكم الظهار عند بعض العلماء ناسخ لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا وقد روى معنى ذلك عن ابن عباس وابى قلابة وغيرهما الخامسة قوله تعالى **ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله** اى ذلك الذى وصفنا من التغليظ فى الكفارة لتؤمنوا اى لتصدقوا ان الله امر به وقد استدل بعض العلماء على ان هذه الكفارة ايمان بان الله سبحانه لما ذكرها واوجبها قال ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اى ذلك ليكونوا مطيعين لله تعالى واقفين عند حدوده لا يتعدوها فسمى التكفير لانه طاعة ومراعاة للحد ايمانا فثبت ان كل ما اشبهه فهو ايمان فان قيل معنى قوله ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اى لئلا تعودوا الى الظهار الذى هو منكر من القول وزور قيل له يجوز ان يكون هذا مقصودا والاول مقصودا فيكون المعنى ذلك لئلا تعودوا فتقولوا المنكر والزور بل يدعونهما طاعة لله سبحانه اذ كان قد حرمهما ولتجتنبوا المظاهر منها الى ان يكفروا اذ كان الله تعالى منع من مسيسها ويكفروا اذ كان الله امر بالكفارة والزم اخراجها منكم فتكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله لانها حدود تحفظونها وطاعات تؤدونها والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ايمان وبالله التوفيق السادسة قوله تعالى **وتلك حدود الله** اى بين معصيته وطاعته فمعصيته الظهار وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب اليم اى لمن يصدق باحكام الله عذاب جهنم قوله تعالى **ان الذين يحادون الله ورسوله** لما ذكر المؤمنين الموافقين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها والمحادة المعاداة والمخالفة فى الحدود وهو مثل قوله ان الذين يشاقون الله ورسوله وقيل يحادون الله اى اولياء الله كما فى الخبر من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وقال الزجاج المحادة ان يكون فى حد يخالف حد صاحبك واصلها الممانعة ومنه الحديد ومنه الحداد للبواب كبتوا قال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخزوا كما اخزى الذين من قبلهم وقال ابن زيد عذبوا وقال السدى لعنوا وقال الفراء اغيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر والمراد المشركون وقيل المنافقون كما كبت الذين من قبلهم وقيل كبتوا اى سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى للمؤمنين بالنصر واخرج الكلام بلفظ الماضى تقريبا للمخبر عنه

وقيل

وقيل هو بلغة مذحج وقد انزلنا آيات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا بهم وللكافرين عذاب مهين قوله تعالى **يوم نصب بعذاب مهين** او بفعل مضمر تقديره اذكر تعظيما لليوم يبعثهم الله جميعا اى الرجال والنساء يبعثهم من قبورهم فى حالة واحدة فينبئهم اى يخبرهم بما عملوا فى الدنيا احصاه الله عليهم فى صحايف اعمالهم ونسوه هم حتى ذكرهم به فى صحايفهم ليكون ابلغ فى الحجة عليهم والله على كل شئ شهيد مطلع وناظر لا يخفى عليه شئ قوله تعالى **الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فلا يخفى عليه سر ولا علانية ما يكون من نجوى** قراءة العامة بالياء لاجل الحايل بينهما وقرا ابو جعفر بن القعقاع والاعرج وابو حيوة وعيسى تكون بالتاء لتانيث الفاعل والنجوى السرار وهو مصدر والمصدر قد يوصف به يقال قوم نجوى اى ذو نجوى ومنه قوله تعالى واذ هم نجوى وقوله ثلاثة خفض باضافة النجوى اليها قال الفراء ثلاثة نعت للنجوى فانخفضت وان شئت اضفت نجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز وهى قراءة ابن ابى عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه قال الزمخشرى ويجوز رفع ثلاثة على البدل من موضع نجوى ثم قيل كل سرار نجوى وقيل النجوى ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئا ويتناجون به والسرار ما كان بين اثنين الا هو رابعهم يعلم ويسمع نجواهم يدل عليه افتتاح الاية بالعلم ثم ختمها بالعلم وقيل النجوى من النجوة وهو ما ارتفع من الارض فالمتناجيان يتخليان بسرهما كخلو المرتفع من الارض عما يتصل به والمعنى ان سمع الله محيط بكل كلام وقد سمع مجادلة المراة التى ظاهر منها زوجها ولا ادنى من ذلك ولا اكثر قرا سلام ويعقوب وابو العالية ونصر وعيسى بالرفع على موضع من نجوى قبل دخول من لان تقديره ما يكون نجوى ثلاثة ويجوز ان يكون مرفوعا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وقد مضى فى البقرة بيان هذا مستوفى وقرا الزهرى وعكرمة اكبر بالباء والعامة بالثاء وفتح الراء على اللفظ وموضعها جر وقال الفراء ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم قال المعنى غير مصمود والعدد غير مقصود لانه تعالى انما قصد وهو اعلم انه مع كل عدد قل او كثر يعلم ما يقولون سرا وجهرا فلا يخفى عليه خافية فمن اجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض وقيل معنى ذلك ان الله معهم بعلمه حيث كانوا من غير زوال ولا انتقال ونزل ذلك فى قوم من المنافقين كانوا فعلوا شيئا سرا فاعلم الله انه لا يخفى عليه ذلك قاله ابن عباس وقال قتادة ومجاهد نزلت فى اليهود ثم ينبئهم يخبرهم بما عملوا من حسن وسيى يوم القيمة ان الله بكل شئ عليم قوله تعالى **الم تر الى الذين نهوا عن النجوى**

فيه ثلاث مسايل الاول قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى قيل ان هذا في اليهود والمنافقين
حسب ما قدمناه وقيل في المسلمين قال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم وينظرون للمومنين ويتغامزون باعينهم فيقول المومنون لعلهم بلغهم عن اخواننا
وقرابتنا من المهاجرين والانصار قتل او مصيبة او هزيمة ويسوهم ذلك فكثرت شكواهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت وقال مقاتل كان بين
النبي صلى الله عليه وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المومنين تناجوا بينهم حتى
يظن المومن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وقال عبد الرحمن ابن زيد
ابن اسلم كان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيساله الحاجة ويناجيه والارض يوميذ حرب
فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون كذلك فنزلت الثانية روى
ابو سعيد الخدري قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح
يعني الدجال فرقا منهم فقال الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك
الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقرا حمزة وخلف ورويس عن يعقوب
وينتجون في وزن يفتعلون وهي قراءة عبد الله واصحابه وقرا الباقون ويتناجون في وزن
يتفاعلون واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله اذا تناجيتم وتناجوا النحاس وحكى سيبويه
ان تفاعلوا وافتعلوا ياتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا ويتقاتلوا واقتتلوا فعلى
هذا يتناجون وينتجون واحد ومعنى بالاثم والعدوان اي الكذب والظلم ومعصية الرسول
اي مخالفته وقرا الضحاك ومجاهد وحميد ومعصيات الرسول بالجمع الثالثة قوله تعالى
وَاِذَا جَاۤءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ لا خلاف بين النقلة ان
المراد بها اليهود كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يريدون
بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم
عليكم وفي رواية اخرى وعليكم قال ابن العربي وهي مشكلة وكانوا يقولون لو كان
محمد نبيا لما امهلنا الله بسبه والاستخفاف به وجهلوا ان الباري تعالى حليم لا يعاجل
من سبه وكيف من سب نبيه وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا احد
اصبر على الاذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم فانزل
الله تعالى كشفا لسرايرهم وفضحا لبواطنهم ومعجزة لرسوله وقد ثبت عن قتادة عن
انس ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه فقال السام عليكم
فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتدرون ما قال هذا قالوا الله ورسوله اعلم
قال قال كذا ردوه علي فردوه قال قلت السام عليكم قال نعم فقال نبي الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت وانزل الله
تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله قال الشيخ المولف رحمه الله خرجه

الترمذي فقال هذا حديث حسن صحيح وثبت عن عايشة انها قالت جاء ناس من اليهود
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقلت السام عليكم
وفعل الله بكم وفعل فقال عليه السلام يا عايشة فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش
فقلت يا رسول الله الست ترى ما يقولون فقال الست ترين ارد عليهم ما يقولون اقول
وعليكم ونزلت هذه الاية بما لم يحيك به الله اي ان الله سلم عليك وهم يقولون
السام عليك والسام الموت خرجه البخاري ومسلم بمعناه وفي الصحيحين من حديث انس
ابن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم كذا
الرواية وعليكم بالواو وتكلم عليها العلما لان الواو العاطفة يقتضي التشريك فيلزم منه ان يدخل
معهم فيما دعوا به علينا من الموت او من سامة ديننا وهو الملال يقال سيم يسام سامة
وساما فقال بعضهم الواو زايدة كما زيدت في قول الشاعر

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى — اي لما اجزنا انتحى فرا د

الواو وقال بعضهم هي للاستيناف كانه قال والسام عليكم وقال بعضهم هي على
بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم روى ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سلم ناس من يهود على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم قال وعليكم فقالت
عايشة وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب
عليهم ولا يجابون علينا خرجه مسلم ورواية الواو احسن معنى واثباتها اصح
رواية واشهر وقد اختلف في رد السلام على اهل الذمة هل هو واجب كالرد على
المسلمين واليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة للامر بذلك وذهب مالك فيما
روى عنه اشهب وابن وهب الى ان ذلك ليس بواجب فان رددت فقل عليك
وقد اختار ابن طاوس ان يقول في الرد عليهم علاك السلام اي ارتفع عنك واختار
بعض اصحابنا السلام بكسر السين يعني الحجارة وما قاله مالك اولى اتباعا للسنة والله
اعلم وروى مسروق عن عايشة قالت اتى النبي صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود
فقالوا السام عليك يا ابا القاسم قال وعليكم قالت عايشة قلت بل عليكم السام
والذام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة لا تكوني فاحشة فقالت ما
سمعت ما قالوا فقال اوليس قد رددت عليهم الذي قالوا قلت وعليكم في رواية
قال ففطنت بهم عايشة فسبتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا عايشة
فان الله لا يحب الفحش والتفحش وزاد فانزل الله تبارك وتعالى واذا جاوك
حيوك بما لم يحيك به الله الى اخر الاية الذام بتخفيف الميم هو العيب ومنه المثل
لا يعدم الحسنا ذاما اي عيبا ويهمز ولا يهمز يقال ذامه يذامه مثل ذات عليه يذاب
والمفعول مذموم مهموز اومنه مذوما مدحورا ويقال ذامه يذومه مخففا كرامه يرومه

قوله تعالى وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ قالوا لو كان محمد نبيًّا
لعذبنا الله بما يقول فهلّا يعذبنا الله وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام والسام
الموت فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل الكتاب
وكانوا يعلمون ان الانبيا قد يغضبون ولا يعاجل من يغضبهم بالعذاب حسبهم جهنم اى كافيهم
جهنم عقابا غدا وبيس المصير اى المرجع قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم نهى المومنين
ان يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم اى
تسارررتم فلا تتناجوا هذه قراءة العامة وقرا يحيى بن وثاب وعاصم ورويس عن يعقوب
تنتجوا من الانتجا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر اى بالطاعة والتقوى
اى بالعفاف عما نهى الله عنه وقيل الخطاب للمنافقين اى يا ايها الذين آمنوا بزعمهم وقيل
اى يا ايها الذين آمنوا بموسى واتقوا الله الذى اليه تحشرون تجمعون فى الاخرة قوله تعالى انما
النجوى من الشيطان الاية فيه مسئلتان الاولى قوله انما النجوى من الشيطان اى من
تزيين الشيطان ليحزن الذين امنوا اذا توهموا ان المسلمين اصيبوا فى السرايا او ان
دا وا اجتماعهم على مكايدة المسلمين وربما كانوا يناجون النبى صلى الله عليه وسلم
فيظن المسلمون انهم ينتقصونهم عند النبى صلى الله عليه وسلم وليس بضارهم اى التناجى شيئا
الا باذن الله اى بمشيته وقيل بعلمه وعن ابن عباس بامره وعلى الله فليتوكل المومنون اى يكلون
امرهم اليه ويفوضون جميع شونهم الى عونه ويستعيذون به من الشيطان ومن كل شر فهو
الذى سلط الشيطان على الوساوس ابتلا للعبد وامتحانا ولو شاء لصرفه عنه الثانية
فى الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان
دون الواحد وعن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يتناجى اثنان
دون الواحد حتى يختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين فى هذا الحديث غاية المنع وهو
ان يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر
يريد ان يناجيه فلم يناجيه حتى دعا رابعا فقال له وللاول تاخرا وناجى الرجل الطالب
للمناجاة خرجه الموطا وفيه ايضا التنبيه على التعليل بقوله من اجل ان يحزنه اى يقع فى نفسه
ما يحزن لاجله وذلك بان يقدر فى نفسه ان الحديث عنه بما يكره او انه لم يروه اهلا
ليشركوه فى حديثهم الى غير ذلك من القيات الشيطان واحاديث النفس وحصل ذلك
كله من بقايه وحده فاذا كان معه غيره امن ذلك وعلى هذا يستوى فى ذلك كل
الاعداد فلا يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى
فى حقه بل وجوده فى العدد الكثير امكن واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص الثلاثة
بالذكر لانه اول عدد يتاتى ذلك فيه المعنى وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال
واليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور وسوا كان التناجى فى مندوب او مباح او واجب
فان الحزن يقع به وقد ذهب بعض الناس الى ان ذلك كان فى اول الاسلام لان ذلك

كان

آمنوا م

كان حال المنافقين فيتناجى المنافقون دون المومنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك
وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفى المواضع التى لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما فى الحضر
وبين العمارة ولا فانه يجد من يغيثه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم المغيث
والله اعلم قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ
فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ فيه سبع مسايل الاولى لما بين ان اليهود يحيونه بما لم
يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب فى مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى لا يضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتالف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا
من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر اليه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون
فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقاله الضحاك وقال ابن عباس
المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد بن ابى حبيب كان النبى صلى الله
عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه على الصف الاول ولا يوسع بعضهم لبعض رغبة
فى القتال والشهادة فنزلت فتكون كقوله مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبى صلى الله عليه وسلم
فى الصفة وكان فى المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر
من المهاجرين والانصار فجاء ناس من اهل بدر فيهم ثابت بن قيس ابن شماس وقد سبقوا فى المجالس
فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم
فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم انت يا فلان وانت يا فلان
بعدد القايمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهية
فى وجوههم فغمز المنافقون وتكلموا بان قالوا ما انصف محمد هولاء وقد احبوا القرب منه
وسبقوا الى المكان فانزل الله هذه الاية تفسحوا اى توسعوا وفسح فلان لاخيه فى مجلسه
يفسح فسحا اى اوسع له ومنه قولهم بلد فسيح ولك فى كذا فسحة وفسح يفسح مثل منع يمنع اى وسع
فى المجلس وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اى صار واسعا ومنه مكان فسيح الثانية قرا السلمى
وزر بن حبيش وعاصم فى المجالس وقرا قتادة وداود ابن ابى هند والحسن باختلاف عنه اذا
قيل لهم تفاسحوا الباقون تفسحوا فى المجلس فمن جمع فلان ولان قوله تفسحوا ينبى ان لكل
واحد مجلسا ويجوز ان يراد مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وجمع لان لكل جالس مجلسا وكذلك ان
اريد به الحرب وكذلك يجوز ان اريد بالمجلس المفرد مجلس النبى صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يراد
به الجمع على مذهب الجنس كقولهم كثر الدينار والدرهم قال الشيخ المولف رحمه الله الصحيح فى الاية
انها عامة فى كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم
الجمعة وان كل واحد احق بمكانه الذى سبق اليه ولكن يوسع لاخيه ما لم يتاذى بذلك فيخرجه
الضيق عن موضعه رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل
الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقام الرجل
من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر يكره ان يقوم الرجل من مجلسه

ثم تجلس مكانه لفظ البخاري الثالثة اذا قعد واحد من الناس في موضع من المسجد لا يجوز لغيره
ان يقيمه حتى يقعد مكانه لما روى مسلم عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول
افسحوا فرع القاعد في المكان اذا قام حتى يقعد غيره موضعه نظر فان كان
الموضع الذي قام اليه مثل الاول في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان
ابعد من الامام كره له ذلك لان فيه تفويت حظه الرابعة اذا امر انسان انسانا
ان يبكر الى الجامع فياخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا جاء الآمر يقوم من الموضع لما
روى ان ابن سيرين كان يرسل غلامه الى مجلس له في يوم الجمعة فيجلس فيه فاذا جاء
قام له منه فرع وعلى هذا من ارسل بساطا او سجادة فتبسط له في موضع من المسجد
الخامسة روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قام
احدكم وفي حديث ابي عوانة من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو احق به قال علماؤنا
هذا يدل على صحة القول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه الى ان يقوم منه لانه
اذا كان اولى به بعد قيامه فقبله اخرى واولى وقد قيل ان ذلك على الندب لانه
موضع غير متملك لاحد لا قبل الجلوس ولا بعده وهذا فيه نظر وهو ان يقال سلمنا
انه غير متملك لكنه يختص به الى ان يفرغ غرضه منه فصار كانه يملك
منفعته اذ قد منع غيره من ان يزاحمه عليه السادسة قوله تعالى **يفسح الله لكم**
اي في قبوركم وقيل في قلوبكم وقيل يوسع عليكم في الدنيا والآخرة واذا قيل انشزوا
فانشزوا قرا نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما وكسر الباقون وهما لغتان مثل
يعكفون ويعرشون والمعنى انهضوا الى الصلوة والجهاد وعمل الخير قاله اكثر المفسرين
وقال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلوة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن
الصلوة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا اي انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد هذا
في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون آخر عهده بالنبي
صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل لكم انشزوا عن النبي صلى الله
عليه وسلم فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا وقال قتادة المعنى اجيبوا اذا دعيتم
الى امر معروف وهذا هو الصحيح لانه يعم والنشز الارتفاع ماخوذ من نشز الارض
وهو ارتفاعها يقال نشز ينشز وينشز اذا تنحى من موضعه اي ارتفع منه وامراة ناشز
متنحية عن زوجها واصل هذا من النشز والنشز هو ما ارتفع من الارض وتنحى
ذكره النحاس السابعة قوله تعالى **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات** اي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا فيرفع المؤمن على من
ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم وقال ابن مسعود مدح الله العلماء في هذه
الآية والمعنى انه يرفع الله الذين اوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات

اي درجات في دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقيل كان اهل الغنى يكرهون ان يزاحمهم
من يلبسون الصوف فيسبقون الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب لهم
وراى عليه السلام رجلا من الاغنياء يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقراء اراد
ان يجلس اليه فقال يا فلان اخشيت ان يتعدى غناك اليه او فقره اليك وبين
في هذه الآية ان الرفعة عند الله تعالى بالعلم والايمان لا بالسبق الى صدور المجالس
وقيل اراد بالذين اوتوا العلم الذين قرؤا القرآن وقال يحيى بن يحيى عن مالك يرفع الله
الذين آمنوا منكم الصحابة والذين اوتوا العلم درجات يرفع الله بها العالم والطالب
للحق قال الشيخ المؤلف رحمه الله والعموم اوقع في المسألة واولى بمعنى الآية فيرفع المؤمن
بايمانه اولا ثم بعلمه ثانيا وفي الصحيح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم
عبد الله بن عباس على الصحابة فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه وسالهم عن تفسير اذا
جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم وفي البخاري عن عبد الله بن عباس قال
قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس بن حصن
وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء اصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا
او شبابا الحديث وقد مضى في آخر الاعراف وفي صحيح مسلم ان نافع بن عبد الحارث
لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على اهل الوادي فقال ابن ابزى
قال ومن ابن ابزى قال مولى من موالينا قال فاستخلفت عليهم مولى قال انه قارئ
لكتاب الله وانه عالم بالفرائض قال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال
ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين وقد مضى اول الكتاب ومضى القول
في فضل العلم والعلماء في غير موضع في هذا الكتاب والحمد لله وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر
الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلاثة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك
فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وقد مضى القول في فضل العلم والعلماء في غير
موضع من هذا الكتاب والحمد لله قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم
الرسول** فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ناجيتم ساررتم قال ابن عباس
نزلت بسبب ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى شقوا عليه فاراد الله عز وجل ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم
فلما قال ذلك كف كثير من الناس ثم وسع الله عليهم بالآية التي بعدها وقال الحسن

القرآن

نزلت بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي عليه السلام يناجونه فظن بهم
قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم في النجوى فشق عليهم ذلك فامرهم الله بالصدقة
عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم نزلت بسبب ان المنافقين
واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه اذن يسمع كل ما
قيل له وكان لا يمنع احدا مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان
كان يلقي في انفسهم انهم ناجوه بان جموعا اجتمعت لقتاله قال فانزل الله تبارك وتعالى
يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول فلم ينتهوا
فانزل الله هذه الآية فانتهى اهل الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم
صدقة وشق ذلك على اهل الايمان وامتنعوا من النجوى لضعف مقدرة كثير منهم عن
الصدقة فخفف الله عنهم بما بعد الآية الثانية قال ابن العربي وفي هذا الخبر عن ما يدل
على ان الاحكام لا تترتب بسبب المصالح فان الله تعالى قال ذلك خير لكم واطهر ثم نسخه
مع كونه خيرا واطهر وهذا رد على المعتزلة عظيم في التزام المصالح لكن راوي الحديث
عن زيد بن عبد الرحمن وقد ضعفه العلماء والامر في قوله ذلكم خير لكم واطهر نص
متواتر في الرد على المعتزلة والله اعلم الثالثة روى الترمذي عن علي بن علقمة الانماري
عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة سألته قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار قلت لا يطيقونه
قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد فنزلت أأشفقتم
أن تقدموا بين يدي الله نجواكم صدقات الآية قال فبي خفف الله عن هذه الامة
قال ابو عيسى هذا حديث حسن من هذا الوجه ومعنى قوله شعيرة يريد وزن شعيرة
من ذهب قال ابن العربي وهذا يدل على مسئلتين حسنتين اصوليتين الاول نسخ العبادة
قبل فعلها والثاني النظر في المقدرات بالقياس خلافا لابي حنيفة قال الشيخ المؤلف
رحمه الله الظاهر ان النسخ انما وقع بعد فعل الصدقة وقد روى عن مجاهد ان اول
من تصدق في ذلك علي بن ابي طالب رضي الله عنه وناجى النبي صلى الله عليه وسلم
روى انه تصدق بخاتم وذكر القشيري وغيره عن علي رضي الله عنه قال في كتاب الله
آية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة كان لي دينار فبعته فكنت اذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد
فنسخت بالآية الاخرى أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات وكذلك قال ابن
عباس نسخها الله بالآية بعدها وقال ابن عمر لقد كانت لعلي ثلاثة لو كانت لي
واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم
خيبر وآية النجوى ذلكم خير لكم اي من امساكها واطهر لقلوبكم من المعاصي
فان لم تجدوا يعني الفقراء فان الله غفور رحيم قوله تعالى **أأشفقتم أن تقدموا**

بين يدي نجواكم صدقات فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى أأشفقتم استفهام معناه
التقرير قال ابن عباس أأشفقتم ابخلتم بالصدقة وقيل خفتم والاشفاق الخوف من المكروه
اي خفتم وبخلتم بالصدقة وشق عليكم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات قال مقاتل
ابن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان ذلك الا ليلة واحدة
وقال ابن عباس ما بقي الا ساعة من النهار حتى نسخ وكذا قال قتادة والله اعلم الثانية
قوله تعالى **فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم** اي نسخ ذلك الحكم وهذا خطاب
لمن وجد ما يتصدق به فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فنسخت فريضة الزكاة هذه الصدقة
وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل وما روى عن علي ضعيف لان الله تعالى قال فاذ لم
تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشيء والله اعلم واطيعوا الله في فرائضه ورسوله في
سننه والله خبير بما تعملون قوله تعالى **ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم**
قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود ما هم منكم ولا منهم يقول ليس المنافقون من اليهود
ولا من المسلمين بل هم مذبذبون بين ذلك وكانوا يحملون اخبار المسلمين اليهم قال السدي
ومقاتل نزلت في عبد الله بن ابي ونبتل المنافقين كان احدهم يجالس النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل
الآن عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق
اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال عليه السلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه
فنزلت هذه الآية وقال معناه ابن عباس روى عكرمة عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه اذ قال يجيئكم الساعة رجل ينظر اليكم بعيني شيطان
فنحن على ذلك اذ اقبل رجل ازرق فدعا به النبي صلى الله عليه فقال علام تسبني انت واصحابك
قال دعني اجيئك بهم فمر فجاء بهم فحلفوا جميعا انه ما كان من ذلك من شيء فانزل الله عز وجل
يوم يبعثهم الله جميعا الى قوله الخاسرون واليهود مذكورون في القرآن بغضب الله عليهم
اعد الله لهم اي لهؤلاء المنافقين عذابا شديدا في جهنم وهو الدرك الاسفل من النار
انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئست الاعمال اعمالهم اتخذوا ايمانهم جنة يستجنون بها من القتل
وقرا الحسن وابو العالية ايمانهم بكسر الهمزة هنا وفي المنافقين اي اقرارهم اتخذوه جنة
فآمنت السنتهم من خوف القتل وكفرت قلوبهم فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل وفي الآخرة
بالنار والصد المنع عن سبيل الله اي عن الاسلام وقيل في قتلهم بالكفر لما اظهروه
من النفاق وقيل بالقاء الاراجيف وتثبيط المسلمين عن الجهاد وتخويفهم قوله تعالى
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه شيئا وقال
مقاتل قال المنافقون ان محمدا يزعم انه ينصر يوم القيمة لقد شقينا اذا فوالله
لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا ان كانت قيامة فنزلت الآية

قوله تعالى **يوم يبعثهم الله جميعا** اى لهم عذاب مهين يوم يبعثهم فيحلفون له كما
يحلفون لكم اليوم وهذا امر عجيب وهو مخالطتهم باليمين غدا وقال صارت المعارف
ضرورية وقال بن عباس هو قولهم والله ربنا ما كان مشركين ويحسبون انهم على شئ بانكارهم
وحلفهم قال ابن زيد ظنوا انهم ينفعهم فى الاخرة وقيل يحسبون فى الدنيا انهم على شئ لانهم
فى الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال النبى صلى الله
عليه وسلم ينادى مناد يوم القيمة اين خصماء الله فيقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة
اعينهم مائل شدقهم لسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا
صنما ولا وثنا ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس صدقوا والله اتاهم الشرك من حيث
لا يعلمون ثم تلى ويحسبون انهم على شئ الا انهم هم الكاذبون هم والله القدرية ثلاثا
قوله تعالى **استحوذ عليهم الشيطان** اى غلب واستعلى اى بوسوسة فى الدنيا وقيل قوى
عليهم وقال المفضل احاط بهم ويحتمل رابعا اى جمعهم وضمهم يقال احوذ الشئ اى جمعه وضم
بعضه الى بعض واذا جمعهم فقد غلب وقوى عليهم واحاط بهم فانساهم ذكر الله اى
اوامره فى العمل بطاعته وقيل زواجره فى النهى عن معصيته والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة
ويكون بمعنى الترك والوجهان محتملان هنا اولئك حزب الشيطان اى طائفته ورهطه
الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فى بيعهم لانهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى
بالضلالة قوله تعالى **ان الذين يحادون الله ورسوله** تقدم فى اول السورة
اولئك فى الاذلين من جملة الاذلاء لا اذل منهم كتب الله لاغلبن اى قضى الله ذلك وقيل
كتب ذلك فى اللوح المحفوظ عن قتادة الفرا كتب بمعنى قال انا توكيد ورسلى من بعث
منهم بالحرب فان الرسول غالب بالحرب ومن بعث منهم بالحجة فانه غالب بالحجة قال مقاتل
قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله على
فارس والروم فقال عبد الله ابن ابى بن سلول اتظنون الروم وفارس بعض القرى التى غلبتم
عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان يظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن
انا ورسلى نظيره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان
جندنا لهم الغالبون قوله تعالى **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله** فيه مسئلتان الاولى لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر يوادون اى يحبون ويوالون من حاد الله ورسوله تقدم ولو كانوا
اباءهم قال السدى نزلت فى عبد الله ابن ابى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم
فشرب النبى صلى الله عليه وسلم ماء فقال له بالله يا رسول الله اما ابقيت فضلة من
شرابك اسقنيها اى لعل الله يطهر بها قلبه وافضل له فاتاه بها فقال له عبد الله ما
هذا فقال هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم جئتك بها لتشربها لعل الله
يطهر قلبك بها فقال له ابوه فهلا جئتنى ببول امك فانه اطهر منها فغضب وجاء

الى النبى

الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اما اذنت لى فى قتل ابى فقال النبى صلى الله عليه
وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وقال ابن جريج حدثت ان ابا قحافة سب النبى صلى الله عليه
وسلم فصكه ابو بكر ابنه صكة سقط منها على وجهه ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر
ذلك له فقال وفعلته لا تعد اليه فقال والذى بعثك بالحق لو كان السيف منى قريبا لقتلته فنزلت
وقال ابن مسعود نزلت فى ابى عبيدة ابن الجراح قتل اباه عبد الله ابن الجراح يوم احد وقيل
يوم بدر كان الجراح يتصدى لابى عبيدة وابو عبيدة يحيد عنه فلما اكثر قصد اليه ابو عبيدة
فقتله فانزل الله حين قتل اباه لا تجد قوما الاية قال الواقدى كذلك يقول اهل الشام ولقد
سألت رجالا من بنى الحارث ابن فهر فقالوا توفى ابوه من قبل الاسلام او ابناءهم يعنى ابا بكر
دعا ابنه عبد الله الى البراز يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا
بكر اما تعلم انك عندى بمنزلة السمع والبصر او اخوانهم يعنى مصعب ابن عمير قتل اخاه عبيد
بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص ابن هشام ابن المغيرة
يوم بدر وعليا وحمزة قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم بدر وقيل ان الاية نزلت فى حاطب
ابن ابى بلتعة لما كتب الى اهل مكة بمسير النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ما ياتى بيانه
اول الممتحنة ان شاء الله وبين ان الايمان يفسد بموالاة الكفار وان كانوا اقارب الثالثة
استدل مالك رحمه الله من هذه الاية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال اشهب عن
مالك لا تجالس القدرية وعادهم فى الله لقول الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله قال الشيخ المؤلف رحمه الله وفى معنى اهل القدر جميع
اهل الظلم والعدوان وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان
وعن عبد العزيز ابن ابى رواد انه لقى المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة فانى
وجدت فيما اوحى الى لا تجد قوما يؤمنون قوله تعالى **اولئك كتب فى قلوبهم
الايمان** اى خلق فى قلوبهم التصديق يعنى من لم يوال من حاد الله وقيل كتب اثبت
قاله الربيع ابن انس وقيل جعل لقوله فاكتبنا مع الشاهدين اى اجعلنا وقوله فساكتبها
للذين يتقون ويؤتون وقيل كتب اى جمع منه لكتابة اى لم يكونوا ممن يقول نؤمن ببعض
ونكفر ببعض وقراءة العامة بفتح الكاف من كتب ونصب النون من الايمان بمعنى
كتب الله وهو اجود لقوله وايدهم ويدخلهم وقرا ابو العالية وزر بن حبيش و
المفضل عن عاصم كتب على ما لم يسم فاعله الايمان برفع النون وقرا زر بن حبيش
وعشيراتهم بالف وكسر التاء على الجمع ورواها الاعشى عن ابى بكر عن عاصم وقيل كتب
فى قلوبهم اى على قلوبهم لقوله فى جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان
وايدهم قواهم ونصرهم بروح منه قال الحسن بنصر منه وقال الربيع ابن انس بالقران
وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة من الله وقال بعضهم ايدهم

بجبريل عليه السلام ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم
اى قبل اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم اولئك حزب الله هم المفلحون قال سعيد بن
ابى سعيد الجرجانى عن بعض مشيخته قال داود عليه السلام الاهى من حزبك وحول عرشك
فاوحى الله اليه يا داود الغاضة ابصارهم النقيه قلوبهم السليمه اكفهم اولئك حزبى
وحول عرشى

سورة الحشر مدنيه فى قول الجميع وهى اربعة وعشرون ايه

روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الحشر لم يبق شى من الجنه والنار والعرش والكرسى والسموات والارض والهوام
والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملايكه الا صلوا
عليه واستغفروا له فان مات من يومه او ليلته مات شهيدا خرجه الثعلبى وخرج
الثعالبى عن يزيد الرقاشى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا اخر سورة
الحشر الى اخرها لو انزلنا هذا القرآن على جبل فمات من ليلته مات شهيدا وروى الترمذى
عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلاث مرات
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرا ثلاث آيات من اخر سورة الحشر
وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات فى يومه مات شهيدا ومن
قراها حين يمسى فكذلك قال هذا حديث حسن غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم ۰ تقدم
هو الذى اخرج الذين كفروا فيه ثلاث مسايل الاول قال سعيد بن جبير قلت لابن
عباس سورة الحشر قال قل سورة النضير وهم رهط من اليهود من ذريه هارون
عليه السلام نزلوا المدينه فى فتن بنى اسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان من
امرهم ما نص الله الثانيه قوله تعالى لاول الحشر ۰ الحشر الجمع وهو على اربعة اوجه حشر
ان فى الدنيا وحشران فى الاخرة اما الذى فى الدنيا فقوله تعالى هو الذى اخرج الذين
كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر قال الزهرى كانوا من سبط لم يصبهم
جلاء وكان الله جل وعز كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم فى الدنيا وكان اول حشر
حشروا فى الدنيا الى الشام قال بن عباس وعكرمه من شك ان المحشر فى الشام فليقرا
هذه الايه وان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض
المحشر قال قتاده هذا اول الحشر قال بن عباس هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج
من داره وقيل انهم اخرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر اخراجهم من حصونهم الى
خيبر واخره اخراج عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى نجد واذرعات وقيل تيما
واريحا وذلك بكفرهم ونقض عهدهم واما الحشر الثانى فحشرهم قرب القيامة قال
قتادة تاتى نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث

قالوا وتاكل منهم من تخلف وهذا ثابت فى الصحيح وقد ذكرناه فى التذكره ونحوه روى ابن
وهب عن مالك قال قلت لمالك هو جلاؤهم من ديارهم فقال الحشر يوم القيمة حشر اليهود
قال واجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى خيبر حين سيلوا عن المال وكتموه
فاستحلهم بذلك قال ابن العربى للحشر اول ووسط واخر فالاول اجلاء بنى النضير والاوسط
اجلاء خيبر والاخر حشر القيمه وعن الحسن هم بنو قريظه وخالفه بقيه المفسرين
وقالوا بنو قريظه ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبى الثالثه قال الكيا الطبرى ومصالحه
اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شى لا يجوز الان وانما كان ذلك فى اول الاسلام
ثم نسخ والان فلا بد من قتالهم وسبيهم او ضرب الجزيه عليهم قوله تعالى ما ظننتم
ان يخرجوا ۰ لعظم امر اليهود ومنعتهم وقوتهم فى صدور المسلمين واجتماع كلمتهم وظنوا
انهم مانعتهم حصونهم قيل هى الوطيح والنطاة والسلالم والكتايه من الله اى من امره
وكانوا اهل حلقه اى سلاح كثيرة وقصور منيعه فلم تغن عنهم شيا منها فاتاهم الله اى امره
وعذابه من حيث لم يحتسبوا اى لم يظنوا وقيل من حيث لم يعلموا وقيل من حيث لم يحتسبوا
بقتل كعب ابن الاشرف قاله ابن جريج والسدى وابو صالح قوله تعالى وقذف فى
قلوبهم الرعب ۰ اى الخوف بقتل سيدهم كعب ابن الاشرف وكان الذى قتله
محمد بن مسلمة وابو نايله سلكان ابن سلامه ابن وقش وكان اخا كعب ابن الاشرف
من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش والحارث ابن اوس ابن معاذ وابا عبس بن
جبر وخبره مشهور فى السيرة وفى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نصرت
بالرعب بين يدى مسيرة شهر فكيف لا ينصر به مسيرة ميل من المدينه الى محله بنى
النضير وهذه خصيص لمحمد صلى الله عليه وسلم دون غيره قوله تعالى
يخربون بيوتهم ۰ قراة العامه بالتخفيف من اخرب اى يهدمون وقرا السلمى
والحسن ونصر بن عاصم وابو العاليه وقتادة وابو عمرو يخربون بالتشديد من الخرب قال
ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشى خرابا بغير ساكن وبنو النضير
لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم يوبده قوله بايديهم وايدى المومنين وقال
الاخرون التخريب والاخراب بمعنى واحد والتشديد بمعنى التكثير وحكى سيبويه
ان معنى فعلت وافعلت يتعاقبان نحو اخربته وخربته وافرحته وفرحته واختار
ابو عبيده وابو حاتم الاولى قال قتادة والضحاك كان المومنون يخربون من
خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا به ما خرب من حصنهم فروى انهم
صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر
يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته الله فى التوريه لا ترد له رايه فلما هزم المسلمون
يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب ابن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكه فحالفوا عليه
قريشا عند الكعبه فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة ثم صبحهم

بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا
بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج
فدس اليهم عبد الله بن ابي المنافق واصحابه لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم
فنحن معكم لا نخذلكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها
احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين
طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ما ياتي بيانه وقال الزهري وابن زيد وعروة
ابن الزبير لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا
يستحسنون الخشبة والعمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على ابلهم ويخربون
المؤمنون باقيها وعن ابن زيد ايضا كانوا يخربونها لئلا يسكنها المسلمون بعدهم وقال
ابن عباس كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع موضع القتال وهم
ينقبون دورهم من ادبارها الى التي بعدها ليتحصنوا فيها ويرمون بالتي اخرجوا منها
المسلمين وقيل ليسدوا بها ازقتهم وقال عكرمة بايديهم في اخراب دواخلها وما فيها لئلا
ياخذه المسلمون وبايدي المؤمنين في اخراب ظاهرها ليصلوا بذلك اليهم قال عكرمة
كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين ان يسكنوها فخربوها من داخل وخربها
المسلمون من خارج وقيل يخربون بيوتهم بنقض المعاهدة وايدي المؤمنين بالمقاتلة قاله
الزهري ايضا وقال ابو عمرو بن العلاء بايديهم في تركهم لها وبايدي المؤمنين
في اجلائهم عنها قال ابن العربي التناول للافساد اذا كان باليد كان حقيقة واذا كان
بنقض العهد كان مجازا الا ان قول الزهري في المجاز امثل من قول ابي عمرو بن العلاء
قوله تعالى **فاعتبروا يا اولي الابصار** اي اتعظوا يا اصحاب العقول والالباب
وقيل يا من عاين ذلك ببصره فهو جمع للبصر ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا بالحصون
من الله فانزلهم الله منها ومن وجوهه ايضا انه سلط عليهم من كان ينصرهم ومن
وجوهه ايضا انهم هدموا اموالهم بايديهم ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه وفي
الامثال الصحيحة السعيد من وعظ بغيره قوله تعالى **ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء**
اي لولا انه قضى انه سيجليهم عن دارهم وانهم يبقون مدة فيؤمن بعضهم ويولد لهم من
يؤمن لعذبهم في الدنيا اي بالقتل والسبا كما فعل ببني قريظة والجلاء مفارقة الوطن يقال جلا
بنفسه جلاء واجلاه غيره اجلاء والفرق بين الجلاء والاخراج وان كان معناهما في الاجلاء
واحدا من وجهين احدهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع
بقاء الاهل والولد الثاني ان الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج يكون لواحد ولجماعة
قاله الماوردي قوله تعالى ذلك اي ذلك الجلاء بانهم شاقوا الله اي عادوه وخالفوا امره
ومن يشاق الله قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميقع ومن يشاقق الله باظهار التضعيف كالتي
في الانفال وادغم الباقون قوله تعالى **ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة**

على

على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى
ما قطعتم من لينة ما في محل نصب بقطعتم كانه قال اي شيء قطعتم وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما نزل على حصون بني النضير وهي البويرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم
احد امر بقطع نخيلهم واحراقها واختلفوا في عدد ذلك فقال الضحاك انهم قطعوا من نخيلهم
واحرقوا ست نخلات وحكى محمد بن اسحق انهم قطعوا نخله واحرقوا نخلة وكان ذلك عن
اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم او بامره اما لاضعافهم بها او لسعة المكان بقطعها فشق
ذلك عليهم فقالوا وهم يهود اهل الكتاب يا محمد الست تزعم انك نبي تريد الصلاح افمن
الصلاح قطع النخل وحرق الشجر وهل وجدت فيما انزل الله عليك اباحة الفساد في الارض
فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون في انفسهم حتى اختلفوا فقال بعضهم
لا تقطعوا مما افاء الله علينا وقال بعضهم اقطعوا لنغيظهم بذلك فنزلت الاية بتصديق
من نهى عن القطع وتحليل من قطع من الاثم واخبر ان قطعه وتركه باذن الله وقال
شاعرهم سماك اليهودي في ذلك
السنا ورثنا الكتاب الحكيم على عهد موسى ولم نصدف
وانتم رعاء لشاء عجاف بسهل تهامة والاخيف
ترون الرعاية مجدا لكم لدى كل دهر لكم مجحف
فيا ايها الشاهدون انتهوا عن الظلم والمنطق المؤنف
لعل الليالي وصرف الدهور يديل من العادل المنصف
بقتل النضير واجلائها وعقر النخيل ولم تخطف
فاجابه حسان بن ثابت
تفاقد معشر نصروا قريشا وليس لهم ببلدتهم نصير
هم اوتوا الكتاب فضيعوه وهم عمي عن التوراة بور
كفرتم بالقران وقد ابيتم بتصديق الذي قال النذير
وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير
واجابه ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب
ادام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير
ستعلم اينا منها بنزه وتعلم اي ارضينا تضير
فلو كان النخيل بها ركابا لقالوا لا مقام لكم فسيروا
الثانية كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في ربيع الاول اول السنة الرابعة
من الهجرة وتحصنوا منه في الحصون وامر بقطع النخل واحراقها وحينئذ نزل تحريم الخمر
ودس عبد الله بن ابي ابن سلول ومن معه من المنافقين الى بني النضير انا معكم وان قوتلتم
قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فاغتروا بذلك فلما جاءت الحقيقة خذلوهم واسلموهم
فالقوا بايديهم وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكف عن دمائهم ويجليهم على
ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا السلاح فاحتملوا كذلك الى خيبر ومنهم من سار
الى الشام وكان ممن سار منهم الى خيبر اكابرهم كحيي بن اخطب وسلام بن ابي الحقيق
وكنانة بن الربيع فدانت لهم خيبر الثالثة ثبت في صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير وحرق ولها يقول حسان وهان على
سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير وفي ذلك نزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها الاية
واختلف الناس في تخريب دار العدو وحرقها وقطع ثمارها على قولين الاول

ان ذلك جايز قاله في المدونه الثاني ان علم المسلمون ان ذلك لهم لم يفعلوا وان يئسوا فعلوا قاله مالك في الواضحه وعليه يناظر اصحاب الشافعي ابن العربي والصحيح الاول وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نخل بني النضير له ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكايه بهم ووهنا فيهم حتى يخرجوا عنها واتلاف بعض المال لصلاح باقيه مصلحه جايزه شرعا مقصوده عقلا الرابعه قال الماوردي ان في هذه الايه دليلا على ان كل مجتهد مصيب وقاله الكيا الطبري قال وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره فقط وقال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم الاذايه للكفار ودخولا في الاذن بالكل بما يقتضي عليهم بالاجتياح والبوار وذلك قوله وليخزي الفاسقين الخامسه واختلف في اللينه ما هي على اقوال عشره الاول النخل كله الا العجوه قاله الزهري ومالك وسعيد بن جبير وعكرمه والخليل وعن ابن عباس ومجاهد والحسن انها النخل كله ولم يستثنوا عجوه ولا غيرها وعن ابن عباس ايضا انها لون من النخل وعن الثوري انها كرام النخل وعن ابي عبيده انها جميع الوان التمر سوى العجوه والبرني وقال جعفر بن محمد انها العجوه خاصه وذكر ان العتيق والعجوه كانتا مع نوح عليه السلام في السفينه والعتيق الفحل وكانت العجوه اصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمره اللون تمره اجود التمر وهو شديد الصفره يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخله منها احب اليهم من وصيف وقيل هي النخله القريبه من الارض وانشد الاخفش قد شجاني الحمام حين تغنى بفراق الاحباب من فوق لينه وقيل ان اللينه الفسيله لانها الين من النخله ومنه قول الشاعر غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالاكام وقيل ان اللينه الاشجار كلها للينها بالحياه قال ذو الرمه طراق الخوافي واقع فوق لينه ندى ليله في ريشه يترقرق والقول العاشر انها الدقل قاله الاصمعي قال واهل المدينه يقولون لا تنتفخ الموايد حتى توجد الالوان يعنون الدقل قال ابن العربي والصحيح ما قاله الزهري ومالك لوجهين توجد الالوان يعنون الدقل قال ابن العربي والصحيح ما قاله الزهري احدهما انهما اعرف ببلدهما واشجارهما الثاني ان الاشتقاق يعضده واهل اللغه يصححونه فان اللينه وزنها لونه واعتلت على اصولهم فالت الى لينه فهي لونه فاذا دخلت الهاء كسر اولها كبرك الصدر بفتح الباء وبركه بكسرها لاجل الهاء وقيل لينه اصلها لونه فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وجمع اللينه لين وقيل ليان قال امرؤ القيس يصف عنق فرسه وسالفه كسحوق الليان اضرم فيها الغوي السعر وقال الاخفش انما سميت لينه اشتقاقا من اللون لا من اللين المهدوي واختلف في اشتقاقها فقيل هي من اللون

واصلها

واصلها لونه وقيل اصلها لينه من لان يلين وقرا عبد الله ما قطعتم من لينه ولا تركتم قوما على اصولها اي قائمه على سوقها وقرا الاعمش ما قطعتم من لينه ولا تركتم قوما على اصولها اي قائمه على سوقها وقرا الاعمش المعنى لم يقطعوها وقرئ قوما على اصلها وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل كرهن ورهن والثاني اكتفى فيه بالضمه عن الواو وقرئ قايما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله اي بامره وليخزي الفاسقين اي ليذل اليهود الكفار به وبينه وكبته

قوله تعالى **وما افاء الله على رسوله منهم** هذه الايه والتي بعدها الى قوله العقاب فيه عشر مسايل الاولى قوله وما افاء الله يعني ما رده الله تعالى على رسوله من اموال بني النضير فما اوجفتم عليه اوضعتم عليه والايجاف الايضاع في السير وهو الاسراع يقال وجف الفرس اذا اسرع واوجفته انا اي حركته واتعبته ومنه قول تميم ابن مقبل مذاويد بالبيض الحديث صقالها عن الركب احيانا اذا الركب اوجفوا والركاب الابل واحدها راحله يقول لم تقطعوا اليها شقه ولا لقيتم بها حربا ولا مشقه وانما كانت من المدينه على ميلين قاله الفراء فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا واجلاهم واخذ اموالهم فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم لهم فنزلت ما افاء الله على رسوله منهم الايه فجعل اموال بني النضير خاصه للنبي صلى الله عليه وسلم يضعها حيث شاء فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين قال الواقدي ورواه ابن وهب عن مالك ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثه نفر منهم محتاجين ابو دجانه سماك بن خرشه وسهل بن حنيف والحارث ابن الصمه وقيل انما اعطى رجلين سهلا وابا دجانه ويقال سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم ولم يسلم من بني النضير الا رجلان سفيان ابن عمير وسعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها وفي صحيح مسلم عن عمر قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصه فكان ينفق على اهله نفقه سنه وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عده في سبيل الله وقال العباس لعمر رضي الله عنهما اقض بيني وبين هذا الكاذب الاثم الغادر الخاين يعني عليا فيما افاء الله على رسوله من اموال بني النضير فقال عمر اتعلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقه قالا نعم قال عمر ان الله عز وجل كان خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصه لم يخصص بها احدا غيره قال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ما ادري هل قرا الايه التي قبلها ام لا فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله ما استاثرها عليكم ولا اخذها دونكم حتى بقي هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه نفقه سنه ثم يجعل ما بقي اسوه المال الحديث بطوله خرجه مسلم وقيل لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ كالغنايم فبين الله انها فيء وكان قد جرى ثم بعض القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء ولم يكن قتال على التحقيق بل جرى مبادي القتال وجرى الحصار وخص الله

تلك الاموال برسوله عليه السلام وقال مجاهد علمهم الله تعالى وذكرهم انما كان نصر رسوله
ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله سلط رسله على من يشاء اى من اعدايه وفى هذا بيان ان
تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه الثانيه قوله تعالى
ما افا الله على رسوله من اهل القرى قال بن عباس هى قريظه والنضير وهما بالمدينه
وفدك وهى على ثلاثه ايام من المدينه وخيبر وقرى عرينه وينبع جعلها الله لرسوله وبين
ان فى ذلك المال الذى خصه بالرسول سهمان الغير الرسول نظرا منه لعباده وقد تكلم
العلماء فى هذه الاية والتى قبلها هل معنا هما واحد او مختلف والاية التى فى الانفال
فقال قوم من العلماء ان قوله ما افا الله على رسوله من اهل القرى منسوخ بما فى سورة الانفال
من كون الخمس لمن سمى له والاخماس الاربعة لمن قاتل وكان فى اول الاسلام يقسم الغنيمة
على هذه الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شى وهذا قول يزيد بن رومان وقتاده وغيرهما
ونحوه عن مالك وقال قوم انما غنم بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب فيكون لمن سمى الله
فيه والاولى للنبى صلى الله عليه وسلم خاصه اذا اخذ منه حاجته كان الباقى فى مصالح
المسلمين وقال معمر الاولى النبى صلى الله عليه وسلم والثانية هى الجزيه والخراج الاصناف
المذكورة فيه والثالثه الغنيمة فى سورة الانفال للغانمين وقال قوم منهم الشافعى ان معنى
الايتين واحد اى ما حصل من اموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة اسهم اربعة منها لرسول
صلى الله عليه وسلم وكان الخمس الباقى على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ايضا وسهم لذوى القربى وهو بنو هاشم وبنو المطلب لانهم منعوا الصدقه فجعل لهم حق
فى الفى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل واما بعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالذى كان من الفى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند
الشافعى فى قول الى المجاهدين المترصدين للقتال فى الثغور لانهم يقاعون مقام الرسول
عليه السلام وفى قول اخر له يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار
وبناء القناطر تقدم الاهم فالاهم وهذا فى اربعة اخماس الفى فاما السهم الذى كان
له من خمس الفى والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف
كما قال عليه السلام ليس لى من غنايمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وقد مضى القول
فيه فى الانفال وكذلك ما خلفه من المال غير موروث بل هو صدقه يصرف عنه الى مصالح
المسلمين كما قال عليه السلام انا لا نورث ما تركنا صدقه وقيل كان مال الفى لنبيه
صلى الله عليه وسلم لقوله ما افا الله على رسوله فاضافه اليه غير انه كان لا يتاثل مالا انما
كان ياخذ بقدر حاجة عياله ويصرف الباقى فى مصالح المسلمين قال القاضى ابو بكر ابن
العربى لا اشكال انها ثلاث معان فى ثلاث ايات اما الاية الاولى وهى قوله هو الذى
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم قال وما افا الله على
رسوله منهم يعنى من اهل الكتاب معطوفا عليهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب

يريد

يريد كما بينا فلا حق لكم فيه وكذلك قال عمر انها كانت خالصة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يعنى بنى النضير وما كان مثلها فهذه اية واحدة ومعنى
متحد الاية الثانيه ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول وهذا
كلام مبتدا غير الاول المستحق غير الاول وسمى الاية الثالثه انه الغنيمه ولا شك
فى انه معنى اخر باستحقاق بان لمستحق اخر بيد ان الاية الاولى والثانيه اشتركتا فى ان
كل واحدة منهما تضمنت شيا افاه الله على رسوله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير
قتال واقتضت اية الانفال انه حاصل وغرب الاية الثالثه وهى قوله ما افا الله على رسوله
من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فنشا الخلاف من هاهنا فمن طايفه
قالت هى ملحقه بالاولى وهو مال الصلح كله ونحوه ومن طايفه قالت هى ملحقة بالثانيه وهى
اية الانفال والذين قالوا انها ملحقة باية الانفال اختلفوا هل هى منسوخه كما تقدم او محكمه
والحاقها بشهادة الله بالتى قبلها اولى لان فيه تجديد فايده ومعلوم ان حمل الحرف من الاية
فضلا عن الاية على فايده متجدده من حمله على فايده معاده وروى ابن وهب عن مالك
فى قوله تعالى فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب هى النضير لم يكن فيها خمس ولم يوجف
عليها بخيل ولا ركاب كانت صافيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها بين المهاجرين
وثلاثه من الانصار حسب ما تقدم وقوله ما افا الله على رسوله من اهل القرى هى قريظه
وكانت قريظه والخندق فى يوم احد قال ابن العربى قول مالك ان الاية الثانيه فى بنى
قريظه اشارة الى ان معناها يعود الى اية الانفال ويلحقها وهو اقوى منا من القول بالاحكام ونحن
لا نختار الا ما قسمنا وبينا ان الاية الثانيه لها معنى مجدد حسب ما دللنا عليه والله اعلم
قال الشيخ المولف رحمه الله ما اختاره حسن وقد قيل ان سورة الحشر نزلت بعد الانفال
فمن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر وقال ابن ابى نجيح المال ثلاثه مغنم او فى او صدقه
وليس منه درهم الا وقد بين الله موضعه وهذا اشبه الثالثه الاموال التى للايمه
والولاه فيها مدخل ثلاثه اضرب ما اخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات
والزكوة والثانى الغنايم وهو ما يحصل فى ايدى المسلمين من اموال الكافرين بالحرب
والقهر والغلبه والثالث الفى وهو ما رجع للمسلمين من اموال الكافرين عفوا صفوا
من غير قتال ولا ايجاف كالصلح والجزيه والخراج والعشور الماخوذه من تجار الكفار
ومثل ان يهرب المشركون ويتركوا اموالهم او يموت احد منهم فى دار الاسلام لا وارث
له فاما الصدقه فمصرفها للفقراء والمساكين والعاملين عليها كما ذكره الله وقد مضى فى براءه
واما الغنايم فكانت فى صدر الاسلام للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما شا كما
قال فى الانفال قل الانفال لله والرسول ثم نسخ بقوله واعلموا انما غنمتم من شى
من شى الاية وقد مضى فى الانفال بيانه فاما الفى فقسمته وقسمة الخمس سواء
الامر عند مالك فيهما الى الامام فان راى حبسها لنوازل تنزل بالمسلمين فعل وان

واى قسمتها او قسمه احدهما قسمة كله بين الناس وتسوى فيه بين عربيهم ومولاهم
ويبدا بالفقر من رجال ونسا حتى يغنوا ويعطوا ذو القربى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الفى سهم على ما يراه الامام وليس لهم حد معلوم واختلف في اعطا الغنى
منهم فاكثر الناس على اعطايه لانه حق لهم وقال مالك لا يعطى منه غير فقرا
لهم عوضا من الصدقه وقال الشافعى ان ما حصل من اموال الكفار بغير قتال كان
يقسم في عهد النبى صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما عشرون للنبى صلى الله عليه
يفعل فيها ما شاء والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودى
وهذا قول ما سبقه به احد علمناه بل كان ذلك خالصا له كما ثبت فى الصحيح عن عمر مبينا
الايه ولو كان هذا لكان قوله خالصة لك من دون المومنين يدل على انه يجوز الموهوبه لغيره
وان قوله خالصة يوم القيمة يجوز ان يشركهم فيها غيرهم وقد مضى قول الشافعى موعبا فى ذلك
والحمد لله ومذهب الشافعى ان سبيل خمس الفى سبيل خمس الغنيمه وان اربعة اخماسه كانت
للنبى صلى الله عليه وسلم وهى بعده للمصالح المسلمين وله قول آخر انها بعده للمرصدين انفسهم
للقتال بعده خاصه كما تقدم الرابعة قال علماونا ويقسم كل مال فى البلد الذى جبى
منه ولا ينقل عن ذلك البلد الذى جبى فيه حتى يغنوا ثم ينقل الى الاقرب من غيرهم الا ان ينزل
بغير البلد الذى جبى فيه فاقه شديده فينقل ذلك الى اهل الفاقه حيث كانوا كما فعل عمر
بن الخطاب رضى الله عنه فى اعوام الرمادة وكانت خمسة اعوام او ستة وقد قيل عامين وقيل
عام فيه اشتد الطاعون مع الجوع وان لم يكن ما وصفنا ورأى الامام ايقاف الفى او وقفه لنوايب
المسلمين ويعطى منه المنفوس ويبدا من ابوه فقير والفى حلال للاغنيا ويساوى بين الناس
فيه الا انه يوثر اهل الحاجة والفاقه والتفضيل فيه انما يكون على قدر الحاجة ويعطى
منه الغرما ما يودون به ديونهم ويعطى منه الجايزه والصلة ان كان ذلك اهلا ويرزق
القضاة والحكام ومن فيه منفعة للمسلمين واولاهم بتوفر الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا
ومن اخذ من الفى شيا فى الديوان كان عليه ان يغزو اذا غزى الخامسة قوله تعالى
كيلا يكون دولة قراة العامه يكون بالياء دولة بالنصب اى كيلا
يكون الفى دولة وقرا ابو جعفر والاعرج وهشام عن ابن عامر وابو حيوه تكون
بالتا دولة بالرفع اى كيلا تقع دولة فكان تامه ودولة رفع على اسم كان ولا خبر له ويجوز
ان يكون ناقصة وخبرها بين الاغنيا منكم واذا كانت تامه فقوله بين الاغنيا منكم
متعلق بدولة على معنى تداول بين الاغنيا منكم ويجوز ان يكون بين الاغنيا منكم وصفا لدولة
وقراة العامه دولة بضم الدال وقراها السلمى وابو حيوه بالنصب قال عيسى بن عمر ويونس
والاصمعى هما لغتان بمعنى واحد وقال ابو عمرو بن العلا الدولة بالفتح الظفر فى الحرب
وغيره وهى المصدر وبالضم اسم الشى الذى يتداول من الاموال وكذا قال ابو عبيده الدولة
اسم الشى الذى يتداول والدولة الفعل ومعنى الاية فعلنا ذلك فى هذا الفى كى لا تقسمه الروسا

والاغنياء والاقويا بينهم دون الفقرا والضعفاء لان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا اخذ الرئيس
ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى منها ايضا بعد المرباع ما شاء وفيها قال شاعرهم
لك المرباع منها والصفايا
يقول لئلا يعمل فيه كما كان يعمل فى الجاهلية
فجعل الله هذا لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فى المواضع التى امر بها ليس منها خمس فاذا جا خمس
وقع بين المسلمين جميعا السادسة قوله تعالى **وما آتيكم الرسول فخذوه**
اى ما اعطاكم من مال الغنيمة فخذوه وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا قاله الحسن
وغيره السدى ما اعطاكم من مال الفى فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه وقال بن
جريج ما اتاكم من طاعتى فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتى فاجتنبوه الماوردى وقيل
انه محمول على العموم فى جميع امره ونواهيه لا يامر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد قال
الشيخ المولف رحمه الله هذا هو معنى القول الذى قبله فهى ثلاثه اقوال السابعة قال
المهدوى قوله ما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا يوجب ان كل
ما امر به النبى صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى والاية وان كانت فى الغنايم فجميع اوامره
صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال الحكم ابن عمير وكانت له صحبة
قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا القران صعب مستصعب عسير على من تركه يسير
على من اتبعه وطلبه وحديثى صعب مستصعب وهو الحكم فمن استمسك بحديثى وحفظه
نجا مع القران ومن تهاون بالقران وحديثى خسر الدنيا والاخرة وامرتم ان تاخذوا
بقولى وتكتنفوا امرى وتتبعوا سنتى فمن رضى بقولى فقد رضى بالقران ومن استهزا
بقولى فقد استهزا بالقران قال الله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا الثامنة قال عبد الرحمن ابن زيد لقى ابن مسعود رجلا محرما وعليه
ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرا على بهذا اية من كتاب الله قال نعم ما
اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وقال عبيد الله ابن محمد بن هرون الفريابى
سمعت الشافعى يقول سلونى عم شيتم اخبركم من كتاب الله وسنة نبيكم محمد
صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول فى المحرم الزنبور قال فقال يقتل؟
بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه
فانتهوا وحدثنا سفين ابن عيينه عن عبد الملك ابن عمير عن ربعى ابن حراش عن
حذيفة ابن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى
ابى بكر وعمر حدثنا سفين ابن عيينة عن مسعر ابن كدام عن قيس ابن مسلم عن طارق
ابن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه امر بقتل الزنبور قال علماونا
وهذا الجواب فى نهاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور فى الاحرام وبين انه يقتدى
فيه بعمر وان النبى صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا به وان الله سبحانه امر
بقبول ما يقوله الرسول فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة وقد مضى هذا

المعنى من قول عكرمه حين سئل عن امهات الاولاد فقال هن احرار فى سورة
النسا عند قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم وفى صحيح مسلم وغيره
عن علقمه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات
والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة
من بنى اسد يقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت انه بلغنى انك لعنت كيت وكيت فقال فقال ومالى الا
العن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله فقالت لقد قرات ما بين اللوحين
فما وجدت فيه ما يقول فقال لين كنت قراتيه لقد وجدتيه اما قرات وما اتيكم الرسول
فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث وقد مضى القول
فيه فى النساء مستوفى فى الناسخه **قوله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه** وان جا
بلفظ الايتا وهو المناوله فان معناه الامر بدليل قوله وما نهيكم عنه فانتهوا فقابله
بالنهى ولا يقابل النهى الا بالامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شى فاجتنبوه
وحكى الكلبى انها نزلت فى رؤسا المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اموال المشركين يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقى وهكذا كنا نفعل
فى الجاهليه وانشدوا لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول فانزل الله تعالى
هذه الاية العاشرة واتقوا الله اى عذاب الله انه شديد لمن عصاه وقيل اتقوا الله
فى اوامره **قوله تعالى للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم** اى
الفى والغنايم للفقرا والمهاجرين وقيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء ولكن يكون
للفقراء وقيل هو بيان لقوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فلما
ذكروا باصنافهم قيل المال هولا لانهم فقرا ومهاجرون وقد اخرجوا من
ديارهم فهم احق الناس به وقيل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء للفقراء
المهاجرين لكيلا يكون المال دولة للاغنيا من بنى الدنيا وقيل والله شديد العقاب
للمهاجرين اى شديد العقاب للكفار بسبب الفقرا المهاجرين ومن اجلهم ودخل
فى هولا الفقرا المتقدم ذكرهم فى قوله ولذى القربى واليتامى وقيل هو عطف على
ما مضى ولم ياتى بواو العطف كقوله هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان والمهاجرين
هنا من هاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له قال قتاده هولا المهاجرين
الذين تركوا الديار والاموال والاهلين والاوطان لله ولرسوله حتى ان الرجل منهم
كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيره
فى الشتاء ماله دثار غيرها وقال عبد الرحمن ابن ابزى وسعيد بن جبير كان ناس
من المهاجرين لاحدهم العبد والزوجه والدار والناقه يحج عليها ويغزوا
فنسبهم الله الى الفقر وجعل لهم سهما فى الزكاة ومعنى اخرجوا من ديارهم اى اخرجهم
كفار مكه اى احوجوهم الى الخروج وكانوا مايه رجل يبتغون يطلبون فضلا

من الله اى غنيمة فى الدنيا ورضوانا فى الاخرة اى مرضاة ربهم وينصرون الله ورسوله فى
الجهاد اولئك هم الصادقون فى فعلهم ذلك وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
خطب بالجابيه فقال من اراد ان يسال عن القران فليات ابى بن كعب ومن اراد ان
يسال عن الفرايض فليات زيد بن ثابت ومن اراد ان يسال عن الفقه فليات معاذ بن
جبل ومن اراد ان يسال عن المال فلياتنى فان الله تعالى جعلنى له خازنا وقاسما الا وانى
باد بازواج النبى صلى الله عليه وسلم فمعطيهم ثم بالمهاجرين الاولين انا واصحابى اخرجنا من
مكة من ديارنا واموالنا **قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم**
فيه احدى عشر مسله الاولى لا خلاف ان الذين تبوؤا الدار هم الانصار استوطنوا المدينه
قبل المهاجرين اليها والايمان نصب بفعل غير تبوؤا لان التبوا انما يكون فى الاماكن ومن
قبلهم من صلة تبوؤا والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين واعتقدوا الايمان او اخلصوا
لان الايمان ليس بمكان يتبوا كقوله فاجمعوا امركم وشركاكم اى وادعوا شركاكم
ذكره ابو على والزمخشرى وغيرهما من باب قوله علفتها تبنا وماء باردا ويجوز حمله على حذف
المضاف كانه قال تبوؤا الدار ومواضع الايمان ويجوز حمله على ما دل عليه تبوؤا كانه قال لزموا
الدار ولزموا الايمان فلم يفارقوهما ويجوز ان يكون تبوؤا الايمان على طريق المثل كما يقول
تبوا من بنى فلان الصميم والتبوا التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار امنوا
قبل المهاجرين بل اراد امنوا قبل هجرة النبى عليه السلام اليهم الثانيه واختلف
ايضا هل هذه الايه مقطوعة مما قبلها او معطوفه فتاول قوم انها معطوفة على
قوله للفقراء المهاجرين وان الايات التى فى الحشر كلها معطوف بعضها على بعض
ولو تاملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا اليه لان الله تعالى يقول
هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا
الى قوله الفاسقين فاخبر عن بنى النضير وبنى قينقاع ثم قال وما افا الله على رسوله
منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء فاخبر
ان ذلك للرسول عليه السلام لانه لم يوجف عليه حين خلوه وما تقدم فيهم
من القتال وقطع شجرهم فقد كانوا رجعوا عنه وانقطع ذلك الامر ثم قال ما افا الله
على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل وهذا كلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوؤا الدار ابتدا كلام فى
مدح الانصار والثنا عليهم فانهم سلموا ذلك الفى للمهاجرين وكانه قال الفى للفقرا
المهاجرين والانصار يحبون لهم لم يحسدوهم على ما صفا لهم من الفى وكذا والذين
جاوا من بعدهم ابتدا كلام والخبر يقولون ربنا اغفر لنا قال اسمعيل بن اسحق ان
قوله والذين تبوؤا الدار والذين جاوا معطوف على ما قبل وانهم شركاء فى الفى اى هذا المال
للمهاجرين والذين تبوؤا الدار وقال مالك ابن اوس قرا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

والدليل على نبوذلك ما ذكرناه قبل من قوله عليه السلام اذا امرتكم بامر صح

لكن صح

ونواهيه فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب لمن خالف ما امره به صح

حبا صح

ويكون صح

من الله

هذه الآية انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شي
فان لله خمسه فقال هذه لهولا ثم قرا ما افا الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين
والذين تبوا الدار والايمان والذين جاو امن بعدهم ثم قال لين عشت لياتين الراعي
وهو بسرو حمير نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه وقيل انه دعا المهاجرين والانصار
واستشارهم فيما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم تثبتوا الامر وتدبروه ثم اغدوا علي
ففكر في ليلته فتبين له ان هذه الايات في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال
قد مررت البارحة بالايات التي في سورة الحشر وتلى ما افا الله على رسوله من اهل القرى
الى قوله للفقراء المهاجرين فلما بلغ قوله اوليك هم الصادقون قال ما هي لهولا فقط
وتلى والذين جاو من بعدهم الى قوله رؤف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام
الا وقد دخل في ذلك الثالثة روى مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر قال
لولا من ياتي من آخر الناس ما فتحت قريه الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيبر وفي الروايات المستفيضه من الطرق الكثيرة ان عمر ابقى سواد
العراق ومصر وما ظهر عليهم من الغنايم ليكون في اعطيات المقاتله وارزاق الحشوه
والذراري وان الزبير وبلالا وغيرو احد من الصحابة ارادوه على قسم ما فتح
عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك فقيل انه استطاب انفس
اهل الجيش لمن رضي له بترك حظه بغير ثمن ليبقيه للمسلمين فله ومن ابى اعطاه
ثمن حظه فمن قال انما ابقى الارض بعد استطابه انفس القوم جعل فعله كفعل
النبي صلى الله عليه وسلم لانه قسم خيبر لان اشتراه اياها ونزل من ترك
عن طيب نفسه بمنزله قسمها وقيل انه ابقاها بغير شي اعطاه اهل الجيوش وقيل
انه تاول في ذلك قول الله سبحانه للفقرا المهاجرين الى قوله ربنا انك رؤف
الرحيم على ما تقدم والله اعلم الرابعة واختلف العلماء في قسمه العقار
فقال مالك الامام ان يوقفها لمصالح المسلمين فقال ابو حنيفه الامام مخير بين ان
يقسمها او يجعلها وقفا لمصالح المسلمين وقال الشافعي ليس للامام حبسها عنهم بغير رضاهم
بل يقسمها عليهم كساير الاموال فمن طاب نفسا عن حقه للامام ان يجعلها وقفا
عليهم فله ومن لم يطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب نفوس
الغانمين واشتراها منهم قال الشيخ المولف رحمه الله وعلى هذا يكون قوله والذين
جاو امن بعدهم مقطوعا مما قبله وانهم ندبوا للدعا للاولين والثنا عليهم الخامسة
قال ابن وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينه على غيرها من الآفاق فقال ان المدينه
تبوءت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا الآية والذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية وقد مضى الكلام في هذا
وفي فضل الصلوة في المسجدين مسجد الحرام ومسجد المدينه فلا معنى للاعادة السادسة

قوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني لا يحسدون
المهاجرين على ما خصوا به من مال الفي وغيره كذلك قال الناس وفيه تقدير حذف
مضاف المعنى مس حاجة من فقد ما اوتوا وكل ما يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته
فهو حاجة وكان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم عليه السلام اموال بني النضير دعا الانصار
وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في الاموال
ثم قال ان احببتم قسمت ما افا الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون
على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من
دوركم فقال سعد بن عباده وسعد بن معاذ بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا
كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابنا الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين
ولم يعط الانصار شيا الا الثلاثه الذين ذكرناهم ويحتمل ان يريد به ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما اوتوا اذا كان قليلا يقنعون به ويرضون عنه وقد كانوا على هذه الحال
حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم دنيا ثم كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه وسلم
بحكم الدنيا وقد انذرهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ستروَن بعدي اثره فاصبروا
حتى تلقوني على الحوض السابعة قوله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة في الترمذي عن ابي هريرة ان رجلا بات به ضيف فلم يكن
عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته نومي الصبيه واطفي السراج وقربي للضيف
ما عندك فنزلت هذه الآية ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال هذا حديث حسن صحيح خرجه مسلم ايضا وخرج
عن ابي هريرة قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل
الى بعض نسايه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ما ثم ارسل الى اخرى فقالت
مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي الا ما فقال من
يضيف هذا الليله رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به
الى رحله فقال لامراته هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشي فاذا دخل
ضيفنا فاطفي السراج واريه انا ناكل فاذا اهوى لياكل فقومي الى السراج حتى تطفيه قال فقعدوا
واكل الضيف فلما اصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد عجب الله جل وعز من
صنيعكما الليله بضيفكما في رواية عن ابي هريرة قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليضيفه فلم يكن عنده ما يضيفه فقال الا رجل يضيف هذا رحمه الله فقام رجل
من الانصار يقال له ابو طلحه فانطلق به الى رحله وساق الحديث نحو الذي
قبله وذكر فيه نزول الآية وذكر المهدوي عن ابي هريرة ان هذا نزل في ثابت بن قيس
ورجل من الانصار نزل به ثابت يقال له ابو المتوكل فلم يكن عند ابي المتوكل الا قوته
وقوت صبيانه فقال لامراته اطفي السراج ونومي الصبيه وقدم ما كان عنده الى
ضيفه وكذا ذكر النحاس قال ابو هريرة نزل برجل من الانصار يقال له ابو المتوكل

السراج

ثابت بن قيس ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته اطفي السراج
ونومي الصبيه فنزلت ويوثرون على انفسهم الى المفلحون وقيل ان فاعل ذلك ابو طلحه
وذكر القشيري ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم وقال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثه اليهم
فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت الى اولئك فنزل
ويوثرون على انفسهم ذكره الثعلبي عن انس قال اهدي لرجل من الصحابة راس شاة وكان
مجهودا فوجه به الى جار له فتداولته سبعة انفس في سبعة ابيات ثم عاد الى الاول
فنزلت ويوثرون على انفسهم الاية وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
الانصار يوم بني النضير ان شئتم قسمت للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم
في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم من الغنيمة شيا
فقال الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونوثرهم بالغنيمة فنزلت ويوثرون
على انفسهم الاية والاول اصح وفي الصحيحين عن انس ان الرجل كان يجعل للنبي
صلى الله عليه وسلم النخلات من ارضه حتى فتحت عليه قريظة والنضير فجعل بعد
ذلك يرد عليه ما كان اعطاه لفظ مسلم وقال الزهري عن انس بن مالك لما قدم المهاجرون
من مكة المدينه قدموا وليس بايديهم شي وكان الانصار اهل الارض والعقار فقاسمهم
الانصار على ان اعطوهم انصاف ثمار اموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمونه
وكانت ام انس بن مالك تدعى ام سليم وكانت ام عبد الله ابن ابي طلحة كان اخا
لانس لامه وكانت اعطت ام انس رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاقا لها فاعطاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن مولاته ام اسامه بن زيد قال ابن شهاب فاخبرني
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال اهل خيبر وانصرف
الى المدينه رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم قال فرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امي عذاقها واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام ايمن مكانهن من حايطه خرجه مسلم ايضا الثامنة الايثار هو تقديم الغير على
النفس وحظوظها الدنيويه ورغبة في الحظوظ الدينيه وذلك ينشا عن قوة اليقين
ووكيد المحبة والصبر على المشقة يقال اثرته بكذا اي خصصته به وفضلته ومفعول
ومفعول الايثار محذوف اي يوثرونهم على انفسهم اي باموالهم ومنازلهم لا عن غنى
بل مع احتياجهم اليها حسب ما تقدم بيانه وفي الموطا لمالك انه بلغه عن عايشه
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان مسكينا سالها وهي صايمه وليس في بيتها الا
رغيف فقالت لمولاة لها اعطه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت اعطه
اياه قال ففعلت قالت فلما امسينا اهدى لنا اهل بيت او انسان ما كان يهدي لنا
شاة وكفنها فدعتني عايشه فقالت كلي من هذا فهذا خير من قرصك قال علماونا هذا

من المال الرابح والفعل الزاكي عند الله يعجل منه ما شاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عنه ومن
ترك شيا لله لم يجد فقده وعايشه رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين اثنى الله عليهم بانهم
يوثرون على انفسهم مع ما هم فيه من الخصاصه وان من فعل ذلك فقد وقي شح نفسه
وافلح فلاحا لا خسارة بعده ومعنى شاة وكفنها فان العرب او بعض العرب او بعض وجوههم
كان هذا من طعامهم ياتون الى الشاة او الخروف اذا سلخوه غطوه كله بعجين البر
وكفنوه به ثم علقوه من التنور فلا يخرج من ودكه شي الا في ذلك الكفن وذلك من طيب
الطعام عندهم وروى النساي عن نافع ان ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا فاشترى له عنقود
بدرهم فجاء مسكين فسال فقال اعطوه اياه فخالف انسان فاشتراه بدرهم ثم جاء به الى ابن
عمر فجاء المسكين فسال فقال اعطوه اياه ثم خالف انسان فاشتراه بدرهم ثم جاء به اليه
فاراد السايل ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر ان ذلك العنقود ما ذاقه لان ما خرج لله
لا يعود فيه وذكر ابن المبارك اخبرنا محمد بن مطرف قال اخبرنا ابو حازم عن عبد
الرحمن ابن سعيد بن يربوع عن مالك الدار ان عمر بن الخطاب اخذ اربع مايه دينار فجعلها
في صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى ابي عبيده ابن الجراح ثم تلكا ساعة في البيت حتى تنظر
ماذا يصنع فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض
حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جاريه اذهبي بهذه السبعة الى فلان وهذه
الخمسة الى فلان حتى انفدها فرجع الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد اعد مثلها لمعاذ بن
جبل وقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع فذهب
بها اليه فقال يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله
وقال يا جاريه اذهبي بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امراة معاذ فقالت ونحن
والله مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران فدحا بهما اليها فرجع الغلام
الى عمر فاخبره فسر بذلك عمر وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عايشه
في عطا معاوية اياها وكان عشرة الاف وكان ابن المنكدر دخل عليها فان قيل وردت
اخبار صحيحة في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء قيل له انما كره ذلك في حق
من لا يوثق منه الصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسلة اذا فقد ما ينفقه فاما
الانصار الذين اثنى الله عليهم بالايثار على النفس فلم يكونوا بهذه الصفة بل كانوا
كما قال الله تعالى والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس وكان الايثار
افضل منهم من الامساك والامساك لمن لا يصبر وتتعرض للمسلة اولى من الايثار وروي
ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقه
فرماه بها وقال ياتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس التاسعة
الايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال السايرة والجود
بالنفس اقصى غاية الجود ومن عبارات الصوفية الرشيقه في حد المحبة انها

الايثار الا ترى ان امراة العزيز لما تناهب في حبها ليوسف عليه السلام انه على
نفسها فقالت انا راودته عن نفسه وافضل الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف
يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشلت وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وانا
اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار براسه ان نعم فاذا برجل
يقول آه آه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام ابن العاص فقلت اسقيك فاشار
ان نعم فسمع آخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت
الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابو يزيد البسطامي ما
غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد
عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا
فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وسئل ذو النون المصري
ما حد الزاهد المنشرح صدره قال ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند
القوت وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى
الري ومعهم ارغفة معدودة لا يشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلس
للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه

العاشر **قوله تعالى ولو كان بهم خصاصة** ۝ الخصاصة الحاجة التي تختل
بها الحال واصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة انفراد بالحاجة
اي ولو كانت لهم فاقة وحاجة منهم قول الشاعر اما الربيع اذا تكون خصاصة
عاش السقيم به واثرى المقتر الحادية عشر **قوله تعالى ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون** ۝ الشح والبخل سوا يقال رجل شحيح بين الشح
والشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله
فيها مهينا وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل
مع حرص يقول شححت بالكسر تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح وقوم
شحاح واشحة والمراد بالآية الشح بالزكوة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام
والضيافة وما شاكل ذلك فليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان امسك
عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكرناه من الزكوات والطاعات فلم يوق
شح نفسه وروى الاسود عن ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال له اني اخاف ان اكون
قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد ان اخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك

بالشح

بالشح الذي ذكر الله تعالى في القرآن انما الشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ان
تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل ففرق رضي الله عنه بين
الشح والبخل وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يديه والشح ان يشح بما في ايدي
الناس تحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام لا يقنع ابن جبير الشح منع الزكاة
وادخار الحرام ابن عيينة الشح الظلم الليث ترك الفرايض وانتهاك المحارم ابن عباس
من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح ابن زيد لم ياخذ شيئا نهاه الله عنه ولم
يدعه الشح امره الله تعالى فقد وقاه الله شح نفسه وقال انس قال النبي صلى الله عليه
وسلم برئ من الشح من ادى الزكاة وقرى الضيف واعطى في النائبة وعنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها
وقال ابو الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على
ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن
بن عوف قال الشيخ المولف رحمه الله يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم
فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم على ان سفكوا
دماءهم واستحلوا محارمهم وقد بيناه في آل عمران وقال كسرى لاصحابه اي شيء اضر با
بن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح
اذا وجد لم يشبع ابدا **قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم** ۝ فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى من بعدهم يعني التابعين ومن دخل في الاسلام الى يوم القيمة
قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاث منازل المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان
والذين جاؤا من بعدهم فاجهد ان لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن شمسا
فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن كوكبا مضيا فان لم تستطع فكن
كوكبا صغيرا ومن جهة النور لا ينقطع ومعنى هذا كن مهاجريا فان قلت لا اجد
فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم فان لم تستطع فاحبهم واستغفر لهم
كما امرك الله وروى مصعب ابن سعد قال الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان
وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه ان يكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر
بن محمد بن علي عن ابيه عن جده علي بن حسين رضي الله عنهم انه جاءه رجل فقال
له يا ابن بنت رسول الله ما يقول في عثمان فقال له يا اخي انت من قوم قال الله فيهم
للفقراء المهاجرين الآية قال لا فانت من قوم قال الله فيهم والذين تبوؤا الدار و
الايمان من قبلهم الآية قال لا قال فوالله لئن لم تكن من اهل الآية الثالثة لتخرجن
من الاسلام وهي قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان الآية وقد قيل ان محمد بن علي بن الحسين روى عن ابيه ان نفرا
من اهل العراق جاؤا اليه فسبوا ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ثم عثمان رضي الله عنه

فاكثروا فقال لهم من المهاجرين الاولين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوّءوا الدار
والايمان من قبلهم فقالوا لا فقال فقد تبرأتم من هاذين الفريقين انا اشهد انكم
لستم من الذين قال الله عز وجل والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا قوموا فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس
الثانية هذه الاية دليل على محبة الصحابة لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما اقاموا على
محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم وان من سبهم او واحدا منهم او اعتقد فيهم شرا
انه لا حق له في الفيء روى ذلك عن مالك وغيره قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرا والذين
جاءوا من بعدهم الاية الثالثة هذه الاية دليل على ان الصحيح من اقوال العلماء قسمة
المنقول وابقاء العقار والارض شملا بين المسلمين اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه الا ان
يجتهد الوالي فينفذ امرا فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس عليه وان هذه الاية
قاضية بذلك لان الله تعالى اخبر عن الفيء وجعله لثلاث طوايف المهاجرين والانصار
وهم معلومون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان فهي عامة في جميع التابعين الاتين بعدهم الى يوم الدين وفي الحديث الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مومنين
وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت ان رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا باخوانك
فقال بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم على الحوض فبين صلى
الله عليه وسلم ان اخوانهم كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم الذين
هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا والذين جاءوا من بعدهم من قصد الى النبي
صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة الرابعة قوله تعالى
يقولون يقولون نصب في موضع الحال اي قايلين **ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان** فيه وجهان احدهما امروا ان يستغفروا لمن سبق
هذه الامة من مومني اهل الكتاب قالت عايشة رضي الله عنها فامروا ان يستغفروا
لهم فسبوهم الثاني امروا ان يستغفروا للسابقين الاولين من المهاجرين والانصار
قال ابن عباس امر الله تعالى بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم انهم سيفتنون
وقالت عايشة امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد فسببتموهم سمعت نبيكم صلى
الله عليه وسلم يقول لا يذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقال ابن عمر سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا رايتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعن الله شركم
وقال العوام بن حوشب ادركت صدر هذه الامة يقولون اذكروا محاسن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ياتلف عليهم القلوب ولا يذكروا ما شجر بينهم
فتجسروا الناس عليهم وقال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة

بالاستغفار

بخصلة

بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من
خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا
اصحاب محمد امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيمة
لا يقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله بسفك دمايهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهوا المضلة
ولا تجعل في قلوبنا غلا حقدا وحسدا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم قوله تعالى
**الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من
اهل الكتاب** تعجب من اغترار اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر
معهم مع علمهم بانهم لا يعتقدون دينا ولا كتابا ومن جملة المنافقين عبد الله
ابن ابي ابن سلول وعبد الله ابن نبتل ورفاعة ابن زيد ابن التابوت وقيل رفاعة
ابن تابوت واوس بن قيظي كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا قالوا لليهود قريظة و
النضير لين اخرجتم لنخرجن معكم وقيل هو من قول بني النضير لقريظة وقوله
ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم لا نطيعه في قتالكم وفيه دليل
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة علم الغيب لانهم اخرجوا فلم يخرجوا وقوتلوا
فلم ينصروهم كما قال الله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم وفعلهم قوله تعالى
**لين اخرجوا لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم ولين
نصروهم ليولن الادبار** اي منهزمين ثم لا ينصرون قيل لا ينصرونهم طايعين
ولين نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم
هذا على ان الضميرين متفقان وقيل انهما مختلفان والمعنى لين اخرج اليهود لا يخرجون
معهم المنافقون ولين قوتلوا لا ينصرونهم ولين نصروهم اي ولين نصر اليهود المنافقين
ليولن الادبار وقيل لين اخرجوا لا يخرجون معهم اي علم الله منهم انهم لا يخرجون ان
اخرجوا ولين قوتلوا لا ينصرونهم اي علم منهم ذلك ثم قال ليولن الادبار فاخبر
عما قد اخبر انه لا يكون كيف كان يكون لو كان وهو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه معنى ولين نصروهم ولين شينا ان ينصروهم زينا ذلك لهم ليولن الادبار قوله تعالى
لانتم اشد يا معشر المسلمين اشد رهبة اي خوفا وخشية في صدورهم من الله يعني
صدور بني النضير وقيل صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع الى الفريقين اي يخافون
منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك الخوف ذلك بانهم قوم لا يفقهون اي لا يفقهون
قدر عظمة الله وقدرته قوله تعالى **لا يقاتلونكم جميعا** يعني اليهود الا في قرى محصنة
اي بالحيطان والدور يظنون انها تمنعهم منكم او من وراء جدر اي من خلف حيطان
يستترون بها لجبنهم ورهبتهم وقراءة العامة جدر على الجمع وهي اختيار ابي
عبيد وابي حاتم لانها نظير قوله في قرى محصنة وذلك جمع وقرا ابن عباس ومجاهد

وابن كثير وابن محيصن وابو عمرو جدار على التوحيد لان التوحيد يودي الى الجمع وروى عن
عن بعض المكيين جدر بفتح الجيم واسكان الدال وهي لغة في الجدار ونحو ان يكون
معناه من وراء نخلهم وشجرهم يقال اجدر النخل اذا طلعت رؤسه في اول الربيع
والجدر نبت واحدته جدرة وقرئ جدر بضم الجيم واسكان الدال جمع الجدار ويجوز
ان يكون الالف في الواحد كالف كتاب وفي الجمع كالف ظراف ومثله ناقة هجان
ونوق هجان في التثنية هجانان فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللفظ مختلفين في المعنى لانك تقول ع
قاله ابن جني قوله تعالى **بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ** يعني عداوة بعضهم لبعض وقال
مجاهد باسهم بينهم شديد اي بالكلام والوعيد لنفعلن كذا وقال السدي المراد اختلاف
قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد وقيل باسهم شديد اذا لم يلقوا عدوا فنسبوا انفسهم
الى البأس والشدة ولكن اذا لقوا العدو انهزموا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني
اليهود والمنافقين قاله مجاهد وعنه ايضا يعني المنافقين الثوري هم المشركون
واهل الكتاب وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين على امر ورأي وقلوبهم شتى اي
متفرقة فاهل الباطل مختلفة اراؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة اهواؤهم وهم مجتمعون
في عداوة اهل الحق وعن مجاهد ايضا اراد ان دين المنافقين مخالف لدين اليهود وهذا
لتقوى انفس المؤمنين عليهم وقال الشاعر ۔ الى الله اشكو نية شقت العصا هي
اليوم شتى وهي امس جميع ۔ وفي قراءة ابن مسعود وقلوبهم اشت يعني اشد تشتتا اي
اشد اختلافا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي ذلك التشتت والكفر بانهم لا عقل لهم يعقلون
به امر الله قوله تعالى **كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ** قال
بن عباس يعني به قينقاع امكن الله منهم قبل بني النضير وقال قتادة يعني بني النضير
امكن الله منهم قبل قريظة مجاهد يعني كفار قريش يوم بدر وقيل هو عام في كل من انتقم
منه على كفره قبل بني النضير من نوح الى محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وبال اي جزاء كفرهم
ومن قال هم بنو قريظة جعل وبال امرهم نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل
المقاتلة وسبي الذرية وهو قول الضحاك ومن قال المراد بني النضير قال وبال امرهم الجلاء
والنفي وكان بين قريظة والنضير سنتان وكانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة
اشهر فلذلك قال قريبا وقد قال قوم غزوة بني النضير بعد وقعة احد ولهم عذاب اليم
في الاخرة قوله تعالى **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ** هذا ضرب
مثل للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم وحذف حرف العطف
ولم تقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف كثير كما يقول انت عاقل انت كريم
انت عالم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان
اكفر راهب نزلت عنده امرأة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت
ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه

فجاء الشيطان فوعده انه اذا سجد له انجاه منهم فسجد له فتبرأ منه فاسلمه ذكره اسمعيل
القاضي وعلي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن
عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر خبره مطولا ابن عباس
ووهب بن منبه ولفظهما مختلف قال ابن عباس في قوله كمثل الشيطان كان راهبا
في الفترة يقال له برصيصا قد تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة
عين حتى اعيا ابليس فجمع ابليس مردة الشياطين فقال الا احد منكم من يكفيني امر
برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم
في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فجاء جبريل فدخل بينهما ثم دفعه بيده
حتى وقع في اقصى الهند فذلك قوله ذي قوة عند ذي العرش مكين فقال انا اكفيكه فانطلق
فتزيى بزي الرهبان وحلق وسط من رأسه حتى اتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه
وكان لا ينفتل من صلواته الا في كل عشرة ايام يوما ولا يفطر الا في كل عشرة ايام
وكان يواصل العشرة الايام والعشرين والاكثر فلما رأى الابيض انه لا يجيبه اقبل
على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا من صلواته رأى الابيض قائما يصلي في
هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم حين لم يجبه فقال له ما حاجتك فقال ان
اكون معك فاتأدب بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فقال اني في شغل
عنك ثم اقبل على صلواته واقبل الابيض ايضا على الصلوة فلما رأى برصيصا شدة
اجتهاده وعبادته قال له ما حاجتك قال ان تأذن لي فارتفع اليك فاذن له فاقام
الابيض معه حولا لا يفطر الا في كل اربعين يوما يوما واحدا ولا ينفتل عن صلواته
الا في كل اربعين يوما وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت
اليه نفسه ثم قال الابيض عندي دعوات يشفي الله به السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه
اياها ثم جاء الى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه ثم قال
لاهله وقد تصور في صورة الادميين ان بصاحبكم جنونا افاطبه قالوا نعم فقال
اني لا اقوى على جنيته ولكن اذهبوا به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب فجاؤوه فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه
الشيطان ثم جعل الابيض يفعل بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون
ثم انطلق الى جارية من بنات الملوك بين ثلاثة اخوة وكان ابوهم ملكا فمات
واستخلف اخاه فكان عمها ملكا في بني اسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل
متطبب ليعالجها فقال ان شيطانها مارد لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها
عنده فاذا جاءها شيطانها دعا لها فبرئت فقالوا لا يجيبنا الى هذا قال فابنوا صومعة
في جانب صومعته ثم ضعوها فيها وقولوا هي امانة عندك فاحتسب فيها فسألوه
ذلك فابى فبنوا صومعة ووضعوا فيها الجارية فلما انفتل من صلواته عاين الجارية

ومابها من الحبال واسقط في يده فجاها الشيطان فخنقها فانفتل من صلواته ودعا لها فذهب الشيطان ثم اقبل على صلواته فجاها الشيطان فخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض بها برصيصا ثم جاه الشيطان فقال ويحك واقعها فما تجد مثلها ثم تتوب بعد ذلك فلم يزل حتى واقعها فحملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها ثم تتوب فلا يفتضح فان جاوك وسألوك فقل جاها شيطانها فذهب بها فقتلها برصيصا ودفنها ليلا فاخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي خارجا من التراب ورجع برصيصا الى صلواته ثم جاء الشيطان الى اخوتها في المنام فقال ان برصيصا فعل باختكم كذا وكذا وقتلها ودفنها في جبل كذا وكذا فاستعظموا ذلك فقالوا لبرصيصا ما فعلت اختنا فقال ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا ثم جاهم الشيطان في المنام فقال انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف رداها خارج من التراب فانطلقوا فوجدوها فهدموا صومعته وانزلوه وخنقوه وحملوه الى الملك فاقر على نفسه فامر بقتله فلما صلب قال له الشيطان اتعرفني قال لا والله قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات اما اتقيت الله اما استحييت وانت اعبد بني اسرايل ثم لم يكفك صنيعك حتى فضحت نفسك واقررت عليها وفضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم تفلح احد من نظرايك بعدك قال فكيف اصنع قال يطيعني في خصلة واحدة وانجيك منهم واخذ باعينهم قال وماذا قال تسجد لي سجدة فقال انا افعل فسجد له من دون الله فقال يا برصيصا هذا اردت منك كان عاقبة امرك ان كفرت بربك اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين وقال وهب بن منبه ان عابدا كان في بني اسرايل وكان من اعبد اهل زمانه وكان في زمانه ثلاثة اخوة لهم اخت وكانت بكرا ليست لهم اخت غيرها فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون اختهم ولا من يامنون عليها ولا عند من يضعونها قال فجمع رايهم على ان يخلفوها عند عابد بني اسرايل وكان ثقة في انفسهم فاتوه فسالوه ان يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره الى ان يقفلوا من غزاتهم فابى ذلك عليهم وتعوذ بالله منهم ومن اختهم قال فلم يزالوا به حتى اطاعهم فقال انزلوها في بيت حذا صومعتي قال فانزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكث في جوار ذلك العابد زمانا ينزل اليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته ثم يامرها فتخرج من بيتها فتاخذ ما وضع لها من الطعام قال فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه ان يراها احد فيعلقها فلم يزل به حتى مشى بطعامها حتى وضعه على باب بيتها ولا يكلمها قال فلبث بذلك زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والاجر وقال له لو كنت تمشي اليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان اعظم لاجرك قال فلم يزل به حتى مشى اليها بطعامها

فوضعه

فوضعه في بيتها قال فلبث بذلك زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير وحضه عليه وقال له لو كنت تكلمها وتحدثها فتانس بحديثك قال فانها قد استوحشت وحشة شديدة قال فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من فوق صومعته قال ثم اتاه ابليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها فلم يزل به حتى انزله فاجلسه على باب صومعته يحدثها وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا من باب بيتها كان آنس لها فلم يزل به حتى فعل قال فلبثا زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها وقال له لو دنوت من باب بيتها فتحدثها فلبثا بذلك حينا ثم جاءه ابليس فقال لو دخلت البيت معها تحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لاحد كان احسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهاره كله فاذا امسى صعد في صومعته قال ثم اتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها فلم يزل به ابليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فاحبلها فولدت له غلاما فجاءه ابليس فقال له ارايت ان جاء اخوة هذه الجارية وقد ولدت كيف تصنع ولا آمن عليك ان تفتضح او يفضحوك فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم عليك مخافة اخوتها ان يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له اترها تكتم اخوتها ما صنعت بها وقد قتلت ابنها خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها والقاها في الحفيرة مع ابنها واطبق عليها صخرة عظيمة وسوى عليها التراب وصعد الى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله ان يمكث حتى قفل اخوتها من الغزو فجاؤه فسالوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها لهم وقال كانت خير امة وهذا قبرها فانظروا اليه فاتى اخوتها القبر فبكوا اختهم وترحموا عليها واقاموا على قبرها اياما ثم انصرفوا الى اهاليهم فلما جن عليهم الليل واخذوا مضاجعهم اتاهم الشيطان في النوم في صورة رجل مسافر فبدا باكبرهم فساله عن اختهم فاخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف اراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان وقال لم يصدقكم امر اختكم انه قد احبل اختكم وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه فرقا منكم والقاها في حفيرة احتفرها خلف الباب الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما هنالك جميعا كما اخبرتكم قال والى الاوسط في منامه فقال له مثل ذلك ثم اتى اصغرهم فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لما راى كل واحد منهم فاقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رايت عجبا فاخبر بعضهم بعضا بما راى قال كبيرهم هذا حلم ليس بشي فامضوا بنا ودعوا هذا قال اصغرهم لا امضي حتى اتي ذلك المكان

فانظر فيه قال فانطلقوا جميعا حتى دخلوا البيت الذى كانت فيه اختهم ففتحوا الباب
وحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا اختهم وابنها مذبوحين
فى الحفيرة كما قيل لهم فسالوا عنها العابد فصدق قول ابليس فيما صنع بهما فاستعدوا
عليه ملكهم فانزل من صومعته فقدموه ليصلب فلما اوثقوه على الخشبة اتاه الشيطان
فقال له قد علمت انى صاحبك الذى فتنتك فى المراة حتى احبلتها وذبحتها وابنها فان انت
اطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك خلصتك مما انت فيه قال فكفر العابد بالله فلما كفر
خلى عنه الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برى منك وقرا انا برى منك
الى قوله جزاء الظالمين قال ابن عباس فضرب الله هذا مثلا للمنافقين مع اليهود وذلك
ان الله تعالى امر نبيه ان يجلى بنى النضير من المدينة فدس اليهم المنافقون ان لا تخرجوا
من ديارهم فان قاتلوكم كنا معكم وان اخرجوكم كنا معكم فحاربوا النبى صلى الله عليه
وسلم فخذلهم المنافقون وتبراوا منهم كما تبرا الشيطان من برصيصا العابد فكان الرهبان
بعد ذلك لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق والفجور فى الاحبار فرموهم
بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب وبراه الله فانبسطت بعده الرهبان فظهروا للناس
وقيل المعنى مثل المنافقين فى غدرهم لبنى النضير كمثل ابليس اذ قال لكفار قريش لا غالب
لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الاية وقال مجاهد المراد بالانسان هاهنا جميع
الناس فى غرور الشيطان اياهم ومعنى قوله تعالى قال له اكفر اى اغواه حتى قال انى
كافر وليس قول الشيطان انى اخاف الله رب العالمين حقيقة انما هو على وجه التبرى
من الانسان فهو تاكيد لقوله انى برى منك وفتح الياء من انى نافع وابن كثير وابو عمرو
واسكن الباقون فكان عاقبتهما اى عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما فى النار خالدين
فيها نصب على الحال والتثنية ظاهرة فيمن جعل الاية مخصوصة فى الراهب والشيطان
ومن جعلها فى الجنس فالمعنى فكان عاقبة الفريقين او الصنفين ونصب عاقبتهما
على انه خبر كان والاسم انهما فى النار وقرا الحسن فكان عاقبتهما بالرفع على الضد من
ذلك وقرا الاعمش خالدان فيها بالرفع وذلك خلاف المرسوم ورفعه على انه خبر ان
والظرف ملغى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اى فى اوامره ونواهيه
واداء فرائضه واجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعنى يوم القيمة والعرب
يكنى عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على ان الساعة قريبة كما يقال وان
غدا للناظرين قريب وقال الحسن وقتاده قرب الساعة حتى جعلها كغد ولا شك ان
كل ات قريب والموت لا محالة ات ومعنى ما قدمت يعنى من خير او شر واتقوا الله
اعاد هذا تكريرا كقولك اعجل اعجل ارم ارم وقيل التقوى الاولى التوبة فيما مضى
من الذنوب والثانية اتقاء المعاصى فى المستقبل ان الله خبير بما تعملون قال سعيد بن
جبير اى بما يكون منكم قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله اى تركوا

امرهم

بلغ ... فصلبوه فال ... نزلت هذه الايه كمثل الشيطان

امره فانسيهم انفسهم ان يعملوا لها خيرا قاله ابن حيان وقيل نسوا حق الله فانساهم
حق انفسهم قاله سفين وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فانساهم انفسهم بالعذاب
اى يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب
فانساهم انفسهم عند التوبة ونسب تعالى الفعل الى نفسه فى انسائهم اذ كان ذلك
بسبب امره ونهيه الذى تركوه وقيل معناه وجدهم تاركين امره ونهيه كقولك احمدت
الرجل اذا وجدته محمودا وقيل نسوا الله فى الرخا فانساهم انفسهم فى الشدائد اولئك
هم الفاسقون قال ابن جبير العاصون وقال ابن زيد الكاذبون واصل الفسق الخروج
اى الذين خرجوا عن طاعة الله قوله تعالى لا يستوى اصحاب النار واصحاب
الجنة اى فى الفضل والرتبة اصحاب الجنة هم فيها خالدون الفائزون اى المقربون
المكرمون وقيل الناجون من النار وقد مضى الكلام فى معنى هذه الاية فى المائدة عند
قوله لا يستوى الخبيث والطيب وفى سورة السجدة افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
لا يستوون وفى سورة ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل
المتقين كالفجار فلا معنى للاعادة قوله تعالى لو انزلنا هذا القران حث على تامل
مواعظ القران وبين انه لا عذر فى ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القران الجبال مع تركيب
العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة اى
متشققة من خشية الله والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق وقيل خاشعا لله لما كلفه
من طاعته متصدعا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه وقيل هو على وجه المثل للكفار
كقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس اى انه لو انزل هذا القران على جبل لخشع لوعده
وتصدع لوعيده وانتم ايها المقهورون باعجازه لا ترغبون فى وعده ولا ترهبون من وعيده
وقيل الخطاب للنبى عليه السلام اى لو انزلنا هذا القران يا محمد على جبل لما ثبت ولا
تصدع من نزوله عليه وقد انزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه ان ثبته
لما لا يثبت له الجبال وقيل انه خطاب للامة وان الله تعالى لو انذر بهذا القران الجبال
لتصدعت من خشية الله والانسان اقل قوة واكثر ثباتا فهو يقوم بحقه ان اطاع
ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب قوله تعالى هو الله
الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة قال ابن عباس عالم السر والعلانية
وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالاخرة والدنيا وقيل الغيب ما لم يعلم العباد
ولا عاينوه والشهادة ما علموا او شاهدوا هو الرحمن الرحيم تقدم قوله تعالى
هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس اى المنزه عن كل نقص والطاهر
عن كل عيب والقدس بالتحريك السطل بلغة اهل الحجاز لانه يتطهر به ومنه القادوس
لواحد الاوانى الذى يستخرج بها الماء من البير بالسانية وكان سيبويه يقول قدوس
وسبوح بفتح اوليهما وحكى ابو حاتم عن يعقوب انه سمع عند الكسائى اعرابيا فصيحا يكنى

عدم

ابكا الدنيا يقرأ القدوس بفتح القاف وقال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل سفود وكلوب وتنور وسمور وسبوط الا السبوح القدوس فان الضم فيها اكثر وقد يفتحان وكذلك الذروح بالضم وقد يفتح السلام اى ذو السلامة من النقايص وقال بن العربى اتفق العلماء رحمة الله عليهم على ان معنى قولنا فى الله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا فى ترجمة النسبة على ثلثة اقوال الاول معناه الذى سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص الثانى معناه ذو السلامة اى المسلم على عباده فى الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم الثالث ان معناه الذى سلم الخلق من ظلمه قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا قول الخطابى وعليه والذى قبله يكون صفة فعل وعلى انه ٦ لبرى من العيوب والنقايص يكون صفة ذات وقيل السلام معناه المسلم لعباده المومن اى المصدق لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق المومنين ما وعدهم من الثواب ومصدق الكافرين ما وعدهم من العقاب وقيل المومن الذى يومن اوليا من عذابه ويومن عباده من ظلمه يقال امنه من الامان الذى هو ضد الخوف كما قال وامنهم من خوف فهو مومن قال النابغه والمومن العايذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسعد وقال مجاهد المومن الذى وحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقال بن عباس اذا كان يوم القيمة اخرج اهل التوحيد من النار واول من تخرج من وافق اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون وانا السلام وانتم المومنون وانا المومن فيخرجهم من النار ببركة هادين الاسمين المهيمن العزيز تقدم الكلام فى المهيمن فى المايدة وفى العزيز غير موضع الجبار قال بن عباس هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على هذا القول صفة ذات من قولهم نخلة جبار قال امرى القيس سوامق جبار اثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر احمرا يعنى النخل الذى فات اليد فكان هذا الاسم يدل على عظمة الله وتقدسه عن ان ساله النقايص وصفات الحدث وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح يقال جبرت العظم فجبر اذا اصلحته بعد الكسر فهو فعال من جبر اذا اصلح الكسير واغنى الفقير وقال الفرا هو من اجبره على الامر اى قهره قال ولم اسمع فعالا من افعل الا فى جبار ودراك من ادرك وقيل الجبار الذى لا يطاق سطوته المتكبر الذى تكبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم واصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد وقال حميد بن ثور عفت مثل ما يعفو الفصيل فاصبحت بها كبرياء الصعب وهى ذلول والكبر فى صفات الله مدح وفى صفات المخلوقين ذم وفى الصحيح عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته ثم قذفته فى النار وقيل المتكبر

معنا

معناه العالى وقيل معناه الكبير لانه اجل من ان يتكلف كبرا وقد يقال تظلم بمعنى ظلم وتشتم بمعنى شتم واستقر بمعنى قر كذلك المتكبر بمعنى الكبير وليس كما يوصف به المخلوق اذا وصف بتفعل اذا انسب الى ما لم يكن منه ثم نزه نفسه فقال سبحان الله اى تنزيها لجلالته وعظمته سبحان الله عما يشركون قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور الخالق هنا المقدر البارئ المنشئ المخترع الخلق البراية والتابع لهما ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل وخلق الله الانسان فى ارحام الامهات ثلاث خلق جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيل الذى يكون بها ذا صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها فتبارك الله احسن الخالقين وقال النابغة الخالق البارئ المصور فى الارحام ماء حتى يصير دما وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير وليس كذلك وانما التصوير اخرا والتقدير اولا والبراية بينهما ومنه قوله الحق واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقال زهير ولانت تخلق ما تشاء وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى يقول تقدر ما تقدر ثم تفريه اى تمضيه على وفق تقديرك وغيرك تقدر ما لا يتم له ولا يقع فيه مراده اما لقصوره فى تصور تقديره او لعجزه عن تمام مراده وقد اتينا على جميع هذا كله وزيادة عليه فى الكتاب الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى والحمد لله وعن حاطب ابن ابى بلتعه انه قرا البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء بالبارئ المصور اى مميزا بصورة بتفاوت الهيات ذكره الزمخشرى له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه وعن ابى هريرة قال سالت خليلى ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال يا ابا هريرة عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراتها فاعدت عليه فاعاد على وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا خواتيم سورة الحشر فى ليل او نهار فقبضه الله فى تلك الليلة او ذلك اليوم فقد اوجب الله له الجنة

سورة الممتحنة مدنية فى قول الجميع وهى ثلاث عشرة اية الممتحنة بكسر الحاء اى المختبرة اضيف الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشفت من عيوب المنافقين ومن قال فى هذه السورة الممتحنة بفتح الحاء فانه اضافها الى المراة التى نزلت فيها وهى ام كلثوم بنت عقبة ابن ابى معيط قال الله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الاية وهى امراة عبد الرحمن ابن عوف ولدت له ابرهيم بن عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

والمصور مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة والتصوير ترتيب ...

الذى

قوله تعالى

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء عدى
اتخذ الى مفعولين وهما عدوي واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفى ولكونه
على زنة المصدر اوقع على الجماعة ايقاعه على الواحد تلقون اليهم بالمودة فيه سبع
مسائل الاولى روى الائمة واللفظ لمسلم عن علي رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه
منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بالمراة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي
كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب ابن ابي بلتعة الى ناس من المشركين
من اهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرا ملصقا في قريش
قال سفين كان حليفا لهم ولم يكن من انفسها وكان ممن معك من المهاجرين
من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب
فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني
ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال النبي صلى الله عليه صدق فقال عمر دعني يا رسول
الله اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قيل اسم المراة سارة من موالي قريش
وكان في الكتاب اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم
بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله
وانجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره ذكره بعض المفسرين وذكر القشيري
والثعلبي ان حاطب ابن ابي بلتعة كان رجلا من اهل اليمن وكان له حلف بمكة
في بني اسد بن عبد العزى رهط الزبير ابن العوام وقيل كان حليفا للزبير فقدمت
من مكة سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم ابن عبد مناف الى المدينة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة وقيل كان هذا زمن الحديبية فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم امهاجرة جئت يا سارة فقالت لا قال امسلمة جئت قالت
لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهب الموالي
يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني و
تكسوني فقال عليه السلام فاين انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية قالت
ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وبني المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها واعطوها فخرجت الى مكة واتاها حاطب

بلتعة ظ

ما طلب
وقال

وقال اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي هذا الكتاب الى اهل مكة وكتب في
الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل
جبريل فاخبر النبي عليه السلام بذلك فبعث عليا والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد
الغنوي وفي رواية عليا والزبير والمقداد وفي رواية ارسل عليا وعمار بن ياسر وفي رواية
عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال
لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى
المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فادركوها
في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت ما معها كتاب ففتشوا امتعتها فلم يجدوا
معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي
الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوائبها
وفي رواية من حجزتها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فارسل الى حاطب وقال هل تعرف الكتاب قال نعم وذكر الحديث بنحو ما
تقدم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة
هي احدهم الثانية السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد مضى ذلك في غير موضع من ذلك قوله
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء ومثله كثير وذكر ان حاطبا انه لما سمع يا ايها الذين آمنوا غشي عليه من الفرح
بخطاب الايمان الثالثة **تلقون اليهم بالمودة** يعني بالظاهر لان قلب حاطب
كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص
في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده والباء في بالمودة زائدة كما تقول قرات السورة وقرات بالسورة
ورميت اليه
ما في نفسي ويجوز ان تكون ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك تسرون اليهم بالمودة اي بسبب
المودة وقال الفراء تلقون اليهم بالمودة من صلة اولياء ودخول الباء في المودة وخروجها سواء
ويجوز ان تتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره وباولياء صفة له ويجوز ان تكون استئنافا ومعنى
تلقون اليهم بالمودة تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم وقاله الزجاج الرابعة من
كثر تطلعه الى عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا
اذا كان فعله لغرض دنياوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد
ولم ينو الردة عن الدين الخامسة اذا قلنا لا يكون بذلك كافرا فهل يقتل بذلك حدا ام لا اختلف
الناس فيه فقال مالك وابن القاسم واشهب يجتهد في ذلك الامام وقال عبد الملك اذا
كانت عادته تلك قتل لانه جاسوس وقد قال مالك يقتل الجاسوس وهو صحيح لاضراره
بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل ابن الماجشون انما اتخذ التكرار في هذا لان
حاطبا اخذ في اول فعله والله اعلم السادسة فان كان الجاسوس كافرا فقال الاوزاعي

يكون بقضاء العهد وقال اصبغ الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس المسلم والذمي يعاقبان الا
ان تظاهرا على الاسلام فيقتلان وقد روى عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتى بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الانصار اقتل
وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلى سبيله وقال
ان منكم من اكله الى ايمانه منهم فرات ابن حيان وقوله وقد كفروا حال اما من لا تتخذوا واما
من تلقون اى لا تتولوهم او توادونهم وهذه حالهم وقرا الجحدري لما جاءكم اى كفروا لاجل
ما جاء كم من الحق السابقة قوله تعالى **يخرجون الرسول** استينافا كلام كالتفسير
لكفرهم وعتوهم او حال من كفروا واياكم ان تومنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون المعنى يخرجون
الرسول ويخرجونكم من مكة ان تومنوا بالله اى لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن
اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء
ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي وقيل في الكلام حذف والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي ولا تلقوا اليهم بالمودة وقيل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي شرط وجوابه مقدم
المعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ونصب جهادا وابتغاء لانه
مفعول له وقوله تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون ومبين عنه والافعال تبدل من الافعال كما قال تعالى
ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وانشد سيبويه متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا
جزلا ونارا تاججا وقيل هو على تقدير انتم تسرون اليهم بالمودة فيكون استينافا وهذا كله
معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسوله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا يكون الا من
محب لحبيب كما قال اعاتب ذا المودة من صديق اذا ما رابني منه اجتناب اذا ذهب العتاب فليس ود
ويبقى الود ما بقي العتاب ومعنى بالمودة اى بالنصيحة في الكتاب اليهم والباء زايدة كما ذكرنا او ثابتة
غير زايدة قوله تعالى **وانا اعلم بما اخفيتم** اضمرتم **وما اعلنتم** اظهرتم والباقي
بما زايدة يقال علمت كذا وعلمت بكذا وقيل وانا اعلم من كل احد بما تخفون وما تعلنون
فحذف من كل احد كما يقال فلان اعلم وافضل من غيره وقال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في
صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار والتوحيد ومن يفعله منكم من يسر اى يسر اليهم
ويكاتبهم منكم فقد ضل سواء السبيل اى اخطا قصد الطريق قوله تعالى **ان يثقفوكم**
تلقوكم ويصادفوكم ومنه المثاقفة اى طلب مصادفة العزة في المسابقة وشبهها وقيل
يثقفوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم بالسوء
اى بالضرب والقتل والسنتهم بالشتم وودوا لو يكفرون بمحمد ولا ينا صحوهم فانهم لا يناصحونكم
قوله تعالى **لن ينفعكم ارحامكم** بما اعتذر حاطب بان له ارحاما واولادا
فيما بينهم بين الرجل وعز ان الاهل والاولاد لا ينفعون شيئا يوم القيمة ان عصى من اجل
ذلك يفصل بينكم فيدخل المومنين الجنة ويدخل الكافرين النار وفي يفصل قرات سبع قرا عاصم
يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرا حمزة والكسائي يفصل بضم الياء وفتح الفاء وكسر

اي

الضاد

الضاد مشددا وقرا الحسن وابن عامر تفضل كذلك مشددا الا انه على ما لم يسم فاعله وقرا
طلحة والنخعي بالنون وكسر الصاد مشددة وروى عن علقمة كذلك بالنون مخففة
وقرا قتادة وابو حيوة يفصل بضم الياء وكسر الصاد مخففا من افصل وقرا الباقون
يفصل بياء مضمومة وتخفيف الفاء وفتح الصاد على المجهول واختار ابو عبيد من
خفف فلقوله وهو خير الفاصلين وقوله ان يوم الفصل ومن شدد فلان ذلك بين
في الفعل الكثير المكرر المتردد ومن اتى به على ما لم يسم فاعله فلان الفاعل معروف
ومن اتى به مسمى الفاعل ردا لضمير الى الله تعالى ومن قرا بالنون فعلى التعظيم والله بما
تعملون بصير قوله تعالى **قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم** لما نهى
موالاة الكفار ذكر قصة ابرهيم وان من سيرته التبرى من الكفار اى فاقتدوا به
وائتموا الا في استغفاره لابيه والاسوة ما يتاسى به مثل القدوة والقدوة ويقال هو
اسوتك اى مثلك وانت مثله وقرا عاصم اسوة بضم الهمزة لغتان والذين معه يعني
اصحاب ابرهيم من المومنين وقال ابن زيد هم الانبياء اذ قالوا لقومهم الكفار انا برءوا منكم وما
تعبدون من دون الله اى الاصنام وبرءا جمع برى مثل شريك وشركاء وظريف وظرفاء
وقراءة العامة على وزن فعلاء وقرا عيسى ابن عمرو وابن ابي اسحق براء بكسر الباء على وزن
فعال مثل قصير وقصار وطويل وطوال وظريف وظراف وقرا براء على ابدال الضم من الكسر
كرجال ورباب وتجوز بزك الهمزة حتى تقول برا وتنون وقرا براء على الوصف بالمصدر والاية
نص في الامر بالاقتداء بابرهيم عليه السلام في فعله وذلك يصحح ان شرع من قبلنا شرع لنا
فيما اخبر الله ورسوله كفرنا بكم اى بما امنتم به من الاوثان وقيل اى بافعالكم وكذبناها
وانكرنا ان يكون على حق وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اى هذا دابنا معكم
ما دمتم على كفركم حتى تومنوا بالله وحده فحينئذ ينقلب المعاداة موالاة الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك فلا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة
منه له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء ان ابرهيم هجر قومه وباعدهم الا
في الاستغفار لابيه ثم بين عذره في سورة التوبة وفي هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله
عليه وسلم على ساير الانبياء لانا حين امرنا به امرنا امرا مطلقا في قوله وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتداء بابرهيم استثنى بعض افعاله وقيل هو
استثناء منقطع اى لكن قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك انما جرى لانه ظن انه اسلم فلما
بان له انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا
مثل هذا الظن فلم توالوهم وما املك لك من الله من شيء هذا من قول
ابرهيم لابيه اى ما ادفع عنك من عذاب الله شيئا ان اشركت به ربنا عليك توكلنا هذا من دعاء ابرهيم عليه السلام واصحابه وقيل علم المومنين ان يقولوا هذا
اى تبرءوا من الكفار وتوكلوا على الله وقولوا ربنا عليك توكلنا اى اعتمدنا واليك انبنا

هم الانبياء

اى رجعنا واليك المصير لك الرجوع فى الآخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اى
اى لا تظهر عدونا علينا فيظنوا انهم على حق فيفتنوا بذلك وقيل لا تسلطهم علينا فيفتنونا
وتعذبونا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم قوله تعالى لقد كان لكم
فيهم اى فى ابرهيم ومن معه من الانبيا والاوليا اسوة حسنة اى فى التبرى من الكفار
وقيل كرر للتاكيد وقيل نزل الثانى بعد الاول بمدة وما اكثر المكررات فى القرآن على
هذا الوجه ومن يتول اى عن الاسلام وقبول هذه المواعظ فان الله هو الغنى اى لم
يتعبدهم لحاجة اليهم الحميد فى نفسه وصفاته ولما نزلت عادى المسلمون اقرباهم
من المشركين فعلم الله شدة وجد المومنين فى ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة وهذا بان يسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وخالطهم المسلمون
كابى سفين ابن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل المودة تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابى سفيان فلانت عند ذلك عريكة ابى سفيان واسترخت
شكيمته فى العداوة قال ابن عباس كانت المودة بعد الفتح تزوج النبى صلى الله عليه وسلم
ام حبيبة بنت ابى سفين وكانت تحت عبد الله بن جحش وكانت هى وزوجها من مهاجرى الحبشة
فاما زوجها فتنصر وسالها ان تتابعه على دينه فابت وصبرت على دينها ومات زوجها على النصرانية
فبعث النبى صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فخطبها فقال النجاشى لاصحابه من اولاكم بها قالوا
خالد بن سعيد بن العاصى قال فزوجها من نبيكم ففعل وامهرها النجاشى من عنده اربع
مائة دينار وقيل خطبها النبى صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان فلما زوجه اياها بعث
الى النجاشى فيها فساق عنه المهر وبعث بها اليه فقال ابو سفيان وهو مشرك لما بلغه تزويج
النبى صلى الله عليه وسلم ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه يقدع بالدال غير المعجمة يقال
هذا الفحل لا يقدع انفه اى لا يضرب انفه وذلك اذا كان كريما قوله تعالى لا ينهيكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم فيه ثلاث مسائل الاولى هذه الآيه رخصة من الله تعالى فى صلة الذين ٤
قال ابن زيد كان هذا فى اول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسختها
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل كان هذا الحكم لعلة وهو الصلح فلما زال
الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقى الرسم تتلى وقيل هى مخصوصة فى حلفاء النبى صلى الله عليه
وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقضه قاله الحسن الكلبى هم خزاعة وبنو الحارث ابن
عبد مناف وقاله ابو صالح وقال هم خزاعة وقال مجاهد هى مخصوصة فى الذين امنوا ولم يهاجروا
وقيل يعنى النساء والصبيان لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله فى برهم حكاه بعض المفسرين
وقال اكثر اهل التاويل هى محكمة واحتجوا بان اسماء بنت ابى بكر سالت النبى صلى الله
عليه وسلم هل تصل امها حين قدمت عليها مشركة فقال نعم خرجه البخارى ومسلم
وقيل ان الآية فيها نزلت روى عامر بن عبد الله ابن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق
طلق امراته قتيلة وقال النحاس قتيلة بنت عبد العزى ابن اسعد فى الجاهلية وهى ام اسماء

بنت ابى بكر قدمت عليهم فى المدة التى كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار
قريش فاهدت الى اسماء بنت ابى بكر قرطا واشيا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ذكر هذا الخبر
الماوردى وغيره وخرجه ابو داود الطيالسى فى مسنده الثانية قوله تعالى ان تبروهم
ان فى موضع جر على البدل من الذين اى لا ينهيكم الله عن ان تبروا الذين لم يقاتلوكم وهم خزاعة
صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولم يعينوا عليه احدا فامر ببرهم والوفاء لهم
الى اجلهم حكاه الفراء وتقسطوا اليهم اى تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس
يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربى الثالثة قال
القاضى ابو بكر فى كتاب الاحكام له استدل به بعض من تعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة
الابن المسلم على ابيه الكافر وهذه وهلة عظيمة ان الاذن فى الشى او ترك النهى عنه لا يدل
على وجوبه وانما يعطيك الاباحة خاصة وقد بينا ان اسمعيل ابن اسحاق القاضى دخل عليه
ذمى فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون فى ذلك فتلى هذه الآية عليهم قوله تعالى انما
ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين اى جاهدوكم على الدين و
اخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا اى عاونوا على اخراجكم وهم
مشركوا مكة ان تولوهم ان فى موضع جر على البدل على ما تقدم فى ان تبروهم ومن يتولهم
اى يتخذهم اولياء وانصارا واحبابا فاولئك هم الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن فيه ست عشرة
مسئلة الاولى لما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين عن
بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح من اكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة
النساء قال ابن عباس جرى الصلح مع مشركى قريش عام الحديبية على من اتاه من اهل مكة
رده اليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبى صلى
الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا وهو صيفى ابن الراهب وقيل
مسافر المخزومى فقال يا محمد اردد على امراتى فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب
لم تجف بعد فانزل الله هذه الآية وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة ابن ابى معيط فجاء
اهلها يسلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو
بن العاصى ومعها اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها
فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال عليه السلام كان الشرط فى
الرجال لا فى النساء فانزل الله هذه الآية وعن عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو
على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ان لا ياتيك منا احد وان كان على دينك
الا رددته الينا حتى انزل الله فى المومنات ما انزل يومى الى ان الشرط فى رد النساء
نسخ ذلك وقيل ان التى جاءت اميمة بنت بشر كانت عند ثابت ابن الشمراخ ففرت منه

وهو يومئذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله قاله زيد بن حبيب كذا في الماوردي
اميمه بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ قال المهدوي وروى ابن وهب عن خالد ان هذه
الآية نزلت في اميمه بنت بشر من بني عمرو بن عوف وهي امراة ابن الدحداح وتزوجها بعد هجرتها
سهل بن حنيف وقال مقاتل انها سعيده زوجة صفي ابن الراهب مشرك من اهل مكة والاكثر
من اهل العلم انها ام كلثوم بنت عقبه الثانيه واختلف اهل العلم هل دخل النساء في عقد
المهادنه لفظا او عموما فقالت طايفة منهم قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا
فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وبقاه في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان للنبي صلى
الله عليه وسلم ان يجتهد رايه في الاحكام ولكن لا يقره الله على خطا وقالت طايفة من اهل العلم
لم يشرط ردهن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان ظاهر العموم اشتماله
عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين
احدهما انهن ذوات فروج يحرمن عليهم الثاني انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم
فاما المقيمه منهن على شركها فمردوده عليهم الثالثه قوله تعالى **فامتحنوهن** قيل
انه كان من اراد منهن اضرار زوجها قالت ساهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتحانهن واختلف فيما كان يمتحنهن به على ثلاثة اقوال الاول
قال ابن عباس كانت المحنة ان يستحلفن بالله انها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة من ارض
الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل منا بل حبا لله ولرسوله فاذا حلفت بالله الذي لا اله
الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها وذلك
قوله فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
الثاني ان المحنة كانت ان تشهدا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قاله ابن عباس
ايضا الثالث بما بينه في السوره بعد من قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات
قالت عايشه رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بالاية التي
قال الله اذا جاءك المومنات يبايعنك رواه معمر عن الزهري عن عايشه خرجه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح الرابعة اكثر العلماء على ان هذا ناسخ لما كان عليه
السلام عاهد عليه قريشا من انه يرد اليهم من جاءه منهم مسلما فنسخ من ذلك النساء
وهو مذهب من يرى نسخ السنه بالقرآن وقال بعض العلماء كله منسوخ في الرجال
والنساء ولا يجوز ان يهادن الامام العدو على ان يرد اليهم من جاءه مسلما لان اقامة
المسلم بارض الشرك لا تجوز وهذا مذهب الكوفيين وعقد الصلح على ذلك جايز عند مالك
وقد احتج الكوفيين لما ذهبوا اليه من ذلك بحديث اسمعيل ابن ابي خالد عن قيس بن
ابي حازم عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى قوم
من خثعم فاعتصموا بالسجود فقتلهم فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الدية
وقال انا بري من كل مسلم اقام مع مشرك في دار الحرب لا تراءى ناراهما قالوا فهذا ناسخ

لرد المسلمين الى المشركين اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بري ممن قد اقام معهم
في دار الحرب ومذهب مالك والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ قال الشافعي وليس
لاحد هذا العقد الا الخليفه او رجل بامره لانه يلي الاموال كلها فمن عقد غير الخليفه هذا
العقد فهو مردود الخامسة قوله تعالى الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله اعلم
بايمانهن لانه متولي السرائر فان علمتموهن مومنات اي بما يظهرن من الايمان وقيل
اي علمتموهن مومنات قبل الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن اي لم يحل الله مومنة لكافر ولا نكاح مومن لمشركة وهذا ادل دليل على ان
الذي اوجب فرقة المسلمة من زوجها اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفه الذي فرق بينهما
هو اختلاف الدارين واليه اشارة في مذهب مالك بل عبارة والصحيح الاول لان الله
تعالى قال لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فبين ان العلة عدم الحل بالاسلام وليس
باختلاف الدار والله اعلم وقال ابو عمر ولا فرق بين الدارين في الكتاب ولا في السنة
ولا في القياس وانما المراعاة من ذلك الدينان فباختلافهما يقع الحكم وباجتماعهما لا بالدار
والله المستعان السادسة قوله تعالى **واتوهم ما انفقوا** امر الله تعالى اذا امسكت
المراة المسلمة ان يرد على زوجها ما انفق وذلك من الوفاء بالعهد لانه لما منع من اهله
بحرمة الاسلام امر برد المال حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين الزوجة والمال
السابعة ولا غرم الا اذا طالب الزوج الكافر فاذا حضر وطالب منعناها وغرمنا فان كانت
ماتت قبل حضور الزوج لم نغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمى خمرا او خنزيرا
لم نغرم شيئا لانه لا قيمة له وللشافعي في هذه الاية قولان احدهما ان هذا منسوخ قال
الشافعي واذا جاءتنا المراة الحرة من اهل الهدنة مسلمة مهاجرة من الحرب الى الامام في
دار الاسلام او دار الحرب فمن طلبها من ولي سوى زوجها منع منها بلا عوض واذا طلبها زوج
لنفسه او غيره بوكالة ففيه قولان احدهما يعطى العوض والقول ما قال الله عز وجل وفيه
قول اخر انه لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءت زوجته مسلمة العوض فان شرط الامام رد
النساء كان الشرط ورسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يرد النساء كان شرط من شرط رد النساء
منسوخا وليس عليه عوض لان الشرط المنسوخ باطل ولا عوض للباطل الثامنة امر الله
سبحانه ان يرد مثل ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام ينفذ مما بين يديه من
بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وقال مقاتل يرد المهر الذي يتزوجها من المسلمين فان لم
يتزوجها من المسلمين احد فليس لزوجها الكافر شي وقال قتادة الحكم في رد الصداق
انما هو في نساء اهل العهد فاما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق
والامر كما قال رحمه الله التاسعة قوله تعالى **فلا جناح عليكم ان تنكحوهن**
يعني اذا اسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت من تحريم نكاح المشركة والمعتدة فان
اسلمت قبل الدخول ثبت النكاح في الحال ولها التزوج العاشرة قوله تعالى

إذا آتيتموهن أجورهن ؛ اباح نكاحها بشرط المهر لان الاسلام فرق بينها وبين
زوجها الكافر الحادية عشر قوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر ؛ قراءة العامة
بالتخفيف من الامساك وهو اختيار ابي عبيد لقوله تعالى وامسكوهن بمعروف وقرا الحسن وابو
العالية وابو عمرو ولا تمسكوا مشدده من التمسيك يقال مسك يمسك تمسكا بمعنى امسك
يمسك وقرى ولا تمسكوا بنصب اليا اي لا تتمسكوا والعصم جمع العصمة وهو ما اعتصم به والمراد
بالعصمة هاهنا النكاح يقول من كانت له امراة كافرة بمكه ولا يعتد بها فليست له امراة
فقد انقطعت عصمتها لاختلاف الدارين وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان
الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك في هذه الاية فطلق
عمر بن الخطاب حينيذ امراتين له بمكه مشركتين قريبه بنت ابي اميه فتزوجها معاويه ابن
ابي سفيان وهما على شركهما بمكه وام كلثوم بنت عمرو الخزاعيه ام عبد الله بن المغيره فتزوجها
ابو جهم ابن حذافه وهما على شركهما فلما ولي عمر قال ابو سفيان لمعويه طلق قريبه ليلا
يرى عمر سلبه في بيتك فابى معويه من ذلك وكانت عند طلحة ابن عبيد الله اروى بنت ربيعه
ابن الحرث بن عبد المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص
وكانت ممن فر الى النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد وزوج عليه
السلام زينب ابنته وكانت كافرة من ابي العاص ابن الربيع ثم اسلمت واسلم زوجها بعدها
ذكر عبد الرزاق بن جريج عن رجل عن ابن شهاب قال اسلمت زينب ابنة النبي صلى الله عليه
وسلم وهاجرت بعد النبي عليه السلام في الهجرة الاولى وزوجها ابو العاص ابن الربيع
بن عبد العزى بمكة مشركة الحديث وفيه انه اسلم بعدها وكذلك قال الشعبي قال الشعبي وكانت
زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص ابن الربيع فاسلمت ثم لحقت
بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى زوجها المدينة فامنته فاسلم فردها عليه النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيا قال
محمد بن عمر في حديثه بعد ست سنين وقال الحسن بن علي بعد سنتين قال ابو عمر فان صح
هذا فلا يخلو امن وجهين اما انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقول
الله عز وجل وبعولتهن احق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا ما لا اختلاف فيه بين
العلماء انه عنى به العدة وقال بن شهاب الزهري رحمه الله في قصة زينب هذه كان قبل
ان ينزل الفرايض وقال قتاده كان هذا قبل ان تنزل سورة برا ة بقطع العهود بينهم وبين
المشركين والله اعلم الثانيه عشر قوله تعالى بعصم الكوافر ؛ المراد بالكوافر
هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز ابتدا نكاحها فهي خاصة في الكوافر من غير اهل الكتاب
وقيل هي عامه نسخ منها نساء اهل الكتاب ولو كان الى ظاهر الاية لم تحل كافرة بوجه
وعلى القول الاول فاذا اسلم وثني او مجوسي ولم تسلم امراته فرق بينهما وهذا قول بعض اهل
العلم ومنهم من قال ينتظر بها تمام العدة فمن قال تفرق بينهما في الوقت لا ينتظر تمام العدة

اذا عرض عليها الاسلام ولم تسلم مالك بن انس وهو قول الحسن وطاوس ومجاهد وعطا
وعكرمه وقتاده والحكم واحتجوا بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال الزهري ينتظر
بها العدة وهو قول الشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفيان بن حرب اسلم قبل هند بنت عتبه
امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمه على كفرها واخذت بلحيته
وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فاستقرا على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت
قالوا ومثله حكيم ابن حزام اسلم قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي ولا حجه
لمن احتج بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر لان نسا المومنين محرمات على الكفار كما
ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر والوثنيات ولا المجوسيات بقول الله تعالى لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله من قوله هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا
ان يسلم الباقي منهما في العدة واما الكوفيون سفين وابو حنيفه واصحابه فانهم قالوا
في الكافرين الذميين اذا اسلمت المراة عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما
قالوا ولو كانا حربيين فهي امراة حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او في
دار الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما فراعوا الدار وليس
بشي وقد تقدم الثالثه عشر هذا الاختلاف انما هو في المدخول بها فان كانت غير مدخول
بها فلا نعلم اختلافا في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها وكذا يقول مالك في المراة
يرتد وزوجها مسلم انقطعت العصمة بينهما وحجته ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن
البصري والحسن ابن صالح بن حي ومذهب الشافعي واحمد انه ينتظر بها تمام العدة الرابعة عشر
فان كان الزوجان نصرانيان فاسلمت الزوجة ففيه ايضا اختلاف ومذهب مالك والشافعي
واحمد الوقوف الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذلك الوثني تسلم زوجته انه ان اسلم في عدتها
فهو احق بها كما كان صفوان ابن اميه وعكرمة ابن ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتيهما
على حديث ابن شهاب ذكره مالك في الموطا قال بن شهاب كان بين اسلام صفوان وبين اسلام
امراته نحو من شهر قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الا ان تقدم زوجها
مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها ومن العلماء من قال ينفسخ النكاح بينهما قال يزيد بن علقمه اسلم
جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر رضي الله عنه وهو قول طاوس وجماعة غيره منهم
عطا والحسن وعكرمه قالوا لا سبيل عليها الا بخطبه الخامسة عشر قوله تعالى واسألوا
ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا ؛ قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات
مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء احد
من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين
فكان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة باجماع الامة
قاله ابن العربي السادسة عشر قوله تعالى ذلكم حكم الله اي ما ذكر في هذه

الآية والله عليم حكيم تقدم في غير موضع قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم
فيه ثلاث مسايل الاولى في الخبر ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين
فامتنعوا فنزل قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا روى الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت حكم الله عز وجل
بينهم فقال جل ثناوه واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون
قد حكم الله جل وعز بيننا بانه ان جاتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها وان
جاتنا امراة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اليهم اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيا
فان كان لنا عندكم شيء فوجهوا به فانزل الله جل وعز وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار
فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا وقال ابن عباس في قوله ذلكم حكم الله اي
بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري ولولا
العهد لامسك النسآء ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان يعطوا
الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفي والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد
وليس بيننا وبينه عهد وقالا ومعنى فعاقبتم فاقتصصتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا يعني الصدقات فهي عامة في جميع الكفار وقال قتادة ايضا وان فاتكم شيء
من ازواجكم الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة براءة وقال الزهري انقطع هذا اليوم الفتح وقال سفيان الثوري
لا يعمل به اليوم وقال قوم هو ثابت الحكم الآن ايضا حكاه القشيري الثانية قوله تعالى
فعاقبتم قراة العامة فعاقبتم وقرا علقمة والنخعي وحميد والاعرج فعقبتم مشدده
وقرا مجاهد فاعقبتم وقال صنعتم كما صنعوا بكم وقرا الزهري فعقبتم خفيفة بغير الف وقرا
مسروق وشقيق بن سلمة فعقبتم بكسر القاف خفيفه وقال غنمتم وكلها لغات بمعنى واحد
يقال عاقب وعقب وعقب واعقب وتعقب واعتقب وتعاقب اذا غنم وقال القتبي فعاقبتم
فغزوتم معاقبين غزوا بعد غزو وقال ابن بحر اي فعاقبتم المرتدة بالقتل فلزوجها مهرها
من عناىم المسلمين الثالثة قوله تعالى **فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل
ما انفقوا** قال ابن عباس يقول ان لحقت امراة مومنة بكفار اهل مكة وليس بينكم
وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة
قبل ان تخمس قال الزهري يعطى من مال الفي وعنه يعطى من صداق من لحق بنا وقيل اي ان
امتنعوا من ان تغرموا مهر هذه المراة التي ذهبت اليهم فانبذوا العهد اليهم
حتى اذا طفرتم فخذوا ذلك منهم قال الاعمش هي منسوخه وقال عطا بل حكمها ثابت
وقد تقدم جميع هذا القشيري والاية نزلت في ام الحكم بنت ابي سفيان ارتدت وتركت
زوجها عياض بن غنم القرشي ولم يرتد امراة من قريش غيرها ثم عادت الى الاسلام
وحكى الثعلبي عن ابن عباس هن ست نسوة رجعن الى الاسلام ولحقن بالمشركين

من نسآ

من نسآء المومنين المهاجرين ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة
بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما هاجر عمر ابت وارتدت
وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس ابن عثمان وعبدة بنت عبد العزى كانت تحت هشام بنت
العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب وشهبة بنت غيلان فاعطاهم النبي
صلى الله عليه وسلم مهور نسايهم من الغنيمة واتقوا الله اي احذروا ان تتعدوا ما امرتم به
قوله تعالى **يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك** فيه ثماني مسايل الاولى
لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاء نسآء اهل مكة يبايعنه فامر ان ياخذ عليهن ان لا
يشركن وفي صحيح مسلم عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان المومنات
اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله يا ايها النبي اذا جاءك المومنات
يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيا ولا يسرقن ولا يزنين الى اخر الاية قالت عايشة فمن اقر
بهذا من المومنات فقد اقر بالمحنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقررن بذلك
من قولهن قال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة قط غير انه بايعهن بالكلام قالت عايشة والله ما اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم على النسآء قط الا بما امره الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى
الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول لهن اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وروي انه عليه
السلام بايع النسآء وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقيل لما فرغ من بيعة
الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل يشترط على النسآء البيعة وعمر يصافحهن

وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا فبايعتهن ابن العربي وذلك ضعيف وانما ينبغي
التعويل على ما في الصحيح وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع
نسآء الانصار في بيت ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن عليه
السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيا الاية
فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد
وروى عمر بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النسا
دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم امر النسا فغمسن ايديهن فيه الثانيه روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قال على ان لا يشركن بالله شيا قالت هند بنت عتبه وهي منتقبة
خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد والله انك لتاخذ
علينا امرا ما رايتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يوميذ على الاسلام والجهاد فقط
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت
من ماله قوتا فقال ابو سفيان هو لك حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها
وقال انت هند فقالت عفا الله عما سلف ثم قال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة
فقال ولا يقتلن اولادهن اي لا يئدن الموءودات ولا يسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم

صغارًا وقتلتهم كبارا يوم بدر فانتم وهم ابصر وروى مقاتل انها قالت ربينا هم صغارا وقتلتموهم
كبارا فانتم وهم اعلم فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى وكان حنظلة ابن ابى سفيان وهو
بكرها قتل يوم بدر ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن قيل معنى بين ايديهن
من قبله او جسه وارجلهن الجماع وقيل معنى بين ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن
الجماع وقيل المعنى لا يلحقن برجالهن ولدا من غيرهن وهذا قول الجمهور وكانت المراة تلتقط
ولدا فتلحقه تزوجها وتقول هذا ولدى منك وكان هذا من البهتان والافترا وقيل ما بين
يديها ورجلها كناية عن الولد لان بطنها الذى تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذى تلد منه
بين رجليها وهذا عام فى الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهى عن الزنا وروى ان
هند لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح ما تامر الا بالرشد ومكارم الاخلاق
ثم قال ولا يعصينك فى معروف قال قتاده لا ينحن ولا تخلو امراة منهن الا بذى محرم
وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن السايب وزيد بن اسلم هو ان لا تخمشن وجها ولا يشققن جيبا ولا
يدعون ويلا ولا ينشرن شعرا ولا يحدثن الرجال الا ذو محرم وروت ام عطيه عن النبى صلى
الله عليه وسلم ان ذلك فى النوح وهو قول ابن عباس وروى شهر بن حوشب عن ام سلمه عن النبى
صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك فى معروف قال هو النوح قال مصعب بن نوح ادركت عجوزا ممن
بايع النبى صلى الله عليه وسلم فحدثتنى عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله ولا يعصينك فى معروف
قال النواح وفى صحيح مسلم عن ام عطية لما نزلت هذه الاية يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا ولا يعصينك فى معروف قال كان منه النياحه قالت فقلت يا رسول الله الا ال
بنى فلان فانهم كانوا اسعدونى فى الجاهلية ولا بد لى من ان اسعدهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ال فلان وعنها قالت اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة
ان لا ننوح فما وفت منا امراة الا خمس ام سليم وام العلا وابنة ابى سبرة امراة معاذ او
ابنة ابى سبرة وامراة معاذ وقيل ان المعروف ههنا الطاعة لله ولرسوله قاله ميمون ابن
مهران وقال بكر بن عبد الله المزنى لا يعصينك فى كل امر فيه رشدهن الكلبى هو عام فى كل
معروف امر الله عز وجل ورسوله فروى ان هندا قالت عند ذلك ما جلسنا فى مجلسنا هذا
وفى انفسنا ان نعصيك فى شى المسالة ذكر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فى صفه
البيعة خصالا شتا صرح فيهن باركان النهى فى الدين ولم يذكر اركان الامر وهى ست ايضا
الشهادة والصلوة والزكوة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهى دايم
فى كل الازمان وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدايم اكد وقيل ان هذه المناهى كان فى النسا
كثير من يركبها ولا يحجزهن عنها شرف الحسب فخصت بالذكر لهذا ونحو منه قوله عليه السلام
لوفد عبد القيس انهاكم عن الدبا والحنتم والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصيه فى
شرب الخمر دون ساير المعاصى لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء شهوته من المعاصى
هان عليه ترك سايرها مما لا شهوة له فيها الرابعة لما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى

البيعه ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله ان ابا سفين رجل مسيك فهل على حرج ان اخذ ما يكفينى
وولدى قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان يقتصر على ما يعطيها فيضيع او تاخذ اكثر من ذلك فيكون
سارقه ناكثه البيعة المذكورة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم لا اى لا حرج عليك فيما اخذت
بالمعروف يعنى من غير استطالة الى اكثر من الحاجة قال ابن العربى وهذا انما هو فيما لا يخزنه عنها فى
حجاب ولا يضبط عليه بقفل فانه اذا هتكته الزوجة واخذت منه كانت سارقة تعصى بها
وتقطع يدها الخامسة قال عبادة بن الصامت اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما اخذ على النساء ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا يعضه بعضكم
بعضا ولا تعصوا فى معروف امركم به معنى يعضه يسحر والعضه السحر ولهذا قال ابن بحر وغيره
فى قوله ولا ياتين ببهتان انه السحر وقال الضحاك هذا نهى عن البهتان اى لا يعطهن رجلا
ولا امراة ببهتان اى بسحر والله اعلم يفترينه بين ايديهن وارجلهن والجمهور على ان
معنى ببهتان بولد يفترينه بين ايديهن ما اخذته لقيطا وارجلهن ما ولدته من زنا السادسة

قوله تعالى **ولا يعصينك فى معروف** فى البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى
ولا يعصينك فى معروف قال انما هو شرط الله للنسا واختلف فى معناه على ما ذكرنا والصحيح
انه عام فى جميع ما يامر به النبى صلى الله عليه وسلم وينهى عنه فيدخل فيه النوح وتحريق الثياب
وجز الشعور والخلوة بغير محرم الى غير ذلك وهذه كلها كبايرمن افعال الجاهلية وفى
صحيح مسلم عن ابى مالك الاشعرى انه عليه السلام قال اربع فى امتى من امر الجاهلية فذكر
منها النياحة وروى يحيى ابن ابى كثير عن ابى سلمه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه النوايح يجعلن يوم القيمة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن
كما تنبح الكلاب فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يومر بهن الى النار وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلى الملايكة على نايحة ولا مرنه وروى عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انه سمع نايحة فاتاها فضربها بالدرة حتى وقع خمارها عن راسها فقيل يا امير
المومنين المراة المراة قد وقع خمارها قال انها لا حرمة لها اسند جميعه الثعلبى رحمه الله وانما
تخصيص قوله بمعروف مع قوة قوله ولا يعصينك ففيه قولان احدهما انه تفسير للمعنى على
التاكيد كما قال تعالى قل رب احكم بالحق لانه لو قال احكم لكفا الثانى انما شرط المعروف
فى بيعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكون تنبيها على ان غيره اولى بذلك والزم له وانفى
للاشكال السابعة روى البخارى عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبى صلى الله عليه
وسلم فقال تبايعونى على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا قرا اية النسا واكثر لفظ
سفيان قرا فى الاية فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو
كفارة له ومن اصاب من ذلك فستره الله فهو الى الله ان شا عذبه وان شا غفر له
منها وفى الصحيحين عن ابن عباس قال شهدت الصلوة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابى بكر وعمر وعثمان وكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب فنزل نبى الله صلى الله

عليه وسلم فكاني انظر اليه حين يجلس الرجال بيده ثم اقبل يشقهم حتى اتى النسا مع بلال فقال يا ايها
النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن حتى فرغ من الاية كلها ثم قال
حين فرغ انتن على ذلك فقالت امراة واحدة لم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدري الحسن من هي
قال فتصدقن وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال لفظ البخاري
الثامنة قال المهدوي اجمع المسلمون على انه ليس للامام ان يشترط عليهن هذا والامر بذلك
ندب لا الزام وقال بعض اهل النظر اذا احتيج الى المحنة من اجل تباعد الدار كان على امام المسلمين
اقامة المحنة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
يعني اليهود وذلك ان ناسا من فقرا المومنين كانوا يخبرون اليهود باخبار المومنين
ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود
قاله ابن زيد وقيل هم المنافقون وقال الحسن هم اليهود والنصارى قال ابن مسعود معناه
انهم تركوا العمل للاخرة واثروا الدنيا وقيل المعنى من ثواب الاخرة قال مجاهد ومعنى كما يئس
الكفار اي الاحيا من الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم قاله الحسن وقتادة
قاله ابن عرفه وهم الذين قالوا وما يهلكنا الا الدهر وقيل ان الله تعالى ختم السورة بما بداها
من ترك موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن ابي بلتعة وغيره قاله ابن عباس يا ايها
الذين امنوا لا تتولوا اي لا توالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن
ابي بلتعة يريد ان كفار قريش من خير الاخرة كما يئس الكفار المقبورون من حظ يكون لهم
في الاخرة من رحمة الله تعالى وقال القاسم ابن ابي بزة في قول الله تعالى قد يئسوا من الاخرة
كما يئس الكفار من اصحاب القبور قال من مات من الكفار يئس من الخير

قد يئسوا

سورة الصف مدنية في قول الجميع

فيما ذكر الماوردي وقيل انها مكية ذكره النحاس عن ابن عباس وهي اربع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فيه خمس مسائل الاولى روى الدارمي
ابو محمد في مسنده اخبرنا محمد بن كثير الاوزاعي عن يحيى ابن ابي كثير عن ابي سلمة عن عبد الله ابن سلام
قال قعدنا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب
الى الله لعملنا فانزل الله سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى ختمها قال ابو سلمة فقراها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقراها علينا ابو سلمة
فقراها علينا يحيى فقراها علينا الاوزاعي فقراها علينا محمد فقراها علينا الدارمي وقال
ابن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه

وقال

كرهوه وقال الكلبي قال المومنون يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا
اليها فنزلت هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلم ما هي
لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله عليها بقوله فنزلت تومنون بالله
واليوم الاخر وتجاهدون الاية فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت تعيرهم بترك الوفا وقال
محمد بن كعب لما اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهدا بدر قالت الصحابة اللهم
اشهد لين لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله بذلك وقال
قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقال
صهيب كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر وانكاهم فقتلته فقال رجل يا نبي الله اني
قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن
ابن عوف يا صهيب اما اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قتلت فلانا
وان فلانا انتحل قتله فاخبره فقال اكذلك يا ابا يحيى قال نعم والله يا رسول الله فنزلت
هذه الاية في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم
وتخلفوا الثانية هذه الاية توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي
بها قلت وفي صحيح مسلم عن ابي موسى انه بعث الى قرا اهل البصرة فدخل عليه ثلث مائة رجل
قد قروا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراوهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد
فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرا سورة كنا نشبهها في الطول والشدة
ببراءة فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا
ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرا سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات
فانسيتها غير اني حفظت منها يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة
في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيمة قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين اما قوله
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة
واما قوله شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيمة فمعنى ثابت في الدين فان من التزم
شيئا لزمه شرعا والملتزم على قسمين احدهما النذر وهو على قسمين نذر تقرب مبتدا
لقوله لله علي صلوة وصوم وصدقة ونحوه من القرب فهذا يلزم الوفا به اجماعا ونذر
مباح وهو ما علق بشرط رغبة لقوله ان قدم غايبي فعلي صدقة او علق بشرط رهبة
لقوله ان كفاني الله شر كذا فعلي صدقة فاختلف العلما فيه فقال مالك وابو حنيفة يلزمه الوفا
به وقال الشافعي في احد اقواله انه لا يلزمه الوفا به وعموم الاية حجة لنا لانها
بمطلقها تتناول ذم من قال ما لا يفعله على اي وجه كان من مطلق او مقيد بشرط وقد
قال اصحابه ان النذر انما يكون بما القصد منه القربة مما هو من جنس القربة وهذا
وان كان من جنس القربة لكنه لم يقصد به القربة وانما قصد منع نفسه عن فعل

او الاقدام على فعل قتلنا القرب الشرعيه مشقات وكلف وان كانت قربات وهذا تكلف التزام هذه القربة لمشقة لجلب نفع او دفع ضر ولم يخرج عن سنن التكليف ولا زالت عن قصد التقرب قال ابن العربى فان كان المقول منه وعدا فلا يخلوا ان يكون منوطا بسبب كقوله ان تزوجت اعنتك بدينار او ابتعت حاجة كذا اعطيتك فهذا لازم اجماعا من الفقهاء وان كان وعدا مجردا فقيل يلزم بتعلقه وتعلقوا بسبب الاية فانه روى انهم كانوا يقولون لو نعلم اى الاعمال افضل او احب الى الله لعملناه فانزل الله هذه الاية وهو حديث لا باس به وقد روى عن مجاهد ان عبد الله ابن رواحه لما سمعها قال لا ازال حبيسا فى سبيل الله حتى اقتل والصحيح عندى ان الوعد يجب الوفاء به على كل حال الا لعذر قال الشيخ المولف رحمه الله قال مالك فاما العدة مثل ان يسال الرجل الرجل ان يهبه الهبة فيقول له نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فما ارى ذلك يلزمه وقال ابن القاسم اذا وعد الغرما فقال اشهدكم انى قد وهبت له من اين يودى اليكم فان هذا يلزمه واما ان يقول نعم انا افعل ثم يبدو له فلا ارى عليه ذلك قال الشيخ المولف رحمه الله اى لا يقضى عليك بذلك فاما فى مكارم الاخلاق وحسن المروة فنعم وقد اثنى الله تعالى على من صدق وعده ووفى بنذره فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا قال واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وقد تقدم بيانه الثالثه قال النخعى ثلاث آيات منعتنى ان اقص على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ويا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء خطباء امتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرون كتاب الله ولا يعملون به وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال اتامروننى ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله الرابعة قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون ، استفهام على جهة الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما فى الماضى فيكون كذبا وفى المستقبل يكون خلفا وكلاهما مذموم وتاول سفيان بن عيينه قوله لم تقولون ما لا تفعلون اى لم تقولون ما ليس الامر فيه اليكم فلا تدرون هل تفعلون او لا تفعلون فعلى هذا يكون الكلام محمولا على ظاهره فى انكار القول الخامسة قوله تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ، قد يحتج به فى وجوب الوفاء فى اللجاج والغضب على احد قولى الشافعى وان رفع بالابتداء وما قبلها الخبر وكانه قال قولكم ما لا تفعلون مذموم ويجوز ان يكون خبر ابتدا محذوف الكسائى ان فى موضع رفع لان كبر فعل بمنزلة بيس رجلا اخوك ومقتا نصب بالتمييز المعنى كبر قولهم ما لا تفعلون مقتا وقيل هو حال والمقت والمقاته مصدران يقال رجل مقيت وممقوت

اذا لم يحبه الناس قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ، فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى صفا اى يصفون صفا والمفعول مضمر اى يصفون انفسهم صفا كانهم بنيان مرصوص قال الفرا مرصوص بالرصاص وقال المبرد هو من رصصت البنا اذا لايمت بينه وقاربت حتى صارت كقطعة واحدة وقيل هو من الرصيص وهو انضمام الاسنان بعضها الى بعض والتراص التلاصق ومنه وتراصوا فى الصف ومعنى الاية يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيله ويلزم مكانه كثبوت البنا وقال سعيد بن جبير هذا تعليم من الله للمومنين كيف يكونون عند قتال عدوهم الثانية وقد استدل بعض اهل التاويل بهذا على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة المهدوى وذلك غير مستقيم لما جاء فى فضل الفارس فى الاجر والغنيمه ولا يخرج الفرسان من معنى الاية لان معناه الثبات الثالثه لا يجوز الخروج عن الصف الا لحاجة تعرض للانسان او فى رسالة يرسلها الامام او منفعة تظهر فى المقام لفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفى الخروج عن الصف للمبارزة خلاف على قولين احدهما انه لا باس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقال اصحابنا لا يبرز احد طالبا لذلك لان فيه رياء وخروجا الى ما نهى الله عنه من لقاء العدو وانما يكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت فى حروب النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر وفى غزوة خيبر وعليه درج السلف وقد مضى القول مستوفى فى هذا فى البقرة عند قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ، لما ذكر امر الجهاد بين ان موسى وعيسى امرا بالتوحيد وجاهدا فى سبيل الله وحل العقاب بمن خالفهما اى واذكر لقومك يا محمد هذه القصة قوله تعالى لم توذوننى ، وذلك حين رموه بالادرة حسب ما تقدم فى آخر الاحزاب ومن الاذى ما ذكر فى قصة قارون انه دس الى امراة تدعى على موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقوله فاذهب انت وربك فقاتلا وقولهم انك قتلت هرون وقد تقدم هذا وقد تعلمون انى رسول الله اليكم والرسول يحترم ويعظم ودخلت قد على تعلمون للتاكيد كانه قال وتعلمون علما يقينيا لا شبهة لكم فيه فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اى مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اى اما لها عن الهدى وقيل فلما زاغوا عن الطاعة ازاغ الله قلوبهم عن الهداية وقيل فلما زاغوا عن الايمان ازاغ الله قلوبهم عن الثواب وقيل اى لما تركوا ما امروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب خلق الله فى قلوبهم الضلالة عقوبة لهم على فعلهم قوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم ، اى واذكر لهم هذه القصة ايضا وقال يا بنى اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه انى رسول الله اليكم اى بالانجيل مصدقا لما بين يدى من التورية لان فى التورية صفتى وانى لم اتكم بشى يخالف التورية فينفروا عنى ومبشرا نصب على الحال والعامل فيها معنى الارسال واليكم صلة للرسول يأتى من بعدى اسمه احمد قرا نافع وابن كثير وابو عمرو من بعدى

برسول مصدقا ومبشرا

بفتح اليآء وهي قرآة السلمي وزر بن حبيش وابو بكر عن عاصم واختاره ابو حاتم لانه اسم
مثل الكاف من نحو ذلك والثا من قمت البا قون بالاسكان وقرئ من بعد اسمه بحذف اليا
من اللفظ واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم وهو اسم علم منقول من صفة لا من فعل فتلك
الصفة افعل التي يراد بها التفضيل فمعنى احمد اي احمد الحامدين لربه والانبيآء صلوات الله عليهم
كلهم حامدون الله ونبينا احمد اكثرهم حمدا فاما محمد فمنقول من صفة ايضا وهي في معنى
محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم
مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه سماه قبل ان يسمى
به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو المحمود في الدنيا لما هدى اليه
ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ
ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم
الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك
امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد فباحمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده لربه
كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث وكان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد وجد
التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اسمي في التورية احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي في الزبور الماحي محى الله
بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القرآن محمد لاني محمود في اهل السما والارض وفي
الصحيح لي خمسة اسما انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم فلما جاءهم بالبينات قيل عيسى وقيل محمد صلى الله
عليهما وسلم قالوا هذا سحر مبين قرا الكسائي وحمزه ساحر نعتا للرجل وروي انها قراءة
بن مسعود الباقون سحر نعتا لما جا به الرسول قوله تعالى **ومن اظلم** اي لا احد اظلم
ممن افترى على الله الكذب تقدم في غير موضع وهو يدعى الى الاسلام هذا تعجب ممن كفر
بعيسى ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعى بفتح اليآء والدال
وشدها وكسر العين اي ينتسب ويدعي وينتسب سوا والله لا يهدي القوم الظالمين اي من كان
في حكمه انه يختم له بالضلالة قوله تعالى **يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم**
الاطفآء هو الاخماد ويستعملان في النار ويستعملان فيما يجري مجراها من الضيا والظهور
ويفترق الاطفآء والاخماد من وجه وهو ان الاطفآء يستعمل في القليل والكثير والاخماد انما
يستعمل في الكثير دون القليل فيقال اطفات السراج ولا يقال اخمدت السراج وفي نور الله هاهنا خمسة
اقوال احدها انه القرآن يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن زيد وبن عباس الثاني
انه الاسلام يريدون دفعه بالكلام قاله السدي الثالث انه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون
هلاكه بالاراجيف قاله الضحاك الرابع حجج الله ودلايله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم
قاله بن بحر الخامس انه مثل مضروب اي من اراد اطفا نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا

كذلك

كذلك من اراد ابطال الحق حكاه بن عيسى وسبب نزول هذه الاية ما حكاه عطا عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم ابطا عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب ابن الاشرف يا معشر اليهود
ابشروا فقد اطفا الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان الله ليتم امره فحزن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية واتصل الوحي بعدها حكى جميعه
الماوردي رحمه الله والله متم نوره اي باظهاره في الافاق وقرا ابن كثير وحمزه والكسائي وحفص
عن عاصم والله متم نوره بالاضافة على نية الانفصال لقوله كل نفس ذائقة الموت وشبهه حسب
ما تقدم شانه في ال عمران الباقون متم نوره لانه فيما يستقبل فعمل ولو كره الكافرون من سائر
الاصناف قوله تعالى **هو الذي ارسل رسوله بالهدى** اي محمدا بالحق والرشاد **ليظهره
على الدين كله** اي بالحجج ومن الظهور الغلبة باليد في القتال وليس المراد بالظهور ان لا يبقى
دين اخر من الاديان بل المراد يكون اهل الاسلام غالبين ومن الاظهار ان لا يبقى دين سوى الاسلام
في اخر الزمان قال مجاهد وذلك اذا نزل عيسى لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام
وقال ابو هريرة ليظهره على الدين كله بخروج عيسى وحينئذ لا يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما عادلا
فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولينزلن القلاص فلا يسعى عليها
وليذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وقيل
ليظهره اي ليطلعن محمدا على سائر الاديان حتى يكون عالما بها عارفا بوجوه بطلانها وبما
حرفوا وغيروا منها على الدين اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر به عن الجمع
قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم**
فيه خمس مسايل الاولى قال مقاتل نزلت في عثمان بن مظعون وذلك انه قال يا رسول
الله لو اذنت لي فطلقت خوله وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل
ابدا ولا افطر بنهار ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية
في الاسلام انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصا امتي الصوم ولا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني
فقال عثمان والله لوددت يا رسول الله لو اذنت لي فطلقت خوله وترهبت واختصيت
وحرمت اللحم ولا انام بليل ابدا ولا افطر بنهار ابدا فقال اي التجارات احب الى
الله فاتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اي ساد لكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل لاهل الكتاب
الثانية قوله تنجيكم اي تخلصكم من عذاب اليم اي مولم وقد تقدم وقراءة العامة
تنجيكم باسكان النون من الانجآء وقرا الحسن وابن عامر وابو حيوة تنجيكم
باسكان النون مشددا من التنجية ثم بين التجارة وهي المسئلة الثالثة فقال
يؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون الكفار في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذكر الاموال

اولا لانها التى يبدأ بها فى الانفاق ذلكم اى هذا الفعل خير لكم من اموالكم وانفسكم ان
كنتم تعلمون و يؤمنون عند المبرد والزجاج فى معنى امنوا ولذلك جا يغفر لكم مجزوما على انه
جواب الامر وفى قراة عبد الله آمنوا بالله و قال الفرا يغفر لكم جواب الاستفهام و هذا
انما يصح على الحمل على المعنى وذلك ان يكون تؤمنون وتجاهدون عطف بيان على قوله هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم كان التجارة لم يدر ماهى فبينت بالايمان والجهاد
فهى هما فى المعنى وكانه قال هل تؤمنون بالله وتجاهدون يغفر لكم قال المهدوى فان لم تقدر
هذا التقدير لم يصح المسئله لان التقدير يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما يجب
بالقبول والايمان لا بالدلالة قال الزجاج ليس اذا دلهم على ماينفعهم غفرلهم انما يغفر لهم
اذا آمنوا وجاهدوا وقرا زيد بن على تومنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر لقوله محمد تفد
نفسك كل نفس اذا ما خفت من شى تبالا اراد لتفد وادغم بعضهم فقال يغفر لكم والاحسن
ترك الادغام لان الراء حرف متكرر قوى فلا يحسن ادغامه فى اللام لان الاقوى لا يدغم
فى الاضعف الزمخشرى وجه قول الفرا ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة
بالايمان فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم الرابعة **قوله تعالى**
ومساكن طيبة خرج ابو الحسن الاجرى عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وابا
هريرة عن تفسير هذه الاية ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لولو فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوته
حمرا فى كل دار سبعون بيتا من زبرجد خضرا فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون
فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امراة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على
كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطى الله تبارك
وتعالى المومن من القوة فى غداة واحدة ما ياتى على ذلك كله فى جنات عدن اى اقامة ذلك
الفوز العظيم اى السعادة الدائمة الكبيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب الخامسة
قوله تعالى واخرى تحبونها قال الاخفش والفرا اخرى معطوفة على تجارة فهى
فى محل خفض وقيل محلها رفع اى ولكم خصلة اخرى او تجارة اخرى تحبونها نصر من الله
اى هو نصر من الله فيصير على هذا التفسير واخرى وقيل رفع على البدل من اخرى اى ولكم
نصر من الله وفتح قريب اى غنيمة فى عاجل الدنيا قيل فتح مكة وقال ابن عباس يريد فتح فارس
والروم وبشر المومنين برضا الله عنهم **قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار**
الله اكد امر الجهاد اى كونوا حوارى نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما اظهر حوارى عيسى
على من خالفهم وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع انصارا لله بالتنوين قالوا لان معناه اثبتوا
وكونوا اعوانا لله بالسيف على اعدائه وقرا الباقون من اهل البصرة والكوفة والشام
انصار الله بلا تنوين وحذفوا لام الاضافة من اسم الله تعالى واختاره ابو عبيد لقوله
نحن انصار الله ولم ينون ومعناه كونوا انصارا لدين الله ثم قيل فى الكلام اضمار اى قل

لهم

لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتدا خطاب من الله اى كونوا انصارا كما فعل اصحاب
عيسى فكانوا بحمد الله انصارا وكانوا حواريين والحواريين خواص الرسل قال معمر كان ذلك
بحمد الله اى نصروه وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوا ليلة العقبة وقيل هم من قريش
وسماهم قتادة ابو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير وسعد بن مالك وابو عبيدة واسمه
عامر وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب ولم يذكر سعيدا فيهم وذكر جعفر ابن ابى
طالب رضى الله عنهم اجمعين كما قال عيسى ابن مريم للحواريين وهم اصفياؤه اثنا عشر
رجلا وقد مضت اسماؤهم فى ال عمران وهم اول من امن به من بنى اسرائيل قاله ابن عباس
وقال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فأت النهر الذى عليه القصارون فاسألهم النصر
فاتاهم عيسى فقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه ومعنى من
انصارى الى الله اى من انصارى مع الله كما يقول الذود الى الذود ابل اى مع الذود وقيل اى من
انصارى فيما يقرب الى الله وقد مضى هذا فى ال عمران فامنت طايفه من بنى اسرائيل وكفرت
طايفة والطايفتان فى زمن عيسى افترقوا بعد رفعه الى السماء على ما تقدم فى ال عمران
بيانه فايدنا الذين آمنوا على عدوهم الذين كفروا بعيسى فاصبحوا ظاهرين غالبين
قال ابن عباس ايد الله الذين امنوا فى زمن عيسى باظهار محمد على دين الكفار وقال مجاهد ايدوا
فى زمانهم على من كفر بعيسى وقيل ايدنا الان المسلمين على الفرقتين الضالتين من قال
كان الله فارتفع ومن قال كان ابن الله فرفعه الله اليه لان عيسى لم يقاتل احدا ولم يكن
فى دين اصحابه بعده قتال وقال زيد بن على وقتادة فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان
لانهم قالوا فيما روى اتعلمون ان عيسى كان ينام والله لا ينام وان عيسى كان ياكل
والله تعالى لا ياكل وقيل نزلت هذه الاية فى رسل عيسى صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق
وكان الذين بعثهم عيسى من الحواريين والاتباع فطرس وبولس الى رومية واندراوس
ومتى الى الارض التى ياكل اهلها الناس وتوماس الى ارض بابل من ارض المشرق وفيلبس
الى قرطاجنة وهى افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب اهل الكهف ويعقوبس الى
اوري شلم وهى بيت المقدس وابن تلما الى الاعرابية وهى ارض الحجاز وسيمن الى ارض
البربر ويهودا وبودس الى الاسكندرية وما حولها فايدهم الله بالحجة فاصبحوا ظاهرين
اى غالبين من قولك ظهرت على الحايط اى علوت عليه

سورة الجمعة مدنية فى قول الجميع وهى احدى عشرة آية

وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه
الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة
الا يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم
القيمة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم
فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه

خواص

هذا بالله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى

قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه وقرا ابو العالية ونصر بن عاصم الملك القدوس العزيز الحكيم كلها رفعا اى هو الملك قوله تعالى **هو الذى بعث في الاميين رسولا** قال ابن عباس الاميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم تكونوا اهل كتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون وكذلك كانت قريش وروى منصور عن ابرهيم قال الامى الذى يقرا ولا يكتب وقد مضى في البقرة رسولا منهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حى من العرب الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحاق الا بنى تغلب فان الله طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لنصرانيتهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرا من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم قال الماوردى فان قيل فما وجه الامتنان بان بعث نبينا اميا فالجواب عنه من ثلثة اوجه احدها لموافقته ما تقدمت بشارة الانبيا الثانى لمشاكلة حاله لاحوالهم فيكون اقرب الى موافقتهم الثالث لينتفى عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التى قراها والحكم التى تلاها قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته قوله تعالى **يتلوا عليهم اياته** يعنى القرآن ويزكيهم اى يجعلهم ازكيا القلوب بالايمان قاله ابن عباس وقيل يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقال السدى باخذ زكاة اموالهم ويعلمهم الكتاب يعنى القرآن والحكمة السنة قاله الحسن وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط انما فشى في العرب بالشرع لما امروا بتقييده بالخط وقال مالك بن انس الحكمة الفقه في الدين وقد مضى القول في هذا في البقرة وان كانوا من قبل اى من قبله وقبل ان يرسل اليهم لفى ضلال اى في ذهاب عن الحق قوله تعالى **وآخرين منهم** هو عطف على الاميين اى بعث في الاميين وبعث في آخرين منهم ويجوز ان يكون مصدقا بالعطف على الهاء والميم في يعلمهم ويزكيهم اى يعلمهم ويعلم آخرين من المومنين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مسندا الى اوله فكانه هو الذى تولى كل ما وجد منه لما يلحقوا بهم اى لم يكونوا في زمانهم وسيجيؤن بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفى صحيح مسلم والبخارى عن ابى هريرة قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرا وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هولاء يا رسول الله فلم يراجعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى ساله مرة او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسى قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هولاء وفى رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس او قال من ابناء فارس حتى يتناوله لفظ

مسلم وقال عكرمة هم التابعون مجاهد هم الناس كلهم يعنى من بعد العرب الذين بعث فيهم النبى صلى الله عليه وسلم وقاله ابن زيد ومقاتل ابن حيان قال الاصم من دخل في الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة وروى سهل بن سعد الساعدى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتى رجالا ونسا يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول اثبت وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رايتنى اسقى غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر فقال يا نبى الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم يتبعك بعد العرب فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعنى جبريل رواه ابن ابى ليلى عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهو على بن ابى طالب رضى الله عنه قوله تعالى **ذلك فضل الله يوتيه من يشاء** قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقيل يعنى الاسلام فضل الله يوتيه من يشاء قاله الكلبى وقيل يعنى الوحى والنبوة قاله مقاتل وقول رابع انه المال ينفق في الطاعة وهو معنى قول ابى صالح وقد روى مسلم عن ابى صالح عن ابى هريرة ان فقرا المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلوة ثلثا وثلثين مرة قال ابو صالح فرجع فقرا المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء وقول خامس انه انقياد الناس الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته والله اعلم قوله تعالى **مثل الذين حملوا التورية** ضرب مثلا لليهود لما تركوا العمل بالتورية ولم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا التورية اى كلفوا العمل بها عن ابن عباس وقال الجرجانى هو من الحمالة بمعنى الكفالة اى ضمنوا احكام التورية كمثل الحمار يحمل اسفارا هى جمع سفر وهى الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قرى قال ميمون بن مهران الحمار لا يدرى اسفر على ظهره ام زبيل فهكذا اليهود وفى هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هولا وقال الشاعر

زوامل للاسفار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا باوساقه او راح ما في الغرائر

وقال يحيى بن سلام يكتب احدهم الحديث ولا يفهم ولا يتدبر فاذا سئل احدهم عن مسئلة جلس كانه مكاتب قال الشاعر ان الرواة على جهل بما حملوا مثل الجمال

عليها حمل الودع لا الودع ينفعه حمل الجمال له ولا الجمال بحمل الودع تنتفع وقال
منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله فاحسن انعق بما ستيت تحدا نصارا
ونم انفسنا تحد حمارا احمل ما وضعت من اسفار مثله كمثل الحمار يحمل اسفارا له في
دار ان كان ما فيها صوابا او خطاء ان سيلوا قالوا كذا روينا ما ان كذبنا
ولا اعتدينا كبيرهم يصغر عند الحفل لانه قلد اهل الجهل ثم لم يحملوها اى لم
يعملوا بها شبههم والتورية في ايديهم وهم لا يعملون بها بالحمار يحمل كتبا وليس له الا ثقل
الحمل من غير فايده ويحمل في موضع نصب على الحال اى حاملا ويجوز ان يكون في موضع جر
على الوصف لان الحمار كاللئيم قال ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل القوم المثل الذين
ضربنا لهم فحذف المضاف والله لا يهدى القوم الظالمين اى من سبق في علمه انه
يكون كافرا قوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا
لله من دون الناس لما ادعت اليهود الفضيله وقالوا نحن ابنا الله واحباوه قال الله
تعالى ان كنتم اولياء لله من دون الناس فللاولياء عند الله الكرامة فتمنوا الموت
لتصيروا الى ما يصير اليه اولياء الله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اى اسلفوه من تكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم فلو تمنوه لماتوا فكان في ذلك بطلان قولهم فيما ادعوه من الولاية
وفي حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الاية والذى نفسى بيده لو تمنوا الموت
ما بقى على ظهرها يهودى الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزه للنبي صلى الله عليه وسلم
وقد مضى معنى هذه الاية في البقرة في قوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت قوله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه
ملاقيكم قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وهاهنا قال فانه ملاقيكم لما في معنى الذى
من الشرط والجزا اى ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار
منه قال زهير ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام اسباب السماء بسلم ويجوز ان يتم الكلام
عند قوله الذى تفرون منه ثم يبتدى فانه ملاقيكم وقال طرفه وكفى بالموت فاعلم واعظا لمن
الموت عليه قد قدرنا فاذكر الموت وحاذر ذكره ان في الموت لذى اللب عبر كل شئ سوف
يلقى حتفه في مقام او على ظهر سفر والمنايا حوله ترصده ليس ينجيه من الموت الحذر
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فيه ثلاث
عشر مسئلة الاولى قرا عبد الله بن الزبير والاعمش وغيرهما الجمعة باسكان الميم على التخفيف
وهما لغتان وجمعهما جمع وجمعات قال الفرا يقال الجمعه بسكون الميم والجمعة بضم الميم
والجمعة بفتح الميم فيكون صفة اليوم اى يجمع الناس كما يقال ضحكه للذى يضحك وقال ابن
عباس نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم فاقروها جمعة يعنى بضم الميم وقال الفرا وابو عبيد
احسن واقيس نحو غرفه وغرف وطرفه وطرف وحجره وحجر وفتح الميم لغة بنى عقيل وقيل
انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم وعن سلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سميت

اسفارا

جمعة لان الله جمع فيها خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شئ فاجتمعت فيها
جميع المخلوقات وقيل لتجمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلوة ومن بمعنى في اى
في يوم لقوله اروني ماذا خلقوا من الارض اى في الارض الثانية قال ابو سلمة اول من قال
اما بعد كعب ابن لوى وكان اول من سمى الجمعة الجمعة وكان يقال ليوم الجمعه العروبة وقيل اول
من سماها جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل المدينة من قبل ان تقدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة قبل ان ينزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وذلك انهم قالوا ان لليهود يوما يجتمعون
فيه في كل سبعة ايام يوم وهو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك فتعالوا فلنجمع حتى نجعل يوما
لنا نذكر الله فيه ونصلى ونستذكر او كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى
فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة ابو امامة رضى الله عنه فصلى لهم يومئذ ركعتين
وذكرهم فسموه يوم الجمعة حتى اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد شاه فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم
فهذه اول جمعة في الاسلام قال الشيخ المولف رحمه الله وروى انهم كانوا اثنى عشر رجلا على ما ياتى
وجاء في هذه الرواية ان الذى جمع بهم وصلى اسعد بن زراره وكذا في حديث عبد الرحمن ابن كعب
ابن مالك عن ابيه كعب على ما ياتى وقال البيهقى وروينا عن موسى بن عقبه عن ابن شهاب الزهرى
ان مصعب بن عمير كان اول من جمع الجمعة بالمدينه للمسلمين قبل ان تقدمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال البيهقى يحتمل ان يكون مصعب جمع بهم بمعونة اسعد بن زراره فاضافه كعب
اليه والله اعلم واما اول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير والتواريخ
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقبا على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى
عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحا ومن تلك السنة يعد التاريخ فاقام
بقبا الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته الجمعة في بنى سالم
ابن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهى اول
خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واومن به
ولا اكفره واعادى من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان
محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من
الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب
من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل
ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة
وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقواه لمن عمل به على وجل
ومخافة من ربه عنوان صدق على ما تبغون من الاخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله
من امره في السر والعلانية لا ينوى به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد
الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا
ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذى صدق قوله وانجز وعده لا خلف

لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله
في السر والعلانيه فانه من يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد
فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله يبيض
الوجه ويرضي الرب ويرفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه
ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداه
وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي
من حي عن بينه ولا حول ولا قوة الا بالله واكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح
ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون
عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم واول جمعة جمعت بعدها جمعة بقرية يقال لها جواثى من قرى البحرين وقد قيل
ان اول من سماه الجمعة كعب بن لوي ابن غالب لاجتماع قريش الى كعب كما تقدم الثالثة
خاطب الله المومنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا ايها الذين آمنوا ثم خصه
بالندا وان كان قد دخل في عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلوة ليدل على وجوبه وتاكيد
فرضه وقال بعض العلماء كون الصلوة الجمعة ها هنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ قال ابن
العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله من يوم الجمعة وذلك يفيده لان
الندا الذي يختص بذلك اليوم هو ندا تلك الصلوة فاما غيرها فهو عام في ساير الايام ولو لم يكن
المراد به ندا الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته اليها معنى ولا فايدة الرابعة قد تقدم
حكم الاذان في سورة المايدة مستوفى وقد كان الاذان في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما في ساير الصلوة موذن واحد اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وكذلك كان
يفعل ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمان على المنبر اذانا ثانيا على داره التي تسمى الزورا
حين كثر الناس بالمدينة فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر اذن موذن النبي
النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخطب عثمان خرجه ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن اسحاق
عن الزهري عن السايب ابن زيد قال ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا موذن واحد
اذا خرج اذن واذا نزل اقام وابو بكر وعمر كذلك فلما كان عثمان وكثر الناس زاد الندا الثالث
على دار في السوق يقال لها الزورا فاذا خرج اذن واذا نزل اقام خرجه البخاري من طرق بمعناه
وفي بعضها ان التاذين الثاني يوم الجمعة امر به عثمان ابن عفان حين كثر اهل المسجد وكان
التاذين يوم الجمعة حين يجلس الامام وقال الماوردي فاما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان
بن عفان ليتاهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة اهلها وقد كان عمر
رضي الله عنه امر ان يوذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم فاذا اجتمعوا
اذن في المسجد فجعله عثمان رضي الله عنه اذانين في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح
ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان زمن عثمان زاد

الندا

الندا الثالث على الزورا وسماه في الحديث ثالثا لانه اضافه الى الاقامة كما قال عليه السلام بين كل
اذانين صلوة لمن شاء يعني الاذان والاقامة ويتوهم الناس انه اذان اصلي فجعلوا الموذنين
ثلاثه فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وهما على وهم ورايتهم بمدينة السلام يوذنون
بعد اذان المنار بين يدي الامام تحت المنبر في جماعة كما كانوا يفعلون عندنا في الدول
الماضيه وكل ذلك محدث الخامسة قوله تعالى **فاسعوا الى ذكر الله** اختلف
في معنى السعي هنا على ثلاثه اقوال اولها القصد قال الحسن والله ما هو بسعي على الاقدام ولكنه
سعي في القلوب والنيه الثاني انه العمل لقوله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن وقوله
ان سعيكم لشتى وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وهذا قول الجمهور وقال زهير سعى بعدهم
قوم لكي يدركوهم وقال ايضا سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم اي فاعملوا
على المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه من الغسل والتطهير والتوجه اليه الثالث ان
المراد به السعي على الاقدام وذلك فضل وليس بشرط ففي البخاري ان ابا عبس ابن جبر واسمه
عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة مشى الى الجمعة راجلا وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار ويحتمل ظاهره رابعا وهو
الجري والاشتداد قال ابن العربي وهو الذي انكره الصحابة الاعلمون والفقهاء الاقدمون
قراها عمر فامضوا الى ذكر الله فرارا عن طريق الجري والاشتداد الذي يدل عليه الظاهر وقرا
ابن مسعود كذلك وقال لو قرات فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقرا ابن شهاب فامضوا الى
ذكر الله سالكا تلك السبيل وهو كله تفسير منهم لا قراءة قرآن منزل وجائز قراءة القرآن بالتفسير
في معرض التفسير قال ابو بكر الانباري وقد احتج من خالف المصحف بقراءة عمر بن مسعود وان خرشه
ابن الحر قال راى عمر رضي الله عنه ومعي قطعة فيها فاسعوا الى ذكر الله فقال لي عمر من اقراك
هذا قلت ابي فقال ان ابيا اقرانا للمنسوخ ثم قرا عمر فامضوا الى ذكر الله حدثنا ادريس
حدثنا خلف حدثنا هشيم عن المغيرة عن ابرهيم عن خرشه فذكره وحدثنا محمد بن يحيى اخبرنا محمد
وهو ابن سعدان حدثنا سفيان بن عيينه عن الزهري عن سالم عن ابيه قال ما سمعت عمر يقرا قط الا
فامضوا الى ذكر الله واخبرنا ادريس حدثنا خلف حدثنا هشيم عن المغيره عن ابرهيم ان عبد الله
بن مسعود قرا فامضوا الى ذكر الله وقال لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي قال ابو بكر فاحتج
عليه بان الامة اجتمعت على فاسعوا برواية ذلك عن الله رب العالمين ورسول الله صلى الله عليه
وسلم واما عبد الله بن مسعود فما صح عنه فامضوا لان السند غير متصل اذ ابرهيم النخعي لم يسمع
من عبد الله بن مسعود شيا وانما ورد شيا فامضوا عن عمر رضي الله عنه وحده فاذا انفرد
احد بما خالف الامه والجماعة كان ذلك نسيانا منه والعرب مجمعه على ان السعي ياتي بمعنى
المضي غير انه لا يخلو من الجد والانكماش قال زهير سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين
العشيرة بالدم اراد بالسعي المضي بجد وانكماش ولم يقصد والعدو والاسراع في الخطو وقال الفرا
وابو عبيدة معنى السعي في الاية المضي واحتج الفرا بقولهم هو يسعى في البلاد يطلب فضل الله

معناه هو مضي بجد واجتهاد واحتج ابو عبيدة بقول الشاعر
اسعى على جل بني مالك كل امرئ في شأنه ساع فهل يحتمل السعي في هذا البيت
الا مذهب المضي بالانكماش ومحال ان يخفى ذا المعنى على ابن مسعود على فصاحته واتقان عربيته
قال الشيخ المؤلف رحمه الله ومما يدل على انه ليس المراد هاهنا العدو قوله عليه السلام اذا اقيمت
الصلوة فلا تاتوها تسعون ولكن ايتوها وعليكم السكينة والوقار قال الحسن اما والله ما هو
بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلوة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية
والخشوع وقال قتادة السعي ان يسعى بقلبك وعملك وهذا حسن فانه جمع الاقوال الثلاثة
وقد جاء في الاغتسال للجمعة والطيب والتزين باللباس احاديث مذكورة في كتب الحديث السادسة
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا خطاب للمكلفين باجماع ويخرج منه المرضى والزمنى
والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل والعميان والشيخ الذي لا يمشي الا بقائد عند ابي حنيفة
روى ابو الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فعليه الجمعة يوم الجمعة الا مريض او مسافر او امرأة او صبي او مملوك فمن استغنى بلهو او تجارة
استغنى الله عنه والله غني حميد خرجه الدارقطني وقال علماؤنا رحمة الله عليهم ولا
يتخلف احد عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر لا يمكنه معه الاتيان اليها مثل المرض
الحابس او خوف الزيادة في المرض او خوف جور السلطان عليه في مال او بدن دون القضاء عليه
بحق والمطر الوابل مع الوحل عذر ان لم ينقطع ولم يره مالك عذرا له حكاه المهدوي ولو تخلف
عنها متخلف على ولي حميم له قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يقوم بامره رجي ان يكون
في سعة وقد فعل ذلك ابن عمر ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه
ان يصلي قبله وهو في تخلفه عنها مع امكانه لذلك عاص لله بفعله السابعة قوله تعالى
اذا نودي مختص بوجوب الجمعة القريب الذي يسمع النداء فاما البعيد الدار الذي لا يسمع
النداء فلا يدخل تحت الخطاب واختلف الناس فيمن ياتي الجمعة من الداني والقاصي فقال ابن
عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة على من كان من المصر على ستة اميال وقال ربيعة اربعة اميال
وقال مالك والليث ثلاثة اميال وقال الشافعي اعتبار سماع الاذان ان يكون المؤذن صيتا
والاصوات هادئة والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور البلد وفي الصحيح عن عائشة ان
الناس كانوا ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالي فياتون في العباء ويصيبهم الغبار فيخرج
منهم الريح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم اغتسلتم ليومكم هذا قال علماؤنا والصوت
اذا كان رفيعا والناس في هدوء وسكون فاقصى سماع الصوت ثلاثة اميال والعوالي من المدينة
اقربها على ثلاثة اميال وقال احمد بن حنبل واسحاق تجب الجمعة على من سمع النداء وروى الدار
قطني من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انما الجمعة على من سمع النداء وقال ابو حنيفة واصحابه تجب على من في المصر سمع النداء
او لم يسمعه ولا تجب على من هو خارج المصر وان سمع النداء حتى سئل هل يجب على اهل زباره

بينها وبين الكوفة مجرى نهر فقال لا وروي عن ربيعة ايضا انها تجب على من اذا سمع النداء وخرج
من بيته ماشيا ادرك الصلوة وقد روي عن الزهري انها تجب اذا سمع الاذان الثامنة
قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله
دليل على ان الجمعة لا تجب الا بالنداء والنداء لا يكون الا بدخول الوقت بدليل قوله عليه السلام
اذا حضرت الصلوة فاذنا ثم اقيما وليؤمكما اكبركما قاله لمالك بن الحويرث وصاحبه وفي البخاري
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس وقد روي
عن ابي بكر الصديق واحمد بن حنبل انها تصلى قبل الزوال وتمسك احمد في ذلك بحديث سلمة بن الاكوع
كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف وليس للحيطان ظل وبحديث ابن عمر ما كنا
نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة ومثله عن سهل خرجه مسلم وحديث سلمة محمول على التبكير
رواه هشام بن عبد الملك عن يعلى بن الحارث عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابيه وروى وكيع
عن يعلى عن اياس عن ابيه قال كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس
ثم نرجع نتتبع الفيء وهذا مذهب الجمهور من السلف والخلف وقياسا على صلوة
الظهر وحديث ابن عمر وسهل دليل على انهم كانوا يبكرون الى الجمعة تبكيرا كثيرا عند
الغداة او قبلها فلا يتناولون ذلك الا بعد انقضاء الصلوة وقد راى مالك ان التبكير بالجمعة
انما يكون قرب الزوال بيسير وتاول قول النبي صلى الله عليه وسلم من راح في الساعة الاولى
فكانما قرب بدنة الحديث انه كله في ساعة واحدة وحمله سائر العلماء على ساعات النهار
الزمانية الاثني عشر ساعة المستوية او المختلفة بحسب زيادة النهار ونقصانه ابن العربي
وهو اصح لحديث ابن عمر ما كانوا يقيلون ولا يتغدون الا بعد الجمعة لكثرة البكور اليها التاسعة
فرض الله الجمعة الى الجمعة على كل مسلم ردا على من يقول انها فرض على الكفاية ونقل عن بعض
الشافعية ونقل عن مالك من لم يحقق انها سنة وجمهور الامة والائمة انها فرض على الاعيان
لقول الله سبحانه اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم
ثم ليكونن من الغافلين وهذا حجة واضحة في وجوب الجمعة وفرضيتها وفي سنن ابن ماجه عن
ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاث
مرات تهاونا بها طبع على قلبه اسناد صحيح وحديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير ضرورة طبع الله على قلبه ابن العربي وثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم العاشرة اوجب الله السعي الى الجمعة
مطلقا من غير شرط وثبت شرط الوضوء بالقرآن والسنة في جميع الصلوات لقوله عز وجل اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلوة
بغير طهور واغربت طائفة فقالت ان غسل الجمعة فرض ابن العربي وهذا باطل لما روى
النسائي وابو داود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن

اغتسل فالغسل افضل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا
يوم الجمعة فاحسن الوضوء ثم راح الى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بين الجمعة الى الجمعة
وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصا فقد لغا وهذا نص وفي الموطا ان رجلا دخل يوم الجمعة وعمر
بن الخطاب يخطب الحديث الى ان قال ما زدت على ان توضات قال عمر والوضوء ايضا
وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل واقر عمر بالغسل ولم يامره بالرجوع
فدل على انه محمول على الاستحباب فلم يمكن وقد تلبس بالفرض وهو الحضور والانصات
للخطبة ان يرجع عنه الى السنة وذلك بمحضر فحول الصحابة وكبار المهاجرين حوالي
عمر وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الحادية عشرة لا يسقط الجمعة لكونها في يوم عيد
خلافا لاحمد بن حنبل حين قال اذا اجتمع عيد وجمعة يسقط فرض الجمعة لتقدم العيد
عليها واشتغال الناس به عنها وتعلق في ذلك بما روي ان عثمان اذن في يوم عيد لاهل
العوالي ان يتخلفوا عن الجمعة وقول الواحد من الصحابة ليس بحجة اذا خولف فيه ولم
يجمع معه عليه والامر بالسعي متوجه يوم العيد لتوجهه في ساير الايام وفي صحيح مسلم
عن النعمان بن بشير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيد وفي الجمعة
سبح اسم ربك الاعلى وهل اتيك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة
في يوم واحد يقرا بهما ايضا في الصلاتين الثانية عشرة قوله تعالى **الى ذكر الله**
اي الصلوة وقيل الى الخطبة والمواعظة قاله سعيد بن جبير ابن العربي والصحيح
انه واجب في الجميع واوله الخطبة قال علماونا الا عبد الملك بن الماجشون فانه
راها سنة والدليل على وجوبها انها تحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لان المستحب لا يحرم
المباح واذا قلنا ان المراد بالذكر الصلوة فالخطبة من الصلوة والعبد يكون
ذاكرا لله تعالى بفعله كما يكون مسبحا لله بفعله الزمخشري فان قلت كيف تفسير ذكر الله
بالخطبة وفيها غير ذكر الله قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه
وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المومنين والموعظة والتذكير في حكم ذكر الله فاما ما عدا
ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن
ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل الثالثة عشرة قوله تعالى **وذروا البيع**
منع الله جل وعز منه عند صلوة الجمعة وحرمه في وقتها على من كان مخاطبا بفرضها
والبيع لا يخلو عن شراء فاكتفى بذكر احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر وخص البيع لانه
اكثر ما يشتغل به اصحاب الاسواق ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينهى عن
البيع والشراء وفي وقت التحريم قولان انه من بعد الزوال الى الفراغ منها قاله الضحاك
والحسن وعطاء الثاني من وقت اذان الخطبة الى وقت الصلوة قاله الشافعي ومذهب
مالك ان يترك البيع اذا نودي للصلوة ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك
الوقت ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره اذ ليس من عادة الناس الاشتغال به

كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ ابن العربي والصحيح فسخ الجميع
لان البيع انما منع منه للاشتغال به فكل امر يشغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ
ردعا المهدوي وراى بعض العلماء البيع في الوقت المذكور جايزا وتاول النهي عنه ندبا واستدل بقوله
تعالى ذلكم خير لكم قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا مذهب الشافعي فان البيع ينعقد عنده
ولا يفسخ وادعى الزمخشري في تفسيره ان عامة العلماء على ان ذلك لا يودي فساد البيع قالوا لان
البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة
والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد قال الشيخ المولف
رحمه الله الصحيح فساده وفسخه لقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود والله اعلم
قوله تعالى **فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض** هذا امر اباحة
كقوله واذا حللتم فاصطادوا يقول اذا فرغتم من الصلوة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف
في حوايجكم وابتغوا من فضل الله اي من رزقه وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف
فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما
امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وقال جعفر بن محمد في قوله وابتغوا من فضل
الله انه العمل في يوم السبت وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع
وعن ابن عباس لم يومروا بطلب شي من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنايز وزيارة اخ
في الله تعالى قوله تعالى **واذكروا الله كثيرا** اي بالطاعة وباللسان وبالشكر على
ما به انعم عليكم من التوفيق لاداء فرايضه لعلكم تفلحون كي تفلحوا قال سعيد بن جبير الذكر طاعة
الله فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح وقد مضى
هذا مرفوعا في البقرة قوله تعالى **واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
وتركوك قايما** فيه سبع عشرة مسئلة الاولى في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس
اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا في رواية انا فيهم فانزلت هذه الاية التي في الجمعة واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما في رواية فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقد
ذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة واغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج الناس
اليه من بر ودقيق وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب بالطبل ليوذن الناس بقدومه فخرج
الناس الا اثني عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وقال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا
اليها وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال وحكاه الثعلبي عن ابن عباس وذكر
الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة
اذ اقبلت عير تحمل الطعام حتى نزلت بالبقيع فالتفتوا اليها وانفضوا اليها وتركوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس معه الا اربعين رجلا انا فيهم قال وانزل الله تعالى على النبي صلى
الله عليه وسلم واذا راوا التجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما قال الدارقطني لم يقل

فى هذا الاسناد الا اربعين رجلا غير على بن عاصم عن حصين وخالفه اصحاب حصين فقالوا
لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اثنى عشر رجلا وروى عنه عليه السلام انه قال
والذى نفسى بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله الوادى عليهم نارا ذكره الزمخشرى وروى فى حديث
مرسل اسما الاثنى عشر رجلا رواه اسد بن عمرو والد اسد بن موسى ابن اسد وفيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعلى وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابى
وقاص وعبد الله بن عوف وابو عبيده بن الجراح وسعيد ابن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود فى
احدى الروايتين وفى الرواية الاخرى عمار بن ياسر قال الشيخ المولف رحمه الله لم يذكر جابرا
وقد ذكر مسلم انه كان فيهم والدارقطنى ايضا فيكونون ثلاثه عشر وان كان عبد الله بن مسعود
فيهم فهم اربعة عشر وقد ذكر ابو داود فى مراسيله السبب الذى ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة
وقد كانوا خليقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال اخبرنى
ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة
قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان يوم الجمعة والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى
الجمعة فدخل رجل فقال ان دحيه بن خليفه قدم بتجارته وكان دحيه اذا قدم تلقاه اهله
بالدفاف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس فى ترك الخطبة شى فانزل الله عز وجل واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها فقدم النبى صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلوه
وكان لا احد يخرج لرعاف او احداث بعد النهى حتى يستاذن النبى صلى الله عليه وسلم
يشير اليه باصبعه التى تلى الابهام فياذن له النبى صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده
فكان من المنافقين من ثقل عليه الخطبة والجلوس فى المسجد وكان اذا استاذن رجل
من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا به حتى يخرج فانزل الله قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لواذا الاية قال السهيلى وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن
الجميل باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم وقال قتاده
وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة
وقيل ان خروجهم لقدوم دحية الكلبى بتجارته ونظرهم الى العير عن لهوا الا انا بدء
فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على غير ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لا انفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل
فيه من القران وتهجينه باسم اللهو ما نزل وجا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال كل ما يلهو به الرجل باطل الا رميه بقوسه الحديث وقد مضى فى الانفال
وقال جابر بن عبد الله كان الجوارى اذا نكحن يمررن بالمزامير والطبل فانفضوا اليها
فنزلت وانما ردا الكناية الى التجارة لانها اهم وقرا طلحة بن مصرف واذا راوا
اللهو والتجارة انفضوا اليها وقيل المعنى واذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا
اليها فحذف لدلالته كما قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف

وقيل الاجود

وقيل الاجود فى العربية ان يجعل الراجع فى الذكر الى الاقرب من الاسمين التانيه ولختلف العلماء فى
العدد الذى ينعقد بهم الجمعة على اقوال فقال الحسن ينعقد الجمعة باثنين وقال الليث وابو يوسف
بثلاثه وقال سفيان الثورى وابو حنيفه باربعة وقال ربيعه باثنى عشر رجلا وذكر النجاد ابو بكر احمد
بن سلمان اخبرنا ابو خالد زيد بن الهيثم بن طهمان الدقاق حدثنا صبح بن دينار حدثنا المعافى بن عمران
ان حدثنا معقل ابن عبد الله عن الزهرى يسنده الى مصعب بن عمير ان نبى الله صلى الله عليه وسلم
بعثه الى المدينه وانه نزل فى دار سعد بن معاذ فجمع بهم وهم اثنا عشر رجلا وذبح لهم يومئذ شاة
وقال الشافعى باربعين رجلا قال ابو اسحق الشيرازى فى كتاب التنبيه على مذهب الشافعى وكل
قرية فيها اربعين رجلا بالغين عاقلين احرارا مقيمين لا يظعنون عنه شتا ولا صيفا الا ظعن حاجة
وان يكونوا حاضرين من اول الخطبة الى تمام الجمعة وجبت عليهم الجمعة وقال احمد واسحق الى هذا
القول ولم يشترطا هذه الشروط وقال مالك اذا كانت قرية فيها سوق ومسجد فعليهم الجمعة من
غير اعتبار عدد وكتب عمر بن عبد العزيز اى قرية اجتمع فيها خمسون بيتا فعليهم الجمعة وقال
ابو حنيفه لا يجب الجمعة على اهل السواد والقرى لا يجوز لهم اقامتها فيها واشترط فى وجوب الجمعة وانعقادها
المصر الجامع والسلطان القاهر والسوق القايمه والنهر الجارى واحتج بحديث على رضى الله عنه
لا جمعة ولا تشريق الا فى مصر جامع ورفقة تعينهم وهذا يرده حديث ابن عباس قال ان اول
جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرية يقال لها جواثى من البحرين
خرجه البخارى وحجة الشافعى فى اربعين حديث جابر المذكور الذى خرجه الدارقطنى وفى
سنن ابن ماجه والدارقطنى ايضا ودلايل النبوة للبيهقى عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال
كنت قايد ابى حين ذهب بصره فاذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان صلى على ابى امامة واستغفر
له قال فمكث كذلك حينا لا يسمع الاذان بالجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابه استغفارك لابى امامة
كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال اى بنى هو اول من جمع بالمدينه فى هزم من حرة بنى بياضه يقال
له بقيع الخضمات قال قلت كم انتم حينئذ قال اربعون رجلا صوابه نقيع بالنون قاله الخطابى
وقال جابر بن عبد الله مضت السنه ان فى كل ثلاثه اماما وفى كل اربعين وما فوق ذلك جمعة
واضحى وفطرا وفى ذلك انهم جماعة خرجه الدارقطنى رحمه الله وروى ابو بكر احمد بن سلمان
النجاد قرى على عبد الملك بن محمد الرقاشى وانا اسمع حدثنى رجا بن سلمه حدثنا ابى حدثنا
روح بن غطيف الثقفى حدثنى الزهرى عن ابى سلمه قال قلت لابى هريرة على كم تجب الجمعة
من رجل قال لما بلغ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين جمع بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرى على عبد الملك بن محمد وانا اسمع حدثنا رجا بن سلمه حدثنا عباد
بن عباد المهلبى عن جعفر ابن الزبير عن القاسم عن ابى امامه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تجب الجمعة على خمسين رجلا ولا تجب على من دون ذلك قال ابن المنذر وكتب عمر
بن عبد العزيز ايما قريه اجتمع فيها خمسون رجلا فليصلوا الجمعة وروى الزهرى عن ام عبد الله
الدوسيه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة واجبة فى كل قريه وان لم يكن فيها

الاربعة يعني بالقرى المداين لا يصح هذا عن الزهري في روايته الجمعة واجبه على اهل كل قرية وان لم يكونوا الا ثلثه رابعهم امامهم لا يصح سماعه من الدوسية والحكم متروك الثالثة ويصح الجمعة بغير اذن الامام وحضوره وقال ابو حنيفه من شرطها الامام او خليفته ودليلنا ان الوليد بن عقبه والي الكوفه ابطا يوما فصلى بن مسعود بالناس من غير اذنه وروى ان عليا صلى الجمعة يوم حضر عثمان ولم ينقل انه استاذنه وروى ان سعيد بن العاص والي المدينه لما خرج من المدينه صلى ابو موسى بالناس الجمعة من غير استيذان وقال مالك ان لله فرايض في ارضه لا يضيعها وليها وال او لم يلها الرابعة قال علماونا من شرط ادايها المسجد المسقف قال بن العربي ولا اعلم وجهه قال الشيخ المولف رحمه الله وجهه قوله تعالى وطهر بيتي وقوله في بيوت اذن الله ان ترفع وحقيقة البيت ان يكون ذا حيطان وسقف عند العرب والله اعلم الخامسة قوله تعالى **وَتَرَكُوكَ قَائِمًا** شرط في قيام الخطيب على المنبر اذا خطب قال علقمه سيل عبد الله اكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قايما او قاعدا فقال اما يقرا وتركوك قايما وفي صحيح مسلم عن كعب بن عجرة انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما وخرج عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب فمن نباك انه كان يخطب جالسا فقد كذب فقد والله صليت معه اكثر من الفي صلاة وعلى هذا جمهور الفقهاء والايمة العلماء وقال ابو حنيفه ليس القيام شرطا فيها ويروى ان اول من خطب قاعدا معاويه وخطب عثمان قايما حتى رق فخطب قاعدا وقد قيل ان معوية انما خطب قاعدا لسنه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قايما ثم يقعد ثم يقوم ولا يتكلم في قعدته رواه جابر بن سمرة ورواه بن عمر في كتاب البخاري السادسة والخطبة شرط في انعقاد الجمعة ولا يصح الا بها وهو قول جمهور العلما وقال الحسن هي مستحبة وكذا قال بن الماجشون انها سنة وليست بفرض وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلوة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلوة الظهر والدليل على وجوبها قوله تعالى وتركوك قايما وهذا ذم والواجب هو الذي يذم تاركه شرعا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصلها الا بخطبة السابعة ويخطب متوكا على قوس او عصا وفي سنن بن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد قال حدثني ابي عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا الثامنة ويسلم اذا صعد المنبر على الناس عند الشافعي وغيره ولم يره مالك وقد روى بن ماجه من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم التاسعة فان خطب على غير طهارة الخطبة كلها او بعضها اسا عند مالك ولا اعادة عليه اذا صلى طاهرا وللشافعي قولان في ايجاب الطهارة شرطها في الجديد ولم يشترطها في القديم وهو قول ابي حنيفه العاشرة واقل ما يجزي في الخطبة ان يحمد الله ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القران

ويجب في الثانية اربع كالاولى الا ان الواجب بدلا من قراة الاية في الاولى الدعا قاله اكثر الفقهاء وقال ابو حنيفه لو اقتصر على التحميد او التسبيح او التكبير اجزاه وعن عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطبة ثم نزل وصلى وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه احد وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما تناوله اسم خطبة وهو قول الشافعي قال ابو عمر بن عبد البر وهو اصح ما قيل في ذلك الحادية عشرة في صحيح مسلم عن يعلى بن اميه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك وفيه عن عمرة بنت عبد الرحمن عن اخت لعمرة قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يقراها على المنبر في كل جمعة وقد مضى في اول ق وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور انفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن به وله وعنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب كل ما هو ات قريب لا بعد لما هو ات لا يعجل الله لعجلة احد ولا يخف لامر الناس ما شا الله لا ما شا الناس يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شا الله كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شي الا باذن الله جل وعز وقال جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب فيقول بعد ان يحمد الله ويصلي على انبيايه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحيوة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وقد تقدم ما خطب به عليه السلام اول جمعة عند قدومه المدينه الثانيه عشرة السكوت للخطبة واجب على من سمعها وجوب سنة والسنة ان ينصت لها من سمع ومن لم يسمع وهما ان شا الله في الاجر سوا ومن تكلم حينيذ فقد لغا ولا يفسد صلوته بذلك وفي الصحيح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت الزمخشري واذا قال المنصت لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام الثالثة عشرة ويستقبل الناس الامام اذا صعد المنبر لما رواه ابو داود مرسلا عن ابان بن عبد الله قال كنت مع عدي بن ثابت يوم الجمعة فلما خرج الامام او قال صعد المنبر استقبله وقال هكذا

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون برسول الله صلى الله عليه وسلم خرجه ابن ماجه
عن عدي بن ثابت عن ابيه وزاد في الاسناد عن ابيه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام
على المنبر استقبله اصحابه بوجوههم قال ابن ماجه ارجوا ان يكون متصلا قال الشيخ
المؤلف رحمه الله وخرج ابو نعيم الحافظ حدثنا محمد بن معمر قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجيه
قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا محمد بن الفضل الخراساني عن منصور عن ابرهيم عن علقمة
عن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا تفرد به
محمد بن الفضل بن عطيه عن منصور الرابعة عشر ولا يركع من دخل المسجد والامام يخطب عند
مالك رحمه الله وهو قول ابن شهاب وغيره وفي الموطا عنه عن ابن شهاب خروج الامام يقطع
الصلوة وكلامه يقطع الكلام وهذا مرسل وفي صحيح مسلم من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما وهذا نص في
الركوع وبه يقول الشافعي وغيره الخامسة عشر ابن عون عن ابن سيرين قال كانوا يكرهون
النوم والامام يخطب ويقولون فيه قولا شديدا قال ابن عون ثم لقيني بعد ذلك فقال يدري
ما يقولون قال يقولون مثلهم كمثل سريه احفقوا ثم قال هل تدري ما اخفقوا لم تغنم شيئا
وعن سمرة بن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم فليتحول الى مقعد صاحبه
فليتحول صاحبه الى مقعده السادسة عشر يذكر فيها من فضل الجمعة وفرضيتها ما لم يذكر روى
الايمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها
عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله عز وجل شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها وفي صحيح مسلم
من حديث ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين ان يجلس الامام
الى ان يقضي الصلوة وروي من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطا علينا ذات يوم
فلما خرج قلنا احتبست قال ذلك بان جبريل اتاني بكهيئة المراة البيضا فيها نكتة سودا فقلت
ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة فيها خير لك ولامتك وقد ارادها اليهود والنصارى
فاخطوها وهداكم الله لها قلت يا جبريل ما هذه النكتة السودا قال هذه الساعة التي
في يوم الجمعة لا يوافقها عبد مسلم فسال الله فيها خيرا الا اعطاه اياه او ادخر له مثله
يوم القيمة او صرف عنه من السوء مثله وانه خير الايام عند الله وان اهل الجنة يسمونه
يوم المزيد وذكر الحديث وذكر ابن المبارك ويحيى بن سلام قالا حدثنا المسعودي عن المنهال
بن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله بن عتبه عن ابن مسعود قال تسارعوا الى الجمعة فان
الله تبارك وتعالى يبدو لاهل الجنة كل يوم جمعه في كثيب من كافور ابيض يكونون منه في
القرب قال ابن المبارك على قدر تسارعهم الى الجمعة في الدنيا وقال يحيى بن سلام لمسارعتهم
الى الجمع في الدنيا وزاد فيحدث لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا راوه قبل ذلك قال يحيى وسمعت
غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله ولدينا مزيد قال الشيخ المولف رحمه الله قوله في كثيب
يريد اهل الجنة اي وهم على كثيب كما روى الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان اهل

ان اهل الجنة ينظرون الى ربهم في كل جمعة على كثيب من كافور لا يرى طرفاه ومنه نهر جار حافتاه
المسك عليه جوار يقرون القران باحسن اصوات سمعها الاولون فاذا انصرفوا الى منازلهم اخذ
كل رجل بيد ما شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لولو الى منازلهم فلولا ان الله يهديهم الى
منازلهم ما اهتدوا اليها لما يحدث الله لهم في كل جمعة ذكره يحيى بن سلام وعن انس قال
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي رايت تحت العرش سبعين مدينه كل مدينه مثل دنياكم
هذه سبعين مرة مملوه من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه يقولون في تسبيحهم اللهم
اغفر لمن شهد الجمعة اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة ذكره الثعلبي وخرج القاضي الشريف
ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابرهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس
رضي الله عنه باسناد صحيح عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
يبعث الايام يوم القيمة على هيئتها ويبعث الجمعة زهرا منيرا اهلها يحفون بها كالعروس تهدى
الى كريمها تضي لهم يمشون في ضوها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون
في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم احد الا المؤذنون
المحتسبون وفي سنن ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة
الى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم تغش الكباير خرجه مسلم بمعناه وعن اوس بن اوس الثقفي قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب
ودنى من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة اجر صيامها وقيامها وعن جابر بن
عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس توبوا الى الله قبل ان
تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم
له وكثرة الصدقة في السر والعلانيه ترزقوا وتنصروا وتوجروا واعلموا ان الله قد افترض عليكم
الجمعة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيمة فمن تركها في حياتي او بعد
مماتي وله امام عادل او جاير استخفافا بها او جحودا لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في امره الا
ولا صلوة له ولا زكوة له ولا حج له الا ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه
الا لا تؤمن امراة رجلا ولا يؤم اعرابي مهاجرا ولا يؤم فاجر مؤمنا الا ان يقهره
سلطان يخاف سيفه او سوطه وقال ميمون ابن ابي شبيه اردت الجمعة مع الحجاج فتهيات
للذهاب ثم قلت ابن اذهب اصلي خلف هذا الفاجر فقلت مرة اذهب ومرة لا اذهب ثم
اجمع رايي على الذهاب فناداني مناد من جانب البيت يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع السابعة عشر قوله تعالى **قل ما عند
الله خير من اللهو ومن التجارة** فيه وجهان احدهما ما عند الله من رزقكم ثواب
صلوتكم خير من لذة لهوكم وفايدة تجارتكم الثانية ما عند الله من رزقكم الذي قسمه
لكم خير مما اصبتموه من لهوكم وتجارتكم وقرا ابو رجا العطاردي قل ما عند الله خير
من اللهو ومن التجارة للذين امنوا والله خير الرازقين اي خير من رزق واعطى فمنه

فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة

سورة المنافقين مدنية في قول الجميع وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
روى البخاري عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله ابن ابي ابن سلول يقول
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز لئن
منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عبد الله ابن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل
اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول
الله الى قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال ان الله قد صدقك خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
وفي الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا فيسبق الاعرابي
اصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء اصحابه
قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع
حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله
ابن ابي راس المنافقين فاخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله ابن ابي ثم قال لا
تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب
وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا
من عند محمد فاتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعتم
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت
عمي فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عمي الي
فقال ما اردت الى ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمنافقون قال
فوقع علي من جرأتهم ما لم يقع على احد قال فبينما انا اسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر قد خفقت براسي من الهم اذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك
اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال ابو عيسى هذا حديث حسن
صحيح وسئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وهو
اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يكتمونه وهم
اليوم يظهرونه وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق

ثلاث

ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة
من النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر
خبر عليه السلام ان من جمع هذه الخصال كان منافقا وخبره صدق وروي عن الحسن انه
ذكر له هذا الحديث فقال ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا
انما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا
هذه الخصال شفقا ان تفضي بهم الى النفاق وليس المعنى ان من بدرت منه هذه الخصال من
غير اختيار واعتياد انه منافق وقد مضى في براءة القول في هذا مستوفى وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد انجز واذا اؤتمن وفى والمعنى المؤمن الكامل اذا حدث
صدق والله اعلم قوله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله قيل معنى نشهد نحلف فعبر عن الحلف بالشهادة
لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر مغيب ومنه قول قيس بن ذريح واشهد عند الله
اني احبها فهذا لها عندي فما عندها ليا ويحتمل ان يكون ذلك محمولا على ظاهره انهم يشهدون
ان محمدا رسول الله اعترافا بالايمان ونفيا للنفاق عن انفسهم وهو الاشبه والله اعلم انك
لرسوله كما قالوه بالسنتهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي فيما اظهروا من شهادتهم وحلفهم
بالسنتهم وقال الفراء والله يشهد انهم لكاذبون بضمائرهم فالتكذيب راجع الى الضمائر وهذا يدل
على ان الايمان تصديق القلب وعلى ان الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو
كاذب وقد مضى هذا المعنى في اول البقرة مستوفى وقيل اكذبهم الله في ايمانهم وهو قوله
يحلفون بالله انهم لمنكم قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله تعالى جنة اي سترة وليس يرجع الى قوله نشهد انك لرسول الله وانما يرجع الى سبب
الآية التي نزلت عليه حسب ما ذكره البخاري والترمذي عن ابن ابي انه حلف ما قال
وقد قال وقال الضحاك يعني حلفهم بالله انهم لمنكم وقيل يعني بايمانهم ما اخبر الرب
عنهم في سورة براءة اذ قال يحلفون بالله ما قالوا الثانية من قال اقسم بالله او اشهد بالله او
اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او اشهدت او عزمت او حلفت فقال في ذلك كله بالله
فلا خلاف انها يمين وكذلك عند مالك واصحابه ان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم
يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وحكاه الكيا عن الشافعي قال
الشافعي اذا قال اشهد لم يقل بالله ونوى اليمين كان يمينا وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد
بالله لقد كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد لقد كان كذا دون النية كان يمينا لهذه الآية
لان الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الشافعي لا يكون ذلك
يمينا وان نوى اليمين لان قوله اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع
الى ما في براءة من قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا الثالثة قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله
اي اعرضوا وهم من الصدود او صرفوا المؤمنين عن اقامة حكم الله عليهم من القتل والسبي

ولحذا الاموال فهو من الصدا ومنعوا الناس عن الجهاد بان يتخلفوا ويقتدى بهم غيرهم وقيل
فصدوا اليهود والمشركين عن الدخول فى الاسلام بان يقولوا ها نحن كافرين بهم ولو كان محمد حقا
لعرف هذا منا ولجعلنا نكالا فبين الله ان حالهم لا يخفى عليه ولكن حكمه ان من اظهر الايمان
اجرى عليه فى الظاهر حكم الايمان انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس اعمالهم الخبيثة من نفاقهم
وايمانهم الكاذبة وصدهم عن سبيل الله قوله تعالى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
هذا اعلام من الله تعالى بان المنافق كافر اى اقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل نزلت هذه
الآية فى قوم آمنوا ثم ارتدوا فطبع على قلوبهم اى ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون الايمان
ولا الخير وقرا زيد بن على فطبع الله على قلوبهم قوله تعالى وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
اى هياتهم ومناظرهم وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ يعنى عبد الله بن ابى قال ابن عباس ان عبد الله
ابن ابى وسيما جسيما صحيحا صبيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم مقالته
وصفه الله بتمام الصورة وحسن الابانة وقال الكلبى المراد ابن ابى وجد بن قيس ومعتب
ابن قشير كانت لهم اجسام ومنظر وفصاحة وفى صحيح مسلم وقوله كانهم خشب مسندة
قال كانوا رجالا اجمل شىء كانهم خشب مسندة شبههم بخشب مسندة الى الحائط لا يسمعون
ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقيل شبههم بالخشب التى قد تاكلت فهى
مسندة بغيرها لا يعلم ما فى بطنها وقرا قنبل وابو عمرو والكسائى خشب باسكان الشين وهى
قراءة البراء بن عازب واختيار ابى عبيد لان واحدتها خشبة كما يقول بدنة وبدن وليس فى
اللغة فعلة يجمع على فعل ويلزم من ثقلها ان يقول البدن فيقرأ والبدن وذكر اليزيدى انه
جماع الخشباء لقوله عز وجل وحدائق غلبا واحدتها حديقة غلباء وقرا الباقون بالتثقيل وهى
رواية البزى عن ابن كثير وعباس عن ابى عمرو واكثر الروايات عن عاصم واختاره ابو حاتم
كانه جمع خشباء وخشب نحو ثمرة وثمر وعمر وان شئت جمعت خشبة على خشب
كما قالوا بدنة وبدن وبدن وقد روى عن ابن المسيب فتح الخاء والشين فى خشب قال
سيبويه خشبة وخشب مثل بدنة وبدن قال ومثله لغيرها اسد واسد ووثن ووثن وتقرا
خشب وهو جمع الجمع خشبة وخشاب وخشب مثل ثمرة وثمار وثمر والاسناد الامالة تقول
اسندت الشىء اى املته ومسندة للتكثير اى استندوا الى الايمان لحقن دمائهم قوله تعالى
يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فهم العدو فى موضع المفعول الثانى
على ان الكلام لا ضمير فيه يصفهم بالجبن والخور قال مقاتل والسدى اى اذا نادى
مناد فى العسكر ان انفلتت دابة او نشدت ضالة ظنوا انهم المراد لما فى قلوبهم من الرعب
كما قال الاخطل ما زلت تحسب كل شىء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا وقيل يحسبون
كل صيحة عليهم كلام ضمير فيه لا يفتقر الى ما بعده وتقديره يحسبون كل صيحة عليهم
انهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لان للريبة خوفا ثم استانف الله خطاب نبيه صلى الله
عليه وسلم فقال هم العدو وهذا معنى قول الضحاك وقيل يحسبون كل صيحة يسمعونها فى المسجد

انها عليهم وان النبى صلى الله عليه وسلم قد امر فيها بقتلهم فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم
امرا يبيح به دماءهم ويهتك به استارهم وفى هذا المعنى قال الشاعر

فلو انها عصفورة لحسبتها مسومة تدعوا عبيدا وازنما

ثم وصفهم الله تعالى بقوله هم العدو فاحذرهم حكاه عبد الرحمن ابن ابى حاتم وفى قوله فاحذرهم
وجهان احدهما فاحذر ان تثق بقولهم او تميل الى كلامهم الثانى فاحذر ممايلتهم لاعدائك و
تخذيلهم لاصحابك قاتلهم الله اى لعنهم الله قاله ابن عباس وابو مالك وهى كلمة ذم وتوبيخ
وقد يقول العرب قاتله الله ما اشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل معنى قاتلهم الله اى احلهم محل
من قاتله عدو قاهر لان الله تعالى قاهر لكل معاند حكاه ابن عيسى انى يؤفكون اى يكذبون قاله ابن
عباس قتادة معناه يعدلون عن الحق الحسن معناه يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف يضل
عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك وهو الصرف وانى بمعنى كيف وقد
تقدم قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لما نزل القرآن
بصفتهم مشى اليهم عشائرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى رسول الله من النفاق
واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا رؤوسهم اى حركوها استهزاء واباء قاله ابن عباس وعنه
انه كان لعبد الله بن ابى موقف فى كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما
ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فاته يستغفر لك فابى وقال لا اذهب
اليه وسبب نزول هذه الآيات ان النبى صلى الله عليه وسلم غزا بنى المصطلق على ماء يقال
له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فازدحم اجير لعمر يقال له جهجاه مع حليف لعبد الله
بن ابى يقال له سنان على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وصرخ سنان يا للانصار فلطم
جهجاه سنانا فقال عبد الله بن ابى وقد فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك
ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز يعنى ابيا الاذل يعنى محمدا صلى الله
عليه وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا تنفقوا على من عنده حتى ينفضوا
ويتركوه فقال زيد بن ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله الذليل المنتقص فى قومك ورسول
الله صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك
هذا ابدا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله
فاقسم بالله ما فعل ولا قال فعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زيد فوجدت فى نفسى
ولامنى الناس فنزلت سورة المنافقين فى تصديق زيد وتكذيب عبد الله فقيل لعبد الله
قد نزلت فيك آيات شديدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فالوى
براسه فنزلت الآيات خرجه البخارى ومسلم والترمذى بمعناه وقد تقدم اول السورة
وقيل يستغفر لكم يستتبكم من النفاق لان التوبة استغفار ورايتهم يصدون وهم
مستكبرون اى يعرضون عن الرسول متكبرين عن الايمان وقرا نافع لووا بالتخفيف وشدد
الباقون واختاره ابو عبيد قال وهو فعل الجماعة النحاس وغلط فى هذا لانه نزل فى عبد الله

ابن ابى لما قيل له تعالى يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرك راسه استهزا فان قيل
كيف اخبر عنه بفعل الجماعة قيل له العرب تفعل هذا اذا كنت عن الانسان انشد سيبويه
حسان ظننتم بان يخفى الذى قد صنعتم وفينا رسول عنده الوحى واضعه وانما خاطب حسان
ابن الابيرق فى شى سرقه بمكة وقصته مشهورة وقد يجوز ان يخبر عنه وعن من فعل فعله
وقيل قال بن ابى لما لوى راسه امرتمونى ان او من فقد امنت وان اعطى زكاه مالى فقد اعطيت
فما بقى الا ان اسجد لمحمد قوله تعالى سوآء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم يعنى كل ذلك سوا لا ينفع استغفارك شيئا لان الله لا يغفر لهم نظيره سوآء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون سوآء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وقد تقدم
ان الله لا يهدى القوم الفاسقين اى من سبق فى علم الله انه يموت فاسقا قوله تعالى
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ذكرنا سبب النزول فيما تقدم
وابن ابى قال لا ينفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا ايتفرقوا عنه فاعلمهم الله ان خزاين
السموات والارض له ينفق كيف يشآء قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزاين
السموات والارض وقال الجنيد خزاين السموات الغيوب وخزاين الارض القلوب فهو علام
الغيوب ومقلب القلوب وكان الشبلى يقول ولله خزاين السموات والارض فاين تذهبون
ولكن المنافقين لا يفقهون انه اذا اراد امرا يسره قوله تعالى يقولون لين رجعنا الى المدينه
ليخرجن الاعز منها الاذل القايل ابن ابى كما تقدم وقيل انه لما قال ليخرجن الاعز منها الاذل
ورجع الى المدينة لم يلبث الا ايا ما يسيرة حتى مات واستغفر له رسول الله صلى الله عليه
وسلم والبسه قميصه فنزلت هذه الاية لن يغفر الله لهم وقد مضى بيان هذا مستوفى
فى براءه وروى ان عبد الله ابن ابى بن سلول قال لابيه والذى لا اله الا هو لا يدخل المدينه
حتى يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانا الاذل فقاله هو وهو ان العزة
بكثرة الاموال والاتباع فبين الله ان العزة والمنعة والقوة لله لقوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله حذر المومنين اخلاق المنافقين
اى لا تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا للشح باموالهم لا تنفقوا على من عند
رسول الله عن ذكر الله اى عن الحج والزكوة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن ادامة
الذكر وقيل عن الصلوات الخمس قاله الضحاك وقال الحسن جميع الفرايض كانه
قال عن طاعة الله وقيل هو خطاب للمنافقين اى امنتم بالقول فآمنوا بالقلب
ومن يفعل ذلك اى من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه فاولئك هم الخاسرون
قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت فيه
اربع مسايل الاولى قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى احدكم الموت يدل على
وجوب تعجيل اداء الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك ساير العبادات اذا تعين وقتها
الثانية قوله تعالى فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب سال الرجعة الى

الدنيا ليعمل صالحا وروى الترمذى عن الضحاك بن مزاحم عن بن عباس قال من كان له مال يبلغه حج
بيت ربه او يجب عليه فيه زكاه فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا بن عباس اتق الله
انما سالت الرجعة الكفار فقال سا تلوا عليك بذلك قرآنا يا ايها الذين امنوا لا يلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم
من قبل ان ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين
الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكوة قال اذا بلغ المال مايتين فصاعدا قال فما يوجب
الحج قال الزاد والراحلة قال الشيخ المولف رحمه الله ذكره الحكيمى ابو عبد الله الحسن بن الحسين فى
كتاب منهاج الدين مرفوعا فقال وقال بن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده
مال يبلغ الحج الحديث فذكره وقد تقدم فى آل عمران لفظه الثالثه قال بن العربى اخذ بن عباس
بعموم الاية فى انفاق الواجب خاصة دون النفل فاما تفسيره بالزكوة فصحيح كله عموما وتقديرا
بالمايتين واما القول بالحج ففيه اشكال لانا ان قلنا ان الحج على التراخى ففى المعصية فى الموت
قبل الحج خلاف بين العلماء فلا تخرج الاية عليه وان قلنا الحج على الفور فالاية فى العموم
صحيح لان من وجب عليه الحج فلم يوده لقى من الله ما يود انه رجع ليانى بما ترك من العبادات
واما تقدير الامر بالزاد والراحله ففى ذلك خلاف مشهور بين العلما وليس لكلام بن عباس فيه
مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا يدخل فى المسايل المجتهد فيها ولا المختلف عليها وانما يدخل
فى المتفق عليه والصحيح تناوله للواجب من الانفاق كيف تصرف بالاجماع او بنص القران
لاجل ان ما عدا ذلك لا تطرق اليه تحقيق الوعيد الرابعة قوله تعالى لولا اى هلا فيكون
استفهاما وقيل لا صله فيكون الكلام بمعنى التمنى فاصدق نصب على جواب التمنى بالفا واكون
عطف على فاصدق وهى قراءة ابى عمرو وابن محيصن ومجاهد وقرا الباقون واكن بالجزم
عطفا على موضع الفا لان قوله فاصدق لو لم تكن الفا لكان مجزوما اى اصدق ومثله من
يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فيمن جزم قال بن عباس هذه الاية اشد على اهل التوحيد
لانه لا يتمنى الرجوع فى الدنيا او التاخير فيها احد له عند الله خير فى الآخرة قال الشيخ المولف
رحمه الله الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة والله خبير بما تعملون
من خير وشر وقراءة العامة بالتاء على الخطاب وقرا ابو بكر عن عاصم والسلمى بالياء على الخبر
عن من مات وقال هذه المقالة سورة التغابن مدنية فى قول الاكثرين
وقال الضحاك مكية وقال الكلبى هى مكية ومدنية وهى ثمان عشرة اية وعن ابن عباس
ان سورة التغابن نزلت بمكة الا آيات من آخرها نزلن بالمدينه فى عوف بن مالك الاشجعى شكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الى آخر السوره وعن عبد الله
بن عمر قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
الا وفى تشابيك راسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن

واكون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله

يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير تقدم في غير موضع قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مومن قال ابن عباس ان الله خلق بني ادم مومنا وكافرا ويعيدهم في القيمة
مومنا وكافرا وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيئا
مما يكون فقال يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مومنا ويعيش مومنا ويموت مومنا
ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل مومنا ويعيش مومنا ويموت كافرا
ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مومنا وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم
خلق الله فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مومنا وفي الصحيح من حديث
ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها خرجه
البخاري والترمذي وليس فيه ذكر الباع وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل
النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة قال علماونا والمعنى
تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري ما علم واراد وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم الاحوال وقد
يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف فمنكم مومن ومنكم كافر ومنكم فاسق
فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود ذكر
الطرفين وقال جماعة من اهل العلم ان الله خلق الخلق ثم كفروا وامنوا قالوا وتمام الكلام هو
الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن كقوله والله خلق كل دابة من ماء
فمنهم من يمشي على بطنه الاية قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم واختاره الحسين بن الفضل
قال لو خلقهم مومنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر ومنكم مومن واحتجوا
بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه الحديث وقد مضى
في الروم مستوفى قال الضحاك فمنكم كافر في السر مومن في العلانية كالمنافق ومنكم
مومن في السر كافر في العلانية كعمار وذويه وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن بالكوكب
ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب يعني في شان الانواء وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذي
عليه الايمة والجمهور من الامة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق
الكفر وخلق المومن وايمانه فعل له وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار
الكفر بعد خلق الله اياه لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل
واحد منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز ووجود خلاف
المعلوم جهل ولا يليقان بالله تعالى وفي هذا سلامة من الجبر والقدر كما قال الشاعر

يا ناظر

يا ناظرا في الدين ما الامر ۞ لا قدر صح ولا جبر وقال سيلان قدم اعرابي البصرة
فقيل له ما تقول في القدر فقال امر تغالت فيه الظنون واختلف فيه المختلفون فالواجب ان نرد ما اشكل
علينا من حكمه الى ما سبق من علمه قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض
بالحق تقدم في غير موضع اي خلقها حقا يقينا لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام اي خلقها
للحق وهو ان يجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وصوركم فاحسن
صوركم يعني ادم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل الثاني جميع الخلايق وقد مضى
معنى التصوير وانه التخطيط والتشكيل فان قيل كيف احسن صورهم قيل له جعلهم احسن
الحيوان كله وابهاه صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على خلاف ما يرى من ساير
الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم على ما
ياتي بيانه ان شا الله تعالى واليه المصير اي المرجع فيجازي كلا بعمله قوله تعالى يعلم
ما في السموات والارض ويعلم ما يسرون وما يعلنون والله عليم
بذات الصدور تقدم في غير موضع فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء
قوله تعالى الم ياتكم نبوا الذين كفروا من قبل الخطاب لقريش الم ياتكم خبر
كفار الامم الماضية فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا ولهم في الاخرة عذاب اليم اي موجع وقد تقدم
قوله تعالى ذلك اي هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالدلايل
الواضحة فقالوا ابشر يهدوننا انكروا ان يكون الرسول من البشر وارتفع البشر على الابتدا وقيل
باضمار فعل والجمع على معنى بشر ولهذا قال يهدوننا ولم يقل يهدينا وقد ياتي الواحد بمعنى الجمع
فيكون اسما للجنس وواحده انسان لا واحد له من لفظه وقد ياتي الواحد بمعنى الجمع بمعنى
الواحد نحو ما هذا بشرا فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشا
الى عباده وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان والموعظة واستغنى الله
اي بسلطانه عن طاعة عباده قاله مقاتل وقيل استغنى الله بما اظهره لهم من البرهان واوضحه
لهم من البيان عن زيادة تدعو الى الرشد وتقود الى الهداية قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا اي ظنوا والزعم هو القول بالظن وقال شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا قيل نزلت
في العاصي بن وايل السهمي مع خباب حسب ما تقدم بيانه في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر
قل يا محمد قل بلى وربي لتبعثن اي لتخرجن من قبوركم احيا ثم لتنبوون لتخبرن بما عملتم اي باعمالكم
وذلك على الله يسير اذ الاعادة اسهل من الابتدا قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله
امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة والنور الذي انزلنا وهو القران وهو نور يهتدى به
من ظلمة الضلال والله بما تعملون خبير قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم
التغابن فيه ثلاث مسايل الاولى العامل في يوم لتنبوون او خبير لما فيه من معنى الوعيد
كانه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر الغبن النقص يقال غبنه غبنا اذا اخذ
الشيء منه بدون قيمته وقرا العامة يجمعكم بالياء لقوله والله بما تعملون خبير ولذكر اسم الله

فاخبره

اة لا و قرا نصر وابن ابى اسحق والجحدرى و يعقوب و سلام نجمعكم بالنون اعتبارا بقوله والنور الذى انزلنا و يوم الجمع يوم يجمع الله الاولين والآخرين والانس والجن واهل السماء واهل الارض وقيل هو يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل لانه يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل لانه يجمع فيه بين كل نبى وامته وقيل لانه يجمع فيه بين ثواب اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصى ذلك يوم التغابن اى يوم القيامة قال وما ارتجى بالعيش فى دار فرقة الا انما الراحات يوم التغابن وسمى يوم القيامة يوم التغابن لانه غبن فيه اهل الجنة اهل النار اى ان اهل الجنة اخذوا الجنة واخذ اهل النار على طريق المبادلة فوقع الغبن لاجل مبادلتهم الخير بالشر والجيد بالردى والنعيم بالعذاب يقال غبنت ولانا اذا بايعته او شاريته فكان النقص عليه والغلبة لك وكذا اهل الجنة واهل النار على ما ياتى بيانه ويقال غبنت الثوب وخبنته اذا طال عن مقدارك فخطت منه شيئا فهو نقصان ايضا والمغابن ما انثنى من الخلق نحو الابطين والفخذين قال المفسرون فالمغبون من غبن اهله ومنازله فى الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته فى الجنة من كان دون منزلته الثانية فان قيل فاى معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها قيل له هو تمثيل الغبن فى الشراء والبيع كما قال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولما ذكر ان الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا فى تجارتهم بل خسروا ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الآخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله سبحانه الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار ومنازل الكل موضوعة فى الجنة والنار فقد يسبق الخذلان على العبد كما بيناه فى هذه السورة وغيرها فيكون من اهل النار فيحصل الموفق على منزل المخذول ومنزل الموفق فى النار فكانه وقع التبادل فحصل التغابن والامثال موضوعة للبيان فى حكم اللغة والقرآن وذلك كله مجموع من نشر الآثار وقد جاءت مفرقة فى هذا الكتاب وقد يخبر عن هذا التبادل بالوراثة كما بيناه فى قد افلح المؤمنون والله اعلم وقد يقع التغابن فى غير ذلك اليوم على ما ياتى بيانه بعد ولكنه اراد التغابن الذى لا جبران لنهايته وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن فى ثلثة اصناف رجل علم علما فعلمه وضيعه هو ولم يعمل به فشقى به وعمل به من تعلمه فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسئل عنها وشح عليه وفرط فى طاعة ربه فيه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لا حساب عليه فيه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا فما انتما قائلين فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتها فتعسفتها من حرام وحلال وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق مال اوفى به فتقول المرأة يا رب وما عسى ان اقول اكتسبه حراما واكلته حلالا وعصانى فى مرضاتى ولم ارض له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تبارك وتعالى قد صدقت فيؤمر

الى النار ويؤمر بها الى الجنة فيطلع عليه من طبقات الجنة فيقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن فذلك يوم التغابن الثالثة قال ابن العربى استدل علماؤنا بقوله تعالى ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز الغبن فى المعاملة الدنيوية لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة فقال ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن فى الدنيا فكل من اطلع على غبن فى مبيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم لحبان بن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلثا وهذا فيه نظر طويل بيناه فى مسائل الخلاف نكتته ان الغبن فى الدنيا ممنوع باجماع فى حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا فى كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه لاحد فمضى فى البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه حتى اذا كان كثيرا امكن الاحتراز منه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير اصل فى الشريعة معلوم فقدر علماؤنا الثلث لهذا الحد اذ رأوه حد الوصية وغيرها ويكون معنى الآية على هذا ذلك يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذى لا يستدرك ابدا لان تغابن الدنيا يستدرك بوجهين اما برد فى بعض الاحوال واما بربح فى موضع آخر وسلعة اخرى فاما من خسر الجنة فلا درك له ابدا وقد قال بعض علماء الصوفية ان الله كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب وفى الاثر قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد قوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات قرا نافع وابن عامر بالنون فيهما والباقون بالياء قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعنى القرآن اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير لما ذكر ما للمؤمنين ذكر ما للكفار كما تقدم فى غير موضع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اى بارادته وقضائه وقال الفراء يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب فى الدنيا فبين الرب تعالى ان ما اصاب من مصيبة فى نفس او مال او قول او فعل يقتضى هما او يوجب عقابا عاجلا او آجلا فبعلم الله وقضائه قوله تعالى ومن يؤمن بالله اى يصدق ويعلم انه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للصبر والرضى وقيل يثبته على الايمان وقال ابو عثمان الجيزى من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير وقال ابن عباس هو ان يجعل الله فى قلبه اليقين ليعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال الكلبى هو اذا ابتلى صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل الثواب من الجنة وقراءة العامة يهد بفتح الياء وكسر الدال لذكر اسم الله اولا وقرا السلمى وقتادة يهد قلبه بضم الياء وفتح الدال على الفعل المجهول ورفع الباء لانه اسم

فعل لم يسم فاعله وقرا طلحة بن مصرف والاعرج يهدي بنون على التعظيم قلبه بالنصب وقرا عكرمة
يهدا قلبه بهمزة ساكنة ورفع الباء اي يسكن ويطمئن وقرا مثله مالك بن دينار الا انه لين الهمزة
والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه تسليم من انقاد وسلم لامره ولا كراهة من كرهه قوله تعالى
واطيعوا الله واطيعوا الرسول اي هونوا على انفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله
واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان توليتم عن الطاعة فليس على الرسول الا
التبليغ الله لا اله الا هو اي لا معبود سواه ولا خالق غيره فعليه توكلوا قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فيه خمس مسائل
الاولى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة في عوف بن مالك شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم
جفا اهله وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت سورة التغابن
كلها بمكة الا هولا الايات يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم نزلت في عوف
بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوا اليه ورققوه فقالوا الى من
تدعنا فيرق فيقيم فنزلت يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الاية
كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقية الاية الى اخر السورة بالمدينة وروى الترمذي عن
ابن عباس وساله رجل عن هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم قال هولا رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان
يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم الاية هذا حديث حسن صحيح الثانية قال القاضي ابو بكر العربي
هذا يبين وجه العداوة فان العدو لم يكن عدوا بذاته انما كان عدوا بفعله فاذا
فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة
وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان
قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال له اتومن وتذر دينك ودين ابائك فخالفه فامن
ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له في
طريق الجهاد فقال له اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل
فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما يكون بالوسوسة
والثاني بان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال الله تعالى وقيضنا
لهم قرنا فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى عليه السلام من اتخذ اهلا
ومالا وولدا كان للدنيا عبدا وفي صحيح الحديث بيان ادنى من ذلك في حال العبد قال
النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدنيا تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد
القطيفة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ولا دناءة اعظم في عبادة الدنيا والدرهم

ولاهة

ولاهة احسن من همة ترتفع بثوب جديد الثالثة كما ان الرجل يكون له ولده وزوجه عدوا كذلك
المراة يكون لها ولدها وزوجها عدوا بهذا المعنى بعينه وعموم قوله من ازواجكم يدخل فيه الذكر
والانثى لدخولهما في كل اية والله اعلم الرابعة قوله فاحذروهم معناه على انفسكم والحذر على
النفس يكون لوجهين اما الضرر في البدن واما الضرر في الدين والضرر في البدن يتعلق بالدنيا والضرر في الدين
يتعلق بالاخرة فحذر الله العبد من ذلك وانذره منه الخامسة قوله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله
غفور رحيم وقال مجاهد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم قال
ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على ان اخذوا لهم الحرام فاعطوه اياهم والاية عامة في كل
معصية يرتكبها الانسان بسبب الاهل والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم قوله تعالى انما
اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام ومنع حق الله فلا تطيعوهم
في معصية الله وفي الحديث يوتى برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف
العيال سوس الطاعات وقالوا لفي فتنة اي اغرام يقال فتن الرجل بالمراة اي شغف بها وقيل فتنة
محنة ومنه قول الشاعر لقد فتن الناس في دينهم وخلى ابن عفان شرا طويلا وقال ابن مسعود
لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال واهل وولد الا وهو مشتمل
على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن في قوله تعالى ان من
ازواجكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم
فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما وروى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة
عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما
قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما
بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان
ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم
يعني الجنة فهي الغاية ولا اجر اعظم منها في قول المفسرين وفي الصحيحين واللفظ للبخاري
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة
يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم
تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك قالوا يا ربنا واي شيء افضل من ذلك
فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقد تقدم ولا شك في ان الرضا غاية
الامال وانشد الصوفية في تحقيق ذلك امتحن الله به خلقه فالنار والجنة في قبضته فهجره اعظم
من ناره ووصله اطيب من جنته قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فيه خمس
مسائل الاولى ذهب جماعة من اهل التاويل الى ان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى
فاتقوا الله حق تقاته منهم قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد ذكره الطبري وحدثني
يونس بن عبد الاعلى قال انا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته قال جاء امر شديد قالوا ومن يعرف قدر هذا او يبلغه فلما عرف الله انه قد اشتد

وروى الطبري عن عكرمة في قوله يا ايها الذين امنوا ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال كان
الرجل يريد ان ياتي النبي عليه السلام فيقول
له اهله اين تذهب وتدعنا قال فاذا اسلم
وفقه قال لارجعن الى الذين كانوا ينهون
عن هذا الامر فلافعلن ولافعلن قال فانزل الله
عز وجل وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله
غفور رحيم

ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الآية الأخرى قال فاتقوا الله ما استطعتم وقيل هي محكمة لا نسخ
فيها قال ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته انها لم ينسخ ولكن حق تقاته ان يجاهد لله حق جهاده
ولا يأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وآبائهم وابنائهم وقد تقدم
الثانية فان قيل فاذا كانت الآية محكمة غير منسوخة فما وجه قوله من سورة التغابن
فاتقوا الله ما استطعتم وكيف يجوز اجتماع الامر باتقاء الله حق تقاته والامر باتقائه ما استطعنا
والامر باتقائه حق التقات ايجاب القرآن بغير خصوص ولا وصل بشرط والامر باتقائه ما استطعنا
امر باتقائه موصولا بشرط قيل له قوله اتقوا الله ما استطعتم لمعتزل مما دل عليه قوله تعالى
اتقوا الله حق تقاته وانما عنى بقوله اتقوا الله ما استطعتم فاتقوا الله ايها الناس
وراقبوه فيما جعل فتنة لكم من اموالكم واولادكم ان يغلبكم فتنتهم ويصدوكم عن
الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة ما استطعتم
يعني وانتم للهجرة مستطيعين وذكر ان الله جل ثناؤه كان عذر من لم يقدر على الهجرة
بتركها بقوله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله فاولئك عسى الله ان يعفو
عنهم فاخبر انه قد عفى عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك
وكذلك معنى قوله ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ان يتركوها بفتنة
اموالكم واولادكم ومما يدل على صحة هذا ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقيب
قوله يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف
بين السلف من اهل العلم بتاويل القرآن ان هذه الآية نزلت بسبب قوم كفار تاخروا
عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك حسب
ما تقدم وهذا كله اختيار الطبري وقيل فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة
او صدقة فانه لما نزل قوله فاتقوا الله حق تقاته اشتد على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم
وتقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى
قاله ابن جبير قال الماوردي ويحتمل ان لم يثبت هذا النقل ان المكره على المعصية غير
مواخذ بها لانه لا يستطيع اتقائها الثالثة قوله تعالى واسمعوا واطيعوا اي اسمعوا
ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وقال مقاتل اسمعوا اي اصغوا الى
ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع واطيعوا الرسول فيما امركم
او نهاكم قال قتادة عليهما بويع النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وقيل
واسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون وعبر عنه بالسماع لانه فائدته قال الشيخ المولف رحمه
الله وقد تغلغل الحجاج في هذه الآية حين تلاها وقصرها على عبد الملك بن مروان
فقال فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا هي لعبد الملك امين الله وخليفته ليس
فيها مثنوية والله لو امرت رجلا ان يخرج من باب المسجد فخرج من غيره لحل لي
دمه وكذب من تاويلها بل هي للنبي صلى الله عليه وسلم اولا ثم لاولي الامر من بعده دليله

اطيعوا الله

اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الرابعة قوله تعالى وانفقوا قيل هو الزكاة قاله ابن
عباس وقيل هو النفقة في النفل وقال الضحاك هو النفقة في الجهاد وقال الحسن هو نفقة المومن
لنفسه قال ابن العربي وانما اوقع قائل هذا قوله لانفسكم وخفي عليه ان نفقة الفرض والنفل في الصدقة
هي نفقة الرجل على نفسه قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها و
كلما يفعله الرجل من خير فانما هو لنفسه والصحيح انها عامة روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال له رجل عندي دينار قال انفقه على نفسك قال عندي آخر قال انفقه على عيالك
قال عندي آخر قال انفقه على ولدك قال عندي آخر قال تصدق به فبدأ بالنفس والاهل والولد
وجعل الصدقة بعد ذلك وهو الاصل في الشرع الخامسة قوله تعالى خيرا لانفسكم
خيرا نصب بفعل مضمر عند سيبويه دل عليه وانفقوا كانه قال ايتوا في الانفاق خيرا
لانفسكم او قدموا خيرا لانفسكم من اموالكم وهو عند الكسائي والفراء نعت لمصدر محذوف
اي انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وهو عند ابي عبيدة خبر كان مضمر اي يكن خيرا لكم ومن
جعل الخير المال فهو منصوب بانفقوا قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون تقدم الكلام فيه ايضا في البقرة وسورة الحديد ويغفر لكم والله شكور
حليم تقدم معنى الشكر في البقرة والحليم الذي لا يعجل قوله تعالى عالم الغيب والشهادة
اي ما غاب وحضر وهو العزيز اي الغالب القاهر فهو من صفات الافعال ومنه قوله عز وجل تنزيل
الكتاب من الله العزيز الحكيم اي من الله القاهر المحكم خالق الاشياء وقال الخطابي وقد يكون
بمعنى نفاسة القدر فيقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شيء
وانه لا مثل له والله اعلم الحكيم في تدبير خلقه وقال ابن الانباري الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء صرف
عن مفعل الى فعيل ومنه قوله عز وجل الر تلك آيات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن
مفعل الى فعيل والله اعلم سورة الطلاق مدنية في قول الجميع وهي احدى عشرة او اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن الى قوله امرا فيه
اربع عشرة مسألة الاولى قوله تعالى يا ايها النبي الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خوطب
بلفظ الجماعة تعظيما وتفخيما وفي سنن ابن ماجة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر بن
الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وروى قتادة عن انس
قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها فاتت اهلها فانزل الله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة
وهي من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والقشيري والثعلبي زاد القشيري ونزل في خروجها
الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول الآية
غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعائشة
فطلقها تطليقة فنزلت الآية وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امرأته حائضا

حايضا ل

تطليقه واحدة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض
ثم تطهر فان اراد ان تطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل ان يجامعها فتلك العدة التى امر الله
ان يطلق لها النساء وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو
بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الاية فيهم قال ابن العربى
وهذا كله وان لم يكن صحيحا فالقول الاول امثل واصح فيه انه بيان لشرع مبتدا وقد قيل انه
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة فصيحة
كما قال اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة تقديره يا ايها النبى قل لهم اذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن وهذا هو قولهم ان الخطاب له وحده والمعنى له وللمؤمنين واذا اراد الله
بالخطاب المؤمنين لاطفه بقوله يا ايها النبى فاذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال
يا ايها الرسول قال الشيخ المؤلف رحمه الله ويدل على صحة هذا القول نزول العدة فى اسما بنت
يزيد بن السكن الانصارية ففى كتاب ابى داود عنها انها طلقت على عهد النبى صلى الله عليه
وسلم ولم يكن للمطلقة عدة فانزل الله سبحانه حين طلقت اسما بالعدة الطلاق وكانت
اول من انزل فيها العدة للطلاق وقيل اراد به نداء النبى صلى الله عليه وسلم تعظيما ثم
ابتدا فقال اذا طلقتم النساء لقوله يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
الاية فذكر المؤمنين على معنى تقديمهم وتكريمهم ثم افتتح فقال انما الخمر والميسر والانصاب الاية
الثانية روى الثعلبى من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض
الحلال الى الله الطلاق وعن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان
الطلاق تهتز منه العرش وعن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النساء
الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما حلف بالطلاق ولا استحلف فيه الا منافق اسند جميعه الثعلبى
رحمه الله فى كتابه وروى الدارقطنى حدثنا ابو العباس محمد بن موسى بن على الدولابى ويعقوب
ابن ابرهيم قالا حدثنا الحسن بن عرفه حدثنا اسمعيل بن عياش عن حميد بن مالك اللخمى
عن مكحول عن معاذ بن جبل قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى
شيا على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شيا ابغض اليه من الطلاق
فاذا قال الرجل لمملوكه انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا له واذا قال الرجل لامراته
انت طالق ان شا الله فله استثناوه ولا طلاق عليه حدثنا محمد بن موسى بن على حدثنا حميد بن الربيع
حدثنا يزيد بن هارون حدثنا اسمعيل بن عياش باسناده نحوه قال حميد قال لى يزيد بن
هارون واى حديث لو كان حميد بن مالك معروفا قلت هو جدى قال يزيد سررتنى سررتنى
الان صار حديثا حدثنا عثمان بن محمد الدقاق حدثنا اسحق بن ابرهيم بن سنين حدثنا عمر بن ابرهيم
ابن خالد حدثنا حميد بن مالك اللخمى حدثنا مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيا ابغض اليه من الطلاق فمن

طلق واستثنى فله ثنياه قال ابن المنذر واختلفوا فى الاستثنا فى الطلاق والعتق فقالت طايفة
ذلك جايز روينا هذا القول عن طاوس وبه قال حماد الكوفى والشافعى وابو ثور واصحاب الراى
ولا يجوز الاستثنا فى الطلاق فى قول مالك والاوزاعى وهذا قول قتاده فى الطلاق خاصة
قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول الثالثة روى الدارقطنى من حديث عبد الرزاق اخبرنى
عمى وهب بن نافع قال سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس يقول الطلاق على اربعة وجوه وجهان
حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال فان يطلقها طاهرا عن غير جماع وان يطلقها حاملا
مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها وهى حايض او يطلقها حين يجامعها لا تدرى اشتمل الرحم
على ولد ام لا الرابعة قوله تعالى **وطلقوهن لعدتهن** فى كتاب ابى داود عن اسما
بنت السكن الانصارية انها طلقت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة عدة
فانزل الله سبحانه حين طلقت اسما بالعدة للطلاق وكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق
وقد تقدم الخامسة قوله تعالى لعدتهن يقتضى انهن اللاتى دخل بهن من الازواج لان غير
المدخول بهن خرجت بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من
قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها السادسة من طلق فى طهر لم يجامع فيه
نفذ طلاقه واصاب السنه وان طلقها حايضا نفذ طلاقه واخطا السنة وقال سعيد بن المسيب
فى اخرين لا يقع الطلاق فى الحيض لانه خلاف السنة واليه ذهبت الشيعة وفى الصحيحين واللفظ
للدارقطنى عن عبد الله بن عمر قال طلقت امراتى وهى حايض فذكر ذلك عمر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليراجعها ثم ليمسكها حتى
تحيض حيضة مستقبلة سوى حيضتها التى طلقها فيها فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا
من حيضتها قبل ان يمسها فذلك الطلاق والعدة كما امر الله وكان عبد الله بن عمر طلقها
تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله بن عمر كما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى رواية عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هى واحدة وهذا نص وهو يرد على
الشيعة قولهم السابعة عن عبد الله بن مسعود قال طلاق السنة ان يطلقها فى كل طهر
تطليقة فاذا كان اخر ذلك فتلك العدة التى امر الله بها رواه الدارقطنى عن الاعمش
صح عن ابى اسحق عن ابى الاحوص عن عبد الله قال علماونا طلاق السنة ما جمع شروطا سبعة وهو ان
يطلقها واحدة وهى ممن تحيض طاهرا لم يمسها فى ذلك الطهر ولا تقدمه طلاق فى حيض
ولا تبعه طلاق فى طهر يتلوه وخلا عن العوض وهذه الشروط السبعة من حديث ابن
عمر المتقدم وقال الشافعى طلاق السنة ان يطلقها فى كل طهر خاصة ولو طلقها ثلاثا
فى طهر لم يكن بدعة وقال ابو حنيفة طلاق السنة ان يطلقها فى كل طهر طلقة
وقال الشعبى يجوز ان يطلقها فى طهر جامعها فيه فعلماونا قالوا يطلقها واحدة فى
طهر لم يمس فيه ولا تبعه طلاق فى عدة ولا يكون الطهر تاليا لحيض وقع فيه الطلاق
لقول النبى صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر

ثم ان شاء امسك وان شاء طلق فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وتعلق
الشافعي بظاهر قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن وهذا عام في كل طلاق كان
واحدة او اثنين او اكثر وانما راعى سبحانه الزمان في هذه الآية ولم يعتبر العدد وكذلك حديث
بن عمر لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه الوقت لا العدد قال ابن العربي وهذه غفلة عن
الحديث الصحيح فانه قال مره فليراجعها وهذه يدفع الثلاث وفي الحديث انه قال ارايت لو
طلقها ثلاثا قال حرمت عليك وبانت منك بمعصية وقال ابو حنيفة ظاهر الآية يدل على
ان الطلاق الثلاث والواحدة سواء وهو مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك لا تدري
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا يبطل دخول الثلث تحت الآية وكذلك قال اكثر العلما
وهو بديع لهم واما مالك فلم يخف عليه اطلاق الآية كما قالوا ولكن الحديث فسرها كما قلنا واما
قول الشعبي انه يجوز طلاق في طهر جامعها فيه فيرده حديث بن عمر بنصه ومعناه اما
نصه فقد قدمناه واما معناه فلانه اذا منع من طلاق الحائض لعدم الاعتداد به فالطهر
المجامع فيه اولى بالمنع لانه يسقط الاعتداد به مخافة شغل الرحم وبالحيض التالي له قال
الشيخ المولف رحمه الله وقد احتج الشافعي من طلاق الثلاث في كلمة واحدة بما رواه الدار
قطني عن سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه ان عبد الرحمن ابن عوف طلق امراته
تماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام ابي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فلم يبلغنا ان
احدا من اصحابه عاب ذلك قال وحدثنا سلمة بن ابي سلمة عن ابيه ان حفص ابن المغيرة
طلق امراته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات في
كلمة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
عاب ذلك عليه واحتج ايضا بحديث عويمر العجلاني لما لاعن قال يا رسول الله هي طالق ثلثا
فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقد انفصل علماؤنا على هذا احسن انفصال بيانه في غير
هذا الموضع وقد ذكرناه في كتاب المقتبس من شرح موطا مالك بن انس وعن سعيد بن المسيب
وجماعة من التابعين ان من خالف السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلاث لم يقع
وشبهوه بمن وكل بطلاق السنة فخالف الثامنة قال الجرجاني اللام في قوله تعالى لعدتهن
بمعنى في لقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي
في اول الحشر فقوله لعدتهن اي في عدتهن في الزمان الذي يصلح لعدتهن وحصل الاجماع
على ان الطلاق في الحيض ممنوع وفي الطهر مادون فيه ففيه دليل على ان القرء هو الطهر
وقد مضى القول فيه في البقرة فان قيل معنى فطلقوهن لعدتهن اي في قبول عدتهن او لقبول
عدتهن وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال بن عمر في صحيح مسلم وغيره فقبول العدة
آخر الطهر حتى يكون القرء هو الحيض قيل له هذا هو الدليل الواضح لمالك ومن قال بقوله
على ان الاقراء هي الاطهار ولو كان كما قال الحنفي ومن تبعه يوجب ان يقال ان من طلق
في اول الطهر لا يكون مطلقا لقبول الحيض لان الحيض لم يقبل بعد وايضا اقبال الحيض

يكون

يكون بدخول الحيض وبانقضاء الطهر لا يتحقق اقبال الحيض ولو كان اقبال الشيء ادبار ضده لكان
الصائم مفطرا قبل مغيب الشمس اذ الليل يكون مقبلا في ادبار النهار قبل انقضاء النهار ثم اذا
طلق في آخر الطهر فبقية الطهر قرء لان بعض القرء يسمى قرءا لقوله الحج اشهر معلومات يعني
شوال وذو القعدة وبعض ذي الحجة لقوله فمن تعجل في يومين وهو ينفر في بعض اليوم الثاني
وقد مضى هذا كله في البقرة مستوفى والله اعلم التاسعة قوله واحصوا العدة يعني في المدخول
بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها وله ان يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة
ويكون بعدها كاحد الخطاب ولا تحل له في الثلاث الا بعد زوج العاشرة قوله تعالى
واحصوا العدة معناه احفظوها اي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى اذا
انفصل المشروط منه وهو الثلاثة قروء في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة
قروء حلت للازواج وهذا يدل على ان العدة هي الاطهار وليست بالحيض ويؤكده
ويفسره قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لقبل عدتهن وقبل الشيء بعضه لغة وحقيقة
بخلاف استقباله فانه يكون غيره الحادية عشرة في المخاطب بامر الاحصا وفيه ثلاثة
اقوال احدها انهم الازواج الثاني انهم الزوجات الثالث انهم المسلمون ابن العربي
والصحيح ان المخاطب بهذا اللفظ الازواج لان الضماير كلها من طلقتم واحصوا ولا
تخرجوهن على نظام واحد يرجع الى الازواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق
بالزوج لان الزوج يحصي ليراجع وينفق او يقطع او ليسكن او يخرج وليلحق نسبه او يقطع
وهذه كلها امور مشتركة بينه وبين المراة وتنفرد المراة دونه بغير ذلك وكذلك
الحاكم يفتقر الى الاحصاء للعدة للفتوى عليها وفصل الخصومة عند المنازعة فيها وهذه
فوايد الاحصاء المامور به الثانية عشرة قوله تعالى واتقوا الله ربكم اي لا
تعصوه لا تخرجوهن من بيوتهن اي ليس للزوج ان يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في
العدة ولا يجوز لها الخروج ايضا لحق الزوج الا لضرورة ظاهرة فان خرجت اثمت ولا
تنقطع العدة والرجعية والمبتوتة في هذا سواء وهذا لصيانة ماء الرجل وهذا معنى اضافة
البيوت اليهن لقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقوله وقرن
في بيوتكن فهو اضافة اسكان وليس اضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن يقتضي ان يكون
حقا على الازواج ويقتضي قوله ولا يخرجن انه حق على الزوجات وفي صحيح الحديث عن جابر
بن عبد الله قال طلقت خالتي فارادت ان تجد نخلها فزجرها رجل ان تخرج فاتت النبي
صلى الله عليه وسلم فقال بلى جدي نخلك فانك عسى ان تصدقي او تفعلي معروفا اخرجه مسلم
ففي هذا الحديث دليل لمالك والشافعي وابن حنبل والليث على قولهم ان المعتدة
تخرج بالنهار في حوائجها وانما تلزم منزلها بالليل وسوا عند مالك كانت رجعية او
باينة وقال الشافعي في الرجعية لا تخرج ليلا ولا نهارا وانما تخرج نهارا المبتوتة وقال
ابو حنيفة ذلك في المتوفى عنها زوجها واما المطلقة فلا تخرج ليلا ولا نهارا والحديث

يرد عليه وفي الصحيحين ان ابا حفص بن عمرو خرج مع علي بن ابي طالب رضي الله
عنه الى اليمن فارسل الى امراته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها
وامرها الحارث بن هشام وعياش ابن ابي ربيعة بنفقة فقالا لها والله ما لك من نفقة
الا ان تكوني حاملا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة لك
فاستاذنته في الانتقال فاذن لها فقالت اين يا رسول الله فقال الى ابن ام مكتوم وكان
اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلما مضت عدتها انكحها النبي صلى الله عليه وسلم اسامة
ابن زيد فارسل اليها مروان قبيصة بن ذويب يسلها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم
يسمع بهذا الحديث الا من امراة سناخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة
حين بلغها قول مروان فبيني وبينكم القرآن قال الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن
قال هذا لمن كانت له رجعة فاي امر يحدث بعد الثلاث فكيف يقولون لا نفقة لها
اذا لم تكن حاملا فعلام تحبسونها لفظ مسلم فبين ان الآية في تحريم الاخراج والخروج
انما هو في الرجعية وكذلك استدلت فاطمة بان الآية التي تليها انما تضمنت النهي عن
خروج المطلقة الرجعية لانها بصدد ان يحدث لمطلقها راي في ارتجاعها ما دامت في
في عدتها فكانها تحت تصرف الزوج في كل وقت واما البائن فليس له شيء من ذلك فيجوز لها ان
تخرج اذا دعتها الى ذلك حاجة او خافت عورة منزلها كما اباح لها النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك وفي مسلم قالت فاطمة يا رسول الله زوجي طلقني ثلثا واخاف ان يقتحم علي قال فامرها
فتحولت وفي البخاري عن عايشة انها كانت في مكان وحش فخيف على ناحيتها فلذلك ارخص
النبي صلى الله عليه وسلم لها وهذا كله يرد على الكوفي في قوله وفي حديث فاطمة ان زوجها
ارسل اليها بتطليقة كانت بقيت من طلاقها فهو حجة لمالك وحجة على الشافعي وهو اصح
من حديث سلمة بن ابي سلمة عن ابيه ان حفص ابن المغيرة طلق امراته ثلاث تطليقات
في كلمة على ما تقدم الثالثة عشر قوله تعالى **الا ان ياتين بفاحشة مبينة**
قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد هو الزنا فتخرج ويقام عليها الحد
وعن ابن عباس ايضا والشافعي انه البذاء على احمائها فيحل لهم اخراجها وروى عن
سعيد بن المسيب انه قال في فاطمة تلك امراة استطالت على احمائها بلسانها فامرها عليه
السلام ان تنتقل وفي كتاب ابي داود قال سعيد تلك امراة فتنت الناس انها كانت
لسنة فوضعت على يدي ابن ام مكتوم الاعمى قال عكرمة في مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم ويقوى
هذا ان محمد ابن ابرهيم ابن الحارث روى ان عايشة قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله
فانك تعلمين لم اخرجت وعن ابن عباس ايضا الفاحشة كل معصية كالزنا والسرقة
والبذاء على الاهل وهو اختيار الطبري وعن ابن عمر ايضا والسدي الفاحشة خروجها
من بيتها في العدة وتقدير الآية الا ان ياتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن
بغير حق اي لو خرجت كانت عاصية وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها

على

على النشوز فيتحول عن بيته قال ابن العربي اما من قال انه الخروج للزنا فلا وجه له لان ذلك
الخروج هو خروج القتل والاعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا حرام واما من قال انه البذاء
انه كل معصية فوهم لان الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الاخراج ولا الخروج واما من
قال انه الخروج بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن
شرعا الا ان يخرجن تعديا الرابعة عشر قوله تعالى **وتلك حدود الله** اي هذه
الاحكام التي بينها احكام الله على العباد وقد منع التجاوز عنها فمن تجاوز فقد ظلم
نفسه واوردها مورد الهلاك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدثه
الله ان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق
الى الندم عليه فيراجعها وقال جميع المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى القول
التحريض على طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث فانه اذا طلق ثلثا اضر بنفسه عند الندم على
الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد عند الرجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك اي بعد
طلقة او طلقتين امرا اي المراجعة من غير خلاف قوله تعالى **فاذا بلغن اجلهن**
اي قاربن انقضاء العدة لقوله اذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن اي قربن من
انقضاء الاجل فامسكوهن بمعروف يعني المراجعة بالمعروف اي الرغبة من غير قصد المضارة
في الرجعة بطويلا لعدتها كما تقدم في البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي
عدتهن فيملكن انفسهن وفي قوله اذا بلغن اجلهن ما يوجب ان يكون القول قول المراة
في انقضاء العدة اذا ادعت ذلك على ما بيناه في البقرة عند قوله ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن الآية قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم فيه ست مسايل الاولى قوله
تعالى واشهدوا امر بالاشهاد على الطلاق وقيل على الرجعة والظاهر رجوعه الى الرجعة
لا الى الطلاق فان راجع من غير اشهاد ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء وقيل المعنى واشهدوا
عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة لقوله واشهدوا
اذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفايدة الاشهاد
ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت
الزوجية ليرث الثانية الاشهاد عند اكثر العلماء على الرجعة ندب واذا جامع او قبل
او باشر يريد بذلك الرجعة او تكلم بالرجعة يريد به الرجعة فهو مراجع عند مالك وان لم
يرد بذلك الرجعة فليس بمراجع وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة
فهو رجعة قالوا والنظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهو رجعة
وقد قيل وطيه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وروى ذلك عن طايفة من اصحاب
مالك واليه ذهب الليث وكان مالك يقول اذا وطي ولم ينو الرجعة فهو وطي فاسد ولا يعود
لوطيها حتى يستبريها من مايه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الاولى وليس له رجعة
في هذا الاستبراء الثالثة اوجب الاشهاد في الرجعة احمد بن حنبل في احد قوليه والشافعي

قال وانا من قال انه البذا فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس
صح

كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفه واحمد والشافعي في القول الآخر ان الرجعة لا تفتقر
الى القبول فلم تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق وخصوصا حل الظهار بالكفارة قال ابن العربي وركب
اصحاب الشافعي على وجوب الاشهاد في الرجعة انه لا يصح ان يقول كنت راجعت امس وانا
اشهد اليوم على الاقرار بالرجعة ومن شرط الرجعة الاشهاد فلا يصح دونه وهذا فاسد مبني على
ان الاشهاد في الرجعة تعبد ونحن لا نسلمه فيها ولا في النكاح بان نقول انه موضوع للتوثق وذلك
موجود في الاقرار كما هو موجود في الانشاء الرابعة من ادعى بعد انقضاء العدة انه راجع امراته
في العدة فان صدقته جاز وان انكرت حلفت فان اقام بينة انه ارتجعها في العدة ولم تعلم
بذلك لم يضر جهلها بذلك وكانت زوجته وان كانت قد تزوجت ولم يدخل بها ثم اقام الاول
البينة على رجعتها فعن مالك في ذلك روايتان احداهما ان الاول احق بها والاخرى ان
الثاني احق بها فان كان الثاني قد دخل بها فلا سبيل للاول اليها الخامسة قوله تعالى
ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من احراركم وذلك يوجب
اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي مذكر قال علماؤنا لا مدخل
للنساء فيما عدا الاموال وقد مضى ذلك في سورة البقرة السادسة قوله تعالى **واقيموا
الشهادة لله** اي تقربا الى الله في اقامة الشهادة على وجهها اذا مست الحاجة اليها من
غير تبديل ولا تغيير وقد مضى في البقرة معناه عند قوله واقوم للشهادة قوله تعالى
ذلكم يوعظ به اي يرضى به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاما غير المؤمن
فلا ينتفع بهذه المواعظ قوله تعالى **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلثا او الفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس
والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة اي من طلق كما امره الله يكن له مخرج
في الرجعة في العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس ايضا يجعل
له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله
علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة
وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة الربيع بن خثيم يجعل
له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس الحسين بن الفضل ومن يتق الله في اداء الفرائض
يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما آتاه
وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل
البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقيل ومن يتق الله في الرزق بقطع العلائق
يجعل له مخرجا بالكفاية وقال عمر بن عثمان الصدفي ومن يتق الله فيقف عند حدوده ويجتنب
معاصيه يخرجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن النار الى الجنة ويرزقه
من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو وقال ابن عيينة هو البركة في الرزق وقال ابو
سعيد الخدري ومن تبرا من حوله وقوته بالرجوع الى الله يجعل له مخرجا مما كلفه

بالمعونه

بالمعونة له وتاول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم
اني لاعلم آية لو اخذ بها الناس لكفتهم ثم تلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب فما زال يكررها ويعيدها وقال ابن عباس قرا النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت
ومن شدائد يوم القيمة وقال اكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي
روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال جاء عوف بن مالك الاشجعي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان اسر العدو وجزعت الام وعن جابر بن عبد الله نزلت في عوف بن مالك
الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفاقة
وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال عليه السلام اتق الله واصبر وآمرك
واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامراته ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت نعم
ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه وهي اربعة
آلاف شاة فنزلت الآية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له في رواية انه جاء
وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا قال الكلبي اصاب خمسين بعيرا وفي رواية فافلت ابنه
من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب غنما
ومتاعا فسال النبي صلى الله عليه وسلم ايحل لي ان آكل مما اتى به ابني قال نعم ونزلت ومن
يتق الله يجعل له مخرجا الآية فروى الحسن عن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع
الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي اذا اتقى وآثر الحلال والتصبر على اهله فتح الله
عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب قوله تعالى **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** اي من فوض اليه
امره كفاه ما اهمه وقيل اي من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الآخرة
من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل ان الله بالغ امره
قال مسروق يعني قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل
عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وقراءة العامة بالغ منونا امره نصبا وقرا عاصم بالغ
امره بالاضافة وحذف التنوين استخفافا وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله
خبر ان وبالغ حال وقرا داود بن ابي هند بالغ امره بالتنوين ورفع الراء قال الفراء اي امره
بالغ وقيل امره مرتفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد قد جعل الله لكل
شيء قدرا اي لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو
قدر الحيض في الاجل والعدة وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه

فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن اذا توكلنا عليه يرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت
ان الله بالغ امره اي فيكم وعليكم وقد قال الربيع بن خثيم ان الله تعالى قضى على نفسه ان من توكل
عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجاب له
وتصديق ذلك من كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان قوله تعالى **واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم** فيه سبع مسائل الاولى لما بين امر الطلاق
والرجعة من التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة
عدة التي لا ترى الدم وقال ابو عثمان عمر بن سالم لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة
في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي
من النساء من لم يذكر فيهن شيء من الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت واللائي
يئسن الاية وقال مقاتل لما نزل قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء
قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها
وعدة الحبلى فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني قعدن عن المحيض وقيل
ان معاذ بن جبل سال عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت الاية والله اعلم وقال
مجاهد الاية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو او دم علة الثانية قوله تعالى
ان ارتبتم اي شككتم وقيل تيقنتم وهو من الاضداد يكون شكا ويقينا كالظن واختيار
الطبري ان يكون المعنى ان شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم
في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها القشيري وفي هذا نظر
لانا اذا شككنا هل بلغت سن الياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر والمعتبر في تبيين
الياس في قول قضى عادة امراة في العالم وفي قول غالب نساء عشيرة المراة وقال مجاهد
قوله ان ارتبتم للمخاطبين يعني ان لم تعلموا كم عدة اليائسة والتي لم تحض فالعدة
هذه وقيل المعنى ان ارتبتم ان الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض المعهود
او من الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر وقال عكرمة وقتادة من الريبة المراة المستحاضة
التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في اول الشهر مرارا وفي الاشهر مرة وقيل ان ارتبتم
في انقضاء العدة وهو اصح وهو اصح ما قيل فيه الثالثة وقيل انه متصل باول السورة
والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن من العدة الا بارتفاع الريبة وقيل في المرتابة
التي ترفعها حيضتها وهي لا تدري ما يرفعها انها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها منها
تسعة اشهر استبرا وثلاثة عدة فان طلقها فحاضت حيضة او حيضتين ثم ارتفع عنها
لغير ياس منها انتظرت تسعة اشهر ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضتها ثم حلت للازواج
وقاله الشافعي بالعراق فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها المسترابة بعد

التسعة اشهر اربعة اشهر وعشرا والامة شهرين وخمس ليال بعد التسعة الاشهر وروي عن الشافعي
ايضا ان اقراءها على ما كانت حتى يبلغ سن اليائسات وهو قول النخعي والثوري وغيرهما وحكاه ابو عبيد
عن اهل العراق فان كانت المراة شابة وهي المسالة الرابعة استؤني بها هل هي حامل ام لا فان استبان
حملها فاجلها وضعه وان لم يستبن فقال مالك عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وبه
قال احمد واسحق ورووه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره واهل العراق يرون ان عدتها
ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وان مكثت عشرين سنة الا ان يبلغ
من الكبر مبلغا تياس فيه من الحيض فيكون عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر قال الثعلبي
وهذا الاصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء وروي ذلك عن ابن مسعود واصحابه
قال الكيا وهو الحق لان الله تعالى جعل عدة الايسة ثلاثة اشهر والمرتابة ليست ايسة
الخامسة واما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك وابن القاسم وعبد الله بن اصبغ تعتد تسعة اشهر
ثم ثلاثة وقال اشهب هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض او بالسنة وقد طلق حبان بن منقذ
امراته وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع ثم مرض حبان فخاف ان ترثه فخاصمها
الى عثمان وعنده علي وزيد فقالا نرى ان ترثه لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات
حبان فورثته واعتدت عدة الوفاة السادسة ولو تاخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فانها
تنتظر سنة لا حيض فيها تسعة اشهر ثم ثلاثة على ما ذكرنا فتحل ما لم ترتب بحمل فان ارتابت
بحمل اقامت اربعة اعوام او خمسة او سبعة على اختلاف الروايات عن علمائنا ومشهورها
خمسة اعوام فان تجاوزتها حلت وقال اشهب لا تحل ابدا حتى تنقطع عنها الريبة قال ابن العربي
وهو الصحيح لانه اذا جاز ان يبقى الولد في بطنها خمسة اعوام جاز ان يبقى عشرة واكثر
من ذلك وقد روي عن مالك مثله السابعة واما التي جهلت حيضها بالاستحاضة ففيها
ثلاثة اقوال قال ابن المسيب تعتد سنة وهو قول الليث قال الليث عدة المطلقة المتوفى
عنها زوجها اذا كانت مستحاضة سنة وهو مشهور قول علمائنا سواء علمت دم حيضها من دم
استحاضتها وميزت ذلك او لم تميزه عدتها في ذلك كله عند مالك في تحصيل مذهبه
سنة منها تسعة اشهر استبرا وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد اقواله عدتها ثلاثة اشهر
وهو قول جماعة من التابعين والمتاخرين من القرويين ابن العربي وهو الصحيح عندي
وقال ابو عمر المستحاضة اذا كان دمها ينفصل فعلمت اقبال حيضتها وادبارها اعتدت
ثلاثة قروء هذا اصح في النظر واثبت في القياس والاثر قوله تعالى **واللائي لم يحضن**
يعني الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر فاضمر الخبر وانما كانت عدتها بالاشهر لعدم الاقراء
فيها عادة والاحكام انما اجراها الله تعالى على العادات فهي تعتد بالاشهر فاذا رات
الدم في زمن احتماله عند النساء انتقلت الى الدم لوجود الاصل واذا وجد الاصل لم يبق
للبدل حكم كما ان المسنة اذا اعتدت ثم انقطع عادت الى الاشهر وهذا اجماع
قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن فيه مسئلتان الاولى وضع الحمل

وان كان ظاهرا في المطلقة لانه عليها عطف واليها رجع عقيب الكلام فانه في المتوفى
عنها زوجها كذلك لعموم الاية وحديث سبيعة وقد مضى في البقرة القول فيه مستوفى الثانية
اذا وضعت المراة ما وضعت من علقة او مضغة حلت وقال الشافعي وابو حنيفة لا تحل الا بما يكون
ولدا وقد مضى القول فيه في البقرة وسورة الرعد قوله تعالى **ومن يتق الله يجعل له**
من امره يسرا قال الضحاك اي من يتقه في طلاق السنة يجعل له من امره يسرا في الرجعة
مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من امره يسرا في توفيقه للطاعة ذلك
امر الله اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي يعمل
بطاعته يكفر عنه سياته من الصلوة الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة ويعظم له اجرا اي
في الاخرة قوله تعالى **اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم**
فيه اربع مسائل الاولى قال اشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها ويتركها في المنزل لقوله تعالى
اسكنوهن فلو كان معها ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال مالك في قول الله تعالى اسكنوهن من
حيث سكنتم يعني المطلقات اللاتي بن من ازواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملا
فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة لانها باين منه لا يتوارثان ولا رجعة له عليها وان
كانت حاملا فلها النفقة والكسوة والمسكن حتى تنقضي عدتها فاما من لم تبن منهن فانهن
نساؤهم يتوارثون ولا يخرجن الا ان ياذن لهن ازواجهن مع نفقتهن وكسوتهن حوامل
كن او غير حوامل وانما امر الله بالسكنى للاتي بن من ازواجهن قال الله تعالى وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل عز وجل للحوامل اللاتي قد بن من ازواجهن
السكنى والنفقة ابن العربي وبسط ذلك وتحقيقه ان الله سبحانه لما ذكر السكنى اطلقه
لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان المطلقة البائن لا نفقة
لها وهي مسئلة عظيمة قد مهدنا سبلها قرانا وسنة ومعنى في مسائل الخلاف وهذا ماخذها
من القران قال الشيخ المولف رحمه الله اختلف العلماء في المطلقة ثلثا على ثلاثة اقوال
فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه
ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى على حديث
فاطمة بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو زوجي فقلت
ان زوجي طلقني وان هذا يزعم ان ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك سكنى ولك النفقة
قال ان زوجها طلقها ثلثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة على من
له عليها الرجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسألني عن ذلك وان
اصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة خرجه الدارقطني ولفظ مسلم
عنها انه طلقها زوجها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان انفق عليها نفقة
دونا فلما رات ذلك قالت والله لاعلمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كانت لي نفقة
اخذت الذي يصلحني وان لم تكن لي نفقة لم اخذ شيئا قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم فقال لا نفقة لك ولا سكنى وذكر الدارقطني عن الاسود قال قال عمر لما بلغه قول
فاطمة بنت قيس لا نجيز في المسلمين قول امراة وكان يجعل للمطلقة ثلثا السكنى والنفقة وعن
الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان
عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ المولف رحمه الله ما احسن هذا وقد قال قتادة وابن ابي
ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله اسكنوهن
راجع على ما قبله وهي المطلقة الرجعية والله اعلم ولان السكنى تابع للنفقة وجارية مجراها
فلما لم يجب للمبتوتة نفقة لم يجب لها سكنى وحجة ابي حنيفة ان للمبتوتة النفقة قوله تعالى
ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وترك النفقة من اكبر الاضرار وفي انكار عمر
على فاطمة قولها ما يبين هذا ولانها معتدة يستحق السكنى عن طلاق وكانت لها النفقة كا
الرجعية ولانها محبوسة عليه لحقه فاستحقت النفقة كالزوجة ودليل مالك قوله تعالى وان
كن اولات حمل فانفقوا عليهن الاية على ما تقدم بيانه وقد قيل ان الله تعالى ذكر المطلقة
الرجعية واحكامها اول الاية الى قوله ذوي عدل منكم ثم ذكر بعد ذلك حكما يعم المطلقات
كلهن من تعديد الاشهر وغير ذلك وهو عام في كل مطلقة فرجع ما بعد ذلك من الاحكام
الى كل مطلقة الثانية قوله تعالى من وجدكم اي من سعتكم يقال وجدت في المال
اجد وجدا وجدة والوجد الغنى والمقدرة وقراءة العامة بضم الواو وقرا الاعرج والزهري
بفتحها ويعقوب بكسرها وكلها لغات فيها الثالثة قوله تعالى **ولا تضاروهن لتضيقوا**
عليهن قال مجاهد في المسكن مقاتل في النفقة وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو
ان يطلقها فاذا بقي يومان من عدتها راجعها ثم طلقها الرابعة قوله تعالى **وان كن**
اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن لا خلاف بين العلماء في وجوب
النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلثا او اقل منهن حتى تضع حملها فاما الحامل المتوفى عنها
فقال علي وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن ابي ليلى وسفين واصحابه
ينفق عليها من جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك و
الشافعي وابو حنيفة واصحابهم لا ينفق عليها الا من نصيبها وقد مضى في البقرة بيانه
قوله تعالى **فان ارضعن لكم** فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فان ارضعن لكم
يعني المطلقات اولادكم منهن فعلى الاباء ان يعطوهن اجرة رضاعهن وللرجل ان
يستاجر امراته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار
اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وتقدم القول في الرضاع في البقرة
والنساء الثانية قوله تعالى **واتمروا بينكم بمعروف** هو خطاب للازواج
والزوجات اي وليقبل بعضكم من بعض ما امر من المعروف الجميل والجميل منها
ارضاع الولد من غير اجرة والجميل منه توفير الاجرة عليها للارضاع وقيل اي ائتمروا في رضاع

الولد فيما بينكم حتى لا يلحق الولد اضرار وقيل هو الكسوة والدثار وقيل معناه لا يضار والدة
بولدها ولا مولود له الثالثة قوله تعالى **وان تعاسرتم** اى في اجرة الرضاع فابى
الزوج ان يعطى الام رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها وليستاجر مرضعة
غير امه وقيل معناه وان تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها وهو خبر في معنى الامر
وقال الضحاك ان ابت الام ان ترضع استاجر لولده اخرى فان لم تقبل اجبرت امه
على رضاعه بالاجر وقد اختلف العلما فيمن يجب عليه رضاع الولد على ثلثة اقوال
قال علماونا رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية الا لشرفها وموضعها فعلى
الاب رضاعه حينئذ من ماله الثانى قال ابو حنيفة لا يجب على الام بحال الثالث
يجب عليها في كل حال الرابعة فان طلقها فلا يلزمها رضاعه الا ان يكون غير قابل
ثدى غيرها فيلزمها حينئذ الارضاع فان اختلفا في الاجر فان دعت الى اجر مثلها وامتنع
الاب الا تبرعا فالام اولى باجر المثل اذا لم يجد الاب متبرعا وان دعى الاب الى اجرة
المثل وامتنعت الام ليطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الوالد باجرتها اخذت جبرا
برضاع ولدها قوله تعالى **لينفق ذو سعة من سعته** فيه اربع مسايل الاولى قوله
لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليهما اذا كان
موسعا عليه ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك فيتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق
والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة فينظر المفتى الى قدر حاجة المنفق عليه
ثم ينظر الى حالة المنفق فان احتملت الحالة الحاجة امضاها عليه وان قصرت حالته عن
حاجة المنفق عليه ردها الى قدر احتماله وقال الشافعى واصحابه النفقة مقدرة محدودة
ولا اجتهاد لحاكم ولا لمفت فيها وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسره وعسره ولا
يعتبر بحالها وكفايتها قالوا فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فان كان الزوج
موسرا لزمه مدان وان كان متوسطا فمد ونصف وان كان معسرا فمد واستدلوا بقوله
لينفق ذو سعة من سعته الاية فجعل الاعتبار بالزوج في العسر واليسر دونها ولان الاعتبار
بكفايتها لا سبيل الى علمه للحاكم ولا لغيره فيودى الى الخصومة لان الزوج يدعى انها
تلتمس فوق كفايتها وهى تزعم ان الذى تطلبه قدر كفايتها فجعلناها مقدرة قطعا
للخصومة والاصل في هذا عندهم قوله تعالى **لينفق ذو سعة من سعته** كما ذكرنا
وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره والجواب ان هذه الاية لا تعطى اكثر من فرق
بين نفقة الغنى والفقير وانها تختلف بيسر الزوج وعسره وهذا مسلم فاما انه لا اعتبار بحال
الزوجة على وجه فليس فيه وقد قال تعالى على المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف
وذلك يقتضى تعلق المعروف في حقها لانه لم يخص في ذلك واحدا منهما وليس من المعروف
ان يكون كفاية الغنية مثل نفقة الفقيرة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهند خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف فاحالها على الكفاية حين علم السعة من حال

ابى سفين

ابى سفين الواجب عليه بطلبها ولم يقل لها لا اعتبار بكفايتك وان الواجب لك شى مقدر بل ردها
الى ما يعلمه من قدر كفايتها ولم يعلقه بمقدار معلوم ثم ما ذكروه من التحديد يحتاج الى توقيف والاية
لا تقتضيه الثانية روى ان عمر رضى الله عنه فرض للمنفوس مائة درهم وفرض له عثمان
خمسين درهما من الجزى واحتمل ان يكون هذا الاختلاف بحسب اختلاف السنين او بحسب
حال القدر في التسعير لثمن القوت والملبس وقد روى محمد بن هلال المزنى قال حدثنى ابى
وجدتى انها كانت ترد على عثمان ففقدها فقال لاهله ما لى لا ارى فلانة فقالت امراته
يا امير المومنين ولدت الليلة فبعث اليها بخمسين درهما وشقيقة سنبلانية ثم قال هذا
عطا ابنك وهذه كسوته فاذا مرت له سنة رفعناه الى مائة وقد اتى على رضى الله عنه
بمنبوذ ففرض له مائة قال ابن العربى هذا الفرض قبل الفطام مما اختلف فيه العلما فمنهم
من راه مستحبا لانه داخل في حكم ابويه ومنهم من راه واجبا لما يجد من حاجته
وعرض من مونته وبه اقول ولكن يختلف قدره بحاله عند الولادة وبحاله عند الفطام وقد
روى سفين بن وهب ان عمر اخذ المدى بيد والقسط بيد فقال انى فرضت لكل نفس مسلمة
في كل شهر مدى حنطة وقسطى خل وقسطى زيت زاد غيره وقال انا قد اجرينا لكم عطاياكم
وارزاقكم في كل شهر فمن انتقصها فعل الله به هكذا وكذا فدعا عليه قال ابو الدردا
لم سنة راشدة مهدية قد سنها عمر في امة محمد صلى الله عليه وسلم والمدى والقسط كيلان
شاميان في الطعام والادام وقد درسا بعرف اخر فاما المدى فدرس الى الكيلجة واما
القسط فدرس الى الكيل ولكن التقدير فيه عندنا ربعان في الطعام وثمنان في الادام
واما الكسوة فبقدر العادة قميص وسراويل وجبة في الشتاء وكساء وازار وحصير وهذا
الاصل ويتزيد بحسب الاحوال والعادة الثالثة هذه الاية اصل في وجوب النفقة
للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد بن المواز اذ يقول انها على الابوين قدر الميراث من
العربى ولعل محمدا اراد انها على الام عند عدم الاب وفي البخارى عن النبى صلى الله عليه
وسلم يقول لك المراة انفق على او طلقنى ويقول لك العبد انفق على واستعملنى ويقول
لك ابنك انفق على الى من تكلنى فقد تعاضد القران والسنة وتواردا في شرعة واحدة
الرابعة قوله تعالى **لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها** اى لا يكلف الله الفقير
مثل ما يكلف الغنى سيجعل الله بعد عسر يسرا اى بعد الضيق غنى وبعد الشدة سعة
قوله تعالى وكاين من قرية لما ذكر الاحكام ذكر وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم
وحلول العذاب بهم وقد مضى القول في كاين في ال عمران عتت عن امر ربها اى عصت
يعنى القرية والمراد اهلها فحاسبناها حسابا شديدا اى جازيناها بالعذاب في الدنيا
وعذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل في الكلام تقديم وتاخير فعذبناها عذابا
نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وساير المصايب وحاسبناها
في الاخرة عذابا شديدا والنكر المنكر وقرى مخففا ومثقلا وقد مضى في الكهف قد

وبال امرها اى عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اى هلاكا فى الدنيا بما ذكرنا والآخرة
بجهنم وجى بلفظ الماضى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ويجوز ذلك
لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كاين فكان قد اعد الله لهم
عذابا شديدا بين ذلك الخسر وانه عذاب جهنم فى الآخرة فاتقوا الله يا اولى الالباب
اى العقول الذين آمنوا بدل من اولى الالباب او نعت لهم اى يا اولى الالباب الذين آمنوا منهم
بالله اتقوا الله الذى انزل عليكم القرآن اى خافوه واعملوا بطاعته وانتهوا عن معاصيه
وقد تقدم رسولا قال الزجاج انزل الذكر دليل على اضمار ارسل اى انزل اليكم قرآنا
وارسل رسولا وقيل ان المعنى قد انزل الله اليكم صاحب ذكر رسولا فرسولا نعت للذكر
على تقدير حذف المضاف وقيل ان رسولا معمول للذكر لانه مصدر والتقدير قد انزل الله
اليكم ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله ويجوز ان يكون رسولا
بدلا من ذكر على ان يكون رسولا بمعنى رسالة او على ان يكون على بابه ويكون محمولا على
المعنى كانه قال قد اظهر الله لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشى من الشى وهو هو ويجوز
ان ينتصب رسولا على الاغرا كانه قال اتبعوا رسولا وقيل الذكر هنا الشرف نحو قوله لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله وانه لذكر لك ولقومك ثم بين هذا الشرف فقال رسولا و
الاكثر على ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبى هو جبريل فيكونان جميعا
منزلين يتلوا عليكم آيات الله نعت لرسول وآيات الله القرآن مبينات قراة العامة
بفتح اليا اى بينها الله وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بكسرها اى يبين لكم ما تحتاجون
اليه من الاحكام والاولى قراة ابن عباس واختيار ابى عبيد وابى حاتم لقوله قد بينا لكم الآيات
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى من سبق له ذلك فى علم الله من الظلمات اى من الكفر
الى النور الهدى والايمان قال ابن عباس نزلت فى مومنى اهل الكتاب واضاف الاخراج الى الرسول
لان الايمان يحصل منه بطاعته قوله تعالى ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله
جنات قرا نافع وابن عامر بالنون والباقون باليا قد احسن الله له رزقا اى وسع له
فى الجنات قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
دل على كمال قدرته وانه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف فى السموات انها سبع بعضها
فوق بعض دل على ذلك حديث الاسرى وغيره ثم قال ومن الارض مثلهن يعنى سبعا
واختلف فيهن على قولين احدهما وهو قول الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق
بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والسماء وفى كل ارض سكان
من خلق الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اى سبعا من الارضين ولكنها مطبقة بعضها
على بعض من غير فتوق بخلاف السموات والاول اصح لان الاخبار دالة عليه فى الترمذى
والنساى وغيرهما وقد مضى ذلك مبينا فى البقرة وقد خرج ابو نعيم قال حدثنا محمد
بن على بن حبيش قال حدثنا اسمعيل ابن اسحق السراج وحدثنا ابو محمد بن حيان قال حدثنا

عبد الله بن محمد بن ناجيه قالا حدثنا سويد بن سعيد قال حدثنا حفص بن ميسرة عن موسى بن عقبة عن
عطا بن ابى مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالله الذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات
السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح
وما اذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر
من فيها قال ابو نعيم هذا حديث ثابت من حديث موسى ابن عقبة تفرد به عن عطا روى
عنه ابن ابى الزناد وغيره وفى صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت النبى صلى الله عليه
وسلم يقول من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين ومثله حديث
عايشة وابين منها حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد شبرا
من الارض بغير حقه الا طوقه الله الى سبع ارضين يوم القيمة قال الماوردى وعلى انها سبع
ارضين بعضها فوق بعض تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم فيمن غيرها
من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها
قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها وهذا
قول من جعل الارض مبسوطة والقول الثانى انهم لا يشاهدون السماء فان الله تعالى خلق لهم
ضياء يستمدونه وهذا قول من جعل الارض كالكرة وفى الآية قول ثالث حكاه الكلبى عن ابى صالح
عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض يفرق بينها البحار ويظل جميعهم
السماء فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام
باهل هذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان يلزمهم دعوة الاسلام
عند امكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه
واحتمل ان لا يلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان الرسول
صلى الله عليه وسلم بها مامورا والله اعلم ما استاثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه
ثم قال يتنزل الامر بينهن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع
وقال الحسن بين كل سماءين ارض وامر والامر هنا الوحى فى قول مقاتل وغيره وعليه فيكون
قوله بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التى هى ادناها وبين السماء السابعة التى هى
اعلاها وقيل الامر القضاء والقدر وهو قول الاكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن
اشارة الى ما بين الارض السفلى التى هى اقصاها وبين السماء السابعة التى هى اعلاها
وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل هو ما يدبر
فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار والصيف
والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهيآتها وينقلهم من حال الى حال
قال ابن كيسان وهذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب
ونحوها لتعلموا ان الله على كل شى قدير يعنى ان من قدر على هذا الملك العظيم فهو على

مابينهما من خلقه اقدره من العفو والانتقام امكن وان استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته
وان الله قد احاط بكل شئ علما ولا يخرج شئ عن علمه وقدرته ونصب علما على المصدر المؤكد لان
احاط بمعنى علم وقيل بمعنى وان الله احاط احاطة علما

سورة التحريم مدنيه في قول الجميع وهي اثنى عشر ايه وتسمى سورة النبي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك** فيه خمس مسايل الاولى ثبت في صحيح
مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب ابنة
جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطيت انا وحفصه ان ايتنا ما دخل عليها النبي
صلى الله عليه وسلم فلتقل اني لاجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احدهما فقالت
له ذلك فقال شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله
لك الى قوله ان تتوبا لعايشة وحفصه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل
شربت عسلا وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل
فكان اذا صلى العصر دار على نسايه فيدنوا منهن فدخل على حفصه فاحتبس عندها اكثر
مما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة من عسل فسقت
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسوده
وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول
لك لا فقولي ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه
الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول
ذلك له وقوليه انت يا صفية فلما دخل على سوده قالت تقول سوده والذي لا اله
الا هو لقد كدت ان اباديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح قال سقتني
حفصه شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على
صفيه فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصه قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة
لي به قالت تقول سوده سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي ففي هذه الرواية
ان التي شرب عندها العسل حفصة وفي الاولى زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس
انه شربه عند سوده وقد قيل انما هي ام سلمه رواه اسباط عن السدي وقاله عطا ابن ابي مسلم
ابن العربي وهذا كله جهل او تصور بغير علم فقال باقي نسايه حسدا وغيره لمن شرب ذلك
عندها انا لنجد منك ريح المغافير والمغفور بقلة او صمغه متغيرة الرايحة فيها حلاوة واحدها
مغفور وجرست اكلت مافي العرفط نبت له ريح كريح الخمر وكان عليه السلام يعجبه ان
يوجد منه الريح الطيبة او يجدها ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك فهذا قول وقول
اخر انه اراد بذلك المراة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها لاجل

ازواجه قاله ابن عباس وعكرمه والمراة ام شريك وقول ثالث ان التي حرمها ماريه القبطيه وكان
قد اهداها له المقوقس ملك اسكندريه قال ابن اسحاق هي من كورة انصنا من بلد يقال لها حفن
فواقعها في بيت حفصة روى الدارقطني عن ابن عباس عن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بام ولده ماريه في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له تدخلها بيتي ما صنعت بي هذا
من بين نسايك الا من هواني عليك فقال لها لا تذكري هذا لعايشه فهي علي حرام ان قربتها قالت
حفصة فكيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها ان لا يقربها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لحفصه لا تذكريه لاحد فذكرته لعايشه فالا ان لا يدخل على نسايه فاعتزلهن تسعا وعشرين
ليلة فانزل الله عز وجل لم تحرم ما احل الله لك الاية الثانيه اصح هذه الاقوال اولها و
اضعفها اوسطها قال ابن العربي اما ضعفه في السند فلعدم عدالة رواته واما ضعفه في معناه
فلان رد النبي صلى الله عليه وسلم للموهوبة ليس تحريما لها لان من رد من وهب له لم
تحرم عليه انما حقيقة التحريم بعد التحليل واما من روى انه حرم ماريه فهو امثل في السند
واقرب الى المعنى لكنه لم يدون في الصحيح وروي مرسلا وقد روى ابن وهب عن مالك عن
زيد بن اسلم قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ابرهيم فقال انت علي حرام والله لا
اتيتك فانزل الله عز وجل في ذلك يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك وروى مثله ابن
القاسم عنه وروى اشهب عن مالك قال راجعت عمر امراة له من الانصار في شي فاقشعر من ذلك
فقال ما كان النسا هكذا قالت بلى وقد كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه فاخذ ثوبه فخرج
الى حفصه فقال لها اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ولو اعلم انك تكره ما فعلت
فلما بلغ عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هجر نساءه قال رغم انف حفصة وانما الصحيح انه كان
في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عايشه وحفصة فيه وجرى ما جرى فحلف
ان لا يشربه واسر ذلك ونزلت الاية في الجميع الثالثة قوله تعالى لم تحرم ان كان النبي صلى
الله عليه وسلم حرم ولم يحلف فليس ذلك بيمين عندنا ولا يحرم قول الرجل هذا علي حرام
حاشا الزوجة وقال ابو حنيفه اذا اطلق حمل على الماكول والمشروب دون الملبوس وكانت
يمينا يوجب الكفارة وقال زفر هو يمين في الكل حتى في الحركة والسكون وعول المخالف على ان
النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمه الكفارة وقد قال الله تعالى قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم فسماه يمينا ودليلنا قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم ولا تعتدوا وقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل
الله اذن لكم ام على الله تفترون فذم الله المحرم للحلال ولم يوجب عليه كفارة قال
الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله ولم يجعل لنبيه عليه السلام ان يحرم الا ما حرم
الله فمن قال لزوجته او امته انت علي حرام فان لم ينو طلاقا ولا ظهارا فهذا اللفظ يوجب
عليه كفارة اليمين ولو خاطب بهذا اللفظ جميعا من الزوجات والاما فعليه كفارة
واحدة ولو حرم على نفسه طعاما او شيا اخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك

وتجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وابي حنيفة الرابعة واختلف العلما في الرجل
يقول لزوجته انت علي حرام على تسعة عشر قولا احدها لا شي عليه وبه قال الشعبي ومسروق
وربيعة وابو سلمة واصبغ وهو عندهم كتحريم الماء والطعام قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احل وقال تعالى ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه
ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله
هو حرام علي وانما امتنع من مارية بيمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل
له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم عليه وكفر وثانيها انها
يمين يكفرها قاله ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعايشة رضي
الله عنهم والاوزاعي وهو مقتضى الاية قال سعيد بن جبير عن ابن عباس اذا حرم الرجل عليه
امراته فانما هي يمين يكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة يعني
النبي صلى الله عليه وسلم كان حرم جاريته فقال الله تعالى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فكفر عينه وصير الحرام يمينا خرجه الدارقطني وثالثها انها
تجب فيها كفارة وليست بيمين قاله ابن مسعود وابن عباس ايضا في احدى روايتيه والشافعي في
احد قوليه وفي هذا القول نظر والاية ترده على ما ياتي ورابعها هي ظهار ففيها كفارة الظهار
قاله عثمان واحمد بن حنبل واسحاق وخامسها انه ان نوى الظهار وهو ينوي انها محرمة
كتحريم ظهر امه كان ظهارا وان نوى تحريم عينها بغير طلاق تحريما مطلقا وجب كفارة
يمين وان لم ينو شيئا فعليه كفارة يمين قاله الشافعي وسادسها انها طلقة رجعية قاله
عمر بن الخطاب والزهري وعبد العزيز بن ابي سلمة الماجشون وسابعها انها طلقة باينة
قاله زيد بن ثابت وهو قول حماد بن ابي سليمان ورواه ابن خويز منداد عن مالك وثامنها ثلاث
تطليقات قاله علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت ايضا وابو هريرة وتاسعها هي في المدخول بها
ثلاث وينوي في غير المدخول بها قاله علي بن زيد والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك
وعاشرها هي ثلاث ولا ينوي بحال ولا في محل وان لم يدخل قاله عبد الملك في المبسوط
وعد ابن ابي ليلى وحادي عشرها هي في التي لم يدخل بها واحدة وهي في التي دخل بها ثلاث
قاله ابو مصعب ومحمد بن الحكم وثاني عشرها انه ان نوى الطلاق والظهار كان ما نوى
فان نوى الطلاق فواحدة باينة الا ان ينوي ثلثا فان نوى اثنتين فواحدة وان لم
ينو شيئا كانت يمينا وكان الرجل موليا من امراته قاله ابو حنيفة واصحابه وبمثله قال
زفر الا انه قال اذا نوى اثنتين الزمناه وثالث عشرها انه لا ينفعه نيته الظهار وانما يكون
طلاقا قاله ابن القاسم ورابع عشرها قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم يحل له
وطيها حتى يكفر كفارة الظهار وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده
وان نوى واحدة فهي رجعية وهو قول الشافعي وروي مثله عن ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة

والتابعين

والتابعين وسادس عشرها ان نوى ثلاثا فثلاث وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا فهي يمين
وان لم ينو شيئا فلا شي وهو قول سفين وبمثله قال الاوزاعي وابو ثور الا انهما قالا ان لم ينو شيا
فهي واحدة وسابع عشرها له نيته ولا يكون اقل من واحدة قاله ابن شهاب وثامن عشرها ان لم
ينو شيا لم يكن شيا قال ابن العربي ورايت سعيد بن جبير وهو التاسع عشر ان عليه عتق
رقبة وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم له وجها ولا يبعد في المقالات عندي قال الشيخ
المولف رحمه الله قد ذكر الدارقطني في سننه عنه عن ابن عباس فقال حدثنا الحسن
ابن اسمعيل حدثنا محمد بن منصور حدثنا روح حدثنا سفين الثوري عن سالم الافطس عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت امراتي علي حراما فقال
كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ الكفارة
عتق رقبة وقد قال جماعة من اهل التفسير انه لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه بعتق
رقبة وعاد الى مارية صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره الخامسة قال علماونا
سبب الاختلاف في هذا الباب انه ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
نص ولا ظاهر صحيح يعتمد عليه في هذه المسلة فتجاذبها العلماء لذلك فمن تمسك بالبراءة
الاصلية فقال لا حكم فلا يلزم بها شي واما من قال انها يمين فقال سماها الله يمينا واما من
قال تجب فيها كفارة وليست بيمين فبناه على احد امرين احدهما انه ظن ان الله اوجب الكفارة
فيها ولم يكن يمينا والثاني ان معنى اليمين عنده التحريم فوقعت الكفارة على المعنى واما من
قال انها طلقة رجعية فانه حمل اللفظ على اقل وجوهه والرجعية محرمة الوطء كذلك فيحمل
اللفظ عليه وهذا يلزم مالكا لقوله ان الرجعية محرمة الوطء وكذلك وجه من قال انها ثلاث
حمله على اكثر معناه وهو الطلاق الثلاث واما من قال انه ظهار فلانه اقل درجات التحريم
فانه تحريم لا يرفع النكاح واما من قال انه طلقة باينة فعول على ان الطلاق الرجعي لا يحرم
المطلقة وان الطلاق البائن يحرمها واما قول يحيى بن عمر فانه احتاط بان جعله
طلاقا فلما ارتجعها احتاط بان يلزمه الكفارة ابن العربي وهذا لا يصح فانه جمع بين
المتضادين فانه لا يجتمع ظهار وطلاق في لفظ واحد ولا وجه للاحتياط فيما لا يصح اجتماعه
في الدليل واما من قال انه ينوي في التي لم يدخل بها فلان الواحدة تبينها وتحرمها شرعا
اجماعا وكذلك قال من لم يحكم باعتبار نيته ان الواحدة يكفي قبل الدخول من التحريم
بالاجماع فيكفي اخذا بالاقل المتفق عليه واما من قال انه ثلاث فيهما فلانه احد
حكم الاعظم فانه لو صرح بالثلاث لنفذت في التي لم يدخل بها نفوذها في التي دخل
بها ومن الواجب ان يكون المعنى مثله وهو التحريم والله اعلم وهذا كله في الزوجة
واما في الامة فلا يلزم منها شي من ذلك الا ان ينوي به العتق عند مالك وذهب عامة
العلماء الى ان عليه كفارة يمين ابن العربي والصحيح انها طلقة واحدة لانه
لو ذكر الطلاق لكان اقله وهو الواحدة الا ان يعدده كذلك اذا ذكر التحريم يكون

اقله الا ان تقيده بالاكثر بان يقول انت علي حرام الا بعد زوج فهذا نص على المراد قال
الشيخ المؤلف رحمه الله اكثر المفسرين على ان الاية نزلت في حفصه لما اخل النبي صلى الله
عليه وسلم في بيتها بجاريته ذكره الثعلبي وعلى هذا فكانه قال لا يحرم عليك ما حرمته ولكن
عليك كفارة يمين وان كان في تحريم العسل والجارية ايضا فكانه قال لم يحرم عليك
ما حرمته ولكن ضممت الى التحريم يمينا فكفر عن اليمين وهذا صحيح فان النبي صلى الله
عليه وسلم حرم ثم حلف كما ذكره الدارقطني وذكر البخاري معناه في قصة العسل عن
عبيد بن عمير عن عايشه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عند زينب
بنت جحش ويمكث عندها فتواصيت انا وحفصة على ايتنا دخل عليها فليقل اكلت مغافير انى
اجد منك ريح مغافير قال لا ولكني شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت لا تخبري احدا يبتغي
بذلك مرضات ازواجه فيعني بقوله ولن اعود له على جهة التحريم وبقوله حلفت اى بالله بدليل
ان تعالى انزل عليه عند ذلك معاتبته على ذلك وحواله على كفارة اليمين بقوله يا ايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك يعني العسل المحرم بقوله لن اعود له تبتغي مرضات ازواجك اى
يفعل ذلك طلبا برضاهن والله غفور رحيم لما اوجب المعاتبة رحيم برفع المواخذه وقد قيل
ان ذلك كان ذنبا من الصغاير والصحيح انه معاتبه على ترك الاولى وانه لم يكن له صغيرة
ولا كبيرة قوله تعالى **قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم** ٥ فيه ثلاث
مسايل الاول تحليل اليمين كفارتها اى اذا احببتم استباحة المحلوف عليه وهو قوله في سورة
المايده فكفارته اطعام عشرة مساكين ويحصل من هذا ان من حرم شيا من الماكول او المشروب
لم يحرم عليه عندنا لان الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيناه وابو حنيفه يراها يمينا
في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امه
فعلى وطيها او زوجة فعلى الايلا منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى
الطلاق فطلاق باين وكذلك ان نوى ثنتين او ثلثا وان قال نويت الكذب دين فيما بينه
وبين الله تعالى ولا يدين في القضا بابطال الايلا وان قال كل علي حرام فعلى الطعام
والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة وحدها
وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده على ما تقدم وان حلف ان لا ياكله حنث وبر
بالكفارة الثالثه فان حرم امته او زوجته فكفارة يمين كما في صحيح مسلم عن ابن عباس
قال اذا حرم الرجل عليه امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة الثالثه قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وعن الحسن لم يكفر
لان النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكفارة اليمين
في هذه الصورة انما امر به الامة والاول اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ان الامة تقتدي به في ذلك وقد قدمنا عن زيد بن اسلم انه عليه السلام كفر بعتق
رقبة وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم ماريه والله اعلم

وقيل

وقيل اى فرض الله لكم تحليل ملك اليمين فبين في قوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اى
فيما شرعه له في النساء المحللات اى حلل لكم ملك الايمان فلم تحرم ماريه على نفسك مع تحليل الله
اياها لك وقيل تحلة اليمين الاستثنا اى فرض الله لكم الاستثنا المخرج عن اليمين ثم عند قوم يجوز
الاستثنا من الايمان متى شا وان تخلل مدة وعند المحققين لا يجوز الا متصلا فكانه قال استثن بعد
هذا فيما تحلف عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة والاصل تحللة فادغمت وتفعلة من
مصادر فعل كالتوصية والتسمية فالتحلة تحليل اليمين فكان اليمين عقد والكفارة حل
وقيل التحلة الكفارة اى انها تحل للحالف ما حرم على نفسه اى اذا كفر صار كان لم يحلف والله
مولاكم وليكم وناصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه على انفسكم وبالترخيص لكم في تحليل ايمانكم
بالكفارة وبالثواب على ما تخرجونه في الكفارة قوله تعالى **واذ اسر النبي الى بعض
ازواجه حديثا** ٥ اى واذكر اذ اسر الى حفصة حديثا يعني تحريم ماريه على نفسه واستكتامه
اياها ذلك وقال الكلبي اسر اليها ان اباك واباعايشه يكونان خليفتي على امتي من بعدي
وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده الى حفصه فذكرته حفصه روى الدارقطني في
سننه عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
قال اطلعت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ام ابراهيم فقال لا تخبري عايشه وقال لها ان
اباك واباها سيملكان او سيليان بعدي فلا تخبري عايشه قال فانطلقت حفصه فاخبرت
عايشه فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض عن بعض قال اعرض عن قوله ان اباك
واباها يكونان بعدي كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتشر ذلك في الناس فلما نبات
به اى اخبرت عايشه لمصافاة كانت بينهما وكانتا متظاهرتين على زوجات النبي صلى الله
عليه وسلم واظهره الله عليه اى اطلعه الله على انها قد نبات به وقرا طلحة بن مصرف
فلما انبات وهما لغتان انبا ونبا ومعنى عرف بعضه واعرض عن بعض عرف حفصه
بعض ما اوحى اليه من انها اخبرت عايشه بما نهاها عن ان تخبرها واعرض عن بعض
تكرما قاله السدي وقال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض
عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعايشه وهو حديث ام ولده ولم يخبرها
ببعض وهو قول حفصة لعايشه ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده وقراءة العامة عرف
مشددا ومعناه ما ذكرناه واختاره ابو عبيد وابو حاتم يدل عليه قوله واعرض عن بعض
اى لم يعرفها اياه ولو كانت مخففة لقال في ضده وانكر بعضا وقرا علي وطلحة بن مصرف
وابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتاده والكلبي والكسائي والاعمش عن ابي بكر عرف
مخففة قال عطا كان ابو عبد الرحمن السلمي اذا قرا عليه الرجل عرف مشددة حصبه
بالحجارة قال الفرا وتاويل قوله عز وجل عرف بعضه بالتخفيف اى غضب فيه وجازى عليه
وهو كقولك لمن اسا اليك لاعرفن لك ما فعلت اى لاجازينك عليه وجازى عليه النبي
صلى الله عليه وسلم بان طلقها طلقة واحدة فقال عمر لو كان في ال الخطاب خير

لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها وشفع فيها واعتزل
النبي صلى الله عليه وسلم نسايه شهرا وقعد في مشربة مارية ام ابرهيم حتى نزلت اية التحريم
على ما تقدم وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها
من نسايك في الجنة فلم يطلقها فلما نباها به اى اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت
له من انباك هذا يرسول الله عني وظننت ان عايشة اخبرته فقال عليه السلام نباني
العليم الخبير اى الذى لا يخفى عليه شئ وهذا سد مسد مفعول انبا وانبا الاول تعدى الى
مفعولين وانبا الثاني تعدى الى مفعول واحد لان نبا وانبا اذا لم يدخلا على الابتدا
والخبر جاز ان يكتفيا فيهما بمفعول واحد وبمفعولين فاذا دخلا على الابتدا والخبر تعدى
كل واحد منهما الى ثلاثة مفعولين ولم يجز الاقتصار على الاثنين دون الثالث لان الثالث
هو خبر المبتدا في الاصل فلا يقتصر دونه كما لا يقتصر على المبتدا دون الخبر قوله تعالى
إن تتوبا الى الله يعني حفصة وعايشة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل
الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صغت قلوبكما اى زاغت ومالت عن الحق
وهو انهما احبتا ما كره النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان
عليه السلام يحب العسل والنسا قال ابن زيد مالت قلوبهما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده
فسرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فقد مالت قلوبكما الى التوبة وقال فقد
صغت قلوبكما ولم يقل فقد صغا قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيين من اثنين
جمعوهما لانه لا يشكل وقد مضى هذا المعنى في المايدة في قوله فاقطعوا ايديهما وقيل كلما
تثبت الاضافة فيه مع التثنية فلفظ الجمع اليق به لانه امكن واخف وليس قوله
فقد صغت قلوبكما جزا للشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجواب الشرط محذوف
للعلم به اى ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما قوله تعالى **وان تظاهرا
عليه** اى تتظاهرا وتتعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والايذا وفي صحيح
مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر بن الخطاب عن اية فما استطيع
ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل الى
الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فلما رجع قلت يا امير المومنين من
اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازواجه فقال تلك حفصة وعايشة
قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا
تفعل ما ظننت ان عندي من علم فاسالني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث فان الله
هو مولاه اى وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما وجبريل وصالح المومنين قال عكرمة
وسعيد بن جبير ابو بكر وعمر لانهما ابوا عايشة وحفصة وقد كانا عونا له عليهما وقيل صالح
المومنين علي رضي الله عنه وقيل خيار المومنين وصالح اسم جنس كقوله ان الانسان لفي خسر
قاله الطبري وقيل صالح المومنين هم الانبيا قاله العلا بن زياد وقتادة وسفين قال

ابن زيد هم الملايكة السدى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل صالح المومنين ليس لفظ الواحد
وانما صالحوا المومنين فاضاف الصالحين الى المومنين وكتب بغير واو على اللفظ لان اللفظ
الواحد والجمع واحد فيه كما جات اشيا في المصحف متنوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما اعتزل
نبي الله صلى الله عليه وسلم نساه قال دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون
طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه وذلك قبل ان يومر بالحجاب فقال عمر فقلت
لاعلمن ذلك اليوم قال فدخلت على عايشة فقلت يا ابنة ابي بكر قد بلغ من شانك ان تودي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما لي وما لك يا ابن الخطاب عليك بعيبتك قال
فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها يا حفصة اقد بلغ من شانك ان تودي رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ولولا
انا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت اشد البكا فقلت لها اين رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت هو في خزانته في المشربة فدخلت فاذا انا برباح غلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاعد على اسكفة المشربة مدل رجليه على نقير من خشب وهو جذع يرقى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر فناديت يا رباح استاذن لي عندك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر رباح الى الغرفة ثم نظر الي فلم يقل شيا ثم قلت يا رباح استاذن لي عندك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر رباح الى الغرفة ثم نظر الي فلم يقل شيا ثم رفعت صوتي
فقلت يا رباح استاذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اظن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ظن اني جيت من اجل حفصة والله لين امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضرب عنقها لاضربن عنقها ورفعت صوتي فاوما الي ان ارقه فدخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مضطجع على حصير فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير
اثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انا بقبضة من شعير
نحو الصاع ومثلها قرظا في ناحية الغرفة واذا افيق معلق قال فابتدرت عيناي قال ما يبكيك
يا ابن الخطاب قلت يا نبي الله ما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك لا ارى
فيها الا ما ارى وذاك قيصر وكسرى في الثمار والانهار وانت رسول الله وصفوته وهذه خزانتك فقال
يا ابن الخطاب الا ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قلت بلى قال ودخلت عليه حين دخلت
وانا ارى في وجهه الغضب فقلت يرسول الله ما يشق عليك من امر النسا فان كنت طلقتهن
فان الله معك وملايكته وجبريل وميكايل وانا وابو بكر والمومنون معك وقلما تكلمت واحمد الله
بكلام الا رجوت ان يكون الله جل وعز يصدق قولي ونزلت هذه الاية اية التخيير عسى
ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبرايل وصالح المومنين والملايكة بعد ذلك ظهير فكانت عايشة بنت ابي بكر وحفصة
تظاهران على ساير نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يرسول الله اطلقتهن قال لا قال

قالت يا رسول الله انى دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فلم ازل احدثه
حتى تحسر الغضب عن وجهه وحتى كشر فضحك وكان من احسن الناس ثغرا ثم نزل نبى الله صلى الله
عليه وسلم ونزلت فنزلت اتشبث بالجذع ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما يمشى
على الارض ما يمسه بيده فقلت يا رسول الله انما كنت فى الغرفة تسعا وعشرين قال ان الشهر
يكون تسعا وعشرين فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتى لم يطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه
الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت ذلك
الامر وانزل الله اية التخيير قوله تعالى **وجبريل** فيه لغات تقدمت فى البقرة ويجوز
ان يكون معطوفا على مولاه والمعنى الله وليه وجبريل وليه فلا يوقف على مولاه ويوقف على
جبريل ويكون وصالح المومنين مبتدا والملائكة معطوفا عليه والخبر ظهير وهو
بمعنى الجمع وصالح المومنين ابو بكر قاله المسيب ابن شريك وقال سعيد بن جبير عمر وقال
عكرمة ابو بكر وعمر وروى شقيق عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله
تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين قال ان صالح المومنين ابو بكر وعمر وقيل
هو على عن اسماء بنت عميس قالت سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول وصالح المومنين
على بن ابى طالب وقيل غير هذا مما تقدم القول فيه ويجوز ان يكون وجبريل مبتدا و
ما بعده معطوفا عليه والخبر ظهير وهو بمعنى الجمع ايضا فيوقف على هذا على مولاه
ويجوز ان يكون جبريل وصالح المومنين معطوفا على مولاه فيوقف على المومنين ويكون
والملائكة بعد ذلك ظهيرا ابتدا وخبر ومعنى ظهيرا اعوان وهو فى معنى ظهرا كقوله
وحسن اولئك رفيقا وقال ابو على قد جاء فعيل للكثرة كقوله ولا يسال حميم حميما يبصرونهم
وقيل كان التظاهر منهما فى التحكم على النبى صلى الله عليه وسلم فى النفقة ولهذا الى
منهن شهرا واعتزلهن وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر استاذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم
قال فاذن لابى بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبى صلى الله عليه وسلم
جالسا حوله نساوه واجما ساكتا قال فاقول لاقولن شيئا اضحك النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتنى النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولى كما ترى يسالننى النفقة فقام ابو بكر الى
عايشة يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول سالن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا يسال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الاية
يا ايها النبى قل لازواجك حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما الحديث وقد ذكرناه فى سورة

الاحزاب قوله تعالى **عسى ربه ان طلقكن** قد تقدم فى الصحيح ان هذه الاية
نزلت على لسان عمر رضى الله عنه ثم قيل كل عسى فى القرآن واجب الا هذا وقيل هو واجب ولكن
الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن ان يبدله ازواجا خيرا منكن لانكن لو كنتن
خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معناه السدى وقيل هذا وعد من الله
تعالى لرسوله لو طلقهن فى الدنيا ان يزوجه فى الدنيا نساء خيرا منهن وقرى ان يبدله بالتشديد
والتخفيف والتبديل والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال والله كان عالما بانه كان لا يطلقهن ولكن
اخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن وهو كقوله وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم وهو اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان من مسلمات يعنى مخلصات قاله سعيد
بن جبير وقيل معناه فى الوجود من هو خير من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
مسلمات يعنى مخلصات قاله سعيد بن جبير وقيل معناه مسلمات لامر الله تعالى وامر رسوله
مومنات مصدقات بما امرن به ونهين عنه قانتات مطيعات والقنوت الطاعة وقد
تقدم تائبات اى من ذنوبهن قاله السدى وقيل راجعات الى امر الرسول صلى الله عليه وسلم
تاركات لمحاب انفسهن عابدات اى كثيرات العبادة لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة فى القرآن فهى التوحيد
سائحات صائمات قاله ابن عباس والحسن وابن جبير وقال زيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن ويمان
مهاجرات قال زيد وليس فى امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان
فى الارض وقال الفراء والقتبى وغيرهما سمى الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه وانما ياكل من
حيث يجد الطعام وقيل ذاهبات فى طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب فى الارض ثيبات
وابكارا اى منهن ثيب ومنهن بكر وقيل انما سميت الثيب ثيبا لانها راجعة الى زوجها ان اقام
معها او الى غيره ان فارقها وقيل لانها ثابت الى بيت ابويها وهذا اصح لان ليس كل ثيب
تعود الى الزوج واما البكر فهى العذراء سميت بكرا لانها على اول حالتها التى خلقت بها وقال
الكلبى اراد بالثيب مثل اسية امراة فرعون وبالبكر مثل ابنة عمران قال الشيخ المولف رحمه
الله وهذا انما يمشى على قول من قال ان التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن فى الدنيا زوجه
فى الاخرة خيرا منهن والله اعلم قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم
نارا** فيه مسالة واحدة وهى الامر بوقاية الانسان نفسه واهله النار قال الضحاك معناه
قوا انفسكم واهلوكم فليقوا انفسهم نارا وروى على بن ابى طلحة عن ابن عباس
قوا انفسكم وامروا اهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم وقال على رضى الله عنه وقتادة
ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم ابن العربى وهو الصحيح والفقه
الذى يعطيه العطف الذى يقتضى التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه فى معنى الفعل
لقوله علفتها تبنا وماء باردا ولقوله ورايت زوجك فى الوغى متقلدا سيفا ورمحا فعلى الرجل
ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعى للرعية ففى صحيح الحديث ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام الذى

على الناس راع وهو مسئول عنهم والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عنهم وعلى هذا غير
الحسن في هذه الاية يأمرهم وينهاهم وقال بعض العلماء لما قال قوا انفسكم دخل فيه
الوالدان الولد لبعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من
بيوتكم فلم يفردوا بالذكر افراد سائر القرابات فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي والاثام
الى غير ذلك من الاحكام وقال عليه السلام حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه
الكتابة ويزوجه اذا بلغ وقال عليه السلام ما نحل والد ولدا افضل من ادب حسن
وقد روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم مروا ابناءكم
بالصلوة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع خرجه جماعة وهذا لفظ ابي
داود وخرج ايضا عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا الصبي
بالصلوة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها وكذلك يخبر اهله بوقت الصلوة
ووجوب الصيام ووجوب الفطر اذا وجب مستندا في ذلك الى رؤية الهلال وقد روى مسلم ان ٥
النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوتر يقول قومي فاوتري يا عايشة وروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال رحم الله امرا قام من الليل فصلى فايقظ اهله فان لم يقم رش وجهها
بالماء رحم الله امراة قامت من الليل فصلت وايقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه
الماء ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ايقظوا صواحب الحجر ويدخل هذا في عموم قوله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وذكر القشيري ان عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية يا رسول
الله نقي انفسنا وكيف لنا باهلينا فقال تنهوهم عما نهاكم الله وتامرونهم بما امر الله وقال
مقاتل ذلك حق عليه في نفسه وولده واهله وعبيده وامائه قال الكيا فعلينا تعليم اولادنا
واهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الادب وهو قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها ونحو قوله للنبي صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين وفي الحديث مروهم بالصلوة
وهم ابناء سبع وقودها الناس والحجارة تقدم في البقرة القول فيه عليها ملائكة غلاظ
شداد يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب
اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم اكل الطعام والشراب شداد اي شداد الابدان وقيل
غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان
شديد على فلان اي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل اراد بالغلاظ ضخامة احسامهم
والشدة القوة قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان
يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين الف انسان في قعر جهنم وذكر ابن وهب قال
وحدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين
منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم اي لا
يخالفونه في امره من زيادة او نقصان ويفعلون ما يؤمرون اي في وقته فلا يؤخرونه
ولا يقدمونه وقيل اي لذتهم في امتثال امر الله كما ان سرور اهل الجنة في الكون ذكره بعض

المعتزلة وعندهم انه يستحيل التكليف غدا ولا يخفى معتقد اهل الحق في ان الله يكلف العبد
اليوم وغدا ولا ينكر التكليف غدا في حق الملائكة ولله ان يفعل ما يشاء قوله تعالى يا ايها
الذين كفروا لا تعتذروا اليوم فان عذركم لا ينفع وهذا النهي لتحقيق الياس
انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم
يستعتبون وقد تقدم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى توبوا امر بالتوبة وهي فرض على الاعيان
في كل الاحوال وكل الازمان وقد تقدم بيانها والقول فيها في النساء وغيرها توبة
نصوحا اختلف عبارة العلماء وارباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين
قولا فقيل هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع روى عن عمر وابن مسعود وابي
ابن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ورفعه معاذ الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
قتادة النصوح الصادقة الناصحة وقيل الخالصة يقال نصح اي اخلص له القول وقال
الحسن النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقيل هي التي لا يثق
بقبولها ويكون على وجل منها وقيل هي التي لا يحتاج معها الى توبة وقال الكلبي التوبة النصوح
الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاطمئنان على انه لا يعود وقال
سعيد بن جبير هي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاث شروط خوف ان لا يقبل
ورجا ان يقبل وادمان الطاعات وقال سعيد بن المسيب توبة تنصحون بها انفسكم
وقال القرظي يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك
العود بالجنان ومهاجرة سيء الخلان وقال سفيان الثوري علامة التوبة النصوح اربعة
القلة والعلة والذلة والغربة وقال الفضيل بن عياض هو ان يكون الذنب بين عينيه
فلا يزال كانه ينظر اليه ونحوه عن ابن السماك ان ينصب الذنب الذي اقللت فيه الحيا من الله
امام عينيك ويستعد لمنتظرك وقال ابو بكر الوراق هو ان تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق
عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا وقال ابو بكر الواسطي هو توبة لا لفقد عوض لان
من اذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الآخرة فتوبته على حفظ
نفسه لا لله وقال ابو بكر الدقاق المصري التوبة النصوح هي رد المظالم واستحلال الخصوم
وادمان الطاعات وقال رويم هو ان تكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا
وجه وقال ذو النون علامة التوبة النصوح ثلاث قلة الكلام وقلة الطعام وقلة
المنام وقال شقيق هو ان يكثر صاحبها لنفسه الملامة ولا ينفك من الندامة لينجو من
آفاتها بالسلامة وقال سري السقطي لا تصلح التوبة النصوح الا بنصيحة النفس والمؤمنين
لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقال الجنيد التوبة النصوح هو ان
ينسى الذنب فلا يذكره ابدا لان من صحت توبته صار محبا لله ومن احب الله نسي ما دون
الله وقال ابو الاديان هو ان يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح وقال

فتح الموصلي علامتها ثلاث مخالفة الهوى وكثرة البكا ومكابدة الجوع والظما وقال سهل بن عبد الله التستري
هي التوبة لاهل السنة والجماعة لان المبتدع لا توبة له بدليل قوله صلى الله عليه وسلم حجب
الله عن كل صاحب بدعة ان يتوب وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب
عن الذنب ثم يعود فيه واصل التوبة النصوح من الخلوص يقال هذا عسل ناصح اذا خلص
من الشمع وقيل هي ماخوذة من النصاحة وهي الخياطة وفي اخذها منه وجهان احدهما لانها توبة
قد احكمت طاعته واوثقها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه الثاني لانها قد جمعت بينه
وبين اولياء الله والصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض وقراءة العامة
نصوحا بفتح النون على نعت التوبة مثل امراة صبور اي توبة بالغة في النصح وقرا الحسن
وخارجة وابو بكر عن عاصم بضم وتاويله على هذه القراءة توبة نصح لانفسكم وقيل يجوز
ان يكون نصوحا جمع نصح وان يكون مصدرا يقال نصح نصاحة وقد يتفق فعاله وفعول في
المصادر نحو الذهاب والذهوب وقال المبرد اراد توبة ذات نصح يقال نصحت نصحا ونصاحة
ونصوحا الثانية في الاشياء التي يتاب منها وكيف التوبة منها قال العلماء الذنب الذي يكون
التوبة منه لا يخلو اما ان يكون حقا لله او للادميين فان كان حقا لله كترك صلوة
فان التوبة لا تصح منها حتى ينضم الى الندم قضا ما فات منها وهكذا ان كان ترك صوم او
تفريطا في الزكاة وان كان ذلك قتل نفس بغير نفس بغير حق فان يمكن من القصاص ان
كان عليه وكان مطلوبا به وان كان قذفا يوجب الحد فيبذل ظهره للجلد ان كان
مطلوبا به فان عفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالاخلاص وكذلك ان
عفي عنه في القتل بمال فعليه ان يوديه ان كان واجدا له قال الله تعالى فمن عفي له من
اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وان كان ذلك حدا من حدود الله ما كان
فانه اذا تاب الى الله تعالى بالندم الصحيح يسقط عنه وقد نص الله تعالى على سقوط الحد
عن المحاربين اذا تابوا قبل القدرة عليهم وفي ذلك دليل على انها لا تسقط عنهم اذا
تابوا بعد القدرة عليهم حسب ما تقدم بيانه وكذلك الشراب والسراق والزناة
اذا اصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغي له ان يحدهم
وان رفعوا اليه فقالوا تبنا لم يتركوا وهم في تلك الحال كالمحاربين اذا غلبوا هذا
مذهب الشافعي فان كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه الا برده الى
صاحبه والخروج عنه عينا كان او غيره ان كان قادرا عليه فان لم يكن قادرا فالعزم
ان يوديه اذا قدر في اعجل وقت واسرعه وان كان الذنب لواحد من المسلمين وذلك
الواحد لا يشعر به او لا يدري من اين فانه يزيل ذلك الضرر عنه ثم يسله ان يعفوا
عنه ويستغفر له فاذا عفي فقد سقط الذنب عنه وان ارسل من يسال له ذلك له فعفا
ذلك المظلوم عن ظالمه عرفه بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح وان اسا رجل الى رجل
بان فزعه بغير حق او غمه او لطمه او صفعه بغير حق او ضربه بسوطه فالمه ثم جاء

مستغفرا نادما على ما كان منه عازما على ان لا يعود فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفى
عنه سقط الذنب عنه وهكذا ان كان شانه بشتم لا حد فيه قوله تعالى عسى
ربكم ان يكفر عنكم سياتكم عسى من الله واجبة وهو
معنى قوله عليه السلام التايب من الذنب كمن لا ذنب له قوله تعالى ويدخلكم معطوف
على يكفر وقرا ابن ابي عبلة ويدخلكم مجزوما عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل
توبوا يوجب تكفير سياتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا
يخزي الله النبي العامل في يوم يدخلكم او فعل مضمر ومعنى يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه
ولا يعذب الذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم تقدم في الحديد يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شي قدير قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هذا
دعا المومنين حين اطفا الله نور المنافقين حسب ما تقدم في سورة الحديد قوله تعالى
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
فيه مسلة واحدة وهو التشديد في دين الله فامره ان يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ
الحسنة والدعا الى الله والمنافقين بالغلظة واقامة الحجة وان يعرفهم احوالهم
في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به الصراط مع المومنين وقال الحسن اي جاهدهم
باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود وكانت الحدود يقام
عليهم وماويهم جهنم يرجع الى الصنفين وبئس المصير اي المرجع قوله تعالى ضرب
الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط ضرب الله هذا
المثل بينهما على انه لا يغني احد في الاخرة عن قريب ولا نسيب اذا فرق بينهما الدين
وكان اسم امراة نوح والهة واسم امراة لوط والغة قاله مقاتل وقال الضحاك عن
عايشة رضي الله عنها ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
ان اسم امراة نوح واغلة وامراة لوط والهة فخانتاهما قال عكرمة والضحاك بالكفر وقال
سليمان بن قتة عن ابن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون وكانت امراة
لوط تخبر باضيافه وعنه ما بغت امراة نبي قط وهذا اجماع من المفسرين فيما ذكر القشيري
انما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما
النميمة اذا اوحى اليهما شيا افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة
لوط اذا نزل به ضيف دخنت ليعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان
الرجال فلم يغنيا عنهما من الله شيا اي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن
زوجتيهما لما عصتا شيا من عذاب الله تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة لا با
الوسيلة ويقال ان كفار مكة استهزوا وقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم
يشفع لنا فبين الله تعالى ان شفاعته لا ينفع كفار مكة وان كانوا اقربا كما لا
ينفع شفاعة نوح لامراته مع قربهما لهما لكفرهما وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين

في الآخرة كما يقال الكفار مكة وعدهم ثم قيل يجوز ان يكون امراة نوح بدلا من قوله
مثلا على تقدير حذف المضاف اي ضرب الله مثلا مثل امراة نوح ويجوز ان يكونا مفعولين
قوله تعالى **وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون** واسمها اسية
بنت مزاحم قال يحيى بن سلام قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا مثل ضربه الله تعالى يحذر
به عايشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب
لهما مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات على الدين
وقيل هذا حث على المومنين على الصبر في الشدة ان لا يكونوا في الصبر عند الشدة اضعف
من امراة فرعون حين صبرت على اذى فرعون وكانت اسية امنت بموسى وقيل هي عمة موسى
آمنت به قال ابو العالية اطلع فرعون على ايمان امراته فخرج على الملأ فقال لهم ما تعلمون
من اسية ابنة مزاحم فاثنوا عليها فقال لهم فانها تعبد ربا غيري قالوا له اقتلها فاوتد لها
اوتادا وشد يديها ورجليها فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ووافق ذلك حضور
فرعون فضحكت حين رات بيتها في الجنة فقال فرعون الا تعجبون من جنونها انا نعذبها وهي
تضحك فقبض روحها وقال سلمان الفارسي فيما روى عنه عثمان النهدي كانت تعذب بالشمس
فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملايكة باجنحتها وقيل سمر يديها ورجليها في الشمس
ووضع على ظهرها رحى فاطلعها الله حين رات مكانها في الجنة وقيل لما قالت رب ابن لي
عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وقيل انه من درة وعن الحسن ولما قالت
ونجني نجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب وتتنعم ومعنى من فرعون
وعمله يعني بالعمل الكفر وقيل من عمله وظلمه وشماتته وقال ابن عباس الجماع ونجني
من القوم الظالمين قال الكلبي اهل مصر مقاتل القبط قال الحسن وابن كيسان نجاها
الله اكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب قوله تعالى **ومريم ابنة
عمران** اي واذكر مريم وقيل هو عطف على امراة فرعون المعنى وضرب الله مثلا
لمريم ابنة عمران وصبرها على اذى اليهود التي احصنت فرجها اي عن الفواحش وقال
المفسرون انه اراد بالفرج هنا الجيب ولانه قال فنفخنا فيه من روحنا وجبريل عليه
السلام انما نفخ في جيبها ولم ينفخ في فرجها وهي في قراءة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا
وكل خرق في الثوب يسمى فرجا ومنه قوله وما لها من فروج ويحتمل ان يكون احصنت
فرجها ونفخ الروح في جيبها ومعنى فنفخنا ارسلنا جبريل فنفخ في جيبها من روحنا اي
روحا من ارواحنا وهو روح عيسى وقد مضى في آخر النساء بيانه مستوفى وصدقت بكلمات
ربها قراءة العامة وصدقت بالتشديد وقرا حميد والاموي وصدقت بالتخفيف بكلمات
ربها قول جبريل لها انما انا رسول ربك الآية وقال مقاتل يعني بالكلمات عيسى وانه نبي
وعيسى كلمة الله وقد تقدم وقرا الحسن وابو العالية بكلمة ربها وكتابه قال
ابو عمرو وحفص عن عاصم وكتبه جمعا وعن ابي رجاء كتبه مخفف اليا والباقون

بكتابه

بكتابه على التوحيد والكتاب يراد به الجنس فيكون في معنى كل كتاب انزل الله تعالى وكانت
من القانتين اي من المطيعين وقيل من المصلين بين المغرب والعشاء وانما لم يقل من القانتات
لانه اراد وكانت من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا الى بيتها فانهم كانوا مطيعين لله
وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها اتكرهين ما قد
نزل بك ولقد جعل الله في الكره خيرا فاذا قدمت على ضراتك فاقريهن مني السلام مريم بنت عمران واسية
بنت مزاحم وكليمة او قال حليمة بنت عمران اخت موسى بن عمران فقالت بالرفاء والبنين برسول
الله وروى قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسبك من نساء العالمين اربع
مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون بنت مزاحم وقد مضى
في آل عمران الكلام في هذا سورة الملك مكية في قول الجميع
وتسمى الواقية والمنجية وهي ثلثون آية روى الترمذي عن ابن عباس قال ضرب رجل
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان
يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على
قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرا بسورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر قال حديث حسن وعنه قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الذي بيده الملك في كل قلب مومن ذكره الثعلبي
وعن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون
آية شفعت لرجل اخرجته من النار يوم القيمة وادخلته الجنة وهي سورة تبارك خرجه الترمذي
بمعناه وقال فيه حديث حسن وقال ابن مسعود اذا وضع الميت في قبره فيوتى من قبل رجليه
فيقال ليس لكم عليه سبيل فانه كان يقوم بسورة الملك على رجليه ثم يوتى من قبل راسه
فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرا بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله
وهي في التورية سورة الملك من قراها في ليلة فقد اكثر واطيب وروي ان من قراها في كل
ليلة لم يضره الفتان بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى **تبارك الذي بيده الملك**
تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو الدايم الذي لا اول
لوجوده ولا آخر لدوامه الذي بيده الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والآخرة وقال ابن عباس
بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع وقال محمد بن اسحق
له ملك النبوة الذي اعز بها من اتبعه وذل بها من خالفه وهو على كل شيء قدير من انعام وانتقام قوله
تعالى **الذي خلق الموت والحيوة** فيه مسئلتان الاولى قوله الذي خلق الموت والحيوة
في الآخرة وقدم الموت على الحيوة لان الموت الى القهر اقرب كما قدم البنات على البنين
فقال يهب لمن يشاء اناثا وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشياء في الابتدا كانت في حكم الموت
كالنطفة والتراب ونحوه وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى

ادل بنى آدم بالموت وجعل الدنيا دار حيوة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزا ثم دار بقا وعن ابى
الدردا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طاطا ابن آدم راسه الفقر والمرض والموت
وانه مع ذلك لوثاب المسئلة الثانية الموت والحيوة قدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس
داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الاية
اهم وقال العلما الموت ليس بعدم محض ولا فنا صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح
بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار والحيوة عكس ذلك
وحكى عن ابن عباس والكلبى ومقاتل ان الموت والحيوة جسمان فجعل الموت فى هيئة
كبش لا يمر بشى ولا تجد ريحه الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثى بلقا وهى التى كان
جبريل والانبيا عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا
تمر بشى تجد ريحها الا حيى ولا تطا على شى الا حيى وهى التى اخذ السامرى من اثرها فالقاه
على العجل فحيى حكاه الثعلبى والقشيرى عن ابن عباس والماوردى معناه عن مقاتل والكلبى قال الشيخ
المولف رحمه الله وفى التنزيل قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملايكة ثم توفته رسلنا ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها فالوسايط ملايكة مكرمون
صلوات الله عليهم وهو سبحانه المميت على الحقيقة اما انه يمثل الموت بالكبش فى الاخرة ويذبح على
الصراط حسب ما ورد به الخبر الصحيح وما ذكر عن ابن عباس يحتاج الى خبر صحيح يقطع العذر والله اعلم
وعن مقاتل ايضا خلق الموت يعنى النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحيوة يعنى خلق انسانا ونفخ فيه
الروح فصار انسانا قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا قول حسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم
ايكم احسن عملا وتقدم الكلام فى سورة الكهف وقال السدى فى قوله الذى خلق الموت والحيوة
ليبلوكم ايكم احسن عملا اى اكثركم للموت ذكرا واحسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا
وقال ابن عمر تلى النبى صلى الله عليه وسلم تبارك الذى بيده الملك حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال
اورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله وقيل معنى ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر اى ليبلو
العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحيوة ليبين شكره وقيل خلق الله الموت للبعث والجزا
وخلق الحيوة للابتلا فاللام فى ليبلوكم يتعلق بخلق الحيوة لا بخلق الموت ذكره الزجاج وقال
الفرا والزجاج ايضا لم تقع البلوى على اى لان فيما بين البلوى واى اضمار فعل كما يقول بلوتكم
لانظر ايكم اطوع ومثله سلهم ايهم بذلك زعيم اى سلهم ثم انظر ايهم فايهم رفع بالابتدا واحسن
خبره والمعنى ليبلوكم فيعلم او فينظر احسن عملا وهو العزيز فى انتقامه ممن عصاه الغفور
لمن تاب عليه قوله تعالى **الذى خلق سبع سموات طباقا** اى بعضها فوق بعض
والملتزق منها اطرافها كذا روى عن ابن عباس وطباقا نعت لسبع فهو وصف بالمصدر وقيل
مصدر بمعنى المطابقة اى خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا ومطابقة او على طوبقن طباقا
وقال سيبويه نصب طباقا لانه مفعول ثان قال الشيخ المولف رحمه الله فيكون خلق بمعنى صير
وجعل وطباق جمع طبق مثل جمل وجمال وقيل جمع طبقة وقال ابان بن تغلب سمعت بعض الاعراب

بدم

بدم بجلده فقال شر طباق وخيره غير باق ويجوز فى غير القرآن سبع سموات طباق بالخفض
على النعت للسموات ونظيره سبع سنبلات خضر ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت قرا حمزة
والكسائى من تفوت بغير الف مشددة وهى قراة ابن مسعود واصحابه الباقون من تفاوت
بالف وهما لغتان مثل التعاهد والتعهد والتحمل والتحامل والتطهر والتظاهر وتصاعر وتصعر
وتضاعف وتضعف وتباعد وتبعد كله بمعنى واختار ابو عبيد من تفوت واحتج بحديث عبد
الرحمن بن ابى بكر امثلى يتفوت عليه فى بناته النحاس وهذا امر مردود على ابى عبيد لان
يتفوت يفتات بهم وتفاوت فى الاية اشبه كما يقال تباين يقال تفاوت الامر اذا تباين
او تباعد اى فات بعضها بعضا الا ترى ان قبله الذى خلق سبع سموات طباقا والمعنى ما ترى فى
خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هى مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت
صوره وصفاته وقيل المراد بذلك السموات خاصة اى ما ترى فى خلق الرحمن من عيب واصله من
الفوت وهو ان يفوت شى شيا فيقع الخلل لقلة استوايها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال
ابو عبيدة يقال تفوت الشى اى فات ثم امر بان ينظروا فى خلقه ليعتبروا به فيتفكروا فى قدرته
فقال فارجع البصر هل ترى من فطور اى اردد طرفك الى السما ويقال قلب البصر فى السما ويقال
اجتهد بالنظر فى السما والمعنى متقارب وانما قال فارجع بالفا وليس قبله فعل مذكور لانه
قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور قاله قتادة والفطور الشقوق
عن مجاهد والضحاك وقال قتادة من خلل السدى من خروق ابن عباس من وهن واصله
من التفطر والانفطار وهو الانشقاق قال الشاعر بنى لكم بلا عمد سما وزينها فما بها فطور
وقال آخر شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتام الفطور تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا سكر ولم يبلغ سرور قوله تعالى **ثم ارجع البصر كرتين** فى موضع المصدر لان
معناه رجعتين اى مرة بعد اخرى وانما امر بالنظر مرتين لان الانسان اذا نظر فى الشى مرة لا
يرى عيبه ما لم ينظر اليه مرة اخرى فاخبر الله تعالى انه وان نظر الى السما مرتين
لا يرى فيها عيبا بل يتحير بالنظر اليها فذلك قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسيا اى
خاشعا صاغرا متباعدا عن ان يرى شيا من ذلك يقال خسات الكلب اى ابعدته وطردته
وخسا الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى وانخسا الكلب ايضا وخسا بصره خسا وخسوا
اى سدر ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسيا وقال ابن عباس الخاسى الذى لم ير ما
يهوى وهو حسير اى قد بلغ الغاية فى الاعيا فهو بمعنى فاعل من الحسور الذى هو الاعيا
ويجوز ان يكون مفعولا من حسره بعد الشى وهو معنى قول ابن عباس ومنه قول الشاعر من مد
طرفا الى فوق غايته ارتد خسان منه الطرف قد حسرا ويقال حسر بصره يحسر حسورا اى كل
وانقطع نظره من طول مدى وما اشبه ذلك فهو حسير ومحسور ايضا قال نظرت اليها بالمحصب
من منى فعاد الى الطرف وهو حسير وقال آخر بانه فتنظرها نظر العينين محسور نصب شطرها
على الظرف اى نحوها وقال آخر والخيل شعث ما تزال جيادها حسرى يغادر بالطريق سخالها

وقيل انه النادم ومنه قول الشاعر ما انا اليوم على شيء خلا يابنة القين تولى بحسر والمراد بكرتين هاهنا التكثير والدليل على ذلك قوله ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وذلك دليل على كثرة النظر قوله تعالى **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح** جمع مصباح وهو السراج ويسمى الكواكب مصابيح لاضائتها **وجعلناها رجوما** اى جعلنا شهبها فحذف المضاف دليله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها وقيل ان الضمير راجع الى المصابيح على ان الرجم من انفس الكواكب ولا يسقط الكوكب نفسه انما ينفصل منه شيء يرجم به من غير ان ينقص ضوءه ولا صورته قاله ابو علي جوابا لمن قال كيف يكون زينة وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق من موضع الكواكب والتقدير الاول على ان يكون الاستراق من الهوى الذي هو دون موضع الكواكب القشيري وامثل من قول ابي علي ان يقول هي زينة قبل ان يرجم بها الشياطين والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والاوقات فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم وقال محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة **واعتدنا لهم عذاب السعير** اى اعتدنا للشياطين اشد الحريق يقال سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل **وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير** قوله تعالى **اذا القوا فيها** يعني الكفار **سمعوا لها شهيقا** اى صوتا قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القاء الكفار فيها تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف وقيل الشهيق من الكفار عند القائهم في النار قاله عطاء والشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في سورة هود **وهي تفور** اى تغلي ومنه قول حسان تركتم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور قال مجاهد تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير وقال ابن عباس تغلي بهم على المرجل وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب كما يقول فلان يفور غيظا قوله تعالى **تكاد تميز من الغيظ** يعني تتقطع وينفصل بعضها من بعض قال سعيد بن جبير وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد تتفرق من الغيظ من شدة الغيظ على اعداء الله تعالى وقيل من الغيظ من الغليان واصل تميز تتميز **كلما القي فيها فوج** اى جماعة من الكفار **سالهم خزنتها** على جهة التوبيخ والتقريع **الم ياتكم نذير** اى رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا **قالوا بلى قد جاءنا نذير** انذرنا وخوفنا **فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء** اى على السنتكم **ان انتم** يا معشر الرسل **الا في ضلال كبير** اعترفوا بتكذيب الرسل اعترفوا بتكذيب الرسل ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار **لو كنا نسمع** من النذر يعني من الرسل ما جاءوا به **او نعقل** عنهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله او لو كنا نسمع سماع من يعي ويفكر او نعقل عقل من يميز وينظر ودل هذا على ان الكافر

لم يحط من العقل شيئا وقد مضى في الطور **ما كنا في اصحاب السعير** يعني ما كنا من اهل النار وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لقد ندم الفاجر يوم القيامة قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال الله تعالى **فاعترفوا بذنبهم فسحقا** اى تكذيبهم الرسل والذنب هاهنا بمعنى الجمع لان فيه معنى الفعل يقال خرج عطاء الناس اى عطيتهم **فسحقا لاصحاب السعير** اى فبعدا لهم من رحمة الله وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق وقرا الكسائي وابو جعفر فسحقا بضم الحاء ورويت عن علي الباقون باسكانها وهما لغتان مثل السحت والرعب الزجاج وهو منصوب على المصدر اى اسحقهم الله سحقا اى باعدهم قال امرؤ القيس يجول باطراف البلاد مغربا وتسحقه ريح الصبا كل مسحق وقال ابو علي القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف كما قيل وان اهلك فذلك كان قدري اى تقديري وقيل ان قوله تعالى **ان انتم الا في ضلال كبير** من قول خزنة جهنم لاهلها قوله تعالى **ان الذين يخشون ربهم بالغيب** نظيره من خشي الرحمن بالغيب وقد مضى الكلام فيه اى يخافون الله ويخافون عذابه الذي هو بالغيب وهو عذاب يوم القيامة **لهم مغفرة** لذنوبهم **واجر كبير** وهو الجنة قوله تعالى **واسروا قولكم او اجهروا به** اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلى الله عليه وسلم او جهرتم به **فانه عليم بذات الصدور** يعني بما في القلوب من الخير والشر قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت واسروا قولكم يعني في محمد وقيل سائر الاقوال او اجهروا به اعلموا انه عليم بذات الصدور وذات الصدور ما فيها كما يسمى ولد المراة وهو جنين ذا بطنها ثم قال **الا يعلم من خلق** يعني الا يعلم السر من خلق السر يقول انا خلقت السر في القلوب افلا اكون عالما بما في قلوب العباد وقال اهل المعاني ان شئت جعلته اسما للخالق جل وعز ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه وان شئت جعلته اسما للمخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل اترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني من اسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل ان يكون ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقائق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص بان يعلم الغائب والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى ومنها المحصي ويختص بانه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اجزاء الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق **وهو اللطيف الخبير** قوله تعالى **هو الذي جعل لكم الارض**

ذَلُولًا اى سهله يستقرون عليها والذلول المنقاد الذى يذل لك والمصدر الذل وهو اللين
والانقياد اى لم تجعل الارض بحيث يمتنع المشى فيها بالحزونة والغلظة وقيل اى ثبتها بالجبال لئلا
تزول باهلها ولو كانت تتكفأ متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل اشار الى التمكن من الزرع
والغرس وشق العيون والانهار وحفر الابار فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا هو امر اباحة وفيها اظهار
الامتنان وقيل هو خبر بلفظ الامر اى لكى تمشوا فى اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها
وقال ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب فى مناكبها فى جبالها وروى ان بشير بن كعب كانت
له سرية فقال لها ان اخبرتنى ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت
حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا الدرداء فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك مجاهد فى اطرافها
وعنه ايضا فى طرقها وفجاجها وقاله السدى والحسن وقال الكلبى فى جوانبها ومنكبا الرجل
جانباه واصل الكلمة الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء وتنكب فلان عن فلان
يقول امشوا حيث اردتم فقد جعلتها لكم ذلولا لا تمتنع وحكى قتادة عن ابى الجلد ان
الارض اربعة وعشرون الف فرسخ وللسودان اثنا عشر الفا وللروم ثمانية الاف وللفرس
ثلاثة الاف وللعرب الف وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ اى مما احله لكم قاله الحسن وقيل مما اتيته لكم
وَإِلَيْهِ النُّشُورُ المرجع وقيل معناه ان الذى خلق السماء لا تفاوت فيها والارض ذلولا قادر
على ان ينشركم قوله تعالى أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ قال ابن عباس امنتم عذاب
من فى السماء ان عصيتموه وقيل تقديره امنتم من فى السماء قدرته وسلطانه وعرشه
ومملكته وخص السماء وان عم ملكه تنبيها على ان الاله الذى ينفذ قدرته فى السماء
لا من يعظمونه فى الارض وقيل هو اشارة الى الملائكة وقيل الى جبريل وهو الملك الموكل بالعذاب
قال الشيخ المؤلف رحمه الله ويحتمل ان يكون المعنى امنتم خالق من فى السماء أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ
الْأَرْضَ كما خسفها بقارون فَإِذَا هِيَ تَمُورُ اى تذهب وتجئ والمور الاضطراب بالذهاب والمجئ
قال الشاعر ‹ رمين فاقصدن القلوب ولن ترى ‹ دما مائرا الا جرى فى الحيازم › جمع حيزوم
وهو وسط الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور وقال المحققون امنتم
من فوق السماء لقوله فسيحوا فى الارض اى فوقها لا بالمماسة والتحيز لكن بالقهر والتدبير
وقيل معناه امنتم من فى السماء لقوله لاصلبنكم فى جذوع النخل اى عليها ومعناه
انه مدبرها ومالكها كما يقال فلان على العراق والحجاز اى واليها واميرها والاخبار
الصحيحة من هذا الباب كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا تدفعها الا ملحد او جاهل معاند
والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن و
الجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدى بالدعاء الى السماء لان
السماء مهبط الوحى ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة واليها
يرفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة قبلة للصلوة ولانه
خلق الامكنة وهو غير محتاج اليها وكان فى ازله قبل خلق المكان والزمان ولا

مكان له ولا زمان وهو الان على ما عليه كان وقرا قنبل عن ابن كثير النشور وامنتم
بقلب الهمزة الاولى واوا وتخفيف الثانية وقرا الكوفيون والبصريون واهل الشام سوى
ابى عمرو وهشام بالتحقيق بالهمزتين وخفف الباقون وقد تقدم جميعه قوله تعالى
أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا اى حجارة من السماء
كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصباء وقيل سحاب
فيها حجارة فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ اى انذارى وقيل النذير بمعنى المنذر يعنى محمدا صلى
الله عليه وسلم اى ستعلمون صدقه وعاقبة تكذيبهم قوله تعالى وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى كفار الامم لقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب مدين
واصحاب الرس وقوم فرعون فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ اى انكارى وقد تقدم واثبت ورش الياء فى
نذيرى ونكيرى فى الوصل واثبتها يعقوب فى الحالين وحذف الباقون اتباعا للمصحف
قوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ اى كما ذلل الارض للادمى
ذلل الهواء للطيور وصافات اى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها لانهن اذا
بسطنها صففن قوادمها صفا وَيَقْبِضْنَ اى يضربن بها جنوبهن قال ابو جعفر النحاس
يقال للطائر اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمهما فاصابا جنبه قابض لانه يقبضهما
كما قال ابو خراش ‹ يبادر جنح الليل فهو موائل › يحث الجناح بالتبسط والقبض وقيل ويقبض
اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران وهو معطوف على صافات عطف المضارع
على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع فى قول الشاعر ‹ باتت يعشيها بعضب
باتر ‹ يقصد فى اسوقها وجائر › مَا يُمْسِكُهُنَّ اى ما يمسك الطير فى الجو وهو يطير الا الله جل
وعز إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ قوله تعالى أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ قال ابن
عباس حزب ومنعة لكم يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ فيدفع عنكم ما اراد بكم ان عصيتموه
ولفظ الجند يوحد ولذلك قال هذا الذى هو جند لكم وهو استفهام انكار اى لا جند
لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن اى من سوى الرحمن إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ
من الشيطان يغرهم بان لا عذاب ولا حساب قوله تعالى أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ
اى يعطيكم منافع الدنيا وقيل المطر من الهتكم إِنْ أَمْسَكَ يعنى الله تعالى رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا
اى تمادوا واصروا فِي عُتُوٍّ طغيان وَنُفُورٍ عن الحق قوله تعالى أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا
عَلَى وَجْهِهِ ضرب مثلا للمؤمن والكافر مكبا اى منكسا راسه لا ينظر امامه ولا يمينه
ولا شماله فهو لا يامن العثور والانكباب على وجهه كمن يمشى سويا معتدلا ناظرا ما بين
يديه وعن يمينه وعن شماله قال ابن عباس هذا فى الدنيا ويجوز ان يريد به الاعمى الذى
لا يهتدى الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوى
الصحيح البصر الماشى فى الطريق المهتدى له وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصى الله
فى الدنيا يحشره الله يوم القيمة على وجهه وقال ابن عباس والكلبى عنى بالذى يمشى مكبا على وجهه

ابا جهل و بالذى يمشى سويا النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر وقيل حمزه وقيل عمار بن ياسر
قاله عكرمه وقيل هو عام فى الكافر و المومن اى ان الكافر لا يدرى اعلى حق هو ام
باطل اى هذا الكافر اهدى ام المسلم الذى يمشى سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على صراط
مستقيم وهو الاسلام ويقال اكب الرجل على وجهه فيما لا يتعدى بالالف فاذا تعدى قيل
كبه الله لوجهه بغير الف قوله تعالى **قل هو الذى انشاكم** امر نبيه ان
يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم بان الله خلقهم وجعل لكم السمع و الابصار والافئدة
يعنى القلوب قليلا ما يشكرون اى لا يشكرون هذه النعم ولا يوحدون الله تعالى
يقول قل ما افعل كذا اى لا افعله قوله تعالى **قل هو الذى ذراكم فى الارض**
قاله ابن عباس وقيل نشركم فيها وفرقكم على ظهرها قاله ابن عباس شجره واليه تحشرون
حتى يجازى كلا بعمله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اى متى يوم القيمه
ومتى هذا العذاب الذى يعدوننا به وهذا استهزا منكم وقد تقدم قوله تعالى
قل انما العلم عند الله اى قل لهم يا محمد علم وقت قيام الساعة عند الله ولا
يعلمه غيره نظيره قوله قل انما علمها عند ربى الايه وانما انا لكم نذير مبين اى مخوف معلم
لكم قوله تعالى فلما راوه زلفة مصدر بمعنى مزدلفا اى قريبا قاله مجاهد الحسن عيانا
واكثر المفسرين على ان المعنى فلما راوه يعنى العذاب وهو عذاب الاخره وقال مجاهد
يعنى عذاب بدر وقيل اى راوا ما وعدوا من الحشر قريبا منهم ودل عليه تحشرون
وقال ابن عباس لما راوا عملهم السى قريبا سيئت وجوه الذين كفروا اى فعل بها السو
وقال الزجاج تبين فيها السوء اى ساءهم ذلك العذاب وظهر على وجوههم سمة تدل على
كفرهم لقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقرا نافع وابن محيصن وابن عامر والكسائى
سيئت باشمام الضم وكسر الباقون بغير اشمام طلبا للخفة ومن ضم لاحظ الاصل وقيل
هذا الذى كنتم به تدعون قال الفرا تدعون تفتعلون من الدعا وهو قول اكثر
العلماء اى تتمنون وتسلون وقال ابن عباس تكذبون وتاويله هذا الذى كنتم من
اجله تدعون الاباطيل والاحاديث قاله الزجاج وقراة العامه تدعون بالتشديد
وتاويله ما ذكرناه وقرا قتادة وابن ابى اسحق والضحاك ويعقوب تدعون مخففة
قال قتاده هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر الايه وقال ابو العباس تدعون تستعجلون يقال دعوت بكذا
اذا طلبته وادعيت افتعلت منه النحاس تدعون و يدعون بمعنى واحد كما يقال قدر
واقتدر وعدى واعتدى الا ان فى افتعل معنى شى بعد شى و فعل يقع القليل و الكثير
قوله تعالى **قل ارايتم ان اهلكنى الله** اى قل لهم يا محمد يريد مشركى
مكة وكانوا يتمنون موت محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون ارايتم ان متنا او رحمنا فاخرت اجالنا فمن يجيركم من عذاب الله

فلا

فلا حاجة بكم الى التربص ولا الى استعجال قيام الساعة واسكن اليا فى اهلكنى ابن
محيصن والمسيبى وشيبه والاعمش وحمزه وفتحها الباقون وكلهم فتح اليا فى من معى
الا اهل الكوفه فانهم سكنوها فستعلمون قرا الكسائى باليا على الخبر ورواه عن على الباقون
بالتاء على الخطاب وهو تهديد لهم وقوله اخر مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا فيقال
لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم
ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متوكلون عليه من رجالكم واموالكم قاله
الزمخشرى قوله تعالى قل ارايتم يا معشر قريش ان اصبح ماؤكم غورا اى غائرا ذاهبا فى الارض
لا تناله الدلاء وكان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون فمن ياتيكم بماء معين اى جار قاله
قتاده والضحاك فلا بد لهم من ان يقولوا لا ياتينا به الا الله فقل لهم فلم تشركون به من
لا يقدر على ان ياتيكم يقال غار الماء يغور غورا اى نضب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغه
كما تقول رجل عدل ورضى وقد مضى فى الكهف ومضى القول فى المعين فى سورة المومنين
وعن ابن عباس بماء معين اى ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الماء اى كثر
فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بماء عذب

سورة ن والقلم مكية

فى قول الحسن وعكرمه وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتاده من اولها الى قوله تعالى سنسمه
على الخرطوم مكى ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين اكبر لو كانوا يعلمون مدنى ومن بعد
ذلك الى قوله يكتبون مكى ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدنى وما فيها
مكى حكاه الماوردى وهى ثنتان وخمسون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

ن والقلم ادغم النون الثانيه من هجائها فى الواو ابو بكر والمفضل وهبيره
وورش وابن محيصن وابن عامر والكسائى ويعقوب والباقون بالاظهار وقرا عيسى بن
عمر بفتحها كانه اضمر فعلا وقرا ابن عباس ونصر وابن ابى اسحاق بكسرها على اضمار حرف
القسم وقرا هارون ومحمد ابن السميفع بضمها على البنا واختلف فى تاويله فروى معاويه
ابن قره عن ابيه يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نون لوح من نور وروى
ثابت البنانى ان نون الدواه وقاله الحسن وقتاده وروى الوليد بن مسلم حدثنا
مالك بن انس عن سمى مولى ابى بكر عن ابى صالح السمان عن ابى هريره قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة وذلك قوله
ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيمة
من عمل او اجل او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيمة قال ثم ختم فم القلم
فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب
الى منك وعزتى وجلالى لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقله اطوعهم لله واعلمهم بطاعته وعن
مجاهد قال نون هو الحوت التى تحت الارض السابعة قال والقلم الذى كتب به الذكر
قال مقاتل ومرة الهمدانى وعطا الخراسانى والسدى والكلبى ان النون هو الحوت الذى عليه
الارضون وروى ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن ثم رفع
بخارا الماء فخلق منه السماء ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فمادت الارض فاثبتت بالجبال
وان الجبال لتفخر على الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم الاية وقال الكلبى ومقاتل اسمه
البهموت قال الراجز ما لى اراكم كلكم سكوتا والله ربى خلق البهموتا وقال ابو اليقظان
والواقدى ليوثا وقال كعب لوثوثا وقال بلهوثا قال كعب ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى
على ظهره الارضون والسموات فوسوس فى قلبه فقال اتدرى ما على ظهرك يا لوثوثا من الدواب
والشجر والارضين وغيرها لو لفظتهم والقيتهم عن ظهرك اجمع فهم ليوثا ان يفعل فبعث
الله اليهم دابة دخلت منخره وصلت الى دماغه فضج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى
لها فخرجت قال كعب فوالله انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشىء من ذلك عادت كما كانت وقال
الضحاك عن ابن عباس ان ن آخر حرف من حروف الرحمن قال الرحيم ون الرحمن تعالى
مقطعة وقال ابن زيد هو قسم اقسم الله به وقال ابن كيسان هو فاتحة السورة وقيل اسم السورة
وقال عطا ابو العالية هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى
بنصره للمؤمنين وهو حق بيانه قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال جعفر الصادق هو
نهر من انهار الجنة يقال له نون وقيل هو المعروف من حروف المعجم لانه لو كان غيره ذلك
لكان معربا وهذا اختيار القشيرى ابو نصر عبد الرحيم فى تفسيره قال لان نون حرف لم تعرب
فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب القلم فهو اذا حرف هجا كما فى ساير مفاتيح السور وعلى هذا
قيل هو اسم للسورة اى هذه سورة نون ثم قال والقلم اقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان
وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من فى السموات ومن فى الارض ومنه قول ابى الفتح البستى
اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم كفى قلم الكتاب عزا ورفعة
مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم وللشعراء فى تفضيل القلم على السيف ابيات كثيرة
ما ذكرنا اعلاها وقال ابن عباس هذا اقسم بالقلم الذى خلقه الله فامره فجرى بكتابه جميع ما
هو كائن الى يوم القيمة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض ويقال خلق الله
القلم ثم نظر اليه فانشق نصفين فقال اجر فقال يا رب بما اجرى فقال بما هو كائن
الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ وقال الوليد بن عبادة بن الصامت اوصانى ابى عند
موته فقال يا بنى اتق الله واعلم انك لن تتقى ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر
خيره وشره سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب
فقال يا رب وما اكتب قال اكتب القدر فجرى القلم فى تلك الساعة بما كان وبما
هو كائن الى الابد وقال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب بما هو كائن فكتب

لقطتهم

فيما كتب تبت يدا ابى لهب وقال قتادة القلم نعمة من الله على عباده قال غيره فخلق الله
القلم الاول فكتب ما يكون فى الذكر ووضعه عنده فوق عرشه ثم خلق القلم الثانى ليكتب
به فى الارض على ما ياتى فى سورة اقرا باسم ربك الذى قوله تعالى وما يسطرون
اى وما يكتبون يريد الملائكة يكتبون اعمال بنى آدم قال ابن عباس وقيل وما يكتبون
الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعملون وما موصولة او مصدر به
اى ومسطوراتهم او سطرهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة على الخلائق ما انت بنعمة ربك
بمجنون هذا جواب القسم وهو نفى وكان المشركون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم انه مجنون
به شيطان وهو قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم
وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بمجنون اى برحمة ربك والنعمة هاهنا الرحمة ويحتمل ثانيا ان
النعمة هاهنا قسم وتقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون لان الواو والباء من حروف القسم
وقيل هو كما تقول ما انت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك لقولهم
سبحانك اللهم وبحمدك اى والحمد لله ومنه قول لبيد وافردت فى الدنيا بفقد عشيرتى وفارقنى
جار باربد نافع اى هو اربد وقال النابغة لم يحرموا حسن الغذاء وامهم طفحت عليك بناتق مذكار
اى هو ناتق والباء فى بنعمة متعلقة بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا فى قولك انت بنعمة
الله عاقل ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما عليك بذلك وان لك
لاجرا اى ثوابا على ما تحملت من اثقال النبوة غير ممنون اى غير مقطوع ولا منقوص
يقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال الشاعر غبسا كواسب لا يمن
طعامها اى لا ينقطع وقال مجاهد غير ممنون غير محسوب الحسن غير ممنون غير مكدر
بالمن الضحاك اجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وهو التفضل لان الجزاء مقدر والتفضل
غير مقدر ذكره الماوردى وهو معنى قول مجاهد والله اعلم قوله تعالى وانك لعلى
خلق عظيم على دين عظيم فيه مسئلتان الاولى قال ابن عباس ومجاهد على خلق عظيم
من الاديان ليس دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه وفى صحيح مسلم عن عائشة ان
خلقه كان القران وقال على رضى الله عنه وعطية هو ادب القران وقيل هو رفقه بامته
واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهى عنه مما نهى الله عنه
وقيل انك على طبع كريم الماوردى وهو الظاهر وحقيقة الخلق فى اللغة ما هو ياخذ
به الانسان نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب
فهو الخيم بالكسر السجية والطبيعة لا واحد له من لفظه وخيم اسم جبل فيكون الخلق
الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزى وقد اوضح الاعشى ذلك فى شعره فقال واذا ذو الفضول
ضن على المولى وعادت لخيمها الاخلاق اى رجعت الاخلاق الى طبايعها قال الشيخ المؤلف رحمه
الله عائشة فى صحيح مسلم اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه عليه السلام فقرات قد افلح
المؤمنون الى عشر آيات وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ماذكرته

ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك وكذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم الامنه الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق وقيل لانه امتثل تاديب الله تعالى اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقد روي عنه عليه السلام انه قال ادبني ربي ادبا حسنا اذ قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما قبلت ذلك منه قال انك لعلى خلق عظيم الثانية روى الترمذي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال حديث حسن صحيح وعن ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما شيء اثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن فان الله يبغض الفاحش البذي قال حديث حسن صحيح وعنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلوة والصوم قال حديث غريب من هذا الوجه وعن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال هذا حديث حسن صحيح وعن عبد الله ابن المبارك انه وصف حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيمة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون قال المتكبرون قال وفي الباب عن ابي هريرة وهذا حديث حسن صحيح قوله تعالى

فستبصر ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيمة وقيل فسترى ويرون يوم القيمة حين تبين الحق والباطل بايكم المفتون الباء زائدة اي فستبصر ويبصرون ايكم المفتون اي الذي فتن بالجنون كقوله تنبت بالدهن ويشرب بها عباد الله وهذا قول قتادة وابي عبيدة والاخفش وقال الراجز نحن بنو جعدة اصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج وقيل الباء ليست بزائدة والمعنى بايكم المفتون اي الفتنة وهو مصدر على وزن المفعول ويكون معناه الفتون كما قالوا ما لفلان مجلود ولا معقود اي عقل ولا جلاد وقاله الحسن والضحاك وابن عباس وقال الراعي حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا اي عقلا وقيل في الكلام تقدير حذف مضاف والمعنى بايكم فتنة المفتون وقال الفرا الباء بمعنى في اي فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون ابالفرقة التي انت فيها من المؤمنين ام بالفرقة الاخرى فالمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب في النار اذا حميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ومعظم السورة نزلت في الوليد بن

المغيرة

المغيرة وابي جهل وقيل المفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه فكانوا يقولون ان به شيطانا وعنوا بالمجنون هذا فقال الله سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اي الذين هم على الهدى فيجازي كلا غدا بعمله قوله تعالى فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه الى ان يكف عنهم ليكفوا عنه فبين الله تعالى ان ممايلتهم كفر وقال الله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقيل اي فلا تطع المكذبين فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث نزلت في مشركي قريش حين دعوه الى دين اباءه قوله تعالى

ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس ايضا ودوا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال الفرا والكلبي لو تلين فيلينون لك والادهان التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفرا وقال مجاهد المعنى ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالئونك وقال الربيع ابن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم وعنه ايضا ودوا لو ترفض بعض امرك فيرفضون بعض امرهم زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤن وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقيل ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في اديانهم قاله القتبي وعنه طلبوا منه ان يعبد الهتهم مدة ويعبدوا الاهه مدة فهذه اثنا عشر قولا ابن العربي ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى امثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون قال الشيخ المولف رحمه الله كلها ان شا الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة في الكلام والتليين في القول قال الشاعر

لبعض الغشم احزم في امور … تنوبك من مداهنة العدو

وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فهي على هذا الوجه مذمومة وعلى الوجه الاول غير مذمومة وكل شيء منها لم يكن قال المبرد يقال ادهن في دينه وداهن في امره اي خان فيه واظهر خلاف ما يضمر وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قاله الجوهري وقال فيدهنون فساقه على العطف ولو جا به جواب النهي لقال فيدهنوا وانما اراد انهم تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه ولا مكافاة وانما هو تمثيل وتنظير قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين يعني الاخنس ابن شريق في قول الشعبي والسدي وابن اسحاق وقيل الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن ابن الاسود قاله مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف انه يعطيه ان رجع عن دينه قاله مقاتل وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين الضعيف القلب عن مجاهد ابن عباس الكذاب والكذاب مهين وقيل المكثار في الشر قاله الحسن

وقتادة وقال الكلبي المهين الفاجر العاجز وقيل معناه الحقير عند الله وقال ابن شجرة انه الذليل
الرأى المهين الوضيع لاكثاره من القبيح وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة وهي هنا القلة في الرأى
او التمييز او هو فعيل بمعنى مفعل والمعنى مهان همّاز قال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس
بيده ويضربهم واللماز باللسان وقال الحسن هو الذي يهمز ناحيه في المجلس لقوله همزه
وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم قاله ابو العاليه
وعطا بن ابي رباح والحسن ايضا وقال مقاتل ضد هذا الكلام ان الهمزة الذي يعاب بالغيبة
واللمزة التي يعاب من الوجه وقال مرة هما سواء وهو القتات الطعان للمرء اذا غاب ونحوه
عن ابن عباس وقتادة قال الشاعر
تدلي بودّ اذا لاقيتني كذبا وان اغب فانت الهامز اللمزة
مشاء بنميم اي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نمّ ينمّ نمّا ونميما ونميمه
اي يمشي ويسعى بالفساد وفي صحيح مسلم عن حذيفه انه بلغه ان رجلا ينم الحديث فقال
حذيفه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة نمام قال الشاعر
ومولى كبيت النمل لا خير عنده لمولاه الا سعيه بنميم
قال الفرا هما لغتان وقيل النميم جمع نميمة مناع للخير اي للمال ان ينفق في وجوهه وقال
ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد
لا انفعه بشي ابدا معتد اي على الناس في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل اثيم اي ذي اثم ومعناه
ماثوم فهو فعيل بمعنى مفعول عتل بعد ذلك زنيم العتل الجافي الشديد في كفره وقال الكلبي
والفرا هو الشديد الخصومة بالباطل وقيل انه الذي يعتل الناس فيجرهم الى حبس او عذاب
ماخوذ من العتل وهو الجر ومنه قوله تعالى خذوه فاعتلوه وفي الصحاح وعتل الرجل عتله
واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر وقال يصف فرسا نقرعه قرعا ولسنا نعتله
قال ابن السكيت عتله وعتنه باللام والنون جميعا والعتل الغليظ الجافي والعتل ايضا الرمح
الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال لا انعتل معك اي لا ابرح مكاني
وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيره
يدفع الملك من اوليك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا وقال علي بن ابي طالب والحسن
العتل الفاحش السيء الخلق وقال معمر هو الفاحش اللئيم قال الشاعر
بعتل من الرجال زنيم غير ذي نجدة وغير كريم
وفي صحيح مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باهل
الجنة قالوا بلى كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار
قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية عنه كل جواظ زنيم متكبر الجواظ قيل هو
الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال وذكر الماوردي عن شهر بن حوشب عن
عبد الرحمن بن غنم ورواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جواظ
ولا جعظري ولا العتل الزنيم فقال رجل ما الجواظ وما الجعظري وما العتل الزنيم فقال

العتل

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم الجواظ الذي جمع ومنع والجعظري الغليظ والعتل الزنيم الشديد
الخلق والرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس ذكره الثعلبي عن
شداد بن اوس لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم سمعتهن من النبي صلى الله عليه
وسلم قلت وما الجواظ قال كل جماع مناع قلت وما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت وما العتل
الزنيم قال الرحيب الجوف الوثير الخلق الاكول الشروب الغشوم الظلوم قال الشيخ المولف
رحمه الله فهذا التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم في العتل قد اربى على اقوال المفسرين
ووقع في كتاب ابي داود في تفسير الجواظ انه الفظ الغليظ ذكره من حديث حارثة ابن وهب
الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري قال والجواظ
الفظ الغليظ ففيه تفسيران مرفوعا حسب ما ذكرناه اولا وقد قيل انه الجافي القلب
وعن زيد بن اسلم في قوله عتل بعد ذلك زنيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبكي السماء من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان للناس
ظلوما فذلك العتل الزنيم وتبكي السماء من الشيخ الزاني ما تكاد الارض تقله والزنيم الملصق
بالقوم الدعي عن ابن عباس وغيره قال الشاعر زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في
عرض الاديم الاكارع وعن ابن عباس ايضا انه رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة
وروى عنه ابن جبير انه الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقال عكرمه
هو اللئيم الذي يعرف بلومه كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل انه الذي يعرف بالابنة وهو مروي
عن ابن عباس ايضا وعنه انه الظلوم فهذه ستة اقوال وقال مجاهد زنيم كانت
له ست اصابع في يده في كل ابهام له اصبع زايدة وعنه ايضا وسعيد بن المسيب و
عكرمه هو ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم
ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام
ذو حسب لئيم قال حسان وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح
الفرد قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا هو القول الاول بعينه وعن علي رضي الله
عنه انه الذي لا اصل له والمعنى واحد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيمة في صورة القردة والخنازير وقالت ميمونه سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم
ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال عكرمه اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال
الشيخ المولف رحمه الله اما الحديث الاول والثاني فما اظن لهما سندا يصح واما حديث
ميمونه وما قاله عكرمه ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه
وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله رسول
ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعه

الابهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث
خرجه البخاري وكثرة الخبث ظهور الزنا واولاد الزنا قاله العلماء وقول عكرمة تحط
النطر يتبين لما يكون به الهلال وهذا يحتاج الى توقيف وهو اعلم من اين قاله ومعظم
المفسرين على ان هذا نزل في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام و
ينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يدخنن احد بكراع الا ومن اراد الحيس فليات
الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطي المسكين
درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة
وقال محمد بن اسحاق نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك
سمي زنيما وقال ابن عباس في هذه الاية نعت فلم يعرف حتى قتل فعرف وكان له زنمة في
عنقه معلقة يعرف بها وقال مرة الهمداني انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة قوله تعالى
ان كان ذا مال وبنين قرا ابو جعفر وابن عامر وابو حيوة والمغيرة والاعرج ان
كان بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرا المفضل وابو بكر وحمزة أان كان
بهمزتين محققتين وقرا الباقون بهمزة واحدة على الخبر فمن قرا بهمزة مطولة او بهمزتين
محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان
على معنى الان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال
وبنين يقول اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير الان كان
ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد
الاستفهام ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل
مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه آياتنا
قال اساطير الاولين ولا يعمل في ان تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان
اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب
الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب
ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤخرا في حال فيجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان
ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا بالاستفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان
المعنى لان كان وبان كان فان متعلقة بما قبلها قال غيره يجوز ان يتعلق بقوله
مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان يتعلق بعتل
واساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم وخرافاتهم وقد تقدم قوله تعالى سنسمه
على الخرطوم فيه مسئلتان الاولى قال ابن عباس معنى سنسمه على الخرطوم سنخطمه بالسيف
قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات وقال
قتادة سنسمه يوم القيمة على انفه سمة يعرف بها يقال وسمه وسما وسمة اذا اثرت فيه
بسمة وكي وقد قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهذه علامة ظاهرة وقال

وتحشر

ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة فافادت هذه الاية علامة ثالثة
وهي الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره
وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الاخرة فيعرف
بسواد وجهه والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم
سادتهم قال الفراء وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشيء يعبر
به عن الكل وقال الطبري نبين امره تبيانا واضحا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة
على الخراطيم وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة حتى يكون كمن وسم على انفه قال القتبي تقول
العرب للرجل يسب سبة سوء قبيحة باقية قد وسم ميسم سوء اي الصق به عار لا يفارقه كما ان
السمة لا يمحى اثرها قال جرير لما وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث جدعت انف الاخطل
اراد به الهجاء قال وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا نعلم ان الله
تعالى بلغ من ذكر عيوب احد ما بلغه منه فالحقه به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم
على الخرطوم وقيل هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار
قاله ابن بحر واستشهد بقول الاعشى فدعها وما يغنيك واعمد لغيرها بشعرك واعلب
انف من انت واسم وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه
خراطيم قال الشاعر تظل يومك في لهو وفي طرب وانت بالليل شراب الخراطيم وقال
اخر صهباء خرطوما عقارا قرقفا وقال اخر ابا حاضر من يزن يعرف زناؤه ومن يشرب
الخرطوم يصبح مسكرا الثانية قال ابن العربي كان الوسم في الوجه لذي المعصية قديما عند
الناس حتى انه روي كما تقدم ان اليهود لما اهملوا رجم الزاني اعتاضوا منه بالضرب وتحميم الوجه
وهذا وضع باطل ومن الوسم الصحيح في الوجه ما راى العلماء من تسويد وجه شاهد
الزور علامة على قبح المعصية وتشديدا لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنبه بما يرجى من
عقوبة شاهد الزور وشهرته فقد كان عزيزا بقول الحق وقد صار مهينا بالمعصية واعظم
الاهانة اهانة الوجه وكذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سببا لخيرة الابد والتحريم له على
النار فان الله قد حرم على النار ان تاكل من ابن ادم اثر السجود حسب ما ثبت في الصحيح
قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة فيه ثلاث مسائل
الاولى بلوناهم يريد اهل مكة والابتلاء الاختبار والمعنى اعطيناهم الاموال ليشكروا
لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا
اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك انها كانت بارض اليمن بالقرب منهم على
فراسخ من صنعاء ويقال بفرسخين كانت لرجل يؤدي حق الله منها فلما مات صارت الى ولده
فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل
بها قال الكلبي كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بان احرق جنتهم وقيل
هي جنة بضوران وضوران على فرسخ من صنعاء وكان اصحاب هذه الجنة بعد

دفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخله فكانوا يجدون التمر ليلا من اجل المساكين
وكانوا ارادوا حصاد زرعها وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها فاذا هي
قد اقتلعت من اصلها فاصبحت كالصريم اى كالليل ويقال ايضا للنهار صريم فان كان اراد الليل
فلاسوداد موضعها وكانهم وجدوا موضعها حماة وان كان اراد بالصريم النهار فلذهاب الشجر
والزرع ونقاء الارض منه وكان الطايف الذى طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها من اصلها
فيقال انه طاف لها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطايف وكذلك سميت الطايف وليس في
ارض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب غيرها وقال البكرى فى المعجم سميت الطايف لان
رجلا من الصدف يقال له الدمون بنا حايطا وقال قد بنيت لكم طايفا حول بلدكم فسميت
الطايف والله اعلم الثانيه قال بعض العلماء على من حصد زرعا وجد ثمرة ان يواسى منها من حضره
وذكر انه معنى قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده وانه غير الزكاة على ما تقدم فى الانعام
بيانه وقال بعضهم وعليه نزل ما اخطاه الحصادون فكان بعض العباد يتحرون اقواتهم
من هذا وروى انه نهى عن الحصاد بالليل فقيل انه لما ينقطع عن المساكين فى ذلك
من الرفق وتاول من قال هذه الايه التى فى سورة ن والقلم وقيل انما نهى عن ذلك خشيه
الحياة وهوام الارض قال شيخ المولف رحمه الله الاول اصح والثانى حسن وانما قلنا الاول
اصح لان العقوبة كانت بسبب ما ارادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى روى اسباط
عن السدى قال كان قوم باليمن وكان ابوهم رجل صالح وكان اذا بلغ ثماره اتاه المساكين
فلم يمنعهم من دخولها وان ياكلوا منها ويتزودوا فلما مات قال بنوه بعضهم لبعض على
ما نعطى اموالنا هولاء المساكين فلنذهب فنصرمها قبل ان يعلم المساكين ولم يستثنوا
فانطلقوا وبعضهم يقول لبعض حقنا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فذلك قوله اذ اقسموا
يعنى حلفوا فيما بينهم ليصرمنها مصبحين يعنى لنجدنها وقت الصبح قبل ان تخرج المساكين ولا يستثنون
يعنى لم يقولوا ان شاء الله وقال بن عباس كانت تلك الجنة دون صنعا بفرسخين غرسها رجل
من اهل الصلاح وكان له ثلاث بنون وكان للمساكين كل ما تعداه المنجل فلم يجز من
الكرم فاذا طرح على البساط فكل شى عن البساط فهو ايضا للمساكين فاذا حصدوا زرعهم
فكل شى تعداه المنجل فهو للمساكين واذا درسوا كان لهم كل شى انتثر وكان ابوهم يتصدق منها
على المساكين وكان يعيش فى ذلك فى حياة ابيهم اليتامى والارامل والمساكين فلما مات
ابوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم فقالوا قل المال وكثر العيال فتحالفوا بينهم ليغدون غدوه
قبل خروج الناس ثم ليصرمنها ولا يعرف المساكين وهو قوله اذ اقسموا اى حلفوا ليصرمنها
ليقطعن ثمر نخيلهم اذا اصبحوا بسدفة من الليل لئلا ينتبه المساكين لهم والصرم القطع
اى حان وقت صرامه مثل ركب المهر واحصد الزرع اى حان ركوبه وحصاده. ولا
يستثنون اى ولم يقولوا ان شاء الله فتنادوا مصبحين ينادى بعضهم بعضا ان اغدوا
على حرثكم ان كنتم صارمين عازمين على الصرام والجداد قال قتاده حاصدين

يقال صرم النخلة واصرم النخل

ذرعكم وقال الكلبى ما كان فى جنتهم من زرع ولا نخل قال مجاهد كان حرثهم
عنبا ولم يقولوا ان شاء الله وقال ابو صالح كان استثناؤهم قولهم سبحان الله ربنا وقيل
معنى ولا يستثنون اى لا يستثنون حق المساكين قاله عكرمه فجاوها ليلا فراوا الجنة مسوده
قد طاف عليها طايف من ربك وهم نايمون قيل الطايف جبريل عليه السلام على ما تقدم
ذكره وقال بن عباس امر من ربك وقال قتاده عذاب من ربك ابن جريج عنق من نار خرج
فى وادى جهنم والطايف لا يكون الا بالليل قاله الفرا الثالثه قال الشيخ المولف رحمه
الله فى هذه الايه دليل على ان العزم مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا
فعوقبوا قبل فعلهم ونظير هذه الايه قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار
قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى مبينا
فى آل عمران لمن عند قوله تعالى ولم يصروا على ما فعلوا قوله تعالى فاصبحت كالصريم
اى كالليل المظلم عن بن عباس والفرا وغيرهما قال الشاعر

تطاول ليلك الجون البهيم ... فما ينجاب عن صبح صريم

اى احترقت فصارت كالليل الاسود وعن ابن عباس ايضا كالرماد الاسود قال الصريم الرماد
الاسود بلغه جذيمة الثورى كالزرع المحصود فالصريم بمعنى المصروم اى المقطوع ما فيه
وقال الحسن صرم عنها الخير اى قطع فالصريم مفعول ايضا وقال المورج اى كالرمله انصرمت
من معظم الرمل يقال صريمة وصرايم فالرمله لا تنبت شيا ينتفع به وقال الاخفش كالصبح
انصرم من الليل وقال المبرد اى كالنهار فلا شى فيها قال شمر الصريم الليل والصريم النهار
اى ينصرم هذا عن ذلك وذاك عن هذا وقيل سمى الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف
ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل قال القشيرى وفى هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا يقطع
عن التصرف قوله تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون اى يتسارون اى يخفون
كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم احد قاله عطا وقتادة وهو من خفت يخفت اذا سكن
ولم يبين كما قال دريد بن الصمه وانى لم اهلك سلالا ولم امت خفاتا وكلا ظنه عودى
وقيل يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم وكان ابوهم يخبر الفقراء والمساكين
فيحضروا وقت الحصاد والصرام وغدوا على حرد قادرين اى على قصد وقدره فى انفسهم
ويظنون انهم يمكنوا من مرادهم قال معناه بن عباس وغيره والحرد القصد حرد يحرد
بالكسر حردا قصد يقول حردت حردك اى قصدت قصدك ومنه قول الراجز اقبل
سيل جا من عند الله يحرد حرد الجنة المغله انشد النحاس قد جاء سيل جاء من امر الله يحرد
حرد الجنة المغله قال المبرد المغله ذات الغلة وقال غيره المغله التى يجرى الماء فى غللها
اى فى اصولها ومنه تغللت بالغاليه ومنه تغليت ابدل من اللام يا ومن قال تغلفت فمعناه
عندى جعلتها غلافا وقال قتادة ومجاهد على حرد اى على جد الحسن على حاجه

وفاقه وقال ابو عبيده والقتيبى على حرد على منع من قولهم حاردت الابل حرادا اى قلت البانها
والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها وقال السدى وسفين
على حرد على غضب والحرد الغضب قال ابو نصر احمد بن حاتم صاحب الاصمعى وهو مخفف
وانشد اذا جياد الخيل جاءت تردى مملوة من غضب وحرد وقال ابن السكيت وقد تحرك يقول
منه حرد بالكسر حردا فهو حارد وحردان ومنه قيل اسد حارد وليوث حوارد وقيل على حرد
على انفراد يقال حرد يحرد حرودا اى تنحى عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم وقال ابو زيد
رجل حريد من قوم حرداء وقد حرد يحرد حرودا اذا ترك قومه وتحول عنهم وكوكب حريد
اى معتزل عن الكواكب قال الاصمعى رجل حريد اى فريد وحيد قال والمتحرد المنفرد فى لغة
هذيل وانشد لابى ذويب كانه كوكب فى الجو منحرد ورواه ابو عمرو بالجيم وفسره منفرد
قال وهو سهيل وقال الازهرى حرد اسم قريتهم السدى اسم جنتهم وفيه لغتان حرد وحرد
وقراة العامة بالاسكان وقرا ابو العاليه وابن السميفع بالفتح وهما لغتان ومعنى قادر
من قد قدروا امرهم وبنوا عليه قاله الفرا وقال قتاده قادرين على جنتهم عند انفسهم
وقال الشعبى قادرين يعنى على المساكين وقيل معناه من الوجود اى منعوا وهم واجدون
قوله تعالى **فلما راوها قالوا انا لضالون** اى لما راوها محترقه لا شى فيها قد
صارت كالليل الاسود ينظرون اليها كالرماد انكروها وشكوا فيها وقال بعضهم لبعض
انا لضالون اى ظللنا الطريق الى جنتنا قاله قتاده وقيل اى انا لضالون عن الصواب
فى غدونا على نيه منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اى حرمنا جنتنا بما
صنعنا روى اسباط عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصى
ان العبد ليذنب فيحرم به رزقا كان هى له ثم تلى فطاف عليها طايف من ربك الايتين
قوله تعالى **قال اوسطهم** اى امثلهم واعدلهم واعقلهم الم اقل لكم
لولا تسبحون اى هلا يستثنون وكان استثناوهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا
يدل على ان هذا الاوسط كان امرهم بالاستثنا فلم يطيعوه قال ابو صالح كان استثناوهم
سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله اى يقولون سبحان الله ويشكرونه على ما
اعطاكم قال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح فى موضع
ان شا الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون شى الا بمشيته وقيل هلا يستغفرونه من
فعلكم ويتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك
وذكرهم انتقامه من المجرمين قالوا سبحان ربنا اعترفوا بالمعصية ونزهوا الله عن ان
يكون ظالما فيما فعل وقال ابن عباس فى قولهم سبحان ربنا اى نستغفر الله ربنا من ذنبنا
انا كنا ظالمين لانفسنا فى منعنا المساكين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم
هذا فى القسم ومنع المساكين ويقول بل انت اشرت علينا بهذا قالوا ياويلنا انا كنا
طاغين اى عاصين بمنع حق الفقرا وترك الاستثنا وقال ابن كيسان طغينا نعم الله

فلم يشكرها كما شكرها آباونا من قبل عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها تعاهدوا
وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنعت اباونا فدعوا الله وتضرعوا
فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها وامر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقه
فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنه فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود
ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فابدلهم جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال اليمانى ابو خالد دخلت تلك الجنة
فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم وقال الحسن قول اهل الجنة انا الى الله
راغبون لا ادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم
الشدة فيوقف فى كونهم مومنين وسيل قتاده عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من
اهل النار فقال قد كلفتنى تعبا والمعظم يقولون انهم يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه
القشيرى وقراة العامة يبدلنا بالتخفيف وقرا اهل المدينه وابو عمرو بالتشديد وهما لغتان
وقيل التبديل تغيير الشى او تغيير حاله وعين الشى قايم والابدال رفع الشى ووضع آخر
مكانه وقد مضى فى النسا القول فى هذا قوله تعالى **كذلك العذاب** اى عذاب
الدنيا وهلاك الاموال عن ابن زيد وقيل ان هذا وعظ لاهل مكة بالرجوع الى الله
لما ابتلاهم بالجدب لدعا النبى عليه السلام اى نفعلنا بهم نفعل فيمن تعدى حدودنا
فى الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة
حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه ولا يرجعوا الى مكة حتى
يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر ويضرب القيان على روسهم فاخلف الله ظنهم فقتلوا
واسروا وانهزموا كاهل هذه الجنه لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا ثم قيل
ان الحق الذى منعه اهل الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل انه
كان تطوعا والاول اظهر والله اعلم وقيل السورة مكية فبعد حمل الاية على ما
اصاب اهل مكة من القحط وعلى قتال اهل بدر قوله تعالى **ان للمتقين عند
ربهم جنات النعيم** تقدم القول فيه اى للمتقين فى الاخرة جنات ليس
فيها الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا وكان صناديد قريش
يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة
وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم
الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل
افنجعل المسلمين كالمجرمين اى كالكفار وقال ابن عباس وغيره قالت كفار مكة انا نعطى
فى الاخرة خيرا مما تعطون فنزل افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم فقال ما لكم كيف
تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر الجزا مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شيتم ان
لكم من الخير ما للمسلمين ام لكم كتاب فيه تدرسون اى الكم كتاب تجدون فيه

المطيع كالعاصي ان لكم فيه لما تخيرون تختارون تشتهون والمعنى ان لكم بالفتح ولكنه
كسر لدخول اللام يقول علمت انك عاقل بالفتح وعلمت انك العاقل بالكسر فالعامل في ان لكم
لما تخيرون تدرسون في المعنى ومنعت اللام من فتح ان وقيل تم الكلام عند قوله تدرسون
ثم ابتدا فقال ان لكم فيه لما تخيرون اى ان لكم في هذا الكتاب اذا ما تخيرون اى ليس
لكم ذلك والكناية في فيه الاولى والثانية راجعة الى الكتاب ثم زاد في التوبيخ فقال
ام لكم ايمان اى عهود ومواثيق علينا بالغة موكدة والبالغة الموكدة بالله تعالى ام لكم
عهود على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ان لكم لما تحكمون كسرت ان لدخول اللام
في الخبر وهي من صلة ايمان والموضع النصب ولكن كسرت لاجل اللام يقول حلفت ان لك
لكذا وقيل تم الكلام لقوله الى يوم القيمة ثم قال ان لكم لما تحكمون اذن اى ليس الامر
كذلك وقرا ابن هرمز ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا وقرا
الحسن البصري بالغة بالنصب على الحال اما من الضمير في لكم لانه خبر عن ايمان ففيه ضمير
واما الضمير في علينا ان قدرت علينا وصفا للايمان لا متعلقا بنفس الايمان لان فيه
ضميرا منه كما يكون اذا كان خبرا عنه ويجوز ان يكون حالا من ايمان وان كانت
نكرة كما اجازوا نصب حقا على الحال من متاع في قوله متاعا بالمعروف حقا على المتقين والعامة
بالغة بالرفع نعت للايمان قوله تعالى **سلهم ايهم بذلك زعيم** اى سل يا محمد
هولاء المتقولين على ايهم كفيل بما تقدم ذكره من المسلمين والزعيم الكفيل والضمين
قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن كيسان الزعيم هنا القايم بالحجة والدعوى وقال الحسن
الزعيم الرسول ام لهم شركاء الهم والميم صلة شركاء اى شهدا فليأتوا بشركائهم يشهدون
على ما زعموا ان كانوا صادقين في دعواهم وقيل اى فليأتوا بشركائهم ان امكنهم
فهو امر معناه التعجيز قوله تعالى **يوم يكشف عن ساق** لتشفع الشركاء لهم
ويجوز ان ينتصب باضمار فعل اى اذكر يوم يكشف عن ساق فيوقف على صادقين ولا يوقف
عليه على التقدير الاول وقرى يوم نكشف بالنون وقرا ابن عباس يوم يكشف عن ساق
بما لم يسم فاعله اى يكشف الشدة والقيامة عن ساقها لقولهم شمرت الحرب عن ساقها
قال الشاعر فتى الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
اخر قد كشفت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا وقال اخر عجبت
من نفسي ومن اشفاقها ومن طراد الطير عن ارزاقها في سنة قد كشفت عن ساقها حمرا
تبري اللحم عن عراقها اخر كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح وعن
ابن عباس ايضا والحسن وابي العالية تكشف بتاء غير مسمى الفاعل وهذه القراة راجعة
الى معنى يكشف وكانه قال يوم تكشف القيامة عن شدة وقرى يوم تكشف وكانه
قال يوم تكشف القيمة عن شدة وقرى يوم تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين
من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته

ويجوز ان ... العامل في ... فليأتوا ... بشركائهم ... يكشف عن

العليا وذكر ابن المبارك اخبرنا اسامه بن زيد عن عكرمه عن ابن عباس في قوله تعالى
يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود قال كرب وشدة اخبرنا ابن جريج عن مجاهد
قال شدة الامر وجده وقال مجاهد قال ابن عباس هي اشد ساعة في القيمة وقال ابو عبيده
اذا اشتد الامر او الحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه ان من وقع في شي يحتاج
فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقيل ساق
الشي اصله الذي به قوامه كساق الشجرة وساق الانسان يوم يكشف عن اصل الامر فيظهر حقايق
الامور واصلها وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يريد وقت
اقتراب الاجل وضعف البدن اى يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه ويدعوه
المودن الى الصلوة ولا يمكنه ان يقوم ويخرج فاما روى ان الله يكشف عن ساقه فانه
تعالى يتعالى عن التبعيض والاعضا وان ينكشف ويتغطى ومعناه اى يكشف عن العظيم من امره
وقيل يكشف عن نوره وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز
وجل عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وقال ابو الليث السمرقندي
في تفسيره حدثنا الخليل بن احمد قال حدثنا ابن منيع قال حدثنا هدبه قال حدثنا
حماد بن سلمه عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن ابي برده بن ابي موسى قال حدثني ابي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة مثل لكل قوم ما كانوا
يعبدون في الدنيا ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس
فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه اذا رايتموه فيقولون
نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب
فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى اقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فينظرون
فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله يوم يكشف
عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا رووسكم
فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال ابو برده
فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال الله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك
بهذا الحديث فحلف له ثلاث ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو
احب الي من هذا وقال قيس بن السكن حدث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب
فقال اذا كان يوم القيمة قام الناس لرب العالمين اربعين عاما شاخصة ابصارهم
الى السماء حفاة عراة يلجمهم العرق فلا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم اربعين
عاما ثم ينادي مناد يا ايها الناس اليس عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوركم
وامانكم واحياكم ثم عبدتم غيره ان تولى كل قوم ما تولوا قالوا نعم قال فيرفع لكل قوم
ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونها حتى تقذفهم في النار فيبقى المسلمون والمنافقون
فيقال لهم الا تذهبون قد ذهب الناس فيقولون حتى ياتينا ربنا فيقال لهم او تعرفونه

في النار

فيقولون ان اعترف لنا عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلى لهم فيخر
من كان يعبده مخلصا ساجدا ويبقى المنافقون لا يستطيعون كان في ظهورهم السفافيد
فيذهب بهم الى النار ويدخل هؤلاء الجنة فذلك قوله ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
خاشعة ابصارهم اى ذليلة متواضعة ونصبها على الحال ترهقهم ذلة وذلك ان المؤمنين
يرفعون رؤسهم ووجوههم اشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين
حتى يرجع اشد سوادا من القار قال الشيخ المولف رحمه الله معنى حديث ابى موسى
وابن مسعود ثابت فى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد الخدرى وغيره قوله تعالى
وقد كانوا يدعون الى السجود اى فى الدنيا وهم سالمون معافون اصحا قال
ابراهيم التيمى اى يدعون بالاذان والاقامة فيابونه وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون
حى على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا فى الذين
يتخلفون عن الجماعات وقيل اى بالتكليف الموجه عليهم فى الشرع والمعنى متقارب
وقد مضى فى البقرة الكلام فى وجوب صلوة الجماعة وكان الربيع بن خثيم قد فلج
وكان يهادى بين الرجلين الى المسجد فقيل يا ابا يزيد لو صليت فى بيتك لكان لك رخصة
فقال من سمع حى على الفلاح فليجب ولو حبوا وقيل لسعيد بن المسيب ان طارقا يريد
قتلك فتغيب فقال الخبيث لا يقدر الله على فقيل له اجلس فى بيتك فقال اسمع حى
على الفلاح فلا اجيب قوله تعالى فذرنى اى دعنى ومن يكذب من مفعول معه او معطوف
على ضمير المتكلم بهذا الحديث يعنى القران قاله السدى وقيل يوم القيمة وهذا تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم اى فانا اجازيهم وانتقم منهم ثم قال سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون معناه سناخذهم على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال سفيان الثورى
يسبغ عليهم النعم وينسيهم الشكر وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه
وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابو روق اى كلما احدثوا خطيئة جددنا
لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وقيل هو ان ياخذهم قليلا و
لا يباغتهم وفى حديث ان رجلا من بنى اسرائيل قال يا رب اعصيك وانت لا تعاقبنى
قال فاوحى الله الى نبى زمانهم ان قل له كم من عقوبة لى عليك وانت لا تشعر ان
جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج منى لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله
النقل من حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجة وهى منزلة بعد منزلة واستدرج فلان
فلانا اى استخرج ما عنده قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه بمعنى ادناه منه
على التدريج فتدرج هو واملى لهم اى امهلهم واطيل لهم المدة والملاوة المدة من الدهر
واملى الله له اى اطال له والملوان الليل والنهار وقيل واملى لهم اى لا اعاجلهم بالموت
والمعنى واحد وقد مضى فى الاعراف بيان هذا ان كيدى متين اى ان
عذابى لقوى شديد فلا يفوتنى احد قوله تعالى ام تسئلهم اجرا عاد الكلام

الى

الى ما تقدم من قوله ام لهم شركاء اى ام يلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان
بالله فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يشق عليهم من بذل المال اى ليس عليهم كلفة
بل يستولون بما يعطيك على خزاين الارض ويصلون الى جنات النعيم قوله تعالى
ام عندهم الغيب اى علم ما غاب عنهم فهم يكتبون وقيل اينزل عليهم الوحى
بهذا الذى يقولون وعن ابن عباس الغيب هنا اللوح المحفوظ فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك
به ويكتبون انهم افضل منكم وانهم لا يعاقبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم ما يريدون
قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اى لقضاء ربك والحكم هنا القضاء وقيل
اصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك قال قتادة
اى لا تعجل ولا تغاضب فلا بد من نصرك وقيل انه منسوخ باية السيف ولا تكن
كصاحب الحوت يعنى يونس عليه السلام اى لا تكن مثله فى الغضب والضجر والعجلة قال
قتادة ان الله تعالى يعزى نبيه عليه السلام ويامره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب
الحوت وقد مضى خبره فى الانبيا والصافات والفرق بين اضافة ذى وصاحب فى يونس
فلا معنى للاعادة اذ نادى اى حين دعا من بطن الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين وهو مكظوم اى مملوء غما وقيل كربا الاول قول ابن عباس
ومجاهد والثانى قول عطا وابى مالك قال الماوردى والفرق بينهما ان الغم فى القلب
والكرب فى الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم فلان كظم
غيظه اى حبس غضبه قاله ابن بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى النفس
قاله المبرد وقد مضى هذا وغيره فى يوسف قوله تعالى لولا ان تداركه
نعمة من ربه قراءة العامة تداركه وقرا ابن هرمز والحسن تداركه بتشديد
الدال وهو مضارع ادغمت التاء منه فى الدال وهو على تقدير حكاية الحال كانه
قال لولا ان كان يقال فيه تتداركه نعمة ابن عباس وابن مسعود تداركته وهو خلاف
المرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لان تانيث النعمة غير حقيقى
وتداركته على لفظها واختلف فى معنى النعمة هنا فقيل النبوة قاله الضحاك وقيل عبادته
التى سلفت قاله ابن جبير وقيل نداؤه لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
قاله ابن زيد وقيل نعمة الله عليه اخراجه من بطن الحوت قاله ابن بحر وقيل اى
رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء وهو مذموم اى لنبذ مذموما ولكنه
نبذ سقيما غير مذموم ومعنى مذموم فى قول ابن عباس مليم وقال بكر بن عبد الله مذنب
وقيل مذموم مبعد من كل خير والعراء الارض الواسعة الفضاء التى ليس فيها جبل
ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذ
بعراء القيمة مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه
الى يوم يبعثون فاجتباه ربه اى اصطفاه واختاره فجعله من الصالحين قال ابن

عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقيل نبوته وجعله من الصالحين بان
ارسله الى مائة الف او يزيدون قوله تعالى وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا ان هي
المخففة من الثقيلة ليزلقونك اي يعتانونك بابصارهم اخبر بشدة عداوتهم النبي صلى
الله عليه وسلم وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما راينا مثله
ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني خزاعة ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر
باحدهم فيعاينها ثم يقولون يا جارية خذي المكتل والدرهم فاتنا بلحم هذه اسلح
الناقة فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث
لا ياكل شيئا يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الابل او الغنم فيقول
لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى تسقط منها
طائفة هالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالعين فاجابهم فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم انشد قد كان قومك يحسبونك
سيدا واخال انك سيد مغبون فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم فنزلت وان يكاد
الذين كفروا وذكر نحوه الماوردي وان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب
احدا يعني في نفسه وماله تجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول تالله ما رايت
اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر منه ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فانزل
الله تعالى هذه الاية قال القشيري وفي هذا نظر لان الاصابة بالعين انما يكون مع
الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهية والبغض ولهذا قال ويقولون انه لمجنون
اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك تقرا القرآن قال الشيخ المؤلف رحمه الله اقوال
المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله ولا يمنع كراهة الشيء
من ان تصاب بالعين عداوة حتى يهلك وقرا ابن عباس وابن مسعود والاعمش وابو وائل
ومجاهد ليزهقونك اي ليهلكونك وهذه قراءة على التفسير من زهقت نفسه وازهقها
وقرا اهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء وضمها الباقون وهما لغتان بمعنى يقال زلقه
يزلقه وازلقه يزلقه ازلاقا اذا نحاه وابعده وزلق راسه يزلقه زلقا اذا حلقه
وكذلك ازلقه وزلقه تزليقا ورجل زلق وزملق مثال هدبد وزمالق وزملق
بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري وغيره فمعنى الكلمة اذا
التنحية والازالة وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه وسلم الا بهلاكه وموته
قال الهروي اراد ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذي اقامك الله فيه عداوة
لك وقال ابن عباس ينفذونك بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا نفذ وهو قول مجاهد
اي ينفذونك من شدة نظرهم وقال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي وسعيد
بن جبير يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وقال العوفي يرمونك وقال المؤرج
يزيلونك وقال النضر بن شميل والاخفش يفتنونك وقال عبد العزيز بن يحيى ينظرون اليك

نظرا

نظرا شزرا بتحديق شديد وقال ابن زيد ليمسونك وقال جعفر الصادق ليأكلونك وقال الحسن
وابن كيسان ليقتلونك وهذا كما قال صرعني بطرفه وقتلني بعينه قال الشاعر

ترميك مزلقة العيون بطرفها ... وتكل عنك نصال نبل الرامي

وقال آخر يتقارضون اذا التقوا في مجلس نظرا يزل مواطن الاقدام وقيل المعنى انهم
ينظرون اليك بالعداوة حتى كادوا ليسقطونك وهذا كله راجع الى ما ذكرنا وان المعنى
الجامع يصيبونك بالعين والله اعلم وما هو الا ذكر للعالمين اي وما القرآن الا ذكر للعالمين
وقيل اي وما محمد الا ذكر للعالمين يتذكرون به وقيل معناه شرف اي القرآن كما قال وانه
لذكر لك ولقومك والنبي صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين ايضا شرفوا باتباعه والايمان بلغت
به صلى الله عليه وسلم تسليما

سورة الحاقة مكية في قول الجميع وهي احدى وخمسون اية

وروى ابو الزاهرية عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا احدى عشرة اية
من سورة الحاقة اجير من فتنة الدجال ومن قراها كانت له يوم القيمة نورا من فوق راسه
الى قدمه بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ يريد القيمة سميت بذلك لان الامور تحق فيها قاله الطبري
كانه جعلها من باب ليل نائم وقيل سميت حاقة لانها تكون من غير شك وقيل سميت
بذلك لانها احقت لاقوام الجنة واحقت لاقوام النار وقيل سميت بذلك لان فيها
يصير كل انسان حقيقا بجزاء عمله وقال الازهري يقال حاققته فحققته احقه اي غالبته
فغلبته فالقيمة حاقة لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي كل مخاصم وفي
الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق فاذا غلبه قيل حقه ويقال للرجل
اذا خاصم في صغار الاشياء انه لنزق الحقاق ويقال ما له فيه حق ولا حقاق
اي خصومة والتحاق التخاصم والاحتقاق الاختصام والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات
بمعنى وقال الكسائي والمؤرج الحاقة يوم الحق وتقول العرب لما عرف الحقة مني هرب والحاقة
الاولى رفع بالابتداء والخبر المبتدأ الثاني وخبره وهو ما الحاقة لان معناها ما هي واللفظ
استفهام ومعناه التعظيم والتفخيم لشانها كما يقول زيد ما زيد على التعظيم لشانه وما ادريك ما الحاقة
استفهام ايضا اي اي شيء اعلمك ما ذلك اليوم والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيمة
ولكن بالصفة فقيل تفخيما لشانها وما ادريك ما هي كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها وقال يحيى
بن سلام بلغني ان كل شيء في القرآن وما ادريك فقد ادراه اياه وعلمه وكل شيء قال وما يدريك
فهو مما لم يعلمه وقال سفيان ابن عيينة كل شيء قال فيه وما ادريك فانه اخبر به وكل شيء قال
فيه وما يدريك فانه لم يخبر به قوله تعالى كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ
ذكر من كذب بالقيامة والقارعة القيامة سميت بذلك لانها تقرع الناس باهوالها
يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدائده ونعوذ بالله من قوارع الدهر وقوارعه وفواقر

لسانه جمع فارضه وهي الكلمة الموذية وقوارع القرآن الآيات التي يقراوها الانسان
اذا فزع من الجن والانس نحو آية الكرسي كانها تقرع الشيطان وقيل القارعة ماخوذ
من القرعة من رفع قوم وحط آخرين قاله المبرد وقيل عنى بالقارعة العذاب الذي نزل بهم
في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين
الشام والحجاز قال محمد بن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت
منازلهم بالاحقاف والاحقاف الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي
خلق وبسطة ذكره محمد بن اسحق وقد تقدم **قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية**
فيه اضمار اي بالفعلة الطاغية وقال قتادة اي بالصيحة الطاغية اي المجاوزة للحد اي لحد
الصيحات من الهول كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان
مجاوزة الحد ومنه انا لما طغى الماء اي جاوز الحد وقال الكلبي بالطاغية بالصاعقة وقال مجاهد
بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعاقبة والعافية اي اهلكوا
بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية عاقر الناقة قاله ابن زيد اي اهلكوا بما اقدم عليه طاغيهم
من عقر الناقة وكان واحدا وانما هلك الجميع لانهم رضوا بفعله ومالوه وقيل له طاغية
كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة **قوله تعالى واما عاد**
فاهلكوا بريح صرصر اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار ماخوذ من الصر وهو
البرد قاله الضحاك وقيل انها الشديدة الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية اي
عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله وقيل عتت
على عاد فقهرتهم روى سفيان الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن
عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله من نسمة من ريح الا بمكيال ولا قطرة
من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم قوم نوح فان الماء يوم قوم نوح طغى على الخزان
فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء الآية وان الريح لما كان يوم عاد عتت على
الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال اي ارسلها و
سلطها عليهم والتسخير استعمال الشيء بالاقتدار سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعة
لا تفتر ولا ينقطع عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما قال الفرا الحسوم التباع من حسم
الداء وهو الكي لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع ذلك عليه قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي
ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم وقال المبرد هو من قولك حسمت الشيء
اذا قطعته وفصلته عن غيره وقيل الحسم الاستيصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو
كما يريد من بلوغ عداوته قال الشاعر حسام اذا ما قمت معتضدا به كفى العود منه
البدء ليس بمعضد المعنى انها حسمتهم حتى قطعتهم واذهبتهم فهي القاطعة بعذاب الاستيصال
قال ابن زيد حسمتهم فلم تبق منهم احدا وعنه انها حسمت الليالي والايام حتى استوفتها
لانها بدات طلوع الشمس من اول يوم وانقطعت غروب الشمس من آخر يوم وقال

الليث الحسوم الشوم يقال هذه الليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها قال في الصحاح
وقال عكرمة والربيع بن انس مشايم دليله قوله تعالى في ايام نحسات عطية العوفي
حسوما اي حسمت الخير عن اهلها واختلف في اولها فقيل غداة يوم الاحد قاله السدي
وقيل غداة يوم الجمعة قاله الربيع ابن انس وغداة يوم الاربعا قاله يحيى بن سلام ووهب
بن منبه قال وهب وهذه الايام هي التي تسميها العرب ايام العجوز ذات برد وريح شديدة
وكان اولها يوم الاربعا وآخرها يوم الاربعا ونسبت الى العجوز لان عجوزا من عاد دخلت
سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن وقيل سميت ايام العجوز لانها في عجز الشتا وهي
في آذار من شهور السريانيين ولها اسامي مشهورة وفيها يقول الشاعر وهو ابن احمر
كسع الشتا بسبعة غبر ايام شهلتنا من الشهر فاذا انقضت ايامها وصن وصنبر
مع الوبر وبآمر واخيه مؤتمر ومعلل وبمطفي الجمر ذهب الشتا موليا عجلا واتتك
واقدة من النجر الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفي الجمر وحسوما نصب
على الحال وقيل على المصدر قال الزجاج اي تحسمهم حسوما اي تفنيهم وهو مصدر موكد
ويجوز ان يكون مفعولا له اي سخرها عليهم هذه المدة للاستيصال اي لقطعهم واستيصالهم
ويجوز ان يكون جمع حاسم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة
قوله تعالى فترى القوم فيها اي في تلك الليالي والايام صرعى يعني موتى وقيل فيها
اي في الريح كانهم اعجاز اي اصول نخل خاوية اي بالية قاله ابو الطفيل وقيل خالية الاجواف
لا شيء فيها والنخل يذكر ويونث وقد قال تعالى في موضع آخر كانهم اعجاز نخل منقعر فيحتمل
انهم شبهوا بالنخل التي صرعت من اصلها وهو اخبار عن عظم اجسامهم ان يكون المراد به
الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم حتى صاروا كاصول النخل خاوية اي الريح كانت
تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف وقال ابن شجرة كانت الريح تدخل في افواههم
فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية وقال يحيى بن سلام انما قال
خاوية لان ابدانهم خوت من ارواحهم مثل النخل الخاوية ويحتمل ان يكون المعنى كانهم اعجاز
نخل خاوية عن اصولها من البقاع كما قال فتلك بيوتهم خاوية اي خربة لا سكان فيها ويحتمل
الخاوية بمعنى البالية كما ذكرنا لانها اذا بليت خلت اجوافها فشبهوا بعد ان هلكوا بالنخل
الخالية **قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية** اي من فرقة باقية او نفس باقية
وقيل من بقية وقيل من بقاء فاعلة بمعنى نحو العاقبة والعافية ويجوز ان يكون
اسما اي هل ترى لهم احدا باقيا وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احياء في عذاب
الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك
فذلك قوله فهل ترى لهم من باقية وقوله فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم **قوله تعالى**
وجاء فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو والكسائي ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء
اي ومن معه وتبعه من جنوده واختاره ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا بقراءة عبد الله

وابى ومن معه وقرا ابو موسى الاشعرى ومن تلقاه الباقون قبله بفتح القاف وسكون البا
اى ومن تقدمه من القرون الخالية والامم الماضية والموتفكات اى اهل قرى لوط وقرا
العامه بالالف وقرا الحسن والجحدرى والموتفكه على التوحيد قال قتاده انما سميت قرى قوم
لوط موتفكات لانها ايتفكت بهم اى انقلبت وذكر الطبرى عن محمد بن كعب القرظى قال
خمس قريات صنعه وصعده وعمره ودوما وسدوم وهى القرية العظمى بالخاطيه اى بالفعله الخاطيه
وهى المعصية والكفر وقال مجاهد بالخطايا التى كانوا يفعلونها وقال الجرجانى اى بالخطا العظيم
فالخاطيه مصدر **قوله تعالى فعصوا رسول ربهم** قال الكلبى هو موسى وقيل هو لوط لانه
اقرب وقيل عنى موسى ولوطا عليهما السلام كما قال فقولا انا رسول رب العالمين وقيل رسول
بمعنى رساله وقد يعبر عن الرساله بالرسول قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول

فاخذهم اخذة رابية اى عالية زايدة على الاخذات وعلى عذاب الامم ومنه الربا اذا
اخذ فى الذهب والفضة اكثر مما اعطى يقال ربا الشى يربو اى زاد وتضاعف وقال مجاهد
شديدة كانه اراد زايدة فى الشدة **قوله تعالى انا لما طغى الماء** ارتفع وعلا وقال
على رضى الله عنه طغى على خزانه من الملايكه غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قال قتاده
زاد على كل شى خمسة عشر ذراعا وقال ابن عباس طغى الماء زمن نوح على خزانه وكثر عليهم
فلم يدروا كم خرج عليهم وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم
وقد مضى هذا مرفوعا اول السورة والمقصود من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب
زجر هذه الامه عن الاقتدا بهم فى معصية الرسول ثم من عليهم بان جعلهم ذرية من
نجا من الغرق بقوله حملناكم اى حملنا اباكم وانتم فى اصلابهم فى الجارية اى فى
السفن الجارية والمحمول فى الجارية نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل اوليك لنجعلها
لكم تذكرة يعنى سفينة نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الامة حتى ادركها
اوايلهم فى قول قتاده قال ابن جريج كانت الواحها على الجودى والمعنى ابقيت لكم تلك
الخشبات حتى تتذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباكم وكم من سفينة هلكت وصارت
ترابا ولم يبق منها شى وقيل لنجعل تلك الفعلة من اغراق قوم نوح وانجاء من امن معه موعظة لكم
ولهذا قال وتعيها اذن واعية اى تحفظها وتسمعها اذن حافظة لما جاء من عند الله والسفينه
لا توصف بهذا قاله الزجاج ويقال وعيت كذا اى حفظته فى نفسى اعيه وعيا ووعيت العلم
ووعيت ما قلت كله بمعنى واوعيت المتاع فى الوعاء قال الزجاج يقال لكل ما حفظته من
غير نفسك اوعيته بالالف ولما حفظته فى نفسك وعيته بغير الف وقرا طلحة وحميد
والاعرج وتعيها باسكان العين تشبيها بارنا واختلف فيها عن عاصم وابن كثير الباقون
بكسر العين ونظيره قوله وتعيها اذن واعية ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وقال قتادة الاذن الواعية اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله

عزوجل

عزوجل وروى مكحول ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية سالت ربى ان
يجعلها اذن على قال مكحول فكان على رضى الله عنه يقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيا قط فنسيته الا وحفظته ذكره الماوردى وعن الحسن نحوه ذكره الثعلبى قال لما نزلت و
تعيها اذن واعية قال النبى صلى الله عليه وسلم سالت ربى ان يجعلها اذنك يا على قال على
فوالله ما نسيت شيا بعد وما كان لى ان انسا وقال ابو برزة الاسلمى قال النبى صلى الله عليه وسلم
لعلى يا على ان الله تعالى امرنى ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وان تعى وحق على الله ان تعى
قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة قال ابن عباس هى النفخة الاولى لقيام
الساعة فلا يبقى احد الا مات وجاز تذكير نفخ لان تانيث النفخة غير حقيقى وقيل ان هذه
النفخة هى الاخيره وقال نفخة واحدة اى لا تثنى قال الاخفش ووقع الفعل على النفخة اذ لم يكن
قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة ويجوز نفخة نصبا على المصدر وبه قرا ابو السمال او يقال اقتصر على الاخبار
عن الفعل كما يقول ضرب ضربا وقال الزجاج فى الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله
قوله تعالى وحملت الارض والجبال قراه العامه بتخفيف الميم اى رفعت
من اماكنها فدكتا اى فتتا وكسرتا دكة واحدة لا يجوز فى دكة الا النصب لارتفاع الضمير
فى دكتا وقال الفرا لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجمله الواحدة والارض
كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة
كما قال اذا زلزلت الارض زلزالها وقيل دكتا اى بسطتا بسطة واحدة ومنه اندك
سنام البعير اذا انفرش فى ظهره وقد مضى فى الاعراف القول فيه وقرا عبد الحميد عن ابن
عامر وحملت الارض والجبال بالتشديد على اسناد الفعل الى المفعول الثانى كانه فى الاصل
وحملت قدرتنا او ملكا من ملايكتنا الارض والجبال ثم اسند الفعل الى المفعول الثانى
مبنى له ولو جى بالمفعول الاول لاسند الفعل اليه وكانه قال وحملت قدرتنا الارض وقد يجوز بناوه
للثانى على وجه القلب فيقال حملت الارض الملك كقولك البس زيد الجبة والبست الجبة
زيدا **قوله تعالى فيومئذ وقعت الواقعة** اى قامت القيامة وانشقت السماء اى
تصدعت وتفطرت وقيل تنشق لنزول ما فيها من الملايكة دليله ويوم تشقق السماء بالغمام
ونزل الملايكة تنزيلا وقد تقدم فهى يومئذ واهية اى ضعيفة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه
اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اى ضعيف فقيل انها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف فى الوهى
ويكون ذلك لنزول الملايكه كما ذكرنا وقيل لهول يوم القيمه وقيل واهية متخرقة قاله ابن شجرة ماخوذة
من قولهم وهى السقا اذا انخرق ومن امثالهم خل سبيل من وهى سقاوه ومن هريق بالفلاة ماوه
اى من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك يعنى الملايكة اسم للجنس على ارجايها اى اطرافها
حين تنشق لان السماء مكانهم عن ابن عباس الماوردى ولعله قول مجاهد وقتادة وحكاه الثعلبى
عن الضحاك قال على اطرافها مما لم ينشق منها يريد ان السماء مكان الملايكه فاذا انشقت صاروا
فى اطرافها وقال سعيد بن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اى ينزلون الى الارض ويحرسون

اطرافها وقيل اذا صارت السمآء قطعا تقف الملايكة على تلك القطع التى ليست متشققة فى انفسها
وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالهم فيندوا كما تند الابل فلا ياتون قطرا من اقطار الارض الا راوا
ملايكة فيرجعون من حيث جاوا وقيل على ارجايها ينظرون ما يومرون به فى اهل النار من السوق
اليها وفى اهل الجنة من التحية والكرامة هذا كله يرجع الى معنى قول بن جبير ويدل عليه ونزل
الملايكة وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض على ما بيناه
هناك والارجا النواحى والاقطار بلغة هذيل واحدها رجى مقصور وتثنيته رجوان مثل عصى وعصوا
قال الشاعر   فلا يرمى بى الرجوان انى   اقل القوم من يغنى مكانى
ويقال ذلك لحفر البير والقبر قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يوميذ ثمانية
قال بن عباس هى ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله قال بن زيد هم ثمانية
املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانيه ام ثمانية الاف وعن النبى صلى الله عليه وسلم
ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى فكانوا ثمانية ذكره
الثعلبى وخرجه الماوردى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمله اليوم اربعة
وهم يوم القيمة ثمانية وقال العباس بن عبد المطلب هم ثمانية املاك على صورة الاوعال ورواه
عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى الحديث ان لكل ملك منهم اربعة اوجه وجه رجل ووجه
اسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس ولما انشد بين
يدى النبى صلى الله عليه وسلم قول امية ابن ابى الصلت   رجل وثور تحت رجل يمينه   والنسر للاخرى
وليث مرصد   والشمس تصبح كل اخر ليلة   حمرا يصبح لونها يتورد   ليست بطالعة لهم فى رسلها
الا معذبة والا تجلد   قال النبى صلى الله عليه وسلم صدق وفى الخبر ان فوق السمآء السابعة ثمانية
اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين السمآء الى سمآء وفوق ظهورهن العرش ذكره القشيرى
وخرجه ابو عيسى الترمذى من حديث العباس ابن عبد المطلب وقد مضى فى البقرة بكماله وذكر
نحوه الثعلبى ولفظه وفى حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين
اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطاير المسرع وفى تفسير الكلبى ثمانية اجزا من
تسعة اجزا من الملايكة ثم ذكر عدد الملايكة بما يطول ذكره حكى الاول عنه الثعلبى والثانى
القشيرى وقال الماوردى عن بن عباس ثمانية اجزا من تسعة وهم الكروبيون والمعنى ينزل بالعرش
ثم اضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت وليس البيت للسكنى فكذلك العرش ومعنى
فوقهم اى فوق روسهم قال السدى العرش تحمله الملايكة الحملة فوقهم ولا يحمل حملة
العرش الا الله وقيل فوقهم اى ان حملة العرش فوق الملايكة الذين فى السمآء على ارجايها وقيل
فوقهم اى فوق اهل القيمة قوله تعالى يوميذ تعرضون اى على الله دليله وعرضوا
على ربك صفا وليس ذلك عرضا يعلم به ما لم يكن عالما به بل معناه الحساب وتقرير
الاعمال عليهم للمجازاة وروى الحسن عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعرض الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة

فعند

فعند ذلك يطير الصحف فى الايدى فاخذ بيمينه واخذ بشماله خرجه الترمذى قال ولا يصح
من قبل ان الحسن لم يسمع من ابى هريرة لا تخفى منكم خافية اى هو عالم بكل شى من
اعمالكم فخافيه على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها من اعمالهم قاله بن شجرة وقيل
لا يخفى عليه انسان اى لا يبقى انسان لا يحاسب وقال عبد الله بن عمرو بن العاصى لا يخفى المومن من الكافر
ولا البر من الفاجر وقيل لا يستتر منكم عورة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة
عراة وقرا الكوفيون الا عاصما لا يخفى بالياء لان تانيث الخافيه غير حقيقى نحو قوله فاخذ الذين
ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال بين الفعل وبين اسم المونث الجار والمجرور والباقون
بالتاء واختاره ابو حاتم لتانيث الخافيه قوله تعالى واما من اوتى كتابه بيمينه
اعطا الكتاب باليمين دليل على النجاة وقال ابن عباس اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه
الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر قال هيهات هيهات زفته
الملايكة الى الجنه ذكره الثعلبى وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه
فى كتاب التذكرة والحمد لله فيقول هاوم اقروا كتابيه اى يقول ذلك ثقة بالاسلام و
سرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلايل الفرح والشمال من دلايل الغم قال الشاعر
ابينى افى يمنى يديك جعلتنى   فافرح ام صيرتنى فى شمالك
هاوم تعالوا قاله بن زيد وقال مقاتل هلم وقيل اى خذوا ومنه الخبر فى الربا الا هاء وها
اى يقول كل واحد لصاحبه خذ قال بن السكيت والكسائى العرب تقول ها يا رجل اقرا
وللاثنين هاوما يا رجلان وهاوم يا رجال وللمراة هاء بكسر الهمزة وهاوما وهاون والاصل
هاكم فابدلت الهمزة من الكاف قاله القتبى وقيل ان هاوم كلمة وضعت لاجابة الداعى
عند النشاط والفرح روى ان رسول صلى الله عليه وسلم ناداه اعرابى بصوت فاجابه
النبى صلى الله عليه وسلم هاوم بطول صوته وكتابيه منصوب بهاوم عند الكوفيين
وعند البصريين باقروا لانه اقرب العاملين والاصل كتابى فادخلت الهاء لتبين فتحة الياء
وكان الهاء للوقف وكذلك فى اخواته حسابيه وماليه وسلطانيه وفى القارعة ما هيه
وقراة العامة بالهاء فيهن فى الوقف والوصل معا لانهن وقعن فى المصحف بالهاء فلا تترك
واختار ابو عبيد ان يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة فى الحاق الهاء فى السكت ويوافق
الخط وقرا ابن محيصن وحميد ومجاهد ويعقوب بحذف الهاء فى الوصل وفى الوقف واثباتها فى الوقف
فيهن جمع ووافقهم حمزة فى ماليه وسلطانيه وما هيه فى القارعة وجملة هذه الحروف
سبعة واختار ابو حاتم قراة يعقوب ومن معه اتباعا للغة ومن قراهن فى الوصل بالهاء
فهو على نية الوقف اى ظننت اى ايقنت وعلمت عن بن عباس وغيره وقيل اى انى
ظننت ان يواخذنى الله بسياتى عذبنى فقد تفضل على بعفوه ولم يواخذنى بها قال الضحاك
كل ظن فى القران من المومن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة
يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن فى هذه الاية ان المومن احسن الظن بربه فاحسن

الحمل وان المنافق اسا بربه الظن فاسا العمل اى ملاق حسابيه اى في الآخرة ولم انكر البعث
يعنى انه ما عمل الا بخوفه من يوم الحساب لانه يتيقن ان الله يحاسبه فعمل للآخرة فهو
في عيشة راضية اى في عيش يرضاه لا مكروه فيه وقال ابو عبيدة والفرا راضية اى مرضية
كقوله ماء دافق اى مدفوق وقيل ذات رضى اى يرضى بها صاحبها مثل لابن وتامر لصاحب اللبن
والتمر وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون ولا يموتون ابدا ويصحون
فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بوسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا في جنة عالية
اى عظيمة من النفوس قطوفها دانية اى قريبة التناول يتناولها القايم والقاعد والمضطجع
على ما ياتى بيانه فى سورة الانسان والقطوف جمع قطف بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار
والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف كلوا واشربوا اى يقال لهم
ذلك هنيئا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الخالية
اى الدنيا وقال كلوا بعد قوله فى عيشة راضية لقوله فاما من اوتى كتابه به ومن يتضمن معنى
الجمع وذكر الضحاك ان هذه الآية نزلت في ابى سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وقاله
مقاتل والآية التى تليها فى اخيه الاسود بن عبد الاسد فى قول ابن عباس والضحاك ايضا قال
الثعلبى ويكون هذا الرجل واخوه سبب نزول هذه الآيات ويعم المعنى جميع اهل الشقاوة واهل
السعادة يدل عليه كلوا واشربوا وقد قيل ان المراد بذلك كل من كان متبوعا فى الخير يدعوا اليه
ويامر به ويكثر تبعه عليه دعى باسمه واسم ابيه فيتقدم حتى اذا دنى اخرج له كتاب ابيض بخط ابيض
فى باطنه السيآت وفى ظاهره الحسنات فيبدا بالسيآت فيقراها فيشفق ويصفر وجهه ويتغير لونه
فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيآتك قد غفرت لك فيفرح عند ذلك فرحا شديدا ثم يقلب كتابه
فيقرا حسناته فلا يزداد الا سرورا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك
فيبيض وجهه ويوتى بتاج فيوضع على راسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل منه ويطول ستين ذراعا
وهى قامة آدم ويقال له انطلق الى اصحابك فبشرهم واخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فاذا
ها وم اقرءوا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه قال الله تعالى فهو فى عيشة راضية اى مرضية
قد رضيها فى جنة عالية فى السماء قطوفها ثمارها وعناقيدها دانية ادنيت منهم فيقول لاصحابه
هل تعرفونى فيقولون قد غمرتك كرامة الله من انت فيقول انا فلان بن فلان ليبشر
كل رجل منكم بمثل هذا كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية اى قدمتم فى ايام الدنيا
واذا كان الرجل راسا فى الشر يدعوا اليه ويامر به فيكثر تبعه عليه نودى باسمه واسم ابيه فيتقدم
الى حسابه فيخرج له كتاب اسود بخط اسود فى باطنه الحسنات وفى ظاهره السيآت فيبدا
بالحسنات فيقروها ويظن انه سينجوا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد ردت
عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرا سياته فلا يزداد
الا حزنا ولا يزداد وجهه الا سوادا فاذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيآتك وقد ضوعفت
عليك اى يضاعف عليه العذاب ليس المعنى انه يزاد عليه ما لم يعمل قال فيعظم النار

وترزق

وترزق عيناه وتسود وجهه ويكسى سرابيل القطران ويقال لهم انطلق الى اصحابك واخبرهم
ان لكل انسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما
حسابيه يا ليتها كانت القاضية يتمنى الموت هلك عنى سلطانيه تفسير ابن عباس هلكت
عنى حجتى وهو قول مجاهد وعكرمة والسدى والضحاك وقال ابن زيد يعنى سلطانه فى الدنيا
الذى هو الملك وكان هذا الرجل مطاعا فى اصحابه قال الله تعالى خذوه فغلوه قيل
يبتدره مائة الف ملك ثم يجمع يده الى عنقه وهو قوله فغلوه اى شدوه بالاغلال ثم الجحيم
صلوه اى اجعلوه يصلى الجحيم ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الله اعلم باى ذراع قاله
الحسن وقال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال فوق كل ذراع سبعون باعا وكل
باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال مقاتل لو ان حلقة منها وضعت
على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص وقال كعب لو ان حلقة من السلسلة التى قال
الله تعالى ذرعها سبعون ذراعا ان حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا فاسلكوه قال
سفين بلغنا انها تدخل فى دبره حتى تخرج من فيه وقال مقاتل والمعنى ثم اسلكوا فيه
سلسلة وقيل تدخل عنقه فيها ثم يجر بها وجا فى الخبر انها تدخل من دبره وتخرج من منخريه
وفى خبر اخر يدخل من فيه ويخرج من دبره فينادى اصحابه هل تعرفونى فيقولون لا ولكن
قد نرى ما بك من الخزى فمن انت فينادى اصحابه فلان لكل انسان منكم مثل هذا قال
الشيخ المولف رحمه الله وهذا التفسير اصح ما قيل فى هذه الآية يدل عليه قوله قوله تعالى
يوم ندعوا كل اناس بامامهم وفى الباب حديث ابى هريرة بمعناه خرجه الترمذى وقد
ذكرناه فى سورة سبحن فتامله هناك انه كان لا يومن بالله العظيم ولا يحض على
طعام المسكين اى على الاطعام كما يوضع العطا موضع الاعطا قال الشاعر
اكفرا بعد رد الموت عنى وبعد عطائك المائة الرتاعا اراد بعد اعطائك فبين انه
عذب على ترك الاطعام وعلى الامر بالبخل كما عذب بسبب الكفر والحض التحريض والحث و
اصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر المقدر والطعام عبارة عن العين واضيف للمسكين
للملابسة التى بينهما ومن اعمل الطعام كما يعمل الاطعام فموضع المسكين نصب والتقدير على
اطعام المطعم المسكين فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول قوله تعالى فليس
له اليوم ها هنا حميم خبر ليس قوله له ولا يكون الخبر قوله ها هنا لان المعنى
يصير ليس ها هنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعام غيره وها هنا متعلق
بما فى له من معنى الفعل والحميم ها هنا القريب اى ليس له قريب يرق له ويدفع عنه
وهو ماخوذ من الحميم وهو الماء الحار كانه الصديق الذى يرق ويحترق قلبه له
والغسلين فعلين من الغسل فكانه ينغسل من ابدانهم وهو صديد اهل النار السايل
من جروحهم وفروجهم عن ابن عباس وقال الضحاك والربيع بن انس هو شجر ياكله اهل
النار الغسل بالكسر ما يغسل به الراس من خطمى وغيره الاخفش ومنه الغسلين

وهو ما انغسل من لحوم اهل النار ودمائهم وزيد فيه الياء كما زيد في عفرين وقال قتادة هو
شر الكلام واشنعه بن زيد لا نعلم وما هو ولا الزقوم وقال في موضع آخر ليس لهم طعام
الا من ضريع يجوز ان يكون الضريع من الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى
فليس له اليوم هاهنا حميم الا من غسلين ويكون الماء الحار ولا طعام اي وليس لهم طعام
ينتفعون به لا ياكله الا الخاطئون اي المذنبون وقال بن عباس يعني المشركون وقرا
الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن بن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروي
عنه ابن الاسود الدولي ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز
ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله عز وجل قوله تعالى **فلا اقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون** المعنى اقسم بالاشياء كلها ما ترون منها وما لا ترون ولا صلة
وقيل هو رد الكلام سبق اي ليس الامر كما يقوله المشركون وقال مقاتل سبب ذلك ان الوليد
بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فقول الله عز وجل فلا اقسم
اي اقسم وقيل لا هاهنا نفي للقسم اي لا يحتاج في هذا الى قسم لوضوح الحق في ذلك وعلى هذا فجوابه
كجواب القسم انه يعني القران لقول رسول كريم يريد جبريل قاله الحسن والكلبي ومقاتل دليله وانه
لقول رسول كريم ذي قوة وقال الكلبي ايضا والقتبي الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله
وما هو بقول شاعر وليس القران من قول الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو من قول الله عز وجل ونسب
القول الى الرسول لانه قايله ومبلغه والعامل به كقولنا هذا قول مالك قوله تعالى **وما هو بقول
شاعر** لانه مباين لصنوف الشعر كلها ولا بقول كاهن لانه ورد بسب الشياطين وشتمهم
ولا يتركون شيا على من يسبهم وما زايدة في قوله قليلا ما يومنون وقليلا ما يذكرون والمعنى
قليلا يومنون وقليلا يذكرون وذلك القليل من ايمانهم هو انهم اذا سيلوا من خلقهم قالوا الله
ولا يجوز ان يكون ما مع الفعل مصدرا وينتصب قليلا بما بعد لما فيه من تقديم الصلة على
الموصول لان ما عمل فيه المصدر من في صلة المصدر وقرا ابن محيصن وابن كثير وابن عامر
ويعقوب ما يومنون ويذكرون بالياء والباقون بالتاء لان الخطاب قبله وبعده اما قبله
فقوله تبصرون واما بعده فما منكم الاية قوله تعالى **تنزيل** اي هو **تنزيل
من رب العالمين** وهو عطف على قوله انه لقول رسول كريم اي انه لقول
رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين قوله تعالى **ولو تقول علينا بعض الاقاويل**
يقول اي تكلف واي تقول من قبل نفسه وقرى ولو تقول علينا للمفعول لاخذنا منه
باليمين اي بالقوة والمقدرة اي لاخذناه بالقوة ومن صلة زايدة وعبر عن القوة والقدرة
باليمين لان قوة كل شي في ميامنه قاله القتبي وهو معنى قول بن عباس ومجاهد ومنه قول
الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين عرابة اسم رجل من الانصار
من الاوس اي بالقوة وقال آخر ولما رايت الشمس اشرق نورها تناولت منها حاجتي بيمين
وقال السدي والحكم باليمين بالحق قال تلقاها عرابة باليمين اي بالاستحقاق وقال

الحسن لقطعنا يده اليمنى وقيل المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف قاله نفطويه وقال ابو جعفر
الطبري ان هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من يعاقب
كما يقول السلطان لمن يريد هوانه خذوا بيديه اي لامرنا بالاخذ بيديه وبالغنا في
عقابه ثم لقطعنا منه الوتين يعني نياط القلب اي لاهلكناه وهو عرق يتعلق به القلب
اذا انقطع مات صاحبه قاله ابن عباس واكثر الناس قال اذا المغتني وحلت رجل عذابه
فاشرق بدم الوتين وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع
بطلت القوة ومات صاحبه والموتون الذي قطع وتينه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه
وما يليه وقال الكلبي انه عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان
بينهما ينبت العرق وقال عكرمة ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان شبع عرف
قوله تعالى **فما منكم من احد عنه حاجزين** ما نفي واحد في معنى الجمع
فلذلك نعته بالجمع اي فما منكم قوم يحجزون عنه لقوله لا نفرق بين احد من رسله
هذا جمع لان بين لا يقع الا على اثنين فما زاد قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم
لاحد سود الرؤس قبلكم لفظه واحد ومعناه الجمع ومن زايدة والحجز المنع وحاجزين
يجوز ان يكون صفة لاحد على المعنى كما ذكرنا فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز
ان يكون منصوبا على انه خبر ومنكم ملغى ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من
انتصاب الخبر في هذا كما لم يمتنع الفصل به في ان فيك زيدا راغب قوله تعالى وانه
يعني القران لتذكرة للمتقين اي الخايفين الذين يخشون الله ونظيره فيه هدى
للمتقين حسب ما بيناه اول البقرة وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **وانا
لنعلم ان منكم مكذبين** قال الربيع بالقران وانه لحسرة يعني التكذيب والحسرة
الندامة وقيل اي وان القران لحسرة على الكافرين يوم القيمة اذا راوا ثواب من امن به وقيل
هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحديهم ان ياتوا بسورة مثله وانه لحق
اليقين يعني ان القران تنزيل من الله فهو الحق اليقين وقيل اي حقا يقينا ليكونن ذلك حسرة
عليهم يوم القيمة فعلى هذا وانه لحسرة اي وانه لتحسر فهو مصدر بمعنى التحسر فيجوز تذكيره
وقال بن عباس انما هو لقولك لعين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز ان يضاف
اليه كما لا تقول هذا رجل الظريف وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين فسبح باسم
ربك العظيم اي فصل لربك قاله بن عباس وقيل اي نزه الله عن السوء والنقايض تفسير

سورة المعارج وهي مكية باتفاق وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **سال سايل** قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز الباقون بالهمز فمن همز فهو من
السؤال والباء يجوز ان يكون زايدة ويجوز ان يكون بمعنى عن والسؤال بمعنى الدعاء اي
دعا داع بالعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا في فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب

ويقال دعوت زيدا اى التمست احضاره اى التمس ملتمس عذابا للكافرين وهو واقع بهم لا محالة يوم القيمة وعلى هذا فالباء زايدة لقوله تنبت بالدهن وقوله وهزى اليك بجذع النخلة فهى تاكيد اى سال سايل عذابا واقعا للكافرين اى على الكافرين وهو النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة ابن ابى معيط لم يقتل صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد وقيل ان السايل هنا هو الحارث ابن النعمان الفهرى وذلك انه لما بلغه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه ركب ناقته فجا حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلى خمسا فقبلناه منك ونزكى اموالنا فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان فى كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا افهذا شى منك ام من الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم والله الذى لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت سايل بعذاب واقع الاية وقيل ان السايل هنا ابو جهل وهو القايل لذلك قاله الربيع وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سال العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم اى دعا عليه السلام بالعقاب وطلب ان يوقعه الله بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام الى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اى لا يستعجل فانه قريب واذا كانت الباء بمعنى عن فهو قول قتادة فكان سايلا يسال عن العذاب بمن يقع او متى يقع قال الله تعالى فاسال به خبيرا اى اسال عنه وقال علقمة فان تسالونى بالنساء فاننى بصير بادوا النساء طبيب اى عن النساء ويقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان فالمعنى سالوا بمن يقع العذاب ولمن يكون فقال الله للكافرين قال ابو على وغيره واذا كان من السوال فاصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير سال سايل النبى عليه السلام والمسلمين بعذاب او عن عذاب ومن قرا بغير همز فله وجهان احدهما انه لغة فى السوال وهى لغة قريش يقول العرب سال يسال مثل نال ينال وخاف يخاف والثانى ان يكون من السيلان ويويده قراة ابن عباس سال سيل قال عبد الرحمن بن زيد سال واد من اودية جهنم يقال له سايل وهذا قول زيد بن ثابت قال الثعلبى والاول احسن كقول الاعشى فى تخفيف الهمز سالتانى الطلاق اذ راتانى قل مالى قد جيتما بنكر وفى الصحاح قال الاخفش يقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته فيقال سال يسال وقال ومرهق امتاعا باصدته لم يستعن وحوا فى الموت تخشاه المرهق الذى ادرك ليقتل والاصدة بالضم قميص صغير يلبس تحت الثوب المهدوى من قرا سال جاز ان يكون خفف الهمز بابدالها الفا وهو البدل على

قياس

على قياس وجاز ان يكون الالف منقلبة عن واو على لغة من قال سلت اسال كخفت اخاف النحاس حكى سيبويه سلت اسال مثل خفت اخاف بمعنى سالت وانشد سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب ويقال هما يتساولان المهدوى وجاز ان يكون مبدلة من ياء من سال يسيل ويكون سايل واديا فى جهنم فهمزة سايل على القول الاول اصلية وعلى الثانى بدل من واو وعلى الثالث بدل من ياء القشيرى وسايل مهموز لانه ان كان من سال بالهمز فهو مهموز وان كان من غير الهمز كان مهموزا ايضا نحو قايل وخايف لان العين اعتل فى الفعل واعتل فى اسم الفاعل ايضا ولم يكن الاعتلال بالحذف لخوف الالتباس فكان بالقلب الى الهمز ولك تخفيف الهمز حتى يكون بين بين واقع اى يقع بالكفار بين انه من الله ذى المعارج وقال الحسن انزل الله تعالى سال سايل بعذاب واقع فقال لمن هو فقال للكافرين فاللام فى للكافرين متعلقة بواقع وقال الفراء التقدير بعذاب للكافرين واقع فالواقع من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب اى للواقع اى هذا العذاب للكافرين فى الاخرة لا يدفعه عنهم احد وقيل ان اللام بمعنى على والمعنى واقع على الكافرين وروى انها فى قراة ابى كذلك وقيل بمعنى عن اى ليس له دافع عن الكافرين من الله اى ذلك العذاب من الله ذى المعارج اى ذى العلو والدرجات الفواضل والنعم قاله ابن عباس وقتادة فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذى العظمة والعلى وقال مجاهد هى معارج السماء وقيل هى معارج الملايكة لان الملايكة تعرج الى السماء فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج الغرف اى انه ذو الغرف اى جعل لاوليايه فى الجنة غرفا وقرا عبد الله ذى المعاريج بالياء يقال معرج ومعراج ومعارج ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح والمعارج الدرجات ومنها ومعارج عليها يظهرون تعرج الملايكة والروح اليه اى تصعد فى المعارج التى جعلها الله لهم وقرا ابن مسعود واصحابه والسلمى والكسائى يعرج بالياء على ارادة الجمع ولقوله ذكروا الملايكة ولا انثوهم وقرا الباقون بالتاء على ارادة الجماعة والروح جبريل عليه السلام قاله ابن عباس دليله قوله تعالى نزل به الروح الامين وقيل هو ملك اخر عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين يقبض اليه اى الى المكان الذى هو محلهم وهو فى السماء لانها محل بره وكرامته وقيل هو كقول ابرهيم انى ذاهب الى ربى اى الى الموضع الذى امرنى به وقيل اليه اى الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال وهب والكلبى ومحمد بن اسحاق اى عروج الملايكة الى المكان الذى هو محلهم فى وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين وقال وهب ايضا ما بين اسفل الارض الى العرش مسيرة خمسين الف سنة وهو قول مجاهد وجمع بين هذه الاية وقوله فى يوم كان مقداره الف سنة فى سورة السجدة فقال فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة من منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره من فوق السموات خمسون الف سنة وقوله فى الم تنزيل فى يوم كان مقداره

الف سنة يعني بذلك نزول الامر من سماء الدنيا الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم
واحد فذلك مقدار الف سنة لان ما بين السماء الى الارض مسيرة خمس ماية عام وعن مجاهد طابين
ايضا والحكم وعكرمه هو مدة عمر الدنيا من اول ما خلقت الى اخر ما بقي خمسون الف سنة
لا يدري احدكم مضى ولا كم بقي الا الله وقيل اراد يوم القيمة اي مقدار الحكم فيه لو تولاه
مخلوق خمسين الف سنة قال عكرمه ايضا والكلبي ومحمد بن كعب يقول وانا افرغ منه
في ساعة وقال الحسن هو يوم القيامة ولكن يوم القيامة لا يعادله فالمراد ذكر موقفهم
للحساب فهو في خمسين الف سنة من سني الدنيا ثم حينئذ يستقر اهل الدارين في الدارين
وقال يمان هو يوم القيمة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وقال ابن عباس هو يوم القيامة خمسون
جعله الله على الكافرين مقدار خمسين الف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار قال الشيخ المولف
رحمه الله وهذا القول احسن ما قيل في الآية ان شا الله بدليل ما رواه قاسم بن اصبغ من حديث
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة فقلت ما اطول هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف
عن المومن حتى يكون اخف عليه من صلوة المكتوبة يصليها في الدنيا واستدل النحاس
على صحة هذا القول بما رواه سهيل عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من رجل لم يوذ زكاة ماله الا جعل شجاعا من نار يكوى به جبهته وظهره وجنباه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس قال فهذا يدل
على انه يوم القيمة وقال ابرهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المومن الا قدر ما بين الظهر
والعصر وروى هذا المعنى مرفوعا من حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين وكذلك سمى نفسه سريع الحساب واسرع
الحاسبين ذكره الماوردي وقيل بل يكون الفراغ لنصف يوم لقوله تعالى اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وهذا على قدر فهم الخلايق والا فلا يشغله شان عن
شان وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة قال الله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة وعن ابن عباس ايضا انه سيل عن هذه الآية وعن قوله في يوم كان
مقداره الف سنة فقال ايام سماها الله عز وجل هو اعلم بها كيف تكون واكره ان اقول فيها
ما لا اعلم وقيل معنى ذكر خمسين الف سنة تمثيل وهو تعريف طول مدة الدنيا القيامة من الموقف
وما تلقى الناس فيه من الشدايد والعرب تصف ايام الشدة بالطول وايام الفرح بالقصر
قال الشاعر ٭ ويوم كظل الرمح قصر طوله ٭ دم الزق عنا واصطفاق المزاهر
وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى سال سايل بعذاب واقع للكافرين ليس
له دافع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعرج الملايكة والروح اليه وهذا
القول هو معنى ما اخترناه والموفق الاله قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
اي على اذى قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله وقيل

خمسون

هو

هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو والمعنى متقارب وقال ابن زيد هي
منسوخة باية السيف انهم يرونه بعيدا يريد اهل مكة يرون العذاب بالنار بعيدا اي
غير كاين ونراه قريبا لان ما هو آت فهو قريب وقال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم
لا يومنون به كانهم يستبعدونه على جهة الاحالة كما يقول لمن يناظره هذا بعيد لا يكون
وقيل اي يرون هذا اليوم بعيدا ونريه اي نعلمه لان الرؤية انما يتعلق بالموجود وهو كقولك
الشافعي يرى في هذه المسئلة كذا وكذا قوله تعالى يوم تكون السما كالمهل
العامل في يوم الواقع تقديره يقع بهم العذاب يوم القيمة وقيل نراه ويبصرونهم
او تكون بدلا من قريب والمهل دردي الزيت وعكره في قول ابن عباس وغيره وقال
ابن مسعود ما اذيب من الرصاص والنحاس والفضة وقال مجاهد كالمهل كقيح من دم
وصديد وقد مضى في الدخان والكهف القول فيه وتكون الجبال كالعهن اي كالصوف الجبال
المصبوغ ولا يقال للصوف عهن الا ان يكون مصبوغا وقال الحسن تكون الجبال
كالعهن وهو الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف ومنه قول زهير كان فتات العهن
في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم الفتات القطع والعهن الصوف الاحمر
واحده عهنة وقيل العهن الصوف ذو الالوان فشبه الجبال به في تلونها الوانا والمعنى
انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع وقيل اول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا
ثم عهنا منفوشا ثم هباء منبثا ولا يسل حميم حميما اي عن شانه لشغل كل انسان
بنفسه قاله قتادة كما قال لكل امرئ يومئذ شان يغنيه وقيل لا يسال حميم عن حميم
فحذف الجار ووصل الفعل وقراءة العامة يسل بفتح الياء وقرا شيبة والبزي
عن عاصم ولا يسال بالضم على ما لم يسم فاعله اي لا يسال حميم عن حميمه ولا ذو قرابة
عن قرابته بل كل انسان يسال عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت رهينة قوله تعالى
يبصرونهم اي يرونهم وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من
الجن والانس فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته ولا يسله ولا يكلمه
لاشتغالهم بانفسهم وقال ابن عباس يتعارفون ساعة ثم لا يتعارفون بعد ذلك الساعة
وفي بعض الاخبار ان اهل القيمة يفرون من المعارف مخافة المظالم وقال ابن عباس
ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم على
هذا للكفار والهاء والميم للاقرباء وقال مجاهد المعنى يبصر الله المومنين الكفار
يوم القيامة فالضمير في يبصرونهم للمومنين والهاء والميم للكفار ابن زيد المعنى يبصر الله
الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا فالضمير في يبصرونهم للتابعين والهاء والميم
للمتبوعين وقيل انه يبصر المظلوم ظالمه والمقتول قاتله وقيل يبصرونهم يرجع الى الملايكة
اي يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام عند قوله
يبصرونهم ثم قال يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب يومئذ يعني من

الجبال

عذاب جهنم با عز من كان عليه فى الدنيا من اقاربه فلا يقدر ثم ذكرهم فقال ببنيه
وصاحبته زوجته واخيه وفصيلته اى عشيرته التى ينصره قال مجاهد وابن زيد
وقال مالك امه التى تربيه حكاه الماوردى وروى عنه اشهب وقال ثعلب هم اباوه الادنون
وقال ابو عبيدة الفصيلة دون القبيلة وقال المبرد الفصيلة القطعة من اعضاء الجسد وهى
دون القبيلة وسميت عشيرة الرجل فصيلة تشبيها بالبعض منه وقد مضى فى الحجرات
القول فى القبيلة وغيرها وهنا مسئلة وهى اذا حبس على فصيلته او اوصى لها فمن ادعى
العموم حمله على العشيرة ومن ادعى الخصوص حمله على الاباء الادنا فالادنى والاول اكثر فى النطق
والله اعلم ومعنى تؤويه تضمه وتؤمنه من خوف ان كان به ومن فى الارض جميعا اى ويود
لو فدى بهم لافتدى ثم ينجيه اى يخلصه ذلك الفدا فلا بد من هذا الاضمار لقوله وانه لفسق
اى وان اداه لفسق وقيل يود المجرم يقتضى جوابا بالفا لقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب
فى هذه الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اى يود المجرم لو يفتدى فينجيه الافتدا قوله تعالى
كلا تقدم القول فى كلا وانها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهى هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى
حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كانت تمام الكلام عليها اى ليس ينجيه
من عذاب الله الافتدا ثم قال انها لظى اى هى جهنم اى تتلظى نيرانها لقوله فانذرتكم
نارا تلظى واشتقاق لظى من التلظى والتلظاء التار لالتهابها وتلظيها تلهبها وقيل كان اصلها
لظظ اى دامت لدوام عذابها فقلبت احدى الظائين الفا فبقيت لظى وقيل هى الدركة الثانية
من طبقات جهنم وهى اسم مؤنثة معرفة فلا ينصرف نزاعة للشوى قرا ابو جعفر وشيبه ونافع
وعاصم فى رواية ابى بكر عنه والاعمش وابو عمرو وحمزه والكسائى نزاعة بالرفع وروى
ابو عمرو عن عاصم نزاعة بالنصب فمن رفع فله خمسة اوجه احدها ان تجعل لظى خبر ان
وترفع نزاعة باضمار هى فمن هذا الوجه يحسن الوقف على لظى والوجه الاخر يكون لظى
ونزاعة خبران لان كما يقول انه خلق مخاصم والوجه الثالث ان يكون نزاعة
بدلا من لظى ولظى خبر ان والوجه الرابع ان يكون لظى بدلا من اسم ان ونزاعة خبر
ان والوجه الخامس ان يكون الضمير فى انها للقصة ولظى مبتدا ونزاعة خبر الابتدا والجملة
خبر ان المعنى ان القصة والخبر لظى نزاعة للشوى ومن نصب نزاعة حسن له ان
يقف على لظى وينصب نزاعة على القطع من لظى ان كانت نكرة متصلة بمعرفة ويجوز نصبها
على الحال المؤكدة كما قال هو الحق مصدقا ويجوز ان ينصب على معنى انها تتلظى نزاعة اى
فى حال نزعها للشوى والعامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظى ويجوز ان يكون
حالا على انه حال للمكذبين بخبرها ويجوز نصبها على المدح كما يقول مررت بزيد العاقل
الفاضل فهذه خمسة اوجه للنصب ايضا والشوى جمع شواة وهى جلدة الراس قال الاعشى
قالت قتيلة ما له قد جللت شيبا شواته وقال اخر لا تحت هذتك الحوادث هذه
لها فشواة الراس باد قتيرها القتير الشيب وفى الصحاح والشوى جمع شواة وهى جلد

الراس

الراس فالشوى اليدان والرجلان والراس من الادميين وكل ما ليس مقتلا يقال رماه فاشواه
اذا لم يصب المقتل قال الهذلى فان من القول التى لا شوى لها اذا زل عن ظهر اللسان
انفلاتها يقول ان من القول كلمة لا تشوى ولكن تقتل قال الاعشى قالت قتيلة ما له
قد جللت شيبا شواته قال ابو عبيدة انشدها ابو الخطاب الاخفش ابا عمرو بن العلا فقال
له صحفت انما هو سراته فسكت ابو الخطاب ثم قال لنا بل هو صحف انما هو شواته وشوى الفرس
قوائمه لانه يقال عبل الشوى ولا يكون هذا الراس لانهم وصفوا الخيل باسالة الخدين
وعتق الوجه وهو دقته والشوى رذال المال والشوى هو الشى الهين اليسير وقال ثابت
البنانى والحسن نزاعة للشوى اى لمكارم وجهه ابو العالية لمحاسن وجهه قتادة
لمكارم خلقته واطرافه وقال الضحاك تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا يترك منه شيا
وقال الكسائى هى المفاصل وقال بعض الايمة هى القوائم والجلود قال امرو القيس سليم الشظا
عبل الشوى شنج النساله حجبات مشرفات على الفال وقال ابو صالح اطراف اليدين
والرجلين قال الشاعر اذا نظرت عرفت الفخر منها وعينيها ولم تعرف شواها
يعنى اطرافها وقال الحسن ايضا الشوى الهام تدعو من ادبر وتولى اى تدعو لظى من ادبر
فى الدنيا عن طاعة الله وتولى عن الايمان ودعاوها ان يقول يا مشرك الى يا كافر
وقال بن عباس يدعو الكافرين المنافقين باسمايهم بلسان فصيح الى يا كافر الى يا منافق
ثم يلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقال ثعلب تدعو اى تهلك يقول العرب دعاك الله
اى اهلكك وقال الخليل انه ليس كالدعا تعالوا ولكن دعوتها اياهم تمكنها من تعذيبهم
وقيل الداعى حزنة جهنم اضيف دعاوهم اليها وقيل هو ضرب مثل اى ان مصيره من
ادبر وتولى اليها فكانها الداعية لهم ومثله قول الشاعر

ولقد هبطنا الواديين فواديا يدعو الانيس به العضيض الابكم

العضيض الابكم الذباب وهو لا تدعو وانما طنينه ما تقدم بانه باى القران والاخبار
الصحيحة القشيرى ودعا لظى بخلق الحيوة حتى تدعو وخوارق العادة بعد اكثير وجمع
فاوعى اى جمع المال فجعله فى وعاية ومنع منه حق الله تعالى فكان جموعا منوعا قال الحكم
كان عبد الله بن عليم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فاوعى
ان الانسان خلق هلوعا يعنى الكافر عن الضحاك والهلع فى اللغة اشد
الحرص واسوا الجزع والفحشة وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما وقد هلع بالكسر
يهلع فهو هلع وهلوع على التكثير والمعنى انه لا يصبر فى خير ولا شر حتى يفعل فيهما
ما لا ينبغى عكرمة هو الضجور الضحاك هو الذى لا تشبع والمنوع هو الذى اذا اصاب
المال المانع منه حق الله تعالى وقال بن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب
مما يكرهه ويسخط ثم تعبده الله بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقال ابو عبيدة الهلوع
الذى اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الضر لم يصبر وقاله ثعلب وقال ثعلب ايضا

نبه عليه ودعا عليه قال الشيخ المولف ادام
هو الحمد حسب ج

قد فسر الله الهلوع هو الذي اذا ناله الشر اظهر شدة الجزع واذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس
وقال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي العبد شح هالع وجبن خالع والعرب يقول
ناقة هلواع وهلواعة اذا كانت سريعة السير خفيفة قال سكاء ذعلبة اذا استدبرتها
خرج اذا استقبلتها هلواع الذعلب والذعلبة الناقة السريعة وجزوعا ومنوعا نعتان
لهلوع على ان ينوي بهما التقديم قبل اذا وقيل هو خبر كان مضمر قوله تعالى الا المصلين دال
على ان ما قبله في الكفار فالانسان اسم جنس بدليل الاستثناء الذي يعقبه لقوله ان
الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون صلوة المكتوبة
ابن مسعود هم الذين يصلونها لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المؤمنون
عامة فانهم يغلبون فرط الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم الذين هم على صلواتهم دائمون اي
على مواقيتها وقال عقبة ابن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم
الساكن ومنه نهي عن البول في الماء الدائم اي الساكن وقال ابن جريج والحسن هم
الذين يكثرون فعل التطوع منها والذين في اموالهم حق معلوم يريد الزكاة المفروضة
قاله قتادة وابن سيرين وقال مجاهد سوى الزكاة وقال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس
صلة رحم وحمل كل والاول اصح لانه وصف الحق بانه معلوم وسوى الزكاة ليس بمعلوم
انما هو على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر السائل والمحروم تقدم في والذاريات والذين
يصدقون بيوم الدين اي يوم الجزاء وهو يوم القيمة وقد مضى في الفاتحة القول فيه والذين
هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون ان عذاب ربهم غير مأمون قال ابن عباس
لمن اشرك او كذب انبياءه وقيل لا يأمنه احد بل الواجب على كل احد ان يخافه
ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون تقدم القول فيه في قد افلح
المؤمنون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم ايضا والذين هم بشهاداتهم
قائمون على من كانت من قريب او بعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها
وقد مضى القول في الشهادة واحكامها في البقرة وقال ابن عباس بشهاداتهم ان الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وقرئ لامانتهم على التوحيد وهي قراءة ابن كثير وابن
محيصن فالامانة اسم جنس فيدخل فيها امانات الدين فان الشرائع امانات ائتمن الله
عليها عباده ويدخل فيها امانات الناس من الودائع وقد مضى هذا كله مستوفى
في النساء وقرا ابن عباس الدوري عن ابي عمرو ويعقوب بشهاداتهم جمعا الباقون
بشهادتهم على التوحيد لانه يؤدي عن الجمع والمصدر قد يفرد وان اضيف الى جمع
لقوله لصوت الحمير وقال الفراء ويدل على انها بشهاداتهم توحيد قوله تعالى
واقيموا الشهادة لله والذين هم على صلواتهم يحافظون قال قتادة على وضوئها
وركوعها وسجودها وقال ابن جريج التطوع وقد مضى في المؤمنين والدوام خلاف المحافظة

فدوامهم

فدوامهم عليها ان يحافظوا على اداءها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل
ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها
وادابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة
الى احوالها اولئك في جنات مكرمون اي اكرمهم الله فيها بانواع الكرامات قوله تعالى
فمال الذين كفروا قبلك مهطعين قال الاخفش مسرعين قال بمكة اهلها ولقد
اراهم اليه مهطعين الى السماع والمعنى ما لهم يسرعون اليك ويجلسون حواليك
ولا يعملون بما يأمرهم وقيل ما بالهم مسرعين في التكذيب لك وقيل اي ما بال الذين
كفروا يسرعون الى السماع منك ليعيبوك ويستهزءوا بك وقال عطية مهطعين معرضين
الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتادة عامدين والمعنى متقارب اي ما بالهم مسرعين
عليك مادين اعناقهم مدمني النظر اليك وذلك من نظر العدو وهو منصوب على الحال
نزلت في جمع من المنافقين المستهزئين كانوا يحضرونه عليه السلام ولا يؤمنون به وقبلك اي
ونحوك عن اليمين وعن الشمال عزين اي عن يمين النبي عليه السلام وشماله حلقا حلقا و
جماعات والعزين جماعات في تفرقة قاله ابو عبيدة ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم
انه خرج على اصحابه فرآهم حلقا فقال ما لي اراكم عزين الا تصفون كما تصف الملائكة عند
ربها قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف
خرجه مسلم وغيره وقال الشاعر ترانا عنده والليل داج على ابوابه حلقا عزينا
وقال الراعي اخليفة الرحمن ان عشيرتي امسى سراتهم اليك عزينا اي متفرقين وقال آخر كان
الجماجم من وقعها خناطيل يهوين شتى عزينا وقال الراجز فلما ان اتين على اضاخ ضرحن حصاه
اشتاتا عزينا وقال الليث ونحن وجندل باع تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقال عنترة
وقرن قد تركت لدى ولي عليه الطير كالعصب العزين وواحد عزين عزة جمع بالواو والنون
ليكون ذلك عوضا مما حذف منها واصلها عزهة فاعتلت كما اعتلت سنة فيمن جعل اصلها
سنهة وقيل اصلها عزوة من عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره فكل واحد من الجماعات مضافة
الى الاخرى والمحذوف منها الواو وفي الصحاح والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض
من الواو والجمع عزى على فعل وعزون وعزون ايضا بالضم ولم يقولوا عزات كما قالوا
ثبات قال الاصمعي يقال في الدار عزون اي اصناف من الناس وعن اليمين وعن الشمال
متعلق بمهطعين ويجوز ان يتعلق بعزين على حد قولك اخذته عن زيد **ايطمع كل
امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم** قال المفسرون كان المشركون يجتمعون حول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فيكذبونه ويكذبون عليه ويستهزءون باصحابه ويقولون
لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ولئن اعطوا منها شيئا لنعطين اكثر منه فنزلت
ايطمع الآية وقيل كان المستهزءون خمسة ارهط وقرا الحسن وطلحة بن مصرف و
الاعرج ان يدخل بفتح الياء وضم الخاء مسمى الفاعل ورواه المفضل عن عاصم الباقون

ان يدخل على الفعل المجهول كلا لا يدخلونها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اى انهم
مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل
يستوجبون به الجنة وانما يستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل
كانوا يستهزؤن بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون
من القذر ولا يليق بهم هذا التكبر وقال قتادة في هذه الاية انما خلقت يا ابن آدم من
قذر فاتق الله روى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي صفرة يتبختر في مطرف
خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك
نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته نظم الكلام
محمود الوراق فقال عجبت من معجب بصورته وكان في الاصل نطفة مذرة وهو غدا بعد حسن
صورته تصير في اللحد جيفة قذرة وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذرة وقال اخر
هل في ابن ادم غير الراس مكرمة وهو بخمس من الاوساخ مضروب انف يسيل واذن
ريحها سهك والعين مرمصة والثغر ملعوب يا ابن التراب وماكول التراب غدا اقصر
فانك ماكول ومشروب وقيل معناه من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب
لقول الاعشى ازمعت من ال ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى ان يزارا اى من اجل ليلى
قوله تعالى فلا اقسم اى اقسم ولا صلة برب المشارق والمغارب اى هي مشارق الشمس ومغاربها
وقد مضى الكلام فيها وقرا ابو حيوة وابن محيصن وحميد برب المشرق والمغرب على التوحيد
انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم يقول نقدر على اهلاكهم والذهاب بهم والمجيء بخير
منهم في الفضل والطوع والمال وما نحن بمسبوقين اى لا يفوتنا شي ولا يعجزنا امر نريده
قوله تعالى **فذرهم يخوضوا ويلعبوا** في دنياهم على جهة الوعيد واشتغل انت
بما امرت به ولا يعظمن عليك شركهم فان لهم يوما يلقوا فيه ما وعدوا وقرا ابن محيصن
ومجاهد وحميد حتى يلقوا يومهم وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله تعالى **يوم
يخرجون من الاجداث** يوم بدل من يومهم الذي قبله وقراة العامة يخرجون
بفتح اليا وضم الرا على انه مسمى الفاعل وقرا السلمي والمغيرة والاعشى عن عاصم يخرجون
بضم اليا وفتح الرا على الفعل المجهول والاجداث القبور واحدها جدث وقد مضى في
يس سراعا حتى يسمعون الصيحة الاخرة الى اجابة الداعي وهو نصب على الحال كانهم
الى نصب يوفضون قراة العامة بفتح النون وجزم الصاد وقرا ابن عامر وحفص بضم النون
والصاد وقرا عمرو بن ميمون وابو رجا وغيرهما بضم النون واسكان الصاد والنصب والنصب
لغتان مثل الضعف والضعف الجوهري والنصب ما نصب فعبد من دون الله وكذلك النصب
بالضم وقد يحرك قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه والله ربك فاعبدا
اراد فاعبدن فوقف بالالف كما يقول رايت زيدا والجمع الانصاب وقوله وذا النصب يعني
اياك وذا النصب والنصب الشر والبلا ومنه قوله تعالى مسني الشيطان بنصب وعذاب

وقال

وقال الاخفش والفرا النصب جمع النصب مثل رهن ورهن والانصاب جمع النصب فهو
جمع الجمع وقيل النصب والانصاب واحد وقيل النصب جمع نصاب وهو حجر او صنم يذبح
عليه ومنه قوله وما ذبح على النصب وقد قيل نصب ونصب ونصب بمعنى واحد كما قيل عمر
وعمر وعمر ذكره النحاس قال ابن عباس الى نصب الى غاية وهي التي ينتصب اليها بصرك وقال
الكلبي الى شي منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى
نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على اخرهم يوفضون يسرعون
والايفاض الاسراع قال الشاعر فوارس ذبيان تحت الحديد كالجن يوفضن من عبقر
موضع يزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد كهول وشبان كجنة عبقر وقال
الليث وفضت الابل تفض وفضا واوفضها صاحبها والايفاض متعد والذي في الاية
لازم يقال وفض واوفض واستوفض بمعنى اسرع قوله تعالى **خاشعة ابصارهم**
اى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله ترهقهم ذلة اى يغشاهم الهوان
قال قتادة هو سواد الوجوه والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق اذا غشي الاحتلام رهقه
بالكسر يرهقه رهقا اى غشيه ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك
اليوم الذي كانوا يوعدون اى يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب واخرج الخبر
بلفظ الماضي لان ما وعد الله به يكون لا محالة سورة نوح عليه السلام مكية
وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله
انا ارسلنا نوحا الى قومه قد مضى القول في ان نوحا عليه السلام اول رسول
ارسل في الاعراف ورواه قتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض فلذلك لما كفروا اغرق الله اهل الارض جميعا
وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس ابن يرد بن مهلايل بن انوش ابن قينان ابن
شيث ابن آدم عليه السلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل الى قومه وهو ابن خمسين
سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلاث مائة
وخمسين سنة وقد مضى في العنكبوت القول فيه والحمد لله ان انذر قومك اى بان
انذر قومك فموضع ان نصب باسقاط الخافض وقيل موضعها جر لقوة خدمتها مع ان
ويجوز ان بمعنى المفسرة فلا يكون لها موضع في الاعراب لان في الارسال معنى الامر
ولا حاجة الى اضمار البا وقراة عبد الله انذر قومك بغير ان بمعنى قلنا له انذر
قومك وقد تقدم معنى الانذار في اول سورة البقرة من قبل ان ياتيهم عذاب
اليم قال ابن عباس يعني عذاب الدنيا في الاخرة وقال الكلبي هو ما نزل عليهم من
الطوفان وقيل انذرهم العذاب على الجملة ان لم يؤمنوا فكان يدعوا قومه وينذرهم
فلا يرى فيهم مجيبا وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول رب اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون وقد مضى هذا مستوفى في سورة العنكبوت والحمد لله

ابن م

ل نطفه

قوله تعالى يا قوم انى لكم نذير مبين اى مخوف مبين اى مظهر لكم بلسانكم
الذى يعرفونه ان اعبدوا الله واتقوه وان المفسرة على ما تقدم فى ان اعبدوا اى
وحدوا واتقوا خافوا واطيعون اى فيما امركم به فانى رسول الله اليكم يغفر لكم من ذنوبكم
جزم يغفر بجواب الامر ومن صلة زايدة ومعنى الكلام يغفر لكم ذنوبكم قاله السدى
وقيل لا يصح كونها زايدة لان من لا يزاد فى الواجب فانما هى هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب
وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين وقيل هى لبيان الجنس وفيه بعد اذ لم يتقدم جنس يليق به
وقال زيد بن اسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما
استغفرتموه منها ويوخركم الى اجل مسمى قال ابن عباس اى ينسئ فى اعماركم ومعناه ان الله تعالى
كان قضى قبل خلقهم انهم ان آمنوا بارك فى اعمارهم وان لم يومنوا عوجلوا بالعذاب وقال مقاتل يوخركم
الى منتهى آجالكم فى عافية فلا يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا يوخركم من العقوبات
والشدايد الى آجالكم وقال الزجاج اى يوخركم عن العذاب فتموتوا غير ميتة المستاصلين بالعذاب
وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا ذكره الفرا وعلى
القول الاول اجل مسمى عند الله ان اجل الله اذا جاء لا يوخر اى اذا جاء الموت لا يوخر
بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذى اثبته وقد يضاف الى القوم لقوله
فاذا جاء اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى ان اى ان كنتم تعلمون وقال الحسن معناه لو كنتم
تعلمون لعلمتم ان اجل الله اذا جاء لا يوخر قوله تعالى قال رب انى دعوت قومى ليلا
ونهارا اى سرا وجهارا وقيل اى واصلت الدعا فلم يزدهم دعائى الا فرارا اى تباعدا من الايمان
وقراءة العامة بفتح اليا من دعاى واسكنها الكوفيون ويعقوب والدورى عن ابى عمرو
قوله تعالى وانى كلما دعوتهم اى الى سبب المغفرة وهى الايمان بك والطاعة
لك جعلوا اصابعهم فى اذانهم لئلا يسمعوا دعائى واستغشوا ثيابهم اى غطوا بها
وجوههم لئلا يرونى وقال ابن عباس جعلوا ثيابهم على رءوسهم لئلا يسمعوا كلامى
فاستغشا الثياب اذا زيادة فى سد الاذان حتى لا يسمعوا او لتنكيرهم انفسهم حتى
يسكت او ليعرفوه اعراضهم عنه وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس لى فلان ثياب
العداوة واصروا اى على الكفر فلم يتوبوا واستكبروا عن قبول الحق لانهم قالوا انومن
لك واتبعك الارذلون استكبارا تفخيم قوله تعالى ثم انى دعوتهم جهارا اى
مظهرا لهم الدعوة وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعا احد نوعيه الجهار فنصب
منصب القرفصا بقعد لكونها احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون
صفة المصدر دعاء اى دعا جهارا اى مجاهرا او يكون مصدرا فى موضع الحال اى دعوتهم مجاهرا
لهم بالدعوة ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اى لم ابق مجهودا وقال مجاهد معنى اعلنت
صحت واسررت لهم اسرارا بالدعا عن بعضهم من بعض وقيل اسررت لهم اتيتهم فى منازلهم
وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة فى الدعاء وتلطف فى الاستدعا وفتح اليا من انى

اعلنت

اعلنت الحرميون وابو عمرو واسكن الباقون قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم
فيه ثلاث مسايل الاولى قوله استغفروا ربكم اى سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة باخلاص
الايمان انه كان غفارا وهذا منه ترغيب فى التوبة وقد روى حذيفة بن اليمان عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال الاستغفار ممحاة للذنوب وقال الفضيل يقول العبد استغفر الله وتفسيرها
اقلنى الثانية قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا اى يرسل ماء السماء ففيه اضمار
وقيل السماء المطر اى يرسل المطر قال الشاعر اذا سقط السماء بارض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا ومدرارا ذا غيث كثير وجزم يرسل جوابا للامر وقال مقاتل لما كذبوا
نوحا زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فهلكت مواشيهم وزروعهم
فصاروا الى نوح واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا اى لم يزل كذلك لمن
اناب اليه ثم قال ترغيبا فى الايمان يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا قال قتادة علم نبى الله صلى الله عليه
وسلم انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى طاعة الله فان فى طاعة الله درك الدنيا والاخرة الثالثة
فى هذه الاية والتى فى هود دليل على ان الاستغفار يستنزل به الرزق والامطار قال الشعبى
خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت فقال
لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا وقال الاوزاعى خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن
سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل
وقد اقررنا بالاساءة فهل يكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا
اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقال ابن صبيح شكا
رجل الى الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكا اليه اخر الفقر فقال
له استغفر الله وقال له اخر ادع الله ان يرزقنى ولدا فقال له استغفر الله وشكا اليه
اخر جفاف بساتينه فقال له استغفر الله فقلنا له فى ذلك فقال ما قلت من عندى
شيء ان الله تعالى يقول فى سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية وقد مضى فى ال
عمران كيفية الاستغفار وان ذلك يكون عن اخلاص واقلاع من الذنوب وهو الاصل
فى الاجابة قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل الرجاء هنا بمعنى
الخوف اى ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اى عذر لكم فى ترك
الخوف من الله وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطا بن ابى رباح ما لكم لا ترجون
لله ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا تخشون لله عقابا
وترجون منه ثوابا وقال الوالبى والعوفى عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقال ابن
عباس ايضا ومجاهد ما لكم لا ترون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون
لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج

لمرا بال والوقار العظمة والتوقير التعظيم وقال قتادة مالكم لاترجون لله عاقبة كان
المعنى مالكم لاترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان مالكم لاترجون في عبادة الله
وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد مالكم لاتؤدون لله طاعة وقال
الحسن مالكم لاتعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل مالكم لاتوحدون الله لان
من عظمه فقد وحده وقيل ان الوقار الثبات لله عز وجل ومنه وقرن في بيوتكن اى
اثبتن ومعناه مالكم لاتثبتون وحدانية الله تعالى وانه الهكم لا اله لكم سواه
قاله ابن بحر ثم دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا اى جعل لكم في انفسكم آية تدل على توحيده
قال ابن عباس اطوارا يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة اى طورا بعد طور الى تمام الخلق كما ذكر
في سورة المؤمن والطور في اللغة المرة اى من فعل هذا وقدر عليه فهو حق ان يعظمونه وقيل
اطوارا صبيانا ثم شبابا ثم شيوخا وضعفا ثم اقوياء وقيل اطوارا اى انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا
وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل ان الاطوار اختلافهم في الاخلاق والافعال قوله تعالى
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ذكرهم دليله اى الم تعلموا
ان الذي قدر على هذا فهو الذي يجب ان تعبدوا ومعنى طباقا بعضها فوق بعض كل طبقة على
الاخرى كالقباب قاله ابن عباس والسدي وقال الحسن خلق الله سبع سموات طباقا على سبع
ارضين بين كل ارض وارض وسماء وسماء خلق وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما تقول
الم ترني كيف صنعت بفلان كذا وطباقا نصب على انه مصدر مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات
طباق فحذف ذات واقام طباقا مقامه وجعل القمر فيهن نورا اى في السماء الدنيا كما يقال اتاني
بنو تميم والمراد بعضهم قاله الاخفش وقال ابن كيسان اذا كان في احداهن فهو فيهن وقال
قطرب فيهن بمعنى معهن وقال الكلبي اى خلق القمر والشمس مع خلق السموات والارض
وقال جلة اهل اللغة في قول امرئ القيس وهل ينعمن من كان اخر عهده ثلاثين شهرا في ثلاثة
احوال في بمعنى مع النحاس سألت ابا الحسن ابن كيسان عن هذه الآية فقال جواب
النحويين انه اذا جعله في احداهن فقد جعله فيهن كما يقول اعطني الثياب المعلمة وان
كنت انما اعلمت احدها وجواب اخر انه يروى ان وجه القمر الى داخل السماء واذا
كان الى داخلها فهو متصل بالسموات ومعنى نورا اى لاهل الارض قاله السدي وقال
عطاء نورا لاهل السموات والارض قال ابن عباس وابن عمر وجهه يضئ لاهل الارض وظهره
يضئ لاهل السماء وجعل الشمس سراجا اى مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم
وفي اذاها لاهل السماء القولان الاولان حكاه الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس
ان الشمس وجهه في السموات وقفاه في الارض وقيل على العكس وقيل لعبد الله بن
عمرو ما بال الشمس تقلينا احيانا وتبرد علينا احيانا فقال انها في الصيف في السماء الرابعة
وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن ولو كانت في السماء الدنيا لما قام لها شيء
قوله تعالى **والله انبتكم من الارض نباتا** يعني آدم عليه السلام

حلقه

خلقه من اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد مضى في البقرة والانعام بيان ذلك وقال
خالد بن معدان خلق الانسان من طين فانما تلين القلوب في الشتاء نباتا مصدر على
غير الصدر لان مصدر انبت انباتا فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر وقد مضى
بيانه في آل عمران وغيرها وقيل هو مصدر محمول على المعنى لان معنى انبتكم جعلكم
تنبتون نباتا قاله الخليل والزجاج وقيل انبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا
نصب على المفعول الصريح والاول اظهر وقال ابن بحر انبتهم في الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول
بعد القصر ثم يعيدكم فيها اى عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا بالنشور للبعث يوم القيمة
قوله تعالى **والله جعل لكم الارض بساطا** اى مبسوطة لتسلكوا منها
سبلا فجاجا السبل الطرق والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفراء وقيل
الفج المسلك بين الجبلين وقد مضى في الانبياء والحج قوله تعالى **قال نوح رب
انهم عصوني** شكاهم الى الله تعالى وانهم عصوه ولم يتبعوه فيما امرهم به
من الايمان قال اهل التفسير لبث فيهم ما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما داعيا
لهم وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس رجا نوح عليه السلام الابناء بعد الاباء
فياتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش
بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا قال الحسن كان قوم نوح يزرعون
في الشهر مرتين حكاه الماوردي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني كبراءهم
واغنياءهم الذين لم يزدهم كفرهم واموالهم واولادهم الا ضلالا في الدنيا وهلاكا في
الاخرة وقرأ اهل المدينة والشام وعاصم وولده بفتح الواو واللام الباقون وولده بضم الواو
وسكون اللام وهي لغة في الولد ويجوز ان يكون جمعا للولد كالفلك فانه واحد وجمع
وقد تقدم قوله تعالى **ومكروا مكرا كبارا** اى كبيرا عظيما يقال كبير
وكبار وكبار مثل عجيب وعجاب وعجاب بمعنى ومثله طويل وطوال وطوال ويقال
رجل حسن وحسان وجميل وجمال وقراء للقارئ ووضاء للوضيء وانشد ابن السكيت بيضاء تصطاد
الغوي وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء وقال اخر والمرء يلحقه بفتيان الندى
خلق الكريم وليس بالوضاء وقال المبرد كبار بالتشديد للمبالغة وقرأ ابن محيصن
وحميد ومجاهد كبارا بالتخفيف واختلف في مكرهم ما هو فقيل هو تحريشهم سفلتهم
على قتل نوح وقيل هو تغريرهم الناس بما اوتوا من الدنيا والولد حتى قالت الضعفة
لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة
والولد وقيل مكرهم كفرهم وقال مقاتل هو قول كبرائهم لاتباعهم لا تذرن الهتكم
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قوله تعالى **ولا تذرن
الهتكم** الآية قال ابن عباس وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها
ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت

اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر بعد قوله لا تذرن آلهتكم ويكون
بعد الكلام كما قال قوم نوح لاتباعهم لا تذرن آلهتكم قالت العرب لاولادهم وقومهم
لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ثم عاد بالذكر بعد ذلك الى قوم نوح وعلى
القول الاول الكلام مستوق كله في قوم وقال عروة ابن الزبير وغيره اشتكى ادم عليه السلام
وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب
كان لادم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر كانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا
عليه فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد
من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم ونقصت الاشيا كما تنقص اليوم
الى ان تركوا عبادة الله بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيا قالوا وما
نعبد قال آلهتكم وآلهة ابائكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله
نوحا فقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية وقال محمد بن كعب ايضا
ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم تبع يقتدون بهم فلما ماتوا زين
لهم ابليس ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها فصورهم
فلما ماتوا هم وجاء آخرون قالوا ليت شعري هذه الصور ما كان آباؤنا يصنعون
بها فجاءهم الشيطان فقال كان اباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها
فابتدا عبادة الاوثان من ذلك الوقت قال الشيخ المولف رحمه الله وبهذا المعنى
فسرها جاء في صحيح مسلم من حديث عايشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رايتاها
بالحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا
وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة وذكر الثعلبي عن ابن عباس
قال هذه الاصنام اسما رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم
ان انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمايهم تذكروهم
بها ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك ونسخ العلم عبدت من دون الله وذكروا ايضا
عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم على جبل بالهند فيمنع الكافرين
ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هولا يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو ادم
دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة
وحملهم على عبادتها فلما كان ايام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل
مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وقال الماوردي فاما ود فانه اول صنم
معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس
وعطا ومقاتل وفيه يقول شاعرهم حياك ود فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين
قد عزما واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم واما يغوث فكان لغطيف

مراد

فعبدوه

من مراد بالجرف من سبا في قول قتاده وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان الثعلبي واتخذت اعلى
وانعم وهما من طي واهل جرش من مذحج يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجيه
ارادوا نزعه من انعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحارث ابن كعب من خزاعه وقال
ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون
معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فيضربون
عليه وينزلون حوله واما يعوق فكان لهمدان ببلخ في قول قتاده وعكرمه وعطا ذكره الماوردي
وقال الثعلبي واما يعوق فكان لكهلان من سبا ثم توارثه بنوه الاكبر حتى صار في
همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق
ولا يريش واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتاده ونحوه عن مقاتل وقال
الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق
على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير والله اعلم وقرا نافع ولا يذرن ودا
بضم الواو وفتحها الباقون قال الليث ودا بفتح الواو وضم كان لقوم نوح وودا بالضم
صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الوتد في لغة اهل نجد كانهم
سكنوا التاء وادغموها في الدال والود في قول امري القيس تظهر الود اذا ما اشجذت وتواريه
اذا ما تعتكر قال ابن دريد هو اسم جبل وود صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب
وكان بدومة الجندل ومنه سمي عبد ود وقال لا تذرن الهتكم ثم قال ولا تذرن ودا
ولا سواعا الاية خصها بالذكر لقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وقد اضلوا كثيرا هذا من قول نوح اي اضل كبراؤهم كثيرا من اتباعهم فهو
عطف على قوله ومكروا مكرا كبارا وقيل ان الاصنام اضلوا كثيرا ~~كثيرا~~ اى ضل
بسببها كثير نظيره قول ابرهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاجرى عليهم وصف
ما يعقل لاعتقاد الكفار فيهم ذلك ولا تزد الظالمين الا ضلالا اى عذابا قاله ابن بحر
واستشهد بقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر وقيل الا خسرانا وقيل الا فتنة بالمال
والولد وهو محتمل قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا ما صلة موكدة والمعنى من خطاياهم
وقال الفرا المعنى من اجل خطاياهم فادت ما هذا المعنى قال وما يدل على المجازاه وقرا
ابن عمرو خطاياهم على جمع التكسير الواحد خطيئة وكان الاصل في الجمع خطائي على
فعايل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لان قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل
وهو معتل مع ذلك فقلبت الياء الفاء ثم قلبت الهمزة الاولى ياء لخفايها بين الالفين
الباقون خطيياتهم على جمع السلامة قال ابو عمرو قوم كفروا الف سنة فلم يكن
لهم الا خطيات يريد ان الخطايا اكثر من الخطيات وقال قوم خطايا وخطيات
واحد جمعان مستعملان في القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت
كلمات الله وقال الشاعر لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة

دما وقرى خطيئاتهم وخطاياتهم بقلب الهمزة يآ وادغامها وعن الجحدري وعمر بن عبيد
والاعمش وابو حيوة واشهب العقيلي خطيتهم على التوحيد والمراد الشرك فادخلوا نارا
اى بعد اغراقهم قال القشيري وهذا يدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا مستحقين
دخول النار او عرض عليهم اماكنهم من النار كما قال النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وقيل اشاروا الى ما في الخبر من قوله البحر نار في نار وروى ابو روق عن
الضحاك في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا قال يعنى عذبوا بالنار في الدنيا
مع الغرق في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في الماء من جانب
ذكره الثعلبي انشدنا ابو القاسم الحبيبي قال انشدنا ابو سعيد احمد بن محمد ر مبح
انشدنا ابو بكر ابن الانباري الخلق مجتمع طورا ومفترق والحادثات فنون ذات اطوار
لا تعجبن لاضداد ان اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
اى من يدفع عنهم العذاب قوله تعالى **وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا** فيه اربع مسائل الاولى دعا عليهم حين يئس من اتباعهم
اياه وقال قتادة دعا عليهم بعد ان اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد
آمن فاجاب الله دعوته واغرق امته وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه
حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح فقال احذر هذا فانه يضلك فقال له يا ابه انزلني فانزله
فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد
انما قال هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم ارحام
النساء واصلاب الرجال قبل العذاب بسبعين سنة وقيل باربعين قال قتادة ولم يكن
فيهم صبي وقت العذاب وقال الحسن وابو العالية لو اهلك الله اطفالهم معهم كان عذابا
من الله لهم وعدلا فيهم ولكن الله اهلك اطفالهم وذريتهم بغير عذاب ثم اهلكهم
بالعذاب بدليل قوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل الثانية قال ابن العربي دعا نوح على
الكافرين اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين والب عليهم
وكان هذا اصلا في الدعاء على الكافرين في الجملة فاما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى
عليه لان ماله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص
النبي صلى الله عليه وسلم بالدعا عتبة وشيبة واصحابه لعلمه بمآلهم وما كشف له
من الغطاء عن حالهم قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد مضت هذه المسئلة مجودة
في البقرة والحمد لله الثالثة قال ابن العربي ان قيل لم جعل نوح دعوته على قومه
سببا لتوقفه عن طلب الشفاعة للخلق من الله في الآخرة قلنا قال الناس
في ذلك وجهين احدهما ان تلك الدعوة نشأت عن غضب وقسوة والشفاعة
تكون عن رضى ورقة فخاف ان يعاتب بها ويقال دعوت على الكفار بالامس

وتشفع

غضبا ص

وتشفع لهم اليوم الثاني انه دعا عليهم بغير نص ولا اذن صريح في ذلك فخاف الدرك
فيه الى يوم القيامة كما قال موسى اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها قال الشيخ وبهذا اقول
قال الشيخ المؤلف رحمه الله وان كان لم يومر بالدعا نصا فقد قيل له انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن فاعلم عواقبهم فدعا بالهلاك كما دعا نبينا عليه السلام على شيبة وعتبة ونظر
انهم فقال اللهم عليك بهم لما اعلم عواقبهم وعلى هذا يكون فيه معنى الامر بالدعا
الرابعة قوله ديارا اى من يسكن الديار قاله السدي واصله ديوار على فيعال من دار يدور فقلبت
الواو ياء وادغمت احداهما في الاخرى مثل القيام اصله قيوام ولو كان فعالا لكان دوارا
وقال القتبي اصله من الدار اى نازل بالدار يقال ما بالدار ديار اى احد وقيل الديار صاحب
الدار قوله تعالى **رب اغفر لي ولوالدي** دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين
وهو لامك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش ذكره القشيري والثعلبي وحكى الماوردي في اسم امه
منجل وقال سعيد بن جبير اراد بوالديه اباه وجده وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي بكسر الدال
على الواحد قال الكلبي كان بينه وبين آدم عشرة آبا كلهم مؤمن وقال ابن عباس لم يكفر
لنوح والد فيما بينه وبين آدم عليهما السلام ولمن دخل بيتي مؤمنا اى مسجدي ومصلاي اى
مصليا مصدقا بالله وكان انما يدخل بيوت الانبيا من آمن منهم فجعل المسجد سببا للدعا
في المغفرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على احدكم ما دام في
مجلسه الذي صلى فيه ما لم يحدث فيه يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه الحديث
وقد تقدم وهذا قول ابن عباس بيتي مسجدي حكاه الثعلبي وقاله الضحاك وعن ابن عباس
ايضا اى ولمن دخل ديني فالبيت بمعنى الدين حكاه القشيري وقاله جويبر وعن ابن عباس
ايضا يعني صديقي الداخل الى منزلي حكاه الماوردي وقيل اراد داري وقيل سفينتي وللمؤمنين
والمؤمنات عامة الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل من قومك والاول اظهر ولا تزد الظالمين اى الكافرين في عامة في كل كافر ومشرك
وقيل اراد مشركي قومه والتبار الهلاك وقيل الخسران حكاهما السدي ومنه قوله ان هؤلا
متبر ما هم فيه وقيل التبار الدمار والمعنى واحد

سورة الجن مكية في قول الجميع وهي ثمانية وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن** فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى
قل اوحي الي اى قل يا محمد لامتك اوحى الله الي على لسان جبريل انه استمع الي نفر من
الجن وما كان عليه السلام عالما به قبل ان اوحى الله هكذا قال ابن عباس وغيره
على ما يأتي وقرأ ابن ابي عبلة وحي على الاصل يقال اوحى اليه ووحى فقلبت الواو همزة
ومنه واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه
المازني في المكسورة ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه وغيره الثانية واختلف هل راهم

النبى صلى الله عليه وسلم انّ ظاهر القرآن يدل على انه لم يرهم لقوله استمع وقوله واذ
صرفنا اليك نفرا من الجنّ يستمعون القرآن وفى صحيح مسلم والترمذى عن ابن عباس
قال ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنّ وما راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء
وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قال حيل بيننا وبين
خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شئ حدث فاضربوا مشارق الارض
ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض
ومغاربها فمرّ النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى
باصحابه صلوة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر
السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك
بربنا احدا فانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحى الىّ انه استمع نفر من
الجنّ زاد الترمذى عن ابن عباس قال قول الجنّ لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا
يكونون عليه لبدا قال لما راوه يصلى واصحابه يصلون بصلاته ويسجدون معه تعجبوا
من طواعية اصحابه له قالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعو كادوا يكونون عليه لبدا
هذا حديث حسن صحيح ففى هذا الحديث دليل على انه عليه السلام لم ير الجنّ ولكن
حضروه وسمعوا قرآنه وفيه دليل على ان الجنّ كانوا مع الشياطين حين تجسسوا الخبر
من الشياطين لما رموا بالشهب وكان المرميون بالشهب من الجنّ ايضا وقيل لهم شياطين
كما قال شياطين الانس والجنّ فان الشياطين كل متمرد خارج من طاعة الله وفى الترمذى عن ابن
عباس قال كان الجنّ يصعدون الى السماء يستمعون الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا
فاما الكلمة فيكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا
الامر الا من امر قد حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما
يصلى بين جبلين اراه قال بمكة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض
هذا حديث حسن صحيح فدل هذا الحديث ان الجنّ رموا كما رميت الشياطين وفى رواية
السدى انهم لما رموا اتوا ابليس فاخبروه بما كان من امرهم فقال ايتونى من كل ارض
بقبضة من تراب اشمها فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث نفرا من الجنّ قيل كانوا
سبعة وقيل تسعة منهم زوبعة وروى عاصم عن زر قال قدم رهط زوبعة واصحابه على
النبى صلى الله عليه وسلم وقال الثعالبى بلغنى انهم من بنى الشيطان وهم اكثر الجنّ عددا
واقواهم شوكة وهم عامة جنود ابليس وروى ايضا عاصم عن زر انهم كانوا سبعة ثلاثة من
اهل حران واربعة من اهل نصيبين وحكى جويبر عن الضحاك انهم كانوا تسعة من اهل نصيبين
قرية باليمن غير التى بالعراق وقيل ان الجنّ الذين اتوه بمكة جنّ نصيبين والذين اتوه بنخلة

جن نينوى وقد مضى بيان هذا فى الاحقاف قال عكرمه والسورة التى كان يقراها رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك وقد مضى فى الاحقاف التعريف باسم النفر من الجنّ فلا معنى
لاعادة ذلك وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم راى الجنّ ليلة الجنّ وهو اثبت روى عامر الشعبى
قال سالت علقمه هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجنّ فقال
علقمه انا سالت ابن مسعود فقلت هل شهد احد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل قال فبتنا
بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبح اذا هو جاء من قبل حرا فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك
فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتانى داعى الجنّ فذهبت معه فقرات عليهم
القرآن فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسالوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة
فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف
لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم قال ابن
العربى وابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة
وقد قيل ان الجنّ اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة فهى التى
ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهى التى ذكرها ابن عباس قال البيهقى الذى حكاه
عبد الله بن عباس انما هو فى اول ما سمعت الجنّ قراة النبى صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله
وفى ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم كما حكاه ثم اتاه داعى الجنّ مرة اخرى فذهب
معه وقرا عليهم القرآن كما حكاه عبد الله ابن مسعود قال البيهقى والاحاديث الصحاح
تدل على ان ابن مسعود لم يكن مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجنّ وانما كان معه حين
انطلق به وبغيره يريه آثار الجنّ وآثار نيرانهم قال وقد روى من غير وجه انه كان معه
ليلتئذ وقد مضى هذا المعنى فى الاحقاف والحمد لله روى عن ابن مسعود ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو القرآن على الجنّ فمن يذهب معى فسكتوا ثم قال
الثانية ثم قال الثالثة فقال عبد الله بن مسعود انا اذهب معك يا رسول الله فانطلق
حتى جاء الحجون عند شعب ابى دب خط علىّ خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون
فانحدر عليه امثال الحجل يحدرون الحجارة باقدامهم يمشون يقرعون فى دفوفهم
كما يقرع النسوة فى دفوفها حتى غشوه فلا اراه فقمت فاومى الىّ بيده ان اجلس فتلى القرآن
فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى ما اراهم فلما انفتل الىّ قال اردت ان
تاتينى قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هؤلاء الجنّ اتوا يستمعون القرآن ثم
ولوا الى قومهم منذرين فسالوا الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احدكم بعظم
ولا بعر قال عكرمه وكانوا اثنى عشر الفا من جزيرة الموصل وفى رواية انطلق بى عليه
السلام حتى اذا جئنا المسجد الذى عند حائط عوف خط لى خطا فاتاه نفر منهم فقال
اصحابنا كانهم رجال الزط وكان وجوههم المكاكى فقالوا ما انت قال انا نبى الله قالوا فمن

سعت الجن ص

يشهد لك علاذ لك قال هذه الشجرة تعالى يا شجرة فجاءت تجر عروقها فقاقح حتى انتصبت بين يديه
فقال على ماذا تشهدين قالت انك رسول الله فرجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة لها قعاقع حتى عادت
كما كانت ثم روى انه عليه السلام لما فرغ وضع راسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل
من وضوء قال لا الا ان معى اداوة فيها نبيذ فقال هل هو الا تمر وما فتوضأ منه الثالثة قد مضى
الكلام في الماء في سورة النجم وما يستنجى به في براءة فلا معنى للاعادة الرابعة واختلف اهل العلم
في اصل الجن فروى اسمعيل عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء وهؤلاء
ولا مؤمنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو
ولى الله ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس ان الجن هم ولد
الجان وليسوا شياطين وهم يؤمنون ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين هم ولد ابليس
لا يموتون الا مع ابليس واختلفوا في دخول مؤمن الجن الجنة على حسب الاختلاف في اصلهم فمن
زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس
فلهم فيه قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها الثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها
وان صرفوا عن النار حكاه الماوردي وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان بيان انهم يدخلونها الخامسة قال الشعبي في روايته وسألوه الزاد وكانوا من جن
الجزيرة فقال لكم كل عظم دليل على انهم ياكلون ويطعمون وقد انكر جماعة من كفرة الاطباء و
الفلاسفة الجن وقالوا انهم بسائط ولا يصح طعامهم اجترا على الله وافترا عليه والقرآن والسنة
ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب
ليس بواحد كيف ما تصرف حاله وليس يمتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم
كما يرى الملائكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ففي الموطا ان رجلا حديث عهد
بعرس استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار ان يرجع الى اهله الحديث
وفيه فاذا حية عظيمة منطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها وذكر الحديث
وفي الصحيح انه عليه السلام قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا
عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم وقد مضى في البقرة
بيان التحريج عليهن وقد ذهب قوم الى ان ذلك مخصوص بالمدينة لقوله في الصحيح ان بالمدينة
جنا قد اسلموا وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها قلنا هذا يدل على ان غيرها من البيوت
مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصا وانما علل بالاسلام
وذلك عام في غيرها الا ترى قوله في الحديث مخبرا عن الجن الذي لقي وكانوا من جن
الجزيرة وهذا بين وبعضده قوله ونهى عن عوامر البيوت وهذا عام وقد مضى في البقرة
القول فيه فلا معنى للاعادة قوله تعالى **فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا**
اى في فصاحة كلامه وقيل عجبا في بلاغة مواعظه وقيل عجبا في عظم بركته
وقيل قرآنا عزيزا لا يوجد مثله وقيل يعنون عظيما يهدى الى الرشد يهدى الى

يستنجى صح

مختص صح

مراشد الامور وقيل الى معرفة الله تعالى ويهدى في موضع الصفة اى هاديا فآمنا به اى
فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا اى لا نرجع الى ابليس ولا
نطيعه لانه الذي كان بعثهم ليتأتوا بالخبر ثم رمى الجن بالشهب وقيل لا نتخذ مع الله
الها آخر لانه المتفرد بالربوبية وفي هذا تعجب المؤمنين بذهاب مشركى قريش عما
ادركته الجن بتدبرها القرآن وقوله استمع نفر من الجن اى استمعوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فعلموا انما يقرؤه كلام الله ولم يذكر المستمع اليه لدلالة الحال عليه
والنفر الرهط قال الخليل ما بين ثلاثة الى عشرة وقرا عيسى الثقفي يهدى الى الرشد بفتح الراء
والشين قوله تعالى **وانه تعالى جد ربنا** كان علقمة ويحيى والاعمش
وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف وحفص والسلمي ينصبون ان في جميع السورة
في اثني عشر موضعا وهو انه تعالى جد وانه كان يقول وانا ظننا ان لن تقول وانا ظننا ان لن نعجز الله
وانا لما سمعنا الهدى وانا منا المسلمون عطفا على قوله انه استمع نفر وانه استمع لا يجوز
فيه الا الفتح لانها في موضع اسم فاعل اوحى فما بعده معطوف عليه وقيل هو محمول على
الهاء في آمنا به اى وبانه تعالى جد ربنا وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكثرة حرف الجار
مع ان وقيل المعنى اى وصدقنا انه جد ربنا وقرا الباقون كلها بالكسر وهو الصواب
واختاره ابو عبيد وابو حاتم عطفا على قوله فقالوا انا سمعنا لانه كله من كلام
الجن واما ابو جعفر وشيبة فانهما فتحا ثلاثة مواضع وهي قوله وانه تعالى جد ربنا وانه
كان يقول وانه كان رجال قالوا لانه من الوحي وكسرا ما بقي لانه من كلام الجن واما
قوله وانه لما قام عبد الله فكلهم فتحوا الا نافعا وشيبة وزر بن حبيش وابو بكر والمفضل
عن عاصم فانهم كسروا لا غير ولا خلاف في فتح همزة انه استمع وان لو استقاموا وان
المساجد لله وان قد ابلغوا وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد القول نحو قوله فقالوا انا سمعنا
وقال انما ادعوا ربي وقل ان ادرى وقل اني لا املك وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد فاء الجزاء
نحو قوله فان له نار جهنم وفانه يسلك من بين يديه لانه موضع ابتداء قوله تعالى جد ربنا الجد
في اللغة العظمة والجلال ومنه قول انس كان الرجل اذا حفظ البقرة وآل عمران جد في
عيوننا اى عظم وجل فمعنى جد ربنا اى عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد وقتادة وعن
مجاهد ايضا ذكره وقال انس بن مالك والحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل للحظ جد
ورجل مجدود اى محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد والخليل
اى ذا الغنى منك الغنى انما تنفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرته الضحاك فعله وقال
القرظي والضحاك ايضا آلاؤه ونعمه على خلقه وقال ابو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه
وقال السدى امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اى تعالى ربنا وقيل انهم
عنوا بذلك الجد الذي هو اب الاب ويكون هذا من قول الجن وقال محمد بن علي
بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى جد وانما قاله الجن

وانه كان رجال من الانس وانهم ظنوا
وانا لمسنا وانا كنا نقعد وانا لا ندري
وانا طمنا صح صح
حذف صح

فاء الجزاء صح

للجهالة فلم يؤاخذوا به قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز
لما ذكر في القرآن غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى وقال عكرمة جد بكسر الجيم على ضد
الهزل وكذلك قرأ ابو حيوة ومحمد بن السميقع ويروى عن ابن السميقع ايضا وانه تعالى جدى ربنا
وهو الجدوى والمنفعة وقرأ عكرمة ايضا جدا بالتنوين ربنا بالرفع على انه مرفوع
تعالى وجدا منصوب على التمييز وعن عكرمة ايضا جد بالتنوين والرفع ربنا بالرفع على تقدير
تعالى جد ربنا فجد الثاني بدل من الاول وحذف واقيم المضاف اليه مقامه ومعنى الآية
وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ ولدا وصاحبة للاستيناس بهما او الحاجة اليهما والرب تعالى عن
ذلك كما يتعالى عن الانداد والنظراء قوله تعالى **وانه كان يقول سفيهنا على الله
شططا** في انه للامر والحديث وفي كان اسمها وما بعدها الخبر ويجوز ان يكون كان
زائدة والسفيه هنا ابليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة ورواه ابو بردة عن ابي موسى
عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المشركون من الجن قال قتادة عصاه سفيه
الجن كما عصاه سفيه الانس والشطط والاشتطاط الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور
الكلبي هو الكذب واصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده من العدل وعن الكذب لبعده
عن الصدق وقال الشاعر بأية حال حكموا فيك فاشتطوا وما ذاك الا حيث يممك الوخط
قوله تعالى **وانا ظننا** اى حسبنا **ان لن تقول الانس والجن على الله
كذبا** فلذلك صدقناهم في ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق
وقرأ يعقوب والجحدري وابن ابي اسحق ان لن تقول وقيل انقطع الاخبار عن الجن ها هنا فقال
الله وانه كان رجال من الانس فمن فتح وجعله من قول الجن ردها الى قوله انه استمع ومن
كسر جعلها مبتدأ من قول الله تعالى والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل اذا نزل بواد
اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح قاله الحسن وابن زيد
وغيرهما قال مقاتل كان اول من يعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة ثم فشا ذلك
في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال كردم بن ابي السائب خرجت
مع ابي الى المدينة اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف
الليل جاء الذئب فاخذ حملا من الغنم فقال الراعي يا غلام الوادي جارك فنادى مناد يا سرحان
ارسله فاتى الحمل يشتد وانزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم اى زاد الجن الانس رهقا اى خطيئة واثما قاله ابن عباس
ومجاهد وقتادة والرهق الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان
كذلك ومنه قوله تعالى ترهقهم ذلة وقال الاعشى لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي
عاشق ما لم يصب رهقا يعني اثما واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا لها وقال مجاهد
ايضا زادوهم اى ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا
الانس والجن وقال قتادة ايضا وابو العالية والربيع وابن زيد زاد الانس بهذا

فرقا وخوفا من الجن قال سعيد بن جبير كفرا ولا خفاء ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة
بالله كفر وشرك وقيل لا يطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه كان رجال من الانس وكان
الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادي قال القشيري
وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن قوله تعالى **وانهم
ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا** هذا من قول الله تعالى للانس
وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله الخلق كما ظننتم الكلبي المعنى ظنت الجن كما ظنت
الانس ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة
على قريش اى اذا آمن هؤلاء الجن بمحمد فانتم احق بذلك قوله تعالى **وانا لمسنا
السماء** هذا من قول الجن اى طلبنا خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها قد ملئت حرسا
شديدا اى حفظة يعني الملائكة والحرس جمع حارس وشهبا جمع شهاب وهو انقضاض
الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع وقد مضى القول فيه في سورة الحجر والصافات ووجد
يجوز ان يقدر متعديا الى مفعولين فالاول الهاء والالف وملئت في موضع المفعول الثاني ويجوز ان
يتعدى الى مفعول واحد ويكون ملئت في موضع الحال على اضمار قد وحرسا نصب على المفعول الثاني
بملئت وشديدا من نعت الحرس اى ملئت ملائكة شدادا ووحد الشديد على لفظ الحرس وهو
كما يقال السلف الصالح بمعنى الصالحين وجمع السلف اسلاف وجمع الحرس احراس قال
تجاوزت احراسا واهوال معشر ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة
قوله تعالى **وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له
شهابا رصدا** منها اى من السماء ومقاعد مواضع يقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السماء
اى ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة اخبار السماء حتى يلقوها الى
الكهنة على ما تقدم فحرسها الله حين بعث رسوله بالشهب المحرقة فقالت الجن حينئذ فمن يستمع
الآن يجد له شهابا رصدا يعني بالشهاب الكوكب المحرق وقد تقدم بيان ذلك ويقال لم يكن
انقضاض الكواكب الا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو آية من آياته واختلف السلف
هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث او كان ذلك امرا حدث لمبعث النبي صلى الله عليه
وسلم فقال الكلبي وقال قوم لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
خمسمائة عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد عليه
السلام منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب قال الشيخ المؤلف
رحمه الله ورواه عطية العوفي عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر
لما كان اليوم الذي نبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب
وقال عبد الملك بن سابور لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب ومنعت
عن الدنو من السماء وقال نافع بن جبير كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى

فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم
منذ رفع عيسى حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك المبعث واعادت
بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الحالة وهو معنى قوله ملئت اي زيد في حرسها
وقاله اوس بن حجر وهو جاهلي وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وهذا قول الاكثرين
وقد انكر الجاحظ هذا البيت وقال كل شعر يروى فيه فهو مصنوع وان الرمي لم يكن قبل المبعث
والقول الاول اصح لقوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا وهذا اخبار عن الجن انه زيد في حرس
السماء حتى امتلأت منها ومنهم ولما روى ابن عباس قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول
يموت عظيم او يولد عظيم فقال عليه السلام انها لا ترمى لموت ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى
اذا قضى امرا في السماء سبح حملة العرش ثم سبح اهل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه وسيخبر اهل
السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء
وتخطف الجن فيرمون فما جاءوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وهذا يدل على ان الرجم كان
قبل المبعث وروى الزهري نحوه عن علي بن الحسين عن علي ابن ابي طالب عن ابن عباس وفي آخره
قيل للزهري اكان يرمى في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله سبحانه وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قال غلظت وشدد امرها حتى بعث النبي صلى الله عليه
وسلم ونحوه قال القتبي قال ابن قتيبة كان يرمى ولكن اشتدت الحراسة بعد المبعث وكانوا من
قبل يسترقون السمع ويرمون في بعض الاحوال فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعت من ذلك
اصلا وقد تقدم بيان هذا في والصافات عند قوله ويقذفون من كل جانب دحورا الآية
قال الحافظ فلو قال قائل كيف تتعرض الجن لاحراق نفسها بسبب سماع خبر بعد ان
صار ما يحلونها لهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة كما ينسى ابليس في كل
وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين ولولا هذا
لما تحقق التكليف والرصد قيل من الملائكة اي ورصدا من الملائكة والرصد الحافظ للشيء
والجمع ارصاد وهو في غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا كالحرس والواحد راصد وقيل الرصد
هو الشهاب اي شهابا قد ارصد له ليرجم به وهو فعل بمعنى مفعول كالخبط والنفض قوله تعالى
وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ اي هذه الحرس التي حرست به السماء ام
اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا قال ابن زيد قال ابليس لا ندري هل اراد الله بهذا المنع
ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل
ان يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض بارسال
محمد اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا
فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي
عليه السلام ولما سمعوا قراءته علموا انهم منعوا من السماء حراسة للوحي وقيل لا بل

قبل صح

السماء صح

هلك صح

هدا

هذا قول قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما آمنوا اشفقوا ان لا يؤمن كثير
من اهل الارض فقالوا انا لا ندري ايكفر اهل الارض بما آمنا به او يؤمنون قوله تعالى
وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ هذا من قول الجن اي قال بعضهم لبعض لما دعوا
اصحابهم الى الايمان بمحمد عليه السلام وانا كنا قبل استماع القرآن منا الصالحون ومنا
الكافرون وقيل ومنا دون ذلك اي ومن دون الصالحين في الصلاح وهو اشبه من حمله
على الايمان والشرك كنا طرائق قددا اي فرقا شتى قاله السدي الضحاك اديانا مختلفة
قتادة اهواء متباينة ومنه قول الشاعر القابض الباسط الهادي بطاعته في فتنة
الناس اذ اهواؤهم قدد والمعنى اي لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين منهم كفار
ومنهم مؤمنون صلحاء ومنهم مؤمنون غير صلحاء وقال المسيب كنا مسلمين ويهود ونصارى
ومجوس وقال السدي في قوله طرائق قددا قال في الجن مثلكم قدرية ومرجئة وخوارج
ورافضة وشيعة وسنية وقال قوم اي وانا بعد استماع القرآن مختلفون منا المسلمون ومنا
الكافرون ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهوا في الصلاح والاول احسن لانه كان
في الجن من آمن بموسى وعيسى وقد اخبر الله عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة وكان هذا مبالغة
منهم في دعاء من دعوهم الى الايمان وايضا فلا فائدة في قولهم نحن الآن منقسمون
الى مؤمن والى كافر والطرائق جمع طريقة وهي مذهب الرجل اي كنا فرقا مختلفة ويقال
القوم طرائق اي على مذاهب شتى والقدد نحو من الطرائق وهو تاكيد لها واحدها قدة يقال
لكل طريق قدة واصلها من قد السيور وهو قطعها قال لبيد يرثي اخاه اربد لم تبلغ
العين كل نهمتها يوم تمشي الجياد بالقدد وقال آخر ولقد قلت وزيد حاسر يوم
ولت خيل عمرو قددا والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ماله قد ولا قحف
فالقد اناء من جلد والقحف من خشب قوله تعالى وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي
الْأَرْضِ الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله وانا ظننا ان لن
تقول وانهم ظنوا اي علمنا بالاستدلال والتفكر في آيات الله انا في قبضته وسلطانه لن
نفوته بهرب ولا غيره وهربا مصدر في موضع الحال اي هاربين قوله تعالى وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى
يعني القرآن آمنا به وبالله وصدقنا محمدا على رسالته وكان عليه السلام مبعوثا الى الانس والجن
قال الحسن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى قط رسولا
من الجن ولا من اهل البادية ولا من النساء وذلك قوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا
يوحى اليهم من اهل القرى وقد تقدم هذا المعنى وفي الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود
الى الجن والانس فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان
ينقص من حسناته ولا ان يزاد من سيئاته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان
المحارم قال الاعشى لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

الوابق المحب وقد ومفقه عمقه بالكسر اى احبه فهو وامق وهذا قول حكاه الله تعالى عن الجن لقوة
ايمانهم وصحة اسلامهم وقراة العامه فلا يخاف رفعا على تقدير فانه لا يخاف وقرا
الاعمش ويحيى وابرهيم فلا يخف جزما على جواب الشرط والغاء الفا قوله تعالى
وَاَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۝ اى وانا بعد استماع القرآن مختلفون فمنا من
اسلم ومنا من كفر والقاسط الجاير لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق
قسط اذا عدل قال الشاعر قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمرا وهم قسطوا على
النعمان فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اى قصدوا طريق الحق والايمان وكانوا لجهنم حطبا
اى وقودا وقوله فكانوا اى في علم الله تعالى قوله تعالى وَاَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
هذا من قول الله تعالى اى لو امن هولاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق
وهذا محمول على الوحى اى اوحى الى ان لو استقاموا ذكر ابن بحر كلما في هذه السورة
من ان المكسورة المثقلة فهى حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن فرجعوا الى قومهم
منذرين وكل ما فيها من ان المفتوحة المخففة فهى وحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابن الانبارى ومن كسر الحروف وفتح وان لو استقاموا اضمر يمينا تاما تاويلها والله ان
لو استقاموا على الطريقه كما يقال في الكلام والله ان قمت لقمت ووالله لو قمت لقمت
قال الشاعر اما والله ان لو كنت حرا وما بالحر انت ولا العتيق ومن فتح ما قبل المخففة
نسقها اعنى الخفيفة على اوحى الى انه وان لو استقاموا وعلى امنا به وبان لو استقاموا ويجوز
لمن كسر الحروف كلها الى ان المخففة ان يعطف المخففة على اوحى الى او على امنا به و
يستغنى عن اضمار اليمين وقراة العامه بكسر الواو من لو لالتقاء الساكنين وقرا ابن
وثاب والاعمش بضم الواو ماء غدقا اى واسعا كثيرا وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع
سنين يقال غدقت العين تغدق فهى غدقة اذا كثر ماؤها وقيل المراد الخلق كلهم
اى لو استقاموا على الطريقه طريقه الحق والايمان والهدى وكانوا مومنين مطيعين
لاسقيناهم ماء غدقا اى كثيرا لنفتنهم فيه اى لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم وقال
عمر في هذه اين ما كان الماء كان المال واين ما كان المال كانت الفتنه فمعنى لاسقيناهم لوسعنا
عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق الكثير بذلك مثلا لان الخير والرزق كله
بالمطر يكون فاقيم مقامه لقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض وقوله ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى بالمطر والله اعلم وقال سعيد بن المسيب وعطا
ابن ابى رباح والضحاك وقتاده ومقاتل وعطيه وعبيد بن عمير والحسن كان
والله اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز
كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشى ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعنى عثمان
وقال الكلبى وغيره وان لو استقاموا على الطريقه التى هم عليها من الكفر

وكانوا

بعدهم

جاروا فسطهم اذاهم

وكانوا كلهم كفارا لاوسعنا ارزاقهم مكرا بهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا فنعذبهم بها
في الدنيا والاخرة وهذا قول قاله الربيع ابن انس وزيد بن اسلم وابنه والكلبى والثمالى ويمان
بن رباب وابن كيسان وابو مجلز واستدلوا بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم
ابواب كل شىء الاية وقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة الاية فالاول اشبه لان الطريقه معرفة بالالف واللام فالاوجب
ان يكون طريقه الهدى ولان الاستقامة لا يكون الا مع الهدى وفي صحيح مسلم عن ابى سعيد
الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من
زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا قال بركات الارض وذكر الحديث وقال عليه السلام فوالله
ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان
قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم قوله تعالى وَمَن
يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ ۝ يعنى القرآن قاله ابن زيد وفي اعراضه عنه وجهان احدهما
عن القبول ان قيل انها في اهل الكفر الثانى عن العمل ان قيل انها في المومنين وقيل ومن
يعرض عن ذكر ربه اى لم يشكر نعمه يسلكه عذابا صعدا قرا الكوفيون وعباس عن
ابى عمرو يسلكه بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لذكر اسم الله اولا فقال ومن يعرض عن
ذكر ربه الباقون نسلكه بالنون وروى عن مسلم بن جندب ضم النون وكسر اللام
وكذلك قرا طلحة والاعرج وهما لغتان سلكه واسلكه بمعنى اى ندخله عذابا صعدا
اى شاقا شديدا قال ابن عباس هو جبل في جهنم عن ابى سعيد الخدرى كلما جعلوا ايديهم
عليه ذابت وعن ابن عباس ان المعنى مشقة من العذاب وذلك معلوم في اللغة ان
الصعدا المشقة يقول تصعدنى الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر ما تصعدنى شى
ما تصعدتنى خطبة النكاح اى ما شق على وعذاب صعد اى شديد والصعد مصدر
يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه
فلا يطيقه وقال ابو عبيد الصعد مصدر اى عذابا ذا صعد والمشى في الصعود يشق
والصعود العقبة الكوود وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا
انتهى الى اعلاها حدر الى جهنم وقال الكلبى يكلف الوليد بن المغيرة ان يصعد جبلا
في النار من صخرة ملساء يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى
يبلغ اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف
ايضا صعودها فذلك دابه ابدا وهو قوله ساُرهقه صعودا قوله تعالى وَاَنَّ
الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ۝ فيه ست مسائل الاولى ان بالفتح قيل هو مردود الى قوله قل
اوحى الى اى اوحى الى ان المساجد لله وقال الخليل اى ولان المساجد لله والمراد
البيوت المبنية التى بنتها اهل الملل للعبادة وقال سعيد بن جبير قالت الجن كيف
لنا ان ناتى المساجد ونشهد معك الصلوة ونحن ناوون عنك فنزلت وان المساجد

لله اى بنيت لذكر الله وطاعته وقال الحسن اراد بها كل البقاع لان الارض كلها مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم يقول اين ما كنتم فصلوا فاين ما صليتم فهو مسجد وفى الصحيح وجعلت لى الارض كلها مسجدا وطهورا وقال سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب اراد بالمساجد الاعضا التى يسجد عليها العبد وهى القدمان والركبتان واليدان والوجه يقول هذه الاعضا انعم الله بها عليك ولا يسجد لغيره فيجحد نعمة الله قال عطا مساجدك اعضاوك التى امرت ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها وفى الصحيح عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين وقال العباس قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وقيل المساجد هى الصلوات اى لان السجود لله قاله الحسن ايضا فان جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم ويقال بالفتح حكاه الفرا وان جعلتها الاعضا فواحدها مسجد بفتح الجيم وقيل هو جمع مسجد وهو السجود يقال سجدت سجودا ومسجدا كما يقول ضربت فى الارض ضربا ومضربا بالفتح اذا سرت فى ابتغا الرزق وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التى هى القبلة وسميت مكة المساجد لان كل احد يسجد اليها والقول الاول اظهر هذه الاقوال ان شا الله وهو مروى عن ابن عباس رحمه الله الثانية قوله لله اضافة تشريف وتكريم ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال وطهر بيتى وقال عليه السلام لا تعمل المطى الا الى ثلاث مساجد الحديث خرجه الايمة وقد مضى الكلام فيه وقال عليه السلام صلوة فى مسجدى هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال ابن العربى وقد روى من طريق لا باس بها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال صلوة فى مسجدى هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام فان صلوة فيه خير من مائة صلوة فى مسجدى ولو صح هذا لكان نصا قال الشيخ المولف رحمه الله هو صحيح بنقل العدل عن العدل حسب ما بيناه فى سورة ابرهيم الثالثة المساجد وان كانت ملكا لله وتشريفا فانها قد تنسب الى غيره تعريفا فيقال مسجد فلان وفى صحيح الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التى اضمرت من الحفيا وامدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التى لم يضمر من الثنية الى مسجد بنى زريق وتكون هذه الاضافة بحكم المحلية كانها فى قبلتهم وقد تكون بتحبيسهم غير ذلك الرابعة مع ان المساجد لله لا يذكر فيها الا الله فانها تجوز القسمة فيها للاموال وتجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين وكل من جا اكل وتجوز حبس الغريم فيها وربط الاسير والنوم فيه وسكنى المريض منه وفتح الباب للجار اليه وانشاد الشعر فيه اذا عرى عن الباطل وقد مضى هذا كله مبينا فى براة والنور وغيرها الخامسة قوله فلا تدعوا مع الله احدا هو توبيخ للمشركين فى دعائهم مع الله غيره فى المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه والمومنين ان يخلصوا الله الدعوة اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر الله

ولا خلاف بين الامة فى تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وان اختلفوا فى تحبيس صح

ولا تتخذوها

ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا ولا طرقا ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا وفى الصحيح من نشد ضالة فى المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد مضى فى النور ما فيه كفاية من احكام المساجد والحمد لله السادسة روى الضحاك عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم انا عبدك وزايرك وعلى كل مزور حق وانت خير مزور اسيلك برحمتك ان تفك رقبتى من النار واذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عنى صالح ما اعطيتنى ابدا ولا تجعل معيشتى كدا واجعل لى فى الارض جدا قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه يجوز الفتح اى اوحى الى انه ويجوز الكسر على الاستيناف وعبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى ببطن نخلة ويقرا القرآن حسب ما تقدم اول السورة يدعوه اى يعبده وقال ابن جريج يدعوه اى قام اليهم داعيا لهم الى الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا قال الزبير بن العوام هم الجن حتى استمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم اى كاد يركب بعضهم بعضا ازدحاما ويسقطون حرصا على سماع القرآن وقيل كانوا يركبونه حرصا قاله الضحاك ابن عباس رغبة فى سماع الذكر وروى برد عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم عما راوا من طاعة اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وايتمامهم به فى الركوع والسجود وقيل المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبى صلى الله عليه وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفوه فابى الله الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبرى ان يكون المعنى كادت العرب يجتمعون على النبى صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفاء النور الذى جا به وقال مجاهد قوله لبدا جماعات وهو من تلبد الشى على الشى اى تجمع ومنه اللبد الذى يفرش لتراكم صوفه وكل شى الصقته الصاقا شديدا فقد لبدته وجمع اللبد لبد مثل قربه وقرب ويقال للشعر الذى على ظهر الاسد لبده وجمعها لبد وقال زهير لدى اسد شاكى السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ويقال للجراد الكثير لبد وفيه اربع لغات وقراات فتح الباء وكسر اللام وهى قراة العامة وضم اللام وفتح الباء وهى قراة مجاهد وابن محيصن وهشام عن اهل الشام واحدها لبدة وبضم الباء واللام وهى قراة ابى حيوة ومحمد بن السميفع وابى الاشهب العقيلى والجحدرى واحدها لبد مثل سقف وسقف ورهن ورهن وبضم اللام وشد الباء وفتحها وهى قراة الحسن وابى العالية والاعرج والجحدرى ايضا واحدها لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وقيل اللبد بضم اللام وفتح الباء الشى الدايم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لدوامه وبقايه قال النابغة اخنى عليها الذى اخنى على لبد القشيرى وقرا لبدا بضم اللام والباء

معذف صح

وهو جمع لبيد وهو الجوالق الصغير وفي الصحاح واهلكت مالا لبدا اي جمعا ويقال ايضا الناس
لبد اي مجتمعون واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر من امرئ سماح لا تزال له بزلا يعيا بها
الجثامة اللبد والبزلاء الرأي الجيد وفلان نهاض ببزلاء اذا كان ممن يقوم بالامور العظام
قال الشاعر اني اذا شغلت قوما فروجهم رحب المسالك نهاض ببزلاء قال ابو عبيد وهو اشبه
ولبد آخر نسور لقمان وهو ينصرف لانه ليس بمعدول وتزعم العرب ان لقمان هو الذي بعثته عاد
في وفدها الى الحرم ليستسقي لها فلما اهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر من اظب عفر
في جبل وعر لا يمسها القطر وبقاء سبعة انسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور فكان
آخر نسوره يسمى لبدا وقد ذكرته الشعراء قال النابغة اضحت خلاء وامسى اهلها احتملوا اخنى
عليها الذي اخنى على لبد واللبد الجوالق الصغير يقال البدت القربة جعلتها في لبيد ولبيد
اسم شاعر من بني عامر قوله تعالى قال انما ادعوا ربي اي قال النبي صلى الله عليه
وسلم انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا وكذا قرأ اكثر القراء قال على الخبر وقرأ عاصم
وحمزة قل على الامر وسبب نزولها ان كفار قريش قالوا له انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس
كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزلت قوله تعالى قل اني لا املك لكم
ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا وقيل لا املك لكم
ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى انما علي التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو الاول
بعينه وقيل الضر الموت والرشد الحياة قوله تعالى قل اني لن يجيرني من الله
احد اي لا يدفع عذابه عني احد ان استحققته وهذا لانهم قالوا اترك ما تدعو اليه
ونحن نجيرك وروى ابو الجوزاء عن ابن مسعود قال انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الجن حتى اتى الحجون فخط علي خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيدهم يقال
له وردان انا ارحلهم عنك فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل
معنيين احدهما لن يجيرني مع اجارة الله لي احد الثاني ان يجيرني مما قدره الله تعالى
علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ الجأ اليه قاله قتادة وعنه نصيرا ومولى
السدي حرزا الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل وليا ولا مولى وقيل مذهبا
ولا مسلكا حكاه ابن شجرة والمعنى واحد ومنه قول الشاعر
يا لهف نفسي وكفي غير مجدية عني وما من قضاء الله ملتحد الا بلاغا من
الله ورسالاته فان فيه الامان والنجاة قاله الحسن وقال قتادة الا بلاغا من الله
فذلك الذي املكه بتوفيق الله فاما الكفر والايمان فلا املكه فعلى هذا يكون
مردودا الى قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا املك لا ان ابلغكم
وقيل هو استثناء منقطع من قوله لا املك ضرا ولا رشدا الا ان ابلغكم ما ارسلت به
قاله الفراء وقال الزجاج هو منصوب على البدل في قوله ملتحدا اي ولن اجد
من دونه ملتحدا الا ان ابلغ ما ياتيني من الله ورسالاته اي ومن رسالاته

التي امرني بتبليغها او الا ان ابلغ عن الله واعمل برسالته فآخذ نفسي بما امر به غيري وقيل
هو مصدر ولا بمعنى لم وان للشرط والمعنى لن اجد من دونه ملتحدا اي ان لم ابلغ رسالات
ربي بلاغا قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله في التوحيد والعبادة فان له نار
جهنم كسرت ان لان ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء وقد تقدم خالدين نصب على الحال وجمع
لان المعنى لكل من فعل ذلك فوحد اولا للفظ ثم جمع للمعنى حتى اذا راوا ما توعدون في
هذا ابدا دليل على ان العصيان هنا هو الشرك وقيل هو المعاصي غير الشرك ويكون
معنى خالدين فيها ابدا الا ان اعفوا او تلحقهم شفاعة ولا محالة اذا خرجوا من الدنيا
على الايمان يلحقهم العفو وقد مضى هذا المعنى مبينا في النساء وغيرها قوله تعالى
حتى اذا راوا ما توعدون من عذاب الآخرة او ما توعدون من عذاب الدنيا
وهو القتل ببدر فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا اهم ام المؤمنون واقل عددا
معطوف قوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني قيام الساعة و
قيل عذاب الدنيا اي لا ادري فان بمعنى ما او لا اي لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت
قيام القيامة الا الله فهو غيب لا اعلم منه الا ما يعرفنيه الله وما في قوله ما توعدون
يجوز ان يكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون بمعنى الذي ويقدر حذف العائد
ام يجعل له ربي امدا اي غاية واجلا وقرأ العامة باسكان الياء من ربي وقرأ الحرميان
وابو عمرو بالفتح قوله تعالى عالم الغيب فيه مسألتان الاولى قوله عالم رفعا
نعتا لقوله ربي وقيل اي هو عالم الغيب والغيب ما غاب عن العباد وقد تقدم بيانه
في اول البقرة فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على
ما يشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض الغائبات
وفي التنزيل وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال ابن جبير الا من ارتضى
من رسول هو جبريل وفيه بعد والاولى ان يكون المعنى اي لا يظهر على غيبه الا من
ارتضى اي اصطفى للنبوة فانه يطلعه على ما يشاء من غيبه ليكون ذلك دالا على
نبوته الثانية قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه
كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضى من الرسل
فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة
صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في
الكتف ويزجر الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه
بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعري
ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان على اختلاف احوالهم وتباين
رتبهم فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير
مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق

سواه صح

مطلب في رد المنجم طالع الى اخره

فى ساعة واحدة فان قال المنجم قبحه الله انما اغرقهم الطالع الذى ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولاده كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فايدة اذا فى عمل المواليد ولا دلالة لها فيها على شقى ولا سعيد ولم يبق الا معاندة القرآن الكريم وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم ولقد احسن الشاعر حيث قال حكم المنجم ان طالع مولدى يقضى على بموته الغرق قل للمنجم صبحة الطوفان هل ولد الجميع بكوكب الغرق وقيل لامير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه لما اراد لقاء الخوارج اتلقاهم والقمر فى العقرب فقال على رضى الله عنه فاين قمرهم وكان ذلك فى آخر الشهر فانظر الى هذه الكلمة التى اجاب بها وما فيها من المبالغة فى الرد على من يقول بالتنجيم والافحام لكل جاهل حقق احكام النجوم وقال له مسافر بن عوف يا امير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعة وسر فى ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له على رضى الله عنه ولم قال انك ان سرت فى هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضر شديد وان سرت فى الساعة التى امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال على رضى الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فى كلام طويل يحتج فيه بايات من التنزيل فمن صدقك فى هذا القول لم آمن عليه ان يكون لمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير فى الساعة التى نهيتنا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر فى النار والمنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر فى النار والله لئن بلغنى انك تنظر فى النجوم وتعمل بها لاخلدنك فى الحبس ما بقيت ولاحرمتك العطا ما كان لى سلطان ثم سافر فى الساعة التى نهاه عنها فلقى القوم فقتلهم وهى وقعة النهروان الثابتة فى صحيح المسلم ثم قال لو سرنا فى الساعة التى امرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قايل سار فى الساعة التى امره بها المنجم ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وساير البلدان ثم قال ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفى عمن سواه فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يعنى ملايكة يحفظونه عن ان يقرب منه شيطان فيحفظ الوحى من استراق الشياطين والالقاء الى الكهنة قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملايكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك فاذا جاءه شيطان فى صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان جاءه الملك قالوا هذا رسول ربك وقال ابن عباس وابن زيد رصدا اى حفظة يحفظون النبى صلى الله عليه وسلم من امامه ووراءه من الجن والشياطين قال قتادة وسعيد بن المسيب هو اربعة من الملايكة حفظة وقال الفرا المراد جبريل كان اذا نزل

صح م

بالرسالة

بالرسالة نزلت معه ملايكة يحفظونه من ان يستمع الجن الوحى فيلقونه الى كهنتهم فيسبقوا به الرسول وقال السدى رصدا اى حفظة يحفظون الوحى فما جاء من عند الله قالوا انه من عند الله وما القاه الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا نصب على المفعول وفى الصحاح والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمونث وربما قالوا ارصاد والراصد للشى الراقب له يقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد قوله تعالى ليعلم قال مقاتل وقتادة اى ليعلم محمد ان الرسل قبله قد بلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف يتعلق به اللام اى اخبرناه بحفظنا الوحى ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق وقيل ليعلم محمد ان قد بلغ جبريل ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير قال ولم ينزل بالوحى الا ومعه اربعة حفظة من الملايكة عليهم السلام وقيل اى ليعلم الرسل ان الملايكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الرسول اى رسول كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل اى ليعلم ابليس ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة اى ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وقراه الجماعة ليعلم بفتح وتاويله ما ذكرناه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم اليا اى ليعلم الناس ان الرسل قد ابلغوا وقال الزجاج اى ليعلم الله ان رسله قد بلغوا رسالاته بفتح اليا كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين المعنى اى ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا واحاط بما لديهم اى احاط علمه بما عندهم اى بما عند الرسل وما عند الملايكة وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته واحصى كل شى عددا اى احاط بعدد كل شى وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شى وعددا نصب على الحال اى احصى كل شى فى حال العدد وان شئت على المصدر اى احصى وعد كل شى فى حال العدد فيكون مصدر الفعل المحذوف فهو سبحانه المحصى المحيط العالم الحافظ لكل شى وقد بينا جميعه فى الكتاب الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى والحمد لله

سورة المزمل كلها مكية

فى قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها واصبر على ما يقولون والتى تليها ذكره الماوردى وقال الثعلبى قوله ان ربك يعلم انك تقوم الى آخر السورة فانه نزل بالمدينة وهى تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

يا ايها المزمل فيه سبع مسايل الاولى قال الاخفش سعيد المزمل اصله المتزمل فادغمت التا فى الزاى وكذلك المدثر وقرا ابى بن كعب على الاصل المتزمل والمتدثر وفى اصل المزمل قولان احدهما انه المحتمل يقال زمل الشى اذا حمله ومنه الزاملة تحمل القماش الثانى

ان المزمل هو المتلفف يقال تزمل وتدثر بثوبه اذا تغطى وزمل غيره اذا غطاه وكل شئ لفف فقد زمل ودثر قال امروا لقيس كبير اناس في بجاد مزمل الثانيه قوله تعالى
يا ايها المزمل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثه اقوال الاول قول عكرمه
يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه اى يا ايها الذى زمل هذا الامر اى حمله ثم
فتر وكان يقرا يا ايها المزمل بتخفيف الزاء وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك
المدثر والمعنى المزمل نفسه والمدثر نفسه او الذى زمل غيره الثانى يا ايها المزمل بالقران
قاله بن عباس الثالث بثيابه قاله قتادة وغيره قال النخعى كان متزملا بقطيفه عايشه بمرط
طوله اربعة عشر ذراعا نصفه على وانا نايمه ونصفه على النبى صلى الله عليه وسلم
وهو يصلى والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته
وبرا ذكره الثعلبى قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا القول من عايشه يدل على ان السوره
مدنيه فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينه وما ذكر من انها مكيه لا يصح و
الله اعلم وقال الضحاك تزمل بثيابه لمنامه وقيل بلغه من المشركين سوء قول فيه فاشتد
عليه فتزمل في ثيابه وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل هذا في ابتدا
ما اوحى اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعده فاتى اهله وقال
زملونى ودثرونى معناه عن بن عباس قالت الحكما انما خاطبه بالمزمل والمدثر في اول الامر
لانه لم يكن بعد اذ ترشيا من تبليغ الرساله قال بن العربى واختلف في تاويل يا ايها المزمل
فمنهم من حمله على حقيقته قيل له يا من يلتف في ثيابه او في قطيفته قاله ابرهيم وقتاده
ومنهم من حمله المجاز كانه قيل له يا من تزمل بالنبوة قاله عكرمه وانما يسوغ هذا
التفسير لو كانت الميم مفتوحه مشدده بصيغه المفعول الذى لم يسم فاعله واما وهو
بلفظ الفاعل فهو باطل قال الشيخ المولف رحمه الله قد بينا انها على حذف المفعول وقد
قراها فهى صحيحة معنى قال واما من قال انه زمل القران فهو صحيح في المجاز لكنه
كما قدمنا لا احتاج اليه الثالثه قال السهيلى ليس المزمل باسم من اسما النبى صلى
الله عليه وسلم يعرف به كما ذهب به بعض الناس وعدوه في اسمايه عليه السلام وانما
المزمل اسم مشتق من حالته التى كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه
بهذا الاسم فايدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب
وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها لقول النبى صلى الله عليه وسلم
لعلى حين غاضبت فاطمة رضى الله عنها فاتاه وهو نايم وقد لصق بجنبه التراب فقال
له قم ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفه له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفه
قم يا نومان وكان نايما ملاطفة له واشعارا لترك العتب والتانيب فقول الله تعالى لمحمد صلى
الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم الليل فيه تانيس وملاطفه ليستشعر انه غير عاتب عليه
والفايده الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله

تعالى فيه الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف
بتلك الصفة الرابعه قوله تعالى قم الليل قراة العامه بكسر الميم لالتقاء الساكنين
وقرا ابو السماك بضم الميم اتباعا لضمة القاف وحكى الفتح لخفته قال عثمان بن جنى الغرض
بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباى حركة حرك فقد وقع الغرض
وهو من الافعال القاصرة الغير المتعديه الى مفعول فاما ظرف الزمان والمكان فسايغ فيه
الا ان ظرف المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار
وخارج الدار وقد قيل ان قم هنا معناه صل عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة
الاستعمال الخامسة الليل حد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم بيانه
في البقره واختلف هل كان قيامه فرضا وحتما او كان ندبا وحضا والدليل يقوى ان
قيامه كان حتما وفرضا وذلك ان الندب والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه
ليس مخصوصا به وقتا دون وقت وايضا فقد جاء التوقيت بذلك من عايشة وغيرها على
ما ياتى واختلف ايضا هل كان فرضا على النبى صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى
من كان قبله من الانبياء او عليه او على امته ثلاثه اقوال الاول قول سعيد بن جبير لتوجه
الخطاب اليه الثانى قول بن عباس قال كان قيام الليل فريضة على النبى صلى الله
عليه وسلم والانبياء قبله الثالث قول عايشه وابن عباس ايضا وهو الصحيح كما في صحيح
مسلم عن زراره ان سعيد بن هشام بن عامر اراد ان يغزو في سبيل الله الحديث وفيه
فقلت لعايشه انبينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا
يا ايها المزمل قلت بلى قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام
نبى الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثنى عشر شهرا في السما
حتى انزل الله عز وجل في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد
فريضة وذكر الحديث وذكر وكيع ويعلى قالا حدثنا مسعر عن سماك الحنفى قال سمعت بن عباس
يقول لما نزلت اول يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل
اخرها وكان بين اولها واخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبى صلى
الله عليه وسلم واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل فخفف الله عنهم السادسة قوله تعالى
الا قليلا استثنا من الليل اى صل الليل كله الا يسيرا منه لان قيام جميعه على
الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد والقليل من الشئ ما دون النصف
فحكى عن وهب بن منبه انه قال القليل ما دون المعشار والسدس وقال الكلبى
ومقاتل الثلث ثم قال تعالى نصفه او انقص منه قليلا وكان ذلك تخفيفا اذ لم يكن
زمان القيام محدودا فقام الناس حتى ورمت اقدامهم ثم نسخ ذلك بقوله علم
ان لن تحصوه وقال الاخفش نصفه اى او نصفه يقال اعطه درهما درهمين ثلاثه

يريد او درهمين او ثلاثة وقال الزجاج نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف المعنى قم نصف الليل او انقص من النصف قليلا اي الثلث او زد عليه قليلا الى الثلثين وكانه قال قم ثلثي الليل او نصفه او ثلثه وقيل ان نصفه بدل من قوله قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين الناقص منه وبين قيام الزايد عليه كان تقدير الكلام قم الليل الا نصفه او اقل من نصفه واكثر من نصفه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله عز وجل الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الاول فيقول انا الملك من ذا الذي فاستجيب له من ذا الذي يسألني فاعطيه من ذا الذي يستغفرني فاغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر ونحوه عن ابي هريرة وابي سعيد جميعا وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطر الليل او ثلثاه ينزل الله الحديث رواه من طريقين عن ابي هريرة هكذا على الشك وقد جاء في كتاب النسا عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سايل يعطى صححه ابو محمد عبد الحق وبين هذا الحديث مع صحته معنى النزول وان ذلك يكون عند نصف الليل وخرج ابن ماجه من حديث ابن شهاب عن ابي سلمه وابي عبد الله الاغر عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله ربنا تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الاخر كل ليلة فيقول من يسألني فاعطيه من يدعوني فاستجيب له من يستغفرني فاغفر له حتى يطلع الفجر وكانوا يستحبون صلوة اخر الليل على اوله قال علماؤنا وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقران فانهما يبصران من مشكاة واحدة وفي الموطا وغيره من حديث ابن عباس بت عند خالتي ميمونة حتى اذا انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل اسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الى شن معلق فتوضا وضوا خفيفا وذكر الحديث السابعة اختلف العلما في الناسخ الامر بقيام الليل فعن ابن عباس وعايشه ان الناسخ قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخر السورة وقيل قوله علم ان لن تحصوه وعن ابن عباس ايضا هو منسوخ بقوله علم ان سيكون منكم مرضى وعن عايشة ايضا والشافعي ومقاتل وابن كيسان هو منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الناسخ لذلك قوله فاقروا ما تيسر منه قال ابو عبد الرحمن السلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا حتى ورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزل فاقروا ما تيسر منه قال بعض العلماء فهو فرض نسخ به فرض كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله كما قال ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال الشيخ المولف رحمه الله القول الاول نعم جميع هذه الاقوال وقد قال واقيموا الصلوة فدخل فيها

قول

قول من قال ان الناسخ الصلوات الخمس وقد ذهب الحسن وابن سيرين الى ان صلوة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة وعن الحسن ايضا انه قال في هذه الاية الحمد لله تطوع بعد فريضة وهو الصحيح ان شا الله لما جاء في قيامه من الترغيب والفضل في القران والسنة وعن عايشه رضي الله عنها قالت كنت اجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راى جماعتهم كره ذلك وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون فخرج اليهم فقال ايها الناس اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل ادومه وان قل فنزلت يا ايها المزمل وكتبت عليهم وانزل بمنزلة الفريضة حتى ان كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية اشهر فرحمهم الله وانزل ان ربك يعلم انك تقوم الاية فردهم الله الى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به قال الشيخ المولف رحمه الله حديث عايشه هذا ذكره الثعلبي ومعناه ثابت في الصحيح الى قوله وان قل وباقيه يدل على ان قوله تعالى يا ايها المزمل نزل بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون وقد تقدم عنها في صحيح مسلم حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكر غيره عنها وذكر عن ابن عباس انه كان بين اول المزمل واخرها سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه وفي نسخة عنه قولان احدهما انه كان فرضا عليه الى ان قبضه الله تعالى الثاني انه نسخ عنه كما نسخ عن امته وفي مدة فرضه الى ان نسخ قولان احدهما المدة المفروضة على امته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا وقول عايشه ستة عشر شهرا الثاني انها عشر سنين الى ان خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف ليميزه بفعل الرسالة قاله ابن جبير قال الشيخ المولف رحمه الله هذا خلاف ما ذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير حسب ما تقدم فتامله وسياتي لهذه المسيلة زيادة بيان اخر السورة ان شا الله تعالى الثامنة قوله تعالى ورتل القران ترتيلا اي لا تعجل بقراة القران بل اقراه في مهل وبيان مع تدبر المعاني وقال الضحاك اقراه حرفا حرفا وقال مجاهد احب الناس الى الله في القراة اعقلهم عنه والترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام ومنه ثغر رتل ورتل بكسر العين وفتحها اذا كان حسن التنضيد وقدم بيانه في مقدمة الكتاب وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرا اية ويبكي فقال الم تسمعوا الى قول الله تعالى ورتل القران ترتيلا هذا الترتيل وسمع علقمة رجلا يقرا قراة حسنة فقال رتل القران فداه ابي وامي وقال ابو بكر بن طاهر تدبر في لطايف خطابه وطالب نفسك بالقيام باحكامه وقلبك بفهم معانيه وسرك بالاقبال عليه وروى عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بقارى القران يوم القيمة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك

عند اخزايه نقرؤها خرجه ابوداود وقد تقدم في اول الكتاب وروى انس بن مالك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته بالقراة مدا قوله تعالى **انا سنلقي**
عليك قولا ثقيلا هو متصل بما فرض من قيام الليل اى سنلقي عليك بافتراض صلوة
الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام اكثره لم يتهيا له ذلك الا بحمل
شديد على النفس ومجاهدة للشيطان فهو امر يثقل على العبد وقيل اى سنوحي اليك القرآن
وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرايعه قال قتادة ثقيل والله فرايضه وحدوده مجاهد حلاله وحرامه
الحسن العمل به ابو العالية ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين
وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسب الهتهم والكشف عما
حرفه اهل الكتاب السدى يعني كريم ماخوذ من قولهم فلان ثقيل على اى يكرم على الفرا
ثقيلا رزينا ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا وقال الحسين ابن الفضل ثقيلا لا يحمله
الا قلب مويد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله يثقل منازل كما يثقل
في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيمة وقيل ثقيلا اى ثابتا كثبوت الثقيل في محله
ويكون معناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل هو القرآن نفسه كما جاء
في الخبرات النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها
يعني صدرها على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عنه وفي الموطا وغيره انه
عليه السلام سيل كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده
فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فاعي ما يقول قالت عايشه رضى
الله عنها ولقد رايته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد
عرقا قال ابن العربي وهذا اولى لانه الحقيقة وقد جاء وما جعل عليكم في الدين من حرج
وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وقيل القول في هذه السورة هو قول
لا اله الا الله اذ في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان ذكره
القشيري قوله تعالى **ان ناشية الليل** فيه خمس مسايل الاولى قال العلما ناشية الليل
اى اوقاته وساعاته لان اوقاته تنشا اولا فاولا يقال نشا الشي ينشا اذا ابتدا واقبل شيا بعد
شي فهو ناشي وانشاه الله فنشا ومنه نشات السحابة اذا بدات وانشاها الله فناشية فاعلة
من نشات تنشا فهي ناشية ومنه قوله تعالى اومن ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
والمراد ان ساعات الليل الناشية فاكتفى بالوصف عن الاسم فالتانيث للفظ الساعة
لان كل ساعة تحدث وقيل الناشية مصدر بمنزلة الخاطية والكاذبة اى ان نشاة الليل
هى اشد وطا وقيل ان ناشية الليل قيام الليل قال ابن مسعود الحبشة يقولون نشا اى قام
فلعله اراد ان الكلمة عربية ولكنها شايعة في كلام الحبشة غالبة عليهم والا فليس
في القرآن ما ليس من لغة العرب وقد تقدم بيان هذا في مقدمة الكتاب مستوفى
الثانية بين تعالى في هذه الاية فضل صلوة الليل على صلوة النهار وان الاستكثار

من صلوة الليل بالقراة فيها ما امكن اعظم للاجر واجلب للثواب واختلف العلما في المراد بناشية
الليل فقال ابن عمر وانس بن مالك هو ما بين المغرب والعشاء تمسكا بان لفظ نشا يعطي
الابتداء وكان بالاولية احق ومنه قول الشاعر ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشا
الصغار وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذا ناشية الليل وقال
عطا وعكرمة انه بدء الليل وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هى الليل كله لانه تنشا بعد
النهار وهو الذى اختاره مالك بن انس ابن العربي وهو الذى يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة وقالت
عايشه وابن عباس ايضا ومجاهد انما الناشية القيام بالليل بعد النوم ومن قام اول
الليل قبل النوم فما قام ناشية وقال يمان وابن كيسان هو القيام من اخر الليل وقال ابن عباس
كانت صلوتهم اول الليل وذلك ان الانسان اذا قام لا يدري متى يستيقظ وفي الصحاح وناشية
الليل اول ساعاته وقال القتبي انه ساعات الليل لانها تنشى ساعة وعن الحسن ومجاهد هي
ما بعد العشاء الاخرة الى الصبح وعن الحسن ايضا ما كان بعد العشاء فهو ناشية ويقال
ما ينشا في الليل من الطاعات حكاه الجوهري الثالثة قوله تعالى **هى اشد وطا**
قرا ابو العالية وابو عمرو وابن ابي اسحاق ومجاهد وحميد وابن محيصن وابن عامر والمغيرة وابو
حيوة وطاء بكسر الواو وفتح الطاء والمد واختاره ابو عبيد الباقون وطا بفتح الواو وسكون
الطاء مقصورة واختاره ابو حاتم من قولك اشتدت على القوم وطاة سلطانهم اى ثقل
عليهم ما حملهم من المؤن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك
على مضر فالمعنى انها اثقل على المصلي من ساعات النهار وذلك ان الليل وقت منام وتودع
واجمام فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة ومن مده فهو مصدر واطات وطاء
ومواطاة اى وافقته قال ابو زيد واطاته على الامر مواطاة اذا وافقته من الوفاق
وفلان يواطي اسمه اسمي وتواطوا عليه اى توافقوا فالمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر
والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن ابي مليكة وغيرهما
وقال ابن عباس بمعناه اى يواطي السمع القلب قال الله تعالى ليواطيوا عدة ما حرم
الله اى ليوافقوا وقيل المعنى اشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر والوطاء خلاف
الغطاء وقيل اشد وطا بسكون الطاء وفتح الواو اى اشد ثباتا من النهار فان الليل
يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت للعمل والقى لما يلهى ويشغل القلب والوطء
الثبات تقول وطيت الارض بقدمي وقال الاخفش اشد قياما الفرا اثبت قراءة
وقياما وعنه اشد وطا اى اثبت للعمل وادوم لمن اراد الاستكثار من العبادة
والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي اشد
وطاء واقوم اى اشد نشاطا للمصلي لانه في زمان راحته وقال عبادة اشد
واحفظ واثبت للقراءة الرابعة قوله تعالى **واقوم قيلا** اى القراءة
بالليل اقوم منها بالنهار اى اشد استقامة واستمرار على الصواب لان

الاصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقراه قال
قتاده ومجاهد اى اصوب للقراة واثبت للقول لانه زمان التفهم وقال ابو علي اقوم
قيلا اى اشد استقامة لفراغ البال بالليل وقيل اى اعجل اجابة للدعاء حكاه بن شجره
وقال عكرمة وقتاده الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة وعن زيد بن اسلم
اجدر ان يتفقه في القران وعن الاعمش قال قرا انس بن مالك ان ناشئة الليل
هي اشد وطأ واصوب قيلا فقيل له واقوم قيلا فقال اقوم واصوب واهيا سوا
قال ابو بكر الانباري وقد ترامى ببعض هولاء الزايغين الى ان قال ان من قرا بحرف
يوافق معنى حرف من القران فهو مصيب اذا لم يخالف ولم يات بغير ما اراد الله
وقصده واحتجوا بقول انس هذا وهذا قول لا يعرج عليه ولا يلتفت الى قايله لانه لو قرى
بالفاظ تخالف الفاظ القران اذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها لجاز ان يقرا في
موضع الحمد لله رب العالمين الشكر للباري ملك المخلوقين ويتسع الامر في هذا حتى يبطل
لفظ جميع القران ويكون التالي مفتريا على الله جل وعز كاذبا على رسول الله عليه السلام ولا
حجة لهم في قول بن مسعود نزل القران على سبعة احرف انما هو كقول احدكم هلم وتعالى واقبل
لان هذا الحديث يوجب ان القراات الماثوره المنقوله بالاسانيد الصحاح عن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اختلفت الفاظها واتفقت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في
هلم وتعالى واقبل فاما ما لم يقرا به نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم رضي
الله عنهم فانه من اورد حرفا منه في القران بهت ومان وخرج عن مذاهب الصواب قال
ابو بكر والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة حديث لا يصح عند اهل العلم
لانه مبني على رواية الاعمش عن انس فهو مقطوع ليس بمتصل فيوخذ به من قبل ان الاعمش
راى انسا ولم يسمع منه الخامسة قوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا قراءة العامة
بالحا غير معجمة اى تصرفا في حوايجك واقبالا وادبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجري والدوران
ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امرو القيس
اذا ما السابحات على الونا اثرن غبارا بالكديد المركل وقيل السبح الفراغ اى ان لك
فراغا للحاجات بالنهار وقيل ان لك في النهار سبحا اى نوما والتسبيح التمدد ذكره الخليل
وعن بن عباس وعطا سبحا طويلا يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك فاجعل ناشية الليل لعبادتك
وقال ان فاتك في الليل شي فلك في النهار فراغ للاستدراك وقرا يحيى وابن يعمر وابو وايل
سبخا بالخا المعجمة قال المهدوي ومعناه النوم روى ذلك عن القاريين بهذه القراة وقيل
معناه الخفة والسعة والاستراحة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة وقد دعت
على سارق ردا لها لا تسبخي بدعايك عليه اى لا تخففي عنه اثمه قال الشاعر
فسبخ عليك الهم واعلم بانه اذا قدر الرحمن شيا فكاين الاصمعي يقال سبخ الله عنك
الحمى اى خففها وسبخ الحر فتر وخف والتسبيخ النوم الشديد والتسبيخ توسع القطن والكتان

والصوف

والصوف وتنفيشها يقال للمراة سبخي قطنك والسبيخ من القطن ما يسبخ بعد الندف اى تلف لتغزله
المراة والقطعة منه سبيخة وكذلك من الصوف والوبر ويقال لقطع القطن سبايخ قال الاخطل
نصف القياص الكلاب فارسلوهن يذرين التراب كما يذري سبايخ قطن بدف اوتار وقال
ثعلب السبخ التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الحمى
من فيح جهنم فسبخوها بالماء اى سكنوها وقال ابو عمر السبخ النوم والفراغ قال الشيخ المولف رحمه
الله تعالى هذا يكون من الاضداد ويكون بمعنى السبح بالحا غير المعجمه قوله تعالى واذكر
اسم ربك فيه ثلاث مسايل الاول قوله واذكر اسم ربك اى ادعه باسمايه الحسنى
ليحصل لك مع الصلوة محمود العاقبة وقيل اقصد بعملك وجه ربك وقال سهل اقرا باسم
الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلواتك توصلك بركة قراتها الى ربك وتقطعك عما سواه
وقيل واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته وقال الكلبي
صل لربك اى بالنهار قال الشيخ رحمه الله وهذا حسن لانه لما ذكر الليل ذكر النهار
اذ هو قسيمه وقد قال وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر على ما تقدم
الثانيه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا التبتل الانقطاع الى عبادة الله عز وجل
اى انقطع بعبادتك اليه ولا تشرك به غيره يقال بتت الشي اذا قطعته ومنه قولهم طلقها
بتة بتلة وهذه صدقة بتة بتلة اى باينة منقطعة عن صاحبها اى قطع ملكه عنها بالكلية
ومنه مريم البتول لانقطاعها الى الله تعالى ويقال للراهب متبتل لانقطاعه عن الناس
وانفراده بالعبادة قال تضي الظلام بالعشاء كانها منارة ممسى راهب متبتل وفي الحديث
النهي عن التبتل وهو الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله
بن عرفه والاول اقوى لما ذكرنا ويقال كيف قال تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل لان معنى تبتل بتل نفسه
فجي به على معناه مراعاة لحق الفواصل الثالثه قد مضى في المايده في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم كراهة لمن تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه
كفاية قال بن العربي واما اليوم وقد مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولى الحرام
على الحكام فالعزلة خير من الخلطة والعزلة افضل من التاهل ولكن معنى الاية انقطع
عن الاوثان والاصنام عن عبادة غير الله وكذلك قال مجاهد معناه اخلص له العبادة
ولم يرد التبتل ماموراً في القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا
يتناقضان وانما بعث ليبين للناس ما نزل اليهم فالتبتل الماموربه الانقطاع الى الله باخلاص
العبادة كما قال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك
النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم
غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قوله تعالى رب المشرق
والمغرب قرا اهل الحرمين وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو وابن ابي اسحاق وحفص
رب بالرفع على الابتدا والخبر لا اله الا هو وقيل على اضمار هو ابتداء وقرا دب بالخفض على

بحث الرب تعالى في قوله واذكر اسم ربك رب المشرق ومن علم انه رب المشارق والمغارب انقطع
بجمله وامله اليه فاتخذه وكيلا اى قايما باموره وقيل كفيلا اى عدل قوله تعالى
واصبر على ما يقولون اى من الاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع
من دعائهم واهجرهم هجرا جميلا اى لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان في ذلك ترك
الدعا الى الله وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر بعد بقتالهم وقتلهم فنسخت آية القتال
ما كان قبلها من الترك قاله قتادة وغيره وقال ابو الدردا انا لنكشر في وجوه ونضحك
اليهم وان قلوبنا لتقليهم او لتلعنهم قوله تعالى وذرني والمكذبين اى ارض
بي لعقابهم نزلت في صناديد قريش ورؤسا مكة من المستهزئين وقال مقاتل نزلت في
المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم في الانفال وقال يحيى ابن سلام
انهم بنوا المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا اولي النعمة اى اولي الغنى والترفه
واللذة في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الى مدة اجالهم قالت عايشه رضي الله عنها لما نزلت هذه
الآية لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر وقيل ومهلهم قليلا مدة الدنيا قوله تعالى ان
لدينا انكالا وجحيما الانكال القيود عن الحسن ومجاهد وغيرهما واحدها نكل وهو ما منع
الانسان من الحركة وقيل سمي نكلا لانه ينكل به قال الشعبي ايرون ان الله تعالى جعل الانكال
في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا لا والله ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت بهم
وقال الكلبي الانكال الاغلال والاول اعرف في اللغة ومنه قول الخنساء دعاك فقطعت انكاله وقد كن
قبلك لا تقطع وقيل انه انواع العذاب الشديد قاله مقاتل وقد جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى يحب النكل على النكل بالتحريك قاله الجوهري قيل وما النكل قال الرجل القوي المجرب
على الفرس القوي المجرب ذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك الغل وكل عذاب
قوي فاشتد والجحيم النار المؤججة وطعاما ذا غصة اى غير سايغ ياخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج
وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج
وقال الزجاج اى طعامهم الضريع كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع وهو شوك كالعوسج وقال مجاهد
هو الزقوم كما قال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والمعنى واحد وقال حمران بن اعين قرا النبي
صلى الله عليه وسلم ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة فصعق وقال خليد بن حسان امسى
الحسن عندنا صايما فاتيته بطعام فعرضت له هذه الآية ان لدينا انكالا وجحيما فقال ارفع الطعام
فلما كانت الثانية اتيته بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعوه ومثله في الثالثة فانطلق
ابنه الى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكا فحدثهم فجاوه فلم يزالوا به حتى شرب شربة
من سويق والغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق من عظم وغيره وجمعها غصص والغصص بالفتح
مصدر قولك غصصت يا رجل تغص فانت غاص بالطعام وغصان واغصصته انا والمنزل غاص
بالقوم اى ممتلي بهم قوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اى تتحرك وتضطرب بمن
عليها وانتصب يوم على الظرف اى ينكل لهم ونعذبهم يوم ترجف الارض وقيل بما في لدينا وقيل

بنزع الخافض يعني هذه العقوبة في يوم ترجف الارض والجبال وقيل العامل ذرني اى وذرني والمكذبين
يوم ترجف وكانت الجبال اى وتكون الجبال كثيبا مهيلا الكثيب الرمل المجتمع قال حسان عرفت ديار زينب بالكثيب كخط
الوحي في الورق القشيب والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطيته
بالقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال وقال ابن عباس مهيلا اى رملا سايلا اهاله وهيلا
متناثرا واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا صببته
يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر قد كان قومك
يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انهم شكوا
اليه الجدوبة اتكيلون ام تهيلون قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واهلت
الدقيق لغة في هلت فهو مهال ومهيل حذفت الواو لان اليا ينقل فيها الضمة فحذفت
فسكنت هي والواو ولا التقاء الساكنين قوله تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا
يريد النبي عليه السلام ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى فعصى
فرعون الرسول اى كذب به ولم يومن قال مقاتل ذكر موسى وفرعون لان اهل مكة ا ز
دروا محمدا عليه السلام واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى موسى لانه
رباه ويشافهها بينهم كما قال الم نربك فينا وليدا قال المهدوي ودخلت الالف واللام
في الرسول لتقدم ذكره ولذلك في اول الكتب سلام عليكم وفي آخرها السلام عليكم
قوله وبيلا اى شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل اى شديد قاله ابن عباس ومجاهد
ومنه مطر وابل اى شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اى ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر
وابل وقيل مهلكا قال اكلت بنيك اكل الضب حتى وجدت مرارة الكلا الوبيل
واستوبل فلان كذا اى لم يحمد عاقبته وما وبيل اى وخيم اى غير مري وكلا مستوبل اذا لم
يمري ولم يستمري قال زهير فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كلا مستوبل متوخم وقالت الخنسا
لقد اكلت بجيلة يوم لاقت فوارس مالك اكلا وبيلا والوبيل ايضا العصا الضخمة قال لو
اصبح في يمنى يدي زمامها وفي كفي الاخرى وبيل تحاذره وكذلك الموبل بكسر البا والموبلة
ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفة عقيلة شيخ كالوبيل البدد قوله تعالى
فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا هو تقريع وتخويف اى
كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير اى كيف تتقون يوما يجعل الولدان
شيبا ان كفرتم وكذا قراة عبد الله وعطيه قال الحسن اى باى صلوة تتقون العذاب باى
صوم تتقون العذاب وفيه اضمار اى كيف تتقون عذاب يوم وقال قتادة والله ما يتقي من
كفر بالله ذلك اليوم بشي ويوما مفعول بتتقون على هذه القراة وليس بظرف وان قدر
الكفر بمعنى الجحود كان اليوم المفعول كفرتم وقال بعض المفسرين وقف التمام على قوله
ان كفرتم والابتدا يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل والفعل لله عز وجل كانه قال
يجعل الله الولدان شيبا في يوم ابن الانباري وهذا لا يصلح لان اليوم هو الذي يفعل

هذا من شدة هوله المهدوى والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله عز وجل ويجوز ان يكون
لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك اذا كان الضمير لله عز وجل
الا مع تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا ابن الانبارى ومنهم
من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم احتاج الى صفة كفرتم بيوم فان احتج
محتج بان الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها احتججنا عليه بقراءة عبد الله وكيف تتقون يوما قال
الشيخ المؤلف رحمه الله هذه القراءة ليست متواترة وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر بمعنى
الجحود فيوما مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها اى فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة
والجزاء وقرا ابو السمال قعنب فكيف تتقون بكسر النون على الاضافة والولدان الصبيان وقال السدى
هم اولاد الزنا وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اى يشيب فيه الصغير من غير كبر وذلك حين يقال
لادم يا ادم قم فابعث بعث النار على ما تقدم فى اول سورة الحج قال القشيرى ثم اهل الجنة يغير الله
احوالهم واوصافهم على ما يريد وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز لان يوم القيمة لا
يكون فيه ولدان ولكن معناه ان هيبة ذلك حال لو كان فيه هناك صبى لشاب راسه من الهيبة
ويقال هذا وقت الفزع قبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق فالله اعلم الزمخشرى وقد مر بى
في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة امسى صح
فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى
النار فمن هول ذلك اليوم اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغوا
فيه اوان الشيخوخة والشيب قوله تعالى السما منفطر به اى منشقة بشدته ومعنى به
اى فيه اى في ذلك اليوم لهوله هذا احسن ما قيل فيه ويقال مثقلة به اثقالا يؤدى الى انفطارها
لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه لقوله ثقلت في السموات والارض وقيل به اى لذلك اليوم
يقال فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك والباء واللام وفى متقارب فى مثل هذا الموضع قال الله
تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة اى في يوم القيمة وقيل به اى بالامر اى السما منفطر
بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اى بامره وقال ابو عمرو بن العلا لم يقل منفطرة لان
مجازها السقف يقول هذا سما البيت قال الشاعر فلو رفع السماء اليه قوما لحقنا بالسماء
وبالسحاب وفي التنزيل وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الفرا السما يذكر ويونث وقال
ابو على هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر وقال ابو على هو من باب الجراد
المنتشر ايضا اى السماء ذات انفطار لقولهم امراة مرضع اى ذات ارضاع فجرى على طريق
النسب كان وعده اى بالقيمة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف قال
مقاتل فان وعده بان يظهر دينه على الدين كله قوله تعالى ان هذه تذكرة
يريد هذه السورة او الايات عظة وقيل ايات القران اذ هو كالسورة الواحدة
فمن شا اتخذ الى ربه اى من اراد ان يؤمن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا اى طريقا
الى رضاه ورحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحجج والدلايل وقيل نسخت

بايه السيف وكذلك قوله فمن شاء ذكره قال الثعلبى والاشبه انه غير منسوخ قوله تعالى
ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل الى اخر السورة فيه ثلاث عشر
مسئلة الاولى هذه الاية تفسير لقوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه كما تقدم وهى الناسخة لفريضة صلوة الليل كما تقدم تقوم معناه تصلى وادنى
اى اقل وقرا ابن السميفع وابو حيوة وهشام عن اهل الشام ثلثى باسكان اللام ونصفه وثلثه
بالخفض قراءة العامة عطفا على ثلثى المعنى وتقوم ادنى من ثلثى الليل ومن نصفه وثلثه
واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله علم ان لن تحصوه فكيف يقومون نصفه او ثلثه وهم
لا يحصونه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى التقدير تقوم
ادنى من ثلثى الليل وتقوم نصفه وثلثه قال الفرا وهو اشبه بالصواب لانه قال
اقل من الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة القشيرى وعلى هذه القراة يحتمل انهم
كانوا يصيبون الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون في الزيادة
اصابة المقصود فاما الثلثان وكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل
انهم امروا بقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة والنقصان فكانوا ينتهون في
الزيادة الى قريب من الثلثين وفى النصف الى الثلث ويحتمل انهم قدر لهم النصف وانقص
الى الثلث والزيادة الى الثلثين وكان منهم من يفي بذلك ومنهم من يترك ذلك الى ان نسخ
عنهم وقال قوم انما افترض عليهم الربع فكانوا ينقصون من الربع وهذا القول
يحكم الثانية قوله تعالى والله يقدر الليل والنهار اى يعلم مقادير الليل
والنهار على حقايقها وانتم تعلمون بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطا علم ان لن
تحصوه اى لن تطيقوا معرفة حقايق ذلك والقيام به وقيل ان لن تطيقوا قيام الليل
والاول اصح فان قيام الليل ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزل قم الليل الا
قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدرى
متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطى فانتفخت اقدامهم وانتفعت
الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم فقال تعالى علم ان لن تحصوه وان مخففة من
الثقيلة اى علم انكم لن تحصوه لانكم ان زدتم ثقل عليكم واحتجتم الى تكليف ما ليس امروا صح
فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم الثالثة قوله تعالى فتاب عليكم
اى فعاد عليكم بالعفو وهذا يدل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل اى فتاب
عليكم من فرض القيام اذ عجزتم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع لكم من تثقيل
الى تخفيف ومن عسر الى يسر وانما كانوا يحفظون الاوقات على طريق التحرى فخفف عنهم ذلك
التحرى وقيل المعنى والله يقدر الليل والنهار خلقهما مقدرين لقوله وخلق كل شىء
فقدره تقديرا ابن العربى تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم وانما يربط ما شاء من وظايف
التكليف الرابعة قوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر من القران فيه قولان احدهما

ان المراد نفس القراة اى فاقرؤا فيما تصلونه بالليل ما خف عليكم قال السدى مائة اية الحسن
من قرا مائة اية في ليلة لم تحاجه القرآن وقال كعب من قرا في ليلة مائة اية كتب من
العابدين ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده من حديث
عبد الله بن عمرو وقد ذكرناه في مقدمة الكتاب والحمد لله القول الثاني فاقرؤا ما تيسر منه اى
فصلوا ما تيسر عليكم والصلوة تسمى قرآنا كقوله وقرآن الفجر اى صلوة الفجر ابن العربى و هو
الاصح لانه عن الصلوة اخبر واليها يرجع القول قال الشيخ المؤلف رحمه الله الاول اصح حملا
للخطاب على ظاهر اللفظ والقول الثانى مجاز فانه من تسمية الشى ببعض ما هو من اعماله الخامسة
قال بعض العلماء قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة
عليه ثم احتمل قول الله عز وجل فاقرؤا ما تيسر منه معنيين احدهما ان يكون فرضا ثانيا لانه ازيل به
فرض غيره والاخر ان يكون فرضا منسوخا ازيل بغيره كما ازيل به غيره وذلك كقول الله تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فاحتمل قوله ومن الليل
فتهجد به نافلة لك اى يتهجد بغير الذى فرض عليه مما تيسر منه قال الشافعي وكان
الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
تدل على ان لا واجب من الصلوة الا الخمس السادسة قال القشيري ابو نصر والمشهور ان
نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة في حق النبى صلى الله عليه وسلم وقيل
نسخ التقدير بمقدار وبقى اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدى فالهدى لا بد منه
كذلك لم يكن بد من صلوة الليل ولكن فوض قدره الى اختيار المصلى وعلى هذا فقال قوم
فرض قيام الليل بالقليل وهو مذهب الحسن وقال قوم نسخ بالكلية ولا تجب صلوة الليل
اصلا وهو مذهب الشافعي ولعل الفريضة التى بقيت في حق النبى صلى الله عليه وسلم
هى هذا وهو قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى
فاقرؤا ما تيسر منه معناه اقرؤا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم وصار قوم الى ان
النسخ بالكلية تقرر في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فما كانت صلوة الليل واجبة
عليه وقوله نافلة لك محمول على حقيقة التنفل ومن قال النسخ المقدار وبقى اصل وجوب قيام
الليل ثم نسخ فهذا النسخ الثانى وقع بيان مواقيت الصلوة لقوله اقم الصلوة لدلوك
الشمس وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وما في الخبر من ان الزيادة
على الصلوة الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك والخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم وللامة كما ان فرضية الصلوة وان خوطب بها النبى صلى الله عليه
وسلم في قوله يا ايها المزمل قم الليل كانت عامة له ولغيره وقد قيل ان فريضة قيام
الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله تعالى علم ان سيكون منكم
مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله
وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ

يقوله

بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة نسخ قول الله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى وجوب صلوة الليل السابعة
قوله تعالى **علم ان سيكون منكم مرضى** الاية بين سبحانه علة تخفيف قيام
الليل فان الخلق منهم المريض ويشق عليهم قيام الليل ويشق عليهم ان تفوتهم الصلوة
والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل والمجاهد لذلك فخفف الله عن الكل
لاجل هؤلاء وان في سيكون مخففة من الثقيلة اى علم انه سيكون الثامنة سوى الله تعالى
في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان
والافضال فكان هذا دليلا على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله
وروى ابراهيم عن علقمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من
بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله وقال
ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان
عند الله بمنزلة الشهداء وقرا وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون
في سبيل الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الى ان اموت بين
شعبتى رحلى ابتغى من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعى على الارملة والمسكين
كالمجاهد في سبيل الله وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة
الى البصرة وكتب الى وكيله بع الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة
في السعر فقال التجار للوكيل ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه
امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع
سلامة ديننا وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابى هذا فخذ المال وتصدق
به على فقراء البصرة وليتنى انجو من الاحتكار كفافا لا على ولا لى ويروى ان غلاما من
اهل مكة كان ملازما للمسجد فافتقده ابن عمر فمشى الى بيته فقالت امه هو على طعام
له يبيعه فلقيه فقال له يا بنى ما لك وللطعام فهلا ابلا فهلا بقرا فهلا غنما ان صاحب
الطعام يحب المحل وصاحب الماشية يحب الغيث الخامسة قوله تعالى **فاقرؤا
ما تيسر منه** اى صلوا ما امكن فاوجب الله من صلوة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك
بايجاب الصلوات الخمس على ما تقدم قال ابن العربى وقد قال قوم ان فرض قيام الليل
سنن في ركعتين من هذه الاية قاله البخارى وغيره وعقد بابا وذكر فيه حديث يعقد
الشيطان على قافية راس احدكم ثلاث عقد تضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل
فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده
فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وذكر حديث سمرة من

حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا قال أما الذي يثلغ رأسه بالحجر فإنه يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وحديث عبد الله بن مسعود قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه قال ابن العربي وهذه أحاديث مقتضية مطلق الصلاة المكتوبة فيحمل المطلق على المعتد لاحتماله ويسقط الدعوى ممن عينه لقيام الليل وفي الصحيح واللفظ للبخاري قال عبد الله بن عمرو قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم ولا أخبر بمثل هذا الخبر عنه بل كان يذمه غاية الذم وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت غلاما شابا عزبا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار قال ولقينا ملك فقال لي لم ترع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا فلو كان ترك القيام معصية لما قال له الملك لم ترع العاشرة إذا ثبت أن قيام الليل ليس بفرض وأن قوله فاقرءوا ما تيسر من القرآن فاقرءوا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراءة في الصلاة فاختلف العلماء في قدر ما يلزمه أن يقرأ به في الصلاة فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا يجزي العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره أبو حنيفة بآية واحدة من أي القرآن كانت وعنه ثلاث آيات لأنها أقل سورة ذكر قول الأول الماوردي والثاني ابن العربي والصحيح ما ذهب إليه مالك والشافعي على ما بيناه في سورة الفاتحة أول الكتاب والحمد لله وقيل إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة قال الماوردي فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولا على الوجوب أو على الاستحباب دون الوجوب وهذا قول الأكثرين لأنه لو وجب عليه أن يقرأه لوجب أن يحفظه الثاني محمول على الوجوب ليقف بقراءته على إعجازه وما فيه من دلائل التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل التوحيد منه أن يحفظه لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة وفي قدر ما يتضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقاويل أحدها جميع القرآن لأن الله تعالى يسره على عباده قاله الضحاك الثاني ثلث القرآن حكاه جويبر الثالث مائتا آية قاله السدي الرابع مائة آية قاله ابن عباس الخامس ثلاث آيات كأقصر سورة قاله أبو خالد الكناني الحادية عشر **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ** يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها وآتوا الزكاة الواجبة في أموالكم قاله عكرمة وقتادة وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لأن زكاة

الأموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل أفعال الخير وقال ابن عباس طاعة الله والإخلاص له والله أعلم الثانية عشر قوله تعالى **وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا** القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقد مضى في سورة الحديد بيانه وقال زيد بن أسلم القرض الحسن النفقة على الأهل وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله الثالثة عشر قوله تعالى **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ** تقدم في البقرة وروي عن عمر بن الخطاب أنه اتخذ حيسا يعني تمرا بلبن فجاءه مسكين فأخذه ودفعه إليه فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين ما هو فقال عمر لكن رب المسكين يدري ما هو فكأنه تأول وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا أي مما تركتم وخلفتم ومن الشح والتقصير وأعظم أجرا قال أبو هريرة الجنة ويحتمل أن يكون أعظم أجرا الإعطاء بالحسنة عشرا ونصب خيرا وأعظم على المفعول الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد في قول الكوفيين لا محل له في الإعراب وأجرا تمييز واستغفروا الله أي سلوه المغفرة لذنوبكم إن الله غفور رحيم لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير

سورة المدثر مكية في قول الجميع وهي ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** فيه ست مسائل الأولى قوله يا أيها المدثر أي يا ذا الذي قد تدثر بثيابه أي تغشى بها وينام وأصله المتدثر فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما وقرأ أبي المتدثر على الأصل وقال معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئثت منه فرقا فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وفي رواية قبل أن تفرض الصلاة وهي الأوثان قال ثم تتابع الوحي خرجه الترمذي أيضا وقال حديث حسن صحيح قال مسلم وحدثنا زهير بن حرب قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الأوزاعي قال سمعت يحيى يقول سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل قال يا أيها المدثر فقلت أو اقرأ فقال سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل قال يا أيها المدثر فقلت أو اقرأ فقال جابر أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدا ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبريل صلى الله عليه وسلم فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دثروني فصبوا علي ماء فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر خرجه البخاري وقال فيه فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا

فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ابن العربي وقد قال بعض المفسرين انه جرى على النبي صلى الله عليه وسلم من عقبه امر فرجع الى منزله مغموما فقلق واضطجع فنزلت يا ايها المدثر وهذا باطل قال القشيري ابو نصر وقيل بلغه قول كفار مكة انت ساحر فوجد من ذلك غما وحم فتدثر بثيابه فقال الله تعالى قم فانذر اي لا تفكر في قولهم وبلغهم الرسالة وقيل اجتمع ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وايل والمطعم بن عدي وقالوا قد اجتمعت وفود العرب في ايام الحج وهم يتساءلون عن امر محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قايل يقول مجنون وآخر كاهن وآخر يقول شاعر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام منهم رجل فقال شاعر فقال الوليد سمعت كلام ابن الابرص وامية ابن ابي الصلت وما يشبه كلام محمد كلام واحد منهما فقالوا كاهن فقال الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد قط وانصرف الوليد الى بيته فقالوا صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل وقال مالك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه انك قد احتجت وصبأت فقال الوليد ما لي الى ذلك حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت ما يكون من الساحر فقيل يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المراة وزوجها فقلت انه ساحر شاع هذا في الناس وصاحوا يقولون محمد ساحر ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة ونزلت يا ايها المدثر وقال عكرمة معنى يا ايها المدثر اي المدثر بالنبوة واثقالها ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن تمكن منها بعد ان كانت ثاني ما نزل **الثانية** قوله تعالى **يا ايها المدثر** ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد ويا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في المزمل ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اذ نام في المسجد قم ابا تراب وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه واصابه ترابه خرجه مسلم ومثله قوله عليه السلام لحذيفة ليلة الخندق قم يا نومان وقد تقدم **الثالثة** قوله تعالى **قم فانذر** اي خوف اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته لانه مقدمة الرسالة وقيل هو دعاؤهم الى التوحيد لانه المقصود بها وقال الفراء قم فصل وامر بالصلوة **الرابعة** قوله تعالى **وربك فكبر** اي سيدك ومالكك ومصلح امرك فعظم وصفه بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي حديث انهم قالوا بم تفتتح الصلوة فنزلت وربك فكبر اي صفه بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير الصلوة فانه مراد فيه تكبير التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه ولا يرى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه وقد روي ان ابا سفين قال يوم احد اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار

فقام آخر فقال مجنون فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما خنق محمد قط صح

ضعيف بعيد وعلى انها اول القرآن لم يكن صح

هذا

هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلوة وذكرى بقوله الله اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارد منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالذبايح لله تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه بالنسك وافراد لما شرع لامره بالنسك قال الشيخ المولف رحمه الله قد تقدم في اول البقرة ان هذا اللفظ الله اكبر هو المتعبد به في الصلوة المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي التفسير انه لما نزل قوله وربك فكبر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة وعلمت انه الوحي من الله تعالى ذكره القشيري **الخامسة** الفاء في قوله فكبر دخلت على معنى جواب الجزاء كما دخلت في فانذر اي قم فانذر وقم فكبر ربك قاله الزجاج وقال ابن جني هو كقولك زيدا فاضرب اي زيدا اضرب فالفاء زايدة **السادسة** قوله تعالى **وثيابك فطهر** فيه ثمانية اقاويل احدها ان المراد بالثياب العمل الثاني القلب الثالث النفس الرابع الجسم الخامس الاهل السادس الخلق السابع الدين الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر فمن ذهب الى الاول قال تاويل الآية وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد وروى منصور عن ابي رزين قال يقول وعملك فاصلح وكان الرجل اذا كان خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان حسن العمل قالوا ان فلانا طاهر الثياب ونحوه عن السدي ومنه قول الشاعر لاهم ان عامر بن جهم اوذم حجا في ثياب دسم ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ومن ذهب الى الثاني قال تاويل الآية وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير دليله قول امري القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسل اي قلبي من قلبك قال الماوردي ولهم في تاويل الآية وجهان احدهما معناه وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي قاله ابن عباس وقتادة الثاني وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر فتكون دنس الثياب وهذا مروي عن ابن عباس واستشهد بقول الشاعر هو غيلان بن سلمة الثقفي فاني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدرة اتقنع ومن ذهب الى الثالث قال تاويل الآية ونفسك فطهر اي من الذنوب والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس ومنه قول عنترة فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم وقال امرؤ القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسل وقال ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم عند المشاهد غران اي انفس بني عوف ومن ذهب الى الرابع قال تاويل الآية وجسمك فطهر اي عن المعاصي الظاهرة ومما جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب قول ليلى وذكرت ابلا ركبوها رموها باثواب خفاف ولا ترى لها شبها الا النعام المنفرا اي ركبوها فرموها بانفسهم ومن ذهب الى الخامس قال تاويل الآية واهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال الله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن الماوردي

ولهم في تاويل الآية وجهان احدهما معناه ونساك فطهر باختيار المؤمنات العفايف الثاني
الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر في الطهر والحيض حكاه بن بحر ومن ذهب الى السادس
قال تاويل الآية وخلقك فحسن قاله الحسن والقرطبي لان خلق الانسان مشتمل على احواله
اشتمال ثيابه على نفسه وقال الشاعر وتجني لا يلام بسوء خلق وتجني طاهر الاثواب حر
اي حسن الاخلاق ومن ذهب الى السابع قال تاويل الآية ودينك فطهر وفي الصحيحين
عنه عليه السلام قال ورايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها دون
ذلك ورايت عمر بن الخطاب وعليه ازار يجره فقال يا رسول الله ما اولت ذلك قال الدين
وروى بن وهب عن مالك انه قال ما يعجبني ان اقرا القرآن الا في الصلوة والمساجد
لا في الطرق قال الله تعالى وثيابك فطهر يريد مالك انه كنى عن الثياب بالدين وقد روى
عبد الله بن نافع عن ابي بكر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن مالك بن
انس في قوله وثيابك فطهر اي لا يلبسها على غدرة ومنه قول ابي كبشة ثياب بني عوف
طهارى نقية واوجههم عند المشاهد غران يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم عن
الدناءات ويعني بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات او جمالهم في الخلقة او كليهما
قاله بن العربي وقال سفين بن عيينة لا يلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم وقاله
عكرمة ومنه قول الشاعر اوذفر حجا في ثيان دنسهم اي قد دنسها بالمعاصي وقال
النابغة رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب ومن ذهب الى
وقال ان المراد بها الثياب الملبوسات فلهم في تاويله اربعة اوجه احدها معناه
وثيابك فانق ومنه قول امرؤ القيس ثياب بني عوف طهارى نقية الثاني وثيابك
فشمر وقصر وان يقتصر الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على الارض لم يؤمن
ان يصيبها ما ينجسها قاله الزجاج وطاوس الثالثة وثيابك فطهر من النجاسة بالماء
قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء الرابع لا يلبس ثيابك الا من كسب حلال لتكون
مطهرة من الحرام وعن بن عباس لا يكن ثيابك التي يلبس من مكسب غير طايل ابن
العربي وذكر بعض ما ذكرناه ليس يمتنع ان تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة
والمجاز واذا حملناها على الثياب المعلومة الظاهرة فهي تتناول معنيين احدهما تقصير
الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام
من الانصار وقد راى ذيله مسترخيا ارفع ازارك فانه انقى واتقى وابقى وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم في الصحيح ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه
وبين الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم
الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون اذيالهم
ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه حالة الكبر وقايده العجب
بمن لم يجعل الله معه غيره ولا لحق به سواه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله

الى

الى من جر ثوبه خيلاء ولفظ الصحيح من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة قال ابو بكر
يا رسول الله ان احد شقي ازاري يسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي واستثنى الصديق
فاراد الادنياء الحاق انفسهم بالرفعاء وليس ذلك لهم والمعنى الثاني غسلها عن النجاسة وهو
ظاهر منها صحيح فيها المهدوي وبه استدل بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب قال بن
سيرين وابن زيد لا تصل الا في ثوب طاهر واحتج بها الشافعي على وجوب طهارة الثوب
وليست طهارة الثوب عند مالك واهل المدينة بفرض وكذلك طهارة البدن ويدل على ذلك
الاجماع على جواز الصلوة بالاستجمار من غير غسل وقد مضى هذا المعنى في سورة براءة مستوفى
قوله تعالى **والرجز فاهجر** قال مجاهد وعكرمة معنى الاوثان دليله قوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقاله بن عباس وابن زيد وعن ابن عباس ايضا والمأثم
اثم فاهجر اي فاترك وكذا روى مغيرة عن ابرهيم النخعي قال الرجز الاثم وقال قتادة الرجز
اساف ونايلة صنمان كانا عند البيت وقيل الرجز العذاب على تقدير حذف المضاف
والمعنى وعمل الرجز فاهجر والعمل المؤدي الى العذاب واصل الرجز العذاب قال الله
تعالى لئن كشفت عنا الرجز وقال فارسلنا عليهم رجزا من السماء فسميت الاوثان
رجزا لانها تؤدي الى العذاب وقراءة العامة الرجز بكسر الراء وقرا الحسن وعكرمة
ومجاهد وبن محيصن وحفص عن عاصم والرجز بضم الراء وهما لغتان مثل الذكر
والذكر وقال ابو العالية والربيع والكسائي الرجز بالضم الصنم وبالكسر النجاسة
والمعصية وقال الكسائي ايضا بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدي الرجز بنصب
الراء الوعيد قوله تعالى **ولا تمنن تستكثر** فيه احدى عشر تاويلات الاول
لا تمنن على ربك بما تتحمله من اثقال النبوة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير الثاني
لا تعط عطية تلتمس بها افضل منها قاله بن عباس وعكرمة وقتادة وقال
الضحاك هذا حرمه الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه مأمور باشرف
الآداب واجل الاخلاق واباحه لامته وقاله مجاهد الثالث عن مجاهد ايضا
لا يضعف ان يستكثر من الخير من قولك حبل متين اذا كان ضعيفا ودليله
قراءة بن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير الرابع عن مجاهد ايضا والربيع لا تعظم
عملك في عينك ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله عليك قال بن كيسان لا
تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل لك سبيلا الى
عبادته الخامس قال الحسن لا تمنن على الله بعملك فتستكثره السادس
لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتاخذ منهم اجرا تستكثره السابع قال
القرطبي لا تعط مالك مصانعة الثامن قال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية
فاعطها لربك التاسع لا تقل دعوت فلم يستجب لي العاشر لا تعمل طاعة وتطلب

ثوابها ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذى يثيبك عليها الحادى عشر لا يفعل الخير لترائى به الناس
الثانية هذه الاقوال وان كانت مراده فاظهرها قول ابن عباس لا يعط ليا خذ اكثر مما اعطيت
من المال يقال مننت فلانا كذا اى اعطيته ويقال العطية المن فكانه امر بان يكون عطاياه لله
لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها لانه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال ما لى مما افاء الله
عليكم الا الخمس والخمس مردود فيكم فكان ما يفضل من نفقه عياله مصروفا الى مصالح المسلمين
ولهذا لم يورث لانه كان لا يملك لنفسه الادخار والاقتنا وقد عصمه الله عن الرغبة فى شى
من الدنيا ولهذا حرمت عليه الصدقه وابيحت له الهديه وكان يقبلها ويثيب عليها وقال
لو دعيت الى ذراع لاجبت ولو اهدى الى كراع لقبلت بن الجوزى فكان يقبلها سنه ولا يستكثرها
شرعه واذا كان لا يعطى عطيه يستكثر بها فالاغنيا اولى بالاجتناب لانها باب من
ابواب المذله وذلك قول من قال ان معناه لا يعطى عطيه ينتظر ثوابها فان الانتظار يتعلق
بالاطماع وذلك فى حيز بحكم الامتناع وقد قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وذلك جايز لسائر
الخلق لانه من متاع الدنيا وطلب الكسب والتكاثر بها واما من قال اراد به العمل اى لا تمنن
على الله بعملك فتستكثره فهو صحيح فان ابن آدم لو اطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ
لنعم الله بعض الشكر الثالثة قوله تعالى **ولا تمنن** قراءة العامه باظهار
التضعيف وقرا ابو السمال العدوى واشهب العقيلى والحسن ولا تمن مدغمه مفتوحه يستكثر
قراءة العامة بالرفع وهو فى معنى الحال يقول جاء زيد يركض اى راكضا اى لا تعط شيا
مقدرا ان تاخذ بدله ما هو اكثر منه وقرا الحسن بالجزم على جواب النهى وهو ردى
لانه ليس بجواب ويجوز ان يكون بدلا من تمنن كانه قال لا تستكثر وانكره ابو حاتم
وقال لان المن ليس بالاستكثار فيبدل منه ويحتمل ان يكون اسكن تخفيفا كعضد او
ان يعتبر حال الوقف وقرا الاعمش ويحيى يستكثر بالنصب توهم لام كى كانه قال
ولا تمنن لتستكثر وقيل هو باضمار ان كقوله الا ايها ذا الزاجرى احضر الوغا ويؤيده قراءة
ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر قال الكسائى فاذا حذف ان رفع وكان المعنى واحدا
وقد يكون المن بمعنى التعداد على المنعم عليه بالنعم فيرجع الى القول ويعضده قوله تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقد يكون مرادا فى هذه الاية قوله تعالى
ولربك فاصبر اى ولسيدك ومالك فاصبر على اداء فرايضه وعبادته وقال مجاهد
على ما اوذيت وقال ابن زيد حملت امرا عظيما محاربة العرب والعجم فاصبر لله عليه
وقيل فاصبر تحت موارد القضا لاجل الله تعالى وقيل فاصبر على البلوى لانه يمتحن
اولياءه واصفياءه وقيل على اوامره ونواهيه وقيل على فراق الاهل والاوطان قوله تعالى
فاذا نقر فى الناقور اذا نفخ فى الصور والناقور فاعول من النقر كانه الذى
من شانه ان ينقر فيه للتصويت والنقر فى كلام العرب الصوت ومنه قول امرء القيس

اخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفا غير جاف غضيض وهم يقولون نقر باسم الرجل
اذا دعاه مختصا له بدعايه قال مجاهد وغيره هو شبه البوق ويعنى به النفخة الثانيه
وقيل الاولى لانها اول الشدة الهايلة العامه وقد مضى الكلام فى هذا مستوفى فى النمل
والانعام وفى كتاب التذكره والحمد لله وعن ابى حباب قال امنا زرارة ابن اوفى فلما بلغ
اذا نقر فى الناقور خر ميتا فذلك يومئذ يوم عسير اى فذلك اليوم يوم شديد على الكافرين
اى على من كفر بالله وبانبيائه صلى الله عليهم غير يسير اى غير سهل ولا هين وذلك ان عقدهم
لا تنحل الا الى عقدة اشد منها خلاف المومنين الموحدين المذنبين فانها تنحل الى ما هو اخف
حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى ويومئذ نصب على تقدير فذلك يومئذ يوم عسير وقيل
تقديره فى مجازه فذلك فى يومئذ وقيل يجوز ان يكون رفعا الا انه بنى على الفتح لاضافته الى
غير متمكن قوله تعالى **ذرنى ومن خلقت وحيدا** ذرنى اى دعنى وهى كلمة
وعيد وتهديد ومن خلقت اى دعنى والذى خلقته وحيدا فوحيدا على هذا حال من ضمير المفعول
المحذوف اى خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته والمفسرون
على انه الوليد بن المغيرة المخزومى وان كان الناس خلقوا مثل خلقه وانما خص بالذكر
لاختصاصه بكفر النعمة وايذا الرسول عليه السلام وكان يسمى الوحيد فى قومه قال ابن عباس
كان الوليد يقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لى فى العرب نظير ولا لابى المغيرة نظير وكان يسمى الوحيد
فقال الله تعالى ذرنى ومن خلقته بزعمه وحيدا لا ان الله صدقه بانه وحيد وقال قوم ان
قوله وحيدا يرجع الى الرب تعالى على معنيين احدهما ذرنى وحدى معه فانا اجزيك فى الانتقام
منه عن كل منتقم والثانى انى انفردت بخلقه ولم يشركنى فيه احد فانا اهلكه ولا احتاج
الى ناصر فى هلاكه فوحيدا على هذا حال من ضمير الفاعل وهى الياء فى خلقت والاولى قول
مجاهد انى خلقته وحيدا فى بطن امه لا مال له ولا ولد فانعمت عليه فكفر فقوله وحيدا على هذا يرجع
الى الوليد اى لم يكن له شى فملكته وقيل اراد بذلك ليدله على انه يبعث وحيدا كما خلق وحيدا
وقيل الوحيد الذى لا يعرف ابوه وكان الوليد معروفا فانه دعى كما ذكرنا فى قوله تعالى عتل بعد
ذلك زنيم وهى فى صفة الوليد ايضا قوله تعالى **وجعلت له مالا ممدودا**
اى خولته فاعطيته مالا ممدودا وهو ما كان للوليد بين مكة والطايف من الابل والخيول
والنعم والجنان والعبيد والجوارى كذا كان ابن عباس يقول وقال مجاهد عله الف دينار
وقاله سعيد بن جبير وابن عباس وقال قتاده ستة آلاف دينار وقال سفيان الثورى وقتاده
ايضا اربعة آلاف دينار الثورى ايضا الف الف دينار مقاتل كان له بستان لا ينقطع رزقه
بل يتوالى كالضرع والزرع والتجارة قوله تعالى **وبنين شهودا** اى حضورا لا يغيبون
عنه فى تصرف قال مجاهد وقتاده كانوا عشرة وقيل اثنا عشر قاله السدى والضحاك قال
الضحاك سبعة ولدوا بمكه وخمسة ولدوا بالطايف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة
عشر مقاتل كانوا سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلاثه خالد وهشام والوليد بن الوليد

قال فمازال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك وقيل شهودا
اذا ذكر ذكروا معه قاله بن عباس وقيل شهودا اى قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده والقيام
بما كان يباشره وقول السدى اى حاضرين مكة لا يضعنون عنه في تجارة ولا يغيبون
قوله تعالى **وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا** اى بسطت له في العيش بسطا حتى اقام ببلدته مطمئنا
مترفها يرجع الى رايه والتمهيد عند العرب التوطية والتهيئة ومنه مهد الصبى وقال
بن عباس ومهدت له تمهيدا اى وسعت له ما بين اليمن الى الشام وقاله مجاهد وعن
مجاهد ايضا في مهدت له تمهيدا انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش قوله تعالى
ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ثم ان الوليد يطمع بعد هذا كله ان ازيده في المال والولد كلا اى
ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم وقال الحسن وغيره اى ثم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد
يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له كلا
اى لست ازيده فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك وثم في قوله ثم يطمع ليست بثم التى
للنسق ولكنها تعجب وهى كقوله وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وذلك
كما يقول اعطيتك ثم انت تجفونى كالمتعجب من ذلك وقيل يطمع ان اترك ذلك في عقبه وذلك انه
كان يقول ان محمدا مبتور اى ابتر وينقطع ذكره بموته وكان يظن ان ما رزق لا ينقطع بموته
وقيل اى ثم يطمع ان انصره على كفره وكلا قطع الرجا عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون
متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويكون ابتدا انه يعنى الوليد كان لآياتنا عنيدا
اى معاندا للنبى عليه السلام وما جا به يقال عاند فهو عنيد مثل جالس فهو جليس قاله مجاهد
وعند يعند بالكسر اى خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند والعاند البعير الذى
يجور عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راكع وركع قاله ابو عبيدة وانشد قول
الحارثى اذا ركبت فاجعلانى وسطا انى كبير لا اطيق العندا وقال ابو صالح عنيدا معناه
مباعدا قال الشاعر ارانا على حال تفرق بيننا نوى غربة ان الفراق عنود قتادة جاحدا
مقاتل معرضا ابن عباس جحودا وقيل انه المجاهر بعداوته وعن مجاهد ايضا
قال مجانبا للحق معاندا له معرضا عنه والمعنى كله متقارب والعرب يقول عند الرجل
اذا عتا وتجاوز قدره والعنود من الابل الذى لا يخالط الابل انما هو في ناحية ورجل عنود
اذا كان يحل وحده لا يخالط الناس والعنيد من التجبر وعرق عاند اذا لم يرقا دمه كل
هذا قياس واحد وقد مضى في سورة ابراهيم وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف قوله تعالى
سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا اى ساكلفه وكان بن عباس يقول سالجيه والارهاق
في كلام العرب ان يحمل الانسان على الشى صعودا الصعود جبل من نار يتصعد
فيه سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه ابدا رواه ابو سعيد الخدرى عن النبى
صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذى وقال فيه حديث غريب وروى عطية عن ابى
سعيد قال صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت قال

فبلغ

فبلغ اعلاها في اربعين سنة يجذب امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى اذا بلغ اعلاها
رمى به الى اسفلها فذلك دابه ابدا وقد مضى هذا المعنى في سورة قل اوحى وفي التفسير الآية صخرة
ملسا تكلف صعودها فاذا صار في اعلاها حدر في جهنم فيقوم يهوى الف عام من قبل ان يبلغ
قرار جهنم تحترق في كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقا جديدا وقال بن عباس المعنى ساكلفه
مشقة من العذاب لا راحة له فيه ونحوه عن الحسن وقتادة وقيل انه تصاعد نفسه للنزع
وان لم يتعقبه موت ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه قوله تعالى **إِنَّهُ فَكَّرَ**
وَقَدَّرَ يعنى الوليد فكر في شان النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر اى وهيا الكلام
في نفسه والعرب تقول قدرت الشى اذا هياته وذلك انه لما نزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم الى قوله اليه المصير سمعه الوليد يقروها فقال والله لقد سمعت منه كلاما ما هو
من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر فقالت قريش صبا الوليد لتصبون قريش
كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له ما لى
اراك حزينا فقال له وما لى لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك
ويزعمون انك زينت كلام محمد وتدخل على ابن ابى كبشة وابن ابى قحافة لتنال من فضل طعامهما
فغضب الوليد وتكبر وقال انا احتاج الى كسر محمد وصاحبه فانتم تعلمون قدر مالى واللات
والعزى ما بى حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه قط يخنق قالوا لا والله
قال فتزعمون انه كاهن فهل رايتموه تكهن قط ولقد راينا للكهنة اسجاعا وتخالجا فهل رايتموه
كذلك قالوا لا والله قال وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه نطق بشعر قط قالوا لا قال فتزعمون انه
كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط قالوا لا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الامين
من كثرة صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال ما هذا الا
ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فذلك قوله تعالى انه فكر اى في امر
محمد والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان يقول فيهما فقتل اى لعن وكان بعض اهل
التاويل يقول معناها فقهر وغلب وكل مذلل مقتل قال وما ذرفت عيناك الا لتقدحى
بسهميك في اعشار قلب مقتل وقال الزهرى عذب وهو من باب الدعا كيف قدر قال ناس
كيف تعجب كما يقال للرجل تتعجب من صنيعه كيف فعلت هذا وذلك كقوله انظر كيف ضربوا لك
الامثال ثم قتل اى لعن لعنا بعد لعن وقيل فقتل بضرب من العقوبة ثم قتل بضرب آخر
من العقوبة ثم قتل كيف قدر اى على اى حال قدر ثم نظر باى شى يرد الحق ويدفعه ثم عبس
اى قطب بين عينيه في وجوه المومنين وذلك انه لما حمل قريشا على ما حملهم عليه من القول
في محمد صلى الله عليه وسلم بانه ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس
في وجوههم وقيل عبس وبسر على النبى صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر
عبس مخففا يعبس عبسا وعبوسا اذا قطب والعبس ما يتعلق باذناب الابل من ابعارها

سؤال م

وابو لها قال ابو النجم كان في اذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الايل وبسر اي كلح وجهه
وتغير لونه قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر بن ابي خازم صبحنا تميما غداة الجفار بشهبا
ملمومة باسره قال الاخر وقد رابني منها صدود رايته واعراضها عن حاجتي وبسورها قوله بشهبا
اراد بكتيبة شهبا ومنه قول عنترة وكتيبة لبستها بكتيبة شهبا باسلة تخاف رداها ونقال
كتيبة ململمة وملمومة ايضا اي مجتمعة مضمومة بعضها الى بعض وصخرة ململمة وملمومة اي
مستديرة صلبة قاله الجوهري وقيل اي ظهور العبوس في الوجه بعد المحاورة وظهور البسور في الوجه مسدرة صح
قبل المحاورة وقال قوم بسر وقف لا يتقدم ولا يتاخر قالوا وكذلك يقول اهل اليمن اذا وقف المركب
فلم يجي ولم يذهب قد بسر المركب وابسر اي وقف وقد ابسرنا والعرب يقول وجه باسر بين البسور
اذا تغير واسود ثم ادبر اي ولي واعرض ذاهبا الى اهله واستكبر اي تعظم عن ان يؤمن وقيل
ادبر عن الايمان واستكبر اي تعظم حين دعي اليه فقال ان هذا اي ما هذا الذي اتى محمد
صلى الله عليه وسلم الا سحر يؤثر اي ياثره عن غيره والسحر الخديعة وقد تقدم بيانه
في البقرة وقال قوم السحر اظهار الباطل في صورة الحق والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره
اذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث ماثور اي ينقله خلف عن سلف قال امرؤ القيس ولو
عن نثا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد لقلت من القول ما لا يزال يؤثر عني يد المسند يريد
اخر الدهر وقال الاعشى ان الذي فيه تماريتما بين للسامع والاثر ويروى بين ان هذا الا قول البشر
اي ما هذا الا كلام المخلوقين تخدع به القلوب كما تختدع بالسحر قال السدي يعنون انه من
قول ابي اليسر عبد بني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه الى انه تعلم منه
ذلك وقيل اراد انه تلقنه من اهل بابل وقيل عن مسيلمة وقيل عن عدي الحضرمي الكاهن
وقيل انما تلقنه ممن ادعى النبوة من قبل فنسج على منوالهم وقال ابو سعيد الضرير ان هذا الا سحر
يؤثر اي يورث ساصليه سقر اي سادخله سقر كي يصلى حرها انما سميت سقر من سقرته
الشمس اذا اذابته ولوحته واحرقت جلده ووجهه ولا ينصرف للتعريف والتانيث
قال ابن عباس هو الطبق السادس من جهنم وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سال موسى ربه فقال اي رب اي عبادك افقر فقال صاحب سقر ذكره الثعلبي
وما ادريك ما سقر هذا مبالغة في وصفها اي وما اعلمك اي شي هي وهي كلمة تعظيم
ثم فسر حالها فقال لا تبقي ولا تذر اي لا تترك لهم لحما ولا عظما ولا دما الا احرقته وكرر
اللفظ تاكيدا وقيل لا تبقي منهم شيا ثم يعادون خلقا جديدا ولا تذر ان يعادوا خلقهم
هكذا ابدا وقال مجاهد لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما جددوا
وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذرهم لحما عظما لواحة للبشر اي مغيرة من لاحه
اذا غيره وقراة العامة لواحة بالرفع نعت لسقر في قوله وما ادريك ما سقر وقرا عطية
العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل وقال
مجاهد والعرب يقول ابو رزين يلفح وجوههم لفحة تدعها اشد سوادا من الليل وقاله

مجاهد والعرب يقول لاحه البرد والحر والسقم والحزن اذا غيره ومنه قول الشاعر تقول
ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر وقال وتعجب هند ان رابتني شاحبا تقول لشي
لوحته السمايم وقال روبه بن العجاج لوح منه بعد بدن وسنق تلويحك الضامر يطوى
للسبق وقيل ان اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه اي غيره والمعنى انها
معطشة للبشر اي لاهلها قاله الاخفش وانشد سقتني على لوح في شربة سقاها به الله
الرهام الغواديا يعني باللوح شدة العطش والتاح اي عطش والرهام جمع رهمة بالكسر
وهي المطرة الضعيفة وارهمت السحابة اتت بالرهام وقال ابن عباس لواحة اي تلوح للبشر
من مسيرة خمس مايه عام الحسن وابن كيسان تلوح لهم جهنم حتى يرونها عيانا نظيره
وبرزت الجحيم للغاوين وفي البشر وجهان احدهما الانس من اهل النار قاله الاخفش
والاكثرون الثاني انه جمع بشرة وهي جلدة الانسان الظاهرة قاله مجاهد وقتادة وجمع
البشر ابشار وهذا على التفسير الاول واما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه الا الناس
لا الجلود لانه من لاح الشي يلوح اذا لمع قوله تعالى عليها تسعة عشر اي على سقر على صح
تسعة عشر من الملايكة هم خزنتها مالك وثمنية عشر ملكا ويحتمل ان يكون التسعة عشر
نقيبا ويحتمل ان يكون تسعة عشر ملكا باعيانهم وعلى هذا اكثر المفسرين قال الثعلبي ولا
ينكر هذا فاذا كان ملك واحد يقبض ارواح جميع الخلايق كان احرى ان يكون تسعة عشر يقبض صح
على عذاب بعض الخلق وقال ابن جريج نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال
كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم من القوة مثل
قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرميهم في النار ويرمي عليهم الجبل
قال الشيخ المولف رحمه الله وذكر ابن المبارك قال اخبرنا حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس
عن رجل من بني تميم قال كنا عند ابي العوام فقرا هذه الاية وما ادريك ما سقر لا تبقي
ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر فقال ما تسعة عشر تسعة عشر الف ملك او تسعة عشر
ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا قال واني تعلم ذلك فقلت يقول الله عز وجل وما جعلنا قلت لا صح
عدتهم الا فتنة للذين كفروا قال صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة
شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها سبعين الفا وعن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع
بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وخرج الترمذي عن عبد الله قال قال
ناس من اليهود لاناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة
جهنم قالوا لا ندري حتى نساله فجا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب
اصحابك اليوم فقال وبماذا غلبوا قال سالهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال
فماذا قالوا قالوا لا ندري حتى نسال نبينا قال افغلب قوم سيلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى
نسال نبينا لكنهم قد سالوا نبيهم فقالوا ارنا الله جهرة علي باعدا الله اني سايلهم عن من
ربه الجنة وهي الدرمك فلما جاوا قالوا يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال هكذا وهكذا

في مرة عشر وفي مرة تسع قالوا نعم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا
ثم قال اخبره يا ابا القاسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبز من الدرمك قال ابو عيسى
هذا حديث انما يعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر وذكر ابن وهب قال
وحدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي
احدهم كما بين المشرق والمغرب وقال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة
الواحد منهم ان يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين الف انسان في قعر جهنم قال الشيخ
المؤلف رحمه الله والصحيح ان شا الله ان هؤلاء التسعة عشر هم الرؤسا والنقبا واما جملتهم
فالعبارة عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف
ملك يجرونها وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم
امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم اي العدد والشجعان
فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم قال السدي فقال ابو الاسد بن كلدة الجمحي لا
يهولنكم التسعة عشر انا ادفع بمنكبي الايمن عشرة من الملايكة وبمنكبي الايسر التسعة ثم
تمرون الى الجنة يقولها مستهزيا في رواية ان الحارث بن كلدة قال انا اكفيكم سبعة عشر
واكفوني انتم اثنين وقيل ان ابا جهل قال افيعجز كل ماية ان يبطشوا بواحد منهم ثم
يخرجون من النار فنزل قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة اي لم نجعلهم رجالا
فتتعاطون مغالبتهم وقيل جعلهم ملايكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا
ياخذهم ما ياخذ المجانس من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله وبالغضب
له فيؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا وما جعلنا عدتهم الا فتنة اي بلية
وروي عن ابن عباس من غير وجه قال ضلالة للذين كفروا يريد ابا جهل وذويه وقيل الا عذابا كما
قال يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم اي جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب
وفي تسعة عشر سبع قراات قراة العامة تسعة عشر وقرا ابو جعفر بن القعقاع وطلحة ابن سليمان
تسعة عشر باسكان العين وعن ابن عباس تسعة عشر بضم الها وعن انس بن مالك تسعة
وعشر وعنه ايضا تسعة عشر وعنه ايضا تسعة اعشر وعنه ايضا تسعة وعشر ذكرها المهدوي
وقال من قرا تسعة عشر اسكن العين لتوالي الحركات ومن قرا تسعة وعشر جاء به على الاصل
قبل التركيب وعطف عشرا على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال واسكن الرا من عشر
على نية السكوت عليها ومن قرا تسعة عشر كانه من التداخل كانه اراد العطف وترك
التركيب فرفع على التانيث ثم راجع البنا واسكن واما تسعة اعشر فغير معروف وقد
انكرها ابو حاتم وكذلك تسعة وعشر لانها محمولة على تسعة اعشر والواو بدل من
الهمزة وليس لذلك وجه عند النحويين الزمخشري وقرى تسعة اعشر جمع عشير مثل
يمين وايمن قوله تعالى ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليوقن الذين

اعطوا التوراة والانجيل ان عدد خزنة جهنم موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة
والضحاك ومجاهد وغيرهم ثم يحتمل انه يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام
ويحتمل ان يريد الكل ويزداد الذين آمنوا ايمانا بذلك لانهم كلما صدقوا بما في
كتاب الله آمنوا ثم ازدادوا ايمانا لتصديقهم بعدد خزنة النار ولا يرتاب اي ولا يشك
الذين اوتوا الكتاب اي اعطوا الكتاب والمؤمنون المصدقون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
في ان عدد خزنة جهنم تسعة عشر وليقول الذين في قلوبهم مرض اي في صدورهم شك ونفاق
من منافقي اهل المدينة الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم
بالمدينة وقيل المعنى اي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة
والكافرون اي اليهود والنصارى ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني بعدد خزنة جهنم وقال
الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية الخلاف و
الكافرون اي مشركو العرب وعلى القول الاول اكثر المفسرين ويجوز ان يراد بالمرض الشك
والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله تعالى
اخبارا عنهم ماذا اراد الله اي اراد الله بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا من الحديث
قال الليث المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها كذلك
اي كاضلال الله ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء كارشاده
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي اليها من يشاء وما
يعلم جنود ربك الا هو اي وما يدري عدد ملايكة ربك الذين خلقهم لتعذيب اهل النار
الا هو اي الا الله جل ثناؤه وهو جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد من الجنود الا تسعة عشر
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم غنايم حنين فاتاه جبريل فجلس عنده
فاتى ملك فقال ان ربك يامرك بكذا وكذا وخشي النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون شيطانا فقال
يا جبريل اتعرفه فقال هو ملك وما كل ملايكة ربك اعرف وقال الاوزاعي قال موسى يا رب من في السما
قال ملايكتي قال كم عدتهم قال اثنا عشر سبطا قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب ذكرهما الثعلبي
وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته لله ساجدا قوله تعالى وما هي الا ذكرى للبشر يعني الدلايل والحجج والقرآن
وقيل وما هي اي وما هذه النار التي هي سقر الا ذكرى اي عظة للبشر اي للخلق وقيل نار الدنيا تذكرة
لنار الآخرة قاله الزجاج وقيل اي وما هي العدة الا ذكرى للبشر اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وانه
لا يحتاج الى اعوان وانصار فالكناية على هذا في قوله وما هي ترجع الى الجنود لانه اقرب مذكور قوله تعالى
كلا والقمر قال الفرا كلا صلة للقسم التقدير اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على
هذين التقديرين على كلا واختار الطبري الوقف عليها وجعلها ردا للذين زعموا انهم يقاومون خزنة
جهنم اي ليس الامر كما يقول من زعم انه يقاوم خزنة النار ثم اقسم على ذلك جل وعز بالقمر وبما بعده
فقال والليل اذ ادبر اي ولى وكذلك دبر وقرا نافع وحمزة وحفص اذ ادبر الباقون اذا

موضع صح

للخلق صح

ودبر بغير ص

بالف يعني الف وهما لغتان بمعنى يقال دبر وادبر وكذلك قبل الليل واقبل وقد قالوا امس الدابر والمدبر قال صخر بن عمرو ابن الشريد السلمي ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر ويروى المدبر وهذا قول الفرا والاخفش وقال بعض اهل اللغة دبر الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقال مجاهد سالت ابن عباس عن قوله والليل اذ ادبر فسكت حتى اذا دبر قال يا مجاهد هذا حين دبر الليل وقرا محمد بن السميقع والليل اذا ادبر بالفين وكذلك في مصحف عبد الله وابي بالفين وقال قطرب من قرا دبر يعني اقبل من قول العرب دبر فلان اذا جا من خلفي قال ابو عمرو وهي لغة قريش وقال ابن عباس في رواية عنه الصواب ادبر ادبر انما يدبر ظهر البعير واختار ابو عبيد دبر قال لانها اكثر موافقة للحروف الذي تليه الا تراه يقول والصبح اذا اسفر فكيف يكون احدهما اذ والاخر اذا وليس في القرآن قسم يعقبه اذ وانما يتعقبه اذا ومعنى اسفر اضا وقراة العامة اسفر بالالف وقرا ابن السميقع سفر وهما لغتان يقال سفر وجه فلان واسفر اذا اضا وفي الحديث اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر اي صلوا صلوة الصبح مسفرين ويقال طولوها الى الاسفار والاسفار الانارة واسفر وجهه حسنا اي اشرق وسفرت المراة كشفت عن وجهها فهي سافر ويجوز ان يكون سفر الظلام اي كنسه كما يسفر البيت اي يكنس ومنه السفير لما سقط من ورق الشجر وتحات يقال انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والمسفرة المكنسة مثله استدل الحنفية بهذه الاية على الاسفار بالصبح قوله تعالى **انها لاحدى الكبر** جواب القسم اي ان هذه النار لاحدى الكبر اي لاحدى الدواهي وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسما النار وروي عن ابن عباس انها اي ان تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي الكبيرة من الكباير وقيل اي ان قيام الساعة لاحدى الكبر والكبر هي العظايم من العقوبات قال الراجز يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر داهية الدهر وصما الغير واحدة الكبر كبرى مثل الصغرى والصغر والعظمى والعظم وقراءة العامة لاحدى وهو اسم ليس ابتدا التانيث وليس مبنيا على المذكر نحو عقبى واخرى والفه الف قطع لا يذهب في الوصل وروى جرير بن حازم عن ابن كثير انها لحدى الكبر بحذف الهمزة نذيرا للبشر يريد النار اي ان هذه النار الموصوفة نذير للبشر فهو نصب على الحال من المضمر في انها قاله الزجاج وذكر لان معناه معنى العذاب او النار ذات انذار على معنى النسب كقولهم امراة طالق وطاهر وقال الخليل النذير مصدر كالنكير وكذلك يوصف به المونث وقال الحسن والله ما انذر الخلايق لشي ادهى منها وقيل المراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم اي قم نذيرا للبشر اي فانذر لهم فنذيرا حال من قم في اول السورة حين قال قم فانذر قاله ابو علي الفارسي وابن زيد ورد وانكره الفرا وابن الانباري وقال بعض المفسرين معناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وقيل هو من صفة الله تعالى روى ابو معاوية الضرير حدثنا اسمعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر قال يقول الله عز وجل انا لكم منها نذير فاتقوها ونذيرا على هذا نصب على الحال اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة منذرا بذلك البشر وقيل هو حال هو من في قوله وما يعلم جنود ربك الا هو

وقيل هو في موضع المصدر كانه قال انذارا للبشر قال الفرا يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا فهو كقوله فكيف كان نذير اي انذاري فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة اي قم فانذر انذارا وقيل هو منصوب باضمار فعل وقرا ابن ابي عبلة نذير بالرفع على اضمار هو وقيل اي ان القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد قوله تعالى **لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر** اللام متعلقة بنذير او نذيرا لمن شاء منكم ان يتقدم الى الخير والطاعة او يتاخر الى الشر والمعصية نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين عنه قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر وقال بعض اهل التاويل معناه لمن شا الله ان يتقدم او يتاخر فالمشية متصلة بالله جل ثناوه والتقديم الايمان والتاخر الكفر وكان ابن عباس يقول هذا تهديد واعلام ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع وقال السدي لمن شاء منكم ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة قوله تعالى **كل نفس بما كسبت رهينة** اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما خلصها واما اوبقها وليست رهينة بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما هو اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهين ومنه بيت الحماسة ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم لا يرتهنون بذنوبهم واختلف في تعيينهم فقال ابن عباس الملايكة علي بن ابي طالب اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم الضحاك الذين سبقت لهم من الله الحسنى عن ابن جريج قال كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا قال مقاتل ايضا قال هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم هولاء في الجنة ولا ابالي وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وعن ابن ظبيان عن ابن عباس قال هم المسلمون وقيل اصحاب الحق واهل الايمان وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابو جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا اهل البيت فهم المرتهنون وقال الحكم هم الذين اختارهم الله لخدمته فلم يدخلوا في الرهن لانهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم وقال القاسم كل نفس ماخوذة بكسبها من خير او شر الا من اعتمد على الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة فكل من اعتمد على الكسب فهو مرهون وكل من اعتمد على الفضل فهو غير ماخوذ به في جنات اي في بساتين يتساءلون اي يسالون عن المجرمين اي المشركين ما سلككم اي ادخلكم في سقر كما تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته فيه قال الكلبي يسال الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان وفي قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلكك في سقر وعنه قال

قرا عمر بن الخطاب يا فلان ما سلككم في سقر وهي قراة على التفسير لا انها قرآن كما زعم من طعن في القرآن قاله ابو بكر بن الانباري وقيل ان المومنين يسألون الملايكة عن اقربايهم فيسال الملايكة المشركين فيقولون لهم ما سلككم في سقر قال الفرا في هذا ما يقوى ان اصحاب اليمين الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب قالوا يعني اهل النار لم نك من المصلين اي المومنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي لم نك نتصدق وكنا نخوض مع الخايضين اي كنا نخالط اهل الباطل في باطلهم وقال ابن زيد نخوض مع الخايضين اي في امر محمد عليه السلام وهو قولهم كاهن مجنون شاعر ساحر وقال السدي اي وكنا نكذب مع المكذبين وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقيل معناه وكنا اتباعا ولم نك متبوعين وكنا نكذب بيوم الدين اي لم نك نصدق بيوم القيامة يوم الجزاء والحكم قوله تعالى **حتى اتانا اليقين** اي جانا ونزل بنا الموت ومنه قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قوله تعالى **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين وذلك ان قوما من اهل التوحيد عذبوا بذنوبهم ثم شفع فيهم فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة فاخرجوا من النار وليس للكفار شفيع يشفع فيهم وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابرهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملايكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهدا ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود فهولا هم الذين يبقون في جهنم وقد ذكرنا اسناده في التذكرة قوله تعالى **فما لهم عن التذكرة معرضين** اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا عما جيتهم به وفي تفسير مقاتل الاعراض عن القرآن من وجهين احدهما الجحود والانكار والوجه الاخر ترك العمل بما فيه ومعرضين نصب على الحال من الها والميم في لهم وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل كانهم اي كانهم ولا الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفرة قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية وقرا نافع وابن عامر بفتح الفا اي منفرة مذعورة واختاره ابو عبيد وابو حاتم الباقون بالكسر اي نافرة يقال نفرت واستنفرت بمعنى مثل عجبت واستعجبت وسخرت واستسخرت وانشد الفرا امسك حمارك انه مستنفر في اثر احمره عمدن لغرب قوله تعالى فرت اي نفرت وهربت من قسورة اي من رماة يرمونها وقال بعض اهل اللغة ان القسورة الرامي وجمعه القسورة من وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن كيسان القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطا عن ابن عباس وابو ظبيان عن ابي موسى الاشعري وقيل انه الاسد قال ابو هريرة وابن عباس ايضا ابن عرفة من القسر بمعنى القهر اي انه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع وروى ابو حمزة عن ابن عباس قال ما اعلم القسورة الاسد في لغة احد من العرب ولكنها عصب الرجال قال فالقسورة جمع الرجال وانشد يا بنت

كوني خيرة لخيرة اخوالها الجن واهل القسورة وعنه ركز الناس اي حسهم واصواتهم وعنه ايضا فرت من قسورة اي من حبال الصيادين وعنه ايضا القسورة بلسان العرب الاسد وبلسان الحبشة الرماة وبلسان فارس شير وبلسان النبط اريا وقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل اي فرت من ظلمة الليل وقاله عكرمة ايضا وقيل هو سواد اول الليل ولا يقال لاخر سواد الليل قسورة وقال زيد بن اسلم من رجال اقويا وكل شديد عند العرب فهو قسورة وقسور قال لبيد بن ربيعة اذا ما هتفنا هتفة في ندينا اتانا الرجال العائدون القساور قوله تعالى **بل يريد كل امري منهم ان يوتى صحفا منشرة** اي يعطى كتبا مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد ايتنا بكتب من رب العالمين اي قد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم نظيره لن نومن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براته وامنه من النار قال مطر الوراق ارادوا ان يعطوا بغير عمل وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرايل كان يصبح عند راسه مكتوبا ذنبه وكفارته فاتنا بمثل ذلك وقال مجاهد ارادوا ان ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل الى فلان بن فلان وقيل المعنى ان يذكر بذكر جميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما بالنا لا نرى ذلك كلا اي ليس يكون ذلك وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم بل لا يخافون الاخرة اي لا اعطيهم ما يتمنون لانهم لا يخافون الاخرة اغترارا بالدنيا وقرا سعيد بن جبير صحفا منشرة بسكون الحاء والنون فاما تسكين الحا فتخفيف واما تسكين النون فساد كما تقول نشرت الثوب وشبهه ولا يقال انشرت ويجوز ان يكون شبه الصحيفة بالميت كانها ميتة بطيها فاذا نشرت حييت فجا على انشر الله الميت كما شبه احيا الميت بنشر الثوب فقيل فيه نشر الله الميت فهي لغة فيه قوله تعالى **كلا انها تذكرة** اي حقا ان القرآن عظة فمن شاء ذكره اي اتعظ به وما يذكرون اي ما يتعظون الا ان يشا الله اي ليس يقدرون على الاتعاظ والتذكر الا بمشية الله ذلك هم وقراة العامة يذكرون بالياء واختاره ابو عبيد كلا بل لا يخافون الاخرة وقرا نافع ويعقوب بالتا واختاره ابو حاتم لانه اعم واتفقوا على تخفيفها هو اهل التقوى واهل المغفرة في الترمذي وسنن ابن ماجه عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقى فلم يجعل معي الاها فانا اهل ان اغفر له لفظ الترمذي وقال فيه حديث حسن غريب وفي بعض التفسير قال اهل المغفرة لمن تاب اليه من الذنوب الكبار واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار باجتناب الذنوب الكبار وقال محمد بن نصر انا اهل ان يتقيني عبدي فان لم يفعل كنت اهلا ان اغفر له

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

لا أقسم بيوم القيامة قيل ان لا صلة وجاز وقوعها في اول السورة لان القرآن
متصل بعضه ببعض فهي في حكم كلام واحد ولهذا قد يذكر الشي في سورة ويجي جوابه في سورة
اخرى لقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة اخرى وما انت بنعمة
ربك بمجنون ومعنى الكلام اقسم بيوم القيمة قاله ابن عباس وابن جبير وابو عبيدة ومثله قول
الشاعر ذكرت ليلى فاعترتني صبابة فكاد صميم القلب لا يتقطع
وحكى ابو الليث السمرقندي اجمع المفسرون ان معنى لا اقسم اقسم واختلفوا في لا فقال بعضهم
لا زيادة في الكلام للزينة ويجري في كلام العرب زيادة لا كما قال في آية اخرى قال
ما منعك ان لا تسجد يعني ان تسجد وقال بعضهم لا رد لكلامهم حيث انكروا البعث فقال
ليس الامر كما ذكر ثم قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا قول الفرا وكثير من النحويين يقولون
لا صلة ولا يجوز ان يبدا بجحد ثم يجعل صلة لان هذا لو كان كذا لم يعرف خبر فيه جحد
من خبر لا جحد فيه ولكن القرآن جا بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجاء
الاقسام بالرد عليهم وذلك كقولهم لا والله لا افعل فلا رد لكلام قد مضى وكذلك كقولك
لا والله ان القيمة لحق كانك اكذبت قوما انكروه وانشد غير الفرا لامرى القيس فلا
وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة باحتمالي
لتحزنني فلا بك ما ابالي وفايدتها توكيد القسم في الرد قال الفرا وكان من لا يعرف
هذه الجهة يقرا لاقسم بغير الف كانها لام تاكيد دخلت على اقسم وهو صواب لان
العرب تقول لاقسم بالله وهي قراة الحسن وابن كثير والزهري وابن هرمز بيوم القيمة
اي بيوم يقوم الناس فيه لربهم ولله عز وجل ان يقسم بما شا ولا اقسم بالنفس اللوامة
لا خلاف في هذا بين القرا وانه سبحانه انما اقسم بيوم القيمة تعظيما لشانه وهي قراة
ابن كثير اقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وقيل ولا اقسم بالنفس اللوامة رد اخر
وابتدا قسم بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه اقسم بهما جميعا ومعنى بالنفس اللوامة
اي بنفس المومن الذي لا تراه الا يلوم نفسه يقول ما اردت بكذا ولا تراه الا وهو يعاتب نفسه
قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم قال الحسن هي والله نفس المومن ما يرى المومن
الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ما اردت باكلي ما اردت بحديث نفسي والفاجر لا يحاسب نفسه
وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتقدم فتلوم نفسها على الشي لم فعلته وعلى الخير لم لا
يستكثر منه وقيل انها ذات اللوم وقيل انها تلوم نفسها بما تلوم عليها غيرها فعلى
هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة وهي صفة مدح وعلى هذا يجي القسم بها سايغا
حسنا وفي بعض التفسير انه آدم عليه السلام لم يزل لائما لنفسه على معصيته التي
اخرج بها من الجنة وقيل اللوامة بمعنى الملومة المذمومة عن ابن عباس ايضا
فهو صفة ذم وهو قول من نفى ان يكون قسما اذ ليس للعاصي خطر فيقسم به ثم قيل
التي تلام على سوء ما فعلت وقيل التي لا صبر لها على محن الدنيا وشدايدها فهي كثيرة

اللوم وقال مقاتل هي نفس الكافر تلوم نفسه وتتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله وقال الفرا
ليس من نفس محسنة او مسيئة الا وهي تلوم نفسها فالمحسن تلوم نفسه ان لو كان ازداد
احسانا والمسي يلوم نفسه ان لا يكون ارعوى من اساته قوله تعالى **ايحسب الانسان**
ان لن نجمع عظامه فنعيدها خلقا جديدا بعد ان صارت رفاتا قال الزجاج اقسم
بيوم القيمة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث فهذا جواب القسم وقال النحاس جواب
القسم محذوف اي لتبعثن ودل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه للاحيا والبعث و
الانسان هنا الكافر المكذب بالبعث والاية نزلت في عدي بن ربيعة ابن ابي رباح ختن الاخنس
بن شريق قال للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها وحالها فاخبره
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن او يجمع
الله العظام ولهذا كان عليه السلام يقول اللهم اكفني جاري السو عدي بن ربيعة بن ابي رباح
والاخنس ابن شريق وقيل نزلت في عدو الله ابي جهل حين انكر البعث بعد الموت وذكر العظام
والمراد نفسه كلها لان العظام قالب الخلق بلى وقف حسن ثم تبتدي قادرين قال سيبويه
على معنى نجمعها قادرين فقادرين حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من
التقدير وقيل المعنى بلى نقدر قادرين قال الفرا قادرين نصب على الخروج من نجمع اي نقدر
ونقوى قادرين على اكثر من ذلك وقال ايضا يصلح نصبه على التكرير اي بلى فليحسبنا قادرين
وقيل المضمر كنا اي كنا قادرين في الابتدا وقد اعترف به المشركون وقرا ابن ابي عبلة وابن السميقع
بلى قادرون بتاويل نحن قادرون على ان نسوي بنانه البنان عند العرب الاصابع واحدها بنانة
قال النابغة بمخضب رخص كان بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد وقال عنترة وان الموت
طوع يدي اذا ما وصلت بنانها بالهند وائي فنبه بالبنان على بقية الاعضا وايضا فانها اصغر
العظام فخصها بالذكر كذلك قال القتبي والزجاج ان الله لا يبعث الموتى فلا يقدر على جمع
العظام فقال الله تعالى بلى قادرين على ان نعيد السلاميات على صغرها ونولف بينها حتى تستوي
ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار اقدر وقال ابن عباس وعامة المفسرين المعنى على ان نسوي
بنانه اي نجعل اصابع رجليه ويديه شيا واحدا كخف البعير وحافر الحمار او كظلف الخنزير
ولا يمكنه ان يعمل به شيا ولكنا فرقنا اصابعه حتى ياخذ بها ما شا وكان الحسن يقول جعل لك
اصابع فانت تبسطهن وتقبضهن ولو شا لجمعهن فلم تتق الارض الا بكفيك وقيل اي نقدر
ان نعيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشيكم فيما لا تعلمون قال الشيخ المولف رحمه الله
والتاويل الاول اشبه بمساق الاية والله اعلم قوله تعالى **بل يريد الانسان ليفجر**
امامه قال ابن عباس يعني الكافر يكذب بما امامه من البعث والحساب وقاله عبد الرحمن
بن زيد ودليله يسال ايان يوم القيمة اي يسال متى يكون على وجه الانكار والتكذيب
فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب ولكن ياثم لما بين يديه ومما يدل على ان الفجور التكذيب

ماذكره القتبي وغيره ان اعرابيا قصد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشكا اليه نقب ابله ودبرها
وساله ان يحمله على غيرها فلم يحمله فقال الاعرابي اقسم بالله ابو حفص عمر ما مسها من نقب لا دبر
اغفر له اللهم ان كان فجر يعني ان كان كذبني فيما ذكرت وعن ابن عباس ايضا تعجل
المعصية وتسوف التوبة وفي بعض الحديث قال يقول سوف اتوب ولا يتوب فهو قد اخلف
وكذب وهذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف اتوب
سوف اتوب حتى ياتيه الموت على شر احواله وقال الضحاك هو الامل يقول سوف اعيش
واصيب من الدنيا لا يذكر الموت وقيل اى يعزم على المعصية ابدا وان كان لا يعيش
الا مدة قليلة فالها على هذه الاقوال للانسان وقيل الها ليوم القيامة والمعنى بل يريد الانسان
ليكفر بالحق بين يدي يوم القيمة والفجور اصله الميل عن الحق قال ايان يوم القيمة اى متى يكون
يوم القيمة قوله تعالى **فاذا برق البصر** قرا نافع وابان عن عاصم برق بفتح
ومعناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف قال مجاهد وغيره هذا عند الموت وقال
الحسن هذا يوم القيمة قال وفيه معنى الجواب عما سال عنه الانسان كانه قال يوم القيامة
اذا برق البصر وخسف القمر الباقون بالكسر برق ومعناه تحير فلم يطرف قاله ابو عمرو
والزجاج وغيرهما قال ذو الرمة ولو ان لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي سافرا كاد يبرق
الفرا الخليل برق بالكسر فزع وبهت وتحير والعرب يقول للانسان المتحير المبهوت قد
برق فهو برق وانشد الفرا فنفسك فانع ولا تنعني وداو الكلوم ولا تبرق اى لا تفزع من
كثرة الكلوم التي بك وقيل برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحها قاله ابو عبيدة وانشد
قول الكلابي لما اتاني بن عمير راغبا اعطيته عيساء صهبا فبرق اى فتح عينيه وقيل
ان كسر الرا وفتحها لغتان بمعنى قوله تعالى وخسف القمر اى ذهب ضوءه والخسوف
في الدنيا الى انجلا بخلاف الاخرة فانه لا يعود ضوءه ويحتمل ان يكون بمعنى غاب ومنه قوله
تعالى فخسفنا به وبداره الارض وقرا ابن ابي اسحق وعيسى والاعرج وخسف القمر بضم
الخا وكسر السين يدل عليه وجمع الشمس والقمر وقال ابو حاتم محمد بن ادريس اذا ذهب
بعضه فهو الكسوف واذا ذهب كله فهو الخسوف وجمع الشمس والقمر اى جمع بينهما في ذهاب
ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه قاله الزجاج والفرا قال الفرا
ولم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما وقال ابو عبيدة هو على تغليب المذكر وقال الكسائي
هو محمول على المعنى كانه قال الضوان المبرد التانيث غير حقيقي وقال ابن عباس وابن
مسعود جمع بينهما اى قرن بينهما في طلوعهما من المغرب اسودين مكورين مظلمين مقرنين
كانهما ثوران عقيران وقد مضى الحديث بهذا المعنى في اخر سورة الانعام وفي قراة عبد الله
وجمع بين الشمس والقمر وقال عطا بن يسار تجمع بينهما يوم القيمة ثم تقذفان في
البحر فيكونان نار الله الكبرى وقال علي وابن عباس يجعلان في الحجب وقيل يجمعان
في نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله ولا يكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما

يفعل

يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم وفي مسند ابي داود الطيالسي عن
يزيد الرقاشي عن انس ابن مالك يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران عقيران في النار وقيل هذا الجمع انهما يجتمعان
ولا يفترقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر وكان المعنى يجمع حرهما
عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار قوله تعالى **يقول
الانسان يومئذ اين المفر** اى يقول ابن ادم ويقال هو ابو جهل اى اين المهرب قال
الشاعر اين المفر والكباش تنتطح واى كبش حاد عنها يفتضح الماوردي ويحتمل وجهين احدهما
اين المفر من الله استحيا منه الثاني اين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول
من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيمة دون المومن
لثقة المومن ببشرى ربه الثاني ان يكون من قول المومن والكافر عند قيام الساعة
لهول ما شاهد منها وقراة العامة المفر بفتح الفاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانه
لانه مصدر وقرا ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم قال الكسائي
لغتان مثل مدب ومدب ومصح ومصح وعن الزهري بكسر الميم وفتح الفاء المهدوي من
فتح الميم والفاء من المفر فهو مصدر بمعنى الفرار ومن فتح الميم وكسر الفا فهو الموضع
الذي يفر اليه ومن كسر الميم وفتح الفا فهو الانسان الجيد الفرار فالمعنى اين الانسان
الجيد الفرار ولن ينجو مع ذلك قال الشيخ المولف رحمة الله ومنه قول امرئ القيس
مكر مفر مقبل مدبر معا يريد انه حسن الكر والفر جيده كلا اى لا مفر فكلا رد وهو من قول
الله تعالى ثم فسر هذا الرد فقال لا وزر اى لا ملجا من النار وكان ابن مسعود يقول لا حصن
وكان الحسن يقول لا جبل وابن عباس يقول لا منجا وابن جبير لا محيص لا منعة والمعنى في ذلك
كله واحد والوزر في اللغة ما يلجا اليه من حصن او جبل او غيرهما قال الشاعر لعمري
ما للفتى من وزر من الموت يدركه والكبر قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا
في الجبال فقال الله لهم لا وزر يعصمكم يومئذ مني قال طرفة ولقد تعلم بكر اننا فاضلوا الراى
وفي الروع وزر اى ملجا للخائف ويروى وقر الى ربك المستقر اى المنتهى قاله قتادة نظيره وان
الى ربك المنتهى وقال ابن مسعود الى ربك المصير والمرجع وقيل اى المستقر في الاخرة حيث يقره
الله اذ هو الحاكم بينهم وقيل ان كلا بينا من قول الانسان لنفسه اذا علم انه ليس مفر
قال لنفسه كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر قوله تعالى **ينبوا الانسان** اى
يخبر ابن ادم برا كان او فاجرا يوم القيمة بما قدم اى بما اسلف من عمل سيء او صالح او اخر
من سنة سيئة او صالحة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وروى منصور
عن مجاهد قال ينبا باول عمله واخره وقاله النخعي وقال ابن عباس ايضا اى بما قدم من المعصية
واخر من الطاعة وهو قول قتادة وقال ابن زيد بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلفه
للورثة وقال الضحاك ينبا بما قدم من فرض واخر من فرض قال القشيري وهذا الا

ما يكون في القيمة عند وزن الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت قال الشيخ المؤلف رحمه الله
الاول اظهر لما خرجه ابن ماجه في سننه من حديث الزهري حدثني ابو عبد الله الاغر عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد
موته علما علمه ونشره او ولدا صالحا تركه او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل
بناه او نهرا اجراه او صدقة اخرجها من ماله في صحته لحقته من بعد موته وخرجه ابو نعيم
الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبع يجري اجرهن للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما او كرى نهرا او حفر بيرا او غرس
نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او تركه ولدا يستغفر له بعد موته فقوله بعد موته وهو في قبره
نص على ان ذلك لا يكون عند الموت وانما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله وان كان يبشر
بذلك في قبره ودل على هذا ايضا قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ومن اوزار الذين
يضلونهم بغير علم وهذا لا يكون الا في الآخرة بعد وزن الاعمال والله اعلم وفي الصحيح من
سن في الاسلام سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم
شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص
من اوزارهم شيء قوله تعالى **بل الانسان على نفسه بصيرة** قال الاخفش جعله هو
البصيرة كما يقول للرجل انت حجة على نفسك وقال ابن عباس بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه
عليه يداه بما بطش بهما ورجلاه بما مشى عليهما وعيناه بما ابصر بهما والبصيرة الشاهد وانشد
الفراء كان على ذي الفعل عينا بصيرة بمقعده او منظر هو ناظره يحاذر حتى يحسب الناس
كلهم من الخوف لا يخفى عليهم سرائره ودليل هذا التاويل من التنزيل قوله تعالى يوم تشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجاء تانيث البصيرة لان المراد بالانسان هاهنا
الجوارح لانها شاهدة على نفس الانسان وكانه قال بل الجوارح على نفس الانسان بصيرة قال معناه
القتبي وغيره وناس يقولون هذه الهاء في قوله بصيرة هي التي تسميها اهل الاعراب هاء المبالغة
كالهاء في قولهم داهية وعلامة وراوية وهو قول ابي عبيدة وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان
يكتبان ما يكون منه من خير او شر يدل عليه قوله ولو القى معاذيره فمن جعل المعاذير الستور
وهو قول السدي والضحاك وقال بعض اهل التفسير المعنى بل على الانسان من نفسه بصيرة
اي شاهد فحذف حرف الجر ويجوز ان يكون بصيرة نعتا لاسم مؤنث فيكون تقديره بل الانسان
على نفسه عين بصيرة وانشد الفراء كان على ذي العقل عينا بصيرة وقال الحسن في قوله بل الانسان
على نفسه بصيرة يعني بصير بعيوب غيره جاهل بعيوب نفسه ولو القى معاذيره اي ولو ارخى
ستوره والستر بلغة اهل اليمن معذار قاله الضحاك قال الشاعر
ولكنها ضنت بمنزل ساعة علينا واطت فوقها بالمعاذر قال الزجاج
المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة
عليه وقيل اي ولو اعتذر وجادل فقال لم افعل شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه

من جوارح

من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره قاله مجاهد وقتادة وسعيد
بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وابو العالية وعطا والفراء والسدي ايضا ومقاتل قال مقاتل اي
لو ادلى بعذر وحجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون فالمعاذير على هذا ماخوذ من العذر قال الشاعر
واياك والامر الذي ان توسعت موارده ضاقت عليك المصادر فما حسن ان يعذر المرء نفسه
وليس له من سائر الناس عاذر واعتذر رجل الى ابرهيم النخعي فقال له قد عذرتك غير معتذر ان
المعاذير يشوبها الكذب وقال ابن عباس ولو القى معاذيره اي لو تجرد من ثيابه حكاه الماوردي قال
الشيخ المؤلف رحمه الله والاظهر انه الادلاء بالحجة والاعتذار من الذنب ومنه قول النابغة ها
ان ذي عذره ان لا تكن نفعت فان صاحبها مشارك النكد احرمان الحال والدليل على هذا
قوله تعالى في الكفار والله ربنا ما كنا مشركين وقوله في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم وفي الصحيح انه يقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت
وتصدقت ويثني بخير ما استطاع الحديث وقد تقدم في حم السجدة وغيرها والمعاذير جمع معذرة
ويقال عذرته فيما صنع اعذره عذرا وعذرا والاسم المعذرة والعذرى قال الشاعر
اني حددت ولا عذرى لمحدود وكذلك العذرة وهي مثل الركبة والجلسة قال النابغة ها ان
تا عذره الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه في البلد وتضمنت الآية خمس مسايل الاولى قال القاضي
ابو بكر بن العربي قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره فيها دليل على قبول اقرار
المرء على نفسه لانها شهادة منه عليها قال الله سبحانه يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون ولا خلاف فيه لانه اخبار على وجه ينتفي التهمة عنه لان العاقل لا يكذب على نفسه وقد
قال الله سبحانه في كتابه الكريم واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ١١٤ اتتكم ص
جاكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا
قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقال تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا وهو في الآثار كثير قال النبي صلى الله عليه وسلم واغد يا انيس على امرأة هذا فان
اعترفت فارجمها فاما اقرار الغير على الغير بوارث او دين وهي المسالة الثانية فقال
مالك الامر المجتمع عليه عندنا في الرجل يهلك وله بنون فيقول احدهم قد اقر ابي ان فلانا ابنه
ان ذلك النسب لا يثبت بشهادة انسان واحد ولا يجوز اقرار الذي اقر الا على نفسه في
حصته من مال ابيه يعطى الذي شهد له قدر الذي يصيبه من المال الذي في يده قال مالك وتفسير ذلك
ان يهلك الرجل ويترك ابنين ويترك ست مائة ثم يشهد احدهما ان اباه الهالك اقر ان فلانا
ابنه فيكون على الذي شهد للذي استلحق مائة دينار وذلك نصيب ميراث المستلحق لو لحق
وان اقر له الآخر اخذ المائة الاخرى فاستكمل حقه وثبت نسبه وهو ايضا بمنزلة المراة
تقر بالدين على ابيها او على زوجها وينكر ذلك الورثة فعليها ان تدفع الى الذي اقرت له قدر
الذي يصيبها من ذلك الدين لو ثبت على الورثة كلهم ان كانت امراة ورثت الثمن دفعت

الى الغريم ثم ترد دينه وان كانت ابنه وربت النصف دفعت الى الغريم نصف دينه على حساب هذا
يدفع اليه من اقوله من النساء الثالثة لا يصح الاقرار الا من مكلف لكن بشرط ان لا يكون
محجورا عليه لان الحجر يسقط قوله اذ كان لحق نفسه فان كان لحق غيره كالمرض كان منه ساقط
ومنه جائز وبيانه في مسائل الفقه وللعبد حالتان في الاقرار احدهما في ابتدائه ولا خلاف فيه على
الوجه المتقدم والثاني في انتهائه وذلك مثل ابهام الاقرار وله صور كثيرة وامهاتها ست
الصورة الاولى ان تقول له عندي شي قال الشافعي لو فسره بتمرة او كسرة قبل منه والذي يقتضيه اصولنا
انه لا يقبل الا فيما له قدر فاذا فسره به قبل منه وحلف عليه الصورة الثانية ان تفسره هذا بخمر
او خنزير او ما لا يكون مالا في الشريعة لم يقبل باتفاق ولو ساعده المقر له والله اعلم الصورة
الثالثة ان تفسره بمختلف فيه مثل جلد الميتة او سرقين او كلب فان الحاكم يحكم عليه في ذلك بما يراه
من رد وامضا فان رده لم يحكم عليه حاكم اخر غيره بشي لان الحكم قد نفذ بابطاله وقال بعض اصحاب
الشافعي يلزم الخمر والخنزير وهو قول باطل وقال ابو حنيفة اذا قال على شي لم يقبل تفسيره الا بمكيل
او موزون لانه لا يثبت في الذمة الا هما وهذا ضعيف فان غيرهما يثبت في الذمة اذا وجبت لك
اجماعا الصورة الرابعة اذا قال له عندي مال قبل تفسيره بما يكون مالا في العادة كالدرهم
والدرهمين ما لم يجي من قرينة الحال ما يحكم عليه باكثر منه الصورة الخامسة ان يقول له عندي
مال كثير او عظيم قال الشافعي يقبل في الحبة وقال ابو حنيفة لا يقبل الا في نصاب الزكاة وقال
علماونا في ذلك اقوال مختلفة منها السرقة والزكاة والدية واقله عندي نصاب السرقة لانه
لا يبان عضو المسلم الا في مال عظيم وبه قال اكثر الحنفية ومن يعجب فليتعجب بقول الليث بن سعد لا يقبل
في اثنين وسبعين درهما فقيل له ومن اين يقول ذلك قال لان الله تعالى قال لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة وغزواته وسراياه كانت اثنين وسبعين وهذا لا يصح لانه اخرج حنينا فكان
منها فكان حقه ان يقول في احد وسبعين وقد قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال لا خير
في كثير من نجواهم وقال لعنهم لعنا كثيرا الصورة السادسة اذا قال له عندي عشرة او
مائة او الف فانه تفسرها بما شا ويقبل منه فان قال الف درهم او مائة وعشرة او مائة وخمسون درهما
فانه تفسر المبهم ويقبل منه وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة ان عطف على العدد المبهم مكيلا
او موزونا كان تفسيرا لقوله مائة وخمسون درهما لان الدرهم تفسير للخمسين والخمسون تفسير للمائة
وقال ابن خيران والاصطخري من اصحاب الشافعي الدرهم لا يكون تفسيرا في المائة والخمسين الا
للخمسين خاصة وتفسرها المائة بما شا **المسالة الرابعة** قوله تعالى **ولو القى معاذيره**
ومعناه لو اعتذر بعد الاقرار لم يقبل منه وقد اختلف العلما فيمن رجع بعد ما اقر في الحدود
التي هي خالص حق الله فقال اكثرهم منهم الشافعي وابو حنيفة يقبل رجوعه بعد الاقرار
او قال به مالك في احد قوليه وقال في القول الاخر لا يقبل منه الا ان يذكر لرجوعه وجها
صحيحا والصحيح جواز الرجوع مطلقا لما روى الائمة منهم البخاري ومسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم رد المقر بالزنا مرارا اربعا كل مرة يعرض عنه ولما شهد على نفسه اربع مرات

دعاه

دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابك جنون قال لا قال احصنت قال نعم وفي حديث البخاري
لعلك قبلت او غمزت او نظرت وفي النسائي وابي داود حين قال في الخامسة انكتها قال نعم قال
غاب ذلك منك في ذلك منها قال نعم كما يغيب المرود في المكحلة والرشا في البئر قال نعم قال هل
تدري ما الزنا قال نعم اتيت منها حراما مثل ما ياتي الرجل من اهله حلالا قال فما تريد من
هذا القول قال اريد ان تطهرني قال فامر به فرجم قال الترمذي وابو داود فلما مس الحجارة
فر يشتد فضربه رجل بلحي جمل فضربه الناس حتى مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا
تركتموه وقال ابو داود والنسائي ليستثبت النبي صلى الله عليه وسلم فاما لترك حد فلا وهذا
كله بطريق الرجوع وتصريح بقوله وفي قوله لعلك قبلت او غمزت اشارة الى قول مالك انه
يقبل رجوعه اذا ذكر وجها وهذا في الحر المالك لامر نفسه واما العبد فان اقراره
لا يخلو من احد قسمين اما ان يقر على بدنه او على ما في يديه وذمته فان اقر على بدنه مما فيه عقوبة
من القتل فما دونه نفذ ذلك عليه وقال محمد بن الحسن لا يقبل ذلك منه لان بدنه مستغرق لحق السيد
وفي اقراره اتلاف حقوق السيد في بدنه ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم من اصاب من هذه
القاذورة شيا فليستتر بستر الله فانه من يبد لنا صفحته نقم عليه الحد المعنى ان محل العقوبة
اصل الخلقة وهي الدمية في الادمية ولا حق للسيد فيها وانما حقه في الوصف والتبع وهي المالية الطارية
عليه الا ترى انه لو اقر بمال لم يقبل حتى قال ابو حنيفة انه لو قال سرقت هذه السلعة انه يقطع
يده ويأخذها المقر له وقال علماونا السلعة للسيد ويتبع العبد بقيمتها اذا عتق لان مال العبد للسيد
اجماعا فلا يقبل قوله فيه ولا اقراره عليه لا سيما وابو حنيفة يقول ان العبد لا ملك له ولا يصح
ان يملك ولا يملك ونحن وان قلنا انه يصح تملكه ولكن جميع ما في يده لسيده باجماع على القولين
قوله تعالى **لا تحرك به لسانك لتعجل به** في الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه يريد ان
يحفظه فانزل الله تبارك وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك به شفتيه وحرك
سفيان شفتيه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ولفظ مسلم عن ابن جبير عن ابن عباس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة كان يحرك شفتيه فقال لي ابن عباس
انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فقال سعيد انا احركهما
كما كان ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا
جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وانصت ثم علينا
ان تقرأه قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليهما السلام استمع واذا انطلق
جبريل عليه السلام قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما اقرأه خرجه البخاري ويطير هذه الاية
قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم وقال عامر الشعبي
انما كان يعجل بذكره اذا نزل عليه من حبه وحلاوته في لسانه فنهي عن ذلك حتى يجتمع لان
بعضه مرتبط ببعض وقيل كان عليه السلام اذا نزل عليه الوحي حرك لسانه مع الوحي مخافة

ان ننساه فنزلت ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ونزل سنقرئك فلا تنسى
ونزل لا تحرك به لسانك قاله ابن عباس وقرانه اى وقراته عليك والقراءة والقرآن في قول
الفرا مصدران وقال قتادة فاتبع قرانه اى اتبع شرايعه واحكامه وقوله ثم ان علينا بيانه اى
تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة وقيل ثم ان علينا بيان ما فيه من الوعد
والوعيد وتحقيقهما وقيل اى ان علينا ان نبينه بلسانك قوله تعالى كلا قال ابن عباس اى
ان ابا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه وقيل اى كلا لا يصلون ولا يزلون يريد كفار مكة
بل تحبون اى بل تحبون يا كفار اهل مكة العاجلة اى الدار الدنيا والحيوة فيها وتذرون اى
تدعون الآخرة والعمل لها وفي بعض التفسير قال الآخرة الجنة وقرا اهل المدينة والكوفيون بل يحبون
ويذرون بالياء فيهما على الخطاب واختاره ابو عبيد قال ولولا الكراهة لخلافها لا القرا لقراتها
بالياء لذكر الانسان قبل ذلك الباقون بالياء على الخبر وهو اختيار ابي حاتم فمن قرا بالياء فرد
على قوله تعالى بل الانسان وهو بمعنى الناس ومن قرا بالتاء فعلى انه واجههم بالتقريع لان ذلك
ابلغ في المقصود نظيره ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا قوله
تعالى **وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة** الاولى من النضرة التي هي الحسن
والنعمة والثاني من النظر اى وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة تعالى نضرهم الله ينضرهم
نضرة ونضارة وهو الاشراق والعيش والغنى ومنه الحديث نضر الله امرا سمع مقالتي
الى ربها الى خالقها ومالكها ناظرة اى تنظر الى ربها على هذا جمهور العلماء وفي الباب حديث
صهيب خرجه مسلم وقد مضى في يونس عند قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وكان
بن عمر يقول اكرم اهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلى هذه الآية
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وروى يزيد بن النحوي عن عكرمة قال تنظر الى
ربها وكان الحسن يقول نضرت وجوههم ونظروا الى ربهم وقيل ان النظر هنا انتظار
ما لهم عند الله من الثواب روي عن ابن عمر ومجاهد وقال عكرمة تنتظر امر ربها حكاه الماوردي
عن ابن عمر وعكرمة وليس معروفا الا عن مجاهد وحده واحتجوا بقوله لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار وهذا القول ضعيف جدا خارج عن مقتضى هذه الآية وفي الترمذي
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر
الى جنانه وازواجه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه
غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال
هذا حديث غريب وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه وفي صحيح مسلم عن ابي بكر بن عبد الله
بن قيس عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان
من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكبرياء
على وجهه في جنة عدن وروى جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا

تقابل م

القمر

هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وصلوة
قبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه وخرجه
ايضا ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وخرج ابو داود عن ابي رزين العقيلي
قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى الله عز وجل مخليا به يوم القيمة قال نعم يا ابا رزين وآية ذلك
في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما
هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم وفي كتاب النسائي عن صهيب قال فيكشف الحجاب
فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر ولا اقر لاعينهم وفي التفسير لابي
اسحاق الثعلبي عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل
حتى ينظروا الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا رؤوسكم فليس هذا بيوم عبادة قال الثعلبي
وقول مجاهد انها بمعنى تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه فتاويل مدخول لان العرب
اذا ارادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته كما قال تعالى هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون
الا تاويله وما ينظرون الا صيحة واحدة واذا ارادت به التفكر والتدبر قالوا نظرت فيه
فاما اذا كان النظر مقرونا بذكر الى وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الرؤية والعيان وقال الازهري
ان قول مجاهد تنتظر ثواب ربها خطا لانه لا يقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت
الى فلان ليس الا رؤية عين كذلك تقوله العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا نظر العين
واذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته قال فانكما ان تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى ام جندب
لما ارادوا الانتظار قال تنظراني ولم يقل تنظران الي واذا ارادوا نظر العين قالوا نظرت اليه
قال نظرت اليها والنجوم كانها مصابيح رهبان تشب لقفال وقال آخر نظرت اليها بالمحصب
من منى ولي نظرة لولا التحرج عارم وقال الآخر اني اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير الى
الغني الموسر اي انظر اليك بذل لان نظر الذل والخضوع ارق لقلب المسئول فاما استدلوا به
من قوله تعالى لا تدركه الابصار فانما ذلك في الدنيا وقد مضى القول فيه في موضعه مستوفى
وقال عطية العوفي ينظرون الى الله لا تحيط ابصارهم به من عظمته ونظره يحيط بهم يدل
عليه قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال القشيري ابو نصر وقيل الى واحد
الآلاء اى نعمه منتظرة وهذا ايضا باطل لان واحد الآلاء يكتب بالالف لا بالياء ثم الآلاء
نعمة الدفع وهم في الجنة لا ينتظرون دفع نقمة عنهم والمنتظر للشيء متنغص العيش
فلا يوصف اهل الجنة بذلك وقيل اضاف النظر الى الوجه لان العين في الوجه وهو كقوله
تجري من تحتها الانهار والماء يجري في النهر لا النهر ثم قد يذكر الوجه بمعنى العين قال
الله تعالى فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اى على عينيه ثم لا يبعد قلب العادة غدا حتى
يخلق الرؤية والنظر في الوجه وهو كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه فقيل يا رسول الله
كيف يمشون في النار على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم
على وجوههم ووجوه يومئذ باسرة اى وجوه الكفار يوم القيمة كالحة كاسفة عابسة و

مقروءا صح

نقل ناصح

وفى الصحيح وبسر الفحل الناقة وابتسرها اذا ضربها من غير صنعة وبسر الرجل وجهه بسورا اى
كلح يقال عبس وبسر وقال السدى باسرة اى متغيرة والمعنى بظن ان يفعل بها فاقرة اى يوقن ويعلم
والفاقرة الداهية الامر العظيم يقال فرقته الفاقرة اى كسرت فقار ظهره قال معناه مجاهد وغيره
وقال قتادة الفاقرة الشر السدى الهلاك ابن عباس وابن زيد دخول النار والمعنى متقارب واصلها
الوسم على انف البعير بحديدة او نار حتى يخلص الى العظم قاله الاصمعى يقال فقرت انف البعير اذا حززته
بحديدة ثم جعلت على موضع الحز الجرير وعليه وتر ملوى ليذلله بذلك وتروضه ومنه قولهم
قد عمل به الفاقرة وقال النابغة ابا لى قبر لا يزال مقابلى وضربة فاس فوق راسى فاقرة اى كاسرة
قوله تعالى **كلا اذا بلغت التراقى** كلا ردع وزجر اى بعيد ان يؤمن الكافر بيوم القيمة
ثم استانف فقال اذا بلغت التراقى اى بلغت النفس او الروح التراقى فاخبر عما لم يجر له ذكر لعلم
المخاطب به كقوله حتى توارت بالحجاب وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وقد تقدم وقيل كلا معناه حقا
اى حقا ان المساق الى الله اذا بلغت التراقى اى اذا ارتفعت النفس الى التراقى وكان ابن عباس
يقول اذا بلغت نفس الكافر والتراقى جمع ترقوة وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر وهو مقدم
الحلق من اعلى الصدر وهو موضع الحشرجة قال دريد بن الصمة ورب عظيمة دافعت عنها
وقد بلغت نفوسهم التراقى وقد يكنى عن الاشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقى والمقصود تذكيرهم
شدة الحال عند نزول الموت قوله تعالى **وقيل من راق** اختلف فيه فقيل هو من الرقية عن
ابن عباس وعكرمة وغيرهما روى سماك عن عكرمة قال من راق يرقى اى يشفى وروى ميمون بن مهران
عن ابن عباس اى هل من طبيب يشفيه وقاله ابو قلابة وقتادة وقال الشاعر هل للفتى من بنات الدهر
من واق ام هل له من حمام الموت من راق وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس اى من يقدر
ان يرقى من الموت وعن ابن عباس ايضا وابى الجوزاء انه من رقى يرقى اذا صعد والمعنى من يرقى
بروحه الى السماء املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وقيل ان ملك الموت يقول من
راق اى من يرقى بهذه النفس وذلك ان نفس الكافر تكره الملائكة قربها فيقول ملك الموت يا فلان
اصعد بها واظهر عاصم وقوم النون فى قوله من راق واللام فى قوله بل ران لئلا يشبه مراق
وهو بائع المرقة وبران فى تثنية البر والصحيح ترك الاظهار وكسرة القاف فى مراق وفتحة النون
فى بل ران يكفى فى زوال اللبس وامثل مما ذكر قصد الوقف على من وبل فاظهرهما قاله القشيرى
قوله تعالى وظن اى ايقن الانسان انه الفراق اى فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك
حين عاين الملائكة وقال الشاعر فراق ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجاء
عن التلاق والتفت الساق بالساق اى فاتصلت الشدة بشدة اخر الدنيا بشدة اول
الاخرة قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبى وغيره المعنى التفت ساقا الانسان
عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة اما رايته اذا اشرف على الموت يضرب برجله
على الاخرى وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما ساقا الانسان اذا التفتا فى الكفن
وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الحسن ايضا ماتت رجلاه ويبست

ساقاه فلم تحملاه ولقد كان عليهما جوالا قال النحاس القول الاول احسنها روى
على بن ابى طلحة عن ابن عباس والتفت الساق بالساق قال اخر يوم من الدنيا واول
يوم من الاخرة فتلتقى الشدة بالشدة الا من رحمه الله اى شدة كرب الموت بشدة هول
المطلع والدليل على هذا قوله الى ربك يومئذ المساق وقال مجاهد بلاء بلاء يقول
تتابعت عليه الشدائد وقال الضحاك وابن زيد اجتمع عليه امران شديدان الناس
يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه والعرب لا يذكر الساق الا فى المحن
والشدائد العظام ومنه قولهم قامت الدنيا على ساق وقامت الحرب على ساق قال وقامت
الحرب بنا على ساق وقد مضى هذا المعنى فى اخر سورة ن والقلم وقال قوم الكافر تعذب
روحه عند خروج نفسه فهذه الساق الاولى ثم يكون بعدها ساق البعث وشدائده
الى ربك الى خالقك يومئذ اى يوم القيمة المساق اى المرجع وفى بعض التفسير قال يسوقه
ملكه الذى كان يحفظ عليه السيئات والمساق المصدر من ساق يسوق كالمقال من
قال يقول قوله تعالى **فلا صدق ولا صلى** اى لم يصدق ابو جهل ولم يصل وقيل
يرجع هذا الى الانسان فى اول السورة وهو اسم جنس والاول قول ابن عباس اى لم يصدق
بالرسالة ولا صلى ودعا لربه وصلى على رسوله وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله وقيل
ولا صدق بمال ذخرا له عند الله ولا صلى الصلوات التى امره الله بها وقيل فلا امن بقلبه
ولا عمل ببدنه قال الكسائى لا بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره يقول العرب لا عبد الله خارج ولا
فلان ولا يقول مررت برجل لا محسن حتى يقال ولا مجمل وقوله فلا اقتحم العقبة ليس من
من هذا القبيل لان معناه افلا اقتحم اى فهلا اقتحم فحذف الف الاستفهام وقال الاخفش
فلا صدق اى لم يصدق كقوله فلا اقتحم اى لم يقتحم ولم يشترط ان يعقبه بشئ اخر والعرب
تقول لا ذهب اى لم يذهب فحرف النفى ينفى الماضى كما ينفى المستقبل ومنه قول زهير فلا هو
ابداها ولم يتقدم قوله تعالى **ولكن كذب وتولى** اى كذب بالقران وتولى عن
الايمان ثم ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر افتخارا بذلك قاله مجاهد وقتادة قال مجاهد المراد
به ابو جهل وقيل يتمطى من المطا وهو الظهر والمعنى يلوى مطاه وقيل اصله يتمطط وهو التمدد
من التكسل والتثاقل فهو يتثاقل عن الداعى الى الحق فابدل من الطاء ياء كراهة التضعيف
والتمطى يدل على قلة الاكتراث وهو التمدد كانه يمد ظهره ويلويه من التبختر والمطيط الماء
الخاثر من اسفل الحوض لانه يتمطط اى يتمدد وفى الخبر اذا مشت امتى المطيطا وخدمتهم
فارس والروم كان باسهم بينهم والمطيطا التبختر ومد اليدين فى المشى قوله تعالى
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد وهو وعيد
اربعة لاربعة كما روى انها نزلت فى ابى جهل الجاهل بربه فقال لا صدق ولا صلى ولكن
كذب وتولى اى لا صدق رسول الله ولا وقف بين يدى الله فصلى ولكن كذب رسولى
وتولى عن التصلية بين يدى الله فترك التصديق خصلة والتكذيب خصلة وترك الصلوات

حصله والتولي عن الله حصله لها الوعيد اربعه مقابله لتركه الخصال الاربعة والله اعلم الانفال
ثم ذهب الى اهله يتمطى حصله خامسه فانا يقول تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولي
فاخبر عنها في المكذبين في قول قتادة على ما ذكره وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
من المسجد ذات يوم فاستقبله ابو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم فاخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده فهزه مرة او مرتين ثم قال له اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتهددني فوالله
اني لاعز اهل الوادي واكرمه ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لابي جهل
وهي كلمه وعيد قال الشاعر ،، فاولى ثم اولى ثم اولى ، وهل للدر يحلب من مرد
قال قتادة اقبل ابو جهل بن هشام يتبختر فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال اولى لك
فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ما تستطيع انت ولا ربك لي شيئا لاني اعز من بين جبليها فلما
كان يوم بدر اشرف على المسلمين فقال لا يعبد الله بعد هذا اليوم ابدا فضرب الله عنقه
وقتله شر قتله وقيل معناه الويل لك ومنه قول الخنسا هممت بنفسي بعض الهموم فاولى
لنفسي اولى لها ساحمل نفسي على آله فاما عليها واما لها الآله الحاله والآله السرير ايضا
الذي يحمل عليه الميت وعلى هذا التاويل قيل هو من المقلوب كانه قال اويل ثم آخر الحرف
المعتل والمعنى الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث يوم يدخل النار وهذا
التكرير اي لك كما قال لك الويلات انك مرجلي اي لك الويل ثم الويل وضعف
هذا القول وقيل معناه الذم لك اولى من تركه الا انه كثر في الكلام فحذف وقيل
المعنى انت اولى واجدر بهذا العذاب وقال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في
كلام العرب معناه مقاربه الهلاك كانه يقول قد وليت الهلاك قد دانيت الهلاك واصله من
الولي وهو القرب قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي يقربون
منكم وانشد الاصمعي واولى ان يكون له الولاء اي قارب ان يكون له وانشد ايضا اولى لمن هاجت
له ان يكمدا اي قد دنا صاحبها الكمد وكان ابو العباس ثعلب يستحسن قول الاصمعي ويقول السنن
ويقول ليس احد يفسر كتفسير الاصمعي النحاس العرب يقول اولى للكذب يهلك ثم افلت وكان
تقديره اولى لك واولى بك الهلكة المهدوي ولا يكون اولى افعل منك ويكون
خبر مبتدا محذوف كانه قال الوعيد اولى له من غيره لان ابا زيد قد حكى اولاه الآن
اذا اوعدوا فدخول علامة التانيث دليل على انه ليس كذلك ولك خبر عن اولى ولم
ينصرف اولى لانه صار علما للوعيد فصار كرجل اسمه احمد وقيل التكرير فيه على معنى
الذم لك على عملك السيء الاول ثم على الثاني والثالث والرابع كما تقدم قوله تعالى
ايحسب الانسان اي يظن ابن آدم ان يترك سدى اي ان يخلى مهملا فلا يؤمر ولا
ينهى قاله ابن زيد ومجاهد ومنه ابل سدى اي ترعى بلا راع وقيل ايحسب ان يترك في قبره
كذلك ابدا لا يبعث قال الشاعر فاقسم بالله جهد اليمين ما ترك الله شيئا سدى
قوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى اي من قطرة ماء تمنى في الرحم اي يراق

فيه وكذلك سميت منى لاراقه الدماء وقد تقدم والنطفة الماء القليل يقال نطف
الماء اذا قطر اي الم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترايب المراة وقرا حفص من مني يمنى
بالياء وهي قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن ابي عمرو واختاره ابو عبيد لاجل
المني الباقون بالتاء لاجل النطفة واختاره ابو حاتم ثم كان علقه اي دما بعد النطفة
نبه بهذا كله على خسة قدره ثم قال فخلق اي فقدر فسوى اي فسواه تسويه وعدله
يقدد لا يجعل الروح فيه فجعل منه اي من الانسان وقيل من المني الذكر والانثى اي الرجل
والمراة وقد احتج بهذا من راى اسقاط الخنثى وقد مضى في سورة الشورى ان هذه الاية
وقرينتها انما خرجا مخرج الغالب وقد مضى في اول سورة النسا ايضا القول فيه وذكرنا
في آية المواريث حكمها فلا معنى لاعادتها اليس ذلك بقادر اي اليس الذي قدر على خلق
هذه النسمه من قطرة من ماء بقادر على ان يحيي الموتى اي على ان يعيد هذه الاجسام
كهيئتها للبعث بعد البلى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها
قال سبحانك اللهم وبلى وقال ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل
سبحان ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما
كان او غيره ذكره الثعلبي من حديث ابي اسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

سورة الانسان مكيه في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي

وقال الجمهور مدنيه وقيل فيها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن
تنزيلا الى آخر السورة وما تقدمه مدني وهي احدى وثلثون آيه وذكر ابن وهب قال
وحدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرا هل اتى على الانسان
حين من الدهر وقد انزلت عليه وعنده رجل اسود كان يسال النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له عمر بن الخطاب حسبك لا تثقل على النبي صلى الله عليه وسلم قال دعه
يا ابن الخطاب قال فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده فلما قراها عليه وبلغ صفة
الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم
او اخيكم الشوق الى الجنة وروى عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ وسياتي وقال القشيري
ان هذه السورة نزلت في علي رضي الله عنه والمقصود من السورة عام وهكذا
القول في كل ما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى

هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ٥

هل بمعنى قد قاله الكسائي والفراء وابو عبيده وقد حكي عن سيبويه هل بمعنى قد قال
الفراء هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك تقرره
بانك اعطيته والجحد ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا وقيل هي بمنزلة الاستفهام

والمعنى انى والانسان هنا آدم عليه السلام قاله قتاده والثورى وعكرمه والسدى وروى عن بن
عباس حين من الدهر قال بن عباس في رواية ابى صالح اربعون سنة مرت به قبل ان ينفخ فيه
الروح وهو ملقى بين مكة والطايف وعن ابن عباس ايضا فى رواية الضحاك انه خلق من
طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم
خلقه بعد مائة وعشرين سنة وزاد بن مسعود فقال اقام وهو من تراب اربعين سنة فتم خلقه
بعد مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور هاهنا لا يعرف مقداره عن بن عباس
ايضا حكاه الماوردى لم يكن شيئا مذكورا قال الضحاك عن ابن عباس لا في السماء ولا
في الارض وقيل اى كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد
ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قاله الفرا وقطرب وثعلب قال يحيى بن سلام لم يكن شيئا
مذكورا في الخلق وان كان عند الله شيئا مذكورا وقيل ليس هذا الذكر بمعنى الاخبار فان
اخبار الرب عن الكاينات قديم بل هذا الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدر يقول فلان مذكور
اى له شرف وقدر وقد قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى قد اتى على الانسان حين
لم يكن له قدر عند الخليقة ثم لما عرف الله الملايكة انه جعل آدم خليفة وحمله الامانة
التى عجز عنها السموات والارض والجبال ظهر فضله على الكل فصار مذكورا قال القشيرى
وعلى الجملة ما كان مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله وحكى محمد بن الجهم عن الفرا لم يكن
شيئا قال كان شيئا ولم يكن مذكورا وقال قوم النفى يرجع الى الشيء اى قد مضى مدد من الدهر
وآدم لم يكن شيئا يذكر في الخليقة لانه آخر ما خلقه من اصناف الخليقة والمعدوم ليس
بشيء حتى ياتى عليه حين والمعنى قد مضت ازمنة وما كان آدم شيئا ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد
من الخليقة وهذا معنى قول قتادة ومقاتل قال قتادة انما خلق الانسان حديثا ما نعلم من خليقة
الله جل ثناوه خليقة كانت بعد الانسان وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير وتقديره
هل اتى حين من الدهر لم يكن الانسان شيئا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم
يخلق بعده حيوانا وقد قيل الانسان في قوله تعالى هل اتى على الانسان عنى به الجنس من
ذرية آدم وان الحين تسعة اشهر مدة حمل الانسان في بطن امه لم يكن شيئا مذكورا اذ
كان علقة ومضغة لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقال ابو بكر رضى الله عنه لما قرا هذه
الاية ليتها تمت ولا يبلى اى ليت المدة التى اتت على آدم لم يكن شيئا مذكورا تمت على ذلك
فلا يلد ولا يبتلى اولاده وسمع عمر رضى الله عنه رجلا يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر
الى قوله مذكورا فقال ليتها تمت قوله تعالى **انا خلقنا الانسان** اى ابن آدم
من غير خلاف من نطفة اى مما يقطر وهو المنى وكل ماء قليل في وعا فهو نطفة لقوله عبد الله بن
رواحة يعاتب نفسه ما لى اراك تكرهين الجنة هل انت الا نطفة في شنه وجمعها نطف قال
وحديث رويه نطرحن كل مجحل مشاج لم يكتس جلدا في دم امشاج ويقال مشجت هذا بهذا
اى خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وقال المبرد واحد الامشاج مشج يقال

مشج

مشج يمشج اذا اختلط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت
على مشج سلالته مهين وقال الفرا امشاج اختلاط ماء الرجل وماء المراة والدم والعلقة
ويقال للشيء من هذا اذا خلط مشيج كقولك خليط وممشوج كقولك مخلوط وروى عن بن
مسعود رضى الله عنه قال الامشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة وهذا قول يختاره كثير
من اهل اللغة قال الهذلى كان الريش والفوقين منه خلاف النصل سيط به مشيج وعن ابن
عباس ايضا يختلط ماء الرجل وهو ابيض غليظ بماء المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما
كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المراة وقد
روى هذا مرفوعا ذكره البزار وروى عن ابن مسعود امشاجها عروق المضغة وعنه ماء الرجل
وماء المراة وهما لونان وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المراة خضراء وصفراء وقال
بن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ماء الفرج والرحم وهى نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم عظم ثم لحم ونحوه وقال قتادة هى اطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا
عظاما ثم يكسو العظام لحما كما قال في سورة المومنين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين الاية وقال بن سكيت الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع يخلق الانسان
منها ذا طبايع مختلفة وقال اهل المعانى الامشاج ما جمع وهو في معنى الواحد لانه نعت
للنطفة كما يقال برمة اعشار وثوب اخلاق وروى عن ابى ايوب الانصارى قال جاء حبر من اليهود
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى عن ماء الرجل وماء المراة فقال ماء الرجل ابيض غليظ
وماء المراة اصفر رقيق فاذا علا ماء المراة آنثت واذا علا ماء الرجل اذكرت فقال الحبر اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله وقد مضى هذا مستوفى في سورة الشورى نبتليه اى نختبره و
قيل يقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار وفيما يختبر به وجهان احدهما نختبره بالخير والشر
قاله الكلبى والثانى نختبر شكره في السراء وصبره في الضراء قاله الحسن وقيل نبتليه
نكلفه وفيه ايضا وجهان احدهما العمل بعد الخلق قاله مقاتل الثانى الدين ليكون
مامورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصى وروى عن بن عباس نبتليه نصرفه خلقا بعد
خلق لنبتليه بالخير والشر وحكى محمد بن الجهم عن الفرا قال المعنى والله اعلم جعلناه
سميعا بصيرا لنبتليه وهى مقدمة معناها التاخير لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة
وقيل جعلناه سميعا بصيرا يعنى جعلنا له سمعا يسمع الهدى وبصرا يبصر به الهدى قوله
تعالى **انا هديناه السبيل** اى وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير
والشر ببعث الرسل فامن او كفر لقوله وهديناه النجدين وقال مجاهد اى بينا له السبيل
الى الشقاء والسعادة وقال الضحاك وابو صالح والسدى السبيل هنا خروجه من
الرحم وقيل منافعه ومضاره التى يهتدى اليها بطبعه وكمال عقله اما شاكرا
واما كفورا اى ايهما فعل فقد بينا له قال الكوفيون ان هاهنا تكون جزاء وما زايدة
اى بينا له الطريق ان شكر او كفر واختار الفرا ولم يجزه البصريون اذ لا

يدخل ان للجزاء على الاسماء الا ان يضمر بعدها فعل وقيل اى هديناه الرشد اى بيّنا له سبيل التوحيد بنصب الادلة عليه ثم ان خلقناه له الهداية اهتدى وامن وان خذلناه كفر وهو كما يقول قد نصحت لك ان شئت فاقبل وان شئت فاترك اى فان شئت فحذف الفاء وكذا فاما شاكرا والله اعلم ويقال هديته السبيل وللسبيل والى السبيل وقد تقدم فى الفاتحة وغيرها وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما فى معنى المبالغة نفيا للمبالغة فى الشكر واثباتا لها فى الكفر لان شكر الله تعالى لا يؤدى فانبعث عنه المبالغة ولم ينتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره وان قل مع الاحسان اليه حكاه الماوردى

قوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا بين حال الفريقين وانه يعبد الخلائق وكلفهم ومكنهم مما امرهم فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب والسلاسل القيود فى جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مضى فى الحاقة وقرا نافع والكسائى وابو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا منونا الباقون بغير تنوين ووقف قنبل عن ابن كثير وحمزة الباقون بالف فاما قواريرا الاول فنونه نافع وابن كثير والكسائى وابو بكر عن عاصم ولم ينون الباقون ووقف يعقوب وحمزة بغير الف والباقون بالالف واما قواريرا الثانية فنونه ايضا نافع والكسائى وابو بكر ولم ينون الباقون فمن نون قراها بالالف ومن لم ينون اسقط منها الالف واختار ابو عبيد التنوين فى الثلاثة والوقف بالالف اتباعا لخط المصحف قال رايت فى مصحف عثمان سلاسلا بالالف وقواريرا الاول بالالف وكان الثانى مكتوبا بالالف فحكت فرايت اثرها هناك بينا فمن صرف فله اربع حجج احدها ان هذه الجموع اشبهت الاحاد فجمعت جمع الاحاد فجعلت فى حكم الاحاد فصرفت الثانية كان الاخفش عن العرب صرف جمع ما لا ينصرف الا افعل منك وكذا قال الكسائى والفراء هو على لغة من يجر الاسماء كلها الا قولهم هو اظرف منك فانهم لا يجرونه وانشد ابن الانبارى فى ذلك قول عمرو بن كلثوم كان سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بايدى لاعبينا وقال الشاعر وجرور ابصار دعوت لحتفها معالق متشابه اعلامها وقال لبيد ايضا فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح لسوب وغايب غنامها فصرف مخاريق ومعالق ورغايب وسبيلها ان لا تصرف والحجة الثالثة ان يقول نونت قوارير الاول لانه راس اية ورؤس الاى جاءت بالنون كقوله جل وعز مذكورا سميعا بصيرا فنونا الاولى ليوفق بين رؤس الايات ونونا الثانى على الجوار الاول والحجة الرابعة اتباع المصاحف وذلك انهما جميعا فى مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالالف وقد احتج من لم يصرفهن بان قال ان كل جمع بعد الالف منه ثلاثة احرف او حرفان او حرف مشدد لا يصرف فى معرفة ولا نكرة فالذى بعد الالف منه حرفين وكذلك قوله و ثلثة احرف قولك قناديل ودنانير ومناديل والذى بعد الالف منه حرفا قول الله عز وجل لهدمت

صوامع

مخاريق

صوامع لان بعد الالف حرفين وكذلك قوله ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا والذى بعد الالف منه حرف مشدد شواب ودواب وقال خلف سمعت يحيى بن آدم يحدث عن ابن ادريس قال فى المصاحف الاولى الحرف الاول والثانى بغير الف فهذا الحجة لمذهب حمزة وقال خلف رايت فى مصحف ينسب الى قراءة ابن مسعود الاول بالالف والثانى بغير الف واما افعل منك ولا يقولون احد من العرب فى شعره ولا فى غيره هو افعل منك منونا لان من يقوم مقام الاضافة فلا يجمع بين تنوين واضافة فى حرف لانهما دليلان من دلايل الاسماء ولا يجمع بين دليلين قاله الفراء قوله تعالى واغلالا جمع غل تغل بها ايديهم الى اعناقهم وعن جبير بن نفير عن ابى الدرداء كان يقول ارفعوا هذه الايدى الى الله جل ثناؤه قبل ان تغل بالاغلال وقال الحسن ان الاغلال لم تجعل فى اعناق اهل النار لانهم اعجزوا الرب سبحانه ولكن اذلالا وسعيرا تقدم القول فيه قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس الابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل امر الله وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد وقيل جمع بر مثل نهر وانهار وفى الصحاح وجمع البر الابرار وجمع البار البررة وفلان بر خالقه وتبرره اى يطيعه والام برة بولدها وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله عز وجل الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما ان لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذى لا يؤذى الذر وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وفى الحديث الابرار الذين لا يؤذون احدا يشربون من كاس اى من اناء فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر والكاس فى اللغة الاناء فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا قال الشاعر هو عمرو بن كلثوم

صبنت الكاس عنا ام عمرو ... وكان الكاس مجراها اليمينا

قال الاصمعى يقال صبنت عنا الهدية او ما كان من معروف تصبن صبنا بمعنى كففت قاله الجوهرى كان مزاجها اى شوبها وخلطها قال حسان كان سبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة كافورا قال ابن عباس هو اسم عين ماء فى الجنة يقال له عين الكافور اى يمازجه ماء هذه العين التى تسمى كافورا وقال سعيد عن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم بالمسك وقاله مجاهد وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل اصل الكافور فى ريحها لا فى طعمها وقيل اراد كالكافور فى بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب لقوله حتى اذا جعله نارا اى كنار وقال ابن كيسان طيبت بالمسك والكافور والزنجبيل وقال مقاتل ليس بكافور الدنيا ولكن سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدى لها القلوب وقوله كان مزاجها كان زايدة اى من كاس مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله قال الفراء ان الكافور اسم العين ماء فى الجنة فعينا بدلا من كافور على هذا وقيل بدل من كاس على الموضع وقيل هى حال من المضمر فى مزاجها وقيل نصب على المدح كما يذكر الرجل فيقول العاقل اللبيب

اى ذكرتم العاقل اللبيب فهو نصب باضمار اعنى وقيل يشربون عينا وقال الزجاج المعنى من
عين ويقال كافور وقافور والكافور ايضا وعاطم النخل وكذلك الكفرى قاله الاصمعى
واما قول الراعى تكسوا المفارق واللبات ذا ارج من قصب معتلف الكافور دراج فان
الظبى الذى يكون منه المسك انما يرعى سنبل الطيب فجعله كافورا يشرب بها قال
الفرا يشربها ويشرب بها سواء فى المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينتفع بها وانشد شربن بماء
البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج قال ومثله يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا
وقيل المعنى يشربها والبا زائدة وقيل البا بدل من تقديره يشرب منها قاله القتبى يفجرونها تفجيرا
فيقال ان الرجل منهم يمشى فى بيوتاته ويصعد الى قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء فيجرى
معه حيث ما دار فى منازله على مستوى الارض على غير اخدود ويتبعه حيث ما صعد من اعالى قصوره
وذلك قوله عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا اى تشققونها شقا كما يفجر الرجل النهر
هاهنا وهاهنا الى حيث يريد وعن ابن ابى نجيح عن مجاهد يفجرونها تفجيرا يقودونها حيث شا
وا وتبعهم حيث مالوا مالت معهم وروى ابو مقاتل عن صالح بن سعيد عن ابى سهل عن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عيون فى الجنة عينان تجريان من تحت العرش
احداهما التى ذكر الله يفجرونها تفجيرا والاخرى نضاختان من فوق العرش احداهما التى ذكر الله
سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول قال التسنيم للمقربين خاصة
شرابهم والكافور للابرار شرابهم ويمزج للابرار من التسنيم شرابهم واما الزنجبيل والسلسبيل
فللابرار منها مزاج هكذا ذكره فى التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هى شرب فما كان للابرار
مزاج فهو للمقربين صرف وما كان للابرار صرف فهو لسائر اهل الجنة مزاج والابرار هم الصادقون
والمقربون هم الصديقون قوله تعالى **يوفون بالنذر** اى لا يخلفون اذا نذروا وقال
معمر عن قتادة بما فرض الله عليهم من الصلوة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات
وقال مجاهد وعكرمة يوفون اذا نذروا فى حق الله جل ثناؤه وقال الفرا والجرجانى
وفى الكلام اضمار اى كانوا يوفون بالنذر فى الدنيا والعرب قد يزيد مرة كان وتحذف اخرى
والنذر حقيقته ما اوجبه المكلف على نفسه من شئ يفعله وان شئت قلت فى حد النذر
هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يوجبه لم يلزمه وقال الكلبى يوفون بالنذر
اى يتمون العهود والمعنى واحد وقد قال الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم اى
اعمال نسككم التى ازموها انفسهم باحرامهم بالحج وهذا يقوى قول قتادة وان النذر
يندرج فيه ما التزمه المها ياته من امتثال امر الله تعالى قاله القشيرى وروى اشهب عن مالك
انه قال يوفون بالنذر هو نذر العتق والصيام والصلوة وروى عنه ابو بكر بن عبد
العزيز قال قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين قوله تعالى **ويخافون**
اى يحذرون يوما اى يوم القيمة كان شره مستطيرا اى عاليا داهيا فاشيا وهو فى اللغة
ممتدا والعرب يقول استطار الصدع فى القارورة والزجاجة واستطال

الزنجبيل وعيان صح

لؤلؤا منثورا اى ظننتم من حسنهم وكثرتهم وصفا الوانهم لؤلؤا مفرقا فى عرصة المجلس واللؤلؤ
اذا نثر ببساط كان احسن منه منظوما وعن المامون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسين
ابن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه فساد ار الخليفة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا
على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابى نواس كانه ابصر هذا حيث يقول كان صغرى
وكبرى من فواقعها حصبا در على ارض من الذهب وقيل انما شبههم بالمنثور لانهم سراع فى
الخدمة بخلاف الحور العين اذ شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون لانهن لا يمتهن بالخدمة
قوله تعالى **واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا** ثم ظرف مكان اى هناك فى
الجنة والعامل فى ثم معنى رايت اى واذا رايت اى واذا رايت ببصرك فى الجنة ثم
ثم وقال الفرا فى الكلام ما مضمر اى واذا رايت ما ثم لقوله لقد تقطع بينكم اى ما بينكم
وقال الزجاج ما موصوله بثم على ما ذكره الفرا ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن
رايت يتعدى فى المعنى الى ثم والمعنى اذا رايت ببصرك ثم ويعنى ثم الجنة وقد ذكر الفرا
هذا ايضا والنعيم سائر ما يتنعم به والملك الكبير استيذان الملائكة عليهم قاله السدى وغيره
قال الكلبى هو ان ياتى الرسول من عند الله بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف
الى ولى الله وهو فى منزله فيستاذن عليه فذلك الملك العظيم وقال مقاتل بن سليمان الملك الكبير
هو ان يكون لاحدهم سبعون حاجبا حاجبا دون حاجب فبينما ولى الله فيما هو فيه من
اللذة والسرور اذ يستاذن عليه ملك من عند الله قد ارسله الله بكتاب وهدية وتحفة
من رب العالمين لم يرها ذلك الولى فى الجنة قط فيقول للحاجب الخارج استاذن على
ولى الله فان معى كتابا وهدية من رب العالمين فيقول ذلك الحاجب للحاجب الذى
يليه هذا رسول من رب العالمين معه هدية وكتاب يستاذن على ولى الله فيستاذن
كذلك حتى يبلغ الى الحاجب الذى يلى ولى الله فيقول له يا ولى الله هذا رسول من
رب العالمين يستاذن عليك معه كتاب وتحفة من رب العالمين افتوذن
له فيقول نعم وائذنوا له فيقول ذلك الحاجب للذى يليه فايذنوا له فيقول الذى يليه
للآخر كذلك حتى يبلغ الحاجب الآخر فيقول له نعم ايها الملك قد اذن لك فيدخل فيسلم
عليه ويقول السلام يقربك السلام وهذه تحفة وهذا كتاب من رب العالمين اليك
فاذا هو مكتوب عليه من الحى الذى لا يموت الى الحى الذى لا يموت فيفتحه فاذا فيه سلام على
عبدى ووليى ورحمتى وبركاتى يا وليى اما آن لك ان تشتاق الى رؤية ربك فيستخفه الشوق
فتركب البراق فيطير به البراق شوقا الى زيارة علام الغيوب فيعطيه ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال سفيان الثورى بلغنا ان الملك الكبير
تسليم الملائكة عليهم دليله قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقيل الملك الكبير كون التيجان على رؤسهم كما يكون
على راس ملك من الملوك وقال الترمذى الحكيم يعنى ملك التكوين اذا ارادوا شيئا

قالوا له كن وقال ابو بكر الوراق ملك لا يتعقبه هلك وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
الملك الكبير هو ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه مسيرة الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه قال
وان افضلهم منزلة من ينظر في وجه ربه تعالى كل يوم مرتين قوله تعالى ثياب
سندس خضر واستبرق قرا نافع وحمزة وابن محيصن عاليهم ساكنة الياء واختاره
ابو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما عاليتهم وبتفسير ابن عباس اما رايت
الرجل عليه ثياب يعلوها افضل منها الفراء وهو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب سندس واسم
الفاعل يراد به الجمع ويجوز في قول الاخفش ان يكون افراده على انه فعل متقدم وثياب مرتفعة
به وسدت مسد الخبر والاضافة فيه في تقدير الانفصال لانه لم يخص وابتدى به لانه لا يختص
بالاضافة وقرا الباقون عاليهم بالنصب قال الفراء هو كقولك فوقهم والعرب تقول
قومك داخل الدار فينصبون داخل على الظرف لانه محل وانكر الزجاج هذا وقال هو
مما لا يعرف في الظروف ولو كان ظرفا لم يجز اسكان الياء ولكنه نصب على الحال
من شيئين احدهما الهاء والميم في قوله يطوف عليهم اي على الابرار ولدان عاليا الابرار
ثياب سندس اي يطوف عليهم في هذه الحال والثاني ان يكون حالا من الولدان
اي اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب ابدانهم وقال ابو علي العامل
في الحال اما لقاهم نضرة وسرورا واما جزاهم بما صبروا قال ويجوز ان يكون ظرفا فصرف
المهدوي ويجوز ان يكون اسم فاعل ظرفا كقولك هو ناحية من الدار وقيل ان عاليا لما
كان بمعنى فوق اجري مجراه فجعل ظرفا وقرا ابن محيصن وابن كثير وابو بكر عن عاصم
خضر بالجر على نعت السندس واستبرق بالرفع نسقا على الثياب ومعناه عليهم سندس
واستبرق وقرا ابن عامر وابو عمرو ويعقوب خضر رفعا نعتا للثياب واستبرق بالخفض
نعتا للسندس واختاره ابو عبيد وابو حاتم لجودة معناه لان الخضر احسن ما كانت نعتا
للثياب فهي مرفوعة واحسن ما عطف جنس على جنس والمعنى ثياب خضر من سندس
واستبرق اي من هذين النوعين وقرا نافع وحفص كلاهما بالخفض ويكون قوله خضر
نعتا للسندس والسندس اسم جنس واجاز الاخفش وصف اسم جنس بالجمع على استقباح
له يقول اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض ولكنه مستبعد في الكلام والمعنى
على هذه القراءة عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وثياب بالرفع ويكون
خضر نعتا للثياب لانهما جميعا بلفظ الجمع واستبرق عطفا على الثياب وقرا الاعمش وابن
وثاب وحمزة والكسائي كلاهما وكلهم صرف الاستبرق الا ابن محيصن فانه فتحه ولم يصرفه
فقرا واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله
حرف التعريف يقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب
من الثياب وقرا واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق
وليس بشيء ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره والسندس ما رق

من

من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد تقدم قوله تعالى وحلوا عطف على ويطوف
اساور من فضة وفي سورة فاطر ويحلون اساور من ذهب وفي الحج يحلون من اساور
من ذهب ولؤلؤا فقيل حلي الرجال الفضة وحلي النساء الذهب وقيل يلبسون الذهب
وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يدي احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة
وسواران من لؤلؤ لتجتمع لهم محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب وقيل اي لكل
قوم ما يميل اليه نفوسهم وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال علي رضي الله عنه في قوله
تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج
من تحت ساقها عينان فيشربون من احداهما فيجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم
ولا تشعث اشعارهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى ثم يستقبلهم
خزنة الجنة فيقول لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وابو قلابة هو
اذا شربوه بعد اكلهم طهرهم فصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال
مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه
من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من اذى وقذر وهذا معنى ما روي عن علي الا انه
في قول مقاتل عين واحدة وعليه فيكون فعول للمبالغة ولا يكون فيه حجة للحنفي انه بمعنى
الطاهر وقد مضى بيانه في الفرقان والحمد لله وقال طيب الجمال صليت خلف سهل بن عبد الله
العتمة فقرا وسقاهم ربهم شرابا طهورا وجعل يحرك شفتيه وفمه كانه يمص شيئا
فلما فرغ قيل له اتشرب ام تقرا فقال والله لو لم اجد لذته عند قراءته كلذته عند شربه
ما قراته قوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لهم انما هذا جزاء لكم
اي ثواب وكان سعيكم اي عملكم مشكورا اي من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته وثناؤه
عليه واثابته اياه وروى سعيد عن قتادة قال غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقال
مجاهد مشكورا اي مقبولا والمعنى متقارب فانه سبحانه اذا قبل العمل شكره واذا شكره اثاب
عليه بالجزيل اذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم روي عن ابن عمر ان رجلا حبشيا قال يا رسول
الله فضلتم علينا بالصور والالوان والنبوة افرايت ان امنت بما امنت به وعملت بما عملته
اكائن انا معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة
وضياؤه من مسيرة الف عام ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان
له بها عند الله عهد ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له بها عند الله مائة الف حسنة
واربعة وعشرون الف حسنة فقال رجل كيف نهلك بعدها يا رسول الله فقال
ان الرجل ليأتي يوم القيامة لو وضع على جبل لاثقله فتجيء النعمة من نعم الله فتكاد ان تستنفد
ذلك كله الا ان يتطول الله برحمته قال ثم نزلت هل اتى على الانسان الى قوله و
ملكا كبيرا فقال الحبشي يا رسول الله وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم نعم فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رايت رسول الله صلى الله

عليه وسلم بدليه في حفرته ويقول ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا قلنا يا رسول
الله وما هو قال والذي نفسي بيده لقد اوقفه الله ثم قال اي عبدي لابيض وجهك ولابوئنك من
الجنة حيث شئت وجهك فنعم اجر العاملين قوله تعالى **إنا نحن نزلنا عليك القرآن
تنزيلا** ما افتريته ولا جئت به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يدعيه المشركون ووجه
اتصال هذه الآية بما قبل انه سبحانه لما ذكر اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب
يتضمن ما بالناس حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر وانه حق وقال ابن عباس انزل
القرآن متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلنا وقد مضى هذا مبينا والحمد
لله قوله تعالى **فاصبر لحكم ربك** اي لقضاء ربك وروى الضحاك عن ابن عباس
قال اصبر على اذى المشركين هكذا قضيت ثم نسخ بآية القتال وقيل اصبر لما حكم به عليك من
الطاعات وانتظر حكم الله اذ وعدك انه ينصرك عليهم ولا تستعجل فانه كائن لا محالة ولا
تطع منهم آثما اي ذا اثم او كفورا اي لا تطع الكفار فروى معمر عن قتادة قال قال ابو جهل ان
رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه فانزل الله عز وجل ولا تطع منهم آثما او كفورا ويقال نزلت في
عتبة بن ربيعة والوليد بن مغيرة وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال
والتزوج على ان يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت ولا تطع منهم آثما او كفورا قال مقاتل الذي
عرض التزوج عتبة بن ربيعة فقال ان بناتي من اجمل نساء قريش فانا ازوجك ابنتي بغير
مهر وارجع عن هذا الامر وقال الوليد ان كنت صنعت ما صنعت من اجل المال فانا
اعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر فنزلت ثم قيل او في قوله آثما او كفورا
اوكد من الواو اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما كان غير عاص لانه امره ان لا يطع
الاثنين فاذا قال لا تطع منهم آثما او كفورا فاو قد دلت على ان كل واحد منهما اهل ان
يعصى كما انك اذا قلت لا تخالف الحسن او ابن سيرين او اتبع الحسن او ابن سيرين فقد قلت
هذان اهل ان يتبعا وكل واحد منهما اهل لان يتبع قاله الزجاج وقال الفرا وهما بمنزلة لا كانه
قال ولا كفورا قال الشاعر لا وجد ثكلى كما وجدت ولا وجد ثكلى كما وجدت ولا وجد عجول
اضلها ربع او وجد شيخ اضل ناقته يوم توافى الحجيج فاندفعوا اراد ولا وجد شيخ وقيل الآثم
المنافق والكفور الكافر الذي يظهر الكفر اي لا تطع منهم آثما ولا كفورا وهو قريب من قول الفرا قوله تعالى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار وآخره ففي اوله صلاة الصبح
وفي آخره صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة
وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان
وقال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق سواء كان
في الصلاة او في غيرها وقال ابن زيد وغيره ان قوله وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات
الخمس وقيل هو ندب وقيل هو مخصوص للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم القول في مثله
في المزمل وقول ابن حبيب حسن وجمع الاصيل الاصائل والاصل كقولك سفائن وسفن

قال

قال ولا باحسن منها اذ دنا الاصل وقال من الاصائل وهو جمع الجمع لعمري لانت البيت اكرم اهله
واقعد في افنائه بالاصائل وقد مضى هذا في آخر الاعراف مستوفى ودخلت من على الظرف
للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم قوله تعالى **إن هؤلاء
يحبون العاجلة** توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة الدنيا ويذرون اي يدعون وراءهم
اي بين ايديهم يوما ثقيلا اي عسرا شديدا كما قال ثقلت في السموات والارض اي يتركون الايمان بيوم
القيامة وقيل وراءهم اي خلفهم اي ويذرون الآخرة خلف ظهورهم فلا يعملون لها وقيل نزلت في اليهود
فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وحبهم العاجلة اخذهم الرشا على
ما كتموه وقيل المراد المنافقون لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا والآية تعم واليوم الثقيل
يوم القيامة وانما سمي ثقيلا لشدائده واهواله وقيل للقضاء فيه بين عباده قوله تعالى
نحن خلقناهم اي من طين وشددنا اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة
ومقاتل وغيرهم والاسر الخلق قال ابو عبيد يقال فرس شديد الاسر اي الخلق ويقال اسره الله
جل ثناؤه اذا شدد خلقه قال لبيد ساهم الوجه شديد اسره مشرف الحارك محبوك الكتف
وقال الاخطل من كل مجتنب شديد اسره سلس القياد تخاله مختالا وقال ابو هريرة والحسن
والربيع شددنا مفاصلهم واوصالهم بعضها الى بعض بالعروق والعصب وقال مجاهد في
تفسير الاسر هو الشرج اي اذا خرج الغائط والبول تقبض الموضع وقال ابن زيد الاسر القوة وقال
ابن احمر يصف فرسا يمشي باوظفة شداد اسرها شم السنابك لا تقي بالجدجد واشتقاقه من
الاسار وهو القد الذي يشد به الاقتاب يقال اسرت القتب اسرا اي شددته وربطته و
يقال ما احسن اسر قتبه اي شده وربطه ومنه قوله خذه باسره اذا ارادوا ان يقولوا هو لك
كله كانهم ارادوا تعكيمه وشده لم يفتح ولم ينقص منه شيء ومنه الاسير لانه كان
يكتف بالاسار عكمت المتاع شددته والعكام الخيط الذي يعكم به وعكمت البعير
شددت عليه العكم والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية
اي سويت خلقك واحكمته بالقوى ثم انت تكفرني واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا
قال ابن عباس يقول لو نشاء لاهلكناهم وجئنا باطوع لله منهم وعنه ايضا لغيرنا
محاسنهم الى اسمج الصور واقبحها كذا روى الضحاك عنه والاول رواه عنه ابو صالح
قوله تعالى ان هذه اي السورة تذكرة اي موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي
طريقا موصلا الى طاعته وطلب مرضاته وقيل سبيلا اي وسيلة وقيل وجهة وطريقا
الى الخير والمعنى واحد وما تشاؤن اي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل الى الله
الا ان يشاء الله فاخبر ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا ينفذ مشيئة احد ولا
يتقدم الا ان يتقدم مشيئته سبحانه وقرا ابن كثير وابو عمرو وما يشاؤن بالياء على
معنى الخبر عنهم والباقون بالتاء على معنى المخاطبة وقيل ان الآية الاولى منسوخة
بالثانية والاشبه انه ليس بنسخ بل هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشيئته قال الفرا

وَمَا يَشَآءُونَ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ جواب لقوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم اخبرهم
انّ الامر ليس اليهم فقال وما يشاؤن ذلك السبيل الا ان يشا الله لكم ان الله كان عليما
باعمالكم حكيما في امره ونهيه لكم وقد مضى في غير موضع يدخل من يشاء في رحمته اي يدخله
الجنة راحماله والظالمين اي ويعذب الظالمين فنصبه باضمار يعذب قال الزجاج نصب الظالمين
لان قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين اي المشركين ويكون اعد لهم
تفسيرا لهذا المضمر كما قال الشاعر اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا
والذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطر اي اخشا الذيب اخشاه قال الزجاج
والاختيار النصب وان جاز الرفع يقول اعطيت زيدا وعمرا اعددت له برا فيختار النصب اي وبررت
عمرا او اس عمرا وقوله في حم عسق يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ارتفع لانه لم يذكر
بعده فعل يقع عليه فينصب في المعنى فلم تجز العطف على المنصوب قبله فارتفع بالابتداء
وهاهنا قوله اعد لهم عذابا يدل على ويعذب فجاز النصب وقرا ابان بن عثمان والظالمون
رفعا بالابتدا والخبر اعد لهم عذابا اليما اي مولما موجعا وقد تقدم في البقرة وغيرها

سورة والمرسلات مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر

وقال بن عباس وقتادة الاية منها وهو قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنيه وهي
خمسون آيه وقال بن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
ونحن معه يسير حتى اوتيا الى غار بمنى فنزلت فبينا نحن نتلقاها منه وان فاه لرطب بها اذ وثبت
حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم
وعن كريب مولى بن عباس قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس
فبكت وقالت والله يا بني لقد اذكرتني بقراتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في صلوة المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا جمهور المفسرين على ان المرسلات الرياح وروى مسروق عن عبد الله
قال هي الملائكة ارسلت بالمعروف من امر الله تعالى ونهيه والخبر والوحي وهو قول ابو هريرة
ومقاتل وابي صالح والكلبي وقيل هم الانبيا ارسلوا بلا اله الا الله قاله بن عباس وقال
ابو صالح انهم الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود انها
الرياح كما قال وارسلنا الرياح وقال يرسل الرياح ومعنى عرفا يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس
يقول العرب الناس على فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه فاكثروا فهو نصب على الحال من
والمرسلات اي والرياح التي ارسلت متتابعة ويجوز ان يكون مصدرا اي تباعا ويجوز ان يكون
النصب على تقدير حذف حرف الجر كانه قال والمرسلات بالعرف والملائكة او الملائكة
والرسل وقيل يحتمل ان يكون المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمه ونقمه عارفه

بما ارسلت فيه ومن ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ وعرفا على هذا التاويل
متتابعات كعرف الفرس قاله بن مسعود وقيل جاريات قاله الحسن يعني في القلوب
وقيل معروفات في العقول فالعاصفات عصفا الرياح بغير اختلاف قاله المهدوي وعن
ابن مسعود هي الرياح العواصف تاتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه كما قال او يرسل عليكم
قاصفا وقيل العاصفات الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها وقيل الملائكة يعصف
بروح الكافر يقال عصف بالشيء اي اباده واهلكه وناقه عصوف اي تعصف براكبها
فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الايات
المهلكة كالزلازل والخسوف والناشرات نشرا الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها
وقال بن مسعود ومجاهد هي الرياح ينشرها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته اي ينشر السحاب
للغيث وروي ذلك عن ابي صالح وعنه ايضا الامطار لانها تنشر النبات فالنشر بمعنى الاحيا
يقال نشر الله الميت وانشره اي احياه وروى عنه السدي انها الملائكة تنشر كتب الله عز وجل
وروى الضحاك عن ابن عباس قال يريد ما ينشر من الكتب واعمال بني آدم الضحاك انها الصحف
تنشر على الله باعمال العباد وقال الربيع انه البعث للقيمة تنشر فيه الارواح وقال والناشرات
بالواو لانه استيناف قسم آخر فالفارقات فرقا الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل قاله
ابن عباس ومجاهد والضحاك وابو صالح وروى الضحاك عن ابن عباس قال ما تفرق الملائكة
من الاقوات والارزاق والآجال وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الفارقات الرياح تفرق بين
السحاب وتبدده وعن سعيد عن قتادة قال الفارقات فرقا الفرقان فرق الله فيه بين
الحق والباطل والحلال والحرام وقاله الحسن وابن كيسان وقيل يعني الرسل فرقوا بين
ما امر الله به ونهى عنه اي بينوا ذلك وقيل السحاب الماطرة تشبيها بالناقة الفارق وهي
الحامل التي تخرج وتند في الارض حين يضع وفوق فوارق وفوق فشبهوا السحابة التي
تنفرد من السحاب بهذه الناقة قال ذو الرمة وزنه فارق يخلو غواربها تبوخ اي تسكن
البرق والظلما علجوم فالملقيات ذكرا الملائكة باجماع اي تلقي كتب الله عز وجل
الى الانبياء عليهم السلام قاله المهدوي وقيل هو جبريل وسمي باسم الجمع لانه كان ينزل
بها وقيل المراد الرسل يلقون الى امهم ما انزل عليهم قاله قطرب وقرا ابن عباس فالملقيات
بالتشديد مع فتح القاف وهو كقوله وانك لتلقى القرآن عذرا او نذرا اي تلقي الوحي
اعذارا من الله تعالى وانذارا الى خلقه من عذابه قاله الفرا وروى عن ابي صالح
قال يعني الرسل يعذرون وينذرون وروى سعيد عن قتادة عذرا قال عذرا لله
جل ثناؤه الى خلقه ونذر المومنين ينتفعون به وياخذون به وروى الضحاك
عن ابن عباس عذرا اي ما يقبله الله جل وعز من معاذير اوليائه وهي التوبه
ونذرا ينذر اعداه وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص ونذرا باسكان الذال وجميع
السبعة على اسكان ذال عذرا سوى ما رواه الجعفي والاعشى عن ابي بكر عن عاصم

انه ضم الذال وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وغيرهما وقرا ابراهيم التيمي وقتاده عذرا ونذرا
بالواو العاطفة ولم يجعلا بينهما الفا وهما منصوبان على المفعول له اي للاعذار والانذار وقيل
على المفعول به وقيل على البدل من ذكرا اي فالملقيات عذرا او نذرا وقال ابو علي يجوز ان يكون
العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر وناذر كقوله هذا نذير من النذر الاولى فيكون نصبا على الحال
من الالقاء اي يلقون الذكر في حال العذر والانذار ويكون مفعول الذكر اي فالملقيات اي تذكر عذرا
او نذرا وقال المبرد هما بالتثقيل جمع والواحد عذير ونذير انما توعدون لواقع هذا جواب
ما تقدم من القسم اي ما توعدون من امر القيمة لواقع بكم ونازل عليكم ثم بين وقت وقوعه
فقال واذا النجوم طمست اي ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس الكتاب يقال طمس الشيء اذا درس
وطمس فهو مطموس والريح تطمس الاثار فيكون الريح طامسة والاثر طامسا بمعنى مطموس واذا
السماء فرجت اي فتحت وشقت ومنه قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا وروى الضحاك
عن ابن عباس قال فرجت للطي واذا الجبال نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة يقال نسفت الشيء
وانتسفته اذا اخذته كله بسرعة وكان ابن عباس والكلبي يقول سويت بالارض
والعرب يقول فرس نسوف اذا كان يوخر الحزام بمرفقيه قال بشر نسوف للحزام بمرفقيها
ونسفت الناقة الكلا اذا رعته وقال المبرد نسفت قلعت من موضعها يقول الرجل للرجل
يقتلع رجليه من الارض انسفت رجلاه وقيل النسف تفريق الاجزاء حتى تذروها الريح
ومنه نسفت الطعام لانه تحرك حتى تذهب الريح بعض ما فيه من التبن واذا الرسل اقتت
اي جمعت لوقتها ليوم القيمة والوقت الاجل الذي يكون عنده الشيء المؤخر اليه فالمعنى
جعل لها وقت واجل للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كما قال يوم يجمع الله الرسل وقيل
هذا في الدنيا اي جمعت الرسل لميقاتها التي ضرب لها في انزال العقاب بمن كذبهم فان الكفار
ممهلون وانما يزول الشكوك يوم القيمة والاول احسن لان التوقيت معناه شيء يقع
يوم القيمة كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السماء ولا يليق به الباقي قبل يوم القيمة
قال ابو علي اي جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقيل وقتت وعدت واجلت وقيل اقتت
اي ارسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله واراد والهمزة في اقتت بدل من الواو قاله الفراء
والزجاج قال الفراء وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز ان تبدل منها همزة تقول
صلى القوم احدانا تريد وحدانا ويقولون هذه وجوه حسان وهذا لان ضمة الواو ثقيلة
ولم يجز البدل في قوله ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة وقرا ابو عمرو وحميد
والحسن ونصر بن عاصم ومجاهد وقتت بالواو وتشديد القاف على الاصل قال ابو عمرو وانما
يقرا وقتت من قال في وجوه اجوه وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج وقتت بالواو وتخفيف القاف
وهو فعلت من الوقت ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن ايضا ووقتت بواوين وهو فوعلت
من الوقت ايضا مثل عوهدت ولو قلبت الواو في هاتين القرائتين الفا لجاز وقد قرا
يحيى وايوب وخالد بن الياس وسلام اقتت بالهمزة والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف

بالالف لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم وهو استفهام على التعظيم اي
ليوم الفصل اجلت روى سعيد عن قتادة قال يفصل فيه بين الناس باعمالهم الى الجنة او الى النار
وفي الحديث اذا حشر الناس يوم القيمة قاموا اربعين عاما على رؤسهم الشمس شاخصة ابصارهم
الى السماء ينتظرون يوم الفصل وما ادريك ما يوم الفصل اتبع التعظيم تعظيما اي وما علمك بيوم
الفصل ويل يومئذ للمكذبين اي عذاب وخزي لمن كذب بالله وبرسله وكتبه وبيوم الفصل فهو وعيد
وكرره في هذه السورة عند كل اية لمن كذب لانه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشيء
عذاب سوى تكذيبه بغيره لانه افحش في تكذيبه واعظم في الرد على الله فانما يقسم له من الويل
على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله جزاء وفاقا وروى عن النعمان بن بشير قال ويل واد في
جهنم فيه الوان من العذاب وقاله ابن عباس وغيره قال ابن عباس اذا خبت جهنم اخذ من جمره
فالقي عليها فيأكل بعضها بعضا وروي ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت علي جهنم فلم ار فيها
واديا اعظم من الويل وروي انه مجمع ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل الشيء فيما
سفل من الارض وانفطر وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع في الدنيا ما استنقع فيها مياه الادناس
والاقذار والغسالات من الجيف وماء الحمامات فذكر ان ذلك الوادي مستنقع صديد اهل الكفر
والشرك ليعلم العقول انه لا شيء اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا ولا اشد مرارة منه ولا اشد
سوادا منه ثم وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يضمن من العذاب وانه اعظم واد في جهنم
فذكره الله تعالى في وعيده في هذه السورة قوله تعالى الم نهلك الاولين اخبر عن اهلاك
الكفار من الامم الماضين من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم نتبعهم الاخرين اي نلحق
الاخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ما فعلنا بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف
واما بالهلاك وقراءة العامة ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وقرا الاعرج نتبعهم بالجزم
عطفا على نهلك الاولين كما تقول الم تزرني اكرمك والمراد انه اهلك قوما بعد قوم
على اختلاف اوقات المرسلين ثم استانف بقوله كذلك نفعل بالمجرمين يريد من يهلك
فيما بعد ويجوز ان يكون بالاسكان تخفيفا من نتبعهم لتوالي الحركات وقد روي عن ابي عمرو
في قوله يوم يجمعكم وما يشعركم ونحو ثم نتبعهم الاختلاس لتوالي الحركات وروي عنه الاسكان
للتخفيف وفي قراءة ابن مسعود وثم سنتبعهم والكاف من كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك
الهلاك نفعله بكل مشرك ثم قيل معناه التهويل لهلاكهم في الدنيا وقيل هو اخبار بعذابهم
في الاخرة قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة
وقد تقدم وهذه الاية اصل لمن قال ان خلق الجنين انما هو من ماء الرجل وحده وقد
مضى القول فيه فجعلناه في قرار مكين اي مكان حريز وهو الرحم الى قدر معلوم قال مجاهد
الى ان يصور وقيل الى وقت الولادة فقدرنا قرا نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد وخفف
الباقون وهما لغتان بمعنى قاله الكسائي والفراء والقتبي قال القتبي قدرنا بمعنى قدرنا
مشددة كما يقال قدرت كذا وقدرته ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال اذا غم

عليكم فاقدروا له اى قدروا له المسير والمنازل وقال محمد بن الجهم عن الفرا فقدرنا قال وذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعدن ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا لان العرب يقول قدر عليه الموت وقدر قال الله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد وقدر عليه رزقه وقدر قال واحتج الذين خففوا فقالوا لو كانت كذلك لكانت فنعم المقدرون قال الفرا وتجمع العرب بين اللغتين قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم قال الاعشى وانكرتني وما كان نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا وروى عن عكرمة فقدرنا مخففة من القدرة وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم والكسائي لقوله فنعم القادرون ومن شدد فهو من التقدير اى فقدرنا الشقي والسعيد فنعم المقدرون رواه بن مسعود عن النبي عليه السلام وقيل المعنى قصيرا وطويلا ونحوه ابن عباس قدرنا ملكنا المهدوى وهذا التفسير اشبه بقراءة التخفيف قال الشيخ المولف رحمه الله وهو صحيح فان عكرمة الذي قرا قدرنا مخففا قال معناه فملكنا فنعم المالكون فافادت الكلمتان معنيين متغايرين اى قدرنا وقت الولادة واحوال النطفة في التنقل من حال الى حال حتى صارت بشرا سويا او الشقي والسعيد او الطويل والقصير كله على قراءة التشديد وقيل هما بمعنى على ما ذكرنا قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى كفاتا اى ضامة تضم الاحيا على ظهورها والاموات في بطنها وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه ومنه قوله عليه السلام قصوا اظفاركم وادفنوا قلاماتكم وقد مضى في البقرة بيانه يقال كفت الشي اكفته اذا جمعته وضممته والكفت الضم والجمع وانشد سيبويه كرام حين تنكفت الافاعي الى اجحارهن من الصقيع وقال ابو عبيدة كفاتا اوعية ويقال للنحي كفت وكفيت لانه يحوى اللبن ويضمه قال فانت اليوم فوق الارض حيا وانت غدا تضم في لفات وخرج الشعبي في جنازة فنظر الى الجبان فقال هذه كفات الاموات ثم نظر الى البيوت فقال هذه كفات الاحياء روى عن ربيعة في النباش قال تقطع يده فقيل له لم قلت ذلك قال ان الله عز وجل يقول الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فالارض حرز وقد مضى هذا في سورة المائدة وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم الموتى فالارض تضم الاحيا الى منازلهم والاموات في قبورهم وايضا استقرار الناس على وجه الارض ثم اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها وقيل هي كفات للاحياء يعني دفن ما يخرج من الانسان من الفضلات في الارض اذ لا ضم في كون الناس عليها والضم يشير الى الاحتفاف من جميع الوجوه وقال الاخفش وابو عبيدة ومجاهد في احد قوليه الاحيا والاموات يرجع الى الارض اى الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت وقال الفرا انتصب احيا وامواتا بوقوع الكفاة عليه اى الم نجعل الارض كفات احيا واموات فاذا نونت نصبت لقوله واطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وقيل نصب على الحال من الارض اى منها كذا او منها كذا وقال الاخفش كفاتا جمع كافتة والارض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع وقال الخليل التكفت تقليب الشي ظهرا لبطن او بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم

اى

اى انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها فيدفنون فيها وجعلنا فيها اى في الارض رواسي شامخات يعني الجبال الرواسي الثوابت والشامخات الطوال ومنه يقال شمخ بانفه اذا رفعه كبرا واسقيناكم ماء فراتا اى جعلنا لكم سقيا والفرات الماء العذب يشرب ويسقى به الزرع اى خلقنا الجبال وانزلنا الماء الفرات وهذه الامور اعجب من البعث وفي بعض الحديث قال ابو هريرة في الارض من الجنة الفرات والجحون والنيل والاردن وفي صحيح مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اى يقال للكفار سيروا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب يعني الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب الى ثلاث شعب وكذلك شان الدخان العظيم اذا ارتفع تشعب ثم وصف الظل فقال لا ظليل اى ليس كالظل الذي يقي حر الشمس ولا يغني من اللهب اى لا يدفع من لهب جهنم شيا واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر وقيل ان الشعب الثلاث هو الضريع والزقوم والغسلين قاله الضحاك وقيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة احوال هي غاية اوصاف النار اذا اضطرمت واشتدت وقيل عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب فاما النور فيقف على روس المومنين واما الدخان فيقف على روس المنافقين واما اللهب الصافي فيقف على روس الكافرين وقيل هو السرادق وهو لسان من النار يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم الى النار وقيل هو الظل من يحموم كما قال تعالى في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم على ما تقدم وفي الحديث ان الشمس تدنو من روس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم اكفان فتلحقهم الشمس وتاخذ بانفاسهم ومد ذلك اليوم ثم ينجي الله برحمته من يشاء الى ظل من ظله فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب فيكون اولياء الله جل ثناؤه في ظل عرشه او حيث شاء من الظل الى ان يفرغ من الحساب ثم يومر بكل فريق الى مستقره من الجنة والنار ثم وصف النار فقال انها ترمي بشرر كالقصر الشررة واحدة الشرر والشرار واحده شرارة وهو ما تطاير من النار في كل جانب واصله من شررت الثوب اى بسطته للشمس ليجف والقصر البنا العالي وقراءة العامة كالقصر باسكان الصاد اى الحصون والمداين في العظم وهو واحد القصور قاله بن عباس وابن مسعود وهو في معنى الجمع على طريق الجنس وقيل القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمرة وجمر وتمرة وتمر والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ وفي البخاري عن بن عباس انها ترمي بشرر كالقصر قال كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة اذرع او اقل فيرفعه للشتا فنسميه القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هي اصول الشجر والنخل العظام اذا وقع وقطع وقيل اعناقه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي كالقصر بفتح الصاد اراد اعناق

النجل والقصر العنق جمع قصرة وقصرات وقال قتادة اعناق الابل وقرأ سعيد بن جبير بكسر
القاف وفتح الصاد وهي ايضا جمع قصرة مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع وخلقة وخلق
حلق الحديد قال ابو حاتم ولعله لغة كما قالوا حاجة وحوج وقيل القصر الجبل فشبه الشرر بالقصر
في مقادير ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر وهي الابل السود والعرب تسمي السود من الابل
صفرا قال الشاعر تلك خيلي وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
اي هن سود وانما سميت السود من الابل صفرا لانه يشوب سوادها شيء من صفرة لا قيل لبيض
الظبا الادم لان بياضها تعلوها كدرة والشرر اذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار
اشبه شيء بالابل السود لما يشوبها من صفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي دعتهم با على
صوتها ورمتهم بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وضعف الترمذي الحكيم هذا القول
فقال وهذا القول وهذا القول محال في اللغة ان يكون شيء يشوبه شيء قليل فينسب كله
الى ذلك الشائب والعجب لمن قال هذا وقد قال الله تعالى صفر فلا نعلم شيء من هذا في اللغة
ووجهه عندنا ان النار خلقت من النور فهي نار مضيئة فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار
حشا ذلك الموضع بتلك النار وبعث اليها سلطانه وغضبه فاسودت من سلطانه وازدادت
حدة وصارت اشد سوادا من النار ومن كل شيء سوادا فاذا كان يوم القيمة وجيء بجهنم في الموقف
رمت بشررها على اهل الموقف غضبا لغضب الله والشرر هو اسود لانه من نار اسود فاذا رمت
النار بشررها فانها ترمي الاعداء به فهي سود من سواد النار لا يصل ذلك الى الموحدين لانهم
في سرادق الرحمة قد احاط بهم في الموقف وهو الغمام الذي يأتي فيه الرب تعالى ولكن يعاينون
ذلك الرمي فاذا عاينوه نزع الله السلطان والغضب عنه في راي العين منهم حتى يروها صفرا ليعلم
الموحدون انهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه وكان بن عباس يقول الجمالات الصفر
حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى يكون كاوساط الرجال ذكره البخاري وكان يقروها
جمالات بضم الجيم وكذلك قرا مجاهد وحميد جمالات بضم الجيم وهي الحبال الغلاظ وهي
قلوس السفينة اي حبالها وواحد القلوس قلس وعن ابن عباس ايضا وعلي انها قطع النحاس
والمعروف من الحبل الغليظ جمل بتشديد الميم كما تقدم من الاعراف وجمالات بضم الجيم
جمع جمالة بكسر الجيم موحدا كانه جمع جمل نحو حجر وحجارة وقرا يعقوب وابن ابي اسحق وعيسى
والجحدري جمالة بضم الجيم موحدا وهي الشيء العظيم المجموع بعضه الى بعض نحو حجر وحجارة
وذكر وذكارة وقرا حفص وحمزة والكسائي جمالة وبقية السبعة جمالات قال الفراء يجوز
ان يكون الجمالات جمع جمال كما يقال رجل ورجال ورجالات وقيل شبهها بالجمالات لسرعة
سيرها وقيل لمتابعة بعضها بعضا والقصر واحد القصور وقصر الظلام اختلاطه ويقال
ايتيه قصرا اي عشيا فهو مشترك قال كانهم قصرا مصابيح راهب بموزن روى بالسليط ذبالها
مسئلة في هذه الاية دليل على جواز ادخار الحطب والفحم وان لم يكن من القوت فانه من
مصالح المرء ومغاني مفاقره وذلك مما يقتضي النظر ان يكتسبه في غير وقت حاجته ليكون

ارحض وخاله وجوده امكن كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخر القوت في غير وقت عموم
وجوده من كسبه وماله وكل شيء وكل شيء محمول عليه وقد بين بن عباس هذا بقوله كنا
نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخره للشتا وكنا نسميه القصر
وهذا اصح ما قيل في ذلك والله اعلم قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون اي لا يتكلمون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون اي ان يوم القيمة لهم مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت الذي
لا يتكلمون فيه ولا يؤذن لهم في الاعتذار والتنصل وعن عكرمة عن بن عباس قال
سأله بن الازرق عن قوله هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا وقد قال واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون فقال له ان الله عز وجل يقول وان يوما عند ربك كالف سنة فان لكل
مقدار من هذه الايام لونا من هذه الالوان وقيل لا ينطقون بحجة نافعة ومن نطق
بما لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق قال الحسن لا ينطقون بحجة وان كانوا ينطقون وقيل ان
هذا وقت جوابهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقد تقدم وقال ابو عثمان اسكتتهم رؤية الهيبة
وحيا الذنوب وقال الجنيد اي عذر لمن اعرض عن منعمه وجحده وكفر اياديه ونعمه ويوم
بالرفع قراءة العامة على الابتداء والخبر اي يقول الملائكة هذا يوم لا ينطقون ويجوز
ان يكون قوله انطلقوا من قول الملائكة ثم يقول الله لاوليائه هذا يوم لا ينطق
الكفار ومعنى اليوم الساعة والوقت وروى يحيى بن سليمان عن ابي بكر عن عاصم هذا
يوم لا ينطقون بالنصب ورويت عن ابي هرمز وغيره فجاز ان يكون مبنيا لاضافته الى
الفعل وموضعه رفع وهذا مذهب الكوفيين وجاز ان يكون في موضع نصب على ان يكون
الاشارة الى غير اليوم وهذا مذهب البصريين لانه انما بني عندهم اذا اضيف الى مبني والفعل
هاهنا معرب وقال الفراء في قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون الفا نسق اي عطف
على يؤذن واجيز ذلك لان اواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الايات
وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب وكله صواب ومثله من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا فيضاعفه بالنصب والرفع قوله تعالى هذا يوم الفصل اي ويقال لهم
هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلايق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والاولين
قال بن عباس جمع الذين كذبوا محمدا والذين كذبوا النبيين من قبله رواه عنه الضحاك
فان كان لكم كيد اي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون اي فاحتالوا لانفسكم
وقاوموني ولن تجدوا ذلك وقيل اي فان كان لكم كيد اي قدرتم على حرب فكيدوني
اي حاربوني كذا روى الضحاك عن بن عباس قال يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمدا
صلى الله عليه وسلم وتحاربونني فاليوم حاربوني وقيل اي انكم كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصي
وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع عن انفسكم وقيل انه من قول النبي صلى الله
عليه وسلم فيكون كقول هود فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون قوله تعالى ان المتقين
في ظلال وعيون اخبر بما اصير اليه المتقون والمراد بالظلال ظلال الاشجار

فظلال القصور مكان الظل في الشعب الثلاث وفي سورة يس هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكئون وفواكه مما يشتهون اى يتمنون وقرا العامة ظلال وقرا الاعرج
والزهري وطلحة ظلل جمع ظلة يعني في الجنة كلوا واشربوا اى يقال لهم هذا بدل ما يقال
للمشركين فان كان لكم كيد فكيدون فكلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين
في الظرف الذي هو في ظلال اى هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين
اى نثيب الذين احسنوا في تصديقهم محمدا صلى الله عليه وسلم واعمالهم في الدنيا قوله تعالى
كلوا وتمتعوا قليلا هذا مردود الى ما تقدم قبل المتقين وهو وعيد وتهديد وهو
حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا انكم مجرمون اى كافرون
وقيل مكتسبون فعلا نضركم في الاخرة من الشرك والمعاصي قوله تعالى **واذا قيل
لهم اركعوا** اى قيل لهولاء المشركين اركعوا اى صلوا لا يركعون لا يصلون قاله
مجاهد قال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلوة ونزل ذلك فيهم قال مقاتل
قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلوة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود يذكر ان مالكا رحمه الله
دخل المسجد بعد صلوة العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال
له صبي يا شيخ قم فاركع فقام فركع ولم يحاجه بما تراه مذهبا فقيل له في ذلك فقال خشيت ان اكون
من الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا في الاخرة حين يدعون
الى السجود فلا يستطيعون قتاده هذا في الدنيا ابن العربي هذه الاية حجة على وجوب الركوع
وانزاله ركنا في الصلوة وقد انعقد الاجماع عليه وظن قوم ان هذا انما يكون في القيامة وليست
بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون الى السجود كشفا لحال الناس
في الدنيا فمن سجد لله يمكن في السجود ومن كان سجد ريا لغيره صار ظهره طبقا واحدا
وقيل اى اذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلوة وغيرها وانما ذكر الصلوة
لانها اصل الشرائع بعد التوحيد وقيل الامر بالصلوة امر بالايمان لانها لا يصح من غير ايمان
قوله تعالى **فباى حديث بعده يومنون** اى ان لم يصدقوا بالقران الذى
هو المعجز والدلالة على صدق الرسول عليه السلام فباى شيء يصدقون وكرر
ويل يومئذ للمكذبين لمعنى تكرار التخويف والوعيد وقيل ليس بتكرار لانه اراد
بكل قول منه غير الذي اراده بالاخر كانه ذكر شيئا فقال ويل لمن يكذب
بهذا ثم ذكر شيئا اخر فقال ويل لمن يكذب بهذا ثم كذلك الى
اخرها والله اعلم

اذا امتد قال الاعشى فبانت وقد اورثت اسادت في الفؤاد صدعا على نايها مستطيرا ويقال
استطار الحريق اذا انتشر واستطار الفجر اذا انتشر الضوء قال حسان وهان على سراة بني لوي
حريق بالبويرة مستطير وكان قتادة يقول استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملا السموات والارض
وقال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وفي الارض
نسفت الجبال وغارت المياه قوله تعالى **ويطعمون الطعام على حبه** قال ابن
عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له وقال الداراني على حب الله وقال الفضيل بن
عياض على حب اطعام الطعام وكان الربيع بن خثيم اذا جاءه السائل قال اطعموه سكرا فان الربيع
يحب السكر مسكينا اى ذا مسكنة فروى ابو صالح عن ابن عباس قال هو الطواف يسالك
مالك ويتيما اى من يتامى المسلمين وروى منصور عن الحسن ان يتيما كان يحضر طعام ابن عمر فدعا
ذات يوم بطعامه فطلب اليتيم فلم يجده وجاء بعدما فرغ ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام
فدعا له بسويق وعسل فقال دونك هذا فوالله ما غبنت قال الحسن وابن عمر والله ما غبن واسيرا
اى الذي يوسر فيحبس روى ابو صالح عن ابن عباس قال الاسير من اهل الشرك يكون في ايديهم
وقاله قتاده وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الاسير هو المحبوس وكذا قال سعيد بن جبير وعطا
هو المسلم يسجن بحق وعن سعيد بن جبير مثل قول قتاده وابن عباس قال قتاده لقد امر الله بالاسراء
ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ لاهل الشرك واخوك المسلم احق ان يطعمه وقال عكرمه
الاسير العبد وقال ابو حمزة الثمالي الاسير المراة يدل عليه قوله عليه السلام استوصوا بالنساء
خيرا فانهن عوان عندكم اى اسيرات وقال ابو سعيد الخدري قرا النبي صلى الله عليه وسلم ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فقال المسكين الفقير واليتيم الذي لا اب له والاسير
المملوك والمسجون ذكره الثعلبي وقال بيع طعام المسكين انه الصدقات وطعام الاسير
السيف قاله سعيد بن جبير وقال غيره بل هو ثابت الحكم واطعام اليتيم والمسكين على التطوع
واطعام الاسير لحفظ نفسه الى ان يتخير فيه الامام الماوردي ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص
العقل لانه في اسر خبله وجنونه واسر المشرك انتقام يقف على راى الامام وهذا بر واحسان
وعن عطا قال الاسير من اهل القبله وغيرهم قال الشيخ وكان هذا القول عام يجمع جميع الاقوال
ويكون اطعام قربة الاسير المشرك قربة الى الله تعالى غير انه من صدقة التطوع فاما المفروضه
فلا والله اعلم ومضى القول في المسكين واليتيم والاسير واشتقاق ذلك من اللغة في البقرة
مستوفى والحمد لله قوله تعالى **انما نطعمكم لوجه الله** اى يقولون بالسنتهم للمسكين
واليتيم والاسير انما نطعمكم في الله جل ثناوه فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد منكم
جزاء اى مكافاة ولا شكورا اى ولا ان تثنوا علينا بذلك قال ابن عباس كذلك كانت نياتهم
في الدنيا حين اطعموا وعن سالم عن مجاهد قال اما انهم ما تكلموا به ولكن علم الله جل ثناوه
منهم فاثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب وقاله سعيد بن جبير حكاه عن القشيري وقيل ان
هذه الاية نزلت في مطعم ابن ورقا الانصاري نذر نذرا فوفى به وقيل نزلت فيمن تكفل

اسيرا وهم سبعة من المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وابو عبيدة
رضي الله عنهم ذكره الماوردي وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما
واسيرا وقال ابو حمزة الثمالي بلغني ان رجلا قال يا رسول الله اطعمني فاني والله مجهود فقال والذي
نفسي بيده ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فاتى رجلا من الانصار وهو يتعشى مع امراته فساله
واخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقالت المراة اطعمه واسقه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يتيم فقال يا رسول الله اطعمني فاني مجهود فقال ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فاستطعم ذلك
الانصاري فقالت المراة اطعمه واسقه فاطعمه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم اسير فقال يا رسول
اطعمني فاني مجهود فقال والله ما معي ما اطعمك ولكن اطلب فجا الانصاري فطلب فقالت المراة
اطعمه واسقه فنزلت ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ذكره الثعلبي وقال
اكثر التفسير نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة قال الشيخ المولف
رحمه الله والصحيح انها نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا فهي عامة وقد ذكر النقاش
والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثا لا يصح ولا
يثبت رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله جل وعز يوفون بالنذر ويخافون
يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال مرض
الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما عمومة العرب فقالوا
يا ابا الحسن ورواه جابر الجعفي عن قنبر مولى علي قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن رجع الحديث الى حديث
ليث بن ابي سليم لو نذرت عن ولدك نذرا وكل نذر ليس له وفا فليس بشي فقال علي ان برا
ولداي صمت لله ثلاثة ايام شكرا حديث الجعفي وقال الحسن والحسين مثل ذلك
علينا وقالت فاطمة مثل ذلك وفي البسل لعلامات العافية وليس عند ال محمد قليل
ولا كثير فانطلق علي الى شمعون بن جار الخيبري وكان يهوديا فاستقرض منه ثلاثة اصع
شعير فجاء به فوضعه ناحية البيت فقامت فاطمة الى صاع فطحنته واختبزته وصلى علي
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه وفي حديث الجعفي فقامت
الجارية الى صاع من شعير فخبزت منه خمسة اقراص لكل واحد منهم قرص فلما قضى صيامهم
الاول وضع بين ايديهم الخبز والملح الجريش اذ اتاهم مسكين فوقف بالباب فقال
السلام عليكم اهل بيت محمد وفي حديث الجعفي انا مسكين من مساكين امة محمد والله
اطعموني اطعمكم الله على موايد الجنة فسمعه علي فانشا

يقول

افاطم ذات السداد واليقين يا ابنة خير الناس اجمعين
اما ترين البايس المسكين قد قام بالباب له حنين
يشكوا الى الله ويستكين يشكوا الينا جايع حزين

كل

كل امرئ بكسبه رهين وفاعل الخير سيستبين موعدنا جنة عليين
حرمها الله على الظنين وللبخيل موقف مهين تهوي به النار الى سجين
شرابه الحميم والغسلين من يفعل الخير يقم سمين ويدخل الجنة اي حين
فانشات فاطمة رضي الله عنها امرك يا ابن عم سمع وطاعة وما لي من لوم ولا وضاعة
غذيت في الخبز له صناعة ساطعمه لا ابالي الساعة ارجو ان اشبعت من مجاعة ان الحق
الاخيار والجماعة وادخل الجنة لي شفاعة امرك عندي يا ابن عم طاعة ما لي من مال ولا بضاعة
عذلت في الخبز له صناعة اطعمه ولا ابالي الساعة ارجو اذا اشبعت ذا المجاعة ان الحق
الاخيار والجماعة فادخل الخلد ولي شفاعة فاعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم
لم يذوقوا شيا الا الماء القراح فلما ان كان في اليوم الثاني قامت الى صاع وطحنته واختبزته
فصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين ايديهم فوقف بالباب
يتيم فقال السلام عليكم اهل بيت محمد يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدي
يوم العقبة اطعموني اطعمكم الله على موايد الجنة فسمعه علي فانشا يقول

افاطم بنت السيد الكريم بنت نبي ليس بالزنيم قد اتى الله بذي اليتيم
من يرحم اليوم يكن رحيم ويدخل الجنة اي سليم قد حرم الجنة للئيم
الا يجوز الصراط المستقيم يزل في النار الى الجحيم شرابه الصديد والحميم

فانشات فاطمة تقول

ساطعمه ولا ابالي واوثر الله على عيالي امسوا جياعا وهم اشبالي اصغرهما يقتل في القتال
بكربلا يقتل باغتيال يا ويل للقاتل مع وبالي تهوي في النار الى سفال وفي يديه الغل والاغلال
كبوله زادت على الاكبال فاعطوه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيا الا الماء القراح
فلما ان كان في اليوم الثالث قامت الى الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلى علي
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه اذ اتاهم اسير
فوقف بالباب فقال السلام عليكم اهل بيت محمد تاسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا
اطعموني فاني اسير محمد فسمعه علي فانشا يقول

افاطم يا ابنة النبي احمد بنت نبي سيد مسود سماه الله فهو محمد قد زانه الله بحسن اغيد
هذا اسير للنبي المهتد مثقل في غله مقيد يشكوا الينا الجوع قد تمدد من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ما يزرع الزارع سوف يحصد اعطيه لا لا تجعليه ينكد فانشات فاطمة تقول
لم يبق مما جاء غير صاع قد ذهبت كفي مع الذراع ابناي والله هما جياع يا رب لا تتركهما ضياع
ابوهما للخير ذو اصطناع يصطنع المعروف بابتداع عبل الذراعين شديد الباع وما على راسي من قناع
الا قناعا نسجه انساع فاعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة ايام ولياليها لم يذوقوا شيا الا الماء
القراح فلما ان كان في اليوم الرابع وقد قضى الله النذر اخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده
اليسرى الحسين واقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من

شدة الجوع فلما ابصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا الحسن ما اشد ما يسوءني ما ارى
بكم انطلقوا الى ابنتي فاطمة فانطلقوا اليها وهي في محرابها قد لصق ظهرها ببطنها
وغارت عيناها من شدة الجوع فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف المجاعة
في وجهها بكى وقال واغوثاه بالله اهل بيت محمد يموتون جوعا فهبط جبريل وقال السلام
يقرئك السلام يا محمد خذه هنيئا في اهل بيتك قال وما اخذ يا جبريل فاقرأه هل اتى
على الانسان حين من الدهر الى قوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله
في نوادر الاصول فهذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين
فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفا الا ان يكون بهذه الصفة ولا يعلم ان صاحب
هذا الفعل مذموم وقال الله تعالى في تنزيله يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل
الذي يفضل عن نفسك وعيالك وجرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة
بان خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدا بنفسك ثم بمن تعول وافترض الله على الازواج
نفقة اهاليهم واولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت
افيحسب عاقل ان عليا جهل هذا الامر حتى اجهد صبيانا صغارا من ابناء خمس او ست على جوع
ثلاثة ايام ولياليهن حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون منهم لخلاء اجوافهم حتى ابكى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد هب انه اثر على نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له
ان يحمل اهله على ذلك وهب ان اهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له ان يحمل على اطفاله جوع
ثلاثة ايام بلياليهن ما يروج مثل هذا الا على حمقى جهال ابى الله لقلوب متنبهة ان تظن
بعلي مثل هذا وليت شعري من حفظ هذه الابيات كل ليلة عن علي وفاطمة واجابة كل
واحد منهما صاحبه حتى اداه الى هؤلاء الرواة فهذا واشباهه من حديث اهل السجون
فيما ارى بلغني ان قوما يخلدون في السجون فيبقون بلا حيلة فيكتبون احاديث في السمر
واشباهه ومثل هذه الاحاديث مفتعلة فاذا صارت الى الجهابذة رموا بها وزيفوها
وما من شيء الا له آفة ومكيدة وآفة الدين وكيده اكثر قوله تعالى انا نخاف من
ربنا يوما عبوسا قمطريرا عبوسا من صفة اليوم اي يوما يعبس فيه الوجوه من
هوله وشدته والمعنى نخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى
يسيل من عينيه عرق كالقطران وعن ابن عباس العبوس الضيق والقمطرير الطويل
قال الشاعر شديدا عبوسا قمطريرا وقيل القمطرير الشديد يقول العرب
يوم قمطرير وقماطر وعصبت بمعنى وانشد الفراء بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم اذا
ما كان يوم قماطر بضم القاف واقمطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون
من الايام واطوله من البلاء قال الشاعر

ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها * ولج بها اليوم العبوس القماطر

وقال

وقال الكسائي يقال اقمطر اليوم وازمهر اقمطرارا وازمهرارا وهو الزمهرير والقمطرير ويوم مقمطر
اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب
وقال مجاهد العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلها من صفات الوجه
المتغير من شدائد ذلك اليوم وانشد ابن الاعرابي يغدو على الصيد يعود منكسر ويقمطر
ساعة ويكفهر وقال ابو عبيدة يقال رجل قمطرير اي متقبض ما بين العينين وقال
الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه
من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة واصطليت الحروب في كل يوم باسل
الشر قمطرير الصباح قوله تعالى فوقيهم الله اي دفع عنهم شر ذلك اليوم اي بأسه
وشدته وعذابه ولقاهم اي اتاهم واعطاهم حين لقوه اي راوه نضرة اي حسنا وسرورا
اي حبورا قال الحسن ومجاهد نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وفي النضرة ثلاثة
اوجه احدها انه البياض والنقاء قاله الضحاك الثاني الحسن والبهاء قاله ابن
جبير الثالث انها اثر النعمة قاله ابن زيد قوله تعالى وجزاهم بما صبروا
على الفقر وقال القرظي على الصوم وقال عطاء على الجوع ثلاثة ايام وهي ايام النذر وقيل بصبرهم
على طاعة الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه وما مصدرية وهذا على ان الاية
نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولى والصبر على اداء الفرائض
والصبر على اجتناب المحارم والصبر على المصائب جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم
الحرير اي يسمى بحرير الدنيا وكذلك الذي في الاخرة ما شاء الله عز وجل من الفضل وقد تقدم
ان من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وانما البسه من البسه في الجنة عوضا
عن حبسهم انفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها قوله تعالى متكئين
فيها اي في الجنة ونصب متكئين على الحال من الهاء والميم في جزاهم والعامل فيها جزا
ولا يعمل فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا والاتكاء في الاخرة وقال الفراء وان
شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال جزاهم جنة متكئين فيها على الارائك السرر
في الحجال وقد تقدم وجاءت عن العرب اسماء تحتوي على صفات احدها الاريكة
لا يكون الا في حجلة على سرير ومنها السجل وهو الدلو الممتلئ ماء فاذا صفرت لم تسم سجلا
وكذلك الذنوب لا يسمى ذنوبا حتى يملأ والكاس لا يسمى كاسا حتى يترع من الخمر
وكذلك المطبق الذي يهدى عليه الهدية مهدى فاذا كان فارغا قيل طبق او خوان قال
ذو الرمة خدود جفت في السير حتى كانما يباشرن بالمعزاء مس الارائك اي الفرش
على السرر مهدى بكسر الميم قال ابن الاعرابي ولا يسمى الطبق مهدى الا وفيه ما يهدى
والمهدا المهدا الذي من عادته ان يهدي لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي
لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس ولا زمهريرا اي ولا بردا مفرطا قال الاعشى

منعمة طفله كالمهاة لم تر شمسا ولا زمهريرا وعن ابي صالح عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم اشتكت النار الى ربها عز وجل قالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتا ونفسا
في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر في الصيف من سمومها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هوا اهل الجنة سجسج لا حر ولا برد والسجسج الظل الممدود
كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقال مرة الهمداني الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان
هو شي مثل روس الابر ينزل من السما في غاية البرد وقال ابن مسعود هو لون من العذاب وهو البرد الشديد
حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سالوا الله ان يعذبهم بالنار الف سنة اهون عليهم من عذاب
الزمهرير يوما واحدا وقال ابو النجم وكنت زمهريرا وقال ثعلب الزمهرير القمر بلغة
طي قال شاعرهم وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر ويروى ما ظهر اي لم
يطلع القمر والمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا اي انهم في ضيا
مستديم لا ليل فيه ولا نهار لان ضو النهار بالشمس وضو الليل بالقمر وقد مضى هذا المعنى مجودا
في سورة مريم عند قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال ابن عباس بينما اهل الجنة في الجنة
اذ راوا نورا ظنوه شمسا قد اشرقت بذلك النور الجنة فيقولون قال ربنا لا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا فما هذا النور فيقول لهم رضوان ليست هذه شمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة
وعلي ضحكا فاشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما انزل الله تعالى هل اتى على الانسان
وانشد انا مولى لفتى انزل فيه هل اتى ذاك علي المرتضى وابن عم المصطفى قوله تعالى **ودانية
عليهم ظلالها** اي ظل الاشجار في الجنة قريبة من الابرار فهي مظلة عليهم زيادة
في نعيمهم وان كان لا شمس ثم كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ ولا
شعث ثم ويقال ان ارتفاع الاشجار في الجنة مقدار مائة عام فاذا اشتهى ولي الله
ثمرتها دانت منه حتى يتناولها وانتصب دانية على الحال عطفا على متكئين كما يقول
في الدار عبد الله متكئا ومرسلة عليه الحجال وقيل انتصب نعتا للجنة اي وجزاهم جنة دانية
فهي صفة لموصوف محذوف وقيل على موضع لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ويرى دانية وقيل
على المدح اي دنت دانية قاله الفرا والظلال مرفوعة بدانية ولو قرا برفع دانية على ان يكون
الظلال مبتدا ودانية الخبر كان ويكون الجملة في موضع الحال من الها والميم في جزاهم
وقد قري بذلك وفي قراة عبد الله ودانيا عليهم لتقدم الفعل وفي حرف ابي ودان رفع
على الاستيناف وذللت اي سخرت لهم قطوفها اي ثمارها تذليلا اي تسخيرا فيتناولها
القايم والقاعد والمضطجع لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك قاله قتادة وقال
مجاهد ان قام ارتفعت له وان جلس تدلت عليه وان اضطجع دنت منه فاكل
منها وعنه ايضا ارض الجنة من ورق وترابها الزعفران وطينها مسك اذفر واصول
شجرها ذهب وورق وافنانها اللولو والزبرجد والياقوت والثمر تحت ذلك كله فمن
اكل منها قايما لم يوذه ومن اكل منها قاعدا لم يوذه ومن اكل منها مضطجعا لم يوذه وقال ابن عباس

اداهم ان يتناول من ثمارها تدلت اليه حتى يتناول منها ما يريد وتذليل القطوف تسهيل التناول
والقطوف الثمار الواحد قطف بكسر القاف سمي به لانه يقطف كما سمي الجني لانه يجنى تذليلا
تاكيد لما وصف به من الذل لقوله ونزلناه تنزيلا وكلم الله موسى تكليما الماوردي ويحتمل ان يكون
تذليل قطوفها ان تبرز لهم من اكمامها وتخلص لهم من نواها قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا
فيه بعد فقد روى ابن المبارك قال اخبرنا سفين عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم
وحللهم وثمرها امثال القلال والدلا اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد
ليس فيه عجم قال ابو جعفر النحاس ويقال المدلل الذي قد ذلله الما اي ارواه ويقال المدلل الذي
تفيئه ادنى ريح لنعمته ويقال المدلل المسوى لان اهل الحجاز يقولون ذلك نخلك اي سوه ويقال
المدلل القريب المتناول ومن قولهم حايط ذليل اي قصير قال ابو جعفر وهذه الاقوال التي حكيناها
ذكرها اهل العلم باللغة وقالوها في قول امري القيس وساق كانبوب السقي المذلل قوله تعالى
ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب اي يدور على هولا الابرار الخدم اذا
ارادوا الشراب بانية من فضة قال ابن عباس ليس في الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما اي
ما في الجنة اشرف واعلى وانقى ثم لم ينف الاواني الذهبية بل المعنى يسقون في اواني الفضة
وقد يسقون في اواني الذهب وقد قال يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وقيل نبه بذكر
الفضة على الذهب كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فنبه بذكر احدهما على الثاني والاكواب
الكيزان العظام الذي لا اذان لها ولا عرى الواحد منها كوب قال عدي متكئا تقرع ابوابه
يسعى عليه العبد بالكوب وقد مضى في الزخرف كانت قواريرا قواريرا من فضة اي في صفا
القوارير وبياض الفضة فصفاوها صفا الزجاج وهي من فضة وقيل ارض الجنة من فضة
والاواني تتخذ من تربة الارض التي هي منها ذكره ابن عباس وقال ليس في الجنة شي
الا قد اعطيتم في الدنيا شبهه الا قوارير من فضة وقال لو اخذت فضة من فضة
الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر من ورايها الما ولكن قوارير الجنة مثل
الفضة في صفا القوارير المكاعب قدروها تقديرا قراة العامة بفتح القاف والدال
اي قدروها لهم السعادة الذين يطوفون بها عليهم قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اتوا بها
على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان الكلبي وذلك الذ واشهى والمعنى قدرتها الملايكة
التي تطوف عليهم وعن ابن عباس ايضا قدروها على ملي الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تودي
بهم ثقلا او بافراط صغر وقيل ان الشاربين قدروا لها مقادير في انفسهم على ما اشتهوا وقدروا
وقرا عبيد بن عمير والشعبي وابن سيرين قدروها بضم القاف وكسر الدال اي جعلت لهم على قدر ارادتهم
وذكر هذه القراة المهدوي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وقال ومن قرا قدروها فهو راجع
الى معنى القراة الاخرى وكان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت عليهم وانشد
سيبويه الت حب العراق الدهر اكله والحب ياكله في القرية السوس وذهب الى ان

المعنى على حب الفراق وقيل هذا التقدير هو ان الاقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب
وذلك قوله قدروها تقديرا اى لا يفضل عن الذى ولا ينقص منه فقد الهمت الاقداح معرفة مقدار
رى المنتهى حين تغترف بذلك المقدار ذكر هذا القول الترمذى الحكيم في نوادر الاصول قوله
تعالى ويسقون فيها كاسا وهى الخمر في الانا كان مزاجها زنجبيلا كان صلته مزاجها
زنجبيل او كان في حكم الله زنجبيلا وكانت العرب يستلذ من الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب
رايحته لانه يحذو اللسان ويهضم الماكول فرغبوا فى نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيب
وقال المسيب بن علس يصف بعض المراة وكان طعم الزنجبيل به اذ ذقته وسلافة الخمر ويروى الكرم
وقال آخر كان جنيا من الزنجبيل بات بفيها واريا مشورا ونحو قول الاعشى كان القرنفل والزنجبيل
باتا بفيها واريا مشورا وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعين التى منها مزاج شراب الابرار وكذا قال
قتادة الزنجبيل اسم العين التى يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لساير اهل الجنة وقيل هى عين
فى الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل وقيل ان فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل والمعنى كان
فيها زنجبيلا عينا بدلا من كان ويجوز ان ينتصب باضمار فعل اى يسقون عينا ويجوز نصبه
باسقاط الخافض اى من عين على ما تقدم من قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله فيها اى
فى الجنة تسمى سلسبيلا السلسبيل الشراب اللذيذ وهو فعليل من السلاسة تقول العرب
هذا شراب سلس وسلسال وسلسل وسلسبيل بمعنى اى طيب الطعم لذيذه وفى الصحاح و
وتسلسل الماء فى الحلق جرى وسلسلته انا صببته فيه وما سلسل وسلسال سهل الدخول
فى الحلق لعذوبته وصفائه والسلاسل بالضم مثله وقال الزجاج السلسبيل فى اللغة اسم
لما كان فى غاية السلاسة وكان العين سميت بصفتها وعن مجاهد قال سلسبيلا حديد
الجرية تسيل فى حلوقهم انسلالا ونحوه عن ابن عباس انها الحديدة الجرى ذكره
الماوردى ومنه قول حسان بن ثابت يسقون من ورد البريص عليهم كاسا تصفق
بالرحيق السلسل وقال ابو العالية ومقاتل انما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم
فى الطرق وفى منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنة وقال قتادة سلسلة
منقاد ماؤها حيث شاؤا ونحوه عن عكرمة وقال القفال اى تلك عين شريفة فسل
سبيلا اليها وروى هذا عن على رضى الله عنه وقال ابن عباس هذا عن على رضى الله عنه
وقوله يسمى اى انها مذكورة عند الملائكة وعند الابرار واهل الجنة بهذا الاسم وصرف
سلسبيل لانه راس آية لقوله الظنونا والسلسبيلا قوله تعالى ويطوف عليهم
ولدان مخلدون بين من الذى يطوف بالانية اى ويخدمهم ولدان فانهم اخف
فى الخدمة ثم قال مخلدون اى باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن
لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مرور الازمنة وقيل مخلدون لا يموتون
وقيل مسورون مقرطون اى محلون والتخليد التحلية وقد تقدم هذا اذا رايتهم حسبتهم

لولوا

تفسير سورة النباء

مكية وهى اربعون او احدى واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون عم لفظ استفهام ولذلك سقط منها الف ما ليتميز الخبر عن الاستفهام وكذلك
فيم ومم اذا استفهمت والمعنى عن اى شئ يسال بعضهم بعضا وقال الزجاج اصل عم
عن ما فادغمت النون فى الميم لتشاركها والضمير فى يتساءلون لقريش روى ابو صالح عن ابن عباس
قال كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت عم يتساءلون
وقيل عم بمعنى فيم يتشدد المشركون ويختصمون قوله تعالى عن النبا العظيم الذى هم فيه
مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون اى يتساءلون عن النبا العظيم فعن ليس
يتعلق بيتساءلون الذى فى التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون اعن النبا العظيم
كقولك كم مالك اثلثون ام اربعون فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه بيتساءلون الذى فى التلاوة وانما
يتعلق بيتساءلون آخر مضمر وحسن ذلك لتقدم يتساءلون قاله المهدوى وذكر بعض اهل العلم ان الاستفهام فى
قوله عم مكرر لانه مضمر كانه قال عم يتساءلون اعن النبا العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالآية الاولى والنبا
العظيم اى الخبر الكبير الذى هم فيه مختلفون اى يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب
الآخر فروى ابو صالح عن ابن عباس قال هو القرآن دليله قوله تعالى قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون
فالقرآن نبا وخبر وحديث وقصص وهو نبا عظيم الشان وروى سعيد عن قتادة قال هو البعث
بعد الموت صار الناس فيه رجلين مصدق ومكذب وقيل امر النبى صلى الله عليه وسلم وروى الضحاك
عن ابن عباس قال وذلك ان اليهود سالوا النبى صلى الله عليه وسلم عن اشياء كثيرة فاخبره الله جل ثناؤه
باختلافهم ثم هددهم فقال كلا سيعلمون اى سيعلمون عاقبة القرآن او سيعلمون البعث احق هو ام
باطل وكلا رد عليهم فى انكارهم البعث او تكذيبهم القرآن فيوقف عليها ويجوز ان يكون بمعنى حقا او الا
فيبدا بها والاظهر ان سؤالهم انما كان عن البعث قال بعض علمائنا والذى يدل عليه قوله عز وجل
ان يوم الفصل كان ميقاتا يدل على انهم كانوا يتساءلون عن البعث ثم كلا سيعلمون اى حقا ليعلمون
صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت وقال
الضحاك كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعنى المومنين عاقبة تصديقهم و
قيل بالعكس ايضا وقال الحسن هو وعيد بعد وعيد وقراة العامة فيهما بالياء على الخبر لقوله
يتساءلون وقوله هم فيه مختلفون وقرا الحسن وابو العالية ومالك ابن دينار بالتاء فيهما قوله تعالى
الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا و
جعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا
سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا دلهم على قدرته على البعث اى قدرتنا على
ايجاد هذه الامور اعظم من قدرتنا على الاعادة والمهاد الوطاء والفراش وقد قال الذى جعل لكم
الارض فراشا وقرى مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه والجبال

اوتادا اي لتسكن ولا تتكفا ولا تميل باهلها وخلقناكم ازواجًا اي اصنافا ذكرا وانثى وقيل الوانا وقيل
يدخل في هذا كل زوج من قبيح وحسن وطويل وقصير لتختلف الاحوال فيقع الاعتبار فيشكر الفاضل
ويصبر المفضول وجعلنا نومكم سباتًا اي جعلناه سُبُتًا ولذلك تعدت الى مفعولين سباتا المفعول الثاني اي
راحة لابدانكم ومنه يوم السبت اي يوم الراحة اي قيل لبني اسرائيل استريحوا في هذا اليوم فلا تعملوا
فيه شيئا وانكر ابن الانباري هذا وقال لا يقال للراحة سبات وقيل اصله التمدد يقال سبتت
المرأة شعرها اذا حلته وارسلته فالسبات كالمدود ورجل مسبوت الخلق اي ممدود واذا اراد
الرجل يستريح تمدد فسميت الراحة سبتا وقيل اصله القطع يقال سبت شعره سبتا حلقه وكانه
اذا نام انقطع عن الناس وعن الاشغال فالسبات يشبه الموت الا انه لم يفارقه الروح ويقال
سير سبت اي سهل لين قال الشاعر ومطوية الاقراب اما نهارها ٭ فسبت واما ليلها فذميل
وجعلنا الليل لباسا اي تلبسكم ظلمته وتغشيكم قاله الطبري وقال ابن جبير والسدي اي سكنا لكم
وجعلنا النهار معاشا فيه اضمار اي وقت معاش اي متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من
المطعم والمشرب وغير ذلك فمعاشا على هذا اسم زمان ليكون الثاني هو الاول ويجوز ان يكون مصدرا
بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات محكمات اي محكمة الخلق
وثيقة البنيان وجعلنا سراجا وهاجا اي وقادا وهي الشمس وجعل هنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول
واحد والوهاج الذي له وهج يقال وهج يهج وهجا ووهجا ووهجانا ويقال للجوهر اذا تلالأ توهج وقال
ابن عباس وهاجا منيرا متلالئا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا قال مجاهد وقتادة المعصرات
الرياح وقاله ابن عباس كانها تعصر السحاب وعن ابن عباس ايضا انها السحاب وقال سفيان والربيع
وابو العالية والضحاك اي السحاب التي تتعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمرأة المعصر التي قد دنا حيضها
ولم تحض قال ابو النجم فكان مجني دون من كنت اتقي ٭ ثلاث شخوص كاعبان ومعصر ٭
وقال آخر وذو اشر كالاقحوان يزينه ٭ ذهاب الصبا والمعصرات الدوالج ٭
فالرياح تسمى معصرات يقال اعصرت الريح تعصر اعصارا اذا اثارت العجاج وهي الاعصار والسحب
ايضا تسمى المعصرات لانها تمطر وقال قتادة المعصرات السماء النحاس هذه الاقوال صحاح يقال
للرياح التي تاتي بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر فالمطر ينزل من الريح على هذا ويجوز
ان يكون الاقوال واحدة ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ماء ثجاجا واصح الاقوال ان
المعصرات السحاب كذا المعروف ان الغيث منها ولو كان بالمعصرات لكان للريح اولى وفي الصحاح و
المعصرات السحاب تعتصر بالمطر وعصر القوم اي مطروا ومنه قراء بعضهم وفيه يعصرون والمعصر
الجارية اول ما ادركت وحاضت يقال قد اعصرت كانها دخلت في عصر شبابها او بلغته قال
الراجز جارية بسفوان دارها ٭ تمشي الهوينا ساقطا خمارها ٭
ينحل من غلمتها ازارها ٭ قد اعصرت او قد دنا اعصارها ٭
والجمع معاصر ويقال هي التي قاربت الحيض لان الاعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام سمعته
من ابي الغوث الاعرابي قال غيره والمعصر السحابة التي حان لها ان تمطر يقال اجز الزرع فهو مجز اي

صار الى ان يجز وكذلك السحاب اذا صار الى ان يمطر فقد اعصر وقال المبرد يقال سحاب معصر
اي ممسك للماء ويعتصر منه شيء بعد شيء ومنه العصر بالتحريك للملجاء الذي يلجاء اليه والعصرة بالضم
ايضا الملجاء وقد مضى هذا المعنى في يوسف وانشد ابو زيد ٭ شعر ٭
صاديا يستغيث غير مغاث ٭ ولقد كان عصرة المنجود ٭
ومنه المعصر للجارية التي قربت من البلوغ يقال لها معصر لانها تحبس في البيت فيكون البيت
لها عصرا وفي قراءة ابن عباس وعكرمة وانزلنا بالمعصرات والذي في المصاحف من المعصرات
قال ابي ابن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن اسلم ومقاتل ابن حيان من المعصرات اي
من السماوات ماء ثجاجا صبابا متتابعا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما يقال ثججت دمه فانا اثجه
ثجا وقد ثج الدم يثج ثجوجا وكذلك الماء فهو لازم ومتعد والثجاج في الآية المنصب وقال الزجاج
اي الصباب وهو متعد كانه يثج نفسه اي يصب وقال عبيد بن الابرص ٭
فثج اعلاه ثم ارتج اسفله ٭ وضاق ذرعا بحمل الماء فانصاح ٭
وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الحج المبرور فقال العج والثج فالعج رفع
الصوت بالتلبية والثج اراقة الدماء وذبح الهدايا وقال ابن زيد ثجاجا كثيرا والمعنى
واحد قوله تعالى لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ٭ لنخرج به اي بذلك الماء حبا كالحنطة
والشعير وغير ذلك من الات وهو ما ياكله الدواب من الحشيش وجنات اي بساتين الفافا اي وبناتًا
ملتفة بعضها ببعض لتشعب اغصانها ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل احد الالفاف لف
بالكسر ولف بالضم ذكره الكسائي قال جنة لف وعيش مغدق ٭ وندامى كلهم بيض زهر ٭
وعنه ايضا وابي عبيدة لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع الجمع حكاه الكسائي يقال جنة لفاء
ونبت الف والجمع لف بضم اللام مثل حمر ثم يجمع اللف الفافا الزمخشري ولو قيل جمع ملتفة
بتقدير حذف الزائد لكان وجيها ويقال شجرة لفاء وشجر لف وامرأة لفاء اي غليظة الساق مجتمعة
اللحم وقيل التقدير ونخرج به جنات الفافا فحذف لدلالة الكلام عليه ثم هذا الالتفاف والانضمام
معناه ان الاشجار في البساتين تكون متقاربة فالاغصان من كل شجرة متقاربة لقوتها قوله تعالى
ان يوم الفصل كان ميقاتا ٭ اي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والاخرين لما وعد الله من الجزاء
والثواب وسمي يوم الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه قوله تعالى يوم ينفخ في الصور
فتاتون افواجا ٭ يوم ينفخ في الصور اي للبعث فتاتون اي الى موضع العرض افواجا اي امما كل
امة مع امامهم وقيل زمرا وجماعات الواحد فوج ونصب يوما بدلا من اليوم الاول وروى من
حديث معاذ بن جبل قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سالت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا ثم
قال تحشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم
فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين ارجلهم اعلاهم ووجوههم
يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة

على صدورهم سيل القيح من افواههم لعابا يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبين على جذوع من النار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت والحرام والمكس واما المنكسون رؤسهم ووجوههم فاكلة الربوا والعمي من يجور في الحكم والصم البكم الذين يعجبون باعمالهم والذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة ايديهم وارجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلبين على جذوع النار فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات والذين يلبسون الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلاء قوله تعالى

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا اى لنزول الملائكة كما قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تقطعت فكانت قطعا كالابواب فانتصاب الابواب على هذا التاويل بحذف الكاف وقيل التقدير فكانت ذوات ابواب لانها تصير كلها ابوابا وقيل ابوابها طرقها وقد تنحل وتتناثر حتى تصير فيها ابوابا وقيل ان لكل عبد بابان في السماء بابا لعمله وبابا لرزقه فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وفي حديث الاسرا ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبرئيل فقيل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معه قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا وسيرت الجبال فكانت سرابا اى لا شئ كما ان السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء وقيل سيرت نسفت من اصولها وقيل ازيلت من مواضعها قوله تعالى إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآبًا مرصادا مفعال من الرصد والرصد كل شئ كان امامك قال الحسن ان على النار رصدا لا يدخل احد الجنة حتى يجتاز عليه فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز حبس وعن سفيان قال عليها ثلاث قناطر وقيل مرصادا ذات ارصاد على النسب اى ترصد من يمر بها وقال مقاتل محبسا وقيل طريقا وممرا فلا سبيل الى الجنة حتى يقطع جهنم وفي الصحاح والمرصاد الطريق وذكر القشيري ان المرصاد المكان الذى يرصد فيه الواحد العدو نحو المضمار للموضع الذى تضمر فيه الخيل اى هي معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا بجهنم وذكر الماوردي عن ابي سنان انها بمعنى راصدة تجازيهم بافعالهم وفي الصحاح الراصد للشئ الراقب له يقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد الاصمعي رصدته ارصده ترقبته وارصدته اعددت له والكسائي مثله قال الشيخ رحمه الله لجهنم معدة مترصدة متفعل من الرصد وهو الترقب اى هي متطلعة لمن ياتى والمرصاد مفعال من ابنية المبالغة كالمعطار والمعمار فكانه يكثر من جهنم انتظار الكفار للطاغين مآبا بدل من قوله مرصادا والمآب المرجع اى مرجعا يرجعون اليها يقال آب يؤوب اوبة اذا رجع وقال قتادة مأوى ومنزلا والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر او في دنياه بالظلم قوله تعالى لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا اى ماكثين في النار مادامت الاحقاب وهي لا تنقطع فكلما مضى حقب جاء حقب والحقب بضمتين الدهر والاحقاب الدهور والحقبة

بالكسر السنة والجمع حقب قال متمم بن نويرة التميمي

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك واقل على ما ياتى والجمع احقاب والمعنى في الاية لابثين فيها احقاب الآخرة التى لا نهاية لها فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه اذ في الكلام ذكر الآخرة وهو كما يقال ايام الآخرة اي ايام بعد ايام الى غير نهاية وانما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة احقاب او عشرة ونحوه وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شئ عندهم فتكلم بما يذهب اليه اوهامهم ويعرفونها وهو كناية عن التابيد اى يمكثون فيها ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون الايام لان الاحقاب اهول في القلوب وادل على الخلود والمعنى متقارب وهذا الخلود في حق المشركين ويمكن حمل الاية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد احقاب وقيل الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب ولهذا قال لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ولابثين اسم فاعل من لبث ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب وقرا حمزة والكسائي لبثين بغير الف وهو اختيار ابى حاتم وابي عبيد وهما لغتان يقال رجل لابث ولبث مثل طمع وطامع وفره وفاره ويقال هو لبث بمكان كذا اي قد صار اللبث شانه فشبه بما هو خلقة في الانسان نحو حذر وفرق لان باب فعل انما هو لما يكون خلقة في الشئ في الاغلب وليس كذلك اسم الفاعل من لابث والحقب ثمانون سنة في قول ابن عمر وابن عباس وابي هريرة والسنة ثلاثمائة يوم وستون يوما كل يوم مثل الدنيا قاله ابن عباس وروى ابن عمر هذا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة والسنة ثلثمائة يوم وستون يوما مثل الدنيا وعن ابن عمر ايضا الحقب اربعون سنة السدي سبعون سنة وقيل انه الف شهر رواه ابو امامة مرفوعا بشير بن كعب ثلثمائة سنة الحسن الاحقاب لا يدري احدكم هي ولكن ذكروا انها مائة حقب والحقب الواحد منها سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون وعن ابي امامة ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحقب الواحد ثلثون الف سنة ذكره المهدوي والاول الماوردي وقال قطرب هو الدهر الطويل الغير محدود وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها احقابا الحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد على ان يخرج من النار ذكره الثعلبي القرظي الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة قال الشيخ رحمه الله هذه اقوال متعارضة والتحديد في الاية للخلود يحتاج الى توقيف يقطع العذر وليس ذلك بثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما المعنى والله اعلم ما ذكرناه اولا اى لابثين فيها ازمانا ودهورا كلما مضى زمن تعقبه زمن ودهر تعقبه دهر هكذا ابد الآبدين من غير انقطاع وقال ابن كيسان لابثين فيها احقابا لا غاية لها ولا انتهاء فكانه قال ابدا وقال ابن زيد ومقاتل انها

ابدا

منسوخة بقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل
قال الشيخ رحمه الله وهذا بعيد لانه خبر وقد قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل
في سم الخياط على ما تقدم هذا في حق الكفار فاما العصاة الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعنى التخصيص
والله اعلم وقيل المعنى لابثين فيها احقابا اى في الارض اذ قد تقدم ذكرها ويكون الضمير في لا
يذوقون فيها بردا ولا شرابا لجهنم وقيل واحد الاحقاب حقب وحقبة قال

فان تناء حقبة عنها لا تلاقها ° فانك مما احدثت بالمجرب °

وقال الكميت مر لها بعد حقبة وحقب ° قوله تعالى لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ° لا يذوقون فيها
بردا اى في الاحقاب بردا ولا شرابا البرد النوم في قول ابي عبيدة وغيره قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم ° وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا °

وقاله مجاهد والسدي والكسائي والفضيل بن خالد وابو معاذ النحوي وانشدوا قول الكندي

بردت مراشفها علي فصدني عنها وعن تقبيلها البرد °

يعني النوم والعرب تقول منع البرد البرد يعني اذهب البرد النوم قال الشيخ رحمه الله
وقد جاء الحديث انه عليه السلام سئل هل في الجنة نوم فقال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت
فيها فكذلك النار وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا وقال ابن عباس البرد برد الشراب وعنه ايضا
البرد النوم والشراب الماء وقال الزجاج اى لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد
برد كل شيء له راحة وهذا برد ينفعهم فاما الزمهرير فهو برد يتاذون به فلا ينفعهم فلهم عنه من العذاب
ما الله اعلم به وقال حسن وعطا وابن زيد بردا اى روحا وراحة قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى نستطيعه ° ولا الفيء اوقات العشي نذوق °

وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا جملة في موضع الحال من الطاغين او نعت للاحقاب والاحقاب
ظرف زمان والعامل فيه لابثين او لبثين على تعدية فعل الا حميما وغساقا استثناء منقطع في قول
من جعل البرد النوم ومن جعله من البرود كان بدلا منه والحميم الماء الحار قاله ابو عبيدة وقال
ابن زيد الحميم دموع اعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه قال النحاس اصل الحميم الماء الحار ومنه اشتق
الحمام ومنه الحمى ومنه وظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم
وقيل الزمهرير وقراء حمزة والكسائي بتشديد السين وقد مضى في ص القول فيه جزاء وفاقا
اى موافقا لاعمالهم عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة
وجزاء نصب على المصدر اى جازيناهم جزاء وافق اعمالهم قاله الفراء والاخفش وقال الفراء
ايضا هو جمع الوفق والوفق واللفق واحد وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم
من الشرك ولا عذاب اعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كانت اعمالهم سيئة فاتاهم الله
بما يسوءهم انهم كانوا لا يرجون اى لا يخافون حسابا اى محاسبة على اعمالهم وقيل معناه لا يرجون

ثواب حساب الزجاج اي انهم لا كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم وكذبوا باياتنا كذابا اى
بما جاءت به الانبياء وقيل بما انزلنا من الكتب وقراءة العامة كذابا بتشديد الذال وكسر الكاف على
كذب اى كذبوا تكذيبا كثيرا قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت كذابا وخرقت
القميص خراقا وكل فعل في وزن فعل فمصدره فعال مشددة في لغتهم وانشد بعض الكلابيين

لقد طال ما ثبطني عن صحابتي ° وعن حاجة قضاؤها من شفائيا °

وقراء علي رضي الله عنه كذابا بالتخفيف وهو مصدر ايضا قال ابو علي التخفيف والتشديد جميعا مصدر
المكاذبة كقول الاعشى فصدقتها وكذبتها ° والمرء ينفعه كذابه ° ابو الفتح جاء
جميعا مصدر كذب وكذب جميعا الزمخشري كذابا بالتخفيف مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها
وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا باياتنا فكذبوا
كذابا او تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لانه كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه
وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمين
عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة وقراء ابن عمر كذابا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قاله ابو حاتم ونصبه
على الحال الزمخشري وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان
وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وفي الصحاح وقوله وكذبوا باياتنا كذابا وهو
احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فعال مثل كذاب وعلى تفعلة مثل
توصية وعلى مفعل مثل ومزقناهم كل ممزق وكل شيء احصيناه كتابا كل نصب باضمار فعل يدل عليه احصيناه
اى واحصينا كل شيء احصيناه وقرا ابو السمال وكل شيء بالرفع على الابتداء كتابا نصب على المصدر لان
معنى احصينا كتبنا اى كتبناه كتابا ثم قيل اراد به العلم فان ما كتب كان ابعد من النسيان وقيل اى كتبناه في
اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة وقيل اراد ما كتب على العباد من اعمالهم فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين
بالعباد بامر الله اياهم بالكتابة دليله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فذوقوا فلن نزيدكم الا
عذابا قال ابو برزة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في القرآن فقال قوله فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا اى كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها وكلما خبت زدناهم سعيرا قوله تعالى
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأْسًا دِهَاقًا ° ذكر جزاء من اتقى مخالفة
امر الله مفازا موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه اهل النار ولذلك قيل للفلاة اذا قل ماؤها
مفازة تفاؤلا بالخلاص منها حدائق واعنابا هذا تفسير الفوز وقيل ان للمتقين مفازا ان للمتقين
حدائق جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه يقال احدق به اى احاط والاعناب جمع عنب اى كروم
اعناب فحذف وكواعب اترابا كواعب جمع كاعب وهي الناهد يقال كعبت الجارية تكعب كعوبا وكعبت
تكعب تكعيبا ونهدت تنهد نهودا وقال الضحاك الكواعب العذارى ومنه قول قيس بن عاصم

وكم من حصان قد حوينا كريمة ° ومن كاعب لم تدر ما البؤس معصر °

والاتراب الاقران في السن وقد مضى في الواقعة الواحد ترب وكاسا دهاقا قال الحسن
وقتادة وابن زيد وابن عباس مترعة مملوءة يقول اترعت الكاس اي ملاتها وكاس دهاق

اى ممتلية قال الا اسقيني صرفا سقانى الساقى ○ من مائها بكاسك الدهاق ○
وقال خداش بن زهير ○ اتانا عامر يبغى قرانا ○ فاترعنا له كاسا دهاقا ○
وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابن عباس ايضا متتابعة يتبع بعضها بعضا ومنه
ادهقت الحجارة ادهاقا وهو شدة تلازمها ودخول بعضها فى بعض فالمتتابع كالمتداخل و
عن عكرمة ايضا وزيد بن اسلم صافية قال الشاعر ○
لانت الى الفواد احب قربا ○ من الصادى الى كاس دهاق ○
وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر فالتقدير وخمرا ذات
دهاق اى عصرت وصفيت قاله القشيرى وفى الصحاح وادهقت الماء اى افرغته افراغا
شديدا قال ابو عمرو والدهق بالتحريك ضرب من العذاب وهو بالفارسية اشكنجه المبرد و
المدهوق المعذب بجميع العذاب الذى لا فرجة فيه ابن الاعرابى دهقت الشىء كسرته وقطعته
وكذلك دهدقته وانشد لحجر بن خالد ○ ندهدق بضع اللحم للباع والندى ○
وبعضهم تغلى بذم مراجله ○ ودهمقته بزيادة الميم مثله وقال الاصمعى الدهمقة
لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك كل شىء لين ومنه حديث عمر لو شئت ان يدهمق لى لفعلت
ولكن الله عاب قوما فقال اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها قوله تعالى لا يسمعون
فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا ○ لا يسمعون فيها اى فى الجنة لغوا ولا كذابا
اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة
والامام يخطب فقد لغوت وذلك ان اهل الجنة اذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا بلغو
بخلاف اهل الدنيا ولا كذابا تقدم اى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يسمعون كذبا وقرا الكسائى
كذابا بالتخفيف من كاذبت كذابا اى لا يتكاذبون فى الجنة وقيل هما مصدران للتكذيب وانما
خففها هنا لانها ليست بمقيد بفعل يصير مصدرا له وشدد قوله وكذبوا باياتنا كذابا لان كذبوا
يقيد المصدر بالكذاب جزاء من ربك جزاء نصب على المصدر لان المعنى جازاهم بما تقدم ذكره جزاء و
لذلك عطاء لان معنى اعطاهم وجازاهم واحد اى اعطاهم عطاء حسابا اى كثيرا قاله قتادة يقال
احسبت فلانا اى كثرت له العطاء حتى قال حسبى قال ○
ونقفى وليد الحى ان كان جائعا ○ ونحسبه ان كان ليس بجائع ○
وقال القتبى ونرى اصل هذا ان نعطيه حتى يقول حسبى وقال الزجاج حسابا اى ما يكفيهم
وقاله الاخفش يقال احسبنى كذا اى كفانى وقال الكلبى حاسبهم فاعطاهم بالحسنة عشرا
مجاهد حسابا لما عملوا فالحساب بمعنى العد اى بقدر ما وجب له فى وعد الرب فانه وعد للحسنة
عشرا ووعد لقوم بسبعمائة ضعف وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كما قال انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وقرا ابو هاشم عطاء حسابا بفتح الحاء وتشديد السين
على وزن فعال اى كفافا قال الاصمعى تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد اذا اكرمته وانشد
قول الشاعر ○ اذا اتاه ضيفه يحسبه ○ وقرا ابن عباس حسانا بالنون قوله تعالى رب

السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا ○ قرا ابن مسعود ونافع
وابو عمرو وابن كثير وزيد عن يعقوب والمفضل عن عاصم رب بالرفع على الاستيناف والرحمن
خبره او بمعنى هو رب السموات ويكون الرحمن مبتدا ثانيا وقرا ابن عامر ويعقوب وابن
محيصن كلاهما بالخفض نعتا لقوله جزاء من ربك اى جزاء من ربك رب السموات الرحمن وقرا
ابن عباس وعاصم وحمزة والكسائى رب السموات خفضا على النعت الرحمن رفعا على الابتداء
اى هو الرحمن واختاره ابو عبيد وقال هذا اعدلها خفض رب لقربه من قوله من ربك فيكون
نعتا له ورفع الرحمن لبعده منه على الاستيناف وخبره لا يملكون منه خطابا اى لا يملكون ان يسالوا
الا فيما اذن لهم فيه وقال الكسائى لا يملكون منه خطابا للشفاعة له الا باذنه وقيل الخطاب
الكلام اى لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد
الكفار اى لا يملكون منه خطابا فاما المومنون فيشفعون قال الشيخ رحمه الله بعد ان يوذن لهم
لقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضى له قولا قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا ○ يوم نصب على الظرف اى لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح
واختلف فى الروح على اقوال ثمانية الاول انه ملك من الملائكة قال ابن عباس ما خلق
الله مخلوقا بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا
فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم ونحو منه عن ابن مسعود قال الروح ملك اعظم من السموات السبع ومن
الارضين السبع ومن الجبال وهو حيال السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة يخلق
الله من كل تسبيحة ملكا يجئ يوم القيامة وحده صفا وسائر الملائكة صفا الثانى انه جبريل
عليه السلام قاله الشعبى والضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ان عن يمين العرش نهرا من
نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل كل يوم فيه سحرا فيغتسل
فيزداد نورا على نوره وجمالا على جماله وعظما على عظمه ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه
سبعون الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا البيت المعمور والكعبة سبعون الفا لا يعودون
اليه الى يوم تقوم الساعة وقال وهب ان جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه
يخلق الله من كل رعدة مائة الف ملك فالملائكة صفوف بين يدى الله تعالى منكسة روسهم فاذا اذن
الله لهم فى الكلام قالوا لا اله الا انت وهو قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن
له الرحمن فى الكلام وقال صوابا يعنى قول لا اله الا الله الثالث روى ابن عباس عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال الروح فى هذه الاية جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم روس وايد وارجل
ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال هولاء جند وهولاء جند وهذا قول
ابى صالح ومجاهد وعلى هذا هم خلق على صورة بنى ادم كالناس وليسوا بناس الرابع انهم اشراف الملائكة
قاله مقاتل بن حيان الخامس انهم حفظة على الملائكة قاله ابن ابى نجيح السادس انهم بنو ادم
قاله الحسن وقتادة فالمعنى ذوو الروح وقال العوفى والقرظى هذا مما كان يكتمه ابن عباس قال

الروح خلق من خلق الله على صورة بني آدم وما نزل ملك من السماء الا ومعه واحد من الروح
السابع ارواح بني آدم يقوم صفا ويقوم الملايكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجساد
قاله عطية الثامن انه القرآن قاله زيد بن اسلم وقرأ وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا
مصدرا اي يقومون صفوفا والمصدر يبنى على الواحد والجمع كالعدل والصوم ويقال ليوم العيد
يوم الصف وقال في موضع آخر وجاء ربك والملك صفا صفا هذا يدل على الصفوف وهذا حين
العرض والحساب قال معناه القتبي وغيره وقيل يقوم الروح صفا والملايكة صفا فهم صفان
وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون اي لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال
صوابا يعني حقا في الدنيا وعمل به قاله الضحاك ومجاهد لا اله الا الله وروي الضحاك عن ابن عباس
قال يشفعون لمن قال لا اله الا الله واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب
يصيب اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملايكة والروح الذين قاموا صفا لا
يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرب في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا وانهم يوحدون الله ويسبحونه
وقال الحسن ان الروح يقول يوم القيمة لا يدخل احد الجنة الا بالرحمة ولا النار الا بترك العمل فهو
معنى قوله وقال صوابا قوله تعالى ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ذلك اليوم الحق
اي الكاين الواقع فمن شاء اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا بالعمل الصالح كانه اذا عمل خيرا رده الى الله عز وجل
واذا عمل شرا باعده منه وينظر الى هذا المعنى قوله عليه السلام والخير كله بيديك والشر ليس اليك
وقال قتادة مابا سبيلا قوله تعالى إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يوم يقوم الروح والملايكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ
الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا يخاطب كفار قريش ومشركي العرب لانهم قالوا لا نبعث و
العذاب عذاب الاخرة وكل ما هو آت فهو قريب وقد قال الله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحيها قال معناه الكلبي وغيره وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين قال مقاتل هي قتل
قريش ببدر والاظهر انه عذاب الاخرة وهو الموت والقيامة لان من مات فقد قامت قيامته
فان كان من اهل الجنة رأى مقعده من الجنة وان كان من اهل النار رأى الخزي والهوان ولهذا
قال يوم ينظر المرء ما قدمت يداه بين وقت ذلك العذاب اي انذرناكم عذابا قريبا في ذلك اليوم
وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي يراه وقيل ينظر الى ما قدمت فحذف الى والمرء ههنا المومن
في قول الحسن اي يجد لنفسه عملا فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا ولما قال ويقول
الكافر علم انه اراد بالمرء المومن وقيل المرء ههنا ابي ابن خلف وعقبة بن ابي معيط ويقول الكافر
ابو جهل وقيل هو عام في كل احد وانسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب وقال مقاتل نزلت
قوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة ابن عبد الاسد بن عبد الاسد وقال الثعلبي سمعت
ابا القاسم ابن حبيب يقول الكافر ههنا ابليس وذلك انه عاب آدم بانه خلق من تراب وافتخر
بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة والرحمة ورأى
ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه بمكان آدم فيقول ياليتني كنت ترابا قال ورأيته في بعض

المخزومي ويقول الكافر ياليتني
كنت ترابا في اخيه الاسود

التفاسير القشيري ابي نصر وقيل اي يقول ابليس ياليتني خلقت من التراب ولم اقل انا خير
من آدم وعن ابن عمر اذا كان يوم القيمة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهايم و
الوحش ثم يوضع القصاص بين البهايم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا
فرغ من القصاص بينها قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا ونحوه عن
ابي هريرة وعبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهم وقد ذكرناه في التذكرة مجودا والحمد لله ذكر
ابو جعفر النحاس حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق
قال حدثنا معمر قال اخبرني جعفر بن برقان الجزري عن يزيد بن الاصم عن ابي هريرة قال
ان الله يحشر الخلق كلهم من دابة وطاير وانسان ثم يقال للبهايم والطير كوني ترابا فعند ذلك
يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال قوم ياليتني كنت ترابا لم ابعث كما قال ياليتني لم
اوت كتابيه وقال ابو الزناد اذا قضي بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى
النار قيل لساير الامم ولمومني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر
حين يراهم ياليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي سليم مومنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن
عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مومنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا
فيها وهذا اصح وقد مضى في الرحمن بيان هذا وانهم مكلفون مثابون ومعاقبون فهم كبني آدم والله اعلم

تفسير سورة النازعات

مكية باجماع وهي خمس او ست واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا اقسم سبحانه بهذه الاشياء التي ذكرها على ان القيامة حق
والنازعات الملايكة التي تنزع ارواح الكفار قاله علي رضي الله عنه وكذا قال ابن مسعود و
ابن عباس ومسروق ومجاهد هي الملايكة تنزع نفوس بني آدم قال ابن مسعود يريد انفس الكفار
ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا
كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يرجعها في اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله بالكفار وقاله
ابن عباس وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها في النار وقيل
يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وقال السدي والنازعات هي النفوس حين
تغرق في الصدر مجاهد هو الموت ينزع النفوس الحسن وقتادة هي النجوم تنزع من افق
الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب او من قولهم نزعت الخيل اي جرت غرقا اي
انها تغرق وتغيب وتطلع من افق آخر وقاله ابو عبيدة وابن كيسان والاخفش وقيل النازعات
القسي تنزع بالسهام قاله عطاء وعكرمة وغرقا بمعنى اغراقا واغراق النازع في القوس اي يبلغ
غاية المد حتى ينتهي الى النصل يقال اغرق في القوس اي استوفى مدها وذلك بان ينتهي الى
العقب الذي عند النصل الملفوف عليه والاستغراق الاستيعاب ويقال للبيضة الداخلة
غرقة وقيل هم الغزاة الرماة قال الشيخ رحمه الله وهو الذي قبله سواء لانه اذا

اقسم بالقسى فالمراد النازعون بها تعظيمًا لها وهو مثل قوله والعاديات ضبحا والله اعلم واراد
بالاغراق المبالغة في النزع وهو سائغ في جميع وجوه تاويلها وقيل هي الوحش تنزع من الفلا
وتنفر حكاه يحيى بن سلام ومعنى قوله غرقا اي ابعادًا في النزع قوله تعالى **وَالنَّاشِطَاتِ**
نَشْطًا قال ابن عباس يعني الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير
اذا حُلّ عنه وحكى هذا القول الفراء ثم قال والذي سمعت من العرب انهم يقولون انشطت وكانما
انشط من عقال وربطها نشطا والرابط الناشط واذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته فانت
ناشط واذا حللته فقد انشطته وانت منشط وعن ابن عباس ايضا هي انفس المؤمنين عند الموت تنشط
للخروج وذلك انه ما من مؤمن الا وتعرض عليه الجنة قبل ان يموت فيرى فيها ما اعد الله له من ازواجه
واهله من الحور العين فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشيطة ان تخرج فتاتيهم وعنه ايضا قال يعني
انفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي يعقب به السرج العقب بالتحريك العصب
الذي تعمل منه الاوتار الواحدة عقبة تقول منه عقبت السهم والقدح والقوس عقبا اذا لويت شيئا
منه عليه والنشط الجذب بسرعة ومنه الانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا اجذبت مثل عقدة التكة
وقال ابو زيد نشطت الحبل انشطه نشطا عقدته انشوطة وانشطته اي حللته وانتشطت الحبل اي
مددته حتى ينحل وقال الفراء انشط العقال اي حل ونشط اي ربط الحبل في يديه وقال الليث انشطته
بانشوطة وانشوطتين اي اوثقته وانشطت العقال اي مددت انشوطته فانحلت قال ويقال نشط
بمعنى انشط لغتان بمعنى وعليه يصح قول ابن عباس المذكور اولا وعنه ايضا ان الناشطات الملائكة
لنشاطها تذهب وتجئ بامر الله حيث ما كان وعنه ايضا وعن علي رضي الله عنهما هي الملائكة تنشط ارواح
الكفار ما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها من اجوافهم نشطا بالكرب والغم كما ينشط الصوف من سفود
الحديد وهو من النشط بمعنى الجذب يقال نشطت الدلو انشطها بالكسر وانشطها بالضم اي نزعتها
قال الاصمعي بئر اناشط اي قريبة القعر تخرج الدلو منها بجذبة واحدة وبئر نشوط قال وهي التي لا تخرج
منها الدلو حتى تنشط كثيرا وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان السدي هي النفوس
حين تنشط من القدمين وقيل النازعات ايدي الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام
والتي تنشط الاوهاق عكرمة وعطاء هي الاوهاق تنشط السهام وعن عطاء ايضا وقتاده والحسن
والاخفش هي النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب وكذا في الصحاح والناشطات نشطا يعني النجوم
من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها قال هميان ابن قحافة
امست همومي تنشط المناشطا ۝ الشام بي طورًا وطورًا واسطا ۝
ابو عبيدة وعطاء ايضا الناشطات هي الوحش حين تنشط من بلد الى بلد كما ان الهموم تنشط الانسان
من بلد الى بلد وانشد بيت هميان امست همومي البيت وقيل والنازعات للكافرين والناشطات
للمؤمنين فالملائكة يجذبون روح المؤمنين برفق والنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق وقيل
هما جميعًا للكفار والايات بعدهما للمؤمنين عند فراق الدنيا قوله تعالى **وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**
قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبح بارواح المؤمنين الكلبي هي الملائكة تقبض ارواح المؤمنين

كالذي يسبح في الماء فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى
تستريح وقال مجاهد وابو صالح هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لامر الله كما يقال للفرس
الجواد سابح اذا اسرع في جريه وعن مجاهد ايضا الملائكة تسبح في نزولها وصعودها وعنه
ايضا السابحات الموت يسبح في انفس بني آدم وقيل هي خيل الغزاة قال عنترة
والخيل تعلم حين تسبح في حياض الموت سبحا
وقال امرؤ القيس مسح اذا ما السابحات على الونى ۝ اثرن الغبار بالكديد المركل
قتادة والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال الله تعالى كل في فلك
يسبحون عطاء هي السفن تسبح في الماء ابن عباس السابحات ارواح المؤمنين تسبح شوقا الى
لقاء الله ورحمته حين تخرج قوله تعالى **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا** قال علي رضي الله عنه هي الملائكة
تسبق الشياطين بالوحي الى الانبياء عليهم السلام وقاله مسروق ومجاهد وعن مجاهد ايضا
وابي روق هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل تسبق بني آدم الى العمل الصالح
فتكتبه وعن مجاهد ايضا الموت تسبق الانسان مقاتل هي الملائكة تسبق بارواح
المؤمنين الى الجنة ابن مسعود هي انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت
السرور شوقا الى لقاء الله ورحمته ونحوه عن الربيع قال هي النفس تسبق بالخروج عند الموت
وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم يسبق بعضها في السير عطاء هي الخيل التي تسبق الى الجهاد
وقيل يحتمل ان تكون السابقات ما يسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة او نار حكاه الماوردي
وقال الجرجاني ذكر السابقات بالفاء لانها مشتقة من التي قبلها اي واللاتي يسبحن فيسبقن تقول
قام فذهب فهذا يوجب ان يكون القيام سببا للذهاب ولو قلت قام ذهب لم يكن القيام سببا
للذهاب قوله تعالى **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا** قال القشيري اجمعوا على ان المراد الملائكة وقال
الماوردي فيه قولان احدهما الملائكة قاله الجمهور والقول الثاني هي الكواكب السبعة حكاه خالد
ابن معدان عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها الامر وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها والثاني
تدبير ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الاحوال وحكى هذا القول ايضا القشيري في تفسيره وان الله
تعالى علق كثيرا من تدبير امر العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله كما يسمى الشيء باسم
ما يجاوره وعلى ان المراد بالمدبرات الملائكة فتدبيرها نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قاله ابن عباس
وقتادة وغيرهما وهو الى الله جل ثناؤه ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك كما قال عز وجل نزل
به الروح الامين وكما قال فانه نزله على قلبك يعني جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
والله عز وجل هو الذي انزله وروى عطاء عن ابن عباس فالمدبرات امرًا الملائكة وكلت بتدبير
احوال اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك قال عبد الرحمن بن سابط تدبير امر
الدنيا الى اربعة جبرئيل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل واسرافيل فاما جبرئيل فموكل
بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح
والانفس في البر والبحر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس من الملائكة اقرب من اسرافيل

وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام اي دكلوا بامور عن نصر الله بها ومن اول السورة الى هنا قسم الله به ولله ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا ذلك الا به جل وعز وجواب القسم مضمر كانه قال والنازعات وكذا وكذا لتبعثن ولتحاسبن اضمر لمعرفة السامعين بالمعنى قاله الفرا ويدل عليه قوله اذا كنا عظاما نخرة الست ترى انه كالجواب لقولهم اذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفى بقوله اذا كنا عظاما نخرة وقال قوم وقع القسم على قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وهذا اختيار الترمذي محمد بن على اي فيما اقتصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى ولان يقع القسم على ما في السورة مذكورا باد ظاهرا اجرى واقمن من ان يوتى بشيء ليس بمذكور فيها قال ابن الانباري وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وقيل جواب القسم هل اتاك حديث موسى لان المعنى قد اتاك وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة على تقدير ليوم ترجف فحذف اللام وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقا وقال السجستاني يجوز ان يكون هذا من التقديم والتاخير كانه قال فاذا هم بالساهرة والنازعات ابن الانباري وهذا خطا لان الفاء لا تفتتح بها الكلام والاول الوجه وقيل انما وقع القسم على ان قلوب اهل النار تجف وابصارهم تخشع فانتصاب يوم ترجف الراجفة على هذا المعنى ولكن لم يقع عليه قال الزجاج اي قلوب واجفة يوم ترجف وقيل انتصب باضمار اذكر وترجف اي تضطرب والراجفة اي المضطربة كذا قال عبد الرحمن ابن زيد قال هي الارض والرادفة الساعة مجاهد الراجفة زلزلة تتبعها الرادفة الصيحة وعنه ايضا وابن عباس والحسن وقتادة هما الصيحتان اي النفختان اما الاولى فتميت كل شيء باذن الله واما الثانية فتحيي كل شيء باذن الله وجاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينهما اربعون سنة وقال مجاهد ايضا الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فتدك دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة وقيل الراجفة تحرك الارض والرادفة زلزلة اخرى تفني الارضين فالله اعلم وقد مضى في آخر النمل ما فيه كفاية في النفخ في الصور واصل الرجفة الحركة قال الله تعالى يوم ترجف الارض وليست الرجفة هنا من الحركة فقط بل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا اي اظهر الصوت والحركة ومنه سميت الاراجيف لاضطراب الاصوات بها وافاضة الناس فيها قال

ابالاراجيف يا ابن اللوم توعدني ٭ وفي الاراجيف خلت اللوم والخورا

وعن ابي ابن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذهب ربع الليل قام ثم قال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قلوب يومئذ واجفة اي خائفة وجلة قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين وقال السدي زائلة عن اماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وقال المورج قلقة مستوفزة مرتكضة غير ساكنة وقال المبرد مضطربة والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار يقال وجف القلب يجف وجيفا اذا خفق كما يقال وجب يجب وجيبا ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف حمل الدابة على السير السريع قال

بدلن بعد جرة صريفا ٭ وبعد طول النفس الوجيفا

وقلوب رفع بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها مثل قوله ولعبد مؤمن خير من مشرك

ومعنى خاشعة منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة والمعنى ابصار اصحابها فحذف المضاف يقولون اي يقول هولاء المكذبون المنكرون للبعث اذا قيل لهم انكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين ائنا بعد موتنا الى اول الامر فنعود احياء كما قبل الموت وهو كقولهم ائنا لمبعوثون خلقا جديدا يقال رجع فلان في حافرته وعلى حافرته اي رجع من حيث جاء قاله قتادة وانشد ابن الاعرابي

احافرة على صلع وشيب ٭ معاذ الله من سفه وعار

يقول ارجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبى بعد ان شبت وصلعت ويقال رجع على حافرته اي الطريق الذي جاء منه وقولهم في المثل النقد عند الحافرة قال يعقوب اي عند اول كلمة ويقال التقى القوم فاقتتلوا عند الحافرة اي عند اول ما التقوا وقيل الحافرة العاجلة اي ائنا لمردودون الى الدنيا فنصير احياء كما كنا قال الشاعر

آليت لا انسا كم فاعلموا ٭ حتى يرد الناس في الحافرة

وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها قبورهم فهي بمعنى المحفورة كقوله ماء دافق وعيشة راضية والمعنى ائنا لمردودون في قبورنا احياء قاله مجاهد والخليل والفراء وقيل سميت الارض الحافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت القدم ارضا لانها على الارض والمعنى ائنا لراجعون بعد الموت الى الارض فنمشي على اقدامنا وقال ابن زيد الحافرة النار وقرأ تلك اذا كرة خاسرة وقال مقاتل وزيد بن اسلم هي اسم من اسماء النار وقال ابن عباس الحافرة في كلام العرب الدنيا وقرأ ابو حيوة الحفرة بغير الف مقصور من الحافرة وقيل الحفرة الارض المنتنة باجساد موتاها من قولهم حفرت اسنانه اذا ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها يقال في اسنانه حفر بالتحريك وقد حفرت تحفر حفرا مثال كسر يكسر كسرا اذا فسدت اصولها وبنو اسد يقولون في اسنانه حفر بالتحريك وقد حفرت مثال تعب تعبا وهي اردأ اللغتين قاله في الصحاح ائذا كنا عظاما نخرة اي بالية متفتتة يقال نخر العظم بالكسر اي بلي وتفتت يقال عظام نخرة وكذا قرأ الجمهور من اهل المدينة ومكة والشام والبصرة واختاره ابو عبيد وقال لان الآثار التي تذكر فيها العظام نظرنا فيها فرايناها نخرة لا ناخرة وقرأ عمر وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير وحمزة والكسائي وابو بكر ناخرة بالف واختاره الفرا والطبري وابو معاذ النحوي لوفاق روس الآي وفي الصحاح والناخر من العظام الذي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها نخير ويقال ما بها ناخر اي ما بها احد حكاه يعقوب عن الباهلي وقال ابو عمرو بن العلاء الناخرة التي لم تنخر بعد اي لم تبل ولا بد ان تنخر وقيل الناخرة المجوفة وقيل هما لغتان بمعنى كذلك تقول العرب نخر الشيء فهو نخر وناخر كقولهم طمع فهو طمع وطامع وحذر وحاذر وبخل وباخل وفره وفاره قال الشاعر

يظل بها الشيخ الذي كان بادنا ٭ يدب على عوج له نخرات

عوج يعني قوايم وفي بعض التفسير ناخرة بالالف بالية ونخرة تنخر فيها الريح اي تمر فيها على عكس القول الاول قال

من بعد ما كانت عظاما ناخرة

وقال بعضهم الناخرة التي اكلت اطرافها وبقيت اوساطها والنخرة التي فسدت كلها وقال مجاهد نخرة اي مرفوتة كما قال عظاما ورفاتا

ونخرة الريح بالضم شدة هبوبها والنخرة ايضا والنخرة مثال الهمزة مقدم انف الفرس والحمار
والخنزير يقال هشم نخرته اي انفه قالوا تلك اذا كرة خاسرة اى رجعة خائبة كاذبة باطلة اي
ليست كائنة قاله الحسن وغيره الربيع بن انس خاسرة على من كذب بها وقيل اى هي كرة خسران والمعنى
اهلها خاسرون كما يقال تجارة رابحة اى يربح صاحبها ولا شيء اخسر من كرة تقتضي المصير الى النار
وقال قتادة ومحمد بن كعب اى لئن رجعنا احياء بعد الموت لنخسرن بالنار وانما قالوا هذا لانهم
اوعدوا بالنار والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى والكرة المرة والجمع الكرات
فانما هي زجرة واحدة ذكر جل ثناؤه سهولة البعث عليه فقال فانما هي زجرة واحدة وروى
الضحاك عن ابن عباس قال نفخة واحدة فاذا هم اي الخلائق اجمعون بالساهرة اى على وجه الارض
بعد ما كانوا في بطنها قال الفراء سميت هذا الاسم لان فيها نوم الحيوان وسهرهم والعرب تسمي الفلاة
ووجه الارض ساهرة بمعنى ذات سهر لانه يسهر فيها خوفا منها فوصفها بصفة ما فيها واستدل
ابن عباس والمفسرون بقول امية بن ابي الصلت ٭ وفيها لحم ساهرة وبحر ٭
وما فاهوا به لهم مقيم ٭ وقال ـــــــ اخو فهم يوم ذي قار لفرسه
اقدم محاج انها الاساورة ٭ ولا يهولنك رجل نادره ٭ فانما قصرك ترب الساهره
ثم تعود بعدها في الحافره ٭ من بعد ما كانت عظاما ناخره ٭ وفي الصحاح ويقال الساهور
ظل الساهرة وهي وجه الارض ومنه قوله فاذا هم بالساهرة قال ـــــــ ابو كبير الهذلي
يرتدن ساهرة كان جميمها ٭ وعميمها اسراف ليل مظلم ٭
ويقال الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف وانشدوا قول ـــــــ امية بن ابي الصلت
قمر وساهور يسل ويغمد ٭ وانشدوا الآخر في وصف امرأة
كانها عرق سام عند ضاربه ٭ او شقة خرجت من جوف ساهور ٭ يريد شقة القمر
وقيل الساهرة الارض البيضاء وروى الضحاك عن ابن عباس قال ارض من فضة لم يعص الله
جل ثناؤه عليها قط خلقها حينئذ وقيل ارض يجددها الله يوم القيامة وقيل الساهرة اسم الارض
السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري
الساهرة ارض الشام وهب ابن منبه جبل بيت المقدس عثمان بن ابي العاتكة انه اسم مكان من
الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسبان يمده الله كيف شاء قتادة
هي جهنم اي فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون عليها حينئذ وقيل
الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم اى يوقفون بارض القيامة فيدوم السهر حينئذ وقيل
الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية
الماء وفي ضدها نائمة قال ـــــــ الاشعث بن قيس
وساهرة يضحي السراب مجللا ٭ لاقطارها قد جبتها متلثما ٭
او لانه هالكها لا ينام خوف الهلكة قوله تعالى هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ
الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى

إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ
فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ٭ هل اتيك حديث موسى اى قد جاءك وبلغك وهذا تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم اي ان فرعون كان اقوى من كفار عصرك ثم اخذنا وكذلك هؤلاء وقيل هل بمعنى ما اي
اى ما اتاك ولكني اخبرتك به فان فيه عبرة لمن يخشى وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير
موضع ما فيه كفاية وفي طوى ثلاث قراآت قراء ابن محيصن وابن عامر والكوفيون طوى منونا
واختاره ابو عبيد لخفة الاسم الباقون بغير تنوين لانه معدول مثل عمر وقثم قال الفراء طوى واد
بين المدينة ومصر قال وهو معدول من طاو كما عدل عمر من عامر وقراء الحسن وعكرمة طوى بكسر الطاء
وروي عن ابي عمرو على معنى المقدس مرة بعد مرة قاله الزجاج وانشد
اعاذل ان اللوم في غير كنهه ٭ علي طوى من غيك المتردد ٭
اى هو لوم مكرر علي وقيل ضم الطاء وكسرها لغتان وقد مضى في طه القول فيه اذهب الى فرعون
اى ناداه ربه اذهب فحذف لان النداء قول فكانه قال له ربه اذهب الى فرعون انه طغى اى جاوز
القدر في العصيان وروى عن الحسن ايضا قال كان فرعون علجا من همدان وعن مجاهد قال كان
من اهل اصطخر وعن الحسن ايضا قال كان من اهل اصبهان يقال له ذو ظفر طوله اربعة اشبار
فقل هل لك الى ان تزكى اي تسلم فتطهر من الذنوب وروى الضحاك عن ابن عباس قال هل لك
الى ان تشهد ان لا اله الا الله واهديك الى ربك اى وارشدك الى طاعة ربك فتخشى اى فتخافه وتتقيه
وقراء نافع وابن كثير تزكى بتشديد الزاء على ادغام التاء في الزاء لان اصلها تتزكى الباقون تزكى
بتخفيف الزاء على معنى طرح التاء وقال ـــــــ ابو عمرو تزكى بالتشديد تصدق وتزكى تكون زكيا مؤمنا
وانما دعى فرعون ليكون زكيا مؤمنا قال فلهذا اخترنا التخفيف وقال صخر بن جويرية لما بعث الله
موسى الى فرعون قال له اذهب الى فرعون الى قوله واهديك الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال يا رب
وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله اليه ان امض الى ما امرت به فان في السماء
اثني عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلن يبلغوه ولا يدركوه فاريه الآية الكبرى اي العلامة العظمى
وهي المعجزة قيل العصا وقيل اليد البيضاء تبرق كالشمس وروي الضحاك عن ابن عباس الآية الكبرى
قال العصا الحسن يده وعصاه وقيل فلق البحر وقيل الآية اشارة الى جميع آياته وهي معجزاته
فكذب اى كذب نبي الله موسى وعصى اى عصى ربه عز وجل ثم ادبر يسعى اى ولى مدبرا معرضا عن
الايمان يسعى اى يعمل بالفساد في الارض وقيل يعمل في نكاية موسى وقيل ادبر يسعى هاربا من الحية
فحشر اى جمع اصحابه ليمنعوه منها وقيل جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة للمعارضة وقيل حشر
الناس للحضور فنادى اى قال لهم بصوت عال انا ربكم الاعلى اى لا رب فوقي ويروى ان ابليس تصور
لفرعون في صورة الانسان بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك اما تعرفني قال لا قال
وكيف وانت خلقتني الست القائل انا ربكم الاعلى ذكره الثعلبي في كتاب العرايس وقال عطاء كان
صنع لهم اصناما صغارا وامرهم بعبادتها فقال انا رب اصنامكم وقيل اراد القادة والسادة هو

ربهم اولئك هم ارباب السفلة وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فنادي فحشر لان النداء يكون قبل الحشر فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اي نكال قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله بعد انا ربكم الاعلى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وكان بين الكلمتين اربعون سنة قاله ابن عباس والمعنى امهله في الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه بكلمتيه وقيل نكال الدنيا هو ان اغرقه ونكال الاخرة العذاب في الاخرة قاله قتادة وغيره وقال مجاهد عذاب اول عمره واخره وقيل الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عن قتادة ايضا ونكال منصوب على المصدر المؤكد في قول الزجاج لان معنى اخذه الله نكل الله به فاخرج مكان مصدر من معناه لا من لفظه وقيل نصب بنزع حرف الصفة اي فاخذه الله بنكال الاخرة فلما نزع الخافض نصب وقال الفراء اي اخذه الله اخذا نكالا اي للنكال والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اي عقوبة له حتى يعتبر به يقال نكل فلان بفلان اذا اثخنه عقوبة والكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد وقد مضى في المزمل ان في ذلك لعبرة اي اعتبارا وعظة لمن يخشى اي لمن يخاف الله عز وجل قوله تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بنيها رفع سمكها يريد اهل مكة اي خلقكم بعد الموت اشد في تقديركم ام السماء فمن قدر على السماء قدر على الاعادة وهذا كقوله لخلق السموات والارض وبقادر على ان يخلق مثلهم فمعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف السماء فقال بنيها اي رفعها فوقكم كالبناء رفع سمكها اي اعلى سقفها في الهواء يقال سمكت الشيء اي رفعته في الهواء وسمك الشيء سموكا ارتفع وقال الفراء كل شيء حمل شيئا من البناء وغيره فهو سمك وبناء مسموك وسنام سامك تامك اي عال والمسموكات السموات ويقال اسمك في الريم اي اصعد في الدرجة قوله تعالى فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم اي خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور واغطش ليلها اي جعله مظلما غطش الليل واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل بنفسه واغطشه الله كما يقال اظلم الليل واظلمه الله والغطش والغبش الظلمة ورجل اغطش اي اعمى او شبيه به وقد غطش والمراة غطشا ويقال ليلة غطشا وليل اغطش وفلاة غطشى لا يهتدى لها قال الاعشى

ويهماء بالليل غطشى الفلاة ° يؤنسني صوت فيادها °

وقال الاعشى ايضا

عقرت لهم ناقتي موهنا ° وغامرهم مدلهم غطش °

يعني يغامرهم ليلهم لانه غمرهم بسواده واضاف الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس مضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل واخرج ضحيها اي ابرز نهارها وضوءها وشمسها واضاف الضحى الى السماء كما اضاف الظلمة لان منها سبب الظلام والضياء بغروب الشمس وطلوعها والارض بعد ذلك دحيها اي بسطها وهذا يشير الى كون الارض بعد السماء وقد مضى القول فيه في اول البقرة عند قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء مستوفى والعرب تقول دحوت الشيء ادحوه دحوا اذا بسطته ويقال لعش النعامة ادحي لانه مبسوط على وجه الارض وقال امية بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحيها ° فهم قطانها حتى التنادي °

وانشد المبرد

دحيها فلما رآها استوت ° على الماء ارسى عليها الجبالا °

وقيل دحيها سويها ومنه قول زيد بن عمرو

واسلمت وجهي لمن اسلمت ° له الارض تحمل صخرا ثقالا °

دحيها فلما استوت شدها ° بايد وارسى عليها الجبالا °

وعن ابن عباس خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وذكر بعض اهل العلم ان بعد في موضع مع كانه قال والارض مع ذلك دحيها كما قال عتل بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق قال الشاعر

فقلت لها في اليك فانني ° حرام واني بعد ذاك لبيب

اي مع ذلك وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل الفرقان قال ابو كبير الهذلي

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا ° خراش وبعض الشر اهون من بعض

وزعموا ان خراشا نجى قبل عروة وقيل دحوها حرثها وشقها قاله ابن زيد وقيل دحاها مهدها للاقوات والمعنى متقارب وقراءة العامة والارض بالنصب اي دحى الارض وقرا الحسن وعمرو ابن ميمون والارض بالرفع على الابتداء لرجوع الهاء ويقال دحى يدحو دحوا ودحى يدحى دحيا كقولهم طغى يطغو وطغى يطغى ومحى يمحو ويمحي ولحا العود يلحي ويلحو فمن قال يدحو قال دحوته ومن قال يدحى قال دحيت اخرج منها اي من الارض ماءها اي العيون المتفجرة بالماء ومرعاها اي النبات الذي يرعى وقال القتبي دل بشيئين على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لان النار من العيدان والملح من الماء والجبال ارسيها قراءة العامة والجبال بالنصب اي وارسى الجبال ارسيها يعني اثبتها فيها اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو بن ميمون وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم والجبال بالرفع على الابتداء ويقال هلا دخل حرف العطف على اخرج فيقال انه حال باضمار قد كقوله او جاؤكم حصرت صدورهم متاعا لكم اي منفعة لكم ولانعامكم من الابل والبقر والغنم ومتاعا نصب على المصدر من غير اللفظ لان معنى اخرج منها ماءها ومرعيها امتع بذلك وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا قوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى الطامة الكبرى اي الداهية العظمى وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه وهو قول الحسن وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شيء فتعم ما سواها لعظم هولها اي تغلبه وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى المبرد الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وانما اخذت فيما احسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري وطم الماء اذا ملأ النهر كله غيره هي ماخوذة من طم السيل الركية اي دفنها والطم الدفن والعلو وقال القاسم بن الوليد الهمداني الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وهو معنى قول مجاهد وقال سفيان هي الساعة التي يسلم اهل النار الى الزبانية اي الداهية التي طمت وعظمت

قال انّ بعض الحب يعمي ويصم ○ وكذاك البغض اذهى واصم ○ يوم يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل من خير او شر وبرزت الجحيم اي اظهرت لمن يرى قال ابن عباس يكشف عنها تتلظى فيراها كل ذي بصر وقيل المراد الكافر لانه الذي يرى النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلى الكافر بالنار وجواب فاذا جاءت الطامة الكبرى محذوف اى اذا جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقرأ مالك ابن دينار وبرزت الجحيم عكرمة وغيره لمن ترى بالتاء اى لمن تراه الجحيم او لمن تراه انت يا محمد والخطاب له عليه السلام والمراد به الناس قوله تعالى فَاَمَّا مَنْ طَغٰى وَآثَرَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا فَاِنَّ الْجَحِيْمَ هِيَ الْمَاْوٰى وَاَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهٖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَاْوٰى ○ فاما من طغى اى تجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في النضر وابنه الحارث وهي عامة في كل كافر آثر الحيوة الدنيا على الاخرة وروى عن يحيى بن ابي كثير قال من اتخذ طعاما واحدا ثلثة الوان فقد طغى وروى جويبر عن الضحاك قال قال حذيفة اخوف ما اخاف على هذه الامة ان يؤثروا ما يرون على ما يعلمون ويروى انه وجد في الكتب ان الله جل ثناؤه قال لا يؤثر عبد لي دنياه الا بثثت عليه همومه وضيعته ثم لم ابال في ايها هلك فان الجحيم هي المأوى اى مأواه والالف واللام بدل من الهاء واما من خاف مقام ربه اى حذر مقامه بين يدي ربه وقال الربيع مقامه يوم الحساب وكان قتادة يقول ان لله عز وجل مقاما قد خافه المؤمنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي والمحارم وقال سهل ترك الهوى مفتاح الجنة لقول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وقال عبد الله بن مسعود انتم في زمان يقود الحق الهوى وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان فان الجنة هي المأوى اى المنزل والايتان نزلتا في مصعب ابن عمير واخيه عامر بن عمير فروى الضحاك عن ابن عباس قال اما من طغى فهو اخ لمصعب بن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير فلم يشدوه في وثاق واكرموه وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء حليا ومالا فاوثقوه حتى بعثت امه في فدائه واما من خاف مقام ربه فمصعب ابن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه وهي السهام فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال عند الله احتسبك وقال لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب وقيل ان مصعب بن عمير قتل اخاه عامرا يوم بدر وعن ابن عباس ايضا قال نزلت هذه الآية في رجلين ابو جهل ابن هشام المخزومي ومصعب بن عمير العبدري وقال السدي نزلت هذه الآية واما من خاف مقام ربه في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان ابا بكر كان له غلام ياتيه بطعام وكان يسأله من اين اتيت بهذا فاتاه يوما بطعام فلم يسأله واكله فقال له غلامه لم لا تسألني اليوم فقال نسيت فمن اين لك هذا الطعام قال تكهنت لقوم في الجاهلية فاعطونيه فتقيأه من ساعته وقال يا رب ما بقي في العروق

فانت حبسته فنزلت واما من خاف مقام ربه وقال الكلبي نزلت فيمن هم بمعصية وقدر عليها في خلوة ثم تركها من خوف الله ونحوه عن ابن عباس يعني من خاف عند المعصية مقامه بين يدي الله فانتهى عنها والله اعلم قوله تعالى يَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرْسٰىهَا فِيْمَ اَنْتَ مِنْ ذِكْرٰىهَا اِلٰى رَبِّكَ مُنْتَهٰىهَا اِنَّمَا اَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَّخْشٰىهَا كَاَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوْا اِلَّا عَشِيَّةً اَوْ ضُحٰىهَا قال ابن عباس سأل مشركوا مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون الساعة استهزاء فانزل الله عز وجل الآية وقال عروة بن الزبير في قوله فيم انت من ذكراها لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت هذه الآية الى ربك منتهاها ومعنى مرساها اى قيامها قال الفراء رسوها قيامها كرسو السفينة وقال ابو عبيدة اى منتهاها ومرسى السفينة حيث تنتهي وهو قول ابن عباس الربيع بن انس متى زمانها والمعنى متقارب وقد مضى في آخر الاعراف بيان ذلك وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة الا بغضبة يغضبها ربك فيم انت اى في اي شيء انت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها وليس لك السؤال عنها وهذا معنى ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها اى منتهى علمها فكانه عليه السلام لما اكثروا عليه سأل الله ان يعرفه ذلك فقيل له لا تسأل فلست في شيء من ذلك ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسألتهم له اى فيم انت من ذلك حتى يسألونك بيانه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس والذكرى بمعنى الذكر الى ربك منتهاها اى منتهى علمها فلا يوجد عند غيره وهو كقوله قل انما علمها عند ربي وقوله وان الله عنده علم الساعة انما انت منذر اى مخوف وخص الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا لكل مكلف وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقراءة العامة منذر بالاضافة غير منون طلب التخفيف والا فاصله التنوين لانه للمستقبل وانما لا ينون في الماضي قال الفراء يجوز التنوين وتركه كقوله بالغ امره وبالغ امره وموهن كيد الكافرين وموهن كيد الكافرين والتنوين الاصل وبه قرأ ابو جعفر وشيبة والاعرج وابن محيصن وحميد وعباس عن ابي عمرو منذر منونا ويكون من في موضع نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك من يخشى الساعة وقال ابو علي يجوز ان يكون الاضافة للماضي نحو ضارب زيد امس لانه قد فعل الانذار والآية رد على من قال احوال الآخرة غير محسوسة وانما هي راحة الروح او تألمها من غير حس كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم الا عشية اى قدر عشية او ضحاها اي او قدر الضحى الذي يلي تلك العشية والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار وروى الضحاك عن ابن عباس كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا يوما واحدا وقيل لم يلبثوا في قبورهم الا عشية او ضحاها وذلك انهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول وقال الفراء يقول القائل وهل للعشية ضحى انما الضحى لصدر النهار ولكن اضيفت الضحى الى العشية وهي اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب يقولون آتيك الغداة او عشيتها وآتيك العشية او غداتها فتكون العشية في معنى آخر النهار والغداة في معنى اول النهار قال وانشدني بعض بني عقيل

فانت

نحن صبحنا عامرًا في دارها ۝ جردًا تعادي طرفي نهارها ۝ وعشيها
عشية الهلال او سرارها ۝ اراد عشية الهلال او عشية سرار العشية فهذا اشد من اتيك لغداة

تفسير سورة عبس

مكية في قول الجميع وهي احدى واربعون آية ۝ بسم الله الرحمن الرحيم عبس
وتولى فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى عبس اي كلح بوجهه يقال عبس وبسر وقد تقدم
وتولى اي اعرض بوجهه ان جاءه ان في موضع نصب لانه مفعول له المعنى لان جاءه الاعمى اي الذي
لا يبصر بعينيه فروي اهل التفسير اجمع ان قوما من اشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم
وقد طمع في اسلامهم فاقبل عبد الله ابن ام مكتوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع عبد الله
عليه كلامه فاعرض عنه ففيه نزلت هذه الآية قال مالك ان هشام ابن عروة انه قال نزلت عبس
وتولى في ابن ام مكتوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا محمد استدنني وعند النبي
صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر
ويقول يا فلان هل ترى بما اقول بأسًا فيقول لا والدمى لا ارى بما تقول بأسًا فانزل الله عبس وتولى
وفي الترمذي مسندًا قال حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي حدثني ابي قال هذا ما عرضنا
على هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول اترى
بما اقول بأسًا فيقول لا ففي هذا انزل قال حديث غريب الثانية الآية عتاب من الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم في اعراضه وتوليه عن عبد الله بن ام مكتوم ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت
عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو ابن قيس بن زائدة ابن الاصم وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها
وكان قد تشاغل عنه برجل من عظماء المشركين يقال كان الوليد بن المغيرة ابن العربي قال المالكية
من علمائنا وهو يكنى ابا عبد شمس وقال قتادة هو امية بن خلف وعنه ابي ابن خلف وقال مجاهد
كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وقال عطاء عتبة بن ربيعة سفيان الثوري كان
النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس الزمخشري كان عنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل ابن هشام والعباس ابن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم قال ابن العربي اما قول علمائنا انه الوليد بن المغيرة فقد قال
الآخرون انه امية بن خلف والعباس وهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يحققوا الدين وذلك
ان امية والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وكان موتهما كافرين
احدهما قبل الهجرة والآخر في بدر ولم يقصد قط امية المدينة ولا حضر معه مفردًا ولا مع احد
الثالثة اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم الى
الله تعالى وقد قوي طمعه في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن ام مكتوم

وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل
بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه
يقول هؤلاء انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس واعرض عنه فنزلت الآية قال
الثوري فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا رأى ابن ام مكتوم يبسط له رداءه ويقول مرحبا
بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال
انس فرأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء الرابعة قال علماؤنا ما فعله
ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجو
اسلامهم ولكن الله تعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب اهل الصفة او ليعلم ان المؤمن الفقير خير من الغني
وكان النظر الى المؤمن اولى وان كان فقيرا اصلح واولى من الامر الآخر وهو الاقبال على الاغنياء طمعا
في ايمانهم وان كان ذلك ايضا نوعا من المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى
الآية على ما تقدم وقيل انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن ام مكتوم
من الايمان كما قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار على وجهه
الخامسة قال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي
كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن ام مكتوم وابى الا ان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه فكان
في هذا انواع جفاء منه ومع هذا انزل الله في حقه على نبيه عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغائب تعظيما
له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له فقال وما يدريك اي يعلمك لعله يعني
ابن ام مكتوم يزكى بما استدعى منك تعليمه اياه من القرآن والدين بان يزداد طهارة في دينه وزوال
ظلمة الجهل عنه وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه
الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ الحسن آن جاءه الاعمى بالمد على الاستفهام
فان متعلقة بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى التقدير آن جاءه اعرض عنه وتولى فيوقف على هذه
القراءة على تولى ولا يوقف عليه على قراءة الخبر وهي قراءة العامة السادسة نظير هذه الآية في
العتاب قوله تعالى في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك قوله في
سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا وما كان مثله والله اعلم قوله تعالى او
يذكر فتنفعه الذكرى ۝ او يذكر اي يتعظ بما تقوله فتنفعه الذكرى اي العظة وقراءة العامة
فتنفعه بضم العين عطفا على يزكى وقرأ عاصم وابن ابي اسحاق وعيسى فتنفعه نصبا وهي قراءة السلمي
وزر بن حبيش على جواب لعل لانه غير موجب كقوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب ثم قال فاطلع قوله تعالى
اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى اي كان ذا ثروة وغنى فانت له تصدى
اي تعرض له وتصغي لكلامه والتصدي الاصغاء قال الراعي

تصدى لوضاح كان جبينه ۝ سراج الدجى تجني اليه الاساور ۝

واصله تتصدى من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد داره اي قبالتها
نصب على الظرف وقيل هو من الصدى وهو العطش اي تتعرض له كما يتعرض العطشان للماء والمصاداة

المعارضة وقرآءة العامة تصدّى بالتخفيف على طرح التاء الثانية تخفيفا وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد
على الادغام وما عليك الا يزكى اى لا يهتدى هذا الكافر ولا يؤمن انما انت رسول ما عليك الا البلاغ
قوله تعالى وَاَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى يسعى يطلب العلم لله وهو يخشى
اى يخاف الله فانت عنه تلهى اى تعرض بوجهك عنه وتشتغل بغيره واصله تتلهى يقال لهيت عن الشئ
الهى اي تشاغلت عنه والتلهى التغافل ولهيته عنه وتلهيت بمعنى قوله تعالى كَلَّا اِنَّهَا تَذْكِرَةٌ
فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِاَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ٥
كلا كلمة ردع وزجر اي ما الامر كما تفعل مع الفريقين اي لا تفعل بعدها مثلها من اقبالك على الغنى
واعراضك عن المؤمن الفقير والذى جرى من النبى صلى الله عليه وسلم كان ترك الاولى كما تقدم ولو حمل
على صغيرة لم يبعد قال القشيرى والوقف على كلا على هذا الوجه جائز ويجوز ان تقف على تلهى ثم تبتدئ
كلا على معنى حقا انها اى السورة او ايات القرآن تذكرة اى موعظة وتبصرة للخلق فمن شاء
ذكره اى اتعظ بالقرآن قال الجرجانى انها اي القرآن والقرآن مذكر الا انه لما جعل القرآن
تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز كما قال تعالى في موضع آخر كلا انه تذكرة ويدل على
انه القرآن قوله فمن شاء ذكره اى كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر ارادم
والوعظ وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى فمن شاء ذكره قال من شاء الله تبارك وتعالى
الهمه ثم اخبر عن جلالته فقال في صحف جمع صحيفة مكرمة اي عند الله قاله السدى الطبري مكرمة
في الدين لما فيها من العلم والحكم وقيل مكرمة لانها نزلت من كريم لان كرامة الكتاب من كرامة صاحبه
وقيل المراد كتب الانبياء دليله ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى مرفوعة رفيعة القدر
عند الله وقيل مرفوعة عنده تبارك وتعالى وقيل مرفوعة في السماء السابعة قال يحيى بن سلام الطبرى
مرفوعة الذكر والقدر وقيل مرفوعة عن الشبه والتناقض مطهرة قال الحسن من كل دنس وقيل
مصانة عن ان ينالها الكفار وهو معنى قول السدي وعن الحسن ايضا مطهرة من ان تنزل على المشركين
وقيل اى القرآن اثبت للملائكة في صحف يقرؤنها فهى مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة اى
الملائكة الذين جعلهم سفراء بينهم وبين رسله فهم بررة لم يتدنسوا بمعصية وروى ابو صالح عن ابن
عباس قال هى مطهرة تجعل التطهير لمن حملها بايدى سفرة قال كتبة وقاله مجاهد ايضا وهم الملائكة
الكرام الكاتبون لاعمال العباد في الاسفار التى هى الكتب واحدهم سافر كقولك كاتب وكتبة ويقال
سفرت اى كتبت والكتاب هو السفر وجمعه اسفار قال الزجاج وانما قيل للكتاب سفر
بكسر السين وللكاتب سافر لان معناه انه بين الشئ ويوضحه يقال اسفر الصبح اذا اضاء وسفرت
المرأة اذا كشفت النقاب عن وجهها قال ومنه سفرت بين القوم اسفر سفارة اصلحت بينهم
وقاله الفراء وانشد ٥ فما ادع السفارة بين قومى ٥ ولا امشى بغش ان مشيت ٥
والسفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء ويقال للوراقين سفراء
بلغة العبرانية وقال قتادة السفرة هنا هم القراء لانهم يقرؤن الاسفار وعنه ايضا كقول ابن عباس
وقال وهب ابن منبه بايدى سفرة هم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن العربى لقد كان اصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم سفرة كراما بررة ولكن ليسوا بمرادين بهذه الاية ولا قاربوا المراد بها بل هى لفظة
مخصوصة بالملائكة عند الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم ولا يدخل معهم فى متناولها غيرهم وروى
في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذى يقرأ القرآن وهو حافظ
له مع السفرة الكرام البررة ومثل الذى يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله اجران متفق
عليه واللفظ للبخاري كرام اي كرام على ربهم قاله الكلبى الحسن كرام عن المعاصى فهم يرفعون انفسهم
عنها وروى الضحاك عن ابن عباس في كرام قال يتكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذا خلا بزوجته او
تبرز لغايط وقيل اى يؤثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم بررة جمع بار مثل كافر وكفرة وساحر
وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر وبار اذا كان اهلا للصدق ومنه بر فلان فى يمينه اى صدق وفلان
بر خالقه ويتبرره اى يطيعه فمعنى بررة مطيعين لله صادقين الله في اعمالهم وقد مضى فى سورة
الواقعة قوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون انهم الكرام البررة في هذه السورة
قوله تعالى قُتِلَ الْاِنْسَانُ مَا اَكْفَرَهُ ٥ مِنْ اَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ٥ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ
يَسَّرَهُ ثُمَّ اَمَاتَهُ فَاَقْبَرَهُ ثُمَّ اِذَا شَاءَ اَنْشَرَهُ ٥ قتل اى لعن وقيل عذب والانسان الكافر
روى الاعمش عن مجاهد قال ما كان في القرآن قتل الانسان فانما عنى به الكافر وروى الضحاك
عن ابن عباس قال نزلت في عتبة بن ابي لهب وكان قد آمن فلما نزلت والنجم ارتد وقال آمنت
بالقرآن كله الا النجم فانزل الله جل ثناؤه فيه قتل الانسان اى لعن عتبة حيث كفر بالقرآن ودعى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبك اسد الغاضرة فخرج من فوره ذلك بتجارة
الى الشام فلما انتهى الى الغاضرة تذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل لمن معه الف دينار ان
هو اصبح حيا فجعلوه في وسط الرفقة وجعلوا المتاع حوله فبيناهم على ذلك اقبل الاسد فلما دنا
من الرحال وثب فاذا هو فوقه فمزقه وقد كان ابوه ندبه وبكى وقال ما قال محمد شيا قط الا كان
وروى ابو صالح عن ابن عباس ما اكفره اى شئ اكفره وقيل ما تعجب وعادة العرب اذا تعجبوا من
شئ قالوا قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان لجميع ما ذكرنا بعد
هذا وقيل ما اكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه على التعجب ايضا قال ابن جريج اى ما اشد
كفره وقيل ما استفهام اى اي شئ دعاه الى الكفر فهو استفهام توبيخ وما يحتمل التعجب ويحتمل معنى اي
فيكون الاستفهام من اي شئ خلقه اى من شئ خلق الله هذا الكافر فيتكبر اى اعجبوا لخلقه من نطفة
اى من ماء يسير مهين جماد خلقه فلم يغلط في نفسه قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل
البول مرتين فقدره في بطن امه كذا روى الضحاك عن ابن عباس اى قدر يديه ورجليه وعينيه
وساير ارابه وحسنا وذميما وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا وقيل قدره اى فسواه كما قال اكفرت
بالذى خلقك فسويك وقيل فقدره اطوارا اي من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه ثم السبيل
يسره قال ابن عباس في رواية عطاء وقتادة والسدى ومقاتل يسره للخروج من بطن امه
مجاهد يسره لطريق الخير والشر اى بين له ذلك دليله انا هديناه السبيل وهديناه النجدين
وقاله الحسن وعطاء وابن عباس ايضا في رواية ابي صالح عنه وعن مجاهد ايضا قال سبيل

الشفاء والسعادة ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابوبكر بن طاهر يسّر على كل احد ما خلقه له وقدّره عليه دليله قوله عليه السلام اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له ثم اماته فاقبره اى جعل له قبرًا يوارى فيه اكرامًا ولم يجعله مما يلقى على وجه الارض تأكله الطير والعوافي قاله الفراء وقال ابو عبيدة اقبره جعل له قبرا وامر ان يقبر قال ابو عبيد ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه اقبرنا صالحا فقال دونكموه وقال اقبره ولم يقل قبره لان القابر هو الدافن بيده قال الاعشى

لو اسندت ميتًا الى نحرها ۝ عاش ولم ينقل الى قابر ۝

يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اى صيّره بحيث يقبر وجعل له قبرًا تقول العرب بترت ذنب البعير وابتره الله وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اى صيّره طريدًا ثم اذا شاء انشره اى احياه بعد موته وقراءة العامة انشره بالالف وروى ابو حيوة عن نافع وشعيب بن ابى حمزة شاء نشره بغير الف لغتان فصيحتان بمعنى يقال انشر الله الميت ونشره قال الاعشى

حتى يقول الناس مما راوا ۝ يا عجبًا للميت الناشر ۝

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ قال مجاهد وقتادة لما يقض لا يقضي احد ما امر به وكان ابن عباس يقول لما يقض ما امره لم يف بالميثاق الذى اخذ عليه فى صلب آدم ثم قيل كلا ردع وزجر اى ليس الامر كما يقول الكافر فان الكافر اذا اخبر بالنشور قال لئن رددت الى ربى ان لى عنده للحسنى ربما يقول قد قضيت ما امرت به فقال كلا لم يقض شيئا بل هو كافر بى وبرسولى وقال الحسن اى حقا لم يقض اى لم يعمل ما امر به وما فى قوله لما عماد للكلام كقوله فبما رحمة من الله وقوله عما قليل ليصبحن نادمين وقال الامام ابن فورك اى كلا لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره بما لم يقض له ابن الانبارى الوقف على كلا قبيح والوقف امره وانشره جيد فكلا على هذا بمعنى حقا

قوله تعالى فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝ لما ذكر جل ثناؤه ابتداء خلق الانسان ذكر ما يسّر من رزقه اى فلينظر كيف خلق الله طعامه وهذا النظر نظر القلب بالفكر اى ليتدبّر كيف خلق الله طعامه الذى هو قوام حياته وكيف هيأ له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وروى عن الحسن ومجاهد قال فلينظر الانسان الى طعامه اى الى مدخله ومخرجه وروى ابن ابى خيثمة عن الضحاك ابن سفيان الكلابى قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال فان الله قد ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وقال ابى ابن كعب قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله جعل مطعم ابن آدم مثلا للدنيا وان قزّحه واصلحه فلينظر الى ما ذا يصير وقال ابو الوليد سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه قال يأتيه الملك فيقول انظر ما بخلت به الى ما صار قوله تعالى أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝ قراءة العامة انا بالكسر على الاستئناف وقرأ الكوفيون ورويس عن يعقوب أنّا بفتح الهمزة فان فى موضع خفض على الترجمة عن الطعام فهو بدل منه كانه قال فلينظر الانسان الى طعامه الى انا صببنا فلا يحسن الوقف على طعامه من هذه القراءة وكذلك ان رفعت ان باضمار هو انا صببنا لانها فى حال رفعها مترجمة عن الطعام وقيل المعنى لانا

لانا صببنا الماء فاخرجنا به الطعام اى كذلك كان وقرأ الحسن بن على أنّى ممال بمعنى كيف فمن اخذ بهذه القراءة قال الوقف على طعامه تام ويقال معنى انّى اين الا ان فيها كناية عن الوجوه وتأويلها من اى وجه صببنا الماء قال الكميت

انّى ومن اين آبك الطرب ۝ من حيث لا صبوة ولا ريب

صببنا الماء صبا يعنى الغيث والامطار ثم شققنا الارض شقا اى بالنبات فانبتنا فيها حبا اى قمحا وشعيرا وسلتا وسائر ما يحصد ويدخر وعنبا وقضبا وهو القت والعلف عن الحسن سمى بذلك لانه يقضب اى يقطع بعد ظهوره مرة بعد مرة قاله القتبى وثعلب واهل مكة يسمون القت القضب وقال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من النخل ولانه ذكر العنب قبله وعنه ايضا انه الفصفصة وهو القت الرطب قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة وقيل بالسين فاذا يبست فهو قت قال والقضب اسم يقع على ما يقضب من اغصان الشجر ليتخذ منها سهام او قسى ويقال قضبا يعنى جميع ما يقضب مثل القت والكراث وسائر البقول التى تقطع فينبت وفى الصحاح والقضبة والقضب الرطبة وهى الاسفست بالفارسية والموضع الذى ينبت فيه مقضبة وزيتونا وهى شجرة الزيتون ونخلا يعنى النخل وحدائق اى بساتين واحدها حديقة قال الكلبى كل شئ احيط عليه من نخل او شجر فهو حديقة وما لم يحط به فليس بحديقة غلبا غلاظا شجرها يقال شجرة غلباء ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا قال العجاج

ما زلت يوم البين الوى صلبى ۝ والرأس حتى صرت مثل الاغلب ۝

ورجل اغلب بين الغلب اذا كان غليظ الرقبة والاصل فى الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدى كرب

يمشى بها غلب الرقاب كانهم ۝ بزل كسين من الكحيل جلالا

وحديقة غلباء ملتفة وحدائق غلب واغلولب العشب بلغ والتف البعض بالبعض قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلباء وهى الغلاظ وعنه ايضا وعكرمة عظام الاوساط والجذوع مجاهد ملتفة وفاكهة اى ما يأكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما وأبا هو ما يأكله البهائم من العشب قال ابن عباس والحسن الاب كل ما انبتت الارض مما لا يأكله الناس وما يأكله الآدميون هو الحصيد ومنه قول الشاعر فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

له دعوة ميمونة ريحها الصبا ۝ بها ينبت الله الحصيدة والابا

وقيل انما سمى ابا لانه يؤب اى يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا ۝ ولنا الاب به والمكرع

وقال الضحاك الاب كل شئ ينبت على وجه الارض وكذا قال ابو رزين هو النبات يدل عليه قول ابن عباس قال الاب ما تنبت الارض مما يأكل الناس والانعام وعن ابن عباس ايضا وابن ابى طلحة الاب الثمار الرطبة وقال الضحاك هو التين خاصة وهو محكى عن ابن عباس ايضا قال الشاعر

فما لهم مرتع للسوام ۝ والاب عندهم يقدر

الكلبى هو كل نبات سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطب الثمار والاب يابسها وقال ابراهيم التيمى سئل ابو بكر الصديق رضى الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى

[illegible]

اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال انس سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الاية ثم قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن عمر الا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع وانما اراد بقوله خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقة الاية والرزق من سبع وهو قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله وفاكهة ثم قال وابا وهو يدل على انه ليس برزق لابن ادم وانه مما تختص به البهائم والله اعلم متاعا لكم نصب على المصدر المؤكد لان انبات هذه الاشياء امتاع لجميع الحيوانات وهذا ضرب مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم كنبات الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه في غير موضع وتتضمن امتنانا عليهم بما انعم به وقد مضى في غير موضع ايضا قوله تعالى فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد ليتزودوا له بالاعمال الصالحة وبالانفاق مما امتن به عليهم والصاخة الصيحة التي تكون عنها القيامة وهي النفخة الثانية تصخ الاسماع اي تصمها فلا تسمع الا ما يدعى به للاحياء وذكر ناس من المفسرين قال تصيخ لها الاسماع من قولك اصاخ الى كذا اي استمع اليه ومنه الحديث ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس وقال الشاعر

يصيخ للنبأة اسماعه ❁ اصاخة الناشد للمنشد

قال بعض العلماء وهذا يؤخذ على جهة التسليم للقدماء فاما اللغة فمقتضاها القول الاول قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الاذان صخا اي تصمها بشدة وقعتها واصل الكلمة في اللغة الصك الشديد وقيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اذا صكه قال الراجز يا جارتي هل لك ان تجالدي ❁ جلادة كالصك بالجلامد

ومن هذا الباب قول العرب صختهم الصاخة وباقتهم البائقة وهي الداهية الطبري احسبه من صخ فلان فلانا اذا اصمه ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال بعض حديثي الاسنان حديثي الازمان ❁ اصم بك الناعي وان كنت اسمعا ❁ وقال آخر

اصمني سرهم ايام فرقتهم ❁ فهل سمعتم بسر يورث الصمما

ولعمر الله ان صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع امور الاخرة قوله تعالى يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ يوم يفر المرء اي يهرب اي تجيء الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه من اخيه اي من موالاة اخيه ومكالمته لانه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه كما قال بعده لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله عن غيره وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه بما بينهم من التبعات وقيل لئلا يروا ما هو فيه من الشدة وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا كما قال يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا وقال عبد الله بن طاهر الابهري يفر منهم لما تبين لهم من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى وصاحبته اي زوجته وبنيه اي اولاده وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط من امراته وادم من سوأة بنيه وقال الحسن

اول من يفر يوم القيامة من ابيه ابراهيم واول من يفر من ابنه نوح واول من يفر من امراته لوط قال فيرون ان هذه الاية نزلت فيهم وهذا فرار التبري لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال يا عائشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض خرجه الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة اينظر بعضنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة ولكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال حديث حسن صحيح وقراءة العامة يغنيه بالغين المعجمة اي حال يشغله عن الاقرباء وقرا ابن محيصن وحميد يعنيه بفتح الياء وعين غير معجمة اي يعنيه امره وقال القتبي يغنيه يصرفه ويصده عن قرابته ومنه يقال اغن عني وجهك اي اصرفه واغن عني السفيه قال خفاف

سيغنيك حرب بني مالك ❁ عن الفحش والجهل في المحفل

قوله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم وهي وجوه المؤمنين ضاحكة مستبشرة مسرورة فرحة مستبشرة بما اتاها الله من الكرامة وقال عطاء الخراساني مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله جل ثناؤه ذكره ابو نعيم الضحاك من اثار الوضوء ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل اسفر الصبح اذا اضاء ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار ودخان ترهقها اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد كذا قال ابن عباس وعنه ايضا ذلة وشدة والقترة في كلام العرب الغبار جمع القترة عن ابي عبيدة وانشد الفرزدق

متوج برداء الملك يتبعه ❁ موج ترى فوقه الرايات والقترا

وفي الخبر ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار وقال زيد بن اسلم القترة ما ارتفعت الى السماء والغبرة ما انحطت الى الارض والغبار والغبرة واحد اولئك هم الكفرة الفجرة جمع كافر والفجرة جمع فاجر وهو الكاذب المفتري على الله وقيل الفاسق يقال فجر فجورا اي فسق وفجر اي كذب واصله الميل والفاجر المائل وقد مضى بيانه والكلام فيه والحمد لله

تفسير سورة كورت

مكية في قول الجميع وهي تسع وعشرون اية وفي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قال هذا حديث حسن ❁ بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ❁ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ❁ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ❁ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ❁ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ❁ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ❁ قال ابن عباس تكويرها ادخالها في العرش

الحسن ذهاب ضوءها وقال قتادة ومجاهد وروي عن ابن عباس ايضا سعيد بن جبير غورت ابو
عبيدة كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى وقال الربيع بن خثيم كورت رمي بها ومنه كورته فتكور سقط
قال الشيخ رحمه الله واصل التكوير الجمع ماخوذ من كار العمامة على الراس يكورها اي لاثها وجمعها
فهي تكور ثم يمحى ضوءها ثم يرمى بها والله اعلم وعن ابي صالح كورت نكست واذا النجوم انكدرت
اي تهافتت وتناثرت قال ابو عبيدة انصبت كما تنصب العقاب اذا كسرت قال العجاج يصف
صقرا ◦ ابصر خربان فضاء فانكدر ◦ تقضي البازي اذا البازي كسر ◦
وروى ابو صالح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى في السماء يومئذ نجم الا
سقط في الارض حتى تفزع اهل الارض السبع مما لقيت او اصاب العليا يعني الارض وروى الضحاك
عن ابن عباس قال تساقطت وذلك انها قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك
السلاسل بايدي ملائكة من نور فاذا جاءت النفخة الاولى مات من في السموات ومن في الارض فتناثرت
تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من ايدي الملائكة لانها مات من كان يمسكها ويحتمل ان تكون
انكدارها طمس اثارها وسميت النجوم نجوما لظهورها في السماء بضوءها وعن ابن عباس ايضا انكدرت
تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها والمعنى متقارب واذا الجبال سيرت يعني قلعت عن الارض
وسيرت في الهوا وهو مثل قوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقيل تسييرها ان تحول عن
عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اي رملا سايلا وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون سرابا
مثل السراب الذي ليس بشيء وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقد تقدم في غير
موضع واذا العشار عطلت اي النوق الحوامل التي في بطونها اولادها الواحدة عشراء وهي التي اتى
عليها في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ايضا ومن عادة العرب ان يسمي الشيء
باسم المتقدم وان كان قد جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد قرح ما توا مهري وقربوا مهري يسميه
بتقدم اسمه قال عنترة ◦ لا تذكري مهري وما اطعمته ◦ فيكون جلدك مثل جلد الاجرب ◦
وقال ايضا وحملت مهري وسطها فمضاها ◦ وانما خص العشار بالذكر لانها اعز ما يكون على العرب
وليس يعطلها اهلها الا حال القيامة وهذا على وجه المثل لان في القيامة لا يكون ناقة عشراء ولكن اراد
به المثل ان هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه وقيل انهم اذا قاموا
من قبورهم وشاهد بعضهم بعضا ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التي كانت عليهم
انفس اموالهم لم يعبأوا بها ولم يهمهم امرها وخوطبت العرب بامر العشار لان مالها وعيشها اكثر من الابل
وروى الضحاك عن ابن عباس عطلت عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وقال الاعشى ◦
◦ هو الواهب المائة المصطفاة ◦ اما مخاضا واما عشارا ◦
وقال آخر ◦ ترى المرء مهجورا اذا قل ماله ◦ وبيت الغني يهدى له ويزار ◦
◦ وما ينفع الزوار مال مزورهم ◦ اذا سرحت شول له وعشار ◦
يقال ناقة عشراء وناقتان عشراوان ونوق عشار وعشراوات يبدلون من همزة التانيث واوا وقد عشرت
الناقة تعشيرا اي صارت عشراء وقيل العشار السحاب تعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر العرب

نشبه السحاب بالحامل وقيل الديار تعطل فلا تسكن وقيل الارض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع
والاول اشهر وعليه من الناس الاكثر واذا الوحوش حشرت اي جمعت والحشر الجمع عن الحسن و
قتادة وغيرهما وقال ابن عباس حشرها موتها رواه عنه عكرمة ويحشر كل شيء الموت غير الجن
والانس فانهما يوافيان يوم القيمة وعن ابن عباس ايضا قال يحشر كل شيء حتى الذباب قال
ابن عباس تحشر الوحوش غدا اي تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ثم
قال لها موتي فتموت وهذا اصح مما رواه عنه عكرمة وقد بيناه في كتاب التذكرة مستوفى وهي
في سورة الانعام بعضه اي ان الوحوش اذا كانت هذه حالها فكيف بني آدم وقيل عني بهذا اي انها
مع نفرتها اليوم من الناس وتبددها في الصحاري تنضم غدا الى الناس من اهوال ذلك اليوم
قال معناه ابي ابن كعب واذا البحار سجرت اي ملئت من الماء والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرا اذا ملاته وهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة الملآن وروى الربيع ابن خثيم
سجرت فاضت وملئت وقاله الكلبي ومقاتل والحسن والضحاك قال ابن ابي زمنين سجرت
حقيقته ملئت فيفضي بعضها الى بعض فتصير شيئا واحدا وهو معنى قول الحسن وقيل ارسل
عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت عن الضحاك ومجاهد اي فجرت فصارت بحرا واحدا
القشيري وذلك بان يرفع الله الحاجز الذي ذكر في قوله بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ
تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت البحار بحرا واحدا وقيل صارت بحرا واحدا من
الحميم لاهل النار وعن الحسن ايضا وقتادة وابن حيان تيبس فلا يبقى من مائها قطرة القشيري
وهو من سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وما سلط عليه الايقاد نشف ما فيه من الرطوبة
وتسير الجبال حينئذ وتصير البحار والارض كلها بساطا واحدا بان يملا مكان البحار بتراب الجبال
وقال النحاس وقد يكون الاقوال متفقة تكون تيبس من الماء بعد ان تفيض بعضها الى بعض فتقلب
نارا قال الشيخ رحمه الله ثم تسير الجبال حينئذ كما ذكر القشيري والله اعلم وقال ابن زيد وشمر وعطية و
سفيان ووهب وابي وعلي ابن ابي طالب وابن عباس في رواية الضحاك عنه اوقدت فصارت نارا قال
ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فينفخه حتى يصير نارا
وكذا في بعض الحديث يامر الله جل ثناؤه الشمس والقمر والنجوم فينتثرون في البحر ثم يبعث الله جل
ثناؤه الدبور فيسجرها نارا فتلك نار الله الكبرى التي يعذب بها الكفار قال القشيري قيل في تفسير
قول ابن عباس سجرت اوقدت يحتمل ان يكون جهنم في قعور من البحار فهي الآن غير مسجورة لقوام
الدنيا فاذا انقضت الدنيا سجرت فصارت كلها نارا يدخلها الله اهلها ويحتمل ان يكون تحت البحر
نار ثم توقد الله البحر كله فتصير نارا في الخبر البحر نار في نار وقال معاوية بن سعيد بحر الروم وسط الارض
اسفله آبار مطبقة بنحاس يسجر يوم القيامة وقيل تكون الشمس في البحر فتصير البحر نارا بحر الشمس ثم جميع
ما في هذه الآيات يجوز ان يكون في الدنيا قبل القيامة او يكون من اشراطها ويجوز ان يكون يوم القيامة
وما بعد هذه الآيات فيكون في يوم القيامة قال الشيخ رحمه الله روي عن عبد الله بن عمرو لا يتوضا
بماء البحر لانه طبق جهنم وقال ابي ابن كعب ست آيات من قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم ذهب

ضوء الشمس وبدت النجوم فتحيروا ودهشوا فبينما هم كذلك ينظرون اذ تناثرت النجوم فتساقطت
فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منبثا
ففزعت الانس الى الجن والجن الى الانس واختلطت الدواب والوحش والهوام والطير وماج
بعضها في بعض فذلك قوله واذا الوحوش حشرت ثم قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا
الى البحار فاذا هي نار تأجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة
السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وقيل معنى سجرت موجهم
مائها حتى تصير كالدم مأخوذ من قولهم عين سجراء اي حمراء وقرأ ابن كثير سجرت وابو عمرو ايضا
اخبارا عن حالها مرة واحدة وقرأ الباقون بالتشديد اخبارا عن حالها في تكوين ذلك منها مرة بعد
اخرى قوله تعالى **وَاِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ** قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم
واذا النفوس زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله وقال عمر بن الخطاب
يقرن الفاجر مع الفاجر ويقرن الصالح مع الصالح وقال ابن عباس ذلك حين يكون الناس
ازواجا ثلثة السابقون زوج يعني صنفا واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج وعنه ايضا
قال زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرن الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون وعنه
ايضا قرن كل شكل بشكله من اهل الجنة واهل النار فيضم المبرز في الطاعة الى مثله والمتوسط
الى مثله واهل المعصية الى مثله فالتزويج ان يقرن الشيء بمثله والمعنى واذا النفوس قرنت الى
اشكالها في الجنة والنار وقيل يضم كل رجل الى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال احشروا
الذين ظلموا وازواجهم قال عبد الرحمن بن زيد جعلوا ازواجا على اشباه اعمالهم ليس بتزويج اصحاب
اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والسابقون زوج وقد قال جل ثناؤه احشروا الذين ظلموا
وازواجهم اي اشكالهم وقال عكرمة واذا النفوس زوجت قرنت الارواح بالاجساد اي ردت
اليها وقال الحسن الحق كل امرء بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل
من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم ببعض المنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين
وقيل يقرن الغاوي بمن اغواه من شيطان او انسان على جهة البغض والعداوة ويقرن المطيع
بمن دعاه الى الطاعة من الانبياء والمؤمنين وقيل قرنت النفوس باعمالها فصارت لاختصاصها
به كالتزويج قوله تعالى **وَاِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِاَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** الموءودة المقتولة وهي
الجارية تدفن وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها اي يثقلها حتى تموت
ومنه قوله تعالى ولا يؤده حفظهما اي لا يثقله وقال متمم بن نويرة

وموءودة مقبورة في مغارة ۝ بآمتها موسومة لم تمهد

وكانوا يدفنونهن احياء لخصلتين احديهما كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات
به اما مخافة الحاجة والاملاق واما خوفا من السبي والاسترقاق وقد مضى في سورة النحل
هذا المعنى عند قوله ام يدسه في التراب مستوفى وقد كان ذو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون
منه حتى افتخر به الفرزدق فقال ۝ ومنا الذي منع الوائدات ۝ واحيا الوئيد فلم يوءد

يعني

يعني جده صعصعة كان يشتريهن من آبائهن فجاء الاسلام وقد احيا سبعين موءودة وقال ابن
عباس كانت المرأة في الجاهلية اذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها فان ولدت جارية
رمتها في الحفرة وردمت التراب عليها وان ولدت غلاما حبسته ومنه قول الراجز

سميتها اذ ولدت تموت ۝ والقبر صهر ضامن زميت

الزميت الوقور والزميت مثال الفسيق اوقر من الزميت وفلان ازمت الناس اي اوقرهم
وما اشد تزمته عن الفراء وقال قتادة كانت الجاهلية يقتل احدهم ابنته ويغذو كلبه فعابهم
الله بذلك وتوعدهم بقوله واذا الموءودة سئلت وقال عمر في قوله تعالى واذا الموءودة
سئلت قال جاء قيس ابن عاصم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وأدت ثماني
بنات كن لي في الجاهلية قال فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل
قال فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وقوله سئلت سؤال الموءودة سؤال توبيخ لقاتلها
كما يقال للطفل اذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن اراد الله ان يوبخ قاتلها لانها قتلت بغير
ذنب وقال ابن اسلم باي ذنب ضربت وكانوا يضربونها وذكر بعض اهل العلم في قوله سئلت قال
طلبت كان يريد كما يطلب بدم القتيل قال وهو كقوله وكان عهد الله مسئولا اي مطلوبا فكانها طلبت
منهم فقيل اين اولادكم وقرأ الضحاك وابو الضحى وجابر بن زيد وابو صالح واذا الموءودة سألت
فتتعلق الجارية بابيها فتقول باي ذنب قتلتني فلا يكون له عذر قاله ابن عباس وكان يقرأ و
اذا الموءودة سألت وكذلك هو في مصحف ابي وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
قال ان المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقا ولدها بثدييها ملطخا بدمائه فيقول
يا رب هذه امي وهذه قتلتني والقول الاول عليه الجمهور وهو مثل قوله تعالى لعيسى أانت قلت
للناس على جهة التوبيخ والتبكيت لهم فكذلك سؤال الموءودة توبيخ لوائدها وهو ابلغ من سؤالها
عن قتلها لان هذا مما لا يصلح الا بذنب فباي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب لها كان اعظم في البلية
وظهور الحجة على قاتلها والله اعلم وقرئ ان قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين
لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بذنب قوله تعالى **وَاِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** اي فتحت بعد
ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل اهلها من خير وشر تطوى بالموت
وتنشر في القيامة فيقف كل انسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصيها وروى عن مرثد بن وداعة قال اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت
العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية الى قوله الخالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم
وحميم الى قوله ولا كريم وروي عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر
الناس يوم القيامة حفاة عراة فقلت يا رسول الله كيف بالنساء قال شغل الناس يا ام سلمة
قلت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقد مضى في سبحان قول ابي
السوار العدوي هما نشرتان وطية اما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فامل فيها ما شئت
فاذا مت طويت حتى اذا بعثت نشرت اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اذا مات

المرء طويت صحيفة عمله فاذا كان يوم القيامة نشرت وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرأ ها
قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وابو عمرو نشرت مخففا على نشرها
مرة واحدة لقيام الحجة الباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل
لتكرار ذلك من الانسان والملائكة الشهداء عليه قوله تعالى وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ الكشط قلع عن شدة
التزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش وغيره والقشط لغة فيه وفي قراءة عبد الله واذا السماء
قشطت وكشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته
او جلدته وانكشط اي ذهب فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء وقيل تطوى كما قال يوم نطوي
السماء كطي السجل للكتب فكان المعنى قلعت فطويت والله اعلم قوله تعالى وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ اي اوقدت
فاضرمت للكفار وزيد في احمائها يقال سعرت النار واسعرتها وقراءة العامة بالتخفيف من التسعير
وقرأ نافع وابن ذكوان ورويس بالتشديد لانها اوقدت مرة بعد مرة قال قتادة سعرها غضب الله
وخطايا بني آدم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة
حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة
وروي موقوفا قوله تعالى وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ اي ادنيت وقربت من المتقين قال الحسن انهم
يقربون منها لا انها تقرب وتزول عن موضعها وكان عبد الرحمن بن زيد يقول زينت والزلفى في كلام
العرب القربة قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين وتزلف فلان تقرب قوله تعالى عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَا أَحْضَرَتْ يعني ما عملت من خير وشر هذا جواب اذا الشمس كورت وما بعدها قال عمر رضي الله عنه
لهذا اجري الحديث وروي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنه انهما قرآ فلما بلغا علمت نفس ما احضرت
قالا لهذا اجريت القصة فالمعنى على هذا اذا الشمس كورت وكانت هذه الاشياء علمت نفس ما احضرت
من عملها وفي الصحيحين عن عدي ابن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه
ربه ما بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر امامه فيستقبله النار
فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل وقال الحسن اذا الشمس كورت قسم وقع على قوله
علمت نفس ما احضرت كما يقال اذا نفر زيد نفر عمرو والقول الاول اصح وقال ابن زيد عن ابن عباس
في قوله اذا الشمس كورت الى قوله واذا الجنة ازلفت اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة
وقد بينا الستة الاولى بقول ابي ابن كعب قوله تعالى فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ
إِذَا عَسْعَسَ اي اقسم ولا زائدة كما تقدم بالخنس الجوار الكنس هي الكواكب الخمسة الدراري زحل
والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة فيما ذكر اهل التفاسير والله اعلم وهو مروي عن علي كرم
الله وجهه وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان احدهما لانها تستقبل الشمس قاله بكر بن
عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي النجوم التي تخنس
بالنهار واذا غربت وقاله علي رضي الله عنه قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وتكنس في وقت
غروبها اي تتأخر عن البصر لخفائها فلا ترى وفي الصحاح والخنس الكواكب كلها لانها تخنس في المغيب او لانها
تخفى نهارا ويقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة وقال الفراء في قوله تعالى فلا اقسم بالخنس

الجوار الكنس انها النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في مجراها وتكنس
اي تستتر كما تكنس الظباء في المغار وهي الكناس ويقال سميت خنسا لتأخرها لانها الكواكب المتحيرة
لانها ترجع وتستقيم يقال خنس عنه يخنس بالضم خنوسا تأخر واخنسه غيره اذا خلفه ومضى عنه و
الخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنبة والرجل اخنس والمرأة خنساء والبقر
كلها خنس وقد روي عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى فلا اقسم بالخنس هي بقر الوحش روى هشيم
عن زكريا عن ابي اسحاق عن ابي ميسرة عن عمرو بن شرحبيل قال قال لي عبد الله بن مسعود انكم قوم
عرب فما الخنس قلت هي بقر الوحش قال وانا ارى ذلك وقاله ابراهيم وجابر بن عبد الله وروي
عن ابن عباس انما اقسم الله ببقر الوحش وروي عنه عكرمة قال الخنس البقر والكنس الظباء فهي
خنس اذا رأين الانسان خنسن وانقبضن وتأخرن ودخلن كناسهن القشيري وقيل على هذا
الخنس من الخنس في الانف وهو تأخر الارنبة وقصر القصبة وانوف البقر والظباء خنس والاصح
الحمل على النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا فذكر النجوم اليق بذلك قال الشيخ رحمه الله لله ان يقسم
بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد وان لم نعلم وجه الحكمة في ذلك وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بن
عبد الله صحابيان والنخعي انها بقر الوحش وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انها الظباء وعن الحجاج بن منذر
قال سألت جابر بن زيد عن الجوار الكنس فقال الظباء والبقر فلا يبعد ان يكون المراد والنجوم وقد
قيل انها الملائكة حكاه الماوردي والكنوس الغيب مأخوذ من الكناس وهو كناس الوحش الذي يختفي
فيه قال اوس بن حجر

الم تر ان الله انزل مزنة ... وعفر الظباء في الكناس تقمع

وقال طرفة

كان كناسي ضالة يكنفانها ... واطر قسي تحت صلب مؤيد

وقيل الكنوس ان تأوي الى مكانسها وهي المواضع التي تأوي اليها الوحوش والظباء قال الاعشى

فلما اتينا الحي اتلع آنس ... كما اتلعت تحت المكانس ربرب

يقال تلع النهار ارتفع واتلعت الظبية من كناسها اي سمت بجيدها وقال امرؤ القيس

تعشى قليلا ثم انحى ظلوفه ... يثير التراب عن مبيت ومكنس

والكنس جمع كانس وكانسة وكذا الخنس جمع خانس وخانسة والجواري جمع جارية من جرى يجري والليل
اذا عسعس قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر حكاه الجوهري قال وقال بعض
اصحابنا انه دنا من اوله واظلم وكذلك السحاب اذا دنا من الارض المهدوي والليل اذا عسعس ادبر بظلامه
عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وروي عنهما ايضا وعن الحسن وغيره اقبل بظلامه زيد بن اسلم عسعس
ذهب الفراء العرب تقول عسعس الليل وسعسع اذا لم يبق منه الا اليسير الخليل وغيره عسعس الليل
اذا اقبل او ادبر المبرد هو من الاضداد والمعنيان يرجعان الى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في
اوله وادباره في آخره قال علقمة بن قرط شعر

حتى اذا الصبح لها تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقال رؤبة

يا هند ما اسرع ما تسعسعا ... من بعد ما كان فتى ترعرعا

وهذه حجة الفراء وقال امرؤ القيس

عسعس حتى لو نشاء اذ دنا ... كان لنا من ناره مقبس

فهذا يدل على الدنو وقال الحسن ومجاهد عسعس اظلم قال الشاعر

حتى اذا ما ليلهن عسعسا ۝ ركبن من حد الظلام حندسا

الماوردي واصل العس الامتلاء ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه فانطلق على اقبال
الليل لابتداء امتلائه وانطلق على ادباره لانتهاء امتلائه وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه واما
قول امرئ القيس ۝ المّا على الربع القديم بعسعسا ۝ فموضع بالبادية وعسعس ايضا اسم رجل
قال الراجز ۝ ومنا يزيد وابو محيّا ۝ وعسعس نعم الفتى تبيّاه ۝
اى تعتمده ويقال للذئب العسعس والعسعاس والعساس لانه يعس بالليل ويطلب ويقال
للقنافذ العساعس لكثرة ترددها بالليل قال ابو عمرو والتعسعس ايضا طلب الصيد قوله تعالى
وَالصُّبْحِ اِذَا تَنَفَّسَ اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ ذِيْ قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِيْنٍ مُطَاعٍ ثَمَّ
اَمِيْنٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُوْنٍ ۝ والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا واضحا يقال للنهار
اذا زاد تنفس وكذلك الموج اذا نضح الماء ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وقيل اذا تنفس
اي انشق وانفلق ومنه تنفست القوس والنفوس اى تصدعت انه لقول رسول كريم هذا جواب القسم
والرسول الكريم جبرئيل قاله الحسن وقتادة والضحاك والمعنى انه لقول رسول عن الله كريم على الله واضاف
الكلام الى جبرئيل عليه السلام ثم عراه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين ليعلم اهل التحقيق في التصديق
ان الكلام لله عز وجل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذي قوة من جعله جبرئيل فقوته ظاهرة فروى
الضحاك عن ابن عباس قال من قوته قلعه مداين قوم لوط بقوادم جناحيه عند ذي العرش اي عند
الله جل ثناؤه مكين اى ذى منزلة ومكانة فروى عن ابن صالح قال يدخل سبعين سرادقا بغير اذن مطاع
ثم اى في السموات قال ابن عباس من طاعة الملائكة جبرئيل انه لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جبرئيل عليه السلام لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها ورأى ما فيها وقال لمالك خازن
النار افتح له جهنم حتى ينظر اليها فاطاعه وفتح له امين اى مؤتمن على الوحي الذى يجيء به ومن قال ان
المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذى قوة على تبليغ الوحي مطاع اى يطيعه من اطاع الله عز وجل وما
صاحبكم بمجنون يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون حتى يتهم في قوله وهو من جواب القسم وقيل اراد
النبي صلى الله عليه وسلم ان يرى جبرئيل في الصورة التى يكون بها عند ربه جل وعز فقال ما ذاك الي
فاذن له الرب فاتاه وقد سد الافق فلما نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فقال المشركون
انه مجنون فنزلت انه لقول رسول كريم وما صاحبكم بمجنون وانما رأى جبرئيل على صورته فهابه وورد عليه
ما لم تحتمل بنيته فخر مغشيا عليه قوله تعالى وَلَقَدْ رَآهُ بِالْاُفُقِ الْمُبِيْنِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِيْنٍ
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيْمٍ فَاَيْنَ تَذْهَبُوْنَ اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِيْنَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ
اَنْ يَسْتَقِيْمَ وَمَا تَشَاءُوْنَ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ ۝ اى رأى جبرئيل في صورته
له ستمائة جناح بالافق المبين اى بمطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كان منه تطلع
الشمس فهو مبين اى من جهته ترى الاشياء وقيل الافق المبين اقطار السماء ونواحيها قال
الشاعر ۝ اخذنا بآفاق السماء عليكم ۝ لنا قمراها والنجوم الطوالع ۝ الماوردي فعلى هذا فيه

الاويل

اقاويل احدها انه رآها في افق السماء الشرقي قاله سفيان الثاني في افق السماء الغربي حكاه ابن شجرة
الثالث انه رآه نحو اجياد وهو مشرق مكة قاله مجاهد وحكى الثعلبي عن ابن عباس قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم لجبرئيل انى احب ان اراك في صورتك التى تكون فيها في السماء فقال لن تقدر على
ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعنى قال فبمنى قال لا يسعنى قال فبعرفات
قال ذلك بالحرى ان يسعنى فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو قد اقبل بخشخشة
وكلكلة من جبال عرفات قد ملأ ما بين المشرق والمغرب وراسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه
النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبرئيل في صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف
فكيف لو رايت اسرافيل وراسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش على كاهله
وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوضع يعنى العصفور وحتى ما يحمل عرش
ربك الا عظمته وقيل ان محمدا عليه السلام رأى ربه عز وجل بالافق المبين وهو معنى قول ابن مسعود
وقد مضى القول في هذا في سورة والنجم مستوفى فتامله هناك وفي المبين قولان احدهما انه صفة الافق
قاله الربيع الثاني انه صفة لمن رآه قاله مجاهد وما هو على الغيب بظنين بالظاء قراءة ابن كثير وابي عمرو
والكسائي اي بمتهم والظنة التهمة قال الشاعر اما وكتاب الله لا عن شناءة ۝ هجرت ولكن الظنين ظنين
واختاره ابو عبيد قال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه ولان الاكثر في كلام العرب ما هو بكذا ولا يقولون ما هو
على كذا انما يقولون ما انت على هذا بمتهم وقرأ الباقون بضنين بالضاد اى ببخيل من ضننت بالشيء اضن
ضنا فروى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله واحكامه وقال الشاعر

اجود بمكنون الحديث وانني ۝ بسرك عمن سالني لضنين ۝

والغيب القرآن وخبر السماء ثم هذا صفة محمد عليه السلام وقيل صفة جبرئيل وقيل بضنين بضعيف
حكاه الفراء والمبرد يقال رجل ضنين اى ضعيف وبئر ضنون اذا كانت قليلة الماء قال الاعشى

ما جعل الجد الظنون الذي ۝ جنب صوب اللجب الماطر ۝
مثل الفراتي اذا ما طما ۝ يقذف بالبوصي والماهر ۝

الجد البئر يكون في الكلاء والظنون التى لا يدري افيها ماء ام لا ويقال القليلة الماء والبوصي ضرب
من سفن البحر والماهر السابح والظنون الدين الذى لا يدري ايقضيه آخذه ام لا ومنه حديث
على عليه السلام في الرجل يكون له الدين الظنون قال يزكيه لما مضى اذا قبضه ان كان صادقا والظنون
الرجل السيء الخلق فهو لفظ مشترك وما هو يعنى القرآن بقول شيطان رجيم اى مرجوم ملعون كما
قالت قريش قال عطا يريد بالشيطان الابيض الذى كان ياتى النبي عليه السلام في صورة جبرئيل
يريد ان يفتنه فاين تذهبون قال قتادة فالى اين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته كذا روى
معمر عن قتادة اي اين تذهبون عن كتابي وعن طاعتي وقال الزجاج فاي طريقة تسلكون ابين من
هذه الطريقة التى قد بينت لكم ويقال اين تذهب والى اين تذهب وحكى الفراء عن العرب ذهبت
الشام وخرجت العراق وانطلقت السوق اي اليها قال سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة وانشد
بعض بنى عقيل ۝ تصيح بنا حنيفة اذ رأتنا ۝ واي الارض تذهب بالصياح ۝ يريد

الى اى الارض تذهب فحذف الى وقال الجنيد معنى الاية مقرون باية اخرى وهى قوله وان من شئ
الا عندنا خزائنه المعنى اي طريق تسلكون ابين من الطريق الذي بينه الله لكم وهذا معنى قول
الزجاج ان هو يعنى القران الا ذكر للعالمين اى موعظة وزجروا نه بمعنى ما وقيل ما محمد الا ذكر
لمن شاء منكم ان يستقيم اى يتبع الحق ويقيم عليه وقال ابو هريرة وسليمان بن موسى لما نزلت
لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو
القدر فهو راس القدرية فنزلت وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فبين بهذا انه
لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه وقال الحسن والله ما شاءت العرب
الاسلام حتى شاء الله لها وقال وهب ابن منبه قرأت فى سبعة وثمانين كتابا مما انزل الله
على الانبياء من جعل الى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر وفى التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقال وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والاى فى هذا
كثير وكذلك الاخبار وان الله سبحانه هدى بالاسلام واضل بالكفر كما تقدم فى غير موضع والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة انفطرت

مكية عند الجميع وهى تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
اذا السماء انفطرت ۝ واذا الكواكب انتثرت ۝ واذا البحار فجرت ۝ واذا القبور بعثرت ۝
علمت نفس ما قدمت واخرت ۝ اذا السماء انفطرت اى تشققت بامر الله لنزول الملائكة كقوله
ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تفطرت اى لهيبة الله تعالى والفطر الشق
يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشئ تشقق وسيف فطار اى
فيه شقوق قال عنترة ۝ وسيفى كالعقيقة فهو كمعى ۝ سلاحى لا افل ولا فطارا ۝
وقد تقدم فى غير موضع واذا الكواكب انتثرت اى تساقطت نثرت الشئ انثره نثرا فانتثر و
الاسم النثار والنثار بالضم ما تناثر من الشئ ودر منثر شدد للكثرة واذا البحار فجرت اى فجر
بعضها فى بعض فصارت بحرا واحدا على ما تقدم وقال الحسن فجرت ذهب ماؤها ويبست وذلك انها
اولا راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت فذهب ماؤها وهذه الاشياء بين يدي الساعة على ما تقدم فى اذا الشمس
كورت واذا القبور بعثرت اى قلبت فاخرج ما فيها من اهلها احياء يقال بعثرت المتاع قلبته ظهرا لبطن و
بعثرت الحوض وبحثرته اذا هدمته وجعلت اسفله اعلاه وقال قوم منهم الفراء بعثرت اخرج ما فى بطنها
من الذهب والفضة وذلك من اشراط الساعة ان تخرج الارض ذهبها وفضتها علمت نفس ما قدمت واخرت
مثل ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر وهذا جواب اذا السماء انفطرت لانه قسم فى قول الحسن وقع على قوله علمت
نفس يقول اذا بدت هذه الامور من اشراط الساعة ختمت الاعمال فعلمت كل نفس ما كسبت فانها لا ينفعها
عمل بعد ذلك وقيل اى اذا كانت هذه الاشياء قامت القيامة فحوسبت كل نفس بما عملت واوتيت كتابها
بيمينها او شمالها فتذكرت عند قرائته جميع اعمالها وقيل هو خبر وليس بقسم وهو الصحيح ان شاء الله قوله تعالى

يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسويك فعدلك فى اي صورة ما شاء ركبك
خاطب بهذا منكرى البعث وقال ابن عباس الانسان هو الوليد بن المغيرة وقال عكرمة ابي بن خلف
وقيل نزلت فى ابى الاسد ابن كلدة الجمحي عن ابن عباس ايضا ما غرك بربك الكريم الذي اي ما الذى غرك
حتى كفرت بربك الكريم اى المتجاوز عنك قال قتادة غره شيطانه المسلط عليه الحسن غره شيطانه الخبيث
وقيل حمقه وجهله رواه الحسن عن عمر رضى الله عنه وروى غالب الحنفى قال لما قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم قال عمر الجهل وقال صالح بن مسمار بلغنا ان النبى
صلى الله عليه وسلم قرا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فقال غره جهله وقال عمر رضى الله
عنه قال كما قال الله تعالى انه كان ظلوما جهولا وقيل غره عفو الله اذلم يعاقبه فى اول مرة قال
ابرهيم بن الاشعث قيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال لك ما غرك
بربك الكريم ماذا كنت تقول قال كنت اقول غرني ستورك المرخاة لان الكريم هو الستار نظمه ابن
السماك فقال ۝ يا كاتم الذنب اما تستحي ۝ والله فى الخلوة ثانيكا ۝
غرك من ربك امهاله ۝ وستره طول مساويكا ۝
وقال ذو النون المصرى كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر وانشد ابو بكر بن طاهر الابهرى
يا من غلا فى العجب والتيه ۝ وغره طول تماديه ۝
املى لك الله فبارزته ۝ ولم تخف غب معاصيه ۝
وروى عن على رضى الله عنه انه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال ما لك لم تجبنى
فقال لثقتى بحلمك وامنى من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه وناس يقولون ما غرك ما خدعك وسول
لك حتى اضعت ما وجب عليك وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول له
يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين الذى خلقك اى قدر خلقك من نطفة فسواك فى بطن امك وجعل لك
يدين ورجلين وعينين وساير اعضائك فعدلك اى جعلك معتدلا سوي الخلق كما يقال هذا شئ معدل
وهذه قراءة العامة وهى اختيار ابي عبيد وابي حاتم قال الفراء وابو عبيد يدل عليه قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان فى احسن تقويم وقراء الكوفيون عاصم وحمزة والكسائى فعدلك مخففا اى امالك وصرفك الى
اى صورة شاء اما حسنا واما قبيحا واما طويلا واما قصيرا وقال نجدة قال لي النبى صلى الله عليه وسلم
ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضرها الله كل شبه بينها وبين آدم اما قرأت هذه الاية فى اي صورة
ما شاء ركبك قال ان شاء فى صورة انسان وان شاء فى صورة حمار وان شاء فى صورة قرد وان شاء
فى صورة خنزير وقال مكحول ان شاء ذكرا وانثى وقال مجاهد فى اي صورة اي فى اي شبه من اب اوام
او عم او خال او غيرهما وفى متعلقة بركبك ولا يتعلق بعدلك على قراءة من خفف لانك تقول عدلت الى كذا
ولا تقول عدلته فى كذا ولذلك منع الفراء التخفيف لانه قدر فى متعلقة بعدلك وما يجوز ان يكون صلة مؤكدة
اى فى اى صورة شاء ركبك ويجوز ان يكون شرطية اى ان شاء ركبك فى غير صورة الانسان من صورة قرد
او حمار او خنزير فما بمعنى الشرط والجزاء اى فى صورة ما شاء ان يركبك فيها ركبك قوله تعالى كلا
بل تكذبون بالدين يجوز ان يكون كلا بمعنى حقا او الا فيبتدأ بها ويجوز ان يكون بمعنى لا على ان يكون

المعنى ليس الامر على ما تقولون من انكم فى عبادتكم غير الله محقون يدل على ذلك قوله ما غرك بربك الكريم
ولذلك يقول الفراء يصير المعنى ليس كما غررت به وقيل اى ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث وقيل
هو بمعنى الردع والزجر اى لا تغتروا بحلم الله وكرمه فتتركوا التفكر فى آياته ابن الانبارى الوقف الجيد
على الدين وعلى ركبك والوقف على كلا قبيح بل تكذبون يا اهل مكة بالدين اى بالحساب وبل لنفى شئ تقدم
وتحقيق غيره وانكارهم للبعث كان معلوما وان لم يجر له ذكر فى هذه السورة قوله تعالى وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ اى رقباء من الملائكة كراما اى على الله كقوله كرام بررة
وههنا ثلاث مسايل الاولى روى عن رسول صلى الله عليه وسلم اكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم
الا عند احدى حالتين الخراءة والجماع فاذا اغتسل احدكم فليستتر بجذم او بغيره او ليستره اخوه
روي عن علي رضى الله عنه قال لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام بادى العورة وروي انه العبد
اذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه ملكاه الثانية واختلف الناس فى الكفار هل عليهم حفظة ام لا فقال
بعضهم لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل بل عليهم حفظة لقوله
تعالى كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال واما من اوتى
كتابه بشماله وقال واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفظة فان قيل
الذى عن يمينه ايش يكتب ولا حسنة له قيل له الذي يكتب عن شماله يكون باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك
وان لم يكتب والله اعلم الثالثة سيل سفيان كيف تعلم الملائكة ان العبد قد هم بحسنة او سيئة قال اذا هم
العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك وان هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن وقد مضى فى ق عند قوله ما
يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد زيادة بيان لمعنى هذه الاية وقد ذكر العلماء الكلام عند الغائط والجماع
لما رتد الملك العبد عند ذلك وقد مضى فى آخر آل عمران القول فى هذا وعن الحسن يعلمون لا يخفى عليهم
شيء من اعمالكم وقيل يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم انفسكم فالله اعلم قوله تعالى إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ
وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ان الابرار لفى نعيم وان
الفجار لفى جحيم تقسيم مثل قوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال يومئذ يصدعون فاما الذين
آمنوا الاية يصلونها اى يصيبهم لهبها وحرها يوم الدين اي يوم الجزاء والحساب وكرر ذكره تعظيما
لشانه نحو قوله القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة وقال ابن عباس فيما روى عنه كل شئ
من القرآن من قوله وما ادريك فقد ادراه وكل شئ من قوله ما يدريك فقد طوي عنه يوم لا تملك نفس لنفس
قراء ابن كثير وابو عمرو يوم بالرفع على البدل من يوم الدين اورد على اليوم الاول فيكون صفة ونعتا
ليوم الدين ويجوز ان يرفع باضمار هو الباقون بالنصب على انه فى موضع رفع الا انه نصب لانه مضاف
غير محض كما تقول اعجبني يوم يقوم زيد وانشد المبرد

من اى يومى من الموت افر ۝ ايوم لم يقدر ام يوم قدر

فاليومان الثانيان مخفوضان بالاضافة على الترجمة عن اليومين الاولين الا انهما نصبا فى اللفظ
لانهما اضيفا الى غير محض متمكن وهذا اختيار الفراء والزجاج وقال قوم اليوم الثانى منصوب على المحل

كانه قال فى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وقيل بمعنى ان هذا الاشياء يكون يوم او على معنى يدانون يوم لان الدين
يدل عليه او باضمار اذكر والامر يومئذ لله اى لا ينازعه فيه احد كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ۝ ختمت

تفسير سورة المطففين

مكية فى قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية فى قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل
وهى اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتاده مدنية الا ثمان آيات من قوله تعالى
ان الذين اجرموا الى اخرها مكى وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وهى ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ فيه اربع مسايل الاولى روى النساى عن ابن عباس قال لما قدم النبى
صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا الكيل
بعد ذلك قال الفراء فهم اوفى الناس كيلا الى يومهم وعن ابن عباس ايضا قال هى اول سورة نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم كانوا اذا اشتروا استوفوا بكيل راجح
واذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم اوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال
قوم نزلت فى رجل يعرف بابي جهينة واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ باحدهما ويعطي بالآخر قاله ابو هريرة
رضى الله عنه الثانية قوله تعالى ويل اى شدة عذاب فى الآخرة وقال ابن عباس انه واد فى جهنم
يسيل فيه صديد اهل النار فى النار فهو قوله تعالى ويل للمطففين اى الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم
وروى عن ابن عمر قال المطفف الرجل يستأجر الكيال وهو يعلم انه يحيف فى كيله فوزره عليه وقال
آخرون التطفيف فى الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث وفى الموطا قال مالك ويقال لكل شئ
وفاء وتطفيف وروى عن سالم بن ابي الجعد قال الصلاة بمكيال فمن اوفى له ومن طفف فقد علمتم
ما قال الله عز وجل ويل للمطففين الثالثة قال اهل اللغة المطفف ماخوذ من الطفيف وهو القليل
والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق فى كيل او وزن وقال الزجاج انما قيل للفاعل
من هذا مطفف لانه لا يكاد يسرق من الميزان والمكيال الا الشئ الطفيف الخفى وانما اخذ من طف الشئ
وهو جانبه وطفاف المكوك وطفافه بالفتح والكسر ما ملأ اصباره وكذلك طف المكوك وطففه وفى الحديث
كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملوه وهو ان يقرب ان يمتلى فلا يفعل والمعنى بعضكم قريب من بعض فليس لاحد
على احد فضل الا بالتقوى والطفاف والطفافة بالضم ما فوق المكيال واناء طفان اذا بلغ الكيل طفافه
تقول منه اطففته والتطفيف نقص المكيال وهو ان لا تملأه الى اصباره اى جوانبه يقال ادهقت الكاس
الى اصبارها واصمارها اى الى راسها وقول ابن عمر حين ذكر النبى صلى الله عليه وسلم سبق الخيل كنت
فارسا يومئذ فسبقت الناس حتى طفف بي الفرس مسجد بنى زريق حتى كاد يساوي المسجد يعنى وثب
الرابعة المطفف هو الذى يخسر فى الكيل والوزن ولا يوفى حسب ما بيناه وروى ابن القاسم عن مالك
انه قراء ويل للمطففين فقال لا تطفف ولا تخلب ولكن ارسل وصب عليه صبا حتى اذا استوى ارسل

يذك ولا تسك وقال عبد الملك ابن الماجشون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسح الطفاف وقال ان البركة
في راسه قال وبلغني ان كيل فرعون كان مسحا بالحديدة قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
قال الفراء اي من الناس يقال اكتلت منك اى استوفيت منك وتقول اكتلت ما عليك اى اخذت مما
عليك وقال الزجاج اى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل والمعنى الذين اذا استوفوا اخذوا
الزيادة واذا اوفوا او وزنوا لغيرهم نقصوا فلا يرضوا للناس ما يرضون لانفسهم الطبري على بمعنى عند
قوله تعالى وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى واذا كالوهم
او وزنوهم اى كالوا لهم او وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدى الفعل فنصب ومثله نصحتك ونصحت لك
وامرتك وامرتك به قاله الاخفش والفراء قال الفراء وسمعت اعرابية تقول اذا صدر الناس اتينا
التاجر فيكيلنا المد والمدين الى الموسم المقبل قال وهو من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال
الزجاج لا يجوز الوقف على كالوا حتى تصل به هم قال ومن الناس من يجعلها توكيدا ويجيز الوقف على كالوا
او وزنوا والاول الاختيار لانها حرف واحد وهو قول الكسائي قال ابو عبيد وكان عيسى بن عمر
يجعلها حرفين ويقف على كالوا ووزنوا ثم يقول هم يخسرون قال واحسب قراءة حمزة كذلك ايضا
قال ابو عبيد والاختيار ان يكونا كلمة واحدة من جهتين احدهما الخط وذلك انهم كتبوها بغير الف ولو كانا
مقطوعتين لكانتا كالوا او وزنوا بالالف والاخرى انه يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو
كلام عربي كما يقال صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك وكذلك شكرتك ونصحتك ونحو ذلك يخسرون
اى ينقصون والعرب تقول اخسرت الميزان وخسرته وهم في موضع نصب على قراءة العامة راجع الى
الناس تقديره واذا كالوا الناس او وزنوهم يخسرون وفيه وجهان احدهما ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم
فحذف الجار واوصل الفعل كما قال ولقد جنيتك اكموا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر
اراد جنيت لك والوجه الآخر ان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل
والموزون وعلى القراءة الثانية هم في موضع رفع بالابتداء اي واذا كالوا الناس او وزنوا لهم فهم يخسرون
ولا يصح لانه يكون الاولى ملغاة ليس لها خبر وانما كانت تستقيم لو كان بعدها واذا كالوا هم ينقصون او وزنوا هم
يخسرون الثانية قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط
الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم
الطاعون ولا طففوا الكيل الا منع منهم النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس الله عليهم المطر
خرجه ابو بكر البزار بمعناه ومالك بن انس ايضا من حديث ابن عمر وقد ذكرناه في كتاب التذكرة و
قال مالك بن دينار دخلت على جار لي قد نزل به الموت فجعل يقول جبلين من نار جبلين من نار فقلت ما
تقول اتهجر قال يا ابا يحيى كان لي مكيالان اكيل باحدهما واكتال بالآخر فقمت فجعلت اضرب احدهما بالآخر
حتى كسرتهما فقال يا ابا يحيى كلما ضربت احدهما بالآخر ازداد عظما فمات في وجعه وقال عكرمة اشهد
على كل كيال او وزان انه في النار فقيل له فان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار قال الاصمعي وسمعت
اعرابية تقول لا تلتمس المروة ممن مروته في رؤس المكائيل ولا السنة الموازين وروي ذلك عن علي رضي الله عنه
وقال عبد خير مر علي رضي الله عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقد ارجح فاكفا الميزان ثم قال اقم الوزن

بالقسط

بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وقال
نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن بالقسط فان المطففين يوم القيامة
يوقفون حتى ان العرق ليلجمهم الى انصاف آذانهم وقد روى ان ابا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي
صلى الله عليه وسلم الى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة فقال ابو هريرة فوجدناه في صلاة
الصبح فقرا في الركعة الاولى كهيعص وقرا في الركعة الثانية ويل للمطففين قال ابو هريرة فاقول
في صلاتي ويل لابي فلان كان له مكيالان اذا اكتال اكتال بالوافي واذا كال كال بالناقص وعن ابن
عباس انكم معاشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم
يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون اهل المدينة يكيلون
قوله تعالى أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ انكار وتعجب عظيم من حالهم في الاجتراء
على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون فمسؤولون عما يفعلون والظن
هنا بمعنى اليقين اى لا يوقن اولئك ولو ايقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن وقيل الظن بمعنى التردد اى
ان كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويبحثوا عنه ويأخذوا بالاحوط ليوم عظيم شانه وهو
يوم القيامة قوله تعالى يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فيه ثلاث مسائل الاولى العامل
في يوم فعل مضمر دل عليه مبعوثون والمعنى يبعثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ويجوز ان يكون بدلا
من يوم في ليوم عظيم وهو مبني وقيل هو في موضع خفض لكنه اضيف الى غير متمكن وقيل هو منصوب على
الظرف اى في يوم ويقال اتم الى يوم يخرج فلان فتنصبه يوم فان اضافوا الى الاسم فحينئذ يخفضون ويقولون
اتم الى يوم خروج فلان وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقدير انهم مبعوثون يوم يقوم الناس لرب العالمين
ليوم عظيم وعن عبد الملك ابن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين اراد بذلك
ان المطفف قد توجه عليه بها الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين
بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لله
خاضعين ووصف ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في
مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل في كل اخذ واعطاء بل في كل قول
وعمل الثانية قرا ابن عمر ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكى حتى سقط
وامتنع من قراءة ما بعده ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم يقوم الناس لرب العالمين في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة فمنهم من يبلغ العرق كعبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه
ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ اذنيه حتى ان احدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع وروي
ناس عن ابن عباس قال يقومون مقدار ثلاث مائة سنة ويهون على المومنين قدر صلاتهم الفريضة
وروى عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى ان
احدهم ليقوم في رشحه الى انصاف اذنيه وعنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم يقوم مائة سنة
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لبشير الغفاري كيف انت صانع في يوم يقوم الناس
فيه مقدار ثلثمائة سنة لرب العالمين لا ياتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيهم بامر قال بشير المستعان بالله

قال يقومون الف عام في الظلمة
وروي مالك عن نافع عن ابن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم م

قال الشيخ رحمه الله قد ذكرنا مرفوعا من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة المكتوبة يصليها في الدنيا في سال سايل وعن
ابن عباس يهون على المؤمنين قدر صلوتهم الفريضة وقيل ان ذلك المقام على المؤمن كزوال الشمس
الدليل على هذا من الكتاب قوله الحق الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم وصفهم فقال
الذين آمنوا وكانوا يتقون جعلنا الله منهم بفضله وكرمه وجوده ومنه آمين وقيل المراد بالناس
جبرئيل عليه السلام يقوم لرب العالمين قاله ابن جبير وفيه بعد لما ذكرنا من الاخبار في ذلك وهي
صحيحة ثابتة وحسبك بما في صحيح مسلم والبخاري والترمذي من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى نصف اذنيه ثم قيل هذا
القيام يوم يقوم من قبورهم وقيل في الاخرة بحقوق عباده في الدنيا وقال يزيد الرشك يقومون
بين يديه للقضاء الثالثة القيام لله رب العالمين سبحانه حقير بالاضافة الى عظمته وحقه فاما
قيام الناس بعضهم لبعض فاختلف الناس فيه فمنهم من اجازه ومنهم من منعه وقد روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم قام الى جعفر ابن ابي طالب واعتنقه وقام طلحة لكعب ابن مالك يوم تيب عليه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم للانصار حين طلع عليه سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وقال ايضا من سره
ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار وذلك يرجع الى حال الرجل ونيته فان انتظر ذلك و
اعتقده لنفسه فهو ممنوع وان كان على طريق البشاشة والوصلة فانه جايز وخاصة عند الاسباب كالقدوم
من السفر ونحوه وقد مضى في آخر يوسف شيء من هذا قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
قال قوم من اهل العلم بالعربية كلا ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من تطفيف الكيل و
الميزان او تكذيب بالآخرة فليرتدعوا عن ذلك فهي كلمة ردع وزجر ثم استانف فقال ان كتاب الفجار
لفي سجين وقال الحسن كلا بمعنى حقا وروى ناس عن ابن عباس كلا قال الا تصدقون ان كتاب الفجار
فعلى هذا يوقف لرب العالمين وفي تفسير مقاتل ان اعمال الفجار وروى ناس عن ابن عباس قال
ان ارواح الفجار واعمالهم لفي سجين وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال سجين صخرة تحت الارض السابعة
تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب قال
كعب تحتها ارواح الكفار تحت خد ابليس وعن كعب ايضا قال سجين صخرة سوداء تحت الارض
السابعة مكتوب فيها اسم كل شيطان تلقى انفس الفجار عندها قال سعيد بن جبير سجين تحت خد ابليس
يحيى بن سلام حجر اسود تحت الارض يكتب فيه ارواح الكفار وقال عطاء الخراساني هي الارض
السابعة السفلى وفيها ابليس وذريته وعن ابن عباس قال ان الكافر يحضره الموت وتحضره رسل
الله فلا يستطيعون لبغض الله وبغضهم اياه ان يؤخروه ولا يعجلوه حتى يجيء ساعته فاذا جاءت
ساعته قبضوا نفسه ودفعوه الى ملايكة العذاب فاروه ما شاء الله ان يروه من الشر ثم هبطوا به
الى الارض السابعة وهي سجين وهي آخر سلطان ابليس فاثبتوا فيها كتابه وعن كعب الاحبار في هذه
الاية قال ان روح الفاجر اذا قبضت يصعد بها الى السماء فتابى السماء ان يقبلها ثم يهبط بها الى الارض

فتابى الارض ان يقبلها فتدخل في سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو خد ابليس فيخرج لها من سجين من
تحت خد ابليس رق فيرقم فيوضع تحت خد ابليس وقال الحسن سجين في الارض السابعة وقيل
هو مضروب مثل واشارة الى ان الله تعالى يرد اعمالهم التي ظنوا انها تنفعهم قال مجاهد المعنى عملهم تحت
الارض السابعة لا يصعد منها شيء قال وسجين صخرة في الارض السابعة وروى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال سجين جب في جهنم وهو مفتوح وقال في الفلق انه جب مغطى وقال
انس هي دركة في الارض السفلى وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين
وقال عكرمة سجين خسار وضلال كقولهم لمن سقط قدره قد زلق بالحضيض وقال ابو عبيدة والاخفش و
الزجاج لفي سجين لفي حبس وضيق فعيل من السجين كما يقال فسيق وشريب قال ابن مقبل شديد
ورفقة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصت به الابطال سجينا
والمعنى كتابهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم اولانه يحل من الاعراض عنه والابعاد له محل
الزجر والهوان وقيل اصله سجيل فابدلت اللام نونا وقد تقدم ذلك ابن اسلم سجين الارض السافلة وسجيل
السماء الدنيا القشيري سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هؤلاء فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع
كالمسجون وهذا دليل على خبث اعمالهم وتحقير الله اياها ولهذا قال في كتاب الابرار يشهده المقربون وما
ادريك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد انت ولا قومك ثم فسره له فقال كتاب مرقوم اي
مكتوم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى وقال قتادة رقم لهم بشر لا يزاد فيهم احد ولا ينقص منهم احد وقال
الضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير واصل الرقم الكتابة قال سارقم في الماء القراح اليكم
على بعدكم ان كان للماء راقم وليس في قوله وما ادريك ما سجين ما يدل على ان لفظ سجين ليس عربيا
كما لا يدل في قوله القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة بل هو تعظيم لامر سجين وقد مضى في مقدمة
الكتاب انه ليس في القران غير عربي ويل يومئذ للمكذبين اي شدة وعذاب يوم القيامة للمكذبين ثم بين امرهم
فقال الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد وما يكذب به الا كل معتد
اثيم اي فاجر جاير عن الحق معتد على الخلق في معاملته اياهم وعلى نفسه وهو اثيم في ترك امر الله وقيل
هذا في الوليد بن المغيرة وابي جهل ونظرايهم لقوله اذا تتلى عليهم اياتنا قال اساطير الاولين وقراءة العامة
تتلى بتائين وقرأ ابو حيوة وابو سماك العدوي واشهب العقيلي والسلمي اذا يتلى بالياء واساطير
الاولين احاديثهم واباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها واحدها اسطورة واسطارة وقد تقدم قوله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا ردع وزجر اي ليس هو اساطير الاولين وقال
الحسن معناه حقا ان على قلوبهم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فاذا نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه
فان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون هذا
حديث حسن صحيح وكذا قال المفسرون هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب قال مجاهد هو الرجل
يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ثم يذنب المذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشي الذنوب قلبه
قال مجاهد هي مثل الاية التي في سورة البقرة بلى من كسب سيئة الاية ونحوه عن الفراء قال يقول

كثرت المعاصي منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وروى عن مجاهد ايضا قال القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا اذنب الذنب انقبض وضم اصبعه فاذا اذنب الذنب انقبض وضم اخرى حتى ضم اصابعه كلها حتى يطبع على قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ومثله عن حذيفة رضى الله عنه سوآء وقال بكر بن عبد الله ان العبد اذا اذنب صار في قلبه كوخزة الابرة ثم اذا اذنب ثانيا صار كذلك ثم اذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل او كالغربال لا يعي خيرا ولا يثبت فيه صلاح وقد بيننا في البقرة القول في هذا المعنى بالاخبار الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا معنى لاعادتها وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس شيا الله اعلم بصحته قال هو الران الذي يكون على الفخذين والساق والقدم وهو الذي يلبس في الحرب قال وقال آخرون الران الخاطر الذي يخطر بقلب الرجل وهذا مما لا يضمن عهدة صحته فالله اعلم فاما عامة اهل التفسير فعلى ما قد مضى ذكره قبل هذا وكذلك اهل اللغة عليه يقال ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا اى غلب قال ابو عبيدة في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اى غلب وقال ابو عبيد كلما غلبك فقد ران بك ورانك وران عليك وقال الشاعر ٥ وكم ران من ذنب على قلب فاجر ٥ فتاب من الذنب الذي ران فانجلى وران الخمر على عقله اى غلبته وران عليه النعاس اذا غطاه ومنه قول عمر

في الاسيفع اسيفع جهينة ٥ فاصبح قد رين به ٥

اى غلبته الديون وكان يدان ومنه قول ابن زبيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرا فقال

٥ ثم لما رآه رانت به الخمر ٥ وان لم ترينه باتقاء ٥

فقوله رانت به الخمر اى غلبت على عقله وقلبه وقال الاموى قد ران القوم فهم مرينون اذا هلكت مواشيهم او هزلت وهذا من الامر الذي اتاهم مما يغلبهم ولا يستطيعون الخروج احتماله قال ابو زيد يقال قد رين بالرجال رينا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به وقال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهذا اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع الزجاج الرين هو كالصدأ يغشي القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين يقال غين على قلبه غطي عليه والغين شجر ملتف الواحدة غيناء اى خضراء كثيرة الورق ملتفة الاغصان وقد تقدم قول الفراء انه احاطة الذنوب بالقلوب وذكر الثعلبي عن ابن عباس ران على قلوبهم اى غطى عليها وقيل غطى عليها وهذا هو الصحيح عنه ان شاء الله وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابو بكر والمفضل ران بالامالة لان فاء الفعل الراء وعينه الف منقلبة من ياء فحسنت الامالة لذلك ومن فتح فعلى الاصل لان باب فاء الفعل في فعل الفتح مثل قال وباع ونحوه واختار ابو عبيد وابو حاتم ووقف حفص بل ثم يبتدي ران وتقاربيتن اللام لا للسكت قوله تعالى كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ٥ كلا انهم اى حقا انهم يعني الكفار عن ربهم يومئذ اى يوم القيامة لمحجوبون وقيل كلا ردع وزجر اى ليس كما يقولون بل انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الزجاج في هذه الاية دليل على ان الله عز وجل يرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الاية فايدة ولا خست منزلة الكفار بانهم محجوبون وقال الله جل ثناوه

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاعلم الله جل ثناوه ان المؤمنين ينظرون اليه واعلم ان الكفار محجوبون عنه وقال مالك بن انس في هذه الآية لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم قال اما والله لو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا وقال الحسين ابن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده حجبهم في الآخرة عن رويته وقال مجاهد في قوله لمحجوبون اى عن كرامته ورحمته ممنوعون وقال قتادة هو ان الله لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وعلى الاول الجمهور وانهم محجوبون عن رؤيته فلا يرونه ثم انهم لصالوا الجحيم اى ملازموها ومحترقون فيها غير خارجين منها كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وكلما خبت زيدت سعيرا ويقال الجحيم الباب الرابع من النار ثم يقال لهم اي تقول لهم خزنة جهنم هذا الذى كنتم به تكذبون رسل الله في الدنيا قوله تعالى كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٥ كلا بمعنى حقا والوقف على تكذبون وقيل اى ليس الامر كما ظنوا بل كتابهم في سجين وكتاب المومنين في عليين وقال مقاتل كلا اى لا يومنون بالعذاب الذي يصلونه ثم استانف فقال ان كتاب الابرار مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم قال ابن عباس اي في الجنة وعنه ايضا قال اعمالهم في كتاب الله في السماء وقال الضحاك ومجاهد وقتادة يعني السماء السابعة فيها ارواح المومنين وروى الاجلح عن الضحاك قال هي سدرة المنتهى ينتهي اليها كل شيء من امر الله لا يعدوها فيقولون رب عبدك فلان وهو اعلم به منهم فياتيه كتاب من عند الله عز وجل مختوم بامانه من العذاب فذلك قوله كلا ان كتاب الابرار وعن كعب قال ان روح المومن اذا قبضت صعد بها وفتحت لها ابواب السماء وتلقتها الملائكة بالبشرى ثم يخرجون معها حتى ينتهوا الى العرش فيخرج لهم من تحت العرش رق فيرقم ويختم فيه النجاة من الحساب يوم القيامة ويشهده المقربون وقال قتادة ايضا في عليين هي فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى وقال البراء بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم عليون في السماء السابعة تحت العرش وعن ابن عباس ايضا هو لوح من زبرجد خضراء معلق بالعرش اعمالهم مكتوبة فيه وقال الفراء عليون ارتفاع بعد ارتفاع وقيل عليون اعلى الامكنة وقيل معناه علو في علو مضاعف كانه لا غاية له ولذلك جمع بالواو والنون وهو معنى قول الطبري قال الفراء هو اسم موضع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقولك عشرين وثلاثين والعرب اذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنيته قالوا في المذكر والمونث بالنون وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين وقال يونس النحوي واحدها علي وعلية قال ابو الفتح عليين جمع علي وهو فعيل من العلو وكان سبيله ان يقول علية كما قالوا للغرفة علية لانها من العلو فلما حذفت الهاء من علي عوضوا منها الجمع بالواو والنون كما قالوا في ارضين وقيل ان عليين صفة للملائكة فانهم الملأ الاعلى كما يقال فلان في بني فلان اي هو في جملتهم وعندهم والذي في الخبر من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل عليين لينظرون الى الجنة من كذا فاذا اشرف رجل من اهل عليين اشرقت الجنة لضياء وجهه فيقولون ما هذا النور فيقال اشرف رجل من اعلى عليين الابرار اهل الطاعة والصدق في خبر آخر ان اهل الجنة

ليرون اهل عليين كما يرى الكوكب الدري فى افق السماء يدل على ان عليين اسم الموضع المرتفع وروى ناس
عن ابن عباس فى قوله عليين قال اخبر ان اعمالهم وارواحهم فى السماء الرابعة ثم قال وما ادريك ما عليون
اى ما الذي اعلمك يا محمد اى شئ عليون على جهة التفخيم والتعظيم له فى المنزلة الرفيعة ثم فسره له فقال
كتاب مرقوم يشهده المقربون وقيل ان كتاب مرقوم ليس تفسيرا لعليين بل تم الكلام عند قوله
عليون ثم ابتداء وقال كتاب مرقوم اى كتاب الابرار كتاب مرقوم ولهذا عكس الرقم فى كتاب الفجار قاله
القشيري وروي ان الملائكة تصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى
اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على ما فى قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفرت له وانها
لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدك وانا الرقيب
على ما فى قلبه وانه لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين قوله تعالى يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ○ اى يشهد عمل الابرار
مقربوا كل سماء من الملائكة وقال وهب ابن اسحاق المقربون منا اسرافيل عليه السلام فاذا عمل المؤمن
عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة ولها نور يتلألأ فى السموات كنور الشمس فى الارض حتى تنتهى بها الى
اسرافيل فيختم عليها ويكتب فهو قوله يشهده المقربون اى يشهد كتابتهم قوله تعالى اِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ○
عَلَى الْاَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ○ ان الابرار اي اهل الصدق والطاعة لفى نعيم اى نعمة والنعمة بالفتح التنعم تقال
نعمه الله وناعمه فتنعم وامرأة منعمة ومناعمة بمعنى اي ان الابرار فى الجنات يتنعمون على الارائك الاسرة
فى الحجال ينظرون اى الى ما اعد الله لهم من الكرامات قاله عكرمة وابن عباس ومجاهد وقال مقاتل
ينظرون الى اهل النار وعن النبى صلى الله عليه وسلم ينظرون الى اعدائهم فى النار ذكره المهدوي
وقيل على ارائك افضاله ينظرون الى وجهه وجلاله قوله تعالى تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ○
يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِى ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ○ تعرف فى وجوههم
نضرة النعيم اى بهجته وغضارته ونوره يقال انضر النبات اذا ازهر ونور وقراءة العامة تعرف
بفتح التاء وكسر الراء نضرة نصب اى تعرف يا محمد وقراء ابو جعفر ابن القعقاع ويعقوب وشيبة
وابن ابي اسحاق تعرف بضم التاء وفتح الراء على الفعل المجهول نضرة رفعا يسقون من رحيق اي
من شراب لا غش فيه قاله الاخفش والزجاج وقيل الرحيق الخمر الصافية وفى الصحاح الرحيق صفوة
الخمر واحد الخليل اقصى الخمر واجودها وقال مقاتل وغيره هى الخمر العتيقة البيضاء الصافية
الخالصة من الغش النيرة قال حسان ○ يسقون من ورد البريص عليهم ○
بردى يصفق بالرحيق السلسل ○ وقال آخر ○ ام لا سبيل الى الشباب وذكره ○
اشهى الىّ من الرحيق السلسل ○ مختوم ختامه مسك قال مجاهد يختم به آخر جرعة وقيل
المعنى اذا شربوا هذا الرحيق ففنى ما فى الكأس انختم ذلك بخاتم المسك وكان ابن مسعود يقول يجدون
عاقبتها طعم المسك ونحوه عن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي قالا ختامه آخر طعمه وهو حسن لان
سبيل الاشربة ان يكون الكدر فى آخرها فوصف شراب اهل الجنة بان رائحة آخره رائحة المسك
وعن مسروق عن عبد الله قال المختوم الممزوج وقيل مختوم اى ختمت ومنعت من ان يمسها ماس
الى ان يفك ختامها الابرار وقراء على وعلقمة وسفيان والضحاك وطاوس والكسائى خاتمه بفتح الخاء

والتاء والالف بينهما قال علقمة اما رايت المرأة تقول للعطار اجعل لى خاتمه مسكا تريد آخره والخاتم
والختام متقاربان فى المعنى الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر قاله الفراء وفى الصحاح والختام الطين
الذى يختم به وكذا قال مجاهد وابن زيد ختم اناؤه بالمسك بدل من الطين حكاه المهدوي وقال الفرزدق
وبت افض اغلاق الختام ○ وقال الاعشى ○ وابرزها وعليها ختم ○ اى عليها طينة
مختومة مثل نفض بمعنى منفوض وقبض بمعنى مقبوض وذكر ابن المبارك وابن وهب واللفظ
لابن وهب عن عبد الله ابن مسعود فى قول الله تعالى ختامه مسك خلطه ليس بخاتم يختم الم تر
الى قول المرأة من نسائكم ان خلطه من الطيب كذا وكذا انما خلطه مسك ليس بخاتم يختم وذكر ابن المبارك
عن ابي الدرداء ختامه مسك قال شراب ابيض مثل الفضة يختمون بها آخر اشربتهم لو ان رجلا
من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها وروي ابي بن كعب
قال قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم قال غدران الخمر وقيل مختوم فى الانية وهو غير الذى يجرى
فى الانهار فالله اعلم وفى ذلك اى وفى الذى وصفناه من امر الجنة فليتنافس المتنافسون اى فليرغب
الراغبون يقال نفست عليه الشئ انفسه نفاسة اي ضننت به ولم احب ان يصير اليه وقيل الفاء
بمعنى الى اى والى ذلك فليتبادر المتبادرون فى العمل نظيره لمثل هذا فليعمل العاملون ومزاجه
اى ومزاج ذلك الرحيق من تسنيم وهو شراب ينصب عليهم من علو وهو اشرف شراب فى الجنة واصل
التسنيم فى اللغة الارتفاع فهى عين ماء تجرى من علو الى سفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وكذلك
تسنيم القبور وروي عن عبد الله قال تسنيم عين فى الجنة يشرب بها المقربون صرفا ويمزج منها كاس
اصحاب اليمين فتطيب وقال ابن عباس فى قوله عز وجل ومزاجه من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقيل التسنيم عين تجرى فى الهواء بقدرة الله تعالى فتنصب
فى اوانى اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت امسك الماء فلا تقع منه قطرة على الارض ولا يحتاجون
الى الاستقاء قاله قتادة ابن زيد بلغنا انها عين تخرج من تحت العرش وكذا فى مراسل الحسن وقد
ذكرناه فى سورة الانسان عينا يشرب بها المقربون اى يشرب منها اهل الجنة العدن وهم افاضل
اهل الجنة صرفا وهى لغيرهم مزاج وعينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال من تسنيم وتسنيم
معرفة ليس يعرف له اشتقاق وان جعلته مصدرا مشتقا من السنام فعينا نصب لانه مفعول به كقوله
او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وهذا قول الفراء انه منصوب بتسنيم وعند الاخفش بيسقون اي
يسقون عينا او من عين وعند المبرد باضمار اعنى على المدح قوله تعالى اِنَّ الَّذِينَ اَجْرَمُوا كَانُوا
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَاِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ○ وصف احوال الكفار فى الدنيا مع المؤمنين فى استهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش
من اهل الشرك روى ناس عن ابن عباس قال هو وليد بن المغيرة وعقبة بن ابي معيط والعاص
ابن وايل والاسود ابن عبد يغوث والعاص ابن هشام وابو جهل والنعمان ابن الحرث واولئك
كانوا من الذين آمنوا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وصهيب وبلال يضحكون
على وجه السخرية واذا مروا بهم عند اتيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم

بعضا ويشيرون باعينهم وقيل اى يعيّرونهم بالاسلام ويعيبونهم به يقال غمزت الشئ بيدى قال

وكنت اذا غمزت قناة قوم ° كسرت كعوبها او تستقيما °

وقالت عايشه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا سجد غمزنى فقبضت عنى رجلى الحديث وقد مضى فى النساء

وغمزته بعينى وقيل الغمز بمعنى العيب يقال غمزه اى عابه وما فى فلان غمزة اى عيب وقال مقاتل

نزلت فى على ابن ابى طالب جاء فى نفر من المسلمين الى النبى صلى الله عليه وسلم فلمزهم المنافقون

وضحكوا عليهم وتغامزوا واذا انقلبوا الى اهلهم اى اصحابهم وذويهم انقلبوا فاكهين اى معجبين منهم اي انصرفوا م

وقيل معجبون بما هم عليه من الكفر متفكهون بذكر المؤمنين وقرا ابن القعقاع وحفص والاعرج والسلمى

فكهين بغير الف الباقون بالف قال الفراء هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم فى الدخان

وقيل الفكه الاشر البطر والفاكه الناعم المتنعم واذا راوهم اى اذا راوا هولاء الكفار اصحاب محمد صلى الله

عليه وسلم قالوا ان هولاء لضالون فى اتباعهم محمدا وما ارسلوا عليهم حافظين لاعمالهم موكلين باحوالهم

رقباء عليهم فاليوم اى فى هذا اليوم الذى هو يوم القيامة الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من الكفار

يضحكون كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا نظيره فى آخر سورة المؤمنين وقد تقدم وذكر ابن المبارك اخبرنا

محمد بن بشار عن قتادة فى قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون قال ذكر لنا ان كعبا كان يقول

ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدو كان له فى الدنيا اطلع من بعض الكوى قال

الله تعالى فى اية اخرى فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال ذكر لنا انه اطلع فراى جماجم القوم تغلى وذكر ابن

المبارك ايضا اخبرنا الكلبى عن ابى صالح فى قوله تعالى الله يستهزئ بهم قال يقال لاهل النار وهم فى النار

اخرجوا فتفتح لهم ابواب النار فاذا راوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون

اليهم على الارائك فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك قوله يستهزئ بهم ويضحك منهم المؤمنون حين

غلقت دونهم فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار

ما كانوا يفعلون وقد مضى هذا فى اول البقرة ومعنى هل ثوب اى هل جوزى بسخريتهم فى الدنيا بالمؤمنين

اذا فعل بهم ذلك وقيل انه متعلق بينظرون اى ينظرون هل جوزى الكفار فيكون معنى هل وموضعها

نصب بينظرون وقيل استيناف لا موضع له وقيل هو على اضمار القول والمعنى يقول بعض المؤمنين

لبعض اهل ثوب الكفار اى اثيب وجوزى وهو من ثاب اى رجع فالثواب ما يرجع على العبد فى

مقابلة عمله ويستعمل فى الخير والشر ° ختمت

تفسير سورة انشقت

مكية فى قول الجميع وهى خمس وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم °

اذا السماء انشقت ° واذنت لربها وحقت ° انشقت انصدعت وتفطرت بالغمام والغمام

مثل السحاب الابيض كذا روى ابو صالح عن ابن عباس وروى عن على رضى الله عنه قال تنشق من المجرة

وقال المجرة باب السماء وهذا من اشراط الساعة وعلاماتها واذنت لربها وحقت اى سمعت

وحق لها ان تسمع روى معناه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ما اذن

الله لشئ كاذنه لنبى صلى الله عليه وسلم يتغنى بالقرآن اى ما استمع الله لشئ قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ° وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا °

اى سمعوا وقال قعنب بن ام صاحب ° ان ياذنوا ريبة طاروا بها فرحا °

منى وما اذنوا من صالح دفنوا ° وقيل المعنى وحقق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق

قاله الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا وطاعة

السماء بمعنى انها لا تمتنع مما اراد الله بها ولا يبعد خلق الحياة فيها حتى تطيع وتجيب وقال

قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومنه قول كثير ° فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا

وحقت لها العتبى لدينا وقلت ° قوله تعالى واذا الارض مدت ° والقت ما فيها وتخلت

واذنت لربها وحقت ° واذا الارض مدت اى بسطت ودكت جبالها قال النبى صلى الله عليه وسلم

تمد مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وامت واستوى وقال ابن عباس وابن مسعود

ويزاد فى سعتها كذا وكذا لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لاحد من البشر الا موضع قدمه

يعنى لكثرة الخلائق فيها وقد مضى فى سورة ابرهيم ان الارض تبدل بارض اخرى وهى الساهرة

فى قول ابن عباس على ما تقدم عنه والقت ما فيها وتخلت اى اخرجت امواتها وتخلت منهم وقال ابن

جبير القت ما فى بطنها من الموتى وتخلت ممن على ظهرها من الاحياء وقيل القت ما فى بطنها من كنوزها

ومعادنها وتخلت منها خلا جوفها فليس فى بطنها شئ وذلك يوذن بعظم الامر كما تلقى الحامل ما فى بطنها

عند الشدة وقيل تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها وقيل القت ما استودعت وتخلت مما استحفظت

لان الله تعالى استودعها عباده احياء وامواتا واستحفظها بلاده مزارعة واقواتا واذنت لربها

وحقت اى فى القاء موتاها وحقت اى وحق لها ان تسمع امره واختلف فى جواب اذا فقال الفراء

اذنت والواو زايدة وكذلك والقت ابن الانبارى قال بعض المفسرين جواب اذا السماء انشقت اذنت

وزعم ان الواو مقحمة وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى اذا كقوله حتى اذا جاوها وفتحت

ابوابها ومع لما كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم معناه ناديناه والواو لا تقحم فى غير هذين

وقيل الجواب فاء مضمرة كانه قال اذا السماء انشقت فيا ايها الانسان انك كادح وقيل جوابها ما دل

عليه فملاقيه اى اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه وقيل فيه تقديم وتاخير اى يا ايها الانسان

انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت قاله المبرد وعنه ايضا الجواب فاما من اوتى كتابه

بيمينه وهو قول الكسائى اذا السماء انشقت فمن اوتى كتابه بيمينه فحكمه كذا قال ابو جعفر النحاس وهذا

اصح ما قيل فيه واحسنه وقيل هو بمعنى اذكر اذا السماء انشقت وقيل الجواب محذوف لعلم المخاطبين

به اى اذا كانت هذه الاشياء علم المكذبون بالبعث ضلالتهم وخسرانهم وقيل تقدم منهم سوال عن وقت

القيامة فقيل لهم اذا ظهرت اشراطها كانت القيامة فرايتم عاقبة تكذيبكم بها والقرآن كالاية الواحدة

فى دلالة البعض على البعض وعن الحسن ان قوله اذا السماء انشقت قسم والجمهور على خلاف قوله من

انه خبر وليس بقسم قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ° المراد

بالانسان الجنس اى يا ابن آدم وكذا روى سعيد عن قتادة يا ابن ادم ان كدحك لضعيف فمن استطاع

ان يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ولا قوة الا بالله وقيل مومقين قال مقاتل يعنى اسود بن
عبد الاسد ويقال يعنى ابى ابن خلف ويقال جميع الكفار يعنى يا ايها الكافر انك كادح والكدح فى
كلام العرب العمل والكسب قال ابن مقبل وما الدهر الا تاران فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح
وقال آخر ومضت بشاشة كل عيش صالح ○ وبقيت اكدح للحياة وانصب
اى اعمل وروى الضحاك عن ابن عباس انك كادح راجع الى ربك كدحا اى رجوعا لا محالة فملاقيه
اى ملاق ربك وقيل ملاق عملك القتبى انك كادح اى عامل ناصب فى معيشتك الى لقاء ربك
والملاقاة بمعنى اللقاء اى تلقاء ربك بعملك وقيل اى تلاقى كتاب عملك لان العمل قد انقضى
ولهذا قال فاما من اوتى كتابه بيمينه قوله تعالى فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ○ واما من اوتى كتابه بيمينه وهو المومن فسوف يحاسب
حسابا يسيرا لا مناقشة فيه كذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب يوم القيامة عذب قالت فقلت يا رسول الله قد قال
الله فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذاك الحساب انما ذلك
العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب اخرجه البخارى ومسلم والترمذى وقال حديث
حسن صحيح وينقلب الى اهله ازواجه فى الجنة من الحور العين مسرورا مغتبطا قرير العين ويقال
انها نزلت فى ابى ابن سلمة ابن عبد الله الاسد وهو اول من هاجر من مكة الى المدينة وقيل الى اهله
الذين كانوا له فى الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته والاول قول قتادة اى الى اهله الذين
قد اعدهم الله له فى الجنة قوله تعالى وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا
وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ
بِهِ بَصِيرًا ○ نزلت فى الاسود بن عبد الاسد اخى ابى سلمة قاله ابن عباس ثم هى عامة فى كل مومن
وكافر قال ابن عباس يمد يده اليمنى لياخذ كتابه فيجذبه ملك فيخلع يمينه فياخذ كتابه بشماله من وراء
ظهره وقال قتادة ومقاتل تغل الواح صدره وعظامه ثم يدخل يده ويخرج من ظهره فياخذ كتابه كذلك
فسوف يدعو ثبورا اى بالهلاك يقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلى سعيرا اى ويدخل النار حتى يصلى بحرها
وقراء الحرميان وابن عامر والكساى ويصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام كقوله ثم الجحيم صلوه وقوله
وتصلية جحيم الباقون ويصلى بفتح الياء مخففا فعل لازم غير متعد كقوله الا من صال الجحيم وقوله يصلى
النار الكبرى وقوله ثم انهم لصالوا الجحيم وقراءة ثالثة رواها ابان عن عاصم وخارجة عن نافع و
اسمعيل المكى عن ابن كثير ويصلى بضم الياء واسكان الصاد وفتح اللام مخففا كما قراء وسيصلون
بضم الياء وكذلك فى الغاشية قد قرى ايضا يصلى نارا وهما لغتان صلى واصلى كقوله نزل وانزل
انه كان فى اهله مسرورا اى فى الدنيا مسرورا قال ابن زيد وصف الله اهل الجنة بالمخافة
والحزن والبكاء والشفقة فى الدنيا فاعقبهم به النعيم والسرور فى الاخرة وقراء قول الله تعالى
انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين قال ووصف اهل النار بالسرور فى الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال انه
كان فى اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى اى لن يرجع حيا مبعوثا فيحاسب ثم يثاب او يعاقب ويقال حار يحور

حار يحور اذا رجع قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوءه ○ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ○
وقال عكرمة وداود بن ابى هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع ويجوز ان تتفق الكلمتان فانهما كلمة اشتقاق
ومنه الخبز الحوارى لانه يرجع الى البياض وقال ابن عباس ما كنت ادرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تدعو
بنية لها حورى حورى اى ارجعى الى فالحور فى كلام العرب الرجوع ومنه قوله عليه السلام اللهم انى اعوذ
بك من الحور بعد الكور يعنى من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم وفى المثل حور فى
محار اى نقصان فى نقصان يضرب للرجل اذا كان امره يدبر قال الشاعر ○
واستعجلوا عن خفيف المضغ وازدردوا ○ والذم يبقى وزاد القوم فى حور ○
والحور ايضا الاسم من قولك طحنت الطاحنة فما احارت شيئا اى ما ردت شيئا من الدقيق والحور ايضا
الهلكة قال الراجز فى بير لا حور سرى وما شعر ○ قال ابو عبيدة اى فى بير حور
ولا زائدة وروى بعد الكون ومعناه من انتشار الامر بعد تمامه وسئل معمر عن الحور بعد الكور فقال
هو الكنتى فقال له عبد الرزاق وما الكنتى قال الرجل يكون صالحا ثم يتحول رجل سوء قال ابو عمرو
يقال للرجل اذا شاخ كنتى كانه نسب الى قوله كنت فى شبابى كذا قال ○
فاصبحت كنتيا واصبحت عاجنا ○ وشر خصال المرء كنت وعاجن ○
عجن الرجل اذا نهض معتمدا على الارض من الكبر قال ابن الاعرابى الكنتى هو الرجل يقول
كنت شابا وكنت شجاعا والكانى هو الذى يقول كان لى مال وكنت اهب وكان لى خيل وكنت اركب
قوله تعالى بلى اى ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويرجع ان ربه كان به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان مرجعه
اليه وقيل بلى ليحورن وليرجعن ثم استانف فقال ان ربه كان به بصيرا من يوم خلقه الى ان بعثه و
قيل اى عالما بما سبق له من الشقاء والسعادة قوله تعالى فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ○ اى فاقسم
ولا صلة بالشفق اى بالحمرة التى تكون عند مغيب الشمس حتى تاتى صلاة العشاء الاخرة قال اشهب وعبد
الله بن عبد الحكم ويحيى بن يحيى وغيرهم كثير عددهم عن مالك الشفق الحمرة التى تكون فى المغرب فاذا ذهبت
الحمرة فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشاء وروى ابن وهب قال اخبرنى غير واحد
عن على بن ابى طالب ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وشداد بن اوس وابى هريرة ان الشفق الحمرة
وبه قال مالك ابن انس وذكر غير ابن وهب من الصحابة عمر وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وانسا وابا
قتادة وجابر ابن عبد الله وابن الزبير ومن التابعين سعيد بن جبير وابن المسيب وطاوس وعبد الله
ابن دينار والزهرى وقال به من الفقهاء الاوزاعى ومالك والشافعى وابو يوسف وابو ثور
وابو عبيد واحمد واسحاق وقيل هو البياض روى ذلك عن ابن عباس وابى هريرة ايضا وعمر بن
عبد العزيز والاوزاعى وابى حنيفة فى احدى الروايتين عنه وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه وروى
عن ابن عمر ايضا انه البياض والاختيار الاول لان اكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه ولان
شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له قال الفراء سمعت بعض العرب يقول الثوب
عليه مصبوغ كانه الشفق وكان احمر فهذا شاهد للحمرة وقال الشاعر ○
احمر اللون كحمرة الشفق ○ وقال آخر ○ قم يا غلام اعنى غير مرتبك ○ على الزمان بكاس حشوها شفق ○

ويقال للمغرة الشفق وفي الصحاح الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى قريب من العتمة قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشاء الاخرة اذا ذهب قيل غاب الشفق ثم قيل اصل الكلمة من رقة الشيء يقال شيء شفق اي لا تماسك له لرقته واشفق عليه اي رق قلبه عليه والشفقة الاسم من الاشفاق وهو رقة القلب وكذلك الشفق قال الشاعر

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا ۝ والموت اكرم نزال على الحرم

فالشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فكان تلك الرقة من ضوء الشمس وزعم الحكماء ان البياض لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية فرمقت البياض فرايته يتردد من افق الى افق ولم اره يغيب وقال ابن ابي اويس رايته يتمادى الى طلوع الفجر قال علماؤنا فلما لم يتحدد وقته سقط اعتباره وفي سنن ابي داود عن النعمان ابن بشير قال انا اعلمكم بوقت صلوة العشاء الاخرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر لثالثة وهذا تحديد ثم الحكم معلق باول الاسم لا يقال فينتقض عليكم بالفجر الاول فانا نقول الفجر الاول لا يتعلق به حكم من صلوة ولا امساك لان النبي صلى الله عليه وسلم بين الفجر بقوله وفعله فقال وليس الفجر ان يقول هكذا ورفع يده الى فوق ولكن الفجر ان يقول هكذا وبسطها وقد مضى بيانه في اية الصيام من سورة البقرة فلا معنى للاعادة وقال مجاهد الشفق النهار كله الا تراه قال والليل وما وسق وقال عكرمة ما بقي من النهار والشفق ايضا الردي من الاشياء يقال عطاء مشفق اي مقلل قال الكميت

ملك اغر من الملوك تحلبت ۝ للسائلين يداه غير مشفق ۝

قوله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ اي جمع وضم ولف واصله من سواد السلطان وغضبه فلولا انه خرج الى العباد من باب الرحمة ما تمالك العباد لمجيئه ولكن خرج من باب الرحمة فمزج بها فسكن الخلق اليه ثم انزووا والتفوا وانقبضوا ورجع كل الى ماواه يسكن فيه من هوله وحشا وهو قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي بالليل ولتبتغوا من فضله اي بالنهار على ما تقدم فالليل يجمع ويضم ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم قال صابي بن الحرث البرجمي

فاني واياكم وشوقا اليكم ۝ كقابض ماء لم تسقه انامله ۝

يقول ليس في يدي من ذلك شيء كما انه ليس في يد القابض على الماء شيء فاذا جلل الليل الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها والوسق ضمك الشيء بعضه الى بعض تقول وسقته اسقه وسقا ومنه قيل للطعام الكثير المجتمع وسق وهو ستون صاعا وطعام موسوق اي مجموع وابل مستوسقة اي مجتمعة قال الراجز

ان لنا قلايصا حقايقا ۝ مستوسقات لو يجدن سايقا ۝

وقال عكرمة وما وسق اي وما ساق من شيء الى حيث ياوي فالوسق بمعنى الطرد ومنه قيل للطريدة من الابل والغنم والحمر وسيقة قال الشاعر كما قاف اثار الوسيقة قايف ۝ وعن ابن عباس وما وسق اي وما جن وستر وعنه ايضا وما حمل وكل شيء حملته فقد وسقته والعرب تقول لا افعله ما وسقت عيني الماء اي حملته ووسقت الناقة تسق وسقا اي حملت واغلقت رحمها على الماء فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل نايم ونيام وصاحب وصحاب قال بشر بن ابي خازم

الظاهرات تجدهن حني ۝ تبيئت الحيال من الوساق ۝

ومواسق ايضا واوسقت البعير حملته حمله واوسقت النخلة كثر حملها وقال يمان والضحاك ومقاتل ابن سليمان

حمل من الظلمة قال مقاتل او حمل من الكواكب القشيري ومعنى حمل ضم وجمع والليل يجلل بظلمته كل شيء فاذا جللها فقد وسقها ويكون هذا القسم قسما بجميع المخلوقات لاشتمال الليل عليها كقوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال ابن جبير وما وسق اي وما عمل فيه يعني التهجد فيه والاستغفار بالاسحار وقال الشاعر

ويوما ترانا صالحين وتارة ۝ يقوم بنا كالواسق المتلبب ۝

اي كالعامل قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ۝ والقمر اذا اتسق اي تم واجتمع واستوى قال الحسن اتسق اي امتلأ واجتمع ابن عباس استوى قتادة استدار الفراء اتساقه امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق الذي هو الجمع يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل ويقال امر فلان متسق اي مجتمع على الصلاح منتظم ويقال اتسق الشيء اذا تتابع لتركبن طبقا عن طبق قرا عمر وابن مسعود وابن عباس وابو العالية ومسروق وابو وايل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بفتح الباء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اي لتركبن يا محمد حالا بعد حال قاله ابن عباس الشعبي لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القربة من الله تعالى ابن مسعود لتركبن السماء حالا بعد حال يعني حالاتها التي وصفها الله تعالى بها من الانشقاق والطي وكونها مرة كالمهل ومرة كالدهان وعن ابراهيم عن عبد الله طبقا عن طبق قال السماء تقلب حالا بعد حال تكون وردة كالدهان وتكون كالمهل وقيل لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا فالخطاب للانسان المذكور في قوله يا ايها الانسان انك كادح وهو اسم للجنس ومعناه الناس وقرا الباقون لتركبن بضم الباء خطابا للناس واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لان المعني بالناس اشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر قبل هذه الاية فمن يؤتى كتابه بيمينه ومن يؤتى كتابه بشماله اي لتركبن حالا بعد حال ودارا بعد دار وحالا بعد حال من شدايد القيامة او لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الانبياء قال الشيخ رحمه الله وكل مراد وقد جاءت بذلك احاديث فروى ابو نعيم الحافظ عن جعفر بن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن آدم لفي غفلة مما خلقه الله تعالى له ان الله لا اله غيره اذا اراد خلقه قال للملك اكتب رزقه واثره واجله واكتب شقيا او سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا اخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسياته فاذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فاذا ادخل حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيات فانشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سايق والاخر شهيد ثم قال الله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم امرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم فقد اشتمل هذا الحديث على احوال تعتري الانسان من حين يخلق الى حين يبعث وكله شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء وفي كل حال من هذه شدايد وقال صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر و

ذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن خرجه البخاري
واما اقوال المفسرين فقال عكرمة حالا بعد حال فطيما بعد رضيع وشيخا بعد شباب قال الشاعر

كذلك المرء ان ينسا له اجل ۝ يركب على طبق من بعده طبق ۝

وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه وقال الحسن امرا بعد امر رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنا بعد فقر وفقر بعد غناء وصحة بعد سقم وسقما بعد صحة سعيد بن جبير منزلة بعد منزلة قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة وقوم كانوا في الدنيا مرتفعين فاتضعوا في الآخرة وقيل منزلة عن منزلة وطبقا عن طبقة ذلك ان كل من كان على صلاح دعاه الى صلاح فوقه ومن كان على فساد دعاه الى فساد فوقه لان كل شيء يجري الى شكله ابن زيد لتصيرن من طبق الدنيا الى الطبق الآخرة وقال ابن عباس الشدايد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض والعرب تقول لمن وقع في امر شديد وقع في بنات طبق واحدى بنات طبق ومنه قيل للداهية الشديدة ام طبق واحدى بنات الطبق واصله من الحيات اذ يقال للحية ام طبق لتحويها والطبق في اللغة الحال كما وصفنا قال الاقرع بن حابس التميمي

اني امرء قد حلبت الدهر اشطره ۝ وساقني طبق منه الى طبق ۝

وهذا ادل دليل على حدث العالم واثبات الصانع قالت الحكماء من كان اليوم على حالة وغدا على حالة اخرى فليعلم ان تدبيره الى سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على ان لهذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنية ونسخ العزيمة ويقال اتانا طبق من الناس وطبق من الجراد اى جماعة وقول العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

تنقل من صالب الى رحم ۝ اذا مضى عالم بدا طبق ۝

اى قرن من الناس يكون طباق الارض اى ملؤها والطبق ايضا عظم رقيق يفصل بين الفقارين ويقال مضى طبق من الليل وطبق من النهار اى معظم منه والطبق واحد الاطباق فهو مشترك وقرى لتركبن بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء على ليركبن الانسان وعن طبق في محل نصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون يعني اى شيء يمنعهم من الايمان بعد ما وضحت لهم الايات والدلالات وهذا استفهام انكار وقيل تعجب اي اعجبوا منهم في ترك الايمان مع هذه الايات قوله تعالى وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ اي لا يصلون وفي الصحيح ان ابا هريرة قرأ اذا السماء انشقت فسجد فيها فلما انصرف اخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وقد قال مالك انها ليست من عزائم السجود لان المعنى لا يذعنون ولا يطيعون في العمل بموجباته ابن العربي والصحيح انها منه وهي رواية المدنيين عنه وقد اعتضد فيها القرآن والسنة قال ابن العربي لما اممت بالناس تركت قراءتها لاني ان سجدت انكروه وان تركتها كان تقصيرا مني فاجتنبتها الا اذا صليت وحدي وهذا تحقيق وعد الصادق بان يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا وقد قال صلى الله عليه وسلم لعايشة لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت البيت ولرددته على قواعد ابرهيم ولقد كان شيخنا ابو بكر الفهري يرفع يديه عن الركوع وعند الرفع منه وهو

مذهب مالك والشافعي ويفعله الشيعة فحضر عندي يوما في محرس ابن الشوّى بالثغر موضع تدريسي عند صلوة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور فتقدم الى الصف وانا في مؤخره قاعدا على طاقات البحر انسم الريح من شدة الحر ومعي في صف واحد ابو ثمنة رئيس البحر وقائده مع نفر من اصحابه ينتظر الصلوة ويتطلع على مراكب تحت المنار فلما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي رفع الراس منه قال ابو ثمنة الا ترون الى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا فقوموا اليه فاقتلوه وارموا به في البحر فلا يراكم احد فطار قلبي من بين جوانحي وقلت سبحان الله هذا الطرطوشي فقيه الوقت فقالوا لي ولم يرفع يديه فقلت كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل وهو مذهب مالك في رواية اهل المدينة عنه وجعلت اسكنهم واسكتهم حتى فرغ من صلوته وقمت معه الى المسكن من المحرس ورأى تغير وجهي فانكره وسألني فاعلمته فضحك وقال ومن اين لي ان اقتل على سنة فقلت له ولا يحل لك هذا فانك بين قوم ان قمت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك فقال دع هذا الكلام وخذ في غيره

قوله تعالى بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ بل الذين كفروا يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به وقال مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم اثنان منهم وقيل هو في جميع الكفار والله اعلم بما يوعون اي بما يضمرونه في انفسهم من التكذيب كذا روى الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد يكتمون من افعالهم ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحات والسيئة ماخوذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه يقال اوعيت الزاد والمتاع اذا جعلته في الوعاء قال الشاعر

الخير ابقى وان طال الزمان به ۝ والشر اخبث ما اوعيت من زاد ۝

ووعاه اي حفظه يقول وعيت الحديث اعيه وعيا واذن واعية وقد تقدم فبشرهم بعذاب اليم اى موجع في جهنم على تكذيبهم اي اجعل ذلك بمنزلة البشارة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع كانه قال لكن الذين صدقوا بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وعملوا الصالحات اي ادوا الفرايض المفروضة عليهم لهم اجر اى ثواب غير ممنون اى غير منقوص ولا مقطوع يقال مننت الحبل اذا قطعته وقد تقدم وسأل نافع ابن الازرق ابن عباس عن قوله لهم اجر غير ممنون فقال غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب قال نعم قد عرفه اخو يشكر حين يقول

فترى خلفهن من سرعة الرجع ۝ منينا كانه اهباء ۝

قال المبرد المنين الغبار لانها تقطعه وراءها وكل ضعيف منين وممنون وقيل غير ممنون لا يمن عليهم به وذكر ناس من اهل العلم ان قوله الا الذين آمنوا ليس استثناء وانما هو بمعنى الواو كانه قال والذين آمنوا وقد مضى في البقرة القول فيه والحمد لله ختمت

تفسير سورة البروج

مكية باتفاق وهي ثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ قسم اقسم الله به عز وجل وفي البروج اقوال اربعة احدها

ذات النجوم قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك الثاني القصور قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد ايضا قال عكرمة هي قصور في السماء مجاهد البروج فيها الحرس الثالث ذات الخلق الحسن قاله المنهال ابن عمرو الرابع ذات المنازل قاله ابو عبيدة ويحيى ابن سلام وهي اثنا عشر برجا وهي منازل الشمس والقمر يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوما ثم يستتر ليلتين وتسير الشمس في كل برج منها شهرا وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت والبروج في كلام العرب القصور قال الله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة وقد تقدم قوله تعالى وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ اليوم الموعود اي الموعود به وهو قسم آخر وهو يوم القيامة من غير اختلاف بين اهل التاويل قال ابن عباس وعد اهل السماء واهل الارض ان يجتمعوا فيه وشاهد ومشهود اختلف فيهما فقال علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول الحسن ورواه ابو هريرة مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه ابو عيسى الترمذي في جامعه وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث موسى ابن عبيدة وموسى ابن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى ابن سعيد وغيره وقد روى شعبة وسفيان الثوري وغير واحد من الائمة عنه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه قال الشيخ رحمه الله وكذلك سائر الايام والليالي فكل يوم شاهد وكذلك كل ليلة ودليله ما رواه ابو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم عليه ياتي على العبد الا ينادى فيه يا ابن آدم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا ويقول الليل مثل ذلك غريب من حديث معاوية تفرد به عنه زيد العمي ولا اعلمه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى اسرائيل عن ابي اسحق عن الحارث عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقاله النخعي وعن علي ايضا المشهود يوم عرفة وقال ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما المشهود يوم القيامة لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قال الشيخ رحمه الله وعلى هذا اختلفت اقوال العلماء في الشاهد فقيل الله تعالى عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير بيانه وكفى بالله شهيدا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقيل محمد صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس ايضا والحسين بن علي وقرا ابن عباس فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقرا الحسين يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قال الشيخ رحمه الله واقرا انا ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الانبياء يشهدون على اممهم لقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وقيل آدم وقيل عيسى ابن مريم لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود امته وعن ابن عباس ايضا ومحمد بن كعب الشاهد الانسان دليله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا مقاتل اعضاؤه بيانه يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم

بما كانوا يعملون الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم بيانه وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقيل الليالي والايام وقد بيناه قال الشيخ رحمه الله وقد يشهد المال على صاحبه والارض بما عمل عليها ففي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن اعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه من ياخذه بغير حقه كالذي ياكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا قال فهذه اخبارها قال حديث حسن صحيح غريب وقيل الشاهد الخلق شهدوا لله جل وعز بالوحدانية والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى وقيل المشهود يوم الجمعة كما روى ابو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وذكر الحديث خرجه ابن ماجة وغيره قال الشيخ رحمه الله فعلى هذا يوم عرفة يوم مشهود لان الملائكة تشهد وتنزل فيه بالرحمة وكذا يوم النحر ان شاء الله وقال ابو بكر العطار الشاهد الحجر الاسود يشهد لمن لمسه بصدق واخلاص ويقين والمشهود الحاج وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم بيانه واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله من الشاهدين

قوله تعالى قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ اي لعن قال ابن عباس كل شيء في القرآن قتل فهو لعن وهذا جواب القسم في قول الفراء واللام فيه مضمرة كقوله والشمس وضحاها ثم قال قد افلح من زكاها وقد خاب اي لقد افلح وقيل فيه تقديم وتاخير اي قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج قاله ابو حاتم السجستاني ابن الانباري وهذا غلط لانه لا يجوز لقائل ان يقول والله قام زيد على معنى قام زيد والله وقال قوم جواب القسم ان بطش ربك لشديد وهذا قبيح لان الكلام قد طال بينهما وقيل ان الذين فتنوا وقيل جواب القسم محذوف اي والسماء ذات البروج لتبعثن وهذا اختيار ابن الانباري والاخدود الشق العظيم المستطيل في الارض كالخندق وجمعه اخاديد ومنه الخد لمجاري الدموع والمخدة لان الخد يوضع عليها ويقال تخدد وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح قال طرفة

ووجه كان الشمس حلت رداءها ° عليه نقي اللون لم يتخدد °

النار ذات الوقود النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال والوقود بفتح الواو قراءة العامة وهو الحطب وقرا قتادة وابو رجاء ونصر بن عاصم بضم الواو على المصدر اي ذات الاتقاد والالتهاب وقيل ذات الوقود بابدان الناس وقرا الاشهب العقيلي وابو السمال العدوي وابن السميفع النار ذات بالرفع فيهما اي احرقتهم النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود اي الذين خددوا الاخاديد وقعدوا عليها يلقون فيها المؤمنين وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وقد اختلفت الرواية في حديثهم والمعنى متقارب ففي صحيح مسلم عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان في طريقه اذا سلك راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان

اذا اتي الساحر ضربه فشكى فقال اذ اخشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا اتى الساحر
ضربه فشكى ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك
فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذا اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم اعلم
الساحر افضل ام الراهب فاخذ حجرا وقال بسم الله اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر
الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره
فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني وقد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى وان
ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع
جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتني فقال اني لا اشفي
احدا انما يشفي الله فان امنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس
اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله
فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ
الاكمه والابرص وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب وتفعله
فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع
شقتاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى وقع
شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا
وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم به ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا
الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل
اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به
البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة
فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك لست بقاتلي حتى
تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي
ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني به فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس
في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب
الغلام ثم رماه به فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام
آمنا برب الغلام فاتى الملك فقيل له ارأيت ما كنت تحذر قد نزل والله بك حذرك قد آمن الناس
فامر بالاخدود في افواه السكك فخددت واضرم النار وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قيل
له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا امه اصبري
فانك على الحق خرجه الترمذي بمعناه وفيه وكان على طريق الغلام راهب في صومعة قال معمر
احسب ان اصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين وفيه ان الدابة التي حبست الناس كانت اسدا وان الغلام دفن
قال فيذكر انه اخرج في زمن عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وقال حديث حسن غريب ورواه
الضحاك عن ابن عباس قال كان ملك بنجران وفي رعيته رجل له ابن فبعثه الى ساحر يعلمه السحر وكان على طريق الفتى

على راهب يقرأ الانجيل فكان يعجبه ما يسمعه من الراهب فدخل في دين الراهب فاقبل يوما فاذا حية
عظيمة قطعت على الناس طريقهم فاخذ حجرا فقال بسم الله رب السموات والارض وما بينهما فقتلها وذكر
نحو ما تقدم وان الملك لما رماه بالسهم وقتله قال اهل مملكة الملك لا اله الا الله عبد الله بن تامر وكان
اسم الغلام فغضب الملك وامر فخددت اخاديد وجمع فيها حطب ونار وعرض اهل مملكته عليها فمن
رجع عن التوحيد تركه ومن ثبت على دينه قذفه في النار وجيء بامرأة مرضع فقيل لها ارجعي
عن دينك والا قذفناك وولدك قال فاشفقت وهمت بالرجوع فقال لها الصبي المرضع يا امي اثبتي
على ما انت عليه فانما هي غميضة فالقوها وابنها وروى ابو صالح عن ابن عباس ان النار ارتفعت
من الاخدود فصارت فوق الملك واصحابه اربعين ذراعا فاحرقتهم وقال الضحاك هم قوم من
النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة اخذهم يوسف
ابن شراحيل ابن تبع الحميري وكانوا نيفا وثمانين رجلا وحفر لهم اخدودا وحرقهم فيه حكاه
الماوردي وحكى الثعلبي عنه ان اصحاب الاخدود من بني اسرائيل اخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم
الاخاديد ثم اوقدوا فيها النيران ثم اقيموا المؤمنون عليها وقيل لهم تكفرون او تقذفون في النار
ويزعمون انه دانيال واصحابه وقاله عطية العوفي وروي نحو هذا عن ابن عباس وقال علي رضي الله
عنه ان ملكا سكر فوقع على اخته ثم اراد ان يجعل ذلك شرعا في رعيته فلم يقبلوا فاشارت عليه ان يخطب
بان الله عز وجل احل نكاح الاخوات فلم يسمع منه فاشارت عليه ان يخد لهم الاخدود ويلقي فيه كل من
عصاه ففعل قال وبقايا هم ينكحون الاخوات وهم المجوس وكانوا اهل كتاب وروي عن علي ايضا
ان اصحاب الاخدود كان سببهم انه نبيا بعثه الله الى الحبشة فاتبعه ناس فخد لهم قومهم اخدودا
فمن تبع النبي صلى الله عليه وسلم رمي فيها فجيء بامرأة لها بني رضيع فجزعت فقال لها يا امه
امضي ولا تجزعي وقال ايوب عن عكرمة قال قتل اصحاب الاخدود قال كانوا من قومك من
السجستان وقال الكلبي هم نصارى نجران اخذوا بها قوما مؤمنين فخدوا لهم سبعة اخاديد
طول كل اخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا ثم طرح فيها النفط والحطب ثم عرضوهم عليها
فمن ابى قذفوه فيها وقيل قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين وقال مقاتل اصحاب
الاخدود ثلاثة واحد بنجران باليمن والاخر بالشام والاخر بفارس بخت نصر والذي بارض العرب
يوسف بن ذي نواس فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام قرآنا وانزل قرآنا في الذي كان بنجران
وذلك ان رجلين مسلمين احدهما بتهامة والآخر بنجران آجر احدهما نفسه فجعل يعمل ويقرأ الانجيل
فرأت ابنة المستأجر النور في قراءة الانجيل فاخبرت اباها فاسلم وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل
وامرأة بعد ما رفع عيسى فخد لهم يوسف بن ذي نواس ابن تبع الحميري اخدودا واوقد فيه النار وعرضهم
على الكفر فمن ابى ان يكفر قذفه في النار وقال من رجع عن دين عيسى لم يقذف وان امرأة معها ولد لها
صغير لم يتكلم فرجعت فقال لها ابنها يا اماه اني ارى امامك نارا لا تطفأ فقذفا جميعا انفسهما في النار
فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في يوم واحد سبعة وسبعين انسانا وقال ابن اسحاق عن وهب بن
منبه كان رجل من بقايا اهل دين عيسى ابن مريم عليهما السلام يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا

ذراعا

اما الذي بالشام فانطيانوس الرومي والذي بفارس بخت نصر صح

زاهدًا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سايحًا في القرى لا يعرف بقرية الا مضى عنها وكان بنّاءً يعمل بالطين
قال محمد بن كعب القرظي وكان اهل نجران اهل شرك يعبدون الاصنام وكان في قرية من قراها قريبًا
من نجران ساحر يعلم غلمان اهل نجران السحر فلما نزل بها فيميون بنى خيمة بين نجران وبين تلك
القرية التي بها الساحر فجعل اهل نجران يبعثون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث اليه الثامر
عبد الله ابن الثامر فكان مع غلمان اهل نجران فكان عبد الله اذا مر بصاحب الخيمة اعجبه ما يرى
من امر صلوته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى اسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن
اسم الله الاعظم وكان الراهب يعلمه فكتمه اياه وقال يا ابن اخي انك لن تحمله اخشى ضعفك عنه وكان
ابوه الثامر لا يظن الا ان ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ان الراهب
قد بخل عليه بتعليم اسم الله الاعظم عمد الى قداح فجمعها ثم لم يبق لله تعالى اسمًا يعلمه الا كتبه في قدح لكل اسم
قدح حتى اذا احصاها اوقد لها نارًا ثم جعل يقذفها فيه قدحًا قدحًا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها
بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء فاخذه ثم قام الى صاحبه فاخبره انه قد علم الاسم الذي
كتمه اياه فقال وما هو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فاخبره بما صنع فقال له يا ابن اخي قد اصبته فامسك
على نفسك وما اظن ان تفعل فجعل عبد الله ابن الثامر اذا دخل نجران لم يبق احد به ضر الا قال
يا عبد الله اتوحد الله وتدخل في ديني فادعو الله لك فيعافيك مما انت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد
الله ويسلم فيدعو الله له فيشفى حتى لم يبق احد بنجران به ضر الا اتاه فاتبعه على دينه ودعا له فعوفي
حتى رفع شانه الى ملكهم فدعاه فقال له افسدت علي اهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي فلامثلن
بك قال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الارض ليس به باس
وجعل يبعث به الى مياه نجران بحار لا يلقى فيها شيء الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به باس فلما غلبه
قال له عبد الله بن الثامر والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله وتؤمن بما امنت به فانك ان فعلت
ذلك سلطت علي وقتلتني فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته ثم ضربه بعصا فشجه شجة صغيرة
بعصا ليست بكبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع اهل نجران على دين عبد الله ابن الثامر وكان
على ما جاء به عيسى بن مريم من الانجيل وحكمه ثم اصابهم ما اصاب اهل دينهم من الاحداث فمن ذلك كان
اصل النصرانية بنجران فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير فدعاهم الى اليهودية وخيرهم
بين ذلك او القتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم
عشرين الفا وقال وهب ابن منبه اثني عشر الفا وقال الكلبي كان اصحاب الاخدود سبعين الفا قال
وهب ثم لما غلب ارياط على اليمن خرج ذو نواس هاربًا فاقتحم البحر بفرسه فغرق قال ابن اسحاق وذو نواس
هذا اسمه زرعة بن تبان اسعد الحميري وكان ايضًا يسمى يوسف وكان له غدائر من شعر تنوس اي تضطرب
فسمي ذا نواس وكان فعل هذا باهل نجران فافلت منهم رجل اسمه دوس ذو ثعلبان فساق الحبشة
لينتصر بهم فملكوا اليمن وهلك ذو نواس في البحر الذي نفسه فيه وفيه يقول عمرو بن معديكرب

اتوعدني كانك ذو رعين ○ بانعم عيشة او ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم ○ وملك ثابت في الناس راس

قديم عهده من عهد عاد ○ عظيم قاهر الجبروت قاس
ازال الدهر ملكهم فاضحى ○ ينقل من اناس في اناس

وذو رعين ملك من ملوك حمير ورعين حصن له وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سبا

مسألة قال علماؤنا اعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الامة بهذه الاية ما كان يلقاه من
كان قبلهم من الشدائد يؤنسهم بذلك وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على
ما يلقون من الاذى والالام والمشقات التي كانوا عليها ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره
وتصلبه في الحق وتمسكه به وبذله نفسه في حق اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر
سنه وعظيم صبره ولذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار ولذلك كثير من الناس
لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الايمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا في دينهم ابن العربي
وهذا منسوخ عندنا حسب ما تقدم في سورة النحل قال الشيخ رحمه الله ليس بمنسوخ وان
الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه اولى قال الله تعالى مخبرا عن لقمان يا بني اقم الصلوة
وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك لمن عزم الامور وروى ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر خرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى ابن سنجر عن اميمة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم
قالت كنت اوضي النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل فقال اوصني فقال لا تشرك بالله شيئًا
وان قطعت او حرقت بالنار الحديث قال علماؤنا ولقد امتحن كثير من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم بالقتل والصلب والتعذيب الشديد ولم يلتفتوا الى شيء من ذلك ويكفيك قصة
عاصم وخبيب واصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والاسر والحرق وغير ذلك وقد
مضى في النحل ان هذا اجماع ممن قوي في ذلك فتامله هنالك قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دعاء
على هولاء الكفار بالابعاد من رحمة الله وقيل معناه الاخبار عن قتل اولئك المؤمنين اي انهم
قتلوا بالنار فصبروا وقيل هو اخبار عن اولئك الظالمين فانه روي ان الله قبض ارواح
الذين القوا في الاخدود قبل ان يصلوا الى النار وخرجت نار من الاخدود فاحرقت الذين
هم عليها قعود وقيل ان المؤمنين نجوا واحرقت النار الذين قعدوا ذكره النحاس ومعنى عليها
اي عندها وعلى بمعنى عند وقيل عليها اي على ما يدنو منها من حافات الاخدود كما قال
وبات على النار الندى والمحلق قوله تعالى النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود والعامل في اذ قتل اي لعنوا في ذلك الوقت وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود
اي حضور يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين فمن ابى القوه في النار وفي ذلك
وصفهم بالقسوة ثم بالجد في ذلك وقيل على بمعنى مع اي وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود
قوله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي هم فيه مختلفون
قرا ابو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وقد مضى في براءة القول اي ما نقم الملك واصحابه
من الذين حرقهم الا ان يؤمنوا اي الا ان صدقوا بالله العزيز اي الغالب المنيع الحميد

اي المحمود في كل حال الذي له ملك السموات والأرض لا شريك له فيهما ولا نديد والله على كل شيء شهيد اي عالم باعمال خلقه ولا يخفى عليه خافية قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اى حرقوهم بالنار والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته ودينار مفتون ويسمى الصايغ الفتان وكذلك الشيطان وورق فتين اى فضة محرقة ويقال للحرة فتين اى كانما احرقت حجارتها بالنار وذلك لسوادها ثم لم يتوبوا اى من قبح صنيعهم مع ما اظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الايات البينات على يدي الغلام فلهم عذاب جهنم اي لكفرهم ولهم عذاب الحريق اى في الدنيا لاحراقهم المؤمنين بالنار وقد تقدم عن ابن عباس وقيل ولهم عذاب الحريق اي ولهم في الآخرة عذاب زايد على عذاب كفرهم بما احرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق والحريق اسم من اسماء جهنم كالسعير والنار دركات وانواع ولها اسماء وكانهم يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق فالاول عذاب ببردها والثاني عذاب بحرها ان الذين آمنوا اى هولاء الذين كانوا آمنوا بالله اى صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات لهم جنات اى بساتين تجري من تحتها الانهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ذلك الفوز الكبير اى العظيم الذي لا فوز يشبهه قوله تعالى إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ان بطش ربك لشديد اى اخذه الجبابرة والظلمة كقوله جل ثناؤه وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقد تقدم قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم والمعنى والسماء ذات البروج ان بطش ربك وما بينهما معترض موكد للقسم وكذلك قال الترمذي الحكيم ان القسم واقع على ذكر صفته بالشدة انه هو يبدئ ويعيد يعني الخلق عند اكثر العلماء يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث وروى عكرمة قال عجب الكفار من احياء الله جل ثناؤه الاموات وقال ابن عباس يبدي لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الاخرة وهذا اختيار الطبري وهو الغفور اى الستور لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها الودود اى المحب لاوليائه فروى الضحاك عن ابن عباس انه قال كما يود احدكم اخاه بالبشرى والمحبة وعنه ايضا الودود اي المتودد الى اوليائه بالمغفرة وقال مجاهد الواد لاوليائه فعول بمعنى فاعل وقال ابن زيد الرحيم وحكى المبرد عن اسمعيل بن اسحاق القاضي ان الودود هو الذي لا ولد له وانشد قول الشاعر واركب في الروع عريانة ذلول الجناح لقاحا ودودا اى لا ولد لها تحن اليه ويكون معنى الآية انه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من اجله ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء وقيل الودود بمعنى المودود كركوب وحلوب اى يوده عباده الصالحون ويحبونه ذو العرش المجيد قراء الكوفيون الا عاصما المجيد بالخفض نعتا للعرش وقيل لربك اي ان بطش ربك المجيد لشديد ولم يمتنع الفصل لانه جار مجرى الصفة في التشديد الباقون بالرفع نعتا لذو وهو الله تعالى واختاره ابو عبيد وابو حاتم لان المجد النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه هو المنعوت بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكرم في آخر المؤمنين تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اى تناهى فيه حتى يقتبس منهما ومعنى ذو العرش اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على السرير ويقال ثل عرشه اى ذهب سلطانه وقد مضى بيان هذا في الاعراف وخاصة في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى فعال لما يريد اى لا يمتنع عليه شيء يريده الزمخشري فعال خبر ابتداء محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الفراء هو رفع على التكرير والاستيناف لانه نكرة محضة وقال الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا الا ناتيك بطبيب قال قد رآني قالوا فما قال لك قال قال لي اني فعال لما اريد قوله تعالى هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ اي قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم يونسه بذلك ويسليه ثم بينهم فقال فرعون وثمود وهما في موضع جر على البدل من الجنود المعنى انك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا انبياءه ورسله بل الذين كفروا اى من هولاء الذين لا يؤمنون بك في تكذيب لك كدأب من قبلهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك فدل بهما على امثالهما والله اعلم قوله تعالى وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ والله من ورائهم محيط اى يقدر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والمحاط به كالمحصور وقيل اى والله عالم بهم ما انزل بفرعون والمحاط به فهو مجازيهم بل هو قرآن مجيد اى متناه في الشرف والكرم والبركة وهو بيان ما بالناس الحاجة اليه من احكام الدين والدنيا لا كما زعم المشركون وقيل مجيد اى غير مخلوق في لوح محفوظ اى مكتوب في لوح وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين اليه وقيل هو ام الكتاب ومنه انتسخ القرآن والكتب وروى الضحاك عن ابن عباس قال اللوح من ياقوتة حمراء اعلاه معقود بالعرش واسفله في حجر ملك يقال له ماطريون كتابه نور وقلمه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلثماية وستين نظرة ليس منها نظرة الا وهو يفعل ما يشاء يرفع وضيعا ويضع رفيعا ويغني فقيرا ويفقر غنيا يحيي ويميت ويفعل ما يشاء لا اله الا الله وقال انس بن مالك ومجاهد ان اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقيل اللوح المحفوظ الذي فيه اصناف الخلق والخليقة وبيان امورهم وذكر آجالهم وارزاقهم واعمالهم والاقضية النافذة فيهم ومآل عواقب امورهم وهو ام الكتاب وقال ابن عباس اول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ الها سواي وكتب الحجاج الى محمد بن الحنفية رضي الله عنه يتواعده فكتب اليه ابن الحنفية بلغني ان الله تعالى في كل يوم ثلثماية وستين نظرة

الذي ذكره الله في جبهة اسرافيل وقال مقاتل اللوح المحفوظ صح

٨٢٦

في اللوح المحفوظ بعز ويذل ويبتلي ويفتح ويفعل ما يشاء فلعل نظرة منها بتليك بنفسك وتشغل
بها فلا تتفرغ وقال بعض المفسرين اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرأونه وقرأ ابن السميفع و
ابو حيوة قرآن مجيد على الاضافة اى قرآن رب مجيد وقرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع نعتا
للقرآن اى بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح الباقون بالجر نعتا للوح والقراء متفقون على فتح
اللام من لوح الا ما روى عن يحيى بن يعمر فانه قرأ في لوح بضم اللام اي انه يلوح وهو ذو نور و
علو وشرف الزمخشري واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح و
في الصحاح لاح الشيء يلوح لوحا اي لمح ولاحه السفر وغيره ولاح لوحا ولواحا عطش والتاح
مثله واللوح الكتف وكل عظم عريض واللوح الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهواء من السماء والارض

تفسير سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

مكية وهي سبع عشرة آية والسماء والطارق فيمان
والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب والسماء والطارق فيمان
السماء قسم والطارق قسم والطارق النجم وقد بينه الله تعالى بقوله وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
اختلف فيه فقيل هو زحل الكوكب الذي في السماء السابعة ذكره محمد بن الحسن في تفسيره وذكر له
اخبارا الله اعلم بصحتها وقال ابن زيد انه الثريا وعنه ايضا انه زحل وقاله الفراء ابن عباس هو
الجدي وعنه ايضا وعن علي رضى الله عنهما والفراء النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها
غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء
السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وحكى الفراء ثقب الطائر
اذا ارتفع وعلا وروى ابو صالح عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا مع ابي
طالب فانحط نجم فامتلأت الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شيء هذا فقال هذا نجم رمي
به وهو آية من آيات الله فعجب ابو طالب ونزل والسماء والطارق وروي عن ابن عباس وعطا
الثاقب الذي ترمى به الشياطين قتادة هو عام في سائر النجوم لان طلوعها بليل وكل من اتاك ليلا فهو
طارق قال ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع ° فالهيتها عن ذي تمائم محول ° وقال آخر

الم تر اني كلما جئت طارقا ° وجدت بها طيبا وان لم تطيب °

فالطارق النجم اسم جنس سمي بذلك لانه يطرق ليلا ومنه الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرق
المسافر اهله ليلا كي يستحد المغيبة وتمشط الشعثة والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقا يقال
طرق فلان طروقا اذا جاء بليل وقد طرق يطرق طروقا فهو طارق ولابن الرومي

يا راقد الليل مسرورا باوله ° ان الحوادث قد يطرقن اسحارا °

لا تفرحن بليل طاب اوله ° فرب آخر ليل اجج النارا °

وفي الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند

نحن بنات طارق ° نمشي على النمارق °

٨٨

اي انه ابانا في الشرف كالنجم المضيء الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد
الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق وقال قوم انه قد يكون نهارا والعرب تقول
اتيتك اليوم طرقتين اى مرتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر طوارق الليل
والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن وقال جرير في الطروق

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ° حين الزيارة فارجعي بسلام °

ثم بين فقال وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والثاقب المضيء ومنه شهاب ثاقب يقال
ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اذا اضاء وثقوبه ضوؤه والعرب تقول اثقب نارك اى اضئها
قال اذاع به في الناس حتى كأنه ° بعلياء نار اوقدت بثقوب °
الثقوب ما تشعل به النار من دقاق العيدان وقال مجاهد الثاقب المتوهج القشيري و
المعظم على ان الطارق والثاقب اسم جنس اريد به العموم كما ذكرنا عن مجاهد وما ادريك ما الطارق
تفخيما لشأن هذا المقسم به وقال سفيان كل ما في القرآن وما ادريك فقد اخبره وكل شيء قال
فيه وما يدريك لم يخبره به قوله تعالى **ان كل نفس لما عليها حافظ** قال قتادة حفظة يحفظون
عليك رزقك وعملك واجلك وعنه ايضا قال قرينه يحفظ عليه عمله من خير او شر وهذا هو جواب القسم
وقيل الجواب انه على رجعه لقادر في قول الترمذي محمد بن علي وان مخففة من الثقيلة وما مؤكدة
اى ان كل نفس لعليها حافظ وقيل المعنى ان كل نفس الا عليها حافظ يحفظها من الآفات حتى يسلمها
الى القدر قال الفراء الحافظ من الله يحفظها حتى يسلمها الى المقادير وقاله الكلبي وقال ابو امامة
قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك
البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه
طرفة عين لاختطفته الشياطين وقراءة ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم اي ما كل نفس الا
عليها حافظ وهي لغة هذيل يقول قائلهم نشدتك لما قمت الباقون بالتخفيف على انها زائدة مؤكدة
كما ذكرنا ونظير هذه الآية قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله على
ما تقدم وقيل الحافظ هو الله سبحانه فلولا حفظه لها لم تبق وقيل الحافظ عليه عقله يرشده الى مصالحه
ويكفه عن مضاره قال الشيخ رحمه الله العقل وغيره وسائط والحافظ بالحقيقة هو الله جل وعز قال
الله عز وجل فالله خير حافظا وقال قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وما كان مثله
قوله تعالى **فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب**
انه على رجعه لقادر فلينظر الانسان اي ابن آدم مم خلق وجه الاتصال بما قبله توصية
الانسان بالنظر في اول امره ونشأته الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه فليعمل
ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبة امره ومم خلق استفهام اى من اى شيء
خلق ثم قال خلق وهو جواب الاستفهام من ماء دافق اى من المني والدفق صب الماء دفقت
الماء ادفقه دفقا صببته فهو ماء دافق اى مدفوق كما قالوا سر كاتم اى مكتوم لانه من قولك
دفق الماء على ما لم يسم فاعله ولا يقال دفق الماء ويقال دفق الله روحه اذا دعى عليه بالموت

قال الفراء والاخفش ماء دافق اي مصبوب في الرحم الزجاج من ماء ذي اندفاق يقال دارع
وفارس ونابل اى ذو فرس ودرع ونبل وهذا مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق لشدة
قوته واراد ماين ماء الرجل وماء المرأة لان الانسان مخلوق منهما لكن جعلهما ماء واحدا
لامتزاجهما وعن عكرمة عن ابن عباس دافق لزج يخرج اى هذا الماء من بين الصلب اي الظهر
وفيه لغات اربع صُلْب وصُلُب وقريهما وصَلَب بفتح اللام وصالب على وزن قالب ومنه قول
العباس ينقل من صالب الى رحم والترائب اي الصدر الواحدة تريبه وهي موضع القلادة من الصدر
قال ٭ مهفهفة بيضاء غير مفاضة ٭ ترائبها مصقولة كالسجنجل ٭
والصلب من الرجل والترائب من المرأة قال ابن عباس الترائب موضع القلادة وعنه ما بين
ثدييها وقاله عكرمة وروي عنه يعني الترائب المرأة اليدين والرجلين والعينين وبه قال الضحاك
وقال سعيد بن جبير هو الجيد مجاهد ما بين المنكبين والصدر وعنه الصدر وعنه التراقي وعن ابن
جبير عن ابن عباس الترائب اربعة اضلاع من هذا الجانب وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع
من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة الصدر وقال معمر بن ابي حبيبة المدني الترائب
عصارة القلب ومنه يكون الولد والمشهور من كلام العرب انها عظام النحر والصدر وقال دريد بن
الصمة ٭ فان تدبروا ناخذكم في ظهوركم ٭ وان تقبلوا ناخذكم في الترائب ٭
وقال آخر ٭ وبدت كان ترائبا بنحرها ٭ جمر الغضا في ساعد يتوقد ٭ وقال آخر
٭ والزعفران على ترائبها ٭ شرق به اللبات والنحر ٭
وعن عكرمة الترائب الصدر ثم انشد ٭ نظام در على ترائبها ٭ وقال ذو الرمة
ضرجن بردا عن ترائب حرة ٭ اى شققن ويروى ضرحن بالحاء اي القين وفي الصحاح وتريبة
واحدة الترائب وهي عظام الصدر ما بين الترقوة والثندوة ٭ قال الشاعر ٭
اشرف ثديا ما على التريب ٭ الثندوة للرجل بمنزلة الثدي للمرأة وقال الاصمعي هي مغرز
الثدي وقال ابن السكيت هي اللحم الذي حول الثدي اذا ضممت اولها همزت واذا فتحتها لم تهمز وقال
قال المثقب العبدي ٭ ومن ذهب يسن على تريب ٭ كلون العاج ليس بذي غضون ٭
عن غير الجوهري وفي التفسير يخلق من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء
المرأة الذي يخرج من ترائبها اللحم والدم وقاله الاعمش وقد تقدم مرفوعا في اول سورة آل عمران
وفي الحجرات انا خلقناكم من ذكر وانثى وقد تقدم وقيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع
في الانثيين وهذا لا يعارض قوله من بين الصلب لانه ان نزل من الدماغ فانما يمر بين الصلب
والترائب وقال قتادة المعنى ويخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وحكى الفراء ان مثل هذا
ياتي عند العرب يكون معنى من بين الصلب من الصلب وقال الحسن المعنى يخرج من صلب
الرجل وترائب الرجل ومن صلب الرجل وترائب المرأة ثم انا نعلم ان النطفة من جميع اجزاء البدن
ولذلك يشبه الرجل والديه كثيرا وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا المكثر من
الجماع يجد وجعا في ظهره وصلبه وليس ذلك الا لخلو صلبه عما كان محتشيا من الماء وروي اسمعيل

عن

عن اهل مكة يخرج من بين الصُلُب بضم اللام وروبت عن عيسى الثقفي حكاه المهدوي وقال ومن جعل المعنى يخرج
من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير في يخرج للماء ومن جعله من صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للانسان
وقرئ الصَلَب بفتح الصاد واللام وفيه اربع لغات صُلْب وصُلُب وصَلَب وصالب قال العجاج في صلب
في صلب مثل العنان المؤدم ٭ وفي مدح النبي صلى الله عليه وسلم تنقل من صالب الى رحم
الابيات مشهورة معروفة انه اى ان الله جل ثناؤه على رجعه اى رد الماء في الاحليل لقادر
كذا قال مجاهد والضحاك وعنهما ايضا ان المعنى انه على رد الماء في الصلب وقاله عكرمة وعن
الضحاك ايضا ان المعنى انه على رد الانسان ماء كما كان لقادر وعنه ايضا ان المعنى انه على رد الانسان
من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر لقادر كذا في المهدوي وفي الماوردي والثعلبي الى
الصبى ومن الصبى الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال
ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة ايضا انه على رد الانسان بعد الموت لقادر وهو اختيار الطبري
الثعلبي وهو الاقوى لقوله يوم تبلى السرائر الماوردي ويحتمل انه على ان يعيده الى الدنيا بعد بعثه
في الاخرة لان الكفار يسئلون الله تعالى فيها الرجعة قوله تعالى يوم تبلى السرائر فيه مسئلتان الاولى
في يوم في قول من جعل المعنى انه على بعث الانسان قوله لقادر ولا يعمل فيه رجعة لما فيه من التفرقة بين الصلة
والموصول بخبر ان وعلى الاقوال الاخر التي في انه على رجعه لقادر يكون العامل في يوم فعل مضمر ولا
يعمل فيه لقادر لان المراد في الدنيا وتبلى اى تمتحن وتختبر قال ابو الغول الطهوي
٭ ولا تبلى بسالتهم وان هم ٭ صلوا بالحرب حينا بعد حين ٭ ٭
ويروى تَبلى بسالتهم فمن رواه تبلى بضم التاء جعله من الاختبار ويكون البسالة على هذه الرواية
الكراهة كانه قال لا يعرف لهم فيها كراهة وتبلى تعرف قال الراجز ٭
٭ قد كنت قبل اليوم تزدريني ٭ فاليوم ابلوك وتبتليني ٭
اى اعرفك وتعرفني ومن رواه تبلى بفتح التاء فالمعنى انهم لا يضعفون عن الحرب وان تكررت
عليهم زمانا بعد زمان وذلك ان الامور الشداد اذا تكررت على الانسان هدّدته واضعفته وقيل
تبلى السرائر اى تخرج مخبّاتها وتظهر وهو كل ما استسرّه الانسان من خير وشر واضمره من ايمان
او كفر كما قال الاحوص ٭ سيبلى لكم من مضمر السر والحشا ٭ سريرة ود يوم تبلى السرائر ٭
الثانية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايتمن الله تعالى خلقه على اربع على الصلوة و
الزكوة والصيام والغسل وهن السرائر التي يختبرها الله عز وجل يوم القيامة ذكره المهدوي
وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من حافظ عليها فهو ولي الله حقا ومن اختانهن فهو
عدو الله حقا الصلوة والصوم والغسل من الجنابة ذكره الثعلبي وذكره الماوردي عن زيد بن اسلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامانة ثلاث الصلوة والصوم والجنابة استأمن الله عز وجل
ابن آدم على الصلوة فان شاء قال صليت ولم يصل استأمن الله عز وجل ابن آدم على الصوم فان شاء
قال صمت ولم يصم استأمن الله عز وجل ابن آدم على الجنابة فان شاء قال اغتسلت ولم يغتسل
اقرؤا ان شئتم يوم تبلى السرائر وذكره الثعلبي عن عطاء قوله وقال مالك في رواية اشهب عنه وسألته

عن قوله تعالى يوم تبلى السرائر ابلغك ان الوضوء من السرائر قال وقد بلغني ذلك فيما يقول الناس
نا ماحديث احدث به فلا والصلوة من السرائر والصيام من السرائر ان شاء قال صليت ولم يصل ومن
السرائر ما في القلوب يجزي الله به العباد قال ابن العربي قال ابن مسعود يغفر للشهيد الا الامانة
والوضوء من الامانة والصلوة والزكوة من الامانة والوديعة من الامانة واشد من ذلك الوديعة
تمثل له على هيئتها يوم اخذها فيرمى بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا رجا
ان يخرج بها زلت منه فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي ابن كعب من الامانة ان ائتمنت
المرأة على فرجها قال اشهب قال لي سفيان في الحيضة والحمل ان قالت لم احض وانا حامل صدقت
ما لم تأت بما تعرف فيه انها كاذبة وفي الحديث غسل الجنابة من الامانة وقال ابن عمر يبدي الله يوم
القيامة كل سر خفي فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه والله عالم بكل شيء ولكن يظهر علامات الملائكة
والمؤمنين قوله تعالى فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ○ فماله اي للانسان من قوة اي منعة تمنعه ولا
ناصر ينصره مما نزل به وعن عكرمة فماله من قوة ولا ناصر قال هؤلاء الملوك ما لهم يوم القيامة من قوة ولا
ناصر وقال سفيان القوة العشيرة والناصر الحليف وقيل فماله من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع
به من الله وهو معنى قول قتادة قوله تعالى وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ○
والسماء ذات الرجع ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر كذا قال عامة المفسرين وقال
اهل اللغة الرجع المطر وانشدوا للمتنخل يصف سيفا شبهه بالماء ○
ابيض كالرجع رسوب اذا ○ ما ثاخ في محتفل يختلي ○
من ثاخ قدمه بالوحل تثوخ وتثيخ خاضت فيه وغابت قاله الجوهري قال الخليل
الرجع المطر نفسه والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقد يسمى المطر
ايضا اوبا كما يسمى رجعا قال ○ رباء شماء لا ياوي لقلتها ○ الا السحاب والا الاوب والسبل
وقال عبد الرحمن ابن زيد الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب
في اخرى وقيل ذات الملائكة لرجوعهم اليها باعمال العباد وهذا قسم والارض ذات الصدع
قسم آخر اي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار نظيره ثم شققنا الارض شقا الاية
والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات
صادع للارض وقال مجاهد والارض ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث
لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور انه لقول فصل على هذا وقع القسم
اي ان القران يفصل بين الحق والباطل وقد تقدم في مقدمة الكتاب ما رواه الحارث عن علي
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتاب الله فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم
هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وقيل المراد
بالقول الفصل ما تقدم من الوعيد في هذه السورة من قوله انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر
وما هو بالهزل اي ليس القرآن بالباطل واللعب والهزل ضد الجد وقد هزل يهزل قال الكميت

مراح ○ يجد بنا في كل يوم ونهزل ○ انهم اي ان اعداء الله يكيدون كيدا اي يمكرون بمحمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا واكيد كيدا اي اجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما اوقع الله بهم يوم
بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله استدراجهم من حيث لا يعلمون وقد مضى هذا المعنى في اول
البقرة عند قوله تعالى الله يستهزئ بهم مستوفى فمهل الكافرين اي اخرهم ولا تسئل الله تعجيل اهلاكهم — كهم
وارض بما يدبره في امورهم ثم نسخت باية السيف اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم امهلهم تاكيد
ومهل وامهل بمعنى مثل نزل وانزل وامهله انظره ومهله تمهيلا والاسم المهلة والاستمهال
الاستنظار وتمهل في امره اي اتأد واتمهل اتمهلالا اي اعتدل وانتصب والاتمهلال ايضا
سكون وفتور ويقال مهلا يا فلان اي رفقا وسكونا رويدا اي قريبا عن ابن عباس قتادة قليلا
والتقدير امهلهم امهالا قليلا والرويد في كلام العرب تصغير رود كذا قال ابو عبيدة وانشد
كانها ثمل تمشي على رود اي على مهل وتفسير رويد مهلا وتفسير رويدك امهل لان الكاف انما
تدخله اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت الدال لالتقاء الساكنين ونصب نصب المصادر
وهو مصغر مامور به لانه تصغير الترخيم من ارواد وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه
اسم للفعل وصفة وحال ومصدر فالاسم نحو قولك رويد عمرا اي ارود عمرا يعني امهله والصفة
صادم — نحو قولك ساروا سيرا رويدا والحال نحو قولك سار القوم رويدا لما اتصل بالمعرفة صار حالا لها والمصدر
نحو قولك رويد عمرو بالاضافة كقوله تعالى فضرب الرقاب قال جميعه الجوهري والذي في الاية
من هذه الوجوه ان يكون نعتا للمصدر اي امهالا رويدا ويجوز ان يكون للحال اي امهلهم غير مستعجل

تفسير سورة الاعلى

مكية في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ○ يستحب للقارئ اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى ان يقول عقبه سبحان ربي
الاعلى قاله النبي صلى الله عليه وسلم وقاله جماعة من الصحابة والتابعين على ما ياتي وروى جعفر بن
محمد عن ابيه عن جده قال ان لله تعالى ملكا يقال له حزقيائيل له ثمانية عشر الف جناح ما بين
الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل تقدر ان تبصر العرش جميعه فزاده الله
اجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم اوحى الله تعالى
اليه ايها الملك ان طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له
في الاجنحة والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة اخرى فلم يصل ايضا فاوحى
الله اليه ايها الملك لو طرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان
ربي الاعلى فانزل الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم ذكره الثعلبي في كتاب العرائس له — فانزل الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى م
وقال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى
كما قال لبيد ○ الى الحول ثم اسم السلام عليكما ○ وقيل نزه ربك عن السوء وعما يقول فيه الملحدون
وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك عن ان يسمى به احد سواه وقيل نزه تسمية ربك وذكرك اياه ان

مذكره الا وانت خاشع معظم ولذكره محترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية والاولى ان يكون الاسم هو المسمى
روي نافع عن ابن عمر قال لا تقل على اسم الله فان اسم الله هو الاعلى وروي ابو صالح عن ابن عباس صل
بامر ربك الاعلى قال وهو ان تقول سبحان ربي الاعلى وروي عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن
عمر وابن الزبير وابي موسى وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنهم انهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة
قالوا سبحان ربي الاعلى امتثالا لامره في ابتدائها فيختار الاقتداء بهم في قراءتهم لا ان سبحان ربي الاعلى
من القرآن كما قاله بعض اهل الزيغ وقيل انها في قراءة ابي سبحان ربي الاعلى وكان ابن عمر يقرؤها
كذلك وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى قال ابو بكر
الانباري حدثني محمد بن شهريار حدثنا حسين ابن الاسود حدثنا عبد الرحمن ابن ابي حماد حدثنا عيسى ابن
عمر عن ابيه قال قرا علي ابن ابي طالب عليه السلام في الصلوة سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي
الاعلى فلما انقضت الصلوة قيل له يا امير المومنين اتزيد هذا في القرآن قال ما هو قالوا سبحان
ربي الاعلى قال لا انما امرنا بشيء فقلته وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وهذا كله يدل على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا
سبحان اسم ربي وقيل ان اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل عليه السلام وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لجبرئيل يا جبرئيل اخبرني بثواب من قال سبحان ربي الاعلى في صلاته او في غير صلوة فقال
يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش
والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا فوق كل شيء وليس فوقي شيء اشهدوا يا ملائكتي
اني قد غفرت له وادخلته الجنة فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه
فاوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فاذهب به الى الجنة وقال
وقال الحسن سبح اسم الاعلى اي صل لربك الاعلى وقيل اي صل باسماء الله لا كما يصلي المشركون
بالمكاء والتصدية وقيل ارفع صوتك بذكر ربك قال جرير

قبح الاله وجوه تغلب كلما ۝ سبح الحجيج وكبروا تكبيرا

قوله تعالى **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** قد تقدم معنى التسوية في الانفطار
وغيرها اي سوى ما خلق فلم يكن في خلقه تثبيج وقال الزجاج اي عدل قامته وعن ابن عباس
حسن ما خلق وقال الضحاك خلق آدم فسوى خلقه وقيل خلق في اصلاب الآباء وسوى في ارحام
الامهات وقيل الاجساد فسوى الافهام وقيل اي خلق الانسان وهياه للتكليف والذي قدر
فهدى قرا علي رضي الله عنه والسلمي والكسائي قدر مخففة الدال وشدد الباقون وهما بمعنى واحد
اي قدر ووفق لكل شكل شكله فهدى اي ارشد وقال مجاهد قدر الشقاوة والسعادة
وهدى للرشد والضلالة وعنه قال هدى الانسان للسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها
وقيل قدر ارزاقهم واقواتهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا وروي
عن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي في قوله فهدى قال عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى
كما قال في طه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها

وهداها له وقيل خلق المنافع في الاشياء وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقيل قدر فهدي
قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة
عميت وقد الهمها الله ان مسح العينين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية
بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين
على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الانسان الى
ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه في اغذيته وادويته وفي ابواب دنياه ودينه والهامات
البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي
الاعلى وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة اشهر واقل واكثر ثم هداه للخروج من الرحم
دعا
وقال الفراء اي قدر فهدى واضل فاكتفى بذكر احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يكون بمعنى
الى الايمان كقوله وانك لتهدي اي لتدعو وقد دعا الكل الى الايمان وقيل فهدى اي دلهم بافعاله على
توحيده وكونه عالما قادرا ولا خلاف ان من شدد الدال من قدر انه من التقدير كقوله تعالى وخلق
كل شيء فقدره تقديرا ومن خفف فيحتمل ان يكون من التقدير فيكونان بمعنى ويحتمل ان يكون بمعنى القدرة
والملك اي ملك الاشياء وهدى من شاء قال الشيخ رحمه الله وسمعت بعض اشياخي يقول
الذي خلق فسوى وقدر فهدي هو تفسير العلو الذي يليق بجلال الله سبحانه على جميع مخلوقاته
قوله تعالى **وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى** والذي اخرج المرعى اي النبات والكلاء
الاخضر قال الشاعر

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ۝ وتبقى حزازات النفوس كما هيا ۝

فجعله غثاء احوى الغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش
وكذلك الغثاء بالتشديد والجمع الاغثاء قتادة الغثاء الشيء اليابس ويقال للبقل والحشيش اذا
تحطم ويبس غثاء وهشيم وكذلك للذي يكون حول الماء من القماش غثاء كما قال

كان ذرى راس المجيمر غدوة ۝ من السيل والاغثاء فلكة مغزل ۝

وحكى اهل اللغة غثا الوادي وجفى وكذلك الماء اذا علاه من الزبد والقماش ما لا ينتفع به والاحوى
كالاسود
الاسود اي ان النبات يضرب الى الحوة من شدة الخضرة والحوة السواد قال الاعشى

لمياء في شفتيها حوة لعس ۝ وفي اللثات وفي انيابها شنب ۝

وفي الصحاح والحوة سمرة الشفة يقال رجل احوى وامراة حواء وقد حوب وبعير احوى اذا خالط الخضرة
سواد وصفرة وتصغير احوى احيو في لغة من قال اسيود ثم قيل يجوز ان يكون احوى حالا من المرعى
ويكون المعنى كانه من خضرته يضرب الى السواد والتقدير اخرج المرعى احوى فجعله غثاء يقال قد حوي
النبت حكاه الكسائي وقال

وغيث من الوسمي حو تلاعه ۝ تبطنته بشيظم صلتان ۝

ويجوز ان يكون احوى صفة لغثاء والمعنى انه صار كذلك بعد خضرته قال ابو عبيدة فجعله
اسود من احتراقه وقدمه والرطب اذا يبس اسود قال عبد الرحمن ابن زيد اخرج المرعى اخضر
ثم لما يبس اسود ثم صار غثاء تذهب به الرياح والسيول وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب
الدنيا بعد نضارتها قوله تعالى **سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** سنقرئك اي القرآن

يا محمد فنعلمكه فلا تنسى اى فتحفظ رواه ابن وهب عن مالك وهذه بشرى من الله تعالى له بشره بان اعطاه
آية بينة وهى ان يقراء عليه جبريل ما يقراء عليه من الوحى وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه
وعن ابن ابى نجيح عن مجاهد قال كان يتذكر مخافة ان ينسى فقيل كفيتكه قال مجاهد والكلبى كان النبى
صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل عليه بالوحى لم يفرغ جبريل من آخر الاية حتى يتكلم النبى صلى الله عليه وسلم
باولها مخافة ان ينساها فنزلت سنقرئك فلا تنسى بعد ذلك شيئا فقد كفيتكه ووجه الاستثناء على
هذا ما قاله الفراء الا ما شاء الله وهو لم يشاء ان ينسى شيئا كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء الله ولا يشاء ويقال فى الكلام لاعطينك كل ما سالت الا ما شئت والا ان اشاء ان امنعك
والنية على ان لا يمنعه شيئا فعلى هذا مجارى الايمان يستثنى فيها ويتم الحالف التمام وفى رواية ابى صالح
عن ابن عباس فلم ينس بعد نزول هذه الاية حتى مات الا ما شاء الله وعن سعيد عن قتادة قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا الا ما شاء الله وعلى هذه الاقوال قيل الا ما شاء الله
ان ينسى ولكنه لم ينس شيئا منه بعد نزول هذه الاية وقيل الا ما شاء الله ان ينسى ثم يذكر بعد ذلك فاذا قد
نسى ولكنه يتذكر ولا ينسى شيئا نسيانا كليا وقد روى انه اسقط آية فى قرآئه فى الصلوة فحسب ابى انها نسخت
فساله فقال نسيتها وقيل هو من النسيان اى الا ما شاء الله ان ينسيك ثم قيل هذا بمعنى النسخ الا ما شاء
ان ينسخ والاستثناء نوع من النسخ وقيل النسيان بمعنى الترك اى يعصمك من ان تترك العمل به الا ما شاء
الله ان تتركه لنسخه اياه فهذا فى نسخ العمل والاول فى نسخ القراة قال الفرغانى كان يغشى مجلس الجنيد
اهل البسط من العلوم وكان يغشاه ابن كيسان النحوى وكان رجلا جليلا فقال يوما ما تقول يا ابا
القاسم فى قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى فاجابه مسرعا كانه تقدم له السوال قبل ذلك باوقات لا تنسى العمل به
فقال ابن كيسان لا يفضض الله فاك مثلك من يصدر عن رايه وقوله ولا للنفى لا للنهى وقيل للنهى وانما
اثبتت الياء لان رؤس الآى على ذلك والمعنى لا تغفل قراته وتكراره فتنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه
برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار لان الاستثناء من النهى لا يكاد ان يكون الا موقتا معلوما وايضا
فان الياء مثبتة فى جميع المصاحف وعليها القراء وقيل معناه الا ما شاء الله ان يوخر انزاله وقيل
المعنى فجعله غثاء احوى الا ما شاء الله ان يناله بنو آدم والبهائم فانه لا يصير كذلك قوله تعالى انه يعلم
الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى انه يعلم الجهر اى الاعلان من القول والعمل وما يخفى من السر
وعن ابن عباس ما فى قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاءها وقيل الجهر
ما حفظته من القرآن فى صدرك وما يخفى هو ما نسخ من صدرك ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله
انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعنى لليسرى اى للطريقة اليسرى وهى عمل الخير قال ابن عباس
نيسرك لان تعمل خيرا ابن مسعود لليسرى اى للجنة وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية
السمحة السهلة قال معناه الضحاك وقيل اى نهون عليك الوحى حتى تحفظه وتعمل به قوله تعالى
فذكر ان نفعت الذكرى اى فعظ قومك يا محمد بالقرآن ان نفعت الذكرى اى الموعظة
وروى يونس عن الحسن قال تذكرة للمومن وحجة على الكافر وكان ابن عباس يقول ينفع اولياى
ولا ينفع اعدائى وقال الجرجانى التذكير واجب وان لم ينفع فالمعنى فذكر ان نفعت الذكرى او

او لم ينفع كما قال سرابيل تقيكم الحر وقيل انه مخصوص فى قوم باعيانهم وقيل ان بمعنى ما اى فذكر
ما نفعت الذكرى فيكون ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى نافعة بكل حال قاله ابن
شجرة وذكر بعض اهل العربية ان ان بمعنى اذ اى اذ نفعت كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مومنين
اى اذ كنتم فلم يخبر بعلوهم الا بعد ايمانهم وقيل بمعنى قد قوله تعالى سيذكر من يخشى
اى من يتق الله ويخافه فروى ابو صالح عن ابن عباس قال نزلت فى ابن ام مكتوم الماوردى وقد
يذكر من يرجوه الا ان تذكرة الخاشى ابلغ من تذكرة الراجى فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وقيل
اى عمم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء
حكاه القشيرى قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت
فيها ولا يحيى اى ويتجنب الذكرى ويبعد عنها الاشقى اى الشقى فى علم الله وقيل نزلت فى
الوليد بن المغيرة وعتبة ابن ربيعة الذى يصلى النار الكبرى اى العظمى وهى السفلى من اطباق
النار قاله الفراء وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا وقاله يحيى بن سلام لا يموت
فيها ولا يحيى اى لا يموت فيستريح من العذاب ولا يحيى حيوة تنفعه كما قال الشاعر

الا ما لنفس لا تموت فينقضى ... عناها ولا تحيى حياة لها طعم

وقد مضى فى سورة النساء وغيرها حديث ابى سعيد الخدرى وان الموحدين من المذنبين اذا دخلوا
جهنم وهى النار الصغرى على قول الفراء احترقوا فيها وماتوا الى ان يشفع فيهم خرجه مسلم وقيل
اهل الشقاء متفاوتون فى شقائهم وهذا الوعيد للاشقى وان كان ثم شقى لا يبلغ هذه المرتبة
قوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى
قد افلح اى صادف البقاء فى الجنة اى من تطهر من الشرك بالايمان قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة
وقال الحسن والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وقال معمر عن قتادة تزكى قال بعمل صالح وعنه وعن
عطاء وابى العالية نزلت فى صدقة الفطر وعن ابن سيرين قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى
قال خرج فصلى بعد ما ادى وقال عكرمة كان الرجل يقول اقدم زكاتى بين يدى صلوتى فقال
سفيان قال الله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وروى عن ابى سعيد الخدرى وابن عمر
ان ذلك فى صدقة الفطر وصلوة العيد وكذلك قال ابو العالية وقال ان اهل المدينة لا يرون
صدقة افضل منها ومن سقاية الماء وروى كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى قوله قد افلح من تزكى قال اخرج زكوة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال صلوة العيد وقال ابن عباس
والضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلوة العيد وقيل المراد بالآية زكوة الاموال
كلها قاله ابو الاحوص وعطاء وروى ابن جريج قال قلت لعطاء قد افلح من تزكى للفطر قال هى للصدقات
كلها وقيل هذا زكوة الاعمال لا زكوة الاموال اى تطهر فى اعماله من الرياء والتقصير لان الاكثر ان
يقال فى المال زكى لا تزكى وروى جابر بن عبد الله قال قال النبى صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى
اى من شهد ان لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد انى رسول الله وعن ابن عباس تزكى قال لا اله
الا الله وروى عنه عطاء قال نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان بالمدينة منافق

كانت لو نخلة بالمدينة مايلة في دار رجل من الانصار اذا هبت الرياح اسقطت البسر والرطب الى دار الانصاري فياكل هو وعياله فخاصمه المنافق فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه فقال ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع الى منزله فيا هو وعياله فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان عثمان ابن عفان اعطاه حايطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى ونزلت في المنافق وتجنبها الاشقى وذكر الضحاك انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه الثانية قد ذكرنا القول في زكوة الفطر في سورة البقرة مستوفى وقد تقدم ان هذه السورة مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة فطر القشيري ولا يبعد ان يكون اثنى على من يمتثل امره في صدقة الفطر وصلوة العيد فيما يامر به في المستقبل الثالثة قوله تعالى وذكر اسم ربه اي ذكر ربه وروى عطاء عن ابن عباس قال يريد ذكر معاده وموقفه بين يدي الله جل ثناؤه فعبده وصلى له وقيل ذكر اسم ربه بالتكبير في اول الصلوة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة لان الصلوة معطوفة عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جايز بكل اسم من اسماء الله عز وجل وهذه مسئلة خلاف بين الفقهاء وقد مضى القول في هذا في اول البقرة وقيل هي تكبيرات العيد قال الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى اي صلوة العيد وقيل وذكر اسم ربه هو ان يذكره بقلبه عند صلوته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ليكون استيفاؤه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجايه وقيل هو ان يفتتح اول كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم فصلى اي وصلى فذكر ولا فرق بين ان يقول اكرمتني فزرتني وبين ان يقول زرتني فاكرمتني قال ابن عباس هذا في الصلوة المفروضة وهي الصلوات الخمس وقيل الدعاء اي دعا الله بحوائج الدنيا والاخرة وقيل صلوة العيد قاله ابو سعيد الخدري وابن عمر وغيرهما وقد تقدم وقيل هو ان يتطوع بصلوة بعد زكوته قاله ابو الاحوص وهو مقتضى قول عطاء وروى عن عبد الله قال من اقام الصلوة ولم يوت الزكوة فلا صلوة له قوله تعالى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ قراءة العامة بل تؤثرون بالتاء تصديقه قراءة ابي بل انتم تؤثرون وقرا ابو عمرو ونصر ابن عاصم بل يؤثرون بالياء على الغيبة تقديره بل يؤثرون الاشقون الحياة الدنيا وعلى الاول فيكون تاويلها بل تؤثرون ايها المسلمون الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب وعن ابن مسعود انه قرا هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة لان الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها وشرابها ولذاتها وبهجتها والاخرة غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الآجل وروى ثابت عن انس قال كنا مع ابي موسى في مسير والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا قال ابو موسى يا انس ان هؤلاء يكاد احدهم يفري الاديم بلسانه فريا فتعال فلنذكر ربنا ساعة ثم قال يا انس ما ثبر الناس ما بطأ بهم قلت الدنيا والشيطان والشهوات قال لا ولكن عجلت الدنيا وغيبت الاخرة اما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا ميلوا قوله تعالى والاخرة خير وابقى اي والدار الاخرة اي الجنة خير اي افضل وابقى اي ادوم من الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم

ما الدنيا في الاخرة الا كما يضع احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع صحيح وقد تقدم وقال مالك ابن دينار لو كانت الدنيا من ذهب تفنى والاخرة من خزف تبقى لكان الواجب ان يوثر خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف والاخرة من ذهب تبقى والدنيا من خزف يفنى قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى قال قتادة وابن زيد يريد قوله والاخرة خير وابقى وقالا تتابعت كتب الله جل ثناؤه كما تسمعون ان الاخرة خير وابقى من الدنيا وقال الحسن ان هذا لفي الصحف الاولى قال كتب الله جل ثناؤه كلها الكلبي ان هذا لفي الصحف الاولى من قوله قد افلح الى آخر السورة لحديث ابي ذر على ما يأتي وروي عكرمة عن ابن عباس ان هذا لفي الصحف الاولى قال هذه السورة وقال الضحاك ان هذا القرآن لفي الصحف الاولى اي الكتب الاولى صحف ابرهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه بعينها في تلك الصحف وانما هو على المعنى اي ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وروى الآجري من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابرهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر في صنع الله عز وجل اليه وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمأن اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل قال قلت يا رسول الله فهل في ايدينا شيء مما كان في يدي ابرهيم وموسى مما انزل الله عليك قال نعم اقرأ يا ابا ذر قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى وذكر الحديث

تفسير سورة الغاشية

مكية في قول الجميع وهي ست وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ هل بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان قاله قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية اي القيامة التي تغشى الخلائق باهوالها وافزاعها قاله اكثر المفسرين وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار تغشى وجوه الكفار ورواه ابو صالح عن ابن عباس ودليله قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقيل تغشى الخلق وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها وقيل هل اتاك اي هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك قال ابن عباس لم يكن اتاه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور ههنا وقيل انها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله ومعناه ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي قوله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ قال ابن عباس لم يكن اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال وجوه يومئذ اي يوم القيامة خاشعة قال

الالفاظ

وقيل المراد النفخة الثالثة للبعث لانها تغشى الخلق

سفيان اى ذليلة بالعذاب وكل متضائل ساكن خاشع يقال خشع فى صلاته اذا تذلل ونكس رأسه وخشع
الصوت خفي قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن والمراد بالوجوه اصحاب الوجوه وقال قتادة
وابن زيد خاشعة اى فى النار والمراد وجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام وقيل اراد وجوه اليهود
والنصارى قاله ابن عباس ثم قال عاملة ناصبة فهذا فى الدنيا لان الاخرة ليست دار عمل فالمعنى وجوه
عاملة ناصبة فى الدنيا خاشعة فى الآخرة قال اهل اللغة يقال للرجل اذا دأب فى سيره قد عمل
يعمل عملاً ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملاً وذا سحاب عمل قال الهذلي

حتى شآها كليلٌ موهناً عملٌ ○ باتت طراباً وبات الليل لم ينم

ناصبة اى تعبة يقال نصب بالكسر ينصب نصباً اذا تعب ونصباً ايضاً وانصبه غيره فروى الضحاك
عن ابن عباس قال هم الذين انصبوا انفسهم فى الدنيا على معصية الله جل وعز وعلى الكفر مثل عبدة
الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله جل ثناؤه منهم الا ما كان خالصاً له وقال
سعيد عن قتادة عاملة ناصبة قال تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله عز وجل فاعملها الله وانصبها فى النار
بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف عراةً حفاةً فى العرصات فى يوم كان مقداره خمسين
الف سنة قال الحسن وسعيد بن جبير لم تعمل لله فى الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها فى جهنم وقال
الكلبي يجرون على وجوههم فى النار وعنه وعن غيره يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى جهنم فينصبون
فيها اشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والاغلال والخوض فى النار كما يخوض الابل فى الوحل
وارتقائها فى صعود من نار وهبوطها فى حدورها الى غير ذلك من عذابها وقال ابن عباس
وقرأ ابن محيصن وعيسى وحميد ورواها عبيد عن شبل عن ابن كثير ناصبةً بالنصب على الحال وقيل
على الذم الباقون بالرفع على الصفة او على اضمار مبتدأ فيوقف على خاشعة ومن جعل المعنى فى الاخرة
جاز ان يكون خبراً بعد خبر عن وجوه فلا يوقف على خاشعة وقيل عاملة ناصبة اى عاملة فى الدنيا
ناصبة فى الاخرة وعلى هذا يحتمل وجوه يومئذ عاملة فى الدنيا ناصبة فى الاخرة خاشعة قال عكرمة
والسدي عملت فى الدنيا بالمعاصي وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم هم الرهبان اصحاب الصوامع وقاله
ابن عباس وقد تقدم فى رواية الضحاك عنه وروي عن الحسن قال لما قدم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الشام
اتاه راهب شيخ كبير متقهل عليه سواد فلما راه عمر بكى فقيل له يا امير المومنين ما يبكيك قال هذا المسكين
طلب امراً فلم يصبه ورجا رجاءً فاخطأه وقرأ قول الله عز وجل وجوه يومئذ عاملة ناصبة قال
الكسائي التقهل رثاثة الهيئة ورجل متقهل يابس الجلد سيئ الحال مثل المتقحل وقال ابو عمرو التقهل
شكوى الحاجة وانشد ○ لعوا اذا لاقيته تقهلا ○ والقهل كفران الاحسان وقد قهل يقهل
قهلاً اذا اثنى ثناء قبيحاً واقهل الرجل تكلف ما لا يعنيه ودنس نفسه وانقهل ضعف وسقط قاله
الجوهري وعن على رضي الله عنه انهم اهل حروراء يعنى الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تحقرون صلوتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية الحديث قوله تعالى تصلى ناراً حامية ○ اى يصيبها صلاها وحرها حامية
شديدة الحر اى قد اوقدت واحميت المدة الطويلة ومنه حمى النهار بالكسر وحمى التنور حمياً فيهما اى اشتد
حره وحكى الكسائي اشتد حمى الشمس وحموها بمعنى وقرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب تُصلى بضم التاء
الباقون بفتحها وقرئ تصلّى بالتشديد وقد تقدم القول فيها فى اذا السماء انشقت الماوردي فان
قيل فما معنى صفتها بالحمى وهى لا تكون الا حامية وهو اقل احوالها فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة
قيل قد اختلف فى المراد بالحامية انها حمى من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم هيهنا على اربعة
اوجه احدها ان المراد بذلك انها دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التى ينقطع حميها بانطفائها
الثانى ان المراد بالحامية انها حمى من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم
ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه الثالث انها تحمي نفسها
عن ان تطاق ملامستها او ترام مماستها كما يحمي الاسد عرينه ومثله قول النابغة

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ○ وتتقي صولة المستأسد الحامي ○

الرابع انها حامية حمى غيظ وغضب مبالغة فى شدة الانتقام ولم يرد حمى جرم وذات كما يقال قد حمى فلان
اذا اغتاظ وغضب عند ارادة الانتقام وقد بين الله تعالى بقوله هذا المعنى فقال تكاد تميز من الغيظ
قوله تعالى تسقى من عين آنية ○ الآنى الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التأخير ومنه آنيت
واذيت وآناه يؤنيه ايناءً اى اخره وحبسه وابطأه ومنها يطوفون بينها وبين حميم آن وفى التفاسير
من عين آنية اى تناهى حرها فلو وقعت نقطة منها على جبال الدنيا لذابت وقال الحسن آنية اى حرها
ادرك اوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشا وعن ابن ابى نجيح عن مجاهد قال
بلغت اناها وحان شربها قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع ○ اى لاهل النار طعام الا
من ضريع لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم قال عكرمة ومجاهد الضريع نبت ذو شوك لاصق بالارض تسميه
قريش الشبرق اذا كان رطباً فاذا يبس فهو الضريع لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل
وهو اخبث الطعام واشنعه على هذا عامة المفسرين الا ان الضحاك روى عن ابن عباس قال شئ يرمى
به البحر يسمى الضريع من اقوات الانعام لا الناس فاذا وقعت فيه الابل لم تشبع وهلكت هزلا والصحيح
ما قاله الجمهور انه نبت قال ابو ذؤيب رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ○ وعاد ضريعاً بان عنه النحائص
وقال الهذلي وذكر ابلا وسوء مرعاها ○ وحبسن فى هزم الضريع فكلها ○ حدباء دامية اليدين حرود
وقال الكلبي الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمى به البحر وقال الوالبي عن ابن عباس
هو شجر من نار ولو كانت فى الدنيا لاحرقت الارض وما عليها وقال سعيد بن جبير هو الحجارة
وقاله عكرمة والاظهر انه شجر ذو شوك حسب ما هو فى الدنيا وعن ابن عباس عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال الضريع شئ يكون فى النار يشبه الشوك اشد مرارة من الصبر وانتن من الجيفة
واحر من النار سماه الله ضريعاً وقال خالد بن زياد سمعت المتوكل ابن حمدان يسأل
عن هذه الاية ليس لهم طعام الا من ضريع قال بلغني ان الضريع شجرة من جهنم حملها القيح والدم اشد
اشد مرارة من الصبر فذلك طعامهم وقال الحسن هو بعض ما اخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان
هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك لان آكله
يضرع فى ان يعفى منه لكراهته وخشونته قال ابو جعفر النحاس قد يكون مشتقاً من الضارع وهو الذليل

اى ذو ضراعة اى من شربه ذليل تلحقه ضراعة وعن الحسن ايضا هو الزقوم وقيل واد فى جهنم والله اعلم
وقد قال الله تعالى فى موضع آخر فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال هنا الا من
ضريع وهو غير الغسلين ووجه الجمع ان النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين
ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبى الضريع فى درجة ليس
فيها غيره والزقوم فى درجة اخرى ولا يجوز ان يحمل الاتيان على حالتين كما قال يطوفون بينها وبين حميم آن
القتبى ويجوز ان يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار او من جوهر لا تاكله النار وكذلك سلاسل
النار واغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت على ما نعلم ما بقيت على النار وانما دلنا الله على الغائب
عنده بالحاضر عندنا فالاسماء متفقة الدلالة والمعانى مختلفة وكذلك ما فى الجنة من شجرها وفرشها
القشيرى وامثل من قول القتبى ان نقول ان الذى يبقى الكافرين فى النار ليدوم عليهم العذاب يبقى النبات
والشجرة الزقوم فى النار ليعذب بها الكفار وزعم بعضهم ان الضريع بعينه لا ينبت فى النار ولا انهم ياكلونه
فالضريع من اقوات الانعام لا من اقوات الناس واذا وقعت الابل فيه لم يشبع وهلكوا هزلا فاراد ان
هؤلاء يقتاتون ما لا يشبعهم وضرب الضريع له مثلا انهم يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع قال
الترمذى الحكيم وهذا نظر سقيم من اهله وتاويل دنى كانه يدل انهم تحيروا فى قدرة الله وان الذى
انبت فى هذا التراب هذا الضريع قادر على ان ينبته فى حريق النار كما جعل لنا فى الدنيا فى الشجر الاخضر
نارا فلا النار تحرق الشجر ولا رطوبة الماء فى الشجر تطفى النار فقال الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون وكما قال حين نزلت ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم قالوا يا رسول الله فكيف
يمشون على وجوههم فقال ان الذى امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم فلا يتحير فى مثل
هذا الا ضعيف القلوب اوليس قد اخبرنا انه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وقال سرابيلهم
من قطران وقال ان لدينا انكالا اى قيودا وطعاما ذا غصة قيل ذا شوك فانما يتلون عليهم العذاب
بهذه الاشياء قوله تعالى لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ يعنى الضريع لا يسمن اكله وكيف يسمن من ياكل
الشوك قال المفسرون لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن و
لا يغنى من جوع وكذبوا فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله وقيل اشتبه عليهم امره فظنوه
كغيره من النبت النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه لا يشبع ولا يغنى من جوع قوله تعالى وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ اى ذات نعمة وهى وجوه المؤمنين نعمت لما عاينت
من عاقبة امرها وعملها الصالح لسعيها اى لعملها التى عملته فى الدنيا راضية فى الآخرة حين اعطيت الجنة
بعملها ومجازه لثواب سعيها راضية وفيها واو مضمرة المعنى ووجوه يومئذ ليفصل بينها وبين الوجوه
المتقدمة والوجوه عبارة عن الانفس فى جنة عالية اى مرتفعة لانها فوق السموات حسب ما تقدم
وقيل عالية القدر لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون قوله تعالى لَا تَسْمَعُ
فِيهَا لَاغِيَةً اى كلاما ساقطا غير مرضى وقال لاغية واللغو واللغا واللاغية بمعنى واحد قال
عن اللغا ورفث التكلم وقال الفرا والاخفش اى لا تسمع فيها كلمة لغو وفى المراد بها ستة اوجه
احدها يعنى كذبا وبهتانا وكفرا بالله تعالى قاله ابن عباس الثانى لا باطل ولا اثم قاله قتادة الثالث

انه الشتم قاله مجاهد الرابع المعصية قاله الحسن الخامس لا يسمع فيها حالف يحلف بكذب قاله الفرا وقال
الكلبى لا يسمع فى الجنة حالف بيمين برة ولا فاجرة السادس لا يسمع فى كلامهم كلمة يلغى لان اهل الجنة
لا يتكلمون الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم قاله الفراء ايضا وهو احسنها لانه يعم ما
ذكر وقرا ابو عمرو وابن كثير لا يسمع بياء غير مسمى الفاعل لانه بيّنه ومن قراء بالياء فلانه حال بين الاسم
والفعل الجار والمجرور وقراء الباقون بالتاء مفتوحة لاغية نصبا على اسناد ذلك للوجوه اى
لا تسمع الوجوه فيها لاغية قوله تعالى فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ
وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ فيها عين جارية بماء مندفق وانواع الاشربة اللذيذة
على وجه الارض من غير اخدود وقد تقدم فى سورة الانسان ان فيها عيونا فعين بمعنى عيون
والله اعلم فيها سرر مرفوعة اى عالية وقد تقدم وروى انه يكون ارتفاعها قدر ما بين السماء
والارض ليرى ولى الله ملكه حوله واكواب موضوعة اى اباريق واوانى والابريق هو ما له عروة
وخرطوم والكوب اناء ليس له عروة ولا خرطوم وقد تقدم هذا فى الزخرف وغيرها ونمارق
اى وسائد الواحدة نمرقة مصفوفة اى واحدة الى جنب الاخرى قال الشاعر

وانا لنجرى الكاس بين شروبنا ... وبين ابى قابوس فوق النمارق

شروب جمع شارب وقال آخر
كهول وشبان حسان وجوههم ... على سرر مصفوفة ونمارق
وفى الصحاح
النمرق والنمرقة وسادة صغيرة وكذلك النمرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب وربما سموا الطنفسة التى فوق الرحل
نمرقة عن ابى عبيدة وزرابى مبثوثة قال ابو عبيدة الزرابى البسط وقال ابن عباس الزرابى الطنافس
التى لها خمل رقيق واحدتها زربية وقاله الكلبى والفراء والمبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقيل بعضها
فوق بعض قاله عكرمة وقيل كثيرة قاله الفراء وقيل متفرقة فى المجالس قاله القتبى قال الشيخ رحمه
الله هذا اصوب فهى كثيرة متفرقة ومنه وبث فيها من كل دابة وقال ابو بكر الانبارى وحدثنا احمد بن
الحسين حدثنا حسين بن عرفة حدثنا عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقراء
هل اتاك حديث الغاشية وقراء فيها وزرابى مبثوثة متكئين فيها ناعمين قوله تعالى أَفَلَا يَنظُرُونَ
إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ قال المفسرون لما ذكر الله جل وعز امر اهل الدارين تعجب الكفار من ذلك
فكذبوا وانكروا فذكرهم الله صنعته وقدرته وانه قادر على كل شئ كما خلق الحيوانات والسماء والارض
ثم ذكر الابل اولا لانها كثيرة فى العرب ولم يروا الفيلة فنبههم الله جل ثناؤه على عظيم من خلقه قد ذلله
للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله وليس ذلك
فى شئ من الحيوان غيره فاراهم عظيما من خلقه مسخرا للصغير من خلقه يدلهم بذلك على توحيده وعظيم
قدرته وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا فى بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال
يوشك ان يكون طوال الاعناق وحين ارادها ان تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى
ان اظماها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شئ نابت فى البرارى والمفاوز مما لا ترعاه
سائر البهائم وقيل لما ذكر السرر المرفوعة قالوا كيف نصعدها فانزل الله هذه الآية وبين ان الابل
تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك تلك السرر تتطامن ثم ترتفع قال معناه قتادة ومقاتل وغيرهما

وكذلك نافع الا انه بالتاء
المضمومة لان اللاغية اسم
مؤنث فانث الفاظه

وقيل الابل هنا القطع العظيمة من السحاب قاله المبرد قال الثعلبي وقيل في الابل هنا السحاب ولم اجد
لذلك اصلا في كتب الائمة قال الشيخ رحمه الله قد ذكر الاصمعي ابو سعيد عبد الملك ابن قريب قال
ابو عمرو من قرأها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت بالتخفيف عنى به البعير لانه من ذوات الاربع
يبرك فتحمل عليه الحمولة وغيره من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم ومن قرأها بالتثقيل
قال الابل عنى بها السحاب التي تحمل الماء للمطر وقال الماوردي وفي الابل هنا وجهان احدهما
وهو اظهرهما واشهرهما انها الابل من النعم الثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما
فيها من الآيات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل من النعم فلان الابل
اجمع للمنافع من سائر الحيوان لان ضروبه اربعة حلوبة وركوبة واكولة وحمولة والابل تجمع هذه الخلال
الاربع فكانت النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها اتم وقال الحسن انما خصها الله بالذكر لانها تاكل
النوى والقت وتخرج اللبن وسئل الحسن ايضا عنها وقالوا الفيل اعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة
العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره وكان شريح يقول اخرجوا بنا في
الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت والابل لا واحد لها من لفظها وهي مؤنثة لان اسماء الجموع
التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الادميين فالتانيث لها لازم واذا صغرتها ادخلتها الهاء
فقلت أُبيلة وغنيمة ونحو ذلك وربما قالوا للابل ابل بسكون الباء للتخفيف والجمع آبال قوله تعالى

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝

اى رفعت من الارض بلا عمد وقيل رفعت فلا ينالها شئ والى الجبال كيف نصبت اى نصبت على
الارض بحيث لا تزول وذلك ان الارض لما دحيت مادت فارساها بالجبال كما قال وجعلنا في
الارض رواسي ان تميد بهم والى الارض كيف سطحت اى بسطت ومدت وقال انس صليت خلف علي
رضي الله عنه كيف خلقتُ ورفعتُ ونصبتُ بضم التاءات اضاف الضمير الى الله وبه كان يقرأ
محمد بن السميفع وابو العالية والمفعول محذوف والمعنى خلقتها وكذلك سائرها وقرأ الحسن
وابو الحيوة وابو رجا سُطِّحت بتشديد الطاء واسكان التاء وكذلك قرأ الجماعة الا انهم خففوا
الطاء وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها لجاز قال القشيري وليس هذا مما يطلب فيه نوع
حكمة وقد قيل هو اقرب الى الناس في حق العرب لكثرتها عندهم وهم من اعرف الناس بها وايضا
مرافق الابل اكثر من مرافق الحيوانات الاخر فهي ماكولة ولبنها مشروب وتصلح للحمل والركوب و
قطع المسافات البعيدة عليها والصبر على العطش وقلة العلف وكثرة الحمل وهي من معظم اموال العرب
وكانوا يسيرون على الابل منفردين مستوحشين عن الناس ومن هذا حاله تفكر فيما يحضره
فقد ينظر في مركوبه ثم يمد بصره الى السماء ثم الى الارض فامروا بالنظر في هذه الاشياء فانها ادل
الدليل على الصانع المختار القادر قوله تعالى فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ۝
إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۝
فذكر اى فعظهم يا محمد وخوفهم انما انت مذكر اى واعظ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم
ثم نسختها آية السيف وقرأ هارون الاعور بمسيطَر بفتح التاء والمسيطرون وهي لغة تميم

وفي الصحاح والمسيطر والمصيطر المسلط على الشئ ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله
من السطر لان معنى السطر ان لا يتجاوز فالكتاب مسطر والذي يفعله مُسطر ومسيطر يقال
سيطرت علينا وقال تعالى لست عليهم بمسيطر وسطره اي صرعه الا من تولى وكفر استثناء
منقطع اى لكن من تولى عن الوعظ والتذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهي جهنم الدائم عذابها
وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل ودليل هذا التاويل قراءة
ابن مسعود الا من تولى وكفر فانه يعذبه الله وقيل هو استثناء متصل والمعنى لست بمسلط
الا على من تولى وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد والله يعذبه بعد ذلك العذاب الاكبر فلا نسخ
في الاية على هذا التقدير وروي ان عليا اتى برجل ارتد فاستتابه ثلاثة ايام فلم يعاود الاسلام
فضرب عنقه وقرأ ألا من تولى وكفر وقرأ ابن عباس وقتادة ألا على الاستفتاح والتنبيه
كقول امرئ القيس ألا رب يوم لك منهن صالح ومن على هذا للشرط والجواب فيعذبه الله والمبتدأ
بعد الفاء مضمر والتقدير فهو يعذبه الله لانه لو اريد الجواب بالفعل الذي بعد الفاء لكان الا من
تولى وكفر يعذبه الله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت يقال آب يؤوب اى رجع قال
عبيد ۝ وكل ذي غيبة يؤوب ۝ وغائب الموت لا يؤوب ۝
وقرأ ابو جعفر ايّابهم بالتشديد قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله في الصيام
والقيام وقيل هما لغتان بمعنى الزمخشري قرأ ابو جعفر المدني ايّابهم بالتشديد ووجهه
ان يكون فيعالا مصدر ايّب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوّابا فعّالا من اوّب ثم قيل ايوابا
كديوان في دوّان ثم فعل ما فعل باصل سيّد ۝

تفسير سورة الفجر

مكية وهي سبع وعشرون آية ۝ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ اقسم بالفجر والليالي العشر والشفع والوتر والليل اذا يسر اقسام خمسة
واختلف في الفجر فقال قوم الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي وابن الزبير وابن عباس
رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا انه النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه اوله وقال ابن محيصن عن عطية
عن ابن عباس يعني فجر المحرم ومثله قال قتادة قال هو فجر اول يوم من المحرم منه تنفجر السنة وعنه
ايضا صلوة الصبح وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال والفجر يريد صبيحة يوم النحر لان الله
جل ثناؤه جعل لكل يوم ليلة قبله الا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان
ليلة قبله وليلة بعده فمن ادرك الموقف ليلة بعد عرفة فقد ادرك الحج الى طلوع الفجر فجر يوم النحر وهذا قول
مجاهد وقال عكرمة والفجر قال انشقاق الفجر من يوم جمع وعن محمد ابن كعب القرظي والفجر قال آخر ايام العشر
اذا دفعت من جمع وقال الضحاك فجر ذي الحجة لان الله تعالى قرن الايام به وليال عشر اى ليالي عشر من ذي
الحجة وكذا قال مجاهد والسدي والكلبي في قوله وليال عشر هو عشر ذي الحجة وقاله ابن عباس وقال
مسروق هي العشر التي ذكرها الله في قصة موسى عليه السلام واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنة وروى

ابو الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والفجر وليال عشر قال عشر الاضحى فهي ليال عشر على
هذا القول لانه ليلة يوم النحر داخل فيه اذ قد خصها الله بان جعلها موقفا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة
وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها فلو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير فنكرت
من بين ما اقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها والله اعلم وعن ابن عباس ايضا هي العشر الاواخر
من رمضان وقاله الضحاك وقال ابن عباس ايضا ويمان والطبري هو العشر الاول من المحرم التي عاشرها
يوم عاشورا وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر قوله تعالى **والشفع والوتر**
الشفع الاثنان والوتر الفرد واختلف في ذلك فروى مرفوعا عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الشفع والوتر الصلوة منها شفع ومنها وتر وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله
عليه وسلم والفجر وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وهو قول
ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وعن ابي ايوب
قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى والشفع والوتر قال الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر
ليلة يوم النحر وقال مجاهد وابن عباس ايضا الشفع خلقه قال الله تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله
عز وجل فقيل لمجاهد اترويه عن احد قال نعم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قال
محمد بن سيرين ومسروق وابو صالح وقتادة قالوا الشفع الخلق قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين
الكفر والايمان والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والنور والظلمة والليل والنهار والبرد والحر
والشمس والقمر والصيف والشتا والسماء والارض والجن والانس والوتر هو الله قال الله تعالى قل هو
الله احد الله الصمد وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما والله وتر يحب الوتر وعن ابن
عباس ايضا الشفع صلوة الصبح والوتر صلوة المغرب وقال الربيع بن انس وابو العالية هي صلوة المغرب
الشفع فيها ركعتان والوتر الثالثة وقال ابن الزبير الشفع يوما منى الحادي عشر والثاني عشر والوتر
الثالث قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وقال الضحاك الشفع عشر
ذي الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وهو قول عطاء وقيل ان الشفع والوتر آدم وحوا كان فردا فشفع بزوجه لان آدم
حوا فصار شفعا بعد وتر رواه ابن ابي نجيح وحكاه القشيري عن ابن عباس وفي رواية الشفع آدم وحوا
والوتر هو الله تعالى وقيل الشفع والوتر الخلق لانهم شفع ووتر فكانه اقسم بالخلق وقد يقسم الله تعالى
باسمائه وصفاته لعلمه ويقسم بافعاله لقدرته كما قال وما خلق الذكر والانثى ويقسم بمفعولاته لعجائب صنعه
كما قال والشمس وضحاها والسماء وما بناها والسماء والطارق وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثماني
والوتر دركات النار لانها سبعة وهذا قول الحسين بن الفضل كانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع الصفا
والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده
وهو يوم القيامة وقال سفيان بن عيينة الوتر هو الله وهو الشفع ايضا لقوله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم وقال ابو بكر الوراق الشفع تضاد اوصاف المخلوقين العز والذل والقدرة
والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والحيوة والموت والبصر والعمى والسمع والصمم والكلام

والخرس

والخرس والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل
وحيوة بلا موت وبصر بلا عمى وكلام بلا خرس وسمع بلا صمم وما وازاها وقال الحسن المراد بالشفع
والوتر العدد كله لان العدد لا يخلو عنهما وهو اقسام بالحساب وقيل الشفع مسجد مكة والمدينة
وهما الحرمان والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وانثى والوتر الجماد
وقيل الشفع القران بين الحج والعمرة او التمتع بالعمرة الى الحج والوتر الافراد فيه وقيل الشفع ما
ينمى والوتر ما لا ينمى وقيل غير هذا وقرا ابن مسعود واصحابه والكسائي وحمزة وخلف والوتر
بكسر الواو والباقون بفتح الواو وهما لغتان بمعنى واحد وفي الصحاح الوتر بالكسر الفرد والوتر
بالفتح الذحل هذه لغة اهل العالية فاما لغة اهل الحجاز فبالضد منهم فاما تميم فبالكسر فيهما
قوله تعالى **والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر** وهذا قسم خامس وبعد
ما اقسم بالليالي العشر على الخصوص اقسم بالليل على العموم ومعنى يسري فيه كما يقال ليل نائم ونهار يسرى اى م
صائم قال ○ لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ○ ونمت وما ليل المطي بنائم ○
ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار هذا قول اهل المعاني وهو قول القتبي والاخفش وقال
اكثر المفسرين معنى يسري سار فذهب وقال قتادة وابو العالية جاء واقبل وروي عن ابرهيم والليل
والليل اذا يسري قال اذا استوى قال عكرمة والكلبي ومجاهد ومحمد بن كعب في قوله والليل هي ليلة
المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها
واختصاصها بزيادة الثواب فيها وقيل انه اراد عموم الليل كله قال الشيخ رحمه الله وهو الاظهر كما تقدم والله
اعلم وقرا ابن كثير وابن محيصن ويعقوب يسري باثبات الياء في الحالين على الاصل لانها ليست بمجزومة
فتثبت فيها الياء وقرا نافع وابو عمرو باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف وروي عن الكسائي قال
ابو عبيد كان الكسائي يقول مرة باثبات الياء في الوصل وبحذفها في الوقف اتباعا للمصحف ثم رجع
الى حذف الياء في الحالين جميعا لانه راس آية وهي قراءة اهل الشام والكوفة واختيار ابي عبيد اتباعا
للخط لانها وقعت في المصحف بغير ياء قال الخليل تسقط الياء منها اتفاقا لرؤس الآي قال الفراء قد تحذف
العرب الياء وتكتفي بكسر ما قبلها وانشد بعضهم ○ كفاك كف ما تليق درهما ○
جودا واخرى تعط بالسيف دما ○ يقال فلان ما يليق درهما من جوده اي ما يمسكه ولا يلصق
به وقال المؤرج سالت الاخفش عن العلة في اسقاط الياء من يسر فقال لا اجيبك حتى تبيت
على باب داري سنة فبت على باب داره سنة فقال الليل لا يسري وانما يسرى فيه فهو مصروف
وكلما صرفته عن جهته بخسته من اعرابه الا ترى الى قوله تعالى وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفها
من باغية الزمخشري وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة
وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب عليهم
ربك سوط عذاب وقال ابن الانباري هو ان ربك لبالمرصاد وقال مقاتل هل هنا في موضع ان تقديره
ان في ذلك قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم وقيل هل على بابها من الاستفهام الذي معناه
التقرير كقولك الم انعم عليك اذا كنت قد انعمت وقيل المراد بذلك التوكيد لما اقسم به واقسم عليه

والمعنى بل في ذلك مقنع لذي حجر والجواب على هذا ان ربك لبالمرصاد او مضمر محذوف ومعنى لذي حجر اى لذى
لب وعقل قال الشاعر
وكيف يرجى ان تتوب وانما ٭ يرجى من الفتيان من كان ذا حجر
كذا قال عامة المفسرين الا ان ابا مالك قال لذى حجر لذي ستر من الناس وقال الحسن لذي حلم قال الفرا الكل
يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل ولذى حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال
لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمى الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اى منعه وضبطه
عن التصرف ولذلك سميت الحجرة حجرة لامتناع ما فيها بها وقال الفراء العرب تقول انه لذو حجر اذا كان
قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من حجرت على الرجل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ
ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ اي مالكك وخالقك بعاد ارم قراءة العامة بعاد منونا وقرا الحسن وابو العالية بعاد
ارم مضافا فمن لم يضف جعل ارم اسمه ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم وارم اسم القبيلة وجعله بدلا منه
او عطف بيان ومن قراه بالاضافة ولم يصرفه جعله اسم امهم او اسم بلدتهم وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل
القرية ولم ينصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقراءة العامة ارم بكسر الهمزة وعن الحسن
ايضا بعاد ارم مفتوحتين وقرى بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرا بورقكم وقرى بعاد ارم
ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اى بعاد اهل ذات العلم وقرى بعاد ارم ذات
العماد اى جعل الله ذات العماد رميما وقرا مجاهد والضحاك وقتادة ارم بفتح الهمزة قال مجاهد من قراه
بفتح الهمزة شبههم بالارام التى هى الاعلام واحدها ارم وفى الكلام تقديم وتاخير اى والفجر وكذا وكذا ان ربك
لبالمرصاد الم تر اى الم ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرؤية رؤية القلب والخطاب للنبى صلى الله
عليه وسلم والمراد عام وكان امر عاد وثمود مشهورا عندهم اذ كانوا فى بلاد العرب وحجر ثمود موجود اليوم
وامر فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتاب واستفاضت به الاخبار وبلاد فرعون متصلة
بارض العرب وقد تقدم هذا المعنى فى البروج وغيرها بعاد اى بقوم هود وروي شهر بن حوشب عن ابى
هريرة قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من حجارة ولو اجتمع عليه خمساية من هذه الامة لم
يستطيعوا ان يقلوه وان كان احدهم ليدخل قدمه فى الارض فتدخل فيها ارم قيل هو سام بن نوح قاله
ابن اسحاق وروي عطاء عن ابن عباس وحكى عن ابن اسحاق ايضا قال عاد بن ارم فارم على هذا ابو عاد
وعاد ابن ارم بن عوص ابن سام بن نوح وعلى القول الاول هو اسم جد عاد قال ابن اسحاق كان سام بن نوح
له اولاد منهم ارم بن سام وارفخشد بن سام فمن ولد ارم بن سام العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك
الطغاة والعصاة وقال مجاهد ارم امة من الامم وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة ورواه ابن ابى نجيح وعن
مجاهد ايضا ان معناها القوية وقال قتادة هى قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هى ارم قال
الله جل وعز وانه اهلك عادا الاولى فقيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى
هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات

ادرك عادا وقبله ارما ٭ مجدا تليدا بناه اولهم

وقال معمر ارم اليه يجمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم وعاد ثمود وكانت القبائل تنسب الى ارم ذات
العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد قال ابن عباس فى رواية عطاء كان الرجل الطويل منهم طوله خمسماية ذراع

والقصير

والقصير منهم طوله ثلاث مائة ذراع بذراع نفسه وروي عن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم كان
سبعين ذراعا ابن العربي وهو باطل لان فى الصحيح ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا فى الهواء فلم يزل
الخلق ينقص الى الآن وزعم قتادة ان طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا وقال ابو عبيدة ذات
العماد ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ونحوه عن ابن عباس ومجاهد وعن قتادة ايضا
كانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اى سيدهم وعنه ايضا قيل لهم ذلك لانهم كانوا
ينتقلون بابياتهم للانتجاع وكانوا اهل خيام واعمدة ينتجعون الغيوث ويطلبون الكلاء ثم يرجعون
الى منازلهم وقيل ذات العماد اى ذات الابنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الاعمدة فيبنون
فوقها القصور قال ابن زيد ذات العماد يعنى احكام البنيان بالعمد وفى الصحاح والعماد الابنية
الرفيعة تذكر وتؤنث قال عمرو بن الكلثوم نظم

ونحن اذا عماد الحى خرت ٭ على الاحفاض نمنع من يلينا

الواحدة عمادة وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلما لزائره والاحفاض جمع حفض بالتحريك وهو
متاع البيت اذا هيئ ليحمل اى خرت على المتاع ويروى عن الاحفاض اى خرت عن الابل التى تحمل خرثي
البيت وقال الضحاك ذات العماد ذات القوة والشدة ماخوذة من قوة الاعمدة دليله قوله تعالى
وقالوا من اشد منا قوة وروى عوف عن خالد الربعي ارم ذات العماد قال هى دمشق وهو
قول عكرمة وسعيد المقبرى ورواه ابن وهب واشهب عن مالك وقال محمد بن كعب القرظى هي
الاسكندرية قوله تعالى ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ الضمير فى مثلها يرجع الى القبيلة اي لم يخلق
مثل القبيلة فى البلاد قوة وشدة وعظم اجساد وطول قامة عن الحسن وغيره وفى حرف عبد الله
التى لم يخلق مثلهم فى البلاد وقيل يرجع الى المدينة والاول اظهر وعليه الاكثر حسبما ذكرنا ومن جعل
ارم مدينة قدر حذفا المعنى كيف فعل ربك بمدينة عاد ارم او بعاد صاحبة ارم وارم على هذا مؤنثة
معرفة واختيار ابن العربي انها دمشق لانه ليس فى البلاد مثلها ثم اخذ ينعتها بكثرة مياهها وخيراتها
ثم قال وان فى الاسكندرية لعجائب لو لم يكن الا المنار فانها مبنية الباطن والظاهر على العمد ولكن لها
امثال فاما دمشق فلا مثل لها وقد روي معن عن مالك ان كتابا وجد فى الاسكندرية فلم يدر ما هو
فاذا فيه انا شداد بن عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت قال مالك ان كان لتمر بهم
مائة سنة لا يرون فيها جنازة وذكر عن ثور بن يزيد انه قال انا شداد بن عاد وانا رفعت العماد وانا
الذى شددت بذراعى بطن الواد وانا الذى كنزت كنزا على سبعة اذرع لا يخرجه الا امة محمد صلى الله
عليه وسلم وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد
فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة
سنة وكان عمره تسعماية سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد
والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما
كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى

كعب فنساء له فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة وقال هذا والله ذاك الرجل وقيل
اي لم يخلق مثل ابنية عاد المعروفة بالعمد فالكناية للعماد والعماد على هذا جمع عمد وقيل الارم الهلاك
يقال ارم بنو فلان اي هلكوا وقاله ابن عباس وقرأ الضحاك ارم ذات العماد اي اهلكهم فجعلهم رميما
قوله تعالى وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ثمود قوم صالح وجابوا قطعوا ومنه فلان يجوب
البلاد اي يقطعها وانما سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع قال الشاعر وكان نزل على ابن الزبير
بمكة فكتب له بستين وسقا يأخذها بالكوفة فقال

راحت رواحا قلوصي وهي حامدة ۞ آل الزبير ولم تعدل بهم احدا
راحت بستين وسقا في حقيبتها ۞ ما حملت حملها الادنى ولا السددا
ما ان رأيت قلوصا قبلها حملت ۞ ستين وسقا ولا جابت به بلدا

اي قطعت قال المفسرون اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود فبنوا من المداين الفا و
سبعماية مدينة كلها من الحجارة ومن الدور والمنازل الفي الف وسبعماية الف كلها من الحجارة وقد قال
تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين وكانوا لقوتهم يخرقون الصخور وينقبون الجبال ويجعلونها
بيوتا لانفسهم بالوادي اي بوادي القرى قاله محمد بن اسحاق وروى ابو الاشهب عن ابي نضرة قال اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك على وادي ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير
فانكم في واد ملعون وقيل الوادي كان بين جبال وكانوا ينقبون في تلك الجبال بيوتا ودورا واحواضا وكل
منفرج بين جبال او تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد قوله تعالى وَفِرْعَوْنَ ذِي
الْأَوْتَادِ اي الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشد ملكه قاله ابن عباس وقيل كان يعذب
الناس بالاوتاد ويشدهم بها الى ان يموتوا تجبرا منه وعتوا وهكذا فعل بامرأته آسية وماشطة
ابنته حسب ما تقدم في اخر التحريم وقال عبد الرحمن بن زيد كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يؤخذ
الانسان فتوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه وقد مضى في سورة ص من ذكر
اوتاده ما فيه كفاية قوله تعالى الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ
رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ يعني عادا وثمودا وفرعون طغوا اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم
والعدوان فاكثروا فيها الفساد اي الاذى والجور والذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب
على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون
فصب عليهم ربك سوط عذاب اي افرغ عليهم والقي يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه قال النابغة

فصب عليه الله احسن صنعه ۞ وكان له بين البرية ناصرا

وسوط عذاب اي نصيب عذاب ويقال شدته لان السوط كان عندهم نهاية ما يعذب به قال الشاعر

الم تر ان الله اظهر دينه ۞ وصب على الكفار سوط عذاب

وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي
يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم

من قولهم ساطه يسوطه سوطا اي خلطه فهو سائط فالسوط خلط الشيء بعضه ببعض ومنه سمي المسواط
وسوطه اي خلطه واكثر ذلك يقال سوط فلان اموره قال

فسطها ذميم الرأي غير موفق ۞ فلست على تسويطها بمعان

قال ابو زيد يقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة حكاه عنه يعقوب وقال الزجاج اي جعل سوطهم
الذي ضربهم به العذاب يقال ساط دابته يسوطها اي ضربها بالسوط وعن عمرو بن عبيد كان الحسن
اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شيء عذب
الله تعالى به فهو سوط عذاب قوله تعالى إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ اي يرصد عمل كل انسان
حتى يجازيه به قاله الحسن وعكرمة وقيل اي عليه طريق العباد لا يفوته احد والرصد والمرصاد الطريق
وقد مضى في براءة فروى الضحاك عن ابن عباس قال ان على جهنم سبع قناطر يسأل الانسان عند اول قنطرة
عن الايمان فان جاء به تاما جاز الى القنطرة الثانية ثم يسأل عن الصلوة فان جاء بها جاز الى الثالثة ثم يسأل
عن الزكوة فان جاء بها جاز الى الرابعة ثم يسأل عن صيام شهر رمضان فان جاء به جاز الى الخامسة ثم يسأل
عن الحج والعمرة فان جاء بهما جاز الى السادسة ثم يسأل عن صلة الرحم فان جاء بها جاز الى السابعة ثم يسأل
عن المظالم وينادي مناد الا من كانت له مظلمة فليأت فيقتص للناس منه ويقتص له من الناس فذلك قوله
جل ثناؤه ان ربك لبالمرصاد وقال الثوري لبالمرصاد يعني جهنم عليها ثلاث قناطر قنطرة فيها الرحم و
قنطرة فيها الامانة وقنطرة فيها الرب تبارك وتعالى قال الشيخ رحمه الله اي حكمه وامره
والله اعلم وعن ابن عباس ايضا لبالمرصاد يسمع ويرى قال الشيخ رحمه الله هذا قول حسن يسمع اقوالهم
ونجويهم ويرى اي يعلم اعمالهم واسرارهم فيجازي كلا بعمله وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال
بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد
يا ابا جعفر قال الزمخشري عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره
اي اسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقطع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه قوله تعالى
فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا
مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ فاما الانسان يعني الكافر قال ابن عباس يريد
عتبة بن ربيعة وابا حذيفة بن المغيرة وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه ربه
اي امتحنه واختبره بالنعمة وما زائدة صلة فاكرمه بالمال ونعمه بما اوسع عليه فيقول ربي اكرمن
فيفرح بذلك ولا يحمده واما اذا ما ابتلاه اي امتحنه بالفقر واختبره به فقدر اي ضيق عليه
رزقه على مقدار البلغة فيقول ربي اهانن اي اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث
انما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته فاما المؤمن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته
وتوفيقه المؤدي الى حظ الاخرة وان وسع عليه في الدنيا حمده وشكره قال الشيخ رحمه الله الايتان
صفة كل كافر وكثير من المسلمين يظن ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول بجهله
لو لم استحق هذا لم يعطنيه الله وكذا ان قتر عليه يظن ان ذلك لهوانه على الله وقراءة العامة فقدر مخفف
الدال وقرأ ابن عامر مشددا وهما لغتان والاختيار التخفيف لقوله ومن قدر عليه رزقه قال ابو عمرو وقدر

اى نقتر وقدر مشدداً منه ان يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن وقرا اهل الحرمين
وابو عمرو ربي بفتح اليآء في الموضعين واسكن الباقون واثبت البزي وابن محيصن ويعقوب
اليا من اكرمن واهانن في الحالين لانها اسم فلا تحذف واثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف
اتباعاً للمصحف وخير ابو عمرو في اثباتها في الوصل او حذفها لانها راس آية وحذفها في الموقف لخط
المصحف الباقون يحذفها لانها وقعت في الموضعين بغير ياء والسنة ان لا يخالف خط المصحف لانه اجماع
الصحابة قوله تعالى كَلَّا رد اى ليس الامر كما يظن فليس الغنى لفضله ولا الفقر لهوانه وانما الفقر
من تقديري وقضاي وقال الفراء كلا في هذا الموضع بمعنى لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا ولكن يحمد الله
عز وجل على الغنى والفقر وفي الحديث يقول الله عز وجل كلا اي لا اكرم من اكرمت بكثرة الدنيا ولا
اهين ولا اهنت من اهنت بقلتها انما اكرم من اكرمت بطاعتي واهين من اهنت بمعصيتي قوله تعالى
بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا
بل لا يكرمون اليتيم اخبار عما كانوا يصنعونه من منع اليتيم الميراث واكل ماله اسرافاً وبداراً ان يكبروا
وقرا ابو عمرو ويعقوب يكرمون بالياء ويحضون ويأكلون ويحبون بالياء لانه تقدم ذكر الانسان
والمراد به الجنس فعبر عنه بلفظ الجمع الباقون بالتاء في الاربعة على الخطاب والمواجهة كانه قال لهم ذلك
تقريعاً وتوبيخاً وترك اكرام اليتيم بدفعهم عن حقه واكل ماله كما ذكرنا قال مقاتل نزلت في قدامة بن
مظعون وكان يتيماً في حجر امية ابن خلف ولا تحضون على طعام المسكين اى لا يامرون اهليهم باطعام
مسكين يجيئهم وقرا الكوفيون تحاضون بفتح التاء والحاء والف اى يحض بعضهم بعضاً واصله تتحاضون
فحذف احدى التائين لدلالة الكلام عليها وهو اختيار ابي عبيد وروي عن ابراهيم والشيزري عن الكسائي
والسلمي تحاضون بضم التاء وهو تفاعلون من الحض والحث ويأكلون التراث اى ميراث اليتامى واصله
الوراث من ورثت فابدلوا الواو تاء كما قالوا في تجاه وتجه وتكاه وتالله ونحو ذلك وقد تقدم اكلاً لما
اى شديداً قاله السدي وقيل لما جمعاً من قولهم لممت الطعام لماً اذا اكلته جمعاً قاله الحسن وابو عبيدة واصل
اللم في كلام العرب الجمع يقال لممت الشيء المه لماً جمعته ومنه يقال لم الله شعثه اى جمع ما تفرق من اموره
قال النابغة ° ولست بمستبق اخاً لا تلمه ° على شعث اي الرجال المهذب °
ومنه قولهم ان داركم لمومة اى تلم الناس وتربهم وتجمعهم وقال المرناف الطائي يمدح علقمة بن سيف
° واحبني حب الصبي ولمني ° لم الهدي الي الكريم الماجد °
وقال الليث اللم الجمع الشديد ومنه حجر ملموم وكتيبة ملمومة فالاكل يلم الثريد فيجمعه لقماً ثم ياكله وقال
مجاهد يسفه سفاً وقال الحسن ياكل نصيبه ونصيب غيره وقال الحطيئة
° اذا كان لما يتبع الذم ربه ° فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا °
يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم وقال ابن زيد هو انه اذا اكل ماله الم بمال
غيره فاكله ولا يفكر فيما اكل من خبيث وطيب قال وكان اهل الشرك لا يورثون النساء ولا الصبيان
بل ياكلون ميراثهم مع ميراثهم وتراثهم مع تراثهم وقيل ياكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك
فيلم في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلاً مهلاً من غير ان يعرق فيه

ويأكلون التراث اكلاً لما

حينئذ فيسرف في انفاقه ويأكل اكلاً واسعاً جامعاً بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه
كما يفعل الوراث البطالون وتحبون المال حباً جماً اى كثيراً حلاله وحرامه والجم الكثير يقال جم الشيء
يجم جموماً فهو جم وجام ومنه جم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر وقال الشاعر
° ان تغفر اللهم تغفر جماً ° واي عبد لك لا الما °
والجمة المكان الذي يجتمع فيه ماؤه والجموم البئر الكثيرة الماء والجموم بالضم المصدر يقال جم الماء يجم
جموماً اذا كثر في البئر واجتمع بعد ما استقي فيها قوله تعالى كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ° كلا اى ما هكذا ينبغي ان يكون الامر فهو رد لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها فان من فعل
ذلك يندم يوم تدك الارض ولا ينفعه الندم والدك الكسر والدق وقد تقدم اى زلزلت الارض
وحركت تحريكاً بعد تحريك وقال الزجاج اى زلزلت فدك بعضها بعضاً وقال المبرد اى الصقت وذهب
ارتفاعها يقال ناقة دكاء اى لا سنام لها والجمع دك وقد مضى في الاعراف والحاقة القول في هذا
ويقولون دك الشيء اى هدم قال هل غير غاد دك غاراً فانهدم دكاً دكاً اى مرة بعد مرة زلزلت فكسر
بعضها بعضاً فتكسر كل شيء على ظهرها وقيل دكت جبالها وانشازها حتى استوت وقيل دكت استوت
في الانفراش فذهب دورها وقصورها وجبالها وساير ابنيتها ومنه سمي الدكان لاستوائه في الانفراش
والدك حط المرتفع من الارض بالبسط وهو معنى قول ابن مسعود وابن عباس يمد الارض مد الاديم
قوله تعالى وَجَاءَ رَبُّكَ ° اي امره وقضاؤه قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف وقيل اى جاءهم
الرب بالآيات العظيمة وهو كقوله الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام اى بظلل وقيل جعل مجيء الآيات
مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات ومنه قوله تعالى في الحديث يا ابن آدم مرضت فلم تعدني استسقيتك
فلم تسقني استطعمتك فلم تطعمني وقيل وجاء ربك اى زالت الشبهة ذلك اليوم وصارت المعارف
ضرورية كما تزول الشبه والشك عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه وقال اهل الاشارة ظهرت قدرته و
استوت والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان الى مكان واني له التحول والانتقال ولا مكان له
ولا اوان ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت على الشيء فوت الاوقات ومن فاته الشيء
فهو عاجز قوله تعالى وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ ° والملك اى الملائكة
صفاً صفاً اى صفوفاً وجيء يومئذ بجهنم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام
بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون
الف ملك يجرونها وقال ابو سعيد الخدري لما نزلت وجيء يومئذ بجهنم تغير لون النبي صلى الله عليه وسلم
وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه ثم قال اقرأني جبريل كلا اذا دكت الارض دكاً دكاً الآية وجيء
يومئذ بجهنم يومئذ قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى بها تقاد بسبعين الف
زمام تقود بكل زمام سبعون الف ملك فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لي جهنم
فتقول ما لي ولك يا محمد ان الله قد حرم لحمك علي فلا يبقى احد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم
فانه يقول رب امتي امتي قوله تعالى يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ° اى يتعظ

لما نزلت ...

ويتوب وهو الكافر او من همته معظم الدنيا وانى له الذكرى ومن اين له الاتعاظ والتوبة وقد فرط فيها
في الدنيا ويقال اى ومن اين له منفعة الذكرى فلا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين يوم يتذكر
وبين وانى له الذكرى تناف قاله الزمخشري قوله تعالى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي
اي في حياتي فاللام بمعنى في وقيل اي قدمت عملا صالحا لحياتي اى لحياة لا موت فيها وقيل حياة
اهل النار ليست هنية فكانهم لا حياة لهم فالمعنى يا ليتني قدمت من الخير لنجاتي من النار فاكون
فاكون فيمن له حياة هنية قوله تعالى فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ
أَحَدٌ اى لا يعذب كعذاب الله احد ولا يوثق كوثاقه احد والكناية ترجع الى الله تعالى وهو قول
ابن عباس والحسن وقرا الكسائي لا يعذَّب ولا يوثَق بفتح الذال والثاء اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب
الله الكافر يومئذ ولا يوثق كما يوثق الكافر والمراد ابليس لان الدليل قام على انه اشد الناس عذابا لاجل
اجرامه فاطلق الكلام لاجل ما صحبه من التفسير وقيل انه امية ابن خلف حكاه الفراء يعني انه لا يعذب كعذاب
هذا الكافر المعين احد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه احد لتناهيه في كفره وعناده وقيل اي
لا يعذب مكانه احد فلا يؤخذ منه فداء والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق ومنه قول الشاعر
وبعد عطائك المية الرتاعا وقيل لا يعذب احد ليس بكافر عذاب الكافر واختار ابو عبيد وابو حاتم
فتح الذال والثاء ويكون الهاء ضمير الكافر لان ذلك معروف انه لا يعذب احد كعذاب الله وقد روى ابو
قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا بفتح الذال والثاء وروي ان ابا عمرو رجع الى قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ابو علي يجوز ان يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة لا يعذب احد احدا مثل تعذيب هذا
الكافر فيكون الهاء للكافر والمراد باحد الملائكة الذين يتولون تعذيب اهل النار قوله تعالى يَا أَيَّتُهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي
جَنَّتِي لما ذكر حال من كانت همته الدنيا فاتهم الله في اغنائه وافقاره ذكر حال من اطمانت نفسه الى الله
فسلم لامره واتكل عليه وقيل هو من قول الملائكة لاولياء الله عز وجل والمطمئنة الساكنة الموقنة وعن
مجاهد ايضا الراضية بقضاء الله تعالى التي علمت ان ما اخطاها لم يكن ليصيبها وان ما اصابها لم يكن ليخطئها
وقال مقاتل الآمنة من عذاب الله وفي حرف ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة وقيل التي عملت
على يقين بما وعد الله في كتابه وقال ابن كيسان المطمئنة هنا المخلصة وقال ابن عطاء العارفة التي
لا تصبر عنه طرفة عين وقيل المطمئنة بذكر الله بيانه الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل المطمئنة
بالايمان المصدقة بالبعث والثواب وقال ابن زيد المطمئنة لانها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث
ويوم الجمع وروي عبد الله بن بريدة عن ابيه قال يعني نفس حمزة والصحيح انها عامة في كل نفس مؤمن مخلص طائع
قال الحسن البصري ان الله تعالى اذا اراد يقبض روح عبده المؤمن اطمانت النفس الى الله تعالى
واطمان الله تعالى اليها وقال عمرو بن العاص اذا توفي المؤمن ارسل الله اليه ملكين وارسل معهما
تحفة من الجنة فيقولان لها اخرجي ايتها النفس المطمئنة راضية مرضية ومرضيا عنك اخرجي الى روح
وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كاطيب ريح مسك وجد احد من انفه على ظهر الارض وذكر الحديث
وقال سعيد بن زيد قرا رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس المطمئنة فقال ابو بكر ما احسن هذا يا

رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات
ابن عباس بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقته طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت
هذه الآية على شفير القبر لا يدري من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
وروى الضحاك انها نزلت في عثمان ابن عفان رضي الله عنه حين وقف بئر رومة وقيل نزلت
في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فحول الله وجهه نحو القبلة
فالله اعلم ومعنى الى ربك اى الى صاحبك وجسدك قاله ابن عباس فادخلي في عبدي على التوحيد
فيامر الله تعالى الارواح غدا ان ترجع الى الاجساد وقرا ابن مسعود في جسد عبدي وقال الحسن
ارجعي الى ثواب ربك وكرامته وقال ابو صالح المعنى ارجعي الى الله وهذا عند الموت فادخلي في عبادي
اى في اجساد عبادك دليله قراءة ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس هذا يوم القيامة وقاله
الضحاك والجمهور على ان الجنة دار الخلود التي هي مسكن الابرار ودار الصالحين والاخيار ومعنى
في عبادي كما قال ولندخلنهم في الصالحين وقال الاخفش في عبادي اى في حزبي والمعنى
واحد اى انتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم ختمت

تفسير سورة البلد

مكية باتفاق وهي عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ يجوز ان يكون لا زائدة كما تقدم في لا اقسم بيوم القيامة قاله الاخفش
اى اقسم لانه قال بهذا البلد وقد اقسم به في قوله وهذا البلد الامين فكيف يجحد القسم به وقد اقسم به
وقال الشاعر تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع اي يتقطع ودخل حرف
لا صلة ومنه قوله ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك بدليل قوله تعالى في ص ما منعك ان تسجد وقرا
الحسن والاعمش وابن كثير لاقسم من غير الف بعد اللام اثباتا واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى
الا وقيل ليست بنفي القسم وانما هو كقول العرب لا والله لا فعلت كذا ولا والله ما كان كذا ولا والله
لافعلن كذا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي
وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد عليهم وهذا اختيار ابن العربي لانه قال واما من قال انها
رد فهو قول ليس له رد لانه يصح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد فهو رد لكلام من انكر البعث ثم ابتداء
القسم وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور في هذه السورة المغرور بالدنيا اي
ليس الامر كما يحسبه من انه لا يقدر عليه احد ثم ابتداء القسم والبلد مكة اجمعوا عليه اى اقسم بالبلد الحرام
الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك وقال الواسطي اى يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك
فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة نزلت بمكة قوله تعالى وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا
الْبَلَدِ يعني في المستقبل كقوله انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام
والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة
وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال لان السورة بالاتفاق مكية قبل الفتح

فروي منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت فيه من شيء فانت في حل وكذا قال ابن عباس احل له يوم دخل مكة ان يقتل من شاء فقتل ابن خطل ومقيس ابن صبابة وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي السدي قال انت في حل ممن قاتلك ان تقاتله وروي ابو صالح عن ابن عباس قال احلت له ساعة من نهار ثم اطبقت وحرمت الى يوم القيامة وذلك يوم فتح مكة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة فلم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار الحديث وقد تقدم في المائدة ابن زيد لم يكن بها احد حلا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وانت مقيم فيه وهو محلك وقيل انت فيه محسن وانا عنك فيه راض وذكر اهل اللغة انه يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل حرام ومحرم وحرم وقال قتادة انت حل به لست باثم وقيل هو ثناء على النبي صلى الله عليه وسلم اي انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه معرفة منك بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه اي اقسم بهذا البيت المعظم الذي قد عرفت حرمته فانت مقيم فيه معظم له غير مرتكب فيه ما يحرم عليك وقال شرحبيل بن سعد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي هم يحرمون مكة ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ثم هم مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك قوله تعالى **وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ** قال مجاهد وقتادة والضحاك والحسن وابو صالح ووالد آدم عليه السلام وما ولد اي وما تناسل من ولده اقسم بهم لانهم اعجب ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير وفيهم الانبياء والدعاة الى الله وقيل هو اقسام بآدم والصالحين من ذريته واما الطالحون فكانهم بهائم وقيل الوالد ابراهيم وما ولد ذريته قاله ابو عمران الجوني ثم يحتمل انه يريد جميع ذريته ويحتمل انه يريد المسلمين من ذريته قال الفراء وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وقوله وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق للذكر والانثى وقيل ما مع ما بعدها في معنى المصدر اي ووالد وولادته كقوله والسماء وما بناها وقال عكرمة وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وقال ابن عباس وما على هذا نفي وهو بعيد ولا يصح الا باضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد وذلك لا يجوز عند البصريين وقيل هو عموم في كل والد وكل مولود قاله عطية العوفي وروي معناه عن ابن عباس ايضا وهو اختيار الطبري الماوردي ويحتمل ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته كقوله عليه السلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في تشريفه عليه السلام قوله تعالى **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ** الى هنا انتهى القسم وهذا جوابه ولله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته ليعظمها كما تقدم والانسان هنا ابن آدم في كبد في شدة وعناء من مكابدة الدنيا واصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن غلظ وخثر واشتد ومنه الكبد لانه دم تغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته قال لبيد

يا عين هلا بكيت اربد ... اذ قمنا وقام الخصوم في كبد

قال ابن عباس والحسن في كبد اي شدة ونصب وعن ابن عباس ايضا في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وغير ذلك من احواله وروي عكرمة عنه قال منتصبا في بطن امه والكبد الاستواء

ولادة ام

والاستقامة فهذا امتنان عليه في الخلقة ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن امها الا منكبة على وجهها الا ابن آدم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما ابن كيسان منتصبا رأسه في بطن امه فاذا اذن الله ان يخرج من بطن امه قلب رأسه الى رجلي امه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الاخرة وعنه ايضا يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء لانه لا يخلو من احدهما ورواه ابن عمر قال يمان لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال علماؤنا اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه وتحريك لسانه ثم يكابد الفطام الذي هو اشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه التزويج ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم في مصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول ايرادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ووجع البطن والم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة ولا يكابد الا مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم مسائلة الملك وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فلو كان الامر اليه لما اختار هذه الشدائد ودل هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره وقال ابن زيد الانسان هنا ابن آدم وقوله في كبد اي في وسط السماء وقال الكلبي ان هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له الاشدين وكان ياخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه وكان من اعداء النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب ان لن يقدر عليه احد يعني لقوته وروي عن ابن عباس ومعنى في كبد اي شديدا يعني شديد الخلق وكان من اشد رجال قريش وكذلك ركانة بن هاشم بن المطلب وكانا مثلا في الباس والشدة وقيل في كبد اي جريء القلب غليظ الكبد مع ضعف خلقته ومهانة مادته ابن عطاء في ظلمة وجهل الترمذي مضيعا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه قوله تعالى **أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ** اي ايظن ابن آدم ان لن يعاقبه الله عز وجل يقول اهلكت اي انفقت مالا لبدا اي كثيرا مجتمعا ايحسب ايظن ان لم يره احد اي يعاينه احد بل علم الله عز وجل ذلك منه وكان كاذبا في قوله اهلكت ولم يكن انفقه وروي ابو هريرة قال يوقف العبد فيقال ماذا عملت في المال الذي رزقتك فيقول انفقته وزكيته فيقال كانك انما فعلت ذلك ليقال سخي فقد قيل ذلك ثم يؤمر به الى النار وعن سعيد عن قتادة انك مسئول عن مالك من اين جمعت وكيف انفقت وعن ابن عباس قال كان ابو الاشدين يقول انفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب وقال مقاتل نزلت في الحارث ابن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول منه يحتمل ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا

منه او اسفًا عليه فيكون ندمًا منه وقراء ابو جعفر مالا لُبّدًا بتشديد الباء مفتوحة على جمع لابد مثل راكع
وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد ونحوه وقراء مجاهد وحميد بضم الباء واللام مخففا جمع
لبود والباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء مخففا جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقد
مضى في الجن القول فيه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقراء الحسب بضم السين
في الموضعين وقال الحسن تقول انفقت مالا كثيرا فمن يحاسبني به دعني احسبه الم يعلم ان الله
قادر على محاسبته وان الله جل وعز يرى صنيعه ثم عدد عليه نعمه فقال الم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا وشفتين ينطق بهما يستر بهما ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك به ونحن نقدر على ان نبعثه ونحصي عليه
ما عمله وقال ابو حازم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال يا ابن ادم ان نازعك
لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك
فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين
فاطبق والشفة اصلها شفهة حذفت منها الهاء وتصغيرها شفيهة والجمع شفاه ويقال
شفهات وشفوات والهاء اقيس والواو اعم تشبيها بالسنوات وقال الازهري يقال هذه
شفة في الوصل وشفة بالتاء والهاء وقال فثالة نعم الله ظاهرة يقررك بها حتى تشكر

قوله تعالى **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** يعني الطريقين طريق الخير وطريق الشر اي بينا هما له
بما ارسلناه من الرسل والنجد الطريق في ارتفاع وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وروى
سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا ايها الناس انما هو النجدان
نجد الخير ونجد الشر فلم يجعل نجد الشر احب اليك من نجد الخير وروى عن عكرمة قال النجدان
الثديان وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك وروي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما لانهما كالطريقين
لحياة الولد ورزقه فالنجد العلو وجمعه نجود ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة فالنجدان
الطريقان العاليان قال امرء القيس فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب

قوله تعالى **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ** اي فهلا انفق ماله الذي يزعم انه انفقه
في عداوة محمد هلا انفقه لاقتحام العقبة فيأمن والاقتحام الرمي بالنفس في شيء من غير روية
يقال منه قحم في الامر قحوما اي رمى بنفسه فيه من غير روية وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه
اذا رماه وتقحيم النفس في الشيء ادخالها فيه من غير روية والقحمة بالضم المهلكة والسنة الشديدة
يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم قحط فدخلوا الريف والقحم صعاب الطريق قال الفراء والزجاج
وذكر لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى تعيد وسائر كلام
آخر كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانما افردها لدلالة آخر الكلام
على معناه فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين امنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن
وقيل هو جار مجرى الدعاء كقوله لا نجا ولا سلم وما ادراك ما العقبة قال سعيد بن جبير كل شيء قال
فيه وما ادراك فانه اخبره به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبره به وقال معنى فلا اقتحم العقبة
اي فلم يقتحم العقبة كقول زهير ٥ وكان طوى كشحا على مستكنة ٥ فلا هو ابداها ولم يتقدم

اي

اي فلم يبدها ولم يتقدم وكذا قال المبرد وابو علي لا بمعنى لم وذكره البخاري عن مجاهد اي فلم يقتحم العقبة
في الدنيا فلا يحتاج الى التكرير ثم فسر العقبة وركوبها فقال فك رقبة وكذا وكذا فبين وجوها من
القرب المالية وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام الذي معناه الانكار
تقديره افلا اقتحم العقبة او هلا اقتحم العقبة يقول هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام السغبان
ليجاوز به العقبة فيكون خيرا له من انفاقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قيل اقتحام العقبة
ههنا ضرب مثل اي هلا تحمل عظام الامور في انفاق ماله في طاعة ربه والايمان به وهذا انما
يليق بقول من حمل فلا اقتحم العقبة على الدعاء اي فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا
وقيل شبه عظم الذنوب وثقلها وشدتها بعقبة فاذا اعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل
من اقتحم العقبة وهي الذنوب التي تضره وتؤذيه وتثقله وقال ابن عمر هذه العقبة جبل في جهنم
وعن ابي رجاء قال بلغنا ان العقبة مصعدها سبعة الاف سنة ومهبطها سبعة الاف سنة وقال
الحسن وقتادة هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله وقال مجاهد والضحاك
والكلبي هي الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا واقتحامه
على المؤمن كما بين صلوة العصر الى العشاء وقيل اقتحامه عليه قدر ما يصلي صلوة مكتوبة وروي عن
ابي الدرداء انه قال ان وراءنا عقبة انجى الناس منها اخفهم حملا وقيل النار نفسها هي العقبة وروى ابو رجاء
عن الحسن قال بلغنا انه ما من مسلم يعتق رقبة الا كانت فداه من النار وعن عبد الله بن عمر قال من اعتق
رقبة اعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضوا منه من النار وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من اعضائه من النار حتى فرجه
بفرجه وفي الترمذي عن ابي امامة وغيره من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما امرء مسلم[1]
اعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه وايما امرأة مسلمة اعتقت
امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها عضوا منها قال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل
العقبة خلاصه من هول العرض وقال قتادة وكعب هي نار دون الجسر وقال الحسن هي والله عقبة
شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه والشيطان وانشد بعضهم

اني بليت باربع يرمينني ٥ بالنبل قد نصبوا علي شراكا
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ٥ من اين ارجو بينهن فكاكا
يا رب ساعدني بعفو انني ٥ اصبحت لا ارجو لهن سواكا

قوله تعالى **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ** فيه حذف اي وما ادراك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لالتزام امر الدين والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اقتحام العقبة وقال القشيري وحمل العقبة
على عقبة جهنم بعيد اذ احد في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم الا ان يحمل على ان المراد فهلا صير نفسه بحيث يمكنه
اقتحام عقبة جهنم غدا واختار البخاري قول مجاهد انه لم يقتحم العقبة في الدنيا قال ابن العربي وانما
اختار ذلك لانه قال بعد ذلك في الاية الثانية وما ادراك ما العقبة ثم قال في الاية الثالثة فك رقبة وفي
الاية الرابعة او اطعام في يوم ذي مسغبة ثم قال في الاية الخامسة يتيما ذا مقربة ثم قال في الاية السادسة

[1] اعتق امرءا مسلما كان فكاكه من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه وايما امرء مسلم

او مسكينا ذا متربة فهذه الاعمال انما يكون في الدنيا المعنى فلم يأت في الدنيا بما يسهل عليه سلوك العقبة في الآخرة قوله تعالى **فَكُّ رَقَبَةٍ** فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى فك رقبة فكها خلاصها من الاسر وقيل من الرق وفي الحديث وفك الرقبة ان تعين في ثمنها من حديث البراء وقد تقدم في سورة براءة والفك هو حل القيد والرق قيد وسمي المرقوق رقبة لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكا كفك الاسير من الاسر قال حسان

كم من اسير فككناه بلا ثمن ° وجز ناصية كنا مواليها °

وروي عقبة بن عامر الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مؤمنة كانت فداه من النار قال الماوردي ويحتمل ثانيا انه اراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمتنع الخبر من هذا التأويل وهو اشبه بالصواب الثانية قال اصبغ الرقبة الكافرة ذات الثمن افضل في العتق من الرقبة المؤمنة القليلة الثمن لقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل اي الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها ابن العربي والمراد في هذا الحديث من المسلمين بدليل قوله عليه السلام من اعتق امرءا مسلما ومن اعتق رقبة مؤمنة وما ذكره اصبغ وهلة وانما نظر الى تنقيص المال والنظر الى تجريد المعتق للعبادة وتفريغه للتوحيد اولى الثالثة العتق والصدقة من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار قوله تعالى **أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ** ° او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والسغب الجوع والساغب الجائع وقرأ الحسن او اطعام في يوم ذا مسغبة بالالف في ذا وانشد ابو عبيدة

فلو كنت جارا يابن قيس بن عاصم ° لما بت شبعانا وجارك ساغبا °

واطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال النخعي في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة قال في يوم عزيز فيه الطعام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من موجبات الرحمة اطعام المسلم السغبان يتيما ذا مقربة اي قرابة يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي يعلمك ان الصدقة على القرابة افضل منها على غير القرابة كما ان الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له افضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله واهل اللغة يقولون سمي يتيما لضعفه يقال يتم الرجل يتما اذا ضعف وذكروا ان اليتيم في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الامهات وقد مضى في سورة البقرة مستوفى وقال بعض اهل اللغة اليتيم الذي يموت ابواه وقال قيس ابن الملوح

الى الله اشكو فقد ليلى كما شكا ° الى الله فقد الوالدين يتيم °

قوله تعالى **أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ° اي لا شيء له حتى كانه قد لصق بالتراب من الفقر ليس له مأوى الا التراب وقال ابن عباس هو المطروح على الطريق لا بيت له مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال عكرمة المديون ابو سنان ذو الزمانة ابن جبير الذي ليس له احد وروي عكرمة عن ابن عباس ذو المتربة البعيد التربة يعني الغريب البعيد عن وطنه وقال ابو حامد الخارزنجي المتربة هنا من التتريب وهي شدة الحال يقال ترب اذا افتقر قال الهذلي

وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا ° سفكنا دماء البدن في تربة الحال °

وقراء ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك بنصب الكاف على الفعل الماضي رقبة نصبا لكونها مفعولا او اطعم بفتح الهمزة ونصب الميم من غير الف على الفعل الماضي ايضا لقوله ثم كان من الذين آمنوا فهذا اشكل بفك واطعم وقراء الباقون فك رفعا على انه مصدر وفككت رقبة خفض بالاضافة او اطعام بكسر الهمزة والف ورفع الميم وتنوينها على المصدر ايضا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانه تفسير لقوله تعالى وما ادريك ما العقبة ثم اخبره فقال فك رقبة او اطعام المعنى اقتحام العقبة فك رقبة او اطعام ومن قراء بالنصب فهو محمول على المعنى اي ولا فك رقبة ولا اطعم في يوم ذي مسغبة فكيف يجاوز العقبة وقراء الحسن وابو رجاء ذا مسغبة بالنصب على انه مفعول اطعم اي يطعمون ذا مسغبة ويتيما بدل منه الباقون ذي مسغبة فهو صفة ليوم ويجوز ان يكون قراءة النصب صفة لموضع الجار والمجرور لان قوله في يوم ظرف منصوب الموضع فيكون وصفا له على المعنى دون اللفظ قوله تعالى **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ** ° يعني انه لا يقتحم العقبة من فك رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة حتى يكون من الذين آمنوا اي صدقوا فان شرط قبول الطاعات الايمان بالله فالايمان بعد الانفاق لا ينفع بل يجب ان تكون الطاعة مصحوبة بالايمان قال الله تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وقالت عائشة يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم الطعام ويفك العاني ويعتق الرقاب ويحمل على ابله لله فهل ينفعه ذلك شيئا قال انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وقيل ثم كان من الذين اي فعل هذه الاشياء وهو مؤمن ثم بقي على ايمانه حتى الوفاة نظيره قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقيل المعنى ثم كان من الذين يؤمنون بان هذا نافع لهم عند الله تعالى وقيل اي اتى بهذه القرب لوجه الله ثم آمن بمحمد عليه السلام وقد قال حكيم بن حزام بعدما اسلم يا رسول الله انا كنا نتحنث باعمال في الجاهلية فهل لنا منها شيء فقال عليه السلام اسلمت على ما قدمت من الخير وقيل ان ثم بمعنى الواو اي وكان هذا المعتق الرقبة والمطعم في المسغبة من الذين آمنوا وتواصوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى ما اصابهم من البلايا والمصائب وتواصوا بالمرحمة اي بالرحمة على الخلق فانهم اذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين اولئك اصحاب الميمنة اي الذين يؤتون كتبهم بايمانهم قاله محمد بن كعب وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم ابن زيد لانهم اخذوا من شق آدم الايمن وقيل لان منزلتهم على اليمين قال ميمون ابن مهران والذين كفروا باياتنا اي القرآن هم اصحاب المشأمة اي يأخذون كتبهم بشمائلهم قاله محمد بن كعب يحيى بن سلام لانهم مشائيم على انفسهم ابن زيد لانهم اخذوا من شق آدم الايسر ميمون لان منزلتهم عن اليسار قال الشيخ رحمه الله ويجمع هذه الاقوال ان يقال اصحاب الميمنة اصحاب الجنة واصحاب المشأمة اصحاب النار قال الله تعالى

واصحابُ اليمين ما اصحاب اليمين فى سدرٍ مخضود وقال واصحاب الشمال ما اصحابُ الشمال فى سموم وحميم وما كان
مثله ومعنى موصدة اى مطبقة مغلقة قال ٭ تحنّ الى اجبال مكة ناقتى ٭ ومن دونها ابواب صنعاء موصدة
وقيل مبهمة لا يدري ما داخلها واصل اللغة يقولون اوصدتُ الباب واآصدته اى اغلقته فمن قال اوصدت
فالاسم الوصاد ومن قال آصدت فالاسم الاصاد وقراء ابو عمرو وحمزة ويعقوب والشيزرى عن الكسائي
موصدة بالهمز هنا وفى الهمزة الباقون بلا همز وهما لغتان وعن ابى بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة
فاشتهى ان اسدّ اذنى اذا سمعته

تفسير سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

وهى مكية باتفاق وهى خمس عشرة آية

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا قال مجاهد وضحاها اى ضوءها واشراقها وهو قسم ثان واضاف الضحى الى الشمس لانه
انما يكون بارتفاع الشمس وقال قتادة نهارها وقال السدى حرها وروى الضحاك عن ابن عباس وضحاها
قال جعل فيها الضوء وجعلها حارة وقال اليزيدى هو انبساطها وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون
القسم بها وبمخلوقات الارض كلها حكاهما الماوردى والضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحو وقد
تذكر فمن انث ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل كحصرد ونغر وهو ظرف غير
متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحىً اذا اردت به ضحى يومك لم تنونه وقال الفرا الضحى هو النهار كله لقول
قتادة والمعروف عند العرب ان الضحى اذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحاء بالمد ومن
قال الضحى النهار كله فذلك لدوام نور الشمس وقد استدل من قال ان الضحى حر الشمس بقوله تعالى ولا تضحى اى
لا يوذيك الحر وقال المبرد اصل الضحى من الضح وهو نور الشمس والالف مقلوبة من الحاء الثانية تقول ضحوة
وضحوات وضحى قالوا ومن ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية والالف فى ضحى مقلوبة عن الواو وقال
ابو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الارض واصله الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون
الواو فقلبوها الفا قوله تعالى وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا اى تبعها وذلك اذا سقطت رئى الهلال
يقال تلوت فلانا اذا تبعته قال قتادة انما ذلك ليلة الهلال اذا سقطت الشمس رئى الهلال وقال
ابن زيد اذا غربت الشمس فى النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفى آخر الشهر يتلوها بالغروب
الفراء تلاها اخذ منها يذهب الى ان القمر يأخذ من ضوء الشمس وقال قوم والفرا اذا تلاها حين استوى
واستدار فكان مثلها فى الضياء والنور وقاله الزجاج قوله تعالى وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا اى
كشفها فقال قوم جلى الظلمة وان لم يجر لها ذكر كما تقول اصبحت باردة تريد اصبحت غداتنا باردة وهذا
قول الفراء والكلبى وغيرهما وقال قوم الضمير فى جلاها للشمس والمعنى انه يبين بضوء جرمها ومنه قول
قيس ابن الخطيم ٭ تجلت لنا كالشمس تحت غمامة ٭ بدا حاجب منها وضنت بحاجب ٭
وقيل جلا ما فى الارض من حيوانها حتى ظهر لاستتاره ليلا وانتشاره نهارا وقيل جلى الدنيا وقيل الارض
وان لم يجر لهما ذكر ومثله قوله تعالى حتى توارت بالحجاب على ما تقدم آنفا قوله تعالى وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا
اى يغشى الشمس فيذهب بضوءها عند سقوطها قاله مجاهد وغيره وقيل تغشى الدنيا بالظلم فتظلم الآفاق
فالكناية ترجع الى غير مذكور قوله تعالى وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا اى وبنيانها فما مصدرية كما قال

ومن قال انه نور الشمس او حر الشمس فنور الشمس لا يكون الا مع حر الشمس صح

بما غفر لى ربي اى بغفران ربى قاله قتادة واختاره المبرد وقيل المعنى ومن بناها قاله مجاهد
والحسن وهو اختيار الطبرى اى ومن خلقها ورفعها وهو الله تعالى وحكى عن اهل الحجاز سبحان
ما سبحت له اى سبحان من سبحت له قوله تعالى وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا اى وطحوها وقيل ومن
طحاها على ما ذكرناه آنفا اي بسطها كذا قال عامة المفسرين مثل دحاها قال مجاهد والحسن وغيرهما
طحاها ودحاها واحد اى بسطها من كل جانب والطحو البسط طحا يطحو طحوا وطحى يطحى طحيا اى
اضطجعت عن ابى عمرو وعن ابن عباس طحاها قسمها وقيل خلقها قال الشاعر
٭ وما تدري جذيمة من طحاها ٭ ولا من ساكن العرش الرفيع ٭
الماوردي ويحتمل انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لانه حياة لما خلق عليها ويقال فى بعض ايمان
العرب لا والقمر الطاحى اى المشرف المشرق المرتفع قال ابو عمرو وطحا الرجل اذا ذهب
فى الارض يقال ما ادري اين طحا ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به فى كل شئ قال علقمة
٭ طحا بك قلب فى الحسان طروب ٭ بعيد الشباب عصر حان مشيب ٭
قوله تعالى وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا قيل المعنى وتسويتها فما بمعنى المصدر وقيل المعنى ومن
سواها وهو الله عز وجل وفى النفس قولان احدهما آدم الثانى كل نفس منفوسة وسوى بمعنى هيأ
وقال مجاهد سواها سوى خلقها وعدل وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم اقسم جل ثناؤه بخلقه
لما فيه من عجائب الصنعة الدالة عليه قوله تعالى فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا اى عرفها
كذا روي ابن ابي نجيح عن مجاهد اى عرفها طريق الفجور والتقوى وقاله ابن عباس وعن مجاهد ايضا
عرفها الطاعة والمعصية وعن محمد بن كعب قال اذا اراد الله بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به
واذا اراد به السوء الهمه الشر فعمل به وقال الفرا فالهمها قال عرفها طريق الخير وطريق الشر كما قال
وهديناه النجدين وروى الضحاك عن ابن عباس قال الهم المؤمن المتقى تقواه والهم الكافر فجوره وعن
سعيد عن قتادة قال بين لها فجورها وتقواها والمعنى متقارب وروى عن ابى هريرة قال قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالهمها فجورها وتقواها فقال اللهم آت نفسى تقواها زكها انت
خير من زكاها انت وليها ومولاها ورواه جبير عن الضحاك عن ابن عباس ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان اذا قرا هذه الآية فالهمها فجورها وتقواها رفع صوته بها وقال اللهم آت نفسى تقواها
انت وليها ومولاها وانت خير من زكاها وفى صحيح مسلم عن ابى الاسود الدئلى قال قال لى عمران
ابن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى ومضى عليهم من قدر ما سبق
او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم قال
فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون فقال لى يرحمك الله انى لم ارد بما سالتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينة
اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ
قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال لا
بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها

والفجور والتقوى مصدران في موضع المفعول به قوله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها هذا جواب القسم بمعنى لقد افلح قال الزجاج اللام حذفت لان الكلام طال فصار طوله عوضا منها وقيل الجواب محذوف اي والشمس وكذا وكذا لتبعثن قال الزمخشري تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاطراد وليس من جواب القسم في شيء وقيل هو على التقديم والتاخير بغير حذف والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها والشمس وضحاها افلح فاز من زكاها اي من زكى الله نفسه بالطاعة وقد خاب من دسيها اي خسرت نفس دسيها الله جل ثناؤه بالمعصية وقال ابن عباس خابت نفس اضلها الله واغواها وقيل افلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الاعمال وخاب من دس نفسه في المعاصي قاله قتادة وغيره واصل الزكوة النمو ومنه زكوة الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل وذكر الجميل وقد تقدم هذا المعنى في اول البقرة فمصطنع المعروف والمبادر الى اعمال البر شهر نفسه ورفعها وكانت اجواد العرب تنزل الربى وارتفاع الارض ليشتهر مكانها للمعتفين وتوقد النيران في الليل للطارقين وكانت اللئام تنزل الاولاج والاطراف والاهضام ليخفى مكانها عن الطالبين فاولئك علوا انفسهم وزكوها وهؤلاء خفوا انفسهم ودسوها وكذا الفاجر ابدا خفي المكان زمن المروءة غامض الشخص ناكس الراس بركوب المعاصي وقيل دسيها اغواها قال

وانت الذي دسيت عمرا فاصبحت • حلائله منه ارامل ضيعا

قال اهل اللغة والاصل دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء في الشيء فابدلت سينه ياء كما يقال قصيت اظفاري واصله قصصت اظفاري ومنه قولهم في تقضض تقضى وقال ابن الاعرابي وقد خاب من دسيها اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقيها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها اي بطغيانها وهو خروجها عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وعن ابن عباس بطغواها اي بعذابها الذي وعدت به قال وكان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى لانه طغى عليهم وقال محمد بن كعب بطغواها باجمعها وقيل هو مصدر وخرج على هذا المخرج لانه اشكل برؤس الآي وقيل الاصل بطغياها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء ابدلت في الاسم واوا ليفصل بين الاسم والوصف وقراءة العامة بفتح الطاء وقراء الحسن والجحدري وحماد بن سلمة بضم الطاء على انه مصدر كالرجعى والحسنى وشبههما في المصادر وقيل هما لغتان اذ انبعث اي نهض اشقاها لعقر الناقة واسمه قدار بن سالف وقد مضى في الاعراف بيان هذا وهل كان واحدا او جماعة وفي البخاري عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم خطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة وذكر الحديث خرجه مسلم ايضا وروى الضحاك عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اتدري من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك فقال لهم رسول الله يعني صالحا ناقة

الله ناقة منصوب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي والجدار الجدار اي احذروا ناقة الله اي عقرها وقيل ذروا ناقة الله كما قال تعالى هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء وسقياها اي ذروها وشربها وقد مضى بيانه في الشعراء واقتربت الساعة فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بيرهم ولها شرب يوم مكان ذلك فشق ذلك عليهم فكذبوه اي كذبوا صالحا في قوله انكم تعذبون ان عقرتموها فعقروها اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وقال قتادة ذكر لنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان خير الناس وهذه المرأة اشقى القوم فلهذا لم يقل اشقياها قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسويها اي اهلكهم واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وروى الضحاك عن ابن عباس قال دمدم عليهم دمر عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال الفراء دمدم اي ارجف وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده ويقال دممت على الشيء اذا اطبقت عليه ودمم عليه القبر اي اطبقه وناقة مدمومة اي البسها الشحم فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت والدمدمة اهلاك باستيصال قاله المورج وفي الصحاح ودممت الشيء اذا الزقته بالارض وطحطحته ودمدم الله عليهم اي اهلكهم القشيري وقيل دمدمت على الميت التراب اي سويت عليه فقوله فدمدم عليهم اي اهلكهم فجعلهم تحت التراب فسواها اي سوى عليهم الارض وعلى الاول فسويها اي فسوى الدمدمة والاهلاك عليهم وذلك ان الصيحة اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم وقال ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وقال بعض اللغويين الدمدمة الادامة تقول العرب ناقة مدمومة اي سمينة وقيل فسواها اي سوى الامة في انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم وضيعهم وشريفهم ذكرهم وانثاهم وقراء ابن الزبير فدهدم وهما لغتان كما يقال امتقع لونه واهتقع قوله تعالى ولا يخاف عقباها اي فعل الله ذلك بهم غير خائف ان تلحقه تبعة الدمدمة من احد قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والهاء في عقباها ترجع الى الفعلة كقوله من اغتسل يوم الجمعة فبها ونعمت اي بالفعلة والخصلة وقال السدي والضحاك والكلبي ترجع الى العاقر اي لم يخف الذي عقرها عقبى ما صنع وقاله ابن عباس ايضا وفي الكلام تقديم وتاخير مجازه اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها وقيل لا يخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عاقبة اهلاك قومه ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم لانه قد انذرهم ونجاه الله تعالى حين اهلكهم وقراء نافع وابن عامر فلا بالفاء وهو الاجود لانه يرجع الى المعنى الاول اي فلا يخاف الله عاقبة اهلاكهم والباقون بالواو وهي اشبه بالمعنى الثاني اي ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالا اخرج الينا مالك رحمه الله مصحفا لجده زعم انه كتبه في ايام عثمان بن عفان حين كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو وكذلك هي في مصاحف اهل مكة والعراقين بالواو واختاره ابو عبيد وابو حاتم اتباعا لمصحفهم

تفسير سورة الليل

الارض وعلى الاول فسويها اي فسوى الدمدمة والاهلاك عليهم

بسم الله الرحمن الرحيم
وهي مكية وقيل مدنية وهي احدى وعشرون آية
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ إِنَّ سَعْيَكُمْ
لَشَتَّىٰ ۝ والليل اذا يغشى اى يغطى ولم يذكر للعلم به فقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلائق
وقيل يغشى كل شئ بظلمته وروى سعيد عن قتادة قال اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما
فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مضيئا مبصرا والنهار اذا تجلى اى انكشف ووضح وظهر وبان بضوئه
عن ظلمة الليل وما خلق الذكر والانثى قال الحسن معناه والذى خلق الذكر والانثى فيكون قد اقسم
بنفسه جل وعز وقيل معناه وخلق الذكر والانثى فما مصدرية على ما تقدم واهل مكة يقولون للرعد سبحان
ما سبحت له فما على هذا بمعنى من وهو قول ابى عبيدة وغيره وقد تقدم وقيل المعنى وما خلق من الذكر
والانثى فتكون من مضمرة ويكون القسم منه باهل طاعته من انبيائه واوليائه ويكون قسمه بهم تكرمة
لهم وتشريفا وقال ابو عبيدة وما خلق اى ومن خلق وكذلك قوله والسماء وما بناها ونفس وما سواها
ما في هذه المواضع بمعنى من وروى عن ابن مسعود انه كان يقرأ والنهار اذا تجلى والذكر والانثى
ويسقط وما خلق وفى صحيح مسلم عن علقمة قال قدمنا الشام فاتانا ابو الدرداء فقال فيكم احد
يقرأ على قراءة عبد الله فقلت نعم انا قال فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الاية والليل اذا يغشى
قال سمعته يقرأ والليل اذا يغشى والذكر والانثى قال وانا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرؤها ولكن هؤلاء يريدون ان اقرأ وما خلق فلا اتابعهم قال ابو بكر الانبارى
وحدثنا محمد بن يحيى المروزى حدثنا ابو احمد الزبيرى حدثنا اسرائيل عن ابى اسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد
عن عبد الله قال اقرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى انا الرزاق ذو القوة المتين قال ابو بكر كل
من هذين الحديثين مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله ابن مسعود ما
عليه جماعة المسلمين والبناء على سندين يوافقان الاجماع اولى من الاخذ بواحد يخالفه الاجماع والامة
وما بنى على رواية واحد اذا حاذاه رواية جماعة تخالفه اخذ برواية الجماعة وابطل نقل الواحد لما يجوز
عليه من النسيان والاغفال ولو صح الحديث عن ابى الدرداء وكان اسناده مقبولا معروفا ثم كان
ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم يخالفونه لكان الحكم العمل بما رواه الجماعة ورفض
ما يحكيه الواحد المنفرد الذى يسرع اليه من النسيان ما لا يسرع الى الجماعة وجميع اهل الملة وفى المراد
بالذكر والانثى قولان احدهما آدم وحوا قاله ابن عباس والحسن والكلبى الثانى يعنى جميع الذكور والاناث
من آدمى وبهيم لان الله تعالى خلق جميعهم وقيل كل ذكر وانثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم
بولاية الله وطاعته ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى ان عملكم لمختلف قال عكرمة وسائر المفسرين
السعى العمل فساع فى فكاك نفسه وساع فى عطبها يدل عليه قوله عليه السلام الناس غاديان فبائع نفسه
فمعتقها او موبقها وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين
بعضه وبعضه اى ان عملكم لمتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلالة وبعضه هدى اى فمنكم مؤمن وبر
وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى اى لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل اى لمختلف
الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قوله تعالى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ

بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ
وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ فيه خمس
مسائل الاولى قوله تعالى فاما من اعطى واتقى قال ابن مسعود يعنى ابا بكر رضى الله عنه وقال مقاتل
عامة المفسرين فروى عن عامر ابن عبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الاسلام عجائز و
نساء قال فقال له ابوه ابو قحافة اى بنى لو انك اعتقت رجالا جلدا يمنعوك ويقومون معك فقال
يا ابه انما اريد ما اريد وعن ابن عباس فى قوله تعالى فاما من اعطى اى بذل واتقى اى محارم الله التى
نهى عنها وصدق بالحسنى اى بالخلف من الله على عطائه فسنيسره لليسرى وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما
اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروى من حديث ابى الدرداء ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم غربت شمسه الا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله
كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وانزل الله تعالى فى ذلك من القرآن فاما
من اعطى واتقى الايات وقال اهل التفسير فاما من اعطى المعسرين وقال قتادة اعطى حق الله الذى
عليه وقال الحسن اعطى الصدق من قلبه وصدق بالحسنى اى بلا اله الا الله قاله الضحاك والسلمى وابن
عباس ايضا وقال مجاهد بالجنة دليله قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى الاية وقال قتادة بموعود
الله الذى وعده ان يثيبه زيد بن اسلم بالصلوة والزكوة والصوم الحسن بالخلف من عطائه وهو
اختيار الطبرى وتقدم عن ابن عباس وكله متقارب المعنى اذ يرجع كله الى الثواب الذى هو الجنة
الثانية قوله تعالى فسنيسره لليسرى اى نرشده لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه
فعلها وقال زيد بن اسلم لليسرى للجنة وفى الصحيحين والترمذى عن على رضى الله عنه قال كنا فى
جنازة فى البقيع فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فجلس فجلسنا معه ومعه عود ينكت به فى الارض
فرفع راسه الى السماء فقال ما من نفس منفوسة الا كتب مدخلها فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل
على كتابنا فمن كان من اهل السعادة فانه يعمل للسعادة ومن كان من اهل الشقا فانه يعمل للشقا
قال بل اعملوا فكل ميسر اما من كان من اهل السعادة فانه ييسر لعمل اهل السعادة ومن كان من
اهل الشقا فانه ييسر لعمل اهل الشقا ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى لفظ الترمذى وقال فيه حديث حسن صحيح
وسال غلامان شابان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به
المقادير ام فى شئ يستانف قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل اذا قال
اعملوا فكل ميسر لعمله الذى خلق له قالا فالآن نجد ونعمل الثالثة قوله تعالى واما من بخل اى ضن
بما عنده فلم يبذل خيرا وقد تقدم بيانه وتمرته فى الدنيا فى آل عمران وفى الاخرة ماله النار كما فى هذه
الاية روى الضحاك عن ابن عباس فسنيسره للعسرى قال سوف احول بينه وبين الايمان بالله وبرسوله
وعنه عن ابن عباس قال نزلت فى امية ابن خلف وروى عكرمة عن ابن عباس واما من بخل واستغنى
يقول بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اى بالخلف وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد وكذب

بالحسنى قال بالجنة وباسناد آخر عنه بلا اله الا الله فسنيسره اي نسهل طريقه للعسرى اي للشر وعن ابن
مسعود للنار وقيل اى فسنعسر عليه اسباب الخير والصلاح حتى تصعب عليه فعلها وقد تقدم
ان الملك ينادي صباحا ومساء اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا رواه ابو الدردا
قال العلماء ثبت بهذه الآية وبقوله ومما رزقناهم ينفقون وقوله والذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار
سرا وعلانية الى غير ذلك من الايات ان الجود من مكارم الاخلاق والبخل من اراذلها وليس الجواد
الذي يعطي في غير موضع العطاء ولا البخيل الذي يمنع في موضع المنع لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء
والبخيل الذي يمنع في موضع العطاء فكل من استفاد بما يعطي اجرا وحمدا فهو الجواد ومن استحق بالمنع
ذما او عقابا فهو البخيل ومن لم يستفد بالعطا اجرا ولا حمدا وانما استوجب به ذما فليس بجواد انما
هو مسرف مذموم وهو من المبذرين الذين جعلهم الله اخوان الشياطين واوجب الحجر عليهم
ومن لم يستوجب بالمنع عقابا ولا ذما واستوجب به حمدا فهو من اهل الرشد الذين يستحقون القيام
على اموال غيرهم لحسن تدبيرهم وسداد رأيهم الخامسة قال الفراء يقول القائل كيف قال
فسنيسره للعسرى وهل في العسرى تيسير فيقال في الجواب هذا في اجازته بمنزلة قوله جل وعز
فبشره بعذاب اليم والبشارة في الاصل على الفرح والسرور فاذا جمعت في كلامين هذا خير وهذا
شر جاءت البشارة فيهما وكذلك التيسير في الاصل على الفرح فاذا جمع في كلامين هذا خير وهذا
شر جاء التيسير فيهما جميعا قال الفراء وقوله فسنيسره سنهيئه والعرب تقول قد يسرت الغنم اذا
ولدت او تهيأت للولادة قال هما سيدانا يزعمان وانما ◦ يسوداننا ان يسرت غنماهما ◦
قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى اى مات يقال ردي الرجل يردى ردا اذا هلك قال
صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ◦ وقال ابو صالح وزيد بن اسلم اذا
تردى اي سقط في جهنم ومنه المتردية ويقال ردي في البئر وتردى اذا سقط في بئر او تهور من جبل
يقال ما ادري اين ردي اى اين ذهب وما يحتمل ان يكون جحدا اي ولا يغني عنه ماله شيئا ويحتمل ان يكون
استفهاما معناها التوبيخ اي اى شيء يغني عنه اذا هلك ووقع في جهنم ان علينا للهدى ان علينا ان نبين
طريق الهدى من طريق الضلال فالهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اى على الله البيان بيان حلاله
وحرامه وطاعته ومعصيته قاله قتادة وقال الفراء من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله وعلى الله
قصد السبيل ويقول من اراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال
فترك الاضلال كقوله بيدك الخير وبيده كل شيء وكما قال سرابيل تقيكم الحر وهي تقي البرد عن الفراء
ايضا وقيل اى ان علينا ثواب هداه الذي هديناه وان لنا للآخرة والاولى الآخرة الجنة والاولى الدنيا
وكذا روي عطاء عن ابن عباس اى الدنيا والآخرة لله تعالى وروى ابو صالح عن ابن عباس قال ثواب
الدنيا والآخرة وهو كقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما
فقد اخطأ الطريق قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب
وتولى فانذرتكم اى حذرتكم وخوفتكم نارا تلظى اى تلهب وتوقد واصله تتلظى وهي قراءة عبيد بن
عمير ويحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف لا يصليها اى لا يجد صلاها وهو حرها الا الاشقى اي الشقي

الذي كذب نبي الله محمدا صلى الله عليه وسلم وتولى اي اعرض عن الايمان وروى مكحول عن ابي هريرة
قال كل يدخل الجنة الا من اباها قالوا يا ابا هريرة ومن يأبى ان يدخل الجنة قال الذي كذب
وتولى وقال مالك صلى بنا عمر بن عبد العزيز المغرب فقرأ والليل اذا يغشى فلما بلغ فانذرتكم نارا
تلظى وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعداها من البكاء فتركها وقرأ سورة اخرى وقال الفراء الا
من كان شقيا في علم الله جل ثناؤه وروى الضحاك عن ابن عباس قال لا يصلاها الا الاشقى
امية ونظراؤه الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة
الله وقال الفراء لم يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر عما امر به من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول
لقي فلان العدو فكذب اذا نكل ورجع عن اتباعه قال وسمعت ابا ثروان يقول ان بني نمير ليس لجدهم مكذوبة
يقول اذا لقوا صدقوا القتال ولم يرجعوا وكذلك قوله جل ثناؤه ليس لوقعتها كاذبة يقول هي حق
سمعت سلم ابن الحسن يقول سمعت ابا اسحق الزجاج يقول هذه الاية التي من اجلها قال اهل الارجاء
بالارجاء فزعموا انه لا يدخل النار الا كافر لقوله جل ثناؤه لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى
وليس الامر كما ظنوا هذه نار موصوفة بعينها لا يصلى هذه النار الا الذي كذب وتولى ولاهل النار
منازل فمنها ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والله سبحانه كل ما وعد عليه بجنس من العذاب فجائز
ان يعذب به وقال جل ثناؤه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فائدة و
كان يغفر ما دون ذلك كلاما لا معنى له الزمخشري الاية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين
وعظيم من المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان
النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او
امية بن خلف وابو بكر رضي الله عنه قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى اي
يكون بعيدا منها الاتقى اي التقي الخائف قال ابن عباس هو ابو بكر رضي الله عنه يزحزح عن دخول
النار ثم وصف الاتقى فقال الذي يؤتي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا ولا يطلب بذلك
رياء ولا سمعة بل يتصدق به مبتغيا به وجه الله تعالى وقال بعض اهل المعاني اراد بقوله الاتقى والاشقى
اى التقي والشقي كقول طرفة ◦ تمنى رجال ان اموت وان امت ◦ فتلك سبيل لست عنها باوحد ◦
اى واحد ووحيد وتوضع افعل موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو اهون عليه بمعنى هين
قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى
اي ليس يتصدق ليجازي على نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعالي ولسوف يرضى اي بالجزاء فروى
عطاء والضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه
وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف ابو بكر الذي يريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال
اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت
وما لاحد عنده من نعمة تجزى بل ابتغى بما فعل وجه ربه الاعلى وقيل اشترى ابو بكر من امية وابي بن خلف
بلالا ببردة وعشرة اواق فاعتقه لله فنزلت ان سعيكم لشتى وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية

فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب لم يكن في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء م

ابن خلف قال لابي بكر حين قال له ابو بكر اتبيعنيه فقال نعم ابيعه بنسطاس وكان نسطاس عبدًا لابي بكر صاحب عشرة الآف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا فحمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون له ماله فابي فباعه ابو بكر به فقال المشركون ما فعل ابو بكر ببلال هذا الا ليد كانت لبلال عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزي الا ابتغاء اى لكن ابتغاء فهو استثناء منقطع فلذلك نصب كقولك ما في الدار احدٌ الا حمارًا ويجوز الرفع وقرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاءُ وجه ربه بالرفع على لغة من يقول يجوز الرفع في المستثنى وانشد في اللغتين قول بشر بن ابي خازم

اضحت خلاءً قفارًا لا انيس بها ۝ الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها انيس ۝ الا اليعافير والا العيس

وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل وقد تقدم وجه ربه الاعلى اى مرضاته وما يقرب منه والاعلى من نعت الرب الذي استحق صفات العلو ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى اى سوف يعطيه في الجنة ما يرضى وذلك انه يعطيه اضعاف ما انفق وروى ابو حيان التيمي عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله ولما اشتراه ابو بكر قال له بلال هل اشتريتني لعملك او لعمل الله قال بل لعمل الله قال فذرني وعمل الله فاعتقه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا رضي الله عنه وقال عطاء وروي عن ابن عباس ان السورة نزلت في ابي الدحداح في النخلة التي اشتراها بحائط له فيما ذكر الثعلبي عن عطاء وقال القشيري عن ابن عباس باربعين نخلة ولم يسم الرجل قال عطاء كان لرجل من الانصار نخلة يسقط من بلحها في دار جار له فيتناول صبيانه فشكا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيعنيها بنخلة في الجنة فابى فخرج فلقيه ابو الدحداح فقال هل لك ان تبيعنيها بحسنى حائط له فقال هي لك فاتى ابو الدحداح الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده فقال هي لك يا رسول الله فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جار الانصاري فقال خذها فنزلت والليل اذا يغشى الى آخر السورة في بستان ابي الدحداح وصاحب النخلة فاما من اعطى واتقى يعني ابا الدحداح وصدق بالحسنى اى بالثواب فسنيسره لليسرى يعني الجنة واما من بخل واستغنى يعني الانصاري وكذب بالحسنى بالثواب فسنيسره للعسرى يعني جهنم وما يغني عنه ماله اذا تردى مات الى قوله لا يصلاها الا الاشقى يعني ذلك الخزرجي وكان منافقا فمات على نفاقه وسيجنبها الاتقى يعني ابا الدحداح الذي يؤتي ماله يتزكى في ثمن تلك النخلة وما لاحد عنده من نعمة تجزى يكافيه عليها يعني ابا الدحداح ولسوف يرضى اذا ادخله الله الجنة والاكثر ان السورة نزلت في الصديق روي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم وقد ذكرنا خبرا آخر لابي الدحداح في سورة البقرة عند قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ۝

تفسير سورة الضحى

وهي مكية باتفاق وهي احدى عشرة آية ۝ بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل اذا سجى قد تقدم القول في الضحى والمراد بها النهار لقوله والليل اذا سجى فقابله بالليل وفي سورة الاعراف افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون اى نهارا وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق اقسم بالضحى الذي كلم الله فيه موسى وبليلة المعراج وقيل هي الساعة التي خر فيها السحرة سجدا بيانه قوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقال اهل المعاني فيه وفي امثاله فيه اضمار مجازه ورب الضحى وسجى معناه سكن قاله قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة يقال ليلة ساجية اى ساكنة ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجى الشيء يسجو سجوا اذا سكن والبحر اذا سجى سكن قال الاعشى

فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم ۝ وبحرك ساج ما يواري الدعامصا ۝

وقال الراجز

ولقد رميتك يوم رحن باعين ۝ ينظرن من خلل الستور سواج ۝

يا حبذا القمراء والليل الساج ۝ وطرق مثل ملاء النساج

ذكره الجوهري

وقال الضحاك سجى غطى كل شيء قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب وقال الحسن غشى بظلامه وقاله ابن عباس وعنه ايضا اذا ذهب وعنه ايضا اذا اظلم وقال سعيد بن جبير اقبل وروي عن قتادة ايضا وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد سجى استوى والقول الاول اشهر في اللغة سجى سكن اى سكن الناس فيه كما يقال نهار صائم وليل نائم وقيل سكونه استقرار ظلامه واستواؤه ويقال والضحى والليل اذا سجى يعني عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى وعباده الذين يعبدونه بالليل اذا اظلم ويقال الضحى يعني نور الجنة اذا تنور والليل اذا سجى يعني ظلمة النار اذا اظلم ويقال والضحى يعني النور الذي في قلوب العارفين كهيئة النهار والليل اذا سجى يعني السواد الذي في قلوب الكافرين كهيئة الليل فاقسم الله بهذه الاشياء قوله تعالى ما ودعك ربك هذا جواب القسم وكان جبريل عليه السلام ابطا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قلاه الله وودعه فنزلت الاية وقال ابن جريج احتبس عنه الوحي اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقال مقاتل اربعين فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من الله لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الانبياء وفي البخاري عن جندب ابن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وفي الترمذي عن جندب البجلي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قال وابطا عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله تبارك وتعالى ما ودعك ربك وما قلى هذا حديث حسن صحيح لم يذكر الترمذي فلم يقم ليلتين او ثلاثا اسقطه الترمذي وذكره البخاري وهو اصح ما قيل في ذلك والله اعلم وقد ذكر الثعلبي ايضا عن جندب ابن سفيان

البجلي قال رمي النبي صلى الله عليه وسلم في اصبعه بحجر فدميت فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل
الله ما لقيت فمكث ليلتين اوثلاثا لا يقوم الليل فقالت له ام جميل امراة ابي لهب ما ارى شيطانك
الا قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين اوثلاث فنزلت والضحى وروي عن ابي عمران الجوني قال ابطا
جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو فنكت
بين كتفيه وانزل عليه ما ودعك ربك وما قلى وقالت خولة وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم
ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل
عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي جبريل لا ياتيني قالت خولة فقلت لو هيات البيت
وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي
الله ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل الله هذه
السورة ولما نزل جبريل ساله النبي صلى الله عليه وسلم عن التاخر فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا
فيه كلب ولا صورة وقيل لما سالته اليهود عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف قال ساخبركم
غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبريل بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سيل عنه وفي هذه القصة نزلت ما ودعك ربك وما قلى وقيل
ان المسلمين قالوا يا رسول الله ما لك لا ينزل عليك الوحي فقال وكيف ينزل علي وانتم لا تنقون رواجبكم
في رواية براجمكم ولا تقصون اظفاركم ولا تاخذون من شواربكم فنزل جبريل بهذه السورة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما جيت حتى اشتقت اليك فقال جبريل وانا كنت اشد اليك شوقا ولكني
عبد مامور ثم انزل عليه وما نتنزل الا بامر ربك وودعك بالتشديد قراءة العامة من التوديع وذلك
كتوديع المفارق وروى عن ابن عباس وابن الزبير انهما قراآه ودعك بالتخفيف ومعناه تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر ° فرايس اطراف المثقفة السمر

واستعماله قليل يقال هو يدع كذا اي يتركه قال المبرد محمد بن يزيد لا يكادون يقولون ودع ولا ودر
لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك قوله تعالى **وما قلى** اي ما ابغضك ربك منذ
احبك وترك الكاف لانه راس آية والقلى البغض فان فتحت القاف مددت تقول قلاه يقليه قلى
وقلاء كما تقول قريت الضيف اقريه قرى وقراء ويقلاه لغة طي وانشد ثعلب

ايا رب ام العمرو لا تقلاها ° اي لا تبغضها وتقلي اي تبغض ° وقال

اسيئي بنا او احسني لا ملومة ° لدينا ولا مقلية ان تقلت °

وقال امرء القيس ولست بمقلي الخلال ولا قالي وتاويل الاية ما ودعك ربك وما قلاك فترك الكاف
لانه راس آية كما قال عز وجل والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي والذاكرات الله قوله تعالى **و
الآخرة خير لك من الاولى** فروي سلمة عن ابن اسحاق قال والآخرة خير لك من الاولى اي ما عندي
في مرجعك الي يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا وقال ابن عباس ادي النبي صلى الله عليه وسلم
ما يفتح الله على امته بعده فسر بذلك فنزل جبريل بقوله وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك
ربك فترضى قال ابن اسحاق الفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل الحوض والشفاعة وعن ابن

عباس

عباس الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك رفعه الاوزاعي فقال حدثنا اسمعيل بن عبد الله بن عباس
عن ابيه قال ادي النبي صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل
والضحى والليل اذا سجى الى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فاعطاه جل ثناؤه الف قصر في الجنة
ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وعنه قال رضى محمد الا يدخل احد من اهل
بيته النار وقاله السدي وقيل هي الشفاعة في جميع المؤمنين وعن علي رضى الله عنه قال يشفعني
الله في امتي حتى يقول الله سبحانه لي ارضيت يا محمد فاقول يا رب رضيت وفي صحيح مسلم عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى قول الله في ابرهيم فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكا فقال
الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
فساله فاخبره فقال الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد فقل له ان الله يقول لك انا سنرضيك في امتك
ولا نسوءك وقال علي رضي الله عنه لاهل العراق انكم تقولون ان ارجى اية في كتاب الله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قالوا انا نقول ذلك قال ولكنا اهل البيت نقول ان ارجى
اية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الحديث لما نزلت هذه الاية قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا والله لا ارضى وواحد من امتي في النار قوله تعالى **الم يجدك يتيما
فآوى** عدد سبحانه مننه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال الم يجدك يتيما لا اب لك قد
مات ابوك فآوى اي جعل لك ماوى تاوي اليه عند عمك ابي طالب فكفلك وقيل لجعفر بن محمد الصادق
لم اوتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وعن مجاهد هو من قول العرب
درة يتيمة اذا لم يكن لها مثل فمجاز الاية الم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك فآواك الله باصحاب يحفظونك
ويحوطونك قوله تعالى **ووجدك ضالا فهدى** اي غافلا عما يراد بك من امر النبوة فهداك
اي ارشدك والضلال هنا بمعنى الغفلة كقوله جل ثناؤه لا يضل ربي اي لا يغفل وقال في حق نبيه
وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال قوم ضالا لم تكن تدري القرآن والشرائع فهداك الله الى القرآن
وشرائع الاسلام عن الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما وهو معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان على ما بيناه في سورة الشورى وقال قوم ووجدك ضالا اي في قوم ضلال فهداهم الله بك هذا
قول الكلبي والفراء وعن السدي نحوه اي ووجد قومك في ضلال فهداك الى ارشادهم وقيل ووجدك
ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ضالا اي ناسيا شان الاستثناء حين سيلته عن اصحاب الكهف
وذي القرنين والروح فاذكرك كما قال تعالى ان تضل احداهما وقيل ووجدك طالبا للقبلة فهداك
اليها بيانه قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل
ووجدك متحيرا عن بيان ما نزل عليك فهداك اليه فيكون الضلال بمعنى التحير لان الضال متحير وقيل
ووجدك ضائعا في قومك فهداك اليه ويكون الضلال بمعنى الضياع وقيل ووجدك محبا للهداية فهداك
اليها ويكون الضلال بمعنى المحبة ومنه قوله تعالى قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي في محبتك قال
الشاعر

هذا الضلال اشاب مني المفرقا ° والعارضين ولم اكن متحققا °

عجبًا لعزة في اختيار قطيعتي ۝ بعد الضلال فحبلها قد اخلقا

وقيل ضلالا في شعاب مكة فهداك ردك الى جدك عبد المطلب وقال ابن عباس ضل النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير في شعاب مكة فرآه ابو جهل منصرفا عن اغنامه فرده الى جده عبد المطلب فمنّ الله عليه بذلك حين رده الى جده على يدي عدوه وقال سعيد بن جبير خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام الناقة في ليلة ظلماء فعدل بها عن الطريق فجاء جبرئيل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند وردها الى القافلة فمنّ الله عليه بذلك وقال كعب ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والدين والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح ثيابي فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت معشر الناس اين الصبي فقالوا لم نر شيئا فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكا على عصاه فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه فقال يا رب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا ايها الشيخ فهلاكنا على يدي محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فاحضرت قريش الى عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله ان يرده وقال

يا رب رد ولدي محمدا ۝ اردده واتخذ عندي يدا ۝

يا رب ان محمدا لم يوجدا ۝ فشمل قومي كلهم تبددا ۝

فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وقيل ووجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبرئيل وانت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال ابو بكر الوراق وغيره ووجدك ضالا تحب ابا طالب فهداك الى محبة ربك وقال بسام ابن عبد الله ووجدك ضالا بنفسك لا تدري من انت فعرفك بنفسك وحالك قال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان الكتاب فعلمك البيان بيانه لتبين للناس ما نزل اليهم الاية لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدي بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ووجدك ضالا اي لا احد على دينك وانت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الي قال الشيخ رحمه الله هذه الاقوال كلها حسان ثم منها ما هو معنوي ومنها ما هو حسي والقول الاخير اعجب الي لانه يجمع الاقوال المعنوية وقال قوم انه كان على جملة ما كان القوم عليه لا يظهر لهم خلافا في ظاهر الحال فاما الشرك فلا يظن به بل كان على مراسم القوم في الظاهر اربعين سنة وقال الكلبي والسدي هذا على ظاهره اي وجدك كافرا في قوم كفار فهداك وقد مضى هذا القول والرد عليه في سورة الشورى وقيل وجدك مغمورا باهل الشرك فميزك عنهم يقال ضل الماء في اللبن ومنه ائذا ضللنا في الارض اي لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كانا لا يتميز من جملته وفي قراءة الحسن ووجدك ضال فهدى اي وجدك الضال فاهتدى بك وهذه قراءة على

وطلبه فجمع ثم بحرعدوه بطواف عبد المطلب

التفسير وقيل ووجدك ضالا لا يهتدي اليك قومك ولا يعرفون قدرك فهدى المسلمين اليك حتى آمنوا بك

قوله تعالى ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ووجدك عائلا اي فقيرا لا مال لك فاغناك اي فاغناك بخديجة رضي الله عنها يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر قال احيحة بن الجلاح

فما يدري الفقير متى غناه ۝ وما يدري الغني متى يعيل ۝

اي يفتقر وقال مقاتل فرضاك بما اعطاك من الرزق وقال الكلبي قنعك بالرزق وقال ابن عطا وجدك فقير النفس فاغنى قلبك وقال الاخفش وجدك ذا عيال دليله فاغنى ومنه قول جرير

الله انزل في الكتاب فريضة ۝ لابن السبيل وللفقير العائل ۝

وقيل وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فاغناك بها وقيل اغناك بما فتح لك من الفتوح وافاءه عليك من اموال الكفار القشيري وفي هذا نظر لان السورة مكية وانما فرض الجهاد بالمدينة وقراءة العامة عائلا وقرأ ابن السميفع عيلا بالتشديد مثل طيب وهين قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تسلط عليه بالظلم ادفع اليه حقه واذكر يتمك قاله الاخفش وقيل هذا يحتمل ان يكون نهيا عن قهره بظلمه واخذ ماله وخص اليتيم لانه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ في امره بتغليظ العقوبة على ظالمه وعن مجاهد فلا تقهر فلا تحتقر وقرأ النخعي والاشهب العقيلي تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف ابن مسعود قال الاخفش وهما لغتان بمعنى والعرب تعاقب بين الكاف والقاف النحاس وهذا غلط انما يقال كهره اذا اشتد عليه وغلظ وفي صحيح مسلم من حديث معاوية ابن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة برد السلام قال فبابي هو وامي ما رايت معلما قبله ولا بعده احسن تعليما منه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني الحديث وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر الثانية ودلت الاية على اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه حتى قال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم وروي عن ابي هريرة ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال ان اردت ان يلين فامسح راس اليتيم واطعم المسكين وفي الصحيح عن ابي هريرة انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا وكافل اليتيم له ولغيره كهاتين واشار بالسبابة والوسطى ومن حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اليتيم اذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله تعالى يا ملائكتي من ذا الذي ابكى هذا اليتيم الذي غيبت اباه في التراب فيقول الملائكة ربنا انت اعلم فيقول الله تعالى يا ملائكتي اشهدوا ان من اسكته وارضاه ان ارضيه يوم القيامة فكان ابن عمر اذا راى يتيما مسح براسه واعطاه شيئا وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما فكان في نفقته وكفاه مؤونته كان له حجابا من النار يوم القيامة ومن مسح براس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال اكثم ابن الصيفي الاذلاء اربعة النمام والكذاب والمديون واليتيم الثالثة قوله تعالى واما السائل فلا تنهر اي لا تزجره فهو نهي عن اغلاظ القول ولكن رده ببذل يسير او رد جميل واذكر فقرك قاله قتادة وغيره وروي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم السائل وان يعطيه اذا سال ولو راي

في يده قلبين من ذهب وقال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال
ابراهيم النخعي السائل بريد الاخرة يجيء الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى اهليكم بشيء وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ردوا السائل ببذل يسير او رد جميل فانه يأتيكم من ليس من الانس ولا
من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسأل عن الدين اي فلا تنهره
بالغلظة والجفوة واجبه برفق ولين قاله سفيان قال ابن العربي واما السائل عن الدين
فجوابه فرض على العالم على الكفاية كاعطاء سائل البر سواء وقد كان ابو الدرداء ينظر الى الحديث
ويبسط رداءه لهم ويقول مرحبا باحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هارون العبدي
عن ابي سعيد الخدري قال كنا اذا اتينا ابا سعيد يقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لكم تبع وان رجالا ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون
فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وفي رواية يأتيكم رجال من قبل المشرق فذكره واليتيم والسائل
منصوبان بالفعل الذي بعده وحق المنصوب ان يكون بعد الفاء والتقدير مهما يكن من شيء فلا تقهر
اليتيم ولا تنهر السائل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي مسئلة وددت اني لم
اسألها قلت يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن و
اعطيت فلانا كذا فقال عز وجل الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا
فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلا
كما اتخذت ابرهيم خليلا قلت بلى يا رب الرابعة قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث اي انشر ما
انعم الله عليك بالشكر والثناء والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد
واما بنعمة ربك فحدث قال بالقرآن وعنه قال بالنبوة اي بلغ ما ارسلت به والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والحكم عام له ولغيره وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال اذا اصبت خيرا او عملت خيرا
فحدث به الثقة من اخوانك وعن عمرو بن ميمون قال اذا لقي الرجل من اخوانه من يثق به يقول له رزق
الله من الصلاة البارحة كذا وكذا وكان ابو فراس عبيد الله بن غالب اذا اصبح يقول لقد رزقني
الله البارحة كذا قرأت كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت كذا فيقال له يا ابا فراس ان مثلك
لا يقول هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وتقولوا انتم لا تحدثون بنعمة الله ونحوه
عن ايوب السختياني وابو رجاء العطاردي رضي الله عنهم وقال بكر بن عبد الله المزني قال النبي
صلى الله عليه وسلم من اعطي خيرا فلم ير عليه سمي بغيض الله معاديا لنعم الله وروي الشعبي عن النعمان
ابن بشير قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر
الله والتحدث بالنعم شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب وروي النسائي عن مالك بن
نضلة الجشمي قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فرآني رث الثياب فقال الك مال
قلت نعم يا رسول الله من كل المال قال اذا اتاك الله مالا فلير اثره عليك وروى ابو سعيد الخدري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة
على عبده فصل يكبر القارئ في رواية البزي عن ابن كثير وقد رواه مجاهد عن ابن عباس

عن ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغ آخر الضحى كبر بين كل سورة تكبيرة الى ان يختم
القرآن ولا يصل آخر السورة بتكبير بل يفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تأخر
عن النبي صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه
السورة فقال الله اكبر قال مجاهد قرأت على ابن عباس فامرني به واخبرني به عن ابي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولا يكبر في قراءة الباقين لانها ذريعة الى الزيادة في القرآن قال الشيخ
رحمه الله القرآن ثبت نقلا متواترا سوره وآيه وحروفه لا زيادة ولا نقصان فالتكبير على هذا ليس
بقرآن واذا كان بسم الله الرحمن الرحيم المكتوب في المصحف بخط المصحف
ليس بقرآن فكيف بالتكبير الذي ليس بمكتوب اما انه ثبت سنة بنقل الآحاد فاستحبه ابن كثير
لا انه اوجبه فخطأ من تركه ذكر الحاكم ابو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن عبد الله بن يزيد المقري
الامام بمكة في المسجد الحرام حدثنا ابو عبد الله محمد بن علي ابن زيد الصائغ حدثنا احمد بن محمد بن
القاسم بن ابي بزة سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسمعيل بن عبد الله بن القسطنطين
فلما بلغت والضحى قال لي كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم فاني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت
والضحى قال كبر حتى تختم واخبره عبد الله بن كثير انه قرأ على مجاهد واخبره مجاهد ان ابن عباس امره
بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب امره بذلك واخبره ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم امره
بذلك هذا حديث صحيح ولم يخرجاه

الحافظ في كتاب المستدرك له على البخاري ومسلم حدثنا ابو يحيى محمد بن عبد الله بن صـ

تفسير سورة الم نشرح

وهي مكية في قول الجميع وهي ثماني آيات بسم الله الرحمن الرحيم
الم نشرح لك صدرك شرح الصدر فتحه اي الم نفتح صدرك للاسلام وروى ابو صالح
عن ابن عباس قال الم نلين لك قلبك وروى الضحاك عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اينشرح الصدر قال نعم وينفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود والاعتداد للموت قبل نزول الموت وقد مضى هذا المعنى في الزمر عند قوله
افمن شرح الله صدره للاسلام وروي عن الحسن قال الم نشرح لك صدرك قال ملئ حكما وعلما
وفي الصحيح عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال فبينا انا عند البيت بين النائم واليقظان اذ سمعت قائلا يقول احد الثلاثة فاتيت بطست
من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري الى كذا وكذا قال قتادة قلت ما يعني قال الى اسفل بطني
قال فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم اعيد مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة وفي الحديث قصة
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني ملكان في صورة طاير معهما ماء وثلج فشرح احدهما
صدري وفتح الاخر بمنقاره فيه فغسله وروى في حديث آخر قال جاءني ملك فشق عن قلبي
فاستخرج منه عذرة وقال قلبك وكيع وعيناك بصيرتان واذناك سميعتان انت محمد رسول الله لسانك
صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قثم وانت قثم قال اهل اللغة قوله وكيع اي يحفظ ما يوضع فيه
يقال سقاء وكيع اي قوي يحفظ ما فيه واستوكعت معدته اذا قويت وقوله قثم اي جامع يقال رجل

تقوم للخير اي جامع له ومعنى الم نشرح قد شرحنا الدليل على ذلك قوله في النسق عليه ووضعنا عنك
وزرك فهذا عطف على التأويل لا على التنزيل لانه لو كان على التنزيل يقال ونضع عنك وزرك فدل هذا
على معنى الم نشرح قد شرحنا ولم تجد في الاستفهام طرف من الجحد اذا وقع جحد على جحد رجع الى التحقيق
كقوله تعالى أليس الله باحكم الحاكمين ومعناه الله احكم الحاكمين وكذا أليس الله بكاف عبده ومثله قول
جرير يمدح عبد الملك بن مروان
ألستم خير من ركب المطايا ° واندى العالمين بطون راح
المعنى انتم كذا قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ووضعنا عنك وزرك
اي حططنا عنك ذنبك وقرأ انس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وهذه الاية
مثل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قيل الجميع كان قبل النبوة والوزر الذنب اي
ووضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم في كثير من مذاهب قومه ولم يكن عبد
صنما ولا وثنا قال قتادة والحسن والضحاك كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب اثقلته فغفرها الله
له الذي انقض ظهرك اي اثقله حتى سمع نقيضه اي صوته واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقة
اذا جعلت له صريرا من شدة الحمل وكذلك سمعت نقيض الرحل اي صريره قال جميل
وحتى تداعت بالنقيض حباله ° وهمت بواني زوره ان تحطما
بواني زوره اي اصول صدره فالوزر الحمل الثقيل قال المحاسبي يعني ثقل الوزر لو لم يعف الله عنه
الذي انقض ظهرك اي اثقله واصله قال وانما وصفت ذنوب الانبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة
لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها وقال السدي ووضعنا عنك وزرك اي وحططنا عنك
ثقلك وهي في قراءة عبد الله بن مسعود وحططنا عنك وقرك وقيل اي حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية
قال الحسين بن الفضل يعني الخطاء والسهو وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقال
عبد العزيز ابن يحيى وابو عبيدة خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان
في الابتداء يثقل عليه الوحي حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل الى ان جاءه جبرئيل واراه نفسه وازيل
عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك عن احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين
من الادناس حتى نزل عليك الوحي وانت مطهر من الادناس قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال
مجاهد يعني بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت
اغر عليه للنبوة خاتم ° من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه ° اذا قال المؤذن في الخمس اشهد
وروى عن الضحاك عن ابن عباس قال يقول له لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة والتشهد
ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم التشريق ويوم عرفة وعند الجمار وعلى
الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله جل ثناؤه
وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقيل اعلينا
ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وامرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه
وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الارض عند المومنين ونرفع في الاخرة ما نعطيك من المقام

المحمود

١٥١

المحمود وكرائم الدرجات قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اي ان مع
الضيقة والشدة يسرا اي سعة وغنى ثم كرر فقال ان مع العسر يسرا فقال قوم هذا التكرير تاكيد
للكلام كما يقال ادم ادم اعجل اعجل قال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظيره
في تكرار الجواب بلى بلى لا لا وذلك للاطناب والمبالغة قاله الفراء ومنه قول الشاعر
هممت لنفسي بعض الهموم ° فاولى لنفسي اولى لها
وقال قوم ان من عادة العرب اذا ذكروا اسما معرفا ثم كرروه فهو هو واذا نكروه فهو غيره
وهما اثنان ليكون اقوى للامل وابعث على الصبر قاله ثعلب وقال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت
عسرا واحدا وخلقت يسرين ولن يغلب عسر يسرين وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في
هذه السورة انه لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه
اليسر حتى يدخل عليه ولن يغلب عسر يسرين وكتب ابو عبيدة ابن الجراح الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر رضي الله عنهما اما بعد فانه مهما ينزل بعبد
مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله تعالى يقول في كتابه
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال قوم منهم الجرجاني
هذا قول مدخول لانه يجب على هذا التدريج اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس
سيفا ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنان والصحيح ان يقال ان الله بعث نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم مقلا مخفا فعيره المشركون بفقره حتى قالوا له نجمع لك مالا فاغتم وظن انهم كذبوه لفقره
فعزاه الله وعدد عليه نعمه ووعده الغنى بقوله فان مع العسر يسرا اي لا يحزنك ما عيروك به من
الفقر فان مع ذلك يسرا عاجلا اي في الدنيا فانجز له ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن و
وسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المائتين من الابل ويهب الهبات السنية ويعد لاهله قوت سنة
فهذا الفضل كله في امر الدنيا وان كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعض امته ان
شاء الله ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخرة وفيه تأسية وتعزية له صلى الله عليه وسلم فقال مبتديا
ان مع العسر يسرا فهو شيء اخر والدليل على ابتدائه تعريه من فاء او واو وغيرهما من حروف
النسق التي تدل على العطف فهذا وعد عام لجميع المؤمنين لا يخرج احد منه اي ان مع العسر
في الدنيا للمومنين يسرا في الاخرة لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الاخرة والذي في الخبر
لن يغلب عسر يسرين يعني العسر الواحد لن يغلبهما وانما يغلب احدهما ان غلب وهو يسر الدنيا
فاما يسر الاخرة فكائن لا محالة ولن يغلبه شيء ويقال ان مع العسر وهو اخراج اهل مكة النبي صلى الله
عليه وسلم من مكة يسرا وهو دخوله يوم فتح مكة مع عشرة الاف رجل مع عز وشرف قوله تعالى
فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فيه مسئلتان الاولى قال ابن عباس وقتادة
اذا فرغت من صلاتك فانصب اي بالغ في الدعاء واسأله حاجتك وقال ابن مسعود اذا فرغت
من الفرائض فانصب في قيام الليل وقال الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب
اي استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة ايضا فاذا فرغت من جهاد عدوك

فانصب لعبادة ربك وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك ونحوه عن الجنيد قال
الجنيد اذا فرغت من امر الخلق فاجتهد في عبادة الحق قال ابن العربي ومن المبتدعة من
قراء هذه الاية فانصب بكسر الصاد والهمزة في اوله وقالوا معناه انصب الامام الذي يستخلف
وهذا باطل في القراءة باطل في المعنى لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا وقرأها بعض
الجهال بتشديد الباء معناه اذا فرغت من الجهاد فجد في الرجوع الى بلدك وهذا باطل ايضا
قراءة لمخالفة الاجماع لكن معناه صحيح لقول النبي صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب
يمنع احدكم نومه وطعامه وشرابه فاذا قضى احدكم نهمته فليعجل الرجوع الى اهله واشد
الناس عذابا واسوأهم مآبا ومآبا من اخذ معنى صحيحا فركب عليه من قبل نفسه قراءة او حديثا فيكون
كاذبا على الله كاذبا على رسوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المهدوي وروي عن ابي
جعفر المنصور انه قرأ الم نشرح لك بفتح الحاء وهو بعيد وقد تأول على تقدير النون الخفيفة
ثم ابدلت النون الفا للوقف ثم حمل الوصل على الوقف ثم حذفت الالف وانشد عليه

اضرب عنك الهموم طارقها ۞ ضربك بالسوط قونس الفرس

اراد اضربن وروي عن ابي السمال فاذا فرغت بكسر الراء وهي لغة فيه وقرئ فرغب اي فرغب
الناس الى ما عنده **الثانية** قال ابن العربي روي عن شريح انه مر بقوم يلعبون يوم عيد فقال
ما بهذا امر الفارغ وفيه نظر فان الحبش كانوا يلعبون بالدرق والحراب في المسجد يوم العيد
والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر ودخل ابو بكر في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة
رضي الله عنها وعندها جاريتان من جوار الانصار تغنيان فقال ابو بكر رضي الله عنه امزمور
الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما يا ابا بكر فانه يوم عيد وليس
يلزم الدؤب على العمل بل هو مكروه للخلق

تفسير سورة التين

وهي مكية في قول الاكثرين وقال ابن عباس وقتادة هي مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ

فيه ثلاث مسايل **الاولى** قوله تعالى والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد
وعكرمة وابرهيم النخعي وعطاء بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلون
وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت قال الله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن
وصبغ للآكلين وقال ابو ذر اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فقال كلوا واكل منه ثم قال
لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير
وتنفع من النقرس وعن معاذ انه استاك بقضيب زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر وهي سواكي وسواك الانبيا
من قبلي وروي عن ابن عباس ايضا التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون
مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى ابن زيد التين مسجد دمشق

والزيتون

والزيتون مسجد بيت المقدس قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت
المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال كعب الاحبار
وقتادة ايضا وعكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهذا اختيار الطبري وقال الفرا
سمعت رجلا من اهل الشام يقول التين جبال ما بين حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام وقيل
هما جبلان بالشام يقال لهما طور زيتا وطور تينا بالسريانية سميا بذلك لانهما ينبتانهما وكذا روي ابو مكين
عن عكرمة قال التين والزيتون جبلان بالشام وقال زهير ۞ اتين التين عن عرض ۞
وهذا اسم موضع ويجوز ان يكون ذلك على حذف مضاف اي ومنابت التين والزيتون ولكن لا دليل على
ذلك من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه قال النحاس **الثانية** اصح هذه الاقوال القول
الاول لانه الحقيقة ولا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا بدليل وانما اقسم الله بالتين لانه كان ستر آدم
في الجنة لقوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة وكان ورق التين وقيل اقسم به ليبين وجه المنة
العظمى فيه فانه جميل المنظر طيب المخبر نشر الرايحة سهل الجنى على قدر المضغة وقد احسن القايل
فيه

انظر الى التين في الغصون ضحى ۞ ممزق الجلد مايل العنق
كانه رب نعمة سلبت ۞ فعاد بعد الجديد في الخلق
اصغر ما في النهود اكبره ۞ لكن ينادي عليه في الطرق

وقال آخر

التين يعدل عندي كل فاكهة ۞ اذا انثنى مايلا في غصنه الزاهي
مخمش الوجه قد سالت حلاوته ۞ كانه راكع من خشية الله

واقسم بالزيتون لانه مثل به ابرهيم في قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة وهو اكثر ادم اهل الشام
والمغرب يصطبغون به ويستعملونه في طبيخهم ويستصبحون به ويداوى به ادواء الجوف والقروح و
الجراحات وفيه منافع كثيرة وقال عليه السلام كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وقد مضى
في سورة المؤمنين القول فيه **الثالثة** قال ابن العربي ولامتنان الباري سبحانه وتعظيم المنة في
التين وانه مقتات مدخر قلنا بوجوب الزكوة فيه وانما فر كثير من العلماء من التصريح بوجوب الزكاة
فيه تقية جور الولاة فانهم يتحاملون في الاموال الزكاتية فياخذونها مغرما حسب ما انذر به الصادق
صلى الله عليه وسلم فكره العلماء ان يجعلوا لهم سبيلا الى مال آخر يتشططون فيه ولكن ينبغي للمرء ان يخرج
عن نعمة ربه باداء حقه وقد قال الشافعي بهذه العلة وغيرها لا زكاة في الزيتون والصحيح وجوب الزكاة
فيه قوله تعالى **وَطُورِ سِينِينَ** روى ابن ابي نجيح عن مجاهد وطور قال جبل سينين قال مبارك
بالسريانية وعن عكرمة عن ابن عباس قال طور جبل وسينين حسن وقال قتادة سينين هو المبارك
الحسن وعن عكرمة قال الجبل الذي نادى الله جل ثناؤه منه موسى عليه السلام وقال مقاتل و
الكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط وعن عمرو بن ميمون قال صليت مع
عمر بن الخطاب العشاء بمكة فقرأ والتين والزيتون وطور سيناء وهذا البلد قال وهكذا هي في قراءة
عبد الله ورفع صوته تعظيما للبيت وقرأ في الركعة الثانية الم تر كيف فعل ربك ولايلاف قريش جمع بينهما
ذكره ابن الانباري النحاس وفي قراءة عبد الله سينا بكسر السين وفي حديث عمرو بن ميمون عن عمر

بفتح السين وقال الاخفش طور جبل وسينين شجر واحدته سينينة وقال ابو علي سينين فعليل فكررت
اللام التي هي نون فيه كما كررت في زحليل للمكان الزلق وكرديدة للقطعة من التمر وحيديد للطويل
في الصحاح والكرديدة بالكسر ما يبقى في اسفل الجلة من جانبيها من التمر قال الراجز
واصلحت قدرًا لها باطره ¤ واطعمت كرديدة وفدره ¤ من تمرسا واعلوطت بسحره ¤ والجمع
الكراديد قال الشاعر ¤ القاعدات فلا ينفعن ضيفكم ¤ والاكلات بقيات الكراديد
ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سيناء لانه جعل اسمًا لبقعة او ارض ولو جعل اسمًا للمكان او
للمنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرًا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض
المقدسة وقد بارك الله فيهما كما قال الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قوله تعالى **وَهَذَا الْبَلَدِ**
الْأَمِينِ يعني مكة سماه امينا لانه آمن كما قال انا جعلنا حرمًا آمنًا فالامين بمعنى الآمن قاله الفراء
وغيره قال المرتعلي باسم وكانني ¤ خلقت يمينًا لا اخون اميني ¤ يعني آمني
ولهذا احتج من قال انه اراد بالتين دمشق وبالزيتون بيت المقدس فاقسم الله بجبل دمشق لانه
ماوى عيسى عليه السلام وبجبل بيت المقدس لانه مقام الانبياء عليهم السلام وبمكة لانها اثر ابرهيم
ودار محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ**
رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان هذا جواب
القسم واراد بالانسان الكافر قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد فعلى هذا نزلت في منكري
البعث وقيل المراد بالانسان آدم وذريته في احسن تقويم وهو اعتداله واستواء شبابه كذا
قال عامة المفسرين وهو احسن ما يكون لانه خلق كل شيء منكبًا على وجهه وخلقه هو مستويا وله لسان
ذلق ويد واصابع يقبض بها وقال ابو بكر بن طاهر مزينا بالعقل مؤديا للامر مهذبا بالتمييز مديد القامة
يتناول ماكوله بيده ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيًا
عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرًا مدبرا حكيمًا وهذه صفات الرب سبحانه وعنها عبر بعض العلماء
ووقع البيان بقوله ان الله خلق آدم على صورته يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها وفي رواية على صورة
الرحمن ومن اين تكون للرحمن صورة مشخصة فلم يبق الا ان تكون معاني وقد اخبرنا المبارك بن
عبد الجبار الازدي اخبرنا القاضي ابو القاسم علي بن ابي علي القاضي المحسن عن ابيه كان عيسى بن موسى
الهاشمي يحب زوجته حبًا شديدًا فقال لها يومًا انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت
واحتجبت عنه وقالت طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر
واظهر للمنصور جزعًا عظيمًا فاستحضر الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا
واحدًا من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال له الرجل
بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم يا امير المؤمنين فالانسان احسن الاشياء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن
موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل ابو جعفر المنصور الى زوجته ان اطيعي
زوجك ولا تعصيه فما طلقك فهذا يدلك على ان الانسان احسن خلق الله باطنًا وظاهرًا جمال هيئة

وبديع تركيب الراس بما فيه والصدر بما جمعه والبطن بما حواه والفرج وما طواه واليد وما بطشتاه
والرجلان وما احتملتاه ولذلك قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات اجمع
فيه الثانية قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب
والضعف بعد القوة حتى يصير كالصبي في الحال الاول قاله الضحاك والكلبي وغيرهما وروى ابن
ابي نجيح عن مجاهد ثم رددناه اسفل سافلين الى النار يعني الكافر وقاله ابو العالية وقيل لما
وصفه بتلك الصفات الجليلة التي ركب الانسان عليها طغى وعلا حتى قال انا ربكم الاعلى وحين علم الله
هذا من عبده وقضاؤه صادر من عنده رده اسفل سافلين بان جعله مملوا قذرًا مشحونا نجاسة و
اخرجها على ظاهره اخراجًا منكرا على وجه الاختيار تارة وعلى وجه الغلبة اخرى حتى اذا شاهد ذلك
من امره رجع الى قدره وقرا عبد الله اسفل السافلين وقال اسفل سافلين على الجمع لان الانسان
في معنى جمع ولو قال اسفل سافل جاز لان لفظ الانسان واحد وتقول هذا افضل قائم ولا تقول
افضل قائمين لانك تضمر لواحد فان كان الواحد غير مقصود له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله و
الذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وقوله واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
وان تصبهم سيئة وقد قيل ان معنى رددناه اسفل سافلين اي رددناه الى الضلال كما قال ان
الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصلحات اي الا هؤلاء فلا يردوا الى ذلك والاستثناء
على قول من قال اسفل سافلين النار متصل ومن قال انه الهرم فهو منقطع قوله تعالى **إِلَّا**
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ فانه يكتب لهم حسناتهم وتمحى عنهم
سيئاتهم قاله ابن عباس قال وهم الذين ادركهم الكبر لا يؤاخذون بما عملوه في كبرهم روى الضحاك عنه
قال اذا كان العبد في شبابه كثير الصلاة كثير الصيام والصدقة ثم ضعف عما كان يعمل في شبابه
اجرى الله عز وجل له ما كان يعمل في شبابه وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر العبد
او مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحًا وقيل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانه لا
يخرف ولا يهرم ولا يذهب عقله من كان عالما عاملا به وعن عاصم الاحول عن عكرمة قال من قرا القران
لم يرد الى ارذل العمر وروي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لمن طال عمره وحسن
عمله وروي ان العبد المؤمن اذا مات امر الله ملكيه ان يتعبدا على قبره الى يوم القيامة ويكتب له
ذلك فلهم اجر غير ممنون قال الضحاك اجر بغير عمل وقيل غير منقطع قوله تعالى **فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ**
بِالدِّينِ قيل الخطاب للكافر توبيخا والزاما للحجة اي اذا عرفت ايها الانسان ان الله خلقك في احسن
تقويم وانه يردك الى ارذل العمر وينقلك من حال الى حال فما يحملك على ان تكذب بالبعث والجزاء
وقد اخبرك محمد صلى الله عليه وسلم به وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي استيقن مع ما جاءك
من الله عز وجل انه احكم الحاكمين روى معناه عن قتادة وقال قتادة ايضا والفراء المعنى فمن يكذبك ايها
الرسول بعد هذا البيان بالدين واختاره الطبري كانه قال فمن يقدر على ذلك اي على تكذيبك بالثواب والعقاب
بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الانسان والدين الجزاء قال الشاعر ¤
دنا تميمًا كما كانت اوائلنا ¤ دانت اوائلهم في سالف الزمن ¤

قوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين اي اتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق وقيل باحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلا بين الخلق وفيه تقدير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم والف الاستفهام اذا دخلت على النفي وفي الكلام معنى التوقيف صار ايجابا كما قال الستم خير من ركب المطايا وقيل فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين منسوخة باية السيف وقيل هي ثابتة لانه لا تنافي بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما اذا قرا اليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلك من الشاهدين فيختار ذلك والله اعلم ورواه الترمذي عن ابي هريرة قال من قرا سورة والتين والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين

تفسير سورة القلم

وهي مكية باجماع وهي اول ما نزل من القرآن في قول ابي موسى وعائشة رضي الله عنهما وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك الذي خلق هذه السورة اول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حراء فعلمه خمس ايات من هذه السورة وقيل ان اول ما نزل يا ايها المدثر قاله جابر بن عبد الله وقد تقدم وقيل فاتحة الكتاب اول ما نزل قاله ابو ميسرة الهمداني وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول ما نزل من القرآن قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم والصحيح الاول قالت عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة فجاءه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم خرجه البخاري وفي الصحيحين عنها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرا فقال ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ فغطني الثانية ثم ارسلني فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الحديث بكماله وقال ابو رجاء العطاردي كان ابو موسى الاشعري يطوف علينا في هذا المسجد مسجد البصرة فيقعدنا حلقا فيقرئنا القرآن فكاني انظر اليه بين ثوبين له ابيضين وعنه اخذت هذه السورة اقرا باسم ربك الذي خلق وكانت اول سورة انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم وروت عائشة رضي الله عنها انها اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي وعن الزهري اول ما نزلت سورة اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر ومعنى اقرا باسم ربك اي اقرا ما انزل اليك من القرآن مفتتحا

ن والقلم ثم بعدها م

باسم ربك وهو ان تذكر التسمية في ابتداء كل سورة فمحل الباء من باسم ربك النصب على الحال وقيل الباء بمعنى على اي اقرا على اسم ربك يقال فعل كذا باسم الله وعلى اسم الله وعلى هذا فالمقروء محذوف اي اقرا القرآن وافتتحه ببسم الله وقال قوم اسم ربك هو القرآن فهو يقول اقرا باسم ربك اي اسم ربك والباء زائدة كقوله تنبت بالدهن وكما قال سود المحاجر لا يقرأن بالسور اراد لا يقران السور وقيل معنى اقرا باسم ربك اي اذكر اسمه امره ان يبتدئ القراءة ببسم الله

قوله تعالى خلق الانسان من علق خلق الانسان يعني آدم من علق اي من دم جمع علقة والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق فذكره بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لانها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه فاذا جفت لم تكن علقة وقال الشاعر

تركناه يخر على يديه ... يمج عليهما علق الوتين

وخص الانسان بالذكر تشريفا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه بان خلقه من علقة مهينة حتى صار بشرا سويا وعاقلا مميزا قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم اقرا تاكيد وتم الكلام ثم استانف فقال وربك الاكرم اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم والاول اشبه بالمعنى لانه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على كرمه وقيل اقرا وربك اي اقرأ يا محمد وربك يعينك ويفهمك وان كنت غير القارئ والاكرم بمعنى المتجاوز عن جهل العباد قوله تعالى الذي علم بالقلم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم وروى سعيد عن قتادة قال القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت امور الدين والدنيا وسمي قلما لانه يقلم اي يقطع ومنه تقليم الظفر وقال بعض شعراء المحدثين يصف القلم

فكانه والحبر يخضب راسه ... شيخ لوصل خريدة يتصنع

الا الاحظه بعين جلالة ... وبه الى الله الصحائف ترفع

وعن عبد الله بن عمرو قال يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله علم بالقلم وروى مجاهد عن ابن عمر قال خلق الله عز وجل اربعة اشياء بيده ثم قال لسائر الحيوان كن فكان القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقاويل احدها انه آدم عليه السلام لانه اول من كتب قاله كعب الاحبار الثاني ادريس وهو اول من كتب قاله الضحاك الثالث اراد كل من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله سبحانه وجمع بذلك نعمته عليه في خلقه وبين نعمته عليه في تعليمه استكمالا للنعمة عليه الثانية صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وثبت عنه عليه السلام انه قال اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة فهو عنده

في الذكر فوق عرشه وفي الصحيح من حديث ابن مسعود سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
ولحمها وعظامها ثم يقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شا ويكتب الملك ثم يقول يا رب اجله
فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك
بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما امر ولا ينقص وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين قال
علماؤنا فالاقلام في الاصل ثلاثة القلم الاول الذي خلقه بيده وامره ان يكتب والقلم الثاني قلم
الملايكة جعله الله بايديهم يكتبون بها المقادير والكواين والاعمال والقلم الثالث اقلام الناس
جعلها الله بايديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها مآربهم وفي الكتابة فضايل جمة والكتابة من جملة البيان
والبيان ما اختص به الادمي الثالثة قال علماؤنا كانت العرب اقل الخلق معرفة بالكتاب و
اقل العرب به معرفة المصطفى صلى الله عليه وسلم صرف عن علمه ليكون ذلك اثبت لمعجزته واقوى في حجته
وقد مضى هذا مبينا في العنكبوت وروى حماد بن سلمة عن الزبير بن عبد السلام عن ايوب بن عبد الله
الفهري عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف
ولا تعلموهن الكتابة قال علماؤنا فانما حذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لان في اسكانهن
الغرف تطلعا الى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا ستر وذلك انهن لا يملكن انفسهن حتى
يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة والبلاء فحذرهم ان يجعلوا لهن غرفا ذريعة الى الفتنة وهو كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس للنساء خير لهن من ان لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال
وذلك انها خلقت من الرجل فنهمتها في الرجال والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكنا له فغير
مامون كل واحد منهما في صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سببا للفتنة وذلك اذا علمت الكتابة
كتبت الى من تهوى والكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغايب والخط هو اثار يده وفي
ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهو ابلغ من اللسان فاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينقطع عنهن اسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن الرابعة عَلَّمَ الانسانَ ما
لم يعلم قيل الانسان هنا آدم عليه السلام علمه اسما كل شي حسب ما جاء به القران في قوله
وعلم ادم الاسماء كلها فلم يبق شي الا وعلم سبحانه آدم اسمه بكل لغة وذكره آدم للملايكة كما علمه
وبذلك ظهر فضله وتبين قدره وثبتت نبوته وقامت حجة الله على الملايكة وحجته وامتثلت الملايكة
الامر لما رات من شرف الحال ورات من جلال القدرة وسمعت من عظيم الامر ثم توارثت ذلك ذريته
خلفا بعد سلف وتناقلوه قوما عن قوم وقد مضى هذا في سورة البقرة مستوفى والحمد لله وقيل الانسان
هنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا المعنى يعلمك المستقبل
فان هذا من اوايل ما نزل وقيل هو عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
الخامسة كَلَّا اِنَّ الاِنْسَانَ لَيَطْغَى اَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى اِنَّ اِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى الى آخر السورة
قيل انه نزل في ابي جهل وقيل نزلت السورة كلها في ابي جهل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فامر
الله نبيه عليه السلام ان يصلي في المسجد ويقرا باسم الرب وعلى هذا فليست السورة من اوايل ما نزل

ويجوز ان يكون خمس ايات من اولها اول ما نزلت ثم نزلت البقية في شان ابي جهل وامر النبي صلى الله
عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة لان تاليف السور جرى بامر من الله الا ترى ان قوله واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل وكلا بمعنى حقا
اذ ليس قبله شي والانسان هنا ابو جهل والطغيان مجاوزة الحد في العصيان ان رآه اي لان
رأى نفسه استغنى اي صار ذا مال وثروة وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه قال لما نزلت
هذه الاية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد تزعم انه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال
مكة ذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام فقال
يا محمد خيرهم في ذلك فان شاؤوا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يسلموا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب
المائدة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القوم لا يقبلون ذلك فكف عنهم ابقاء عليهم
وقيل ان رآه استغنى بالعشيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله ان رآه كما يقال
انكم لتطغون ان رايتم غناكم وقال الفراء لم يقل راى نفسه كما قيل قتل نفسه لان راى من الافعال
التي تريد اسما وخبرا نحو الظن والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح النفس
من هذا الجنس تقول رايتني وحسبتني ومتى تراك خارجا ومتى تظنك خارجا وقرا مجاهد وحميد و
قنبل عن ابن كثير ان رأه استغنى بقصر الهمزة الباقون رآه بمدها وهو الاختيار ان قوله
تعالى ان الى ربك الرجعى اي مرجع من هذا وصفه فيجازيه والرجعى والمرجع والرجوع مصادر
يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا ورجعى على وزن فعلى قوله تعالى اَرَاَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا اِذَا
صَلَّى الذي ينهى وهو ابو جهل عبدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم فان ابا جهل قال ان رايت
محمدا يصلي لاطان على عنقه قاله ابو هريرة فانزل الله هذه الايات تعجبا منه وقيل في الكلام
حذف والمعنى امن هذا الناهي عن الصلاة من العقوبة قوله تعالى اَرَاَيْتَ اِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى
اَوْ اَمَرَ بِالتَّقْوَى اي ارايت يا ابا جهل ان كان محمد على هذه الصفة اليس ناهيه عن التقوى والصلاة
هالكا قوله تعالى اَرَاَيْتَ اِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى اَلَمْ يَعْلَمْ بِاَنَّ اللهَ يَرَى يعني ابا جهل كذب بكتاب
الله عز وجل واعرض عن الايمان وقال الفراء المعنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى
آمر بالتقوى والناهي مكذب متولى عن الذكر اي فما اعجب هذا ثم يقول ويله الم يعلم ابو جهل بان
الله يرى اي يراه ويعلم فعله فهو تقرير وتوبيخ وقيل كل واحد من ارايت بدل من الاول والم يعلم بان
الله يرى الخبر قوله تعالى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ كلا
لئن لم ينته اي ابو جهل عن اذاك يا محمد لنسفعا اي لناخذن بالناصية فلنذلنه وقيل لناخذا
بناصيته يوم القيامة وتطوى مع قدميه ويطرح في النار كما قال فيوخذ بالنواصي والاقدام فالاية
وان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمتنع او يمنع غيره عن الطاعة واهل اللغة
يقولون سفعت بالشي اذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديدا ويقال سفع بناصية فرسه قال
قوم اذا كثر الصياح رايتهم من بين ملجم مهره او سافع وقيل هو ماخوذ من سفعته النار
والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد قال

انا في سفعا في معرس مرجل ٭ ونؤي كجذم الحوض اثلم خاشع

والناصية شعر مقدم الرأس قد يعبر بها عن جملة الانسان كما يقال هذه ناصية مباركة اشارة الى جميع الانسان وخص الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن ارادوا اذلاله واهانته اخذوا بناصيته وقال المبرد السفع الجذب بشدة اى لنجرنّ بناصيته الى النار وقيل السفع الضرب اي لنلطمنّ وجهه وكله متقارب المعنى اى يجمع عليه الضرب عند الاخذ ثم يجرّ الى جهنم ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطئة اى ناصية ابي جهل كاذبة في قولها خاطئة في فعلها والخاطئ معاقب ماخوذ والمخطئ غير ماخوذ ووصف الناصية بالكاذبة الخاطية كوصف الوجوه بالنظر في قوله الى ربها ناظرة وقيل اى صاحبها كاذب خاطئ كما يقال نهار صائم وليل قائم اي هو صائم في نهاره قائم في ليله قوله تعالى فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ٭ فليدع ناديه اي اهل مجلسه وعشيرته فليستنصر بهم سندع الزبانية اى الملايكة الغلاظ الشداد عن ابن عباس وغيره واحدهم زبني قاله الكسائي الاخفش زابن ابو عبيدة زبنية وقيل زباني وقيل هم اسم للجمع كالابابيل والعباديد وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وهو ماخوذ من الزبن وهو الدفع ومنه المزابنة في البيع وقيل انما سموا الزبانية لانهم يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم حكاه ابو الليث السمرقندي قال وروي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله لنسفعا بالناصية قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعون عنك ربك فقال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما سمع ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رايت عنده فارسا فهددني بالزبانية فلا ادري ما الزبانية ومال الي الفارس فخشيت ان ياكلني وفي الاخبار ان الزبانية رؤسهم في السماء وارجلهم في الارض فهم يدفعون الكفار في جهنم وقيل انهم اعظم الملايكة خلقا واشدهم بطشا والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه قال الشاعر ٭ مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى

زبانية غلب عظام حلومها ٭ وعن عكرمة عن ابن عباس سندع الزبانية قال قال ابو جهل لئن رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو فعل لاخذته الملايكة عيانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وروي عكرمة عن ابن عباس قال مر ابو جهل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند المقام فقال الم انهك عن هذا يا محمد فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل باي شئ تهددني يا محمد والله اني لاكثر اهل هذا الوادي ناديا فانزل الله عز وجل فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية العذاب من ساعته خرجه الترمذي بمعناه وقال حديث غريب صحيح والنادي في كلام العرب المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير

لهم مجلس صهب السبال اذلة ٭ وقال زهير ٭ وفيهم مقامات حسان وجوههم ٭

وقال آخر ٭ وقال استب بعدك يا كليب المجلس ٭ وقد ناديت الرجل اناديه اذا جالسته

قال زهير ٭ وجار البيت والرجل المنادي ٭ امام الحي عقدهما سواء قوله تعالى كَلَّا لَا تُطِعْهُ ٭ كلا اى ليس الامر على ما يظنه ابو جهل لا تطعه فيما دعاك اليه من ترك الصلاة واسجد

اي صل لله واقترب اى تقرب الى الله جل ثناؤه بالطاعة والعبادة وقيل المعنى اذا سجدت اقترب من الله بالدعاء روي عطاء عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه واحبه اليه ما كانت جبهته في الارض ساجدا لله قال علماؤنا وانما ذلك لانها نهاية العبودية والذلة ولله غاية العزة وله العزة التي لا مقدار لها فكلما بعدت من صفته قربت من جنته ودنوت من جواره في داره وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم ولقد احسن من قال ٭

واذا تذللت الرقاب تواضعا ٭ منا اليك فعزها في ذلها ٭

وقال زيد بن اسلم اسجد انت يا محمد مصليا واقترب انت يا ابا جهل من النار قوله تعالى وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ هذا السجود يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة ويحتمل ان يكون سجود التلاوة في هذه السورة قال ابن العربي والظاهر انه سجود الصلاة لقوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله كلا لا تطعه واسجد واقترب لولا ما ثبت في الصحيح من رواية مسلم وغيره من الايمة عن ابي هريرة انه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين فكان هذا ايضا نصا على ان المراد سجود التلاوة وقد روي ابن وهب عن حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال عزائم السجود اربع الم وحم تنزيل من الرحمن الرحيم والنجم واقرا باسم ربك قال ابن العربي وهذا ان صح يلزم عليه السجود الثاني من سورة الحج وان كان مقترنا بالركوع لانه يكون معناه اركعوا في موضع الركوع واسجدوا في موضع السجود وقد قال ابن نافع ومطرف وكان مالك يسجد في خاصة نفسه بخاتمة هذه السورة من اقرا باسم ربك وابن وهب يراها من العزايم قال الشيخ رحمه الله وقد روينا من حديث مالك ابن انس عن ربيعة ابن ابي عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر قال لما انزل الله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ اكتبها يا معاذ فاخذ معاذ اللوح والقلم والنون وهي الدواة فكتبها معاذ فلما بلغ كلا لا تطعه واسجد واقترب سجد اللوح وسجد القلم وسجدت النون وهم يقولون اللهم ارفع به ذكرا اللهم احطط به وزرا اللهم اغفر به ذنبا قال معاذ سجدت واخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد ختمت والحمد لله على ما منح واعطى

تفسير سورة القدر

وهي مدنية في قول اكثر المفسرين ذكره الثعلبي وحكى الماوردي عكسه قال الشيخ رحمه الله وهي مدنية في قول الضحاك وهي خمس ايات واحد قولي ابن عباس وذكر الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٭ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٭ انا انزلناه في ليلة القدر يعني القرآن وان لم يجر له ذكر في هذه السورة لان المعنى معلوم والقرآن كله كالسورة الواحدة وقد قال شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقال حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة يريد ليلة القدر وقال الشعبي المعنى انا ابتدانا

انزاله في ليلة مباركة يريد ليلة القدر وقيل بل نزل به جبريل عليه السلم جملة واحدة في ليلة القدر
من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا الى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزله
على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وكان بين اوله وآخره ثلاث وعشرون سنة قاله ابن
عباس وقد تقدم في البقرة وحكى الماوردي عن ابن عباس قال نزل القران في شهر رمضان وفي ليلة
القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في
السماء الدنيا فنجمته السفرة الكرام الكاتبين على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا بين جبريل
ومحمد صلى الله عليهما واسطة قوله تعالى في ليلة القدر قال مجاهد في ليلة الحكم وما ادريك ما ليلة
القدر قال ليلة الحكم والمعنى ليلة التقدير سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من امره
الى مثلها من السنة القابلة من امر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور وهم اربعة
من الملائكة اسرافيل وميكائيل وجبريل وملك الموت عليهم السلم وعن ابن عباس قال يكتب من ام الكتاب
ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت حتى الحاج قال عكرمة يكتب حاج بيت الله تعالى في
ليلة القدر باسمايهم واسماء ابايهم ما يغادر منهم احد ولا يزاد فيهم وقاله سعيد بن جبير وقد مضى في
اول الدخان هذا المعنى وعن ابن عباس ايضا ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان و
يسلمها الى اربابها في ليلة القدر وقيل انما سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر اي
شرف ومنزلة قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا
وقال ابو بكر الوراق سميت بذلك لان من لم يكن له قدر وخطر يصير في هذه الليلة ذا قدر اذا احياها
وقيل سميت بذلك لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذي قدر على امة ذات
قدر وقيل لانه ينزل فيها ملايكة ذو قدر وخطر وقيل لان الله تعالى قدر فيها الرحمة على المؤمنين
وقال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملايكة كقوله ومن قدر عليه رزقه اي ضيق قوله تعالى وما ادريك
ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر قال الفرا كل ما في القرآن من قوله تعالى وما ادريك
فقد ادراه وما كان من قوله وما يدريك فلم يدره وقاله سفيان وقد تقدم ليلة القدر خير من الف شهر
بين فضلها وعظمها وفضيلة الزمان انما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضايل وفي تلك الليلة يقسم الخير الكثير
الذي لا يوجد مثله في الف شهر والله اعلم وقال كثير من المفسرين اي العمل فيها خير من العمل في الف شهر
ليس فيها ليلة القدر وقال ابو العالية ليلة القدر خير من الف شهر رمضان لا يكون فيه ليلة القدر
وقيل عني بالف شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف في غاية الاشياء كما قال تعالى يود احدهم لو
يعمر الف سنة يعني جميع الدهر وقيل ان العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله الف شهر
ثلاثا وثمانين سنة واربعة اشهر فجعل الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من الف
شهر كانوا يعبدونها وقال ابو بكر الوراق كان ملك سليمان خمسماية شهر وملك ذي القرنين خمسماية
شهر فصار ملكهما الف شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقال ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون

من ذلك فنزلت انا انزلناه الاية خير من الف شهر التي لبس الرجل فيها سلاحه في سبيل الله
ونحوه عن ابن عباس وهب ابن منبه وان ذلك الرجل كان مسلما وان امه جعلته نذيرا لله
وكان من قرية قوم يعبدون الاصنام وكان سكن قريبا منها فجعل يغزوهم وحده ويقتل
ويسبي ويجاهد وكان لا يلقاهم الا بلحيي بعير وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فعطش انفجر له من
اللحيين ماء عذب فيشرب منه وكان قد اعطي قوة في البطش لا يوجعه حديد ولا غيره وكان
اسمه شمسون وقال كعب الاحبار كان رجلا ملكا في بني اسرائيل فعل خصلة واحدة فاوحى
الله الى نبي زمانهم قل لفلان يتمنى فقال يا رب اتمنى ان اجاهد بمالي وولدي ونفسي فرزقه الله
الف ولد وكان يجهز الولد بماله في عسكره ويخرجه مجاهدا في سبيل الله فيقوم شهرا ويقتل ذلك
الولد ثم يجهز آخر في عسكره فكان كل ولد يقتل في الشهر والملك مع ذلك قايم الليل صايم النهار فقتل
الالف ولد في الف شهر ثم تقدم فقاتل فقتل فقال الناس لا احد يدرك منزلة هذا الملك
فانزل الله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر من شهور ذلك الملك في القيام والصيام والجهاد بالمال و
الاولاد والنفس في سبيل الله وقال علي وعروة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من بني اسرائيل
فقال عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر ايوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع بن
نون فعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد عجبت امتك
من عبادة هولاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين فقد انزل الله عليك خيرا من ذلك
ثم قرا انا انزلناه في ليلة القدر فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك في الموطا
من رواية ابن القاسم وغيره سمعت من اثق به يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار
الامم قبله فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه
الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر وفي الترمذي عن الحسن ابن علي رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم اري بني امية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا اعطيناك الكوثر يعني نهرا في
الجنة ونزلت انا انزلناه في ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر يملكها
بعدك بنو امية قال القاسم ابن الفضل الحداني فعددناها فاذا هي الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما
قال حديث غريب قوله تعالى تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر
تنزل الملايكة اي تهبط من كل سماء ومن سدرة المنتهى ومسكن جبريل على وسطها فينزلون الى الارض
ويؤمنون على دعاء الناس الى وقت طلوع الفجر فذلك قوله تنزل الملايكة والروح اي جبريل عليه السلام
وحكى القشيري ان الروح صنف من الملايكة جعلوا حفظة على سايرهم وان الملايكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملايكة
وقال مقاتل هم اشرف الملايكة واقربهم من الله تعالى
وقيل انهم جند من جنود الله عز وجل من غير الملايكة رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعا ذكره الماوردي
وحكى القشيري قيل هم صنف من خلق الله ياكلون الطعام ولهم ايدي وارجل وليسوا ملايكة وقيل
الروح خلق عظيم يقوم صفا والملايكة كلهم صفا وقيل الروح الرحمة ينزل بها جبريل مع الملايكة في
هذه الليلة على اهلها دليله ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده اي بالرحمة فيها
اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامره من كل امر اي بكل امر قدره الله وقضاه في تلك السنة الى قابل

قاله ابن عباس وقوله يحفظونه من امر الله اى بامر الله وقراءة العامة تنزل بفتح الآن البزي شدد التاء
وقراء طلحة ابن مصرف وابن السميفع بضم التاء على الفعل المجهول وقراء على وابن عباس وعكرمة و
الكلبى من كل امرء وروي عن ابن عباس ان معناه من كل ملك وتاولها الكلبي على ان جبرئيل ينزل فيها
مع الملايكة فيسلمون على كل امرء مسلم فمن بمعنى على وعن انس قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر
نزل جبرئيل في كبكبة من الملايكة يصلون ويسلمون على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله تعالى قوله تعالى
سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ قيل ان تمام الكلام من كل امر ثم قال سلام روي ذلك عن نافع وغيره
اي ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى مطلع الفجر اى الى طلوع الفجر قال الضحاك لا يقدر الله في تلك
الليلة الا السلامة وفى ساير الليالى يقضى بالبلايا والسلامة وقيل اى هى سلام اى ذات سلامة
من ان يوثر فيها شيطان في مومن ومومنة وكذا قال مجاهد هى ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل
فيها سوءا ولا اذى وروي مرفوعا وقال الشعبى هو تسليم الملايكة على اهل المساجد من حين تغيب الشمس
الى ان يطلع الفجر يمرون على كل مومن ويقولون السلام عليك ايها المومن وقيل يعنى سلام الملايكة بعضهم
على بعض فيها وقال قتادة سلام هى خير هى حتى مطلع اي الى مطلع وقراء الكساى وابن محيصن مطلع
بكسر اللام الباقون بالفتح والفتح والكسر لغتان فى المصدر والفتح الاصل فى فعل يفعل نحو المقتل والمخرج
والكسر على انه مما شذ عن قياسه نحو المشرق والمغرب والمنبت والمسكن والمنسك والمحشر والمسقط
والمجزر حكى في ذلك كله الفتح والكسر على ان يراد به المصدر لا الاسم وهنا ثلاث مسايل الاولى
في تعيين ليلة القدر وقد اختلف العلماء في ذلك والذى عليه المعظم انها ليلة سبع وعشرين لحديث زر بن
حبيش قال قلت لابى بن كعب ان اخاك عبد الله مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال
يغفر الله لابى عبد الرحمن لقد علم انها في العشر الاواخر من رمضان وانها ليلة سبع وعشرين ولكنه اراد
ان لا يتكل الناس ثم حلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين قال قلت باى شى تقول ذلك يا ابا المنذر قال
بالاية التى اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم او بالعلامة ان الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها قال الترمذى
حديث حسن صحيح وخرجه مسلم وقيل هى في شهر رمضان دون ساير العام قاله ابو هريرة وغيره
وقيل هى في ليالى السنة كلها فمن علق طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر لم يقع الطلاق والعتق
الى مضى السنة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت اختصاصها بوقت فلا ينبغى
وقوع الطلاق الا بمضى حول وكذلك العتق وما كان مثله يمين او غيره وقال ابن مسعود قال
من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك ابن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان
ولكنه اراد ان لا يتكل الناس والى هذا القول ذهب ابو حنيفه رحمه الله انها في جميع السنة وقيل عنه
انها رفعت يعنى ليلة القدر وانها انما كانت مرة واحدة والصحيح انها باقية وروي عن ابن مسعود ايضا
انها اذا كانت في يوم من هذه السنة كانت في العام المقبل في يوم آخر والجمهور على انها في كل عام من رمضان
ثم قيل انها الليلة الاولى من الشهر قاله ابو رزين العقيلى وقال الحسن وابن اسحق وعبد الله بن الزبير
هى ليلة سبع عشرة من رمضان وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر وكانهم نزعوا بقوله تعالى
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وكان ذلك ليلة سبع عشرة وقيل هى ليلة التاسع عشر

والصحيح المشهور انها في العشر الاواخر من رمضان وهو قول مالك والشافعى والاوزاعى وابي ثور و
احمد ثم قال قوم هى الحادى والعشرين ومال اليه الشافعى رضى الله عنه لحديث الماء والطين رواه
ابو سعيد الخدرى خرجه مالك وغيره وقيل ليلة الثالث والعشرين لما رواه ابن عمر ان رجلا قال
يا رسول الله انى رايت ليلة القدر في سابعة تبقى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اري رؤياكم قد تواطأت
على ثلاث وعشرين فمن اراد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلث وعشرين قال معمر فكان ايوب يغتسل
ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وفى صحيح مسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انى رايت انى اسجد
في صبيحتها في ماء وطين قال عبد الله بن انيس فرايته صبيحة ليلة ثلاث وعشرين في الماء والطين
كما اخبر صلى الله عليه وسلم وقيل ليلة خمس وعشرين لحديث ابي سعيد الخدرى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة تبقى في خامسة تبقى رواه مسلم قال مالك
يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين والسابعة ليلة ثلاث وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين و
قيل ليلة سبع وعشرين وقد مضى دليله وهو قول على رضى الله عنه وعايشة ومعوية وابي بن كعب
وروي ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان متحريا ليلة القدر فليتحرها ليلة سبع
وعشرين وقال ابي بن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة القدر ليلة سبع و
عشرين وقال ابو بكر الوراق ان الله تعالى قسم ليالى هذا الشهر شهر رمضان على كلمات هذه السورة
فلما بلغ السابعة والعشرين اشار اليها فقال هى وايضا فان ليلة القدر كرر ذكرها ثلاث مرات وهى
تسعة احرف فتجئ سبعا وعشرين وقيل ليلة تسع وعشرين لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
ليلة القدر التاسعة والعشرون او السابعة والعشرون وان الملايكة في تلك الليلة بعدد الحصى
وقد قيل انها في الاشفاع قال الحسن ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين سنة فرايتها تطلع بيضاء
لا شعاع لها يعنى من كثرة الانوار فى تلك الليلة وقيل انها مستورة فى جميع السنة ليجتهد المرء فى احياء
جميع الليالى وقيل اخفاها في جميع شهر رمضان ليجتهدوا في العمل والعبادة ليالى رمضان طمعا في
ادراكها كما اخفى الصلوة الوسطى في الصلوات واسمه الاعظم في اسمائه الحسنى وساعة الاجابة في ساعات
الجمعة وساعات الليل وغضبه في المعاصى ورضاه فى الطاعات وقيام الساعة فى الاوقات والعبد
الصالح بين العباد رحمة منه وحكمة الثانية في علاماتها منها ان الشمس تطلع في صبيحة يومها
بيضاء لا شعاع لها وقال الحسن قال النبى صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر ان من اماراتها انها
ليلة سمحة بلجة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع وقال عبيد بن عمير كنت ليلة السابع
والعشرين فى البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسلا الثالثة في فضايلها وحسبك بقوله
تعالى ليلة القدر خير من الف شهر وقوله تعالى تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم وفي الصحيحين
من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه ابو هريرة وقال ابن عباس قال
النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر تنزل الملايكة الذين هم سكان سدرة المنتهى منهم
جبرئيل ومعهم الالوية ينصب منها لواء على قبرى ولواء على بيت المقدس ولواء على المسجد الحرام و
لواء على طور سيناء ولا تدع فيها مومنا ولا مومنة الا تسلم عليه الا مدمن خمر او آكل الخنزير والمتضمخ

بالزعفران وفي الحديث ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع ان يصيب فيها احدًا بخبل ولا شيء من الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر وقال الشعبي وليلها كيومها ويومها كليلها وقال الفراء لا يقدر الله في ليلة القدر الا السعادة والنعم ويقدر في غيرها البلايا والنقم وقد تقدم عن الضحاك ومثله لا يقال من جهة الراي فهو مرفوع والله اعلم وقال سعيد بن المسيب في الموطا ومثله لا يدرك بالراي وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر في جماعة فقد اخذ حظه من ليلة القدر ذكره الثعلبي في تفسيره وقالت عايشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر فما اقول قال قولي

اللهم انك عفوّ تحب العفو فاعف عني

تفسير سورة البينة

وهي مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول ابن عباس والجمهور وهي تسع ايات وقد جاء في فضلها حديث لا يصح رويناه عن محمد بن عبد الله الحضرمي قال قال لي ابو عبد الرحمن ابن نمير اذهب الى ابي الهيثم الخشاب فاكتب عنه فانه قد كتب فذهبت اليه فقال حدثنا مالك ابن انس عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في الذين كفروا من اهل الكتاب لعطلوا الاهل والمال فتعلموها فقال رجل من خزاعة وما فيها من الاجر يا رسول الله قال لا يقروها منافق ابدًا ولا عبد في قلبه شك في الله والله ان الملايكة المقربين يقرونها منذ خلق الله السموات والارض ما يفترون من قراءتها وما من عبد يقراءها الا بعث الله اليه ملايكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة قال الحضرمي فجئت الى عبد الرحمن بن نمير فالقيت هذا الحديث عليه فقال هذا قد كفانا مؤونته فلا تعد اليه قال ابن العربي روى اسحاق بن بشر الكاهلي الكوفي عن مالك بن انس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في الذين كفروا لعطلوا الاهل والمال ولتعلموها وهذا حديث باطل وانما الحديث الصحيح ما روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقراء عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال نعم فبكى قال الشيخ رحمه الله خرجه البخاري ومسلم وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم قال بعضهم انما قراء النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع ليلا يانف احد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته عليه ان يأخذ الفاظه ويقراء كما سمع منه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي اذ امر الله رسوله ان يقراء عليه قال ابو بكر الانباري حدثنا احمد بن الهيثم ابن خالد حدثنا علي بن الجعد حدثنا عكرمة عن عاصم عن زر قال في قراءة ابي ابن كعب ابن آدم لو اعطي واديا من مال لالتمس ثانيا ولو اعطي واديين من مال لالتمس ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب قال عكرمة قرا علي عاصم لم يكن ثلثين اية هذا فيها قال ابو بكر باطل عند اهل العلم لان قراءتي ابي عمرو وابن كثير متصلتان بابي ابن كعب لا يقراء فيهما هذا المذكور في لم يكن مما هو معروف في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه من

كلام

كلام الرسول عليه السلام لا يحكيه عن رب العالمين في القرآن وما رواه اثنان معها الاجماع اثبت مما يحكيه واحد مخالفا لمذهب الجماعة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ كذا قراءة العامة وخط المصحف وقراء ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه قراءة على التفسير قال ابن العربي وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة فقد قراء النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الصحيح فطلقوهن لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة هو ما كان في خط المصحف قوله تعالى ﴿من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفًا مطهرة فيها كتب قيمة﴾ من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين في موضع جر عطفا على اهل الكتاب قال ابن عباس اهل الكتاب اليهود الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة والذين حولها وهم مشركوا قريش منفكين اي منتهين عن كفرهم زايلين عنه حتى تاتيهم اي اتتهم البينة اي محمد عليه السلام وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم يكونوا ليبلغوا نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء وقيل منفكين زايلين اي لم يكن مدتهم لتزول حتى تاتيهم رسول والعرب تقول ما انفككت افعل كذا اي ما زلت وما انفك فلان قايما اي ما زال قايما واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخلخال قال طرفة

فآليت لا ينفك كشحي بطانة ۞ لعضب رقيق الشفرتين مهند

وقول ذي الرمة

حراجيج لا تنفك الا مناخة ۞ على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا

يريد ما تنفك مناخة فزاد الا وقيل منفكين بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا اويفارقوا الدنيا حتى تاتيهم البينة قال ابن كيسان اي لم يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد عليه السلام في كتابهم حتى بعث فلما بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الاية وعلى هذا فقوله والمشركين اي ما كانوا يسيئون القول في محمد عليه السلام حتى بعث فانهم كانوا يسمونه الامين حتى اتتهم البينة على لسانه وبعث اليهم فحينيذ عادوه وقال بعض اللغويين منفكين هالكين من قولهم انفك صلا المراة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتيم فتهلك المعنى لم يكونوا معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسول وانزال الكتب وقال قوم في المشركين انهم من اهل الكتاب فمن اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من قال ثالث ثلاثة وقيل اهل الكتاب كانوا مومنين ثم كفروا بعد انبيايهم والمشركون ولدوا على الفطرة فكفروا حين بلغوا فلهذا قال والمشركين وقيل المشركون وصف اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد فالنصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءني العقلاء والظرفاء وانت تريد قومًا باعيانهم تصفهم بالامرين فالمعنى من اهل الكتاب المشركين وقيل ان الكفر هنا هو الكفر بالنبي عليه السلام اي لم يكن الذين كفروا بمحمد من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين

قال القشيري وفيه بعد لان الظاهر من قوله حتى تاتيهم البينة رسول من الله ان هذا الرسول هو محمد
صلى الله عليه وسلم فيبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد عليه السلام منفكين حتى ياتيهم
محمد الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الآن بمحمد وقد كانوا من قبل معظمين له منتهين عن هذا
الكفر الى ان يبعث محمدا اليهم ويبين لهم الآيات فحينئذ يؤمن قوم وقرأ الاعمش وابرهيم والمشركون
رفعا عطفا على الذين والقراءة الاولى ابين لان الرفع يصير فيه الصنفان كانهم من غير اهل الكتاب
وفي حرف ابي فما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين وفي مصحف ابن مسعود لم
يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وقد تقدم حتى تاتيهم البينة قيل حتى اتتهم البينة محمد
صلى الله عليه وسلم رسول من الله اي بعيث من الله جل ثناؤه قال الزجاج رسول رفع على البدل من
البينة وقال الفراء اي هي رسول من الله او هو رسول من الله لان البينة قد تذكر فيقال بينتي فلان
وفي حرف ابي وابن مسعود رسولا بالنصب على القطع يتلو اي يقرأ يقال تلا يتلو تلاوة صحفا جمع
صحيفة وهي ظرف المكتوب مطهرة قال ابن عباس من الزور والشك والنفاق والضلالة وقال
قتادة من الباطل وقيل من الكذب والشبهات والكفر والمعنى واحد اي يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب
ويدل عليه انه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب لانه كان اميا ولا يكتب ولا يقرأ مطهرة من نعت
الصحف وهو كقوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة فالمطهرة نعت للصحف في الظاهر وهي نعت لما في الصحف
من القرآن وقيل مطهرة اي ينبغي ان لا يمسها الا المطهرون كما قال في سورة الواقعة حسب ما تقدم
وقيل الصحف المطهرة هي التي عند الله في ام الكتاب الذي منه نسخ ما انزل على الانبياء من الكتب
كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال الحسن يعني بالصحف المطهرة في السماء فيها
كتب قيمة اي مستقيمة مستوية محكمة من قول العرب قام يقوم اذا استوى وصح وقال بعض اهل
العلم الصحف هي الكتب فكيف قال في صحف فيها كتب فالجواب ان الكتب هنا بمعنى الاحكام قال
الله عز وجل كتب الله لاغلبن بمعنى حكم وقال عليه السلام والله لاقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى
بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا في الكتاب فالمعنى لاقضين بينكما بحكم الله وقال الشاعر

وما الولاء بالبلاء فملتم ۝ وما ذاك قال الله اذ هو يكتب ۝

وقيل الكتب القيمة هي القرآن فجعله كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان قوله تعالى وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ۝ الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
خص اهل الكتاب بالتفريق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم مظنون بهم
علم فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف الا من بعد ما جاءتهم البينة الواضحة
والمعني به محمد صلى الله عليه وسلم اي بالقرآن موافقا للذي في ايديهم من الكتاب بنعته وصفته
وذلك انهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم
من آمن كقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل البينة البيان الذي في كتبهم انه
نبي مرسل قال العلماء من اول السورة الى قوله قيمة حكمها فيمن آمن من اهل الكتاب والمشركين وقوله
وما تفرق حكمه فيمن لم يؤمن من اهل الكتاب بعد قيام الحجج قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا

الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة فيه
ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وما امروا اي وما امر هؤلاء الكفار في التوراة والانجيل الا ليعبدوا
الله اي يوحدوه واللام في ليعبدوا بمعنى ان كقوله يريد الله ليبين لكم اي ان يبين ويريدون ليطفئوا
نور الله وامرنا لنسلم وفي حرف عبد الله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اي العبادة
ومنه قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فان
الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه الله تعالى لا غيره الثانية قوله تعالى حنفاء
اي مايلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان ابن عباس يقول حنفاء على دين ابرهيم عليه السلام
ويقال الحنيف من اختتن وحج قاله سعيد بن جبير قال اهل اللغة واصله انه تحنف الى الاسلام اي
مال اليه الثالثة قوله تعالى ويقيموا الصلوة اي يجدودها في اوقاتها ويؤتوا الزكوة اي يعطوها
عند محلها وذلك دين القيمة اي ذلك الدين الذي امروا به دين القيمة اي الدين المستقيم وقال
الزجاج اي ذلك دين الملة المستقيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف او يقال دين الامة القيمة
بالحق اي القايمة بالحق وفي حرف عبد الله وذلك الدين القيمة قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم و
القايم واحد وقال الفراء اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف اللفظين وعنه ايضا هو من
باب اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وقيل الهاء راجعة الى الملة او الشريعة وقال
محمد بن الاشعث الطالقاني القيمة هنا الكتب التي جرى ذكرها والدين مضاف اليها قوله تعالى ان
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر
البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ۝ المشركون معطوف على
الذين او يكون مجرورا معطوفا على اهل الكتاب في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية قرأ نافع
وابن ذكوان بالهمز على الاصل في الموضعين من قولهم برأ الله الخلق وهو البارئ الخالق وقال من
قبل ان براءها الباقون بغير همز وشد الياء عوضا منه قال الفراء ان اخذت البرية من البراء و
هو التراب فاصله غير الهمز تقول منه براه الله يبروه بروا اي خلقه قال القشيري ومن قال البرية
من البراء وهو التراب قال لا تدخل الملايكة تحت هذه اللفظة وقيل البرية من بريت القلم اي قدرته
فتدخل فيه الملايكة ولكنه قول ضعيف لانه يجب منه تخطية من همز وقوله شر البرية اي شر الخليقة
فقيل يحتمل ان يكون على التعميم وقال قوم اي هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم ولا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل هذا من
هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا خير البرية اما على التعميم او خير برية عصرهم وقد
استدل بقراءة الهمز من فضل بني آدم على الملايكة وقد مضى في البقرة القول فيه وقال ابو هريرة
رضي الله عنه المؤمن اكرم على الله عز وجل من بعض الملايكة الذين عنده قوله تعالى جزاؤهم
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا
عنه ذلك لمن خشي ربه ۝ جزاؤهم اي ثوابهم عند ربهم اي خالقهم ومالكهم جنات اي بساتين عدن
اي اقامة والمفسرون يقولون جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها تقول عدن بالمكان يعدن

عدونا اما مر ومعدن الشيء مركزه و مستقره قال الاعشى

وان يستضافوا الى حلمه ۝ يضافوا الى راجح قد عدن

تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لا يضعنون ولا يموتون رضي الله عنهم اي رضي اعمالهم كذا قال ابن عباس ورضوا عنه اي رضوا بثواب الله عز وجل ذلك اي الجنة لمن خشي ربه اي خاف ربه فتناهى عن المعاصي

تفسير سورة الزلزلة

وهي تسع ايات مدنية في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر قال العلماء وهذه السورة فضلها كثير وتحتوي على عظيم روى الترمذي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن قال حديث غريب وفي اللباب عن ابن عباس وروى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان لمن قرأ القرآن كله وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال لما نزلت اذا زلزلت بكى ابو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا انكم تخطئون وتذنبون ويغفر الله لكم لخلق الله امة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت من اصلها كذا روي عكرمة عن ابن عباس وكان يقول في النفخة الاولى تزلزلها وقاله مجاهد لقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر بالتاكيد ثم اضيف الى الارض كقولك لاعطينك عطيتك اي عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة رؤس الآي بعدها وقراءة العامة بكسر الزاء من الزلزال وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر بفتحها وهو مصدر ايضا كالوسواس والقلقال والجرجار. وقيل الكسر المصدر والفتح الاسم قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان وقالت الخنساء

ابعد ابن عمرو من آل الشريد ۝ حلت به الارض اثقالها

تقول لما دفن عمرو صار حلية لاهل القبور من شرفه وسودده وذكر بعض اهل العلم قال كانت العرب تقول اذا كان سفاكا للدماء كان ثقلا على ظهر الارض فلما مات حطت الارض عن ظهرها ثقلها وقيل اثقالها كنوزها ومنه الحديث تقي الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة قوله تعالى وقال الانسان مالها اي ابن ادم الكافر فروي الضحاك عن ابن عباس قال هو الاسود بن عبد الاسد وقيل اراد كل انسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الاولى من مؤمن وكافر وهذا قول من جعلها في الدنيا من اشراط الساعة فانهم لا يعلمون جميعا من اشراط الساعة في ابتداء امرها حتى يتحققوا عمومها فلذلك سأل بعضهم بعضا عنها وعلى قول من قال ان المراد بالانسان الكفار خاصة جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن معترف بها فهو لا يسأل عنها والكافر جاحد لها فلذلك يسأل عنها ومعنى مالها اي مالها زلزلت وقيل مالها اخرجت اثقالها وهي كلمة تعجب اي لاي شيء زلزلت ويجوز

ان يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الاولى ثم تتحرك الارض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الارض عن الموتى احياء فيقولون من الهول مالها قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم ۝ يومئذ منصوب بقوله اذا زلزلت وقيل بقوله تحدث اخبارها اي تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان اي يقول الانسان ما لها تحدث اخبارها متعجبا وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا قال فهذه اخبارها قال هذا حديث حسن صحيح غريب قال الماوردي قوله يومئذ تحدث اخبارها فيه ثلاثة اقاويل احدها تحدث اخبارها باعمال العباد على ظهرها قاله ابو هريرة ورواه مرفوعا وهو قول من زعم انها زلزلة القيامة الثاني تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها قاله يحيى بن سلام وهو قول من زعم انها زلزلة اشراط الساعة قال الشيخ رحمه الله وفي هذا المعنى حديث رواه ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان اجل العبد بارض اوثبته الحاجة اليها حتى اذا بلغ اقصى اثره قبضه الله فتقول الارض يوم القيامة رب هذا ما استودعتني خرجه ابن ماجة في سننه وقد تقدم الثالث انها تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان ما لها قاله ابن مسعود فتخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر الآخرة قد اتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سؤالهم ووعيدا للكافرين وانذارا للمؤمن وفي حديثها باخبارها ثلاثة اقاويل احدها ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك الثاني ان الله تعالى يحدث فيها الكلام الثالث انه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام الطبري تبين اخبارها بالرجفة والزلزلة واخراج الموتى بان ربك اوحى لها اي انها تحدث اخبارها بوحي الله لها اي اليها والعرب تضع لام الصفة موضع الى قال العجاج يصف الارض اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت وهذا قول ابي عبيدة اوحى لها اي اليها وقيل اوحى لها اي امرها قاله مجاهد وقال السدي اوحى لها اي قال لها وقيل سخرها وقيل المعنى يوم يكون الزلزلة واخراج الارض اثقالها تحدث الارض اخبارها ما كان عليها من الطاعات والمعاصي وما عمل على ظهرها من خير وشر وروي ذلك عن الثوري وغيره يومئذ يصدر الناس اشتاتا اي فرقا جمع شتت قيل عن موقف الحساب فريق ياخذ جهة اليمين الى الجنة وفريق آخر ياخذ جهة الشمال الى النار كما قال تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون وقيل يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب اشتاتا يعني فرقا فرقا ليروا اعمالهم يعني ثواب اعمالهم وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يوم القيامة الا ويلوم نفسه فان كان محسنا يقول لم لا ازددت احسانا وان كان غير ذلك يقول لم لا نزعت عن المعاصي وهذا عند معاينة الثواب والعقاب وكان ابن عباس يقول اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة وقيل هذا الصدور انما هو عند النشور يصدرون اشتاتا من القبور فيصار بهم الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزاء عملهم فكانهم وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها والوارد الجائي والصادر المنصرف اي يبعثون من اقطار الارض وعلى القول الاول فيه تقديم وتاخير مجازه تحدث

اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم واعترض قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين عن موقف الحساب وقراءة العامة ليروا بضم الياء اى ليريهم الله اعمالهم وقراء الحسن والزهري وقتادة والاعرج ونصر بن عاصم وطلحة بفتحها وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فيه ثلاث مسائل الاولى كان ابن عباس يقول من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة ومن عمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الآخرة اذا مات ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يقبل ويضاعف له في الآخرة وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله عز وجل انه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة وهو مثل قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم الكلام هناك في الذر انه لا وزن له وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق بها من التراب فهو الذر وكذا قال ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب ذرة وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا وفي نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في ماله ونفسه واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر دليله ما رواه العلماء الاثبات من حديث انس ان هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر يأكل فامسك وقال يا رسول الله وانا لنرى ما عملنا من خير وشر قال ارأيت ما تكره فهو مثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال ابو ادريس ان مصداقه من كتاب الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال مقاتل نزلت في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا كان احدهم يأتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما اوعد الله النار على الكبائر فنزلت يرغبهم في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر وقاله سعيد بن جبير والاثم الصغير في عين صاحبه يوم القيامة اعظم من الجبال وجميع محاسنه اقل في عينه من كل شيء الثانية قراءة العامة يره بفتح الياء فيهما وقرأ الجحدري والسلمي وعيسى بن عمر وابان عن عاصم يره بضم الياء اى يريه الله اياه والاولى الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وسكن الهاء في قوله يره في الموضعين هشام وكذلك رواه الكسائي عن ابي بكر وابو حيوة والمغيرة واختلس يعقوب والزهري والجحدري وشيبة واشبع الباقون وقيل يره اى يرى جزاءه لان ما عمله قد مضى وعدم فلا يرى وانشدوا

ان من يعتدي ويكسب اثما … وزن مثقال ذرة سيراه
ويجازى بفعله الشر شرا … وبفعل الجميل ايضا جزاه
هكذا قوله تبارك ربي … في اذا زلزلت وجل ثناه

الثالثة قال ابن مسعود هذه احكم آية في القرآن وصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية القائلون بالعموم ومن لم يقل به وروي كعب الاحبار انه قال لقد انزل الله على محمد آيتين احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الآية الآية الجامعة الفاذة كما في الصحيح لما سئل عن الحمر وسكت عن البغال والجواب فيهما واحد لان البغل والحمار لا كر فيهما ولا فر فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما في الخيل من الاجر الدائم والثواب المستمر سأل السائل عن الحمر لانهم لم يكن عندهم بغل ولا دخل منها الحجاز الا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الدلدل التي اهداها له المقوقس فافتاه في الحمير بعموم الآية وان في الحمار مثاقيل كثيرة قال ابن العربي وفي الموطأ ان مسكينا استطعم عائشة ام المؤمنين وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت عائشة اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وروي عن سعد بن ابي وقاص انه تصدق بتمرتين فقبض السائل يده فقال للسائل ويقبل الله منا مثاقيل الذر وفي التمرتين مثاقيل ذر كثيرة وروى المطلب بن حنطب ان اعرابيا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فقال يا رسول الله امثقال ذرة قال نعم فقال الاعرابي واسوأتاه مرارا ثم قام وهو يقولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل قلب الاعرابي الايمان وقال الحسن قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع مثقال ذرة الآيات قال لا ابالي الا اسمع من القرآن غيرها حسبي فقد انتهت الموعظة ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي وروي ان صعصعة ابن ناجية جد الفرزدق اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال صعصعة حسبي حسبي ان عملت مثقال شر رأيته وروى معمر عن زيد بن اسلم ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني مما علمك الله فدفعه الى رجل يعلمه فعلمه اذا زلزلت حتى اذا بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعوه فانه قد فقه وحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل قدمت واخرت فقال

خذا بطن هرشى او قفاها فانه … كلا جانبي هرشى لهن طريق

تفسير سورة العاديات

وهي مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا اى الافراس تعدو كذا قال عامة المفسرين واهل اللغة اى تعدو في سبيل الله فتضبح قال قتادة تضبح اذا عدت اى تحمحم وقال الفراء الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وقيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة قال ابن العربي اقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يس والقرآن الحكيم واقسم بحياته فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار من الحجر فقال والعاديات ضبحا

الآيات الخمس وقال اهل اللغة وطعنة ذات رشاش واهية ◦ طعنتها عند صدور العادية ◦
يعني الخيل وقال آخر ◦ والعاديات اسابيّ الدماء بها ◦ كان اعناقها انصاب ترجيب ◦
يعني الخيل ◦ الاسابيّ الطرق وقال عنترة والخيل تعلم حين تضبح ◦ في حياض الموت ضبحا ◦
وقال آخر لست بالتبّع اليماني ان لم تضبح الخيل في سواد العراق ◦ قال اهل اللغة
واصل الضبح والضباح للثعالب فاستعير للخيل وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيّرت لونه
ولم تبالغ فيه قال الشاعر فلما ان تلهوجنا شواء ◦ به اللهبان مقهورا ضبيحا ◦ وانضبح
لونه اذا تغير الى السواد قليلا وقال علقمتها قبل انضباح لوني وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغيّر
حالها من فزع او تعب او طمع ونصب ضبحا على المصدر اي والعاديات تضبح ضبحا والضبح ايضا الرماد
وقال البصريون ضبحا نصب على الحال وقيل مصدر في موضع الحال قال ابو عبيدة ضبحت الخيل
ضبحا مثل ضبعت وهو السير وقال ابو عبيدة الضبح والضبع بمعنى العدو والسير وكذا قال
المبرد الضبح مد اضباعها في السير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى اناس من
بني كنانة فابطاء عليه خبرها وكان استعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فقال
المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له
باغارتها على القوم الذين بعث اليهم وممن قال ان المراد بالعاديات الخيل ابن عباس وانس والحسن
ومجاهد والمراد الخيل التي يغزو عليها المؤمنون وفي الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازي ففيه
شعبة من النفاق وقول ثان انها الابل قال مسلم نازعت فيها عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس
هي الخيل وقلت قال علي هي الابل في الحج ومولاي اعلم من مولاك وقال الشعبي تمارى علي وابن
عباس في العاديات فقال علي هي الابل تعدو في الحج وقال ابن عباس هي الخيل الا تراه تقول فاثرن
به نقعا فهل تثير الا بحوافرها وهل تضبح الابل فقال علي ليس كما قلت لقد رايتنا يوم بدر وما
معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد ثم قال له علي اتفتي الناس بما لا تعلم والله ان
كانت لاول غزوة في الاسلام وما معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف يكون العاديات
ضبحا انما العاديات الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى عرفة قال ابن عباس فرجعت الى قول
علي وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي ومنه قول صفية بنت عبد المطلب
◦ فلا والعاديات غداة جمع ◦ بايديها اذا سطع الغبار ◦
يعني الابل وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو وهو تباعد الارجل في سرعة المشي وقال آخر
◦ راي صاحبي في العاديات نجيبة ◦ وامثالها في الواضعات القوامس ◦
ومن قال هي الابل فقوله ضبحا بمعنى ضبعا فالحاء عنده مبدلة من العين لانه يقال ضبعت الابل وهو ان
تمد اعناقها في السير وقال المبرد الضبح مد اضباعها في السير والضبح اكثر ما يستعمل في الخيل والضبع
في الابل وقد تبدل الحاء من العين ابو صالح الضبح من الخيل الحمحمة ومن الابل التنفس وقال عطاء
ليس شيء من الدواب يضبح الا الفرس والثعلب والكلب وروي عن ابن عباس وقد تقدم عن اهل اللغة
ان العرب تقول ضبح الثعلب وضبح في غير ذلك ايضا قال توبة

ولو

◦ ولو ان ليلى الاخيلية سلمت ◦ علي ودوني تربة وصفائح ◦
◦ لسلمت تسليم البشاشة او زقا ◦ اليها صدى من جانب القبر صائح ◦
زقا الصدى يزقو زقاء اي صاح وكل زاق صائح والزقية الصيحة فالموريات قدحا قال
عكرمة وعطاء والضحاك هي الخيل حين توري النار بحوافرها وهي سنابكها وروي عن ابن عباس
وعنه ايضا اورت بحوافرها غبارا وهذا يخالف سائر ما روي عنه في قدح النار وانما هذا في
الابل وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد والعاديات ضبحا فالموريات قدحا قال قال ابن عباس هو
في القتال وهو في الحج ابن مسعود هي الابل تطأ الحصى فتخرج منها النار واصل القدح الاستخراج
ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد واقتدحت الزند واقتدحت المرق غرفته
وركي قدوح يغرف باليد والقديح ما يبقى في اسفل القدر فيغرف بجهد والمقدحة ما تقدح به النار
والقداحة والقداح الحجر الذي يوري النار يقال ورى الزند بالفتح يري وريا اذا اخرجت ناره وفيه
لغة اخرى وري الزند بالكسر يري فيهما وقد مضى هذا في الواقعة وقد جاء انتصب بما انتصب به ضبحا
وقيل هذه الآيات في الخيل ولكن ايراءها ان تهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم ومنه يقال للحرب
اذا التحمت حمي الوطيس ومنه قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وروي معناه عن ابن
عباس ايضا وقال قتادة وعن ابن عباس ايضا ان المراد بالموريات قدحا مكر الرجال في الحرب وقاله
مجاهد وزيد بن اسلم والعرب تقول اذا اراد ان يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن
ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها نيران
المجاهدين اذا كثرت نارها ارهابا وكل من قرب من العدو يوقد نيرانا كثيرة ليظنهم العدو كثيرا فهذا
اقسام بذلك قال محمد بن كعب هي النار تجمع وقيل هي افكار الرجال توري نار المكر والخديعة وقال
عكرمة هي الالسنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم بها ويظهر بها من الحجج واقامة الدلايل وايضاح
الحق وابطال الباطل وروى ابن جريج عن بعضهم اي فالمنجحات امرا وعملا كنجاح الزند اذا اورى قال
الشيخ رحمه الله هذه الاقوال مجاز ومنه قولهم فلان يوري زناد الضلالة والاول الحقيقة وان
الخيل من عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل العرب تسمي تلك النار نار ابي حباحب وكان ابو حباحب
شيخا من مضر في الجاهلية من ابخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد
نويرة تقد مرة وتخمد مرة فان استيقظ لها احد اطفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه
النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك يسمونها قال النابغة
◦ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ◦ بهن فلول من قراع الكتائب ◦
◦ تقد السلوقي المضاعف نسجه ◦ وتوقد بالصفاح نار الحباحب ◦
قوله تعالى فالمغيرات صبحا ◦ الخيل تغير على العدو عند الصبح عن ابن عباس واكثر المفسرين
وكانوا اذا ارادوا الغارة سروا ليلا ويأتون العدو صبحا لان ذلك وقت غفلة الناس ومنه قوله
تعالى فساء صباح المنذرين وقيل لعزهم اغاروا نهارا وصبحا على هذا اي علانية تشبيها بظهور الصبح
وقال ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما هي الابل تدفع بركبانها يوم النحر من منى الى جمع والسنة الا تدفع

حتى تصبح وقال القرظي والاغارة سرعة المسير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير قوله تعالى فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا اى غبارا يعني الخيل تثير الغبار بشدة العدو في المكان الذي اغارت به قال عبد الله بن رواحة

عدمت بنيتي ان لم تروها ° تثير النقع في كنفي كداء

والكناية في به يرجع الى المكان او الموضع الذي تقع فيه الاغارة واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر في التصريح كما قال تعالى حتى توارت بالحجاب وقيل فاثرن به اى بالعدو نقعا وقد تقدم ذكر العدو وقيل النقع ما بين مزدلفة الى منى قاله محمد بن كعب وقيل انه طريق الوادي ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفي الصحاح النقع الغبار والجمع نقاع والنقع محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البئر منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البئر والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء والجمع نقاع وانقع مثل بحر وبحار وابحر قال الشيخ رحمه الله وقد يكون النقع رفع الصوت ومنه حديث عمر حين قيل له ان النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد فقال وما على نساء بني المغيرة ان يسفكن من دموعهن وهن جلوس على ابي سليمان ما لم يكن نقع ولا لقلقة قال ابو عبيد يعني بالنقع رفع الصوت على هذا رايت قول الاكثر من اهل العلم ومنه قول لبيد نظم

فمتى ينقع صراخ صادق ° يحلبوها ذات جرس وزجل

ويروى يجلبوها ايضا يقول متى ما سمعوا صراخا احلبوا الحرب اى جمعوا لها وقوله ينقع صراخ يعني رفع الصوت وقال الكسائي قوله نقع ولا لقلقة النقع صنعة الطعام يعني في المأتم يقال منه نقعت انقع نقعا قال ابو عبيد ذهب به بالنقع الى النقيعة وانما النقيعة عند غيره من العلماء صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في المأتم وقال بعضهم يريد عمر بالنقع وضع التراب على الرأس يذهب الى ان النقع هو الغبار ولا احسب عمر ذهب الى هذا ولا خافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهن القيام فقال يسفكن من دموعهن وهن جلوس قال بعضهم النقع شق الجيوب وهو الذي لا ادري ما هو من الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندي في هذا الحديث الا الصوت الشديد واما اللقلقة فشدة الصوت ولم اسمع فيه اختلافا وقرأ ابو حيوة فاثّرن بالتشديد اي ادت آثار ذلك ومن خفف فهو من اثار اذا حرك ومنه واثاروا الارض قوله تعالى فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا جمعا مفعول بوسطن اى فوسطن بركبانهن العدو اى الجمع الذي اغاروا عليهم وقال ابن مسعود فوسطن به جمعا يعني مزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس بها ويقال وسطت القوم اسطهم وسطا وسطة اى صرت وسطهم وقرأ علي رضي الله عنه فوسّطن بالتشديد وهي قراءة قتادة وابن سيرين وابو رجا لغتان بمعنى يقال وسّطت القوم بالتشديد والتخفيف وتوسطتهم بمعنى واحد وقيل معنى التشديد جعلنا الجمع قسمين والتخفيف صرن في وسط الجمع وهما يرجعان الى معنى قوله تعالى إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ° هذا جواب القسم اى طبع الانسان على كفران النعمة قال ابن عباس وغيره الكنود الكفور الجحود لنعم الله وكذلك قال الحسن وقال يذكر المصائب وينسى النعم اخذه الشاعر فنظمه

يا ايها الظالم في فعله ° والظلم مردود على من ظلم
الى متى انت وحتى متى ° تشكو المصيبات وتنسى النعم

وروي ابو امامة الباهلي قال النبي صلى الله عليه وسلم الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وروى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده خرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد روي عن ابن عباس ايضا انه قال الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل السيء الملكة وقاله مقاتل وقال الشاعر

كنود لنعماء الرجال ومن يكن ° كنودا لنعماء الرجال يبعد

اى كفور ثم قيل هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير وقيل الجاحد للحق وقيل انما سميت كندة كندة لانها جحدت اباءها وقال ابراهيم بن هرمة الشاعر

دع البخلاء ان شمخوا وصدوا ° وذكرى بخل غانية كنود

وقيل الكنود من كند اذا قطع كانه يقطع ما ينبغي ان يواصله من الشكر ويقال كند الحبل اذا قطعه قال الاعشى اميطي تميطي بصلب الفؤاد ° وصول حبال وكنادها فهذا يدل على القطع ويقال كند يكند كنودا اى كفر النعمة وجحدها فهو كنود وامرأة كنود ايضا وكند مثله قال الاعشى

احدث لها تحدث لوصلك انها ° كند لوصل الزائر المعتاد

اي كفور للمواصلة وقال ابن عباس الانسان هنا الكافر يقول انه لكفور ومنه الارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال الضحاك نزلت في الوليد بن المغيرة المبرد الكنود المانع لما عليه وانشد لكثير

احدث لها تحدث لوصلك انها ° كند لوصل الزائر المعتاد

وقال ابو بكر الواسطي الكنود الذي ينفق نعم الله في معاصي الله وقال ابو بكر الوراق الكنود الذي يرى النعمة من نفسه واعوانه وقال الترمذي الذي يرى النعمة ولا يرى المنعم وقال ذو النون المصري الهلوع والكنود هو الذي اذا مسه الشر جزوع واذا مسه الخير منوع وقيل هو الحقود الحسود وقيل الجهول لقدره وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره قال الشيخ رحمه الله هذه الاقوال كلها ترجع الى معنى الكفران والجحود وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى الكنود بخصال مذمومة واحوال غير محمودة فان صح فهو اعلى ما يقال ولا يبقى لاحد معه مقال قوله تعالى وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ° اي وان الله جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد كذا روي منصور عن مجاهد وهو قول اكثر المفسرين وهو قول ابن عباس وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب وانه اى وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع وروي عن مجاهد ايضا قوله تعالى وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ° وانه اى الانسان من غير خلاف لحب الخير اى المال ومنه قوله ان ترك خيرا وقال عدي ° ماذا ترجي النفوس من طلب ° الخير وحب الحياة كاذبها لشديد اى قوي في حبه للمال ويقال لشديد لبخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي ° عقيلة مال الفاحش المتشدد

يقال اعتامه واعتماه اى اختاره والفاحش البخيل ايضا ومنه قوله تعالى ويأمركم بالفحشاء اى البخل قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى ان يكون شرا وحراما ولكن الناس يعدونه خيرا فسماه الله خيرا لذلك وسمي الجهاد سوءا فقال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء على ما يسميه الناس قال الفراء

نظم الآية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال شديد وحذف من آخره ذكر الحب لانه قد جرى
ذكره ولرؤس الآي كقوله في يوم عاصف والعصوف للريح لا الايام فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرح من
آخره ذكر الريح كانه قال في يوم عاصف الريح قوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور و
حصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير ٥ اى ابن آدم اذا بعثر اى اثير وقلب و بحث
فاخرج ما فيها قال ابو عبيدة بعثرت المتاع جعلت اسفله اعلاه وعن محمد بن كعب قال ذلك حين
يبعثون قال الفراء سمعت بعض اعراب بني اسد يقرا بحثر بالحاء مكان العين وحكاهما الماوردي
عن ابن مسعود وهما بمعنى وحصل ما في الصدور اى ميز ما فيها من خير وشر كذا قال المفسرون وقال
ابن عباس ابرز وقرء عبيد بن عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وحصل بفتح الحاء
وتخفيف الصاد وفتحها اى ظهر ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي عالم لا يخفى عليه منهم خافية وهو عالم بهم
في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انهم يجازيهم في ذلك اليوم وقوله اذا بعثر العامل في اذا بعثر و
لا يعلم فيه يعلم اذ لا يراد به العلم من الانسان ذلك الوقت انما يراد في الدنيا ولا يعمل فيه خبير لان ما بعد
ان لا يعمل فيما قبلها والعامل في يومئذ خبير وان فصلت اللام بينهما لان موضع اللام الابتداء وانما دخلت
في الخبر لدخول ان على المبتدى ويروى ان الحجاج قرا هذه السورة على المنبر يحضهم على الغزو فجرى على
لسانه ان ربهم بفتح الالف ثم استدركها فقال خبير بغير لام ولولا اللام لكانت مفتوحة لوقوع العلم
عليها وقراء ابو السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير ٥

تفسير سورة القارعة

وهي مكية باجماع وهي عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم
القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة ٥ اى القيامة والساعة كذا قال عامة المفسرين
وذلك انها تقرع الخلايق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة
و فقرتهم الفاقرة اذا وقع بهم امر فظيع قال ابن احمر ٥ وقارعة من الايام لولا ٥
سبيلهم لزاحت عنك حينا ٥ وقال آخر ٥ متى نقرع بمروتكم نسوكم ٥
ولم توقد لنا في القدر نار وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
وهي الشديدة من شدائد الدهر قوله تعالى ما القارعة استفهام اي اي شيء القارعة وكذا وما
ادريك ما القارعة كلمة استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشانها كما قال الحاقة ما الحاقة وما ادريك
ما الحاقة على ما تقدم قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث يوم منصوب
على الظرف تقديره تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث قال قتادة الفراش الطير
الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقاله ابو عبيدة وقال الفراء انه الهمج الطاير
من بعوض وغيره ومنه الجراد ويقال هو اطيش من فراشة قال
طويش من نفر اطياش ٥ اطيش من طايرة الفراش ٥
وقال آخر وقد كان اقوام رددت قلوبهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل وفي صحيح

مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب
والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وانا آخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدي وفي الباب
عن ابي هريرة والمبثوث المتفرق وقال في موضع آخر كانهم جراد منتشر فاول حالهم كالفراش
لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكونون كالجراد لان لها وجها تقصده والمبثوث المتفرق المنتشر
وانما ذكر على اللفظ كقوله اعجاز نخل منقعر ولو قال المبثوثة كقوله اعجاز خاوية وقال ابن عباس
والفراء كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا كذلك الناس يجول بعضهم في بعض اذا بعثوا
قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش ٥ اي الصوف الذي ينفش باليد اى تصير
هباء وتزول كما قال عز وجل في موضع آخر هباء منبثا واهل اللغة يقولون العهن الصوف المصبوغ
وقد مضى في سال سائل قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
واما من خفت موازينه فامه هاويه وما ادريك ما هيه نار حاميه ٥ قد تقدم القول
في الميزان في الاعراف والكهف والانبياء وان له كفة ولسانا يوزن فيه الصحف المكتوب فيها
الحسنات والسيئات ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل يزن اعمال بني آدم فعبر عنه بلفظ الجمع
وقيل موازين كما قال فلكل حادثة لها ميزان وقد ذكرنا ٥ فيما تقدم وذكرنا ٥ ايضا في التذكرة وقيل
ان الموازين الحجج والدلايل قاله عبد العزيز ابن يحيى واستشهد بقول الشاعر ٥
قد كنت قبل لقايكم ذا مرة ٥ عندي لكل مخاصم ميزانه ٥
ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه وقيل عيشة راضية اى فاعلة للرضى وهو
اللين والانقياد لاهلها فالفعل للعيشة لانها اعطت الرضى من نفسها وهو اللين والانقياد فالعيشة
كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة وارتفاعها مقدار مائة عام فاذا دنا منها
ولي الله اتضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع كهيئتها ومثل الشجرة فروعها كذلك ايضا من الارتفاع فاذا
اشتهى ولي الله ثمرتها تدانت منه حتى يتناولها ولي الله قاعدا وقايما وذلك قوله تعالى قطوفها
دانية وحيث ما مشى او ينتقل من مكان الى مكان جرى معه نهر حيث شاء علوا وسفلا وذلك قوله
تعالى يفجرونها تفجيرا فيروى في الخبر انه يشير بقضيبه فيجري من غير اخدود حيث شاء من قصوره
وفي مجالسه فهذه الاشياء كلها عيشة قد اعطت الرضى من نفسها فهي فاعلة للرضي وهي ان ذلت و
انقادت بذلا وسماحة ومعنى فامه هاوية يعني جهنم سماها اما لانه ياوي اليها كما ياوي الى امه قاله
ابن زيد ومنه قول امية بن ابي الصلت فالارض معقلنا وكانت امنا فيها مقابرنا وفيها نولد
وسميت النار هاوية لانه يهوى فيها مع بعد قعرها ويروى ان الهاوية اسم الباب الاسفل من النار
وقال قتادة معنى فامه هاوية تصيره الى النار عكرمة لانه يهوى فيها على ام راسه الاخفش امه
مستقره والمعنى متقارب وقال الشاعر يا عمرو لو نالتك ارماحنا كنت كمن تهوي به الهاويه
والهاوية المهواة وتقول هوت امه فهي هاوية اى ثاكلة قال كعب بن سعد الغنوي ٥
هوت امه ما يبعث الصبح غاديا ٥ وماذا يودي الليل حين يؤوب ٥
والمهوي والمهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوي القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض

ما ادريك ما هيه الأصل ما هي فدخلت الهآء للسكت وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابن محيصن
ما هي نار بغير هاء في الوصل ووقفوا بهاء وقد مضى هذا في الحاقة نار حامية اى شديدة الحرارة و
في صحيح مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه الذي يوقد ابن آدم جزء
من سبعين جزءًا من حر جهنم قالوا وانها لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة
وستين جزءًا كلها مثل حرها وروي عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال انما ثقل ميزان
من ثقل ميزانه لانه وضع فيه الحق وحق لميزان يكون فيه الحق ان يكون ثقيلا وانما خف ميزان
من خف ميزانه لانه وضع فيه الباطل وحق لميزان ان يكون فيه الباطل ان يكون خفيفا وفي
الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموتى يسئلون الرجل يأتيهم عن رجل مات
قبله فيقول ذلك مات قبله فيقول ذاك مات قبلي اما مر بكم فيقولون لا والله انا لله وانا اليه راجعون
ذهب به الى امه الهاوية فبئست الام وبئست المربية وقد ذكرناه بكماله في التذكرة

تفسير سورة التكاثر

وهي مكية في قول جميع المفسرين وروى البخاري انها مدنية وهي ثمان آيات
بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر
حتى زرتم المقابر فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى الهيكم التكاثر الهيكم شغلكم قال
فالهيتها عن ذي تمائم مغيل اى شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم
في المقابر وقيل الهاكم انساكم التكاثر اى من المال والاولاد قاله ابن عباس والحسن وقتادة اى التفاخر
بالقبائل والعشائر وقال الضحاك اى الهيكم التشاغل بالمعاش والتجارة يقال لهيت عن كذا بالكسر
الهى لهيًا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاه اى شغله ولهاه به تلهية اي
علله والتكاثر المكاثرة قال قتادة ومقاتل وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني وبنو
فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار وقال
ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة
والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدًا واعز عزيزًا واعظم نفرًا واكثر عائدًا فكثر بنو
عبد مناف سهمًا ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم سهم فنزلت الهيكم التكاثر باحيائكم فلم ترضوا
حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات وروى سعيد عن قتادة قال كانوا يقولون نحن اكثر من بني
فلان ونحن اعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون الى آخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا
من اهل القبور كلهم وعن عمرو بن دينار حلف ان هذه السورة نزلت في التجار وعن شيبان
عن قتادة قال نزلت في اهل الكتاب قال الشيخ رحمه الله الاية تعم جميع ما ذكر وغيره وفي
صحيح مسلم عن مطرف عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهيكم التكاثر قال يقول
ابن آدم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فا
مضيت ما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس وروى البخاري قال ابن شهاب اخبرني انس بن مالك

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان لابن آدم واديا من ذهب احب ان يكون له واديان
ولن يملأ فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب قال ثابت عن انس عن ابي كنا نرى هذا من القرآن
حتى نزلت الهيكم التكاثر قال ابن العربي وهذا نص صحيح مليح غاب عن اهل التفسير فجهلوا وجهلوا
والحمد لله على المعرفة وقال ابن عباس قرأ النبي صلى الله عليه وسلم الهيكم التكاثر قال تكاثر
الاموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الاوعية الثانية قوله حتى زرتم المقابر
اى حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة او نار
يقال لمن مات قد زار قبره وقيل اي الهيكم التكاثر حتى عددتم الاموات على ما تقدم وقيل هذا
وعيد اى اشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتى تزوروا القبور فتروا ما ينزل بكم من عذاب الله جل وعز
الثالثة قوله تعالى المقابر جمع مقبرة ومقبرة بفتح الباء وضمها والقبور جمع القبر قال ارى
اهل القصور اذا اميتوا ° بنوا فوق المقابر بالصخور ° ابوا الا مباهاة وفخرا °
على الفقراء حتى في القبور وقد جاء في الشعر المقبر قال

لكل اناس مقبر بفنائهم ° وهم ينقصون والقبور تزيد °

وهو المقبري والمقبري لسعيد المقبري وكان يسكن المقابر وقبرت الميت اقبره واقبره
قبرًا اي دفنته واقبرته اى امرت بان يقبر وقد مضى في سورة عبس القول فيه الرابعة
لم يات في التنزيل ذكر للمقابر الا في هذه السورة وزيارتها من اعظم الدواء للقلب القاسي لانها تذكر
الموت والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم
كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة رواه ابن مسعود
اخرجه ابن ماجة وفي صحيح مسلم من حديث ابو هريرة فانها تذكر الموت وفي الترمذي عن بريدة
فانها تذكر الاخرة قال حديث حسن صحيح وفيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعن زوارات القبور قال وفي الباب عن ابن عباس وحسان بن ثابت قال ابو عيسى وهذا حديث
حسن صحيح وقد رأى بعض اهل العلم ان هذا كان قبل ان يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة
القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء وقال بعضهم انما كره زيارة القبور للنساء لقلة
صبرهن وكثرة جزعهن قال الشيخ رحمه الله زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء
مختلف فيه للنساء اما الشواب فحرام عليهن الخروج واما القواعد فمباح لهن ذلك وجائز لجميعهن
ذلك اذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف في هذا ان شاء الله وعلى هذا المعنى يكون قوله
زوروا القبور عام واما موضع او وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يحل ولا
يجوز فبينا الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتتن وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال
والنساء مأزورًا غير مأجور والله اعلم الخامسة قال العلماء ينبغي لمن اراد علاج قلبه و
انقياده بسلاسل القهر الى طاعة ربه ان يكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وموتم
البنين والبنات ويواظب على مشاهدة المحتضرين وزيارة
قبور اموات المسلمين فهذه ثلاثة امور ينبغي لمن قسى قلبه ولزمه ذنبه ان يستعين بها على دواء دائه

ويستصرخ بها على نفي الشيطان واعوانه فان انتفع بالاكثار من ذكر الموت وانحطت قساوة قلبه فذاك وان عظم عليه ران القلب واستحكمت فيه دواعي الذنب فان مشاهدة المحتضرين وزيارة قبور اموات المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الاول لان ذكر الموت اخبار للقلب بما اليه المصير وقائم له مقام التخويف والتحذير وفي مشاهدة من احتضر وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة فلذلك كان ابلغ من الاول قال صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة رواه ابن عباس فاما الاعتبار بحال المحتضرين فغير ممكن في كل الاوقات وقد لا يتفق لمن اراد علاج قلبه في ساعة من الساعات واما زيارة القبور فوجودها اسرع والانتفاع بها اليق واجدر فينبغي لمن عزم على الزيارة ان يتادب بادابها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها التطواف على الاجداث فقط فان هذه حالة تشاركه فيها بهيمة ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه او نفع الميت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء ويتجنب المشي على المقابر والجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر واذا وصل الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من تلقاء وجهه لانه في زيارته كمخاطبته حيا ولو خاطبه حيا لكان الادب استقباله بوجهه فكذلك ههنا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب بعد ان قاد الجيوش والعساكر ونافس الاصحاب والعشاير وجمع الاموال والذخاير فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه وهول لم يرتقبه فليتأمل الزائر حال من مضى من اخوانه ودرج من اقرانه الذين بلغوا الآمال وجمعوا الاموال كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحى التراب محاسن وجوههم وافترقت في القبور اجزاؤهم وترمل بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم اولادهم واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم وليتذكر ترددهم في المآرب وحرصهم على نيل المطالب وانخداعهم لمواتاة الاسباب وركونهم الى الصحة والشباب وليعلم ان ميله الى اللهو واللعب كميلهم وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم وانه لا بد صائر الى مصيرهم وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا في اغراضه وكيف تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر الى ما خوله وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه وقد اكل الدود لسانه ويضحك لمواتاة دهره وقد ابلى التراب اسنانه وليتحقق ان حاله كحاله ومآله كمآله وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الاغيار الدنيوية ويقبل على الاعمال الاخروية فيزهد في دنياه ويقبل على الاعمال طاعة مولاه ويلين قلبه وتخشع جوارحه قوله تعالى **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** كلا قال الفراء اي ليس الامر كما انتم عليه من التفاخر والتكاثر والتمام على هذا كلا سوف تعلمون اي سوف تعلمون عاقبة هذا ثم كلا سوف تعلمون وعيد بعد وعيد قاله مجاهد ويحتمل ان يكون تكراره على وجه التاكيد والتغليظ وهو قول الفراء وقال ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبر ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة اذا حل بكم العذاب فالاول في القبر والثاني في الآخرة فالتكرير للحالين وقيل كلا سوف تعلمون عند المعاينة ان ما دعوتكم اليه حق ثم كلا سوف تعلمون عند البعث ان ما دعوتكم به صدق وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى ان قوله كلا سوف تعلمون يعني

في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاءتكم رسلي لنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون اذا دخلتم قبوركم وجاءكم منكر ونكير وحاط بكم هول السؤال وانقطع منكم الجواب قال الشيخ رحمه الله فتضمنت السورة القول في عذاب القبر وقد ذكرنا في كتاب التذكرة ان الايمان به واجب والتصديق به لازم حسب ما اخبر به الصادق وان الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة اليه ويجعل له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسال عنه وما يجيب به ويفهم ما اتاه من ربه وما اعد له في قبره من كرامة وهوان وهذا مذهب اهل السنة والذي عليه الجماعة من اهل الملة وقد ذكرناه هناك مستوفى والحمد لله وقيل كلا سوف تعلمون عند النشور انكم مبعوثون ثم كلا سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت احوال القيامة من بعث وحشر وسؤال وعرض الى غير ذلك من اهوالها وافزاعها حسب ما ذكرناه في التذكرة باحوال الموتى وامور الآخرة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون قال المؤمنون وكذلك كان يقرؤها الاولى بالتاء والثانية بالياء قوله تعالى **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** اعاد كلا وهو زجر وتنبيه لانه عقب كل واحد بشيء آخر كانه قال لا تفعلوا فانكم تندمون لا تفعلوا فانكم تستوجبون العقاب واضافة العلم الى اليقين كقوله تعالى ان هذا لهو حق اليقين وقيل اليقين ههنا الموت قاله قتادة وعنه ايضا البعث لانه اذا جاء زال الشك اي لو تعلمون علم البعث وجواب لو محذوف اي لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه اذا جاءتكم نفخة الصور وانشقت اللحود عن جثثكم كيف يكون حشركم لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا وقيل كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو قد تطايرت الصحف فشقي وسعيد وقيل ان كلا في هذه المواضع الثلاثة بمعنى الا قاله ابن ابي حاتم وقال الفراء هي بمعنى حقا وقد تقدم الكلام فيها مستوفى قوله تعالى **لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** هذا وعيد آخر وهو على اضمار القسم اي لترون الجحيم في الآخرة والخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار وقيل هو عام كما قال وان منكم الا واردها فهي للكفار دار وللمؤمن ممر وفي الصحيح فيمر اولهم كالبرق ثم كالريح ثم كالطير الحديث وقد مضى في سورة مريم وقرأ الكسائي وابن عامر لترون بضم التاء من اريته الشيء اي تحشرون اليها فترونها وعلى فتح التاء وهي قراءة الجماعة اي لترون الجحيم بابصاركم على البعد ثم لترونها عين اليقين اي مشاهدة وقيل هو اخبار عن دوام مقامهم في النار اي هي رؤية دائمة متصلة والخطاب على هذا للكفار وقيل معنى لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين فيما امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك وهو ان تتصور لك تارات القيامة وقطع مسافاتها ثم لترونها عين اليقين اي عند المعاينة بعين الراس فتراها يقينا لا تغيب عن عينك ثم لتسألن يومئذ عن النعيم في موقف السؤال والعرض قوله تعالى **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى

الله عليه وسلم ابن فلان قالت ذهب يستعذب لنا من الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق
فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا من هذه و اخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك
والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن عن نعيم هذا اليوم يوم القيامة اخرجكم
من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم خرجه الترمذي وقال هذا والذي نفسي
بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وكنى الرجل من
الانصار فقال ابو الهيثم بن التيهان ويكنى ابا الهيثم وفي هذه القصة يقول عبد الله ابن رواحة
يمدح بها ابا الهيثم بن التيهان فلم ار كالاسلام عزا لامة ولا مثل اضياف الاراشي معشرا

نبي وصديق وفاروق امة ۝ وخير بني حواء فرعا وعنصرا
فوافوا لميقات وقدر قضية ۝ وكان قضاء الله قدرا مقدرا
الى رجل نجد يباري بجوده ۝ شموس الضحى جودا ومجدا ومفخرا
وفارس خلق الله في كل غارة ۝ اذا لبس القوم الحديد المسمرا
ففدى وحيا ثم ادنى قراهم ۝ فلم يقرهم الا سمينا متمرا

وذكر ابو نعيم الحافظ عن ابي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلا فدعاني فخرجت اليه ثم مر بابي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه
فانطلق حتى دخل حايطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط اطعمنا بسرا فجاء بعذق فوضعه فاكلوا
ثم دعا بماء فشرب فقال لتسالن عن هذا يوم القيامة قال واخذ عمر العذق فضرب به الارض حتى
تناثر البسر نحو وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله انا لمسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا
من ثلاث كسرة يسد بها جوعته او ثوب يستر به عورته او حجر ياوي فيه من الحر والقر

واختلف اهل التاويل في النعيم المسئول عنه على اقوال عشرة احدها الامن والصحة قاله ابن مسعود
الثاني الصحة والفراغ قاله سعيد بن جبير وفي البخاري عنه عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من
الناس الصحة والفراغ الثالث الادراك بحواس السمع والبصر قاله ابن عباس وفي التنزيل ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وفي الصحيح عن ابي هريرة وابي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له الم اجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا الحديث خرجه
الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح الرابع ملاذ الماكول والمشروب قاله جابر بن عبد الله الانصاري
وحديث ابي هريرة يدل عليه الخامس انه الغداء والعشاء قاله الحسن السادس قول مكحول الشامي انه
شبع البطون وبارد الشراب واظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ورواه زيد بن اسلم عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسالن يومئذ عن النعيم يعني عن شبع البطون فذكره ذكره
الماوردي وقال وهذا السؤال يعم المؤمن والكافر الا ان سؤال المؤمن تبشير بان جمع له بين نعيم الدنيا بالكفر
والمعصية وقال قوم هذا السؤال عن كل نعمة انما يكون في حق الكفار فقد روي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية

وذكر قصة قال الشيخ رحمه الله اسم هذا الرجل الانصاري مالك ابن التيهان صح

ونعيم الآخرة وسؤال الكافر تقريع انه قابل نعيم الدنيا

قال

قال يا رسول الله ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم ابن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قد
ذنب وماء عذب افنخاف علينا ان يكون هذا من النعيم الذي نسال عنه فقال عليه السلام ذلك للكفار
ثم قرا وهل نجازي الا الكفور ذكره القشيري ابو نصر وقال الحسن لا يسال عن النعيم الا اهل النار
قال القشيري والجمع بين الاخبار ان الكل يسالون ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ لانه ترك الشكر و
سؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر وهذا النعيم في كل نعمة قال الشيخ رحمه الله هذا قول حسن لان
اللفظ يعم ذكر الفريابي قال حدثنا ورقاء عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم
قال كل شيء من لذة الدنيا وروى ابو الاحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
ليعدد نعمه على العبد يوم القيامة حتى يعد عليه سالتني فلانة ان ازوجكها فسميتها باسمها فزوجتكها
وفي الترمذي عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية ثم لتسالن يومئذ عن النعيم قال الناس يا رسول
الله عن اي النعيم نسال فانما هما الاسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال ان ذلك سيكون
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسال عنه يوم القيامة يعني العبد ان يقال له
الم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد قال حديث غريب وروي من حديث ابن عمر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين
يديه فيساله عن جاهه كما يساله عن ماله والجاه من نعيم الدنيا لا محالة وقال مالك رحمه الله
انه صحة البدن وطيب النفس وهو القول السابع وقيل النوم مع الامن والعافية وقال سفيان ابن
عيينة ان ما سد الجوع وستر العورة من خشن الطعام واللباس لا يسال عنه المرء يوم القيامة وانما
يسال عن النعيم قال والدليل عليه ان الله تعالى اسكن آدم الجنة فقال له ان لك الا تجوع فيها ولا
تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى فكانت هذه الاربعة ما يسد به الجوع وما يدفع به العطش وما يستكن
به من الحر ويستر به عورته لآدم عليه السلم بالاطلاق ولا حساب عليه فيها لانه لا بد له منها قال
الشيخ رحمه الله ونحو هذا ذكره القشيري ابو نصر قال ان مما لا يسال عنه العبد لباسا يواري سوءته
وطعاما يقيم صلبه ومكانا يكنه من الحر والبرد قال الشيخ رحمه الله وهذا منتزع من قوله عليه السلام
ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء خرجه
الترمذي وقال النضر بن شميل جلف الخبز ليس معه ادام وقال محمد بن كعب النعيم هو ما انعم الله علينا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وقال
الحسن ايضا والمفضل هو تخفيف الشرائع وتيسير القرآن قال الله تعالى ما جعل عليكم في
الدين من حرج وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر قال الشيخ رحمه الله وكل هذه نعم
فيسال العبد عنها هل شكر ذلك ام كفر والاقوال المتقدمة اظهر والله اعلم

تفسير سورة العصر

وهي مكية وقال قتادة مدنية وروي عن ابن عباس وهي ثلاث آيات بسم الله الرحمن الرحيم
والعصر فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى والعصر اي الدهر قاله ابن عباس وغيره فالعصر

مثل الدهر ومنه قول الشاعر سبيل الهوى وَعرٌ وبحرُ الهوى غَمرٌ ويوم الهوى شهرٌ وشهر الهوى دهرُ
اى عصر اقسم به جل وعز لما فيه من التنبيه بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيهما من الدلالة على الصانع
وقيل العصر الليل والنهار قال حميد بن ثور ولن يلبث العصران يوم وليلة اذا طالبا ان يدركا ما تيمما
والعصران ايضا الغداة والعشى قال وامطله العصرين حتى يملنى ويرضى بنصف الدين والانف راغم
يقول اذا جاءنى اول النهار وعدته آخره وقيل انه العشى وهو ما بين زوال الشمس وغروبها قاله الحسن
وقتادة ومنه قول الشاعر يروح بنا عمرو وقد قصر العصر وفى الروحة الاولى الغنيمة والاجر
وعن قتادة ايضا هو آخر ساعة من ساعات النهار وقيل هو قسم بصلاة العصر وهى الوسطى
لانها افضل الصلوات قاله مقاتل يقال اذّن للعصر اى لصلاة العصر وصليت العصر اى صلاة
العصر وفى الخبر الصحيح الصلاة الوسطى صلاة العصر وقد مضى فى البقرة بيانه وقيل هو قسم بعصر النبى
صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النبوة فيه وقيل معناه ورب العصر الثانية قال مالك
رحمه الله من حلف ان لا يكلم رجلا عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربى انما حمل مالك يمين الحالف ان لا يكلم
امرأ عصرا على السنة لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله فى تغليظ المعنى فى الايمان وقد قال الشافعى
يبر بساعة الا ان يكون له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال له ما اردت فاذا فسره بما يحتمله
قبل منه الا ان يكون الاقل ويجىء على مذهب مالك ان يحلف على ما يفسر والله اعلم قوله تعالى إِنَّ الْإِنسَانَ
لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ
هذا جواب القسم والمراد به الكافر قاله ابن عباس فى رواية ابى صالح وروى الضحاك عنه قال يريد جماعة من
المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب ابن اسد بن عبد العزى و
الاسود بن عبد يغوث وقيل يعنى بالانسان جنس الانسان لفى خسر لفى غبن وقال الاخفش هلكة الفراء
عقوبة ومنه قوله تعالى وكان عاقبة امرها خسرا ابن زيد لفى شر وقيل لفى نقص والمعنى متقارب وروى
عن سلام والعصر بكسر الصاد وقرأ الاعرج وطلحة وعيسى الثقفى خسر بضم السين وروى ذلك هارون
عن ابى بكر عن عاصم والوجه فيهما الاتباع ويقال هو خسر وخسر مثل عسر وعسر وكان على
يقرؤها والعصر ونوائب الدهر ان الانسان لفى خسر وانه فيه الى آخر الدهر وقال ابرهيم
ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وضعف وتراجع الا المؤمنين فانه تكتب لهم اجورهم
التى كانوا يعملونها فى حال شبابهم نظيره لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل
سافلين قال وقراءتنا والعصر ان الانسان لفى خسر وانه فى آخر الدهر والصحيح ما عليه الامة و
المصاحف وقد مضى الرد فى مقدمة الكتاب على من خالف مصحف عثمان وان هذا ليس بقرآن
يتلى فتامله هناك الا الذين آمنوا استثناء من الانسان اذ هو بمعنى الناس على الصحيح وعملوا الصالحات
اى ادوا الفرائض المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابى ابن كعب
قرأت على النبى صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبى الله قال والعصر قسم من الله اقسم ربكم
بآخر النهار ان الانسان لفى خسر ابو جهل الا الذين آمنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا
بالحق عثمان وتواصوا بالصبر على رضى الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا

عليه ومعنى تواصوا اى تحابّوا اوصى بعضهم بعضا وحثّ بعضهم بعضا بالحق اى بالتوحيد كذا روى الضحاك
عن ابن عباس وقال قتادة بالحق اى القرآن وقال السدى الحق هنا الله عز وجل وتواصوا بالصبر
على طاعة الله عز وجل والصبر عن معاصيه وقد تقدم

تفسير سورة الهمزة

وهى مكية باجماع وهى تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ قد تقدم القول فى الويل فى غير موضع ومعناه الخزى والعذاب والهلكة
وقيل واد فى جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون
للبرآء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال النبى صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله تعالى المشاؤون بالنميمة
المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وسيأتى فى الهمز القول فى النميمة وعن ابن عباس
ان الهمزة القتات واللمزة العياب وقال ابو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن ابى رباح الهمزة
الذى يغتاب ويطعن فى وجه الرجل واللمزة الذى يغتابه من خلفه اذا غاب ومنه قول حسان
همزتك فاختضعت بذل نفس بقافية تأجج كالشواظ
واختار هذا القول النحاس قال ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات وقال مقاتل ضد هذا
الكلام ان الهمزة الذى يغتاب بالغيبة واللمزة الذى يغتاب فى الوجه وقال قتادة ومجاهد الهمزة
الطعان فى الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثورى يهمزهم
بلسانه ويلمز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذى يؤذى جلساءه بسوء اللفظ واللمزة الذى يكسر
عينه على جليسه ويشير بعينه وراسه وبحاجبيه وقال مرة هما سواء وهو القتات الطعان للمرء
اذا غابه قال زياد الاعجم تدلى بودى اذا لاقيتنى كذبا وان اغيب فانت الهامز اللمزه
وقال آخر اذا لقيتك عن شحط تكاشرنى وان تغيبت كنت الهامز اللمزه الشحط البعد
والهمزه اسم وضع للمبالغة فى هذا المعنى كما يقال سخرة وضحكة للذى يسخر ويضحك بالناس وقرأ
ابو جعفر محمد بن على والاعرج همزة لمزة بسكون الميم فيهما فان صح ذلك عنهما فهى فى معنى المفعول
وهو الذى يتعرض للناس حتى يهمزوه ويضحكوا منه ويحملهم على الاغتياب وقرأ عبد الله بن مسعود
وابو وائل والنخعى والاعمش ويل للهمزة اللمزة واصل الهمز الكسر والعض على الشىء بعنف ومنه همز
الحرف ويقال همزت راسه وهمزت الجوز بكفى كسرته وقيل لاعرابى اتهمزون الفارة فقال انما يهمزها
الهمزة الذى فى الصحاح وقيل لاعرابى اتهمز الفار فقال السنور يهمزها والذى فى الاصل قاله
الثعلبى وهو يدل على ان الهر يسمى الهمزة قال العجاج ومن همزنا راسه تهشما وقيل اصل
الهمز واللمز الدفع والضرب لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه وكذلك همزه اى دفعه وضربه قال
الراجز ومن همزنا عزه تبركعا على استه زوبعة او زوبعا
البركعة القيام على اربع وبركعه فتبركع اى صرعه فوقع على استه قاله فى الصحاح والآية نزلت فى
الاخنس ابن شريق فيما روى الضحاك عن ابن عباس وكان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين

واللمزة الطعان فى انسابهم وقال بن زيد الهامز الذى يهمز الناس

وقال ابن جريج في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي عليه السلام من ورائه ويقدح فيه في وجهه
وقيل نزلت في أبي بن خلف وقيل في جميل بن عامر الثقفي وقيل إنها مرسلة على العموم من غير تخصيص
وهو قول الأكثرين قال مجاهد ليست بخاصة لأحد بل لكل من كانت هذه صفته وقال الفراء يجوز
أن يذكر الشيء العام ويقصد به الخاص قصد الواحد إذا قال لا أزورك أبدا فتقول من لم يزرني فلست
بزائره تعني ذلك القائل قوله تعالى **ٱلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ** أي أعده نعم لنوائب الدهر
مثل كرم وأكرم وقيل أحصى عدده قاله السدي وقال الضحاك أي أعد ماله لمن يرثه من أولاده
وقيل أي فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم على إمساك المال عن سبيل الطاعة كما قال تعالى مناع
للخير وقال فجمع فأوعى وقراءة الجماعة جمع مخفف الميم وشددها ابن عامر وحمزة والكسائي على
التكثير واختاره أبو عبيد لقوله وعدده وقرأ الحسن ونصر بن عاصم وأبو العالية جمع مخففا
وعدده مخففا أيضا فأظهروا التضعيف لأن أصله عده وهو بعيد لأنه وقع في المصحف بدالين وقد جاء مثله في الشعر لما أبرزوا التضعيف خففوه قال

مهلا أمامة قد جربت من خلقي ۝ أني أجود لأقوام وإن ضننوا

أراد ضنوا وبخلوا فأظهر التضعيف لكن الشعر موضع ضرورة قال المهدوي من خفف وعدده فهو
معطوف على المال أي وجمع عدده ولا يكون فعلا على إظهار التضعيف لأن ذلك لا يستعمل إلا في
الشعر قوله تعالى **يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ**
يحسب أي يظن أن ماله أخلده أي يبقيه حيا لا يموت قاله السدي وقال عكرمة أي يزيد في عمره
وقيل أحياه فيما مضى وهو ماض بمعنى المستقبل يقال هلك والله فلان ودخل النار أي يدخل
كلا رد لما توهمه الكافر أي لا يخلد ولا يبقى له مال وقد مضى القول في كلا مستوفى وقال عمر بن
عبد الله مولى غفرة إذا سمعت الله عز وجل يقول كلا فإنه يقول كذبت لينبذن أي ليطرحن
وليلقين وقرأ الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحميد وابن محيصن لينبذان
بالتثنية أي هو وماله وعن الحسن أيضا لينبذنه على معنى لينبذن ماله وعنه أيضا لينبذن على إخبار
الله تعالى عن نفسه أنه ينبذ صاحب المال وعنه أيضا لينبذن بضم الذال على أن المراد الهمزة
اللمزة والمال وجامعه في الحطمة وهي نار الله سميت بذلك لأنها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه
قال الراجز ۝ إنا حطمنا بالقضيب مصعبا ۝ يوم كسرنا أنفه ليغضبا ۝ وهي
الطبقة السادسة من طبقات جهنم حكاه الماوردي عن الكلبي وحكى القشيري عنه الحطمة الدرجة
الثانية من درج النار وقال الضحاك هي الدرك الرابع ابن زيد اسم من أسماء جهنم وما أدراك ما الحطمة
على التعظيم لشأنها والتفخيم لأمرها ثم فسرها ما هي فقال نار الله الموقدة التي أوقد عليها ألف عام
وألف عام وألف عام فهي غير خامدة أعدها الله للعصاة التي تطلع على الأفئدة قال محمد بن كعب
تأكل النار جميع ما في أجسادهم حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خلقوا خلقا جديدا فرجعت تأكلهم وكذا روى
خالد بن أبي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت
ثم إذا صدروا تعود فذلك قوله تعالى **نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ** وخص الأفئدة

لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه أي إنهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال لا يموت
فيها ولا يحيى فهم إذًا أحياء في معنى الأموات وقيل معنى تطلع على الأفئدة أي تعلم مقدار ما يستحقه
كل واحد منهم من العذاب وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه يقال اطلع فلان
على كذا أي علمه وقد قال الله تعالى تدعو من أدبر وتولى وقال إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا
لها تغيظا وزفيرا فوصفها بهذا فلا يبعد أن توصف بالعلم قوله تعالى **إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ**
أي مطبقة قاله الحسن والضحاك وقد تقدم في البلد القول فيه وقيل مغلقة بلغة قريش يقولون
آصدت الباب إذا أغلقته قاله مجاهد ومنه قول عبد الله بن قيس بن الرقيات ۝

إن في القصر لو دخلنا غزالا ۝ مصفقا موصدا عليه الحجاب ۝

في عمد ممددة الفاء بمعنى الباء أي موصدة بعمد ممددة قاله ابن مسعود وهي في قراءته بعمد ممدودة
وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة بأطباق
من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتشد بتلك المسامير وتمد
بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه ويتشاغل
أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبدا وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله
تعالى إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن
عباس إن العمد الممدودة أغلال في أعناقهم وقيل قيود في أرجلهم قاله أبو صالح وقال القشيري والمعظم
على أن العمد أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار وتشد تلك الأطباق بالأوتاد حتى يرجع عليهم
غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح وقيل أبواب النار مطبقة عليهم وهم في عمد أي في سلاسل
وأغلال مطولة وهي أحكم وأرسخ من القصيرة وقيل هم في عمد ممددة أي في عذابها وآلامها يضربون
بها وقيل المعنى في دهر ممدود أي لا انقطاع له وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر في عمد بضم العين والميم جمع
عمود وكذلك عمد أيضا قال الفراء والعمد والعمد جمعان صحيحان لعمود مثل أديم وأدم وأدم وأفيق
وأفق وأفق أبو عبيدة عمد جمع عماد مثل إهاب وأهب واختار أبو عبيد عمد بفتحتين وكذلك أبو
حاتم اعتبارا بقوله تعالى رفع السموات بغير عمد وأجمعوا على فتحها قال الجوهري العمود عمود البيت و
جمع القلة أعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما قوله تعالى **فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ** وقال أبو عبيدة
العمود كل مستطيل من خشب أو حديد وهو أصل للبناء مثل العماد عمدت الشيء فانعمد أي أقمته بعماد
يعتمد عليه وأعمدته جعلت تحته عمدا ۝

تفسير سورة الفيل

وهي مكية بإجماع وهي خمس آيات **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فيه خمس مسائل الأولى قوله تعالى
ألم تر أي ألم تخبر وقيل أي ألم تعلم وقال ابن عباس ألم تسمع واللفظ استفهام والمعنى تقرير والخطاب
للرسول ولكنه عام أي ألم تروا ما فعلت بأصحاب الفيل أي قد رأيتم ذلك وعرفتم موضع منتي عليكم فما لكم

لا تؤمنون وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام الثانية قوله باصحاب الفيل الفيل معروف والجمع افيال وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا تقل افيلة وصاحبه فيال قال سيبويه يجوز ان يكون اصل فيل فعل فكسر من اجل الياء كما قالوا ابيض وبيض وقال الاخفش هذا لا يكون في الواحد انما يكون في الجمع ورجل فيل الراى اى ضعيف الراى والجمع افيال ورجل قال اي ضعيف الراى مخطي الفراسة وقد فيل الراى يفيل فيولة وفيل رايه تفييلا اي ضعفه فهو فيل الراي الثالثة في قصة اصحاب الفيل وذلك ان ابرهة بنى القليس بصنعاء وهى كنيسة لم يرمثلها في زمانها بشيء من الارض وكان نصرانيا ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنتهٍ حتى اصرف اليها حج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساة فخرج حتى اتى الكنيسة فقعد فيها اى احدث ثم خرج فلحق بارضه فاخبر بذلك ابرهة فقال من صنع هذا فقيل له صنعه رجل من اهل هذا البيت الذى تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك اصرف اليها حج العرب غضب فجاء فقعد فيها اى انها ليست لذلك باهل فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه وبعث رجلا كان عنده الى بنى كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد ابرهة ذلك غضبا وحنقا ثم امر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به وراوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا انه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل من اشراف اهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب ابرهة وجهاده عن بيت الله تعالى وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه من اجابه الى ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر واصحابه واخذ له ذو نفر فاتى به اسيرا فلما اراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك لا تقتلني فانه عسى ان يكون بقائي معك خيرا لك فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان ابرهة رجلا حليما ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه ابرهة واخذ له نفيل اسيرا فاتى به فلما هم بقتله قال له نفيل ايها الملك لا تقتلني فاني دليلك بارض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقالوا له ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم وبعثوا معه ابا رغال حتى انزله المغمس فلما انزله به مات ابو رغال هناك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذى يرجم الناس بالمغمس يقول الشاعر

وارجم قبره في كل عام ° كرجم الناس قبر ابي رغال

فلما نزل ابرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال اهل تهامة من قريش وغيرهم واصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هشام وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا انه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث ابرهة حناطة الحميري الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل له

ان الملك يقول انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا له بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حربي فاتني به فلما دخل حناطة مكة سال عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب ابن هاشم فجاءه فقال له ما امره به ابرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابرهيم عليه السلام او كما قال فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فانطلق اليه فانه قد امرني ان آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى اتى العسكر فسال عن ذى نفر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو في مجلسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل اسير بيدي ملك ينتظر ان يقتله غدوا وعشيا ما عندي غناء في شيء مما نزل بك الا ان انيسا سايس الفيل صديق لى فسارسل اليه واوصيه بك واعظم عليه حقك واسأله ان يستاذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر الى انيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤس الجبال وقد اصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال افعل فكلم انيس ابرهة فقال له ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك وهو صاحب عين مكة في السهل والوحوش في رؤس الجبال فاذن له عليك فليكلمك في حاجته قال فاذن له ابرهة وكان عبد المطلب اوسم الناس واجمله واعظمه فلما راه ابرهة اجله واعظمه عن ان يجلسه تحته فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي ان يرد على الملك مائتي بعير اصابها لي فلما قال له ذلك قال ابرهة لترجمانه قل له لقد كنت اعجبتني حين رايتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني اتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين ابائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه قال له عبد المطلب انى انا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع منى قال انت وذاك فرد عليه ابله وانصرف عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وامرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو اخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان العبد يمنع رحله ° فامنع حلالك °
لا يغلبن صليبهم ° ومحالهم عدوا محالك °
ان يدخلوا البلد الحرام ° فامر ما بدا لك °

يقول اي شيء ما بدا لك لم تكن تفعله بنا والحلال جمع حل والمحال القوة وقيل ان عبد المطلب لما اخذ بحلقة باب البيت قال

يا رب لا ارجو لهم سواكا ° يا رب فامنع منهم حماكا °
ان عدو البيت من عاداكا ° انهم لن يقهروا قواكا °

وقال عكرمة ابن عامر ابن هاشم ابن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى °

لاهم اخز الاسود بن مقصود ° الآخذ الهجمة فيها ذات التقليد °
بين حراء وثبير فالبيد يحبسها ° وهى اولات التطريد ° فضمها الى طماطم سود قد اجمعوا ان لا يكون معبود °

ويهلكوا البيت الحرام المحمود والمروتين والمشاعر السود حقي بهم ربي وانت محمود اخفره يا رب
وانت محمود قال ابن اسحاق ثم ارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه
من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما ابرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما اصبح ابرهة
تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه وكان اسم الفيل محمودا وابرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف
الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل ثم اخذ باذنه فقال
له ابرك محمود او ارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك الفيل
وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى اصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا في راسه بالطبرزين
ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام
يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى
مكة فبرك وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طاير منها ثلاثة احجار
يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه امثال الحمص والعدس لا تصيب منهم احدا الا هلك وليس
كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم
على الطريق الى اليمن فقال نفيل بن حبيب حين راى ما انزل الله بهم من نقمته

اين المفر والاله الطالب ۞ والاشرم المغلوب ليس الغالب

وقال ايضا ۞ حمدت الله اذ ابصرت طيرا ۞ وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل ۞ كان علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل واصيب ابرهة في جسده وخرجوا به معهم
يسقط انملة انملة كلما سقطت منه انملة اتبعتها منه مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء
وهو مثل فرخ الطاير فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون وقال الكلبي ومقاتل
ابن سليمان يزيد احدهما وينقص سبب الفيل ما روي ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى ارض
النجاشي فنزلوا على ساحل البحر الى بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فاوقدوا نارا لطعامهم و
تركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف على النار فاضرمت البيعة نارا فاحترقت فاتى الصريخ الى النجاشي
فاخبره فاستشاط غضبا فاتاه ابرهة بن الصباح وحجر بن شراحيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا
له احراق الكعبة وسبي مكة وكان النجاشي هو الملك وابرهة صاحب الجيش وابو يكسوم نديم وقيل
وزير وحجر بن شراحيل من قواده وقال مجاهد ابو يكسوم هو ابرهة بن الصباح فساروا
ومعهم الفيل قال الاكثرون هو فيل واحد وقال الضحاك هي ثمانية فيلة ونزلوا بذي المجاز واستاقوا
سرح مكة وفيها ابل عبد المطلب واتى الراعي نذيرا فصعد الصفا فصاح واصباحاه ثم اخبر الناس
بمجيء الجيش والفيل فخرج عبد المطلب وتوجه الى ابرهة وساله في ابله واختلف في النجاشي هل
كان معهم وقال الاكثرون لم يكن وبصر اهل مكة بالطير قد اقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب
ان هذه الطير غريبة بارضنا ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية فانها اشبه اليعاسيب وكان في مناقيرها
وارجلها حجارة فلما اظلت على القوم القتها عليهم حتى هلكوا قال عطاء بن ابي رباح جاءت الطير عشية

فقال لهم كان معهم

فباتت ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم وقال الكلبي في مناقيرها حصى كحصى الحذف امام كل فرقة طاير يقودها
احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فلما جاءت عسكر القوم وتوافت اهالت ما في مناقيرها
على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه المقتول به وقيل كان على كل حجر مكتوب من اطاع الله نجا
ومن عصاه غوى ثم انصاعت راجعة من حيث جاءت وقال العوفي سالت عنها ابا سعيد
الخدري فقال حمام مكة منها وقيل كان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها ويقع في دماغه ويخرق
الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه وكان اصحاب الفيل ستين الفا لم يرجع
منهم احد الا اميرهم رجع وشرذمة لطيفة معه فلما اخبروا ما راوا هلكوا وقال الواقدي
ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابرهة هو الاشرم سمي بذلك
لانه تقاتل مع ارياط حتى تزاحفا ثم اتفقا على ان يلتقيا بشخصيهما فمن غلب فله الامر فتبارزا وكان
ارياط جسيما عظيما في يده حربة وابرهة قصيرا حادرا حليما ذا دين في النصرانية ومع ابرهة وزير
له يقال له عتودة فلما دنوا ضرب ارياط بحربته راس ابرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه
وانفه وجبينه وشفته فلذلك سمي الاشرم وحمل عتودة على ارياط فقتله فاجتمعت الحبشة لابرهة
فغضب النجاشي وحلف ليجزن ناصية ابرهة ويطا بلاده فجز ابرهة ناصيته وملا منه وذا من
تراب ارضه وبعث بهما الى النجاشي وقال انما كان عبدك وانا عبدك وانا اقوم بامر الحبشة وقد جزت
راسي وبعثت اليك بتراب ارضي لتطاه وتبر في يمينك فرضي عنه النجاشي ثم بنى ابرهة كنيسة بصنعاء
ليصرف اليها حج العرب على ما تقدم الرابعة قال مقاتل كان عام الفيل قبل مولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم باربعين سنة وقال الكلبي وعبيد بن عمير كان من قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم
بثلاث وعشرين سنة والصحيح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ولدت عام الفيل
وروي عنه انه قال يوم الفيل حكاه الماوردي في التفسير له وقال في كتاب اعلام النبوة ولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد الفيل بخمسين يوما ووافق
من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز بن انوشروان قال وحكى
ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين سنة من ملك انوشروان وقد
قيل انه عليه السلام حملت به امه آمنة في يوم عاشورا المحرم وولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت
من رمضان فكانت مدة حمله ثمانية اشهر كملا ويومين من التاسع وقيل انه ولد يوم عاشورا من شهر
المحرم حكاه ابن شاهين ابو حفص في فضايل يوم عاشورا له ابن العربي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقال قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الفيل وقد روى الناس عن مالك من مروة الرجل ان لا يخبر بسنه لانه ان كان صغيرا استحقروه
وان كان كبيرا استهرموه وهذا قول ضعيف لان مالكا لا يخبر بسن النبي صلى الله عليه وسلم ويكتم سنه
وهو من اعظم العلماء قدوة به فلا باس بان يخبر الرجل بسنه كان كبيرا او صغيرا وقال عبد الملك بن
مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبي صلى الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر مني
وانا اسن منه ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين مقعدين

يستطعمان الناس وقيل لبعض القضاة كم سنك قال سن عتاب ابن اسيد حين ولاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة وكان سنه يومئذ دون العشرين الحاسبة علماؤنا كانت قصة الفيل
فيما بعد من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله وقبل التحدي لانها كانت توكيدا
لامره وتمهيدا لشانه ولما تلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كانت بمكة عدد
كثير ممن شهد تلك الوقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد الا وقد راى قايد الفيل وسايقه
اعميين يتكففان الناس وقالت عايشة رضى الله عنها مع حداثة سنها لقد رايت قايد الفيل وسايقه
اعميين مقعدين يستطعمان الناس وقال ابو صالح رايت فى ام هانى بنت ابي طالب نحوا من قفيزين
من تلك الحجارة سودا مخططة بحمرة قوله تعالى **الم يجعل كيدهم في تضليل** اى في
ابطال وتضييع لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالقتل والسبى والبيت بالتخريب والهدم فحكى عن
عبد المطلب انه بعث ابنه عبد الله على فرس له ينظر ما لقوا من تلك الطير فاذا القوم مشدخين
جميعا فرجع يركض فرسه كاشفا عن فخذه فلما راى ذلك ابوه قال ان ابنى هذا افرس العرب وما
كشف عن فخذه الا بشيرا او نذيرا فلما دنا من ناديهم بحيث يسمعهم الصوت قالوا ما وراك قال هلكوا
جميعا فخرج عبد المطلب واصحابه فاخذوا اموالهم وكانت اموال بنى عبد المطلب منها وبها
تكاملت رياسة عبد المطلب لانه احتمل ما شاء من صفراء وبيضاء ثم خرج اهل مكة بعده فنهبوا
وقيل ان عبد المطلب حفر حفرتين فملاهما من الذهب والجوهر ثم قال لابى مسعود الثقفى وكان
خليلا لعبد المطلب اختر ايهما شئت ثم اصاب الناس من اموالهم حتى ضاقوا ذرعا فقال عبد المطلب
عند ذلك انت منعت الحبش والافيالا ۞ وقد رعوا بمكة الا جبالا ۞
وقد خشينا منهم القتالا ۞ وكل امر لهم معضلا ۞
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا ۞ قال ابن اسحاق ولما رد الله الحبشة من مكة
عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم وقال عبد الله ابن عمرو بن
مخزوم فى قصة اصحاب الفيل ۞ انت الجليل ربنا لم تدنس ۞ انت حبست الفيل بالمغمس
من بعد ما هم بشر مبلس ۞ حبسته فى هيئة المكركس ۞ وما لهم من فرج ومنفس
والمكركس المنكوس المطروح قوله تعالى **وارسل عليهم طيرا ابابيل** ۞ قال سعيد بن جبير
كانت طيرا من السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها طير بين السماء والارض تعشش وتفرخ وعن ابن عباس
كان لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضراء خرجت من البحر
لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عايشة رضى الله عنها هى اشبه شئ بالخطاطيف
وقيل بل كانت اشباه الوطاويط حمرا وسودا وعن سعيد بن جبير ايضا هى طير خضر لها مناقير صفر
وقيل كانت بيضا وقال محمد بن كعب هى طير سود بحرية فى مناقيرها واظافيرها الحجارة وقيل انها
العنقاء المغرب التى يضرب بها الامثال قال عكرمة ابابيل اى مجتمعة وقيل متتابعة بعضها فى اثر
بعض قاله ابن عباس ومجاهد وقيل مختلفة متفرقة تجئ من كل ناحية من ههنا وههنا قاله ابن مسعود

وابن زيد والاخفش قال النحاس وهذه الاقوال متفقة وحقيقة المعنى انها جماعات عظام يقال فلان
يؤبل على فلان اى يعظم عليه ويكثر وهو مشتق من الابل واختلف فى واحد ابابيل فقال الجوهرى قال
الاخفش يقال جاءت ابلك ابابيل اى فرقا وطير ابابيل قال وهذا يجئ معنى التكثير وهو من الجمع
الذى لا واحد له وقد قال بعضهم واحده ابول مثل عجول وقال الكسائى ابيل مثل سكين قال ولم
اجد العرب تعرف له واحدا فى غير الصحاح وقيل فى واحده ابال وقال رؤبة بن العجاج فى الجمع ولعبت
طير بهم ابابيل فصيروا مثل كعصف ماكول ۞ وقال الاعشى ۞
طريق وجبار رواء اصوله ۞ عليه ابابيل من الطير تنعب ۞
وقال آخر تراهم الى الداعى سراعا كانهم ۞ ابابيل طير تحت دجن مسخن ۞
وقال آخر كادت تهد من الاصوات راحلتى ۞ اذ سالت الارض بالجرد الابابيل ۞
قال الفراء لا واحد من لفظه وزعم الرواسى وكان ثقة انه سمع فى واحدها ابالة مشددا وحكى الفراء
ابالة مخففا قال وسمعت بعض العرب يقول ضغث على ابالة يريد خصبا على خصب قال ولو قال
قايل ابيل كان صوابا مثل دينار ودنانير وقال اسحاق بن عبد الله بن الحرث بن نوفل الابابيل
ماخوذ من الابل المؤبلة وهى الاقاطيع قوله تعالى **ترميهم بحجارة من سجيل** فى الصحاح حجارة
قال الحجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم لقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من
طين وقال عبد الرحمن بن ابزى من سجيل من السماء وهى الحجارة التى نزلت على قوم لوط وقيل من
الجحيم وهى سجين ثم ابدلت اللام نونا كما قيل فى اصيلان اصيلال قال ابن مقبل
ضربا تواصت به الابطال سجيلا وانما هو سجين وقال الزجاج من سجيل اى مما كتب عليهم ان
يعذبوا به مشتق من السجل وهو الكتاب وقد مضى القول فى سجيل فى هود مستوفى قال عكرمة كانت
ترميهم بحجارة معها فاذا اصاب احدهم حجر منها خرج به الجدرى لم ير قبل ذلك اليوم وكان الحجر
كالحمصة وفوق العدسة وقال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده فكان ذلك
اول الجدرى وقراءة العامة ترميهم بالتاء لتانيث جماعة الطير وقرا الاعرج وطلحة يرميهم بالياء اى
يرميهم الله دليله قوله ولكن الله رمى ويجوز ان يكون راجعا الى الطير لخلوها من علامات التانيث
ولان تانيثها غير حقيقى قوله تعالى **فجعلهم كعصف ماكول** اى جعل الله اصحاب
الفيل كورق الزرع اذا اكلته الدواب فرمت به من اسفل شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزائه
روى معناه عن ابن زيد وغيره وقد مضى القول فى العصف فى سورة الرحمن ومما يدل على
انه ورق الزرع قول علقمة تسقى مذانب قد مالت عصيفتها ۞ حدورها من اتى الماء مطموم ۞
وقال رؤبة بن العجاج ۞ ومسهم ما مس اصحاب الفيل ۞ ترميهم حجارة من سجيل ۞
ولعبت طير بهم ابابيل ۞ فصيروا مثل كعصف ماكول ۞ العصف جمع واحده عصفة وعصافة
وعصيفة وادخل الكاف فى كعصف للتشبيه مع مثل نحو قوله تعالى ليس كمثله شئ ومعنى ماكول
ماكول حبه كما يقال فلان حسن اى حسن وجهه وقال ابن عباس فجعلهم كعصف ماكول ان المراد به
قشر البر يعنى الغلاف الذى يكون فوق حبة القمح ويروى ان الحجر كان يقع على احدهم فيخرج كل ما فى جوفه

تبقى كقشر الحنطة اذا خرجت منه الحنطة وقال ابن مسعود لما رمت الطير بالحجارة بعث الله ريحا
نضربت الحجارة فزادتهم شدة فكانت لا تقع على احد الا هلك ولم يسلم منهم الا رجل من كندة فقال

وانك لو رايت ولو ترانا ٭ لدى جنب المغمس ما لقينا
خشيت الله اذ قد بث طيرا ٭ وظل سحابه مرت علينا
وباتت كلهم تدعوا بحق ٭ كان لها على الحبشان دينا

ويروى انها لم تصبهم كلهم لكنها اصابت من شاء الله منهم وقد تقدم ان اميرهم رجع وشرذمة لطيفة
معه فلما اخبروا بما راوا هلكوا فالله اعلم وقال ابن اسحاق لما رد الله الحبشة من مكة عظمت العرب
قريشا وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم

تفسير سورة القريش

مكية في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك والكلبي وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لإيلاف قريش﴾ قيل ان هذه
السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى يقول اهلكت اصحاب الفيل لايلاف قريش اي لتأليف قريش او
لتتفق قريش او لكي تأمن قريش فتؤلف رحلتيها وممن عد السورتين واحدة ابي ابن كعب ولا فصل
بينهما في مصحفه وقال سفيان ابن عيينة كان لنا امام لا يفصل بينهما ويقرؤهما معا وقال عمرو بن ميمون
الاودي صلينا المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرا في الاولى والتين والزيتون وفي الثانية
الم تر ولايلاف قريش وقال الفراء هذه السورة متصلة بالسورة الاولى لانه ذكر اهل مكة عظيم نعمته
عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قال لايلاف قريش اي فعلنا ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك
ان قريشا كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها ولا تقرب في الجاهلية يقولون هم اهل بيت الله جل وعز
حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن يحج الناس اليه فاهلكهم الله
جل وعز فذكرهم نعمته اي فجعل الله ذلك لايلاف قريش اي ليألفوا الخروج ولا يجترأ عليهم ومعنى
قول مجاهد وابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه ذكره النحاس حدثنا احمد بن شعيب قال اخبرني
عمرو بن علي قال حدثني عامر بن ابرهيم وكان ثقة من خيار الناس قال حدثني خطاب بن جعفر بن
ابي المغيرة قال حدثني ابي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى لايلاف قريش قال نعمتي على قريش
ايلافهم رحلة الشتاء والصيف قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وعلى هذا القول يجوز
الوقف على رؤس الآي وان لم يكن الكلام تاما على ما نبينه اثناء السورة ان شاء الله وقيل ليست متصلة
لان بين السورتين بسم الله الرحمن الرحيم وذلك دليل على انقضاء السورة وافتتاح الاخرى
وان اللام متعلقة بقوله فليعبدوا اي فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف
للامتيار وكذا قال الخليل ليست متصلة كانه قال ألف الله قريشا ايلافا فليعبدوا رب هذا
البيت الذي وعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لانها زائدة غير عاطفة كقولك زيدا فاضرب وقيل اللام
في قوله تعالى لايلاف قريش لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش قاله الكسائي والاخفش وقيل

الي وقراء ابن عامر لالاف مهموزا مختلسا بلا ياء وقراء ابو جعفر والاعرج ليلاف بلا همز طلبا للخفة
الباقون لايلاف بالياء مهموزا مشبعا من ألفت اولف ايلافا قال

المنعمين اذا النجوم تغيرت ٭ والظاعنين لرحلة الايلاف

ويقال ألفته الفا والافا وقراء ابو جعفر ايضا لالف قريش وقد جمعهما من قال

زعمتم ان اخوتكم قريش ٭ لهم الف وليس لكم الاف

قال الجوهري وفلان قد الف هذا الموضع بالكسر يألفه ايلافا وكذلك الفت الموضع او آلفه
مؤالفة والافا فصار صورة افعل وفاعل في الماضي واحد وقراء عكرمة ليألف بفتح اللام على الامر
وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وفتح لام الامر لغة حكاها ابن مجاهد وغيره وكان عكرمة يعيب
على من يقراء لايلاف قريش وقراء بعض اهل مكة الاف قريش واستشهد بقول ابي طالب يوصي
اخاه ابا لهب برسول الله صلى الله عليه وسلم

فلا تتركنه ما حييت لمعظم ٭ وكن رجلا ذا نجدة وعفاف
تذود العدى عن عصبة هاشمية ٭ الافهم في الناس خير الاف

واما قريش فهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر
فهو قرشي دون بني كنانة ومن فوقه وربما قالوا قريشي وهو القياس قال الشاعر

بكل قريشي عليهم مهابة ٭ فان اردت بقريش الحي صرفته وان اردت به القبيلة لم تصرفه قال

الشاعر وكفى قريش المعضلات وسادها ٭ والتقريش الاكتساب وتقرشوا اي تجمعوا وقد كان
قريش متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي ابن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا قال الشاعر

ابونا قصي كان يدعا مجمعا ٭ به جمع الله القبائل من فهر

وقد قيل ان قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر فمن لم يلده فهر فليس بقرشي والاول اصح واثبت
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا ولد النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من
ابينا وقال واثلة بن الاسقع قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل
واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم صحيح ثابت خرجه
البخاري ومسلم وغيرهما واختلف في تسميتهم قريشا على اقوال احدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش
التجمع والالتيام قال ابو خلدة اليشكري اخوة قرشوا الذنوب علينا ٭ في حديث من دهرهم وقديم
الثاني لانهم كانوا تجارا ياكلون من مكاسبهم والتقرش التكسب وقد قرش يقرش قرشا اذا كسب
وجمع قال الفراء وبه سميت قريش الثالث لانهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة فيسدون خلته
والقرش التفتيش قال الشاعر ايها الشامت المقرش عنا ٭ عند عمرو فهل له ابقاء
الرابع ما روي ان معاوية سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابة في البحر من اقوى
دوابه يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وانشد قول تبع

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا ٭ تأكل الرث والسمين ولا تترك فيها لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ٭ يأكلون البلاد اكلا كميشا

ولهم آخر الزمان بنجدة ○ يكثر القتل فيهم والجوشا

قوله تعالى **إيلافهم** قرأ مجاهد وحميد الفهم ساكنة اللام بغير ياء وروي نحوه عن ابن كثير وكذلك روت اسماء انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ الفهم وروي عن ابن عباس وغيره وقرأ ابو جعفر والوليد عن اهل الشام وابو حيوة الافهم مهموزا مختلسا بلا ياء وقرأ ابو بكر عن عاصم ألأفهم بهمزتين الاولى مكسورة والثانية ساكنة والجمع بين الهمزتين في الكلمتين شاذ الباقون ايلافهم بالمد والهمز وهو الاختيار وهو بدل من الايلاف الاول للبيان وهو مصدر آلف اذا جعلته يألف وألف هو الفا على ما تقدم ذكره من القراءة اي وما قد الفوه من رحلة الشتاء والصيف قال لا يشق عليهم رحلة شتاء ولا صيف منة منه على قريش وقال الهروي وغيره وكان اصحاب الايلاف اربعة اخوة هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف فاما هاشم فانه كان يؤالف ملك الشام اي اخذ منه حبلا وعهدا يامن به في تجارته الى الشام واخوه عبد شمس كان يؤالف الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس ومعنى يؤلف يجير فكان هولاء الاخوة يسمون المجيرين فكان تجار قريش يختلفون الى الامصار بحبل هولاء الاخوة فلا يتعرض لهم قال الازهري الايلاف شبه الاجازة بالخفارة يقال آلف يؤلف والف يؤلف اذا اجاز الحمائل بالخفارة والحمائل جمع حمولة قال والتاويل ان قريشا كانوا سكان الحرم ولم يكن لهم زرع ولا ضرع وكانوا يمترون في الشتاء والصيف آمنين والناس يتخطفون من حولهم فكانوا اذا عرض لهم عارض قالوا نحن اهل حرم الله فلا يتعرض وذكر ابو الحسين احمد بن فارس ابن زكريا في تفسيره حدثنا سعيد بن محمد عن بكر بن سهل الدمياطي باسناده الى ابن عباس في قول الله جل وعز لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وذلك ان قريشا كانوا اذا اصابت واحدا منهم مخمصة جرى هو وعياله الى موضع معروف فضربوا على انفسهم خباء فماتوا حتى كان عمرو بن عبد مناف وكان سيدا في زمانه وله ابن يقال له اسد وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فقال نحن غدا نعتفد قال ابن فارس هذه لفظة في هذا الخبر لا ادري بالدال هي ام بالراء فلعلها من العفر وهو التراب وان كانت بالدال فما ادري معناها وتاويله على ما اظنه ذهابهم الى ذلك الخباء وموتهم واحدا بعد واحد قال فدخل اسد على امه يبكي وذكر ما قاله تربه قال فارسلت ام اسد الى اولئك بشحم ودقيق فعاشوا به اياما ثم ان تربه اتاه ايضا فقال نحن غدا نعتفد فدخل اسد على ابيه يبكي وخبره خبر تربه فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف فقام خطيبا في قريش وكانوا يطيعون امره فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتكثر العرب وتذلون وتعز العرب وانتم اهل حرم الله جل وعز واشرف ولد آدم والناس لكم تبع ويكاد هذا الاعتفاد ياتي عليكم فقالوا نحن لك تبع قال ابتدءوا بهذا الرجل يعني ابا ترب اسد فاغنوه عن الاعتفاد ففعلوا ثم انه نحر البدن وذبح الكباش والمعز ثم هشم الثريد لقومه واطعم الناس فسمي هاشما وفيه قال الشاعر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ○ ورجال مكة مسنتون عجاف ○

ثم جمع كل بني اب على رحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام للتجارات فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على هذا فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وهو قول الشاعر ○ والخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ان تكثر العرب ويقلوا قوله تعالى **رحلة الشتاء والصيف** ○ رحلة نصب بالمصدر اي ارتحالهم رحلة او بوقوع ايلافهم عليه او على الظرف ولو جعلتها في محل الرفع على معنى هما رحلة الشتاء والصيف لجاز والاول اولى والرحلة الارتحال وكانت احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حامية والرحلة الاخرى في الصيف الى الشام لانها بلاد باردة وعن ابن عباس ايضا قال كانوا يشتون بمكة لدفائها ويصيفون بالطائف لهوائها وهذه من جل النعم ان يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية باردة تدفع حر الصيف فذكرهم الله تعالى هذه النعمة ○ وقال الشاعر

تشتى بمكة نعمة ومصيفها بالطائف ○

وهنا اربع مسائل الاولى اختار القاضي ابو بكر بن العربي وغيره من العلماء ان قوله تعالى لايلاف متعلق بما قبله ولا يجوز ان يكون متعلقا بما بعده وهو قوله فليعبدوا رب هذا البيت قال واذا ثبت انه متعلق بالسورة الاخرى وقد قطع عنه بكلام مبتداء واستيناف بيان وسطر بسم الله الرحمن الرحيم فقد تبين جواز الوقف في القراءة للقراء قبل تمام الكلام وليست المواقف التي ينتزع بها القراء شرعا عن النبي صلى الله عليه وسلم مرويا وانما ارادوا به تعليم الطلبة المعاني فاذا علموها وقفوا حيث شاءوا فاما الوقف عند انقطاع النفس فلا خلاف فيه ولا تعد ما قبله اذا اعتراك ذلك ولكن ابدا من حيث وقف بك نفسك هذا رايي فيه ولا دليل على ما قالوه بحال ولكني اعتمد الوقف على التمام كراهية الخروج عنهم قال الشيخ رحمه الله ومن الدليل على صحة هذا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وقد مضى في مقدمة الكتاب واجمع المسلمون ان الوقف عند قوله كعصف ماكول ليس بقبيح وكان يقال انه بقبيح وهذه السورة تقرا في الركعة الاولى والتي بعدها في الركعة الثانية فيتخللها مع قطع القراءة اركان وليس احد من العلماء يكره ذلك وما كانت العلة فيه الا ان قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول انتهاء اية فالقياس على ذلك انه لا يمتنع الوقف عند اعجاز الايات سواء كان الكلام يتم والغرض ينتهي او لا يتم ولا ينتهي وايضا فان الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور ولا خفاء ان الكلام المنظوم احسن فثبت بذلك ان الفواصل من محاسن الكلام المنظوم فمن اظهر فواصله بالوقوف عليها فقد ابدى محاسنه وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن ويشبه المنظوم بالمنثور وذلك اخلال بحق المقروء الثانية قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها ولم ازل ارى ربيعة ابن ابي عبد الرحمن ومن معه لا يخلعون عمائمهم حتى تطلع الثريا وهو يوم التاسع عشر من بشنس وهو يوم خمسة وعشرين من عدد الروم او الفرس واراد بطلوع الثريا ان يخرج السعاة ويسير الناس بمواشيهم الى مياههم وان طلوع الثريا اول الصيف ودبر الشتاء

ومذا مما الاخلاف فيه بين اصحابه عنه وقال عنه اشهب وحده اذا سقطت الهقعة نقص الليل
فلما جعل طلوع الثريا اول الصيف وجب ان يكون له في مطلق السنة ستة اشهر ثم تستقبل الشتاء
من بعد ذهاب الصيف ستة اشهر وقد سئل محمد بن عبد الحكم عن من حلف ان لا يكلم امرأ حتى يدخل
الشتاء فقال لا يكلمه حتى يمضي سبعة عشر من اثور ولو قال حتى يدخل الصيف لم يكلمه حتى يمضي سبعة
عشر من بشانس قال القرطبي اما ذكر هذا عن محمد في بشانس فهو سهو انما هو تسعة عشر
بشانس لانك اذا حسبت المنازل على ما هي عليه من ثلاث عشرة ليلة كل منزلة علمت ان ما بين تسعة عشر
من اثور لا تنقضي منازله الا بدخول تسعة عشر من بشانس والله اعلم الثانية قال قوم الزمان
اربعة اقسام شتاء وربيع وصيف وخريف وقال قوم هو شتاء وصيف وقيظ وخريف والذي قاله مالك اصح لان قسمة الله للزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا الثالثة لما امتن الله
جل وعز على قريش برحلتين شتاء وصيفا على ما تقدم كان فيه دليل على جواز تصرف الرجل في الزمانين
بين محلين يكون حالهما في كل زمان انعم من الآخر كالجلوس في المجلس البحري في الصيف وفي القبلي في
الشتاء وفي اتخاذ الباذهنجات والخيش للتبريد واللبد واليانوسة للدفء قوله تعالى **فليعبدوا
رب هذا البيت** امرهم الله تعالى بعبادته وتوحيده لاجل ايلافهم رحلتين ودخلت الفاء
لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله تعالى عليهم
لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة والبيت الكعبة
وفي تعريف نفسه لهم بانه رب هذا البيت وجهان احدهما لانه كانت لهم اوثان فميز نفسه عنها
الثاني لانهم بالبيت شرفوا على سائر العرب فذكر ذلك لهم تذكيرا لنعمته وقيل فليعبدوا رب هذا
البيت اي ليألفوا عبادة رب الكعبة كما كانوا يألفون الرحلتين قال عكرمة كانت قريش قد ألفوا
رحلة الى بصرى ورحلة الى اليمن فقيل لهم فليعبدوا رب هذا البيت الذي ليقيموا بمكة رحلة الشتاء
الى اليمن والصيف الى الشام قوله تعالى **الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**
قال ابن عباس وذلك بدعوة ابرهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا وارزقهم من الثمرات وقال
ابن زيد كانت العرب يغير بعضهم على بعض ويسبي بعضها من بعض فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم
وقرأ او لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف
فالقى الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما في السفن فحملوه فخافت قريش منهم وظنوا انهم
قدموا لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين فاذا هم قد جلبوا اليهم طعاما واغاثوهم بالاقوات
وكان اهل مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين و
قيل هذا الاطعام هو انهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا فاخصبت
تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع وشريك
وسفيان وآمنهم من خوف اي من خوف الجذام لا يصيبهم ببلدهم الجذام وقال الاعمش وآمنهم
من خوف اي من خوف الحبشة مع الفيل وقال علي رضي الله عنه وآمنهم من ان يكون

الخلافة

الخلافة الا فيهم وقيل اي كفاهم اخذ الايلاف من الملوك فالله اعلم
واللفظ يعم

تفسير سورة الماعون

وهي مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية في قول له آخر وهو قول قتادة وغيره
وهي سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
**ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين
فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون
الماعون** فيها سبع مسائل الاولى بالدين اي بالجزاء والحساب في الاخرة وقد تقدم في
الفاتحة وارايت بثبات الهمزة الثانية اذ لا يقال في رايت ريت ولكن الف الاستفهام سهلت
الهمزة الفا ذكره الزجاج وفي الكلام حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو ام مخطئ
واختلف فيمن نزل هذا فيه فذكر ابو صالح عن ابن عباس قال نزلت في العاصي ابن وائل السهمي
وقاله الكلبي ومقاتل وروى الضحاك عنه قال نزلت في رجل من المنافقين وقال السدي نزلت
في الوليد ابن مغيرة وقيل في ابي جهل الضحاك في عمرو بن عائذ ابن جريج في ابي سفيان وكان ينحر
في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيئا فقرعه بعصاه فانزل الله السورة ويدع اي يدفع كما
قال يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد تقدم وقاله الضحاك عن ابن عباس الثانية قوله تعالى
فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه عن حقه قتادة يقهره ويظلمه والمعنى متقارب وقد تقدم في
النساء انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان
ويضرب بالحسام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني
فقد وجبت له الجنة وقد مضى هذا المعنى في غير موضع الثالثة قوله تعالى ولا يحض على طعام
المسكين اي لا يأمر به من اجل بخله وتكذيبه بالجزاء وهو مثل قوله في سورة الحاقة ولا يحض على
طعام المسكين وقد تقدم وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم كانوا يبخلون و
يعتذرون لانفسهم يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه فنزلت هذه الاية فيهم وتوجه الذم
اليهم فيكون معنى الكلام لا يفعلونه ان قدروا ولا يحثون عليه ان عسروا الرابعة قوله تعالى
فويل للمصلين اي عذاب لهم وقد تقدم في غير موضع الذين هم عن صلوتهم ساهون فروى الضحاك
عن ابن عباس قال هو المصلي الذي ان صلى لم يرج لها ثوابا وان تركها لم يخش عليها عقابا وعنه
ايضا الذين يؤخرونها عن اوقاتها وكذا روى المغيرة عن ابرهيم قال ساهون اضاعة الوقت
وعن ابي العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها قال الشيخ رحمه الله ويدل على
هذا قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة حسب ما تقدم بيانه في سورة مريم وروى
عن ابرهيم ايضا انه الذي اذا سجد قال برأسه هكذا ملتفتا وقال قطرب هو ان لا يقرأ ولا يذكر
الله وفي قراءة عبد الله الذين هم عن صلوتهم لاهون وقال سعد بن ابي وقاص قال النبي صلى
الله عليه وسلم فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون قال الذين يؤخرون الصلاة

عن وقتها تهاونا بها وعن ابن عباس ايضا هم المنافقون يتركون الصلوة سرا ويصلونها علانية واذا
قاموا الى الصلوة قاموا كسالى الاية ويدل على انها في المنافقين قوله الذين هم يراؤن وقاله ابن
وهب عن مالك قال ابن عباس ولو قال في صلوتهم ساهون لكانت في المؤمنين وقال عطا الحمد لله
الذي قال عن صلوتهم ولم يقل في صلوتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات
الزمخشري فان قلت اي فرق بين قوله عن صلوتهم وبين قولك في صلوتهم قلت معنى عن انهم ساهون
عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشياطين من المسلمين ومعنى
في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلوا منه انسان وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلوته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقها باب سجود
السهو في كتبهم ابن العربي لان السلامة عن السهو محال وقد سها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوته
والصحابة وكل من لا يسهو في صلاته فذلك رجل لا يتدبرها ولا يعقل قراتها وانما همه في اعدادها
وهذا رجل ياكل القشور ويرمي اللب وما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته الا لفكرته
في اعظم منها اللهم الا انه قد يسهو في صلوته من يقبل على وسواس الشيطان اذا قال له اذكر كذا اذكر كذا
لما لم يكن يذكر حتى يضل الرجل ان يدري كم صلى **الخامسة** قوله تعالى الذين هم يراؤن اي يرى
الناس انه يصلي طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق يرى انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال انه يصلي وحقيقة
الريا طلب ما في الدنيا بالعبادة واصله طلب المنزلة في قلوب الناس واولها تحسين السمت وهو من اجزاء النبوة
ويريد بذلك الجاه والثناء وثانيها الريا بالثياب القصار والخشنة ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا
وثالثها الريا بالقول باظهار التسخط على الدنيا واظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير و
الطاعة ورابعها الريا باظهار الصلاة والصدقة او بتحسين الصلاة لاجل روية الناس وذلك
يطول وهذا دليله قاله ابن العربي قال الشيخ رحمه الله قد تقدم في سورة النساء وهود و
آخر الكهف القول في الريا واحكامه وحقيقته بما فيه كفاية **السادسة** ولا يكون الرجل مرائيا
باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام
ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعار الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب
اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره
قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الريا ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح
وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان
في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الريا والسمعة وقد مضى هذا المعنى في البقرة عند قوله ان
تبدوا الصدقات وفي غير موضع والحمد لله على ذلك **السابعة** قوله تعالى ويمنعون الماعون
فيه اثنا عشر قولا **الاول** انه زكاة اموالهم كذا روى الضحاك عن ابن عباس وروي عن
علي رضي الله عنه مثل ذلك وقاله مالك والمراد به المنافق يمنعها وقد روى ابو عمر وابن عبد البر
عن مالك قال بلغني ان قول الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم
يراؤن ويمنعون الماعون قال ان المنافق اذا صلى صلى رياء وان فاته لم يندم عليها و

يمنعون الماعون الزكاة التي فرض الله عليهم قال زيد بن اسلم لو خفيت لهم الصلاة كما خفيت
لهم الزكوة ما صلوا **القول الثاني** ان الماعون المال بلسان قريش قاله ابن شهاب و
سعيد بن المسيب **وقول ثالث** انه اسم جامع لمنافع البيت كالفاس والقدر والنار وما اشبه
ذلك قاله ابن مسعود وروي عن ابن عباس ايضا قال الاعشى ° باجود منه بماعونه اذا ما سماؤهم لم تغم
الرابع ذكره الزجاج وابو عبيد والمبرد ان الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس
والقدر والدلو والقداحة وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير وانشدوا بيت الاعشى قالوا
والماعون في الاسلام الطاعة والزكاة وانشدوا قول الراعي

اخليفة الرحمن انا معشر ... حنفاء نسجد بكرة واصيلا
عرب نرى لله من اموالنا ... حق الزكوة منزلا تنزيلا
قوم على الاسلام لما يمنعوا ... ماعونهم ويضيعوا التهليلا

يعني الزكوة **الخامس** انه العارية روي عن ابن عباس ايضا **السادس** انه المعروف كله
الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم قاله محمد بن كعب والكلبي **السابع** انه الماء والكلاء **الثامن**
الماء وحده قال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون الماء وانشدني فيه يمج صبيره الماعون صبا
الصبير السحاب **التاسع** انه منع الحق قاله عبد الله بن عمر **العاشر** انه المستغل من منافع الاموال
ماخوذ من المعن وهو القليل حكاه الطبري وابن عيسى قال قطرب اصل الماعون من القلة والمعن
الشيء القليل تقول العرب ماله سعنة ولا معنة اي شيء قليل فسمى الله الزكوة والصدقة ونحوه من المعروف
ماعونا لانه قليل من كثير ومن الناس من قال الماعون اصله معونة والالف عوض من الهاء حكاه الجوهري
ابن العربي الماعون مفعول من اعان يعين والعون هو الامداد بالقوة والالات والاسباب الميسرة
للامر **الحادي عشر** انه الطاعة والانقياد حكى الاخفش عن اعرابي فصيح لو قد نزلنا لصنعت بناقتك
صنيعا تعطيك الماعون اي تنقاد لك وتطيعك قال الراجز

متى تصادفهن في البرين ... يخضعن او يعطين بالماعون

وقيل هو ما لا يحل منعه كالماء والملح والنار لان عايشة رضوان الله عليها قالت قلت يا رسول الله
ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء والنار والملح قلت يا رسول الله هذا الماء فما بال النار والملح
قال يا عايشة من اعطى نارا فكانما تصدق بجميع ما طبخ بذلك النار ومن اعطى ملحا فكانما تصدق بجميع
ما طيب به ذلك الملح ومن سقى شربة من الماء حيث يوجد الماء فكانما اعتق ستين نسمة ومن سقى شربة
حيث لا يوجد فكانما احيا نفسا ومن احيا ما فكانما احيى الناس جميعا ذكره الثعلبي في تفسيره
وخرجه ابن ماجة في سننه وفي اسناده لين وهو **القول الثاني عشر** الماوردي ويحتمل انه
المعونة بما خف فعله وقد ثقله الله والله اعلم وقيل لعكرمة مولى ابن عباس من منع شيئا من المتاع
كان له الويل فقال لا ولكن من جمع ثلاثتهن فله الويل يعني ترك الصلاة والريا والبخل بالماعون
قال الشيخ رحمه الله كونها في المنافقين اشبه وبهم اخلق لانهم جمعوا الاوصاف الثلاثة ترك الصلوة
والريا والبخل بالمال قال الله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون

الله الا قليلا وقال ولا ينفقون الا وهم كارهون فهذه احوالهم وبعدان يوجد من مسلم محقق وان وجد بعضها فيلحقه جزء من التوبيخ وذلك في منع الماعون اذا تعين كالصلوة والزكوة اذا تركها والله اعلم ويكون منعها قبيحا في المروة في غير حال الضرورة

تفسير سورة الكوثر

وهي مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهي ثلاث ايات بسم الله الرحمن الرحيم

إنا اعطيناك الكوثر فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قراة العامة انا اعطيناك بالعين وقراء الحسن وطلحة ابن مصرف انطيناك بالنون ورؤته ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي لغة في العطا انطيته اعطيته والكوثر فوعل من الكثرة مثل النوفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثرا قال سفيان قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت بكوثر اي بمال كثير والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير قال الكميت

وانت كثير يا ابن مروان طيب ۝ وكان ابوك ابن العقائل كوثرا

والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاشياع والكوثر من الغبار الكثير وقد تكوثر قال الشاعر وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا الثانية واختلف اهل التاويل في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم على ستة عشر قولا الاول انه نهر في الجنة رواه البخاري عن انس والترمذي ايضا وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وروي الترمذي ايضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج قال حديث حسن صحيح الثاني انه حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف قاله عطاء وفي صحيح مسلم عن انس قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول انه من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثت بعدك والاخبار في حوضه في الموقف كثيرة ذكرناها في التذكرة وان على اركانه الاربعة خلفاءه الاربعة رضوان الله عليهم وان من ابغض واحدا منهم لم يسقه الآخر وذكرنا هناك من يطرد عنه فمن اراد الوقوف على ذلك تامله هناك ثم يجوز ان يسمى ذلك النهر والحوض كوثرا لكثرة الواردة والشاربة من امة محمد صلى الله عليه وسلم هناك ويسمى به لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير الثالث ان الكوثر النبوة والكتاب قاله عكرمة الرابع القرآن قاله الحسن الخامس الاسلام حكاه المغيرة السادس تيسير القرآن وتخفيف الشرائع قاله الحسين ابن الفضل السابع هو كثرة الاصحاب والامة والاشياع قاله ابو بكر بن عياش ويمان بن رباب الثامن

في الثعلبي

انه الايثار قاله ابن كيسان التاسع انه رفعة الذكر حكاه الماوردي العاشر انه نور في قلبك دلك علي وقطعك عما سواي وعنه هي الشفاعة وهو الحادي عشر وقيل معجزات الرب هدي بها اهل الاجابة لدعوتك حكاه الثعلبي وهو الثاني عشر الثالث عشر قال هلال بن يساف هو لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الصلوات الخمس وهما الرابع عشر والخامس عشر وقال ابن اسحاق هو العظيم من الامر وذكر بيت لبيد نظم

وصاحب ملحوب فجعنا بفقده ۝ وعند الرداع بيت آخر كوثر

اي عظيم قال الشيخ رحمه الله اصح هذه الاقوال الاول والثاني لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر وسمع انس قوما يتذاكرون الحوض فقال ما كنت اري ان اعيش حتى اري امثالكم يتمارون في الحوض لقد تركت عجائز خلفي ما تصلي امراة منهن الا سالت الله ان يسقيها من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وفي حوضه يقول الشاعر

يا صاحب الحوض من يدانيكا ۝ وانت حقا حبيب باريكا

وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد اعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على حوضه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا قوله تعالى فصل لربك وانحر فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى فصل اي اقم الصلوة المفروضة عليك كذا رواه الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة وعطاء وعكرمة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر ثم يصلي ثم ينحر وقال سعيد بن جبير ومجاهد صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال سعيد بن جبير ايضا نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله ان يصلي وينحر البدن وينصرف ففعل ذلك قال ابن العربي اما من قال ان المراد بقوله فصل الصلوات الخمس فلانها ركن العبادات وقاعدة الاسلام واعظم دعائم الدين واما من قال انها صلاة الصبح بالمزدلفة فلانها مقرونة بالنحر وهو في ذلك اليوم ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها فخصها من جملة الصلوات لاقترانها بالنحر قال الشيخ رحمه الله واما من قال انها صلاة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة صلاة عيد باجماع فيما حكاه ابو عمرو قال ابن العربي فاما مالك فقال ما سمعت فيه شيئا والذي يقع في نفسي ان المراد بذلك صلاة يوم النحر بعدها وقال علي رضي الله عنه ومحمد بن كعب المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة وروي عن ابن عباس ايضا وروي عن علي ايضا ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وكذا قال جعفر بن علي رضي الله عنه قال لما نزلت فصل لربك وانحر قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذه النحيرة التي امرني الله بها قال ليست بنحيرة ولكنه يامرك اذا تحرمت بالصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا رفعت راسك من الركوع واذا سجدت فانه صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وان لكل شيء زينة وان زينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة وعن ابي صالح عن ابن عباس قال استقبل القبلة بنحرك وقاله الفراء والكلبي وابو الاحوص ومنه قول الشاعر

اباحكم ما انت عم مجالد ۝ وسيد اهل الابطح المتناحر

اي المتقابل قال الفراء سمعت بعض العرب يقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر هذا بنحر هذا اي قبالته وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل

فامران يصلي ص

والنحر

على فصل لربك وانحر قال يرفع يديه اول ما يكبر للاحرام الى النحر وعن ص

وروي عن عطاء قال امره ان يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره وقال سليمان التيمي يعني وارفع يدك بالدعاء الى نحرك وقيل فصل معناه واعبد وقال محمد بن كعب القرظي انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر يقول ان ناسا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله وقد اعطيناك الكوثر فلا تكن صلاتك ولا نحرك الا لله قال ابن العربي والذي عندي انه اراد اعبد ربك وانحر فلا يكن عملك الا لمن خصك بالكوثر وبالحرى ان يكون جميع العمل يوازي هذه الخصوصية من الكوثر وهو الخير الكثير الذي اعطاكه الله او النهر الذي طينه مسك وعدد آنيته نجوم السماء اما ان يوازي هذا صلاة يوم النحر وذبح كبش او بقرة او بدنة فذلك يبعد في التقدير والتدبير وموازنة الثواب للعبادة والله اعلم

الثانية قد مضى في والصافات القول في الاضحية وفضلها ووقت ذبحها فلا معنى لاعادة ذلك وذكرنا ايضا في سورة الحج جملة من احكامها قال ابن العربي ومن عجيب الامر ان الشافعي قال ان من ضحى قبل الصلاة اجزاه والله تعالى يقول في كتابه فصل لربك وانحر فبدا بالصلاة قبل النحر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ايضا في البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر من فعل فقد اصاب نسكنا ومن ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شيء واصحابه ينكرونه وحبذا الموافقة

الثالثة واما ما روي عن علي عليه السلام فصل لربك وانحر قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة خرجه الدارقطني فقد اختلف علماونا في ذلك على ثلاثة اقوال الاول لا توضع في فريضة ولا نافلة لان ذلك من باب الاعتماد ولا يجوز في الفرض ولا يستحب في النفل الثاني لا يفعلها في الفريضة ويفعلها في النافلة استعانة لانه موضع ترخص الثالث يفعلها في الفريضة والنافلة وهو الصحيح لانه ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده اليمنى على اليسرى من حديث وايل بن حجر وغيره قال ابن المنذر وبه قال مالك واحمد واسحق وحكي ذلك عن الشافعي واستحب ذلك اصحاب الراى ورات جماعة ارسال اليد وممن روينا ذلك عنه ابن الزبير والحسن البصري وابرهيم النخعي قال الشيخ رحمه الله وهو مروي ايضا عن مالك قال ابن عبد البر ارسال اليدين ووضع اليمين على الشمال كل ذلك من سنة الصلاة

الرابعة واختلفوا في المكان الذي توضع عليه اليد فروي عن علي بن ابي طالب انه وضعهما على صدره وقال سعيد بن جبير واحمد بن حنبل فوق السرة وقال لا باس ان كان تحت السرة وقالت طايفة توضع تحت السرة روي ذلك عن علي وابي هريرة والنخعي وابي مجلز وبه قال سفيان الثوري واسحاق

الخامسة واما رفع اليدين في التكبير عند الافتتاح والركوع والرفع من الركوع والسجود فاختلف في ذلك فروى الدارقطني من حديث حميد عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه اذا دخل في الصلاة واذا ركع واذا رفع راسه من الركوع واذا سجد لم يروه عن حميد مرفوعا غير عبد الوهاب الثقفي والصواب من فعل انس وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه ثم يكبر وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك حين يرفع راسه من السجود قال ابن المنذر وهذا قول الليث ابن سعد والشافعي واحمد واسحق وابي ثور وحكى ابن وهب عن مالك هذا القول وبه اقول لانه الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت طايفة يرفع المصلي يديه حين يفتتح الصلاة ولا يرفع فيما سوى ذلك هذا قول سفيان الثوري واصحاب الراى قال الشيخ رحمه الله وهو المشهور من مذهب مالك لحديث ابن مسعود خرجه الدارقطني من حديث اسحاق بن ابي اسرائيل حدثنا محمد بن جابر عن حماد عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يرفعوا ايديهم الا اولا عند التكبيرة الاولى في افتتاح الصلوة قال اسحاق به ناخذ في الصلاة كلها قال الدارقطني تفرد به محمد بن جابر وكان ضعيفا عن حماد عن ابرهيم وغير حماد يرويه عن ابرهيم مرسلا عن عبد الله من فعله غير مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصواب وقد روى يزيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن البراء انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما اذنيه ثم لم يعد الى شيء من ذلك حتى فرغ من الصلاة قال الدارقطني لقن يزيد في آخر عمره ثم لم يعد فتلقنه وكان قد اختلط وفي مختصر ما ليس في المختصر عن مالك لا يرفع اليدين في شيء من الصلاة قال ابن القاسم ولم ار مالكا يرفع يديه عند الاحرام وقال واحب الي ترك رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام

قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ اي مبغضك وهو العاصي ابن وايل وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فيقال ان العاصي وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة فانزل الله جل شانه ان شانئك هو الابتر اي المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة وذكر عكرمة عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما مات ابرهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقالوا بتر محمد فانزل الله جل ثناوه ان شانئك هو الابتر يعني بذلك ابا جهل وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط وقيل ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه القاسم بمكة وابرهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الآية قاله السدي وابن زيد وقيل انه جواب لقريش حين قالوا لكعب ابن الاشرف لما قدم مكة نحن اصحاب السقاية والسدانة والحجابة واللواء وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه قال كعب بل انتم خير فنزلت في كعب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزلت في قريش ان شانئك هو الابتر قاله ابن عباس ايضا وعكرمة وقيل ان الله عز وجل لما اوحى الى رسوله ودعا قريشا الى الايمان قالوا انبتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبتورون قاله ايضا عكرمة وشهر بن حوشب قال اهل اللغة الابتر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل امر انقطع من الخير اثره فهو ابتر والبتر القطع بترت الشيء بترا قطعته قبل الاتمام والانبتار الانقطاع والباتر السيف القاطع والابتر المقطوع الذنب تقول منه بتر بالكسر يبتر بترا وفي الحديث ما هذه البتيراء وخطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد الله

منها ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ابن السكيت الابتران العير والعبد قال سميا ابترين لقلة خيرهما وقد ابتره الله اى صيره ابتر ويقال رجل اباتر بضم الهمزة للذى يقطع رحمه قال الشاعر ○ لئيم نزت فى انفه خنزوانة ○ على قطع ذي القربى اجذ اباتر ○
والبترية فرقة من الزيدية نسبوا الى المغيرة بن سعد ولقبه الابتر واما الصنبور فلفظ مشترك قيل هو النخلة تبقى منفردة ويدق اسفلها وينقشر يقال صنبر اسفل النخلة وقيل هو الرجل الفرد لا ولد له ولا اخ وقيل هو مثعب الحوض خاصة حكاه ابو عبيد وانشد ما بين صنبور الى الاناء ○ والصنبور قصبة تكون فى الاداوات من حديد او رصاص يشرب منها حكى جميعه الجوهري رحمه الله

تفسير سورة الكافرون

وهى مكية فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية فى احد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك وهى ست ايات وفى الترمذي من حديث انس انها تعدل ثلث القرآن وفى كتاب الرد لابي بكر الانبارى اخبرنا عبد الله ابن ناجية حدثنا يوسف حدثنا القعنبى وابو نعيم عن موسى ابن وردان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن ورواه موقوفا عن انس قوله وخرج الحافظ ابو محمد عبد الغنى بن سعيد عن ابن عمر قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم باصحابه صلوة الفجر فى سفر فقرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال قرات بكم ثلث القرآن وربعه وروى جبير ابن مطعم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتحب يا جبير اذا خرجت سفرا ان تكون من امثل اصحابك هيئة واكثرهم زادا قلت نعم قال فاقرا هذه السور الخمس من اول قل يا ايها الكافرون الى قل اعوذ برب الناس وافتتح قراتك ببسم الله الرحمن الرحيم قال فوالله لقد كنت غير كثير المال اذا سافرت اكون ابذهم هيئة واقلهم زادا فمذ قراتهن صرت من احسنهم هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع من سفرى ذلك وقال فروة بن نوفل الاشجعى قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم اوصنى قال اقرا عند منامك قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك خرجه ابو بكر الانبارى وغيره وقال ابن عباس ليس فى القرآن اشد غيظا لابليس منها لانها توحيد وبراءة من الشرك وقال الاصمعى كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان اي انهما يبريان من النفاق قال ابو عبيدة كما يقشقش الهناء الجرب فيبريه وقال ابن السكيت يقال للقرح والجدري اذا يبس وتقرف وللجرب فى الابل اذا قفل قد توسف جلده وتقشر جلده وتقشقش جلده ○

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل يا ايها الكافرون ○ لا اعبد ما تعبدون ○ ولا انتم عابدون ما اعبد ○ ولا انا عابد ما عبدتم ○ ولا انتم عابدون ما اعبد ○ ذكر ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس ان سبب نزولها ان الوليد ابن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وانت فى امرنا كله فان كان الذى جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك فيه واخذنا بحظنا منه وان كان الذي بايدينا

خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا فى امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون وقال ابو صالح عن ابن عباس انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الالهة لصدقناك فنزل جبرئيل صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيئسوا منه وآذوه واذوا اصحابه والالف واللام يرجع الى معنى المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت صفة لاى لانها مخاطبة لمن سبق فى علم الله تعالى انه سيموت على كفره فهى من الخصوص الذي جاء بلفظ العموم نحوه عن الماوردى نزلت جوابا وعنى بالكافرين قوما معينين لا جميع الكافرين لان منهم من آمن فعبد الله ومنهم من مات او قتل على كفره وهم المخاطبون بهذا القول ومنهم المذكورون قال ابو بكر الانباري وقرا من طعن فى القرآن قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون وزعم ان ذلك هو الصواب وذلك افتراء على رب العالمين وتضعيف لمعنى السورة وابطال ما قصده الله من ان يذل نبيه المشركين بخطابه اياهم بهذا الخطاب الزري والزامهم ما يانف منه كل ذي لب وحجى وذلك ان الذى يدعيه من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل عليه فى المعنى وتزيد تاويلا ليس عندهم فى باطلهم وتحريفهم فمعنى قراءتنا قل للذين كفروا يا ايها الكافرون دليل صحة هذا ان العربى اذا قال لمخاطبه قل لزيد اقبل الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل الينا فقد وقعت قراءتنا على كل ما عندهم وسقط من باطلهم احسن لفظ وابلغ معنى اذ كان الرسول عليه السلام لا يعتمد هم فى ناديهم فيقول لهم يا ايها الكافرون وهو يعلم انهم يغضبون من ان ينسبوا الى الكفر ويدخلوا فى جملة اهله الا وهو محروس ممنوع من ان تنبسط عليه منهم يد او تقع به من جهتهم اذية فمن لم يقرا قل يا ايها الكافرون كما انزلها الله اسقط آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيل اهل الاسلام ان لا يسارعوا الى مثلها ولا يعتمدوا نبيهم باختزال الفضائل عنه التى منحها الله اياه وشرفه بها واما وجه التكرير فقد قيل انه للتاكيد فى قطع اطماعهم كما تقول والله لا افعل كذا ثم والله لا افعله قال اكثر اهل المعانى نزل القرآن بلسان العرب ومن مذاهبهم التكرار ارادة التاكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز لان خروج الخطيب والمتكلم من شئ الى شئ اولى من اختصاره فى المقام على شئ واحد قال الله تعالى فباى الاء ربكما تكذبان فويل يومئذ للمكذبين وكلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا كل هذا على التاكيد وقد يقول القائل ارم ارم عجل عجل ومنه قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح فلا آذن ثم لا آذن انما فاطمة بضعة منى الحديث خرجه مسلم وقال الشاعر ○

هلا سالت جموع كندة ○ يوم ولوا اين اينا ○ وقال آخر ○
يا لبكر انشروا لى كليبا ○ يا لبكر اين اين الفرار ○ وقال آخر ○
يا علقمه يا علقمه يا علقمه ○ خير تميم كلها واكرمه ○ وقال آخر ○
يا اقرع بن حابس يا اقرع ○ انك ان يصرع اخوك تصرع ○ وقال آخر ○
الا يا اسلمى ثم اسلمى ثمت ○ اسلمى ثلاث تحيات وان لم تكلم

ومثله كثير وقيل هذا على مطابقة قولهم تعبد آلهتنا ونعبد الهك ثم تعبد آلهتنا ونعبد الهك

نجرى على هذا ابدا سنة وسنة فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده اي ان هذا لا يكون ابدا قال ابن عباس
قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم نحن نعطيك من المال ما تكون به اغنى رجل بمكة ونزوجك
من شئت ونطاء عقبك اى نمشى خلفك وتكف عن شتم الهتنا فان لم تفعل فنحن نعرض عليك
خصلة واحدة هي لنا ولك صلاح تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونحن نعبد الهك سنة فنزلت
السورة وكان التكرار فى لا اعبد ما تعبدون لان القوم كرروا عليه مقالهم مرة بعد مرة والله اعلم
وقيل انما كرر بمعنى التغليظ وقيل اى لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد
قاله الاخفش والمبرد وقيل انهم ثم قال ولا انا عابد فى المستقبل ما عبدتم ولا انتم فى المستقبل عابدون
ما اعبد قاله الاخفش والمبرد وقيل انهم كانوا يعبدون الاوثان فاذا ملوا وثنا وساموا العبادة له
رفضوه ثم اخذوا وثنا غيره بشهوة نفوسهم فاذا مروا بحجارة يعجبهم القواعد ورفعوا ذلك فعظموها
ونصبوها آلهة يعبدونها فامر ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه الالهة التي بين
ايديكم ثم قال ولا انتم عابدون ما عبدتم اي بالامس من الالهة التى رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم
عابدون ما اعبد فانى اعبد الهي وقيل ان قوله لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد فى الاستقبال
وقوله ولا انا عابد ما عبدتم على نفي العبادة منه لما عبدوا فى الماضى ثم قال ولا انتم عابدون ما اعبد
على التكرير فى اللفظ دون المعنى من قبل ان التقابل يوجب ان يكون ولا انتم عابدون ما عبدت فعدل
عن لفظ عبدت الى اعبد اشعارا بان ما عبد فى الماضى هو الذى يعبد فى المستقبل مع ان الماضى والمستقبل
قد يقع احدهما موقع الآخر واكثر ما ياتى ذلك فى اخبار الله عز وجل وقال ما اعبد ولم يقل من اعبد
ليقابل به ولا انا عابد ما عبدتم وهى اصنام واوثان ولا يصلح فيها الا ما دون من فحمل الاول على الثانى
ليتقابل الكلام ولا يتناقض وقد جاءت ما لمن يعقل ومنه قولهم سبحان ما سخركن لنا وقيل ان معنى
الايات وتقديرها قل يا ايها الكافرون لا اعبد الاصنام التى تعبدون ولا انتم عابدون الله عز وجل
الذي اعبده لاشراككم به واتخاذكم الاصنام فان زعمتم انكم تعبدونه فانتم كاذبون لانكم تعبدونه
مشركين فانا لا اعبد ما عبدتم اى مثل عبادتكم فما مصدرية وكذلك ولا انتم عابدون ما اعبد مصدر
ايضا معناه ولا انتم عابدون مثل عبادتى التى هى توحيد قوله تعالى **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**
فيه معنى التهديد وهو كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا وكان
هذا قبل الامر بالقتال فنسخ باية السيف وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شئ لانها
خبر ومعنى لكم دينكم اى جزاء دينكم ولى جزاء دينى وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه وتولوه وقيل
المعنى لكم جزاؤكم ولى جزائى لان الدين الجزاء وفتح الياء من ولى دين نافع والبزى عن ابن كثير
باختلاف عنه وهشام عن ابن عامر وحفص عن عاصم واثبت الياء فى دينى فى الحالتين نصر بن
عاصم وسلام ويعقوب قالوا لانها اسم مثل الكاف فى دينك والتاء فى قمت الباقون بغير ياء مثل
قوله فهو يهدين واتقوا الله واطيعون ونحوه اكتفاء بالكسرة واتباعا لخط المصحف فانه وقع فيه بغير ياء

تفسير سورة النصر

وهى مدنية باجماع وهى ثلاث ايات وتسمى سورة التوديع وهى آخر سورة نزلت جميعا قاله ابن عباس
فى صحيح مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** النصر العون ماخوذ من قولهم قد نصر الغيث الارض اذا اعان
على نباتها ومنع من قحطها قال الشاعر اذا انسلخ الشهر الحرام فودعى بلاد تميم وانصرى ارض عامر
ويروى اذا دخل الشهر الحرام فجاوزى بلاد تميم وانصرى ارض عامر يقال نصره على عدوه
ينصره نصرا اى اعانه والاسم النصرة واستنصره على عدوه اي ساله ان ينصره عليه وتناصروا نصر
بعضهم بعضا ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول على قريش قاله الطبرى وقيل نصره على من قاتله
من الكفار وان عاقبة النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة عن الحسن ومجاهد وغيرهما وقال ابن
عباس وسعيد بن جبير هو فتح المدائن والقصور وقيل فتح سائر البلاد وقيل ما فتحه عليه من العلوم
واذا بمعنى قد اى قد جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويمكن ان يكون معناه اذا يجيئك قوله تعالى
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ورايت الناس اي العرب وغيرهم
يدخلون فى دين الله افواجا اى جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما فتحت مكة قالت العرب اما
اذ ظفر محمد باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يسلمون
افواجا امة امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل
اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرؤون
القرآن وبعضهم يهللون فسر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر وعباس وروى عكرمة عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افئدتهم
لينة طباعهم سخية قلوبهم عظيمة خشيتهم فدخلوا فى دين الله عز وجل افواجا وفى صحيح مسلم عن ابى
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة
الفقه يمان والحكمة يمانية وروي انه صلى الله عليه وسلم قال انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه
تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا الثانى معناه ان الله تعالى نفس الكرب
عن نبيه باهل اليمن وهم الانصار وروي جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الناس دخلوا فى دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي ولفظ الثعلبى وقال
ابو عمار حدثنى جار لجابر قال سالنى جابر عن حال الناس فاخبرته عن حال اختلافهم وفرقتهم فجعل
يبكى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا فى دين الله افواجا وسيخرجون
من دين الله افواجا قوله تعالى **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** اي اذا صليت
فاكثر من ذلك وقيل معنى سبح صل عن ابن عباس بحمد ربك اي حامدا له على ما اتاك من الظفر و
الفتح واستغفره اى سل الغفران وقيل فسبح المراد به التنزيه اى نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك
له وبالاستغفار مداومة الذكر والاول اظهر وروى الائمة واللفظ للبخاري عن عائشة رضى
الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله
والفتح الا يقول سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن في غير الصحيح وقالت ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم آخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله الى آخرها وقال ابو هريرة اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها حتى تورمت قدماه ونحل جسمه وقل تبسمه وكثر بكاؤه وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الآخرة مما كان منه عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ومنهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه لكما تقول فعاش بعدها ستين يوما ما رؤي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر وعباس فقيل لهما ان هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتما نعيت الى نفسي وفي البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب يأذن لاهل بدر ويأذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا يأذن لهذا الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال عمر لهم انه من قد علمتم قال فأذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا امر الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره وان يتوب عليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت ليس كذلك ولكن اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم حضور اجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر تلومونني عليه وفي البخاري فقال عمر ما اعلم منها الا ما تقول رواه الترمذي قال كان عمر يسألني مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن بن عوف اتسأله ولنا بنون مثله فقال له عمر انه من حيث تعلم فسأله عن هذه الآية اذا جاء نصر الله والفتح فقلت انما هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه وقرأ السورة الى آخرها فقال له عمر والله ما اعلم منها الا ما تعلم قال هذا حديث حسن صحيح فان قيل فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار قيل له كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه رب اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي خطاي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم وانت المؤخر انك على كل شيء قدير فكان صلى الله عليه وسلم يستقصر نفسه لعظم ما انعم الله عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبا ويحتمل ان يكون بمعنى كن متعلقا به سائلا راغبا متضرعا عن رؤية التقصير في اداء الحقوق لئلا ينقطع الى رؤية الاعمال وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا وقيل ذلك تنبيه لامته كي لا يأمنوا ويتركوا الاستغفار وقيل واستغفره اي استغفر لامتك انه كان توابا اي على المسبحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما الظن بغيره روى مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قالت فقلت يا رسول الله اراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه

فقال

فقال خبرني ربي اني سأرى علامة في امتي اذا رأيتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدهما النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير هذا مما تقدم في البقرة بيانه

تفسير سورة تبت

وهي مكية باجماع وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب فيه ثلاث مسائل الاولى ثبت في الصحيحين وغيرهما واللفظ لمسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال ارأيتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا ابي لهب وقد تب كذا قرأ الاعمش الى آخر السورة زاد الحميدي وغيره فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما اخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة مذمما عصينا وامره ابينا ودينه قلينا ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها رأتك قال ما رأتني لقد اخذ الله ببصرها عني وكانت قريش انما تسمي النبي صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان يقول الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد وقيل ان سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا اعطى ان آمنت بك يا محمد فقال كما يعطى المسلمون قال ما لي عليهم فضل قال واي شيء تبغي قال تبا لهذا من دين ان اكون انا وهؤلاء سواء فانزل الله تعالى فيه تبت يدا ابي لهب وتب وقول ثالث حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال كان اذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق اليهم ابو لهب فيسألونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون انت اعلم به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر بذلك

بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتاب لذلك فانزل الله تعالى تبت السورة وقيل ان
ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فمنعه الله من ذلك فانزل الله تعالى تبت يدا
ابى لهب للمنع الذى وقع به ومعنى تبت خسرت قاله قتادة وقيل خابت قاله ابن عباس وقيل ضلت
قاله عطا وقيل هلكت قاله ابن جبير وقال يمان بن رباب صفرت من كل خير حكى الاصمعي عن ابي عمرو
بن العلا انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول ٥ لقد خلوك وانصرفوا
فما آبوا ولا رجعوا ٥ ولم يوفوا بنذرهم ٥ فيا تبا للذي صنعوا ٥ وخص اليدين بالتباب
لان العمل اكثر ما يكون بهما اى خسرتا وخسر هو وقيل المراد باليدين نفسه وقد يعبر عن النفس
باليد كما قال الله تعالى بما قدمت يداك اى نفسك وهذا مهيع كلام العرب تعبر ببعض الشئ عن كله
تقول اصابه يد الدهر ويد الرزايا والمنايا اى اصابه كل ذلك قال الشاعر
لما اكبت يد الرزايا ٥ عليه نادى الا مجير وتب قال الفراء التب الاول دعاء والثانى خبر
كما يقال اهلكه الله وقد هلك وفى قراءة عبد الله وابي وقد تب وابو لهب اسمه عبد العزى
وهو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامرأته العوراء ام جميل اخت ابي سفيان
ابن حرب وكلاهما كان شديدا لعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال طارق ابن عبد الله المحاربي
انى بسوق ذى المجاز اذا انا بانسان يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل
خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من
هذا فقالوا محمد عليه السلام زعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروى عطا عن ابن
عباس قال قال ابو لهب سحركم محمد ان احدنا ليأكل الجذعة ويشرب العس من اللبن فما يشبع
وان محمدا قد اشبعكم من فخذ شاة وارواكم من عس لبن الثانية قوله تعالى ابي لهب قيل
سمي باللهب لحسنه واشراق وجهه وقد ظن قوم ان هذا دليلا على تكنية المشرك وهو باطل وانما
كناه الله تعالى بابي لهب عند العلماء لمعان اربعة الاول انه كان اسمه عبد العزى والعزى صنم
ولم يضف الله العبودة فى كتابه الى صنم الثانى انه كان بكنيته اشهر منه باسمه فصرح بها
الثالث ان الاسم اشرف من الكنية فحطه الله جل وعز عن الاشرف الى الانقص اذ لم يكن بد
من الاخبار عنه ولذلك دعا الله تعالى الانبياء باسمائهم ولم يكن عن احد منهم ويدلك على
شرف الاسم على الكنية ان الله تعالى يسمى ولا يكنى وان كان ذلك لظهوره وبيانه واستحالة نسبة الكنية
اليه لتقدسه عنها الرابع ان الله تعالى اراد ان يحقق نسبته بان يدخله النار فيكون ابا لها تحقيقا
للنسب وامضاء للفال والطيرة التى اختار لنفسه وقد قيل اسمه كنيته وكان اهله يسمونه
ابا لهب لتلهب وجهه وحسنه فصرفهم الله عن ان يقولوا ابو نور وابو الضياء الذي هو المشترك
بين المحبوب والمكروه واجرى على السنتهم ان يضيفوه الى لهب الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم
وهو النار ثم تحقق ذلك بان يجعلها مقره وقرأ مجاهد وحميد وابن كثير وابن محيصن ابي لهب
باسكان الهاء ولم يختلفوا فى ذات لهب انها مفتوحة لانهم راعوا فيها رؤس الاى الثالثة
قال ابن عباس لما خلق الله جل وعز القلم قال له اكتب ما هو كائن وكان فيما كتب تبت يدا ابى لهب

وقال منصور سئل الحسن عن قوله تبت يدا ابي لهب هل كان فى ام الكتاب وهل كان ابو لهب يستطيع
ان لا يصلى النار فقال والله ما كان يستطيع الا يصلاها وانها فى كتاب الله من قبل ان يخلق
ابو لهب وابواه ويؤيده قول موسى لآدم انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك
جنته واسجد لك ملائكته اغويت الناس واخرجتهم من الجنة قال آدم وانت موسى الذي
اصطفاك الله بكلامه واعطاك التوراة تلومنى على امر كتبه على قبل ان يخلق الله السموات والارض
قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى وقد تقدم هذا وفى حديث همام عن ابي هريرة ان
آدم قال لموسى بكم وجدت الله كتب التوراة من قبل ان يخلقنى قال بالفى عام قال فهل وجدت
فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومنى على امر كتبه الله على ان افعله من قبل ان
اخلق بالفى عام فحج آدم موسى وفى حديث طاوس وابن هرمز والاعرج عن ابي هريرة باربعين
عاما قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب اى ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال
ولا ما كسب من جاه وقد قال مجاهد من الولد وولد الرجل من كسبه وقرأ الاعمش وما اكتسب ورواه
عن ابن مسعود وقال ابو الطفيل جاء بنو ابى لهب يختصمون عند ابن عباس فاقتتلوا فقام ليحجز
بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عنى الكسب الخبيث
يعنى ولده وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكل الرجل
من كسبه وان ولده من كسبه خرجه ابو داود وقال ابن عباس لما انذر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانى افدى نفسى بمالى وولدي فنزل
ما اغنى عنه ماله وما كسب وما فى قوله ما اغنى يجوز ان يكون نفيا ويجوز ان يكون استفهاما اي
اي شئ اغنى وما الثانية يجوز ان يكون بمعنى الذي ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا اى ما اغنى
عنه ماله وكسبه قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب اي ذات اشتعال وتلهب
وقد مضى فى والمرسلات القول فيه وقراءة العامة سيصلى بفتح الياء وقرأ ابو رجاء والاعمش
بضم الياء ورواها محبوب عن اسمعيل عن ابن كثير وحسين عن ابي بكر عن عاصم ورويت
عن الحسن وقرأ اشهب العقيلى وابو سماك العدوى ومحمد بن السميفع سيصلى بضم الياء
وفتح الصاد وتشديد اللام ومعناها سيصليه الله من قوله وتصلية جحيم والثانية من
الاصلاء اى يصليه الله من قوله سنصليه نارا والاولى هى الاختيار لاجماع الناس عليها
وهى من قوله الا من هو صال الجحيم قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب وامرأته ام جميل
وقال ابن العربى العوراء ام قبيح وكانت عوراء حمالة الحطب قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والسدى كانت تمشى بالنميمة بين الناس تقول العرب فلان يحطب على فلان اذا ورش عليه قال
الشاعر ان بنى الادرم حمالو الحطب ٥ هم الوشاة فى الرضا والغضب عليهم اللعنة تترى والحرب
وقال آخر ٥ من البيض لم تصطد على ظهر لامة ٥ ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب
يعنى لم تمش بالنمائم وجعل الحطب رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر وقال
اكثم بن صيفى لبنيه اياكم والنميمة فانها نار محرقة وان النمام ليعمل فى ساعة ما لا يعمل

ان النميمة نار ويك محرقة
الساحر فيها اخذه بعض الشعراء فقال
فعد عنها وجانب من تعاطاها ٭ ولذلك قيل نار الحقد لا تخبو وثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقال ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقال من شر الناس
ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقال كعب الاحبار اصاب بني اسرائيل
قحط فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا فقال موسى الهي عبادك فاوحى الله
اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك لان فيهم رجلا نماما قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب
من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما قال فتابوا باجمعهم فسقوا
والنميمة من الكبائر لا خلاف في ذلك حتى قال الفضيل ابن عياض ثلاث تهد العمل الصالح ويفطرن الصائم
وينقضن الوضوء الغيبة والنميمة والكذب وقال عطا ابن السائب ذكرت للشعبي قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا يسكن مكة سافك دم ولا مشاء بنميمة ولا تاجر يربي فقلت يا ابا عمرو قرن النمام
بالقاتل واكل الربا فقال وهل تسفك الدماء وتنتهب الاموال وتهيج الامور العظام الا من اجل النميمة
وقال قتادة وغيره كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل
الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد والضحاك كانت تحمل العضاة والشوك
فتطرحه بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال ابن عباس قال الربيع فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطاء الحرير وقال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم
باباله من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات يوم حاملة حزمة اعيت فقعدت
على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب
من قولهم فلان يحتطب على ظهره دليله قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل المعنى حمالة
الحطب في النار وفيه بعد وقراة العامة حمالة بالرفع على ان يكون خبرا وامراته مبتداء ويكون
في جيدها حبل من مسد جملة في موضع الحال من المضمر في حمالة او خبرا ثانيا او تكون حمالة الحطب
نعتا لامراته والخبر في جيدها حبل من مسد فيوقف على هذا على ذات لهب ويجوز ان يكون وامراته
معطوفة على المضمر في سيصلى فلا يوقف على ذات لهب ويوقف على امراته وتكون حمالة الحطب
خبر ابتداء محذوف وقراء عاصم حمالة الحطب بالنصب على الذم كانها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة
للذم لا للتخصيص كقوله ملعونين اينما ثقفوا وقراء ابو قلابة حاملة الحطب قوله تعالى في
جيدها حبل من مسد ٭ في جيدها قال امرء القيس ٭ وجيد كجيد الريم ليس بفاحش ٭
اذا هي نصته ولا بمعطل حبل من مسد ٭ اي من ليف قال النابغة ٭
مقذوفة بدخيس النحض بازلها ٭ صريف صريف القعو بالمسد ٭
وقال الراجز يا مسد الخوص تعوذ مني ٭ ان كنت لدنا لينا فاني ٭
ماشيت من اشمط مقسئن وقد يكون من جلود الابل او من اوبارها قال
ومسد امر من ايانق ٭ ليس بانياب ولا حقائق ٭
وجمع الجيد اجياد والمسد امساد ابو عبيدة هو حبل يكون من صوف الحسن هي حبال من شجر

اي عنقها ص

تنبت

نبت باليمن تسمى المسد قال الضحاك وغيره هذا في الدنيا فكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم
بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل فاهلكها وهي في الاخرة
حبل من نار وقال ابن عباس في رواية ابي صالح في جيدها حبل من مسد قال سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا وقاله مجاهد وعروة ابن الزبير تدخل من فيها وتخرج من اسفلها ويلوى
سائرها على عنقها وقال قتادة حبل من مسد قال قتادة من ودع الودع خرز بيض تخرج من
البحر تتفاوت في الصغر والكبر قال الشاعر ٭ والحلم حلم صبي يمرث الودعه ٭ والجمع
ودعات الحسن انما كان خرزا في عنقها سعيد بن جبير كانت لها قلادة فاخرة من جوهر
فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة
وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوط
في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله قال
يمسد اعلى لحمه ويارمه يقول ان البقل يقوي ظهر هذا الحمار ويشده ودابة ممسودة الخلق
اذا كانت شديدة الاسر قال الشاعر ومسد امر من ايانق صهب ٭ عتاق ذات مخ زاهق
ليس بانياب ولا حقائق ويروي ولا ضعاف مخهن زاهق قال الفراء هو مرفوع والشعر مكفاء
يقول بل مخهن مكتنز رفعه على الابتداء قال ولا يجوز ان يريد ولا ضعاف زاهق مخهن كما لا يجوز
ان يقول مررت برجل قايم بالخفض وقال غيره الزاهق هنا بمعنى الذاهب كانه قال ولا ضعاف
مخهن ثم رد الزاهق على الضعاف ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية حسنة المسد والعصب
والجدل والارم وهي ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة في المساب
وهو نحي السمن وسقاء العسل قال جميعه الجوهري فقد اعترض فقيل ان كان ذلك حبلها
الذي تحتطب به فكيف يبقى في النار واجيب عنه بان الله جل وعز قادر على تجديده كلما احترق
والحكم ببقاء ابي لهب وامراته في النار مشروط ببقائهما على الكفر الى الموافاة فلما ماتا على الكفر
صدق الاخبار عنهما ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فامراته خنقها الله بحبلها وابو لهب رماه
الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال بعد ان شجته ام الفضل وذلك انه لما قدم الحيسمان مكة
يخبر خبر بدر قال له ابو لهب اخبرني خبر الناس قال نعم والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحنا هم
اكتافنا يضعون السلاح منا حيث شاؤا ومع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق
لا والله ما تبقي شيا يقول ما تبقي شيا قال ابو رافع وكنت غلاما للعباس انحت الاقداح في صفة زمزم
وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ثم رفعت طنب الحجرة فقلت تلك والله الملائكة
قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة منكرة وثاورته وكنت رجلا ضعيفا فاحتملني فضرب
بي الارض وبرك على صدري يضربني وتقدمت ام الفضل الى عمود الحجرة وتقول استضعفته ان غاب
عنه سيده وتضربه بالعمود على راسه فتفلقه شجة منكرة فقام يجر رجليه ذليلا ورماه الله بالعدسة
فمات واقام ثلاثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسلوه بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة
وكانت قريش تتقيها كما تتقي الطاعون ثم احتملوه الى اعلى مكة فاسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة

تفسير سورة الاخلاص

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا احد *

قل هو الله اي الواحد الوتر الذي لا شبه له ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك واصل احد وحد قلبت الواو همزة ومنه قول النابغة على مستأنس وحد ◦ وقد تقدم في البقرة الفرق بين احد وواحد وفي كتاب الاسني ايضا مستوفى واحد مرفوع على معنى هو واحد وقيل احد بدل من قوله الله الصمد وقرأ جماعة احد الله بلا تنوين طلبا للخفة وفرارا من التقاء الساكنين ومنه قول الشاعر ◦ ولا ذاكر الله الا قليلا ◦ الله الصمد اي الذي يصمد اليه في الحاجات كما قال جل وعز ثم اذا مسكم الضر كذا روي الضحاك عن ابن عباس قال الذي يصمد اليه في الحاجات كما قال جل وعز ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون قال اهل اللغة الصمد السيد الذي يصمد اليه في النوازل والحوائج قال الا بكر الناعي بخيري بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وقال قوم الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل تفسيره ما بعده لم يلد ولم يولد قال ابي بن كعب الصمد الذي لا يلد ولا يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا يورث وقال علي وابن عباس ايضا وابو وائل وشقيق ابن سلمة وسفيان الصمد هو السيد الذي قد انتهى سودده في انواع الشرف والسودد ومنه قول الشاعر

◦ علوته بحسام ثم قلت له ◦ خذها حذيف فانت السيد الصمد ◦

وقال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغائب والمستعان في المصائب وقال الحسين بن الفضل انه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال مقاتل انه الكامل الذي لا عيب فيه ومنه قول الزبرقان ◦ سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا ولا رهينة الا سيد صمد ◦ وقال الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير الصمد المصمت الذي لا جوف له قال الشاعر

◦ شهاب حروب لا تزال جياده ◦ عوابس يعلكن الشكيم المصمدا ◦

قال الشيخ رحمه الله قد اتينا على هذه الاقوال مبينة في الصمد في كتاب الاسني وان الصحيح منها ما يشهد له الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي وقد اسقط من هذه السورة من ابعده الله واخزاه وجعل النار مقامه ومثواه قل هو وقرأ الله الواحد الصمد في الصلاة والناس يسمعون فاسقط قل هو وزعم انه ليس من القرآن وغير لفظ احد وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل والمحال فابطل معنى الآية لان اهل التفسير قالوا نزلت الآية جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك أمن ذهب ام نحاس ام من صفر فقال الله عز وجل ردا عليهم قل هو الله احد ففي هو دلالة على موضع الرد ومكان الجواب فاذا اسقط بطل معنى الآية وصح الافتراء على الله تعالى والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شيء وروي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك قال فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد فذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا اصح قاله الترمذي قال الشيخ رحمه الله ففي هذا الحديث اثبات لفظ قل هو الله احد وتفسير الصمد وقد تقدم وعن عكرمة نحوه وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو رد على النصارى وعلى من قال عزير ابن الله ولم يكن له كفوا احد اي لم يكن له مثلا احد وفيه تقديم وتاخير تقديره ولم يكن له احد كفوا فقدم خبر كان على اسمها لينساق اواخر الآي على نظم واحد وقرئ كفوا بضم الفاء وسكونها وقد تقدم في البقرة ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان الا قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا لعلة تقدمت وقرأ حفص كفوا مضموم الفاء غير مهموز وكلها لغات فصيحة

القول في الاحاديث الواردة في فضل هذه السورة وفيه ثلاث مسائل

الاولى ثبت في صحيح البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن خرجه مسلم من حديث ابي الدرداء بمعناه وخرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا فاني ساقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ الله احد ثم دخل فقال بعضنا لبعض اني ارى هذا خبرا جاءه من السماء فذاك الذي ادخله ثم خرج فقال اني قلت لكم ساقرأ عليكم ثلث القرآن الا انها تعدل ثلث القرآن قال بعض العلماء انما عدلت ثلث القرآن لاجل هذا الاسم الذي هو الصمد فانه لا يوجد في غيرها من السور وكذلك احد وقيل ان القرآن انزل اثلاثا ثلثا منه احكام وثلثا منه وعد ووعيد وثلثا منه اسماء وصفات وقد جمعت قل هو الله احد الاثلاث وهو الاسماء والصفات ودل على هذا التاويل ما في صحيح مسلم من حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزءا من اجزاء القرآن وهذا نص وبهذا المعنى سميت سورة الاخلاص والله اعلم

الثانية روى مسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ

قال

لاصحابه في صلاة ثم يختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه
لاي شيء يصنع ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن فانا احب ان اقرا بها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله عز وجل يحبه وروى الترمذي عن انس ابن مالك قال كان رجل
من الانصار يؤمهم في مسجد قباء وكان كلما افتتح سورة يقرا بها لهم في الصلاة فقرا بها افتتح
بقل هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرا سورة اخرى وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه اصحابه
فقالوا انك تقرا بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرا بسورة اخرى فاما ان تقرا
بها واما ان تدعها وتقرا سورة اخرى قال ما انا بتاركها ان احببتم ان اؤمكم بها فعلت وان
كرهتم تركتكم وكانوا يرونه افضلهم وكرهوا ان يؤمهم غيره فلما اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم
اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك مما يامرك به اصحابك وما يحملك ان تقرا هذه السورة في كل
ركعة فقال يا رسول الله اني احبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حبها ادخلك الجنة
قال حديث حسن غريب صحيح قال ابن العربي فكان هذا دليلا على انه يجوز تكرار سورة في كل
ركعة وقد رايت على باب الاسباط فيما يقرب منه اماما من جملة الثمانية والعشرين اماما كان يصلي
التراويح في رمضان بالاتراك فيقرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد حتى تتم التراويح تخفيفا عليه
ورغبة في فضلها وليس من السنة ختم القران في رمضان قال الشيخ رحمه الله هذا نص قول
مالك قال مالك وليس ختم القران في المساجد بسنة الثالثة روى الترمذي عن انس بن مالك
قال اقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة قال هذا حديث حسن صحيح قال الترمذي حدثنا
محمد بن مرزوق البصري قال حدثنا حاتم بن ميمون ابو سهل عن ثابت البناني عن انس ابن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا كل يوم مائتي مرة قل هو الله احد محي عنه ذنوب خمسين
سنة الا ان يكون عليه دين وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على
فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب يا عبدي
ادخل على يمينك الجنة قال هذا حديث غريب من حديث ثابت ابن انس وفي مسند ابي محمد الدارمي
عن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد خمسين مرة غفرت
له ذنوب خمسين سنة قال وحدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة قال اخبرني ابو عقيل انه سمع سعيد
ابن المسيب يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد عشر مرات بني له قصر في الجنة
ومن قراها عشرين مرة بني له بها قصران في الجنة ومن قراها ثلاثين مرة بني له بها ثلاثة قصور في الجنة
فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله اذن لنكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله اوسع من ذلك قال ابو محمد ابو عقيل زهرة ابن معبد وزعموا انه كان من الابدال وذكر
ابو نعيم الحافظ من حديث ابي العلاء يزيد بن عبد الله ابن الشخير عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا قل هو الله في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من ضغطة القبر
وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة قال هذا حديث غريب من

حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي وذكر ابو بكر احمد بن علي ابن ثابت الحافظ عن عيسى بن ابي
فاطمة الرازي قال سمعت مالك ابن انس يقول اذا نقس بالناقوس اشتد غضب الرحمن فتنزل
الملائكة فياخذون باقطار الارض فلا يزالون يقرؤون قل هو الله احد حتى يسكن غضبه عز وجل و
خرج من حديث محمد بن خالد الجندي عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرا في كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمسين مرة قل
هو الله احد فذلك مائتا مرة في اربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله من الجنة او يرى له وقال
ابو عمرو مولى جرير بن عبد الله البجلي عن جرير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو
الله احد حين يدخل منزله نفت الفقر عن اهل ذلك المنزل وعن الجيران وعن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد مرة بورك عليه ومن قراها مرتين
بورك عليه وعلى اهله ومن قراها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قراها اثني
عشر مرة بنى الله له اثني عشر قصرا في الجنة وتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا فان قراها
مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والاموال فان قراها اربعمائة مرة كفر الله
عنه ذنوب مائة سنة فان قراها الف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة او يرى له وعن سهل بن
سعد الساعدي قال شكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت البيت فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على
واقرا قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض على جيرانه
وقال انس كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس بيضاء لها شعاع ونور لم ارها
فيما مضى طلعت قط كذلك فاتى جبريل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل مالي ارى
الشمس طلعت بيضاء بشعاع لم ارها طلعت كذلك فيما مضى قط فقال ذلك لان معاوية ابن معاوية الليثي
توفي بالمدينة اليوم فبعث الله سبعين الف ملك يصلون عليه قال وفيم ذلك قال كان يكثر قراءة قل
هو الله احد اناء الليل واناء النهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله
ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع ذكره الثعلبي

تفسير سورة الفلق

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة وهي
خمس آيات وهذه السورة وسورة الناس والاخلاص انزلن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين سحره اليهود على ما ياتي وقيل ان المعوذتين كان يقال لهما المقشقشتان اي تبريان من
النفاق وقد تقدم وزعم ابن مسعود انهما دعاء تعوذ به وليستا من القران خالف به الاجماع
من الصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين
لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما فقدر
انهما بمنزلة اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال ابو بكر

الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين
واعيذكما بكلمات الله التامة من قول البشريين وكلام الخالق الذي هو آية لمحمد خاتم النبيين
وحجة له باقية على جماعة الكافرين لا يلتبس بكلام الآدميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح
اللسان العالم باللغة العارف باجناس الكلام وافانين القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد
الله بن مسعود المعوذتين لانه امن عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة
الكتاب من مصحفه وما يشك في حفظه واتقانه لهما فرد هذا القول على قائله واحتج عليه بانه قد
كتب اذا جاء نصر الله والفتح وانا اعطيناك الكوثر وقل هو الله احد وهن يجرين مجرى المعوذتين
في انهما غير طوال والحفظ لهن يسرع ونسيانهن مامون وكلهن تخالف فاتحة الكتاب اذ الصلاة
لا تتم الا بقراءتها وسبيل كل ركعة ان يكون المقدمة فيها قبل ما يقرأ من بعدها فاسقاط فاتحة
الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقاء حفظها والامن من نسيانها صحيح وليس من السور ما يجري
في هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها وقد مضى هذا المعنى في الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد

فيها سبع مسائل الاولى روى النسائي عن عقبة بن عامر قال
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدي على قدمه فقلت اقرئني سورة
اقرئني سورة يوسف فقال لي لن تقرأ شيئا ابلغ عند الله من قل اعوذ برب الفلق وعنه قال
بينا انا اسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ باعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس ويقول
يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما قال وسمعته يقرأ بهما في الصلاة وروى النسائي عن
عبد الله قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر كلاما معناه فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قل فقلت ما اقول قال قل هو الله احد والمعوذتين حين
تمسي وحين تصبح ثلاثا تكفك كل شيء وعن عقبة بن عامر الجهني قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل قلت ما اقول قال قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس فقرأهن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لم يتعوذ الناس بمثلهن او لا يتعوذ الناس بمثلهن وفي حديث
ابن عباس قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس هاتين السورتين وفي صحيح مسلم
والبخاري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات
وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها النفث النفخ ليس معه
ريق الثانية ثبت في الصحيحين من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره يهودي
من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى يخيل اليه انه كان يفعل الشيء ولا يفعله فمكث كذلك
ما شاء الله ان يمكث في غير الصحيح سنة ثم قال يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه
اتاني ملكان جلس احدهما عند راسي والآخر عند رجلي قال ما شان الرجل قال مطبوب قال ومن طبه

قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذي اروان
فجاء البئر واستخرجه انتهى الصحيح وقال ابن عباس اما شعرت يا عائشة ان الله تعالى اخبرني
بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا
الصخرة وهي الراعوفة صخرة تترك اسفل البئر يقوم عليها المائح واخرجوا الجف فاذا مشاطة
راس انسان واسنان من مشط واذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر
فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية على عدد تلك العقد وامر ان يتعوذ بهما فجعل
كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة
فكانما انشط من عقال وقال ليس به باس وجعل جبريل يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر حاسد وعين والله يشفيك فقالوا يا رسول
الله الا نقتل الخبيث فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا وذكر القشيري
في تفسيره انه ورد في الصحاح ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدنت
اليه اليهود ولم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم والمشاطة بضم الميم ما
يسقط من الشعر عند المشط واخذ عدة من اسنان مشطه واعطاها اليهود فسحروه فيها
وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الاعصم اليهودي وذكر نحو ما تقدم عن ابن عباس الثالثة
تقدم في البقرة القول في السحر وحقيقته وما ينشأ عنه من الآلام والمفاسد وحكم الساحر فلا معنى
لاعادته الرابعة قوله الفلق اختلف فيه فقيل سجن في جهنم قاله ابن عباس وقال ابي بن
كعب بيت في جهنم اذا فتح صاح اهل النار من حره وقال الحبلي ابو عبد الرحمن هو اسم من
اسماء جهنم وقال الكلبي واد في جهنم وقال عبد الله بن عمر شجرة في النار سعيد بن جبير جب
في النار النحاس يقال لما اطمأن من الارض فلق فعلى هذا يصح هذا القول وقال جابر بن عبد الله
والحسن وسعيد بن جبير ايضا ومجاهد وقتادة والقرظي وابن زيد الفلق الصبح وقال الشاعر

يا ليلة لم انمها بت مرتفقا ° ارعى النجوم الى ان نور الفلق

وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه اي تتشقق وقيل هو التفليق بين الجبال لانها تنشق
من خوف الله جل وعز قال زهير ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي الركاب بهم من راكس فلقا
الراكس بطن الوادي وكذلك هو في قول النابغة ° ودوني راكس فالضواجع ° والراكس
ايضا الهادي وهو الثور وسط البيدر تدور عليه الثيران في الدياسة وقيل الرحم تنفلق بالحيوان
وقيل انه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات
وغيره قاله الحسن وغيره قال الضحاك الفلق الخلق كله قال

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ° سرا وقد اوّن تاوين العقق

قال الشيخ رحمه الله هذا القول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق فلقت الشيء فلقا شققته
والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق وكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى
وماء فهو فلق قال الله تعالى فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوى وقال ذو الرمة

وقاله ابن عباس تقول العرب
هو ابين من فلق الصبح وفرق
الصبح صح

يصف الثور الوحشي ٭ حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق ٭ هاديه في اخريات الليل منتصب

يعني بالفلق هنا الصبح بعينه والفلق ايضا المطمئن من الارض بين الربوتين وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا ذلك بفالق كذا وكذا يريدون المكان المنحدر بين الربوتين والفلق ايضا مقطرة السجان فاما الفلق بالكسر فالداهية والامر العجيب تقول منه افلق الرجل وافتلق وشاعر مفلق وقد جاء بالفلق والفلق ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل واحد منهما فلق وقولهم جاء بعلق فلق وهي الداهية لا تجري يقال منه اعلقت وافلقت اي جئت بعلق فلق ومر يفتلق في عدوه اي ياتي بالعجب من شدته وقوله تعالى من شر ما خلق قيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم وقيل هو عام اي من شر كل ذي شر خلقه الله عز وجل الخامسة ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه فقيل هو الليل والغسق اول ظلمة الليل يقال منه غسق الليل يغسق اي اظلم قال قيس بن الرقيات

ان هذا الليل قد غسقا ٭ واشتكيت الهم والارقا ٭ وقال آخر
يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا ٭ جئتنا طارقا والليل قد غسقا ٭

هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ووقب على هذا التفسير اظلم قاله ابن عباس الضحاك دخل قتادة ذهب يمان بن رياب سكن وقيل نزل يقال وقب العذاب على الكافرين نزل قال الشاعر ٭ وقب العذاب عليهم فكانهم ٭ لحقتهم نار السموم فاحصدوا ٭

وقال الزجاج قيل لليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولان في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من اماكنها وينبعث اهل الشر على العبث والفساد وقيل الغاسق الثريا وذلك انها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن ابن زيد وقيل هو الشمس اذا غربت قاله ابن شهاب وقيل هو القمر قال القتبي اذا وقب القمر اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف له وذلك اذا خسف به وكل شي اسود فهو غسق قال قتادة اذا وقب اذا غاب وهو اصح لان في الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي في تاويل هذا الحديث وذلك ان اهل الريبة يتحينون وجبة القمر وانشد

اراحني الله من اشياء اكرهها ٭ منها العجوز ومنها الكلب والقمر ٭
هذا يبوح وهذا يستضاء به ٭ وهذه ضمور قوامة السحر ٭

وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها لان السم يغسق منه اي يسيل ووقب نابها اذا دخل في اللديغ وقيل الغاسق كل هاجم يضر كاينا ما كان من قولهم غسقت القرحة اذا جرى صديدها السادسة ومن شر النفاثات في العقد يعني الساحرات اللاي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النفخ كما يعمل من يرقي قال الشاعر

اعوذ بربي من النافثات ومن عضه العاضه المعضه

وقال متمم بن نويرة ٭ نفثت في الخيط شبيه الرقى ٭ من خشية الجنة والحاسد
وقال عنترة ٭ فان لم يبرأ فلم انفث عليه ٭ وان يفقد يحق له الفقود

السابعة روى النسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيا وكل اليه واختلف في النفث عند الرقي فمنعه قوم واجازه آخرون قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقال ابرهيم كانوا يكرهون النفث في الرقى وقال بعضهم دخلت على الضحاك وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا محمد قال بلى ولكن لا تنفث فعوذته بالمعوذتين وقال ابن جريج قلت لعطا القرآن ينفخ به او ينفث قال لا شي من ذلك ولكن تقرؤه هكذا ثم قال بعد انفث ان شيت وسيل محمد بن سيرين عن الرقية ينفث فيها فقال لا اعلم بها باسا واذا اختلفوا فالحاكم بينهم السنة روت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث في الرقية رواه الايمة وقد ذكرناه اول السورة وفي سبحان وعن محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتت به امه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وقال محمد بن الاشعث ذهب بي الى عائشة وفي عيني سوء فرقتني ونفثت واما ما روي عن عكرمة من قوله لا ينبغي للراقي ان ينفث فكانه ذهب فيه الى ان الله تعالى جعل النفث في العقد مما يستعاذ به فلا يكون بنفسه عوذة وليس هذا هكذا لان النفث في العقد اذا كان مذموما لم يجب ان يكون النفث بلا عقد مذموما ولان النفث في العقد انما اريد به السحر المضر بالارواح وهذا النفث لاستصلاح الابدان فلا يقاس ما ينفع بما يضر واما كراهة عكرمة المسح فخلاف السنة قال علي رضي الله عنه اشتكيت فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر فارحني وان كان متاخرا فاشفني او عافني وان كان بلاء فصبرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف قلت فقلت له فمسحني بيده ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك الوجع بعد وقرا عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر ورويس عن يعقوب ومن شر النافثات في وزن فاعلات ورويت عن عبد الله بن القاسم مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنه وروي ان نساء سحرن النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين احدى عشرة آية قال ابن زيد كن من اليهود يعني السواحر المذكورات وقيل هن بنات لبيد الاعصم الثامنة قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد قد تقدم معنى الحسد في النساء وانه تمني زوال نعمة المحسود وان لم يصر للحاسد مثلها والمنافسة مباحة وهي الغبطة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن يغبط والمنافق يحسد وفي الصحيحين لا حسد الا في اثنين يريد لا غبطة وقد مضى في النساء التاسعة قال العلماء الحاسد لا يضر الا اذا ظهر حسده بفعل او قول وذلك بان يحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود فيتبع مساويه ويطلب عثراته قال صلى الله عليه وسلم اذا حسدت فلا تبغ الحديث وقد تقدم والحسد اول ذنب عصي الله به في السماء واول ذنب عصي به في الارض فحسد ابليس آدم وحسد قابيل هابيل والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون ولقد احسن من قال ٭ قل للحسود اذا تنفس طعنة ٭ يا ظالما وكانه مظلوم

العاشر هذه السورة دالة على ان الله سبحانه خالق كل شر وامر نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يتعوذ من جميع الشرور فقال من شر ما خلق وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيها على عظمه وكثرة
ضرره والحاسد عدو نعمة الله قال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة اوجه اولها انه ابغض
كل نعمة ظهرت على غيره وثانيها انه ساخط لقسمة ربه فكانه يقول لم قسمت هذه القسمة وثالثها
انه ضاد فعل الله اى ان الفضل لله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله ورابعها انه خذل
اولياء الله او يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم وخامسها انه اعان عدوه ابليس وقيل الحاسد
لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا
وغما ولا ينال في الآخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله الا بعدا ومقتا وروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ثلاث لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل او حسد
للمسلمين

تفسير سورة الناس

روى الترمذي عن عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قد انزل الله على آيات
لم ير مثلهن قل اعوذ برب الناس الى آخر السورة وقل اعوذ برب الفلق الى آخر السورة قال
هذا حديث حسن صحيح ورواه مسلم بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس قل اعوذ برب الناس اى مالكهم ومصلح امورهم وانما
ذكر انه رب الناس وان كان ربا لجميع الخلق لامرين احدهما لان الناس معظمون فاعلم بذكرهم انه رب
لهم وان عظموا الثانى لانه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذى يعيذ منهم وانما قال
ملك الناس اله الناس لان في الناس ملوكا فذكر انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر انه الههم
ومعبودهم وانه الذى يجب ان يستعاذ به ويلجأ اليه دون الملوك والعظماء قوله تعالى من شر
الوسواس الخناس يعنى الشيطان والمعنى من شر ذى الوسواس فحذف المضاف قاله الفراء
وهو بفتح الواو بمعنى الاسم اى الموسوس وبكسر الواو المصدر يعنى الوسوسة وكذا الزلزال
والزلزال والوسوسة حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسوسة بكسر الواو ويقال
لهمس الصائد والكلاب واصوات الحلى وسواس قال ذو الرمة

فبات يشئزه ثأد ويسهره ° تذوب الريح والوسواس والهضب

وقال الاعشى ° تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

ويقال ان الوسواس الخناس ابن لابليس جاء به الى حواء ووضعه بين يديها وقال اكفليه فجاء آدم
فقال ما هذا قالت جاء عدونا بهذا وقال لى اكفليه فقال الم اقل لك لا تطيعيه في شيء هو الذى
غرنا حتى وقعنا في المعصية وعمد الى الولد فقطعه اربعة ارباع وعلق كل ربع على شجرة غيظا له فجاء
ابليس فقال يا حواء اين ابنى فاخبرته بفعل آدم اياه فذهب الى البحر فقال يا خناس فحيى فاجابه
فجاء به الى حواء الثالثة فقال اكفليه فنظر اليه آدم فذبحه وشواه واكلاه جميعا فجاء ابليس فسألها
فاخبرته فقال يا خناس فحيى واجابه من جوف آدم وحواء فقال ابليس هذا الذى اردت وهذا

[في الهامش:] ووسوسة

[في الهامش:] ...صنع به ادم فقال يا خناس فحيى ... فجاء به فجاء به الى الحراء وقال اكفليه ... آدم فحرقه بالنار وذرى رماده ... البحر فجاء ابليس فقال يا حواء ... ابنى فاخبرته صح

[في الهامش:] ...سلطان محمد خان غازى

...ما

يسكنك في صدور ... هو ملتقم قلب ابن آدم ما دام غافلا يوسوس فاذا ذكر الله لفظ قلبه
والخنس ذكر هذا الخبر الترمذى الحكيم في نوادر الاصول باسناده عن وهب بن منبه وما اظنه
يصح والله اعلم ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعنى النجوم
لاختفائها بعد ظهورها وقيل لانه يخنس اذا ذكر العبد الله اى يتاخر وفي الخبر ان الشيطان
جاثم على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله خنس اى تاخر واقصر وقال قتادة
ان الخناس الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا غفل ابن آدم وسوس
له واذا ذكر العبد ربه خنس يقال خنسته فخنس اى اخرته فتاخر واخنسته ايضا ومنه قول
العلاء بن الحضرمى انشده رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دحسوا بالشر فاعف تكرما
وان خنسوا عند الحديث فلا تسل ° الرجيس الافساد وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس واذا نسى الله التقم قلبه فوسوس
وقال ابن عباس اذا ذكر الله العبد خنس من قلبه فذهب واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقال
ابرهيم التيمى اول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء وقيل سمى خناسا لانه يرجع اذا غفل العبد عن
ذكر الله والخنس الرجوع قال الراجز وصاحب يمتعس امتعاسا ° يزداد ان جشته خناسا
وقد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس وجهين احدهما انه الراجع بالوسوسة
عن الهدى الثانى انه الخارج بالوسوسة من اليقين قوله تعالى الذى يوسوس في صدور
الناس قال مقاتل ان الشيطان في صورة خنزير يجرى من ابن آدم مجرى الدم في العروق
سلطه الله على ذلك فذلك قوله الذى يوسوس في صدور الناس وفي الصحيح عن النبى صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وهذا يصحح ما قاله مقاتل وروى شهر بن حوشب
عن ابى ثعلبة الخشنى قال سالت الله ان يرينى الشيطان ومكانه من ابن آدم فرايته يداه في
يديه ورجلاه في رجليه مشاعبه في جسده غير ان له خطما كخطم الكلب فاذا ذكر الله خنس
ونكس واذا سكت عن ذكر الله اخذ بقلبه فعلى نحو ما وصف ابو ثعلبة انه متشاعب في الجسد
اى في كل عضو منه شعبة وروى عن عبد الرحمن بن الاسود او غيره من التابعين انه قال وقد
كبرت سنه ما امنت وما يؤمنى ان يدخل الشيطان في ذكرى فيوتد ° فهذا القول ينبئك انه متشعب
في الجسد وهو معنى قول مقاتل ووسوسته هو الدعاء الى طاعته بكلام خفى يصل مفهومه الى القلب
من غير سماع صوت قوله تعالى من الجنة والناس اخبر ان الموسوس قد يكون من
الناس قال الحسن هما شيطانان اما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس فياتى
علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الانس
والجن وروى عن ابى ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال او من الانس
شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس الآية وذهب قوم الى ان الناس
هنا يراد به الجن سموا ناسا كما سموا رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من
الجن وقوما ونفرا فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة ويكون التكرير لاختلاف اللفظين

وذكر عن بعض العرب [illegible] من الجن فوقفوا [illegible] فقالوا ناس من الجن وهو معنى قول [illegible] الوسواس الشيطان وقوله من الجنة بيان انه من الجن والناس معطوف على الوسواس [illegible] التاس من شر الوسواس الذي هو من الجنة ومن شر الناس فعلى هذا امر بان يستعيذ بالله من شر الجن والانس والجنة جمع جني كما يقال انسي وانس والهاء لتانيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عاما في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدوره وقيل معنى من شر الوسواس اي الوسوسة التي تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به رواه ابو هريرة خرجه مسلم فالله اعلم بالمراد من ذلك

تمت

قد صححت هذا التفسير وقابلته بقدر الوسع والامكان

والمقصر الى الله الغني [illegible] علي [illegible] الله تعالى

[illegible]